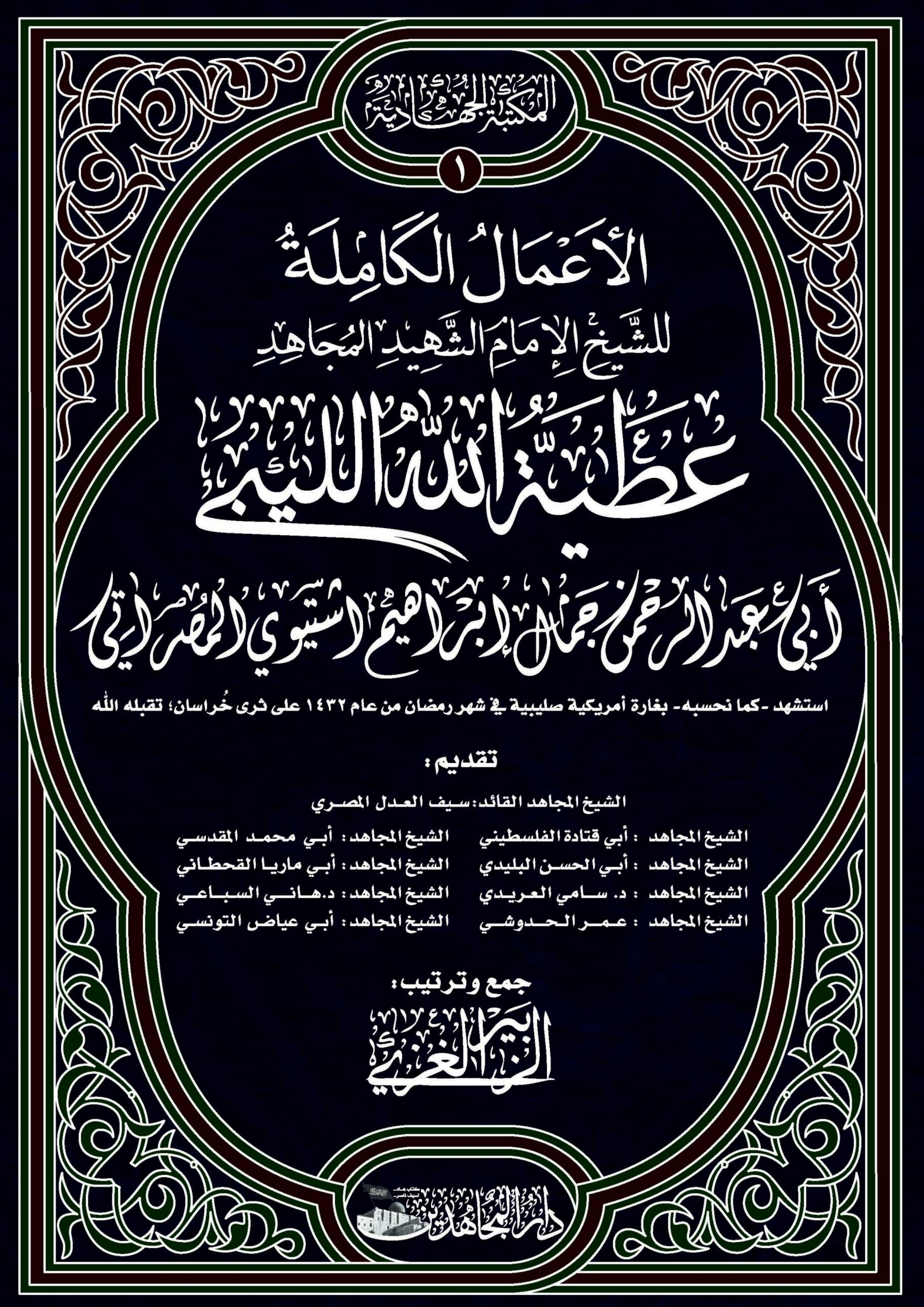

المكتبة الجهادية
١
الأعمالُ الكامِلةُ
للشيخ الإمامِ الشهيدِ المُجاهِدِ
عطيةُ الله الليبي
أبي عبد الرحمن جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي
استشهد -كما نحسبه- بغارة أمريكية صليبية في شهر رمضان من عام ١٤٣٢ على ثرى خُراسان؛ تقبله الله
تقديم:
الشيخ المجاهد القائد: سيف العدل المصري
الشيخ المجاهد : أبي قتادة الفلسطيني
الشيخ المجاهد: أبي محمد المقدسي
الشيخ المجاهد : أبي الحسن البليدي
الشيخ المجاهد: أبي ماريا القحطاني
الشيخ المجاهد : د. سامي العريدي
الشيخ المجاهد: د. هاني السباعي
الشيخ المجاهد : عمر الحدوشي
الشيخ المجاهد: أبي عياض التونسي
جمع وترتيب:
الزبير الغزي
دار المجاهدين



الأعمال الكاملة

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطية الله الليبي

أبي عبد الرحمن جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي



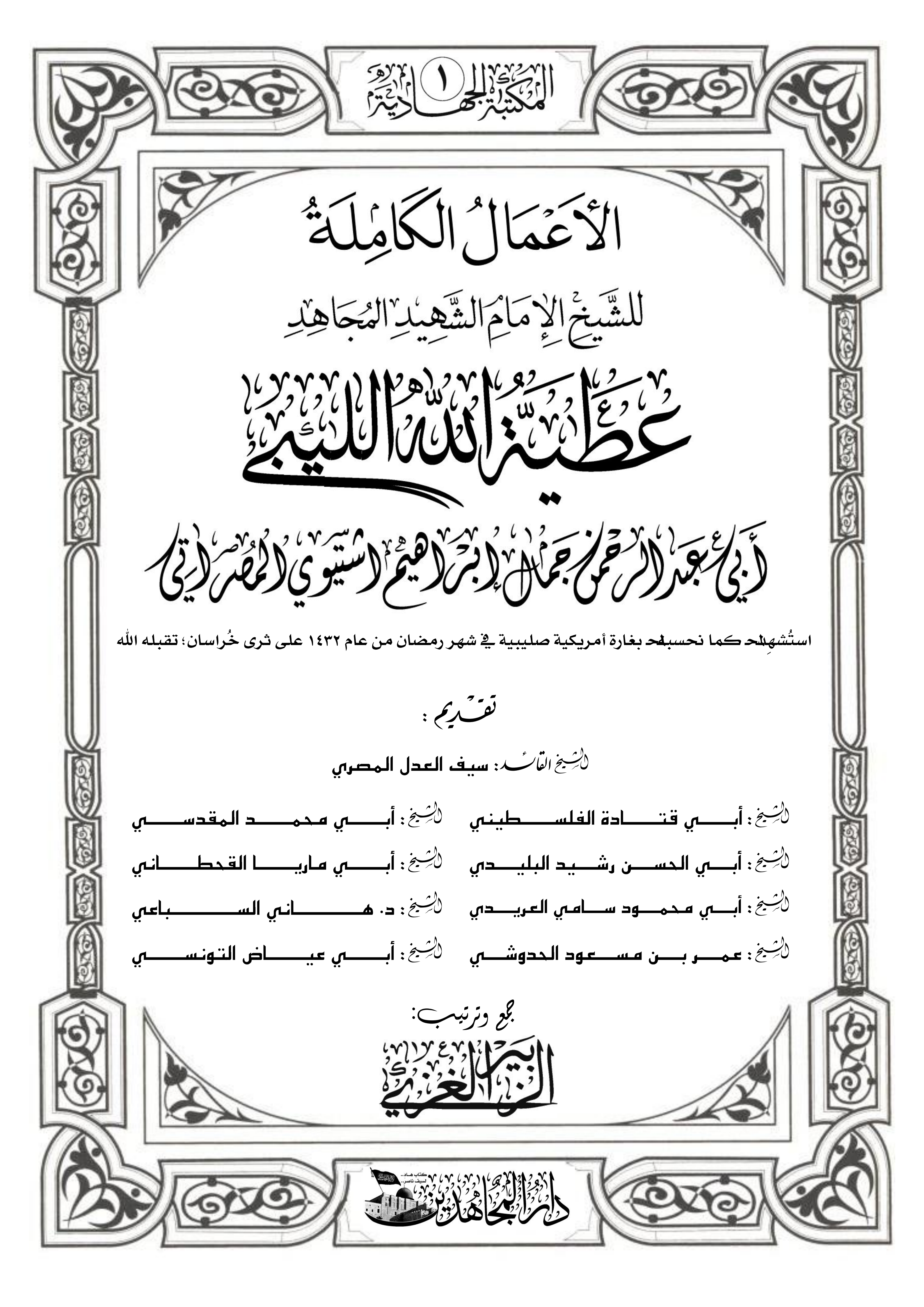
الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

دار المجاهدين

دار المجاهدين للنشر والتوزيع

كتابٌ هادٍ.. لسيفٍ ناصرٍ



المكتبة الجهادية (١)

الأعمالُ الكامِلةُ

للشيخ الإمامِ الشهيدِ المُجاهِدِ

عطيّة الله الليبي

أبي عبد الرحمن جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي

استُشهِد كما نحسبه بغارة أمريكية صليبية في شهر رمضان من عام ١٤٣٢ على ثرى خُراسان؛ تقبله الله

تقديم :

الشيخ القائد: سيف العدل المصري

الشيخ: أبي قتادة الفلسطيني — الشيخ: أبي محمد المقدسي

الشيخ: أبي الحسن رشيد البليدي — الشيخ: أبي ماريا القحطاني

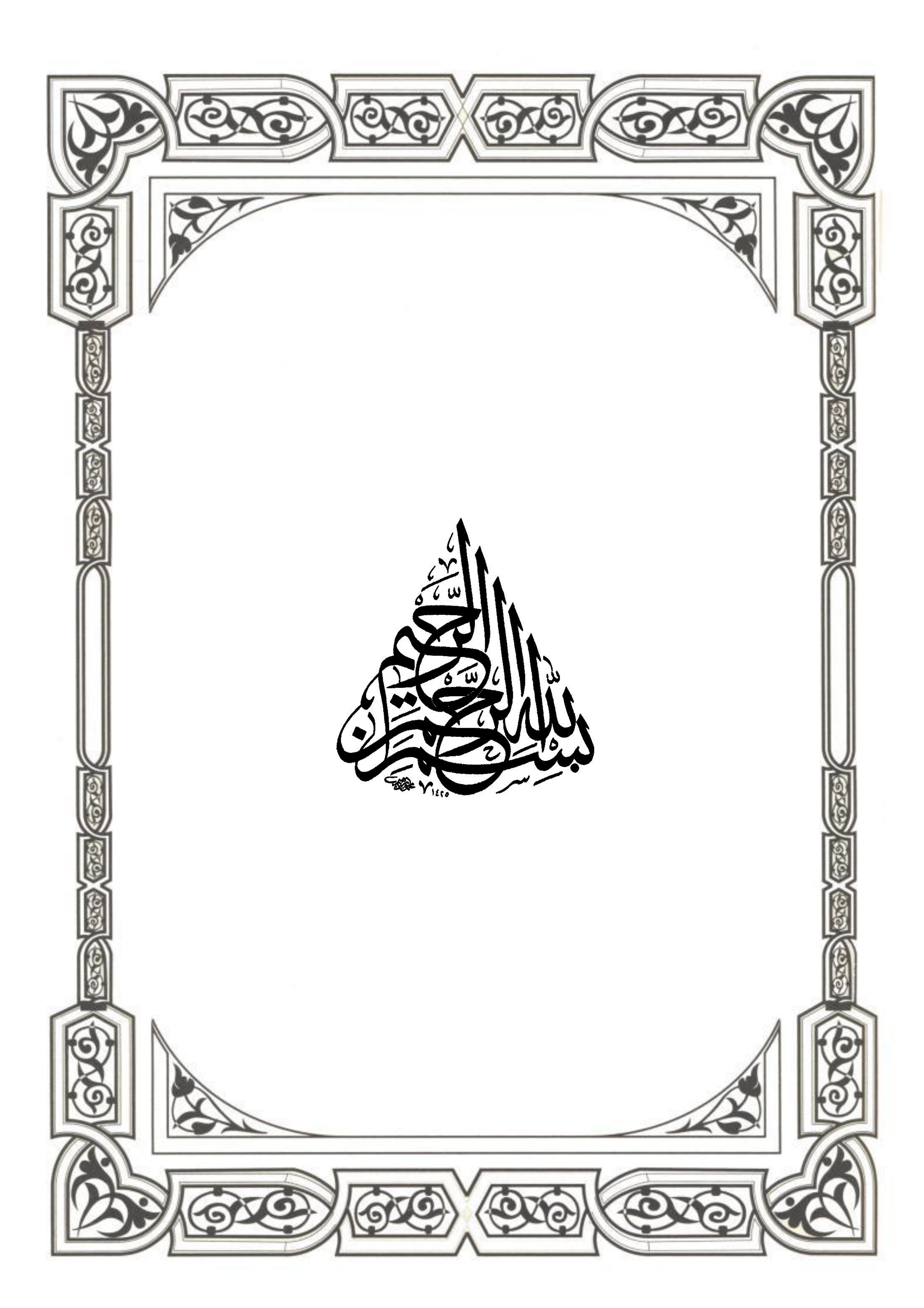
الشيخ: أبي محمود سامي العريدي — الشيخ: د. هاني السباعي

الشيخ: عمر بن مسعود الحدوشي — الشيخ: أبي عياض التونسي

جمع وترتيب:

الزبير الغزي

دار المجاهدين


بسم الله الرحمن الرحيم



إلى حضني الأول ..

إليهما؛ القائل والمقول لها ..

قال: يا أمة الله؛ هذا نذرته لمولاه ..

فأجابته: أبشر؛ فإنا نصدق قولك بفعلنا ..

فصدق في قوله، وبرّت في فعلها، والله يقبل النذر ..

إليكما يا سواد العين، وقرة الفؤاد: والديَّ الكريمين المجاهدين ..

أهديكما هذا المجموع المبارك بإذن الله؛ لعل الله يجعله من خير البر، ومن صدقتكما الجارية ..

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾

ابنكما المقصر/ الزبير

تقديم







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة]..

وهو سبحانه القائل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.. وبعد..

في نهاية الثمانينيات من القرن المنصرم.. حل بأرض الجهاد «أبو أسامة الليبي».. شاب في مطلع العشرينات من عمره لفت انتباهي وشدني إليه.. لفت انتباهي سكينته وهدوءه وشدني إليه عظيم أدبه وحياؤه.. ثم أسرني صوته وحسن ترتيله لكتاب الله.. التقيت بأخوة كثر من ليبيا فكان «أبو أسامة» كالدرة بينهم..

من اللحظة الأولى له في أرض الجهاد بدا واضحًا أنه نسيج وحده؛ فتم اختياره ليكون ضمن وفد لـ«القاعدة» أرسل إلى موريتانيا لطلب العلم.. وما إن حل بها حتى أدركه الجهاد في الجزائر.. فكان ممن شهده وشهد عليه.. خرج منه بتجربة ثرية أفادته كثيرًا بعد ذلك.. وكانت مصدر إلهام له في رؤية كَوَامِن الخطر الفكري.. وبصَّرته أحداثها فاستشرف مآل

حبو بعض العاملين في الجهاد.. فحذر منهم ونصح رحمه الله..

عاد «أبو أسامة» من موريتانيا تحت كنية «عطية الله»؛ فكان نعم العطاء من الله للتيار الجهادي.. كما كان كثير العطاء.. رغم خجله وحبه للوحدة وانشغاله بنفسه.. فمارس دعوته برفقٍ شديد وحلم عظيم بعيدًا عن صخب الإعلام وأضوائه.. ولأنه نسيج مميز أراد الله أن يرفع قدره وينشر تجربته ويتخذه شهيدا؛ فساقه إلى القيادة التنفيذية لـ«القاعدة» برفقة أئمة الجهاد في هذا العصر.. فكتب الله له القبول في قلوب المجاهدين، ورزقه التوفيق.. فكان في حاجة إخوانه، كما كان شوكة في حلق أعداء الله..

ونبصر جليًّا في كتابات الشيخ «عطية الله الليبي» حبه لأمته وبره بها وشفقته عليها وحرصه على نجدتها والوقوف معها في عسرها ويسرها.. فنجده يوجه ويبين ويدعو إخوانه إلى منهج «القاعدة» في التغيير.. لا إفراط ولا تفريط.. هين لين.. يجمع ولا يفرق.. يغزل من تجربته؛ فيكسو بغزله ويستر به ويصحح مسار من حاد ويأخذ بأيديهم.. كما كان عاقلا في إدارته للصراع.. قويًّا فيه.. شديدا على أعداء الله.. وأحسبه ممن صح فيهم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة].

وأحسبه والله حسيبه من المخلصين الذين قيض الله لهم من يُدَوِّنون علمهم وتجربتهم.. دون أن يتكلف هو عناء ذلك أو يحرص عليه.. فإن فارقنا بجسده الطيب.. فإن رؤيته وأفكاره ستظل تغذي أجيالًا كثيرة.. تنير لهم الطريق وتبصرهم بمنحنياته..

لا يمكن حصر سيرة وتجربة الشيخ «عطية الله الليبي» في عدة سطور.. ولا في مقالة أو مقالتين.. ولكن هذا الجهد الضخم في جمع مقولاته وتوجيهاته خلال مسيرته رحمه الله.. تعطي إشارات وعلامات تبين جزءًا كبير من قصة حياة وتجربة الرجل رحمه الله..

لم يعش «أبو أسامة الليبي» لنفسه أو لأهله.. ولكنه عاش مع طليعة الأمة لله عز وجل.. ولدينه سبحانه وتعالى.. ولأمته.. فاتخذه الله شهيدًا أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدًا..

هذه نبذة عطرة عن حياة جبل من جبال الجهاد أنجبته ليبيا.. وطاف في الأرض شرقًا وغربًا.. واستودع بدنه في ثرى «خُراسَان»..

اللّهم ارحم الشيخ المجاهد العابد «عَطِيَّةُ اللَّهِ اللِّيبِيّ».. وتقبله عندك في الصالحين.. آمين آمين.. والحمد لله رب العالمين.

سيف العدل

محمد صلاح الدين زيدان



تقديم

فضيلة الشيخ المجاهد:

أبو قتادة الفلسطيني

عمر بن محمود أبو عمر

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد البشر، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فللناس أسرار مع الله؛ تعجب للقليل كيف يبارك الله فيه فيجعله عظيمًا، وكيف يكون الشيء في عين الناس عظيمًا فيؤول الى الانتهاء والغياب وكأنه لا شيء، وهذا كله عند كل مسلم مرتبطٍ بعالم الغيب، وجريان البركة في الشيء أو غيابها؛ فهذا إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام يؤذن للناس حيث لا ناس؛ فيبارك الله له حتى يسمع أذانه جموع من البشرية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا هو عين ما قاله العلماء في بقاء ما كتبه بعضهم؛ حيث بارك الله فيها بسبب الإخلاص وسر المعاملة مع الله تعالى، فهذا «موطأ مالك» رحمه الله، وهذه كتب «النووي» حيث النظر فيها واعتناء أهل العلم بها، ثم ما علمه الناس من محاربة كتب شيخ الاسلام «ابن تيمية» ثم انتشارها وإعادة تأثيرها في العقل والوعي الإسلاميين، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جدا، وعلة ذلك أن القرآن يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]، ويقول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

فهذه قواعد سننية في البقاء والتأثير، وذلك لارتباط عالم الغيب بعالم الشهادة؛ فسر البقاء هو

إخلاص العمل لله لأنه هو الصالح، وبذهابه يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس]، والذكر الطيب في الآخرين من سؤال الصالحين كما قال ابراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء]، وإن لأفضل ما يورثه المرء ما ورثه الأنبياء عليهم السلام ألا وهو العلم؛ فإنهم كما قال الحبيب المصطفى ﷺ: (**إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**)[1].

وها أنا اليوم أقدم لأخي الراحل شهيدا الى ربه الشيخ «عطية الله الليبي» رحمه الله بعض إرثه الذي ورثه من مشكاة النبوة للناس؛ لينتفعوا به زادًا في الطريق، ومعينًا على الحق، وهاديًا في الظلم، ومخرجًا من مضلات الفتن، ذلك لأن الشيخ من قماشة العلماء الذين بذلوا أرواحهم رخيصةً في سبيل الله تعالى، كذلك هو ممن هاجر في سبيل العلم واطلع على أحوال الناس، ورأى الكثير من القضايا شاهدَ عيانٍ عليها؛ فاكتسب فهم الشرع وحكمة الوجود، مع أنه لم يعمر طويلا كشأن الآخرين.. إذ مضى لربه شهيدا جراء قصف الطائرات الأمريكية بغير طيار له وهو مرابط في سبيل الله تعالى.

والشيخ وإن لم يظهر طويلا في ميدان الدعوة العلنية إلا إن أثره اليوم على شباب الجهاد عظيم الوجود؛ فأنت لا تكاد تجد موضوعًا يُطرح بين يدي المجاهدين إلا وتجد للشيخ فيه رأيًا حميدًا بإذن الله تعالى؛ فقد تكلم في معضلات مسائل الحياة، وخاصة حياة الجهاد في سبيل الله تعالى.

والشيخ قد جالسته جلسات وهو شاب يبحث ويسأل ويتقَفَّر مسائل العلم، وما زلت ذاكرًا لبعض أسئلته في الإجماع وأنواعه، والقياس وتطبيقاته، ثم جلس لي في مجالسَ في دورات شرعية لم تطل أكثر من شهرين؛ إذ قد شد الرحال إلى موريتانيا ليطلب العلم ويفرغ له، ثم كان ما كان من رحلاته الجهادية والتعليمية؛ حيث حطت به ركائبه في موطن للجهاد كان له فيها الشهادة بفضل الله ورحمته.

والشيخ عدلٌ في ما يقول، صادقٌ في ما يخبر، يتحرى الحق ما وسعه، وينصف الخصوم قبل المحبين، كما أن كل من يسمع كلامه في المعضلات يراه عف اللسان، وهكذا كان في الحضور إن تكلم، مع أدب جمٍّ عظيمٍ، وهو ينقد إذ ينقد بميزان العدل والحب والتقدير.

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٤١)، سنن الترمذي (٢٦٨٢)، سنن ابن ماجه (٢٢٣) وصححه الألباني.

اليوم بعد استشهاده بزمنٍ يشعر الكثيرون بضرورة نشر تراثه لحاجة الأمة إليه، وكأنه حاضرٌ بين الناس؛ لأن الناس هم الناس في كل وقت وحال، وقضايا الجهاد قديمًا وحديثًا هي كذلك، تتكرر بصور جديدة تعود في عللها إلى حقيقة واحدة.

أن ينشط الشباب والمحبون الى نشر تراثه اليوم، ويهتمون لكلماته.. دلَّ هذا عندي وأستغفر الله تعالى أن الله يريد إجراء سيل الخير والحسنات إلى قبره؛ ليزداد نورًا فوق نور بإذن الله تعالى، والله ولي هذا وهو أهله والقادر عليه، فمن أولى الناس من المجاهد في هذا السبيل؟

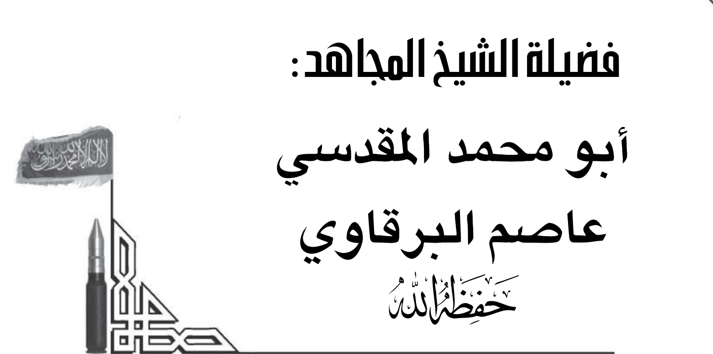
اللّهم ارحم أخانا وأجر له أجره إلى يوم الدين، وألحقنا به على خير

آمين آمين..

والحمد لله رب العالمين



تقديم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فإني أتشرف وأعتز بالتقديم لكتب المجاهدين وعلمائهم عموما ولا أتردد بالاستجابة لذلك حين يطلب مني؛ فكيف حين يكون الكاتب أمثال هذا الإمام الهادي لأهل الجهاد الناصح للجهاد، الذي قضى نحبه وهو في عدوة أهل الحق يسعى في تبصير المجاهدين بالنهج القويم ويناصحهم من الداخل مناصحة الشجي لا الخلي، ولا يداهن أحدًا في النصح لدين الله وجهاد المسلمين، له مشاعل ومعالم وضَّاءة على طريق الجهاد لا غنىً للمجاهدين عنها..

ولقد كان يسعدني في كل مرة أقرأ شيئا من وصاياه ونصائحه لأهل الجهاد حين تأتي متوافقة مع أشياء كنت قد كتبتها في «وقفاتي مع ثمرات الجهاد»؛ فأفرح بذلك وتقر به عيني، في وقت قل فيه النصير واستوحش كثير من الشباب طريق الناصحين واستقبحوه فأساؤوا الظن بكل ناصح لأهل الجهاد؛ فكان ما نكتبه في هذا الباب يتهم من قبل بعض المتعصبين للأشخاص، ويخرج به عن سياقه ويعامله قصيرو النظر على أنه تخذيلٌ عن الجهاد وطعن في المجاهدين؛ فكان توافقنا في بعض الوصايا والنصائح لأهل الجهاد يسعدني ويواسيني في هذه الطريق، وهو يدل على صدورنا عن مشكاة واحدة، وعبنا من ينبوع أصيل، وحملنا لنفس الهموم..

وإن التفريط بوصايا علماء الجهاد والزهد بمطالعتها وتدبرها؛ يحرم المفرط بها تجارب وخبرات وفرها له في هذه الأسفار إخوة له كبار، سبقوه على الدرب و حرصوا على أن يوفروا وقته ويختصروا عليه المراحل ويهدوه الطريق ويجنبوه عقباتها ومنزلقاتها.. فالخبرات تراكمية والسعيد من اتعظ واستفاد من تجارب غيره فتجنب أخطاءهم ولم يكررها، وكم من مزلة نبهت

عليها أمثال هذه الكتب كان بإمكان الأخ السالك تجنبها لو حرص على مطالعتها وتدبرها بين يدي النفير.. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة].

وإن النصيحة والنقد إذا جاء من الداخل لقَمِنٌ أن يكون أدعى للقبول منه إذا ما جاء طعنا في المنهج من أعدائه وخصومه، فليست النائحة الثكلى كتلك المستأجرة..

ولازالت وصايا الشيخ يستشهد بها طلابه وأنصار الجهاد ويستدلون بها في وجه المنحرفين عن النهج المشوهين للجهاد كنحو قوله: «إنّ جهادَنا المشروعَ المباركَ غاياتُه ساميةٌ وأهدافُه نبيلةٌ، كلُّها عدلٌ ورحمةٌ وإحسانٌ وشرفٌ وعزةٌ وكرامةٌ وصلاحٌ وفوزٌ وفلاح يجمعُها رضا اللهِ تعالى».

«فلتزُل الدنيا ولنفنَ ولتفنَ تنظيماتُنا وجماعاتُنا ومشاريعُنا ولا يُراقُ على أيدينا دمُ مسلمٍ بغيرِ حقٍّ، إنها مسألةٌ حاسمةٌ في غايةِ الوضوح».

«إنّ المجاهدين الذين يبذلونَ أموالهم وأنفسهم وأرواحهم في سبيلِ اللهِ ابتغاءَ رضوانِ الله لا يقبلونَ قتل مسلم واحد أبدًا، إنّ ديننا عِلمٌ وعملٌ ونيّة فلنتعلّم العِلمَ النافعَ، ولنكن أهلَ بصيرةٍ، ولنصلح العملَ، ولنصلح النيّةَ، وبالله التوفيق».

«إنّنا نؤكِّدُ على تبرُّئنا الكاملِ مِن أيِّ عملياتٍ تستهدفُ المسلمينَ سواءٌ في مساجدِهم أو أسواقِهم وطرقاتِهم أو تجمّعاتِهم».

فرحم الله الشيخ «عطية الله» وأعلى درجته مع الشهداء الأبرار وجمعنا به في الفردوس الأعلى، وجزى الله خيرا إخواننا القائمين على جمع تراث مشايخ الجهاد وأعلامه وتيسيرها وبذلها لطلاب الحق، وأسأله تعالى أن يعظم لهم المثوبة والجزاء على هذا العمل الجليل وأن يتقبله منهم ويجعله من العلم النافع الذي يبقى أثره وأجره للشيخ ولهم بعد الممات..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أبو محمد المقدسي

عيد الفطر من رمضان ١٤٣٦هـ

❋ ❋ ❋

تقديم

فضيلة الشيخ المجاهد:

أبو الحسن الرشيد البليدي

رئيس الهيئة الشرعية لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ لله، وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آله وَصَحْبه وَسَلَّمَ؛ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ؛ أَمَّا بَعْدُ:

سألني أحد الأفاضل أن أكتب كلمات يقدم بها لنشر مؤلفات الشيخ: «أبي عبد الرحمن عطية الله الليبي رحمه الله»..

فقلتُ في النفس: يعِزُّ على هذا القلم أن يقف موقفَ السيف من يد الجبان، وأن يقعد من ورائه كلالُ الذهن، وجمود القريحة، وفتور الأعصاب؛ حائلات بينه وبين القيام بالواجب.

فاستجمعت همي لأكتب فقرات؛ بذلًا لجهد المقل على حياء؛ لأنني مهما كتبت لن أوفي الرجل حقه.. لكنها على كل حال تحمل بعض الروح من كبد تتلظى شجنًا..

وعسى بذل بعض الواجب أن يصرف عنا لائمة العجز عن التمام والكمال..

في الأموال كرائم، وفي الجواهر فرائد، وفي النجوم دراري، وفي المؤمنين رجال نجوم.. وفرقٌ بين نجم يهدي الحائرين.. ونجم تدوسه أقدام السائرين.. رجال كانوا يوم الرأي صدور محافل، ويوم الروع قادة جحافل، وفي التاريخ محققين لنقطة الاقتراب، بين الحرب والمحراب.. يقذفون بكلمة الحق مجلجلة على الباطل، فإذا الحق ظاهر، وإذا الباطل نافر، ويقذفون بعزائمهم في مزدحم الإيمان والكفر، فإذا الإيمان منصور، وإذا الكفر مكسور..

إن الحديث عن الرجال في زمن العقم والانبطاح يبعث في النفس الكَلِيلَةِ الشجى

والشجون.. لكن عزائي أن ذكراهم تسلي الغريب..

يذكر الناس أمجادهم ومفاخرهم وفيهم نخوة أماتها الضَّيم، وفحولة قضى عليها التأَنُّثُ، وذكرى أتت عليها الغفلة والنسيان، وعزيمة أطفأتها طباع الضعف والفسولة، وشواعر خدرتها تهدئة الدخيل وزمزمة الحاوي وهينمة الواغل..

ولا تفتأ الأمّة مستعرضة ماضيها.. ولا تزال في غمرة من المنبهات المنعشة وفية متعطشّة للعزّ والسيادة، مستشرفة إلى الطموح، لا يقل تقديرها للرجال أمثال «عطية الله» رحمه الله.. وفي ذكراهم مبعث أمل..

يقول أعداؤنا وخصومنا عنا: أننا حين نعتزّ بأسلافنا نعيش في الخيال، ونعتمد على الماضي، ونتّكل على الموتى، استهزاء بنا؛ يريدون أن ننسى ماضينا فنعيش بلا ماضٍ، حتى إذا استيقظنا لم نجد ماضيًا نبني عليه حاضرنا.

وسلوهم: هل نسي قوم ماضيهم؟.. كل الناس يعتزُّون بآبائهم وأجدادهم، ويخلدون عظماءهم في الفكر والأدب والفلسفة والحرب والفن؛ إنهم لا ينسون الجندي ذا الأثر فضلًا عن القائد الفاتح، وهذه تماثيلهم تشهد، ومتاحفهم تردّد الشهادة.

ومن حقّنا، بل من واجبنا؛ أن نعرف ماضينا والرجال الذين عمروه في ميادين الحياة..

إن غفلتنا عن إحياء ذكريات رجالنا ووصل ما انقطع منّا بهم، بإحياء أمجادهم هي التي أزهقت في أمتنا الإسلامية روح التأسّي فأفقرتها من الرجال، وجعلت تاريخها الحديث خلوًا من المثل العليا.. فما لنا من فائت نتمنى ارتجاعه أعظم من بعث أخلاقهم وأعمالهم..

ولعمري إن تلك القوى لم تمت، وإنما هي كامنة، وإن تلك الشعل لم تنطفئ؛ فهي في كنف الإسلام آمنة، وما دامت نفحاته تلامس العقول الصافية، وتلابس النفوس الزكية، فلا بدّ من يوم يتحرّك فيه العلماء فيأتون بالأعاجيب.. وما زلنا نلمح وراء كل داجية في تاريخ الإسلام نجمًا يشرق، ونسمع بعد كل خفتة فيه صوتًا يخرق، من عالم يعيش شاهدًا، ويموت شهيدًا، ويترك بعده ما تتركه الشمس من شفق يهدي السائرين المدلجين إلى حين..

الرجال أعمال.. وأقوال الرجال مقرونة بالصدق والانجاز.. وحين نذكر «عطية الله» رحمه الله.. إنما نذكره ونكبره لعلمه، ونكبره من نواحي هذا العلم بآثاره في العلم وبأعماله للعلم.. ولعل

لاسمه معنى في أثره «عطية الله»..

الرجل بموجب قيمته وأثره لم يخلق لنفسه، وقد نشأ بين السيف والقلم.. وإنما هو للأمّة الإسلامية كلها.. وإن حقَّ لليبيا أن تفخر به، وبأبي يحيى وبأبي الليث -رحم الله الجميع- فذاك حق الأمة المسلمة جمعاء.. فمن رحم الإسلام ولد هؤلاء وغيرهم من رجالات الإسلام..

والمسلم المنصف يزن الرجال بأعمالهم الجليلة، ومواقفهم الشريفة..

والصيت الطائر في المجامع، والاسم الدائر على الألسنة، والشهرة السائرة في الآفاق، لا تغني شيئا ما لم يكن من ورائها أعمال نافعة تشهد، وآثار صالحة تُعهد، وثمرات طيّبة تُجنى.

وإذا كانت الشهرة قد تكذب، فإن الأعمال لا تكذب.. وإذا كان الرجال أعمالًا فإن رجولة أخينا «عطية» تقوَّم بهذه الأعمال.

عاش الرجل غريبًا وقتل غريبا.. قتل قتلة الشرف كما تمنى.. وما زالت الموارد للحتوف موارد.. وما زالت الأمة محتاجةً إلى هذا النوع السامي من الهمم والعزائم، وإلى هذا الطراز العالي من الرجال، وإلى هذا النوع من أنواع الموت! وإلى هذه الدماء الزكية التي تثعب حمراء نقيّة كعقيدة الحق، تجري فتكتسحُ ما في نفوس الأمم من خور وفسولة.

إن موت العظماء حياة لأممهم؛ فإن كانت في الغربة زادت جلالًا، فإن كانت نتيجة للظلم زادت جمالًا، فإن كانت في سبيل الله والإسلام كانت جلالًا وجمالًا.. تموت الأسود جوعًا وظمًا، ولا تطعم الأذى، ولا ترد القذى.

ذهب «عطية» وبقيت آثاره في الحياض، وأنهاره في الرياض.. وإن الناس ليعرفون عرفانًا ضرورًّيا من الفرق بين المصلحين والمفسدين؛ بين من يصدعون بكلمة الحق مجلجلة، ويرسلون صيحته داوية ويعملون أعمالهم في وضح النهار ومحافل الخلق.. وبين من يتهامسون إذا قالوا، ويستترون إذا فعلوا، ويعمدون إلى الغمز والإشارة والتعمية، ولو وجدوا السبيل لكانت لهم لغة غير اللغات، ولكان الزمن كله ظلمات، والأرض كلها مغارات.

حري بشباب اليوم الصاعد.. المتوثب لفجر تكتسح فيه شمس الإسلام ربوع الأرض.. الشباب الباذل للمهج أن ينهل مما كتب «عطية الله» رحمه الله وغيره ممن جمعوا بين القلم والسيف.. وشهدت أعمالهم ومواقفهم على سلامة منهجهم ووفائهم لهذا الطريق.. طريق تعانق فيه القلم

والسيف.. وامتزج فيه صرير الأقلام بصليل السيوف.. والحبر بالدم ليصنع فجر عز لأمة الإسلام.. والله لا يضيع أجر المحسنين..

وسيأتي يوم توضع فيه الموازين القسط للعاملين وستتبين الأمة الأوفياء من الغادرين والنصحاء من الغاشين، وستجزي هداتها تكرمة وذكرًا في الآخرين..

وإني لأكتفي اليوم بهذه الكلمات القلائل تذكيرا بالرجل.. وفي العالم الإسلامي رجال.. ولن يموت هذا العالَم وهو يبعث من أعماقه بمثل هؤلاء الرجال.

بذلت جهد المقلّ.. وعسى أن يعاود النشاط القلم، وينحسر الركود عن القريحة، فيتوافى القلم والقريحة على تجلية العبر، من سيرة ليست كالسير.

وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَحَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

كتبه:

أَبُو الْحَسَنِ الرَّشِيد

❋ ❋ ❋



فضيلة الشيخ المجاهد:

أبو ماريا القحطاني

ميسر بن علي بن موسى الجبوري

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد سرني جدا أن أطلع على ما أعده الأخ الحبيب الشيخ «أبو الزبير الغزي» من عمل مبارك جمع فيه كل ما كتبه الشيخ «عطية الله الليبي رحمه الله».

فها نحن اليوم ننعم بهذا السِّفر الفريد الذي جمعه الأخ الحبيب الشيخ المثابر: «أبو الزبير الغزي» بعد جهد طويل؛ ففي هذا «المجموع» كل ما كتبه أو تكلم به الشيخ «عطية».

ونحن بكلام الشيخ وأمثاله نرد على المتمسحين والطاعنين؛ فوالله قدْ قلَّ وندر أمثال الشيخ «عطية الله» رحمه الله؛ فهو كنز بحق زهد فيه الكثيرون ممن لا يعرفون من هو تنظيم «قاعدة الجهاد» حقًّا، ومنهم من ينتسب اليها اسما لا فكرا، ولا سياسة، ولا تنظيما وجماعة؛ قلدوا المتمسِّحين قبلهم بأفكارهم وأقوالهم وسياستهم، وصار حالهم كحال الرافضة في شعاراتهم؛ يتغنون بآل البيت وهم يسبون الصحابة، ولا يأخذون بما جاء عنهم في فضائلهم، فظهر لنا جيل جديد من الغلاة يتمسحون بما يسمونه «قاعدة أسامة» ويطعنون بالشيخ الفاضل الدكتور المجاهد «أيمن الظواهري» حفظه الله.

جيلٌ مرد على الكذب والدجل والجور والظلم، جمع كل الصفات الخسيسة التي كانت تتلبس بها فرق أهل البدع من قبلهم.

ولا أكون مبالغا لو قلت إن الشيخ «عطية الله الليبي» كالعمر لا يتكرر، ولا يعاد؛ فهو -بلا شك-

من أهم مصححي منهج «الحركة الجهادية» وضابطي مسائل النزاع فيها، وقد تميَّزَ بأقواله التي تُبنى على العلم والعدل والتحري والإنصاف، وكذا بجرأته على قول الحق ولو كان على نفسه وجماعته وإخوانه.

كان الشيخ «عطية» رحمه الله يعد من علماء وفقهاء وقادة ومنظري جماعة «قاعدة الجهاد»؛ حيث جمع العلم والفقه والقيادة والتنظير والأدب الجم، ونزيد على ذلك حسن الإدارة، ومن النادر العزيز أن تجد في شخصٍ واحد كل هذه الصفات مجتمعة، ويُزيِّنُ كلَّ هذا خلقه وإنصافه وأدبه حتى مع الخصوم والمخالفين، لا تسأل رفاقه عن شخصيته بل اقرأ ما كتب، وتأمل رسائله لأفرع التنظيم ولقادته ولرفقائه؛ تجدها تقطر علما وفقها وأدبا وحكمة واتزانا.

وأنا أشهد الله أني بعد اطلاعي على ما كتبه الشيخ «عطية الله» أيقنت جيدًا أن جماعة الدولة في العراق «داعش» لم تكن تنتمي لـ«تنظيم القاعدة» فعلا؛ لا فكريا ولا خلقيا، بل ولا تمت له بصلة أبدا؛ مما جعلني أترك ذلك التنظيم المجرم المنحرف بعد أن تاب الله عليَّ وأخرجني من بينهم والفضل لله تبارك وتعالى أولًا، ثم للشيخ «عطية الله»، والشيخ الحبيب «آدم غدن عزام الأمريكي» رحمه الله؛ حيث قرأت أيامها ما كتبه الشيخ «عطية الله» في فتواه عن حماس وإنصافه لها، وكذا رسائله لأهل العراق؛ فوجدت الفارق الكبير بين منهج «داعش» ومنهج الشيخ رحمه الله.. فشتان ما بين الثرى والثريا.

ولذا فإني أنصح شباب الأمة بالاطلاع على هذا السِّفر المبارك الذي يحوي كل ما كتبه الشيخ المجاهد «عطية الله الليبي» تقبله الله، وأنصح كل حركة جهادية أن تقرأ هذا التراث الذي فيه الدرر والعبر، وخاصة الرسائل التي ناصح بها الشيخ «عطية الله» الشيخ الزرقاوي تقبلهم الله أجمعين.

ونتمنى من شرعيي ودعاة «تنظيم القاعدة» الاطلاع على كل ما كتبه الشيخ «عطية الله»؛ ففي هذا الجمع الثمين رسائل قيمة؛ فيها دروس في الفقه والعلم والسياسة والأدب والسلوك والأخلاق؛ التي لا يزهد بها قاصد الحق وطالبه، وخاصة ممن يدعون النسبة لـ«تنظيم القاعدة» وهم بعيدون كل البعد عن منهجها وفكرها وسلوكها السني النقي؛ بل إن منهم من كان مجرد انتسابه لـ«تنظيم القاعدة» ووجوده مع التنظيم بمنزلة معول هدم لكل ما تسعى له «الحركة الجهادية» عامة، و«تنظيم القاعدة» خاصة، وهذا دأب إخوة الجهل والغلو؛ لا يأخذون من التنظيم إلا اسمه؛ كونه يوافق هواهم، ويتماشى مع آرائهم، وفي ذات الوقت تجده كالعبد الكَلِّ الذي لا يأتي بخير لمولاه.

الحقيقة التي ينبغي الإقرار بها؛ أن مدرسة الشيخ «عطية الله الليبي رحمه الله» هي المدرسة الصحيحة، والفكر الحقيقي لتنظيم «قاعدة الجهاد»، ولو قارنا ما كتبه الشيخ «عطية الله» مع تصرفات بعض

الناس؛ لوجدنا في ذلك اختلافا كبيرا، والله المستعان.

ولذا لا بد من تعميم رسائل الشيخ «عطية الله الليبي» ومؤلفاته في المعسكرات والمعاهد والمضافات التي يتواجد المجاهدون فيها كي يعلموا حقيقة رسالة «تنظيم القاعدة»، ويجب إرشاد الشباب إلى متابعة الدروس العلمية والرسائل ذات الأهمية، والابتعاد عن الخطب العاطفية والإصدارات الهوليودية التي لم تورث في الساحة إلا الجهل والغلو، ولربما تجد الأخ المسكين لا يعرف من «تنظيم القاعدة» إلا أنشودة «جلجلت»، أو «جبهتنا منصورة» أو مقتطفات من خطابات الشيخ «الزرقاوي» ﷺ، بينما لا يعرف من هو الشيخ «عطية الله الليبي» ولا من هو الأستاذ «أحمد فاروق» ولا «أبو يحيى الليبي»، ولا ولا..

كما أنصح الشرعيين في «تنظيم القاعدة» أن يتمسكوا بأدبيات تنظيمٍ ينتسبون اليه، وأن يتخلوا عن موروث المدرسة العراقية الداعشية الذي أنتج الغلو والجهل وعدم احترام العلماء وذوي السابقة، ومن ثمَّ دمَّر ساحات الجهاد قاطبة، ونقول لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[البقرة: ٦١]؛ فعودوا لتراث الشيخ «عطية الله» لتعلموا حقيقة ما أنتم عليه.

وختامًا؛ فقد حدّثني شيخي طالب الميّاحيّ قال: «إنّ الشّيخ عطيّة الله اللّيبيّ يعدّ من علماء «القاعدة»، بل وليس له مثيلٌ في الحركة الجهاديّة»، ونصحني أن أطّلع على كلّ ما يكتب -أي الشّيخ عطيّة- وقال: «جعلت في مقالاته عصارة فكر تنظيم القاعدة».

أسأل الله تعالى لنا ولكم الهداية والسداد، والحمد لله رب العالمين.



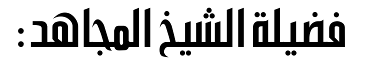
كتبه:

أبو ماريًا ميَسَّر بن علي بن موسى الجبوري القحطاني

أرض الشام المباركة
الثامن والعشرين من رمضان لعام ١٤٣٦

❋ ❋ ❋

تقديم



أبو محمود

د. سامي بن محمود العريدي

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى الأنبياء والرسل أجمعين، وبعد:

فإن من رحمة الله ﷻ بأمتنا أن جعلها خير أمة أخرجت للناس، وجعل الخير فيها موصولًا؛ فما يصيبها من ضعف في بعض الأحيان والأزمان لا يستمر ولا يدوم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: (**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**)[1].

وقال ﷺ: (**إِنَّ مَثَلَ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ**)[2]، وفي رواية: (**مَثَلُ أُمَّتِي كَالْمَطَرِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِهِ خَيْرًا، وَفِي آخِرِهِ خَيْرًا**)[3].

وإن من صور هذا الخير الموصول وجود العدول من العلماء والدعاة والمصلحين في هذه الأمة على مر العصور والأزمان؛ يحملون رسالة الإسلام وينشرونها، وينفون عنها تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين؛ حتى تبقى نقية صافية كما أنزلت، قال رسول الله ﷺ: (**يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ**)[4].

وهؤلاء العدول من العلماء والدعاة والمصلحين هم ورثة الأنبياء في الدعوة والتبليغ والتعليم

---

(١) صحيح مسلم (١٥٦).

(٢) سنن الترمذي (٢٨٦٩)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) مسند الروياني (١٣٤٣).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٩١١)، وصححه الألباني.

والجهاد قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**)[١].

وقد كان من هؤلاء العدول الأعلام في هذا الزمان الشيخ المجاهد «عطية الله الليبي» -تقبله الله- فقد جمع رحمه الله بين العلم والجهاد والدعوة إلى الله، وأمضى عمره في ذلك؛ فقد جعل الله له الأثر الكبير في ترشيد الصحوة الجهادية المباركة ونشرها في هذا الزمان، كما لا يخفى على كل متابع لهذه الصحوة الجهادية المباركة.

فقد كان الشيخ «عطية الله الليبي» رحمه الله من أشهر رموز وأعلام هذه الصحوة الجهادية المباركة التي بذل فيها وقته وعمره ونفسه وأصبح علما من أعلامها وفارسا من فرسانها؛ أبان كثيرا من مسائلها، ونصح ووجه وأرشد أنصارها وأتباعها إلى النهج الجهادي الصافي القويم كما يظهر من تراثه وسيرته رحمه الله.

فجمع تُراثِ الشيخ «عطية الله» رحمه الله ونشره عملٌ جليلٌ لما فيه من الفوائد العظام في نشر هذه الدعوة الراشدة؛ نقية من التحريف والتشويه، وبيان الصورة الحقيقة لها بعد أن شوهها الغلاة في هذا الزمان.

كما أن جمع هذا التراث يعود على جامعه بالثواب الموصول بعد موته؛ فهو من العلم الذي ينتفع به، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**)[٢].

نسأل الله أن يجزيَ الأحبة الذين جمعوا هذا التراث العظيم خير الجزاء وأن ينفع به المسلمين.

والحمد لله رب العالمين



---

(١) سنن أبي داود (٣٦٤١)، وحسن إسناده الأرنؤوط.

(٢) صحيح مسلم (١٦٣١).

تقديم

فضيلة الشيخ المجاهد:

د. هاني السباعي

مدير «مركز المقريزي» للدراسات التاريخية

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد..

شَكَرَ اللهُ سعيَ الشباب الذين سهروا على إحياء الإرث العلمي والدعوي للشيخ عطية الله رحمه الله وأسكنه بحبوحة جناته، وإذا كان لا بد لي من كلمة تقدمة لهذه «الأعمال العلمية والدعوية الكاملة» لهذا الشيخ تقبله الله في الشهداء الأبرار؛ أقول وبالله التوفيق:

إن الشيخ «عطية الله» عالم موسوعي متعدد المواهب، ومن الصعب أن تجد مفتاحا واحدا لِلْوُلوج في شخصيته؛ بل تحتاج إلى عدة مفاتيح لسبر غور هذه الشخصية الفذة؛ فمفتاح شخصيته العام أنه القائد الجهادي المعروف؛ فجهاده لم يكن وليد اندفاع فورة شاب غيورٍ على أحوال أمته المكلومة التي أثخنتها جراح الأعداء من كل حدب وصوب!.

لم يكن جهاد الشيخ «عطية الله» وليد لحظة غضب ثم سرعان ما يفتر، لكنه جهاد مصقل بمفتاح العلم والتحقيق؛ مع مفتاح الحكمة والصبر والزهد والإخبات والورع.. ومن ثَم يحتار من يتعرف على هذه الشخصية الفريدة؛ من أين يبدأ؟ ومن هو الشيخ «عطية الله» ومن أي القرى؛ لأنه إذا تكلم حسبته أزهريا مولعًا ببعض فنون العلم، وتظنه من جزيرة العرب معدن النور الذي أضاء الله ببعثة النبي ﷺ ظلام الجاهلية في العالم، أو شاميًا من أهل العلم والدراية، وأحيانا موريتانيا حافظًا للمتون، أوهنديا من أهل الحديث، أو خراسانيًا من أهل الجهاد والقوة والصبر والجلد والشموخ..

وفي الحقيقة إنه ابن تلكم القرى؛ ابن هذه الأمة، إنه الشيخ «جمال إبراهيم شتيوي المصراتي الليبي» المعروف بـ«عطية الله»؛ علم من أعلام الجهاد في وقتنا المعاصر؛ أحسبه كان عطية من الله للمسلمين عامة وللمجاهدين خاصة.

إنه العالم العامل، المجاهد، المهاجر، المرابط، الصابر المثابر، الحكيم، الخبير، الخريت، الشفوق، الرحيم؛ بأمته وبأهل الجهاد؛ كتب ودرس وعلم وربى ووعظ ونصح وأجاد وأفاد، حتى جاد بروحه فاستشهد في ٢٣ رمضان ١٤٣٢هـ بطائرة غدر أمريكية، واستشهد معه ابنه عصام؛ حيث لحقا بقوافل الشهداء مع من سبقوهما في أرض الصمود والجهاد؛ مقبرة الغزاة أفغانستان فرحمة الله عليهما وأسكنهما الفردوس الأعلى، اللّٰهم آمين.

فهلم أيتها الشبيبة المؤمنة؛ لتنهلوا من علم هذا العالم الجليل الشيخ عطية الله، اشرب وتضلع وارتوِ من معين هذا العالِم؛ تقبله الله مع الشهداء.

بادِرْ بالمعرفة أيها المسلم وأيتها المسلمة! لا تتردد؛ فعندما تقرأ للشيخ عطية الله تجد قلما فياضًا بالعلم محققا منصفًا ناصحًا؛ فنعم الناصح ونعم المستشار المؤتمن، لم يجامل قادته ولم يغفل عن نصحهم وإبلاغهم هموم شباب الإسلام في كل مكان.. وإذا استمعت إليه تجد صوتا يقطر علما وحكمة، إنه أعجوبة؛ خطيب مصقع، فصيح بليغ؛ يفض أبكار المعاني؛ كأن الله تعالى ألان له الكلام.. لو كانت له فضائيات أو كان مرضيًا عنه من حكومات أو جماعات التمييع العقدي؛ لكان نجما من نجوم سماء المعرفة في زماننا، لكنهم حجبوه وأصحابه من رجال الحق والجهاد قسرًا؛ فهم بين سجين وطريد، وقتيل! ومن بقي حرًا أغلقوا أبواب الفضائيات ومنابر الإعلام، والمساجد، في وجهه وشيطنوه!..

لأنهم يعلمون أن عوام المسلمين لو استمعوا إلى الشيخ عطية الله وإخوانه؛ لاستمسكوا بتلابيب علمهم، وساروا على نهجهم.. لذلك يحاربونهم بلا هوادة!.

لكن على أية حال؛ لا تزال عصابة من أمة الإسلام حارسة لقلاع علم ومنهج هؤلاء الشيوخ المجاهدين الذين نحسبهم أنهم بلغوا بحق عن ربهم، وما بدلوا تبديلا، وعلى رأسهم الشيخ المجاهد العالم العامل عطية الله؛ تغمده الله بشآبيب الرحمة، وجعل علمه وما قدمه لأمته صدقة جارية، وزادًا ينير به الله قلوب وعقول أهل الإسلام في كل زمان ومكان.

ولا يسعني في الختام؛ إلا أن أكرر شكري وامتناني، لهذه الثلة الطيبة من شباب الإسلام الذين جمعوا أعمال الشيخ عطية الله، وأخرجوها في هذا الثوب القشيب، فجزاهم الله الخير العميم!.

ولكي لا أطيل عليكم أترككم مع البحر الزخار مع «أعمال الشيخ الشهيد عطية الله» تقبله الله في الفردوس الأعلى، اللّهم آمين.

د. هاني السباعي

١٧ شوال ١٤٣٦هـ | ٤ *أغسطس* ٢٠١٥ م



تقديم

فضيلة الشيخ المجاهد:

أبو محمد الفقيه الليبي

رفيق الشيخ عطية الله في هجرته وجهاده

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والي المتقين، والصلاة والسلام على الضحوك القتال، نبي المرحمة ونبي الملحمة، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

أخي ورفيق دربي جمال إبراهيم اشتيوي «عطية الله»عرفته في حوالي سنة ١٩٨٨م، وكان عمره وقتها حوالي ١٨ سنة.. شابٌّ نشأ في طاعة الله، نحسبه كذلك ولا نزكيه، سليل أسرةٍ كريمةٍ عُرِفت بطيب الأصل.

التزم بالسنة في بداية عمره وكان الالتزام وقتها في «مصراتة» العامرة على ما كان عليه محمد ﷺ وصحبه؛ نأخذ الدين بشموليته وكماله، بما فيه ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله، وكان وقتها مع ثلة من الإخوة الافاضل منهم الشيخ عبدالله إجمال رحمه الله، والشيخ يوسف المصراتي رحمه الله، والشيخ محمد الفقيه رحمه الله، والشيخ بلقاسم امليطان رحمه الله، وغيرهم من الأفاضل.. والذين كان كل واحد منهم كأنه بائع للمسك؛ فنهل «عطية الله» رحمه الله من علمهم وقبل ذلك من أدبهم وسيرتهم العطرة في الدعوة إلى الله.. فكانت الصحوة التي نشأ فيها رحمه الله صحوةَ كتابٍ يهدي وسيفٍ يحمي.

«عطية الله» كان يتمتع بصفاتٍ حميدة كثيرةٍ قَلَّ أن تتوفر في شخصٍ واحد؛ كالأدب أو حسن الخلق.. منها توقيره للعلماء والمجاهدين وأهل السبق ومن هم أكبر منه، ومنها الشجاعة في الحق والحياء، وهذه الصفات وغيرها قل أن تجمع لشخصٍ، وهذه الصفات لازمته بل كبرت ونمت معه حتى فارق الدنيا..

أذكر في بدايات «عطية الله» وأول ذهابه للجامعة بطرابلس تأثر ببعض الأفكار التي لم تكن موجودة عندنا في «مصراتة» بفضل الله ثم هؤلاء الإخوة الذين ذكرت بعضهم تأثر ببعض أفكار الغلو؛ حتى حاول أن يكتب رسالةً في ذلك وبدأ ينشرها بين الشباب في مصراتة، وعندما سمعنا ذلك أقمنا جلسة للاخوة كلهم حضرها عدد من الشيوخ الافاضل، وأقمنا حلقة نقاش.. وكان «عطية الله» شجاعا جريئًا فيما يظن أنه حق؛ فناقش وجادل على فكرته ولكن بأدب جم؛ حتى لا يكاد ينظر إلى وجه من هو أكبر منه أو أسبق بفضل أو علم.. ومع انتهاء الجلسة ترك «عطية الله» وباقي الشباب تلك الأفكار ورجع إلى ماكان عليه الإخوة من منهج قويم، وما ذلك إلا لكونه وقافًا عند الدليل والشرع.. ومن ذلك الزمن وهو ملازم للسنة منافحٌ عنها.

كنا في عهد «القذافي» نعيش في ظروف صعبة، وفي غُربَة.. ولكن كل ذلك لم يمنع الإخوة من الدعوة، بل والسعي لتشكيل مفارز جهادية، بل وحتى تنظيماتٍ جهادية لمحاولة مقارعة الباطل، وكان «عطية الله» الشاب الشجاع في مقدمة هؤلاء الإخوة الساعين لحشد الناس لمقارعة الباطل.

هاجر «عطية الله» وهو في سن العشرين؛ فصقلته الهجرة ومخالطة العلماء والمجاهدين والتنقل في البلدان؛ فازداد خبرةً وعلما وتجربة ومعرفة بأحوال الأمة.. حيث طاف في الجزائر، فمصر، فباكستان، وأفغانستان، ثم إلى أرض شنقيط لينهل العلم، ثم السودان، ثم الجزائر التي استقر في جبالها ثلاث سنوات كانت لنا من أصعب وأنفع التجارب.. فتجربة الجزائر والتي استنفذ فيها جهده ناصحًا ومعلما ومحذرا وخائفا على الشباب؛ زادته معرفةً وعلمًا ورسوخا حيث رأى بأم عينه ما يفعل الانحراف والغلو في الأمة، وكيف ضيع ثمرةً للأمة كنا نظنها ستنضج، ونستمتع بها فيما بعدُ، تلك التجربة جعلت «عطية الله» في معظم دروسه وكتاباته يحذر شباب الأمة من الغلو والغرور والعجب، ومن مغبة أن يظنوا أن الحق معهم وحدهم، ومن خطر عزلهم عن العلماء وعن بقية الأمة .. تجربة الجزائر رغم مرارتها إلا أنها كانت تجربة نافعة لـ«عطية الله» نقلها في كلمات موجزة جيدة الحبك لشباب الأمة.. آهٍ لو اخذوا بها لنجوْا من كثيرٍ من المطبات والإخفاقات التي وقعوا فيها.



بعد الجزائر وتجربتها؛ ذهب ﵀ إلى الأردن ثم تركيا ثم باكستان وأفغانستان طالبان ثم إلى إيران ثم الرجوع إلى أفغانستان، وفي كل محطة له بصمة أو بصمات من الخير والهدى.

كان «عطية الله» ﵀ في دروسه ومواعظه يركز على أعمال القلوب كثيرًا لأنها هي التي عليها المعول في صقل نفس المؤمن، ومن يعيش معه يدرك أن «عطية الله» كان مهتمًّا بقلبه كثيرًا؛ فانعكس ذلك على وجهه نورا وعلى جوارحه عملا وعفةً وعلى سمته حياءً.

الحديث عنه يطول، وفي الإشارة الكفاية، وسيجد القارئ الكريم في صفحات هذا الكتاب الكثير من سيرته وكلماته ومواقفه.

فنصيحتي لشباب الأمة أن يقرأوا سيرة هذه الشيخ المجاهد ﵀، وأسأل الله أن يقيض من شباب الأمة من يكتب لنا سيرة باقي الإخوة من أمثال أبي يحيى الليبي وأبي عبيدة البنشيري وأبي حفص الكمندان وأبو مصعب الزرقاوي وغيرهم من القادة.. حتى يكونوا قدوة لشباب الأمة، وحتى يعرفوا ان قصص الصحابة والتابعين يمكن أن تتكرر أو تتجسد في شباب يعيشون بيننا وفي عصرنا.

وختامًا: أختصر كل ذلك في كلمة؛ أنَّ أخي «عطية الله» عاش ومات على ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه نحسبه كذلك.

فاللهم تقبله في الشهداء ونجليه «إبراهيم» و«عصام»؛ اللّهم لا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره.

والله المستعان

كتبه العبد الفقير إلى مولاه:

أبو محمد الفقيه

❋ ❋ ❋

تقديم

فضيلة الشيخ المجاهد:

أبو الفضل

عمر بن مسعود الحدوشي

حفظه الله



الحمد لله فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا..

أما بعد:

فقد طلب مني بعض مَن لا أرد طلبَهم؛ أن أكتب تقريظًا لـ«مجموع» جامعٍ مانعٍ؛ لطودٍ وبطل من أبطال الجهاد، ولشيخ من شيوخ الساحات الجهادية، صاحب اليراع السيال، والرأي السديد، والحنكة والحكمة، صاحب الكتب، والرسائل والمواد والفتاوى الرصينة، أعطي حكمةً ورزانة..

غير أن كثرة الأعمال التي بين يدي لم تترك لي فرصة لقراءة هذا «المجموع»، ولكن جامعه معروف باختياراته وإتقانه وعلمه وفضله، وقد جمع حقيبة تعرف بـ«حقيبة المجاهد» في مجلداتٍ ضخمةٍ دلت على تمكنه وتبصره، وبُعد نظره..

وقد التقيت به في «حي الأتراك»؛ فاستجازني فأجزته في الكتب التسعة، بعد أن جذبنا أطراف الحديث؛ فأهدى لي كتبًا كما أهديت له أنا كتبًا ثم افترقنا، وغابت عني أخبارُه، إلى أن أخبرني أحد الأحبة بهذا الـ«مجموع»، وطلب مني أن أكتب له مقدمة منظومةً، فقلت له: أنا لم أقرأ الكتاب، وثانيًا لست شاعرًا، ولا ببحوره عالمًا؛ فألح إلحاحًا، فقال: «الشعر يمشي على لسانك»، وهذا يَسُرُّ ولا يغر؛ فقلت له: وأنا لا أعرف الكاتب؛ كيف أزكيه وأنا أجهله حالًا وعينًا؟ فقال: يا شيخ «عمر» إن جامعه تعرفه معرفة جيدة، فقلت له: من يكون؟ فقال: الأستاذ «الغزي»؛ فنزلت عند رغبته، لعلمي بالجامع «الغزي».

وما أحرى هذا المجموع بقولي [من الرجز]:

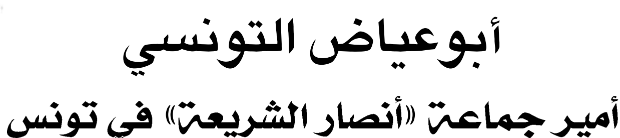
«مجمـــوع» علـــم أعطيـــات للمَــــلا مـــن أســـد ليبيـــا والعلـــوم حُصِّـــلا
شـــيخ الـــوغى بلـــغ ســـلاما أطيبـــا خـــير الـــورى منـــه الجهـــاد أصـــلبا
شـــيخ الـــورى أتعبـــت مـــن رام البنـــا علـــماً وجهـــدًا لاحقـــا مبينـــا
شـــيخ يقـــود الأسْـــد بـــالعلم بـــرا ذو حكمـــة والرشـــد مـــن أســـد الـــشرى
نجـــم أضـــاء اللحـــم بـــالعلم جـــرى قيـــــادة ســـــيادة زان الـــــورى
«مجمـــوع» أوضـــاع لـــ«غـــزيٍّ» نظـــم بحـــر العلـــوم في البحـــوث منـــتظَم
قـــف واســـتفد مـــن مقصـــد الوصـــف الجـــلي واشـــكر لِـــ«غَـــزِّيْ» حســـن وضـــع مـــنجلي
صـــح اللســـانُ واخـــتراع مبـــدِعُ نجـــم وســـبْقُ مَـــن يـــراع مُســـرِع
أغـــلا لـــه رب العـــلا لمـــا اشـــترى في «توبـــة» بـــالنفس المـــال شرى
يـــا شـــيخ ليبيـــا في الطيـــور تعلـــق يـــا نســـم روضٍ والعلـــوم ترفـــق
كفكـــف دموعـــا فالمصـــاب أعظـــم كنـــزم العلـــوم والفِرنـــد أحســـم

والحمد لله رب العالمين



تقديم

فضيلة الشيخ المجاهد:



أبو عياض التونسي

أمير جماعة «أنصار الشريعة» في تونس

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

عطية الله.. الشيخ الزاهد، والقائد المجاهد، والمعلم الرائد، تقبله الله في عليين..

لما طلب مني أن أقدم لميراثه العلمي والتربوي الذي بين أيدينا لم أجد ما أكتبه عن هذا العلم إلا تلك الكلمات المشرقة التي سطرها الشهيد سيد قطب رحمه الله:

«إن كلماتنا ستبقى ميتة، لا حراك فيها هامدة، أعراسا من الشموع، فإذا متنا من أجلها انتفضت وعاشت بين الأحياء.. كل كلمة قد عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسانٍ حيٍّ فعاشت بين الأحياء، والأحياء لا يتبنون الأموات».

فهذه الكلمات التي خرجت من قلب حي اقتات صاحبه رحمه الله «شهادة في سبيل من هداه إليها» لتعيش بين الناس؛ أحيا الله صاحبها في قلوب المسلمين عبر الأجيال فاقتبسوا من أنوارها -ولا يزالون- ما أضاء لهم طريق السير إلى الله..

هذه الكلمات تنطبق على شيخنا «عطية الله» -تقبله الله-؛ فالرجل زهد فيه أهل الإسلام وهو بينهم، حتى إذا غاب عن مسرح الحياة استحالت كلماته ورسائله وتوجيهاته أقباسا يستضاء بنورها..

وها هو إرثه اليوم بعد أن عم الجهل، وأطل المتعالمون والغالون والمبطلون برؤوسهم.. ينتفض في وجوههم؛ يفضح جهلهم، ويبطل تحريفهم، وينفي غلوهم، ويأخذ بأيدي الوافدين إلى مسالك النجاة والهداية..

وهل من رسالة للإنسان أعظم من رسالة هداية الخلق إلى طريق الحق وكشف الضياء النبوي الذي

ترك عليه أمته؛ فانحرفت عنه بقدر سابق وحكم نافذ، حتى يتمايز المتبع من المنحرف والسني من البدعي والمهتدي من الضال؟!..

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)**[1].

والشيخ «ﷺ» -تقبله الله- من الشخصيات التي ساهمت في نحت صورة مشرقة؛ لا أقول عن «التيار الجهادي» ولكن أقول عن الإسلام، الإسلام بكل ما يحتويه الاسم من معنى.. ولعل تركيزه على الأساس الأخلاقي الذي يعتبر المعيار الأسمى الذي توزن به الجماعات والتنظيمات كما الأفراد كان من أهم الهواجس التي شغلت الشيخ وجعلته يشدد على إظهاره تعليما وإرشادا والتزاما به..

كما أن تحرزه ﷺ في باب الدماء والاهتمام بإظهار أحكامها. والحرص على تنقية الطريق من التساهل فيها؛ كان من أهم ما شغله حتى لا تنحرف مسيرة الجهاد عن مسارها الذي أراده الله لها..

فرحم الله الشيخ وأجزل له المثوبة وجزاه عن أمة الإسلام خيرا..

وفي الختام؛: لا يفوتنا أن نشكر كل من ساهم وبذل الجهد المضني في تتبع كلمات الشيخ وتآليفه ورسائله وجمع هذا الإرث في هذا السفر، سائلا الله أن يبارك لهم جهودهم وأن تعود بالنفع على عموم أمتنا.. رحم الله الشيخ «ﷺ» وكل من سبقنا إلى الله وألحقنا بهم على خير غير مبدلين ولا مفتونين.. وصل اللّهم على نبيك وعبدك محمد..

وكتبه:

أبو عياض التونسي

شعبان ١٤٣٦هـ

❋ ❋ ❋

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٩١١)، وصححه الألباني.



مُقدِّمة المجموع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ، كُلَّمَا عَبْدٌ وَحَّدَهُ، أَوْ مُجَاهِدٌ مَجَّدَهُ، أَعَزَّ ﷻ بِفَضْلِهِ جُنْدَهُ، وَصدَقَ بِمَنِّهِ وَعْدَهُ؛ فَنَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، حَرَّضَ المُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران]، وَقَال ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة]، وقَال ﷻ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلانِ عَلَى خَيرِ جُنْدِهِ، وَأَعَزِّ عِبَادِهِ، وَسَيِّدِ خَلْقِهِ، القَائِلِ -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي- ﷺ: **(بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي)** [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ]، وَالقَائِلِ ﷺ: **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)** [رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ]، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ آلِهِ الأَطْهَارِ الأَعْلَامِ، وَصَحَابَتِهِ الأَخْيَارِ الكِرَامِ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ بِإِحْسَانٍ..

أما بعد: فَقَدْ وَعَدَ اللهُ بِحفظِ هَذا الدِّينِ، وَتَكفَّلَ بِبقَائِه حتَّى جَمْعِ العالَمِين؛ فقيَّضَ لِذَلِكَ عُلَمَاءَ رَبَّانيِّينَ، مُجَاهِدِيْنَ عَامِلِينَ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ، وَتأوِيلَ الجَاهِلِينَ، وَيَدْعُونَ بِالْعِلْمِ مَنْ ضَلَّ إلى الهُدَى، وَيَصبِرُونَ مِنْهم عَلَى الأَذَى، وَلَا يَضُرُّهُمْ سَخَطُ النَّاسِ عَليهِم؛ إنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، مَنَارَاتِ الطَّرِيقِ لِلسَّائِرِينَ، وَقُدْوَةِ الْبَذْلِ لِلْمُضَحِّيْن..

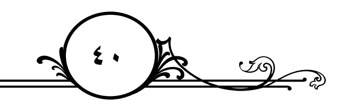
ومن هَؤُلاءِ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ، القُدُوَاتِ البَاذِلِينَ، الصَّادِقِينَ الصَّابِرِيْنَ -كَمَا نَحْسِبُهُمْ، وَلَا نُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا- الشَّيخُ المُجَاهِدُ القَائِدُ الشَّهِيدُ بِإِذْنِ اللهِ: «**أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، جَمَالُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ اشْتِيوِي المُصْرَاتِي اللِيْبِي؛ المَعْرُوفِ بِعَطِيَّةِ اللهِ** رحمه الله»..

فهو رحمه الله علَمٌ مِّن أَعلامِ الجِهَادِ فِي هَذَا الزَّمَانِ؛ ذُو سِيْرَةٍ عَطِرَةٍ، وَعُلوم نَضِرَةٍ، أَتْبَعَ العِلْمَ العَمَلَ، وَصَدَّقَ القَوْلَ بِالفِعلِ؛ فَحَمَلَ السِّلاحَ، ورَفَعَ رَايَةَ الجِهَادِ، ذَابًّا عَنْ أُمَّتِهِ، مُنْتَصِرًا لِمَلَّتِه، مُقيمًا لِشَرِيعَةِ رَبِّه؛ فَجَدَّدَ تَارِيخَ السَّالِفِينَ، وَأَعَادَ أَمْجَادَ الغَابِرِينَ، وَأَحْيَا -مَعَ إِخْوَانِهِ المُجَاهِدِينَ- مَا دَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ الجِهَادِ، فِي أُمَّةِ الاسْتِشْهَادِ؛ فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا وَالمُسْلِمِينَ خَيْرًا..

نعم؛ لَمْ يَكْتُبْ لَهُ التَّارِيخُ نَصْرًا عَسْكَرِيًّا حُسِمَتْ بِهِ مَعَارِكُ الأُمَمِ كَسَابِقِيهِ، لَكِنْ كَتَبَ لَهُ حَسْمًا أَعْظَمَ، وَنَصْرًا أَكْبَرَ؛ نَصْرًا سَجَّلَهُ بِدِمِهِ الزَّكِيِّ، وَعِلْمِهِ الصَّفِيِّ النَّقِيِّ؛ فَكَمْ خَرَّجَ مِنَ الاسْتِشْهَادِيِّينَ، وَبِعِلْمِهِ انْتَفَعَ المُجَاهِدِيْنَ.. كَانَ دَمُهُ نُورًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَارًا عَلَى الكَافِرِينَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ قَلَمُهُ سَيْفًا عَلَى الغُلَاةِ وَالمُرْجِئَةِ والطُّغَاةِ، مَعَ الحَثِّ عَلَى الفَضَائِلِ، وَأَحْسَنِ الشَّمَائِلِ..

نبتت لِحْيَتُهُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل، وَرَسخَتْ قَدَمُهُ فِي العِلْمِ والتَّأصِيلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ، وخاضَ غِمَارَ القِيَادةِ والسِّيَادَةِ؛ فامْتَثَلَ مَقُولَةَ الفَارُوقِ رضي الله عنه: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا»؛ ثُمَّ مَا مَلَّ مُقَارَعَةَ الكَافِرِينَ بِالسِّنَانِ، وَمُحَاجَّةَ المُنَافِقِينَ بِالْبَيَانِ، وَدَحْضَ شُبَهِ المُثَبِّطِينَ بِالحُجَجِ الحِسَانِ، حتَّى بَزَّ أَشْيَاخَهُ بَلْهَ أَقْرَانَهُ، وَفَاقَ كِثِيرًا من مُعَاصِرِيهِ رُغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ.

كان رحمه الله برَغْمِ قِيَادَتِهِ «قَاعِدَةَ الجِهَادِ» فِي أَفْغَانِسْتَانَ.. وَاسِعَ البَذْلِ لِلنَّصِيحَةِ، دَائِمَ العَطَاءِ فِي التَّعْلِيمِ، شَدِيدَ الحِرْصِ عَلَى وُضُوحِ رَايَةِ الجِهَادِ، وَرَفْعِهَا بَيْنَ العِبَادِ، مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مُحِبًّا لِلْوِفَاقِ، كَارِهًا لِلْفِرَاقِ، رَادًّا لِّلشُّبُهَاتِ، وَمُنِيرًا لِلضِّيَاءِ فِي الظُّلُمَاتِ، حَاثًّا عَلَى حُسْنِ الخُلُقِ، يَعِيشُ لِأُمَّتِهِ لَا لِنَفْسِهِ، عَظِيمَ الهِمَّةِ، شَدِيدَ الْغَيْرَةِ، جَرَّدَ سِلاحَهُ وَقَلَمَهُ نُصْرَةً لِدِينِهِ، وَذَبًّا عَنْ أُمَّتِهِ..



وكانت القَضِيَّةُ الكُبْرَى الَّتِي تَشْغَلُهُ وَتُؤَرِّقُهُ: إِقَامَةُ الخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَاسْتِعَادَةِ أَرَاضِي المُسْلِمِينَ المَغْصُوبَةِ وَعَلَى رَأْسِهَا فِلَسْطِينُ.. بالجِهَادِ والاِسْتِشْهَادِ، وقِتَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالرِّدَّةِ والغُلُوِّ وَالإِلْحَادِ، فتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ بِخَيْرِ بَيَانٍ؛ حَيْثُ وَضَّحَ غَوَامِضَ هَذِه الفَرِيضَةِ المُعَطَّلَةِ الْغَائِبَةِ فَجَلَّاهَا، وَفَصَّلَ مُبْهَمَ مَسَائِلِهَا فَحَلَّاهَا، مَعَ بُعْدِ نَظَرٍ، وَعُمْقِ فَهْمٍ، وَحُسْنِ تَدَبُّرٍ -فِي الوَاقِعِ- وَتَبَصُّرٍ؛ فكَانَ ﷺ خَيْرَ مُنَاصِرٍ لِّلجِهَادِ وَأَهْلِهِ: بَيَّنَ أَحْكَامَهُ، وجَلَّى فَضَائِلَهُ، وأَحْيَا فِقْهَهُ -بَعْدَ اندِثَارِه-، وَغَامَرَ صِعَابَهُ، وَأَبْحَرَ فِي لُجَجِهِ، وَطَرَحَ شُبُهَاتِ خُصُومِهِ، وَرَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ -أَعْدَاءِ الجِهَادِ-؛ فكَانَتْ رُدُودُهُ مُفْحِمَة، وَكَلِمَاتُه مُلْهِمَة، وَنَصَائِحُهُ بِالْخَيْرِ مُفْعَمَة..

ولأن كَلِمَاتِه وَجُهُودَهُ الْمُبَارَكَةِ قَدْ تَكَاثَرَتْ، وَمَنْفَعَتُهَا قَدْ عَمَّتْ، وَانْتَشَرَ صِيتُهَا بَيْنَ البَاذِلِينَ أَرْوَاحَهُمْ فِي سَبِيلِ رَبِّهِمْ مِنْ خِيار هَذِهِ الأُمَّةِ المُجَاهِدِيْنَ؛ **فَقَدْ شَدَدْنَا الْعَزْمَ عَلَى حِفْظِهَا لِلْأُمَّةِ، بِإِعَادَةِ تَرْتِيبِهَا وَتَنْضِيدِهَا، وَبَثِّ رُوحِ الْحَيَاةِ فِيهَا مَنْ جَدِيدٍ**؛ فَلَئِنْ حُرِمْنَا التَّتَلْمُذَ عَلَى الشَّيْخِ فِي حَيَاتِه؛ فَلَنْ نُحْرَمَ -بِإِذْنِ اللهِ- أَجْرَ حِفظِ عِلْمِهِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِه؛ بِصِيانَتِهِ مِنَ الضَّيَاعِ، وحِفْظِهِ مِنَ التَّحْرِيفِ والانْدِثَارِ، وَهَذَا أَقَلُّ وَاجِبٍ نُقَدِّمُهُ لِهَذَا الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ، وَلِإِخْوَانِهِ؛ نَصَرَهَمُ اللَّه..

وقبل الختام: فَلَا أَدْرِي أَيُّ عِبَارَاتِ الشُّكْرِ وَكَلِمَاتِ الثَّنَاءِ تَفِي حَقَّ مَنْ سَاهَمَ فِي هَذَا «الْمَجْمُوعِ»؛ سَوَاءٌ شَارَكَنَا بِفِكْرَةٍ، أَوْ نَصِيحَةٍ، أَوْ مُشَاوَرَةٍ، أَوْ تَصْحِيحِ خَطَأٍ، أَوْ إِتْمَامِ نَقْصٍ، أَوْ أَمَدَّنَا بِمَقَالَةٍ أَوْ كِتَابٍ، أَوْ نَشَرَ هَذَا العَمَلَ بَعْدَ إِتْمَامِهِ، وَأَعْتَذِرُ لَهُمْ جَمِيعًا لِعَدَمِ قُدْرَتِي على تِعْدَادِ أَسْمَائِهِمْ وَأَلْقَابِهِمْ فِي هَذَا المَقَامِ؛ إِذْ ظُرُوْفُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ لَا تَسْمَحُ بِذَلِكَ، وَإِلَّا لَمَا أَغْفَلْتُ ذِكْرَهُمْ أَبَدًا، وَلَعَدَدْتُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَلْقَابَهُمْ، بِلَا مَثْنَوِيَّةٍ أَوِ اسْتِثْنَاءٍ؛ فَإِلَى كُلِّ هَؤُلَاءِ نَقُولُ: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا:

فلَوْ كَانَ للشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ ... إِذَا مَا تأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لبيَّنْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ ... فَتَعْلَمَ أَنِّي امْرُؤٌ شَاكِرُ
وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ في الضَّمِيرِ ... يُحَرِّكُهُ الكَلِمُ السَّائِرُ

وَكَذَلِكَ أَشْكُرُ شُكْرًا حَثِيثًا كُلَّ مَنْ قَدَّمَ لِعَمَلِنَا هَذَا مِنَ المَشَايِخِ وَالْقَادَةِ؛ فَجَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ فِي سَعْيِهِمْ، وَسَدَّدَهُمْ إِلَى الحَقِّ وَالهُدَى.. فَإِنَّ سِلْسِلَةَ المُقَدّمِينَ لِهَذَا المَجْمُوعِ قَدِ اتَّصَلَتْ حَلَقَاتُهَا -تَارِيخِيًّا وَمَكَانِيًّا- حَتَّى عَمَّتْ مُعْظَمَ سَاحَاتِ الجِهَادِ وَلِلَّهِ الحَمْدُ، وَإِنَّ اجْتِمَاعَ هَذِهِ

الْكَوْكَبَةِ الـمُبَارَكَةِ فِي التَّقْدِيمِ لِـ«مجموع الشيخ المجاهد عطية الله» ﷬ لَأَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى مَا حَبَاهُ اللهُ ﷻ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْقَبُولِ، وَهُوَ مِنْ عَاجِلِ بُشْرَى الـمُؤْمِنِ فِي دُنْيَاهُ، وَإِنَّ هَذَا التَّقْدِيمَ -فِي حَقِيقَتِهِ- لَهُوَ تَكْلِيفٌ أَكْثَرُ مِنْ كَوْنِهِ تَشْرِيفًا، وَلَا إِخَالُ هَذَا الـمَعْنَى يَخْفَى عَلَى شَرِيفِ عِلْمِ هَؤُلَاءِ الـمَشَايِخِ وَالْقَادَةِ سَدَّدَهُمُ اللهُ، ولَكِنِّي أَشَرْتُ إِلَيْهِ هُنَا لِخَفَائِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ عَامَّةِ الْقُرَّاءِ وَالـمُطَّلِعِينَ.

وختامًا.. فَقَدْ دَرَجَتْ عَادَةُ الْجَامِعِينَ لِلْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ أَنْ يُقَدِّمُوا لَهَا بِذِكْرِ نُبْذَةٍ مِّنْ سِيرَةِ الْمُؤَلِّفِ مُتَضَمِّنَةً ذِكْرَ حَيَاتِهِ وَآثَارِهِ وَعِلْمِهِ وجِهَاده وَمُؤَلَّفَاتِهِ وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَجِهَادٍ وَقِيَادَةٍ، مَعَ ذِكْرِ مَرَاثِي النَّاسِ فِيهِ.. إلَخْ، ثُمَّ يُبَيِّنُ «الْجَامِعُ» مَنْهَجِيَّةَ جَمْعِ الْأَعْمَالِ الْمَذْكُورَةِ، وَمَصَادِرِهَا، مَعَ تَوْضِيحَاتٍ وَإِرْشَادَاتٍ لَازِمَةٍ لِلنَّاظِرِ فِي الْكِتَابِ حَتَّى تَتَحَقَّقُ الْفَائِدَةُ الـمَرْجُوَّةُ مِنْهُ.

وَهَذَا الـمَسْلَكُ طَيِّبٌ حَسَنٌ لَمْ نُحَبِّذْ مُخَالَفَتَهُ؛ فَسِرْتُ فِي جَمْعِ أَعْمَالِ الشَّيْخِ «عَطِيَّةِ اللَّهِ اللِّيبِيِّ» ﵀ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ؛ بِلَا اخْتِلَالٍ؛ بِتَوْفِيقِ الرَّبِّ الْمُتَعَالِ، سَائِلًا اللهَ بِابْتِهَالٍ، أَنْ يَرْزُقَنا الفَوْزَ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالآلِ، وَحَادِيَّ قَوْلُ القَائِلِ:

إنْ تَجِـــدْ عَيْبـــًا فَسُـــدَّ الخَلَـــلَا ... جَـــلَّ مَـــنْ لَا عَيْـــبَ فِيـــهِ وَعَـــلَا

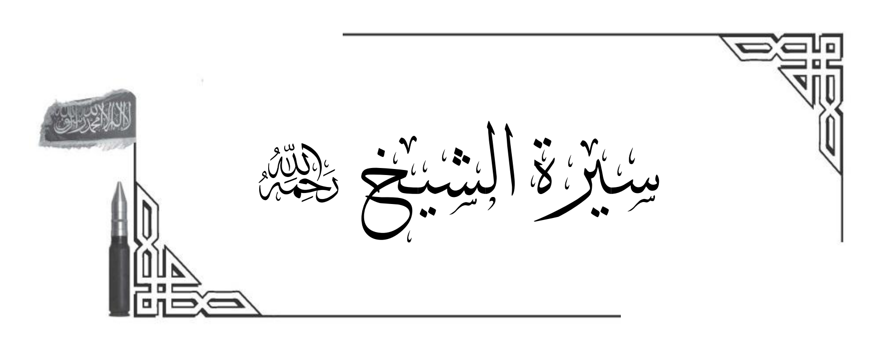
وعليه؛ فَسَنَسْتَفْتِحُ -وَعَلَى عُجَالَةٍ- بِـ: **سِيرَةِ الشَّيْخِ** ﵀ مَع بَيَانِ أَخْلَاقِه التِي امْتَازَ بِها، وِصِفَاتِه الِجهادِية الفَذَّة الَّتِي عُرِفَتْ عَنْهُ، ونَذكُرُ مَرَاثِيَ الأَعْلَامِ فِيهِ، ثم نَعْرِضُ **أَهَمَّ مَا فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ** مِنَ الرَّسَائِلِ وَالكُتُبِ وَالمَقَالَاتِ وَالمَوَادِ المُفَرَّغَةِ، ثُمَّ نَخْتِمُ بِبَيَانِ: **مَنْهَجِيَّةِ العَمَلِ فِيه**.

وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ، وِمِنْهُ مَحْضُ التَّوْفِيْقُ وَالتَّسْدِيدِ.

وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَصَلِّ اللهُمَّ وسَلِّم عَلَى قَائِدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

كتبه محتسبا:





هُوَ الشيخُ العالِمُ الْمُجَاهِدُ الْمُرَابِطُ الْمُهَاجِرُ الْقَائِدُ الْأَمِيرُ الْحَلِيمُ الْخَلُوقُ الْحَكِيمُ الْمُرَبِّي الْمُؤَلِّفُ لِلْقُلُوبِ المجَمِّعُ لِلصُّفُوفِ رَفِيعُ الْأَخْلَاقِ طَيِّبُ الشَّمَائِلِ الصَّادِعُ بِالْحَقِّ وَالمنتَصِرُ لِلْإِسْلَامِ، الْمُحَقِّقُ الْمُنْصِفُ؛ فَضِيلَةُ الشيخ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَمَالُ بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إبْرَاهِيمَ بْنِ اشْتِيوِي الْمُصْرَاتِي اللِّيبِيْ، الشَّهِيرِ بِـ «عَطِيَّةِ اللَّهِ اللِّيبِيِّ»، جزَاهُ اللَّهُ عَنِ الإسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا، وأَتَمَّ لَهُ مَثُوبَتَهُ عَلَى هِجْرَتِهِ وَجِهَادِهِ ورِباطِهِ وَثَبَاتِهِ وَطَلَبِهِ لِلْعِلْمِ وَبَذْلِهِ لَهُ ونشرِهِ، وَتَقَبَّلْهُ فِي عَدَادِ الشُّهَدَاءِ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَلْحَقَنَا بِهِ مُقْبِلِينَ غَيْرَ مُدْبِرِينَ.. آمِينَ.

عَطِيَّةُ اللَّهِ.. أَشْهرُ منْ علمٍ عَلَى رَأْسِه نارٌ؛ سَبَقَ اسمُهُ رَسْمَهُ، وعَمَلُهُ عِلمَهُ، وعِلمُهُ عَملَه، سِيرتُه الزَّكِيَّةُ العطِرَةُ ذائِعةٌ فِي كَلّ المَيَادِينِ، ومُعلَنَةٌ في شَتَّى سَاحَاتِ المُجاهِدِينَ -الَّتِي أمضى جُلَّ حَيَاتَه فِيهَا-؛ جَمع لَه المَوْلَى ﷻ بَيْنَ الْعِلم وَالْحِكْمَةِ، وَالْحِلْم وَحُسْنِ الْقِيَادَةِ، والصَّبرِ وَإِتْقَانِ الإِدَارَةِ، مَعَ مَا يَتمَيَّز بِه رحمه الله مَن صِفَاتٍ جَلِيلَةٍ أُخْرَى كالصَّمْتِ وَالتَّفَكُّرِ الْعَمِيق فِي الْأُمُور، وُحُبُّ التَّأَنِّي وَعدِم التَّعَجُّلِ، إضافةً إِلَى كَوْنِه خَبِيرًا وبَارِعًا فِي إِدَارَةِ الشُّؤُونِ الجِهادِيَّةِ وَالمَسْؤُولِيَّاتِ المُوكَلَةِ لَهُ فِي سَاحَاتِ القِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ، مَعَ إِشْرَافِهِ عَلَى الشُّؤونِ الْخَاصَّة بِالسَّاحَات الجهادية الْأُخْرَى –حَيْثُ كانَ مسؤُولًا عَنِ التَّوَاصُلِ مَعَ أَفْرُعِ «جَماعةِ قَاعِدَةِ الجِهَادِ» حَتَّى مَقْتَلِهِ رحمه الله-، وكذلك فَقَد حَبَاه اللَّه ﷻ بِالْفِرَاسَة؛ مِمَّا يَجْعَل المَرْءَ يَعْجَبُ أَشَدَّ الْعَجَبِ مِن ذَلِكَ، وَلَا غَرْوَ؛ فَتَارِيخُ الرَّجُلِ الطَّوِيلِ فِي الْجِهَادِ مَعَ تَعَدُّدِ السَّاحَاتِ التِي شَارَكَ فِيهَا؛ جعَلْتهُ يَكْتَسِبُ خِبْرَةً عَظِيمَةً فِي هَذِهِ الْأُمُورِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهِ رحمه الله طَالِبَ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ مُتَمَكِّنٍ، مَعَ حِفْظِهِ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وآثَارِ سَلَفِ الْأُمَّةِ.

فَكَمْ لِهَذَا الشَّيْخِ الجَلِيلِ مِنَ المواقف؛ الَّتِي نَصَرَ فِيهَا الحَقَّ وَلَمْ يَكُنْ بِالخَائِفِ؟ وَكَمْ أَخرجَ لِلنَّاسِ عِلْمًا، لَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمًا كَاتِمًا، وَلَا يَعْنِي هَذا عِصمَةَ الشَّيْخِ مِنَ الخَطَأِ؛ فَقَدْ نَقَلَ الإِمَامُ ابنُ عَبْدِ البَرِّ رحمه الله: «لَا يَسْلَمُ الْعَالِمُ مِنَ الْخَطَأِ، فَمَنْ أَخْطَأَ قَلِيلًا وَأَصَابَ كَثِيرًا فَهُوَ عَالِمٌ، وَمَنْ أَصَابَ قَلِيلًا وَأَخْطَأَ كَثِيرًا فَهُوَ

جَاهِلٌ»[١]، وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رحمه الله: «لَوْ قُدِّرَ أَنَّ الْعَالِمَ الْكَثِيرَ الْفَتَاوَى أَخْطَأَ فِي مِائَةِ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَيْبًا وَكُلُّ مَنْ سِوَى الرَّسُولِ ﷺ يُصِيبُ وَيُخْطِئُ، وَمَنْ مَنَعَ عَالِمًا مِنْ الْإِفْتَاءِ مُطْلَقًا وَحَكَمَ بِحَبْسِهِ لِكَوْنِهِ أَخْطَأَ فِي مَسَائِلَ؛ كَانَ ذَلِكَ بَاطِلًا بِالْإِجْمَاعِ»[٢]، وَرَحِم اللهُ الإِمَامَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيّبِ الَّذِي قَالَ: «لَيْسَ مِنْ شَرِيفٍ وَلَا عَالِمٍ وَلَا ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ؛ لَا بُدَّ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا تُذْكَرُ عُيُوبُهُ، مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ وُهِبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ»[٣].

وَلَمْ يُعرَف اسْمُ الشَّيْخِ الحَقِيقِيِّ إِلاَّ قَبْلَ فَتْرَةٍ مِنَ اسْتِشْهَادِهِ -أَثْنَاءَ الثَّوْرَةِ اللِّيبِيَّةِ- **إِذْ كَانَ يُعْرَفُ** رحمه الله **بِعِدَّةِ أَلْقَابٍ مُسْتَعَارَةٍ** وأَسْمَاءَ اقْتَضَاهَا الحَالُ لِمُنَاسَبَةِ الظُّرُوفِ الأَمْنِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَمُرُّ بِهَا المُجَاهِدُونَ؛ فَمِنْ ذَلِك: أَبُو أُسَامَةَ اللِّيبِيِّ -وَهُوَ أَقْدَمُ أَسْمَائِهِ الَّذِي عُرِفَ بِهِ فِي الجِهَادِ الأَفْغَانِيِّ الأَوَّلِ، وَيَعْرِفُهُ بِهِ قُدَامَى الإِخْوَةِ-، وَمِنْ أَلْقَابِهِ: مَحْمُودُ الحَسَن، مَحْمُود، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَبْدُ الكَرِيم اللِّيبِي.

ودُونَك -أخِي- نُبَذًا ومُقْتَطَفَاتٍ مِّن سِيرَتِهِ العَطِرَةِ، وَجَوَانِبَ مِنْ حَيَاتِهِ تَقَبَّلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ:

۞ من النشأة إلى الهجرة:

حدثنا الشيخ «أبو محمد الفقيه الليبي» عن بعض مراحل عمر الشيخ رحمه الله؛ فقال حفظه الله:

أخي ورفيق دربي «عطية الله»، تشرفت بالمعيشة معه في مكان واحد وفي ظروف مختلفة وأماكن مختلفة وأزمنة مختلفة..

ولد الشيخ رحمه الله في قرية «الزَّوَابِي» بـ«مُصْرَاتَهْ» في «لِيْبْيَا» في عام ١٣٨٨، الموافق: ١٩٦٩م، ونشأ في أسرة متمسكة بدين الله غير مفرطة فيه، معروفة بالخلق الطيب وحسن السيرة، له عدد من الإخوة اثنان أكبر منه: بشير وحسن -وهم من خيرة الناس أخلاقا وسيرة-، وأخ أصغر منه: محمد، وهو كذلك شاب فاضل وتربطني بهم مودة وتواصل ولله الحمد..

«جمال» شاب نشأ في طاعة الله، فمنذ بداياته نشأ على سنة وطريقة سليمة كانت سائدة في مصراته في ذلك الوقت؛ إذ نشا على الشجاعة وله في ذلك مواقف كثيرة، وكذلك على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يزين ذلك كلّه أدب جم وخلق حسن واحترام لمن هو أكبر منه سنا أو أقدم سابقة..

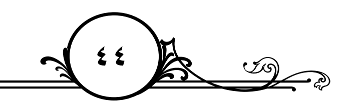
كانت تربطني به علاقة من صغره، وكان متحمسا للدعوة والجهاد، وكنا نحاول تهدئته وتوجيهه

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٥٨).

(٣) الكفاية في علم الرواية (ص ٧٩).



بما يتناسب مع ظروف البلاد الصعبة في ذلك الوقت، لكنه كان لا يخاف في الحق؛ ففي سنة ١٩٨٨ بدأ الشباب في التفكير في إنشاء تنظيم جهادي يدفعهم لذلك الغيرة والشجاعة والحماسة؛ ولكن لظروف البلاد والقبضة الأمنية مع نقص الخبرة والدراية؛ لم ينجح هذا التنظيم.

فقد عُرف هذا التنظيم باسم الشيخ «محمد الفقيه» تقبله الله، وانضم له شباب كُثر في ذلك الوقت، وكان «عطية الله» من أوائلهم؛ بل كان من الدعاة له، وكان صاحب همة عالية وجدية في العمل؛ إذ كان يجوب ليبيا من شرقها لغربها داعيًا إلى العمل الجهادي، ومحرضا عليه؛ كان شجاعا بحق ﷺ، ومن مواقفه: أن أحد الثوريين المتسلقين وقف يومَ جمعة بعد الصلاة، وقال: «باسم الله وباسم الفاتح العظيم»؛ فوقف له الأخ «عطية»، وتكلم معه بكلام شديد.. ولكن الله سلمه وسلم الإخوة يومها.

كانت بيئة مصراته في تلك الفترة بيئة دعوة على منهج الأوائل: كتاب يهدي وسيف يحمي، وكان من رموز الدعوة والصحوة المباركة الأخ «يوسف المصراتي» وكان شجاعًا كريمًا، وقد لازمه «عطية الله» فترة، وكان بيته مضافة للإخوة، ووُجد في مصراتة عدد من أهل العلم والفضل والجهاد وقتها؛ من أمثال الشيخ الشهيد بإذن الله: عبد الله إجمال، والشيخ الشهيد بإذن الله: بلقاسم مليطان، وغيرهم.. فكانت بيئة علم ودعوة وجهاد على منهج صحيح لا إفراط ولا تفريط؛ فهناك من يرشد الشباب ويوجههم التوجيه الصحيح، وكان الشباب رغم الحماس وصغر السن يستمعون لمن هو أكبر منهم، وكان الحب والتقدير والاحترام هو السائد في تلك المرحلة.

وزيادةً على هذا فقد كان «عطية» مميزا بين أبناء جيله بالذكاء وعلو الهمة؛ فقد كان في الشهادة الثانوية من الأوائل في دراسته.

في تلك الفترة كان «عطية» دون العشرين من عمره، وكانت أخبار الجهاد الافغاني تصل إلينا، ويصلنا بعض الإصدارات من أشرطة فيديو وبعض المجلات، وأعلى شيء كنا نطمح إليه وقتها أن نحصل على شريط فيديو؛ فأجهزة الفيديو لم تكن متوفرة عند الجميع فيسافر الشباب أحيانًا مسافة القصر من أجل أن يتفرج على فيديو للأفغان أو محاضرة للشيخ عبد الله عزام ﷺ، ولم تكن آلات تصوير الورق متوفرة وقتها؛ فكانت المجلات والمقالات تنسخ باليد أو يتم تصويرها بصعوبة وتوزع على الإخوة حتى تقرأ الورقة كالمخطوطة بصعوبة أن بعض الحروف تكون قد مُحيت من كثرة تداول الأيدي عليها.

في نهاية الثمانينات انتشر الفكر الجهادي بليبيا وإن كان ينقصه التنظيم والخبرة، ونتج عنه بعض العمليات مثل مقتل «أحمد مصباح» في بنغازي سنة ١٩٨٦، وفي سنة ١٩٨٨ حصل لقاء في اجدابيا عند

الشيخ «محفوظ» وحضره عدد من الإخوة منهم «عطية الله» والأخ «مفتاح الدوادي» و«ميلاد قمرة» و«محمد الفقيه» وكنت بين الحضور، وتناقشنا في ترشيد الصحوة الجهادية ونقلنا لهم تجربتنا في أفغانستان وركزنا على ضرورة التنظيم والتدريب والسرية، ولكن الإخوة قد حزموا أمرهم بعد انضمام عدد كبير لهم من جميع أنحاء ليبيا، وكان عملهم نوعا ما ظاهرًا؛ فقد قرروا التصعيد مع النظام.

«وقد حدَّث ﷺ عن سبب تحوله من مذهب الغلو الذي انتشر في بين شباب ليبيا في أواخر القرن الفائت؛ فذكر قصةً حصلت له قبل خروجه من ليبيا وهو شاب في العشرين من عمره حيث أنه كتب ملخصًا مال فيه الى فكر الغلو، وتداوله بعض الإخوة في مصراتة، ثم وقع الكتيب بيد الشيخ «عبد الله إجمال» ﷺ فعلق عليه وبيَّن ما فيه من خطأ وزجره؛ فتأثر «عطية الله» بذلك ونفعه الله بنصائح هذا الشيخ؛ لأنه كان يعرف قدره ومكانته العلمية.. ولو كان من شباب اليوم لقال: هو رجل ونحن رجال، ولطعن في عقيدته وقال: أزهري تربى على الإرجاء، وسولت له نفسه التمادي في الباطل».

وفي خضم الدعوة والصَّحوة قدَّر الله أحداث ١٩٨٩م التي استفز فيها النظام الإخوة بصورة بشعة ومقززة، وكانت الأمور توحي بأن الطاغوت يبيت لأمرٍ بليل، وهو القضاء على هذه الصحوة المباركة، وأنَّ هذا القرار سينفذ حتى لو لم تحدث أي مواجهة من طرف الإخوة؛ فلا علاقة للقرار بتصرفات الشباب؛ فبدأت الحملة في جميع أنحاء ليبيا في ١٨٨٩/١/١٤م وشملت جميع الشباب الملتزم من جميع التيارات، وهنا حاول «عطية الله» أن يحرض الاخوة على المواجهة ولكن للأسف لم يكن هناك أي استعداد لهذا الظرف وكانت الاتصالات صعبة؛ فُوضع آلاف من الإخوة في السجون، وتمكن آخرون من الإفلات من هذه الحملة، وكان من بين الناجين: «عطية الله».

كانت هذه هي الاجواء والبيئة التي نشأ فيها جمال اشتيوي «عطية الله»، كانت مأسدة بحق..

بعد تمكننا من الإفلات من قبضة الطاغوت جاءني بعض الإخوة للبيت كان من بينهم: «جمال»، ومن تلك الفترة لم نتفارق قرابة سبعة أشهر في مصراتة، وأجهزة أمن الطاغوت تبحث عنا، ولما اشتدت حملة الطاغوت «القذافي» على الإخوة ذهب «عطية» إلى أحد مناطق مصراته ونصبوا خيمة صغيرة بين كثبان رملية ومكثوا فيها عدة شهور مع القرآن والسنة في جوٍّ تأمل وعبادة، وتعاهدهم بعض الإخوة بما ما يحتاجون إليه، وكنت أزورهم دوريا؛ فكانت أجواءً إيمانية رائعة للتفكر والعبادة.

وبعد حوالي ثلاثة أشهر بدأ الرُّعاة بالمجيء لتلك المنطقة؛ فأصبحت غير آمنه لشابين يقيمان في ذلك المكان؛ فرجعوا معي إلى بيتي فأقمنا فيه، وبقينا في هذا البيت عدة شهور -ونحن ثلاثة- ننام ونستيقظ مع الأحاديث والنقاشات والكتب؛ فكانت أيامًا جميلة، وكان يزورنا بعض الإخوة ليطلعونا

على آخر الاخبار، وسافر «عطية الله» لطرابلس عدة مرات من أجل التواصل مع باقي الإخوة للتفكير فيما يمكن أن نقوم به.

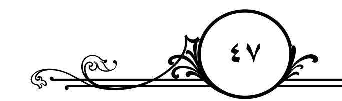
حتى جاء قرار الهجرة والذي دُرس بعناية؛ فقررنا الهجرة من البلد، ورتبنا مع الإخوة، ثم خرجنا إلى طرابلس، وهناك أخذنا تأشيرة الحج وكنا في بداية ذي الحجة، وتحركنا باتجاه الجزائر وكنا أربعة: أنا وأبو حنيفة وعطية الله وفوزي.. حتى وصلنا إلى «اغدامس» واستطعنا النجاة من الحواجز بأعجوبة منَّ الله علينا بها وحده، ومن هنا بدأت رحلة الهجرة -وسبحان الله بعد ٢٣ سنة تخرج عائلة الطاغوت القذافي من نفس المكان، ورجعت أنا إلى مصراتة مرفوع الرأس بفضل الله-.

دخلنا الجزائر بيسر، ونتيجة لقرب العيد لم نتمكن من الحصول على طائرة، إذْ بقي على العيد يوم أو يومين وكانت «الجبهة الاسلامية للإنقاذ» في أوجها؛ فلما جاء العيد صلينا في معلب كرة، وكان إمامه «كمال كمازي» إمام مسجد التقوى الذي قتله الخوارج فيما بعد، وكان الملعب ممتلئا على آخره، وكانت هذه أول مرة نرى هذا العدد من الشباب الملتزم في مكان واحد.

بقينا شهرًا في الجزائر كان «عطية الله» حريصا فيها على حضور المحاضرات التي كان يلقيها الشيخ «علي بلحاج» و«عباسي مدني» وغيرهم، مع حرصه على التعرف على شباب الصحوة وغالبهم حديث عهد بالتزام، وكان لـ«عطية الله» دور في النصح والتوجيه لهؤلاء الشباب، وفي هذه الأيام حاولنا الحصول على التأشيرة الباكستانية لكن لم تتيسر، وزرنا في الجزائر الشيخ «أحمد سحنون» وهو من الباقين من رابطة العلماء التي كان يرأسها الشيخ «ابن باديس» و«البشير الإبراهيمي»..

بعد فشلنا في الحصول على تأشيرة الباكستان قررنا السفر إلى مصر حيث فُتح السفر إلى مصر في تلك الفترة فقط؛ فقد كان ممنوعا على الليبين السفر إلى مصر لسنوات طويلة؛ فسافرنا خمستنا إلى مصر.

وصلنا مصر ومعنا «عطية الله»؛ واتصل أحد الإخوة الذين معنا بأستاذ مصري كان يدرس في ليبيا فالتقينا به في «الزقازيق» بالشرقية؛ فأكرمنا وترك لنا بيته أيامًا وعرفنا على إخوة أفاضل من «جماعة الجهاد» منهم د. أحمد حسين وغيره؛ ففرحوا بنا جدا حيث كان هذا لقاءهم الأول بشباب ليبيين ملتزمين وجهاديين وأصحاب ثقافة وفقه، وقد اقترحوا علينا أن يعرفونا على «سلفية الاسكندرية»؛ فذهب «عطية الله» وأخ آخر وبقوا عندهم أيامًا فرحوا بهم خلالها، وكان «سلفية الاسكندرية» في ذلك الوقت قريبين من «جماعة الجهاد»، وتعرفنا وقتها على الشيخ «صلاح أبو إسماعيل» وكان شجاعا أديبا صاحب طرفة وقد زرناه كثيرا وكان يكرمنا، وكان يذهب معي «عطية الله»؛ لأن الشيخ كان ضليعًا في اللغة والشعر والأدب وكان ذلك يعجب «عطية»، وكنا نلتقي بـ«حازم» عنده أحيانًا وكان شابا جسيما.



وخلال هذه المدة فُتحت مصر لِلَّيبيِّين فبدأت أعداد كبيرة من الشباب تتجه لها لتطلق منها لباكستان؛ فحضر لنا إخوة كُثر منهم الأخ «أبو الفرج الليبي» الأسير عند أمريكا -فك الله أسره-.

والتقينا في مصر بالشيخ «أبي الحسنين المصراتي»؛ فاستفدنا من علمه وخبرته وقصصه الشيء الكثير وكان «عطية الله» من الملازمين له فاستفاد من حكمته وعلمه خاصة في اللغة العربية؛ لأنهم كانوا يقضون وقتًا طويلا في البيت.

وقد حاولنا مُذْ وصلنا لمصر أن نحصل على التأشيرة الباكستانية؛ فكلمنا «جماعة التبليغ» لكن لم يقدموا لنا مساعدة؛ لأن لهم إجراءات وخطوات لا بد أن تمر بها معهم قبل أن تحصل منهم على شيء، وهم ناس طيبون ومن أقرب الناس للمجاهدين ولنا معهم مواقف طيبة يشهد الله.. وحاول الشيخ «صلاح أبو إسماعيل» مساعدتنا بمراسلة السفارة، بل وذهب بنفسه لهم ولكن لم يوافقوا.

حتى جاءنا الأخ «مفتاح الدوادي» وهو آية في الشجاعة ورباطة الجأش في أصعب المواقف؛ فأخذ جوازاتنا لليبيا وتركنا مدة طويلة بدونها، فصرنا كلما طُرق الباب ظننا الطارق الأمن المصري.. وبعد أكثر من شهر جاء بالجوازات وفيها التأشيرة الباكستانية؛ فسافرنا عن طريق الإمارات إلى باكستان.

۞ في خُرَاسَان آخر الثمانينات:

فِي أَوَاخِرِ عَامِ ١٤٠٩ المُوَافِقُ: ١٩٨٩م أَيَّامَ الاحْتِلَالِ السُّوفْيِيتِّي وصلنا إلى «إسلام آباد» وكان في استقبالنا الأخوين القائدين «يوسف البخاري؛ ذبيح الله» والأخ «عبد الرحمن حطاب» وهما من أفضل الإخوة والقادة سافرَا من «بيشاور» لاستقبالنا وفرحوا بنا وفرحنا بهم، حتى وصلنا «بيشاور» وذهبنا إلى مضافة الليبيين، وكان اسم «عطية الله» هناك: «أسامة» أو «أبو أسامة الليبي»، حتى ذهبنا إلى معسكر «جَاوَرْ» فِي منطِقَةٍ حدودِية بِالقربِ مِنْ «خُوسْت» فِي أَفْغَانِسْتَانَ -وليس في معسكر «جَاجِيْ»- وكان معسكرا عاما لجميع الإخوة وهنا بدأ يلمع نجم «عطية الله» حيث بدأ في إلقاء الدروس والنهل من طلبة العلم هناك، وبعد المعسكر ذهبنا لمنطقة «كاما» في «جلال أباد»، وفي الأيام الأولى من مكوثنا في مراكز المجاهدين في «كاما» حصلت حادثة غيرت مجرى حياتنا جميعا -بما فينا «عطية الله»- حيث قتل خمسة من خيرة شبابنا غدرا من قبل عصابة من المجرمين المنتسبين للمجاهدين؛ قتلوهم ليأخذوا سلاحهم، وكان منهم «قاسم قرجي أبو حفص» رفيق درب «عطية الله»، وتعبنا جدا حتى توصلنا للمجرمين وتم القصاص منهم، ومن أقدار الله أننا في ذلك اليوم الذي ذهب فيه الإخوة لزيارة هؤلاء الذين غدروا بهم جاءني «عطية» واستأذن ليذهب معهم فرفضت ذلك فحزن ولكن لم يتكلم.. فأنجاه

الله بقدره وادخره لما هو خيرٌ.

رجعنا إلى «بيشاور» بعد هذا الابتلاء الشديد، وعُرض على «عطية الله» الدخول لـ«القاعدة» في تلك الفترة؛ فقرَّرَ الدخول مع الإخوة بقيادة الشَّيْخِ الإِمَامِ: «أُسَامَةَ بن لَادِنِ» ﷺ، خاصةً أننا في «الجماعة الإسلامية المقاتلة» لم تتبلور الأمور عندنا بصورة جيدة وإمكانياتنا ضعيفة، مع ما في «بيشاور» من أفكار غريبة عجيبة؛ فدخول أخ لـ«القاعدة» لا يحزننا بل يفرحنا لأننا نأمن عليه من الضياع في زحمة أفكار «بيشاور» وتخبط الجماعات فيها.

استفاد «عطية الله» من إمكانيات «القاعدة» ومن المعاهد والدورات الشرعية التي كانت تتنافس الجماعات الجهادية فيها وتتعاون كذلك، فَتعلَّم وعَلَّم، ومن أكثر من استفاد منهم في هذه المرحلة: «قاري سعيد الجزائري» فقد أحبه كثيرا، وكذلك استفاد من غيره من أهل العلم والفضل.

وخلال وجودنا فِي أَفْغانِستَانَ شارك «عَطِيَّةُ» ﷺ فِي بعض العملياتِ الكبرى هُناك مِثْل: عملية فتح «خوست»، وكان قد تخصص في سلاح الهاون «الْغِزْنَايْ»، وقد ذكر بأنه رمى به في أكثر من عملية، من ضمنها تلك العملية، وكذلك فقد كان ﷺ متخصصا في المتفجرات.

۞ طلب العلم في موريتانيا:

قررت «القاعدة» إرسال بعض الشباب لطلب العلم في «موريتانيا»، كان منهم «عطية الله»، وكذلك أرسلت «المقاتلة» عددا من الشباب لنفس الغرض؛ كان منهم «أبا يحيى الليبي» الذي سمى نفسه هناك «يونس الصحراوي» وكانت هذه الرحلة العلمية في «موريتانيا» مرحلة مهمة في حياة «عطية الله» حيث استفاد كثيرًا؛ ليس في المستوى العلمي وحسب؛ فقد استفادوا كذلك في التربية وتزكية النفوس والتواضع والبساطة لدرجة كبيرة جدا أحيانا؛ إذ كان هذا خلق مشايخ «شنقيط»، مع أخلاق أخرى حميدة ترسخت عندهم كالبعد عن الغرور والعُجب، فقد عرفوا أن علمهم الذي كان معهم ليس شيئا يُذكر، بجانب البحار الزاخرة من علماء «شنقيط» مع بساطة في لباسهم ومسكنهم ومطعمهم، وقد حدثني «عطية» عن أحد الشيوخ الكبار الحفاظ أنه كان يبيت على كرتون في مسجد أو بجانب حائط!

وقد استفادوا كذلك فقه التعامل مع الناس وخاصة المخالف، وعلموا أن الغيرة على الدين ليست خاصة بالمجاهدين؛ فعند غيرهم كهؤلاء العلماء غيرة ربما زادت على غيرة الشباب المتحمس على دينهم، ولهذا ترى في كتابات «عطية الله» أدب التعامل مع المخالف..

حقًّا لقد زادت هذه الرحلة في أعمارهم سنوات كثيرة؛ زادتهم سعة في أفقهم وفهومهم وعلومهم، وأصبحوا مؤهلين لأن يكونوا علماء أمة لا علماء تنظيم.. وقد حدث الشيخ في مواضع من «المجموع» عن رحلته في موريتانيا وفوائده منها.

وهناك في «موريتانيا» تزوج عدد من الشباب الذين كانوا مع «عطية» ﷺ، مما دفعه أن يذهب إلى «الجزائر» فيتزوج فيها، ثم رجع إلى موريتانيا مصطحبا زوجته معه.

بعدما فُتِحَت أَفغَانِستَانُ وتحررت مِنَ الشُّيُوعِيِّينَ حَصَل قتال الأحزاب بين «المجاهدين»؛ الإخوةِ الأعداءِ، مما دفع «القاعدة» و«المقاتلة» و«جماعة الجهاد» و«الجماعة الإسلامية»غيرهم للتوجه إلى «السودان» مضطرين.. ومما ميز مرحلة «السودان» أن الجماعات الجهادية تقاربت من بعضها وأصبح عندها وقت أكثر للتلاقي والتشاور والمناقشة؛ وخلال وجود الإخوة في «السودان» تَوَجَّهَ الشَّيخُ «عطية» ﷺ إِلَى «السُّودَانِ» لِيَلْحَقَ بِقِيادَاتِ «تَنظِيمِ القَاعِدَةِ» هُنَاك؛ بِمَنْ فِيهِم الشَّيخُ أُسَامَةُ ﷺ.

مكث الشيخ ﷺ في السودان قليلًا ثم رجع إلى موريتانيا، وكانت مدة مكثه فيها قرابة سنتين يغرف من معين علمها الصافي؛ فدرس على كبارِ علمائها كالشيخيْن البَحْرَيْنِ: «بَدَاهُ وَلَد الْبُوصِيرِيّ» حيث درس على يديه بعض الدروس العامة لكن لم يدرس على يديه كتابا متخصصا، وكذا دَرَس على يد الشَّيخ «مُحَمَّد سَالِمِ عَدُّودْ» دراسة مُنتظَمةً؛ حَيْثُ درس على يديه أبوابا من ألفية ابن مالك في النّحو وغيرِه، كما ذكر ذلك في بيان تعزيته فيهما ﷺ، ولكنه اضطُرَّ للخروجِ مِنْ «شِنْقِيطَ» بسبب الملاحقة الأمنيةِ وَالتَّضْيِيقِ عليه وعلى إخوانِهِ من الطغاة[1].

وَقَد نَفَعَ اللهُ المُجاهِدِينَ بِعِلْمِهِ كَثِيرًا فِيمَا بَعْدُ، حَتَّى أَنَّهُ صَارَ مُفْتِي تَنْظِيمِ «قَاعِدَةِ الجِهَادِ» -أَعَزَّهُ اللهُ وَنَصَرَ بِهِ الدِّينَ- وَهُوَ أهلٌ لِذَلِكَ ﷺ، وَمِمَّا يُذكَرُ هُنَا أَنَّهُ اجْتَمَع مَرَّةً مَع أَخِيهِ وَرَفِيقِهِ: «أَبِي يَحْيَى اللِّيبِيِّ» ﷺ مُدَّةَ سِتَّةِ أَشْهُرَ يُرَاجِعَانِ فِيهَا المُتُونَ والعُلومَ، ويتَذَاكَرانِ المَسَائِلَ، ويَتبَاحَثَانِ النَّوازِلَ.. أَعْلَى اللهُ نُزُلَهُما، وَعَوَّضَنا عَنْهُمَا خَيْرًا.

وَعَلَى ذِكرِ طَلَبِ العِلْمَ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ خَطَّ الشَّيْخِ ﷺ كَانَ يَمْتَازُ بِالجَمَالِ وَحُسْنِ السَّبْكِ وَالتَّنْسِيقِ، مَعَ الشَّكْلِ الأَنِيقِ، وَقَدْ حَصَلْنَا عَلَى بَعْضِ الرَّسَائِلِ بِخَطِّهِ ﷺ؛ أَلْحَقْنَاهَا بِآخِرِ المَجْمُوعِ.

(١) ستجد عزاء الشيخ في: البوصيري، وولد عدود، وكذا كلامه عن طلبه العلم في موريتانيا؛ ضمن هذا المجموع بإذن الله.

۞ في الجزائر حتى أفغانستان:

فِي عَامِ ١٤١٥ المُوَافِق ١٩٩٥م -وبِتَوْجِيهٍ مِّنَ الشَّيخ الإمَامِ أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ ﷺ- توجَّهَ «عَطِيَّةُ» ﷺ لِلْمُشَارَكَةِ فِي قِيَادَةِ الجِهَادِ فِي الجَزَائِرِ؛ حَيْثُ مَكَثَ فِيهَا ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ، إلَّا أَنَّهُ مرَّ بتَجْرِبَةٍ مَرِيرَةٍ فِيهَا، حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا نَافِذًا بِجِلْدِه -كَمَا ذَكَر ﷺ فِي لِقَائِهِ بِشَبَكَةِ «الحِسْبَةِ» و«التَّجْرِبَةِ الجَزَائِرِيَّةِ» وَفِي مَوَاضِعَ أُخرَى تَجِدُهَا فِي «المَجْمُوعِ»- بَعْدَمَا كَادَ أن يَتعَرَّض لِلْقَتْلِ مِنْ الغُلَاةِ؛ لَكِنَّهُ نَفَذَ بجِلْدِهِ.

وَبَعْدَهَا -فِي حُدُود ١٤٢٠المُوَافِق ٢٠٠٠م- يَمَّمَ وَجْهَهُ تِجَاهَ أَفْغَانِستَانَ الفَخَارِ -مَرَّةً أُخْرَى- مَع قِيَام إمَارَةِ «طَالِبَانَ» الإِسْلَامِيَّةَ فِيهَا، وَعَمِلَ مُدَرِّسًا فِي «المَدْرَسَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كَابُلَ» حَتَّى كَانَ وَعْدُ اللهِ بِنَصْرِ المُجَاهِدِينَ المُبَارَكِ فِي غَزْوَاتِ الثُّلَاثَاء الأَغَرِّ ٢٣/ ٦/ ١٤٢٢، المُوَافِق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م..

وَبُعَيْدَ غَزَوَاتِ الحَادِي عَشَرَ مِنْ سِبْتِمبَرَ المُبَارَكَةِ، وَبَدْءِ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ الثَّالِثَةِ عَلَى أَفغَانِسْتَانَ وَغَيْرِهَا، وَانْحِيَازِ المُجَاهِدِين فِي «الإِمَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ» إِلَى الدُّوَلِ المُجَاوِرَةِ لِأَفْغَانِسْتَانَ؛ عَادَ الشَّيخُ مَعَ إِخْوَانِهِ مَرَّةً أُخْرَى لِبَعْضِ المَنَاطِقِ الآمِنَةِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ، وَوَاصَلَ مَسِيرَةَ الجِهَادِ وَالدَّعْوَةِ مَعَهُمْ.

ولَمَّا احْتلَّت «أَمْرِيكَا» الْعِرَاقَ كَلَّفَ الشَّيْخُ «أُسَامَةُ» الشَّيَخَ «عَطِيَّةَ اللهِ» ﷺ بِالذَّهَابِ إِلَى الْعِرَاقِ لِقِيَادَةِ الْجِهَادِ هُنَاكَ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ أَسَدِ الْعِرَاقِ الشَّيخ: «أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِيِّ» ﷺ -وَذَلِك فِي عَام ١٤٢٧ المُوَافِقِ ٢٠٠٦م-، وَلَكِنْ لَمْ يُيَسِّر اللَّهُ ﷻ لِلشَّيخِ دُخولَ العِرَاقِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا ﷻ -فَلعَلَّهُ لَوْ وصلَ العِرَاقَ لَقَتلَهُ الغُلاةُ المُجْرِمونَ هُنَاكَ-؛ فَعَادَ لِيُتِمَّ دَوْرًا كَبِيرًا وَمِحْوَرِيًّا فِي قِيَادَةِ «قَاعِدَةِ الجِهَادِ» خِلَالَ الخَمْس سَنَوَاتِ الأَخِيرَةِ من حيَاتِهِ؛ حَيْثُ كَانَ ﷺ نَائِبَ المَسْؤُولِ الْعَامِّ لِلتَّنظِيمِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ؛ الشيخِ «مُصْطَفَى أَبُو اليَزِيدِ» ﷺ، وَمَا لَبِثَ أنْ صَارَ المَسْؤُولَ الْعَامَّ لَهُ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ، ثُمَّ صَارَ الرَّجُلَ الثَّانِي فِي التَّنظِيمِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ الشَّيخَيْنِ الجَلِيلَيْنِ: «أُسَامَةَ بْنِ لَادِنَ» و«مُصْطَفَى أَبُو اليَزِيدِ» ﷺ؛ فَلَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ عَطِيَّةُ ﷺ يَمْتَلِكُ مِنَ الحِكْمَةِ وَالحِنْكَةِ وَالخِبْرَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالقِيَادِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ والسِّيَاسِيَّة مَا أَهَّلَهُ لِقِيَادَةِ «تَنْظِيمِ قَاعِدَة الجِهَاد» بِرغْم وُجُودِ مَنْ هُمْ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا وَأَقْدَمُ هِجْرَةً وَجِهَادًا فِي التَّنظِيمِ، وهَكَذَا بَقِيَ الشَّيخُ ﷺ فِي جِهَادٍ..

حَتَّى حَانَت سَاعَةُ لِقَاءِ ربِّهِ، وَجَاءَه الاصْطِفَاءُ؛ فصَارَ فِي مَصَافِّ الشُّهَدَاءِ -كَمَا نَحْسِبُهُ-.

۞ أخلاقه وصفاته:

كَان الشَّيخُ ﷺ صَاحِبَ عِبَادَةٍ وَقِيَامِ لَيْلٍ وَتَهَجُّدٍ لِلَّهِ ﷻ، وَكَانَ قَد ازْدَادَ تَعَلُّقُهُ بِرَبِّهِ ﷻ بَعْدَ تَسَلُّمِهِ

لِإمَارَةِ «جَمَاعَةِ قَاعِدَةِ الجِهَادِ» أَعَزَّهَا اللهُ؛ حَيْثُ يَتَّضِحُ هَذَا بِشِدَّةٍ مِنْ خِلَالِ رَسَائِلِهِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي يَنْصَحُ فِيهَا بِالصَّبْرِ وَاللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي أَوْقَاتِ الشِّدَّةِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ ﷻ وَالثِّقَة بنصره؛ بِرَغْمِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي كَانَ يمُرُّ بهَا المَجَاهِدُونَ.

وَكَانَ كَذَلِكَ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَلَا يَصْرِفُ مِنْهُ إِلَّا بِقَدْرِهِ وَبِالْمَعْرُوفِ؛ فَقَدْ تَكُون عِنْدَه مِنَ الْأَمْوَال أَحْيَانًا مَا يَكْفِيهِ لِسَدادِ حَاجَاتِهِ، ولَكِنَّهَا أمْوَالُ بَيْتِ المَالِ؛ فَلَا يَشْتَرِي لِنَفْسِه مَا يَأْكُلُهُ، وإنْ فَعَلَ فإنَّهُ يَشْتَرِيْ مَا قَلَّ ثَمَنُهُ وَرَخُصَ؛ حِرْصًا مِنْهُ ﷺ عَلَى هَذِهِ الْأَمَانَةِ الْعَظِيمَةِ.

وَكَانَ ﷺ يحْرِصُ أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى تَعْلِيمِ أَوْلَادِهِ وَتَدْرِيسِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ بِنَفْسِهِ عَلَى الرّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ المَسْؤُولِيَّاتِ المُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِ.

كُلُّ هَذا مَع طِيبَةِ قَلْبِه؛ وَخِفَّةِ ظِلِّهِ؛ فَقَدْ كَانَ يُمَازِحُ إخْوَانَه وَيُوَاسِيهِمْ؛ مَعَ مَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ حَزْمٍ وَقُوَّةٍ فِي الرَّأْيِ والتَّدْبيرِ.

وَأَمَّا حُسْنُ إدَارَتِه وَقُوَّةُ بَصِيرَتِهِ فَهِيَ السِّمَةُ الْمُمَيِّزَةُ لَهُ ﷺ، فَقَدْ شَهِدَ لَهُ القَاصِي وَالدَّانِيْ بِذَلِكَ؛ حَيْثُ أَكَسَبَهُ الْعَمَلُ فِي السَّاحَاتِ الجِهَادِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ خِبْرَةً عَظِيمَةً قلَّ أَنْ تَجْتَمِعَ فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ.

وَكَانَتْ شَخْصِيَّتُهُ قَوِيَّةٌ ﷺ حَيْثُ عُرِفَ عَنْهُ الجِدِّيَّةُ وَالحَزْمُ، وَأَحْيَانًا «الْعَصَبِيَّة»؛ فَقَدْ كَانَ حَازِمًا فِي العَمَلِ، دَقِيقًا فِي مَوَاعِيدِهِ، ضَابِطًا لِعَمَلِهِ.

وَلَعَلَّ مِن أَعْظَمِ صِفَاتِه ﷺ التَّوَاضُعُ لِإِخْوَانِه المُجَاهِدينَ خَاصَّةً وَالْمُسلِمِيْنَ عَامَّةً، وَهَذَا مِنْ بَرَكَةِ العِلْمِ الَّذِي حَبَاهُ اللهُ إِيَّاهُ؛ فَلَا يَأْنَفُ عَنْ مُحَاوَرَةِ الصَّغِيرِ وَلَا الكَبِيرِ، وَلَا مُؤَاكَلَتِهِمْ أَوْ مُخَالَطَتِهِمْ.

وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْغَيْرَةِ عَلَى دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْرَاضِهِمْ مُشَدِّدًا فِيهَا، وَمُعْلِنًا أَعْظَمَ النَّكِيرِ عَلَى سَفْكِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَهَذَا كُلُّهُ مُلَاحَظٌ مِنْ كَلِمَاتِهِ وَمَوَاقِفِهِ القَوِيَّةِ الَّتِي سُجِّلَ بَعْضُهَا فِي هَذَا «الْمَجْمُوعِ».

وَأَمَّا خِطَابُه؛ فَقَدْ كَانَ يَتَّسِمُ بِالاهْتِمَامِ البَالِغِ بِالتَّرْبِيَةِ وَتَرْسِيخِ الأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ مَعَ المُوَافِقِ وَالمُخَالِفِ، وَتَرْكِ حَظِّ النَّفْسِ وَإِيثَارِ مَا عِنْدَ اللهِ ﷻ، وَكانَ يَرَى أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ مِنْ أَوْلَى الوَاجِبَاتِ عَلَى المُجَاهِدِينَ -وَهِيَ كَذَلِكَ بِلَا شَكٍّ-، بَلْ كَانَ كَثِيرًا مَا يُحِيلُ المَشَاكِلَ إِلَى قِلَّةِ التَّرْبِيَةِ فِي السَّاحَةِ الجِهَادِيَّةِ.

وَكَذَا كَانَ يَقِف ﷺ سدًّا مَنِيعًا فِي وَجْهِ الغُلَاةِ وَالمُتَسرِّعِينَ فِي التَّكْفِيرِ، وَالمُتَسَاهِلِينَ فِي الدِّمَاءِ، وَكَانَ يُكَرِّرُ حِينَ الخِلَافِ: «لَعَلَّ لِلْمُخَالِفِ عُذْرًا.. لَعَلَّهُ كَذَا وَكَذَا» حَتَّى تَذْهَبَ عَجَلَةُ المُتَسَرِّعِينَ.

وَكَانَ ﷺ يُرَاسِلُ أَهْلَ العِلْمِ فِي المُشْكِلَاتِ والنَّوَازِلِ الجِهَادِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ؛ فَيَصْدُرُ عَنْهُم وَيَسْتَفِيدُ مِنْ شُورَاهُمْ، ومِمَّا يُذْكَرُ هُنَا أَنَّ أَحَدَ المَشَايِخِ العَامِلِينَ بَعَثَ لَهُ بِرِسَالَةٍ فيها: أَنَّ سِرَّ «الفَاتِحَةِ» فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] فَعَلَّقَ عَلَيْهَا ﷺ: سِرُّهَا فِي كَلِمَةِ ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ [الفاتحة: ٦] كَمَا تَجِدُهُ فِي «سِلْسِلَةِ

الثَّقَافَةِ وَالوَعْيِ»، وَلَا يَمْنَعُهُ عَنِ التَّوَاصُلِ مَعَهُمْ؛ كَوْنُهُم يُخَالِفُونَهُ فِي بَعْضِ المَسَائِلِ وَالنَّوَازِلِ؛ فَقَدْ كَانَ فِقْهُهُ أَوْسَعُ مِنَ التَّنْظِيمَاتِ وَالجمَاعَاتِ، بَلْ كَانَ يَنْظُرُ أَنَّ العَالِمَ يُسْتَفَادُ مِنْهُ وَلَوْ خَالَفَنَا فِي اجْتِهَادِهِ.

والمُتَتَبِّعُ لِكَلامِ الشَّيْخِ ﷬ يَلْحَظُ مَا حَبَاهُ اللهُ مِنْ فِقْهٍ فِي الدِّينِ، وَفَهْمٍ عَنِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ قُوَّةٍ فِي الحَافِظَةِ، وَسَيَلَانٍ فِي العِلْمِ؛ فَقَدْ تَتَبَّعْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلامِه؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ -وبِلَا شَكٍّ- كَثِيرًا مَا يُحَدِّثُ مِنْ حِفْظِهِ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ مِن ذَاكِرَتِهِ، مَعَ تَوَاضُعٍ شَدِيدٍ، وفَهْمٍ كَبِيرٍ، وَكَانَ يَقُولُ: «التَّأْلِيفُ لَعَلَّهُ مَا زَالَ مُبَكِّرًا عَلَى مِثْلِي، وَأَنَا أَخْشَاهُ وَأَتَقَاصَرُ عَنْهُ» مَعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلٍ.

۞ صفات الشيخ الجهادية والقيادية:

يَشْهَدُ الجَمِيعُ للشَّيخِ ﷬ أَنَّهُ كَانَ حَاذِقًا وَذَا خِبْرَةٍ وَاسِعَةٍ فِي الشُّؤُونِ الجِهَادِيَّةِ وَتَسْيِيرِ أُمُورِ الجِهَادِ وَمَهَامِهِ الصَّعْبَةِ؛ حَيْثُ كَانَ ذَا حَزْمٍ وَقُوَّةٍ فِي الرَّأْيِ، وَصَاحِبَ نَظَرٍ عَمِيقٍ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَلَعَلَّ مَا قَالَهُ عَنْهُ أَمِيرُ الاسْتِشْهَادِيِّينَ الشَّيْخُ «أَبُو مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِيُّ» ﷬ فِي رِسَالَتِهِ المُسَمَّاةِ: «دَعُوا عَطِيَّةَ اللَّهِ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ» يَكْفِي لِبَيَانِ ذَلِكَ.

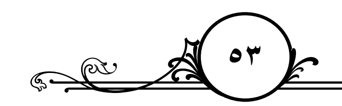
ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْخَ ﷬ قَامَ بِقِيَادَةِ «جَمَاعَةِ قَاعِدَةِ الجِهَادِ» فِي ظُرُوفٍ عَصِيبَةٍ؛ اقْتَضَتْ ضَرُورَةُ المَرْحَلَةِ أَنْ لا يَكُونَ لَهَا إِلَّا الأَكْفَاءُ مِنْ أَمْثَالِهِ، فَقَامَ بِثَغْرِهِ أَحْسَنَ قِيَامٍ حَتَّى ارْتَقَى شَهِيدًا كَمَا نَحْسَبُهُ، وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ إِدَارَةُ العَمَلِ الجِهَادِيِّ جُلَّ وَقْتِهِ حَتَّى صَرَفَتْهُ عَنِ القِرَاءَةِ وَالتَّأْلِيفِ رغْمَ شَغَفِهِ بِهِمَا، وَلِذَلِكَ قَلَّ إِنْتَاجُهُ العِلْمِيُّ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ، وَكَانَ يَتَأَسَّفُ عَلَى قِلَّةِ الوَقْتِ الَّذِي يَهَبُهُ لِلْقِرَاءَةِ.

وَلَكِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فَقَدْ تَرَكَ الشَّيخُ ﷬ خَلْفَهُ رِجَالًا ذَوِي هِمَمٍ عَالِيَةٍ تُنَاطِحُ الشُّمَّ الرَّوَاسِي -نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُسَدِّدَهُمْ وَيُعِينَهُمْ عَلَى رَفْعِ الرَّايَةِ وَإِكْمَالِ المِشْوَارِ الجِهَادِيِّ المُبَارَكِ-.

وَكَذلِكَ فَقَدْ كَانَ ﷬ ذَا خِبْرَةٍ كَبِيرَةٍ بِالكُمْبيوتَرِ وَالتَّعَامُلِ مَعَ الانْتَرْنِتْ، وَمُلِمًّا بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ فِي مَجَالَاتِ التُّكْنُولُوجْيا والتَّطَوُّرِ، مَعَ حِرْصٍ شَدِيدٍ عَلَى الارْتِقَاءِ بِنَفْسِهِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي؛ حَتَّى يَسْتَطِيعَ اسْتِيعَابَ ظُرُوفِ الجِهَادِ المُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ أن يَكُونَ الْقَائِدُ وَالْأَمِيرُ عَلَى كَفَاءَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، بَلْ وَفِي شَتَّى المَجَالَاتِ.

وَكَانَ ﷬ حَرِيصًا عَلَى إِخْوَانِهِ وَعَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَشَدَّ الحِرْصِ؛ فَقَدْ تَجِدُهُ يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَمْرٍ ظَاهِرُهُ خَيْرٌ، وَلَكِنْ -وبَعْدَ التَّأَمُّلِ- تَجِدُ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيٍ هُوَ الصَّوَابُ، وما كَانَ ذَلِكَ إِلَّا لِحِرْصِهِ ﷬ عَلَى دِمَاءِ إِخْوَانِهِ؛ خَاصَّةً الْقِيَادَاتِ وَالكَفَاءَاتِ مِنْهُمْ.

وَقَدْ شَارَكَ الشَّيْخُ ﷬ فِي تَوْجِيهِ دَفَّةِ «قَاعِدَةِ الجِهَادِ» مَعَ سِنَانِهِ بِقَلَمِهِ وَبَنَانِهِ؛ فَقَدْ كَانَتْ لَهُ



مُشَارَكَاتٌ فِي كِتَابَةِ عَدَدٍ مِنْ بَيَانَاتِ «جَمَاعَةِ قَاعِدَةِ الجِهَادِ – القِيَادَةُ العَامَّةُ»، وَكَانَ مِمَّا كَتَبَهُ: بَيَانُ اسْتِشْهَادِ الشَّيْخِ أُسَامَةَ بْنِ لَادِنٍ رحمه الله الـمُعَنْوَنُ بِـ: «عِشْتَ حَمِيدًا.. بَيَانٌ بِشَأْنِ مَلْحَمَةِ الإِبَاءِ، وَاسْتِشْهَادِ أَسَدِ الإِسْلَامِ الشَّيْخِ أُسَامَةَ بْنِ لَادِنٍ»، وَكَذَلِكَ فَقَدْ كَتَبَ بَيَانَ «غَزْوَةِ أَبِي دُجَانَةَ الخُرَاسَانِي تَقَبَّلَهُ اللهُ لِاخْتِرَاقِ حُصُونِ الأَمْرِيكَانِ» وَغَيْرِهَا مِنَ البَيَانَاتِ الَّتِي أَصْدَرَتْهَا القِيَادَةُ العَامَّةُ لِـ«جَمَاعَةِ قَاعِدَةِ الجِهَادِ».

۞ حبٌّ ووفاءٌ بين المجاهدين والشيخ «عطية الله» رحمه الله:

لَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ حِبَّ إِخْوَانِهِ، حَتَّى أَنَّهُمْ يَفْدُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَيَحْمِلُونَهُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ؛ وَلَا أَدَلَّ عَلَى هَذَا مِمَّا خَطَّهُ الشَّيْخُ «**أَبُو الحَسَنِ الوَائِلِي**» فِي كِتَابِهِ القَيِّمِ «**الحُبُّ الخَالِدُ**»؛ حَيْثُ قَالَ حفظه الله:

«كُنَّا نُصَلِّيْ مَعَ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ «عَطِيَّةِ اللهِ اللِّيبِي» رحمه الله فِي أَحَدِ الخُطُوطِ الأَمَامِيَّةِ، وَكَانَتْ القَذَائِفُ تَسْقُطُ أَمَامَنَا بِكَثْرَةٍ، وَعَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ جِدًّا؛ فَخَشِيَ الْإِخْوَةُ -وَمِنْهُم الشَّهِيدُ العَابِدُ أَبُو عَزَّام إِسْمَاعِيلُ فَلَاته الْمَكِّيُّ- عَلَى الشَّيْخِ مِنَ الشَّظَايَا الصَّغِيرَةِ الَّتِي يُحْتَمَلُ احْتِمَالًا كَبِيرًا أَنَّهَا تَصِلُهُ؛ فَأَخَذُوا حَصِيرًا ثَقِيلًا، وَظَلُّوا قَائِمِينَ أَمَامَ الشَّيْخِ وَهُمْ مُمْسِكُونَ بِهَذَا السَّاتِرِ؛ فَجَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِدًى لِشَيْخِنَا، وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «تُغْرَسُ الشَّظَايَا بِأَجْسَادِنَا وَلَا تَصِلُ لِشَيْخِنَا»؛ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَكُنَّا نُرِيدُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ قَامَ الشَّيْخُ وَطَلَبَ مِنْهُمْ تَرْكَ هَذَا الأَمْرِ، وَعَزَمَ عَلَيْهِمْ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ امْتَنَعُوا وَظَلُّوا عَلَى حَالِهِمْ حَتَّى انْتَهَيْنَا مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَلِسَانُ حَالِهِمْ يُنْشِدُ:

فَـدَتْكَ نَفِيسَاتُ النُّفُوسِ مِنَ الرَّدَى ... ومثلُـكَ يُفْـدى بِـالنُّفوسِ النَّفَـائِسِ

وَكَيْفَ لاَ يُفْدَى الشَّيْخُ عَطِيَّةُ بِأَرْوَاحِنَا؟ فَلَقَدْ كَانَ نِعْمَ الشَّيْخُ الْعَالِمُ، وَنِعْمَ الْمُجَاهِدُ الْعَامِلُ، وَنِعْمَ الْأَمِيرُ وَالْجُنْدِيُّ، وَنِعْمَ الْأَخُ الْحَبِيبُ، وَالْوَالِدُ الْقَرِيبُ، وَالنَّاصِحُ الشَّفِيقُ؛ جَمَعَتْنَا أيامٌ سَوِيَّةً فَكَانَتْ أَجْمَلَ الْأَيَّامِ، اسْتَفَدْتُ مِنْهُ وَتَعَلَّمْتُ مِنْهُ كثيرًا؛ فَكَانَ قُرَّةَ الْعَيْنِ، وَجَلَاءَ الْأَحْزَانِ، قَالَ لِي فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ الَّذِي اُضْطُرِرْتُ فِيهِ لِفِرَاقِهِ: وَاللهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَكْثَرَ مِن ابْنِي!، وَقَبْلَ أَيَّامٍ مِنْ تَنْفِيذِ «أَبِي طَلْحَةَ الأَلْمَانِيِّ» لِعَمَلِيَّتِهِ الانْغِمَاسِيَّةِ، ذَهَبْتُ مَعَ الشَّيْخِ لِزِيَارَتِهِ، وَقَدْ كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ مَكَانَةٌ كَبِيرَةٌ فِي قَلْبِ الشَّيْخِ عَطِيَّةَ رحمهما الله، فَلَمَّا جَلَسْنَا سَوِيَّةً قَالَ لِيَ الشَّيْخُ: «اذْهَبْ أَنْتَ كَذَلِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؛ فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْتَ!»، وَكَانَ وَقْتَهَا حَزِينًا لِفِرَاقِ أَبِي طَلْحَةَ، وَقَدْ وَجَدْتُ رِسَالَةً بِخَطِّ «أَبِي طَلْحَةَ» أَرْسَلَهَا إِلَى الشَّيْخِ قُبَيْلَ اسْتِشْهَادِهِ، يَقُولُ فِيهَا: «شَيْخِي الْكَرِيمِ! اعْلَمْ أَنَّنِي أُحِبُّكَ فِي اللهِ، وَكَانَتْ مُعَاشَرَتُكَ وَقْتًا طَيِّبًا فِي حَيَاتِي، وَجزاكَ اللهُ خَيْرًا عَلَى حُسْنِ ظَنِّكَ بِي، وَإِنَّهُ لَشَرَفٌ عَظِيمٌ أَنْ عَرَّفَنِي اللهُ عَلَى أَمْثَالِكُمْ؛ نَعَمْ يَعِزُّ عَلَيَّ فِرَاقُك، وَقَدْ

حَاوَلْتُ أَنْ أَتَهَرَّبَ مِنَ الْعِنَاقِ الْأَخِيرِ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْمَفَرُّ؟ وَإِذَا كَانَ هَذَا الْحُبُّ فِي الدُّنْيَا؛ فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سُرُرٌ مُتَقَابِلَيْنِ؟».

وَهَذَا قُرَّةُ أَعْيُنِنَا الشَّيْخُ «أَبُو يَحْيَى اللِّيبِيِّ» حَفِظَهُ اللهُ[1] يُجَاوِبُنِي عَلَى رِسَالَةٍ أَرْسَلْتُهَا لَهُ أُعَزِّيهِ وَأُعَزِّي نَفْسِي فِيهَا بِمَقْتَلِ حَبِيبِنَا وَوَالِدِنَا الشَّيْخِ «عَطِيَّةِ اللهِ»؛ فَكَانَ جَوَابُهُ: «أَخِي الحَبِيب: وَصَلَتْنِي رِسَالَتُكُم الأُولَى فِي التَّعْزِيَةِ فِي رَفِيقِ الدَّرْبِ الشَّيْخِ «عَطِيَّةَ»؛ فَجَزَاكَمُ اللهُ خَيْرًا كُلَّ خَيْرٍ، هَكَذَا يَكُونُ العَزَاءُ وَالوَفَاءُ وَأَنْتُمْ أَهْلٌ لَذَلِكَ، فَعَلِمَ اللهُ مَا كُنْتُ أَنْتَظِرُ يَوْمًا أَعِيشُ فِيهِ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ فِيهَا الشَّيْخُ «عَطِيَّةُ» ﵀؛ فَقَدْ كُنْتُ أَعُدُّهُ عُدَّةَ النَّوَائِبِ لِمَا جَمَعَ اللهُ لهُ مِنَ العَقْلِ وَالحِكمَةِ وَالرَّزَانَةِ وَالأَنَاةِ والعِلْمِ والتَّجْرِبَةِ وَالوَقَارِ -كَمَا نَحْسِبُهُ واللهُ حَسِيبُهُ-، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي التَّخَوُّفِ مِنْ ذَهَابِ الآخَرِ قَبْلَ أَخِيهِ كَفَرَسَي الرِّهَانِ!، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَدُهُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ غِيَابِ الآخَرِ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا بَيْنِي وَبَينَهُ مِنَ البَوْنِ؛ فَمَا أَنَا وَهُوَ إِلَّا كَالعَصَا وَالسَّيْفِ، وَلَكِنْ هَكَذَا أَلَّفَ اللهُ بَيْنَنَا؛ فَنَحْنُ رُفَقَاءُ هِجْرَةٍ وَجِهَادٍ وَأَسْفَارٍ وَطَلَبِ عِلْمٍ وَمُدَاهَمَاتٍ، وَأَخِيرًا: بَلَاءُ المَسْؤُولِيَّةِ.

مَعْذِرَةً؛ فَهَذِهِ نَفَثَاتُ مَصْدُورٍ، وَلَا تَثْرِيبَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ، فَوَا أَسَفَاهُ عَلَى الشَّيْخِ «عَطِيَّةِ»، واللهُ يَتَوَلَّانَا وَإِيَّاكُمْ بِتَوْفِيقِهِ.

فَمَا رَاقَنِي مَنْ لَاقَنِي بَعْدَ بُعْدِهِ؟ وَلَا شَاقَنِي مَنْ سَاقَنِي لِوِصَالِهِ
وَلَا لَاحَ لِي مُذْ نَدَّ نِدٌّ لِفَضْلِهِ؟ وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ»

ثُمَّ خَتَمَ الشَّيْخُ أَبُو يَحْيَى رِسَالَتَهُ بِهَذَا الحَدِيثِ العَظِيمِ: «وَلَكَ هَذَا الحَدِيثَ الْعَظِيمَ الصَّحِيحَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آخَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا وَمَاتَ الْآخَرُ بَعْدَهُ؛ فَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَا قُلْتُمْ؟)** قَالُوا: دَعَوْنَا لَهُ.. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ؟ وَأَيْنَ عَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟ فَلَمَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)**»[2].

وَقَدْ أَفَادَنِي الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الوَائِلِي بِقَصَصٍ عَجِيبَةٍ عَنِ الشَّيْخِ ﵀؛ فِي حُسْنِ إِدَارِتِهِ، وَتَرْبِيَتِهُ

---

(١) استُشهِدَ الشيخ «أبو يحيى» تقبله الله بعد رفيق دربه وخل روحه وأنيسه في هجرته، الشيخ «عطية الله» بمدة يسيرة؛ ففجع بهما أهل الإسلام في كل مكان، وصدق فيهما قول الشيخ أبي الليث الليبي ﵀ أنه وجد خلال حياته: «أن الذي تجمعه مع أخيه المجاهد عَلاقة حب خاصة تتميز عن بقيتها من العلاقات، إذا قتل هذا الأخ فالآخر يلحقه بعد فترة بسيطة»؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) سنن النسائي (١٩٨٥)، سنن أبي داود (٢٥٢٤) وصححه الألباني.

أَوْلَادَهُ، وَاعْتِنائِه بَمَنْ تَحْتَهُ مِن المُجَاهِدِينَ وَتَعلِيمِهِمْ وَتَوْجِيهِهِمْ حَتَّى تَتَّضِحَ الأُمُورُ، وَصَبْرِهِ وَتسْلِيمِهِ بِمَا يَحُلُّ عَلَيهِ مِنَ المَصَائِبِ؛ رِضًى بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَمِمَّا ذَكَرَهُ أَنْ قَالَ: كُنْتُ لَمَّا أَرَى المَقْتَلَةَ الحَاصِلَةَ بِالإِخْوَةِ مِنَ الطَّائِرَاتِ بِدُونِ طَيَّارٍ؛ أَقُولُ لِلشَّيْخِ عَطِيَّةَ ﷺ: يَبْدُو أَنَّنا كَأَصْحَابِ الأُخْدُودِ؛ نَعْرِفُ أَنَّ مَصِيرَنَا القَتْلُ مِنْ هَذِهِ الخَبِيْثَةِ وَمَعَ ذَلكَ نَسْتَمِرُّ فِي العَمَلِ.! فكَانَ يَقُولُ: صَدَقْتَ كَأَصْحَابِ الأُخْدُودِ.

۞ غزوة «خوست» المباركة:

وَلَيسَ أدلَّ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ حِنْكَةِ الشَّيْخِ وخِبْرَتِهِ أَنْ تَعْلَمَ -رَعَاكَ اللَّهُ- أنَّ الشَّيخَ ﷺ هُوَ المُهَنْدِسُ الحَقِيقِيُّ لـ «غَزْوَةِ حُذَيْفَةَ بن اليَمَانِ»؛ الَّتِي هَزَّتْ أَرْكَانَ الاسْتِخْبَارَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ «CIA» وَإِدَارَةَ «الْبَيْتِ الأَسْوَدِ»، وَالَّتِي نفَّذَها الأَخُ الدُّكتورُ الشَّهِيدُ -كَمَا نَحْسِبُهُ-: «أَبُو دُجَانَةَ الخُرَاسَانِيِّ» ﷺ فِي قَاعِدَةِ «خُوسْت»؛ قَالَ الشَّيْخُ المُجَاهِد أَبُو البَرَاءِ الكُوَيتِيُّ -خِلَالَ سَرْدِهِ سِيرَةَ الشَّيْخِ عَطيَّة ﷺ-: «فِي صَبَاحُ الْيَوْمِ الثَّانِي -لِلْغَزْوَةِ- قَابَلْتُهُ فِي إِحْدَى الْمَنَاطِقِ وَقَدَ كُنَّا نَتَحدَّثُ بِكَلَامٍ عَادِيٍّ فَقَالَ لِي: هَلْ تَعْرِفُ يَا أَبَا الْبَرَاءِ مَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ؟ فَقُلْت لَهُ: لاَ أَعْلَمُ، فَقَالَ لِي: إن أَخَانَا أَبَا دُجَانَةَ الخُرَاسَانِيِّ هُوَ مَنْ قَامَ بِتَنْفِيذِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ، ثُمَّ حَكَى لِيَ التَّفَاصِيلَ كَامِلَةً عَنْ الْعَمَلِيَّةِ وَكَيْفَ تَمَّ التَّخْطِيطُ لَهَا؛ فالعمليةُ لِمَنْ عَرَفَ تَفَاصِيلَهَا تَدُلُّ دَلَالَةً كَبِيرَةً عَلَى بَرَاعَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَحِنْكَتِهِ وَحُسْنِ تَخْطِيطِهِ وَتَدْبِيرِهِ، إِلَى جَانِبِ تَوْفِيقِ اللَّهِ ﷻ أولًا ثُمَّ لِأَخِينَا «أَبِي دُجَانَةَ الخُرَاسَانِيِّ» ﷺ.

تَمَّتْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَصَمَتْ ظَهْرَ الاسْتِخْبَارَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ وَقَتَلَتْ ثَمَانِيَةً مِنْ أَكْبَرِ ضُبَّاطِهِمْ وَأَرْدَتْهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ؛ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَأْمُلُونَ الْمَكْرَ بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَلَكِنْ أَتَاهُم اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَلَمْ يُخَطِّطُوا، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ الْأُمَّةَ فِيهَا رِجَالٌ أَمْثَالَ شيخِنا ﷺ؛ يَتَرَبَّصُونَ بِهِمْ وَيَقْعُدُونَ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ إِعْلاءً لِرَايَةِ اللَّهِ، وَنُصْرَةً لِعِبَادِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، مَعَ أَنَّ الهَدَفَ الْأَوَّلَ مِنْ تَجْنِيدِ الْأَخِ «أَبِي دُجَانَةَ» ﷺ كَانَ لاغتِيَالِ الشَّيخِ عَطِيَّةِ الله، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَهُمْ بِالمِرْصَادِ»[1].

---

(١) **مصادر السيرة**: أكثر ما تم ذكره في هذه السيرة التي حاولنا أن نختصر فيها قدر الاستطاعة؛ إنما هو مستفادٌ ممن عاصر الشيخ وخالطه وجالسه، ومنه ما نُشر من قبلُ، ومنه ما انفردنا بنشره في هذا «المجموع»، ومما نُشر في سؤرة الشيخ واستفدنا منه: مقالٌ بعنوان: «ورحل الشيخ عطية الله: فارس العلم والحكمة والزهد» للأخ: أبي البراء الكويتي ﷺ، ومنه هذا النص الأخير بتمامه، وكذا استفدنا بعض سيرته من رثاء الشيخ: «أيمن الظواهري» للشيخ ﷺ في «رسالة الأمل والبشر لأهلنا في مصر؛ الحلقة الثامنة»، واستفدت فصل «الحب بين المجاهدين» وفصل «غزوة خوست» من رسالة «الحب الخالد» ورسالة «أبو دجانة الخراساني: القصة الكاملة لغزوة خوست»؛ للشيخ: أبي الحسن الوائلي، وكذا أفادني الشيخ «أبو الحسن الوائلي» بشيء من سيرة الشيخ في مراسلاتٍ خاصة جرت بيننا؛

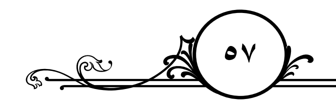
۞ الارتقاء إلى رب السماء، والاصطفاء -بإذن الله- مع الشهداء:

قدَّمَ الشَّيخُ ﷺ لِدينِ اللهِ ﷻ الغَالِيَ وَالنَّفِيسَ؛ وَمِنْ ضِمْنِ ذَلِكَ وَلَدَهُ «إِبْرَاهِيمَ» وَهُوَ أَحَبُّ أَبْنَائِه إِلَيْهِ وَأَمْيَزُهُمْ ﷺ -وَعُمْرُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا- حَيْثُ قُتِلَ قَبْلَ وَالِدِهِ بِقُرَابَةِ سَنَتَيْنِ، وَكَانَ ابنُهُ «إِبْرَاهِيمُ» هُوَ النَّاجِي الوَحِيْد فِي حَادِثِ اسْتِشْهَادِ الشَّيخِ «أَبِي اللَّيْثِ الليبيِّ» ﷺ -مَطْلَعَ عَامِ ٢٠٠٨م-، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ وَنِصفٍ قُتِلَ «إِبْرَاهِيمُ» ﷺ؛ فَاحْتَارَ الشَّيْخُ «عَبْدُ اللهِ سَعِيدٍ اللِّيْبِي» كَيْفَ سَيُخْبِرُ وَالِدَهُ الشَّيْخُ «عَطِيَّةَ» بِذَلِكَ؛ لِوُجُودِ مَوْعِدٍ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا اجْتَمَعَا سَأَلَ الشَّيْخُ «عَطِيَّةُ» عَنِ القَصْفِ؛ فَلَمْ يُجِبْهُ الشَّيْخُ «عَبْدُ اللهِ» وَدَخَلَ مَعَهُ فِي مَوَاضِيعِ العَمَلِ، وفِي ثَنَايَا الحَدِيثِ قَالَ الشَّيْخُ «عَطِيَّةُ» لِلشَّيْخِ «عَبْدِ اللهِ»: أَخْبِرْنِي هَلْ قُتِلَ ابْنِي فِي القَصْفِ؟ فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ اسْتَرْجَعَ، وَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ عَادَ لِصَاحِبِهِ وَقَالَ لَهُ: جَيِّدٌ؛ فَلْنُكْمِلْ عَمَلَنَا وَمَوَاضِيْعَنَا.

وَمَا زَالَ الشَّيْخُ «عَطِيَّةُ اللهِ» يَنْتَظِرُ مَوْعُودَ اللهِ ﷻ؛ حَتَّى جَاءَهُ الأَجَلُ، وَتَحَقَّقَ الأَمَلُ.. فَفِي يَوْمِ الاثْنَينِ؛ الثَّالِثِ والعِشْرِينَ مِن رَمَضَانَ، عَامَ اثْنَينِ وثَلَاثِينَ وأَلفٍ وأربَعَمائةٍ (١٤٣٢)، بَاتَ الشَّيخُ سَاهِرًا يُتَابِعُ أَخْبَارَ دُخُولِ «الثُّوَّارِ» طَرَابُلُس لِيبْيَا، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَج لِيُحَاسِبَ مَنْ أَرْسَلَهُ لِشِرَاءِ بَعْضِ الأَغْرَاضِ فِي فَنَاءِ مَنْزِلٍ بِـ«وَزِيرِسْتَانْ»؛ فَحَانَ حِينَهَا أَجْلُهُ بِقَصفٍ جَبَانٍ غَادِرٍ مِنْ طائرةٍ أَمْرِيكِيَّةٍ بِدُونِ طيَّارٍ؛ نَالَ الشَّيخُ ﷺ عَلَى إِثْرِهِ شَرَفَ الشَّهَادَةِ مَعَ ابنِهِ عِصَامٍ -أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا-، بَعْدَ أَنْ قَضَى أَجَلَهُ المكْتُوبَ: ثَلاثَةً وأَرْبَعِينَ (٤٣) عَامًا.. وبَدَأَ حِينَهَا آخِرَ هِجْرَةٍ لَّهُ فِي حَيَاتِهِ؛ حَيثُ هَاجَرَ إِلَى ربِّهِ ﷻ شَاكِيًا لَهُ تَقَاعُسَ العُلَمَاءِ وَقِلَّةَ العَامِلِينَ فِي زَمَنِ الصَّبْرِ.. وَلَكَأَنِّي بِأميرِ الشُّعَرَاءِ «أَحْمَدَ شَوْقِي» يَرْثِيهِ قَائِلًا:

رَكَزوا رُفاتَكَ في الرِمالِ لِواءَ	يَستَنهِضُ الوادي صَباحَ مَساءَ
يا وَيحَهُم نَصَبوا مَنارًا مِن دَمٍ	تُوحِي إِلَى جيلِ الغَدِ البَغضاءَ
جُرحٌ يَصيحُ عَلى المَدى وَضَحِيَّةٌ	تَتَلَمَّسُ الحُرِّيَةَ الحَمراءَ
يَا أَيُّها السَيفُ المُجَرَّدُ بِالفَلا	يَكسُو السُيوفَ عَلى الزَمانِ مَضاءَ
خُيِّرتَ فَاختَرتَ المَبيتَ عَلى الطَوى	لَم تَبنِ جاهًا أَو تَلُمَّ ثَراءَ

حيث أضاف على ما عندي وصحح، واستفدتُ كثيرا من الشيخ المجاهد «أبي محمد الفقيه الليبي» الذي خالط الشيخ منذ صغره وهاجر معه هجرته الأولى؛ حيث جرت بيننا مراسلات في ذلك، وغير ذلك مما أفادناه طلبة الشيخ وصحبه جزى الله الجميع خيرًا.



تِلْـكَ الصَّـحَارِي غِمْـدُ كُـلِّ مُهَنَّـدٍ ... أَبْـلَى فَأَحسَـنَ فِي العَـدُوِّ بَـلاءَ

[خُرَاسَـانُ] مَهْـدُ الأُسُـودِ وَلَحْـدُها ... ضَـجَّت عَلَيْـكَ أَراجِـلًا وَنِسَـاءَ

وَالمُسْـلِمونَ عَـلَى اِخْـتِلافِ دِيَـارِهِم ... لَا يَمْلُكُـونَ مَـعَ المُصَـابِ عَـزاءَ

وَلَكَأَنِّي بِكَ شَيْخَنَا تَرْثِي نَفْسَكَ يَوْمَ رَثَيْتَ صَاحِبَكَ «أَبَا تُرَابٍ الْبَاكِسْتَانِي ﷺ» إِذْ جَاءَكَ خَبَرُ مَقْتَلِهِ؛ فَاغْتَمَمْتَ لِذَلِكَ، وَجَادَتْ قَرِيحَتُكَ بِأَوْصَافٍ لَا إِخَالُهَا وَاللَّهِ تَعْدُوكَ أَبَدًا:

وذاك أبـو تـربٍ مثـال مواثـق ... مـن الـدين قـد شـدت عليهـا الأصـابع

دماثـة أخـلاق وطيبـة معشـر ... رزانـة كهـل حنكتـه المعـامع[1]

۞ رثاء وعزاء؛ من أمة الإسلام، في الشيخ الأسد الهمام: عطية الله ﷺ:

نَعمْ شَيْخَنَا الحَبِيب؛ فُزْتَ بالمُنَى، وَبَلَغتَ -بِإِذنِ اللهِ- العُلَا، فَرِحَ بِمَقتَلِكَ الكَافِرِينَ، وَتَفَطَّرَتْ عَلَيكَ قُلُوبُ المُحِبِّينَ، وَجَالَتْ فِي النَّفسِ آلامٌ مِّنْ ضَرْبِ الغَادِرِينَ، فَالجُرحُ مَا انْدَملَ بَعْدُ -وَاللَّهِ- بِمَقْتَلِ شَيْخِ الكُلِّ: «أُسَامَةَ بْنَ لَادِنٍ» ﷺ حَتَّى لَحِقْتَه، وَلَكِنَّ عَزَاءَنَا فِيْكَ أَنَّ اللهَ قَد اصْطَفَاكَ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[آل عمران: ١٤٠]، وَلِلِقائِهِ -كَمَا نَحسِبُ- اجْتَبَاكَ؛ فَارْتَحتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ.

شَيْخَنَا؛ قَدْ حَارَتِ الأَنْفُسُ فِي وَصْفِ حُزْنِ القَلْبِ، وَدَمعِ العَيْنِ؛ فَأَبَتْ الكَلِمَاتُ إِلَّا أَنْ تَنْطِقَ بِذَلِكَ شِعْرًا وَنَثْرًا، سِرًّا وَجَهْرًا، فَعَزَّيْنَا أَنْفُسَنَا وَهَنَّأْنَاك، وَرَثَيْنَا قُعُودَنَا وَقُلْنَا: قَرِيبًا -بِإِذْنِ اللهِ- نَلْقَاكَ..

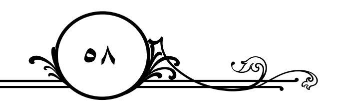
وَلَئِنْ كَانَتْ خَيْرُ المَرَاثِي مَا يَرْثِي بِهِ المَرْءُ نَفْسَهُ؛ فَخَيْرُ مَا نَرْثِيكَ بِهِ رِثَاؤُكَ السَّالِفِينَ مِنْ أَحِبَّتِكَ القَادَةِ وَالمُجَاهِدِينَ؛ كَأَبِي مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِيِّ، وَأَبِي اللَّيْثِ اللِّيبِيِّ، وَمُصْطَفَى أَبِي اليَزِيدِ، وَشَيْخِ الكُلِّ أُسَامَةَ بْنَ لَادِن ﷺ.. فَلَقَدْ رَثَيتَهُمْ -شَيْخَنَا الحَبِيبُ- وَكَأَنَّكَ تَرْثِي نَفْسَكَ، وَتُوَدِّعُ أُمَّتَكَ، وَمَا قَرَأْتُ كَلِمَاتِكَ تَصْبِيرًا لَنَا عَلَى فِرَاقِ الشَّيْخِ «أَبِي مُصْعَبٍ» ﷺ إِلَّا ذَكَرْتُكَ فَاسْتَعْبَرتُ؛ فَقَالَ قَلْبِي -قَبْلَ لِسَانِي-:

دَعِ البُكَـا وَاتْـرُكِ النَّحِيَـا ... طَلِّـقِ الكَـلَامَ أَشْـعِلْ لَهِيَـا

قُـمْ جَاهِـدَنْ فِي اللهِ لَـوْ وَحِيـدَا ... ادْفَعَـنْ أَذَى الـنَّجِسِ العِرْبِيـدَا

---

(١) شهداء في زمن الغربة (ص ٧٢).



لَا تَيْأَسَــنْ مِــنْ نَصْــرِ بَارِينَــا فَمَوْعُــودُهُ بِنَصْــرِنَا قَرِيبَــا

لَا تَــرْثِيَنْ أَمْثَــالَ شَــيْخِنَا عَطِيَّــةَ بَــالِغَ العُــلى شَــهِيدَا

وَاسْــأَلَنْ لَــهُ بِمُحَمَّــدٍ ﷺ صُــحْبَةً وَقُــلْ: رَبِّ اجْعَــلْ لِقَانَــا قَرِيبًــا سَــعِيدَا

أَمَا وَاللهِ قَدْ آنَ لِلْأَقْلَامِ أَنْ تَسْتَرِيحَ، وَلِلرَّشَّاشِ أَنْ يُغَرِّدَ، وَحُقَّ لِلْكَلِمَاتِ أَنْ تُخَطَّ بِالدَّمِ لَا بِالحِبْرِ؛ رِثَاءً لَّكَ وَلِإِخْوَانِكَ المُجَاهِدِينَ؛ فَأَنْتُمْ مَنْ رَفَعَ رَأْسَ هَذِهِ الأُمَّةِ خَفَّاقًا، وَجَعَلْتُمْ دَمَ الْكُفْرِ تِرْيَاقًا..

وَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيْكَ مَدَامِعُ خِلَّانِكَ وَصِحَابِكَ -فِي الدَّارَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ- فَعَزُّوا وَرَثُوا، وَفَرِحُوا وَبَكُوا؛ فَكَانَتْ أَلْسِنَتُهُمْ شَوَاهِدَ مَكْنُونَاتِ قُلُوبِهِمْ، وَهَذِهِ خَلَجَاتُ تِلْكَ الأَلْسُنِ تَرْثِيكَ، وَأَنَامِلُ هَاتِيكَ الأَيَادِي المُتَوَضِّئَةِ تُهَنِّيكَ؛ فَتَقَبَّلَكَ اللهُ يَا حِبُّ فِي الشُّهَدَاءِ، وَجَمَعَكَ فِي عِلِّيِّينَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ[1]..

❖ رثاء الشـيخ الأمير «د. أيمن الظوهري» حَفِظَهُ اللهُ نيابَةً عن جماعة «قاعدة الجهاد»:

يقول الشيخ في كلمته بعنوان: «رسالة الأمل والبشر لأهلنا في مصر ٨»: «تهنئةٌ للأمة المسلمة وللمجاهدين ولأهلنا في ليبيا وفي مصراتة على الأخص بشهادة الشيخ العالم المجاهد..» الخ[2].

❖ بيان تعزية في مقتل الشـيخ من «دولة العراق الإسلامية» -ردهم اللّه للسنة-:

«فبنفوسٍ متعلّقة برحمة الله وقلوب راضية بقضاءه وقدره، تلقّينا الخبر المؤلم الذي أعلنه إخوتنا في تنظيم القاعدة بمقتل بطلٍ آخر من أبطال هذه الأمّة، ورجل من خيرِ رجالاتها، لم نسمع منه إلا ما تزداد به نفوس المسلمين عزّة وثباتًا واطمئنانًا، ألا وهو الشيخ العالم، والمهاجر المجاهد، والحييّ النّاصح الزاهد أبو عبد الرحمن عطيّة الله الليبيّ، في زمرة مؤمنةٍ من أهل بيته وأصحابه بغارةٍ غادرةٍ جبانة.. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد ترجّل فارسنا وقد صدق ما عاهد الله عليه -نحسبُه كذلك- بعد مسيرةٍ طويلةٍ حافلة بالهجرة والجهاد والدّعوة؛ شرى نفسه بدينه فأكرمه الله بالشهادة، فهنيئًا له مناله:

نَحْــنُ أُنَــاسٌ لَّا نَــرى القَتْــلَ سُــبَّةً عَــلَى أَحَــدٍ يَحْمِــي الــذِّمَارَ وَيَمْنَــعُ

بَنُــو الحَــرْبِ أُرْضِــعْنَا بِــهِ، غَــيْرَ فُحَّــشٍ وَلَا نَحْــنُ مِمَّــا جَــرَّت الحَــرْبُ نَفْــزَعُ

جِــلَادٌ عَــلَى رِيــبِ الحَــوَادِثِ لَا تُــرَى عَــلَى هَالِــكٍ عَــيْنٌ لَنَــا الــدَّهْرُ تَــدْمَعُ

---

(١) لما كان المراد إثبات ما قيل في الشيخ ﷺ من رثاء وعزاء وتهنئة باستشهاده، وحث الأمة عامة، وعلمائها وشبابها خاصة على قفوِ أثره؛ فإننا لم نثبت هذه البيانات كاملة؛ بل اكتفينا بما تقوم به الحاجة فقط، وبترنا منها ما لا يخل كمقدمة البيان وختامه، والله الموفق للخير.

(٢) تقدم معظم رثاء الشيخ أيمن حَفِظَهُ اللهُ للشيخ عطية الله ﷺ في ثنايا السيرة المتقدمة؛ فأغنى هذه عن ذكره هاهنا.

.. فالله نسألُ أنْ يرزقه الفردوس الأعلى، ويبارك في دمائه وأشلائه، وأن يجيرَنا وهذه الأمّة المكلومة ويرحمنا في مُصابنا بأمثال هؤلاء، ويخلفنا خيرًا منهم، وأن يُكرم الشيخ بما كانَ يبتغيه فيتقبّله في الشّهداء، ويُحسِن العزاء لذويه ورفقاء دربه» اهـ المراد منه.

❖ **تعزية في مقتل الشـيخ من «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» نصرهم اللّه:**

«بقلوب راضية بقضاء الله مطمئنة بوعده يتقدم المجاهدون في جزيرة العرب بالعزاء للأمة المسلمة عامة وللمجاهدين في ثغر خراسان خاصة في مقتل الشيخ المربي والداعية الموجه والمهاجر المرابط المجاهد أبي عبد الرحمن عطية الله جمال المصراتي ورفع منزلته في درجة الشهداء، فقد قتل الشيخ بأيدي الأمريكان بعد رحلة طويلة من الهجرة والجهاد في سبيل الله ضد الطغاة الصليبيين والمرتدين المستكبرين، بدأت بانضمامه للمجاهدين في المغرب الإسلامي مقاتلًا طاغوت ليبيا القذافي واستمر عطاؤه ليشارك في عدة جبهات مختلفة حتى شرفه الله بقتال الأمريكان في ثغر خراسان، ومع مسيرة الجهاد والبذل، لم يدخر جهدًا في الدعوة إلى الله والإرشاد والتوجيه فكان إمامًا في الحق يجمع ولا يفرق ويسدد ويقارب ويسعى لرص الصفوف وتكاتف الجهود». اهـ المراد.

❖ **بيان تعزية في استشهاد الشـيخ من «حركة الشباب المجاهدين» نصرهم اللّه:**

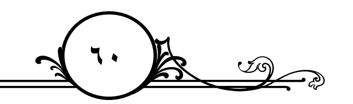
«تلقينا بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، خبر استشهاد فضيلة الشيخ المجاهد عطية الله أبي عبد الرحمن جمال إبراهيم المصراتي بعد تاريخ حافل بالهجرة والجهاد وطلب العلم والثبات، نحسبه والله حسيبه ممن نذر نفسه لنصرة أمّته ولرفع الذل والهوان الذي قيدها في عقود من الزمان، فجمع بين فضل الجهاد وفضل طلب العلم، وأبى إلا أن يكون في عداد النخبة الأخيار، ومن طلاب الشهادة»..

❖ **تعزية صادرة عن أمير وقيادة ومجاهدي جماعة «أنصار الإسلام» أعزهم اللّه، باستشهاد الشـيخ جمال المصراتي «عطية اللّه الليبي» القائم بأمر الجهاد في أيام الصبر:**

«إنّ أمير وقيادة ومجاهدي جماعة أنصار الإسلام تهنئ الأسرة المصراتية المهاجرة الجهادية، والجماعة الليبية المقاتلة، بالتحاق أبي الشهيدين «عطية الله الليبي» بأخيه الإمام «أسامة بن لادن»، ونحسب أنه قد ظفر بالشهادة ملتحقًا بركب إخوان رسول الله ﷺ في ليلة القدر وكفى بذاك شرفًا»..

❖ **بيان في استشهاد الشيخ العالم المجاهد عطية اللّه الليبي من «كتائب عبد اللّه عزام» سدد اللّه رميهم:**

«نتقدم بالعزاء إلى أمتنا الإسلامية، وإلى أهلنا في مصراتة؛ في مقتل ابنها العالم المهاجر المجاهد الزاهد القدوة، الذي قد أعظم الله علينا به المنة، وأجرى على لسانه الحجة، وأيّد به الحق ونصر به الملة،



الشهيد الشيخ عطية الله جمال بن إبراهيم شتيوي المصراتي الليبي، ﵀ وتقبله في الشهداء وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[النساء]، ونعزي أهله وإخوانه وأقاربه وأحبابه جميعا:

هُوَ الدَّهْرُ وَالأَقْدَارُ يَجْرِي بِهَا الدَّهْرُ ... فَمَا لِامْرِئٍ نَهْيٌ عَلَى الدَّهْرِ أَوْ أَمْرُ

فَصَبْرًا وَلَا تَجْزَعْ لِمَا فَعَلَ القَضَا ... وِإِنْ جَلَّ خَطْبُ الدَّهْرِ وَاسْتَفْظَعَ الأَمْرُ

مُصَابٌ بِهِ هَانَتْ مَصَائِبُ أُمَّةٍ ... عَلَى عَتَبَاتِ الكُفْرِ يَنْحَرُهَا الكُفْرُ

مُصَابٌ بِمَنْ مِنْ فَقْدِهِ تَذْرِفُ السَّمَا ... وَتَنْتَحِبُ الأَرْضُونَ وَالبَرُّ وَالبَحْرُ

كَأَنَّ المَنَايَا إِذْ تُغِيرُ وَتَنْتَقِي ... لَدَيْهَا دَلِيلٌ بَيْنَنَا وَلَهَا وِتْرُ

تَوَخَّى الرَّدَى فَاخْتَارَ فِي النَّاسِ وَانْتَقَى ... خِيَارًا كِرَامًا مِثْلَمَا يُنْتَقَى التِّبْرُ

فَسُبْحَانَ مَنْ أَغْرَى المَنَايَا بِأَهْلِهَا ... كَأَنّ لَهَا ثَأْرًا وَلَيْسَ لَهَا ثَأْرُ

لِيخْتَارَ مَنْ يَخْتَارُ مِنْهُمْ وَيَصْطَفِي ... لَهُ الحِكْمَةُ العُلْيَا لَهُ النَّهْيُ وَالأَمْرُ

ما رحل الشيخ عطية الله ﵀ إلا بعد أكثر من عشرين سنة من الجهاد والبذل والتضحية والعطاء؛ هاجر فيها إلى ثغور عدة؛ فكان فيها نعم المجاهد المصلح، والموجه المسدد، والعالم المعلم، استفاد منه إخوانه وأمراؤه، وانتفع به أهل الثغور، وامتد نفعه حتى بلغ الناس في الآفاق، وهكذا المؤمن كالغيث؛ أينما حلّ نفع.

ما رحل الشيخ عطية الله ﵀ إلا وقد أدّى ما تفنى فيه أعمار كتيبة من العلماء والمجاهدين، فكان له مع الحق في كل ميدان صفحة بيضاء، ورفع له في كل ثغر لواء، أعلى السنة وقمع بها البدعة، وحارب الفرقة يريد جمع الأمة، وأصاب الكفر وأهله في مقاتلهم مرارا كثيرة.

يشهد له قلمه الذي خطّ به مصارع أهل الباطل، وتشهد له آثار عمله التي يراها خيار الناس؛ فيشهدون له بها بالخير، وعمل مع إخوانه من قادة تنظيم قاعدة الجهاد؛ فكان له أثر واضح في المساهمة في تسديد المسيرة، وجمع الكلمة، وفي تجديد معالم النهج السياسي والإعلامي للمجاهدين وعموم الحركات الإسلامية، بما حباه الله من العلم الشرعي، والفقه بالسنة، وكمال العقل، والحلم والصبر والأناة، واشتغل الشيخ بمهام قيادية كثيرة؛ ميدانيا وعسكريا وتربويا وعلميا وإعلاميا؛ فكان له في كل شأن سهم من الخير وافر، وكان ﵀ خلية تعمل دؤوبا ولا تعرف الراحة، ولهذا الرجل المعطاء من

المآثر الجليلة والصفات الحميدة ما لا يوفيه إياها ثناء، فاجز اللّهم عطية الله عن أمته خير الجزاء.

ونحن في كتائب عبد الله عزام: نتقدم بالتعزية إلى إخواننا في تنظيم قاعدة الجهاد، وعلى رأسهم قائد المجاهدين، وحكيم الأمة، فضيلة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حَفِظَهُ اللهُ وسدده ونصره ورعاه. ونعزي فيه صاحبه ورفيق دربه في العلم والجهاد، العالم العامل المجاهد الشيخ أبا يحيى الليبي حَفِظَهُ اللهُ وندعو له أن يوفقه الله ويعينه على تحمل العبء وسد الثغر الذي تركه خليله وصاحبه.

كما نعزي إخواننا في تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، وفي المغرب الإسلامي، وندعو لهم بالثبات على الجهاد، وبالتوفيق والسداد.

ونحرِّض في هذا المقام العلماء وطلبة العلم على النفير إلى ساحات الجهاد، فإن العمل يتغذى بدماء أشراف هذه الأمة، والقافلة تسير بتوفيق الله وتسديده ثم بجهود نخبة من العلماء والعامة من المجاهدين، وإن رجلا في علم شيخنا عطية الله ﵀ وحكمته ونفاذ بصيرته؛ ما كان نفعه ليحصل للناس بعُشر ما حصل به، ولول بذل عشرة أضعاف ما بذل، لولا أن وفقه الله إلى مشاركة إخوانه المجاهدين في جهادهم، ومعاينته لنوازلهم ومعايشته لمشكلاتهم، وتقدمه لصفوفهم، فكونوا أمامنا تكونوا أئمتنا وقادتنا، وعيشوا معنا في أحوالنا نعيش فيها بتوجيهاتكم، وكونوا في قافلتنا تسددوا مسيرها عن رؤية لوعر دروبها وخبرة به، فانفروا خفافا وثقالا في سبيل الله، يفتح الله لكم من أبواب العلم والعمل والنفع ما لستم تدركونه بغير الجهاد.

وندعو شباب الأمة إلى العمل الحثيث في إكمال ما بدأه قادة الجهاد والسعي لإتمام ما بذلوا أرواحهم من أجله، وهو التمكين لدين الله وبسط سلطانه في الأرض، وندعوهم للثأر لأشراف أمتنا وقادتها، من أعدائها الصليبيين وكل من عاونهم ودخل في نصرتهم وكان في طائفتهم من المنافقين والعملاء الخائنين.

اللّهم ارحم عطية الله واغفر له وتقبله في الشهداء، وأقم مقامه خيرا منه، وانفع إخوانه المجاهدين والمسلمين جميعا بما خلّف وترك من العلم النافع، وأجر له أجره إلى يوم الدين».

❖ تعزية باستشهاد الشـيخ من «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية» ثبتهم اللّه:

«فقد تَلقينا بِقُلوبٍ مُؤمِنة مُطمئِنة رَاضِية بِقضاء الله تَعالى وقدرِهِ نَبأ اسْتشهاد الشيخ المُهاجِر المُجاهِد العالم الناصح الأمين صَاحب الخُلق الرفِيع والقُول البَلِيغ الشيخ الصابر المُجاهد المُحتسب عطية الله الليبي نسأل الله تعالى أن يتقبله في عِداد الشُهداء... فهنيئًا لك الشهادة.. ثم هنيئًا لك الشهادة.. ثم هنيئًا لك الشهادة يا شيخنا، شهادة في سبيل الله يرضى الله بِها عنك والخِزي والعَار على

خَونة باكِستان ونقول لهم: «لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار» [روه أحمد وإسناده حسن، والكلام لعمر بن الخطاب ﵁].. رحم الله الشيخ المجاهد المهاجر عطية الله الليبي ومن سبقه من إخوانه المجاهدين والمهاجرين في ساحات الجهاد».

❖ تعزية في استشهاد فضيلة الشـيخ جمال المصراتي؛ عطية اللَّه ﵀، من «شبكة شموخ الإسلام»:

«ها قد ترجل الفارس المعلم النبيل فقد عاش غريبا ومات بين الغرباء مجاهدا مرابطا لا يكل ولا يمل من حرب أعداء الله..

علَّم الأجيال وربى الأخيار ونصر وحرض وجاهد في الله حق جهاده فضيلة الشيخ المجاهد عطية الله أبو عبد الرحمن، جمال إبراهيم المصراتي، ﵀ رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

وكم كان للشيخ ونصائحه من أثر طيب على إعلامنا الجهادي وأهله وتوجيهه وترشيده وتأطيره فأفرز لنا ثلة طيبة عاملة عزت بفضل الله ثم توجيهاته دعائم هذا الطريق وركزت مسيرته ﵀.

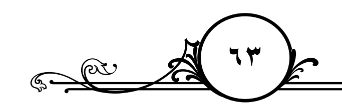
فإننا ومن فوق هذا الصرح الطيب نعزي شيخنا وأميرنا أيمن الظواهري حَفِظَهُ اللهُ وكل قادتنا وشيوخنا ونسأل الله لهم الصبر والثبات والتمكين وأن يخلفهم الله وإيانا خيرا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كما أننا ندعو إخواننا في الجهاد الإعلامي أن: هبوا ووحدوا صفوفكم وجهودكم ودعموا خنادقكم فإن لكم إخوة في الثغور لم يدخروا جهدا ولا ينامون على الضيم فكونوا خير خلف ولنجعل كلمات شيخنا تقبله الله واقعا وأثرا حيا نقتدي به ونطبقه».

❖ تعزية إلى أمة الإسلام في استشهاد فضيلة الشـيخ جمال المصراتي، من «شبكة الفداء الإسلامية»:

«تتقدم إدارة شبكة الفداء الإسلامية إلى أمة الإسلام، وإلى إخواننا في تنظيم القاعدة وعلى رأسهم فضيلة الشيخ القائد: أيمن الظواهري حَفِظَهُ اللهُ، وفضيلة الشيخ العالم: أبي يحيى الليبي حَفِظَهُ اللهُ، نتقدم إليهم بالتعزية في مقتل فضيلة الشيخ المجاهد عطية الله أبي عبد الرحمن، جمال إبراهيم المصراتي، بعد أن قضى أكثر عمره في ساحات الجهاد، مجاهدا وطالبا للعلم وأميرا وعالما موجِّها، فنسأل الله أن يرحمه ويتقبله في الشهداء. وإنا لله وإنا إليه راجعون..

وإن مقتل شيخنا ﵀ ليزيدنا -نحن أهل الإعلام الجهادي خاصة- عزيمة على التمسك بثغرنا والقيام بأعمالنا على أتم وجهٍ ممكن، وفاء لجهود الشيخ عطية الله وتكميلًا لمسيرته في أحد الثغور التي



كان عليها، فإنه كان نعم المربي والموجِّه لإخوانه والمتواضع لهم».

❖ **«مركز المقريزي» يعزي ويهنئ الأمة باستشهاد الشـيخ -بقلم: د. هاني السباعي-:**

«يتقدم مركز المقريزي للأمة الإسلامية ولعائلة المصراتي بخالص العزاء لفراق أنفس بريئة طاهرة نذرت حياتها للذب عن حياض هذا الدين العظيم.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.. وفي الوقت نفسه نتقدم أيضًا بخالص التهنئة للأمة الإسلامية ولأهل الشهيدين.. نحسبهما كذلك ولا نزكيهما على ربهما.. فقد حقق الشيخ المجاهد العالم العامل أبوعبد الرحمن جمال المصراتي الشهير بعطية الله ما كان يتمناه منذ أن خرج من مسقط رأسه مصراتة؛ التي أسقطت طاغية ليبيا القذافي؛ حيث قدم أنموذجًا مشرفًا مشرقًا للأجيال المتعاقبة؛ في الصبر والبلاء والجهاد والعلم والعمل والتربية وحسن الخلق والتضحية والصبر على فراق الأحبة؛ فقد استشهد ابنه إبراهيم وسبقه إلى الرفيق الأعلى نحسبه قد فاز بمقعد صدق عند مليك مقتدر.. وكان إبراهيم قد نجا قبل استشهاده من غارة استهدفته والشيخ أبا الليث الليبي لكن الشيخ أبا الليث الليبي قتل شهيدًا نحسبه كذلك في تلكم الغارة منذ ثلاثة أعوام، وقد نعاه مركز المقريزي ببيان بعنوان «أبا الليث هنيئًا لك لقاء الأحبة» بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٢٩ هـ الموافق ٣١ يناير ٢٠٠٨ م.. ومن عجائب المقدور أنَّا كتبنا بيان نعي وتهنئة باستشهاد الشيخ أبي الليث الليبي في يوم خميس.. ونحن أيضًا نكتب بيان نعي وتهنئة لِصِنوِه الشيخ عطية الله في نفس اليوم ونفس الشهر أيضًا محرم!.. وقد قتلوا جميعًا رحمهم الله بنفس آلة العدوان والغدر الصليبية في غارة في أفغاستتان وباكستان.. وها هو ذا الشيخ «عطية الله» وابنه عصام يلحقان بقوافل الشهداء ممن سبقوهما في أرض الصمود والجهاد؛ مقبرة الغزاة أفغانستان.. فرحمة الله عليهما وأسكنهما الفردوس الأعلى.. اللّهم آمين!.. فهنيئًا لأمة؛ هؤلاء شبابها وهؤلاء قادتها وهؤلاء أبناؤها.. هنيئًا لأمة شعارها؛ إما النصر وإما الشهادة.. هنيئًا لأمة شعارها نحن لا ننهزم.. نتصر أو نموت.. وكأنني أسمع طيف الشهيد يردد قول القائل:

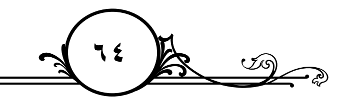
دعـــوني في القتـــال أمـــتْ عزيـــزًا فمـــوتُ العـــزِّ خـــيرٌ مـــن حيـــاتي». اهـ.

❖ **رثاء الشـيخ المجاهد الأديب: «أبو عصام الأندلسـي» حفظه الله، للشـيخ عطية اللّه رحمه الله؛ في قصيدةٍ بعنوان: «ما لقلبي لم تغادره الخطوب» من أرض خراسان**[1]:

ها هي الأحزانُ تعود من جديد، وهاهي العين تُجدّد عبراتها مرّة أخرى، وهاهو القلب ما زال يعتصره الأسى، فلم تلتئم جراحاته بعد، وللأسف كلّما اندملت تُدمى من جديد، ممّا أثار مشاعر قلبي

---

(١) نَشَر هذه القصيدة: مركز الفجر للإعلام، في يوم الجمعة ٤ شوال ١٤٣٢.



وحُقّ لها أن تثور فأبت إلّا أن تستجيب القريحةُ لثورة آهاتها، علّ ذلك يخفّف من آلام جُرحها الجديد، الذي خلّفه فقْدُ شيخٍ حبيب وخلٍّ لبيب وأخٍ عزيز وشهابٍ في الحرب ورشيدٍ في الرأي وخبيرٍ بالواقع وعليمٍ بالشرع.. إنّه الشيخ عطيّة الله رحمه الله.. ولولا أنّ لنا في القرآن والسّنة أحسن العزاء، وأعظم فسحات الأمل، لضاقت علينا الأرض بما رحبت بفقد هذا الجبل الأشمّ والعيْلم الأضخم.

وما أبرد كلمات شيخنا أبي يحيى اللّيبي حفظه الله على قلبي حين سلّاه ببيتين من الشعر وعزّاه بهما على الخطوب التي توالت عليه، جوابًا على البيت الأوّل في قصيدتي -ما لقلبي لم تغادره الخطوب-؛ فكأنّما أعاد الرّوح في جسدي من جديد وذكّر قلبي بالأمل القريب قائلًا -وهاكها سلوانًا مرتجلًا-:

قُـــلْ لِبَـــاكٍ قَـــدْ أَمَضَّـــتْهُ الْخُطُـــوبْ ... وَأَشَـــابَتْ رَأْسَـــهُ نَـــارُ الْكُـــرُوبْ

إِنَّ بَعْـــدَ الْعُســـرِ يُســـرا قَادِمًـــا ... ســـيزِيلُ الْغَـــمَّ عَـــنْكُمْ مِـــنْ قَرِيـــبْ

مَا لِقَلْبِي لَمْ تُغَادِرْهُ الْخُطُوب

في رثاء الشـيخ جمال إبراهيم المعروف بعطيّة اللّه أو محمود الحسن رحمه الله

مَـــا لِقَلْبِـــي لَمْ تُغَـــادِرْهُ الْخُطُـــوبْ ... كُلَّـــمَا خَـــفَّ الضَّـــنَا عَنْـــهُ يَـــؤُوبْ

يَـــا لَهَـــا مِـــنْ فَاجِعَـــاتٍ مُـــرَّةٍ ... لَمْ تَـــزَلْ دَهْيَاؤُهَـــا نَـــارًا تَنُـــوبْ

كَـــمْ وَكَـــمْ وَارَى تُـــرابٌ مِـــنْ حبِيـــبٍ ... فَفُـــؤَادِي مِـــنْ لَظَـــى الْغَـــمِّ يَـــذُوبْ

وكُلُـــومٌ قَـــدْ تَوَالَـــتْ فِي الْجَـــوَى ... لَسْـــتُ أَدْرِي الْجُـــرْحَ هَـــلْ عَنِّـــي يَغِيـــبْ

وَدُمُـــوعِي تُغْـــرِقُ الْجَفْـــنَ أَسَـــىً ... كُلَّـــمَا اغْتَـــالَ أَخِلَّائِـــي الصَّـــلِيبْ

يَـــا لِقَلْبِـــي مِـــنْ مُصَـــابِ الْخِـــلِّ آهٍ ... مِـــنْ سِـــهَامٍ لِلْعِـــدَى حِـــينَ تُصِـــيبْ

يَـــا لَحُـــزْنِي قَـــدْ فَقَـــدْنَا الْيَـــوْمَ لَيْثًـــا ... إِذْ عَلَيْـــهِ وَثَـــبَ الْغَـــدَّارُ ذِيـــبْ

وَيْلَهُـــمْ قَـــادُوا كِلَابًـــا كَـــيْ تَشِـــي ... بِشِـــهَابِ الْحَـــرْبِ مَحْمُـــودِ النَّجِيـــبْ

أَيُّهَـــا الجَاسُـــوسُ أَنَّـــى لَـــكَ مَنْجَـــى ... فَحُسَـــامُ الثَّـــأْرِ لَا شَـــكَّ يُصِـــيبْ

قَلَّـــمَا الْمُرْتَـــدُّ يَنْجُـــو وإذا ... فَـــرَّ مِنَّـــا فَهْـــوَ مَفْـــزُوعٌ رَعِيـــبْ

وَرُوَيْـــدًا يَـــا عُلُـــوجَ الـــرُّومِ لَا ... تَـــأْمَنُوا مَـــنْ فِي جَنَـــى الْمَـــوْتِ رَغُـــوبْ

لَـــيْسَ يَشْـــفِيهِ سِـــوَى سَـــيفٍ ضَـــروبٍ ... لِنُحُـــورِ الْكُفْـــرِ يُـــدْمِي وَيَجُـــوبْ

أَوْ يُلَاقِـــي مَــــا تَمَنَّـــتْ نَفْسُـــهُ   مِـــنْ حَيَـــاةٍ بَعْـــدَ مَـــوْتٍ تَسْـتَطِيبْ

وَهْـــيَ مَـــا فَـــازَتْ بِـــهِ نَفْـسُ جَمَـــالٍ   بَعْـــدَمَا أَرْوَى غَلِـــيلًا فِي الْقُلُـــوبْ

وقَضـــى نَحْبًـــا وَقَـــرَّتْ قَبْلَهَـــا   عَيْنُـــهُ إِذْ حَـــلَّ بِـــالرُّومِ الكُـــرُوبْ

وَلَـــئِنْ وَارَى الثَّـــرَى قَسْـــوَرَنَا   فَـــالْوَغَى مَوْلِـــدُ آسَـــادِ الخُطُـــوبْ

وَإِذَا الْهَيْجَـــا مَضـــى قَائِـــدُهَا   فَعَـــلَى الـــدَّرْبِ سَنَمْضـــي وَنَلُـــوبْ

وَإِذَا الطَّـــوْدُ هَـــوَى أَبْقَـــى مَعَـــا   دِنَـــهُ تِـــبْرًا لِأَجْيَـــالٍ تَنُـــوبْ

تَـــرِثُ الْكَنْـــزَ الَّـــذِي لُؤْلُـــؤُهُ   حِكَـــمٌ أَنْوَارُهَـــا لَا لَا تَغِيـــبْ

إِنَّـــهُ حَقًّـــا لَإِرْثٌ لِلَّـــذي   هُـــوَ لِلْعِـــزِّ وَلِلْمَجْـــدِ طَلُـــوبْ

إِنَّـــهُ الْمَحْمُـــودُ ذُو الـــرَّأْيِ السَّـــدِيدِ   وَكَـــذَا ذُو الْعَـــزْمِ إِنْ شَـــبَّتْ حُـــرُوبْ

جَـــامِعٌ لِلْعِلْـــمِ وَالْفِعْـــلِ وَلِلْـــ   ـــحَقِّ نَهَّـــاضٌ عَـــلَى الْمَطْـــخِ[1] غَلُـــوبْ

عَـــالِمٌ ذُو خِـــبْرَةٍ قَـــدْ كَـــانَ لِي   شَـــرَفٌ فِي النَّهْـــلِ مِنْـــهُ وَنَصِـــيبْ

شـــيرٌ[2] صَـــاحِبُ عَقْـــلٍ رَاجِـــحٍ   نَاصِـــحٍ يَـــا حَســـرتِي غَـــابَ اللَّبِيـــبْ

غَـــابَ مَـــنْ لَمْ يُثْنِـــهِ يَـــأْسٌ وَلَا   بَـــأْسُ جَـــيْشٍ بَـــلْ لَـــهُ حَـــزْمٌ صَـــلِيبْ

عَـــاشَ فِي الْكَـــدِّ حَيَـــاةً وَانْقَضَـــتْ   لَـــيْسَ فِي الْفِـــرْدَوْسِ هَـــمٌّ أَوْ لُغُـــوبْ

فَهَنِيئًـــا لَكُـــمُ الْحُـــورُ وَرَوْضٌ   لَا بِـــهِ حُـــزْنٌ وَلَا فِيـــهِ سُـــغُوبْ[3]

وَهَنِيئًـــا لَكُـــمُ الْأَنْهَـــارُ مَـــرْوَىً   طَعْمُـــهُ فِي جَنَّـــةِ الْخُلْـــدِ عَـــذُوبْ

وَهَنِيئًـــا لَـــكَ طَـــيْرٌ أَخْضَـــرٌ   أَنْـــتَ فِي جَوْفِـــهِ فَـــانْعَمْ يَـــا حَبِيـــبْ

يَـــا شَـــهِيدَ الْحَـــقِّ وَاســـرحْ فِي الْجِنَـــانِ   أَبَـــدًا وَاخْلُـــدْ وَفِيهَـــا لَا تَشِـــيبْ

❖ **رثاء الأخ الشاعر: «الجبوري»** حَفِظَهُ اللهُ، **للشـيخ** رَحِمَهُ اللهُ:

(١) المطْخ: الباطل. [الكاتب: أبو عصام الأندلسي]

(٢) يقال: فلان خير شير، أي يصلح للمشاورة. ينظر: لسان العرب (٤ / ٤٣٧).

(٣) سُغوب: جوع مع تعب. [الكاتب: أبو عصام الأندلسي]

أَمِـــطْ عَنْـــهُ اللِّثَـــامَ لِكَـــيْ أَرَاهُ ... جَمِيـــلَ الوَجْـــهِ أَخَّـــاذٌ هَـــوَاهُ

أَمِـطْ عَنْـهُ اللِّثَـامَ لِيَـوْمِ عُـرْسٍ ... بِـــدَارٍ لَـــيْسَ يَـــدْخُلُهَا سِـــوَاهُ

تَعَجَّـــــلَ وَالسِّـــــنِينُ إِلَى زَوَالٍ ... تُسَـــابِقُ بَعْضُـــهَا بَعْضًـــا خُطَـــاهُ

أَمِـــيرٌ فِي الجِهَـــادِ لَـــهُ مُقَـــامٌ ... وِفِي العُلَـــمَاءُ مَرْفُـــوعٌ لِـــوَاهُ

فَحَـــدِّثْ عَـــنْ عَطِيَّـــةَ يَـــا ابْـــنَ أُمٍّ ... فَقَـــدْ صَـــحَّ الحَـــدِيثُ وَمَـــنْ رَوَاهُ

وَخُـــذْ مِـــنْ عِلمِـــهِ مَـــا شِـئْتَ وَانْهَـلْ ... مِـــنَ الأَدَبِ الغَزِيـــرِ وَمَـــا حَـــوَاهُ

كَـــأَنِّي بِالسِّـــهَامِ وَقَـــدْ تَرَامَـــتْ ... تُسَـــابِقُهَا بِحَـــدِّ مُقْلَتَـــاهُ

وِإِنْ لَيْـــلُ المَعَـــارِكِ قَـــدْ تَمَـــادَى ... وَلَـــفَّ مَشَـــارِقَ الـــدُّنْيَا دُجَـــاهُ

تُشِـــعُّ مَنَـــابِرُ الْعُلَـــمَاءِ نُـــورًا ... مِـــدادَ الـــدَّهْرِ وهَّاجًـــا سَـــنَاهُ

أَمِـــطْ عَنْـــهُ اللِّثَـــامَ إِذَا الْتَقَيْنَـــا ... وَبَـــانَ الشَّـــوْقُ مِنِّـــيْ وَاعْـــتَرَاهُ

فَـــإِذْ يَلْـــقَ الحَبِيْـــبُ لَـــهُ حَبِيبًـــا ... يُقَبِّلُـــــهُ وَتَحْضُـــــنُهُ يَـــــدَاهُ

وَإِنِّي لَـــــوْ أُعَانِقُـــــهُ أَرَانِي ... يُطَبِّبُنِـــي هُبُـــوبٌ مِـــنْ هَـــوَاهُ

أَكْثِـــرْ بِالمَـــدِيحِ فَلَـــيْسَ يُجْـــزِي ... رِثَـــاءً لِلْأَمِـــيرِ وَمَـــنْ سِـــوَاهُ

عَلَائِـــمَ فِي طَرِيـــقِ الْحَـــقَّ كَـــانُوا ... لِمَـــنْ قَـــدْ تَـــاهَ فِي دَرْبِ هُـــداهُ

فَخَطَّـــابُ الَّـــذِي أَلِـــفَ الْمَنَايَـــا ... يُلَبِّـــي فِي الْمَعَـــارِكِ مَـــنْ دَعَـــاهُ

يُبَـــارِزُ عَسْـــكَرَ السُّـــوفِيتِّ حَتَّـــى ... بَكَـــتْ مِـــنْ هَـــوْلِ غَضْـــبَتِهِ عِـــدَاهُ

وَشِـــامِلُ حَـــاكَ أَثْـــوَابَ الْمَنَايَـــا ... لِيَلْبَسَـــــهَا وَقَـــــدْ صَـــــارَتْ رِدَاهُ

طَلَائِـــعُ زَيَّنَـــتْ صَـــدْرَ الثُّرَيَّـــا ... وَفَخْـــرُ لَـــيْسَ يُـــدرَكُ مُنْتَهَـــاهُ

وَدَادُ اللهِ فِي سَــــــاقٍ كَسِــــــيرٍ ... أَمَاتَـــتْ هَجْمَـــةَ النَّـــاتُو يَـــدَاهُ

فَتَـــى الأَفْغَـــانِ شَـــبَّ عَـــلَى الْمَنَايَـــا ... وَخَـــاضَ مَخَـــاضَ مَـــوْتٍ وَاعْـــتَلَاهُ

وَفِي بَغْـــدَادَ كَـــانَ الشَّـــيْخُ نَسْـــرًا ... أَخُـــو الزَّرْقَـــاءِ مُـــذْ حلَّـــتْ خُطَـــاهُ

مَعَـــارِكَ خَطَّهَـــا فَانْحَـــازَ عَنْهَـــا ... وَمَجْـــــدٌ فِي مُطَاوَلَـــــةٍ رَعَـــــاهُ

وَحِـــينَ الْمَـــوْتُ أَغْمَـــضَ مِنْـــهُ جِفْنًـــا بَكَـــتْ أَعْـــدَاؤُهُ مِمَّـــن تَـــلَاهُ
فَإِنَّـــا إِذْ نُحِـــبُّ نحِـــبُّ حَتَّـــى نَمُـــوتَ مَـــعَ الْحَبِيـــبِ عَـــلَى هَـــوَاهُ
هُـــوَ الـــذَّبَّاحُ مِـــنْ نَسْـــلٍ كَـــرِيمٍ تَرَبَّـــت فِي الكِنَانَـــةِ سَـــاعِدَاهُ
أَأَكْتُـــبُ أَمْ أُقِيـــلُ حُـــرُوفَ شِـــعْرِي وَقَـــدَ فَضَـــحَتْ صَـــبَابَاتِي الشِّـــفَاهُ
وَقَـــدْ نَـــادَتْ أَحِبَّـــائِي الْمَنَايَـــا وَمَـــاجَ الْمَـــوْتُ يَخْطِـــفُ مَـــنْ أَتَـــاهُ
وَضَـــمَّ الْبَحْـــرُ قَلْبِـــيْ فِي وَدَاعٍ وَجَـــادَتْ بِالْمَـــدَائِحِ ضِـــفَّتَاهُ
وَفَجَّـــرَت الْقَصَـــائِدُ مِـــنْ مُصَـــابٍ وسُـــجِّرَت الْحُـــرُوفُ عَـــلَى لَظَـــاهُ
أُسَـــامَةُ وَالرِّجَـــالُ لَهُـــمْ مَقَـــامٌ وَأَنْـــتَ لِكُـــلِّ جِيْـــلٍ مُجتَبَـــاهُ
فَلَـــنْ نَرْثُـــوا بُعَيْـــدَكَ مَـــا فَقَـــدْنَا وَطِيبُـــكَ أَغْـــرَقَ الـــدُّنْيَا سُـــقَاهُ
وَإِنْ حَاكَـــتْ لَـــكَ الْأَعْـــدَاءُ سُـــوْءًا وَأَبْـــدَتْ مِـــنْ دَسَائِسِـــهَا السِّـــفَاهُ
فَـــلاَ وَاللهِ مَـــا فَرِحُـــوا بِمَـــوْتٍ لَـــهُ وَالمَـــوْتُ أَجْمَـــلُ مُبْتَغَـــاهُ
فَأَشْـــهَدُ مَـــا عَلِمْـــتُ وُكُـــلَّ خَـــيْرٍ وَيَـــوْمَ الْعَـــرْضِ يَشْـــهَدُ كَاتِبَـــاهُ
وَهَـــذَا الْيَـــوْمِ وَدَّعْنَـــا أَمِـــيرًا وَمُصْـــرَاتَا الَّتِـــي عَجَنَـــتْ صِـــبَاهُ
تَسَـــمَّرَت الْعُيُـــونُ بِهِـــمْ تُبَـــاهِي فَتَخْتَصِـــرُ الْمَسَـــافَةَ نَـــاظِرَاهُ
وَقَـــدْ صَـــدَقَتْ جَوَارِحُـــهُ وَلبَّـــتْ عَـــلَى دَرْبِ الْمَكَـــارِمِ أَصْـــغَرَاهُ
يَهِـــيْمُ بِـــهِ الفُـــؤَادُ بِكُـــلِّ حِـــينٍ إِذَا شَـــوْقُ اللِّقَـــاءِ لَـــهُ كَـــوَاهَ
عَطِيَّـــةُ وَالْعَطَايَـــا لَـــيْسَ تُجْـــزَى إِذَا رَبُّ السَّـــمَاءِ بِهَـــا حَبَـــاهُ
فَهَـــذِي قَـــوْلَتِي وَمِـــدَادُ شِـــعْرِيْ وَهَـــذِي أَحْـــرُفِي تَبْغِـــي عُـــلَاهُ
وَحَمْـــدًا لِلَّـــذِي خَلَـــقَ الْبَرَايَـــا وَمَـــنْ سَـــجَدَتْ لِعِزَّتِـــهِ الْجِبَـــاهُ

❖ **رثاء الشـيخ الشاعر: «حامد بن عبد اللّه العلي»** حَفِظَهُ اللهُ**، للشـيخ** رَحِمَهُ اللهُ:

رَقِيْـــتَ مقامًـــا يـــا عطيّـــةُ يلمـــعُ عَـــلَا مِثْـــلَ أَنْـــوَارِ الكَوَاكِـــبِ يسْـــطعُ
إِذَا كَـــانَ لِلْآجَـــالِ حَـــدٌّ مُؤَقَّـــتٌ فَـــمَا العِـــزُّ إِلَّا مِيتَـــةٌ تَتَشَعْشَـــعُ

شُـعَاعًا مَنَـارًا لِلْجِهَـادِ وَحَارِقًـا ... لِكَيْـدِ عَـدُوٍّ حَاقِـدٍ يَتَوَجَّـعُ

مَضَـيْتَ شَـهِيدًا يَـا عَطِيَّـةُ مَاجِـدًا ... وَأَيُّ مَقَـامٍ مِثْـلَ هَـذَا وَأَرْفَـعُ

لَعَلَّـكَ نِلْـتَ الآنَ خُلْـدًا طَلَبْتَـهُ ... وَتَطْـرُبُ إِنْ قُلْنَـا: الشَّـهِيدُ المُـوَدَّعُ

لَعَلَّـكَ تَـدْرِي الآنَ فَضْـلَ شَـهَادَةٍ ... وَأَنْـتَ تُغَنِّـي فِي الجِنَـانِ وَتَرْبَـعُ

لَعَلَّـكَ بَـيْنَ الحُـورِ تُسْـقَى بِكَفِّهَـا ... وَتَرشُـفُ شَـهْدًا مِـنْ شِـفَاهٍ فَتَـشْبَعُ

وَتَلْـثُمُ بَـيْنَ الخَـدِّ وَالنَّهْـدِ ضَـاحِكًا ... فَتُـضْحِكُ مَـنْ تُعْطِيـكَ لَـثْمًا فتُبْـدِعُ

وَتَشْـرَبُ مِـنْ خَمْـرٍ كَـرِيمٌ مَـذَاقُهَا ... وَلَيْسَـتْ لِأَلْبَـابٍ تَغُـولُ وَتَصْـرَعُ

فَخُـذْهَا فَـدَيْتُكُ يَـا عَطِيَّـةُ نِلْتَهَـا ... وَأَنْـتَ لَهَـا أَهْـلٌ، أَحَـقُّ، وَأَرْوَعُ

هُمَـا اثْنَـانِ: سَـاعٍ لِلْجِنَـانِ بِرُوحِـهِ ... يَـؤُولُ لِـخُلْدٍ نَـاعِمٍ يَتَمَتَّـعُ

وَسَـائِرُ خَلْـقٍ عَـابِثِينَ كَـأَنَّهُمْ ... بَهَـائِمُ أَنْعَـامٍ تَسُـومُ وَتَرْتَـعُ

❖ «ستزيد دعوتنا عزا وتمكينا»؛ رثاء الشـيخ عطية اللَّه ﵀ من الشاعر «الزهيري»:

يَـا رَاعِـفَ الجُـرحِ قَـدْ جَفَّـتْ مَآقِينَـا ... وَهَـيَّجَ الحُـزْنُ أَشْـجَانًا تُلَظِّينَـا

مَـا إِنْ تَفِـيضَ إِلَى العَلْيَـاءِ قَافِلَـةٌ ... حَتَّـى نَسِـيرَ بِـإِثْرِهِمْ قَرَابِينَـا

إِنِّي نَـذَرْتُ لِأَهْـلِ الحَـقِّ قَافِيَـةً ... نُسِـجَتْ بِلَـوْنِ دِمَـاءِ القَلْـبِ تُـذْكِينَا

يَـا دَامِـيَ الجُـرْحِ ممـن بَرِحَـتْ رَوَاعِفُـهُ ... تُـؤَجِّجُ النَّـارَ بَـلْ تُـذْكِي بَرَاكِينَـا

يَـا مَـنْ تَرَجَّـلَ عَـنْ صَـهَوَاتِ ضَـابِحَةٍ ... يَشْـتَاكُ فِي الصَّـدْرِ جَـذْلانًا يُنَادِينَـا

مَـا غَـابَ طَيْفُـكَ عَـنْ وُجْـدَانِ كَوْكَبَـةٍ ... إِلَيْـكَ تَهْفُـو فَتَسْـرِي فِي حَوَاشِـينَا

يَـا حُرْقَـةَ القَلْـبِ مَـا بَرِحَـتْ خَوَافِقُنَـا ... يَهِيضُـهَا الحُـزْنُ مِـنْ فُقْـدَانِ حَادِينَـا

تَجُـولُ فِي الـنَّفْسِ آلَامٌ مُبَرِّحَـةٌ ... فَلَـيْسَ غَـيْرَ سِـلَاحِ الغَـدْرِ يُرْدِينَـا

أَنَـا الـمُتَيَّمُ مَـا بَرِئَـتْ رَوَاعِفُـهُ ... تَجْـرِي وَمَـا فَتِئَـتْ تَـدْمَى أَمَانِينَـا

نَسِـيرُ فِي الـدَّرْبِ وَالآفَـاقُ مُوحِشَـةٌ ... يَغْتَالُنَـا الـمَوتُ وَالآمَـالُ تُحْيِينَـا

قُـمْ يَـا جَمَـالُ وَأَيْقِـظْ رُوحَ نَخْوَتِنَـا ... وَعَطِّـرْ الأَرْضَ رَيْحَانًـا وَنِسْـرِينَا

وَجِابِـهِ المَـوْتَ فَالمَاضُـونَ مَـا وَجَـدُوا قَــبْرًا وَلَا كَفَنًــا يُــؤْوِي تَشَــظِّينَا
نُخَضِّـــبُ الأَرْضَ بِالأَشْــلَاءِ نُشْــعِلُهَا عَــلَى المُغِــيرِ وَسُــوقُ البَــذْلِ دَاعِينَــا
نُسَــعِّرُ الحَــرْبَ نَلْقَــى الــمَوْتَ أَوْرِدَةً تَفُــورُ بِالــدَّمِ تَجْــرِي فِي رَوَابِينَــا
عَطِيَّـــةَ اللهِ قَـــدْ أَشْـــعَلتَ قَـــافِيَتِي وَأَحْــرَقَ الوَجْــدُ وَالبَلْــوَى مَرَاثِينَــا
فَــمَا اسْــتَفَاقَ نَشِــيدِي أَوْ هَمَــى وَزَكَــا إِلَّا بِــذِكرِ سُــخَاةٍ مِــنْ أَوَالِينَــا
تَحَشْــرَجَ الحَــرفُ لَا يَلْــوِي عَــلَى أَحَــدٍ يُغْــرِي الكُمَــاةَ وَقَــدْ طَابَــتْ سَــوَاقِينَا
وَأَشْرَقَ الفَجْــرُ إِيــذَانًا شَــوَاهِدُهُ شَــمْسُ الخِلَافَــةِ لَاحَــتْ فِي نَوَاحِينَــا
تَغْــزُو القُلُــوبَ وَقَــدْ مُــدَّتْ عَبَاءَتُــها مِــن قَنْــدَهَارَ إِلَى دَرْعَــا إِلَى سِــينَا
وَأَيْــمُ اللهِ لَــنْ تَنْفَــكَّ غَارَتُنَــا حَتَّــى نُجَــرِّعَ أَهْــلَ الكُفْــرِ غِسْــلِينَا
وَعِــزَّةُ اللهِ أَنْ تَمْــضِي قَوَافِلُنَــا وَأَنْ نَسِــيرَ عَــلَى مِنْهَــاجِ هَادِينَــا
وَأَنْ نَــذُودَ عَــنِ التَّوْحِيــدِ لَا عِــوجٌ وَلَــنْ نَحِيــدَ وَلَــنْ تَعْنُــو نَوَاصِــينَا
يَــا غَــارَةَ اللهِ حُثِّــي السَّــيْرَ وَاقْتَلِعِــي كُــلَّ الطُّغَــاةِ وَلَا تُبْقِــي أَعَادِينَــا
لَا يَــنْجَلِي الهَــمُّ إِلَّا فِي مُنَازَلَــةٍ تَحُــزُّ فِيهَــا رُحَــى التَّوْحِيــدِ غَازِينَــا
ونُعْمِــلُ السَّــيْفَ فِي أَعْــدَاءِ مِلَّتِنَــا لَــنْ نَسْــتَكِينَ لِبَــاغٍ فِي أَرَاضِــينَا
لَلثَّــأْرِ قَاعِــدَةُ التَّوْحِيــدِ قَــدْ مِــلَأَتْ كُــلَّ الثُّغُــورِ قَسَــاوِرَةً شَــوَاهِينَا
تَــرْوِي الــمَنِيَّةَ مِــنْ مُهْــرَاقِ قَادَتِنَــا فَتَزِيــدُ دَعْوَتُنَــا عِــزًّا وَتَمْكِينَــا
«بِــيْضٌ صَــنَائِعُنا خُضْــرٌ مَرَابِعُنَــا سُــودٌ وَقَائِعُنَــا حُمْــرٌ مَوَاضِــينَا»
كُــلُّ القُلُــوبِ الَّتِــي تَمْكُــو ضَــغَائِنُهَا بِــالخِزْيِ قَــدْ بَــاءِتْ وَاللَّهُ حَامِينَــا
قُــلْ لَــنْ يُصِــيبَ بَنِــي التَّوْحِيــدِ غَــيرُ أَذًى حَتَّــى وَإِنْ قَتَــلَ الكُفَّــارُ عِزِينَــا
لَــنْ يَبْــزُغَ الفَجْــرُ مِــنْ أَقْصَــى دَيَاجِيــهِ إِلَّا إِذَا اغْتَسَــلَتْ بِــدَمٍ أَرَاضِــينَا

❖ **رثاء «شاعر الأنصار» للشيخ؛ بعنوان: «عطيةُ اللّه!؛ في رثاء الإمام الشهيد عطية اللّه»:**

سَــــأكتبُ شِـــعْرِي لِشَـــيخِ السُّـــرَاهْ ... حلـــيمِ الكُـــمَاةِ شَـــهيدِ الأُبَـــاهْ

ويَـــا لَيــتَ شِـــعْرَي وَمَـــا قـــدْ حَـــوَاهْ ... يَفِـــي عُشْـــرَ مَـــا قَدَّمَتـــهُ يَـــدَاهْ

رِجَـــالٌ أبـــوْا جـــبَرُوتَ الطُّغَـــاهْ ... وَلَا يَنْحَنُـــونَ سِـــوَى فِي الصَّـــلَاه

وَتَســـجُدُ لِلَّهِ مِـــنْهُم جِبَـــاهْ ... فَـــدَربُ الجِهَـــادِ سَـــبِيلُ النَّجَـــاهْ

سَـــيُطْلِقُ قلبِـــي الرّقيـــقُ هَـــوَاهْ ... بحَـــرْفٍ كَســـيرٍ لِيَحْكِـــي رُءَاهْ

فبَعْـــدَ رَحِيـــلِ عَطِيَّـــةَ اللهِ ... غَـــدَوْتُ كَطَـــيرٍ بِـــأَرْضِ الفَـــلاهْ

عَطِيَّـــةُ رَبِّيْ وَنَغمَـــةُ حُبِّـــي

ظَرِيـــفٌ ظَلِيـــفٌ شَرِيـــفٌ خَلُـــوقْ ... نقِـــيٌّ صَـــفِيٌّ وَفِيٌّ صَـــدُوقْ

كَقَطْـــرِ النّـــدَى عِنـــدَ خَـــيطِ الشـــرُّوقْ ... نُـــدَاوِي بِـــهِ الجُـــرحَ جُـــرحَ الحـــرُوقْ

لَـــهُ فِي سَـــمَاءِ الجِهَـــادِ الـــبرُوقْ ... وَفِي الأَرْضِ يبْقَـــى عَمِيـــقَ العُـــرُوقْ

كَلَامُـــه لِـــلأُذْن دَوْمًـــا يَـــرُوقْ ... فَمَـــنْ ذَاقَ حُلْـــوًا سَـــيَبقَى يَـــذُوقْ

قـــدْ صَـــانَ الأَمَانَـــةَ أَدَّى الحُقُـــوقْ ... وَإِنْ حَـــلَّ بِالصَّـــفِّ صَـــدْعُ الشُّـــقُوقْ

يُلَمْلِمُهَـــا ويَصـــدُّ الفُـــرُوقْ ... فَهـــلْ مِـــنْ مُجَـــارٍ لَّـــهُ قَـــدْ يفُـــوق

عَطِيَّـــةُ رَبِّيْ وَنَغمَـــةُ حُبِّـــي

حَمَلْـــتَ الهُمُـــومَ فَهَـــرْتَ المُحَـــالْ ... نشَـــرْتَ العلُـــومَ بِسَـــاح النّـــزَالْ

سَـــقيتَ الخُصُـــومَ كُـــؤُوسَ الخَبَـــالْ ... وعِشْـــتَ شَـــمُوخًا كَمثـــل الجِبَـــالْ

سَـــلكتَ طَرِيـــقَ التُّقَـــى والقِتَـــالْ ... وَ عِفـــتَ القُصُـــورَ وَذُلّ السُّـــؤَالْ

وَنِلْـــتَ الشَّـــهَادَةَ أغـــلَى المَنَـــالْ ... فَحَيُّـــوا الشَّـــهِيدَ وَحَيُّـــوا الرِّجَـــالْ

سَـــكَنْتَ بِقَلْبِـــي السِّـــنِينَ الطِّـــوَالْ ... وَحَـــيَّرْتَ لُبِّـــي بِسِـــحْرِ الجَـــمَالْ

ونَـــوَّرت دَرْبِي بنُـــور الجَـــلالْ ... فَكَيْـــفَ أُلَامُ إِذَا الـــدّمْعُ سَـــالْ

عَطِيَّـــةُ رَبِّيْ وَنَغمَـــةُ حُبِّـــي

لقَـــدْ كنـــتَ فِينَـــا كَـــمَا الوَالـــدِ ... ودِفْئًـــا لَنَـــا فِي الـــدُّجَى البَـــارِدِ

نَرقُبُ في جفنِكَ الشّاردِ تباشيرَ فجْرِ الهُدَى الوَاعِدِ
أعَدْتَ لنَا مجْدنَا التّالِد وَرَبَّيْتَ جِيلَ الفِداَ الصَّاعِدِ
عَلَى مَنْهَجِ الأنبيَا الرّاشِد وحَرَّضتَ كُلَّ أَخٍ قَاعِدِ
فَلِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ قَائِدٍ اصْطَفَاكَ إِلَهُ الوَرَى الوَاحِدِ
فَنِعْمَ الشَّهادَةُ للعَابِد وَأَنعِمْ بِهَا عَيْشَةَ الخَالِدِ

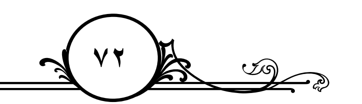
عَطِيَّةُ رَبِّيْ وَنَغمَةُ حُبِّي

غَريبَ الدّيَار قَدْ حُقَّ البُكَاءْ لِمِثلِكَ يَا نَجْمَةً في السَّمَاءْ
يَا ريحَ عَطِيَّة طَابَ الهَوَاء بِمِسْكِ رسَائِلِهِ فِي المَسَاءْ
فصَبْرًا أخِي إنَّ هَذا بَلاءْ سَيَجْزِيكَ رَبُّكَ خَيْرَ الجَزاءْ
وَإِنّي لأُهْدِيكَ هذَا الرثَاءْ فَقُمْ وَالتَمِسْ للجِرَاح الشِّفَاءْ
فإن صِرْتَ حَيًّا مَعَ الشُّهَدَاءْ فكُنْ لِي شَفِيعًا مَعَ الأقربَاءْ
وإن طَالَ عُمرُكَ في الأوفياءْ سَأَغْدُو سَعِيدًا بيَومِ اللِّقَاءْ

عطيةُ ربِّي ونَغمةُ حُبّي

ونُقْسِمُ بِالله يَا شَيخَنَا سَنُنْجِزُ مَا بِهِ كَلّفْتَنَا
ومَا قَدْ نصَحتَ وَوَصيتَنَا بِهِ سَوف يُعْلي لنَا شَأنَنَا
ونُعلِنُ أنّا سَنَبقَى هُنَا دِمَاكُم تُنيرُ لَنَا دَرْبَنَا
وأقْوالكُم رَافقتْ سَمْعنَا وربُّ البَرِيّة حَافِظُنَا
فثَبِّتْ أيَا ربّ أقدَامَنَا وسَدِّدْ ويَسِّر لنَا أمرنَا
خِتَامًا بكيتُ وقلتُ أنَا سَلامًا وَدَاعًا أيَا شَيْخنَا
سَلامًا وَدَاعًا أيَا شَيْخنَا سَلامًا وَدَاعًا أيَا شَيْخنَا
سَلامًا وَدَاعًا أيَا شَيْخنَا سَلامًا وَدَاعًا أيَا شَيْخنَا

عطيةُ ربِّي ونَغمةُ حُبّي



إلى هَاهُنَـــا أنهـــي هَـــذي الــدُرَرْ بقـــول بَليـــغٍ لِمَـــنْ يعْتَـــبِرْ

فكُـــل الـــذِي قـــالَ أهـــلُ السَّـــمَرْ قلِيـــلٌ قليـــلٌ بِحَـــق القَمَـــرْ

شــــغَلْنَا الــــوَرَى ومَلأنـــا الـــدُّنَا

ولَكـــنْ أ مُفـــدي.. بلَحـــنِ الرَّصَـــاصْ.. وحُكْـــم القصـــاصْ

ولا لا مَنَـــــاصْ.. مِــــــنَ القَاعِـــــدةِ

۞ كتب الشيخ ومقالاته:

كان الشيخ ﷺ مشغولًا بالجهاد وأهله، ولكن ذلك لم يمنعْهُ من المساهمة بقلمه وفكره لردِّ الشبهات المثارة على الجهاد خاصَّة وتصحيح مسار المسيرة الجهادية من الانحراف والشطط أو الضياع؛ فكانت معظم مقالات الشيخ وكتاباته تدور حول هذا المِحوَر المهم والذي كثر إغفاله من الكُتَّاب والعلماء المعاصرين، فطَرَقَهُ الشيخ طرْقَ المتمكن المستمسك بحبل ربه، غير هيّابٍ ولا مرتاب، وقد أكرمنا الله في هذا «المجموع» بِجمْعِ شتات كل ما صدر عن الشيخ «عطية» ﷺ، ومما نشرناه فيه مقالاتٌ كثيرةٌ لم تنشر من قبلُ في غيره -أمدنا بها المقربون من الشيخ من تلاميذه وأصحابه- وقد بلغ عدد هذه المقالات التي اختص المجموع بنشرها قريبًا من ثلاثين مقالةً أو فتوى أو رسالة خاصة؛ كثير منها غاية في التميز والإتقان، ونذكر هنا جملةً من أهم العناولن التي وردت في هذا «المجموع» مع تعريف مختصرٍ بها؛ فمن ذلك:

١- **محمد رسول الله** ﷺ؛ تكلم فيه ﷺ عن النبي ﷺ ودعوتِه بأسلوب ميسر موجَّهٍ للغرب والكافرين المشككين خاصَّةً مع عرضٍ موجز عن سيرته ﷺ ورد الشبهات المثارة عليها، مع دعوة المعاندين لدخول الإسلام؛ بخطاب عقلاني واضح الدلالة لمن ابتغى الحق وبحث عنه.

٢- **حوار أعضاء شبكة الحسبة مع الشيخ عطية الله؛** وهو حوارٌ كبير متميز أجاب فيه الشيخ عن كثير من الإشكالات والاعتراضات، بلغت عدد صفحاته قرابة الخمسمائة، برزت في هذا الحوار شخصية الشيخ العلمية الفذة، ومنهجه الجهادي السلفي المؤصل، وقد وضع فيه النقاط على الحروف لكثير من المسائل الشائكة؛ تحريرا وتأصيلا، تقسيما وتفريعًا، مع قوة في الحجة، ولين في الخطاب،

وبراعة في الاستدلال، وتنزل للحق بغير تعالٍ ولا استكبار ولو خالفته طوائف[1].

٣- **كلمات في نصرة «دولة العراق الإسلامية»**: تكلم فيه الشيخ عن «دولة العراق الإسلامية» وأنها نواة لدولة الإسلام -وليست هي دولة الإسلام بل هي جماعة باسم الدولة كما هو ظاهر كلامه-، وأحكام بيعتها وأنها ليست بيعة كبرى ولا خلافة عظمى، مع الإشارة إلى موقف الجماعات الأخرى منها والواجب منها تجاههم، مع عرض لمسائل مُثَارةٍ في إعلان الدولة، وردٌّ على الغلاة الذين يجعلون اسم «الدولة» منطلقا لمعاداة غيرهم من المسلمين الذين لم يدخلوا تحت طاعتها -كما حصل بعد إعلان دولة العراق والشام؛ إذ خُولفت نصائح الشيخ، وهُجرت- مع خاتمة تتضمن وصايا مهمة، وهذه الرسالة دالةٌ على فراسة الشيخ وحنكته؛ إذ تنبأ بمستقبل «الدولة» قبل أن يقع؛ بانحرافهم وغلوهم.

٤- **حزب الله اللبناني والقضية الفلسطينية؛ رؤية كاشفة**: في بيان حكم الشيعة المعاصرين وخطرهم السياسي مع عرض نموذج للقضية الفلسطينية، وكلامٌ خاصٌّ عن «حزب الله اللبناني» ودخوله عمليا

---

(١) نَشرت «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية» مقتطفاتٍ جميلة من هذا اللقاء، وكنا قد أثبتناها في بداية الأمر ثم ارتأينا حذفها، إذ الأصل مغنٍ عنها، وحفظًا لجهد الإخوة نُثبتُ هنا مقدمتهم لتلك المقتطفات، حيث قالوا جزاهم الله خيرا:

«فمن حق المكتبة العلمية الجهادية علينا أن نثريها بكل جديد مفيد يساعد على انضباط المنهج وإحكامه، ويعين شباب الأمة على التفقه في دينها، وضبط منهجها الصحيح، خاصة إذا كان الكاتب رجلًا عرف عنه سلامة المنهج واعتدال الطريقة.

اليوم -أيها الأحبة- نقدم لكم مقتطفات من لقاء «منتديات شبكة الحسبة» مع الشيخ الفاضل المجاهد «عطية الله الليبي» والذي أجري ما بين شهري جمادى الأولى وشعبان من سنة ١٤٢٧هـ تحت عنوان: «المسيرة الجهادية المعاصرة».

كان اللقاء متنوع المحاور اشتمل على أحاديث حول التجربة الجهادية الجزائرية التي خاضها الشيخ وله معرفة خاصة بها، والكلام حول رؤيته لأحوال تنظيم القاعدة في جزيرة العرب وحول الجهاد في فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال ودارفور وغيرها، ومسائل في باب العلم والعلماء، ومسائل شرعية متفرقة تمسّ حاجة المجاهدين وعموم المسلمين إلى الوقوف عليها.

اقتطفنا من هذا اللقاء بعض كلام شيخنا عطية الله، مما نراه مهمًا لشباب الحركة الجهادية الذين أقبلوا على الجهاد نصرة لدين الله بأنفسهم وأموالهم وألسنتهم وأقلامهم، وقد وضعنا لكل مقطع من هذه المقاطع عنوانًا مناسبًا.

والهدف من هذه المقتطفات ونشرها أمران:

الأول: هو إبراز القدوة لشباب الحركة الجهادية للتأسي بأمثال هؤلاء المشايخ، وهو إبراز لا يخالف وجوب اتباع الكتاب والسنة بل هو مندرج تحته، لأن النفس ترغب بالشيء إذا رأت من يشتهر ويُعرف به من الفضلاء، ويكون ذلك داعيًا لها للانقياد للحق والارعواء عن ضده.

الثاني: الردّ على مخالفي الحركة الجهادية، المتهمين لها بالتشدد والغلو أو الجهل، ليروا كلام مشايخها والمحترمين والمتبوعين فيها، ويروا كيف أن آراءهم متقيّدة بضوابط الشرع لم يخرجوا بشيء من كلامهم عن مقتضى أصول العلم، أصابوا أو أخطأوا فيما هو من موارد الاجتهاد، ولا عصمة إلا للوحيين.

في قضية فلسطين، وكيفية مواجهتهم شرعيا وسياسيا، وأنهم من جملة الأخطار على الأمة.

٥- **لقاء «مركز اليقين الإعلامي» مع الشيخ**: تكلم فيه عن تقييم الحركة الجهادية والمسائل التي تثار حولها، ومسائل عن «الدولة» و«الإعلام الجهادي»، و«آخر الزمان»، مع خاتمة عن آداب المخالف.

٦- **جواب سؤال في جهاد الدفع**: وهو ردٌّ كبيرٌ مؤصَّلٌ على من تدرج في التكفير حتى كفر كل الأمة من «الخوارج المعاصرين»، واعتقد بطلان الجهاد في هذا الزمان؛ لعدم وجود دار للإسلام، مع بيان لمسألة «العذر بالجهل» الشائكة، وردٍّ طويل قويٍّ على شبهات «المارقين» وأتباعهم الغلاة الجفاة.

٧- **انفذ على رسلك**: إضاءات وفوائد من قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: (**انفذ على رسلك فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمر النَّعَم**)، أطال فيه النفس؛ لكن لم يتمه حيث استشهد قبل الفراغ منه.

٨- **النصح والإشفاق في الكلام على تفجيرات الأسواق**: وهو سؤالٌ وجوابه عن التفجيرات التي تقع في أسواق المسلمين وتجمعاتهم وبيان خطورتها وشدة حرمتها، والتحذير والبراءة منها، مع ما انضاف إليه من بيان منهج المجاهدين في التفجير في وسط تجمعات المسلمين وأن ذلك من أعظم المخالفات للشرع؛ كما يحصل في هذا الزمان من قبل الخوارج المارقين.

٩- **أجوبة في حكم النفير وشرط المتصدي للتكفير**: إجابة عن ثلاثة أسئلة مهمة في الجهاد والنفير لعموم الأمة أو الكوادر المؤثرة فيها، ونصائح لشباب الأمة بسلوك طريق الجهاد حتى لقاء الله سبحانه وتعالى.

١٠-**فجار لكنهم يجاهدون**: وهي رسالة في جهاد عوام المسلمين وأنه جهاد صحيح، ووجوب الترفق بالناس حتى يدخلوا في دين الله بالكلية، وأن لا نقسوا على المسلمين بل نترفق بهم ونلين معهم.

١١-**ثورة الشعوب وسقوط النظام العربي الفاسد**: حول كسر صنم الاستقرار المزعوم في المنطقة والانطلاقة الجديدة للشعوب، وكلمات مهمة عن الثورات العربية، وكيفية الاستفادة منها.

١٢-**ما ليس عنه انفكاك في أجوبة المجاهدين الأتراك**: وهو جواب لأسئلة عن عقيدة تنظيم قاعدة الجهاد، والقول في مسألة التكفير، وذكر الحكم في شعب تركيا، ونقض بعض أقوال عبد القادر عبد العزيز، مع خاتمة فيها نصح للعلماء والشعب في تركيا، وهي رسالة غاية في النفع والأهمية للسَّائلين.

١٣-**الثورات العربية وموسم الحصاد**: رد كبير على دعوى أن منهج المجاهدين و«تنظيم القاعدة» متعارض مع ثورات «الربيع العربي»، وإيضاحات لإشكالات في هذا الباب، وأجوبةٍ عليها.

١٤-**فتاوى الشيخ وأجوبته على أسئلة متفرقة**: وفيه حوار مهم قديم -لعله أول الحورات النصية التي أُجريت مع الشيخ رحمه الله- مع «شبكة أنا المسلم»، وأسئلة خاصة وجهت من المجاهدين في بعض البلاد حول نوازل تخصهم؛ فمن ذلك أسئلة وُجهت للشيخ من «قطاع غزة»، ومما في هذا القسم مما لم

يُنشر من قبل قطُّ إلا في «المجموع»: أسئلة من أحد أفرع «قاعدة الجهاد» خصونا بها في هذا المجموع، وأسئلة خاصة حول البدعة من الشيخ «أبي زيد خالد الحسينان»، وجوابٌ حول التصوير، وآخر في «القسم بين الأزواج»، ورسالة غاية في النفاسة جدًّا تضمنت «جوابًا على السلفيين الباكستانيين».

١٥-**مقالات ورسائل وقصائد ومقدمات للكتب وتعليقات عليها**: حيث جمعنا في هذا القسم كل ما صدر للشيخ من مواد متفرقة، من الكلمات التحريضية أو التوجيهية، مع ما نُشر في «الإعلام الجهادي» من قبلُ، وقد تضمن هذا القسم عددًا كبيرًا من الفوائد والردود التي نُشرت للشيخ ﷬ في «شبكة أنا المسلم» وقد اندثر كثيرٌ منها من الشبكة، حيث ضمَّنَّا هذا القسم كل ما كتبه الشيخ من مشاركات عامة أو خاصةٍ انفردنا بنشرها في المجموع، ولن يُعدم القارئ فائدةً بإذن الله في هذا القسم نظرًا لعفوية الشيخ في الكتابة والردود والحوار؛ حيث كان يكتب بدون قيود «الإعلام الرسمي» المعتادة؛ فهاهنا تجد -أخي القارئ- كنوزًا متكاثرة، ودُررًا متناثرة؛ فطوبى لمن التقطها، وبالفهم والعمل حازها.

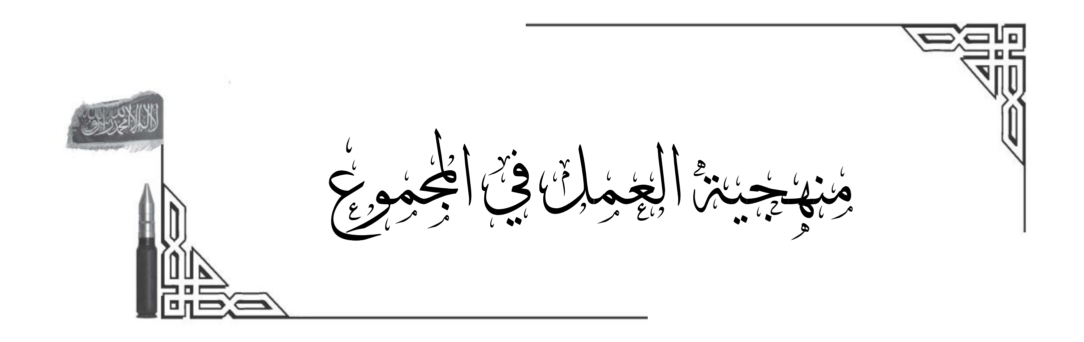
١٦-**محاضرات صوتية ومرئية «مفرغة»**: وقد نشرنا في هذا القسم كل ما صدر عن الشيخ من كلمات صوتية أو مرئية بعد تفريغها وضبط صياغتها لتوافق النص المكتوب، شملت محاضرات في «حرمة الدماء» ورسائل توجيهية لـ«المجاهدين والثائرين»، ومواعظ وآداب، مع التحريض على الجهاد، وقد نُشر بعضها بعد مقتل الشيخ ﷬؛ فمن ذلك «دورة الأنصار الشرعية» في العقيدة، ودورة في «الثقافة والوعي في الإسلام»، ومحاضرة في «الجندية»، وقراءة في «مختصر منهاج القاصدين»، وغير ذلك..

١٧- **الوثائق الخاصة «وثائق أبوت أباد»**: وهي مجموعة مراسلات خاصةٍ بالشيخ تضمنت وثائق «أبوت أباد» التي عثرت عليها «أمريكا» في منزل الشيخ أُسامة ﷬ حين اغتياله، وهي ثلاثة دفعات بلغت اثني عشر رسالةً، إضافةً إلى رسالة أخرى خاصَّة لم تُنشر من ضمن هذه الدفعات وُجهت للشيخ «أبي مصعب الزرقاوي» ﷬، وفي هذا القسم بعض الرسائل الخاصة التي أمدنا بها «تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب» وُجهت للشيخ «أبي بصير الوحيشي» ﷬، ورسالةٌ أخرى خاصةٌ لم تنشر من قبل وجهت إلى «المجاهدين في الصومال»، وختمنا «المجموع» بدرةٍ كتبها الشيخ بخط يده ﷬..

وغيرها مما ستجده بارزًا في «**مجموع الأعمال الكاملة**» بإذن الله تعالى، والله الموفق للخير.

والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللّٰهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين..





منهجية العمل في المجموع

الحمد لله رب العالمين، الذي يُحمد على الخير، ويُشكر على الفضل، له الحمد وحده لا سواه..

وبعد؛

فأشكر الله العلي العظيم الكريم وأحمده على ما يَسَّر لي وأعانني عليه؛ حيث أتممتُ هذا العمل المبارك، بعدما بذلت فيه الجَهْد والجُهْد، وأفرغت فيه الطاقة والوُسع، وأسهرت لقضائه الليالي الطوال، وعانيتُ فيه ما يعلمهُ الله وحدَهُ بلا أنيس أو معين إلا هو وحده ﷻ؛ فقد استصحبتُ منذ أول يومٍ عونه تعالى، راجيا منه ﷻ التوفيق في الفعال والأقوال.. فله تعالى الشكر والمنة على إتمام هذا العمل بعد أكثر من ثلاث سنواتٍ بذلتها فيه -وما هي بكثيرة واللهِ- قضيتُ فيها أمتع الأوقات، واقتنصت خلالها أبدع الفوائد، وأجمل الاستنباطات؛ فعايشتُ شيخي وحبَّ قلبي الشيخ «عطية الله» رحمه الله ليله ونهاره، حتى خالط قلمه القلب، ووَقاره اللحم والدم.. فلله الحمد والمنة مرة بعد مرة على ما أكرم ويسر..

وقد تم -بحمد الله ومنته- العمل في هذا المجموع، وَفق المنهجية التالية:

١- قدمتُ للمجموع بسيرة وافية عن الشيخ رحمه الله جمعتها من مصادرَ متعددة، منها ما نُشر على الشبكة، ومنها ما حدثني به بعض الإخوة في ساحات الجهاد ممن عايش الشيخ وعاصره وعرفه حق المعرفة؛ حيثُ ذُكر في هذه السيرة لمحاتٌ من حياته وجهاده وعلمه وتاريخه، وصفاته الجهادية والقيادية، وحب المجاهدين له، وكلمات المجاهدين وقادتهم في رثائه حين تقبله الله شهيدا -كما نحسب-، ثم عرَّفتُ بأهم كتب الشيخ ومقالاته، وختمتُ بمنهجيتي في هذا المجموع.

٢- جمعتُ ما وقفتُ عليه من مقالاتٍ وحواراتٍ وإجاباتٍ وفتاوى وكلماتٍ صوتيةٍ أو مرئيةٍ للشيخ رحمه الله -بعد تفريغها-، وكانت مصادر هذه المواد: شبكة الانترنت؛ وذلك في «المنتديات الجهادية» و«الحوارية»، كـ«شبكة الحسبة» و«أنا المسلم» وغيرها، وكذلك «مجلة طلائع خراسان»، وقد ضمنتُ هذا القسم فتوى نشرتها «المخابرات الأمريكية» مما حصلت عليه في بيت الشيخ الإمام «أسامة بن لادن» رحمه الله بعد استشهاده؛ فأثبتنا هذه الرسالة في قسم «الفتاوى» وأزلناها من قسم «الوثائق الخاصة» لارتباطها بقسم «الفتاوى» أكثر.. وقد أشرنا إلى مصدر كل مقالٍ عند وروده،

وكذا بينًّا تاريخ النشر -إن وُجد- في ذات الموضع، ولا أُخفي القارئ أن كثيرًا من هذه المقالات قد فُقدت من الشبكة تمامًا، ولولا فضل الله ومنه لما عثرنا عليها ولضاعت كما ضاع غيرها، فالحمد لله على ذلك، وجزى الله المشايخ والإخوة الذين أمدوني بما عندهم خير الجزاء.

٣- تم كتابة جميع الآيات بالرسم العثماني للقرآن الكريم، مع عزو الآيات إلى سورها [بين معكوفين]، فإن خُتمت الآية -أي تم آخرها- وُضِع رقم الآية قبل إغلاق قوس الآية، وإلا فبين المعكوفين.

٤- ميزتُ الأحاديث النبوية بتغميقها ووضعها بين (**قوسين متميزين**)، ثم قمتُ بتخريج هذه الأحاديث بعزوها، والحكم عليها، مع بيان حكم أهل العلم عليها، وَذَلك في الحاشية، منتهجًا الاختصار في ذلك؛ فما كان في أحد **الصحيحين** اكتفيت بعزوه لهما، وإن كان في **غيرهما** ذكرته أو ذكرت أقربها للفظ الشيخ، ثم نقلت حكم العلماء عليه باختصار.

٥- تم وضع الأقوال المنقولة بين «قوسين» بدون تغميقها، وذلك تمييزا لها عن أحاديث النبي ﷺ، مع عزو هذه الأقوال إلى مراجعها، وكذلك ميزنا باستخدام هذه «الأقواس» أسماء الأشخاص والأماكن؛ عند الحاجة لذلك، ولم نلتزم هذا التتمييز على الدوام.

٦- التعليق في الحاشية على ما يلزم التعليق عليه من شرح غريب، أو تعليق على مبهم، أو زيادة شرحٍ لمعنى مذكور، أو إضافة مراجع مفيدة في المسألة المذكورة خاصة ما امتازت به الحركة الجهادية المعاصرة من مسائل شرعية نازلة -وللأمانة العلمية فقد استفدتُ في الإحالة على المسائل من كتاب الأخ المجاهد «أبي مريم أحمد الزهراني الأزدي» المسمى: «المعين» فجزاه الله عنا خيرا-، ومما احتوته التعليقات كذلك: الترجمة للأعيان أو الجماعات عند الحاجة، أو تصحيح خطأٍ بين.. الخ.

٧- قد يذكر الشيخ -أحيانًا- تعليقاتٍ في الحاشية؛ فنبقيها في محلها، لكنا نلحقها بكلمة: [المؤلف] لتمييزها عن حواشينا، وأحيانا -قليلة- يُخَرِّجُ الشيخ بعض الأحاديث والنقولات؛ فنجعلها في لحاشية ونضيف عبارة [المؤلف]؛ وعليه: فكل الحواشي من صنعنا إلا ما أُلحق به كلمة [المؤلف].

٨- مراجعة وتصحيح ما أشار الشيخ إلى ضرورة مراجعته في بعض النصوص المنقولة عن السلف حيث كان الشيخ ﵀ يضع عبارة [كذا، فليراجع..] ونحوها، حيث قمتُ -بحمد الله ومنته- بإثبات النص الصحيح المراد من خلال مصادره الأصلية، وحذفتُ كلمة [فليراجع] ونحوها مما يشير الشيخ ﵀ إليه، وقد كان هذا الأمر في مواطن يسيرة؛ فلم نشر إليها عند تعديلها.

٩- تمَّ إصلاح الأخطاء الإملائية والنحوية الظاهرة، سواء في الهمزات أو علامات الترقيم وأقواس التنصيص أو اللغة، واعتماد منهجية موحدة في ذلك كله.. وسيلاحظها القارئ بإذن الله تعالى.

١٠- اعتماد الرموز المنحوتة للكلمات المتكررة؛ حيث تضيف مظهرًا جماليًا على الكتاب، مثل: «صلى الله عليه وسلم» ﷺ، «رضي الله عنه» رضي الله عنه، «رحمه الله» رحمه الله، وغيرها كثير بحمد الله؛ مما تقر به عينُك أخي القارئ -بإذن الله- في ثنايا هذا الكتاب المبارك.

١١- في اللقاءات والحوارات: أعدنا صياغة وترتيب الأسئلة -لا الإجابات- الموجهة للشيخ رحمه الله، مع وضع ملخص لكل سؤال بين [قوسين معكوفين]، وقمنا بحذف بعض العبارات الترحيبية والاطمئنانية التي ليست من صلب الحوار، ولكني مع ذلك أثبتُّ نصَّ السؤال كما هو بلا تغيير غالبًا؛ فلم يُحذف -ولله الحمد والمنة- من صُلب كلام الشيخ في إجاباته شيءٌ ألبتة، وكذا ما له علاقة بصلب السؤال، ومما حذفناه: الأسئلة أو الإجابات التي يذكر الشيخ رحمه الله أنه سيتكلم عنها لاحقا وحيل بذلك على موضوع آخر؛ فتجنبًا للتكرار حذفنا ما أحاله الشيخ إلى غيره من المواضع.

١٢- قمتُ **بترتيب مواد المجموع** بناءً على تاريخ كتابتها من الشيخ رحمه الله؛ هذا في الحوارات والرسائل والمقالات كثيرة عدد الصفحات والتي نُشرت من قبل إحدى المؤسسات الإعلامية، أما المقالات القصيرة ومشاركات المنتديات الحوارية وتفريغات المواد المسموعة أو المرئية؛ فقد أرجأناها في ختام المجموع ضمن عنوان جامع لها وهو: «**مقالات وقصائد قصيرة منوعة، وكلمات صوتية مفرغة**»، ورتبتُها هناك حسب تاريخ نشرها أيضًا، ولا يخفى عليك -أخي المجاهد- أن بعض ما يتأخر نشره ويتقدم تاريخ كتابته: مقدم على ما تأخرت كتابته وتقدم تاريخ نشره.

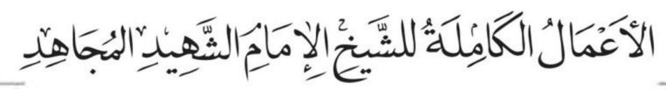
١٣- ألحقتُ في نهاية المجموع مسردًا للمصادر التي اعتمدتُ عليها في تحقيق الكتاب، مع تعريف قصير بمؤلفيها، والطبعات المعتمدة في التحقيق.

١٤- تم بحمد الله إعداد فهرس شامل عن المواضيع والمسائل المطروحة في هذا المجموع المبارك، بحيث يصل الباحث لمراده في أي مسألة يرغبُ بكل سهولة بإذن الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين..

❃ ❃ ❃





محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

تم نشر هذا المقال في «المنتديات الجهادية»

من قبل «مركز الفجر للإعلام» بعد استشهاد الشيخ تقبله الله..



١٤٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

❖ مقدمة:

محمد رسول الله ﷺ هو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، القرشي الإسماعيلي الإبراهيمي..

فهو رجل من العرب من بلدة مكة الواقعة في بلاد شبه جزيرة العرب (معظمها اليوم يقع ضمن حدود الدولة المسماة: المملكة العربية السعودية)؛ مكة هذه يقول كثير من علماء الأرض والفلك والجغرافيا إنها قلب العالم، أو إنها أكثر بقاع الأرض احتمالا لأن تكون قلب الكرة الأرضية. وهي بلدة صحراوية جبلية.. عاش فيها منذ قديم الزمان الجنس البشري العربي، والعرب كانوا موجودين قبل سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء، وكانت لهم قبائل كبيرة مشهورة في التاريخ القديم لها حضارات عريقة وعجيبة.! يقول المؤرخون: إن كل أو الأغلبية الساحقة من تلك القبائل العربية القديمة اندثرت وانقرضت، وإنما العرب الباقون بعدهم إلى اليوم هم قبائل أخرى تعلّمت منهم العربية، ومعظمهم من نسل النبي الكريم إسماعيل -أخي إسحاق- بن إبراهيم عليهما السلام.

فيما يسمّى بالشرق الأوسط، وفي قلب العالم، مهد الأنبياء والرسالات، وبالتحديد في شبه جزيرة العرب.. عاش هؤلاء القوم عيشة بسيطة أقرب ما تكون إلى الطبيعة والعفوية بعيدة إلى حد ما عن تعقيدات التمدّن، لذلك امتازوا باعتدال الطبائع والأمزجة، واتصفوا بصفات رائعة من الصدق والصراحة والوفاء والكرم والسخاء والشجاعة وعزة النفس ورفض الظلم والذل، وبذل المعروف، والتنافس في صفات الرجولة، وتعظيم حق الكلمة والذمة، وقوة الإرادة والعزيمة، وعلو الهمة، والفصاحة والذكاء والاعتناء بالآداب وقوة الحافظة، رغم أنهم لا يعرفون الكتابة، لا بد أنه لحكمةٍ عظيمة كانت هذه المساحة من العالَم هي محل كل الرسل والرسالات السماوية!

محمدٌ هذا الرجل الذي هو رجل عظيم عند كل المؤرخين من المسلمين -المؤمنين بنبوته والمتبعين له- وعند غير المسلمين من النصارى واليهود وغيرهم: ولد في سنة «٥٧١» بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وعاش يتيما، لأن أباه مات حينما كان هو جنينًا في بطن أمه، ثم ماتت أمه أيضا في وقت مبكر من عمره، وذلك بعد أن بلغ هو ست سنين، فتربّى يتيما في رعاية جده ثم في رعاية عمه بعد موت جده إلى أن صار شابًا يافعا..

وبعد مرور حوالي أربعين سنة على مولده، أي بعد أن صار رجلا كاملا عرف الحياة وجرّبها وتزوج

وأنجب ورَبَّى أطفالا وعرف الناس وعرفوه وتكوّنت له في قومه قيمة، كانت هذه القيمة تدور كلها باتفاق جميع المؤرخين على صفات الصدق والأمانة والذكاء وقوة العقل وفصاحة الكلمة وحسن الأخلاق ومكارم السجايا والتشبّع بالفضائل التي يتنافس الرجال العقلاء عادة في تحصيلها والافتخار بها من الكرم والشجاعة ورفض الظلم والضيم والذل ومساعدة المحتاجين والعطف على الضعفاء والخدمة للناس ومساعدتهم ومحبة الخير لهم والبعد عن المعايب والشرور والصفات المذمومة التي ينفر منها كل العقلاء، ومع ذلك فقد كان -شأنه شأن الأغلبية الساحقة من أهل زمانه- أميّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

بعد بلوغه هذا العمر أعلن أنه قد جاءه الوحيُ من السماء، وأن الله قد أوحى إليه وبعث إليه ملكًا من الملائكة يعلمه الدين والرسالة، وأخبره أن الله اختاره ليكون رسولا للعالمين وأنه خاتم الأنبياء والرسل، لا نبيّ بعده.

وبدأ محمد ﷺ ينشر دعوته في البداية بشكل سريّ في أصدقائه الموثوقين ومعارفه وأقاربه.. واستجاب له مجموعة من الرجال والنساء من أهل بلدته، ثم بدأ يتوسّع في دعوته وأعلنها وصرح بها.. فعارضه قومه ووقفوا ضدّه بكل قوة وعناد، وكذبوه ورموه بشتى أنواع التهم؛ قالوا ساحر، وقالوا كذاب، وقالوا مجنون، وقالوا شاعر أديب فصيح يسحر الناس بكلامه، وقالوا أشياء كثيرة فيها تناقض عجيب.! صبر على تكذيبهم له، وتحمّل إيذاءهم له في شرفه وسمعته وحتى في جسده..! في سبيل نشر دعوة الله التي أمره بتبليغها للناس، ولم تكن الدعوة لتنتشر أبدا إذا لم يصبر عليها صاحبها ولم يبدأ بقومه ولم يصطنعْ منهم أنصارا.. كان يواجه شراسة قومه وعنفهم ضدّه باللين والرفق والعفو والصفح.. هم يؤذونه ويعذبون أصحابه الضعفاء ويسخرون منهم ويستهزئون بهم ويقاطعونهم ويحاصرونهم.. وهو مستمر في دعوتهم إلى الخير ويشرح لهم الرسالة التي بعثه الله بها: يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عما كان يعبد آباؤهم مما سوى الله أو يشركونهم مع الله، ويأمرهم بالصلاة والصدقة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم، وبمبادئ الخير ويذكرهم بها ليل نهار وبكل الطرق والوسائل المتاحة، ويصبر على كلامهم غير اللائق ويرجو لهم الخير، وقد كان الخير حقا في دعوته، ولكن الإنسان كثيرا ما يكون عدوّ ما جهل.!

كان يريد لهم الخير والعز والشرف والسعادة في الدنيا والآخرة، وكانوا يريدون لأنفسهم الخسران.! وكان سادة قومه وكبراؤهم يقودون ضده حملات التشويه والتنفير بكل ما أوتوا من قوة ومال..! حقا لقد كان أكثر قومه في عماية وغشاوة بسبب كثير من العوامل التي تراكمتْ عليهم، من

الانغماس في الحياة الدنيا والغفلة عن حقيقة الوجود، ومن طاعة الكبراء والرؤساء والاستكانة إليهم، ومن الخوف من تغيّر الأوضاع، وحب السلامة والاكتفاء بالحال الموجود...! وكلها أسباب واهية، خسروا بها وضيّعوا فرصتهم، ولو بُعثَ منهم أحدٌ اليوم وسألناه فإننا نتوقع يقينًا أنه سيخبرنا عن حالةٍ لا مثيل لها من الندامة والحسرة..!

وأما سادتهم وكبراؤهم فقد غرّتهم السيادة والرئاسة التي خافوا أن يفقدوها إن هم اتبعوا الحق الذي يدعوهم إليه محمد، واندفعوا في عناد شديد، لكن هل أفادهم ذلك شيئا؟ وها نحن نذكرهم ونذكره ونذكر ما جرى بعد مرور القرون، من الذي بقي وانتصر ومن الذي ذهب خاسرا لا يُذكر إلا بالخزي واللعن؟! واستمر محمد ﷺ في دعوته وتدرج وكان الوحي ينزل عليه شيئا فشيئا ويربّي الناس على الدين الحق المتضمّن لكل رحمة وعدل وإحسان وبرّ وحكمة وإصلاح، والذي تألفه النفوس الطيبة، والآمر بكل خير والناهي عن كل شر.. إلى أن يئس من إسلام قومه وتآمروا عليه يريدون قتله، فأمره الله ﷻ بالهجرة، فهاجر إلى بلدة «المدينة» التي بها قبره ومسجده الآن.

كانت تقطن هناك في «المدينة» بعض القبائل العربية التي آمن أفراد منها بمحمد ودعوته أثناء رؤيتهم له وسماعهم كلامه ودعوته في مواسم الحج إلى مكة، فتحمّسوا لنصرته وإعانته من جراء قوة إيمانهم بما دعاهم إليهم من رسالة الله ﷻ، وعرضوا عليه أن يهاجر إليهم في بلدهم لكي يكون عندهم وينصرونه ويؤونه، ويستطيع من هناك أن ينشر دعوته.

وبالفعل؛ هاجر محمد ﷺ وأمر كل من يستطيع من أصحابه أن يهاجر، فهاجروا رجالا ونساء وأطفالا في سبيل الدين، لم يكن هناك أي غرض دنيوي ولا شخصي، لا اقتصادي ولا سياسي ولا أي شيء غير الدين الذي آمنوا به وعرفوا أنه حقا رسالةُ الله الذي خلقهم وأوجدهم وأراد منهم أن يعبدوه واختبرهم بهذه الاختبارات في هذه الحياة الدنيا. لم يكن لتلك القبائل العربية البسيطة مطامح سياسية ولا توسّعية.. ولم يكونوا أهل تمدّن يُذكر بين مدنيات العالم في ذلك العصر.

ولهذا كانت القناعة بالحقيقة والإيمان بالحق المطلق له تأثير كبير على نفوسهم، فانفعلوا به انفعالا يقول كثير من المؤرخين إنه لا يوجد له مثيل في التاريخ تقريبا إلا في بعض أتباع الرسل السابقين..! في تلك البلدة التي هاجر إليها وبين أولئك القوم من أهلها ومن المهاجرين أقام محمد ﷺ نواة دولته، وبدأ ينشر دعوته بحرية أكثر، وبدأ ينظم شؤون أتباعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وشرع لهم بإذن الله له ووحيه إليه تشريعات أخذت تنحو إلى التكامل بالتدريج حتى تستوعبها حركة الانتقال الحضاري والفكري لدى الناس.

ودخل في حروبٍ مع قومه الأصليين «قريش» الذين أخرجوه من بلدته الأصلية، وانتصر عليهم بقوات قليلة العدد والعدة، وكانت أول معركة كبيرة بينه وبينهم معركة بدر التي لها عند المسلمين وفي تاريخهم شأن أي شأن.

ثم توالت الحروب بينه وبينهم، وهم مجتهدون غاية الاجتهاد في القضاء عليه وعلى دعوته وأتباعه ودولته الناشئة.. إلى أن نصره الله عليهم، واستطاع أن يغلبهم وأن يفتح عاصمتهم وهي بلدته الأصلية التي أخرجوه منها وهي مكة قلب العالم، وبذلك انتهت الحروب بينه وبين قومه الذين كانوا هم أشرف العرب نسبًا وأكثرهم احتراما لأنهم أهل مكة وأهل الكعبة بيت الله العتيق المعظم الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، ومن أثر ذلك أن دخل كل أهل الجزيرة العربية تقريبا في دين محمدٍ ﷺ وآمنوا به واتبعوه؛ أي كل العربِ تقريبا.. فلم يكن هناك عربٌ في ذلك الزمان خارج نطاق هذه المنطقة، وهي شبه جزيرة العرب.

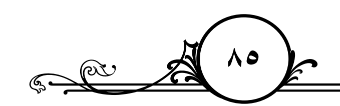
بعدها بدأ محمد ﷺ يبعث الرسائل إلى ملوك الدول الأخرى يدعوهم إلى الدخول في دين الإسلام، والإيمان بالرسالة التي بعثه الله بها، فبعث إلى ملك مملكة الرومان البيزنطيين، وإلى ملوك مملكة فارس وغيرهما.

توفي محمد ﷺ في تلك الأثناء، ولم يعش حتى يدخل بنفسه في تعامل كامل إلى النهاية مع هذه الدول الكبرى.

بحسب الأصول والمبادئ التي تضمنتها شريعة الإسلام التي بُعثَ بها محمد ﷺ تولى الخلافة (أي الرئاسة) من بعده -بواسطة الاختيار من قِبل الأعيان- صاحبُه ووزيرة أبو بكر الصديق، وكان هو من أول من آمنوا بمحمد ﷺ، وهو أقرب أصحابه إليه وأحبهم إليه وأعلمهم وأكملهم في الصفات والمؤهلات.

ثم بعده استمرت دولة الإسلام والمسلمين كلما مات خليفة استخلف غيرهُ بالانتخاب، إلى أن حصلت نزاعات وحرب أهلية بين المسلمين انتهت بعد سنين بالمصالحة والسلام، ثم قام أحد الخلفاء بتعيين ابنه من بعده لاجتهاد منه اقتضته ظروفه يومها، فتحول النظام من تلك اللحظة إلى نظام ملكي وراثي، واستمر على ذلك في معظم فترات تاريخ المسلمين.

وعجلة التاريخ لا تتوقف إلى أن ينتهي أجل الدنيا، فوجدتْ للمسلمين دولٌ إثرَ دول.. كان منها الجيد، ومنها الأقل جودة، منها المتمسك بدين الإسلام وبرسالة محمد ﷺ، ومنها المفرط فيها الآخذ منها الاسم وبعض الشعارات فقط دون المضمون الحقيقيّ... وهكذا.



مرت أمة الإسلام بأطوار ومراحل مختلفة في تاريخها من القوة والضعف، في جميع المجالات: السياسية والعسكرية والاقتصادية والحضارية [و]المدنية [و]الفكرية والعلمية وغير ذلك.

كانت قائدة العالم في وقت من الأوقات، ذاقَ العالم في ظل قيادتها طعم العدل والرحمة والإحسان، وهي الصفات الثلاث التي يقول جماعة من المؤرخين المنصفين إنها لم تجتمع في التاريخ كما اجتمعتْ في ظل قيادة الإسلام.!

وكان الصالحون من الخلفاء على نهج الرسول محمدٍ ﷺ، ينشرون الإسلام ويدعون إليه ويفتحون بهذا الدين بلاد العالم، كانت فتوحاتهم وتوسعاتهم مثالا فريدا في التاريخ، لم تكن لدوافع اقتصادية ولا سياسية توسّعية للسيطرة ولقضاء الشهوات ولا للانتقام.. وإنما كانت لنشر الدين الحق والخير الذي جاءت به رسالة محمدٍ ﷺ وإيصاله إلى المستضعفين، ثم ترك الحرية لهم في أن يعتنقوه بعد ذلك أو يرفضوه، بعد أن يتحرروا من كل قوة تمنعهم من الاختيار.

ثم ضعفتْ دولة المسلمين وانحدرت بأسباب كثيرة: الغرور، والاغترار بمجرد الأسماء والألقاب والدعاوى، والانغماس في الشهوات.. وغير ذلك مما يصيب الأمم من الأمراض..! ولكنها رغم كل الضعف والانحطاط الذي أصابها، لا زالت في مجملها -كأمة- باقية صامدة على نفس المبادئ والأصول والأطر والتشريعات التي جاء بها نبيها محمد ﷺ وهي تشهد اليوم نهضة قوية؛ بعد أن نشأ فيها مصلحون أقوياء من أبنائها، وبعد أن ذاقت مرارة العدوان والظلم والقهر من بعض الأوروبيين خاصة، وبعد أن تفطّنت لواقعها وحالها وإلى ما حولها من العالم، وأدركت أنها غفلت كثيرا وتخلفت في ميدان سباق الأمم؛ فجعلت تنفض عن نفسها غبار السنين، وتتململ للقيام والنهوض والعودة إلى المنافسة وإلى القيادة، وقد عرفت أن عزّها وشرفها وقوتها وسعادتها في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة هي في التمسك بدينها وما يدعوها إليه دينها من الفضائل والأخلاق والقيم الخيِّرة الحميدة.!

❖ نظرة في دعوة محمد ﷺ:

جاء محمد ﷺ إلى الناس يقول لهم: إني رسول الله إليكم جميعا، بدين الله ﷻ، وهو الإسلام، وهو نفسه دين كل الأنبياء الذين بعثهم الله ﷻ قبلي. يقول: فنحن الأنبياء كلنا إخوة، كلنا رسل الله ﷺ، ديننا واحد لا يختلف، وهو توحيد الله، أي عبادة الله وحده لا شريك له، لا نعبد أحدًا غيره ولا معه، بل نكفر بكل معبودٍ سواه، فإن كل ما عُبد سواه فهو معبودٌ بالباطل، لا يستحق العبادة.. إن الله ﷻ هو وحده الحقيق بالعبادة، لا يشاركه في ذلك أحد.

هذا هو ديني ورسالتي، في أصلها، وهي دين كل الأنبياء والرسل قبلي لا فرق، فهو يدعو الناس إلى الإيمان بجميع رسل الله ﷺ وجميع كتبه، وألا يفرقوا بينها فيؤمنوا ببعضها ويكفروا ببعض.! بل يؤمنوا بأنها كلها حق وكلها من عند الله. كل الرسل هذا دينهم وهذه دعوتهم إلى الناس: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا.

وأما التشريعات والأحكام والقوانين: فهي قد تختلف من رسالة نبيّ إلى رسالة نبيّ آخر؛ على سبيل المثال: في العبادات من صلاة وصيام وصدقة وغير ذلك، تختلف الأحكام من رسالة إلى رسالة، في كيفية تلك العبادات وفي أوقاتها وفي عددها ومقاديرها وهكذا.. وكذلك في التحليل والتحريم: تختلف بعض الأحكام من رسالة إلى رسالة، قد يحرّم الله شيئا على قومٍ في رسالةٍ ولا يحرّمه على قومٍ آخرين في رسالة نبيّهم، والله ﷻ هو الحكيم الحكمة الكاملة، وهو يريد بنا الخير والصلاح ويريد لنا الرحمة والسعادة، وكان الأنبياء سابقا كل نبيّ يرسله الله إلى قومه.. فجاء محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة.. يقول: أنا رسول الله الأخير بالرسالة الأخيرة إلى الناس أجمعين بجميع أجناسهم في كل أقطار الأرض إلى انتهاء الدنيا وفنائها.

فرسالتي -لأنها خاتمة الرسالات، ليس بعدها رسالة- فإنها أكمل الرسائل، وأوسعها وأشملها، وأكثرها تفصيلا، وأيسرها، وأكثرها تضمنا لصفات الكمال. فكل مخلوق على وجه الأرض مدعوّ إلى الإيمان بمحمدٍ ﷺ، وبرسالته التي بعثه الله بها.

يجب على كل إنسان أن يؤمن به وبما جاء به ويتبعه، ويكون مسلمًا.. ولا يقبل الله من أحدٍ شيئا غير ذلك، **لا يمكن لأتباع عيسى أن يقولوا: نحن أتباع عيسى، ويكفينا اتباعنا لعيسى وشريعته.!!** لأنهم بذلك يكونون قد كفروا بمحمدٍ ﷺ وكذّبوه. ومن كفر بنبيّ من أنبياء الله ورسله فقد كفر بالله ﷻ الذي أرسله.

ليس لك أيها الإنسان المخلوق الضعيف العاجز أن تردّ رسالة الله وترفضها، وأن تقول لا أقبل هذا الرسول أو هذه الرسالة.!

فأنت بين أمرين: إما أن تؤمن بمحمدٍ ﷺ وتصدق أنه رسول الله، فتتبعه وتأخذ كل ما جاء به، وهو يقول لك: إن هذه الرسالة من الله هي الرسالة الخاتمة، فكل ما خالفها فهو ملغيّ، ولا يقبل الله من الناس إلا التعبُّد على وَفْقَهَا[1] فقط. وإما أن تكفر به وتكذبه، وتقول هو كاذبٌ، لم يرسله الله ولا

---

(١) بفتح الواو -كما في دواوين اللّغة-، ولم يرد الكسر -كما يشاع-، وهي مصدر (وفق يفق)، وتعني: الموافقة والملاءمة والمطابقة.

أمره بشيء..! **في الحالة الثانية، أنت بين حالين:**

إما أنك لا تريد الهدى ولا تبحث عنه ولا يهمّك، وإنما كل انشغالك وكل اهتمامك وطموحك هو في شهوتك ولعبك وما تعيشه من همومك الدنيوية والمادية الراهنة فقط، ومثلك غالبا لا يستيقظ من غفلته وسكرته إلا بالموت، وعندها لن ينفعك الاستيقاظ لأن وقت الامتحان يكون قد انتهى..!

ومثل هذا النوع من الناس، يستحقون الغضب والعذاب من الله العزيز القهار، وهم أهل النار.

وإما أن تقول: بحثتُ ونظرتُ فلم أجد دليلا على أنه رسول الله.. فنقول لك: وهل وجدتَ دليلا على نبوّة عيسى أو على أنه كما يدّعي قومك: ابن الله؟ تعالى الله عن ذلك.! إن أي دليل يمكن أن تثبتَ به نبوّة أي نبيّ من الأنبياء الذين تؤمن بهم، فمحمدٌ ﷺ أولى به وأحرى.

سل نفسك مثلا: هل تثبت نبوة نوحٍ أو إبراهيم أو موسى أو داود أو سليمان أو عيسى (أو مَن تؤمن بنبوّته منهم)؟ وكيف أثبتّها؟ فإن أثبتّها، فنقول لك: نفس هذا الدليل يدل على نبوة محمد ﷺ بطريق الأولى، ثم نقول لك: انظر في الأدلة والبراهين على أنه رسول الله حقا، وابحث وادرس إذا كان الأمر يهمك، وإذا كنت ممن تبحث عن فلاحك ونجاحك في الحياة الحقيقية: انظر في معجزته الخالدة وهي القرآن واقرأه وافهم ما فيه من الهداية والنور، وأجب بعدها على السؤال هل هذا كلام بشر؟ هل يمكن أن يضع هذا إنسان؟ وانظر إلى هذه الشريعة التي جاء بها، انظر إليه بأي شيء يأمر وعن أي شيء ينهى، انظر إلى الحكمة والخير والعدل والصلاح في دينه وشريعته، انظر إلى توافقها مع العقل السليم والمنطق ومع ما تعرفه النفوس السوية غير المنحرفة ومع ما جاء به الأنبياء قبله، انظر إلى تاريخه وتاريخ أمته وما فيهم من الخير والصلاح والطهارة والعلم والحكمة والبرّ والفضيلة...!

❖ لبُّ القضية:

إن الإسلام يقول للناس: إن هذه الحياة التي نحياها (يسميها الحياة الدنيا، والدار الأولى) هي دار فناء وزوال وليست دار بقاء، بمعنى إننا لم نخلق لنبقى فيها، بل خُلقنا لنمر فيها مرورا ونعبُرها عبورًا ونُمتَحَنَ فيها بالتكاليف بالأوامر الإلهية، وأما الدار التي هي دار البقاء الأبدي غير المنتهي فهي الدار الآخرة، وهي التي تكون بعد الموت والبعث، فالناس فيها إما في نعيم مقيم وإما في عذاب أليم دائم..

إنها حقيقة الاختبار والامتحان والتكليف.. نحن خلقنا الله وأوجدنا في هذه الدنيا وأوجدها لنا ليمتحننا: مَن الذي يعبده وحده لا شريك له، ويطيعه ويتبع رسله وكتبه، ومن الذي لا يهتم لذلك وكأنه لا يعنيه.! هذه هي الحقيقة الكبرى؛ فأنت إذا فهمت ذلك سترتاح وستعرف حقيقة الأمر.. لن

تتعب كثيرا في الوصول إلى حقيقة الدين الحق الذي يحبه الله ويرضاه، ولن تغرّك هذه الدار، ولن تخدعك هذه الدنيا وما فيها من مُتَع.

ستعرف مثلا الآتي: عند الله ﷻ، وعند العقلاء المؤمنين من خلقه أجمعين أن إنسانًا مسلمًا فقيرا يعيش في صحاري أفريقيا، متخلف بكل معايير التخلف في عالمنا اليوم، يموت هناك جراء المجاعة والعوز والمرض، يموت وهو على دين الحق، هو خيرٌ من مليوني كافر بمحمدٍ لا يؤمن بدين الإسلام يعيش في اسكندنافيا أو في لوس أنجلوس يملك من الدنيا كل لذة يعرفها البشر، ثم يموت على غير دين الحق..! ومع ذلك فالإسلام لا يقول لك: كن متخلفا ولا فقيرا ولا متْ من المجاعة والمرض، بل يقول لك كن قويّا كاملًا سليما.. ولا يطلب منك أن تتنحّى عن مالك أو مُلكِك..!

إن العبرة بالباقي المستمر، وأما الزائل فهو في الحقيقة كالقيمة المهملة في الحساب.

إن المقياس هو ما يرضي الله ﷻ، لا ما نقترحه نحن بعقولنا.. إن عقولنا هي نعمة من الله أعطانا إياها لنصل بها إلى الصلاح والخير ونعرف بها ما يريد الله ﷻ منا، فإذا نحن استعملناها لنعارض ما أمرنا الله به صريحا، فقد استعملناها استعمالا غير مشروع، ويؤدي إلى نتيجة غير صحيحة.

❖ ما الذي يمنعك من الدخول في دين الإسلام؟

أحدهم يقول: أنا على دينٍ، وهو دين آبائي وأجدادي وهو ديننا نحن منذ قرون...! فيقول لك الإسلام: ما رأيك لو جئناك بشيء أهدى وأحسن وأفضل وأصلح من الدين الذي أنت عليه والذي وجدت عليه آباءك وقومك منذ عصور؟

هل أنت تبحث عن الحق، وعن الأفضل والأحسن، وعن الذي تفوز به وتربح وتنجح، أو أنت تراها قضية «هذا لنا، وهذه هويّتنا»، فقط لا غير؟! يمكن أن يكون آباؤك وقومك كانوا مخطئين..!

نعم، هذا ممكن وإلا لماذا تقول أنت عن المسلمين إنهم كلهم مخطئون؟ ولماذا بعث الله الرسل وأهلك أقواما كثيرين في التاريخ؟ دعك من شيء اسمه «دين آبائي وأجدادي وقومي وشعبي».. تحرّر من هذا كله، وانطلق وابحث وستجد.!

وآخر يقول: الإسلام دين تخلف..! وهذا بنى كلامه على ما يراه من حال المسلمين، وهذا البناء خطأ؛ فإن المسلمين كانوا حاملي مشعل الحضارة والمدنية والتقدم العمراني والتكنولوجي عندما كانوا متمسّكين بدينهم، لأن دين الإسلام يحثّهم على العلم والتعليم والتعلم وكل حكمة ونشاط وبحث مفيد، والأخذ بكل الأسباب الممكنة للقوة والرفعة والكرامة، ويحذرهم من الكسل والجهل

والتضييع.

كيف يمكن لمنصفٍ باحثٍ عن الحقيقة أن يقول إن الإسلام دين تخلّفٍ، إذا عرفَ أن أوروبا التي كانت ترزح تحت أثقال الجهل والقهر والظلم المطبق وجبروت الملوك والإقطاعيين والقساوسة في عصورها المظلمة، إنما تنوّرت بما وصل إليها من أشعة دين الإسلام وحضارة الإسلام عبر نقاط التماس الجغرافية والثقافية في أسبانيا والمغرب وصقلية والأنضول والشام وغيرها؟!

هل عرفت أوروبا التشريع والقانون وطرائق البحث والرصد والتحليل إلا مما وصل إليها من العرب المسلمين عبر تلك النقاط؟

الباحثون لا يزالون إلى اليوم يقولون إن القوانين والتشريعات الفرنسية والإسبانية والسويسرية فيها بصمات الفقه المالكيّ الإسلامي الذي كان هو المدرسة الإسلامية السائدة في الأندلس والمغرب الإسلاميين أيام عزّ المسلمين.!!

عندما كان المسلمون يقيمون حضارة عملاقة في التاريخ على أرض الأندلس (أسبانيا) هل كانوا متخلّفين؟ هذا هو القريب منك في أوروبا.. وأما غيرها فكثير.. نعم.. الإسلام لا يقول للناس اجعلوا همكم شهواتكم وملذاتكم، واجتهدوا في اللعب مدى حياتكم وفي استغلال كل وقتكم في المتعة قدر ما تستطيعون..!

الإسلام لا يقول ذلك.. ولكن يقول: خذوا من شهوتكم ومن المتعة ما أباح الله لكم وهو خير كثير وفيه كفاية، واجعلوا منها مُعينا لكم على الوصول إلى هدفكم، واجعلوا الوصول إلى ذلك الهدف أكبر همكم والأولوية عندكم، وهو أن تعبدوا الله وتطيعوه وتستعدوا للقدوم إليه يوم البعث وأنتم مطيعون له، فيكون عنكم راضيا.

فيا من تريد الخير لنفسك دعك من تخلف المسلمين، واهتمّ بنفسك، أين أنت من الحق والحقيقة؟ لماذا أنتَ موجود؟ ومن الذي خلقك؟ ولماذا؟

وإلى أين ستذهب بعد الموت؟ أنت في النهاية تستطيع أن تكون مسلما وتكون متقدما إن شئتَ..

فكن أنت المسلم المتقدّم ما دمتَ لا تحب التخلف الذي عليه المسلمون..!

وأخرى تقول: الإسلام عدوّ المرأة وحقوقها وحريتها..!

أولًا: يقول لها الإسلام: إما أن تؤمني بالله ﷻ وكتبه ورسله.

وهذا معناه الخضوع لكل ما جاء به رسول الله. وإما أن تقولي لا أريد ما جاء به رسل الله وتريحينا..!

إذا كانت المسألة هي معرفة ما أمر الله به وما أجازه لنا وحدود شرائعه، فنلتزم بها، فهذا سهل.

وأما إن كنتِ لا تريدين إلا شهوتكِ ومتعتكِ وما تعوّدتِ عليه من أوضاعٍ، وما اكتسبتيه من ميزات كلها من قبيل الشهوة والمتعة، وتريدين أن تفرضي ذلك على دين الله، فلن تستفيدي شيئا، وستتعبين نفسك..! ستغوين الكثيرات من بني جنسك فيتبعْنَكِ..! هذا ممكن..

لكن بعد ذلك: أنت إلى أين تذهبين؟ أين فلانة وفلانة وفلانة؟ اسألي نفسك وتدبّري..

وهل ما تسعين إليه مما تسمينه حرية المرأة وحقوقها.. هل هو صلاح للمرأة وللجنس البشريّ؟ هل هو الصلاح والحكمة والخير؟ أم أن الصلاح والخير شيء آخر..؟

وثانيا: هذا فهم خاطئ للإسلام، فالإسلام ليس عدوًا للمرأة كما إنه ليس عدوًا للرجل، بل جاء لصلاحهما وسعادتهما في الدنيا والآخرة، وأعطى كلًا منهما ما هو خير له وصلاح من الحقوق وكلف كلًا منهما بما يستطيعه ويناسبه وينصلح به هو ومجتمعه من الواجبات؛ فعن أي عداوة تتكلمين..؟ هذا ظلم وجهل..!

أليس الإسلام هو الذي كرّم المرأة وصانها وحفظها وحررها كما حرر الرجل من ظلمات الشرك والجهل والخرافة والهوى وتحكم المخلوقين وقهرهم؟

أليس الإسلام هو الذي جعلها شقيقة الرجال، وأعلى مقامها ونوّه بذكرها..

انظري نماذج النساء في الإسلام لتعلمي عن أي إسلام وعن أي امرأة تتكلمين.

وثالثا: هل أنت بحثتِ عن الدين الحق ونظرتِ وتفكرتِ وتأملتِ، فوجدتِ الإسلام هو دين الحق، وإنما أشكل عليك موضوع المرأة فقط؟ هل هي هذه المسألة الوحيدة التي لم تعجبكِ..؟ أو أنه الدين كله..؟

اطرحي على نفسك هذا السؤال فإنه مفيد؛ فإن كانت هذه هي المسألة الوحيدة، فالعقل والحكمة يقولان لك: لا تردّي هذا الدين وتكفري به بسبب مسألة واحدة أشكلت عليك ولم تعجبك، ولعل لها جوابًا أنت لم تصلي إليه بعد، ولعلك فهمتِها بشكل خاطئ، ولعلك لم تقتنعي بها لأسباب أخرى ذاتية مؤثرة فيك مثل ما تعوّدتِ عليه وما تطبّعت عليه من الموروثات والمواضَعات وما شابه ذلك، ولعله استصعاب مخالفة ما عليه الناس مهما كان، ولعله ولعله ولعله... فمن العدل أن تتمسكي بهذا الدين ما دُمتِ قد اهتديتِ إليه وعرفتِ أنه دين الله الحق، وانتظري لعل هذا الإشكال في تلك المسألة ينحل مع الزمن. واضرعي إلى الله أن يفتح عليك ويهديكِ.

❖ نداء إلى الغافلين..

يا هؤلاء؛ من أراد منكم أن يسمع فليسمع: إنكم في عماية وغِشاوة بسبب ما أنتم فيه من الترف وبسبب عيشكم في دول قوية وأنظمة سياسية واقتصادية متماسكة وهي عوارض تذهب وتجيء.. وبسبب رؤيتكم لضعف المسلمين وتخلفهم الحياتيّ، وبسبب نظرتكم القاصرة للوجود، واقتصاركم فقط على هذه الحياة الدنيا.. ولكن هذا ليس كل شيء!!

اخرجوا من هذا القفص، وأفيقوا من هذه السكرة وستجدون الحقيقة.

واسألوا أنفسكم: لو كان للإسلام دولة قوية متفوقة غنيّة مترفّهة مسيطرة على العالم، هل ستدخلون الإسلام؟ نعم، كثيرون منكم كذلك سيفعلون..!

فلا تجعلوا ذلك ميزانكم ومقياسكم، بل عليكم بالحق، فإنه هو الباقي، وصاحبه هو الفائز السعيد في النهاية.

نسأل الله لكم الهداية

بقلم/ **عطية الله**

٢٧/ ١/ ٢٠٠٦

❋ ❋ ❋





اللقاء المفتوح مع الشيخ عطية الله

في





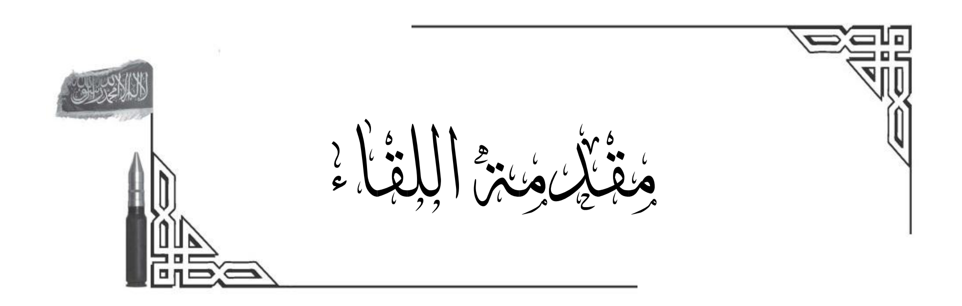


تم نشرها في المنتديات الجهادية

من قبل «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»

جمادى الأولى - شعبان

١٤٢٧



مقدمة اللقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

[كُتِبَت هذه المقدمة قبل ورود نبإ مقتل أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله، وهي المقدمة الأصلية للأجوبة]

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدهِ الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب].

إخواني الأحباب مشرفي وأعضاء «شبكة الحسبة» الطيبة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نسأل الله تعالى أن يجعل لقاءنا هذا لقاء مباركا طيبا نافعا، وأن يجعله لنا له لا علينا، وأن يجعل تفرقنا من بعده تفرقا مرحوما مشمولا بستره وعفوه ﷻ.

في البدء، أشكر الإخوة الكرام مشرفي الشبكة على دعوتهم الكريمة وثقتهم وحسن ظنهم بأخيهم الضعيف، وأسأل الله تعالى لهم الإعانة والتوفيق والحفظ والتأييد، إنه وليٌّ كريم.

ونسأله تعالى أن يبارك في هذا الصرح الدعوي العلميّ الإعلاميّ الجهادي «الحسبة» بمنه وكرمه، ووالله إنا نراه من العمل الصالح الكبير النفع؛ فتقبل الله منكم أيها الأبطال، وأبشروا إن شاء الله بموعود الله تعالى بالأجر الجزيل والثواب العظيم، فاستعينوا بالله واصبروا، واصدقوا الله تعالى وله أخلصوا؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[آل عمران]،

﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[العنكبوت]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت].

ونسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ووحدانيته، وباسمه «السلام» واسمه «اللطيف» أن يفرج عن أخينا الشيخ «محتسب»[1]، وأن يربط على قلبه ويثبّته وينصره على من بغى عليه، وأن يسلّمه من شرهم، ويفرج عن أهل بيته أجمعين، وأن يهلك الطغاة الظالمين الجبارين الماكرين المكرَ السيء، المحاربين لله ودينه وأوليائه، إنه هو القاهر فوق عباده وهو العزيز الحكيم.. آمين.

وأشكر جميع الإخوة الأحباب على حفاوتهم وحسن ظنهم، وأسأل الله تعالى أن يعينني على إفادتهم بما أعلم، وأن يجنّبنا وإياهم الخطأ، وأن يرزقنا الهدى والسداد، وأرجو ألا يكونوا قد استسمنوا ورمًا..! فوالله إننا ضعفاء ولسنا بشيء، ولكن ماذا نصنع وقد احتاج الناس إلى مثلنا؟! في وقتٍ قل فيه الناصح والمعلم المعين، الآخذ بأيدي الشباب، وقد غيّبت السجون العلماء الصدّاعين بالحق، واخترمت أقدار الله تعالى من نفذه الأجل منهم، فأين الشيخ «العقلاء»؟ وأين تلاميذه الألمعيةُ النبلاء؟ وأين فارس الميدان «العلوان»؟ وأمثالهم؟ المسجون معطّل..! والمعافى خائفٌ مضطهد مروّع..! وساحات الجهاد تبكي فقد العلماء، وتشكو إلى الله نفورهم عنها لا نفيرهم إليها.!! وشباب الإسلام الناهض للمكرمات، المُجِدّ في رقيّ درج العزمات، المسابق إلى بذل المهج على عتبات الجنات، يتلفّت حواليه فلا يجد المعين من مشايخ العلم والدين، إلا من رحم رب العالمين، بل ربما وجد الصد والصدود، والتثريب والنكران والجحود.!! فإلى الله المشتكى..! وحسبنا الله ونعم الوكيل.. نسأله تعالى أن يصلح بلطفه ورحمته أحوالنا.

وهذه واحدة من أكبر مشكلاتنا ومآسينا، ولا بد أن نتلطّف ونستعين بالله في حلّ عقدتها وتفريج كربتها، وسيأتي مزيد الكلام عليها في مناسباته من الأسئلة إن شاء الله، ونحن مع ذلك كله متفائلون مستبشرون، وبوعد الله تعالى مؤمنون موقنون، ولا يزال الله ﷻ بلطفه ورحمته يفتح لنا من أبواب الأمل، ويربّينا بالرجاء وبوارق الفرَج، وكلما أوقد الكفار للحرب نارًا أطفأها الله، وكلما أغلقوا بمكرهم الكبّار بابًا، فتح الفتّاح العليم بإزائه أبوابًا من الرزق والإنعام والرحمة والإحسان، وها هي تباشير النصر والفتح تتوالى من كل أفق؛ من أفغانستان والعراق والصومال والصحراء وغيرها.

وهي هي قلاع الصمود، ومنابع الإمداد بالثبات والعزم الرشيد، والمباني التحتية للرجولة والعزة

---

(١) هو مؤسس «شبكة الحسبة الإسلامية» الجهادية، ومشرفها العام، اعتقل في قرابة عام ٢٠٠٥ مع عدد من إخوانه؛ فك الله أسرهم.



في الأمة، قائمة شامخة في الشيشان وفلسطين وكشمير وغيرها، بل وفي جوانتنامو وإخوانه ووراء قضبان سجون الطواغيت في بلاد المسلمين غربًا وشرقًا.. نسأل الله تعالى أن يفرّج عن إخواننا جميعا في كل مكان، وأن يربط على قلوبهم ويثبّتهم وينصرهم ويجعلهم من أبطال هذه الأمة وصالحيها.

والعدوّ يتلقى الضربات، وتتفتق عليه الأزمات بقدرة الله تعالى وقوته، ويزداد كل يومٍ بُعدًا عن أسباب تمكنه وسيطرته: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾[الأنفال]، وإن شاء الله -أيها الإخوة- إنما هي مرحلة فيها صعوبة وشدة وبأساء، وهي فتنةٌ وأيامُ خوفٍ وقهر؛ تحتاج من الرجال القدوات إلى صبرٍ ومصابرة وثبات، ثم تنحلّ بإذن الله وتنفرج بحول العزيز الغفّار الأول الآخر الظاهر الباطن، الفعّال لما يريد الذي يخفض القسط ويرفعه، والذي ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾[الرحمن]، فتنقلب تلك الشدائد لأهلها سعدًا ومجدًا، ويجعلهم الله ﷻ -بالصبر واليقين- للناس أئمة، ويرفع ذكرهم ويعلي قدرهم، ويُريهم ويُري غيرهم من دلائل إنجاز وعده ما: يؤوب معه البعيد.. ويفيء النافر.. ويرجع الغائب.. ويلحق المقصر.. ويعزم الحائرُ المتردد.. ويتشجّع الضعيف الخائر.. وفي كل خيرٌ إن شاء الله..!!

وإنما الفائزون حقا هم السابقون: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾[الحديد].

(دعوا لي أصحابي، فوالله لو أنفق أحدكم ملء أحدٍ ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه)[(١)].

فمزيدا من الصبر والمصابرة والثبات؛ فإن النصر مع الصبر وإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا، والحمد لله رب العالمين.

هذا، وقد ترددتُ كثيرا في عقد هذا اللقاء مع الإخوة عندما جاءني العرض، ثم شاورت واستخرت؛ فيسر الله الإقدام، وشرح الله الصدر للإتمام.. فاللهم اشرح لي صدري، ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللّهم إنا نسألك علما نافعا، وعملا صالحا متقبلا، وسترًا جميلا في الدنيا والآخرة، يا حيّ يا قيّوم برحمتك نستغيث؛ فأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفةَ عين.

ويا أيها الإخوة الكرام، إن الأسئلة كثيرة كما ترون..! وإن أخاكم الذي تسألون ليس هو شيخ الإسلام وحافظ الدنيا ومفتي الأنام.!! فأربعوا على أنفسكم وارفقوا بأخيكم، بارك الله فينا وفيكم،

---

(١) أصله عند البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) بلفظ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم..) وعند مسلم (٢٥٤٠) بلفظ: (.. فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم..)، وقد ساقه الشيخ بمعناه، وهو صحيح.

وبعض الإخوة يسأل أسئلة هي مسائل كبيرة وقضايا خطيرة، ثم يريد الجواب عليها تفصيلا وتدليلًا، وذلك أيها الأحباب شيء شاق وصعب، ويحتاج إلى تفرّغ وبحث وتسويد ثم تبييض، ومراجعة ومذاكرة ومشاورة..!

وقد قيل: «من ألَّف فقد استُهدِف»(١)، أي جعل نفسه هدفًا؛ هذا في التأليف على تؤدة وروية، فكيف بإجابة مثل هذه الأسئلة على ما يشبه الارتجال؟! فأقيموا العذر أيها الإخوان.. فقد لا يمكن الكثير من التحرير والتفصيل والتطويل.. ونحن نفيد بما عندنا وننصح ونعلِّم ونفهِّم بما أرانا الله؛ فمن رأى خيرا فليحمد الله تعالى وليتمسّك به، ومن رأى زللًا فليجتنبه وليستعمل الستر والعفو.

وأنا إن شاء الله تعالى سأجيب على ما أعرف من الأسئلة، وما لا أعرف جوابه فربما تركته، وربما تكلمت حوله بما يفيد ويقرّب وإن لم يكن جوابا بمعنى الجواب؛ فإنه رب إحجام أنفع من إقدام، ورُبَّ كلمةٍ طيبة في تصحيح سؤال أو توجيه فكر وتقويم مقال خير من جواب، لا سيما وأكثر الأسئلة مركّب من قضايا، وكثير منها في مسائل فيها تعقيد، ويتحيّر فيها العقلاء، ويتردد فيها الكمَّل الألِبَّاء؛ أفيحسن مع ذلك أن نتقحّمها نحن الضعفاء، والله المستعان.

وقد رأيت أن أصنِّف الأسئلة على محاور أساسية تحتها عناوين فرعية؛ فأجمع في كل محور ما ناسبه من الأسئلة بالمكرر منها، في الغالب، لكي لا أهمل سؤال أي أخ من الإخوة، واحتجتُ من أجل ذلك -في كثيرٍ من الأحيان- إلى أن أفرّق أسئلة السائل الواحد وأوزّعها على عدة محاور بحسب مناسبتها.

وربما تركت ذلك أحيانا لأنه مكرر أو تغليبا للأغلب أو لعلة أخرى.. فإن شاء الله سنهتم بكل الأسئلة، ولن نهمل منها شيئًا قدر الإمكان، كرامة لإخواننا الأحباب، وإيفاءً لحقهم علينا، سائلين اللهَ الإعانة؛ فمن لم يجد بعض أسئلته وجوابها في محلها المظنون، فليبحث عنها بواسطة اسمه في المحاور الأخرى؛ فربما جاءت الفائدة في غير مظانها.!

وسأجتهد في إكمال الإجابة وإنزالها على دفعات إن شاء الله تعالى، والمعذرة إن حصل بعض التأخر؛ فالمشاغل أخَّاذة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبالله التوفيق، والإخوة الكرام الذين دخلوا للسلام والإخبار بالمحبة، فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وأحبّكم الله الذي أحببتموني له، وجزاكم الله خيرا، وأنالكم الله ما تمنّيتم من الخير في الدارين.. آمين.

واسمحوا لي قبل الشروع في الأجوبة أن أذكّر على وجه مختصر سريع ببعض القواعد والآداب، على

---

(١) قال ذلك: عبد الله ابن المقفع، ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر (١ / ٥٢).

أمل أن نزيدها أو بعضها إيضاحا في مناسباتها من الأجوبة بتيسير الله تعالى:

الأولى: ينبغي قطع الطمع عن الوصول إلى اليقين في كل مسألة، أعني مسائل الخلاف والاجتهاد، فإن الكثير من مسائل الدين -بل أكثرها- مبنيّ على غلبة الظن، وعلى الاجتهاد، وسبيل المعرفة به الاستدلال؛ فمَن يحاول -في كل مسألة، أو أكثر المسائل- الوصول إلى قطعٍ ويقين أو يتوهّم أنه يمكنه أن يستولي على علم كل الدقائق ولا يكون عنده مجال لأي تردد؛ فهو مخطئ، وسيتعب كثيرا.. وأخطر ما في الأمر أنه يُخشى عليه الفتنة والضلال.! وسيأتي مزيد إيضاح لهذا الأمر في مناسباته إن شاء الله.

الثانية: وهي مكملة للأولى، وهي وجوب التفريق بين المسائل، وإنزال كل مسألة منزلتها، بالقسط، وإعطائها درجتها من حيث قوة الحكم وثبوته ووضوحه، وفي كل ما ينبنى على ذلك.

الثالثة: لزوم التفقه في باب «فقه الخلاف»[1] وآدابه.

الرابعة: الاشتغال بما ينبني عليه العمل، وترك ما سواه.

الخامسة: معرفة فقه الأولويات، وقدِّم الأهم..!

السادسة: أهمية معرفة التجارب والعبر والتاريخ وفقه الاستفادة منها، ومعرفة حدود ذلك وآدابه.

وسنتكلم على بعض هذه الأشياء مفرّقة إن شاء الله في مناسباتها، والله المسؤول لنا ولكم التوفيق إلى كل علم نافع وعمل صالح، وقد حلّ الآن الشروعُ في الأجوبة، متوكلين على الله تعالى وحده:

والمحاور الأساسية للأجوبة هي:

- حول المسيرة الجهادية بوجهٍ عام.
- الجهاد في الجزائر والصحراء والمغرب العربي الإسلامي
- الجهاد في العراق وجزيرة العرب وما قاربها.
- فلسطين وحماس، والشام.
- أفغانستان وطالبان وباكستان وما قاربها.
- الجهاد في دارفور والسودان والصومال وما يليها.
- العلماء

(١) انظر في «فقه الخلاف» الرسائل التالية: رفع الملام عن الأئمة الأعلام (في أسباب الخلاف بين الأئمة في المذاهب الفقهية)؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقه الائتلاف؛ لمحمود الخزندار.

- الإعلام الإسلامي الجهادي
- مسائل في فقه الجهاد
- متفرقات

[وبعد كتابة هذه المقدمة، بلغنا وبلغ العالم أجمع يوم الخميس ١٢ من جمادى الأولى لسنة ١٤٢٧هـ الموافق لـ ٨ يونيو ٢٠٠٦م مقتل القائد الكبير وأحد شيوخ الإسلام في هذا الزمن، وأحد سيوف الله المسلولة على الكفرة أعداء الدين، الشيخ أبي مصعب الزرقاوي ﷺ وتقبله في الشهداء وأعلى في عليين منزلته، فالحمد لله على ما قضى وقدّر، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرا منها، ووالله إن المصاب به لعظيم، وإن فقده لجسيم، إنه رجلٌ لا أقول بألف رجل، بل والله لو حلفتُ أنه بمليونِ رجلٍ لرجوت أن أكون باراً، وإن عزاءنا في فتية الإسلام أحباب أبي مصعب وأسامة، السائرين على منهاج كتاب يهدي وسيف يحمي، المتعلّقين برب العباد، فنسأل الله أن يبارك عقب أبي مصعب وأثره.. والحمد لله رب العالمين][1].

---

(١) كتب الشيخ عطية الله ﷺ بيانًا يرثي فيه الشيخ أبي مصعب الزرقاوي ﷺ بعد استشهاده، وهاك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

«عظم الله أجرنا وأجركم في شيخ الإسلام الزرقاوي»

الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم اؤجرنا في مصيبتا واخلف لنا خيرا منها، والله إن القلب وليحزن وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا. اللّهم ارحم عبدك أحمد أبا مصعب، وتقبّله في الشهداء، وارفع درجته يا ذا المعارج يا رب العالمين، اللّهم إنا نشهد أنا ما علمنا إلا أنه كان يحب الله ورسوله، وينصر دينك الحق، اللّهم وبارك في دمائه وأشلائه، وفي أثره، اللّهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، وثبّتنا على صراطك المستقيم، حتى ننال الشهادة كما نحسبه قد نال، اللّهم اجمعنا به وبسائر شهدائنا وصالحينا، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، تحت لواء نبيك محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

ويا شباب الإسلام: فلتصبروا ولتحتسبوا، واستعينوا بالله تعالى وتوكلوا عليه؛ فالله مولانا وناصرنا، نعم المولى ونعم النصير.. إن أبا مصعب قد أدى ما عليه، واختاره الله واختار له الخير إن شاء الله، وقد أحيى الله به من الأمة ما شاء الله؛ نحسبه كذلك والله

والله ﷻ نسأل الإعانة والهداية، إنه كريم قريب مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية

Global Islamic Media Front

والله أكبر، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون

رصد لأخبار المجاهدين وتحريض للمؤمنين

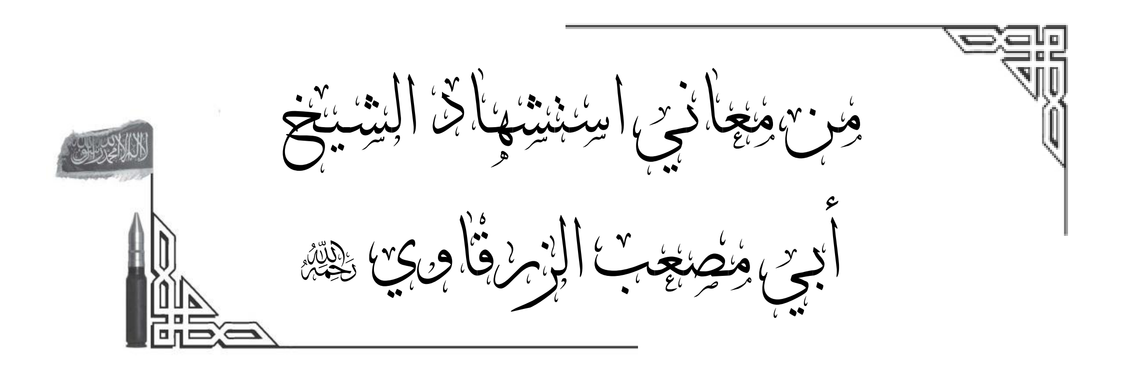
❋ ❋ ❋

حسيبه، فكونوا مثله وخيرًا منه، وشدوا المآزر واشحذوا العزائم، وأبشروا بالخير الكثير والنصر والفتح المبين، وإن استشهاد الشيخ أبي مصعب لهو انتصار له ولمنهجه، منهج التوحيد والجهاد في سبيل الله، والطائفة المنصورة؛ فويلٌ لأعداء الله.. ويل للزنادقة الخائنين، والصليبيين الحاقدين، واليهود الملاعين، والرافضة المارقين.. ويلٌ لهم ويلٌ لهم..! ونقول لهم: خبتم وخسرتم، ولقد أبقى الله لكم ما يسوؤكم يا أعداء الله، وإنا كلنا الزرقاوي، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

والحمد لله رب العالمين

عطية الله

الخميس ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ



﴿ماذا بعد استشهاد الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاويِّ رحمه الله﴾

❁ استشهاد الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاوي(1).. ماذا بعد؟

فقد تلقينا النبأ الجليل العظيم اليوم فاحتارت الأذهان.. وشلَّت الأركان.. وتلعثم اللسان.. فما عرفنا ما نقول أو عن أي شيءٍ نَسْكُت إلا من قول «إنا لله وإنا إليه راجعون».. اللهم آجرنا في مصيبتنا هذه وأبدلنا خيرا منها..

فيا ليت -يا شيخنا الفاضل- لو تتكرم علينا بكلمات؛ تشرح لنا فيها حكمة الإله الكريم الرحيم في أخذ بعض القادة شهداء في أزمنة معينة؛ قد تبدو لأول وهلة أنها الكاسرة التي لا قيام بعدها، وكيف يكون في شهادتهم زيادة نصر للأمة؟!.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه وجنده، وبعد..

فإن لله ما أخذ وله ما أبقى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى.

والحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم اؤجرنا في مصيبتنا، وأخلف لنا خيرا منها، نعزّي أنفسنا وأنفسكم ونعزي الشيخ أبا عبد الله أسامة بن لادن والشيخ أيمن الظواهري، والملا أمير المؤمنين محمد عمر مجاهد، والملا داد الله، وسائر إخوانهم من قيادات المجاهدين، بمقتل أخينا وحبيبنا الشيخ

(1) أبو مصعب الزرقاوي: أحمد فاضل نزال الخلايلة (١٩٩٦ - ٢٠٠٦ م) من عشيرة بنو الحسن في الأردن، لقب بالزرقاوي نسبة لمدينة الزرقاء الأردنية التي كان يعيش فيها -في حي معصوم- جاهد في أفغانستان نهاية الثمانينات ومطلع التسعينات وقاد فيها عددا من المجاهدين، واعتقل في الأردن سبع سنوات، حتى قام الجهاد في العراق فأسس فيها «جماعة التوحيد والجهاد»، حتى بايع تنظيم القاعدة بقيادة الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله في عام ٢٠٠٤ وصار اسم جماعته: «تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»، وقد كتب عنه «ميسرة الغريب» رسالةً صغيرة بعنوان: «من خفايا التاريخ.. الزرقاوي كما عرفتُه» فيها شيء من مواقفه وتجربته الجهادية، وقد قُتل في قصف أمريكي في صباح ٧ يونيو ٢٠٠٦ تقبله الله وأخلفنا به خيرا، ورزقه منازل الشهداء العلية.. اللّهم آمين.

المجاهد فارس الإسلام ومجدد بطولات أهل الإيمان، القائد الفاروق الفذ الفرقد، نسيج وحده وفريد عصره: «أبي مصعب الزرقاوي» رحمه الله تعالى وأعلى درجته في الفردوس الأعلى.. آمين.

ونعزي أهله وذويه، وكل أحبابه والمسلمين جميعا في فقده.. ونعزّي إخوانه في «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» وفي «مجلس شورى المجاهدين»، وجميع إخوانه وأحبابه المجاهدين معه في العراق من سائر الجماعات المجاهدة، ونخصّ بالتعزية خليفته من بعده، وفقه الله وسدده.

ثم أما بعد: فنعم أيها الإخوة الأحباب، إن مصابنا بأبي مصعب مصاب جليل، وإن فقده والله لعزيز وعظيم، وإننا لمحزونون حقا، ولكن لا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل، ومستمسكون بشعيرة الصبر والرضى، راضون بقسمة الله تعالى، عازمون على المضي في طريق الله التي منّ الله علينا بالهداية إليها والدلالة عليها والتوفيق لسلوكها، لا نقيل ولا نستقيل..

بل والله جهادٌ وتوكل على الله على آخر رمق، وغدا نلقى الأحبة محمدًا ﷺ وصحبه رضي الله عنهم..

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب]، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الأحزاب].

وإجابة على سؤالكم -وفقكم الله- أقول:

أول الواجب هو الصبر والرضى والتسليم لأمر الله تعالى، وأن نعلم أن هذا الأمر وكل أمر قضاه الله تعالى للمؤمنين فهو خير وإحسان ورحمة وصلاح وحكمة، كما قال نبينا ﷺ: **(إنما الصبر عند الصدمة الأولى)**(١)، قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن]، وقال النبي ﷺ: **(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)** رواه مسلم(٢).

ولنذكر مصيبتنا برسول الله ﷺ، كما أوصانا ﷺ -إذا صحّ الحديث-: **(إذا أصابت أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب)** رواه «الطبراني» وغيره(٣).

فقد توفي رسول الله ﷺ.. ثم أبو بكر.. وقتل عمر في المحراب.. وقَتَلَ أهلُ الفتنة والفسادِ عثمانَ..

---

(١) صحيح البخاري (١٣٠٢).

(٢) صحيحه (٢٩٩٩).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٦٧١٨)، سنن الدارمي (٨٥)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٣٤٧).

وظفرت كلابُ المجوسِ بعليٍّ.. رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين.. وقُتل حمزة بن عبد المطلب.. ومصعب بن عمير.. وسعد بن معاذ.. وقُتِل الحسين ريحانة رسول الله ﷺ.. وأبطال الصحابة والتابعين؛ قبلا وبعدًا رضي الله عنهم.. وأبطال سائر المسلمين، على مرّ الأعصار..

وفي عصرنا الحديث: الشيخ عبد الله عزام، وأبطال أفغانستان كثير، وخطاب، وأبو الوليد، وأبو حفص المصري «الكومندان»، وصحبه الذين معه -وكانوا كوكبة مجتمعة نُكبَ بهم أهل الإسلام والجهاد، لا يعرف مداها إلا من عرفها-، وقتل أبو عبد الله أحمد في الجزائر، وقبله القاري سعيد، وأبو عبد الرحمن المهاجر قريبا، وفي فلسطين شهداء رجالات وأبطال سجلوا بدمائهم أسماءهم في هذا الكتاب: الشيخ ياسين والقائد الرنتيسي ويحيى عياش وغيرهم وغيرهم؛ إنها طريق واحدة.. وقصة متكرره متجددة، لكنها لا تُمل، وهذا من العجائب..!

إنها قصة خاتمتها تلك الصرخة المدوِّية النديَّة: «فزتُ بها ورب الكعبة»[1]..

نهاية سعيدة لصاحبها.. مع ما فيها من ألم لناظرها وسامعها؛ لكنه ألم مؤقت طبيعيّ، وحين يخلط بالأمل والرجاء المنبعث من آثار الشهداء لا يلبث أن ينقلب رحيقا وشهدًا.. فالحمد لله.

أبو مصعب واحدٌ من هذا الركب، وفردٌ في هذه القافلة الطويلة، وهذا الموكب الممتد.! نحسبه كذلك والله حسيبه، ولنعلم أن استشهاد أبي مصعب -إن شاء الله- هو: نورٌ ونارٌ.. نور يضيء الطريق لمن وراءه.. ونار يحرق الله بها أعداء الله، وهكذا هي الشهادة، ولا سيما للعظماء الأبطال القدوات، أهل الفضائل والبلاء الحسن في الإسلام، أهل الصدق والإخلاص والبذل في سبيل الله.

وهذا هو المعنى الذي عبّر عنه خبيب بن عدي رضي الله عنه حين قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع[2]

وقال شوقي:

وفي القتلى لأقوام حياةٌ ... وفي الأسرى فدىً لهمُ وعتقُ
وللحريّة الحمراء بابٌ ... بكل يدٍ مضرجةٍ يُدَقُّ[3]

تصوّروا أيها الإخوة أنه لا يوجد لدينا شهداء: لا حمزة بن عبد المطلب، ولا الحسين، ولا سعيد بن

---

(١) قال هذه العبارة: حرام بن ملحان رضي الله عنه، كما في حديث أنس رضي الله عنه في: صحيح البخاري (٢٨٠١، ٤٠٩٢)، صحيح مسلم (٦٧٧).

(٢) صحيح البخاري (٧٤٠٢).

(٣) الشوقيات (٢ / ٧٧) لكن فيها: «لأجيال» بدل: «لأقوام».



جبير، ولا عمر المختار، ولا عز الدين القسام، ولا عبد الله عزام، ولا غيرهم.. كيف يكون حالنا؟ وكيف يمكن للأمة أن تحيا بدون شهداء..؟ وكيف يمكن للأجيال أن تتربّى؟..

ومبارَكة الله تعالى على أشلاء وأوصال ودماء الشهيد، معنى لطيف من المعاني التي يدركها أهل الإسلام والإيمان، لتنوّر قلوبهم بمعرفة الله تعالى ودينه، وتخفى على المنافقين والكفرة وأهل الفجور، لظلمة قلوبهم وتغطيتها بالران من معاصي الله، بل تغلّفها بها..!

من البركات أن يُسلِم أناسٌ، ويتوب أناسٌ، ويظهر رجالٌ، وينشأ جيل على حب الجهاد والشهادة والرجولة والبطولة والعزة والكرامة، وأن ينتشر المنهج ويعلو ويظهر، وتلين قلوبٌ، وتزول عقبات، وربما حصل بعد استشهاده ﷺ ما كان يتمناه ويرجوه ويعمل له ولم يستطعه لسبب من الأسباب الطبيعية أو غيرها؛ فنحن نؤمن بالبركة ونرجوها.. انظروا -يا رعاكم الله- إلى تلك الأفراح والدعايات البالغة والتشهير الذي يقوم به النصارى واليهود والرافضة، وما يظهرونه من الشماتة بمقتل الشيخ أبي مصعب.. هم يظنون أن هذا بالنسبة لهم انتصارٌ عظيمٌ جدا..!

لكن عند التحقيق بالنسبة لأهل الإيمان؛ فإن كل ذلك هو ضدٌّ لهم وعائد عليهم ضرره، وهم لا يشعرون؛ فهم ينشرون اسمه، ويرفعون ذكره، ويعلون قدره، ويذُكِّرون بآثاره، ويشهّرون به وبمنهجه، وهم لا يشعرون..!

الرافضة مثلا: أبو مصعب ﷺ كان له نظر استراتيجيّ أن أهل السنة لا بد أن يدخلوا المعركة مع الرافضة، كان يرى أنه لا يمكن أن يكون هناك بقاء لأهل السنة لا في العراق ولا فيما جاورها ما لم يدخلوا المعركة ويكونوا رجالا ويضحّوا..! قيل له: دون ذلك مجازر ومسالخ وأهوال وفظائع يا أبا مصعب..!! قال: نعم، والله إني لأعرف ذلك وأراه رأي العين، ولكني أوقن أن كل ذلك لن يكون سوى قطرة في بحر ما سيدفعه أهل السنة من ضريبة من دمائهم ونفوسهم وشرفهم وأعراضهم وأملاكهم في حال أنهم وهنوا لما أصابهم واستكانوا وخضعوا وخنعوا ورضوا بالذلة وخافوا المعركة..!! فقال قولته الواثقة: لا بد من أن يدخل أهل السنة المعركة، وقال: لسنا نحن -مع ذلك- من بدأ المعركة، بل والله إن الرافضة هم الذين بدأوها وأوقدوا نارها، وهم سائرون في حربنا بلا هوادة، لكن الدولة لهم اليوم، والصليب حليفهم، والمرتدون إخوانهم، وأهل السنة كالأيتام على مائدة اللئام..!! فلا بقاء لأهل السنة إلا أن يدخلوا المعركة، ويضحّوا..!! وكل ما يصيبهم في المعركة هو أهون بكثير كثير مما سيدفعون إن هم أحجموا وجبنوا.!

هذه فلسفة الشيخ ونظرته، وهي من العمق والقوة بمكان.. فالرافضة اليوم ماذا يفعلون؟ يزيدون

بجهلهم وغرورهم وحقدهم الذي لا يستطيعون بأي حال أن يخفوه؛ يزيدون من تثبيت نظرية أبي مصعب وترسيخها، وتوكيدها تأجيجها، والدفع في اتجاهها؛ فسترون -إن شاء الله- القادمَ بإذن الله من نهضة أهل السنة وشبابهم في العراق ومحيطه وفي كل مكان، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون.

والشهادة: سمّيت شهادة، والشهيد سمّي شهيدًا؛ لأسباب ومعانٍ كثيرة كما ذكره أهل العلم: منها الراجع إلى الفاعلية ومنها الراجع إلى المفعولية، وكلاهما في الدنيا وفي الآخرة؛ لأن لفظ شهيد: فعيلٌ، وفعيل في لغة العرب إما أن يكون بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول، وكلاهما في لفظ الشهيد محتمل مُتَصورٌ..

فالشهيد يشهد على عظمة هذا الدين وأنه الحق الذي يستحق أن تبذَل فيه الدماء وتزهَق من أجله الأرواح، ويُضحّى من أجله بكل رأس المال، وهو وجود الإنسان نفسه وحياته في هذه الدار الدنيا، وأنه أعز وأغلى من كل شيء؛ فالشهيد يشهد أعظم شهادة يمكن أن يشهدها بشر بعد الأنبياء بأن الله حق وأن دين الله حق وأن أنبياء الله ورسله حق، وأن الجنة حق وأن النار حق..! والشهيد يشهد يوم القيامة على نفسه بدمائِه وجراحِه وتلفِه وعطبِه في سبيل الله، يوم يكون اللون لون الدم والريح ريح المسك، والشهيد يشهد مع الشهداء يوم القيامة بصدق الرسل؛ وأنهم بلغوا وأدوا الأمانة، ويشهد على من شاء الله بالإيمان؛ وهو المعنى المتضمّن في الشفاعة التي خصه الله بها.

والشهيد مشهود له من قبل الله تعالى بأنه من خيار الخلق وأنه ناج مفلح رابح فائز.. ومشهود له من قِبَل دمائه وجراحه وقراحه وتلفه وعطبه في سبيل الله، كما مرّ.. ومشهود له من قبل الملائكة والرسل وصالحي المؤمنين.. ومشهود له في الدنيا من قبل المؤمنين بالثناء عليه خيرا.. وغير ذلك من المعاني.

وبالجملة؛ فإن الشهادة شيء عجيب، يصعب على الإنسان أن يوفيها حقها بالكلام.

ويكفي أن علماءنا ﷭ صرَّحوا بأنه لم يرد في الكتاب والسنة من النصوص في فضل شيء وبيان عظم منزلته ومدحه والحث عليه من الأعمال كما ورد في الجهاد والشهادة في سبيل الله.. وهذا واضح لمن تدبّر القرآن والسنة، والحمد لله.

ونرجع للكلام على أبي مصعب ؒ: فأبو مصعب شهادتُه شهادة عظيمة بعد البلاء الحسن الذي أبلاه، وبعد الجهاد العظيم الذي قام به، وقد شهد له المسلمون وعموم أهل الأرض بأنه من الأبطال، وأنه كان رأس من تصدّوا لأعتى قوة بشرية كافرة ظالمة فاجرة في التاريخ ودوّخوها وأذاقوها ألوان العذاب، وأبو مصعب داعية حق وهدى.. ومعلّم جيل.. ومنارة من منارات أهل السنة والتوحيد،

والكفر بالطاغوت؛ فثبات مثله على طريقه ومنهجه، وتضحيته بدمه ونفسه في سبيله، هذا شيء عظيم ليس بالسهل.. إنه يحيي أمة بكاملها.

فسوف ترون إن شاء الله، وسوف يرى أعداء الله، أعداد اللاحقين بموكب الجهاد المبارك بعد أبي مصعب، وسوف نرى ويرون الصحوة والنهضة والبعثَ الجديد في شبابنا.. فانتظروا، إنا منتظرون..!

ومن المعاني في مثل هذه الشهادة: أن يبتلي الله من بقيَ منا، وينظر من يثبت ومن ينهزم، ومن يتعلق بالله تعالى وبالمنهج، ومن يكون تعلقه بالأشخاص، فيزول بزوالهم، وهذه من الفتنة والابتلاء المراد لله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران]، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران]، وكما قال أنس بن النضر ﷺ حين أشيع في أحدٍ أن رسول الله ﷺ قد قتل: «قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ»[(١)].

ومنها: الابتلاء والامتحان والتكليف للخلق جميعا؛ مسلمهم وكافرهم، كما قال النبي ﷺ ذات صباح على أثر مطرٍ: (**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**؟.. **قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**..) الحديث[(٢)]؛ فينظر الله تعالى من يقول الحق والخير ويكون مع الحق، ومن هو بضد ذلك.

ومنها: الرحمة واللطف من الله تعالى بعباده المؤمنين، أنه يربّيهم بالسراء والضراء، وبالأخذ والعطاء، وبسائرأسباب التربية من حكمته ورحمته، فيجدد لهم العهد بمعاني الشهادة والثبات والنصر بالموت على هذا الدين، وهو الانتصار الحقيقي، وينوّع لهم الصور والآيات والبراهين والبينات. وأكثر من ذلك وألطف أنه ينوّع لهم وجوه القادة والأبطال ويجددها لهم، فلا يملّوا ولا يطغوا..! فلله الحكمة البالغة.

ومنها: أشياء أخرى كثيرة تُعرف بالتأمل، لعل من أقلها: أن يكبِت الله تعالى الكثيرين من أعداء الجهاد والمجاهدين، أعداء دعوة التوحيد والسنة، ويفضح خورهم وجبنهم وخنوثتهم والعياذ بالله، ويصيبهم الله تعالى -رغم الفرح الذي يظهرونه- بالهزيمة النفسية والخيبة والشعور بالدونية والحقارة

---

(١) تاريخ الطبري (٢ / ٥١٧).

(٢) صحيح البخاري (٨٤٦)، وتتمته: (فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ).

يلازمهم حتى يتوبوا أو يموتوا، وهم ينظرون إلى هذه الشهادة العظيمة وهذه المنزلة الرفيعة التي تبوأها الشهيد ومحبة الناس له وثنائهم عليه؛ فيكادون يتميّزون من الغيظ، ويموتون من الحسرة..!

ثم أيها الإخوة: لا بد أن نستعين بالله تعالى ونتوكل عليه، ونعتصم بحبله ﷻ؛ فهو مولانا وناصرنا، نعم المولى ونعم النصير؛ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾[آل عمران]، ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾[الأنفال]، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج]، ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[البقرة].

فاثبتوا واصبروا وصابروا، واعتصموا بالله واستعينوا به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[آل عمران].

ولا تظنوا بالله ربكم إلا الظن الحسن..! واستيقنوا أن هذا كله خير وبركة ورحمة وإحسان من ربكم ﷻ، ونحن تعلّمنا من تجاربنا -بفضل الله تعالى- أن لا نيأسَ أبدًا.. وأنا شخصيا قد مررتُ بتجربة صعبة في الجزائر وخرجتُ منها ناجيا بجلدي وقد ظننتُ أن لا تقوم للجهاد في الأمد المنظور في حياتي قائمة، وكدتُ أيأس، وأصابني من الحزن والهم والكآبة وما يشبه القنوط، شيءٌ يصعب على الوصف.!! لولا أن الله تعالى عصمني بشيء من التثبيت ونفعني بصحبة الإخوة، وبالتأسي بأهل السابقة والخير، وبالانشغال بالتأمل لهذه التجربة الكبيرة وما كان فيها من العبر، ولطف بي بما أراني من بوارق الأمل والرجاء؛ فما إن خرجتُ حتى لاحظتُ في مشرق الأرض أحداث الشيشان وتدفّق المئات من شباب الإسلام عليها، وكانت للتو قد بدأت معركتها الثانية بعد دخول خطاب ﷺ لداغستان، ولاح لي أملٌ في أفغانستان من جديد بظهور طالبان، وعودة الشيخ أسامة وأصحابه من السودان إليها، وتجمّع المجاهدين من جديد، فما لبثت أن عادت لي الحياة، وطردتُ عني اليأس، وتعلّمت أن لا أيأس أبدا، وأنه ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾[الطلاق] و﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾[الطلاق] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾[الطلاق] وأن الله هو الفتاح العليم، وهو نعم المولى ونعم النصير.

فيا أيها الإخوة: إياكم واليأس والقنوط.. واعتصموا بالله.. اعتصموا بالله.. ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾[الأعراف]،

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران]

والثبات الثبات؛ (**ومن يتصبّر يصبّره الله**)[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنفال]، واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن النصر صبرُ ساعة.. نحن نصبر ونصابر، وعدوّنا كذلك يصبر ويصابر..

والمصابرة مفاعلة من الصبر فهي مضارعة ومسابقة في الصبر أيهما يصبر أكثر ويغلب صاحبه بالصبر، فالذي يصبر أكثر هو الفائز الغالب المنتصر..! ونحن عندنا من أسباب الصبر ومقوّماته وعوامله ما يزيد على عدوّنا بكثير كثير، كما قال الله تعالى حاكيا عن الخضر أنه قال لموسى عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[الكهف] فالإحاطة خُبرًا بالشيء الذي تعمله يعينك على الصبر.. ونحن نعلم أننا على الحق.. ونعلم ما أعد الله لنا إذا صبرنا وثبتنا.. ونعلم عظيم المنزلة التي ينالها الصابرون منا العاملون هذا العمل الصالح؛ فكيف لا نصبر وكيف لا نصابر عدوّنا ولا نغلبه بالصبر؟ وعدوّنا خواء هواء ليس عنده شيء من ذلك، أخزاه الله..! نسأل الله أن يقوّينا وجيمع المسلمين، وأن يهيِّئَ لنا من أمرنا رشدا.

وأنبّه إلى بعض المعاني الأخرى في استشهاد حبيبنا الشيخ أبي مصعب رحمه الله:

فمن ذلك: أن الله تعالى -بلطفه ورحمته وعظيم إحسانه ومنته- حفظ جثمانَ أخينا الشيخ، وسلَّمها من التبخّر والذوبان والتحلل والزوال، رغم أن البيت الذين كان فيه مع صحبه قد قال العدوّ الصليبيّ إنه قصفه بقنابل عظيمة جدا.

ومن مكر الله تعالى بأعدائه أن جعلهم ينشرون صورة الشيخ بعد مقتله، ويظهرون للعالم جثته سالمة، عليها النور يراه المؤمنون ويهابه الكافرون، ويُكبَت به المنافقون..! وهذا والله لطف ورحمة كبيرين من ربنا ﷻ، وآية من آياته جل وعلا..! ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنفال]، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النمل]؛ فلو لم توجد جثته لظهر المنافقون المتخرّصون الأفّاكون من بني جلدتنا قبل أعدائنا ليقولوا إن هذه كلها مسرحية، وإن الأمر غامض، وإنه لا يُدرَى هل قتل أبو مصعبٍ حقا أو لا، وأن الأمريكان فعلوا وفعلوا، وأن اليهود خططوا، وأن

(١) صحيح البخاري (١٤٦٩).

أبا مصعب كذا وكذا، مما تتيحه لهم خيالاتهم الشيطانية، ومما يناسب نفوسهم الخبيثة الغويّة، ولرأيتم حينها التحليلات المتخرّصة البهيمية الأرضية السفسفية المنحطة، قاتل الله أصحابها الأغبياء، الذين هم أغبى من رأيت من أصناف البشر..!!

ومن ذلك: مسألة ظهور أعلام المجاهدين لعامة الناس أن بعض الإخوة قد يظن أن مقتل الشيخ أبي مصعب كان بسبب خطئه في ظهوره في الشريط المرئي الذي ظهر فيه قبل مقتله بنحو الشهر، وكان هذا فتنة لبعض الناس أيضا، فكثرت التحليلات حوله، فمنها المصيب شيئا من الحق ومنها الهائم في أودية الخطأ.!! وكون ذلك كان من أسباب قتله أو لم يكن، الله أعلم، ليس هذا بالأمر المهم جدا.. فالله قد جعل لكل شيء سببا.. وجعل لكل شيء قدرا، وأجلا.. لكن المهم هو الكلام على من انتقد الشيخ في ظهوره وعدّ ذلك من الأخطاء.!! فهذا عندي غير صحيح ولا سديد.. بل لا بد للجهاد ودعوته المباركة ومسيرته الميمونة أن يكون لها رجال بارزون يظهرون يعرفهم الناس، ويعرفون حسبهم ونسبهم وتاريخهم وصوتهم وصورتهم، ولا سيما إن كانت لهم مواهب وقدرات يستعملونها في نصرة دين الله تعالى وإعلاء كلمته، ولهم «كارزميّة» وجاذبية يستعملونها في أعلى مقامات الطاعة لله تعالى والدعوة إليه.. ولا بد لمثل هؤلاء الرجال أن يخاطروا بأنفسهم ويضحّوا ويتقدموا للفداء، إنه موقف الفداء، إنه موقف الغلام، ليقول الناس: «آمنا برب الغلام»[1]، إنه مقام البذل العظيم في سبيل الله.. أتظنون أنه مقام سهل؟ أو تظنون أنه يقدر عليه كل أحد؟ لا بد أن يكون لدعوة الجهاد أمثال أبي مصعب.. وبإمكانكم أن تتصوروا أنه لم يكن..! وتتخيّلوا أن قيادات المجاهدين ودعاتهم كلهم مجهولون غامضون غير معروفين، لا بتاريخهم ولا بأشخاصهم ولا بشيء من صفاتهم..!!

ونحن نستيقن أن أبا مصعب ﵀ حين اتخذ قرار الظهور على الشاشة للعالم، اتخذ هذا القرار وهو يعلم عظيم خطره، وما فيه من المخاطرة البالغة، لكنه رجّح ذلك -وبالتأكيد أيضا بعد المشاورة والاستخارة التي هي دأبه ﵀- لما فيه من الخير ونصر الدين والدعوة إلى الله، وقمع المنافقين وكبت الزنادقة، وإرهاب الأعداء، ورفع معنويات الأمة جمعاء، ولا نشك مع كل ذلك، أن الشيخ أبا مصعب اتخذ ما بوسعه من الأسباب واجتهد، ثم أن يصل الأعداء إليه وأن تظفر به كلاب الأعادي؛ فهذا ليس بالشيء الغريب أو الخارق..!! المحارب في الميدان هو وعدوّه في محاولة وسعي وكيد ومكر، مستمرّ ودائم.. يظفر هذا بهذا مرة ويظفر هذا بهذا مرة، أنت تجتهد وتحاول.. وعدوّك كذلك يجتهد ويحاول..

(١) مسند أحمد (٢٣٩٣١) وإسناده صحيح.

قد ينجح ويصيبك في أي وقت.

ويكفي أن أبا مصعب عاش في العراق التي لا جبال فيها تؤويه ولا غابات ولا أدغال، وليست في ذلك كالشيشان ولا الجزائر ولا أفغانستان.. أزيد من ثلاث سنوات وهو يقارع القوة الصليبية اليهودية العظيمة مع جميع حلفائهم وأوليائها المرتدين والزنادقة، ويذيقهم من كؤوس الردى والخزي ما أذاقهم، وهم لا يستطيعون الظفر به كل هذه المدة..!! هذا والله يكفي فخرا لمن أراد الفخر.. ويكفي دليلا على حفظ الله لعباده المؤمنين، ويكفي برهانا على ما أعطى الله هذا العبد من القوة والتدبير.

فالله أكبر.. ولله الحمد..

هذا ومن غريب ما رأيت بالأمس في موقع «إسلام أون لاين» عنوانا معناه أن الزرقاوي دفع حياته ثمنًا للظهور الإعلامي.. والعنوان مصوغٌ بصياغة تفيد أن الشيخ ﷺ أراد الظهور الإعلامي وحرص عليه ولو كان فيه قتله، إيحاءً -من صاحب العنوان، والله أعلم، وظننا هنا مشروعٌ لدلائله- بأن دافع الشيخ لذلك الظهور الإعلامي هو حب الظهور والشهرة، ولو كان فيها تلفه وموته..!!

وإن هذا لغريب..! وما هو بغريب..! فإن هؤلاء القوم قد حرمهم الله تعالى من فهم هذه المعاني، فهم لا يفقهون..!

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾[التوبة].

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥﴾[الفتح].

ولا تستوعبها قلوبهم.. إنها فوق مستواهم بكثير..!! فإذا كان هؤلاء هم من المنتسبين للإسلام والعلم والدعوة؛ فكيف بغيرهم؟! لكن نحن نعلم أن هذه المعاني يستوعبها عامة المسلمين وبسطاؤهم وعجائزهم وأطفالهم وشبابهم أكثر وأفضل من هؤلاء، لأن مشكلة هؤلاء هي امتلاء قلوبهم بالمعارف الفاسدة والوساوس والواردات السفسفية..! إن مشكلتهم هي انحطاط بكل معنى الكلمة.. وأما عامة المسلمين البسطاء؛ فتساعدهم الفطرة والنقاء، وسذاجة الإيمان..!

وهؤلاء هم الذين نركز عليهم..

وهؤلاء هم الذين نهتم بهم ونشقى في سبيلهم، ونصبر معهم وعليهم، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾[الكهف].

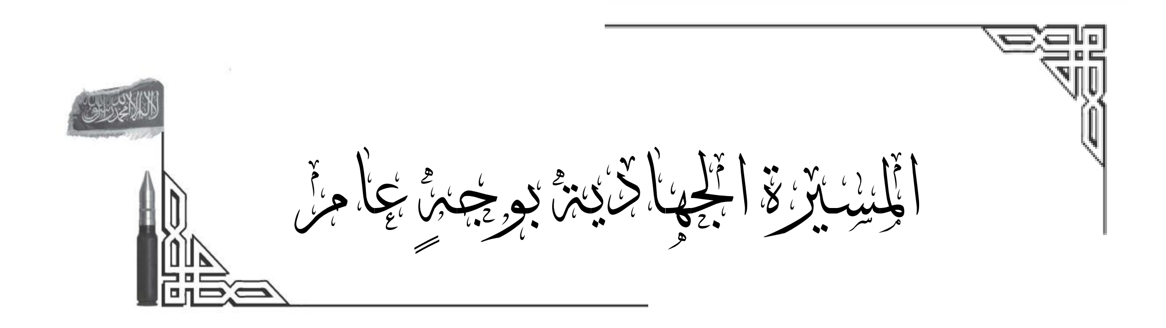
ونسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يتقبل أبا مصعب، وأن يجعله من خيار عباده

المفلحين، وأن يرحم ضعفنا من بعده، وأن يخلفنا منه خير العوض، وأن يلحقنا به ثابتين على الحق غير مغيّرين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين.. آمين.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله وصحبه والتابعين.

الجمعة ١٣ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ





〚تقييم المسيرة الجهادية المعاصرة، وذكر إيجابياتها وسلبياتها، وبيان نضج الحركة الجهادية في كافة النواحي بحمد الله، وأنها الوجه المشرق للأمة〛

❁ ما هو تقييمكم العام للمسيرة الجهادية المعاصرة؟ مع ذكر الإيجابيات والسلبيات..

[السائل: طالب الدعاء**]**

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللّهم يسر وأعنْ..

الذي أراه -أخي الكريم- أن الحركة الجهادية -بحمد الله تعالى- في تقدّم وارتقاء، وسيرٍ نحو الأفضل؛ وهذا النظر الجمليّ الكليّ..

فبرغم الجراح والقراح والمآسي والآلام؛ فإن الآمال كبار، والنضج مستمر، وعوامل النصر تتكامل وتقوى، ونحن نتكلم عن الحركة الجهادية المعاصرة، وخصوصا بعد الحادي عشر من سبتمبر.

ولو حاولنا ذكر ما نراه من الإيجابيات والسلبيات فنقول:

من الإيجابيات: هناك تحوّل إلى الأفضل -لصالح الإسلام والمسلمين- في العلاقات التي تحكم المجتمع البشري، بمعنى: في العلاقة بين الإسلام والكفر، بين المسلمين والكفار، فالعلاقة تتجه بشكل جيد إلى وضعها الطبيعي، وهو المبنيّ على مبدأ الولاء والبراء الإيماني والحبّ والبغض من أجل الله والدين، وتقويم كل شيء من الناس وغيرهم على أساس الدين، بمعنى أن يعود الدين هو محور العلاقات البشرية.

هذه الحقيقة كانت خلال القرن الماضي -على الأقل- كانت مغيّبة مطموسة، حين هيمنت على العلاقات البشرية نظريات كفرية وضالة سفسفية أرضية منحطة مثل القومية والوطنية وما شابهها، ثم بسبب الغزو الفكري الغربي للعالم الإسلامي، المتزامن مع الانحطاط التاريخي الواقع لأمة الإسلام..!

اليوم الأمة في نهضة وصحوة وتقدم؛ الحركة الجهادية لها بفضل الله تعالى الدور الأكبر في حصول ذلك.. أعني في ردّ الأمور إلى نصابها.. وحدث الحادي عشر من سبتمبر كان هو النقطة الحرجة في هذا التحول، بلا شك.

ومن جهة أخرى أيضا، فالحركة الجهادية هي أكبر المستفيد من هذا التحول؛ فهو نصر لها ولمنهجها ودعوتها، وهذا واضح.. فهذا لعله في نظري أهم الإيجابيات..

وهذا من نتائجه دخول الناس في دين الله تعالى بأعداد متزايدة كما تدل عليه الإحصاءات المنشورة الكثيرة، نتيجة بحث الناس عن الإسلام ومحاولتهم التعرف عليه ودراسته وفهمه، وهو نتيجة تلك الصدمة والهزة العنيفة، ونتيجة طبيعية للعلاقة الطبيعة التي نتحدث عنها.

فقد رأى الناس أن الداخلين في الإسلام من الكفار، والملتزمين بالدين والعائدين إلى الله من شباب المسلمين الضائع بعد الحادي عشر من سبتمبر لعله أضعاف ما كان قبله؛ فلله الحمد.

ومن الإيجابيات: ارتفاع معنويات الأمة، ونبض عروق العزة والفخر والكرامة والمجد والنجدة فيها.

ومنها: نشوء أجيال جديدة تحمل الراية، فنحن اليوم -بمنّة الله تعالى وحده- لا نخاف على رايتنا، بل نحن مطمئنون، فإن الراية لن تضيع ولن تسقط، فكلما مات سيد قام سيد مكانه، ويغرس الله لهذا الدين غرسًا طيبا عجبًا.!

نعم؛ حقا أن الله ناصر دينه ومعلٍ كلمته ولو كره الكافرون، و(**الجهاد ماض إلى يوم القيامة**)[(١)] ودين الإسلام بالغ ما بلغ الليل والنهار بعزّ عزيز أو بذل ذليل.. لكن لكل شيء أسباب، ونحن نتكلم هنا على مقتضى الأسباب.

ومنها -وهو قريب من المعنى السابق-: وجود المدد العظيم للجهاد؛ فأنت ترى أنه ما أن تفتح ساحة للجهاد وتتاح فرصة حتى ترى العجب العجاب من كمية التدفق من شباب الإسلام، فنحن لا نعاني من النقص في العدد والمدد، بحمد الله تعالى، وإنما أكبر همنا هو توجيهه وترشيده وتسديده، بحول الله وقوته.. هذا برغم كل محاولات الصدّ والتنفير التي يمارسها أناس كثيرون من قومنا هداهم الله، وبرغم تقصير فئات العلماء بشكل عامّ كما سيأتي الكلام عليه في موضعه إن شاء الله، وبرغم قوة

---

(١) أخرجه بلفظه الطبراني في: الأوسط (٥ / ٩٥)، وأبو داود في: سننه (٢٥٣٢) وغيره بلفظ قريب منه، وضعفه الألباني، لكن معناه صحيح اتفاقا، وقد دل على معناه آثار كثيرة، وبوب عليه البخاري في صحيحه، ونص عليه جماعات من أهل العلم.

الفتنة ترغيبا وترهيبا من قبل العدوّ قاتله الله.. وهذه أشياء عجيبة لمن تأملها، والله الموفق.

ومنها: ما حصل فيها من التمحيص الكبير والامتحان الجليل الذي ميّز الله ﷻ به الناس، والحمد لله رب العالمين كما قال الله تعالى ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي من حال العافية الدائمة واختلاط المؤمنين بالمنافقين والصالحين بالفاسدين الخائنين ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] الآيات.

وقريبٌ من ذلك أيضا: انكشاف المنافقين والزنادقة من الطواغيت الخونة الموالين لأعداء الله، وفضحهم واتضاح كفرهم وحربهم لله ورسوله ولدينه بشكل جليّ.

والحركة الإسلامية الجهادية المعاصرة صارت بحمد الله أكثر نضجا واعتدالا وكمالا، وصار لها رصيد وتجربة جيدة مفيدة، وتراكمت عندها خبرات علمية وعملية وتاريخية، وقدّمت شهداء، ونماذج طيبة وقدوات، وكل ذلك بإذن الله تعالى مؤشر خير وعلامة نجاح، والله الموفق.

وغير ذلك من الإيجابيات التي تحتوي عليها الحركة الجهادية المعاصرة وخاصة بعد سبتمبر.. وإنما نكتفي ببعض المهم.

وأما السلبيات: فموجودة أيضا، وهذا عمل بشريّ، أعني الجهاد والسعي والمحاولة؛ فلا بد أن يعتريه النقص والقصور والتقصير والخطأ..

فمن السلبيات: أحيانا يحصل عدم توازن بين الكم والكيف، بمعنى أن يَقصر التوجيه والترشيد عن مواكبة واستيعاب الكم الهائل المتدفّق للجهاد والحركة والنفير، فيغلب الجهل وقلة الحكمة وتكثر الأخطاء، ويحصل فساد، ولا سيما مع تقصير أهل العلم عمومًا، بسبب الانفصام عند الكثيرين بين العلم والمعرفة وبين العمل، ونعني به هنا الجهاد تحديدا.!

فهذا كائنٌ.. ويختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان؛ فبعد أن رأينا الذي حصل في الجزائر للجماعة الإسلامية المسلحة من الانحراف والفساد الكبير، لم يكن بعدها -برحمة الله- شيء أشد وأخشى علينا منها.

لكن أملنا أن الخير غالب، وأن قيادات الجهاد العملية والعلمية متفطّنة للنقص، ساعية في احتوائه وتصحيحه، باذلة في ذلك جهودا طيبة.

ومن السلبيات: شيء من القسوة والعنف الزائد أحيانا في الحركة الجهادية، ولا سيما مع المخالفين، وظهور أخلاقيات ليست جيدة بسبب العداوات أحيانًا، وبسبب طبيعة شراسة المعركة، أعني أيضا مرة أخرى: في بعض الأماكن وبعض الأزمنة، وإلا فالعموم والمجموع معتدل وطيب، وهذا له أسبابه

ودواعيه، وله علاجه أيضا، وربما نتكلم عليه إن شاء الله.

ومنها: ما نعانيه من سوء العلاقة مع طائفة العلماء.. وسيأتي الكلام عليه، وهذا عند التحقيق لا يرجع اللوم فيه إلى المجاهدين وحدهم، بل حظهم منه هو الأقل، وإنما هو من أهل العلم بدرجة أكبر، ولله الأمرُ..! ولكنها مشكلة على كل حال، نسأل الله أن يحلها.

وبالجملة، نرى أن الخير غالبٌ بحمد الله، وأن السلبيات كثيرٌ منها ليس بذاتيّ في الحركة الجهادية، بل موضوعيّ خارجيّ.. ولذلك فإنه يعتبر من المشكلات التي هي بصدد الحل والإصلاح، وليست فشلا أو فسادًا معوّقا أو مهلكًا.

وهنا قاعدة مهمة، وهي أنه: إذا كانت المشكلة من خارجك، فلا تقلق منها كثيرا، فلن تضرك ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[آل عمران: ١١١]، أما المشكلة التي تضرك فهي المشكلة التي هي من نفسك، سواء كانت نفسك هذه فردًا أو جماعة ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[النساء: ٩٧]، والله أعلم.

وشيء آخر أحب أن أقوله لإخواني هنا ولو باختصار: وهو أن الحركة الجهادية كأي جهد بشري واجتماعي مبذول ستظل فيها أخطاء ونقص، تقلّ أو تكثر، حتى تصل إلى مرحلة أن تمثّل الأمة تمثيلا كاملا أو شبه كامل.! لأن هؤلاء الإخوة المجاهدون هم رجال وشباب من الأمة، أحيَا اللهُ قلوبهم، وزادهم هدى وآتاهم تقواهم، ونهضوا للقيام بهذه الفريضة، وتحمّلوا هذه الأمانة، فهم بالأصل رجالُ حربٍ وسياسة، لكن بالدين ولأجل الدين.

وهذا الفضل كله لا يعني الكمال من كل وجه، ولا يعني الخلوّ من النقص والأخطاء؛ فهم محتاجون للتكميل والمواساة، فأكثرهم ليسوا متخصصين في علوم الشريعة، وإن كان عامة قياداتهم وأفاضلهم قد نهلوا منها قسطا جيدًا، وهم يتفاوتون في ذلك، وأيضا فيهم مشايخ وعلماء، ولكن لا يزال هناك قلة، والموجود لا يغطّي كل الساحات ولا يستوعب كل القواعد.

ولكن هذا لا ينفي أن الحركة الجهادية هي في الجملة حركة صالحة وخيّرة، وهي بركة على الأمة، وهي المرجوّ لها أن تكون الطائفة المنصورة في هذه الأزمان، وأفرادها من خيار المؤمنين، وهم أفضل من طائفة العلماء، تفضيلَ الجملة على الجملة، وهذا ليس فيه عندنا إشكال، ففضائلهم في الكتاب والسنة لا يعدلها شيء، ولا يماري في هذا عالمٌ.!

وهم بحمد الله تعالى محتوون على تلك الفضائل في الواقع قائمون بها جلها أو كلها.

فستظل الحركة الجهادية نافذةً على رِسْلها، تمضي في طريقها على مَهَلٍ، تخط وتصيب، في اجتهاداتها واختياراتها، لكنها ماضية نافذة، ثابته، لا تلتفت، حتى يحصل لها بالتدريج التكامل والنضج



والاستواء، ويلتحق بها أصناف طبقات الأمة من العلماء وطلاب العلم وعموم أهل الخير من المسلمين، وتجتمع طاقات الأمة في مسيرتها، وحينها ستكون أقدر على النصر وأقرب للفتح إن شاء الله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

كل ما في الأمر قليلٌ من الصبر والثبات..! الحركة الجهادية أمرها مع الأمة عجب..!

ولسان حالها:

يرقّون عظمي ما استطاعوا وإنني لأبني لهم بنيانَ مجدٍ وأرفَعُ[1]

هي تبذل وتعطي وتضحّي وتفدي، في سبيل دينها وأمتها، وهي مخذولة من قِبَل أمتها.!!

ولكن عزاؤنا قول نبينا ﷺ: (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم**)[2]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[العنكبوت]، فاليوم الذين يتكلمون من بعيد وينتقدون الأخطاء ويُوردون الملاحظات تلو الملاحظات، ولا سيما ممن ينتسب إلى العلم، فهؤلاء في الحقيقة هم آخر من يُفترَض أن يتكلم..!! لكن نحن في زمنٍ انفصم فيه العلم عن العمل إلا عند القلة ممن رحم الله..! ونحن في زمن يرى أهله الجبن عقلًا..! ونحن في زمنٍ انحطاط، ولذلك يكثر هذا، ولا يُتعجّب منه.

لكن لو كان أكثر هؤلاء من أهل القلوب الحية ومن أهل التقوى والصلاح؛ لأسكتهم الحياء، ولعرفوا أنهم يجب أن يكونوا في المقدمة مع إخوانهم المجاهدين، ليصححوا ويرشدوا ويعلموا ويساهموا في هذا الخير ويكفوا عن الكلام، أو ليتكلموا بعدها فسيكون لكلامهم وزنٌ ويكون له روحٌ.! أما الآن فهو كلام ميّت، لا يعدو التشويش والتثبيط والتخذيل والإرجاف والدعاوى والجهل أيضا لأن أكثرهم لا يعرف الحقائق وبعيد جدا عن تصور الأمور..!! طبعا، دائما الاستثناء موجود، فحاشَ الصالحين ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾[التوبة].

فإن قالوا: الكلام والنصح والأمر والنهي وإنكار الخطأ والمنكر.. الخ حق لكلِّ أحدٍ، لا يمنع منه كونه غيرَ مجاهدٍ!. **فنقول**: نعم، بشرط أن تقرّوا أنكم أنتم أول أسباب تلك الأخطاء، بقعودكم عن الواجب المتعين، وخذلانكم لإخوانكم، وأنهم مقصرون مذنبون تستحقون اللومَ.

فإن قالوا: نحن قائمون بواجبٍ أيضا، وسادّون لثغرةٍ..! **فنقول**: هذا غير مسلّم على إطلاقه؛ بل

---

(١) قاله: الفرزدق، كما في: طبقات فحول الشعراء (٢ / ٣٢٠).

(٢) جاء هذا اللفظ في: المستدرك (٤ / ٤٩٦)، وأصل الحديث في الصحيحين، وقد بلغ بمجموعه حد التواتر.

نحن نفصّل؛ فثمتَ من هو قائم بواجب حقا، وسادٌ لثغرةٍ، وهو مأجور، وهناك من هو معذور في قعوده لوجود مانع شرعي، ويوجد غيرُ ذلك.

ولا تخفى أحوال أغلب الناس.!! ونزيد هذا توضيحا إن شاء الله في محله، وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

[غزوة الحادي عشر من سبتمبر؛ هل أصاب فيها الشيخ أسامة رحمه الله، وإيجابياتها وسلبياتها]

❁ ما هو تقييمك لضربة ١١ سبتمبر؟ وهل ترى أن الشيخ أسامة حفظه الله ورعاه أصاب فيها أم أخطأ؟ وما هي سلبيات وإيجابيات هذه الضربة وما بعدها على الإمارة الإسلامية في أفغانستان وعلى الجماعات الإسلامية عموما والجهادية خصوصا في البلاد الإسلامية وغيرها؛ في نظرك وحسب خبرتك وتجربتك..

[السائل: مع الحق]

الجواب:

أخي الكريم؛ الكلام على ضربة الحادي عشر من سبتمبر، وتقويمها، فيه صعوبة، ويحتاج إلى تفصيل.. فمن حيث الأصل، هل كان الشيخ أسامة مصيبا ومحقًّا فيها، أو لا؟

هذه يصعب علينا الجزم بشيء فيها؛ فلا نعرف تمامًا ما عند الشيخ من معلومات وصلاحيات وغيرها، ولم نرَ الشيخ ولم نسمع منه شيئا بهذا الخصوص بعد الأحداث، ولأن الحدث كان تاريخيا وكبيرًا بل كان نقطة تحول في التاريخ البشري، ومضاعفاته وآثاره لا تزال مستمرة إلى ما شاء الله، والحروب من جرّائه متواصلة؛ فإن الكلام في هذا الصدد لم يكن مناسبا ولا معقولاً ولا مصلحة راجحة فيه؛ بل نتجاوزه وننتقل إلى واجب الوقت، وإلى ما ينبني عليه العمل الآن.

ثم إذا يسر الله لمن بقي حيا منا ومنكم، فلربما حقق المسألة ودرسها كما يدرس سائر مسائل التاريخ فيها بعد؛ أما الذي نراه بصفة عامة فهو: أن هذه الأحداث كانت خيرا، وكانت فتحًا ولله الحمد والمنة.. وأما الأهم -كما سبقت الإشارة- فهو: أننا مع إخواننا، أصابوا أم أخطأوا..!

على حدِّ الفقه المتقرر في هذا، والذي الأصل فيه قول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

[البقرة].. وأننا الآن في جهادٍ ضدَّ قوى الكفر الصليبي وأوليائه، واعتبر بموقف «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ، وطالبان عمومًا؛ فإن الذي أصابهم جراء الحدث العظيم، لم ينل أحدًا من الناس مثله في أي مكان، من الشدة والفقد والجراح والقراح والحرمان والمصائب والبلاء، ومع ذلك فإن الله تعالى نوَّر قلوبهم وربط عليها وأنزل فيها السكينة والفقه الديني والمعرفة الصحيحة فما تكلموا ولا نكلوا ولا استكانوا للحديث عن الأحداث، وتقليب الصفحات، وإنما انطلقوا إلى العمل..

نحسبهم كذلك والله حسيبهم، ونسأل الله أن ينصرهم ويرفع قدرهم.

فإن قال قائلٌ: هذا مخالف لأصل وجوب تصحيح الخطأ وعدم السكوت عليه.. الخ الكلام الذي يقوله بعض الناس. **فالجواب**: أن تصحيح الخطأ هنا ليس ممكنا إن صحّ أنه خطأ فعلًا، ثم -إن صح أيضًا- فالاعتذار للشيخ وأصحابه فيه ممكن، بل سهلٌ علينا، والحمد لله.

وأنت قصاراك أن تعرف أن الشيخ «أسامة» حَفِظَهُ اللهُ وسدده ونصره، قد أخطأ في اتخاذ القرار وعصى أميره (أمير المؤمنين) ولم يأخذ بالشورى (وهذه فيها مجال).. الخ؛ طيب.. وماذا بعد..!

هب أنك عرفت هذا وفهمته (ولن تستيقنه أبدًا، بل ستبقى عليك إشكالات، وسيبقى كل ما عندك ظنون قابلة للمعارَضة بمثلها، أو ربما أوهام) فما المطلوب الآن؟

تقف مع أمريكا..؟ وتساند التحالف الدولي لمكافحة «الإرهاب»..؟ وتنخرط في حملة «الضربة الحديدية لنشر العدالة الأمريكية..»؟! أم ستقف مع إخوانك المسلمين وتواليهم وتنصرهم على عدوّ الله وعدوّهم، وستجاهد في سبيل الله بما استطعتَ، وفي نفس الوقت تبذل نصحك وتوجيهك وتمارس واجبك في كل ما أمر الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة والإصلاح والتعليم والدعوة إلى الله..؟

إن اخترتَ الأول فقد سقطتَ في الامتحان، وفشلتَ، ولن ينفعك العلمُ بالتاريخ ولا تحقيق صفحاته البيضاء ولا السوداء، بل سيكون هذا «العلم» بالنسبة إليك علما فاسدا غير نافعٍ، وستخسر خسرانا مبينًا في الدنيا والآخرة، وستكون أنت أول الداخلين إلى مزبلة التاريخ التي تعتني بتسويد صفحاتها، وتكون غبيّا جهولا..! ونحن سنحكم عليك بالكفر والخروج من ملة الإسلام، ونراك من عدوِّنا لا منَّا.. وسنحاربُك كما نحاربُ سائر أعدائنا بحسب ما يرينا الله وما يفتح علينا..

ما رأيك؟ فما بقي إلا الخيار الثاني، لمن كان من أهل الإسلام.. أما بعد ذلك، تعترض على الشيء الفلاني، وتراه خطأ، ولا يعجب كذا، ويعجبك كذا، فهذا ما لنا فيه عليك سلطان، ولسنا عليك بجبارين، وهو لك.

لكن، لا بد أن تكون مع المؤمنين، ضِدًّا على الكافرين.. الولاء والبراء.. وهذا هو المحك الكبير.. وهذا هو الامتحان الصعب الذي تجلَّى في أحداث سبتمبر وما بعدها، فناجح وساقط.. والله وليُّ المؤمنين.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

نرجع إلى السؤال: في ظني أن أثر هذه الضربة على الجماعات الجهادية، أغلبها أو كم كثير منها، سواء طالبان أو غيرها من جماعات الجهاد العربية والأعجمية، في القريب العاجل كما ترى، فهي نسفٌ لها إن شئتَ، وإن شئتَ فقل: إعادة تشكيل وتبديل.

يكفيك أن طالبان دولة أو شبه دولة، زالت..! وجماعات أخرى متكاملة اضمحلّت وزالت أو كادت..! والقتل والأسر الذي استحرّ في أهلها وأفرادها وغيرهم شيء لا مثيل له في القريب..! حتى يسمّيه أخونا الشيخ أبو مصعب: الأخدود[1].!!

وأما على المدى البعيد فنرجو أنها خير، كما أشرنا، وكما سيأتي أيضا إن شاء الله؛ فنحن سنتكلم عن العراق وعن الجزائر والصحراء وغيرها، وعن طالبان الآن وأفغانستان، سائر الإرهاصات والمؤشرات.. بالجملة الحاصل هو تحوّل تاريخي.

والتحوّلات التاريخية غالبا ما تكون صعبة وفيها خشونة وضريبتها كبيرة وقاسية، والله أعلم، والله المستعان؛ نسأل الله تعالى من لطفه ورحمته.

❃ ❃ ❃

〚التحالف العالمي ضد المجاهدين، وأثره على المسيرة الجهادية〛

۞ لم يتحالف العالم بأسره كتحالفه بالحرب على الجهاد وأهله بما يسمى الحرب على الإرهاب بما فيه أبناء جلدتنا والتضييق على العلماء بالأسر وغيره..

ما هي نظرتكم المستقبلية لهذا التحالف وتأثيره على المسيرة الجهادية؟ وفقكم الله لما يحب ويرضى..

---

(١) عبر الشيخ أبو مصعب عن الغزو الصليبيب لأفغانستان بأنه «أخدود» للمجاهدين في أكثر من موضع في كتابه «دعوة المقاومة» وغيره؛ فقال مثلا (ص ٧٢٣): «دخل التيار الجهادي محنة الأخدود المعاصر الذي ابتلع معظم كوادره خلال السنوات الثلاثة التالية (٢٠٠١-٢٠٠٤)»، وقال (ص ٤١): «جاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، ودخل الجيل الثاني [يعني للمجاهدين في هذا الزمان] في أتون المحنة، لينصرم القرن العشرون، وتفتتح الألفية الثالثة بمذبحة مروعة وأخدود عظيم، التهم معظم كوادره وقياداته وأكثر قواعده، ولم يسلم منهم من القتل أو الأسر إلا النذر اليسير..».

[السائل: الجوفي]

الجواب:

نعم صحيح، لا نعرف أن العالم الكافر تحالف بالحرب على الجهاد وأهله وعلى أمة الإسلام بعامةٍ كما تحالف في هذه المرة، وفي هذه الحملة الصليبية الحديثة.. والتضييق على العلماء والدعاة هو من أثر ذلك؛ فالعدوّ يعرف أن حربنا معه دينية، وقتالنا له دينيّ عقديّ، وذلك مبناه على العلم بالدين، والعلماء هم من يبينونه ويشرحونه ويحملون رايته، فالعدوّ عارفٌ بخطرهم ومكانتهم..

فكونه يمارس الضغط والاضطهاد العظيم عليهم فهذا طبيعي معلوم، وهو امتحان كبير لهم أيضا، وأنت ترى الناجحين فيه والساقطين..! ودرجات متفاوتة.. والله المستعان.

تأثير هذا التحالف على المسيرة الجهادية، لا شيء إن شاء الله.. بل ربما زادها قوة وانتشارًا؛ فهو تحالف شيطاني هواء وخواء، و﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[آل عمران: ١١١]

المهم أن نكون نحن جيدين.. ونظرتي المستقبلية لهذا التحالف أنه سيتداعى للسقوط، وذلك يحتمَل أن يكون سقوط انجعاف، وهُوِيًّا مدوّيًا، ويحتمَل أن يكون بالتدريج، العلم عند الله.

لكن الذي لا نشك فيه أنه بلغ مداه، ولن يتعدى قدره، وما بقي إلا أن يضمحل ويفشل.. بإذن الله تعالى وحوله وقوته.

فأمريكا؛ العالَمُ كله يكرهها ويزداد كراهية لها، وهي لا تزداد في كل تحالفاتها اللعينة إلا انهيارًا على جميع الأصعدة.. نعم، قد تحقق مكاسب وقتية مرحلية مثل: الإمساك ببعض «الإرهابيين» وقتل البعض، وما شابه ذلك؛ لكن هذا ليس كل شيء، بل المحصلة أنها في تدنٍّ وسقوط وفشل وخسران.. هي تخسر القضية، لأنها أصلا ليس لها قضية عادلة..!

وليس لها ما تقدمه للناس إلا ما يقدمه الشيطان من الدعوة إلى الفحشاء والمنكر والبغي.! وهي تتخبط في غرورها وكبرها وغطرستها وعَماها، وتزداد أخطاؤها الفاحشة كل يوم وتتراكم، وتكرهها كل الشعوب حتى الشعوب التي كان من المفترض والمتوقع أن تكون الأكثرية محبة لها.! وهي تضعف اقتصاديا وماديا..

وهي تكسب أعداء جدًا ومنافسين متربّصين ينتظرون سقوطها ليعملوا فيها سكاكينهم ولن يرحموها، بل سيكونون أشد عليها منا نحن، فما أرحمنا نحن.!! والحمد لله، ونسأل الله من فضله.



〖هل سيبقى الجهاد للنكاية بالعدو فقط؟〗

❁ إلى متى سيبقى الجهاد جهاد نكاية فقط؟

[السائل: mamado]

الجواب:

أظن أن مقصودك أن الكثير من الجهاد اليوم هو جهاد نكاية في العدوّ من دون تحقيق نتائج كاملة إيجابية.. فهذا فيه بحث..! ويحتاج إلى شيء من التوضيح، والأهداف المشروعة ليست على درجة واحدة، هناك الهدف الكلي والكامل وهناك الجزئي المرحليّ.

فنحن نجاهد أعداء الله تعالى المحاربين لنا ولديننا؛ استجابة منا لأمر الله تعالى الذي فرض علينا الجهاد، على تفصيلٍ في مسائله وفروعه تأتي الإشارة إليها إن شاء الله في الأجوبة القادمة.. فالحاصل أننا قائمون بأمر الله تعالى.

ونعلم أن أمره ﷻ هو الصلاح والمصلحة وأن العمل به هو الخير كله وهو النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، ونعلم أن هذا هو تكليف وابتلاء وامتحان، وهذا هو الدين.. الدين مبناه على التكليف، ولماذا خلقنا الله تعالى وأرسل إلينا الرسل وأنزل علينا الكتب إلا ليبتلينا؟ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[الإنسان: ٢]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات] وما في معناها كثير في القرآن والسنة.

والله ﷻ من لطفه ورحمته، وسّع علينا، وجعل لنا مجالا لا بأس به للنظر والترجيح والسعي في الأحسن والأصلح واختيار الأسهل والأفيد.. وهكذا، لكن على حسب قانون الشريعة، بمعنى: عدم تجاوز حدودها.

وإذا كنا عاجزين؛ فرحمنا ولم يكلفنا ما لا نطيق، أو ما يشق علينا جدًا؛ كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾[النساء].. فإذا لم نقدر على شيء وسّع علينا ﷻ في الاجتهاد -على حسب ما تعطيه شريعته من الفسحة وعلى مقتضى الضوابط المبينة في شريعته في مواضعها- أن ننتقل إلى غيره من الأشياء، فإن لم نقدر على الجهاد انتقلنا إلى الإعداد بمعانيه العلمية والعملية، واستمررنا في الدعوة اللسانية، وفي تحصيل ما يمكن من المصالح الشرعية.. وهكذا؛ فالحاصل أننا حين نكون قد قدرنا على جهاد عدونا كما أمر الله، فإننا ننطلق إلى الجهاد طاعةً لله تعالى، ونعلم أن فيه بذل دمائنا وإزهاق



أرواحنا، وبعد ذلك؛ فهذا الجهاد الذي نقوم به، قد يكون هدفه سهلا، وقد يكون صعبا، وقد يكون كليا إيجابيا، وقد يكون جزئيا مرحليا أو سلبيّا (أقصد بالسلبيّ ضد الإيجابيّ في الاصطلاح، وهو القاصر على دفع الضرر مثلا).

والنكاية في العدو هي من ذلك، وهي قد تكون لمجرد دفع ضرره وعدوانه وفساده، أو لتقليلها. وقد تكون لما هو أكثر من ذلك؛ أي لاستنزاف العدوِّ مثلا، وإضعافه، وتفتيته بالتدريج، حتى ينهار ويسقط ويأذن الله ﷻ بزواله وفنائه أو اندحاره على الأقل.

وهذا قد يحتاج إلى وقت طويل، وفي أثناء ذلك بلاء ومحنة، وتكاليف وامتحانات، والله غالب على أمره، نسأله تعالى اللطف والعافية.

لكن نحن عبيده ﷻ، نسعى في طاعته والعمل بمرضاته والفوز عنده، **والجهاد الآن**؛ لعله في معظمه هو من هذا القبيل.. وإن كان بعضه أقرب من بعضٍ إلى تحصيل هدف كليّ كبير.

فمثلا: المجاهدون في أفغانستان أقرب إلى تحصيل الدولة من جديد من غيرهم، الأمر مرهون باندحار أمريكا إن شاء الله وتستعيد «طالبان» الدولة أعز وأقوى وأكرم.. وهكذا، يختلف الأمر من مكان إلى آخر.. لكن الجميع يخدم الجميع.

والجهاد الآن هو كله ضد عدوّ واحدٍ هو باختصار: أمريكا وأولياؤها.. فإذا سقطت أمريكا واندحرت -وهذا قد يطول، لكنه آتٍ- فستسقط الكثير من توابعها وأذنابها، وليس معنى ذلك الخلو من الصعوبات والفتن والمشاكل، لكن، سيكون هناك وضع جديد مختلف، والله أعلم.

والخلاصة: يمكن أن يبقى الجهاد جهاد نكاية واستنزاف ومصاولة إلى ما شاء الله، لا ندري إلى متى، هذا في علم الله تعالى، لكنْ هذا كله نحن قائمون فيه بأمر الله، وننتظر فرجه وفتحه، والمجاهد منا بين إحدى الحسنيين، والنصر -بمعنىً من معانيه- مع الصبر، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾﴾[البقرة]، وهذا الجهاد سوق مفتوحة يربح فيها من يربح ويخسر من يخسر، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر أحبابنا من الرابحين الفائزين.. آمين.

❋ ❋ ❋

〚الجهاد في الجزائر؛ سبب قلة الظهور الإعلامي، ونصائح للمجاهدين〛

❁ هناك الكثير من جبهات الجهاد التي فتحت بفضل الله فمنها من أخذت نصيب الأسد من الاهتمام وعلى رأسها الجبهة في بلاد الرافدين؛ ربما لأن فيها المواجهة المباشرة مع العدو الأمريكي ولأهمية العراق الجغرافية والتاريخية..

لكن هناك جبهات أخرى قصر الإعلام الجهادي في تغطيتها لسبب أو لآخر وعلى رأسها الجبهة الجزائرية! فهل ترون أن هذه الجبهة ما زال يكتنفها بعض الغموض؟ أم أن البعد الجغرافي هو السبب وراء ندرة الأخبار على هذه الجبهة؟ ماذا تنصحون الإخوة في الجزائر وهل ترون أن عليهم الإسراع في إعلان البيعة للشيخ ابن لادن حَفِظَهُ اللهُ نبذا للفرقة وعملا على توحيد الصفوف؟ هل العلماء قد قاموا بالدعم اللازم منهم للإخوة في هذه الجبهة؟ وكيف تنظرون إلى الإنجازات التي تحققت في الجزائر، وهل هناك تقصير أو خلل ما يجب إدراكه؟ هذا فيما يخص جبهة الجزائر.. والسلام عليكم..

[السائل: موحد**]**

الجواب:

نعم بلا شك؛ فهناك جبهات نالت نصيبا أكبر من غيرها من الاهتمام الإعلامي ومن الشهرة، **وهذا له أسباب؛ منها** ما أشرتم إليه من أسباب الجغرافيا والتاريخ وكون العدو هو كذا دون كذا، ومنها أيضا عامل العصر والوقت وتغيّراته وظروفه، وهذه قد نسمّيها أسباب طبيعية وعادية، غير كسبيّة، وهذا قد يدخل تحت قول علمائنا: «الشهرة مبناها على الحظ» ولعلي أشرح هذا في مناسبة أخرى بشكل أوسع.

ومنها أسباب أخرى كسْبِيَّة، وذلك مثل نشاط أهلها وعلمهم ومهاراتهم وجودة ثقافتهم، وجدهم واجتهادهم، وبروز رجالات منهم من النوع الفذ النادر الموهوب، وهكذا.. وفي كل خير إن شاء الله.

وأما هل ترون أن هذه الجبهة ما زال يكتنفها بعض الغموض أم أن البعد الجغرافي هو السبب وراء ندرة الأخبار على هذه الجبهة؟ فنعم ذلك كائنٌ.. يعني: الأمران معا.

الغموض بمعنى عدم وضوح صورة الإخوة المجاهدين في الجزائر، وعدم نقائها، بعد ذلك التشوّه الكبير الذي حصل على يد الجماعة الإسلامية المسلحة «الجيّا» بقيادة «زيتوني» ثم «عنتر زوابري». وسنزيد الكلام في هذا في محله.

والبُعد الجغرافي أيضا؛ فالمغرب العربي ومنه الجزائر ليست بالتأكيد في قيمة وأهمية العراق والشام التي هي قلب العالم، وقلب «الشرق الأوسط» كما يسمّيها الأعداء، وهي أهم منطقة في العالم تقريبا، ثم

هي قلب العالم الإسلامي على وجه الخصوص، والله الموفق.

وسؤالك: «**ماذا تنصحون الإخوة في الجزائر، وهل ترون أن عليهم الإسراع في إعلان البيعة للشيخ ابن لادن حَفِظَهُ اللهُ نبذا للفرقة وعملا على توحيد الصفوف؟**».

ستتكلم على «الجزائر» إن شاء الله وبتيسيره ﷻ في محورها، ونعم ننصحهم بالانضمام للشيخ أسامة حفظ الله الجميع، ونراه خيرا إن شاء الله وصلاحًا.

وأما: «**هل العلماء قد قاموا بالدعم اللازم منهم للإخوة في هذه الجبهة؟ وكيف تنظرون إلى الإنجازات التي تحققت في الجزائر وهل هناك تقصير أو خلل ما يجب إدراكه هذا فيما يخص جبهة الجزائر؟**» فلا يا أخي العزيز، لا قاموا باللازم ولا بجزء يسير منه حتى!! وإلى الله المشتكى، بل كان أثر الكثيرين منهم سيئا فاسدًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.. وسنتكلم على هذا بشكل أكثر إن شاء الله في موضعه، وبالله المستعان.

❋ ❋ ❋

[الخطاب الجهادي.. ماذا يحتاج في أسلوب طرحه؟، وكيفية التعامل مع المخالف]

❁ س/ ألا يرى الشيخ أن أسلوب طرح التيار الجهادي بحاجة إلى إعادة نظر؟ وأنه بوضعه الحالي عقبة تحول دون وصول المجاهدين إلى عامة الأمة؟.

س/ لعل الشيخ لاحظ زلل الكثير من الجهاديين في التعامل مع المخالفين في بعض المسائل أو في المنهج عموماً، والشيخ نفسه قد تأذى من ذلك سابقاً، وفي المقابل: نجد من اتجه اتجاهاً آخر؛ نجده يعذر كل مخالف ولو كان محارباً للسنة بشكل صريح؛ فما نصيحة الشيخ للشباب الجهاديين وللمجاهدين أنفسهم في طريقة التعامل مع المخالفين، خصوصاً أهل العلم.

[**السائل:** أبو صديق]

الجواب:

يغفر الله لنا ولك..

فيما يتعلق بالسؤال الأول: فإعادة النظر دائما والمراجعة والدراسة لما سبق والمحاسبة للنفس هذه كلها فضائل ينبغي للمسلم أن يتحلى بها، وأظن أن الاتفاق منعقد عليها من الناس كلهم.

لكن كون أسلوب طرح «التيار الجهادي» هو بوضعه الحالي عقبة تحول دون وصول المجاهدين إلى

عامة الأمة؛ فهذا لعله ليس دقيقا بهذا العموم، أو مما يُبحَث فيه ويُفصَّل.

مع أن كلمة «التيار الجهادي» فيها إجمال أيضا، وذلك يختلف من جهة إلى أخرى، والمجاهدون -فضلا عما تسميه التيار الجهادي- ليسوا مستوىً واحدًا، بل هم مستويات ودرجات تتفاوت، كسائر الناس والطوائف.

وبالجملة.. يحتاج كثير من المجاهدين إلى تصحيح وترشيد في خطابهم وفي تعاملهم مع المخالفين ومع طوائف مخصوصة من الناس أكثر من غيرهم، وإلى تحرير مسائل معينة بشكل أعمق وأكمل، وفي التركيز والاهتمام والأولويات، وغيرها.. نعم هذا صحيح، وتفاصيله لعل بعضها على الأقل يأتي في الأجوبة والمحاور الأخرى.

وأما السؤال الثاني، أخي الكريم: فهذا الذي ذكرته واقع.. والنصيحة هي العلم والعقل والعدل والأدب والتواضع ومعرفة قدر النفس وطلب السلامة في الدين.

التعامل مع المخالف مخالفةً وإنكارًا ونصحًا، ورفقا أو عنفًا، وشدة أو لينًا، وتيسيرًا لا تعسيرًا، وتبشيرا لا تنفيرًا، وتواضعًا في غير ضعف مذموم، وعدلا وإنصافا في أقل الأحوال، وفضلا وتكرما وإحسانا في أعلاها، وبالحكمة عمومًا..

هذا فقه كبير وباب من أبواب العلم مهم لكل إنسان بلهَ المجاهدين في سبيل الله الحاملين راية الدين الحامين للحمى الحارسين للعقيدة.! ولا بد من التركيز عليه، والإبداء والإعادة فيه، والتكرار؛ لأن المجاهد هو أكثر الناس أعداءً وخصومًا، وأكثر الناس ابتلاء بخلاف المخالفين..

والمخالفون والخصوم درجات أيضا؛ فهو أحوج الناس إلى هذا العلم والفقه.

ولهذا كثرت وصايا النبيّ ﷺ إلى قواده ومبعوثيه وسراياه (**يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**)[1] و(.. **وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**)[2] وبالوصايا الكثيرة المتنوّعة.. ووصف الطائفة المنصورة بأنهم (**لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم**)[3] فهذا إذن من العلم الذي يجب الاعتناء به جدا، والتركيز عليه، ولا بأس أن تعطى فيه دورات خاصة لكل المجاهدين في معسكرات التدريب، كما يتدرب المجاهد على الكلاشن كوف والمتفجرات.

---

(١) صحيح البخاري (٦٩)، وأيضا: صحيح البخاري (٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. **وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**).

(٢) صحيح البخاري (٣٠٣٨)، صحيح مسلم (١٧٣٣).

(٣) صحيح البخاري (٣٦٤١) لكنه عكس هنا في الترتيب، وجاء باللفظ الذي ذكره الشيخ في: المعجم الكبير للطبراني (١٩ / ٣٧٠)، مسند الشاميين له (٣ / ١٢٩).



لأن المجاهد، هو من وَجهٍ خليفةٌ للنبيّ ﷺ، ومبعوث إلى الناس بتجديد الدين أو تصحيحه وتكميله كما أمر الله، كما قال ربعيّ بن عامر رضي الله عنه: «نحن قومٌ اللهُ ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد..»[١] الخ، وكما في الحديث الذي في «صحيح البخاري» عن جبير بن حية قال: «فَنَدَبَنَا عُمَرُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ العَدُوِّ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلاَءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الجُوعِ، وَنَلْبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ؛ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ»[٢] اهـ.

وأما الوصية لتعامل شبابنا المجاهدين أو محبي المجاهدين وأنصارهم مع العلماء عمومًا والعلماء الذين نختلف معهم خصوصًا، والذين وقعوا في المجاهدين ووقفوا ضدًا لهم، فهذا سنتكلم فيه بحول الله تعالى في محور العلماء.

❋ ❋ ❋

❁ أي بلاد للجهاد تفضل النفير اليها؟، وكيف ترى المسيرة الجهادية في المثلث الجهادي «فلسطين، بلاد الرافدين، أفغانستان».

[السائل: أبو مصعب ٤]

الجواب:

البلاد التي نفضّل النفير إليها تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات.

وينظر المرء أين يناسب أن يكون؟ وأي جهة يحتاج إليه المسلمون فيها، ويمكنه أن يصل إليها وينفع فيها؟ أو هل الأصلح في حقه نظرًا للإسلام والمسلمين (أي بالنظر إلى مصلحة الإسلام

---

(١) تاريخ ابن كثير (٩ / ٦٢١، ٦٢٢) وقال: «رواها سيف عن شيوخه» وسيف هو ابن عمر التميمي صاحب كتاب «الردة والفتوح» وهو متروك الحديث؛ اتهمه جماعة بالوضع، لكن قد يُستأنس بمثل هذا الحديث خاصةً مع وجود شواهد على حوادث مثله، مع الأخذ بالاعتبار أن العلماء يتسامحون في نقل الروايات التاريخية والاستفادة منها، وهو الراجح؛ في تفصيل ليس هذا محله، والله أعلم.

(٢) في جزء من قصة طويلة (٣١٥٩).

والمسلمين) أن يمكث في أرضه وينفع المسلمين بعمل ما يتقنه ويحسنه ولا يسدّه غيره، مثل الإعلام والاقتصاد والدعوة والعلم والتعليم وغيرها.

وهذا إما أن يعرفه الإنسان بنفسه (على فرض التجرّد في النظر والبحث) إذا كان هو من أهل العلم والرأي والمعرفة، وإما أنه لا يعرف؛ فليسأل المجاهدين، وأهل الرأي والمعرفة الموثوقين، ولا يستعجل الإنسان..

المهم أن يكون عاقدًا العزم، ولاحقًا بالقافلة، مستجيبا لأمر الله تعالى بالجهاد والنهوض له، ويتثبَّت في أمره، ويسأل الثقات ويشاور، ويكثر من دعاء الله تعالى ويستخيره ﷻ، ثم إذا بدا له الوجه توكل على الله تعالى.

وأما سؤالك أخي الكريم عن المثلث الجهادي فلسطين والعراق وأفغانستان.. فلم أعرف وجهًا وجيهًا لرسم هذا المثلث..

فبالإمكان أن يكون مربّعًا -مثلا- لو أضفنا إليه الصومال، أو شكلا خماسيا بإضافة الشيشان، وهكذا.. والشاهد أن المسيرة الجهادية متكاملة، وبعضها ألصق ببعض من غيره.

فمثلا: فلسطين هي أم قضايانا وهي ذخيرة وبنية تحتية إن شئتَ، وهي منبع فيّاضٌ وشلال دافقٌ للجهاد..! هذه فلسطين من حيث هي كبلد له بركته وقدسيته.. وكقضية سياسية ودينية.. لكن نحن لسنا راضين عن كل الوضع القائم فيها الآن أو الجماعات والأفكار..!

وارتباطها العضوي ببقية ساحات الجهاد يكاد يكون الآن غير موجود؛ هذا شيء آخر.. ولنا فيه تفاصيل، تأتي في محورها إن شاء الله، وهكذا قس..

❃ ❃ ❃

〚مستقبل الجهاد العالمي؛ في الصومال، والجزائر، والعراق، والسودان، وإيران، وسوريا〛

❁ شيخنا: ماذا ترى لمستقبل الجهاد العالمي؟

وما ترى في جهاد الصومال والجزائر وإرتيريا؟ وماذا تتوقع من أزمة دارفور؟ وهل سيكون هناك نزال بين النصارى وأعوانهم والحكومة أم كنهج سقوط العراق؟

وما ترى من مستقبل أزمة سوريا والضغوط عليها؟

وهل إيران ستتفق مع الأمريكان وتتقاسمان كعكة الشرق الأوسط؟

وما ترى من مستقبل الإسلام بالغرب والدعوة فيها في ظل الضغوط التي تمارسها الدول الكافرة؟

[**السائل:** ابن آدم]

الجواب:

حول مستقبل الجهاد العالمي؛ فنحن متفائلون حقا ومستبشرون، وكما سبق أن قلنا: المسيرة الجهادية في تقدم وازدياد واستداد بفضل الله، وفي تعارف وتلاحم وترابط بشكل أكثر من كل وقت مضى، بحمد الله، والبلدان المسؤول عنها نتكلم عنها في محاورها.

وسؤالك: **هل سيكون هناك نزال بين النصارى وأعوانهم والحكومة**؟ أي في السودان، يبقى هذا محتملا.. لكن الأرجح في التوقع عندي أنه لا يكون.

والحكومة عندها خيارات أخرى أوسع، وأنت عارفٌ بأن مثل تلك الحكومة الفاسدة الخائبة مدارُ خياراتها دائما على: ضمان بقائها واستمرارها في السطلة والمُلك، بأي ثمن وبأي شكل، على حدِّ قول الله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[البقرة: ٩٦].

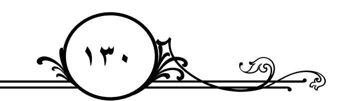
لكن هناك احتمالات أخرى لتفكك الحكومة وانهيارها في الخرطوم..!

وهل -لو بقيت الحكومة ولم تنهَر- ستقف مع النصارى وقوى «المجتمع الدولي» كما يسمّونها، ضد المجاهدين، أو ستحاول الإحسان والتوفيق على طريقة المنافقين؟ كلاهما محتمل، والاحتمال الأضعف من ذلك كله أن تقف مع المجاهدين؛ سواء الحكومة الحالية لو بقيت وصمدت، أو الحكومة الآتية لو حصل اضطراب في الخرطوم، ونتوقع أن المجاهدين -إن شاء الله تعالى وبتوفيقه- قادرون على التعامل مع أيٍّ من هذه الاحتمالات أو غيرها.

وخبرة الشيخ أسامة وتأثيره، والخصوصية التي له في السودان.. سيكون لها أثر طيب إن شاء الله ﷻ، وهذا هو المرجوّ، ونسأل الله تعالى أن يجعل العاقبة خيرا للإسلام وأهله.. آمين.

وبالنسبة لسوريا: فسوريا أمل لنا أن تنفتح فيها جبهة على غرار العراق.. وهذا سيجعل العراق لا تكاد تذكر..!! لأن سوريا أهم، وأشد خطرا على العدو.

وجود الجهاد والمجاهدين في سوريا يعني أنهم وصلوا إلى فلسطين ودويلة اليهود، ويعني أن لبنان في القبضة، ويعني الاتصال العضوي بين مجاهدي القاعدة وبين مجاهدي فلسطين، ويعني أشياء كثيرة، وليس سرا نفشيه على كل حال.. فالعدوّ عارف بهذا كله متفطّن له، والصحافة تذكر أكثر من هذا؛ لكن نحن ننتظر الفرج من الله تعالى وحسن بلائه علينا ﷻ.



النظام السوري في أزمة وورطة ومشاكل لا حصر لها، والأمريكان واليهود معهم مترددون -لأجل ملاحظة كل ذلك- في زيادة الضغط على سوريا، وهم يسعون لإيجاد بديل مناسب لهم، وخادم لمصالحهم بشكل أفضل؛ لأن النظام الحالي ورث موروثات قومية وتاريخية تجعله غير ملائم للخدمة الوفية.!

لكن هم (الأمريكان) يعلمون أن تبديل النظام هي عملية صعبة تنطوي على مخاطر بالنسبة لهم، فيمكن أن تحصل فوضى، و«الفوضى» في المنطقة بمعنى الانهيار السياسي للأنظمة الفاسدة والانفلات الأمني، بالنسبة للمجاهدين هي مرحلة مطلوبة، لأنها في فلسفتهم وحسب فهمهم للميزان الشرعي للصلاح والفساد خيرٌ من وجود هذا النظام النصيريّ البعثيّ القوميّ العلمانيّ الاستبدادي الشمولي المتعفّن، الخائن، وقل ما شئتَ عنه.!!

خلافًا لمن يرى غير ذلك من إخواننا وقومنا، ممن يميل في اختياراته إلى السكون والدعة والأمن والأمان والاستقرار والعيش الهنيّ، ويجعل ذلك عمليًّا كأنه المقصد الذي بعث الله من أجله رسله، ولم يعرف الجهاد وما فيه من الخير والبركات.

نسأل الله تعالى أن يهدينا وجميع إخواننا لما اختُلفَ فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم.

وهذه الخيريّة المشار إليها في حال الفوضى، أحيانًا ومرحليًّا، هي نسبية إضافية؛ فهي مبنية على قاعدة «ارتكاب أخف الضررين» وما في معناها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: لأنها وسيلة إلى خير أكبر وأعظم وهو التغيير المرجوُّ بالجهاد في سبيل الله تعالى ومقارعة الكافرين ومنازلتهم، والعاقبة للتقوى.

على العموم.. دائما قد توجد مفاجئات، ونحن نؤمن أن الله تعالى يكرم المسلمين وينصرهم ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، ويهديهم ويسددهم، بشرط أن نكون عباد الله حقا، ونصدق الله تعالى في الجهاد والقيام بأمره، ونعمل صالحًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾[محمد]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٣].

هناك عدة عوامل مؤثرة في التحولات المتوقعة في سوريا:

طبعا المسألة العراقية..

وضع أمريكا في العراق..

الحرب بين السنة والشيعة..



نفس مشاكل النظام السوري، وهي كثيرة.

حال أهل الجهاد في البلد والمنطقة..

ثم هل يفكر المجاهدون (وأعني القاعدة على الأخص) في فتح جبهة في سوريا؟

وهل سيتمكنون؟ هل سيساعدهم الحال والظرف والمعطيات؟

هل الشعب السوري مهيَّأ لشيء مثل هذا؟

أو يحتاج إلى صدمة كبيرة مثل غزو خارجي أو انفلات في السلطة واضطراب؟

لأن غير هكذا، لا يوجد شخصيات قيادية دينية واجتماعية موثوقة ومسموع لها ومطاعة، من علماء مثلا، تستطيع أن تحرك الناس وتقود مسيرتهم..!

هذا غير موجود أسوة ببقية بلاد المسلمين تقريبا..!! وللأسف.! وإنا لله وإنا إليه راجعون، والشباب لا بد لهم من عامل مساعد قويّ، وهو الصدمة الكبيرة، والفوضى.

نسأل الله أن ييسر ما فيه الخير.. في رأيي الخاص، أن الإخوة المريدين للجهاد والمحبين والساعين والمستعدِّين، في سوريا عليهم أن يكونوا امتدادًا لإخوانهم في العراق وغيرها، وأن يكملوا الاستعداد، ويكونوا على أهبة الاستعداد للفرصة المتوقعة، والله المسؤول لنا ولهم التوفيق والسداد والنصر على الأعداء.. آمين.

بالنسبة لإيران: هناك أسئلة أخرى للإخوة عن إيران أيضا، سنزيد الكلام عليها في موضع آخر. ولكن أقول هنا: إن إيران وضعها مختلف عن سوريا كثيرا؛ فإيران أكثر اطمئنانا..

وهي أكثر قوة ونفوذا وتأثيرا في المنطقة (الإقليم)، وثقلها القومي (الفارسي) والتاريخي والحضاري والديني (الطائفي) وغيره.. معروف، لكن هي أيضا تحمل عواملَ لا بأس بها للفشل، وإيران بإمكانها أن تتحالف مع أمريكا في أي وقت، لتقاسم كعكة الشرق الأوسط كما ذكرت أخي الكريم، لكن لن يهنؤوا بها إن شاء الله ولن يستطيعوا بلعها..!!

ونسأل الله أن يكفينا شرها.. آمين.



〚التيار السلفي الجهادي في المغرب خاصة، والبلدان الإسلامية عامة〛

❁ ما هي رؤيتك لوضع التيار السلفي الجهادي في المغرب خصوصا، وفي بقية البلدان الإسلامية عموما؟، ماهي رؤيتك يا شيخ للوضع في أفغانستان والعراق وهل الفجر يلوح في الأفق؟

[**السائل:** كلمة حق في وجه العدو]

الجواب:

التيار السلفي الجهادي في المغرب، إذا كنت تقصد المغرب العربي بمعناه الأعم؛ فأرى أنه له المستقبل إن شاء الله، ويحتاج إلى ترشيد وأن يلتحم أكثر مع تجربة إخوانه في المشرق، وكذا في بقية البلدان الإسلامية..

التيار الجهادي السلفي، هو المستقبل إن شاء الله تعالى؛ فأبشر يا أخي..

وبوارق الأمل في أفغانستان والعراق لائحة، ولكن نحن عبيد الله دائما في النصر وفي الهزيمة، وفي كل حال ووقت لله تعالى علينا عبادة لا بد أن نؤديها.

اللَّهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.. آمين.

❃ ❃ ❃

〚حكم عرض الهدنة في بعض الجبهات؛ ليقوم الجهاد ويشتد في جبهات أخرى〛

❁ في هذه الأيام.. الثغور الإسلامية تتفتح ثغرًا بعد ثغرٍ، ولا نرى شيئًا يصدها؛ فأصبح الجهاد قائمًا في الشيشان وأفغانستان والعراق وفلسطين وكوسوفا والسودان والصومال والجزيرة والجزائر وإريتريا وكشمير وفلبين، وربما غيرها ولكن لا أتذكر.. فإذا كان الجهاد في كل هذه البلاد فرض عين؛ فهل على شباب الأمة التوجه إلى كل هذه البلاد وتعطيل العمل في بلادهم؟!..

أنا أجد أن كل هذه الثغور تحتاج إلى ربما مليونين من الشباب كي تسد؛ فما رأيك..

السؤال.. أليس واجبًا على بعض قادة بعض هذه الجبهات عرض الهدنة أو محاولة تجنب الطرف الآخر وتعطيل الجهاد هناك حتى تقوم شوكة لأهل التوحيد في بلد معين، ومنها تنطلق بالترتيب إلى البلاد الأخرى.. أم أن الوضع الحالي هي أفضل بالنسبة لمستقبل الجهاد العالمي؟

[السائل: unidentified]

الجواب:

أولا يا أخي الكريم أنت لماذا «تريد» أن ترى شيئا يصدّها؟! -ابتسامة-، هذا لملاطفتك، لأن عبارتك هذا معطاها الاستعمالِيّ.! وأنت لا تقصد ذلك إن شاء الله.

المهم: أن فكرة المجاهدين اليوم هي توسيع رقعة الجهاد والمواجهة مع العدوّ، الذي هو كما قلنا: عدوٌّ واحد: أمريكا وأذنابها؛ فهذا عين المصلحة.! لأنه في صالحنا، وضرره على العدو واضح لكل عاقل، ومن مقاصد المجاهدين إشعال الجهاد في كل مكان.

نعم، ذلك بحسب الإمكان وبحسب الاستعداد والتهيءِ وعلى حسب ما تفيده الدراسة الواعية في كل حالة ومكان ووقت، لكن هناك مناطق مما ذكرت الجهادُ فيها والنزاع قديم، أو لا دخل للمجاهدين المعاصرين في إنشائه، أو له أسباب خاصة، مثل فلسطين، وكوسوفا، وكشمير، مع أنه أو بعضه مهم الاستمرار فيه وعدم التوقف.

واستشكالك أنه إذا كان الجهاد فرض عين في كل هذه الساحات فهل على شباب الأمة ورجالها أن يتوجهوا إليها كلها ويعطلوا العمل في بلادهم؟! سأوضّحه إن شاء الله في محور آخر.

لكن باختصار هنا أقول: أي عمل تقصد الذي يعطّلونه في بلادهم؟ فإن كانت أشغال الدنيا فهناك من يكفي أن لا تضيعوا من تعولوا.

ونحن عندما نقول إن الجهاد فرض عين، فإننا نجعل لذلك غاية هي: أن تحصل الكفاية من الرجال النافرين، فمهما نفر من الأمة حتى تحصل الكفاية؛ فلا خوف على أشغالهم من خلفهم في بلادهم أن تتعطل أو تضيع، بل هناك من يقوم بها ويكفيهم إياها، ولا يضيع من تعولون من أطفالكم ونسائكم وضعفائكم، إن شاء الله أبدًا.. فلماذا الخوف من أن تتعطل دنيانا؟ ولماذا نفترض مثل هذه الافتراضات منازعة لأمر الله تعالى، وتقديما بين يدي الله ورسوله؟!! وفي الأخير.. فلتتعطل يا أخي..!! نحن لم نخلق للدنيا.. نحن خلقنا لنمر فيها مرورًا ونعبُرها إلى هناك، إلى فوق..!!

ما رأيك في قول علمائنا:

- **القاضي أبي بكر بن العربي** رحمه الله: «.. إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم، كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال وفضول

الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد»[١] اهـ بواسطة تفسير القرطبي[٢] عند قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾[الأنفال: ٧٢].

- **الشيخ سليمان بن سحمان** رحمه الله: «إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر؛ فقد ذكر الله في كتابه: أن الكفر أكبر من القتل، **قال تعالى**: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾[البقرة: ٢١٧] وقال: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[البقرة: ١٩١] والفتنة هي الكفر؛ فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتًا يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث بها رسول الله ﷺ»[٣] اهـ، نقلا عن كتاب «الإعلام بشرح نواقض الإسلام»[٤] للشيخ «الطريفي».

وهذا المعنى الذي ذكره هذان العالمان، هو قول سائر العلماء من السلف؛ لعله مما لا خلاف فيه إن شاء الله، ولا ينبغي فيه خلاف، وإنما نحن في أزمنتنا هذه نحتاج إلى النصوص في كل شيء، نحتاج إلى من ينصّ لنا على هذا المعنى حتى نطمئن ونرتاح، ونظل نحتج به ونتأسّى..! وإلا فهذه المعاني كلُّ العلماء يقولونها، وليس معنى نسبتها إلى القرطبيّ أو ابن العربي أو ابن سحمان أو غيرهم أنهم تفرّدوا بذلك، لا.. بل كل ما في الأمر أن هؤلاء تكلموا في المسألة وصاغوها لسبب من الأسباب كان، ونحن عثرنا على كلامهم ونصّهم فأظهرناه واستخدمناه واستأنسنا به، وإلا فكتاب الله تعالى وسنة نبيّه ﷺ مملوءان بالدلالة على هذا المعنى وترسيخه، ويكفي فيه مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾[الذاريات]، ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[البقرة: ١٩١]، ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾[البقرة: ٢١٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾[آل عمران]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ۝١٣٢﴾[طه]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝٩٧﴾[النساء]، ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن

(١) أحكام القرآن (٢ / ٤٤٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٥٧).

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠ / ٥١٠).

(٤) الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام (ص ٤٤، ٤٥).

مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾[العنكبوت] وغيرها كثير..

ومن السنة: سائر أحاديث الهجرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذم الدنيا والتزهيد فيها والأمر بالنظر إلى الآخرة وأنها هي دار القرار، وأحاديث الفتن، والصبر على الإيمان والفرار بالدين من الفتن، والثبات على الحق..!

والمقصود: أن الكتاب والسنة دالَّان بما لا مزيد عليه على أننا إنما خلقنا الله تعالى لنعبده ونوحّده ونعمل بطاعته، وأن هذا هو الامتحان والابتلاء والتكليف الذي هو الغاية من إيجاد الله تعالى لنا، وأن النجاح فيه وعبوره بسلام وتوفيق هو الفلاح حقا والفوز حقا وهو النجاة، وأن الله تعالى من لطفه ورحمته وسَّع علينا في المباحات وفي الأخذ من الدنيا بما يصلح نفوسنا ويسايسها ولا ينفّرها ولا يشق عليها، وأنه إذا تعارض نصيب الدنيا مع نصيب الآخرة؛ فإن قانون النجاح ودستور الفلاح عند الله تعالى يقضي بوجوب تقديم الآخرة على الدنيا، وأن الكفر والشرك بالله تعالى هو الظلم العظيم وهو الفتنة الكبرى وهو المصيبة العظمى التي لا ينفع صاحبها شيء معها، وأنه من أجل ذلك ابتلانا الله تعالى بفرض الجهاد وبذل دمائنا وإزهاق أرواحنا والتعرض للتلف والعطب والأخطار والمشاق، لنحفظ ديننا وليستمرّ بقاؤنا على توحيده ﷻ والعمل بطاعته..! والله المستعان.

الحاصل: أننا مهما دعونا للجهاد وحرّضنا عليه؛ فإن النافرين على الأغلب لن يسدّوا الحاجة، فإن سدّوها في محل فالغالب أنها لا تسدّ في كل المحالّ.

أين هم النافرون للجهاد في مقابل القاعدين الخاذلين والمُخلدين إلى الأرض؟ تقول إن هذه الجبهات تحتاج إلى مليونين.. طيب.. ولماذا لا نعطيها مليونين من مجموع أزيد من مليار مسلم؟ ربعهم على الأقل قادرون على النفير، شباب ورجال أقوياء أصحاء..! يعني: أزيد من مائتين وخمسين مليونًا؛ لو أخذنا منه اثنين (مليونين) نفروا إلى الجهاد.. ما المشكلة؟ هل ستضيع عوائلنا وأطفالنا وشيوخنا العجزة في بلادنا؟ لا.. انظر إلى البطالة والضياع في عالمنا العربي والإسلامي اليوم واعتبر وتأمل.!

مع أننا لا نطلب مليونين، بل يكفي عشرها إن شاء الله، أي مئتا ألفٍ، من النافرين للجهاد المهاجرين، غير أهل كل بلدٍ من البلاد التي فيها جهاد.

ثم إننا عندما ندعو إلى الجهاد ونحرّض عليه، نريد من كل مسلم أن يلحَقَ بالقافلة؛ فإذا استجاب لأمر الله تعالى، ولحِق بالقافلة، وانضم إليها؛ فإنه قد يكون في الساقة وقد يكون في الحراسة وقد يُؤمَر

أن يبقى في محله لشغل هناك للإسلام والمسلمين.

والحاصل أنه لا يهولَنَّك تخيّل أن ينفرَ كلُّ المسلمين ولا أكثرهم ولا حتى عشر العشر منهم؛ لأن النفير المأمور به معناه ما أشرنا إليه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وسؤالك عن عرض المجاهدين هدنة مع العدو في بعض الأماكن حتى يحشد المسلمون قوتهم في مكان ما ثم ينطلقوا منه.. فعقد الهدنة هذه مسألة أخرى، وهي في كل مكان وزمان بحسبها، بحسب حاجة المسلمين إلى ذلك، فقد يكون ما ذكرته أنت له تأثير وقد لا يكون، بحسب كل حالة.

والمجاهدون لو رأوا ذلك.. فمن حيث الأصل لا مانع، ولكن هذا كما قلت لك يُدرَس في كل حالة على حدة وبحسبها؛ لأن مقصد توسيع رقعة الجهاد ونشره في أوسع نطاق، هو مقصد معتبر ومطلوب تحقيقه، وأيضًا أحيانًا يكون التعدد للساحات خادما بعضه لبعض.. بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة تتداخل؛ فهذا كله ينظر فيه على وجه التكامل والشمول ويُرى ما هو المناسب.. والله الموفق.. أرجو أنني فهمت سؤالك على مرادك؛ فإن لم يكن فالعذر مرجوٌّ منك ومن كل أخ، وليكن ما قلناه من قبيل المناسبة وتوارد الأفكار، وفي ذلك خيرٌ إن شاء الله.

❋ ❋ ❋

〚قتال الأنظمة المرتدة، جماعة «التوحيد والجهاد» في المغرب الأقصى، مشروع توحيد الجماعات الجهادية المعاصرة، مسألة الأولى بالقتال: العدو القريب أم البعيد〛

❁ أولا: هل من الحكمة في ظل الهجمة الصليبية أن تفتح الحركات الجهادية المعاصرة في هذا الوقت النار على أنظمتها المرتدة؟ أم أن الحكمة تقتضي الصراع مع جبهة واحدة الآن؟

ثانيا: في المغرب الأقصى.. سمعنا بظهور جماعة اسمها «التوحيد والجهاد»؛ هل هي من ضمن الحركات الجهادية المعاصرة؟ وماهي فرصها في النجاح إذا ما كررت التجربة الجزائرية؟

ثالثا: هل هناك تنسيق أو مشروع توحيد للحركات الجهادية المعاصرة من العراق إلى أفغانستان والصومال وفلسطين والجزائر والمغرب؟

[السائل: ابن المختار]

الجواب:

(أولا): هذا فيه تفصيل، ويختلف بحسب الأحوال؛ فقد توجد في بلدٍ ما فرصة للدخول في حربٍ مع العدوّ المحليّ المرتد؛ بحيث تتوفر مقومات نجاح هذا المشروع الجهادي من وجود أنصار (شعب، وجمهور، وبيئة مهيئة مساعدة) ووجود ظرف سياسي خادم ومساعد، وظرف اجتماعي واقتصادي، ومن حيث قوة الحركة الإسلامية واستعدادها، وغير ذلك؛ فعندئذ فليتوكلوا على الله.

لأن الأصل هو المشروعية؛ بل وجوب الخروج على نظام حكم الردة، ومنابذته ومحاربته لإزالته وتغييره، هذا لا إشكال فيه ولا نطيل به؛ لكن ننظر في القدرة على ذلك..

وفي إمكان أن يكون خروجنا موفقًا ناجحا مسددا أو غير ذلك، ولنا بعض السعة ولله الحمد والمنة في اختيار الوقت المناسب والظرف، المهم أن النية معقودة والعمل جارٍ والسعي ماضٍ دائما؛ فمن وجدوا فرصة مناسبة فلا نمنعهم، بل نشجّعهم وننصرهم.

وأما غير ذلك أي ما لم توجد الفرصة المناسبة والإمكانيات الجيدة للنجاح والاستعداد الجيد؛ فنرى أن يتوجه الشباب للجهاد في الساحات المفتوحة وينصروا إخوانهم فيها، وليعلموا أنهم بذلك قاموا بالواجب وعملوا لبلادهم وشعبهم وأهلهم؛ لأن نصر المجاهدين في أي مكان هو نصر لهم، وتقوية وإعداد.

والآن صارَ المجاهدون عالميًا ومحليا أكثر ارتباطا وتلاحمًا وتناصرًا، ومعركتهم تكاد تكون واحدة، وأي أناس يجاهدون في أرضهم وبلدهم عدوًا مرتدا محليًا؛ فإنهم سيجدون أنفسهم لا محالة في مواجهة القوى الصهيوصليبية العالمية بقيادة أمريكا، واعتبر بالجزائر والصحراء، والصومال الآن، والله الموفق، لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

وهنا أحب التنبيه إلى مسألة: وهي أن بعض الإخوة يستدلون بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] على وجوب البدء بالعدوّ المحليّ المرتدّ، وعدم جواز الانتقال إلى غيره الأبعد منه مطلقا، قالوا: لأن العدو المحليّ هو الأقرب وهو معنى ﴿ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾.. وهذا الاستدلال غير سديد..! لأن المراد من الآية على ما يظهر -والله أعلم بمراده ﷻ- الأمر بالجهاد لفتح البلاد ونشر دين الإسلام والسعي لإدخال الناس فيه؛ ففي حال الاستواء (استواء البدء بهذا أو ذاك) وهو الأصل؛ فإن المأمور به هو قتال الأقرب فالأقرب، والسير على هذا المنوال لفتح البلدان ونشر دين الله تعالى، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وليس في الآية تعرّضٌ لما إذا كانت الحاجة قاضية بالبدء بقتال عدوّ قبل غيره.! بل الآية مسوقة لأمر المسلمين بأن يقاتل كلُّ قوم في

ناحيتهم مَنْ يليهم من الكفار، لينشروا دين الله تعالى.

قال الطاهر بن عاشور ﵀ في تفسيره: «كان جميع بلاد العرب خلَص للإسلام قبل حجة الوداع؛ فكانت تخوم بلاد الإسلام مجاورة لبلاد الشام مقرّ نصارى العرب، وكانوا تحت حكم الروم؛ فكانت غزوة تبوك أول غزوة للإسلام تجاوزت بلاد العرب إلى مشارف الشام ولم يكن فيها قتال ولكن وُضعت الجزية على أيْلَةَ وبُصرى، وكانت تلك الغزوة إرهابًا للنصارى، ونزلت سورة براءة عقبها؛ فكانت هذه الآية كالوصية بالاستمرار على غزو بلاد الكفر المجاورة لبلاد الإسلام بحيث كلّما استقر بلد للإسلام وكان تُجاوره بلاد كفر كان حقًا على المسلمين غزو البلاد المجاورة، ولذلك ابتدأ الخلفاء بفتح الشام ثم العراق ثم فارس ثم انثنوا إلى مصر ثم إلى إفريقية ثم الأندلس؛ فالجملةُ مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا تكملة للأمر بما يتعين على المسلمين في ذيول غزوة تبوك»[1] اهـ.

أو نقول: ما في الآية هو الأصل، وهو حال الاختيار، وإن شئت فقل: حال استواء الأمر في البدء بهذا أو بهذا، فإذا وُجِد مرجّح للبدء بأيهما فيعمَل به، وبعبارة أخرى فـ﴿ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ عمومٌ قابل للتخصيص بما تدلّ الأدلة على اعتباره من تقديم أو تأخير أو مانعٍ، والله أعلم

فإذا كانت حاجة المسلمين بحسب ما يعطيه النظر للإسلام والمسلمين (للمصلحة الدينية والأخروية أولا، ثم الدنيوية) داعيةً إلى البدء بالعدوّ الفلاني لأنه الأسهل؛ فنقدر عليه ونتقوى بأخذه، ويكون عونًا لنا على ما بعده، وإلى غير ذلك من الأسباب، وتأخيرِ غيره لأنه قويّ ربما أنهكنا البدء به ولأن أسباب الغلبة عليه ليس متوافرة كما هي في الأول؛ فإننا نبدء بذلك الأول المذكور وهو الأبعد، وليس في القرآن والسنة ما يمنع ذلك.

بل هذا هو مقتضى السياسة الشرعية التي مبناها على تحقيق المصالح الشرعية الأخروية والدنيوية ما أمكن، ودفع المفاسد ما أمكن، بشرط كون ذلك كله في حدود ما أذن الله فيه، بمعنى ألا يخالف شرعه ولا يتعدى الحدود التي وضعها ﷻ.

قال ابن قدامة في المغني: «مسألة قال: ويقاتل كل قوم من يليهم من العدو، الأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾، ولأن الأقرب أكثر ضررا وفي قتاله دفع ضرره عن المقابل له وعمن وراءه، والاشتغال بالبعيد عنه يمكنه من انتهاز الفرصة في المسلمين لاشتغالهم عنه. قيل لأحمد: يحكون عن ابن المبارك أنه قيل له: تركت قتال العدو عندك وجئت إلى

(١) التحرير والتنوير (١١ / ٦٢، ٦٣).

هاهنا؟ قال: هؤلاء أهل الكتاب، فقال أبو عبد الله [يعني الإمام أحمد]: سبحان الله ما أدري ما هذا القول! يترك العدو عنده ويجيء إلى هاهنا؟! أفيكون هذا أو يستقيم هذا؟ وقد قال الله تعالى ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ ولو أن أهل خراسان كلهم عملوا على هذا لم يجاهد الترك أحد.

وهذا والله أعلم إنما فعله ابن المبارك لكونه متبرعًا بالجهاد، والكفايةُ حاصلة بغيره من أهل الديوان وأجناد المسلمين، والمتبرع له ترك الجهاد بالكلية، فكان له أن يجاهد حيث شاء ومع من شاء.

إذا ثبت هذا.. فإن كان له عذرٌ في البداية بالأبعد لكونه أخوفَ، أو لمصلحة في البداية به لقربه وإمكان الفرصة منه، أو لكون الأقرب مهادنا، أو يمنع من قتاله مانع؛ فلا بأس بالبداية بالأبعد لكونه موضع حاجة»[1] اهـ، وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

〚علاقة أمريكا بإيران وحقيقة نزاعهم، الموقف من العمليات التي حدثت في مصر وجزيرة العرب وبلاد المسلمين، حال أمريكا هذه الأيام، نظرة على مستقبل الجهاد وأهله〛

❁ ثانيا: ما هو رأي فضيلتكم في التهديدات الأمريكية لإيران؟ وهل أمريكا فعلا تنوي ضرب إيران؟ وإن حدث ذلك؛ فماذا تتوقعون أن يحدث في المنطقة؟ وهل سيكون في صالح المجاهدين أم لا؟

سابعا: ما هو رأيكم في العمليات التى حدثت في أرض الكنانة مثل طابا وشرم الشيخ ودهب؟ وهل تعتقدون أن هذه العمليات جهادية؟ وهل هذه العمليات تفيد المجاهدين؟ وما رأيكم في استهداف الفنادق في بلاد المسلمين بصفة عامة -مع العلم أنه يوجد من المسلمين من يعمل في هذه الفنادق-؟ وما تقييمكم لهذه العمليات التى حدثت في سيناء وعملية فنادق عمان؟ وهل نجحت هذه العمليات؟

ثامنا: ما هو تقييمكم لعمليات استهداف البترول، وخاصة في جزيرة العرب مثل عملية إبقيق الأخيرة؟ وهل هذه العمليات حققت أهدافها في جزيرة العرب؟ وهل يجوز أن يقتل حراس هذه المنشئات؛ مع أن هؤلاء الحراس ربما لا يعرفون أنهم يحرسون منشئات أمريكية ويكونون معذورون بالجهل؛ فهل يجوز قتلهم؟

---

(١) المغني (٩ / ٢٠٢).

حادي عشر: ما هو تقييمكم لوضع أمريكا الآن؟ هل بدأت فعلا مرحلة الانهيار؟ وماذا تتوقعون بعد الانسحاب الامريكى من أفغانستان والعراق؟ وهل المجاهدون سيرضون بهذه الحال أم أنهم سيحاولون جر أمريكا إلى حرب جديدة؟ وماذا تتوقعون أن يفعل المجاهدون لجر أمريكا مرة أخرى؟ هل سيكررون هجمات سيبتمبر مرة أخرى؟

ثاني عشر: أرجو من فضيلتكم أن تعطونا نظرة مستقبلية للمسيرة الجهادية، أي أنه بعد خمس أو عشر سنوات؛ كيف سيكون الحال في العراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان والصومال ودارفور؟

[السائل: عكرمة المدني**]**

الجواب:

جواب الفقرة (٢): أظن أن أمريكا عندها فسحة وليست مستعجلة لضرب إيران؛ لمشاكلها الكثيرة، ولأن الأوضاع الإقليمية والدولية والرأي العام لا يساعدها كثيرا الآن، فهي تكتفي الآن بالضغوطات والمناورات، لكن ظني الأكيد أن أمريكا ستضرب إيران في حال ما تأكدت من اقترابها من امتلاك السلاح النووي، وهذا كما قلت لا تزال فيه فسحة.

والمعادلة الأمريكية هي كما عبَّر عنها أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي بقوله: «لا أسوأ من ضرب إيران إلا امتلاك إيران للسلاح النووي»؛ فهذه العبارة أظنها لخصت فلسفتهم للموضوع تلخيصًا دقيقًا.

لكن هٰهنا **مسألة من المهم التفطّن إليها وتأملها**، وهي: أن إيران مستعدة لأن تتحالف مع أمريكا في مرحلة من المراحل، **بمعنى**: أنه لا مانع عند إيران أن تتحالف مع أمريكا عندما ترى ذلك مناسبا لها بحسب فلسفتها الطائفية العنصرية؛ لأن إيران دولة رافضية طائفية، قائمة على دينٍ موضوع، دين هو بمعنى الطائفة والقومية والهوية المليّة؛ ففي الحقيقة ليس عندهم دين..!! لأن الدين الذي عندهم ليس هو الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ؛ فلا توحيد ولا عبادة لله على الحقيقة، ولا طاعة لله على الحقيقة، ولا نظر للآخرة، هذا غير موجود، اللّهم إلا في أفراد، إنما دينهم هو: الطائفة، نحن، ولنا، وعندنا، و«امتاعنا»، فارس، خليج فارس، وامبراطورية فارس، وحضارة فارس، والامتياز والعنصرية المشربة فيهم.. ليس هناك نظر حقيقي إلى الله واليوم الآخر.!! والحاصل أنه ليس عند هذه الدولة ما يمنع أن تكون في أي وقت هي وأمريكا أصدقاء وحلفاء، حين ترى ذلك محققا لمصلحتها.

ليس هناك مانع من دين حقيقيّ.. وما هي مصلحتها؟ مصلحتها هي: الانتصار الطائفي، والهيمنة

الإقليمية المبنية على أساس مزيج من الدين الطائفي المشار إليه، والعنصرية الفارسية القومية الجاهلية.

وماذا عن إسرائيل؟ ليست هناك مشكلة مَّا لإيران وإسرائيل..؟! إذا حققت مصلحتها الإقليمية المتمثلة في كلمة واحدة مختصرة هي: الانتصار على أهل السنة والسيطرة عليهم، لا قدّرهم الله على ذلك.! بعدها إذا حاربت إسرائيل أو لم تحارب هذا كله ممكن، وسيكون بحسب ما يناسب بعد ذلك. وإسرائيل بعيدة عنها هناك في فلسطين..!

لكن معركة إيران والرافضة الحقيقية هي مع أهل السنة، والانتصار المنشود عندهم هو الغلبة والهيمنة على أهل السنة، والانتقام منهم أيضا..!!

والنزاع بين إيران وأمريكا هو في حقيقته ليس نزاعًا دينيًا؛ فإيران والنصارى أحباب في عدة نقاط التقاء، وإيران مع المرتدين أحباب في عدة نقاط، وإنما النزاع بينها وبين أمريكا هو في جزئه الأكبر كأي نزاع يقع بين البشر على المصالح والمنافع والسيطرة والنفوذ والملك والسلطان وسائر الشهوات.. والله أعلم.

وأما: **هل إذا ضربت أمريكا إيران سيكون ذلك في صالح المجاهدين، وكيف نتوقع؟** فنعم، نرجو أن يكون في صالح المجاهدين، في الجملة.

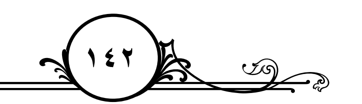
لكن المتوقع هذا شيءٌ صعبٌ حصره بالكلام والفكرة؛ فالله أعلم، كل شيء محتمل، والمتوقع أن تحصل فوضى وتحوّلات كبيرة.

وبكل حال: المجاهدون ليس عندهم ما يخشونه في هذا الصدد، ونسأل الله تعالى أن يجعل العاقبة للمسلمين، اللّهم إنا نسألك ما قضيتَ لنا من أمرٍ أن تجعل عاقبته لنا رشدا.. آمين.

جواب الفقرة (٧): بالنسبة للعمليات المشار إليها التى حدثت في أرض الكنانة مثل طابا وشرم الشيخ ودهب وغيرها؛ فمعلوماتي عنها قليلة، فمن الصعب عليّ الكلام على آحادها وتقويمها.

لكن ضرب الحكومة المرتدة المصرية ومصالحها ومفاصلها الاقتصادية وغيرها، وإحياء الأمة بالجهاد وتحريك الوضع الراكد على الفساد، هذا الأصل فيه المشروعية، وهي في الجملة مصالح معتبرة إن شاء الله؛ فينظر المجاهدون في آحادها..

التفاصيل؛ من حيث إصابة مسلمين وغيرها، وهل له وجه شرعي أو لا؟ هذا في كل حالة بحسبها؛ نتكلم فيها حين تكون عندنا معلومات كافية، لكن بصفة عامة نحن مع كل من يجاهد حكومات الردة ويخرج عليها في سبيل الله رافعا راية الدين، وإن أخطأ فنقوّمه ونسدده، لكن لا نصدّ عن الجهاد ولا نمنع منه لوجود الأخطاء، حتى لو كان هذا الخطأ هو انقتال مسلمين أحيانا.!! والخطأ نردّه ونعطيه



درجته من الإنكار، وننصح ونقوّم.. وهذا لعلنا نزيد الكلام عليه في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

وكونها تفيد المجاهدين أي في سائر العالم وفي المنطقة، فهذا من الصعب عليّ تحديده بمعلوماتي القليلة أيضًا، وليتنا نستطيع أن نسأل المجاهدين عن ذلك؟ لكني أميل إلى أنه يفيد.

وننصح المجاهدين دائما في أي مكان بقوة التثبّت والتحرّي، وأن يضربوا الأهداف الواضحة المشروعية، ويبتعدوا عن محل الاشتباه، وأن يتصلوا بإخوانهم المجاهدين في «القاعدة» وينسّقوا ويشاوروا ما استطاعوا وبحسب ما يمكنهم في ظروفهم، والله المسؤول أن يعينهم ويقويهم ويسددهم ويبارك في جهادهم ويتقبل منهم.

وأما استهداف الفنادق كالذي حصل في عمان وفي سيناء؟ فهذا فيه تفصيل، ولعلنا نتكلم عليه إن شاء الله في «محور المسائل الفقهية»، لكن لا بأس أن أقدّم الجواب هنا عن عبارة «**في بلاد المسلمين**»، فالحق -إن شاء الله- أن هذا الوصف لا تأثير له في حكم المسألة، بل التأثير لوجود المسلم الذي يمكن أن يصاب (يقتل) أو عدمه، أما كونها بلاد مسلمين أو غيره فلا تأثير له ما دمنا نعلم تفاصيل حال الناس الموجودين في المحلّ (الفندق أو غيره)، وإنما يكون لهذا الوصف (كونها في بلاد المسلمين أو في بلاد الكفار) تأثيرٌ حين نجهل أحوال الناس في المحل الذي هو الهدف؛ لأننا حينها سنرجع إلى العلامات والقرائن ونعتبر الدار.. والله أعلم.

جواب الفقرة (٨): بالنسبة لعمليات **استهداف البترول وخاصة في جزيرة العرب**؛ فلا أدري، فيما يتعلق بجدواها وأولويتها، فالله أعلم.

لكن أصل مشروعية ضرب اقتصاد مثل هذه الدول المرتدة، هذا صحيح، ما دام هذا المال وهذه الممتلكات هي بيد المرتدين يتقوون بها، ويعينون بها أولياءهم الصليبيين على حرب المسلمين، وأن في ضربها مصلحة للمسلمين في حربهم، لا بشرط كونها في الإقليم نفسه بل في أي مكان، كما لو قصدوا رفع أسعار البترول ورأوا أن ذلك يخدم قضيتهم التي هي قضية الجهاد والمجاهدين بصفة عامة في العالم، وهكذا.. إنما الكلام في تحقق الفائدة والجدوى السياسية، والتأكد منها.

وأما **مسألة وجود حراس لتلك المنشئات يقتَلون**؛ سواء كانوا جهالا أو عالمين، فأنا أقول لك شيئا: إذا أنت قررتَ أن هذه الدولة كافرة مرتدة، وجبَ الخروج عليها وإزالتها وتنصيب حكم إسلاميٍّ في مكانها، ثم قررتَ فعلا الخروج والشروع في هذا العمل، فأعلنتَ الحربَ، وبدأت القتال، فالسؤال عن أفراد يقتلون في هذه الحرب، لا ينبغي أن يرجع على ذلك الأصل بالإبطال، بل عليك أن تستمر في الحرب، سواء كانت حربًا حاسمة أو كانت حرب استنزاف طويلة المدى..!! فأنت تقاتل جيش وجند



تلك الدولة.. ولا تسأل كبيرَ سؤال عن إسلامهم أو كفرهم..! وأنت تضرب اقتصادها وأملاكها وتفسد أموالها وتهلكها تخسيرا لها وإضرارًا بها..! وأنت بالجملة تمارسُ حربًا، بكل معنى كلمة حرب..!!

وما الحربُ إلا ما علمتمْ وذقتمو ... وما هو عنها بالحديث المرجّمِ[١]

لكن نحن بلا شك مقيّدون بأحكام الشرع المطهر.. فالأصل أننا لا نقتل مسلمًا..

لكن لأجل اختلاط الناس، ولأجل فسادهم وقلة دينهم، الذي يجعلهم يكونون مع المرتدين ويخدمون الدولة المرتدة، ويوالونها بدلَ أن يقوموا بالواجب في الخروج عليها، وأمثلهم طريقة الساكت الساعي في كسب عيشه في وظائفها ومرافقها، وذلك مردّه في الأكثر لا إلى الجهل، بل إلى اختيار الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها والركون إلى العاجلة وإلى الراحة والدعة والمسكنة والرضى بخفض العيش في ذلة، يزين كل ذلك شبهات المشبّهين المموّهين من علماء السلاطين وعلماء الدنيا لا الدين..!

أقول: لأجل ذلك؛ فإن **الناس انقسموا فريقين في هذه المسألة**:

فريقٌ رأى أن ذلك مانعٌ من الجهاد، (بعد تسليمهم بأن الحكومة مرتدة، وأن الخروج عليها وجهادها مشروع في الأصل) واستدل بنحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الفتح: ٢٥] الآية، وبعموم أدلة تحريم قتل النفس المسلمة.

وفريق آخر غلَّب الأمر بالجهاد، وإن حصل في أثناء ذلك انقتال بعض المسلمين أحيانًا، مع وجوب التحرّي قدر الاستطاعة، أعني تحرّي ألا يصاب المسلم، ووجد هذا الفريق في مسألة التترس مستندًا، وأن الجهاد أوجبُ من توقي قتل مسلمٍ أو بعض المسلمين في الحرب، وجمعا بين الأدلة ما أمكن، فنجتهد في هذا وفي هذا، وقالوا: إن آية سورة الفتح لا تدل على المنع من أن نحارب العدوَّ الكافر (المحليّ أو الخارجيّ) في بلادنا بلادِ المسلمين؛ بل هذا واجبٌ قد أذن الله فيه وأمر به، وأجمع العلماءُ على مشروعيته (الخروج بالحرب والقتال على الحاكم إذا كفر)؛ فلا يُعارض بالآية المذكورة، بل إما أن نقول: إن المنع في الآية قدريّ لا شرعيّ، أو خاصٌّ، أو نقول بترجيح الأدلة الأخرى الكثيرة، ونكلُ علم هذه الآية إلى الله تعالى.. وتكلموا في تفسير هذه الآية الكريمة بكلام له وجاهة كما تراه في كتاب

---

(١) البيت لـ «زهير بن أبي سُلمى المزني» الشاعر الجاهلي؛ كما في «معلقته» الشهيرة، ينظر: جمهرة أشعار العرب (ص ١٦٥).

«العمدة»[1] للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، وفي غيره من كتابات المجاهدين وأنصارهم.

فهذا الرأي الأخير هو قول المجاهدين عمومًا.

وخلاصته: نتحرى ونجتهد ألا نصيب مسلمًا، ونحن ماضون في جهادنا، مع الاجتهاد أيضا في التقدّم إلى الناس بالبيان والإعلام والتوضيح والإنذار والتحذير.

وأن هناك حالات يكون فيها الهدف كبيرًا معتبرًا، فنضرب ولو قتل بعض المسلمين، وهي حالات تقدّر بقدرها، وينظر في كل منها على حدة دراسة وتقديرًا، والله أعلم.

جواب الفقرة (١١): أضحك الله سنك أخي الكريم.!!

أنا لا أتخيّل أن المجاهدين عندهم هيام ومجرّد هواية لافتعال الحروب، أو تمثيل أفلام..!! بل يقيننا فيهم أنهم مجاهدون في سبيل الله على بصيرة ونورٍ من الله.

وهم في النهاية بشر كسائر البشر يخطئون ويصيبون، لكنهم بحمد الله من خيار البشر، نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، نسأل الله أن يفتح عليهم ويبارك فيهم.. آمين.

بل أظن المجاهدين سيرضون بانسحاب أمريكا وتقوقعها هناك في جزيرتها وراء الأطلسي، ولن يسارعوا إلى جر أمريكا ولا غيرها إلى حرب جديدة، فسيكون أمامهم شغل كثير، بعد أن يكفيهم الله تعالى أمريكا.. والله المستعان.

وأما **تقييمي لوضع أمريكا**؛ فنعم أظن أن خط الانهيار والتراجع والانحدار لأمريكا قد بدأ، لكن قد يكون ذلك سريعا وقد يكون بطيئا، هذا محتمل، بحسب عدة عوامل، ونحن نرجو الخير، وندعو الله تعالى أن يهلكها، وألسنة المسلمين في كل مكان تلهج بذلك، فهلاكها ليس ببعيد.

وكما يقول علماؤنا: «الدول راسخة»؛ يعني أن انهيارها وزوالها وإزالتها ليس بالشيء السهل على كل حال، بحسب العادة.! وليس شيء على الله بعزيز، الذي أهلك عادًا الأولى وثمودَ فما أبقى، وفرعونَ ذا الأوتاد، الذين كانوا أشد من هؤلاء قوة ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن

---

(١) العمدة في إعداد العدة (ص ٣١٨ - ٣٢٣) حيث اعتبرها شبهة للمخالفين؛ إذ يشترطون تميز الطائفة الكافرة عن المسلمين حتى يُقاتَل الكفار، وملخص جوابه في شقين: «الأول: أن المنع من القتال يوم الحديبية كان منعا قدريا، ولا يجوز الاحتجاج بالقدر.. والثاني: الخصوصية، وهي أن هذا المنع من القتال لاختلاط المؤمنين بالكفار في مكة كان خاصا بقصة الحديبية دون غيرها. ولا يستدل به على ما شابَهَهَا. وهذا القول بالخصوصية إن شاء الله تعالى هو الصواب» وذكر تفصيل ذلك وأدلة كلامه.

مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ [ق]، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾[فاطر]، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾[غافر].. لكن نحن نتكلم بحسب ما تعطيه السنن الكونية وعادة الله تعالى في خلقه.

هناك العوامل المترقَّبة لانهيار هذه الدولة الطاغية الفاجرة؛ مثل تزايد مأزقها وورطتها في العراق، ثم انسحابها، وكذلك في أفغانستان، وتزايد انتصارات المجاهدين الجزئية عليها في كل مكان، وما شابه ذلك من العوامل.

وهناك العوامل المفاجئة مثل: انقلاب في باكستان لصالح المسلمين، نسأل الله أن يحقق للمسلمين ذلك، واحتمال تأثيرات اقتصادية نفطية وغيرها، وتحولات في الداخل الأمريكي وشقاق وفساد، ومفاجئات ضربات كبيرة أخرى للمجاهدين تكون ضخمة، نسأل الله ذلك.

لكن بصفة عامة.. حصل شيء من هذه المفاجئات أو لا؛ فأمريكا في تراجع وانهيار.. والحمد لله.

وأما الفقرة (١٢) فلا أدري، لا أحب الكلام في هذا على التفصيل، وإنما نرجو الخير من الله تعالى، ونعمل بمرضاته وندعو إلى الله على بصيرة، ننتظر فرَج الله تعالى ونفسَهُ ﷻ، ونسأل الله تعالى العفو والعافية.

❋ ❋ ❋

〚القول في «سيد قطب» وعبد الله عزام رحمهما الله، والموقف من انتمائها لـ «جماعة الإخوان المسلمين» والرد على الطاعنين فيهما، والكلام في «جماعة الإخوان المسلمين»〛

❁ كيف ترون أثر كل من «سيد قطب» و«عبد الله عزام» رحمهما الله في الفكر الجهادي المعاصر؟ وكيف ردكم على من يطعن فيهما وخصوصا «سيد» رحمه الله ويقول إنه يطعن في الصحابة وفي الأنبياء -معاذ الله- ويؤول الصفات وغير ذلك، والشيخ «عبد الله عزام» كان إخوانيا أيضا؟

[السائل: عبد الله جواد**]**

الجواب:

لا شك أن للعالِمَين والعلَمَين الجليلين المذكورين تأثيرهما في الحركة الإسلامية المعاصرة بعامةٍ،

وفي الحركة الجهادية على وجه الخصوص، كما للكثيرين غيرهم تأثيرهم المميّز، وهذا من فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، نسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتهما، وأن يرحمها ويتقبل منهما ويعليَ عنده درجتهما.. آمين.

وأثرهما ظاهر في الفهم لهذا الدين، والحياة بهذا الدين والموت عليه، وفي تدبّر القرآن والعودة إلى هدايته والعيش في ظلاله، والتصدّي لفتنة الوقت الكبرى ألا وهي فتنة حكومات الردّة التي نبذت شريعة الله وراءها وحكّمت شريعة الطاغوت، وكشف عوارها وتبيين فظاعة فسادها، والتحريض على جهادها، وإحياء الأمة بالقرآن والجهاد، وغير ذلك من المناحي.

ثم كل إنسان هو عرضة للخطأ والنقص والتقصير، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ.

ولكننا نوازن بين خير الإنسان وشره وحسناته وسيئاته، فمن كثُر خيره وحسُن بلاؤه في الإسلام، وعرِف تحرّيه للصواب والخير ونصره للحق، وقيامه بأمر الله تعالى وبذله في سبيله، وجهاده، ونصحه، وظهر صدقه ولاحت علائم إخلاصه وتقواه لله رب العالمين؛ فهذا هو الفاضل الكامل فعليك به.

ثم قد تكون له أخطاء كبيرة أو صغيرة؛ فهي مغمورة في بحر حسناته وفضائله، وكما تمثل بعض علمائنا في هذا المقام بقول النبيّ ﷺ **(إذا بلغ الماء قلّتين لم يحمل الخبث)**[1].

ونحن نظن لدرجة تقترب من اليقين أن هذين الرجلين السيدين العظيمين: سيد قطب، وعبد الله عزام، كانا من أهل الصدق والصلاح والبر والخير والمحبة لله ولرسوله والنصح للمسلمين؛ كذلك نحسبهما والله حسيبهما.

والخطأ نحن نردّه ممن كان، متى علمناه، ولكن بالعدل والقسط، وبأدب مع أهل الفضل وسادات المسلمين، وتأويل سيد قطب رحمه الله للصفات.. فهو خطأ معروف، تابع فيه الكثيرين من العلماء ممن ينتسب في مسائل الاعتقاد إلى مذهب الأشاعرة وغيرهم؛ فهذا خطأ معروف الكلام فيه.

وأما أنه يطعن في الأنبياء فمعاذ الله حقا، معاذ الله، وهو الذي عاش حياته كلها ينصر دين الله ورسله ويدعو لاتباع رسل الله تعالى وتحكيم شرعه ﷻ، ووالله إن قائل هذا الكلام لكاذب مُباهتٌ.!!

وأما ما يُذكر من عبارة له في شأن سيدنا موسى عليه السلام أو غيره من الأنبياء فهي ليست سبًّا ولا طعنا حاش لله، بل هي عنده لا تخرج عن حدود الأدب ولا تنافي التعظيم، وقصارى ما يمكن أن يقال فيها إنه أخطأ فيها وجانب الصواب في استعمالها، وأن كمال الأدب مع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-

(١) جاء بهذا اللفظ في: سنن الدارقطني (١٧)، وصححه الألباني وغيره كما في: إرواء الغليل (١٧٢).

يقتضي ألا تقال..

أما أن يقال إنه يطعن في الأنبياء، وهكذا أيضا بهذا الإطلاق والتعميم.. فهذا والله البهتان المبين.!

وكذلك ما قيل عن طعنه في الصحابة رضوان الله عليهم؛ فهو إطلاق وتعميم كاذب، بل بهتان مبين أيضا.. لكن قد يقال إنه تكلم بكلام غير لائق ودخل مدخلا غير محمود في الكلام على الصحابة والفتنة التي وقعت بينهم ، فتكلم في بعض الصحابة بما ظنه هو من باب النقد والمدح والذم لبعض الأشخاص، وما توهّمه من أن ذلك نوعٌ من التمحيص لبعض التاريخ، فتكلم ببعض كلام خاطئ في معاوية وعمرو بن العاص، وشيء آخر في أمير المؤمنين عثمان جميعا، وأخطأ في ذلك، غفر الله له.. وزلّ وضلّ..! فنسأل الله أن يسامحه ويعفو عنا وعنه.

وهذا الخطأ أعني الكلام في بعض الصحابة بسبب ما وقع بينهم من الفتنة وغيرها، قد وقع فيه قبلَ سيد قطب من السلف والخلف رجالٌ من أهل العلم، فكان عامّة العلماء من أهل السنة دائما يبينون خطأهم ويحذرون من زلتهم، ويعتذرون للفاضل منهم، فهو خطأ يردّ بلا شك، لكن لا يقتضي الطعن في دين صاحبه أو إهداره، لأن كلامه في بعض الصحابة لم يكن طعنا في دينهم وبغضا لهم وعداوة دينية معاذ الله، بل لأسباب أخرى سياسية أو ما شابهها، وعلماؤنا فرّقوا بين المقامين تفريقا واضحا ودلائله ظاهرة، فراجعه في «الصارم المسلول»[1] وغيره من كتب أهل العلم، ثم هو كلام في آحاد قليلةٍ بسببِ توهّمه هذا المتكلم، لا في جملة الصحابة ولا أكثرهم، كيف وهو معظّم لهم أيما تعظيم ويصرح في كل موطن بما معناه أنهم خير خلق الله بعد الأنبياء ويظهر محبته الفياضة لهم، ويدعو للاقتداء بهم، ويكفيك «الجيل الفريد»[2]، و«الظلال» مليءٌ بذلك بحمد الله.

وهل مثل من يقول إن سيد قطب يطعن في الأنبياء وفي الصحابة إلا كمثل الرافضة لعنهم الله القائلين: إن الصحابة طعنوا في النبيّ ﷺ وخانوه وغدروا به لأنهم فعلوا كذا وكذا -مثلا: تركوا تجهيز النبيّ ﷺ تكفينًا ودفنًا، وانصرفوا لعقد الاجتماعات للإمارة والمُلك!- مما يتوهّمه هؤلاء المارقون الجاهلون الكاذبون طعنًا وخيانة؟!.

فقارن واعتبر.. وهكذا نقول في سائر أخطائه وأخطاء كل فاضل من أهل العلم والفضل والجهاد..

---

(١) عقد شيخ الإسلام ابن تيمة في: الصارم المسلول (ص ٥٨٦) فصلًا في أحكام سب الأصحاب بعد بيان حكمه تفصيلًا، قال فيه: «وأما من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم».

(٢) لعل الشيخ يقصد مقالة: «الجيل القرآني الفريد» (ص ١١ – ١٩)، ضمن رسالة: «معالم في الطريق».

نرد الخطأ وننكره، ولا نهدر فضل الفاضل وخيره.

بل حيث كثر الخير، مدحناه لما فيه من الخير الكثير، واستعملنا الستر، واستغفرنا له.

ومعلوم أن سيد قطب قد مرَّ بمراحل في تكوينه وسيرته، وأن البيئة العلمية والأدبية التي عاش فيها ودرس.. كانت لها مواصفاتها المعروفة، وأن عصره وزمنه ومرحلته كانت تقتضي من أمثاله من أهل الخير التصدي لنوع من المشكلات وخوض نوع من المعارك؛ فخاض -جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا كثيرا- المعركة رجلا بطلا باذلا في سبيل الله شهمًا كريمًا شجاعًا معتصمًا بالله تعالى.. فكل ذلك لا بد أن يكون في حساب الإنسان عندما يريد أن يقوّم الأشخاص وتاريخهم.. والله الموفق.

وأما الشيخ عبد الله عزام ﷺ، فإنه واحدٌ من أَهَمِّ مَن أحيا الله ﷻ بهم الأمة في عصرها الحاضر، وكان من الربانيين نحسبه كذلك، ومحاسنه وفضائله كثيرة جليلة ﷺ ورضي عنه، وكونه كان من الإخوان المسلمين واستمر إلى أن مات لم يترك الانتماء إليهم ولم يعلن الخروج عنهم؛ فهذا لا يضره، فهو في ذلك متأوّل الخير مجتهد في إصابة الحق والصواب والمصلحة الدينية نحسبه كذلك.

والإخوان المسلمون جماعة كبيرة ينتمي إليها طوائف متعددة من الناس؛ فيهم الصالح وفيهم دون ذلك، وفيهم اختلاف كثير، وطبيعة الجماعة تستوعب ذلك، ولا سيما في العقود الماضية..

والكلام في الجماعة كجماعة شيء، وفي أفرادها وآحاد المنتمين إليها شيء آخر.

وإنما نقوم الإنسان بما عنده من الخير والصلاح والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح.

وكونه ينتمي للجماعة الفلانية أو العلانية، فهذا من جزئيات العمل التي ينظر فيها هل هي من عمله الصالح أو مما أخطأ فيه؟ فإن كان من عمله الصالح ازداد بها صلاحا، وإن كان خطأ سلكنا فيه مسلكنا في التعامل مع أخطاء المسلمين عموما والفضلاء خصوصا، كما بيناه، والله الموفق.

✵ ✵ ✵

[الدعوة إلى الله في صفوف الشباب رغم المضايقات، وإعادة طرح القضية بلون جديد]

❁ نظرًا لما يعانيه الشاب المسلم هذه الأيام المحب لدينه ولعباد الله المجاهدين من كثرة المراقبة والمعاداة.. كيف يمكن بفضل الله أن تقدموا وتساعدوا هذه الشريحة المتزايدة -بفضل الله- من أن تتجاوز الحواجز، وتدعوا وتنشر علم الله وعقيدة التوحيد في صفوف الشباب وإعادة طرح القضية بلون جديد؟

[**السائل:** أبو خطاب السوري]



الجواب:

جزاك الله خيرا.. تزايد أعداد الشباب العائدة إلى الله تعالى والتائبة إلى ربها ﷻ، كما في تزايد عدد الداخلين في دين الله؛ هو من فضل الله العظيم على أهل الإسلام، ومن نصره ﷻ لدينه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]، وقال نبينا ﷺ: **(لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته)** رواه ابن ماجة وغيره وهو حديث صحيح[1]، وقال: **(مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خيرٌ أو آخره)** رواه أحمد والترمذي[2] وغيرهما.

وهو من البشائر بالنصر لهذا الدين وعلوِّه، وعودته إلى السيادة، وهو منّة من الله ولطف وكرم للمؤمنين يرفدهم بإخوانهم ويرفع معنوياتهم ويثبّتهم.. وبالجملة هو فضل من الله على هذه الأمة المباركة..

ومن طبيعة دين الله أنه كلما حاول أعداؤه إطفاء نوره وكلما حاربوه واضطهدوا أهله وعذبوهم وضيقوا عليهم، كلما ازداد انتشارا وكثُر تابعوه، وتمسّكوا به أكثر وأكثر، فإن هذا الدين إذا خالطت بشاشته القلوب لم ترض عنه بديلا ولا تحويلا.

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة] وقال: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الصف]، وقال النبي ﷺ: **(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)**[3] الحديث..

فالله أكبر ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون].

وأعداء الله يدركون هذه الحقيقة نوعَ إدراك، لكن معارفهم ظنونٌ وأوهام..! ثم الغرور والغطرسة والكبر يغطِّي على هذا الإدراك عندهم ويمنعهم من الاستفادة من هذه المعرفة، بل يظلون يسعون ويحاولون أن يطفئوا نور الله، وما دروا أنهم إن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون، أما نحن فمستيقنون بذلك ولله الحمد، لا نشك فيه ولا نرتاب.

---

(١) سنن ابن ماجه (٨)، وقال الألباني: حسن، مسند أحمد (١٧٧٨٧)، وقال محققه الأرنؤوط: حسن، وقال: «قال البوصيري في «مصباح الزجاجة»: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات. قال الأرنؤوط: وهذا تساهل منه ﷺ».

(٢) مسند أحمد (١٢٣٢٧)، (١٢٤٦١)، (١٨٨٨١) وقال الأرنؤوط: حديث قوي بطرقه وشواهده، سنن الترمذي (٢٨٦٩) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم (١٤٥) لكن بفلظ: (وسيعود كما بدأ غريبا..)، ورواه بهذا اللفظ جماعة كُثر.

ولا شك أن لجهود الدعاة والعلماء والمجاهدين والجماعات الإسلامية المتنوِّعة ومنها وعلى رأسها في السنين الأخيرة: الحركة الجهادية، أقول لا شك أن لها الأثر العظيم في دعوة شباب الإسلام والإتيان بهم إلى حظيرة هذا الدين، بتوفيق الله تعالى وفضله.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر].. فنسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتهم.

والشباب الملتزم بالدين حديثا، المستقيم على طريقه والمقتدي بنبيه ﷺ دائما يحتاج إلى توجيه وتوعية وتربية؛ وهذا دائما هو دور الجيل الأول السابق، يؤديه للجيل اللاحق.. وعلى الجيل اللاحق أن يعرف حق مَن سبقه ويستفيد منه.. ثم قد يكون اللاحق بعد ذلك خيرا من السابق، فإن الفضلَ للفاضلِ، لا للسابق ولا للاحق.! لكنِ السبقُ إلى الخير فضيلة وميزة لها قدرها.

والشباب المنتمي للجهاد ونصرته ومحبته، والمتحمّس لدينه والمتحرّق على هذا الدين، والباكي على أيامه الخوالي في الجاهلية والعَماية والضلال، والمستعد للبذل والعطاء والتضحية والفداء.. هذا خيرٌ كبير، وهؤلاء بهم تحيا الأمة وبسواعدهم وعلى أكتافهم تبنى دولة الإسلام.. فعليهم أن يعرفوا نعمة الله تعالى عليهم بأن منّ عليهم بالهداية، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾[الحجرات] فليستشعروا عظمة هذه النعمة البالغة، وليجتهدوا في أداء شكرها لله تعالى، وليتواضعوا للخلق، كما قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾[النساء].

وليعلموا أن من أسس الخير ومنابعه في الإنسان، ومن علامات نجاحه ودلائل فلاحه: معرفته بقدر نفسه، واهتمامه بنفسه وانشغاله بها وبعيبه ليصلحه ويكمل نقصه بدلا من الانشغال بعيوب الناس وملاحظة ما عندهم كما قال نبينا ﷺ: **(طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)** أخرجه البزار بإسناد حسن؛ قاله في بلوغ المرام(١).

والله ﷻ وليّ التوفيق، هو مولانا نعم المولى ونعم الوكيل.

وعلى هؤلاء الشباب أن يعرفوا واقعهم وعدوّهم، وأن يستعملوا الحكمة والكياسة والعقل في كل

---

(١) بلوغ المرام (١٥٢٤) وحسنه كما ذكر الشيخ، وينظر: مسند البزار (٦٢٣٧)، لكن ذكر الحافظ العراقي له شواهد، ثم قال: «كلها ضعيفة»، ينظر: المغني عن حمل الأسفار (١ / ١٩٥)، وقال الألباني: «إسناد ضعيف جدا»، ينظر: السلسلة الضعيفة (٨ / ٢٩٩).

تصرفاتهم، ويأخذوا بالأسباب كل الأسباب الموصلة إلى المطلوبات الشرعية؛ فإن الله تعالى جعل لكل شيء أسبابًا، ثم يتوكل على الله ويثق فيه، كما قال النبي ﷺ: **(المؤمن القويّ خيرٌ وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف؛ احرصْ على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)**(١).

وعلى الشباب أن يستعينوا بالكتمان لأمورهم وقضاء حوائجهم كما أوصى النبيّ ﷺ.. ويعلموا أن المعلومة على قدر الحاجة دائما.. ويستعدوا للشدائد.. ويوطنوا أنفسهم دائما على تحمل ما يأتي من المكاره مستعينين بالله تعالى.. وليكثروا من الطاعات ومن الدعاء وسؤال الله تعالى؛ فإن الله يحب من يدعوه ويسأله.

وليعلموا أن الإنسان ضعيف عاجز لا يقدر على شيء، ولا يستطيع أن يفعل شيئا إن لم يعنه الله تعالى؛ فليستعينوا بالله ويلجؤوا إليه، كما قال النبي ﷺ: **(ومن يتصبّر يصبّره الله، ومن يستعفف يعفّه الله)**(٢)، وقال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾[محمد]، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾[آل عمران]، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾[الأنفال]، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[هود].. وليطلبوا العافية دائما، ولا يمتحنوا أنفسهم، فإنه ليس شيءٌ أحبُّ إلى الله أن يُسأله من اليقين والعافية، كما جاء في حديث صحيح(٣).. وطلبُ العافية أصل من أصول الفضائل..

كما قال النبيّ ﷺ: **(لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا)**(٤)، وكما قال تعالى: ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾[محمد]، وقال: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾[الأنعام] ولا يستعجلوا..!

وليعلموا أن الله تعالى قسَم بين الناس الابتلاء والامتحان، وكل إنسان سيأتيه نصيبه، وستتاح له فرصته؛ فلا يستعجل.. المهم هو الصدق، وإذا عزم الأمر وجدَّ الجد أن يكون الإنسان رجلا كاملا ويصدق الله تعالى، وهذا ما حضرني الآن..

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٦٤) وساقه الشيخ هنا مختصرًا.

(٢) صحيح البخاري (١٤٦٩) وساقه الشيخ هنا بتقدبم وتأخير بين الجمل.

(٣) في سنن الترمذي (٣٥٥٨) أن أبا بكر الصديق ﷺ حدث عن النبي ﷺ أنه قال: **(اسْأَلُوا اللَّهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ)** وقال الألباني: حسن صحيح.

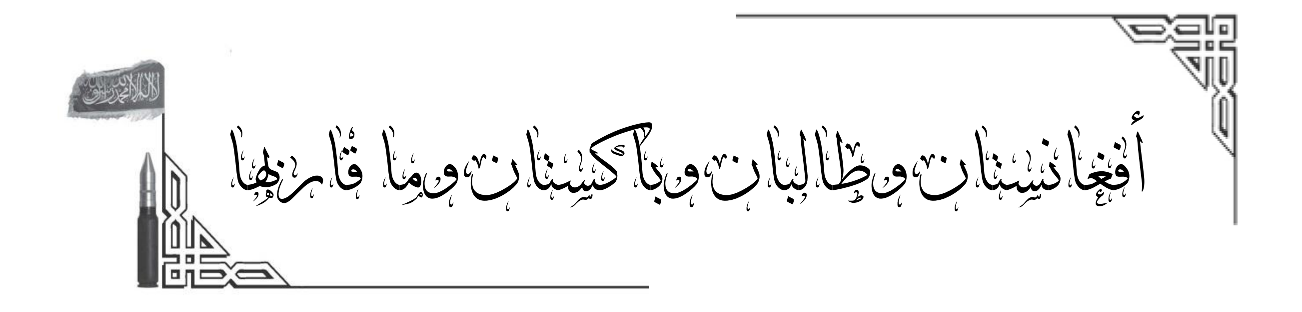
(٤) صحيح البخاري (٢٩٦٦)، وَوَرد بلفظ: (اسألوا) في صحيح مسلم (١٧٤٢).

واللهَ ﷻ نسأل أن يصلح شبابنا ويرزقهم الهدى والسداد.. آمين.

والحمد لله رب العالمين.

وأستغفر الله العظيم من كل ذنبٍ..

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.



﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج]

〚عودة إمارة «طالبان» الإسلامية؛ في ظل الانتصارات المتوالية في أفغانستان〛

❁ الحمد لله.. في هذه الأيام نشاهد كثرة الأخبار المفرحة في أفغانستان؛ فهل تتوقع عودة الدولة الإسلامية الطالبانية قريبا؟ أسأل الله ذلك.

[السائل: SHADIWO N DARK]

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، فمن فضل الله تعالى ومنته مانسمعه هذه الأيام من الأخبار المفرحة القادمة من أفغانستان، والتي تشهد بتنامي المد الجهادي هناك واشتداد عوده، فالحمد لله رب العالمين، ونحن نعتبر ذلك في حد ذاته انتصارًا، لأنه ثبات على الحق والمنهج، ولأنه صبر ومصابرة وثبات، ولأنه أمل وحياة، ولأنه شفاء للصدور، ولأنه نضال مستمر لا ينتهي بالنسبة للمسلمين إلا نهاية سعيدة؛ إما نصر وإما شهادة.

وأما عن التوقع بعودة دولة طالبان؛ فنحن على يقين من عودة الدولة للإسلام والمسلمين في أفغانستان لا نشك في ذلك.. أما قرب ذلك وبُعده، فهذا عند الله تعالى.

لكننا نرجو أنه لن يطول، والحيّ منا ومنكم سيراه بإذن الله تعالى؛ فالجهاد هناك يزيد ولا ينقص، وطالبان تزداد قوة ومحبة في قلوب الناس وقبولا.. وأنصار الجهاد في تزايد وتكاثر.. والعدوّ في تشاؤم وخوف.. والعدوّ يفقد شعبيته ويقلوه الناس.. والمفاجئات إن شاء الله منتظرة من رحمة الله تعالى في صالح أهل الإسلام، وخصوصًا ما ننتظره ونؤمله دائما من حصول تغيير في باكستان، يكون في صالح

المسلمين.. والحمد لله.

❋ ❋ ❋

〚أحوال المجاهدين في «وزيرستان» و«أفغانستان»، والأهوازيين في «بلوشستان» جنوب إيران〛

❁ رابعا: هل ممكن أن تعطينا صورة واضحة عن إخواننا المجاهدين في وزيرستان وأفغانستان؟ وهل ترى أن التمكين لهم أقرب من التمكين لإخواننا في العراق وغيرها؟ وهل هناك من سبيل للوصول إليهم أو إعانتهم ماديا؟.

سابعا: هل يمكن أن تعطينا صورة واضحة عن عبد الملك في بلوشستان الإيرانية وعن حركة الأهوازيين في جنوب إيران، وهل هم من المجاهدين؟ وما هي أهدافهم؟ أم هم عملاء لأمريكا وبريطانيا؟ أم قوميين ينادون باستقلال هذه الأقاليم عن الحكومة من منطلق القومية؟ أو بدعوى استرجاع أو أخذ حقوق أهل السنة المغتصبة؟.

[السائل: مع الحق]

الجواب:

بخصوص الفقرة أربعة: والله يا أخي تمنّينا أن لقاء الشيخ أبي الليث مع الحسبة كان أُنجِزَ، حتى نأخذ صورة واضحة عن الأوضاع هناك، أو بأحد قيادات المجاهدين هناك حفظهم الله جميعا، لكن كان للشيخ «أبي الليث» حوالي شهر يناير من هذا العام الميلادي شريط سمعيّ تحدث فيه عن الأوضاع وذكر فيه أشياء طيبة.

وبحمد الله تعالى.. فإن المتحصل من أخبار إخواننا أنهم في تقدم على جبهة أفغانستان وجبهة وزيرستان أيضا.. فالطلبة يزيدون وتلتحق باستمرار أعداد متجددة منهم بقافلة الجهاد والاستشهاد، والمدد الشعبي والتلاحم مع المجاهدين في تزايد بحمد الله تعالى.

ومستوى طالبان في الجانب العسكري التكتيكي يتطور، وقد رأينا كيف حدث عندهم تحولات نوعية مهمة في العامين الماضيين أهمها تقنية العمليات الاستشهادية التي اقتنعوا بها وبضرورتها، وتقنيات العبوات الناسفة والمفخخات بصفة عامة، وتقنيات التفجير عن بُعد (الريموت كنترول)، وغيرها.

وعلى مستوى استراتيجي -إذا صح التعبير-، فهناك تطوّر أيضا مهم في مستويات محاربة العدوّ المرتد، وإدراك جوانب المعركة؛ فهناك قتل الجواسيس بكثرة والقضاء عليهم، والاهتمام بهذا الأمر،

وهناك قتل مشايخ العدوّ الزنادقة الواقفين مع كرزاي والصليبيين المفتين لهم بقتل المجاهدين؛ فهذا تطور مهم على مستوى الفكرة والفهم، وقتل الموالين المظاهرين للعدوّ بصفة عامة.. كل ذلك في اعتدال واتزان بعيدٍ عن الغلو أو الشطط في الدين بحمد الله تعالى.

وهناك التطور على المستوى الإعلامي، من حيث استخدام الكاميرا والتصوير، ومن حيث الاهتمام بإبلاغ رسالتهم للشعب، وللأمة الإسلامية عموما، وللعالم أجمع، وبالجملة هم بحمد الله في تقدم وارتقاء للأفضل، نسأل الله أن يبارك فيهم، وأكبر ما يعاني منه الإخوة في أفغانستان ووزيرستان، وهو في الحقيقة شيء متكرر في معظم أو كل ساحات الجهاد: الطيران وخطر الجواسيس.

فالطيران معروف التقدّم الفائق والتقنية التي عند العدوّ الأمريكي فيه، وهو سلاحه الضارب في الحقيقة، وبدونه لا يستطيع أن يفعل شيئا.

ففكرة الإخوة المجاهدين في مواجهة هذا السلاح هي دائما تعتمد على أشياء: محاولة تحييد هذا السلاح، والهروب من مواجهته، وتطوير طرق الاختفاء منه والتوقي من شره، والتكيف بحسب إمكانياتهم وظروفهم مع طبيعة هذا السلاح، ثم محاولة الحصول على مضادّات له، ونسأل الله تعالى لهم الفتح والتأييد.

وبالنسبة لخطر الجواسيس والخطر الاستخباراتي المعلوماتيِّ؛ فمواجهته بمجموع أشياء أيضا: تأليف الناس واكتساب الأنصار والفتح في قلوب الناس أولا، فكلما ازداد الناس التحاما مع المجاهدين ومحبة لهم وتآلفا وتعظيما كلما ضاقت فرصة العدوّ في وجود ثغرة من خلال الساقطين والخونة.. ثم المضي في سياسة ذبح الجواسيس والتشريد بهم من خلفهم قاتلهم الله وأخزاهم، هؤلاء الحثالات أهل الخسة والرُّخْص.!! لكن طبعا لا بد أن تكون القوة والشدة هنا متوازنة مع قوة التثبّت والورع وقوة الرحمة والعفو في محلهما، والله الموفق.

والحمد لله.. الذي نعرفه عن الإخوة هناك أنهم مضربُ المثل في هذا الميزان بارك الله فيهم.. ثم الأخذ بالأسباب والاحتياط والحذر كما أمر الله تعالى، مع كمال التوكل عليه ﷻ.

والله المستعان، لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

والإخوة يقولون: إنهم لا يعانون أبدًا من نقص في أعداد المجاهدين من الشباب والرجال وحتى الشيوخ، بل الأعداد كثيرة بحمد الله ومتوافرة، وإنما معظم النقص هو نقص ماديّ، أي في المال والتمويل للحرب، وهذا واجب كبير علينا نحن المسلمين في جميع أنحاء العالم، لا بد أن نبذل الجهد فيه وننصر إخواننا ونسدّ ثغرتهم.

هناك الكثير جدا من الأهداف السهلة من القوافل والأرتال المتحركة والدوريات وحتى المعسكرات والمراكز للعدو الصليبي أو للحكومة المرتدة، إنما يعوق المجاهدين عن تدميرها والقضاء عليها قلة ذات اليد.

على سبيل المثال: قوافل الإمداد واللوجستيك من باكستان إلى أفغانستان عبر المنافذ الحدودية المعروفة، وهي أهداف سهلة، وغيرها كثير من الأهداف.. لكن الذي ينقص المجاهدين ويؤثر على فعاليتهم هو الجانب المادي.. نسأل الله تعالى أن يعينهم ويقوِّيهم ويمدّهم بمدد من عنده، إنه هو الرزاق ذو القوة المتين.

كما أن هناك نقصًا في إمداد الأمة لهم ووقوفها معهم بوجهٍ عام؛ مثلا هناك جانب الإمداد المعنوي بالدعاة والعلماء والمرشدين، وبالكلمة الطيبة، والإعلام والتوعية بقضيتهم ونصرهم باللسان.. وأكرر أنه لا بد للشباب في كل مكان أن يسعوا لدى أهل الخير والتجار والمتصدقين والمحسنين أهل البذل والعطاء والتبرع في سبيل الله، ويشجّعوهم أن يسدوا هذا الثغر المهم للمسلمين.

وأما سبيل الوصول إليهم.. فمن أراد وصدق العزم وتوكل على الله؛ فوالله لن يعدم الطريق، وهذا شيء جربناه وأيقنا به.!! مع صحة العزم، ومع الصبر والبذل والسعي والتوكل على الله، لا يصعب شيء، ومن أراد فهناك طرق للوصول إلى إخواننا عن طريق الإخوة الموثوقين المعروفين، والله الموفق.. والإنسان عليه أن يقتحم ويحاول، ويزيل عن نفسه خوف العدو، وليستحضر الخوف من الله تعالى والقيام بين يديه.. فإذا انفتح له بابٌ وجرّبه في شيء قليل أمكنه بعد ذلك أن يزيد ويوسّع نشاطه، والله الموفق.

وبالنسبة لخصوص إقليم «وزيرستان»، وهو إقليم بشتوني قبلي يقع كله في دائرة إقليم «سرحد» أحد الأقاليم الأربعة المكوّنة لباكستان، فهذا فيه ميزات تاريخية وقومية ودينية تساعد المجاهدين؛ فأهله أهل تدين وأهل شرف، وفيهم طبائع القبائل وشهامتهم وحرصهم على مكارم الأخلاق والفضائل، وفيهم شجاعة ونجدة وغيرة، وهم محبّون جدا لإخوانهم «طالبان أفغانستان»، ومحبّون جدا للإخوة المجاهدين المهاجرين من العرب خصوصا ومن كل جنس.

وقد سمعنا عنهم من النصرة للإخوة والوقوف معهم أشياء عجيبة؛ يقاسمونهم بيوتهم وخبزهم ويثقون فيهم ثقة كبيرة ويجلّونهم ويسمعون منهم.

ونحن رأينا منهم أشياء من ذلك عند خروجنا من أفغانستان، فقد آوونا جزاهم الله خيرا، ووقفوا معنا وبكوا على حالنا، وأكرمونا.. وهم أهل حربٍ وشجاعة..



والآن.. شبابهم وطلبة المدارس الدينية منهم هم الذين يقودون المعركة، وصارت لهم خبرات وتجارب، وبرزت منهم قيادات، وارتقوا في الفهم وفي مستوى الفكر والثقافة مراحل طيبة، وانتشر فيهم العلم بكثير من القضايا التي كانت غائبة عنهم، بسبب جمود أوضاعهم وتقليديتها، لكن الآن بعد مخالطتهم الطيبة للإخوة العرب وعموم المهاجرين استفادوا كثيرا.

فهم عون كبير لإخوانهم المجاهدين في أفغانستان، وقاعدة خلفية لهم، ونظن والله أعلم أن الله تعالى أراد بهم خيرا، وهم كانوا قومًا لا يذكرهم أحد؛ فإن ذُكروا ذكروا بالسوء والفوضى، والآن رفع الله ذكرهم بالجهاد، وأحياهم بهذه الحرب في سبيل الله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[الأنفال: ٢٤] نسأل الله تعالى أن يكرمهم في الدارين، ويسعدهم.. آمين.

وأما أن التمكين بالنسبة لإخواننا في أفغانستان أقرب منه إلى الإخوة في العراق أو غيره، فهذا غير بعيد، ولكن لا نحب الجزم بشيء من ذلك، وكل ما يمكن أن يقال هو استظهار لبعض الاحتمالات، والمهم حقا هو أن الجبهتين متكاملتان، والمسلمون فيهما يقاتلون عدوًّا واحدًا هو أمريكا.

فأي سقوط وهزيمة وانهيار للأمريكان في إحدى الجبهتين.. هو نصر عظيم لكليهما، وهذا في حد ذاته من نصر الله تعالى للمسلمين، ومن مكره ﷻ بأعدائه؛ فنحن اليوم نواجه أمريكا في كل مكان، وننتظر سقوطها، ومعنا الله تعالى: «الله مولانا ولا مولى لهم»[1]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾[محمد]..

ثم معنا التاريخ والتجارب والعبر والأسباب الكونية.. فليس هناك شعوب قاومت محتلين غزاةً مفسدين إلا انتصرت عليهم في نهاية المطاف وإن طال زمن الحرب وطال ليل الظالمين.!!

ولهذا أيضا دائما نقول: إن فتح جبهات أخرى متعددة ضد الأمريكان هو في صالح المسلمين؛ فالآن عندنا فرصة في السودان ودارفور، وفرصة متاحة بشكل أحسن في الصومال وأوجادين، وفرصة في الصحراء.. وربما تأتي غيرها بحسب التطورات المحتملة في إيران وسوريا وغيرهما.

فهذا كله سيكون خيرا على المسلمين والمجاهدين، والله المسؤول أن يهيء لنا من أمرنا رشدًا.. آمين.

ومن القضايا المهمة التي هي في صالح الإخوة في «وزيرستان» و«أفغانستان»، وهي من البشائر: قضية الثورة والانفصال في إقليم بلوشستان الباكستاني؛ وهي وإن كانت قضية وطنية قومية اقتصادية،

---

(١) أمر النبي ﷺ أصحابه أن يقولوا للمشركين يوم أحد: (**الله مولانا ولا مولى لكم**)، انظر: صحيح البخاري (٣٠٣٩، ٤٠٤٣).

مبناها على شكاية أهل هذا الإقليم الذين هم في أغلبهم من البلوش والبشتون، شكايتهم من الحرمان الذي يعانونه من فوائد وعائدات الغاز الطبيعي المستخرج معظمه من أرضهم وإقليمهم؛ فمعظم الغاز الباكستاني مستخرج من أرضهم، وهم من أقل الأقاليم استفادة منه، حتى إن معظم باكستان مغطاة بشبكة الغاز المنزلي، في مدن أقاليم البنجاب والسند وسرحد، ولكن مدن إقليم بلوشستان محرومة من ذلك.. وغيرها من الشكايات التي مدارها على التمييز العنصري والعرقي، والشكوى من الفساد الإداري وسوء توزيع الثروة.

لكن هي قضية تخدم المجاهدين من جهة أنها إنهاك للعدو الباكستاني (دولة باكستان الخسيسة)، فالآن الحرب قائمة ومستمرة وإن كانت بوتيرة متفاوتة، بين الحكومة والحركة الانفصالية في هذا الإقليم.. وربنا المسؤول أن يزيد مشاكل هذه الدولة الحقيرة وينتقم منها، وينجّي المسلمين المستضعفين من شرها.. آمين.

ودولة باكستان كثيرة المشاكل والأزمات، وهي دولة خسيسة كما ذكرنا؛ تأكل بثدييها، والعياذ بالله، دولة الحقارة والنذالة..! مع أن تحت حكمها من أبناء الشعب الباكستاني رجالا وأبطالا أهل تضحية وفداء، ولكن قد غلبهم العدوّ وخذلتهم أمتهم كالكثيرين غيرهم.. ونحن نرجو دائما أن يحصل فيها تحوّل وتغير.. وهذا من انتظار الفرج.. ولله الأمر كله.

وأما بخصوص الفقرة السابعة من السؤال: فليس لديّ معلومات وافية عن حركة «جند الله» في بلوشتان إيران التي يقودها «عبد الملك»، ولكن هي حركة سنيّة جهادية بالأساس، لكن لعل دخولها في مواجهة وحرب معلنة مع النظام الإيراني الآن يعتبَرُ مبكرًا، ويحتاجون فيه إلى أن يكونوا منسجمين مع سائر إخوانهم في الحركة الجهادية العالمية؛ فإن لم يكن كذلك، فهو خطأ، والله أعلم[1].

وأهل السنة في إيران سواء في بلوشستان أو غيرها يبدو أنهم غير مؤهّلين في التوّ لدخول حرب مع النظام الرافضي، في مثل هذه الظروف العادية.. لكن يمكن أن تتاح فرص وتتغير معطيات الواقع فلا

---

(١) «جند الله» حركة إسلامية مسلحة؛ معظم عناصرها من أبناء الأقلية «البلوشية» السنية المتدينة التي تسكن مناطق إقليم «سستان-بلوشستان» الواقع جنوب شرق إيران على المثلث الحدودي مع أفغانستان وباكستان، تأسست عام ٢٠٠٢ على يد الشيخ «عبد المالك ريغي» وهو أحد طلبة العلم الشرعي؛ للعمل على الدفاع عن حقوق السنة عامة والشعب البلوشي خاصة، وذلك بسبب قيام حكومة إيران الرافضية باضطهاد السنة، وقتل علمائهم، وهدم المساجد وإغلاق المدارس.. وقد تمكنت الحكومة الإيرانية من القاء القبض على رئيس الجماعة «عبد الملك ريغي» وحكم عليه بالإعدم ونفذ الحكم فيه بعد فترة. وفي الثالث من نوفمبر ٢٠١٠م أصدرت وزارة الخارجية الاميركية بيانا صنفت فيه الجماعة منظمة إرهابية و حظرت دعمها من قبل أي شخص.

بد أن يكونوا مستعدين ولا بد للدعاة والإخوة الواعين أن يكونوا في المستوى، والله الموفق.

وإيران كما سبق وأن قلنا: بقدر ما هي دولة قوية، هي أيضا تحمل العديد من عوامل الضعف والانكسار السريع، وكل ذلك سينبني على ما يكون من أحداث وتفاعلات، نسأل الله أن يجعل عاقبتها خيرا لأهل الإسلام؛ فمعظم حدود إيران مناطق سنية قابلة للاضطراب والتحرك ضدها حين تواتي الفرصة، وطالبان والقاعدة على يمينها من هنا، بل وباكستان وأفغانستان ككل، والمجاهدون في العراق على يسارها من هنا، وسائر أهل السنة في الجزيرة والخليج وما جاورها، وهي تحاول أن لا تدخل في مواجهة مع المجاهدين، والمجاهدون أيضا يتفادونها، ونفس النظام الإيراني يعاني من تحولات وتناقضات اجتماعيّة وثقافية داخلية، والله غالبٌ على أمره.. ونسأل الله تعالى أن يهيِّئ للمسلمين من أمرهم رشدًا.. آمين.

وأما **حركة الانفصال في الأحواز** وهو الإقليم العربي في إيران المحاذي للعراق؛ فهي حركة قومية عربية تسعى للانفصال على أساس عرقي وإن كانوا هم أهل سنة من حيث الانتساب المذهبي الديني، لكنها ليست حركة جهادية قائمة على أساس الدين، حسب ما يتوفر من معلومات، والله أعلم.

لكن لا أعتقد أنهم عملاء بالمعنى المعروف للعمالة، لكن من المستقرب جدا أنهم يتعاونون مع الأمريكان ومع الانجليز ويتلقون منهم الدعم، ومعروف أن أي شخص يريد أن يعمل ضد إيران.. فإن أمريكا مستعدة لدعمه مباشرة.! كما أن إيران مستعدة لدعم كل من يعمل ضد أمريكا ما عدا «القاعدة» طبعا.!!

وبعد خروج الإخوة أوائل سنة ألفين واثنتين من باكستان ثم إيران، أمسكت إيران مجموعات من الإخوة ثم سفّرتهم، من أهل الجزيرة وغيرها، وحاولت أن تعرض على بعض الإخوة تقديم مساعدات ودعم مالي وكل ما يلزم لضرب أهداف أمريكية في الجزيرة والخليج، وهذا ثابت حدثنا به الإخوة.! فهؤلاء كل طرف من مصلحته أن يدعم من يضرب الطرف الآخر وينهكه، وهذه قضايا في التاريخ دائمة التكرر، ليس فيها عجب..! والذي مارس العمل الجهادي والسياسي يعرف نماذج منها كثيرة في كل مكان.

والحمد لله.. الحركة الإسلامية حركة دين ومبادئ وقيم عليا مبنيّة على التوحيد الخالص، ومستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، متفقّهة في دينها وشريعة ربها، لا تنطلي عليها مثل هذه التفاهات، وهي حرة في اختياراتها وتمتاز بالصبر والقوة والجلد والثبات واليقين.. فاللهم بارك.

❋ ❋ ❋

〚القول في حركة «طالبان» ودولتها السابقة، وإمكانية عودتها للحكم، ودور باكستان الخياني〛

۞ (٥) ما هو تقييمكم لأفغانستان وهل طالبان قادرة على بسط سيطرتها على أفغانستان بإذن الله؟ وما هو رأيكم في نظام حكم طالبان السابق خاصة وأن الكثير انتقد بعض أساليبهم في تطبيق الشريعة -ومنهم الشيخ أبو مصعب السوري في كتاب «طالبان ومعركة الإسلام»[(١)]- وهل لكم أن توجزوا لنا الأخطاء التي وقعت فيها؟ وبم تنصحون الطالبان أن يفعلوا لكسب أكبر تأييد شعبي لهم في المستقبل حين وصولهم الحكم وتحكيمهم لشريعة الله؟

(٦) ما هو رأيكم في باكستان ودورها في ضرب طالبان؟ وهل تتوقعون أن تنهار الحكومة بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان بإذن الله وهل يمكن لطالبان والقاعدة أن تنتقم من مشرف لخيانته وإعلان الحرب عليه؟ ومن ثم فرض سيطرتهم على باكستان، وهل تعتقدون أنهم يستطيعون ذلك؟ وهل تؤيدون هذه الفكرة؟

[السائل: عكرمة المدني**]**

الجواب:

جواب الفقرة رقم ٥: الحمد لله.. نعم نظن ونأمل أن طالبان إن شاء الله قادرة على بسط سيطرتها أكثر وأكثر على أفغانستان، وأنها عائدة بإذن الله تعالى بشكل أقوى، وستكون هذه المرة إذا عادت بعون الله تعالى أحسن حالا وأكثر نضجا وصلاحا وصلابة، وقد سبق بعض الكلام في هذا..

وأما رأيي في نظام طالبان السابق؛ فسأحاول أن أعطي ما عندي من فكرة عنه فيما يلي، والله الموفق:

طالبان في الحقيقة هي حركة إسلامية شعبية إذا كان لا بد من اتباع طريقة التصنيفات الحديثة؛ فنقول إنها: تقليدية، بمعنى أنها ليست من نوع الحركات الإسلامية المعروفة في العالم الإسلامي والعربي منه خصوصا.

هي حركة تدين والتزام بالشريعة وغيرة على الإسلام وإرادة للخير والإصلاح، وجدتْ لقيامها ونشوئها أسباب سياسية واجتماعية واقعية؛ فنشأت بشكل أشبه ما يكون بالعفوي واللا مدروس وغير

---

(١) انظر: أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام، الذي تكلم فيه الشيخ أبو مصعب السوري عن طالبان وإيجابيتها وجهادها.. الخ، وعقد فيه فصلا بعنوان: «أهم سلبيات الطالبان» ذكر فيه بعض الملاحِظ، من أهمها: انتشار الصوفية، التعصب للمذهب الحنفي، الجهل بأمور الدنيا والسياسة الدولية، موقفهم من المحافل الدولية والأمم المتحدة، انتشار المنظمات الصليبية في أفغانستان وعملها بحرية، تعسفهم في بعض الحالات في الاحتساب في المعروف والمنكر.. وغيرها (انظر السلبيات ص ٢١ - ٢٧).

المخطط له، كما تعرفون، وأخذت تنمو وتكبر بفعل الظرف الذي عاشته، وهو ظرف فوضى وفساد اجتماعي وسياسي وأخلاقي، والتفّ حولها الناس وتداعوا لنصرتها وفتحوا لها أبواب مدنهم وقراهم ورحّبوا بهم، ففتح الله لها قلوب الناس قبل أرضهم ومدنهم.. لأن الناس كانوا قد بلغوا من المعاناة من ظلم الأحزاب وأمراء الحرب وأمراء الإتاوات والمكوس والضرائب ومن الجرائم ومن الفساد العجيب ومن الفوضى وانعدام الأمن، وكانوا هم (طالبان، أي طلبة العلوم الشرعية) أهل صلاحٍ وخير ودين والتزام بالشريعة، قاموا غيرة على الدين آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، مريدين لإصلاح الأمور وتطبيق أحكام الشريعة ما أمكن، فوجد فيهم الناس المنقذ والمخلّص من شؤم الواقع المرير الذي يقاسونه.. وشيئا فشيئا تكيَّفت حركتهم الناشئة مع الواقع والظرف، وعرفتْ دورها، وكانت همم قياداتها عالية، وأمدّهم الله -لصدقهم وإخلاصهم فيما نحسب والله حسيبهم- بالعون والمدد والتوفيق؛ ففتحوا معظم البلاد وأقاموا الدولة.

هذه الحركة هي حركة تقليدية بمعنى أنها مذهبية، على المذهب الحنفي، والمدرسة الديوبندية خصوصا، ينقصها بعض التجديد اللازم، فليست كالحركات «السلفية» أو الحركات الإسلامية المعاصرة المتميّزة بفكر إسلامي وثقافة إسلامية ثورية وتحررية و«منفتحة» -مع التحفظ على كل هذه الألفاظ، لكن نستعملها بقدرٍ؛ لضرورة الوصف والتفهيم- كالإخوان المسلمين مثلا، وغيرها من سائر الحركات.

كل ميزة هذه الحركة أنهم أهل دين وتقوى وتمسّك بالشريعة وتعظيم لها، ونعني بذلك على الأخصّ نواتها وقيادتها التي هي صُلبُها وأهل الحل والعقد فيها.

منّ الله عليها بقادة يُعتَبَرون من الطراز الأول، ومن النموذج الذي ظن الناس أنهم فقدوه، نموذج عماد الدين زنكي، وصلاح الدين، ومحمود الغزنوي، وأمثالهم من الأبطال.. نموذج كما نقول نحن في لغتنا العامية: «امتاع ربي»..!

صدق.. وإخلاص.. وقوة تدين ومعرفة بالله تعالى، والتزام بشرعه، وتقوى وورع ووقوف عند حدود الله ﷻ، ونظر الآخرة، وعدم مبالاة بالدنيا، وزهد حقيقي لا متصنّع ولا متكلَّف.

كل ذلك مع مجموعة من الفضائل والأخلاق العالية: الشجاعة، وقوة النفس، والكرم وحب البذل والعطاء، والتواضع والزهد، والغيرة والنجدة والإباء والأنفة.. فهذه صورة أرجو أنها مفيدة في توضيح حال حركة طالبان.. هذه الحركة كسائر الحركات والجماعات البشرية ليست كاملة من كل وجهٍ كان؛ فيها نقص وعيوب بلا شك.. وفيها الخير والشر، ودخل فيها وانتسب إليها الصالح

والطالح..

لكن نحن دائما نغلبُ الغالب، ونعتبر بالأكثر الصافي والوافي، وبالقوة الغالبة المؤثرة؛ كانت بالجملة حركة طيبة مباركة، بسطت العدل وأقامت نظام الدين والشريعة، وأمّنت البلاد، واطمأن في ظلال ولايتها العباد، وانتعشت البلاد بالخيرات وازدهرت التجارة، وكثرت البركات.

بلغ **الأمن** والأمان والاطمئنان بالناس أن الصرافين -صرافي العملات- في الشارع في كابل وفي قندهار حين يُؤذَّن للصلاة يضع الواحد منهم على نقودهم المفروشة على الرصيف عمامة أو قطعة من قماش «بتو» أو غيره، ويذهب إلى الصلاة وهو آمن على ماله، لا يخشى سرقة ولا نهبة ولا عدوانًا، وأصحاب المتاجر يرخي الرجل منهم ستارًا على متجره وينصرف إلى صلاته في أمان واطمئنان.

وكان **التجار** في راحة من الضرائب؛ يدفعون شيئا زهيدًا سنويًا لا يساوي شيئا في كل مقاييس العالم، حتى إننا سألنا مرة بعض التجار في منطقة تجارية مشهورة: كم يأخذون منكم -أي طالبان- ضريبة سنوية؟ فأخبرونا أنهم يدفعون سنويا مائتي روبية باكستانية، أي حوالي أربعة دولارات سنويًّا، وهذا شيء عجيب.! فكان التجار يدفعون ما يدفعون عن نفس رضية وعن محبةٍ، وكانت الأموال على قلتها يبارك اللهُ ﷻ فيها، واهتموا قدر استطاعتهم -جزاهم الله خيرا- بالمدارس والتعليم، كيف لا وهم أهل العلم والدين وهم العارفون بقيمة العلم.! وما رماهم به أعداؤهم من التقصير في ذلك.

وفي مسألة **عدم تدريسهم للبنات** خصوصا؛ فكان معظمه عدوانًا وظلمًا من هؤلاء الأعداء قاتلهم الله؛ فإن طالبان لم يكونوا يمنعون أو يرفضون تعليم البنات لذاته، بل كانوا يحرصون عليه ويريدونه، وإنما كان يمنعهم أنهم لا يجدون القوة على ذلك بسبب قلة ذات اليد بالدرجة الأولى؛ فكانوا يؤخرون ذلك إلى أن ييسر الله لهم بالتدريج فتح مدارس للبنات وتوفير المعلّمات والموثوقات وغير ذلك من الأسباب والوسائل..

وكانوا يقولون: نحن لم نستطع أن نغطّي حاجة البنين -الذكور- من المدارس والمعلمين وغيرها، فكيف بالبنات، وإنما نستعين بالله ونتدرج وفي نيتنا توفير التعليم للجميع، وقد كان البنات الصغار يدرسن القرآن والقراءة والكتابة في عدّة مساجد في كابل وغيرها وهذا رأيناه بأعيننا، والحمد لله.

واهتموا بالصحة والخدمات والطرق وسائر أنواع المرافق والخدمة للمجتمع.

وكان العالم يحاصرهم ويضيق عليهم إلا من رحم الله.!

وأما مسألة **الحشيش وزراعة الخشخاش** فقد علم الجميع كيف قضوا عليها بفضل الله تعالى، بأيسر طريق وأحسنه وأجمله؛ قرارٍ من أمير المؤمنين أيّده الله ونصره، بمنع زراعته ويأمر بالتوقف عن



الاشتغال به طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، فاستجاب الناس قاطبة وسمعوا وأطاعوا محبة وإكرامًا لمن أحبوه ووثقوا فيه وعظّموه حقا.!

فالحمد لله رب العالمين.. وفضائلهم كثيرة محمودة مشكورة جزاهم الله خيرا.

ويكفيهم فخرًا وجلالة قدرٍ مواقفهم الجليلة العظيمة في نصر المجاهدين وإيوائهم، والتمسّك بالشيخ أسامة بن لادن وإخوانه حفظهم الله ونصرهم، والوفاء لهم والتضحية من أجلهم والثبات على المبدإ، فقاموا تلك المقامات التاريخية العظيمة التي أحيا الله بها مواتَ العزة والكرامة والوفاء والإباء في أمتنا، وردّوا بها الاعتبار في الضمير الإسلامي والإنساني عموما لقيمة المبادئ والقيم والثبات عليها، في عالَم عمَّه الانحطاط الأخلاقي والقيميّ، وسيطرت عليه الأفكار المادية والنظريات الميكيافيلية، حتى المسلمون منهم تأثر أكثرهم بهذه البيئة الموبوءة وبذلك الغزو الثقافي والفكري الكافر، وحسبنا الله ونعم الوكيل..

فأعادوا للناس بالعمل والمثال الواقعي الفعلي المحسوس الماثل أمام الأعين، لا بالكلام فقط، مبادئ سامية مثل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة: ١٢٧]، المنيّة ولا الدنيّة، ولضربة بالسيف في عزّ خيرٌ من ضربةِ سوطٍ في مذلة.

لا تسقني ماء الحياة بذلةٍ ... بل فاسقني بالعزّ كأسَ العلقمِ[(١)]

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ... ولا مرتقٍ من خشيةِ الموتِ سُلّما[(٢)]

وما شابهها من مبادئ وقيم؛ فنسأل الله تعالى أن يكرم حيّهم وميّتهم، وأن يسعدهم ويرفع قدرهم في الدنيا والآخرة.. آمين.

وأما النقص والسلبيات.. فكان في الحركة ونظامها سلبيات لا محالة:

منها: بعض الأخطاء الشرعية الناتجة عن قناعاتهم المذهبية الفقهية أو العقدية، ونرجو أنهم في ذلك معذورون إن شاء الله، وهذا لعله ما أمكنهم بحسب حالهم من العلم والتمكن منه؛ هناك مسائل هم لم يحرروها ولم يدرسوها، ولا عرفوها جيدا.

وقد عرفتم أمثلة لذلك.. مثل محاولتهم الحصول على عضوية الأمم المتحدة في البداية، ثم عرفوا حقيقة ذلك وبُينت لهم فتركوا ذلك بحمد الله، ومثل علاقاتهم الدولية كان فيها ضعف من حيث

---

(١) قاله: عنترة بن شداد العبسي، ينظر: شرح ديوان عنترة (ص ١٣٥) لكن فيه -وهذا هو الصواب-: «كأس الحنظل».

(٢) قاله: عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه، ينظر: مروج الذهب (٣/ ١١٤)، البداية والنهاية (١٢ / ٢١٦).

انضباطها بالشريعة، ومثل بعض التطبيقات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأطر الناس على الالتزام بأحكام الشرع كان في بعضها نظر، وكثير منها هو محل اجتهاد، وغير ذلك.

ومنها: نقص في الوعي والثقافة وضعف في معرفة الدنيا والدين أيضا، والسياسة، ونحن هنا نتكلم عن الطابع العام لا عن خصوص أفراد، وحتى على مستوى الحرب والتخطيط والتكتيك، وقد عانى معهم الإخوة العرب كثيرا، ولم يفلحوا في تغيير الكثير من أساليبهم القديمة والساذجة، وكان الإخوة العرب عندهم خبرات عالية وأفكار ناضجة في الحرب والاستراتيجيات والتكتيك، وكانوا يظنون أن بإمكان طالبان لو طوّروا أنفسهم وسمعوا النصائح أن يقضوا على حركة مسعود وتحالف الشمال بسهولة، لكن جمود طالبان وتقليديتهم لم تساعد على ذلك للأسف، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ومنها: أن الحركة كان فيها شيء من ضعف التنظيم، وفيها أخلاط، ودخل فيها أناس ليسوا جيّدين، إنما دخلوها بناء على الانتماء القبلي والبشتوني، وخاصة من نواحي قندهار وغزني وهلمند واورزجان وزابل، وكانوا خالين من ذلك التدين وتلك الفضائل، وإنما صاروا «طالبان» بمجرد لبس العمائم السوداء والانتماء للحركة على أساس قبلي وقومي؛ فهؤلاء كانوا سببا لمفاسد في الحركة والدولة.. وشوّهوا بعض الصورة، وحصل منهم ظلم للخلق، ولا سيما في العاصمة كابل.. بعضهم كانوا ظلمة فاسدين، وبعضهم كانوا أهل دنيا وتكالب، كان فيهم الكبر والتعالي والعنجهية القبلية البشتونية، والتعصّب، ولا سيما في تعاملهم مع الفارسوان وغيرهم، لدرجة أن بعض أهل كابل كانوا ينظرون إلى طالبان كمحتلين.! مع أن أهل كابل أيضا ليسوا مبرّئين، بل الفساد فيهم كثير..!

ولكن مع كل ذلك لا بد أن نؤكد أن الخير كان غالبًا والعدل كان غالبًا منتصرًا، وقد ضربوا نماذج رفيعة حقا من العدل والقيام بالقسط والوقوف عند حدود الله، ورد الحقوق وأداء الأمانات إلى أهلها، جزاهم الله خيرا كثيرا، وتقبل الله منهم.

وكان عندهم نظام قضائي لا بأس به، والحمد لله، قائم على الشريعة قياما كاملا، والشريعة هنا طبعا هي ما يعرفون من الفقه الحنفي، في الغالب.

وقد يعتذر لهم بعض الإخوة في بعض تلك الأمور التي أشرنا إليها بالظروف الموضوعية التي تحكمهم، والموازنات الاجتماعية التي كان يصعب عليهم تخطيها، لكن في ظني أنه كان بالإمكان أن يكونوا أفضل.! والله أعلم.

فالحركة مع أنها حركة دينية كان الانتماء القبلي فيها هو الأقوى في كثير من الأحوال، ولا نريد أن نعمم، لا سيما على مستوى القيادات الوسطى والتنفيذية، وهناك دائما استثناءات.

البشتون والقندهارية وما جاورهم هم الممسكون بكل شيء، ولهم التقدّم، المهم أنهم بشتون، ويعطون الولاء للطالبان، ويتسمون بالطالبان ويلبسون العمائم السوداء التي صارتْ كالفرض، وصارت شعارًا، كما أن الحركة كان فيها تيارات أخرى غير التيار الرئيسي، وفيها الجيد وغير الجيد..

ولكن عصمها الله بصلاح قياداتها المؤثرة وعلى رأسها الملا محمد عمر حَفِظَهُ اللهُ ورعاه وسدده، وإخوانه من القيادات الأولى القديمة، وبصلاح الكثيرين من الأخفياء، تقبل الله منهم ورفع الله قدرهم في الصالحين.. آمين.

فهذه فكرة عامة، والله الموفق.. ولا شك أنها حركة طيبة في الجملة خيرها غالب كما قلنا.

والآن بعد التجربة الكبيرة نرجو أن الله محّصهم، ونرجو أنهم ازدادوا في الخير والصلاح، واستفادوا، وتطوّرت علاقتهم بشكل أفضل بالإخوة العرب في «القاعدة» وغيرهم، على خلاف ما كان يظن بعض الناس.. والحمد لله رب العالمين.

ولهذا نقول إنهم إذا يسر الله لهم العودة سيكونون أفضل وأحسن وأسدّ بإذن الله تعالى.

وللتكميل أذكر بعض فوائد هذه التجربة الغنية:

فمن ذلك: أن هذه التجربة أظهرت بجلاء أن العبرة بحقائق الدين والإيمان والتوحيد الحقيقي، وهو توحيد العبادة والقيام بأمر الله تعالى محبةً وخوفا ورجاء وذلةً وخضوعا وخشوعا وصبرا وشكرًا وتوكلًا وتعظيما لأمر الله ﷻ ونهيه.. الخ، وما ينشأ عن ذلك من التقوى والورع والاستقامة، لا بمجرد الكلام وحفظ المتون والاصطلاحات والرسوم.

وأظهرت هذه التجربة المميزة مدى ما تمتّع به الإخوة العرب المهاجرون المجاهدون في سبيل الله في القاعدة وغيرها من التنظيمات القريبة منها، وهم سلفيّون عقيدة ومنهجا وأحكامًا، غير متقيدين بمذهب فقهيّ - كما هو معروف - أقول: ما تمتعوا به من حسن الفهم وسعة الأفق ورحابة الصدر وانشراحه بالفقه في الدين والفهم عن رب العالمين، وذلك فضل الله وحده، حيث اتصفوا بالمرونة المحمودة واستوعبوا إخوانهم في طالبان وسائر الأفغان وأحبوهم لما رأوا عندهم من الدين والتقوى، وتعاونوا معهم وتآلفوا وعملوا وضحوا، وكانوا إخوانا متحابين متعاونين متعاضدين.. وكذلك أيضا من جهة طالبان نحو إخوانهم العرب مثلا بمثل.

فكان الجامع هو المحبة في الله وتعظيم أمر الله تعالى والالتقاء على الاعتصام بحبله المتين سبحانه، واستوعب الجميع تلك الاختلافات وعرفوا منزلتها وفقهها.

فيا لها من صورة ما أجملها وما أروعها.! والحمد لله رب العالمين.

جواب الفقرة ٦: رأيي في **دولة باكستان** ودورها الوقح في ضرب طالبان والإمارة الإسلامية في أفغانستان، والغدر بالمجاهدين عمومًا، وخيانتها لله والرسول وللمؤمنين تقدم ما يكفي فيه.

ولا شك أن باكستان قدّمت للحملة الصليبية الأمريكية على العالم الإسلامي أكبر دعم قدّمته دولة، والدور الخياني الذي لعبته هو أخسّ وأحقر وأنذل دور، هذه الدولة الفاسدة الفاقدة للهوية، الخائنة الخسيسة والله حقا..!! دولة النذالة وانعدام الشرف والرجولة والمروءة.! وحسبنا الله ونعم الوكيل..

ووالله لن تنجو من عاقبة هذا البغي، ولن يطول زمان إن شاء الله حتى ترى ويرى العالم معها مكر الله بها وعقوبته العاجلة لها بإذنه وحوله وطوله ﷻ.

في حال أي انسحاب للأمريكان يمكن أن تسقط هذه الدولة العفنة (دولة برويز مشرف) هذا مرجّح، ولكننا نرجو أن تسقط قبل ذلك أيضا.. ويكون سقوطها سببا في انهيار الوجود الأمريكي في المنطقة ثم في انسحابها إن شاء الله؛ نأمل في ذلك ونرجوه، وما ذلك على الله بعزيز؛ ولا شك أن هناك رجالا دائبون في العمل لتخليص المسلمين من هذا الحقير برويز وشلته المسيطرة على الحكم في باكستان، وقد كانت هناك فرص ومحاولات معروفة، ولكن الله قدر له البقاء فتنة للناس وابتلاء، ولله الحكمة البالغة ﷻ، مالك الملك، يخلق ما يشاء ويختار.

❊ ❊ ❊

﴿نصيحة للمسلمين تجاه «طالبان»، والجهد الإعلامي للحركة، ودور الأنصار﴾

❁ شيخي الحبيب: كيف ترون تطور الأحداث على جبهة أفغانستان؟ وبمَ تنصح المسلمين لنصرة وخدمة الطلبة على كل الجبهات وخاصة الإعلامية؟

كيف تفسرون تغير الاستراتيجية الإعلامية عند الطلبة وهل ترى عندهم نضجا في فهم المعادلة الإعلامية المعاصرة؟

في رأيك كيف على الأنصار أن يستعدوا لما هو قادم من فتوحات وهل عليهم دور ما تنصحهم بلعبه؟

كيف تقيم المسيرة الإعلامية للجهاد عموما وهل استطعنا كسر الطوق الغربي الصهيوني؟.

[السائل: موحد]



الجواب:

التطور على الجبهة الأفغانية كما سبق القول وخاصة هذا الربيع هو مما يثلج الصدر؛ عمليات مستمرة ونقلات نوعية، وإثخان كبير في أعداء الله وجهاد مستمر وصبر وثبات واتساع وفتح من الله تعالى.

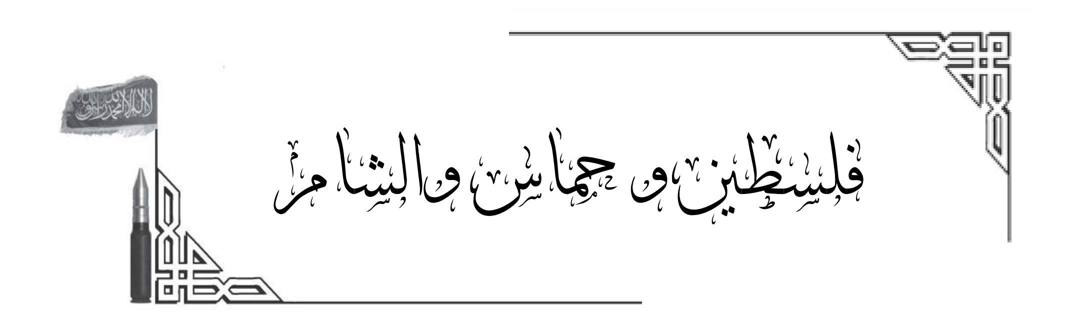
وننصح المسلمين بأن يمدوا يد العون لإخوانهم؛ فعنهم وعن دينهم وأمتهم يقاتلون، والمسلمون يجب أن يكونوا يدا واحدة على من سواهم، بعضهم أولياء بعض، متناصرين متعاضدين إخوانًا، كالبنيان المرصوص، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

الدعم المادي والمالي.. الدعم الإعلامي، وبالكلمة.. الدعم البشري بنفير أهل الخبرات إليهم على وجه الخصوص.. أين العسكريون؟ وأين الأطباء؟ وأين طلبة العلوم الشرعية والدعاة إلى الله والمربّون؟ هذا كله هم بحاجة إليه ويرحّبون به ويفرحون.

بالنسبة للإعلام، نعم نرى أن هناك نضجا عندهم وتقدما في فهم المعادلة الإعلامية؛ وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، ولا شك أنهم استفادوا من التجربة، واستفادوا حديثًا من إخوانهم المجاهدين في العراق، وصاروا أكثر استيعابا لأهمية الكلمة والصورة مع الرصاصة؛ وخطابهم في الجملة خطاب جيد وطيب. والحمد لله.

والإخوة الأنصار والمهاجرون المجاهدون مع طالبان لهم دورهم المشكور دائما جزاهم الله خيرا.. ودورهم القادم لا يقل عن السابق، في البناء وفي ترشيد المسيرة والدولة، وفي الاستمرار في حمل أمانة رفع الضيم والظلم عن أمتنا، وهم بدورهم سيستفيدون أكثر من تجاربهم الماضية، ويكونون بإذن الله أقوى وأحسن.

والله أعلم وأحكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.



﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾[الإسراء]، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝٧١﴾[الأنبياء]، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۝٨١﴾[الأنبياء]، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨﴾[سبأ].

عن زيد بن ثابت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(طوبى للشام، قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها)** رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه جمعٌ من العلماء[(١)]، وانظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري ﷺ؛ «باب الترغيب في سكنى الشام وما جاء في فضلها»[(٢)]، وانظر كتاب: «فضائل الشام» لشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ[(٣)]، وغيرها من كتب العلماء المصنفة، وما سطّروه في فضائل هذه البقعة المباركة من أرض الله أرض الشام، وقاعدتها فلسطين وقلبها بيت المقدس، هي الأرض المباركة في القرآن وعلى لسان نبينا ﷺ.

وفلسطين وقضيتها -وقطب رحاها المسجد الأقصى المبارك المقدّس- هي قضية المسلمين الأولى، وهي المنبع الفيّاض للتضحية والبذل والفداء، وهي كما سبق أن قلتُ: بنية تحتية للجهاد في أمتنا، وهي مهوى الأفئدة ومحط الأنظار والآمال لرجالاتنا الأبطال، ولازالت كلمات القائد الكبير

---

(١) مسند أحمد (٢١٦٠٧) وحسنه محققه الأرنؤوط، سنن الترمذي (٣٩٥٤) وقال الألباني: صحيح.

(٢) الترغيب والترهيب (٤ / ٢٩ - ٣٣) وساق في هذا الباب سبعة عشر حديثًا.

(٣) هي رسالة مختصرة، وقفتُ عليها مخطوطة بعنوان: «فائدة في مناقب الشام وأهله» مطلعها: «فصل: ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء وهي أحد ما اعتمدته في تحضيضي للمسلمين على غزو التتار»، ذكر فيها الشيخ خمس آيات، وجملة من الأحاديث الثابتة، وهي رسالة نافعة رغم اختصارها.

سيف الله أبي مصعب الزرقاوي ﷺ تدوّي في أسماع شباب أمتنا حين قال: «نقاتل هنا في العراق وأعيننا على بيت المقدس»[(١)]، فوالله ما نسينا فلسطين ولا نسيها أسامة ولا أيمنُ ولا محمد عمر ولا عامة المجاهدين، بل لأجلها -مع وقبل كل ديار الإسلام- يقاتلون ويناضلون ويضحّون، وإنما لكل شيء إِبَّان، ولكل أجلٍ كتابٌ، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، كما لم ينسها من قبلُ الشيخ الربّانيّ الشهيد عبد الله عزام ﷺ؛ كما عبّر عنه الشاعر أبو هلالة:

أجـــــبهم يـــــا رعـــــاكَ الله	كـــــيما يخـــــرس الجـــــدلُ
وقـــــل يـــــا معشـــــر النقـــــاد	مـــــن لامـــــوا ومـــــن عـــــذلوا
أنـــــا مـــــا زال جـــــرح القـــــدس	في جنبـــــيّ يعتمـــــلُ
ووقـــــد مصـــــابها كالنـــــار	في الأحشـــــاء يشـــــتعلُ
أنـــــا مـــــا خنـــــتُ عهـــــدَ الله	لمـــــا خانـــــتِ الـــــدول
وفي ســـــاحاتها جاهـــــدتُ	إذ جـــــلُ الـــــورى خـــــذلوا
فلـــــما غُـــــلّ كـــــفُ الفـــــدى	وانقطعـــــت بنـــــا الحيَـــــلُ
ولم يُبـــــقِ الطغـــــاةُ لنـــــا	ســـــبيلًا نحوهـــــا يصـــــلُ
مضـــــيتُ مجاهـــــدًا مـــــع	مَـــــنْ بهـــــم يتشـــــرف المثـــــل

بني الأفغان.. الخ[(٢)].

وقضية فلسطين هي قضية إسلامية دينية سياسية، هي قضية الإسلام وأهل الإسلام، ليست قضية وطنية ولا قومية؛ لا عربية ولا غيرها.! وإنما ضاعت فلسطين حين كان العرب يتلهّون بأفكار القومية صنيعة الاستعمار..!

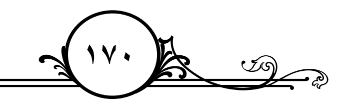
وإنما خان فلسطين وسلّمها لعدوّنا مُدَّعو القومية العربية، الذين اتخذوا دين الله وراءهم ظهريًا.. وإنما يحرُسُ اليهود في فلسطين اليوم ويسهر على حماية حدودهم ويؤمّن لهم مداخلهم ومخارجهم القوميون العرب من المرتدين الطغاة الخونة، قاتلهم الله.

وإنما ترجع فلسطين بالإسلام وعلى أيدي الأطهار الغرّ المحجلين من أثر الوضوء إن شاء الله تعالى، أهل الجهاد في سبيل الله وحده، ولا شك أيها الإخوة أن الحال والظرف صعبٌ للغاية في

---

(١) قال ذلك في شريطه المصور: «هذا بلاغ للناس (دقيقة ٨:٢٦)، وانظر: الكتاب الجامع لخطب الشيخ وكلماته (ص ٥٠٢).

(٢) هذه الأبيات من قصيدة للشاعر «يوسف أبو هلالة» بعنوان: «الفارس المصلوب»، وهي منشورة على الشبكة، وقد تصرف الشيخ في بعض أبياتها، ويبدوا أنه ﷺ ساقها من الذاكرة، كما هي عادته ﷺ في نقل معظم النصوص.



فلسطين، فأهل فلسطين ضعفاء مغلوبون مخذولون من الدول المنتسبة للإسلام، مضيق عليهم، محاصرون مجوّعون، وقد نجح الأعداء من خلال مكر الليل والنهار والسنين والأعوام في أن يربّوا طوائف منهم على أعينهم يكونون لهم طابورا خامسًا، وخدمًا وأدلاء وظُهراء، من العلمانيين والقوميين وأسراب المنسلخين عن الدين، المؤمنين بالجبت والطاغوت، فمسّكوهم الأمور، ورشّحوهم وانتخبوهم ورأسوهم، ودعموهم وأعانوهم، ليكونوا خير ضمان لاستمرار هيمنتهم على أرضنا السليبة.! فالوضع صعبٌ، وشديد التعقيد.. والضعف محقق، بل العجز ظاهرٌ.. والله المستعان.! ولنا فيه ﷻ الرجاء أن يبرم للمسلمين أمر رشد، ويأتي بالفتح والنصر من عنده؛ فمزيدا من الصبر وانتظار الفرج، والله مع الصابرين..

ورأيي الإجمالي فيما يتعلق بفلسطين.. أن نشجّع الجهاد فيها ضد اليهود، وندعمه ونقف معه ونحث المسلمين على دعمه وتأييده، ونسدد ونقارب فيما يتعلق بالجماعات المجاهدة وغيرها، ونشتغل في دائرة الممكن وتحت مبدأ أخف الضررين، ولنا هنا بعض التفاصيل، ولكن هذا الجهاد -والله أعلم- سيظل جهاد نكاية ودفعٍ للضرر وتخفيف للفساد ما أمكن، وأهله فيه مأجورون فائزون إن شاء الله؛ نرجو لهم أن يكونوا من الطائفة المنصورة وأن يكون شهداؤهم من خيار الشهداء.. ولكن الظاهر أن المقصود من تحرير فلسطين ورفع راية الإسلام فوقها من جديد لا يتم إلا بتظافر أسباب خارجية من انفتاح جبهة الجهاد في الشام عمومًا، وانفتاح الحدود والسبل والطرق إلى فلسطين، وزوال الكثير من الموانع التي يفرضها الطواغيت المرتدون، وهزيمة منكرة لأمريكا بإذن الله.

وهذا هو الذي نرى الأمور تسير نحوه رويدًا.. فإنما هي ساعات صبر، مع عملٍ دؤوبٍ لا يتوقف حتى يأذن الله بالتغيير، فليستمر إخواننا -في الخارج- في جهادهم وليستعينوا بالله ويصبروا، فإنهم على الطريق، والله مع الصابرين ومع المحسنين ومع المتقين ومع المؤمنين، والله أعلم.

❃ ❃ ❃

﴿دخول «حماس في الانتخابات»؛ هل يبرر؟، المعاملة بالمثل للأعداء، الوقوف في صف المنادين بما يسمى: «الوحدة الوطنية»﴾

❁ (١) لعلي سأتجه بنظري إلى أرض فلسطين الطهورة، والمسيرة الجهادية الدائرة على أرضها المباركة منذ عقود، نسأل الله ﷻ أن ينصر أهلها ويثبت اقدامهم..

فهل صمود «حركة المقاومة الإسلامية حماس» أمام الابتزازات، وأمام المؤامرات الدولية والداخلية سيسطر لها في سجل المسيرة الجهادية في فلسطين، أم أن دخولها المجلس التشريعي بالأساس، والذي يختلف العلماء في تحليله أو تحريمه ومن ضمنهم الشيخ يوسف القرضاوي.. هل هو خطأ فادح كان الواجب اجتنابه..؟

(٢) هل الواجب في جهاد الطواغيت والكفار معاملتهم بالمثل، من سفك للدماء والتشريد والتمثيل، واستهداف أطفالهم ونسائهم وشيوخهم.. فإذا كان كذلك فلماذا أوصى الرسول ﷺ قادة المجاهدين بعدم التعرض للأطفال والنساء في المعارك؟ ولماذا لم يسفك القائد صلاح الدين الأيوبي دماء الصليبيين على الرغم من المجازر التي ارتكبوها في أبناء المسلمين عند احتلالهم لبيت المقدس؟.

(٣) هل تقف إلى جانب من ينادي بما يسمى «الوحدة الوطنية» في فلسطين؟ أم تعتبر أن على الحركات الإسلامية المجاهدة في فلسطين أن تتخلى عن هذا المفهوم وتعلن البراءة ممن لا يحكمون شرع الله ورسوله؟ أليس من الأفضل في هذا الوقت توجيه السلاح إلى وجه اليهود؟

[**السائل:** خالد الإسلامبولي]

الجواب:

جواب الفقرة (١): الحمد لله رب العالمين وبه نستعين..

لا شيء يحبط عمل المسلم ويبطله بالكلية إلا الشرك والكفر، أعاذنا الله تعالى وجميع إخواننا منه.

والخطأ الذي ارتكبته حماس نرجو أنهم فيه معذورون متأولون وآخذون بفتاوى بعض من يثقون فيهم من أهل العلم، ولا نحكم عليهم بالكفر، بل هم عندنا مسلمون مخطئون، ونسعى في نصحهم وترشيدهم كما نفعل مع كل مسلم، وننكر ما نراه منكرًا ونبين ما نراه زلة وخطأً وقعوا فيه، ولا نغشهم ولا نغشّ أمة الإسلام.

وعليه.. فإن صمود حركة حماس أمام الابتزازات والمؤامرات الدولية والداخلية محسوب لها ومن حسناتها، وأعظم من ذلك جهاد أبنائها وتضحياتهم العظيمة المشرفة، وحسنُ بلائهم في سبيل الله تعالى، كل ذلك من الخير المحسوب لأهله، والذي نرجو من الله تعالى أن يتقبل منهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة.

لكنْ نرى أن دخول حماس للعبة الديمقراطية، ودخولها للمجلس التشريعي، وما انجر عن ذلك وما استدعاه من أشياء أخرى كثيرة مخالفة للدين، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأفكار والممارسات

من الأقوال والأفعال المخالفة للشريعة.. هو منكرٌ وباطلٌ وفسادٌ عظيم، نبرأ إلى الله منه، وننكره وننصح إخواننا أن يتوبوا إلى الله منه ويجتنبوه، ويصلحوا ويعتصموا بالله تعالى وحده.

وقد استَعمَلْتُ أعلاه عبارة «جهاد أبنائها وتضحياتهم» وقصدتُ بذلك الإشارة إلى ما قال الله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦] وما في معناها من الآيات والأحاديث؛ فإننا يجب أن نفرّق بين الحركة كشخصية اعتبارية، وبين أفراد الناس العاملين معها والمنتمين إليها والمشتغلين في ظلها، فإن الواقع قد يقتضي شيئا ليس هو أحسن ما نريد، والله تعالى يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة]، ولعله يأتي لهذا مزيد توضيح إن شاء الله.

جواب الفقرة (٢): المعاملة بالمثل مشروعة في الحرب (الجهاد) وفي غيرها، ولكن اللهَ تعالى ندبنا إلى أفضل من المعاملة بالمثل، وهو الصفح والعفو.

ثم تبقى مسألة: **هل الأفضل في الحالة المعينة المعاملة بالمثل، أو الصفح والعفو؟** هذا بحسب ما يرجّح أيًّا من الأمرين؛ فينظر فيه في كل حاله على حدةٍ، وبعبارة أخرى: الأصل أن الصفح والعفو أفضل، والقصاص جائز؛ فالثاني هو العدل والأول هو الفضل، لكن قد يوجَد مرجّح يجعل هذا الجائز (القصاص) أفضل من ذلك الأصل الفاضل (الصفح والعفو)؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى] وقال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل].

والمعاملة للكفار بالمثل في مسألة قتل الذرية والنساء وما شابههم -ذرية ونساء الكفار الذين هم كفار أيضا كآبائهم وأزواجهنّ، لا ما لو كانوا مسلمين أبناء كفار- جائز على الصحيح إن شاء الله، وهو ظاهر النصوص، وقد أفتى به بعض العلماء.

وكذلك التمثيل، وهي المثلة المحرّمة في الأصل، جائزة في حال القصاص والمعاملة بالمثل، والحمد لله.. للنصوص المتقدمة وغيرها مما في معناها، وكل ذلك يقدّره أهل الأمر من قيادة المسلمين.

وأما وصايا الرسول ﷺ قُوَّاده وبعوثه بعدم قتل النساء والصبيان وغيرهم من الأصناف التي جاء

ذكرها في النصوص[(١)]؛ فهو حقٌ، وهو الأصل، وما ذكرناه قبلُ هو الاستثناء كما نبّهتُ عليه.. وكله حق لا تناقض فيه ولله الحمد والمنة.

وأما صلاح الدين رحمه الله، فهو قائد من قواد المسلمين؛ لا يُحتَج بقوله ولا بفعله، بل يُطلَب الدليل على صحة فعله واجتهاده.. نعم، صلاح الدين من أهل الخير والصلاح والجهاد والإحسان، وبطل من أبطال الإسلام، ولكنه في النهاية بشر، له أخطاؤه وله حسناته وصوابه.

والأحكام الشرعية إنما تؤخذ من أدلة الكتاب والسنة وما في معناهما؛ وكون صلاح الدين رحمه الله لم يسفك دماء الصليبيين عندما ظفر بهم وفتح بيت المقدس، بل أمّنهم وقبل منهم الفداء، فهذا مقام اجتهادٍ، وهو فيه محسنٌ مصيبٌ، جزاه الله خيرا ورضي الله عنه، فإنه غلّب جانب العفو والاحتياط للمسلمين ولأسراهم ولأملاكهم، وكان له تدبير حسنٌ في ذلك حقق به صلاحا وخيرا كثيرا.. والله أعلم.

جواب الفقرة (٣): لا، وكلا..! لا نقف في جانب من ينادي بـ «**الوحدة الوطنية**» وعموم «الفكرة الوطنية» لا في فلسطين، ولا في غيرها.

بل نعتقد أن هذه الفكرة فكرة غير إسلامية، مصادمة للدين الحنيف، الذي مبنى الاجتماع فيه على الدين والرابطة الدينية والأخوة في الله وفي دين الله الإسلام، وهذه الفكرة -كما سبق الإشارة- هي من الأفكار الواردة على أمتنا من ثقافات الغرب وفلسفات الشرق، ونحن أكرمنا الله تعالى بالإسلام والإيمان فلمَ نبتغي في الإسلام سنة الجاهلية؟! ونحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العزّ في غيره أذلنا الله.

الفكرة الوطنية الخبيثة مبناها على اجتماع الناس على المواطنة، أي على الكون كلهم مواطنين لنفس البلد ولنفس الدولة، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات بناء على هذه الرابطة الوطنية، كلهم متساوون، لا فرق بينهم بدين ولا عدالة ولا غير ذلك.

وهذا لا شكّ أنه باطل مناقض لدين الإسلام الذي جعل العلاقة بين الناس مبنية على الدين والتوحيد والإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبما جاء به، وأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم، وأمر ببغض الكافرين ومعاداتهم، وجعل لكلٍ أحكامًا، وجعل الرابطة بين المؤمنين هي الأخوّة في الإسلام

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١٧٣١)، المعجم الصغير للطبراني (٣٤٠) من حديث بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا بعث سرية قال لهم: «**اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ.. وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا**» هذا لفظ الطبراني.

والإيمان، وجعل التفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح.

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[الحجرات]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات].

وكما قال النبي ﷺ: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**) رواه مسلم[١]، وقال في المنادين بالاجتماع على اسم أو لقبٍ أو رَسْم أو وَسْمٍ غير الإسلام وغير ما جاء به الإسلام من الأسماء الفاضلة، وقد غضبَ: (**ما بال دعوى الجاهلية؟!.. دعوها فإنها منتنة**) متفق عليه[٢]، وقال ﷺ: (**ليتنهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله ﷻ من الجُعَل الذي يدهده الخرء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقيّ، الناسُ بنو آدم وآدم خلق من تراب**) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن؛ نقلا عن الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، وقال: (**الجُعل**) بضم الجيم وفتح العين المهملة هو دويبة أرضية. (**يدهده**): أي يدحرج وزنه ومعناه. (**العُبِّيّة**) بضم العين المهملة وكسرها وتشديد الباء الموحدة وكسرها وبعدها ياء مثناة تحت مشددة أيضا هي الكبر والفخر والنخوة[٣]، اهـ.

وقال ﷺ: (**إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأَعِضُّوه بهَنِ أبيه ولا تكنوا**) رواه الإمام أحمد وغيره[٤]، (**يتعزّى**) أي يعتزي وينتسبُ. قال العلماء: معنى يتعزى بعزاء الجاهلية: ينتسب وينتمي إلى انتماءاتها المخالفة للدين، المبنية على الحمية والتعصّب للأجناس والأقوام ونحوها والمواضعات غير المبنية على الدين، ولهذا أضيفتْ إلى الجاهلية.

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: (**من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدِّيَ** [أي في بئر]

---

(١) صحيحه (٢٥٦٤) لكن عنده: «وأموالكم» بدل «أجسامكم»، ولم أقف على لفظة «أجسامكم» في كتب السنة.

(٢) صحيح البخاري: (٤٩٠٥)، صحيح مسلم (٢٥٨٤).

(٣) سنن أبي داود (٥١١٦) بمعناه، سنن الترمذي (٣٩١٥)، الترغيب والترهيب (٤٤٣٢)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣١٢)، وصححه في الجامع الصغير (٩٦١٣).

(٤) مسند أحمد (٢١٢٢٣) لكن بلفظ: (إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَزِي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٥٦٧)، ومعناه ما قاله ابن الأثير في: النهاية (٣ / ٢٥٢): «أَيْ قُولوا لَهُ: اعْضَضْ بأيْرِ أبِيك، وَلَا تكْنُوا عَنِ الأيْر بالهَن، تَنْكيلًا لَهُ وتأدِيبًا»، والأير هو الفرج.



فهو ينزَعُ بذنبه) رواه أبو داود، وأصله في مسند الإمام أحمد[١].

وعن واثلة بن الأسقع قال: قلت يا رسول الله: ما العصبية؟ قال: **(أن تعين قومك على الظلم)** رواه أبو داود وابن ماجه، والحديثان حسّنهما ابن مفلح في الآداب الشرعية[٢].

قال المنذري: «ومعنى الحديث -**(كالبعير الذي ردي فهو ينزع بذنبه)**- أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزَع بذنَبه ولا يقدر على الخلاص»[٣] اهـ، وفي «أمثال الحديث» للرامهرمزي: والنزع قلعُك الشيءَ من الشيء، وهذا مثل في ذم الحمية والتعاون على العصبية، ومثّل بالبعير الذي يتردى في البئر فيحاول نجاة نفسه بهلاك بعضه، وكان هذا من شأن العرب ومذهبها، قال وداك بن ثميل المازني يذكر قومه:

مقاديم وصّالون في الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يمانِ

إذا استُنجدوا لم يسألوا من دعاهُمُ ... لأية حربٍ أو لأيّ مكانِ

وقال آخر يعيّر قومه باللين ويذكر غيرهم بالحمية:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهمْ ... طاروا إليه زَرَافات ووِحْدانا[٤]

انتهى.

تنبيه: قد يتمثّل بهذه الأبيات ونحوها بعض المسلمين فيحملونها على معنى صحيحٍ، ولا يخفى وجهه، فليتنبّه لهذا.

وغير ما ذكرنا الكثير مما ورد في هذا المعنى من النصوص.

والمقصود أن **فكرة ومبدأ الوطنية** -وكذا القومية- في المفهوم المعاصر فكرة باطلة كافرةٌ مناقضة للدين، ومبادئ الدين من الولاء والبراء والحب والبغض والموالاة والمعاداة من أجل الدين، وتقويم الناس وتفاضلهم بحسب الدين والتقوى والعمل الصالح؛ وهي فكرة دخيلة على أمة الإسلام، إنما

---

(١) سنن أبي داود (٥١١٧)، وصححه الألباني، مسند أحمد (٣٨٠١، ٤٢٩٢) وحسن محققه الأرنؤوط إسناده.

(٢) سنن أبي داود (٥١١٩)، وضعفه الألباني، سنن ابن ماجه (٣٩٤٤) بلفظ أطول مما ساقه الشيخ هنا، الآداب الشرعية والمنح المرعية (١ / ٥١).

(٣) الترغيب والترهيب (٣ / ١٣٨).

(٤) أمثال الحديث (١ / ١٠٣، ١٠٤)، وينظر في البيتين الأولين: شرح ديوان الحماسة للأصفهاني (ص ٩٧)، والبيتين الأخيرين قالهما: قريط بن أنيف، أحد بني العنبر، ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي (ص ٥).

نشأت أول ما نشأت عند الغرب الكافر ثم صدّروها إلينا في زمن الانحطاط والهزيمة والغفلة.!
والمؤمن بهذه الفكرة على النمط الغربي والمعروف اليوم عند أصحابه.. هو كافرٌ بالله العظيم خارج من ملة الإسلام.. نبرأ إلى الله منه ومن فكرته، ونسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة. ولكن لا بد أن نؤكد هنا -حتى لا يشتطّ أحدٌ في فهم هذا الكلام- أن القدر الموجود من هذه الفكرة لدى حركة حماس أو حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وعند الكثيرين غيرهم، ليس هو الفكرة الوطنية بمعناها الكامل الذي قلنا إنه كفرٌ، لكن هي لوثةٌ وأثرٌ منها، يجب أن يجتنبوه ويبرؤوا منه، هداهم الله وأصلحهم.

نعم؛ على الجماعات الإسلامية في فلسطين أن تتخلى عما عندهم من آثار هذه الفكرة وتبرأ منها وتتنظّف من أدرانها.! وعليهم بلا شك البراءة ممن لا يحكمون بشرع الله تعالى.. هذا لا شك فيه، من حيث الأصل والمبدأ والعموم والإطلاق.

ثم تفاصيل ذلك لها محلها، من حيث ما يجوز لهم السكوت عنه مثلا، وما يسعهم تأخير الكلام فيه والتصريح به، بحسب القدرة أو العجز، وهكذا. والله الموفق، وأما أن الأفضل الآن هو توجيه السلاح إلى اليهود، فعلى الإجمال نعم، هذا أفضل، ما أمكن.

لكن قد تكون حالاتٌ يكون فيها توجيه السلاح للخونة العلمانيين والمرتدين من بني جلدتنا مطلوبًا، فهذه تحتاج إلى أن ينظر فيها أهل الأمر هناك، والله الموفق.

✵ ✵ ✵

〚القول في حركة «حماس» و«الجهاد الإسلامي» في فلسطين〛

❁ نريد من فضيلتكم بيان الحكم الشرعي الواضح البين المبين، الذي لا لبس فيه وبالتفصيل في: حركة حماس والخط الذي تنتهجه، وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

[السائل: أبو بصير السهلي**]**

الجواب:

الحكم الشرعي الواضح البين المبين الذي لا لبس فيه!! وبالتفصيل «كمان»..؟!! هذا يا أخي الكريم شيء صعب.. ربما يحتاج إلى مجالس علماء وشورى..!

وأنت لا بد أن تعرف أنك تسألني عن رأيي، فأنا أقول رأيي بحسب ما أراني الله تعالى، وأفيد بما

عندي من رأي ومعرفة، ولا نقول إن هذا هو حكم الشرع إلا فيما علمنا يقينا أنه حكم الله وشرعه، كالمسائل المنصوص عليها والمجمع عليها، وأما أكثر ما نتكلم فيه من مسائل فهي مسائل اجتهاد ونظر طريقها الاستدلال، وليست مما يقال فيه: هذا حكم الله.. قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[النحل]، وقال رسول الله ﷺ: (**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا**) رواه مسلم وغيره من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه[١].

وهكذا كانت طريقة علمائنا وأئمتنا في الفتوى والقول في سائر المسائل: نرى كذا ولا نرى كذا، يعجبنا كذا ولا يعجبنا كذا، إلا أن تكون المسألة منصوصة عن الله ورسوله، أو في قوة المنصوص، كما قرر هذا علماؤنا في مواضعه، كما تجده مبسوطا في إعلام الموقعين وغيره.

فالحاصل أن ما أقوله هو رأيي؛ فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فهو مني ومن الشيطان، والله عز وجل ورسوله بريئان منه.

فيا أخي الكريم، حركة حماس أنت تعلم أنها حركة إخوانية بالأصل، بمعنى أنها تنتمي إلى فكر وإلى جماعة الإخوان المسلمين.. وهذه الجماعة (الإخوان المسلمون) ليست جماعة مأمونة على الجهاد..!!

هذا شيء لا بد أن نقوله، وهو رأينا وقناعتنا طبعا، وهذا تحصّل عندنا من مجموع أمرين:

- معرفة فكرة هذه الجماعة ومنهجهم وما يتربّون عليه، والمنظومة الثقافية التي تحكمهم.
- التجارب مع هذه الجماعة في بقاع متعددة من العالم.

ولا بد أن تتذكر أننا نتكلم عن الجماعة (التنظيم) لا عن أفراد، فالأفراد فيهم وفيهم، وبينهم تفاوت، ويوجد فيهم من ينتمي إليهم ولا يكون حاملا لكل قناعات الجماعة وتركيبتها الفكرية وتكوينها العقلي، ويكون فيه خير وصلاح وفضائل خاصة، والواقع شاهد والحمد لله.. فحماس هي من الإخوان المسلمين.

نعم قد يقال لها خصوصيتها، ونحن لا نعمم الأحكام، لكن من حقنا أن نعبّر عن خشيتنا ونحن نرى ما نرى، ونحن ندرك تأثير «الجماعة الأم» وفكرها.!

حماس وُجِدتْ في أرض محتلة مغتصبة، مآسي يومية ومصائب وابتلاء وعُدوان متكرر من عدوّ

---

(١) صحيح مسلم (١٧٣١)، مسند أحمد (٢٣٠٣٠)، سنن الترمذي (١٦١٧) في حديثٍ طويلٍ مشهور.

كافرٍ أصليّ مجمع على كفره وعدوانه ومعلومٍ من دين المسلمين بالضرورة أنه عدوّ كافرٌ يجب جهاده ودفعه.

بارك الله في قياداتها ورجالاتها الأوائل وجزاهم الله خيرا، نهضوا لجهاد هذا العدوّ والتصدي له، وجنّدوا الشباب ونظموا أنفسهم وتطوروا وتقدموا على الصعيد الاجتماعي..! هذا لا شك أنه خير وصواب وعمل صالح، نسأل الله أن يتقبل منهم.

ولكن أيضا: العلمانيون الوطنيون وحتى الشيوعيون كثير منهم يقاتلون هذا العدوّ..! فتح مثلا، والشعبية والديمقراطية وغيرها، وهل نسينا نضال ياسر عرفات؟! والقتال في فلسطين كما أنه مشروع في ديننا، هو أيضا مشروع في دين العلمانيين والشيوعيين والوطنيين، شريعة المقاومة للمحتل.!! والقتال في فلسطين ضد الصهاينة كما نؤيده نحن يؤيده أيضا سيد طنطاوي، ويؤيده البوطي، ويؤيده القرضاوي، ويؤيده بشار الأسد ومبارك والقذافي أيضا..!!

فالقتال في فلسطين لهذا العدو اليهودي، مع أنه عمل صالح للمؤمن الذي قام به، لكنه أيضا ليس هو المحك الحقيقي الذي يقاس به الإنسان ويقوّم.. بل التقويم لا يتم إلا بإضافة شيء آخر وهو: صحة المنهج وانضباطه بالكتاب والسنة، وعلى رأس ذلك وفي قمته: التوحيد الخالص وصحة العقيدة؛ **هذا كله يُعرَف من جهتين**:

الجهة الأولى: المنهج النظري المكتوب والمصرح به.

الجهة الثانية: الممارسة العملية والمواقف والإجابات العملية على الامتحانات الميدانية.

واستحضر معي أننا نتكلم بالأساس عن التنظيم (الجماعة)، وإن كان الفرد والجماعة يشتركان في كثير من هذه الأحكام؛ فلو نحن نظرنا في هاتين الجهتين فإننا سنجد على حركة حماس (كتنظيم) ملاحظات كثيرة..! هذه الملاحظات تجعلنا -وإن اعتذرنا عنهم بصعوبة الظرف والعجز والاضطرار- نخشى من أي سقوط، ونخاف من الانحراف..! فالخلفية الفكرية والمنهجية هي: الإخوان المسلمون.. ونحن نعرف الإخوان المسلمين وجربناهم، ولكن نحن لا نسبق الأحداث، ولا نحكم على الناس بمجرد ذلك.. ولكن أيضا نحترس..!

وكل هذا نذكره لكي لا ننخدع ولا نصدم لو حصل شيء، وللاحتراس، ولنكون واعين متأهبين.! بل نجري أحكام الناس على الظاهر، ونؤمّل الخير، ونعذر المسلمين ما أمكن.

وعلى كل حال هم اليوم لهم فرصة ليعطوا ما عندهم، نتمنى لهم كل خير، وندعو لهم بالتوفيق لطاعة الله والبر والصلاح، والله ﷻ بيده الأمر كله، والله حافظ دينه ومعلٍ كلمته، فطوبى لمن عمل



بمرضاة الله.

الأخطاء التي عند حماس، والملاحظات عليها لا أظنني في حاجة إلى التطويل بذكرها، والمتمثلة في مجموعة متراكبة من القناعات والرؤى الفكرية والمنهجية والسياسية والأقوال والتصريحات والمواقف والعلاقات الداخلية والخارجية، والله المستعان..!

ومنتهاها كان **المشاركة في الانتخابات** التشريعية والفوز بالمجلس التشريعي لتتحول حماس إلى أداة للنظام الكافر المرتد (السلطة الفلسطينية)، وتكون جزءا من هذا النظام الفاسد المتعفن بكل المقاييس، الذي الواجبُ محاربته وإزالته -لو أمكن- لا أن نكون جزءا منه وجهازًا تشريعيًا وتنفيذيًا له..!! والشكوى إلى الله.!

ونحن ندعو إخواننا في حماس إلى أن يرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربّهم ويتوبوا إليه، ولا يغرّنهم من يفتي لهم بذلك ويسوّغ، فإن هؤلاء المسوّغين المفتين لهم، هم من يسكت عن كل الطواغيت المرتدين في عالمنا الإسلامي، ويضعون أيديهم في أيديهم، ويجالسونهم، كما فعل كبير من كبرائهم قبل مدة مع الزنديق القذافي مسيلمة العصر لعنه الله!! وهؤلاء المسوّغون المفتون لكم هم الساكتون عن ما يجري لأهل السنة في العراق على أيدي الرافضة المشركين، وغيرها وغيرها.. فكيف تثقون فيهم وتسمعون فتواهم وتسويغاتهم؟ لولا استسهال الأمور وضعف العزائم.! ولولا ركاكة المنهج والفكرة..! نسأل الله أن يصلح الأحوال.

وأما جماعة «الجهاد الإسلامي في فلسطين».. فهي وإن كانت لا تنتمي لجماعة الإخوان المسلمين كحماس بالأصل، لكن هي في مجمل الأفكار متقاربة معها، وعندنا عليها تقريبا نفس الكم من الملاحظات، بالإضافة إلى ما تميّزت به بشكل أكبر من علاقة بالرافضة في إيران وفي لبنان.

ومع كل ذلك.. فنحن نراهم إخواننا، وندعوهم إلى إصلاح أنفسهم وتصحيح طريقهم.

وإلى هذه اللحظة ليس عندنا أكثر من ذلك، وندعمهم فيما يقومون به من خير وجهاد وعمل صالح، ولا نتردد في الوقوف معهم بما نستطيع.

ولا سيما في هذه الأيام -يونيو ٢٠٠٦- وإخواننا في فلسطين يقاسون الجوع والحصار، ويتعرّضون للمجازر من العدوّ الصليبي الصهيوني الغاصب لعنه الله وكل مَنْ والاه، ويودّعون كل يومٍ الضحايا من أطفالهم وشيوخهم ونسائهم فضلا عن شبابهم..! ﷺ جميعا، ونسأل الله برحمته التي وسعت كل شيء أن يفرج كربهم وأن ينصرهم على عدوّ الله وعدوّهم الذي بغى عليهم.. آمين، ونأخذ على أيديهم فيما أخطأوا فيه ونعينهم على الإصلاح.. وننتظر فرج الله تعالى.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾[محمد]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة]، وقال: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[التوبة].. والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❋ ❋ ❋

〚حال جهاد فلسطين بعد دخول حماس «الانتخابات»، وحكم وصف حماس بالخيانة والردة، وذكر النصح لحماس، وفوائد في الفرق بين المداهنة والمداراة، واستعمال بعض الألفاظ «الوطنية» في مقاصدها الصحيحة، ونصيحة مهمة في ترك التصدر للتكفير〛

❁ ماهي رؤيتكم للوضع الفلسطيني بعد أن دخلت حماس التشريعي وشكلت الحكومة وهدأت بذرة جهاد أبناء القسام! فما هي رؤيتك لوضع الجهاد في فلسطين؟ وهل يجوز شرعا تخوين حماس، ووصفها بأوصاف الردة، والتعامل مع اليهود، وهي التي قدمت قادتها بأكملهم شهداء، وماهي نصيحتك لهم؟.

[السائل: كلمة حق في وجه العدو**]**

الجواب:

الذي أتوقعه - والله ﷻ علام الغيوب وله الخلق والأمر- أن الجهاد بمعناه الصحيح والنقيّ سيزداد وسيستفيد من تجربة حماس في دخولها التشريعي والحكومة.

نحن نرجو أن يكون ما حصل مع تفاعلاته المحلية والدولية في صالح الإسلام والجهاد والمجاهدين، كما أشار إلى هذا الشيخ أسامة بن لادن حَفِظَهُ اللهُ في خطابه الأخير حين أشار إلى أن حصار العالم للفلسطينيين بسبب فوز حماس بالحكومة، ومضايقتهم البالغة لحماس ومحاربتهم لها هي جزء من الحملة الصليبية التي تشنها أمريكا والغرب الكافر على المسلمين.

فشل تجربة حماس المتوقع بسبب الضغوط عليها من أعدائهم المحليين والخارجيين المتحدين ضدها، وظهور عداء الجماعات العلمانية الوطنية -كفتح على وجه الخصوص- لحماس ولأي مشروع إسلامي، وسعيهم الحثيث ومكرهم الكبّار بكل الوسائل لإفشاله ومحاربته، وانفضاحهم وعدم تمكنهم



من كتمان ذلك الغيظ والحقد والتغطية عليه بأساليب النفاق والتمويه، وتزايد العداوة والبغضاء بين الفريقين الإسلامي والعلماني، وتراكم الحقد والشحناء والعداوة والبغضاء، وتمحورها على محور الدين والتوحيد والشريعة بالأساس، وغير ذلك من الأمور هي كلها على المدى المتوسط والبعيد في صالح أهل الإسلام بإذن الله.

كل ذلك يصب في خانة القناعة بضرورة وجود جهاد حقيقي صافٍ، جهاد التوحيد والعقيدة الصحيحة، لا جهاد الشرعية الدولية ومقاومة المحتل، والمصلحة الوطنية العليا، والمداهنة..! فأبشروا بالخير إن شاء الله.

ونحن نعرف أن هناك إخوة كثيرين على عقيدة صحيحة وفهم طيب ومنهج سليم يريدون أن يكون هناك وضع جهادي أفضل في فلسطين، لكن لا يساعدهم الحال، ولا يجدون قدرة في يومهم هذا، ولكن هذا بالتأكيد مع مرور الزمن وما أشرنا إليه من العوامل والمؤثرات سيكون له شأن إن شاء الله.

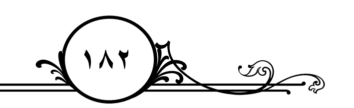
وهل يناسِبُ أن ينطلقوا الآن ويبدؤوا عملا مستقلا عن التنظيمات الموجودة؟ هذه مسألة هم أولى بالنظر فيها بعد استكمال أدوات النظر والمشاورة والدراسة، والله الموفق.

وههنا مسألة أحب التنبيه عليها: وهي أن هناك فرقًا بين جواز استخدام هذه اللغة وهذه الألفاظ مثل: إن المقاومة حق مشروع لكل الشعوب، وإن من حق الشعب الفلسطيني كذا وكذا، وإن المصلحة الوطنية والمصلحة العليا للشعب الفلسطيني تقتضي كذا (من الحق) وما شابه ذلك؛ استخدام كل ذلك في خطابنا الإعلامي والسياسي من باب المحاجة والمجادلة المنطقية، ومن باب مخاطبة الناس بما يناسبهم من الحجج والبراهين والأساليب الجدلية وما نعرف أنه يلائم ثقافتهم وعقليتهم، فهو من باب: حتى على قولكم، وبناء على ما يتفق فيه الناس كلهم من مبادئ..!

أقول هناك فرقٌ بين هذا وبين أن تكون هذه الكلمات والعبارات مبادئ في حد ذاتها نؤمن بها وننطلق منها ونعتمد عليها، أو نجعلها شعاراتٍ لنا ولدعوتنا نتربى عليها ونربّي عليها ناشئتنا، وتنغرس مدلولاتها في أعماق ضميرنا الاجتماعي.!! فهذا موقف وذلك موقف آخر.

ويظهر الفرق بين الموقفين في أن الذي لا يؤمن بهذه العبارات وما تحويها من أفكار وإنما هو يستخدمها استخداما سياسيا له علامات منها أنه:

- لا يجعلها هي أكبر وأهم الحجج له.
- ولا يكثر منها جدا، بل يتحفظ في استعمالها ويتقلل، ويقولها بقدر الحاجة.



- ولا يبالغ في تزويقها وتزيينها والانتماء إليها وادعاء الإيمان بها.
- ولا يجعلها شعارًا كما قلنا، فإن الشعار له أثر خطير جدا في التربية.
- ويقدّم عليها دائما أو غالبا الحججَ الحقيقية الدينية التي هو مؤمنٌ بها.
- ويحرص دائما على اجتناب التلبيس على أتباعه وأحبابه وعلى سائر الخلق.

والله ﷻ أعلم وأحكم.

ومسألة أخرى: وهي التفريق بين المداهنة المذمومة، والمداراة والتورية المحمودة؛ فالمداهنة محرّمة، كما قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾[القلم]، والمداراة والتورية مشروعان محمودان في محلهما، والفرق بين الاثنين يتبين من معرفة معنى كل منهما..

في صحيح البخاري: «كتاب الأدب؛ باب المداراة مع الناس»: ويذكر عن أبي الدرداء: «إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم»، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن ابن المنكدر حدثه عن عروة بن الزبير أن عائشة ﵂ أخبرته أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: **(ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة)** فلما دخل ألان له الكلام. فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له في القول؟ فقال: **(أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه)**.

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب أخبرنا ابن علية أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة: أن النبي ﷺ أهديت له أقبية من ديباج مزررة بالذهب؛ فقسمها في ناس من أصحابه، وعزل منها واحدا لمخرمة، فلما جاء قال: **(خبأت هذا لك)**، قال أيوب بثوبه وأنه يريه إياه وكان في خلقه شيء. رواه حماد بن زيد عن أيوب وقال حاتم بن وردان حدثنا أيوب عن بن أبي مليكة عن المسور قدمت على النبي ﷺ أقبية[(١)]، اهـ.

قال الحافظ في «الفتح»: «قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر

---

(١) صحيح البخاري (٦١٣١، ٦١٣٢)، وأثر أبي الدرداء ﵁ المعلق ذكره البخاري بصيغة التمريض «يُذكر» فليس هو على شرطه، وقد وصله ابن حجر في «التغليق» من وجهين، مدارهما على «الأحوص بن حكيم»، وقد ذكر ابن حجر الخلاف فيه في: تهذيب التهذيب (١ / ١٩٢، ١٩٣)، وقال الألباني في: الضعيفة (٢١٦): «الحديث لا أصل له مرفوعا، والغالب أنه ثابت موقوفا»، قلتُ: بل الأظهر أنه غير ثابتٍ وطرقه كلها ضعيفة، لا يتقوى بعضها بالآخر، وهذا مفهوم كلام الحافظ وغيره، ولا يعني هذا ضعف المعنى المستقى منه فقد صح من الأحاديث المرفوعة الأخرى.

باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك»[(١)] اهـ..

وقال الحافظ في موضع آخر: «وقال القرطبي: في الحديث [يعني حديث عائشة ﵂] جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة، مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم؛ ما لم يؤدّ ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى، ثم قالَ تبعا لعياض: والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذلُ الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة تركُ الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسنَ عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة، فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد الله تعالى»[(٢)] اهـ.

وقال ابن القيم ﵀ في كتابه «الروح»: «وكذلك المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المُداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه؛ فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق»[(٣)] اهـ، ثم ضربَ لذلك مثلا فانظر تمام كلامه في الكتاب المذكور.

وقال المناوي في كتابه «التوقيف على مهمات التعاريف»: «المداهنة أن ترى ما تقدر على دفعه فلم تدفعه حفظا لجانب مرتكبه، أو لقلة مبالاة بالدين، والمداراة الملاينة والملاطفة، وأصلها المخاتلة من دريت الصيد وأدريته: ختلته، ومنه الدراية وهو العلم في تكلف وحيلة»[(٤)] اهـ..

وكذلك التورية وهي استعمال المعاريض، وهي أن يقول كلامًا ليفهم السامع من ظاهره شيئا،

---

(١) فتح الباري (١٠ / ٥٢٨، ٥٢٩)، وينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ / ٣٠٥، ٣٠٦) ونَقْل الحافظ لكلام ابن بطال بمعناه لا بنصه، وهذه هي عادة أهل العلم في النقل عن غيرهم، وليس في هذا شيءٌ.

(٢) فتح الباري (١٠ / ٤٥٤)، وينظر: المفهم (٦ / ٥٧٣)، إكمال المعلم (٨ / ٥٣٨).

(٣) الروح (ص ٢٣١)، وقال بعد كلامه المذكور: «.. وَقد ضُرب لذَلِك مثلٌ مُطَابق وَهُوَ حَال رجل بِهِ قرحَة قد آلمته فَجَاءَهُ الطَّبِيب المداوي الرفيق فتعرف حَالهَا ثمَّ أَخذ فِي تليينها حَتَّى إِذا نَضِجَتْ أَخذ فِي بطها بِرِفْق وسهولة حَتَّى أخرج مَا فِيهَا ثمَّ وضع على مَكَانهَا من الدَّوَاء والمرهم مَا يمْنَع فَسَاده وَيقطع مادته ثمَّ تَابع عَلَيْهَا بالمراهم الَّتِي تنْبت اللَّحْم ثمَّ يذر عَلَيْهَا بعد نَبَات اللَّحْم مَا ينشف رطوبتها ثمَّ يشد عَلَيْهَا الرِّبَاط وَلم يزل يُتَابع ذَلِك حَتَّى صلحت، والمداهن قَالَ لصَاحِبهَا: لَا بَأْس عَلَيْك مِنْهَا، وَهَذِه لَا شَيْء فاسترها عَن الْعُيُوب بِخرقَة ثمَّ اله عَنْهَا؛ فَلَا تزَال مدَّتهَا تقوى وتستحكم حَتَّى عظم فَسَادهَ».

(٤) التوقيف على مهمات التعريف (ص ٣٠١).

ويكون مقصود المتكلم بذلك الكلام معنى آخرًا يحتمله اللفظ؛ فهو فيه صادق ليس بكاذب، وهي جائزة وتوسعة من الله تعالى، وفيها مندوحة عن الكذب، وأمثلتها مشهورة، والحمد لله.

فيجب على المسلم ولا سيما قُوّاد المسلمين والمجاهدين أن يفرقوا بين هاتين الخصلتين، ويأتوا ما أباح الله ويدعوا ما لم يبحْ؛ والله الموفق.

وأما هل يجوز شرعا تخوين حماس، ووصفها بأوصاف الردة.. الخ؟ فلا، لا يجوز أن يوصفوا بالردّة أو يُرمَوْا بالكفر..! بل هذا خطأ ننبه شبابنا في كل مكان أن يحذروا منه ولا يتسرعوا في الحكم على أحدٍ بالكفر، في مثل هذه المسائل التي يقع فيها الخطأ والتأويل، وإن كان الخطأ كبيرًا، إلا أن يجيء من ذلك أمرٌ لا مردّ له ولا يمكن معه عذرٌ..! نسأل الله ألا يكون، ونسأل الله السلامة والعافية، ونسأله ﷻ أن يحفظنا وإخواننا ويثبّتنا على دينه الحق.. آمين.

ومسألة التكفير عمومًا من أكثر وأشد المسائل التي ننبِّه عليها دائما، ونحذر الشباب الجهادي من خطرها، ونقول لهم: اتركوها لعلمائكم الموثوقين، ولا تسمحوا لأي أحدٍ ممن هبَّ ودبَّ أن يخوض فيها؛ فإنها خطر عظيم ومزلّة يخشاها العلماء الكبار الأئمة ويترددون في الكثير من صورها الواقعية، ويطلبون دائما سبيل السلامة، ويقولون: لا نعدل بالسلامة شيئا.!

والشاب من شبابنا العاميِّ في العلمِ يكفيه الإيمان الإجمالي بالله تعالى وبما جاء به رسوله ﷺ، والكفرُ الإجمالي بالطاغوت، وأما التفاصيل، ومنها الحكم على فلان، وعلى الجماعة الفلانية؛ هل كفروا أو لا؟ هل خرجوا من الملة بفعلهم كذا أو لا؟ وما شابه ذلك من فروع، فهي بحسب العلم؛ لأن هذه مسائل فتوى وقضاء وأحكام شرعية.. فما لا يعلمه، فليقل: لا أعلمه ولا أدري، وهذا لا يضره في دينه وإيمانه، بل هو صريح الإيمان.!

والجاهل ليس له أن يتكلم في هذه المسائل ولا يصدر فيها أحكاما ولا يتبنَّى فيها قولا، إلا على سبيل التبعية والتقليد للعلماء، بل يقول: لا أدري واسألوا العلماء؛ فإن تكلم العلماء بعد ذلك فله أن يقلّد أو يتّبعَ من يثق فيه من أهل العلم المعروفين بالعلم، والله الموفق لما فيه الخير والصلاح.

وأما التخوين، أي وصفهم بالخيانة.. فلا نراه أيضا، بل الذي نظنه فيهم أو بعبارة أدقّ في كثير منهم من قياداتهم ومشايخهم الفضلاء أنهم يريدون الخير ساعون في نصر الدين متمسكون به بحسب استطاعتهم، ليسوا بحمد الله تعالى خونة ولا ما قارب ذلك، حاشَ لله ومعاذ الله.! وإنما دخل عليهم الغلط والفساد من جهة الفكر والقناعات المنهجية، كما قد سبقت الإشارة إلى الأصل الفكري الإخواني، وأثر منظومة الإخوان المسلمين العلمية والمشيخية وغيرها.!!

ومع ذلك لو أطلق بعض الناس عبارة التخوين في معرض التنفير من فعلهم الخاطئ والتشديد في إنكاره والتغليظ فيه، كأن يقول لهم: خنتم قضية المسلمين وخنتم أمانة الله بالجهاد! فهذا قد يكون له مساغ في الإنكار والأمر والنهي، إذا كان صادرا عن إخلاص ونصح من قائله وغيرةٍ للدين وحمية له، وبالعدل لا بزيادة على الحدّ ولا ظلم، وأما إن خلا من تلك الشروط فهو على صاحبه لا له.

فلينظر امرؤ لدينه..! والله أعلم، نسأل الله لنا ولكم الهدى والسداد.

❋ ❋ ❋

[القول في الخط الذي تنتهجه «حماس» الآن، و«الحكومة الفلسطينية»، ونصيحة]

۞ (١) ما رأيك في حركة حماس والخط الذي تنتهجه الآن.

(٢) ما رأيك في الحكومة الفلسطينية وما الحكم بها وماذا تنصحهم..

[السائل: أبو جندل الفلسطيني**]**

الجواب:

رأيي في حركة حماس والخط الذي تنتهجه الآن، أظنه قد اتضح من الأجوبة السابقة.

وخلاصته: حركة حماس حركة إسلامية، تنتمي إلى فكر وتنظيم الإخوان المسلمين، لنا عليها عامة الملاحظات الفكرية والمنهجية التي على الإخوان المسلمين، تقاوم العدو اليهودي المحتل؛ فندعمها في ذلك كما ندعم كل مجاهد بل وكل مقاتل، ونراها أفضل وأقرب من غيرها في الساحة الفلسطينية، وعندنا عليها هي خاصة ملاحظات تتعلق بمواقفها أيضا واختياراتها السياسية وعلاقاتها، أشرنا إليها، ونخشى عليها من الانزلاق إلى أخطاء أخرى مثل الاعتراف بإسرائيل، وما شابه.!!

ونمارسُ واجبنا وحقنا في نصحها وتقويمها والأخذ على يديها، كما نفعل ونحب أن يفعل كل مسلم أهل لذلك، ونرى للشباب المسلمين الجهاد معها، حتى يأذن الله بصلاح الأحوال واستدادها على النحو الذي نرجوه أو توجد جماعة أفضل وأقرب إلى الله منها، وندعو المسلمين إلى دعمها فيما تقوم به من خير بما يمكن.

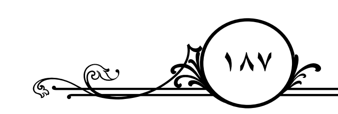
والخط الذي تنتهجه الآن، وأبرز ملامحه الانخراط في اللعبة الديمقراطية والمشاركة السياسية وتولي الحكومة والأغلبية في المجلس التشريعي، هو خطأ كبير، وقد اضطرهم وألجأهم إلى أخطاء أخرى متداعية مثل القسم (اليمين الدستورية) التي حلفوا فيها على احترام الدستور والقانون والإخلاص لهما..!! وغير ذلك من المفاسد، بالإضافة إلى شبكة معقدة من العلاقات المحلية والدولية غير المرضية

شرعًا، وسلسلة غير منتهية من التصريحات والأقوال الباطلة الشنيعة، والمداهنة..!! كل ذلك نراه من المنكر العظيم، وننصحهم بالتوبة منه والرجوع إلى الحق، ونحذّرهم من التمادي فيه؛ فإن الله يمهل ولا يهمل، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] كما قال الله، وما ذلك على الله بعزيز، وهم لم يتخذوا عند الله عهدًا ولا غيرهم، بأن لا يعذبهم ولا يغضب عليهم، وسنة الله لا تحابي أحدًا.!!

قال الله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الأحزاب]. وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

وأما الحكومة الفلسطينية، وتعني بالتأكيد حكومة حماس.. فننصحهم بترك هذه الحكومة والخروج من الأمر والبراءة منه، وليكن ذلك بشكل قويّ جازم واضح فيه التصريح بأن هذه الحكومة في ظل السلطة الفلسطينية العلمانية المرتدة، وفي إطار دستورها وقانونها غير الملتزم بشريعة رب العالمين، هي حكومة لا نرضاها، وإن كنا قد ارتكبنا هذه الخطوة؛ فإنما كان ذلك عن اجتهاد رأينا أنه قد نحقق من خلاله بعض المصالح وندفع بعض المفاسد ونبلغ به بعض الحجة، لكن كان العداء والكيد الخبيث من أعداء الإسلام في الداخل والخارج كبيرا لا يمكن معه تحقيق كبير شيء مما أمّلنا، فنحن نتركها اليوم طاعة لله ورسوله ﷺ، كما قد دخلناها في بادئ الأمر طاعة لله ولرسوله ﷺ في ظننا واجتهادنا، ونبرأ إلى الله من أن نكون جزءا من هذا النظام الفاسد المخالف لدين الله، بل ننكر هذا النظام وندعوه إلى التوبة والرجوع إلى دين الله، ونقول له: ﴿بَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] وتحكموا شريعته.

ثم يستمروا في عملهم الدعوي والجهادي، والاجتماعي، ويتوكلوا على الله تعالى ويعتصموا به، فالله خيرٌ حفظًا وهو أرحم الراحمين، وهو مولى المؤمنين، نعم المولى ونعم النصير، وكفى بالله وليًّا وكفى بالله نصيرًا، أليس الله بكافٍ عبده؛ فلنكن عبيدًا لله حقا، حتى يكفينا الله عدوّنا وكلَّ ما أهمّنا، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣٣]، وسيرون حينها بإذن الله كيف ينصرهم الله



ويضع لهم القبول في الأرض، ويفتح لهم قلوب العباد، وتلهج ألسنة الصالحين الأتقياء الأولياء لله بالدعاء لهم، وتنزل عليهم البركات من الله تعالى..

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر]، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم]، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة]، قال نبينا ﷺ: **(صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل)** أو كما قال ﷺ، رواه البيهقي في شعب الإيمان، وحسّنه الشيخ الألباني[١].

وهم، أعني حماسًا، قد جرّبوا الآن بأنفسهم ورأوا أن هذه الطريق لا تؤدي إلى إقامة دين الله تعالى ولا إلى ردّ الحقوق، ورأوا في أوضح صورة حربَ العلمانيين الوطنيين لهم وحقدهم عليهم وأنهم أشدّ عليهم من اليهود أنفسهم.. فنرجو أنهم استفادوا من هذه التجربة على كل حال، ويعودون أصلح وأقوى، والله أعلم، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

✵ ✵ ✵

〚هل سيظهر تنظيم «القاعدة» في فلسطين؟ وما أبعاد ذلك؟〛

❁ ما هو تقييمكم للوضع في فلسطين.. خاصة بعد دخول حماس المجلس التشريعي وبم تنصحون حركة حماس وحركة الجهاد؟ وهل تتوقعون أن يظهر هناك تنظيم للقاعدة؟ وماذا سيكون أبعاد ذلك؟ هل سيكون في صالح المجاهدين أم لا؟ وماذا تتوقعون مصير الحكومة الفلسطينية خاصة بعد هذا الحصار؟..

[السائل: عكرمة المدني**]**

الجواب:

وأما سؤال الأخ عكرمة المدني: «**وهل تتوقعون أن يظهر هناك تنظيم للقاعدة وماذا سيكون أبعاد ذلك؛ هل سيكون في صالح المجاهدين أم لا؟**»؛ فقد أشرتُ فيما تقدم إلى أني أرى أن ما يحصل الآن من حصار من الأعداء الداخليين والخارجيين لحماس وللمشروع الإسلامي على ما فيه وعلى خطئه، وما تداعى عن ذلك من آثار، هو في صالح تعاظم القناعة بضرورة وجود جهاد صافٍ سلفيّ نقيّ محقق

(١) شعب الإيمان (١٠٣٥١)، صحيح الجامع (٣٨٤٥).

للتوحيد.. وهذا لا أعرف ما مدى واقعيته في الداخل، فأهل الداخل هم من يقوم النتائج، وإنما هو ما نتوقعه كمتابعين.

ثم بعد ذلك أن يكون تنظيم القاعدة وينتمي للقاعدة، أو لا، هذا بحسب ما يناسب، وليس هذا هو المهم بالأساس، وإن كنا ندعو دائمًا إلى أن يكون المجاهدون متحدين مرتبطين بعضهم ببعض ما أمكن.. وأما هل ننصح الشباب الآن بأن يشرعوا في السعي لذلك.. فهذا لا أدري، لبُعدي عن الواقع، والله الموفق.

❋ ❋ ❋

⟦اندماج السلفيين المجاهدين في فلسطين ضمن الجماعات الأخرى، ورؤية الشيخ «عبد الله عزام» للجهاد في فلسطين⟧

❁ (١) ما هو نصحك لأصحاب التيار السلفي في فلسطين، هل ينخرطون في إحدى التنظيمات العسكرية، مع ما يعنيه ذلك من تكثير سواد لجماعة ربما تكون لا تستحق تكثير السواد بالمقارنة من جماعة نحسبها مخلصة وصحيحة المنهج ولم تلبس إيمانها بظلم، مع العلم بعدم وجود هذه الجماعة المخلصة بشكل علني إن صح أن نقول ذلك؟ أم ينتظرون فرج رب العالمين؟، مع ما يترتب ذلك من فتنة وذنب القعود عن الجهاد ولا حول ولا قوة الا بالله، أم يفرون بدينهم إلى بلاد أخرى كأفغانستان أو العراق أو الشيشان ممن علت فيها راية نقية صافية للجهاد؟.

(٢) مع معرفتك - إن شاء الله - بظروف خروج الشهيد - نحسبه ولا نزكيه - عبد الله عزام من فلسطين مهاجراً مجاهداً؛ فهل تعتقد بتقديرك شيخي الكريم أن الشيخ عبد الله عزام إن كان في هذا الوقت سيعيد الكرة بالخروج من فلسطين؟ المقصد إن شاء الله شيخي الكريم، أن الشيخ عبد الله عزام ﵀ كانت له رؤية لفلسطين وتياراتها وتنظيماتها؛ فهل هذه الرؤية تغيرت منذ ذلك الوقت أم ربما زادت ضبابية وأصبحت محاطة بالفتن - بتقديري -؟

(٣) وأيضا شيخي الكريم، حبذا لو تكرمت بنصح للإخوة في حماس خاصة وعامة أهل السنة بصفة عامة يتم توزيعه أو نشره بالمدى المستطاع إن شاء الله.

[السائل: Abdullah]

الجواب:

اللّهم لا سهلَ إلا ما جعلته سهلًا وأنت تجعل الحزْنَ إذا شئتَ سهلا..

الإخوة المجاهدون السلفيون الذين منّ الله عليهم بالتوفيق لمنهج التوحيد والعقيدة السنيّة الصحيحة والالتزام بالكتاب والسنة والعضّ عليهما بالنواجذ، وزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم، ونوّر قلوبهم وأفكارهم وبصائرهم بالعلم النافع واتباع آثار النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، والاقتداء بأئمة الإسلام في الدعوة والجهاد والاعتصام بالدين في أيام الفتن..

هؤلاء الإخوة هم بين خيارات، وكل ذلك بحسب ما يقدرون عليه وما يمكنهم، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، قال الله: **(قد فعلتُ)**(١)؛ فالجواب يختلف بحسب كل إنسان وما يمكنه فعله وما يناسبه ويخدم به الإسلام أكثر من غيره.. ونراعي الضعف والعجز ومدى القدرة الموجودة.

فهناك خيارات:

فالخيار الأول الذي يبدو لنا هو الأول والأكثر مناسبةً لأكثر الإخوة هو: أن يشتغلوا مع الجماعات الإسلامية الموجودة حاليا كحماس والجهاد الإسلامي، فإذا أحسنوا فليحسنوا معهم ويكونوا معهم، وإن أساءوا فليجتنبوا إساءتهم، وليستمروا مع ذلك في القيام بما أمر الله به من واجب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل والدعوة إلى الله تعالى بحسب المستطاع وعلى حسب فقه هذا الباب.

والخيار الثاني: خيار العمل مستقلين، بأن يجمعوا أنفسهم ويسعوا في تكوين جماعة تكون على المنهج الذي نرضاه، وأزكى وأطيب، هذا إذا كانوا يملكون القدرة على ذلك، وتهيؤوا له واستعدوا، ووجدوا عليه أعوانًا، وهذا هم يحددونه في الداخل فهم أدرى بظروفهم وحالهم، وعليهم أن يشاوروا من يثقون فيه من أهل العلم والجهاد والصلاح، ويحاولوا الاتصال بإخوانهم المجاهدين أهل الثقة في الخارج أيضا لو أمكن، وينظروا إمكانية التنسيق معهم؛ فإن رأوا أنهم يقدرون على ذلك واستعدوا له، وأنهم يصبرون عليه ويتحمّلون مسؤوليته وثقل أمانته، فليتوكلوا على الله ولينطلقوا.. ولا بد أن يعلموا أن الجميع سيرميهم عن قوس واحدة، وأن كل السهام ستصوّب عليهم بمجرد أن يحسّ الجميع بوجودهم.! وليتوقّعوا الشر من كل أحدٍ، ولا يستبعدوا أن يذوقوا مرارة ظلم ذوي القربى.!

---

(١) انظر: سنن الترمذي (٢٩٩٢)، وصححه الألباني.

فهذا الخيار صعبٌ..

وأنا شخصيًّا ما زلت أميل إلى نصح الإخوة بالخيار الأول، وينتظرون فرج الرحمن ﷻ ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾[البقرة]. والتغيرات القادمة إن شاء الله مبشرة بالخير، فلا يستعجلوا.! إلا أن يتأكدوا جيدًا أنهم قادرون على تحمل هذا الخيار بعد دراسة ومشاورة، والله الموفق.

والخيار الثالث أيضا كائنٌ، وهو لمن رأى أن خروجه إلى الخارج للجهاد مع إخوانه في ساحات الجهاد المفتوحة في العراق أو في أفغانستان أو غيرهما.. فهذا أيضا قد يناسب بعض الإخوة، من لم يستطع ولم يجد مجالا مناسبًا للعمل مع الجماعات القائمة في الداخل، على ما فيها، ولم يرَ لحد الآن الأخذ بالخيار الثاني، ورأى أن خروجه يفيد فيه ويستفيد، وربما رجع بعد عمرٍ إن شاء الله إلى بلاده وقد حصّل خبرات وتجارب وكوّن علاقات وغيرها من الفوائد المهمة؛ فهذا جيد.. وهو في جهاد في سبيل الله حيثما كان، وفي كل خيرٌ..

فهذه هي الخيارات التي ظهرت لي، والله أعلم وأحكم..

نسأل الله الهداية والتسديد لنا ولجميع أحبابنا.. آمين.

وأما القعود فلا.. بل يجب على كل قادرٍ أن يجاهد العدوّ الكافرَ الصائل، وأن يلتحق بقافلة الجهاد، وأن يدفع ما استطاع، وسبيل ذلك هو أحد الخيارات الثلاثة المذكورة، وليس القعود منها؛ بل القاعد التارك للجهاد المنصرف عنه لا يشتغل به ولا بمقدماته من الإعداد، هو مقصر آثم، فإن هذا الجهاد متعين على كل أحدٍ ولا سيما على أهل فلسطين، لا شك في هذا، وهي صورة من صورة تعين الجهاد واضحة، وهي محل إجماع بين أهل العلم جميعا.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾[التوبة]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾[التوبة].

وأجمع علماء المسلمين على أنه إذا نزل العدو الكافر بالعقر وجب على المسلمين الخروج له ودفعه بحسب الإمكان، ولا يشترط له شرط ولا يطلب له إذنٌ، ويجب على من يليهم عونهم وإمدادهم بحسب حاجتهم إلى أن تسدّ حاجتهم وتحصل الكفاية، وإلا اتسعت دائرة الوجوب إلى أن تعم الأرض



كلها.. وهذا لا خلاف فيه، ونصوص الفقهاء فيه مشهورة معلومة، والحمد لله رب العالمين.

أما سؤالكم عن فكرة الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، فالسؤال عما لو كان الشيخ حيا هل سيعيد الكرة بالخروج من فلسطين أو لا؛ لا أظنه يفيد ولا ينبني عليه عمل.. الله أعلم بما كان عاملًا لو كان.. والظروف التي كان فيها الشيخ عبد الله مختلفة عن ظروفنا الآن.

والخيارات كانت أضيق، فلم يكن يوجد أي تنظيم إسلامي في فلسطين ساعتها يحمل راية مقاومة أو جهاد، ولا حتى دعوة وعمل اجتماعي ذي بالٍ.!! وهو رجلٌ كان مطلوبًا ومعروفا مشهورًا، ولو كان حيًّا الآن سيكون مطلوبًا أيضا، وسيكون دخوله صعبا جدا.

وعلى كل حال، على الإنسان أن ينظر الآن ما هو المناسب له، كما سبق في الجواب أعلاه، ويعمل بما يتوصل إليه بتثبّت وبعد المشاورة والاستخارة، وليعلم الإنسانُ أن التوفيق بيد الله تعالى وحده، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ فليطلبه منه وليتوكل عليه وحده، ولهذا قال بعدها ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ١٠]؛ فليطلبه العبدُ منه ﷻ لا من غيره، وليحتقر نفسه وليتهمها، وليكثر من الدعاء والتضرع إلى الله، ومن العمل الصالح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد]، ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

〚موقف «الإخوان» من الولاء والبراء والرافضة، وهل كفر أعضاء «المجلس التشريعي» الحمساويين كفر أكبر؟، والقول في التصالح مع اليهود〛

❁ سؤالي الأول للشيخ بأن يوجه نصيحة للشباب المسلم في فلسطين عن الجهاد هناك.

والثاني: موقف حركة الإخوان، وخصوصًا في مسألة الولاء والبراء، وموقفهم من الرافضة؛ حيث إنني سمعت أن الإخوان يعتبرون الرافضة مذهبا خامسًا كما جاء على لسان نائب المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر، وموقفنا منهم.

الثالث: هل كفر أعضاء المجلس التشريعي في فلسطين كفرٌ أكبر ينقل عن الملة؟.

الرابع: هل يجوز التصالح مع اليهود في فلسطين والاعتراف لهم بالوجود على حدود ٤٨، وهل صحيح بأن صلاح الدين الأيوبي صالح الصليبيين؟ وأرجو توضيح الفرق بين الحالتين في حال صحة الخبر؟.

[**السائل:** أبو باسل المقدسي]

الجواب:

النصيحة لإخواننا الشباب في فلسطين تقدم فيها ما يفيد بحمد الله.

وأما **حركة الإخوان المسلمين**؛ فمواقفهم في التوحيد والولاء والبراء ليستْ بالمرضية، بل بعضها يصل إلى حد المروق من الدين.. وبإمكانك أن تراجع كتاب «الحصاد المر» للدكتور أيمن الظواهري حَفِظَهُ اللهُ.. مواقف جماعة الإخوان إزاء حكومات الردة التي ابتُليتْ بها أمتنا في سائر أقطارها، مواقف سيئة، يغلب عليها المداهنة ثم المشاركة والسكوت المذموم، والتلبيس والتدليس والغشّ للأمة.! وتصريحات قياداتهم عن المجاهدين والحركة الجهادية تصريحات سيئة أيضا ومخزية أحيانا، معروفة.. وليس عندهم اهتمام كافٍ بقضية الولاء والبراء، ولا بالتوحيد عمومًا.

وما يوجد من كتابات لرجال من المشايخ ينتمون إلى الجماعة -وهم دائمو الاحتجاج بها- فلا تغني عنهم كثيرًا في ميزان الحق والحقيقة، لأننا تعلّمنا ألا يخدعنا أحدٌ بمجرّدِ الكتابات.!!

إنما نعرف الناس في الميدان؛ ميدان العمل الصالح والعلم النافع والبذل والعطاء والتضحية والفداء والقيام بهذا الدين وتحمّل المشاق والتكاليف الصعاب، نعرف الناس في الامتحانات والمحكات.. والمرشد الأول المؤسس «حسن البنا» على ما فيه من الخير والمواهبْ ﷺ، أيضا كان عنده ما عنده من التصوف والآراء غير المرضية، وتعرفون كيف كان «عمر التلمساني» فيما يتعلق بالقبور والشرك بها..! وكتاب المرشد الآخر للجماعة «الهضيبي» المسمى «دعاة لا قضاة» رسَّخ فيهم أيضا مفهومًا سلبيًا وباطلًا في قضية الحكم على الناس وعلى الجماعات والأنظمة والدول، وردة فعلهم على غلوّ «جماعة التكفير والهجرة» كانت ردّة غير متزنة زادوا بها تفريطا وتضييعا، في مقابل غلوّ أولئك وإفراطهم وتشددهم بل ومروقهم.!

والآن؛ لا تخفى عليك نماذج مشايخهم ومفتيهم وقياداتهم في كل قُطر.. إنها من سيء إلى أسوأ للأسف.!! مذاهبهم السياسية والفكرية ومواقفهم الدينية سيئة للغاية، وغير بعيد علينا موقفهم من النصارى وأعمالهم في مصر، وغيرها.

ومواقفهم من الرافضة ومن سائر أهل الكفر والزندقة والإلحاد والبدع مواقف ليست منضبطة

بالشرع، يغلب عليها النظر السياسي الدنيوي المحض، هذا كله بالنسبة للجماعة كجماعة، ولا نتكلم عن الأفراد، فالأفراد فيهم وفيهم، وكل واحدٍ نقوّمه بنفسه.. ونعم هم يعتبرون مذهب الرافضة الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية مذهبا معتبرا في الإسلام، ويصرحون بذلك.

الإخوان المسلمون يحتاجون إلى حركة تصحيحية جذرية، ولا إخالها ممكنة؛ وليتهم إن لم يقدروا على أن يصححوا حركتهم وجماعتهم أن ينهوا وجودها ويفسحوا المجال لغيرهم من رجال وشباب الإسلام يعطون ما عندهم..!

على ما في الحركة من الخير أيضا، ولا نبخس الناس أشياءهم، وعلى ما قدمت من الخير الكثير للدعوة وللإسلام، ولا سيما في العقود الأولى لنشأتها، وساهمت في نهضة هذه الأمة وصحوة أجيالها بعد سقوط الخلافة الإسلامية إسهامًا كبيرًا مشكورًا، وعلى ما اهتدى على أيدي رجالاتها ودعاتها من الخلق، وما قدّمت من رجال وأبطال خدموا دينهم وأمتهم بالعلم والعمل، جزاهم الله خير الجزاء.. إلا أنها في نظري قد كثرتْ أخطاؤها جدا وتراكمتْ، ولعلها استنفدت ما عندها، ولو رزقها الله قيادة من النوع الرباني الصادق، لأنهوها واستراحوا وأراحوا، إن لم يتسنّ لهم التغيير الجذري.!

صارت حركة وحزب الإخوان المسلمين في كل مكان ثقلا على الحركة الإسلامية، وحليفا للطواغيت في مواجهة شباب الأمة الناهضين لنصرة الدين بدمائهم ومهجهم في كل مكان، الكافرين بالطاغوت المحققين للتوحيد المتمسّكين بالسنة.

صارت صادة عن سبيل الله، حين يستخدمها الطغاة مثالا لما يسمّونه بالإسلام المعتدل، إسلام المشاركة لا المغالبة، ويضربون بها النموذج الصافي للإسلام إسلام البطولة والفداء وتحقيق التوحيد والولاء والبراء والعداوة والبغضاء لأعداء الله.! وحيثُ ما قام جهاد في بلاد الله الواسعة ووُجِد الإخوان رأيتهم للأسف الشديد مع الطواغيت وفي صفِّ أعداء الله والشريعة، ضدًا على المسلمين الموحّدين المجاهدين.!! وإن تزعموا حركة جهادٍ في وقتٍ من الأوقات وفي ظرفٍ من الظروف، لم يلبثوا إلا يسيرا حتى يصيبهم الإعياء وتكلّ عزائمهم وتغرّهم بوارق الإطماع من الأعداء الكفرة، ويرضون بالفتات يُلقى إليهم، وأمامكم تجارب طاجيكستان وغيرها وحتى أفغانستان.!! وتجربة المسلمين معهم في سوريا تجربة مُرة محزنة..!

انظر الآن إلى العراق واعتبر بحال جماعة الإخوان هناك التي يمثلها «الحزب الإسلامي العراقي» بزعامة «محسن عبد الحميد» و«طارق الهاشمي»، كيف أنهم جزء من نظام الدولة الكافرة المرتدة التي يحاربها المجاهدون وتحاربهم، وكيف أنهم في صفّ العدوّ المحتل الصليبي الصائل وفي صف المرتدين

والرافضة المشركين، وإن سمّوا ذلك بغير اسمه وإن تحذلقوا وتذاكوا..!! فإن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها، لا بمسميات الناس ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[النجم: ٢٣].

وحتى رجالاتهم المشهورون في الدعوة وفي التأليف والكتابات الجميلة، انظر إلى مواقفهم تراهم شيئا آخر مسخًا لا يمت إلى دين الله بصلة، انظر إلى الشيخ الكاتب الكبير المعروف باسم «**أحمد الراشد**» وكيف هو الآن قاعدٌ في العراق مع حزبه وقومه وجماعته.. لا جهاد ولا دفع صائل ولا بلاء ولا تضحية ولا فداء!! فما قيمة الكتابات وما فائدة المؤلفات إذا كان هذا هو حال أصحابها؟! إنها كتابات ميّتة لا روح فيها ولا لها طعم ولا وزن..!

إنها مجرد تزويقات كانت ربما تروج علينا في وقت من الأوقات ونحن نقرأ «المنطلق» و«العوائق» و«الرقائق» وحتى «المسار» وغيره..!! لكن لما جاء الامتحان والتكليف الحق سقط أصحابها، وظهر أنهم لم يكونوا سوى كَتَبَةٍ يكتبون، يجمعون ويؤلفون وينمّقون ويزخرفون، ولا علاقة لهم بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ.!! دين التكليف والابتلاء والامتحان.. دين الصبر والشكر والخوف والخشية من الله تعالى والمحبة له والرجاء والتوكل والإنابة وتحقيق التوحيد والجهاد في سبيل الله، والتحلي بحقائق الإيمان ومقامات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

اللّهم يا مقلّب القلوب ثبّتْ قلوبنا على دينك.. اللّهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد.. يا حيّ يا قيّوم برحمتك نستغيث فأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.. اللّهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين جميعا، ورُدّ ضالهم إلى الحق يا ربَّ العالمين.. آمين.

جواب الفقرة الثالثة: «**هل كفر أعضاء المجلس التشريعي في فلسطين كفر أكبر ينقل عن الملة؟**» لا أرى أن ما فعلوه من دخولهم المجلس التشريعي الفلسطيني، بالشكل الواقع منهم، كفرٌ أكبر مخرج من الملة؛ لأن دعواهم أنهم ملتزمون بالشريعة لا يخرجون عنها، وأنهم يستغلون ما في القانون الوضعي الكفري من فسحة تسمح بوجودهم ومشاركتهم، فيوصلون صوت الحق، ويدفعون بعض ما يمكنهم من الفساد، ويحققون بعض ما يمكن من المصالح.

فهمْ لا يقولون: إنهم مشرعون يشرعون بدون إذن من الله، غيرَ ملتزمين بشريعة الله ودينه.! بل يصرحون: بأنهم ملتزمون بالشريعة، فالتشريع الذي يشاركون فيه هو إما من النوع الذي أذن الله في أن نتصرف فيه، وهو سنّ اللوائح والقوانين في المجال المباح التنظيميّ والتدبيريّ، أو ما كان مما نصت عليه الشريعة فإنهم يقولون إنهم ملتزمون به لا يخالفونه، ويسعون لإحقاقه وإثباته والمناضلة عنه؛ رغم



أن الدستور الفلسطيني لا يلتزم بالشريعة، فهو دستور علمانيّ كفريّ.. لكن هم شيء، والدستور وأصل المجلس الشركيّ شيء آخر.

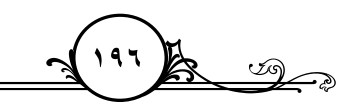
فالحاصل، أنهم بدعواهم هذه وبتطبيقهم بهذه الصورة نرجو أنهم ناجون من الكفر، إن شاء الله، ولم نعلم كذب دعواهم، بل هم مصدّقون فيما يقولون، وهم يطبقون هذا الذي يقولونه، أو على الأقل هذا بالنسبة لفضلائهم ومشايخهم الموثوقين، وقد يكون فيهم من ينتسبُ إليهم (إلى الحركة) ممن ليس بذي دين متين ولا يبالي، هذا لو وجِد فلا نتكلم عنه، لكننا إنما نتكلم عن القسم الأول وهم العمدة.

وهم كما قلنا متأولون الخير.. لكن هذا لا شك أنه خطأ وخطر عظيم، ومنكر يجب بيانه والتحذير منه والنهي عنه، كما سبق وقلنا، والله الموفق.

ووجه كونه منكرًا وحرامًا وغير مشروعٍ:

- أن نفس مشاركة الكفار في مجالسهم الكفرية هذه غير مشروع من جهة أن هذه المشاركة هي إحياء وتثبيت وإمدادٌ للنظام الديمقراطي والنظام العلماني الكافر غير القائم على الدين ولا الملتزم بالشريعة، وأن الداخل إلى هذا المجلس المشارك فيه، منخرط في الظاهر والصورة في هذا النظام، وأنه سينجرّ إلى مناقشة أشياء قد حكم فيها ربنا ﷻ من فوق سبع سماوات، ولا معقّب لحكمه ﷻ، وأنه سيسمع الكفرَ، ومهما قال إنه سيردّه وينكره ولا يسكت عليه، فسيكون ذلك عسيرا وغير ممكن في بعض الحالات والله أعلم، لأنه مستمر وقائم، ومنه ما لا يمكن إزالته واستمراره كعبارات مكتوبة معلقة أو مقروءة يبدؤون بها ويختمون وغير ذلك، ولأنه أيضا يضع -في الصورة على الأقل وبحسب الظاهر- دين الله تعالى وشرعه المطهر الملزم المكتوب من الله على العباد، يضعه في مقام الاختيار، وهو يشارك في هذه العملية التشريعية بالتصويت في المجلس، وبالانتخاب، ولما في ذلك كله من التلبيس على الخلق دينهم، ولا سيما من الشيوخ والدعاة، ولما ينجرّ عن هذه المشاركة من المفاسد والمنكرات الكبيرة حين يضطر الإنسان المسلم المشارك معهم إلى حلف اليمين وإعلان الاحترام والإخلاص لنظامهم الكافر، وتقديم الولاء والقيام بالواجب التضامني الذي يفرضه النظام، فإنهم يطلبون منه الموافقة لهم والتضامن والتكافل معهم وتأدية واجبه كجزء فعّال من النظام القائم، والسكوت عن كثير من الحق، وعلى كثير من الباطل، في حين كان يمكنه الصدع بالحق لو كان في موقف البراءة، وإلى غير ذلك.

- ولأنه مع احتوائه على كل تلك الأوجه من المفاسد والمخالفات جُعِل بديلا عن الواجب الشرعيّ الذي فرضه الله تعالى علينا وأوجبه حتمًا، وهو البراءة من هذه المجالس وهذه الأنظمة



ودساتيرها الكافرة وقوانينها، ومعاداة أهلها وبغضهم والبراءة منهم، والإنكار عليهم، وجهادهم حيث أمكن، فإن لم يمكن الجهاد، كان الواجب الذي ننتقل إليه هو الإعداد بكل معانيه المادية والمعنوية، كما قرره علماؤنا، كما دلت عليه الأدلة، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن الإعداد هو أصلا فرضٌ مستقل كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: ٦٠] الآية، وقال: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾[محمد]، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران].

والحاصلُ أن دخول هذه المجالس والمشاركة في هذه الأنظمة هو منكرٌ ومخالف للشريعة.

وهذا الذي هدانا الله إليه ونراه الحق، وعليه جماعة متوافرة من علمائنا المعاصرين الأحياء والأموات، رحم الله الجميع.

والحمد لله رب العالمين، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأما إقسامُ أعضاء حكومة حماس القسَم المسماة بالقسم الدستوريّ، والذي فيه الحلِفُ على احترام دستور الدولة وقانونها وأن يكون الرجل مخلصًا لها.. الخ؛ فهذا والله شيء عظيم تقشعرّ له قلوبُ وجلودُ أهل التوحيد..! ولا شك أن ظاهره الكفر، والعياذ بالله.

لأن هؤلاء الأعضاء يعلمون ونحن نعلم وكل الناس تعلم أن دستور وقانون دولة فلسطين – السلطة الفلسطينية– الذي وضعته حركة فتح ومنظمة التحرير العلمانية، هو دستورٌ وقانون غير مبنيّ على التوحيد والعبودية لله تعالى، وغير ملتزم بشريعة الله سبحانه، فهو قانون كفريّ.. فكيف يحلّ لمسلم أن يقسم على احترامه والعمل به والإخلاص لهذا النظام وهذه الدولة؛ وما هذه الدولة إلا دولة المرتدين؟! إن الدولة في فلسطين هي للمرتدين..!! وحكومة حماس المغلوبة المقهورة لا تغيّر من الأمر شيئًا.!! لكن نحن مع كل ذلك ما زلنا نعتذر لهم ولا نكفرهم لأنهم متأولون، ونعرف أنهم قد أفتى لهم بعض الشيوخ، بعضهم من غير الموثوقين عندنا، وبعضهم من أهل الخير ممن أخطأ في هذه المسألة.!! ورخّصوا لهم من باب الضرورة، وبنوعٍ من الحيلة، مدارها على إضمار القيد وهو:... في إطار شريعة الله وما لا يخالف حكم الله.!!

وهل ذلك يجدي؟ هذا فيه نظر كبيرٌ..! فإننا علينا بالظاهر، ثم المتقرر في الشريعة أن الحلِف على نيّة

المستحلِفِ[1].! وأي ضرورة تلجئ إلى هذا أصلا، وقد وسّع الله تعالى، ألا يمكن أن نستعين بالله تعالى ونتصبّر ونصابر قليلا، **(ومن يتصبّر يصبّره الله)**[2]، والله المستعان على صروف الزمان.

اللّهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك، نسأل الله ﷻ أن يلطف بنا وبالمسلمين في كل مكان.. آمين.

جواب الفقرة الرابعة: «هل يجوز التصالح مع اليهود في فلسطين والاعتراف لهم بالوجود على حدود ٤٨، وهل صحيح بأن صلاح الدين الأيوبي صالح الصليبيين؟ أرجو توضيح الفرق بين الحالتين في حال صحة الخبر»؟ الاعتراف لليهود بشرعية الوجود؛ أي وجود الدولة والسلطان على أرض فلسطين أيِّ شبرٍ منها: لا يجوز بالإجماع.. وقد صرح به العلماء جميعا، لا نعلم في هذا خلافا من لدن ثلاثينيات القرن الإفرنجي الماضي، إلى الآن؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾[الأنفال: ٣٩].

كيف وهذه أرضٌ إسلامية فتحها سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ والمسلمون وأقاموا فيها علَم الدين ورفرفت عليها رايته من يومئذ، فصارت دارَ إسلام، ثم غزاها الكفار الصليبيون ونصّبوا فيها حكم اليهود وأعانوهم على إقامة سلطانهم اللعين فيها، فصارتْ دار حربٍ بغلبة حكم وسلطان الكفار عليها، وثبتَ في أعناق المسلمين جميعا واجبُ تحريرها وتخليصها وإعادتها إلى حظيرة سلطان الإسلام وحكمه؛ فهذا لا يبعُدُ أن يكون من ضروريات الدين العلمُ به.

فيجب على كل مسلمٍ أن يعتقد أن دولة اليهود على أرضِ فلسطينَ باطلة ولا شرعية لها بوجهٍ، ولا احترام، وأن فلسطين أرضٌ إسلامية سليبة يجب تحريرها، ولذلك أفتى علماء القدس وجميع علماء فلسطين وسائر من تكلم في المسألة من علماء المسلمين بعدم جواز بيع أي شبرٍ من أرض فلسطين لليهود، وأن هذا البيع لو تمّ مِن كائنٍ مَنْ كانَ فهو فاسد باطل لا تترتّب عليه آثاره شرعًا، ولا خلاف في هذا بين علمائنا جميعا، والحمد لله.

لكن يقال هنا: هل ترون أن الضرورة من الضعف الحقيقي والعجز المتحقق وخذلان القريب والبعيد وتكالب العالم الكافر عليهم جيمعه وغير ذلك، قد تُلجئُ المسلمين في فلسطين إلى الاعتراف بدولة اليهود على حدود ثمانية وأربعين، فهم في ذلك في حكم المكره، والكل يعرف أنهم في حكم

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١٦٥٣) من حديث أبي هريرة قال ﷺ: **(الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ)**.

(٢) صحيح البخاري (١٤٦٩) وقد تقدم.

المكره لما يلاقونه من الظلم والحرب العظيمين، على أن تكون قلوبهم مطمئنة بحكم الله تعالى المتقدم ذكره، وتكون نواياهم معقودة على أنهم متى أمكنتهم الفرصة ووجدوا القوة والقدرة ثاروا لتحريرها وتخليصها؟

فالذي يظهر أن الأمر لا يصل إلى حال الضرورة والإكراه المشار إليها، بل بإمكان المسلمين أن يستمروا على عدم الاعتراف بدولة إسرائيل، ويثبتوا، وأن يجاهدوا ويصبروا ويستعينوا بالله ﷻ ولا يهنوا ولا يستكينوا.. ولنا في جهاد كتائب القسام وسرايا القدس وغيرها عبرة وعظة، وهذا هو الذي عليه علماؤنا وقياداتنا الإسلامية الموثوقة اليوم، والحمد لله، ولا ينبغي فتح الباب للوهْن والاستكانة والضعف، بل الواجب الصبر والمصابرة والثبات، والحرص على شحذ العزائم دائما وتربية الأجيال على معاني التضحية والفداء.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحۡزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾[آل عمران]، وقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدۡعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾[محمد]، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسۡتَكَانُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾[آل عمران].. الآيات، والله أعلم.

وأما الصلح مع اليهود بمعنى الهدنة والمصالحة والموادعة المعروفة في بابها في الفقه الإسلامي؛ فهذه كالآتي:

فالأصل عدم جوازها مع هؤلاء اليهود، لأنهم -كما سبق القول- عدوّ صائل محتل ومغتصب لأرض الإسلام ودار الإسلام، فهذا يجب جهاده ودفعه وتخليص بلاد الإسلام منه، وهذا كما قلنا محل إجماع لا خلاف فيه بين علماء الإسلام، ولكن إذا دعتِ المسلمين المجاهدين الضرورةُ إلى مهادنة اليهود بشروطها المتقررة عند الفقهاء، فهذه حينئذ ضرورة، كما فعلت حماس وغيرها في عدة مناسبات.

ومن شروطها: التحديد بمدةٍ زمنية، أي أن تكون مؤقتة، لا تزيد عن عشر سنين على الأكثر عند كثير من الفقهاء، ولا يجوز الصلحُ الدائم المؤبد بلا خلاف بين العلماء.

ويجب أن تقدّر بقدرها، فإن كانت الستة شهور أو السنة الواحدة تكفي فلا يجوز الزيادة عليها، وهكذا، لأنه موضع ضرورة.

ويجب أن يكون الأمر مبنيًّا على النظر للإسلام والمسلمين أي لمصلحة الإسلام والمسلمين في حربهم مع عدوّهم، لا بالتشهّي ولا لأهواء أي أحدٍ كائنا من كان.

فهذا أمرٌ مختلفٌ تمامًا عن الاعتراف بدولة اليهود أو عقد ما يسمّى اليوم بالتطبيع، أو ما يسمّى زورًا وبهتانًا بالسلام.!

فالهدنة (أو وقف إطلاق النار) إذا كانت بهذا الشكل والشروط التي ذكرناها فهي بابٌ من أبواب الجهاد في الحقيقة، وليستْ تركًا للجهاد..! والله أعلم.

وأما ما سألتم عنه من أن صلاح الدين الأيوبي ﵀ هل صالح الصليبيين تعنونَ في بيت المقدس عندما كانوا محتلين له قبل تحريره إياه.. فنعم قد صالح صلاحُ الدين ﵀ الصليبيين في القدس مرة أو مرتين قبل فتحها في رجب من سنة ٥٨٣هـ، كما هادن غيرهم مثل الصليبيين في طرابلس (لبنان)، وذلك ما بين سنتي خمسمائة وإحدى وسبعين، وخمسمائة وسبعة وسبعين، كما يُعلم من مراجعة «الكامل» لابن الأثير وغيره[١]، وكان سبب ذلك اضطراره لتحييد الصليبيين في القدس وطرابلس ليتفرغ لتوحيد سائر الشام وخاصة حلب والموصل، التي كانت تعاني من الفوضى وملوك طوائف كثير منهم لم يكونوا من أهل الدين والصلاح بل أهل دنيا وفساد.!

وهذا كله كما قلنا هو خلاف الأصل، وإنما يلجأ إليه قادة المسلمين للضرورة وتقدّر الضرورة بقدرها، وتكون الهدنة على وَفق الشروط الشرعية المرعية، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

〚حكم التحالف مع الأنظمة المرتدة وحزب اللات، والانخراط في عمل يخدم الطغاة〛

❁ يعلم الجميع بالوجود القوي والفعّال لحركتي الجهاد وحماس في لبنان وسوريا ومدى ارتباطهما بالأنظمة الموجودة؛ كالنظام السوري وبحزب الله الرافضي.. وقد شهدت الساحة اللبنانية وخصوصاً بعد الانسحاب السوري العسكري نشاطا لهاتين الحركتين في أوساط أهل السنة لجذبهم في نسق تنظيمي مسلح.. لكنه يمر قبل أن يصل إلى ذلك بما يُسمى بدورات أمنية يقوم الفرد منهم بكتابة التقارير حتى على أبيه ولو دعى الأمر حتى ولو في غرفة النوم.. وهذا من كلام أحد الذين تركوا هذه النشاطات..

---

(١) الكامل (٩/ ٤١٥ – ٤٥٧)، وينظر: البداية والنهاية (١٦/ ٥٠٩ – ٥٥٥).

شيخنا الفاضل: تقوم هاتين الجماعتين -حماس والجهاد- وفي أوساطنا نشاط حمساوي أكبر (عن طريق ما يُسمى بقوات الفجر والتي كانت قد انقلبت على الجماعة الإسلامية الإخونجية وباتت أشبه بالحرس الثوري الإيراني ولها ارتباطات وثيقة بالنظام الإيراني وحزب اللات) وبعد مرورهم بالمراحل الأولية بدفع الشباب إلى معسكرات الرافضة بحجة توفر الإمكانيات وتطور الوسائل المتوفرة لدى حزب الله.. ومع أننا ناصحنا الإخوة بأنّ إمكانياتنا على قلتها وبدائيتها أضمن لاستمرار العمل وأحوط من اختراقنا إلا أنهم أبوا إلا المضي في سبيلهم الذي رسمه لهم حلفاء النظام النصيري وحزب اللات الرافضي؛ أعني حماس والجهاد..

شيخنا الفاضل.. إذا أردنا أن نختصر ما سبق بأسئلة محددة نقول:

(١) ما حكم التحالف مع أنظمة مرتدة كالنظام النصيري هذا إن لم يكن ذاك النظام قد اتخذهم ورقة ومطية لتحقيق مآربه.

(٢) ما حكم التحالف مع حزب اللات الرافضي وكلنا يعلم دور هذا الحزب الخبيث في نشر التشيع والشرك في أوساط المسلمين.

(٣) ما حكم الانخراط في عمل قد قامت الدلائل على أنه يتم تصنيعه على عين النظام النصيري وحزب الرفض.

(٤) هل العمل الأمني يعني كتابة التقارير بالإخوة الذين ينشطون في بناء عمل جهادي مخالف.. فضلا عن أن يكون أخوة ومن ضمن النشاط نفسه..

[**السائل:** أبو الضرغام الشامي]

الجواب:

سائلين المولى ﷻ التوفيق للصواب..

التحالف مع الأنظمة المرتدة كالنظام النصيري في سوريا لا يجوز شرعًا، ولا سيما إذا عُرِف أو خُشي أن تكون يد الكفرة هي العليا واستفادتهم من هذا التحالف أكبر؛ فهذا لا يجوز قولًا واحدًا..

قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾[النساء].

كيف وهذه الأنظمة هي أنظمة مسيلمة الكذاب، التي يجب قتالها حتى ترجع إلى الإسلام أو تُطارَ رؤوسهم، هؤلاء يجب على المسلمين قتالهم ومجاهدتهم والخروج عليهم بالسلاح، لا أن يتحالفوا معهم لتحقيق مصالح مزعومة..! فإنه لا مصلحة ألبته في التحالف مع هؤلاء المرتدين الزنادقة أخزاهم الله، ولا نتصوّر ضرورة ملجئة إلى التحالف معهم حتى يحتجّ محتجٌ بالضرورة.!! ولقعود الإنسان في بيته



مقرًّا بالعجز وعدم القدرة من كل وجهٍ خيرٌ له من أن يتحالف مع أمثال هؤلاء الزنادقة قاتلهم الله، ثم يدّعي أنه بتحالفه معهم يريد أن يقيم شرع الله وحكم الإسلام في الأرض!! أو يريد أن يحرر الأرض، وما فائدة تحرير الأرض إذا كان دين المرتدين سيكون هو الأعلى؟! وهؤلاء الذين يتحالفون مع هذا النظام المرتد (النصيري) لا شكّ أنهم آثمون مرتكبون حراما عظيما، وهو من الانحراف والضلال الذي أشرنا إلى شيء منه في الأجوبة السابقة.! فقل لي بربك كيف ينتظر أمثال هؤلاء النصر من الله تعالى؟! اللّهم إلا كما قد نَصَرَ اللهُ «كاسترو»[1] و«الخميني»[2] على أعدائهم، ومكنهم فأقاموا دولهم..!

إن الأهم من النصر على الأعداء هو الانتصارُ على النفس والشيطان والهوى، والانتصارُ في المنهج وفي القيم والمبادئ، الموت على تلك المبادئ الحق.. ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت]، ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾[آل عمران: ١٨٥].

ما الفائدة وماذا ربحنا إذا نحن انتصرنا على عدونا في الحرب، وأقمنا الدولة التي نريد، وملكنا البلاد وحكمنا العباد، ثم بعد ذلك كله كان مصيرنا إلى النار، نسأل الله العافية والسلامة.!!؟ ماذا استفدنا؟ لا شيء..! وسنكون من أخسر الخاسرين ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾[الزمر].

ولذلك فتحقيق التوحيد هو أهم مطلب يجب أن يعتني به الإنسان.. لا تحقيق المسائل السياسية والانتصارات السياسية قبل التوحيد والعمل الصالح.!! وحسبنا الله ونعم الوكيل..

وفرقٌ بين التحالف مع مثل هذا النظام المرتد، وبين **التعامل معه بنوعٍ من التعامل المبنيّ على النديّة** والمأمون فيه سلامة المُسلم وعدمُ تسلط العدو عليه، كالهدنة مع هذا العدو أو حتى اللجوء إلى أرضه حيث دعتِ الحاجة وقبول أمانه، واستغلال ما يحصل من تقاطع للمصالح السياسية للأنظمة المتناحرة، ونحو ذلك؛ فهذه مسائل أخف وأسهل ولله الحمد، وفيها مجال للنظر.

وكذلك التحالف مع الحزب الرافضي، لا يجوز ولا يُشرع، هؤلاء أعداء الله ورسوله ﷺ وأصحابه وأزواجه، هؤلاء أهل الشرك والخيانة.

---

(١) فيدل أليخاندرو كاسترو: رئيس كوبا منذ العام ١٩٥٩، عندما أطاح بحكومة «فولغينسيو باتيستا» بثورة عسكرية ليصبح رئيس الوزراء إلى عام ٢٠٠٨م، وهو شيوعي ملحد، اعتمد حرب العصابات على أعدائه حتى سيطر على كوبا بسبب التأييد الشعبي له.

(٢) روح الله بن مصطفى الخميني (ت ١٩٨٩)، رافضي خبيث، قاد الثورة الإيرانية الخمينية حتى أطاح بالشاه البهلوي الثاني من خلال المظاهرات الشعبية الكبيرة التي كانت تعتبره رمزًا لها رغم نفيه،؛ حيث رجع من منفاه ليستلم البلاد بدل الشاه.

اللّهم إلا أن يضطر الإنسان للتعامل معهم بنوع معاملة على قانون المداراة والسكوت إلى حين، ويعاملهم معاملة المنافقين إذا ابتلي بهم في بعض البلاد، فهذا لا بأس به لمن احتاج إلى ذلك، وكان في حال الضعف.

أما الأحلاف وأن يُتّخذوا أخدانًا وإخوانًا ورفقاء وأولياء فهذا والله انحراف وضلال مبين.! لا سيما في هذا الوقت وفي هذه المرحلة التي ظهر فيها مكرهم وبان فيها حقدهم وانكشف مخبوؤهم أخزاهم الله، مع أحداث العراق وما يجري فيها من الحرب على أهل السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.. المتحالف معهم مقوٍ لهم وناصر وظهير، وقد قال الله تعالى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[القصص] وقال حكاية عن موسى عليه السلام أنه دعاه: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[القصص]، والله ﷻ أمرنا ببغض أمثال هؤلاء المشركين المارقين الخونة ومعاداتهم والبراءة منهم لا أن نواليهم ونكون لهم حلفاء وقرناء.!! ونصوص الموالاة والمعاداة في القرآن والسنة أكثر من أن تحصر في هذا المقام.

وجواب قولك: «ما حكم الانخراط في عمل قد قامت الدلائل على أنه يتم تصنيعه على عين النظام النصيري وحزب الرفض؛ هل العمل الأمني يعني كتابة التقارير بالإخوة الذين ينشطون في بناء عمل جهادي مخالف.. فضلا عن أن يكون أخوة ومن ضمن النشاط نفسه»..

إذا كان كما تقول وكما وصفتَ فهذا ننهى عنه ونراه غير مشروع، لأن النظام المرتد والحزب الرافضي المشرك هما المستفيدان منه أكثر من نفس المنخرطين فيه من أهل السنة، يدهم (المرتدين) فيه هي اليد العليا، ولهم الغلبة والسيطرة والهيمنة، فلا يجوز للمسلم الانخراط في هذه الأعمال من هذا الوجه لما فيه من إيجاد السبيل للكافر على المسلم وما يترتب على ذلك من فساد الدين، ودخول الذلة والمهانة على المسلم من الكافر، ولما ينجرّ عنه من المنكرات مما يراه المسلم ويسمعه ويتلقاه في معسكراتهم وتحت إشرافهم وما يتعرّض له من الفتنة في دينه.

فإن كان فيه ما تقول من كتابة التقارير عن الإخوة المجاهدين والنشطين في الدعوة وعن المسلمين عمومًا، فهذا والله منكر عظيم، والمتطوّع بذلك المختار له وهو يعلم أن هذه التقارير تُكتَبُ لصالح النظام النصيري وأنها تكشف عورات المسلمين وتعين العدوّ عليهم، فهو كافر مرتدٌ..! نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من الخذلان، كيف وقد أمر الله بالكفر بهؤلاء والبراءة منهم ومباعدتهم وبغضهم ومعاداتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

والإخوة -بحمد الله- بإمكانهم أن يكونوا مستقلين بريئين من كل تلك المفاسد ولو على قلة وضعفٍ وفي بطء فهو خيرٌ لهم وأبرك، وما النصر إلا من عند الله.

وأكرر مرة أخرى: أن قعود الإنسان في بيته باكيًا على خطيئته مقبلا على ربه مستغفرًا خائفا وجلًا خيرٌ له من أن يقترف تلك الشناعات العظيمة التي تذهب بدينه وآخرته، وإنما يقدم على مثل هذه الأفعال مَن قلّ دينه وضعف أو انعدم نظره إلى الله واليوم الآخر..! اللّهم فرجك القريب يا رب العالمين يا ألله[١].

وننصح الإخوة في لبنان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليهم ممن سواهما، وأن يقدّموا مرضاة الله تعالى على كل شيء، وأن يكون سعيُ الإنسان دائما أن ينجّيَ نفسه من النار وأن يكون فائزًا في الامتحان الذي خلقنا الله تعالى له، وهو هذه الدنيا وما فيها من التكليف بالدين والشرائع وما فيها من الفتن والابتلاءات، وليستعنِ الإنسانُ بربه ومولاه، فإنه إن اعتمد على نفسه وشطارته واغترّ بقدراته وبذكائه وترك سؤالَ الله الاستعانة به خذله الله وتركه ورفع عنه عونه وتأييده، وهذا هو الخذلان، قال ابن القيم ﵀: «أجمع العارفون بالله على أن الخذلان هو أن يكلك اللهُ إلى نفسك»[٢] اهـ. ولهذا كان مما علمنا رسول الله ﷺ في الدعاء أن نقول: **(يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)**[٣].

وليستعينوا بالله وليصبروا كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[الأعراف] وليتقوا الله ما استطاعوا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يوسف]، ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آل عمران]، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾[آل عمران].

وليجتهدوا في تحقيق التوحيد، وليتباعدوا عن المجرمين الكافرين وليجانبوهم، وليتوكلوا على الله تعالى وحده، وينظروا في ما بإمكانهم أن يفعلوه، فإن لم يمكنهم اليوم أن يفعلوا كل المطلوب وأكمله أعلاه.. فلينتقلوا إلى غيره مما يستطيعونه وتسعه طاقتهم؛ فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها وإلا ما آتاها، ولتكن عناية الإنسان متوجهةً أولا وقبل كل شيء إلى إنجاء نفسه كما ذكرنا؛ فالمفلح الرابح الذكيّ الزكيّ هو من يقول نفسي أولا، ثم يسعى بعد ذلك في إنجاء الآخرين، ويجعل إنجاءَه للآخرين

(١) كلمة «يا ألله» صحيحة هكذا إملاءً؛ بقطع همزة وصلها، ولذلك علل مختلفة، ينظر: أصول الإملاء للخطيب (ص ٣٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين (ص ١٩٨) ثم قال تتمة ذلك: «.. وَالتَّوْفِيقَ: أَنْ لَا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ».

(٣) السنن الكبرى للنسائي (١٠٣٣٠)، مسند البزار (٦٣٦٨)، وحسنه الألباني في: صحيح الجامع الصغير (٥٨٢٠).

مندرجًا تحت إنجاء نفسه والعمل لنفسه.

وليتدبَّروا هذه الآية الكريمة العظيمة: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج]..

والله الموفق؛ نسأله تعالى من فضله.

✲ ✲ ✲

[الجهاد «المغيب» في الشام، وحكم ترك إقامة الدين بحجة مصلحة النفس والدعوة، وفوائد في «السياسة الشرعية»]

(١) بلاد الشام الأرض المباركة.. لماذا لا زال الجهاد مغيبا فيها؟.

(٢) يوجد في منطقتنا التي نعيش بها مجاهدين كثر، ويملكون السلاح الكثير، وباستطاعتنا إقامة إمارة إسلامية مصغرة! ولكن عذر المجاهدين أن المصلحة السياسية تتطلب ذلك، والناس يعيثون في هذه المنطقة الفساد لتقصيرنا في لجمهم؛ فما هو الحكم الشرعي في ترك إقامة الدين بحجة حماية الأنفس والدعوة؟

[السائل: أبو دجانه الشامي**]**

الجواب:

الفقرة الأولى: الحمد لله، نعم بلاد الشام أرض مباركة فاضلة، ولن تزال أرض الإيمان والتوحيد، ولن يزال لها شأن ولأهلها إلى قيامة الساعة إن شاء الله.

وأما كون الجهاد مغيبا فيها اليوم؛ بمعنى أنه لا جهاد قائمًا اليوم على أعداء الله من المرتدين خصوصًا؛ فهذا شيء مؤقت، ومرحلة نرجو من الله تعالى أن تمرّ ويعقبها بعون الله جولات وصولات لأبطال الإسلام في هذه الأرض المباركة، والحمد لله، نستطيع القول أن الجهاد في الشام لم ينقطع تقريبا؛ ففلسطين قلب الشام، والجهاد ضد اليهود لا يزال قائما فيها ولن يزال، وسوريا حديثة عهد بجهاد أبطال حماة، ولا زالت تنجب الأبطال، ولبنان لم تزل تنتج رجالا يرفعون الراية بين الفينة والأخرى ويحيون هذا الطريق ويجددون معالمه، والخير كامنٌ في هذه الأرض وفي أهلها كمون النار في الحجر، والماء في غضن الشجر، وإنما لسحائب الفرج والنصر إبَّانٌ؛ فإذا جاء الإبّان تجي.!

فأوصي الإخوة ألا يستعجلوا؛ فإن الاستعجال آفة مذمومة، قد نهينا عنها، وحذرنا الله ورسوله منها، ولكن يتثبّتون وينظرون في المناسب والمقدور عليه ويكونون مستعدين لاغتنام الفرص الآتية بإذن الله تعالى وعونه.. فالجهاد قد اقترب منهم بالفعل من جهة العراق ومن جهة سائر التحولات الدولية والإقليمية..

ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الفائزين المفلحين.. آمين.

الفقرة الثانية: يجب على المسلمين أن يقيموا الدين وأحكام الله تعالى في أنفسهم ومجتمعهم وما تحت ولايتهم على قدر استطاعتهم، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء بين الناس بشريعة الله تعالى، والجهاد في سبيل الله، وإقامة السلطة والإمارة التي تلتزم بدين الله وتحكم بشريعته وتنفِّذ تلك الأحكام وتقوم عليها وتحرسها وتسوس الدنيا بالدين.

فإن عجزوا عن البعض تركوه إلى حين القدرة، وفعلوا ما يمكنهم، ومما يدخل في معنى العجز: أنك تقدر على تنفيذ شيء من الأحكام لكنك تكون تعرفُ أنه ينشأ عن ذلك مفسدة كبيرة وضرر كبير ومنكر كبير على المسلمين أكبر من منكر تركِ تنفيذ وتطبيق تلك الأحكام؛ ففي هذه الحالة فإنك في الحقيقة عاجز عن تطبيق الحكم، غير قادر.

فليس **المقصود بالقدرة** مجرد القدرة على الفعلِ وتطبيق الحكم في الحين واللحظة، وليحصل بعدها ما يحصل من المفاسد والمنكرات والأضرار الكبيرة الراجحة على المنكر الذي كانَ..! لا..! ليس هذا هو معنى القدرة.

بل **معنى القدرة** أنك تطبّق الحكم وتنفّذه وتمضيه كما أمر الله بكل معناه، فتحصّل المقصود منه، من الصلاح الديني الأخروي ثم الدنيويّ، دون ضرر وفساد أكبر راجح؛ ومقياس هذه المصالح والمفاسد يُرجع فيها إلى الفقه والشريعة، وينظر فيها الفقهاء الموثوقون، ويتشاور معهم في تقدير المشتبِه منها الأمناءُ من أهل الحل والعقد في كل ناحية؛ فإذا أخذ الإخوة بأسباب العلم النافع وسؤال أهل العلم وأهل الرأي والشورى وحسن المدارسة، مع التقوى والصدق والإخلاص والتجرّد، فوالله لن يروا إلا الخير والفلاح، إن شاء الله.

قال الله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾[الفتح]، وقال ﷻ: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٠﴾[الأنفال]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأنفال: ٢٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن

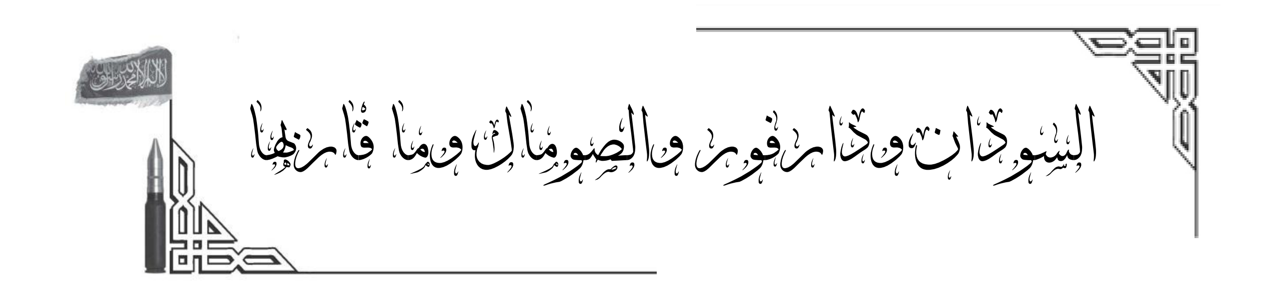
يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾[الطلاق].

والسياسة عندنا نحن المسلمين لا تنفصل عن الدين، بل هي من الدين ومنضبطة بالدين وخاضعة لأحكامه وحدوده، وهي السياسة الشرعية التي مبناها على عدم مخالفة الشريعة، بمعنى فعل الأصلح في حدود ما أذن الله تعالى، فشرطها إذن ألا تخرج عن حدود الله فلا تخالف حكم الله تعالى؛ فإن خالفت حكم الله ﷻ المتقرر المعروف، كانت سياسة شيطانية فاسدة خارجة عن الدين، وهي سياسة الكفرة والملحدين، لا سياسة المسلمين.

فالحاصل أن الإخوة عليهم أن ينظروا في المناسب بحسب هذه الضوابط، ويتعاونوا ويتياسروا ولا يتعاسروا، ويتطاوعوا ولا يختلفوا، وليعلموا أن يدَ الله مع الجماعة، وأن الله تعالى أمر المسلمين المؤمنين بالوحدة والائتلاف ونهاهم عن الفرقة والاختلاف، وأن الخلافَ شر.. فلا يخالف المسلم جماعة إخوانه المسلمين المتآلفين المجتمعين على طاعة الله ورسوله وعلى الخير، إلا إذا رأى خلافًا لأمر الله تعالى في شيء مستيقَنٍ معلومٍ، لا أمرٍ اجتهاديّ محتمَل موكول فيه التصرفُ إلى أهله.

وليكن الخلاف -حين يكون لا بد منه في الأمر المستحق والمستيقَن كما قلنا- خلافًا ملتزمًا بحدود الله تعالى وبما أمرنا ﷻ من الأدب والعدل والقيام بالقسط، لا فجور فيه ولا خيانة ولا بذاءة وسوء خلق، فمن كان وفاقه لأجل الله، وخلافه لأجل الله، وعلى بصيرةٍ ونورٍ من الله، فهو المفلح الفائز وليسبتشر بنصر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾﴾[محمد]؛ والله أعلم..

ونسأل الله لنا ولجميع إخواننا الهدى والسداد والتوفيق والرشاد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصبحه والتابعين.



〚القول في الجهاد في بلاد «السودان»، وإيضاح نظرية القاعدة: «جر العدو إلى بلاد المسلمين لاستنزافه»، والقول في «تنظيم حرس الخلافة» فيها〛

❁ الخامس عشر: كما تعلم أن الشيخ المبجل أسامة بن لادن حَفِظَهُ اللهُ دعى أنصاره للاستعداد للجهاد في دارفور؛ فهل ترى أنه يمكن أن يقوم جهاد هناك؟ وما هي إمكانية قيام جهاد كجهاد العراقيين بقيادة الشيخ أبي مصعب؟ وهل الشيخ يريد أن يقوم أنصار القاعدة والجهاد بجهادهم تحت قيادتهم؟ أم ينخرطوا في تنظيمات جهادية سودانية؟ أم يعينوا الحكومة ويجاهدوا تحت قيادتها كما كان يجاهد أهل السودان في الجنوب تحت قيادة الحكومة في الخرطوم؟.

السادس عشر: هل صحيح هناك تنظيم «حرس الخلافة» في السودان يمكن أن يجاهد الإخوة تحت قيادته، أم أنه لا وجود له؟ وهل يوجد غيره من التنظيمات الجهادية المحلية التي يمكن لنا الجهاد تحت رايتها؟

[السائل: مع الحق]

الجواب:

الحمد لله رب العالمين.. الذي فهمتُه من خطاب الشيخ أسامة بن لادن -أعزّه الله وسدده- أنه دعا شباب الإسلام إلى أن يكونوا على أهبة الاستعداد للجهاد هناك، ويبدو واضحا من فحوى الخطاب أن الشيخ أسامة يتوقع بقوة دخول القوات الصليبية إلى المنطقة في وقت قريب، ربما خلال هذا العام.. وهذا طبعا شيء مستقرب، كما هو معروف.

وفي ظني أن هذه الدعوة من الشيخ هي منسجمة مع خط الشيخ و«القاعدة» في الجهاد ضد أعداء الأمة، وهو خط «ضرب الرأس»، والمقصود بالرأس طبعا هو أمريكا بالأصالة، وفي ضمن ذلك حلفاؤها الصليبيون واليهود؛ فضرب هذا الرأس كفيل بأن تَيْبَسَ العروق..!

وهذه الاستراتيجية للمجاهدين تستدعي أشياء مثل توسيع دائرة الحرب ورقعة المعركة مع هذا العدو ما أمكنَ وفي الحدود المعقولة طبعا، أي حيث تتوفر الفرصة المناسبة، وتستدعي باستمرار تعبئة طاقات الأمة ومواصلة القيام بفرض التحريض على الجهاد ضد هذا العدوّ وحلفائه وأذنابه.

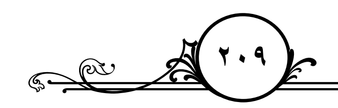
توسيع رقعة المعركة هذا مقصد مهم من مقاصد هذه الخُطة الجهادية؛ لأنه تشتيت للعدو، وإنهاك واستنزاف، ويتيح الفرصة لشباب الأمة لضربه، كلٌ في مكانه أو بجواره؛ فمثلا شباب شمال أفريقيا والمغرب، هناك الآلاف من الشباب المتحرق للجهاد والنفير إلى ساحاته، وكذلك في السودان والقرن الأفريقي، وغيرها.. فنحن المسلمين عندنا طاقات كبيرة جدا مخزونة ومدّخرة وجاهزة، فهؤلاء إذا أمكنَ أن تُتاحَ لهم فرصة الجهاد بالقرب منهم؛ يضربون العدوّ الكافر الصليبيّ الصائل الواضح المبين، فتكون معهم جمهرة كبيرة من أمتهم على الأقل، إن لم تكن معهم الأمة كلها، ويُعملون سيوفهم وحرابهم في عدوّ الله، ويذيقونه من أنواع النكاية والإثخان، ما يشفي صدور المؤمنين، ويقترب معه يوم الخلاص من هذا العدو وأذنابه.. هذا شيء مطلوب والإخوة المجاهدون يعملون له بكل دقة وحرص.

والعدوُّ هو جيش دولة أو دول.. فهو قوات نظامية؛ فخاصيتها هي صعوبة الحركة والنقل والتكاليف والروتينية والحاجة إلى خطوط إمداد طويلة ومرتّبة وغيرها، في حين المجاهدون هم عصابات، يمارسون حرب عصابات، حرب المستضعفين، فخاصيتهم الكر والفر والمرونة والخفة والسرعة والانتشار والاختفاء.

تستدعي هذه الاستراتيجية أيضا بمعنى آخر: جرَّ العدوّ الأمريكي إلى معارك، المجاهدون هم من يحدد مكانها وزمانها ويكون بيدهم زمام المبادرة فيها، معارك على الأرض، وفي أرضنا وصحرائنا وسهلنا وجبلنا.. وهذه الفكرة تحتاج إلى مناقشة أكثر دقة، لأن بعض الناس قد يخطئ في فهمها، ولأن فيها تفصيلا ينبغي أن يحرر.

فأحب المساهمة في إلقاء بعض التوضيح والتنوير عليها هنا: فاعلموا إخواني أن ما يتحدث عنه الشيخ أسامة والمجاهدون حين يتكلمون عن «**جرّ العدوّ إلى معارك معينة على الأرض**» هو نوعٌ من التكتيك المشروع الداخل في معنى الخدعة وفي فنون الحرب وتدابيرها المحمودة، وليس هو إن شاء الله من تمنّي لقاء العدوّ، وليس هو من العدوان الذي حرّمه الله، وليس هو أيضا من تهييج العدوّ عليك في حالٍ أنت لا تقدر على مواجهته واستيعاب أمره.

توضيحه: أن المجاهدين يعتقدون أن العدوّ هو في الحقيقة في حالة حربٍ فعليّة معنا، أمريكا هنا



هي المقصود بالأساس، فأمريكا متى توقفت عن حربنا وضربنا؟.. هي ناشبة في ذلك منذ زمن بعيد، وفلسطين هي الشاهد.. اليهود في فلسطين مَنْ يرعاهم ويشدّ أزرهم إلا هذه الدولة الصليبية الفاجرة الظالمة؛ وهكذا في أماكن كثيرة في أفريقيا وفي آسيا وحتى في أوروبا.. وهذه الأنظمة الكافرة المحليّة التي تحكم بلادنا مَن يرعاها أيضا ومن يحميها ويسندها ويمنع شعوبنا من إسقاطها واستبدالها إلا أمريكا؟

وأمريكا مع ذلك مستعدّة وعندها سبق الإصرار والترصّد لكي تسحقنا وتضربنا وتقضي علينا متى ما رأت ذلك ضروريًّا حين تتعرض مصالحها ومنافعها بل ورفاهيتها للخطر..! فنحن إذًا في حالة حرب مع أمريكا.. وأمريكا هي المعتدية وهي الظالمة والبادئة، وهي الكافرة الفاجرة؛ ولهذا كنت أسأل إخواني في بعض المرات: **هجمات الحادي عشر من سبتمبر هل هي من جهاد الدفع أو من جهاد الطلب؟** فالحق أنها من جهاد الدفع، لا من جهاد الطلب.

الإخوة المجاهدون عندما ضربوا أمريكا هناك في عقر دارها كانوا يدفعون عن أنفسهم وعن دينهم وأمتهم، كانوا يمارسون حربًا دفاعية وجهادَ دفعٍ، ولم يكن المقصود هو أن يغزوا أرض أمريكا ليفتحوها ولينشروا الإسلام فيها ويقيموا حكم الله هناك، هذا هم أول من يعرف أنه ما زال سابقا لأوانه.!

والحاصل أننا نحن أمة الإسلام في حربٍ مع أمريكا قائمة بالفعل، هم (الأمريكان) البادئون فيها والظالمون المعتدون الصائلون علينا، ونحن ندافع عن أنفسنا وديننا وأرضنا وأمتنا وعرضنا وشرفنا وأموالنا.

وعليه؛ فحين يختار المسلمون في ضوء هذا الواقع أن يجرّوا هذا العدوّ المتسلط عليهم بالفعل، إلى معركةٍ ما هم يحددونها، هذا من التدبير الحسن بلا شك.

فكانت قناعة المجاهدين والتي عبّر عنها الشيخ أسامة في مناسبات، وغيرُه من قيادات المجاهدين، أن أمريكا لا بد أن تجرّ إلى الأرض، ولا بد أن تورَّط في حروب مستمرة، ولا بد من الدخول معها في حرب سافرة على الأرض، هي تحاربنا تحاربنا، وتضربنا تضربنا، وساعية في القضاء علينا رويدًا وبشكل بطيء وكيفما تريد؛ فلماذا لا ندخل معها في حرب نكون نحن وهي على ميزان التساوي، يألمون ونألم، وتكون العاقبة بإذن الله للمتقين؛ فهذه هي الفكرة تقريبا.. وهذا كما ترى معنى مختلف عن معنى تمنّي لقاء العدوّ المنهيّ عنه.

وتكميله: أن المجاهدين يعتقدون أن الأمة قادرة على مواجهة أمريكا وكل أعدائها.. بخلاف من

يعتقد أن الأمة في حالة ضعف شديد وعجز كامل ولا تستطيع..!! وغالب هؤلاء ممن لم يعرف الجهاد والحرب.!

والتحقيق أن يقال والله أعلم: إن الأمة ضعيفة من جهة القوة المادية، لكنها قوية بالإيمان والعقيدة والتوكل على الله تعالى وقوة القضية العادلة والحق الذي معها والهدى والنور والحجج الباهرة، وقوية بتماسك أبنائها وأخوتهم.. الخ، والله ﷻ لم يكلفنا إلا ما نستطيع من الأسباب المادية والإعداد كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾[الأنفال: ٦٠] الآية.

فنتج من ذلك أن الأمة قوية بحمد الله لو نهضت وتوكلت على الله، وأن ذلك الضعف المادي مغتفر حينئذ، مع استمرار الأخذ بأسباب رفعه وأسباب القوة ما أمكن.. والأمة ضعيفة من جهة أن أزمّة أمورها في يد الحرامية الخونة الكفرة المرتدين، الذين أهانوها وأذاقوها الخسفَ، هؤلاء الجبناء أصحاب الكروش الكبيرة والرقاب الغليظة، الذين فرّقوا بين أبنائها وشعوبها، وجعلوها شيعًا مستضعفين..!! لكنها قوية حين تتجاوزهم وتتخطاهم ولا تبالي بهم، وحين تنتفض عليهم وتبرأ من قيادتهم، وتجعل قيادها في أبنائها الأمناء أهل الدين والتقوى وخشية الله تعالى.

وأيضا الأمة عاجزة بسبب تخاذلها وما أصابها من الوهن والذل والاستكانة بسبب البُعد عن الدين عمومًا، وعن الجهاد بشكل خاص.. فإذا قامت ونفضت عن نفسها غبار الذل، واستجابت لله والرسول، وتشجّعت واشتعلت فيها نار الغيرة والحمية الدينية، وحييتْ فيها فضائل الفروسية وأخلاق الصحابة ﭫ، فإنها لن تكون ضعيفة ولا عاجزة بل هي قادرة جدًا وعندها من الطاقات شيء عظيم باهر، عندها الفرسان الذين يغتالون الملوك على فرشهم، وعندها أهل التضحية والفداء من الشباب الذين يطيحون الناطحات ويدكون عروش الامبراطوريات..!! يعني: الأمة قوية وقادرة، بس أنتم يا ناس، الخوفُ والوهن خيَّل إليكم أنكم عاجزون لا تستطيعون.. هذا هو ما يقوله المجاهدون؛ وهذا هو الفرق بينهم وبين غيرهم، والله أعلم وأحكم.

ونسأل الله تعالى أن ينصر المجاهدين في كل مكان، وأن يبرم لأمتنا أمرَ رشدٍ يعزُّ فيه أهل طاعته ويذلُ فيه أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.. آمين

نرجع إلى الموضوع؛ فالحاصل: أن دعوة الشيخ الشبابَ المسلمين للاستعداد والتهيؤ للجهاد في دارفور تندرج في هذا الإطار.

العدوّ فيها بالأصالة هو: أمريكا، ومن ورائها حلفاؤها الصليبيون وغيرهم؛ فهي حلقة من حلقات



الحرب مع هذا العدو.. وهي تحريك وإعمال لطاقات الأمة، وهي تحريض وإحياء جديد وإضافي للأمة وشبابها.. وهي معركة في أرضنا التي نحن أولى بمعرفتها وأحق بأن نملك زمام المبادرة فيها.

وسؤالكم: «هل يمكن أن يقوم جهاد هناك؟» بالتأكيد هذا ممكن إن شاء الله، ولِمَ لا؟

أحسن الفرص للجهاد في هذه الأزمان حين يدخل عدوّ خارجي (كافر أصلي) إلى بلاد المسلمين غازيًا، بشكل سافر، وهو الخطأ الكبير والتاريخي الذي ارتكبته أمريكا في العراق خصوصًا، حين أوقعها الله في شر أعمالها وأعماها غرورها وغطرستها، وقبله في أفغانستان. فهذه أحسن الفرص على الإطلاق الآن.

نحن لا نتمناها بالأصل، ولا يتمنى مسلم أن يتسلّط عليه العدو ويحتلّ أرضه، نعوذ بالله.

ولكن هو واقع..!! وأكثر بلاد المسلمين هي أصلا بيد حكومات من بني جلدتنا كافرة مرتدة؛ فجهادها واجبٌ ومفروض علينا، لكن نحن المسلمين في أكثر الحالات عاجزون، غير قادرين على جهاد هذه الحكومات المرتدة، فالفرصة التاريخية لجهادها هي أن يدخل عدوّ خارجي، وحين يصير العدوّ المحليّ المرتد هو والعدوّ الخارجي الكافر الأصليّ صفا واحدا بارزًا للجميع، وهذا حين نتأمله نجده من لطيف مكر الله تعالى بأعدائه، ولطفه بأوليائه، فالحمد لله رب العالمين.

فحين يحصل هذا الشيء فهي فرصة الجهاد البين الذي لا غبش فيه، بحيث يستطيع المجاهدون أن يعبّؤوا الأمة ضد هذا العدو، وتكون المبررات المنطقية والأدبية كلها متوافرة لهذا الجهاد.. وهذا واضح إن شاء الله؛ ولا يغرّك كُبْر حجم العدوّ وقوته.

هذا ليس هو المقياس حين تكون أنتَ على الطريق الصحيح، آخذًا بما أمكنك من أسباب، معِدًّا ما استطعتَ من العُدّة، متوكلا على الله تعالى.. المهم هو أنت، أنت وفرصتك، لا العدو وحجمه وقوته..! وإمكانية قيام جهاد في دارفور مثل جهاد الإخوة في العراق وجهاد الشيخ الزرقاوي ﷺ هذا أيضا وارد، والله يفتح على من يشاء من رحمته وإحسانه، اللّهم إنه لا غنى لنا عن بركتك يا رب.

وسؤالكم أخي الكريم: «وهل الشيخ يريد أن يقوم أنصار القاعدة والجهاد بجهادهم تحت قيادتهم، أم ينخرطوا في تنظيمات جهادية سودانية، أم يعينوا الحكومة ويجاهدوا تحت قيادتها؛ كما كان يجاهد أهل السودان في الجنوب تحت قيادة الحكومة في الخرطوم؟»..

أما الجهاد تحت قيادة الحكومة فهذا غير وارد أبدًا، والله أعلم.. الحكومة بالنسبة للمجاهدين، وهو الحق، التحقت منذ زمنٍ بأخواتها..!! نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من سخط الله ﷻ، وهي حكومة مكونة من مجموعة من الفاسدين، اختاروا طريق بيع الدين لتبقى لهم دنياهم، ليسوا رجالا

يؤمّل منهم خير.. والله أعلم.!

هل مثلا نتوقع أن محاولة الغرب للتدخل وما شابه ذلك سيؤثر في هؤلاء ويدفعهم إلى أن يكونوا في صف الأمة وفي صف المجاهدين ويحسنوا ويصلحوا ويتوبوا إلى الله؟ الله أعلم، والقلوب بيد الله تعالى وحده..! لكن قد يستبعدُ المرء ذلك بحسب سنة الله تعالى.

وكذا مسألة إعانة الحكومة، هذا شيء غير وارد، ولا يفكر المجاهدون مثل هذا التفكير، هذه دول حقها أن تزال لا أن تُعان..!! هذا غير وارد أيضا.

هذا على فرض أن الحكومة -أصلا- اختارت أن تتصدّى للعدو الخارجي الغازي في حال دخل الغرب قسرا مثلا؛ ولكن ما نتوقعه بقوة أن العدو الصليبي لن يدخل إلا بالتواطئ مع هذه الدولة -الحكومة- الفاسدة، بعد أن يمارسوا عليهم أنواعًا من الترغيب والترهيب، وهؤلاء ليس عندهم من الرجولة والشهامة ولا من الدين ما يحجزهم عن الرضوخ وبذل ما يريده العدوّ..!! فما بقي إلا أن تكون للمجاهدين رايتهم الواضحة الناصعة، هذا لا شك فيه ولا تردد.

أما بعدَ ذلك تكون تابعة للقاعدة، أو قد توجد جماعات وقيادات محليّة مستقلة تنظيميا؛ فهذا كله ممكن، وإن كان الغالب أن الإخوة في القاعدة وغيرهم من المجاهدين يسعون لتكون راية الجهاد موحّدة تحت راية الشيخ أسامة، وهو مطلب شرعيّ الآن، ما لم يمنع مانع في بعض الأحوال الخاصة، وكل ذلك مبناه على النظر للإسلام والمسلمين، والله الموفق.

بالنسبة للسؤال الآخر عن تنظيم حرس الخلافة، فللأسف ليس عندي معلومات عن هذا التنظيم، ولا أعرف عنه شيئا.

❃ ❃ ❃

〚لماذا يريد الشيخ أسامة من أنصاره التوجه إلى «السودان»؛ والكلام عن النظام السوداني〛

❁ الشيخ أسامة طلب من أنصاره التوجه إلى بلاد السودان في الآونة الأخيرة.. الجنوب وقد حلت مشاكله؛ أما دارفور فكلها مسلمون.. والقتال هناك بين القبائل العربية والأفريقية؛ كل طرف يشتكي ظلم الطرف الآخر.. والقبائل الإفريقية المتمردة هناك.. جميع طلباتها اقتصادية ولذلك تلوح بالانفصال ولو الانفصال الفيدرالي مثل الولايات في أمريكا! فعلا لماذا يريد الشيخ أسامة من أنصاره التوجه إلى هناك؟ من نقاتل القوات الحكومية أم القوات الأفريقية؟ وهل حقد القبائل الأفريقية على العرب

سبب كافٍ لبدأ الحرب معهم؟ أم أن الشيخ أسامة يطلب منا التوجه إلى هناك والانتظار حتى ترفع راية توحيد ثم ننضم لها؟ وهل ترى في النظام السوداني الحالي مساند للأنصار أم مخالف له؟

[السائل: unidentified]

الجواب:

ماذا يريد الشيخ أسامة من أنصاره بالدعوة إلى التوجه إلى هناك؟ هذا قد بينته في الإجابة السابقة: الشيخ أسامة يريد منك ومن سائر شباب الإسلام القادرين والذين تتوفر لهم الفرصة المناسبة وليسوا مشغولين بعملٍ أفضل أن يتوجهوا إلى هناك ويكونوا على أهبة الاستعداد لقتال الصليبيين القادمين وإقامة جهاد هناك، يكون أخًا للجهاد في عراق وفي أفغانستان وفي غيرهما.

إنها حلقة في سلسة جهاد أمتنا الميمون المتواصل، حتى النصر الذي لا ريبَ فيه بإذن الله تعالى؛ فليبادِرْ الإخوة إلى هناك، وليستعدّوا لما هو قادم.. والله وليّ المؤمنين.

أما «من نقاتل القوات الحكومية أم القوات الأفريقية؟»؛ فقد اتضح مما سبق أن المقصود بالأصالة هم الصليبيون القادمون؛ وأما الأذناب من القوات الأفريقية أو العربية -إن وجدتْ- أو غيرها كقوات التنظيمات العلمانية الجاهلية في المنطقة، فهم تبعٌ.

«وهل حقد القبائل الأفريقية على العرب سبب كافٍ لبدأ الحرب معهم؟» لا، طبعًا..

ليس هذا هو السبب، وما كانت حروب المجاهدين بهذا الإسفاف الأشبه بالجاهلية، معاذ الله..! إنما هو قتال في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا.. إنه قتال لأعداء الله الغازين ولأذنابهم المرتدين المستندين في وجودهم إليهم.. إنه جهاد متكامل بكل معانيه السامية الرفيعة المحبوبة لله تعالى ولعباده المؤمنين.. ليس قتالا قبليًا ولا عرقيا، إنما هو قتال من أجل الدين.. القبائل منها المؤمن ومنها الكافر.. وفيها الخير وفيها الشر.. سواء العربية منها أو الإفريقية، والمجاهدون أهل دين وشريعة ربانية وعلم وفقه، سيهديهم الله تعالى ويصلح بالهم، وسيعرفون بإذن الله تعالى كيف يتعاملون مع كل الناس على وَفق ميزان الشريعة. وهم يعرفون هدفهم، ويعرفون عدوّهم هناك.. والخطوط العريضة واضحة لهم في مهمتهم.

نعم يحتاجون مع ذلك إلى التوصيات والتكميل بالتفهيم والتوضيح والتبيان لكل صغير وكبير، وهذا موجود ومستمر، ولا يبعُد أن يُصدر الإخوة في «القاعدة» توضيحات كاملة للمجاهدين هناك وفقهم الله.. وعلى أهل العلم والدعاة من المجاهدين وأهل الرأي والخبرة من رجال أمتنا جميعا أن

يقوموا بالواجب من التنوير في ذلك ويتعاونوا ويتكاثفوا، والله مع الجماعة؛ نسأل الله من فضله.

وسؤالكم: «**أم أن الشيخ أسامة يطلب منا التوجه إلى هناك والانتظار حتى ترفع راية توحيد ثم ننضم لها؟**» ولماذا -يا أخي الكريم- لا يكون المقصود أن تذهبوا أنتم وتؤسسوا الراية هناك؟! لو كانت هناك راية قائمة مرْضية؛ فهذا خيرٌ وبركة، فليقاتل الإخوة تحتها.

وإلا فليحمل الإخوة الراية..! المهم هو أن يقوم الجهاد هناك وترتفع رايته، وتوجَد مقاصده.. والمؤمنون إخوة وبعضهم أولياء بعض، وهم يدٌ على مَن سواهم.

وسؤالكم: «**وهل ترى في النظام السوداني الحالي مساندًا للأنصار أم مخالفًا له؟**» لا نراه مساندًا للأنصار ولا للمهاجرين، ولا نتوقع ذلك من النظام السوداني القائم، لكن هذا النظام إما أن يكون مع العدوّ ضدًا على الإخوة المجاهدين أهل التوحيد.. وإما أن يحاول أن يمسك العصا من الوسط، ويختار خيار المنافقين «الإحسان والتوفيق» بزعمهم، كما حكى الله عنهم في القرآن قولهم: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢﴾[النساء]؛ فيركزون على البُعد الوطني والعربي القومي مخلوطا بشيء من الدين والشعارات الدينية والعبارات والألفاظ للتلبيس والتمويه.! وإما أن ينحلّ ويتلاشى هذا النظام ويتبعثر بسبب التفاعلات المتوقعة.

وهذا الاحتمال الأخير لعله أحسن الاحتمالات، فلعلّ الله يحدث في الخرطوم أمرًا، ويكون خيرا للإسلام والمسلمين.. فهذا النظام نظامٌ فاسد خائن لا خير فيه.!!

هؤلاء إذا سلمتْ لهم رياساتهم ومُلكهم فلا يكون على الدين ولا على الأمة، ولكن في أهل السودان وشبابها خيرٌ كثير وبركة إن شاء الله، نسأل الله تعالى أن يفرج كروبهم.

والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❋ ❋ ❋

〚**القول في قضية «دارفور» والجهاد فيها، وأحوال المجاهدين في «الصومال» والنصيحة لهم**〛

❁ (٣) ما هو رأي فضيلتكم في قضية دارفور؛ خاصة بعد دعوة الشيخ أسامة بالاتجاه لدارفور، وهل ستكون هناك صعوبة في الجهاد، خاصة مع وجود الكثير من الأطراف المعادية للإسلام؟ وبم تنصحون المجاهدين هناك إن حدثت حرب؟ وهل تعتقدون أن سبب دخول القوات الدولية هو للحصول على البترول أم أن هناك مصالح أخرى؟.

(٤) ما هو رأي فضيلتكم في الجهاد بالصومال؟ ورأيكم في المحاكم الإسلامية، خاصة بعد أن سيطرت سيطرة شبه كاملة على العاصمة؟ وهل تعتقدون أن المحاكم قادرة على بسط سيطرتها على الصومال بإذن الله؟ وماذا سيكون موقف أمريكا خاصة أن الصومال يمكن أن يهدد اقتصاد أمريكا؛ لأن ناقلات البترول يمكن استهدافها وعدم السماح لها بالعبور؟ وهل يمكن لأمريكا أن تضرب الصومال إذا وجدت عدم قدرة تحالف مكافحة الإرهاب على محاربة المحاكم؟

[**السائل:** عكرمة المدني]

الجواب:

جواب الفقرة ٣: دارفور في نظري هي ضحية أخرى من ضحايا التآمر الصليبي الصهيوني..

الذي يظهر -والله أعلم بحقيقة الحال- أن اليهود لهم دورٌ في خلق هذه القضية السياسية لأغراض وقائية بالنسبة لدولتهم اللقيطة؛ فنحن نعلم أن لهم تركيزًا على هذا القرن الأفريقي منذ زمن بعيد، عبر الحبشية (أثيوبيا) ثم أريتريا التي ساهموا بشكل قوي في فصلها عن أثيوبيا لتكون لهم وليّا وصفيا مخلصًا، وبقي لهم الصومال فحاولوا وسعوا؛ فكبتهم الله مؤخرًا، ثم السودان فانصبّ مكرهم على الجنوب أولا حتى نجحوا إلى حدٍّ ما في أن يضعوه على طريق الانفصال، ثم الشمال.. فكأنهم حاولوا شيئا من جهة النوبة، وكأن الثقل المصري لم يساعدهم، أو غير ذلك؛ فكانت دارفور هي فرصة أخرى لهم، فهم عاملون مؤثرون في إحداث المشاكل القبلية وتغذيتها، ثم هم يؤججونها ويستغلونها.

وفي كل ذلك يقف معهم حلفاؤهم الصليبيون المتصهينون ومن قاربهم، من الأمريكان أولا ثم بعض الأوروبيين، خيّبهم الله جميعا.. قرأنا في الإعلام تقارير كثيرة عن دور للألمان في الإقليم ومشاكله، وهو شيء لافت..!

ولا يبعد تفسيره -مع التفسيرات الاقتصادية- بالدور الخفيّ لليهود، خصوصا أن الألمان قومٌ مهزومون وُضَعاء، مستذلون لليهود في هذه الحقبة، قاتلهم الله جميعا.

ونسأل الله تعالى أن يمكن المجاهدين من نكاية كبيرة عظيمة في الألمان يا رب العالمين.. فهذا شيء أتمناه أنا شخصيا وأدعو الله به، ومن يدري لعل الله خبّأ لهم حظهم في دارفور..!

نحن المسلمون لا بد أن نحوّل دارفور إلى قضية إسلامية أخرى.. إنها أرض الإسلام، وأرض القرآن.. ونحن فيها أهل الحق، أهل الدين وأهل الأرض وقضيتنا عادلة مائة بالمائة، والحمد لله.

وأما **السبب وراء حرص الصليبيين على الدخول إلى دارفور** وإدخال قوات دولية (صليبية) فهو في

نظري مركب من مجموع شيئين:

- السبب السياسي.
- والسبب الاقتصادي.

ويمكن جعلهما في الحقيقة شيئا واحدًا، ولا مشاحّة؛ فالاقتصاد هو عصب السياسة ولبّها، الآن وفي القديم، أعني سياسة الأمم الكافرة.. بل ويمكن إضافة السبب والدافع الديني إليها أيضا، على أساس أن السياسة الأمريكية الآن، ومن قبلها السياسة اليهودية هي مبنية في جانب لا بأس به منها على معتقداتهم الدينية الضالة المحرّفة..! فالسبب السياسي هو تأمين إسرائيل إقليميا، وخلق بُعد استراتيجي لها، من خلال إيجاد قوى موالية وحليفة، كما قلنا إنهم فعلوا مع أريتريا.. بالإضافة إلى خوفهم من أي حكومة إسلامية ممكن أن تتكون في السودان، فرغم ما تبذله حكومة «عمر البشير» الحالية من الولاء لهم والرضوخ، لكن كل ذلك ليس كافيا بالنسبة لهم، وهم يخشون أي تغيّر أو رجوع من هذه الحكومة ورجالاتها إلى بقية من الدين والثوابت، ثم الشيء الآخر أنهم يخشون من حصول تغيير في السودان لصالح الإسلام والمسلمين..

وبالجملة؛ فالسودان بالنسبة لهم همّ دائم، ولهذا جدّوا واجتهدوا في محاصرته وإضعافه وتقطيع أوصاله من الجنوب ثم من الشمال، على قاعدة «فرّق تسد»، وعلى قاعدة إشغال العدو المحتمل بنفسه وبمشاكله الداخلية، والسعي لمنع وجود أي قوة إسلامية محتملة في المنطقة.

والأمر كذلك أيضا بالنسبة لهم فيما يتعلق بالصومال، وغيرها.

والسبب الاقتصادي واضح في ما تتحدث عنه التقارير من مخزون نفطي في المنطقة، بالإضافة إلى غنائها بالمعادن، ويقال إن منها «اليورانيم، وبكثرة أيضا..! فهذا لا شك أنه دافع قوي ومهم بالنسبة لهم؛ بل هو أهم الدوافع.. والله أعلم.

وأما «هل ستكون هناك صعوبة في الجهاد خاصة مع وجود الكثير من الأطراف المعادية للإسلام؟» لا شك أن الوضع فيه صعوبة، وليس الطريق مفروشا بالورود.

الصعوبة تكمن في أشياء متعددة: طبيعة الأرض والمنطقة الجعرافية وجوها وطقسها، وتعقد العلاقات الاجتماعية هناك والنزاعات السياسية والقبلية والعرقية، والجهل والفقر المقترنان أسوأ اقتران للأسف، والله المستعان.. نسأل الله أن يعين المسلمين ويقوّيهم.

لكن أيضا للإقليم ميزاته، من جهة انفتاح المنطقة وحدودها على عدة بلدان، وضعف هذه البلدان جميعها تقريبا، ومن جهة أنها ستكون قريبة من منطقتين جهاديتين: الصومال والصحراء (جنوب

الجزائر)؛ وبالجملة.. الصعوبة موجودة بلا شك.

ولكن ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾[الطلاق]، ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[الأنفال].

الجهاد مبناه على المخاطرة وهو كره، كما قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾[البقرة: ٢١٦] الآية؛ وعماده التوكل على الله تعالى وحده..

وأما ما ننصح به المجاهدين في حال دخلوا هناك بإذن الله وبدأت المعركة، فأقول:

- **أولا**: التوكل على الله تعالى وحسن الظن به والثقة في وعده ﷻ والاعتماد عليه سبحانه، والإخلاص له ﷻ.

- **ثم** استعمال التقوى، والإكثار من العمل الصالح، وليعلموا أنهم مجاهدون في سبيل الله تعالى، اللهُ ابتعثهم ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان الجاهلية وظلماتها إلى عدل الإسلام ونوره، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وأنهم أصحاب رسالة ربانية عظيمة، دعاة إلى الله ﷻ دالّون على طريقه..

- يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفّروا، كما كان رسولنا ﷺ يوصي أمراءه ومبعوثيه وسراياه دائما.. فليتدبّروا ذلك، وليعلموا أن لهذه الكلمات معانيَ كبيرة واضحة، وليست عبثا ولا سدىً..! ولا سيما وأنتم قادمون على قوم يكثر فيهم الجهل جدًا مع الفقر والمسكنة وضعف الحال؛ فاستعملوا التيسير على الناس والرفق بهم جدًا والإعذار لهم وأخذ العفو منهم؛ كما قال الله تعالى لنبيّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف]، فلا تشددوا على الناس في الالتزام بالأحكام الشرعية والسنن وفي ترك العوائد التي تعوّدوها والمواضعات التي شب عليها الصغير وشاب عليها الكبير، بل خذوهم باليسر والرفق والهوينى وبالتدريج، واصبروا عليهم وعلى ما فيهم من ضعف، وحدّثوهم بما يعرفون، أي بالشيء الذي يمكنهم استيعابه وفهمه وقبوله بسهولة ولا يحدث لهم فتنة، ولا تنكره قلوبهم إنكارًا يؤدي إلى الفتنة، والله الموفق.

- واستعينوا على الناس بمفاتيح القوم، الرجال المحترمين عندهم من قومهم؛ فاهتموا بأشراف الناس وساداتهم واحتووهم بالكلمة الطيبة والمشاورة والإكرام المعنوي، وابتعدوا قدر الإمكان عن الإكرام الماديّ واحتواء الناس بالمال، فإن هذا وإن كان مشروعا وقد يناسب في بعض الأحيان، لكن

ليس هو المطلوب بكثرة، ولا سيما في مثل حال الناس هناك حيث الفقر وغيره، فلا تعوّدوا الناس الرغبة في أموالكم والطمع في ما في أيديكم، ولكن ليكن الأصل دائما هو سياسة الكلمة الطيبة، وتعهّد الناس بالاهتمام والمشاورة وتطييب الخواطر وهكذا، ولا بأس بالوعدِ بالخير في حدود معقولة، من المساعدة في أمور الدنيا والمعيشة وغيرها، في حال فتح الله عليكم، فهذا حق وجيد، وهو في المقدور متى ما فتح الله.

- وأعينوهم على الخير وعلى تجاوز الصعوبات الدنيوية ما أمكن.

- وكونوا للمسلمين خدامًا وإخوانا ورفقاء مشفقين، لا جبّارين ولا مستكبرين.. رعاكم الله، وإياكم والظلم في أي صورة من صوره، وكونوا عبادَ الله حقًا.

- وستجدون أمامكم أشياء أكثركم لا يعرفها، من الاعتبارات القبلية والتعصّبات المقيتة، فاعملوا دائما على محو هذه الاعتبارات منهم بنور التوحيد وربط الناس بربّهم ﷻ، وبمعاني الأخوّة الدينية وبموازين الإسلام ومعاييره السامية: المحبة في الله ولأجل الله، والأخوة في الإسلام، والتفاضل بين الناس على أساس التقوى والعمل الصالح، وهكذا..

ركّزوا على تعليم الناس التوحيد الصافي وشرح مسائله لهم وتلقينهم إياه شيئا فشيئا، فإن هذه الجاهلية العصبية المقيتة لا يقضي عليها شيء إلا نور التوحيد والإيمان.!!

- ولا بد أن تعرفوا أنها عند الناس أشياء لها قيمة (أعني هذه الاعتبارات والقيم القبلية)؛ فهي عندكم لا تساوي شيئا، موضوعة تحت أقدامكم، لكن هي عند الناس شيء معظّم جدًا لا يتجاوزونه، فانتبهوا لمراعاة ذلك، وخاصة في بداية تعرّف الناس عليكم ودخول أنوار العلم والتوحيد عليهم، حتى تزول تلك العبيّة الجاهلية ويمنّ الله تعالى بالفتح في القلوب وانقشاع ظلمات الجاهلية وظلمها.. ومع كل ذلك يبقى لتلك الاعتبارات والقيم القبلية دائما مكانٌ واعتبارٌ ما، فلتراعوا ذلك ولتعرفوا قدره.

- **وفي جانب العمل الميداني**.. على الإخوة أن يعرفوا المنطقة جيدا؛ أول ما يصل الإنسان هناك عليه أن يتعرف على المنطقة ويتعلم كل شيء عنها من إخوانه الذي سبقوه واستقبلوه، ويتعرف على قبائلها وعاداتها وانتماءاتهم وكل شيء عنهم إن أمكن، فهذا مهم، وحتى قبل أن ينطلق الإنسان من بيته إلى الجهاد هناك ليحاول أن يعرف كل ما أمكنه عن المنطقة، بالقراءة والسؤال وغيرها.

- **والصبر**؛ فإنه لا نجاح ولا فلاح ولا فوز ولا نصر إلا بالصبر..! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران].

والله المسؤول أن يوفق إخواننا ويعينهم ويمدّهم بمددٍ من عنده إنه هو السميع العليم البر الرؤوف الرحيم.

جواب الفقرة ٤: «ما هو رأي فضيلتكم في الجهاد بالصومال ورأيكم في المحاكم الإسلامية.. خاصة بعد أن سيطرت سيطرة شبه كاملة على العاصمة، وهل تعتقدون أن المحاكم قادرة على بسط سيطرتها على الصومال بإذن الله؟ وماذا سيكون موقف أمريكا، خاصة أن الصومال يمكن أن يهدد اقتصاد أمريكا لأن ناقلات البترول يمكن استهدافها وعدم السماح لها بالعبور؟ وهل يمكن لأمريكا أن تضرب الصومال إذا وجدت عدم قدرة تحالف مكافحة الإرهاب على محاربة المحاكم؟».

الحمد لله.. الآن بفضل الله سيطرت المحاكم على العاصمة مقديشو سيطرة كاملة، ثم سيطرت على مدينة جوهر التي كانت معقلا لأمراء الحرب زعماء التحالف الشيطاني الأمريكاني اليهودي، فأذلهم الله وهربوا، بعضهم إلى أثيوبيا وبعضهم إلى سفن الصليبيين في البحر، فالحمد لله رب العالمين، على أن أذل أعداءه شر إذلال وفضحهم وأخزاهم وشفى صدور المؤمنين منهم.. ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[المائدة]، ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾[الزمر].

وهذا في حد ذاته شيء مفرح ومدعاة للسرور وانشراح الصدر بالنسبة لكل مسلم.. وإن كنا لا نعرف «المحاكم الإسلامية» جيدا، ومعلوماتنا السابقة عنهم قليلة، لكن هم على كل حال قومٌ أهل دين، قاموا بالدين ومن أجل الدين وتحكيم الشريعة.. ففيهم شبه كبير من هذا الوجه بطالبان.. نسأل الله أن يسددهم وأن يثبّتهم على الحق، ويرزقهم اليقين والهدى والصلاح.. آمين.

وليس عندي في الحقيقة معلومات خاصة عن «المحاكم الإسلامية»، سوى المعلومات العامة من وسائل الإعلام ومما ينشره الإخوة في «المنتديات» جزاهم الله خيرا؛ لكنني أحب أن أقول للإخوة ألا يستعجلوا في الحكم على أي أحد، وأن يُرَجّوا الخير مما ظهر لنا من أخبارهم الطيبة.

ونحن مررنا بتجربة «طالبان» من قبل، وتعرفون عندما ظهرت طالبان كيف كنا وكان الناس جميعا يستريبون فيها ولا يعرفونها، وأيضا طالبان كان عندهم أشياء لم تكن تطمئن وكنا نخاف منها، مثل محاولتهم اكتساب عضوية الأمم المتحدة، واعتراف بعض الدول بهم، وسعيهم لعمل علاقات رسمية مع دول مرتدة في غاية الوضوح كدولة القذافي، وحضورهم بعض المؤتمرات، وأشياء أخرى.!

كان الشيء الذي يطمئن الإخوة دائما أن هؤلاء الناس (طالبان) عندهم دين وتقوى، وأنهم متى ما عرفوا حكم الله تعالى وشرعه تمسكوا به ولم يبالوا بأحد، ولو وقفت ضدهم الدنيا، ولو قتلوا في

سبيله.. والحمد لله، لما جاء الامتحان ووضعوا على المحك، نجح الطالبان، وثبتوا واختاروا الخيار الصحيح؛ اختاروا اللهَ تعالى ومحابّه ﷻ وما عنده..!

وهذا بخلاف غيرهم ممن كان له بداية إسلامية ودعاوى، ثم عند الامتحان سقط..!! فالأساس هو دين الإنسان وتقواه؛ قد يكون الإنسان ناقصا في جهة العلم والمعرفة والسياسة ونحوها.. لكن إذا كان صالحًا تقيًّا محققًا العبوديَّة لربهِ ﷻ؛ فلا تخف عليه ولا تخف منه، في الغالب إن شاء الله، وهم بكل تأكيد عندهم وضع صعب وظروف شاقة للغاية، وهم يعرفون خطورة وضعهم وما يواجههم من صعوبات وما يُحدِق بهم من أخطار..!

يعرفون أن الجميع سوف يتكالب عليهم ويرميهم عن قوس واحدةٍ.. من الأعداء الداخليين العملاء والزنادقة وأشباههم، ومن الأعداء الخارجيين: أثيوبيا وأزلامها في المنطقة؛ كالجمهوريات الصومالية في الشمال والشمال الشرقي، وغيرهم، وحتى كينيا، ومن وراء هؤلاء جميعا: أمريكا بخيلها ورَجْلها.!!

وهم ضعفاء مقلّون من المال والسلاح والقوة، ومشاكلهم الداخلية لا تحصى من الفقر والمجاعات والجهل والتناحر القبلي وغيره؛ فلا بد لهم من المسايسة والمداراة والتورية، حتى يدفعوا عن أنفسهم بعض الشر، وقد يترخّصون في بعض الأشياء، وقد تقع منهم هنا أخطاء واجتهادات لا تُرْضى، لكن كما قلنا دائما: النظر هو لأصالة الدين وقوة التوحيد والتقوى عندهم وصحة العزيمة والاختيار، والله الموفق.

نسأل الله أن يجعل إخواننا في «المحاكم» خيرا مما نظن، وأن يرزقهم الهدى والسداد.. آمين.

بالنسبة لمسألة بسط سيطرتهم على الصومال.. فالصومال كبيرة، وشمالها كما هو معروف بيد أناس «جمهورية أرض الصومال» وغيرهم، لكن الجنوب أتصور أن المحاكم بإمكانهم أن يسيطروا عليه إن شاء الله.

أهم شيء نوصي به إخواننا في الصومال أن يعرفوا أنهم قادمون على امتحان كبير، وأنهم يجب أن يختاروا الاختيار الصحيح.. لا بد أن يعرفوا أن الغرب الصليبي لن يتركهم، ولن يرضى بقيام حكم الإسلام هناك أبدًا، وأثيوبيا النصرانية الحاقدة كذلك، لن ترضى بهم أبدًا..! سيسعى الغرب بقيادة أمريكا لعرقلتهم ومحاربتهم بشتى الطرق والوسائل، ولن يرضوا منهم إلا الخضوع لإرادتهم وإلا أن يدخلوا في دين الشرعية الدولية النصرانية؛ فلا يتعبوا أنفسهم بكثرة المناورات.. نعم، لا بأس من كسب الوقت وتحييد ما أمكن من الأعداء حتى حين، وهكذا.



لكن مثلا: جلوسهم مع الحكومة المؤقتة في الخرطوم بضيافة البشير ورعاية الجامعة العربية، ومن خلف الستار أمريكا، يجب أن يكونوا مدركين أنه لا يُرجى منه خير، وأن هؤلاء: البشير وعمرو موسى وغيره وجميع أشباههم لا خيرَ فيهم ألبته..! إذا كانوا عارفين متيقّظين فلا بأس ببعض المناورة إن شاء الله، لكن إياهم ثم إياهم أن يحسنوا الظن بهؤلاء الخونة ومن وراءهم من الكفرة.!! والذي أراه لهم الآن أن يفكروا جديا في الزحف على بيدوا حيث مقر الحكومة المؤقتة صنيعة الصليبيين، فقد يكون من المناسب المبادرة بذلك الآن.

في رأيي أن القضاء على هذه الحكومة في وقت مبكر أفضل من تركها حتى تكبر عليهم.. هذا طبعا إذا كان وضعهم يسمح بذلك والظروف تساعد، وإذا كان صفّهم الداخلي متحدًا ومتراصّا فليستغلوا هذه الفرصة، وإذا كانت الناس قابلة لهم متشوّقة إليهم، فإن هذا الإقبال شيء قد لا يدوم مع المكر الكُبَّار للأعداء والتخويف والتهديد والإطماع وغيره.

هذا الرأي، وهم يقدرون واقعهم أفضل من أي شخص آخر، ونحن إنما نتكلم من بعيد، مع أن هناك رأيًا آخر هو أن يتوقفوا قليلا الآن ويلتفتوا إلى أنفسهم وترتيب وضعهم الداخلي والعناية بشعبهم وبنائهم الاجتماعي، ويناوروا سياسيا، ويستمروا في الاستعداد عسكريًا وغيره.. حتى يكونوا أقوى ويجدوا الفرصة الأنسب، لكن الرأي الأول هو ما أراه.. وإن أي تراخٍ لن يكون في صالحهم.. والله أعلم وأحكم.

وليستعينوا بالله تعالى، ولتكن الشورى رائدتهم، والتوكل على الله والثقة به والاعتماد عليه هجّيراهم، والله يتولاهم، وبكل حال لا بد أن يعرفوا أنهم قادمون على حروب، ومسؤوليات كبيرة، فإما أن يكونوا أهلا لها ويأخذوها بحقها، وإلا فلن تجدي الترقيعات والتوفيقات.!

الغرب لن يتركهم.. وأثيوبيا يمكن أن تتدخل في الصومال وتتسلط عليهم في أي وقت، فهي ورقة بيد أمريكا والغرب الصليبي واليهود من جهة، ثم هي لها استراتيجيتها الراسخة من جهة أخرى، هذه الاستراتيجية قائمة على أساس الدين والقيم والثقافة النصرانية، والقومية الحبشية والأحلام التوسعيّة.. لن ترضى ولن تسكت أثيوبيا أبدًا عن وجود قوة إسلامية وعربية قريبة منها، في الصومال بالذات..! هذا شيء معروف، ما فيه جدال.. وعلى كل حال، لا ينبغي لإخواننا أن يخشوا أثيوبيا.. فهي أذل وأحقر من ذلك..!

فليسلطوا عليها المجاهدين فقط، ويعيدوا أمجاد «أوجادين»، وسيرون نصر الله تعالى، إن خياركم الوحيد الصحيح أيها الإخوة في المحاكم هو إخوانكم المجاهدون وأمتكم ودينكم الحق..! لا غير..

إن الطريق الصحيح لتفوزوا وتفلحوا وتعزوا وتكرُمُوا هو طريق «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ ورعاه، الذي اختار الله وما عنده، عليكم بإخوانكم المجاهدين، والُوهم وتمسّكوا بهم، وافتحوا لهم الأبواب، واستعينوا بالله تعالى وسترون ما يسركم، الحرب عليكم من قِبَل أمريكا وأثيوبيا وأوليائهم من كل كافر وساقط، قادمةٌ لا محالة.. فلا تظنوا غيرَهُ..!!

فأنتم بين خيارين:

إما أن تكونوا أبطالا ورجالا، وتكونوا كطالبان وخيرًا منهم حتى، وتتمسّكوا بدينكم وشريعة ربكم وبالتوحيد والولاء والبراء.. فحينئذٍ سيضربكم الأعداء عن قوسٍ واحدة، وستلقون حربًا عظيمةً، فلتثبتوا ولتصبروا، فإما النصر المبين وعز الدنيا، وإما الشهادة والفوز بالآخرة وهي والله الفوز المبين.. وفي كلا الحالين تنالون شرفًا تاريخيا، وتكونوا للناس أئمة، ويرفع الله ذكركم ويُعلي في الآخِرين اسمكم. والله أكبر.

وإما أن تختاروا سبيل المداهنة والتوسّط -زعموا- والإحسان والتوفيق، وتهِنوا وتستكينوا وتضعُفوا وتقولوا: لا نستطيع ولا قِبَل لنا بأمريكا وأوليائها وكذا وكذا، وتحاولوا الحفاظ على بعض المكاسب التي أنجزتموها بظنّكم.. فتبدؤوا في سلسلة تنازلات وتوفيقات، ويتزعزع الولاء والبراء، ويضعف التوحيد.. الخ.. لا قدّر الله ذلك علينا ولا عليكم، وعافانا الله وإياكم.. آمين؛ ففي هذه الحالة هل تظنون أنكم سترضون أعداءكم أو تأمنون شرهم، وأنكم يمكن أن تحققوا شيئا؟ لا والله..! بل سيزداد الأعداء عليكم تكالبًا وتعززًا، ووالله لن يرحموكم، ولن يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة كما قال ربنا ﷻ: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾[التوبة] الآيات، وسوف يسومونكم سوء العذاب، ويسفّونكم المَلَّ من الذل والهوان..! وسوف تخسرون في النهاية؛ تخسرون دينكم، ودولتكم، وشعبكم، وإخوانكم، والمسلمين جميعا.!! وستكونوا في التاريخ مجرد نقطة سوداء محزنة مؤسفة..! وتنضمون إلى قائمة الفرص الضائعة في تاريخ أمتنا، ولن يبكي عليكم أحدٌ كبيرَ بكاء..

ولن تجدوا إلا الشيطان يقول لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢]؛ لا قدّر الله ذلك.! فهذان الخياران أمامكم يا إخواننا الأحباب واضحين.

فاستعينوا بالله تعالى واختاروا الخيار الصحيح الذي عليه أنوار الهداية وبراهين الحق، استعينوا بالله وتوكلوا عليه، واصبروا وصابروا ورابطوا، واثبتوا، واعلموا أن الإنسان ضعيف بنفسه مهما قوي

فهو لا شيء، إلا أن يكون الله ﷻ معه، فحينها لن يغلبه أحد.. ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾[آل عمران]، والله الموفق، لا إله غيره ولا رب سواه.

وأمريكا من الصعب عليها الدخول في حرب هناك على غرار دخولها إلى العراق وأفغانستان، هذا مستبعد الآن، لكن فكرتهم الآن هي القوات الأممية، وعندهم ورقة أثيوبيا، وربما غيرها.. وأما الضربات الجزئية المحدودة بالطيران والصواريخ فهذا ممكن طبعا، في أي وقت، فليتنبّه له إخواننا.

إن وجود سلطة إسلامية مستقلة في تلك المنطقة هو خطر كبير بالنسبة للمصالح الأمريكية لا شك فيه، ومسألة المضيق (مضيق باب المندب) وتأمين الحركة فيه من خلال تأمين المنطقة حوله هذه مسألة حيوية للأمريكان ولليهود، وهي مسألة سياسية اقتصادية معًا؛ فالأمر جد ليس بالهزل.!! والله ناصر أولياءه ومعلٍ كلمته ومظهر دينه ولو كره الكافرون، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾[المنافقون]..

وهنا أحب أن أستغلّ الفرصة لأحذر إخواننا المجاهدين وقياداتهم أن ينتبهوا جيدا على أنفسهم وليأخذوا بما يمكنهم من أسباب الاختفاء عن أنظار الأمريكان والتوقي من استخباراتهم، والاحتياط الكامل، بعد التوكل على الله تعالى وحده، خاصة القيادات المعروفة والمطلوبة أمريكيا وممن لهم تاريخ، كالشيخ «حسن ظاهر»[1] وبعض إخوانه الآخرين، وغيرهم.

واليوم وأنا أكتب هذا الجواب سمعتُ أن المحاكم اختارت الشيخ حسن رئيسا لمجلس الشورى (وسائل الإعلام تسمّيه البرلمان، على غرار ما يعرفون في دينهم وثقافتهم)؛ فأنصحهم بالاحتياط من ضربات الأمريكان، والأمريكان موجودون غير بعيد منكم بأسطولهم في البحر، وتقنياتهم عالية في قنص من يتوفر عندهم معلومات عنه من الجوّ، خيّبهم الله، وأيضا هم يمكن أن يحاولوا اغتيال القيادات على الأرض، فما أسهل التجنيد عليهم ولا سيما في مثل ظروف الصومال، فاحذروا الاغتيالات وانتبهوا..

واستعينوا بالله تعالى وخذوا حذركم كما أمر الله ﷻ.. والله يتولاكم ويحفظكم ويرعاكم.

❁ ❁ ❁

(١) لعل الشيخ يقصد «حسن طاهر أويس» بالمهملة، ويسميه بعضهم: «حسن ضاهر» بالضاد، والله أعلم بالصواب.

〚القول في الجهاد في «دارفور» وبعض مسائله وفوائده، والجهاد «الصومالي»〛

❁ (٧) هل تعتقد أن ساحة دارفور هي ساحة شبيهة لساحات الجهاد الأخرى؟ أم أن هذه المنطقة تختلف كليا عن باقي مناطق عالمنا الإسلامي وتحتاج إلى نوع جديد وقدرات ضخمة جدا..

(١١) هل تعتقد بأن الجهاد في السودان من الأفضل أن يقوم على الغنم والفيء؛ لأن قدرات المسلمين العادية قد لا تسمح بتطويل الصراع مع النظام الأمريكي في هذه المنطقة، خصوصا مع الحاجة لسيارات مجهزة تجهيزا خاصا لمثل هذه المناطق الوعرة والصحراوية وإمكانيات قد لا تكون مهمة في غيرها من المناطق؟.

(١٢) ما هي نظرة الشيخ لما يجري في الصومال الآن؟ وهل من الممكن قيام الإمارة الإسلامية في شرق إفريقيا؟.

(١٣) كيف ترى شيخنا فوائد قيام الجهاد في منطقة دارفور وما هو أثرها على المسلمين في مصر وليبيا والجزائر.

[**السائل:** أسد السنة]

الجواب:

جواب الفقرة ٧: لا شكّ أن كل ساحة لها خصائصها وظروفها، الساحات تختلف، والمجاهدون بحمد الله واعون وعارفون بهذا الأمر، ونسأل الله أن يسهل أمرهم ويرشدهم، ولا بد عليهم أن يتكيفوا مع واقع هذه الساحة.

كما قلنا هذه ساحة صحراء، نزاعات قبلية معقدة، البشرة السوداء، اللغات واللهجات، فقر وجهل، الحرارة العالية والطقس الغريب عن معظم ما عرفه سائر الإخوة المجاهدين في العالم الإسلامي، أمطار موسمية صيفية، ووحل وطين وتعطل كامل للطرق والمواصلات.. وأشياء عجيبة.! أشار الشيخ أسامة حَفِظَهُ اللهُ إلى شيء من ذلك في خطابه[1].

---

(١) انظر: خطاب الشيخ أسامة بن لادن ﷺ بعنوان: «قاتلوا أئمة الكفر لعلهم ينتهون» الصادر بتاريخ: ربيع الأول ١٤٢٧ - أبريل ٢٠٠٦م، قال فيه: «وإني أحث المجاهدين أن يتعرفوا على أرض وقبائل ولاية دارفور وما حولها، وقد قيل: «قتل أرضًا عالمها وقتلت أرضٌ جاهلها»، مع العلم أن المنطقة مقبلة على موسم تكثر فيه الأمطار غالبًا مما يعيق الحركة ويقطع الطرق الترابية، وهذا من الأسباب الرئيسة التي أخرت الاحتلال إلى ما بعد ستة أشهر قادمة، فينبغي السرعة والاستفادة من عامل الوقت بأقصى ما يمكن».
نقلا عن: مجموع الشيخ أسامة بن لادن، نخبة الإعلام الجهادي (ص ٥٩٥).

لا أدري ما هو النوع الجديد الذي تحتاجه هذه الساحة مما تشير إليه أخي، ولكن لا شكَّ أن الجهاد يحتاج إلى قدرات كبيرة، ولا سيما في ساحة مثل هذه، فأنت مثلا تحتاج إلى أسطول جيد من السيارات وغيرها.. ولكن الله تعالى يبارك في القليل الطيب.

وكما قلنا، نحن على ثقة أن المجاهدين سيتكيفون مع الوضع والظرف الخاص للساحة، ولا بد أن نعرف أن أي ساحة؛ فإن مفاتيحها دائما هم الرجال من أهلها، هذا في أية ساحة، فكيف بمثل ساحة دارفور على ما فيها من خصوصية وظروف خاصة جدا؛ هذا شيء أكيد ومحتّم..

والإخوة المجاهدون هم خبراء بهذا، نسأل الله أن يتولاهم بتوفيقه وإمداده ﷻ.

جواب الفقرة ١١: نعم، أعتقد أن الجهاد هناك لا بد أن يعتمد على تمويل نفسه من خلال الغنيمة، هذا واضح؛ والله ﷻ يفتح ويرزق، والقانون هو: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾[المائدة]، والأمة أيضا فيها الخير، فلن يعدَم المجاهدون عونًا وإمدادا من أمتهم بإذن الله.

جواب الفقرة ١٢: تقدم شيء من الكلام عن الصومال، ولا شكّ أن قيام إمارة إسلامية هناك ممكن، وما المانع؟ لو وُجِد لها رجال يتوكلون على الله ويعرفون دورهم والمطلوب منهم، ويتحملون المسؤولية الكبيرة وينهضون بها.. ونأمل خيرا في إخواننا في «المحاكم» ومن معهم من المجاهدين، وعلى كل حال فنحن مستبشرون؛ قامت إمارة أو لم تقم..

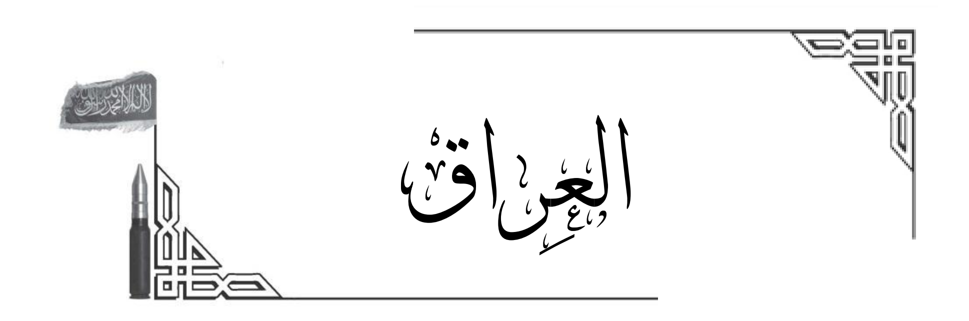
المهم أننا نسير على الخط الصحيح، وأن الجهاد مستمر وفي استداد واشتداد، والعدوّ في تراجع وتتكاثر عليه النبال من أهل التوحيد، والحمد لله؛ زمن الإمارات والحكومات ربما لا يزال لم يطل علينا بالمعنى الكامل.. لكن نحن في الاتجاه الصحيح؛ هذا هو المهم.. والله أعلم.

جواب الفقرة ١٣: كما قلنا فإن الجهاد في دارفور وفي الصومال مع الجهاد في الجزائر وفي الصحراء هو خط واحد، ونتوقع ونأمل أن يكون مفتاح خير للمنطقة، وهو كما ذكرنا حلقة من حلقات سلسلة جهاد أمتنا مع العدو الصليبيّ وأذنابه، وكل مكان يمكن أن تتوفر فيه فرصة مناسبة لضرب هذا العدو أخزاه الله فلا بد للمجاهدين من استغلالها والمبادرة إليها، لا بد أن يشعلوها عليه نارًا محرقة بإذن الله تعالى وعونه، ونسأل الله أن يبارك ويفتح على المجاهدين في كل مكان.

وأثر الجهاد في هذه الساحة (دارفور) على شباب أمتنا في مصر وليبيا وغيرها، أثرٌ مرجوٌّ بلا شك، وعلى وجه الخصوص ليبيا أتوقع أن يكون التأثير عليها إيجابيا جدًّا، ولعل الله أراد بها خيرا ليتيح لشبابها فرصة قريبة مجاورة لها للجهاد، ونأمل الخير من أبطال ليبيا وأحفاد المختار أن يتحرّكوا ويبذلوا،

ما زلنا نؤمل فيهم دائما ولم نفقد الأمل، نسأل الله أن يبارك فيهم وأن يبرم لهم أمرَ رشد.. آمين، والله الموفق.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله سلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.



الجهاد في قلب العالم الإسلامي..
أمجاد الإسلام..
وأرض الخلافة والحضارة..

[الكلام على تحالف عدد من الجماعات الجهادية بالعراق في «مجلس شورى المجاهدين»]

❁ أولا: لعلكم اطلعتم على نواة الاتحاد التي أطلقها الإخوة في بلاد الرافدين وتكوين مجلس شورى المجاهدين؛ ما هو رأي فضيلتكم في هذه الخطوة؟ وبأي شيء تُفَسر تباطأً بعض الفصائل الرئيسية والتي هي على نفس المنهج عن بسط يدها لتلك المبادرة؟ وهل من نصيحة تقدمها في هذا المقام لإخواننا في بقية الفصائل رفع الله قدركم؟.

[السائل: صقر الكتائب**]**

الجواب:

الحمد لله رب العالمين.. خطوة إنشاء مجلس شورى المجاهدين؛ نراها خطوة طيبة، ونرجو أن تكون مباركة، والبركة يا أخي العزيز حيث يبارك الله تعالى، لا بكثرة شطارة ولا بكثرة كلام، ولكن لها أسباب بلا شك، ومجملها: العمل الصالح، ولا سيما الصدق والإخلاص، وسلامة الصدور، وتحقيق المحبة لله تعالى والذلة للمؤمنين مع العزة على الكافرين كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ

فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[المائدة]، وكما قال ﷻ: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[الفتح].

وقال سيدنا خبيب بن عدي رضي الله عنه:

وذلــــك في ذات الإلهِ وإن يشــــأ يبــاركْ عــلى أوصــال شــلوٍ ممــزَّعِ[(١)]

فنحن سمعنا بهذه الخطوة وفرحنا بها.. ونعرف بعض أطرافها، ونعرف دينهم وصدقهم نحسبهم كذلك.. ونثق فيهم ونرجو فيهم الخير.. والبقية وإن لم نعرفهم فهم عندنا مستورون، ونرجو أن يكونوا جميعا من خيار الناس، كيف وهم أهل الجهاد والفداء والتضحية والبلاء.

وما تكون من ملاحظات فلا يخلو إنسان من ذلك، ويغلّبُ الغالبُ، ونحن الآن محتاجون إلى القتال والرجال أهل الحرب والفداء والبذل، وإن كان فيهم أحيانا بعض النقص.

كنا نتمنّى أن تكون هذه النواة شاملة لإخواننا جماعة «أنصار السنة»، كما يتمنّى ذلك كل مسلم متابع.. لكن هذا لم يتمّ.! لأن هناك بعض الخلافات العائقة بين الإخوة.. هذه الخلافات قد لا تكون كبيرة ولا هي من النوع المعقد جدا، لأن أهم شيء وهو المنهج العلمي والعقدي والفقهي واحد أو متقارب جدا.. لكن طبيعة الظروف الصعبة قد تكبّرها وتجعلها صعبة الحل.. يحتاج الناس إلى جلوس بعضهم مع بعض، والتفاهم والتحاور والاتفاق على ما يجب.. نرجو أن يحصل هذا ويتمّ.. والظرف الآن محتم لذلك أكثر من أي وقت مضى.. وعلى أهل الخير السعيُ في ذلك وبذل كل الممكن.

النصيحة طبعا هي: أولا الاهتمام بهذه المسألة من الطرفين الكبيرين، وجعلها من أولوياتهم، وإعطاؤها القدر اللائق الكبير من الجهد والسعي، ثم التحاور والتفاهم، ثم التنازل من الجميع وخفض الجناح، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وليتفكر الإنسان أنه غدًا ربما قتِل أو غُلِبَ وفشِلت محاولته وخسر فرصته، فماذا ينفعه؟! فهلا بادر من الآن إلى الكون مع إخوانه، وإن على شيء من المفضول بدل الفاضل، وعلى شيء من الأقل دون الأكثر..!!

لكن في المحصّلة النهائية: البركة والخير الكثير والقوة في الجماعة والوحدة.

بعبارة أخرى: الجماعة والاتحاد على المفضول خيرٌ من التفرّق والتنازع على الفاضل؛ نعم الأصل هو طلب الأفضل وتولية الأفضل، ومن ولّى رجلا وفي الناس مَن هو خيرٌ منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ولكن إذا لم يمكن الاجتماع على الأفضل من الناس ومن الأحوال؛ فإن اجتماع الناس على

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٠٢).



المفضول خيرٌ من الفرقة والتنازع لطلب الفضل والفاضل، كما أنه إذا وقع الاجتماع على المفضول لم يجز للفاضل ولا مَن يُؤيده المنازعة والخروج على أمر المسلمين بدعوى طلب الفضل والفاضل.. وهذا أصل متقرر، وأدلته مشهورة.. والله المستعان.

❋ ❋ ❋

〚التعامل مع «الإخوان» الذين يجيزون دخول الانتخابات؛ في العراق خاصة〛

❁ نعرف أن الإخوان المسلمين يجيزون لأنفسهم الدخول في المجالس التشريعية والبرلمانات؛ فما هو السبيل الأمثل للتعامل معهم خصوصا في العراق؟

[السائل: عبادة**]**

الجواب:

الذي أراه وأنصح به في التعامل مع هؤلاء في العراق ونحوه، هو:

- اعتبارهم جزءا من نظام العدوّ ومن صفّه، حكمهم حكمهم، وهذا واضح، والإخوة على هذا كما هو معروف.

- ومع ذلك، يحاولون تركهم وعدم قصدهم بالقتل والقتال، وعدم اعتبارهم أولوية في الأهداف، مهما أمكن ذلك، والسبب في ذلك راجع إلى السياسة الشرعية لا إلى عصمتهم.

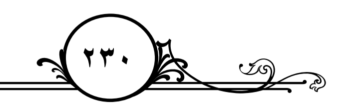
- إنما يقتلون منهم من ظهر شره وبان للناس فساده وإجرامُه وولاؤه لأعداء الله، حتى نكون إذا قتلنا منهم أحدًا معذورين أمام الناس، يفهم الناس لماذا قتلناه، وأنه يستحق، ولا يحصل على المجاهدين تشويش وتشغيب..!!

- محاربتهم بالحجة والبرهان واللسان والبيان باستمرار، بدون توقف، وفي توازن واعتدال؛ كل كلمة في محلها بدون مبالغات ولا زياده، فالحق أبلج وعليه نور، ويعلو ولا يُعلى.

- فضحهم وبيان عوارهم وفسادهم وخيانتهم وخذلانهم للإسلام والمسلمين، أيضا بحسب المناسبات وباعتدال بعيدا عن المبالغة دائما وبعيدا عما يمكن أن يبدو مجرّد خصومة وعداء مذهبي تعصّبي.

- محاولة التأثير على قواعدهم وشبابهم ما أمكن ذلك، ودعوتهم إلى الخير والجهاد في سبيل الله تعالى والتخلي عن ذلك الباطل.. والله وليّ التوفيق.

❋ ❋ ❋



〚السبيل لمنع حدوث الفتنة بين المجاهدين عقيب الانسحاب الأمريكي〛

❁ شيخنا الفاضل.. كيف نمنع حصول الفتنة بين جماعات المجاهدين في العراق بعد الانسحاب الأميركي، فليست جميع الجماعات تتبع التيار الجهادي..

ومن المؤكد أن القوى العالمية ستحاول إعادة السيناريو الأفغاني مرة أخرى؟

[السائل: أبوحنيفة شط العرب**]**

الجواب:

الله المستعان، نسأل الله ﷻ من فضله..

أقول لك ما عندي، والله ﷻ أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب:

أولًا: بسْ خليهم ينسحبوا -الأمريكان- إن شاء الله تعالى، وبعدين مش مشكلة نحن نحل مشاكلنا بيننا.!! ونسأل الله العافية والسلامة..

اللّٰهم إنا نسألك اليقين والعافية، اللّٰهم إنا نطمع في عافيتك يا رب العالمين.. آمين.

والله لا نحب المشاكل والفتن ولا نرضى بها ولا نسكت عليها ولا نستهين بخطرها وفسادها وضررها، ولكن ماذا نفعل؟ هل نتوقف عن الجهاد الآن بحجة أننا لو انتصرنا على أمريكا وهربت أمريكا سيلتفت بعضنا إلى بعض ونتقاتل؟ الجواب: لا، طبعا، هذا لا يقوله مسلم عاقل، لو قال هذا أحدٌ فهو مخبول مخذول قد خدعه الشيطان والعياذ بالله.

إذن ماذا نفعل؟ نتوكل على الله تعالى؛ ماضون في جهادنا، ساعون بكل جدّ واجتهاد في جمع الصفوف وتوحيد الكلمة وتأليف القلوب، ومنع كل أسباب التفرق والتنازع، وما على المحسنين من سبيل، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.. والله خير مأمول وأرجى مسؤول ﷻ.

ثانيا: إذا انسحبت أمريكا، وهو كائن إن شاء الله تعالى وبعونه ومنَّهِ وكرمه ﷻ، فهذا شيء كبير جدا، سيكون تغيّرًا كبيرا في العالم كله، لا أعرف كيف أعبّر عنه..!! ستكون هناك تحوّلات كبيرة ومعطيات مختلفة وستوجد معادلات أخرى جديدة، وهناك أشياء نتوقعها وهناك أشياء يصعب توقعها، وهي مما يمكن أن يوصف بالمفاجآت.! وبكل حالٍ، فهو خيرٌ عظيمٌ لأمة الإسلام، ونصر مبين للجهاد والمجاهدين.

ثالثا: نعم، قوى الكفر ستعمل بل هي من الآن وقبل الآن عاملة ناصبة جاهدةٌ -خيّبهم الله- في إيجاد الفتنة بين المسلمين ومحاولة غرز معاولهم الخبيثة لخلخلة الصف وزعزعة البنيان، قاتلهم الله.. هذا لا شك فيه ولا ريب.. ونحن واجبٌ علينا أن نجاهدهم في هذا الميدان كما نجاهدهم في ميدان

العسكرية والقتال، وهذه حربٌ مستمرة لا تتوقف، وهو واجبٌ على كل مسلم بحسبه وعلى مستواه، وأعداء الله يكيدون ويمكرون ليلا ونهارًا سرا وجهارًا، ولكن الله ﷻ بالمرصاد ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[الأنفال: ٣٠]، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾[النمل].

ما علينا هو فقط أن نكون عبيدًا لله حقا، ونأخذ بأسباب الصلاح والتآلف والاجتماع كما أمر الله تعالى، ونتفقه في الدين، ونخلص لله رب العالمين ونصدق اللهَ ﷻ.. ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٦٠﴾[آل عمران]

رابعا: الجماعات التي لا تسير على المنهج الإسلامي وعلى طاعة الله تعالى والالتزام بدينه وشريعته، لا خوف منها ولا تبالِ بها كثيرا.. إنما الخوف علينا هو من أنفسنا، نحن أصحاب المنهج الصحيح كما ندّعي، وهو حق والحمد لله وله الفضل والمنة، نحن، يجب أن نكون صفا واحدًا إخوة متحابّين متناصرين متوالين متعاضدين متعاونين متعاطفين متراحمين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.. إذا كنا نحن على خير وفي طاعة الله ومحققين للعبودية لربنا سبحانه، فلا يضيرنا مخالفة غيرنا، وستكون الغلبة لنا بإذن الله.

خامسا: نحن عبيدٌ لله تعالى، مربوبون له ﷻ، في النصر وفي الهزيمة، في القوة والضعف، كانت لنا الدولة أو لم تكن، في كل حين وعلى كل حال..

والحمد لله رب العالمين، نرجو رحمة الله ونخاف عذابه ونستعين به ﷻ على طاعته واتباعه مرضاته حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم جميعا من المرضيين الفائزين.

❋ ❋ ❋

〚نصيحة إلى المجاهدين في العراق، وتقييم دور الشيعة فيه〛

❁ ما هي نصيحتك إلى المجاهدين في العراق؟ وما هو تقييمك لدور الشيعة هناك؟

[السائل: شسيبل]

الجواب:

النصيحة تقدم شيء مُهِمٌّ منها.

وبالجملة: الصبر والمصابرة والثبات وتقوى الله تعالى وتحقيق الصدق والإخلاص، وإنما هي أيام وساعات ودقائق وثوانٍ ويفلح الصابرون ويفوز الصادقون المخلصون، ويحمد القوم السرى، وتعود مرارة ذلك الصبر عزًا وشرفًا وراحةً في الدنيا، وحلاوة ولذة دائمة غير منقطعة في الآخرة، بإذن الله

تعالى وبمنه وكرمه وفضله ورحمته ﷻ.

دور الشيعة معروف واضح، هم أعداء الأمة من داخلها، خليط من الزنادقة والمنافقين والمارقين والخونة وأهل الفساد بكل أنواعه وأشكاله، قلّ فيهم ممن ينتمي إليهم انتماءً عامّا إجماليًا مَنْ فيه خيرٌ أو بقية من دين صحيح.. قد يوجَد لكنه كالنادر، ولا سيما الآن في العراق بعد أن تمايزت الصفوف، واشتعلت الحرب بين أهل الحق وأهل الضلالة والإلحاد والمروق من الدين.!!

باختصار: الشيعة (أي الرافضة) هم أعداء لنا، لديننا ولأمتنا.. لا جدال في هذا ولا مراء..

والمجادل في هذا الشاكّ فيه، المرجّي الخيرَ فيهم، المحسِنُ الظن بهم، هو مغبون مخبولٌ، إما أنه لا يفقه في دين الله شيئا، وقد امتلأ قلبه بظلمات الجاهلية والجهل وبالأفكار الفاسدة، أو أنه شخصٌ لا دين له ولا نظر إلى الله واليوم الآخر، يعبُد هواه ودنياه ويتلهف إلى ما يلقى إليه من كسر فضلات الأسياد..!!

فلا تلتفتوا إليهم أولئك؛ دعاة التقريب والأخوة مع الرافضة، دعاة الوحدة الوطنية، وما شابهها من الأفكار الجاهلية المناقضة لديننا، قد عرفناهم وعرفتموهم، فلا تلتفتوا إليهم، ولا يضروكم.! والشيعة هم عدوّ قادمٌ لنا..

لا في العراق فحسب بل في المنطقة كلها، بل على امتداد رقعة كبيرة من عالمنا الإسلامي، هذا أنا شخصيا لا أشك فيه.. لأنهم الآن مهيّؤون لذلك بغرورهم وانتفاشهم وما يخيّله لهم الشيطان وليُّهم ومولاهم..! وهم في سكرتهم هذه يغفلون عن ملاحظة بعض الحقائق، وسيأتي اليوم الذي يتمنّون فيه لو أنهم سكتوا وخنسوا ورضوا بأن يعيشوا في كنف أهل السنة كما كانوا..!! وستذكرون ما أقول لكم.. والله لكأني أراه رأي العين.

دولة إيران تحدثنا عنها بعضَ الحديث، وأقول لكم: بإذن الله تعالى لو تسلّط المجاهدون -القاعدة ومن معها- على إيران لينكنُّ فيها نكاية عظيمة، وليحوّلُنَّ أمنهم خوفًا ورعبًا، وليبدِّلُنّ إيران إلى شيء آخر لا يتصوّره ملاليها، بحول الله وقوته.

ولكن اليوم المجاهدون متريّثون، ولهم حساباتهم، والحساب دائما في تغيّر كما هي شأن كل عمليات حساب؛ فلا تظنوا أنكم في مأمنٍ، وأنتم أول من يعرف هذه المعاني.!

إذا انسحبت أمريكا، فنشوب حرب بين السنة والشيعة على نطاق واسع هو شيء متوقع بقوة، ولن يكون إلا خيرا إن شاء الله.. والعاقبة للمتقين.

تكميل: كما قلت مرارًا من قبل؛ فإنني أرى أن حربنا نحن أهل السنة مع الرافضة أخزاهم الله

حتمية وقد حان وقتها، والله أعلم وله ﷻ الخلق والأمر.. وهذه الحرب نتوقع أن تكون فيها مآسٍ وكربٌ وبلاء عظيم؛ مجازر ومذابح لا يعلمها إلا الله، لأن هؤلاء القوم (الرافضة) قوم سوء، ليس عندهم شرف ولا نزاهة، يمارسون حربًا قذرة، وعندهم على أهل السنة حقد عظيم جدا، حتى إنهم قد يَفُوتُون النَّصارى في حقدهم على المسلمين -أهل السنة-، النصراني يحاربك وتحاربه وقد تجد فيه رحمة وشفقة وإنسانية وبعض حياة الضمير، أما هؤلاء الرافضة فلم يترك الحقد والغِلّ على أهل السنة في قلوبهم بقية من رحمة، إنهم يتربّون كابرًا عن كابر على الحقد علينا وانتظار الفرصة للثأر منا بزعمهم، إننا بالنسبة لهم العدوّ الأول والأخير، واليوم هم ينظرون إلى ما جرى ويجري في العراق على أنه فرصة تاريخية لهم لينتقموا من أهل السنة ويثأروا لأنفسهم منهم، ويستولوا على الحكم في العراق، ثم في بلاد أخرى مجاورة، وهم في حالة من الانتفاش والغرور والطغيان، يُغريهم أن لا دولة لأهل السنة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.!! وإزاء هذا الواقع فإن الحرب معهم لا بد منها، ولا يمكن تفاديها والله أعلم.

لأن محاولة تفاديها سيقوّيهم (الرافضة) ويشعرهم بالزهو والعلو ويرفع معنوياتهم ويزيدهم طغيانا، ولن يجدي شيئًا، فهم ماضون في محاولة القضاء على أهل السنة..! وسيلقي على أهل السنة لباسَ الذل والعار والمهانة والتأخر والتقهقر.. وسيفقدون (أهل السنة) أضعاف أضعاف ما فقدوه لحد اللحظة الراهنة..! وستكون خسائرهم أكبر في الأنفس والأموال والثمرات والأعراض وفي كل شيء.. فلا يمكن ولا يجدي أبدًا تفادي الحرب مع الرافضة.. وأنكى منه وأضر دعوة من يدعو إلى التقارب معهم والتآخي والوحدة الوطنية وغيرها..! هذا ضلالٌ مبين وفساد عظيم لا يمكن أن نسكت عليه أبدًا..

كل ما يمكن أن نتصوّره من أضرار وخسائر ومآسٍ إذا وقفنا في وجه الرافضة وانتصبنا لحربهم، فإنه لن يساوي ما سندفعه من خسائر وما يقع من أضرار ومآسٍ لو أننا سكتنا واستكنّا وهِنّا وأخلدنا إلى طلب الدعة وتذاكينا وزعمنا الحكمة وطلبنا الصلح..! أما أنا فأشهدكم أني لا أشك في ذلك.

فائدة وتأمل: إن المآسي التي يواجهها المسلمون اليوم في العراق وسيواجهونها فيه وفي غيره، هي ضريبة لا بد -بحسب سنة الله تعالى- أن يدفعوها ثمنًا لسكوتهم الطويل عقودًا وربما قرونًا على المنكر والفساد وتركهم للجهاد وابتعادهم عن دين الله تعالى..!!! أوَيظن مسلمٌ يعرفُ دينه ويعرف سنة الله أن ذلك يمكن أن يمرّ بدون جزاء أويمشي سدىً؟!

وهكذا كل الشعوب والأمم التي تغرق في الفساد والركون إلى الظالمين والسكوت عليهم والدخول تحت حكمهم ولا تقاومهم ولا تقوم بواجب الخروج عليهم وتغييرهم وجهادهم، وتنتشر فيها المنكرات وتظهر فيها الموبقات العظيمات، ويموت فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

ويدعو داعِ الجهاد فيها فتصدّه وتصدّ عنه، وتزدريه وتقف في صف الطاغوت عليه، وتخلد إلى الراحة في المجون واتباع الأهواء وإشباع الرغبات والجري وراء الشهوات..! سيأتيها يومٌ تدفع فيه ضريبة كل ذلك؛ إن لم يكن هذا الجيل، فالجيل الذي بعده أو الأجيال التي بعده.. لا محالة..!

بغضّ النظر عن كون ما يصيبهم بحق أو بباطل، فنحن لا نتكلم عن ذلك هنا.. لكن سيصيبهم جزاء أعمالهم تلك بدون شك؛ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴿١٢٣﴾﴾[النساء]

الحروب والحرمان والمآسي والدماء والأشلاء والانتهاكات والتعذيب والقهر والفوضى وجميع الآلام، منهم من يصيبه ويكون رابحًا في النهاية؛ يكفّر الله عنه ذنوبه ويؤول إلى الفوز في الجنة ويتخذ الله منهم شهداء وشفعاء، ومنهم من يصيبه نصيبه ويكون خاسرا ويلقى في الآخرة العذاب الأليم.!!

انظروا إلى بلد مثل ليبيا..

طاغوت ملعون ينازع الله في صفاته ويكفر به كفرًا من أوضح ما يكون، يسوم الناس ألوان الذلة والمهانة، صورة من «مسيلمة الكذاب» لعنه الله، يستهزئ بالدين وبالرسول ويحارب الدين وأهل الدين جهرة، يفسّق الناس ويكفّرهم (يجعلهم كفارًا بدعوته وفتنته) وينشر فيهم الفاحشة وأنواع الفساد والضلال والكفر، ويستمر في حكمه لهذه البلاد وهؤلاء العباد سبعة وثلاثين عامًا، ومعظم الشعب؛ ملايين من الناس، ساكتون عليه، تاركون له، كأن الأمر لا يعنيهم، وكأن الله لم يكلّفهم به، وكأنهم لم يخلقوا للابتلاء بالتكاليف، بل كأنهم مخلوقون كالأنعام لا تكليف ولا حساب ولا عقاب، وكأن الجهاد لم يفرض عليهم، وكأن دين الله تعالى ومحارمه ﷻ لا تعنيهم ولا تهمّهم، والأنكى من ذلك أنه عندما يقوم على هذا الطاغوت طائفة من شباب ورجال هذا الشعب ممن أحيا الله قلوبهم ونوّر بصائرهم وآتاهم تقواهم؛ يجاهدونه وينكرون عليه ويسعون في إزالته، ماذا يكون موقف الشعب؟ موقف سلبي للغاية، أحسنهم وأمثلهم طريقة الساكت التارك الذي كأنه لم يرَ ولم يسمعْ، المبتعد النائي بنفسه، الطالبُ للسلامة، وأي سلامة؟!!

وكثيرٌ منهم المسارعون في إرضاء الطاغوت والوقوف معه، والمبادرون طواعية واختيارًا لمساندته لكي تسلَم لهم دنياهم ويدفعوا عن أنفسهم التهمة أو ينالوا عنده الحظوة..!! هل يظنون أن هذا سيمرّ بدون جزاء في الدنيا قبل الآخرة لمن لم يتب ويصلح؟! لا والله.. معاذَ الله..!

سيصيبهم جزاؤهم جميعا، إن لم يكونوا هم فأولادهم من بعدهم إن استمروا على ما عليه آباؤهم.. سيصيبهم بحق أو بباطل.. وسيظلون يبكون ويصرخون وَيُوَلْوِلون، وأكثرهم عن أسباب ذلك غافلون.. ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[يوسف]، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ



﴿أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ۝٦٤﴾[المؤمنون].. سيصيبهم جزاؤهم.. حروبٌ ومآسٍ ودمارٌ وخرابٌ وفقد وحرمانٌ، وعصابات ونزاعات وفوضى وإجرام ومذابح ومجازر ودماء وأشلاء وفظائع، وأيضا سكّين الزرقاوي ومحشوّات المجاهدين وتفجيرات الاستشهاديين وكل شيء..! الله أعلم أيُ ذلك؟ كله أو بعضه؟ وقلنا: بحق أو بباطل..!

فتفاصيل تلك الجزاءات وكونها واقعة بحق أو بباطل هذا لا نتكلم عنه الآن، هذا فيه وفيه، وله تفاصيله، تعرف بفقه الشرع، لكن نحن نتكلم عن أن الجزاء لا بد منه على ذلك السكوت على الباطل وترك الجهاد وترك دين الله.. وسيكون هناك فائزون وخاسرون.. ما في ذلك شك.. وانتظروا إنا منتظرون.. والعاقبة للتقوى.. وهكذا أهل العراق مع صدام وحكمه وما قبله أيضا.. وهكذا كل أهل بلدةٍ لا فرقَ، قال ربنا ﷻ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩٩ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾[الكهف]، وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾ [الإسراء].. والآيات في هذا المعنى كثيرة.. وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال]، وقال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝١٦٥﴾[الأعراف].

ومن الأحاديث: قال رسول الله ﷺ: (**يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطرَ من السماء ولولا البهائمُ لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**). رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم

والطبراني وغيرهم، والحديث حسنٌ بطرقه وشواهده، وحسنه وصححه الشيخ الألباني[1]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وبالجملة فهذا معنىً متقرر في الكتاب والسنة.. ولا يَرد عليه ما ثبت في الصحيح أن الله أعطى نبيّه محمدًا ﷺ أن لا يعذبَ أمته بسنةٍ عامة.. لأن ذلك في حق الأمة كلها، وهو العذاب العامّ المستأصل لهم كالذي أهلك الله به الأمم السابقة المكذبة العاصية.. وما نحن بصدده هو في حق أجزائها وأبعاضها؛ والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يلطف بنا ويعفوَ عنا ويرحمنا برحمته ويسترنا بستره الجميل.. آمين.

✲ ✲ ✲

[سياسة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله، والقول في «جماعة أنصار السنة»، ومسائل في أحكام البيعة بين الجماعات الجهادية، والفرقة أولى أم الاجتماع في الساحة العراقية؟]

❁ الثالث عشر: هل عندك انتقادات على سياسة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي وتنظيم القاعدة في العراق يمكن أن نستفيد منها نحن مستقبلا في عملنا الجهادي في بلادنا؟.

الرابع عشر: هل ترى صواب ما تفعله «جماعة أنصار السنة» من بقائها بعيدة عن التوحد مع إخوانهم في «مجلس شورى المجاهدين» أو في عدم انضمامها لجماعة القاعدة بدعوى الأخطاء في السياسات المطبقة من قبل الشيخ أبي مصعب حفظه الله ورعاه؟ أو بسبب أنها ترى نفسها أنها هي الجماعة الأقدم التي ينبغي لجماعة القاعدة الانضمام إليها وليس العكس؟ وهل ترى أن بيعة القاعدة لازمة لكل المجاهدين في العراق، وأن الغير مبايع للقاعدة هو عاصٍ أو باغٍ أو مبتدع؟ أم يجوز لكل جماعة أن تبقى على تنظيمها أو حتى تشكيل جماعات جديدة في العراق؟ وهل مجلس شورى المجاهدين أميره هو الشيخ أبا مصعب أم غيره؟

[السائل: مع الحق**]**

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٠١٩)، شعب الإيمان (٣٠٤٢، ١٠٠٦٦)، المستدرك (٨٦٢٣)، مسند الشاميين (١٥٥٨)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٧٩٧٨)، وحسن إسناده في: الصحيحة (١٠٦).



الجواب:

جواب الفقرة ١٣: يا أخي الكريم لو أنا عندي انتقادات على الشيخ أبي مصعب ﵀ وعلى تنظيم القاعدة في العراق فليس من الحصافة أن أقول ذلك في مكان عامّ على الملأ بشكل سرديّ.! كل إنسان يؤخذ من قوله ويُرد إلا رسول الله ﷺ.. وكل إنسان ما عدا أنبياء الله ورسله يخطئ ويصيب.. والناس لا يزالون يختلفون في الرأي والاجتهاد من لدن وجدَ البشر على الأرض، وإلى يوم القيامة، وإنما الخلاف عندنا نحن المسلمين له فقهه وآدابه.. وعندما تكون لنا ملاحظة على شيء ننصح ونكاتب ونحاول توصيلها إلى إخواننا بالطرق المناسبة الخاصة إن أمكن، فإن لم يمكن كتبنا في حينها على العامّ.. والحمد لله.

وعمومًا ليس عندي على الشيخ أبي مصعب وعلى التنظيم وسياسته وأفكاره إلا ما هو من قبيل الرأي والاجتهاد، ونحن دائما نؤكد أننا بعيدون عن الساحة وميدان العمل الذي هم فيه وهم أهله، لأن هذا الفرق مهمّ ومؤثر؛ فلا بد للإنسان دائما أنه مهما أبدى رأيه عليه أن يتحفظ ويحتاط، لأنه لا يدري لعل الواقع اقتضى من إخوانه اجتهادا مختلفًا، والله الموفق.

جواب الفقرة ١٤: أيضا يا أخي الكريم كما قلنا قريبا، فالحكم بين الإخوة هكذا عن بُعد شيء صعب وعرضة للخطأ، ونحن نتمنى أن يكون الإخوة كلهم جماعة واحدة متحدة، سواء في مجلس الشورى المشار إليه أو في إطار غيره.

ولكن لماذا إخواننا في «أنصار السنة» لم يدخلوا هذا المجلس.. فهذا راجع إلى اجتهاد لهم يرونه، ويرون أن بقاءهم مستقلين أفيد وأنفع لحد الآن، مع أنهم حسب علمي لا يمانعون من التوحد مع أي جماعة أخرى من إخوانهم بعد التعارف والتواثق والاطمئنان الجيد.

الذي أعرفه أن عدم دخول الأنصار في المجلس هو راجع إلى سبب فني إداريّ وسياسي أكثر من رجوعه إلى سبب منهجي فكري.. وهذا نرجو أنه قابل للحل إن شاء الله تعالى، لكن بشرط توفر النية والعزم الأكيد والحرقة على الوحدة ورص الصفوف، مع الفقه المناسب لهذه المسائل، ومع تظافر الجهود بإذن الله نرجو الخير.

أما أن جماعة «أنصار السنة» ترى نفسها أنها هي الجماعة الأقدم التي ينبغي لجماعة «القاعدة» الانضمام إليها وليس العكس -كما قلتُم- فهذا لا أظنه واردًا عندهم الآن، قد يكون هذا كان في بادئ الأمر.. أما الآن فلا، وهم يعرفون أن هذا لا اعتبار له ولا تأثير، والواقع قد تجاوز هذا الشيء، وأول جواب عليه أن «القاعدة» سابقة لهم ومتقدمة عليهم تاريخيًا وبكل المقاييس، أعني «القاعدة» ككل لا

في خصوص بلاد الرافدين؛ فإن التي في بلاد الرافدين هي فرعٌ، فانتهى الإشكال.. أعتقد أن هذا لا يطرحه الإخوة في الأنصار.. هم أكبر من ذلك والحمد لله.

لكن هي كما قلت لك.. اختلافات معظمها في العمل على الميدان، في السياسات والإدارة، وفي ملاحظتهم على بعض الأطراف والشخصيات، وما شابه.. هذه الأمور التي يختلف فيها الإخوة.. نسأل الله أن يصلح الأحوال وأن يؤلف قلوب عباده المؤمنين.

وأما سؤالك: «وهل ترى أن بيعة القاعدة لازمة لكل المجاهدين في العراق وأن غير المبايع للقاعدة هو عاصٍ أو باغٍ أو مبتدع؟» فلا أقول: إن بيعة القاعدة تلزم شرعًا كل المجاهدين، بمعنى أنها واجبة مفروضة، لا أقول هذا.. فضلا عن أن يكون غير المبايع باغيًا أو مبتدعًا.!! الواجب والفرض هو الجهاد في سبيل الله واللحاق بالقافلة.. أما كونه مع تنظيم القاعدة على الخصوص فهذا لا نقول إنه واجب، لكن **قد نستحبه للإخوة المجاهدين وندعوهم إليه ونحثهم عليه إن أمكن، لعدة أوجه واعتبارات:**

- لأنها الجهة الأوثق على العموم، والأكثر استحقاقا لتمثيل المسلمين المجاهدين ومشروع الأمة الجهادي؛ لما جعل الله في يدها من الأمانة وما أعطاها الله من المكانة والسبق التاريخي وغيره، فالقاعدة هي متصدرة لحمل هذه الأمانة والقيام بهذه المهمة، وهي بحمد الله جهة موثوقة وطيبة مأمونة، أعطاها الله القيادة الأمينة والمؤهلة وألبسها قميص الثقة من الأمة، فنحن نحث جميع المجاهدين أن يكونوا معها وفيها، هذا أصل عندي الآن.

- اللّهم إلا أن يمنع مانعٌ، بمعنى أن يكون هناك ظرف في وقت من الأوقات وبلد من البلدان يفضل الإخوة المجاهدون فيه -بعد الدراسة والتشاور والبحث المبني على النظر للإسلام والمسلمين- أن يكونوا غير مرتبطين بتنظيم القاعدة مؤقتًا لأسباب سياسية ودعائية وما شابه، مثلا، وإلا فالأصل أننا نفضل أن يكون الجميع يدًا واحدة، والله الموفق.

- ولأن ذلك فيه تحقيق لأوامر الشرع بالوحدة والجماعة، والقاعدة أولى وأقرب من يجتمع عليها المجاهدون لمزاياها التي لا تخفى.

- ولأنه أقوى للمسلمين وأدعى وأقرب للنصر وتحقيق أهدافنا.

- ولأنه منع لأسباب الفرقة والاختلاف والشقاق والتنازع والتشرذم.

والقاعدة هي جماعة من الجماعات الإسلامية المجاهدة، البيعة فيها مبنية على الاختيار والشرط، وعلى قاعدة مشروعية التعاهد بين المسلمين لأداء التكاليف الشرعية، لا على التحريج والتضييق

والإلزام بأصل الشرع.. فهي ليست إمامة عظمي حتى لا يجوز لرجلٍ يؤمن بالله واليوم الآخر يبيت ليلتين إلا وهو يراها -القاعدة- إمامًا على نفسه.! لا..

وحتى إمارة أمير المؤمنين الملا محمد عمر حَفِظَهُ اللهُ ونصره ليست كذلك بالنسبة لجميع المسلمين في الأرض، وإنما هو أمير في حدود سلطانه وولايته، وعلى مَن دخل في بيعته، وهو في حدود سلطانه له حكم «الإمام الأعظم» من حيث ما يجب له من السمع والطاعة والوفاء بالبيعة وتحريم الخروج عليه إلا بما يُخرَجُ به على الإمام الأعظم، وهكذا، هذا هو المعروف الذي حققه علماؤنا، وقد بحث هذه المسألة وحررها الشيخ أبو المنذر الساعدي -فك الله أسره- في كتابه: «وبل الغمامة في أحكام الإمامة»[1].

وقولنا «**والقاعدة هي جماعة من الجماعات الإسلامية المجاهدة، البيعة فيها مبنية على الاختيار والشرط.. الخ**»: هذا هو الأصل في هذه الجماعات الإسلامية، لكن قد يعرض لها من الأسباب ما يجعلها تأخذ بعض أحكام الإمامة العظمى فتكون مثلها في مسائل، كمسألة الخروج عليها وتشكيل جماعة أخرى.. وذلك إذا وُجِد المعنى الذي من أجله حرّمت الشريعة الخروج على أئمة العدل ومنازعة الأمر أهله وشق عصا الطاعة وتفريق جماعة المسلمين، ولا سيما إذا كان المسلمون في ساحة حربٍ ومواجهة مع العدوّ.. فإذا وجِد هذا المعنى وقويَ جدًا، فإن الفقيه قد يفتي بحرمة الخروج على الجماعة ومنازعتها الأمر، وينزّلها منزلة الإمامة الكبرى.

ولهذا أفتى بعض العلماء قديما وحديثا بهذا في بعض الأقاليم التي فقدتْ فيها الإمامة العظمى ووجدتْ فيها جماعات وإمارات محليّة تجاهد العدوّ وتقيم المستطاع من الشرع، محتجين بقول النبيّ ﷺ: (**من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحدٍ يريدُ أن يشق عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه**) وقوله: (**إذا بُويعَ لخليفتين فاقتلوا الآخِرَ منهما**) رواهما مسلم في صحيحه[2]، والله أعلم..

وهذه مسائل لها بسط في موضعها، وينبغي التفقه فيها.

لكن كما قلتُ: الأصل أن القدر الواجب هو الجهاد والالتحاق بالقافلة، ثم الجماعة -أي العمل

---

(١) ينظر: (ص ٥٠) بعد مسألة: إن خُلع الإمام؛ فهل يبقى في منصبه، قال الشيخ أبو المنذر: «هو [يعني الملا عمر سدده الله] ليس خليفة لكل المسلمين، ولكنه في القُطر الذي يحكمه يأخذ أحكام الخليفة في شروطه وطريقة تعيينه وغير ذلك من الأحكام التكليفية والوضعية» انتهى، قلتُ: وكتاب «وبل الغمامة» هذا ماتعٌ نافعٌ أسأل الله أنن يعيننا على تحقيقه وإتمامه، بَحثَ فيه مصنفه كثيرا من مسائل الإمارة والإمامة المعاصرة، وقد نشره وقدم له الشيخ عطية الله ﷺ.

(٢) الحديث الأول برقم (١٨٥٢)، والثاني برقم (١٨٥٣).

الجماعي والكون مع جماعة- هي وسيلة لذلك فلها حكم هذا الواجب، أما ما هي الجماعة المعينة الواجب الجهاد معها؟ فلا نقول هذه ولا تلك، لكن قصارانا أن نستحب ونفضل، اللّٰهم إلا أن يوجد سبب آخر إضافيّ موجِبٌ للكون مع جماعة معينة دون غيرها، كأن يتمحّض الاختيار في بعض الأحوال وفي بعض الأقاليم وعلى بعض الناس، فلا يوجد في حاله وفي مكانه إلا جماعة معينة صالحة، أو توجد جماعة كبيرة مأمونة موثوقة صالحة ولا توجد مسوّغات شرعية لإنشاء غيرها، ويكون المسلمون في حال حربٍ وتشكيلُ جماعة أخرى في تلك الحال إضعافٌ لهم وإفساد.. الخ؛ فحينئذ يجب الالتحاق بها، وهكذا.. والله أعلم وأحكم.

وسؤالك: «**أم يجوز لكل جماعة أن تبقى على تنظيمها أو حتى تشكيل جماعات جديدة في العراق وهل مجلس شورى المجاهدين أميره هو الشيخ أبا مصعب أم غيره؟**» مجلس شورى المجاهدين ليس أميره الشيخ أبو مصعب، بل له أمير آخر وهو الشيخ أبو عبد الله بن رشيد البغدادي كما هو معلن.

أما أنه يجوز لكل جماعة أن تبقى على تنظيمها، وهل يجوز تشكيل جماعات جديدة في العراق؛ فالذي يظهر والله أعلم هو الآتي:

أنه يجب على كل جماعة أن تسعى للوحدة مع بقية إخوانها من الجماعات الأخرى.. هذا دليله واضح ظاهر، وهو كل الأدلة في الكتاب والسنة الدالة على وجوب الاجتماع وأن يكون المسلمون صفا واحدًا ولا سيما المجاهدون، ووجوب نبذ الفرقة والتنازع والاختلاف؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾[الصف]، وقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران: ١٠٣] الآية، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[الأنفال]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾[الأنفال]، وغيرها كثير..

وكما قال النبي ﷺ: (**وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة**)[1] وقال: (**وأنا آمركم بخمس: الهجرة**

(١) لم أجده بهذا اللفظ بتمامه، لكن شطره الأول في: مسند أحمد (٢٣١٤٥) وقال محققه الأرنؤوط: حسن لغيره، سنن الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني، وأما الشطر الثاني (فإن يد..) ففي: سنن النسائي (٤٠٢٠)، سنن الترمذي (٢١٦٦) وصحح الألباني، وجاء في: السنن الكبرى للنسائي (٩١٧٩) بلفظ: (فعليه بالجماعة؛ فإن يد الله فوق الجماعة).

والجهاد والجماعة والسمع والطاعة)(١)، وقال: (**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**)(٢)، وأحاديث الأمر بالتأمير في السفر ونحوه.. وغيرها.

ولأن ذلك سبيل ووسيلة متعينة للقوة اللازمة للنصر وللغلبة على الأعداء، ولدفع العدوّ الصائل على ديننا ودنيانا.. ولأن عدمه سبيل إلى الفشل والتضييع والفساد العريض.. كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[الأنفال]؛ فهذه مجمل الأدلة.

فهذا واجب على جميع المسلمين القادرين السعيُ فيه بجدّ والتحرق عليه وبذل المستطاع من أجل تحقيقه.

وعليه نقول: يجب على كل المسلمين المجاهدين، وعلى كل جماعة من الجماعات أن تسعى للوحدة مع أخواتها، وأن يكونوا جماعة واحدة ما أمكن، هذا فرض عليهم لازم، والله أعلم..

فمن وجد فرصة للاتحاد مع إخوانه فلم يفعل.. فهو آثم مقصر مفرط، ومستحق للعقوبة، وهذه العقوبة المخشية قد تكون أخروية وهي عقوبة هذا الذنب عند الله تعالى، وقد تكون دنيوية كمنعه من النصر، وتسليط العدو والآفات عليه، وما شابه ذلك، وقد تجتمعان؛ نسأل الله الستر والعفو والعافية.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور]، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[الأنفال].

فإذا سعى كل مسلم وكل مسؤول وكل جماعة بحسب إمكانه إلى الوحدة والاتحاد والكون مع إخوانهم جماعة واحدة، فمنعه مانع من ذلك؛ فإن كان هذا المانع معتبرًا في ظاهر الشرع، فنقول: لا تثريب عليه، حتى يزول ذلك المانع.. ونرجو له أنه ناجٍ من الإثم، إن شاء الله تعالى، غيرُ مفرط، ونسأل الله أن يعفو عنه ويستره ويعافيه، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها.

وأما المفرّط الذي لا يسعى للوحدة مع إخوانه ولا يعمل لأن يكون المسلمون جماعة واحدة، ولا يهتم لهذا الأمر ولا يبالي به، وإذا وجد فرصة لم يستغلّها ولم يأخذ بالواجب فيها، بل هو حريص على

---

(١) مسند أحمد (١٧١٧٠، ٢٢٩١٠) وصححه الأرنؤوط، سنن الترمذي (٢٨٦٣) وصححه الألباني، وبين الروايات اختلاف في ترتيب هذه الخمس، وترتيب الشيخ للفظ الحديث ليس في المسند ولا السنن، ولم أقف عليه كما ساقه الشيخ ﷺ.

(٢) ورد بهذا اللفظ في: المستدرك (٧٦٥) وقال الحاكم -وأقره الذهبي-: «متفق على الاحتجاج برواته، إلا السائب بن حبيش، وقد عُرف من مذهب زائدة -الراوي عن السائب- أنه لا يحدث إلا عن الثقات»، وأصله -بدون لفظ (الغنم)- في: مسند أحمد (٢١٧١٠، ٢٧٥١٤) وحسنه الأرنؤوط، سنن أبي داود (٥٤٧)، سنن النسائي (٨٤٧) وحسنه الألباني.

البقاء وحده لما يرى في ذلك من المزايا العاجلة له..!!

فهذا نقول: إنه متبع لهواه، وهو مفرّط مضيعٌ لأمره وأمر المسلمين، آثمٌ مستحق للعقوبة كما قلنا، وهذا إذا عُرِف حاله بدلائل ظاهرة قوية (تعرف من خلال المعاشرة والتجارب معه مثلا وشهادات أهل العقل الراجح وأهل الثقة إذا اجتمعت) فإنه يجب الأخذ على يديه، وممارسة ما أوجبه الله علينا تجاهه من مراتب الإنكار والتغيير لحاله السيء..!

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف].. فهذا أرجو أنه تفصيل للمسألة يقرّبها لإخواننا؛ وكل امرئ حسيبُ نفسه، وكل امرئ على نفسه بصيرة ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾[القيامة]؛ ونحن في أكثر الحالات لا نعلم هل الإنسان الفلاني (المعين) أو الجماعة الفلانية (المعينة) من هذا الصنف الساعي للوحدة صدقًا العامل لها حقًا، أو من ذلك الصنف المفرّط المضيع.. هذا من الصعب أن نعرفه في أكثر الحالات.. فما علينا إلا بالظاهر؛ ونستمر في دعوتنا لإخواننا جميعا أن يتحدوا ويكونوا جماعة واحدة.. ونعظهم ونخوّفهم بالله تعالى، ونذكرهم ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الذاريات].. ونقول لهم: إن الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر]، ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾[النمل].

فإذا عرفتَ ما تقدّم فقد اتضح لك إن شاء الله مسألة إنشاء جماعات جديدة.

وللتوكيد نلخص الكلام فيها في نقاط:

- ما دامت هناك جماعة مرضية شرعا تجاهد في سبيل الله يمكن للإنسان أن ينضم إليها ويكون معها ويقاتل تحت رايتها ويحقق مقصد الوحدة والاجتماع، حتى على شيء من الأخطاء والنقص، وأيّ الجماعاتِ المهذّبُ..؟! ما دامت هذه الأخطاء وذلك النقص لا يوجب الخروج عليها (لو كان الإنسان منتميًا إليها) ولا يوجب لها فشلا محققا وتضييعًا للمقصود من الجهاد، فلا يجوز له إن ينشئَ جماعة جديدة، لأن هذا خلاف الأدلة التي أشرنا إلى أطرافها أعلاه، وخلاف مقصد الشرع الواضح المتقرر بوجوب كون المسلمين جماعة واحدة ما أمكن، فمن يشكل جماعة جديدة في هذه الحالة فهو مخالف للشرع ساعٍ في الفساد، ينكَرُ عليه ويمنَع.!

- إلا أن يوجَد مانع يمنعه من العمل مع تلك الجماعة الموجودة، وهذا المانع نوعان: إما مانع حسي واقعيّ، كأن لم يمكنه الاتصال بتلك الجماعة والعمل معها للظروف السياسية والأمنية والجغرافية ونحو ذلك، أو مانع معنويّ شرعيّ، وهو أن يكون عنده على تلك الجماعة ملاحظة شرعية

يعتقد -بعد التثبّت وبحسب ميزان الشرع والتقوى والعلم والفقه الصحيح- أنها (تلك الملاحظة) تمنعه من الالتحاق بها والانضمام إليها والعمل معها وتحت رايتها، كأن تكون جماعة منحرفة انحرافا ظاهرًا في دينها، مثل الجماعات البرلمانية، أو الغالية في الدين، كالمبتلاة بالغلو في الإرجاء، أو الغلو في التكفير والتبديع والتفسيق ونحو ذلك، أو الجماعة غير الموثوقة في قيادتها ويخشى الإنسانُ أن قيادتها فاسدون لا يصلحون، أهل دنيا وتكالب عليها وأهل سفاسف وفساد لا دين لهم، أو أنهم خونة، أو اطلع على شيء فيها من هذا القبيل مما يخالف ظاهرها والعياذ بالله، فهذه كلها موانع معتبرة..

فحينئذ لو تركها وأسس جماعة أخرى ليجاهد في سبيل الله بشكل صحيح مرضي شرعًا، فهذا غير مسيء بل هو محسنٌ، وما على المحسنين من سبيل.

فهذا ما يظهر لي في هذه المسألة؛ والله أعلم.. لا إله غيره ولا رب سواه.

❋ ❋ ❋

〚حول ما قيل عن إعلان «الدولة الإسلامية في العراق»، وحكم الانخراط في الجيش العراقي، وحكم أهل السنة المنتسبين إليه بناءً على فتاوى مضلِّلة〛

❁ سؤالي الأول يا شيخنا الحبيب: هو حول ما أشيع من أخبار عن قرب إعلان أخينا وحبيبنا وشيخنا وقرة عيننا الشيخ «أبو مصعب الزرقاوي» أمير تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين عن إمارة إسلامية في محافظة الأنبار ومقرها الرمادي.. حيث ذكرت بعض الأخبار أنه سوف يعلن عن الإمارة الإسلامية بعد ثلاثة أشهر..

فأولا: هل هذا الخبر صحيح أم كذب حسب اطلاعك؟.

ثانيا: لو كان هذا الخبر صحيحا فهل ترى أنه من السياسة الشرعية والحكمة السياسية أن يعلن إخواننا في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين عن إمارة إسلامية في الرمادي أو غيرها من مدن العراق في ظل وجود ترسانة كبيرة للقوات المحتلة ومدعومة بحكومة رافضية مرتدة حاقدة على أهل السنة؛ بمعنى هل يصلح سياسة أن يعلن إخواننا في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين عن إمارة إسلامية في مثل هذه الأوقات وهذه الظروف ونحتفظ بالأرض ونقاوم عليها وربما يحدث لنا فيها أكثر مما حدث لإخواننا المجاهدين والأهالي من أهل السنة في الفلوجة في معاركها الأخيرة والتي قتل فيها من المجاهدين بالمئات حيث قارب عدد قتلى المجاهدين الألف مجاهد حسب بعض التقديرات وعدد الجرحى أكثر بكثير وعدد الأسرى ما بين الثلاثة آلاف

والأربعة آلاف؛ فضلا عن تهجير الناس من بيوتهم وتهديم البيوت وخراب البلدة، وخاصة أن أعداد المجاهدين في أيام الفلوجة يفوق أعدادهم في الرمادي وإمكانياتهم كانت أكبر.. أم الأفضل لوضعنا الحالي هو الاستمرار في القتال بيننا وبين أعدائنا من كفار أصليين ومرتدين بحرب عصابات وحرب كر وفر وحرب استنزاف لقدرات العدو بدون الحفاظ على الأرض، وخاصة في مثل هذا الوقت ويؤجل هذا الأمر الى أن يتمكن المجاهدون أكثر في العراق وتصير لهم شوكة وتمكين أكبر ويكون ذلك بعد خروج العدد الأكبر من القوات الصليبية أو بعد انحيازه الى قواعده الثابتة.

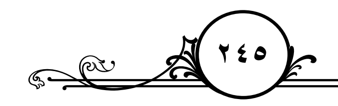
سؤالي الثاني: كما تعلم يا شيخنا أن بعض المشايخ -منهم القرضاوي وغيره- قد أفتى للأهالي من أهل السنة في محافظة الأنبار وغيرها من المدن والمحافظات العراقية السنية أو ذات الأغلبية السنية بجواز الانخراط في الجيش والشرطة التابع لهذه الحكومة الرافضية المرتدة وذلك من أجل حماية مدنهم وأنفسهم من بطش الشيعة بل بعضهم أوجب عليهم ذلك.. وكما لا يخفى أن هؤلاء الناس من أهل السنة لو انخرطوا في الجيش والشرطة فإنهم سيكونون يوما ما وقريبا جدا هم رأس الحربة للعدو الكافر، وسيكونون شاءوا أم أبوا في مقدمة من يقاتل إخواننا المجاهدين في الرمادي وغيرها من مناطق أهل السنة حسب نظرتي وتقديري للأمر..

أولا: بماذا تنصح إخواننا وأهلنا من أهل السنة في هذه المناطق.. هل يأخذوا بهذه الفتاوى وينخرطوا في الجيش والشرطة بدعوى حماية الأهالي والمدن السنية من بطش الرافضة؟ أم يعرضوا عن هذه الفتاوى الضالة المضلة ويلقوا بها ظهريا؟

ثانيا: ما صحة هذه الدعوى من أنهم سيكونون حماة لأهل السنة ضد حملات الرافضة فقط دون الغارة على أهل السنة وعلى المجاهدين حتى عندما تأتي إليهم الأوامر من قيادتهم العسكرية التي هي بيد القوات الصليبية فإنهم لن ينفذوها حسب زعمهم.

ثالثا: ما هو حكم من انخرط في الجيش والشرطة من أهل السنة بهذه الدوافع وبهذه الفتاوى وهل تعتبر هذه الدوافع وهذه الفتاوى مانعا من الحكم عليهم بالكفر.

رابعا: كيف يكون تصرف المجاهدين مع هؤلاء مستقبلا لما ينخرطوا في الجيش والشرطة؟ أو يتقدموا طوابير للكشف عند التقدم لتجاوز امتحانات القبول للجيش والشرطة؟ وهل يبادر المجاهدون بقتلهم وقتالهم أم ينتظروا حتى يبدأ هؤلاء بشن



الغارات على إخواننا المجاهديـن بعد أن تُركوا حتى تدربوا وتسلحوا وصاروا سهما في يد الكفار الصليبييـن وأعوانهم من المرتديـن ضد إخواننا المجاهديـن؟ لأن أغلب إخواننا المجاهديـن الآن من تنظيم القاعدة وجماعة أنصار السنة على الخصوص يرى أن دور هؤلاء لن يتوقف على حماية أهل السنة من هجمات الروافض؛ بل سيمتد إلى شن الغارات مع القوات الصليبية ضد إخواننا المجاهديـن وقد حدث من قبل مثل هذا وقلة قليلة هم من انحازوا الى المجاهديـن ووقفوا معهم كما بلغنا من أخبار، والله أعلم.

[**السائل:** مع الحق]

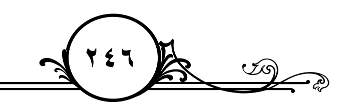
الجواب:

يغفر الله لنا ولك.. أنت حاط عشرين سؤال وتقول «طولت عليك»، وبعدين جاي راجع ثاني، عفا الله عنا وعنك.. على كل حال.

جواب السؤال الأول: لا نستطيع أن نسمّي ذلك إعلانا من الشيخ أبي مصعب ﵀ والإخوة في تنظيم القاعدة أو مجلس شورى المجاهدين، فكل الذي ورد إنما ورد في كلام غير رسمي، وهو ما ورد في الجزء من الشريط الذي بثّه الأمريكان وزعموا أنهم حصلوا عليه في مداهمة لبعض مراكز المجاهدين، وقالوا إنه نسخة غير محررة من شريط الشيخ أبي مصعب المرئيّ الذي نشره مجلس شورى المجاهدين بعنوان «هذا بلاغ للناس»؛ فهذا واضح أنه غير رسمي.. فقد يكون الشيخ ﵀ قاله على سبيل التفاؤل والتبشير، وقد يكون قاله على سبيل التوقع والفكرة التي لم يتم اعتمادُها بعدُ؛ فهذا ليس شيئا معتمدًا رسميا حتى نناقشه ونعلق عليه؛ والرأي المبدئي الذي لا أعتقد أنه يختلف فيه الإخوة هو أن الاحتفاظ بالأرض وإقامة دولة أو إمارة بمعناها الاصطلاحي المتضمن لأرض ومؤسسات على الأرض.. الخ، هذا غير ممكن ولا مناسب الآن، ونحن في حالة حرب عصابات مع عدوّ شرس وعاتي.! هذا لا يختلف فيه إخواننا ولا يخالف فيه أحد.. والله أعلم.

جواب السؤال الثاني: فيما يتعلق بمسألة انخراط أهل السنة في الجيش والشرطة العراقية، ودعوة بعض الجهات إلى ذلك، فهذا نعتقد أنه من المنكر العظيم أنها دعوة هدامة مبطِلة تصدّ عن سبيل الله وتفسد في الأرض.!! وقد كتبتُ مع بعض الإخوة المشايخ بيانا في هذه المسألة، وتم إرساله إلى إحدى الجهات الإعلامية الإسلامية لتتولى جمع التوقيعات له من المشايخ إن أمكن، ثم نشره، ولعله ينشر قريبا، وهو يختصر لي الجواب على هذا السؤال وهذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين

إن العدوّ الصليبيّ الغازي لديار الإسلام في العراق قد يئسَ أن يغلبَ المجاهدين في سبيل الله بما لديه من قوة كبيرة وتقنية فائقة وآلة عظيمة، وأدركوا أنهم كانوا في غرور، فلجأت شياطينه -خيّبهم الله- إلى مكر جديد عِماده الاستعانة بشخصيات وجماعات من المنافقين المنتسبين إلى أهل السنة، وبعض ضعفاء الإيمان ومكدودي العزائم؛ ليتكئ عليهم في تأسيس قواتٍ تكون أداة له في حرب المجاهدين، ويفرّق بها شمل أهل السنة، ويبذر الفتنة بينهم والخلاف والشقاق.! وذلك من خلال الدعوة إلى تطوّع رجال وشباب أهل السنة في الجيش والشرطة العراقيين.

ومعلومٌ أن قوات الأمن العراقية من جيش وشرطةٍ وغيرهما هي تحت قيادة المرتدين من عملاء الصليبيين من الرافضة والعلمانيين والزنادقة المارقين، والكل بعد ذلك مؤتمر بأمر أمريكا مشمول برعايتها وهيمنتها، غير خارجٍ في الجملة عن إرادتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[النساء].

وقد وجدَ هؤلاء المفتونون -وللأسف- في زلات بعض العلماء مستمسكًا لهم في ما يسعون إليه من أمرٍ شنيع، مخالفين بذلك الحق الواضح الجليّ المتقرر بنصوص الشريعة المطهرة، بشبهٍ وأوهام.! وإننا إذ ننكر ذلك ونراه زلةً شنيعة ممن صدر منه، أو تلبيسًا وإفسادًا وخيانة لله ولدينه، سائلين الله تعالى -لمن أخطأ- الهدايةَ للصواب.

فإننا ندعو المسلمين من أهلنا في العراق، أهل السنة والجماعة، أهل الحق وأتباع النبيّ ﷺ وصحابته الأخيار إلى الحذر من هذه الفتاوى الخاطئة وتلك الدعوات الضالة، ونبين أن التجنّد في الجيش والشرطة العراقيين تحت دولة الردة هذه وتحت إشراف العدوّ الصليبيّ، هو حرامٌ ممنوع، غيرُ مشروع، بل هو سبيل إلى الكفر والردة، بل هو كفر وردة في بعض صوره، لإعانتهم للصليبيين وتمكينهم إياهم من بلاد المسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١].

وإن هذا الأمر مما لا ينبغي -بمقتضى أصول العلم والفقه- أن يختلف فيه العلماء ولا يتنازع فيه الفقهاء، لوجوه عديدة شديدة الوضوح منها:

١- أن هذه مناقضة للواجب المتعين الذي هو جهاد الكفار الصليبيين الغزاة لبلد الإسلام والمرتدين الموالين لهم، فإن الله أمر المسلمين بقتالهم وأجمع العلماء على وجوب ذلك على الأعيان في الدائرة الضيقة القريبة التي تتسع بحسب الحاجة حتى تحصل الكفاية، فكيف يترك المسلم هذا الفرض



المتعين عليه، ولا يكتفي بذلك بل يأتي بنقيضه ويكتتبُ في جيش الكفار، وهو جيش الحكومة المرتدة الموالية للصليبيين العميلة لهم، الرافضية العلمانية التي هي خليط مشؤوم من أنواع الكفر والزندقة والمروق من الدين، فيكون جنديا في جيشها وشرطتها يأتمر بأمرها ويحمل لواءها ويدافع عنها وعن مشروعها وأهدافها، وينصر الكفار ويحميهم ويتعرض للموت من أجل نجاح مشروعهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[المائدة]

٢- أن التجنّد في قوات الجيش والشرطة العراقية يقتضي من المتجنِّد حتمًا ولا محالة أن يقف في وجه إخوانه المجاهدين في سبيل الله المدافعين عن الدين والعرض والأرض، الرافعين راية لا إله إلا الله، وأن يقاتلهم وهو في صف الكفار مكثّرا لسوادهم في أقل الأحوال، محاربا معهم للمسلمين في أحوال أخرى..! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[النساء]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[الممتحنة: ١].

٣- أن هذا التجنّد سبيل إلى التلبيس على المسلمين والصدّ عن سبيل الله تعالى، وإفساد مشروع الجهاد، والطعن في المجاهدين وبثّ الفتنة بينهم وبين الناس.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة].

٤- أن المتجنّد في هذه القوات الخبيثة سيأتمر بأمر قوادٍ كفرة فسقة فجرة، وسيسمع الكفر في كثير من الأحيان، وسيتربّى على أيدي النصارى وأوليائهم، أو على أيدي الرافضة والعلمانيين.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[الأنعام].

٥- أن المتجنّد معهم مكثّرٌ لسوادهم ناصر لهم ساعٍ في دعمهم وإنجاح مشروعهم اللعين، بمجرد وقوفه في صفّهم، خاذلٌ للمسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[القصص]وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾[المجادلة]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة].

٦- أن أي فائدةٍ أو مصلحةٍ يرجوها المتجنّد من ذلك هي غير معتبرةٍ لأنها مصادمة لنصّ الدين وحكم الشرع البين المجمع عليه والمدلول عليه بأدلة كثيرة واضحة جليّة، فهي ليستْ مصلحة شرعا،

وإنما هي أهواء ودواعٍ انهزامية. قال الله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[المائدة]

٧- أن أفرح الناس بهذا التجنّد وأكثرهم اغتباطا به وأحرصهم عليهم وأكثرهم استفادة منه، هو العدوّ الصليبيّ الغازي لعنه الله.

٨- أن الداعي إلى التجنّد المذكور إنما هو في الحقيقة: الوهن؛ حب الدنيا وكراهية الموت (وكراهية القتال) والرضى بالدون وحبّ السلامة والدعة.. هذا مع أن القدرة عند أهل السنة لدحر العدو والغلبة على الكفرة بأنواعهم موجودةٌ بحمد الله لو استقاموا على الجادة، وصبروا وثبتوا ووقفوا مع إخوانهم المجاهدين المسابقين إلى النفير.. فالذي يدعو الناس للتجنّد المذكور، ويفتي لهم به قبل أن يأمرهم بالجهاد والصبر والمصابرة والمرابطة، غاشّ لهم آمرٌ بالمنكر، والعياذ بالله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[آل عمران]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[محمد].

٩- أن كل ما يشبّه به بعض أصحاب هذه الدعوة للتلبيس على المسلمين في هذا الأمر إنما هي دعاوى وخيالات وأمانيّ كاذبات، من مثل زعمهم أنهم بهذا التجنيد يساهمون في استتباب الأمن، واستقرار البلد، وبناء الدولة العراقية! ومنع سيطرة طائفة واحدةٍ على الدولة زعموا، وحماية أهل السنة زعموا، وأن يكون لهم نصيب في الملك مع الرافضة زعموا.!

وكل ذلك في الواقع ليس بشيء، بل السيطرة للصليبيين والروافض والعلمانيين المنتسبين للطائفتين وغيرهما، والهيمنة الأمريكية لن ترضى إلا بما يوافقها ويخدم مصالحها، والجزء المشار إليه على أنه من أهل الخير -على التسليم بحسن نيّته- هم جزء مستضعف حقيرُ القدر عاجزٌ لا يقدر على شيء بل هو داخل تحت عموم سلطة الكفرة الأصليين والمرتدين.! وكيف يخطر على قلب مسلم أن يسعى في استتباب الأمن للعدوّ الكافر؟ وأي دولةٍ هذه التي يسعى لتشييدها بإشراف العدوّ الصليبيّ وربائبه العلمانيين والرافضة المارقين؟!

والله المستعان.. وبالله التوفيق.. ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف]، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان».



انتهى نص البيان المشار إليه.

وأما حكم هؤلاء المنخرطين في الجيش والشرطة فينبغي أن يكون فيه تفصيل:

فالأصل في أحكام القتال والقتل أن كل من هو في صف العدوّ، وهذا الجندي في الجيش أو الشرطة هو أظهر صورة للكون في الصفّ، فإننا نقتله ولو كان شيخ الإسلام وعلى رأسه المصحف.! وأما تكفير أعيانهم بعد ذلك فينظر في كل على حدة.. والصنف المنخرط في الجيش والشرطة من رجال أهل السنة المشار إليهم، بناء على فتاوى بعض أهل العلم أو أهل الضلال ممن يظنون فيهم الخير وبناء على توجيه من جماعات إسلامية يحسنون الظن فيها، نرجو أنهم بهذا العذر ليسوا كفارًا بسبب هذه الدوافع وهذه الفتاوى المشار إليها، لكن من حاد عن تلك الدوافع والحدود المزعومة وانخرط في قتال المجاهدين فنحكم عليه بالكفر لارتكابه ناقض المظاهرة للكافرين على المؤمنين، وهكذا لو ارتكب شيئا من المكفرات الأخرى، أعاذنا الله وإياكم من مضلات الفتن.. والله أعلم.

وأما هل يبادر المجاهدون بقتلهم وقتالهم أم ينتظرون حتى يبدأ هؤلاء بشن الغارات على إخواننا المجاهدين..؟ فقد تضمن السؤال جوابه..! طبعا، لا نأمرهم أن ينتظروا حتى يشن هؤلاء الغارات عليهم ويقتلوهم..! هذا غير ممكن، ولا يقوله لا عقل ولا شرع.!! الإخوة في حربٍ..! وهؤلاء في صف العدوّ وجنودٌ من جنوده.. فالمجاهدون -بحمد الله- يملكون الشرعية لقتالهم وقتلهم إذا كانوا يخافون منهم الخيانة.. والخطوط العريضة واضحة.

يبقى بعد ذلك هل يبادرون بضربهم عند التجنيد وعند الكشف والفحص الطبي والاستعداد للتسجيل والانخراط، أو يتركونهم إلى مرحلة أخرى، أو يحاولون تحييدهم ويسكتون عنهم إلى حين، أو حتى يتعاملوا معهم بنوع تعامل يحتاجون إليه ويرون أنه يخدم مصلحة الجهاد، أو غير ذلك، هذا كله مما هم مخوَّلون فيه إن شاء الله، يفعلون فيه ما يرونه الأصلح بعد الدراسة والتشاور وكل ما يلزم لاتخاذ قرار صحيح.

والله الموفق.. والله ﷻ أعلم.

❊ ❊ ❊

〚ما بعد الانسحاب الأمريكي من العراق، وكيف يتعامل المجاهدون مع غيرهم؟〛

❁ ماذا تتوقع أن يحدث في العراق بعد انسحاب أمريكا بإذن الله؟ وهل الميليشيات الشيعية المسلحة ستمثل قلقا للمجاهدين؟ وكيف سيتعامل المجاهدون

مع هذه الميليشيات؟ وهل يمكن أن تقوم إيران بغزو العراق؟ وهل تتوقع أن يكون هناك اقتتال بيـن الفصائل الجهادية؟ وما رأي فضيلتكم في مجلس شورى المجاهديـن في العراق؟ وماذا تتوقعون بعد أن يصبح العراق دولة إسلامية ويمكن فيها لديـن الله؛ بمعنى ما هو السيـناريو القادم.. هل سيقوم المجاهدون بمحاربة الدولة المجاورة -مثل جزيرة العرب- لإكمال مشروع إخراج المشركيـن من جزيرة العرب، أو الأردن لفتح جبهة واسعة لمحاربة اليهود بحرية؟ وبماذا تنصحون المجاهديـن أن يفعلوا في هذه المرحلة؟

[**السائل:** عكرمة المدني]

الجواب:

الحمد لله.

السؤال مركب من عدة أسئلة، فلنتكلم عليها فقرة فقرة:

«**ماذا تتوقع أن يحدث في العراق بعد انسحاب أمريكا بإذن الله؟**» والله يا أخي الكريم، انسحاب أمريكا إذا حصل إن شاء الله، فسيكون شيئا كبيرًا، وستنتج عنه تحولات عظيمة في العالم، فيما نتوقع والله أعلم.. هو قد يسمّى انسحابًا..

ولكن قد يكون أيضا هروبًا كبيرًا وانهيارًا وانكسارًا ما بعده انكسار.

سيكون نصرا لأمة الإسلام، ولأبنائها المجاهدين في سبيل الله، وسيكون ضربة لا مثيل لها لدولة اليهود عليهم لعائن الله، وستكون ضربة لدويلات الردة المجاورة للعراق ولجميع دول الردة في بلادنا الإسلامية.!

ستكون الغلبة بإذن الله للمجاهدين.. وسيعلو صوتهم وترتفع كلمتهم وستهابهم الدنيا، وسيكون عندهم فرصة أكبر للتغيير والإصلاح الذي ننشده ونسعى له؛ سيدخل الناس في دين الله أفواجًا، ويدخلون في الحركة الإسلامية أيضا أفواجًا.. وسيكون للمنافقين شأن آخر ربما..! وسينضم إلى قافلة الجهاد كثير من المترددين، وكثير ممن تخلف لعذرٍ أو لغير عذر.. وسترى عجائب..

ومن التحولات المتوقعة: الحرب مع الشيعة في العراق والجزيرة والخليج، وتصادم المجاهديـن بشكل مباشر مع إيران، وإيران ستجد نفسها في موقف ضعيف محاصر من قبل المجاهديـن، في أفغانستان، وفي باكستان بعد أن تتحررا من قبضة أمريكا إن شاء الله، وتحصل فيهما تحولات نوعية لصالح الإسلام والمسلمين، ومن قِبَل المجاهدين في العراق والجزيرة والخليج، وحتى من داخلها

(إيران).

ستحصل تغيرات كبيرة في فلسطين وتعلو راية الجهاد الحق.. ودويلة اليهود ستجد نفسها في مأزق تاريخي ورعب غير مسبوق، ولا نستبعد موجة هجرة وهروب لليهود من فلسطين، وسيتسمر المجاهدون في مشروعهم السامي -شرفه الله- فيتقدّمون على تثبّتٍ إلى الشام؛ سوريا ولبنان والأردن، وإلى جزيرة العرب أيضا ومن أضعف وأولى نقاطها الكويت..!!

وتكون فرصة إخواننا في الصومال أكبر، وفي الجزائر والصحراء، وفي غيرها..

والتغيرات المتوقعة في أفغانستان وباكستان تبعث على سرور كل مسلمٍ إن شاء الله، وانكسار أمريكا وهزيمتها ستغري بعض القوى الكافرة بالتحرك وملء الفراغ ومحاولة الانتفاش والسيطرة، ولكن الحمد لله، ليس هناك قوة يبدو أنها في المدى القريب تستطيع أن تشكل خطرًا كبيرًا على أمة الإسلام أو تخيف فرسانها الأبطال.

وبالجملة.. فإن انهزام أمريكا وانكسارها في العراق سيؤدي إلى تراجع كبير ومدوٍّ في دورها القبيح ومستوى سيطرتها وتدخّلها في شؤون العالم، وستكون أحداث وأحداث..

يصعب على الإنسان تخيل كل شيء.. إنه شيء كبير بكل المقاييس.! لكن لا شكّ أن العالم مقدم على حروب وحروب، ولا شك أن العاقبة للتقوى وللمتقين، وأن الحركة الجهادية في تقدم بإذن الله، ماضية نافذة على رسلها لا تلتفت ولا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يفتح الله لها، وسيكون أبطالها الذين هزموا الأمريكان وطردوهم خائبين وتصدّوا لأعظم غارة صليبية على الإسلام والمسلمين هم أبطال تاريخيّون، ونسأل الله ﷻ أن ينصرهم في ما بعد الحرب كما نصرهم فيها، وأن يلهمهم رشدهم دائما ويجعلهم أئمة هدىً.

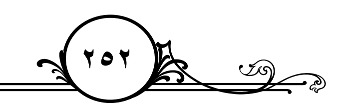
والفائز دائما هو من أطاع الله تعالى وصدق وأخلص، وكان لله عبدًا. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الفائزين المفلحين.. آمين، وقد كتبتُ قبل فترة مقالا بعنوان «**ما بعد هزيمة أمريكا**»[(١)] تناولت فيه بعض جوانب هذا الأمر المتوقع، وهو منشور في منتدى «أنا المسلم»[(٢)] وغيره.

وبخصوص العراق؛ فالمتوقع هو:

---

(١) تجد المقال في «المجموع» ضمن قسم «مقالات ورسائل وقصائد ومقدمات للكتب وتعليقات عليها».

(٢) هو من أقدم المنتديات الحوارية التي كان فيها مساحة لأهل الجهاد -رغم ما عليه من ملاحظات-، وكان الشيخ ﷺ يشارك فيه قبل بضع سنوات، وكتب فيه عدة مواضيع أثبتناها جميعًا في هذا المجموع -بحمد الله ومنته- رغم أن القائمين على الموقع -هداهم الله- قد حذفوها، لكن يسر الله طريقة استطعنا بها استخراج هذه المقالات من تحت الركام!؛ فلله الحمد والمنة.



- تحوّل الحرب إلى محور حرب السنة والرافضة..

- احتمال كبير جدًا لتدخل سافر من قبل إيران في العراق، وخصوصا من جهة البصرة.

- ذعر عظيم ومَهول في دوائر المرتدين في كردستان العراق، وفي الدول المجاورة سيدفع هذا الذعر الهائل مرتدي كردستان إلى أن يكونوا أقرب إلى الرافضة وحلفاء لهم ضداَ على المجاهدين وأهل السنة، وسيستمر ارتباك واضطراب مواقف النعاج الحائرة في حكومات الجزيرة والخليج والجوار العراقي.!!

- احتمال كبير وأكيد لحصول تقسيم للعراق على أساس عرقي وطائفي، فينفرد السنة بمناطقهم والشيعة بمناطقهم والأكراد في شمالهم كما هم.

- اندفاع الحركة الجهادية إلى التوسّع في اتجاه الجزيرة والشام.

- خفة الضغط على الحدود، وتدفق أعداد كبيرة من شباب الأمة للجهاد في العراق والمنطقة.

- وبالجملة ما نتوقعه هو خير كثير، والله أعلم.

«**وهل الميليشيات الشيعية المسلحة ستمثل قلقا للمجاهدين؟**» قال الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾[آل عمران]، سيمثلون أذىً كما قال الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلا.. ولن يضروا المجاهدين إن شاء الله.. إنهم أحقر من أن يشكلوا خطرا أو ضررًا، إنهم أهل الشرك والخوف والجبن، مردوا على النفاق والتقية واستمراء العار والخزي، أهل الكذب والوضاعة.

هؤلاء لا يشتغلون إلا في ظل قوى كافرة كبيرة تحميهم وتشكل لهم سندًا وظهرًا.. أما حين ينهزم عنهم ذلك الشيطان، وينزاح عنهم الغرور والباطل، وينفرد بهم أهل السنة فستراهم أحقر وأذل وأخزى مما تتصور.. نعم ستبقى لهم إيران سندًا إلى حين، لكن إيران ستنفتح عليها مشاكل كبيرة من عدة جهات، وعندما تكون الحرب مباشرة مع الشيعة وإيران فالغلبة لأهل السنة إن شاء الله.

«**وهل يمكن أن تقوم إيران بغزو العراق؟**» غزو العراق بمعناه الكامل.. لا، ولكن يمكن أن تتدخل بقواتها وحشودها في المناطق الرافضية الجنوبية من جهة البصرة وشط العرب، وتمدّ المليشيات الرافضية الموالية لها بالقوات والسلاح بشكل سافر كالدبابات وغيرها.

«**وهل تتوقع أن يكون هناك اقتتال بين الفصائل الجهادية؟**» لا نتوقع ذلك، ولن يكون إن شاء الله تعالى، فالمجاهدون واعون فاقهون لأمرهم، مستوعبون للتجارب، وهم بحمد الله إخوان متوالون متعاصمون متحابون.



حتى لو بقيت الجماعات متعددة، فسيستمر التعاون والتنسيق، إلى أن ييسر الله الوحدة في نطاق أشمل وأوسع.. نسأل الله أن يجمع صفوف المسلمين ويؤلف بين قلوبهم.

«**وما رأي فضيلتكم في مجلس شورى المجاهدين في العراق؟**» تقدم الكلام فيه.

«**وماذا تتوقعون بعد أن يصبح العراق دولة إسلامية ويمكن فيها لدين الله؛ بمعنى ما هو السيناريو القادم هل سيقوم المجاهدون بمحاربة الدولة المجاورة مثل جزيرة العرب لإكمال مشروع إخراج المشركين من جزيرة العرب، أو الأردن لفتح جبهة واسعة لمحاربة اليهود بحرية؟ وبماذا تنصحون المجاهدين أن يفعلوا في هذه المرحلة؟**» أظن أن قدرًا من الجواب على هذا السؤال قد حصل فيما تقدم.

وأزيد هنا بعض التوضيحات:

«**أن يصبح العراق دولة إسلامية ويمكن فيها لدين الله**» فهذا قد يكون لا يزال مبكرًا، وليس على الله بمستنكرٍ، وما ذلك على الله بعزيز، نرجو رحمته ﷻ وفتحه المبين، لكن المقصود أن نلاحظ الأسباب والسنن.

فالعراق ككل مقبل على انقسامات محتملة وحروب إضافية، ومهما يكن من أمر فالمتوقع هو أن يظل العراق سواء انهزمت أمريكا وانكسرت وخرجت خائبة تجر أذيال الخزي والندامة، أو بقيت إلى أن يشاء الله.. فإن العراق سيظل ساحة جهاد ونقطة جذب وبؤرة صراع بين الحق والباطل وبين طلائع الأمة المجاهدة وبين أعداء الملة والأمة، وسيظل مصنعًا للرجال والبطولات، وسيظل قلعة إمداد للحركة الجهادية، والله أكبر، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون..

فنشوء دولة في العراق بالمعنى الكامل، لسنا مستعجلين عليه.. سيأتي وقته رويدًا.

لكن يمكن -إذا خرجت أمريكا ذليلة حقيرة- أن تتكون نواة تلك الدولة الإسلامية المنشودة، ويمكن تسميتها دولة أو إمارة أو غير ذلك.. والموقع المحتمل لها هو مناطق أهل السنة، وخصوصا الأنبار.

ولا ينبغي -في نظري- الحرص على تأسيس دولة بالمعنى المعروف (المتضمن للانحياز إلى أرض محددة، ووجود مؤسسات وإدارات على الأرض، وشعب منحصر في أرض.. الخ) ولا التسرع في ذلك، فإنها تستهلك الطاقات، وتكون هدفا سهلًا للعدوّ، والعدوّ الجبان (الأمريكان وأولياؤهم) عصيهم طويلة وهي أسلحة الجوّ وأسلحة الدمار الشامل، فيجب الحذر من ذلك.!! نسأل الله تعالى أن يجعل كيد الأعداء في نحورهم.

والمجاهدون هم بحمد الله تعالى -أعني جماعتهم- في معنى الدولة وفي قوتها حاليًا، لأنهم سلطان

له نوعُ تمكين، وإذا فتح الله عليهم وهزم عدوّتهم الفاجرة أمريكا فإن سلطانهم سيكون أقوى وأعز وأمكن، فلا يستعجلوا.

وقد ذكرتُ مسألة «استهلاك الطاقات» وقصدت أن الإصرار على التحول من طور الحركة إلى الدولة قبل أوانه يستهلك جزءًا كبيرا من طاقة المجاهدين لإدارة هذه الدولة والحفاظ عليها، والمجاهدون طاقتهم محدودة على بركتها والحمد لله، نسأل الله أن يزيدهم بركة وقوة وفضلا.

وهناك صيغ يمكن للمجاهدين أن يلجؤوا إليها في هذه المرحلة لإدارة شؤون الناس والبلاد، بحيث يكونون هم المشرفين المهيمنين، وتوكل إدارة شؤون البلاد والعباد إلى القوى الاجتماعية المحليّة، والحمد لله في الناس خيرٌ كثير وقوى كبيرة مكنونة سيأتي وقت تفعليها، وهذا له تفاصيل سهلة وميسورة بحمد الله، وعند قيادات المجاهدين العليا خبرة واسعة بهذا والحمد لله، والله خير مأمول وأكرم مسؤول، نسأله ﷻ من فضله العظيم.

وإذا حصل كل هذا إن شاء الله، فلن يكون أكبر الهم هو «إخراج المشركين من جزيرة العرب» بمعنى إخراج الأمريكان والكفرة منها، بل سيكون هناك مشروع أكبر وأشمل وأعمّ. والله الموفق.

والذي ننصح به المجاهدين في هذه المرحلة هو: الاجتهاد جدًا في الوفاء بواجب الشكر لله تعالى، وتحقيق العبودية لله تعالى بأن يكونوا عبيدًا لربهم ﷻ كما كانوا عبيدا له في حال الضعف والمسكنة وفي أثناء القتال والجهاد قبل الانتصار، ومَظهرُ ذلك التواضع لله ولخلقه، وخفض الجناح والرفق بالخلق والحرص على هدايتهم، والبعد عن العجب والغرور والكبر وسائر الأمراض، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة]. وقال جل وعلا: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣ ﴾[القصص].

وليعلموا أنه ابتلاء عظيم؛ الابتلاء بالنصر على الأعداء، والغلبة والظهور والتمكين في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾[الأعراف]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي

ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس].

ونوصيهم بالاتحاد والاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف والتنازع.. فإنهم في مرحلة ما بعد الانتصار على الأمريكان سيكونون أحوج إلى الاجتماع والاتحاد من أي وقت مضى، وبدون الاتحاد والاجتماع لن يجنوا كبيرَ ثمرة بل ربما سرقت منهم الثمرة، وليحذروا من الجاهليين القوميين والوطنيين من البعثيين وغيرهم، وليسعوا جاهدين لتأليف الناس عليهم وكسبهم في صفهم، وخصوصا العشائر، بالتبشير والتيسير وحسن الخلق، وبالاهتمام بهم، وبالكلمة الطيبة والمشاورة والوعد الحسن والتغاضي والعفو، وليعملوا لذلك كله من الآن، وأوصيهم بضرب الحديد وهو ساخن دائمًا.! والله الموفق.



مهد الإسلام وقاعدته ومأرزُه..
ومهوى الأفئدة..

[مسيرة الجهاد في «الجزيرة العربية»، والموقف من بعض عمليات «جزيرة العرب»]

❁ كيف ترى مسيرة الجهاد في الجزيرة العربية؟

[السائل: mamado]

الجواب:

الحمد لله، اللّٰهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزْنَ إذا شئتَ سهلا.

بصفة عامة رأيي أن مسيرة الجهاد في جزيرة العرب مسددة في الأغلب والأعمّ، ورصيد جيد للحركة الإسلامية على خلاف ما قد يبدو لمن لم يمعن النظر.

والإخوة هم جزء من حركة جهادية شاملة وكبيرة، وكثير من مسائلهم التي عالجوها وابتلوا بها هي من موارد الاجتهاد، وهم آخذون فيها بالعزيمة والقوة في الحق، نسأل الله أن يتقبل منهم وينصرهم على من بغى عليهم.. وكل إنسان يخطئ ويصيب طبعا، والاعتراضات على الإخوة في جزيرة العرب كلها أو معظمها تأتي من جهات غير جهادية، وغالبها معروف بنوع ميول فكرية أو عملية غير مَرْضية.

والإخوة -بحمد الله- في معظم المسائل دلائلهم ظاهرة، وأنوار براهينهم ساطعة..

وأكبر عائق واجه ولا يزال يواجه الحركة الجهادية في الجزيرة هو منظومة الفتوى والمشيخة الرسمية وشبه الرسمية في البلاد.. والله المستعان.

نسأل الله أن يصلح الأحوال وأن يكشف الغمة ويفرّج الكروب.. آمين.

الجهاد في جزيرة العرب له اتجاهان:



الأول: مجاهدة الحكومة المحلية المرتدة الموالية للصليبيين.

الثاني: دعم المسيرة الجهادية العامة لـ «القاعدة».

❖ **في الاتجاه الأول**: فأنا ما زلت أعتقد -كما عبّرتُ عن ذلك في مناسبات سابقة- أن الإخوة المجاهدين اضطروا إليه اضطرارًا، وليس هو المقصود من عملهم بالأصالة وبالقصد الأول، مع أنه لازم لعملهم عند النظر.

المعروف لديّ وأظن سائر من عرف «القاعدة» والشيخ أسامة في أفغانستان إلى آخر العهد بهم قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر يعرف أن الشيخ كان لا يرى الاصطدام بالحكومة السعودية ولا غيرها من الحكومات العربية أيضا، هذا معروف عنه مشهور.

كان الشيخ -وأظنه لا يزال أيضا حسب ما يظهر من فحوى خطاباته- يرى تحييد هذه الحكومات المحلية ما أمكن ذلك وعدم استعجال الاصطدام بها، بل نضرب الرأس وهو أمريكا، ونوجّه لها كل قوتنا وطاقتنا، وإنما نضرب من لا مناص من ضربه من أذنابها المحليين.

بل الشيخ أسامة كان ينصح حتى جماعات أخرى في بلدان عربية أخرى بعدم بدء عمل ضد الحكومات المحلية، ويبين لهم أن هذه المعارك شروط ومقومات النجاح فيها صعبة التوافر جدًا، ويستشهد بتجربة الجزائر ومصر وغيرها؛ وهذه الفكرة معروفة عند الإخوة في جزيرة العرب واضحة تمامًا.

ولهذا لم يكن لدى الإخوة توجّه ابتداء لعمل في السعودية ضد الحكومة، وإنما واضحٌ أنهم دخلوا المعركة مع هذه الحكومة ملجئين مضطرين، أشبه بالمدافعين عن أنفسهم، وبيانات الإخوة وأدبياتهم تعبّر عن ذلك أيضا.

وما حصل من سجالات على الانترنت وغيرها في الفترة التي أعقبت عودة الكثير من الإخوة من أفغانستان بعد أحداث سبتمبر شاهدة على ذلك، وما زلنا نذكر أن معظم الإخوة من طلبة العلم والمشايخ يختارون عدم التصادم مع الحكومة إلا إذا طلبتهم الحكومة وأيقنوا السجن والتعذيب والقهر والفتنة فإنهم سيدافعون عن أنفسهم ويقاتلون..!

ومع ذلك فالإخوة في «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» في نظري وبحمد الله تعالى ومنّه وفضله كانوا مسددين في الغالب، نعم وقعت بعض الأخطاء، لكن الذي يُعطيه النظر الجُملي الكلي أنهم كانوا على مستوى عالٍ وكانوا مسددين موفقين ضربوا أمثالا رائعة وأسهموا وما زالوا بحمد الله وتوفيقه يسهمون في تطوير وترشيد المسيرة الجهادية وإثرائها، فلله درهم وبارك الله فيهم وتقبل الله منهم

ونصرهم الله وأعانهم:

- **فعلى المستوى الفكري العلمي الأدبي**.. إصداراتهم المكتوبة أو المسموعة والمرئية وسائر أدبياتهم كانت موفقة وطيبة[١]، يظهر فيها الاعتدال والبُعد عن الغلوّ، خلاف ما يرميهم به الأعداء والخصوم كذبًا وزورًا، يدل على ذلك عدم تكفيرهم للجنود السعوديين تكفيرًا عامًا[٢]، وبُعدهم عن تكفير المشايخ والعلماء المخالفين، علماء الدولة، أو التورّط في قتل أحدٍ منهم أو ما شابه، رغم حساسية هذه المسألة ورغم إثارتها للحمية والقوة الغضبية، ولكن أثبت الإخوة أنهم على مستوى عالٍ من الاتزان ورباطة الجأش وقوة القلب، وذلك فضل الله تعالى وحده، وهكذا كان كلامهم بعيدا عن التسرع في الأحكام وعن الإفراط دائما.. وكانت إصداراتهم على مستوى عال من الإتقان والجودة، وكانت في باب التحريض لشباب الأمة طفرة حقا، وكان خطابهم خطابًا مسددًا بعيدا عن الغرور والدعاوى والاستكثار، فيه اعتدال وبساطة وتركيز على الحجج الواضحة والمنطقية في مشروعية عملهم وخروجهم على هذا النظام الذي ارتكب الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان، خطابًا يوظف العوامل والمعطيات الواقعية المحققة البينة.

- **وعلى المستوى العملي الميداني العسكري**.. كانت عملياتهم في العموم جيدة، وفيها المتقن الجيد،

---

(١) كان لـ«تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» أيام عمله في «بلاد الحرمين» كثيرٌ من الإصدارات الشرعية والفكرية والأدبية التي أثرت المكتبة الجهادية، والتي كانت تُنشر في موقع: صوت الجهاد، ومجلته، ومركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ومن أهم الذين كتبوا في تلك المرحلة: الشيخ البتار الحافظ الشهيد «**يوسف العييري**» ﷺ-ومن مؤلفاته: حقيقة الحروب الصليبية الجديدة، تساؤلات حولها، هل انتحرت حواء أم استشهدت؟، الميزان لحركة طالبان، هداية الحيارى في جواز قتل الأسارى، وله عدد من الردود والرسائل والمقالات السياسية النافعة ﷺ-، والشيخ المجاهد: «**عبد العزيز بن رشيد الطويلعي العنزي**» -ومن مؤلفاته: شرح النواقض وإصلاح الغلط في فهمها، هشيم التراجعات، في فقه الجهاد، انتقاض الاعتراض على تفجيرات الرياض، المنية ولا الدنية، حكم استهداف المصالح النفطية-، والشيخ المجاهد «**أبو جندل الأزدي فارس الزهراني**» -ومن مؤلفاته: الباحث عن حكم قتل وأفراد ضبط المباحث، تحريض المجاهدين الأبطال على إحياء سنة الاغتيال، نصوص الفقهاء حول أحكام الإغارة والتترس، وجوب استنقاذ المستضعفين من سجون الطواغيت والمرتدين، العلاقات الدولية في الإسلام، أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان، مع عدد من الخطب والمحاضرات والرسائل والمقالات-، والشيخ المجاهد «**سلطان بن بجاد العتيبي**» ﷺ -ومن مؤلفاته: الحق واليقين في عداوة الطغاة والمرتدين، الزناد في وجوب الإعداد، الأدلة الساطعة على تحريم العسكرية المعاصرة-، ومن الرسائل المفردة التي أصدرها التنظيم في جزيرة العرب: إدارة التوحش، الخونة؛ كلاهما لأبي بكر ناجي، عقيدة الطائفة المنصورة؛ لعبد المجيد المنيع ﷺ، ديوان العِزَّة.

(٢) يعني: تكفيرهم بالأعيان؛ فالمعمول به عند التنظيم في جزيرة العرب أن كفرهم الحكومة السعودية وجيشها كفر طائفة لا عين.



وفيها الذي فشل وأصيب، ولكن بالجملة كانت جيدة، نعم وقعت بعض الأخطاء أحيانا مثل انقتال بعض الناس، ولكن هذا من الأخطاء التي تقع في كل حرب، ولا يسلم منها عمل عسكري.

- **وعلى مستوى إسهامهم في دعم إخوانهم في العراق وغيره**.. كانت إسهاماتهم طيبة، وعلى مستوى التدريب والإعداد وإثراء مكتبة الحركة الجهادية كانت جهودهم مشكورة.

نعم أنا ممن كان رأيهم ابتداء أن لو لم يصطدم الإخوة بالحكومة السعودية، وأن لو أمكن تحييد هذه الحكومة المنافقة والسكوت عليها والصبر على شرها وتفاديها ما أمكن، لفوائد وأسباب لا تخفى، ولعدم تهيئِ الظروف اجتماعيًا، لكن لا شكّ أن هذا كان شيئا صعبا جدًا، ولا يمكن أن نلوم الإخوة في الاصطدام معها، وما حدث هو إن شاء الله خيرٌ، وفيه حكمٌ بالغة والحمد لله رب العالمين.

❖ **وفي الاتجاه الثاني**، وهو دعم الحركة الجهادية والعمل كعنصر وجناح في جيش «قاعدة الجهاد»؛ فإن الإخوة كان أمامهم تحقيق أهداف معينة:

- ضرب الأمريكان أينما وجدوا، وضرب مصالحهم المدنية والعسكرية، وإنهاكهم واستنزافهم والنكاية فيهم والسعي لإخراجهم ومن يواليهم بل وكل الصليبيين والكفار من جزيرة العرب.

- ضرب المصالح النفطية التي هي العصب الرئيسي لإمداد دولة آل سعود من جهة، والتي يستفيد منها العدوّ الصليبي (أمريكا) بدرجة كبيرة جدا، وكان من ضمن الأهداف في بعض الأحيان - على ما يبدو والله أعلم- رفع أسعار النفط، لأن ذلك يضر بالاقتصاد الأمريكي، حتى وإن كان يخدم مصلحة هذه الدولة السعودية وغيرها من نظرائها المنتجة للنفط بشكل مؤقت.

الواقع أن هذا الاتجاه -كما أشرتُ- كان يستدعي لا محالة الاصطدام مع الدولة، التي هي موالية للصليبيين الأمريكان سمّاعة لهم داخلة في نفوذهم وتحت طاعتهم وتحت هيمنتهم قائم وجودها على دعمهم ورضاهم عنها.! وطبيعي أن هذا هو ما حصل بالفعل.!

❋ ❋ ❋

[الجهاد في «بلاد الحرمين»، وهل سيستمر بعد مقتل بعض أبرز قادته؟، وما هي فوائده؟]

❁ ما رأي فضيلتكم في الجهاد في بلاد الحرمين؛ هل سيكون له استمرار بعد مقتل عدد من أبرز القادة؟

[السائل: أبو أويس]

الجواب:

نسأل الله تعالى أن يحفظ من بقي من الإخوة وأن يقوّيهم وينصرهم ويسددهم ويزيدهم هدى ورفعة.. آمين.

لا شك أن مقتل وأسر عدد لا بأس به من القادة الميدانيين والأدبيين له تأثير وهو من جملة المصائب والبلاء، ولكن هو في نفس الوقت وقود متجدد للمعركة، وثراء للتجربة وقدوة وتاريخ ورصيد.. وفي شباب الأمة الخير دائما، والبطون التي أنجبت «المقرن»[1] و«العوفي»[2] وإخوانهم تنجب غيرهم من أمثالهم وخيرًا منهم إن شاء الله.

وسواء استطاع الإخوة في بلاد الحرمين الاستمرار في جهادهم (عملهم العسكري) في المدى القريب، أو لم يستطيعوا واضطروا للانسحاب مثلا، فإنهم بحمد الله قد حققوا أهدافا مرحلية جيدة، وقربوا يوم الخلاص من الطواغيت أذناب الاستعمار الصليبي، وساهموا في دفع الحملة الصليبية على العالم الإسلامي، وأحرزوا دينهم وتوحيدهم وشرفهم وكرامتهم، ولم يذلوا ولم يستكينوا، فجزاهم الله خيرا كثيرا.

وكما قلت في بعض المناسبات السابقة: حتى لو توقفت القاعدة في جزيرة العرب وعجزت وغُلبتْ إلى حين.. فإنها جولات وسجال، وإن الجولة القادمة ستكون أفضل وأقوى وأسدّ وأعمّ وأشمل، بإذن الله تعالى، والدولة السعودية لن تكون رابحة، بل هي الخاسر الأكبر، ولا مقارنة..! لأنها بدلَ أن تتوب إلى الله تعالى وتصلح، فإنها تتمادي في غيّها وفسادها، وترتكب المزيد من الكفر والفسوق والعصيان، وباستمرار ينكشف للمزيد من الناس أنها حكومة «سلولية» كما يقول إخواننا حقا، حكومة منافقة لا يساوي دين الله عندها فلسًا، ولولا بقايا موروثات النشأة الدينية الأولى للدولة السعودية، ولولا عامل المحافظة والدين في المجتمع وفي حركته الإسلامية والعلمية، مما تراعيه مضطرة ويصعب عليها تجاوزه؛ لتبجّحوا بالشناعات، نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) هو عبد العزيز بن عيسى المقرن، من مواليد مدينة الرياض، جاهد في أفغانستان، والجزائر، والبوسنة والهرسك، وأخيرًا في «بلاد الحرمين» ضد القوات الصليبية الغازية فيها، كان خبيرًا عسكريا محنكًا، وله رسائل في العسكرية، قُتل شهيدا في مواجهة قوات آل سعود التي قتلته دفاعًا عن أمريكا واليهود في يوم الجمعة غرة ربيع الأول ١٤٢٥، مع عدد من إخوانه تقبلهم الله.

(٢) هو صالح بن محمد العوفي، وُلد في المدينة النبوية، جاهد في أفغانستان، وفي طاجكستان والشيشان مع القائد خطاب ﷺ، كان أحد المطلوبين الـ٢٦ التي أعلنت عنهم دولة آل سعود، له عدد من الرسائل والقصائد الشعرية المشنورة في مجلة «صوت الجهاد»، قُتل شهيدا كما نحسبه في مواجهة قوات آل سعود، وهو يدافع عن دينه وأمته المكلومة، تقبله الله.

والجولة القادمة يمكن أن تكون على مستوى شعبي كبير، ويمكن أن ينضم إليها علماء مشهورون متبوعون ورجالات مرموقون، ممن تأخر وتردد هذه المرة، وينصر الله بهم الدين.!

ودائما السابقون إلى هذه الهجرة وهذا الجهاد هم أهل الفضل العظيم، وهم الذين تصبّ في صحائف حسناتهم أعمالُ من بعدهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].. الإخوة المجاهدون في جزيرة العرب أظنّهم وطّنوا أنفسهم على الاكتفاء في هذه المرحلة بتحقيق أهداف مرحلية جزئية، وليس الهدف بالضرورة في هذه المرحلة هو إسقاط حكومة آل سعود، فإن الدول ليس من السهل إسقاطها وتغييرها، هذا يحتاج إلى تظافر طاقات وجهود وقوى وظروف مناسبة وفرص مواتية..!

لكن هم على الطريق، وغير مستعجلين، والحرب سجال، وهم يربحون ويتقدمون مع سائر إخوانهم في الحركة الجهادية، والحكومة الفاسدة وأخواتها ونظائرها من الحكومات تخسر كل يوم، وفي تقهقر وتراجع مستمر، وتتراكم عليها أسباب السقوط سريعًا، وكل شيء له وقته، والمجاهدون بين إحدى الحسنيين، والحمد لله رب العالمين.

ومن الأهداف التي حققها الإخوة:

- المساهمة في الحرب على الأمريكان الصليبيين، بالتضييق والاستنزاف والنكاية، وقد سحبت أمريكا معظم قواعدها وقواتها من السعودية إلى بلدان أخرى، وحتى لو قيل إن ذلك كان قبل نشوء تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، فقد كان من أهم أسباب ذلك خوف الأمريكان من الإخوة وهجماتهم وخشيتها أن تكون هدفا لهم في أي وقت، ومحاولتها تخفيف الضغط على عميلتها المتوسّلة إليها (حكومة آل سعود).

- ضرب المثال والقدوة لمن يأتي بعدهم في فرصة أكثر مواتاة ومناسبة، فقد مهّد هؤلاء الإخوة الأبطال الطريق، وكسروا حاجز الخوف والرهبة من هذه الحكومة.

- كشف حال النظام الحاكم الفاسد والارتقاء بالأمة درجات في معرفة حاله.

- تحريك المياه الراكدة في الساحة العلمية والسياسية، وإحياء مبادئ كبيرة أصابها الموت كمبدأ الخروج على الحاكم إذا كفر الكفر البواح، وتمحيص الصفوف وتمييز الخبيث من الطيب، وكشف الكثير من الزيف..!

وما زالوا يبذلون ويرفعون لواء التوحيد، والحربُ سجال، والعاقبة للمتقين، وأما ما قابل ذلك من

أضرار تذكر، من التضييق على الدعوة وعلى الجمعيات والمؤسسات الخيرية والدعوية، ومن الخوف الذي حصل للناس والسجن للكثيرين، وغير ذلك.. فهذه لازمة لكل جهاد، وكل حركة تغيير سياسي.. وليس هو راجعا إلى الحركة الجهادية بالضرورة، فإن الأعداء مصممون على حرب الدعوة ووسائلها وأهلها، كانت الحركة الجهادية أو لم تكن.

ولو عكس إنسانٌ هذا الدليل فقال: إن الحركة الجهادية هي صِمامُ أمانٍ للمجتمع والأمة، ورادعٌ لأهل الزيغ والفساد من الحكومات وغيرها وتقليلٌ لشرهم إن لم يمكن إعدامُه، وبركة على الأرض وأهلها، لكان محقا.. ومَن استمرأ مراعاة هذه الأشياء فقد لا يجاهد..! وإنما العبرة بالنظر في الواجب الشرعيّ والقيام بأمر الله تعالى، وتحمّل المسؤوليات والتكاليف.

والمعادلة بكل بساطة: حكومة ارتكبت الكفر البواح المجمع عليه وهو المظاهرة للكفار على المسلمين، بالإضافة إلى مكفرات أخرى، وجب الخروج عليها ومنابذتها والسعي في تغييرها. انتهى.!

فأي اعتراض بعد ذلك بترويع الآمنين كما يحلو للمعترضين كثيرا التعبير به، والتضييق على المتوسّعين المتبسّطين، وما شابه ذلك، فهو إشكال يُجابُ عليه، لا أصل يحتكم إليه.!!

ومسألة وجود القدرة والكلام على المصالح والمفاسد، كل ذلك قد حرره إخواننا أحسن تحرير وبينوه وأجابوا على الإشكالات فيه.. ومسائل أحكام قتل الكفار الصليبيين في جزيرة العرب وغيرها من الأحكام كذلك، فهذا كله لا يعترِض به مَنْ سلّم بالأصل المذكور.. والكلام يحتمل البسط طويلا، والإخوة هم أفضل من عبّر عن طريقهم بأنفسهم على كل حال..

ونسأل الله أن يفتح عليهم.. والله الموفق، لا حول ولا قوة إلا به.

✵ ✵ ✵

〚سياسة ضرب النفط من مجاهدي «جزيرة العرب»، والكلام على خلل في اسم السائل〛

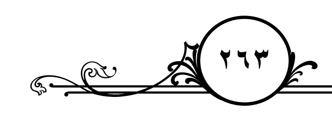
۞ ما رأيك بسياسة الإخوة المجاهدين في جزيرة العرب من ضرب مصادر النفط؟
كتبه وأملاه: خادم التنظيم الشريف؛ أحمد الخلايلة (!!)

[السائل: أبو قنبلة المغربي**]**

الجواب:

في البداية يا أخي ما معنى قولك «خادم التنظيم الشريف»!؟ أي تنظيم تقصد؟

واسم «أحمد الخلايلة» هو اسم الشيخ «أبي مصعب» ﷺ.. هل هذا تشابه أسماء، أو أنت تنتحل اسمه كاملا؛ فإن كانت الثانية فهذا لا يحلّ لك..!! سمّ نفسك باسم من تحبُّ دون الانتساب إلى غير



نسبك؛ فلا تأخذ اسم شخص مع اسم أبيه ولقبه ونسبه مثلا، بل خذ اسمه الشخصي فقط وتسمَّ به إن كنت تريد.

وقد رأيت من يسمّي نفسه ابن قيم الجوزية، وابن تيمية، وعبد الله بن المبارك -دون أن يكون اسمه عبد الله، ولا اسم أبيه المبارك- بل قد يسمّي بعضهم نفسه إمام دار الهجرة..!! فهذا كله مما نخشى أنه حرامٌ، والله أعلم.

ثم قولك «كتبه وأملاه» كيف يكون؟ إما أنك كتبته بنفسك أو أنك أمليته على غيرك فكتبه.! أصلحنا الله وإياك، وهذا كله خارج عن الموضوع، وإنما هو للفائدة والمناسبة.

وأما الجواب عن سؤالك عن ضرب المجاهدين في جزيرة العرب لمصادر النفط؛ فقد تقدم أن هذا من الأهداف المدرجة في سياسة القاعدة، ونعرف أن الشيخ أسامة حرّض عليها أنصاره وأتباعه، ووجهها أن هذا النفط يذهب معظمه إلى أعدائنا الصليبيين، فضربه وتعطيله وإرباك عمله وخطوطه وإخافتهم بذلك.. كل هذا مندرج في وسائل وتكتيكات الحرب والصراع، لأنه استنزاف للعدو وإشغال له وإضعاف وإنهاك وغير ذلك.

وهذا بحمد الله من الناحية الشرعية مشروع جائز، والإخوة لهم في ذلك بحوث بينوا فيها رأيهم وبسطوا أدلته[1]؛ فإنه مالٌ بيد دولة كافرة تتقوى به وتمدّ به أعداء الله في حربهم على المسلمين؛ فجاز إهلاكه وإفساده متى ما كان في ذلك مصلحة للمسلمين في حربهم وجهادهم، وهذا فقه صحيح، والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾[الحشر]، وقصة النضير التي نزلت فيها[2]، وغيرها من الأدلة، والله الموفق.

وأما الاعتراض على هذا بأنه مالٌ للشعب المسلِم، فهذا ضعيفٌ لا يُعتَرَض به، لأن الشعب لا يملكه فعلًا ولا يصل إليه منه إلا القدر الذي توصِله إليه هذه الدولة لتسايسه به.! فالمال للدولة في ملكها وفي تصرفها.

وإن شئت فقل: هو غصبٌ في يد الدولة، ولا يمكن فكاكه منها، وهي تتقوى به وتستعمله لحرب المسلمين، فجاز إتلافه عليها.!

---

(١) انظر في ذلك: حكم استهداف المصالح النفطية؛ لعبد العزيز الطويلعي العنزي، جعله على أربعة أبواب: «الباب الأوَّل: التأصيل الشرعي لأحكام الجهاد الاقتصادي. الباب الثاني: من يملك المصالح النفطية؟ الباب الثالث: حكم إتلاف أموال الكفار في الحرب. الباب الرابع: حكم استهداف المصالح النفطية»،، وقد خلُص في النهاية إلى جواز ذلك من عدة أوجه.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٠٣١)، صحيح مسلم (١٧٤٦) من حديث ابن عمر قال: حرق النبي ﷺ نخل بني النضير وقطع.

ثم هو -النفط- باقٍ في الأرض للناس، وإنما يضربُ المجاهدون أدوات إنتاجه والاستفادة منه في المرحلة الحالية، فهم يعطّلون استفادة العدوّ منه.

ومن يعترضُ بأن في هذا إضرارًا بالشعب المسلم؛ فهذا كذلك ضعيفٌ، لأنه ضررٌ محتمَل في جنب مصلحة النهوض لجهاد هذه الحكومة وأوليائها الصليبيين، والمسلمون (طائفة منهم قائمة بذلك) في حربٍ معهم والضرر على الدين لا يعدله شيء..!! والله أعلم.

وعلى كل حال.. لا يستطيع أحدٌ أن يدّعي أن هذه المسألة مما خالف فيه الإخوة شيئا من الدين معلوما مقطوعا به منصوصا أو مجمعا عليه، وقصارى المعترض أن يختار خلاف قولهم ويجعلها من مسائل الاجتهاد والاختلاف السائغ، وليس للمخالف حجة ظاهرة فيما رأينا إلا فتاوى أكثر علماء البلد، ولا سيما الرسميون منهم..! وهذا ليس بحجة عند التحقيق، ولا سيما في واقعنا المعروف، الذي وصل فيه حال العلماء والهيئات العلمية إلى حالٍ مأساويّ حقا، وإلى الله المشتكى وحده.!

✵ ✵ ✵

〚هل أقرت عمليات مجاهدي «الجزيرة» من قيادة «القاعدة»؟، وهل هي جائزة شرعا؟، ونصيحة〛

❁ حسب معلوماتك ومعرفتك برموز وقيادات الجماعات الجهادية والتي منها إخواننا في جماعة القاعدة.. هل ما يقوم به إخواننا في الجزيرة العربية من هجمات هي بإقرار من قيادة القاعدة؟ أم هي اجتهادات فردية من هؤلاء الإخوة؟ أو اجتهادات فردية من قيادات القاعدة في الجزيرة بدون الرجوع إلى القيادة العامة لجماعة القاعدة؟ وهل ما يقومون به من أعمال هي أعمال جائزة شرعا؟ أم فيها تفصيل؟ وما تنصح به إخواننا المجاهدين في الجزيرة العربية؟

[السائل: مع الحق**]**

الجواب:

أظن أن معظم الجواب قد تحصّل مما سبق، وإذا سمينا عمل الإخوة في جزيرة العرب اجتهادًا، فلا مشاحة، فهم قد اضطروا وقدّروا ظرفهم وحالهم، ونحن نعلم أن الشيخ أسامة أثنى عليهم وأيّدهم تأييدًا جمليًّا، وأوصاهم بوصايا في بعض خطاباته، وهم جزء من القاعدة.

وماذا تقصد تحديدًا بالأعمال التي يقومون بها؟

وعلى كل حال قد سبق الكلام في أعمالهم وأهدافهم.

والذي ننصح به إخواننا المجاهدين في جزيرة العرب: الصبرُ والتقوى، ومزيد التحرّي والتثبّت في الأهداف والعمليات، وعليهم بالواضح البين الذي يجتمع عليه المؤمنون قدر الإمكان؛ فإنهم في واقع سياسي واجتماعيّ لا يساعدهم كثيرا، بل ويترصّد لهم الهفوات والأخطاء، وليثبتوا وليستمروا بارك الله فيهم على خط الإنصاف وتحقيق الحق والتثبّت في خطابهم وفي منهجهم، والله ناصرهم ولو بعد حين.. نسأل الله لهم التوفيق والتسديد والإعانة، ونسأل الله تعالى أن يبرم لأمتنا أمر رشدٍ يَعِزُّ فيه أولياؤه ويَذِلُّ فيه أعداؤه.. آمين.

❃ ❃ ❃

[نصيحة للمجاهدين في اليمن، وهل الجهاد في داخل «اليمن» جائز؟]

❁ علمتم ما حدث في اليمن في الفترة الأخيرة من الأحداث بالإخوة المجاهدين من أسر وتضييقات واعتقالات وتفكيك لبعض الخلايا التي كانت موجودة.. وأظن والله أعلم أنكم على اطلاع كامل بالوضع هنا؛ فما نصيحتكم للشباب الموجودين؟ وبماذا تنصحونهم أن يقوموا به في مثل هذه الفترة الحرجة من مسيرة الجهاد؟ وهل تؤيدون العمل في الداخل (أي في اليمن)؟ مع ذكر الأدلة ما أمكن.

[السائل: إرهابي لله**]**

الجواب:

مرحبًا بأهل اليمن أهل السكينة والقلوب الرقيقة والإيمان والحكمة، ومدد الإسلام، اللّهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا يا رب العالمين.

لا والله يا أخي، لستُ على اطلاع كامل على الأوضاع في اليمن، ولذلك لستُ مؤهلا لأشير على الإخوة هناك، والله يعفو عنا وعنكم.

نسأل الله تعالى لنا ولكم الهدى والسداد والتوفيق والإعانة.. آمين.

وربما ننصح بشكل عامّ الإخوة هناك بأن يهتمّوا بدورهم في دعم إخوانهم في الصومال الآن، وكذلك في السودان إذا حصل شيء هناك، وليكونوا على أهبة الاستعداد، فإن أهل اليمن هم مددُ

الجهاد والإسلام دائما كما جاءت الإشارة إليه في الآثار[١]، وكما عرفناه في الواقع أيضا.

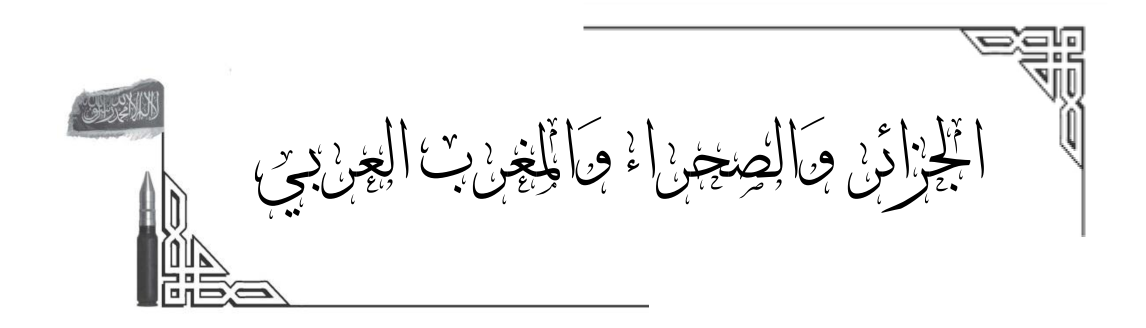
وعلى الإخوة أن يرتقوا بمستواهم العملي، وأن يلتزموا الإتقان في كل ما يرومون، فواقعهم الاجتماعي في اليمن واقع قبلي متداخل، فيجب أن ينتبهوا للسريّة والكتمان في أعمالهم، والاحتياط الكامل والتيقظ، والاحتراس من الناس بسوء الظن.!!

وأما العمل في الداخل أي ضد الحكومة اليمنية، فلا أعرف واقعكم ووضعكم الآن جيدا حتى أتكلم في هذا.

والله يتولانا ويتولاكم، والحمد لله أولا وآخرًا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) من الآثار المشيرة إلى أن أهل اليمن هم أهل المدد حديث ابن عباس ﵄ قال رسول الله ﷺ: **(يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)** راوه أحمد (٣٠٧٩) وصححه الأرنؤوط.



ظَهْرُ المسلمين..
ثباتٌ ومضاءٌ وأملٌ متجدد..

[القول في «المصالحة الوطنية في الجزائر»، وقصة مهادنة بعض المجاهدين للنظام الجزائري، وكلمة عن الأوضاع في أرض الشهداء، ونصح]

❁ شيخنا الفاضل: ما هو رأيكم أو بالأحرى رأي الشرع لما يحدث في أرض الشهداء الجزائر؟ وبماذا نسمي: «المصالحة الوطنية في الجزائر»؟ وكيف ترون الحل للأوضاع هناك؟ وبماذا تنصح الشباب والحركة الإسلامية؟.

[السائل: أبو النور**]**

الجواب:

الحمد لله رب العالمين..

طبعًا الجواب هو رأيي وفهمي في الجملة، وقد يتضمن في بعض أجزائه ما هو حكمٌ شرعيٌّ منسوب إلى الشرع على جهة القطع، ولكن على الإجمال هو رأي قائله، وما ينسب إلى الشرع لا يقال له رأي (رأي الشرع) وإنما يقال: حكم الشرع أو حكم الشريعة وحكم الله تعالى ونحو ذلك، لكن لا بد أن يكون هذا مما ثبت فعلا بنص كلام الله ورسوله ﷺ أو ما في معنى وقوة نص كلام الله ورسوله.. فهذا للفائدة.

وأما ما نراه في ما حدث ويحدث في الجزائر مما يسمى بالمصالحة الوطنية.. فهذه المصالحة المزعومة هي فكرة الدولة الكافرة، وهي مشروعها، هي أنتجته وصاغته كما تحب، ودعت إليه وقامت عليه، فهو مشروع للدولة تحاول به الخروج من «أزمتها» كما يعبّرون، ومن مآزقها ومشاكلها، وتحافظ به على

وجودها واستمرارها، وتقضي به على الحركة الجهادية (الحركة الإسلامية المسلحة المعارضة لهذه الدولة المرتدة)، فيد النظام في هذا المشروع المسمّى المصالحة الوطنية أو الوئام الوطني أو أيَّ شيء سمّوه، هي العليا، وبالتالي فهو مشروع للقضاء على الجهاد؛ إضعافه وتفتيته ثم إيقافه ثم إنهائه..! فلا حاجة بنا إذن للتطويل في سرد أدلة وتحرير مقالات سابغة لتبيين أن هذا مشروع دولة الردة هذا المسمى «المصالحة» لا يحل الدخول فيه ابتداءً ولا الاستجابة له.! هذا لا أظن مؤمنا يشك فيه ألبته.. إنما قد يغتر به جهلة الناس وسفلتهم ممن لا خلاق لهم في معرفة ديننا.! أو مرضى القلوب ممن لا خلاق لهم في الإيمان.! هذا هو الأصل بلا شك.

لكن قد حصل أنه استجاب لهذا المشروع الخبيث طوائف من المسلمين ممن سبق له جهادٌ وعمل صالح وقيام بهذا الدين والدعوة إليه ومحاربة المرتدين عليه.

وسبب ذلك أنهم -عند أنفسهم وفي قناعتهم- قد أدركوا العجزَ والغلبة والانكسار، وأيسوا من استمرار الحرب، ورأوا أن يستسلموا ويضعوا أسلحتهم في مقابل العفو عنهم وتأمينهم من قبل أعداء الله. فهذا لمن عجزَ فعلا محل اجتهاد وترخّص..! لكن النظر إنما هو في تحقق العجز حقًا، والله أعلم.

وأنا قد **رأيت بدايات هذا المشروع** في الجزائر ومواقف المجاهدين أهل الجبال والسلاح منه، وذلك حينما عقد «الجيش الإسلامي للإنقاذ» الهدنة مع الحكومة، وطاف رجاله البلاد للدعوة إليها؛ فدخل فيها كتائب من وسط البلاد.. فبطبيعة الحال، كان في تلك الحقبة المتوترة جدا والصعبة، بسبب انهيار الجماعة واختلاط الأمور والحروب الداخلية والمجازر الفظيعة والإحباط لدى الناس والنفور واليأس.. **كان هناك خياران مطروحان**:

- الدخول في الهدنة.
- رفض الهدنة.

فعلى الخيار الأول -الدخول في الهدنة-؛ كانت هناك أفكار في البداية:

الفكرة الأولى: أن هذه هدنة بمعناها المعروف في الفقه في كتاب الجهاد، هدنة مع العدوّ (المرتدين) جائزةٌ على قولٍ يأخُذ هذا الفريق به، واحتاجوا إليها، يلتقطون فيها أنفاسهم من حالة الارتباك الشديد والفوضى والذهول التي أحدثتها مجازر «الجيا»، ويعيدون فيها تنظيم أنفسهم وتجديد المياه في هياكلهم، ويتفرغون لبعض الإصلاح الداخلي، ثم يعودون إلى قتال المرتدين كالسابق، وغير ذلك من المكاسب التي قدرها هذا الفريق، أو على الأقل هي دعواهم.

ويمثل هؤلاء كتائب في الوسط رأيتها وعشت فيها مثل: كتيبة الأربعاء، وكتيبة الزبربر (في جبل

الزبربر حول وادي يسر خلف الأخضرية) وغيرها.

الفكرة الثانية: هي فكرة جماعة جيش الإنقاذ (وهم أصحاب الفكرة الأصليون وعاقدوها مع النظام ابتداء والداعون إليها) فهؤلاء حقيقة الذي رأيته من إشارات وسمعته من كلام مَن رأيناه من مبعوثيهم، أن فكرتهم كانت غامضة!! وكنتَ تستطيع أن تستشفّ أن الأمر قد يؤول إلى ترك الجهاد بالكلية والنزول والاستسلام، لكنهم لا يصرحون بذلك طبعًا.

وعلى الخيار الثاني - رفض الهدنة-:

كان يوجد في الوسط: المنطقة الثانية بقيادة حسن حطاب، وكان يوجد بعض بقايا السرايا في منطقة العاصمة، ولم نكن نعلم -ونحن في الوسط- خيارات أهل الشرق والغرب والجنوب على وجه الدقة والتأكيد، لكن بلغنا أن بعض الكتائب في الغرب استجابت لدعوة جيش الإنقاذ للهدنة، وأما غالب المناطق والكتائب فلم نعرف موقفها يومها، إلا أن الأغلب وشبه المؤكد أنهم رافضون لها غير قابلين، ولا سيما أهل الشرق والصحراء، وكذلك كان عموم أهل الشرق والجنوب، وكانوا كتائب جيدة وقوية، كانوا في عافية إلى حدّ كبير مقارنة بأهل الوسط الذين ابتلوا بالجيا وفسادها وحروبها؛ وأهل الغرب لم يكونوا في قوة أهل الشرق والجنوب.

وأما أهل الوسط وأخص منها ولايات العاصمة وبومرداس والبليدة والمدية والبويرة، فهؤلاء ابتلوا بالجيا ومجازرها ومآسيها وانشغل كثير منهم بالحروب معها وأصابتهم جراح وقراح وأهوال منها، وخاصة في الأربعاء وبوقرة وما جاورها.

فالذي رأيته من كتائب الأربعاء والزبربر والمدية ومفتاح والشراربة وغيرهم ممن قاربهم، أن أكثرهم كانوا يريدون مواصلة الجهاد، وإنما دخلوا الهدنة مع جيش الإنقاذ على أساس الفكرة الأولى المذكورة أعلاه.

لكن كان أمامهم صعوبات، رأيت بعض الصالحين منهم وأحسنهم عزيمة يحاولون أن يبذلوا جهودا في تذليلها، وفي حل المشكلات للإسراع في العودة إلى الجهاد (القتال) وإنهاء الهدنة في الوقت المناسب.. الخ.

لكن كان الواقع مريرًا، وكانت الناس تنفضّ عنهم، وظهرت خلافات وكثر مَن يسلّمون أنفسهم وبدأ يقع التفلّت وعدم الانضباط، وصارت كثير من هذه الكتائب تكسوها الفوضى، فلم يستطع أهل العزائم أن يصنعوا شيئا كبيرًا، خرجتُ أنا من البلاد في تلك المرحلة، في مرحلة الهدنة.

وعلمتُ بعد ذلك أن معظم هذه الكتائب دخلت في العفو ونزلت من الجبال وتركت السلاح..!

ولله الأمر من قبل ومن بعد.. أعرف فيهم أناسًا صالحين أهل خير كثير.. ورأيت فيهم في الجملة دينا وصلاحًا؛ لكنهم غُلبوا، ويئسوا وأصابهم إحباط كبير ولم يصبروا واختاروا الاستسلام، نسأل الله أن يعفو عنهم وأن يصلح أحوالهم ويهديهم.!

كنت مع بعض إخواني نقول لهم: إن هذه الجبال وهذه الطبيعة العجيبة التي وهبكم الله إياها تستطيعون أن تمكثوا فيها عقودًا من الزمن بإذن الله لا يقدر على إخراجكم منها حتى حلف الناتو كله لو اجتمع عليكم.!!

وضربتُ لهم مثلا «بلورون كابيلا» الزعيم الشيوعي الكونجولي الذي مكث في أدغال زائير والكونجو ثلاثة عقود (ثلاثين عامًا) من سنة ٦٥م حينما حاول قيادة ثورة على نظام موبوتو سيسي سيكو رئيس زائير يومها، حتى إن صديقه الشيوعي الثوري المشهور شيجيفارا جاء وساعده، لكن دولة سيسي سيكو كانت يومها في أوج قوتها ونهوضها فلم يفلح كابيلا في أن ينال منها، لكنه كمَن في الأدغال ثلاثين عامًا ينتظر فرصته، حتى جاءت الفرصة له فعلًا سنة ٩٥م حين نخرت دودة الفساد عظم دولة سيسي سيكو وآلت المشاكل المتراكمة بنظامه إلى الانهيار ووقعت أحداث راوندا وبوروندي وحروب الهوتو والتوتسي، فاستغل كابيلا الفرصة ووظف القضية جيدا لمشروعه، وجعل من أزمة اللاجئين في المنطقة معمَل تجنيد له، وزحف على زائير فاستولى عليها وغيّر حتى اسمها.!!

كنا نقول لإخواننا: اصبروا وصابروا.. لكن كان الفشلُ غالبًا والانهيار باديًا والإحباط شديدًا جدا مؤسفًا..! والمشكلة الكبيرة الأخرى التي واجهتهم وكانت عامل إفشال لهم زائدًا، أنهم كانوا يقولون: نحن لوحدنا قليلون لا نستطيع فعل شيء، الطاغوت من أمامنا، والجيا من ورائنا، وحسن حطاب -المنطقة الثانية- من هنا أيضا هم أشبه بالأعداء لنا، يروننا مبتدعة -جزأرة وغير ذلك، لأنهم كانوا يصنّفون الأربعاء والمدية وغيرها جزأرة، وهذا فيه وفيه، ويحتاج إلى تفصيل، وفيه كثير من الظلم- ولا نأمن جانبهم، ولا يمكن أن نقبل أن ندخل معهم، فإنهم -هذه الكتائب كالأربعاء والزبربر وغيرها- كانوا يرون حسن حطاب وجماعته قريبين من «الجيا»، وكان هذا له وجه للأسف الشديد..!!

فالحاصل.. خرجت من البلاد على هذا الوضع تقريبا، ثم سمعت بعدُ من الخارج أنهم -هذه الكتائب- جميعًا تقريبًا استسلمت ونزلت وقبلت عفو المرتدين.. وإنا لله وإنا إليه راجعون؛ فهذا بعض ما عرفته من الواقع.

ونرجع إلى السؤال؛ فالحمد لله، الآن هناك وضع جديد كما سنزيده توضيحًا إن شاء الله، وصار كل ذلك الذي ذكرناه من التاريخ، إنما نذكر منه بعض العبر والدروس.

والنصيحة لإخواننا المجاهدين في الجزائر بلا شك ولا ريب هي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران]. وليستبشروا بما هو آتٍ من المدد والفتوحات بإذن الله.. والله مولى المؤمنين.

***

[تقييم المسيرة الجهادية في «المغرب الإسلامي»؛ في ظل الأوضاع الراهنة]

❁ بحكم انتمائكم لمنطقة المغرب الإسلامي، ما هو تقييمكم للمسيرة الجهادية به في ظلّ الأوضاع الراهنة؟

[السائل: الفاروق عمر**]**

الجواب:

المسيرة الجهادية في المغرب العربي هي انعكاس حقيقي وصادق لحال الأمة ومستواها الإيماني والقيميّ.! فالأمة يبدو أنها لا تزال غير مهيئة لأن تكون محلًا لنصر الله تعالى.

هؤلاء المجاهدون يجاهدون في سبيل الله، ويقومون بالواجب ويستجيبون لأمر الله ﷻ محبة وخوفا ورجاء وإجلالًا وتعظيمًا له سبحانه، وطمعا في رضوانه وسعيًا للنجاة بين يديه يوم ﴿يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر]؛ فعلى الله أجرهم، وجزاهم الله خيرا، وتقبل الله منهم.. آمين، وهم اليوم خيار الأمة، وإنما يجادل في ذلك المطموس على بصائرهم.! لكن الأمة لا تزال تخذلهم في الأكثر..!

وإذا ناصرتهم في وقت من الأوقات لم تستمر على ذلك، وتتغير لأول فتنةٍ، الأمة على جميع مستوياتها ولا سيما المستوى العلمي والقيادي الأدبي لا تزال مقصرة وفي غيبوبة، ونقصد بالأمة جمهور شعوبنا الإسلامية، والمستوى العلمي والقيادة الأدبية نقصد به العلماء وعامة الحركة الإسلامية.!!

ومن هنا فلا نستغرب تأخر النصر، ولا نستغرب أي شيء.! النصر له أسباب.. وسنة الله في خلقه لا تحابي أحدًا كما نقول دائمًا.

لكن الجهاد ماضٍ، وأهله هم الفائزون المرجوّ لهم أن يكونوا من الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق، هم أحرزوا أنفسهم وصانوا دينهم وتوحيدهم، ونالوا الدرجات العلا، وربحوا في هذا السوق، ومن تأخر أو خذل ونكل ونكص فإنما يجني على نفسه، فهم منتصرون بمعنىً من معاني النصر،

والحمد لله: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[التوبة]، والذي عاداهم وخانهم وحاربهم فويل له ويلٌ له، ويا لخسارته وشقائه.!!

الجهاد في منطقة المغرب العربي كانت له جولات ومحاولات في الجزائر وفي ليبيا وشيءٌ قليلٌ في المغرب الأقصى، هذه المحاولات لا تزال مستمرة..

نعم أصابها الفشل والانكسار لأسباب متعددة، لكن كما أظن أنا فإن هذا هو مستوانا للأسف، وهذا هو اللائق بنا، لو رجعنا إلى مقاييس السنن الكونية، والله أعلم، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[النساء]، ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى].

لكننا نطمع في فضل الله تعالى ونرجو عفوه ورحمته، والله هو الفتاح العليم.

المجاهدون ليسوا خاسرين وإن انكسروا وإن غُلِبوا.. بل هم رابحون على كل حال، ونرجو لهم أن يكونوا من الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق التي أخبر النبي ﷺ أنها لن تزال قائمة إلى قيام الساعة[1]، وهم فائزون لأنهم بين إحدى الحسنيين، فماذا يتربّص بهم المتربّصون؟! وكيف يشمت بهم الشامتون؟! إنما -والله- يبكي على نفسه من لم يكن معهم، ومَن لم يعمل كعملهم..! هذه المحاولات رغم انكسارها وفشلها..

لكن مع هذا الاستمرار والثبات ومواصلة الكفاح.. ومع تجدد الدماء فيها.. ومع البشائر المتظافرة في عموم الأمة والحركة الجهادية.. ومع فضل الله تعالى وما نرجوه من ربنا ﷻ من البركة.. فإنها في المحصلة مسيرة طيبة كريمة نبيلة، وهي خيرٌ وبركة ومجد وشرف، وهي سبيل إلى النصر القادم لا محالة مهما تأخر، ليبتلي الله خلقه كما شاء وأراد على وَفق حكمته التامة ﷻ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾[الأنعام: ١٤٩].

فالآن هناك بحمد الله ما يمكن أن نسمّيه عودة جديدة للقوة الجهادية في الجزائر خصوصا وفي الصحراء الكبرى، وهناك إحياء وتجديد، نسأل الله أن يكون مسددا موفقا.

الحركة الجهادية هنا في المنطقة متأثرة بالحركة الجهادية ككل في العالم، وبحسب ما يتحقق بفضل الله

---

(١) يعمي بذلك قوله ﷺ كما في حديث ثوبان رضي الله عنه: (**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**)، انظر: صحيح البخاري (٣٦٤٠)، صحيح مسلم (١٩٢٠).



تعالى للحركة الجهادية من نجاحات وفتوحات ستكون الجزائر والصحراء وليبيا، هذه المناطق الثلاث على الخصوص، ستكون على موعد مع إنجازات مهمة بإذن الله تعالى.

ونحن لن نيأس ولا بد أن نستمر في المحاولة وبذل الجهد إلى آخر قطرة متوكلين على الله تعالى مستعينين به ﷻ، حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين..

نسأل الله التثبيت والإعانة.

❋ ❋ ❋

〚لِمَ لَم ينتشر الجهاد الجزائري في منطقة «المغرب العربي»؟〛

❁ لماذا لم ينتشر الجهاد الجزائري في منطقة المغرب العربي؟

[السائل: mamado]

الجواب:

لم ينتشر الجهاد في كل منطقة المغرب العربي، لأن كل منطقة لها ظروفها الخاصة بها يا أخي الكريم.. الجزائر وجِد فيها ظروف مناسبة لقيام حركة جهادية وثورة ناجحة على النظام المحلي المرتد الفاسد، وتوافرت فيها مقومات وعناصر نجاح هذا العمل..

وليبيا وجدت فيها بعض الظروف المناسبة للعمل، ووجد فيها رجال وجماعة طيبة كانت على مستوى جيد من الإتقان والتكامل على صغرها، وهي «الجماعة المقاتلة»، لكن لم تتوافر فيها مقومات كافية للنجاح، وأهمها الوضع الاجتماعي أعني الجماهير والشعب..!

أما **تونس** فكانت أقل في جانب الجماعة، وشبه انعدام في جانب الوضع الاجتماعي..! والمغرب في جانب الجماعة أحسن من تونس، لكن الوضع الاجتماعي والسياسي الأمني وغيره لم يكن مواتيا، وغيره.. وموريتانيا فهي أبعد الجميع في كل ذلك..! فالحاصل أن أوضاع البلاد مختلفة ومتفاوتة.

فكون الجهاد لم ينتشر، بمعنى أن أنه لم يقم جهاد في كل بلدان المنطقة فهو واضح ومفهوم.

ثم كان انكسار الحركة الجهادية في الجزائر.. ويليه أو متزامنا معه تقريبا انكسار الحركة الجهادية في ليبيا أيضا.. كان هذا له أثر سلبي لا يخفى..!

ولك أن تتصوّر لو نجحت الحركة الجهادية في الجزائر أو في ليبيا أو في كليهما كيف سيكون الوضع.. لكن هذه أقدار الله، وهذا من البلاء، ونحن عبيد الله تعالى في كل حال وفي كل حين، وعلينا أن ننظر ماذا يأمرنا الله ﷻ في كل لحظة ونعمل بما يأمر الله به.!

❋ ❋ ❋

〚القول في مجاهدي «الجزائر»، وسبب عزوف معظم الناس عن نصرتهم، وكيف نقنع الشعوب بأهمية جهاد النظام المرتد فيها؟〛

❁ حفظك الله ورعاك شيخنا الكريم..

سؤالي هو عن اخواننا المجاهدين في الجزائر؛ نعاني من تجربة مريرة للجهاد في الجزائر شوه من خلالها الجهاد وأهله.. ونرى أن لنا إخوانا في الجبال «جماعة السلفية للدعوة والقتال» يقاتلون في سبيل الله ومن أجل إعادة خط الجهاد الأصيل:

(١) ما رأيكم في إخواننا المجاهدين في الجزائر؟

(٢) كيف يمكننا أن نقنع الشعب الجزائري بأهمية جهاد النظام المرتد في الجزائر؟

[السائل: M A N S O R]

الجواب:

اللّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزنَ إذا شئتَ سهلا.

نعم التجربة المريرة كان لها أثر سلبي عميق، وشوّه من خلالها الجهاد وأهله، هذا صحيح بكل أسف.! وهذا التأثير السلبي هو على مستوى البلاد (الجزائر) أظهر وأعمق، وعلى مستوى سائر البلاد الإسلامية بشكل أقل.

لأن من رحمة الله تعالى أن المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، حصل عندهم تفسير لما جرى في الجزائر من أمور مأساوية يخففُ من وقع الأخبار عليهم فخفّ الأثر، وذلك أن التفسير الشائع عند عموم المسلمين البعيدين أن الدولة هي مرتكبة كل المجازر والفظائع التي حصلت؛ فالحمد لله.

ثم إنه من الطبيعي أن يكون الأثر أوقع وأعمق على أصحاب التجربة أنفسهم، فيحتاجون إلى زمن طويل للاستفاقة من الصدمة والتحرر من ذلك الكابوس، بخلاف البعيد الذي لم يذق طعم هذه المرارة ولم يرَ بعينه وإنما سمع سماعًا.!

والحاصلُ أن الانكسار الذي حصل للحركة الإسلامية الجهادية في الجزائر، والفشل والمحنة العظيمة والتجربة المريرة القاسية التي جاءت بعد انعقاد الآمال وتعلق رجاء الأمة (على مستوى الجزائر خصوصا) بها، هي صدمة عنيفة جدًا وخيبة كبيرة تحتاج الأمة (المقصود هنا بالأخص الشعب الجزائري) بعدها إلى مدة زمنية لا بأس بها في العادة، حتى تنمحي تلك الآثار السيئة وتستعيد الأمة الأمل والرغبة في المحاولة وتنشحذ العزائم من جديد ويتجدد الاستعداد للثورة والجهاد.. لا بد أن

تبقى الطائفة المجاهدة صابرة ومحتسبة وثابتة.

ولا بد أن تفقه دورها الآن في التجديد والإحياء.. ولا بد أن تفقه من علم الاجتماع والنفس ما يعينها على التعامل مع هذا الواقع المرير، ولا بد أن تستعين بالله تعالى وتسلّم له وتنتظر الفرج، ألا إن نصر الله قريب.. فمع تظافر النجاحات للحركة الجهادية العالمية.. ومع الصبر وحسن التعامل مع الناس.. نرجو أن ترجع الأمور على أحسن ما كانت بإذن الله تعالى.

والحمد لله، الشعب الجزائري شعبٌ ثائر، ومن ميزاته أنه سريع النسيان للمآسي سريع التجديد لحاله، سريع الاستجابة للثورة على الظلم، وصبور، وعنده رصيد تاريخي كبير في الثورات والكفاح من أجل الحرية ورفع الضيم.

قطاع كبير لا بأس به من الشعب الجزائري لازال مقتنعا بأن هذا النظام كافر علماني لاديني محارب للدين، نظام غير شرعي، ولا إسلامي، نظام عفن خَرِبٌ فاسد..! هذه القناعات على تفاوت درجاتها في القوة والوضوح موجودة عند نسبة كبيرة من الشعب بلا شك.. إنما الكلام في القناعة بجدوى الثورة عليه ومجاهدته، بعد مشاهدة الناس لتلك التجربة القاسية..! فهذا ما يحتاج إلى مدة من الزمن وصبر وترقٍّ بالتدريج.

الشعب كان عنده في النصف الأول من تسعينات القرن الإفرنجي الماضي أمل كبير جدًا لم يسبق له مثيل، ورجى أن ييسر اللهُ تعالى الخلاص من النظام الكافر العلماني الفاسد، ثم حصل له خيبة أمل عريضة وإحباط شديد جدًا، بل ربما يأس بالنسبة لكثير من الناس..!

صارت عند الكثيرين قناعة بأن: النظام على فساده وحتى كفره وردته خيرٌ من الفوضى والفساد العظيم (مذابح، مجازر.. الخ) الذي حصل..!! وعلى الأقل -بالنسبة لطبقة لا بأس بها من الشعب من محبي الحركة الجهادية- حصل فتور وقلة ثقة وعدم اطمئنان..! فهؤلاء يصعب عليهم أن يُعيدوا الكرّة ويؤيدوك في أي محاولة أخرى عن قريب، حتى يمر وقت طويل نسبيًا وتتجدد عوامل أخرى للإحياء والبعث الإسلامي الجهادي كما قلنا.. والله الموفق.

لا بد أن نكون واعين طبعا أنه بالنسبة إلى الناس (الجمهور) فإن الأولوية هي: الحياة المريحة الرغدة والسلام والأمن والأمان وبحبوحة العيش.! الدين يأتي بالنسبة للجمهور في مرتبة ثانية؛ فأنت تحتاج إلى أن تسايس الناس وتحرّكهم بعوامل متعددة، وتأتي بهم إلى الإسلام وإلى الجهاد من عدة أبواب.

ليس من الضروريّ، ولا يمكن في الواقع أيضا، أن يقتنع أكثر الناس بما نؤمن به نحن من أن هذا النظام كافر، لكن يكفينا نحن عندما نمارس الثورة ونخوض الجهاد في سبيل الله، يكفينا من الناس أن

يكونوا مؤيدين لنا بالجملة في خروجنا على النظام لأسباب متعددة تختلف من شخص إلى شخص بين ملايين الناس:

منهم من يؤيدنا لقناعته بأن النظام كافر مرتد محارب للدين.. الخ كما هي قناعتنا، وهذا أكمل شيء ولكنه أقل الموجود طبعا. ومنهم من يؤيدنا لقناعته بأن النظام ظالم فاسق فاجر شريرٌ..! ومنهم من يؤيدنا لقناعته بأن النظام فاسد متعفِّن سراق خرّب البلاد.. الخ، ومنهم ومنهم ومنهم..!

المهم أن يكون نسبة جيدة من الناس تؤيدنا وتدعمنا وتحبنا وتفضّلنا على النظام وواثقة بنا ومقتنعة بأننا أهل خيرٌ وعدل ورحمة وإحسان، ونريد الصلاح والإصلاح، ولا يقولون لنا: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩﴾ [القصص].

هذا الشيء كان موجودًا -بشكل لم أرَ ولم أسمع عن مثله- في الجزائر في سنوات التسعينيات المشار إليها بل من قبلها بقليل، أيام جهود «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» وزخم الحركة الإعلامي والاجتماعي، ثم استمر وازداد مع انطلاقة الحركة الجهادية إلى حوالي سنة سبعة وتسعين حين بدأ ينكسر ويضمحلّ، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ونحن نرجو الخير ونطمع في رحمة الله تعالى، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف]

وأما «ما رأيكم في إخواننا المجاهدين في الجزائر؟» فالمجاهدون الصادقون الأخيار موجودون ولم ينقطعوا، ومن يبحث عنهم يجدهم.

وفي المدة الأخيرة فرحتُ كثيرا وتغيّرت الكثير من المعلومات لديّ، ورأيت ولمست واطلعت على الكثير من التغيرات الإيجابية والخير الكثير، وإني أرجو لهم الخير والتوفيق، على أنه لا بد من الصبر والاحتساب والثبات، والطريق طويلة، ومن يتصبر يصبّره الله.

❃ ❃ ❃

[القول في إمكانية استمرار الجهاد «الجزائري» بعد التضييق الشديد عليه، والنصيحة للمجاهدين]

❁ ما هو تقييمكم للجهاد في الجزائر؟ وهل يمكن أن يستمر هذا الجهاد خاصة بعد التضـييق الشديد الذى يتعرض له هؤلاء المجاهدون؟ وهل تنصحون المجاهدين هناك بتغيير تكتيكاتهم باستهداف أمريكا بدلا من استهداف النظام، أو لا ويبقى دورهم هو الدفاع عن أنفسهم مثلما يحدث في جزيرة العرب؟.

[السائل: عكرمة المدني**]**



الجواب:

تقييمي للجهاد في الجزائر؛ أي الآن، قد فُهِم الكثير منه مما تقدم.

وحاصله: أن الجهاد هناك قائم ومستمر على أيدي ثلة من شبابنا ورجالنا الصابرين الصادقين نحسبهم كذلك، وهم في إصلاح وتغيير إلى الأفضل ومحوٍ تدريجيّ لآثار الماضي المؤلم، ونهوضٍ وتطوّر جيّد بعد ذلك الانكسار وتلك المصيبة التي حلّت بالحركة الجهادية في أواخر التسعينيات، ماضون على الدرب رويدًا في أناة وثبات، وأصبح صفهم أكثر صفاء وتخلّصًا من بقايا الأيدي التي تلوّثت بتلك المحنة السوداء.. نسأل الله ﷻ أن يعينهم ويقوّيهم وينصرهم على عدوّ الله.. يحتاجون إلى العون منا ومن كل المسلمين..

عندهم نقص في جوانب تحتاج إلى تكميل وثغرات لا بد أن تسد.. وهم ساعون في سبل الإصلاح والإحياء.. ويتكيّفون مع واقعهم ومع المعطيات الجديدة للساحة.. هناك مبشرات وأفكار جيدة في الأفق سمعنا عنها.. وهناك آمال تتجدد مع التطورات الإقليمية العالمية ومع نجاحات الحركة الجهادية العالمية، والحمد لله.

وأما «**هل ننصحهم بتغيير تكتيكاتهم بحيث يتوجهون إلى استهداف أمريكا بدلا من استهداف النظام المحلي، وبحيث تبقى علاقتهم بالنظام هي الدفاع عن أنفسهم؟**» فلا، لا أنصحهم بذلك..! ولا أرى ذلك ممكنا عمليًا، هم في حربٍ ناشبة بالفعل من سنين مع النظام المحليّ، والآن أمريكا دخلت على الخط بالدعم على عدة مستويات، وبالمساندة الإقليمية عبر خططهم المزمعة في الصحراء ومن خلال بعض الدول المجاورة الخسيسة.! لحد الآن أمريكا متعثّرة ولم تنجح في تنفيذ ما خططت له، نسأل الله أن يزيدها خيبة وفشلا، وإن شاء الله لن تنجح.

لكن نحن نرى أن دخول أمريكا بهذا الشكل هو خيرٌ في محصّلته، وقد تكلمتُ من قبل في مسألة صيرورة العدوّ الذي تواجهه الحركة الجهادية عدوًّا واحدًا هو أمريكا وأذنابها، وقلت إن هذا من لطف الله تعالى بنا، ومن مكره بأعدائه.

لكن عمليا سيبقى العدو الظاهر الذي في المواجهة هو النظام المرتد وجيشه وقواته، فالأمر مختلف عما في جزيرة العرب.. ولكل مقام مقال.

لكن قد يوجد في الصحراء، وهي «الصحراء الكبرى» الواقعة بين بلدان الجزائر وليبيا موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد.. قد توجد ظروف يتوجّه فيها الإخوة إلى ضرب الأمريكان ويجعلونه أولوية لو أن الأمريكان نفذوا خططهم بالدخول بقوة في المنطقة.

بالجملة.. أنا أرى أن دخول الأمريكان -لو دخلوا- لن يكون إلا في صالح الحركة الجهادية دائما.

والله أعلم، ونسأل الله ﷻ أن يهيئ للمسلمين من أمرهم رشدًا.

❊ ❊ ❊

〚الدور الذي يستطيعه مجاهدو الجزائر لخدمة «المشروع الجهادي العالمي» للقاعدة، ونصح〛

❁ تساؤلي الذي يسعدني جدا أن يجيب عنه الشيخ هو بخصوص إخواننا المجاهدين في الجزائر، وأعني بذلك: «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» بارك الله فيها.. وكما تعلمون أن هناك مستجدات على المستوى الجهادي عندهم من تصحيح للمسار وتغيير للخطاب وتدارك للأخطاء التي حدثت أيام الجماعة الإسلامية المسلحة.. بل وتقارب كبير بين منهجهم ومنهج القاعدة في المدة الأخيرة، يلحظ ذلك كل من تابع إصداراتهم وبياناتهم المنشورة على موقعهم في الانترنت.. وسؤالي الذي أطرحه:

(١) كيف يرى الشيخ الدور الذي يمكن للمجاهدين في الجزائر أن يلعبوه على مستوى المغرب الإسلامي وشمال إفريقية لخدمة المشروع الجهادي العالمي للقاعدة؟ خاصة إذا علمنا أن هناك مناخا جهاديا مناسبا في دول الساحل والظروف المناسبة في موريتانيا ومالي مما جعل الكثير من الشباب الموريتاني والتونسي والنيجيري يلتحق بإخوانه في الجزائر ويقاتل معهم جنبا لجنب؟.

(٢) وهل من نصائح يوجهها الشيخ لإخوانه في الجماعة السلفية للدعوة والقتال مع العلم أنّ هناك «صعلوكا!» من بين المجاهدين «الصعاليك!» عندهم يعرف الشيخ شخصيا أيام مشاركته في الجهاد الجزائري؟.. وبارك الله فيكم.

[السائل: alabbas]

الجواب:

شكر الله لك يا أخي العباس، وحفظ الله كل الصعاليك الأبطال، أكرم بهم وأجمِل..! رُبّ صعلوك في الدنيا ضعيف مستضعفٍ هو عند الله بملء الأرض من أهل الدنيا السِّمان الطوال العراض

أهل الترف والرفاهية.! وساق عبد الله بن مسعود خيرُ شاهدٍ(١)، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾[المنافقون].

نعم أخي العزيز.. هناك عند إخواننا مستجدات طيبة وتصحيح للمسار وتغيير إلى الأفضل في الخطاب وغيره، واستفادة من التجربة السابقة بكل ما فيها من خير وشر وحسن وقبيح وخطأ وصواب، ما زلت أتابع ذلك وأطلع عليه، وقد اطلعتُ في المدة الأخيرة على أشياء مفرحة من ذلك ولله الحمد والمنة.

(١) بالنسبة للدور الذي يمكن للإخوة المجاهدين في الجزائر والصحراء أن يؤدوه في سبيل خدمة المشروع الجهادي العالمي، فهو دور كبير على ما نرجوه ونؤمله إن شاء الله.

ولو أردنا التعبير في نقاط فيمكن أن نقول:

ألف) عملية الإحياء والتجديد والبعث للجهاد في المنطقة، فإن الجهاد في الجزائر وفي الصحراء سيبقى إلى ما شاء الله ملهبًا لكل المنطقة ومحورًا وملاذا لشباب الإسلام في المنطقة.

باء) استيعاب أعداد متزايدة من الشباب النافرين للجهاد من بلدان المنطقة.

جيم) مأوى للفارين بدينهم من الفتن.

دال) العلاقات والروابط مع شباب المنطقة المؤمنين بالفكر الجهادي والناهضين للقيام بهذه الفريضة وتجنيد طبقات منهم في شتى البلاد وتدريبهم وإعدادهم ونشرهم بعد ذلك في البلدان؛ ليقوموا بدورهم في الإحياء وفي الدعوة وفي التجنيد، ثم تفجير الجهاد ضد أعداء الله من الأنظمة المرتدة متى ما حانت الفرصة ووجد الظرف المناسب.

هاء) الالتقاء بين المجاهدين في هذه المنطقة (منطقة الصحراء خصوصا) سيتيح فرصة لتلاقح الأفكار وتبادل الخبرات والتجارب.

واو) التعاون بين الجماعات الأكبر في المنطقة كالسلفية للدعوة القتال، والجماعة الإسلامية المقاتلة سيثمر بإذن الله خيرا كثيرا.

والله أعلم، الأفكار كثيرة.. والأمل والرجاء عظيم.. لكن الواقع أيضا صعب وشاق.

---

(١) عن علي رضي الله عنه قال: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا تَضْحَكُونَ؟ لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ)**، انظر: مسند أحمد (٩٢٠) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

هناك نقص وضعف وهناك عوائق ونواقص ليست بالهينة؛ فمن الصعوبات التي يعاني منها إخواننا الضعف المالي، فهم مقلون أو معدمون أحيانا، نسأل الله تعالى أن يفتح عليهم ويرزقهم رزقا حلالا طيبا مباركا فيه.. هم بحاجة إلى دعم الأمة وأهل الخير والغنى لهم.. محتاجون جدًا.. ويتبع النقص المالي نقصٌ في التسليح وغيره.

ومن ذلك النقص في الكادر العلميّ التربويّ، يحتاجون إلى العلماء وطلبة العلم ينفرون إلى نصرتهم ويكونون معهم، ولا سيما من البلدان المجاورة، فهذا واجبٌ على هذه الطائفة، والله المستعان.. فهذان الجانبان هما أهم جوانب النقص عند إخواننا.. ونرجو من المولى الكريم ﷻ أن يفرج الكروب ويفتح على عباده المؤمنين ويمدّهم بالمدد من لدنه، إنه هو الفتاح العليم الرزاق الكريم البر الرؤوف الرحيم.

المهم هو الصبر والثبات، وإن شاء الله سيأتي الفتح والمدد.. فهذا عن الصعوبات الموضوعية.

وأما المشكلات والصعوبات الذاتية فهذه هي التي يتأكد الاعتناء بتوقيها والحذر منها، وحلها وإصلاحها وإزالتها؛ مثل الأخطاء أو النقص في العلم والعمل وفي التدبير، كالاعتناء بالجانب الإعلامي وجانب الاتصال والعلاقات وغير ذلك مما مرّ الإشارة إلى أشياء متناثرة منه. والله الموفق.

(٢) ما ننصح به الإخوة في الجماعة السلفية للدعوة والقتال، سأحاول استحضار بعض المهم مما يبدو لي من خلال المتابعة هذه المدة، وبالله التوفق:

- مما ننصح به إخواننا أن يتحلوا دائما بالواقعية؛ فيعرفوا أن تلك المآسي والخيبة وذلك الانكسار ليس من السهل محو آثاره، فعليهم بالصبر على الناس، وحتى على فتور إخوانهم في أنحاء الأرض تجاههم، والثبات وتحمّل الأذى، والاستعانة بالله تعالى، حتى يفتح الله، وأجرهم على الله ﷻ، والعاقبة للمتقين.

- ومن ذلك أن يحرصوا على اعتدال الخطاب دائما وسهولته ومواكبته لآلام الناس وآمالهم، ويعتنوا بالاتصال بالناس بالطرق البدائية الميسرة المتاحة لهم، وتأليفهم واكتسابهم، وليكن حرصهم على الداخل أكثر من الخارج.. فإن سلامة ومتانة صفك الداخلي هو الأساس لنجاحك وتقدمك.

- ومن ذلك مسألة جمع الأموال من الناس (الاشتراكات) وهي الأموال التي تؤخذ من عموم الشعب في المناطق التي يصل المجاهدون إليها، عليهم أن يكونوا حريصين جدا على التخفيف على الناس وحسن التعامل معهم في هذه المسألة، وأن يأخذوا منهم الأموال برضا وطيبة نفسٍ قدر المستطاع، فإن الأموال عزيزة على الناس، والمال شقيق النفس، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله



إلى اليمن: (**واتق كرائم أموالهم**)[1]، والكرائم جمع كريمة وهي ما كان من المال نفيسًا عند صاحبه كريما عليه، فهذا يصعب على النفس مفارقته وبذله أو أن يؤخذ منه، ويورث الضغائن، فأرشده إلى اتقاء ذلك واجتنابه، بل يأخذ من أموال الناس ما سهُل عليهم بذله من أوسط ما يملكون من المال، وعليهم في هذه المسألة أن يحسنوا تدبيرها ويفرّقوا في أنصباء الأخذ من طبقات الناس بحسب الغنى والفقر، ويكثروا من استعمال التخفيف على الناس ما أمكن.

وليعلموا أنهم وإن كانوا محقين في تصرفهم -في هذه المسألة أو غيرها- من حيث أصل المشروعية؛ فإن هذا لا يكفي في العمل السياسي، بل عليك أن تراعي أيضا ألا يترتب على ذلك مفسدة من ردود فعل الناس من مثل حصول فتنة وشر أو غير ذلك.

- ومن ذلك أن لا يتوسّعوا في أعمالهم وتجنيدهم إلا بقدر ما يستوعبون.

- ومن ذلك أن يحرصوا على نوع من التجديد والتغيير مما هو في دائرة المشروع في ديننا، فإن النفوس مجبولة على حب التنويع والتجديد وكثيرة الملل، ومن ذلك التجديد في الوجوه أعني القيادات.

- ومن ذلك لزوم التحلي بالحزم والجدية في تأدية الوظائف التنظيمية عسكرية وإدارية وغيرها، وضرورة محاسبة المقصرين وإيقاف المتهاونين.

- ومن ذلك أن يطوّروا علاقاتهم بإخوانهم في الحركة الجهادية العالمية، ويحرصوا على التعاون مع مَن أمكنهم من جيرانهم وغيرهم.

فهذا بعض ما حضرني الآن.. والله الموفق.

❋ ❋ ❋

[شيءٌ يسير من تجربة الشيخ «عطية الله رحمه الله» في الجهاد الجزائري]

❁ شيخنا: هل يمكن أن تعطينا نبذة عن تجربتكم الجهادية في الجزائر وما تخللها من مشاكل إن وجدت.. ودمت فخرا وذخرا لكل مكرمة.

[السائل: مجاهد موحد]

---

(١) صحيح البخاري (١٤٥٨، ٧٣٧١) بلفظ: (وَتوقَّ كرائم أموال الناس)، صحيح مسلم (١٩) بلفظ: (وتوق..)، وجاء لفظ الشيخ في: المعجم الكبير للطبراني (١٢٢٠٧).

الجواب:

أخي الكريم التجربة هناك كانت غنية وكبيرة، وفيها كل الأحوال والمشاعر تقريبا، من فرح وحزن ونصر وهزيمة وشدة ورخاء وخوف ورجاء وغير ذلك، كانت فيها مصائب أيضا ومشاكل وصعوبات جمة في بعض مراحلها.

وبالجملة.. كانت بالنسبة لي من الخير الكثير ونعمة من الله تعالى، نسأل الله ﷻ أن يُوزعنا شكرها وشكر نعمه العميمة، وأن يعفو عنا ويغفر لنا ولسائر المسلمين.. من الصعب تلخيصها بنبذة مختصرة، لأني أخشى أن يكون الاختصار مخلّا..! وقد لا تفهم الكثير من الأشياء إلا بنوع تطويل وشرح موسّع لا أقدر عليه الآن.

والكتابة الطويلة تحتاج فراغًا وجهدًا وتحتاج إلى وثائق، وأنا خرجتُ يوم خرجتُ من البلاد بجلدي، لا وثائق ولا شيء إلا ما أحفظه في ذاكرتي، ثم يسر الله تعالى وشرعتُ في الكتابة وكتبتُ كتابًا لا بأس به يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير عن التجربة، وحاولت استغلال قرب عهدي بالتجربة وحفظي للأسماء والتواريخ والحوادث والوقائع والأقوال والآراء وغيرها.. فدوّنت من ذلك شيئا طيبا ممزوجا بالتفسيرات والتوضيحات والاستنباطات والدروس والعبر والفوائد والتعليقات، وجمّعت في الأثناء أيضا مجموعة من الوثائق من البيانات والمنشورات والمطبوعات والمقابلات وغيرها.

ثم قدّر الله ﷻ لهذا العمل الذي أخذ مني أزيد من سنتين من الإعداد والصياغة والتهذيب، وكنت على وشك نشره، أنه ضاع بسبب أحداث الحملة الصليبية على أفغانستان وخروجنا من هناك في حالٍ سيئة والحمد لله على كل حال.

اجتهدت في حفظ نسخة من الكتاب، لكن الأحداث المتوالية وأقدار الله المحضة كانت محصلتها ضياعه لحد الآن، وكانت مصيبة بالنسبة لي نسأل الله ﷻ أن يأجرني فيها ويعوّضني عنها والمسلمين خيرا، الكتاب يوجد منه نسخة -على أغلب الظن- عند الأمريكان لأنه كانت توجد منه نسخة في جهاز كمبيوتر أحد إخواننا في باكستان، وقد داهم العدوّ بيته، فلا تتعجب أن يتسرب وينشر بعد زمنٍ.!! لعل هذه فرصة لقول ذلك.

وكان عندي أملٌ في نسخة أخرى موجودة عند بعض إخواننا لكن يبدو أن الأمل تضاءل بوجدانها أيضا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وكفى بالله وليّا وكفى بالله نصيرا.

وكتابة شيء من جديد كالذي كان، شيء صعب جدًا، لم أجد له فرصة ولا تمكنًا لحد الآن، فالله



أعلم هل أقدر على شيء من ذلك في المستقبل أو لا، والله غالبٌ على أمره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

ولا أكتم الإخوة أنني من كثرة ما تكلمتُ عن هذه التجربة أصابني شيء من النفور من الحديث فيها، أحيانًا.

ولكن الحمد لله، نسأل الله أن يجعلها في ميزان الحسنات، فقد سمع مني في كابل وقندهار وباكستان وغيرها طوائف من إخواننا ولا سيما من القيادات، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا، نسأل الله ﷻ أن يرزقني أجرهم ولا يفتنني بعدهم.

لا أعرف إن أردتُ أن أعطيك والإخوة نبذة عن هذه التجربة كيف أبدأ وعلى ماذا أركز وما أذكر وما أدع، هذا شيء مرهق الآن ويحتاج إلى تركيز وتدقيق، ونخشى ألا نوفّيه حقه، ولا سيما مع ظروفنا وانشغالاتنا الحياتية، والله المستعان.. لكن لو كان السؤال عن أشياء محددة فيمكنني التحدث فيها وإعطاء ما عندي، والله المستعان.

❃ ❃ ❃

[تقييم المسيرة الجهادية في «الجزائر»، وذكر تجربة الشيخ فيها، والكلام عن أسباب الفشل هناك، والمخرج من حالة الجمود الراهنة في تلك البلاد، ونصائح للمجاهدين فيها]

❃ شيخنا الكريم.. وأنت من أبناء المغرب العربي، وعشت إرهاصات الصحوة الإسلامية فيه التي تحولت فيما بعد إلى صحوة جهادية جذوتها مشتعلة إلى اليوم - رغم ما تخللها من كبوات ونكبات-؛ فهل لنا أن نسمع من شيخنا تقييما مجملا للمسيرة الجهادية في الجزائر، خصوصا كونها أكبر تجربة جهادية في المغرب العربي؟ وما هي أسباب تلك الفتن والنكبات؟ وما المخرج من حالة الجمود الدعوي التي تعيشها المنطقة؟، وما النصائح التي تقدمها للأجيال الحالية التي تطمح للعودة بالأمة إلى المنهج الصافي في هذه الظروف الصعبة والمعقدة..

وأرجو من شيخنا الكريم وألح عليه أن يحذو حذو شيخنا أبي مصعب السوري فك الله أسره، الذي قدم نظرة نقدية لمسار الجهاد السوري وبعض النظرات في مسار الجهاد الجزائري، وشيخنا الفاضل على احتكاك واسع ومباشر مع أهل التأثير في المنطقة خصوصا الشيخ أبا مصعب السوري والشيخ أبا قتادة والشيخ أبا المنذر -فك الله

أسرهم-؛ فلتقدم لنا يا شيخنا عصارة تجربتكم، وما استخلصتموه من عبر لتكون هذه الدراسات مرشدة للأجيال القادمة.. وجزاكم الله عنا كل خير.

[السائل: سيف العدل المدني**]**

الجواب:

جزاك الله خيرا أخي الكريم سيف العدل المدني، ووفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

بالنسبة للكتابة والمساهمة في النقد والترشيد فأنا أمارس ما أقدر عليه من ذلك في مناسباته، وبطرق مختلفة، ونرجو من الله التوفيق، والناس يختلفون، فأنا من النوع المقل في الكتابة وأرى نفسي أميل إلى الاختصار وإلى العمل، والله قسم المواهب بين خلقه، وفي كل خير والحمد لله.. ومع ذلك فلعلي أكتب وأجمع إن شاء الله تعالى، وبارك الله فيكم.

وأرجع إلى سؤالك: ففيما يتعلق بتقييم الحركة الجهادية في الجزائر، فهي خلال التسعينيات من القرن الإفرنجي الماضي، كانت أغنى وأرجى محاولة جهادية في البلاد العربية وعموم بلاد المسلمين، وذلك لأنها توافر لها من عوامل النجاح والظروف المناسبة ما لم يوجد في غيرها، وذلك مثل: التأييد الشعبي الواسع، المبررات والمسوّغات المنطقية والأدبية للثورة والجهاد التي استوعبت معظم فئات الشعب الثقافية بسبب الحركة والدعوة والاجتماعية وعلى الأخص حصيلة جهود الجبهة الإسلامية للإنقاذ والتي كان ذروتها إلغاء الانتخابات، ضعف النظام الحاكم وتخلخله وتفككه وانهياره، وضعف قواته العسكرية والأمنية أيضا، والطبيعة الجغرافية للجزائر (السلاسل الجبلية والغابات والأرياف وغيرها) مما لا يكاد يوجد له نظير، والوقت كان مناسبًا وذلك بعد الجهاد الأفغاني وفي مقتبل صحوة جهادية وإحياء جهادي تشهده الأمة حيث كانت الآمال مقبلة ورياح النصر هابّة..! قدّر الله أن تفشل هذه التجربة في تلك الحقبة لأسباب أيضا سأشير إليها. وانكسرت الآمال وخاب الرجاء ووقع الإحباط..

لكن أمر المؤمن كله له خير.. ما زال الله تعالى ينير قلوب فئات من رجال هذه الأمة ومن هذا الشعب، ويهديهم ويصلح بالهم، ويعينهم على الطريق الطويل، فهم سائرون على الدرب برغم الصعاب، تحمّلوا مشاق التجربة وصبروا على ما أصابهم بسبب أفعال غيرهم من المفسدين، يرجون رحمة الله وينتظرون فرجه، ألا إن نصر الله قريب. وكما قلنا ها هي الآمال تتجدد بحمد الله.. والعاقبة للتقوى.

في ما يتعلق بأسباب تلك الفتن والنكبات، وأسباب تلك الانتكاسة والفشل، فسأحاول أن أوضح ذلك باختصار بحسب ما أدى إليه التأمل والفهم لهذه التجربة التي واكبناها وعايشنا الجزء الأهم منها،

والله المستعان وبه الثقة.

فأهم أسباب الفشل ما يلي:

١- ضعف وخلخلة المنظومة الفكرية والمنهجية الجهادية في تلك الفترة في الجزائر، وهذا الضعف يظهر في عدة صور، مثل: الفوضى الفكرية والعلمية، ونقص في «المرجعية» أو القيادة العلمية، وقلة الكادر العلمي الجهادي المؤهّل، وتباين واختلاف شديد في تصورات وأفهام النافرين للجهاد؛ فقد جمع الصف الجهادي أنواعًا من المتشددين والمتنطّعين وبعض الغلاة أيضا في التكفير وغيره، مع المتساهلين إلى درجات مذمومة أحيانًا، في حين كانت الغالبية طبعا هم من عوامّ الناس.

هذا الجمع في حد ذاته وبمجرّده ليس عيبًا ولا خطرًا؛ فإننا لا نشترط النقاء الكامل في جيوش الإسلام وصفوف المجاهدين، ولا يمكن هذا عمليا أيضا، وغالب جيوش الإسلام بعد عهد الصحابة والتابعين كانت هكذا كما ذكره العلماء! إنما الخطر جاء من جهة عدم وجود قيادة علمية محورية قوية يجتمع عليها الناس ولذلك كان هناك تناقضات كبيرة في الصف فكريا ومنهجيًا من البداية كانت تنذر بشر، ومع قلة القيادة العلمية كما قلنا تحقق الضرر.!

وكانت السمة العامة الغالبة على القوى المؤثرة في الحركة الجهادية (القيادات العليا والوسطى وما قاربهم) هي: السلفية التي تربّت في جوّ دعويّ ينحو مناحي غير متّزنة في مفاهيمه وأفكاره؛ فكانت هناك مفاهيم مغلوطة كثيرة، عن الفقه والشريعة والسنة والبدعة والكفر والإيمان ومسائلهما، وعن العلماء والجماعات، وغير ذلك.

بالجملة.. كان هناك مسحة من التشدد، بل والتنطع والغلو في الدين في كثير من الكتائب والمناطق. هذا عشناه وعانيناه كثيرا، والأمثلة لا تعوزني، والمقام لا يسع للتطويل هنا.

فعلى سبيل المثال: تكاد تكون أحكام الشرع بل الدين انحصر في فهم كثير من المشار إليهم (القوى الفاعلة في وسط المجاهدين من القيادات الكبرى والوسطى وحتى كثير من القيادات الدنيا ومَن دار في فلكهم) في لفظين أو ثلاثة ألفاظ: سنة، وبدعة، ومنهيّ عنه.!

فأنت لا تكاد تجد في أفهامهم إلا: الشيء الفلاني سنة، الشيء الفلاني بدعة، الشيء الفلاني منهيّ عنه.. وفي كثير من تفاصيل ذلك أخطاء وأغلاط لا تحصى، جهل وضعف..!

حتى إن الإنسان كان لو قال: الشيء الفلاني مكروه، أو مستحب مثلا؛ كان يلاقي الكثير من الاستنكار..! وكثير من الأشياء اعتبرت عندهم سنة (بمعنى السنة في مفهومهم بدون تفصيل على مقتضى الفقه) وهي في حكم الشرع لها درجتها التي قد تكون الإباحة والجواز فقط.! ولسنا ننكر

إطلاق لفظ السنة على مثل هذا باعتبار وروده عن النبي ﷺ، وإنما المقصود أنهم يجعلونه هو الدين وهو ضد البدعة، وتاركها مبتدع أو لا يحب السنة وما قارب ذلك، حتى جعلوا أشياء كثيرة من السنن (بمعناها عند الفقهاء وهي المستحبات) جعلوها في منزلة الواجبات والفرائض وَوَالُوا وعادوا عليها وصنّفوا الناس على أساسها هي أكثر من غيرها، مع أن قصاراها أن تكون جزءًا صغيرًا من العمل الصالح الذي ينبغي أن يقوّم الإنسان بمجموعه، فربما تجد الرجل فيهم مقصرا في الفرائض فلا يلتفتون إلى ذلك ما دام يطبق السنة ويحب السنة -زعموا- بحرصه على تلك السنن (باعتبار أنها سنة في الأصل حقا، مع جهلهم هم بالتفاصيل) التي أشرنا إلى أمثلتها.

من أجل ذلك اختفى عندهم تقويم الناس بالألفاظ الشرعية الواردة في لسان الشرع كالتقوى والصلاح والإيمان والإحسان ونحو ذلك، واستبدل أكثرهم بها ألفاظا أخرى كبعض ما ذكرناه مثل: يحب السنة، وعكسه لا يحب السنة، وسلفي وغير سلفي وما شابه ذلك.. لكن عمومهم لا يعرف الأحكام الشرعية الفقهية إنما يعرف أن الشيء الفلاني «سنة»، وانطبع في مفهومهم أن هذه السنة ضدّها (أي عدمُها والخلو منها) هو بدعة.!

ولهذا كان أولئك القيادات يتسابقون في «تطبيق السنة»، «الالتزام بالسنة» ويتفاخرون بذلك!! ويمدحون الإنسان إذا مدحوه بأنه «خونا سلفي»، «ملتزم بالسنة»، «يطبق السنة»، ويذمّون آخرين من الأشخاص أو من الكتائب بأنهم «لا يحبون السنة»، «ماشي سلفية» -أي ليسوا سلفية- ونحو ذلك..!! لاحظ عبارة: «لا يحب السنة».!

الشخص الذي لا يعرف الواقع عندما يسمع هذا الكلام من بعيد، قد يظنه عاديًا لا بأس به، أو حتى جيدًا، ومَن الذي لا يمدح الالتزام بالسنة والعمل بها؟! سبحان الله.!!

لكن عند التحقيق وبالنسبة للعائش في ذلك الوسط.. فإن الواقع شيء آخر مختلف..!!

كثيرًا ما تجد هذا الذي مدحوه بالسلفية وبأنه ملتزم بالسنة ويطبق السنة.. الخ، هو رجل سيء الأدب والأخلاق قليل الدين قليل التقوى فاتر في العبادة، جاهل قليل الفهم للدين والشريعة.. الخ، وأشياء غريبة من المساوئ والأمراض مجتمعة فيه.! طيب.. لماذا مدحوه؟

لأنه يحرص على العمامة لدرجة أنه يجعل لُبْسها كالواجب المفروض..! وينكر على مَن لا يلبسها، ولأنه يرفع إزاره أكثر من غيره (مع أن الجميع يرفعون الرفعَ الواجب شرعًا) ولأنه يكثر من الاكتحال وأشياء من هذا القبيل، ولأنه يكثر من سب «المبتدعة» و«الإخوان» و«الجزأرة» وفلان وفلان..! هذا الشيء كان طاغيا في سنة خمسة وتسعين على سبيل المثال، وهي سنة الذروة بالنسبة للعمل الجهادي

العسكري، هذا الشيء يمكن أن يوجد جنسه وآحاده في أي ساحة دعوية أو جهادية وفي أي زمان، لكن هنا في الجزائر كان طافحًا جدًا لدرجة الظاهرة والسمة الغالبة.. تطوَّرت هذه المفاهيم المغلوطة والخاطئة حتى وصلت إلى مستويات قبيحة وفظيعة جدًا على يدي الكتيبة الخضراء «كتيبة زيتوني» ثم على يد الجيا في زمن عنتر فيما بعد.!

الخلاصة: التشدد والغلوّ في الدين والتنطع، وقد قال نبينا ﷺ: **(هلك المتنطّعون)**[1].

حضرتُ «**جمال زيتوني**» في أوائل سنة ستة وتسعين بعد قتلهم للشيخ «محمد السعيد» وصاحبه «عبد الرزاق رجّام» رحمهما الله، وفي الفترة التي كانت الجماعة تدّعي فيها أنهما سقطا في كمين، ولـمّا تعلن وتتبنّى بعدُ قتلهما، حضرته وقد جاء يزور المنطقة الثانية.. فمرّ علينا في أحد المراكز الكبيرة، وحضر معه كتيبته الخضراء على رأسها «عنتر»، وكان «حطاب» وجماعة من أعيان منطقته حاضرين، بعد صلاة العصر اجتمع عليه الشباب وقوفًا متحلّقين حوله وتحدّث معهم قليلا.

لم يسأل عن صلاتهم.. ولا طهارتهم ووضوئهم وغسلهم. ولا عن سائر عبادتهم، ولا تفقد أخلاقهم، ولا استكشفَ فهمهم لمسائل الدين والدنيا..! إنما سأل فقط عن «السنة»!! وأشار إلى أمير المركز سائلًا إياه: أين عمامتُك؟

فطفق أمير المركز يحلفُ أنه كان له عمامة لكن ضاعت، وأنه وصى الإخوة يحضرون له قماشًا ولحد الآن لم يحضروا وأنهم وأنهم، واحمرّ وجه المسكين، والله لكأنه كان متلبّسًا بجريمة كبيرة.! هذا حصل أمامي.

المفارقة أنهم كانوا (أغلب المجاهدين في تلك الكتيبة، وكثيرٌ من غيرها) في تلك الفترة وفي ذلك المركز وغيره يتيمّمون مع وجود الماء ومع موفور الصحة والعافية، الماء أمامهم يسيل نهرًا، فلا يغتسلون من جنابة ولا يتوضؤون لصلاة، من أجلِ فتوى انتشرت بينهم تقول بجواز التيمم لواجد الماء القادر على استعماله ما دام مسافرًا، أي وهم مسافرون يقصرون الصلاة فلا يحتاجون إلى سبب آخر غير السفر لإباحة التيمم.

وقد بذل بعض طلبة العلم جزاهم الله خيرا جهدًا في بيان هذا الخطأ والتحذير منه، حتى زال شيئا فشيئًا، وإنما تمسّك به معظم من آل به الخيار إلى البقاء مع الجيا، وانتهى معهم، والحمد لله.

وهذا كما انتشرت بينهم فتوى بعدم صوم رمضان لا أداءً ولا قضاء حتى تقوم الخلافة..!

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٠) وزاد: «قالها ثلاثًا».

وفتاوى أخرى من هذا الطراز..!

وكان يتبنّى ذلك رجالات الجماعة الأقوياء المتنفذون المتنطعون بما فيهم مَن يسمُّون بالضباط الشرعيين.! قد يظن البعض أن هذه أشياء فردية؛ فأقول له، ظن ما شئتَ، أما أنا فقد عشتُ ورأيتُ.! ومَن أراد الاستفادة فإننا نحكي له ونتعِبُ أنفسنا من أجله، والحاصل أن هذا الخلل والفقر الفكري والمنهجي والعلمي كان من أسباب الفساد والفشل، وهو **سبب ذاتيّ**.

ورافقه **سبب خارجيّ**، وهو خذلان العلماء لهم في الداخل والخارج، ومصيبة عدم نفير العلماء للجهاد وتقاعسهم وقعودهم حتى سبقهم مَن ليس مؤهّلا للقيادة.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٢- ما سبق أيضا يتداخل ويترافق مع شيء آخر وهو: **أزمة الأخلاق**.. فكانت تلك الطبقة المشار إليها، وهي الطبقة المؤثرة وصاحبة النفوذ سيئة الأخلاق ولا تمثل الإسلام تمثيلا مشرفا؛ العنف والشدة والغلظة في التعامل مع الناس، افتقار في جوانب الرحمة والشفقة على الخلق والعفو عن الزلات، وقلة احترام لذوي الفضل، مع مجموعة من الأمراض القلبية والأخلاقية الأخرى كالعجب والغرور والتعالي..! نسأل الله العافية والسلامة.

واشتهر عندهم في ذلك عبارات مثل «ما كاش العاطفة في الجهاد»، و«تغلط التخلّص» وعبارات كثيرة، هي وإن كانت لها معنى صحيح بوجهٍ من الوجوه وفي حال من الأحوال.. إلا أنها لم تكن كذلك في الواقع إلا نادرا، بل كانت تعبّر عن مفاهيم وأخلاقيات ترسّخت في هؤلاء وصارت منهجا لهم.! حتى لقد كان من بعض أبلغ ما يذمّون به مَن يسمّونهم بالجزأرة والمبتدعة أنهم «عندهم العاطفة» ويقصدون بذلك ذمّهم بالعطف على الناس ورحمتهم والشفقة عليهم وتأليفهم وغير ذلك، وكان هؤلاء (الطبقة المشار إليها من الجماعة ومن دار في فلكهم) لا يبالون بالناس (الشعب) ويعيبون من يتكلم في تأليف الناس وعدم تنفيرهم ونحو ذلك.!

وهذا كله كان في سنة خمسة وتسعين، أيام «زيتوني» وقبل مقتل الشيخ «محمد السعيد»، وبدء انهيار الجماعة وانشطارها عمليا وانتهائها، أما بعد ذلك أي بعد ما عُرف بـ «مرحلة الخروج» وهي مرحلة خروج الكتائب المتعددة على الجماعة بعد مقتل الشيخ «محمد السعيد»؛ فإن الجماعة (الجيا) صارت أكثر غلوًّا وتنطعا وفسادا بما لا يقاس بما ذكرتُه هنا، حتى آل الأمر إلى أن كفروا الناس كلهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم وصاروا خوارج بلا شك.!

٣- **وجماع ذلك كله: أزمة القيادة**.. فرغم كل ما ذكرناه وما لم نذكره، فإن قواعد الحركة الجهادية (الجماعة الإسلامية المسلحة) وعموم أفرادها العاديين كانوا أهل خير، رغم كل النقص ورغم الأمية



الضاربة أطنابها فيهم، ورغم ضعف الثقافة والعلم وغير ذلك، إلا أنهم كانوا خيرًا من القيادة، فقد كانت القيادة هي الشر وهي الفاسدة المفسدة، بدل أن تربّي الناس على الخير علّمتهم الشر وجعلتهم جهالا ونشرت بينهم الضلالات.

وأعني بالقيادة هنا: القيادة في عهد «جمال زيتوني أبي عبد الرحمن أمين»؛ هذه القيادة الجاهلة المتنطعة الضالة قرّبت كل مَن هو من جنسها من أهل الغرور والجهل والتنطّع والكبر والقسوة والتكالب على الدنيا، وأبعدت الصالحين وطعنت فيهم ووضعت عليهم علامات الاستفهام وهمّشتهم، حتى وصل الحال في مرحلة متقدمة بعد ذلك إلى قتل الكثيرين من أهل الخير بتهم متعددة وسخيفة كثير منها.

وصار قليلو الدين وعديمو التقوى والمراقبة لله تعالى يتقرّبون ويتزلّفون إلى هذه القيادة يطلبون عندها الحظوة.! وهكذا سنة الله في خلقة كما قال سيدنا عمر بن عبد العزيز ﵀: «الأمير سوقٌ ما نَفَق فيه جُلِبَ إليه»[1]، ورأينا عجائب من تقرّب المتقرّبين لهذه القيادة..!

وأخذ ذلك شكلا متصاعدًا..! حتى وصل في مرحلة «تطهير الصف» -زعموا- إلى فظاعات مخزية جدًا، فكثرت بينهم ما يسمّيها الجزائريون بـ «الشريات» وهي التي تسمّى «المقالب» عند بعض الشعوب، وهي المكر والكيد السيء من بعضهم لبعض؛ فكان الرجل منهم يتقرّب بصاحبه وجاره وابن محلته إلى الأمراء فيقول لهم هذا الشخص في اليوم الفلاني (ربما قبل عدة سنين) كان لا يرفع إزاره مثلا، وفي اليوم الفلاني (ربما قبل عدة سنين) قال الكلمة الفلانية، هذا مبتدع ضال مدسوس متستّر، هذا لا يحب السنة، أنا أعرفه وكذا وكذا.

فإن كان له لدى الأمير حظوة أو كان ممن يحسن التلوّك بكلماتهم وعباراتهم والتشدق بأفكارهم القبيحة؛ فإن الأمير قد يستجيب له فيضر ذلك الآخر، وقد قتلوا في مرحلة متقدمة كثيرين بذلك.! وهذا شيء قد يصعب التعبير عنه..!! ويصعب على مَن لم يرَ مثل هذه الأشياء أن يصدقها أحيانا..! وقد يحصل الخطأ في التعبير عنها من جهة أنها أشياء لم تقع دفعة واحدة، بل جاءت متدرجة وعبر مراحل وبشكل تطوّري تصاعدي.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والحاصل أن هذه القيادة كانت هي لبَّ ومكمن الشر في الجماعة.. فإذا عرفت أن القيادة بهذا السوء والفساد، فلا تسأل لماذا حصلت الانتكاسة والنكبة والانكسار.. فهذا أهم سبب.. والأسباب

---

(١) شعب الإيمان (٧٠٤٠) بلفظ: «إن السلطان سوق.. فما راج عنده أُتِي به».

الأخرى هي مساعدة ومكملة. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والخلاصة: أن الذي أعتقده أن الفشل والنكبة والانكسار الذي حصل في الحركة الجهادية والمحاولة الجهادية في الجزائر كان ذاتيًّا، أي من نفسها، ومن داخلها.! وسببه عدة عوامل متظافرة مجتمعة من الخلل المنهجي الفكري الثقافي العلمي، إلى الخلل الأخلاقي، إلى الضعف في عدة مناحٍ، والخلافات والرواسب التي وَجَدت لها مجالا لتكون محور صراعات، إلى غير ذلك.

ويجتمع ذلك كله في: **أزمة القيادة**؛ فإن الفساد والانحراف كان من القيادة بالأساس.

تولى قيادة الجهاد بالتدريج وبواسطة عوامل وفرص معينة وفي غفلة من أهل الخير والصلاح.. تولى القيادة مجموعة من الأشخاص الجهلة المتنطعين المنحرفين المجرمين، أهل الدنيا والانحطاط والتكالب على الفانية، وهم «جمال زيتوني» و«عنتر» والمجموعة التي معهم.! أما عامة المجاهدين من الرجال والشباب فكانوا أهل خيرٍ في الجملة، وهم متفاوتون كما في كل أمثالهم من العوامّ؛ فيهم الصالحون وفيهم أهل الآخرة الربانيون وفيهم دون ذلك.

وفيهم الضعفاء و«اللي جابتهم الحملة»، و«اللي عمبالو ست اشهور وتفرا» -أي الذي كان يظن أن القضية ستة شهور وتنتهي، لا تزيد، أي نأخذ الدولة بعدها- وفيهم كل الأصناف، ولم يكن ذلك ليضر لو كانت القيادة صحيحة صالحة.

كان أمام القيادة فرصة أن تربّي وتعلّم وتفقّه طبقات المجاهدين وترفع مستواهم وتنهض بهم.؟ كان بإمكانها أن تفعل الكثير جدًا تعليما وتربية وتوعية وتعبية وصناعة رجال وأجيال.

لكن فاقد الشيء لا يعطيه.. لقد كانت تلك القيادة -التي تولّت القيادة بانقلاب أبيض- خبيثة فاسدة بكل المقاييس.!!

لا دين المسلمين..! ولا أخلاق العرب..! ولا حتى فهم الكفار للدنيا..!! وقد عُرِض عليها أفكار ومشاريع طيبة كثيرة، ممكنة التنفيذ وتتوفر لها الظروف المواتية والإمكانيات، مِن أعمال تدريب وتسليح وتعليم وتربية وإعلام وغير ذلك، فكانت تتعالى وترفض بجهلٍ وغرور، وربما أيضا بإيعاز وتأثير من العدو (الاختراقات)..!! والكلام يطول جدًا.. ولو استقصينا لما كدنا ننتهي.. وإنما هي إشارات موجزة لمن يعتبر.

وقد يُوجَد في هذا الإيجاز الإخلالُ الذي نخشاه، فهذا نموذج أمامكم، لتعرفوا العذر.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أمّا من يحاول أن يقول: السبب هو المخابرات والاختراقات وما شابه.. فهذا نوعٌ من التبسيط

والتسطيح، والهروب من الحقيقة.! نعم الاختراقات كان لها دورٌ وهي سبب من ضمن الأسباب.. لكن الحصر فيها، أو حتى جعلها أهم وأكبر الأسباب، فهذا خطأ.. وهو في نظري كمن يبكي ويقول: العدو غلبني لأنه خدعني..!! وهل شغلُ العدوّ إلا أن يخدع عدوّه؟! المخابرات هذا شغلها لعنها الله.! فحتى لو سلّمنا أن المخابرات اخترقتك واستطاعت أن تسبب لك الانحراف والضلال والفساد والدمار، فأنت الملوم أيها المفرّط الفاسد..! المخابرات لن تستطيع أن تخترقك اختراقا ضارًا إذا كنت أنت في نفسك سليما قويًا كاملًا مستقيمًا.!! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

❃ ❃ ❃

〚لِم لَم تتكرر عمليات المجاهدين خارج الحدود «الجزائرية» بعد عمليات موريتانيا؟〛

❃ بعد الغزوة المباركة لإخواننا المجاهدين في الجماعة السلفية للدعوة والقتال بالجزائر في موريتانيا ظن الكثير -إن لم نقل تيقن- من أن العمليات القادمة للجماعة سدد الله رميها لن تنحصر فقط داخل الجزائر إنما ستشمل دول المغرب العربي غير أن الأمر لم يحدث إلى حد الساعة؛ فما تحليل فضيلتكم للأمر؟.

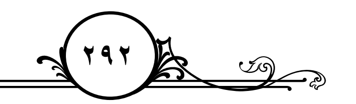
[**السائل:** عبد الرحمن المغربي]

الجواب:

في ظني أن تلك العملية المشار إليها -وهي عملية المغيطي- كان لها هدف سياسي محدد، وقد أدته ولله الحمد، حتى إنه من غير المستبعد أن التغيير السياسي الذي حصل في بلاد موريتان هو من أثر هذه العملية، وأقصد بالتغيير الذي حصل: الانقلاب على الرئيس السابق «معاوية ولد الطايع» من قبل أناس هم من المحسوبين عليه ومن حاشيته.

طبعًا هذا التغيير بالنسبة لنا ليس هو التغيير المطلوب، ولا يساوي عندنا شيئا، إلا من جهة بعض التخفيف الذي يحصل من ذهاب طاغية كافر ومجيء طاغية كافر آخر لعله أقل شرا منه، أو من جهة ما يحصل في أثناء ذلك من بعض التخفيف على الناس والمسجونين ونحو ذلك، ومن جهة بعض الشفاء لصدور المؤمنين بتسليط الله تعالى المجرمين بعضهم على بعض، عَيْرٌ بعَيْرٍ..! ونحو ذلك، لكن النظام باقٍ هو النظام الكافر المرتد، لا تغيير إلا في أسماء القائمين عليه.. والمقصود أن عملية «المغيطي» كان لها هدف ردعيّ بالأساس، للنظام الموريتاني ولمن وراءه من الصليبيين الذين كان لهم مخطط في المنطقة.

وليس بالضرورة أنها بداية مشروع متكامل.. لكن هذه العمليات يمكن أن تتكرر كلما وجدت لها



الدواعي وبحسب قدرة الإخوة المجاهدين وبحسب الظرف.. وبالتالي فلا داعي للظن أن الجماعة السلفية ستغزو البلاد المجاورة وتقتحم عليهم قواعدهم..! هذا لم يرده الإخوة الآن، ولا هم مهيؤون له. وسيأتي وقته بإذن الله وعونه على أحسن مما نظن. المهم هو الثبات والسير بخطى صحيحة وواثقة على بصيرة.. نسأل الله تعالى أن ينصر المجاهدين ويسددهم ويلطف بنا جميعا.

❃ ❃ ❃

〚القول في «الجماعة السلفية للدعوة والقتال»، وبيان الواجب على الأمة تجاه المجاهدين〛

❃ ماذا تعرف يا شيخنا عن «الجماعة السلفية للدعوة والقتال»؟ وماذا تقدم من نصائح للشعب الجزائري عامة وللشباب خاصة حول ما يتوجب عليه تجاه هذه الجماعة؟

[السائل: أبو همام القرشي**]**

الجواب:

الحمد لله وبه نستعين..

أخي الكريم، «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» مرت بمراحل منذ نشأتها بهذا اللقب، وأنت تعرف أنها في الأصل كانت جزءا من «الجماعة الإسلامية المسلحة»، ونواة الجماعة السلفية هذه كانت هي المنطقة الثانية في الجماعة الإسلامية المسلحة، وأنا لي معرفة لا بأس بها بهذه المنطقة ورجالاتها وشبابها، هذه المنطقة الثانية بقيادة «حسن حطاب» انفصلت عن الجماعة الإسلامية المسلحة «الجيا» بعد انحرافها في وقت متأخر نوعًا ما -عندما قُتِل زيتوني وتولى عنتر- وهذا هو أحد المؤاخذات على هذه المنطقة التي هي النواة الأولى للجماعة السلفية، فإن هذه المنطقة الثانية بقيادة «حطاب» وأصحابه ظلت مستمرة مع «الجيا» طوال فترة قيادة جمال زيتوني رغم ظهور انحراف «الجيا» جدًّا جدًّا، وساهمت هذه المنطقة بقيادة «حطاب» في حروب «الجيا» للكتائب الخارجة عليها، وارتكبت أشياء غير محمودة، وعلى كل حال.. الحمد لله أنهم في النهاية لطف الله بهم وأعلنوا خروجهم على «الجيا» بعد مقتل «زيتوني» وتولّي «عنتر زوابري» قيادتها.

وتمسكت المنطقة الثانية في الفترة الأولى التالية -لخروجها على «الجيا»- تمسكت باسم «الجماعة الإسلامية المسلحة»، مدّعية أنهم هم الجماعة حقا، وأن «عنتر» ومن معه هم الانحراف وهم الخروج والشذوذ والفساد، وأنهم لا يمثلون الجماعة.. وهذا المعنى وإن كان حقا في نفسه، لكنه لا فائدة من التمسك به في عالم السياسة..! فإن اسم الجماعة صارَ لقبًا وعلامة على كل الفساد والفظائع والإجرام



والانحراف والضلال.

وقد كنت ممن تكلم معهم في هذه المسألة وأشرت عليهم بتغيير اسمهم وأنه لا فائدة في هذا التمسك بالاسم القديم -بواسطة بعض رجالاتهم مروا علينا والتقيت بهم بعد خروجهم عن الجماعة في منطقة الشراربة (التي تحت الأربعاء ومفتاح)- ولكنهم عزّ عليهم تغيير الاسم لما حصل له من العصبية والسمعة ولما له من العلاقة الوجدانية وغير ذلك.. كانت المنطقة الثانية في هذه الفترة عليها ملاحظات ومؤاخذات كثيرة بحسب نظري ومعرفتي، لا يسع المقام لسردها.. ولم أكن أؤمل فيهم كثيرًا، بل كنت شبه يائس منهم.

يكفي أن تعرف على وجه الاختصار أن نفس الأشخاص في القيادة الذين استمروا طوال المدة مع «زيتوني» هم أنفسهم قيادة هذه المنطقة، وتركت أنا البلد وخرجت والوضع على هذا، قبل نشوء «الجماعة السلفية للدعوة والقتال».

لم أعرف بعدها تفاصيل نشأةِ الجماعة السلفية بدقة، لبُعدي ولقلة مصادر الأخبار في هذه المرحلة، لكن عرفنا فيما بعد أن الجماعة تكونت بعد اتصالات ولقاءات وتفاهم بين هذه المنطقة الثانية وبعض المناطق في الشرق (الخامسة والسادسة) وبعض الكتائب في الوسط والشرق خصوصا، ثم الجنوب، وفي الغرب قليلا.

طبعا هذا كان لا بد أن يستغرق وقتا طويلا، لصعوبة الظروف وصعوبة التواصل واللقاءات بين الناس، والحمد لله..

ومع أن وجود «حسن حطاب» في القيادة كان يعطيني دائما مؤشرا سلبيا.! إلا أننا بدأنا شيئا فشيئا نسمع عن تحوّلات طيبة وتغيرات جيدة، تنحو إلى الإصلاح والاعتراف بالأخطاء الماضية والموجودة، وقبول النصح، والبحث عن الأحسن والأفضل، وتطوير الخطاب وإصلاحه، والاستفادة من التجربة المريرة، واتجاه نحو الاعتدال والتواضع، والتخلص من كثير من الأخطاء السابقة والمفاسد.. الخ، وبعد ابتعاد «حسن حطاب»، وتولي قيادات جيدة نظيفة طيبة استبشرتُ خيرا.. وما زلت لحد هذه الأيام أسمع الخير ويصل إلينا المزيد من المبشرات عن إخواننا هؤلاء؛ فالحمد لله رب العالمين.

الذي كنت أرتاح له دائما وأرجو منه الخير أنني أعرف أن أهل الشرق والجنوب (الصحراء) كانوا على نقاء وصفاء أكثر من أهل الوسط والغرب، وذلك لأسباب أهمها بُعدهم عن مركز «الجيا» وعدم تلوّثهم بأوزارها.!

فتحوّل الثقل إلى الشرق والوسط الشرقي مع الجنوب، هذا جيد في هذه المرحلة بالذات، وفي كل

خيرٌ، لكن لكل مرحلة رجالها ومتطلباتها، والله أعلم.

والحاصل أن «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» الآن هي شيء آخر غير الماضي القديم السقيم، والحمد لله، وهي جماعة نحسب فيها الخير والصلاح، جماعة مجاهدة ثابتة على أمر الله، نسأل الله أن يوفقها وأن يزيدها هدى وسدادا وتوفيقا، وأن ينصرها على القوم الكافرين.

أنصح الشباب الجزائريين بالكون معها والالتحاق بقافلتها، والله الموفق، وأدعو وأحرّض أهلنا في الجزائر أن يكونوا معها ويؤيدوها كل بحسب ما يقدر عليه.

نعم، هناك نقص ولا بد أنه لا تزال هناك شوائب وأخطاء.. لكن على الإنسان أن يكون محققا للحق ناصرًا للدين وأهله.

ولا بأس للإنسان من شبابنا وغيرهم أن يتثبّت ويتوثّق ويحصّل الاطمئنان، فهذا حق له وهو فضيلة أيضا، ولكن عليه أن يعطي لكل ذي حق حقه، ولا يكثر من الالتفات إلى الوساوس والحسابات المعارضة للواجب الشرعي الديني الذي كلفنا الله به.!!

بعض الناس لجهلهم وقلة الفقه في الدين صاروا يائسين من دعم أي جماعة تقوم وتجاهد الكفار المرتدين، وصار يقول: «كي لوّلْ كي لاخر» و«بولحية هو بولحية» وما شابه ذلك من المعاني..! وينصرفون عن القيام بما أمر الله به.. وهذا بلا شكّ من تلبيس الشيطان وضحكه عليهم، نسأل الله السلامة..! وإنما الواجب على كل مسلم أن يحقق الحق، وأن يعرف الواجب في كل موقف وفي كل حين، ويعمل به، ويصبر ويحتسب، ويعلم أنه مخلوق للابتلاء والامتحان، وأنه عبدٌ فقير ضعيف حقير لا يساوي شيئا، وغدًا يأتيه الموت وتنتهي فرصته، فليحرص أن يكون مع الله تعالى ومع أوليائه وفي صفهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ٢٠﴾[المجادلة]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٤﴾ [الحشر].

وإذا كنا نعرف أن عامة الناس يسيطر عليهم الجهل وانعدام الفقه في الدين، وهذا حال جمهور أهل زماننا، ولا كبير حيلة لنا في ذلك الآن؛ فإن هذا أمرٌ قد مردوا عليه وشبت وشابت عليه أجيالهم، وما زالت، بسبب أن المسلمين يتربون في إطار وضع جاهلي وتحت حكم غير إسلامي، حكم الردة والكفر والحرب لله ولدينه..! وإنما نسايس الناس ونأخذ منهم العفو، ونحاول استجلابهم والتلطف معهم وتأليفهم، على ما فيهم من الظلمات.

فإن الشباب الملتزم بدينه والمستقيم على طريق الله تعالى لا ينبغي أن يكون كذلك؛ بل عليه أن



يكون مالك أمره حرّا كريما محققا للحق ساعيا في الخير، مستعدًا للتغيير إلى الأفضل والبحث عن الأكمل والأحب إلى مولاه ﷻ.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح والفلاح.. آمين.

❁ ❁ ❁

〚تقويم كتاب الشيخ أبي مصعب السوري عن «التجربة الجزائرية»، وتفصيل بعض أحداث الجزائر المريرة، والكلام على كتاب «الحرب القذرة»〛

❁ السؤال الأول: ما تقويمكم لكتاب أبي مصعب السوري -فك الله أسره- والذي ذكر فيه أحداث الجزائر والمسيرة الجهادية؛ هل تعتقدون أن الذي ذهب اليه الشيخ موثق بالبيانات والأدلة الدامغة؟.

الثاني: ما تقويمكم لكتاب «الحرب القذرة» الذي كتبه ضابط مخابرات جزائري اتهم فيه رموز الجهاد بالعمالة؟

[السائل: abotorab]

الجواب:

كتاب الشيخ أبي مصعب السوري -فرج الله عنه- المسمّى بـ«دعوة المقاومة الإسلامية العالمية»، كتاب جيد وقيم، وفيه فوائد وعلم نافع.. هذا في الجملة.

ولكن ليس معنى هذا -طبعًا- الموافقة على كل التفاصيل، وكل ما كتبه الشيخ.. بل هناك مواضع رأيتها لم يصب فيها، وهناك أشياء هي محل نظر وبحث.

ولكن بالإجمال وفي العموم الكتاب طيب جدا ومفيد، وأنصح الإخوة المهتمين بالفكر السياسي الجهادي والإخوة القياديين بقراءته والاستفادة منه.. للأسف أن النسخة التي قرأتها وعلقتُ عليها حواشي ليست قريبة مني الآن، بل بعيدة جدًا، ولست أستحضر كثيرا مما علقت عليه.

ما ذكره عن الجزائر فأصاب في بعضه وأخطأ في بعض، وهناك أشياء لم يحسن صياغتها والتعبير عنها بدقة، سواء في كتابه هذا، أو في مختصر شهادته، ونقل عن بعض طلبة العلم أشياء هو اعتمد فيها على حفظه وذاكرته؛ فأخطأ في نقلها، وأنا عارفٌ بذلك، وهو طبعًا كتب هذه الفصول المتعلقة بالجزائر وغيرها من حفظه ولم يبق له بعد الخروج من أفغانستان أي وثائق على ما أظن، بل هو صرح بذلك،

فكان ذلك سببا رئيسيا في بعض الأخطاء، وقد أشار هو إلى ذلك بقوله: «وقد كانت تجربة شخصية مريرة وغنية بالفائدة، وقد سجلت ذلك كما ذكرت في كتاب فقدته مخطوطا جاهزا أثناء انسحابنا العاجل من كابل إبان الهجمة الأمريكية على أفغانستان بعد أحداث سبتمبر، وأعدت كتابة ملخصه وسأنشره قريبا إن شاء الله»[1] اهـ، كما أشار إلى ذلك في مواضع أخرى أيضا.

ولا بد أن تلاحظ أن ما كتبه في هذا الكتاب عن التجربة الجزائرية المعاصرة هو نبذة مختصرة، وذلك كثيرا ما يكون عرضة للإخلال، ويقتضي الإيجاز بالحذف كثيرا.

وفي ما يلي بعض الملاحظات على ما كتبه في هذه النبذة:

- تلاحظ أن التواريخ فيها أخطاء، كما في تأريخ استشهاد الشيخ «مصطفى بويا علي»، وكما في تاريخ الانتخابات الملغيّة التي فازت بها «جبهة الإنقاذ»، وهذا لأنه يكتب من حفظه كما وضحتُ.

- قوله: «انشق جزء كبير من مجلس شورى جبهة الإنقاذ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة العسكرية.. ورفض آخرون على رأسهم «محمد السعيد وعبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام وسعيد مخلوفي» المهادنة وبدأوا المواجهة باسم جبهة الإنقاذ.. وسرعان ما أسفر اجتماعهم عن تشكيل ما عرف باسم «جيش الإنقاذ» الذي برز على رأسه «مدني مرزاق» أحد كوادر الجبهة..»[2] اهـ.. هذا غير صحيح، بل الصحيح أنه بعد اعتقال الشيخين «عليّ» و«عباس»، تولى قيادة الجبهة: «عبد القادر حشاني»، ثم سجن هو أيضا؛ فلم تكن هناك قيادة كبيرة متفق عليها، وتزامن ذلك مع شقاق ونزاعات وتخلخل في صف قيادات الجبهة كما أشار إليه، فكوَّن تيار المواجهة ما عُرف بخلية الأزمة، هذه الخلية كانت بمنزلة القيادة المؤقتة للجبهة، وتولّى رئاستها الشيخ «محمد السعيد» رحمه الله..

الشيخ «محمد السعيد» كان ممن اختار خيار المواجهة، واقتنع بضرورة الجهاد وعدم التراجع، وكان مع كونه رئيس خلية الجبهة -يعني: في حكم رئيس الجبهة ساعتها- كان أيضا رئيس جماعته الخاصة التي عرفت في الوسط الإسلامي الجزائري باسم «جماعة الجزأرة» وهي جماعة كادرية كما هو معروف -يعبّر عنها المؤلف بجماعة الطلبة-، ولها وعليها ولنا فيها تفاصيل، وقد أتيح لي في فرصة تالية أثناء التجربة الالتقاء ببعض قياداتهم.. المهم أن مجموعة «محمد السعيد»، مع مجموعة «سعيد مخلوفي» و«عبد القادر شبوطي»، مع مجموعة «الجماعة الإسلامية المسلحة» التي تكونت في وقت سابق لإلغاء

---

(١) دعوة المقاومة (ص ٧٥٩، ٧٦٠)، والملخص المذكور هو كتاب: «مختصر شهادتي على الجزائر» في بضع وسبعين صفحة.

(٢) دعوة المقاومة (ص ٧٦٣)، مختصر شهادتي على الجزائر (ص ١٦).

الانتخابات بجهود أطراف متعددة مثل «قاري سعيد» و«الملياني» وغيرهم من الإخوة القادمين من أفغانستان وبقايا أصحاب الشيخ «بويا علي» وغيرهم.. هذه المجموعات الثلاث اتحدت في «الجماعة الإسلامية المسلحة» وانتخب أميرها الشيخ «أبو عبد الله أحمد» ﷺ، وذلك في شهر مايو من سنة أربع وتسعين، في تلك الأثناء كان المفروض أن الشيخ «محمد السعيد» يمثل الجبهة، وهو لما وقع الاتفاق -اتفاق الوحدة- وقّعه باسم الجبهة على أساس أنه هو رئيس «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» ساعتها، رئيس خلية الأزمة التي هي قيادة الجبهة في تلك اللحظة، أقول: في تلك الأثناء رفضت مجموعة ممن ينتمون إلى الجبهة توقيع الشيخ «محمد السعيد» باسمهم، وأنكروا أنه يمثلهم أو يمثل الجبهة، وقالوا إنه لا يمثل إلا نفسه وجماعته «الجزأرة»، هؤلاء الرافضون كانوا في أغلبهم مجموعة رجال من الشرق من ناشطي الجبهة سابقا وممن لهم ارتباطات اجتماعية وتاريخية معينة ببعض قيادات الجبهة، وكان منهم «مدني بو مزراق» المذكور، ومنهم «مصطفى كبير» أخو «رابح كبير» -أحد سياسيي الجبهة وأحد الأعضاء المؤسسين لها، خرج إلى خارج البلاد وصار يتكلم باسم الجبهة-، والمظنون والله أعلم أن «رابح كبير» ومن على شاكلته لهم دور كبير في هذا التوجيه؛ أعني في رفض الوحدة مع الجماعة الإسلامية المسلحة؛ فما كان منهم إلا أن أعلنوا عن تشكيل: «الجيش الإسلامي للإنقاذ» واعتبروا أنفسهم بمنزلة الجناح العسكري للجبهة، خلافا للجماعة الإسلامية المسلحة التي لا تربط نفسها بالجبهة، وكانت هذه فكرة سابقة عندهم ربما، لكن الإعلان الرسمي كان هنا، فهذا ما يتعلق بهذه الفقرة، والله أعلم.

- وقوله: «.. ثم خلفه [يعني «جعفرًا الأفغاني»] مع مطلع (١٩٩٣) أميرها «أبو عبد الله أحمد»»(١) اهـ، هذا أيضا من الخطأ في التأريخ كما أشرتُ، والحق أن «جعفر الأفغاني» ﷺ كان حيّا إلى ديسمبر -آخر الشهور- من سنة ثلاث وتسعين، وكنت أنا ساعتها في الجزائر، ولم ألتق به، مع حرصي على ذلك ورغم برمجة عدة مواعيد لكن كانت في كل مرة تفشل بسبب الظروف الأمنية، والتقيت بمساعدٍ له، وكانت وفاته في الشهور الأولى من سنة أربعٍ وتسعين.

- قوله: «واعتقل (القاري سعيد) في إحدى الهجمات الكبرى على قيادة القوات البحرية في الجزائر العاصمة، ثم فر مع أكثر من (٧٠٠) سجين من سجن الجزائر العاصمة بعد عدة أشهر.. ثم بذل وسعه

---

(١) دعوة المقاومة (ص ٧٦٣)، مختصر شهادتي على الجزائر (ص ١٧).

في توحيد الفصائل المقاتلة من جميع الفرقاء.. ثم قتل في ظروف غامضة ﷺ أواخر(١٩٩٤)»[1] اهـ.. هذا لا يخفى ما فيه من أخطاء لمن هو من المتابعين، وكل ذلك بسبب اعتماد الشيخ أبي مصعب على الذاكرة فقط، فإن اعتقال الشيخ «قاري سعيد» كان في أواخر سنة اثنتين وتسعين، في وقت مبكر، وخروجهم من السجن (سجن لومبيز في باتنة) كان في سنة أربع وتسعين، متزامنا مع الوحدة تقريبا، بعدها بقليل جدا على ما أظن، والوحدة تمت وهو في السجن ﷺ.

هذا وإن من المناسب أن أذكر بالخير هذا الرجل الفذ القائد الموهوب والشيخ العالم «القاري سعيد البشّاري» ﷺ، وقد عشتُ معه في أفغانستان مدة، والحق أني لم أرَ جزائريًا مثله لا في الداخل ولا في الخارج، من حيث الكمال والفضائل، ولذا فلا عجبَ مما بلغني أن الشيخ «أبا عبد الله أحمد» ﷺ الأمير الأول للوحدة كان أرسل إليه بمجرد خروجه من سجن باتنة لاستحضاره إلى الوسط ليكون قريبا منه، بل بلغني من أشخاص كانوا قريبين من «أبي عبد الله أحمد» أنه كان يفكّر في تسليمه القيادة.! فالله أعلم، ولا أستبعد ذلك لأن الرجلين كانا ربّانيين، نحسبهما كذلك والله يرحمهما ويعلي في الشهداء منزلتهما.. آمين.

- قوله فيما يأخذه على البيانات والسياسات في عهد زيتوني: «تصعيد المواجهة مع المليشيات المدنية المرتبطة بالحكومة واتخاذها هدفا أساسيا»[2] اهـ.. هذا مما لا يعاب عليهم، بل هو تصرف صحيح.

- قوله: «ثم أتبع عبد الرحمن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحكومية؛ فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم.. على أنهم مرتدين»[3] اهـ، هذا غير دقيق، ولا يُعتمد عليه، بل المجازر جاءت بالتدريج ويحتاج إيضاحها إلى شرح وتطويل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- كلامه عن المجازر واكتفاؤه بنسبتها إلى الحكومة بهذا الشكل غير دقيق، فإن معظم المجازر قامت بها «الجيا»؛ بدأت في أواخر عهد «زيتوني»، ثم بلغت ذروتها على يدي «عنتر زوابري»، ولها تفاصيل يشيب لهولها الولدان وهي من مخازي تاريخ المسلمين المعاصر، نسأل الله العفو العافية، وهؤلاء - الجيا- كانوا يتحركون بدافع ضلال عقدي وانحراف عن الصراط المستقيم، لا بتحريك مخابرات؛ فإن كان لا بد من افتراض دور للاستخبارات فهذا قد يُحتمل أنه في صورة اختراقات متفرقة وتوجيهات

---

(١) دعوة المقاومة (ص ٧٦٣)، مختصر شهادتي على الجزائر (ص ١٧).

(٢) دعوة المقاومة (ص ٧٦٤)، مختصر شهادتي على الجزائر (ص ١٨).

(٣) دعوة المقاومة (ص ٧٦٥)، مختصر شهادتي على الجزائر (ص ١٨).



مساعدة على الفتنة والضلال، كما هو دور مخابرات الأعداء في كل حين وفي كل مكان، أما الأساس فهو ضلالهم هم وفسادهم وانحرافهم العقدي الديني الشرعي، نسأل الله العافية.!

- نسب قتل «زيتوني» إلى «جماعة الأربعاء»، وهذا خطأ، بل الذي قتله هم «كتيبة المدية» المتمركزة في «جبال تمزقيدة».

فهذه بعض الملاحظات على ما ذكره عن التجربة الجزائرية في كتابه «دعوة المقاومة» هي كالأنموذج.

وأما كتابه: «مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر»؛ فقد قرأته منذ فترة أيضا، ولم يتسنّ لي الآن مراجعته، ولكن فيه كثير من الملاحظات أيضا مثل التي مرت هنا، ومما لاحظته عليه أنه خلط بين المراحل ولم يحرر جيدا تطوّرها واختلافها وتدرّجها، وانبناء بعضها على بعض، وأيضا هو ركز فيه على مشاكل الخارج، وواضح أن كاتبه -حتى لو لم يكن الإنسان يعرفه- ممن تابع التجربة من خارجها لا من داخلها.

وفي الجملة والعموم.. كتابات الأخ الشيخ أبي مصعب السوري غنية بالحكمة والتأمل والفوائد لمن رزقه الله الفهم الجيد والإنصاف وحرص على الحكمة وعلى أخذ أحسن ما عند الناس..

والله المسؤول أن يعفو عنا وعنه، ويتقبل من الجميع وأن يفك أسره وأسر كل المأسورين من المسلمين في كل مكان.. آمين.

كتاب «الحرب القذرة» الذي ألفه أحد الضباط في الاستخبارات الجزائرية[1] بعد هروبه إلى الخارج، لا أرى له كبير قيمة بالنسبة لنا من حيث معرفة الحقيقة، ولا يمكننا الوثوق به، فهذا الضابط بالنسبة لنا ليس موثوقا.. إنما نحن نرى أن هذا الكتاب وما شابهه هو من مكر الله تعالى بالطواغيت ومن تسليط بعضهم على بعض، فهو لطف بالمسلمين من هذا الوجه، لأن الكتاب يثبّت فكرة أن النظام وجنرالاته المتنفذين المهيمنين على الحكم والسلطة هم مجموعة من المجرمين الفاسدين الدمويين وهم المسؤولون عن المجازر، وهم مَن أسّس أو اخترق الجماعات الإسلامية المسلحة واستعملها لتدمير البلاد!! ولخلق هذه الأزمات الأمنية والسياسية!! من أجل إيجاد البيئة المناسبة لهم للاستمرار في السلطة والتحكم في مقدرات البلاد ورقاب العباد.. الخ

هذه الفكرة هي فكرة نابعة من ثقافة النظام العلماني الوطني كما هو معروف، فهم دائمو رمي

---

(١) هو «جرج طرابيشي»، هرب إلى فرنسا من الجزائر بعد أن حُبس فيها أربع سنوات، وكتب كتابه فيها (فرنسا).

بعضهم بعضا بمثل هذه التهم.. وهي فكرة خالية من الانضباط بالإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر.. وذلك لخلوّهم من الإيمان وتشبّعهم بالتصورات الجاهلية، وفقدانهم للعزة والكرامه الذاتية، وحقارتهم في أنفسهم.

وأي واحد له ظرف مناسب ودوافع مناسبة واتصالات بسيطة يستطيع أن يقول هذا الكلام ويكتبه..! لكن كما قلت.. فالفائدة بالنسبة لنا نحن المسلمين والمجاهدين في هذا الكتاب وأمثاله هو أنه يبين ويرسّخ ويزيد من تراكمات المعرفة عند الناس بفساد النظام وأنه هو المسؤول عن كل أو معظم الفساد والجرائم، وذروتها المجازر المفظعة، التي حصلت في الجزائر..! فهذا في حد ذاته خيرٌ لنا.. أما غير ذلك فلا أرى له كبير فائدة، نحن أعرف منه بمن كان يرتكب تلك المجازر والمذابح والفظائع..! نسأل الله الستر والعافية والسلامة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

❊ ❊ ❊

〚الفرق بين «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» و«الجماعة الإسلامية المسلحة»، ومسائل في الجهاد الجزائري، وبيان حكم الهدنة مع طاغوت الجزائر، وحكم من نزل من الجبل فسلم نفسه إلى طواغيت الجزائر، والقول في وحدة الجماعات المغربية الإسلامية المقاتلة، وبيان مسألة «تكفير من لم يكفر الطاغوت»، ومسألة «أعوان الطواغيت»، وبيان حكم التتار وهل يقاس عليهم حكام زماننا الطواغيت؟〛

❁ عاشرا: بحكم تجربتك ومعرفتك بالجزائر وأوضاعها؛ هل ترى أن هناك فارقا بين «الجماعة الإسلامية المسلحة» الآن وبين «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» في المنهج والمعتقد؟ وهل الجماعة السلفية جماعة مستقيمة على المنهج الحق أم أن الزيغ والضلال الذي في الجماعة المسلحة متلبسة به هي أيضا أو ببعضه؟

وهل يصح الحكم بالردة على كل من نزل من الجبال وسلم سلاحه وقبل بالعفو مقابل إلقاء السلاح أم هناك تفصيل؟ وهل ترى أن فتوى الشيخ ابن عثيمين ﵀ للإخوة في الجزائر بتسليم السلاح والنزول من الجبال فتوى صحيحة مبنية على معرفة صحيحة بالواقع وبالشرع أم هي فتوى أخطأ فيها الشيخ ﵀ وغفر الله لنا وله؟ وهل تنصح إخواننا المجاهدين في الجزائر بمواصلة الطريق والبقاء في الجبال لمحاربة الطاغوت وشن الغارات عليه والدفاع عن انفسهم أم يدخلوا في المصالحة والعفو والوئام الذي عرضه عليهم بوتفليقة؟.



الحادي عشر: هل ترى دخول بعض الجماعات الجهادية في هدنة مع الطاغوت الجزائري أو غيره هي جائزة أم محرمة أم كفر وردة والعياذ بالله؟

الثاني عشر: هل ترى أن الأفضل بقاء الجماعات الإسلامية في المغرب العربي من أمثال «الجماعة الإسلامية المقاتلة» بليبيا و«الجماعة السلفية للدعوة والقتال» بالجزائر و«الجماعة الإسلامية المقاتلة» المغربية وغيرهم.. كل منها يعمل في بلده؟ أم أن الأفضل هو توحدهم جميعا في جماعة واحدة وتحت راية وقيادة موحدة تعمل لكل المغرب العربي والإسلامي؟ أم تنضم كلها تحت القاعدة كما انضمت جماعات جهادية في العراق تحت قيادة القاعدة كجماعة «التوحيد والجهاد» التي كان يقودها الشيخ «أبو مصعب الزرقاوي» حَفِظَهُ اللهُ وغيرها من الجماعات والتجمعات.

السابع عشر: بعض إخواننا المجاهدين في ليبيا أصبح يفكر في العمل تحت قيادات جديدة وجماعات جديدة وذلك في غياب نشاط واحتواء «الجماعة الإسلامية المقاتلة» لأمثال هؤلاء للقتال تحت قيادتها؛ فماذا تنصح إخواننا في ليبيا لمن أراد العمل الجهادي المسلح ضد الطاغية الزنديق القذافي.. هل يعمل في جماعات منفردة أم يصبر حتى تتاح له فرصة الانضمام لإخوانه في «الجماعة الإسلامية المقاتلة»..

وكما تعلم وكما هو معلوم ومشهور من تكفير الكثير من علماء المسلمين للقذافي حتى صار الحكم عليه بالكفر لا يكاد يختلف عليه العلماء وطلبة العلم؛ فما حكم من لا يكفر هذا الطاغية من العلماء وطلبة العلم والعوام ممن اتضح له حال القذافي وما عليه من الكفر والزندقة ولم يكفره؟ وهل تنطبق عليه قاعدة: «من لم يكفر الكافر فهو كافر»؟ وما حكم أعوان الطاغية القذافي هل هم كفار على التعيين؛ أم طائفة كفر وردة تقاتل وتغنم أموالها فقط دون الحكم على أعيانهم بالكفر؟ أم هم على مراتب الشرطة والجيش وما شابههما لهم حكم، وأعوانه من اللجان الثورية وحرسه الثوري لهم حكم آخر.. أرجو التوضيح ما أمكن؟

[**السائل:** مع الحق]

الجواب:

هذه الأسئلة تتضمن فقرات كثيرة، فسنحاول الجواب عليها فقرة فقرة، وبالله التوفيق:

عاشرا: نعم هناك فرق بين «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» الموجودة الآن في الجزائر، وبين «الجماعة الإسلامية المسلحة» التي كانت في عهد «جمال زيتوني» و«عنتر زوابري»، لا شك في هذا..

فمجرد خروجهم على تلك الجماعة والتبرؤ منها ومنابذتها، هذا مبدئيا إثبات قاطع على الفرق.. ثم ثبتت عندنا الفروق الكبيرة، وهي الفرق بين الصالح والطالح، وبين الخبيث والطيب، وبين التقي والفاجر، وبين المهتدي والضال، والحمد لله رب العالمين.

هل تريد أن نذكر فروقا ملموسة؟

- «السلفية» لا تكفر الشعب الجزائري بل ترى جمهور الناس مسلمين والحمد لله، إلا من ثبت كفره فيكون هو الاستثناء، أما «الجيا» فكانت قد انحرفت إلى فكر «التكفير والهجرة»، فكر الخوارج بلا شك، وكفرت جميع الشعب، واستحلت دماء كل من يدب على الأرض..

- الفرق في التعامل مع الناس واحترامهم وتأليفهم ورحمتهم والشفقة عليهم.
- الفرق في التعامل مع الجماعات الإسلامية الأخرى في العالم.
- الفرق في الخطاب واضح جدًا.
- الفرق في فهمهم وتناولهم لأحكام التكفير والتبديع والتفسيق وغيرها.
- الفرق في الصفات الأخلاقية مثل الغرور والأمراض الكثيرة التي أصابت «الجيا» وقتلتها.. وغير ذلك كثير.

بالجملة.. فرق كبير جدًا، وهذه «الجماعة السلفية» تتبرأ من «الجيا» ومن منهجها المنحرف ومن أفعالها وإجرامها، وتراه ضلالا مبينا وزيغا وانحرافا ومروقا من الدين.

وأما أن هناك بعض الرواسب لا تزال في الحركة الجهادية غير مرضية.. فهذا يمكن أن يكون.. لكن لا يكون كبيرًا مؤثرا، والإنسان لا يزال يسعى لإصلاح نفسه وتكميلها إلى أن يموت.. وهم يحتاجون إلى الاحتكاك أكثر مع إخوانهم في الحركة الجهادية العالمية، وكثرة التواصل والتشاور وتبادل الرأي والحكمة، وما داموا على هذا الخط وعرفوا أخطاء الماضي وأقروا بها ونبذوها على الجملة، واستعدوا لطلب الفضل وصمموا على الإصلاح، فهم على خير وهم على الطريق الصحيح، والكمال لله تعالى، وأي الرجال المهذب، وهم يعانون قسوة الأمر لوحدهم منفردين عن النصير والمعين من أمتهم، ولا سيما أهل العلم، إلا من رحم الله، فنسأل الله أن يعينهم ويقويهم، والله المستعان.

«**وهل يصح الحكم بالردة على كل من نزل من الجبال وسلم سلاحه وقبل بالعفو مقابل إلقاء السلاح أم هناك تفصيل؟**».. نعم هناك تفصيل في هذه المسألة: فالأصل أن الاستسلام للعدو والاستئسار لا يجوز إلا لمن غُلِبَ وأدرك العجز، أما من كان قادرا على الجهاد وعدم إعطاء الدنية وقادرا –في حكم العادة– أن لا يدخل تحت حكم كافر، فلا يجوز له أن يدخل مختارًا تحت حكم الكافر ويستأسر له

ويستسلم ويهين نفسه.!

أدلة الشريعة الدالة على ذلك كثيرة لا تحصى.. فإن المسلم مأمور بجهادهم وقتالهم وقتلهم وتدميرهم وتشريدهم، قد سلّطه الله عليهم شرعًا، وأمره بأن يتبرّأ منهم وينافرهم ولا يجامعهم لا يواليهم ولا يوادهم، بل يكفر بهم، وأمره بأن يكون هو الأعلى بدينه وإيمانه وما معه من الهدى والنور، وألا يجعل للكافرين عليه سبيلا، ولا يهين نفسه ولا يرضى بالذل، بل يكون عزيزًا كريما قويًّا أبيًّا..! فلا يجوز له في حال الاختيار ولمجرد طلب الراحة، ولمجرد أن يصيبه شيء معتادٌ مثله من المشقة والتعب والآلام أن يسلّم نفسه لعدوّه يهينه ويُجري عليه حكمه الجاهليّ.. هذا لا يجوز قطعًا، ولا يقول بجوازه أحدٌ يعرف دين الله وشرعه.!!

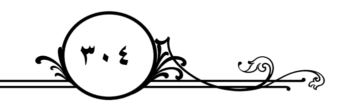
ثم إن هذا المسلم بعد أن يكون قد تمسّك بذلك الأصل المشار إليه وسعى في البراءة من عدو الله ومجاهدته كما أمر الله، أقول: بعد ذلك لو عجز وأدرك أنه مغلوب وأنه لا فائدة من القتال -بمعنى أنه لا فرصة له في الغلبة على العدوّ أو النجاة منه، وأنه مأخوذ مأخوذ- فإنه في هذه الحالة قد خفف الله ﷻ برحمته ولطفه عليه ورخّص له في الاستئسار والاستسلام، فهذه حالة عجز ومغلوبيّة تشبه الإكراه إذن، داخلة تحت قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[آل عمران: ٢٨] وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[النحل: ١٠٦] وما في معناهما من الآيات والأحاديث..

فهذا جائز له، تخفيفا من الله ورحمة ولطفًا، ولكن حتى في هذه الحالة، الأفضلُ المختارُ هو الصبرُ والثبات حتى القتل، وعدم الاستئسار والاستسلام. فهذا أفضل لمن قدر عليه وصبر.! وهو العزيمة..

ومن الدلائل الخاصة لهذه المسألة قصة «عاصم بن ثابت» وصحبه العشرة ﷺ ورضي عنهم، كما ثبتت في الصحيحين وغيرهما، وبوّب البخاري ﷺ عليه بقوله: «بابٌ هل يستأسر الرجل؟ ومَن لم يستأسر، ومَن صلّى ركعتين عند القتل»[1]؛ ففي هذه القصة أن بعض الصحابة أخذ بالعزيمة ولم ينزل على حكم الكافر ولم يستأسر، بل قاتل حتى قتل، ومنهم من أخذ بالرخصة فاستأسر ونزل على حكم

---

(١) وردت القصة عنده تحت رقم (٣٠٤٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه أن رهطا حاصروا سرية عاصم بن ثابت ﷺ وطلبوا منه النزول على حكمهم وعاهدوهم أن لا يقتلوهم، فقال عاصم أمير السرية: «أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللّهم أخبر عنا نبيك»؛ فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما وسبعة معه، ونزل إليهم ثلاثة على عهدهم، منهم خبيب بن عدي، وابن الدثنة، ورجل.. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم.. فقال هذا الرجل: «هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم إن لي في هؤلاء لأسوة» يعني عاصما وأصحابه القتلى؛ فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، وأخذوا صحابيه فباعوهما في أسواق مكة، حتى قتلت قريش خبيب ابن عدي أخيرا، وقال أبياته المشهورة: ولست أبالي حين أقتل مسلما.. الخ.



الكفار فأسروه ثم باعوه ثم قتلوه.. والحمد لله رب العالمين، فهذا ملخص للمسألة.

فإذا تبين هذا، فإنه لا يُحكم بالردّة على من نزل من الجبل وسلّم سلاحه وقبل عفو العدوّ ونزل على برنامج «الوئام الطاغوتي»؛ بل هذا منزّل على التفصيل المتقدم، فمن لم يكن معذورا عاجزًا مغلوبًا، بل نزل لمجرد أنه تعب وشق عليه الأمر مشقة معتادة شرعًا، ولمجرد طلب الراحة والسلامة، فهذا مرتكب حرامًا شديدًا، وأما العاجز المغلوب المقهور إن ترخّص في ذلك فهو معذور.. هذا هو الحكم المجرد..

أما من انضاف إلى نزوله من الجبل وتسليمه لنفسه أشياء أخرى فنحكم عليه بحسبها حينئذٍ، كمن نزل ثم والى الطاغوت وصار منهم وتجنّد في صفهم، فهو منهم، كافرٌ مرتد ولا كرامة.! نسأل الله السلامة.. ومن عاونهم مختارًا طائعا بالدلالة على عورات المسلمين وأعانهم بالمعلومات وغير ذلك، فهو كذلك كافرٌ إذا فعل ذلك طواعية دون إكراه معتبر. وهكذا..

وعلى الإخوة أن يحرصوا على التثبّت جدا في مثل هذه الأحكام على الناس، ويتحلّوا بأعلى درجات الإنصاف والقسط وتحقيق الحق، ورباطة الجأش وقوة القلب، وليحذروا من حظ النفوس ومن تلبيسات الشيطان ومن غلبة الهوى والحميّة النفسية، وليعلموا أن الخطأ في العفو خيرٌ من الخطأ في العقوبة، فهذا أصلٌ صحيح متقرر لا شك فيه، والسلامة في الدين لا يعدلها شيء، فلا يتسرعوا في الحكم على آحاد هؤلاء بالردّة إلا إذا تبين بدليل قاطع دليلٌ على ردته كما أشرتُ إليه، وإلا فيكفينا أن هؤلاء سقطوا وانتهوا، ومن كان فيه خيرٌ فإن الله تعالى سيأتي به في يوم من الأيام، ومن كان غير ذلك فقد كفانا الله شره.. والحمد لله رب العالمين.

«وهل ترى أن فتوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله للإخوة في الجزائر بتسليم السلاح والنزول من الجبال فتوى صحيحة مبنية على معرفة صحيحة بالواقع وبالشرع أم هي فتوى أخطأ فيها الشيخ رحمه الله وغفر الله لنا وله؟».. بل نراها خطًا عظيما وزلة منكرة نسأل الله أن يسامحه..! وليست مبنية على معرفة صحيحة بالواقع، بل انبنت على انخداع بوصف بعض الناس من أولياء الطاغوت وأعداء الجهاد والمجاهدين ممن وثق فيهم الشيخ المفتي، وأما المعرفة بالشرع فهو عالم فقيه بلا شك، وإنما الكلام في هذا الباب هو عنده فيه أخطاء إجمالية أصلا ليس هذا محل تبيينها، وهي معروفة عند المجاهدين وعلمائهم ومشايخهم وقيادتهم.. لكن المقصود أن فتواه المشار إليها للمجاهدين بالنزول وترك الجهاد وتسليم أنفسهم للطاغوت الكافر المرتد المحارب لله ولدينه، فتوى غير صحيحة وخاطئة بلا شك، وكانت شرا كبيرًا، ومصيبة من المصائب، وهي من السلبيات الكبيرة للعلماء الكبار في هذا العصر للأسف الشديد، ومما



يزيد الشقة بينهم وبين طوائف من شباب الأمة.

وقد فرح المرتدون بهذه الفتوى وأمثالها أيما فرح، وطاروا بها كل مطار، ونشروها ووزعوها في كل مكان، وكانت طائراتهم -كما بلغني- تنشرها فوق قمم الجبال والغابات كالفراش المبثوث، على غرار ما رأيناهم فعلوا من قبل في مناسبات سابقة يدعون المجاهدين للاستسلام والتوبة!! خابوا وخسروا، وعلى غرار ما كان الأمريكان يصنعون في أفغانستان بالمنشورات المضادة لطالبان والقاعدة، وهي طريقة قديمة جديدة يستعملها العدوّ دائما.

لكن هذه المرة كانت المنشورات هي عبارة عن فتوى شيخ كبير من علماء المسلمين، تدعوهم إلى ترك جهاد «مسيلمة الكذاب» والدخول تحت حكمه!! وتسمّي هذا «المسيلمة» حاكمًا مسلمًا!! معاذ الله، وحاشَ لله أن يكون أمثال حكام الجزائر مسلمين، وهم العلمانيون اللائكيون اللادينيون، الوطنيون القوميون الموالون للصليبيين النابذون لشريعة الله المحكِّمون للقوانين الوضعية، المحاربون للدين وأهله..!! وحسبنا الله ونعم الوكيل.. ولله الأمر من قبل ومن بعد. وبعد ذلك يأتي العلماء ويقولون: إن الشباب لا يطيعوننا ولا يحترموننا.!!

وأما الردّ على هذه الفتوى الخاطئة الضالة؛ فلا أظنني أحتاج إليه وأنا أخاطب جمهور أهل الجهاد وأنصاره، ويكفي أن تعلم أنها مبنيّة من هذا الشيخ غفر الله له على أصلٍ هو أن الحكومة حكومة مسلمة شرعية، وأصلٍ آخر هو أن هؤلاء المجاهدين هم خوارجُ خرجوا على المسلمين بالتكفير واستحلال الدماء، هكذا بدون تفصيل ولا تفريق بين «الجيا» المنحرفة المارقة وبين عموم وجمهور المجاهدين الصادقين الصالحين.. وهذان أصلان باطلان عندنا قطعا، لا يُلتَفت إلى القائل بهما، وقصارانا أن نعتذر له بما له من الصدق وإرادة الخير والنصح وبما له من البلاء الحسن في الأمة من العلم النافع والعمل الصالح، والدعوة إلى الله وتعليم الناس الخير، ونكفّ عنه ونحفظ له احترامه الجمليّ، ونستغفر له أيضا، أما أن هذه الفتوى خطأ عظيم بل ضلال مبين، فوالله إنها لكذلك.!!

«**وهل تنصح إخواننا المجاهدين في الجزائر بمواصلة الطريق والبقاء في الجبال لمحاربة الطاغوت وشن الغارات عليه والدفاع عن أنفسهم، أم يدخلوا في المصالحة والعفو والوئام الذي عرضه عليهم بوتفليقة؟**» بلا شك ننصحهم بمواصلة الجهاد والثبات عليه، الآن بحمد الله تغيّر الحال وجاءت الفتوحات من الله، فعليهم بالصبر والثبات، وإن شاء الله القادم أحسن وأفضل بإذن الله، ونرجو أن الشدة قد بدأت تزول عنهم، فلم يبق إلا أقلها، فليستعينوا بالله وليصبروا وليثبتوا، والله ناصرهم ومعينهم.

ولا ننصحهم بالدخول في مصالحة النظام وعفوه ووئامه المزعوم.. معاذ الله.! سبحان الله..!! كيف وقد أعزهم الله بهذا الجهاد وأكرمهم به، وأنقذهم به من الذلة والهوان ومن الدخول تحت حكم الطاغوت، أبعد هذا العز وهذه الكرامة والنعمة يكفرونها وينسلخون منها؟! لا والله لا ننصح مسلمًا بذلك.. اللّهم إلا من تحقق العجزَ وعرف أنه مغلوب مقتول أو معذب ولم يرَ له فرصة في نصر على عدو أو نجاةٍ منه، فاستسلم؛ فهذا لا ننصحه بذلك ابتداء، بل ننصحه بالصبر والثبات ما أمكن واختيار القتل على الهوان والذلة والتسليم للكافر والدخول تحت حكمه إن صبر وأمكنه ذلك، فهذا أفضل، لكن إذا فعل واستسلم وهذا حاله ونحن نعرف أنه صادق لكنّه غُلِبَ وعجزَ فإننا نعذره ونرجو له المغفرة ونواليه ونؤاخيه.

والآن بحسب ما هو معروف من حال إخواننا في «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» خصوصا في مناطق وسط وشرق وجنوب البلاد، فإن هذا يكاد يكون غيرَ واردٍ، إلا أن يكون في حالات فردية نادرة بين الفينة والأخرى.

فيجب على المجاهدين الصبر والثبات، ولا يجوز لهم الاستسلام والدخول تحت حكم الطاغوت بالعفو والوئام المزعوم ونحوه، ومَن فعل ذلك فهي خيانة عظيمة، ويُخشى عليه من الكفر بسبب ما ينجرّ عنها، لأن هذا بريدٌ سريعٌ إلى الكفر..! نسأل الله السلامة والعافية، الثبات على الحق لنا ولإخواننا جميعا.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

«**الحادي عشر: هل ترى دخول بعض الجماعات الجهادية في هدنة مع الطاغوت الجزائري أو غيره هي جائزة أم محرمة أم كفر وردة والعياذ بالله؟**» أظن الجواب قد فهم مما سبق..

وملخصه: أن الهدنة مع الطاغوت الجزائري المرتد أو غيره من أنظمة الردة ودول المرتدين ليست كفرًا قطعًا، لا يقول هذا عالمٌ..! وإنما هل هي جائزة أو محرّمة ممنوعة، فهذا محل البحث، وهي مسألة اجتهادية، والذي أميل إليه أنها جائزة إذا احتاج المسلمون المجاهدون إليها، وأن الأنظمة المرتدة اليوم هي بمنزلة الكفار الأصليين في هذا الباب (في هذه المسألة)، والله أعلم.

وهذا الذي قلته قد أفتى به جماعة من العلماء الموثوقين، والحمد لله، وبحث المسألة وذكر الأقوال والاستدلالات له محل آخر.. فهذا بالنسبة للهدنة المجردة المعروفة في بابها في «كتاب الجهاد» من كتب الفقه.. أما ما يسمّونه بالوئام والمصالحة الوطنية والعفو الشامل والنزول من الجبل وتسليم السلاح وترك الجهاد والدخول تحت حكم الطاغوت.. الخ، فهذا له تفاصيل أخرى قد تبينت مما سبق من كلامنا أيضا، والله الموفق.



«الثاني عشر: هل ترى أن الأفضل بقاء الجماعات الإسلامية في المغرب العربي من أمثال «الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا» و«الجماعة السلفية للدعوة والقتال بالجزائر» و«الجماعة الإسلامية المقاتلة المغربية» وغيرهم.. كلٌّ منها يعمل في بلده، أم أن الأفضل هو توحدهم جميعا في جماعة واحدة وتحت راية وقيادة موحدة تعمل لكل المغرب العربي والإسلامي، أم تنضم كلها تحت القاعدة كما انضمت جماعات جهادية في العراق تحت قيادة «القاعدة» كـ«جماعة التوحيد والجهاد» التي كان يقودها الشيخ: «أبو مصعب الزرقاوي» وغيرها من الجماعات والتجمعات؟»..

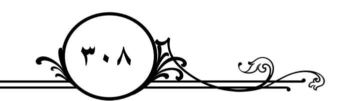
الحمد لله.. الذي أراه في هذا -والله أعلم بالصواب- أن توحّدهم في جماعة واحدة تعمل في المنطقة -المغرب العربي- فهذا غير عمليّ ولا يمكن أن يكون ناجعا الآن، بسبب الظروف الجغرافية والأمنية والسياسية وغيرها، فرأيي أنه لا داعي له.

وخيرٌ منه: تطوير وتوثيق التواصل والترابط والتفاهم والتشاور والتعاون والتنسيق المستمر بين هذه الجماعات، وهم بحمد الله إخوة متوالون متحابّون متناصرون متآخون، وهذا القدر هو الواجب الآن، وهذا التآخي والموالاة والتناصر يخرجهم عن الحدّ المذموم من الفُرقة والاختلاف، لأن تفرقهم في جماعات متعددة له سبب معتبر شرعًا، وهو عملٌ بالمصلحة التي دل عليها الشرع والعقل، والله أعلم وهو وليّ التوفيق.

أما الانضمام إلى «القاعدة» فالذي أراه في هذا أيضا الآتي: أنه من حيث الجملة مطلب صحيح شرعا وسياسة وتدبيرًا، على أن يكون على تثبّتٍ وتواثقٍ وتعارُفٍ، وبعيدًا عن الاستعجال ومجرد الاندفاع الطبيعي والعاطفيّ.

وأنا أنصح الإخوة في «القاعدة» أن يكون توسّعهم في هذا الشأن على تثبّت جدا وتواثق، ولا يستعجلوا، فإنهم كلما حققوا نجاحًا أكثر كلما كانت نفوس الإخوة في كل مكان أدعى وأقرب إلى الدخول معهم وتحت اسمهم وتنظيمهم، ويكون دخول كل مَن يدخل مبنيا على البصيرة والثقة والمعرفة من بعضهم لبعضٍ، كل ذلك مع المحبة الموجودة والحمد لله والولاء الإيماني الذي لا شك فيه، وأيضا يكون هذا لدى جمهور شعوب الأمة في كل قطر محبوبًا مرغوبًا.

المعادلة هي: كل ما تثبت أكثر وتنجح أكثر؛ تتوسع أكثر.. نعم، قد تتوسّع أحيانًا لكي تثبت وتنجح، فهذا يكون بقدره أيضا، وكذلك بقية التنظيمات المحلية، ليكن هذا -الانضمام إلى القاعدة- هو هدفًا مستقبليا قريبا يسعون إليه، المهم أن يكون كل شيء مدروسًا ومبنيًّا على النظر للإسلام والمسلمين.. والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه، سبحانه.



«السابع عشر: بعض إخواننا المجاهدين في ليبيا أصبح يفكر في العمل تحت قيادات جديدة وجماعات جديدة، وذلك في غياب نشاط واحتواء الجماعة الإسلامية المقاتلة لأمثال هؤلاء للقتال تحت قيادتها؛ فماذا تنصح إخواننا في ليبيا لمن أراد العمل الجهادي المسلح ضد الطاغية الزنديق القذافي هل يعمل في جماعات منفردة؟ أم يصبر حتى تتاح له فرصة الانضمام لإخوانه في الجماعة الإسلامية المقاتلة؟»

«الجماعة الإسلامية المقاتلة» من خيرة الجماعات وأوثقها وأحسنها وأكملها، نسأل الله أن يبارك في أبنائها ويفرج كرب المكروبين منهم.

لكن الجماعة الآن في حالة تشبه الشلل على ما يبدو، بسبب فقد الكثير من قياداتها وأعضائها قتلا وأسرا، وعلى رأسهم الشيخان: «أبو عبد الله الصادق» والشيخ «أبو المنذر الساعدي»، المأسوران عند العدو، وغيرهم كثير، فرّج الله عنهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومع ذلك فقد أبقى الله ﷻ منها رجالا قادرين بإذن الله على البذل والعطاء وعمل الكثير، مثل الشيخ أبي الليث والشيخ أبي يحيى وغيرهم، وهم الآن مشغولون مع إخوانهم في أفغانستان، لكن لا بد أنهم ذخيرة لأمة الإسلام في ليبيا إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يحفظهم ويبارك فيهم.. والحاصل، لا أدري ما هي فرصة الجماعة الحقيقية لاستيعاب الشباب واحتواء المجموعات النافرة للجهاد والمستعدة الآن.

تبدو لي ضعيفة جدا في الوقت الحالي..! وعليه فلو وُجِدت قدرات وطاقات ومواهب مناسبة لإنشاء جماعات تقاتل هذا الطاغية الزنديق وتقوم بواجب الجهاد، فما يمنعهم من العمل؟ بشرط السعي الجيد للأخذ بالأسباب واستكمال الاستعداد ما أمكن، وعلى أن يكونوا بحيث لو أمكنهم التوحد في جماعة واحدةٍ أو أن ينضموا إلى الجماعة المقاتلة في وقت لاحق، فعلوا.. بل أن يضعوا نصبَ أعينهم أن ينضموا إلى الحركة الجهادية العالمية بقيادة القاعدة في الوقت المناسب.

فإن لم تكن الظروف والقدرات والطاقات مواتية فقد يكون من المناسب للإخوة المجاهدين من شباب ليبيا الآن أن يشتغلوا مع إخوانهم في المنطقة، وعلى الأخص الإخوة في الجزائر والصحراء، طبعا مع استمرار الإعداد بكل معانيه، والدعوة إلى الله تعالى، وحربِ الطاغوت المرتد بكل الوسائل الممكنة إعلاميا وغيره.

وبالجملة عليهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد.. فإن الفرص آتية بإذن الله تعالى. ولكل شيء إبان.. والحمد لله رب العالمين.

«وكما تعلم وكما هو معلوم ومشهور من تكفير الكثير من علماء المسلمين للقذافي، حتى صار الحكم

عليه بالكفر لا يكاد يختلف عليه العلماء وطلبة العلم.. فما حكم من لا يكفر هذا الطاغية من العلماء وطلبة العلم والعوام ممن اتضح له حال القذافي وما عليه من الكفر والزندقة ولم يكفره وهل تنطبق عليه قاعدة «من لم يكفر الكافر فهو كافر»؟ وما حكم أعوان الطاغية القذافي؛ هل هم كفار على التعيين أم طائفة كفر وردة تقاتل وتغنم أموالها فقط دون الحكم على أعيانهم بالكفر؟ أم هم على مراتب.. الشرطة والجيش وما شابهها لهم حكم، وأعوانه من اللجان الثورية وحرسه الثوري لهم حكم آخر؟ أرجو التوضيح ما أمكن..»

الفقرة الأولى المتعلقة بتكفير القذافي وحكم من لم يكفره، لعلنا نترك الجواب عنها إلى محور آخر إن شاء الله.. وبالله التوفيق.

وأما حكم أعوان هذا الطاغية الزنديق وما شابهه، فأقول وبالله أستعين:

هؤلاء الذين نسمّيهم أعوان الطواغيت أو أنصار الطواغيت، نحتاج إلى النظر في حالهم، ولا بد أن يُعلَم أن تفاصيل فروع هذه المسألة هي اجتهادية نظرية.!

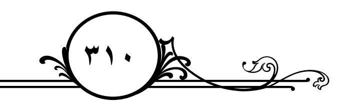
وهذه التسمية «أنصار الطواغيت» أو «أعوان الطواغيت» لا ينبغي لطالب العلم المتفقه أن يغترّ بها عندما يكون بصدد تحرير مسائل الأحكام الشرعية والفتوى والقضاء؛ بل عليه أن ينظر إلى المعاني التي علّقت الشريعة بها الأحكام، ويعطي كل معنى ما يستحقه بحسب أدلة الشرع، ولا ينخدع بمجرد العناوين.

فإن التسمية قد تكون مبنية على التسامح والتوسّع، وتكون أطلقت على هذا المسمّى باعتبارٍ ما من الاعتبارات الكثيرة التي تطلق بها الأسماء على المسمّيات من المعاني والذوات.

وليُعلم أن هذه المسألة مبحوثة كثيرا في الفقه الجهادي المعاصر من قبل الجماعات الجهادية المتعددة، ومع ذلك فإنها لم تُقتَل بحثا، وتحتاج إلى المزيد، ويبقى بعض صورها وفروعها دائما محل بحث ومحل اجتهاد.

والذي يظهر -والله تعالى أعلم- أننا نطلق القول بأن أنصار الطاغوت المرتد وأعوانه كفار مرتدون مثله، وهذا الإطلاق لا إشكال فيه لما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة المتكاثرة من أن من ناصر الكفار -ولا سيما المرتدون، فهم أخصّ وهذا المعنى فيهم آكد- وأعانهم وتولاهم وكان في صفّهم على المسلمين مختارًا فهو منهم، وهو كافر خارج من ملة الإسلام.

لكن عند الكلام على الأعيان فإننا لا نكفّر إلا من رأينا ثبوت الشروط في حقه وانتفاء الموانع، كما هي القاعدة في هذا الباب.



الجيش وسائر قطاعات قوات الأمن لدولة الردة وللنظام المرتد هي منه وهي جيشه وقواته.

ففي أحكام القتل والقتال لا شك عندنا في أن حكمهم حكمه بمعنى أنهم: جيشُ المرتدين، وذلك لأنهم جيشه فعلا بلا شك، ولأننا نقاتل هذا المرتد -دولة ونظام الردة- وقد أمرنا الله بذلك وأوجبه علينا، وليس معنى ذلك إلا قتال جيشه وجنوده وضرب قوته التي سوف تضربنا إن لم نضربها لا محالة، فنحن علينا بالظاهر؛ فمن وجد في صف العدوّ الكافر فإننا نقاتله ونقتله ولا نسأل عن حاله، ولأنهم ممتنعون بشوكة وقوة عن كثير من أحكام الشرع الواجبة (يُجملها قولنا: الامتناع عن الالتزام بالشرع والحكم به) فهم طائفة ممتنعة، وقد تقرر أن الطائفة الممتنعة تُقاتَل ولو كانوا مسلمين اتفاقًا.

وإنما النزاع بين العلماء في نوع قتالهم من أي نوعٍ هو؟ كقتال المرتدين أو كقتال الخوارج أو غير ذلك، والأدلة على ذلك ظاهرة معروفة إن شاء الله..

والصوابُ في مسألتنا هذه اليوم أننا نقاتلهم قتال المرتدين، لكن في مسألة التكفير فإننا نحتاط ونتردد!، وذلك لغلبة ظلمات الجهل على الناس وفساد العلوم والفهوم وانطماس أنوار علم هذه المسائل، وكثرة تلبيس الملبسين من علماء الدنيا وعلماء السلطان علماء الضلالة ممن يحسن الناس فيهم الظن، ولاختلاط الأمور وكثرة التأويلات عند الناس؛ فإن هؤلاء المرتدين ليسوا معلنين بالكفر بمعنى إعلان الكفر بالإسلام وتركه أو ما في قوته من الإيمان بدين آخر علنًا وإنكار القطعيات المعلومات من الدين بالضرورة علنًا وصراحةً، وإنما غالب كفرهم اليوم هو من جهة الحكم بغير ما أنزل الله وعدم التزام الشرع، ومن جهة الأفكار العلمانية والقومية وما شابهها من المذاهب الكفرية، ومن جهة الموالاة للكفار، ونحو ذلك.. وهم في كل ذلك يدّعون أنهم يدينون بالإسلام وأنهم يريدون الإصلاح والتوفيق، ويلبّسون على الناس بواسطة منظومات متطوّرة جدًا!! من مشيخة السوء أخزاهم الله.

ولأنه لا بد من تحقق كون الواحد من هؤلاء -الجيش- مناصرًا فعلا للطاغوت المرتد، مرتكبًا للموالاة الكفرية، أو أن المناصرة للمرتد وقعت منه على وجه العَرَض واللزوم لفعله.. ولذلك نقول إن هذا يختلف وضوحه بحسب الأحوال، فمثلا: حال العافية والسلامة وهدوء الأوضاع واختلاط الناس والأمور، غير حال نشوب الحرب والقتال والتحام صفوف المسلمين بجيوش المرتدين.!!

ففي حال العافية قد تُسمَع دعوى مَن يدّعي أنه غير موالٍ للكافر وغير مناصر له، وأنه إنما دخل الجندية في دولة الردّة لسبب آخر، وقد يدّعي مع ذلك أنه مع المجاهدين حين ينادي المنادي ويصيح النذير.!! هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يحصل من الأحوال والأقوال والأفعال ما يتضح به حال

المرتدين في حال الحرب، دون أحوال العافية.

وأما في حال الحرب وتمايز الصفوف ووضوح الرايات فإن تلك الدعاوى غير مسموعة، ولا يلتفت إليها، بل نحكم بكفر من كان مع المرتدين في صفهم.

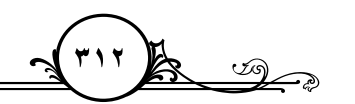
تنبيه: ونحن نطلق عبارات مثل قولنا: إن هؤلاء الجيش هم يدُ الطاغية المرتد ودولة الردة التي يبطش بها، وذراعه التي يضرب بها، وأنهم أنصاره وأعوانه، وأنهم جنده ورجاله، وما شابه ذلك.. وهذا حق من وجهٍ؛ على معنى أنهم هم في الواقع كذلك شعروا أو لم يشعروا، وقع منهم ذلك قصدًا أو عَرَضًا ولزومًا، وعلى إرادة التحذير من هذا الموقف والتنفير من هذا الفعل الشنيع القبيح المُوبِق والزجر البالغ عنه.

وأما الحكم بالتكفير فشأن آخر؛ فليتنبه لهذا، فلا بد والحال هكذا من التفصيل، وذلك بحسب الأحوال:

- بحسب قوة وضوح كفر النظام وردته وظهور ذلك للناس، أو خفائه والتباسه عليهم، وهذه مسألة يرجع تقديرها إلى الفقيه المفتي؛ فإن رأى أن كفر هذا الحاكم وهذه الدولة بلغ من الظهور والوضوح مبلغا لا يكاد يخفى على مسلم، ساغ له الحكم بكفر مَن والاه وكان في جيشه، وهكذا، ما لم يمنع مانعٌ آخر كعلمه بدخول بعض الناس في جيش المرتدين للنكاية فيه ومجاهدته، مثلا.. بل ساغ له الحكم بكفر مَن لم يكفّر هذا الطاغوت المرتد وشكك في كفره، أو حكم بإسلامه، وهكذا بالعكس في حال خفاء حاله والتباسه.

- بحسب حال العافية أو نشوب الحرب فعلا وتمايز الصفوف وافتراق الناس بين صف الطاغوت وجيشه وجنده وبين صف المؤمنين المجاهدين.. ففي حال العافية فإن الناس يترخّصون في التجنّد في جيش الدولة المرتدة بتأويل أن الواحد منهم جندي لبلاده (بلاد الإسلام) لا للنظام، ودعواهم أنهم ملتزمون في أنفسهم بالشرع، وملتزمون بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ونحو ذلك من التأويلات الموجودة فعلا في الناس، وهذا معروف، بالإضافة إلى تعللهم بالإكراه (وإن لم نسلّم بأنه إكراه ملجئ حقا في أكثر الحالات) وأنهم مجبورون بحيث إن لم يتجندوا في الجيش (كالتجنيد الإجباري مثلا) وقع عليهم أذى وتضييق وضرر من سجن وحرمان ونحوه.!! وأما في حال الحرب وتمايز الصفوف فإن أكثر أو كل هذا التأويلات لا يبقى لها مساغ، ويصبح المجادل بها في حكم المكابر المعاند، والفقيه المفتي في هذه المسألة لا بد أن يفرّق بين الحالين.. والله ﷻ أعلم وأحكم.

وهذا الذي يظهر لي، واستفدناه من مذاكرة مشايخنا، ورأينا الأدلة تدل عليه وتجتمع فيه.



وعندي وبحسب تجربتي في ساحة العمل الإسلامي والجهادي أن أهم شيء ينبغي التنبيه عليه وتوضيحه هو: أن الناس يمكن أن يختلفوا في هذه الأحكام..

لكن أن يزعم أحدٌ أن قوله (لا سيما قول من يكفّر الجميع بلا استثناء) أنه هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، وأنه أمرٌ مقطوع به معلوم من الدين بالضرورة، وأنه موجب التوحيد الذي هو ضد الشرك والكفر، وأن مخالفه لم يحقق التوحيد ولم يفهمه، ونحو ذلك.!!

أقول: إن هذا هو الجهل والضلال حقًا، وهو الشيء غير المقبول ممن صدر منه؛ فإن هذه المسائل هي بلا شك مسائل اجتهادية مبناها على النظر والاستدلال، فهي من العلم المكتسب بالنظر والاستدلال، وليست كل صورها وفروعها مما هو معلوم من الدين بالضرورة الحكمُ فيها.

ولذلك نبّهنا من قبل -وسنزيده توضيحا في محله من هذه الأجوبة إن شاء الله- على الخطأ الكبير الذي وقع فيه صاحب «الجامع في طلب العلم الشريف» وهو الشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز» -فرج الله عنه- حين جعل تكفير مَن أسماهم بـ«أنصار الطواغيت المرتدين» اليوم حكما مجمعًا عليه إجماعًا قطعيًا، يكفُرُ مخالفه، كحكم أتباع مسيلمة الكذاب الذين أجمع الصحابة على تكفيرهم[1]..! فإن هذا خطأ فاحش وزلة كبيرة لا بد من استمرار التنبيه عليها والتحذير منها. فإنه لم يتفطّن للفرق بين المسألتين. والله الموفق.

وأرجع إلى مسألة الزنديق القذافي: فوالله يا أخي الكريم؛ تكفيرُ الجميع من الجيش والشرطة وغيرهم محتمل، ومَن حُكِم عليه بالكفر منهم فلا يلومنَّ إلا نفسه.

ولكن مع ذلك فالأقوى عندي والذي يظهر وبحسب معرفتنا بواقع الحال؛ فإني أرى كفر أفراد «اللجان الثورية»، فكل مَن انضم إليها وانخرط فيها فهو كافر مرتدٌ، وكذلك قوات «الأمن الخاصة» و«الاستخبارات»؛ فهؤلاء شرائح عقائدية خاصة مصطفاة للنظام مقرّبة منه، محتوية على الكفر احتواء واضحا جليًا، ولا نتصور فيها أي خفاء ولا تأويل ولا أي عذر لمن كان منهم..!

وأما أفراد الجيش العاديين فلحدّ الآن لا أحكم على كل من انضم إلى الجيش بالكفر، حتى نعرف حاله، ومعنى هذا أنه باقٍ على أصل الإسلام ما لم يتبين لنا -بعد أن نعرف حاله- وقوع الكفر عليه؛ وكذا أفراد الشرطة..

هذا الكلام عليهم من هذا الوجه، أي من جهة كونهم أعوانا للطاغوت وجندًا لدولة الردة،

---

(١) ينظر: الجامع في طلب العلم الشريف (ص ٥٩٧).

منخرطين في جيشها وشرطتها.. أما إذا وجِد موجِب آخر للحكم بالكفر فبحسبه.

وكلهم كما قلنا جيش المرتدين وقواته، حكمهم حكمه في القتل والقتال وجميع أحكام القتال، من غنم أموالهم والتذفيف على جريحهم واتباع مدبرهم وقتل المقدور عليه منهم (ما لم يُعلم أنه مكره أو نحوه ببينةٍ لا بمجرد دعواه) بلا تردد.. والله أعلم وأحكم.

ونحن نعلم من واقع حال هذه الجيوش وقوات الشرطة ونحوها في دول الردة العربية والأعجمية أنها خليط من الفاسدين والفجرة والماجنين الزعار عبدة الدنيا، وكل منحطٍ منسلخ عن الدين والأخلاق، والزنادقة الكفرة الكافرين بالله تعالى ودينه واليوم الآخر، والملحدين المتحللين من الدين والشرائع، والسابّين لله والرسول والدين، مع كثير أيضا من العوامّ الذين فيهم محافظة على الدين والصلاة، وممن فيهم نوعُ تدين وخير، مع بعض الملتزمين بالدين ممن دخلوا لأوجه مختلفة، إما لجهلهم وإما لتلبيس علماء السوء عليهم وإما لغير ذلك.

وهذا الخليط تختلف نِسب طوائفه من بلد إلى بلد.. والواجب إعطاء كل أحدٍ ما يستحقه من الحكم على عمله وحاله.

تكميل: وهذا الذي قلته في الكلام على أفراد جيوش هذه الدول المرتدة، هو تمامًا نظير قول شيخ الإسلام ابن تيمية في التتار وجنودهم، كما يُتحصل من مجموع كلامه.

فإن كلامه كان صريحا في تكفير الحاكم وهو جنكيز خان، بل صرح بكفره في مواضع كقوله: «بَلْ غَايَةُ كَثِيرٍ مِنْ الْمُسْلِمِين مِنْهُمْ مَنْ أَكَابِرِ أُمَرَائِهِمْ وَوُزَرَائِهِمْ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ عِنْدَهُمْ كَمَنْ يُعَظِّمُونَهُ مِنْ الْمُشْرِكِين مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَا قَالَ أَكْبَرُ مُقَدّمِيهِمْ الَّذِين قَدِمُوا إلَى الشَّامِ وَهُوَ يُخَاطِبُ رُسُلَ الْمُسْلِمِين وَيَتَقَرَّبُ إلَيْهِمْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، فَقَالَ: هَذَانِ آيَتَانِ عَظِيمَتَانِ جَاءَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ وجنكسخان. فَهَذَا غَايَةُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ أَكْبَرُ مُقَدّمِيهِمْ إلَى الْمُسْلِمِين أَنْ يُسَوِّيَ بَين رَسُولِ اللَّهِ وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ وَسيدِ وَلَدِ آدَمَ وَخَاتَمِ الْمُرْسَلِين وَبَين مَلِكٍ كَافِرٍ مُشرِكٍ مِنْ أَعْظَمِ الْمُشْرِكِين كُفْرًا وَفَسَادًا وَعُدْوَانًا مِنْ جِنْسِ بُخْتِ نَصر وَأَمْثَالِهِ»[1] اهـ

وكلامه كالصريح الواضح فيما نعبّر عنه نحن اليوم بـ تكفير النظام، ومعناه اعتبار الدولة دولة كفر وردة لا دولة إسلام، لاحتوائها -باعتبارها نظام حكم ودولة- على الكفر الصريح كعدم التزام الشرع، وتحكيم القوانين الطاغوتية الوضعية، وإقرارها للكفر والزندقة في ولايتها وفي رعاياها، في

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٢١).

العلم والتصنيف والإعلام والدعوة وغير ذلك، وإعلائها لشأنها (أعني الكفر والزندقة) وتقديمها لأهلها، وولائها للكفار وغير ذلك، وقد ذكر الشيخ في هذا الصدد مجموعة من أسباب كفر هذه الدولة -دولة التتار-، وهي النواقض التي تلبّست بها، وكلامه في هذا طويل، فأكتفي بالإشارة إليه وليراجع في محله.

حتى إنه قال في موضعٍ: «وبالجملة فمذهبهم ودين الإسلام لا يجتمعان»[1] اهـ، وأظنه صرح في موضع بأن دولة التتار دولة كافرة[2]، فليحرر..!

بيان ذلك أن نقول: لو قدّر أنه ﷺ سئل: هل هذه الدولة المغولية التترية التي ملوكها جنكيزخان ونسله إلى هولاكو، هل هي دولة إسلام أو دولة كافرة؟ فإنني أرجح من خلال ما يعطيه كلامه أن جوابه سيكون أنها دولة كافرة، والله أعلم. لكنه لم يركز على ذلك أو لم يشتغل به، ربما لاشتباه الأمر واحتماله ولإمكان ألا يستوعبه الناسُ أو لغير ذلك من الأسباب، أو لأنه مع ذلك لا كبير فائدة فيه ولا ينبني عليه كبير عمل، وركز على المهم والبين الذي لا يكاد يخالفُ فيه عالم أمين من علماء المسلمين، وهو كونهم ممتنعين عن الشرائع مستحقين للقتال حتى يكون الدين كله لله، وأن قتالهم واجبٌ على المسلمين، وأن قتالهم من نوع قتال المرتدين عن شرائع الإسلام.

ومع ذلك فإنه لم يصرح في أي موضع من كلامه المطول على التتار بتكفير جميع أعيانهم جملةً، أو تكفير كل من انتسب إليهم ودخل في دولتهم، وقوله: «وكل من قفز إليهم من أمراء العسكر وغير الأمراء فحكمه حكمهم»[3] اهـ، وهي أصرح عبارة يجدها الباحث في كلامه، فمعناها: في أحكام القتل والقتال، أما في الحكم عليهم بالكفر فلم يصرح بذلك بل ذكر عبارة تفيد التفصيل فقال: «وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام»[4] اهـ، ثم فصّل في المواضع الأخرى.

وقد صرح بأن عسكرهم (جيشهم) خليط من الكفرة والزنادقة والملاحدة والمارقين من أهل البدع الكفرية الغالية والفسّاق الفجار، وقلّ أو انعدم أن يوجد فيهم صالح؛ فقال مثلا: «وَقَدْ شَاهَدْنَا عَسْكَرَ الْقَوْمِ فَرَأَينا جُمْهُورَهُمْ لَا يُصَلُّونَ، وَلَمْ نَرَ فِي عَسْكَرِهِمْ مُؤَذِّنًا وَلَا إمَامًا، وَقَدْ أَخَذُوا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِين وَذَرَارِيِّهِمْ وَخَرَّبُوا مِنْ دِيَارِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي دَوْلَتِهِمْ إلَّا مَنْ كَانَ مِنْ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٠٦) قال: «فإن هذا السلم الذي هم عليه، ودين الإسلام.. لا يجتمعان».

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٠٦، ٥١٩، ٥٢٢ - ٥٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٣٠).

شر الْخَلْقِ؛ إِمَّا زِنْدِيقٌ مُنَافِقٌ لَا يَعْتَقِدُ دِينَ الْإِسلام فِي الْبَاطِنِ، وَإِمَّا مَنْ هُوَ مِنْ شر أَهْلِ الْبِدَعِ كَالرَّافِضَةِ والجهمية والاتحادية وَنَحْوِهِمْ، وَإِمَّا مَنْ هُوَ مِنْ أَفْجَرِ النَّاسِ وَأَفْسَقِهِمْ»[١] اهـ.

وقال: «فَهُمْ يَدَّعُونَ دِينَ الْإِسلام، وَيُعَظِّمُونَ دِينَ أُولَئِكَ الْكُفَّارِ عَلَى دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُطِيعُونَهُمْ وَيُوَالُونَهُمْ أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحُكْمُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَ أَكَابِرِهِمْ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا بِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَذَلِكَ الْأَكَابِرُ مِنْ وُزَرَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ يَجْعَلُونَ دِينَ الْإِسلام كَدِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وأَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا طُرُقٌ إلَى اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يُرَجِّحُ دِينَ الْيَهُودِ أَوْ دِينَ النَّصَارَى وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَجِّحُ دِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا الْقَوْلُ فَاشٍ غَالِبٌ فِيهِمْ حَتَّى فِي فُقَهَائِهِمْ وَعُبَّادِهِمْ؛ لَا سيما الجهمية مِنْ الِاتِّحَادِيَّةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ؛ فَإِنَّهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ الْفَلْسَفَةُ، وَهَذَا مَذْهَبُ كَثِيرٍ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ أَوْ أَكْثَرِهِمْ، وَعَلَى هَذَا كَثِيرٌ مِنْ النَّصَارَى أَوْ أَكْثَرُهُمْ، وَكَثِيرٌ مِنْ الْيَهُودِ أَيْضًا، بَلْ لَوْ قَالَ الْقَائِلُ: إنَّ غَالِبَ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ وَالْعُبَّادِ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ لَمَا أَبْعَدَ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ وَسَمِعْتُ مَا لَا يَتَّسِعُ لَهُ هَذَا الْمَوْضِعُ، وَمَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنْ سَوَّغَ اتِّبَاعَ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ اتِّبَاعَ شريعَةٍ غَيْرِ شريعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ»[٢] اهـ.

ولما سئل عن حكم المكره فيهم، أجاب بالجواب المشهور[٣]، ومقتضاه التسليم بوجود المكرهين فيهم، وأما التأويل فإنه نص على أن هؤلاء التتار (يعني الدولة والحكام) لا تأويل لهم لا سائغًا ولا غير سائغ، وقال: إن بعض المرتدين الممتنعين عن أداء الزكاة الذين قاتلهم الصديق ﷺ والصحابة كان لهم شبهة ساقطة وتأويل غير سائغ وهي الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾[التوبة: ١٠٣] قالوا: وهذا خطاب للنبي ﷺ؛ فإذا مات لم نعطها لأحدٍ غيره، قال: فلم يعتبر الصحابة جميعا هذا التأويل، وقاتلوا الجميع قتال المرتدين، قال: وهؤلاء التتار ليس عندهم حتى ما يقارب هذه الشبهة الساقطة، هذا معنى كلامه رحمه الله[٤].. فهذا كلامه في التأويل بالنسبة للتتار الذين هم جنكيزخان ودولته وقد يُفهَم منه إمكان وجود التأويل (المانع من التكفير) في حق مَن يدخل في جيشهم وينتسب إلى عسكرهم ودولتهم من عوام المسلمين الجهلة. هذا محتملٌ..! ونذكره للاستئناس والاعتبار، وإلا

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٢٣، ٥٢٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٣٤، ٥٤٤).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٤٢).

فالدليل هو الكتاب والسنة وما في معناهما.. وكذلك فإن الشيخ ﷺ ذكر في مواضع مِن بين ما ذكر من أصناف عسكرهم: الفقهاء والعبادة والفقراء (المتصوّفة) وغيرهم وغيرهم.

وتلاحظ في كل كلامه عدم تكفير هذه الأصناف لمجرد انتسابهم لعسكر التتار، ولكن يجعل ذلك على التفصيل الذي ذكره في محله، والله أعلم، ومع ذلك فإنه يذكرهم بلفظ «المسلمين»؛ كقوله: «وَكَذَلِكَ وَزِيرُهُمْ السَّفِيهُ الْمُلَقَّبُ بِالرَّشيدِ؛ يَحْكُمُ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَافِ [يعني الأصناف الأربعة التي ذكر أنهم يقسمون الناس عليها] وَيُقَدِّمُ شرارَ الْمُسْلِمِين؛ كَالرَّافِضَةِ وَالْمَلَاحِدَةِ عَلَى خِيَارِ الْمُسْلِمِين أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، حَتَّى تَوَلَّى قَضَاءَ الْقُضَاةِ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ إلَى الزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بِحَيْثُ تَكُونُ مُوَافَقَتُهُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِين مِنْ الْيَهُودِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْمَلَاحِدَةِ وَالرَّافِضَةِ عَلَى مَا يُرِيدُونَهُ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَتَظَاهَرُ مِنْ شريعَةِ الْإِسلام بِمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ لِأَجْلِ مَنْ هُنَاكَ مِنْ الْمُسْلِمِين»[1] اهـ.

وكقوله: «فَمَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِهِمْ جَعَلُوهُ وَلِيًّا لَهُمْ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَمَنْ خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ جَعَلُوهُ عَدُوًّا لَهُمْ وَإِنْ كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِين، وَلَا يُقَاتِلُونَ عَلَى الْإِسلام، وَلَا يَضَعُونَ الْجِزْيَةَ وَالصَّغَارَ، بَلْ غَايَةُ كَثِيرٍ مِنْ الْمُسْلِمِين مِنْهُمْ مَنْ أَكَابِرِ أُمَرَائِهِمْ وَوُزَرَائِهِمْ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ عِنْدَهُمْ كَمَنْ يُعَظِّمُونَهُ مِنْ الْمُشْرِكِين مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»[2] اهـ.

فهذا تجده في كلام الشيخ ﷺ كثيرا، ولا بد أن يفهم مراده بلفظ «مسلم» و«مسلمين» في كل موضع على حسب ما يعطيه السياق، لأنه يحتمل أحيانا أنه عبّر به باعتبار ما كانَ، أو باعتبار دعواهم، كما يحتمل أحيانا أنه جارٍ على الظاهر من اعتبارهم مسلمين حتى يتبين كفرُ الواحد منهم.. والله أعلم.

وقال في موضع آخر: «فهؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام -وهم جمهور العسكر- ينطقون بالشهادتين إذا طلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فيهم من يصلي إلا قليل جدًا، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدر، وعندهم من الإسلام بعضه، وهم متفاوتون فيه..»[3] اهـ.

وقال في موضع آخر: «وأيضًا لا يقاتل معهم غيرَ مكره إلا فاسق، أو مبتدع، أو زنديق، كالملاحدة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٢٥، ٥٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٢٠، ٥٢١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٠٤، ٥٠٥).

القرامطة الباطنية، وكالرافضة السبابة، وكالجهمية المعطلة من النفاة الحلولية..»[(١)] اهـ.

وقد ذكر عنه ابن كثير ﷺ في البداية والنهاية أنه كان يطوف على عسكر المسلمين ويشجّعهم ويزيل عنهم الشبهة في قتال هؤلاء بقوله: «لو رأيتموني في صفهم وعلى رأسي المصحف فاقتلوني»[(٢)] اهـ.

وهذا كالصريح في عدم التكفير بمجرد الكون في صفهم، وحرصه ﷺ على الابتعاد عن الحكم بالكفر إلا حين يتبين جدًا ويسطع برهانُه باهرًا، والاحتياط في ذلك، والتركيز على الحكم البين الواضح وهو: مشروعية بل وجوب قتال هؤلاء وقتلهم.

ومع كل ذلك فإن المتحصل من كلامه أنه يجعل قتالهم من باب قتال الممتنعين عن شرائع الإسلام (قتال الطائفة الممتنعة) وهو أشبه بقتال المرتدين الذين قاتلهم الصديق والصحابة رضوان الله عليهم.

وأما اعتبار بعض الفقهاء قتال هؤلاء من جنس قتال البغاة؛ فإن الشيخ قد سفه هذا القولَ جدًا بأصرح وأقسى عبارة.. فهذا ذكرته هنا للاستئناس والفائدة، والحمد لله على توفيقه.

تنبيه: يكثر من شبابنا ويقع من بعض الشيوخ أيضا الاستدلال على كفر كل منتمٍ إلى جيوش هذه الدولة المرتدة، بأنهم لم يكفروا بالطاغوت، والكفرُ بالطاغوت شرط الإسلام وركنه، ومَن لم يكفر بالطاغوت فلا شك في كفره، وهذا الاستدلال غير صحيح..! وعلينا أو نبين ذلك ونوضحه.. ولا ينبغي لعالم فقيه أن يكفّر الناس بمثل أجناس هذه الأدلة العامة.

وبيانه كالآتي: كون الكفر بالطاغوت شرط الإسلام وركنه وأن من لم يكفر الطاغوت فهو كافر، هذا حق بلا شك، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة] وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] وغيرها من الآيات، وقال النبي ﷺ: (**من قال لا إله إلا الله** [وفي لفظ: **من وحَّد الله**] **وكفر بما يُعبَد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله**)[(٣)] وغيره من الأحاديث في معناه كثير.

ولا شك أن الكفر بالطاغوت هو معنى النفي في قولنا: «لا إله إلا الله»، فهذه الكلمة الطيبة، كلمة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٥٢).

(٢) البداية والنهاية (١٨ / ٢٤) بمعناه.

(٣) كلاهما في: صحيح مسلم (٢٣) كل بإسناد مختلف.

التوحيد والإخلاص، مكونة من شقّين: نفي وإثبات، نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وإثباتها لله تعالى وحده، بأبلغ عبارة وأوجزها وأدلّها.. فالكفر بالطاغوت شرط التوحيد، والإيمان بالطاغوت مناقض للتوحيد، ولكن الكفر بالطاغوت، كما الإيمان بالله تعالى، إجماليّ وتفصيليّ.

ثم الكفر بالطاغوت جنسٌ يدخل تحته درجاتٌ، هي الكفر والمعاصي بدرجاتها. كما أن الإيمان بالله جنسٌ يدخل تحته درجاتٌ: أصله الذي لا يصح إلا به وذلك أركانه وشروطه، والواجب منه الذي يأثم تاركه ويستحق العقوبة، وكماله المستحب.

فالحدّ الواجب ابتداء لاعتبار الشخص مسلمًا هو: أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله تعالى على الإجمال، وهو المدلول عليه بالشهادتين.

ثم التفصيل إنما هو بحسب العلم، وبحسب ما تدل الأدلة الشرعية التفصيلية عليه من كون هذا الشيء مما يدخل في معنى الطاغوت المشترط الكفرُ به لصحة الإيمان، ولا يكون المؤمن مؤمنا إلا بالكفر به، أو غير ذلك، وهكذا.

فمن علم أن الحاكم الفلاني والدولة الفلانية مرتدون، وجب عليه الكفر بهم والبراءة منهم ومن نظامهم الكفريّ ومن الكون معهم، فإن لم يفعل كفَر.

ومن جهل أنهم مرتدون وظنهم مسلمين والتبس الأمرُ عليه، واستمرّ متمسّكا بأصل إسلامهم، فكيف نكفره بدعوى أنه لم يكفر بالطاغوت؟ لأنه يقول لنا: أثبتوا لي أن هذا طاغوتٌ حتى أكفر به.! وسبب ذلك أن تكفيرنا لهؤلاء الحكام المرتدين هو مسألة من العلم النظري الاستدلالي، هذا هو الأغلب في تكفير حكام أهل عصرنا.

وليست هي مسألة معلومة من الدين بالضرورة مما وقع عليها إجماع المسلمين (كمن أعلن وصرح بخروجه من الإسلام والكفر به مثلا، أو ما في قوته كصورة مسيلمة الكذاب) حتى لا تقبل دعوى مخالفٍ جاهلٍ فيها..

فكون الرجل المسلم منخرطًا في جيش الدولة المرتدة على النحو الموجود في عصرنا في بلداننا، هل هذا مما يدخل -مطلقا- في الإيمان بالطاغوت الذي هو مناقض للتوحيد، فنحكم بكفره بدون قيد؟

الذي يظهر هو التفصيل الذي ذكرناه سابقًا، وذلك لأن هؤلاء الطواغيت رِدَّتهم مسألة فتوى، وهي غير ظاهرة لكثير من الناس من عوامّ المسلمين، لغلبة الجهل، والتلبيس، وغير ذلك من الأسباب التي تجعلنا لا نكفّرهم ابتداء حتى نعرف حالهم من أي صنف هم وعلى أي حال انخرطوا في جيش الطاغوت ومدى معرفتهم بردته.

فإذا وُجِد حالةٌ يرى المفتي فيها أن ردة النظام المعين والحاكم المعين مما يبلغ درجة المقطوع به والمعلوم بالضرورة كفرُ مثله ولا يمكن قبول خلافٍ فيه ألبته، كان له أن يحكم بكفر كل من كان في صفه، ومَن لم يكفّره ويتبرّأ منه، والله أعلم.. وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

[أسئلة للأخ: أسد السنة]

〚هل تستطيع «الجماعة الإسلامية المقاتلة» إدارة المنطقة بعد سقوط الأنظمة؟〛

❁ (١) بحكم خبرتكم شيخنا في منطقة الشمال الإفريقي، هل ترى بأن «الجماعة الإسلامية المقاتلة» قادرة على أخذ زمام الامور في هذه المنطقة إذا ما تحولت هذه المنطقة إلى منطقة فوضى؟ وهل الجماعة الإسلامية المقاتلة قادرة على إدارة التوحش إذا ما حصل خصوصا مع إمكانية دخول السودان من قبل مجلس الكفر العالمي؟

الجواب:

تقدم شيء من الكلام عن الجماعة المقاتلة، والجماعة لو سهّل الله لها عودة ونشاطًا، فقد تكون قادرة على إدارة الشأن الجهادي في المنطقة، أما بوضعها الحالي فلا أظن..

وأنا لا أظن أن هناك ما يمكن أن نسمّيه توحّشًا[١] في المنظور القريب.. فإن التوحّش معناه أخص من الفوضى عند من يستعمل هذا التعبير، فهو الفوضى العارمة المعقدة التي وصلت إلى أن تكون الأمور فيها كالغابة يتصارع فيها وحوش في غاية التوحّش وانعدام الألفة والإنسية.!! نرجو أن الأمور تكون بعون الله تعالى في المتناول وتحت التحكم من المجاهدين بإذن الله، بغضّ النظر عن كون ذلك كان على يد «المقاتلة» أو غيرها؛ فإن هذه الأسماء والهياكل التنظيمية إنما هي وسائل، وأما الهدف والمقصود فهو أن يكون الأمر بيد المسلمين يقيمون حكمَ الله تعالى ويرفعون رايته، والله أعلم.

〚سبب غياب «الجماعة الإسلامية المقاتلة» عن الساحة؛ استراتيجية أم تراجع؟〛

❁ (٢) شهدت الأعوام الاخيرة غيابا ملحوظا لهذه الجماعة المباركة عن الساحة؛ فإلامَ تعزو هذا الغياب؟ وهل هي استراحة محارب؟ أم أن الاستراتيجية لهذه الجماعة

---

(١) ينظر: «إدارة التوحش» لأبي بكر ناجي، وقد سُئل عنه الشيخ ﷺ في محور «مسائل في الجهاد» في آخر الأسئلة.

قد تغيرت بتوجيه صراعها نحو الغرب فقط والدفاع عن أراضي المسلمين المحتلة والمغتصبة؟

الجواب:

أظن أن الجواب عن هذا تحصّل مما سبق، وأما تغيير استراتيجية الجماعة على النحو المذكور فلا أدري.. يُحتمل أنه مؤقت بسبب ظرفها الذي تمر به والفقدان الذي أصابها في رجالها وقياداتها.

[واقع المسلمين في «نيجيريا»؛ وهل تأخر المجاهدون عن استغلال القدرات البشرية فيها؟]

(٣) ما هي نظرة الشيخ «عطية الله» لواقع المسلمين في نيجيريا؟ وهل يعتقد الشيخ عطية أن الإخوة المجاهدين وحملة راية التوحيد قد تأخروا عن التوجه لهذه المنطقة واستغلال القدرات البشرية الموجودة فيها؟

الجواب:

أعترف بقلة معلوماتي عن نيجيريا.. وأما أن الإخوة المجاهدين تأخروا في التوجه إلى هذه المنطقة واستغلال القدرات البشرية التي فيها وغيرها، فهذا أستبعده، فالمسألة ليست مسألة تأخر الإخوة المجاهدين..!

المجاهدون لهم إمكانياتهم وطاقات يتحركون بحسبها ويتكيفون مع الظرف، وعندهم الكثير من العمل، مجال واسع؛ فلا أعتقد أن هناك قضية تأخر..! لأننا عندما نقول هناك تأخر، معناه أننا كان بإمكاننا أن نفعل ونتحرك ولم نفعل؛ وهذا في ظني لم يكن.

وكل شيء له وقته كما أقول دائما، ولا تنسَ الصعوبات والعوائق والمشكلات..!! والمجاهدون إن شاء الله ماضون في الطريق بخطى ثابته، نسأل الله تعالى لهم النصر والتسديد.

يكفي المجاهدين أنهم حاملون للراية لا تسقط، وأنهم قائمون بعملية الإحياء والدعوة والقدوة، وبعث معاني العزة والكرامه واستنهاض الأمة باستمرار، وأنهم قائمون بالمحافظة على الردع، وغير ذلك من أعمالهم وفضائلهم.. ففضلهم على كل الأمة ظاهرٌ، لله درهم وعلى الله القويّ العزيز نصرهم، والواجب الحقيقي في نيجيريا هو على أهل نيجيريا بالأساس.. نسأل الله لهم التوفيق.

[لِمَ لم تستغل الجماعة الوسائل العصرية -كالكتب والأشرطة والشبكة- لإسماع صوتهم؟]

❁ (٦) لماذا لم تستغل هذه الجماعة الموحِّدة الوسائل العصرية لإيصال كلمتهم وإسماع صوتهم، وذلك من خلال الكتب والأشرطة المرئية والمسموعة وجمع فتاوى العلماء في كفر الزنديق القذافي خصوصا، وأنه نبتت نبتة خبيثة في ليبيا تدعي ولاية القذافي وشرعية حكمه؟

الجواب:

في الحقيقة: الإخوة في الجماعة هم أهل الحق بالجواب على هذا السؤال.! ولكن لعل الظروف الصعبة التي أشرنا إليها هي السبب، وهذا غيرُ خافٍ، ونرجو من الله تعالى أن يقوّيهم ويشدّ أزرهم ويعينهم على طاعته والقيام بأمره والبذل في سبيله على أحسن وجه؛ آمين.

[السطو على البنوك في ليبيا؛ بذريعة أنها أموال المسلمين أصلا، وعدم ضرر المسلمين بهذا]

❁ (٨) هل يرى شيخنا جواز السطو على البنوك في بلاد ليبيا على أساس أن هذه البنوك هي في الأصل أموال المسلمين التي يحتكرها القذافي.. علما وأن ذلك لا يؤدي إلى تضرر عوام المسلمين؟.

الجواب:

أنصح بالرجوع إلى أهل العلم الموثوقين العارفين جيدا بتفاصيل الأحوال في مثل هذا المسائل.. هذا إذا كان المقصود السطو عليها على جهة تشبه «السرقة» من قبل آحاد المسلمين، كما يبدو.. فهذه مسائل خطيرة من الناحية العملية.!! وعلى الإنسان أن يكون حذرًا ويحتاط لدينه وعرضه ونفسه أيضًا.

وأما إذا كان المقصود السطو عليها في الجهاد من قبل المجاهدين فهذا لا إشكال فيه، وهو من الجهاد في سبيل الله تعالى، وواجب على المسلمين في الجملة.. نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

[الموقف من الشركات الأمريكية العاملة في ليبيا]

❁ (٩) ما هو الموقف من الشركات الأمريكية العاملة في ليبيا حاليا؛ مثل شركة «هيلبيرتون» التابعة لـ «ديك تشيني»؟ وما هو حكم العلوج العاملين فيها؟

الجواب:

هي وهُمْ حلال الدم والمال، إن شاء الله، ولا تشاور أحدًا في ذلك، إنما المشاورة في الناحية العملية؛ في الجدوى والتوقيت، وما في ضمن ذلك من دراسة للمصالح والمفاسد المترتبة على التنفيذ.. وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

[هل الأجانب في ليبيا من أهل الأمان -أو لهم شبهة الأمان- والذمة، أم يجوز استهدافهم؟]

❁ (١٠) هل الأجانب في بلادنا ليبيا هم من أهل الأمان والذمة أم أنه يجوز استهدافهم وسلبهم؟

الجواب:

ينبغي أن يكون فيهم تفصيل من الناحية النظرية؛ فإن كان الكافر الموجود في البلد معطىً أمانًا من مسلمٍ، فهذا أمانٌ معتبرٌ شرعًا في الأصل، ما لم يوجد ما ينقضه، لكن هذا لا أظن أنه موجود في الواقع، فينظر.!

وأما من يأتون متعاقدين مع دولة المرتدين، فلا أمان معتبرًا لهم عندنا.

فإن قيل: فهل لهم شبهة أمان؟ لأن الكافر الأصلي القادم إلى البلد لا يعرف كفر القذافي ويظن أنه مسلم، لأنه يعتقد أنه قادم إلى بلاد مسلمين حكومةً وشعبًا.

فالجواب: أن الصحيح إن شاء الله أن هذا لا اعتبار له، ولا يلزمنا، وليس هو شبهة أمان؛ لأن شبهة الأمان كما يُتحصّل من كلام الفقهاء هي: شيء (من قول أو فعل) صدر من جانب المسلمين الذين يملكون عقد الأمان باعتبار جملتهم، ليس هو أمانًا، ولم يريدوا به إنشاءَ الأمان (لأن الأمان عقدٌ) لكن ظن الكافر الذي هو محلٌّ قابلٌ للأمانِ أنه أمانٌ له، فنزل إلى المسلمين وألقى السلمَ بناءً على ظنه أنهم أعطوه الأمان؛ فهذا هو الذي يسميه الفقهاء شبهة أمان، وقالوا: شبهة الأمان كحقيقته، ووجه تسميته شبهة أمانٍ ظاهرة: لأنه ليس أمانًا على الحقيقة؛ إذ ليس هناك إنشاءٌ للأمان، لكن لما وقع شيء من القول أو الفعل المحتمِل لأن يكون إنشاءً للأمان، ونزل الكافر إلينا بناء عليه، أي بناء على ظنه أن ذلك إنشاء للأمان منا له، جعلته الشريعة بمنزلة الأمان.. وهذا من محاسن الشريعة المطهرة.

والأصل فيه حكمُ أمير المؤمنين عمر وبعض الصحابة رضي الله عن الجميع في هذه المسألة، ولا

يُعلم لهم مخالف من الصحابة؛ فهو إجماعٌ سكوتيٌّ في أقل الأحوال، مع أنه سنة الخليفة الراشد المأمور باتباع سنته والاقتداء به.

ومن صور شبهة الأمان -كما تقدم-: أن يفعل المسلم أو يقول ما يظنه الكافر إنشاء أمان فينزل عليه، **ومنها**: أن يعطيه الأمانَ صبيّ أو عبدٌ، فينزل على أمانه ظانًا أنه نافذ عندنا (عند مَن لا يعتبر أمان العبد)، **ومنها** أيضا: لو أعطاه الأمانَ مَن معنا من أهل الذمة الأجراء مثلا فينزل على أمانهم لظنه نفوذه، والفرق بين هذه الصورة الأخيرة وصورةِ مسألتنا هو أن الطاغوت المرتد الحاكم للبلاد اليوم ليس منا، بمعنى أنه ليس من جماعة المسلمين الذين تلزمنا ذمتهم ولا نخفر لهم عهدًا.. بل هو خارج عن ذلك شرعًا؛ فلا يلزمنا شيء مما يبرمه من العقود مع أي أحدٍ.

فهذا هو الأظهر عندي، والله أعلم، أن الكلام الواقع أو العقد المبرم من هذه الحكومات المرتدة للكفار الأصليين الداخلين للبلد ليس بشبهة أمانٍ، لأنه واقع من غير أهل الحق في إعطاء الأمان.

وعلى التسليم بأن لهم شبهة أمان فإن هذا يزول بالتقدم إليهم بالإعلام والبيان بأننا لا تلزمنا عقود هذه الدولة الكافرة، وأننا براء منها، وهذا هو الأحوط والأفضل للجماعات المجاهدة على كل حال، أي أن يتقدّموا إلى الناس بالبيان والتوضيح والبراءة، حتى لا تبقى حجة لمحتج.

وهاهنا مسألة: وهي أنه لو قال قائل إننا مع أننا نعتقد أن عقود الطاغوت المرتد لا تلزمنا، ولا اعتبار لها عندنا، وعليه فلا نعتقد عصمة دم مَن أمّنه هذا الطاغوت المرتد، بل نعتقد حل ماله ودمه لنا شرعا، إلا أننا مع كل ذلك ننظر لمصلحة الإسلام والمسلمين فنمتنع عن قتل وأخذ أموال هؤلاء حذرا من التنفير وتشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ فهذا لا بأس به، بل هو جيد وطيب ونظر صحيح.. وهذا يزول كما قلنا بالبيان والتقدم إلى الناس، وبالله التوفيق.

وأما عقد «**الذمة**» بمعناه الفقهي الخاص الذي هو قسيم «الأمان» و«الهدنة»، فهذا لا وجود له في ليبيا، والله أعلم.

فإذا تحررت هذه المسائل واستبانت للشباب، فليكن النظرُ منصبًّا على معرفة المصالح والمفاسد وحسن التدبير والسياسة والنظر للإسلام وللمسلمين في كل ما يرومون، وبالله التوفيق.

[الموقف ممن يصف «الجماعة الإسلامية المقاتلة» بالإرجاء، وهل هم فيهم ذلك حقا؟]

❁ (١٥) ما هو الموقف ممن يصف «الجماعة الإسلامية المقاتلة» بالإرجاء؟ وهل الجماعة فعلا متلبسة بشي منه؟ وهل من الممكن المراجعة إذا كانت كذلك؟

الجواب:

حاشَ لله، ما علمنا على «الجماعة الإسلامية المقاتلة» إلا التمسك بالكتاب والسنة وأصول أهل السنة والجماعة، والبراءة من البدع والأهواء المضلة، لا أعلم أنهم متلبّسون بشيء من الإرجاء ولا غيره من البدع المضلة.. عافانا الله وإياهم وسائر إخواننا.

بل هم دعاة إلى السنة على بصيرة وعلمٍ وفقه، محاربون للبدعة والضلالات، في سائر الأبواب العلمية والعملية، مع جهادهم وبذلهم، رفع الله قدرهم وتقبل الله منهم.

ومَن يرمي هذه الجماعة الطيبة بالإرجاء فهو إما جاهل يقول بلا علم أو يردد كلام بعض خصومها بلا تحقيق، وإما جاهلٌ ظالم معتدٍ..! عليه أن يتوب إلى الله تعالى ويتجنب رمي المسلمين بالبهتان، ولا سيما أهل السابقة بالخيرات وأهل الجهاد والبذل في سبيل الله منهم.. وإلا فإنه في نفس الأمر مستحق لعقوبة أمثاله من أهل البهتان..! وليحذر قول الله تعالى في الحديث القدسي: (**من آذى لي وليّا فقد آذنته بالحرب**)[(١)]، وقول الله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝٥٨﴾[الأحزاب]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨﴾[الحج].. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

❁ ❁ ❁

[ما الأفضل: الجهاد المسلح؟ أم الدعوة؟ في بلاد المغرب، وبيان أسباب الهداية، ونصائح في الجماعة وترك الخلاف وما العمل عند حصوله؟، والتوفيق بين الجهاد والعلم]

❁ نحن نعيش هنا في بلاد المغرب، وتفرقت آراء الأخوة العاملين في حقل المنهج بين تأييد الجهاد هنا وبين الاهتمام بالدعوة إلى الله وتبيين عقيدة السلف الصالح بما في ذلك بيان وكشف ضلال هؤلاء الطواغيت وذلك بغية تكوين الجيل الذي

---

(١) أصله في: صحيح البخاري (٦٥٠٢)، وهذا اللفظ في: مسند أحمد (٢٦١٩٣) قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».



سيحمل المشعل.. على حسب اطلاعكم على الحركات التغييرية في العالم الإسلامي؛ ما الطريق الناجع لإنشاء اللبنة الأولى لصرح الخلافة الراشدة على منهاج النبوة؟

[السائل: abraham]

الجواب:

نسأل الله تعالى لنا ولكم ولسائر أحبابنا الهدى والسداد والتوفيق لما فيه الخير والصلاح والفلاح.

إخواني الكرام: استعينوا بالله تعالى وكونوا عبادَ الله إخوانًا، وخذوا بأسباب الهداية، فإن للهداية أسبابًا بينها لنا ربنا ﷻ في الكتاب والسنة:

أولها وعلى رأسها: تقوى الله تعالى وخشيته، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾[الأعلى]، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[غافر]، ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[الشورى]، ﴿ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الذاريات]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأنفال: ٢٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾[النحل] وفي معناها من الآيات والأحاديث كثير.

ومن أسباب الهداية: القيام بالقسط والعدل والإنصاف، والعمل بطاعة الله تعالى، والصدق، والبُعد عن الظلم، فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[المائدة]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[المائدة]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾[البقرة]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[الزمر]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾[غافر]، ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[إبراهيم].

من أسباب الهداية: التواضع لله تعالى ولخلقه؛ فإن المتكبر والمتعالي على الخلق وعلى الحق، لا يهديه الله تعالى بل يعاقبه بالحرمان من الهداية والصرفِ عن آياته كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ١٤٦] الآية.

ومن أسباب الهداية: كثرة الدعاء والإلحاح على الله تعالى والانكسار بين يديه والافتقار إليه، وعِلمُ العبدِ أنه عبدٌ حقير فقير ضعيف عاجز لا يقدر على شيء إن لم يعنه الله تعالى، ولا يستطيع أن يعرف مصالحه ومنافعة الدنيوية والأخروية إن لم يهدِهِ ربُّه ﷻ ويوفّقه، فيديمُ التضرع إلى الله تعالى ويدمِن دعاء مولاه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[الفاتحة]، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[البقرة]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[آل عمران].

نسأل الله لنا ولكم الهداية بكل معانيها؛ **فإذا تمهّد لنا هذا الأصل العظيم أيها الأحباب، فأقول:**

لا شكّ أن الطريق الوحيد لإعادة حكم الله في الأرض وإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هو القيام بهذا الدين كما أمر الله ﷻ في الكتاب والسنة؛ التزامًا في النفس وفي ما وليَ الإنسانُ، ودعوةً وجهادًا، وصبرًا على ذلك، وعلى الأذى فيه، ومجانبة كل المبطلات المفسِدات الموبقات، المجمَلة في ما نهى الله عنه ورسولُه ﷺ.. هذا على الإجمال لا شك ولا ريبَ فيه، وهو ما يجب على كل مسلم أن يؤمن به، ويعمل به وله بقدر المستطاع.

وأما التفاصيل، وبيان ما يجب من العمل والاختيارات السياسية والوسائل والأسباب في كل موطنٍ وكل حالٍ وزمان.. فإن هذا يحتاج إلى نظر مستقلٍ في كل حالةٍ، وبحث ما يجب فيها وما يصلح لها؛ فلينظر الإخوة في «المغرب» في حالهم وواقعهم، وهل يناسبه الآن العمل العسكري الجهادي، وما يتطلبه ذلك من تهيؤٍ وتجهيز، وتوفر الظرف المناسب سياسيا واجتماعيا، ومواتاة الفرصة وهبوب رياح للتغيير، وغير ذلك.. فإن وجد هذا وقدروا عليه، فهو واجب عليهم القيام به، وإذا رأوا أنهم ما زالوا ضعفاء أقرب إلى العجز، فلينتقلوا إلى ما يقدرون عليه من تحصيل أسبابه والإستعداد له، وهو الإعداد بكل معانيه العلمية والعملية والدعوية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وليكن مقصودهم الوصول إلى مرحلة القدرة على الجهاد وتغيير هذا النظام الكافر وإقامة حكم الله مكانه، وفي هذه الحالة يركزون على الدعوة اللسانية بكل وسائلها وطرقها المشروعة، وإعداد الجيل الذي يكون بإذن الله قادرا على حمل الراية، واكتساب وتأليف الشعب الذي يكون مستعدًا لاحتضان الحركة الجهادية المقبلة.

وليعلموا أن الدعوة والجهاد أخوَان توأمان يسيران معًا، ولا ينفصلان، والدعوة والجهاد بينهما عموم وخصوص من وجه؛ فالدعوة جهادٌ، والجهاد دعوة إلى الله، ولعله رأس الدعوة وأعلى درجاتها.. وإنما الكلام في ما هو واجب الوقت في كل زمان وفي كل مكان.. فهذا ينظر فيه أهل العلم والرأي وقيادات المسلمين الأمناء في كل حالة؛ فيقدمون مرة هذا ويركزون عليه ويؤخرون الآخر.. ويعكسون في مرة أخرى، كل ذلك بحسب النظر للإسلام والمسلمين (أي لمصلحة الإسلام والمسلمين)، وعلى مقتضى أصول العلم والفقه الصحيح، بتجرد وإخلاص وتقوى لله تعالى.

فإذا فعلوا ذلك فإن الله تعالى يوفقهم لا محالة، ويهديهم ويسددهم.. وليجعلوا الأمر شورى بينهم في كل ذلك.. كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨].

والذي يبدو لي والله أعلم من واقع بلاد المغرب الأقصى أن الأفضل للإخوة الآن أن يركزوا على الدعوة إلى الله تعالى ما أمكن وما أتيحت لهم الفرصة في ذلك، ويشتغلوا بالإعداد بكل معانيه كما قلنا،

بحسب ما يقدرون عليه، ولكن عليهم أن يتلطفوا ويستعملوا الحذر والاحتياطات في علاقاتهم وتصرفاتهم وتحركاتهم؛ فإن الأخطاء العملية في الحركة والتدبير وقلة الخبرة وسوء التصرف، والإهمال واللامبالاة، هي من الآفات الكبيرة التي تهلك العمل وتضر المسلمين وتحبط الآمال.!! وليدرسوا التجارب جيدًا ويستفيدوا من دروسها وعبرها.

ولينتدب رجالٌ منهم دائمًا إلى الهجرة إلى ساحات القتال المفتوحة ليكتسبوا الخبرات والمهارات، ويتعلموا فنون الحرب والسياسة، وعندهم الجزائر والصحراء قريبًا منهم، وغيرها، وليحرص من يذهب منهم إلى تلك الساحات أن يكون ذهابهم وتدبيرهم في غاية السرية والكتمان والتلطف، فلا ينعرف اسمه ولا وجهته، حتى إذا يسر الله لهم فرصة للرجوع رجعوا بسهولة ونفعوا قومهم وكانوا مفاتيح بل قيادات في بلادهم إذا حان الوقت، وإن توفاهم الله فيا حبذا الميتة الكريمة: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠﴾[النساء] وإذا قتلوا في سبيل الله شهداء؛ فهي الغاية في الكرامة والفوز وعلوّ المرتبة.

ومن المهم جدًا ألا يختلف الإخوة اختلافًا مذمومًا، وهو الاختلاف الذي ينشأ عنه بغضاء وعداوة بين المؤمنين وتدابر وتهاجر وتقاطع..!! بل يكونوا عبادَ الله إخوانا متحابين متوالين متناصرين متعاصمين متناصحين، مهما اختلفوا في الرأي والاجتهاد، فإن اختلاف الناس في الرأي والاختيارات العلمية والعملية المبنية على اختلاف الأفهام والاجتهادات، هذا ليس اختلافًا مذمومًا في حد ذاته، ولا يدخل تحت تكليف، ولا يضرهم، ما داموا إخوانا متوالين متحابين ومتناصحين متعاونين على البر والتقوى.

فيمكن أن تتنوع اختيارات الإخوة إزاء القضايا والأحوال، وتختلف تصوراتهم للحلول للمشكلات ونحو ذلك، لكن عليهم بأشياء:

- التباحث والتشاور والمدارسة لأمورهم والتعاون على الوصول إلى أفضل وأهدى السبل في كل مسائلهم.

- التناصح فيما بينهم بلطف ورفق، وتبيين كل أحدٍ ما يراه من الرأي على وَفق قواعد العلم والمناظرة.

- التعاصم فيما بينهم؛ فلا يبغي أحدٌ على أحد بسبب رأيٍ وقناعةٍ مبنية على اجتهادٍ، ما دام الدين الحق هو مستمسك الجميع والصدق والإخلاص والتقوى ظاهرة.

- تنزيل المسائل منزلتها، وإعطاؤها حقها، فلا يوالي المسلم أو يعادي على اختيارات فقهية ومسائل

اجتهادية لها حظ من النظر وصاحبها مريدٌ للحق عاملٌ بالتقوى.

- وفي الأخير إن سُدّت الطرق، واختار أحدٌ -مثلًا- الجهاد واختار آخر تأخيرَه الآن، ونحو ذلك، فلتكن المولاة الإيمانية هي المعتصَم، فلا بأس أن نختلف وتتعدد اختيارات الناس وتتنوّع، لكن لا يكون المؤمن في صف الكفار على أخيه المؤمن: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[القصص]، ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[القصص]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[التوبة: ٧١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة: ١] وهذا هو الامتحان الحقيقي والصعب الذي يقع للكثيرين، والناجح فيه هو الناجح حقا..!!

ولذلك ننبه دائمًا: أن مخالفة من يخالفنا في اختياراتنا الفقهية والعملية، وأعني تحديدًا خيار الجهاد للحكومات المرتدة في بلادنا، من يخالفنا إن كان خلافه مبنيًا على نظر واستدلال وبحث عن الحق وبذل للجهد في الوصول إلى الحق، ملتزمًا التقوى والعمل الصالح وموالاة الإسلام وأهله، وصاحبه معروف بالخير والصلاح وأنه متى ما ظهر له الحق عمل به وتمسك به.. فإن المخالف لنا هو أخونا وحبيبنا وولينا مهما اختلفنا.

وإنما نتخذه عدوًّا وبغيضًا ونتبرَّأ منه إذا دفعه خلافنا إلى أن يكون مع عدوّنا علينا، فينضمَّ إلى صفّ الكفار ويناصرهم ويواليهم، ويحارب المجاهدين المؤمنين؛ فهذا عدوّ ولا كرامة..!

وقد يصل حكمه إلى الكفر أو دون ذلك، هذا بحسب فعله وجرمه.

ونسأل الله السلامة وتثبيت القلوب على الحق.. آمين.. والحمد لله رب العالمين.

❃ ❃ ❃

[ما العمل إذا اندلعت المواجهات بين الإسلاميين «المعتدلين» والنظام الحاكم؟، ونصيحة للمجاهدين في المغرب وشمال إفريقية حتى تقوى شوكتهم]

❁ ما سيكون رأيكم إذا اندلعت أي مواجهة بين الإسلاميين «المعتدلين» في المغرب والنظام الحاكم؟ هل ستدعون إلى دعم هذه الجماعات، أم أنكم تفضلون أمرا آخر؟ هل يمكن أن تنصح أهل التوحيد والجهاد في المغرب على ضوء ما جرى من أخطاء في الماضي تم على إثرها اعتقال الكثير؟ ما هو التوجيه الممكن توجيهه لأهل الجهاد في شمال إفريقية حتى تتكون لهم شوكة قوية؟

[السائل: أبو عبيد الله الهواري**]**

الجواب:

الفقرة الأولى: «**ما سيكون رأيكم اذا اندلعت أي مواجهة بين الإسلاميين «المعتدلين» في المغرب والنظام الحاكم؛ هل ستدعون الى دعم هذه الجماعات أم أنكم تفضلون أمرًا آخر؟**».

شخصيا لا أتوقع حصول مواجهة بين من يسمّون بالإسلاميين المعتدلين في المغرب كـ «جماعة العدل والإحسان» وما شابهها وبين النظام الحاكم، إذا كانت المواجهة بمعنى الصراع المسلح.! أما المواجهة المدنية والسلمية كما يقولون، مثل العصيان المدني والمظاهرات ونحوها، فهذا محتمل.

وفي حال حصول شيء من هذا أو ذاك، فالذي عندي الآن أننا نكون مع هؤلاء الإسلاميين طبعًا، بحسب ما تعطيه قواعد الشرع وأدلته القاضية بالكون مع المسلم وإن كان فاجرا فاسقا أو مبتدعًا ما دام من أهل ملة الإسلام، على الكافر الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر الخارج من ملة الإسلام.. ثم درجة هذا الكون معهم وتفاصيله، هذه تعرف في محلها وفي حينها.. اللّهم إلا أن يوجد ما يمنع ويجعلنا نرجحُ النأي بأنفسنا عن الجميع، فهذا ينظر في حينه أيضًا، ولكل مقام مقال.. والله المستعان.

الفقرة الثانية: «**هل يمكن أن تنصح أهل التوحيد والجهاد في المغرب على ضوء ما جرى من أخطاء في الماضي تم على إثرها اعتقال الكثير؟**».

نسأل الله أن يلطف بنا وبهم وبسائر المسلمين ويفرج كروب الجميع..

أنصح إخواني بعد تقوى الله والصبر والتوكل على الله تعالى والاستعانة به وانتظار الفرج وحسن الظن بالله ﷻ ورجائه، بمعرفة عدوّهم جيدًا، والاجتهاد في الأخذ بالأسباب، وعدم التهاون، وأن يعتنوا بالسرية والكتمان، وليعلم كلٌ منهم أنه جنديّ من جنود الإسلام فلا يؤتى الإسلام والمسلمون من قبله، ولا يضيع نفسه، ولكن يبذلها في المقام اللائق، وإذا عزم الأمر فليصدق، ولا يستعجل ابتداءً، ولا يتهوّر بل يتحلى بالحكمة مع الشجاعة.. والله الموفق.

✵ ✵ ✵

〚نظرة على أوضاع «المغرب» ومتى يقوم الجهاد فيه؟، والكلام عن مشكلات العمل الجهادي في بلاد المسلمين، وجواب سؤال في توحد مجاهدي المغرب مع تنظيم القاعدة〛

❁ تعلمون شيخنا أننا في المغرب أتى الطواغيت على الأخضر واليابس؛ فلم يتركوا لنا شيخا صادقا إلا اختطفوه فقتلوه، أو اختطفوه فسجنوه.. أصبحنا نرى الباطل

والشذوذ الجنسي والعري وسب الدين ولا نستطيع الكلام ولا الإنكار؛ لأننا لا نملك قاعدة نتحرك عليها في هذه الأرض المسلمة التي تسلط عليها هؤلاء الطواغيت وجعلوا بطانة اليهود تحكمنا، والله المستعان، ولو أكملنا الحديث عن وضعنا في هذا البلد لما توقفنا، وآخره الانتهاكات في السجون لشيوخنا وإخواننا والاعتداء على أهليهم ونسائهم وأطفالهم ولا حول ولا قوة الا بالله..

شيخنا الفاضل عطية الله: هل عندكم خبر أو إحساس بقيام الجهاد في بلاد المغرب الأقصى قريبا؛ فأغلبنا يحب الجهاد ولكنه لم ير رصاصة في حياته، ولم ير مسدسا اللهم إلا في أيدي جنود الطواغيت.. كثير من الشباب هنا والحمد لله مهيؤون عقديا، لكن في المجال الجهادي العملي أصفار، اللهم إلا من لياقة بدنية أو ما يماثلها..

متى نستطيع أن نخدم ديننا في هذه البقعة من الأرض؟ شيخنا الفاضل: متى تتوحد «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» مع إخوانها في «تنظيم القاعدة»؟ وهل ترون من الأنجع أن تبقى «الجماعة الإسلامية المقاتلة» على أسلوبها الحالي في القتال في الجبال والقرى والغابات، أم تحول حربها إلى حرب مدن على طريقة إخواننا في «القاعدة» في العراق أو مصر أو بلاد الحرمين السليبة أو أوروبا؟

ونصيحة أخيرة للشباب الذين يبحثون عن الطريق إلى السودان.

[السائل: أبو قنبلة المغربي**]**

الجواب:

الله المستعان، نسأل الله أن يفرّج الكروب وينصر عباده المؤمنين في كل مكان.

أخي الكريم، تقدم شيء من الكلام المتعلق بسؤالك.

وأحاول أن أزيد هنا بعض التوضيحات: فلا شك أن جهاد هؤلاء الطواغيت المرتدين الحاكمين لبلاد المغرب هو فرض على المسلمين، معلق في رقابهم، لا يسعهم ترك القيام به والسعي في تحقيقه.. إنما هم إذا كانوا عاجزين اليوم ويظنون أنهم غير قادرين على القيام بذلك، فيبقى عليهم فرض الإعداد والاستعداد وتحصيل الأسباب والقدرة على ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن الإعداد مأمورٌ به استقلالًا، كما قال الله تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[الأنفال: ٦٠] الآية، وقال رسول الله ﷺ: (**ألا إن القوة الرمي**)[1]، وغيرها من الأدلة المعروفة في محلها.

---

(١) صحيح مسلم (١٩١٧).

ومن أكبر مشكلات العمل الجهادي المطلوب في المغرب وفي كثير من بلاد المسلمين هي عدم وجود قيادة (ولك أن تقول: قيادات) تستطيع أن تكون منارة للناس ومحورًا يجتمعون عليها، وتؤلّف بين جهودهم وتستطيع توظيف طاقاتهم أحسن توظيف ممكن.!!

بالإضافة إلى مشكلة الوضع الاجتماعي، أعني الجمهور والشعب الذي ينبغي أن يحتضن الحركة الجهادية ويكون لرجالها كالماء للسمكة، يحب ويوالي ويفرح وينصر ويُؤوي ويدعم ويؤيد ويستر.. الخ. فأنتم تنظرون في حالكم بحسب ما يناسب.

أعني ينظر أهل العلم والعقل والرأي وقيادات الناس الموثوقة في ذلك.. من أجل ذلك وجدت في الحركة الإسلامية المعاصرة محاولات لحل هذه المشاكل.

ففيما يتعلق بمشكلة القيادة؛ فإن من الحلول أن تتحول القيادة إلى قيادة عالمية موثوقة مأمونة، وهذه تمثلها جماعة موثوقة نالت ثقة الأمة، لها قيادة موثوقة محبوبة موضوع لها القبول في الأمة، وهذه بكل تأكيد المرشّح لها الآن هو «القاعدة»، وحينئذ لا تبقى هناك مشكلة كبيرة في القيادة المحليّة، حين تكون تابعة لتلك القيادة الكبيرة العليا الموثوقة المأمونة المؤهّلة المحبوبة المطاعة، فيكفي حينها أن توجد قيادات محليّة ميدانية حتى في مستواها الأدنى.!!

ثم الله ﷻ يفتح على شباب الأمة ويخرج منهم رجالا من خلال العمل الميداني، ومن خلال إثبات نجاحهم في الميدان بالعلم والعمل، والتوفيق من الله تعالى؛ فقد يوجد منهم قادة عظماء وأفذاذ.!

وأما مشكلة الجمهور؛ فحلولها تكمن في أشياء:

- انتظار الفرج من الله تعالى، ومعناه العمليّ: انتظار الفرصة المواتية، فإن السياسة فُرَصٌ..! والسياسي الناجح هو الذي يستغل فرصته حينما تتاح ولا يضيعها، وهذه الفرص تأتي مرة واحدة أحيانا في عمر الإنسان..! وطريقة إتيانها غير منحصرة، فقد تحصل أحداث معينة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها تكون معها الفرصة.

أمثلة: كثرة فساد النظام عمليا على مستوى فهم الجمهور، وعلى المستوى الاقتصادي بالذات، وتراكم مشكلاته ووصول بغض وكراهية الناس له إلى مستوى عالٍ، وكثرة ما يسمونه اليوم في لغتهم بـ: «الفساد» وهو الفساد المالي خصوصا من الرشوة على نطاق واسع والسرقات النهارية الكبرى والاحتيالات والخيانات والغش والمحاباة وتمركز الأموال في أيدي فئات متنفذه من الطواغيت وأوليائهم، وكثرة فضائحهم أخزاهم الله.. وهكذا؛ فإذا تزامن ذلك مع أوضاع سياسية عالمية أو إقليمية مناسبة، مثلا.

وإذا كان معه عمل وجهد مبذول من قبل الحركة الإسلامية ودعاتها وعلمائها وكتابها وأدبائها وشعرائها في فضح هذا النظام وتعريته وتبيين حاله للناس وإقناع جمهرة جيدة من الناس الصالحين أهل الخير بضرورة مجاهدته والثورة عليه واتخاذ الموقف الإسلامي الصحيح منه.. الخ..

إذا توافرت هذه الأشياء مجتمعة، فإن هذه هي الفرصة.. وقد توجد الفرصة من خلال تدخّل عدوّ خارجي غازٍ، كما قد حصل في العراق تماماً.! وقد توجد الفرصة من خلال نزاعات معينة أو اغتيال شخصية كبيرة عامة ينهار معها الأمن الاجتماعي وتحصل فوضى، وتوجد فرصة.! وقس على ذلك.

والحاصل أن الفرصة؛ هي في جزئها الأكبر غير كسبيّة، إنما أنت تنتظرها وتتفطّن لها وتستغلها أحسن استغلال متى ما جاءت، وفيها جزء كسبيّ أيضا مع ذلك، كما اتضح مما سبق.. والله أعلم وأحكم، وهو وليّ التوفيق.

وفيما يتعلق بتمنّيك أخي الكريم أن تتوحد الجماعة السلفية في الجزائر وربما غيرها أيضا مع القاعدة، فهذا نتمنّاه ولعله يحصل قريبا، نسأل الله لإخواننا التوفيق.. وسبق الكلام في هذا.

وبقية سؤالكم: «وهل ترون من الأنجع أن تبقى «الجماعة الإسلامية المقاتلة» على أسلوبها الحالي في القتال في الجبال والقرى والغابات، أم تحول حربها إلى حرب مدن على طريقة إخواننا في القاعدة في العراق أو مصر أو بلاد الحرمين السليبة أو أوروبا؟ ونصيحة أخيرة للشباب الذين يبحثون عن الطريق إلى السودان؟»

«الجماعة المقاتلة» حينما تتعافى، أو ربما يأتي وقت تكون مع «القاعدة»، ويكون هناك «تنظيم القاعدة في ليبيا»، وهذا كله طبعا بحسب الأسباب وتوفيق الله تعالى قبل ذلك.

أقول: حينها لا شك أن العمل سيكون في المدن لا في الجبال والغابات، لأن ليبيا ليست مثل الجزائر من حيث وجود الغابات والجبال، نعم فيها شيء من ذلك، أكثر مما يوجد في العراق مثلا (ما عدا بلاد الأكراد) لكنه قليل جدًا إذا قورن بالجزائر.! ثم الغابات والجبال هي دائما قواعد خلفية وملاذات، أما العمل الحقيقي والأساسي فهو في المدن والقرى.

والعمل في ليبيا إن شاء الله إذا توفرت له الفرصة المناسبة أتوقع أنه يكون من أحسن وأيسر ما يكون على المجاهدين، لطبيعة البلد وأرضها وتنوّع فرص الحركة فيها، بالإضافة إلى تخلخل النظام جدًا وضعفه وكثرة فساده وكراهية الناس له، وغير ذلك.. وإننا لنرجو الخير..

والبشائر كثيرة بحمد الله.. نسأل الله أن يفتح على المسلمين من فضله ورحمته.. آمين.

✲ ✲ ✲

〚لماذا لم يُكَوَّن «تنظيم القاعدة لشمال إفريقيا»〛

❁ سؤال: وهو طلب أو استفسار يجول بالخاطر؛ عندما علمت أنك من أرض الرباط ولك سبق في أرض الجهاد.. لماذا لم يكون تنظيم القاعدة لشمال إفريقيا؟ وأسأل الله أن يوفق ويحفظ المخلصين الذين يعملون في الخفاء لإعلاء كلمته؟

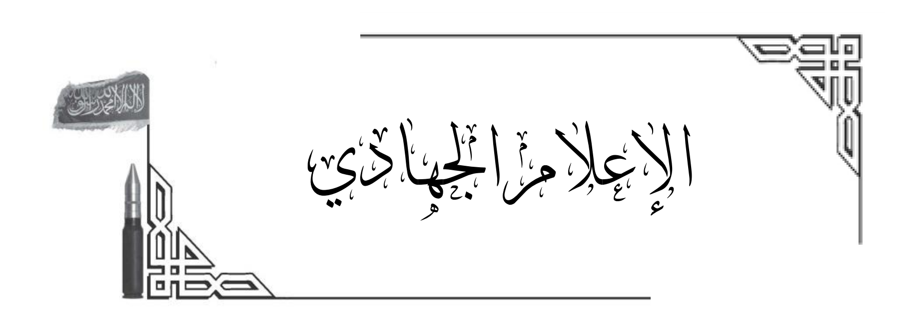
[**السائل:** محب الغرباء]

الجواب:

جزاك الله خيرا وحفظك الله..

تنظيم القاعدة في شمال أفريقيا والمغرب العربي، قد تكلمنا حول إمكانه في المستقبل، وذكرت بعض ما أراه من النصح للإخوة في هذا الصدد، وقلنا إننا سمعنا أن الإخوة في الجزائر والصحراء لهم توجّه إلى هذا.. نسأل الله أن يوفقهم وأن يبارك في جهود الجميع، وأن يجعله خيرا وبركه على الإسلام والمسلمين في كل مكان.. آمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين.



قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[التوبة]، وقال رسول الله ﷺ: (**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم[1]، وقال ﷺ لحسان ﷺ: (**اهجهم** -أو **هاجِهم**- [يعني المشركين] **وجبريلُ معك**) رواه البخاري ومسلم[2].

〚بيان أهمية «الإعلام الجهادي»، وكيفية تطويره مع الوقت، وبيان أثره على الأمة، وما هي رسالته المطلوب إيصالها؟، وكلمة إلى أنصار الجهاد، ونصائح للعاملين فيه〛

❁ كيف ترى الموقف الإعلامي للمجاهديـن على الساحة الإعلامية؟ وهل ترى أن من المفضل زيادة الجرعة الإعلامية مع ابتكار أساليب جديدة للضغط على وسائل الإعلام العالمي للنقل عنّا؟ ما هي نصـيحتكم للشباب الذى ما زال يجيد دور المتلقي ولا يريد أن يصبح فاعلا في الجهاد الإلكتروني على الشبكة؟ وأيهما أولى: أن يكتفي بنشاطه على الأرض من حيث نشر المواد الخاصة بالجهاد، أم أن يشارك بالجهاد الإلكتروني على الشبكة والذى بات واضحا أن هذا الأمر يرهق العدو؟ أم ترى أن هذان الأمران ضـروريان معا؟ وما هي نصـيحتكم لـ «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»؟ وهل من الصالح أن يـنضوي تحت لواء «الجبهة» كل المجاميع الإعلامية؟ أم يعمل كل

---

(١) مسند أحمد (١٢٢٤٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، سنن أبي داود (٢٥٠٤)، سنن النسائي (٣٠٩٦) وصححه الألباني، مسند الدارمي (٢٤٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٣٢١٣، ٤١٢٣، ٦١٥٣)، صحيح مسلم (٢٤٨٦) كلاهما بلفظ: (جبريل معك) وبالشك كما ذكر الشيخ، وأما لفظ (روح القُدُس) ففي: مسند أحمد (١٨٦٤١، ١٨٦٧٨) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال البخاري في «باب سورة النحل»: «﴿روح القدس﴾: جبريل».



منها تحت اسمه منفردا؟ وهل ترى أنه من الضروري جدا أن يتحدث أحد القادة الكبار للجهاد حول الجهاد الإعلامي وأهميته وأثره على العدو وفرضيته على من لم يلتحق بقوافل الجهاد؟ أم ترى أن هذا مضيعة لوقتهم والأمر ليس بالمهم لهذه الدرجة؟

[**السائل:** سيف الله أسامة]

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، جزاك الله خيرا أخي «سيف الله أسامة»، وربنا يبارك فيكم.

الجهد والحضور الإعلامي للمجاهدين طيب ولله الحمد، وحصل له تطور كبير في السنوات الأخيرة، وخصوصا بعد انطلاقة الجهاد العراقي الميمون، ولا سيما على مستوى استخدام الصورة والفيديو واستخدام شبكة المعلومات العالمية: «الانترنت».

وحتى العدوّ اعترف بتفوق إعلام المجاهدين واستغلالهم للنت، وظهر تغيّظه من ذلك.. هذا واضح ومشهود ولله الحمد، ونسأل الله أن يبارك.

زيادة الجرعة الإعلامية أظنه يتوقف على الإمكانيات والطاقات المتاحة بين أيديكم، بالإضافة إلى عوامل أخرى.

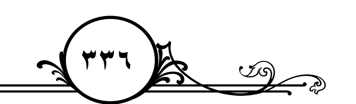
بالنسبة للكَمِّ في النظرية الإعلامية فهو عنصر مهم، لكن طبعا هناك ما هو أهم منه، زيادة الكم تتضمن عناصر التكرار والتنوع في الوسائط والوسائل وفي العرض والأسلوب، وهذه كلها عناصر ضاغطة على المتلقي؛ الهدف منها تثبيت الفكرة وترسيخها وتوضيحها إلى درجة جعلها كالمسلم أحيانا، طبعًا العدو يتفنن في هذه الأشياء جدا، ونحن قد لا نحتاج إلى الكثير من ذلك؛ لأن عندنا عناصر أخرى أكثر أهمية وأكثر تأثيرا بحمد الله تعالى.

أهم العناصر التي عندنا والتي يفتقدها عدونا هو الصدق والمصداقية، وهو عنصر الثقة وتلهّف الأمة لسماع كلمتنا.

ولهذا تجد المجاهدين يقولون الكلمة مرة واحدة وبأسلوب بسيط وبوسيلة بدائية أحيانا؛ فتنتشر في الآفاق وتبلغ الملايين بسبب وجود القبول والاستعداد من الجماهير لسماع كلمتهم وتناقلها.

الكلمة لها روح، وهي تكتسب قوتها من قوة صاحبها، وهذه القوة تتضمن: قوة الحق الذي معه، وقوة المحبة الجماهيرية له والقبول، والثقة فيه، وقوته على الأرض بالرصاصة والأفعال وصناعة الحدث.

وابتكار أساليب جديدة شيء مطلوب دائما؛ لأن طبيعة البشر الملل، ولأن إلف الشيء يفقده التأثير



ويجعله خارجًا عن دائرة التأمل؛ فلذلك دائما يحتاج الإعلامي لابتكار أساليب جديدة، وطبعا بالنسبة لنا نحن المسلمين فكل ذلك مقيد بشريعتنا المطهرة وحدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ.

الهدف هو إيصال كلمتنا للناس على أوسع نطاق وأبعد مدى.. كلمتنا هذه تحمل: حججنا وبراهيننا الشرعية والمنطقية والأدبية، وتحمل دعوتنا وقيمنا وخطابنا للعقل وللقلب (الحكمة والموعظة الحسنة) وتحمل تفسيراتنا ورؤانا وشروحاتنا للأشياء وكل الأمور.

وبما أن إعلام الغير هو الغالب والأكثر استحواذا على الجماهير فأنت تحتاج إلى أن تضغط على هذا الإعلام وتجبره للنقل عنك وتفرض عليه المعلومات التي يذيعها.. هذه بلا شك فكرة صحيحة.

وفي رأيي أن أهم وسيلة لتحقيق ذلك هي: تحقيق المصداقية على طول الخط والحفاظ عليها دائمًا وصيانتها من الانخرام، فإذا حققنا ذلك وحافظنا عليه، فإنه بمرور الزمن سيضطر الإعلام العالمي للجوء إلينا دائما والاعتماد علينا كمصدر للخبر.

وهذا يقتضي تعاونا وثيقا بين الإخوة الإعلاميين في المؤسسات المتنوعة على الشبكة (الانترنت) وغيرها، وبين الإخوة المجاهدين في الميدان.

نحن لاحظنا مثلا أن «مؤسسة سحاب» تفضل لحد الآن إرسال الكثير من إصداراتها الخبَرية مثل كلمات المشايخ قيادات الجهاد كالشيخ أسامة والدكتور أيمن، إلى «قناة الجزيرة»، والسبب في ذلك ظاهر ومفهوم جدا، وهو أن هذه القناة ستقوم ببث هذا الشريط بدافع السبق والانفراد، وسوف يصل مضمون هذا الشريط والكلمة إلى ملايين الناس، في أسرع وقت، بخلاف ما لو بُث على الشبكة المعلوماتية عبر مواقع المجاهدين وأنصار الجهاد؛ فإنه لا يصل إلى نفس الكم من الجمهور، ولا بنفس السرعة، مع أن «الجزيرة» لا تبث الأشرطة كاملة في الغالب أو ربما في جميع الحالات، والإخوة في «سحاب» يعرفون ذلك ولا بد، لكن مع كل ذلك ما زالوا يرجحون على ما يبدو إرسال الكلمات إلى «الجزيرة» أو غيرها من الفضائيات للغرض المشار إليه.. وأظن أن هذا يمكن أن يتغير مع مرور الوقت، وبالتدريج، والله أعلم.

على العموم أظن أن هذا ليس فيه ضرر إن شاء الله، ويبقى إعلام المجاهدين الموازي عبر «الانترنت» وغيرها له أغراض كثيرة ومجال عمل واسع.

التدريج الذي قصدته مثاله أن تقوم «سحاب» مثلا وبقية مؤسسات المجاهدين الإعلامية المشابهة وكذلك الجماعات الجهادية في الميدان، بالمزاوجة بين الطريقين، مرة يرسلون المادة الخبرية (الشريط المرئي أو المسموع) إلى القنوات الفضائية، ومرة يرسلونه إلى مواقع الأنصار على شبكة الانترنت،

فبمرور الوقت تحصل المصداقية لهذه المواقع.

وأيضًا يرسلون المادة مختصرة إلى القنوات الفضائية ليجبروها على نشر ما يريدون هم من المقاطع لا ما تختاره القناة، ويرسلون المادة كاملة بطولها إلى مواقع الأنصار الالكترونية، فبذلك يحصّلون الهدفين.. قد يقتضي هذا تقديم الإرسال إلى القناة الفضائية قليلا يومًا واحدًا مثلا، من أجل المحافظة على إغراء المحطة بشهوة السبق.!!

وفي الجملة.. فإن الضغط على وسائل الإعلام العالمية لكي تنقل عنا ولكي نفرض عليها مادتنا له وسائل أهمها المصداقية، والعمل على جعلهم باستمرار في حاجة إلى مصادرنا.

وقبل ذلك أن نكون نحن المسلمين في الواقع وعلى الأرض فارضين حضورنا بصناعة الحدث وتحقيق النجاحات السياسية، وهي مسؤولية المجاهدين بالدرجة الأولى ثم مِن ورائهم كلُّ أهلِ الإسلام، بحسب درجاتهم.

وذلك كله موقوف على توفيق الله تعالى وفتحه، وهو الفتاح العليم، نسأله ﷻ من فضله.

وسؤالكم: «ما هي نصيحتكم للشباب الذي ما زال يجيد دور المتلقي ولا يريد أن يصبح فاعلا في الجهاد الإلكتروني على الشبكة، وأيها أولى: أن يكتفي بنشاطه على الأرض من حيث نشر المواد الخاصة بالجهاد أم أن يشارك بالجهاد الإلكتروني على الشبكة والذي بات واضحا أن هذا الأمر يرهق العدو؟ أم ترى أن هذان الأمران ضروريان معا؟».. نعم أظن أن الأمرين مطلوبان معًا، وكل إنسان بحسب ما يستطيع وبحسب ما يناسبه من عمل وما ينفع ويبلي فيه أكثر، الجهاد محتاج منا إلى كل ذلك.

والعمل على الأرض بالطرق البسيطة والعادية هو لا يقل أهمية عن العمل على الشبكة، إن لم يكن أكثر أهمية وفعالية أخي الكريم.

العمل على الأرض يشمل الدعوة اللسانية الشفهية في الأهل والأقارب والجيران والمعارف وفي المناسبات المختلفة والمحافل وهكذا بحسب ما يتاح وما يناسب لكل أحد، ويشمل نشر الأشرطة على الأقراص (سي دي) وغيرها من منشورات المجاهدين من رسائل التحريض على الجهاد ورسائل وكتب فقه الجهاد وتوضيح مفاهيمه ومقاصده وشرائعه، والتنويه بقضيته وبرجاله والدعوة إلى مناصرتهم، وهكذا.. فهذا يبقى هو الأهم دائما.

لكن الآن ميزة الانترنت أنها أتاحت فرصة للعمل وتوصيل مادتنا إلى أناس لم يكن يمكن أن نصل إليهم بغيرها في بلداننا التي ترزح تحت حكم حكومات بوليسية محاربة للإسلام وأهله، وفي بلاد الغرب أيضا، فنحن عبر الانترنت نخاطب العدوّ والصديق والحبيبَ والبغيض.

وقولكم: «**ما هي نصيحتكم للجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية؟ وهل من الصالح أن ينضوي تحت لواء الجبهة كل المجاميع الإعلامية أم يعمل كل منها تحت اسمه منفردا؟**».. لا أعرف كثيرا من تفاصيل حال «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»، جزى الله الإخوة القائمين عليها خيرًا وثبّتهم الله وحفظهم من كل شر، ولذلك إن كان ثمت نصيحة فإنها ستكون عامة؛ فبعد التوصية بتقوى الله تعالى والصبر والمصابرة والثبات والصدق وإخلاص العمل لله تعالى ومراقبته ﷻ في السر والعلن، وأن يعلموا أنهم في جهاد حقيقيّ فيستحضروا وجوب الإخلاص فيه والتقيّد بشرع الله تعالى في كل ما يحاولون.

أقول بعد هذه الوصية: أوصيهم بشيء أراه مهمًا لمن كان في مثل مقامهم دائما وهو: الالتزام بمبدأ «أدومه وإن قلّ» فإن العمل القليل المبارك فيه -بسبب صدق أهله وإخلاصهم وصلاحهم- والمستمر المتواصل خيرٌ من الحرص على التوسّع وتكثير العمل والأشغال، فتحصل طفرة ويصيبنا الفرح وربما الزهو بُرهةً، ثم ننقطع ونُضرب، ونفشل وينهار كل شيء، لا قدّر الله ذلك.. هذه وصيتي دائما لإخواني.. وهذا معناه ألا يوسّعوا العمل أكثر مما يطيقون ويستوعبون، ولا يتهاونوا في مبدأ الثقة والتزكية لكل من يتعاملون معه وينضم إلى قافلتهم، وأن يكون حاديهم دائما هو صلاح الكيف وجودته لا كبر الكمّ واتساعه.

ثم أوصيهم أيضًا بأن يكون لهم ميثاق عمل، مكتوب مسطور منضبط بالشريعة، يكون من خصائصه: ترسيخ الولاء لله تعالى ولدينه، ونبذ التحزّب المذموم الذي هو التحزّب على أشخاص أو مسمّيات (غير الأسماء التي أمر الله بالتحزّب عليها كالإسلام والإيمان والتقوى)، وترسيخ مبادئ العدل والرحمة والإحسان والتواضع ومحاسن الأخلاق وإعلاء شأن الفضائل.

والمقصود أن الميثاق ينبغي أن يكون كالقواعد العامة، التي يلتزم بها كل من ينخرط في هذا العمل، وآداب يتأدبون بها، ولا سيما والإخوة يشتغلون في عالم افتراضي كما يقال، وينسّقون عن بُعد، وأكثرهم -ربما- لا يعرفُ بعضهم بعضًا.

وأيضًا كل الأجيال التي تأتي بعد هذه الجيل، تسير على المنوال وتنسج عليه وتزيد فيه حكمة وتجربة وتسد فيه ثغرة اتَّضحتْ؛ حتى يكون العمل دائما مسددًا محروسًا بالفضيلة.

كل ذلك طبعا في إطار الالتزام بالشرع، بمعنى ألا يخرج قيد أنملة عن الشرع، وفي نفس الوقت لا يُحجَّر فيه واسِعٌ.! والله الموفق.

من الجزئيات المهمة التي ينبغي أن يتم التركيز عليها في ميثاق الإعلام وأخلاقه:



- كمال الأدب، والتواضع والبُعد عن العجب والغرور..!

- بموازاة ذلك: القوة في الحق والوضوح في المنهج.

- الصدق بكل معانيه إلا ما استُثنِيَ، والاستثناء يقدّر بقدره، وأعني به جواز الكذب في الحرب، لكن لا بد أن يكون الأكثر والغالب جدًا هو الصدق، وقلت: «الصدق بكل معانيه» وهو له معنيان: الصدق الذي هو الإخبار بما في نفس الواقع، وهو المعنى الشرعي المعروف، وهو ضد الكذب، والصدق البلاغي الذي يوصف به الكلام الأدبي شعرًا ونثرًا، والكلام فيه يطول، لكن خلاصته: التزام حد البلاغة وهو: لكل مقام مقال، وفائدته هنا البُعد عن المبالغات والتهويلات التي كثرتها تضعف الثقة وتعطي انطباعا بعدم الدقة، إلا في موضعها المخصوص الذي تطلَب فيه، كموضع تنفيرٍ أو إرهاب وتهديد في حق متقرر، لا أن تكون هي نفسها (المبالغات والتهويلات) طريقا لإثبات الحق.

- يتعلق به أيضا: توازن الخطاب، بين خطاب العقل بالحجج والبراهين الشرعية والعقلية، وخطاب القلب (العاطفة) بالكلام الرقيق والأدبي المؤثر، ومعرفة متى يقدّم هذا ويركّز عليه، ومتى يكون التقديم للآخر والتركيز عليه.

- ترسيخ مبدأ العمل للدين وللإسلام وللمسلمين لا للجماعات في حد ذاتها، وإنما الجماعات والأسماء والمواضعات التي نعملها نحن، ونشتغل في إطارها التنظيمي، هي كلها وسائل لتحقيق المقصود الذي أمر الشرع به.

- ترسيخ ثقافة المعنى أكثر من اللفظ، وهي نقطة أساسية في رسالة الإعلام التربوية الدعوية؛ لأن الإعلام في حقيقته عندنا هو مرادف للدعوة إلى الله.. والله الموفق.

وأما: «هل من الصالح أن ينضوي تحت لواء الجبهة كل المجاميع الإعلامية أم يعمل كل منها منفردًا؟» فرأيي أن الأحسن في هذه المرحلة أن تبقى كل مؤسسة وهيئة من المجاميع الإعلامية المتعددة تعمل منفردة، حتى ييسر الله أمرًا آخر ويأتي بالفتح من عنده سبحانه وهو الفتاح العليم.. يعني أن الظروف الحالية الأفضل فيها هو هذا.

فلا أرى لها أن تتحد في تجمّع واحدٍ؛ لأنها ستكون حينئذٍ عرضة لضربات العدوّ بشكل أكبر، كفانا الله جميعا شر كل ذي شر.

وبقاء كل تجمّع يشتغل لوحده كفيل بأنه إذا تعرّض بعض المجاميع للضرب لا يُضرب الجميع، ويبقى دائما من يسد الخلل ويواصل المسيرة.

وفي هذه الأثناء يكون المطلوب المتأكد من كل المجاميع الإعلامية الجهادية أن تتعاون وتتعاضد

وتتكافل وتتكامل، وتنسّق فيما بينها في تبادل الخبرات والتجارب والتناصح.. فنحن إخوة متحابون متوالون، نعمل لهدف واحدٍ وتحت راية واحدة، وغايتنا واحدة، نبتغي مرضاة الله تعالى ورفع رايته وإقامة حكمه والعيش في ظلاله، لسنا مثل أهل الدنيا الفانية أهل السفاسف والحرص على السبق والانفراد والشهرة والتعالي على الخلق والتباهي بالحطام..!! لا..! نحن أهل الآخرة.. أهل الدين.. أهل الإخلاص والعمل لله تعالى وابتغاء الفوز عنده.. شيء مختلف..!

والله الموفق، لا حول ولا قوة إلا به ﷻ.

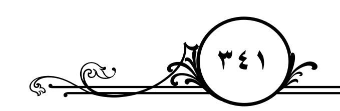
وسؤالكم: «هل ترى أنه من الضروري جدا أن يتحدث أحد القادة الكبار للجهاد حول الجهاد الإعلامي وأهميته وأثره على العدو وفرضيته على من لم يلتحق بقوافل الجهاد؟ أم ترى أن هذا مضيعة لوقتهم والأمر ليس بالمهم لهذه الدرجة؟»

لا يا أخي العزيز، كيف يكون مضيعة لوقتهم؟ بل هو من صميم عملهم ومهماته.! نعم من المهمّ جدًا أن يتحدث قادة الجهاد عن ذلك ويدعموه بالنصح والتوجيه والتحريض والتنويه به، لكن طبعًا التفاصيل الفنية وما شابهها ليس من المناسب للقيادات أن يتحدثوا فيه على الملأ، أما التشجيع والحث، فهذا المقصود، وأظن أن قدرا صالحًا من ذلك قد كان، والمرجو أن يستمر طبعا.

فقد تكلم «الدكتور أيمن» مثلا في كلمة من حوالي نصف السنة في لقائه مع مؤسسة «سحاب» عن الإعلام الجهادي وأهميته ونوّه به وأشاد وحرض، وكذلك الشيخ «أبو مصعب الزرقاوي» رحمه الله قد تكلم من قبل ونوّه بشبكة «الإخلاص»، وشكرها وأثنى عليها ودعا لها، في بيان له.. وكل هذا من التحريض والتشجيع، وهو مطلوب دائما، ومؤسسة «سحاب» التي هي مؤسسة رسمية للمجاهدين على تعاون ظاهر مع شبكة «الحسبة» مثلا ومع «الجبهة الإعلامية العالمية»، وهذا في حد ذاته تشجيع ودعم أقوى من الكلمة.. ولا نشك أن قيادات المجاهدين على وعيٍ كامل بأهمية الجهاد الإعلامي، ومعرفة قدره وخطره، والواقع خيرُ شاهد، قبل الكلمات، والحمد لله رب العالمين..

نسأل الله ﷻ أن يفتح عليهم ويسددهم، وأن ينصر المجاهدين في كل مكان.. ونسأل الله أن يتقبل من إخواننا الإعلاميين جهودهم ويبارك فيها.. آمين.

❊ ❊ ❊



〚هل الاهتمام بأخبار المجاهدين كافٍ في الإعداد النفسي والمعنوي لخوض المعركة الحقيقية؟، والنية المطلوبة في الإعلام الجهادي، وسلبيات الشبكة المطلوب تجنبها〛

❁ كيف تنظرون للإعلام الجهادى خاصة على الانترنت؟ وهل ما يقوم به الإخوة المحتسبون من مطالعات على أخبار المسلمين في المنتديات الجهادية.. يعد هذا تجهيزا دينيا ونفسيا ومعنويا لخوض معركة الجهاد الحقيقي؟

[**السائل:** أسد الثغور ٢]

الجواب:

بارك الله فيك أخي الكريم.. أسأل الله ﷻ أن يغفر لك ذنبك، وأن يهديَ قلبك، وييسر لك الجهاد في سبيله، وأن يرزقك الشهادة في سبيله بعد طول عمرٍ وحسن عمل.

الإعلام الجهادي -على الانترنت خصوصًا- أراه مهمًّا وفي تطور، ويقوم بدور جبار في نصر الجهاد والمجاهدين، ونسأل الله أن يزيد ويبارك ويفتح.

ومطالعات الإخوة على أخبار المسلمين في المنتديات الجهادية وفي سائر المواقع الالكترونية شيء جيدٌ ومفيد، وعملٌ صالح إن شاء الله، إذا خلا من الموانع.!

فلينوِ كل أخٍ أنه بهذه المطالعات والمشاركات يستفيد في دينه بسماع الوعظ والتوجيه والتقاط الحكمة والفقه والتحريض على الجهاد والخير، وتعلّم المهارات العملية والفنون المطلوبة للمسلم المجاهد، ويتزود من المعلومات العامة والثقافة والأدب، ويكون على اتصال بهموم المسلمين مشاركا فيها بالمتابعة والدعاء والتوادد والتعاطف والتراحم والمواساة وسائر المشاعر المطلوبة، إلى غير ذلك من المقاصد الحسنة لهذه المطالعات والمشاركات.. فهذا بلا شك من الخير، وهو من الإعداد والتجهيز للأخ المسلم لخوض معركة الجهاد الحقيقي كما ذكرتم، بالنسبة لمن لم تتوفر له بعدُ فرصة النفير للجهاد.. نسأل الله تعالى أن يفتح علينا وعليكم.

لكن على الأخ المسلم أن يحذر من مفسدات هذا العمل ويتوقى ما في هذه المطالعات من ضرر وخطر؛ كأن تتحول هذه المطالعات إلى مجرد ترف وقضاء متعة مجردة، ويلتهي بها الإنسان عن العمل الواجب على الأرض، في واقعه وفي محله ودائرته.

وكالجدال والمراء بالباطل، أو كثرته مطلقًا، وكالابتلاء بسيء الأخلاق من خلال معاشرة زملاء في هذه المنتديات ليسوا على السوية في الأدب والأخلاق فيجاريهم الجديد والجاهل الضعيف ويتلقّن

منهم سوء الأدب وفساد الأخلاق..!!

وكالانشغال بما لا يفيد، أو بما يضر من المسائل والأبواب التي لا يتقنها الإنسان ولا ينبغي له أن يتكلم فيها، لكنه يتعلم من خلال الصحبة ومن خلال رؤيته الناس كلهم يتكلمون؛ يتعلم منهم ويقلدهم ويقول في نفسه: وأنا لستُ أقل من هؤلاء.!! ونحو ذلك.

والحاصل أن هذه المنتديات فيها خيرٌ كثير، بإزائه شر كثيرٌ أيضًا.

والموفق من وفقه الله تعالى، ومن أسباب التوفيق والهداية: الأدب وحسن الخلق والحياء والتواضع ومعرفة الإنسان بقدر نفسه، وإتيان الأمور من أبوابها، وتقوى الله تعالى والصدق والإخلاص، والافتقار إلى الله ﷻ وكثرة الدعاء والتوكل عليه ﷻ.

ولذلك: فعلى الأخ الذي يشارك في هذه المطالعات والحوارات «الانترنتية» أن يراعي جملة ما ذكرناه، **ويأخذ نفسه على الخصوص بالنصائح الآتية**:

- العضو الجديد لا بد أن يلتزم بالحياء وحسن الأدب، ويستشعر في مدته الأولى أنه ضيفٌ وأنه يجب أن يحترم مَن سبقوه من الأعضاء، ويحترم الإدارة المشرفة، ويحترم أهل العلم والفضل والسبق في الخير، فلا يجعل نفسه من أول يوم كالكلب الأحمر مع العُجُول!! فإنه إن فعل ذلك لم يبارَك له في دخوله واشتراكه، ولم يوضع له القبول، بل بضدّ ذلك ربما نال كره الناس وبغضهم، وربما جره ذلك إلى أخطاء في حقوق الفضلاء وغير ذلك.

- لا بد أن يعرف الإنسان أنه في هذه المنتديات كالسائر في عالم المجهول، فأكثر الناس أنت لا تعرفهم، ولو اطلعتَ على حقائقهم لوجدتَ فيهم الكبير الذي هو في عمر أبيك، والعالم الفاضل الذي يخفي نفسه، وطالب العلم المحترم المثابر، والعاقل الرزين المجرِّب، والمجاهد في ميادينه، وسائر أصحاب الدرجات العلمية والثقافية، كما فيهم أيضًا أضداد ذلك.! وفيهم مَن يغلب عقلُه قولَه، وفيهم عكس ذلك أيضًا.

من أجل ذلك لا بد من الحذر والاحتياط، يحتاط الإنسان لعرضه، ويحتاط لدينه، فلا يهجم على الناس بالكلام غير اللائق، ولا يسارع في الحكم على أحدٍ، ولا يسبّ ولا يشتم ولا يسفه، ولا يغلظ الكلام، بل يكون دائما متأدبًا مع جميع الناس المستورين، مع التسلح بقوة الحق والحجة والبرهان، وليفترض في معظم من يخاطبهم ويحاورهم أنهم قد يكونون خيرًا منه، وأكبر منه وأعرف منه..! فإذا التزم بذلك رجونا له التوفيق والبركة والسداد والنصر والتأييد من الله تعالى ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١٢٦﴾[آل عمران].

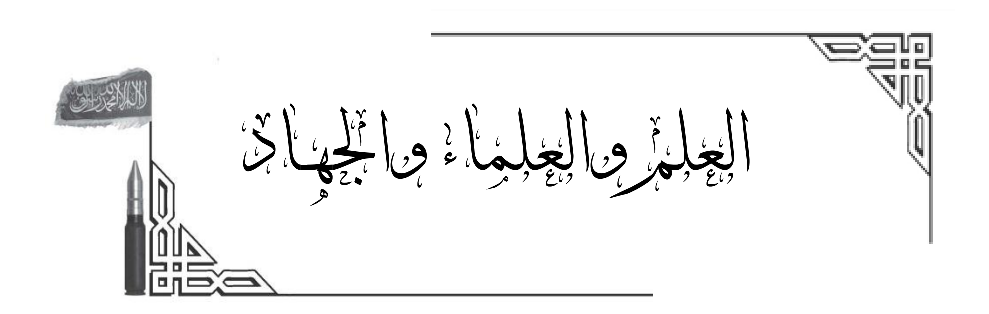


- وهكذا أيضًا العضو القديم لا يحتقر الجديد، ولا يغتر بقدمه ولا بشهرته، ولا بغير ذلك، بل يفترض في كل محاوريه ما ذكرناه؛ فيحتاط ولا يستعجل حتى يعرف الناس بطول المدة ومرور الزمن وكثرة المداولة، فإنه مع الزمن والتجربة لا يكاد يخفى ما في الناس مهما حاولوا الإخفاء..!!

- ولا بد أن يستشعر الجميع أنهم دعاة هدىً.. دعاة إلى الله، دعاة إلى الخير، وأن يجعل الإنسان همّه الأول أن يستفيد في دينه من الموعظة الحسنة ومن الفقه والعلم النافع والمعارف المحمودة المطلوبة، ثم أن يُفيد أيضًا بما يستطيع، بالكلمة والرأي والمشورة، نصرًا للمجاهدين، ونصرًا لأهل الإسلام، وللدين، ونشرا للعلم والخير.

أسأل الله تعالى لنا ولكم الهداية والعفو والمغفرة.. والله وليّ التوفيق.. وهو مولانا وناصرنا، نعم المولى ونعم النصير.. والحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.



العلم والعلماء والجهاد

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد].

قال علماؤنا رحمهم الله: «قيام هذا الدين بكتابٍ يهدي وسيف ينصر»[1].

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾[النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[التوبة].

---

(١) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في: مجموع الفتاوى (١٠ / ١٣)، (٢٠ / ٣٩٣).

〚العلاقة بين المجاهدين والعلماء، وحقيقة الفُرْقة الحاصلة بينهم، وبيان مسألة العافية والابتلاء، والكلام على فضل العلم وأهله، وذكر حقيقة علماء السلاطين، وأصناف العلماء〛

❁ لو نلاحظ يا شيخنا الفاضل في الفترة السابقة -وأخص فترة الثمانينات- كانت العلاقة بين علماء الأمة وشباب الصحوة علاقة وثيقة جدا، وكانت ثمارها على العمل الجهادي واضحة ونافعة ومباركة بفضل الله تعالى.. واليوم نرى الطواغيت وأعوانهم قد نجحوا في التفريق بين هذين القطبين وأنا أعتقد بأن هذا السبب هو من أقوى الأسباب التي قد تعرقل مسيرة العمل الجهادي..

الأمر الأول: نريد من فضيلتكم النصح في هذا الموضوع وتوجيه الشباب للالتفاف حول أهل العلم ومناصرتهم.

الأمر الثاني: نريد من فضيلتكم توضيح حقيقة علماء السلطان وكشف شبههم وغشهم.

[**السائل:** ولد الحسيبة١١]

الجواب.. ومن الله الكريم نستمدّ التوفيق إلى الصواب:

الحمد لله.. قبل الإجابة على «الأمرين» الذين ذكرتهما في سؤالك أخي الكريم، أعلق على مقدمتك؛ فأقول:

نعم لقد كانت العلاقة بين العلماء بصفة عامة وشباب الصحوة بصفة عامة أيضًا علاقة وثيقة وجيدة في العقود السابقة عمومًا والثمانينات على الخصوص كما أشرتم، وبالفعل كان أثر ذلك على العمل الجهادي جيدًا والحمد لله، على ما يظهر.!

هذا الكلام في الجملة صحيح مسلّم، وكانت تلك مرحلة طبيعية؛ لكن عند التحقيق لا بد أن نلاحظ شيئًا، وهو أن كل ذلك كان في حال العافية؛ فتلك المرحلة المشار إليها كانت في عمومها مرحلة «عافية» أي مرحلة ما قبل التمييز بالمحكات والامتحانات الكبرى.! وسنزيد هذا توضيحًا إن شاء الله، وقد قال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران]؛ فالحاصل أن تلك «العلاقة الوثيقة» بين الناس، وذلك الوئام، وتلك العافية، كانت تخفي وراءها الكثير من الخلافات والتناقضات الكبيرة والصغيرة، وهذه التناقضات لا تظهر إلا بالامتحانات والابتلاءات.

وعليه.. فليستْ تلك الحالة هي الحالة المثالية عندنا نحن المسلمين وفي مفهومنا، مع أننا نحب العافية، وأمرنا ربنا ﷻ بسؤال العافية، لكن العافية معنىً أعمّ من عدم الامتحان للأمة، فقد اقتضت حكمة الله تعالى وجرت سنته في خلقه بأن لا يترك الناس بدون امتحان وتمييز، وهو معنى آية آل عمـــــران[1]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت].

والحاصل أن تلك ليست هي الحالة المرضية بالضرورة، مع أنها حالة عافية؛ وإن شئتَ فقل: تجاذبها أمران متغايران: الأول محبوبٌ وهو العافية والراحة وما في ضمن ذلك من انعدام المشاكل أو قلتها وقلة العداواة والخصومة، والثاني غير محبوبٍ لله تعالى ولا لعباده المؤمنين وهو اختلاط الصفوف وانطواؤها على الدخن.!

أضف إلى ذلك ما في ضمن المحنة والامتحان والابتلاء من الحكمة البالغة والمقاصد المحبوبة لله تعالى من تميّز المؤمنين وتمحيصهم ورفع شأنهم وتبويئهم الدرجات العلا، وغير ذلك.. فجرت سنته ﷻ بأن لا تبقى هذه الحالة مستمرة، بل لا بد من أن تأتي الامتحانات والمحكات والفتن والابتلاءات فتمحّص الصفوف وتميّز بين الناس؛ وتَميزَ الخبيث من الطيب.. هذا لا بد من فهمه وتدبّره..

فإذا اتضح هذا، فأقول: إن الاختلاف والتفرّق والتمايز الذي حصل بين الناس وطوائفهم، ولا سيما في طوائف العلماء والدعاة والمجاهدين، وبين الكثير من العلماء وبين المجاهدين، هو تمايزٌ جارٍ على هذه السُّنَّة في الأعم الأغلب، فهو إذن محمودٌ من هذا الوجه، مع أنه غيرُ محمودٍ بل مؤسف ومحزن من جهة كونه مظهرًا لفساد البعض وضلالهم من هذه الطائفة أو تلك.!

لكننا بالجملة نوقن أن ذلك من الابتلاء والامتحان، فنعتصم بالله ﷻ وما آتانا من العلم والفقه والنور والهدى لكي نبصر الطريق في هذه الفتنة، هذا هو الواجب.

وبناء عليه نقول توضيحًا:

إن الخلاف والانفصام بين طائفتي العلماء والمجاهدين واقعٌ على نحوين:

النحو الأول: بحقٍ؛ فهو تفرّق على الدين، الناجح فيه ناجح مفلح، والخاسر فيه خاسر.

والنحو الثاني: بباطل، وهو التفرق لا على الدين الحق، بل على حظوظ النفوس وعلى وجه الخصومات البشرية المذمومة التي سببها هوىً أو طلب علوّ ونحو ذلك، وهذه إثمها على أصحابها

(١) يعني قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾.



أيضًا.. والله المستعان.

ولذلك فقولك أخي الكريم: «واليوم نرى الطواغيت وأعوانهم قد نجحوا في التفريق بين هذين القطبين» ليس دقيقا..

نعم؛ الطواغيت يعملون ليل نهار على تفريق صفوف المؤمنين والتفريق بينهم وبثّ الفتنة في وسطهم، هذا من صميم عمل الطواغيت والشياطين.

لكنهم ما كان لهم أن ينجحوا في ذلك إلا أن يعينهم الإنسان على نفسه، ويُوجد منه المحلُّ القابل لحصول أثر كيدهم ومكرهم، كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[النحل]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[الحجر]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران].

بل نقول: إن التفرق بين الطائفتين أغلبه واقع بسبب افتراق الناس بسبب الامتحانات والابتلاءات، فتفرّق الناس بين مؤمن صابر ثابتٍ على الدين الحق، وبين منافق يتخذ من الدين ستارًا لفساد باطنه وعبادة شهواته، أو فاجر قد اتضح فجوره وظهر للناس فساده الذي كان مستورًا، أو ضعيف الإيمان قليل الصبر لم يثبت بل سقط وانحدر في مهاوي الذلة..!! نسأل الله الستر والعافية..

وهذا واقعٌ في الطائفتين معًا، لا يظنّن أحدٌ أنه في طائفة دون الأخرى؛ فكم قد رأينا ممن تسمى بالعلم وتزيّا بزيّ أهل الفضل زمانًا ثم لما جاءت الابتلاءات سقط..! وكم قد رأينا ورأى الناس مَن كان يدعى مجاهدًا ويعدّ من جملة الأبطال زمانًا ثم لما جاءت الابتلاءات والامتحانات سقط..! والأمثلة لا تعوزكم في كلا الجانبين.

ونسأل الله ﷻ لنا ولكم التثبيت والتوفيق والإعانة، والسلامة من كل إثم.. آمين.

ثم قولك: «وأنا أعتقد بأن هذا السبب هو من أقوى الأسباب التي قد تعرقل مسيرة العمل الجهادي».. أقول: ينبغي أن نعتقد الحق دائمًا، ونبحث عن الحق بدلائله التي نصبها الله ﷻ عليه في شرعه وقدره؛ فإذا ظهر لنا اعتقدناه وتمسكنا به.

وكون هذا التفرق والانفصام الواقع بين الكثير من «العلماء» وبين «المجاهدين» هو من الأسباب التي تعرقل مسيرة العمل الجهادي، نظن أن هذا صحيح فعلا..! والله المستعان.

ولكن لا بد أن يفهم على ضوء الكلام السابق في أسباب تفرّق الناس.

ثم لا بد من التوجه بعد ذلك إلى العمل، والعمل هنا هو: السعي لإصلاح أنفسنا أولًا، ثم دعوة الآخرين وإصلاحهم، ثم السعي للتأليف بين طوائف المؤمنين وجمع كلمتهم وتوحيد صفهم، ثم التعامل مع من نازعنا وخالفنا على وَفق ما أمرنا ربنا ﷻ.

فإذا عملنا في كل ذلك بما يرضي الله تعالى، وجاهدنا في هذا حق الجهاد، وعلِم اللهُ منا الصدق والإخلاص؛ فإن الله يفتح علينا وينصرنا، ولا يضرنا بعد ذلك خلاف مخالفٍ ولا نزاعُ منازعٍ.!

ونأتي للجواب على الأمرين في سؤالك:

«**الأمر الاول: نريد من فضيلتكم النصح في هذا الموضوع وتوجيه الشباب للالتفاف حول أهل العلم ومناصرتهم**» أظن أن قدرًا من النصح والتوجيه قد حصلَ فيما تقدم، ولله الحمد.

وأما توجيه الشباب للالتفات حول أهل العلم ومناصرتهم، فلا شك أنه معنىً صحيح، نأمُرُ به وننصح، لكن على المعنى المرضي عند الله تعالى وفي شرعه لاسم «أهل العلم».

فنحن عندما نأمر الشباب وننصحهم ونوجههم ونربّيهم على الالتفاف حول العلماء والرجوع إليهم والاستماع لهم وطاعتهم إنما نقصد -بالضرورة وبلا شك- أهل العلم الموصوفين بذلك في القرآن والسنة، الممدوحين في القرآن وعلى لسان نبينا ﷺ، والمجعولين من خيار هذه الأمة وأشرفها مقامًا ومنزلةً، وهم أهل العلم الذين قال الله فيهم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف]، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر]، وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر]، وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج]، وقال ﷻ في سورة القصص: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ

ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص].. وغير ذلك كثير في القرآن.

ومن السنة من الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين وخيار الأمة وصالحيها شيء لا يحصى في مدح العلم وأهله والحث على طلبه وبيان شرفه في الدنيا والآخرة وأنه أصل خيري الدنيا والآخرة وسبب السعادة في الدارين؛ عن معاوية رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **(من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)** متفق عليه[(١)]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)** رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي[(٢)]، وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: **(ليس من أمتي من لم يُجِلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه)** رواه أحمد والطبراني في «الكبير» وإسناده حسن؛ قاله الهيثمي في المجمع[(٣)].

ويكفي للإنسان أن يراجع بعض أبواب فضل العالم والمتعلم وفضل طلب العلم والحث عليه والترغيب في ذلك، في كتب الحديث وغيرها والكتب التي وضعها العلماء لذلك خصوصًا، وهو شيء

(١) صحيح البخاري (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢)، صحيح مسلم (١٠٣٧).

(٢) سنن أبي داود (٣٦٤١)، سنن الترمذي (٢٦٤٦)، سنن ابن ماجه (٢٢٥)، وصححه الألباني، صحيح ابن حبان (٨٨)، السنن الكبرى للبيهقي (١٣١٠).

(٣) مسند أحمد (٢٢٧٥٥)، المعجم الكبير (١٢٢٧٦) بلفظ: (.. ويعرف لنا حقنا)، مجمع الزوائد (١ / ١٢٧)، وقال الألباني في: صحيح الجامع (٥٤٤٣): حسن.

لا يحصى كثرة.

ولا شك أن هؤلاء العلماء الصالحين الممدوحين عند الله تعالى المفضّلين المشرفين هم المأمور بسؤالهم في قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل] وهم أولو الأمر على التحقيق كما حققه جماعة من علمائنا ﷺ المقصودون في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: ٥٩]؛ لأن أولي الأمر هم ذووه وأصحابه، والأمر: الشأن، والمقصود مَن يرجع إليهم تقرير أمور الناس والفصل فيها، وهم طائفتان: العلماء والأمراء، وعند التحقيق هو راجع إلى العلماء لأن الأمراء تبعٌ لهم وعالة عليهم.

قال القاضي أبو بكر بن العربي ﷺ عند آية النساء: «الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فِيهَا قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: هُمْ أَصْحَابُ السرايَا، وَرُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْبُخَارِيِّ، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ، إذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي سريَّةٍ. الثَّانِي: قَالَ جَابِرٌ: هُمْ الْعُلَمَاءُ، وَبِهِ قَالَ أَكْثَرُ التَّابِعِين، واخْتَارَهُ مَالِكٌ؛ قَالَ مُطَرِّفٌ وَابْنُ مَسْلَمَةَ: سَمِعْنَا مَالِكًا يَقُولُ: هُمْ الْعُلَمَاءُ. وَقَالَ خَالِدُ بْنُ نَزَارٍ: وَقَفْت عَلَى مَالِكٍ؛ فَقُلْت: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا ترَى فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟ قَالَ: وَكَانَ مُحْتَبِيًا فَحَلَّ حَبْوَتَهُ، وَكَانَ عِنْدَهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَفَتَحَ عَينَيْهِ فِي وَجْهِي، وَعَلِمْت مَا أَرَادَ، وَإِنَّمَا عَنَى أَهْلَ الْعِلْمِ، وَاخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ وَاحْتَجَّ لَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: (**مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي**) الْحَدِيثَ[1]، وَالصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّهُمْ الْأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ جَمِيعًا، أَمَّا الْأُمَرَاءُ فَلِأَنَّ أَصْلَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَالْحُكْمَ إلَيْهِمْ، وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَلِأَنَّ سُؤَالَهُمْ وَاجِبٌ مُتَعَيِن عَلَى الْخَلْقِ، وَجَوَابُهُمْ لَازِمٌ، وَامْتِثَالُ فَتْوَاهُمْ وَاجِبٌ، يَدْخُلُ فِيهِ الزَّوْجُ لِلزَّوْجَةِ، لا سيما وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ حَاكِمٌ، وَقَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[المائدة: ٤٤]؛ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَاكِمٌ وَالرَّبَّانِيَّ حَاكِمٌ، وَالْحَبْرَ حَاكِمٌ، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ يَرْجِعُ إلَى الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَفْضى إلَى الْجُهَّالِ، وَتَعَيَّن عَلَيْهِمْ سُؤَالُ الْعُلَمَاءِ، وَلِذَلِكَ نَظَرَ مَالِكٌ إلَى خَالِدِ بْنِ نَزَارٍ نَظْرَةً مُنْكَرَةً، كَأَنَّهُ يُشيرُ بها إلَى أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ وَقَفَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَزَالَ عَنْ الْأُمَرَاءِ لِجَهْلِهِمْ وَاعْتِدَائِهِمْ، وَالْعَادِلُ مِنْهُمْ مُفْتَقِرٌ إلَى الْعَالِمِ كَافْتِقَارِ الْجَاهِلِ»[2] اهـ.

وقال الطاهر بن عاشور ﷺ في التحرير والتنوير: «قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ يعني ذويه وهم أصحاب

---

(١) صحيح البخاري (٧١٣٧)، صحيح مسلم (١٨٣٥).

(٢) أحكام القرآن (١ / ٥٧٤).



الأمر والمتولون له، والأمر هو الشأن، أي ما يهتم به من الأحوال والشؤون، فأولو الأمر من الأمة ومن القوم هم الذين يُسند الناسُ إليهم تدبير شؤونهم ويعتمدون في ذلك عليهم، فيصير الأمر كأنه من خصائصهم، فلذلك يقال لهم: ذوو الأمر وأولو الأمر، ويقال في ضد ذلك: ليس له من الأمر شيءٌ، ولما أمر الله بطاعة أولي الأمر علمنا أن أولي الأمر في نظر الشريعة طائفة معينة، وهم قدوة الأمة وأمناؤها، فعلمنا أن تلك الصفة تثبت لهم بطرق شرعية، إذ أمور الإسلام لا تخرج عن الدائرة الشرعية، وطريق ثبوت هذه الصفة لهم إما الولاية المسندة إليهم من الخليفة ونحوه، أو من جماعات المسلمين إذا لم يكن لهم سلطان، وإما صفات الكمال التي تجعلهم محل اقتداء الأمة بهم وهي الإسلام والعلم والعدالة، فأهل العلم العدول: من أولي الأمر لأن صفة العلم لا تحتاج إلى ولاية، بل هي صفة قائمة بأربابها الذين اشتهروا بين الأمة بها، لما جرب من علمهم واتقائهم في الفتوى والتعليم، قال مالك: أولوا الأمر: أهل القرآن والعلم يعني أهل العلم بالقرآن والاجتهاد؛ فأولوا الأمر هنا هم من عدا الرسول من الخليفة إلى والي الحسبة، ومن قواد الجيوش ومن فقهاء الصحابة والمجتهدين إلى أهل العلم في الأزمنة المتأخرة، وأولوا الأمر هم الذين يطلق عليهم أيضا أهل الحل والعقد»[1] اهـ.

فشأن العلماء في الأمة شأن عظيم، وهم في الحقيقة قادتها؛ لأنهم ورثة الأنبياء ومعلّمو الخلق الخير، وبهم صلاح الأمة، وإذا فسدوا أيضا فبفسادهم تفسد الأمة.! نسأل الله تعالى أن يمنّ على أمة محمدٍ ﷺ بالصلاح والتوفيق والنصر والرفعة.

ثم لأننا نعيش في زمان فتنة وانحطاط وفساد كبير، وهذا حظنا وقَسْمنا والحمد لله، ونسأل الله أن يعيننا وينجّينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولأن الفساد في طبقة العلماء قد بلغ حدودًا كبيرة، كما في سائر طبقات الأمة أيضًا، وفي عمومها؛ فإننا لا بد أن نبين دائما هذا التفصيل وهذا التقسيم لشبابنا، ونوضح لهم مَن هم العلماء الذين نأمرهم بالالتفاف حولهم والاستماع إليهم ومشاورتهم وتقديمهم وطاعتهم واتباعهم، كما نشرح لهم حدود هذه الطاعة والاتباع.

ونحتاج في كثير من الأحيان أن نسمّي الناس بأسمائهم، ولا نكتفي بالصفات العامة، نصحًا لشبابنا وتبيينا للحق وتعريفا بأهله القائمين به، وحذرًا من التلبيس والتضليل، ومجاهدة لأهل الباطل، ودفعا لفسادهم.. فنذكر الصالحين بأسمائهم ونشيد بهم وننوه، وننصح باحترامهم والسماع لهم واتباعهم وسؤالهم والرجوع إليهم والصدور عن مشورتهم، ونذكر الساقطين الفاسدين، علماء السوء، علماء

---

(١) التحرير والتنوير (٥ / ٩٨).

الدنيا، علماء السلطان، علماء الدرهم والدينار، بأسمائهم ونُعَيِّنُهم ونبين شرهم وفسادهم ونحذر منهم وننهى عن سؤالهم ومشاورتهم أو السماع لهم..!

فنحن -مثلا- لا نأمر شباب الإسلام بالالتفاف حول عالمٍ من علماء بلاط السلاطين المرتدين ممن يزين للحكام الكفرة الظلمة الفجرة بعض باطلهم، ويمدّهم بالشرعية في أعين الجماهير، ويسوّغ أفعالهم وولايتهم ويعبّد الناسَ لهم، ويدعوهم إلى طاعتهم.. الخ، ولا نأمُر شبابَ الإسلام بالالتفاف حول عالمٍ يدعو الشعوب المسلمة إلى الالتفافِ حول حكامها المرتدين الخونة قاتلهم الله..!! لا والله، لا نفعل ذلك، وإلا كنا خنا أمانة الله تعالى، والعياذ بالله.. نسأل الله العافية والسلامة؛ بل مثل هؤلاء نكشف سوءتهم ونعرّي باطلهم ونبين ضلالهم وفسادهم ونحذر منهم، ونجاهدهم.

وستعرض لنا في هذا الصدد نماذج لا تعدّ ولا تحصى، ودرجات لا تنحصر من أصناف الناس، فنحن نتحرّى في كل ذلك الحقَ في أحكامنا، ونسعى جاهدين ألا نظلم أحدًا، ونوازن بين الحسنات والسيئات، ونجتهد في إعطاء كل أحدٍ حقه.. وقد تقع لنا كما لأي أحدٍ أخطاء في أفراد ذلك، والتوفيق بيد الله تعالى وحده، نسأله ﷻ من فضله.

«**الأمر الثاني: نريد من فضيلتكم توضيح حقيقة علماء السلطان وكشف شبههم وغشهم**» فأما كشف شبههم وغشّهم فهذا يطول وليس لأفراده انتهاء في علم البشر..! وإنما تُكشَف كل شبهة ويبين كل غشّ وتلبيس وتدليس في موضعه، بالحجة والبرهان من الكتاب والسنة؛ فيكون الأمر كما قال الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنبياء]، وقال: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء].

وأما توضيح حقيقة علماء السلطان هؤلاء، وبيان صفاتهم: فاعلم أيها الأخ الكريم، أنه ليس بعد بيان الله تعالى ورسوله ﷺ بيانٌ.! فقد كشف الله ﷻ سترهم في كتابه العزيز وفضح عوارهم، وجلّاهم لنا كأنا رأي عين..

وسنذكر هنا نبذة من ذلك، وبالله التوفيق..

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[التوبة]، في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى لعباده المؤمنين أن كثيرًا من الأحبار وهم العلماء، والرهبان وهم العُباد يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله، تحذيرًا منهم

وتنبيها على التحرّي فيهم حيث اقتضى الحالُ التحرّي.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[آل عمران]، ولا يقال إن هذه الآيات -وأشباهها في كتاب الله- المراد بها أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ فإن هذا تقليل لفائدتها أو تعطيلٌ لها، ولأن الخطاب للذين آمنوا كما هو نصّ صدر الآية الأولى، فالمقصود أن يعرفوا أن بعض أهل العلم والعبادة فاسدون يبيعون دينهم بالدنيا، فيحذروهم، فإن الله لم يخاطبنا بذلك لمجرد أن نعرف أن علماء اليهود وعباد النصارى يفعلون ذلك، مجرد معرفة تاريخية لا ينبني عليها عملٌ، هذا لا يقوله أحدٌ من أهل العلم، بل قصّ علينا قصصهم لنعتبر ونتعظ، فنجتنب ما ارتكبوه من المعاصي والآثام وما عابه الله عليهم وذمهم بسببه، كما قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[الأعراف]، ولهذا أنكر حذيفة ﷺ عمّن قال في آيات المائدة: إن قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، في أهل الكتاب، وقال: «نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل؛ إن كانت لكم كل حلوة ولهم كل مُرّة» رواه ابن جرير عنه بإسناد صحيح[1].

ولأن علماء الإسلام هم أولى مَن يدخل في قوله ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فإنهم أوتوا أعظم كتاب؛ قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ الآية.. «قال السدي: «الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى»، وهو كما قال؛ فإن الأحبار هم علماء اليهود كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٣] والرهبان عباد النصارى، والقسيسون علماؤهم كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ [المائدة: ٨٢] والمقصودُ: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال، كما قال سفيان بن عيينة: «مَن فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومَن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى»[2]، وفي الحديث الصحيح: **(لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة)** قالوا: اليهود والنصارى قال: **(فمن؟)** وفي رواية: **(فارس والروم؟)** وفي

(١) جامع البيان للطبري (١٠ / ٣٤٨)، وقال محققه أحمد شاكر: «رواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي»، وللأثر تتمة: «كلا، والذي نفسي بيده، حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة».

(٢) لم أقف عليه مسندا، لكن استدل به كثيرا شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في: الفتاوى الكبرى (٢/ ١٤٢)، قاعدة جليلة (ص ٨٢).

رواية: (**فمن الناس إلا هؤلاء**)[١]، والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرفٌ، ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجيءُ إليهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات؛ فأطفأها الله بنور النبوة وسلبهم إياها وعوضهم الذل والصغار وباءوا بغضب من الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناسَ عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون، بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ الآية.. هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس، فإن الناس عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوالُ هؤلاء فسدت أحوال الناس، كما قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوء ورهبانها؟» اهـ[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]؛ فالله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يتلو علينا نبأ هذا الرجل مِن بني إسرائيل الذي آتاه الله آياته وعلمه العلم حتى ورد أنه كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى، وهيأه الله للرفعة والشرف بهذا العلم، لكنه لم يشكر نعمة الله ولم يؤد حق العلم ولم يقم بما أمره الله به، بل انسلخ من رداء العلم، واختار الخلود إلى الأرض والانحطاط والسفول واتبع هواه وجرى وراء شهواته وسلك سبيل الغواية، فأغضب الله تعالى عليه وأسخطه، واستحق عذابه الأليم، وأخزاه الله في الدنيا والآخرة، وجعله الله تعالى عبرة للناس إلى يوم القيامة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون**

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠)، صحيح مسلم (٢٦٦٩)، مسند أحمد (٨٤٣٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ / ١٣٧، ١٣٨).

برأيهم فيضلون ويضلون) متفق عليه، وفي لفظ: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسًا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)**[١]، وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ: **(أن النبي ﷺ كان يستعيذ بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها)**[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجامٍ من نار)** رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم[٣]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من تعلم علمًا مما يُبتغَى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة، يعني ريحها)** رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم[٤].

وانظر «الترغيب والترهيب للمنذري»، أبواب «الترهيب من كتم العلم»[٥] وغيرها من الأبواب المقاربة، وانظر في الآثار الواردة عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين في شأن علماء السوء وخطرهم..

وفي فتنة العلماء بالدخول على السلاطين الكتب التالية على سبيل المثال:

- رسالة «السيوطي» المسمّاة: «ما رواه الأساطين في فتنة من أتى أبواب السلاطين»[٦]؛ فقد جمع فيها كل شيء تقريبا في هذا الباب، على أن أكثر ما ورد من ذلك من الأحاديث المرفوعة لا يصحّ، وإنما صح مرفوعًا حديث أو حديثان فيهما التصريح بالتحذير من إتيان السلاطين؛ والذي صح هو حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن)** رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن[٧]، وحديث أبي

---

(١) لفظ الحديث الأول في: صحيح البخاري (٧٣٠٧)، والرواية الثانية في: صحيح مسلم (٢٦٧٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٢٢).

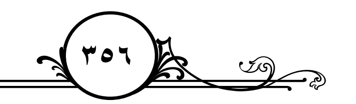
(٣) سنن أبي داود (٣٦٥٨)، سنن الترمذي (٢٦٤٩)، سنن ابن ماجه (٢٦٦) وصححه الألباني، مسند أحمد (٧٥٧١) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) سنن أبي داود (٣٦٦٤)، سنن ابن ماجه (٢٥٢) وصححه الألباني، صحيح ابن حبان (٧٨)، مستدرك الحاكم (٢٨٨) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ سَنَدُهُ، ثِقَاتٌ رُوَاتُهُ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، قال الذهبي في «التعليق»: «على شرطهما».

(٥) الترغيب والترهيب (١ / ٧٠ – ٧٢) وساق فيه ثمانية أحاديث.

(٦) ألَّف السيوطي (ت ٩١١) هذه الرسالة، وضمنها قرابة ٢٥ بابًا مختلفًا تخدم عنوانها، احتوت على أحاديث وآثار وأشعار وقصص؛ فوقف ﷺ في هذا الكتاب ناصحًا لأهل العلم بأن يصونوا علمهم عن أبواب السلاطين، ولا يشتروا الحياة الدنيا بالآخرة.

(٧) سنن أبي داود (٢٨٥٩)، سنن الترمذي (٢٢٥٦)، سنن النسائي (٤٣٠٩) وصححه الألباني.



هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن بدا جفا، ومن تبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتَتَن، وما ازداد عبدٌ من السلطان قربًا إلا ازداد من الله بُعدًا)** رواه أحمد بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح؛ كذا في الترغيب والترهيب، وصححهما الشيخ الألباني وغيره من العلماء(١).

فائدة: (افتَتَنَ) بالبناء للفاعل على الصحيح.

- وكتاب: «جامع بيان العلم وفضله» للحافظ «ابن عبد البر»؛ الأبواب الآتية: باب ما روي في قبض العلم وذهاب العلماء، باب حال العلم إذا كان عند الفساق والأرذال، باب ذكر استعاذة رسول الله ﷺ من علم لا ينفع وسؤاله العلم النافع، باب ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم، باب ذم الفاجر من العلماء وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا(٢).

تنبيه مهم: قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في الكتاب المذكور: «معنى هذا الباب كله في السلطان الجائر الفاسق، فأما العدل منهم الفاضل فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر، ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز إنما كان يصحبه جلة العلماء مثل عروة بن الزبير وطبقته وابن شهاب وطبقته، وقد كان ابن شهاب يدخل إلى السلطان عبد الملك وبنيه بعده، وكان ممن يدخل إلى السلطان: الشعبيُّ وقبيصة وابن ذؤيب ورجاء بن حيوة الكندي وأبو المقدام وكان فاضلا عالما والحسنُ وأبو الزناد ومالك بن أنس والأوزاعي والشافعي وجماعة يطول ذكرهم، وإذا حضر العالمُ عند السلطان غِبًّا فيما فيه الحاجة وقال خيرا ونطق بعلم كان حسنا وكان في ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه، ولكنها مجالسُ الفتنةُ فيها أغلبُ، والسلامة منها تركُ ما فيها»(٣) اهـ.

وهذا تفصيل جيد مهم فليتنبّه له، وفي هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

ومن مجمل ما ورد في علماء السوء ومما بينه علماؤنا نستطيع أن نحدد أهم صفاتهم، فنقول:

- إذا رأيت العالم يغشى أبواب السلاطين الفجرة، بلهَ الكفرة، ويتردد عليهم ويصاحبهم؛ فاحذره حذرًا شديدًا، فإذا رأيته يكثر من ذلك ويقبل عطاياهم ومننهم ويتقرب إليهم ويحرص على ذلك فاهرب منه واطّرحه، فإذا رأيته مع ذلك يسكت على فسادهم ومنكراتهم المتعددة ويداهنهم ويثني عليهم ويخفي سواءتهم ويمدحهم فكبّر عليه أربعًا أو خمسًا، فإن رأيته مع ذلك يسوّغ منكرهم ويحامي

---

(١) مسند أحمد (٨٨٣٦، ٩٦٨٣) قال الأرنؤوط: حديث ضعيف للاضطراب الذي وقع في إسناده، لكن قال الألباني في: السلسلة الصحيحة (١٢٧٢): «إسناده حسن».

(٢) ينظر المواضع التالية: (١ / ٥٨٥)، (١ / ٦١٠)، (١ / ٦٢٢)، (١ / ٦٣١)، (١ / ٦٤٨).

(٣) الجامع في بيان العلم وفضله (١ / ٦٤١، ٦٤٢).



عن باطلهم الواضح، فهذا العالم الفاجر الفاسق والمفتي الماجن، فاتخذه عدوًا، وهذا عالم السلطان، وربما كان كافرًا إن أتى ما يستوجب الكفرَ، كما سنفصل في هذا فيما يأتي إن شاء الله.

- وإذا رأيت العالم يتقرب إلى أهل الدنيا والأغنياء المترفين ويستكثر من الأموال وسائر العطايا والمزايا منهم، ويخالطهم، ويتساهل في الفتوى لهم بالتحليل والتسويغ، ويسكت على باطلهم وفسوقهم فكذلك..! فهذا عالم دنيا لا عالم دين ولا آخرة.

- وإذا رأيت العالمَ يحرص جدًا على «الجمهور» أي أن ينال رضا الجمهور ويحافظ على الشهرة والمكانة الاجتماعية المرموقة التي نالها بينهم، فانتبه واحذر منه وابتعد عنه، لكن لا تتسرع أيضًا في الحكم عليه، حتى يتبين حاله أكثر، فإن رأيته مع ذلك يتتبع الرخص ويفتي بها لهم، ويميل حيث مال الجمهور في محكات الابتلاء، ولا يصدع بالحق في مواطنه البينة الواضحة بل يسايس ويلاطف ويضاحك ويلاين ويدّعي الحكمة، ولم يتمعّر وجهه في سبيل الله يومًا.. فهو عالم عامّةٍ لا عالم دين ولا آخرة..! فاطرحه ولا تأخذ عنه دينك فإنه قاطع طريق بلا شك.!!

- وإذا رأيت العالمَ يعارض النصوص الواضحة في الكتاب والسنة برأيه واستحسانه زعمَ، أو يطرح نصوص الكتاب والسنة ولا يلتفت إليها ولا يستعملها لمعرفة الحق والحكم في المسائل، ولا يجعل تعويله عليها، بل على النظر العقلي المجرد والفلسفات والأفكار والمقايسات العقلية، ولا سيما إن كان مع ذلك معجبًا بالغرب أو الشرق، مكثرًا من الاستفادة منهم والثناء عليهم، فاعلم أنه متفلسِف مفتونٌ ضالٌ، لا عالم دين ولا آخرة..! فاحذره أشد الحذر ولا تسمع له شيئا، بل أغلق أذنيك إن استطعت حيث مررت به.!

فهذه هي أهم أقسامهم، وهي باختصار:

- عالم دين وآخرة، مؤمن تقي صالح مسدد مجاهد في سبيل الله آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر بحسب وسعه، ناصح للأمة مباعدٌ لمواطن الشر والفتنة والريبة ولأهلها، محبّ للضعفاء والمساكين والمكروبين من المؤمنين مناصر لهم.

- عالم سلطان..

- عالم دنيا ومالٍ وشهوات كرشه ومقتنياته وراحته وجولاته..

- عالم عامّة وجمهور..

- عالمٌ مفتونٌ برأيه وعقله وبأفكار المخلوقين.

وأهم صفات علماء السوء جميعا أنهم يدخلون مداخل الفتنة ولا يبالون بدينهم، ويبيعون دينهم

بعرض من الدنيا قليل إذا اقتضى الأمر، وقل ما ترى الواحد منهم متمعّرا وجهه في سبيل الله، أو آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، وتراهم بعكس ذلك مرضيين حظيّين عند السلاطين الفجرة وعند أهل الدنيا والمترفين، بل ربما عند أعداء الإسلام الواضحين المجمع عليهم، وترى أهل الفساد والمُجون يثنون عليهم ويرضونهم، وتراهم مباعدين للمجاهدين في سبيل الله تعالى، فإذا ناصروا جهادًا يوما ما فإنما هو جهاد العافية!! وإنما يتحرّكون في الضوء الأخضر الممنوح من السلطان.!! نسأل الله ﷻ أن يكفينا والمسلمين شرهم.. آمين.

❃ ❃ ❃

〚ما المانع من تكفير العلماء المفتين للحكام المرتدين، ويشرعون لهم كفرهم؟ وهل هؤلاء العلماء منافقون نفاق عمل أم اعتقاد؟، وإيضاح قاعدة: «من لم يكفر الكافر فهو كافر»〛

❁ شيخنا الكريم: تعقيباً على الحكم الصادر بحقّ الحكّام الحاكمين بغير ما أنزل الله والموالين لليهود والنصارى؛ فإن كان حكمهم الكفر، فما الذي يمنع من تكفير المشايخ الذين ينافقون لهم ويزعمون أنهم مسلمين وأمراء شرعيين.. مع العلم أني على رأي مَن قال إن العلماء «منافقونَ نفاق عمل» وليسوا كافرين، ولا أظن أحداً قد قال غير هذا.. ولكن حين يُقال أن الحكّام هم الذين يُشرعون ويُوالون، يبرز التساؤل أنَّ: العلماء هم الذين ييسرون لهم هذا ويبرّرونه..؟! فما هي الأسباب التي دعَت إلى إطلاق الحكم على الحكّام، وما هي الصوارف التي صرفت الحكم عن العلماء..؟

[السائل: أبا لجين**]**

الجواب:

أنت تعلم يا أخي الكريم أن التكفير حكمٌ شرعيٌّ كسائر أحكام الشريعة، يُتلَقّى عن الشريعة ويثبت بالدليل من الكتاب والسنة.

فإذا ثبت كون العمل –ويدخل في قولنا «العمل»: القول أو الاعتقاد– كفرًا، فإننا يجب أن نعتقد أنه كفرٌ ونحكم بذلك ونقول إن العمل الفلاني كفرٌ، إلى آخر ما يلزمنا من البراءة منه.. ويكون هذا العمل سببًا للحكم على صاحبه (العامل) بالكفر.

وجاءت الشريعة بإطلاق القول بأن: من فعل كذا فهو كافر، فنحن تبعًا للشريعة نطلق القول بأن مَن فعل العمل الفلاني (الذي هو كفرٌ) كافرٌ.



ثم الشخص المعين (زيد، أو عمرو، أو بكر.. الخ) الذي وقع منه هذا العمل الذي هو كفرٌ هل نكفّره بمجرد وقوع الفعل الكفري (سبب التكفير) منه، أو أن هذا يتوقف على شرطٍ؟ الجواب: نعم، ذلك يتوقف على شرط.. أي أن تكفير الشخص المعين الذي وقع منه العمل الذي هو كفرٌ، لا نكفره بمجرد ذلك، بل حتى يوجَد شرطُ التكفير.

حسنا.. فما هو شرط الحكم على المعين بالكفر إذا ارتكب العمل المكفّر؟

الجواب: هذه هي التي نسمّيها شروط التكفير، وخلاصتها: توفر أشياء معينة -تسمى شروطًا- وتنتفي أي تنعدم في الشخص أشياء معينة -تسمّى موانع-(١).

فتلخّص عندنا أن الشخص المعين الذي وقع منه العمل الذي هو كفرٌ، لا نحكم بأنه كافرٌ خارج من ملة الإسلام إلا إذا توفرت شروط معينة وانعدمتْ موانع ذلك.

ما هي هذه الشروط وتلك الموانع؟ هذا يُعرَف في بابه، وإنما مرادنا هنا تفهيم أصل المسألة توطئة للجواب على السؤال، ولا نريد التطويل بتحرير هذه المباحث.. فهذه هي القاعدة العامة.

فيبقى أن يقال: هناك من الأعمال التي هي كفرٌ ما لا يُسأل عن توفر شروط وانتفاء موانع في حق الشخص المعين المرتكب لها لكي نحكم عليه بالكفر، لا لِانخِرَام هذه القاعدة، بل للعلم بتوفر الشروط وانتفاء الموانع في حقه.

مثال: شخص مسلمٌ سويٌّ نعرفه في كامل قواه العادية غير متعرض لإكراه من جهة كافرة ظالمة تضطره لهذا الفعل، رأيناه وسمعناه يسب الله تعالى ويسب الأنبياء والدين والشريعة، ويهزأ به، نحكم بكفره وخروجه من الملة مباشرة بدون توقف، لماذا؟ للعلم بتوفر الشروط وانتفاء الموانع في حق مثله، بدليل أننا لو علمنا أنه مجنونٌ مثلا، فإننا لا نكفره (لعدم وجود شرط العقل حينئذ، ووجود ضده وهو مانع الجنون)، ولو كان سكرانًا فإن تكفيره هو محل خلاف بين الفقهاء، وهكذا قس على هذا.

والآن نأتي للجواب على السؤال؛ **فنحن عندنا مسألتان:**

المسألة الأولى: مسألة الحكام اليوم الذين يحكمون بالياسق العصري، وينبذون الشريعة، ويوالون الكفار من الصليبيين وغيرهم، ويحاربون الدين محاربة على جميع الأصعدة لا يمكن أن تكون إلا كفرًا

---

(١) **انظر في شروط التكفير وموانعه وأحكامه من كتب المعاصرين**: الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (الفصل الثاني)، إتحاف البررة بموانع التكفير المعتبرة، الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (الفصل الثالث من الباب الأول)، المقال (٤٧) من سلسلة «بين منهجين» وفيه: (متى تعتبر المقاصد في الأفعال المكفرة؟)، هشيم التراجعات (الفصل الثالث من الباب الثالث) وفي هذا الفصل فوائد مهمة جدا، ضوابط تكفير المعين؛ للشيخ ناصر الفهد، موانع التكفير؛ لعلي الخضير، قواعد في التكفير؛ لأبي بصير الطرطوسي.

وليست مجرد فسوق، وقد يوجد في بعضهم أنواع خاصة من أسباب التكفير: كالعلمانية والأفكار والثقافات والنِّحَل الكفرية كالقومية والبعثية والوطنية (في صورها المكفرة، لأن بعض هذه الأسماء فيها تفصيل في الأصل) أو النصيرية أو غير ذلك.. فهؤلاء الحكام لا شكّ أنهم متلبّسون بأنواع من الكفر الصريح البين الذي لا نزاع فيه، وهم درجات؛ مقلّ من الكفر ومستكثر، والعياذ بالله.!

وهل توفرت الشروط وانتفت الموانع لكي نحكم عليهم بالكفر؟ الجواب: نعم، بلا شك.!

فنحن حكمنا على هؤلاء الحكام بالكفر والخروج من ملة الإسلام.. وهذا حكم واضح جليّ في غاية الظهور في الشريعة، وإنما يَعمَى عنه مَن طمسَ اللهُ على قلبه، وأعماه عن نور الوحي..! نسأل الله العافية والسلامة.

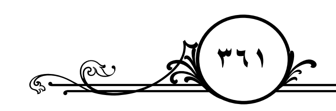
المسألة الثانية: مسألة «العلماء» و«المشايخ» الذين لا يكفّرون هؤلاء الحكام الذين تكلمنا عنهم وقلنا إن الحكمَ بكفرهم واضح جدًا، ويعتقدون أنهم حكامٌ مسلمون، وأن لهم ولاية شرعية على المسلمين في محالّهم -بلدانهم وسلطانهم-، وأنه -من أجل ذلك- يَحرُم الخروج عليهم.. الخ؛ فهؤلاء «العلماء» و«المشايخ» خالفونا في هذه المسألة كما ترى.

ونحن نعتقد أنهم مخطئون، وأن قولهم باطل إن لم يكن في كل الصور الموجودة في الواقع، ففي أغلبها بلا شك.. ونعتقد أن عدم تكفير حاكم مثل حسنى مبارك، ومثل القذافي، ومثلا بن عليّ صاحب تونس، وعبد الله صاحب الأردن وبرويز صاحب باكستان، وأشباههم؛ أقول نعتقد أن عدم تكفير هؤلاء وأشباههم والقول بأنهم حكامٌ مسلمون لهم ولاية شرعية، أنه ضلالٌ مبين ومروق من الشرع وفساد كبير..!!

لكن السؤال: هل نحكم على أمثال هؤلاء «العلماء» و«المشايخ» بالكفر، فنكفّرهم بسبب عدم تكفيرهم لأولئك الحكام الذين هم عندنا حكامٌ مرتدون؟ الجواب: هذا لا بد فيه من التفصيل، فننظر في كل حالةٍ -كل شخص- على حدة، ولا نحكم على الجميع بحكم واحد.

والسبب الداعي للتفصيل أن مسألة تكفير هؤلاء الحكام -أعني أعيانهم وأشخاصهم- هي مسألة فتوى وقضاء، مبناها على الاجتهاد، فهي من العلم الذي سبيله النظر والاجتهاد والاستدلال، ولم تصل إلى حدّ العلم الضروري المقطوع به الذي يكفُر المخالف فيه.

هذا إما في الكل أو في الأعم الأغلب؛ اللّهم إلا أن توجد بعض الصور -بعض الحكام- ممن يكون كفرهم قد صار مقطوعًا به مما يقال إنه معلوم من الدين بالضرورة، ويجمِع الناس على كفره، لقوة وصراحة ووضوح واشتهار واستبانة كفره، فحينها نحكم على مَن لم يكفره بأنه كافرٌ.. وأما غالب



الموجود الآن من الحكام في الواقع فهو من النوع الذي ذكرناه، إما في نفس الأمر، أو بحسب ما يعرف أكثرُ الناس.

ثم هم (الحكام) درجات في وضوح كفرهم وصراحته واستبانته وقوة حكمنا به.. ومَن يجعلهم في درجة واحدة ولا يفرّق، فإنه يكابر ويخالف بدهيّات العلم.!

ولهذا فأنا عن نفسي قد أطلقت القول مرارًا بأن مَن كان من أهل ليبيا ويعيش فيها، وبالتالي فهو يعرف القذافي جيدا، ولا يخفى عليه حاله، وكان من أهل العلم، ولا سيما ممن فتح الله عليه بمعرفة فقه الكتاب والسنة والهداية لطريق السلف، ثم لا يكفر القذافي بل يقول إنه حاكم مسلم وليّ أمرٍ شرعيّ تجب طاعته ويحرُم الخروج عليه، فإن هذا القائل عندي كافر خارج من ملة الإسلام، ولا كرامة، والعياذ بالله.! ويكفيني من القدوة والسلف في هذه المسألة فتاوى علمائنا وأئمتنا في خطباء بني عبيد الفاطميين[1].

وذلك لقوة ظهور كفر القذافي عندنا، وانعدام العذر لِمَن لم يكفره ممن يعيش في بلده ويعرفه ويعرف حاله جيدًا، ويعرُف مع ذلك العلمَ والفقه وليس بجاهلٍ..

ولهذا لا نكفر عوامَّ الناس لعدم تكفيرهم للقذافي، أما من كان يعرف حاله جيدًا وكان ممن عرفَ العلمَ والفقه، ثم لا يكفره، فهذا أحكمُ بكفره.

وإنما ذكرت هذا على نحو المثال، حتى تتضح به المسألة.

ولمزيد الاتضاح قارن بين القذافي مثلا، وبين حاكم بلد آخر مغمورٍ ممن نحكم بكفرهم.

فالحاصل أنه لا بد من التفصيل في هؤلاء الشيوخ الذين لا يكفرون هؤلاء الحكام ويعتقدون أنهم أولياء أمور شرعيون للمسلمين، ويحرّمون الخروج على طاعتهم وسلطانهم، ويفتون لهم ويعينونهم ويوالونهم.

---

(١) ذكر القاضي عياض أن ابن عذرة «سُئِل عن خطباء بني عبيد. وقيل له: إنهم يثنون عليهم. قال: أليس يقولون: اللّهم صلِّ على عبدك الحاكم، وورّثه الأرض؟ قالوا: نعم. قال أرأيتم لو أن خطيبًا خطب فأثنى على الله تعالى ورسوله، فأحسن الثناء، ثم قال: أبو جهل في الجنة، أيكون كافرًا؟ قالوا: نعم. قال: فالحاكم أشر من أبي جهل. وسئل الداودي عن المسألة فقال: خطيبهم الذي يخطب لهم، يدعو يوم الجمعة. كافر يقتل. ولا يستتاب، وتحرم عليه زوجته، ولا يرث ولا يورث ماله في المسلمين. وتعتق أمهات أولاده، ويكون مدبروه للمسلمين. يعتق أثلاثهم، بموته، لأنه لم يبق له مال. ويؤدى مكاتبوه للمسلمين ويعتقون بالأداء، ويرجعون بالعجز، وأحكامه كلها، أحكام الكفر. فإن تاب قبل أن ظهر الندم، ولم يكن أخذ دعوة القوم، قبلت توبته. ومن صلى وراءه، خوفًا، أعاد ظهرًا أربعًا. ثم لا يقيم إذا أمكنه الخروج، ولا عذر له بكثرة عيال ولا غيره» انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٧/ ٢٧٥).

والتفصيل كالآتي:

❖ فمن عرفنا مِن هؤلاء العلماء والمشايخ أنه مجتهدٌ مريد للحق متحرّ للخير والصواب، وأن ظننا أنه متى ما ظهر له الحق وبان دليله أخذ به وتمسك، وأن هذا هو ما أداه إليه اجتهاده ونظره، مع بذله وسعه -بحسب ما يظهر لنا من حاله وما نعرف من سيرته- في معرفة الحق، فإننا نعذره ولا نكفره، إنما نحكم على قوله وفعله بما يستحقه من وصف البطلان والضلال، لكن لا نكفره، بل ولا نفسّقه بمجرد اجتهاده هذا، بل نعتقد أنه خطأ كسائر أخطاء المجتهدين.

❖ وأما مَن عرفناه منهم -العلماء والمشايخ- أنه بخلاف ذلك؛ لا يبحث عن الحق ولا يتحرّى الصواب، وأنه قد قامت عليه الحجة في استبانة حال هؤلاء الحكام المرتدين، ولكنه يتبع هواه ويعمل لدنياه، ولا يبالي بدينه، فهذا نحكم عليه إما بالكفر وإما بالفسوق، بحسب ما ارتكبه من أفعالٍ، وبحسب درجة وضوح كفر ذلك الحاكم الذي هو ملابسٌ له، ويجوز الحكم عليه بالنفاق بلا شكٍ، فإن الحكم بالنفاق يقع بأسهل وأقل من هذا بكثير.!

فهذا هو التفصيل الذي أراه صوابًا، والذي تدل عليه الدلائل من الكتاب والسنة وما في معناهما، والقواعد العلمية والفقهية المتقررة عند أهل العلم.

ونحن في هذا المقام نحتاج إلى أن نشرح عبارة العلماء: «**مَن لم يكفر الكافر فهو كافر**»، وبيان حدودها وما فيها من الفقه.

ونحتاج إلى بيان الفرق بين العلم الضروري المجمع عليه إجماعا قطعيًا، والذي يقول العلماء فيه إنه يكفُرُ مخالفه، وبين العلم الذي هو دون ذلك والذي هو المكتسب بالاجتهاد والاستدلال.

ونحتاج إلى توضيح أن كفر هؤلاء الحكام المعاصرين هو من النوع الثاني في الأكثر الأغلب كما قلنا إن لم يكن في الكل، وما قد يوجد من استثناءات في ذلك.

ونحتاج إلى ردّ بعض ما يَرِدُ على هذا الذي قررناه من إيرادات.

والكتابة في كل هذا الآن تطول لو أردنا التحرير، ولا يسعها الوقت والظرف، وإنما حسبي في هذا اللقاء أن أضع لإخواني نواة فهم لهذه المسائل ونواة تأمل وإعادة نظر، وأن أساهم في ذلك مع سائر علمائنا ومشايخنا، فإن هذه المسائل قد دخلها الكثير من الخلل بسبب أخطاء بعض الفضلاء من العلماء المحترمين.!

وسيأتي مزيد إيضاح لهذا في ما يأتي من أجوبة إن شاء الله.

ومع ذلك فلا بأس بذكر تنبيه: وهو مسألة مسيلمة الكذاب وأمثاله وأتباعهم الذين كفرهم



الصحابة وأجمعوا على ذلك، وأجمع عليه كل علماء الإسلام.

فاعلم أن الصحابة كفروا هؤلاء لاتباعهم المتنبّئين الكاذبين، فأجمعوا على تكفير كل مَن آمن بهؤلاء الدجاجلة الكذابين وتابعهم وناصرهم.. ولا شك أن ادعاء النبوة بعد نبينا محمد ﷺ، أو اتباع مدّعيها كفرٌ أكبر مخرج من ملة الإسلام إجماعًا لا خلاف فيه بين أهل الملة، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة عند الجميع.

فهذه هي المسألة التي أجمع عليها الصحابة رضوان الله عليهم، ومثالها في عصرنا: «طائفة البهائية البابية» و«طائفة القاديانية» نبرأ إلى الله منهم؛ فهؤلاء كفار إجماعًا، وكفرُهم مما عُلِم من الدين بالضرورة، فالمخالف فيهم بعد معرفة حالهم كافرٌ مثلهم.!

فهل مسألة تكفير حاكم من الحكام الذين لا يحكمون بالشريعة اليوم أو ارتكبوا نواقض أخرى معها، هل هي في قوة تكفير مسيلمة الكذاب وأتباعه؟ الحق أن هذا يختلف كما ذكرناه، فأحيانا يقترب الحكم على بعض الحكام في وضوحه وقوته من حكمنا على مسيلمة وأتباعه، وأحيانا يكون بعيدا.. وكما قلنا مرارًا فإن هؤلاء الحكام المرتدين ليسوا على درجة واحدة من الوضوح، وليس الحكم عليهم جميعا في درجة واحدة من القوة.. فمَن لم يراعِ ذلك غلِط..! والله أعلم، وبه ﷻ التوفيق.

ثم نرجع مرة أخرى إلى تفاصيل السؤال، وبالله المستعان:

فقولك أخي الكريم: «تعقيبًا على الحكم الصادر بحقّ الحكّام الحاكمين بغير ما أنزل الله والموالين لليهود والنصارى.. فإن كان حكمهم الكفر؛ فما الذي يمنع من تكفير المشايخ الذين ينافقون لهم ويزعمون أنهم مسلمين وأمراء شرعيين؟».

أقول: قد تبين لنا مما سبق أن الحكام مرتكبون لأعمال ومتلبسون بأوصاف، اقتضت حكما عليهم بحسب ما تعطيه الأدلة.. والمشايخ المشار إليهم مرتكبون لأعمال أخرى ومتلبسون بأوصاف، اقتضت حكما آخر عليهم، بحسب ما تعطيه الأدلة أيضًا.

وهما مسألتان مختلفتان:

الأول: فاعل الكفر، **الثاني**: رجل لم يكفره بل رآه مسلمًا، وبناء عليه والاه.

فنحن نتكلم في كل مسألة بما يقتضيه العلم والفقه.. نظرنا في الأول فوجدنا كفره بواحا بينا مستيقنا قامت عليه البراهين، ووجدنا أنه قد توفرت الشروط اللازم توفرها، وانتفت الموانع اللازم انتفاؤها للحكم عليه بالكفر، وإخراجه من دائرة الإسلام.

ونظرنا في الثاني فوجدناه لم يرتكب كفرًا كالأول أصالةً، وإنما مشكلته أنه لم يكفر ذلك الحاكم الذي

حكمنا عليه بالكفر، فنظرنا لماذا لم يكفره؟ ونظرنا هل يسع الخلاف في تكفير مثل هذا الحاكم؟ أو هو من الأمور المجمع عليها إجماعا قطعيا، والمعلومة بالضرورة من الدين فلا يسع فيها خلاف؟ أو غير ذلك.. فحكمنا على هذا الصنف الثاني وتفاصيله بما أدانا إليه الاجتهاد بحسب النظر في الأدلة. والله الموفق.

وقولك: «**مع العلم أني على رأي مَن قال إن العلماء «منافقون نفاق عمل» وليسوا كافرين، ولا أظن أحدًا قد قال غير هذا**».

أقول: بل قد يكون الحكم غير هذا، وأعني بذلك الكفر، كما قد مرّ مثاله في مسألة القذافي، وقولك: «إنهم منافقون نفاق عمل».. فهذا أيضًا ليس يعمّ الجميع، بل فيهم المخطئ المعذور، كما أن فيهم الفاسق الفاجر، وفيهم الكافر، كما تقدّم توضيحه.

والقسمان الأخيران -الفاسق والكافر- يجوز إطلاق لفظ النفاق عليهما، فإن لفظ النفاق أوسع من الكفر وأسهل، لما تقرر مِن أن من ظهرت عليه بعض صفات المنافقين، فضلا عما هو كفرٌ، جازَ إطلاق لفظ النفاق عليه، وأحيانا يكون هذا هو المناسب هروبًا من الجزم في موضع الإشكال والتردد، وهذا من الفقه المهم؛ فليتنبّه له.

وأدلة ذلك كثيرة معروفة؛ فإن آيات المنافق -أي علاماته- قد بينها لنا النبي ﷺ في الأحاديث النبوية الصحيحة المعروفة، وبين القرآن الكريم صفاتِ المنافقين تبيينا كاملا ما ترك شيئًا منها إلا كشفه، ولا سيما في «سورة التوبة»، «المقشقشة»، «البَحوث»، «الفاضحة»[1]، فمن ظهرت عليه تلك العلامات بوضوح وجلاء أو كثرتْ واجتمع، فأطلق عليه أحدٌ وصف النفاق غيرة على الدين وحمية له، فقد أصاب، وقد وقع من الصحابة رضي الله عنهم وصف مَن ظهرت عليه بعض علامات النفاق أو رأوا -مجتهدين- أنه قد نافقَ، بأنه منافق، في حضرة النبي ﷺ وفي عهده..

منها قول عمر لحاطبٍ رضي الله عنهما: «دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه منافق»[2].

ومنها قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: «ولكنك منافق تجادل عن المنافقين»[3]، ومنها قول معاذ بن جبل عن الرجل الذي خرج من صلاته معه: «إنه منافق»[4]، وغيرها كثير..

---

(١) انظر في تفسير هذه السورة: في ظلال سورة التوبة؛ للشيخ: عبد الله عزام رحمه الله، وقد ذكر هذه الأسماء وغيرها في تفسيره المطول.

(٢) الأدب المفرد (٤٣٨) وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٣) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (ص ٣٢٨)، تاريخ الطبري (٢ / ٦١٤)، البداية والنهاية (٦ / ١٩٧).

(٤) جامع البيان للطبري (١٦٩١١، ١٦٩١٢) وقال أحمد شاكر: «صحيح الإسناد».



وهذه الأحاديث فيها فائدتان:

الفائدة الأولى: أن قائلي ذلك في كل هذه الأمثلة كانوا مخطئين، لكنهم عُذروا للتأول والاجتهاد، ولأن دافعهم كان هو الغيرة على الدين والحمية له.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر حديث: (**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**)[١] وحديث: (**إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**)[٢] قال: «وهذه الأحاديث كلها في الصحاح، وإذا كان المسلم متأولًا في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، ولم يكفر النبي ﷺ لا هذا ولا هذا، بل شهد للجميع بالجنة..»[٣] اهـ. وقال ابن القيم رحمه الله، في «زاد المعاد، فصل في الإشارة إلى ما في فتح مكة من الفقه»: «وفيها أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولًا وغضبًا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب على نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يُكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم وبدعهم ونحلهم، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه»[٤] اهـ. وقال الحافظ في «الفتح، في كتاب الصلاة»[٥] في فوائد الحديث الذي فيه قول القائل عن مالك بن الدخشن: «إنه منافق يجادل عن المنافقين»[٦]: «وإن من نسب من يظهر الإسلام إلى النفاق ونحوه بقرينة تقوم عنده، لا يكفر بذلك ولا يفسق بل يعذر بالتأويل» اهـ. مستفاد من «الثلاثينية»[٧] للشيخ «أبي محمد المقدسي» فرج الله عنه.

الفائدة الثانية: أن إطلاق النفاق أخف وأولى في مثل هذه الحالات من إطلاق الكفر؛ وهذا لعله واضح من كثرة أمثلته بخلاف لفظ الكفر، فإنه قليل، وقد ورد في بعض روايات «قصة حاطب» رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه قال: «.. فقد كفر»، لكن الأكثر في روايات هذا الحديث هو إطلاق النفاق، ولعله هو

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٧٧)، صحيح مسلم (٦٥).

(٢) بنحوه في: صحيح البخاري (٦١٠٤)، صحيح مسلم (٦٠)، وورد هذا اللفظ في: المعجم الأوسط (٤٥٧٠)، وصححه -بهذا اللفظ- الألباني في: تحقيق الإيمان (ص ١١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٤). [المؤلف]

(٤) (٣/ ٤٢٣). [المؤلف]

(٥) (١/ ٥٢٣). [المؤلف]

(٦) صحيح البخاري (٥٤٠١، ٦٩٣٨)، صحيح مسلم (٣٣).

(٧) الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (ص ٢٩).

المحفوظ والله أعلم، ولأن لفظ النفاق أوسع؛ فإنه يصدق على النفاق الأصغر (وقد يسمى العمليّ) ويصدق على النفاق الأكبر وهو نفاق الاعتقاد، الذي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، والعياذ بالله.. اللّهم إنا نعوذ بك من الكذب والرياء والنفاق والشقاق وسيئ الأخلاق، يا رب العالمين.. آمين.

جاء في «الدرر السنية»، في أثناء كلام للشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد، أي ابن عبد الوهاب ﷺ: «المسألة الخامسة: **هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعي الإسلام أنه منافق، أم لا؟**

الجواب: أنه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه، كارتداده عند التحزيب على المؤمنين، وخذلانهم عند اجتماع العدو، كالذين قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وكونه إذا غلب المشركون التجأ معهم، وإن غلب المسلمون التجأ إليهم، ومدحه للمشركين بعض الأحيان، وموالاتهم من دون المؤمنين، وأشباه هذه العلامات التي ذكر الله أنها علامات للنفاق، وصفات للمنافقين، فإنه يجوز إطلاق النفاق عليه، وتسميته منافقًا.

وقد كان الصحابة ﷺ، يفعلون ذلك كثيرًا؛ كما قال حذيفة ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ فيكون بها منافقًا»[1]، وكما قال عوف بن مالك ﷺ لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح: «كذبت، ولكنك منافق»[2]، وكذلك قال عمر في قصة حاطب ﷺ: «يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق»[3]، وفي رواية: «دعني أضرب عنقه فإنه منافق»[4] وأشباه ذلك كثير، وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لما قال ذلك الكلام: «كذبت ولكنك منافق؛ تجادل عن المنافقين»[5].

ولكن ينبغي أن يعرف: أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهرًا، وبين كونه منافقًا باطنًا؛ فإذا فعل علامات النفاق، جاز تسميته منافقًا لمن أراد أن يسميه بذلك، وإن لم يكن منافقًا في نفس الأمر، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الإنسان مخطئًا لا علم عنده، أو لقصد يخرج به عن كونه منافقًا، فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه، كما لم ينكر النبي ﷺ على أسيد بن حضير تسميته سعدًا منافقًا، مع أنه

---

(١) مسند أحمد (٢٣٢٧٨) وقال الأرنؤوط: «أثر حسن»، مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٢٢١).

(٢) جامع البيان للطبري (١٦٩١١، ١٦٩١٢) وقال أحمد شاكر: «صحيح الإسناد».

(٣) صحيح البخاري (٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، صحيح مسلم (٢٥٨٤).

(٤) الأدب المفرد (٤٣٨) وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٥) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (ص ٣٢٨)، تاريخ الطبري (٢ / ٦١٤)، البداية والنهاية (٦ / ١٩٧).

ليس بمنافق، ومن سكت لم ينكر عليه، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين، ولا مع المشركين، فإنه لا يكون إلا منافقًا.

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية، أو لكونه يشاحن رجلًا في أمر دنيا، أو يبغضه لذلك، أو لكونه يخالف في بعض الأمور، التي لا يزال الناس فيها مختلفين.. فليحذر الإنسان أشد الحذر، فإنه قد صح في ذلك الحديث عن النبي ﷺ فيمن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله(١)، وإنما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة في النفاق، كالعلامات التي ذكرنا وأشباهها، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك، وكان قصد الإنسان ونيته إعلاء كلمة الله ونصر دينه»(٢) اهـ.

وقولك: «**ولكن حين يُقال أن الحكّام هم الذين يُشرعون ويُوالون، يبرز التساؤل: أن العلماء هم الذين ييسرون لهم هذا ويبرّرونه..؟!**».

أقول: «يوالون» قد عرفناها، وتقدم الجواب عنها، فما معنى «يُشَرِّعون»؟ إن كان المقصود أنهم يضفون عليهم الشرعية بقولهم: إنهم حكام مسلمون وأولياء أمور للمسلمين؛ فهذا أيضا قد تقدم الجواب عنه، على التفصيل الذي ذكرناه تمامًا، وإن كان المراد أنهم يشرعون لهم الأحكام أي مما لم يأذن به الله، فهؤلاء يكفرون حينها من هذا الباب: باب التشريع من دون الله، فهذه مسألة أخرى مستقلة، وأظن مرادك هو الأول.

وما معنى «ييسرون لهم هذا ويبررونه»، «هذا» ما هو؟ هل المقصود أنهم ييسرون لهم الكفر الذي هم واقعون فيه متلبّسون به (وهو الحكم بالقوانين الوضعية والأفكار العلمانية والمذاهب الكفرية والموالاة للكفار وغير ذلك) ويسوّغونه لهم ويقولون لهم: إن هذا جيد حلالٌ لكم؟ فإن كان المقصود هو هذا الذي ذكرناه فهو كفرٌ، وفاعل ذلك كافرٌ.! وإن كان المقصود غير ذلك فما هو؟ والموجود في الواقع هذا وهذا.

أعني مَن يعرف أن هذه الأعمال التي وقع فيها الحكام كفرٌ، لكنه لا يكفرهم بزعم أنهم لم تتوفر الشروط للحكم عليهم بالكفر.

ويوجد مَن يقول: إن أفعالهم تلك ليست كفرا أصلًا؛ فهذا قد يبرر لهم، وييسر لهم، بدعوى الضرورة أو نحو ذلك، ويفتي لهم بارتكاب تلك الأعمال التي قام الدليل على أنها كفرٌ.. نسأل الله

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٤٧، ٦١٠٥، ٦٦٥٢).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨ / ١٦٤ - ١٦٦).

العفو العافية ونعوذ بالله من الخذلان، ونحن ننظر في حالة ونحكم عليها بما تستحق شرعًا، ونحتاط ونطلب السلامة والعافية ما أمكن.

وقولك: «فما هي الأسباب التي دعَت إلى إطلاق الحكم على الحكّام، وما هي الصوارف التي صرفت الحكم عن العلماء..؟»

أقول: تحصل الجواب على هذا مما تقدم، لكن لا بأس بزيادة الإيضاح:

- الحكام ارتكبوا المكفرات البينة التي عندنا من الله فيها برهان، ولم يكن لهم عذرٌ يصرف عنهم حكم الكفر، بمعنى أنه قد توفرت الشروط وانتفت الموانع للحكم عليهم بالكفر، فحكمنا عليهم بالكفر، على بصيرة وبينة ولله الحمد.

- والعلماء المشار إليهم لم يرتكبوا ما هو كفرٌ بالأصالة، إنما هم لم يكفروا ذلك الذي حكمنا عليه نحن -اجتهادًا- بالكفر، اجتهادا منهم أيضا، فنحن مجتهدون في الحكم على هؤلاء الحكام بالكفر، ومخالفونا مجتهدون في عدم تكفيرهم.. هذه هي المسألة في صورتها البسيطة، ولا ينطبق عليهم قولنا: «من لم يكفر الكافر فهو كافر»[1] لما تقرر في موضعه من أن المقصود بذلك هو الكافر المقطوع بكفره المجمع عليه كالكافر الأصلي أو المرتد المصرح بانتقاله عن دين الإسلام، وما في قوته، وأن مدار هذه العبارة (القاعدة) على تسمية الكفر إسلامًا؛ فرجعت إلى معنى التكذيب بحكم الله والكفر بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾[المائدة] وقال: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١﴾[النساء] وقال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾[البقرة].

وقلتُ: «هذه هي المسألة في صورتها البسيطة» لأنه قد توجد صورةٌ يكون فيها الحكم بالكفر على بعض الحكام مما يدخل تحت العلم الضروري المقطوع به المجمع عليه، كما لو صرح حاكم من الحكام بالانتقال من دين الإسلام إلى دين آخر، أو فعل الكفر البين الواضح الجلي الذي لا يختلف الناس فيه ألبته (لا في ثبوته ولا في دلالته وحكمه) كسبِّ الله ورسوله ودينه والاستهزاء به بأوضح العبارات لا

(١) كل من شرح «نواقض الإسلام العشرة» للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» فَصَّل في هذه القاعدة؛ إذ هي الناقض الثالث منها، ومن هذه الشروح: مذكرة في شرح النواقض؛ لعلي الخضير (ص ٤)، التبيان؛ للعلوان (ص ٢١)، الإعلام؛ للطريفي (ص ١٧)، شرح النواقض؛ للطويلعي (ص ١٢، ١٣)، ومن الرسائل التي وُضحت فيها هذه القاعدة: الإشراقة في سؤالات سواقة (المسألة الرابعة)؛ لأبي محمد المقدسي، الثلاثينية (الفصل الثالث، الخطأ رقم ١١)، قواعد في التكفير؛ لأبي بصير (القاعدة رقم ١٢).

بعبارة محتملة، علنا بدون مواربة ولا إخفاء مع تكرار ذلك مثلا..! فهذا حينئذ يكون الحكم عليه بالكفر من العلم الضروريّ، ويكفرُ المخالف فيه.. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونسأل الله السلامة.

والله أعلم وأحكم، وأستغفر الله من كل ذنبٍ.

✵ ✵ ✵

〚**حكم العلماء الذين ناصروا الحكام؛ كالشيخ «ابن باز» و«ابن عثيمين»، وغيرهم**〛

❁ سؤال الأخ الفاضل «أبا لجين» مهم جداً، ونحن بانتظار إجابتكم عليه وبشيء من التفصيل.. لأن هذا الموضوع استشكل على كثير من المجاهدين وأنا واحد منهم، وبغض النظر عما إذا كانوا من الأحياء أو الأموات؛ فالذي نريده الحكم الشرعي في هذه المسألة.. ومثالا محدداً: الشيخ ابن عثيمين، والشيخ ابن باز! ناصروا الحكام الخونة الكفرة المرتدين، وتهجموا على المجاهدين وسلقوهم بألسنة حداد، وفتاويهم الباطلة الصوتية والكتابية في مواقعهم ما زالت تشهد عليهم، وهذا الواقع وهذه الصورة ما زالت تتكرر في وقتنا الحاضر؛ فكيف نحكم على هذه الفئة؟ بغض النظر أيضا عن مكانتهم العلمية وعظمة مؤلفاتهم وكثرتها ومهما كانت الأسباب..

[السائل: باقر عين الشيعة**]**

الجواب:

الحمد لله، تقدم معظم الجواب على سؤال «أبا لجين»؛ فنسأل الله أن ينفع به.

فنأتي إلى المثال الذي أوردته يا أخي الكريم، وهو بالإجمال لا يخرج عن التفصيل الذي ذكرناه في الجواب السابق، وحاصله أن الشيخين المذكورين رحمهما الله وغيرهم من أهل العلم وقع منهم الأشياء الآتية:

- لم يكفروا بعض الحكام الذين حكمنا عليهم نحن بالكفر (وأنا أتعمّد هنا في مقام التفهيم أن أعبِّر بهذا الشكل «الذين حكمنا عليهم نحن بالكفر»، لكي أركز على أن مسألة تكفيرهم هي مسألة فتوى وقضاء مبنية على اجتهاد، وقولي: «نحن» أعني به هذا الفريق الذي حكم بالكفر على هؤلاء الحكام، وعلى رأس هذا الفريق علماء كبار أجلاء مجتهدون)، بمعنى أن هؤلاء الشيوخ خالفونا في هذه المسألة في بعض الحكام.

- بناءً عليه: فإن هؤلاء الشيوخ المشار إليهم اعتبروا أولئك الحكام حكامًا مسلمين أولياء أمور

للمسلمين، ووالوهم وناصحوهم، ودخلوا تحت ولايتهم والسمع والطاعة لهم، وبايعوهم، وحرّموا الخروج عليهم.. الخ.

- فلما قامت طائفة من المسلمين على أولئك الحكام تجاهدهم وتنابذهم بالسيف وتحاول خلعهم وإزالة حكمهم، ماذا فعل أولئك الشيوخ المشار إليهم؟ وقفوا ضدًا لهذه الطائفة المجاهدة لأولئك الحكام، وأفتوا بتحريم هذا الخروج، الذي نسمّيه نحن بحسب أصولنا وما عندنا من القناعة جهادًا، أما هم فلم يروه جهادًا، بل رأوه خروجًا غير مشروع، ونهوا عنه وشنّعوا عليه، بدعوى أنه إفساد وليس إصلاحًا، وأنه خروج على حاكم مسلم.. الخ حكاية مذهبهم.

فأنت ترى كيف تشخيص القضية، وأن ما وقع من هؤلاء الشيوخ جارٍ على أصولهم.. لكنه عندنا خطأ؛ لأنه انبنى على خطأ وباطل، فأصل الخلاف هو في تكفير هؤلاء الحكام والحكم عليهم بالردة؛ فلما اختلفنا نحن وهم في ذلك، كان من الطبيعي أن تختلف بناءاتنا على ذلك الخلاف.. فأصول العلم والفقه وأدلته تقضي علينا بأنا لا نكفّر هؤلاء الشيوخ، ما داموا صادرين عن اجتهاد خالفونا فيه، وما دامت مسألة تكفير أولئك الحكام مسألة اجتهادية وليست من ضروريات الدين المجمع عليها التي يكفر مخالفها.. بل نخطئ الفعل، ونعطيه درجته في الخطأ، لكن لا يجوز تكفير صاحبه بمجرد ذلك، كما سبق التفصيل.. فهذا هو الحق في هذه المسألة، وهو العدل والقسط إن شاء الله.

ومهما كانت بشاعة المواقف التي صدرت عن أولئك الشيوخ، وانبنت على مذهبهم واختياراتهم العلمية واجتهاداتهم، ومهما وقفوا ضدنا وحاربونا؛ فليس من أسباب تكفير المسلم مجرد أن يقف ضدنا ويحاربنا؛ فنحن لسنا أنبياء لا يصدر عنا إلا الحق، بل نحن من جملة البشر غير المعصومين نخطئ ونصيب، وما نعمله ونمارسه هو منسوبٌ إلينا لا إلى الشرع بالضرورة.!

فهذا على الإجمال دون الخوض في التفاصيل، لماذا خالفنا أولئك الشيوخ؟ وما درجة هذا الخلاف واعتباره؟.. الخ تلك التفاصيل.

فهذه تختلف من حال إلى حال أخرى، ومن صورة ومسألة إلى صورة ومسألة أخرى، ونحتاج إلى التفصيل والنظر في كل حالة على حدة، وإعطائها حقها.

فهناك مَن خالفنا في تكفير الحكام بناء على خلافه معنا في أصل الحكم في المسألة نظريًا (علميًا) كما في حالة الشيخ «ابن باز» الذي يرى الحكم بغير ما أنزل الله من الدساتير والقوانين الوضعية معصية

غير كفر، فلا يُكَفر بها إلا بشرط الاستحلال كسائر المعاصي[(١)].

ومعلوم بطلان قوله وفساده، وأنه من أردأ الأقوال في المسألة، وأظهرها فسادًا، وأنه قول شاذ مخالف للحق، لا يلتفت إليه، لكن لا نقول في الشيخ إلا أنها زلة منه، وإن كانت زلة كبيرة.!!

وهناك مَن يوافقنا في الأصل النظري للمسألة (تكفير أمثال هؤلاء الحكام الحاكمين بالقوانين الوضعية) ولكن يخالفنا في إنزال الحكم عليهم، بدعوى الشروط والموانع.. الخ، وفي بعض الحالات القليلة هناك مَن يخالفنا بناءً على دعواه عدم ثبوت الفعل المكفر على الحاكم، كما يقوله البعض في حكام «الجزيرة» مثلا.

ولا ندعي أننا هنا نملك الحق واليقين الكامل وأننا حسمنا الأمر، ولم يعد لقائل مقال..! فإنني أعرف أن هٰهنا الكثير من الإيرادات على كلامنا في هؤلاء العلماء والمشايخ، ولا يمكن في هذه الأجوبة أن نأتي على كل شيء، لكن حسبنا التمسك بأوضح وأثبت ما عرفنا، والتنبيه على المهمات.. نعم؛ هناك الكثير من الشكوك في الكثير من العلماء، وضعفت الثقة بكثيرين منهم، بسبب الفتنة التي دخلت عليهم من جهة مقاربة السلطان، ومن جهة الدنيا والأهواء وغيرها، فالعلماء هم ناسٌ من الناس، بشر ككل البشر، نعم لهم مزية وشرفٌ وفضل، لكن هذا كله مقيد بما إذا أطاعوا الله تعالى وأقاموا الدين ووفوا المقام كما أمرهم الله، لكن هم بشر أولا وآخرا تصيبهم الفتن وينالهم الضعف وقد يسقطون وقد ينحرفون ويفسدون، كما بين لنا الله ورسوله وكما هو مشاهد في الحس معلوم، وفي هذه الأزمان فإن الفساد في هذه الطبقة، طبقة العلماء، هو من معاقد الفساد في أمتنا للأسف، ولو صلحت هذه الطائفة بمعنى: صلح أكثرها لصلحت الأمة بإذن الله، مع أن الصالحين من العلماء بحمد الله موجودون في كل حين لا يخلو منهم زمان، بفضل الله تعالى ومنته ولطفه، لكنِ الآن الغالب حقا هو الفساد وقلة الدين والافتتان والفساد وعدم الأمانة، نسأل الله العافية والسلامة، وهذا يختلف نسبته من بلد إلى بلد ومن موطن إلى موطن، لكن كلامنا إنما هو بالإجمال في عموم الأمة وأوطان المسلمين.

وقولي أعلاه: «فأصول العلم والفقه وأدلته تقضي علينا بأنا لا نكفّر هؤلاء الشيوخ، ما داموا صادرين عن اجتهاد خالفونا فيه، وما دامت مسألة تكفير أولئك الحكام مسألة اجتهادية وليست من

---

(١) انظر: قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلالة (ص ٧٩) نقل محادثةً عن الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ أنه قال: «من قال: أنا أحكم بهذا، وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله: لا يجوز، ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية: أفضل، ولا يجوز الحكم بغيرها، ولكنه متساهل، أو يفعل هذا لأمر صادر من حُكَّامِهِ؛ فهو كافر كفرًا أصغر لا يُخرج من الملّة، ويعتبر من أكبر الكبائر» فتأمل قوله «يعتقد» الدال على الاستحلال، وقد علق على كلامه ونقضه غير واحد من أهل العلم.

ضروريات الدين المجمع عليها التي يكفر مخالفها» هو معنى ما سبق توضيحه من أن تكفير هؤلاء الحكام الحاكمين لبلاد المسلمين اليوم هي مسألة فتوى وقضاء سبيلها الاستدلال، وقلنا إن هذا هو الأصل والأكثر الأعم، وأنه إذا وجِدت حالة يكون فيها كفر الحاكم مما يقال فيه إنه من المقطوع به المعلوم من الدين بالضرورة، ومما يُجمِع عليه الناس، فحينها نكفّر مَن لم يكفّره من «العلماء» وغيرهم، وقررتُ أعلاه أن هذه الصورة موجودة جزئيًا في حالة «القذافي» قاتله الله، فإن اتضاح كفره وكثرة أسبابه -المكفرات التي هو متلبس بها- وتكررها واستمرارها، هو بالنسبة لإنسان من أهل العلم يعيش في نفس البلد، هو من العلم الضروري، والله أعلم، وكذا لو وجِدت حالات يكون فيها كفر الحاكم أوضح وأظهر وأنفى لأي شبهة وعذر، كما مثلنا أعلاه بمن يصرح بالخروج والانتقال من ملة الإسلام ويسبها ويستهزئ بها وبالله تعالى ورسله علانية، وما شابه ذلك.

وقولي: «وما دامت مسألة تكفير أولئك الحكام مسألة اجتهادية وليست من ضروريات الدين المجمع عليها التي يكفر مخالفها» إنما كانت هذه المسألة كذلك لأنها مبنية على النظر من عدة جهات:

- من جهة ثبوت الأسباب المكفرة على الشخص المقصود في الواقع.
- من جهة أنها صريحة لا تحتمل.
- من جهة ثبوت كونها أسبابًا مكفرة شرعًا -ليست فسقا، أو كفرًا دون كفرٍ مثلا-.
- من جهة انتفاء العذر في حقهم -توفر الشروط وانتفاء الموانع-.

فكلما قويَتْ واتضحت واستبانت جدًا هذه الجهات في حق الشخص كان الحكم بكفره أوضح وكان المخالفُ فيه مستحقا للوم والمؤاخذة أكثر، إلى أن يصل مستوى الجزم بكفره -الحاكم- إلى مستوى العلم الضروري، فينال المخالفُ فيه أعلى درجات المؤاخذة وهي التكفير.! وكلما ضعفت جهات النظر تلك، كان لومنا للمخالف فيه بحسبها، والله أعلم.

وهذا الذي قلته في مسألة هؤلاء الشيوخ هو المترجّح من عدة وجوه:

أولها: الاحتياط للدين؛ فإن مسائل التكفير من أصعب المسائل التي يخشاها العلماء والأتقياء ويطلبون السلامة منها، لما ورد فيها في الشريعة من التحذير والتخويف، فالمبالغة في الاحتياط في هذا الباب ليس عيبا بل هو فضيلة، على أن ينضمّ إليه فضائل أخرى معه، مثل: فضيلة الشجاعة والقوة في الحق والصدع به متى ما ظهر وبان وسطع برهانه **(عندنا فيه من الله برهان)**[1]، وفضيلة: اليقين

(١) صحيح البخاري (١٧٠٩).

والزهد والتجافي عن دار الغرور وعدم المبالاة بالخلق في خلاف الحق وهي قوة إيثار الحق على الخلق، وفضيلة: القوة العلمية وقوة الفقه في الدين والبصيرة، واعتدال الأخلاق، وغيرها من الفضائل.

الثاني: أننا نحنُ -هذا الفريق المكفر لأولئك الحكام الخونة المتبرئ منهم المجاهد لهم- لا زلنا الطرف الأضعف بالنظر إلى الواقع الميداني؛ السياسي والاجتماعي، وخصومنا في هذه المسألة أكثر منا وأقوى في الميدان الاجتماعي والجماهيري، وكلمتهم مسموعة أكثر منا، فاقتضى منا هذا -والله أعلم- التلطف ومراعاة حال البيئة وتأثيرها على اختيارات أهل العلم وغيرهم، فإذا فتح الله علينا وقوّانا وجاء وقتٌ يكون صوتنا نحن هو الأقوى والناسُ أكثر سماعًا لنا وقبولا منا، كان لنا شأن آخر إن شاء الله، مع أنه -بحسب ما نفهمه من سنن الله في خلقه- لن يحصل ذلك إلا ويكون بإزائه تغيّرات مناسبة مواكبة سيكون منها: أن هذه المسائل ستنضج وتبلغ من الوضوح ما لا يبقى معه عذرٌ لمخالفٍ.

والبيئة يا إخواني لها تأثير كبير في الناس، وقد قالوا: الإنسان ربيبُ بيئته، وللإنسان أن يتأمل؛ في ظل دولة مثل «السعودية».. كيف يمكن لشيخ أو طالب علم أن يخالف الجمهور العريض من العلماء والمشايخ، وينعتق من هذا الإسار المحكم، إلا القليل من الأفذاذ النوادر ممن أوتوا همة عالية وقوة إرادة فريدة.! فهذا يدعونا إلى إعذار الناس والتلطف معهم ورحمتهم.

الثالث: أنه الأحوط أيضا لدعوتنا، فلا نظهر أمام الناس (جمهور المسلمين) في صورة الغالي المتشدد المتنطع سيء الأدب، فيحصل بذلك التنفير المحذور، وقد أوصانا رسول الله ﷺ كثيرا: (**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفّروا**)[1].

وسر ذلك: الحذر من الجزم في موضع الاحتمال والموضع الذي يتردد في مثله الكبار من الأئمة الأخيار، والفقهاء المحققين الجهابذة، ويهابونه.! فإذا كان قد بان لنا واتضح جدا بالبرهان كفرُ حاكمٍ معين صدعنا به وبيناه للناس؛ فهذا حق وعدل وفضل، ولكن ما بالنا بمن لم يكفّره من أهل العلم نريد أن نكفّرهم كذلك؟ ما أصعبَ هذا الموقف وأخطره!! والله أعلم، وهو وحده وليُّ التوفيق.

وأنت تقول أيها الأخ الكريم: «**الشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن باز ناصروا الحكام الخونة الكفرة المرتدين وتهجموا على المجاهدين وسلقوهم بألسنة حداد وفتاويهم الباطلة الصوتية والكتابية في مواقعهم ما زالت تشهد عليهم**».

فقولك: «ناصروا الحكام الخونة الكفرة المرتدين» هو كما ترى فيه إطلاق عريض..! ونخشى أن

---

(١) صحيح البخاري (٦٩، ٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا).

يكون هذا من الظلم للخلق.! فيجب الحذر من ذلك، فإن الله لا يهدي القوم الظالمين، والظلم ظلمات يوم القيامة.

بل التحقيق أنهم ناصروا حاكمًا معينا واحدًا (حكام دولتهم السعودية) على الإخوة الخارجين عليها، والسبب في ذلك أنهم يرون هذه الحكومة شرعية ويرون الحاكم وليّ أمرٍ شرعيًا.. الخ ما بيناه سابقا؛ فأنت عندما تقول «الحكام المرتدين» يقولون لك: هم مرتدون عندك، ونحن لا نسلم بهذا، ونراه خطأ، بل نرى هؤلاء الحكام مسلمين وأولياء أمر تجب لهم الطاعة.!

ويتأولون في ذلك من ثلاث جهات رئيسية:

- عدم التسليم بوقوع بعض ما ندَّعيه على هؤلاء الحكام من الأعمال المكفّرة.
- عدم التسليم بأن ما ارتكبه هؤلاء الحكام (مما سلّم هؤلاء المشايخ بوقوعه) كفرٌ أكبر مخرج من الملة.
- على التسليم بأنه كفر أكبر مخرج من الملة، فهم لا يكفرونهم لعدم توفر الشروط ولوجود المانع من تأويل ونحوه.

كذا يقولون، والذي نعتقده أن هذا باطلٌ.! والكلام فيه معهم يطول، ومعنا بحمد الله في ذلك علماء راسخون في العلم، حتى لا يشاغب علينا المشاغبون بأننا طلبة علم صغار..! مع أن الحق على كل حال أن العلمَ يُعرَفُ بأدلته وبراهينه..

أقول: وبالتالي فلا تستغرب منهم أن يقفوا ضدك ويشنّعوا عليك ويسلقوك بألسنة حدادٍ ويتهجموا على المجاهدين.. الخ.

فإذا أخذنا المسألة بهذا الشكل؛ فإننا نرتاح ونطمئن ونعلم أنها فتنة، وأن الله ابتلانا بهؤلاء العلماء، والمفلح هو من نجا من الفتن وحقق الحق، وأنصف وأقسط، واعتصم بالله تعالى، ولا عاصم اليومَ من أمر الله إلا مَن رحم.

لكن هٰهنا تنبيه: وهو أننا وإن كنا -بحمد الله- لا نكفر هؤلاء المشايخ، ونعذرهم ونعتذر لهم ونحفظ لهم حقهم ونعرف فضلهم وكثيرَ خيرهم في الدعوة إلى الله ونصر السنة ونشر العلم وتعليم الناس الخير، فإننا أيضًا نلومهم ولا نعفيهم في جانب آخر وهو كالآتي:

أنهم وبكل بساطة وقفوا مع الفئة الضالة المبطلة ضدًا على الفئة المُحِقة في حربٍ وقتالٍ وقع على سبيل الفتنة، بحسب مذهبهم هم، فإنهم (هؤلاء المشايخ) لا يكفرون الإخوة المجاهدين، بل يرونهم مسلمين، وصرحوا بذلك، وأكثرهم لا يرونهم خوارج (بمعنى الخوارج المعروف شرعا، المارقين من

الدين المأمور بقتلهم وقتالهم) فما بقي إلا أنهما فئتان من المسلمين اقتتلتا، وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز أوضح بيان الواجب في حال اقتتال فئتين من المؤمنين، ومما بينه الله تعالى ورسولُه ﷺ من فروع هذه المسألة: أنه يحرُم الوقوف مع المبطل (وهو الأفجر الأبعد عن الحق) ويحرُم نصره على أهل الحق، وإن كان هذا المحق (أهل الحق) مخطئا في خروجه، كالحسين رضي الله عنه في خروجه على يزيد؛ فإن ابن عمر وابن عباس وجماعة من بقية الصحابة رأوْا خروجه خطأ وحذروه منه ونهوه، فهذا موقف اجتهاد، لكن هل كان يجوز لهم أن يقفوا مع يزيد ضد الحسين؟ وهل سيكون ممدوحًا عندكم أيها الشيوخ الفضلاء إذا هم فعلوا ذلك؟!

قَال الإمام القاضي «أبو بكر بن العربي» في «أحكامه» عند قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[الحجرات] الآية: «الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا فِي رِوَايَةِ سَحْنُونٍ: إنَّمَا يُقَاتِلُ مَعَ الْإِمَامِ الْعَدْلِ سَوَاءٌ كَانَ الْأَوَّلَ أَوْ الْخَارِجَ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا عَدْلَيْنِ فَأَمْسِكْ عَنْهُمَا إلَّا أَنْ تُرَادَ بِنَفْسِك أَوْ مَالِكَ أَوْ ظُلْمَ الْمُسْلِمِين فَادْفَعْ ذَلِكَ.

الْمَسْأَلَةُ الْعَاشرةُ: لَا تُقَاتِلُ إلَّا مَعَ إمَامٍ عَادِلٍ يُقَدِّمُهُ أَهْلُ الْحَقِّ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَكُونُ إلَّا قُرَشِيًّا، وَغَيْرُهُ لَا حُكْمَ لَهُ، إلَّا أَنْ يَدْعُو إلَى الْإِمَامِ الْقُرَشِي، قَالَهُ مَالِكٌ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَكُونُ إلَّا لِقُرَشي. وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ مَالِكٍ: إذَا خَرَجَ عَلَى الْإِمَامِ الْعَدْلِ خَارِجٌ وَجَبَ الدَّفْعُ عَنْهُ، مِثْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَمَّا غَيْرُهُ فَدَعْهُ يَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْ ظَالِمٍ بِمِثْلِهِ ثُمَّ يَنتَقِمُ مِنْ كِلَيْهِمَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾[الإسراء]. قَالَ مَالِكٌ: إذَا بُويِعَ لِلْإِمَامِ فَقَامَ عَلَيْهِ إخْوَانُهُ قُوتِلُوا إذَا كَانَ الْأَوَّلُ عَدْلًا، فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَا بَيْعَةَ لَهُمْ إذَا كَانَ بُويِعَ لَهُمْ عَلَى الْخَوْفِ. قَالَ مَالِكٌ: وَلَا بُدَّ مِنْ إمَامٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ. وَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ فِي حَدِيثٍ يَرْوِيه مُعَاوِيَةُ: (**إذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَتَانِ فَاقْتُلُوا أَحَدَهُمَا**)[1]، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (**لَا تَكْرَهُوا الْفِتْنَةَ فَإِنَّهَا حَصَادُ الْمُنَافِقِين**)[2]»[3] اهـ.

وفي «التاج والإكليل شرح مختصر خليل»: «ابن عرفة: لو قام على إمام مَن أراد إزالة ما بيده، فقال

---

(١) المعجم الكبير (٧١٠)، المعجم الأوسط (٣٨٨٥)، مسند الشاميين (٢٧٧٣)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٣٠٨٩).

(٢) حديث باطل، قاله ابن تيمية، وأنكره ابن حجر والسخاوي، ينظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث (ص ٢٥٧).

(٣) أحكام القرآن (٤ / ١٥٣، ١٥٤).

مالك: إن كان مثلَ عمر بن عبد العزيز وجب على الناس الذبُّ عنه، وأما غيره فلا»[١] اهـ.

وكلام العلماء في هذا كثيرٌ، وبسط المقام له موضع آخر، ولهذا فإن هذه الفتنة قد سقط فيها الكثيرون حقا.! وأبانت عن خواء وتهافت الكثير من الأسماء، وأنها لا رصيد لها من تحقيق الحق..! وأكثر الناس الآن هم في غشاوة الوقوف مع الأقوى والذي يظنونه الغالب، ومع التيار كما يقولون، لكن لو تبدّلت الأحوال وجاء نصر الله تعالى لعبادة المؤمنين فسيسجل التاريخ شيئا آخر.! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقولك أخي الكريم: «**بغض النظر أيضا عن مكانتهم العلمية وعظمة مؤلفاتهم وكثرتها ومهما كانت الأسباب**»؛ هذا فيه تفصيل أيضًا؛ فالأصل المتقرر الذي نطلقه ولا نتردد فيه أن الحكم الشرعيّ نافذ في كل أحدٍ، لا فرق بين كبير وصغير، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر] وهذا خطابٌ للنبي ﷺ خير خلق الله وأكرمهم على الله، وقال: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾[الحجرات] وهو خطابٌ لصحابة رسول الله ﷺ وهم سادات الأولياء والصالحين وفيهم الصدّيق رضي الله عنهم أجمعين، وقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[الأحزاب]، وقال: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾[الأحزاب].

لكن قد جاءت الشريعة أيضًا بالتفريق بين الناس من جهة الفضل؛ فإن الفاضل يُحتَمل منه ما لا يُحتَمل من غيره، وتُقال عثرته، وتغمر زلته في بحر فضائله وإحسانه وخيره الكثير، وقد قال النبي ﷺ: (**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**) وهو حديث ثابت[٢]، وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: «لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة»[٣].. وهذا كثير أدلته.

فتقرر أن من كان من أهل الخير والصلاح والتقوى في سائر أحواله المعروفة، وكثُر خيره وعظم فضله وحسُن في الإسلام بلاؤه، فإنه يُغتفر منه ما لا يُغتفر من غيره، ويقبل عذره، ويكون أقرب إلى أن نعتذر عنه في زلته؛ كما قالوا:

---

(١) التاج والإكليل (٨ / ٣٦٨)، في شرح قول خليل: «فللعدل قتالهم».

(٢) سنن أبي داود (٤٣٥٧) وتتمته: (.. **إلا الحدود**)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٥٧٢٩)، صحيح مسلم (٢٢١٩).

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ … جاءت محاسنُه بألفِ شفيع(١)

والله أعلم.

❊ ❊ ❊

〚حكم العلماء الذين يفتون بقتل المجاهدين، وهل هذا السؤال صحيح، وهل يعتبر هذا من المظاهرة المكفرة؟ وهل يعذرون بالتأويل؟ وما الفرق بين المفتي والمفتى له؟!〛

۞ ما حكم الشيوخ الذين يفتون بقتل المجاهدين؟ ألا تعد هذه من المظاهرة المكفرة؟ وهل يعذر الشيخ في هذا بالتأويل إن كان يظن أن الطاغوت ولي أمر وأن المجاهدين خوارج؟ وبالمثل: هل يعذر الجندي إن خرج مختارا حاملا سلاحه لقتل المجاهدين متأولا؛ لأن الشيخ أفتى له أن الطواغيت ولاة أمر وأن المجاهدين خوارج وفي قتالهم أجر؟

[السائلة: موحدة**]**

الجواب:

الذي يفتي بقتل المجاهدين، هكذا بهذا الإطلاق ينبغي أن يكون كافرًا..! لأن معنى هذه العبارة: أنه يفتي بقتلهم لأنهم يجاهدون أي في سبيل الله، لأن هذه هي العلة المنتزعة من الوصف المشتق، ولأن قولك «يفتون» فعل مضارع مفيد للحدوث المتجدد والاستمرار.

لكن، نحن لا ينبغي لنا أن نغترّ بهذه الإطلاقات، بل يجب أن نحقق المقام، فنقول: هؤلاء الذين وصفتهم بالمجاهدين، هل هم مجاهدون حقا؟

ثم كونهم مجاهدين هل هو من العلم الضروري بحيث لا تُسمَع فيه دعوى مخالفٍ، ككون الصحابة يوم بدر مجاهدين في سبيل الله، بل وكون المسلمين يوم فتح الأندلس على يد طارق بن زياد مجاهدين في سبيل الله وما قارب هذه الصورة؟ أو هو محل يقبل الاختلاف، بمعنى أنه يمكن أن يظن بعض الناس أنهم ليسوا مجاهدين بل هم عصابات مجرمة تقاتل في سبيل الدنيا ونحو ذلك؟ ثم على أي وجهٍ أفتى بقتلهم؟ ألأجل كونهم مجاهدين؟ أو لسبب آخر رآه؟ فننظر فيه..

ثم -وإن كان هذا ليس نظرًا لازما لكنه تكميليّ-: هل أفتى مرة واحدة في قضية معينة، بحيث

---

(١) قاله: محمد بن أحمد التكريتي، أبو البركات بن أبي الفرج بن أبي نصر، ينظر: تاريخ بغداد (٨ / ٢١).

يكون تطرق الاحتمال إلى فعله هناك أكثر، أو هو يفتي بقتل «المجاهدين» دائما وفي كل حال وباستمرار؟

أرأيت أيتها الأخت الكريمة كيف أن عبارتك عند التحليل والتحقيق تحتاج إلى الكثير من النظر والتبين.. فإذا كان هؤلاء الشيوخ المشار إليهم في كلامك يفتون بقتل المجاهدين لأنهم مجاهدون، قائمون بفريضة وشعيرة الجهاد في سبيل الله، فقط لمجرد ذلك لا غير، فهؤلاء كفارٌ ولا كرامة؛ فإذا انضاف إلى ذلك أن هؤلاء المفتين إنما يفعلون ذلك لنصرة الكفار أعداء الدين أعداء المجاهدين، فنعم حينها هي من المظاهرة المكفرة بلا تردد.! نسأل الله العافية.

وإن كانوا أفتوا بقتل بعض المجاهدين لأنهم رأوهم استوجبوا القتل بسبب من الأسباب؛ كأن رأوهم قتلوا نفوسا مسلمة بغير حق، بشروطها، أو لم يروهم مجاهدين أصلا، وإن سميتيهم أنتِ مجاهدين -حيث أمكن الاختلاف كما قلنا- ورأوهم قطاع طريق مثلا وعصابات مجرمة مفسدة، فحينئذ لا نكفر هذا المفتي، لكن نخطئه وننظر فيما يستحق من درجة المؤاخذة، لكن الكفر لا.

«وهل يعذر الشيخ في هذا بالتأويل إن كان يظن أن الطاغوت ولي أمر وأن المجاهدين خوارج؟» نعم.. يُعذَر بهذا التأويل.

والمقصود بالعذر: العذر في التكفير، بمعنى أننا لا نكفره لهذا العذر، ما دام هذا العذر (التأويل) مستمرا، وقد يكون سببه عدم المعرفة بالمجاهدين والتلبيس عليه من بعض مَن يثق فيهم ويسمع منهم، وغير ذلك.

وليس معناه العذر مطلقا وعدم اللوم والمؤاخذة؛ فإننا نلومه ونؤاخذه، ونطلب منه التوبة والرجوع إلى الحق ونعنُّف عليه بحسبه، ونبين خطأه وزلته وبطلان قوله وضلاله، ونحذر المسلمين منها، وهكذا، هذا كله مشروع مطلوب.

«وبالمثل.. هل يعذر الجندي إن خرج مختارا حاملا سلاحه لقتل المجاهدين متأولا؛ لأن الشيخ أفتى له أن الطواغيت ولاة أمر، وأن المجاهدين خوارج وفي قتالهم أجر؟» نعم.. سواء بسواء، كما قلنا في المفتي، وإثمه حينئذ على مَن أفتاه.

ومعنى العذر هنا أيضًا ألا نكفره، لكن أحكام القتل والقتال عندما ندخل الحرب هذه شيءٌ آخر، كما وضّحنا هذا في موضع آخر من هذه الأجوبة.

ومرة أخرى نقول: إن هذا إنما هو فيما يمكن فيه الخلاف، كما كررناه مرارًا، والتمييز بين ما يُعتَبَرُ فيه الخلاف، وهو الاجتهادي الاستدلالي، وما لا يسع فيه الخلاف ولا تُسمَع فيه دعوى مخالفٍ، وهو

الضروريّ، أمرٌ واضح معروف يعرفه عموم المسلمين، فإن أشكل فيه شيء، فليرجع فيه إلى العلماء الموثوقين المؤتمنين على الدين.. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

〚**الرد على شبهة «الفترة المكية» وأهلها؛ ونقض كلام من لم يُوجب الآن سوى الدعوة**〛

❁ **كيف تنظرون للعلماء والدعاة الموجودين على الساحة الإسلامية اليوم، والذين يتبنون الفكر السلفي ويعتقدون أننا في العهد المكي ولا يلزمنا إلا الدعوة لهذا الدين والمصابرة عليها وتحمل الأذى في سبيلها؟ ولا يلزمنا الآن مجاهدة الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله؛ فلا نجدهم حتى يتكلمون ويصرحون في مسألة تحكيم القوانين الوضعية ومسألة الولاء والبراء وتنزيلها على الواقع بحجة أنه ليس كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال يقال في جميع الأحوال؟.**

[**السائل:** أسد الثغور ٢]

الجواب:

دعوى أننا الآن في ما يشبه العهد المكي، بمعنى أننا نأخذ أحكام ذلك العهد، ولا نعمل بغير ما ورد في ذلك العهد من الشرائع، هكذا بإطلاق.. هذه الدعوى باطل محض بلا شك، وضلال مبين!!

وقد رد عليها جماعة من العلماء والدعاة والكتاب والمفكرين المسددين[١]، والحمد لله.

وهي فكرة نشأت مع بدايات الدعوة الإسلامية المعاصرة، ولازالت تتكرر بين الفينة والأخرى، وفي مكان أو آخر، وهي ناشئة عن حال الاستضعاف والمهانة التي نعيشها، نسأل الله أن يرفع عنا بأسه ويعافينا ويمن بالفرج القريب.. آمين.

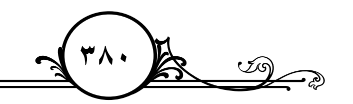
وخلاصة الرد على هذه الفكرة الباطلة في نقاط:

- أنها خلاف أدلة الشريعة المحكمة والمجمع على كثير منها.

- أنها لا دليل عليها وعلى اعتبارها في الشرع هكذا بهذا الإطلاق، إنما كل ما دل عليه الشرع هو أن العاجز عن الشيء يسقط عنه، وينتقل إلى ما يقدر عليه، أما أن هناك دليلًا على أن المسلمين إذا كانوا ضعفاء كما هم اليوم فإنهم تسقط عنهم سائر التكاليف الشرعية التي شرعت في العهد النبوي المدني،

---

(١) من الرسائل الخاصة التي نقضت هذه الشبهة: النوافح المسكية في نقش شبهة المرحلة المكية؛ لأبي همام الأثري -هداه الله-.



فهذا غير موجود ألبته، ولا يمكن أن يقوله عالم يعرف الشرع أبدًا.

- أن هذا غير منضبط؛ فمن الذي يحدد الحالة التي نكون فيها في «العهد المكي» ويميزها عن غيرها، وما هي حدودها بالضبط؟!

- ومن أجل ذلك فإنها سترجع إلى التحكم والأهواء، نسأل الله السلامة.

- أنها تلزم عنها لوازم باطلة بالإجماع، ومعلوم بطلانها بالاضطرار من دين الإسلام، فإن من لازم هذه الفكرة الخبيثة الخاطئة أنه لا صلاة اليوم مكتوبة، ولا صوم رمضان، ولا زكاة، وغيرها كثير، ولما رأى أصحاب هذه الفكرة صعوبة وخطورة هذه اللوازم وعظم فسادها تناقضوا وارتبكوا وفشلوا في الخروج من مأزقهم.!

- أن أصحابها تناقضوا تناقضا آخر كبيرا حين لم يلتزموا حتى بفكرتهم التي قرروها؛ فإن هذه الفكرة مصممة خصيصا للتنصل عن الجهاد الواجب، فلما قيل لهم: حسنًا، فالعهد المكي هو عهد تقرير العقيدة والتوحيد ومفاصلة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء والبراءة، والصبر على دعوتهم إلى التوحيد الخالص ونبذ الكفر والشرك والأنداد، والصبر على الأذى في ذلك صبرا كبيرا، وها أنتم تقرأون سيرة «بلال» و«آل ياسر» و«خباب بن الأرت» ونظرائهم، والأذى الذي لاقاه رسول الله ﷺ وسائر أصحابه في ذلك العهد؛ فهل فعلتم أنتم ذلك وقمتم به؟ الجواب المعلوم أنهم لم يفعلوا ذلك ولم يقوموا به، وكيف يفعلون وهم إنما فرّوا من التعرض للأذى، وصمموا هذه الفكرة الباطلة للهروب من التكاليف ولتحصيل الراحة؟!

وبهذا يتبين تهافت هذه الفكرة وبطلانها، بما يغني عن التطويل لمن ألهمه الله رشده، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾[المائدة: ١٤١].. فهؤلاء يا أخي مبطلون، تاركون للواجب الشرعي المتعين عليهم من الجهاد ومن الدعوة إلى الله وإلى التوحيد، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبراءة من الشرك وأهله.

ولسقوط هذه الفكرة وظهور بطلانها واندحارها، فإنني أرى أهلها التاركين للواجبات المذكورة آثمين، مرتكبين لذنب عظيم، فيجب عليهم التوبة من هذا المسلك الخاطئ، وأن يرجعوا إلى الحق ويقوموا بما أمرهم الله به من الجهاد والدعوة وغير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

[التوبة]، وقال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة].. ونسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.. آمين.

❋ ❋ ❋

[معاملة العلماء المخطئين الموالين للحكام، المحاربين للمجاهدين، والتعامل مع أنصارهم]

❁ السؤال الأول: كيف يكون معاملة العلماء الذيـن يوالون الحكام ويحاربون أهل الجهاد ويصفونهم بأقبح الأوصاف بحيث نكون عادليـن في ذلك ومقسطيـن لا نظلم أحداً منهم، وكيف يكون بيان أخطائهم وأخص هنا علماء الجزيرة.. وما حكم هؤلاء ممن يوالي الطواغيت ويدعو لهم بالتمكيـن والنصـر على الموحديـن ويحدث الناس بأنهم يحمون الديـن ويقيمون الإسلام، ويصف المجاهديـن بأنهم خوارج وباغون وأهل ضلال وسفهاء أحلام ومفسدون في الأرض.

السؤال الثاني: كيفية التعامل مع الشباب المستقيم الذي يصده عن أهل الجهاد هؤلاء العلماء.

السؤال الثالث: لدي أخ في الله أحسبه من المخلصيـن والصادقيـن ولا أزكيه على الله، ولكن كلما أتناقش معه في أمر الطواغيت أحيانا يقتنع ولكنه يتردد ويقول: العلماء قالوا هكذا وهم أعرف بالكتاب والسنة منا -ويكره أهل الجهاد لأن أهل العلم المعروفيـن قالوا فيهم كذا- ولكنه يقسم بالله أنه إذا كان هناك جهادٌ حقٌ لذهبت؛ وأراه صادقا ولكن العقبة الحقيقية -والله أعلم- هم علماء الحكام إن صح التعبير..

[السائل: محب الغرباء**]**

الجواب:

بارك الله فيك أيها الأخ الفاضل «محب الغرباء» على حرصك على العدل والإنصاف، فهذا هو الحق الواجب، ونسأل الله تعالى أن يفتح علينا وعليك وعلى سائر أحبابنا من فضله علما وعملا.

فجواب السؤال الأول أظنه قد تحصل معظمه مما تقدم من أجوبة.

وأضيف هنا أن الواجب في رأيي يمكن وضعه في النقاط الآتية، وهي تقريبية:

- التمسك بالحق الذي بان لنا وظهر، وقامت عليهم بذلك البراهين، وإن خالف مَن خالف؛ فإن الحق إنما هو في ما دل عليه الكتاب والسنة، والعلماء إنما يطاعون تبعا لطاعة الله ورسوله، وهم سبيل إلى معرفة الحق، فإن الله أمر الجاهل بسؤال العلماء لكي يدلوه على أمر الله وحكمه وشرعه، فإذا عُرف الحق واستبان واتضح، بأن كان نصًا أو معلوما من الدين بالاضطرار أو ما يقاربه مما تظافرت الدلائل على إثباته؛ فلسنا مأمورين أن نسأل أحدًا.!

ثم إن العلماء يختلفون؛ فالواجب حينئذ تحقيق الحق، وذلك بحسب درجات الناس في العلم، فالعاميّ مأمور بالأخذ بقول من يراه الأعلم الأورع على الأصح، والعالم يجتهد ويلزمه اجتهاده ولا يجوز له التقليد، وطالب العلم المتوسط بين الاثنين الذي له قدرة على الترجيح ولمَّا يستقل استقلالا كاملا بالنظر والاجتهاد يتّبع ما ترجح عنده بحسب نظره في أدلة الأقوال، ونحن بحمد الله تعالى لا نعدم عالما كبيرا قال بقولنا في كل مسألة، والحمد لله؛ فلسنا متفرّدين خارجين عن الإجماع، ولن يجد خصومنا قولًا خالفنا فيه إجماعًا معلومًا مهما اجتهدوا، وهم لا يألون!! فالحاصل أن الواجب هو التمسك بالحق وشكر نعمة الله تعالى أن هدانا إليه إذ تفرق الناس فيه.

- دعوة الناس إلى هذا الحق وبيانه والصدع به بحسب الإمكان.

- والعمل به والصبر على الأذى في هذا الطريق.

- ثم المخالفون لنا، لا نعتدي عليهم ولا نظلمهم، بل ننصفهم ونعاملهم بالقسط الذي أمر الله ﷻ به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾[النساء: ١٣٥]، فلا نعتدي ولا نتجاوز الحد في الحكم على أحدٍ ولا نسيء الأدب ولا نرد الحق ممّن كان ولو جزءا صغيرا من الحق، بل نقر بالحق ونقبله ممّن كان، ونرد الخطأ والباطل مهما كان وممّن كان، ونحن في كل ذلك ملتزمون بالأدب متحلون بالسكينة والوقار.

فلا تنافيَ بين أن نكون متمسّكين بالحق وصادعين به، وبين أن نحترم المخالف ونتأدب معه، ولا سيما إن كان المخالف لنا من العلماء الذين لهم فضل وسبق وحسن بلاء في الإسلام ولهم فضائل وخير كثير، ولا سيما إن كانوا مع ذلك كبارًا في السن شيوخًا قد شابوا في الإسلام والعلم والدعوة إلى الله، والله أعلم.. والحمد لله رب العالمين.

وجواب سؤالك الثاني: أن الشاب المستقيم الذي منَّ الله عليه بالهداية عليه أن يعرف النقاط المتقدمة ويتفقه في فقه الخلاف ويعرف حدود كلام العلماء وأقوالهم ومذاهبهم، وأن الحجة هي في الدليل من الكتاب والسنة؛ فلا يتعصب لقول أحدٍ ولا يقلد أحدًا حيث ظهر الدليل وبان، بل يجتهد في طلب الحق، ويسأل العلماء ليتوصل إلى الحق لا لغرضٍ آخر، ويتجنّب العجلة والطيش، فإن العجلة

من الشيطان، ويعرف قدر نفسه وقلة علمه فيلتزم الحياء وكمال الأدب، ويكثر من الدعاء والإلحاح على الله تعالى بأن يريه الحق حقا ويرزقه اتباعه، وأن يرزقه الهدى والسداد، فإن الله أكرم الأكرمين لا يرد سائلا..

وبالجملة.. عليه بأسباب الهداية التي ذكرنا نبذة مفيدة فيها في هذه الأجوبة في «محور الجزائر والمغرب العربي»، والله الموفق، لا إله غيره لا رب سواه.

جواب سؤالك الثالث: لا بأس عليك أخي الكريم، فأنت تطرح مشكلات نحتاج فعلا إلى دراسة حلولها المرضية شرعا، فبارك الله فيك وسددك الله.. ونسأل الله أن يجعلنا وإياك وصاحبك من أهل الصدق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة]، وإذا كان صاحبك ممن يتحرّى الحق والصواب، فإنه سيهتدي إلى الحق والصواب إن شاء الله تعالى.

والتمسُّك بما عليه العلماء هو في الجملة خير وحق، بالنسبة للعوام المقلدين، لكن عليك أن توضّح له أن الواجب هو البحث عن الحق، لأن العلماء ما أكثر اختلافهم! وطريقه إلى ذلك ما دام هو ليس من طلبة العلم القادرين على النظر والترجيح أن يسأل العلماء الموثوقين المؤتمنين على الدين أهل التقوى والورع الصادعين بالحق أهل الشجاعة والقيام بأمر الله لا يخافون في الله لومة لائم، والمعروفين بالتمكن في العلم والقوة فيه.. هذا هو سبيله؛ فإذا فعل فقد أدى ما عليه وأحسنَ، وما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم.

وأنت تقوم في حق صاحبك بما أوجبه الله عليك من النصح والدعوة إلى الله تعالى والتحريض على الجهاد والنصح للمسلمين وخاصة للإخوان ولسائر مَن له حق خاص، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء]، وتبين له ما يجب عليه من البحث عن الحق، وترك التقليد المحض لأهل العلم، ونبذ التعصب لأي عالم ولو كان كبيرًا، وبين له الواجب عند اختلاف العلماء، وهو كما ذكرنا، وبخصوص هذه المسألة فبين له أن هنالك علماء كثيرين من العلماء الكبار المشهود لهم بالعلم والخير والصلاح يؤيدون المجاهدين ويحبونهم وينصرونهم ويوالونهم، ولا تعوزك الأمثلة؛ فكيف يقول إن العلماء قالوا في المجاهدين كذا وكذا، اللّهم إلا أن يقصد مجاهدين مخصوصين في مكان مخصوص، كالإخوة في جزيرة العرب، فما زلنا نقول إن الخلاف في هذا محتملٌ، لكن هل يصح أن يختلف المؤمنون في الجهاد في العراق أو في أفغانستان أو في الشيشان ونحوها؟!

ولهذا.. ما حكيته عنه بأنه يكره أهل الجهاد، هذا مؤشر سلبيّ، وهو ينافي الصدق المدّعى..!!

لكن لعل العبارات تعوزها الدقة، فنسأل الله أن يصلحه ويصلح أحوالنا جيمعا.

وليعلم كل إنسان منا من المكلفين أن الله تعالى قاسِمٌ له نصيبه من الابتلاء والامتحان والفتنة لا محالة، فلا يخدعَنّ امرؤ نفسه بالاتكاء على فتاوى علماء أو حكماء..!!

كلّ إنسان مكلفٌ بحسبه، وسيأتيه نصيبه من الامتحان وسيوضع على المحك؛ فلئن استطاع أن يخدعنا نحن البشر فلن يستطيع أن يخدع الله ﷻ، الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي يخرج الخَبْءَ في السماوات والأرض، الأول الآخر الظاهر الباطن، له الأسماء الحسنى ﷻ.!

ونحن في النهاية دعاة فقط، والهداية بيد الله تعالى وحده، وكل امرئ ميسر لما خُلِق له.. فقضية «صادق ومش صادق»، و«علماء قالوا وما قالوش».. هذه كلها شكليات ومظاهر قد يكون تحتها رصيد من الصدق والحقيقة، وقد تكون مجرد كلام فقط..!! ولكن كل إنسان أدرى بنفسه، فما عليه إلا أن يرجع إلى نفسه ويسألها فستجيبه بما هنالك.! ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾[القيامة]، (**استفتِ قلبَك؛ البرّ ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب**) إلخ الحديث الصحيح المشهور الثابت في مسند أحمد وغيره، وفي آخره: (**وإن أفتاك الناسُ وأفتوك**)[1] وفي لفظ: (**وإن أفتاك المُفتون**)[2]، والحق له نور، ونصب الله عليه علامات لا تخفى، وبراهين ساطعة، ولا سيما في المسائل الكبار التي تشتد حاجة المكلفين إليها وعليها الوعد والوعيد الكبير؛ فلا والله لا يبحث أحدٌ عن الحق فيخسر أو يخيب، بل إما أن يجد الحق ويهتدي إليه وهو الأكثر، وإما أن يُعذِرَ فيجد من الله العذرَ و(**لا أحدٌ أحبُّ إليه العذرُ من الله**) رواه البخاري ومسلم[3].. والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❋ ❋ ❋

---

(١) مسند أحمد (١٨٠٠٦) لكن قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف من أجل «الزبير أبي عبد السلام»، ومثله في: مسند ابن أبي شيبة (٧٥٣)، وذكر ابن رجب في: جامع العلوم والحكم (٢ / ٩٥) أن إسناده جيد حسن.

(٢) مسند أحمد (١٧٧٤٢) وصحح إسناده الأرنؤوط، وقال الألباني في: الجامع الصغير (٩٥٠): «حسن».

(٣) صحيح البخاري (٧٤١٦)، صحيح مسلم (١٤٩٩) ولفظ مسلم: (لا شخص أحب إليه العذر من الله).

〚الرد على شبهة أن الإمام «أحمد» لم يخرج على الحاكم في زمانه، والقول في «جهيمان العتيبي» وكتبه، وأنسب طريقة للدعوة الجهادية والكفر بالطاغوت بين عوام الناس〛

۞ (١) كيف نرد شبهة ذكرها أحد المشايخ في الخروج على الحاكم فقال: «إن الإمام أحمد رحمه الله أوذي وعذب وسجن في فتنة خلق القرآن ولم ير الخروج على الحاكم».

(٢) ما هو موقفنا من الشيخ «جهيمان العتيبي»، وخاصة أن كتابه «رفع الالتباس»[(١)] من أفضل الكتب وأحسنها، وهو مليء بالتوحيد الخالص لله والتبعية الخالصة لرسول الله ﷺ والكفر بالطاغوت.

(٣) ما هي الطريقة التي تراها مناسبة في الدعوة للجهاد والكفر بالطاغوت بين عوام الناس؟

[**السائل:** أبي هاجر]

الجواب:

الفقرة الأولى: واضح أن المقصود بذكر حكاية الإمام أحمد رحمه الله مع الأئمة الذين ابتلوا بفتنة خلق القرآن، هو الاستدلال بها على عدم جواز الخروج على الحكام المرتدين اليوم.. فهذه لا ترقى لأن تسمى شبهة ولا إشكالًا عند أهل العلم، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون..!

والجواب عنها: أن هذا حق، أي الذي فعله الإمام أحمد، وهو أحد القولين في المسألة للعلماء، وهو الراجح، لكن: هذا مختلف تمامًا عن مسألتنا، فمسألتنا نحن اليوم ليست مسألة الخروج على إمام فاسق، فسوقا علميا -بالبدعة والضلالة المحضة- أو عمليا -وهو الفاجر الظالم-.

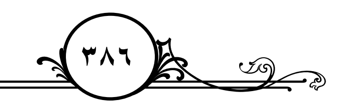
لا..! بل مسألتنا اليوم هي: الخروج على الحاكم إذا كفر وارتدّ.

فالمسألة الأولى -الخروج على الحاكم الفاسق- فيها الخلاف المشهور بين أهل العلم من السلف والخلف، مع أن الراجح عند الجمهور المنع مطلقا من الخروج عليه ووجوب الصبر، وحكاه بعض العلماء إجماعا.!

والمسألة الثانية التي ابتلينا بها اليوم هي الخروج على الحاكم الكافر؛ فهذه مسألة مختلفة عن الأولى كما ترى، والحكم فيها أنه يجب على المسلمين خلع هذا الحاكم وإزالته إن أمكن وتولية حاكم مسلم مكانه يحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فإن لم يمكن ذلك إلا بالقوة، وجب عليهم منابذته والخروج

---

(١) رفع الالتباس عن ملة من جعله الله إماما للناس: رسالة صغيرة تقع في قرابة ٣٠ صفحة، تكلم فيها عن التمسك بالكتاب والسنة.



عليه وعدم طاعته، وحُكي فيها الإجماعُ أيضًا[١]، والأدلة عليها كثيرة معروفة ويكفي فيها قول النبي ﷺ في الصحيحين: (.. **إلا أن تروا كفرا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**)[٢].

فالواقع في مسألة الإمام أحمد ﷺ أن أولئك الأئمة: «المأمون» و«المعتصم» و«الواثق»، وقعوا في بدعة وضلالة وهي القول بخلق القرآن وغيرها من البدع الأخرى بسبب تأثرهم برجالٍ من دعاة المعتزلة والجهمية ممن أدنوهم وقربوهم ووثقوا فيهم، فتشربوا منهم تلك البدع، فقاموا ينشرونها في الناس ويعرضونها على العلماء ويمتحنونهم بها، وكانت فتنة عظيمة كما هو معروف مشهور؛ فهؤلاء الأئمة لم يكفرهم الإمام أحمد ولا أكثر مَن حضر تلك الأيام العصيبة من العلماء، بل لعل عدم تكفيرهم اتفاقٌ، وإن كانوا -أي علماء أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد- قد أطلقوا القول بأن القول بأن القرآن مخلوق: كفرٌ، وأن القائل لذلك كافرٌ، لكنهم لم يكفروا المعين في أكثر الأحوال كما هو معروف، بسبب اعتبار موانع الجهل والتأويل وغيرها.

والحاصل: أن الإمام أحمد وسائر العلماء لم يحكموا على أولئك الأئمة «المأمون» ومَن بعده بالكفر بسبب مقالتهم تلك، بل هم عندهم مسلمون وإن فسقوا ببدعتهم وضلالتهم المعتزلية، لكنهم باقون على الإسلام، ولم ينزعوا يدًا من طاعتهم.

وكان أولئك الأئمة في الجملة على سيرة حسنة فيما سوى ذلك، وكانت الشريعة محكّمة عالية، وكانت رايات الجهاد في زمنهم مرفوعة وجيوش المسلمين صائفة وشاتية غازية لبلاد الروم والترك والديلم، وما فتح «عمّورية» وقصة «وا معتصماه»[٣] و«السيف الذي هو أصدق أنباء من الكتب»[٤] عنك بغائبة، وإنما ابتلوا بتلك البدعة والضلالة غفر الله لهم ورحمهم الله.

مع أنه حتى في مسألة هؤلاء الأئمة الواقعين في بدعة «خلق القرآن» قد حصل أن خرج عليهم

---

(١) قال القاضي عياض: «أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل» انظر: شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٩)، وقال مثله الملا علي قاري في: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٣٩٣)، وقاله غيرهما.

(٢) صحيح البخاري (٧٠٥٥)، صحيح مسلم (١٧٠٩).

(٣) انظر: الكامل في التاريخ (٦/ ٣٨) وقد قوع فتح عمورية في سنة ٢٢٣، قال ابن الأثير: «ذِكْرُ فَتْحِ عَمُّورِيَّةَ: لَمَّا خَرَجَ مَلِكُ الرُّومِ، وَفَعَلَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ مَا فَعَلَ، بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ اسْتَعْظَمَهُ، وَكَبُرَ لَدَيْهِ، وَبَلَغَهُ أَنَّ امْرَأَةً هَاشِمِيَّةً صَاحَتْ، وَهِيَ أَسِيرَةٌ فِي أَيْدِي الرُّومِ: وَامُعْتَصِمَاهُ! فَأَجَابَهَا وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِهِ: لَبَّيْكِ لَبَّيْكِ! وَنَهَضَ مِنْ سَاعَتِهِ، وَصَاحَ فِي قَصْرِهِ: النَّفِيرَ النَّفِيرَ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ، وَسَمَّطَ خَلْفَهُ شِكَالًا، وَسِكَّةَ حَدِيدٍ، وَحَقِيبَةً فِيهَا زَادُهُ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ الْمَسِيرُ إِلَّا بَعْدَ التَّعْبِئَةِ وَجَمْعِ الْعَسَاكِرِ؛ فَجَلَسَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ».

(٤) يعني بذلك قصيدة «أبي تمام» البائية، التي قالها في مدح المعتصم في «عمورية» وهي ٧١ بيتًا، من عيون شعر أبي تمام.



بعضُ السلف ونزعوا اليد من طاعتهم ونابذوهم، كما فعل «محمد بن نصر الخزاعيّ»، وهو من علماء تلك الطبقة الثقات الأخيار وأثنى عليه الإمام أحمد رحمه الله واستغفر له، مع أنه خالفه في الرأي[١]، فلم يكن هناك إجماعٌ على عدم الخروج على أولئك الحكام.!

لكن الرأي الذي غلب واشتهر ومشى عليه الأكثرون هو رأي الإمام أحمد رحمه الله، حتى حكاه بعض المتأخرين إجماعًا، وفيه بحث على كل حال..!

وأما واقعنا اليوم فقد ابتُلِينا بحكام كفروا وارتدوا ونبذوا دين الله وشرعه وراءهم واستبدلوا به القوانين البشرية الملتقطة من زبالات الأمم الإفرنجية وشرعوا من دون الله ما لم يأذن به الله، ووالوا أعداء الله وظاهروهم على المسلمين وحاربوا دين الله الحق والمتمسكين به الداعين إلى التوحيد والمحيين للسنة، وتلبس كثيرٌ منهم بأفكار ومذاهب كفرية علمانية وشيوعية ونحوها، وغيرها من الكفريات التي قد بُسِط الكلام فيها في مواضع أخرى، فنحن نتكلم عن حكام نقضوا التوحيد وأصل الإسلام من وجوه كثيرة، وليس لهم عذر ولا يُتصوّر لأكثرهم عذر.!

والكلام يحتمل البسط أكثر، ولكن فيما ذكرناه كفاية إن شاء الله.

فالذي لا يفرّق بين المسألتين ولا يميّز هذه من هذه، هذا جاهلٌ يُعلّم ويُشرح له إن كان داؤه هو مجرد الجهل -عدم العلم-.. وأما الملبّسون الظالمون المفترون الكاذبون على الله تعالى ممن يتنسبون نوعَ انتسابٍ إلى العلم قويَ أو ضعُف، اشتهر أو انغمرَ، وما أكثرهم للأسف في أيامنا هذه، فهؤلاء ليس لنا معهم إلا الدعاء عليهم أن يفتح الله بيننا وبينهم بالحق وهو خيرُ الفاتحين..! وأن يجعل لعنة الله على الكاذبين..! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الفقرة الثانية: في الواقع معرفتي قليلة بحال الشيخ «**جهيمان العتيبي**» رحمه الله، والقدر القليل الذي رأيته من كتاباته يبدو جيدًا، مشبّعًا بالتوحيد والسنة وقوة الديانة[٢]، وما فيه من أخطاء؛ فهي كما يخطئ سائر البشر، وظاهرٌ أنه كان صاحب دين وتوحيد، لكن قد وقع له هو وأصحابه فتنة، وهي التي

---

(١) كان الخلاف بينهم أنَّ الإمام الخزاعي خرج على حكام زمانه، أما الإمام أحمد فلم يخرج عليهم، ومع ذلك فلم ينكر عليه الإمام أحمد وقد ذكر ابن كثير في: البداية والنهاية (١٤/ ٣١١) خبر مبايعة الناس للإمام أحمد بن نصر الخزاعي «على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن»، حتى قُتل رحمه الله قبل إعلان أمره، قتله السلطان «الواثق».

(٢) جهيمان بن محمد العتيبي (ت ١٤٠٠ - ١٩٨٠م)، قُتل بعد حادثة الحرم الشهيرة مطلع القرن الخامس عشر هجري، كان متأولا للخير لكن لم يصبه رحمه الله، من مؤلفاته: رسالة الإمارة والبيعة والطاعة وحكم تلبيس الحكام على العامة وطلب العلم، البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل، الفتن وأخبار المهدى ونزول عيسى وأشراط الساعة، النصيحة، أوثق عرى الإيمان.. وغيرها.

عُرِفت بفتنة الحرم المكي سنة ألفٍ وأربعمائة للهجرة، وليس عندي تحقيق لما وقع، ولا أستطيع الكلام فيه، فالأفضل أن يرجَع في تقويم ما حصل وتقويم الشيخ جهيمان وجماعته ومعرفة سيرتهم وحالهم إلى أهل العلم الموثوقين من علماء نجدٍ والحجاز، ممن عاصر تلك المرحلة وشهدها أو تحصّل عنده علمٌ بها ممن عاصرها وعرفها جيدا.. والله الموفق.

نسأل الله تعالى أن يغفر لنا وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.. آمين

الفقرة الثالثة: الطريقة المناسبة في الدعوة إلى الله تعالى وإلى الجهاد في سبيله تختلف بحسب حال الداعي والمدعوّ وما يقدر عليه الداعي بحسب ظرفه وواقعه، فكل إنسان يدعو إلى الله تعالى وإلى التوحيد والسنة ويأمر بالخير والتقوى والبرّ، بحسب ما يقدر عليه وبحسب ما يعلم، ملتزما في ذلك فقه وآداب الدعوة، وليس لهذا حد يرجع إليه كل أحدٍ، لكن على كل مسلم أن يكون داعية إلى الله تعالى، كما قال ﷺ: (**بلغوا عني ولو آية**) رواه البخاري[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل]، والقدر الذي يجب على الناس من ذلك يختلف باختلاف العلم والقدرة.

والوسائل للدعوة كثيرة: المشافهة في المجالس مع الأقارب والأصدقاء وزملاء العمل أو الدراسة والجيران والمعارف وسائر الناس، ويستغل المناسبات لذلك، ونشر الكتب والرسائل المفيدة الموثوقة، وكذلك الشريط والسي دي وجميع منشورات المجاهدين الدعوية التحريضية؛ فهذه من أقوى الوسائل للتحريض، ونشر أخبار الجهاد والمجاهدين التي تبث الأمل في قلوب المسلمين، وترفع معنوياتهم وتجدد لهم آمال استعادة الكرامة المسلوبة وتشجعهم وتنفي عنهم الوهن.

والدعوة إلى الكفر بالطاغوت هي جزء من الدعوة إلى الله تعالى، والدعوة إلى توحيده ﷻ، وأنتم تقصدون بها هنا خصوص تعرية الحكام الكفرة المرتدين وكشف كفرهم وحربهم للإسلام وأهله وبيان ذلك للناس حتى يكفروا بهم ويخرجوا عليهم ويستعدوا لمجاهدتهم وبذل الوسع في ذلك، فهذا حق، فعلى المسلم أن يبذل في ذلك ما يقدر عليه، لكن بعلمٍ وحكمة، ويترك ما لا يقدر عليه إلى أهله القادرين عليه، ويتلطف ويستعين بالله تعالى ولا يعجز.

والله الموفق.



(١) صحيحه (٣٤٦١).

〚القول في مراجعة «الجماعة الإسلامية» في مصر، وفي من يلبس على الناس في كفر الحكام، وهل هم مرجئة؟، والقول في فتوى أبي بصير بتكفير القرضاوي؟〛

۞ ثانيًا: ما نظرتك للمراجعات التي تمت من الجماعات الإسلامية في مصر؟.

ثالثًا: ما حكم من يدعي أنه من علماء السلف أو السلفيين وهو يلبس على الناس فلا تراهم يظهرون للناس كفر الحاكم، فضلا على أنهم لا يكفرون الحكام أصلا؛ فهل هؤلاء يقعون في دائرة الإرجاء أم ماذا؟.

رابعًا: ما قولكم في الفتاوى الأخيرة للقرضاوي بخصوص الجهاد؟ وهل ترى بحكم الشيخ أبي بصير القائل «بتكفير القرضاوي» أم أن الشيخ أبا بصير لم يصِب في هذا؟

[السائل: أبو خطاب**]**

الجواب:

الفقرة ثانيا: ما سُمّي بالمراجعات التي وقعت من مجموعة من قيادات الجماعة الإسلامية في مصر من المسجونين في سجون الطاغية المصري؛ فهذه الأولى أن تسمَّى رجوعًا لا مراجعة، بل هي في عمومها انتكاسة وانحراف.. ونسأل الله تعالى أن يردّ أصحابها إلى الحق ردا جميلا، ويوفقهم للتوبة من هذه الضلالات وينجيهم من تلك الفتن، فإننا والله نحب لهم الخير وقد كانت للكثيرين منهم سابقة خير وجهاد ودعوة إلى الله تعالى..

وأكتفي بهذا القدر، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللّهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك، اللّهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الفقرة ثالثا: الإرجاء شيء محدد معروف، وهو في صورته الأصلية إخراج العمل عن الإيمان، أي القول بأن الإيمان هو الاعتقاد القلبي مع إقرار اللسان بالإيمان فقط، وأن الأعمال ليست داخلة في الإيمان، فلا يضر مع إقرار اللسان واعتقاد القلب شيء من الذنوب والمعاصي، ولهذا اشتهر عنهم كلمة صارت كالشعار لهم: «لا يضر مع الإيمان ذنب»، وبناء على ذلك التزموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن إيمان الواحد منهم وإيمان جبريل عليه السلام سواء.

ثم تطور عند بعضهم إلى صورة أكثر غلوًا من هذه وهي الزعم بأن الإيمان هو مجرد إقرار القلب فقط ولو لم ينطق بالإيمان ولم يعمل من أعمال الإيمان شيئا، ثم تطور عند آخرين منهم إلى مجرد معرفة القلب فقط لا غير. نعوذ بالله من الضلالة..!

وهذان القسمان الأخيران هما غلاة المرجئة الذين كفرهم كثيرون من العلماء.

فمن كان من هؤلاء المنتسبين إلى السلفية المشار إليهم في السؤال لا يكفر الحكام المرتدين المتلبسين بنواقض الإسلام الكثيرة المعروفة، انطلاقا من هذا المذهب المشار إليه فهو المرجئ المبتدع الضال، ومَن كان منهم لا يكفر أولئك الحكام أو بعضهم من جهة أخرى كالاعتقاد بأن الحكم بالقوانين الوضعية كفر دون كفر أو نحو ذلك، مع التزامه في الجملة بمذهب أهل السنة والجماعة في العقائد في سائر الأبواب فهو مخطئ، لكن لا نقول إنه مرجئ. والله أعلم.

الفقرة رابعا: لا أعرف ما المشار إليه بالفتاوى الأخيرة للقرضاوي بخصوص الجهاد، ولكن فتاوى هذا الرجل بلاء وفساد ومليئة بالضلالات، نسأل الله تعالى أن يهديه إلى الحق، وأن يقي المسلمين من فتنته، وإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد صدرت عنه أقوال وأفعال بشعة تحتمل الكفر، بل بعضها كفرٌ بين، والعياذ بالله.! ومَن كفّره فذلك غيرُ بعيدٍ.

ولكن الأحسن أن يترك أمر الحكم عليه للعلماء الكبار، أو لجهة علمية ودينية أو مجلس علمي له قوة إلزام مثلا، ونكتفي نحن بالتحذير من ضلاله وفتنته وانحرافاته، وبيان أنه لا يجوز استفتاؤه، ولا أخذ الدين عنه..! ولا ينبغي لشبابنا أن يختلفوا في تكفير فلان أو فلان من أمثال هذا الرجل، وتختلف قلوبهم ويحصل بينهم التدابر والمشاحنة من أجلهم، وليسوا مضطرين للحكم عليهم أصلا، ويكفي للمسلم أن يعرف الحكم على الأعمال، فيعرف الحق وينصره ويدعو إليه، ويعرف الباطل ويجتنبه ويحذر منه، بحسب وسعه، ثم الأشخاص لا يلزمه تتبّع الناس والحكم على كل أحدٍ والانشغال بذلك إلى الحد الذي نراه في بعض الأوساط والساحات؛ لأن الحكم على الشخص يتطلب إثباتات غير الحكم على الأفعال مجردة، ولا سيما والشخص حيّ يتكلم بالإسلام والتوحيد ويمارس سائر أعمال المسلمين وينفي عن نفسه تهمة الكفر ويتبرأ منها ويدّعي تأويلات معينة للمآخذ عليه.. والحكم على الأشخاص ألصق بباب القضاء، كما أن الحكم على الأعمال ألصق بالفتوى.. وإنما يلزم الإنسان معرفة حال مَن هو مضطرٌ لمعاملتهم معاملةً يشترط لها الدين.

فما يضرك أيها الشاب المسلم المجاهد إن سُئلتَ عن القرضاوي وأشباهه أن تقول: لا أعرف حالهم جيدًا، ولا يلزمني أن أحكم عليهم، واسألوا العلماء؟ هذا هو الأحوط لدينك والأسلم لك في آخرتك. والله الهادي إلى سواء السبيل.

❋ ❋ ❋

〚الموقف من الشيخين: «ابن باز»، و«ابن عثيمين»〛

❁ ما هو الموقف من الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين؟

[السائل: راجي عفو مولاه**]**

الجواب:

أما **الموقف من الشيخين ابن باز وابن عثيمين**؛ فالذي أعتقده أنهما من العلماء الذين نفع الله بهم كثيرا وأجرى على أيديهما خيرا كثيرا من نصر السنة والدعوة إلى التوحيد وتصحيح العقائد على الجملة، ونشر العلم النافع المبني على الكتاب والسنة، ومحاربة البدع، ونصر قضايا المسلمين على الجملة أيضًا، وغير ذلك كثير من الخير.

لكن كان لهما -غفر الله لهما- بإزاء ذلك أخطاء كبيرة وزلات أوجبت فتنة للناس وحصل بسببها خلل كبير وفساد عريض، وكان ذلك على الخصوص في ما يتعلق بمسألة الوقت وهي: مسألة الحكام المرتدين الحاكمين بغير ما أنزل الله والمرتكبين لنواقض الإسلام المتعددة، فكانت الكثير من فتاواهما وآرائهما ومواقفهما في هذه المسألة العظيمة غير مرضية، بل باطلة وسيئة للغاية في بعض الأحيان، والكلام في هذا يطول، وهذه من جملة الفتن التي يبتلي الله تعالى بها عباده، فالمفلح الناجح الفائز مَن يحقق الحق ويتحرى الصواب ويتبع الدليل والبرهان، ويترك الخطأ ويعلم أن هؤلاء العلماء هم بشر يخطئون ويصيبون، وأن الله ابتلانا بأخطائهم لينظر مَن يبحث ويتبع الحق والدليل، ومَن يتعصّب لهم ويغالي فيهم ويحتج بحجة الأقوام الهالكين: إنا وجدنا آباءنا وشيوخنا وكبراءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون.! نسأل الله تعالى أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.. آمين.

❁ ❁ ❁

〚حكم بيع وشراء كتب علماء السلاطين التي تتكلم بكافة الأمور الشرعية〛

❁ هل يجوز بيع وشراء كتب أو محاضرات علماء السلاطين التي تتكلم بكافة الأمور الشرعية؟

[السائل: أبو عمارة**]**

الجواب:

هذا ينبغي أن يكون فيه تفصيل، بحسب ما في ذلك من الخير أو الشر والصلاح أو الفساد، لكن الأولى دائما ألا ينشر الإنسان ولا يبيع للناس إلا كتب ومحاضرات العلماء الموثوقين المؤتمنين على الدين والعلم، وأما علماء السلطان والدنيا.. فلا ينبغي نشر كتبهم؛ بل الذي ينبغي إماتتها واجتنابها والتحذير منها، قدر الإمكان، لأن بيعها والمتاجرة فيها ونشرها فيه تزكية لهم، وتنويه بهم وبأفكارهم وأقوالهم ومذاهبهم الفاسدة، وتعريض للناس للخطر والفتنة في دينهم، ومعاونة على الإثم والعدوان.. وبحسب إمكان حصول ذلك وقوته يأخذ هذا العمل حكمه من الكراهة أو التحريم.

وفي كتب العلماء الموثوقين أهل الخير والصلاح والتقوى والجهاد والخشية لله تعالى ما يغني عن كتب أهل الضلالة والمجون من العلماء الفجار البائعين للدين بالدنيا، وقانا الله والمسلمين شرهم.

والله الموفق.

❋ ❋ ❋

〚العلاقة بين المجاهدين والعلماء، والنصيحة للعلماء الصادقين، ولأنصار المجاهدين〛

❁ هل من نصيحة تقدمها لعلمائنا الأخيار والعلماء عامة ولأنصار التيار الجهادي السلفي خاصة وللمسلمين عامة؟

[السائل: مع الحق]

الجواب:

نسأل الله أن يصلح أحوالنا، نحن والله أحوج للنصح، والعلماء هم النصحة المرشدون المعلمون الناسَ الخيرَ، ونحن مستفيدون متعلمون.. ما أحوجنا إلى نصائح العلماء وتوجيهاتهم.!

فإن كان لا بد من نصيحة لعلمائنا الأخيار أهل الصلاح والثبات على الدين أهل الخشية والقيام بأمر الله تعالى والجهاد والصبر، فهي: الهجرة والجهاد، والله لا نرى للعالم اليوم كالهجرة إلى ساحات الجهاد وثغور المسلمين الحقيقية؛ فإن كان للبعض وجه لترجيح بقائه في موطنه، فليس ذلك للأكثرين..! والهجرة والجهاد فيها شرف الدنيا وكرامة الآخرة، فليقتحم العالم المخاطر وليكن جنديًا في الميدان، ولم لا؟! والجهاد مفروض علينا جميعا، وإنما بقاء البعض هو الاستثناء، فلماذا بربّكم صار هذا الاستثناء هو الأصل والقاعدة، وصار العلماء مُعفَين من الجهاد لِزامًا؟!! حتى صار العلم والجهاد كالتنوين والإضافة لا يجتمعان.! بل والله حتى صار العلم وطلبه والاشتغال به عند الكثير من الناس يذكّرنا

بنظام الإعفاء من الخدمة الإلزامية في جيوش دول العصر، إذ يتبارى الناسُ للحصول على سبب للإعفاء، حتى إن بعضهم يقطع أصبعه السبابة ليتحصل على إعفاء من التجنيد..! أصلح الله أحوالنا جميعًا.

وأما أنصار التيار الجهادي ولا سيما من الشباب، فالنصيحة: أن يكونوا مجاهدين كلٌّ بحسبه ومن موقعه حتى يفتح الله عليه فيكون مجاهدًا في خطوط النار، وينال ما يتمنى، والنصيحة أن يجتهد كل منهم في تكميل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، ومن ذلك محاسن الأخلاق والفضائل، وأن يجعلوا الاهتمام بأنفسهم وتكميلها وصيانتها عن المعايب، أهم أعمالهم وأولى أولوية لهم، ويكون ما عداها راجعًا إليها؛ فإذا احتجنا في بعض الوقت إلى أن ننشغل ببعض الناس فإنما يكون ذلك على جهة القيام بما أمر الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر الدين.

ويجمع هذه النصيحة قول المصطفى ﷺ: **(طوبى لمَن شغله عيبُهُ عن عيوب الناس)** قال ابن حجر في بلوغ المرام: رواه البزار بإسناد حسن[1]، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾[المائدة].

وأما المسلمون عامة.. فالله الله في طائفتين في الأمة هما الآن العصمة لعموم المسلمين ولدين الإسلام وهما: العلماء الموثوقون الأخيار الصالحون علماء الآخرة، والمجاهدون في سبيل الله؛ فاعرفوا لهم حقهم وكونوا معهم تفلحوا إن شاء الله.. وبالله التوفيق.

❊ ❊ ❊

〚القول في «برنامج علمي» لطالب العلم، ولماذا يعتقل كثير من العلماء والقادة من الطغاة؟،

والرد على من ذكر -من العلماء- أنه لا يفر من بلاده!〛

❁ (٢) نريد من فضيلتك أن تنصح الإخوة طلبة العلم بدراسة كتب لمشايخ تثق في أمانتهم وفى مناهجهم وذكر الكتب العلمية التي يبدأ بها طالب العلم؟.

(٣) ما تقييمك لما يحدث لكثير من القادة والعلماء من أسر واعتقالات من قبل الصليبين والطواغيت وما سبب ذلك؟

[السائل: شسيبل]

---

(١) بلوغ المرام (١٥٢٤)، لكن ضعف كل أسانيده وطرقه العراقي في: تخريج الإحياء (ص ١٠٤١)، وقال الألباني في: ضعيف الجامع الصغير (٣٦٤٤): «ضعيف جدا»، وقال مثله الحويني في: النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة (١/ ٧٤).

الجواب:

الفقرة رقم ٢: أخي الكريم، هناك الكثير من العلماء والدعاة الثقات وضعوا برامج علمية لطلاب العلم لكيفية طلب العلم مقسمة إلى مراحل زمنية مراعىً فيها التدرج والانبناء اللازم، وكثير من هذه البرامج مطبوع ومنشور على الانترنت، وكلها جيد، فبأيها أخذ طالب العلم فهو حسن.. الشيخ «حامد العلي» له برنامج من هذا القبيل، والشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز» من قبلُ وضع برنامجًا في كتابه «الجامع»، وغيرهم كثير جدا[(١)].

والمهم أن طالب العلم يعرف ما يناسبه؛ هل هو متفرغ لطلب العلم، فمعظم هذه البرامج موضوعة للطالب المتفرغ للطلب، أو هو غير متفرغ بل هو مشغول في الكسب أو الجهاد أو غيره ويحتاج إلى شيء خاص يناسبه، فهذا ينظر فيه بخصوصه على حسب ما عنده من الفرصة للطلب، وبحسب قدراته وملكاته، وإن كان عنده تحصيل سابق يبني عليه وهكذا، ويبدأ بالأسهل فالأسهل، ويراعي قدرته على الجمع بين فنّين أو أكثر أو التفرغ لفن فنٍّ، وهكذا.

والنصيحة دائما هي اختيار كتب العلماء الكبار المتقنين ولا سيما من السلف والمتقدمين حيث أمكن، فإن علمهم وكتبهم أكثر بركة وإصابة للحق وسدادًا.. وبالله التوفيق.

الفقرة ٣: ما يحصل للكثيرين من قيادات العمل الإسلامي والدعاة والعلماء من أسر واعتقالات من قبل الصليبيين والطواغيت هو من جملة المحن والابتلاءات التي يبتلي بها الله ﷻ عباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت]، وكما قال النبي ﷺ: **(أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى المرء على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء)** رواه أحمد وغيره[(٢)].

فهذا أمرٌ طبيعي؛ لأنه من طبيعة الصراع بين الحق والباطل، ومن الأذى الذي يصيب المؤمنين من قِبَل أهل الكفر والعصيان والظلمة، فالواجب فيه الصبر والثبات والأخذ بأسباب دفعه من الهجرة والجهاد وغير ذلك بحسب ما يناسب ويأمر الشرعُ في كل حالة.

---

(١) انظر في برنامج شرعيٍّ لطالب العلم ما يلي: البرنامج العلمي لطلبة العلم؛ لأبي الفضل عمر الحدوشي، لمن يريد أن يقود قافلة الجهاد براية العلم؛ لناصر الفهد، الجامع في طلب العلم الشريف؛ لعبد القادر عبد العزيز (الباب السابع: الكتب التي نوصي بدراستها في صنوف العلم المختلفة)، برنامج تفصيلي لطالب العلم؛ لحامد العلي.. وهذا النوع من المؤلفات قد انتشر مؤخرًا بشكل كبير.

(٢) مسند أحمد (١٤٨١) قال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني في: تحقيق الإيمان (ص ٦٢).

فليس غريبا أن الطواغيت المرتدين وأولياءهم الصليبيين يتتبعون العلماء والقيادات الإسلامية الصالحة من المجاهدين والدعاة إلى الله ويسجنونهم ويؤذونهم ويخرجونهم من ديارهم، فهذه هي طريق الأنبياء والرسل فيها كل هذا، فأتباعهم لا بد أن يصيبهم نصيب من ذلك ما داموا يعيشون ظروفا مشابهة من مواجهة الأقوام الكافرين والطغاة الظالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[إبراهيم]، وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال]؛ فهذا من لوازم السير على طريق الأنبياء والرسل..

ولكن الذي نتمنّاه أن يكون العلماء والدعاة أقوياء في الأخذ بالأسباب التي شرعها الله تعالى وأحبها، ويقتدوا في ذلك بالأنبياء، كما قال الرسول ﷺ: (**المؤمن القوي خيرٌ وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خيرٌ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**) رواه مسلم[١]، والمراد بالمؤمن القوي في هذا الحديث -والله أعلم- القويّ في التدبير والأخذ بالأسباب، القوي على تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية، وذلك بقوة الحرص والعزم وبذل المستطاع في تحصيلها؛ فلا يعجز ولا يستكين بل يستعين بالله تعالى ويجتهد ويأتي كل شيء من بابه، ويدفع أقدار الله بأقدار الله.

ومن ذلك أن لا يحقر الإنسان نفسه بأن يعرّضها لما لا تطيق من البلاء، ولا يستسلم للأعداء، ولا يمنحهم فرصة للنيل منه ما دام قادرا على الهرب منهم والفرار بدينه من الفتن والهجرة إلى الله تعالى والضرب في أرض الله الواسعة كما قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[العنكبوت]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء].

وإن من غرائب الأمور أنك ترى بعض أهل العلم والدعوة يأنفون من الهجرة والهروب من الظلمة القاهرين لهم، ومن الفتن، ويرون الفرار من ظلم الطغاة منقصة، وقد يقول بعضهم: أنا لا أهرب!! يتمدّح بذلك ويتباهى!! وليس ذلك في ميدان القتال وساحة الصيال، إذن لكان شرفًا وفخرًا حقًا، بل وهو في قبضة العدو الطاغي المتجبر، وتحت قهره، وكأن هؤلاء خيرٌ من الأنبياء الذي أخبر الله عنهم أنهم هاجروا وفروا من أعدائهم الذين يضطهدونهم؛ فقد هاجر الكثير من الأنبياء والرسل.. إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وغيرهم كثير، وقال الله تعالى حاكيا عن

(١) صحيحه (٢٢٦٤).

كليمه موسى أنه قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾[الشعراء]، وقال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾[القصص].

فالله المستعان، ونسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا جميعا.

وإن من أسعد الناس حقا بهذه السنن النبوية والمقامات الرسولية هم المجاهدون في سبيل الله، الذين مَنّ الله عليهم بالعزائم القوية والهمم العالية، فطلقوا الدنيا وخافوا الفتن، وفروا بدينهم يضربون في أرض الله الواسعة، يخرجون من ربقة الطواغيت والظلمة المستكبرين، وينابذونهم ويتحررون بتحقيق العبودية الكاملة لربهم ﷻ، فلا يخضعون إلا لسلطانه سبحانه، ولا يطيعون أحدًا إلا تبعا لطاعته، ولا يذلون لأحدٍ إلا تبعا للذلة له سبحانه، كما قال تعالى في وصفهم -وأكرم بهم- وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة].. فلله درهم وعلى الله الكريم نصرهم، ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم ويحشرنا في زمرتهم.. آمين.

❋ ❋ ❋

〚هل يعذر من تأول من العلماء فقال كلاما عاما «تورية» قد يفهم منه عدم موافقة المجاهدين؛ رغم أنه يحبهم ويناصرهم ويعمل في الخفاء في الدعوة للمنهج الحق؟〛

❁ ما رأيكم بمن يعدّ من علماء ومشايخ الصحوة الجهادية ولكنّه تحت ظلّ هذه الظروف يتكلّم بكلام يفهم من ظاهره معارضته لبعض الأحداث والأفعال ولا يستبين مغزاه أو المعنى الحقيقي له، إلاّ لمن يعرف توجّه هذا الرجل كقوله مثلا: «الإسلام لا يجيز قتل المعاهدين» في حدث معين، وهو في باطنه يرى أنّ هؤلاء المقتولين في هذا الحدث ليسوا بمعاهدين أصلا! ويظهر بكلام وخطابات بمثل هذه الصيغة بحجّة أنّه يعمل لدين الله في الخفاء، ولا يضر الكلام إن تكلّم.. فأهل الحقّ لا يضرهم مثل هذا الكلام، وهو لم يتكلّم بما لا يؤمن به، ولم يخالف لفظه اعتقاده، ولكن صيغة الكلام قد يفهمه من لا يعرف هذا الرجل بصورة تختلف عن اعتقاد الرجل..

هل مثل هذه المواقف صحيحة وصاحبها معذور فيها؟ وألا تؤثّر مواقف هذا وأمثاله على المسيرة الجهادية؟

[السائلة: إحدى الأخوات**]**



الجواب:

الحمد لله..

حاصل هذا الفعل المحكي عن هؤلاء المشايخ المشار إليهم هو استعمال التورية والمعاريض، فهذا إن كان ليدفع عن نفسه خطرًا مَخوفا من ظلم الطغاة فلا بأس به، ولا ضرر فيه إن شاء الله.

والواحد من أهل العلم هو أدرى بحاله وظرفه وما يحيط به من أخطار؛ فله أن يترخّص في العمل بالتقية في محلها المشروع، ويستعمل المعاريض أحيانا، فهذا كله مما أباحه الله تعالى للمؤمنين بشرط أن يكون القلب عامرًا بالإيمان مقرًا بالحق، وأن يكون الإنسان محسنًا بأن يقدر ذلك الظرف بقدره، ويقوم بما يستطيعه من طاعة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة]، وقال جل وعلا: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[آل عمران].

وقال كثير من العلماء: إن من شرط صحة هذا الترخص أيضًا ألا يدخل على الإسلام فساد كبير، أو يحصل لجمهور الناس ضلال عن الحق، فإن كان العالِـمُ مسموعا مطاعا متّبعا منظورًا إليه مقتدىً به؛ فامتحنه الظلمة وأرادوا منه أن يجيبهم إلى الباطل ويطاوعهم إلى الإقرار بصحة باطلهم وضلالهم، بحيث لو فعل أضل جمهور الناس، فإنه في هذه الحالة لا يجوز له الأخذ بالرخصة وأن يطاوعهم ويعطيهم ما أرادوا، بل يجب عليه الصبر ولو قتِل في سبيل ذلك؛ وهذا هو المقام الذي وقع للإمام أحمد رحمه الله تعالى في محنة خلق القرآن.

وأما ما عدا ذلك بأن كان مغلوبا مضطهدًا خائفا من ظلم الطغاة وقهرهم، ولم يكن في ترخّصه باستعمال التقية أو التورية والمعاريض، تلبيس كبيرٌ معتبر على الخلق، وإضلال عامّ وكبيرٌ للناس، وبحيث لو وقع شيء يسير من اللبس أمكن زواله بيسر بعد ذلك، فله الترخّص إن شاء الله بشرطه المذكور.

فهذه إذًا حالات يقدرها الواحد من أهل العلم بقدرها حين يُبتلى بها.. والله المسؤول أن يفرج الكروب ويغفر الذنوب، إنه هو التواب الرحيم.

والحمد لله، نحن في هذا الزمان عندما نجد بعض أهل العلم بهذه المستوى فهذا شيء مفرحٌ، فلا بأس أن يتلطفوا ويسايسوا ويحذروا من الطغاة، ويخفوا إيمانهم أيضا ومذاهبهم، المهم أن يكونوا مع الحق، قائمين في الباطن وفي السر وفيما يقدرون عليه بالواجب من نصرة الحق ونصرة الجهاد وأهله

والكون معهم.

الشريعة بحمد الله ولطفه فيها سعة، والمحسِن المريد للحق الذي يفعل الخيرَ، لن يعدَم طريقة لعمل الخير بأساليب التلطّف ومع الأخذ بالأسباب والتوقي من شر الأشرار.

وإنما المصيبة أن نرى بعض أهل العلم والفضل ممن عرفوا الحق وبان لهم الطريق، وعرفوا أيضًا الباطل واستبانت لهم سبيل المجرمين، نراهم قد سيطر عليهم الخوف وأذلهم وأقعدهم بل طرحهم أرضًا فلا تسمع لهم في ميدان نصرة الدين ركزًا، قد خافوا الطواغيت خوفا عظيما منعهم من كل عمل، في علنٍ أو في خفاء!! وتجد الواحد منهم يدفع عن نفسه مخاوِف متوهّمة ووساوس بارتكاب معصية الله تعالى بالنيل من أهل الحق والمجاهدين مثلا وبإظهار الولاء للطغاة الكافرين والمستكبرين الظالمين.!!

فهذا والله لا يجوز ولا يرضى عنه ربنا ﷻ، ويُخشى على صاحبه أنه ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾[العنكبوت] وقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾[الحج]

وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ﵁ مرفوعًا: (**لا يمنعنّ أحدَكم هيبةُ الناس أن يتكلم بحق إذا رآه أو شهده أو سمعه**) وقد صححه الشيخ الألباني في التعليق على «الترغيب والترهيب»[(١)]، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه -إن صح-: (**لا يحقرن أحدكم نفسه**)، قالوا: يا رسول الله، وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: (**يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه، فيقول الله ﷻ يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشيةُ الناسِ، فيقول: فإياي كنتَ أحقَّ أن تخشى**) قال المنذري رواته ثقات، ولكن ضعفه الشيخ الألباني في التعليق على «الترغيب والترهيب»[(٢)]، فالله أعلم، قال الحافظ ابن رجب ﵀: «فهذان الحديثان محمولان على أن يكون المانع له من الإنكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للإنكار»[(٣)] اهـ.

---

(١) مسند أحمد (١١٠١٧، ١١٤٩٨) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وهذا لفظ أحمد، وجاء بنحوه في: سنن الترمذي (٢١٩١)، سنن ابن ماجه (٤٠٠٧)، السلسلة الصحيحة (١٦٨).

(٢) سنن ابن ماجه (٤٠٠٨)، مسند أحمد (١١٢٥٥، ١١٦٩٩، ١١٨٦٨) وضعف إسناده الأرنؤوط، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع الصغير (٦٣٣٢)، السلسلة الضعيفة (٦٨٧٢)، لكن تعقبه الشيخ «عبد الله الدويش» في: تنبيه القاري؛ بأنه صحيح.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٤٨).



وكذا قال غيره من العلماء.. فإن الهيبة إن كانت بمعنى خوف التلف والضرر كالقتل والسجن والضرب والتعذيب؛ فهذا مسقط لواجب الأمر والنهي كما سبق بيانه، وإن كانت بمعنى خوف اللوم والسب ونحوها من الأذى والتعرض للمشاق المحتملة عادة فلا تسقط وجوب الأمر والنهي، وهي المرادة في هذا الحديث والله أعلم.

وللأخت الكريمة وسائر الإخوة أن يراجعوا شرح ابن رجب لحديث: (**مَن رأى منكم منكرًا فليغيّره**)[1] في كتابه العظيم: «جامع العلوم والحكم»[2]؛ فإن فيه تحريرًا نافعًا لهذه المسألة.

وقد نهى الله تعالى في كتابه العزيز عن خشية الناس، ووصف أولياءه وعباده الصالحين بأنهم يخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله، وأنهم لا يخافون في الله لومة لائم، وذمَّ الذين يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وهذه معانٍ واضحة، مما لا يحتاج إلى كبير تفسير، والحمد لله.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في الدين ويجعلنا وإياكم من عباده الصالحين المفلحين.. آمين.

❋ ❋ ❋

〚سبب دفاع كثير من «المنتسبين للدعوة» عن الطواغيت!〛

❁ لماذا يا شيخ نجد هذا الكم الكبير من المنتسبين للدعوة يدافعون عن الطواغيت؟

[السائل: أبو أويس**]**

الجواب:

حسبنا الله ونعم الوكيل.. إلى الله المشتكى وحده لا شريك له ﷻ..

هذه فتنة من جملة الفتن التي يبتلي الله ﷻ بها عموم الناس، أن يبتليَهم بفساد بعض العلماء وأهل العبادة، فعلى العبد المسلم أن يلجأ إلى الله سبحانه ويستعين به ويجتهد في تحقيق الحق، ويكثر من الدعاء والعبادة، والله كافيه، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾[الروم]، وقال: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٢١﴾[النور].

إنها يا أخي الكريم أزمان الفتن التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة؛ (**فتن كقطع الليل**

(١) صحيح مسلم (٧٩).

(٢) هو الحديث الرابع والثلاثين، من (٢ / ٢٤٢) إلى (٢ / ٢٥٦).

المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرًا يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل)[(١)]، فتن تتوالى وتتابع يرقّق بعضُها بعضًا أي يُصيره ويظهِرُه رقيقًا؛ لأن التي تأتي هي أكبر من أختها فتبدو أختها السابقة صغيرة بالنسبة إليها، نسأل الله أن يعصمنا وإياكم من مضلات الفتن..

والفتنة بالسلاطين والأمراء والحكام والملوك هي من أشد أنواع الفتن التي تفسد العلماء وتذهب بدينهم، ولهذا ورد في الشريعة التحذير منها، وجاء عن السلف من الصحابة والتابعين ﷺ جميعا في ذلك شيء كثير، وقد جمع السيوطي ﷺ ما ورد في ذلك في رسالته التي أشرنا إليها في جواب سابق[(٢)].

ولو فرض أنه لم يرد في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، فإنه لا شك في تحريم القول على الله بغير علم والكذب على الله ورسوله، وكتمان العلم، والقول بالباطل والحكم به، والسكوت عن الحق المتعين بيانه، ومعاونة الفجرة والظالمين والمحدِثين في الدين، بلهَ الكافرين الزنادقة المرتدين، ومعلومٌ يقينًا أن قرب السلاطين أهل الدنيا، وطرق أبوابهم، وغشيان مجالسهم، ومخالطتهم، والجلوس على موائدهم وقبول منهم، أنه وسيلة مؤكدة إلى تلك المحرمات الموبقات؛ فعُلِم بذلك النهي والزجر الأكيد عنها، وتحريمها بلا تردد.!

وهذا هو الذي فهمه السلف ﷺ وأرضاهم؛ فحذروا من قربان السلاطين أشد التحذير، مع أن السلاطين كانوا في زمانهم سلاطين الإسلام وأئمة المسلمين الذين يحكمون بشريعة الإسلام، ويسيرون جيوش الإسلام لفتح البلاد وبسط كلمة الله على العباد، ورفع رايته فوق كل سهل وجبل.

وأما هؤلاء الحكام اليوم ممن ابتلينا بهم.. فإن مقاربتهم هي والله السمُّ الزعاف الذي لا يكاد يُرجي لصاحبه بُرء، نسأل الله أن يعافينا وكل أحبابنا ومشايخنا.. آمين؛ فإذا تأملت ذلك وعرفت ضعف الإنسان وقلة صبر أكثر الخلق وتمكّن الشهوات من النفوس، لم تستغرب من كثرة الهالكين، وإنما الغرابة حقًا في الناجين السالكين.! وكما قال بعض السلف: ليس العجب فيمن هلك كيف هلك، إنما العجب فيمن نجا كيف نجا..!

نعم.. أولئك الغرباء أهل غربة الدين الذين أخبر عنهم النبيّ ﷺ بقوله: **(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء)**[(٣)]، ولما سئل عنهم أخبر بأنهم: **(الذين يصلحون ما أفسد**

---

(١) صحيح مسلم (١١٨).

(٢)يعني رسالته ﷺ المسمّاة: «ما رواه الأساطين في فتنة من أتى أبواب السلاطين».

(٣) صحيح مسلم (١٤٥) لكن بفلظ: (وسيعود كما بدأ غريبا..)، ورواه بهذا اللفظ جماعة كُثر.

الناس)[١]، و(**يَصلُحون إذا فسد الناسُ)**[٢]، وأخبر أيضًا أنهم (**النزاع من القبائل)**[٣]، وأنهم (**اجتمعوا على كلمة الله تعالى ونصرة دينه على غير أرحام بينهم)**[٤]، وأنهم (**يُحيون سنته ﷺ عند فساد أمته)**[٥] وقد صح بعض هذه الزيادات دون البعض الآخر!، كما يتحصل من مجموع الأحاديث.

فهؤلاء «طوبى» لهم، أي الخير الكثير لهم من الله تعالى عندما يُجازى الخلق على أفعالهم، و«طوبى» أيضا شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها كما جاء في الخبر الصحيح، أولئك هم الناجون المفلحون.. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

ولذلك يتعين على العبد في أزمان الفتن هذه أن يتحرّى في أخذ دينه عن المنتسبين إلى العلم المتسمين بالعلماء، وأن يبحث عن الحق، وينظر فيما أخبر عنه النبي ﷺ من الواجبات في هذه الأحوال وعن صفات الغرباء والناجين والطائفة الظاهرة المنصورة ويجتهد في الكون معهم ومنهم، فإن فعل ذلك واستعان بالله تعالى واعتصم به، فإنه مفلح لا محالة.

روى البخاري ومسلم عن حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر؛ حدثنا أن (**الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة)** ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: (**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرُها مثلَ الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المَجْل؛ كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، فيصبح الناسُ يتبايعون لا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة، حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى عليّ زمانٌ وما أبالي أيكم بايعتُ، لئن كان مسلما ليردّنه عليّ دينه، ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه عليّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا**

(١) سنن الترمذي (٢٦٣٠)قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الألباني: ضعيف جدا.

(٢) أخرجه باسم المفعول: الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣١، ٥٣٢)، وصححه الألباني في: السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

(٣) سنن ابن ماجه (٣٩٨٨) وصححه الألباني، مسند أحمد (٣٧٨٤) وصحح إسناده أحمد شاكر، والأرنؤوط وقال: «على شرط مسلم».

(٤) لم اجده بهذا اللفظ ألبتة، ولكن جاء في: سنن أبي داود (٣٥٢٧) من حديث عمر بن الخطاب: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: (هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ..)، وصححه الألباني.

(٥) جاء بلفظ: (الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله)، في: مسند الشهاب (١٠٥٣)، جامع بيان العلم (١٩٠٢)، وفيه: كثير بن عبد الله؛ ضعيف، ومنهم من نسبه إلى الكذب.

وفلانا) هذا لفظ مسلم(1).. وبالله التوفيق والعصمة.

❁ ❁ ❁

〚نصيحة إلى الإخوة الذين يصدقون الكافرين ضد المجاهدين؛ فيضروهم من حيث أرادوا النفع، وضرورة التثبت في نسبة الأخبار للمجاهدين، ومنهج التعامل مع أخطائهم〛

❁ رأيت كثيرا من مناصري الجهاد ومحبي الجهاد أرخوا رؤوسهم قليلا حتى لا يتهموا بالإرهاب أو التعصب خاصة في المنتديات التي فيها الحرب قائمة على الجهاد وشيوخه وقادته.. فتجده في اللحظة التي نرى فيها عملية للمجاهدين لم يتبنوها بعد وشوهها العملاء.. يكتب مقالا يُجرم ويحرم تلك العملية؛ فيطير بها أعداء الجهاد ويجعلونها مددا في الحرب على المجاهدين وأعوانهم.. فما رأيك يا شيخنا بذلك؟

[السائل: أبو أسامة المكي**]**

الجواب:

أهلا وسهلا بالأخ الحبيب «أبي أسامة المكي»، حياك الله أخي، وجزاك الله خيرا وحفظكم الله..

رأيي فيما ذكرتم أخي الكريم أنه خطأ طبعا.. أن يسارع الإنسان ولا سيما مَن كان من أهل العلم والدعوة إلى الله تعالى إلى بناء موقفه على ما يحكيه الإعلام الكافر والعميل، عن المسلمين وعن أهل الجهاد خصوصًا، هذا خطأ ومزلة ومجازفة، وصاحبها معرّض للندم والحسرة أو أن يستجره ذلك إلى التمادي في الخطأ إن لم يعصمه الله تعالى ويتداركه بلطفه.

هذا خطر فعلًا..! بل على المسلم وخاصة أهل العلم أن يتحلوا بصفة التثبّت والتبين كما أمر الله تعالى في أنباء الفاسقين، ويُقدّموا حسنَ الظن بالمسلمين عمومًا والمجاهدين خصوصًا، ويلتزموا المنهج القرآني العظيم في مثل هذه المواقف، ذلك المنهج المسطور في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

---

(1) صحيح البخاري (٧٠٨٦، ٧٢٧٦)، صحيح مسلم (١٤٣). و**(الوكت)** هو الأثر اليسير، وقيل: هو سواد يسير، **(المجل)** بإسكان الجيم وفتحها لغتان والمشهور الإسكان، وهو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل، **(فنفط)** يقال نفطت يده نفطا من باب تعب ونفيطا إذا صار بين الجلد واللحم ماء، **(ومنتبرا)** مرتفعا.

خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة].

وقصة نزول هذه الآية الكريمة -كما هو معروف-: أن المشركين شنّعوا على المسلمين بأنهم قاتلوا وقتلوا في الشهر الحرام، وكان النبي ﷺ قد بعث سرية على رأسها عبد الله بن جحش في أواخر جمادى، فصادفوا رجالا من المشركين فقتلوهم في آخر الشهر وهم يظنونه من جمادى؛ فتبين بعدها أنه كان أول رجب، فشنع عليهم «إعلام» المشركين، وأثاروها «ضجّة» كبرى، ومن ورائهم اليهود لعنهم الله، وقالوا: هذا محمد يزعم أنه يأمر بتعظيم شعائر الله ويقتل في الشهر الحرام، وتكلموا كثيرا، فلما رجع عبد الله بن جحش وأصحابه إلى النبي ﷺ قال لهم: **(ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام)**، وحزِن النبي ﷺ مما وقع، وهذا من تمام رحمته ﷺ وشفقته على أمته وحذره من نفرة الخلق عن الحق، فنزلت هذه الآية الكريمة من سورة البقرة(1)، يبين الله تعالى فيها أن القتال في الشهر الحرام كبيرٌ، أي إثم عند الله، نعم، وهذا تعليم لنا أن نقرّ بالحق ونقوم بالقسط، ثم بين أن الأكبر منه والأشد هو ما فعلتموه أنتم أيها المشركون من الصد عن سبيل الله والكفر به والصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه، فهذا أكبر عند الله، ثم بين قاعدة عامة وهي أن الفتنة أكبر من القتل.

فالحاصلُ أن المنهج المقصود هنا في حالة وقوع الأخطاء من المسلمين والمجاهدين في حق أعدائهم يتمثل -انتزاعًا من هذه الآية الكريمة وما في معناها- في نقاطٍ أهمها:

- الاعتراف بالخطأ حيث كان واضحًا وجليًّا.

- وبيان أنه خطأ لا نقره، بل ننهى عنه، ونعطيه درجته وحجمه اللائق.

- والاعتذار عن المسلم المرتكب له إن كان ثمتَ عذرٌ.

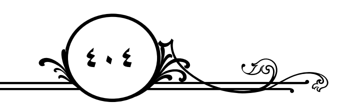
- ثم الانتقال من ذلك إلى الأهم، وهو الهجوم على الكافرين أعداء الدين وبيان أنهم هم الظالمون المعتدون، وردّ عاديتهم ببيان فسادهم الكبير وآثامهم العظيمة، والتنكيل بهم بإبراز أفعالهم القبيحة الشنيعة حقا، وأن أخطاء المسلمين بالقياس إلى خطاياهم هم.. لا تساوي شيئا.!

فهذا هو المنهج الصحيح في مثل هذه المآزق، والله أعلم، وبه ﷻ التوفيق.

وأنت تعلم أيها الأخ الحبيب أن الحامل على مثل هذا التسرع والمجازفة المشار إليها في سؤالكم قد

---

(١) ينظر: السنن الكبرى للنسائي (٨٧٥٢)، جامع البيان للطبري (٤٠٨٩)، تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٧٣، ٥٧٤)، وهو صحيح مرسلا عن عروة بن الزبير، وروي موصولا عن جندب البجلي ﵁ وفي إسناده «الحضرمي» وقد اختُلف فيه؛ فإن كان «ابن لاحق» فالحديث حسن، وإن كان شيخ «سليمان التيمي» فهو مجهول، ينظر: تخريج الظلال للسقاف (ص ٥٦).



يكون الغيرة على الدين وإرادة تبرئة الدين والمنهج والمحافظة على نقاوة صورته ونفي التهم عنه، وهذا مقصد صحيح في نفسه، لكن لا بد أن يكون بالحق وعلى بينة وبصيرة كما ذكرنا، وقد يكون الدافع هو أشياء أخرى نفسية من الخوف على النفس وعلى المصالح الدنيوية والمعيشية، أو غير ذلك.

فينبغي أن يعرَف هذا، ويُعطى كلٌ ما يستحقه، مع مراعاة أن الأصل دائما في المسلمين أهل العدالة الظاهرة أو المستورين أن نحمل أحوالهم على أحسن المحامل ونحسن بهم الظن، ثم بعد ذلك نردّ الخطأ ردًا مجردا ونبين الصواب الذي أرانا الله.. والله أعلم.

ولتكميل المقام أخي الكريم، وقد ذكرتم أن الكثير من مناصري الجهاد ومحبيه يحاولون تجنب أن يُتّهموا بالإرهاب أو التعصب، في «المنتديات» وغيرها؛ فإن هذا كما تعلم يكون على وجهٍ محمودٍ مأذون فيه شرعًا، ويكون على وجه غير مشروع.

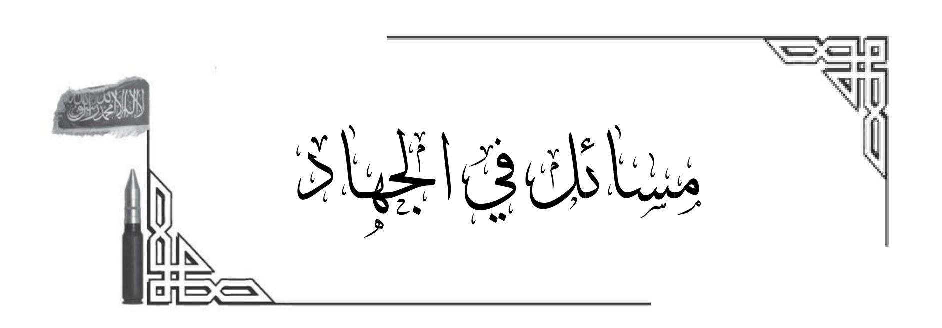
كما سبق وتكلمنا عن مسألة التورية واستعمال المعاريض من قبل بعض أهل العلم في بعض الأحوال والمواطن، فهذا شبيه به، فكون الإنسان من أهل العلم والفضل يحرص على تجنّب ما يشوه سمعته وصورته، ولا يدخل مداخل تزري به وتهينه، ويتلطف أيضًا حتى لا يجد عليه الأعداء مستمسكا يضرونه به، فهذا من التدبير الجيد المشروع، وصاحبه ممدوح غير مذموم، بشرط أن لا يمنعه ذلك من القيام بالواجبات، أو يحمله على فعل ما يحرُم كما سبق بيانه.

والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. نسأل الله تعالى المولى القدير أن يبرم للمسلمين أمرَ رشدٍ يعزُّ فيه أهل طاعته ويذِل فيه أهل معصيته، ويؤمَرُ فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، وأن يغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

والحمد الله أولا وآخرا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الجمعة ١٧ رجب ١٤٢٧هـ

١١ أغسطس ٢٠٠٦م



﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف]

[القول في «صدام حسين» واختلاف الناس فيه]

❁ أرى أن الناس منقسمون إلى فسطاطين في شأن «صدام حسين»؛ فمنهم من يرى أنه كافر، ومنهم من يرى غير ذلك لما بدر منه من معالم التوبة والعبادة في مجالس محاكماته.. ما قولكم الشخصي في أمر صدام حسين؟

[السائل: الأسيف ٢]

الجواب:

الحمد لله رب العالمين..

أخي الكريم، إنَّ «صدام حسين» كان حاكمًا من جملة حكام بلاد المسلمين الذين لا يحكمون بشرع الله تعالى والموالين للكفار والمحاربين لدين الله الحق، انضاف إلى ذلك أنه علمانيّ بعثيّ، والفكر البعثيّ لا شكَّ في أنه كفرٌ، وقد كفر صدامًا الكثيرُ من العلماء..! فهو طاغوت من الطواغيت لا شك في ذلك، ثم أذله الله تعالى ونزع منه الملك بقدرته وعزته ﷻ، ولم نعلم مع ذلك أنه تاب من ذلك الكفر وتلك النواقض التي كان متلبسا بها، بل إنه لا يزال يتبجح ببعثيته.!

وأما قولك: «**لما بدر منه من معالم التوبة والعبادة في مجالس محاكماته**» فليس شيء من ذلك معتبرًا من «معالم» التوبة!! فإن الرجل كان متلبسا بكفر ظاهر طوال حياته السياسية وسنين حكمه التي جاوزت الثلاثين.. فتوبته أن يترك ذلك ويقلع عنه ويتبرأ منه ويصلح، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[النور]، وقال ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا

﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾[البقرة]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾[النساء].

ولا يكفي في ذلك أن يقرأ القرآن ويسبّح؛ فإنه كان يفعل ذلك أيام مُلكه وكنا نكفره، فلم يتغير شيء.. ثم إنه اليوم مغلوب مقهور قد أصابته الذلة والمسكنة، وقد اشتهر عن الرجل تظاهره بالصلاح واستغلاله للشعارات الإسلامية أيام محنه، فالحاصل أنني لا أرى أنه قد أظهر التوبة، والله أعلم.

ونحن والله نفرح بتوبته وتوبة عموم الكفار، ونتمنى أن يتوبوا ويرجعوا إلى التوحيد، ولكن لا يمكن أن ننخدع بمثل تلك المظاهر، بل الكافر الذي اشتهر كفره ومرد عليه سنين طوالًا في حال اختياره، لا بد أن يتوب منه توبة ظاهرة ويصلح.. والله أعلم.

✵ ✵ ✵

〚أثر التفجيرات داخل «البلاد الإسلامية» على التعاطف مع المجاهدين، وبيان أهمية «الحاضنة الشعبية» للمجاهدين، وضرورة زرع العقيدة الجهادية بين الناس〛

❁ هل تتفق معي أن التفجيرات التي حدثت في بلاد المسلمين - مثل السعودية ومصر وغيرها - حولت كثيراً من المتعاطفين مع «القاعدة» إلى عدم تأييدها، وقد أثرت على الشباب الملتزم بحيث أن النظرة الأولى للشباب الملتزم أنهم تكفيريون؟ يكرهون المسلمين؟!

سؤالي هو: ما هي الحلول التي تقترحها للقاعدة لكي تعيد التعاطف معها وربما الانضمام معها؟

[السائل: SHADIWO N DARK]

الجواب:

كون تلك التفجيرات والمصادمات التي حدثت في «السعودية» على الخصوص، قد حملت بعضًا - كثيرا أو قليلًا!- من المتعاطفين مع «القاعدة» إلى عدم تأييدها ونشأت عنها بعض المفاسد؛ فهذا أظنه صحيحًا، وإنا لنأبى أن نكابر في الحق.! وأعتقد أنها من جملة الفتن والابتلاءات والامتحانات للناس.. وأعتقد أن الإخوة المجاهدين لم يكن بوسعهم أحسن مما كان؛ فقد بينت أنهم اضطروا إلى خوض



المعركة، وأن الدولة اضطرتهم وألجأتهم، وقصة مقتل الشيخ «العييري»[1] ﷺ تعالى خير شاهدٍ، وغيرها كثير؛ فالدولة حسمت أمرها وأرادت الشر وكشرت عن أنياب العداوة.

وعلماء السوء قاتلهم الله لم يقصروا في نصرها وخذلان الشباب والتضييق عليهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فكان ما كان.. لكن ذلك أيضا لا يخلو من خير بإزائه.

والعبرة بغلبة الخير والصلاح الكامن أساسًا في طاعة الله تعالى والعمل بأمره سبحانه، وهو هنا الجهاد، والعبرة بالعاقبة والجملة، لا بما يحصل من مفاسد مرحلية، ولا بما يحصل في مكان معين دون سائر الأماكن، والله أعلم.

فقد حصل الكثير من التمحيص، وكانت خطوة ولبنة في الطريق، هذا تصورنا نحن.

وقد سبق الكلام على «جزيرة العرب» في محوره بما لا يخلو من فائدة لمتأمله.

والتأييد للمجاهدين من قبل الجمهور.. هو مطلب نحرص عليه نعم؛ لكن ليس هو كل المطلب ولا هو أول وأهم المطالب، فإظهار الحق على قلّته وضعف أهله وإبرازه وإعلانه ورفع رايته يأوي إليها مَن وفقه الله، ولو بعد حين، ويتأثر الناس بها كما يتأثر الناس بالشهداء الثابتين على الحق، وما في ضمن ذلك من الخير والبركات؛ هذه هي أهم الأولويات.

وأما الجمهور فإننا مع حرصنا على كسبهم وتأليفهم والتيسير عليهم وعدم تنفيرهم فإننا نعلم أيضا أن جمهورهم مع الأهواء والشهوات ومع الغالب، وكما يقول أهلنا في الجزائر: «مع الواقف ولو كان سيدي البغل»!! فأغلبهم هم مسلمو العافية والدار، وعند المَحَكَّات والمحن فإنهم يسقطون سراعًا إلا مَن رحم الله تعالى.!! غالبهم لا يبالون بدين ولا توحيد إذا سلمت لهم دنياهم.. الخ ما تعرفون ولا نطيل به، فهذه حقائق لا تغيب عنا.!

والمجاهد أحيانًا يوضع بين أن يختار الجمهور أو يختار إظهار الحق الذي لا مساومة فيه كالتوحيد؛ فلا شك أن الحق هو التمسك بالتوحيد وإن خسر الجمهور، فنحن لسنا «شيوعيين بروليتاريين»، معاذ الله.!! ثم إنه بشيء من الصبر والانتظار -انتظار الفرج- تزول تلك الآثار ويبقى الحق لأنه حق، ومعناه الثابت المستقر، بخلاف الباطل الذي هو المتلاشي المضمحل الزائل الذاهب.

---

(١) هو الشيخ الحافظ العسكري المحنك: «يوسف بن صالح بن فهد العييري»، الملقب بـ: «البتار»، قُتل في جزيرة العرب في ربيع الأول ١٤٢٤، بعد جهاد طويل في أفغانستان والجزيرة، له مؤلفات نافعة، من أهمها: «حقيقة الحروب الصليبية الجديدة» كتبه في تسعة أيام بعد «غزوات الحادي عشر من سبتمبر» نُصرة لأبطالها الاستشهاديين التسعة عشر، ومدحه الشيخ أسامة بن لادن ﷺ، ومنها: «هل انتحرت حواء أم استشهدت؟» في مشروعية العمليات الاستشهادية، و«الميزان لحركة طالبان» وغيرها.

مع الصبر يأتي النصر والفرج، وتتغير الأمور..

فلا ينبغي للمسلم أن يغتر بكثرة تغيّر الناس، ويظن أن الجهاد والحركة الجهادية قد خسرتْ؛ لأن كثيرا من الناس في موطن من المواطن قَلُوْهَا، ما دام المجاهدون على الطريق الصحيح في الجملة، وإن حصلت أخطاء، وما دام أن هناك ثلة صالحة من المؤمنين مناصرين لها واثقين فيها محبين لها.

فأول الحلول هو الصبر والثبات، ثم الإصلاح من شأننا دائما، وترشيد مسيرتنا؛ فنحن بشر نخطئ ونصيب، ولسنا معصومين، وما أحوجنا إلى أن نصلح أنفسنا دائما ونسدد ونراجع ونستفيد من الخطأ فلا يتكرر.. وهذا الطريق أقل أحواله ودرجاته، على التنزّل مع الخصوم، أنه كطريق الحسين رضي الله عنه.. فمَن نشِبَ فيه فليثبت وليمت كما مات الحسين..! وله فيه أسوة وفي أمثاله؛ بل والله إنهم لأحق منه في الخروج على هؤلاء الحكام، بل والله ما أبعد ما بين الشقتين..!! ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا وسائر إخواننا وأحبابنا على الحق حتى نلقاه.. آمين.

❃ ❃ ❃

[كلمة في التربية البدنية والرياضية]

❁ **أتمنى منك شيخنا الغالي أن توجهنا إلى بعض التمارين الرياضية البدنية التي تساعدنا على الاستعداد للانخراط في المواجهات الجهادية المستقبلية ضد أعداء الله، وذلك من خلال خبرتك في مجال الجهاد، وذلك حتى لا نكون عبئا على إخواننا المجاهدين وأتمنى أن يكون على شكل جدول يومي مفصل وذلك حتى يسهل علينا تطبيقه..**

[السائل: الصراع**]**

الجواب:

يغفر الله لنا ولك، أنا يا أخي لست متخصصا في التربية البدينة والتدريب الرياضي والعسكري، فلا أستطيع إعطاءك ما تريد، بل هذا له أهله المتخصصون فيه، وهو بحمد الله متوفر أيضًا في الكتب وعلى النت[1]، فعليك بمنتدى «الحسبة وغيره»، واسأل الإخوة يفيدونك، وأنا أخاف إن أعطيتك شيئا من التمارين أن يفلق رأسك ويقصم ظهرك..! والله يفتح عليك.

❃ ❃ ❃

(١) ينظر كتاب: «الرياضة البدنية قبل الجهاد» ليوسف العييري، و«اللياقة البدنية العليا» لأبي أنس الحربي.. وغيرها.

〚**ما هي صفة الخوارج؟ والرد على من زعم أن المجاهدين من الخوارج؟**〛

❁ أنا من مناصري المجاهدين في بلاد الرافدين والشيشان وأفغانستان وجميع بقاع الأراضي الإسلامية.. ولكن عندما أسمع الدعاة يتحدثون عن الخوارج والتكفيرين.. يهبط قلبي وأفكر في نفسي وأقول: هل المجاهدون خوارج؟ ثم أرى الأحاديث: (**لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم**)؛ فأريد ما هي صفة الخوارج؟

[السائل: alimam 4]

الجواب:

أخي الكريم، أسأل الله أن يجعلك من المجاهدين ومن أهل الحق وأنصاره وأن يهدي قلبك.

أوصيك بتقوى الله تعالى والبحث عن الحق، ولا تغتر بكثرة الهالكين كما قال سلفنا، ولا تستوحش من قلة السالكين، فهذه من أصول السير على طريق الحق.!

أما الخوارج فهم مَن اتصف بصفات معينة جاء ذكرها في أحاديث النبيّ ﷺ الكثيرة الواردة فيهم، وقد بينها العلماء ولك أن تراجعها في مواطنها[(١)]، **وأهمها**:

١- أنهم يكفرون عموم المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم، فمن لم يكن منهم ويعتقد اعتقادهم ويواليهم ويبرأ ممن سواهم -من أهل الإسلام- كفروه واستحلوه؛ بدعاوى مختلفة تتخذ صورًا متنوعة متقاربة من عصر إلى عصر.!

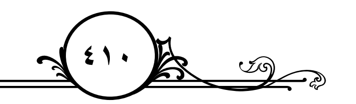
٢- أنهم ينشغلون بقتل أهل الإسلام -لأنهم يكفرونهم ويرونهم أهل ردة، ويستحلونهم؛ فيجدونهم لقمة سائغة عندهم ولا سيما ضعفاؤهم- ويتركون قتال وقتل أهل الكفر الأصليين فلا ينشغلون بهم ولا يولونهم أهمية، قال ﷺ: (**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**)[(٢)].

٣- أنهم يكفرون المسلمين بكبائر الذنوب؛ بل بكثير من الصغائر، وحاصله أنهم يعتقدون ما ليس كفرًا من المعاصي والذنوب كفرًا، إما بشكل كليّ -قاعدة كلية-؛ كقولهم مثلا: كل من عصى الله فإنه

---

(١) عامة كتب الفرق والاعتقاد المتقدمة والمتأخرة ذكرت صفاتهم، وممن توسع فيهم: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري، و«الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي، و«الفِصل» لابن حزم، و«التنبيه» للملطي، و«التبصير في أمور الدين» للإسفراييني، و«فرق المسلمين والمشركين» للرازي، و«المواقف» للإيجي، و«الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها» لغالب العواجي، و«آراء الخوارج» لعمار الطالبي، وغيرها من كتب الفرق المعاصرة، وقد كتب مشايخنا -بارك الله فيهم- كُتبًا مختصة في نازلة «جماعة الدولة الخارجية» تبين حالهم وتذكر أوصافهم مع انطباقها على واقعهم.

(٢) صحيح البخاري (٣٣٤٤، ٧٤٣٢)، صحيح مسلم (١٠٦٤).



لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر لقوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]-، أو بشكل جزئي كثير الأفراد بحيث صار -بسبب كثرة أفراده أي مسائله التطبيقية- بمنزلة الكليّ.

فهذه أهم ثلاث صفات لهم.. وجاء في الأحاديث وفي كتب الفرق مما عُلِم من تاريخهم الأول أيام ظهور أولهم في زمن النبي ﷺ أو في أيام ظهورهم كجماعة وطائفة واضحة متميزة أيام عليّ رضي الله عنه؛ جاء وصفُهم بعدة صفات أخرى، منها أنهم حدثاء الأسنان -جاء في الحديث[1]- ومنها: أنهم أهل طيش وفتوى قليلو العلم والفقه، وأنهم ليس فيهم عالمٌ من الصحابة ومعتبري علماء التابعين، بل جملتهم من المغمورين وأهل الأحداث المتهوّرين، وأنهم كثيرو العبادة من صلاة وصيام ونحو ذلك..

لكن هذه الصفات ليست لازمة والله أعلم، وتحقيق ذلك له موضع غير هذا، وإنما الصفات التي هي صفاتهم التي بها كانوا «خوارج» مستحقين للقتال والقتل كما قال الرسول ﷺ: **(أينما وجدتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم)** رواه البخاري[2]، هي الصفات الثلاث المذكورة أعلاه.. فهذا مختصر مفيد إن شاء الله، وأنت عليك بمطالعة الكتب وتحقيق المسألة أكثر حتى يطمئن قلبك.

فإذا تقرر لك هذا، فاعلم أن المجاهدين اليوم من «القاعدة» وغيرها من أخواتها من الجماعات الجهادية، سواء في جزيرة العرب أو العراق أو في أفغانستان أو الشيشان أو الجزائر وغيرها.. ما أبعدهم والله عن وصف الخوارج، بل هم من خيار أهل السنة والجماعة أهل الحق، مجاهدون على الكتاب والسنة ظاهرون على الحق، وهم بفضل الله تعالى من أحق الناس بالدخول في قول النبي ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين..)** الحديث[3].

فوالله إن مَن عرفهم لا يشك في ذلك، وإنما يشك فيه ويتردد أحد رجلين: رجلٌ لم يعرفهم وإنما يسمع عنهم من بعيد أشياء مختلفة لا يدري تحقيق الحق فيهم، أو رجلٌ زائغ مبطل فاسد الدين قد رتع الشيطان في قلبه وغادره بلقعًا..!! نسأل الله العافية والسلامة.

فلا إخواننا يكفرون عموم المسلمين ولا أكثرهم، بل هم منضبطون في ذلك بضوابط وأصول وفروع أهل السنة في مسألة التكفير لا يخرجون عنها، فما كان من شذوذ حصل من البعض أو خطأ فلا

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٧، ٣٦١١) وزاد: (سفهاء الأحلام).

(٢) صحيح البخاري (٦٩٣٠)، صحيح مسلم (١٠٦٦).

(٣) صحيح البخاري (٢٤٨٤)، صحيح مسلم (١٥٦، ١٩٢٣).

ينقض ذلك عند مَن أنصف وعرف العلم والحقَ.!

ولا إخواننا يكفرون بالذنوب والمعاصي.. لا الكبائر ولا الصغائر، وما مِن مسألة من مسائل التكفير خالفهم فيها غيرُهم إلا وهي مسألة قابلة لذلك ولاجتهادهم فيها حظ من النظر، وإلا وأدلتهم فيها ظاهرة غالبة عند البحث، وإلا ولهم (المجاهدين) فيها سلفٌ، وقد قال بقولهم فيها بعض العلماء المسلّم لهم بالعلم والفتوى.!

ولا إخواننا ممن يقال فيهم: (**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**).. بل هم منشغلون كما ترى ويرى كل الناس بقتال الكفار الأصليين بالأساس وفي الأصل، ثم بقتال الحكام والحكومات المرتدة، وحيث لم يوافقهم كثيرٌ من الناس في تكفير بعض الحكومات؛ فهذا موضع اجتهاد بلا شك ولا مرية، مع أن الحق معهم ودلائلهم ظاهرة باهرة وأنوار براهينهم ساطعة، وليسوا شاذين عن إجماع معلوم ولله الحمد والمنة، بل ما مِن مسألة إلا ولهم فيها سلف قريبٌ أو بعد، وما مِن مسألة إلا ومعهم فيها بعض أهل العلم من أهل العصر أيضا رحمة من الله ولطفًا وتوفيقا.. فسبحان الله الذي يهدي مَن يشاء ويضل من يشاء؛ ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ ﴿٤١﴾﴾[المائدة]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾[يونس].

✵ ✵ ✵

〚منهج الشيخ «عمر عبد الرحمن»، وحكم ضباط أمن الدولة بالتعيين، وهل يجوز قتلهم؟〛

۞ أرجو منكم الدعاء للشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن، وما رأيك في منهجه؟.

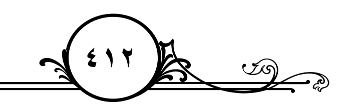
وسؤالي هو: ما هو الحكم الشرعي في ضباط أمن الدولة في أرض الكنانة الذين يحاربون الشباب المسلم ويرمونهم في السجون، ومنهم من يساعد في عمليات التنصير؟ وهل يجوز لنا قتل هؤلاء الطواغيت الذين يحاربون الإسلام؟.

[**السائل**: النواوي]

الجواب:

أسأل الله ﷻ أن يثبت الشيخ عمر ويفرج كربه ويربط على قلبه وينزل عليه اليقين والسكينة، وأن يشفيه ويعافيه، وأن يختم له بالحسنى، ويجعله من عباده الفائزين المقبولين الوارثين الفردوس هم فيها خالدون.. آمين.

ومنهج الشيخ «عمر» الذي كان معروفا هو منهج الدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن



المنكر والأخذ بالعزائم قدر الاستطاعة، والصدع بالحق.. منهج الالتزام العلمي الصحيح بالكتاب والسنة، والتمسك بالدليل، لا تقليد ولا تعصب إلا للحق البين في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إن الشيخ عمر في عصرنا إمامٌ من أئمة الهدى نحسبه كذلك.. صدع بالحق يوم أن سكت الناس، وجاهد في سبيل الله يوم أن تخاذل الناسُ..! وكان قدوة للجيل، معلمًا للخير، محييًا لموات الأمة، جزاه الله خيرًا.. فلله دره ونسأل الله برحمته الواسعة أن يتقبل منه ويرفع درجته في عباده الصالحين.. آمين.

ضباط أمن الدولة «في مصر»: هم من جنود دولة المرتدين الحامين لها المحامين عنها بالروح والدم، والذي يتحصل عندنا من معرفة حالهم أن الأصل فيهم الكفر والردة؛ فهم طائفة مرتدة، لما عرفناه من حالهم ولوضوح قيام الحجة عليهم، إن كان يلزم قيام حجة أصلا، فإنهم طائفة ممتنعة محاربة للدين ولأهله، بل هم رأس الحربة في جند الطاغوت ودولة الردة لحرب أهل الدين والتوحيد والسنة وتعذيبهم على الدين لا غير.!!

وهؤلاء يا أخي الكريم واجبٌ قتالهم حتى يرجعوا إلى دين الله تعالى، ويُقتل في ذلك المقدور عليه منهم، ويقاتلون قتال المرتدين والطوائف الممتنعة عن الشرائع.

هذا واجبٌ على المسلمين معلّق في أعناقهم، فإن عجزوا فعليهم الإعداد والاستعداد لتكميل النقص وتحصيل القدرة على ذلك؛ فمتى قدروا فعلوا الواجب عليهم، وإذا تمكنت طائفة من المسلمين من ذلك فعليهم القيام بذلك، ووجب على المسلمين نصرها (نصر هذه الطائفة منهم).

وأما قتل الواحد منهم بالنسبة لإخواننا في الظروف العادية (أي في غير حالة الحرب المعلنة) فهذا وإن كان جائزا في الأصل لما أشرنا إليه من حل دمائهم واستحقاقهم للقتال والقتل.. لكن هو خاضع للسياسة الشرعية للمسلمين، فلا بد من النظر في المصالح والمفاسد، والعمل في نطاق خطة المجاهدين العامة، وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

[إعداد بعض الشباب لتنظيمات سِرّيّة؛ إعلامية وعسكرية]

❁ هل ترى أن يقوم بعض الشباب بالقيام بتنظيمات سرية غير معلنة يقومون فيها بالعمل الجهادي سرا مثل: المناصرة الإعلامية في الانترنت وغيره، والتدريب على السلاح وغيره، والقيام ببعض العمليات؛ كاغتيال من أفتى العلماء بقتله وقيل فيهم: «لا تشاور أحداً في قتلهم».

[السائل: Pirate**]**

الجواب:

بارك الله فيك.. لا بأس أن يقوم بعض الشباب بعمل تنظيمات سريّة من أجل الجهاد في سبيل الله إعلاميا أو اقتصاديًا أو عسكريا أو غيره، ما داموا محتاجين لذلك وبالضوابط الشرعية التي أشرنا إلى بعضها في بعض الأجوبة السابقة وغيرها.

سواء احتوت هذه التنظيمات السرية على عهد بالسمع والطاعة «بيعة» لرأس التنظيم المختار «الأمير»، أو كانت في صورة بسيطة من التنسيق والتعاون بين الأفراد بدون بيعة لأمير.. هذا جائز، وعليه الفتوى عند جماعة من علمائنا، والحمد لله.. فإن المسلمين تحت هيمنة دول الردة مشروع لهم ذلك، بل هو مطلوب لأنه وسيلة إلى الجهاد في سبيل الله.

وأدلة هذه المسألة مبسوطة في مواضعها.. وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

〚التحالف مع الحركات العلمانية المرتدة، وسبل إخراج أسرى المسلمين من السجون، وحكم تسليم المسلم نفسه للطواغيت، وحكم سبي الكافرات〛

❁ (٣) هل يجوز أن نتحالف مع الحركات العلمانية المرتدة؟ وإلى أي حد يجوز إقامة حلف معها؟.

(٤) ما هو العمل الجاد والعملي في إخراج أسرى المسلمين؟.

(٦) هل يجوز سبي الكافرات؟ كاليهوديات في فلسطين أو النصرانيات في لبنان؟

[السائل: أبو دجانه الشامي**]**

الجواب:

الفقرة ٣: الأصل عدم جواز التحالف مع الحركات العلمانية المرتدة، ولا يحلّ ذلك إلا للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، وبضوابطها.

الفقرة ٤: العمل الجاد والواقعي لتحرير أسرى المسلمين هو الجهاد في سبيل الله، هذا هو السبيل الأهم والأقوى، وقد توجد سبل وأعمال أخرى تنفع في ذلك أيضا؛ فأي طريق مشروع يوصل إلى ذلك ويعين عليه فعلى المسلمين سلوكه، فإن أسرى المسلمين في سجون الكفار من أصليين ومرتدين

واجبٌ على المسلمين تخليصهم، وهو فرض على المسلمين، الأصل أنه فرضُ كفاية، فإذا لم يقم به أحد أثم الجميع..! فجميع المسلمين اليوم آثمون بترك السعي الجاد في ذلك، إلا مَن سعى بالفعل وحاول وبذل جهده وطاقته، فإنه يبرئ ذمته وينجو من الإثم، لعدم حصول الكفاية ولا ما يقاربها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال القاضي أبو بكر بن العربي عند قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [الأنفال]: «.. إِلَّا أَنْ يَكُونُوا أُسراءَ مُسْتَضْعَفِين؛ فَإِنَّ الْوِلَايَةَ مَعَهُمْ قَائِمَةٌ، وَالنُّصرةَ لَهُمْ وَاجِبَةٌ بِالْبَدَنِ بِأَلَّا يَبْقَى مِنَّا عَين تَطْرِفُ حَتَّى نَخْرُجَ إِلَى اسْتِنْقَاذِهِمْ إِنْ كَانَ عَدَدُنَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ، أَوْ نَبْذُلَ جَمِيعَ أَمْوَالِنَا فِي اسْتِخْرَاجِهِمْ، حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ دِرْهَمٌ، كَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ وَجَمِيعُ الْعُلَمَاءِ.. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى مَا حَلَّ بِالْخَلْقِ فِي تَرْكِهِمْ إِخْوَانَهُمْ فِي أَسر الْعَدُوِّ، وَبِأَيْدِيهِمْ خَزَائِنُ الْأَمْوَالِ وَفُضُولُ الْأَحْوَالِ، وَالْعُدَّةُ وَالْعَدَدُ، وَالْقُوَّةُ وَالْجَلَدُ»[1] اهـ.

فمن الطرق الممكنة، بالإضافة إلى العمل الجهادي المسلح:

❖ بذل الأموال لفدائهم وتحريرهم.

❖ العمل الإعلامي والسياسي المشروع من خلال الجمعيات الضاغطة والمذكرة بقضيتهم والمنوهة بهم والساعية للمدافعة عنهم وتحريرهم.

❖ السعي الشخصي والجماعي وخاصة من قبل العلماء، بالكلمة والدعوة، وبالتحريض وبالتهديد والتخويف للكفار، وبتبني قضيتهم عموما والاهتمام بها.

❖ الأعمال المندرجة تحت اسم «الحرب» و«الجهاد» وإن قام بها أفرادٌ، بشرط أن تكون منضبطة بالشريعة ومندرجة تحت المشروع الجهادي العامّ، كأسر الكفرة الحربيين والمطالبة بمفاداتهم بأسرانا، ونحو ذلك، وهي ناجحة وفعّالة جدًا، وتحتاج إلى صبر وتكرار المحاولات، حتى يحصل الضغط القوي على الحكومات الصليبية وعلى رأيها العام فينتج المطلوب، فإن الكفار يصبرون ويتجلدون أيضًا، وإن لم تُجدِ الواحدة والاثنتان والثلاثة، فستجدي العشرة والعشرون والثلاثون.!

وإن مما يُبكى عليه ويُتحسر، ومما يدمي القلب حقا، هذا السكوت من أكثر العلماء عن إخواننا في سجون الكفار، فلا يتكلمون ولا يسعون، وكأنهم ليسوا إخوانهم، وكأن الأمر لا يعنيهم، وكأنهم ليسوا مهيئين ليكونوا قادة الأمة ودعاتها..!! وترى بعضهم إذا ذكروا له يتحسر ويحسبل ويحوقل، ثم

---

(١) أحكام القرآن (٢ / ٤٤٠).



لا يزيد على ذلك شيئا إلا الانهماك في خاصة شأنه..! وبعضهم ربما تكلم عنهم مرة أو مرات قليلة في عمره لرفع العتبِ!! حتى إذا قيل: ما للعلماء ساكتين لا يحرّكون ساكنًا، انتفضوا رادّين معنّفين: ألم تسمع العالم الفلاني تكلم في المرة الفلانية؟!

والأمر الآخر العجيب من أكثر أهل العلم إلا من رحم الله أنك تراهم كأنهم لا يعتبرون إخوانهم المسلمين المسجونين في سجون الطواغيت المرتدين كحسني والقذافي وطاغوت سوريا وطاغوت تونس وأمثالهم، رغم ما يلاقونه من التعذيب في ذات الله، ومن الفتنة عن الدين؛ كأنهم لا يعتبرونهم أسرى يستحقون التحرير والتخليص، فلا يذكرونهم ولا يسعون في تحريرهم، إلا من رحم الله تعالى وقليل ما هم..!

فوالله إن هذا لشيء عظيم، ليس بهين.. وسوف يحاسبون عليه ويؤاخذون به.. وانتظروا إنا منتظرون..!! وحسبنا الله ونعم الوكيل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الفقرة ٦: «هل يجوز سبي الكافرات؟ كاليهوديات في فلسطين أو النصرانيات في لبنان؟»

الذي نراه لحد الآن في مسألة السبي -لنساء الكفار وذراريهم- والله ﷻ أعلم؛ هو المنع منها الآن، وذلك احتياطًا للفروج، ولعدم إمكان انضباط هذا الأمر في حالنا وظروفنا الراهنة[1]، والمجاهدون يخوضون حربَ عصاباتٍ، كرٍّ وفرّ، ولا يملكون دارًا يأوون إليها ويُحرزون ما سَبَوه، ولتأديته إلى

(١) قال الشيخ عبد الله عزام في: في الجهاد فقه واجتهاد (ص ٧٨): «هل يجوز سبي النساء الشيوعيات -اتخاذهن جواري- طبعا الجواب النظري.. نعم يجوز اتخاذهن جواري، لو جاء وسألني لقلت: يحرم اتخاذ هذه النساء جواري.. لماذا؟! لأني أعرف لو اتخذوا واحدة من نساء جلال آباد من نساء الشيوعيين؛ اتخذها واحد عربي جارية، لذبح العرب جميعا.. لماذا؟! لأن المرأة زوجة الشيوعي من القبيلة الفلانية التي معظم أبناؤها مجاهدين، فكيف يراد من ابنتهم، قد سرقها عربي واتخذها جارية؟! الحكم النظري يجوز هو مجاهد، لكن الشيخ ما يعرف طبيعتهم.. طبيعة هذه الأمور، هذه قليلة والأعراض أيضا غالية جدا، والمصلحة هنا تقدم وترجح الحرمان، والمنع للمصلحة الشرعية» اهـ، وقال الشيخ أبو يحيى الليبي في تعليقه على متن الإقناع (ص ٢٩): «الذي نقول به في مسألة السبي في هذا العصر بسبب الحال التي يمر بها المجاهدون، نرى والله أعلم أن هذا الباب مغلق الآن، أولًا: لما ذكره هنا -يعني احتياطًا للفروج حتى لا يقع الحرام-. والأمر الآخر: لمفاسد عظيمة تترتب على هذا الأمر إن فُتح، وهذا حصل، عندما فتح باب السبي في بعض المناطق كالبوسنة والمجاهدون هناك سبوا بعض النساء الصربيات وبفتاوى من بعض العلماء فبعد ذلك حصل شر كبير على المجاهدين، حيث تجرأ الصرب على نساء المسلمين انتقامًا، وحصل هذا أيضًا في بعض المناطق في الشيشان، مع أن هؤلاء الكفرة في الأصل لا غيْرة لهم، ولكن يفعلون هذا انتقامًا من المسلمين، وأمر السبي ليس شيئًا واجبًا يتحتم علينا أن نفعله، وإنما هو أمر جائز، فإذا تركناه لأجل المفسدة الكبرى التي تقع إن قمنا عليه فهذا أمر مشروع وقد يكون واجبًا، يعني قد يكون تركه واجبًا، هذا هو الأمر الثاني»اهـ. قلتُ: وقد سبى خوارج «جماعة الدولة» في وقتنا هذا نساءً ونشروا ذلك؛ فسُبِيَت نساء أهل السنة بالآلاف.

مفاسد محققة لو فتح هذا الباب في مثل ظروفنا المشار إليها.

مع أن الأصل المعلوم هو جواز سبي نساء الكفار وذراريهم أعني الكفار الأصليين كاليهود والنصارى الحربيين، وإنما الخلاف والتفصيل في نساء وذراري المرتدين، لكن هذا نظرٌ طارئ للأسباب التي أشرتُ إليها.. هذا هو الرأي الذي نراه، وعليه بعض شيوخنا.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، سبحانه.

***

[حكم من يكفر جميع الأمة أو المجتمعات الإسلامية، وحكم التعامل مع الدول التي لا تحكم بشرع الله والتحاكم لقضائها، والتحاكم لقضاء الدولة الكافرة لمن يعيش فيها من المسلمين، وذكر مسائل في الحاكمية، وحكم الصلاة خلف أئمة الدولة]

❁ السؤال الأول: ما حكم من يكفر الجميع مثل الذين يكفرون كل المسلمين الذين ينتمون إلى الدول الإسلامية التي لا تحكم بشرع الله؟.

السؤال الثاني: هل يجب التعامل مع الدول التي لا تحكم بشرع الله؟ وهل يجب التحاكم في قضائها حتى لو كنت ظالما أو مظلوما كار ها أو راضيا؟.

السؤال الثالث: هل يجب الصلاة خلف أئمة هذه الدولة والتعامل مع كافة المسلمين الذين ينتمون إليها؟.

السؤال الرابع: بعض إخواني يحكمون على هذه الأمة وحكامها بالكفر المطلق!

أريد من فضيلتكم الاجابة على هذه الاسئلة من الكتاب والسنة.. لأنني أعيش في دوامة لا يعلمها إلا الله ونزاع مستمر مع إخوتي.

[السائل: أبو مازن – السودان]

الجواب:

مرحبا بأهل السودان، وحياك الله أخي.

جواب السؤال الأول: يا أخي الكريم وفقك الله.. الذي يكفر جميع المسلمين الذين ينتمون إلى البلاد الإسلامية ويعيشون تحت سلطان الدول المرتدة في بلداننا؛ الذي يفعل ذلك ضالٌّ منحرف انحرافًا عظيمًا، وهذا هو بالضبط طريق الخوارج الذين تكلمنا عنهم في جواب سابق.! فإياك وهؤلاء

واحذرهم فإنهم مفتونون.! والغالبُ أن هؤلاء يجمعون بين الجهل الكبير في الدين، وبين الغرور والطيش والتهور؛ فخير لك -وأنت لا تقدر على دعوتهم ولا مناظرتهم- أن تبتعد عنهم وتجانبهم ولا تسمع منهم ولا نصف كلمة، بل عليك بأهل العلم الموثوقين فاسألهم واقرأ لهم واستمع، والله يوفقك ويسددك.

جواب السؤال الثاني: أنت تقول «يجب»، وعليك أن تتعلم استعمال «يجوز» في مثل هذا، فتقول هل يجوز كذا؟ وكلمة التعامل كلمة مجملة -فضفاضة واسعة تحتمل عدة معاني- فما التعامل المسؤول عنه؟

على كل حال.. التعامل الواجب مع الحكومات التي لا تحكم بشرع الله هو دعوتها إلى التوحيد والرجوع إلى دين الله والتزام شرعه، وجهادها على ذلك حتى ترجع، أما ما سوى ذلك من التعامل؛ كالتعامل الدنيوي المعيشي وغيره، فهذا فيه التفصيل.

وأهم ضوابطه: أنه لا يجوز موالاتها ونصرتها ولا التحاكم إليها، بل يجب على المسلم البراءة منها ومعاداتها والكفر بها، لأنها حكومات كافرة وهي طاغوتٌ.. فما عدا ذلك، أي مما لا يدخل في موالاتها ونصرتها والتحاكم إليها؛ فإنه جائز متى احتاج إليه الإنسان، ما لم يمنع مانع آخر.. والله أعلم.

وأما مسألة التحاكم إلى قضائها؛ فما دامت لا تلتزم شرع الله ولا تحكم به، فهي طاغوت كما قلنا، ولا يجوز التحاكم إليها قولًا واحدا، ليس في ذلك خلاف بين أهل العلم..

وذلك لنصوص الكتاب الحكيم الواضحة البينة في ذلك، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾[النساء]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء].

ولكن هناك مسألة تكلم فيها العلماء المعاصرون، وهي مسألة: **رفعِ المسلم الذي يعيش في بلاد الكفر -تحت سلطان دولة كافرة أصلية أو مرتدة-؛ رفعِهِ قضية أمام محاكم تلك الدولة -التي لا تلتزم بشرع الله- ليأخذ حقه المغصوب**، الذي هو حقه المتقرر لا شك فيه، كأرضٍ أو دارٍ أو مالٍ اغتصب منه أو سرق منه أو نحو ذلك؛ لأنه لا يمكنه التوصل إلى حقه إلا بأن يرفع أمره إلى الشرطة في تلك الدولة ويرفع قضية في جهازها القضائي..



فهذه مسألة من النوازل تكلم فيها أهل العلم المعاصرون[١]**:**

❖ **فمِنَ العلماء** مَن منع بالكلية وأمر بالصبر، وذلك خشية اندراج هذه الصورة في «التحاكم» إلى الطاغوت المنهي عنه، والمعدود -في ديننا- كفرًا.

❖ **ومن العلماء** مَنْ رخّص فيها للضرورة، لأن الناس محتاجون إلى المحافظة على أموالهم وأملاكهم وردّ المغصوب منها والمسروق، فلو منعناهم من ذلك لحصل ضرر عامٌ كبيرٌ لا يطيقه العامّة، والحاجيّات إذا عمّت بها البلوى (تعلقت بالجمهور أي أكثر الناس) فإنها تصير إلى درجة الضروريات، إذ يمكن منع فردٍ أو بعض أفراد وحمله على الصبر وعدم أخذ حقه مثلا، لكن لا يمكن ذلك لجمهور الناس، ولو فعلنا لحصل ضرر عظيم، مع ما ينضاف إليه من تسلّط الكفار على المسلمين حينما يرونهم لا يطالبون بحقوقهم، فيتضاعف الضرر.

وهذا متّجه، وحاصله تنزيل هذه الحالة منزلة الإكراه؛ فإن أخذ المال كله أو جزء كبير معتبر منه بحيث إن أخذه مجحِف بالإنسان إجحافًا بالغًا معدودٌ إكراهًا عند بعض أهل العلم، فالمال شقيق النفس، واحتج له بعض أهل العلم بقصة «الحجاج بن عِلاط» التي في «مسند الإمام أحمد» بطولها، ورواها النسائي وابن حبان والطبراني وغيرهم أنه استأذن النبي ﷺ بعد أن أسلمَ أن يذهب إلى مكة كاتما إيمانه ويقول شيئًا، أي شيئا مما تستدعيه الضرورة لتخليص أمواله كأن ينال من النبيّ ﷺ، فأذن النبي ﷺ له[٢].

---

(١) انظر في حكم التحاكم إلى القوانين مكرها أو مضطرا: فتوى في التحاكم إلى القوانين الوضعية؛ للشيخ حمود العقلاء الشعيبي، حكم التحاكم لغير شرع الله مكرها أو مضطرا؛ للشيخ المقدسي، الثلاثينية (الفصل الثالث: أخطاء في التكفير، الخطأ ٢٣، ٢٤)، مسألة التحاكم إلى الطاغوت؛ للطرطوسي، الجامع في طلب العلم؛ لسيد إمام، مع تعليق الشيخ المقدسي (ص ١١٣٦) وهو مهم ونفيس.

(٢) قال الإمام أحمد في: مسنده (١٢٤٠٩): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ قَالَ: سَمِعْتُ ثَابِتًا، يُحَدِّثُ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا، وَإِنَّ لِي بِهَا أَهْلًا، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَهُمْ، فَأَنَا فِي حِلٍّ إِنْ أَنَا نِلْتُ مِنْكَ، أَوْ قُلْتُ شَيْئًا؟ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ، فَأَتَى امْرَأَتَهُ حِينَ قَدِمَ فَقَالَ: اجْمَعِي لِي مَا كَانَ عِنْدَكِ؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ قَدِ اسْتُبِيحُوا وَأُصِيبَتْ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ: فَفَشَا ذَلِكَ بِمَكَّةَ؛ فَانْقَمَعَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَظْهَرَ الْمُشْرِكُونَ فَرَحًا وَسُرُورًا قَالَ: وَبَلَغَ الْخَبَرُ الْعَبَّاسَ فَعَقِرَ، وَجَعَلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي عُثْمَانُ الْجَزَرِيُّ، عَنْ مِقْسَمٍ قَالَ: فَأَخَذَ ابْنًا لَهُ يُقَالُ لَهُ: قُثَمُ، فَاسْتَلْقَى فَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

حِبِّي قُثَمْ شَبِيهُ ذِي الْأَنْفِ الْأَشَمّ
نَبِيِّ ذِي النِّعَمْ بِرَغْمِ مَنْ رَغِمْ

وهؤلاء العلماء وضعوا شروطًا وضوابط لهذا الحالة:

- أن يلجأ إلى هذه المحاكم وهو كاره مضطر إلى ذلك، بحيث إنه تعذر عليه الوصول إلى حقه إلا عن طريق هذه المحاكم.

- أن يأخذ حقه فقط ولا يزيد عليه.

❖ **ومن العلماء** مَنْ لم يرَ ذلك من التحاكم أصلًا، وإن سمّاه مَن سمّاه تحاكمًا؛ فإن تسمية الناس لا اعتبار لها، إنما العبرة بالحقائق والمعاني التي علق الشارعُ بها الحكم، وبتسمية الشارع حيث تحققت.

قالوا: وهذه الصورة ليست تحاكمًا، بل هي شكوى إلى السلطان الكافر واستعانة به ليأخذ الحق من الظالم ويؤديه للمظلوم، ومعلوم أن هذه المسائل مما اتفقت عليها جميع الشرائع السماوية والأرضية الوضعية، أعني النهي عن السرقة والغصب وتحريمها، ووجوب رد الحق إلى صاحبه، فهذا حق متقرر معلوم، والذي يرفع قضيته إلى الشرطة أو إلى المحكمة الكافرة لا يرفع قضيته على وجه التحاكم إليهم بمعنى طلب أن يحكموا له في مسألة هو لا يعرف حكمها أو يعرف أن حكمها عندهم مخالف لحكم الله المعلوم، ولا على أن يلتزم بحكمهم مهما كانَ، كيف وهو -المسلم المظلوم- مصرح بالكفر بهم

قَالَ ثَابِتٌ: عَنْ أَنَسٍ: ثُمَّ أَرْسَلَ غُلَامًا إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ عِلَاطٍ، وَيْلَكَ مَا جِئْتَ بِهِ، وَمَاذَا تَقُولُ؟ فَمَا وَعَدَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتَ بِهِ. قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ لِغُلَامِهِ: اقْرَأْ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: فَلْيَخْلُ لِي فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ لِآتِيَهُ، فَإِنَّ الْخَبَرَ عَلَى مَا يَسُرُّهُ، فَجَاءَ غُلَامُهُ فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ الدَّارِ، قَالَ: أَبْشِرْ يَا أَبَا الْفَضْلِ. قَالَ: فَوَثَبَ الْعَبَّاسُ فَرَحًا حَتَّى قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ الْحَجَّاجُ، فَأَعْتَقَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْحَجَّاجُ، فَأَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ، وَجَرَتْ سِهَامُ اللهِ ﷻ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ، وَخَيَّرَهَا أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ، أَوْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا، فَاخْتَارَتْ أَنْ يُعْتِقَهَا وَتَكُونَ زَوْجَتَهُ، وَلَكِنِّي جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ لِي هَاهُنَا، أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ فَأَذْهَبَ بِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْتُ؛ فَأَخْفِ عَنِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ اذْكُرْ مَا بَدَا لَكَ قَالَ: فَجَمَعَتْ امْرَأَتُهُ مَا كَانَ عِنْدَهَا مِنْ حُلِيٍّ وَمَتَاعٍ، فَجَمَعَتْهُ فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ انْشَمَرَ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ أَتَى الْعَبَّاسُ امْرَأَةَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ زَوْجُكِ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَتْ: لَا يُخْزِنُكَ اللهُ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا الَّذِي بَلَغَكَ. قَالَ: أَجَلْ لَا يُخْزِنِّي اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللهِ إِلَّا مَا أَحْبَبْنَا: فَتَحَ اللهُ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللهِ، وَاصْطَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَتْ لَكِ حَاجَةٌ فِي زَوْجِكِ فَالْحَقِي بِهِ، قَالَتْ: أَظُنُّكَ وَاللهِ صَادِقًا، قَالَ: فَإِنِّي صَادِقٌ، الْأَمْرُ عَلَى مَا أَخْبَرْتُكِ، فَذَهَبَ حَتَّى أَتَى مَجَالِسَ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَقُولُونَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ: لَا يُصِيبُكَ إِلَّا خَيْرٌ يَا أَبَا الْفَضْلِ، قَالَ لَهُمْ: لَمْ يُصِبْنِي إِلَّا خَيْرٌ بِحَمْدِ اللهِ، قَدْ أَخْبَرَنِي الْحَجَّاجُ بْنُ عِلَاطٍ، أَنَّ خَيْبَرَ قَدْ فَتَحَهَا اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللهِ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أُخْفِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، وَإِنَّمَا جَاءَ لِيَأْخُذَ مَالَهُ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ هَاهُنَا، ثُمَّ يَذْهَبَ. قَالَ: فَرَدَّ اللهُ الْكَآبَةَ الَّتِي كَانَتْ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ، وَمَنْ كَانَ دَخَلَ بَيْتَهُ مُكْتَئِبًا حَتَّى أَتَوُا الْعَبَّاسَ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، فَسُرَّ الْمُسْلِمُونَ وَرَدَّ مَا كَانَ مِنْ كَآبَةٍ أَوْ غَيْظٍ، أَوْ حُزْنٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. اهـ، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وينظر: السنن الكبرى للنسائي (٨٥٩٢)، صحيح ابن حبان (٤٥٣٠)، المعجم الكبير للطبراني (٣١٩٦).

وبأحكامهم وبأنها طاغوتٌ، لكنه يقول: ما الحيلة في أخذ حقي ومالي المغتصب، ولا يمكنني التوصل إلى ذلك إلا بالشكوى إلى هذا الطاغوت والاستعانة به ليأخذ لي حقي من رعيّته وأبنائه ويسلّمه لي؟!

قالوا: ومعلوم أن معنى التحاكم رفعُ القضية المختلف فيها بين الخصمين إلى جهة لتحكم بحكم بينهم؛ فهو تفاعُلٌ في الأصل لأنه تشارُكٌ بين اثنين، وهذا أكثر استعمال صيغة «تفاعل»، فإذا استعمل للواحد فهو بمعنى مجرّده (الفعل المجرد منه، تقديرًا إن لم يكن مستعملا)، وهذا الذي يرفع القضية إنما يرفعها على شرط الالتزام بحكم تلك الجهة، إما ظاهرًا وباطنًا (مؤمن بها)، أو ظاهرًا فقط.

فالتحاكم إذن: هو طلب الحكم من جهة ما على أن يأخذه ويتلقاه عن تلك الجهة ويلتزم به.

فهذا معنى التحاكم، والذي نصّ الله ﷻ أنه لا يجوز إلا له سبحانه أي إلى شرعه وما جاء به رسوله ﷺ، وعدَّ المتحاكمَ إلى غيره (إلى غير شرعه وما بعث به رسولَه) كافرًا متحاكما إلى الطاغوت، وسمّى الله تبارك وتعالى هذا الذي يحكم بين الناس على غير مبدأ الالتزام بشريعة الله تعالى طاغوتاً وأمر بالكفر به.

وأما مسألتنا التي نحن بصددها فليس فيها هذا المعنى، فخرجت عن حدّ «التحاكم»، بل كل ما فيها أنها شكوى إلى ذلك الطاغوت واستعانة به ليؤدي الحق إلى صاحبه، فهذه مسألة أخرى، ولا يضرنا كونه يتخذ إجراءاته القضائية والحُكمية التي يؤمن بها في دينه الباطل، فهذا عمله هو، وحيث لا يمكن التوصل إلى الحقوق المعتبرة للناس إلا بها فالترخّص فيها واضحٌ سبيله.!

فإذا تقرر ذلك فإن شرطها: أن يكون الحق المطلوب تحصيله معلومًا كونه حقا للشخص المسلم المظلوم الشاكي، ومرجوٌّ أن تلك الجهة الطاغوتية ستعطيه إياه (ترده إليه) بعد إجراء ما يلزم من التحقيق والإثباتات، فيأخذ حقه ولا يزيد عليه بأخذ ما يشك فيه أو يجهله، لأن ما يشك فيه أو يجهله فإنه أتى إليه بحكم الطاغوت، وأما حقه المتقرر المعلوم في الشريعة وفي جميع الشرائع فإنه حقه يأخذه لأنه حقه في حكم الله.

وهذا القول الأخير قويّ ومتجه جدًا، على أن المسألة تحتاج إلى مزيد بحث.

ولعل فيما كتبناه تنويرًا للمسألة وتفتيحا وتفهيمًا، يستفيد منه الإخوة، ويُعرَف به أن المسألة اجتهادية؛ فلا ينبغي أن تكون سبيلا لتخالف القلوب والتباغض والتدابر بين المسلمين.

والله تعالى أعلم.. وأستغفر الله من كل ذنب.

والحق أن هذه المسألة من دواعي الجهاد في سبيل الله تعالى حتى يكون الدين كله لله، ولو أن المسلمين قاموا بواجب الجهاد ونهضوا له وشمروا واستعانوا بالله لما احتاجوا في أكثر الأحوال إلى



هذه المسائل، ولعاشوا أحرارا شرفاء أعزة.

جواب السؤال الثالث: الأئمة (أئمة الصلاة) الذين تعينهم وترسّمهم هذه الدولة يجوز الصلاة خلفهم، ما داموا مسلمين، فإن كانوا أهل فسق أو بدعة؛ فإنه يُطلب شرعا من المسلم أن لا يصلي خلفهم إذا وجد الإمام السني العدل، فإن لم يجد صلى وراءهم.

والمقصود أن مجرد كون الدولة عينتهم وجعلتهم أئمة راتبين للمساجد ليس مانعا من الصلاة خلفهم.. ثم كل إنسان من هؤلاء الأئمة ينظر في حاله على حده، فيعطى ما يستحقه.

ومشروعٌ التعاملُ مع كل المسلمين الذين ينتمون إلى تلك الدولة، بمعنى أنهم يسكنون في بلدها وتحت سلطانها، والحمد لله.

جواب السؤال الرابع: تقدم الجواب على شطر هذا السؤال، أي الحكم على الناس جميعا (المسلمين) تحت حكم هذه الدولة بالكفر، وقلنا إن ذلك ضلال مبين وانحراف خطير ومروق من الشرع، وأنه مذهب «الخوارج» المارقين قاتلهم الله؛ فيجب عليك التبرّي من ذلك ومباعدة أهله[1]..

وأما الحكام الذين لا يحكمون بشرع الله، بل بالقوانين الوضعية وأحكام البرلمانات غير الملتزمة بشريعة رب العالمين، ويوالون الكفار، فإنهم كفارٌ حقا.

وعليك أيها الأخ أن تتعلم هذه الأحكام وتسأل أهل العلم في ما أشكل عليك من التفاصيل.

جواب السؤال الخامس: أعانك الله على إخوتك وهداهم الله وأصلحهم، وقد قدمتُ لك النصيحة بأنك ما دمت -كما يظهر- غير قادرٍ على مناقشتهم ومناظرتهم وتفهيمهم؛ فالواجب عليك اجتناب الخوض معهم في أي شيء من تلك الضلالات، ولا تسمع منهم شيئا.. فإن اضطررت لتكليمهم في ذلك.. فالنصح بالرجوع إلى أهل العلم الموثوقين المؤتمنين.

والله المسؤول أن يفقهنا وإياكم في الدين ويثبتنا على الحق.. آمين.

❊ ❊ ❊

〚**هل ينوب أحد عن النبي ﷺ في طلب الاعتذار من الكفار بخصوص الرسوم المسيئة؟**〛

❁ هل يحق لأحد أن ينوب عن رسول الله ﷺ في طلب الاعتذار من الكفار فيما يخص الرسوم المسيئة إليه ﷺ؟.

[**السائل**: فارس الأندلس]

---

(١) انظر رسالة الشيخ عطية الله ﵀ في هذا الباب، المسماة: «جواب سؤال في جهاد الدفع» فهي مهمة جدا ونفيسة.

الجواب:

بارك الله فيك وزينك الله بالأدب..

لعلك تقصد النيابة عنه ﷺ في إسقاط الحق، وهو هنا وجوب القتل على سابّه.. فهذا لا يجوز لأي أحدٍ، بل هو حق الرسول ﷺ، كان له في حياته أن يسقطه ويعفو عن صاحبه، وأما بعد وفاته ﷺ فليس لسابّه إلا القتل وجوبًا، هذا هو الصحيح الذي دلت عليه الأدلة كما بسطه ابن تيمية ﷀ في «الصارم المسلول»[(١)]، ومن قبله القاضي عياض ﷀ في «الشفا»[(٢)]، وغيرهم من العلماء، والله أعلم.

وأما الطلب من الكفار أن يعتذروا عن ذلك فهذا لا مانع منه إن شاء الله؛ أن يطلب منهم المسلمون أن يعتذروا ويتوقفوا عن سب الله ورسوله ودينه والمسلمين، هذا كله لا بأس به إن شاء الله، والأكمل الأوكد أن يطلبوا منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى ويوحّدوه ويتبعوا رسله، والله أعلم.

❃ ❃ ❃

〚مسائل في البيعة: لمن تكون؟ وماذا يترتب عليها؟، وهل من كتب نافعة في الباب؟〛

❁ دائما أفكر في «البيعة» لمن تكون اليوم وكيف تكون؟

ومن أبايع وأنا في بلد بعيد عن الأحبة في أرض الوغى؟ لمن البيعة؛ هل هي للشيخ أسامة حفظه الله؟ أم للأمير الملا عمر حفظه الله؟

وما الذي يترتب علينا في هذه البيعة.. نرجو من الله أن تبين لنا في هذا الأمر كل ما قد نجهله كبيره وصغيره، أو تنصحنا بقراءة أي كتب تفيدنا في هذا الأمر؟

[السائل: محب الغرباء**]**

الجواب:

وفقك الله وسددك..

اعلم أخي الكريم أن **البيعة الواجبة على المسلم** هي للإمام الأعظم «الخليفة» المنعقد له بيعة شرعية بطريق صحيح، والطرق ثلاث هي:

الطريق الأولى: بيعة المسلمين واختيارهم، ويكفي عنهم أهلُ الحل والعقد.

---

(١) كتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»، استفاض فيه شيخ الإسلام ﷀ في تقرير هذه المسألة في قرابة ستمائة صفحة.

(٢) كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ»، ذكر فيه «القسم الرابع: فِي تصرف وجوه الأحكام فيمن تَنَقَّصَه أَوْ سبَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَامُ» ذكر فيه ثلاثة أبواب، ثانيها: «حكم سابه وشانئه ومنتقصه..» وذكر إجماع العلماء في (٢ / ٢٥٤).



الطريق الثانية: استخلاف الخليفة السابق للاحق، فيقرّه المسلمون «أهل الحل والعقد».

الطريق الثالثة: أن يتغلّب أحدٌ على الحكم ويستتب له الأمر، فقال أكثر علماء أهل السنة إنه حينئذ وإن لم يكن مستوفيا للشروط، يجب على المسلمين اعتباره إمامًا، فيسمعون له ويطيعون، ومبنى ذلك على قاعدة «المصالح والمفاسد وموازناتها»، وإلا فهو خلاف الأصل[(١)].!

وهذا الأخير هو الذي قال فيه الإمام أحمد قولته المشهورة: «ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا عليه برًا كان أو فاجرًا فهو أمير المؤمنين» ذكره أبو يعلى في «الأحكام السلطانية»[(٢)].

فالإمام الأعظم المنعقد له الإمامة بإحدى هذه الطرق يجب على المسلم أن يعتقد إمامته.

وقولنا «يعتقد إمامته» هو معنى قول الإمام أحمد «يراه إمامًا على نفسه».. فهذا هو القدر الواجب على عموم المسلمين، وهو معنى البيعة بالنسبة إليهم.

وأما البيعة الخاصة التي هي: صفقة اليد مع النطق بلفظ المبايعة والعهد على السمع والطاعة.. الخ؛ فهذه لا تلزم عموم المسلمين، ولا هي شرط لانعقاد إمامة الإمام، بل إنما تجب أو تستحبُّ من خواصّ المسلمين وهم أهل الحل والعقد، أو ممن يطلبها منه الإمامُ، أو مَن حضر مجلس المبايعة.

فهذه هي باختصار أحكام البيعة للإمام الأعظم للمسلمين إذا كان واحدا.

فيقال: **إذا تعددت الأئمة، بأن كان لكل ناحية من بلاد المسلمين إمامٌ ممكّن انعقدت له بيعة من أهل ناحيته -شعبِهِ- فما الواجبُ؟**

الجواب: الواجب هو أن يبايع المسلم الإمام المنعقد له بيعة شرعية في ناحيته وإقليمه وبلده

---

(١) هذا السبيل ليس من الطرق الشرعية، وإنما أجازه من أجازه ضرورة لأجل مصلحة المسلمين وحقن دمائهم، وهذا الطريق لم يجمع المسلمون على اعتباره مما تنعقد الإمامة عن طريقه بل هم فيه مذهبان: الأول: قالوا لا تنعقد إمامته. أي المتغلب. ولا تجب طاعته، لأنه لا تنعقد له الإمامة بالبيعة إلا باستكمال الشروط فكذا القهر، وذهب إلى هذا القول الخوارج والمعتزلة ووجه لبعض الشافعية. الثاني: وهو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإمامة يصح أن تعقد لمن غلب الناس، وقعد بالقوة على كرسي الحكم وأقام مقاصد الإمامة، ونُقل هذا عن مالك والشافعي وأحمد، وقال ابن تيمية: «فمتى صار قادرًا على سياستهم، إما بطاعتهم أو بقهره فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله»، قال رشيد رضا ﵀: «وَمعنى هَذَا أَن سلطة التغلب كَأَكْل الميتَة وَلحم الخِنْزِير عِنْد الضَّرُورَة تنفذ بالقهر وَتَكون أدنى من الفوضى. وَمُقْتَضَاهُ أَنه يجب السَّعْي دَائِما لإزالتها عِنْد الإِمْكَان، وَلَا يجوز أَن توطن الأَنْفس على دوامها، وَلَا أَن تجْعَل كالكرة بَين المتغلبين يتقاذفونها ويتلقونها، كَمَا فعلت الأُمَم الَّتِي كَانَت مظلومة وراضية بالظلم لجهلها بقوتها الكامنة فِيهَا، وَكَون قُوَّة مُلُوكهَا وأمرائها مِنْهَا» اهـ. ولي مبحثٌ بعنوان: «هل البغدادي متغلب؟ وما حكم بيعته؟» تكلمت فيه عن حكم التغلب.

(٢) (ص ٢٠).

ومِصره، فهو في حقه حينئذٍ كالإمام الأعظم للمسلمين جميعا.. سواء قلنا بجواز تعدد الأئمة في الوقت الواحد للنواحي المختلفة المتباعدة.. أو قلنا بعدم الجواز، فاعتبرنا ذلك ضرورة، وأجرينا على كل واحدٍ حكمَ الإمام الأعظم في مِصره وفي محل سلطانه.

وتحرير هذه المسائل وتحقيقها تجده في مظانه من كتب أهل العلم[١].

والحاصل أنه بالنسبة لك ولسائر المسلمين اليوم هل يلزمهم بيعة أحدٍ من قيادات المسلمين هذه البيعة؟ الظاهرُ أنه لا يلزم لعدم وجود الإمام المنعقد له بيعة شرعية (على الإمامة العظمى).

أما أمير المؤمنين «الملا عمر» حَفِظَهُ اللهُ وسدده ونصره، فمع التسليم بأنه يأخذ حكم الإمام الأعظم، فإنما ذلك في قطره وناحيته وحيث بلغ سلطانه، والله أعلم.

وأما الشيخ أسامة حَفِظَهُ اللهُ وسدده ونصره، ونحوه من قيادات المجاهدين الكبراء؛ فإنهم أظهر في ذلك، فليس أحدٌ منهم إمامًا أعظمَ.. نسأل الله تعالى أن يفتح عليهم ويبارك فيهم.

لكن مَن رآهم واعتبرهم أمراء له والتزم طاعتهم فيما يستطيع على سنة الله ورسوله ﷺ، فهذا لا مانع منه، وتلزمه حينئذٍ بالالتزام.!

وأما البيعات الأخرى المشروعة ومنها بيعات أمراء الجهاد على الجهاد في سبيل الله والسمع والطاعة فيه، وسائر بيعات الجماعات الإسلامية العاملة في الدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه فيها تفصيل من حيث حكمها وحدودها.. والله الموفق.

وأحيلك على كتاب بسط شيئا من هذه المسائل بأسلوب سهل وهو كتاب الشيخ «أبي المنذر الساعدي» فرج الله عنه: «وبل الغمامة في بيان أحكام الإمامة»[٢] فطالعه فإنه مفيد.

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر في مسائل البيعة وأحكامها: البيعة ووجوب الوفاء بها؛ لأبي عمرو عبد الحكيم حسان، العمدة في إعداد العدة (مسألة عهود الطاعات بين المسلمين)؛ لسيد إمام، واعتصموا (فصل الوفاء بالعهد)؛ لأبي مصعب الزرقاوي، صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها (معنى البيعة والأدلة على شرعيتها)؛ للطرطوسي، دعوة المقاومة (إشكاليات لم يستطع الجهاديون حلها وتبيينها)؛ لأبي مصعب السوري، التذاكر الجياد لأهل الجهاد (التذكرة الثالثة)؛ لعبد الله العدم، البيعة في الإسلام تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق؛ لأحمد آل محمود، البيعة في الكتاب والسنة؛ لبدر الرخيص.

(٢) نشره الشيخ عطية الله ﷺ، وهو غير مكتمل في بعض مسائله، بسبب أسر مؤلفه.. فنُشر لتعم الفائدة بما فيه، وهو مهم.

[مدى شرعية البيعات المتكاثرة لأمراء الجهاد من القاعدين أو المجاهدين، وما نوعها؟]

۞ أحببت أن أسأل عن مدى شرعية مثل هذه المبايعات والتي تخرج لنا بين حين وآخر حين يتولّى أمير جديد القيادة أو يعلن المبايعة لأمير المؤمنين وغير ذلك.. أليست المبايعة الشرعية هي المبايعة الكبرى والتي تتمثّل في مبايعة أمير المؤمنين الذي يحكم بشرع الله في أرضه؟، وبعد هذا ما مدى شرعية تلك المبايعات الفرعية لكلّ أمير جديد كحال مبايعة الإخوة على الانترنت لأبي حمزة المهاجر بلفظ: «أبايع الشيخ أبا حمزة المهاجر حَفِظَهُ اللهُ على السمع والطاعة بالمعروف والله على ما أقول شهيد»..

أليست هذه المبايعة خاصّة بالمجاهدين الذين يقاتلون معه؟ أم أنّها مشروعة للقاعدين.. يبايعون من خلف الشاشات..!؟

وما مدى نوعية هذه المبايعة؟ هل هي مبايعة كالمبايعة الكبرى؟ وهل يجوز شرعا أن يكون في عنقنا بيعة لأكثر من خليفة في زمن حياتهم..!

[السائلة: إحدى الأخوات]

الجواب:

أظن أن معظم الجواب تحصل مما تقدم في إجابة السؤال قبله.

وأضيف هنا: أنه فيما يتعلق بأمراء الجهاد كأمير القاعدة في بلاد الرافدين مثلا أو نحوه من الأمراء، فهذه البيعات في الأصل هي اختيارية، ثم هي بيعة صغرى، بيعة حربٍ وجهاد؛ فمَن أراد أن يبايع ويلتحق بقافلة قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين مثلا فليبايع، لكن ذلك لا يلزمه ما دام لم يلتحق بهم في الميدان، ولا يلزم كل أحدٍ، فإذن لا داعي لهذه الدعوات التي يطرحها بعض الإخوة أحيانا في المنتديات لبيعة فلان أو فلان، وقد يقال: إنه لا فائدة فيها، ثم إن في ذلك نوعَ امتهانٍ لهذه البيعات الشريفة.!

وفي هذا التصرف إيحاءٌ بأن القائمين به غيرُ عارفين بقيمة هذه البيعات وثقل هذه العهود وعظم أمانتها، فيستسهلون هذه الأمور ويظلون يبايعون ويعلنون البيعة لفلان ولفلان، ولا يقدرون قيمة هذا الإلزام.! قد يكون هذا واقعًا وقد لا يكون، الناس تختلف، والله أعلم بما في القلوب، لكن هو مما يوحي به ويُوهمه هذا التصرفُ.!

فينبغي أن يُعرَف أن البيعة أمرٌ شرعي له حرمته وقدره، وهو أمانة وإلزام شديد، فلا يمتهَن ولا

يستهان به، وحين يشرع الإنسان في عمل جهادي والانخراط في جماعة مجاهدة ويحتاج إلى البيعة، وتُطلب منه البيعة، فليبايع وليكن عند عهده، وليستعن بالله، وحينئذ ينزل مدد الله ونصره وعونه عليه، ومَن يتوكل على الله فهو حسبه.. والله وليّ التوفيق.

✵ ✵ ✵

〚**الحكام العرب: كفار أصليون أم مرتدون؟، وتكييف قتال جيوشهم، وهل الصيال مختص بالعدو الخارجي؟**〛

(١) ماذا يعتبر الشيخ الحكام العرب؛ أهم كفار أصليون أم مرتدون؟.

(٢) هل الصائل يكون دائما العدو الخارجي أم يمكن أن يكون داخليًّا إذا كان يقوم بنفس أعمال العدو الخارجي من محاربة للدين وإفساد للدنيا؟.

[**السائل:** أبو خبيب الهلالي]

الجواب:

الفقرة ١: الحكام العرب المتنسبون إلى الإسلام أعتبرهم مرتدين لا كفارًا أصليين على الأغلب..

فمَن كان منهم نشأ من صغره على الإسلام أو وُلِدَ من أبوين مسلمين أو أحدهما مسلمٌ، ثم كفرناه لارتكابه النواقض المعروفة، فهذا واضحٌ.

ومَن وُلِدَ من أبوين مرتدَّين ثم تكلم بالكفر بعد بلوغه فهذه الصورة عند الفقهاء فيها خلاف: هل يحكم بردته، أو يُعتَبر كافرًا أصليًا، والقولان متكافئان في القوة، ولم أحرر المسألة، فالله أعلم بالصواب.. والمسألة مبحوثة في أبواب «حكم المرتد» من أمهات كتب الفقه[١].

وفي واقع هؤلاء الحكام، فالأغلب هو الصورة الأولى، ثم ما كان من الصورة الثانية -وهو قليل-

---

(١) جاء في مبحث «الجناية على الدين وأحكام المرتدين»؛ للدكتورة: إيناس عباس إبراهيم (ص ٧٧، ٧٨): «أولاد المرتدين إن كانوا ولدوا قبل الردة؛ فإنهم محكوم بإسلامهم تبعا لآبائهم، ولا يتبعونهم في الردة؛ لأن الإسلام يعلوا، وقد تبعوهم فيه، ولا يتبعونهم في الكفر.. فإذا بلغ أولاد المرتد فثبتوا على إسلامهم فهم مسلمون، وإن بلغوا كافرين؛ فهم مرتدون، لهم حكم المرتدين. وأما المولود بعد الردة؛ بان ارتد الزوجان ولا ولد لهما، ثم حملت به المرأة حال ردتها -سواء حملت به في دار الإسلام أو دار الحرب- فإن هذا الولد يأخذ حكم أبويه ويعتبر كافرًا؛ لأنه وُلد من أبوين كافرين». وعزت الكلام لـ: المبسوط (١٠/ ١١٥)، بدائع الصنائع (٩/ ٤٣٩٥)، المهذب (٢/ ٢٤٠)، نهاية المحتاج (٧/ ٤٢٠)، حاشية الدسوقي (٤/ ٣٠٥)، المغني (١٠/ ٤٣، ٩٤)، كشاف القناع (٦/ ١٨٣). وفي هذه الجزئية التي ذكرها المؤلف قال النووي: «»

فيحتمل إجراؤه على القول بأنهم مرتدون.. فتحصل أن القول بردة هؤلاء الحكام هو المعتمد إن شاء الله، إلى أن يتبين لنا في البعض القليل -الصورة الثانية- شيء آخر.

ثم هذا إنما هو في خصوص أشخاص الحكام ومَن كان حاله كحالهم..

وأما عموم جيوشهم وأجنادهم وأتباعهم المناصرين لهم؛ فإننا نقاتلهم -حين نقاتلهم- قتالَ المرتدين، لأنهم جنود دولة المرتدين، وهم ينتسبون إلى الإسلام ويدّعونه، ولأن هذا هو الغالب من حال مَن نحكم بكفره منهم، أنهم مرتدون بعد أن كان قد ثبت لهم عقد الإسلام.

والله ﷻ أعلم، وبالله التوفيق.

الفقرة ٢: العدوّ الصائل يكون خارجيًا أجنبيا على البلد والقوم، ويكون داخليًا من قومنا وبني جلدتنا لا فرقَ، وإن كان في الخارجي أظهر وأوضح للجميع ولا سيما للعوام والدهماء، كما هو حال القوات الصليبية واليهودية المحتلة لبعض بلاد المسلمين اليوم، لكن في الحكم الشرعي كل مَن صال على الدين والعرض والنفس والمال فهو صائل.

فالصائل يكون مسلما ويكون كافرًا..

الصائل المسلم: مسلمٌ صال -أي هجم واعتدى- على مالك أو عرضك أو نفسك.

والصائل الكافر: كافرٌ صال -أي هجم واعتدى- على دينك ومالك وعرضك ونفسك.

هذا في المكلفين، وفي الحيوان أيضًا صائلٌ، وهو ما يصول عليك ويثب ويهجم من الحيوان، كما لو صال عليك جملٌ أو فرسٌ أو غيرها؛ فيدفع حتى بقتله، ولا ضمانَ على قاتله.

ومعنى صال: هجم ووثب مريدًا الإضرار؛ قال في «مختار الصحاح»: «صَالَ عليه: استطال، وصال عليه: وثب، وبابُهُ قَالَ [فالمصدر منه: صَوْلًا] وصَوْلَةً أيضًا، يقال: رُبَّ قول أشد من صَوْل، والمُصاولَةُ المواثبة، وكذلك الصيالُ والصيالةُ، وصَؤُلَ البعيرُ بالهمز من باب ظرُفَ: إذا صار يقتل الناسَ ويعدو عليهم، فهو جمل صَئُولٌ»[1] اهـ.

وقال في «القاموس»: «صال على قِرنه صولًا وصيالا وصُؤولًا وصَوَلانًا وصالًا ومَصالة: سَطا واستطالَ، والفحلُ على الإبلِ صَوْلًا، فهو صَؤولٌ: قاتلها»[2] اهـ.

وأوجبت الشريعة دفع الصائل، وجعلته من الجهاد، وجعلت المسلم المظلوم المقتول في الدفاع عن

---

(١) مختار الصحاح (ص ١٨٠)، وما بين [القوسين المعكوفين] من إضافة المؤلف ؒ.

(٢) القاموس المحيط (ص ١٠٢٣).

نفسه وماله وعرضه في الجنة، وقاتله في النار، والعياذ بالله.

فأما دفع المسلم الصائل على المال أو العرض أو النفس.. ففيه تفاصيل تُعرَف في محلها من كتب العلماء: ما حدود ما يباح من دفعه؟ هل يجوز قتله ابتداءً، أو يجب دفعه بالتدريج؛ فإن اندفع بغير القتل لم يجز المبادرة إلى قتله؟.. الخ التفاصيل.

وأما دفع الكافر الصائل -سواء كان داخليًا من بلدنا ومن بني جلدتنا، أو كان خارجيًا- فهو الجهاد في سبيل الله، وهو جهاد الدفع الواجب الذي قال فيه علماؤنا: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم؛ فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم وبين طلبه في بلاده» اهـ، قاله شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله[1]، وكلام العلماء في ذلك من جميع المذاهب كثير جدًا يشق على الحصر.

والعلماء يتكلمون عادة على أحكام «دفع الصائل» في «أبواب الجهاد» و«أبواب الجنايات»، وفي شروح الحديث عند أحاديث «دفع الصائل على المال والنفس» وغيرها، وبالله التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

✵✵✵

[هل إخلاف المجاهد في أهله وماله يقوم مقام الجهاد بالنفس؟]

❁ هل الجهاد بالمال وإخلاف الغازي في أهله وعياله بالنفقة وغيرها يجزي ويسقط عن المسلم فرض الجهاد بالنفس أم لا؟.

[السائل: رهج السنابك**]**

الجواب:

الحمد لله.. في حال تعين الجهاد بالنفس على الإنسان لا يجزئ عنه خلافة الغازي في أهله.

لكن نحن اليوم في حالنا المعاصر نقول إن الواجب المتعين على كل مسلم هو: أن يلحق بالقافلة، بمعنى أن يستجيب لأمر الله تعالى بالجهاد في سبيله، وينضم إلى قافلة الجهاد؛ فيكون مستعدًا لعمل ما يُطلب منه، حتى تحصل الكفاية على دفع العدو الصائل على أمتنا؛ على دينها وأرضها وأملاكها، ولا

(١) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٨).

ريب أن العدوّ الكافرَ نازلٌ بالعقر: اليهود من جهة، والنصارى من جهات أخرى، والمرتدون من جهات أخرى، فجهادهم فرض على المسلمين حتى يندفعوا، ففرضٌ على كل أحدٍ اليوم السعيُ في ذلك، وهو ما عبّر عنه الشيخ «عبد الله عزام» رحمه الله بعبارة «اللحاق بالقافلة»[(١)].

فمن لم يفعل فهو آثمٌ عاصٍ لله، بل مرتكبٌ كبيرة من كبائر الذنوب، لا شك في ذلك.!

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة]

وقولنا «فيكون مستعدًا لعمل ما يطلب منه».. **كيف يعرفُ كلُ أحدٍ ما هو المطلوب منه؟**

الجواب: هذا الأصلُ فيه أن يرجع فيه الشخص إلى أولي الأمر وهم قيادات المجاهدين الموثوقون، والعلماء الموثوقون أيضًا.

فإن قالوا له: تكون في ميدان القتال وتحمل السلاح فعَل، أو أمروه بالعمل السياسي والإعلامي، أو الدعوي، أو الاقتصادي المالي التمويليّ، أو أمروه بأن يذهبَ ويحصّل علماً ضروريا للجهاد والمجاهدين فيفرّغونه لذلك، أو أي شيء غيره فعلَ، فذلك هو مكانه، وبه تبرأ ذمته، ويكون قد التحق بقافلة الجهاد، وصار مجاهدًا في سبيل الله.

وفي بعض الحالات إذا كان الشخص بحيث يعرِفُ بنفسه ما المطلوبُ منه، كأن يكون هو من أهل العلم والمعرفة بشؤون المسلمين وأحوالهم وتفاصيل ما يجب على أمثاله وسائر الناس، فهذا يعمل بما تبين له أنه مكانُه الذي يجب أن يكون فيه ويبذل، والثغر الذي يجب أن يسدّه.

ومعلومٌ أن المجاهدين في حالة جهاد طويل الأمد، وليست هي معركة ساعات أو أيام وتنحسم، بل هو عملٌ وجهدٌ مستمر سنين وسنين، والمجاهدون لهم أهلٌ وعيالٌ ومعيشة، ولا بد لهم من ذلك، فإذا فرّغوا بعض رجالهم ليخلفوا الآخرين في أهليهم وعيالهم وأملاكم التي بها معايشهم، ونحو

---

(١) يعني بذلك رسالة الشيخ: «الحق بالقافلة»، وهي في فصلين: مبررات الجهاد، والثاني: وآ إسلاماه، وختُمت بتوصيات، انظرها كاملة في: الذخائر العظام فيما أُثر عن الإمام الهُمام، الشهيد عبد الله عزام (١ / ١٧٦ - ١٨٩).

ذلك؛ فهذا مندرج فيما ذكرنا، وهو من الجهاد في سبيل الله، ويكون الخالفُ المجاهدَ في سبيل الله كالمجاهد في سبيل الله والأجر بينهما إن شاء الله تعالى.

فأرجع إلى أصل السؤال فأقول: إذا كان هذا الذي يخلف المجاهد في سبيل الله في أهله يفعلُ ذلك بناء على ما ذكرنا من أمر أولي الأمر وتوجيههم أو ما يقوم مقامها من نظر أهل العلم، بناء على النظر للدين (النظر -فقط- للمصلحة الدينية، مصلحة الإسلام والمسلمين) لا على التشهّي وهوى النفس، فهذا مندرج فيما ذكرناه.

وأما إن كان هذا الذي يخلف المجاهد في سبيل الله إنما يفعل ذلك لا عن أمرِ قيادة المجاهدين وأولي أمر الجهاد والحرب ولا عن أمر العلماء الموثوقين المؤتمنين على هذا الأمر، ولا عن نظرٍ منه -إن كان أهلا- إلى المصلحة الدينية، بل يفعل ذلك لمجرد ميل نفسه إليه وطلبًا للراحة وتملّصًا من تكليف الجهاد في سبيل الله بالنفس.. فهذا لا تبرأ به ذمّته ولا يسقط عنه الفرض الواجب، وهو على خطرٍ..!

مثال: رجلٌ مهندس الكترونيات متخصص في مجال الاتصالات بارعٌ في فنّه، والمجاهدون في أشد الحاجة إليه وإلى أمثاله، ويطلبون منه ومن أمثاله النفير إليهم في ساحات القتال لمسيس الحاجة..! يأتي هذا الرجل المهندس ويقول: أنا عندي جاري وابن حارتنا ذهب إلى الجهاد -في العراق أو أفغانستان مثلًا- فأنا أقوم بخلافته في أهله، ويكفيني هذا..!!

نقول له: أخطأت وأسأتَ، فهذا العمل يمكن بسهولة أن يقوم به غيرُك، ولا نرى ذمّتك تبرأ بهذا، بل هي مشغولة بواجب النفير، ونخشى أنك مرتكبٌ لكبيرة ترك الجهاد المتعين عليك، كما مرّ في آيات سورة التوبة، ونخشى أن يعاقبك الله بعقوبة لا ندري كيف تأتيك ولا يعلمها إلا الله تعالى، فأنت على خطر عظيم، فإن الله تهدد وتوعّد مَن هذا شأنه بالعقوبة والنكال.!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهذا الذي تحرر عندي في هذه المسألة، والله تعالى أعلم وأحكم.. وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

〚الرد على مقولة: «أيها المجاهدون، لن يؤمن من قومكم إلا من قد آمن، فلا تنشغلوا بالناس»!، ونقض مقولة من ينتظر بعض علامات الساعة ليعمل〛

❁ مسألة تشغلني في الوقت الحالي، وهي أني بعد الاشتغال في أحاديث الطائفة المقاتلة عن الدين وأحاديث الفتن توصلت إلى ما يلي:



أن أمر الله حين يأتي -على قولي العلماء في ماهية هذا الأمر؛ فمنهم من قال: النصر، ومنهم من يقول: الساعة- والطائفة لا تزال تقاتل عن الدين مخذولة ممن وجب عليه نصرتها ويقاتلها أقوامٌ أزاغ الله قلوبهم -إشارة إلى أنهم مسلمين- في زمان ردة عن الدين شديدة، في الحديث الصحيح: (لا تقوم الساعة حتى تلحق فئام من أمتي بالمشركين وحتى تعبد الأوثان في جزيرة العرب)، والكلام يطول شيخنا، وهذا طرفه والمقام لا سعة فيه للبسط أكثر..

توصلت يا أيها الشيخ الفاضل؛ أن الأوان قد آن لنقول للمجاهدين: لن يؤمن من قومكم إلا من قد آمن، وعليكم بعد اليوم ألا تعبأوا بمن خذلكم ولا بمخالفيكم، وخوضوا معارككم بدون اعتبار لهم ولا لمصالحهم.. فمصلحة الجهاد أولى، ومصلحة المجاهدين أنفع للدين والأمة من هؤلاء؛ أهل الذل والقعود واللعب بحفظ متون الوحيين وشروحهما بدون عمل..

ما رأيك شيخنا الفاضل؟ فما زالت المسألة عندي في مرحلة البحث وتقليب النظر!

[السائل: عبد الله**]**

الجواب:

جزاك الله خيرا أخي الكريم، ونسأل الله أن يعفو عنا وعنك، ويغفر لنا ما لا تعلمون، ويجعلنا وإياكم من عباده الصالحين.

أخي -وفقك الله- أحسنتَ بسؤالك وتثبّتِك، ولكن النتيجة التي قلت إنك توصلت إليها غير صحيحة؛ بل هي خطأ.. فاحذر بارك الله فيك، وأعني بذلك قولك: «آن الأوان لنقول للمجاهدين لن يؤمن من قومكم إلا مَن قد آمن» فهذا خطأ بلا شك.! وليس لأحد أن يقول ذلك، إنما ذلك لله تعالى، كما أن أصل هذه العبارة هو قول الله تعالى لنبيّه نوح ﵇ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[هود]، فهذه العبارة صريحُها الحكم بعدم إيمان أحدٍ من المشار إليهم، بعد قولها، وهذا ليس لأحدٍ إلا لله تعالى، ولا يُتلقّى إلا بالوحي، وليس ثمتَ وحيٌ الآن!!

زد عليه أن عموم أدلة الشريعة قاضية قطعًا بأن باب التوبة مفتوح للمكلفين حتى تطلع الشمس

من مغربها في عمُر الدنيا[١]، وما لم يغرر ابن آدم في عمُر ابن آدم[٢]..

بل نحن مأمورون بأن نفتح للناس أبواب التوبة والهداية والإنابة والرجوع إلى الحق، وما الدعوة إلى الله تعالى وما الجهاد في سبيل الله -في جزء كبير من أهدافه وغاياته- إلا لأجل ذلك.

فاحذر أيها الأخ الكريم بارك الله فيك من هذه الفكرة، التي هي شيء من اليأس من رَوْح الله والقنوط من رحمته ﷻ.! فاعتصم بالله واستعن به، ودعك من هذه الأوهام.!

وأما أن نقول للمجاهدين: لا يضركم مَن خالفكم ولا مَن خذلكم، فهذا حق كما وصفهم رسول الله ﷺ بذلك في حديث الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق، وهذا هو لفظ النبيّ ﷺ **(لا يضرهم مَن خالفهم)**[٣].

فعليك بألفاظ المصطفى ﷺ وتفقه في معانيها، وأما لفظ «لا تعبأوا» فما معناه؟ النبي ﷺ يقول: **(لا يضرهم من خالفهم)** ولم يقل إنهم لا يعبأون بمن خالفهم، إذا أردنا التدقيق والتحقيق، اللّٰهم إلا أن يقول قائل: أردتُ بقولي «لا يعبأون» نفس المعنى الذي أراده النبي بقوله **(لا يضرهم)** فحينئذ نقول: عبّرتَ بلفظ مجملٍ وأردتَ معنى صحيحًا..

فلفظ «لا يعبأ» فيه إجمال لاحتماله لأكثر من معنى: فهو يحتمل: لا يلتفت إليهم ولا يهتم بهم ولا يجعل لهم قيمة ولا يصنع بهم شيئًا، ويحتمل لا يبالي بشرهم فهو بمعنى لا يضرونه.

في مختار الصحاح: «والعِبْءُ بالكسر: الحِمل، وجمعه أعْباءٌ، وما عَبَأَ به: ما بالى به، وبابه قطع»[٤].

وفي القاموس[٥]: «العِبْءُ بالكسر: الحملُ والثقل مِن أي شيء كان، والعِدْلُ والمثل، ويُفتَحُ.. وما أعبأ به: ما أصنَعُ، وبفلانٍ: ما أبالي» اهـ، وانظر «لسان العرب» مادة عبأ[٦]، وانظر «المفردات» للراغب أيضًا؛ قال: «ما عبأت به، أي: لم أبال به، وأصله من العبء، أي الثقل، كأنه قال: ما أرى له وزنا وقدرا»[٧] اهـ، وفي القرآن: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[الفرقان: ٧٧]، وفي الحديث في المسند

(١) دلَّ على هذا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **(مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ)** رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٢) دلَّ على هذا حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **(إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)** رواه الترمذي (٣٥٣٧) وحسنه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٧٤٦٠)، صحيح مسلم (١٠٣٧).

(٤) مختار الصحاح (ص ١٩٨).

(٥) القاموس المحيط (ص ٤٧).

(٦) لسان العرب (١ / ١١٧).

(٧) المفردات (ص ٥٤٤).

وغيره (**الدواوين ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به..**)[١]، وفي حديث البخاري: (**يقبض الصالحون الأول فالأول، وتبقى حفالة كحفالة التمر والشعير لا يعبأ الله بهم شيئا**)[٢]، والحفالة لغة في الحثالة.

فالحاصل أن المعنى الممدوح هو ألا يضرنا أولئك المخالفون والخاذلون لنا، وهذا يتضمّن ألا يفتنونا عن الحق الذي هدانا الله إليه، ولا يصدّونا عن أمر الله، ولا نغتر بما هم عليه من راحة زائلة أو من زينة الحياة الدنيا الفانية، أو غير ذلك مما يمكن أن يدخل علينا منهم من الضرر.

ولكن في نفس الوقت نحن نسعى في هدايتهم، ونهتمّ بذلك، شفقة عليهم ورحمة بهم وتقربا إلى الله تعالى بدعوة الخلق والسعي في هدايتهم، وهؤلاء في الغالب هم أهلنا وكل واحدٍ منا له أقرباء منهم وأرحام فيهم، وهم قومنا وعشيرتنا.. ولذلك فنحن نبالي بهم من هذا الوجه (دعوتهم وإرادة هدايتهم)، ولا نبالي بهم من ذلك الوجه (مخالفتهم وخذلانهم).

فهذا هو التفصيل الصحيح.. وبه تعلم بلاغة ودقة لفظ النبي ﷺ.

وبالتالي فقولك وفقك الله: «**وخوضوا معارككم بدون اعتبار لهم ولا لمصالحهم فمصلحة الجهاد أولى ومصلحة المجاهدين أنفع للدين والأمة من هؤلاء أهل الذل والقعود واللعب بحفظ متون الوحيين وشروحهما بدون عمل**».. هذا الإطلاق «بدون اعتبار لهم ولا لمصالحهم» غير سديد، بل في هذا تفصيل لا يخفى، فتنبّه بارك الله فيك وفتح الله عليك.

المجاهدون طليعة الأمة وهم خيارها، أو ينبغي أن يكونوا كذلك، وهم أشفق الأمة على الأمة وأحرصهم على هدايتها وتكميلها وإصلاحها وتحصيل كل خير لها..

ومصلحة المجاهدين بالضرورة تقتضي تألّف واصطناع عموم الأمة، حتى المنحرفين منهم وفجارهم أحيانا على تفاصيل تعرَف في موضعها.. وفيما تقدم كفاية إن شاء الله.

أسأل الله تعالى لي ولك ولسائر الإخوان الفقه في الدين والتوفيق إلى الهدى والسداد.

وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

---

(١) مسند أحمد (٢٦٠٣١) وقال الأرنؤوط:إسناده ضعيف، وقال السندي: «(الدواوين ثلاثة) أي أنواع الذنوب المدونة»، وضعفه الألباني في: مشكاة المصابيح (٥١٣٣).

(٢) صحيح البخاري (٤١٥٦).

〚حكم الرافضة، وسلب أموالهم، وحكم رفع رايات حركة «حماس» و«الجهاد» الفلسطينية〛

❁ السؤال الأول: هل يجوز سلب الرافضة في غير حالة الحرب والقتال؛ كلبنان مثلا؟.

الثاني: هل الشعارات الموجودة على الرايات مثل رايات حركة الجهاد وحماس بشكل خاص هل يجوز رفعها؟ مع أنه لا يوجد كلام شرك عليها.. طبعاً دون علم فلسطين العلماني بل أقصد الشعار فقط..

[السائل: أبوعبد الله**]**

الجواب:

بارك الله فيك وثبتنا الله وإياك على الحق.

الأول: الرافضي إذا كفّرناه فحكمه حكم سائر المرتدين، وإن لم نكفره فهو مسلم فاسق من فساق وضُلال أهل القبلة، والصحيح أن فيهم تفصيلا، فليس كل مَن انتسب إلى طائفة الشيعة الرافضة كافرٌ حتمًا، بل نفصّل فيهم بحسب ما عند كل أحدٍ من الاعتقاد والعمل، وبحسب حاله.. وعليه فسلب الواحد منهم الآن في أحوالنا هذه في غير حال الحرب، بمعنى أخذ ماله، لا نجيزه؛ فإن كان مسلما فواضحٌ، وإن كان كافرًا فلأننا نمنع من ذلك من جهة النظر السياسي الشرعي، وأرجو أن يكون هذا واضحًا.

ونحن نفصّل في أحكام الرافضة في البلدان المختلفة، ولا نعطيهم حكما واحدًا.

والأصل أن هؤلاء الروافض مستحقون للقتال والقتل أكثر من استحقاق الخوارج لذلك، وإذا كان النبي ﷺ أمر بقتال الخوارج وقتلهم حيث وجدوا كما ثبت ذلك في الأحاديث المستفيضة بل المتواترة.. فإن هؤلاء الروافض مستحقون لذلك من باب أولى، وهذا فقه صحيح لا غبار عليه، وممن حقق ذلك شيخ الإسلام في مواضع من فتاويه وكتبه[(1)].

لكن من الناحية السياسية وبالنظر إلى أحوالنا نحن المسلمين (أهل السنة) فإن ذلك يكون مأمورًا به في موضع دون موضع، من أجل اعتبار القوة والضعف وغير ذلك.

فليس الحال في العراق مثلا كالحال في غيره من البلاد.. والله أعلم.

الثاني: الشعارات للجماعات المجاهدة في سبيل الله والأعلام والرايات، لا بأس برفعها، ما دامت

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٢) قال في معرض حديثه عن الروافض: «هُمْ شَرٌّ مِنْ عَامَّةِ أهلِ الأهواءِ، وَأَحَقُّ بِالْقِتَالِ مِنْ الْخَوَارِجِ»، والخوارج أولى بالقتال من الكفار؛ قال ابن هبيرة كما في: فتح الباري (١٢/ ٣٠١): «قِتَالَ الْخَوَارِجِ أَوْلَى مِنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ فِي قِتَالِهِمْ حِفْظَ رَأْسِ مَالِ الْإِسْلَامِ وَفِي قِتَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ طَلَبُ الرِّبْحِ وَحِفْظُ رَأْسِ الْمَالِ أَوْلَى».

لا تحوي ما يمنع من ذلك.. وراية «حماس» أعرفها؛ خضراء ومكتوب فيها كلمة التوحيد، فهذه جيدة، وراية «حركة الجهاد الإسلامي» لا أذكرها الآن، وأظنها مقاربة.

وأما علم دولة فلسطين فلا أرى جواز رفعه بحالٍ، لأنه -فعلا- راية دولة المرتدين، ومَن رفعه باعتباره علمًا للبلد (فلسطين) بقطع النظر عن «الدولة» و«السلطة»، فهذا تمحّل لا ينبغي للمتقين!! وإنما يفعل ذلك جهال الناس وغوغاؤهم، فهم عندنا معذورون لأجل ذلك، لا نكفرهم ولا نفسّقهم بذلك، لكن نأمرهم بترك ذلك، والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعا.

❃ ❃ ❃

〚إقامة الحجة على الطواغيت قبل تكفيرهم، وبيان ضوابط التكفير وموانعه، وفائدة في قولنا: «ممتنع عن قدرة»〛

❁ ذكر عن الشيخ «محمد حسان» نحسبه على خير أنه لا بد من إقامة الحجة على المرتد قبل تكفيره؛ فهل يجب إقامة الحجة على الطواغيت قبل تكفيرهم والخروج عليهم؟ أرجو ذكر ضوابط وموانع التكفير..

[السائل: abo hamza elmasry]

الجواب:

القول بأنه يجب إقامة الحجة على «المرتد» -لعلها تسمية باعتبار المآل والاستحقاق، والمقصود مَن ارتكب الكفر المخرج من الملة- قبل تكفيره، ليس على إطلاقه..

وتصحيح العبارة أن يقال: إقامة الحجة على منَ ارتكب الكفرَ قبل تكفيره.. المهم أن هذا ليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل، فإن كان مما يُمكن أن يكون له فيه عذر من جهلٍ أو تأويلٍ أو إكراه أو خطأ وعدم قصدٍ للفعل، أو نحو ذلك؛ فهذا لا نحكم بكفره حتى نزيل عذره ونقيم الحجة عليه، وإن كان مما لا يمكن أن يُعذر فيه الإنسان ومما يُعلم أنه ليس له فيه عذرٌ، فلا يلزم إقامة حجة ولا انتظار بل نحكم بكفره مباشرة.. فهذا إذن يختلف باختلاف الأحوال.

وأما الطواغيت الحاكمون لبلاد المسلمين اليوم فالجواب على مسألتهم من وجهين:

الوجه الأول: وهو الحق، أنه لا يلزم إقامة حجةٍ عليهم فيما تلبّسوا به من نواقض الإسلام والكفر البواح، لأنه قد تقرر عندنا في مباحث «أحكام المرتد» أنه لا يلزم إقامة الحجة على الممتنع المعرض؛

فهؤلاء ممتنعون عن قدرةٍ وشوكةٍ، محاربون، فردتهم ردّة مغلظة، لا ردّة مجردة، وهم من أجل ذلك معرضون أشد ما يُتصوّر من معنى الإعراض، فكيف يلزم إقامة حجة عليهم، هذا لا تأمر به الشريعة، ولا تدل عليه بأي نوع من أنواع الدلالة، بل دلّت على عكسه، وهذا لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم، والكلام فيه مبسوط في أبواب الردة من كتب الفقه الكبيرة، وفي الكتب التي تناولت هذه الأحكام بوجه من الوجوه ككتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول»[١] لابن تيمية ﷺ، وغيره.

الوجه الثاني: على التنزل، وهو أنه على فرض لزوم إقامة الحجة عليهم فإننا نقول إن الحجة عليهم قائمة بلا شك، فإن الله تعالى أقام جماعات من علماء ودعاة ورجالات أهل الإسلام لا يزالون يدعون هؤلاء الطواغيت وينكرون عليهم ويبينون باطلهم وما هم متلبّسون به من الكفر الشنيع، وهذه الجماعات الإسلامية الدعوية والجهادية بأنواعها وأشكالها، وهذه السجون وهذه المناظرات وهذه الكتب والمباحث والمناقشات والحوارات وغيرها وغيرها.. إن لم تكن فيها إقامة حجة على أكفر وأعتى أحدٍ يمكن تصوره، فما بقي في الوجود إمكانٌ لإقامة حجة على أحدٍ.!!

وعليه.. فمن يقول إن هؤلاء الطواغيت لم تقم عليهم الحجة وإنه لا يجوز تكفيرهم حتى تقام عليهم الحجة، فهذا ضالٌ مضل ملبّس على الناس فاحذروه واجتنبوه.!

وأما ضوابط وأحكام التكفير وذكر شروطه وموانعه.. فهذه يا أخي الكريم لا يسعها هذا المقام، وهي مبسوطة بحمد الله في الكثير من الكتب المعاصرة، لأن المعاصرين ابتلوا بها وحرروها وفصلوها أكثر من القدماء، (لكن الأحكام نفسها لا تخرج عما هو معروف عند المتقدمين، بل كل من يكتب جديدا فهو عالة عليهم إنما المقصود التحرير والتفصيل في التأليف والتفهيم) فهناك مجموعة من الكتب الطيبة حررت هذه المسائل، فعليك بها[٢].

والله الموفق، لا إله غيره ولا رب سواه.

فائدة في قولنا «ممتنع عن قدرة»: معنى قولنا ممتنعون عن قدرةٍ، أو امتنعوا عن قدرة، ونحوها أن الشخص أو الأشخاص امتنعوا عن بعض الشرائع عن قوةٍ وشوكةٍ، بها انتصبوا للحرب والمقاتلة والامتناع عن أخذنا لهم بالأحكام.. فجملة «عن قدرةٍ» موضعها نصبٌ على الحال، والتقدير: امتنعوا قادرين، أي امتنعوا والحال أن لهم قوة وقدرة وشوكة.

---

(١) قال في: الصارم المسلول (ص ٣٢٦): «الممتنع لا يستتاب وإنما يستتاب المقدور عليه».

(٢) ينظر: الرسالة الثلاثينية (ص ٣٠ – ٧٧)، إتحاف البررة بموانع التكفير المعتبرة؛ للمجلسي.. وغيرها.

والمقصود: التفريق بين الممتنع المجرد كمن يمتنع عن أداء زكاته، وبين الممتنع عن قوةٍ وشوكة -الممتنع عن قدرةٍ-؛ فهذا ليس امتناعا مجردًا، بل هو قد امتنع وانضافَ إلى امتناعه اعتصامه بقوة وقدرة وشوكة، يمتنع بها عن مؤاخذتنا له بالأحكام.

وعليه.. فلفظ «قدرةٍ» ينبغي أن يكون منكرًا، ونظيرها: المنفق عن غنىً أو عن ظهر غنىً، وكفر فرعونُ عن استيقانٍ، وأضله الله على علمٍ، ونحوها، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ﴾ [التوبة: ٢٩]، ورأيت بعض الفضلاء يستعملها استعمالا مختلفا ويشرحها شرحًا مختلفًا، فيقول: الممتنع عن القدرة، معرَّفة -بالألف واللام-، ويشرحها بأنه امتنع عن قدرتنا عليه، فلا تطاله قدرتنا، وهذا المعنى وإن كان صحيحًا، وهو والأول متلازمان، لأنَّ هذا الممتنع امتنع بقدرته عنا أي عن أحكامنا ومؤاخذتنا له، فهو ممتنع عن قدرتنا أي ممتنع عنا.. لكن الاستعمال الأول الذي بينته هو الأفصح والأصح، وهو الذي يجري على ألسنة العلماء. وبالله التوفيق.

❃ ❃ ❃

[حكم الأمن الوطني، وهل تجوز الصلاة معهم؟، وهل يمكن أن يعذروا بالجهل شرعا؟، والرد على «عبد القادر عبد العزيز» المستدل على تكفيرهم بآية سورة «القصص»]

❁ من المعلوم شيخنا الفاضل أن اليد التي يبطش بها الطاغوت وأعوانه ويعيثون بها في الأرض فسادا -ولو عزلناه عنها لما ساوى شيئا- هي أجهزة الجيش والشرطة.. فعند زيارتي الأخيرة لبلاد المغرب وأنا بداخل المسجد في حي راقي بالعاصمة حضر معنا الصلاة مجموعة من الشباب من فرقة ما يسمى بـ «الأمن الوثني» حيث أوقفوا سيارتين ذات الدفع الرباعي أمام المسجد، وأقاموا الصلاة على غرار باقي المسلمين وهذا شيء لم أعتده..! السؤال:

س ١: هل تجوز الصلاة معهم؟

س ٢: وهل من الممكن أن نقول فيهم كما قال الله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القصص]؛ مع العلم أنه من الممكن أن يجهلوا أن العمل في الجيش والشرط في ظل حكم المرتدين لا يجوز شرعا..

[السائل: أبو مصعب الغربي**]**

الجواب:

ج١: الصلاة معهم.. إن كان المقصود أنهم دخلوا في الصلاة مع المصلين جماعة في المسجد؛ فهذا لا يضر، وإن كان المقصود الصلاة وراء إمام منهم؛ فإن كنتَ تعرفه بعينه وتعرف حاله من حيث الحكم عليه بالإسلام والكفر، فالأمر واضح.

وإن كان مجهولا لديك فلا تصلِّ خلفه، ولا أرى تبرأ بها الذمة، لأن هؤلاء جنود دولة الردة والغالب فيهم هو الكفر، والعياذ بالله، ويُغلّب الغالبُ، والله أعلم.

ج ٣: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ حقٌ وصدق، وفصلٌ ليس بالهزل، كلام ربنا ﷻ، ومَن أصدق من الله قيلًا، ومَن أصدق من الله حديثًا..

ولعل مقصودك هل يُستَدل بهذه الآية الكريمة على كفر هؤلاء العساكر؟

فقد استدل بها الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز في «العمدة» و«الجامع»[1] على تكفير أمثال هؤلاء العساكر (عساكر الدول المرتدة المعاصرة)، ووجهه أن الله تعالى سوّى بين فرعون وأعوانه (وزيره) وعساكره وأتباعه (جنوده) فجعلهم كلهم خاطئين، ولم يفرق بينهم في الحكم.

وحاصل الدليل بعبارة أخرى: أن الآية أفادت أن الأتباع لهم حكم متبوعيهم، فأتباع الكافر كفارٌ.. ولم أرَ مَن سبقه بهذا الاستدلال، إلا أن يكون جرى على ألسنة بعض أهل العلم مجرى المثل، لا على سبيل الاستدلال، ومسألتنا اليوم نازلةٌ من النوازل على كل حال، والله المستعان.!

والذي يظهر أن في هذا الاستدلال نظرًا، لأنه مبنيّ على مقدمتين:

المقدمة الأولى: أن الحكم على الجنود بأنهم كانوا خاطئين أي كافرين، علته كونهم جنودا لفرعون ووزيره الكافرَين، وحاصله الحكمُ بأن جنود الكافر وأتباعه كفارٌ.

المقدمة الثانية: عدم التفريق بين كفر فرعون المقطوع به، وبين تكفيرنا لهؤلاء الحكام اليوم، ثم مراتب الحكم على هؤلاء الحكام اليوم في القوة والوضوح.

والمقدمة الأولى فيها بحث؛ حاصله عدم التسليم بهذه العلة في الآية، كما لو قال قائل: جارُ أبي جهل كافرٌ، فهل يدل على أنه إنما كان كافرًا لكونه جاره؟ هذا فيه تفصيل، والصحيح أنه لا يدل على ذلك إذا كان معينًا، وهذا متعلق بمبحث «الإيماء» من مباحث «مسالك العلة»[2]، ثم هؤلاء إنما كانوا

(١) انظر: الجامع في طلب العلم الشريف (ص ٦٥٢) في نقده لكتاب «القول القاطع فيمن امتنع عن الشرائع».

(٢) مسالك العلة هي: طرق إثبات العلة، وهو ما دل على كون الوصف المقصود علة، ومن مسالكها: النص المومئ إلى العلة، ويسمى الإيماء والتنبيه، وضابطه أن يقترن الحكم بوصف على وجه لو لم يكن علة له لكان الكلام معيبًا عند العقلاء.



خاطئين وكفارًا مثله لأنهم كانوا أتباعه في الكفر الصريح المعلن المقطوع به المعلوم من دين الله بالضرورة، وكانوا جنوده في معاداة رسل الله ومحاربتهم وتكذيبهم والصد عنهم، والمستيقَنُ من معنى الآية الإخبار بأنهم كفار، والحق أن كفرهم حاصل قبل أن يكونوا جنودًا له وبعده.

وأما أن الأتباع يأخذون حكم متبوعيهم في سائر الطوائف؛ فصحيحٌ مسلّمٌ على الجملة والأدلة عليه كثيرة، على قيود وتفاصيل تعرف من بقية أدلة الشريعة، والاستدلال بالآية على هذا محتمل على كل حال، لكن عند النظر في المسائل والأقضية فإننا نسأل: اتّبعوه في ماذا؟ وما حقيقة كونهم أتباعًا له؟

والمقدمة الثانية خطأ، بل الصواب التفريق.

وقد قدمتُ الكلام على هذا مرارًا وأوضحته، وأشرتُ إلى أن هذا من الأخطاء التي وقع فيها الشيخ «عبد القادرِ» عفا الله عنه، حيث جعل الجميع في مرتبة واحدة على ما فُهِم من كلامه، ورتَّب عليه أن كل من كان في جيوشهم كافرٌ، وليته اكتفى بذلك، بل زاد عليه دعوى أن كفرهم قطعيّ يقينيّ معلوم من الدين بالضرورة، ككفر أتباع مسيلمة الكذاب الذين أجمع الصحابة على تكفيرهم وردتهم، ورتّب عليه تكفير مَن لم يكفرهم!! فأخطأ سامحه الله وشذ، وحصل بسبب ذلك فتنة كبيرة، لا يعلمها إلا الله، لا سيما مع التعصب عند البعض والتهيؤ للتشدد عند آخرين، والله غالبٌ على أمره، وله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد.

ونرجع إلى الكلام على الآية الكريمة من سورة القصص: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص]؛ فالله ﷻ أخبر أن الجميع خاطئون: فرعون ووزيره وجنوده، ومعلومٌ أنهم جميعا كانوا على الكفر بالله تعالى ولم يدخلوا في دين الله أصلا، وصدوا عن سبيل الله وحاربوا رسله وكفروا بهم وبما جاءوا به، وفرعون من أكفر الكافرين في الوجود؛ ادعى الإلهية، وهم مؤمنون به، وأتباع له، يكفرون بالله تعالى مثله ويكذبون رسل الله تعالى ويحاربونهم..

فهذا معنىً في الآية، وهذا هو الأظهر والأشهر عند المفسرين.

والمعنى الثاني: أنهم مخطئون في تصرفهم بالتقاط موسى وسائر تصرفاتهم.

وإليك بعض أقوال المفسرين في ذلك:

الطبري: «وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن فرعون

وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين، فلذلك كان لهم موسى عَدُوّا وحَزَنا»[(١)] اهـ.

البيضاوي: «﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ في كل شيء، فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفا لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون، أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم، فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به» اهـ. وكلامه مأخوذ عن الزمخشري[(٢)] كما هو دأبه في تفسيره.

ومثله صنيع أبي السعود: «﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ أي في كل ما يأتون وما يذرون؛ فلا غرو في أن قتلوا لأجله ألوفا ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون، رُويَ أنه ذبح في طلبه ﷺ تسعون ألف وليد، أو كانوا مذنبين؛ فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم، فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به، وقرئ ﴿خَاطِيْنَ﴾ على أنه تخفيف خاطئين، أو على أنه بمعنى متعدين الصواب إلى الخطأ»[(٣)] اهـ.

الشوكاني: «وجملة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ لتعليل ما قبلها، أو للاعتراض لقصد التأكيد، ومعنى ﴿خاطئين﴾: عاصين آثمين في كل أفعالهم وأقوالهم، وهو مأخوذ من الخطأ المقابل للصواب، وقرئ ﴿خاطين﴾ بياء من دون همزة، فيحتمل أن يكون معنى هذه القراءة معنى قراءة الجمهور ولكنها خففت بحذف الهمزة، ويحتمل أن تكون من خطا يخطو: أي تجاوز الصواب»[(٤)] اهـ.

ابن عاشور: «وجملة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ إلى آخرها في موضع العلة لجملة: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي قدر الله نجاة موسى ليكون لهم عدوا وحزنا؛ لأنهم كانوا مجرمين فجعل الله ذلك عقابا لهم على ظلمهم بني إسرائيل وعلى عبادة الأصنام، والخاطئ: اسم فاعل من خَطِئَ كفرح إذا فعل الخطيئة وهي الإثم والذنب، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾[العلق] ومصدره: الخِطء بكسر الخاء وسكون الطاء، وتقدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١﴾في الإسراء، وأما الخطأ وهو ضد العمد ففعله أخطأ فهو مخطئ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ

(١) جامع البيان للطبري (١٩ / ٥٢٤).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٤ / ١٧٢)، الكشاف (٣ / ٣٩٤).

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧ / ٤).

(٤) فتح القدير (٤ / ١٨٥).

﴿قُلُوبُكُمْ﴾[الأحزاب: ٥]، فعلى هذا يتعين أن الفصحاء فرقوا في الاستعمال بين مرتكب الخطيئة ومرتكب الخطأ، وعلى التفرقة بين أخطأ وخطئ درج نفطويه وتبعه الجوهري والحريري، وذهب أبو عبيد وابن قتيبة إلى أن اللفظين مترادفان وأنهما لغتان، وظاهر كلام الزمخشري هنا أنه جار على قول أبي عبيد وابن قتيبة فقد فسر هذه الآية بالمعنيين، وقال في الأساس: أخطأ في الرأي وخطئ إذا تعمد الذنب، وقيل هما واحد. ويظهر أن أصلهما لغتان في معنى مخالفة الصواب عن غير عمد أو عن عمد، ثم غلب الاستعمال الفصيح على تخصيص أخطأ بفعل على غير عمد وخطئ بالإجرام والذنب، وهذا الذي استقر عليه استعمال اللغة، وإن الفروق بين الألفاظ من أحسن تهذيب اللغة، فأما محمل الآية هنا فلا يناسبه إلا أن يكون ﴿خَاطِئِينَ﴾ من الخطيئة ليكون الكلام تعليلا لتكوين حزنهم منه بالآخرة[١]»[٢] اهـ.

وسائر أقوال المفسرين لا تخرج عن هذا فيما رأيت.

فالاستدلال بمثل هذه الآية الكريمة على أن كل عسكري ينتسبُ إلى جيش أي حكومة من الحكومات المعاصرة التي نكفرها (كحكومة السودان مثلا، أو السعودية) كفارٌ لأنهم أتباع لهذه الدولة، والأتباع كالمتبوعين في الحكم؛ لأن الآية سوّتْ بينهما، مجازفة علمية خطيرة.! والله أعلم.

بل الصحيح هو التفصيل الذي ذكرناه مرارًا، وأن الواجب إناطة الحكم بنصرة الطاغوت الكافر ونصرة الدولة المرتدة ونصرة الكفار على المسلمين، فهذا لا شك أنه كفر، فمن وقع فيه فهو كافرٌ، وهذا يختلف تبينه ومعرفتنا به باختلاف الأحوال من حال العافية إلى حال الحرب والقتال، ويختلف باختلاف وضوح كفر الحاكم والدولة أو خفائه، وغير ذلك.

فجنديٌّ في جيش دولة «عُمان» الآن مثلا وهم في حال سِلم وعافية، ليس كجندي يخدم في جيش «الجزائر» ويشارك في عمليات التمشيط بحثا عن المجاهدين هناك، فهذا الأخير كافرٌ عندنا، بخلاف الأول.! وعندما يأتي الامتحان لذلك الأول (الجندي العُماني الموصوف) فيوضع على المحك قد ينصر دولة الردة وقد لا ينصرها ويتنصّل منها، فنحن نحكم عليه بحسب الحال.

لكن إذا قاتلنا هذه الدولة ونحوها.. فإن كل من يكون في صفها من الجنود والأعوان والأنصار فحكمهم حكمها في القتل والقتال وسائر أحكام الحرب، ولا نسأل حينها عن إسلامه أو كفره كبيرَ سؤال، فتبقى مسألة تكفيره أو عدم تكفيره، لا يتوقف عليها قتالنا وقتلنا لهم.

---

(١) كذا ولعلها بالاستعارة. [المؤلف]

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠ / ٧٦، ٧٧).

فهذا ما يظهر، والله أعلم.

ومسألة أخرى يحسُن توضيحها: وهي قولنا إن المرتدين الممتنعين بشوكةٍ لا يلزم إقامة حجة عليهم ولا استتابتهم، ولا يتوقف الحكم عليهم بالكفر ولا قتلهم وقتالهم على ذلك.. هذا نظريًا صحيح مسلّم، والأدلة عليه معروفة.

لكن في الواقع: فإن شخصا عسكريا في جيش دولة مثل مصر (عسكري نظامي يداوم في الثكنة، أو عسكري احتياطي) هل هذا ممن يقال فيه: ممتنع عن قدرةٍ بحيث لا يمكن تبين حاله ولا استتابته ولا إقامة حجة عليه؟ الظاهر -والله أعلم- أن هذا يجب فيه التفصيل؛ فأما أنه ممتنع عن الاستتابة فصحيحٌ؛ لأنه ممتنع بقوة الدولة الكافرة فلا يملك المسلمون استتابته، لأن الاستتابة هي طلب التوبة معروضًا عليه العقوبة إن لم يتبْ، وأما تبيُّن حاله فهذا ممكن، وكذا إقامة الحجة عليه فهذا ممكن أيضًا في أكثر الأحوال، ولا ينبغي أن يكابر عاقلٌ في هذا.

فعرف بذلك أن الامتناع عن قدرةٍ يتجزأ أيضًا، وليس هو شيئا واحدًا، وأن الذي يقول فيه العلماء إن المرتدين المحاربين الممتنعين عن قدرة لا يلزم استتابتهم ولا تبين حالهم ولا إقامة حجة عليهم بل يقتلون على كل حال، المرادُ به الممتنعون في حالتهم الأوضح والأظهر وهي أن يكونوا متميزين منحازين إلى جهة، دارٍ وأرضٍ، سواء لحقوا بدار الحرب والكفر، أو تحيّزوا وتميزوا في ناحية من بلاد المسلمين واعتصموا بها وامتنعوا وانتصبوا للحرب.

أما أفراد عساكر الجيوش في بلادنا اليوم فهم بيننا عائشون مصبحون مُمْسُونَ بائتون، فالفرق واضح.. وبالله تعالى التوفيق.

❋ ❋ ❋

〚حكم الانضمام للأجهزة الأمنية بالدول العربية بصفة عامة، وبنية التدرب على السلاح بصفة خاصة، وما هي المحاذير الشرعية التي يشترط الالتزام بها؟〛

❁ سؤالي حفظكم الله هو عن حكم الانضمام للأجهزة الأمنية بالدول العربية بصفة عامة، وعن الانضمام لهذه الأجهزة بنية التدرب علي استعمال السلاح وتعلم الفنون القتالية، وما هي المحاذير والضوابط الشرعية التي يشترط الالتزام بها؟.

[**السائل**: قلب الأسد]

الجواب:

جزاك الله خيرا، ووفقك الله، وأسأل الله تعالى أن يرزقني وإياك الشهادة في سبيله بعد طول عمر وحسن عمل.

الانضمام إلى الأجهزة الأمنية في هذه الدول لا يجوز.. بل هو محتملٌ للكفر لأنه إن انضم إلى هذه الأجهزة الأمنية لمناصرة هذه الدولة المرتدة، أو كان عمله فيها بحيث لا ينفك عن المناصرة الظاهرة البينة لها -تأويله تنزيله[1]-، أو ارتكب في أثناء انضمامه لها كفرًا كالقسم على احترام الدستور والقانون الكفري والعمل به وحراسته ونحو ذلك، فهذا كفر وردة.

وإنما فصّلنا ولم نكفر كل من انضم لهذه الجيوش والشرطة والأجهزة الأمنية بإطلاق، لما شرحناه في أجوبة سابقة.

إذا تقرر هذا فهل يجوز دخول هذه الجيوش لغرض التدرب وتعلم فنون الحرب وما شابه ذلك من أغراض، لمصلحة الإسلام والمسلمين، أو بغرض النكاية؟ هذا محتمل، إذا خلا من الوقوع في ارتكاب كفرٍ، أو كبيرة من الكبائر، بهذا الشرط.

وينبغي أن يُسأل العلماء في كل حالةٍ.. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

〚حكم الجهاد بدون إذن الوالدين، وفائدة قتل حاشية الرؤساء، وحكم عساكر الشرطة وأموالهم، وأي الجبهات الجهادية أولى بالقتال فيها؟، وحكم من يدعو للطواغيت من أئمة المساجد؛ هل يُصَلَّى خلفه؟، وكتب مهمة للنافر إلى الجهاد، وهل العلم شرط للجهاد؟، و«الدعوة العلنية» للجهاد في ظل الطواغيت، وهل يصلح مجاهد مدخن؟ ومسائل أخرى مفيدة〛

❁ (س) ما حكم من كان يروم الجهاد في سبيل الله وكان أحد والديه يمنعون ويقعون في بعض علماء الجهاد ورموزهم؟.

(س) إن قطفت رأساً لأحد طواغيت العصر -مثل طاغوت الأردن- فماذا عن الحاشية؟ وهل هناك فائدة مرجوة من قطف رأس أمثال هؤلاء؟.

(س) ما حكم قتل عساكر الشرطة أينما كنا؟ وما حكمه إذا كان يلاحظ ذهابه إلى صلاة الجماعة؟ وما حكم رواتبهم وأموالهم؟.

---

(١) هذا هو تعريف «النص»؛ فقد قال الجويني في: الورقات (ص ١٨): «النَّص مَا لَا يحْتَمل إِلَّا معنى وَاحِدًا وَقيل مَا تَأْوِيله تَنْزِيله».

(س) إذا كان أحدٌ يروم الخروج الى أرض جهاد -كالعراق- وفتحت أرض أخرى -كدارفور- فما الواجب عليه.. الذهاب للأولى أم للثانية؟ أم يقيس؟ أم على حسب القرب؟ على ماذا يعتمد في وجهته؟.

(س) ما حكم أئمة المساجد الذين يدعون للحكام الطواغيت، مع تركهم الدعاء ولو لمجاهد واحد.. هل يصلى خلفهم؟ أم يبحث عن غيرهم؟ وبماذا تنصحوننا في هذا..؟.

(س) نريد منكم النصح لمن أراد الخروج في سبيل الله من حيث العبادات، والأدعية، وغيرها؟ وهل يوصي في أهله؟ وهل يجب عليه أخذ الإذن من والديه في جهاد فرض العين وغيرها من الأمور.. نريد النصح؟.

(س) رجل لم يعلم إلا متأخرًا بالواجب المتحتم عليه في الجهاد، وأراد الخروج.. فهل يستطيع الخروج مع قلة علمه في الأمور الشرعية؟.

(س) وهل يجوز الدعوة العلنية في البلاد التي يحكمها الطواغيت؟ أي محادثة الناس وتحريضهم وتعريفهم على شيوخ الجهاد بسبب التعتيم المستفحل عندهم؟ وهل هذا يكون مخطئًا بطريق دعوته؟.

(س) التدخين والسجائر -عافى الله المسلمين من بلائهما- هل يُمنع شاربهما من الجهاد حتى يقلع أم يصح؟.

(س) أخبرونا بالنسبة للذي ما زال حيرانا؛ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؟

[السائل: ram1]

الجواب:

بارك الله فيك وجزاك الله خيرا ورفع قدرك..

أنت يا أخي اسمك رام، وتسأل عمّن يروم..! فهل هذا من تأثير الاسم في المسمى؟ قد يكون كذلك، صحيح؟ فكان بإمكانك أن تقول: يريد.. هذا فقط لملاطفتك وللتأمل، وفقك الله وسددك.

«س / ما حكم من كان يروم الجهاد في سبيل الله وكان أحد والديه يمنعون ويقعون في بعض علماء الجهاد ورموزهم؟»

ج / الجهاد الآن فرض عين على كل مسلم حتى تحصل الكفاية.. فمن يسَّر الله له فرصة للنفير فلا يلزمه إذن أحدٍ، لا الوالدين ولا غيرهم..

هذا الذي عليه الفتوى عند جماعة من علمائنا المعاصرين، وهو الحق الذي تدل عليه الأدلة، وهي

معروفة مبسوطة في غير ما موضع.. والله أعلم.

«س / إن قطفت رأس لأحد طواغيت العصر -مثل طاغوت الأردن- فماذا عن الحاشية؟ وهل هناك فائدة مرجوة من قطف رأس أمثال هؤلاء؟»

ج / بالتأكيد.. قطع رؤوس أمثال هؤلاء الطواغيت فائدته كبيرة، دنيوية ودينية وأخروية، هذا هو الأصل إلا في حالات قليلة قد يترجح لدى أهل الشأن وأولي الأمر ترك شخص منهم حتى حين لمصلحة راجحة، والمشكلة ليست في أننا نقدر على قتل جميع مستحقي القتل من الطواغيت وأعوانهم وأعمدة وأركان سلطانهم ثم نتركهم..! بل المشكلة هي أننا غيرُ قادرين على ذلك، فهؤلاء الطواغيت ممتنعون بالمُلك والدولة والسلطان والجيوش والقوات الكبيرة، فلماذا السؤال عن الحاشية؟ طيب اقطع رؤوسهم أيضا.. ما المشكلة؟!!

«س / ما حكم قتل عساكر الشرطة أينما كنا؟ وما حكمه إذا كان يلاحظ ذهابه إلى صلاة الجماعة؟ وما حكم رواتبهم وأموالهم؟»

ج / عساكر الشرطة وغيرهم من منتسبي الجيوش وقوات أمن هذه الأنظمة المرتدة قد تكلمتُ فيها في أجوبة سابقة بما يغني، وذكرت ما عندي من التفصيل فيهم؛ فراجعه.

والكافر المستحق للقتل، حيث ثبت عندنا كفره واستحقاقه للقتل، يبقى بعد ذلك النظر هل نقتله أوْ لَا من باب السياسية الشرعية، وهو نظر عماده مراعاة ميزان المصالح والمفاسد.

فباختصار نقول: الآن في البلاد التي ليس فيها جهاد معلن، نأمُرُ الشباب بأن لا يُحدِثوا أمرًا إلا عن مشورة لأولي الأمر إن أمكن، وإلا أن يكون مندرجًا في خطة المجاهدين العامة، ويكون بعد استفراغهم وسعهم في النظر في الموازنة بين مصالحه ومفاسده، مع سائر الضوابط الشرعية.

ليس عندنا ما نقوله أكثر من ذلك، فمن صلحت نيته وعلم الله منه الصدق في النظر والاجتهاد في إصابة مصلحة الإسلام والمسلمين، فهذا إن شاء الله مرجوّ له النجاح والفلاح.

ولا ننهى عن جهاد الطواغيت والمرتدين، وإنما نأمر بالجهاد كما أمر الله وأحب، حسبَ ما أرانا الله. وبالله التوفيق.

وأموالهم إن كنت تقصد أخذها والاستيلاء عليها، ففيها تفصيل مشابه للدماء.

وإن كنت تقصد الرواتب التي يتلقونها من الدولة المرتدة على عملهم في شرطتها وقواتها أي حكمها بالنسبة لهم؛ فهو مالٌ حرامٌ يأكلونه سحتًا، والعياذ بالله، سواء قلنا بأن العمل كفرٌ أو غير كفر.! فهو بلا شك عملٌ محرّم، والأدلة على تحريمه كثيرة من نصوص الأحاديث الناهية عن الكون لهم

شرطيا أو عريفا أو جابيًا، والناهية عن إعانتهم على ظلمهم[١]، والآمرة بالبراءة منهم والإنكار عليهم، بالإضافة إلى عموم أدلة الشريعة من القرآن والسنة الناهية عن إعانة الظلمة والكون معهم والركون إليهم، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان، بالإضافة إلى ما يتضمنه عمل الشرطي والجندي في هذه الدول من ارتكاب محرمات ظاهرة تكلم فيها العلماء الناصحون وأنكروها ونهوا عنها، وراجع ما كتبه الشيخ «التويجري» وغيره من العلماء[٢]، وهو كثير جدا في هذا الباب.

هذا كله على فرض عدم كفر تلك الحكومة، وعدم كفر المتجند في قوّاتها بإعانتها ونصرتها عالمًا بكفرها وردتها.! والله المستعان..

فإن تاب صاحب هذا المال، ففي كيفية التصرف في هذا المال كلام آخر.

وإن قصدت الأكل من أموالهم.. كما لو دعاك أحدهم إلى طعام أو أهدى إليك أو نحوه؛ فهذا إن كان كل ماله من هذا الوجه لم يجز الأكل منه على الأصح، وإن كان ماله مختلطًا (له هذا المصدر المالي، وله مصدر أو مصادر أخرى مباحة) فلا بأس من الأكل منه وقبول هبته ونحوها ما لم يمنع مانعٌ آخر، وما لم يستغرق المأكول والمقبول القدرَ المباح من ماله، والله أعلم.

وهذه الأحكام مبسوطة في مظانها من كتب أهل العلم، وإذا أشكل عليك شيء من الصور فاسأل مَن حولك من أهل العلم، والله يتولاك.

«س / إذا كان أحد يروم الخروج إلى أرض جهاد كالعراق وفتحت أرض أخرى كدارفور فما الواجب عليه الذهاب للأولى أم للثانية؟ أم يقيس؟ أم على حسب القرب؟ على ماذا يعتمد في وجهته؟».

ج / هذا ينبغي أن يكون جوابه واضحا مما قدمناه في أجوبة سابقة حين شرحنا معنى قولنا: «الحقْ بالقافلة»، والحاصل هنا أنه يعتمد على النظر لمصلحة الإسلام والمسلمين: أين يجب أن أكون، وماذا يجب أن أفعل؟ بمعنى ما هو مكاني المناسب وعملي المناسب، أي الذي يُطلب من مثلي، وكيف يعرف الشخص ذلك؟ يعرفه عن طريق الرجوع إلى أولي الأمر، أو ما يقوم مقام ذلك، وبالله التوفيق.

«س / ما حكم أئمة المساجد الذين يدعون للحكام الطواغيت، مع تركهم الدعاء ولو لمجاهد واحد.. هل يصلى خلفهم؟ أم يبحث عن غيرهم؟ وبماذا تنصحوننا في هذا..؟»

---

(١) من ذلك حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**ليأتيَنَّ عليكم أُمراءُ يُقَرِّبون شِرارَ الناس، ويؤَخِّرُونَ الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك مِنكم، فلا يكونَنَّ عريفًا ولا شرَطِيًّا ولا جابيًا ولا خازنًا**)، وحسنه الألباني في: صحيح الترغيب (٧٩٠).

(٢) انظر ما كتبه الشيخ التويجري عن منكرات «العسكرية» المعاصرة في: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٣٧٥)، وفي الدرر المجلد ١٥ عقد الشيخ ابن قاسم الباب السابع بعنوان: «لباس الشرطة» وعده من «الفضائح» وذكر كلام جماعة في منكرات العسكر.

ج / إذا كان يدعو للحكام الطواغيت المعروفين عند جمهور الناس وأهل العلم بكفرهم، يعني الذين كفرُهم واضح وبين جدًا، بما لا يُدعى به إلا للمسلم، كنحو: اللّهم انصره واحفظه وما شابه، فهذا لا تصلي خلفه..!

«س / نريد منكم النصح لمن أراد الخروج في سبيل الله من حيث العبادات، والأدعية، وغيرها؟ وهل يوصي في أهله؟ وهل يجب عليه أخذ الأذن من والديه في جهاد فرض العين وغيرها من الأمور نريد النصح؟».

ج / النصيحة لمن أراد الخروج للجهاد في سبيل الله أن يبادر قبل الفوت! ويتوكل على الله ويستعين بمولاه ﷻ، ويأخذ بالأسباب ومنها الكتمان وسائر الاحتياطات اللازمة، وتكلمنا من قبل في أشياء من هذا، ويكثر من ذكر الله ودعائه، والعبادات كلما أكثر واجتهد فهذا خير وبركة ومدعاة للتوفيق والتثبيت، من نوافل الصلوات والصيام والصدقة وغيرها، وقبل ذلك الاهتمام بالفرائض الباطنة والظاهرة وإقامتها والإتيان بها على أكمل وجهٍ، من الطهارات والصوات المكتوبات وغيرها، ومن التوبة والإنابة والشكر والصبر والمحبة لله تعالى والخوف والرجاء والخشية والرهبة وسائر أعمال القلوب، ويستعين في ذلك (لتزكية نفسه وتكميلها) بالكتب النافعة للعلماء الموثوقين ككتب ابن القيم مثلا، فليجتهد في قراءة «الجواب الكافي»، و«الفوائد» و«الوابل الصيب» و«عدة الصابرين» ونحوها، ومصاحبة الصالحين وغير ذلك من الأسباب، والله هو ولي التوفيق، لكن ليس شيء مما ذكرناه شرطا مسبقا للنفير إلى الجهاد في سبيل الله.

ولهذا قلتُ: إن أول النصيحة: أن يبادر قبل الفوت، والمقصود أن لا يؤخر النفير لأجل تحصيل تلك الأشياء، بل ينفر ويجتهد في تزكية نفسه، والله يفتح عليه، وليعلم أنه ليس هناك مكان في الدنيا فيما نعلم لتزكية الإنسان نفسه وتربيتها مثل ساحات الجهاد لَمن وفقه الله تعالى وفتح عليه؛ فالكل عطاء الله لا غير، والمخذول مَن اعتمد على نفسه واغترّ ووكله الله إلى نفسه.!

نسأل الله أن يرشدنا وإياكم للخير والبر والصلاح والفلاح ويعيننا عليه.. آمين.

«س / رجل لم يعلم إلا متأخرًا بالواجب المتحتم عليه في الجهاد وأراد الخروج فهل يستطيع الخروج مع قلة علمه في الأمور الشرعية؟»

ج / نعم فليخرج إلى الجهاد الواجب، وليتوكل على الله، كما سبق في الجواب قبله، ولعله يكون ممن عمل قليلا وأجِرَ كثيرا، فليتوكل على الله وليسارع إلى واجب الوقت المتعين، وهو الجهاد، الذي ليس من شرطه تحصيل علمٍ ولا إذن أحدٍ، ولا دعوى تزكية نفسٍ، ولا غير ذلك.!، وبالله التوفيق.

«س / وهل يجوز الدعوة العلنية في البلاد التي يحكمها الطواغيت، أي محادثة الناس وتحريضهم وتعريفهم على شيوخ الجهاد بسبب التعتيم المستفحل عندهم؟ وهل هذا يكون مخطئا بطريق دعوته؟».

ج / يُشرع للمسلم أن يدعو إلى الله تعالى سرا وعلنًا، بحسب ما يقوى عليه وبحسب ما يناسبُ، فإن قتله الطواغيت رجونا له الشهادة كما صح في حديث النبي ﷺ: (**سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام ظالم فأمره ونهاه فقتله**)[1] أو كما قال ﷺ، وما في معناه من النصوص الشرعية وهو كثير.

لكن على الإنسان أن يراعي ما يقدر عليه ولا يحمّل نفسه ما لا تطيق، ويتفقه في الدين ويعرف ما هو الأفضل في كل حالة، والله الموفق.

«س/ التدخين والسجائر -عافى الله المسلمين من بلائهما- يمنع شاربهما من الجهاد حتى يقلع، أم يصح؟»

ج / لا، لا نمنع صاحبها من النفير إلى الجهاد المتعين عليه، بل يجاهد ويجب عليه الإقلاع عن معصية التدخين وسائر المعاصي قبل ذلك وأثناءه وبعده.. لا فرق، بل يتأكد وجوب التوبة وترك تلك المعاصي إذا نفر إلى الجهاد، والحمد لله، الآن أكثر ساحات الجهاد بفضل الله تعالى ساحات إيمان وتقوى وصلاح وتعلوها رايات سنيّة سلفية طيبة؛ فلو نفر الشخص المدخّن للجهاد فلن يدخّن بعدها إن شاء الله.

وقد رأيت في الجزائر بعض الشباب نفروا للجهاد وطلعوا إلى الجبال ملتحقين بالمجاهدين في سبيل الله، وكانوا يدخنون ولا يعرفون حرمة التدخين، فما إن وصلوا إلى المجاهدين حتى فهموا حكم التدخين وتركوه من لحظتهم؛ لأن النافر للجهاد صادقا فهو في العادة من أقوى ما يكون إيمانا واستجابة لله والرسول وتعظيما لأمر الله واستعدادا للطاعة وترك المعاصي.

ومما أذكره أن أحد الإخوة الشباب الطيبين واسمه «عبد الوهاب»، وهو من بلدة «أولاد علي» بـ«خميس الخشنة»، صعِد إلى الجبل ملتحقا بالمجاهدين، وقبل أن يطلع اشترى حوالي كيلو من التبغ الممضوغ المسمّى عندهم بـ«الشمّة» وصعد بها، يقول: أحببتُ أن أفرح الإخوة وأهدي إليهم هذه الهدية وأنا طالع فيفرحوا بها!! وهذا الرجل الشابُّ من أعاجب مَن رأيتُ سلامة صدر وبراءة وقوة ديانة وحسن أخلاق، وهو من النوع الذين يقول فيهم الإخوة في الجزائر «امتاع ربّي» وله نظراء كثيرون بارك الله فيهم.

---

(١) المستدرك (٤٨٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في: الصحيحة (٣٧٤)، لكن بلفظ: (إمام جائر..).

و«عبد الوهاب» هذا لم يكن يصلي ولا يعرف شيئا من الدين ولا العلم، وإنما نفر إلى الجهاد غيرة وحمية للدين ولأهل الدين وكرهًا للكفر والظلم -الدولة- ونصرًا للحق؛ فيصدق فيه أنه ممن دخل الإسلام من باب الجهاد، وقد استشهد رحمه الله قبل الفتنة مقبلا غير مدبر، نسأل الله عز وجل أن يتقبله في الصالحين ويرفع درجته هو وجميع إخوانه الشهداء الطيبين، وأن يلحقنا بهم في عليين غير مغيرين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين.. آمين.

«س/ أخبرونا بالنسبة للذي ما زال حيرانًا، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؟»

ج / **دواء الحيرة**: الأخذ بأسباب الهداية، وقد كتبنا فيها نبذه نافعة في أجوبة سابقة؛ فلتراجع، وليستعن العبد بربه عز وجل وليطلب منه الهداية بصدق وقوة عزم وإلحاح، مع الأخذ بسائر الأسباب الممكنة للوصول إلى الحق والصواب، والله كريمٌ برٌّ رؤوف رحيم.

نسأل الله لنا ولكم ولسائر المسلمين التوفيق والهداية والرشاد.

❁ ❁ ❁

〚حكم الدعاء للطواغيت واللين معهم من أجل إزالة منكر، وضابط ذلك، والرد على من زعم أن محاربة المجاهدين والمسلمين ليست ناقضا للإسلام، وحكم إضراب الأسرى في السجون〛

❁ (١) ما حكم مخاطبة الطواغيت والحكام والدعاء لهم، وأحيانًا يُـذم أعداءهم من المجاهديـن.. كل هذا لأجل إزالة منكر، فإن كان ذلك يجوز فما هو الضابط في ذلك؟.

(٢) ما هو ردكم على من يرى أن ما يحصل بيـن أمريكا والحكومات العربية من تعاون في محاربة «الإرهاب» ومحاربة أهله «المجاهديـن».. لا يُعد ناقضاً؟ ويحتج بأن هذا فُرِضَ علينا بالقوة.. ونداهنهم ليسلم الشعب من الحرب ويقول «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»!!؟.

(٤) دار نقاش حول مسألة إضراب الأسرى في سجون الصليب وأذنابهم.. ومدى شرعية ذلك.. وماذا يستفيد الأسرى من الإضراب؛ حيث أن في ذلك تخفيفاً على العدو في مسألة الإعانة والمعيشة.. وهل من أضرب وتوفي نتيجة إضرابه يُعد منتحراً؟

[السائل: لويس الحريري**]**

الجواب:

وفقك الله وثبتنا وإياك على الحق.

جواب س١: ذكرنا الجواب على شبيهٍ بهذا في أجوبة سابقة..

مخاطبة الطواغيت لفظ مجمل، فنحن نفصل: مخاطبتهم بالدعوة إلى التوحيد والتوبة إلى الله تعالى والتزام شرعه وتحكيمه هذا مشروع بل مطلوبٌ، ومخاطبتهم بما فيه الثناء عليهم وعلى حكمهم وولايتهم ومدحهم أو الدعاء لهم بما يُدعى به للمسلم خاصةً كالدعاء بالنصر والحفظ، لا يجوز بل هو كفرٌ والعياذ بالله، ومخاطبتهم على أوجهٍ أخرى بحسبها، ينظر في كل حالة.. فلو احتاج بعض المسلمين أحيانا لمخاطبتهم بما لا محذور فيه من الخطاب المباح أو باستعمال المعاريض من أجل استحصال حق معتبر، أو التخفيف من شر ومفسدة، ولا سيما إن كانت المصلحة المرجو تحقيقها أو المفسدة المراد إزالتها عامة (تتعلق بعموم المسلمين) ولا سيما مع أحوال الاستضعاف، فنرجو أنه لا بأس به، المضطر الخائف من ضرر محقق منهم يتقيهم بما رخّص الله من التقية، وتقدر الضرورة بقدرها، وليس شيء كالسلامة وطلب العافية والبُعد عن هؤلاء الطواغيت، نسأل الله أن يعافينا وإياكم.

جواب س٢: ردي على هذه الدعوى الكاذبة والحجة الداحضة أن هذا هو نفس فعل المنافقين النفاق الأكبر الذي حكاه الله عنهم في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[المائدة].

فهذه دعوى كاذبة من أساسها يعرف كل عاقل منصفٍ كذبهم فيها، وإنما مرادهم التعلل والتلبيس والتظاهر بمراعاة مصلحة الشعب والشفقة عليهم، وإنما الحق الذي لا يعمى عنه إلا أعمى البصيرة ميِّت القلب هو أنهم إنما يفعلون ذلك حفاظا على كراسيهم وليبقى لهم ملكهم وسلطانهم، وأنهم لا يهمهم الشعب ولا مصلحة أحدٍ ولا يبالون بدين ولا آخرة، بل إذا سلِم لهم ملكهم ورياستهم.. فلا بكاء على الدين ولا على شعب ولا آخرة، وسائر أحوالهم شاهدة بذلك أتم شهادة وأقواها وأحكمها، والذي يشك في هذا ويظن غيره، هو من أغبى الخلق، نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من الخذلان.

ثم لو فرض أنهم صادقون في هذه الدعوى.. فإن ذلك لا يجوز لهم بل هو مخالف لدين الله وشرعه المجمع عليه؛ فلا يجوز لهم أن يتحالفوا مع الكفار الصليبيين الذين يشنون على ديننا وأمتنا حملة صليبية واضحة ويعاونوهم ويساعدوهم بأنواع المساعدات ويظاهروهم على المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى المحاربين لأولئك النصارى عباد الصليب، ويظاهروهم على المسلمين المستضعفين

المعصومين في بلدان المسلمين الأخرى فيقتلوا الآلاف من المسلمين ويحتلوا أرضهم وديارهم ويرفعوا فيها الصلبان وأعلام الكفر ويستحلوا فيها محارم الله وينتهكوا أعراض المسلمات كما هو حاصل أمام مرأى جميع العالم في العراق وفي أفغانستان وغيرها، فكيف يكون حفاظهم على دولتهم وشعبهم -زعموا- عذارًا لهم في ارتكاب تلك الأفعال الشنيعة التي هي كفرٌ بالإجماع المتقرر المسلّم، حتى لقد نقل الإجماع على أنه كفرٌ -بل على أقل منه بمراحل- كبراءُ علمائهم أيام العافية! فهذا ليس عذرا بحالٍ من الأحوال ولا يقول ذلك عالمٌ موثوق يخشى الله، وإنما يقوله بعض المفتونين الزائغين من علماء السلطان كفى الله المسلمين شرهم وأراح الله المسلمين منهم.. آمين.

كيف وهذه المصلحة التي يتعللون بها متوهّمة، في مقابل المفسدة الكبيرة الدينية والدنيوية المتحققة الواقعة، وكيف ضمنوا أو رجَوا أن يسلموا هم وشعبهم من الحرب إذا انتصر الكفارُ الصليبيون على جيرانهم ومَن يُفترَضُ أنهم إخوانهم في العراق وأفغانستان؟ كيف وجميع العقلاء مقرون بأن أهل الصليب لو فرغوا من أفغانستان والعراق واطمأنوا فيهما بسهولة ويسر مزمعون لا محالة على التوجه إلى ما بعدها ثم ما بعدها، ولا يشك عاقل في ذلك، اللّهم إلا سفسطيٌّ متزندق!! ولولا أن الله هيأ برحمته ولطفه من عباده الصالحين الأخيار مَن اجتباهم لهذه الكرامة والمنقبة العظيمة ونيل ثواب هذا المقام الجليل ليقفوا في وجه هذا المد الصليبي ويصفعوه على وجهه المهترئ ليردّوه خائبا خسيرا حقيرًا، جزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرا كثيرا، لأوشك أن يقع المحذور..!

وقولهم: «نداهنهم» نقول: ليت الأمر كان مقتصرًا على مداهنة هي من قبيل المعاصي إذن لهان الخطب، بل هو الكفر البواح الصراح المجمع عليه.! وهل مثل هؤلاء الخونة البائعين دينهم بمرضاة النصارى إلا ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾[الحشر: ١٦]، وكالذي يتقرّب إلى عدوّه المتربّص به بأنواع القربات رجاء أن يرضى عنه، وهو غيرُ راضٍ بحالٍ بل يطلب المزيد كل يوم، فمهما ركع له طلب السجود وطول القنوت!!. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾[البقرة: ١٢٠].

وقولهم: إن هذا فرض عليهم بالقوة، فنقول: قاتلكم الله يا مجرمون يا أعداء الله، ومَن الذي فرضه عليكم، وأنتم تملكون البلاد و«العباد» وفضول الأموال العظيمة، وبإمكانكم بل هو فرض عليكم أن تطيعوا الله وتعلنوا الجهاد على الصليبيين وتكونوا مع شعوبكم المسلمة، فلو فعلتم مَن ذا يستطيع أن يفرض عليكم شيئا؟! وليكن أنهم فرضوا عليكم وخوّفوكم وهددوكم فأين نخوتكم ونجدتكم وشجاعتكم وجهادكم وأين شهامة العرب حتى الجاهليين والذكور الغيورين؟! لولا استمراؤكم

للخيانة التي نشأتم عليها وتربّيتم على لبانها وترعرعتم في أحضانها!! ولولا موتكم الحقيقي دينا وأخلاقا وفضائلَ وانقطاع الرجاء منكم يا أشباه الرجال ولا رجال، يا مخنثي العزائم.!!

فتنحّوا عن الطريق لا بارك الله فيكم، وأفسحوا للأمة ورجالها الشرفاء المجال، واقعدوا في بيوتكم، لا نريد منكم غير ذلك، فلستم أهل فروسية ولا طعان، وإنما أنتم كما قال الأول:

أَلا طِعَانَ أَلا فُرْسَانَ عَادِيَةٍ ... إِلَّا تَجَشُّؤُكُم حَوْلَ التَّنَانِيرِ[1]

نسأل الله أن يفرج كرب الأمة المكروبة بكم.. آمين.

أما نحن.. فإننا منكم بُرآء، ولكم عدوّ قد بدت منا لكم ﴿ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وتتركوا طاعة النصارى وتقطعوا مودتهم، وترجعوا إلى دين الله ﷻ وتحكموه في كل صغير وكبير، وإنا قائلون كما قال بعض أئمتنا:

فوحق حكمتك التي آتيتني ... حتى شددت بنورها أركاني[2]

لأجاهدنّ عداك ما أبقيتني ... ولأجعلن قتالهم ديداني[3]

وحسبنا الله ونعم الوكيل.!

جواب س٤: إضراب المسجونين (أي عن الطعام والشراب في السجون) إذا رأوا أنه يحقق لهم مصلحة إصلاح أحوالهم بالضغط على الأعداء السجّانين فيخففوا عنهم بعض القيود ويمكنوهم من بعض ما يريدون من المصالح ويحسّنوا لهم ظروف المعيشة ونحو ذلك، فلا بأس به بشرط ألا يؤدي إلى الوفاة أو ضررٍ كبير متلفٍ.

والغالب أن المضربَ عن الطعام يمكنه أن يحتال بعضَ الاحتيال.

وكون الإضراب فيه تخفيف على العدو في الإعانة والمعيشة، فهذا لا اعتبار له في جانب ما يرجوه المسجونون عادة من إصلاح أحوالهم وتحسين ظروفهم وحمل العدو على فعل أشياء أو الامتناع عن أشياء أخرى فيها للمسجونين صلاح ديني ودنيويّ.

والذي سمعناه من الإخوة الذين كان لهم تجربة ابتلاء بالسجن أن الإضرابات هذه من أشد الوسائل للضغط على العدو في السجن من أجل تحسين أوضاع المسجونين، لكن لا بد من التنبيه إلى

---

(١) قاله: حسان بن ثابت رضي الله عنه، انظر: ديوان حسان بن ثابت (١/ ٢١٩) قصيدة رقم: ١٠١.

(٢) قاله: القحطاني الأندلسي المالكي صاحب النونية، انظر: نونية القحطاني (بيت: ٢٣).

(٣) قاله: ابن القيم، انظر: نونية ابن القيم؛ الكافية الشافية (ص ١٦٧).

أن هذا إنما هو في سجون البلاد المسماة بالديمقراطية، والتي تهتم بمبادئ حقوق الإنسان والحريات وما شابه ذلك من المبادئ والدعاوى، وتحرص على سمعتها الحقوقية، والظهور بمظهر الإنسانية، وتخاف من محاسبة شعبية وبرلمانية وحقوقية مدنية وصحافية ونحو ذلك، وأما في بلاد مثل بلادنا الطاغوتية البوليسية المحضة، فقد لا يجدي هذا.!

فهذا إذن تختلف جدواه وفائدته باختلاف الأحوال. ألا لعنة الله على الظالمين..!

أما الذي يضربُ عن الطعام حتى يموتَ فنخشى أن يكون منتحرًا، نعم.!

نسأل الله لنا ولكم ولسائر الإخوان العافية والمعافاة الدائمة.

❃ ❃ ❃

〚القول في مسألة «التترس»، و«القتل بالشبهة»〛

❁ شيخنا العلامة: ممكن تفصيل وتأصيل لمسألة التترس والقتل بالشبهة.

[السائل: ابن الرافدين]

الجواب:

أولا يا أخي: أنا لست علامة، ولا أستحق هذا الوصف، فاقتصد بارك الله فيك ولا داعي لهذه المبالغات.

وأما مسألة التترس.. فـ«التفصيل والتأصيل» فيها يطول ولا يمكن هنا، وقد بُحِثت المسألة كثيرا ولله الحمد على النت خصوصًا، وأدلك على بحث أخينا الشيخ «أبي يحيى الليبي» حَفِظَهُ اللهُ في التترس[1]، وهو منشور على النت، نُشر في «الحسبة» وغيرها، فهو جيد في تفهيم المسألة وبيان

(١) يعني كتاب: «التترس في الجهاد المعاصر» في قرابة أربعين صفحة نافعة، وخلاصة مبحثه ﷺ: أنه في هذا الزمان قد جدَّت صور حادثة للترس لم يطرحها المتقدمون لكنها تأخذ حكم التترس بطريق الأولى، وأن الأضرار التي ذكرها الفقهاء لتجويزهم رمي الكفار عند التترس أوضح ما تكون اليوم في جهادنا المعاصر؛ حتى شملت الضروريات الخمس لو لم نقم بالأخذ بقاعدة التترس، وثالثا: ينبغي على المجاهدين النظر في كل عملية عسكرية سيقومون بها من عدة نواحٍ بحيث نضيق استعمال «التترس» جدًّا ويضيق دائرته؛ بحيث يشمل أمورًا: أهمية الهدف، اختيار المكان والزمان المناسب الذي يقلل إصابة المسلمين، الموازنة الدقيقة بين الضرر الواقع في الهدف والواقع على المسلمين، أن يكون الوصول لذلك الهدف بغير هذه الطريقة مُتعذرًا، ومنع القصد القلبي لقتل المسلمين؛ بحيث تتوجه النية فقط لقتل الكفار ولا ينوي المسلمين فيقتلون تبعًا لا قصدا.. والخلاصة أنه لا يكفي إدراج تلك العملية ضمن «دفع الضرر العام» الواقع من جرّاء العدو ومن ثَم إقحامها في «التترس» بمجرد ذلك؛ من غير ضرورة أو حاجة خاصة جزئية متعلقة بها.

مداركها، ويحوي أهم نصوص العلماء من المذاهب الأربعة وغيرها في المسألة، ثم إن بقي عليك بحث أو إشكال فسجِّله في كراستك حتى تحين لك فرصة لسؤال بعض أهل العلم فيها.

والله يفتح علينا وعليك.

❋ ❋ ❋

〚أيه أولى: بقاء الجميع في الدعوة، أم نفيرهم للجهاد، أم بقاء بعضهم خلفا لهم في أهليهم؟〛

۞ ما رأيك ببقاء الشباب الموحدين في بلادهم للدعوة النشطة؟ أم تحبذ أن ينفر الجميع؟ أم ينفر البعض والبعض الآخر الذي لديه قوة في الدعوة يبقى في بلاده؟

[السائل: النفير**]**

الجواب:

والله يا أخي أظن الجواب على هذا السؤال قد فُهِم مما قدمته في الأجوبة السابقة.

وأضيف شيئا هنا وهو: أن الدعوة إلى الله تعالى واجب من الواجبات الكفائية عمومًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران]، وما في معناها من الآيات والأحاديث كثير، وهي -الدعوة- على التفصيل: منها الواجب ومنها المستحب، ومنها ما يتعين على شخص في حالٍ من الأحوال دون غيره، وهكذا.

والجهاد واجبٌ متعين على جميع المسلمين لنزول العدو بالعُقرِ، وهذا محل إجماع لا نزاع فيه، ووجوب الجهاد آكد وهو مقدم على الانشغال بالدعوة وكل الأعمال الفاضلة من وجوه كثيرة:

- ❖ لأنه فرض عين وهو مقدم على كل الفروض الكفائية.
- ❖ ولأنه دفعٌ، فهو حفظ لرأس المال.
- ❖ ولأن تركه والانشغال بغيره سبيل إلى غلبة العدو الكافر وفساد الدين والدنيا.

وغير ذلك من الأوجه..

ولذلك فواجب الوقت المتحتم على جميع المسلمين هو الجهاد، وشرحنا القدر الذي تبرأ به الذمة من ذلك الذي قلنا إنه تلخّصه العبارة البديعة الشهيرة التي كان أول مَن أطلقها فيما أعلم الشيخُ الربّانيّ المجاهد «عبد الله عزام» رحمه الله وهي: «الحق بالقافلة».

فواجب الوقت هو الجهاد، والكفاية غيرُ حاصلة، ولا يغلطْ عليك أحدٌ..! وأكثر الناس القائلين بأن الكفاية حاصلة والأمور «تمام التمام» هم -في كثير من الأحيان- مِنْ أول مَن يتعين عليهم النفير،

أعني بذلك العلماء والدعاة، الذين تبكي ساحات الجهاد فقدهم.!! فما يكون من انشغال بواجبات أخرى وأعمالٍ فاضلة فيجب أن يكون على ضوء اللحاق بالقافلة.

والله أعلم، وبه ﷻ التوفيق والعصمة.. والله يتولانا ويتولاكم برحمته وتوفيقه.

❃ ❃ ❃

〚القول في فتوى «آل الشيخ» بـ«تحريم الذهاب للجهاد في العراق»، وحكم القسم لأعضاء «المجلس التشريعي الفلسطيني» قبل الدخول إليه〛

❁ (١) تعليقكم على فتوى آل الشيخ مفتي الدولة السلولية (السعودية) حول تحريم الذهاب للجهاد في العراق وحكم الرجل.

(٢) حكم القسم لأعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني قبل الدخول فيه.

[**السائل:** أبو باسل المقدسي]

الجواب:

الفقرة ١: لا أعرف هل صرح الرجل بلفظ التحريم؟ لكن عرفنا عنه أنه يدعو الشباب إلى عدم الذهاب إلى العراق.. الخ أقواله وأقوال غيره من نظرائه، وهم لا يفصّلون ولا نراهم ينصحون للإسلام والمسلمين في هذا، وإلى الله المشتكى.! وهي باطل، بلا ريبٍ.!

ولا أحب التطويل بردها وبيان بطلانها والانشغال بها.. فبطلانها عند أهل الحق أظهر وأوضح من أن يحتاج إلى توضيح، وهذه أقوال غير مؤتمن أهلها على هذه الأمور، وحسبنا الله ونعم الوكيل(١).

وحكم الرجل: لا أدري.!

الفقرة ٢: حكم القسم المذكور أنه لا يجوز، بل ظاهره كفرٌ، وسبق الكلام على هذا في محور «فلسطين وحماس» من هذه الأجوبة.. والحمد لله رب العالمين.

❃ ❃ ❃

---

(١) انظر الرد على هذه المقالة ضمن قسم «مقالات ورسائل..»، في مقالة بعنوان: «تعليق على بيان المفتي «آل الشيخ» في الجهاد!».

〚حكم غزوة سبتمبر، وفنادق الأردن؛ رغم وجود مسلمين فيها〛

❁ أرجو إفتاءنا بخصوص ضربات سبتمبر (البرجين) وفنادق الأردن من الناحية الشرعية، ومع وجود مسلمين في داخل الأبنية وما حكمهم؟ وهل هي جائزة شرعاً؟ والأدلة الشرعية وأقوال العلماء.

[**السائل**: أبو دجانة الشامي]

الجواب:

أخي الكريم: بالنسبة لضربات سبتمبر فأدلك على فتوى الشيخ «حمود العقلاء» وغيره من المشايخ الذين تكلموا وكتبوا فيها، وفيها كفاية والحمد لله، فابحث عنها على الشبكة، وللشيخ «عبد العزيز الجربوع» كتاب صغير بعنوان: «التأصيل لمشروعية ما حصل لأمريكا من تدمير»، فطالعه أيضًا فهو مفيد، وقد قرظه الشيخ «حمود العقلا» ﷺ والشيخ «علي الخضير» فك الله أسره[1].

ولا بأس بتلخيص سهل لعله يفيد: فاعلم أن هجمات المجاهدين على أمريكا هي من الجهاد في سبيل الله تعالى، وهي من جهاد الدفع، خلافَ ما يظن البعض، وهي عملية مشروعة والحمد لله من ناحية التطبيق، فإنها ضربٌ للكفار في بلدهم التي هي دار الكفر والحرب، ورمي لهم بما يعم به القتل فهي من جنس البيات؛ فلا يُسأل فيها عن وجود نسائهم وأطفالهم.

فما بقي إلا أن يقال: إن في المحل المضروب بعض المسلمين؛ فجوابه من وجوه:

عدم التسليم بذلك، وعلى مَن قاله إثبات ذلك، إلا أن يكون مسلمًا -زعموا- على طريقة بعض المتزندقة من بني جلدتنا.

ثم على التنزل: فهل كان المجاهدون يعرفون ذلك، وهل كان يلزمهم أصلا أن يبحثوا وينقبوا هل ثمت مسلم هنالك؟ وهم يضربون حصنا وقلعة عظيمة من قلاع دولة الصليب الصائلة المعتدية علينا، ثم على فرض أنهم عرفوا أو أن الأمر كان معروفًا فمسألة التترس فيها الجواب، ولا يملأ فم ابن

---

(١) فتوى الشيخ حمود العقلاء الشعيبي ﷺ بعنوان: «بيان عما جرى في أمريكا من أحداث»، وممن تكلم في هذه المسألة بكلام نافع: الشيخ علي الخضير في رسالته «حكم ما جرى في أمريكا من أحداث»، وفي فتواه «جواب عن أحداث أمريكا»، وبحثها كذلك الشيخ الجربوع في رسالته «لم آمر بها ولم تسؤني.. ردًا على مقال الشيخ سلمان العودة في أحداث أمريكا»، والشيخ حسين بن محفوظ في رسالته: «التأصيل الشرعي لأحداث أمريكا»، والشيخ أبو قتادة الفلسطيني في رسالته: «الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا»، ومن أحسن ما كتب في آثارها: الشيخ أبو عبيدة عبد الله العدم المقدسي؛ في رسالته «الآثار الحميدة والمحاسن لغزوتي واشنطن ومنهاتن، بشهادة قادة الغرب ومفكريه» وقد قدم لهذه الرسالة النافعة: الشيخ «مصطفى أبو اليزيد».

آدم إلا التراب.!!

ثم هب أن المجاهدين أخطأوا بقتل بعض المسلمين هناك ممن يجامع المشركين فيعيش معهم ويخالطهم مختارًا، فهل يبطل ذلك هذه العملية الجهادية جملة؟ أو قصاراه أن يكون خطًا كخطأِ «خالد بن الوليد» ﷺ أو غيره حين بعثه النبي ﷺ إلى «خثعمٍ» فأعمل فيهم القتل؛ فقتل الكثير من المسلمين بينهم، فقال النبي ﷺ يومها: **(أنا بريء من مسلمٍ يقيم بين أظهر المشركين)**[1]، والله أعلم.. هذا المخلص الفقهي للمسألة.

والحق أن الاعتراض عليها من الناحية الفقهية الشرعية اعتراض ساقط، يدل على ضعف في فهم الدين وبُعد عن معانيه الأصيلة الناصعة.!

وإنما اعتراض مَن اعترض عليها من جهة السياسة الشرعية هو الاعتراض الوجيه الذي له وزنه، حين يصدر مِن أهل الخير والنصح والجهاد في سبيل الله.! والله الموفق.

وأما فنادق عمانِ، فالعملية كان قد وقع فيها خطأ، وقد اعترف به المجاهدون واعتذروا عنه على لسان الشيخ أبي مصعب نفسه ﷺ.. فهي بهذا الشكل خطأ.

لكن الأصل أنها كانت تستهدف اجتماعًا للكفار من استخبارات أردنية ودولية منها وفد من الاستخبارات اليهودية والأمريكية وغيرهم، في أحد طوابق الفندق، وقد تم بالفعل ضرب هذا الهدف، ويبدو أن الإثخان فيهم كان بالغًا.

إنما كان الخطأ في التنفيذ بالدرجة الأولى، فصادف العمل وجود العرس في الطابق الآخر للفندق فتضرر وقتل أناس مسلمون، نسأل الله أن يرحم موتى المسلمين جميعا ويغفر لهم، وأن يغفر لإخواننا ويسددهم ويجنبهم الزلل، وأن يتقبل الشهداء.

هذا باختصار، فالعملية كانت لضرب هدف محدد مشروع ضربه لأنه عدو كافرٌ حربيّ، وقد كان يحتمل أن يكون فيها مع ذلك موت مسلم أو بعض المسلمين قدّر الإخوة أنه من باب «التترس»، لكن لم يكن العرس مقصودًا قطعا ولا موضوعا في الترس.!

وأما الكلام على نواحٍ أخرى من الموضوع: مثل من يقول هؤلاء (يعني المجاهدين) مجازفون لا يبالون بأحد ولا بشيء ولا يحسنون تقدير الأمور، وكان عليهم التحلي بشدة التحرز والاحتياط من مثل هذه الأخطاء وغير ذلك، فهذه فيها حق وباطل، والمجاهدون بحمد الله يستفيدون من الخطأ،

---

(١) سنن الترمذي (١٦٠٤) وصححه الألباني.

وينتصحون، ويعترفون بالتقصير، والله يوفقهم ويسددهم، وإنما قائل ذلك: إن كان ناصحًا فنرجو من الله تعالى أن يثيبه ويجزيه خيرا، وإن كان شامتًا مبغضا مغرضًا فلا يضر إلا نفسه، والجهاد ماضٍ.!

والحرب لا بد فيها من أخطاء وقد تكون كبيرة أحيانا، وتكون فتنة لكثير من الناس، وإنما الموفق من اعتصم بالله تعالى واستعان به وحقق الحق وصبر.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.. وبالله التوفيق.

❋ ❋ ❋

〚حكم تشغيل «الأناشيد» الإسلامية وتعليق الصور الجهادية داخل المساجد، وذكر حكم الصور الفوتوغرافية والأناشيد الجهادية〛

❁ ما حكم تشغيل الأناشيد الإسلامية في المساجد، وتعليق الصور الجهادية والإسلامية بداخلها؟

[السائل: أبو جندل الفلسطيني**]**

الجواب:

الصور إذا كانت تحتوي صورة ذي روحٍ فلا يجوز تعليقها في أي مكان، إلا ما استثني مما جاز من باب الجهاد، وهذا يقدر بقدره، وإذا كان ذلك في المسجد فهو أشد.

فما الحاجة لتعليق صور ذوي الأرواح كصور المجاهدين في المسجد؟

فإن قيل: تجيء عرضًا لأنها في صفحة بيان أو جريدة أو نحو ذلك؟

فالواجب إزالة الصورة ما أمكن وطمسها، والله المستعان.

وعموما.. فيما يتعلق بصور المجاهدين «الفوتوغرافية» والفيديو؛ فالمجاهدون يستعملونها من أحد أبواب: إما على القول بعدم حرمتها تفريقا بينها وبين المرسومة باليد، وهذا قال به بعض العلماء، وفيه بحث وتفصيل! وإما من بابِ أنه يجوز في الجهاد ما لا يجوز في غيره قياسًا على أشياء أخرى أجازها الشارع للمجاهد في الجهاد كلبس الحرير والتبختر في المشية ونحوها، وإما من باب الضرورة المحضة، لشدة الحاجة إليها في حربنا مع العدو في هذا العصر، عصر الصورة.!! وإلا لو كان وضعٌ آخر وكنا فيه نحن الأعلَين لكان لنا شأن آخر.

فعلى الأول، فأقل ما ينبغي الاحتياط.. وعلى الثاني والثالث فيُقتَصر على موضع الضرورة والحاجة، والله أعلم.

والأناشيد الإسلامية أمرها في العموم أخف، والحمد لله.. لكن ينبغي تجنيب المساجد ذلك، فإن المساجد بنيت للصلاة ولذكر الله، والأناشيد وإن كان فيها ذكر لله، فليس كلها كذلك ولم تتمحض لذلك، بل الغالب عليها اللهو وإجمام النفس والترويح عليها بالمباح، مهما كان فيها من تحريض على الجهاد وحث على الخير.

وليست هي مسألة إنشاد الشعر في المسجد، والكلام فيها معروفٌ في الفقه، وقد كرهه جماعة من العلماء، وعمرُ رضي الله عنه نهى حسانَ عنه، واحتج عليه حسان رضي الله عنه بأنه كان ينشد في المسجد وفيه مَن هو خيرٌ منك يعني النبي ﷺ، وهذا في الصحيحين(١)، وورد فيها أحاديث ناهية وأخرى مرخَصة، والصحيح أن المسألة فيها تفصيل بين الترخيص فيها أو الكراهة والتحريم، بناء على التفريق بين أحوال الشعر حسنا وقبحا، والغرض من الإنشاد.

أقول: ليست مسألة الأناشيد كمسألة إنشاد الشعر المجرد، لأن هذه الأناشيد فيها شيء زائد على مجرد إنشاد الشعر، ووقع فيها الخلاف، وصورها وأنواعها كثيرة، والصواب فيها التفصيلُ، والاحتياط جميلٌ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

❋ ❋ ❋

〚هل حكم «حماس» كطواغيت الزمان؟، وحكم تفجير أماكن الخمور ونحوه بلا إذن أمير〛

❁ (س) ما رأيك بحركة حماس وهل ينطبق عليهم حكم الطواغيت في هذا الزمان؟.

(س) ما حكم تفجير أماكن الخمور والدعارة في البلاد العربية؟ وهل يجوز القيام بهذه الأمور بدون أمير يأمر بهذا؟

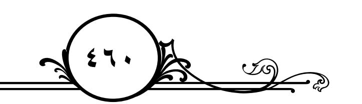
[السائل: أبو عمارة**]**

الجواب:

لا نقول إن حركة حماس أو حتى حكومة حماس صارت طاغوتًا، لأنهم مسلمون متأولون الخير، أخطأوا، كما تكلمنا عن الموضوع في محور «فلسطين» من هذه الأجوبة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٢١٢)، صحيح مسلم (٢٤٨٥) من حديث سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟**) قَالَ: نَعَمْ.



والطاغوت هو: «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع من دون الله»[1]، فهل ينطبق هذا على حماس أيها الأخ الكريم؟ لا ينطبق.! ونسأل الله تعالى أن يهديهم ويصلح أحوالهم وأحوالنا جميعا، ويرفع عنا الذل ويفرج الكروب.. آمين يا رب العالمين.

وتفجير أماكن الخمور والدعارة في بلاد المسلمين إذا كان يتضمّن قتل مَن فيها من فسّاق المسلمين؛ فلا يجوز ذلك لآحاد الناس، وننهى عنه.. وإذا كان المقصود إتلافها هي نفسها (تلك الأماكن) وما فيها من وسائل الفساد وأدواته، فهذا وإن كان جائزا في الأصل مشروعا بحمد الله، لكن نحن في ظروفنا الحالية وظروف بلداننا نُعمِل قانون المصالح والمفاسد والسياسة الشرعية، وقد قدمتُ شيئا من التوضيح في أجوبة سابقة مشابهة.. وأما بالنسبة لسلطة معلنة مثل سلطة جماعة مجاهدة في البلد، فهل يجوز لها أن تفعل ذلك بهذه الأماكن الفاسدة المفسدة؟ هذا ممكن، وعندنا فيه تفصيل، ليس هذا محله، والله أعلم، وهو وحده وليّ التوفيق.

❊ ❊ ❊

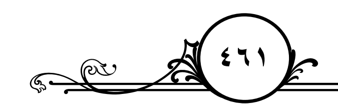
[النصيحة لمن يقرأ للشيخ «عبد القادر عبد العزيز» ولا يحيد عن كلامه ألبته، والرد عليه في مسألة: «تكفير أعوان الطواغيت»، وذكر بعض المؤاخذات على كتابه: «الجامع في طلب العلم الشريف»، والقول في من انتخَب أو انتُخِبَ أو دعا لذلك من العلماء، وحكم تَقَصّد الشيعة عمومًا بالقتل، والتفصيل في مسألة «العذر بالجهل»، وحكم مفاداة المرتدين بالمال عند الحاجة إليه]

❁ أولا: بعض المجاهدين كثيرا ما يجعل كلام الشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز» حجة ومرجعا لا يكاد يحيد عنه؛ فهل من كلمة توجهها لهؤلاء الإخوة؟.

ثانيا: بعض المجاهدين -وهم قلة- اتخذ من كلام الشيخ «عبد القادر» حجة في تكفيره لأعوان الطواغيت وأن فيهم إجماعاً قطعياً ومن خالفه فقد كفر؛ فهل ترى أن من اتخذ ذلك أصاب أم أخطأ؟ وهل ترى أن الشيخ أصاب في حكمه هذا أم أخطأ؟.

ثالثا: هل يمكن أن تتحفنا ببعض مؤاخذاتك عن كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف» للشيخ عبد القادر إن وجدت، أم أنت مقر لكل ما ورد فيه؟؛ فإن بعض الإخوة

(١) هذا تعريف ابن القيم، كما في: إعلام الموقعين (١ / ٤٠).



الخيرين يجعل هذا الكتاب مرجعا له لا يحيد عما جاء فيه ويخطئ المخالف بل ويشنع عليه وربما يصفه بالإرجاء أو الكفر بناءً على قناعته بصحة قول الشيخ في تلك المسائل التي منها تكفيره لأعوان الطواغيت، وأن من لم يكفرهم فهو كافر؛ لأن فيهم إجماعا قطعيا من خالفه فقد كفر.

خامسا: كيف نحكم على المشاركين في الانتخابات التشريعية والبرلمانية والبلدية؟ وهل في الحكم عليهم تفصيل أم هم فيه سواء؟ وما حكم أعضاء البرلمان من الإسلاميين كالإخوان وغيرهم الذين دخلوا البرلمان بدعوى المصلحة وتخفيف المفاسد وإبلاغ صوت الحق لهم والسعي للحكم بالإسلام من خلال الانتخابات والبرلمان وغيرها من المبررات التي يذكرون.. وأنت بها أعلم، وما حكم من يدعو للمشاركة في الانتخابات كالشيخ «عبد الرحمن عبد الخالق» والشيخ «سلمان العودة» وغيرهما؛ أي هل هؤلاء الداعين للانتخابات كفار، أم مسلمون مبتدعون ضالون، أم مسلمون صالحون مصلحون، أم مسلمون مخطئون معذورون، أو غير ذلك.

ثامنا: هل ممكن أن تبسط لنا القول في مسألة «العذر بالجهل» وتفيدنا فيها ولو ببعض الأساسيات؛ لعل الله أن يحفظنا بها من الزلل والضلال؛ لأنها تهمنا جدا في الحكم على عموم المسلمين ممن يرتكب الشركيات والكفريات، وتهمنا جدا في الحكم على أعوان الطواغيت كالشرطة والجيش في البلاد الإسلامية التي يحكم الحكام فيها بغير ما أنزل الله، وهل هم معذورون بالجهل أم لا؟ وكيف نقيم عليهم الحجة إن كانوا معذورين وهم طائفة ممتنعة، ولو قلت أننا لا نحكم عليهم بالكفر عيانا وقلت أنهم طائفة كفر وردة يقاتلون مقاتلة المرتدين فكيف التصرف مع من قتل منهم بأيدي إخواننا المجاهدين من حيث الميراث وغيره.

الثامن عشر: هل ترى جواز مفاداة المرتدين ممن يقع في أيدينا بإخواننا المأسورين في أيدي الطواغيت أو بمال نحن في أمس الحاجة إليه في جهادنا لأعدائنا؟ أم هو كما قال شيخ الإسلام: «لا يجوز مفاداة المرتد بمال أو بغيره» ونقل عليه الإجماع؟

[السائل: مع الحق]

الجواب:

جزاك الله خيرا أخي «مع الحق»، وحفظك الله، وغفر الله لنا ولكم.

ونأخذ الأسئلة فقرة فقرة، وبالله نستعين:

«أولا: بعض المجاهدين كثيرا ما يجعل كلام الشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز» حجة ومرجعا لا يكاد يحيد عنه؛ فهل من كلمة توجهها لهؤلاء الإخوة؟.»

الشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز» من أهل العلم والتحقيق والفضل جزاه الله خيرا وفرّج الله عنه، وكتبه فيها خيرٌ وعلم نافع، وفيها تحريرات مهمة لطالب العلم، ومساهمته في إثراء المكتبة الجهادية المعاصرة كبيرة غير خافية، نسأل الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناته وحسنات من ساعده وكان سببا في ذلك.. ولكن كل إنسان يؤخذ من قوله ويردّ إلا النبي ﷺ، وكل عالم وكاتب يخطئ ويصيب، ومهما يبلغ الإنسان من التحقيق والتحرير وقوة الحق في الجملة لا بد أن يناله نصيبه من الخطأ والنقص المكتوب على بني آدم، واعتبر بشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ وأمثاله من الأئمة المسددين الخيّرين.

والجيل المسلم يحتاج إلى مَن يتصدى من أهل العلم للمسائل الكبيرة المعاصرة ويكون من أهل الجهاد والهجرة في سبيل الله وممن عانى الأمور وجربها وذاق حلوها ومرها، وهذا ما توافر في الشيخ «عبد القادر» فرج الله عنه.. فساهم جزاه الله خيرا مساهمة فعالة حقا في هذا.

وكون الكثير من الشباب يعتمدون على كتاباته وتحقيقاته في المسائل الجهادية ومسائل البلاء المعاصر بالدول المرتدة وفتنتها، فهذا طبيعي غير مستغربٍ، لكن يجب أن يعرف شبابنا أن بعض المسائل التي بحثها الشيخ عبد القادر في كتبه كـ «الجامع» و«العمدة» وغيرها، ومنها مسائل حساسة وشائكة، قال الشيخ فيها رأيه وقد يخالفه غيره فيها، وهي مسائل اجتهاد، مثل مسألة «أعوان الطواغيت المعاصرين» (جيوش وشرطة الدولة المرتدة المعاصرة) ومثل مسألة «العذر بالجهل»، ومثل بعض مسائل «الحكم بغير ما أنزل الله»، ومثل بعض الكلام في «مسألة الموالاة»، وغيرها..

فينبغي لشبابنا أن يتربوا على الاستفادة من كل عالم من أهل العلم الموثوقين المحققين، لكن لا يتعصبوا لأحدٍ، ويعلموا أن كل أحدٍ يخطئ ويصيب، وأن يعرفوا معنى المسائل الاجتهادية ويعرفوا فقه التعامل معها وآدابه، ويجب أن يعرف كل إنسان قبل ذلك مستواه وقدره، فلا يتسوّر على ما لا يستطيعه وما لا يليق به.! فبعض الشباب قرأ بعض المسائل في «الجامع» فظن أن هذا هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، وجعله كالقرآن المنزل، وجعل نفسه بمنزلة المحيط بالحق المستولي على ما هنالك!! وهذا هو مكمن الخطأ، في حين أن الحق أن الكثير من تلك المسائل فيها تفاصيل كثيرة محل بحث ونظر واجتهاد، والشيخ قال قوله باجتهاده وقد يخالفه غيره كما قلنا في بعضها.

والحق أيضًا أن طبيعة أسلوب الشيخ «عبد القادر» وقوة شخصيته واعتداده بنفسه وعلمه، التي لها بصماتها وأثرها الواضح على كتاباته ساهمت في ذلك.!

وقوة الشخصية والشجاعة العلمية محمودة في الجملة بلا شك، ولكن لا شيء أحسن من اعتدال الأخلاق، وهو فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والموفق هو مَن يوازن بين هذه الفضائل: بين شجاعته في الحق وقوة شخصيته وبين إعطاء المسائل قدرها من البحث والنظر، والمعرفة بقدرها وعمقها وخطرها وطول ساحلها، وبين فضيلة الاحتياط والورع.. والشجاعة كما عرّفها الحكماء هي: «الإقدام في محل الإقدام والإحجام في موطن الإحجام».

والعالمُ الكبير المتبحّر في العلم تراه يتردد في مواضع لو عرضت على كثيرين من الطلبة الصغار لأسرع الفصل فيها!! ويخال الضعفاء ذلك ضعفا، وإنما هو دليل القوة ومحض الفضيلة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهذا معروف مبسوط في كتب آداب العالم والمتعلم، والله هو وليّ التوفيق، والعاقبة للتقوى، فالله ﷻ هو الذي يضع القبول لمن يشاء من خلقه على وَفق الأسباب التي بينها الله في شرعه وخلاصتها التقوى والصلاح (مجموع العلم النافع والعمل الصالح)، ولا يصح إلا الصحيح كما يقال، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[الرعد].

ولا شك أن الشيخ «عبد القادر» له حظ طيب من كل الفضائل المذكورة وغيرها، بارك الله فيه، لكن قد غلب عليه -في نظري- في بعض الأحيان الاندفاع وشيء من التفرّد من فرط قوة الشخصية والاعتداد بالنفس وما آتاه الله من المهارة والملكات البارعة؛ فتراه جزم في مواضع كان ينبغي فيها التردد والاحتراز أكثر، وأن يقول: يظهر لي كذا، ويُحتَمَل كذا، ولا يخرجها مخرج المسألة المقطوع بها، فيظن الجاهل الغرُّ أنها الحق المعلوم من دين الله الذي ليس وراءه إلا الضلال!! فيتربى الشباب على التشدد وتحصل مفاسد كثيرة، في حين أن الواجب هو تربية شبابنا ونشئنا على سعة الأفق وتحقيق الحق والعدل والإنصاف والتدقيق والورع والاحتياط، ونبذ العجلة والتسرع المذموم، ومعرفة كل إنسان بقدره، وتربيتهم على أدب العلم وأدب الخلاف وفقهه؛ فإننا في زمن فوضى وتقصير من العلماء على الجملة، فإذا مَنّ الله علينا برجلٍ مسدد موفق مجاهد شجاع، فإن كمال التوفيق والسداد أن يكون متزنا معتدلا مربّيًا الناس، ربّانيًّا، قال بعض السلف: «هو مَن يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره»[1].

فالعلم لا بد أن يكون مقرونًا بالتربية ملازمًا لها، تربية النفوس وتكميلها بالفضائل والأخلاق، فإذا وقع الانفصام بين هذين المقصدين وقع الخلل بقدره.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحاصل أن النصيحة لشبابنا: ألا يستعجلوا في الجزم في سائر المسائل التي وقع فيها النزاع

---

(١) ذكره البخاري في: صحيحه، باب: العلم قبل القول والعلم، بعد حديث (٦٧).

واختلفت فيها الاجتهادات، وأن يلازموا التثبّت والبحث، ويستعملوا الاحتياط في الدين بأن يتشبّثوا برؤوس المسائل المقررة المتفق عليها ويذروا ما كان غير ناضج وغير متقرر بعد، وما كان غريبًا، وفيه مجال للنظر، يذروه لأهل العلم يحررونه وينضجونه، ويكتفوا هم (الشباب) بالمعلوم المتقرر، كما إليه الإشارة في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾[النساء]..

وأرى أن من مثاله ما قدمتُه مرارًا من النصح في مسألة جيوش وشرطة الحكومات المرتدة المعاصرة: النصح بالتمسّك بالثابت البين الواضح المتقرر اتفاقًا مِن وجوب جهاد هذه الحكومات المرتدة، أن حكمهم (جيوشهم وكل أعوانهم) في الحرب أن يُقاتَلوا قتال المرتدين، وأما الحكم على أعيانهم بالكفر فهذه مسألة شائكة محتملة محل نظر ولـمّا تنضج بعدُ النضج الكامل المنتهي، وفيها صورٌ مختلفة في القوة والضعف، فعلى الإنسان أن يحتاط ولا يجزم في موضع الاحتمال، فإن هذا مزلة.!

وإذا عمِل الإنسان بما يعلم علّمه الله تعالى علمَ ما لم يكن يعلم، كما جاء ذلك في بعض الآثار، وكما تدل عليه آيات النساء المتقدمة، وكما أخذه بعض أهل العلم من نحو قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[الأنفال: ٢٩]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الحديد].

ومن صفة الإنسان الموفق: أنه يعمل بما علّمه الله من الحلال البين، ويجتنب الحرام البين، ويجتهد في اجتناب ما اشتبه، وما كان غريبا من مسائل العلم تفرّد به بعض الناس، فلا يسارع في اقتناصه والفرح به مهما بدا جميلا مزينا بالاستدلالات؛ بل يزيد من قوة التثبّت فيه، لأن الغرابة والانفراد علامة توجب مزيد التثبت.!

فإذا ما حصحص الحق وظهر وبان وحصل التثبت منه جدًا ووقف الإنسانُ على جليّته، فثمّتَ عزمَ الأمرُ، أمرُ العملِ، وهناك ينزل المدد من الله تعالى على عبده الضعيف الخاضع المستجيب لأمره، كما قال النبي ﷺ في الإمارة -وهي أمانة ومسؤولية-: (**إنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعِنتَ عليها، وإن أعطيتها عن مسألةٍ وُكِلتَ إليها**)[1].

(١) صحيح البخاري (٦٧٢٢، ٧١٤٦، ٧١٤٧)، صحيح مسلم (١٦٥٢).

ومَن لم يقدر على طلب العلم والبحث، فليعرف قدر نفسه ودرجته، وليكثر من سؤال أهل العلم، ولا يظن أن أي شيء قرره «عبد القادر بن عبد العزيز» أو غيره أنه هو الحق بالضرورة وليس بعده إلا الضلال.!! وعلى أهل العلم أن يبينوا الأخطاء حتى لا يغتر بها الناس، وحتى يكتمل بحث ونضج المسائل ويصل الجيلُ فيها إلى التحقيق بإذن الله تعالى.. والله الموفق ﷺ.

«ثانيا: بعض المجاهدين -وهم قلة- اتخذ من كلام الشيخ «عبد القادر» حجة في تكفيره لأعوان الطواغيت وأن فيهم إجماعًا قطعيًا ومن خالفه فقد كفر؛ فهل ترى أن من اتخذ ذلك أصاب أم أخطأ؟ وهل ترى أن الشيخ أصاب في حكمه هذا أم أخطأ؟».

أعوان وأنصار الطواغيت المقصود بهم: أفراد جيوش وشرطة وسائر أجناد الدولة المرتدة المعاصرة.. فهؤلاء هل يُحكم عليهم بالكفر بإطلاق، أعني أعيانهم، كما قاله الشيخ «عبد القادر»؟ أو يفصّل فيهم كما ذكره غيره، وعليه أكثر مَن نعرف من المشايخ والعلماء الذين نظروا وتكلموا في المسألة؟

قدمتُ في أجوبة سابقة أن الصحيح هو التفصيل فيهم، فليراجع في محور «الجزائر» من هذه الأجوبة، وفي غيره أيضا.

وقول الشيخ عبد القادر ومَن قال بقوله هو رأي في المسألة محتمل، وليس الخطأ الكبير هنا، فهذا اجتهاد في محله من أهله، لكن الخطأ هو أن الشيخ ظن أن هذه المسألة مما لا يُحتَمل فيها خلاف مخالفٍ، وأنها من المعلوم من الدين بالضرورة حكمُها، وأن عليها إجماعا قطعيا، ورتّب على ذلك أن المخالف فيها مخالفٌ لإجماع قطعيّ، ومخالفُ الإجماع القطعي (أي المعلوم من الدين بالضرورة) كافرٌ كما هو متقرر عند العلماء، لأنه في قوة المكذب بشرع الله تعالى المستبين.! فهذا هو الخطأ، وهو خطأ محضٌ لا شك فيه، وتوضيحه يحتاج إلى شيء من التطويل، والاختصار صعبٌ وقد يحصل فيه إخلال، ولذلك أحيل الإخوة إلى كتاب الشيخ الباحث الناقد «أبي يحيى حسن قايد»: «نظرات في الإجماع القطعي»[1] فإنه بسط القول في نقد رأي الشيخ «عبد القادر» المذكور.

وإذا كان لا بد من خلاصة للرد على دعوى أن تكفير هؤلاء العساكر محل إجماع قطعيّ، ومعلوم من الدين بالضرورة، فنقول:

---

(١) هو مبحثٌ نافعٌ في بابه، في بضع وثمانين صفحة، ردًا على دعوى «الإجماع» في كفر أفراد جيوش طغاة هذا الزمان، وممن ناقش أفكار «سيد إمام» ورد عليه وبين حاله الأخير: أبو محمد المقدسي في «النكت اللوامع»، أبو قتادة الفلسطيني في «أهل القبلة والمتأولون»، و«حول تراجعات الجماعة الإسلامية وتراجعات سيد إمام» ومواضع من رسائله، د. أيمن الظواهري في «التبرئة»، أبو يحيى الليبي في «التبديد لأباطيل وثيقة الترشيد» وغيرها.

قال الشيخ عبد القادر: «إن الصحابة أجمعوا إجماعا معلومًا لا مطعن فيه على تكفير أتباع مسيلمة الكذاب، وهم أنصاره وأعوانه».. وهذا صحيحٌ مسلّم لا إشكال فيه.

قال: «وهذه هي الصورة الواقعة اليوم: صورة أتباع وأعوان وأنصار الحكام المرتدين، الذين هم جيوشهم وشرطتهم وقوات أمنهم وسائر أعوانهم من الإعلاميين ونحوهم».

فيقال له: لا نسلم أن هذه الصورة هي نفس صورة ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، بل هذا محل نظرٍ.! فلمخالفٍ أن يخالفك ويدعي أنهما صورتان مختلفتان، بل الحق أنهما مختلفتان؛ فإن أتباع مسيلمة وأنصاره اتبعوه على الإيمان به نبيًّا آتيًا بوحي جديد، وناصروه وأعانوه على ذلك، فهذا الذي أجمع الصحابة على كفر مَن فعله، ولو فعله اليوم فاعلٌ حكمنا بكفره قطعًا، وهي صورة ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم.

لكن هؤلاء الحكام اليوم مسألتهم مسألة أخرى، ينظر فيها نظرًا آخر، وهي مختلفة في قوة الحكم.. وأيضا صور أفرادها (من حاكم ودولة إلى حاكم ودولة أخرى) متفاوتة فليست على درجة واحدة، والحاصل أنه يقال للشيخ «عبد القادر»: إن قلتَ إن صورة جيوش الدول المرتدة المعاصرة هي نفس صورة أتباع مسيلمة الكذاب، فهذا لا نسلّم به كما مرّ، بل هو خطأ.

وإن قلت: صورة اليوم مقيسة على صورة مسيلمة الكذاب، رجع الأمر إلى الاستدلال بقياس، فعلى التسليم بصحة القياس على الإجماع، فيبقى النظر في صحة هذا القياس، وقد نظرنا فوجدناه قياسا مع فارق مؤثرٍ، فهو قياس غير صحيح.. والله أعلم.

فهذا شيء، والشيء الآخر مما ينبّه عليه تطبيق الشيخ «عبد القادر» لقاعدة «مخالفة الإجماع القطعيّ»؛ فإنه بعد تلك المقدمات حكم بأن مَن خالفه في هذه المسألة مخالِفٌ لإجماعٍ قطعيّ، ومعلومٌ أن المخالف للإجماع القطعي (المعلوم من الدين بالضرورة) يكفر.!

وهذا التطبيق غير صحيح.. لأن الذي خالفك لم يخالفك في حكم هذا الإجماع، وإنما خالفك في أن هذه الصورة المعاصرة هي نفس صورة ما وقع عليه الإجماع، أو هي داخلة فيه، أو مما يقاس عليه.. فأنت تقول: هي نفس الصورة، ومخالفك يقول: لا، هي صوة مختلفة ويدّعي الفرقَ.

فهذا خلافٌ في تحقيق المناط، وليس مخالفةً للحكم الشرعيّ الثابت بالإجماع.!

ويُتصور معنى المخالفة للإجماع هنا بأن يأتي إنسانٌ ويقول: إنه لا يكفّر المؤمنين بالدجّالين مدّعي النبوة بعد محمد ﷺ المتبعين لهم المناصرين لهم المعينين لهم؛ فهذا مخالفٌ للإجماع، وهذا الذي يقع تحت طائلة قولنا: مخالف الإجماع القطعي يكفر.



فمعنى المخالفة للإجماع المخالفة في اعتقاد الحكم الشرعيّ الثابت بالإجماع.. فالخمر مثلا ثابت تحريمها بالإجماع القطعي، مع ثبوته بالنصوص الكثيرة.. فلو قال قائل بعدم حرمتها، قلنا له: كفرتَ.. ولكن مَن شربَ الخمر فليس بكافر، إجماعًا أيضًا.

وكذلك من شرب نبيذ الشعير المُسكِر كما هو مذهب جماعة من فقهاء أهل الكوفة من السلف، لأنه لا يراه خمرًا، فلا نقول إنه خالف الإجماع.

فالأول (القائل بحليّة الخمر) هو المقصود بقول العلماء: مخالف الإجماع القطعي كافرٌ.

والثاني (شارب الخمر) ليس هو المقصود بهذه القاعدة، بل هو عاصٍ كسائر أصحاب المعاصي.

فإذا استحلّها (قال هي حلال) صارَ كافرًا لأنه خالفَ الحكمَ الشرعيّ المقطوع به هنا، وهو معنى مخالفة الإجماع القطعيّ، ومخالفة النصّ القطعي الثبوت القطعيّ الدلالة.

فقولهم: مخالِفُ الإجماع كافرٌ، مبناه على تكذيب حكم الله تعالى المعلوم، والقائل بأن نبيذ الشعير المسكر ليس خمرًا لظنه أن الخمر خصوصُ ما عُصر من العنب، لا نقول إنه خالف الإجماع القطعي على حرمة الخمر.! لأنه ينازع في كون هذه من الخمر.

هذا أرجو أنه مختصر مفيد في المسألة.. وبالله التوفيق.

هذا وقد وقع بسبب هذا القول للشيخ عبد القادر فتنة في بلاد «باكستان» وغيرها من طوائف من الشباب ممن قرأوا الكتاب عند أول صدوره، ولما ينتشر نقده من قبل العلماء وطلبة العلم بعد؛ فشذُّوا وشطّوا وكفروا سائر إخوانهم ممن لا يوافقهم في هذه المسألة، وما زالت الفتن تتكرر في مواطن أخرى، رغم أنها قلت وخفت، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والإنسان غير المتخصص في العلوم الشرعية قد يظن عندما يقرأ كلام الشيخ أن كل جزئية من جزئيات كلامه الدقيقة عليها دليل من الكتاب والسنة، لقوة استعماله للأدلة ونبذه للتقليد والرأي المجرد، ويترسّخ في ذهنه (الإنسان غير المتخصص) أن هذا هو الحق لا محالة وأن خلافه باطل، وذلك لأنه لا يدرك جيدا انطباق الأدلة على مدلولاتها، فحقيقة الحاصل له في مثل هذه الجزئيات والمسائل هو التقليد المحض، وهو يظن نفسه يتّبع الدليل، ومن أجل هذا الملحظ رغب كثير من الفقهاء قديما عن ذكر الأدلة للعاميّ لأنه لا يفهم الأدلة، إلا أن يكون الدليل نصّاً وهو الذي يقال فيه: «تأويله تنزيله»، والذي مجرد سماعه كافٍ في العلم والعمل لسامعه، أو ما يقاربه.

والله المسؤول أن يفقهنا في الدين ويصلح أحوالنا جميعا.

«ثالثا: هل يمكن أن تتحفنا ببعض مؤاخذاتك عن كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف» للشيخ

عبد القادر إن وجدت، أم أنت مقر لكل ما ورد فيه؟؛ فإن بعض الإخوة الخيرين يجعل هذا الكتاب مرجعا له لا يحيد عما جاء فيه ويخطئ المخالف بل ويشنع عليه وربما يصفه بالإرجاء أو الكفر بناءً على قناعته بصحة قول الشيخ في تلك المسائل التي منها تكفيره لأعوان الطواغيت، وأن من لم يكفرهم فهو كافر؛ لأن فيهم إجماعا قطعيا من خالفه فقد كفر».

كتاب «الجامع» كتابٌ كثير النفع مملوء بالفوائد كما قدمنا، وكأي كتابٍ من وضع البشر، فبالضرورة القدرية وبحكم الطبيعة البشرية، فيه ما يقال إن صاحبه أخطأ فيه.

وقدمتُ إجمالا لذلك، وأنا الآن ليس عندي تقويم جاهز أفيدك والإخوة به حول كتاب «الجامع» لأنني قرأته منذ سنوات، وسجلتُ عليه حواشي وهوامشي كشأن طلبة العلم، لكني الآن لا أحتفظ بها، ومن مدة لم أراجعه، ولكن من أهم الانتقادات على الكتاب هو ما قدمت الإشارة إليه من مسألة «الإجماع القطعي» وهي التي تصدى لبيانها الشيخ «أبو يحيى» جزاه الله خيرا، وللشيخ «أبي قتادة الفلسطيني» فرج الله عنه ملاحظات على الكتاب مختصرة[1]، وكنتُ سمعتُ من سنين أنه كان ينوي إخراج نقدٍ كامل حافلٍ لكتاب «الجامع»؛ فلا أدري ما صار إليه هذا المشروع، وكنت سألت صديقنا الشيخ «أبا الوليد الفلسطيني» حَفِظَهُ اللهُ عنه فذكر لي أن الشيخ «أبا قتادة» سلك فيه مسلك التطويل، قال الشيخ أبو الوليد: «ونصحته بأن يختصر وقلت له إن هذا مما تفنى فيه الأعمار» اهـ، فالله أعلم؛ هل أكمل منه شيئا يمكن أن يخرج وينشر في وقت ما أو لا، وأما ملاحظاته -أبي قتادة- المختصرة والإجمالية على الكتاب، فأضعها هنا إن شاء الله.

وأيضا للشيخ أبي محمد المقدسي ملاحظات على الكتاب ضمنها في رسالة بعنوان: «النكت اللوامع في ملحوظات الجامع»، لكنها تتناول الجزء الثاني من الكتاب فقط، وهو الأهم والأكثر حساسية طبعا، وهي منشورة في موقعه، وهي طيبة ومفيدة جدًا، ومن أحسنِ ما فيها تعقبه للشيخ «عبد القادر» في مسألة: الحاكم الملتزم بالشريعة إذا حكم بغير ما أنزل الله مرة واحدة على سبيل الهوى لشهوة أو قرابة ونحوها.

ملاحظة: قال الشيخ المقدسي في مقدمة النكت اللوامع: «فإن كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف» لأخينا الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز حَفِظَهُ اللهُ تعالى، من الكتب المنهجيّة الطيبة، التي أنصح إخواني طلبة العلم الناشئين باعتماده في نهجهم الدراسي، خصوصًا مع فقر زماننا من العلماء

---

(١) ذكر ذلك في عدة مواضع من رسائله، منها: أهل القبلة والمتأولون (ص ١٠).

العاملين المتجردين الرّبانيين، الذين كان يفزع إليهم طلبة العلم فيما مضى، فصاروا اليوم يعتمدون في الغالب على الوجادة والمطالعة، فأكثرهم تحصيلًا أنشطهم في المطالعة، وأسدهم اختيارًا لما يدرس ويقرأ»[(١)] اهـ.

وأرى من النصح لإخواني: القول بأنني لا أنصح بالكتاب لعوامّ الإخوة في الحركة الجهادية، فضلا عن غيرهم، ولا لطلبة العلم الناشئين المبتدئين، بل الكتاب مرجع مهم ونافع مفيد لطلبة العلم المتقدمين أو المتوسطين على الأقل، الذين حصلوا قدرا من العلوم ومارسوا وعانوا مسائل العلم وخالطوا أهله وناقشوا وبحثوا؛ فإنه مفيد جدا، وهو كالفهرست لمعظم المسائل والنوازل المهمة المعاصرة، لا ينبغي أن يفوت طالبَ علم أو عالمًا مهتمًّا، وأما طلبة العلم الصغار الناشئين، فضلا عن عوامّ «الإخوة» فلا أنصح به لهم، وأنصح بعدم تمكينهم منه.!

وأشبّه كتاب «الجامع» في ذلك بكتاب «المحلى» لابن حزم، وقد نصح الشيخ نفسه في «الجامع» بألا يقرأه طالب العلم المبتدئ، وإنما المتقدم في التحصيل والعالم لا يستغني عنه، وهذا صحيح.

وهذا ما اقتضاه النصح على حسب ما أبداه النظر والتأمل.. والعلم عند الله تعالى.

وهذه بعض تعليقات الشيخ أبي قتادة على الكتاب، فإنه علق على الكتاب في مواضع من مقالاته وكتاباته، ومنها ما ذكره في رسالة «أهل القبلة والمتأولون» تحت فصل علاقة الحقيقة بالحكم، قال:

«روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في كتاب الإيمان بسند صحيح إلى أبي قلابة التابعي أنه قال: «حدثني الرسول الذي سأل عبد الله بن مسعود، فقال: أنشدك بالله أتعلم أن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ على ثلاثة أصناف: مؤمن السريرة مؤمن العلانية، وكافر السريرة كافر العلانية، مؤمن العلانية كافر السريرة؟ فقال عبد الله: اللّهم نعم»[(٢)].

قال الشيخ سفر الحوالي: «فلم يكن في واقع الجيل الأول ولا في تصوره وجود المؤمن السريرة كافر العلانية، أي التارك للإيمان (أو من أتى بناقض) المؤمن بقلبه كما تزعم المرجئة.

وانطلاقًا من هذا يقول الخطّابي: «قد يكون المرء مستسلمًا في الظاهر غير منقاد في الباطن، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر»[(٣)]»[(٤)].

---

(١) النكت اللوامع في ملحوظات الجامع (ص ٢).

(٢) الإيمان لابن ابي شيبة (٧٣)، مسند الشاميين للطبراني (١٤٤٣) بإسناد جيد كما ذكره الألباني في: الضعيفة (١٧٠٠).

(٣) معالم السنن (٤ / ٣١٥).

(٤) ظاهرة الإرجاء (ص ٤٤٠).

وبهذا تعلم خطأ صاحب «الجامع في طلب العلم الشريف» الشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز»، حين أوجد قسمًا رابعًا، وجعله محتملًا وهو الحكم على الرجل بالكفر والردة مع احتمالنا أن يكون مسلمًا؛ قال في حكمه على أنصار الطواغيت: «فحكمنا بكفرهم إنما هو على الظاهر ولا نقطع بكفرهم كممتنعين على الحقيقة لاحتمال قيام مانع من التكفير في حق بعضهم، مع التذكير بأنه لا يجب علينا البحث عن الموانع فالحكم عليهم إنما هو على الظاهر».

والشيخ وقع هنا في خطأ جسيم لأنه جوز تكفير الرجل مع احتمال أن يكون مسلمًا في الباطن، وهذا القول قول مبتدع لا يعرف له سلف، **وقد وقع في هذا الخطأ لسببين:**

أولهما: إعمال القواعد العامة من غير النظر إلى الاستثناء، والقاعدة التي أعملها هنا هي تبعض الأحكام، وقد رأيت أن لهذه القاعدة استثناء.

ثانيهما: خلطه لكلام الأئمة في نوع القتال وبين الحكم على الأعيان والأفراد؛ فقد يقاتل القوم مقاتلة المرتدين ونسميهم بطائفة ردة مع عدم تسمية أفرادهم وأعيانهم مرتدين لوجود موانع في بعض أفرادهم، فمجرد وجود احتمال المانع يجب إعماله والاهتمام به، وهو هٰهنا أقر باحتمال وجود الموانع، بل إنها هي الأغلب في واقعنا، فإعمالها هو الواجب.

قال الشيخ «عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب»: «لا يقال إنه بمجرد مجامعة ومساكنة المشرك يكون كافرًا، بل المراد أنه من عجز عن الخروج من بين ظهراني المشركين وأخرجوه معهم كرهًا فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال لا في الكفر»[(١)].

فما ذكره الشيخ «عبد القادر» - حَفِظَهُ اللهُ وهدانا الله وإياه- من كلام الأئمة أن حكم الجاهل هو حكم الطائفة، فالمقصود به حكمه في القتل وأخذ المال لا حكمه في الكفر، وقد اهتدى الشيخ لهذه المسألة في رده على كتاب الشيخ «عبد المجيد الشاذلي»: «حد الإسلام وحقيقة الإيمان»[(٢)] لكن فاتته هٰهنا، والكمال لله وحده.

وكتاب الشيخ: «الجامع في طلب العلم الشريف» فيه غلو في مواطن عدة، أذكر بعضها ذكرًا سريعًا وإن كان الكتاب يحتاج إلى مناقشة واسعة للكثير من أبحاثه:

١ - غلوه في عدم إعذار صاحب «الرسالة الليمانية» في خطئه في فهم الموالاة.

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/ ٤٥٦).

(٢) انظر: الجامع في طلب العلم الشريف (ص ٦٠٣).

٢- غلوه في تسمية الموالاة (موالاة المشركين) قسمًا واحدًا لا تحتمل إلا الكفر الأكبر.

٣- غلوه في تسمية بعض الجماعات الإسلامية العاملة للإسلام أنهم ليسوا من أتباع النبي ﷺ.

٤- غلوه في تسمية من خالفه في بعض الحقوق الشخصية بالمنافقين والضالين.

٥- حكمه على من خالفوه في بعض الحقوق الشخصية بأنهم يستحقون القتال كما يستحق المرتدون القتال سواء بسواء.

٦- غلوه في إطلاق التكفير على عموم البرلمانيين والمنتخبين دون قيود كان ينبغي أن توضع باهتمام.

وهذا ليس تقليلًا من قيمة الكتاب لكن الله أبى أن يتم إلا كتابه»[1] انتهى كلام أبي قتادة.

تنبيه: تعقب الشيخ المقدسي أيضًا الشيخ عبد القادر في المسألة الأولى المتقدمة في كلام الشيخ أبي قتادة، وهي مسألة إثبات قسم رابعٍ هو الكافر ظاهرًا المؤمن باطنا، واعتذر عنه بحمل كلامه على محمل حسن، فليراجع في «النكت اللوامع»[2] فإنه جيد.

والله أعلم، ومنه نستمد التوفيق والإعانة.

«خامسا: كيف نحكم على المشاركين في الانتخابات التشريعية والبرلمانية والبلدية؟ وهل في الحكم عليهم تفصيل أم هم فيه سواء؟ وما حكم أعضاء البرلمان من الإسلاميين كالإخوان وغيرهم الذين دخلوا البرلمان بدعوى المصلحة وتخفيف المفاسد وإبلاغ صوت الحق لهم والسعي للحكم بالإسلام من خلال الانتخابات والبرلمان وغيرها من المبررات التي يذكرون.. وأنت بها أعلم، وما حكم من يدعو للمشاركة في الانتخابات كالشيخ «عبد الرحمن عبد الخالق» والشيخ «سلمان العودة» وغيرهما؛ أي هل هؤلاء الداعين للانتخابات كفار، أم مسلمون مبتدعون ضالون، أم مسلمون صالحون مصلحون، أم مسلمون مخطئون معذورون، أو غير ذلك».

قد تقدم شيء مما يفيد في الجواب على هذا السؤال أثناء كلامنا على حركة حماس في المحور الخاص بها.. **والحاصل** أن البرلمانات الكفرية في الدول المرتدة، وهي التي لا تلتزم بدين الله وشرعه، بل تشرع من دون الله، هي مجالس كفر وشرك بلا مرية، ولا يجوز للمسلم المشاركة فيها تحت أي دعوى من الدعاوى المشار إليها أو غيرها.. وهؤلاء المشرعون (أعضاء البرلمان الموصوف) هم كفارٌ لأنهم

---

(١) أهل القبلة والمتأولون (ص ٩ – ١١).

(٢) انظر: الجامع في طلب العلم الشريف (ص ٧٠١) وفي الحاشية تعليق الشيخ المقدسي على كلامه، قال: «والصواب أن يقال: أن الأصل فيمن تلبّس بنصرة الشرك والمشركين أنه كافر بعينه على الحقيقة ما لم يظهر لنا بحقه مانع..» الخ كلامه.

يشرعون من دون الله ما لم يأذن به الله، فضلا عما يمكن أن يكون من كفريات أخرى يتلبسون بها في أثناء هذه المشاركة.

ولكن قد ابتلينا بطوائف ممن ينتسب إلى الحركة الإسلامية والدعوة والإصلاح، بل ومن العلماء استباحوا ذلك ولم يروا فيه غضاضة بدعوى تخفيف الشر ودفع ما يمكن من الفساد، والإصلاح بما يمكن من الكلمة والمشاركة في استصدار القرارات والقوانين على وَفق الشريعة.. كذا!، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسماع كلمة الحق للناس من خلال هذا المنبر والمنصب.. الخ ما يذكرونه، وهو خطأ وباطل، ومناقشته تطول، وقد رد عليه علماء كثيرون وصنفوا فيه الرسائل والكتب، والمسألة بُحثت كثيرا وحصلت فيها المناظرة والمناقشة طويلا في ساحة العمل الإسلامي.

ولكن ذلك أوجب لعلمائنا عدم التسرع في تكفير هؤلاء المشاركين، لأجل التأويل.

ومَن يرى شرعية ذلك من أهل العلم ويدعو إلى المشاركة فيه، فهو مخطئ ونرجو أن يكون معذورًا مغفورًا له ما دام هذا هو اجتهاده، أما كون ذلك إصلاحا وأهله مصلحين فلا، بل لا نرى ذلك إلا فسادًا وباطلا محضًا.!

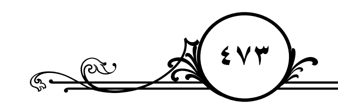
والله المستعان، ونسأل الله أن يهدينا جميعا للحق ويعيننا عليه.. آمين

هذا في الدول العلمانية المستعلنة بتحكيم القوانين الوضعية، وأما في دولة مثل «السعودية» فالأمر أخف بلا شك، والكلام فيه له وجوه أخرى، فالذي في «السعودية» هو مجلس شورى يلتزم علنا بالشريعة الإسلامية، فلا يستوي الحكمان.!

ولهذا فيجب التفريق بين صور المسائل وإعطاء كل مرتبة حقها.

وأما الشطر الأول من سؤالك المتعلق بالمنتخِبين (المشاركين في انتخاب أعضاء البرلمان أو الحكام وغيرهم) فيجب فيهم التفصيل أيضًا في الواقع، لأن مَن ينتخب المشرع من دون الله ليشتغل في التشريع من دون الله فهذا كافرٌ.. هذا هو الحكم النظري، وكذلك الذي ينتخب الحاكم المرتد ليحكم المسلمين وبلاد المسلمين هو كافرٌ كذلك.. لكن إذا نزلنا إلى الواقع فالمسألة ليست بهذه البساطة، والناس لا يرتكبون ذلك عالمين مقرّين بأنهم ينتخبون المشرع من دون الله، أو ينتخبون الحاكم المرتد.. والمقصود أن الواجب التفصيل، فلا نكفر الناس بذلك على العموم، ومَن فعل ذلك ضلّ ضلالا مبينًا، وخرج عن أصول العلم والفقه، وآل به الحال إلى تكفير جماهير المسلمين بما لا يقع به الكفر عليهم..! نسأل الله الستر والعافية. والله الموفق.

«ثامنا: هل ممكن أن تبسط لنا القول في مسألة «العذر بالجهل» وتفيدنا فيها ولو ببعض الأساسيات؛



لعل الله أن يحفظنا بها من الزلل والضلال؛ لأنها تهمنا جدا في الحكم على عموم المسلمين ممن يرتكب الشركيات والكفريات، وتهمنا جدا في الحكم على أعوان الطواغيت كالشرطة والجيش في البلاد الإسلامية التي يحكم الحكام فيها بغير ما أنزل الله، وهل هم معذورون بالجهل أم لا؟ وكيف نقيم عليهم الحجة إن كانوا معذورين وهم طائفة ممتنعة، ولو قلت أننا لا نحكم عليهم بالكفر عيانا وقلت أنهم طائفة كفر وردة يقاتلون مقاتلة المرتدين فكيف التصرف مع من قتل منهم بأيدي إخواننا المجاهدين من حيث الميراث وغيره».

بعض فقرات هذا السؤال تقدمت الإجابة على مثلها.

وكيفية التصرف مع من قتل بأيدي المجاهدين من جنود الدولة المرتدة في الميراث وغيره، فإن كنا نعرفه فبحسب ما نعرف من حاله: إن كان مسلما فأحكام المسلم، وإن كان كافرًا فمرتد فلا يُورث، وماله فيء للمسلمين، وأما إن كان مجهولا فلا أدري، هو موضع تردد!! فيحتمل النظر في الغالب من حال الجنود، وإجراء أمره على غالب حالهم، ويحتمل غير ذلك، فيُسأل فيها العلماء، وصور الأحوال مختلفة.. والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما المسألة المعنونة بـ «مسألة العذر بالجهل»[1] فالكلام فيها يطول، والحق أنه ليس عندي فيها تحرير كامل إلى هذه الساعة، ولكن قد كان سألني بعض الإخوان من أحبابنا عنها فكتبت له حولها نبذة قصيرة أرى أن فيها فائدة؛ فأنا أثبتها هنا مع تعديل ما يلزم ليستفيد منها مَن شاء، مع الإقرار بالتقصير وأن المسألة مسألة كبيرة حارَ فيها الكثير من أهل العلم وتوقف بعضهم عن الجزم فيها، والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه، نسأله تعالى أن يفتح علينا ما استغلق وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.. آمين.

---

(١) مسألة «العذر بالجهل» شائكة ولا شك، وقد كتب فيها المعاصرون مؤلفات كثيرة، وأفردوها بتصانيف ورسائل ما بين مطيل ومختصِر، وإتمامًا للفائدة ننقل بعض الكتب المختصة في هذه المسألة -بغض النظر عن الرأي الذي رجحه أصحابها فيها-، فمنها: الأجوبة الوفية عن الأسئلة الزكية في العذر بالجهل ومناقشة الحركة النجدية؛ لأبي محمد حسن الكتاني، الثلاثينية (الفصل الثالث التحذير من أخطاء شائعة في التكفير، الخطأ رقم ٢٧)، كبوة فارس.. مناقشة قول أبي محمد المقدسي في مسألة العذر بالجهل والرد عليه؛ لأبي بصير الطرطوسي، العذر بالجهل وقيام الحجة؛ لأبي بصير الطرطوسي، العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي؛ لمدحت الفراج، أسئلة وأجوبة حول العذر بالجهل، المُتممة لكلام أئمة الدعوة في مسألة الجهل في الشرك الأكبر؛ كلاهما لعلي الخضير، الرد السهل على أهل العذر بالجهل؛ للمجلسي، عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة؛ لأبي العُلا بن راشد، رسالة إصلاح الغلط في فهم النواقض (الغلط الخامس)؛ للطويلعي، إشكالية العذر بالجهل في البحث العقدي؛ لسلطان العميري.

وهذه هي النبذة المشار إليها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ العزيز .... حفظه الله ورعاه؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هذه نبذة مفيدة -إن شاء الله- حول مسألة العذر بالجهل، ريثما ييسر الله تعالى لنا ولكم تحريرا للمسألة على الطريقة الفقهية، إن شاء الله..

وأنظم الكلام هنا في نقاط، وبالله التوفيق:

النقطة الأولى: اعلم أن هذه المسألة من مسائل الاجتهاد التي سبيلها الاستنباط وطريق العلم بها الاستدلال؛ لأنها ليست منصوصا عليها في الشريعة، والله أعلم، وقولنا «إنها ليست منصوصا عليها في الشريعة» معناه: أنه لا نصَّ عليها بشكل عامٍّ وكقاعدة مثلًا، وهذا لا ينافي أن يوجد في نصوص كلام الله ورسوله ﷺ ما يدل على عذر شخص في حالٍ أو أخرى، ثم تلك النصوص التي تحتوي تلك الدلالات هي التي يستخدمها الفقهاء ويستدلون بها، وفي الاستنباط من مجموع ذلك وقع الخلاف.

النقطة الثانية: من أجل ذلك اختلفت أفهام العلماء فيها وتنوعت اجتهاداتهم، وصدرت لهم فيها آراء مختلفة سنشير إليها إن شاء الله تعالى، كغيرها من مسائل الاجتهاد والاختلاف.

النقطة الثالثة: ومن أجل ذلك أيضا فإن من يجعل من هذه المسألة مسألةً عقدية أصولية لا يسع فيها الخلاف، ويرى المخالف فيها مخالفا في أصول الدين وقواعده الثابتة، ويبنى على ذلك عقد الولاء والبراء على هذه المسألة؛ فإنه جاهل ضالّ، قد ضل سواء السبيل، وافترى على الله ودينه..!

النقطة الرابعة: وكذلك من يدّعي أن مذهب السلف هو القول الفلاني، أو أن مذهب أهل السنة والجماعة أو منهج أهل السنة والجماعة هو القول الفلاني -كما هو ديدن المولعين من أهل عصرنا بكلمة «منهج»-، فهو قريب من ذلك..! فإن أئمتنا الذين صنّفوا في اعتقاد أهل السنة والجماعة ونظموا مسائل أصول الدين في مذهبنا -أهل السنة والجماعة- لم ينصّ أحدٌ منهم فيما نعلم على هذه المسألة، ولو نصّ بعضهم على شيء من ذلك في بعض الفروع؛ فلا يوجد فيها حكاية إجماع ولا ما يقاربه، ولا القول بأنها من مسائل اعتقادهم التي يتميّزون بها أو ما شابه هذا.. وكذلك الحال في كتب الفقه، ينصّ الفقهاء في بعض الفروع على أن الجاهل معذور أو أنه غير معذور ويفصّلون في مسائل، أما أن يكون هناك شيء يمكن أن يسمّى «منهج أهل السنة والجماعة» في هذه المسألة فلا، أو أن يكون هناك إجماع على قول فصلٍ فيها مثلا فلا أيضا، والله أعلم.

النقطة الخامسة: اعلم أن هذه المسألة هي من مسائل الفقه -بمعناه الاصطلاحي: وهو معرفة

الأحكام الشرعة العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية- وذلك لأنها عملية وسبيلها الاستدلال والاستنباط كما ذكرنا، وهي إما فتوى أو قضاء، وهي تدخل عند العلماء في «باب الردة»، وهو باب من أبواب «علم الفقه»، وهذا لا يعني أن لا تُذكر في أبحاث علم العقائد والتوحيد، فإن لها به تعلّقا وثيقًا لا يخفى، وهذا من تداخل العلوم والفنون، كما أن كل حكم شرعي عملي فله متعلق اعتقادي وهو اعتقاد ذلك الحكم، ولكن هي أخصّ بالفقه كما ذكرتُ، وسواء عددتها في مسائل هذا الفن أو ذلك، فهي من مسائل الاجتهاد.

النقطة السادسة: فمن يزعم أنها من مسائل العقيدة والتوحيد، ويريد بذلك أن يهوّل ويشنّع على المخالف فيها، ويبني على ذلك الولاء والبراء كما تقدمت الإشارةُ، أو يدعي الانفراد بتحقيق التوحيد، وينتقص مخالفيه فيها ويرميهم بالتهم العظيمة وما شابه ذلك؛ فإنه قد جانب الصواب واستحق اللوم، وله من اسم الانحراف والضلال بحسبه!!

بل الحق الحقيق بالقبول والصدع به أنها كما تقدم القولُ: من مسائل الفقه والاستنباط وتدخل في مسائل باب الردة في علم الفقه، ويتكلم فيها الفقيهُ، وأنها مسألة اجتهادية.

النقطة السابعة: بيان ذلك **أن صورة المسألة هي كالآتي:**

مسلم ثبتَ له عقدُ الإسلام عندنا، ثم ارتكب مكفِّرًا أي ناقضا من نواقض الإسلام، من قول أو عمل أو اعتقاد جاهلا؛ أي حال كونه يجهل أن هذا الفعل أو القول أو الاعتقاد محرمٌ ومنافٍ للتوحيد.. هذه هي صورة المسألة.

فهل نكفّره -نحكم عليه بأنه كافر- مباشرة بمجرد تلبّسه بذلك الناقض؟ أو نقول: لا نحكم بالكفر مباشرة؛ بل نُبقي حكمه على الأصل وهو الإسلام، حتى نعرف أن الحجة قد قامت عليه فخالفها؟ أو أن هناك تفصيلا في المسألة؟ وما هو هذا التفصيل؟

النقطة الثامنة: إذا تقرر هذا فاعلم أن العلماء قاطبة -إلا من شذّ- على أن المسائل الخفية التي لا تنافي التوحيد -عبادة الله وحده لا شريك له- منافاةً صريحة، والتي سبيل معرفتها السمع أي بلوغ الدليل السمعي وهو الدليل من الوحي؛ فإن هذه المسائل يُعذَرُ فيها الجاهل المخالف، حتى تقوم عليه الحجة، ثم إذا قامت عليه الحجة فخالفها نحكم عليه بما يقتضيه الدليل في تلك المخالفة، من تكفير أو تفسيق، والخلاف في ذلك شاذّ منبوذٌ، ولله الحمد..

مثالها: الكثير من مسائل الأسماء والصفات، وما يتعلق بحقوق الأنبياء؛ ما يجب لهم أو ينفى عنهم ونحو ذلك، وما يتعلق بإثبات الأحكام الشرعية، وما يتعلق بالغيوب كأحوال اليوم الآخر والجنة

والنار والثواب والعقاب، وسائر الأخبار، وإثبات أحرف القرآن والسنة الثابتة المعلومة، ونحو ذلك، والأمثلة كثيرة جدا.

النقطة التاسعة: قولنا «التي لا تنافي التوحيد -عبادة الله وحده لا شريك له- منافاةً صريحة» ما معناه؟ وهل هذا الكلام جامعٌ مانعٌ؟

توجد بعض الفروع من أفعال المكلفين قد يتردد المرء فيها هل هي مما ينافي أصل التوحيد أو لا.. لكن في الجملةِ: التوحيدُ الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، واضح وما ينافيه واضحٌ جدًا، والحمد لله.

النقطة العاشرة: فإذا تجاوزنا بعض الفروع المحتملة، وقلنا: نأخذ بطرفِ المسألة الواضح ونترك ما تشابه واحتمَل، بمعنى: نتكلم فيما اتضح اتّضاحا بينا أنه ينافي التوحيد بحيث يقول جميع العلماء والعقلاء لمن تلبَّس به إنه قد أشركَ وأتى بما يناقضُ التوحيد.

فنقول وبالله التوفيق:

للعلماء ثلاثة أقوال في المسألة فيما علمناه:

القول الأول: أنه غير معذور بالجهل، بل بمجرد أن يرتكب الناقض (المنافي للتوحيد، أي لأصل الدين، أصل التوحيد) فهو كافرٌ خارج من ملة الإسلام، يجب دعوته واستتابته ليرجع إلى الإسلام، فإن تاب فذلك المطلوب والحمد لله، وإلا قُتِل (أي لو قدرنا على ذلك، وحيث لا مانع، وذلك في حال وجود دولة الإسلام أو ما يعادلها وينوب عنها)، والمقصود: استحق القتل شرعًا لأنه مرتدٌ حينئذٍ.

القول الثاني: أنه معذور بالجهل حيث علمنا أنه جاهل، أي أنه ارتكب هذا الناقض وهو يجهل أنه منافٍ للتوحيد، بل يظن أنه لم يفعل ما ينافي التوحيد، وهو ملتزم -بمقتضى إعلانه الإسلام وقوله «لا إله إلا الله»- بالبراءة من الشرك ومن كل دين غير دين الإسلام، وبعبادة الله وحده لا شريك له، لكنه لم يعلم أن هذا الذي فعله منافٍ لذلك.. فلا نحكم عليه بالكفر ما دام كذلك (أي جاهلا) حتى نعلم قيام الحجة عليه، فإن قامت عليه الحجة (أقمناها نحن أو غيرنا، أو علِمنا أنها قد قامت عليه) ثم خالفها واستمر في ارتكابه ذلك الناقض، حكمنا عليه بالكفر والردة أي الخروج من ملة الإسلام.

القول الثالث: التفصيل والتفريق بين مَن إذا كان يمكنه العلم فقصر ولم يطلب العلم مع أن العلم مبذول معروض عليه وفي متناوله لو بذل أيسر شيء للوصول إليه، بأن يسأل ويتعلم دينه وما يلزمه من توحيد الله تعالى.. وبين ما إذا لم يكن كذلك بأن كان بعيدا عن العلم والعلماء يصعب عليه في العادة طلب العلم والتعلّم، والعلم ليس منتشرا ولا مبذولا في محيطه بالقدر الذي وصفناه.



فنكفّره في الحالة الأولى ولا نعتبر جهله ذاك عذرا له.

ولا نكفّره في الحالة الثانية؛ بل نعتبر جهله في هذه الحالة، لأنه جاهل فعلًا ولم يتمكن من العلم، والظروف لم تساعده والعلم ليس مبذولا له، فالظاهر أنه لم يقصر، بحيث إننا نظن أنه لو كان العلم مبذولا ميسورا منتشرا عنده لكان يعرف خطأه ويمتنع عن ارتكاب ذلك الناقض.

ملاحظة: هناك قولٌ آخر في المسألة لبعض العلماء يمكن جعله قولا رابعًا، كما يمكن جعله داخلا في القول الأول لأنه آيلٌ إليه في الحقيقة، وهو: القول بأن هذا مشركٌ (أي نسميه مشركًا وهو هنا بمعنى الخارج من الملة) ولا نسمّيه كافرًا لأنه لم تقم عليه الحجة.

وهؤلاء فرّقوا بين إطلاق اسم «الشرك» وإطلاق اسم «الكفر» في هذا الموضع، وهو اصطلاح، لكن حقيقة هذا القول هي القول الأول، لأن كلامنا إنما هو في أحكام الدنيا، أي حكمنا نحن على هذا الشخص في ظاهر الشرع، لا في أحكام الآخرة أي مصيره عند الله يوم القيامة.

النقطة الحادية عشرة: تحرير المسألة، وذكر استدلالات أصحاب هذه الأقوال، والترجيح بينها بطريقة علمية فقهية هو ما نتمنّى أن ييسره الله تعالى في فرصة أفضل بعونه ومدده ﷻ، وهو أمر ليس بالسهل فهي مسألة شائكة تكافأت فيها الاستدلالات وغمضت فيها المدارك، والله المستعان.

النقطة الثانية عشرة: الإنسان العاديّ منا (العامّيّ)، وطالب العلم -وكذلك العالم- الذي لم يحرر المسألة تحريرًا شافيا يطمئن إليه ويعتمد على مثله، عليه أن يحتاط ويأخذ جانب الحذر، فالاحتياط هنا أصل أصيل نلجأ إليه حيث لم يتبين لنا الصواب في المسألة.

والعامّي عليه أن يقلد العلماء على حسبِ ما هو مقرر في الأصول، وعليه أن يكفّ عن الكلام في هذه المسألة، ولا يقدِم على تكفير أحدٍ في الحالات المختلف فيها، بل يقول لا أدري، واسألوا العلماء، ويكفي معرفة أن الفعل كفرٌ وأن يجتنبه، أما الفاعل فلا يلزمه الحكم عليه في مثل هذه المسائل التي يختلف فيها العلماء وتشتبه، فعليه أن يعرف قدره ويحتاط لدينه.

النقطة الثالثة عشرة: فعلى الشباب ألا يتسرعوا في تكفير الجهال ممن تلبّس بشيء من شرك القبور والأولياء ونحوها من قومنا ولا سيما من كبار السنّ الجهلة، حتى يعرِفوا أنهم ممن قامت عليهم الحجة.. فهذا على العموم أسلم للشباب وأحوط، وليتركوا الحكم للعلماء.

ومن قلّد عالما في تكفيرهم أيضا فلا جناح عليه ولا لومَ فإنه آخذ بقول قوي معتبر في المسألة، ولكن عليه أن يضيف إلى ذلك شيئا آخر من العلم الفقه وهو: أن يعرف أن المسألة محل خلاف واجتهاد، وليعذر من يخالفه فيها ممن يحكم على أولئك بالإسلام لجهلهم حتى تبلغهم الحجة.

وبالجملة.. فمن أهم الأشياء في هذه المسألة أن يعرف أنها مسألة اجتهادية اختلف فيها العلماء فلا يعنّف على من خالفه في الحكم على شخص أو جماعة وطائفة أو جنسٍ من أجناس وأوصاف الناس ممن وقع في مكفّرٍ، مع بقاء التناصح والتباحث برفق.

فالرجلان قد يعيشان في واقع واحدٍ ويختلفان في الحكم على شخصٍ هل هو كافر أو لا، بناء على أسباب: إما لاختلافهم في كون الشيء الذي وقع فيه كفرًا أو غير كفرٍ، وإما لاختلافهم في وقوع الكفر عليه (أي على الفاعل المعين) لاختلافهم في توفر الشروط وانتفاء الموانع في حقه، واعتبار بعضها أو عدمه.. فلا ضيرَ في ذلك حيث يكون بعلم وعدلٍ، وهم إخوة متحابون متعاصمون متوالون والحمد لله رب العالمين.

النقطة الرابعة عشرة: عندما ننزل إلى الواقع في ميدان الدعوة في أوساط الشعب والتعامل مع الناس، فسنجد أنفسنا اتفقنا في الحكم على أناس أو طوائف، وربما نختلف في الحكم على آخرين، فليكن هذا منزّلًا على ما سبق، وليعذر الواحدُ منا صاحبه فيما خالفه فيه بناء على ما مرّ.. وهذا من الفقه الصحيح، والعلم النافع.

ثم علينا أن ننطلق إلى الواجب الأهم والأوضح وهو واجب دعوة هؤلاء الناس وهدايتهم وشرح الإسلام لهم، والله الموفق.

النقطة الخامسة عشرة: قول من يقول: «نحن دعاة لا قضاة» وإنه لا يلزمنا الحكم على الناس، ولا نشتغل بذلك.. هو هكذا بإطلاق خطأ مخالف للشرع، بل يلزمنا ونحن مكلفون به؛ لأنه ينبني عليه معاملتهم في الكثير من الأحكام، لكن ذلك بحسب حاجتنا إلى التعامل معهم، وبحسب علمِ كلٍ منا، فمن علم الصواب في مسألة وحققها من أهل العلم فليقل بها، ومن كان عامّيا فكما مرّ يقلد من يثق في علمه ودينه من العلماء من حوله.. إلى آخر ما بيناه.

ومَنْ لم يحتج إلى معاملة أحدٍ من تلك الطوائف والأشخاص فليكتفِ بالاعتقاد والالتزام الجمليّ بالتوحيد ومحبة أهله وموالاتهم، والبراءة من الشرك والكفر وأهله ومعاداتهم، وليكِلْ ما اشتبه عليه من تفاصيل الأحكام على الأعيان إلى الله تعالى، وليطلب العافية والسلامة.

النقطة السادسة عشرة: ينبغي أن يُعلَم -بحسب ما يظهر واضحًا والله أعلم- أن أكثر أهل شرك القبور والأضرحة وما يسمّى بالأولياء لا سيما أهل المدن الكبيرة قد قامت عليهم الحجة منذ زمن؛ فإن العلم بحمد الله قد انتشر وبلغ معظم أنحاء بلاد المسلمين في العقود الأخيرة، مع قوة الدعوة الإسلامية وجهود الدعاة إلى الله، ولا سيما في السنين الأخيرة، فلم يبق إلا المعاندون المخالفون على

بصيرة السائرون على ما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم أهل الضلالة، فهؤلاء كفار مشركون خارجون من ملة الإسلام، ولا كرامة.!!

لكن مع ذلك كله يوجَد من أهل الدواخل والبوادي والأقاليم البعيدة من هم في غاية الجهل والبُعد عن العلم وأهله، ففرقٌ بين هؤلاء وأولئك، وهذه صورٌ وقضايا يرجع تقديرها إلى المفتي الناظر في المسألة، وبالله التوفيق.. ونسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من الشرك وأهله.

اللّهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[إبراهيم].

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.. والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ربيع الأول ١٤٢٧هـ / أبريل ٢٠٠٦م».

انتهت النبذة حول مسألة العذر بالجهل.

«الثامن عشر: هل ترى جواز مفاداة المرتدين ممن يقع في أيدينا بإخواننا المأسورين في أيدي الطواغيت أو بمال نحن في أمس الحاجة إليه في جهادنا لأعدائنا؟ أم هو كما قال شيخ الإسلام: «لا يجوز مفاداة المرتد بمال أو بغيره»[(١)] ونقل عليه الإجماع؟».

المسألة محتملة، والذي يقوى عندي جواز مفاداتهم بأسرى المسلمين، وجواز مبادلتهم بالمال أيضًا متى ما كان المسلمون في حاجة إلى ذلك.. وجواز المفاداة بالرجال أقوى وأظهر، من المبادلة بالمال.

وقد كنت سألت في هذه المسألة جماعة من أهل العلم فأفتوا بالجواز، والمسألة من المسائل التي وقع فيها البحث كثيرًا عند مشايخ المجاهدين، فمنهم من يجيز ذلك ومنهم مَن لا يجيزه، والضرورة تقدر بقدرها.. والمسألة من موارد النظر والاجتهاد، ولا تزال لم تقتل بحثا.

وكنت أتمنى من بعض المشايخ الفضلاء أن يتولى بحث هذه المسألة وتحريرها، ولعل الله ييسر له أو لغيره ذلك؛ فيكفي المجاهدين مؤونتها ويسد ثغرتها بإذن الله[(٢)].!

والله المسؤول أن يفتح علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين من بركات العلم والعمل.

❃ ❃ ❃

---

(١) يعني قول ابن تيمية في مرتدي التتار: «لَا يُطْلَقُ أَسِيرُهُمْ وَلَا يُفَادَى بِمَالٍ وَلَا رِجَالٍ» انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤١٤).

(٢) بحثها أبو أحمد عبد الكريم الجزائري في رسالته: «إرشاد الكماة إلى حكم المفاداة» في حكم مفاداة أسرى المرتدين بأسرى المجاهدين.

〚القول في مصطلح «إدارة التوحش»، وهل طبقه الشيخ الزرقاوي؟، وهل قصّر الشناقطة في الجهاد؟، ولم استقال الشيخ «عبد القادر عبد العزيز» من إمارة جماعة الجهاد ووصفها بالضلال〛

۞ (٤) ما رأيكم شيخنا في المصطلح والفكر الذي أطلقه الشيخ «أبو بكر ناجي» والشيخ «أبو قتادة» عن «التوحش» وإدارة الفوضى؟ وهل تعتقد بأن الشيخ «أبو مصعب» يطبق هذا الفكر والمنهج الآن في بلاد الرافديـن؟.

(١٦) هل تعتقد شيخنا أن أهل شنقيط مقصرون في نشر العلم والجهاد وأن الساحات الجهادية لم تستفد من قدراتهم وإمكانياتهم إلا بقدر محدود؟.

(١٧) لماذا استقال الشيخ «عبد القادر عبد العزيز» من إمارة «جماعة الجهاد»؟ ولمَ وصف الشيخ «عبد القادر» في كتابه «الجامع» هذه الجماعة بأنها ضالة؟ وهل تسرع الشيخ في هذا الوصف وأخذته الحمية بسب نشرهم لكتابه هذا بدون إذن، والزيادة عليه والحذف منه؟ أم أن للشيخ «عبد القادر» ملاحظات أخرى على هذه الجماعة؟

[السائل: أسد السنة**]**

الجواب:

الفقرة ٤: رحم الله الشيخ أبا مصعب وأسكنه الفردوس الأعلى، آمين.

والمصطلح المذكور لا أدري ما حدوده بالضبط، لكني فهمت أن المقصود به حالة الفوضى المعقدة جدا والبالغة مبلغا كبيرًا في الانفلات الأمني والسياسي للأنظمة مع تعدد الصراعات وتداخلها، وهي حالة متوقعة ومتصورة، نسأل الله أن يجعل عاقبة ما قضى لنا خيرًا ورشدًا[١].

فليس هذا المصطلح هو فكرة ومنهج يطبق أو لا يطبق، إنما هو تصوير لحالة متوقعة، وبالتأكيد المطلوب من تصويرها هو الاستعداد والتهيؤ لحسن إدارتها والتصرف فيها إن وقعت.

ولا يهم الاصطلاحات وتعددها ولا التفنن فيها بقدر ما يهم حسن التصور والفهم للأمور، ثم حسن العمل، والله الموفق، ولا أظن أن الحالة في العراق بلغت المعنى الذي يشير إليه أصحاب هذا المصطلح.. والله أعلم.

---

(١) ذكر صاحب كتاب «إدارة التوحش» الأهداف الرئيسية لهذه المرحلة من الصراع وهي: نشر الأمن الداخلي، توفير الطعام والعلاج، تأمين المنطقة من الأعداء، إقامة القضاء الشرعي، إنشاء المجتمع المقاتل ورفع الكفاءة القتالية للأفراد، بث العلم الشرعي والدنيوي، إنشاء جهاز الاستخبارات، تأليف قلوب أهل الدنيا، ردع المنافقين بالحجة وإجبارهم على كتم آرائهم، العمل على الوصول للتمكن، إقامة التحالفات مع من يجوز التحالف معه ممن لم يعط الولاء الكامل للإدارة، الترقي بالجماعة للتهيىء لقطف الثمار وإقامة الدولة.

الفقرة ١٦: بلا شك هناك تقصير من أهل شنقيط ومن غيرهم، وتكلمنا في محور العلم والعلماء والجهاد عن التقصير والخلل الكائن في طبقات أهل العلم، وهذه حقيقة، وهي فتنة للناس وهي شر لا بد من السعي في دفعه بالأسباب المشروعة الممكنة، والله المستعان.

وطبقات أهل العلم في شنقيط، والمراد بها هنا عموم بلاد موريتانيا، فيها الكثير من العلماء وطلاب العلم الجيدين، كما فيها أصناف العلماء السيئين.. الكل موجود، وصار فيها في العقد الأخير تحسّن، وما زالت تحتاج إلى إصلاح وتجديد واستنهاض، فالسلبية والتقليدية بمعناها المذموم غالبة.! ولا أدري ما هي الحلول! نسأل الله أن يصلح أحوالنا جميعا، ونسأل الله تعالى برحمته التي وسعت كل شيء أن يفرج عن إخواننا المشايخ المسجونين هناك، وأن يجعل لهم من ضيقهم مخرجا ومن كربهم فرجا واسعا قريبا، وأن يثبتهم ويربط على قلوبهم ويزيدهم يقينا ونورًا، وأن يجعلهم للإسلام والمسلمين نصرًا وعزًا.. آمين.

الفقرة ١٧: لم أكن شاهدا على تلك الفترة من النزاع الذي حصل بين الدكتور «عبد القادر» وبين الدكتور «أيمن» وأصحابه وهم أفراد الجماعة، فلم أكن في السودان يومها، لكني سمعت من عدد من الإخوة تفاصيل الأمر، ولا أحب أن أدخل في التفاصيل، لكن الخلاصة أن الإخوة وقع بينهم نزاع في أمور وطلبوا من الدكتور «عبد القادر» التنحي عن قيادة الجماعة وطلبوا محاسبته على فترة قيادتهم الماضية ومراجعتها وغير ذلك، ووقع نزاع بينهم، أدى إلى أنه انفصل عنهم وتركهم، وأساء القول فيهم، وبلغت الإساءة منه سامحه الله عندما نشرت الجماعة كتاب «الجامع» بدون موافقته، والجماعة لها وجهها في نشر الكتاب فإنهم يقولون: إن الشيخ عبد القادر كان يؤلف الكتاب لصالح الجماعة ليكون من منشوراتها على غرار سائر كتب ومنشورات الجماعة السابقة، والجماعة فرّغته لهذا وأمدته بكل ما يلزم وبطاقم من المساعدين وغير ذلك؛ فالجماعة اعتبرت الكتاب ملكا للجماعة وحقًّا لها، وهو لما تنازع معهم وتركهم لم يسلّم بذلك وأصر على أنه صاحب الحق في الكتاب لا غير، ولكل وجهٌ، ولكنه أخطأ بلا شك وظلم وتسرع -والله يغفر له- في وصفه للجماعة بتلك الأوصاف السيئة وحكمه عليها بتلك الأحكام القاسية الجائرة.!! ولا شك أن هذه نزاعات لا يؤخذ فيها بقول أحد في صاحبه؛ فهي من جنس كلام الأقران بعضهم في بعض، وقد خالطتها بعض حظوظ النفس ومشاحّات، وأي الرجال المهذب، وإنما حكمنا على الشيء المستيقن فقط مما استيقنا أنه غلط! ولم ندخل في عمق التفاصيل، والله يعفو عن الجميع بمنّه وكرمه.. آمين.



〚لم لا يؤلف الشيخ في مسائل الجهاد المعاصر؟، وهل النصارى الأصليين في بلاد الإسلام أهل ذمة؟〛

❁ السؤال الثاني: أيـن الشـيخ من التأليف في التأريخ للجهاد المعاصـر، وفي بحث بعض المسائل المعاصـرة التي لم تعط حقها من البحث كالتترس مثلا؛ فأكثر المؤلفات فيه جاءت قاصـرة لاعتماد أصحابها كليةً على النقل عن الفقهاء غير المعاصـريـن دون البحث في أدلة هذه المسائل والنظر فيها من جهة اختلاف طبيعة المعارك في الجهاد المعاصـر عن السابق.

السؤال الرابع: ما هو اختيار الشيخ في من هم في الأصل أهل ذمة؛ كنصارى مصـر والعراق.. هل هم اليوم أهل ذمة أم أن عدم إلزامهم -اليوم- بدفع الجزية والتزام أحكام الإسلام والصغار -بغير امتناع منهم- سبب في فسخ عقد الذمة؟ (قد يبدو السؤال خارجاً عن الموضوع إلا أن له تعلقا به من جهة عدم ربط استهداف النصارى في بلاد المسلميـن بالمصلحة فقط)..

وأوصـي الشـيخ بكثـرة الإنتـاج فـيعلم الله أن السـاحة بحاجـة لأمثالـه خصوصًا مـع اعتقـال أكثـر المشـايخ المؤيديـن للجهـاد، فـإن تركـتْ فسـتملأ -ولا بـد- بأنصـاف المتعلميـن وأهل الغلو.

[**السائل:** أبو صديق]

الجواب:

جزاك الله خيرا أخي «أبا صديق»، ونسأل الله أن يعفو عنا وعنكم.

التأليف في التأريخ للجهاد المعاصر.. ذكرت في محور «الجزائر» من هذه الأجوبة ما وقع لي من محاولة لذلك، لم تر النور لحد الآن ولعل الله يمنُّ بتداركها برحمته ولطفه، ولعل الله ييسر بفضله الكتابة في أشياء أخرى في المستقبل، وبارك الله فيكم.

والتأليف لعله ما زال مبكرا على مثلي، وأنا أخشاه وأتقاصر عنه، وأسأل الله أن يعين مَن هم خيرٌ مني لسد الثغرات المشار إليها وغيرها، والله كريم، وفي الموجود بركة إن شاء الله لمن أراد الخير والاستفادة.. وجزاكم الله خيرا على التشجيع والنصح، وتقبل الله منا ومنكم صالح العمل وجنبنا مضلات الفتن.

بالنسبة لسؤالكم عن النصارى «المواطنين» في بلداننا الآن كمصر والعراق وغيرها.. هل هم أهل

ذمة أو لا؟ فأذكر أن الشيخ «رفاعي طه» فرّج الله عنه بحث هذه المسألة في كتابه «إماطة اللثام»[(١)]، وقرر أنهم -النصارى المواطنين في مصر- ليسوا أهل ذمة الآن، وليت العلماء يزيدونها بحثها وتوضيحا، وقد كنت سُئِلتُ قبل عامين تقريبا من قبل بعض المجاهدين في العراق عن هذه المسألة فأجبتهم بما يأتي:

«**اعلم أن الكافر نوعان**: حربيّ وغير حربيّ.

الحربيّ مباح الدم والمال، غير معصومٍ.. هذا هو الأصل إلا ما استثني من أصنافهم: النساء والصبيان والشيوخ الفانين والمرضى والزمنى والرهبان في الصوامع والأجراء والفلاحين الذين لا شأن لهم في العادة في قتال ولا ممارسة سياسية ونحوها ونحو ذلك من الأصناف وفي بعضها خلاف وتفاصيل لا نطيل بها.

وغير الحربي معصوم الدم والمال، وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الذمي: وهو الواقع تحت حكمنا بذمة وهي عقد مؤبّد يدفع بموجبه الجزية، وأهل الذمة وأحكامهم في الجملة تعرفونها.

النوع الثاني: المستأمَن: وهو الداخل إلى بلادنا وسلطاننا بأمانٍ منا، أو مَن أعطيناه نحن الأمان حيث كان ولو في دار الحرب، وللأمان وأحكام المستأمنين أيضا فروع وتفاصيل تعرف في محلها.

النوع الثالث: أهل العهد، وقد يسمّى الصلح والموادعة والهدنة ونحوها؛ فهذا كافر بيننا وبينه عهد، فهو معصوم الدم والمال بذلك العهد مدّة استمرار العهد وبقاء صلاحيته.

فتلخّص أن الحربيّ عند الفقهاء جميعا هو ما لم يكن من أهل الذمّة ولا العهد ولا الأمانِ. هذا لا خلاف فيه بين الفقهاء.

وإنما الخلاف كما ذكرتُ في تفاصيل من يستثنى من استحقاق القتل من أصناف الحربيين، وفي فروع في مسألة الأمان، وفي مسائل من مسائل أحكام الذمة، وفي مسائل وفروع أخرى من باب الهدنة والصلح والموادعة.. وكلها تعرف تفاصيلها في أبوابها من كتب الفقهاء.

---

(١) إماطة اللثام عن بعض أحكام ذورة سنام الإسلام (ص ٢٠٧، وما بعدها) قال: «إن نصارى مصر -وهم المواطنون-، لم يبق أحد منهم آمنًا بالعقد الأول -أي عقد الذمة الذي في أعناقهم منذ فتحت مصر» ثم ذكر عدة أسباب حتى قال: «نصارى مصر يجري عليهم أحكام الكفار غير المعاهدين، ولكن قد تقتضي مصلحة الجهاد عدم التعرض للنصارى المواطنين ما لم يقوموا بشيء من المنكرات التي يُعاقب عليها حتى المسلمون، ومنها التجسس على المسلمين، أو الزنى بمسلمة..» الخ، وللشيخ أبي المنذر الشنقيطي رسالة بعنوان: «إعلام الأمة بانقراض أهل الذمة» بحثَ فيه عددا من المسائل التي تنفي كونهم أهل ذمة؛ فليُراجع.

بالنسبة للعراقيين النصارى أو اليهود أو الصابئة وغيرهم من الأديان غير المسلمين، ممن هم من أهل العراق من زمن طويل مواطنون عراقيون، فهؤلاء أرى أنه يفصَّل في أمرهم:

فالأصل في هؤلاء أن يكونوا أهل ذمة يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون للمسلمين، أي للسلطان المسلم.

ولكن باعتبار أنه منذ أزمان لا وجود لسطان مسلم على الحقيقة في العراق كما في أكثر بلاد المسلمين، فقد انفرط مع الأزمان عقد ذمتهم، بسبب ترك المسلمين لتلك العقود وبسبب العولمة وما تفرضه القوى الصليبية العالمية من مفاهيم ومن أحكام أيضا وغير ذلك من الأسباب المعروفة.

وأما البحث الآن هل هم ناقضون لتلك العهود القديمة المتطاولة الأزمان، أم بقي لهم منها شيء يستحق أن يحترم؟ فهذا ليس الآن هو المهم.

مع أن الظاهر أن التفصيل هو الواجب؛ فقد يكون فيهم من هو باقٍ على عهده ومستعد للالتزام به، ويرى أن عيشه في كنف المسلمين خير له ولأهله وعشيرته، ويحفظ له نفسه وماله وعيشه باحترام، وقد يكون فيهم من يستغل الفرصة للكيد للمسلمين والوقوف مع عدوهم بغضا وحقا على الإسلام وأهله..!

فهذا كله وارد، ولكن كما ذكرت ليس هو المهم الآن، لأنه يحتاج إلى أن نبين للناس أن سلطان الإسلام عاد من جديد وأنهم مطالبون بتحديد خيارهم إما الاستمرار على الجزية التي كان عليها آباؤهم، أو رفضها ونقض عهودهم وبالتالي فليس إلا الحرب والسيف.

فالحاصل أنهم في الأصل أهل ذمة، آباؤهم وأجدادهم البُعداء كانوا يعطون الجزية فعلًا.

ظني أن هذا هو الواقع، وإن كان يحتمل أن بعضهم سكن واستوطن في القرن الأخير مع الاستعمار ولم يكونوا من أهل الذمة سابقًا، فهذا ينظر أيضًا.

المهم الآن أنه لا وجود للجزية ولا للسلطان الذي يأخذها منهم ويحملهم على مقتضى تلك العقود القديمة التي دخل بها آباؤهم في ذمتنا، وينبذ إليهم على سواء، ومع ذلك فليس للمسلمين مع هؤلاء عهدٌ يجب الوفاء به، فيما يظهر.!

ولكني أرى أن لا يتسرع المجاهدون للقيام بهذا الدور الآن!! لا داعي لأن يقوم المجاهدون بهذا الدور.. لأنه يشغلهم ويدخلهم في جبهة جديدة ويصرف جزءًا من طاقتهم في شيء ليس هو أولوية الآن.. وليكتفِ المجاهدون منهم بأن يعتزلوهم ويكفوا شرهم عن المجاهدين وعن المسلمين ولا يقفوا مع العدو المحتل الصليبي وأوليائه ضد المجاهدين والمقاومة، فإن فعلوا ذلك والتزموه فهو جيد



ومقبول منهم الآن حتى يفتح الله.

ومن رأوا منه وقوفًا مع أعدائهم الصليبيين والحكومة المرتدة ضد المجاهدين فهو عدوّ فليتخذوه عدوًا، ولو تُصُوّر أن له بقية عهدٍ فإنه ينتقض بذلك.. وهذا واضح.

ولا بأس أن يبادرهم المجاهدون بأن يراسلوا رؤوسهم وقياداتهم ويقولوا لهم: نحن لا نتعرّض لأحدٍ منكم ما لم تقفوا مع عدوّنا ضدنا، اتركونا وعدوّنا وكفوا أيديكم تسلموا، فمن تعرّض لنا فهو عدوّ نستبيح قتله وقتل من معه، ونحو ذلك من الخطاب.. فهذا جيد إن شاء الله، ويحصل به تخذيل لهم عن حربنا، وتخذيل بين فئات الكفار.. وهو إن شاء الله من السياسة الحكيمة.. والله أعلم وأحكم ولا حول ولا قوة إلا به ومنه نستمد التوفيق» انتهى الجواب.

والخلاصة: أن الذي يظهر أن هؤلاء ليس لهم عهد «ذمة» يلزم المسلمين والمجاهدين احترامُها؛ فلا نرى لهم عصمة ابتداءً في الجملة، وقد عرفنا الغالب منهم المتأكد أنهم لا يقرون بذلك للمسلمين، بل هم متمردون على بقايا تلك العهود التاريخية..!

ومع ذلك فلا نأمر بقتلهم إلا إذا شاركوا في حربنا[1]، حتى يفتح الله فيرى المسلمون فيهم رأيهم ويكون لهم معهم شأن، **وذلك لوجوه:**

منها: عدم الانشغال بهم وفتح جبهات واكتساب أعداء جدد، في حين نحن في حاجة إلى تحييد من يمكن من الناس والطوائف.

ومنها: الاحتياط لما يمكن أن يكون من البعض القليل جدا إن وجد ممن لا يزال يقر ويرضى بذمة المسلمين، ولم يحصل منه نقض لذمته الموروثة عن آبائه إنما واقع الحال هو الذي جعل ذلك العهد كالمعدوم بالنسبة إليه.

ومنها: الإبقاء عليهم لعل الله يهدي منهم مَن يشاء، ونحن لسنا مطالبين بقتل كل كافر على الفور وعلى كل حال، بل حيث رُجي للكافر أن يسلم ولم يكن هناك ضررٌ على الإسلام والمسلمين في الإبقاء عليه.. ترجَح تركه، والأدلة على ذلك كثيرة جدا، كما هو شأن أصناف الكفار غير المقاتِلين، ويكفي في ذلك الإجماع على جواز المنّ على الأسير الكافر، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾

---

(١) كتب الشيخ د. أيمن الظواهري -أمير جماعة قاعدة الجهاد- في رسالته «توجيهات عامة للعمل الجهادي» توجيها للمجاهدين في العالم؛ قال فيه: «عدم مقاتلة الفرق المنحرفة مثل الروافض والإسماعيلية والقاديانية والصوفية المنحرفة ما لم تقاتل أهل السنة، وإذا قاتلتهم فيقتصر الرد على الجهات المقاتلة منها، مع بيان أننا ندافع عن أنفسنا، ويتجنب ضرب غير مقاتليهم وأهاليهم في مساكنهم وأماكن عبادتهم ومواسمهم وتجمعاتهم الدينية. مع الاستمرار في كشف باطلهم وانحرافهم العقدي والسلوكي».

[محمد: ٤]، وحديث الذي اخترط على النبي ﷺ سيفه وقال: «مَن يمنعك مني»، إلى آخر القصة وهي في «الصحيح»[1]، ولها نظائر في السيرة النبوية، وغير ذلك كثير.. والله أعلم وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

〚القول في «مجهول الدين» في بلاد الكفر〛

۞ ما حكم مجهول الديـن في بلاد الكفار؟

[السائل: abraham]

الجواب:

مجهول الحال من حيث الإسلام والكفر، معناه: الذي لا يُعرَف هل هو كافرٌ أو مسلم، فيحتمل أن يكون مسلمًا كما يحتمل أن يكون كافرًا.

والسبب في كونه لا يُعرَف شيئان:

- أننا لا نعرف عينه (لا نعرفه بعينه) فنعرف إسلامه أو كفره.

- وأنه ليس عليه علامات تدل على إسلامه ولا على كفره دلالة قاطعة أو غالبة.

فهذا هو المجهول الحال، فهذا **يُرجع فيه إلى أصول**:

أولها: حكم الدار، وهذه من فوائد تقسيم الدور إلى دار كفرٍ أو دار إسلام فيعطى حكم الدار.

وثانيها: الأكثرية من السكان.. هل هم مسلمون أو كفارٌ؛ فيعطى حكم الأكثر الأغلب..

وهذا كله في حال لم يمكن التحري، كمَن يوجد مَيتًا، وأما إذا أمكن التحرّي فطريق معرفة حاله هي التحري، ومعنى التحري: البحث والسؤال والتبين والنظر في العلامات والدلائل.

ومعلومٌ أن محل ذلك حيث أردت معاملته.

إذا عرفت ذلك فههنا مسائل:

- إذا تعارض حكم الدار مع حكم الأكثرية؛ بأن تكون الدار دار كفرٍ وأكثر سكانها مسلمون مثلا، فما العمل؟ فالظاهر والله أعلم أن اعتبار الأكثرية مقدمٌ، وعليه يدل كلام أكثر الفقهاء.

- المجهول في دار الإسلام وحيث الغلبة للمسلمين عددًا محكومٌ بإسلامه، إلا أن توجد علامة تدل على الكفر أي تحتمل أنه كافر، بأن يوجد فيه شيء مما هو عادة من صفات الكفار، فيجب التحري فيه.

---

(١) صحيح البخاري (٢٩١٠، ٤١٣٥، ٤١٣٦، ٤٣٩١)، صحيح مسلم (٨٤٣).

- المجهول في دار الكفر وحيث الغلبة العددية للكفار محكومٌ بكفره، إلا أن توجد علامة تدل على إسلامه أي تحتمل إسلامه فيجب التحري فيه والتبين.

وعليه تعرف الإجابة على سؤالك.

وأما بسط أدلة هذه المسائل، فيطول، فيرجع فيها إلى الكتب.

لكن عليك أن تعرف أن أهم أصول هذه المسائل أشياء:

- ما تقرر في الشرع بأدلة قاطعة كثيرة أن النظر إنما هو إلى الظاهر؛ فنحن نحكم على الناس بما ظهر لنا من حالهم ونكل سرائرهم إلى الله تعالى.

- وجوب التبين والتحري في مواضع الاحتمال والاشتباه، والحال أننا محتاجون إلى معرفة حال الشخص لمعاملة لنا معه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[النساء]

- قاعدة تغليب الغالب.

- أن الإسلام يعلو ولا يُعلى.

- أن هناك أشياء يُحكم بها بإسلام الشخص متى أتى بها كالشهادتين والصلاة ونحوها، وهناك أشياء لا يُحكم بها له بالإسلام، لكن يجب عندها التحري والتبين وهي العلامات والأمارات المحتملة لإسلامه، كإقرائه السلام تحية المسلمين، وكلباسه لباس المسلمين وزيهم ونحو ذلك، وبالله التوفيق.

✵ ✵ ✵

〚القول في الروافض؛ وهل هم كفار أصليون أم مرتدون؟، وتعليق على رسالة الشيخ أبي مصعب المتعلقة بالرافضة〛

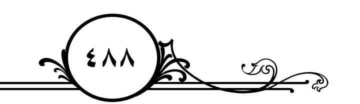
❁ السؤال الرابع: الروافض.. هل ترونهم كفاراً أصليين أم مرتدين عن الدين؟.

السؤال الخامس: ما تقويمكم لرسالة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي حَفِظَهُ اللهُ الأخيرة؟

[السائل: abotorab]

الجواب:

الروافض.. مَن كفرناه منهم فهو مرتدٌّ، وهذا هو الغالب فيمن نكفرهم منهم؛ لأننا لا نكفرهم بأعيانهم جميعا كما قد عُرِفَ، وهو الصحيح، بل نفصل فيهم.



ويحتمل الحكم على بعضهم بأنهم كفارٌ أصليون إذا تبين لنا أنهم نشأوا منذ أزمان متطاولة على الشرك والكفر، كمن ينشأ منهم على عبادة أضرحة الأئمة وما شابه ذلك من الكفر والشرك الصريح ويكون آباؤه وأجداده ممن كانوا كذلك؛ فهذا الحكم عليه بأنه كافرٌ أصليّ متجه، والله أعلم.

وأما رسالة الشيخ أبي مصعب الأخيرة.. فلعلك تقصد كلامه ﷺ ورضي عنه عن الرافضة وكانت بعنوان: «هل أتاك حديث الرافضة» فهي جيدة في عمومها جزاه الله خيرا، جمع فيها ما يبين ويكشف لشباب الإسلام حقيقة هؤلاء المارقين المتزندقين وفضحهم وعرّاهم.

وهناك بعض الملاحظات البسيطة التفصيلية لا تؤثر كثيرا على فكرة الموضوع الرئيسية وغرضه، وهي من موارد النظر، ومنها مسألة القول بأن إيران ومثلها حزب الله هي صنيعة غربية أو يهودية وأن أمرهم لا يعدو أن يكون «تمثيلية» أو «مسرحية»، فهذا لا أراه صوابًا.. بل الحق أنه لا تمثيلية ولا مسرحية وأن الكفار والزنادقة لكل منهم أغراض وأهداف وأجندات واستراتيجيات حقيقية تتقاطع وتلتقي أحيانا ويحصل بينهم النزاع أحيانا كما يتنازع سائر الكفار، فلا أرى الجزم بالقول بأن هذا الذي نراه كله مسرحية بل نركز على الشيء البين الثابت وندع ما سواه مما يُتوهّم، فإذا كان لا بد من إبراز الاحتمال فلنقل: ويُحتمل كذا، ولا يبعُد كذا مثلا.

وأما القدر المستيقَن الذي لا نحتاج بعده إلى كلام عن مسرحية أو غيرها فهو: أن هذا الحزب المتزندق المسمى زورًا بـ«حزب الله» أنه صنيعة إيرانية سورية؛ فهو حزب رافضي طائفيّ متزندق مشركٌ، وهو عندنا حزبُ كفرٍ وطائفة كفر، هجين من سفاح الروافض وزندقة النصيرية المرتدين، وله أجندته وأهدافه المعروفة وهي في أهم نقاطها: نصر الدين الرافضي الشركي الطائفي على دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، هذا هو الهدف الأساسي لهذا الحزب، وكل ما عداه فإنما هو خادم لهذا الغرض ومساعدٌ.!!

فحربهم لإسرائيل هي لتحقيق هذا الهدف، وكل برامجهم وأعمالهم هي لتحقيق هذا الهدف.

ولذلك فلا عدوّ لهذا الحزب الكافر على الحقيقة وعلى التأبيد إلا أهل السنة الذين هم أهل الإسلام على الحقيقة؛ فأهل السنة هم العدوّ الأول والحقيقي لرافضة إيران ولحزبهم الهجين، وكل استراتيجياتهم محورها: قهر أهل السنة ومحاربتهم ودحرهم والقضاء عليهم -لا قدرهم الله على ذلك- ونصر الدين الرافضي المبدل الوضعيّ الطائفي المجوسي عليه، وإحلاله محل الإسلام الذي عليه أهل السنة والجماعة.

في أثناء ذلك هم يحتاجون إلى أن يتكلموا عن فلسطين ويتبنوا قضيتها.!! ويحتاجون أن يكونوا



«مقاومة» ويرفعوا شعارات: «الله أكبر» و«الجهاد» وما إلى ذلك، ويحتاجون إلى الكثير من التقية والكذب الذي هو تخصصهم والخداع للشعوب الإسلامية..

وهم لا دين لهم ولا توحيد على الحقيقة.. فلا مانع عندهم من التحالف والتآخي والتوادد مع الزنادقة والمرتدين من النصيرية والعلمانيين وغيرهم وحتى اليهود والنصارى في سبيل تحقيق هدفهم الكبير المذكور (القضاء على أهل السنة وأن يحلّوا هم محلّهم في القيادة الإسلامية).

هم مستعدون لكل ذلك، ليس عندهم أي مشكلة.! لأنهم لا دين لهم؛ لا توحيد لرب العالمين، ولا نظر إلى الله واليوم الآخر.

وقد يُحتمل أنه في وقت من الأوقات شجّعت بعض الأطراف الغربية الصليبية أو اليهود قيام هذا الحزب الرافضي أو قيام ثورة الخميني، لما رأوه أو توقعوه من مصالح لهم في ذلك، لكن لا شك أن جميع أطراف الكفرة والزنادقة لكل منهم استقلاله ومصالحه.

ونحن بحمد الله معلومٌ عندنا ومتقرر عند أئمتنا الأخيار المحققين أن هؤلاء الروافض وإن لم نكفرهم جميعا بأعيانهم (أي كل من ينتسب إليهم) ونفصلُ فيهم، وهو الصحيح كما ذكرتُ، ولكنا نسمّيهم حزبًا كفريًا، ونعلم أن الكفر فيهم والزندقة كثيرٌ جدًا، ورؤوسهم كفارٌ زنادقة لا شك فيهم، فلا يكون الرافضي قط -كما قال ابن تيمية ﷺ- إلا جاهلًا أو منافقا في الباطن زنديقا.. والجهل يُتصوّر في عوام المنتسبين إليهم ممن نشأوا على هذا المذهب ولا يعرفون غيره ولم يسمعوا ما عند أهل الحق من العلم والهدى والنور، وأما أئمتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم فلا يكونون إلا منافقين وزنادقة.!

فنحن نبين ذلك للناس، ونشرحه لهم، ونكشف لهم حقيقة هؤلاء القوم، وأغراضهم الخبيثة الخسيسة، بما يفتح الله به من البيان والتفهيم، ونوضح لأهل السنة ما يشتمل عليه هؤلاء القوم من الكفر والشرك بالله تعالى والإلحاد والزندقة والمروق من الدين بجميع أنواعه.

فهذا القدر كافٍ في نظري، دون الحاجة إلى القول بنظرية المسرحية.. فهذا رأيي، وهو عندي صوابٌ يحتمل الخطأ، والله أعلم وأحكم، وأستغفر الله من كل ذنبٍ.. وجزاكم الله خيرا.

❋ ❋ ❋

﴿التعليق على تغيير «المناهج الدراسية» في بلاد الحرمين؛ لتوافق أهواء الكافرين والمرتدين﴾

❁ ما رأيك شيخنا في تغيير المناهج الدراسية في بلاد الحرمين وذلك بحذف بعض المواضيع مثل باب الجهاد وكذلك باب الولاء والبراء وكذلك وهو الأهم عدم

تكفير اليهود والنصارى؟ وهل تنصحونا بأن نُدَرِّس أبناءنا في هذه المدارس؟ نريد منكم النصيحة في هذا الأمر بارك الله فيكم! وما الحكم في ذلك؟ -وكل هذا إنما جاء بحسب أوامر أمريكا رأس الكفر والنفاق-.

[السائل: طالباني]

الجواب:

تغيير المناهج في بلاد الحرمين ومصر وغيرها من بلاد المسلمين بأوامر من اليهود والنصارى وعلى رأسهم أمريكا قد تكلم فيه الكثيرون من أهل العلم ونقدوه وبينوا ما فيه من طاعة الكفار ومن تركٍ لأمر الله تعالى ودينه رضوخا لأعداء الله.

فهذا الأمر هو من جملة مخازي هذه الحكومات الخائنة، أخزاها الله.!

نعم المناهج الدراسية تحتاج دائما إلى مراجعة وتعديل وتطوير وتكميل سعيا للوصول إلى أفضل الصيغ والطرق لتدريس التلاميذ وتربية النشء، على وَفق ما يرضي الله تعالى، وهذا لا بد أن يكون بأيدي المسلمين وبكامل حريتهم واختيارهم، وعلى أيدي أكفاء منهم من العلماء والمربّين وأهل الخبرة والبصيرة والتقوى.

أما دعاوى الإصلاح والتغيير التي يتبناها الزنادقة العلمانيون وينادي بها بعض المفتونين المنافقين من زبانية السلاطين، عبدة الدولة والدنيا، فهذه مرفوضة رأسًا، وهي ليست إصلاحًا بل هي إفساد محض، وأنى يأتي الصلاح من المفسدين!! ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[البقرة].

لكن الدولة اليوم لهم..! ونحن ماضون في جهادنا لهم، ولا نزداد كلَّ يومٍ إلا يقينًا بوجوب جهادهم، حتى يفتح الله بيننا وبينهم بالحق، وهو خيرُ الفاتحين، والحمد لله رب العالمين، نسأله ﷻ الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد.

وأما تدريس الأولاد في مدارس هذه البلاد، فهذا يختلف من بلد إلى آخر ومن حالة إلى أخرى.. فينظر في كل حالةٍ وكل بلد وما فيها من مناهج دراسية، ويُختار الأكثر تحقيقا للصلاح ولو مع بعض المفاسد القليلة التي يمكن التغلب عليها بطرق أخرى، فإن كانت المفاسد غالبة طاغية فليترك الإنسان تلك المدارس وليبحث عن خيارات أخرى لأولاده، وليستعن بالله على كل حال.. وفي الغالب خصوصًا في بلاد الحرمين فلم يصل الأمر لدرجة أن يمنع الإنسان أولاده من الدراسة في مدارسها، لا..! بل يرسل أولاده إلى المدارس يتعلمون، ويتعاهدهم هو بالتربية والتوجيه والتنبيه على الخطأ



والخلل، وتفهيمهم ما يلزم في كل مرحلة على ما يناسبهم وتستوعبه عقولهم وقلوبهم، وينتفعون به، ولا يستعجل، وليكن قدوة لهم ومعلمًا ثانيا ومرجعا ثابتًا.. قوام العلاقة بينه وبينهم الإجلال والمحبة والثقة، وفي كل ذلك على الأخ المسلم أن يتفقه في طرائق التربية للأولاد ويقرأ في هذا الباب بعض الكتب النافعة، ويسأل أهل العلم في ما يشكل عليه من الفروع فيها، والله يفتح عليه ويوفقه.

❃ ❃ ❃

〚**أيهما أولى: الهجرة لأرض الجهاد، أم طلب الرزق وإرسال المال للمجاهدين؟**〛

❁ شيخنا الفاضل؛ سؤالي هو: ما نصيحتك لشاب فتح له باب رزق على مصراعيه -التجارة- وعنده حسابات تقول أنه من سنة إلى سنتين يمكن أن يصبح معه رأس مال لابأس به يخوله هذا المال أن يضعه في تصرف الجهاد والمجاهدين.. ولكن في نفس الوقت تيسر له طريقٌ للهجرة وإعداد العدة ومنازلة الكفار بالنفس؛ فما الذي تنصحه به.. هل يذهب لأرض الجهاد أم يمضي في تجارته ليسخرها للجهاد والمجاهدين في سبيل الله؟ أفيدونا بارك الله بكم.

[**السائل:** أبو عبد الله المهاجر]

الجواب:

نسأل الله تعالى أن يفتح علينا وعليك وعليه وعلى سائر المسلمين من أبواب رحمته.

هذا محل نظر.. فالأصل كما ذكرنا أن الجهاد بالنفس واجبٌ على جميع المسلمين حتى تحصل الكفاية من الرجال المقاتلين، لدفع العدو، فمن كان الجهاد والمجاهدون يحتاجون إليه فواجبٌ عليه النفير إليهم بنفسه، وإلا فلينظر كيف يعينهم ويكون مع القافلة.. كما أن الإعداد واجبٌ آخر مستقلٌ.

وأيضا الجهاد يحتاج إلى المال كما يحتاج إلى سائر المرافق الأخرى الخادمة له، ولا يمكن للمجاهد أن يجاهد في ميدان القتال وينجح ويؤدي الهدف المأمور به، إلا أن يكون وراءه أجهزة من الداعمين بالمال والإعلام والخدمات وغيرها، وواجب على المسلمين القيام بذلك أيضًا حتى تسدّ الحاجة..

فهذا الأخ إن كان يستطيع أن يشاور المجاهدين ويعرف المطلوب فهذا جيد، أو بعض أهل العلم ممن يتصل بهم ويعرفون حاله.

وأيضا ارتباطه بالمجاهدين أو بأهل العلم هو كالضمانة له والمعين له، حتى لا تخونه نفسه، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، نسأل الله تعالى مقلبَ القلوب أن يثبت

قلوبنا وقلوبكم على دينه.. آمين.

وإلا فليجتهد في النظر على أساس: أين الأفضل والأفيد لنصرة الإسلام والمسلمين، مما يقدر عليه ويحسِنه وله فيه فرصة جيدة مواتية، لا على أساس «الأريح» والأحب للنفس (التشهّي).! ولْيَنْوِ الخيرَ دائمًا وليعزم على الكون حيث يحبُّ اللهُ ﷻ، وليستخر الله تعالى، ثم يتوكل على الله في فعل ما ترجح له من النظر على الأساس المذكور.

ونرجو بذلك أنه أدى الذي عليه، والله أعلم، والله ﷻ يغفر لنا ولكم.

❃ ❃ ❃

〚القول في مقولة: «قد تقوم دولة الإسلام بلا جهاد»، ومقولة: «لا يفتي قاعد لمجاهد»، وحكم الجهاد في هذا الزمان، والقول في مناشدة «د. أيمن الظواهري» للجيش الباكستاني بالثورة على «مشرف»〛

❁ (١) ما رأيكم في مقولة: «إن دولة الإسلام يمكن أن تقوم بدون جهاد»، حيث هناك بعض الإخوة يخطئ من يقول: لا حل إلا بالجهاد ويقول له ما تقدم.

(٢) هل ترون الجهاد فرض عين اليوم وهل ترون نفير الأمة كلها؟ وكيف لو نفرت الأمة كلها هل يمكن هذا؟.

(٣) ما قولكم في مقولة: «لا يفتي قاعد لمجاهد؟»،

(٤) ما رأي حضرتك في مناشدة الدكتور أيمن حَفِظَهُ اللهُ للجيش الباكستاني أن يثور على «برويز مشرف» الخائن؟

[السائل: عبد الله جواد**]**

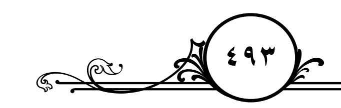
الجواب:

الفقرة ١: قول من يقول: «لا حل إلا بالجهاد».. المراد به: للبلاء الذي تعاني منه الأمة جراء سيطرة حكومات الردة، فهذه لا بد من جهادها، وهذا صحيح إما كليا أو أغلبيا.

ومن قال: إن دولة الإسلام لا تقوم إلا بالجهاد.. فهذا أيضًا صحيح، لكنه أغلبيّ، ولا بأس بإطلاقه على أساس أنه أغلبيّ، ومعنى الجهاد هنا القتال كما هو معنى اللفظ عند الإطلاق.

ومعنى قيام دولة الإسلام بالجهاد له وجهان:

الوجه الأول: أنها لا تقوم ابتداءً للمسلمين دولة إلا بالجهاد في سبيل الله، وقلّ أن توجد دولةٌ



مسلمة بدون جهاد.

والوجه الثاني: أنها لا تقوم بمعنى لا تستمر قائمة ثابتة إلا بالجهاد في سبيل الله لأن الجهاد هو حامي الأمة والدولة المسلمة، وهو عماد سلطانها وعزتها؛ فإذا تركته انهارت وأصابها الذل وغلبها الأعداء واستولوا عليها، وهذا صحيح مدلولٌ عليه بأدلة القدر والشرع الكثيرة.

ومن يقول إن دولة النبي ﷺ في المدينة قامت بدون جهاد؛ لأن الجهاد شرع بعد قيامها أي بعد الهجرة إلى المدينة، والدولة قامت بهجرته، فهذا وإن كان ظاهره يبدو صحيحًا لكن لا ينبغي الاعتراض به؛ لأنه قابل للبحث بأن يقال: لا وجود للدولة بمعناها الكامل قبله، والنبي ﷺ هو إمام المسلمين وهو دولتهم وفئتهم حيث كان، والجهادُ شرع بمجرد الهجرة مقرونًا بها، وقد قيل: إن آيات الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾[الحج] نزلت مع خروج النبي ﷺ مهاجرًا من مكة إلى المدينة؛ فيحتمل أنها نزلت في طريق الهجرة أو بعد الوصول بِزَمَنٍ يسيرٍ.

فمما ورد في سبب نزولها: ما رواه ابن جرير في «تفسيره»، ورواه الإمام أحمد والترمذي وقال: «حديث حسنٌ»، والنسائي وابن حبان وغيرهم: عن ابن عباس قال: «لما خرج النبيّ ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكُنّ، قال ابن عباس: فأنزل الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾[الحج] قال أبو بكر: فعرفت أنه سيكون قتال، قال ابن عباس: وهي أوّل آية نزلت في القتال»[1] اهـ.

وما يذكر من قيام بعض دول للمسلمين في التاريخ بدون جهاد (قتال وحرب) كما في بعض نواحي جنوب شرق آسيا وفي أواسط وغرب أفريقيا.. فتلك كانت في غالبها قبائل تدخل الإسلام بسبب الاحتكاك بالمسلمين الدعاة من التجار وغيرهم من المهاجرين، ويستمر لها ملكها وحكمها على إقليمها وناحيتها ثم تتكون الدولة بعد فلا تستغني عن الجهاد..

فالحق أن الجهاد هو قوام عز وتمكين واستمرار الدولة المسلمة.

وعلى كل حالٍ.. لا مشاحة، ولا يلزم الخلاف في ذلك، ولا أراه مما ينبني عليه شيء مهم من العمل؛ لأن الواجب النظر في الأدلة التفصيلية لمعرفة الأحكام الشرعية العملية في كل مورد تكليف، والموفق مَن هداه الله وألهمه رشده، وما النصر إلا من عند الله.

---

(١) جامع البيان للطبري (١٨ / ٦٤٤)، مسند أحمد (١٨٦٥) وصحح إسناده الأرنؤوط وأحمد شاكر، سنن الترمذي (٣١٧١)، سنن النسائي (٣٠٨٥) وصححه الألباني، صحيح ابن حبان (٤٧١٠).

الفقرة ٢: الكلام على كون الجهاد فرض عين وما نرى في معنى ذلك تقدم في الأجوبة السابقة، وبالله التوفيق، والخلاصة أن الجهاد واجبٌ اليوم على المسلمين جميعا لانعقاد الإجماع على أن العدوّ الكافر إذا نزل بأي ناحية من أرض المسلمين فيجب على أهل تلك الناحية دفعه؛ فإن لم يمكنهم ذلك أو قصروا ونكلوا اتسع فرض الجهاد إلى مَن يليهم ثم مَن يليهم إلى أن تحصل الكفاية، ولو عمّ فرضُ العين الأرض كلها.

والعدو الآن نازل بالعقر.. وأجزاء متفرقة كبيرة من بلاد الإسلام محتلة من قبل العدو الكافر منذ أزمانٍ..! والمرتدون يحكمون معظم بلاد الإسلام.! فالجهاد فرض عين على المسلمين بمقتضى هذا الدليل لا إشكال فيه.

ولأن الجهاد الآن ليس مجرد معركة محدودة تنتهي وتنحسم بأن ينفر الناس لأيام فيدفعوا العدوّ ويرتاحون بعدها!! بل هو (الجهاد) عمل متكامل طويل النفس مستمرٌ إلى ما شاء الله حتى يحصل تخليص سائر بلاد الإسلام والأسارى، وهو محتاج بالضرورة إلى المال والدعوة والإعلام وسائر الخدمات المساعدة، فلا بد أيضًا من أن يتفرّغ بعض المسلمين لهذه الأعمال..!

من أجل ذلك قلنا: إن الواجبَ على كل مسلم السعي في هذا الجهاد وبذل المستطاع بحسب حاله وما يناسبه وما يُطلبُ منه وما يتاح له في وقته ومكانه وفرصته.

وقلنا إن هذا هو معنى قولنا: الحق بالقافلة، والله المستعان.

فأما نفير الأمة كلها؛ أي للجهاد بالنفس واليد في ساحات القتال، فهذا غير ممكن وهو مما تحيلُه العادة والله أعلم، وليس مما يُحتاج إليه، ولا لنفير أكثرها، لكن القدر الكافي منها.

وما دام المسلمون مقصرين والكفاية غير حاصلة لدفع العدوّ فالإثم لاحق لكل مَن قصر..!

ومَن قام بما قدَرَ عليه وبذل جهده (لحِق بالقافلة) فقد برئ وسلم إن شاء الله، والله المستعان، وبه ﷻ التوفيق.

الفقرة ٣: عبارة «لا يفتي قاعدٌ لمجاهدٍ» ليست على إطلاقها، وإنما مراد القائل لها: أن المفتي يجب أن يكون عارفًا بواقع ما يفتي فيه ومَن يفتي لهم؛ فمن لم يكن عارفًا بالجهاد مجربًا له أو كالمجرب له بقربه منه ومن أهله وبمتابعته لشؤونه وحسن العلاقة به، فلا يستطيع أن يفتي في أمور الجهاد، وإذا فعل فسيخطئ كثيرًا ولن يوثق به.!

ولهذا قال شيخ الإسلام: «والواجب أن يُعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم



ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا»[١] اهـ..

وقد يقصد بعض الناس بالعبارة المذكورة أن يقولوا: إن القاعد عن الجهاد قعودًا غيرَ معذورٍ فيه؛ كالمتخلفين القاعدين عن الجهاد الواجب المتعين عليهم، وكالمثبطين عن الجهاد والمرجفين والمخذلين من أهل الدعة والقعود والراحة وحب السلامة، ومن المنافقين العليمي اللسان وأشباههم لا يفتون للمجاهد في سبيل الله، ولا يُسمع لهم قولٌ في مسائل الجهاد، وهذا حق بلا شك.!

وإذا كان العالِـمُ معذورًا في قعوده وهو من أهل الخير والصلاح والنصح للمسلمين؛ فلا يشمله ذلك، وله أن يفتي ويتكلم بما يريه الله، بشرط أن يكون عارفا بأحوال الجهاد والمجاهدين كما قلنا في أول الكلام، والله أعلم.

الفقرة ٤: مناشدة الدكتور «أيمن» حَفِظَهُ اللهُ للجيش الباكستاني بأن يثوروا على «برويز مشرف».. سياسة جيدة وحكيمة فيما نرى والله أعلم، ولا يلزم منها أنه يرى هؤلاء العساكر (جيش الدولة الباكستانية) أناسًا أخيارًا ولا غير ذلك، ولكنها عملٌ سياسي مشروع، حتى لو كان المخاطَبين كفارًا.

وفائدته: التخذيل بين فئات العدو جنوده وقيادته، وتحريك واستنهاض بعض مَن بقي فيهم خيرٌ من أفراد الجيش، وإظهار الاهتمام بهم والرحمة لما هم فيه من استضعاف (وإن لم يكونوا معذورين بسببه، فليس هذا الاستضعاف عذرا لهم فيما هو واقعون فيه من فسوقٍ أو كفرٍ)، وكل ذلك مقرون بالعمل العسكري الجهادي في الميدان، فهي خطوط متوازية.

وأقل فائدته: كسر شوكة الأعداء في حربنا وتوهين عزائمهم وانقماعهم داخليا ونفسيا بأن يلتفتوا إلى هذا الأمر ويتفكروا فيه ويتأملوا -بعضهم على الأقل- فيحدث ذلك في نفوسهم كرها متزايدًا لقيادتهم الخبيثة الحقيرة الفاسدة، ونفورا منها.!

كما أن فيه فائدة من جهة جمهور الأمة، وخصوصًا الشعب الباكستاني حيث يعلمون أن المجاهدين حاولوا وبذلوا النصح وأعذروا إلى أولئك العساكر ولم يتركوا سبيلا إلى دعوتهم إلا سلكوه، وهذا مهم، والله أعلم.

وبالجملة.. فهذا مما يدخل في السياسة الشرعية التي مبناها على عدم مخالفة الشريعة.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٩).

〚النصيحة لمن يتهيأ للجهاد ولم تتيسر له الفرصة، ونصيحة أمنية للإخوة في الدعوة، ومع العلماء〛

❁ (٤) نريد من فضيلتك أن تنصح الإخوة الذين يستعدون الى الجهاد ولم تأت الفرصة لخروجهم إلى الجهاد؛ ما دورهم الآن؟ وما الإعداد الذى يناسبهم؟.

(٧) هل لديك من نصائح أمنية للإخوة الذين يدعون إلى الجهاد وهم في بلادنا الإسلامية؟ وكيف يتعاملوا مع العلماء المتخاذلين الذين يثبطون المسلمين عن الجهاد؟ نرجو الاستفاضة..

[السائل: شسيبل]

الجواب:

أخي الكريم.. تقدم في أكثر من جواب من هذه الأجوبة نصائح للإخوة الذين لم تحن لهم بعد فرصة اللحاق بساحات الجهاد، وكذلك تكلمنا على بعض النصائح الأمنية، فلعلك تراجع ما ذكرناه في محور الجزائر، وفي محور «الإعلام» مثلا، نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

وبخصوص النصائح الأمنية للشباب في بلداننا المحكومة بأنظمة طاغوتية بوليسية.. فعليك بقراءة ما كتبه الكثير من الإخوة المتخصصين في هذا الجانب، وهو منشور على الشبكة(1).

وأهم شيء: أن يتحلى الشاب بالجِدّ والشعور بالمسؤولية ومعرفة حجم القضية وأنه هو (الشاب المسلم) شيء عزيز ثمين، ومعرفة عدوّه أيضًا، وعدم التهاون، ويستعمل الحذر والاحتياط والأخذ بالأسباب، ومن أهمها: الكتمان للمعلومات؛ فالمعلومة على قدر الحاجة بل الضرورة، كل ذلك مع التوكل على الله واللجوء إليه والاستعانة به، فلا يخاف إلا من الله، ولا يقعده خوف عدوه عن العمل بطاعة الله، لكن مع التلطف والتفطن والأخذ بالأسباب التي شرعها الله ودلت عليها دلائل الشرع والعقل والحسّ للوصول إلى المطلوب، ويجتنب التسرع والاستعجال والدخول فيما لا يعنيه مما يمكن أن يفسد عليه شأنه، ويتفقه في الدين وما يمكن أن يترخص فيه من أمور، وما لا، وما يقدم وما يؤخر (الأولويات)، وفي المجتمعات البوليسية على الشاب أن ينتبه إلى علاقاته الاجتماعية والعادية؛ فلا يكثر من العلاقات ومن التعرّف والارتباط بأي شخص، بل يستعمل الاحتراس من الناس عموما، لكثرة الفساد والشر، نسأل الله العافية، ويجب قبل ذلك كله أن يتحلى بالصدق والإخلاص والكون مع الله

---

(١) انظر في هذا الباب: الموسوعة الأمنية؛ لأبي زبيدة الفلسطيني، حرب العقول.. أبعدا وخفايا عالم المخابرات والتجسس؛ لعبد الله بن محمد، برنامج صناعة الإرهاب؛ لعبد الله العدم.



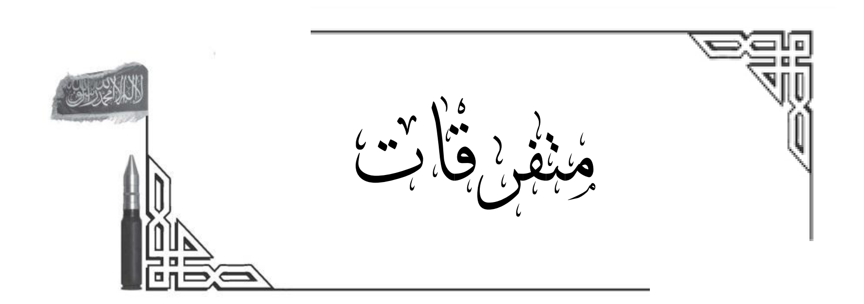
تعالى وحيث أحب الله في كل حركة وسكنة.. والله هو وليّ التوفيق.

وأما التعامل مع علماء السوء المخذلين والمثبطين، فقد تقدم فيه ما يكفي إن شاء الله في محور «العلم والعلماء» من هذه الأجوبة، وأحسن ما ننصح به الشاب من شبابنا هو: دعهم وشأنهم ولا تشتغل بهم، ولا يضرونك، وامضِ في أمرك وانفذ على رسلك ولا تلتفت، ولا تظلمهم أيضا ولا تعتدي عليهم فـ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾[الأنعام]، فقد يكون في الإنسان خيرٌ وشر، والمسلمُ لا يعدَم خيرًا، وقد يجتمع فيه إيمان وفسق؛ فلا تتجاوز الحدّ في الحكم على أحدٍ، ولا تقتحم ما لا تعرفه ولا تحسنه ولا تقدر على الخوض فيه، بل دعه للعلماء والمشايخ المجاهدين الذين تثق فيهم، وقل: لا أدري؛ فإذا التزمت ذلك أخي الشاب رجونا لك التوفيق والإعانة من المولى الكريم، فأبشر بالخير والتسديد والفتح المبين، والله مولاك.

ونسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق والهدى والسداد، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الجمعة غرة شعبان ١٤٢٧هـ

الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦م



〚القول في «الجامع لطلب العلم»، والشيخ «عبد القادر»، وكتب الشيخ «أبي محمد المقدسي»〛

❁ هل قرأت كتاب «الجامع في طلب العلم» و«العمدة في إعداد العدة»؟، وهل التقيت مع الشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز»؟ فإن كنت قد التقيته فهلا حدثتنا عنه؟ وهل قرأت كتب الشيخ «أبي محمد المقدسي» مثل: «ملة ابراهيم» وغيرها؟

[السائل: محب الرسول**]**

الجواب:

الحمد لله رب العالمين.. نعم قرأت كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف»، وكتاب «العمدة في إعداد العدة للجهاد»، والتقيت عدة مرات بمؤلفهما الشيخ الفاضل: «عبد القادر بن عبد العزيز»، الذي كان معروفا في ساحة «بيشاور» بـ«الدكتور فضل»، نسأل الله أن يفرج عنه ويفك أسره ويربط على قلبه وينزل عليه الثبات وينصره على القوم الظالمين أعداء الله المعتدين.

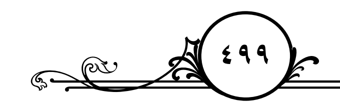
ولقائي بالشيخ كان كلقاء سائر الإخوة، لم يكن بيني وبينه علاقة خاصة، ولم أخالطه بحيث أحدثك عنه شيئا ذا قيمة يذكر، لكن كل من رأى الشيخ وعرفه رأى فيه شخصية وقوة يبدو عليه الجد والحزم، نسأل الله أن يبارك فيه.

ونعم قرأت كتاب «ملة إبراهيم» للشيخ «أبي محمد المقدسي» فرج الله عنه، وقرأت بعض رسائله الأخرى.

❁ ❁ ❁

〚ذكر الشيخ «أبي مصعب السوري»، ولقاء الشيخ به〛

❁ ذكرتم من قبل في مقال سابق أنكم التقيتم الشيخ الأسير «أبي مصعب السوري» فك الله أسره، وتعلمون أنه الآن معتقل لدى القوات الأمريكية؛ فهل يمكن أن



تحدّثونا عن الشيخ بما يمكن خصوصًا وأن كثيرًا من الناس ليس لديهم معرفة بالشيخ..

[السائل: صدى الجهاد]

الجواب:

الأخ الأستاذ «أبو مصعب السوري» فك الله أسره وفرج كربه، من الدعاة والمجاهدين الذين نحسبهم على خير، وممن كانت لهم جهود وإسهامات طيبة في إثراء الفكر والثقافة الجهادية، وفي ترشيد المنهج، وفي عموم الدعوة إلى الله تعالى، وهو كاتب متميز صاحب قدرات ومواهب، واسع الاطلاع والمعرفة، يحسن التحدث في الفكر والسياسة والاجتماع والتربية والتاريخ، باحثا وناقدًا، جليسه لا يعدم فائدة وحكمة، صاحب غيرة على الدين وحرقة وصدق، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا..

خالطته وكانت بيني وبينه صداقة في فترة عيشنا في ظل «الإمارة الإسلامية في أفغانستان»، وهي الفترة التي تعرفت عليه فيها عن قرب؛ لأننا أيام الجهاد قديما كنا نعرفه ونراه كسائر الناس وكنا صغارًا وكان هو من الجيل الأكبر منا؛ فلم يكن بيننا وبينه علاقة خاصة ساعتها، لكن في فترة «طالبان» التقى الجيلان.! ولمست منه طيبة القلب وحسن الأخلاق وحسن العشرة بارك الله فيه، ومَن خالطه اجتماعيا عرف ذلك، وبالجملة ما رأيت منه إلا الخير.

ومما يتميز به الهمة العالية والقوة والنشاط وكثرة البذل والعطاء والحرقة.

على مستوى الفكر والاختيارات المنهجية: كان للشيخ «أبي مصعب السوري» بعض الاختيارات لم يكن مُوَافَقا عليها من قبل الكثير من الإخوة، وهي محل اجتهاد على كل حال، وكان يبدي شدة في بعض المسائل غيرة على الدين والجهاد، مثل شدة مواقفه من أهل العلم المقصرين، وشدة على المخالفين عموما.

وهو من النوع أصحاب القدرات والمواهب المميزة، والأفذاذ في بابهم، فكانت شخصيته أحيانا تميل إلى الانفراد، لكنه في كل ذلك مجتهد مريد للخير نحسبه كذلك.

كما أنه من السابقين إلى الجهاد والبذل، نسأل الله أن يتقبل منه..

ونسأل الله تعالى أن يفرج عنه وينصره على من بغى عليه من القوم الكافرين والظالمين.. آمين.

❋ ❋ ❋

〚ذكر الشيخ «أحمد سعيد خضر»〛

❁ هل قابلت الشيخ «أحمد سعيد خضر» طوال بقائك في أفغانستان؟

[السائل: unidentified**]**

الجواب:

الأخ الشيخ «أحمد سعيد خضر» المعروف بـ«أبي عبد الرحمن الكندي» قابلته أيام الجهاد، وعرفته عندما جاء إلى «بيشاور» وأسس «المركز الإسلامي» هناك، لكن أيضا هي معرفة عادية كسائر الناس، ثم رأيته مرارا أيضا أيام «الإمارة الإسلامية»، ولم يكن بيني وبينه علاقة خاصة.

نسأل الله تعالى أن يتقبله في الشهداء.. آمين.

❁ ❁ ❁

〚مواقف.. مع الشيخ الإمام «أسامة بن لادن» ﷺ، والشيخ «أيمن الظواهري»، والشيخ «أبي مصعب الزرقاوي» في أرض الجهاد〛

❁ نريد منك أن تحكي لنا مواقف حصلت معك في أرض الجهاد، ومع رموز الجهاد كالشيخ «أسامة» والشيخ «أيمن» والشيخ «أبي مصعب».

[السائل: لويس الحريري**]**

الجواب:

الحمد لله.. نسأل الله أن يسترنا وإياكم جميعا في الدنيا والآخرة.

المواقف في أرض الجهاد كثيرة ومتعددة؛ فإن ساحات الجهاد العيشة فيها عيشة طيبة، وحياة كريمة.. حياة عز وقرب من الله تعالى وتآخٍ بين المجاهدين، وإيثار، وعبادة، وذكر لله واليوم الآخر، وتجافٍ عن دار الغرور، واستهانة بها واحتقار لها، وتعزف عن سفاسفها؛ حياة فيها الصدق والبساطة، ينتظر فيها الإنسان دائما رصاصة أو شظية تطوف عليه بإذن الله فتنقله إلى الدار الآخرة! إنها حياة مختلفة حقا.! والمواقف كثيرة..

في الجهاد رأينا أصناف الناس وأنواعهم وأشكالهم وألوان النفوس في الخير والشر.

ورأينا العُبّاد والزهّاد والأبطال الشجعان أهل الإقدام، والمؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وأهل الصبر واليقين..!

تفرغنا مرة لمدة لدراسة النحو عند شيخ عربي دكتور في اللغة العربية يدرس في إحدى جامعات باكستان، أنا وزميلٍ لي ذكره الله بالخير و حَفِظَهُ اللهُ، وكان هذا الدكتور رجلا صالحا من أهل الخير ويخالط «جماعة التبليغ» ويتأثر بهم، وكان محبًا للجهاد، كنا ندرس عليه «قطر الندى» لابن هشام، فسألنا مرة: هل رأيتم بعض الكرامات في الجهاد؟ فأجابه صاحبي: أعظم كرامة رأيتها: فتيةٌ في ريعان الشباب وفي زهرة العمر يتسابقون إلى الموت في سبيل الله.! فرأيت هذا الأستاذ تأثر بتلك الكلمة جدًا؛ وصدق صاحبنا والله.. هذه من أظهر الكرامات.

فيما يتعلق بالمواقف مع بعض المشايخ المذكورين، نسأل الله تعالى أن يتقبل مَن قتل منهم، وأن يحفظ الأحياء ويبارك فيهم ويرزقهم الهدى والسداد ويجري الحكمة في أقوالهم وأفعالهم.. آمين.

فأما أبو مصعب رحمه الله تعالى فكان الأخ الحبيب، الوفيّ الشفيق، صاحب الخلق الرفيع، والحياء، والتواضع، والهمة العالية، كنت أظن أنني من أحب الناس إليه، أو هكذا كان يخيل إليّ من فرط اهتمامه بصاحبه ونصحه له، كان يستشيرني ويسألني ويستمع جيدًا كالتلميذ المتعلم وهو في بعض ما يسألني عنه أعرف مني، سألني كثيرا عن تجربة «الجزائر» وغيرها، وكان ابنه «محمد» يدرس عندنا في «المدرسة العربية الكابلية»، فكان كلما لقيني يسألني عن ابنه، ولم أكن أنا معلّمه لكن كنت من طاقم التدريس في المدرسة وكان الولد يدرس في الصف مع ولديّ، فكنت أحدثه عنه، فيقول لي: «شُغلنا والله عنهم» ويتأسف لعدم وجدانه الفرصة للاهتمام به بشكل أكثر، فكنت أقول له: إن شاء الله نحن نجتهد في سد هذا الثغر لكم؛ فكان يدعو كثيرا ويفرح.

وكان رحمه الله كثيرَ الإهداء سخيّ اليدِ.. الشيء الذي في يده ليس له، كما يُقال.!

وإذا لقي أي أحدٍ من إخوانه بعد فراق فلا تسأل عن البِشْر والبشاشة والسؤال عن الأحوال والتفقد والمواساة، وإظهار الفرح به والاهتمام.

وأما الدكتور «أيمن» حَفِظَهُ اللهُ: فكنت كلما رأيته تأثرت به، وكنا نحب سؤاله والاستفادة منه وطرح المواضيع عليه، ونتأثر بوقاره وحيائه وحكمته وفقه الله وسدده، ولا أذكر موقفا معينا معه أحكيه لكم الآن.

وأما الشيخ «أسامة» حَفِظَهُ اللهُ **ورعاه ونصره**.. فقد كنا نتأثر كثيرا بأخلاقه وحلمه وتواضعه وحكمته؛ زرته مرة مع بعض إخواني أيام «بيشاور» بعد سقوط كابل وبدء الفتنة بين الأحزاب وقد علمنا أن الشيخ قرر الذهاب إلى «السودان»، فرأيت عند باب بيته رجلا عربيا كان شديدا عنيفا وكان يشتم ويتكلم بكلام خارج عن الأدب، وكان الحراس يصدونه وهو في شبه صراع معهم، وكان يطلبُ

مالا ويقول مخاطبا الشيخ، والشيخ في الداخل لا أدري هل كان يسمعه أو لا؟، لكن الكلام كله بلغه عن طريق الإخوة الحراس، وعلمت أن هذا الشخص ليس هذه أول مرة يفعلها وقد أعطي مالا من قبل ليستعين به على السفر لكنه يطلب المزيد، كان يقول: هذا المال ليس مالك ولا مال أبيك.. ونحو ذلك من الكلام، ونحن كنا قادمين فرأينا الموقف، ثم دخلنا على الشيخ فرأيت بعض الإخوة من المقربين إلى الشيخ من إخوة «القاعدة» يقولون له: هذا الشخص مجرم ولا يستحق شيئا ولا تعطه يا شيخ شيئا ونحو ذلك، وذكروا له في أثناء الكلام أشياء أخرى يقولون: فلان أخذ السيارة أو السيارات في المنطقة الفلانية وفلان أخذ كذا، يريدون من الشيخ أن يأمر باسترداد هذه الأشياء منهم لأنها ملك للقاعدة أو للشيخ نفسه، فكان الشيخ يبتسم لهؤلاء الإخوة من أصحابه ويهدئهم ويقول: «إذا جيت رايح كثر الملايح»[1]، فما زلت أذكر تلك الكلمة والموقف منه..

والمواقف مع الشيخ مثل هذه كثيرة.

وكثيرا ما كان يوصي بالحلم والرفق وخاصة للأمراء، ويقول: «لا يسود الناسَ مَن قلَّ حِلمُه».

وفي أيام «الإمارة الإسلامية» زرته مرة في «قندهار» وأخذت معي مسوّدة الكتاب الذي كتبته عن «الجزائر» لأعرضه عليه وأستشيره فيه، ولم يكن كاملا ساعتها ولكن الذي عرضته عليه كان أزيد قليلا من نصفه (كنت طبعته على ورق وجعلته ملفا) فأخذه مني؛ فقلت في نفسي: لا أظن الشيخ سيفرغ لقراءته لكثرة انشغالاته، وكنتُ مكثت في «قندهار» حوالي أسبوع، وقبل الرجوع إلى كابل أتيته فأحضر لي الملف وقال: إنه قرأه كاملا وأثنى عليه، وأوصاني بعدم الاستعجال في نشره إلى بضعة أشهر وأن أقرأه عدة مرات قبل ذلك حتى أنقّحه جيدا، وتثبت الأفكار بعد طول المراجعة والتمحيص.

وكتب على الحاشية بضع ملحوظات أذكر منها:

أنني حينما تكلمت عن أهل الجزائر وأقاليمهم ومناطقهم وَصفتُ بعضهم بالكرم والجود وأثنيت عليهم بما رأيت من ذلك وحكيت مواقف، ثم ذكرت أناسًا آخرين أهل مناطق أخرى فذكرت فيهم البخل، فقال لي الشيخ: اذكر أهل الخير بأسمائهم ونوّه بهم، وأما أهل السوء فلا تذكرهم بأسمائهم بل أبهمهم؛ فإن ذكرهم بأسمائهم وأسماء مناطقهم يحزنهم، ولعله يحصل الغلط أيضا في ذلك فتظلم بعضهم، أو كما قال.. فتأملت نصيحته واستفدت منها كثيرا.

فهذه بعض المواقف مما أذكره، نسأل الله أن ينفع بها، وأن يغفر لنا ولكم ويعفو عنا.

---

(١) هذا مثال عامي، يقصد بِهِ الشيخ ﷺ: يا من سيرحل يوما؛ أكثر فعل المليح -أي الأشياء الحسنة- في إثرك؛ حتى يبقى ذكرك بالخير.



اللّهم ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك غفورٌ رحيم.. آمين.

❋ ❋ ❋

〚القول في الشيخ المجاهد «أبي عبد الله المهاجر المصري»، وفي «الجماعة المغربية المقاتلة»〛

❁ هناك شخصية عظيمة يعتبر من كبار المنظرين للتيار الجهادي ومن المؤثرين في حياة الشيخ «أبي مصعب الزرقاوي»؛ ألا وهو الشيخ المجاهد والعالم المهاجر «أبو عبد الله المهاجر المصري».. فهلا أتحفتمونا بشيء من سيرته؟ وهل هو على قيد الحياة؟ أم استشهد في أخدود ١١ أيلول؟ وهل بحوزتكم دورته الشرعية الرائعة في توحيد الحاكمية وهي مكونة من ٤٤ شريطًا لأن كثيراً من الأخوة يسألون عنها؟.

السؤال الثاني: تنظيم الجماعة المغربية المقاتلة.. هل هو موجود على الساحة أم هو دعاية من طرف الاستخبارات المغربية لضرب الصحوة بالمغرب.

[السائل: albattar almuhajir**]**

الجواب:

جزاك الله خيرا أخي الكريم.

الأخ الشيخ «أبو عبد الله المهاجر المصري» على حدّ علمي حيّ لا بأس عليه والحمد لله، وأخبرني بعض الإخوة الأحباب قبل مدة أنه كان على اتصال به، فنسأل الله أن يحفظه وسائر إخواننا ويبارك فيهم ويفرج كروب المسلمين جميعا.. آمين.

والشيخ «أبو عبد الله المهاجر» نعم كان له تأثير في فترة ما على الشيخ «أبي مصعب» وإخوانه من خلال أنه استعان به الشيخ «أبو مصعب» في إعطاء دورة شرعية مصغرة في معسكره في هِرات، وذكر الشيخ «أبو مصعب» في أحد أشرطته أنه كان يرى عدم جواز العمليات الاستشهادية في السابق حتى اقتنع بشرعيتها بعد مناقشات الشيخ «المهاجر».

ولكن أتحفظ على قولك في السؤال: «من كبار المنظرين للتيار الجهادي»؛ فأرى أن نتعلم الاقتصاد في العبارة فهو من الآداب المهمة التي ينبغي لطالب العلم وللداعية إلى الله أن يُحلّي نفسه بها، لأنها أقرب إلى صدق اللهجة، وتوقي العثرة، وأقسط عند الله وعند الناس، والله أعلم.

وليس عندي أشرطة «دورة الحاكمية» التي سألتم عنها.

وأما الجماعة المغربية فبحسب ما أعرف أن اسمها كان «الجماعة الإسلامية المجاهدة» وهي جماعة حقيقية، عرفناها في «كابل» أيام «الإمارة الإسلامية»، وعرفنا الإخوة القيادات فيها مثل: «أبي عبد الله أبي معاذ» و«الحاج» و«محمود» و«سالم» وغيرهم، وبعض هؤلاء الإخوة قتلوا في الحملة الصليبية نسأل الله تعالى أن يتقبلهم في الشهداء، وبعضهم انسحب وخرج حيا، ثم بلغني أن بعضهم أسر في بلادٍ أخرى وسلم إلى بلاده وبعضهم سجِنوا بعد رجوعهم إلى المغرب.

نسأل الله تعالى أن يفرج عنهم جميعا وينصرهم على القوم الكافرين.. آمين.

وشهادةً لله تعالى أني رأيت في هؤلاء الإخوة خيرا كثيرا وعرفت فيهم صلاحًا وحسنَ فهم وتفقه في الدين.. فالله المسؤول أن يجمع شمل الأحياء منهم على الخير ويرزقنا وإياهم الهدى والسداد والتوفيق، وأن يجمع الجميع غدًا في دار كرامته إخوانا على سرر متقابلين.. آمين.

❁ ❁ ❁

[سبب قلة مقالات الشيخ «عطية الله» رحمه الله]

❁ ما هو سبب قلة مقالاتك؟ ونحن بحاجة إليها..

[السائل: النصر الثاقب**]**

الجواب:

بارك الله فيك وحياك الله أخي الكريم.

نسأل الله أن يعيننا وإياكم على الخير، وقلة المقالات لعلها إن شاء الله ليست مشكلة، المهم أكثر منها الذي نسأله الله تعالى دائما هو التوفيق والسداد وصلاح العمل وإخلاصه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحقيقة في المدة الماضية كنت أشارك في «منتدى أنا المسلم» وبعض المنتديات الأخرى، وكانت فترة كنت فيها أقل أشغالا فكنت أتابع وأكتب، وفي المدة الأخيرة حصلت لي انشغالات وظروف اجتماعية وغيرها وابتعدت عن الكتابة، وأيضا ابتعدت قليلا عن المنتديات للاحتياط الأمني.

نسأل الله أن يحفظنا وإياكم من كل مكروه، وأن يكفينا شر كل ذي شر.. آمين.

وجزاكم الله خيرا.

❁ ❁ ❁



[دراسة الشيخ «عطية الله» في شنقيط]

❁ لو تكرمت يا شيخ، وحدثتنا قليلا عن دراستك الشرعية في شنقيط..

[السائل: كلمة حق في وجه العدو**]**

الجواب:

الدراسة في «موريتانيا» -التي يسميها المشارقة «بلاد شنقيط»- كانت دراسة حرة على المشايخ في «المحاضر» -جمع مَحْضرة، وهي التي تسمى في بعض بلاد المغرب العربي الأخرى بالزاوية، وتسمّى في السودان بالخلوة، وهي مدرسة أهلية يقيمها عادة شيخ معروفٌ يضرب الناس إليه أكباد الإبل أو تقيمها جهة أخرى ويدرّس فيها المشايخ، ويكون فيها في العادة مكان لإقامة الطلبة القادمين من بعيد- أو المساجد أو في البيوت، وكنت أنا من ضمن مجموعة من الإخوة الطلبة ممن توجهوا لطلب العلم بعد فترة الجهاد الأفغاني، والتقينا هناك ببعض الإخوة القادمين من بلدان المغرب العربي ولا سيما من الجزائر وليبيا، فكنا نعيش في مجموعات نتعاون على المعيشة وتأجير السكن، ونذهب إلى الشيوخ كما ذكرت.

وفي بعض الأحيان ذهبنا إلى مدن بعيدة عن العاصمة «نواكشوط» من القرى والنجوع طلبا لشيخٍ معين كما حصل معي وبعض إخواني في ذهابنا إلى الشيخ «أحمد ولد المختار بن إبراهيم بن يعقوب الجكني» صاحب كتاب «مواهب الجليل من أدلة خليل»، وإلى الشيخ «عبد الله ولد الإمام الجكني»، في قرية «قيرو» في ولاية «كيفا»، وهكذا بقية إخواننا الطلبة أكثرهم رحل إلى شيخ هنا أو شيوخ هناك.

وبالنسبة لي لم تطل مدتي هناك للأسف بسبب بعض الظروف الأمنية؛ فقد طردنا طردًا من البلاد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والذي درستُه هناك كان أكثره في اللغة والفقه والأصول؛ فبدأنا بألفية ابن مالك وبعض متون اللغة الأخرى وبعض الشعر، وثنينا بالفقه والأصول فقرأت شيئا من «مراقي السعود» ولم أكمله للأسف على المشايخ، وقرأت في الفقه أزيد من نصف كتاب «كفاف المبتدي من فني العادات والتعبد»، مع تحصيلات أخرى متنوعة، والحمد لله رب العالمين.

والغالب كان أن الفن الواحد ندرسه على أكثر من شيخ، وهذه هي طريقتهم هناك، لا يلتزم الطالب غالبا بشيخ واحدٍ لقراءة الكتاب، بل أي شيخ اتفق له يدرس عليه درسه اليوميّ.

وكانت فرصة للالتقاء بكثير من مشايخ العلم المبرّزين والعلماء الكبار والاستفادة منهم

ومذاكرتهم، والحمد لله رب العالمين.

فهذه هي الدراسة شبه الرسمية في موريتانيا، وأما أكثر ما حصلناه في الحقيقة قبلها وبعدها فهو من التحصيل الشخصي بمطالعة الكتب مع مراجعة أهل العلم حسبما تيسر، والله المستعان.

ونسأل الله أن يجبر كسرنا ويرحم ضعفنا ويعفو عنا، ويمن علينا وعليكم بالعلم النافع والتوفيق للعمل الصالح.. آمين.

❋ ❋ ❋

〖هل يجاهد الشيخ «عطية الله»؟!، وذكر ما بينه وبين الشيخ الزرقاوي ﵀〗

۞ هل حضرتك الآن تجاهد أم لا؟، هل عند فضيلتك مآخذ على شيخنا أبي مصعب الزرقاوي؟ وما تعليقك على رده على فضيلتك؟

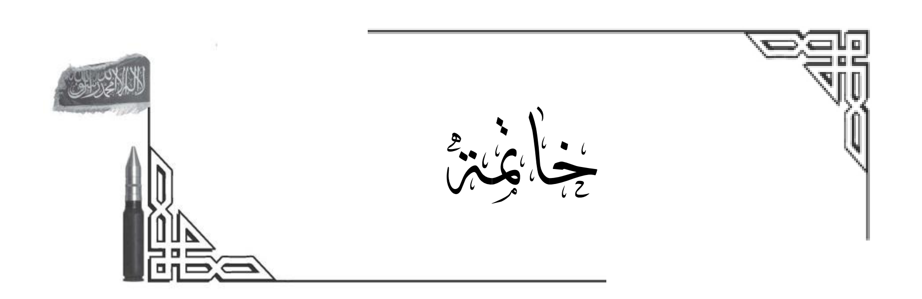
[السائل: شسيبل]

الجواب:

أخي الكريم؛ أنا الآن قاعدٌ في بيتي ولستُ أجاهد، نسأل الله تعالى أن يغفر لنا ويسترنا وإياكم في الدنيا والآخرة وأن يمنّ علينا بالتوفيق والتيسير للجهاد في سبيله، وأن يختم لنا ولكم بالشهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين صادقين مخلصين حنفاء.. آمين يا رب العالمين.

وأما ما يتعلق بالشيخ أبي مصعب ﵀.. فتقدم الإجابة على نحو هذا السؤال، في موضعين من هذه الأجوبة على الأقل، وليس عندي على أبي مصعب إلا ما يكون من الآراء التي يختلف فيها نظر الأحباب.

وأما بخصوص ما عبرتَ عنه بـ «رده عليّ» فلعلك تقصد الكلمة التي ذكرني فيها ونشرت على النت، فهذه علقتُ عليها في حينها، وفرحتُ أنها بلغته لأنها من النصح الذي نرجو برّه، وفرحتُ بتواضعه ورسوخ أخلاقه ووفائه كما عهدته، فنسأل الله أن يرحمه ويرفع درجته في المهديين، وأن يغفر لنا تقصيرنا، ويفرج كروبنا، ويصلح أحوالنا.. آمين.



نسأل الله تعالى لنا ولكم حسن الختام..

إخواني الأحباب، وفقنا الله وإياكم لكل خير:

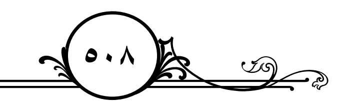
نحمد الله تعالى ونشكره على أن يسر لنا هذا اللقاء نتدارس فيه مسائل ديننا ونتناصح فيه ونتواصى بالحق وبالصبر، راجين من المولى الرحيم ﷻ أن يدخلنا بمنه وكرمه فيمن استثناهم من الخسران في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾[العصر]، وأن يجعلنا من الذين قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)﴾ [الزمر].

واعلموا -وفقني الله وإياكم لكل خير- أنني ترددتُ كثيرًا في قبول هذا اللقاء حينما عرض عليّ أولا، ثم ترددت في الإجابة على كثير من الأسئلة، ثم بعد تقليب الفكر والتأمل، وبعد الاستشارة والاستخارة.. رأيت الإقدام ترجيحا لداعي الحاجة الملحة لإخواننا وشبابنا من أحباب الجهاد وأنصاره، بارك الله فيهم وسددنا الله وإياهم جميعا، في مدارسة هذه المسائل التي قل أن يجدوا من أهل العلم من يدارسهم إياها، وأن السكوت ممن أعطاه الله محبة إخوانه وثقتهم مفسدته أكثر، وإلا فوالله ما كان شيء هنا أحب إليّ من أن يكفينا العلماءُ الكبارُ المتبحرون هذه المسائل، والله المستعان.

وإني أقول لإخواني: هذا جهدي واجتهادي، ولم آلُ جهدًا في النصح لكم، فما كان من حق وصوابٍ فمن الله الكريم وحده وبتوفيقه وإمداده، وما كان من خطأ وخلاف الحق، فهو من نفسي ومن الشيطان، وأنا بريء من كل ما خالف الحق في حياتي وبعد مماتي، وحسبي الله ونعم الوكيل.

وأحب أن أذكر بالقواعد التي أشرت إليها في مقدمة هذا اللقاء، وهي:

الأولى: ينبغي قطع الطمع عن الوصول إلى اليقين في كل مسألة، أعني مسائل الخلاف والاجتهاد، فإن الكثير من مسائل الدين -بل أكثرها- مبنيّ على غلبة الظن، وعلى الاجتهاد، وسبيل المعرفة به



الاستدلال؛ فمَن يحاول -في كل مسألة، أو أكثر المسائل- الوصول إلى قطعٍ ويقين أو يتوهّم أنه يمكنه أن يستولي على علم كل الدقائق ولا يكون عنده مجال لأي تردد؛ فهو مخطئ، وسيتعب كثيرا.. وأخطر ما في الأمر أنه يُخشى عليه الفتنة والضلال.! وسيأتي مزيد إيضاح لهذا الأمر في مناسباته إن شاء الله.

الثانية: وهي مكملة للأولى، وهي وجوب التفريق بين المسائل، وإنزال كل مسألة منزلتها، بالقسط، وإعطائها درجتها من حيث قوة الحكم وثبوته ووضوحه، وفي كل ما ينبني على ذلك.

الثالثة: لزوم التفقه في باب: فقه الخلاف وآدابه.

الرابعة: الاشتغال بما ينبني عليه العمل، وترك ما سواه.

الخامسة: معرفة فقه الأولويات، وقدِّم الأهم..!

السادسة: أهمية معرفة التجارب والعبر والتاريخ وفقه الاستفادة منها، ومعرفة حدود ذلك وآدابه.

وإن كان من نصيحة أخرى قبل الختام فأقول:

إن كثيرًا من المسائل التي يكثر سؤال إخواننا عنها ومنها مسائل التكفير وغيرها.. ترجع في إصدار الحكم فيها إلى نظر الحاكم فيها مفتيًا كان أو قاضيًا، ولا تنحسم كثيرٌ من المسائل والقضايا إلا بذلك، كما نبهت عليه في «النقطة السادسة عشرة» عند الكلام على مسألة العذر بالجهل[1].

وهذا الأصل كثير في كلام الفقهاء، ومما وجدته من الأمثلة الآن:

ما قاله «أبو حامد الغزالي» ﵀ في «إحياء علوم الدين» في بابٍ عقده في التحرّي عند اختلاط الحلال بالحرام ونحوه، وهو: الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها؛ قال فيه: «فأما إن كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون الأكل حرامًا وإن تحقق وجوده في الحال؛ كما في مسألة اشتباه الذكية بالميتة، فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور، والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب، وإن كانت ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب، وبينهما أعداد ولو سئلت عنها لكنت لا أدري ما أقول فيها، ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل ﵀ عن رجل رمى صيدًا فوقع في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو لمالك الأرض فقال: لا أدري فروجع فيه مرات فقال: لا أدري،

(١) بعد أن ذكر الشيخ أن الجهل -المعتبر مثله شرعًا- قليلٌ جدا هذا الزمان؛ قال ﵀: «لكن مع ذلك كله يوجَد من أهل الدواخل والبوادي والأقاليم البعيدة من هم في غاية الجهل والبُعد عن العلم وأهله، ففرقٌ بين هؤلاء وأولئك، وهذه صورٌ وقضايا يرجع تقديرها إلى المفتي الناظر في المسألة، وبالله التوفيق.. ونسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من الشرك وأهله».

وكثيرًا من ذلك حكيناه عن السلف في «كتاب العلم» فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور»[(١)] اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والعلماء قد تنازعوا في تكفير أهل البدع والأهواء وتخليدهم في النار، وما من الأئمة إلا من حكي عنه في ذلك قولان؛ كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وصار بعض أتباعهم يحكي هذا النزاع في جميع أهل البدع وفي تخليدهم، حتى التزم تخليد[(٢)] كل من يعتقد أنه مبتدع بعينه، وفي هذا من الخطأ ما لا يحصى وقابله بعضهم فصار يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء وإن كانوا أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والإلحاد»[(٣)] اهـ.

وقال: «وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافرًا، فيتعارض عندهم الدليلان، وحقيقة الأمر أنهم أصابهم في ألفاظ العموم من كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع، كلما رآهم قالوا: من قال كذا فهو كافر، اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»[(٤)] اهـ.

نقله الباحث المحقق الشيخ أبو قتادة فرج الله عنه في رسالته المسمّاة «أهل القبلة والمتأولون»، ثم علق عليه بقوله: «وهذا الذي قاله الإمام ﷺ في غاية النفاسة في كشفه لتردد الأئمة في تكفير بعض الأعيان مع وجود القاعدة التي أصلوها؛ فإن القاعدة التي لديهم هو تكفيره فلما أرادوا الحكم عليه امتنعوا من ذلك حين رأوا ما فيه من صلاح ذاتي- أعمال صالحة، ذكر الله، صلاة الليل، صدقات..- وما رأوا من هم لديه ورغبةً في خدمة دين الله تعالى فوقعوا في الحيرة فعادوا على القاعدة بالتغيير، وهذا يقع مع الكثيرين وإلى يومنا هذا ولولا مخافة الإطالة لذكرت صورًا متعددة لهذا الذي قاله الإمام، وهو يبين لك كذلك أن المرء لا تحكمه القاعدة فقط في الحكم والفتيا بل لا بد من اطمئنان نفسه في الحكم على المعين، وسمي هذا التعارض بين القاعدة والواقع من تعارض الأدلة، فاهتم لهذا جدًا واعذر

---

(١) إحياء علوم الدين (٢ / ١٢٢).

(٢) في الأصل: تخليدهم، وما أثبتناه هو الصواب.

(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٦١٨، ٦١٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٨٧، ٤٨٨).

أخاك بما يرى في الحكم على المعينين ولا تراه أنت، مع التنبه أن الفتوى والأحكام هي لأهل العلم وليس للجهلة والأغمار.. والله الهادي»[١] اهـ.

ثم قال أبو قتادة أيضا: «.. ثم تبين لك الفرقان بين الزنادقة كالإسماعيلية والقرامطة والدرزية ومن شابههم في هذا العصر ممن يقولون إن القرآن «إفراز» واقعي أو إن القرآن كتاب مواعظ لا أحكام أو كتاب أدب لا كتاب هداية، أو يقولون إن أمر النبي ﷺ غير ملزم لنا بل هو ملزم لعصره فقط، أو يقولون إن حكم الله تعالى لا ينفع اليوم وليس له قيمة في إصلاح الحياة، وبين المتأولين الذين وإن قالوا ما هو كفر من المقالات، وقالوها متأولين آية أو حديثًا، أرادوا متابعة الرسول ﷺ ففاتهم المراد، فهم وإن كانوا ضلالًا وقالوا كلمة الكفر إلا أن تكفير الواحد منهم لا بد من إعمال قواعد قضائية فيه وذلك من تحقق شروط وانتفاء موانع، ثم هذا لا يعني أبدًا أن لا يكفر المتأول أبدًا فقد يغلب على نظر العالم والناظر والمفتي زندقة الواحد منهم مع قوله بعدم كفر آخر يقول بقوله وليس هذا من التعارض والاضطراب في شيء وإن بدا هذا اضطرابًا وتعارضًا عند من لا يعرف هذا الباب من العلم»[٢].

انتهى كلامه جزاه الله خيرا، وهو كلام نفيس.

وكلام الفقهاء في الإحالة على اجتهاد ونظر الحاكم والمفتي والقاضي في أبواب النفقة وفي العقوبات التعزيرية وفي كثير من الأحكام معروف مشهور.

ثم اعلموا إخواني أننا نحن أنصار الجهاد ينبغي أن نكون دعاة إلى الله تعالى في المقام الأول.. فالجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، غايته الكبرى الدعوة إلى الله تعالى، ولهذه الغاية الأساسية التي يمكن إرجاع جلّ المقاصد الأخرى إليها: شرع الجهاد، وهكذا فهمه الصحابة رضوان الله عليهم، كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه في كلمته المشهورة مخاطبا رستم قائد الفرس وجنده: «نحن قومٌ الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»[٣].

فنحن دعاة هدىً ودعاة خيرٍ ورحمة وإحسان وعدلٍ وسلامٍ حقًا.! كل ذلك على وَفق ما أمرنا ربنا

---

(١) أهل القبلة والمتأولون (ص ٢٣، حاشية ٩٣).

(٢) أهل القبلة والمتأولون (ص ٢٤، ٢٥).

(٣) تاريخ ابن كثير (٩ / ٦٢١، ٦٢٢) وقال: «رواها سيف عن شيوخه» وسيف هو ابن عمر التميمي صاحب «كتاب الردة والفتوح» وهو متروك الحديث، اتهمه جماعة بالوضع، لكن قد يُستأنس بمثل هذا الحديث خاصة مع وجود شواهد على حوادث مثله، مع الأخذ بالاعتبار أن العلماء يتسامحون في نقل الروايات التاريخية والاستفادة منها، وهذا هوا الصواب؛ في تفصيل ليس هذا محله.

وشرع لنا وأحب منا، كما بين لنا ذلك مفصّلا في كتابه العزيز وفي سنة نبيه ﷺ، وعلى ما فهمه سادات الأولياء من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، والتابعون لهم بإحسان من العلماء وقادات المسلمين ممن شهدت لهم الأمة بالصلاح والخيرية.

ولأننا دعاة إلى الله.. فإن أول مراتب الدعوة هي الدعوة بالحال والقدوة وحسن معاملة الخلق والتحلي بمحاسن الأخلاق والفضائل والآداب.

وليعلم كل واحد منا أنه يمثل الإسلام ويمثل المجاهدين والجهاد في كل منتدى ونادٍ، فإن الناس ينظرون إلى الدين وإلى الجهاد والمجاهدين من خلالنا ومن خلال أخلاقنا ومعاملتنا، وليس شيء أكثرَ تأثيرا في الناس من حسن الخلق والأدب وحسن المعاملة.

وإن الحق الذي مع الإنسان كثيرا ما يَشينه ويُلغي تأثيرَهُ سوءُ الخلق وقلة الأدب.! والذي يحمل همّ الإسلام ويشعر بالمسؤولية لا بد أن يجعل نصب عينيه دائما واجب هداية الخلق وعدم تنفيرهم، وواجب السعي في جرّهم إلى الخير والإتيان بهم إلى أبواب البرّ والصلاح.

أيها الإخوة الأحباب: إنه لا تعارض بين صدعنا بالحق وأخذنا بالعزائم ومعالي الأمور وبين التواضع لله والذلة للمؤمنين، والردّ على المخالف وبيان خطئ المخطئ.

إن هذه الأشياء كلها مطلوبة، ولله محبوبة.. فلنروّض أنفسنا على استيعابها والعمل بها جملة، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت: ٦٩].

اللّهم إنا نسألك أن تفقهنا في الدين وأن تجعلنا من عبادك الصالحين.

اللّهم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللّهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفّنا مع الأبرار.

اللّهم فرج عنا وعن أمة محمد ﷺ فرجًا عامًا قريبا.. في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، بلطفك وعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللّهم فرج عن عبيدك المؤمنين المسجونين في سجون القوم الكافرين، واربط على قلوبهم وثبّتهم وانصرهم، ويسر لهم الخير حيث كانوا.

اللّهم فرج عن عبدك المحتسب «أبي مصعب» وسائر إخوانه المسجونين يا رب العالمين.

اللّهم انصر عبادك المجاهدين في كل مكان، وخذ بأيديهم إلى الهدى والسداد، وأمدهم بمددك يا مَن لك جنود السماوات والأرض، وافتح عليهم يا فتاح يا عليم.

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رشدٍ يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف

وينهى فيه عن المنكر، برحمتك وقوتك يا أرحم الراحمين يا قوي يا متين.. آمين..

والحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرا طيبا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله ونبيّه وخليله محمد وآله وصحبه وأزواجه وذريته وإخوانه إلى يوم الدين.

عطية الله

السبت ٩ شعبان ١٤٢٧هـ

٢ سبتمبر ٢٠٠٦م

❃ ❃ ❃

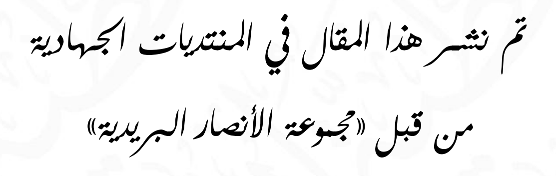







كلماتٌ.. في نصرة




تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مجموعة الأنصار البريدية»

ذو القعدة

١٤٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد: فنهنئُ إخواننا المجاهدين في العراق بانتصاراتهم وما منّ الله به عليهم من النكاية العظيمة في جيوش الصليب التي أمست تترنح آيلة للسقوط بحول الله ﷻ وقوته، وما أجرى الله على أيديهم من أسباب سرور أمتنا ونهضتها وإحياء معاني العزة والكرامة فيها؛ فجزاهم الله خيرا.

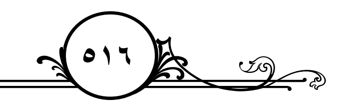
ونجدد التهنئة لهم وللمسلمين جميعا بتأسيس «دولة الإسلام في العراق»، أعزها الله وقواها وحماها وبارك فيها.

ونسأل المولى الكريم ﷻ أن يجعلها عزًا وسندًا لجميع المسلمين، ومأوى للخائفين، وملاذًا للضعفة المعوزين، وأنسًا للثكالى، وثِمالًا لليتامى وعصمةً للأراملِ.. آمين آمين.

ثم أما بعد: فإنه قد كثر تساؤل الإخوة عن بعض المسائل المتعلقة بإعلان الدولة، وأورد بعضُ الناس إيراداتٍ وتشكيكات حولها، وإخواننا المجاهدون في «دولة العراق الإسلامية»[1] -أعزهم الله ونصرهم- في شغل بجهاد أعداء الله وبالعمل في الميدان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ونصيبُ الكثيرين من غيرهم الكلامُ، ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[النساء: ٩٥].

---

(١) أُعلن في الشهر العاشر من عام ٢٠٠٦ م عن قيام «دولة العراق الإسلامية»، وقد أيدها عدد من أهل العلم والجهاد في البداية، وناصروها بلسانهم وبنانهم، وتدفق لهم المهاجرون من كل مكان؛ إحسانًا للظن بقادتها، وتلمسا للأعذار لها في جهادها، حتى قام الجهاد الشامي -الذي محص الله به الصفوف- فأُعلن بعد مدة من قيامه عن «الدولة الإسلامية في العراق والشام» افتئاتا على المجاهدين وتفريقًا لصفهم؛ فبدأ تكشف أوراق هذه الجماعة المسماة بـ«الدولة» يوم حكمت على نفسها بالفناء؛ لقتلها للمجاهدين، وإصداراها البينات في تكفيرهم، وسلبها أموالهم، بل وإفتائها بسبي نسائهم -عياذًا بالله-، وأسوةُ بغيره من المشايخ؛ فقد أحسن الشيخ «عطية الله» ﷺ الظنَّ بهذه الجماعة وتأوَّل لها، وبعد مقتله ظهر ما كان مخفيًّا من الرسائل والأخبار عن حال «دولة العراق الإسلامية» وأشهر ذلك رسالة قاضيها العام «أبو سليمان العتيبي» التي أرسلها إلى «الشيخ أسامة بن لادن» ﷺ أمير جماعة «قاعدة الجهاد»، ومما جاء فيها: أن إعلان «الدولة» لم يكن إلا تغييرا لاسم «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» ولم يدخل في البيعة لا العشائر ولا الكتائب التي ذُكرت في إعلانها، وذكر من أخطائهم: «سلب» لأموال المسلمين بلا مبرر شرعي، والتساهل مع الكفار المحاربين والمرتدين لمصالح غير شرعية، والتساهل مع عملاء مقربين من «الإمارة»، والتسرع في اتخاذ القرارات، والتعصب لشعار الدولة وعلمها، والكذب في التشكيلة الوزارية، وعدم انضباطهم في مفهوم «الدولة» فهل هو إعلان أم إقامة للدولة؟ واضطرابهم في هذا الباب كثير، مع ما ذكره من الكذب في دعوى امتلاك الأرض وقصص كثيرة، والعُجب.. مع ما ذكره من أن الإعلان جر عليهم المشكلات والهزائم.. والكلام الذي ذكره كثير؛ هذا مختصره فارجع لرسالته التي نشرتها «مؤسسة التحايا للإعلام».



فاستخرتُ الله ﷻ أن أكتب في هذا الموضوع بعض التوجيهات والوصايا لإخواني المسلمين المحبين، وبعض التوضيحات التي أراها مهمة، نصحا للمسلمين وذبًّا عن إخواننا المجاهدين ودولتهم الفتِيَّة، ومساهمة في إزالة بعض اللبس الذي حصل عند بعض المحبِّين بخصوص هذا الحدث الكبير، وأسأل الله الإعانة والتسديد، وما أكتبه هو رأيي ونظري، استوجبه سؤال الإخوان والحاجة إلى البيان والتوضيح للمحبين ولعموم المسلمين؛ فإن أصبتُ فمن الله ﷻ وبتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأنا راجعٌ عنه متى تبيّن لي خطؤه[1]، نسأل الله أن يقينا الزلل ويعصمنا وإخواننا من مضلات الفتن.

❖ اللقب والعنوان:

فأول ما أود تنبيه إخواني إليه هو أن هذا الاسم «دولة العراق الإسلامية» هو لقبٌ لهذا الكائن السياسي والاجتماعي للمجاهدين والمسلمين أهل السنة في هذا القطر من بلاد الإسلام؛ فينبغي ألا يغيب هذا عنا، فإذا تقرر أنه لقبٌ فهو اسم وضعيّ اصطلاحي، وضعه إخواننا القائمون على هذا الأمر الذين هم أهل الحل والعقد بالنسبة إليه؛ فلا مشاحّة إذن.!

وبناءً عليه؛ فلو قال قائل: لماذا هذا الاسم على الخصوص؟ فنقول: هذا اجتهاد إخواننا واختيارهم، ولكن لماذا هذا اللقب بخصوصه دون «الدولة الإسلامية في العراق» مثلا، أو «الإمارة».. الخ؛ أي لماذا لم يسمّوها «إمارة» واختاروا تسميتها «دولة»؟ فهذا سؤال جيدٌ وغيرُ منكرٍ، لكن لا بد أن نعرف أن هذا كله مقام اجتهادٍ، وأن إخواننا قد اختاروا ما رأوه مناسبًا، بعد الدراسة والمشاورة واستفراغ الوسع في النصح لله ولرسوله ولدينه وللمسلمين، نحسبهم كذلك، فما بقي إلا أن يقول القائل: كان الأولى عندي تسميتها كذا مثلا.. فهذا له، ولا يمنعه أحدٌ من ذلك من حيث هو، إلا أن يصل إلى حدّ المشاغبة والتشويش وإحداث فتنةٍ فيمنَعُ!!

ومع ذلك فمن الحصافة التنبّه إلى أن إخواننا لهم مزية المعرفة ببواطن الأمور وعميق الظروف والمعطيات على الأرض؛ فأصول المعاملة تقتضي التسليم لهم اجتهادهم في هذا ما لم يخالف قطعيًا في

---

(١) وهذا دليل فضل الشيخ ؒ؛ إذ يُلاحظ أن رسالته هذه قد بُنيت كلُّها على نقولات «الدولة» ومصادرها في الكلام، وما ننقله من نقدٍ لهذه الرسالة وتوجيه لمسائلها إنما هو عملٌ بهذا الكلام؛ فنحن في بياننا لانحراف هذه الجماعة نذب عن الشيخ أن لا يقع في مناصرة طائفة مارقة قتلت المسلمين واستحلت دماءهم وأموالهم باسم الإسلام والجهاد وأهله؛ فكفرت وقتلت واستحلت الدماء والأموال.

الدين أو ما قاربه، والحمد لله(١).

وإذا كان الأمر كذلك فقد انحصر الاختلاف في الرأي في اللفظ، وهو اختلاف لا يضر إن شاء الله؛ ومع أن لفظ «الإمارة» له ما يرجحه من النظر؛ فللفظ «الدولة» أيضا مرجحاتٌ، ولعل إخواننا لاحظوا أن لفظ «الدولة» أنسب للثقافة السائدة، وأوقع في الظرف السياسي الحاليّ للعراق وللمنطقة، وأقرب لإحداث التأثير السياسي المطلوب، أو غير ذلك، فرجّحوه بمرجحاتٍ خفي بعضها على البعيد.!

فعلى كل حالٍ؛ فإن الذي ينبغي أن نعتقده هو -كما قدمتُ-: أن هذا هو اسمٌ ولقبٌ، وأن النظر إلى المعاني والحقائق هو المتعين دائما، ثم يُصحَحَ اللفظ ليصدُق على المعنى ويناسبه بحسب الإمكان، وفي ذلك مجالٌ للاجتهاد دائمًا.

ومثل لقب الدولة لقبُ «أمير المؤمنين»، وهو لقب أمير هذه الدولة ورئيسها، وهو وليّ الأمر والسلطان في هذا الكيان السياسي «الدولة»؛ فهذا اللقبُ هو اجتهاديّ، وهو اسم رئيس هذه الدولة

---

(١) ثبت بعد إنشاء «دولة العراق والشام» أن هذه الجماعة قد افتأتت على الأمة وسلبتها حقها في الشورى، ولم تُعلِم حتى أمراءها في قيادة «تنظيم القاعدة»؛ قال الشيخ أيمن الظواهري: «تعديتم على أميركم بأن أنشأتم دولة لم يسمع عنها إلا من الإعلام»، وقال: «قولكم بأنكم أعلنتم الدولة لأنكم أردتم استباق انشقاق الجولاني ومعالجته؛ فجواب عجيب: لأنكم ببساطة كنتم تستطيعون أن ترسلوا لي رسالة أن الجولاني سينشق فلا تعترف بانشقاقه، وانحلت المشكلة.. وهل إعلانكم الدولة سيمنعه من الانشقاق إذا كان يريده؟ ثم هل الإمارة مسابقة أو مباراة من يعلن أولًا يكون الأمير؟ ثم هل هي دولة على جماعة أم دولة على إقليم: إن كانت دولة على جماعة فهي من عجائب الأمور. وإن كانت دولة على إقليم؛ فكيف تتولون إمارة إقليم لم تستشيروا أهله. ثم هل الدولة يبايعها الناس أولًا؟ أم تقام الدولة ثم تجمع لها البيعات من هنا وهناك؟ ثم ألم تقدروا أنكم تضعونا في حرج أمام الإمارة الإسلامية؟ فنحن في بيعة أمير المؤمنين الملا محمد عمر، ثم يخرج في العراق أمير مؤمنين، وأرسلت في رسالة سابقة أعتذر له عن ذلك وأحاول تبريره، ثم يخرج أمير مرة أخرى على العراق والشام؟ وأنتم كل همكم أن تسابقوا الجولاني، ولا تقدرون الحرج الذي تضعوننا فيه. ثم تصوروا المهزلة التي ستنشأ لو اقتدى بكم إخوة المغرب وجزيرة العرب والصومال والشيشان وباكستان وسيناء وفلسطين، ونشأ في كل ناحية أمير للمؤمنين. ثم لماذا لا يقتدي بكم غيركم في الشام؟ فتنشأ ثلاث أو أربع إمارات واحدة في حلب وأخرى في دمشق وثالثة في درعا؟ أم أنكم سبقتم وغيركم خوارج وبغاة؟ ثم هل الانشقاق أو الخوف من الانشقاق مبرر لإنشاء دول؟ وهل كلما همت مجموعة أن تنشق أنشأنا لها دولة؟ فمثلًا إذا كانت لكم مجموعة في الأردن وشككتم في انشقاقها، فهل ستضيفون كلمة جديدة لاسم دولتكم؟ ثم بعدها في تركيا، وبعدها في لبنان، وهكذا تتزايد دولتكم كلما انشق عنها المنشقون!! ثم هل تصرفكم حل المشكلة أم فجرها؟ وجلب أضرارًا سياسية فادحة على الجهاد في الشام.. لقد أشمتم بتصرفكم الأعداء بالمجاهدين، وجعلتم منهم أضحوكة، فأية دولة؟ وأنتم في كر وفر. أنتم تسببتم بتصرفكم في شق الجماعة في الشام والعراق بعد أن كانت واحدة، بغض النظر عن دفاعكم بأنكم أردتم الخير،ولكني أتحدث عن الحكمة التي غابت.ثم وفرتم للنظام السوري ولأمريكا فرصة كانوا يتمنونها».

كما قلنا، وليس المراد منه أنه الإمام الأعظم والخليفة الذي انعقدت له بيعة من عموم المسلمين أو من أهل الحل والعقد منهم، أو تغلب على بلاد الإسلام حتى سُمّي أميرَ المؤمنين، بالمعنى الذي هو للإمام الأعظم والخليفة.. بل هذه التسمية هنا هي لقبٌ لأمير هذه الدولة.

وهنا يقال كما قيل في لفظ «الدولة» و«الإمارة»: لعل إخواننا رجّحوا اختيار هذا اللقب دون غيره، لمرجحات رأوها وخفيت علينا نحن البعداء، وإن كان بادي الرأي عندي أن اختيار غيره أولى وأحسن، وقد قلتُ رأيي هذا حتى في أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ، من قبل.

فلعل الأحسن كان هو تسميته: أميرًا «الأمير»، بدون إضافة «للمؤمنين»؛ حتى يكون المعنى المتبادر الواضح: أنه أمير هذه الدولة، لأن التسمية بـ«أمير المؤمنين» توهِم أنه الإمام الأعظم، وتوهِم أن إخواننا ربما يعتقدون فيه أنه كذلك! لما استقرّ في عُرف المسلمين مِن لدن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هذا لقب الإمام الأعظم الذي هو الخليفة؛ فإذا انضاف إلى هذا أنه - حَفِظَهُ اللهُ وسدده- قرشي حسينيّ، فقد قويَ الإيهام.! ومع أن الأمر بحمد الله واضحٌ من أدبيات الإخوة وإصداراتهم لمن صفا وأراد الخير[1]؛ فليتَ الإخوة أيضا يوضحون هذه الأمور أكثر مع الفرص إن شاء الله، والله الموفق.

❖ النواة (نواة دولة الإسلام الكبرى والخلافة الراشدة):

الذي نعتقد أن إخواننا قصدوه وأرادوه -أعزهم الله وسددهم ونصرهم- هو أن تكون هذه الدولة هي نواة وبداية تأسيس لدولة الإسلام الكبرى وللخلافة الراشدة على منهاج النبوة؛ فهذه الدولة إذن هي نواةٌ وبداية، تجمع أهل الإسلام أهل السنة في هذا القطر والإقليم والناحية من بلاد الإسلام، وهي العراق وربما ما جاورها بحسب الإمكان، وتذوب فيها كياناتهم الصغرى وجماعاتهم ويحصل لهم بها القوة والمنعة والعزة، فينطلقون للمراحل القادمة ومواجهة ما فيها من تحديات جسامٍ.

وبلغنا عن إخواننا أنهم استبقوا بهذا الإعلان والإنشاء بعضَ ما يُحذر..! وأنهم كانوا في موقف فرصةٍ مواتية يرونَ أنهم إن لم يستغلوها فاتت وضاعتْ، وأنهم يرون أن الحاجة شديدة جدًا لإيجاد كيانٍ بهذا الشكل، ويرون أن عندهم من الأرض والجمهور ما يمكّنهم من التأسيس والإعلان.

وأنها بكل حالٍ نواةٌ كما قلنا وهيكل وقالبٌ يُرادُ له أن يجمع أكثر الناس أو كلهم بانطلاقةٍ كبرى وقفزة، ثم بالتدريج، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وهم أهل الثقة والأمانة والقوة، نحسبهم

(١) هذا هو إحسان الظن بهم، لكن الوقائع والأدلة أثبتت أن أدبيات «جماعة الدولة» تأكد على أنهم خلافة عظمى، وإمامة كبرى، حتى قبل إعلانهم «الخلافة» ولذلك عمدوا إلى قتل كثير من مخالفيهم من الجماعات المجاهدة كـ«أنصار الإسلام»، وغيرهم.

كذلك والله حسيبنا وحسيبهم.

والحاصل: أن «دولة العراق الإسلامية» هي دولة للمسلمين في هذا المِصر من بلاد المسلمين، أعني العراق بمعناه المعروف اليوم وربما ما حوله بحسب الإمكان، وليس المقصود منها الآن أنها دولة الإسلام الكبرى (الإمامة العظمى والخلافة)؛ فإن هذا لا يزال مبكرًا، بحسب ما يعطيه النظرُ والاجتهادُ، والله أعلم، وأن أمير هذه الدولة لقبه «أمير المؤمنين»، وأن هذه الدولة هي نواة -إن شاء الله- لدولة الإسلام الكبرى والخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وأنها خطوة مرحلية، قابلة للتطوير والتعديل والترشيد بحسب الاجتهاد، على وَفق ما يتطلبه النظر السياسي الشرعيّ على قاعدة التقوى والنظر لمصلحة الإسلام والمسلمين.

والله الموفق.. نسأل الله أن يبارك فيها، اللّهم إنه لا غنى لنا عن بركتك يا رب العالمين.. آمين.

❖ ماهية البيعة:

وماهية البيعة لهذه الدولة المباركة إن شاء الله، ولأميرها حَفِظَهُ اللهُ وسدده، أنها بيعة شرعية على أساس أنه أمير للمسلمين في هذا القطر وهذا الإقليم، وحكمها -والله أعلم- على حسب ما بلغنا من معطياتٍ على الأرض: أنها كبيعة الإمام الأعظم في سائر الأحكام، إلا أنه ليس بإمام أعظم، أي ليس إماما لكل المسلمين، بل هو إمام وأميرٌ للمسلمين في قطره وتحت سلطانه.

وخلاصة هذا المبحث أنه يدخل تحت ولاية «أمير المؤمنين» في «دولة العراق الإسلامية» صنفان:

الصنف الأول: مَن كان من المسلمين في تلك البقعة وممن يطوله سلطان هذه الدولة، بالقوة والغلبة، وهذا هل يعمّ كل أحدٍ في تلك البلاد؟

الجواب والله أعلم أن هذا مبنيّ على شيئين:

الشيء الأول: حصول البيعة لهذه الدولة ولأميرها من أهل الحل والعقد في هذا القطر، والمقصود أكثرهم، بحيث يقوم بمثلهم الأمر وتجتمع كلمة الأكثر.

الشيء الثاني: حصول الغلبة بالقوة المادية -العسكرية والسياسية الاجتماعية العصبية- بحيث يخضع لها أكثر الناس في القطر والإقليم، فيلزم الباقين الخضوعُ لها شرعًا والدخول تحت سلطانها ويحرم عليهم الخروج عنها، من جهة أن الخروج حينئذٍ فيه نفس المفاسد التي حرّم من أجلها الخروج على الأئمة، وقد صرح أهل العلم بمثل ذلك ونصوا عليه، وطبقوا حديث: (**من أتاكم وأمركم جميعٌ**..)[1]

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٢) وتتمة الحديث: (..على رجلٍ واحدٍ يريدُ أن يشق عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه).

وغيره على مثل هذا الواقع بل على أقل منه بكثير جدًا، كما لو استقام لأهل النواحي والبوادي إمارة واجتمعوا على عالم أو قاضٍ أو سيد قبيلة ونحوه في أزمنة التيات الظُلَم.!

قال الشيخ أبو المنذر الساعدي فرج الله عنه في كتابه «وبل الغمامة في بيان أحكام الإمامة»:

«فإن قيل: كيف تستدل بأحكام الخليفة على الملا محمد عمر وهو ليس خليفة المسلمين جميعًا، وإنما غاية أمره أن يكون أميرًا مسلمًا على بقعة من أرض الإسلام؟

فالجواب: نعم هو ليس خليفة لكل المسلمين، ولكنه في القطر الذي يحكمه يأخذ أحكام الخليفة في شروطه وطريقة تعيينه وغير ذلك من الأحكام التكليفية والوضعية.

قال ابن ضويان الحنبلي ﷺ في منار السبيل: «قال في الغاية: ويتجه: لا يجوز تعدد الإمام، وأنه لو تغلب كل سلطان على ناحية كزماننا فحكمه كالإمام»[1]، وقال الإمام الصنعاني ﷺ في شرح حديث أبي هريرة ﷺ الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: **(من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، ومات فميتته ميتة جاهلية)**[2] قال: «**(عن الطاعة)**: أي طاعة الخليفة الذي وقع الإجماع عليه، وكأن المراد خليفة أي قطر من الأقطار، إذ لم يجمع الناس على خليفة في جميع البلاد الإسلامية من أثناء الدولة العباسية، بل استقل أهل كل إقليم بقائم أمورهم، إذ لو حمل الحديث على خليفة اجتمع عليه أهل الإسلام لقلَّت فائدة الحديث»[3]. وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي ﷺ: «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان، له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»[4].

وهذا الجواب تحتاج إليه في كثير من مباحث الإمامة، فكن منه على ذكر وأنت تقرأ هذا الكتاب، والله الهادي إلى صراط مستقيم»[5] اهـ.

وما يقال في إحدى الإمارتين يقال في الأخرى.. فهما أختان، والإمامة العظمى بعد ذلك لعلها

---

(١) منار السبيل (٢ / ٣٥٣). [المؤلف]

(٢) صحيح مسلم (١٨٤٨).

(٣) سبل السلام (٣ / ١٦٢٧) ط دار الفكر. [المؤلف]

(٤) الدرر السنية (٧ / ٢٣٩). [المؤلف]

(٥) ينظر: (ص ٥٠، ٥١).

تتقرر بشكل أكبر من الفرصة للاختيار، وفرصة أكبر لاجتماع أهل الحل والعقد على مستوى الأمة، أو غلبةٍ يُذعِن لها الناس.. والله أعلم، وهو وليّ التوفيق ﷻ.

والصنف الثاني ممن يدخل تحت ولاية «أمير المؤمنين» في «دولة العراق الإسلامية»: من دخل فيها اختيارًا وبايعَها طوعًا، فإننا إذا قررنا أنها ليست إمامة عظمى، فإنه لا يجب على عموم المسلمين في جميع الأقطار بيعتها كما يجب في حال الإمامة العظمى، وحينئذٍ فلو بايعها مسلمٌ في قطرٍ بعيدٍ مختارًا، فإن البيعة تلزمه، فهذا لزومٌ بالشرط لا بالشرع، والله أعلم.

بقي أن يقال: هل هذا جيدٌ مستحسنٌ؟ فالله أعلم، ولا يبعُد ذلك لَمَن لم يكن له إمارة خاصة في إقليمه وناحيته.

❖ موقع التنظيمات:

وأما التنظيمات فقد بيَّن الشيخ «أبو حمزة» في خطاب «إعلان البيعة للدولة» أن «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، و«مجلس شورى المجاهدين» بما يضمه من تنظيمات، قد حُلّت وذابت في الدولة؛ فهذا واضحٌ، والحمد لله، وأما التنظيمات الأخرى -الجماعات- العاملة في الساحة العراقية؛ فهي مدعوّة بقوة الآن للدخول في «دولة العراق الإسلامية»، ونحن نأمل في ذلك ونرجوه وننتظره، فإن هذا الاتحاد قد صار اليوم بعد نشوء الدولة آكد وأشد مطلوبية من كل وقت مضى، وإن كثيرًا من التعللات التي كانت في السابق قد ضعُفت أو زالت.! فالقيادة عراقية، والدولة مستحوذة على أكثر قواعد المجاهدين، واجتمع عليها أكثر أهل التأثير في البلد فيما نرى وفيما بلغنا[1] -أعني من أهل السنة وأنصار الجهاد منهم- وواقع المرحلة لا يسمح بأي تفرّق أو تأخير للاتحاد، والمنهج بحمد الله واضحٌ، وخطابات الشيخ «أبي حمزة» أبانت عن تكامل منهج ورصانة فكر وقوة نظر وسلامة صدور، نحسبهم كذلك.

ولعل من المستحسن أن نذكر أن دخول أي تنظيم أو جماعة في الدولة يحتمل صورتين:

- إما حلّ التنظيم وذوبانه بشكل تامّ في الدولة، وهذه هي الصورة الأكمل.

---

(١) لكن هذا بعد الحقيق لم يثبت؛ فقد قال أبو سليمان العتيبي في رسالته للشيخ أسامة ﷺ: «يظن الناس أن قيام الدولة كان بعد مبايعة جماعات مجلس شورى المجاهدين لتنظيم القاعدة ثم مبايعة شيوخ العشائر لِما أسماه الأخ أبو حمزة المهاجر بـ«حِلْف المُطيبين»، وليس الأمر كذلك ألْبتة، وإنما بايع رؤوس هذه الجماعات كـ«سرايا الجهاد، وسرايا الغرباء، وجيش أهل السنة، وكتائب الأهوال، وجيش الطائفة المنصورة..» وهم أناس لا علاقة لهم بالجهاد الحقيقي في الساحة، بل منهم من لم يحمل السلاح في حياته كلها، ومنهم من ليس له أتباع أصلًا! وإنما هي أسماء مجردة، فبايعوا واشترطوا إما بلسان الحال أو المقال أن يتولوا مناصب في هذه الدولة التي ستُعلَن، ووقع الأمر كما أرادوا، وأنا أشهد بالله العظيم على ذلك».

- وإما دخول التنظيم بشخصيته التنظيمية -الاجتماعية- في الدولة، بحيث يبقى تنظيما داخل الدولة، فهذا محتملٌ، وينظر إخواننا في ذلك، وهل يناسب أو لا، لأنه يختلف من حال إلى حال؛ والله الموفق.. ومثال هذه الصورة الأخيرة «تنظيم القاعدة» -الأصل- في أفغانستان وباكستان، فإنه تنظيم متكامل مستقل وإن كان داخلا تحت إمارة أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ.

وعلى إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» أن يتنازلوا قدر الإمكان ويتواضعوا لإخوانهم إلى أقصى حدّ، ليشملوهم معهم، ويعرفوا للسابقين سابقتهم، ويعرفوا لأهل الفضل والمكانة فضلهم ومكانتهم، وينزلوا الناس منازلهم، ويتألفوهم، فإن الشريف غير عامة الناس، وأهل السابقة والتاريخ والتأسيس يحتاجون إلى أن يطمئنوا إلى أنهم يضعون أيدهم في أيدي إخوانهم على كامل اطمئنان وأنس.

والناس تتفاوت في الدين والتقوى والصدق والإخلاص تفاوتًا عظيمًا أكثر مما تتفاوت في ظواهر الأمور، فأهل الدين الكامل والتجرد الكامل يُوكلون إلى دينهم ويكفيهم، ومَن دون ذلك من المؤمنين قد لا يكفيهم، وفي كلٍ خيرٌ، والفضل لله يؤتيه مَن يشاء.

❖ توصية وتحذير:

ونوصي إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» ومَن أحبها وعاضدها من سائر المسلمين، أن يعذروا مَن أبطأ عن الدخول معهم وتريّث أو كان له رأيٌ حتى يطمئن أكثر وحتى يرى ما لا يمكنه معه الانفراد، فإنكم ستجدون هذا في الناس لا محالة.!

وقاعدة النجاح في مثل هذا هي: أن تصلح نفسك أنت أوّلًا، وتُري الناسَ أنك أنت الأصلح والأفضل، والأحق والأولى شرعًا وسياسةً، وذلك من خلال قوتك في كل المجالات: الدين والتقوى والصلاح، والعلم والاستعداد والكمال المعنوي، وفي القوة المادية عسكرية وغيرها، والقوة الاجتماعية ومحبة الناس واجتماعهم، وغير ذلك.. فإذا كنت أنت الأقوى والأفضل؛ فإن المستقبل لك، ولا يضرك بعضُ مَن تخلف، ولو كثروا.

وأما الفتوى فهي هنا تتبع الحال والواقع كما أشرنا: فإن كان قد تحقق اجتماع أكثر أهل التأثير والقوة لهذه الدولة حتى يُعدّ الخارج عنها المنفرد المفارق لها مفسدًا شاقا للعصا مضعفا للمسلمين فاتًّا في عضدهم مضيّعًا لهم.. أمكن أن نقول بوجوب البيعة لها والدخول تحت سلطانها وتحريم الانفراد عنها، وعليه.. فنحذر شبابنا المحبّين -سددهم الله ورعاهم- من التسرع في الأحكام على الناس في هذا الأمر، والتسرع في تطبيق الأحاديث الواردة في الخروج على جماعة المسلمين وأحاديث عدم البيعة

ونحوها[١]؛فإن هذه مسائل يقع فيها الالتباس، ويختلف فيها الاجتهاد بحسب الوقائع والأحوال، ويحتاج تنزيلها على الوقائع إلى نظر أهل الشأن وأهل العلم.

والله وليّ التوفيق، نسأله ﷻ أن يهدينا ويسددنا وجميع إخواننا.

❖ شبهات وردود:

هناك مجموعة من الشبهات والإيرادات سمعناها وقرأناها على تأسيس وإعلان هذه الدولة، يوردها بعض الإخوة الصالحين عن تساؤل وحسن نية، أو المغرضون ممن «لا يقصرون في ذمي ومنقصتي» ولا يألون المجاهدين خبالًا، أو بعضُ من يقال فيهم: وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضة..! وأذكر بعض هذه الإيرادات وننظر فيها بما يفتح الله، وهو سبحانه ولي التوفيق:

۞ يقولون: لا يوجد أرضٌ تُقام عليها الدولة:

وجوابها: المنعُ؛ بل الأرض موجودة، أو على الأقل: فإن إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» - وهم قوة كبيرة مؤثرة في الساحة- يرون أنه ثمتَ أرضٌ قابلة لتأسيس دولة، وأن معنى الأرض نسبيّ إضافيّ، وعندنا بالنسبة إلينا وإلى حالنا منه ما يكفي.

الأنبار وما أدراك ما الأنبار، وهي قاعدتها، وأجزاء أخرى حولها وقريبا منها.

ثم هذه غايتها أنها مسألة اجتهادية محتملة، والظاهر إن شاء الله أنها لا تنهض للخلافِ والمشاقةِ.!

وبعضهم يستصغر هذه الأرض، فيقال له: هي أكبر بكثير من الأرض التي أقام عليها رسول الله ﷺ دولته في يثربَ المدينة النبوية.

وغيرُ بعيد عن أهل التوحيد قصة الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» ؒ وكيف أقام دولته في «الدرعية» وهي في حجم قرية من قرى الأنبار.!

وبالجملة.. فقد قلنا إن الأمر نسبيّ، ولا يستقل بالحكم، وإنما يقوى اعتباره وتأثيره أو يضعف بضميمة غيره من العوامل أو عدمها.

۞ تقسيم العراق:

فيقولون: إن إعلان هذه الدولة تقسيم للعراق أو «شرعنة» -كذا- لتقسيمه، أو «تكريس» لهذا

---

(١) ومما يُذكر هنا أن «الدولة» قد خالفت كل نصائح الشيخ فيما بعد؛ فكفرت من لم يبايعها، واستحلت دمه وماله، جاء في مجلة «دابق» الرسمية الصادرة عن «الدولة» تكفيرها لكل مجاهدي الشام: «(الصحوات مصطلح سبكته البيادق الأمريكية لتجميل مرتديهم.. تحالف الصحوات يتألف من الجيش السوري الحر والجبهة الشامية وفيلق الشام وجيش الإسلام وجبهة الجولاني» [العدد ١، ١٠].

التقسيم..!! وهذه شبهة ساقطة، لولا أن بعض المنتسبين إلى الإسلام والدين ذكرها، وإنا لله وإنا إليه راجعون، لما خطر بالبال إيرادها والرد عليها، وحسبنا الله ونعم الوكيل.!

وقد أشار الشيخ «أبو حمزة» حَفِظَهُ اللهُ إلى الردّ عليها في خطاب «إعلان البيعة للدولة» بما حاصله السؤال: وهل كان تأسيس النبيّ ﷺ دولته في المدينة تقسيما (بالمعنى المذموم في نظر قائلي هذه المقالة) لجزيرة العرب وللمجتمع العربيّ؟!

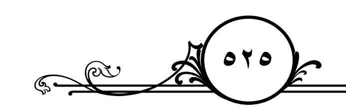
ويمكن أن يضاف إليه استدلالاتٌ أخرى نسجًا على منواله، يُستأنَس بها، وتفيد أن ما فعله إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» ليس بدعًا في أفعال أهل التوحيد والعلم والفضل والجهاد، كما أشرنا إلى دولة الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» رحمه الله، مع أن الدولة الإسلامية الجامعة كانت يومها في زمنه قائمة، على قول الأكثرين، أو بحسب الظاهر والرسوم على الأقلّ، فكيف بنا اليوم ولا دولة للإسلام جامعة على الحقيقة ولا حتى في الظاهر والصورة، وإنما يحكم بلادَ المسلمين دولُ الزنادقة والمرتدين الذين مزقوها بكل معاني التمزيق، وهذه العراق والشام كلها تحت أيدي الكفرة.؟! وذلك فصلٌ يطول..!

ثم ما ميزان التقسيم في ديننا وأمرنا نحن المسلمين؟ فليقسّم العراق وتقسّم الدنيا كلها إذا كان لا بد من التقسيم، حتى نقيم لنا دولة ننطلق منها لتوحيد العالَم تحت راية التوحيد..!

وأي وحدةٍ للأرض يرجوها ويفرح بها هذا القائلُ لهذه المقالة تحت راية الردّة والرفض وهيمنة الصليبِ؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم.!

ومن العجائب، والعجائبُ جمة في زماننا.. أن بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الله يقول للناس: إنه يرفض تقسيم العراق ولو كان إسلاميًا!! وهذا خطأ فاحشٌ، ربما حمل عليه هوىً وتعصّبٌ خفيّ لقومٍ أو منافرةٌ لآخرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.!

ألم يعلم أن محمدًا فرقٌ بين الناس؛ فرّق بين الحق والباطل وفرّق بدين الله الذي جاء به بين المرء وأخيه وبين الابن وأمه وأبيه وبين أهل الوطن الواحد؟!! والحاصل أن هذه الشبهة ما هي إلا لوثة من لوثات الفكر الجاهلي المعاصر، فكر الوطنية الضيقة، التي هي في الحقيقة «وثنية» جديدة، وفكر القطرية والقومية، ونتيجة للائتسار لصنائع الغرب الكافر الذي أملى علينا حدودًا وتقسيماتٍ، وأسس لنا مشارع ووضع لنا شرائع، قاتله الله وأخزاه.! وأما نحن فقد كفرنا به وبما جاء به، وآمنا بالله وحده واتبعنا رسوله ﷺ، فالحمد لله رب العالمين.



۞ الافتئات:

وهي من أقوى ما يورده بعض الطيبين من إخواننا، فيقولون: إن إعلان الإخوة الذين أسسوا هذه الدولة وأعلنوها، وهم جماعة «مجلس شورى المجاهدين» وعلى رأسهم «القاعدة»، ثم مَن دخل معهم في «حلف المطيِّبين»، ثم بعض مَن وافقهم ودخل معهم بعد ذلك من قواعد وأجنحة بعض الجماعات الأخرى، هم ليسوا كل أهل الأمر، ولا يمثلون الجميع، وليس لهم الحق في هذا الإعلان دون موافقة بقية الفصائل والجماعات العاملة في الساحة.

والجواب على هذا أننا علمنا من إخواننا أن الأكثرين معهم، مع قواعد المجاهدين، ومن رجال العشائر، ومن عامة الشعب من أهل السنة في الأنبار وما جاورها من معاقل أهل السنة وعقر دارهم، بالإضافة إلى كونهم هم (أعني إخواننا في مجلس شورى المجاهدين ومَن دخل معهم) أكبر وأقوى الجماعات والفصائل(١).

فإذا كان هذا أو ما قاربه صحيحًا، فلا افتئاتَ..! والواقع سيبيّن ذلك ويوضّحه مع الأيام إن شاء الله، ثم ما العمل؟ وماذا يعمل السياسي والقائد في ميدان الصراع؟! أيترك استغلال الفرص المتاحة لاجتماع القوى والطاقات الفاعلة أكثرها أو كثير منها، ويبني عليها ويسعى في تطويرها وتكميلها؟ أو يركن للقعود والانتظار حتى يجتمع كلُّ الناسِ؟ ومتى كان الناسُ كلهم (أو ما يقاربُ كلَّهم) يجتمعون على مثل هذه الأمور؟! وهذا عندكم المثال أمام ناظريكم قرابة أربعة سنين، ولو أرادوا أن يجتمعوا في تنظيم واحدٍ حتى قبل إعلان الدولة لفعلوا..!

إن الغالب في سنة الله في خلقه في مثل هذا أن الناس لا يمكن أن يجتمعوا على اختيار، بل لا بد أن تقوم طائفة منهم قوية ذات جلد وتتهيأ لها أسبابٌ؛ فتتقدم لإبرام هذا الشأن وتأسيسه، ثم ينقسم الناس آنيًّا؛ فمنهم من يسارع إلى متابعتهم ومبايعتهم، ومنهم من يتأخر ينتظر ويستأني، ومنهم من يجادل ويماحل ويحاول أن يكون له شركٌ في الأمر وينازع فيه، ومنهم ومنهم...! حتى تستقر الأمور على ما يقدره الله ﷻ. والتوفيق بيد الله وحده ﷻ، والموفق المسدد مَن أعانه الله؛ نسأل الله ﷻ أن يبرم لأهل الإسلام والجهاد الصالحين الصادقين أمر رشدٍ وأن يعليَ كلمة الحق.. آمين.

---

(١) قدمنا أن الشيخ ؒ أحسن الظن بهذه الجماعة، وهذا من أجلة ما ذكرنا، وقد أثبت الواقع أن ما ذكره الشيخ لا نصيب له في الواقع، إلا واقع المدلسين، وتزوير المحدثين؛ فإن عامة أهل السنة قد تركوا «الدولة» بل وحاربوها لما رأوا من ظلمها، والله المستعان.

۞ أهل مكة أدرى بشعابها:

وهي كلمة حق في الغالبِ، لكن لطالما استُعملت في باطلٍ، وتعاورتها أطراف الجدل ولاكتها ألسنة أهل الحيدة وقلة الإنصاف..! ومقصود مَن يقولها هنا الإشارة إلى أن هذه الدولة هي بمنزلة «دولة تنظيم القاعدة»، وأنها ليست عراقية خالصة، وهذه شبهة خائرة متهالكة تشبه ما تقدم من شبهة تقسيم العراق، بل هي أختها وبنت لبانها!! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والذي جاء به ديننا الحقُ هو: نصر الحق حيثما وأينما كان، وقبوله من أيٍ كان، وتحقيق المصالح وتكثيرها وإزالة المضارّ والمفاسد أو تقليلها بحسب الإمكان.

ثم تفاصيل ذلك تعرف في كل شيء بحسبه، وما أشكل منه يُرد إلى موارد الاجتهاد على قاعدة التقوى.. فكون أهل مكة أدرى بشعابها مع كونه أغلبيًا، بمعنى أن غير أهل مكة قد يعرفها أكثر من أهلها أحيانًا لكونه سكنها مدة واستوطنها فأتقن معرفتها مثلا، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك أنه سبق له دراستها ومعرفة نظرية بها وتواصلٌ ما، أو أنها تشبه أرضه وأصل موطنه وأنها قريبة منه قربًا مكانيًا واجتماعيًا، ونحو ذلك من العوامل، أقول: فهو (أي كون أهل مكة أدرى بشعابها) على كل حالٍ ميزة من المزايا، لها قدرها وحدّها، ولا نتجاوز بها منزلتها، وليست هي كل المزيّة، ولا هي أكبر المزايا وأعلاها درجة.

فإذا تقرر هذا.. فإذا عارض هذه المزية (بعد التسليم بها في حال صدقها) مزايا أخرى، فإنه يُنظر في مجموع المزايا ويُوازَن بين الحسنات والسيئات، وأنا على يقينٍ أن من فعل ذلك واتقى الله أنه يصل إلى الحق ويعينه الله ويسدده.! فإذا انضاف إلى كل ما تقدم أن «أمير المؤمنين» وهو رأس الدولة وأميرها هو من «أهل مكة» أعني من صلب أهل البلد ومن أوسط أهلها نسبًا، فهو من أدرى الناس بـ«شعاب مكة»، وأن جمهرة من معه من العاملين والقوى الضاربة، ومن أهل الرفد هم كذلك من أهل البلد، فكيف يليق بعاقل رزين أن يورد هذا الإيراد.؟!

۞ الجهالة:

ومما يورَد أيضًا أن أمير المؤمنين، وهو أمير هذه الدولة «أبو عمر البغدادي» سدده الله وأعانه، مجهول غير معروف، كذا قال بعضهم.

فإن كان المقصود أنه مجهول للجميع فهذا باطل قطعا، بل هو معروفٌ ولله الحمد، يعرفه أهل بغداد والأنبار وكثير من أهل المناطق المجاورة، يعرفه أهل الفضل وأهل العلم والدعوة، ويعرفه أهل

الجهاد، وله سابقة في العلم والدعوة والجهاد، وشرف نسبٍ، وحكى عنه إخواننا فضائل وميزاتٍ تجعله أهلًا لهذا الأمرِ ومحلًا للثقة ولله الحمد.

وإن كان المقصود أنه غير معروف لهذا القائل لهذه المقالة، فهذا لا يضره وقد عرفه غيره الذين هم معظم أهل التأثير والقوة واطمأنوا إليه ووثقوا في قدرته وفضله وأهليته واختاروه أميرًا، ومَن كان من أهل السنة في العراق لا يعرفه فلا يصعُب عليه معرفته والتأكد منه والاطمئنان إلى حاله والتوثق منه؛ فلمَ المجادلة؟!

وإن كان المقصود أنه غير مشهور في العراق وفي العالَم الإسلاميّ، فهذا صحيح، ولا يضر، فإن الشهرة لها أسبابها المتعددة والمتنوعة، وتكون بحق وتكون بباطل، ولا تلازم الصلاحَ..!

ثم الحروبُ تحدث في الاجتماع البشريّ تغييرات كبيرة جوهرية وجذرية، ويرفع الله بها (بالجهاد) أقوامًا ويضع آخرين.

والحاصل.. أن الأميرَ معروفٌ بحمد الله ﷻ عند أهل الحل والعقد لهذا الشأن، وعند وجهاء أهل البلد وكثير من عامة أهلها، ومعروفٌ عند قيادات المجاهدين وأهل العلم والدعوة، فليس مجهولًا كما قال هذا القائل لهذه المقالة، والحمد لله رب العالمين..

والله ﷻ أعلم وأحكم، وهو سبحانه وليّ التوفيق.

❖ توصيات للمسلمين:

▪ **الصبرُ والانتظار وعدم العجلة:** فإن العجلة من الشيطان، والتأني من الله ﷻ، فعلينا جميعا بالتثبّت والتبيّن وحسن الانتظار والصبر، والتمهل، وأن نعرف كيف نأتي كل شيء من بابه بالطريق الصحيح المحمود الذي يعطيه الفقهُ في الدين، ولذا: (**مَن يردِ الله به خيرًا يفقهّه في الدين**)[1].

▪ **الثقة وحسن الظن:** فإن من محاسن أهل الإسلام تآلف قلوبهم واجتماعهم على الأمانة، والثقة في أهل التقوى والصدق والبذل والجهاد في سبيل الله، وحسن الظن بهم وبأهل العلم والفضل والإحسان.. فلنتذكر هذا جيدا، ولنحسن الظن بإخواننا، ولنعلم أنهم حينما يقدمون على أمر ويختارون اختيارًا فإنهم لا يفعلون إلا عن دراسة وحسن فكر ونظر ومشورة ونصح للمسلمين، ثم قد يخطئون، فيؤجَرون أجرًا واحدًا، ويغفر الله لهم، وقد يصيبون ويُوَفّقون فيتمّ لهم الأجرُ والثواب؛ فلنسلّم لإخواننا اختيارهم واجتهادهم، ونحن البُعداء على مسافة آلاف الأميال علينا أن نجتهد في المعونة لهم

(١) صحيح البخاري (٧١، ٣١٦٦، ٧٣١٢)، صحيح مسلم (١٠٣٧).

بالثقة وحسن الظن وفي توحيد كلمة الجميع لا أن نفرّق! والخيرُ والبركة في الاجتماع.

- **والكلمة الطيبة:** وعلينا أن نقول دائما الكلمة الطيبة التي تحبب المؤمنين بعضهم إلى بعض، والتي تجمع ولا تفرّق، والتي تُعين على الخير ولا تثبّط عنه، ولا تعين على باطل، ولا تُحدث فتنة ولا تخذيلا ولا إرجافًا، قال رسول الله ﷺ: (**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمتْ**)[1] وقال: (**الكلمة الطيبة صدقة**)[2]، قال الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ ﴿٥٣﴾﴾[الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب].

- **الإكثار من الدعاء:** وهذا أقل الواجب علينا جميعا تجاه إخواننا المجاهدين وأهل السنة في العراق عامة، فلنجتهد يا إخواني -بارك الله فيكم- في الدعاء، ولا نستهِن به، فوالله إنه لسلاح عظيم جدًا نملكه ولا يملكه غيرنا، فسبحان الله كيف نذهل عنه!!.

- **جهاد القاعدين:** فما تقدم هو من جملة جهاد القاعدين ممن يصدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾[التوبة]، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾[البقرة: ٢٠٣]، والذين استجابوا لأمر الله ورسوله وفعلوا ما يقدرون عليه وما استطاعوا، ونصحوا لله ورسوله وفعلوا الخيرَ ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الحج]: ديدنهم كلمة طيبة ودعوة مباركة صالحة خالصة، وأملٌ ورجاء في الخير، وتبشيرٌ ورفع للمعنويات، ومحبة وإجلال لأهل الجهاد والبذل والسبق إلى الخيرات، ورحمة للجميع.

والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم..

اللّهم أبرم لنا أمرَ رشدٍ وهدىً وسداد، وأصلح لنا برحمتك ولطفك شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ، أنت مولانا، نعم المولى ونعم النصير.

اللّهم بارك لنا في «دولة العراق الإسلامية».

اللّهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك، وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم واجمع كلمتهم،

---

(١) صحيح البخاري (٦٠١٨، ٦٠١٩، ٦١٣٥، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٥٧)، صحيح مسلم (٤٧، ٤٨).

(٢) ساقه البخاري معلقا مجزوما به في: صحيحه (قبل حديث ٦٠٢٣)، مسند أحمد (٨١٨٣) وصحح إسناده الأرنؤوط.

واعطف قلوب العبادِ عليهم يا مَن قلوب العباد بين أصابعك يا رحمن يا رحيم.

اللّهم وانصر أهل السنة وانتصر لهم وفرج كربهم واكشف عنهم الغمة برحمتك ولطفك يا رحيم يا ودود يا مَن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

اللّهم واكبتْ أعداءك أعداء الدين، وشتت شملهم، وسلط عليهم الآفات والمعايب والمشكلات، واشغلهم بأنفسهم، واجعل بأسهم بينهم شديدًا، واجعل تدبيرهم تدميرهم يا قويّ يا عزيز.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا..

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

وكتبه: **عطية الله**

الأربعاء ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٧هـ

الموافق: ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦م

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



«حزب الله اللبناني»

والقضية الفلسطينية ..

رؤية كاشفة



تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»

صفر

١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان والسنة وجعلنا من أهل دعوته والمجاهدين في سبيله لإعلاء كلمته، نسأله ﷻ أن يمن علينا بحسن الخاتمة شهادةً في سبيله يرضى بها عنا ويرفع بها درجاتنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله نبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ، الذين أقاموا الدين في أنفسهم وعلى العالَمين، أهل التوحيد واجتنابِ الطاغوت والإنابة إلى الله ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٨﴾[الزمر].

وبعد: فقد كان الإخوة في مجلة «طلائع خراسان» طلبوا مني أن أكتب مقالًا يتناول موضوع «حزب الله وعلاقته بالقضية الفلسطينية» لكي ينشر في المجلة، على أن يكون جاهزًا قبل نهاية شهر صفر من سنة ١٤٢٨هـ؛ فاستعنتُ بالله وكتبته وأرسلته إلى المجلة في الموعد المحدد، فلما طالعه بعض الإخوة الأفاضل ورأوه طالَ قليلًا أشاروا عليّ بأن يُنشر في كتاب، لأن نشره في المجلة بطوله غير ممكن، وتفريقه على حلقات يضعف فائدته للقراء من خلال فقْدِ الترابط، ولا سيما أن المجلة قد تتأخر عن الصدور في بعض الأشهر بسبب ظروف الحرب، فاستحسنتُ الفكرةَ، وركنتُه مدة لأعود إليه وأراجعه في وقت فراغ، وأرسلتُ نسخًا إلى بعض الأفاضل للمراجعة والتعليق، فحظيتُ فعلا بفوائد منهم جزاهم الله خيرًا، وهذا أوان تقديمه للنشر بفضل الله ﷻ، نسأل الله ﷻ أن يجعله نافعًا لقارئه وكاتبه مكتوبًا في ميزان حسناتنا، وأن يفتح لما فيه من الخير والحق القلوبَ، وأن يعفو عما يمكن أن يكون وقع فيه من زلل، ويرزقنا السداد والتوفيق، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾[هود].

عطية الله

جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ / يونيو ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

الكتابة عن التنظيم الرافضي المسمى بـ«حزب الله» ليس بالأمر السهل، وهي تجربة مختلفة بالنسبة لكثير من الكتاب والباحثين؛ فلو أن الإنسان أراد أن يكتب مثلًا عن بعض الأحزاب والحركات الانفصالية أو التحررية في العالم قديمها وحديثها، أو عن التنافس الأمريكي الفرنسي الصيني على السوق الأفريقية لكان ذلك أسهل بكثير، والسبب أن «حزب الله» اللبناني هو حزب رافضي فيه حظ وافر من «الباطنية»، فهناك إذن ظاهرٌ وباطن، وهناك قدر كبير من الغموض والخداع والتمويه والكذب والدجل..!

قد يقول القارئ إن هذا حكمٌ مسبق، ومعلومٌ أن الكاتب إذا كان عنده حكم مسبق فإن بحثه لن يحالفه التحقيق العلمي والدقة والإنصاف.

وهنا أسارع إلى القول: إنني لست بصدد البحث عن حقيقة هذا الحزب وملته، فهي عندنا معلومة مستيقنة لا تخفى، واضحة وضوح الشمس، فأنا لا أقف موقف الباحث عن شيء لا أعرفه وأريد استنكاهه والوقوف على حقيقته والتعرف عليه، فنحن نعرفه جيدا وفارغون من ذلك، فليكن هذا معلومًا من أول الأمر، وإنما المقصود من الكتابة هو تجلية حقيقة هذا الحزب للناس بالطرق المنطقية والدلائل العقلية، التي تقنع المسلمين بخطره وفساده العظيم، فأنا هنا داعٍ إلى الله ﷻ أسعى في دعوة الناس إلى الخير والحق على بصيرة إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والداعي إلى ذكر هذه المقدمة هو تنبيه القارئ ألا ينخدع بشعارات «شرط الحيادية» في التحقيق العلمي والبحث الأكاديمي، وإنما الشرط الحقُّ هو العدلُ والإنصافُ والقيامُ بالقسط، ونسأل الله التوفيق.

الكتابة عن حزب الله اللبناني، لا يمكن أن تكون منفصلة عن الكتابة عن طائفته التي هي الطائفة الشيعية الرافضية، وعن الدولة الكبيرة التي هي كالعماد لهذه النحلة، وهي دولة إيران، وبالتالي فلا بد من التكلم عن ثورة الخميني الشيعية، وامتدادها وحقيقة أهدافها، إذ لا بد من وضع هذا الحزب في سياقه الحقيقي الواقعي ليتصوره القارئ كما هو، فحزب الله اللبناني ليس إلا صنيعة من صنائع الرافضة بقيادة دولتهم إيران، لا مرية في ذلك، وسيأتي توضيحه.



❖ للقوم ظاهر وباطن:

فلو أن الشيعة الرافضة قالوا: نحن ديننا ومذهبنا هو كذا وكذا بشكل واضح بيّن، وأعلنوه بدون خداع ولا تقية، وتحمّلوا ما يكون من نتائج بشجاعة، فيعلنون مثلًا أنهم يعتقدون كفر أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، ماعدا فلانًا وفلانًا، نفرًا معدودين على أصابع اليدين، ويستعلنون بالطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورميها بما برأها الله منه وغيره، ويعلنون بقولهم: إن القرآن هذا الموجود عندنا اليوم في مصاحف المسلمين هو محرّف لا يوثق به لأنه من رواية الصحابة وإن الصحابة زوروه وحرفوه، وإن القرآن الحقيقي الذي أنزله الله على محمد ﷺ غير موجود اليوم إلا عند إمامهم المعصوم الغائب «المهدي السردابيّ»[(١)]، وهكذا في سائر عقائدهم يعلنونها بصراحة وصدق وشجاعة.. لو أن الرافضة فعلوا ذلك، لكنا نحن المسلمين نتعامل معهم كما نتعامل مع سائر أهل الملل والنحل المنحرفة بما يستحقون من حكم نظري اعتقاديّ ومن تصرف عمليّ سياسي يوجبه حكم الله في أمثالهم.

لكن المشكلة مع هؤلاء الرافضة أنهم لا يعلنون شيئًا، ولا يمكن أن تخرج بسؤالهم أو التحاور معهم بشيء يملأ يدك أبدًا، والطامع في ذلك واهمٌ والمعتمد على ظاهرِ جوابهم مغفَّل لا يصلح أن يكون للناس إمامًا..! فالقوم عندهم ظاهرٌ يعلنونه للناس بأشكال مختلفة تتناسب مع كل نوع من أنواع مخاطبيهم، وباطنٌ هو حقيقة أمرهم، فلم يكن بدٌّ من الوصول إلى معرفة باطنهم بأنواع الدلائل التي يُستدَل بها على بواطن الأمور وحقائقها، عندما يختلف الظاهر والباطن.

معلومٌ أن الأصل في الإنسان أنه يؤخذ بظاهره ويحكم عليه به، إذ الظاهر هو المشاهَد لنا والمعلوم، والباطن لا يمكن معرفته، هذا في الجملة هو الأصل، لكن حين تدل الدلائل على باطنٍ يخالِف الظاهر فإن المعوَّل عليه والمعتمد هو الباطن لأنه حقيقة الشيء وحقيقة الإنسان، وحينئذ يكون الظاهر كذبًا وتصنْعنًا[(٢)]، ويسمى في الشريعة نفاقا وزندقةً.

هؤلاء القوم عندهم قدر كبير جدا من «الباطنية» بهذا المعنى، لأن **الباطنية لها معنيان:**

---

(١) فإن جادلوا بأنَّ هذا قول متروك لبعض علمائهم، وأن ما عليه الشيعة منذ ألف سنة هو أن القرآن الموجود بأيدينا غير محرف.. إلخ؛ فيقال لهم: فما قولكم في أولئك البعض من علمائكم (وهم من أكابر علماء الطائفة عبر القرون) الذين قالوا هذا القول وسطروه في بعض أهم كتب مذهبكم؟ هل تعتقدون كفرَهم؟ أو على الأقل أن هذا القولَ الذي صدر منهم كفرٌ مخرجٌ من الملة، أو هو عندكم قولٌ معتبرٌ له وجهٌ وإن لم يكن الراجحَ عندكم؟ أو لعله الراجح لكن تركتموه لملحظٍ سياسي اعتمادًا على «العنوان الثاني» (المصلحة)؟ أو غير ذلك؟ فبذلك يظهر تناقضهم وتهافتهم.. وهكذا يقال في سائر المسائل. [المؤلف]

(٢) كذا في «الأصل»، ولعل الصواب: تصنُّعًا.

المعنى الأول: الاعتقاد بأن للشريعة ظاهرًا وباطنًا مختلفينِ؛ الظاهر للعامة والباطن لهذا الشخص المعتقِد لذلك مثلًا أو لغيره.

والمعنى الثاني: هو استبطان خلاف الظاهر، وهو من جنس النفاق، وهو المقصود هنا.

إنهم يتسترون بمبدأ كبير من مبادئهم، جعلوه (جعله أوائل زنادقتهم؛ من الأجيال الأولى لنحلتهم) من أهم وأعظم مبادئ دينهم وهو: التقية، وهذه التقية التي عندهم اسمها في شريعة الإسلام شيء واحد معروف هو: الكذب المبين والنفاق، لا غير، وفرقٌ عظيمٌ بينها وبين التقية الجائزة في شريعة الإسلام المذكورة في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[آل عمران] وهي أن يتقي المؤمن الضعيفُ -في موضعٍ لا يقدر فيه على إظهار دينه- الكافرَ الظاهر الذي يخاف سطوته؛ فيظهر له موافقته أو يسكت أو يداري ويظهر الولاء، حتى يخرج من تلك الحال إلى حال القوة، فهي إذن حالة إكراهٍ أو ما يقاربه.. فهذه شريعة مختلفة تمامًا عن تقية الرافضة، الفرق بينهما كالفرق بين الإيمان والنفاق، نسأل الله العافية.

ومن أجل ذلك فإن هؤلاء الشيعة الإمامية الرافضة هم في الحقيقة الآن باطنية..!! فهؤلاء القوم يستبطنون اعتقاداتٍ وأفهامًا وأهدافًا وأحاسيس ومشاعر ومحابّ ومباغض غير التي يظهرونها؛ والمقصود هنا بالأساس طبقاتُهم الناطقة باسم المذهب ومَن قارَبهم، فتشمل رجالَ الدين منهم ورجال الدولة والسياسة والفكر والدعوة والثقافة والكثير من متديّنيهم.

هذا شيء مقطوع به عندنا نحن أهل الإسلام أهل السنة النبوية أتباع محمد ﷺ وأصحابه، ولا سيما عند مَن عرفهم ووقف على جلية أمرهم، ومَن شك في هذا الأصل وظن أن القوم صادقون فيما يقولون ويظهرون، فإنه واهم مخدوع، والكلام معه له نمط آخر، فينبغي أن يُوقَف على حقيقتهم من خلال الاطلاع على كتبهم الأصلية المعتمدة ومنها فتاوى معتمديهم وأئمتهم، ثم واقعهم الحقيقيّ في بلادهم وحيث تمكّنوا، وتاريخهم القديم والحديث، وما في ضِمن ذلك كله من تناقضاتهم ومثالبهم وفسادهم العلمي والعملي مما يبصره كل صاحب بصر[1].

---

(١) وليس من غرضي في هذا الكتيّب شرحُ كل ذلك من كتبهم وغيرها، فهذا له مجالٌ آخر وقد أشبعه تحريرًا وتوضيحا كثيرون جزاهم الله خيرا ممن تصدّوا لبيان زيف دين الرافضة وبيان خطرهم، وإنما الغرض هنا الإشارة الإجمالية إلى أسس فهم حقيقة الرافضة. [المؤلف]

ومن أجل ذلك فإن ما يمارسه بعض المتسبين إلى الإسلام والسنة من علماء ومفكرين من دعوة إلى التقريب، والقول بأن السنة والشيعة مذهبان في الإسلام ونحو ذلك.. لهو تلبيس عظيم وإفساد في دين الله وإضلال لخلق الله، وهي شهادة سيسأل أصحابها يوم الدين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف]، وهؤلاء ليس أنفع لهم من أن يوقفوا على واقع الرافضة وفظائعهم في أهل السنة، وليس أفيد للمسلمين ولا سيما المجاهدين في سبيل الله من الإعراض عنهم.!

❖ طريق الوقوف على أحوال الباطنية:

وإذا تقرر أن لهؤلاء الرافضة ظاهرا وباطنا، وكان معلومًا عند جميع العقلاء أن العبرة إنما هي بالباطن وحقيقة الأمر لا بظاهرٍ يخالفه في غير حال الإكراه ونحوها؛ **فما هي طرق معرفة بواطن هؤلاء القوم والوقوف على حقيقتهم؟**

فالجواب: أن طرق معرفة بواطن الناس وحقيقة أحوالهم كثيرة:

منها: معاشرتهم والعيش معهم والوقوف زمنا طويلا في العادة على أحوالهم العادية الاختيارية وسيرهم ومعايشهم، فيعرف المعاشر لهم محابهم ومباغضهم ومسارّهم وأحزانهم وما يعظمونه وما يكرهونه، وما يميلون إليه من اختيارات، وما ينطلقون منه من منطلقات في أحكامهم وتصرفاتهم، وما عندهم من تصورات ومعتقدات تتوالى على إثباتها الكلمات والأفعال والتصرفات مع تعدد المناسبات واختلاف المقامات.

فهذا أول طريق، وهو لشخصين:

إما شخص من أهل الإسلام والسنة عاش بينهم وخالطهم لسبب من الأسباب كما في حال الكثير من البلاد التي وقع فيها اختلاط بين السنة والشيعة في أزمنة العافية والفساد.

وإما شخص منهم وعلى نفس نحلتهم أدركته رحمة الله ﷻ فمنّ عليه الله ﷻ بالهداية والتوفيق إلى الإسلام واتباع السنة؛ فتاب من نحلتهم الباطلة والتزم دين الإسلام الحق كما جاء به محمد ﷺ وبلغه عنه أصحابه رضوان الله عليهم.

وهذان السبيلان حاصلان في الواقع، وكلاهما له أمثلة كثيرة، والثاني منهما إن كان صاحبه من العلماء ممن درس علوم القوم وكتبهم وعرف دينهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وأفكارهم حق المعرفة ثم هداه الله إلى الحق، فهذا من أندره وأعزّه وهو أهمه وأقواه، ومن أمثلته في العصر الحديث: «البرقعي الشيرازي» رحمه الله، صاحب كتاب «كسر الصنم»، فإنه كان من علمائهم، و«حسين الموسوي» صاحب

كتاب «لله ثم للتاريخ»، وجماعة آخرون غيرهما.

ومن الطرق كذلك لمعرفة حقيقة أمر الرافضة والباطنية والوقوف على بواطن أحوالهم: ما يقع بأسبابٍ خاصة من التحفظ على بعض كتبهم ووثائقهم التي لا يذيعونها ولا يملكها سواهم، كما في بعض أحوال الحروب والغلبة للمسلمين عليهم، وقد وقع ذلك كثيرًا.

ومن أمثلته -وإن كان ذلك لعله في بعض فرق الباطنية الذين هم أشد فرق الشيعة ضلالًا- ما ذكره الإمام «ابن الوزير» ﷺ في كتابه العظيم «إيثار الحق على الخلق»: «وأما الأمر الثاني وهو: النقص في الدين برد النصوص والظواهر، ورد حقائقها إلى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل، إلا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام في قواعد لم يتفقوا عليها أيضا، وأفحش ذلك وأشهره: مذهب «القرامطة الباطنية» في تأويل الأسماء الحسنى كلها أو نفيها عن الله على سبيل التنزيه له عنها، وتحقيق التوحيد بذلك، ودعوى أن إطلاقها عليه يقتضي التشبيه، وقد غلوا في ذلك وبالغوا حتى قالوا: إنه لا يقال إنه موجود ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم، وهو عندهم المسمى: الله والمراد بلا إله إلا الله، **وقد تواتر هذا عنهم وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التي في أيديهم وخزائنهم ومعاقلهم التي دخلت عليهم عنوة أو فتحت بعد طول محاصرة وأخذ بعضها عليهم من بعض الطرقات وقد هربوا به ووجد بعضها في مواضع خفية قد أخفوه فيها**»[1] اهـ.

وما ذكره شيخ الإسلام «ابن تيمية» ﷺ من ضمن رسالته في تهنئة الملك الناصر بفتح «جبل كسروان»، وهو في «مجموع الفتاوى» مجلد ٢٨: «من الداعي أحمد بن تيمية، إلى سلطان المسلمين، ومن أيد الله في دولته الدين، وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين.. -إلى قوله- ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية ظهر فيهم[2] من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم، ولما نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء، كل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج «جنكسخان» إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء «هولاكو» على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله؛ لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد، ومن

---

(١) إيثار الحق على الخلق (١ / ١٢٣).

(٢) أي في أهل الجبل المتكلم عنهم. [المؤلف]

استحل الفقاع فهو كافر، ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر، ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر، ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر، وهذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث أو خمس، يزعمون أنه دخل السرداب بسامرا من أكثر من أربعمائة سنة، وهو يعلم كل شيء، وهو حجة الله على أهل الأرض؛ فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شيء لا حقيقة له ولم يكن هذا في الوجود قط، وعندهم من قال: إن الله يرى في الآخرة فهو كافر، ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وإن الله يقلب قلوب عباده وإن الله خالق كل شيء فهو عندهم كافر، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندهم كافر؛ **هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم، مثل بني العود؛ فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين ويفتونهم بهذه الأمور، وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره، وفيها هذا وأعظم منه، وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق**، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم، وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية؛ فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ويبذلونه من البرطيل لمن يقصدهم»[(١)] اهـ.

ومن الطرق كذلك لمعرفة حقيقة أمر الرافضة والوقوف على بواطن أحوالهم أيضًا -وهي أهم الطرق على الإطلاق وأبينها لعامة المسلمين- وهي: نفس معرفة أقوالهم في كتبهم المعتمدة، ومعرفة مذهبهم ومنهجهم في مسائل الاعتقاد والتلقي والأحكام وغيرها، والوقوف على ما في ذلك من التبديل للدين والكذب الصريح ومناقضة التوحيد ومصادمة أحكام العقول السليمة والفطر المستقيمة، ومعرفة مواقفهم من المسائل الكبيرة الدينية والسياسية وما فيها من تناقضات وما لهم في ذلك من الدوافع والمقاصد، وسأذكر من ذلك أمثلة بسيطة يفهمها كل أحدٍ، وهي تُنبِّه على ما سواها:

فأول شيء من ذلك هو التوحيد الذي هو أساس دين الإسلام، فكل مسلم يعلم أن الله ﷻ بعث محمدًا بالتوحيد الخالص، وهو عبادة الله ﷻ وحده لا يُشرك به شيء، ونهى عن الشرك كله دقه وجله، وسدّ الذرائع المفضية إليه، حفظا لجناب التوحيد وتعظيما له وصيانة.

فانظر إلى الشيعة الرافضة في كل بلدٍ اليوم، هل تجد هذا التوحيد؟ في الواقع لن يجد الناظر إليهم إلا

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٩٨ - ٤٠٢).

بعض الشعارات والعناوين، ككونهم يقولون: «لا إله إلا الله»، ولكن الشرك ضاربٌ أطنابه فيهم؛ من دعاء غير الله والاستغاثة في الشدائد والكربات بالأئمة من آل البيت وغيرهم، وغير ذلك من الشرك المستبين.. جاء محمد ﷺ بالنهي عن تعظيم القبور والبناء عليها واتخاذها أعيادًا والصلاة عندها وإليها، وهم يفعلون كل هذه المنهيات وأكثر منها.!.. جاء محمد ﷺ بالنهي عن الصور والتماثيل وتعظيمها ورفعها، وهم يفعلون كل ذلك، بل ويعظمون التماثيل والصور وثقافتها وطقوسها.!

ومن ذلك: أن ينظر المسلم إلى مجمل عقائدهم؛ فإن أي مسلم عادي ولو كان أميًّا لم يدرس العلمَ، سيعرف أن عقائد هؤلاء القوم هي مجموعة من الخرافات والأكاذيب ومناقضة العقول والغلوّ المبين في أئمتهم، وتعظيم أنفسهم وبني نحلتهم لا على أساس تقوى الله ﷻ وتوحيده، بل على أساس مجرد النسبة والانتماء..! وكل مسلم بسيط يعرف أن هذا شيء غير الذي جاء به محمدٌ ﷺ.

ومن ذلك: أن كل مسلم يعرف أن النبي ﷺ جاء بالنهي عن النياحة على الأموات وعظم هذا النهي تعظيما بالغًا وسماه جاهلية ومن أعمال الجاهلية تنفيرًا منه وتنكيلا به، وهؤلاء القوم دينهم النياحة وإقامة الأعزية وتعظيمها أبد الدهر، لهم مناسبات ومناسبات وأعياد دائرة على أيام السنة، ينوحون فيها ويظهرون الحزن -زعموا- ويتباكون ويتلفعون بالسواد، ويجعلون ذلك من أفضل أعمالهم، ويقولون ويفعلون فيها من المنكرات ما يعلمُ كل مسلم بسيط من غيرهم أن محمدًا ﷺ جاء بضدّه، وبالنهي عنه.!

ومن ذلك: أن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالولاء والبراء على هذا الدين، وهو التوحيد لله رب العالمين، فالولاء والبراء هو مقتضى كلمة لا إله إلا الله ولازمها لا ينفك عنها، وهؤلاء القوم يوالون ويعادون لا على توحيد الله بل على أهوائهم وعلى مجرد الانتساب والنسبة إليهم، أو المقاربة لهم، لا غير، وهذا شيء يعرفه من سبر سيرهم وأحوالهم.

وانظر إلى تعظيمهم للزنادقة من الحلولية والاتحادية أو الفلاسفة الكافرين بدين الله المنحلين من شرائعه، ممن ينتسب إلى الإسلام وإلى أهل السنة، فإنهم يعظمون مثلًا: الحلاج، وابن عربي، وابن سينا والفارابي وأمثالهم، فالخميني مثلًا يعظم ابن عربي ويعتبره إمامًا وقد ذكر هذا في أكثر من موضع من كتبه وخطبه، ومعلومٌ أن ابن عربي ليس شيعيًا وإنما هو منتسب إلى السنة يوالي أبا بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، ولكنه لما كان حلوليا زنديقا نال تعظيم الخميني وأحبار نحلته.! والآن في واقعهم هم لا يفرقون بين زنديق منتسبٍ إلى السنة معروفٍ زندقتُهُ، وبين مسلم صالح مستقيم على دين الله، بل هم في الغالب يفضلون الزنديق ويوالونه ويحبونه؛ فحيثما كان الزنادقة فإن الرافضة تحبهم وتواليهم،

وهذا معروفٌ مشاهدٌ.! وأما علاقاتهم بالزنادقة الطواغيت المرتدين من الحكام وغيرهم فشيء مشتهر عند الناس، معروف عند كل أحدٍ، فانظر على سبيل المثال إلى ولائهم لبشار الأسد حاكم سوريا الآن، ولغيره من طواغيت الردة، وصداقاتهم ومودتهم لمن يكون في صداقته مصلحة عاجلة لهم من دون اعتبار ولا نظر إلى دين وتوحيد.!

ومن ذلك: ما يراه ويسمعه ويعلمه كل المسلمين من بغض هؤلاء الرافضة لصحابة رسول الله ﷺ، وظنهم السيء بهم وسبهم إياهم وطعنهم فيهم إما بالكفر والنفاق أو الفسوق والخيانة، إلا نفرًا قليلا جدا من الصحابة واختلفوا فيهم: قيل أربعة وقيل غير ذلك إلى ثلاثة عشر صحابيًا فقط..!

ومعلومٌ لكل مسلم عرف الصحابة وقرأ سيرهم وتراجمهم المبثوثة في كتب السير والتاريخ والتراجم وفي كتب تفسر القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي وغيرها أنهم من خيار خلق الله، كاملون في الصلاح والتقوى والعلم والفقه والجهاد في سبيل الله، وفي سائر الفضائل، فتحوا البلدان بلا إله إلا الله ونشروا دين الله وضحوا في سبيل الله وهاجروا وجاهدوا، وهم حملوا هذا الدين إلى سائر البشرية، وهم تربية رسول الله ﷺ، معه عاشوا وهاجروا وجاهدوا وبين ظهرانيهم نزل الوحي، فكيف يقبل عقل عاقل أن يقال إنهم كلهم عن آخرهم إلا نفرًا قليلا يُعدون على أصابع اليد الواحدة أو اليدين ارتدوا وخانوا وبدّلوا وغيروا بمجرد وفاة رسول الله ﷺ، وهل هذا إلا طعن صريح في النبيّ ﷺ وفي الدين والقرآن الذي حملوه؟!

من أجل ذلك.. فالرافضة لا تثق بالقرآن ولا تؤمن به حقا، بل التحقيق عند جماعة كبيرة من أكابر علمائهم على مدى التاريخ أن القرآن محرّف مبدّل حرّفه الصحابة وبدّلوه وكتموه..! نبرأ إلى الله من هذا الاعتقاد الباطل، وحاشَ لله.

وهم اليوم مهما حاولوا التَّنصُّل من تبعة هذا الاعتقاد المقرر عند علمائهم الكبار.. فلن يستطيعوا، وسيظهر لكل مسلم عاقل بسيط مدى تخبّطهم وكذبهم وتمويههم، وأنهم على الحقيقة لا يؤمنون بالقرآن وليس عندهم به وثوق..! ومن أجل ذلك فليس عندهم اهتمامٌ يذكر بالقرآن، وإن حاولوا إظهار الاهتمام به في عقودهم الأخيرة وصاروا يضعون البرامج والمسابقات لحفظ القرآن الكريم ونحو ذلك، فكل ذلك ناتج -عند من تتبع أمرهم- عن محاولة التنصّل من التهم التي يرميهم بها ويشنّع عليهم بها أهل السنة من أنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا يهتمون به.!

وهكذا أيضا، بل قد يكون أشد: طعنهم في «عائشة» أم المؤمنين ﵂ وبقية أمهات المؤمنين، فإن كل مسلم بسيط لا يعرف من القراءة والكتابة والعلم شيئًا، يدرك بسذاجة فطرته وسلامة نفسه وصحة

عقله أن هذا ما هو إلا طعن عظيم في النبي ﷺ وعِرضه الشريف الطاهر، فضلا عن كونه تكذيبًا للقرآن، ومناقضةً للمعلوم المستيقن من التاريخ والسير.

ومن ذلك: أن يتأمل المسلم في العلاقة بين عليٍّ وآل البيت وبين باقي الصحابة وعلى رأسهم الشيخان: أبو بكر وعمر رضي الله عن الجميع؛ فإنه يجدها مسطورة في كتب التاريخ والسير والتراجم مشهورة على الألسنة متناقلة بين أجيال الأمة أنها كانت علاقة الأخوة الكاملة والمحبة والولاء الإيمانيّ، ويجدُ المسلم أن عليًّا سَمَّى أبناءه بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان، وهكذا فعل الحسين ابنه رضي الله عنهم جميعا، ويجد ما بين آل البيت وبين سائر الصحابة ولا سيما أبي بكر وعمر من المصاهرة والمراحمة، ثم يجد هؤلاء الرافضة يفرّقون بينهم ويزعمون أنهم يوالون عليا وآل بيته، ويلعنون ويبغضون سائر أصحاب النبي ﷺ، ويكذبون على عليّ وآل بيته زاعمين أن عليّا كان مضطهدا مكرها مقهورًا من الصحابة منزوع الحق مغتصب المكانةِ، غافلين في غمرة هواهم وسكرة ضلالتهم عن أنه الأسدُ شجاعةً وأنه عنوان الرجولة والشرف والكمال.!

وهكذا يقال في مبايعة عليٍّ لأبي بكر ثم عمر رضي الله عنهم جميعا، ثم رضاه بحكم الشورى من المسلمين في اختيار عثمان رضي الله عنه إمامًا عليه وعلى المسلمين، وهكذا أيضا في تزويج عليّ رضي الله عنه ابنته من عمر رضي الله عنه، الذي يعدّه هؤلاء الرافضة أكفرَ الكافرين، نعوذ بالله من مقالة السوء! فهل كان عليٌّ في كل ذلك مكرها مقهورًا خائفا مغلوبًا؟! أليس ادعاءُ ذلك من السفهِ ومن الطعن في فضلِ عليّ بل في رجولتِهِ لو كانوا يعقلون.! نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ بالله من الخذلان.

وكذا الأمرُ فيما يتعلق باختيار الحسن رضي الله عنه الصلحَ بين المسلمين ومبايعته لمعاوية رضي الله عنه، والحسنُ هو ثاني الأئمة المعصومين عندهم.

فهذه أمثلة لوقائع تاريخية لا تقبل الشك، وإنكارها سفسطةٌ، والقولُ بأن عليًّا وابنه وأهلَ بيته كانوا فيها مكرَهين مغلوبين قولٌ تمجّه عقولُ أولي الألباب وينادي على قائليه بالخذلان، ودون إثباته خرقُ الأرض ورقيّ السماء، وكل من قرأ التاريخ عرف أن تفاصيل تلك الوقائع وملابساتها وسياقها تنفي الإكراه المزعوم أشد النفي.

ومن ذلك: أن يتساءل المسلم البسيط العادي: أين السيرة النبوية؟ وأين سنة رسول الله ﷺ وبيانه وتعليمه لنا وتفسيره للقرآن وأحاديثه التي هي كلها علم وحكمة وتشريع ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾؟ [النجم] لا يكاد يجد لها عند الشيعة ذكرًا، وأين غزوات النبي ﷺ وجهاده وهجرته وأسفاره في سبيل الله؟ أين بدرٌ وأحدٌ والخندقُ والحديبية وخيبرُ وفتح مكة وحنينٌ وتبوك ومؤتة



وغيرها؟ لا يكاد يوجد لها ذكرٌ عند الرافضة، وهذا تعليله واضحٌ لا يخفى على عاقلٍ سليم الفطرة يريد الحق، فإنهم إذا كان الصحابة عندهم كلهم خونة كفرة أو منافقون أو فسقة إلا نفرًا قليلا، فكيف يمكنهم أن يذكروا الغزوات والسيرة النبوية، وهل سيرة النبي ﷺ وغزواته إلا سيرته هو وأصحابه ﷺ؟! وهل هذه الغزوات والسيرة العطرة إلا سبائك من الفخر والشرف والعز والكمال البشري للصحابة ﷺ؟!

ومن ذلك: أن ينظر المسلم إلى تناقضاتهم الواضحة على مستوى السياسة، ففي حين هم يرفعون شعارات الإسلام، والوحدة الإسلامية وعدم التفريق بين سنيّ وشيعي، تجدهم ينصرون الطواغيت المرتدين على أبناء الإسلام أهل التوحيد، إذا كان ذلك الطاغوت حليفا لهم أو كانوا يرون في قوته مصلحة لهم، ومثال ذلك: سوريا وما حصل أيام «حافظ الأسد» من تنكيل بالمسلمين في «حماة»، وقد اشتهر خبرُ مشاركة جنود «الخميني» في أحداث «حماة» المفظعة، وكذا في «لبنان»، ونصرهم لحكومة أوليائهم روافض العراق، وسكوتهم المطبق على ما يجري على أهل السنة من المحن والمجازر في العراق على أيدي أوليائهم من «جيش المهدي» وغيره الآن، ومثل ذلك موقفهم من مجازر «حركة أمل» وحتى «حزب الله اللبناني» في لبنان ضد الفلسطينيين وأهل السنة في لبنان في أواسط وأواخر الثمانينات من القرن الميلادي الماضي وبعدها أيضا، والأمثلة كثيرة.

وما شذ عن ذلك مما ظاهره أنهم يؤيدون حركاتٍ إسلامية فتفسيره يكمن في معادلات سياسية معينة وفي أغراضهم السياسية التي سيأتي توضيحها.

ومن أعظم تناقضاتهم على المستوى السياسي: فضيحتُهم العظمى في هذا العصر بتواطئهم مع الأمريكان على غزو أفغانستان والعراق بوجهٍ من الوجوه، وأنهم لم يفتِ مرجعٌ واحدٌ من مراجعهم بوجوب الجهاد ضد الأمريكان في أفغانستان أو العراق، واعترفوا بالحكومتين العميلتين فيهما، بل ولما وصف حكمتيار حكومة كرزاي بالعميلة طردوه من إيران، وتناقضُهم بين تأييدهم للجهاد في فلسطين ولبنان وإنكارهم له في أفغانستان والعراق، وكونُهم في العراق هم يد الأمريكان ومخلبهم بما شكلوه من أجهزة الأمن والشرطة والجيش والحرس الوطني.

ومن ذلك: أن ينظر المسلم إلى دولة الشيعة إيران وهي نموذج للرافضة إذا حكموا وكانت بيدهم مقاليد الأمور، فيرى ما عندهم من التحلل من الشرائع وفساد الدين؛ على مستوى العبادات والمعاملات، فالربا فاشٍ ضاربٌ أطنابه وفتاوى كبارهم متظافرة على تحليله والمسامحة فيه بأنواع الحيل، وأنواع البيوع والشركات والمعاملات التجارية والمكاسب، والجوائز والمسابقات والمقامرات،

والرياضات رجالية ونسائية، والموسيقى والتمثيل والسينما وصناعة الأفلام، والصور والتماثيل التي هي عنصر محوريّ في ثقافتهم وحضارتهم يقدّسونها تقديسًا عظيما، وغير ذلك كثير، فلا تجد أثرًا للشريعة الإسلامية إلا فيما ندر من المناحي، فأين دين الله وأين الإسلام؟ وأين إرادة أن تكون كلمة الله هي العليا؟ يكاد يكون الدين انحصر عندهم في العزاءات والمناحات الموسمية والسواد والبكاء.!

والمقصود: أن هذه نماذج وأمثلة من الأشياء التي يدركها عامة المسلمين ويفهمونها بسهولة؛ فمهما حاول الرافضة الخداع والتزويق والتلاعب فإن فساد دينهم وفساد أعمالهم المبنية عليه لا يمكن أن يغطيها الكلامُ.! وهذا يذكرني بالغباء الأمريكي حين تريد أمريكا أن تحسّن صورتها عند المسلمين وفي «الشرق الأوسط» كما يسمونه، فتصرف ملايين الدولارات من أجل ذلك وتعقد مؤتمرات وتفتتح محطات تلفزيون فضائية لهذا الغرض وتشتري بعض الذمم من أهل الخسة ليساعدوها في ذلك ويكونوا لها أبواقا... في حين هي مستمرّة في الواقع وعلى الأرض وفي ميدان العمل؛ مستمرة في غطرستها وظلمها، وفي اضطهاد المسلمين ومحاربتهم ودعم عدوّهم الأساسي وهم اليهود في فلسطين ودعم كل أعدائهم من الهند في كشمير إلى نصارى جنوب السودان مرورا بدعم كل أنظمة الاستبداد والفساد والطغيان في سائر بلاد المسلمين...!

فهل يظنون أن تحسين الصورة يحصل بمجرد الكلام..؟! إن كان ذلك فهو من أشد أنواع الغباء.! وكذلك الروافض فيهم شبه من هذا.

❖ ظاهر القوم وباطنهم:

إذا تقرر أن للقوم ظاهرًا وباطنًا، فما هو ظاهرهم وما هو باطنهم:

أما ظاهرهم فهو المتحصل من دعاويهم وظواهر تعاملهم مع باقي المسلمين وأكثريتهم في الأمة وهم أهل السنة، ويمكن إجمال ذلك في خطوط عريضة:

(١) الادعاء بأننا جميعا مسلمون (سنة وشيعة) ولا فرق بيننا إلا كما توجد الفروق بين مذاهب المسلمين ومدارسهم الفقهية، ولذلك فإنهم يركزون على جعل أنفسهم عند عوامِّ المسلمين من أهل السنة مذهبا خامسًا، وهو المذهب «الجعفري» زعموا، والمقصود بذلك خداع عوامّ المسلمين في أنحاء العالم ممن لا يعرف حقيقتهم بأنهم مذهبٌ كسائر المذاهب المعتبرة، وهو نوعٌ من الغش والكذب والتمويه جارٍ على أصولهم وأخلاقهم ودينهم الباطل المبني على الكذب.!

ولهذا تجدهم مثلًا عندما يعبّرون عن «البلوش» في إيران، يركزون على وصفهم بأنهم على المذهب

الحنفي، وهكذا مع الأكراد في شمال غرب إيران إذا تحدثوا عنهم يحرصون على وصفهم أو وصف العالم من علمائهم مثلًا بأنه شافعيّ، وانظر إلى هذا المثال البسيط:

«سقز المنفى الأخير: في ظروف جوية صعبة وبرد شتوي قارص لتلك المنطقة، أمضى آية الله العظمى «المنتظري» أيام نفيه الأخير، **وعلى الرغم من أن أهالي هذه المدينة كانوا علي غير مذهب سماحته (الشافعي)** إلا أن محل إقامته أصبح مركزا للقائه بمختلف أبناء هذه المدينة، ومن جهة أخرى وإثر اعتقال العشرات من أصدقاء وتلامذة سماحته جراء مشاركتهم في مراسم تخليد ذكرى انتفاضة الخامس عشر من خرداد في المدرسة الفيضية، كشف السافاك الصلات التي تربط هؤلاء بسماحة الشيخ المنتظري، ولذلك قرر اعتقال سماحته ونقله إلى طهران» اهـ[(١)].

فانظر إلى قولهم: إن مذهب أهالي المدينة المذكورة هو المذهب الشافعي، في مقابل مذهب المنتظري، وما هو مذهب المنتظري؟ إن مذهب «المنتظري» الذي يجب أن يُذكر في مقابل مذهب أهل تلك المدينة هو المذهب «الشيعي الاثنا عشري الإماميّ»، وعليه فيجب أن يذكر أن أهل المدينة مذهبهم (أهل سنة - شافعية) فتكون كلمة شافعي فرعًا عن كونهم أهل السنة، وهذا واضح لا يخفى، لكن هي طريقة القوم، وما هذا إلا مجرد مثال وحيد فقط مما وقع بين يدي الآن وأنا أكتب هذا المقال، وإلا فهذه سياستهم لا يحيدون عنها مكرا وكيدا وتلبيسًا وخداعًا.!

ومن أجل خدمة هذا الغرض الاستراتيجي في سياستهم (الادعاء بأنه لا فرق بين سني وشيعي، وأننا جميعا مسلمون): أسسوا العديد من البرامج الدعوية والدعائية من مواسم ومناسبات ومؤتمرات وغيرها، واصطنعوا العديد من الشعارات وسخّروا لذلك العديد من القوى والوسائل الإعلامية والثقافية؛ فقد أسسوا في عهد «الخميني» وبعد نجاح ثورته بقليل، وباقتراح من «آية الله المنتظري» - على ما يقول أصحابه في ترجمته- إعلان الأسبوع الواقع في شهر ربيع الأول بين تاريخي ولادة النبي ﷺ على حسب تقويمي أهل السنة والشيعة أسبوعًا للوحدة الإسلامية، هكذا أسموه: «أسبوع الوحدة الإسلامية»، ويحتفلون بإحيائه بالمؤتمرات الدعائية والثقافية كل عام في مناطق السنة على وجه الخصوص، وفي عموم إيران أيضا، ويركزون فيه على دعوة التقريب بين المذاهب ويستدعون فيه علماء ومفكرين وكتابا ودعاة من أنحاء العالم الإسلامي يحيون أيامه.

جاء في موقع آية الله «منتظري» على الانترنت في سياق ذكر أعمال ومبادرات وإنجازات

---

(١) من ترجمة آية الله منتظري، على موقعه على الانترنت باللغة العربية. [المؤلف]

«المنتظري»: «الإعلان عن أسبوع الوحدة من أجل رص صفوف المسلمين واتحاد كلمتهم بعيدًا عن كل ما يشتت جمعهم ويفرقهم، ويقع هذا الأسبوع من اليوم الثاني عشر من ربيع الأول حيث يري مورخو أهل السنة بأنه يصادف ميلاد النبي الأعظم (ص) واليوم السابع عشر من هذا الشهر حيث يعتبر علماء ومؤرخو الشيعة أن هذا اليوم هو يوم ميلاده (ص). وقد لقيت هذه المبادرة ترحيبًا واسعا من قبل كبار العلماء والشخصيات العلمية منهم مراجع التقليد والإمام «الخميني» ومؤسسات الثورة الإسلامية ورجال الدولة» اهـ.

وأسسوا أيضا «مؤتمر التقريب بين المذاهب»، بالتعاون مع جهات سنية معروفة في العالم الإسلامي، وغير ذلك من المساعي الكبيرة لخدمة هذا الغرض من أغراضهم الذي هو عمودٌ من أعمدة سياستهم.. أعني التظاهر بأنه لا فرق بين سني وشيعي وأن الجميع مسلمون وإخوة، وأن الخلاف هو مجرد خلاف بين المذاهب والمدارس الإسلامية؛ كالفرق مثلًا بين الحنفيّ والمالكي والشافعي والحنبلي.!

(٢) احتضان وتبنّي قضايا المسلمين الكبرى والتي لها التأثير البالغ في أمة الإسلام جمعاء، والتي تكون محلّ اتفاق بين جميع الأمة، وهذه مثالها الواضح ويكاد يكون الوحيد هو: «القضية الفلسطينية»، وسيأتي مزيد كلام عليها إن شاء الله، لأنها في الأصل موضوع كلامنا، ومعلومٌ أن قضية فلسطين واحتلال المسجد الأقصى، ووجوب تحريرها وتخليصها من اليهود الغاصبين لعنهم الله، هذه مسألة لا خلاف عليها بين جميع طوائف الملة الإسلامية وأهل القبلة المنتسبين إلى الإسلام، حتى العلمانيين والزنادقة، وجميعُ النحل مشتركون مع عموم المسلمين في ذلك، فهي قضية إذن ليست محكًا من حيث هي، وإنما النظر في معتقد الإنسان ومنطلقاته وصحة منهجه... إلخ.

(٣) التظاهر عمومًا بحمل راية الإسلام، ومحاولة ملء الفراغ الحاصل في أمة الإسلام حيث لا دولة للإسلام على الحقيقة، والسعي لقيادة العالم الإسلامي بدعوى أنهم دولة إسلامية محضة (جمهورية إسلامية) و(ثورة إسلامية)، وهذا الغرض يستدعي تحقيقه استعمال لفظ «الإسلام» فقط والتظاهر الذكيّ بما مرّ في الفقرة رقم واحد، وعدم ذكر لفظ «شيعة» ومشتقاته.

ومن أجل خدمة هذا الغرض من أغراض سياستهم أيضا عملوا على تبنّي العديد من قضايا المسلمين، ودعم الكثير من شعوبهم الضعيفة وملء الفراغ الثقافي والإنساني في كثير من جهات العالم الإسلامي الممتحنة في أفريقيا وآسيا وغيرها، فأنشأوا العديد من المؤسسات الثقافية الدعوية التي تنشر الكتب والرسائل الدعوية وتبذل بسخاء، وتوزِّع ما لعله ملايين النسخ من الكتب والرسائل بالبريد

وغيره في أنحاء العالم، ويتبعون في رسائلهم الدعوية (كتب صغيرة الحجم يسهل اقتناؤها وقراءتها) سياسة في غاية الذكاء والمكر تعتمد على ما ذكرته في الفقرتين رقم واحد واثنين أعلاه، وتركز على التاريخ برواياتهم هم المشوّهة طبعا، وعلى نقد الفكر والعقل الإسلامي، وشيء من الفلسفة الإنسانية والمنطقية، وإثارة التساؤلات والتنبيهات التي يريدون بها التوصل بالقارئ العادي العامّيّ إلى الميل إلى طريقهم ودينهم الباطل، ويجتنبون التصريح بشيء منفّر كسب الصحابة ونحوها من مسائل، غير أنهم يطعّمونها بشيء مما يقتضيه التدرّج في الاستقطاب من خلال الطعن في معاوية ﷺ، ويزيد ابنه، وبني أمية عمومًا ثم بني العباس، وذكرهم بالظلم وإبراز «مظلومية آل البيت» على أيديهم، كما يزعمون وينمّقون، ويُظهرون كتاباتهم في صورة الفكر الإسلامي المتحرر المستنير الناقد للذات، وفي ثناياه التوجيه إلى «روايات آل البيت» و«المفاخر والمبادئ العاشورائية والحُسينية» زعموا، وهكذا...!

وكانت فكرة «تصدير الثورة» وخاصة بُعيد نجاح ثورتهم الخمينية في إيران التي هي إحدى الفتن والمحن الكبرى لأهل الإسلام في العصر الحديث، وكانوا حينها واقعين تحت طائلة نشوة الانتصار.. كانت هي العنوان البارز لمعظم تلك المحاولات والمساعي، فحاولوا على المستوى السياسي تبني الكثير من القضايا، لكن أكثر ذلك فشل واصطدم بصخرة اكتشاف حقيقتهم من قِبَل الناس، ووقعوا ضحية طبيعية لحتميّة محدودية دينهم الوضعيّ المليّ الطائفيّ.! فإن الدين الذي عندهم والذي يحاولون الانطلاق منه دينٌ وضعيّ مبدل عن دين الله ﷻ (الإسلام) ذو طبيعة مليّة (أي قومية) وهي الفارسية بالأساس (بالنسبة للإيرانيين) مخلوطة بدعاوى الانتساب لآل بيت النبي ﷺ، وطبيعة دين كهذا لا يناسبها العالمية مهما حاولوا، وهذا ما قصدته بالحتمية هنا.

وأما باطنهم الذي هو حقيقتهم بناء على ما تقدم ذكره من طرائق معرفة البواطن والحقائق حين يختلف الظاهر والباطن فيمكن أيضا إجماله في النقاط المختصرة الآتية:

(١) **أنهم فرقة منتسبة إلى الإسلام**، وهم ينسبون أنفسهم إلى الإسلام حقيقةً، بمعنى أنهم لا ينتسبون إلى الإسلام تمويهًا على الخلق وهم في الباطن كفرة عند أنفسهم يدينون في الباطن بدين آخر كالمجوسية أو اليهودية أو النصرانية أو البوذية مثلًا، بل انتسابهم إلى الإسلام عند أنفسهم هو انتساب صادق من هذه الجهة وبهذا المعنى، إلا أنهم يريدون الإسلام كما يريدونه هم، أي على وَفق ما تهواه أنفسهم، لا كما أنزله الله ﷻ على محمّد ﷺ.! وهذه نقطة هامة تحتاج إلى مزيد شرح.. ويُستثنى من ذلك كبارُ زنادقتهم من «مطوّري المذهب» الذين يعلمون علم اليقين أن ما هم عليه ليس هو دين الإسلام كما جاء به محمدٌ ﷺ، ولكنهم ارتضوا السير في طريق الضلالة لأسبابٍ هي في أغلبها كأسباب كفرِ

الرؤساء وأشراف الأقوام ونحوهم ممن حصلت لهم امتيازات دنيوية ومادية وشرفٌ وجاه اختاروه على الهدى، والعياذ بالله، وهؤلاء الزنادقة كثيرون فيهم، في طبقة علمائهم ومثقفيهم ومفكريهم وأهل الرياسة فيهم، قد نعرف بعضهم عينًا بالأدلة القوية الظاهرة.!

(٢) وبالتالي فهم فرقة منتسبة إلى ملة الإسلام بحسب الدعوى وبحسب التظاهر، وبحسب الانتساب للاسم والعنوان (اسم الإسلام) لا بحسب الحقيقة ونفس الأمر، بل هم في الحقيقة مارقون من الإسلام مروقًا عظيمًا، متلبّسون بأنواع يشق حصرها من المبادئ المخالفة لدين الإسلام من أساسه، من أنواع الشرك والكفر المبين، وغيرها من الضلالات الاعتقادية والعملية والبدع والأهواء والفساد العريض..!

(٣) فهم إذن على «دينٍ مبدّل» عن دين الإسلام، دينٍ وضعيّ، بمعنى أنهم وضعوه وصاغوه وأسسوه لأنفسهم وصار -مع الزمن والتطوير!!- نحلة لهم متوارثًا مخدومًا بأنواع الخدمة الإنسانية: مذاهب ومدارس علمية وتراث عملي وثقافة وأدب وفنون وكتب وكتّاب وتآليف... إلخ، وصار له تاريخ ونشأت عليه دولٌ، ومرت عليه أجيال وأجيال وأجيال، فصار عند أهله ووارثيه شيئًا لا يمكن التنصّل عنه إلا لمن تداركته رحمة الله ﷻ..!

(٤) وهم (كلامنا هنا عن الإيرانيين بالأساس كمثال واضح) ينطلقون -في الجملة- من هذا الدين المذكور ومبادئه، فهو من أهم المبادئ والأسس التي ينطلقون منها، مضافًا إليها أساساتٌ ومبادئ ومنطلقات أخرى مثل الدوافع القومية المليّة الفارسية والحضارية والتاريخية، والسياسية التوسّعية، وغيرها.

(٥) وبالتالي فإنهم في الحقيقة لا يعتبرون أنفسهم جزءًا من أمة الإسلام بمعناها عندنا نحن أهل السنة، بل هم -عند أنفسهم- المسلمون الحقيقيون فقط، وهم بديل لأمة الإسلام، وشيء آخر غيرها، لأنهم يرون أن «الأمة الإسلامية» هي أمة سنّيّة (أمة أهل السنة) يسيطر عليها على مستوى القيادة وعلى مستوى القاعدة أهلُ السنة، وهم (الشيعة) يناضلون من أجل أن يصلوا إلى قيادة الأمة، فتكون لهم القيادة والريادة.!

ومعلومٌ أنهم يعتقدون كفرَ أهل السنة على العموم، وعندهم تفاصيل يُظهرونها والله أعلم ببواطنها تتعلق بعوامّ أهل السنة وجهلتهم، أما علماءُ أهل السنة وأهل التوحيد والتمسك بالسنة وما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهؤلاء عندهم كفارٌ قولا واحدًا..!

وهم يحبّون أن يطلقوا عليهم اليوم في عصرنا هذا أسماء مموّهة كعادتهم مثل: «الوهابيين»

و«التكفيريين» ونحوها، فضلا عن الاسم القديم المستعمل منذ القدم وهو «النواصب»، ومرادهم من ذلك واضح لجميع أهل العلم والفهم من أهل السنة لا يخفى..!

وهم يعتقدون أنهم لم يزالوا أقليَّة مضطهدة في أمة الإسلام من قِبَل جمهور المسلمين الذين هم أهل السنة، وقيادات المسلمين عبر التاريخ التي هي دولُ أهل السنة، من لدن دولة «الخلفاء الراشدين» إلى دولة «بني أمية» إلى دولة «بني العباس» وما بعدها أو في أثنائها من دويلات إلى دولة «العثمانيين» وإلى اليوم أيضا، باعتبار الدعوى والانتساب على الأقل بالنسبة لأكثر الدول المعاصرة، وإنما قامت لهم هم دويلات صغيرة محدودة في بقاع قليلة من رقعة بلاد الإسلام، وآخرها دولتهم اليوم في إيران.

(٦) وبالتالي فمن أجل تحقيق أغراضهم وغرضهم الأساسي والأصيل وهو الغلبة على أهل السنة والإمساك بقيادة الأمة الإسلامية فإنهم أنشأوا العديد من الوسائل لذلك من أهمها: إنشاء أحزاب ومنظمات شيعية من أهل نحلتهم في كثير من بلاد المسلمين، ولا سيما من البلدان التي لأهل نحلتهم فيها وجود كبلدان الجزيرة العربية والخليج ومعظم بلاد العجم الشرقية وغيرها، والغالب أنهم يسمّونها «حزب الله»، فما الحزب المسمى حزب الله في لبنان إلا أحدها، ولكنه أكبرها وأهمّها بسبب الظروف والفرص «الجيوسياسية» وغيرها.

وبالتالي أيضا فإن أي سياسات وأعمال جليلة يتظاهرون بها من مثل دعم وتبني القضية الفلسطينية وغيرها، فإنها منزّلة على هذا الأساس وعلى ما تقرر في النقاط السابقة، وما يتباهون به من ذكر قضية فلسطين والتركيز عليها في فكر وأعمال ومقالات إمامهم «الخميني»، كله لا يخرج عن كونه مثالا لسياستهم التي تحدثنا عنها، والخميني هو من أهم واضعي ومقرري هذه السياسة ومن أكبر أئمتها في العصر الحديث.!

❖ ضرورة ووجوب الإنصاف والقيام بالقسط مع كل أحد عدوّ أو صديق:

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾[المائدة]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾[النساء]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في سورة الأنعام [٢١، ١٣٥] ويوسف [٢٣] وغيرهما [القصص: ٣٧]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ في سورتي البقرة [٢٥٨] وآل عمران [٦٨] وفي التوبة [١٩، ١٠٩] وغيرها [الصف: ٧،

الجمعة: ٥]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾[يونس]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معروفة.

وأحاديث النبي ﷺ في هذا الباب كثيرة جدا، ومن أعظمها حديث أبي ذر ﭬ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: (**يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا**..) الحديث رواه مسلم[1].

وعليه.. فإن الواجب هو الصدق في القول والإنصاف والعدل في الأحكام وفي كل تصرف، والقيام بالقسط، لا ظلم ولا وكس ولا شطط، بل نعطي كل شيء حقه ونضع كل شيء في موضعه على حسب ميزان العلم والعدل والحكمة كما علّمنا الله ﷻ وفتح علينا من فقه دينه، وله ﷻ المنة والفضل وحده.

وهؤلاء الرافضة من جملة من ابتليتْ بهم الأمة الإسلامية من فرق الضلالة والمروق من الدين وإفساد الملة المحمّدية.. فالواجب فيهم هو كالواجب في التعامل مع سائر خلق الله من مسلم وكافر من العدل والقيام بالقسط، فلا نظلمهم ولا نكذب عليهم ولا نعتمد في مواجهتهم أسلوبَهم وأسلوب غيرهم من الكذب والبهتان والافتراء والإفك، معاذ الله وحاشَ لله، وحسبنا الله ونعم الوكيل..!

فإن الكاذب والمفتري والظالم لا يهديه الله ﷻ ولا يوفّقه ولا يعطيه النجاح في عمله الدنيوي ولا يبارك له في سعيه، وإن ظهر في بعض الأوقات أنه نجحَ، لكنه يكون نجاحًا ظاهريًا أبترَ مقطوعَ البركة. ثم لا يهديه في الآخرة بل يكون عند الله من الممقوتين المستحقين للعذاب، والعياذ بالله.

فما نقوله فيهم هو ما أرانا الله فيهم، ملتزمين الصدق والعدل والتحقيق والتدقيق، لا نبغي غير الحق والحقيقة، ونصر الحق وأن نكون أنصارًا لله كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴿١٤﴾﴾وقال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج] وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة] ومن هنا حسُن في هذا المقام توضيح بعض المسائل ستأتي تحت العنوان التالي:

❖ حقائق وأوهام وتصحيحات:

▪ **الرافضة إذن لهم دين كما تقدّم، ولكنه دينٌ مبدّلٌ عن دين الله**، ومعنى كونه مبدّلا أنه ليس هو الدين الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ، فهم قد بدّلوه وغيّروه وطوّروه عبر الأزمنة والعصور، وأدخلوا فيه من البدع العظيمة الاعتقادية والعملية الكثير، فالتبديل واقع على مستوى الدين وهو

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧).



التوحيد ومجمل الاعتقاد، وعلى مستوى الشريعة وهي الأحكام العملية، فإنك إذا نظرت فيما عندهم من الدين اليوم وجدتَ شيئًا مختلفا اختلافا كبيرًا -في كليات كثيرة وفي جزئيات غير منحصرة كثرةً- عن دين محمد ﷺ وأصحابه.

وهم ينطلقون من هذا الدين في وضع أجنداتهم السياسية واستراتيجياتهم كلها، بالإضافة إلى دوافع أخرى قومية وتاريخية حضارية وتوسعية، كما ذكرنا. ونحن عندما نتحدث عن الرافضة هنا ونقول إن لهم دينا صفته كذا وكذا، نعني بطبيعة الحال الرافضة المتديّنين، الذين يملكون زمام الحكم في إيران، وفي حزب الله اللبناني وغيرهما، ولا نعني الرافضة العلمانيين والمنسلخين عن الأديان أصلا، وهم كثُر عندهم كما هو الشأن في المنتسبين لأهل السنة.

- **البعد المليّ (القومي) الجاهلي التاريخي الفارسي** عند شيعة إيران على وجه الخصوص -وعند غيرهم من شيعة العجم بنسبة أقل وعند بعض شيعة العرب بنسبة أقل تأثرًا بالثقل الشيعي الفارسي- شيءٌ موجودٌ عليه دلائل لا تخفى على المتوسّمين.

فانظر إلى إحيائهم لتاريخهم الفارسي وعظيم اهتمامهم به، في مقابل انحصار تاريخ الإسلام عندهم في قصة الحسين وكربلاء وأمثالها، مع ما فيها عندهم من الكذب العظيم والافتراء والشطح والبهتان.!

وخذ هذه الأمثلة:

- يحترم الرافضة الإيرانيون ويعظمون عددا من الشعراء الفرس الإسلاميين وهم من أهل السنة انتسابًا، من أمثال «مولوي»، و«حافظ»، و«خيام» وغيرهم، لا لشيء إلا لأنهم فرسٌ، من دون ذكر شيء عن مذاهبهم؟

- تحرص دولة إيران على تسمية «الخليج العربي» بـ«خليج فارس»، وعندهم قانون يجرّم تسميته بغير ذلك، ويعاقب من يسميه الخليج فقط، بدون نسبة، فضلا عمن يسميه الخليج العربي، وعندما يريدون التعبير عن «دول الخليج العربية» يقولون: «دول خليج فارس العربية.!» ويعقدون المؤتمرات سنويا بعنوان: «الخليج فارسي أبدًا».! وهذه عندهم مسألة عظيمة ولها شأن كبير، وهي لا تعدو في الحقيقة أن تكون تسمية، فسمّه ما شئتَ، والأسماء تتغير عبر العصور والأزمان، ولها مناسبات تخصّ أحيانا وتعمّ أخرى؛ فأي ضيرٍ في تسمية لها مناسبة ووجاهة، ولا مانع منها لا شرعا ولا عقلا ولا أدبًا ولا حتى بالجغرافيا والتاريخ؟! وهل تستحق مثل هذه المسألة كل هذا التعنّت، لولا قوة القومية الجاهلية وعقلية الشعارات التافهة، وهم يظنونها من السياسات الحكيمة.!! سمّه ما شئتَ ما دمت

ترى أن التسمية الفلانية أنسب وأصدق، ودع غيرك يسمّيه بحسب ما يرى أيضًا، وقل لا مشاحّة، وإنما أنت إذا كنت تريد أن تكون قويًا ناجحا في ميدان الواقع، فالعمل هو المحك.

- ومن ذلك أيضا لو نظرت إلى شيعة إيران وهم دولة الشيعة في هذا الزمان، فانظر إلى قلة اعتنائهم باللغة العربية تعليمًا واحترامًا، وهذا شيء مشاهد معروفٌ عند من عرفهم، وقد كان لهم فرصٌ في التاريخ أن يجعلوا العربية لغة رسمية أو شبه رسمية، لكن أنى لهم ذلك ونار القوة القومية تحرق أفئدتهم.! وقد لوحظ أنهم في لغتهم يعبّرون عن العرب أحيانا على قلةٍ بلفظ «أعراب»، وظني والله أعلم أن ذلك من دسائسهم الخبيثة، فلعل بعض أحبارهم دسّها لهم في بعض مراحل تاريخهم، يغمزون بها في العرب ويتوصلون بها إلى رميهم بأنهم مجردُ أعرابٍ، ومعلوم الفرق في لغة العرب بين عربٍ وأعرابٍ، وأن الأعراب هم بادية العرب أهل الجفاء وقلة التمدّن، ولا أظنها من أصل لسانهم، فهي كلمة عربية فصيحة قديمة هم أخذوها من اللسان العربي، فهذا ظني فيما يتعلق باستعمالهم لهذه اللفظة في التعبير عن العرب، وإن كان الأمر يحتاج إلى مزيد تحقيق.

- وقد تحدث عددٌ من الدارسين للشأن الشيعيّ عن مسألة كراهية الرافضة للعرب، وإطرائهم «سلمانَ الفارسي» رضي الله عنه لأصله الفارسي، وميلهم إلى تعظيم «الحسين» أكثر من غيره كذلك لمصاهرته الفرسَ، وأشياء من هذا القبيل، أضف إليها ما في العديد من رواياتهم -عن أئمة آل البيت زعموا- في كتبهم المعتمدة كـ«الكافي» للكليني وغيره من الكلام الجافي عن العرب، يمكن مراجعتها في مواضعها، ولا ريبَ أن كل ذلك موضوع مكذوبٌ على آل البيت رضي الله عنهم وأنه من دسائس زنادقتهم الكبار مطوّري المذهب ومبدّلي الدين قاتلهم الله.!

▪ **العداء بين الرافضة وبين أمريكا وإسرائيل هو عداءٌ حقيقيّ،** مبناه من جهة الرافضة على أشياء: منها الدين أي دينهم المبدل الذي هم عليه وما فيه من بقايا دين الحق، ومنها لزوم ذلك بطبيعة الأشياء حيث إن الرافضة يريدون أن يجعلوا أنفسهم أمة الإسلام الحقيقية ويريدون أن يمسكوا بزمام القيادة في الأمة الإسلامية، وهذا لا بد وأن يلزم منه الاصطدام مع اليهود والنصارى، كما أشرنا في أول المقال، ومنها التاريخ والأطماع التوسعية والسيادية الإقليمية.

فمن ظنّ أنه لا عداء بين الرافضة وبين اليهود في دويلة إسرائيل، ولا بينهم وبين أمريكا، فقد أخطأ، ويرجع جزء من ذلك عند بعض الناس إلى تأثير ما يُسمى عند المثقفين بـ«نظرية المؤامرة» على العقل العربي والإسلامي والشرقي عمومًا، وهي من معاقد الخلل في ثقافتنا للأسف.! والله أعلم،

ولماذا يذهب الإنسان المسلم العاقل بعيدًا عن آيات الله في الكون، وهو يرى العداء بين ملل الكفر أمام ناظريه وعلى مدار التاريخ، فالصراع والعداء يكون بين الحق والباطل، ويكون بين أهل الباطل المختلفين: أهل باطل يصارعون أهل باطل، فأين الإشكالُ؟ والباطل أشكال وأنواع وسبُلٌ.

وقد يستشكل بعض المسلمين هنا أشياء نضربُ لها أمثلة:

فمن ذلك: ما صدر عن بعض كبار قياداتهم ومسؤوليهم السياسيين من تصريحات بأنهم أعانوا أمريكا في احتلال أفغانستان والقضاء على طالبان وكذا في العراق، كما قال «محمد أبطحي» وكان ساعتها معاونًا لـ«محمد خاتمي» رئيس الجمهورية في إيران حيث وقف -بفخر يحسده عليه العلمانيون العرب المتأمركون- في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سنويا بإمارة أبو ظبي مساء الثلاثاء ١٥/١/٢٠٠٤م ليعلن أن بلاده «قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق»، ومؤكدا أنه «لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة»[(١)] اهـ[(٢)].

وهذا القول نفسه قاله قبله «رافسنجاني» الرئيس السابق ورئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام حاليًا حين صرح في خطبة الجمعة في جامعة طهران يوم ٠٨/٠٢/٢٠٠٢ بالقول: «إن القوات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها وإنه لو لم تساعد قوّاتهم في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني، ويجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أمريكا أن تسقط طالبان»[(٣)] اهـ.

وكرره «علي لاريجاني» مسؤول الأمن القومي في مؤتمر عقد بمدينة بيرن السويسرية في النصف الأول من شهر فبراير من هذا العام الإفرنجي ٢٠٠٧م، ونقلته وسائل إعلام متعددة.

وكرره «علي أكبر ولايتي»، وهو وزير خارجية سابق، ومستشار دبلوماسي لمرشد الثورة «علي خامينائي» حاليًا في فرنسا بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠٠٧م، كما نقلته «إذاعة البي بي سي» في تقرير مراسلها «محمد منير سراج» من باريس في برنامج عالم الصباح لليوم التالي ٢٢ فبراير.

---

(١) نقلا عن موقع مفكرة الإسلام، والخبر مشهور نقلته العديد من وسائل الإعلام. [المؤلف]

(٢) انظر تصريحات مماثلة له مصورة في شريط «مؤسسة السحاب الإعلامية»: «قراءة للأحداث»، وهو اللقاء الثاني للسحاب مع الشيخ الدكتور «أيمن الظواهري»، عند الزمن (١: ١٥: ٤٦) وما بعده، وراجع كلام «د. أيمن» في الموضوع في نفس الشريط. [المؤلف]

(٣) نقلا عن جريدة الشرق الأوسط بتاريخ اليوم التالي لتلك الجمعة، نقلته بواسطة عدة أبحاث ومقالات نقلت عن الجريدة المذكورة. [المؤلف]

فإذا أردنا تحليل هذه التصريحات، فيحسُن طرح بعض الأسئلة:

هل إيران فعلا ساعدت أمريكا في احتلال أفغانستان والعراق؟

ولماذا وعلى أي أساس فعلت إيرانُ ذلك؟

هل هو دليل على أنهم أولياء أصدقاء متحابّون، وأنه لا عداء بينهما في الحقيقة؟ أي هل هذا دليل على انتفاء العداء بين الطرفين؟

فالجواب عن السؤال الأول أن إيران أعلنت ظاهريًا أنها لا ولن تساعد أمريكا في غزوها لأفغانستان وللعراق، وبالفعل لا يُعرَف أنها ساعدت بشيء ظاهرٍ كبير، وما يُقال من أنها غضت الطرف عن استخدام الأمريكان لمجالها الجويّ في غزوهم لأفغانستان، فلا أعرفُ صحته، وهو إن حصل فيمكن تأويله بأنه واقعٌ من الأمريكان بدون إذنهم (الإيرانيين) وهذا غيرُ مستغرب، وأما شيء آخر من المساعدة والمعونة **فإيران ساعدت الأمريكان مساعدة أخفى قليلا وهي من نوعين:**

من النوع السلبيّ، وهو عدم المدافعة، فإيران التي تزعم أنها دولة إسلامية وتزاحم وتنافس على قيادة العالم الإسلامي لم تبدِ أي مدافعة من أي نوعٍ للأمريكان النصارى الغازين لبلاد المسلمين في أفغانستان والعراق، بل قد أبدت الفرحَ بذلك بناءً على أن الأمريكان سيخلّصونها من عدوّيها اللدودين وهما: نظام طالبان (إمارة أفغانستان الإسلامية) ونظام صدام حسين.

ومن النوع الإيجابي، وهي أنها ساعدت الأمريكان -في حالة أفغانستان على الأقل- بإغلاق الحدود والتضييق على طالبان، كما أن محاربة إيران السابقة لنظام «طالبان» وكيدها لهم واعتبارها إياهم عدوّا استراتيجيًّا، وتحالفها مع تحالف الشمال الأفغاني المخالف والمعادي لطالبان، ومساعدتها المستمرة لهذا التحالف وهو تحالف البنشيريين والطاجيك ومَن معهم بقيادة «أحمد شاه مسعود» عمليا، وبقيادة «برهان الدين رباني» نظريا، وهذا الأخير ذو علاقة جيدة مع الإيرانيين إلى حد اليوم، وقد كان يقيم لفترة طويلة في إيران كل ذلك يمكن أن يُعتَبر بمعنىً من المعاني من المساعدة للأمريكان على غزو أفغانستان، وهو أوضح منه في شأن العراق، لأنهم فيما يتعلق بالعراق بإمكانهم أن يقولوا إن صدام ونظامه عدوّ لنا حاربنا سنينَ طويلة وأضرَّ بنا كثيرًا وفعل وفعل، أما «طالبان» فليس لهم حجة في حربهم إلا عداوة الدين لا غير، وهو مثال ينضاف إلى أمثلة تناقضات الرافضة، ودلالة مضافة إلى الدلالات الكثيرة على أجندتهم الطائفية الشيعية، كما سبق الحديث عنها.

كما جهزت إيران قوات «محمد إسماعيل» التي هاجمت «هيرات» ثم سلمتها للصليبيين..

وفي العراق ساعدت إيران أمريكا من خلال دعمها للأحزاب الشيعية الحليفة لها، التي دخلت إلى



العراق على ظهور الدبابات الأمريكية.

فهذه بعض أنواع المساعدة التي قدمتها إيران لأمريكا في هذين الحربين الصليبيّتين، مما عرفناه؛ فإن كان أولئك المتحدثون الشيعة يشيرون إلى مساعدات أخرى قدّموها في الخفاء، فهذا شيء آخر.!

وأما جواب السؤال الثاني.. فإن إيران ساعدت أمريكا المساعدة المشار إليها، أو غيرها مما يمكن أن يكون في الخفاء، لظنها أن في ذلك مصلحة لها؛ فإنها كانت ترجو أن أمريكا ستخلّصها من عدوّيها المَخوفيْن: نظام طالبان، ونظام صدام، وقد تمَّ ذلك إلى حد ما، ولكنها بطبيعة الحال ليست نهاية المطاف.. وهذا في الحقيقة مثالٌ للطبيعة الأنانية والانتهازية والظرفية في السياسة الرافضية، والأمثلة كثيرة جدا؛ ثم هو مثال أيضا لما يفعله البغض والحقد بصاحبه من العمى والسكرة والزيغ عن الصواب في تحقيق مصالحه، وإلا فحتى الكافر العاقل لو أنصف لعرفَ أن بقاء نظام طالبان (إمارة أفغانستان الإسلامية) في أفغانستان خيرٌ لإيران من احتلال أميركا لها، سواء بمعيار الشرع أو السنن الكونية، فبمعيار الشرع فإن المسلم خيرٌ وجوارُه خيرٌ والإسلام رحمة للعالمين، وبمعيار السنن فإن التاريخ شاهدٌ برحمة أهل السنة للرافضة.

لكن هذا التصرف من الرافضة مبني على أصل أصيل عند الروافض لا يتزعزع مهما حاولوا إخفاءه، وهو أن العدوّ الأول والأعظم لهم على مدار وجودهم وتاريخهم هو: أهل السنة، وأما النصارى واليهود فإنهم عدوٌّ سهلٌ وأهل كتابٍ يمكن موادعتهم والتعايش معهم، وأمرهم أهون من ذلك، هذا أصل عند الشيعة الرافضة، انبنت عليه مثل هذه التصرفات، فهم بكل بساطة يرون الآتي:

نظام «طالبان» لو تمكن وقويَ فإنه سيكون دعما لأهل السنة في إيران ولا سيما في الإقليمين المجاورين له وهما: بلوشستان وخراسان، وسيكون ذلك خطرا دائما وكبيرًا على دولتهم ونظامهم، لأنه سيجمع بين عناصر قوة متعددة: قوة العداء الديني والعقدي، وقوة الانطلاق من الداخل، وقوة العمق الاستراتيجي من خلال الجوار الأفغاني، أي دولة أفغانستان المجاورة المستقرة في يد أهل السنة المتدينين أهل التوحيد والتقوى؛ فمن أجل كل ذلك فإن الشيعة في دولة إيران يفضّلون بلا تردد أن يكونوا في صف أمريكا على أفغانستان، هذا لا يترددون فيه، لكنهم مع ذلك عندهم زوايا أخرى للنظر، فلا يمكنهم أن يظهروا في الصورة أمام الأمة الإسلامية بأنهم أولياء وأعوان لأمريكا، كما لا يمكنهم أن يقفوا مع أمريكا وقوفا كاملا لما تقدم من العداء بينهما للأسباب التي ذكرناها، فالموقف الإيراني إذن كان مبنيا على موازنة بين كل هذه التجاذبات.

والخلاصة.. أن الرافضة ينطلقون من مصالحهم الشخصية الطائفية، مصالحهم كشيعة وآمالهم

وطموحاتهم، فهم في الحقيقة شيء، وأمة الإسلام (أهل السنة) شيء آخر، ومهما حاولوا التمويه على ذلك؛ فإن تناقضاتهم تفضحهم والأحداث الكبرى في الوجود تكشفهم بسرعة.

وأيضًا فمن الجدير بالملاحظة أن من طرائق الدبلوماسية الإيرانية التلوُّن في المجادلة بالباطل وكثرة الدعاوى، وإظهار المنة على الخصوم، فهم يقولون للأمريكان من باب المحاجة لهم وإظهار أنهم لهم منة عليهم: لولانا نحن لما استطعتم كذا، ولما قدرتم على كذا، وهو سبيل فاشل على كل حال أشبه بأحوال أهل الخسة والضعة.! وبالتالي فإن السؤال الثالث يكون قد اتضحت الإجابة عليه.

ومما قد يستشكل أيضا: تصريحات لصبحي الطفيلي الزعيم السابق لحزب الله (١٩٨٩ إلى ١٩٩١) بأن «إيران خطر على التشيع في العالم ورأس حربة المشروع الأميركي، والمقاومة في لبنان خطفت وأصبحت حرس حدود لإسرائيل» اهـ يعني بالمقاومة منظمة حزب الله[١].

ومثلها تصريحات لـ«محمد حسين فضل الله» المرجع الشيعي اللبناني قال فيها: «إن الحوار لم ينقطع بين إيران وأمريكا في بعض القضايا التفصيلية هنا وهناك ما يوحي أن الحوار في التفاصيل قد يجعل فكرة الحوار في المبادئ أكثر واقعية»[٢] اهـ.

ومثلها تصريحات مشابهة أخرى لمسؤولين إيرانيين أيضا، وهذه مجرد أمثلة حاضرة؛ فكل هذا يجب أن يفهم في سياقه الصحيح، ومن الخطأ الاستدلال به على أن منظمة حزب الله عميلة لإسرائيل رأسًا وأنها حبيبٌ ووليّ لليهود، ولا أن إيران صديق لأمريكا وولي حميم، وأنه لا عداء بينهما، كما قد يستدل بذلك بعض الإخوة، هذا خطأ ينبغي أن يُصحّح.!

«صبحي الطفيلي» أولا هو الآن عدوّ لمنظمة «حزب الله» اللبناني، عداء شخصيا وطبيعيًا، بسبب الانقلاب عليه وإبعاده عن قيادة الحزب سنة ١٩٩١م، فهو خصم لهم وعدوّ وبإمكانه أن يقول عنهم أي شيء مما تسمح العوائد بمثله، ثم كلامه يمكن فهمه على المبالغة وأن المقصود أن هذه المنظمة صارت بسبب أفعالها وسياساتها (تفاهمات يوليو «تموز» ١٩٩٤ وتفاهم أبريل «نيسان» ١٩٩٦) وغيرها من التصرفات صارت كأنها حارسة لحدود إسرائيل، بالإضافة إلى كونها حارسة لإسرائيل من جهة أن محاولتها الانفراد بتلك الجبهة وبالتالي سعيها للقضاء على كل فصيل مقاوم هناك من أهل السنة من الفلسطينيين أو اللبنانيين، يؤول إلى ذلك، أي إلى حراسة إسرائيل، فهذا استدلال باللازم، ولا

(١) صحيفة الشرق الأوسط/ العدد٩٠٦٧ الخميس٢٥ سبتمبر٢٠٠٣. [المؤلف]

(٢) حوار له مع صحيفة الخليج الإماراتية بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢١، نقلًا عن موقعه على الانترنت. [المؤلف]



يخفى أن مثل هذه الآراء والانتقادات يقولها حتى الوليّ لوليّه، وأما جريانها بين الخصوم فكثير جدًا، فلا يُفرَح بها كثيرًا.! ثم هل هو مصيبٌ محق في هذا أو لا، هذا نحن نقرر الجواب عليه بأدلتنا المستقلة.

وأما الأقوال الصادرة عن أقطاب الرافضة سواء من السياسيين الإيرانيين أو غيرهم المصرحة بوجود تحاور بين إيران وأمريكا، وحتى إسرائيل ربما، وأنها لم تنقطع، ونحو ذلك، فهي كذلك مما لا ينبغي للباحث أو للمناظر أن يعوّل عليه كثيرًا، ولا حاجة بنا إليه، فنحن متقررٌ عندنا بكل وضوح معالم وطبيعة السياسة الإيرانية والرافضية عمومًا من حيث: العقلانية المفرطة والبراغماتية والميكافيلية أحيانا، والأنانية والطائفية...! وبالتالي فوجود حوارات ولقاءات، ومحاولات من الطرفين لتحقيق بعض المصالح -وغالبها مصالح آنية- من ذلك، هذا شيء عادي جدًا، والطرفان (أمريكا والرافضة) يفعلانه بنفس مستوى النشاط أو الفتور.

وكل ذلك لا ينافي ثبوت العداء بينهما، ولا ينقض ما قررناه أعلاه، والعدوّ يحاور عدوَّه سرا أو جهرًا ويفاوضه، ويستغله ويمارس معه السياسة الانتهازية وغيرها، هذا غير مستغربٍ، لكن علينا أن نفهم ترتيب العداوات عند الإيرانيين والرافضة عمومًا، كما أشرتُ إليه قبل قليل.

❖ «البراغماتية» عند الرافضة:

لفظ «البراغماتية» لفظ مستعمل في الاصطلاح السياسي المعاصر، ومعناه على وجه التقريب: العقلانية المفرطة التي تراعي مصالحها ولو المؤقتة والعاجلة السريعة، وتتخلى في سبيل ذلك عن المبادئ والقيم والشعارات المعلنة، مع أن هذا المصطلح أيضا أحيانا يُستعمل استعمالا أكثر قربًا من معنى «الميكافيلية» والتي هي الإباحية السياسية ومبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، والرافضة عمومًا سواء تمثلوا في دولتهم إيران، أو في تنظيماتهم المعروفة كحزب الله، أو غيرها هم برغماتيون لدرجة شديدة.

فالإيرانيون شيعة رافضة اثنا عشرية إمامية، ومذهبهم معروف لنا جميعًا بكامل الوضوح، ومعتقدهم فينا معروف؛ معتقدهم في أهل السنة وخصوصًا فينا نحن السلفيين، واضح معروف، وطموحهم للسيطرة على العالم الإسلامي وتوقانهم إلى تولّي زمام القيادة للعالم الإسلامي، معروف كذلك، وكونهم أصحاب دينٍ طائفي قوميّ موضوع مخترع مصنوع بأهوائهم، كل ذلك معروف تمام المعرفة لدينا جميعا، وشعاراتهم التي يرفعونها معروفة...! ومع ذلك فإنهم مثلًا على أتم الاستعداد للتعاون مع أي عدوّ أو مخالفٍ لهم حتى مع أكثر الناس سلفية و«وهّابيّة» كما يسمّونهم، حيثما رأوا أن هذا التعاون والتعامل يحقق لهم مصلحة ولو مؤقتة، ثم ينبذونه في الوقت المناسب ويتنصّلون منه،

ويدفعون بمختلف أنواع الجدل.

والرافضة دينهم مبنيّ على التقية والكذب، فالتمثيل والتلاعب وإظهار خلاف ما يبطنون، والبشاشة في وجوه ألدّ الأعداء والخصوم، والاستعداد للتعامل معهم بلطف وبكل إظهار للودّ، هو من أيسر الأمور عليهم، هم متعوّدون ومربّوْن عليه، وهو متوارث فيهم، عميق في طباعهم.!

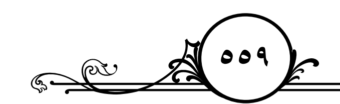
❖ سمة التناقض والغموض، والتقية والكذب والتمويه والتلاعب بالكلام والتصريحات:

هذه أيضًا من أظهر صفاتهم على المستوى السياسي والدبلوماسي؛ فهم متعوّدون على العيش في تناقض، ولا يكترثون كثيرا لظهور أبشع التناقضات في مواقفهم وسياساتهم وسائر أفكارهم وتصرفاتهم، فالواحدُ منا ربما تلوّن وجهه واحمرّ واخضر، إذا اضطرّ في بعض مواقف حياته لأن يكذب ولو كان مأذونًا له شرعا في الكذب، لكن لا تتوقع ذلك من الرافضة المتمرّسين بمذهبهم وسياستهم.! والرافضي بإمكانه أن يجيبك على أي سؤال لكنه لا يعطيك شيئًا، وطبيعة الغموض وعدم قدرة الآخرين على فهمهم هذه اشترك في إدراكها الشرق والغرب والكافر والمسلم.

ولا أظنني في حاجة إلى سرد الكثير من الأمثلة، فيكفي مثالا مواقفهم ما بين التحالف مع العدو الصليبي الأمريكي الغازي في العراق، وبين العداء له ومحاربته في لبنان، هذا عندهم شيء عاديّ جدا..!! وابحث أنت أيها القارئ الكريم عن أجوبتهم لحل هذا الإشكال، وانظر بمَ تخرجُ.!

وأما ما يتعلق بمواقف أقطاب الرافضة في إيران وفي لبنان وفي سائر البلدان من فرق الموت وما تمارسه من مجازر في حق أهل السنة في العراق، فهذا من أوسط الأمثلة، فهل سمعتَ ولو مرةً عالمًا كبيرًا شيعيًّا يستنكرها وينكرُ على فاعليها ويقول كلمة حق في شأنها وشأن أمثالها مما يتعلق بمعاملة أهل السنة في أي مكان في العالم؟ لن تجد إلا الإطباق على السكوت أو تكذيب الدعوى والإصرار على أن شيئًا لم يكن، أو تأويل الوقائع المستيقنة..!

أنت تجد عند أهل السنة عندما يخطئ أي تنظيم من التنظيمات الجهادية مثلًا فيرتكب أخطاءً من قتل دماء محرّمة أو نحو ذلك، ولو كان ذلك صادرا عن اجتهاد أو تأويل معيّن أخطأ فيه الفاعلُ، تجد أن علماء وقيادات متعددين من أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها ينكرون على المخطئ ويتبرّؤون من الخطأِ إحقاقا للحق وقيامًا بالقسط كما أمر الله ومحافظة على صفاء المنهج وسلامته من التحريف والدخيل، واقتداء بقول نبيهم وحبيبهم ومقتدَاهم الأمين رسول الله ﷺ حين قال: (**اللّٰهم إني أبرأ إليك**



مما صنع خالد)[١]، وهذا لما عندهم من الدين والتوحيد والتقوى لله ﷻ، جزاهم الله خيرًا.

لكن هل تجد هذا عند الروافض؟ ستتعب كثيرًا قبل أن تجد لهم مثالا يمكن بتكلف وتعسّف أن تدخله تحت هذا الباب.!

❖ دولة إيران نموذج للشيعة إذا حكموا:

ومن النماذج الأخرى حكومتهم في المنطقة الخضراء في بغداد اليوم، والنفوذ القوي لتنظيم حزب الله في أجزاء من لبنان.. وقد ظهر لكل من قاربهم أو ابتُلِيَ بهم وعرفهم، بل ولكل متابعٍ، كيف يعاملون أهل السنة على وجه الخصوص، وتذكر ما قلناه أن عدوّهم الطبيعي والحتمي هم أهل السنة، فهم يمكنهم أن يلاينوا وربما ينصفون أهل الأديان الأخرى من يهود ونصارى وغيرهم، لكنهم لا ينصفون أهل السنة.

وهذه بعض الأمثلة على سبيل الإشارة:

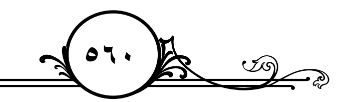
- معاملتهم لأهل السنة في إيران؛ فإن هذه المعاملة تتراوح بين صفات: الظلم والعدوان والقهر والإفقار والتجويع والإهمال والتهميش، بالإضافة إلى التجهيل والقضاء على كوادرهم وعلمائهم بالقتل والسجون والنفي وغيرها، وقتل العلماء على وجه الخصوص لم ينقطع أبدًا ولا يزال مستمرًا، لكنه كان على أشده في السنين الأولى لانتصار ثورة «الخميني» وذلك في أثناء هيجان الثورة وفورتها وشرتها، وفي نشوة انتصارهم، وقد عملوا أيام الثورة وبعدها بقليل مجازر مفظعة في أبناء أهل السنة من البلوش والكرد والعرب وغيرهم، وقد آلوا بعدها في السنين الأخيرة إلى شيء أكثر من الواقعية!! وأدركتهم السنن، ولله والأمر من قبل ومن بعد.

وبالجملة.. فالنظام الرافضي الحاكم في إيران نظام مملوء بالظلم والفساد، ولا يريد وجه الله ﷻ ولا أن تكون كلمة الله هي العليا، بل يريدون أن تكون كلمتهم هم هي العليا، هذا لا يشك فيه من عرفهم، ومن عرفَ تعسّفهم وتحيّزهم ونصرهم لأهل ملتهم وإن كانوا من أفسق الناس، على أهل السنة وإن كانوا من خيار الناس، أدرك ذلك، وما أكثر الأمثلة والقصص في هذا لمن اطلع.! وانظر في ذلك أخبار أهل السنة في إيران في عدة مصادر، منها: «موقع رابطة أهل السنة في إيران» على الانترنت، وعدة مواقع للمعارضة السنية البلوشية والأهوازية وغيرها، كما قد كُتِبَ في ذلك عدة كتابات.

- معاملة تنظيم «حزب الله» للسنة في لبنان وبالأخص في ضاحية بيروت الجنوبية حيث معقلهم

---

(١) صحيح البخاري، معلقا (بعد حديث ٣١٧٢، ٦٣٤٠)، مسند أحمد (٦٣٨٢) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.



في العاصمة وفي جنوب لبنان حيث معقلهم الوطني، وهي لا تختلف كثيرا عن الصفات المذكورة في الفقرة السابقة إلا بحسب ما تختلف أحوال القدرة والتمكن، ومن صفات معاملتهم لأهل السنة: التهجير والتقتيل والتصفية حيث واتتهم الفرص التاريخية للقيام بذلك، كما حصل في أواسط الثمانينيات من القرن الإفرنجي الماضي، لأهل السنة من اللبنانيين والفلسطينيين، سواء على أيدي عناصر حركة أمل الشيعية أو على أيدي أفراد تنظيم حزب الله.

– وأما في العراق فالرافضة لم يتمكنوا التمكن الكامل ولا حتى ما يقاربه؛ ففعلوا الأفاعيل في أهل السنة مما هو صادر عن صفات الانتقام والغل والحقد وحب الثأر، فلم يستطيعوا التحكم في أنفسهم حتى يتمكنوا ويسيطروا، ولن يمكنهم ذلك، لأن نار الحقد والغل وطلب الثأر الذي تربّوا عليه أجيالا ضاربة في التاريخ، لا يمكن أن تسمح لهم بالاتزان ومِلك النفس، وقد انضاف إليها الغرور والتوهّمُ بأنهم قد واتتهم فرصتهم التاريخية، وأن أهل السنة ضعفاء ممزقون منهكون ولا بواكي لهم، فرأينا ماذا فعلوا..!

– ومن الأمثلة أيضا: عامة سياساتهم على مستوى حكوماتهم المؤقتة والثابتة، من زمن مجلس الحكم إلى حكومة نوري المالكي مرورا بحكومتي «علاوي» و«الجعفري»، بدءًا بتحالفهم (أكثرهم) مع الأمريكان، إلى وشايتهم بأهل السنة لديهم، والعمل مع الأمريكان لتدمير دولة السنة بحجة أنها نظام صدام حسين، فهم شركاء أساسيون للأمريكان في كل الأخطاء التاريخية التي ارتكبها الأمريكان بعد دخولهم بغداد، كخطأ حل وزارتي الدفاع والداخلية، أي الجيش والشرطة، وتدمير الدولة بصفة عامة ونهبها، ثم عملهم لتدمير مناطق أهل السنة وبناهم التحتية، ومحاصرتهم والتضييق عليهم وإهمالهم، تحت دعاوى محاربة الإرهاب.

– الإسراع بالسيطرة على جملة كبيرة من مساجد أهل السنة وأوقافهم.. يا قوم، انتظروا حتى تتمكنوا.! لم يستطيعوا الانتظار.!

– الاستعلان بكثير مما كانوا يستخفون به من الاعتقادات والأقوال، وقد صدرت عن كثير من أناس شبه رسميين منهم أقوال تعبّر عن كوامن ما يعتقدون، كذاك الذي قال: «أهل السنة يحكموننا منذ ألف وثلاثمائة سنة وقد جاءت فرصتنا لنحكم»، وهي مقولة كررها أكثر من ممثل لهم من شبه الرسميين.

– التقتيل والتنكيل والتهجير والتشريد الذي مارسوه على الفلسطينيين المستوطنين في العراق، ولا سيما بغداد، والدوافع لهذا التقتيل والتنكيل هي دينية بالأساس، ومعلومٌ أن الفلسطينيين كلهم من أهل



السنة، والرافضة ينظرون إليهم كأولياء لأهل السنة العراقيين وللدولة العراقية السنية.

- فرق الموت، وما فعلته من تقتيل وإجرام وتهجير لأهل السنة الضعفاء، وهذه حكاياتها تحتاج إلى مجلدات لتأريخها، وحسبنا الله ونعم الوكيل..

- تصفية كوادر أهل السنة بشكل منظّم مدروس، من قبل قوات مليشيات جيش المهدي وفيلق بدر، وهذا بدأ مع بدايات انهيار نظام صدام وهو مستمر إلى الآن، وهذا ثابتٌ شائعٌ العلمُ به عند أهل السنة بكافة اتجاهاتهم.

- ومن آخر ما يمكن أن يذكر من الأمثلة في ذلك: تصرفهم المشين والطائش الدال على سيطرة القوة الغضبية الانتقامية وقوة الحقد الدفين والغل العظيم على أهل السنة، وطلب الثأر المزعوم منهم، وهو إعدامهم لصدّام حسين بتلك الطريقة التي تسربت بمكر الله بهم، ورآها العالم، وشاهدها أهل السنة في كل مكان، في يوم عيد المسلمين الكبير عيد الأضحى المبارك..! وبغضّ النظر عن الكلام في صدام حسين والموقف منه؛ فإن ما جرى من الرافضة في ذلك هو أنموذج ناطق بما ذكرنا من الحقد والغل والطيش وقلة مِلك النفس، وسرعة استجابتها لدواعي الغضب، وأيضا لسيطرة الغرور عليهم، وقد ظنوا أنهم ملكوا، وأيضا هو مؤشر لما يمكن أن يفعلوه في أهل السنة لو ملكوا زمام الأمر، مع دلالته على ضيق عطنهم وصغر نفوسهم وحقارتها حيث كان بإمكانهم في مثل هذه المقامات أن يظهروا العدل الكامل والنزاهة، فإن لم يغلّبوا العفوَ فلا أقل من التجرد في تحقيق الحق، ويجتنبوا أي إشارة تفهمها نفوس الخلق إلى معاني الثأر والانتقام والسخرية والتحقير والإهانة لأهل السنة، وبإمكانهم أن يعطوا نموذجا أكثر رجولية وعقلانية وكمالَ أخلاق وفضائل، من خلال تعاملهم مع مثل قضية «صدام» ومحاكمته والحكم عليه وتطبيق الحكم.. لكن كل ذلك ما كان ليحصل، لأنهم بعيدون كل البُعد عن أخلاق الملوك، إنما الأخلاق اللائقة بهم هي أخلاق السوقة وأهل الضعة والحقارة، من الجياع الذين يُخافُ منهم البطرُ والفساد إذا شبِعوا، والأنذال الذين يُخاف منهم الويلُ إذا مَلكوا..!! نسأل الله ﷻ العافية والسلامة.

❖ جمهورية إيران الشيعية، والمقاومة الشيعية في لبنان:

نعم هكذا ينبغي أن تُسمى، فليست هذه جمهورية إسلام، ولا تلك مقاومة إسلامية.! لكن هذا كله من مكر الرافضة ومن فنّ سياسة الكلمة والشعار التي يتقنونها وتمرّسوا فيها، والهدف دائما إظهار أنهم أهل الإسلام، وأنهم يمثلون دين الإسلام وأمة الإسلام، ليجدوا القبول من جماهير المسلمين الذين هم

أهل السنة، وإلا فلو قالوا إنهم شيعة لوجدوا التوجّس والتحفظ على الأقل، وهذا يتماشى أيضا مع اعتقادهم بأنهم هم المسلمون الحقيقيّون أهل الحق، خابوا وخسروا..!

وقد كانت لهم بعض التجارب أيضا تعلّموا منها أنهم يجب أن يستعملوا اسم الإسلام دون اسم الشيعة، فكان اسم «حركة أمل الشيعية» في لبنان مثلًا خطأً، عملوا هم فيما بعد على تفاديه بإنشاء «حزب الله»، ولهم تجارب أخرى مشابهة.

وهكذا ينبغي أن تسمّى ثورة الخميني: «الثورة الشيعية في إيران»، فإنها ثورة شيعية خالصة، لا تمثل الإسلام دينَ الله الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، كيف وهي ثورة جاءت لتنصر الشرك ودعاء الأئمة والاستغاثة بهم وتعظيم القبور والبناء عليها واتخاذها مساجد وأعيادًا، والنواح الدائم على الموتى في جملة عظيمة من الابتداع في الدين، وسبِّ أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم الذين حملوا إلى البشرية الدين والقرآن، وتكذيبهم وتخوينهم وتفسيقهم أو تكفيرهم، والطعن في عرض النبي ﷺ ورمي أزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات بالبهتان المبين، والإيمان بجملة الاعتقادات الباطلة المصادمة لدين محمد ﷺمن عصمة أئمتهم وعلمهم بالغيوب وإحيائهم للموتى وتدخلهم متى شاءوا في شؤون العالَم وتدبيره، وغير ذلك مما يعلم جميع أهل الأرض من مسلم وكافر أنه مناقض لدين الإسلام، وأن محمدًا ﷺ بُعِثَ بخلافه.!

❖ حزب الله اللبناني:

وهنا نكون قد وصلنا إلى الكلام عن تنظيم «حزب الله» اللبناني ووضعناه في سياقه الطبيعي، واختصرنا الطريق أيضا بالاستغناء عن كثير من التطويل في جمع الأبحاث والمقالات والوثائق والتصريحات وغيرها؛ فإن هذا الحزب ما هو إلا منظمة شيعية هي وسيلة وأداة لخدمة أجندة واستراتيجية الرافضة، وهي إيرانية خمينية قبل أن تكون لبنانية؛ ولذلك كان الناطق باسم الحزب «إبراهيم الأمين» صادقا حينما قال في إحدى المناسبات اللبنانية في شهر مارس من سنة١٩٨٧: «نحن لا نقول إننا جزء من إيران، نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران»[(١)] اهـ. ومثل هذه العبارة التي قالها «إبراهيم أمين» تصدر منهم أحيانا في مواقف معينة تحت طائلة مشاعر من التحدّي والتعزز.!

ويقول «حسن نصر الله»: «إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام والدولة التي تناصر المسلمين والعرب! وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن

---

(١) صحيفة النهار اللبنانية، بواسطة مصادر متعددة. [المؤلف]

المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا»، ويقول أيضا: «وفي وقت الاجتياح الاسرائيلي كادت الحرب تتسع وتطول سوريا وتصبح إقليمية، إذ أتت قوات إيرانية إلى سوريا ولبنان للمساعدة، وهذه القوات هي التي تولت تدريب مقاتلينا»(١) اهـ.

وقد جاء في بيانٍ تعريفيّ صادر عن الحزب سنة ١٩٨٥م بعنوان «مَن نحن وما هويتنا» ما يلي: «إننا أبناء أمة «حزب الله» التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم... نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة، تتمثل بالوليّ الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضرا بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله «الموسوي الخميني» دام ظله، مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة»(٢).

ومعلومٌ أن «حسن نصر الله» هو وكيل آية الله العظمى مرشد الثورة الإيرانية «علي خامنائي»، كما هو منصوص عليه عندهم.. وقد كان التدخّل الإيراني حسيًا وظاهرًا في نشوء الحزب وتأسيسه وإلى زمنٍ غير بعيد من تاريخه، من خلال وجود أفراد من الحرس الثوري الإيراني أعضاء في مجلس شورى الحزب، إلى أن تغيّرت فكرة القوم ورأوا إبعاد اليد الإيرانية الظاهرة، بسبب ضغوط الرأي العام اللبناني والعربي والحرج الذي يلاقونه حين يُنعتون بعدم الوطنية، وبأنهم حزبُ إيران في لبنان وما شابه ذلك.. وعندي أنه لا يُستبعدُ أن يكون من الدوافع أيضًا نوعٌ من الرغبة في الاستقلالية الشخصية عند «حسن نصر الله» وشيعة لبنان، لا سيما وأنه مع مرور الوقت وقسوة الواقع فترت عند القوم جذوة حماسة الثورة الإيرانية ووهج شعاراتها، وصاروا أقرب إلى التفكير العقلاني والواقعية، إن صحّ التعبير.! والمصادر التي تدوّن لتاريخ نشوء الحزب على أيدٍ إيرانية، والوثائق في ذلك كثيرة معروفة.

يُراجع كتاب: «حزب الله.. رؤية مغايرة» لعبد المنعم شفيق، الجزء الرابع تحت عنوان: «الغزو الإسرائيلي للبنان والتحالف»، ومما جاء فيه: «كان لغزو ١٩٨٢م تأثير عميق على وجود إيران في لبنان عن طريق توسيع دورها في الصراع العربي الإسرائيلي؛ فإن الغزو قد وفر الفرصة للمساهمة الإيرانية المباشرة الأولى في المجهود الحربي الداعم للحركة الشيعية في لبنان على شكل وحدة عسكرية صغيرة نسبيًا مكونة من ١٥٠٠ عنصر من «الباسداران» (الحرس الثوري الإيراني) الذين سُمح لهم بالدخول عن طريق سورية إلى البيئة الصديقة في وادي البقاع، وقبل ذلك الوقت كانت الجهود الإيرانية لإقامة

---

(١) مجلة المقاومة: العددين٢٧و٣١، بواسطة: «رؤية مغايرة» للأستاذ عبد المنعم شفيق. [المؤلف]

(٢) نقلا عن مصادر متعددة، منها كتاب: «ماذا تعرف عن حزب الله» تأليف: علي الصادق، وموقع قناة الجزيرة. [المؤلف]

وجود عسكري مستقل في لبنان قد صُدَّت من قِبَلِ الأسد نفسه، لكن الموقف السوري بعد الغزو الإسرائيلي ربما أضحى أقل مقاومة لعروض المساعدة الإيرانية من ذي قبل.

من وجهة نظر إيران فإن وجودها الجديد في لبنان أنتج نقطة التَّماسِّ المباشر الأول بين النظام الثوري وطائفة شيعية كبرى في العالم العربي، ومنذ ذلك الحين غدت إيران لاعبًا قياديًا في شؤون هذه الطائفة التي تمثِّل قاعدة ممكنة لمدّ نفوذها إلى قلب الصراع العربي الإسرائيلي.

في ذلك الوقت بدأ تقاطع المصالح والتوجهات بين سورية وإيران بالاتساع؛ ففي حملتها لإخراج الإسرائيليين من لبنان كانت الدوافع المباشرة لسورية دوافع استراتيجية؛ فالوجود العسكري الإسرائيلي في النصف الجنوبي من لبنان -وعلى الأخص في وادي البقاع- قد وضع العمق السوري تحت تهديد مزدوج؛ فلأول مرة كانت دمشق معرضة لخطر مزدوج محتمل من الجولان والمواقع الإسرائيلية الأمامية في لبنان، إضافة إلى ذلك؛ فقد كان هناك التهديد الجيوسياسي النابع من وجود نظام موالٍ لـ «إسرائيل» وموال للغرب في لبنان.

إن القلق السوري حول إمكانية العزلة الإقليمية ومخاطر الصفقات الثنائية العربية الإسرائيلية المستقلة كان آنذاك المحدد الأساس لسياستها الخارجية؛ فوجود لبنان في الفلك الإسرائيلي الأمريكي سوف يزيد من ترجيح كفة التوازن الإقليمي المائل أصلًا بشكل غير مرغوب فيه عن طريق إكمال التهديدات العراقية والإسرائيلية بتطويق محتمل من الغرب.

كما أن ارتداد لبنان سوف يضيف ثقله إلى خسارة مصر، ومع الأخذ بعين الاعتبار الموقف المشكوك فيه للأردن، وفي ظل هذه الظروف فإن رغبة سورية في تقوية روابطها مع إيران ليست مفاجئة. استطاعت سورية الاعتماد على إيران لتأمين المساعدة المادية على شكل معونة اقتصادية، وقوة بشرية على شكل جماهير محلية مهيأة، وتحريض يمثل وجهة نظر «راديكالية» معادية لـ«إسرائيل» وللغرب، ومصدر جديد للضغط والتهديد المحتمل لإلهاء كل خصوم سورية الإقليميين والدوليين تقريبًا، مع الحفاظ في الوقت ذاته على مسافة مادية وتاريخية كافية لتفادي أن تصبح قوية أكثر مما يجب أو مستقلة أكثر مما يجب على الحلبة الداخلية لسورية.

وبين أغسطس ١٩٨٨، وأغسطس ١٩٩٠م كان هناك عدد من التطورات التي أثرت على العلاقة السورية - الإيرانية؛ فمع انتهاء الحرب الإيرانية - العراقية بدت قوة العراق بشكل ملحوظ في وجه كل من سورية وإيران؛ فالعراق لم ينجح فقط في فرض نهاية مذلة للحرب، بل كان في موقع جيد جدًا لجني أفضل فائدة من التأييد الدولي والعربي الواسع للقيام بدور القوة العربية الكبرى المتربعة على

الخليج والمشرق، لذلك فقد قويت دوافع إيران للتمسك بالتحالف مع سورية بفعل تضافر عدة عوامل، والتي منها: ضعفها مقابل القوة العراقية والانتشار العسكري الأمريكي في الخليج والعزلة الإقليمية والدولية.. وبالمثل فقد كانت سورية مدفوعة بمصلحتها التقليدية في احتواء العراق والحفاظ على دورها الفريد في لبنان، بيد أن عوامل أخرى كانت تفعل فعلها، أولها وأهمها: التغيرات في علاقات الشرق بالغرب، وإبعاد التنافس الأمريكي السوفييتي من المنطقة؛ فقد بدأت علاقات سورية السياسية والاستراتيجية الطويلة الأمد مع الاتحاد السوفييتي بالتآكل مع مجيء الرئيس «غورباتشوف» في منتصف الثمانينيات والامتناع السوفييتي المتزايد عن إمداد المجهود الحربي لسورية أو تدعيم اقتصادها المتوعك.. هذا الحلف الإيراني السوري كان له مركز هام لإظهار نتائجه، فكان لبنان هو مطبخ هذا الحلف الذي تشتم منه رائحة الصفقات والاتفاقيات، وبهذا فقد تم ربط لبنان بهذا الحلف شاء أم أبى» اهـ.

وكتب «ناجح عليّ» الذي كان مراسلا لعدة وسائل إعلامية في إيران، في مقال نشرته «وكالة الأنباء السويسرية» وغيرها بعنوان: «حزب الله بين حسابات لبنانية وأجندة إيرانية»: «فقد مرَّ حزب الله بمرحلة مهمة من حياته التأسيسية، كان ممثل الولي الفقيه الإمام «الخميني» جزءا فاعلا وقويا من مجلس شورى الحزب، الذي كان يحضر اجتماعاته مسؤولون إيرانيون، إلا أن آية الله «علي خامنئي» وافق على طلب من شورى الحزب بتأثير مباشر من نصر الله بالتخلي عن ممثله وإلغاء هذا الدور الإيراني، ليرتدي حزب الله خصوصيته اللبنانية بعيدًا عن وصاية ممثل الولي الفقيه وعباءته، وعن تدخّل الحرس الثوري الذي كان أرسل في السابق وبُعيد الاجتياح الإسرائيلي إلى لبنان عددا من قيادييه ورجالاته لدعم مقاومة حزب الله وتنظيم دورات تدريبية لعناصره» اهـ.

❁ النشأة والظهور للوجود؛ ولادة «حزب الله» من رحم «حركة أمل» الشيعية:

أشير أولا إلى أن تسمية هذا التنظيم بـ«حزب الله» هي من الباطل، وأنه كان ينبغي أن ينسبوا ويضافوا إلى الشرك والضلال لا إلى الله تبارك وتعالى وتقدس ﷻ عن الشرك واتخاذ الشركاء.

الأسباب المعلنة لنشأة الحزب: نستطيع العثور على كلام كثير لهم ولغيرهم في هذا.

وهذا مثال يُجمل قولهم في المسألة: «... في عام ١٩٨٢، انسحب[١] مع مجموعة كبيرة من المسؤولين والكوادر من حركة أمل اثر خلافات جوهرية مع القيادة السياسية للحركة آنذاك حول سبل مواجهة

---

(١) أي حسن نصر الله. [المؤلف]

التطورات السياسية والعسكرية الناتجة عن الاجتياح الاسرائيلي للبنان» اهـ[(١)].

مثال آخر:[(٢)] «ظروف النشأة: سبق الوجود التنظيمي لحزب الله في لبنان والذي يؤرخ له بعام ١٩٨٢ وجود فكري وعقائدي يسبق هذا التاريخ، هذه البيئة الفكرية كان للشيخ حسين فضل الله دور في تكوينها من خلال نشاطه العلمي في الجنوب. وكان قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ بقيادة آية الله الخميني دافعا قويا لنمو حزب الله، وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين. وقد جاء في بيان صادر عن الحزب -في ١٦ فبراير «شباط» ١٩٨٥- أن الحزب «ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله «الموسوي الخميني» مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة».

معظم أفراد الحزب هم من اللبنانيين الشيعة المرتبطين مذهبيًا بإيران، حيث يعتبرون آية الله «علي خامنئي» مرشد الثورة الإيرانية واحدًا من أكبر المراجع الدينية العليا لهم، ويعتبر الشيخ «حسن نصر الله» الأمين العام لحزب الله الوكيل الشرعي لآية الله «علي خامنئي» في لبنان.. هذا الارتباط الأيدولوجي والفقهي بإيران سرعان ما وجد ترجمته المباشرة في الدعم السريع والمباشر من الجمهورية الإسلامية وعبر حرسها الثوري للحزب الناشئ.

تشكل الحزب في ظروف يغلب عليها طابع المقاومة العسكرية للاحتلال الإسرائيلي الذي اجتاح لبنان عام ١٩٨٢، ولذلك فالحزب يبني أيدولوجيته السياسية على أساس مقاومة الاحتلال؛ وكانت أولى العمليات الناجحة التي قام بها الحزب وأكسبته شهرة مبكرة في العالم العربي، قيامه بنسف مقر القوات الأميركية والفرنسية في أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٨٣، وقد أسفرت تلك العملية عن مقتل ٣٠٠ جندي أميركي وفرنسي» اهـ.

الأسباب الباطنة لنشأة الحزب، والتي يمكن أن نفهمها بدلائل كثيرة من أنواع الدلالات المشار إليها، وهو ما يقوله محققو كتّاب ومفكري المسلمين (أهل السنة): وهي تتمثل باختصار في تصدير الثورة الشيعية، وخدمة الاستراتيجية الشيعية الكبرى التي تحدثنا عنها، بحيث يكون «حزب الله» أداة للحركة الشيعية الكبرى في لبنان وعلى مقربة من القدس أهم قضية إسلامية، وللتغلغل الشيعي في جسد الأمة الإسلامية، وبعبارة أخرى: حرص إيران على أن يكون جنوب لبنان منطقة نفوذ لها

---

(١) عن موقع «مقاومة» على الانترنت، وهو موقع شبه رسمي لـ«حزب الله»، تحت تبويب «السيرة الذاتية للأمين العام»: «نبذة عن حياة سماحة الأمين العام السيد حسن نصر الله». [المؤلف]

(٢) عن موقع «الجزيرة نت»، المعرفة: «حزب الله النشأة والتطور». [المؤلف]



وللشيعة، وهو ما أكدته سياسيا تفاهمات يوليو (تموز) ١٩٩٤ وتفاهم أبريل (نيسان) ١٩٩٦، والاستعاضة عن تنظيم حركة أمل الشيعية لأنها غير نافعة، لأسباب كثيرة:

منها: أنها شُوّهت صورتها بالجرائم الفظيعة التي ساهمت في ارتكابها بالتواطؤ مع حزب الكتائب اللبناني النصراني ومع اليهود في حق أهل السنة من الفلسطينيين في المخيمات، وفي حق بعض أهل السنة اللبنانيين أيضا.

ومنها: أن حركة «أمل» علمانية الطابع إلى حد كبير منذ نشأتها أو هي خليط بين العلماني والديني الشيعيّ، فكان هذا خللا يوجب استبدالها بعد انتصار الثورة الشيعية في إيران وانتصار مبدأ ولاية الفقيه والتيار الديني الشيعي عمومًا.

ومنها: أن حركة «أمل» كان عندها نوعُ استقلالية، والمراد الآن إيجاد حزبٍ يكون تابعا ومواليا بشكل مطلق لإيران وثورتها، بالإضافة إلى أن انتصار «الثورة الشيعية الخمينية» في إيران قد ألهب مشاعر الشيعة في كل مكان، واستثار طموحاتهم بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث، فكانت أفكار جماعة كبيرة مؤثرة من رجالات الشيعة ممن كانوا في حركة أمل أو خارجها تتجه إلى الكون مع الثورة الإيرانية والتجنّد تحت رايتها والإيمان بنظرية «ولاية الفقيه» التي تقتضي فيما تقتضي مبايعة الوليّ الفقيه (وهو الخميني ساعتها) والصدور عن قوله وأمره، والعمل في نطاق مشروعيته لا غير، ومعروفٌ الجدل الفقهي والفكري الكبير الذي ثار حول هذه النظرية بعد نجاح ثورة «الخميني»، والانقسامات التي حدثت في الوسط الشيعي بسببها وحولها.

فهذه إذن هي حقيقة الحزب الرافضي المسمّى بـ «حزب الله».

ولا يخفى أن التسمّي بهذا الاسم «حزب الله» دليل على قلة الفقه في الدين، وأنى لهم الفقه في الدين وهم أهل الشرك ودعاء غير الله والاعتقاد بالباطل المبين وتكذيب القرآن.! وإلا فكيف يسوغ لمسلم أن يسمّي تنظيمه الخاصّ الذي يؤسسه هو وينشئه؛ يسمّيه «حزب الله»، وهو يعلم أن «حزبَ الله» هو اسمٌ شرعيّ قرآنيّ للمؤمنين جميع المؤمنين أهل التوحيد والتقوى وطاعة الله ﷻ والعمل الصالح في مقابل اسم «حزب الشيطان» الذي هو اسمُ الكفار أهل الشرك والتنديد والإلحاد والإفساد في الأرض بالكفر والعصيان.! كما قال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المجادلة]، وقال ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة]

فتسمية تنظيم بشريّ خاصّ وتشكيل سياسي خاص ومرحلي من وضع الإنسان وصياغته.. تسميتُهُ باسم «حزب الله»، تسميةٌ أقلُ أحوالها الكراهة الشديدة، لما فيها من التحجير والتزوير والتغيير لمعاني الأسماء التي وضعها الله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولما فيها من تعريض الدين للإفساد والتشويه حين تنسحِبُ أخطاء البشر وفسادهم هم على الأسماء الشرعية، هذا إذا كان صاحبها مسددًا من أهل الصلاح، فأما إذا كان صاحبها من أهل الشرك والابتداع والضلال والمروق من الدين، كما هو الحال هنا في موضوعنا، فوالله إن هذه التسمية لِمن أبطل الباطل وأعظم شهادة الزور، نسأل الله العافية والسلامة.!

وإذا تقرر لدينا كل ما تقدم.. فإنه يسهل علينا معرفة لماذا يهتم هذا الحزب بالقضية الفلسطينية وبقضية مقاومة العدوّ الإسرائيلي، ويكون كل ذلك قد وُضِع في مكانه الصحيح من الفهم؛ فلا يمكن لحزب الله اللبناني إلا أن يجعل القضية الفلسطينية وقضية مقاومة المحتل اليهودي من أولى اهتماماته، لأنها هي المدخل لخدمة استراتيجية الرافضة التي تحدثنا عنها، فهو يبني مجدًا، وينشر دينه، ويتوسّع على مستوى الأمة الإسلامية، ويؤسس للقيادة الرافضية المأمولة عندهم وزعامة الأمة الإسلامية التي هي حُلُمهم الأبديّ.! ولا بد إذن من دعم المقاومة في فلسطين..! لكن من شرط ذلك أن تكون هذه المقاومة قابلة لذلك، وهو الذي كان.

فقد صادف -والأمر لله ﷻ من قبل ومن بعد- أن المقاومة في فلسطين في العقدين الأخيرين من الزمان كانت في جزئها الأكبر مقاومة إسلامية من النوع الذي يسهل على الرافضة التعامل معه، وهم «الإخوان المسلمون» المتمثلون في «حركة حماس»، وأشباهٌ لهم وإن اختلفت أسماؤهم وهم حركة «الجهاد الإسلامي»؛ فسهل على الرافضة في دولة إيران وذراعها القريبة «حزب الله اللبناني» أن يشرعوا في برنامج قويّ للتعاون والتدخل والتغلغل عبر هاتين الحركتين، حتى صاروا بفضل هذا التعاون والتحالف، وفي ظل غياب دولة حقيقية للإسلام والسنة، وخيانة دول العرب والمسلمين الموجودة وتخلّيها عن فلسطين وجريانها وراء المشاريع الأمريكية والغربية ولهثها وراء التطبيع مع العدوّ اليهودي، صاروا (أعني الرافضة) هم الداعم «الإسلامي» الأول والراعي للقضية الفلسطينية،

فهي إذن في جزء لا بأس به منها عملية ملء فراغ تاريخي.!

فمدخل «حزب الله اللبناني» إذن إلى فلسطين هو هاتان الحركتان: «حماس»، و«الجهاد الإسلامي»، وهما يتحمّلان وزر إدخال التشيع ومذهب الرفض إلى فلسطين إن دخل، وهما يتحمّلان وزر دعم استراتيجية الرافضة التي تحدثنا عنها، ويتحمّلان وزر نصرة الرافضة ومعاونتهم ورفع رايتهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولا ينفع الاعتذار بالحاجة الشديدة أو الضرورة؛ فلا ضرورة تلجئ إلى أمثال هؤلاء، بل البدائل المشروعة متوافرة لمن صدق واتقى، ولله الحمد، ثم إن هناك فرقًا شاسعًا بين أن تتلقى دعمًا ماليا أو عسكريا من أمثال هؤلاء في حال الشدة والإضرار، وبين أن يتنازل المرءُ عن ثوابت عقيدته ويسمح لأهل الشرك والضلال أن ينفذوا من خلاله إلى المسلمين وأجيالهم، فهذا ضلالٌ مبينٌ وتفريطٌ في الدين، مع أنه لو تمسك التنظيمان المذكوران بعقيدتهم لاضطرّ الشيعة الإيرانيون لمساعدتهم لحاجتهم لدخول الميدان الفلسطيني، ولكن يبدو أن التسابق بين التنظيمين على الاستحواذ على المساعدة كان هو المصيبة.!.. معلوم أن لحزب الله أجندتين: محلية، وعالمية، وكلاهما يندرجان تحت الاستراتيجية الشيعية التي تحدثنا عنها، أما الأجندة المحلية فتطورت عبر السنين وبمساعدة عوامل الزمن من السعي إلى تقوية الوجود الطائفي الشيعي في لبنان، إلى المشاركة السياسية في الدولة اللبنانية إلى محاولة الاستيلاء على السلطة ربما، كما يجري الآن في هذه الأثناء ومنذ حوالي شهرين من اعتصامات ومظاهرات للمعارضة اللبنانية التي يقودها حزب الله وحلفاؤه: «حركة أمل»، و«التيار العوني النصراني» وآخرون.

وقد جاء في النبذة عن «الحزب» في موقع «الجزيرة نت»: «يميز حزبُ الله في تحركاته السياسية على الساحة اللبنانية بين الفكر والبرنامج السياسي، فيرى أن الفكرة السياسية لا تسقط إذا كان الواقع السياسي غير مواتٍ لتطبيقها، كما هو الحال بالنسبة لفكرة إقامة دولة إسلامية في لبنان، يقول «حسن نصر الله»: نحن لا نطرح فكرة الدولة الإسلامية في لبنان على طريقة الطالبان في أفغانستان؛ ففكرة الدولة الإسلامية في لبنان حاضرة على مستوى الفكر السياسي، أما على مستوى البرنامج السياسي فإن خصوصيات الواقع اللبناني لا يساعد على تحقيق هذه الفكرة، فالدولة الإسلامية المنشودة ينبغي أن تكون نابعة من إرادة شعبية عارمة، ونحن لا نستطيع إقامتها الآن لحاجتها إلى حماية» اهـ.

وأما الأجندة الإقليمية أو العالمية للحزب.. فهي ما تحدثنا عنه مرارًا من الاستراتيجية الرافضية الخمينية لنشر التشيع والوصول إلى الغلبة على أهل السنة والإمساك بقيادة الأمة الإسلامية.!

وكلا الأجندتين المحلية والعالمية بحاجة شديدة إلى تبني خيار مقاومة العدو الإسرائيلي ودعم المقاومة الفلسطينية وتبني قضية فلسطين والسعي لتحريرها، لأنه السبيل إلى بناء مجد للشيعة في الأمة وكسب ثقة جماهير المسلمين (غالبهم أهل سنة)، ولأنه يعطي فرصة للتكوين الاجتماعي والسياسي والعسكري، ويسمح باستمرار تسلّح الرافضة وسيطرتهم على مقاطع مهمة من لبنان، واستمرار عملهم الدعوي (نشر التشيع) لأنهم بدون قضية المقاومة وتحرير فلسطين سيفقدون الكثير من الفرصة.!

هناك دافع آخر خاصّ عند الرافضة أو عند بعضهم على الأقل وقد تحدث عنه جماعة من المطلعين وذكروا أن «حسن نصر الله» زعيم الحزب، و«أحمدي نجاد» الرئيس الإيراني الحالي ممن يؤمنون به، وهو الاعتقاد بأن تحرير فلسطين من أيدي اليهود الغاصبين هو مقدمة لازمة لخروج المهدي السردابي المنتظر الذي تؤمن به الرافضة، فالسعي إذن لتحرير فلسطين هو أيضا من أجل التعجيل بفرَجِ مهدّيهم كما يعتقدون.!

❁ محاور ووسائل سياسة حزب الله اللبناني تجاه القضية الفلسطينية:

ومن أهم وسائل حزب الله اللبناني لتجسيد سياسته تجاه فلسطين النقاط التالية:

- تبني القضية والاهتمام بها ودعمها وجعلها -بحسب الدعوى والتظاهر على الأقل- من أهم أولوياتهم.

- العمل على احتواء حركتي «حماس» و«الجهاد».. في لبنان، ثم في إيران، وفي سوريا، وتقوية العلاقات بهم إلى درجة عالية جدا، والتأثير عليهم، وملء الفرغ العربي والإسلامي.

- السعي لربط الحركتين المذكورتين بدولة الرافضة (إيران) ومراجعها الدينية والسياسية والفكرية.

- وعن طريقهما: محاولة التغلغل الديني المذهبي والفكري الشيعي إلى فلسطين، وقد يكون حصل لهم من ذلك بعضُ الغرض من خلال تشيع بعض الأفراد من حركة الجهاد الإسلامي، على ما نُقل، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- اصطناع الأولياء وشراء الذمم، سواء في فلسطين أو في الشتات الفلسطيني في لبنان وسوريا وإيران على وجه الخصوص، وفي غيرها أيضا، ومسألة شراء الذمم واصطناع الأولياء هذه بارزة جدا في سياسة «حزب الله اللبناني» حتى فيما يتعلق بأهل السنة في لبنان، ومن أمثلتها المشهورة: «ماهر حمود» في صيدا بالجنوب اللبناني، وهو كان من مؤسسي «حركة التوحيد»، اصطنعه حزب الله اللبناني



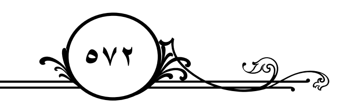
ويغدق عليه الأموال ويوفر له الحراسة والحماية وكل أنواع الدعم، ويستفيدون منه جدا في نشر مذهب التقارب والوحدة كما يسمونه وتحسين صورتهم والدعاية لهم.!

– تقديم المساعدات السخية للفلسطينيين الذين يرجون منهم خدمة سياستهم واستراتيجيتهم، كبعض قيادات «حماس» و«الجهاد الإسلامي» في لبنان وسوريا، وأما في إيران فإيران هي أستاذتهم في ذلك، وأعمالها في هذا معروفة مشهورة، مع أن دعمها في أغلبه لا يعدو الفتات والوعود غير المنجزة والدعاية.!

– مجموعة من الدعاوى والتمويه والكذب على عادتهم، والممارسات الإعلامية والدعائية عبر منابرهم الإعلامية كـ«قناة المنار» وغيرها، التي تجعل منهم الداعم الأساسي والحاضن للمقاومة الفلسطينية في لبنان وفي سوريا وإيران، لكن تفاهمات تموز ونيسان وغيرها وقبول الحزب بالقرار «١٧٠١» تزيّف كل تلك الدعاوي.!

والسؤال المطروح هنا هو: على أي أساس يتعاون مسؤولو حركتي حماس والجهاد الإسلامي مع الرافضة سواء في حزب الله اللبناني أو في دولة إيران، ويتخذون منهم أولياء وأعوانًا لهم في نضالهم السياسي ومقاومتهم للعدو اليهودي؟ والمعروف أن جهاتٍ متعددة من المرجعيات الدينية والفكرية من أهل السنة؛ علماء ومفكرين وزعماء حركات إسلامية وغيرها، قد قدموا النصح لحركة «حماس» مرارًا وتكرارًا بالابتعاد عن الرافضة والحذر منهم وعدم إعطائهم فرصة للتقوّي على حساب أهل السنة على مستوى الأمة، وعدم إيجاد سبيل لهم للتغلغل إلى فلسطين، ونهوهم عن التعامل معهم والميل إليهم؛ فكان غالبًا جواب المسؤولين في «حماس» و«الجهاد الإسلامي» أو مَن يجادل عنهم هو الدفع بأنهم في حاجة شديدة لمن يساندهم ويدعمهم، وأن الدول العربية والإسلامية قد تخلت عنهم وحاربتهم فلم يجدوا مَن يساعدهم إلا إيران، كما يدفعون بالقول إن مساعدة إيران و«حزب الله» لهم هي في ظاهرها مساعدات بريئة لا يراد بها إلا وجه الله، وليست مشروطة بأي شرط مذهبي أو سياسي أو غيره!!

لكن من يعرف مناهج الحركتين وأفكارهما يدرك أن القناعة بخطر الرافضة وبحقيقة انحرافهم وضلالهم ضعيفة عند الحركتين، تبعا لأفكار «الإخوان المسلمين» الرسمية وأفكار الكثير من مرجعياتهم الفكرية مثل «يوسف القرضاوي» وغيره، وهذا هو السبب الرئيسي لعدم اكتراثهم



بالتحذيرات من خطر الرافضة، ويكفي أن نتذكر أن «خالد مشعل»[1] في العام الماضي ٢٠٠٦م زار إيران وقدّم طقوس العزاء عند ضريح «الخميني» ثم قال في تصريح للإعلام: «إن حركة حماس تعتبر نفسها الابن الروحي للإمام الخميني».! وأما حركة «الجهاد الإسلامي» فهي أكثر قربا وميلا إلى الرافضة منذ أيام مؤسسها «فتحي الشقاقي»، فهو كان من المعجبين إعجابًا شديدا بـ«الخميني» وثورته وأفكاره، وشديد المدح له والإكبار، ولازال بعض قيادات الحركة سائرين على نفس النهج..!

فالمشكلة إذن هي مشكلة منهجية فكرية دينية قبل كل شيء، وليست مسألة ضرورة وحاجة سياسية.. نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين.

❖ خاتمة:

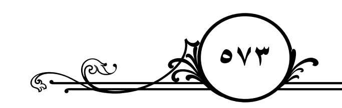
وإذا كنا قد اقتنعنا بأن حزب الله اللبناني ما هو إلا حزب شيعي طائفي متعصب يخدم الاستراتيجية الشيعية الخمينية الكبرى، فلا داعي للتطويل في مسائل من قبيل: هل بالفعل حزب الله اللبناني يقاوم المحتل الإسرائيلي؟ وهل فعلا سعى ويسعى حزب الله اللبناني لمنع وجود أي قوة سنية مقاومة لليهود في لبنان وعلى الحدود الشمالية لدولة اليهود؟ وهل كان ذلك ناتجا عن اتفاقات دولية أمريكية سورية، وبندًا من بنود اتفاق الطائف غير المعلنة؟ وما شابه ذلك من المسائل والأسئلة الكثيرة، فسواء كان ذلك أو لم يكن، فنحن لا نحتاج إليه كثيرا، إنما يُحتاج إلى مثل هذا على أقصى حدٍ لشيء من الاستئناس فقط، ثم -وهي الحاجة الأمسّ- قد يُحتاج إليه لإقناع بعض ضعفاء الدين والفهم الديني ممن لا يقتنعون إلا بالماديات والوثائق الرسمية وبادعاءات اكتشاف الأسرار ونحو ذلك مما يخدع الضعفاء، فهؤلاء قد يحسُن أن تذكر لهم تناقضات حزب الله اللبناني ومفاسده السياسية المحسوسة الظاهرة.

❁ فمن تناقضات هذا الحزب ومفاسده السياسية الظاهرة المحسوسة:

- موقف الحزب من مجازر «صبرا وشاتيلا» و«برج البراجنة» في أواسط الثمانينيات حين تولت حركة «أمل» الشيعية -بالتعاون مع «حزب الكتائب الماروني»، وبرعاية يهودية- كبر المجازر في حق المهاجرين الفلسطينيين اللاجئين، وأكثرهم كانوا من الضعفة أطفالًا ونساءً وشيوخًا، إذ إن معظم المقاتلين كانوا قد خرجوا من المخيمات أو قتلوا دفاعًا عنها، ووقف «حزب الله اللبناني» الذي كان يومها حديث النشأة منفصلًا عن حركة «أمل» ومنافرًا لها، وقف متفرجًا على الأقل إن لم يكن قد شارك

---

(١) كان «خالد مشعل» في هذه الفترة يشغل منصب: رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس».



فعلًا، كما هي عادة الرافضة حين يتعلق الأمر بقتل أهل السنة، متعللًا بأن ظروفًا سياسية كانت تحول دون أن يفعل شيئًا، وهو مثال من الأمثلة غير المحصورة لقلة دين هؤلاء القوم وعدم غيرتهم على محارم الله وعدم تمعّر وجوههم في الله وحين تنتهك حرمات الله، بل إنما يغضبون للطائفة والعصبة لا غير.!

– ترشيح حزب الله للمجرم «إيلي احبيقة» النصراني الماروني أكثر من مرة على قوائمه للانتخابات البرلمانية، رغم أنه هو من أكابر مجرمي المجازر المذكورة أخزاه الله وأمثاله.!

– وكذلك تحالفهم مع «نبيه برّي» وهو من رؤوس مجرمي تلك المجازر أيضا، بالإضافة إلى كفره وعلمانيته وإجرامه الكثير، فهم لا يبالون بدين ولا كفر ولا إيمان، ما دام الشخص منتميًا إلى طائفتهم أو حليفًا لهم أو كانوا يرون في قربه مصلحة لطائفتهم وأجندتها.

– كون الحزب كالآلة للدولتين الإيرانية والسورية، وتبعيته لهما، وخدمته لمصالحهما وسياساتهما، وهذا في غاية الوضوح، ومَن لا يبصر ذلك فلن يبصر شيئًا.! والمعلومات المنشورة والمعلنة عن تلقي الحزب للأموال الطائلة من إيران وللتسليح وغيره من الدعم، لا تخفى على أحد.

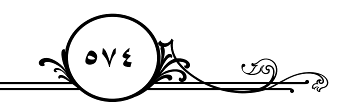
– الوثائق والأخبار والشهادات الكثيرة المفيدة لحقيقة منع الحزب أي وجود مقاوم ومجاهد، ولا سيما الوجود السنّي، على الحدود الشمالية لإسرائيل، أي في مناطق جنوب لبنان، وأن ذلك كله إنما هو نتيجة لاتفاقات معقودة مع سوريا ومع أمريكا وحتى إسرائيل، ترافقت مع مصلحة الحزب نفسه، لينفرد بالساحة وبلقب المقاومة وصناعة المجد وكسب الشعبية في الأمة.!

– ومن هنا إلقاؤهم القبض على كل مَن يحاول من أهل السنة الفلسطينيين أو اللبنانيين أن يجاهد العدو اليهودي من جهة جنوب لبنان، وقد قبضوا بالفعل على كثيرين وسلموهم إما لسوريا أو للأمن اللبناني، وممن ذكر ذلك صبحي الطفيلي(١) وغيره، بالإضافة إلى شهادات خاصة عندنا في ذلك.

– قبول الحزب بالقرار الصادر عن الأمم المتحدة رقم (١٧٠١) وتعهده بالحفاظ على سلامة القوات الدولية واستنكاره لمهاجمتهم.! وهذا يكذب دعاويه بالحرص على تحرير فلسطين، إذ كيف يقبل بوجود قوة تَحُول بين المجاهدين في لبنان وفلسطين؟ وقد كان أشرف لهذا الحزب أن يتحول إلى حركة مقاومة سرية لو كان صادقًا، بدلًا من أن يقبل بهذا القرار ليحافظ على وجوده كقوة سياسية معترف بها رسميًا أو فعليًا.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط: العدد ٩٠٦٧، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٣. [المؤلف]



- ما في تاريخ الحزب من نقاط سوداء وفظائع ولا سيما فيما يتعلق بعمليات التهجير للسنة من ضاحية بيروت الجنوبية في النصف الثاني من الثمانينات، وعمليات التقتيل والاغتيالات وغيرها.

- أما موقف الحزب من القضية العراقية فهي من الأمور الواضحة الدلالة التي ينبغي ألا تفوت على متأمل.

- وكذا مساعدته للمليشيات الشيعية في العراق مثل جيش المهدي وفيلق بدر وتدريبه لعناصرهما التي تتولى قتل أهل السنة وكوادرهم، وهما المنظمتان اللتان انبثقت منهما فرق الموت التي ارتكبت ما لا يحصى من المجازر في أهل السنة.!

- وفي مقابل ذلك موقف الحزب وزعيمه «حسن نصر الله» من المجاهدين والمقاومة من أهل السنة في العراق، وقد وصفهم في بعض المناسبات قريبًا بأنهم وهّابية تكفيريّون، وبغير ذلك من الأوصاف التي يستعملها الشيعة في وصف أبطال وصناديد مجاهدي أهل السنة أهل الاستقامة وأهل المعرفة بضلال الشيعة وشركهم ومروقهم.!

- ثم ليسأل الإنسان نفسه: هل حزب الله اللبناني يريد وجه الله بحروبه ومقاومته ومساعيه؟! وليتأمل في الجواب ويبحث عنه.

- وليتأمل أيضا في «حسن نصر الله» وخطاباته الطويلة التي تستمر ما بين الساعة والساعتين وأكثر، لا يذكر الله فيها إلا قليلا، ما خلا الافتتاح بالبسملة التي تعوّدوا عليها ويجعلونها كالعنوان على انتمائهم الإسلاميّ زعموا، ونحوها من الكلمات، ولا يذكر آية من كتاب الله ولا حديثًا لرسول الله ﷺ، ولا يذكر الجهاد في سبيل الله كما شرعه الله وأحبه، رغم عشرات بل مئات الآيات في القرآن الواردة في الأمر بالجهاد في سبيل الله والترغيب فيه وبيان فضله، وفضل الشهادة في سبيل الله.! وأما أحاديث النبي ﷺ فمن ذلك شيء لا يكاد يُحصى..! فهل هذا زعيم إسلاميّ؟ أم أنه زعيم المنافقين الذين لا يذكرون الله إلا قليلا؟!

- وانظر إلى تحالفهم الآن مع ميشيل عون وغيره من الكفرة والفاسدين في معارضتهم للحكومة اللبنانية، وانظر ما في أثناء اعتصاماتهم في الساحات وتظاهراتهم من الفساد واختلاط الرجال بالنساء والشباب بالفتيات ليل نهار وما في ضمن ذلك من مخازي يندى لها الجبين ويُستحيى من ذكرها، وكيف أن «حزب الله اللبناني» جزء من رعاتها والقائمين عليها والساكتين عنها، في سبيل مصلحتهم المتوهّمة، فهل ترى دينا عند هؤلاء ومراقبة لله ﷻ ونظرًا لليوم الآخر؟ كلا والله.!

والأمثلة كثيرة جدا لمن أراد أن يركز على فساد هذا الحزب وطائفته بالدلالات المحسوسة

الظاهرة، ومَن لم يقنع بكل ذلك فلن يقنع بشيء.!

❁ فتنة وابتلاء:

ولا بد أن يعلم المسلم أن هذا الحزب (حزب الله اللبناني) ومقاومته وأعماله التي ظاهرها البطولة ومقاومة المحتل الغاصب والدفاع عن الأرض والدين والعرض.. أنها كلها فتنة وابتلاء عظيم يختبر الله به العباد، لينظر الله ﷻ -وهو عالمُ الغيبِ والشهادة- كيف نعمل ومَن الذي يختارُ الله ﷻ وما عنده ويكون مع الحق ويدور معه حيث دار، وينصر الله ودينه والتوحيد وسنة رسول الله ﷺ، ومَن الذي تستهويه البطولات الجوفاء، بطولات «عنترة بن شداد» و«كليب» و«المهلهل» و«ماوتسي تونج» و«جيفارا» و«كاسترو» وأمثالهم.

وهكذا الفتنة بثورة «الخميني»؛ فإنها من أعظم الفتن على المسلمين في التاريخ الحديث، لعلها -بالنسبة إلى كثير من الناس- أشد من فتنة الاستعمار الغربي الذي احتل بلاد المسلمين في القرنين الماضيين.. فإن ذلك كان عدوًّا صليبيًا كافرا أصليا معلوما كفره لدى عموم جمهور المسلمين، لكن هؤلاء الخمينية منافقون زنادقة اشتبه أمرهم على جمهور الأمة وتلبّسوا بالإسلام وتزيّوا بزي الصلاح والإصلاح، ولبسوا مسوح النهضة الإسلامية وجهاد العدو الكافر...!

وانظر ما كتبه الكثيرون من أهل السنة ممن انخدعوا بثورة «الخميني» في بادئ الأمر ثم بانت لهم حقيقتها فيما بعد، ومن أمثلتهم الشيخ «أسعد بيوض التميمي الفلسطيني»، وقد كتب عنه ابنه محمد، وغيره كثير: «عندما انتصرت الثورة الإيرانية في نهاية عقد السبعينيات من القرن المنصرم استبشر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها خيرًا، وظنوا أن فجر الإسلام قد بزغ من جديد، وأن تحرير فلسطين أصبح قاب قوسين أو أدنى، فالتفوا حولها يحفونها بعقولهم وأفئدتهم ومشاعرهم، حيث إن هذه الثورة كانت ترفع شعارات هي ضمير كل مسلم:

الأول: الإسلام.

الثاني: عرفت نفسها بأنها ثورة المسلمين المستضعفين في الأرض ضد الشيطان الأكبر «أمريكا».

الثالث: تحرير فلسطين من اليهود.

حتى إن كثيرًا من علماء أهل السنة وقفوا إلى جانبها وبعضهم من السلفيين أصحاب العقيدة الصحيحة التي تتطابق مع القرآن والسنة أي مع عقيدة رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ظانين بها

خيرًا»[(١)] اهـ.

ولا بد للمسلم أن يتفطن اليوم لخطر هؤلاء جميعا، ويعرف ما عندهم من الحقد على أهل الإسلام، لأنهم تربّوا على الحقد والبغض لأهل السنة، فهم يحقدون عليهم أكثر مما يحقدون على اليهود والنصارى، فاليهود والنصارى شأنهم سهل عندهم، هم كفارٌ معروفون، ويمكن موادعتهم ومصالحتهم والتعايش معهم، لكن أهل السنة هم العدوّ الأساسي والحقيقيّ للرافضة، والرافضة يتوارثون ذلك جيلا عن جيل ويتربّون عليه، بواسطة مجموعة كبيرة من الشعارات ومنظومة ثقافية فكرية وأدبية دينية متكاملة تدور حول محاور: أن أهل السنة هم قتلة الحسين وأنهم غاصبوا أهل البيت حقهم، وأنهم ظالمو أهل البيت وشيعتهم، وأن شيعة آل البيت كما يسمون أنفسهم سيثأرون منهم يومًا ما، وأنهم في انتظار مهديّهم الغائب في السرداب ليظهر وليقتلوا معه أهل السنة وينتقموا منهم شر انتقام.!! وعندما يردد الشيعة: يا ثار الله، ويا ثار الحسين، ونحو ذلك من الشعارات، إنما يقصدون بها في الحقيقة أهل السنة، لا غير، مهما حاولوا أن يموّهوا ويكذبوا ويستعملوا التقية، فليس اليهود ولا النصارى هم الذين قتلوا الحسين، بل إنما قتله -عندهم وبحسب اعتقادهم أو بحسب تزويرهم وتخييلهم- أهلُ السنة، فهم ينتظرون اليوم الذي ينتقمون فيه منهم ويثأرون.!

وحاشَ لله أن يُحسَبَ قتل الحسين على أهل السنة، نبرأ إلى الله من ذلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل.. وما الحسين رضي الله عنه إلا صحابيّ جليل وإمام من أئمة المسلمين أهل السنة كسائر الصحابة وأئمة السلف الصالح، مع ما اختصّ به من البشارة بالجنة والبنوّة لرسول الله ﷺ، وإنما كان مقتله فتنة أراد الله بها تمحيص العباد، وفي ضمنها حكمٌ لله عز وجل بالغة؛ فالحسين من أئمة المسلمين أهل السنة ومقتلُهُ جرى في حوادث سياسية واقتتال بين المسلمين، كان فيه الحسينُ رضي الله عنه هو المحق المصيب المتقي لله سبحانه وتعالى، وقاتِلوه هم المبطلون الفجرة الطغاة الظلمة، وباؤوا بالخسران، فما شأن الشيعة الرافضة؟ فهم لا وجود لهم أصلا إلا فيما ابتدعه الزنادقةُ من الدين والانتساب إلى آل البيت زورًا وبهتانًا، والحمد لله على كل حال، له الأمرُ وحده.

❁ الشيعة في لبنان والعراق: فرصة تاريخية وتقدم، أم بداية النهاية؟

يظن الشيعة أن هذه الفرصة التاريخية المتاحة لهم اليوم في العراق وإلى حدٍّ ما في لبنان وفي بعض البلاد الأخرى، أنها فرصتهم التاريخية لتحقيق حلمهم الكبير بتولي قيادة الأمة وتحقيق الغلبة على أهل

---

(١) مقال: «هل الثورة الإيرانية إسلامية أم مذهبية قومية؟» لمحمد أسعد بيوض التميمي. [المؤلف]



السنة، ولكنهم غفلوا في غمرة غرورهم وسكرتهم ببعض الانتصارات الجزئية المؤقتة أنهم في نفس الوقت هم ينكشفون للأمة، ويظهرون أمامها على حقيقتهم التي طالما اجتهدوا في سترها والتكتم عليها؛ فالأمة اليوم -بفضل الله ﷻ وحسن كيده ﷻ للمسلمين ومكره بالكافرين والمنافقين، ثم بما أتاحته تقنيات العصر من فضائيات وإنترنت ووسائل معلومات- صارت تعرفهم جيدًا وتتفطن لهم، وقد رأتَ ما عندهم من الدين المبدّل والنواح السرمديّ والشرك بالله ﷻ، والمحادة لدين محمد ﷺ وأصحابه ﵃.!

❁ عندما ينادي «حسن نصر الله» الأمة الإسلامية:

عندما كان «حسن نصر الله» ينادي في خطاباته الملتهبةِ المسلمين والأمة الإسلامية قبل سنين، كان يخدع بندائه جماهير المسلمين من أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها، الذين ظنوا به الظن الحسن، وحسبوه مجاهدًا يقاتل اليهود..! ولكن ذلك لم يعدْ يجدي يا «حسن نصر الله».. فقد انتهى زمن الخداع والتلبيس، وبانت الحقائق وظهرت المكنونات، فلو صدقتَ اللهجةَ فلا يسعك اليوم إلا أن تنادي شيعتك وأهل ملتك الاثني عشرية، فقد فطنت الأمة لك بحمد الله.!

وإنني أظن -والله أعلم- أن مرحلة الغفلة السنية قد بدأت تتلاشى، وأعقبتها بفضل الله ﷻ ومنته مرحلة اليقظة والتفطن والنهوض.

وعلى وجه التقريب يمكن ترتيب المراحل التي مرت وستمرّ بها أمة الإسلام مع الشأن الرافضي في عصورها الأخيرة كالآتي:

- مرحلة الغفلة السنية، وإن شئت فقل السُّبات، أو حتى الموت..!
- مرحلة التلبيس والغش والخداع والانخداع..
- مرحلة الاتضاح والافتضاح الرافضي..
- مرحلة الانتفاش والغرور الرافضي، ولا سيما بعد سقوط نظام «صدام حسين»، وأيضا بسبب نجاحات حزب الله اللبناني الظاهرية المؤقتة.
- مرحلة المفاصلة الكاملة والبيان الواضح.
- مرحلة المواجهة، أو المتاركة والمعايشة على مفاصلةٍ في أحسن الأحوال.
- مرحلة الغلبة للحق والتوحيد والسنة، بإذن الله ﷻ.

وإن من خير البشرية جمعاء أن يكون الحق والتوحيد والسنة هو الغالب والظاهر، ففيه الرحمة والعدل والإحسان، ولا والله لن يكون حالٌ أحسن منه، وإن أهل التوحيد والسنة لهم أرحم بالرافضة

وسائر أهل البدع والأهواء المنتسبين إلى القبلة من بعض هؤلاء لبعضٍ، وهذا كما شهدت به دلائل الشرع شهدت به أيضا دلائل الواقع والتاريخ.

وسأضرب هنا مثالا واحدًا فقط خشية التطويل -وأختم به هذا المقال- واخترت هذا المثال لأن صاحبه من أشد الناس على الرافضة وأعظم من فضحهم ونكّل بهم بالحجة والبرهان على مدار التاريخ الإسلامي، وهو من أبغض الناس عند الرافضة، وذلك هو شيخ الإسلام الإمام «أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانيّ» رحمه الله؛ قال رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» بعد كلامٍ عن مخازي الرافضة في التاريخ ووقوفهم دائما مع أعداء الله الغزاة من اليهود والنصارى والتتار وغيرهم ومعاونتهم لهم على المسلمين، قال: «ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقا كما تقدم، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خيرٌ من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خيرٌ وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به ويقولون أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا، وهذا لأن الأصل الذي اشتركوا فيه أصلٌ فاسد مبني على جهل وظلم، وهم مشتركون في ظلم سائر المسلمين، فصاروا بمنزلة قطاع الطريق المشتركين في ظلم الناس، ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض، والخوارج تكفر أهل الجماعة وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم وكذلك أكثر الرافضة ومن لم يكفر فسّق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأيا ويكفرون من خالفهم فيه، وأهلُ السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يكفرون مَن خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق، كما وصف الله به المسلمين بقوله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كنتم خير الناس للناس»[1]، وأهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس، وقد علم أنه كان بـ«ساحل الشام» جبلٌ كبير فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء الناس ويأخذون أموالهم وقتلوا خلقا عظيما وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون «سَنَة غازان» أخذوا الخيلَ والسلاح والأسرى، وباعوهم للكفار النصارى بـ«قبرص»، وأخذوا من مرّ بهم من الجند، وكانوا أضر على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعضُ أمرائهم راية النصارى وقالوا له: أيما خيرٌ المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى، فقالوا له: مع مَن تحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى، وسلموا إليهم بعض بلاد المسلمين، **ومع هذا فلما استشار بعضُ ولاة الأمر في غزوهم وكتبت جوابا مبسوطا في غزوهم وذهبنا إلى ناحيتهم وحضر عندي جماعة منهم وجرت بيني وبينهم**

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٥٧).

مناظرات ومفاوضات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلدهم وتمكن المسلمون منهم نهيتهم عن قتلهم وعن سبيهم، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا»(١) اهـ.

والجبل الكبير الذي كان لهم في الشام هو على ما أظن «جبل كسروان»، وقد تقدم ذكره في أول مقالنا هذا، ووليّ الأمر الذي أشار إليه لعله هو الملك «الناصر بن قالوون»، السلطان المملوكيّ المعروف، ولـ«شيخ الإسلام» رسالة كتبها له يهنئه فيها بفتح هذا الجبل ويذكر فيها قصتهم وشيئا من أحكامهم، مثبتة في «مجموع فتاويه»(٢).

وقوله «سَنَة غازان»، السنة هي سنة ستمائة وتسعة وتسعين للهجرة. و«غازان أو قازان»، هو أحد ملوك التتار من ذرية «جنكيزخان»، وهو الذي قابله شيخ الإسلام ابن تيمية في سفارة مع وفد من أهل العلم وأعيان الشام وخاطبه تلك المخاطبة المشهورة، قال عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» في حوادث سنة أربع وتسعين وستمائة: «وفيها ملكَ التَّترَ قازانُ بنُ أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكيزخان فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير توزون ﷺ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السبح والهياكل مع التتار والحمد لله وحده»(٣) اهـ، وذكر وفاته في حوادث سنة ثلاثٍ وسبعمائة(٤).

والحمد لله رب العالمين، ونسأله ﷻ أن يفتح على المسلمين ويأخذ بأيديهم إلى كل خيرٍ، وينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان، إنه وليّ المؤمنين، نعم المولى ونعم النصير.

كتبه: **أبو عبد الرحمن عطية الله**

صفر ١٤٢٨هـ

❊ ❊ ❊

(١) منهاج السنة النبوية (٥ / ١٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٩٨) وما بعدها.

(٣) البداية والنهاية (١٧ / ٦٧٦).

(٤) البداية والنهاية (١٧ / ٥٧٨).

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



لقاء

«مركز اليقين الإعلامي»







تم نشر هذا اللقاء في المنتديات الجهادية

من قبل «مركز اليقين الإعلامي»

جمادى الأولى

١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة مركز اليقين الإعلامي

الحمد لله رب العالمين، المتفضل علينا بالآلاء والمنن، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الهادي إلى سبيل الرشاد والمحذر لنا من شرور الفتن، وبعد:

لا يخفى على ذي لب ما يعانيه العالم اليوم من احتكار مصادر الأخبار في الأيدي الصهيونية ثم الاستخباراتية الغربية، والإعلام هو أحد أهم مصادر الحروب في تاريخ البشرية، إذ به يُشاع ما يفرِّق جمعَ الأمة ويضعف عزيمة أبنائها ويفرق الناس من حول المدافعين عنها، بعد أن يؤيّسهم من حصول أي نصر، ويدفعهم إلى رفض مبادئ الحق التي يشوهها الإعلام ويظهرها في أبشع صورة، ويغرّهم بوعود العدو بأنه ما يريد إلا نشر العدالة والسلام والحضارة وحماية أبناء تلك الأمة عمن يدافعون عنهم، فيصورهم الإعلام بكل نقيصة تُنَفر أبناء أمتهم من حولهم، وفوق كل هذا تقوم مصادر الأخبار هذه بتزيين العملاء، وإضفاء الشرعية عليهم وجعلهم أبطال الأمة الحقيقيين، فأصبحنا نعيش فعلا ما أخبرنا به رسول الله ﷺ حيث قال: **(سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين..)**[1].

فأصبحنا نرى الكاذب اللص الذي سرق أموال الأمة ورهن الدولة التي يترأسُها لعدوِّها بعد أن أخذ حصة عمولته على شكل مساعدات دولية، وما هي إلا رشوة وأجر على عمالته، ودفع بأبناء الأمة للعبودية وبيع أعراض بناتهم في الفنادق والمشاريع السياحية التنموية، كالعبيد يشتغلون مُرَفهين عن أسيادهم الرومان الجدد، أصبحنا نرى هؤلاء اللصوص العملاء هم قادة الأمة الذين يمجدهم الإعلام ليل نهار هم وبطانته.

أما الصادق الأمين، فهو الظلامي الرجعي المتخلف الإرهابي الذي يريد نسف مظاهر الحضارة

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٠٣٦)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٣٦٥٠).

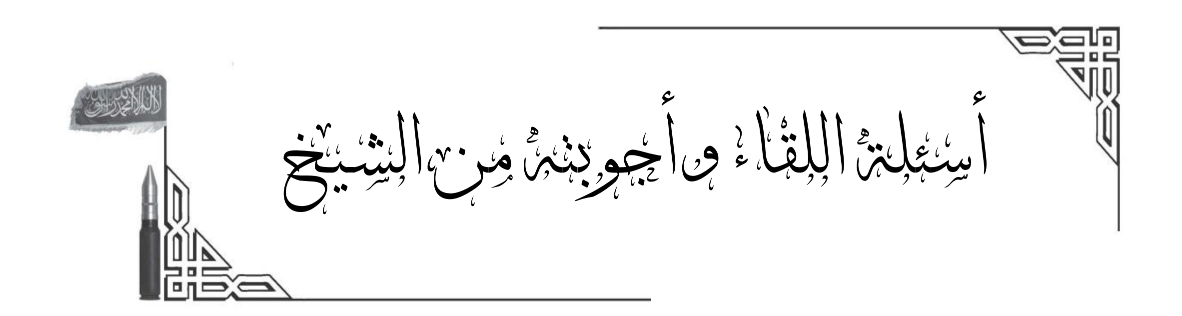
والمدنيـة المعاصـرة ويريـد اسـتعباد المـرأة وجعلهـا متاعـه ولذتـه في البيـت، ويريـد قمـع حريـة الكفـر والاستهزاء بالدين وبالأنبياء وبخيرة البشر بل وحتى برب البشر، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وهذا الإعلام هو الذي يقدم لنا في نشراته وتحليلاته طائفة من الرويبضات التوافه الذين يتكلمون في أمور العامة وهم من أقل الناس شأنا وأَهْلِيَة لتسيير شؤون الأمة، فلا هم يعرفون سنن تدافع الأمم الشرسة فراحوا يروجون لبرامجهم الاستسلامية بدعوى الخيار السلمي، ولا هم اتصفوا بصفة القائد الحقيقي الذي يتقدم أمته ويكون أول المضحين بنفسه وماله، في حين أننا نجد هؤلاء الرويبضات متخفين في مكاتبهم ويدفعون بأبناء الأمة في مواجهات شرسة مع الحكومات والعساكر القمعية في إضرابات واحتجاجات، فتدفع الأمة الثمن من دمائها وحريتها، ويَقبضون هم الأجر عبارة عن مناصبَ ووزارات واتفاقيات مع الأنظمة المستبدة.

و في ظل هذا التعتيم الإعلامي على صوت الحقيقة، رغم ادعاء بعض أكبر المنابر الإعلامية العربية والغربية دعوى «الرأي والرأي الآخر»، وما هو إلا الرأي ولا رأي آخر، فأصبحت كالمافيات تُقصي من ينتقدها وتُقرب من يُداهنها، وأصبحت تخدم أجندتها وأجندة الغرب السياسية والاستعمارية، غاضين طرفهم عن الكوارث التاريخية التي يسببونها لأمتنا، حيث يقربون العدو الغادر بدعوى تغطية مؤتمرات التقريب الطائفي أو المذهبي والحوار الحضاري، ويسكتون عن جرائم هؤلاء فيخدعون الأمة ولا يُعَرِّفونهم عدوهم على حقيقته.

في ظل كل هذا، ارتأينا إطلاق خدمة «**مركز اليقين الإعلامي**»، حيث نأتي الأمة المسلمة بالخبر اليقين من مصادره إن شاء الله، لا يحمل صبغة غربية ولا أجندة استعمارية، بل نحمل لهم الرأي الأمين والخبر الصافي من منابعه ونُغذيه بالتحليل المنهجي، الذي يَبني مجد أمة الإسلام ولا يَهدمها، وينصرها ولا يَخذلها، ويستحث عزيمتها ولا يوهنها، هدفنا إزالة الغشاوة عن الأعين والأفهام، وطرح الحقيقة بأنصع صورها وأعذب كلماتها وأصدق تفاعلاتها، ومن الله نرجو التوفيق والإعانة.

ويسرنا أن نفتتح أولى خدمات مركزنا الجديد، بحوار مع الشيخ «عطية الله»، لنعطي للأمة وجهة نظر مغيبة بشكل كلي أو جزئيّ عن الإعلام الإسلامي والعربي والعالمي، لنكسر الطوق عن أصوات فاعلة في الساحة، وتخوض معركة مصيرية نيابة عن الأمة أو طليعة لها بالأصح، نعرف رأيهم في الأحداث، ودوافعهم في الأفعال، وحلولهم للأزمات، متوكلين على الله، راجين منه التوفيق والسداد والمعونة، والإخلاص في القول والعمل، والقبول منه سبحانه.



〚افتتاحية اللقاء〛

❁ **مركز اليقين**: الشيخ عطية الله؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونشكر لك قبولك لإجراء هذا الحوار معنا، فجزاك الله خيرا.

الشيخ عطية الله: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإياكم جزى الله خيرًا، وبارك الله فيكم، ونسأل الله أن يجعل لقاءنا وحديثنا لنا لا علينا، وأن يجعله بركة وهدىً وصلاحًا، لا فتنة ولا شقاءً.. آمين.

〚تقييم الحركة الإسلامية عامة، والجهادية خاصة، وهل تقدمت أم تعثرت؟، والبشرى بقربها من بيت المقدس، وبيان أن الحروب الحالية صارت «دينية عقدية»〛

❁ **مركز اليقين**: في البدء، سنحاول الإحاطة بحصيلة وثمرات العمل الإسلامي باعتباركم من دعاته وحاملي همومه، وطالما أن جزءًا منه أو طائفة منه وهي الطائفة المجاهدة هي العنصر الأساسي الفاعل في الساحة في مواجهة الهجمة الأمريكية، ونكرر السؤال الذي لا بد أن يطرح دائما: كيف تقييمكم للحركة الإسلامية عموما وللحركة الجهادية بشكل خاص، هل هناك تقدم أم هناك تعثر؟ هل حققت نجاحات أم فشلت في مخططاتها؟

الشيخ عطية الله: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ وآله وصحابته أجمعين ومَن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين..

وبعد: أخي الكريم، إن الإحاطة بما ذكرتم شيء غير ممكن لأحدٍ من الناس، ولكن مقصودكم الإلمام والتعرّف الجيد الإجماليّ والمعتمد على جملة وجمهرة من التفاصيل المهمة، على حال الحركة الإسلامية وإنجازاتها وثمرات عملها خلال السنوات الأخيرة.

فأقول على وجه الإجمال حامدًا الله ﷻ: إن تقويمي الشخصي للحركة الإسلامية وعموما

والجهادية خصوصا، والتي هي طليعة الحركة الإسلامية اليوم، والعنصر الأساسي والفاعل فيها كما أشرتم، والرقم الصعب كما يعبّرون.. هو تقويم إيجابي، ولله الفضل والمنة.

الدعوة الإسلامية في تقدم على أكثر المستويات: إن كان على مستوى انتشار الإسلام في العالم، في المجتمعات الغربية والشرقية الكافرة، وأنتم كإعلاميين إسلاميين مطالعون ومتابعون بلا ريب لحركة الدخول في الإسلام واعتناق دين الله دين الحق دين التوحيد، وتلاحظون ازدياد معدلاته بحسب ما تعطيه كل الإحصاءات الرسمية وغير الرسمية من أمريكا إلى روسيا إلى ألمانيا واسكندنافيا، إلى استراليا، إلى البرازيل وأمريكا اللاتينية وغيرها.

وإن كان على مستوى العالم الإسلامي نفسه (الحركة الداخلية إذا شئنا أن نسمّيها) فهي في نظري كذلك في تقدّم واستداد ونضوج ولله الحمد، بخلاف ما يتصوّره بعض إخواننا، ممن تصوّر في بادئ الأمر أن الدخول في حرب مع الغرب الكافر بقيادة أمريكا بدءًا بشكل رئيسي بأحداث «الحادي عشر من سبتمبر».. أن الدعوة الإسلامية تتعرض للانكسار والانحسار والتقهقر، وتحدثوا عن فشل مشاريع دعوية وإغلاق مؤسسات خيرية من قبل الدول والحكومات الكافرة والظالمة، وبعض الناس أحيانا قد يحصل عنده استغراق في فكرته أو مشاريعه، هو أشبه ما يكون بـ«الفناء» الصوفي، ويتصور أن تلك المشاريع الخيرية والدعوية هي أهم شيء وأعظم منجزات الحركة الإسلامية وأعظم أدواتها ووسائلها، وأنها الكل في الكل كما نقول.! وهذا نوع من القصور في الحقيقة، ومن النقص للإنسان المسلم الكامل أن يحصر نفسه في مثل هذا القفص، بل عليه أن ينتقل إلى فضاء أوسع وأرحب من العمل لله ﷻ ولدينه، وأن يكون واسع الأفق منصفا عند التقويم والجرد لثمرات العمل الإسلامي الجمعي.

الدعوة على مستوى العالم الإسلامي نفسه وبالأخص العالم العربي منه الذي هو مادة الإسلام وأصله، هي في تقدم بالجملة، رغم التضييق من الطواغيت والدول المحاربة للإسلام، رغم إغلاق ما أغلقوه من أبواب الخير المتمثلة في جمعيات خيرية أو مؤسسات ومشاريع دعوية، رغم سجن العلماء في كل مكان، وسجن الناشطين من الدعاة، رغم كل هذه الحرب عليها فهي في تقدم بالجملة وفي خطها البياني العام.. وعندما أقول «بالجملة» فإنني أعني أنه قد يكون هناك تعثّر وركود دعوي وحركي إسلامي في منطقة أو أخرى (بلد أو آخر) لكن عند النظر الكامل والتأمل والإنصاف تجد أن بإزاء ذلك تقدمًا كبيرا ونجاحات كبيرة في أماكن أخرى.

والدخول في التفاصيل الدقيقة يطوّل المقام والمقالَ جدا، فأظنه لا يناسب لقاءنا هذا، لكن هذه

الجملة العامة إذا تأملها المنصف نفعته بإذن الله ﷻ.

وعلى مستوى الحركة الجهادية، فهي بحمد الله في تقدم بلا شك، شهد به الأعداء، وما زالت شهاداتهم تترى.! والحمد لله على توفيقه..

الحركة الجهادية تحقق تقدما على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي؛ الحركة الجهادية وصلت إلى قلب العالم الإسلامي تقريبا أو قريبا من قلبه (العراق)، ورغم كل الصعاب والآلام فهي ناجحة بفضل الله ﷻ وبكل المقاييس في العراق، وهي تقترب من بيت المقدس بالمعنى الذي نريده نحن ونرى أنه الواجب، حتى لا يسارع أحدٌ هنا للاعتراض بأن الجهاد كائنٌ ومستقرٌ في بيت المقدس منذ عقود، ونحو ذلك من الكلام، فهذا إن لم أوضّحه هنا وفاتني، فربما أزيده توضيحا في موضع آخر إن شاء الله، لأن الكلام يتزاحم على الإنسان، ونحاول أن نرتب الأفكار قدر المستطاع، وعلى الله الاعتماد.

الحقيقة أنا والله، أكره تشقيق العبارات وكثرة التصنيفات والأوصاف، لكن أحيانا نجد أنفسنا مضطرين لشيء من ذلك لتوضيح فكرة لا بد من توضيحها.

والمقصود: أن الحركة الجهادية العالمية والناصعة المنهج، التي أعبّر عنها كثيرا بـ«حركة الجهاد والتوحيد والسنة» ويعبّرون عنها بـ«الحركة السلفية الجهادية»، الحركة الجهادية المحققة للولاء والبراء، والتي يمكن ائتمانها فعلا على راية الجهادِ، هي اليوم بإذن الله ﷻ على مشارف بيت المقدس، هذه الحركة الربانية الانتساب، التي لا توالي أو تعادي أو تقيم علاقاتها على اعتبارات الوطنية أو الجنسية الأرضية، بل على الدين والتوحيد والتقوى والعمل الصالح لا غير، هذه الحركة هي التي قصدت أنها وصلت إلى قلب العالم الإسلامي وإلى بيت المقدس، فلا يهمّ كونها من داخله (بيت المقدس) أو من خارجه، المهم هو المنهج ذاته، هو الدين الحق الذي صارت تعلو رايته وتكون له الغلبة والظهور بإذن الله، الواجب ألا يكون عندنا اعتبار لداخل وخارج إلا بالمقدار المطلوب فنيًّا إذا صح التعبير، فقط، يعني مثلا: أن القيادة في بلد ما الأحسن أن تكون في يد رجل من أهل نفس البلد، هذا له اعتباره عندنا بلا شك، وهو اعتبارٌ شرعيّ من جهة النظر إلى الصلاح الكامن في ذلك، لأسباب ظاهرة راجعة إلى التأهل عند ابن البلد لكونه عارفا ببلده أرضا وناسًا وطبيعة وأخلاقا وعاداتٍ وعقليةً، وغير ذلك، ولكونه أدعى للقبول من قبل الناس في بلده، فإن هذه طبيعة بشرية مدلولٌ عليها في القرآن بنحو قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[إبراهيم: ٤]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ ﴾[الجمعة: ٢] ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ ﴾[المؤمنون: ٣٢] وغيرها.. فهذا فقه صحيح، لا يخالف فيه عالم أو عاقل.. من هذا الوجه تقيم الحركة الإسلامية الجهادية اعتبارًا لهذه الأشياء، فهو إذن اعتبارٌ راجعٌ إلى

الدين ومبنيّ على النظر للإسلام والمسلمين، فإذا تقرر هذا فإنه قد يكون في غير ابن البلد مزية أو مجموعة مزايا تقتضي تفضيله على ابن البلد في تولي الشأن، ولا سيما حيث يكون الفارق بينه وبين ابن البلد في الاعتبارات المذكورة قليلا ليس بذاك الكبير، ويكون الحال يساعدُ، فهذه إذن مسألة لها فقهها، وقد شرحتُ هذا في بعض كتاباتي سابقا، والحركة الجهادية على بصيرة بهذا، بحسب معرفتي، والحمد لله.. والحاصل أن الحركة الجهادية هي الآن تقود الحركة الإسلامية، وهذا هو الوضع الطبيعي في مثل حال الأمة اليوم، القيادة (قيادة الأمة) هي لأهل الجهاد، وفيهم ومعهم مَن معهم من أهل العلم طبعا، أهل العلم المجاهدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الصادعين بالحق أهل الولاء والبراء في دين الله ﷻ، اختلفوا قليلا أو كثيرا، وقع التقصير قليلا أو كثيرا، هذا لا يهم.!

نقول هذا حتى لا يُعتَرَض بافتعال اختلافات أشبه باللفظية الجدلية: مَن الذي له التقدم: المجاهدون أو العلماء؟! فإن الحق أن التقدم للعالم المجاهد، وهم موجودون بفضل الله ﷻ داخل منظومة الحركة الجهادية التي نتكلم عنها.

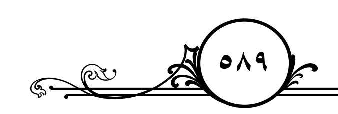
والحركة الجهادية صارت هي صانعة الأحداث في العالم وفرضت نفسها، وهي تمضي رويدًا إلى مستقرها بإذن الله، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض، وهذه أمانة عظيمة، والحمد لله أنها بفضل الله ونعمته في أيدٍ أمينة، ونسأل الله أن يزيدها قوة ومتانة وحكمة وصوابًا وتوفيقا.. آمين.

اليوم انتخاب «سركوزي» في فرنسا، والتحولات الحاصلة والمنتظرة في أمريكا (الولايات المتحدة) وفي بريطانيا وغيرها، والتحولات على المستوى الإقليمي (الشرق الأوسط كما يسمونه) ومنه ما يُتوقع له من حروب وتحولات كبيرة جدا، كل ذلك للحركة الجهادية تأثيرٌ كبيرٌ فيه، يختلف ظهوره وخفاؤه من حال إلى أخرى.

وهذا ليس مهما في ذاته ولا نتعلق به، فليس من منهجنا التعلق بمجرد الألفاظ والشعارات والظواهر والتزويقات، لكن المقصود الإشارة إلى واقع قوة الحركة الإسلامية الجهادية وتأثيرها وحضروها.

وأنا ذكرت أعلاه كلمة «استداد» حين قلت إن الحركة الإسلامية في نضج واستداد والحمد لله، ومن جملة ذلك ما تقدم قريبا الكلام فيه، ومنه أيضا ما تكلمنا فيه في مناسبات سابقة أيضا من أن الحركة الجهادية نجحت بتوفيق الله ﷻ وفضله في إحداث تحوّل جذري في العلاقة بين المسلمين والكفار، وفي تصوير دين الإسلام للناس كما بعث الله به محمدا ﷺ.

رجعت العلاقة بين المسلمين والكفار إلى العلاقة إلى أساس الدين، محورُها الأساس هو الدين



والتوحيد، نحن مسلمون وأنتم كفارٌ، لنا معكم أحكام بيّنها الله ﷻ لنا في دينه وشريعته تفاصيلها كذا وكذا وكذا، أساسها إذن هو: الدين، التوحيد، الولاء والبراء، الحب في الله والبغض في الله.

وحتى معنى الحرب صارَ يرجعُ رويدًا رويدًا إلى المعنى الدينيّ، الحرب الدينية، الحرب التي مبناها على الدين، وبالأمس استمعنا إلى تصريحات النصراني «أمين الجميل» في لبنان، وكيف ظهر وفاجأ المراقبين بخطاب جديد وغير مألوف منذ زمن طويل، حين طالب الدولة اللبنانية وجيشها بضرب الحركة الأصولية كما سمّاها يعني إخواننا في «فتح الإسلام» وغيرهم من أهل التوحيد والجهاد، وتكلم عن «أن مسيحيي لبنان لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا ما تعرض وجودهم للخطر»[1].

نحن كحركة إسلامية وجهادية، هذا كله في صالحنا.. عندما تتحول الحرب إلى حرب دينية، مبناها على الدين، حرب بين الإسلام وأهله وبين الكفر وأهله، هذا هو الذي نريده، لأن هذا هو المعنى الحقيقي للحرب في الإسلام، ولأنه عندما تكون الحرب هكذا فإن النصر فيها لنا بلا ريب، إنما المسألة مسألة وقت فقط، فدين الإسلام (التوحيد الحق) يعلو ولا يُعلى، وعندما تواجهه الأديان المزيفة المحرفة المنحرفة الضالة، أديان الشرك والهوى وعبادة الدنيا والشهوات مهما زخرفها أصحابها وزوّقوها، عندها تكون الجولة للإسلام الذي هو دين الفطرة، وهو دين جميع الأنبياء الذين بعثهم الله ﷻ إلى الخلق من لدن أبينا آدم إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ، وعندما يتصاول الحق والباطل في معركة حقيقية فالغلبة للحق بلا شك، ولا يقوى الباطل على مقارعة الحق، لأنه زهوقٌ وباطل زائل، سريع الاضمحلال، لا ثبات له، وعندها تعلو حجج الحق وبراهينه وآياته وبيّناته وتسطع أنواره على الوجود وتبلغ أشعته الآفاق ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾[المجادلة]، والحمد لله رب العالمين.

وصورة الإسلام رجعت بفضل الله رجوعًا واضحًا -وما زالت بحاجة أكثر لبذل جهود لإتمام عملية الإرجاع هذه- رجعت إلى الصورة الحقيقية كما قلنا: صورة الإسلام الذي هو دين الله والذي هو دين التوحيد الذي بعث الله به رسله كافة وختمهم بمحمد ﷺ بالرسالة الخاتمة والشريعة الناسخة لكل ما سبقها.

وأنت لا تحتاج إلى كبير عناء لتعرف هذه الحقائق وتلمسها على الأرض، ولا تحتاج أيضا إلى طول

(١) كان هذا التصريح بتاريخ: ٢٣/ ٥/ ١٤٢٨، الموافق ١٠/ ٦/ ٢٠٠٧م كما في موقع «الجزيرة نت»، حيث نقله عن «جريدة الدستور».

تفكير لتعرف أن «أحداث سبتمبر» هي -بامتياز- الهزة والصدمة العنيفة التي كان الاجتماع البشري ومنظومة العلاقات البشرية (بين الكفار والمسلمين) بحاجة إليها، لإحداث هذا الإرجاع والتصحيح.! وهذا من فضل الله ﷻ وحده.

ولهذا عندما يذهب «برويز مشرف» متجوّلا في بلاد الغرب (أوروبا) ويقول إنه يريد تحسين صورة الإسلام لدى الغرب، وعندما يعقد «القذافي» مؤتمرات «إسلامية» أممية عالمية أيضا ليحسّن صورة الإسلام لدى الغرب والشرق، زعمَ، وعندما تمارس أمريكا راعية الصليب أشد الضغوط على الدول الحاكمة في بلاد العرب والمسلمين ليغيّروا المناهج ويحذفوا منها كل ما يتعلق ببغض الكافر وعداوته والبراءة منه وجهاده، وليدخلوا فيها «الأخوة الإنسانية» وأن الإسلام «دين الرحمة والتسامح والسلام» كما يقولون، وهو كذلك والله، لكن لا على المعنى الذي يقصدونه هم ويريدون أن يشرحوه للأجيال وينشؤوهم عليه، بل على المعنى الحق الذي جاء مشروحا مفصلا أدق وأوضح تفصيل في ديننا نفسه، والذي عرفه وقرره وزاده شرحًا وتوضيحًا علماءُ المسلمين وأئمته على مدار التاريخ.!!

أقول: عندما تحصل هذه الأشياء فهي من الأدلة الواضحة على مدى ما حققته وتحققه الحركة الجهادية من نجاح.

والمفارقة العجيبة التي لم يفهمها العدوّ الكافر، وأتباعه المرتدون من بني جلدتنا، وللأسف يعمى عنها كثيرٌ من المسلمين أيضا هي: أن كل هذه الحرب على الإسلام هي في صالح الإسلام والمسلمين على المدى الطويل.! لأن ميزة الأديان والأفكار والأيدلوجيات عمومًا ولو كانت أرضية بشرية سخيفة، أنها حين تُحارَب وتتعرض للضغوط والهجوم فإنها تنمو وتزداد اتساعًا، فيكف بدين الله الحق الذي هو فطرة الله التي فطر الناسَ عليها.؟!

أخي الكريم خذ أمثلة بسيطة وتأملها: تونس والجزائر وتركيا مثلا، وغيرها الكثير، لكن يكفي أن تتأمل هذه الأمثلة الثلاثة تأملا جيدا، وتنظر كم تعرّضت للتغريب والإفساد والمحاربة لدين الله ﷻ، وكيف أن الإسلام يصمد والحركة الإسلامية تزداد وتنمو وتقوى، انظر مسألة «الحجاب» على سبيل المثال البسيط.!

وأما على مستوى استداد ونضج الحركة الجهادية بصفة خاصة فهذا شيء يعرفه كل من اهتم بالشأن وتابعه.. الحركة الجهادية تراكمت لديها خبرات وتجارب وصارت لها مكتبة عامرة بالفقه والحكمة، وصارت أسدّ وأعدل وأجمع بين اللين والشدة والرفق والعنف، وأوفق -بحمد الله وتوفيقه- في وضع كلٍ في موضعه اللائق...! والكلام يطول في هذا.. لكن المتابع المنصف يكفيه الإشارة ويبلغ المقصودَ

بمختصر العبارة. والله الموفق.

❋ ❋ ❋

〚تقييم العمل الجهادي في «العراق»، وكلمة في الفرقة الحاصلة بين الجماعات هناك، وكيف يفعل العبد عند حصول هذا الخلاف〛

❁ **مركز اليقين**: إذا انتقلنا إلى العراق على الخصوص حيث هو الخط الأول الذي ستحدد نتيجة المعركة فيه مصير المنطقة والأمة بل وحتى الهيمنة الأمريكية العالمية.. كيف تقييمكم للعمل الجهادي في الساحة العراقية؟ وماذا عن الفرقة الحاصلة بين الجماعات التي حملت راية الجهاد هناك؟ فقد طفت إلى السطح خلافات أفزعت الكثير وأنعشت أيضا الكثير، أعني ربما أنعشت العدوّ إلى حدّ ما، هل تعتقد أن ثمّتَ صراع مناهج هناك؟

الشيخ عطية الله: أخي الكريم، صراع المناهج واردٌ وواقع بلا شك، ولا يمكن أن ننكره..! لكن دعنا نتحدث عن المحصلة النهائية، وإجماليّ الربح أو الخسارة لا قدّرها الله على المسلمين:

فكما قلت لك إن المحصّلة النهائية هي ربحٌ ونجاحٌ وانتصار كبير للحركة الجهادية خصوصًا، وللحركة الإسلامية عامةً، ولأمة الإسلام بشكل أعمّ.

أخي الكريم، هب أنه في أسوأ الأحوال، وعلى أساس أكثر الاحتمالات تشاؤمًا أنه وقع انكسار للحركة الجهادية في العراق، وحصل خلاف ونزاع وفُرقة شديدة وذهاب ريح وفشل، فوالله حتى مع ذلك كله فإنني لا أشك أبدًا أن الحركة الجهادية بالجملة قد ربحت وانتصرتْ.!!

ونسأل الله ﷻ السلامة، ونعوذ بالله من الخذلان، ونسأل الله ألا يكون ذلك، وإنا والله لنطمع في عافية الله ﷻ وواسع فضله ومنته وفتحه القريب، إنه هو مولانا نعمَ المولى ونعم النصير.

لكن بالمقابل علينا أن نكون واقعيين، وننصف.. «العراق» هو في فلسفة الحركة الجهادية العالمية مرحلة، وحبة في عِقدٍ، وحلقة في سلسلة متكاملة، وهذا فارق جوهري بين عدة مناهج، ربما نتكلم عليه أكثر إن شئتم.. والحاصل أن الحركة الجهادية، وعلاقة الإسلام بالكفر، والمسلمين بالكفار، هي في تقدم نحو الأفضل، وفي نجاح مستمر بفضل الله، وعلى أسوأ الاحتمالات في العراق فنحن منتصرون وفائزون بإذن الله، والحمد لله، فأبشروا وبشروا وأمّلوا الخيرَ.

بالمعنى الأعم والأصل الراسخ الذي نرجع إليه دائما ولا نغفل عن ميزانه: نحن بين إحدى

الحسنيين: نصر أو شهادة، وبالمقاييس الأرضية: يكفي الحركة الجهادية في العراق ما حققته من إنجازات على جميع المستويات والأصعدة: على مستوى العالم بأسره أهانت أمريكا ومرغتها في وحل الذل والهزيمة وأذاقتها الويلات والكروب وأرقت ليلها وأظلمت نهارها وجعلتها مسخرة للأمم، وأطاحت بهيبتها الزائفة، وأظهرت بشاعة حضارتها المادية العنصرية الشهوانية الخسيسة جليّة أمام شعوب العالم، واستنزفتها اقتصاديا وعسكريا، وجرّأت عليها الأمم.... إلخ ما يمكن أن تقوله في هذا الصدد، وهو واضح جدا.

وساهمت الحركة الجهادية في العراق -باعتبارها دُرّة في العِقد كما قلنا- في إحداث التغييرات الجذرية و«الإرجاعات» والتصحيحات اللازمة للعلاقات الدولية وانبنائها على أساس الدين، وساهمت بشكل فعّال جدا ويكاد يكون غير مسبوق -بعد الجهاد الأفغاني الأول ضد الروس والشيوعيين- في إحياء فريضة الجهاد في الأمة وبعث معاني العزة والكرامة والنجدة والغيرة والحمية الدينية ومعاني الشهامة والرجولة والإباء في شباب ورجال الأمة وأجيالها من شرقها إلى غربها.. وغير ذلك الكثير الكثير، مما ساهمت فيه بجدارة ونالت فيه وسام شرف عن استحقاق.!

وعلى المستوى الوطني (العراق) فقد تحدث الأمير «أبو عمر البغدادي» أمير المؤمنين في «دولة العراق الإسلامية» حَفِظَهُ اللهُ وسدده في خطابه في غرّة ربيع الآخر من هذه السنة ١٤٢٨هـ (الذي كان بعنوان: «حصاد السنين بدولة الموحدين») عن لمحات مشرقة من إنجازات الحركة الجهادية العظيمة وحسن بلائها على الإسلام والمسلمين في البلد: من إرجاع الناس إلى الدين والتوحيد الصافي، ومن إحياء الله ﷻ للأجيال بالجهاد وانتشار الأحكام الشرعية والعمل بها وتطبيقها، وغير ذلك الكثير، وتحدث الأمير «أبو عمر» أيضا عن كثير مما أجملته آنفًا من مساهمات الحركة الجهادية في العراق ومما قال: «وأما من الناحية العسكرية، فصدق أحد شياطينهم إذ قال: إذا كانت أفغانستان مدرسة الإرهاب فإن العراق جامعة الإرهاب» اهـ.

وستستمر العراق إلى ما شاء الله نقطة جذب وميدان تربية للأمة وأجيالها ومصنعا للرجولة ومدرسة تتخرج منها دفعات تلو الدفعات من الأبطال بعون الله ﷻ.

فهذا على أسوأ الاحتمالات وأكثرها تشاؤمًا..! فكيف ونحن نرجو رغم كل ما هنالك من صعوبات ومن دخن وقصور ومشاكل نرجو الظفر على الأعداء والنصر والفتح، وننتظره قريبا بإذن الله ﷻ.. فالعدوّ الأمريكي الصليبي يتلقى كل يوم ضربات لم يكن يتصورها أخصب الكتاب خيالا، ولا أكثر المخرجين السنمائيين مغامرة..!

ورغم كل التعتيم الذي يمارسونه، فلا يصل إلى العالم (ومنه العالم الإسلامي) إلا القليل من الحقيقة، رغم كل ذلك فإن القدر الطافح من الإناء ينبئ عن الامتلاء.!

وأما المتابعون والمطلعون على الحقيقة فهم بحمد الله على يقين أن أمريكا انهزمت فعلا، وأنها يمكن أن تنهار وتفرّ هاربة من العراق في أية لحظة مفاجئة، بأي معنىً من معاني وصور الفرار.! إنما هي تصابر وتتجلّد، لأنهم يعلمون جيدا أن هزيمتهم لو أقروا بالهزيمة وهربوا هي كارثة تاريخية بالنسبة لأمريكا، لن تساوي عندها هزيمة فيتنام شيئا ولن تذكر معها، ويعلمون أن الهزيمة سترجعهم خمسة قرون إلى الوراء كما قال بعض دهاقنتهم، وأن المعركة في العراق هي مصيرية بالنسبة لهم، مسألة حياة أو موت، وأنهم لو انهزموا فإن الإرهاب كما يسمونه قد انتصر انتصارًا عظيما.

لكن مع كل ذلك نحن ننصحهم بأن يبادروا إلى الفرار خيرًا لهم.. والحركة الجهادية والأمة الإسلامية مستعدة فيما بعد لأن تنصفهم حربًا أو سلمًا، المهم أن يذهبوا ويتركونا نحن نحل مشاكلنا مع الخونة من قومنا، وستكون الغلبة للإسلام وأهله بإذن الله، والخير للبشرية كلها، إن شاء الله.

وأما الخلافات بين الفصائل والجماعات فهو واقع، وهو من المصائب والبلاء، وله أسبابه التي منها صراع المناهج فعلا.. هناك صراع بين منهج التوحيد والجهاد والسنة والولاء والبراء، أو ما يسميه البعض بالسلفية الجهادية، وبين مناهج أخرى متفاوتة في بُعدها واختلافها مع المنهج المذكور.

لكن الغلبة والعاقبة ستكون للحق إن شاء الله، والحق معروف وواضح، لكن هي مسألة: «لا يُمكّن حتى يُبتلى»..! الاختلاف والتنازع وارد وواقع في كل ميادين العمل، ومنها ميدان العمل السياسي والحربي بطبيعة الحال.

وهو من أقدار الله ﷻ التي لا مردّ لها، مع أننا في الجملة مأمورون بدفع القدر بالقدر، لكننا أيضا نؤمن بأننا لا يمكن أن نقضي على الخلاف بالكامل، ولا يمكن منع وقوعه بالكامل مهما بذلنا من جهود واتخذنا من أسباب.

إنما المسألة المهمة التي يتعلق بها التكليف (تتعلق بفعل العبد المكلَّف) هي: **ماذا يفعل عند الخلاف، وكيف يتصرف، ومع مَن يكون إذا كان لا بد أن يكون مع أحدٍ؟ هذه هي المسألة المهمة جدًا.**

وأنتم تلاحظون أن حظ بعض الناس للأسف من معالجة هذه القضايا وتناولها هو البكاء والعويل أحيانًا، والتحزّن والاستغراق في الحزن، ويصل الحال بآخرين إلى أحوال من اليأس والقنوط أو الإحباط والكسل المُقعِد عن العمل والبذل والعطاء والإنجاز، وكل هؤلاء على خطأ..!

نعم يحزننا التفرق بلا شك.. لكن لا يُقعِدنا هذا الحزن عن العمل والبذل، ولا يدفعنا إلى اليأس

والقنوط، ولا حتى الإحباط والكسل، نعوذ بالله من ذلك كله.

الحزن الذي هو فعل القلب عند رؤية وملاحظة هذه الأشياء، هذا إما أنه خارج عن التكليف أصلا، كقول النبي ﷺ: (**إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**)(١)، فهذا لا يؤاخَذ به العبد.

أو هو مما كُلف العبدُ بمجاهدته ما أمكن، ويُنهى عن الإفراط فيه، ويؤمر بالتسلّي بملاحظة قدر الله ﷻ السابق النافذ، وتذكّر الأمثال.

والشيء الأهم الذي هو مناط التكليف (الشيء الذي كُلف به العبد) هو ألا يكون هذا الحزن مانعًا له من عمل الخير، ومقعِدًا له عن الجهاد في سبيل الله بمعناه الخاص والعامّ.

وهذا كله من معنى نهي الله ﷻ رسولَه محمدا ﷺ عن الحزن في آيات كثيرة مثل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[النحل] وقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[المائدة] وقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر: ٨]، وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾[الكهف] وقول الله ﷻ للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران].

فهو نهي عن الحزن المقعد المفسد على الإنسان عمله ودينه، المهلِك له.. وإن شئت فقل هو نهي عن الشيء بالنظر إلى لازمه الذي جرت به العادة؛ لأن عادة بني آدم هي أن الحزن يقعدهم ويفسد عليهم عملهم وهممهم وعزائمهم، وربما لو أفرط فيه أهلكه، ولهذا كان النبي ﷺ مما يكثر أن يستعيذ منه: «الحزن»(٢)، نعوذ بالله من الحزن.

قال ابن عاشور ﷺ: «والنهي عن الحزن نهي عن سببه، وهو اشتغال بالِ الرسول بإعراضهم عن قبول الدين الحق، وهو يستلزم الأمر بالأسباب الصارفة للحزن عن نفسه من التسلّي بعناية الله ﷻ وعقابه من ناوأوه وعادوه»(٣) اهـ.

وقال الشنقيطي ﷺ عند قوله ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام] في «سورة الأنعام»:

---

(١) صحيح البخاري (١٣٠٣) بلفظ: (إن العين تدمع، والقلب يحزن..)، صحيح مسلم (٢٣١٥) بلفظ: (تدمع العين، ويحزن القلب..) الحديث.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٩٣، ٥٤٢٥، ٦٣٦٣، ٦٣٦٩) بلفظ: (اللّهم إني أعوذ بك من الهم والحزن..) الحديث.

(٣) التحرير والتنوير (٢٣ / ٧٢).



«صرح ﷻ في هذه الآية الكريمة بأنه يعلم أن رسوله ﷺ يحزنه ما يقوله الكفار من تكذيبه ﷺ، وقد نهاه ﷻ عن هذا الحزن المفرط في مواضع أخر..»[١] اهـ.

فيبقى السؤال: حسنًا، لن نتوقف عن العمل والبذل والمجاهدة، ولن نجعل الحزن يُقعدنا، ويُفسد علينا عزيمتنا وإرادتنا، ولكن ما هو العمل المطلوب منا؟ فالجواب هو على الإجمال في قول الله ﷻ: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾[الحج]، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[النحل] ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾[المائدة]، ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾[التوبة]، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[الحج] الآية، وغيرها من الآيات وما في معناها من الأحاديث النبوية، كما قال النبي ﷺ: (**المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خيرٌ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**)[٢] الحديث..

ودفع القدر بالقدر، كما قال سيدنا عمر ﷺ كما في قصة طاعون الشام: «نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله»[٣]؛ فأولا لا بد من دفع أقدار الفُرقة والتنازع والاختلاف بأضدادها، وهي المحاولات والسعي الجاد والمستمر الدائم إلى إيجاد الاتحاد والاجتماع والائتلاف والولاء الإيماني والتعاصم والتعاون والتحابب والتوادد والتعاطف، (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمّى**)[٤]، (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)[٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾[الصف]، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[الأنفال: ٤٦].

ومن ضمن ذلك، أعني دفع القدر بالقدر في هذا الباب، التنازل من بعض المسلمين لبعض، والذلة للمؤمنين، وتقديم الاجتماع ولو على المفضول على الفُرقة في طلب الاجتماع على الفاضل، قال الله ﷻ في وصف الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤] الآية.

---

(١) أضواء البيان (١ / ٤٧٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٧٢٩).

(٤) صحيح مسلم (٢٥٨٦).

(٥) صحيح البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، صحيح مسلم (٢٥٨٥).

ومنه السعي للإصلاح بين المؤمنين متى ما وجد خلاف؛ فإن الإصلاح بين المؤمنين واجب كفائي وعمل صالح من خيار الأعمال الصالحة، قال الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[الأنفال]، وقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[النساء]، وقال: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء: ١٢٨].

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي في الترمذي وأبي داود وغيرهما: (**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة؟**) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (**إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**)[1].

وغير ذلك الكثير من الفقه الذي يجب أن ننشره بين المسلمين ويتفقه عليه شباب الإسلام؛ فعليك يا أخي المسلم أن تنظر وتبحث: ما هو الخير وأين هو وماذا يحب الله منا وبمَ يأمرُ ربنا ﷻ في هذه الحال وهذا الوقت.. وافعله.

كيف تعرف ذلك؟ بالعلم النافع، والفقه في الدين، وكلُّ إنسانٍ بحسبه وبحسب درجته في العلم والتكليف، إن كان عالمًا فتكليفه الاجتهاد في معرفة الحق وفي إصابة الصواب والعمل به ودعوة الناس إليه، وإن كان عاميا فتكليفه هو أن يجتهد في البحث عن الحق والصواب بحسبه، وأرجح ضابط لذلك عند العلماء هو: أن يسأل أوثق من يعرف من العلماء دينا وعلمًا، ويأخذ بقولهم، وله أن يسأل أكثر من واحدٍ عند الاشتباه والشك والتردد، ويجتهد في معرفة أهل الحق فيتبعهم، فإذا فعل ذلك فقد أحسن وأدى الذي عليه، أصاب أو أخطأ، وهو حينئذ كالعالِم؛ دائرٌ بين الأجر والأجرين.

وهناك مرتبة متوسطة بين مرتبة العالم المجتهد المستقل بالنظر والاستدلال، وبين مرتبة العاميّ الخالص، وهي مرتبة طالب العلم الذي لم يصل إلى درجة المجتهد المستقل استقلالا كاملا بالنظر والاستدلال، ولكنه ليس كالعاميّ، بل له قدرةٌ متوسطة على النظر تقترب من درجة العالم المجتهد أحيانا، وتقل أحيانا، ويستطيع الترجيح في كثير من المسائل، وهذه المرتبة هي التي يسميها مَن أثبتها من أهل العلم بمرتبة المتّبع، فهذا تكليفه أن يجتهد في تحري الصواب بحسب قدرته على النظر والاستدلال والترجيح كذلك، فإن عجزَ، رجعَ كالعاميّ المذكور في الدرجة السابقة.

هذا ضبط المسألة من حيث الأصول، وأما التفاصيل، فلا يمكن الخوض فيها، لأن كل حالة لها

---

(١) سنن الترمذي (٢٥٠٩) وقال: «حديث حسن صحيح»، سنن أبي داود (٤٩١٩) وصححه الألباني.

نظرٌ مستقل.. لكن نحن لا بد أن نعرف الأنواع، هذا مهم جدا:

فهناك من المسائل ما يسع فيه الخلاف، ويعمل فيها كل واحدٍ من الناس بما توصّل إليه من رأي واختيار من الأقوال والمذاهب، ولا يعنّف واحدٌ على الآخر، ولا ينكر أحدٌ على أحد، مع بقاء التناصح والتباحث والندب إلى الأفضل.

ومن المسائل ما لا يسع فيه خلافٌ، ويُنكر فيه على المخالِف، بحسب مرتبته وما يستحقه من إنكارٍ شدة أو لينًا قوة وضعفًا، وغير ذلك من شروط وفقه وآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا أظنه بالجملة واضحا، وتفاصيله وأمثلته معروفة عند عامة شباب الإسلام المتفقهين، مع أنه يحتاج دائما أيضا شروح وتفهيم من قِبل الدعاة والعلماء.

لكن هناك مسألة يحسُن التنبيه عليها، وهذه المسألة مما يبتلي الله ﷻ به الناس في باب الحرب والسياسة والولاية، والخلاف والنزاع حول هذه الأشياء، وما يحصل فيها من فتن.

هذه المسألة هي: أنه بعد أخذنا بكل الأسباب المتقدمة ودفعنا بالتي هي أحسن، وسعينا الجاد بحزم وقوة، وقيامنا بما في وسعنا من دفع القدر بالقدر، فإننا قد نصل أحيانا إلى حالةٍ لا بد فيها من وقفة حقٍ ننصر الحق ونكون معه، ولا نكون مع الباطل أبدا، يمكن أن تسمّيها نقطة مفاصلة.

وشرح هذه المسألة على وجه الاختصار: أنه ليس الصواب هو دائمًا اجتناب «الفتنة» حتى وإن سمّيناها فتنة.. بل قد يكون الصواب هو الوقوف مع إحدى الطائفتين ونصرها.

فالمجتنب لكل خلاف وتقاتُلٍ بين المسلمين بدعوى أنه فتنة يجب اجتنابها، وأن الله قد أمرنا باجتناب الفتن، هذا مخطئ قد ضل الطريق، ولبّس عليه الشيطان..!!

إنما الفتنة المأمور باجتنابها هي شيئان:

– إما ما كان نزاعا على الدنيا والملك والرئاسة لا على الدين، فهذا يجب اجتنابه وجوبًا لا شك فيه ولا إشكال، ويجب نهي المتقاتلين عنه والإنكار عليهم بحسب الإمكان، والأدلة على ذلك معروفة لا نطيل بها.

– أو: ما التبس على الإنسان، ولم يعرف وجه الحق فيه، ولا ظهر له الصواب مع أي طائفة من الطوائف المتنازعة المتقاتلة، ورأى أنهما (الطرفين) كلاهما متأول مثلا، أو له حق من وجهٍ، ومعه حق وباطل، ولم يتمحض أو يترجّح الحق مع أحدهما بيّنا واضحًا.. فهذا كذلك الواجب أو المندوب فيه اجتناب الفتنة.

وأما في حال اتضح صاحب الحق، وعُرفت الفئة المحقّة من المبطلة، وتمحّض الحق أو ظهر

وترجّح جليًّا في جانبٍ، فهذا يجب فيه نصر الحق والكون مع أهل الحق، وأدلة هذا أيضا معروفة مبسوطة في مواضعها.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾[الحجرات]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨]، والله المستعان، نسأل الله ﷻ أن يصلح ذات بين المسلمين ويؤلف بين قلوبهم، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.. آمين.

✻ ✻ ✻

⟦هل يؤدي هذا الاختلاف في مناهج مجاهدي «العراق» إلى التصادم للوصول للقيادة، وذكر الصفات التي ينبغي أن تكون في الحركة الجهادية⟧

❁ مركز اليقين: لكن هل تتصور أن هذا التعارض أو الاختلاف في خطط ومناهج الجماعات المختلفة لانتشال العالم الإسلامي من وضعه الحالي قد يدفع إخوة الأمس للتصادم من أجل الإمساك بزمام القيادة وفرض كل لرؤيته ومخططه؟

الشيخ عطية الله: كل شيء متصوَّرٌ وممكن الوقوع، لا نكذب على أنفسنا ولا على الناس، نحن بشر، وإخواننا المجاهدون على الأرض بشر، وهم درجات لا يعلمها إلا الذي خلقها ﷻ، أعني: في الدين والتقوى واختيار الله واليوم الآخر ومحابّ الله ﷻ عند تزاحم المحابّ والإرادات وعند ورود الفتن والأهواء والشهوات، وفي العقل والفهم ورجاحة البصيرة والفطنة، وفي الفقه في الدين والعلم النافع، وقبل ذلك كله: التوفيق بيد الله ﷻ وحده لا شريك له.

ولكن مربط الفرس كما يقال هو: أن يجتهد الإنسان في البحث عن الحق، ويعمل به، وينصره ويكون مع أهله.. إذا فعل ذلك، فقد ربح، ولا خوف عليه إن شاء الله.

اجمع هذا الكلام المختصر مع ما كنا نقوله قبل قليل من وجوب السعي لدرء أسباب الاختلاف والتنازع والتفرّق المذموم بين المؤمنين ووجوب إصلاح ذات البين والسعي لتحقيق الاجتماع والائتلاف، قدر المستطاع.

وأنت ذكرتَ مسألة صراع مناهج وأفكار، وسألت الآن: هل يمكن أن يجر هذا الصراع إلى تصادم؟ وقلت لك إن صراع المناهج والأفكار والمشاريع موجود.



ولكن علينا أن نجتهد في ألا ننجر بسبب ذلك إلى اقتتال بين المسلمين، لكن في حال حصل التنازع والاقتتال؛ فلينظر الإنسان في الواجب عليه فعله، وهو ما حاولت التعبير عنه في كلامي السابق.

أخي الكريم: حتى نكون صرحاء وصادقين، ولا أرى ضررًا في الصراحة هنا، لأن الأمور على الأرض بدأت منذ فترة تسير في اتجاه تمايز الصفوف وانقسامات واستقطابات، فلا نستطيع أن نغمض أعيننا أو نتعامى، بل علينا أن نواجه الواقع بما أرانا الله.

التصالح بين المؤمنين مطلوب، والتعافي والتغاضي والتنازل والذلة للمؤمنين.. ولكن دائما هناك حدود وخطوط حمراء، وهذا في كل شيء من أمر المخلوق، فكل شيء له حدوده، وقد قيل أيضا: «إن الشيء إذا زاد عن حد انقلب إلى ضده»، وهو كلام صحيح على وجه الأغلبية والإجمال، بمعنى أن الزيادة على الحد المطلوب غالبا ما تصير إلى فساد ولا يتحقق معها صلاح بل يقع بها الضرر.

أخي الكريم، إن راية الجهاد لا بد أن تكون في أيدي أمينة، يمكن ائتمانها على الجهاد، أناس من أهل الصدق ومتانة الديانة والتقوى وأهل العزائم والصبر، والحركة الإسلامية جرَّبت وعانت وتراكمت عندها خبرات وتجارب، فهي ليست في مرحلة طفولة، بل هي بحمد الله بالغة راشدة سديدة شديدة، قد بلغت أشدها واستوت، وآتاها الله حظا من الحكمة طيبا والحمد لله رب العالمين.

فأنا شخصيا بحسب معرفتي أستبعد أن الحركة الجهادية اليوم تفرط بسهولة في رايتها وتضعها في أيدٍ غير أمينة.!! ما هي الأيدي غير الأمينة هذه؟ يوجَد -يا أخي العزيز- أناسٌ يريدون أن يقودوا الجهاد والحركة الجهادية، وأن يمسكوا بزمام الأمور وتكون بأيديهم الراية، لكن ليس عندهم المؤهلات لذلك، ونحن نعرف ذلك، والحركة الجهادية تعرف ذلك جيدا، وهي واعية بحمد الله وعيًا كاملا بهذا الشأن كما قلت لك، فلا يمكن أن تجاهد الحركة الجهادية وتبلي وتناضل وتكافح وتعاني وتقدّم التضحيات الجليلة ثم تسلّم الراية بسهولة لمن لا يُؤتمن عليها، هذه نقطة في نظري في غاية الأهمية، حتى يفهم الإنسانُ مبنى من مباني الصراع وتكون عنده خلفية.

لا أتوقع أن الحركة الجهادية بعد هذا النضج والوعي والرقيّ والإنجاز تسلم زمامها إلى مَن يمكن ويُتوَقّعُ منه -بحسب ما يعطيه النظر في الأسباب والمسببات وما تعطيه التجارب والامتحانات- أن يرضى غدًا أو بعد غدٍ بشيء من الفتات يُلقى له من العدوّ، ويرضى بأنصاف الحلول والتسويات.!

الحركة الجهادية طريقها واضح وهي على بصيرة من أمرها وستصبر، وهي ماضية على مهلٍ وتؤدة،

ونافذة على رِسلها، لا تلتفت، ويحدوها حديث النبي ﷺ: **(لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)**[1] وقول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، تعرفُ هدفها، ومتصوّرة لمراحل مسيرتها تصوّرًا إجماليا مع كثير من التفاصيل، وتستكمل التفاصيل في الأثناء، وتتراكم عندها التجارب، وهي في ازدياد كل يوم وليست في نقص والحمد لله.

هناك أناس من داخل إطار ما يسمى «المقاومة» أو حتى إن سمّي جهادًا، طارئون وجُدد على الجهاد وعلى طريق الجهاد، وعلى فقه الجهاد وعلى منهج الجهاد يفتقدون إلى الرسوخ، ومتقلبون، ولم يوضعوا على المحك الحقيقي ولم تنجبهم الأيام الصِعاب، بل أنجبتهم ظروف وأحوال أشبه ما تكون بـ«الاتفاقية»، وكل شيء بقدر الله ﷻ، وُجِدوا فيها ووجدوا أنفسهم فيها قيادات، هؤلاء كيف يمكن للحركة الجهادية أن تأتمنهم على الراية.! حق للجميع أن يجاهد ويساهم، لكن حق أيضا لأمثال هؤلاء أن يعرفوا قدر أنفسهم.

وهناك أناس من خارج المنظومة الجهادية أصلا (خارج عن كل ما يسمى جهاد وحتى مقاومة) ويريدون أيضا أن يقودوا الأمة ويقودوا الحركة الجهادية عن بُعدٍ ويفرضوا أنفسهم كقيادة لا يمكن تجاوزها، هذا أيضا غير مقبول ولا أتوقع أبدًا أن تنخدع فيهم الحركة الجهادية بعد هذا الرُشد والحمد لله..! أخي؛ لنكن أكثر صراحةً ووضوحًا: حسب معرفتي المتواضعة؛ لن تقبل الحركة الجهادية اليوم بعد هذا الوعي والنضج وهذه التجارب وهذه المعاناة، أن تسلّم القيادة لـ«الإخوان المسلمين» أو مَن قاربهم وشابههم، هذا واضح، وأرجو أن تكون عبارتي واضحة لا تحتاج إلى كبير شرح وتحرير.!

ولن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم القيادة لأناس أخلاط من الفكر الإخواني والبعثي والوطني والقومي وغيره، لم يُمحّصوا جيدا، ولم يحصل الوثوق بهم جيدًا، بل عند بعض الامتحانات الصغيرة ظهر منهم الضعف والركاكة بل سقط بعضهم في امتحانات شهرية ونصفية..! نسأل الله ﷻ أن يربط على قلوبنا ويثبتنا وإياكم على الحق ويرزقنا اليقين وأن يعافينا قبل ذلك وبعده.. آمين.

ولن تقبل الحركة الجهادية أن تسلم الراية لأناس يعيشون متنقلين بين أفخم الفنادق في دول الردّة مرضيًّا عنهم من حكومات تلك الدول، يعقدون المؤتمرات علنا عندهم، ويشاركون في اللقاءات والاجتماعات الطاغوتية ويُعانقون الطواغيت وأئمة المرتدين بالأحضان، ويقبّلونهم ويبشون في وجوههم بشاشة الأخ الودود، ويظهرون لهم المودة، ويُثنون عليهم وعلى جهودهم ويرجون فيهم

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٤١).

الخيرَ، ويستنجدون بهم ويرونهم جزءًا من الحل، ويعتبرونهم إخوة...!

هذا غير ممكن، والله أعلم، والله غالبٌ على أمره، نسأله ﷻ أن يحفظ الجهاد والمجاهدين ويقيهم شر كل ذي شر.

ولهذا لما قال الأمير «أبو عمر البغدادي» أمير المؤمنين في «دولة العراق الإسلامية» في أحد خطاباته: «أمة الإسلام، لقد عزمنا ألا نكرر المأساة وأن لا تضيع الثمرة، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»(١) اهـ، كان ينطلق من فهم ووعي الحركة الجهادية الأصيل.

ولنكون واضحين أيضا مرة أخرى أخي الكريم، فعندما أقول «الحركة الجهادية» فإنني أعني بها: الحركة الجهادية العالمية التي هي مشروع أمة الإسلام الكامل المتكامل المترابط، وهي حركة: التوحيد والجهاد والسنة والولاء والبراء، ونصاعة العقيدة وصفاء المنهج ووضوحه، والصدق والصدع بالحق، التي لا ترضى بأنصاف الحلول والتسويات، ولا تلتقي مع عدوّها الكافر في منتصف الطريق، ولا ترضى بالفتات!! حركة أخذت على عاتقها الإحاطة بهذا الدين من كل جوانبه بحسب الوسع والطاقة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، حركة من مبادئها: ليس عندنا ما نخسره: نحن بين إحدى الحسنيين: نصر أو شهادة، ومن مبادئها: المنيّة ولا الدنية، ولضربة بسيف في عزّ خير من ضربة سوط في ذل.. حركةٌ الوشيجة التي تربط بين أبنائها وأعضائها وأفرادها هي الإسلام: التوحيد والسنة والسير على منهج وطريق السلف الصالح من هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، لا تعترف بـ«سايكس بيكو» والحدود التي صنعها ووضعها أعداء الأمة ومزقوها بها، إلا بقدر ذلك الاعتبار «الفني» إذا صح التعبير الذي تكلمنا عنه فيما سبق متى ما تمحّص واتضحت فيه المصلحة الراجحة، وذلك من مسائل السياسة الشرعية، حركة لا تفرّق بين كافر محليّ وأجنبيّ، إلا -مرة أخرى- بالقدر والاعتبار «الفني» إذا صح التعبير وإنما نستعمله لتقريب الفهم، كتقديم قتال هذا على ذاك أو ذاك على هذا، أو تحييد هذا والسكوت عنه إلى حين، أو نحو ذلك، مما تسعه السياسة الشرعية ولله الحمد والمنة، حركة لا تعترف إلا بشرعية ديننا وشريعتنا المطهرة شريعة رب العالمين كمرجعية مطلقة، لا بما يُسمّى اليوم بـ«الشرعية الدولية» وغيرها، حركة غاية الجهاد عندها ودافعه هي: أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدينُ كله لله، هذا هو المبدأ الأساسي والأكبر والمقصد الأعظم، فما اندرج تحت هذا المبدأ وخدمه، من أغراض ومقاصد أخرى، ولم يرجع عليه بالبطلان، كتحرير الأوطان من قبضة الأعداء

(١) في الكلمة الصوتية: «حصاد السنين بدولة الموحدين».

الظلمة، ونصر المستضعفين وحفظ الأعراض ونحوها، فهو تابع له في الشرعية، حركة عرفت عدوّها جيدا وعرفت أعداء الأمة ولم تعد منخدعة فيهم أو مغترّة بنفاقهم وألاعيبهم، حركة لا تسلم قيادتها إلا للأمناء على الدين فعلا، ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ نحسبهم كذلك، بحسب وسعها وطاقتها، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

والكلام على صفات هذه الحركة يطول، ولكنه بحمد الله صارَ واضحًا في جملته وفي أكثر تفاصيله لشباب الإسلام، وهي بالجملة صفات «الطائفة المنصورة»، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم منها.

نعم.. **من صفاتها أيضا:** التواضع والذلة للمؤمنين وخفض الجناح لهم، وتتنازل الحركة الجهادية لإخوانها حتى أضعف الضعفاء منهم قدر المستطاع، وترحّب وتفرح وتسر بكل جهد وكل معونة، ولا تستغني عن أحد من الأمة، وتدعو الجميع للكون معها، وتتألف قلوب الناس، وتسعى في كسب محبتهم وودهم بالمعروف وبالحق، وبالعفو والإغضاء والستر، وتشكر للجميع إسهاماتهم مهما صغرت ولا تستغني عنها ولا تترفّع، وتدعوهم للمشاركة الفاعلة وتثمّنها منهم، وهي تفهم وتعي جيدا قول النبي ﷺ: **(وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم)**[1]، ونصب أعينها دائما قولُ الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص]، كل هذا حق، ولكن الراية أمانة عظيمة، لا يمكن أبدًا بحالٍ من الأحوال أن تُعطى بسهولة لأي أحدٍ.

القيادة أخي الكريم؛ **قيادة الأمة وقيادة الجهاد** إنما تكون في يد أهلها الذين عُرفوا بالصدق والصبر واليقين، والأمر لله من قبلُ ومن بعد، والله يؤتي ملكه مَن يشاء، لكن هذه هي قناعة الحركة الجهادية الشرعية وفكرتها، وهو مبدأ صحيح بلا شك، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة]، وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[السجدة]، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

〚الرد على من زعم أنّ المنهج الجهادي لا يستجلب إلا المغرر بهم، الذين يفرقون الأمة〛

❁ **مركز اليقين**: لكن هناك من يقول بأن هذا الفكر الذي يجعل من المسلم الذي ينصر المسلمين والذي لا يقترب من الأمريكيين ولا يساعدهم ولا يعاونهم ولا يشير

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٩٦).

عليهم هو المسلم الصادق، وأن من يدخل في الحلول الأمريكية والغربية سواء أكانت تحالفات محاربة الإرهاب أو قبول حلولهم السياسية الديمقراطية والتحررية، بأنه ليس بمسلم وأنه خائن لأمته ودينه ووطنه، هناك من يقول أن هذا الفكر لا يؤثر إلا على المتحمسين ولا يستقطب إلا المُغرر بهم كما يصفهم الإعلام، الذين لم يجدوا فرصا في اندماج اقتصادي أفضل في مجتمعاتهم أو حرية أوسع في المشاركة السياسية، وأنه لا ينتج نتيجة واضحة ولا يثمر في النهاية سوى المزيد من التفتت في البلاد والمجتمعات الإسلامية ويؤول إلى التمزق والصراع الداخلي بين هؤلاء الأبناء أنفسهم وفيما بينهم وبين حكوماتهم؟

الشيخ عطية الله: هذا كلام يطول.. ويحتاج إلى مقام أرحب، لكن على كل حال، القول بأن هذا الفكر الذي قلنا إنه فكر ومنهج الحركة الجهادية إنه فكر لا يؤثر إلا في المتحمّسين العاطفيين ولا يستقطب إلا كذا وكذا، هذه تقريبا هي مقولة كل أعداء الرسل في كل زمان على مر التاريخ، ومعلومٌ أن أتباع الرسل هم الضعفاء «قال: أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال بل ضعفاؤهم، قال: وهم أتباع الرسل»[1] وهذا مدلولٌ عليه في القرآن والسنة في قصص الأنبياء وسيرة نبينا محمد ﷺ.

فنعم، هذا المنهج أتباعه في الغالب هم الضعفاء البسطاء والفقراء، وهم أتباع الرسل؛ لأنهم بحسب سنة الله التي أجراها في خلقه، هم أصفى فطرًا وأقرب إلى قبول الهدى وأقل موانعَ، بخلاف المترفين المذمومين في القرآن الذين هم أعداء الرسل غالبًا، وبخلاف الأشراف، والمقصود بهم الزعماء وسادات الأقوام وأهل الملك وأصحاب الرياسات.. اللّهم إنا نسألك حبَّ المساكين.

وأما تزويقات بعض المزوّقين ممن يريد أن يخرج عن المحاصرة السابقة، ويقول: لا، أنا أقصد أنه فكر عاطفي يجمّع المتحمّسين أعني تحمّسًا زائدًا مذمومًا، بدون عقل للأمور وحسن فهم وتدبر وتفكر وتأمل، وأنه فكر لا ثباتَ له ولا رسوخ، ولا يستهوي إلا الفئات التي هي قليلة عقل وفهم وعلم.. إلخ.

ففي الحقيقة، عند التدقيق والتحقيق.. فإن هذا هو من جنس ذاك، ولهذا نقول لمَن يقولون مثل هذا الكلام: اتقوا الله وخافوا غضبه وسخطه، وإياكم أن تشابهوا الكفرة المشركين في حججهم في رد الحق ومعارضة طريق الأنبياء، والصد عنها، وإياكم ومشابهة المنافقين في أقوالهم ولمزهم للمؤمنين، فإن الله ﷻ لم يقص علينا قصص الأقوام المعاندين للأنبياء والرسل وما قالوه ودفعوا به في وجوههم من

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٥٣)، صحيح مسلم (١٧٧٣) وساق الشيخ جزءا منه فقط.

الحجج الباطلة الداحضة وما تعللوا به لرد دعوتهم، وما بيّن لنا صفات المنافقين ونبّأنا من أخبارهم إلا لكي نحذرَ صفتهم والوقوع فيما وقعوا فيه ونحذر من التشبه بهم والكون مثلهم؛ فإن مثلهم مثل السوء الذي يبغضه الله ﷻ ويسخط على صاحبه، والعياذ بالله.!

فكيف يليق بمؤمن يدّعي اتباع النبي ﷺ أن يقول هذه الأقوال ويلقيها على الناس ويلبّس به على الخلق ويصدّ بها عن سبيل الله؟ أما يخشى أمثال هؤلاء أن ينالهم قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص] وقوله ﷻ: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾[النحل] ونحوها من آيات الوعيد لمن يصدّ عن سبيل الله.؟! حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن يصف سعي الحركة الإسلامية الجهادية إلى إقامة حكم الله في الأرض، وإقامة دولة الإسلام بأنه «أحلام» و«خيال»..!

فبالله عليك.. أليس هذا مضاهيا لقول المنافقين عن النبي ﷺ وأتباعه وأصحابه: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾[الأنفال: ٤٩]؟! نعوذ بالله من سبل الضلالة.

لكن لو تجاوزنا هذا.. فإن أول رد لهذا الكلام هو أنه دعوى، مجرد دعوى، للمخالف أن يدّعي عكسها، ويقلبها على صاحبها حرفا بحرفٍ.! ثم يقال له: كلامك باطل بلا ريب، ودليل هذا: تفضّل وادخل في التفاصيل، وأرنا برهانك إن كنت صادقا، وسيتبيّن عند تصاول الفرسان في حلبة الميدان: ميدان الحجج والبحث العلمي، كيف تعلو براهين الحق ويُزهق الباطل، لأن الباطل زهوقٌ، لا يثبت أمام قذائف الحق التي هي البراهين والأدلة والحجج الباهرات والبيّنات الساطعات.!

وكذلك قوله: «لا ينتج نتيجة ولا ثمرة».. إلخ، فهذا كله من الدعاوى الباطلة والمحاجة بالباطل لا غير! وإلا فثمرات هذا المنهج وهذه الحركة التي تتبنى هذا المنهج ظاهرة لأولي الأبصار، وهي بركة على الأمة، كما تكلمنا في شيء من ذلك في أول هذا اللقاء.

والكلام عن صراعات بين أبناء هذا الفكر، هو كذلك من المحاجة بالباطل، فأين الصراع بين أبناء هذا الفكر والمنهج في الواقع؟! بل الصراع في غيرهم وبين صفوف مخالفيهم أصحاب السبل المتفرّقة، والواقع شاهد ذلك، فالمنكر له مكابر أو جاهل بالتاريخ والحال.. ثم لو وقع صراعٌ بين المؤمنين بهذا المنهج أحيانًا فهل هذا دليل على بطلانه؟ الجواب بالنفي طبعا، فإن الصراع قد يقع بين الصالحين الأخيار، وله أسبابه الكثيرة، من أهمها: الهوى، والتأويل، التأويل أكثر في أهل الصلاح، والهوى ألصق بأهل الدنيا وقليلي الدين.

وأما الكلام عن صراع بين أبناء هذا المنهج وبين حكوماتهم، والمقصود بها الحكومات المرتدة الحاكمة في بلداننا الإسلامية اليوم، فهذا لعل صاحبه أرد أن يجعله من باب المدح بما يشبه الذم.!

[لماذا لم تحظ «دولة العراق الإسلامية» بالحاضنة الشعبية، والدعم الشرعي اللازم]

❁ **مركز اليقين**: الآن مثلا في العراق، «دولة العراق الإسلامية» بُنيت على هذه المبادئ والقناعات التي تحدَّثتَ عنها، من ضرورة إرجاع الحكم بالشريعة وإرجاع العلاقة بين المسلمين والكفار إلى صورتها الصحيحة دينا وشرعا كما أشرتم، يعني الولاء والبراء، خاصة المناصرة العسكرية الجهادية للمسلمين، والتبرؤ من كل ما قد يعين الكفار اليوم في حربهم للإسلام، فهل صحيح أن هذه الدولة لم تحظ بالدعم الشرعي والشعبي اللازم؟

الشيخ عطية الله: لا، أبدًا، غير صحيح أنها لم تحظ بالدعم الشرعي والشعبي اللازم..! هذا الكلام بهذا الإطلاق غير صحيح ولا منصف، بل إن «دولة العراق الإسلامية» تحظى بالشرعية المستندة إلى الحق الثابت المتقرر في الشريعة الإسلامية وفقهها، وتحظى بقدر طيب وكافٍ من الشعبية.

وإلا فأنا أسألك: ما هو معيار الشرعية؟ إذا كنت تقصد أنها إمارة شرعية غير خارجة عن الشرع، بل هي إمارة وولاية أقامها مسلمون مجاهدون في سبيل الله ﷻ حصلت لهم شوكة وقوة في بعض بقاع الأرض؛ فأقاموا إمارة واختاروا رجلا منهم بايعوه عليهم، وأقاموا ما قدروا عليه من الدين وأحكام الشريعة، وهم باذلون جهدهم في ذلك، وهم بحمد الله موثوقون أهل دين وصدق وجهادٍ في سبيل الله... فهذا والله كائن وحق، وهذا لا شكّ أنه معيارُ الشرعية الأساسي، وهذه الإمارة (الدولة) تثبت وجودها في الميدان وعلى الأرض، وتزداد قوة بحمد الله وتتطور رغم كيد أعدائها الكبّار العظيم جدا.! وأما الشعبية، وهي مما يدخل أيضا في اعتبار الشرعية، بوجهٍ من الوجوه، لأنها لو كانت مجرد حبر على ورق، لم تكن لها «شرعية»، لأنها لا وجود لها على الأرض، يعني لا قوة ولا سلطة ولا نفوذ ولا قدرة على إنفاذ كثير مما تريد من إقامة الأحكام، حينئذ تكون عبثا، ولا اعتبار لها.

أقول: أما الشعبية فـ«دولة العراق الإسلامية» لها شعبية كبيرة في مناطقها، ومعها جماهير عريضة: مبايعة أو مؤيدة ومتعاطفة، أو حتى داخلة تحت سلطانها بالرغبة والرهبة، درجات.

هي ولاية لها وجود على الأرض فعلي وواقعي، يفرض نفسه، وينفذ الأحكام، سلطتها وأمرها وكلمتها نافذة وعالية في مناطق واسعة وشاسعة من الأرض، ودعك من كلمة واسعة، اعتبرها حتى

مناطق ضيقة، إن شئتَ..!

ولولا الشرعية والشعبية التي تتمتع بها «دولة العراق الإسلامية»، لما ثبتت كل هذه المدة مع عظيم الكيد وكبير المكر الذي تتعرض له، وقد رماها الأعداء عن قوس واحدةٍ، وقد خذلها الكثيرون ممن كان يُرجي منه نصرها.! وهي صامدة وتزداد قوة بفضل الله وينضم إليها الناس والكتائب، وذلك بفضل الله أولا ثم بفضل التأييد من الشعب وعشائره وأكثر الطيبين الخيّرين منه، كيف ورجال الدولة هم في أغلبيتهم الساحقة من هذا الشعب وعشائره.

الشعب العراقي في العراق الآن على ما يقال في الإحصاءات: حوالي أربعة وعشرين مليونًا، لو نحّيتَ نصفه اثني عشر مليونا، شيعة، لا نتوقع أن يؤيد «دولة العراق» منها شيء، بقي اثنا عشر مليونًا، على الأقل لو أيدها ربُع هذا المقدار، فيكون لدى الدولة شعب من ثلاثة ملايين، موزّعين على محافظات خمس تقريبا، يشكلون أكثرية في بعضها، وأقليات متفاوتة في بعضها الآخر.. لكان كافيًا في مثل هذه الأحوال لأي كيان سياسي أن يستمر ولا يسقط بسهولة، فكيف ونحن نكاد نجزم بأن أكثر من نصف أهل السنة مع الدولة، ومؤيدون لها محبون داعمون.! والحمد لله رب العالمين.

وجماعة بشرية وكيان سياسي واجتماعي يتمتع بهذا القدر من التأييد من المسلمين لا يمكن بإذن الله أن يقضي عليها عدوّ ما دامت على الحق وصابرة.

ونحن أيضا علينا بالصبر؛ الصبر والانتظار جيد، ونصر الحق وأهله، والاستمرار في ترشيد المسيرة بنصح صادق، هو هذا المطلوب، والله هو الفتاح العليم.

❋ ❋ ❋

〚القول في فتوى الشيخ «حامد العلي» بخصوص «دولة العراق الإسلامية»〛

❁ مركز اليقين: لكن نعرف على سبيل المثال فتوى الشيخ «حامد العليّ»، وهو من العلماء المؤيدين للمشروع الجهادي للأمة.

الشيخ عطية الله: الشيخ «حامد العليّ» عالمٌ، من أهل الصدع بالحق نحسبه كذلك، وهذا رأيُهُ واجتهاده، ولكن هو معارَضٌ باجتهاد غيره من العلماء، ونحن نعرف علماء هم في درجة الشيخ «حامد» ونعرف علماء هم أعلى طبقة في العلم من الشيخ «حامد» مؤيدون للدولة، وكل الناس سمعت بمحاولات ومساعي بعض القوى والفصائل المنتسبة إلى الجهاد والمقاومة في العراق في الحجاز ونجد لاستصدار فتوى من العلماء بعدم شرعية الدولة فلم ينجحوا، وللإنصاف وإحقاق الحق: ليس السبب



الوحيد لإحجام العلماء عن إصدار فتوى تدين الدولة وترفضها هو الخوف من الفتنة وازدياد المفاسد، لا والله، بل هذا سببٌ ثانويّ، بل السبب الرئيسي أن جماعة من العلماء ومنهم بعض الكبار مقتنعون بأن هذه المسألة مسألة اجتهادية، لا يمكن إصدار فتوى بعدم شرعيتها، لأنها مسألة اجتهادية وإن تردد نظر بعض المفتين في: هل كانت هي الخيار الأفضل أو كان الأحسن التريّث فيها، أعني الإعلان عن تشكيل دولة وإمارة على النحو الذي أعلنه الإخوة في العراق، وكذلك نحن نعرف أن قيادات الجهاد الكبار من الشيخ «أسامة» مرورا بالشيخ «الظواهري» إلى الشيخ «أبي يحيى الليبي» وغيرهم أيّدوا الدولة ودعوا الفصائل الأخرى إلى الانضمام إليها، و«القاعدة» عندها لجنة شرعية فيها علماء ومشايخ، وعلى رأسها الشيخ «أبو يحيى» حَفِظَهُ اللهُ، وهم على صلة بجماعة من المشايخ في العالم الإسلامي وتشاور معهم.

فالمقصود أن فتوى الشيخ «حامد» هي فتواه ورأيه واجتهاده، وهو معارَضٌ بمثله بل بما هو أقوى منه، ولا بد أن تلاحظ أخي الكريم أن العالِم الذي يرى عدم شرعية الدولة بإمكانه التصريح بذلك، أعني أنه لا ضرر عليه في التصريح بمثل هذا، لكن الذي يرى شرعيتها ويؤيدها وينصرها لا يمكنه التصريح بذلك، فإن هذا من الخطر العظيم اليوم، بل المؤيد يكتم ذلك ويخشى أن يظهر عنه، وربما ورّى..! نسأل الله أن يحفظ الجميع.

لكنني سأسجّل تعليقا صغيرا هنا، وهو أني أنا نفسي كنت ممن لا يؤيد إعلان إمارة إسلامية في العراق في هذه المرحلة، وكان رأيي أن ذلك مبكر وربما كان سابقا لأوانه، وأشرتُ إلى رأيي هذا في لقائي مع منتدى الحسبة، العامَ الماضي، فيمكن مراجعته، لأن الإخوة سألوني ثمّت هل تؤيد إقامة إمارة إسلامية الآن في العراق كما كان الشيخ الشهيد أبو مصعب الزرقاوي ﵀ أشار إليها في شريطه المرئي، وذكر أنها مشروع يمكن أن ينطلق في الأشهر القادمة.

لكني أعرف أنها مسألة اجتهادية قابلة للنظر والاختلاف، ولما أعلن الإخوة عن الإمارة (الدولة) فعلا، تريّثتُ حتى تجمّع عندي من المعطيات والنظر ما جعلني أؤيدها وأراها تستحق التأييد فعلا، ورأيت لدى الإخوة وجهة نظر واعتبارات وجيهة جدا، وأن نصرها ودعمها هو الأفضل إن لم يكن الواجب؛ فقد كان الإعلان حركة سياسية استباقية، وقد توفرت عند الإخوة معلومات مؤكدة جدا بأن هناك جهات غير مرضيّة منتسبة إلى أهل السنة كانت بصدد الإعداد لإعلان تشكيل سياسي قريب من الدولة وفي معنى الدولة ويُراد له احتواء أهل السنة وتحقيق السبق الذي هو أيضا يدخل بوجهٍ من الوجوه في معنى «الشرعية».

وكان تشكيل الدولة والإعلان عنها حركة سياسية استباقية لاحتمال هروب مفاجئ للعدو الصليبي في أية لحظة.. وكان فيه فوائد أخرى وإيجابيات ستتبيّن للمتلبّثين إن شاء الله.

والحاصلُ أن الإخوة في الأرض وعلى الميدان لهم وجهٌ وجيه في إعلان هذه الإمارة، والله أعلم، وهم عندنا ثقات مؤتمنون والحمد لله، وما يوجد من ملاحظات وقصور نرجو أنه ينصلح مع الوقت وتظافر الجهود إن شاء الله.

ولهذا فكما قلتُ لك: الشيخ «حامد» هو عالم وله اجتهاده وهو أدرى بما يقول، وكذا غيره من العلماء لو أدلى أيُّ أحدٍ برأيه، لكني وددتُ لو أن الشيخ حَفِظَهُ اللهُ ووفقه اكتفى بنهي الإخوة عن محاولة إجبار الناس على البيعة واعتبار مَن لم يبايع خارجًا عن الجماعة مثلا وباغيا، لو صح هذا أصلا، لأن هذا ليس صحيحا عن إخوة «الدولة» بهذا الإطلاق، ويحتاج إلى شيء من التفصيل والتوضيح، ولا داعي لدعوة «الدولة» إلى أن تحلّ نفسها وترجعَ كما كانت تنظيما مثل سائر التنظيمات.! لأن هذا والله أعلم ليس سديدًا من عدة جهات:

منها: أن الدولة لم تكن تنظيمًا معينًا، بل هذه فكرة يروّجها الأعداء بالأساس، ثم الخصوم على درجاتهم المتفاوتة، لأهداف خبيثة معروفة، وأهواء، وسوء فهم في أحسن الأحوال، بل الحق والإنصاف يقضي بالإقرار بأن الدولة تشكلت من مجلس شورى المجاهدين وهو كان مكونًا من عدة تنظيمات صغيرة مع تنظيم «القاعدة في بلاد الرافدين»، ثم كل هؤلاء مع جماعة من شيوخ العشائر ووجهائها، وكتائب أخرى من فصائل أخرى شكلوا حلفا سمّوه حلفَ المطيبين ثم شكلوا الدولة، وهذا في الحقيقة، سواء وافقه الإنسان أو خالفه، هو عمل سياسي ذكيّ وقويّ.! والله أعلم.

ومنها: أن المتقرر في فن السياسة والحرب وتدبير المُلك أن التراجُعَ عن مثل هذه الأمور الاجتهادية المحتملة بعد إبرامها ليس من الحكمة، وأن القادة السياسيين إذا عقدوا أمرًا واتخذوا قرارا لا ينبغي لهم -ما دام اجتهاديا محتملا، له وجهٌ- أن يرجعوا عنه إلى غيره من الاجتهاد، حتى ينتهي أمده، ويبلغ الكتابُ فيه أجله.! وفي ذلك حكمٌ معروفة، وهذا أصل قد تقرر شرعا وعقلا، ومن دلائله: «أن الاجتهاد لا ينقض باجتهادٍ» في باب القضاء، والحُكمُ المُلكي شبيه به، وقول النبي ﷺ: **(إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)** لفظ أحمد في المسند، وصححه لغيره محقق المسند[1]، أو

(١) مسند أحمد (١٤٧٨٨)، سنن الدارمي (٢٢٠٥) وقال محققه حسين سليم أسد: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه) كما في مصادر السيرة[(١)]، وغيرها، ومنها وجوه أخرى غير هذه.

والحقيقة أن المسألة كما قلتُ لك محل اجتهاد، وأنا أحبذ الاكتفاء بهذا القدر من التعليق، معرفةً بقدر نفسي، واحترامًا للعلماء، وتركًا للأمر لأهله، رجاء أن يكفينا الله ﷻ بأهل العلم، ولعل أهل العلم يكتبون ويبيّنون مع الوقت؛ فلا ينبغي الاستعجال.

❊ ❊ ❊

〚هل كل من لم يبايع «دولة العراق الإسلامية» خارجٌ عن الجماعة؟!〛

❁ مركز اليقين: ما هو التفصيل والشرح الذي أشرتَ إليه في مسألة اعتبار مَن لم يبايع الدولة خارجا عن الجماعة؟

الشيخ عطية الله: أنا قصدتُ أنه قد قيل: إن الدولة تجبر الناس على البيعة، وأنها ترى أن الذي لا يبايع ولا يلتحق بالدولة أنه مفارق لجماعة المسلمين، ويطبقون عليه حديث: **(مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)**[(٢)] ونحوه من الأحاديث، وهذا القول روّجه الخصوم كثيرا، وبخاصة «الحزب الإسلامي» ومَن نحا نحوه وقاربه، وبثّوه عبر شبكة معقدة من المشيخة والعلاقات يتمتع بها «الإخوان» كما هو معروف.!

وأعداء «الدولة» و«القاعدة» كثر، ولا ينقصهم الهمة في عداوتها، للأسف الشديد، نسأل الله العافية والسلامة!. ولكن المتثبّت المتأني، والذي يطلع على الأمور بشكل أكمل وأدق وأكثر اعتمادًا، يعرف أن هذا ليس صحيحا، أو على الأقل ليس دقيقا، وقيادات «الدولة» نفت هذا، وبيّنت أنها تدعو الناس إلى الالتحاق بـ«الدولة» ومبايعتها، ولكنها لا تجبرهم بالقوة على ذلك، ولا تمنعهم حقهم إن لم يبايعوا، ولا تعتدي عليهم، ولا تقطع ولاءها لهم، بل تراهم إخوة يجب نصرتهم وموالاتهم، حتى مع الاعتقاد بأنهم مقصرون في أمر الوحدة والاجتماع والبيعة لـ«الدولة» لأنها صارت الآن هي الجهة التي لا يدانيها جهة أخرى يمكن أن يجتمع عليها المسلمون وأهل الجهاد في العراق، وليس هناك جهة أحق منها لأسباب كثيرة، أقول: حتى مع الاعتقاد بأنهم مقصرون في ذلك، بل وأنهم واقعون في معصية لعدم قيامهم بهذا الواجب، فإنهم يبقون إخوة يجب لهم حق الولاء والنصرة والأخوة التامة... إلخ.

---

(١) صحيح البخاري (بعد حديث ٧٣٦٨) معلقا مجزوما به بلفظ قريب، المستدرك (٢٥٨٨) وصححه الحاكم والذهبي، البداية والنهاية (٥ / ٣٤٤)، وصححه السقاف في تخريجه «الظلال» (١ / ٨٠، ٨١).

(٢) صحيح مسلم (١٨٥١).

قيادات الدولة بيّنوا هذا ووضحوه جدا.

وقالوا: لا نقول إن مَن لم يبايع الدولة فإنه ينطبق عليه الحديث: (**مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**) بإطلاق وعلى كل أحدٍ لم يبايع، ولكن قد يكون هناك فصيلٌ ينبغي عدمُ إهماله، ونعلم أن البيعة لهذه الإمارة (الدولة) ليس بمنزلة البيعة للإمام الأعظم للمسلمين الذي اجتمعت عليه الكلمة، من كل وجهٍ وإن شاركتها في الكثير من الأحكام، ونعرف قول الإمام أحمد ﷺ لما سئل عن قول النبي ﷺ: (**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**) قال: «أتدري من الإمام؟ هو مَن اجتمعت عليه كلمة الناس وكلهم يقول هذا إمام»[1].

لكن قد يستخدم الإخوة هذا الحديث وما كان نحوه في الوعظ والحث والحضّ على المبايعة وعلى الالتحاق بالدولة، ففرقٌ بين استعمال الحديث في تقرير حكم غير المبايع، وبين إيراده في الدعوة والتحريض والوعظ، على أساس أنه دالٌ في الجملة على وجوب كون المسلمين جماعة واحدة لهم إمامٌ (أمير) ما أمكن، وعلى أساس القول: نخشى أن مَن لم يبايع قد يقع تحت طائلة الوعيد الوارد في هذا الحديث.. فهم قد يُوردونه مورد الزاجر المنفّر عن الانفراد والافتراق.

أما الاعتقاد بأن مَن لم يبايع «دولة العراق الإسلامية» أنه مفارق لجماعة المسلمين يُشرع قتاله وقتله، وأنه إن مات فميتتُه جاهلية، بمعنى أنه مرتكبٌ كبيرة من الكبائر فهذا لا يعتقده الإخوة في كل مَن لم يبايع كما وضّحوه، وكما هو مفهوم لمن عرف رأيهم وتابع إصداراتهم ومنشوراتهم، وذلك مراعاة للاختلافات الاجتهادية ولصعوبة الظروف في أحوال الحرب والاختلاط، ولعدم وضوح الصورة بجلاء جدا عن الكثيرين، ولذلك فإن التركيز الآن هو على تقوية الدولة الناشئة وتثبيتها وتسديدها، فإذا فتح الله عليها ونصرها وأعلى رايتها، فاء الناسُ إليها وحصل لها المقصود إن شاء الله، وأغناها الله عن كثير من تلك المباحث أصلا.! مع أنه أيضا للحقيقة؛ عند نشوء الدولة وإعلانها، كان ذلك الرأي هو رأي بعض الإخوة فعلا، من طلبة العلم وبعض الإخوة المسؤولين من المجاهدين، أعني أنه يجب على الجميع في مناطق أهل السنة في العراق بيعتها والدخول في سلطانها، وأن مَن لم يدخل هو في حكم الخارج على جماعة المسلمين الشاق لعصاهم، أقول: كان هذا رأي بعض الإخوة ولم يكن هو الرأي الرسمي للدولة، لكن مع المراجعة والتدارس ومراسلات العلماء ومباحثاتهم استقرّ الأمرُ على عدم القول بذلك، وأنه لا زال مبكرًا، ولا يمكن أن نقول ذلك حتى يحصل للدولة تمكينٌ أظهر، واجتماعٌ

---

(١) السنة للخلال (١٠) من طريق محمد بن أبي هارون، أن إسحاق حدثهم، وإسناده صحيح.



للكلمة أوضح وأعلى، قاطعٌ لعذر المخالف.!

وأنا شخصيا عبّرت عن تفصيل ما زلتُ أعتقده صحيحا في مقال لي بعنوان «كلمات في نصرة دولة العراق الإسلامية» وقلت: «وأما الفتوى فهي هنا تتبع الحال والواقع كما أشرنا: فإن كان قد تحقق اجتماع أكثر أهل التأثير والقوة لهذه الدولة حتى يُعدّ الخارج عنها المنفرد المفارق لها مفسدًا شاقا للعصا مضعفا للمسلمين فاتّـًا في عضدهم مضيّعًا لهم.. أمكن أن نقول بوجوب البيعة لها والدخول تحت سلطانها وتحريم الانفراد عنها» اهـ، والله أعلم.

أخي الكريم: **نحن قد نوجب مبايعة تنظيم معيّن على أهل منطقة أو ناحية معيّنة،** حتى لو لم يسمّ نفسه دولة ولا سلطانًا ولا حكومةً ولا إمارة ولا شيئا مما يقارب هذه الألقاب، بل يسمي نفسه تنظيما وجماعة، إذا توفّرت أسباب الإيجاب، وهذا قد قال به العلماء، وأفتوا بأنه عند شغور الزمان عن سلطان للمسلمين لو اجتمع أهل كل ناحية على مَن يقوم بأمرهم ويقودهم ويكون أميرا عليهم، فإنه لو جاء آخر ينازعه فإنه يدخل في قول النبي ﷺ: **(من أتاكم وأمركم جميع على رجلٍ واحدٍ يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه)**[1] ونحوه، وهذا ذكره الشيخ «ميارة» رحمه الله من المالكية، وذكره غيره، وأشار إمام الحرمين في «الغياثي»[2] إلى قريبٍ من هذا الرأي.

وبالتالي فنحن لا نمنع اعتبار الخارج عن الدولة خارجًا عن جماعة المسلمين ومفارقا للجماعة مستحقا لعقوبة المفارق للجماعة، حيث وجدت الظروف من القوة واستتباب الأمر للدولة ولا سيما مع وقوع الفساد من هذا المنفرد الخارج المفارق.. إلخ كما أشرنا إليه، وهذا متروك لرجال الدولة وقياداتها وأهل الحل والعقد فيها، هم يقدّرونه، والفتوى تنبني عليه.. وهذا حق وشرعٌ نعتقده، فلم الخوف من مثل هذه الأحكام وإبرازها، حتى صار البعض يهرب منها، ويحاول إنكارها أو التنصّل منها بأنواع التأويلات، ويظن أنه يريد أن ينزه الشريعة عن مثلها، سبحان الله..!

❃ ❃ ❃

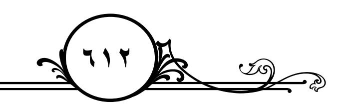
〚القول في من ذكر أن: الهدف هو طرد المحتل؛ لا إقامة حكومة مركزية في ظل المحتل〛

❁ **مركز اليقين**: لكن ثمتَ مَن يرى أن الهدف الأول الآن والأولوية المطلقة هي لإخراج المحتلّ، وليس لإقامة حكومة مركزية شرعية في ظل الاحتلال؟

---

(١) صحيح مسلم (١٨٥٢) وساقه الشيخ مختصرًا.

(٢) غياث الأمم (ص ١٧٧).



الشيخ عطية الله: لا شك أنَّ مطلب خروج المحتل الصليبي الغازي من ديار المسلمين مطلبٌ شرعيّ، كل المسلمين والمجاهدين يطلبونه ويسعون إليه، ولا شك أن انسحاب هذا العدو وهروبه حين يحصل بحول الله وقوته سيكون نصرا مؤزرًا وفتحا مبينًا، للحركة الجهادية بصفة خاصة، وللحركة الإسلامية بصفةٍ عامّة، ولأمة الإسلام بصفة أعمّ، سيكون حدثا وتحولا تاريخيا عظيما وفتحًا يصعب التعبير عنه في هذا الوقت، لكن لا بد من التفطّن إلى أن المقصود الأعظم من الجهاد هو إقامة حكم الله في الأرض، هذا هو المقصود الأعظم للجهاد، قال الله ﷺ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾[الأنفال: ٣٩] وقال النبي ﷺ: **(مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**[١]، هذا هو القتال في سبيل الله: القتال لتكون كلمة الله هي العليا، هذا هو القتال في سبيل الله الممدوح والممدوح أهلُهُ في الكتاب والسنة مدحًا بالغًا؛ فنحن المسلمون عندما نقاتل في أفغانستان أو في العراق أو غيرها، هدفنا الأساسي والأكبر، الهدف النهائي، الأعلى والأسمى هو: أن يكون الدين كله لله، وهذا المعنى نعبر عنه كثيرا بنحو قولنا: إقامة حكم الله في الأرض، وإقامة دولة الإسلام التي تحكم بدين الله وتقيم شرع الله في أرض الله وعلى عباد الله.

وبعض الناس يركز على قضية خروج المحتل، ويكثر من الدندنة حولها حتى يكاد يجعلها هدف الأهداف وغاية الغايات!! لكن هناك قول آخر يقول: نعم، خروج المحتل مطلوب كما قدمنا، ولكن لماذا نستعجل خروج المحتل وننزل هذا المطلب منزلة أعلى من منزلته؟! لماذا لا نحاول أن نرتب الأهداف والغايات ترتيبا شرعيا مبنيا على حقائق ديننا وشريعتنا وفقهها المتقرر؟! ونجوّد أداءنا السياسي ونعطي كل حرفٍ حقه ومستحقه؟!

إذا كان خروج المحتل سوف يعقبه تمكُّن طوائف من الكفرة المرتدين العلمانيين وغيرهم وخلائط من الزنادقة المنتسبين إلى السنة والشيعة، فهذا لا يفيدنا كثيرًا الاستعجال به، وقد يكون التريث في طلبه أفضل ما دامت تتاح لنا فرصة النكاية فيه والإثخان فيه والنيل البالغ منه على طول الطريق واستنزافه وإهلاكه رويدًا وعلى مهَلَ وفي صبر وثبات، فلا يخرجُ إلا وهو هاربٌ لا يلوي على شيء، مهزومًا حقيرا ذليلا كسيرًا، ويدنُا نحن هي العليا بإذن الله، وتكون عاقبة خروجه وفائدتها في صالحنا نحن المسلمين أهل الإسلام والتوحيد والسنة والجهاد في سبيل الله.

خروج المحتل -بحسب فهمي- في نظرة الحركة الجهادية هو مرحلة وهو هدفٌ جزئيّ، يخدمنا

---

(١) صحيح البخاري (٢٨١٠)، صحيح مسلم (١٩٠٤).

نحن كحركة جهادية وكحركة إسلامية وأمة إسلامية، يخدمنا في مشروعنا النهضوي الجهاديّ المتكامل، لأنها ستكون هزيمة مدوّية وتاريخية لأمريكا، ونصرًا عظيما للمجاهدين ولأمة الإسلام، وسيكون فيها دفعة قوية للحركة الجهادية وإحياء للأمة وأجيالها؛ ودفعة قوية لشباب الإسلام ورجاله ونسائهم ترفع معنوياتهم وتشحذ هممهم ويبطل الكثير من الباطل ويخرس النفاق وينقمع، وترتفع بإذن الله أعلام الحق وتخفِقُ في السماء راياته، ودفعة قوية للمسلمين للعودة إلى دينهم وتنسّم أمجادهم الضائعة، ويعظم عندهم الأمل والرجاء، وتنبض عروق النخوة والشهامة والنجدة فيهم أشدّ ما كانت، ولا شك أن هذا سيكون تحولا تاريخيًا حقا، وأنا أستصعب حقيقة التعبير عنه، لكن يبقى هو كما قلنا هدفا جزئيًا، وإنما الهدف الأساسي والأعلى هو إقامة حكم الله في الأرض ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴿٣٩﴾﴾[الأنفال] والتمكين لهذا الدين بأن يكون هو الأعلى وهو الحاكم في أرض الله وعلى عباد الله.

فالحركة الجهادية تسعى لإخراج المحتل، ولكنها تعرف بحمد الله كيف تسعى إلى إخراجه وتستثمر إخراجه ليكون نصرا للإسلام وأهله، وهذه الضربات القاصمة كل يوم، من قبَل «القاعدة في بلاد الرافدين» و«مجلس شورى المجاهدين» وسائر إخوانهم المجاهدين ممن هم على منهج الحق، و«دولة العراق الإسلامية» الآن، وسائر إخوانهم المجاهدين ممن على المنهج الحق، أقول هذه الضربات هي لماذا؟ إلا لإخراج المحتل مهزومًا مدحورًا ذليلا هاربا حقيرًا، لكن بحيث يكون خروجه لصالح الإسلام وأهله.

فهذه النقطة أظن أنها مهمة جدا، وهي كما لا يخفى تعبّر عن جانب من الفوارق بين عقلية وتفكير ومفاهيم الحركة الجهادية التي تكلمنا عنها، وغيرها ممن ركب حصان المقاومة والتحرير وإخراج المحتل، لكنه لا يبالي كثيرا بأن يكون الدين كله لله أو يكون لغير الله.!!

والذي تابع خطابات ومقابلات الشيخ «الظواهري» يلاحظ هذا المعنى الذي ذكرناه في كلامه، وكذا في خطابات الشيخ الشهيد «أبي مصعب الزرقاوي» ﷺ، وهكذا هذا المعنى بارز وواضح ومفهوم في خطاب الإخوة في «دولة العراق الإسلامية».. فبعض الناس يركز على خروج المحتل ولا يفتأ يقرعُ الآذان بالكلام عن خروج المحتل، حسنًا، خرج المحتل..! ثم ماذا بعد؟

إذا خرج المحتل واستطاع أن يرتب أمره جيدا ويطمئن على مَن سيخلفه، وتمكّن من بعده بالفعل طوائف من المرتدين والزنادقة هم أشد كفرًا من المحتل نفسه، تحت مسميات خبيثة؛ حكومة وحدة وطنية وغيرها، مكونة من أخلاط من علمانيي وزنادقة الشيعة والسنة والعرب والأكراد وغيرهم،

يتقاسمونها.. فما الفائدة؟!

ليس هذا هو الهدف الذي نقاتل من أجله وضحّى من أجله خيرُة شبابنا ورجالنا بأرواحهم ودمائهم..! هذا والله هدفٌ لا يستحق أن يقاتل الإنسان ويريق دمه من أجله، أعني مجرد خروج المحتل وتحرر الأرض منه، بغضّ النظر عمّن يحكم ويؤول إليه الأمر، وبغضّ النظر عن صيرورة الدين كله لله أو لا.! هو الكافر موجود على الأرض موجود، سواء كان كافرًا أجنبيًّا أو محليًّا، ونحن مكتوبٌ علينا من قِبَل ربنا ﷻ جهادُ هؤلاء الكفار حتى يفتح الله بيننا وبينهم بالحق وهو الفتاح العليم، هذه هي طريق الجهاد؛ هي طريق طويلة، طريق صبر ومصابرة وثبات، وإنما يتنزل النصر مع الصبر، فمن غلبَ بالصبر حالفه النصر، واعلم (**أن النصر مع الصبر**)[1]، مع باقي شرائط وأسباب النصر المبيّنة في الكتاب والسنة؛ والمجاهد ليس عنده ما يخسره، لأنه بين إحدى الحسنيين نصر أو شهادة.

والمحتل خارجٌ خارجٌ لا محالة، فلتستمرّ الحركة الجهادية إذن في ضربه والإثخان فيه واستنزافه وإهلاكه، مستعينة بالله ﷻ متوكلة عليه، ساعية لأن يكون خروجه حين يخرج هروبًا وانهزامًا مدوّيًا كما قلنا، وتكون نتيجة خروجه وثمرته آيلة إلى أهل الإسلام أهل التوحيد..! لا يهم مَن، «القاعدة» أو غير «القاعدة»، فلان أو علان، غبيٌّ ومغبون من يحصر الحق أو استحقاق الثمرة الطيبة في أسماء وأناسٍ بأعيانهم..! المهم أن تكون الثمرة والنتيجة لأهل الإسلام ويكون الدين كله لله، هذا هو المهم وهو الهدف والغاية التي نحن مأمورون بالجهاد حتى تتحقق وحتى نصل إليها، وما دام الدينُ بعضُه لله وبعضه لغير الله فإن القتال واجبٌ حتى يكون الدين كله لله، والله أعلم، ونسأل الله من فضله.

❋ ❋ ❋

〚**مسألة اختراق الجماعات الجهادية، والرد على من زعم اختراق «دولة العراق الإسلامية»**〛

❁ **مركز اليقين**: البعض يتحدث عن خطر الاختراقات على الجماعات الجهادية؛ فهل هناك فعلا اختراق حاصل لهم حسب تصورك، وهل الأعمال التي تنسبها بعض الفصائل العراقية لدولة العراق الإسلامية أو كما يرغبون أن يسموها «تنظيم القاعدة» هل هي برأيك نتيجة اختراقات مثلا، ولو في جزء منها على الأقل؟

الشيخ عطية الله: الاختراق أخي الكريم محتمل وجوده لأي تنظيم أو دولة، لكن النقطة الفارقة هي: على أي مستوى حصل الاختراق؟ فالمشكلة الكبيرة المدمّرة هي أن يتمكن العدو من

---

(١) مسند أحمد (٢٨٠٣) وقال: حديث صحيح.

اختراقك على مستوى القيادة، ونعني بالقيادة ما هو أعمّ من الأمير الأعلى للتنظيم أو الدولة، يعني على مستوى قيادي فعّال مشارك في اتخاذ القرار وفي التوجيه وفي الاطلاع على المعلومات والاستراتيجيات وغيرها، هذا الاختراق المدمّر، وتدميره بحسب قوته وكثرته، فقد يقضي على الجماعة بالكامل ويدمّرها فعلا، والعياذ بالله، وأما الاختراقات التي تقع على مستويات دنيا، فهي تدخل في سياق الجوسسة اصطلاحًا، وهذه لا يكاد ينجو منها تنظيم أو جماعة أو دولة مهما كانت محترسة، فأنت في حرب مع العدوّ وهذه الحرب سجال، ينجح في اختراقك مرة ويفشل مرارًا، لكن المهم ألا يصل العدو في اختراقنا إلى مستوى يتحكم فينا.. فهذا على وجه الإجمال.

فكل تنظيم قد يتعرض لبعض الاختراقات، من العدو أو من جهات أخرى صديقة في ظاهرها، هذا محتمل، وأما السؤال عن «دولة العراق الإسلامية» بخصوصها، فاعتقادي أنها إن شاء الله في أيدٍ أمينة موثوقة، وأن قوة العقيدة وحساسية الإخوة لصحة المنهج وسلامته، وطريق الأخذ بالعزائم، والقناعات والوعي المتراكم الذي مفاده أن: إمامنا أمامنا، وقادتنا قدوتنا، وأن القيادة تنبع من الميدان وأعني به ميدان العمل الصالح بمعناه الأشمل الذي من أبرز مكوناته هنا الجهاد بالنفس وثبوت صدق وصحة سيرة الإنسان مع الزمن، وتجاوزه للعديد من الاختبارات الصعبة، وخروجه من المحكات نقيًا مهذبًا، وعدم التعويل على مجرد «القول» و«الكلام»، وغير هذه الأشياء من المبادئ والقناعات ومكونات الوعي لدى «القاعدة» ومَن شاكلها وقاربها وسار على نفس النهج من الجماعات، هذه كلها تجعل من اختراقها شيئا كالمستحيل على مستوى القيادة والتأثير.!

وأنت يكفيك أن العدو على حرده وقوته وجبروته الفتاكة، وقدراته المادية الهائلة، واتحاده وتعاونه واجتماعه كله شرقيّه وغربية على «القاعدة»، ومع كل ذلك هي صامدة صابرة ثابتة متألقة، لا تبرز فيها القيادات إلا بعد طول عناء شديد، هذا يكفي دليلا للمتأملين.

نسأل الله أن يحفظ كل المجاهدين ويبارك فيهم.

وأما ما قلت إن بعض الجماعات ينسب أشياء من الأخطاء إلى «دولة العراق الإسلامية»، وهل يقال: إن هذه الأشياء لو صحت جزئيا هي واقعة نتيجة اختراقات؟ فهذا لا يمكن الكلام في تفاصيله لعدم اطلاعنا على التفاصيل اطلاعا يؤهلنا للحكم، لكن إن وُجِد شيء من ذلك فهذا لا ينافي ما قدمته، ويكون من الدخن الذي قد يحصل في أي جماعة بشرية على مستويات دنيا.

نسأل الله أن يكفينا والمسلمين شر كل ذي شر.. آمين.



〚طريق الجهاد محتاج إلى كل الأمة؛ برها وفاجرها〛

❁ مركز اليقين: مع كل الاختلافات وتعدد المناهج والأيديولوجيات في ساحة الأمة المسلمة اليوم، لكن طريق الجهاد ينبغي أن يستوعب الناس بكل فئاتهم، والمشروع الجهادي محتاج إلى الكلّ، كل الطاقات، بل حتى إلى البر والفاجر، أليس هذا صحيحاً؟

الشيخ عطية الله: نعم هذا صحيح وحق، على الجملة، فالجهاد مشروع الأمة كلها، وهو محتاج إلى جهود الجميع ويستوعب الجميع من المسلمين، لكن انتبه إلى أن هذا الكلام وإن كان ظاهره سليمًا، لكن فيه نوع من الإجمال، وقد يتضمّن شيئًا من التلبيس والغلط..!

بيان ذلك: أن القول بأن المشروع الجهادي هو مشروع الأمة كلها والكل مساهم فيه، هذا صحيحٌ على ظاهره، لكن هذا لا يتنافى مع تفاضل طبقات الأمة وطبقات المجاهدين، وتفاوت ما بين السابقين منهم واللاحقين، والتفاوت ما بين قيادات الناس وكبرائهم ومَن لهم الأمر ومَن بيدهم أزمّة الشأن، وبين غيرهم ممن لحق بهم وساهم معهم، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

فمن يريد أن يجعل الجميع سواء فهو مخطئ، مخالف للمنهج القرآنيّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد]، ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء]، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة].

وجه الدلالة في الآية الأولى (آية الحديد) واضح، وفي آيتي «التوبة» و«النساء» أن القاعد عن الجهاد بالنفس غير المتعيّن عليه (الكفائي) وفاعل الأعمال الصالحات الكبيرة كسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ونحوها، قد يكونون مشاركين في المشروع الجهادي الكبير للأمة بأنواع من المشاركة والمساهمة، وهذا هو الفرض، وهذا هو الذي كان عليه حال المسلمين في عهد النبي ﷺ عندما نزلت هذه الآيات الكريمات، كما قال ﷻ: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة]، كالمساهمة ببعض المال، وبالكلمة والخطابة والتحريض والدعاء، والمشورة وغيرها، مما يقتضيه قوله ﷻ ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ومع ذلك فقد بيّن الله ﷻ بالنص الصريح أنهم لا يساوون المجاهدين وأن المجاهدين بأنفسهم خيرٌ وأعلى درجة!.

ولما اختصم خالد وعبد الرحمن بن عوف ﭬ، قال النبي ﷺ: (**دعوا لي أصحابي، فوالله لو أنفق أحدكم ملء أحدٍ ذهبا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه**)[١]، مع أن خالدًا من أصحاب النبي ﷺ، لكن صحبة عبد الرحمن بن عوف صحبةٌ خاصة وأعلى درجة ولا يستويان، فانظر في هذا وتأمله.

وقد قدمت في الجواب على سؤال سابق بعض الكلام الذي له علاقة بهذا الموضع، حينما تكلمت عن قيادة الجهاد وحملة رايته، ففرق بين مَن سبقوا وقام الجهاد على أكتافهم وكانوا هم عماد هذا المشروع، وبهم قام بإذن الله، وإليهم فاء الناس، وحول رايتهم التي رفعوها اجتمعوا، وبين مَن لحق بهم بعد ذلك ولـمّا يلحق درجتهم في الصبر والثبات والبلاء، أو بينهم وبين مَن ساهم مساهمة طيبة نشكره عليها، لكنها لا تبرئ ذمته، من حيث إنه مطلوب منه ما هو أكثر منها، مما يقدر عليه ويتعين عليه.. ولهذا عندما يقول قائل: الكل مساهم في الجهاد، الشخص المجاهد في الميدان بنفسه وماله، والشخص الداعم بماله وهو جالس في بيته وبين عياله، والعالم الذي يدعو الناس إلى الخير ويعلمهم الدين، وكذا وكذا...!

نقول له: نعم لا شك أن كل هذه مساهمات مشكورة في الجهاد والعمل الصالح، لكن ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾[السجدة: ١٨]، ثم لو كان الشخص مثلا مطلوبًا منه النفيرُ إلى الجهاد بعينه، لسببٍ من أسباب التعيّن، فجلس في بيته وقال: أنا أعلم الناس أحكام الشرع وأدعوهم إلى الخير عن طريق الكتابة في «الانترنت» والدروس في «البالتوك» مثلا، فهذا مساهم من وجهٍ، لكنه مقصر من وجهٍ أظهر وأعظم، ونحن نشكر مساهمته، لكننا أيضا نلومه على تقصيره ونحاول أن نأخذ على يديه وننكر عليه تقصيره الذي هو هنا تركُ واجبٍ متعيّن عليه (لأننا افترضنا هنا في مثالنا أنه تعيّن عليه النفير)، فهذا لا ينبغي أن يقال: إنه مساهم في الجهاد؛ هكذا بإطلاق، وأن الجميع مشارك في هذا المشروع، على معنى إلغاء الفوارق..! هذا خطير جدا، ولا يمكن أن يقبل وسيصطدم قائله بحواجز الشرع والقدر.!!

كل هذا طبعا على فرض أن هذا العالم أو طالب العلم الذي مثلنا به وقلنا: إن النفير إلى الجهاد تعيّن عليه بحسب النظر الفقهي، ثم لم ينفر وقال: أنا أجلس في بلدي وبيتي وبين أهلي وعيالي، ويكفي أن أساهم في نشر العلم والكتب وإعطاء الدروس والكتابة في «الانترنت»، أقول: هذا كله على فرض أنه معاونٌ على الجهاد ناصر للمجاهدين، مؤيّد لهم واقفٌ معهم، يعني أنه: (ناصِحٌ لله ورسوله)، أما إذا كان من النوع المعارض للمجاهدين ومشروعهم، ويراه ضياعًا ويصدّ عنه بما يملك من قوة في الدعوة

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٣).

والعلم والدروس والكتابة، وينفّر الناس عن المجاهدين... إلخ، فكيف يقال إنه مساهمٌ في مشروع الجهاد الذي هو مشروع الأمة؟ بل هذا والله معارض لهذا المشروع خصمٌ وحربٌ له.! نسأل الله السلامة، ونعوذ بالله من الخذلان.

أرجو أن أكون قد ساهمتُ في توضيح الفكرة نوع توضيح، والله الموفق.

❋ ❋ ❋

〚الرد على من زعم انغلاق التيار الجهادي على نفسه، واستعداء المخالفين لمنهجهم أو أيدلوجياتهم، وعدم مراعاة المصالح والمفاسد〛

❁ مركز اليقين: لكن في هذا الإطار هناك مَن يتهم المجاهدين -ولا سيما تيار «السلفية الجهادية»، أو لنقل تيار «القاعدة»- بأنهم منحصرون على معتنقي منهجهم، ويستعدون عليهم أهل المناهج والإيديولوجيات الأخرى، فيكثرون من فتح الجبهات عليهم ولا يجيدون تحييد الخصوم، ولا يحققون النظر جيداً في مسألة المصالح والمفاسد وموازينها، ما تعليقكم على هذه الاتهامات؟!

الشيخ عطية الله: والله يا أخي أعتقد أن هذا الكلام فيه ظلم وبغي على الإخوة المجاهدين من «القاعدة» ومَن سار على نفس خطهم من أهل الجهاد، بل أنا والله أؤكد لك أن الإخوة المجاهدين هم أساتذة تحييد الخصوم، وهم من أفهم الناس لهذه المسائل: محاولة تحييد ما استطاعوا من الخصوم والأعداء، والتحكم في المقدار المناسب من الجبهات المفتوحة، وإغلاق ما يلزم إغلاقه، وتحقيق النظر في موازين المصالح والمفاسد، هذه الأشياء هي من صميم فقه الإخوة المجاهدين وهم من أعرف الناس بها وأفقههم فيها، وإنما يجهل هذا من يجهلهم، والله خلق الناس أطوارًا.!

ولكن هي غالبا طبيعة المتفرج على الشخص العامل في الميدان، ونشبهها دائما بحال المتفرج على لاعبين مهرة يلعبون الكرة مثلا، فهو يرى أخطاءهم وفشلهم في تسجيل الأهداف، فيظل ينكر عليهم وربما سبّهم كما هو مشاهد كثيرا من أهلها فعلا، عافنا الله وإياكم، لكن لو هو دخل الميدان لما استطاع أن يفعل عشر معشار ما فعلوا هم.!

وقد سمعتُ في كلمة أخينا القائد «أبي حمزة المهاجر» -وزير الحرب في «دولة العراق الإسلامية» الآن- سمعتُ في خطابه الأخير الذي صدر في شهر ربيع الآخر من هذه السنة ١٤٢٨هـ بعنوان: «قل موتوا بغيظكم» عبارة يقول فيها: «.. وليس كما يظن البعض أننا لا نفقه تحييد الخصوم» اهـ، فوالله لقد شعرت بالمرارة والحزن يقطر من هذه العبارة..! لأن هذه الكلمة قيلت وتقال دائما من كثير من الناس،

وهي محزنة ومؤذية جدا، لكن أكثر الناس لا يعلمون.

لو كان المجاهدون لا يحسنون تحييد الخصوم ولا يعرفون فن التحكم في فتح وإغلاق الجبهات لرأيت شيئا من الفوضى والانفلات لم يستطع معه أحد جهادًا..!

إذا كان المجاهدون لا يعرفون هذه الأشياء ولا يبالون بموازين المصالح والمفاسد ولا يفقهونها لماذا لم يشعلوا الحرب في الشام، وفي بلدان الخليج، وفي كثير من البلدان، ولماذا لم يضربوا الصين والهند ولم يعلنوا الحرب على باكستان، وانظر كيف يحيّدون الجيش الباكستاني في «وزيرستان»، وانظر كيف حيدوا إيران وسكتوا عنها طويلا وصبروا على هذا السكوت ولاقوا فيه الأذى..!

وانظر كيف يسكتون على كثير ممن يؤذيهم ممن ينسَبُ إلى العلم والدعوة والكتابة والقلم، ولم يشاؤوا أن يردّوا عليه أو يفتحوا جبهات معه ومع غيره، محافظة على طاقاتهم واستثمارًا لها في أوجه الخير.! وغير هذا الكثير الكثير من مناحي النظر التي توسّع أفق الإنسانَ، فينبغي له أن يتأملها، وكما قيل: المتشائم ينظر إلى نصف الكأس الفارغة، ويقول: «الكأس نصفه فارغ»، والمتفائل يقول: «ملآنٌ إلى النصف»، وهما في المعنى واحد، لكن انظر إلى تركيز كل واحدٍ أين؛ فالمجاهدون هذه طريقهم: طريق الابتلاء باللوم وكثرة اللائمين، وبالخاذلين والمخالفين والناهين عن الجهاد رأسًا.! ولهذا تجد هذا مشارًا إليه في القرآن بوضوح: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة].

وفي الحديث الصحيح بل المتواتر، حديث الطائفة المنصورة: **(لا يضرهم من خالفهم)** و**(لا يضرهم مَن خذلهم)**[1]، هذه يا أخي الكريم هي من أبرز صفات وسمات هذا الطريق، وأبرز صفات وسمات أهله المفلحين الفائزين أنهم ماضون في عزم وثبات لا يلتفتون إلى لوم اللائمين وعذل العاذلين، والأمثلة لا تحصى كثرة لمن أراد التأمل.

وأنت تقول: إن المجاهدين يستَعْدُون أهل المناهج الأخرى ويفتحون جبهات..!

أنا أقول لك شيئا بسيطا سهلا حاضرا: في العراق، هل سمعت يومًا من الأيام من الإخوة في «القاعدة» أو في «مجلس شورى المجاهدين» أو من «دولة العراق الإسلامية» أنهم نهوا أي إنسان أراد أن يجاهد عن الجهاد، ولو كان بعثيا أو قوميًا منطلقا من منهج وطني قوميّ أرضيّ، أو غيرهم؟

---

(١) تقدم تخريجه.

هؤلاء البعثيون ينشطون في تشكيلات مقاومة وعمل مسلح، هل أحدٌ منعهم أو أنكر عليهم مقاومتهم أو وقف في طريقهم واشتغل بهم وفتح معهم جبهاتٍ؟ يا رجل اتقوا الله، هل يفعل هذا عاقل فضلا عن أهل الفقه في الجهاد والخبرات الطويلة المتراكمة الذين محصتهم المحن وصهرتهم التجارب..؟!

وهؤلاء الصوفية وأهل الطرق يجاهدون ويقاومون، هل منعهم أحدٌ وجعلهم شغله الشاغل؟

كل مَن يريد أن يضرب العدو وينكي فيه، فليتفضل مشكورًا، بل نحن نشجعه.

لكن كل ذلك أيضا هو خاضع لقانون المصالح والمفاسد الذي يحبّ كثير من الناس الدندنة حوله ويُولَع به، ومتغيرٌ الحكم فيه من مرحلة إلى مرحلة، ومن حالة إلى حالة، والمجاهدون هم من أعرف الناس بذلك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.!

وانظر كيف عامل المجاهدون الشيخ «عبد الله الجنابي» وأمثاله الكثير.

والمفارقة.. أن الخصوم يتهمون المجاهدين بأنهم لا يبالون بموازين المصالح والمفاسد ولا يفقهونها، وينسبونهم إلى «الحَرْفية» وقلة الفقه وعدم المعرفة بالأقسام والأنواع وما إلى ذلك، وعندما يأتي المجاهدون ويقولون في مرحلة ما: إن النظر إلى مصلحة الإسلام والمسلمين تقتضي أن نمنع أمثال هؤلاء البعثيين والمتسلّقين من أن يحصدوا ثمرة الجهاد، وأنه يجب أن نتصدّى لهم، يقولون (أولئك الخصوم): انظروا كيف يُشعلون فتنة.!!

فالله المستعان، والمجاهدون لهم الله ﷻ، وهذه طريقهم كما قلت لك، طريق الصبر على الأذى ولوم اللائمين، ولولا ذلك لما قام جهادٌ أصلا ولا رُفِعتْ راية، ولا كان الزرقاوي ولا غيرُه، ولكن هو نصر الله وتأييده لأهل الحق والصبر، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

[القول في تزكية الشيخ الجنابي مِن الشيخ أبي مصعب الزرقاوي وأبي أنس الشامي رحمهما الله، وذكر فوائد في مسألة التزكية عمومًا]

❁ مركز اليقين: نعم، على ذكر الشيخ «الجنابي»، فهناك من ذكر أن الشيخ «أبا مصعب الزرقاوي» رحمه الله قد زكى «الجنابي» وأن «أبا أنس الشامي» رحمه الله قد قبل رأسه.!

الشيخ عطية الله: أخي الكريم، قضية التزكية هذه من أعوص القضايا في العمل السياسي والجهادي والدعوي، وفيها تجارب قاسية.

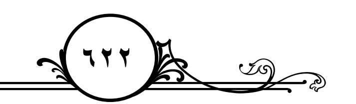
المشكلة أنك أنت حينما تريد أحيانا أن تتألف بعض الناس وتكسبهم بشيء من الكلمة الطيبة، وبعض الثناء المقتصد، وتسمعهم شيئا من الفخر الذي يحبّونه، وتتلطف معهم وتطيب خواطرهم، وتستشيرهم، وتكبّر بهم.. حينما تفعل ذلك أحيانا مع بعض الناس، يُقال: ها قد زكاه، ومدحه وأثنى عليه، وأحيانا يصير هذا التعامل نفسه فتنة على ذلك الشخص المعمول به، فيظن نفسه شيئا فعلا، ويظن أنه ما شاوروه (المجاهدون) إلا لأنه مستحق لذلك لذاته، ولأنه رقمٌ صعبٌ لا يمكنهم تجاوزه، وأنه وأنه..! فهذا مورد فتنة، ومجرّب والتجارب فيه كثيرة، ونفوس البشر وألوانها لا يحيط بها إلا الذي خلقها ﷻ، وفيها عجائب.

فأنت في حالة تستدعي توازنًا واحتياطا وحسابات دقيقة جدا، يعني أنت بتعبير صحفي: تمشي في حقل ألغام، بالفعل.. وأنت في وسط قوم يحبّون اللوم، ويلومون على كل شيء..!

إذا فعلت شيئا قالوا: لم فعله، وإن لم تفعله قالوا: هلا فعله، لمَ لم يفعله.!!

الشيخ «الجنابي»، أنا لا أعرفه ولا أستطيع تقويم الرجل بشكل كامل، ولا أريد أن أتكلم عليه، وإن كان لقاؤه الشهر الماضي مع «قناة الجزيرة» كان فيه دلالات سلبية..! مما عرفناه عن الشيخ الجنابي أنه شيخ متصوّف منتسبٌ إلى إحدى الطرق الصوفية، وأنه من أهل الفلوجة، وأنه شارك في الجهاد جزاه الله خيرا، وجاهد مع أهل الفلوجة ومع عموم المجاهدين في معركتي الفلوجة.

وكان الشيخ «أبو مصعب» يتألفه ويبعث له الإخوة وهو ﷺ تعالى كما كتب في بعض رسائله لبعض إخوانه هو الذي اقترح على الإخوة إدخال الشيخ في «مجلس شورى المجاهدين» ساعتها، ثم توليته إدارة المجلس، لما رأى ﷺ من الخير في ذلك والتألف له وللناس واجتماع الناس على الجهاد، وهذا من السياسة الحكيمة، وكان الشيخ «أبو أنس» يحسن إلى الشيخ «الجنابي» ويحترمه ويكبر به، أيضا كل ذلك تألفا له، وقبّل رأسه في بعض المرات، توقيرا لشيبته في الإسلام، ولجهاده على هذه السن، وهذا الانتساب إلى المشيخة والعلم، كل ذلك مع علم الإخوة: الشيخ «أبو مصعب» ﷺ والشيخ «أبو أنس» وإخوانهم بأن «الجنابي» صوفيّ وعنده من ضلال الصوفية بحسب ما عنده، هم يعرفون هذا جيدا، ويعرفون ما فيه من نقص، لكن اقتضى فقه المرحلة السكوت عن هذا والإغضاء عن إثارته، وعدم جعله سبيلا للافتراق والتنازع، وأن مبتدعا مجاهدا خيرٌ من رجل سليم الاعتقاد نظريًا لكنه تاركٌ للجهاد الواجبِ المتعيّن بالإجماع ساعتها على أهل الفلوجة وما حولها ومن حضر القتالَ وأمكنه الغوثُ، فهذا التارك للجهاد المتعين عليه فاسقٌ، بخلاف الأول، فإنه قد يكون معذورًا أصلا، ويمكن تأخير الكلام معه إن ظَن أن الكلام مفسدة الآن، وهكذا. فهذا هو الذي حصل.



وهذا يدلك على جوانب من فقه الإخوة المجاهدين، ومثال يُساق للذين يكثرون من اللوم والقول بأن المجاهدين لا يحسنون تحييد الخصوم ويكثرون من فتح الجبهات ولا يعرفون كيف يستوعبون الناسَ. والله المستعان.

وعلى كل حال فإن هذا الحق والمنهج الإسلامي الشامل المتكامل الذي عليه المجاهدون هو منهج الإسلام والفطرة، وهو أحق ما اجتمع عليه أهل الإسلام، الذين فيهم الخير ولم تفسد فطرهم، وهو يجمع الطيّبين الخيّرين لأن البلد الطيب يخرُج نباتُه بإذن ربه أي طيّبًا، والخير يأتي بالخيّرين ويأتي إليه الخيّرون أهل الخير، وهكذا المناهج الضالة يأتي إليها أشباهها، والبلد الذي خبث لا يخرُج نباته إن خرج إلا نكدًا، والمزوّق يأتيه أهل التزويق والزخرف..! قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣)﴾ [الصافات].

فكيف يقال: إن هذا المنهج الذي عليه المجاهدون لا يستوعب الناس ولا يجمعهم، بل هو أحق ما جمع الناس واستوعبهم على علاتهم وعلى قصورهم ونقصهم، على حد التوجيه القرآني العظيم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾ [الأعراف]، لكن لكل شيء حدودٌ، فما دام الإنسان مسلمًا فهو أخ يجب له حق الولاء والنصرة وإن كان مقصرا أو فاسقا عمليا أو اعتقاديا، لكن كما قلنا من قبل: هذا لونٌ والسماح له بسهولة أن يتولى القيادة إذا جاء يزاحِم عليها، لونٌ آخر..!

أيضا بمناسبة الكلام على التزكية وفقهها وتجاربها، لا بد من التذكير دائما بأن المدار في تزكية أي إنسان أو جماعة هو العمل وليس مجرد القول فقط، نعم القول مطلوب، وهو المعبّرُ الأول والسريع عن الإنسان أو الجماعة، لكن عندما نسمع القول الحسن، لا بد أن نقف وننتظر قليلا ونقول: قد سمعنا قولكم وهو قول حسنٌ، فسنرى فعلكم..!

هذه قاعدة مهمة جدا، والخطأ فيها مكلّف ولا سيما للكبراء الذين يسمع الناس تزكياتهم من علماء أو قيادات وزعامات سياسية واجتماعية؛ وهذه القاعدة مدلول عليها في الكتاب والسنة، ودلت عليها التجارب واتفق عليها العقلاء كافرهم ومسلمهم.

ففي كتاب الله من أدلتها الكثير وفي السنة والسيرة النبوية وسير أهل العلم والجهاد من الأئمة في الدين والقدوات والقادات الصالحين على مر التاريخ، وحتى عند أهل العقل والتجارب من الكفار.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ [العنكبوت] الآية، وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ

﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١﴾[محمد]، وقال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩] الآية.

وفي الحديث الذي في الترمذي -إن صحّ-: (**قد قالها الناسُ ثم كفر أكثرهم**)، لكنه ضعيف الإسناد، وقد أشار الترمذي نفسه إلى تضعيفه[١]، والله أعلم.

وقال الصحابة والتابعون: «إذا أعجبك كلامُ أحدٍ؛ فتأن حتى تنظر في عمله فإن وافق فعله قوله فذاك وإلا فدعه».

كما قال ابن مسعود: «إن الناسَ قد أحسنوا القولَ كلهم، فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه، ومَن خالفَ قوله فعله فإنما يوبّخ نفسَه»[٢]، وكلامهم في هذا كثير جدا لو تتبعناه.

ومعلومٌ كلام سيدنا عمر رضي الله عنه في مسألة تزكية الشاهد حين قال لمن زكى شاهدًا: «أهو جارُك الأدنى الذي تعرف مدخله ومخرجه، أو سافرتَ معه فعرفته[٣]، أو عاملته بالدرهم والدينار»[٤]، يعني الابتلاء والاختبارات من خلال العمل والمعاملة وطول العشرة والصحبة.

والمقصود أن التزكية لا يقتصر فيها على القول، بل لا بد من النظر في العمل وانتظار التجارب ووضع الإنسان على المحكات، والمعاشرة للإنسان والخبرة به، وعندما نعبّر بالخبرة فإنك لا بد أن تلاحظ أن معنى الخبرة يدور حول المعرفة ببواطن الأمور، وبواطن أمور الإنسان إنما تبينُ للمخالط له المجرب المعاشر القريب الذي بلاه وعرفه ليلا ونهارًا وفي السراء والضراء وسائر الأحوال.

ولهذا عندما نرى مناهج الجماعات المكتوبة مثلا، فكثيرٌ منها حسنٌ طيبٌ في ظاهره، قد يعجبك بل قد يسحرُك وتجد فيه إتقانا وحسن تقسيم وتنويع، وضربًا على أوتار حسّاسة ونفوذًا من خلال مسام الوعي واللاوعي، وذكاء وألمعيّة وأدبًا جمًّا، فهذا جيد، لكن لا تتسرع في تزكيتهم والثناء عليهم والشهادة لهم، حتى ترى العملَ وتخبُرَ الحقيقة وراء هذا القول الجميل.

هذا من الأهمية بمكانٍ الانتباه له، والله وليّ التوفيق.

❋ ❋ ❋

---

(١) سنن الترمذي (٣٢٥٠) قال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من هذا الوجه»، وضعف إسناده الألباني.

(٢) الزهد لوكيع (٢٦٦)، وجماعات من طريقه.

(٣) لأن السفر يظهر حقيقة الإنسان غالبا. [المؤلف]

(٤) سنن البيهقي (٢٠٤٠٠) وصححه الألباني في: إرواء الغليل (٢٦٧٣).

〚الخيارات المتاحة أمام «أمريكا» بعد فشل مشروعهم في العراق وأفغانستان〛

❁ **مركز اليقين**: حسنًا، الآن بعد أن منّ الله على المجاهدين بإفشال المشروع الأمريكي في العراق وأفغانستان، وبعد أن تحولت جبال أفغانستان وصحارى العراق الى مقابر للغزاة، ما هي الخيارات المتاحة أمام أمريكا الآن؟

الشيخ عطية الله: نسأل الله العليّ الكبير أن يخيّبهم وأن يجعل كيدهم في تضليل، وأن يجعل تدبيرهم تدميرَهم.

أولا: لا بد أن نعرف أن الغزاة الصليبيين يتجلّدون ويصابرون، ويحاولون بكل سبيل، وهم يُعانون في ذلك معاناة كبيرة وقاسية، ويألمون جدا، ويصابرون ويتجلّدون أيضا، وقد أمرنا ربنا ﷻ أن نصابرَهم ونغلبهم بالصبر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران] لاحظ الفرق بيننا وبينهم تقريبا هو كله في كلمة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، هذا هو الفرق.. فهم يصبرون ويصابرون، وعلينا أن نتحداهم بالصبر ونغلبهم، وهو معنى المصابَرَة، يقال: صابَرَه فصبَرَه أي غلبه بالصبر، وكذا المرابطة وهي المداومة على لزوم العمل وهي هنا القتال والجهاد، هم كذلك يرابطون في سبيل أهوائهم وفي سبيل الطاغوت، فلم يبقَ فرق إلا أننا نحن أهل التقوى لله ﷻ، أهل التوحيد والعبادة الخالصة للباري ﷻ الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، نحبه ونخافه ونرجوه، ونتذلل له ونعبده وحده لا شريك له، ونتبع رسله ونعمل بشرعه ونقاتل في سبيله وابتغاء مرضاته وفضله، أما هم فخليّون من هذا كله، هم عبدة الطاغوت والأهواء والشهوات والشيطان، وكما قال الله ﷻ في الآية الأخرى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴿١٠٤﴾ ﴾[النساء].

فهذا هو الفرق؛ نحن نغلبهم بالتقوى والعمل الصالح، ورجاء ما عند الله ﷻ من الثواب والأجر العظيم وحسن العاقبة، هذا هو أساس الفرق بيننا وبينهم.

والنصر هو مع الصبر ومع الحق، فإن اجتمعا (الحقُ والصبرُ) تم النصر وحسنت العاقبة، وان افترقا كانت الغلبة للصبر غالبًا، لكن تكون العاقبة للحق.

هذا المفهوم مهمٌّ جدا التأمل فيه، ونسأل الله أن ييسر موضعا آخر لشرحه جيدا.

فالآن الأمريكان وأولياؤهم بعد أن أيقنوا بفشلهم في العراق خصوصا، وأفغانستان على الطريق إن شاء الله، هم الآن في تدارس وتفكير وتخطيط ومكر منصبّ على كيفية الخروج بأقل خسائر لهم،

وأن لا يبدوا أمام الدنيا في صورة المنهزمين الفاشلين الخائبين، وأن يعلقوا فشلهم على شماعة مناسبة، وأن لا يكون فشلهم نجاحًا لأعدائهم وعلى رأسهم المجاهدون، ثم القوى الأخرى الإقليمية التي هي عدوّ لهم ولو مؤقتًا، والمقصود هنا إيران، وهم مشغولون جدا بضمان أن من يعقبهم يكون وليًّا لهم مرضيًّا عندهم، أو على الأقل لا يكون خطرًا عليهم كما أشرنا.

وهم في هذا السبيل يُتَوقّع منهم أي شيء..!

وبالأمس قرأنا تقارير في الصحف عن إمكانية تسليح الأمريكان لطوائف من سنة العراق، وإمكانية أن يكون خيار زيادة إشعال الحرب الأهلية في العراق جزءًا من الحل بالنسبة لهم، وغير ذلك، والله ﷻ لهم بالمرصاد، وهم يحاولون ويجرّبون ولكنهم -من مكر الله بهم- يتخبّطون ولا يدرون ما يفعلون.! وضربة أمريكية إسرائيلية لإيران، مع إمكان التحالف مع قوى أخرى كثيرة بما فيها الدول العربية المجاورة، كل هذا وارد وبقوة، ومن أكبر دواعيه مع الملف النووي: الخوف من تحوّل الفشل الأمريكي في العراق إلى هدية على طبق من ذهب للإيرانيين.!!

ومن أهم عناصر المكر الخبيث الذي يمكرونه: هو السعي بشتى الطرق إلى إشعال الخلافات وإحداث الشقاقات بين صفوف المجاهدين والمقاومين، وبينهم وبين الشعب، وعندهم في ذلك وسائل قذرة للغاية لا يتصورها الكثير من الناس، لكن علينا ألا نغفل عن تاريخ هؤلاء الكفرة الفجرة العنصريين أهل الفرعنة والطغيان والعلوّ في الأرض، تاريخهم في «فيتنام» وغيرها وفي ساحات كثيرة دخلوها: العمليات القذرة من قتل للشعب الأعزل، والتركيز على قتل النساء والأطفال على الخصوص، وببشاعة، هذه من أهم وأكثر وسائلهم قذارة، حتى ييأس الناس ويظلوا يقولون: عيينا وتعبنا، لا نريد إلا الأمن والسلام فقط، ولو تحت حكم اليهود..!!

وبشكل عام انتهاجهم سياسة أشبه بسياسة «الأرض المحروقة»، سياسة التدمير العشوائي للبنية التحتية ولكل مصالح الناس، وحتى للمساجد وغيرها، والإفساد في الأرض، والعمليات القذرة عمومًا المقصود بها إحداث أكبر قدر من الإحباط واليأس والقنوط والفوضى.! وشراء الذمم واصطناع الأولياء والعملاء، وبذل الأموال الطائلة في ذلك.

هذا غير الطرق الخفية والمكر الدقيق في إيقاع الفتنة بين أهل الحق، المؤمنين أهل التوحيد، بإغراءات وتفضيلات وحتى دعمٍ خفيّ، وغير ذلك، فمكرُهم كبّار، وقد قرئَ: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ۝٤٦﴾[إبراهيم] بفتح اللام ورفع الفعل ﴿لَتَزُولُ﴾، وهي قراءة الكسائيّ

رحمه الله.

ولكن نحن نقول كما علمنا الله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾[الأنفال]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٦٠﴾[آل عمران]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾[آل عمران]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾[يوسف]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾[النحل].

❋ ❋ ❋

〚القول في الشباب المتحمس، غير المنضبط بالأخلاق المحمودة في التعامل مع المخالف؛ خاصة العلماء الذين وقفوا مع الحكام في بعض المسائل〛

❁ مركز اليقين: إذا تحدثنا عن شيء آخر: عن أنصار الجهاد، وخاصة من الشباب الذين هم وقود أي حركة إنسانية، ولو أخذنا المنتديات على الانترنت نموذجاً، فإننا نشاهد بعض السلوكيات والأخلاقيات التي يصفها البعض بالمنفرة، كالشدة والحدة في الخطاب وتكفير أو تبديع وتفسيق المخالف في كثير من الأحيان بدون وجه حق، بل حتى وصل البعض إلى رمي بعض الرموز الفقهية بالعظائم كالشيخ «ابن باز» لعدم مفاصلته لما يعتقدون أنه طاغوت بلاد الحرمين ووقوفه ضد المجاهدين مع الدولة التي لا تحكم بشرع الله كاملا وتوالي الصليبيين؟

الشيخ عطية الله: للأسف هذا شيء موجود، وهو من جملة البلاء والنقص والقصور والخلل الموجود فينا نحن المسلمين عمومًا، وهذا ليس محصورا في شباب الجهاد أو أنصار الجهاد كما نسميهم، بل هو موجود في كل الطوائف والبيئات الدعوية والسياسية والاجتماعية، مقلّ ومستكثر، وأنت ترى على سبيل المثال بعض ساحات الدعوة والانتساب للمشايخ، وتعرف أحوالهم وبعضها أسوأ بكثير مما تذكر عن الشباب المناصر للجهاد في المنتديات.. لكن على كل حال الخطأ لا بد أن ينكر ممن كان ويُعالج ويؤخذ على أيدي أصحابه، ولا بد من بذل الجهود المستمرة والدائمة للتربية والتعليم والتفقيه في الدين والتقويم للسلوك ونشر الآداب والقدوات الصالحة وإبرازها، وقمع المفسدين.!

المشكلة أخي الكريم في المنتديات وعالم الانترنت أنك لا تعرف أكثر الناس الذي يكتبون، أنت بالفعل في عالم افتراضي كما يقول بعض الإخوة وفي دنيا أشباح، أعني أنها مليئة بالأشباح، فالمشكلة هي في المندسين الذين لا تعرفهم أنت ولا أنا ولا أحد، ويصعب القضاء عليهم في أي منتدى أو ساحة حوار وكتابة، المنتديات أحيانا أنا أشبهها بالأسواق، أسواق العرب ونحوها مما كان عندهم منبرًا



للكلام والخطابة، وكساحة الطرف الأغر اليوم في «لندن» مثلا، أي شخص يستطيع أن يدخل ويتكلم، الناس تقرأ أو لا تقرأ، ترد أو لا ترد بحسب عوامل متعددة، الطيب يتميز وينعرف مع طول الوقت ولا يمكن أن يخفى في العادة، والشرير أيضا يتبين، وهكذا مع طول الوقت تعرف منازل الناس الكتاب والمتحدثين، لكن مَن يريد أن ينافق ويعمل عملا منظما بإمكانه.

وقد كشف الإخوة في بعض الساحات الإعلامية شبكات من المندسين الذين يشتغلون شغلا مبرمجًا على وَفق أجندة مدروسة متكاملة.

هناك مؤسسات طاغوتية متفرغة وراصدة لأموال ورجال ومكاتب مجهزة وإمكانات عالية وظيفتها فقط الحرب الإعلامية والنفسية والتشويش والإفساد وبث الأخلاق الرذيلة والدعوة إلى الشر وإيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، والتشكيك في الدين وأهله ومحاربة المجاهدين وجهادهم والطعن فيهم وفي العلماء بطرق متعددة بارزة وخفية وتشويههم وتشويه جهادهم...!

فأنت عندما تقول لي: «المنتديات» فيها كذا، أقول: نعم فيها، ولكن مَن هؤلاء؟ المقصود أنه في كثير من الحالات يصعب معرفة الطيب الذي أخطأ وفيه سوء خلق مثلا يحتاج إلى تقويم وينفع معه التأديب، وبين الخبيث النجس أصلا الذي لا ينفع فيه تطهير..! فهذه نقطة مهمة.

والحقيقة.. عالم النت اليوم أنا أتوقع أنه يحتاج إلى أن تنضج الكثير من أحكامه وفقهه مع الوقت، إذا بقي هناك وقت أصلا، ولعل الأمرَ أعجلُ من ذلك، والله أعلم وإليه المآب.

لكن المقصود أنه عالم جديد علينا بالعموم..

وأنا كنت أتأمل في بعض الوقت في مسألة الأسماء التي يستعملها كتاب النت، فرأيتُ التسمية بالجملة الفعلية والاسمية وبشبه الجملة، وأنماط مختلفة من المعاني والاختيارات، فقلت في نفسي: سبحان الله، عندما كنا ندرس النحو أيام الطلب كان الشراح يقولون: إن النحاة وإن أجازوا التسمية بالجملة الاسمية، إلا أن هذا مبناه على القياس (أي على التسمي بالفعلية) وهو غير مسموع، أي أنه لم ينقل عن العرب التسمي بالاسمية وكل ما نقل في استعمال الجملة عَلَمًا على شخص أمثلته كلها من الجملة الفعلية كـ«تأبطَ شرًّا»، وشاب قرناها، ونحوها، لكن اليوم في عالم النت رأينا كل شيء.! هذه فقط لطيفة للتأمل.

ونرجع إلى أصل الكلام؛ فالحاصل أن هناك بلا شك الكثير من الأخطاء والخلل والنقص في شباب المسلمين من الجهة التربوية، يحتاج إلى أن تتظافر الجهود لإصلاحه وتقويمه، والخيّر الصالح الذي يقبل الخيرَ ينصلح مع الوقت، والله الموفق.

الأسباب لكثير من تلك المشكلات هي أسباب متعددة، منها تفاوت درجات الناس، ففيهم العالم وطالب العلم وفيهم الجاهل، والجهّال أنواعٌ، وفيهم الحسن الخلق وفيهم ضدّه، وفيهم الصغير وفيهم الكبير المجرب، والعاقل والقليل العقل، كل هذا موجود وغيره، ومنها الخلل الفقهي والعلمي والفوضى العلمية والفكرية، والاختلافات المذهبية وما يصاحبها عادة من أدواء التعصّب للجماعات وللمشايخ والمدارس، بل وللبلاد والأجناس والأقوام، وكل الأمراض موجودة لا تستغرب، وما هذه المنتديات على النت إلا انعكاس لحالنا نحن كأمة بصفة عامة.

والتعامل مع هذا العالم المختلط يحتاج إلى حكمة وبصيرة وقوة شخصية، وسعة أفق، ومَن يطلب الخير يجده، ومَن يبحث عن الشر لن يعدمه.

وأما أن هذه الأخطاء تحسب على أهل الجهاد أو غيرهم فهذا من الظلم والحكم بالباطل، ولا تحسب على العلماء ولا الدعاة، بمجرد أن المتعصبين لهم قالوا وفعلوا وأساؤوا، بل إنما يحاسب الإنسان ويؤاخذ على فعله وكسبه، وكيف يؤاخذ عالم أو قائد أو المجاهدون عمومًا كجماعة وطائفة في الأمة من خيار طوائفها وهي تنكر كل ذلك وتفصّل في أحكامه وتبيّن حيث عنّت المناسبة، ومبادي أخلاقهم وفقههم ودينهم معروفة مبذولة للباحثين والناظرين.؟! والله أعلم.

ونصيحتي لكل أخ طيب يريد أن يستفيد من مطالعة النت والمشاركة في المنتديات الحوارية، أن يبحث عن الخير وأهله ويبحث عن المفيد له المناسب لمستواه وتخصصه وإمكاناته، وإن أشكل عليه شيء استشار إخوانه ومَن حوله من العقلاء الناصحين، ولن يعدم الإنسان الباحث عن الخير مَن يعينه ويشاور عليه، ويبتعد عن مواطن تضييع الوقت، وليعلم أن كلًا ميسر لما خلق له، وليهوّن عليه، ولا يحزن لكثرة ما يراه من الشر، فإن بإزائه خيرا كثيرا لمن أراد الخير.

وأذكر أنني مرة كنت مع أحد الإخوة الطيبين من أصحابي وقد ذهب بعدها إلى أرض الجهاد واستشهد ﵀، كان حديث عهد بالانترنت فجاء يتصفح أحد المنتديات الإسلامية الحوارية، فوقع على بعض المواضيع السيئة التي تطعن في الجهاد والمجاهدين ومواضيع أخرى فيها عراكات تافهة وسب وشتم، فقال لي: «هذه منتديات فاسدة لا خير فيها أو كلمة نحوها»، فقلت له: إنك كالذي دخل بيت قوم فوقع في زبالتهم..!

❋ ❋ ❋

[ذكر إيجابيات «المنتديات الجهادية» الحوارية]

❁ **مركز اليقين**: طبعاً يا شيخ.. لن نبخس الناس أشياءهم، ولن نكون كالتي لما رأت سوءاً قالت: لم أر منك خيرا قط؟ فأكيد أن رواد هذه المنتديات لهم إيجابيات أيضا؟ ونفع للأمة؟

الشيخ عطية الله: بلا شك.. الخير كثير كما قلنا، والعمل الدعوي والإعلامي الإسلامي، الجهادي وغيره، أبلى بلاء حسنا على النت بشهادة الأعداء، وهذا أمرٌ لم يعد خافيا، فالنت صارت ساحة حرب حقيقية بين شباب الإسلام وبين أعداء الله، وكم لشباب الإسلام فيها من صولات وجولات وانتصارات وإنجازات وكم فتح الله عليهم من فتوحات، وكم أغاظوا العدا وفكوا حصاره وأذهبوا عقله وأطالوا ليله واستنزفوه وأرعبوه وأمرضوه، وكم نشروا من الخير بالكتابة والصوت والصورة وغيرها، من العلم النافع والخبر الصادق والكلمة الطيبة الهادية إلى سبيل الله، فجزاهم الله خيرا وبارك الله فيهم وأعلى الله درجتهم في الصالحين.

❁ ❁ ❁

[نصائح إلى شباب «الإعلام الجهادي» ورواد «المنتديات» الحوارية]

❁ **مركز اليقين**: يعني ما الأعمال التي تنصحهم بالاستمرار في فعلها؟ وماذا تنصحهم أن يزيدوه ويركزوا عليه إن كان ثمت أفكار مثلا؟

الشيخ عطية الله: ليس عندي أفكار محددة، وهي ساحة إبداع على كل حال، وأظن أن مجال الدعوة ونصر الجهاد والمجاهدين والذب عنهم، ونشر العلم النافع والخبر الصادق، كلها مجالات واسعة، وهناك أعمال فردية وأعمال جماعية تحتاج إلى تعاون وتكامل، فكل ذلك من الخير والعمل الصالح.

مثلا: تنزيل الصوتيات الدعوية والمرئيات التحريضية الجهادية من النت ونشرها على أقراص وغيرها وبثها في مَن حولك من قومك وأهلك وناسك، هذا عمل يستطيع الكثيرون القيام به، في كثير من بلاد العالم، نعم في بعضها قد يكون هناك خطر، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها وعلى العاقل أن يحتاط ويجتنب الشر ويطلب السلامة والعافية، ولا يجازف ولا يتهاون، ونشر الكتب والرسائل النافعة التي زكاها العلماء الموثوقون والقيادات الإسلامية الموثوقة في الأمة، هذا كله من المتاح للكثيرين، والتركيز على المنتديات الحوارية العامية ببث المقالات الدعوية المناسبة ونشرها فيهم، ومجادلتهم بالتي

هي أحسن، وغير ذلك.

المشاركة بالدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن في الحوارات وغيرها، وعلى الإنسان أن يقدّم الكلمة الطيبة النافعة دائما، ويجرّب نفسه في كل مرحلة ويقوّمها مع كل تجربة خاضها، وعليه أن يحرص أنه يكون اليومَ خيرًا من أمسٍ، وغدا خيرًا من اليوم، فإن استعان بالله ﷻ وفعل ذلك نجح بلا شك.!

✵ ✵ ✵

〚قبل الختام: نظرة على الواقع، وهل يُشعر بالتفاؤل والاستبشار؟〛

❁ **مركز اليقين**: شيخ عطية؛ قبل ختام هذا اللقاء القصير بكم، وعلى عادة الإعلاميين نسألك: هل أنتَ متفائل ومستبشر؟

الشيخ عطية الله: الحمد لله، أنا والله مستبشر ومؤملٌ الخيرَ، ورغم كل الجراح والقراح والآلام التي تصيب أمتنا في بقاع الأرض، فإنني مستبشر ومتفائل فعلا، وما ازددتُ بفضل الله ﷻ مع الأيام وطول الطريق وصعوباتها إلا يقينا وبصيرة بفضل الله ﷻ، وإلا تفاؤلا ورجاءً، والحمد لله رب العالمين.

أخي الكريم: إن أمة الإسلام اليوم في حالة صحوٍ ونهوض وقيام، فلا خوفَ عليها إن شاء الله.

قبل قرنين أو قرن ونصف من الآن جاء الاستعمار الغربي الإسباني والبرتغالي والهولندي وغيره، ثم الانجليزي والفرنسي والإيطالي، جاءوا إلى أمة الإسلام ونزلوا أرضها وحلوا ديارها فصادفوها أمة قد ماتت تقريبا، يعني هي كانت في حالة تشبه حالة الموت فعلا، وكانت في حالة انحطاط لا يعلم مداه إلا الله ﷻ، حتى مهما قرأ الإنسان وبحث وحاول أن يستوعب تصوّر ذلك الانحطاط صعُب عليه تصوّرهُ!! لقد صادف الاستعمار الغربي الأمة وهي متقهقرة متراجعة في حالة هبوط وسفول وانحطاط على جميع الصُعُد، ومع كل ذلك عانى الاستعمار الويلات منها، لأنه بمجرد أن دخل ثارت في الأمة الحمية الدينية ونخوة الحرية، واستثار الاستعمار فيها مكامن الوعي المغيب، وبدل أن يقضي عليها صارَ كالموقظ لها الحاثّ لها على الثورة والنهضة، فقامت حركات الجهاد والمقاومة للاستعمار في كل بلدٍ، على ما فيها، وأحيا الله بالجهاد ما أحيا، والحمد لله، وما أكثر بركات ذلك الجهاد، وإننا نرى الكثير من بركاته عيانا اليوم، في أجيال الأمة ونسلها الحديث.!

وأما اليوم -أخي الكريم- فإن الاستعمار الجديد والهجمة الصليبية الجديدة وإن كانت أقوى هجمة صليبية في التاريخ بالنظر إلى إمكانات العدو المادية والتقنية؛ فإنه -لسوء حظه، ولحسن بلاء الله

ﷻ على أمة الإسلام- صادفَ أمة الإسلام وهي صاحية تتأهب للنهوض، بل هي قد قامت بالفعل واستوت قائمة، تنفض عن نفسها غبار السنين، وقد دبّت فيها روح الجهاد وأحياها الله ﷻ بعد موات ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام]، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤].

وهي اليوم تزداد كل يوم قوة وصلابة وتكتسب تجربة وخبرة، وهي اليوم قادرة على التصدي للعدو الغازي وقهره ودحره، ولا يستطيع عدوّها أن ينال منها جرحًا إلا وقد نالته من سيوفها جراحٌ، ولا يتمكن من غِرّة فيها إلا وقد تفاجأ بما يسوؤه ويقلب فرحه وبطره عليه ترحًا وكربًا وحزنًا دائما وتنغيصا، حتى والله لقد تمنّى العدوّ الصليبي الغازي أنه ما فكر ولا قدّر ولا دبّر ولا وطئ أرض المسلمين..! فالحمد لله رب العالمين، والله أكبر والعاقبة للمتقين.

وإن أمة الإسلام اليوم في مرحلة إحداث التوازن مع العدوّ الكافر الصليبي وغيره، والكفر كله ملة واحدةٍ في هذا المعنى، أي في عداوتهم للإسلام وأهله وولاء بعضهم لبعض: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[الأنفال]، وتتهيأ (أمة الإسلام) للانتقال إلى مرحلة أخرى متقدمة وهي أن تكون يدُها هي العليا، هي التي تغزو وتضرب، وهي التي تنال من العدوّ، مرحلة: «اليوم نغزوهم ولا يغزونا».

بالتأكيد لن تستعجل أمتنا المراحل، وهناك عقبات وصعوبات ومشاكل، ولكن الخير غالب، والأمة تتقدم وتنضج، كما تحدثنا عن الحركة الجهادية التي هي طليعة الأمة وجيشها الضارب، وإنما كلُ إنسان يبصر على حسب ما آتاه الله من قوة البصر..

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل اليقين، وممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. آمين

❋ ❋ ❋

[القول في تنزيل أحاديث «الفتن» على الواقع، وكذا أحاديث المهدي والرايات السود]

❁ **مركز اليقين**: وبمناسبة الكلام عن التفاؤل والبشائر، نلاحظ على بعض الشباب في الحركة الإسلامية بعض الأفكار التي تحتاج إلى وقفة من العلماء والدعاة، مثلا مسألة: تنزيل أحاديث الفتن والملاحم على الواقع، وأحاديث المهدي والرايات السود وغير ذلك؛ فهل يجوز إسقاط هذه الأحاديث على الأحداث الراهنة، رغم أنه يظهر أحيانا أن هناك تطابقًا بين ما ورد في بعض الأحاديث وبين بعض الأحداث والوقائع الجارية؟

الشيخ عطية الله: بارك الله فيك، هذا سؤال جيد، وهذه مسألة ينبغي التفقه فيها والاطلاع على كلام العلماء فيها، وكلامهم رحم الله أحياءهم وأمواتهم مبثوث فيها في كتبهم، ولا سيما كتب شروح الحديث في أبواب الفتن والملاحم وأخبار آخر الزمان وأشراط الساعة، والكتب المؤلفة في هذا الباب خصوصًا.

ومن أهم ما ينبّه عليه في هذه المسألة: التحذير من خطورة تنزيل ما ورد من ذلك في الكتاب العزيز أو في الأخبار الصحيحة على الوقائع والحوادث إلا ببيّنة تكون حجة للإنسان عند ربه، يستطيع أن يتحمل المؤمن مسؤولية أن يلقى الله بها، وإلا فإن تنزيل الأخبار الغيبية الواردة في الكتاب والسنة على الوقائع والحوادث والأزمنة والأمكنة هو من التأويل والتفسير لكلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، ومن الفتوى والتوقيع عن رب العالمين جل وعلا.

فلا ينبغي للمسلم أن يقول: هذا الحادث أو الواقعة الفلانية في الزمان أو المكان الفلانيين، هي المقصودة بقول الله ﷻ كذا وقول النبي ﷺ كذا، إلا بدليل وحجة.

وإذا كانت الدلالات والأمارات قوية ومطمئنة والتطابق ظاهرًا بين الغيب المخبَر عنه في الكتاب والسنة وبين الواقع والحادثة، فللإنسان إن ظهر له هذا أن يقول: لعل هذا هو المراد بقول الله ورسوله كذا وكذا، ويقول: يحتمل ويمكن وأظن، وليحذر من الجزم، إلا بدليل كالشمسِ في رابعة النهار.!

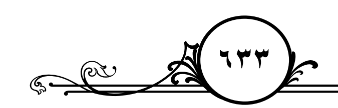
فإن اعتصم الإنسان بهذا الأصل والفقه، سلم إن شاء الله من القول على الله بغير علم، وسلم من الافتتان بسبب العجلة والطيش وبناء أحكام واعتقادات واتخاذ قرارات على أساس موهوم.!

ومما ينبّه عليه أيضا أن الحكم والمقاصد الشريفة من ورود عامة هذه الأخبار في الكتاب والسنة مركبة من أشياء:

منها: التبشير بالخير والنصر للإسلام والمسلمين، فيظل المؤمن مستبشرا راجيا مستيقنا بوعد الله ﷻ.

ومنها: الاختبار والامتحان للمكلفين، فمنهم من يؤمن (يصدق بخبر الله ﷻ ويستيقن) ومنهم من يكفر ويردّ خبر الله ﷻ ورسوله ﷺ أو يشك فيه، والناس في ذلك درجات لا يحصيها إلا علام الغيوب ﷻ.

ومنها: الرحمة واللطف الإلهي بالمؤمنين في الأزمنة المتأخرة وهم في أحوال الضعف؛ فإنهم حين تحل بهم تلك النوازل المخبَر عنها، يعرفون كيف يتصرفون ويختارون الطريق الصحيح الذي يرضاه رب العالمين.



ومن ضمن الحكم والمقاصد أيضا: الفوائدُ الحاضرة من لدن ورود هذا الخبر من الأخبار في الكتاب والسنة، الموجودة ضمنًا، والتي تتمثل في أحكام شرعية مستفادة، كما استفاد الفقهاء من حديث (**يومٌ كسنة ويومٌ كشهر ويومٌ كجمعة وسائر إيامه كأيامكم**)[١] كيفية صلاة الإنسان في القطبين الشمالي والجنوبي ونحوها، وكما استفادوا مشروعية أن يتصالح المسلمون مع عدوّ كافر ويقاتلوا معًا عدوًا كافرًا آخر، من حديث: (**تصالحون الروم صلحًا آمنًا وتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم**..)[٢]، وهذا كثير جدا؛ أعني استفادة الأحكام.

والأكثر منه: استفادة العبر والمواعظ الهادية، فمن يتأمل قصة «الدجال» مثلا وما فيها من الفتن والبلاء العظيم للناس، وكيف أن الناس ينقسمون منهم من يختار آخرته ويعتصم بدينه، ومنهم من يختار العاجلة ويبيع دينه، رغم وضوح الدجال جدا، لدرجة أنه مكتوب على جبهته كافر، ورغم قوة بيان النبي ﷺ بل جميع الأنبياء قبله لصفاته وتحذيرهم منه، أقول من يتأمل هذا فلا يستغرب إذا دخل «الدجال» الأمريكي اليومَ إلى بلاد المسلمين (أفغانستان والعراق نموذجان حيّان) وعاث فيها ومضى يعدُ الناسَ ويمنّيهم ومعه جنة ونارٌ، كيف تتسارع الناس إلى متابعته واللحاق بركبه والافتتان بما يسمّيه جنة، ويبيعون دينهم وينسون الآخرة ولا ينظرون إليها.

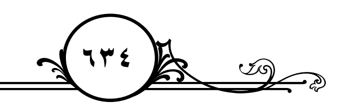
لا يستغرب الإنسان ذلك، فإن أكثر الخلق يسقطون عند الفتن ويفشلون في الامتحان..! ولا يقول: هذا بسبب التقصير في الدعوة ونشر العلم!!

فإن كون أمريكا كفارًا صليبين فجرة فسقة من أخبث خلق الله وأظلمهم، غازين لبلاد المسلمين، يجب التصدي لهم وَفق إجماع الأمة، والتصدّي لهم ممدوحٌ بكل المقاييس الطبيعية (الفطرية) والسماوية والأرضية، هذا شيء من العلم الضروري الذي لا يحتاج إلى فقهاء يبيّنونه ويشرحونه، ولا يُقال فيه: الدعوة مقصرة ونحن مقصرون في نشر العلم، وها هي قصة الدجال أمامك ماثلة تأمّلها، هل يخفى الدجال؟! لكن هي مسألة حب العاجلة وترك الآخرة، واستحباب الحياة الدنيا على الآخرة. نسأل الله العافية والسلامة.

ويستفيد المؤمن: أنه عليه أن يصبر كما صبر المؤمنون على فتنة «الدجال» وعقوباته حين يأمر القرية التي لم تؤمن به فيتبعه كنوزها، ويصيبهم -بإذن الله ومشيئته امتحانًا واختبارًا- الجدبُ والقحط

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٧).

(٢) مسند أحمد (١٦٨٦٢) وصححه الأرنؤوط، سنن أبي داود (٢٧٦٧، ٤٢٩٢)، سنن ابن ماجه (٤٠٨٩) وصححه الألباني.



والشدة، ويثبت المؤمن وإن قتل وإن نالته الجراح والقراح والحرمان، كما عذب ذلك الشاب المؤمن الذي يقسمه الدجال قسمين أمام الناس ويأمره بالعودة كما كان فيعود.!

لكنَّ المؤمنين صبروا وثبتوا واستيقنوا بصدق خبر الله ورسوله ﷺ.

فهذه من أهم الحكم والمقاصد لهذه الأخبار الشريفة، ومعظمها حاصلٌ ولو لم يرَ المؤمنُ الشيء المخبرَ عنه بعينه، فإن عاش وكان ممن يراه، فإنه يزداد إيمانا وتسليمًا، ويهديه الله بإيمانه.

ومما يحذّر منه في هذا الباب: أن بعض الناس يتعلق بأخبار هذا الباب تعلقا زائدا عن الحدّ خارجًا عن الفقه الصحيح، كمن يقول: لا خلاص لأمتنا اليوم إلا بالمهدي المنتظر، فنجلس وننتظر خروج المهديّ الموعود، فإذا خرج التحقنا به..!

وهذا نوعٌ من الضلال والفتنة، والعياذ بالله، لأن الله ﷻ لم يأمرك أيها العبدُ بالقعود عن العمل وانتظار «المهدي» أو غيره، بل أمرَك بالعمل والجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله ﷻ والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر التكاليف الشرعية وأداء الأمانات الربّانية، وهذا كله مبيّن لك في شريعة الله ﷻ المطهرة، في الكتاب والسنة وما في معناهما، وبيّنه لك العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وشرحوه ووضحوه، فأي عذر لك في ترك كل هذا، وتقعدُ وتقول أنتظر المهدي أو كذا؟! هذا ضلال مبين، عافانا الله وإياكم منه.

ولعل قائل ذلك إذا حضر خروجَ «المهديّ» فعلا، لا يوفّقه الله ويكون ممن يعاديه ويحاربه..!

ومما يحذر منه أيضًا: أن بعض الناس يستهين بهذا الباب وفقهه وما ورد فيه من الأحاديث النبوية الشريفة؛ فيظن أنه كلأ مستباحٌ، فيتسوّر عليه بغير علم ولا تأهّل ويظل يفسر ويؤول ويشرح، وهذا قد شاهدناه كثيرا، والمتابع لما كتب في هذا الباب من كتابات للمعاصرين يلاحظ ذلك أيضا، وهو خلل وفساد علميّ، وينبغي أن يؤخذ على أيدي هؤلاء ويُحتَسَبَ عليهم، وقد ذكرت في أول الجواب أن الكلام في هذا الباب تفسيرًا وتأويلا وتنزيلا هو من باب الفتوى والتوقيع عن الله ﷻ.! والله أعلم.

❋ ❋ ❋

〚القول في حديث (تصالحون الروم صلحا آمنا)، وما المقصود به؟〛

❁ **مركز اليقين**: على ذكر حديث (**تصالحون الروم صلحاً آمنًا**)، بعضُ الناس أيضا يقولون إن هذا قد يكون المقصود به أن المسلمين يصالحون أمريكا والغرب وهم الروم، ويقاتلون معًا عدواً واحداً هو الرافضة ومجوس إيران؟

الشيخ عطية الله: هذا أخي الكريم مما كنا نتكلم فيه، وقلنا: إنه لا ينبغي الجزم بشيء من هذه التأويلات ومثل هذا التنزيل للأخبار الغيبية على الوقائع، ويجب الحذر في ذلك، وألا يتكلم الإنسان فيه إلا بدليل وحجة وبرهان، وأن هذا من التأويل والتفسير لكلام الله ورسوله، ومن الفتوى والتوقيع عن رب العالمين.

فهنا لو أبدى بعضُ أهل العلم ذلك على وجه الاحتمال كان ممكنًا، لكن الجزم بشيء من ذلك، ثم التعويل على هذا الاحتمال وبناء أفكار واستراتيجيات عليه، أخشى أن يكون من البناء على الأوهام، فهو بناء على شفا جُرُف هار، فعلى المسلم أن يتقي الله ويكون على بصيرة، ويحذر الفتن، نعوذ بالله من الفتن.

إذا كان المقصود مشروعية أن يتصالح المسلمون مع النصارى ويقاتلوا معًا عدوًا واحدًا من ورائهم، فهذا صحيح وهو ظاهر الحديث، وقال به العلماء أخذًا بظاهر هذا الحديث.

لكن أن نقول هذه القصة المخبَر عنها في حديث النبي ﷺ هي ما نحن فيه الآن من أحداث وتوقعات حرب بين الرافضة وأمريكا وأننا علينا بناء عليه أن نصالح الروم (الأمريكان والغرب) وأن نقاتل نحن وهم هذا العدو الذي هو الرافضة ومجوس إيران.. فهذا رجمٌ بالغيب وتخرّص وليس علما ولا فقهًا.! قد يكون المقصود بها في الحديث أمة من الأمم غير المنتسبة للإسلام أصلًا، كالأمم الوثنية المتوقع لها أن تنموَ وتكبر ويزداد شرها على البشرية في المستقبل كالصين والهند ونحوها، والله أعلم.

النصارى الصليبيون -أمريكا والغرب- عدوّ، والرافضة ومجوس إيران عدوّ.

ونحن المسلمون.

والحركة الجهادية التي هي طليعة أمة الإسلام اليوم؛ تعرف بحمد الله ﷻ وتفقه كيف تتصدى لأعدائها وتجاهدهم على بصيرة وعن وعي وعلم وفقه وحكمة، ومن ذلك المعرفة بمَن تقدّم ومَن تؤخّر، ومَن تحارب ومن توادع، والمعرفة بخطر كل عدوّ وحجمه، وسائر ما يتعلق بهذا الشأن.

وأحكام الجهاد قتالا وصلحًا وهدنة، وأحكام العلاقات مع الأعداء على اختلاف طبقاتهم سلمًا وحربًا، وكل ما يتعلق بأفعال المكلفين من أحكام، متضمَّنٌ في الشريعة الإسلامية، وهي أعم من أن تؤخذ من هذا الحديث الفرد أو غيره من آحاد الأحاديث، هي شريعة متكاملة، والحمد لله.

نسأل الله أن يكفينا بقدرته ولطفه شر الأعادي جميعهم.

ومما ينبغي التفطن له: أن ذينكَ العدوّيْنِ بينهما خلافٌ وصراعٌ، وكلاهما في حال خوفٍ وفي أوضاع صعبة، وكلاهما يسعى لكسب أعداء أعدائه ما استطاع أو تحييدهم، والوضع معقد أشد التعقيد،

والمنطقة على حافة انفجار محتمل في أية لحظة، والفتن عظيمة، والأعداء ليسوا هيّنين بل هم متمرسون بالمكر والخديعة، كفانا الله شرهم، والأمريكان في العراق الآن من أخطر فتنتهم أنهم ساعون في كسب طوائف وجماعات من أهل السنة إلى صفهم بذريعة مواجهة عدوّ مشترك هو إيران والرافضة، وتحت طائلة التخويف من الرافضة وإيران يسعون حثيثا إلى تحييد بعض الطوائف السنية واكتسابها وربما حتى التحالف معها، وهذا موردُ فتنة كبير.!

وهم يجنّدون في ذلك من الأولياء ومن فنون المكر والدهاء والإغراء ما لا يعلمه إلا الله.

ولهذا تلاحظ عند بعض الناس تضخيما كبيرا للخطر الرافضي، وإي والله إنه لخطرٌ عظيم، لكني أشعر أن هناك مبالغة بالفعل عند بعض الناس في تصوير هذا الخطر وتصوير أولويته.

في نظري -والله أعلم بالصواب- أن على الحركة الإسلامية الجهادية أن تثبت وتحافظ على استقلالها ونقائها، ولا تُستفَزّ لا تُستَجر إلى الكون مع أحد الطرفين أصلا مهما استطاعت، ولا سيما مع العدو الأكبر والأقوى وهو العدو الأمريكي الصليبي وأولياؤه وحلفاؤه.!

الفتن عظيمة، والتوفيق بيد الله وحده فلنطلبه منه ﷻ، وليس بكثرة شطارة ولا ذكاء..!

ووالله لو لا أنها معركة الإسلام والحق والتوحيد والسنة النبوية المطهرة مع أعداء الله أهل الشرك والكفر والإلحاد والفسوق والعصيان والفجور والظلم والطغيان، ولولا اليقين أن الله ﷻ هو الذي يدبّر الأمر، وإنما على المؤمنين أن يأخذوا بالأسباب ويتوكلوا عليه سبحانه ويدخلوا عليهم الباب، والباقي على الله وحده.

ولولا اليقين بمعنى قوله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧] وقول النبي ﷺ: **(من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب)**(١).

لو لا ذلك لما كان هنالك بصيصُ أمل للإنسان، لو أننا اعتمدنا فقط على الحسابات المادية..!

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾[آل عمران: ١٦٠]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران]، ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ﴾[هود: ٤٣]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الروم].

✻ ✻ ✻

---

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

〚كلمة للمخالفين للمجاهدين، تقنعهم بصواب منهجهم، وصحة طريقهم〛

۞ **مركز اليقين**: في الختام، شيخنا عطية الله..

إن طُلب منك أن تُدلي بكلمة قصيرة توجهها للأمة، وللمخالفين للمنهج الجهادي أو المتقاعسين عنه، لتقنعهم بصواب منهجكم، فما تقول لهم؟

الشيخ عطية الله: أما الكلمة للأمة بعامة والمقصود جمهورها من المسلمين..

فإذا كان كلامي يبلغُ لعموم المسلمين فإني أبشرهم بأن الخير قادم..

فاستعينوا بالله واصبروا واثبتوا يا عباد الله وتمسكوا بدينكم واعتصموا بحبل الله، واعلموا أن الله خلقنا ليبتلينا ويمتحننا في هذه الدنيا وبها، فالدنيا دار امتحان وهي دار الغرور، زائلة فانية عن قريب، وليس بين الإنسان وبين انتهاء مدة الامتحان إلا أن يفاجئه الموت، فليستعد الإنسان للموت، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران].

وأما المخالفون للخط الجهادي والمتقاعسون عن الجهاد؛ فهم طبعا ليسوا درجة واحدة:

فهناك مَن يُوعَظ ويُذكّر وتتلى عليه آيات الجهاد وأحاديثه وفقهه، ترغيبا وترهيبًا، وتُوضَّح له مسائله وتزال عنه الشبهات، وهذا كثير مبذول ولله الحمد والمنة، وكل من طلب الحق وحرَص عليه وجده غالبًا، فإن لم يجده فقد أعذر ونجا إن شاء الله.

ومنهم من يقال له: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾[هود]، و﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤﴾[الإسراء]، و﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ٥٧﴾[الأنعام]، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ ٤١﴾[المائدة].

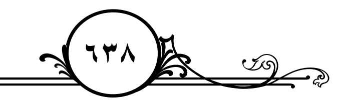
و(**كل ميسر لما خلق له**)[1].

والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

ومنهم مَن يقال له: لا عليك في العداوة والخصومة وشدة الصدود والصد، ولمَ الاستعجال؟ انتظر وتلبّث حتى يفتح الله بالحق.!

❋ ❋ ❋

(١) صحيح البخاري (٧٥٥١).



〚شكراً لكم لإتاحة هذه الفرصة〛

۞ **مركز اليقين**: شيخ عطية الله.. نشكر لكم إتاحة هذه الفرصة الطيبة، وجزاكم الله خيراً.

الشيخ عطية الله: وجزاكم الله خيرًا، وبارك الله في جهودكم، وأستغفر الله العظيم من كل ذنب، وسبحانك اللّهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



جواب سؤال في:

«جهاد الدفع»

تم نشر هذه الفتوى في المنتديات الجهادية

من قبل «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»



١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين، وبعد..

فقد وردني هذا السؤال مكررا من الإخوة في «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»، وأهملت الإجابة عليه قائلا لهم: إن هذا سؤال متعنت من أهل الزيغ والضلال والفتنة، لا سؤال من يريد الحق ويطلب الهدى، وذلك لمعرفتي بأن هذا السؤال بل هذه الشبهات متلقاةٌ عن قوم مخصوصين ضالين خوارج مارقين من ربقة الإسلام، وهم جماعة المخلف المكنى «أبا مريم»، كما حدثني عنهم مَن سمع كلامهم أو قرأ لهم أو ناقشهم على الانترنت، غير أن الإخوة ألحوا في كتابة جواب، لأن الأمر أشكل على بعض الإخوان الطيبين من أهل الخير.

فاستعنتُ بالله ﷻ في كتابة هذا الجواب، سائلا المولى ﷻ الهدى والسداد والتوفيق للصواب:

السؤال: جهاد الدفع إنما شـرع للدفاع عن دار الإسلام التي يصول عليها الكفار؛ فكيف يمكن تأدية جهاد الدفع اليوم وجميع ديار المسلمين تحولت لديار كفر لغلبة الكفار عليها، وكيف يمكن الرد على هذه الشبهة، ثم أليس الحكم العام للمقيمين في ديار الكفر أنهم كفار مشـركون.. فكيف نحكم على عامة بلاد الإسلام بأنهم مسلمون؟

وقبل الجـواب، متوكلين على رب الأرباب الملك الوهاب، نذكر لإخواننا مقدمة نافعة إن شاء الله، فيها عِبَرٌ وتنبيه على سوء حال هؤلاء المارقين وأمثالهم، وفيها بيانٌ مختصر لمجمل أصول ضلالهم، ووصايا لإخواننا المسلمين في كل مكان ليحذروهم، وبالله المستعان:

فصلٌ

اعلموا إخواني بارك الله فيكم يا أهل الخير يا مَن تبحثون على الحق وتطلبون الفضل وترجون رحمة الله وتبتغون مرضاته ﷻ، أن هذا السؤال وإن ورد من جهتكم وورود المستفهم المستشكل الطالب لدفع الإشكال وتحصيل الثلج واليقين في الرد على زيغ الزائغين وفتون المفتونين، إلا أنه في أصله سؤالٌ صادرٌ عن أولئك المفتونين الخوارج الضالين المارقين من دين الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أتباع المفتون «المخلف»، كفى الله المسلمين شره وشر كل ذي شر، فالسؤال سؤالهم، وهو منهم ليس سؤالًا بل هو حجة كما يزعمون، يسوقونها معارضين بها الحق المبين والصراط المستقيم والعلم والهدى المتقرر عند علماء المسلمين أجمعين، وهو مبنيّ على أصولهم الفاسدة الضالة التي أصّلها لهم هذا المخلف الضال، ومنطلق من أساس فكره المنحرف ونهجه المعوج؛ هذا لا بد أن تعرفوه..

واعلموا أن هذه النابتة «المخلفية» الخبيثة التي نبتت في هذه الأيام ليست هي بأول نبتة من جنسها، فإنها من ضئضئ قوم معروفين في تاريخ الإسلام والمسلمين، وهم الخوارج المارقون، الذين أخبرنا عنهم النبي ﷺ، وأمر بقتالهم وقتلهم، ورغّب في ذلك، وحذر منهم تحذيرا شديدا، وأخبر أنهم كلاب النار[1]، واختلف العلماء في الحكم عليهم بالكفر، إلى آخر ما تعلمون من شأنهم ومما ورد فيهم من الأحاديث النبوية الكريمة.

وهؤلاء المارقون «المخلف» وأتباعه لا شك أنهم خوارج، ولا يرتاب في هذا عالمٌ أو طالبُ علم أبدا.. فإنهم كفروا جميع المسلمين، من أهل الأرض اليوم، وعليه استحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم، بل ويعتقد بعضُهم أن القرون الماضية من عهود المسلمين وطبقاتهم كلهم كفارٌ إلى ما يقارب الثلاثة أو الأربعة قرون الأولى المفضلة، ماعدا استثناءات قليلة، بالإضافة إلى غير ذلك من أفكارهم واعتقاداتهم الخبيثة.!

وليسوا هم بأول نابتة في هذا العصر، ولن يكونوا الأخيرة أيضا، لأنه قد جاءَ في بعض الأحاديث النبوية أنهم لا تزال تنبت لهم نابتة إلى آخر الأزمان، وقد جربناهم وجربهم الناسُ في بلدان كثيرة، في

---

(١) عن أبي سعيد وأنس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: (**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ**) رواه أبو اود (٤٧٦٥) وصححه الألباني، وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (**الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ**) رواه ابن ماجه (١٣٧) وصححه الألباني.

مصر وفي ليبيا والجزائر وفي أفغانستان وباكستان وغيرها.

وسنة الله ﷻ فيهم معلومة مسطورة معروفة لأهل العلم والعقل والعبرة: يكفرون العلماءَ وطلبة العلم والمجاهدين والناس أجمعين، ثم يكفر بعضهم بعضًا، ويؤول بهم الأمرُ إلى أحوال مستقبحةٍ جدا حتى إنهم قد يستحلون الكثير من المحرمات القطعية التحريم، كالخمر والمخدرات والزنا الصريح، وغير ذلك؛ فقد رأيناهم في باكستان استحلوا الحشيشة والمواد المخدرة وتدرجوا باعتقاد حل المتاجرة فيها أولا، ثم تعاطيها والزعم بأنها ليست حراما، أو القول بأننا الآن في زمن يشبه الزمن المكي، وهو زمن الدعوة إلى التوحيد فقط ولا تشريع بعدُ يحرم هذه الأشياء، وإلى ما شابه ذلك من التأويلات السخيفة غير المعتبرة عند جميع أهل العلم، وبنفس هذه الشبهات استحلوا الكثير من الحرام، ويمارس بعضهم الزنا الصريح في أوروبا وغيرها وسائر البلاد، تحت ادعاءات باطلة مقطوع ببطلانها كالقول بأنّ المزنيّ بهنّ في حكم السبايا، ويكثر خلافهم واختلافهم وتناقضهم ويصل إلى حد فاحش جدا تستبشعه الفطرُ، ويتنافرون ويتدابرون ويتقاطعون، وينشطرون، بل وسرعان ما يتقاتلون إن كان بيدهم سلاح وكانوا في أرض سلاح، وينقسمون فرقا يزيد بعضهم على بعض في الغلو والعتوّ، دعك عن فساد الأخلاق وفقدان المروءة وموت الضمائر، ومناقضة أبسط مبادئ الأخلاق الكريمة التي اجتمع عليها الملل والنحل كلها كافرها ومسلمها، كاستحلال الكذب الصريح والخيانة وجميع أنواع الغدر والخديعة المحرمة وذهاب الرحمة من قلوبهم وتحوّلها إلى أنواع من القسوة غريب جدا وأنواع من الأخلاق السَّبُعية يصعب على مَن لم يعرف نماذج منهم أن يصدق ما نقوله له عنهم..!!

وعادة الله ﷻ فيهم حسبما رصدها أهل العبرة أنهم تكون لهم زوبعة وضجة ويحصل لهم في فتنتهم أتباع قليلون أو كثيرون، ثم ما يلبث أن يرجع جزء كبيرٌ منهم ويؤوبون إلى الحق ويكتشفون الضلالة بعد اكتواءٍ وشَوْبٍ من فسادٍ، نسأل الله العافية، ثم يؤول أمرُهم إلى اضمحلال وزوال.

وقد حكى لنا مرة بعض التائبين منهم ممن منّ الله عليهم بالهداية بعد أن قطع شوطا طويلا معهم، وهذا شيء قليلٌ في العادة، حكى لنا أنهم وصلوا إلى حالات من الشك في الله ﷻ وفي محمد رسول الله ﷺ ورسالته وفي القرآن.!! نعم والله، فإنهم من شدّة التنطع والتشدد في الدين والغلوّ لا يرضون برحمة الله الواسعة ولا يقبلون منة الله ولطفه، بل يظلون يشددون على أنفسهم ويتنطعون فيهلكون بأن يتسلّط عليهم الشيطان والوسواس، فيظلون يشكون في أنفسهم كل لحظة، ويصبح الرجل منهم ويقول: أنا كنت بالأمس كافرًا، واليوم أسلمتُ من جديد، ويكفر الرجل منهم أخاه في المجلس ثم يعود فيحكم عليه بالإسلام، ثم يكفره عدة مراتٍ، والآخر يقول: نعم أنا كفرت قبل قليل والآن أنا

أرجع إلى الإسلام، ويكفر الرجل أهله وزوجه وولده كل يوم، وتحصل عندهم من المفاسد الاجتماعية والإنسانية ما لا يقدرون -مع طول الوقت- على الصبر عليه؛ لأنهم أوقعوا أنفسهم في التشديد والحرج والضيق وما لا تقوى نفوس البشر في العادة على تحمّله على دوام الأزمان، ولم يقبلوا منّة الله عليهم بالتوسعة والتيسير، بل شددوا فشدد الله عليهم.

فيحصل أن يصل بعضهم إلى حالات الكفر الصريح بالله ﷻ وبالأنبياء ورسالات الله ﷻ.. ويصل إلى سب الله ﷻ رأسًا..! والعياذ بالله ﷻ من هذه الأحوال الرديّة.. ويصل بعضهم إلى حالات يأس وقنوط، وإلى الانتحار..!

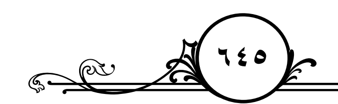
والسبب الظاهر المباشر لذلك -والله ﷻ أعلم-؛ هو كثرة وقوة مناقضة الفطرة ودين الفطرة -الإسلام دينُ الفطرة-.. وكثرة وقوة التضييق على النفس حتى تملّ وتعيى وتتعب وتصير تتفلت وتنفر ولا تقوى على حمل تكاليف الدين، ثم تصير إلى أنواع من الحيل الشريرة والتأويلات الفاسدة غير المستساغة.. وكثرة وقوة مناقضة ظواهر الشريعة ودلالاتها المتنوعة على الحقائق؛ فيحصل عندهم في البداية نوعٌ من المكابرة ثم يكتشفون أدلة أخرى وتعترضهم إشكالات تتكاثر عليهم وتغلبهم ويحيرون في الجواب ويزدادون في المكابرة ولا سيما إن كان الواحدُ منهم رأسًا في فرقته وجماعته متبوعا قد تصدّر وصار له أتباع وأقوال ومذهبٌ، فيصعب عليه الرجوع إلى الحق، وهذا من معنى قوله ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾[الأنفال: ٢٤]، وهكذا يحصل عند الواحدِ منهم تأنيبُ ضمير ويشعر بقوة التناقض في نفسه، فقد يصل إلى حالات قصوى من المرض النفسي والخبلِ أو يصيرُ إلى الزندقة المحضة والكفر بالله العظيم، والعياذ بالله.

ومن أمثلة التناقضات التي تعترضهم باستمرار:

۞ **تكفيرهم لعموم المسلمين** بما فيهم خيارُهم من العُبَّاد والزهاد والمجاهدين والاستشهاديين وأهل العلم والدعوة والبذل في سبيل الله ﷻ، يكفرونهم كلهم، ولا يحكمون إلا بإسلام نفرٍ قليل هم جماعتهم ومَن كان مثلهم فقط، بل ويحكمون بكفر سائر الأمة في قرونها المتأخرة، وهم يجدون في الأحاديث النبوية وظواهر الشريعة أن أمة الإسلام لا يزال نسلها مستمرا باقيًا إلى قربِ قيام الساعة حين يأذن الله ﷻ بأخذ أرواح كل أهل الإيمان، ويجدون في الأحاديث مدحًا لبعض أعصُر[1] الأمة وأزمنتهم وأمكنتها والإخبار ببقاء الإسلام والإيمان والصلاح فيها وفي أهلها، وأحاديث الطائفة

---

(١) «أعصر» جمع «عصر»؛ ينظر: المصباح المنير (٢ / ٤١٣).



المنصورة الظاهرة على أعدائها وأنها لن تزال قائمة موجودة إلى قيام الساعة، وغير ذلك كثير جدا، فيحصل عندهم تناقض كبيرٌ وتأنيبٌ للضمير مُمرضٌ مهلكٌ.!

۞ **ومنها**: ما يرون من علامات الصلاح وحسن الإيمان كما أخبر عنه الله ورسوله ﷺ في الأحاديث الكثيرة وعلامات حسن الخاتمة لكثير من المسلمين، ولا سيما المجاهدين والشهداء، ويرون صبر الصابرين وقوة إيمان ويقين المؤمنين الموقنين، والحال أنهم يحكمون عليهم جميعا بالكفر وعدم الإسلام، فيظلون في تناقض كبير لا يعلمه إلا الله، ولا يمكنهم -في قرارة أنفسهم- دفعُه لكثرته وقوة دلالته وفطريته.!

۞ **ومنها**: تكفيرهم لعموم علماء الأمة وفيهم العلماء الكبار أهل الصلاح والصدق والفهم والتحقيق، في حين أنهم ينظرون إلى أنفسهم عند المقايسة فيجدون أنفسهم جهلة عالة على هؤلاء العلماء.!

۞ **ومنها**: التناقض من جهة أنهم حين يكفرون عامة قرون الأمة المتأخرة إلا نفرًا قليلا، يحصل عندهم وسواسٌ وشكٌّ في صحة نقل الدين ووصوله إليهم؛ فإن الدين -القرآن والسنة وشروحهما، وما في معناهما من الإجماعات والأقيسة الصحيحة، وكذا أدوات فهمهما كاللغة العربية وعامة علوم الآلة- إنما وصلت إليهم بواسطة هذه القرون لا محالة، فإذا كانوا كفارا فكيف يؤتمنون على نقل الدين وشروحه، فيحصل عندهم تناقضٌ كالذي يحصل عند الروافض المارقين، فإما أن يهتدي الواحدُ منهم أو يتزندق، والعياذ بالله.!

۞ **ومنها**: أنهم يكتشفون كل يومٍ أدلة جديدة تناقض مذهبهم فيتعسّفون في ردها، لكن تغلبهم مع كثرتها وقوتها وتظافرها..! ولا يكون منهم إلا المكابرة تلوَ المكابرة حتى يستيقنوا في قرارة أنفسهم أنهم مكابرون، ولكن يطبع الله على قلوب كثير منهم فهم لا يرجعون، ومن ذلك ما يطلعون عليه مثلا من أقوال لبعض علماء «الدعوة النجدية» الذين يعظمونهم في أول الأمر، ثم يكفرونهم (لا يبعُد أن يكفرهم المخلف فيما بعدُ إن استمر على هذا الطريق ولم يتداركه الله برحمته) تخالف ما ذهبوا إليه، بل وأقوالٍ للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» نفسه، بل وشيخ الإسلام «ابن تيمية»، وغيره من العلماء والأئمة، ومن ذلك ما يرونه منهم إما من نصوص كلامهم أو من مسطور سيرهم من سماحةٍ وإعذارٍ للمخالفِ ورحمة بالجاهلين، فيظلون زمنًا يتعسّفون في ليّ أعناق أقوالهم ومواقفهم المحكمة، لكن يضعف في قلوبهم احترامُهم ومحبتهم، ثم ينتقلون إلى التشكيك فيهم، ويهابون تكفيرهم زمنًا؛ لأن عامة ضلالتهم انبنت على فهمٍ سيءٍ لأقوال هؤلاء الأئمة، ويخافون من ظهور تناقضهم والافتضاح

أمام الناس، ثم قد يصلون إلى درجة لا يبالون بشيء ويكفرونهم كما ذكرنا.

۞ **ومنها**: أنهم مع مرور الوقت أيضا يكتشفون كثرة وقوة مناقضتهم لمقاصد الشرع ومبانيه وأصول الدين المتقررة بأنواع الدلالات غير النصية؛ فإنهم يجدون أن الشرع يميل إلى العذر ويتشوّف إليه، ويكثر من مدحه والحث عليه، كما قال النبي ﷺ: (**وليس أحدٌ أحبَّ إليه العذرُ من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**) متفق عليه وهذا لفظ مسلم[1]، كما يتشوّف إلى التيسير والسهولة والتخفيف، وهم بعكس ذلك كله، فيوجب لهم ذلك تأنيبَ ضمير مضافا ومكررًا، حتى ليصل الحالُ ببعضهم إلى أن يكره أن يسمع أو يقرأ من القرآن والحديث آيات وأحاديث التيسير والعذر والتخفيف ونحو ذلك..! وهذا هو شأن صاحب البدعة والفسوق (وهو الخروج عن طاعة الله ﷻ وصراطه المستقيم) أنه يصير عنده حرجٌ من الآيات والأحاديث التي تخالف بدعته وفسقه، فيدخل بذلك تحت طائلة قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء]، وقد ذكر هذه الفائدة «ابنُ القيم» في بعض كتبه، ونقل في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» عن ابن أبي حاتم وعبد الله بن الإمام أحمد في كتابيهما «السنة»، أنهما رويا عن الجهم بن صفوان أنه تلا قوله ﷻ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه]، فقال: «لو وجدتُ السبيلَ إلى أن أحكها من المصحف لفعلتُ»[2]، نسأل الله العافية والسلامة والتثبيت على الحق.. آمين.

قال ابن القيم ﵀ في كتابه «الفوائد»، عند كلامه على أنواع هجر القرآن: «وكذلك الحرجُ الذي في الصدور منه؛ فإنه تارة يكون حرجا من إنزاله وكونه حقا من عند الله، وتارة يكون من جهة التكلم به أو كونه مخلوقا من بعض مخلوقاته ألهم غيرَهُ أن تكلم به، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات، وتارة يكون من جهة دلالته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة، وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة فهي ثابتة في نفس الأمر أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة، فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدونه في صدورهم، ولا تجد مبتدعا في دينه قط إلا وفي قلبه حرجٌ من

---

(١) صحيح البخاري (٧٤١٦)، صحيح مسلم (٢٧٦٠).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢ / ٢٢٥).

الآيات التي تخالف بدعته كما أنك لا تجد ظالما فاجرًا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء»[(١)] اهـ.

فصلٌ

وكل ذلك -أيها الإخوة- مصداقٌ لحديث النبي ﷺ: (**هلك المتنطعون**) قالها ثلاثا ﷺ، رواه مسلم وأحمد وأبو داود[(٢)]، قال في «النهاية في غريب الحديث»: «هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا»[(٣)] اهـ، قال العلماء: وهذا إما أن يكون دعاءً أو خبرًا؛ فإن كان دعاء فدعاؤه ﷺ مستجاب، وإن كان خبرًا فخبره صدق وحق لا يتخلف، فقد أخبر أنهم هالكون لامحالة.! والعياذ بالله.

وقال ﷺ: (**إن هذا الدينَ يسر ولن يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه**) رواه البخاري والنسائي[(٤)]، أي إلا غلبه الدينُ؛ فيصير الإنسان مغلوبا، لا يقدر على حمل هذا الدين والقيام به، لماذا؟ لأنه شادَّ الدين أي أخذه وتناوله وتعاطاه بالشدة وحاول أن يغلبَ الدينَ ويكون شديدا فيه ومعه، مع أنه دينٌ يسر سهلٌ سمحٌ.

وقال ﷺ: (**إياكم والغلوّ في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**) رواه أحمد والنسائي وغيرهما[(٥)]؛ فانظر كيف أخبر النبي ﷺ أن سبب هلاك من قبلنا من الأمم غلوهم في دينهم.

وقال ﷺ: (**بعثتُ بالحنيفية السَّمحة**) رواه أحمد والطبراني[(٦)]؛ فهو دينٌ سمحٌ سهل يسير، ليس فيه مشقة خارجة عن المعتادِ بحيث توقع المسلم في حرج وضيق وتعنّتٍ؛ كما قال الله ﷻ وتبارك وتعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج]، وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ

---

(١) الفوائد (١ / ٨٢).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٧٠)، مسند أحمد (٣٦٥٥)، سنن أبي داود (٤٦٨٠).

(٣) النهاية (٥ / ٧٤).

(٤) صحيح البخاري (٣٩)، سنن النسائي (٥٠٣٤).

(٥) مسند أحمد (٣٢٤٨) وصحح إسناده الأرنؤوط وأحمد شاكر، سنن النسائي (٣٠٧٥)، سنن ابن ماجه (٣٠٢٩) وصححه الألباني.

(٦) مسند أحمد (٢٢٢٩١)، المعجم الكبير (٧٨٦٨)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٩٢٤).

بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾[البقرة] أي لأوقعكم في العنت وهو الضيق والشدة والمشقة العظيمة القاهرة، أي ولكنه لم يفعل بل كان بكم رحيما لطيفا يسر عليكم ولم يكلفكم إلا ما تطيقون من الأعمال في معتاد أحوال البشر، والحمد لله رب العالمين.

وقال ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي لوقعتم في العنت وهو الضيق والشدة الشديدة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾[الحجرات]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة معروفة والحمد لله.

والمقصود: التحذير من حال هؤلاء بضرب الأمثال، وتعريف إخواننا الطيبين سوءَ أحوالهم ووخامة مآلهم، وما يحتوون عليه من تناقضات تؤدي بهم إلى الكفر الصريح في كثير من الأحيان، وإلى المروق الصريح من الدين بالفسوق والعصيان الواضح.. لهذا عنون الشيخ «أبو محمد المقدسي» - فرج الله عنه، وهو الخبير بهم العارف بطرق ضلالاتهم- كتابه «الرسالة الثلاثينية» بـ«رسالة الجفر في أن الغلو في التكفير يودي إلى الكفر»[1].

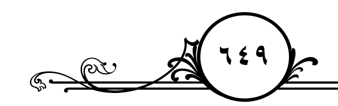
ولا شك أن هذا الذي عليه هؤلاء القوم ليس هو حال «المسلم» الذي وصفه القرآن والسنة، ولا هذا الدين هو دين الإسلام كما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه.

لا والله.. إنما هؤلاء مارقون، مرقوا من الدين من باب الغلوّ والتشدد والإفراط والزيادة في الدين، كما أن العلمانيين والمتزندقة الملحدين العصريين وأمثالهم مرقوا من الدين من باب النقصان منه والتفريط فيه والترك له اتباعا لشهواتهم، وهذان هما سبيلا الشيطان؛ لإخراج الناس من النور إلى الظلمات؛ كما قال بعض السلف: «ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر؛ إما غلو فيه، وإما تقصير عنه»[2]، وانتظروا وسوف ترون بأم أعينكم كيف يؤول إليه حال هؤلاء المفتونين المارقين المخلف وأتباعه، إن استمروا في هذا الطريق ولم يتداركهم الله برحمته، ووالله لقد رأيناهم وجربناهم في أكثر من بلدٍ يتركهم الطواغيت المرتدون يرتعون ويسرحون ويمرحون في البلاد لا يمسونهم بسوء، رأينا ذلك بأم أعيننا وجربناه في ليبيا في أواخر الثمانينات من القرن الإفرنجي الماضي، حين كانت الحملات على الإخوة الملتزمين على أشدها من قبل الطاغوت القذافي وزبانيته

---

(١) هي «الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير» وقد سماها الشيخ بـ«الجفر» لأنه فرغ من تبييضها في معتقل «الجفر».

(٢) قاله مخلد بن الحسين، ينظر: سير أعلام النبلاء (٩ / ٢٣٦).



واستخباراته، ومع ذلك كانوا يتركون الخوارج «التكفيريين» ولا يقربونهم بل يفسحون لهم كل مجال، لماذا؟ لأنهم يدركون أنهم يقدمون لهم خدمة مهمّة، وأنهم لا يشكلون أي خطر عليهم، بل هم أعوانٌ لهم في الحقيقة على المسلمين المستضعفين.!! كيف لا وصفتُهم التي وصفهم بها الصادق المصدوق أنهم (**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**)[1].

وهكذا سمعنا عنهم في أماكن وبلدان أخرى، والقصص متشابهة في كل مكان، وسترون ذلك في هؤلاء أيضا؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار، وهذا لعمر الله برهانٌ لمن كان له قلبٌ وتدبّرٌ وإرادة للحق، إذ كيف يرضى الطاغوتُ عنهم ويتركهم يسرحون ويمرحون في البلاد، لو كانوا على الحق وجادّة التوحيد وطريق محمدٍ ﷺ.! لكن الطاغوت يدرك أنهم بذرة فساد في «الجماعة المسلمة» أي في وسط المسلمين، فيتركهم يفسدون وربما دعمهم وفسح لهم وأمدّهم في طغيانهم ليضرب بهم المسلمين.! وحسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنفال].

وهذه كانت مقدمة نصحا لإخواننا وتذكيرا وتنبيها لمن أراد أن يتعظ ويعتبر، فإن العاقل من اعتبر بغيره، واتعظ، ولا يجرب كل شيء بنفسه، إذن لهلك الناسُ كلهم لو أراد كل أحدٍ أن يجرب كل شيء..! والسعيد من وقيَ الفتن، فاجتنبوا الفتن، وابتعدوا عنها وعن أهلها، واعتصموا بالله ﷻ وأكثروا من الدعاء والإلحاح على المولى ﷻ أن يمن عليكم بالهداية والسداد، فإن التوفيق كله بيد الله ﷻ وحده لا شريك له.

وأنبه إلى أن المقصود مما تقدم هو الكلام على صفات وأحوال ومآلات أمثال هؤلاء وجنسهم وضئضئهم، ولا يلزم منه أني أحكي عن هؤلاء المفتونين الحاليين الآن كل ما ذكرته من تفاصيل؛ فقد يكون فيهم الآن قليلٌ أو كثير مما ذكرنا، وهم على خطرٍ عظيم، فليعتبر المعتبرون وليتفكرْ أولو الألباب، نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٤، ٧٤٣٢)، صحيح مسلم (١٠٦٤).

فصلٌ

والعصمة من فتنة هؤلاء المفتونين المارقين تكمن في أمورٍ مهمة منها بعون الله ﷻ ما يلي:

الأول: التمسك بالإيمان الجُملِيّ، ولْيَقُل الإنسان في التفاصيل والفروع التي لا يعلمها ولم يقف على علم فصلٍ فيها، ولا حررها ولا حققها: لا أعلم، ولا أدري، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها؛ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «يا أيها الناس مَن علم شيئًا فليقل به، ومَن لم يعلم فليقُل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾[ص]» متفق عليه[(١)].

واعلموا أن هذا أصل عظيم من أصول منهج الإسلام والصراط المستقيم.. فإن المطلوب من العبد ابتداءً هو الإيمان الجُملي، وهو الاستجابة المبدئية لله والرسول، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لأن معناها: التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، وخلع كل معبود سواه والكفر به، واتباع نبيه ورسوله محمد ﷺ في كل ما جاء به، وتصديقه في كل ما أخبر؛ هذا هو الإيمان والتوحيد والإسلام الجملي.

ثم التفاصيل تأتي تباعًا بحسب العلم، وهي درجات، وليست كل الفروع وتفاصيل الإيمان وشعبه في درجة واحدة كما دل عليه حديث: (**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة فأعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**)[(٢)] وغيره من الأدلة، وهذه مسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم؛ فالإيمان التفصيلي يختلف من شخص إلى آخر بحسب العلم، أي بحسب بلوغ العلم للشخص، واجتهاده وتعلمه ومعرفته بما جاء به النبي ﷺ، وبما دلت عليه شريعته، فالعالم غير العامي الجاهل، والمتخصص في علوم الدين والشريعة غير الفلاح الأمي في مزرعته، والعجوز الفانية في قريتها.. وهكذا؛ فمن وصله العلم بمسألة وتحققها وحررها وعرف أنها صحيحة النسبة إلى دين الله ﷻ بأن عرف دليها من الكتاب والسنة إن كان هو من أهل العلم والنظر والفهم للكتاب والسنة ومعرفة الدلالات، أو بأن سأل عالما موثوقا في دينه وعلمه فدله عليها وشرحها له فتلقاها منه وأخذها عنه، فهذا يجب عليه أن يؤمن بهذا العلم الذي دل «الدليل» على أنه من دين الله، تحليلا أو تحريما، خبرا

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٠٩)، صحيح مسلم (٢٧٩٨).

(٢) صحيح مسلم (٣٥) بالشك: (بضع وسبعون أو بضع وستون).

وقضاء، ووعدا ووعيدا.

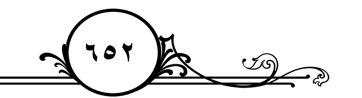
وأما مَن لم يصله العلم (لم يبلغه) فإنه لا يجب عليه، وقد يجب عليه البحثُ والتعلم والطلب والسؤالُ، ويُؤاخَذُ على التقصير، وقد لا يجبُ؛ فالعلم منه الواجب العيني ومنه الكفائيّ والمستحبّ، وهكذا، والمقصود أن الوصية الكبرى للإخوة أن يتمسكوا بالإيمان الجملي، إيمان العجائز إن شئتم..! ويتركوا ما لا يستطيعون فهمه وتحقيقه من المسائل إلى أهلها المتخصصين من أهل العلم، ويقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران: ٧] ويكلوا ما لم يفهموه وما لم يقفوا على تحقيقه إلى الله ﷻ، والله سبحانه يفتح عليهم بالتوكل والصبر والصدق في البحث والطلب، وبإتيان الأمور من أبوابها، وعدم الاستعجال المذموم.

فأوصي إخواني بالحذر من هؤلاء المفتونين والبُعد عنهم والمتاركة لهم، ولا يسمعوا لهم ولا يجادلوهم ولا يماروهم إلا مراءً ظاهرًا إن كان لا بدّ، وليصبروا وليثبوا على دين الله ﷻ، ولا يستعجلوا في السعي في مناظرتهم أو تحصيل الجواب على كل إيراداتهم، وليتمسّكوا بالمحكمات الواضحات البيّنات في دين الإسلام، وليقتدوا بالأئمة الراسخين في العلم وما عليه عمومهم وليحذروا من الشذوذ والتفرد، وليكلوا علمَ ما لم يعلموه إلى الله ﷻ، والله يفتح عليهم.

قال ابن القيم ؒ: «وقال لي شيخ الإسلام ؓ وقد جعلت أُورد عليه إيرادًا بعد إيرادٍ: «لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها؛ فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرًّا للشبهات» أو كما قال؛ فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك، وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها؛ فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر؛ فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين؛ فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقتها».. إلخ كلامه فانظره بتمامه في «مفتاح دار السعادة»[1] وتأمّله فإنه حكمةٌ.

الثاني: تدبروا أحاديث الإيمان وانظروا فيها وتأملوها، وانظروا كيف كان الرجل يأتي إلى النبي ﷺ فيقول له: «ما الإيمان؟» فيقول مثلا: **(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**

(١) مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١٤٠، ١٤١).



وتؤمن بالقدر خيره وشره)(١)، وقال النبي ﷺ لرجلٍ: «(**أسلم تسلم**)، قال: وما الإسلام؟ قال: (**أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**)، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: (**الإيمان**)، قال: وما الإيمان؟ قال: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت**)، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: (**الهجرة**)، قال: وما الهجرة؟ قال: (**أن تهجر السوء**)، قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: (**الجهاد**)، قال: وما الجهاد؟ قال: (**أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن**)، ثم قال رسول الله ﷺ: (**عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما قالها ثلاثا: حجة مبرورة أو عمرة**)»(٢).

وفي حديث آخر: «قيل لرسول الله ﷺ: ما الإسلام؟ قال: (**إطعام الطعام وطيب الكلام**) قيل: فما الإيمان؟ قال: (**السماحة والصبر**)، قيل: فمن أفضل المسلمين إسلاما؟ قال: (**من سلم المسلمون من لسانه ويده**)، قيل: فمن أفضل المؤمنين إيمانا؟ قال: (**أحسنهم خلقا**)، قيل: فما أفضل الهجرة؟ قال: (**من هجر ما حرم الله عليه**)، قيل: أي الصلاة أفضل؟ قال: (**طول القنوت**)، قيل: أي الصدقة أفضل؟ قال: (**جهد مقل**)، قيل: أي الجهاد أفضل؟ قال: (**أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك**)، قيل: أي الساعات أفضل؟ قال: (**جوف الليل الغابر**)»(٣)، وكلها أحاديث صحيحة، ونحوها كثير معروف..

فانظروا إلى هذا الدين ما أسهله وما أكمله وما أحكمه، وما أبعده عن وسوسة المُوَسوِسِين وهرطقة المهرطقين وسفسطتهم، وإنه دين الأميين ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[الجمعة: ٢]، ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾[الأعراف: ١٥٨]، (**نحن أمة أمية لا نحسب؛ الشهر هكذا وهكذا وهكذا**)(٤).

وقارنوا بما ترونه من تنطع هؤلاء المفتونين وتشديدهم وتصييرهم الدينَ كأنه قانون وضعيّ وضعوا له من عند أنفسهم حدوده ورسموا له سطوره، فمن خالف شيئا مما رسموه اعتقدوه خارجا عن الدين، قاتلهم الله أنى يؤفكون.! فهؤلاء المفتونون يقعّدون قواعد من عند أنفسهم ويضعون حدودا لدين الله ﷻ ويصوغونها بعبارات مستحدثة، يحاكمون الخلق إليها فمن دخل فيها دخلوا فيه

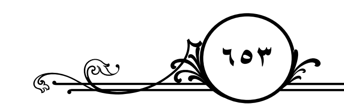
---

(١) صحيح البخاري (٥٠)، صحيح مسلم (٨).

(٢) مسند الحارث (١٣)، شعب الإيمان (٢٢)، وقال الألباني في: تحقيق الإيمان (ص ٥): «صحيح بشواهده».

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٦٤٣)، وصححه الألباني في: تحقيق الإيمان (ص ٧).

(٤) صحيح البخاري (١٩١٣)، صحيح مسلم (١٠٨٠) كلاهما بلفظ: (إنا أمة لا نكتب ولا نحسب..) الحديث.



فهو المسلم وما لا فهو كافرٌ..!

وهذا شأن أهل الأهواء والبدع دائما، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالا يجعلونها واجبة في الدين؛ بل يجعلونها من الإيمان الذي لا بد منه، ويكفرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم، وأهل السنة لا يبتدعون قولًا، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ وإن كان مخالفا لهم مستحلا لدمائهم»[1] اهـ.

الثالث: المعرفة بالشر لِتَتَّقوه، والاتعاظ والاعتبار بالأشباه والنظائر؛ كما شرحتُ لكم شيئا من ذلك في أول هذا الجواب، فمن لم يتعظ ولم يعتبر، فلا يلومنَّ إلا نفسه؛ ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾[النساء].! فمعرفة حال هؤلاء موجِبٌ للعاقل أن ينفر منهم، ويعرف العاقل اللبيب المريد للخير والحق والهدى أن هؤلاء مجانبون لدين النبي ﷺ وهديه وطريقته وسنته، وليسوا منها في شيء.. فينفر منهم ويجانبهم ويجانب طريقتهم، ولا يجعل لهم على نفسه سبيلا بالوسوسة والتشكيك.

الرابع: التمسك بالمحكمات الواضحات البينات القطعيات المعلومات من الدين، ثم ما أشكل من مسائل وما يَرِدُ على الإنسان من «استشكالات» -أي مسائل يستشكلها ويحار فيها ولا يعرف كيف الجواب عليها-؛ فعليه ألا يتسرع في الجواب عليها أو قبول جواب من القوم الضالين المفتونين، بل يصبر وينتظر حتى يتثبت ويسأل أهل العلم والثقة؛ فإن فتح الله عليه بعلم ما لم يكن يعلم، وبزوال الإشكال واتضاح الأمر، فليحمد الله، وإلا فليحمد الله أيضا، فإن الله عز وجل هو المحمود على كل حال، وهو المتفرد بالحمد كله، وليصبر وليكل علم المسألة إلى الله سبحانه وتعالى وليقل: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، ولا يضره، وليقل: يا ربِّ لو أعلم أين الحق وأين الصواب وأين ما تأمر به وتحبه لاستجبت له واعتقدته وعملتُ به جهدي وطاقتي؛ فهذا هو الدين وهذا هو التوحيد، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران].

الخامس: المعرفة بأن هؤلاء القوم الخوارج المارقين المفتونين أعاذنا الله وإياكم من حالهم وسبيلهم، مبنى طريقهم الضال على: التشدد في الدين والتعمق الذي ذمته الشريعة وحذرت منه ونهى عنه الله ورسوله ﷺ، وعلى التنطع، والتنطع معناه ما تقدم: التشدد والتعمق المذموم والتكلف وعدم

---

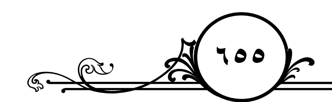
(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٢١٢).

الاكتفاء بما سهله الله ويسره ومنَّ به من اللطف والتيسير، بل أن يطلب الإنسان الأشد والأقسى والأوعر، ظانا في نفسه القدرة على ما لا يستطيعه سائرُ الناس، وغالبا ما تكون وراءه شهوة خفية في طلب التميُّز على الناس والغلبة للأقران.. وكل هذا خلاف سنة النبي ﷺ وهديه وسيرته وخلقه، قال البخاري ﵀ في صحيحه في «كتاب الأنبياء»: «باب صفة النبي ﷺ»، ثم ساق أحاديث منها حديثُ عائشة أم المؤمنين ﵂: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله؛ فينتقم لله بها»[1].

السادس: معرفة أن من أصول ضلال هؤلاء القوم المارقين أنهم لا يفرقون بين درجات المسائل ومراتب الأدلة وإن زعموا خلاف ذلك فالواقع يكذبهم تكذيبا صريحا، وينزّلون الظنيات منزلة القطعيات كما ذكره علماؤنا ﵏ عن «الخوارج»، وأنتم ترون كيف يسمّون استدلالاتهم المتهافتة «قواطع» و«الأدلة القاطعة» ونحو ذلك.! وترون كيف يسارع «المخلف» المفتون إلى حكاية الإجماع كذبا وزروا في كثير من المسائل، وترون كيف هم بعيدون جدا عن طريقة أهل العلم من السلف الذين يقولون: نظن كذا ونرى كذا، ونحسب، ونخشى، ويعجبنا كذا ولا يعجبنا كذا، حتى تمثّل بعضُهم (منهم الإمام مالك) بهذه الآية حين سئل عن بعض المسائل: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ [الجاثية]، وسيجيبكم هؤلاء المفتونون الزائغون بالقول: إن هذا إنما هو في مسائل الفروع الفقهية وفروع الأحكام الشرعية الاجتهادية، وهذا حق، ولكن من الحق أيضا أن كثيرا من المسائل التي يتبناها هذا «المخلف» وأتباعه الزائغون إنما هي مسائل فقهية فرعية اجتهادية، وعلى رأسها أمُّ مسائلهم (كسابقيهم من جماعات «التكفير والهجرة» و«الخوارج المعاصرين» يبدؤون الانطلاق من هذه المسألة) وهي مسألة «العذر بالجهل»، فهذه مسألة فقهية ينظر فيها الفقيه، وهم يجعلونها من مسائل «أصول الدين والاعتقاد» ومن قواطع مسائل التوحيد.

وكذا مسألة «مَن لم يكفر الكافر أو شك في كفره»، أعني تطبيقاتها وفروع تفاصيلها في الواقع، وكذا مسألة «هل الكفر والشرك شيءٌ واحدٌ، أو بينهما فرقٌ وما هو الفرق؟»، وغيرها من المسائل عامتها مسائل فقهية من مسائل الأحكام الشرعية، علمها مَن علمها وجهلها من جهلها، ويتفاوت الناس في تحقيقها والعلم بها، وسائرها مسائل اجتهاد لا يزال العلماء قديما وحديثا يختلفون فيها أو في

(١) صحيح البخاري (٣٥٦٠).



تنزيلها على الوقائع والأعيان، ولا يوجب ذلك تفرقا ولا تنازعًا ولا مشاحنة، بل قلوبهم سليمة متوادة متحابة، يعذر بعضهم بعضًا، وإنما الجهالُ الضلال الذين يضيقون ذرعا بمن يخالفهم في «قطعياتهم المزعومة» هم الذين يوالون ويعادون ويضللون ويكفرون وَفق ما أملته عليهم أهواؤهم الزائغة وعقولهم المنحرفة:

خفافيش أعماها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم[1]

وإذا تأمل مريدُ الخير وطالب الحق ورضى الرحمن ﷻ ضلال هؤلاء القوم يجده مبنيًا على مجموعة مسائل من أهمها هذه المسائل الثلاث المشار إليها أعلاه.

وبالجملة هي المسائل الآتية:

۞ مسألة العذر بالجهل

فهم يقولون: لا عذر بالجهل في أصل التوحيد، ويجعلون نفس اعتقاد ذلك من أصل التوحيد؛ فمن لم يعتقد ذلك كان كافرًا عندهم، يعني أن من خالفهم في مسألة العذر بالجهل فهو كافرٌ خارج من ملة الإسلام، فجعلوا هذه المسألة نفسها من أصل الدين الذي يكفر مخالفه ولا يُعذر فيه باجتهاد ولا جهل ولا أي شيء، فيقولون مثلا: الشيخ «أبو قتادة الفلسطيني» كافرٌ لأنه يعذر المشركين بالجهل.!! كذا يقولون، مع أن هذا ليس تقريرا صحيحا لمذهب «أبي قتادة»، بل تقريرهم هذا تزويرٌ وتهويلٌ خادِعٌ، والصحيح أن نقول: أبو قتادة (وغيره من العلماء وهم كثيرٌ من علماء الأمة) يرون أن المسلم الذي ثبت له عندنا عقدُ الإسلام، إذا ارتكب شيئا من الشرك الأكبر جاهلا، وصحَّ الجهلُ، أنه لا يكفر (أي لا نحكم عليه بالكفر والخروج من الملة) بمجرد ذلك، بل حتى تقام عليه الحجة فيخالفها، هذا قولهم، وهو أحدُ الأقوال في المسألة وأقواها، على تفاصيل وقيود لا بد منها تعرَف في محلها.. فهذا تقرير كلام علمائنا، وليس مقصودنا هنا تقرير المسألة وذكر تفاصيل أدلتها والخوض في الترجيح بين أقوال المتنازعين فيها، فهذا صعبٌ ويطول جدا وله محله، وإنما المقصود بيان أصل من أصول ضلال هذه الفرقة المارقة، وأنهم حينما أقحموا مسألة لم يزل الخلاف قائما فيها بين العلماء فيما أسموه أصول الدين وقواعده واعتقدوا قطعيتها، ولم يفرقوا بين ارتكاب الشرك والتلبس به وبين الكلام على مرتكبه وإعذاره أو عدم إعذاره، وجعلوا التفريق بين الكفر والشرك في هذا أصلا من أصول الدين كذلك واعتقدوا قطعيته، ارتطموا بهذه البلية ووقعوا في هذا الورطة فسهل عليهم تكفير الأمة والأئمة.!

---

(١) قاله ابن الرومي، كما في: ديوانه (١ / ٩٣) ولفظه: خفافيش أعشاها نهار بضوئه... ولاءمها قطع من الليل غيهبُ.

وقد يجعلُ بعضُهم هذه المسألة من «المسائل الخفية» حسب تصنيفاتهم، ولكنهم لا يلبثون طويلًا حتى يكفروا العلماء الذين خالفوهم فيها بدعوى أنه قد قامت عليهم الحجة، ولذا يكفرون مَن يوافقهم في مسألة العذر بالجهل، كالشيخ «أبي محمد المقدسي» والشيخ «عليّ الخضير» والشيخ «الفهد» والشيخ «حمود العقلاء» وأمثالهم، وكالشيخ «حامد العلي» والشيخ «عبد القادر بن عبد العزيز» وغيرهم كثير، مع أن هؤلاء كلهم يقولون بعدم العذر بالجهل في مسائل أصل الدين (الشرك الأكبر)، لكن المخلف وأتباعه يكفرونهم لأنهم -عندهم- وإن كانوا يقولون بعدم العذر بالجهل في أصل التوحيد لكنهم عذروا المخالف في هذه المسألة واعتبروها مسألة اجتهادية، ولم يكفّروهم.! فيقولون: هم كفارٌ لأنهم لم يكفروا الكفار، وقد قامت عليهم الحجة زعموا..!

۞ مسألة التفريق بين الكفر والشرك

(على النحو الذي يقوله المخلف)، لأن المسألة فيها تفصيل لعل الله ﷻ ييسر توضيحه في موضع آخر بحوله وقوته.

۞ مسألة «من لم يكفر الكافر أو شك في كفره فهو كافر»

وهي مسألة صحيحة، لكن على معناها الذي قصده العلماء الذين قالوها وسطروها، وهي مشروحة في مواضع كثيرة من كتب أهل العلم وشرحتها في بعض ما كتبتُ من كتابات منشورة والحمد لله، وللشيخ «ناصر الفهد» شرح ميسر لها في رسالة[١]، وكذا للشيخ «أبي محمد المقدسي»[٢]، ولغيرهما كثير جدا[٣]، فيبحث عنه الأخ الطالب للعلم.. وهم (هؤلاء الزائغون: المخلف وأصحابه) ما أسرعَ ما يكفرون مَن خالفهم في تكفير شخص أو طائفة، احتجاجا بهذه العبارة، هذا هو مذهبهم وطريقتهم، وإن جادلوا نظريا بأنهم يعرفون معناها.

وما أبعدَ هذا عن منهج أهل العلم من السلف والخلف ﷺ، أهل الاحتياط والتثبت وقوة الورع وطلب السلامة في الدين، مع علو كعوبهم في الفقه والعلم والبصيرة والقيام بأمر الدين.

---

(١) بعنوان: «حول قاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر» في ورقتين.

(٢) الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير (ص ٢٠٥) وما بعدها.

(٣) هذه القاعدة هي الثالثة من «نواقض الإسلام العشرة» التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ، وعامة من شرح هذه النواقض -وهم كُثر- فَصَّل فيها، ومن هذه الشروح: مذكرة في شرح النواقض لعلي الخضير (ص ٤)، التبيان للعلوان (ص ٢١)، الإعلام للطريفي (ص ١٧)، شرح النواقض للعنزي (ص ١٢، ١٣).

ولنشر هنا إلى مثالين نكتفي بهما إلى أن ييسر الله موضعا لمزيد البسط، وهما: ابن عربي الصوفي الملحد الزنديق، والعلامة ابن حجر الهيتمي الفقيه الشافعي.

فهذا ابن عربي صاحب عقيدة الحلول والاتحاد الذي لا تخفى شطحاته وشناعاته على بداءة العقول؛ حتى ليستبشعها ويستعظمها العامة قبل الخاصة، وكتبه تنضح بها، وهو يؤصل لمذهبه الإلحادي تأصيلًا مستمرًا، ويكفي منها قوله:

الرب حق والعبد حق	يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت	أو قلت رب أنى يكلف[1]

تعالى الله عما يقول هذا الظالم علوًّا كبيرا..

وهو يكتب ما يكتبه من كفرٍ وزندقة بوعي وإدراك وتفنن، وليس ما سطره عباراتٍ عابرةً أو سبق قلم أو زلة عالم أو اجتهاد خاطئ، ومع ذلك اختلف العلماءُ في تكفيره، وتجد بعض الأئمة الراسخين في العلم الذين لهم قدم صدق في الأمة حينما يذكرون اسم هذا الملحد يبجلونه ويعظمونه فيلحقون باسمه عبارات «قدس الله روحه» ونحوها ويصفونه بالعارف بالله وبالشيخ الأكبر، كما يفعل الإمام «الألوسي» في تفسيره[2].

وهؤلاء الأئمة مع رسوخ علمهم ودقة فهمم إلا أنهم يجعلون عقولهم أقصر وأقل من أن تدرك معاني عبارات هؤلاء الملاحدة؛ فيقفون أمامها موقف العاجز المستسلم الذي يجعل صحة كلامهم هي الأصل المقطوع ولو كان غاية في البهتان والشناعة؛ فإن وجد له تخريجا وتأويلًا فبها وإلا قال القوم أدرى بما يقولون، فانظر مثلًا إلى هذه القصة التي يذكرها الإمام «الألوسي» عن رأس الإلحاد «ابن عربي»: «وقد سمعت من بعضهم -والعهدة عليه- أن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره وقع يومًا عن حماره، فرضت رجله فجاؤوا ليحملوه فقال: أمهلوني فأمهلوه يسيرًا ثم أذن لهم فحملوه فقيل له في ذلك فقال: راجعت كتاب الله ﷻ فوجدت خبر هذه الحادثة قد ذكر في الفاتحة، وهذا أمر لا تصله عقولنا!»[3] انتهى كلام «الألوسي».. فهل رأيتم العلماء المكفرين لابن عربي -وما أكثرهم- يكفرون أعيانَ مَن لم يكفره من إخوانهم العلماء، وما أكثرهم أيضًا؟ بل هل كفروا حتى مَن لم

---

(١) عزاهما له في «الفتوحات المكية» شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ كما في: مجموع الفتاوى (٢ / ٢٤٢)، وجماعات كُثر.

(٢) ينظر: تفسيره (١/ ٤٦٨)، (٤ / ٣٣٧)، (٨ / ٤٨) وقال: «الإمام الأكبر، قُدس سره»!.

(٣) روح المعاني (٤ / ١٣٧).

يرَ ضلال شخص «ابن عربي»، وهل استعملوا معهم قاعدة «من لم يكفر الكافر فهو كافر» أو شهروها سيفًا مصلتًا وسلاحًا فاتكًا في وجه كل من خالفهم ونازعهم في تكفيره وردته؟! وما ذاك إلا لقوّة بصيرتهم وتثبّتهم في العلم واحتياطهم في الدين ومعرفتهم بالأعذار، وقد كان بعض مشايخنا يقول: «كلما رسخَ علمُ العالم كان أبصر بالأعذار وأوسع عذرًا للناس»، وهذا صحيحٌ لمن اعتبره، ولا يخفى أنه مقيّد بقيد الشرع الصحيح والفقه الرجيح على قاعدة تقوى الله ﷻ.

والحاصل.. أن العلماء كانوا يتناظرون في شأن هذا الزنديق «ابن عربي» ويكتبون الكتب في فضح خبثه وإماطة اللثام عن زندقته، وربما وصل الأمر إلى المباهلة في شأن ضلاله، ولكنهم لا يتجاوزون ذلك إلى تكفير مخالفهم في هذا الأمر، كما في القصة المروية عن الحافظ «ابن حجر» ﷀ مع مَن ناظره من محبي «ابن عربي» في شأنه[1].

وهكذا بقيتْ جلالةُ أولئك العلماء المخالفين في شأن زندقة «ابن عربي» على حالها؛ يؤخذ من علمهم، وينتفع بكتبهم، ويُرد عليهم بالعلم والتأصيل فيما حاولوه من التوسع الشنيع في الاعتذار لهؤلاء الزنادقة، ولم يكن ذلك سببا في تكفيرهم ولا داعيًا إلى تضليلهم، إلا عند سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان المارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية.!

وأما ابن حجر الهيتمي؛ فإنه كان متصوفًا كذلك معظما لـ«ابن عربي» المذكور، وكان مناضلا عن أهل شرك القبور؛ جوّز في بعض كتبه الاستغاثة بغير الله ﷻ ودافع عن المشركين المستغيثين بغير الله من الأولياء وأضرحتهم، وشنّع على شيخ الإسلام «ابن تيمية» وحط عليه ووقع فيه وقوعًا شديدًا، ولعله كفره أيضًا أو قاربَ، وطامّاته في هذا الباب معروفة، ومع ذلك لم يكفره العلماءُ واعتذروا عنه بما له من تأويل وعظيم فضلٍ ورسوخ قدم في العلم والفقه، ومنهم علماء «الدعوة النجدية» كما في «الدرر السنية» في رسالة الشيخ «عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب» ﷫، التي مطلعها:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد: فإنا معاشر غزو الموحدين، لما منَّ الله علينا -وله الحمد- بدخول مكة المشرفة نصف النهار يومَ السبت، في ثامن شهر محرم الحرام، سنة ١٢١٨ هـ، بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو «سعود» الأمان.. -إلى أن قال:- فإن قال قائل منفرٌ عن قبول الحق والإذعان له: يلزم من تقريركم، وقطعكم في أن من قال: «يا رسول الله أسألك الشفاعة» أنه مشرك مهدر الدم؛ أن

---

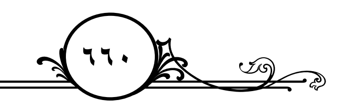
(١) مصرع التصوف (ص ١٤٩، ١٥٠).

يقال بكفر غالب الأمة، ولا سيما المتأخرين، **لتصريح علمائهم المعتبرين: أن ذلك مندوبٌ، وشنوا الغارة على من خالف في ذلك!** قلت: لا يلزم، لأن لازم المذهب ليس بمذهب، كما هو مقرر، ومثل ذلك: لا يلزم أن نكون مجسمة، وإن قلنا بجهة العلو، كما ورد الحديث بذلك. ونحن نقول فيمن مات: تلك أمة قد خلت؛ ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبرًا معاندًا، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات؛ وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته مَن هذه حاله، ورضاه به، ولتكثير سواد من ذكر، والتأليب معه، فله حينئذ حكمُهُ في قتاله، ونعتذر عمن مضى: بأنهم مخطئون معذورون، لعدم عصمتهم من الخطأ، والإجماع في ذلك ممنوع قطعًا؛ ومن شن الغارة فقد غلط؛ ولا بدع أن يغلط، فقد غلط من هو خير منه، كمثل عمر بن الخطاب ﷺ، فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر، وفي غير ذلك يعرف ذلك في سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع، ونبينا ﷺ بين أظهرهم، سارٍ فيهم نوره، فقالوا: «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط».

فإن قلت: هذا فيمن ذهل، فلما نبه انتبه، فما القول فيمن حرر الأدلة، واطلع على كلام الأئمة القدوة، واستمر مصرًا على ذلك حتى مات؟! قلت: ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر، ولا نقول: إنه كافر، ولا لما تقدم أنه مخطئ، وإن استمر على خطئه، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته، بلسانه وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه الحجة ولا وضحت له المحجة، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤُ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأسًا، ومن اطلع عليه أعرض عنه، قبل أن يتمكن في قلبه، ولم يزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك، وصولةُ الملوك قاهرةٌ لمن وقر في قلبه شيء من ذلك إلا من شاء الله منهم.

هذا: وقد رأى معاوية وأصحابه ﷺ منابذة أمير المؤمنين علي أبي طالب ﷺ، وقتاله ومناجزته الحرب، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع، واستمروا في ذلك الخطأ، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفيرُ أحد منهم إجماعًا، بل ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد، وان كانوا مخطئين، كما أن ذلك مشهور عند أهل السنة.

ونحن كذلك: لا نكفّر من صحت ديانته وشهر صلاحه وعلم ورعه وزهده وحسنت سيرته وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها، كـ«ابن حجر الهيتمي» فإنا نعرف كلامه في «الدر المنظم»، ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه كـ«شرح الأربعين» و«الزواجر» وغيرهما، ونعتمد على نقله لأنه من جملة علماء المسلمين» اهـ.



وأكتفي بهذين المثالين، خشية التطويل، والأمثلة كثيرة جدا على هذا المنهج المستقيم لعلماء الملة وأئمة الدين. والحمد لله رب العالمين.

۞ **مسألة الأسماء والأحكام**

التي كثيرا ما يتشدقون بها، ولا يفقهون حقيقتها كما سأبيّنه في موضع آخر إن شاء الله ﷻ، فلا يستعجل الإخوة وليصبروا، إن الله مع الصابرين.

۞ **ادعاء الإجماعات والقطع واليقين**

كما أشرنا إلى ذلك.

۞ **وقبل ذلك كله فتنة الله ﷻ لهم وإضلاله سبحانه لهم ومنعه إياهم عن الهدى**

إلا أن يشاء سبحانه، وهو مالكُ الملك جل وعلا، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا إله غيره ولا رب سواه، نسأله ﷻ أن يهدينا وإياهم إلى الحق والصواب والخير والفلاح.. آمين.

السابع: معرفة أن هؤلاء القوم جهلة وكذبة أيضا، وأصحاب أخلاق سيئة فاسدة، وأنهم ما أتوا -في الغالب- إلا من فساد في نياتهم وقلوبهم وأمراض دفينة، من العجب والغرور وطلب العلوّ على الخلق والترفع والكبر، والعياذ بالله.. قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف]، وقال ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾[الأنفال]، وقال ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾[إبراهيم: ٢٧]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾[المائدة].

فأما جهلهم فظاهرٌ جدا معروفٌ؛ فأكثرهم لا يعرف من العلم وفنونه وأدواته شيئا، ولم يطلبوا علما يسمّون به طلبة علم أصلا، ولا أخذوا العلم بطريق صحيح معتبرٍ، ورئيسهم وكبيرهم «المخلف» وإن كان قد عُرف بطلب العلم والتكلم في العلم منذ مدة، إلا أن العلماء وطلبة العلم يعرفون نقصه وعجبه وغروره ومجازفاته وتنطعاته وتحكّمه وخروجه عن أصول العلم، وضعفه في عربيته وفهمه للغة القرآن، ويعرفون أن لم يتلقَ العلم على مشايخ معروفين متقنين، وإنما عمدته على قراءة الكتب، دون أن يكون له تأسيس جيد يمنعه عن الشطط، أو تاريخ حسنٌ في الاعتدال والاستداد وكثرة الإصابة في العلم، واسألوا عنه أهل المعرفة ممن عرفوه وسمعوا له أو قرأوا.. وأما العامة والجهلة من المسلمين فلا يعرفون مقامات الناس في العلم.!

فهذا كبيرهم ورئيسهم ومفتيهم ومعلمهم الضلال، فكيف بالصغار الأتباع، إنهم عبارة عن ظلمات بعضها فوق بعض من الجهالات والعمايات وقلة المعرفة وفقد البصيرة، فضلا عن سائر

الأمراض الظاهرة فيهم لمن عرف حالهم؛ ثم على فرض أن هذا «المخلف» قد طلب العلم ونبغ فيه وحفظ المتون وأتقن الشروح وتفنن، على فرض أن ذلك صحيح، فليس هو بأعلم من «عمران بن حطان» و«قطريّ بن الفجاءة» و«نافع الأزرق» و«نجدة الحروريّ» وأضرابهم من الخوارج الذين ظهروا في أواخر زمان الصحابة ﷺ، والذين قاتلهم عليّ بن أبي طالب ثم الأئمة من بعده، ولا بأعلم حتى من «شكري مصطفى» وبعض أصحابه، بل على أقصى تقدير هو من طبقة الدكتور «أحمد الجزائري» الذي عرفناه في أفغانستان وبيشاور.!

وعمدتهم في كل علمهم: حفظ نصوص علماء الدعوة النجدية والاستغراق فيها، وفي كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في أبواب معينة، مع ضعفٍ واضحٍ في سائر أبواب العلم وآلاته، وتشوّه في تلقّيه.!

واعلموا إخواني أن هذا «المخلف» يتبجّح بأنه يفهم القرآن والسنة حُسنَ الفهم، وأنه يعوّل عليهما مباشرة، ويكثر في كلامه النعي على أهل العلم البُعدَ عن القرآن والسنة والاستدلال بأقوال الرجال، فلا يهولنكم ذلك فإنما هي دعاوى الكلُ يحسِنُها، وإنما مجالُ السبق: التحقيق في العلم وظهورُ حسن الفهم فيه عند أهله وكثرةُ إصابة الحق والاستدادُ في الجملة.

مع أنكم لو تأمّلتم لوجدتم أنه في كثير من هذه المسائل التي اشتهر بها وضلّ فيها دائرٌ بين أمرين:

- إما مقلّد لغيره جارٍ مجراهم بدون تحقيق ولا كبير تمييز..!
- أو مدّعٍ فهمًا مستقلا في الكتاب والسنة (كما يدعيه في مسألة الفرق بين الكفر والشرك، وفي الاستدلال بآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾[النساء: ٤٨] على عدم العذر بالجهل، ونحو ذلك مما سننقضه بإذن الله في موضعه المناسب)، وهو عند التحقيق متعالمٌ مغرورٌ، أُتيَ من سوء فهمه وربما من عُجبه وغروره، ويظن أنه قد استولى على الفهم وإدراك الحقائق..!

وأما الكذب فـ«المخلف» يكذب كثيرا لينصر دينه الضالّ الموضوع، فإنه يكذب في ادعاء أن العلماء مجمعون على عدم «العذر بالجهل» في أصل الدين أو يقول: «في باب الشرك الأكبر»، مع أنه ليس هناك إجماعٌ صحيح عند التحقيق، وهاكم أمهلوا «المخلف» عامًا إن قدر على أن يأتي بحكاية إجماع صريح سالم من القدح في هذا الباب يجبُ التسليم له عند أهل العلم.!

وليتأمل العاقلُ: لو كانت المسألة بهذا القطع والإجماعُ فيها معلومًا فما بال هذه الكتب والأبحاث والدراسات التي تتدفق على المكتبة الإسلامية يوما بعد يوم في هذه المسألة؟! وما بالُ هذا الاختلاف فيها بين العلماء الكبار المعروفين بالتحقيق؟!

بل لو قال قائل إن الإجماع محكيّ على خلافه لكان أقربَ، مع أننا لم نجرؤ على حكاية إجماع في

المسألة.! فقد حكى الإمامُ «ابن حزم الظاهريُّ» (المتوفى سنة ٤٥٦هـ) وهو من أوائل من تكلم في هذه المسألة بتفصيل وتحرير في كتابه «الفِصَل» بعد أن بسط الكلام في المسألة وساق جملة من الأدلة: «قال أبو محمد: وبرهان ضروري لا خلاف فيه وهو أن الأمة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم، وهو أن كل من بدَّل آية من القرآن عامدًا وهو يدري أنها في المصاحف بخلاف ذلك، وأسقط كلمة عمدًا كذلك، أو زاد فيها كلمة عامدًا، فإنه كافر بإجماع الأمة كلها، ثم أن المرء يخطئ في التلاوة فيزيد كلمة وينقص أخرى ويبدل كلامه جاهلًا مقدرًا أنه مصيب، ويكابر في ذلك ويناظر قبل أن يتبين له الحق، ولا يكون بذلك عند أحد من الأمة كافرًا ولا فاسقًا ولا آثمًا، فإذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره فإن تمادى على خطئه فهو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محالة، **وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة**»[(١)] اهـ.

وللفائدة: فإن «المخلف» وأفراخه سيجيبون بأن هذا في غير الشرك، ويذكرون ما أشرنا إليه من أصلهم الفاسد في التفريق بين الكفر والشرك، وأن الشرك لا يُعذَر فيه بالجهل بخلاف الكفر، وهذا جواب فاسدٌ، لأن «أبا محمد ابن حزم» ﵀ لم يفرق بين الكفر والشرك، وعنده أن الجميع بابٌ واحد هنا، ولو كان يفرق لذكر الفرق، بل آخر عبارته صريحٌ في العموم وعدم الفرق فإنه قال: «وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة».. فتبيّن أن عبارة «ابن حزم» هذه قاصمة لظهر المخالفة (المخلف وأتباعه) فإنها كالصريحة في حكاية الإجماع، وهو من أقدم ما يمكن أن يُوجَد من كلام العلماء في المسألة بشكل دقيق مفصل محرر، ولأنه لم يفرق بين الكفر والشرك كما يدعي المخلف، بل صريحُ كلامه عدم التفريق، بل إنه عقد فصلًا في نفس كتابه «الفِصَل» لإثبات أن الكفر والشرك شيءٌ واحدٌ في الدين أي في المعنى الشرعيّ، وردّ على المفرّق بينهما[(٢)]؛ ففيها ردّ لدعوى المخلف الإجماع على التفريق.!

وإن شاء الله سنعود إلى شرح هذا المقام والتعليق على عبارة «ابن حزم» هذه في فرصة أخرى إذا يسر الله ﷻ بمنه وفضله، أعلق فيها على بعض كلام هذا «المخلف» وأنسف أصوله المنحرفة، وأبيّن زيف استدلالاته وعظيمَ تنطعاته وتزويرَه، وبالله وحده التوفيق.

ويكذب المخلفُ في ادعائه أن العلماء مجمعون على أن الشرك غير الكفر على النحو الذي يشرحه

---

(١) الفِصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٣ / ١٤١).

(٢) الفِصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٣ / ١٢٤) قال: «فصحَّ أنَّ الشّرك وَالْكفْر اسمان لِمَعْنى وَاحِد».

هو للناس، وكلامه في ذلك منقوضٌ باطل، كما قدمتُ قبل قليل، وبسط ذلك في الموضع الذي أشرتُ إليه إن شاء الله ﷻ.

ويكذب في أمور كثيرة في العلم والعمل، ومن كذبه في العمل والواقع أنه يقول لأتباعه ويشيعون في الناس أنهم حاججوا الإخوة المجاهدين ومشايخهم وعلماءهم وأنهم أوصلوا إليهم أدلتهم زعموا، وأن المجاهدين لم يجيبوا عليها لأنهم ليس عندهم حجة، وهذا من الكذب المبين؛ فإن المجاهدين أعني قاداتهم وعلماءهم ومشايخهم لا يعرف أكثرهم عن وجود «المخلف» وأتباعه في هذه الدنيا، ولا سمعوا بفتنتهم، ولا عندهم من خبرهم شيء، إلا أن يكون خبرا عابرا مرَّ عليهم من خلال بعض الإخوة أن هناك نفرا ضالين في المكان الفلاني يعتقدون تكفير المسلمين ويعتقدون أن لا جهاد الآن، وكذا وكذا.. ولا أظن أنه وصلهم ما يكتب «المخلف» ولا أتباعه، ولو وصلهم لم ينظروا فيها ولا لهم حاجة في النظر فيها وتضييع الوقت في الاشتغال بها، بل مقامهم أعلى وعندهم ما يشغلهم من فضائل الأعمال وعظائم الفِعال، نصرهم الله وأيدهم، وهم يعلمون أنها فتنة وضلالة إنما هي زوبعة تأخذ قليلا من الوقت ثم تنتهي وتتلاشى، وليست بأشد مما خبَروه وعرفوه قبلها.

فيأتي هذا الكذاب الأشر وأتباعه الجهلة المفتونون ويكذبون على الناس من الجهلة والعجم المساكين ونحوهم فيقولون لهم: هذه حججنا وكتبناها وقلناها للمجاهدين ولم يستطيعوا الرد، فيحتجون بعدم ردّ المجاهدين عليهم، ويكذبون على البسطاء الضعفاء، وما علموا أن المجاهدين لا يردون على أمثالهم -في الغالب- إلا بمثل قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾[الإسراء].. فقاتل الله الكذابين.

ومنهج المجاهدين وعلمائهم ومشايخهم وأنصارهم وسائر علماء الأمة المعروفين بالعلم والصلاح والدعوة إلى الله ﷻ وتوحيده، معروف مشهور مسطور في هذه المسائل وغيرها، فأي حاجة إلى كتابة ردٍّ أو اشتغال بمحاجّة دعيّ كاذب متهوّك، بل هذا مجرد تصور مذهبه والمعرفة به كافية في تيقن بطلانه وأنه ضلالٌ مبين ومروق من الدين.! فليتفطن الأخ المسلم لهذا؛ فليس كل أحدٍ يُرَد عليه ولا كل سائل يُجاب، وهكذا علمنا القرآن والسنة، وقد قيل:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ[1]

وقيل:

(١) نُسبت للشافعي، كما في: الجوهر النفيس من شعر الإمام محمد بن إدريس (ص ٣٨).

لـو كـل كلـبٍ عـوى ألقمتـه حجـرًا لأصـبحَ الصـخرُ مثقـالا بـدينارِ(١)

وهذا فقه معروف يعرفه أهله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾[المائدة: ٤١]، والنبي ﷺ قد قال له ربُّه: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾[ق].

الثامن: لا بد أن يعلم الإخوة الطيبون المريدون للحق والراجون لرحمة الله ﷻ والمبتغون لمرضاته أن العلمَ يؤخَذ عن أهله ومَن عُرفوا به وحصلت لهم التزكية فيه، وعُرفوا بالاستقامة والسداد في الجملة، وصلاح الحال والعدالة والثقة، والبُعد عن الشطط والإفراط والتفريط، والبُعد عن الولوع بالإغراب والتفرّد والشذوذ.

فكيف يسمح مسلمٌ -بل إنسانٌ عاقلٌ أصلًا- لنفسه أن يأخذ دقيق المسائل التي لا يفهمها جيدا، وإنما هو فيها مقلد محضٌ، أو كالمقلد المحض، من شخصٍ لا يعرف مرتبته في العلم ولا تزكية أهل العلم والصلاح والخيرية في الدين له، ولم يبلُه في جهادٍ وعمل صالحٍ، ولا عاشره ولا عرفه بحيث تحصل له الثقة الكاملة في دينه وتقواه وورعه، والحالُ أنه قد خالف سائر العلماء وأهل الخير والصلاح والزعامة والإمامة في المسلمين، وتفرّد وشذ وشطّ..! فأدنى ما يوجِبُ ذلك للعاقل أن يتريّث ولا يتسرع في قبول ما يقوله مثل هذا (كالمخلف ونحوه) ولا يتبنى قولا قد ظهرت عليه علامات الشذوذ والغرابة..!

ولهذا كثر تحذيرُ السلف ﵃ من غرائب العلم والمسائل، ودلت دلائل الشرع على فضل الكون مع «الجماعة» ومع «السواد الأعظم» مهما أمكن، أي في غير المحل الذي اتضح فيه الحقُّ للإنسان اتضاحًا بتًّا؛ فإنه حينئذ يتبع ما تبيّن له من الحق بدليله وبرهانه، وإن خالف الناسَ كلهم وخالفوه، وحينئذ فإن الحق هو الجماعة ولو كنت وحدك كما قال ابن مسعود ﵁.

ولهذا أيضا فإن الصحيح عند جماعة من أهل العلم أن «رأي الجمهور» وهم أكثر أهل العلم من المرجّحات عند تكافئ الأدلة لدى الناظر، والغرابة علامة و«مؤشر» كما نقول في لغة اليوم، على فساد القول وعدم صحته، وهي توجب التريّث والتثبت ومزيد الحزم في النظر والبحث، وترك العجلة، ولا سيما إذا جاءت من مغمور جاهل متشبع بما لم يعط.

ولهذا فكيف يصح للإنسان العاقل المريد للنجاة والفلاح أن يأخذ دينه من «المخلف» مِن على

---

(١) قاله: يوسف بن علي الفارسكوري الشافعي البلان، كما في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠ / ٣٢٥).

«الانترنت» و«البالتوك» وهو لا يعرفه المعرفة التي ذكرنا صورتها، وهو يرى فيه كل هذا الشذوذ والإغراب، ويرى عنده هذا الكم الهائل من التفرّد، فكيف إذا انضاف إلى ذلك علامات أخرى على سوء خلقه وفساد نفسه؟! وكيف يسمح الإنسانُ العاقلُ لنفسه أن يغترّ بفصاحة متحدث أو ما يبدو من قوة في استدلالاته بالقرآن والأحاديث وكلام العلماء، وهو لا يُحسِن فهم تلك الاستدلالات ولا تحقيقها، ولا يعرف ما وراء ألفاظها الحسنة وظواهرها الجذابة، ولو جاءه رجلٌ آخر أفصح منه وأقوى مجادلة لقلبَ عليه دينه ولاتَّبعه، كما قال الإمام مالكٌ ﷺ: «كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل نترك ما نزل به جبريلُ على محمد ﷺ لجدله؟!»[1]، وهكذا يجعل دينه عرضة للمتفاصحين والمتفيهقين الذين حذرنا رسول الله ﷺ من خطرهم وذمهم لنا.

كيف يسمح الإنسانُ العاقل لنفسه بهذا وهو يرى ما أشرنا إليه من الإغراب والتفرد والشذوذ والقسوة والشطط والمناقضة للبديهيات..؟! هذا والله عجيبٌ، ومَن هلك فلا يلومنّ إلا نفسه.! نسأل الله العافية والسلامة لنا ولجميع المسلمين.

قال ابن الوزير ﷺ في «إيثار الحق على الخلق»:

وإن مقاماً حار فيه كليمه	ولم يستطع صبرا لخير العوالم
جديرٌ بتحقيق عظيم وريبة	من الوهم عند الجزم من كل عالم[2]

وفي البيت الثاني تنبيه للمتكلمين وغيرهم على ما لم يزل الأكابر يقعون فيه من دعوى القطع واعتقاده من غير تحقيق؛ فإن «موسى» ﷺ لولا اعتقاد القطع بخطإِ «الخضر» ما أنكر عليه، وكذلك قطع كثير من علماء الكلام على صحة أدلتهم الموجبة لتأويل كلام علام الغيوب، بل هم دون «الكليم» المقرب الوجيه المعصوم بمسافات لا تدركها الخواطر، ونسبة علم الله ﷻ إلى علم جميع العالمين كما جاء في الصحيح مثل ما أخذه الطائر من البحر الزاخر اهـ.

ومن التزم ما ذكرناه من ضوابط وتوصيات نافعة، مع سائر أسباب الهداية، ثم استعان بالله ﷻ وصدق في الطلب والدعاء وألحّ على الكريم المنان، فإن الله ﷻ يفتح عليه ويهديه لا محالة.! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) ينظر: الإبانة لابن بطة (٥٨٢)، وصحح أبو عبد الله الداني إسنادها إليه في: سلسلة الآثار الصحيحة (٣٠٦).

(٢) إيثار الحق (ص ١٣٨، ٢٠٣).

فصلٌ

وههنا تنبيه آخر: وهو أن بعض ما يعتمد عليه «المخلف» من المسائل والتقريرات قد سبقه إليها علماءُ فضلاء من الأموات والأحياء، كالشيخ «علي الخضير» وغيره من المعاصرين، وكبعض علماء «الدعوة النجدية» المباركة، وهم اجتهدوا فيها وقالوا بما أراهم الله، وبعضُها لا أشكّ أنه من الزلل والخطأ الداخل في حيّز «زلة العالم» كبعض تقريرات الشيخ «علي الخضير»، فرج الله عنه وغفر الله له.. آمين.

ومعلومٌ ما تقرر في الشريعة وفي فقه الصحابة والسلف الصالح وما دوّنه العلماء ﷫ في التحذير من زلة العالم وبيان خطرها والواجب نحوها، فليراجع لها «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر و«الموافقات للشاطبي»[1]، وغيرهما.

ولكن الفرق بين أولئك المشايخ الفضلاء وبين هؤلاء المفتونين المارقين كـ«المخلف» وأمثاله، أن أولئك العلماء الفضلاء قرروا المسائل على طريقة أهل العلم، وعذروا من خالفهم باجتهاد وتأويل، وكان لهم -بعد توفيق الله ﷻ- من التأسيس العلمي وفقه النفس وسلامة المنهج -بسبب تلقي العلم بطرق صحيحة- ما يعصمُهم عن الوقوع في تكفير عموم العلماء الذين خالفوهم فيما قرروه، أو تكفير عموم المسلمين.!

وأنت ترى أن الشيخ «علي بن خضير» مثلا يقول: إن مسألة عدم «العذر بالجهل» في الشرك الأكبر وفاقية إجماعية، وهو ينقل ذلك عن بعض علماء الدعوة المتأخرين، ويتابعهم في ذلك، ويقرر الفرق بين الكفر والشرك على نحو ما يفعل «المخلف» أو قريبٍ منه، ويذكر أشياء فيها نظرٌ، ومع ذلك فهو عالم فاضل من أهل الخير والصلاح نحسبه كذلك، وقد عصمه الله عن مثل فتنة هؤلاء الجهلة، بصحة العلم في الجملة، وحسن القصد فيما نحسب، والله حسيبه.

وانظر إلى الشيخ «أبي محمد المقدسي» -فرج الله كربه كذلك- فإن مذهبه في المسألة كمذهب الشيخ «الخضير» أو قريب منه، ولكنه لا يكفر مَن خالفه، ولم يجرّه ذلك إلى تكفير عموم المسلمين ولا إنكار الجهاد، ونحو ذلك..!

والحاصل.. أنه يجب على طالب الحق أن يتفطن لهذا الموضع، ولا يغترّ بزلة أحدٍ من العلماء،

---

(١) جامع بيان العلم (٢ / ٩٠٩، ٩٧٨ وما بعدها)، الموافقات (٥ / ١٣٢ - ١٣٩).

وليسلك سُبُل الهداية وليُدِم قرع باب الفتاح العليم، والله يفتح عليه.

في «سنن أبي داود» وغيره عن معاذ بن جبل ﷺ: «وأحذركم زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق»، قال(١): قلت لمعاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: «بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه، ولا يثنينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلقَّ الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا»(٢) اهـ.

واستحضر ما أشرنا إليه فيما سبق من تحذير السلف من الغرائب، وهي التي سماها معاذٌ هنا «المشتهرات» وجاء في بعض روايات هذا الأثر «المشتبهات»، وفي لفظ: «ما تشابه عليكم من قول الحكيم، حتى تقول ما أراد بهذه الكلمة» كذا في «جامع الأصول»(٣).

وليحذر طالبُ الحق من تعظيم العظماء فوق تعظيم الحق، بسبب غلبة محبة الأشياخ والطوائفِ ونحوهم؛ فإنها مزلة خطرة وسبب من أسباب الهلاك، قال ابن الجوزي ﷺ في صيد الخاطر: «والمقصود أن تعلم أن الشرع تام كامل، فإن رزقت فهمًا له فأنت تتبع الرسول ﷺ وأصحابه، وتترك بنيات الطريق، ولا تقلد في دينك الرجال، فإن فعلت فإنك لا تحتاج إلى وصية أخرى، واحذر جمود النقلة، وانبساط المتكلمين، وجموع المتزهدين، وشرهَ أهل الهوى، ووقوفَ العلماء على صورة العلم من غير عمل، وعمل المتعبدين بغير علم. ومن أيده الله ﷻ بلطفه رزقه الفهم وأخرجه عن ربقة التقليد، وجعله أمة وحده في زمانه، لا يبالي بمن عبث ولا يلتفت إلى من لامَ، قد سلم زمامه إلى دليل واضح السبيل، عصمنا الله وإياكم من تقليد المعظمين، وألهمنا اتباع الرسول ﷺ»(٤) اهـ.

واعلم أن هذا من جملة ما يبتلي الله ﷻ به الناسَ، أعني زلات العلماء، لينظر اللهُ ﷻ مَن يُطيعه ويُخلِصُ له ويصدُق في طلب الحق ويتحرى ويجتهد وسعَه في إصابته، ومَن لا يرفع بطلب الحق والفضل رأسًا، وهذا فيه من الحكم الجليلة بالإضافة إلى حكمة ابتلاء المكلفين: تمييزُ درجاتهم، والإعذار إليهم في سبق مَن يسبِق وقعود مَن يقعُد، وعند الصباح يحمَد القومُ السرى، ولله المحامد كلها.. ثم اعلم أن العالِم المجتهد في إرادة الخير وطلب الحق؛ فإن خطأه مغفورٌ وهو مأجورٌ أجرًا

---

(١) القائل هو يزيد بن عميرة من أصحاب معاذ. [المؤلف]

(٢) سنن أبي داود (٤٦١١) قال الألباني: صحيح الإسناد موقوفٌ.

(٣) سنن أبي داود (٤٦١١)، جامع الأصول (٧٥٠٨).

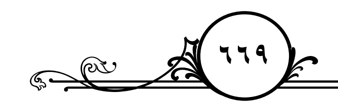
(٤) صيد الخاطر (ص ١٣٦).

واحدًا (وهو أجر الاجتهاد وبذل الوسع في إصابة الحق والخير) كما جاء منصوصا في الحديث المتفق عليه[١]، لكن مقلِّده ومتابعه على قوله الخطأ قد لا يكون مأجورا ولا معذورا مغفورا له، وذلك إذا كان صادرًا في تقليده عن مجرد تعظيم شيخه ومتبوعه والتعصب له، لا عن إرادة الخير وتحرّي الحق بإخلاص وصدق.

قال ابن رجب الحنبلي ﵀: «وهاهنا أمر خفي ينبغي التفطن له، وهو أن كثيرًا من أئمة الدين قد يقول قولًا مرجوحًا ويكون فيه مجتهدًا مأجورًا على اجتهاده فيه موضوعًا عنه خطؤه فيه، ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة، لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لما قبله ولا انتصر له ولا والى من يوافقه ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه، وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصد الانتصار للحق وإن أخطأ في اجتهاده، وأما هذا التابع فقد شاب انتصارَهُ لما يظن أنه الحق إرادةُ علو متبوعه وظهور كلمته وأنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصده الانتصار للحق، فافهم هذا فإنه مهم عظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٢] اهـ.

(١) يعني قوله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، كما في: صحيح البخاري (٧٣٥٢)، صحيح مسلم (١٧١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٦٧، ٢٦٨).



فصلٌ

واعلم أن هؤلاء المفتونين يقولون للناس حسبَ ما بلغنا ممن سمع كلامهم في البالتوك: «إذا كنا نحن مخطئين فبينوا لنا بالأدلة، ولكن إذا كنتم أنتم مخطئين فأنتم في النار».

وهذا من الأدلة الخَطابية التي يُقصَد بها هنا التهويل على الخصم والتمويه عليه، لا سيما وهم يخاطبون أناسًا يقل فيهم العلم والمعرفة، وقد قيل لي: إن الكثير منهم عجمٌ أيضًا فيصعُبُ عليهم فهم دقائق هذه المسائل بسبب مسألة اللغة.

فأقول لإخواني في جواب هذه الشبهة المخلفية: قولوا لهم: إذا كنتم أنتم مخطئين فأنتم لستم ناجين، بل أنتم خوارجُ مارقون من الدين تكونون كلابَ النار يوم القيامة، والعياذ بالله، وقد اختلف العلماءُ في تكفير أمثالكم، وكفى بهذا خطرا عظيمًا لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا..! وليس يلزم أن نعرَف الردّ على شبهاتكم ومخاصمتكم؛ فإن هذا من اختصاص أهل العلم، ونحن نتمسّك بالإسلام والتوحيد والإيمان الجُمليّ، وما علمناه -بتثبّتٍ ومن طريق علميّ صحيح- من التفاصيل قلنا به وعملنا به، وما لم نعلمه فلا نتكلم به، بل نقول: الله أعلم.

وما نستمسك به -بفضل الله- هو الحقُّ المبين والصراط المستقيم والمنهج الواضح الجلي، أما زوبعات شبهاتكم التي أعمتكم عن نور الحق فلا يلزم علماءَ المسلمين الاشتغالُ بردها كلها فضلًا عن أن يلزمنا اعتقادها ومعرفتها، وإن هوَّلتم الأمر وعظمتموه وفخّمتموه وأظهرتموه على أنه من قواطع الشرع وضروريات الإسلام، كما قال الإمام ابن القيم ﷺ في «شفاء العليل» في كلامه على منازعة بعض أهل البدَع بشبهاتهم للآيات الواضحات: «.. وهذا في القرآن أكثر من أن يذكر، والحسُّ شاهدٌ به، فلا تقبل شبهة تقام على خلافه، ويكون حكمُ تلك الشبهة حكمَ القدح في الضروريات فلا يلتفت إليه، ولا يجب على العالم حلُّ كل شبهة تعرض لكل أحدٍ، فإن هذا لا آخر له»[1] اهـ.

ولا يضرنا إن أخطأنا في مسألة عذرِ أحدٍ أو حكمٍ عليه بناءً على اجتهاد واحتياطٍ واتباع لعامة أهل العلم والصلاح والخيرية في الأمة، ولا يضرنا إن جهلنا هذه المسائلَ أيضا ولم نعرف التحقيق فيها، فهي مما يعرفه أهل العلم الذين هم أهله واختصوا به، فلا والله لا يكون من أهل النار من جهِلَ «هل هناك عذرٌ بالجهل في التوحيد أو لا؟» أو جهل أو أخطأ في «هل الكفرُ والشرك شيء واحدٌ أو هما متغايران؟» أو كيف الحكم على فلان من الناس من أهل القبلة هل خرج من الملة أو لا بعدُ؟ أو أن

---

(١) شفاء العليل (ص ١٥١).

الطائفة الفلانية والجماعة الفلانية من أهل القبلة كافرةٌ كذلك أو لا؟ اللّهم إلا الكفرَ الواضح المستبين الذي لا يختلفُ فيه العلماءُ أجمعون، ولا يختلفُ فيه المسلمون: ككفر اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين الذين لم يدخلوا في الإسلام أصلا، أو ككفر مسيلمة الكذابِ ونحوه من مدعي النبوة أو التصريح بعبادة غير الله واتخاذ آلهةٍ مع الله أو غيرَ الله رأسًا، أو ككفر من صرح واستعلنَ بالانتقال من دين الإسلام والخروج منه، وككفر من يسب الله ورسوله ويستهزئ بالدين صريحا بيّنا معلنًا، ونحو ذلك.!

وهنا نرجع إلى التفريق بين درجات المسائل ومراتبها في الثبوت ووضوح نسبتها إلى الله ﷻ ودينه، بين اليقين والقطع، والظن والتردد؛ فرجع الأمرُ إلى مسألة المعلوم من الدين بالضرورة وما لا يُجهَل مثلُه، وما ليس كذلك، ومعلومٌ أن هذه مسألة نسبية إضافية، كما قال شيخ الإسلام ؒ: «وأيضا فكون المسألة قطعية أو ظنية هو أمرٌ إضافي بحسب حال المعتقدين ليس هو وصفًا للقول في نفسه؛ فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم صدقُهُ عنده وغيره لا يعرف ذلك لا قطعا ولا ظنا، وقد يكون الإنسان ذكيا قويَّ الذهن سريعَ الإدراك فيعرف من الحق ويقطع به مالا يتصوره غيرُهُ ولا يعرفه لا علما ولا ظنا، فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة وبحسب قدرته على الاستدلال، والناسُ يختلفون في هذا وهذا، فكونُ المسألة قطعية أو ظنية ليس هو صفة ملازمة للقول المتنازع فيه حتى يقال: كل من خالفه قد خالف القطعي، بل هو صفةٌ لحالِ الناظر المستدلّ المعتقد، وهذا مما يختلف فيه الناس»[(١)] اهـ.

وقولوا لهم: نحن نكون إن شاء الله على ما كان عليه محمدٌ ﷺ وأصحابُهُ ؓ، وعلى سيرة سلفنا الصالح: لا غلوّ ولا جفاء، ومع السواد الأعظم من المسلمين، ومع أهل العلم والخير والصلاح والجهاد، ممن ثبتت خيريتهم وصلاحهم، وظهر فضلهم وحَسُنَ بلاؤُهم في الإسلام، علمًا ودعوةً إلى الخير وجهادًا في سبيل الله وتضحية من أجله ﷻ.. نكون مع «الطائفة المنصورة» إن شاء الله التي لن تزال قائمة وظاهرة على الحق تقاتل في سبيل الله إلى قيام الساعة.

وعامّة أولئك معروفون مشخُّصون لكل العقلاء، وطريقهم واضحٌ بيّن والحمد لله رب العالمين، وأما شنشنة «المخلف» الضالّ وأتباعه وتمويهم ودجلهم وافتراؤهم على الله ورسوله، وتشكيكهم وخزعبلاتهم؛ فهذا ليس من سبيل أولئك، بل هو فتنة وبدعةٌ ومروق وفسوق والعياذ بالله، فنحن منه

---

(١) منهاج السنة (٥ / ٩١).

بُرآء وله مجانبون وعنه حائدون، ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود]، **(قل آمنتُ بالله ثم استقم)** رواه مسلم وأحمد وغيرهما[(١)]، **(ثلاثٌ مَن كن فيه وجدَ بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبّه إلا لله، وأن يكرَهَ أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللهُ منه كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار)** متفق عليه[(٢)].

واعلموا أن أهل الضلال والبدع لا تكاد تنقطع فتنتهم واعتراضاتهم وتشكيكاتهم، لأنهم أهل بدعةٍ وهوىً، فلا يكاد يقمعهم شيء حتى يصطدموا بصخرة الواقع ويرون العذابَ الأليمَ أو يفجأهم الموت ولات حينَ مرجع ولا ندم..! نسأل الله أن يقينا وإياكم مضلات الفتن؛ فمثلا سيقول لكم المخلف: إن ما يدعو إليه هو من الدين ومما يلزم المسلمَ الاستقامةُ عليه، ولا يكون مستقيما حتى يستقيم عليه، ولا يكون كذا إلا بكذا وكذا.. هكذا مما تعرفونه وجرّبتموه من تهويلاتهم وافتراءاتهم على الله ودينه.

ولكن أنتم يكفيكم ما هو بيّن واضحٌ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلفنا الصالح ومن سارَ على نهجهم كما ذكرنا، وقولوا له: إن الله ﷻ قال: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ فأين أمرنا اللهُ ﷻ بما تأمُرُ به أنت أيها المخلف، فلن يجدَ جوابًا إلا التخريف والادّعاء والتلفيق المتهافت.!

وقولوا له: إن الله ﷻ زادنا فقال: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ أي لا تجاوزا ما حدّ الله لكم وبيّن لكم من الدين، والطغيان يكون عادة بالزيادة ومجاوزة الحد، وقد يكون بالنقصان والتفريط لأنهما مخالفةٌ وخروجٌ عن الحد، أو يكون دلالة ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ على النهي عن النقصان والتفريط أيضا من جهة بلاغية أخرى كالاكتفاء، والمقصود أن الله ﷻ أمرَنا أن نستقيم على ما أمرَ به ﷻ، ونهانا عن الخروج عنه ومجاوزته، وما أمرَ الله ﷻ به، هو بيّن واضحٌ في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما يحتاج إلى توضيحٍ قد شرحه العلماءُ وبيّنوه ووضحوه في كتبهم، قال الله ﷻ: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾[الأنعام: ١١٩]، فما لم يكن كذلك فليس هو مما أمرَ الله به، إلا أن يقول الفقيهُ: أرجو أنه كذا، وأخشى أنه كذا.. أما ما أمرَ الله به مما يصحُّ أن نقول فيه بإطلاق إن الله قد أمرَ به، فهذا بيّن لا يخفى، كما قال النبي ﷺ: **(الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات)** الحديث متفق عليه[(٣)]، وقال: **(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا**

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٦٨) لكن بلفظ: (فاستقم)، مسند أحمد (١٥٤١٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١)، صحيح مسلم (٤٣).

(٣) صحيح البخاري (٥٢)، صحيح مسلم (١٥٩٩).

منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرةُ مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) رواه مسلم[١].

و«**المخلف» المفتونُ لا يقول**: أرجو ولا أخشى، بل يقول: أجزم وأوقِنُ وأقطعُ، ويقول: هذا حكمُ الله ودينُهُ.. وذلك في مسائل يعلم جميعُ العلماء أنها مسائل نظر واجتهاد محتملة ومبناها على الاستدلال، ويقع فيها اختلافُ الناظرين، وأن الجزمَ والقطعَ فيها مزلّةٌ، وأنه يبعُد في العادة أن يصل الإنسانُ إلى اليقين في جميعها أو أكثرها، إنما مدركُها الظنُّ، وقد قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[النحل: ١١٦] الآية، وتدبّروا أيها الإخوة هذه الآية الكريمة الأخرى من سورة «الشورى» واقرؤوا تفسيرها واعرفوا ما فيها من المعاني العظيمة: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[الشورى]، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهذه مقدمات ووصايا رأيت أن أضعها بين يدي الجواب على السؤال، تنبيها للغافلين وتحذيرا للصادقين الطالبين الحق والخير، ولم أقصد بها الاستيعاب ميلًا إلى الاختصار، وإنما هي كلمات نصحٍ نرجو الله ﷻ أن ينفع بها من تأملها من الإخوة شباب الإسلام، وأما الرد على ضلالات «المخلف» وما يسميه «قواطع» الأدلة على ضلاله.. فلعل الله ييسر له فرصة أخرى، أو يكفينا الله ﷻ بمن هو خيرٌ مني من طلبة العلم والمشايخ مَن يصبر عليه ويحتسب فيه فيوفيه الكيلَ دحضا وتبيينا لكذبه ودجله، وبالله التوفيق.

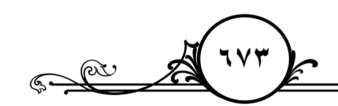
ونشرع الآن بعون الله ﷻ في الإجابة على سؤالهم الضالّ ودحض حجتهم الشيطانية الوضيعة بحول الله ﷻ وقوته وتوفيقه، فأقول:

الجواب من عدة وجوه:

الأول: أن نقول: إن السؤال غلط؛ لأنه مبني على اعتقادهم تكفير جميع المسمين الساكنين في بلدان المسلمين اليوم التي يحكمها الكفار والمرتدون، والتي هي عندنا على الأصح من أقوال أهل العلم ديارُ كفرٍ باعتبار غلبة أحكام الكفار والمرتدين عليها، وسبب ذلك اعتقادهم التلازم بين حكم الدار وحكم أهلها الساكنين بها، وهو ما صرحوا به في آخر السؤال، وهذا هو معقد الغلط الفاحش

---

(١) صحيح مسلم (١٣٣٧).



والضلال المبين، ويصرح به أو يكاد يصرح به «المخلفُ» في بعض ما رأيته مما كتب.. وهذا قولٌ لا يُعرَفُ إلا لبعض الخوارج المتقدمين.

والحق الذي لا ريبَ فيه ولا نعلم فيه خلافا بين علماء المسلمين أنه لا تلازم بين حكم الدار وحكم ساكنيها؛ فإن الدار تسمى دار إسلام أو دار كفر بحسب ما يعلوها من أحكام الإسلام أو الكفر، وهي الأحكام التي تحكم بها وتُعليها السلطة السياسية الحاكمة المسيطرة، فنجد دارَ إسلام كلٌّ أو أغلبُ سكانها مسلمون، ونجد دارَ إسلام كل أو أغلب أهلها كفارٌ، كما لو نزل أهلها على عهدنا وعقدنا لهم الذمة وخضعوا لأحكام شريعتنا فيهم، وهكذا قد توجَد دارُ كفرٍ وأكثرُ سكانها مسلمون، ودارُ كفرٍ كل أو أكثر سكانها كفارٌ.

وهذه المسألة معروفة عند أهل العلم مشروحة في كتبهم، وقد أشبعها بحثًا الشيخ «أبو محمد المقدسي» من المعاصرين في الرسالة الثلاثينية عند ذكر الخطأ الثاني من أخطاء التكفير، وهو: **التكفير بناء على قاعدة «الأصل في الناس الكفر» لأن الدار دار كفر**[١].

وكذلك نبّه على هذه المسألة الشيخ «حسن قايد أبو يحيى الليبي» حَفِظَهُ اللهُ في كتابه «مِنّة الخبير في حكم إقامة الحدود في دار الحرب والتعزير» في أول الكتاب حين بحث مسألة: انقسام العالم إلى دار إسلام ودار كفرٍ وحقق القول في حدّ الدارين وأحكامهما، ثم نبّه على المسألة المذكورة ونقل فيها جملة من أقوال العلماء[٢]..

فليراجعهما الأخُ طالبُ الحق، فإنه مبحث مهم، وبه يُعلَم الجواب على الشق الثاني من السؤال، وأنا هنا أتوخى الاختصار وأكتفي بالإحالات والإشارات، وبالله التوفيق.

وليُعلَم أن هذا الخطأ الفاحش الذي وقع فيه المخلف وأتباعه هو من دلائل ضعف المعرفة والبُعد عن التحقيق في العلم، وأنهم ليسوا من أهل العلم بسبيل، فإنهم يغترّون بالاصطلاحات والألفاظ والعبارات دون تحقيق ولا تمييز لمعانيها.!

الثاني: قوله «جهاد الدفع إنما شرع للدفاع عن دار الإسلام» هذه هي عبارة «المخلف» نفسه، مما يدل على أن السؤال صادرٌ عنه متلقىً منهم.

وهذا الحصر غير مسلّم، بل هو غلط وباطل؛ بل الجهاد الذي يسميه الفقهاء جهاد الدفع شرع

---

(١) الرسالة الثلاثينية (ص ٨٧) وما بعدها.

(٢) منة الخبير في حكم إقامة الحدود في دار الحرب والتعزير (ص ١٧).

للدفاع عن المسلمين قبل الدار، وإنما الدار هي تبع للمسلمين، والأرض لا تقدس أحدا، ولا حكم لها في ذاتها من هذا الوجه، إنما الحكم لأهلها وبأهلها وبما يعلوها من أحكام أهلها، فجهاد الدفع إذن مشروع للدفاع عن المسلمين قبل أرض المسلمين، وهو جهاد دفع الصائل على الدين والعرض والأرض والمال؛ فلا تأثير لكون الدار صارت دارَ كفر وحرب، أو هي باقية دارَ إسلام.

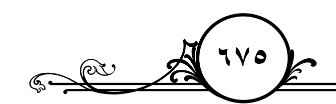
وهب أننا اخترنا أحد الأقوال الأخرى في مسألة الدار، كقول بعض الفقهاء مثلا: إن دار الإسلام لا تنقلب دارَ كفر بحالٍ، أو قول أبي حنيفة إنها لا تنقلبُ دارَ كفر إلا بشروطٍ ثلاثة ذكروها، فقد انقطعت حجتكم حينها، وضلّ سعيكم، ونرجع إلى مناقشة مسألة الدار، ولن تستطيعوا حسمها بشكل قاطع، لأنها مسألة خلافية اجتهادية معروفة وكل قول من الأقوال فيها قد قال به أئمة كبار من علماء المسلمين.

والمقصود: أن جهاد الدفع ليس معناه الدفاع عن دار الإسلام فحسب، بل هذا غايته أن يُقال: إنه أحدُ معانيه وأحد مقاصده، وليس هو كل معناه ولا كل مقصده؛ فجهاد الدفع هو قتال الكفار الصائلين المعتدين على الدين أولا ثم على باقي الحرمة من نفس ومال وعرض وأرضٍ...! فهذا دفع الصائل الذي قال فيه شيخ الإسلام: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء، أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده»[1] اهـ.

الثالث: أن يقال ما هي الحدود الجغرافية للدار التي هي دار كفرٍ والدار التي هي دارُ إسلام في الواقع اليوم، فأنت ترى اليوم كثيرا من الدور مختلطة، فمنطقة «وزيرستان» مثلا ما هي؟ إن اعتبرتَ الخريطة السياسية بحسب الأوضاع القانونية البشرية للدول اليوم، فهي جزء من أرض دولة الباكستان، وهذا لا اعتبار له في الحكم بمجرده، وإنما الاعتبار بحقيقة ما يعلوها من أحكامٍ وظهور الأحكام عليها بالقوة والسلطان، وأهلُها مظهرون للدين يحكمون بشرع الله بعزتهم واختيارهم في عدة مناطقَ منها والحمد لله، ولا يقال: إنهم يحكمون بالشرع بإذن الكافر لأن دولة الباكستان هناك غير كاملة التسلط إنما هي كالمكتفي بتبعية الإقليم الاسمية لها، ولا تقدر على إنفاذ أو منع كثير مما تريد، والمسلمون -حيث يحكمون بالشريعة هناك- يحكمون بها استقلالا وهي لا تستطيع منعهم،

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٨).



وإنما هي تستضعفهم وتستتبعهم من أبوابٍ أخرى سياسية واقتصادية، وهو وضعٌ سياسي واجتماعيّ خاص له ظروفه.. وإن اعتبرتَ استقلال الإقليم وأهله القبائل نوعَ استقلال، وحكمهم فيما بينهم بحكم الشرع وإقامتهم لأكثر شعائر وشرائع الإسلام أي ما قدروا عليه منها، ورفعهم راية الجهاد، وعدم اعترافهم بالدولة الباكستانية المرتدة كما أشرنا، ولكنهم أيضا لم يصلوا إلى الاستقلال التام لضعفهم، فما زالوا ساكتين عن إعلان الاستقلال عن الدولة الباكستانية والسعي في ذلك عسكريا بشكل صريح، لاعتبارات القوة والضعف والقدرة والمصالح والمفاسد، فقد يظهر أن هذه المناطق دار إسلامٍ بحسب تقسيم الفقهاء.

وهكذا أجزاء كبيرة من بلاد «أفغانستان»، حيث يتمكن المجاهدون ويَدُهُم هي العليا، ويقارعون أعداء الله وهم معه في كر وفرّ، لكنه غيرُ مسيطر عليهم، ولا هم أيضا استطاعوا دفعه بالكلية، ومن أظهر أمثلتها «هلمند»؛ فإن المجاهدين يسيطرون عليها سيطرة شبه كاملة، وفيها محاكم شرعية، وعوامُّ الناس يتحاكمون إليها والحمد لله، ومع ذلك فهم مع حكومة «كرزاي» والصليبيين فيها في كرّ وفرّ، وهكذا الأمرُ في «دولة العراق الإسلامية» في بلاد العراق، وهكذا مناطق من أرض الشيشان، والصومال وغيرها كثير.

فيُقال للسائل المعترض: فهذه مناطق لا يبعُد أن تسمّى دارَ إسلام، بل هذا هو الظاهر القويّ، قال السادة الشافعية: «وإن قدر على الامتناع في دار الحرب والاعتزال وجب عليه المقامُ بها، **لأن موضعه دارُ إسلام**، فلو هاجر لصار دارَ حرب فيحرم ذلك، **ثم إن قدر على قتال الكفار ودعائهم إلى الإسلام لزمه** وإلا فلا» اهـ؛ هذا كلام النووي في «روضة الطالبين» ناقلا عن «الماوردي» مقرًّا له[1]، وكذا عند غيره من شراح كتب المذهب، رحم الله الجميع.

وظاهرٌ على مذهب بعض الفقهاء أنها دورُ إسلامٍ، كمن قال: لا تعود دارُ الإسلام دارَ كفرٍ ألبته، وكمن وضع لصيرورتها دارَ كفر شروطًا ليست متوافرة الآن في هذه البلدان، أو كما قال «الدسوقي» في حاشيته على شرح الدردير لـ«مختصر خليل» المالكيّ: «لأن بلاد الإسلام لا تصير دارَ حربٍ بأخذ الكفار لها بالقهر ما دامت شعائرُ الإسلام قائمة فيها»[2] اهـ.

ولسنا الآن في مبحث أحكام الدور والترجيح بين الأقوال فيها، ولكن بكل حالٍ: ليس لك أيها

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٠ / ٢٨٢).

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير (٢ / ١٨٨).

المعترضُ سبيلٌ قاطعٌ إلى تسميتها دارَ كفرٍ..! وإذا أثبتّ قسمًا وسطًا بين الدارين وهي الدار المختلطة، كما هي طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية «فتواه في ماردين»[1]، فيمكن جعلها من هذا القسم أيضا.. فإذا قلنا إنها دورُ إسلام أو قلنا إنها دورٌ مختلطة بطل اعتراضُك.

وبالجملة.. كيف يصحّ من مسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يمنع من الجهاد في سبيل الله ﷻ الذي هو من أعظم الواجبات المتأكدات المتقررات بقواطع الشرع، من أجل مسألة ظنية بل متوهَّمة؟! وهل هذا إلا من الضلال المبين والمجازفة بل اللعب بالدين، ودليلٌ على الخذلان من رب العالمين..؟! أوليس هذا حقيقا بأن يدخل في نحو قول الإمام ابن حزم ﷺ: «ولا إثمَ بعد الكفر أعظمُ من إثم من نهى عن جهاد الكفار وأمرَ بإسلام حريم المسلمين إليهم من أجل فسق رجلٍ مسلم لا يحاسب غيره بفسقه»[2] اهـ، فإن هذا نهى عن جهاد الكفار وأمرَ بإسلام حريم المسلمين إليهم (يعني أنه لازمُ قوله، وإن لم يصرح به) من أجل توهّم أن جهادَ الدفع يُشتَرَط له وجود دار إسلام أي دولة إسلام ممكنة ينطلق منها الجهاد ويمكن الدفاعُ عنها وعن أهلها، ومن أجل توهّم أنه لا توجَد أي بقعة اليوم في الأرض تسمّى دارَ إسلام...؟!! وكلُّ هذا على التنزّل وإلا فلا تلازم بين حكم الدار وحكم جهاد الدفع، والقولُ بأن شرط جهاد الدفع وجودُ دارٍ للإسلام (بمعناها الاصطلاحيّ) شرطٌ باطلٌ لا دليل عليه من كتابٍ ولا سنةٍ ولا إجماعٍ ولا قياسٍ صحيح..!

وهؤلاء المارقون الذين يتبجّحون باستمساكهم بالكتاب والسنة في كل صغيرة وكبيرة، ويدعون وقوفهم عند معانيهما، نقول لهم: هذا شرط اشترطتموه من عند أنفسكم، وأوجبته عقولكم المريضة الفاسدة بالتباس الشبهات عليها، وإلا فأين وجدتم في كتابٍ أو سنة أو إجماع أو قياس أو قول صاحب أو عالم من العلماء مَن يقول بسقوط الجهاد في مثل هذه الحال لأنه لا يجب إلا دفاعًا عن دار الإسلام؟ مَن مِن العلماء فَهِم هذا الفهمَ وذهب هذا المذهب؟ وهذا من أعظم الأدلة على أن هؤلاء المارقين لا يبالون بالشذوذ والتفرد في صغار المسائل وكبارها، وهو مما يبين للمنصف أنهم إنما يعتمدون في فهم كلام العلماء على مجرد نظرهم وما يقع عليه خاطرُهم ويوافق أهواءهم من غير بحث ولا تدقيق ولا جريٍ على سبيل أهل العلم ولا تأمل فيما كتبه العلماء مما يكشف حقيقة الأمر ويقيد مطلقه ويخصص عامه.!

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٤٠).

(٢) المحلى بالآثار (٥ / ٣٥٢).

الرابعُ: على التسليم بأن هذا النوع من الجهاد المسمى عند الفقهاء «جهاد الدفع» هو للدفاع عن الأرض «ديار الإسلام» فالمعنى هنا: الدفاع عنها والقتال والجهاد من أجل استردادها من أيدي الكفار وإعادتها إلى حوزة الإسلام فترجع دارًا للإسلام كما كانت.! وتسميتها دارَ إسلام حينئذٍ هو باعتبار ما كانَ.. وهذا المعنى هو الذي لاحظه من قال من الفقهاء إن دار الإسلام لا تنقلبُ دارَ كفرٍ أبدًا، وهو قولٌ للشافعية، مع أن هذا القول ضعيفٌ.! وهذا الذي ذكرناه من وجوب القتال والجهاد لاسترداد أي شبر من ديار المسلمين أخذه الكفار، أمرٌ مجمع عليه عند الفقهاء ونصوص العلماء من كل المذاهب فيه معروفة مشهورة، فلتراجع في محلها من كتب الفقهاء، حتى لا يطول بنا المقام.

ولكن لا بأس بسياق شيء قليل منها منتقىً من المذاهب المشتهرة للتذكير:

فمن الحنفية: قال الجصاص ﵀ في أحكام القرآن: «ومعلومٌ في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرضَ على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلافَ فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحدٍ من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبيَ ذراريّهم»[1] اهـ.

وقال الكاساني ﵀: «فأما إذا عمّ النفير بأن هجم العدوّ على بلدٍ فهو فرضُ عين يفترض على كل أحدٍ من آحاد المسلمين»[2] اهـ.

وقال زين الدين ابن نجيم في «البحر الرائق»: «قوله: «وفرض عين إن هجم العدو فتخرج المرأة والعبد بلا إذن زوجها وسيده»؛ لأن المقصود عند ذلك لا يحصل إلا بإقامة الكل فيفترضُ على الكل، كما في الصلاة والصوم بخلاف ما قبل ذلك، لأن بغيرهما مقنعا، ولا ضرورة إلى إبطال حق المولى والزوج، وأفاد خروج الولد بغير إذن والديه بالأولى، وكذا الغريم يخرج إذا صار فرض عين بغير إذن دائنه وأن الزوج والمولى إذا منعا أثما، كذا في الذخيرة، ولا بد من قيد آخر وهو الاستطاعة في كونه فرض عين فخرج المريض المُدْنَفُ، أما الذي يقدر على الخروج دون الدفع ينبغي أن يخرج لتكثير السواد لأن فيه إرهابًا، كذا في «فتح القدير»، والهجومُ الإتيان بغتة والدخول من غير استئذان، كذا في المغرب، المراد هجومه على بلدة معينة من بلاد المسلمين فيجب على جميع أهل تلك البلدة وكذا مَن يقربُ منهم إن لم يكن بأهلها كفاية، وكذا من يقرب ممن يقرب منهم إن لم يكن ممن يقرب منهم كفاية،

---

(١) أحكام القرآن (٤ / ٣١٢).

(٢) بدائع الصنائع (٧ / ٨٩).

أو تكاسلوا أو عصوا، وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا»[(١)] اهـ.

وفي حاشية ابن عابدين ﵀: «وفرض عين إن هجموا على ثغر من ثغور الإسلام فيصير فرضَ عين على من قرب منهم وهم يقدرون على الجهاد، ونقل صاحب «النهاية» عن «الذخيرة»: أن الجهاد إذا جاء النفير إنما يصير فرض عين على مَن يقرب من العدو، فأما من وراءهم بعيد من العدوّ فهو فرض كفاية عليهم حتى يسعهم تركه إذا لم يُحتج إليهم، فإن احتيجَ إليهم بأن عجز من كان بقرب من العدو عن المقاومة أو لم يعجزوا عنها لكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا.. فإنه يفترض على من يليهم فرضَ عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه ثُم وثُمَّ إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج»[(٢)] اهـ.

ومن المالكية: قال الإمام ابن عبد البر ﵀ في كتابه «الكافي»: «فرض عام متعين على كل أحد ممن يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار، وذلك أن يحل العدو بدار الإسلام محاربًا لهم؛ فإذا كان ذلك وَجَب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالًا شبابًا وشيوخًا، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج مقل أو مكثر، وإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم وكان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا قلوا أو كثروا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كلُ من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضًا الخروجُ إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرضُ عن الآخرين، ولو قارب العدو دارَ الإسلام ولم يدخلها لزمهم أيضًا الخروج» اهـ[(٣)].

قال القاضي أبو بكر بن العربي ﵀: «إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر فيجب على كافة الخلق الجهادُ والخروجُ إليه فإن قصروا عصَوْا»[(٤)] اهـ.

قال القرطبي ﵀ جامعا كلامهم: «إذا تعين الجهاد **بغلبة** العدو على قطر من الأقطار **أو بحلوله بالعقر** فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالًا شبابا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٥ / ٧٨).

(٢) رد المحتار على الدر المختار (٤ / ١٢٤).

(٣) الكافي في فقه أهل المدينة (١ / ٤٦٢).

(٤) أحكام القرآن (٢ / ٥١٧).

وشيوخا، كل على قدر طاقته، من كان له أبٌ بغير إذنه، ومن لا أب له، ولا يتخلف أحدٌ يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوّهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل مَن علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم فالمسلمون كلهم يدٌ على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهلُ الناحية التي نزل العدو عليها واحتلّ بها، سقط الفرض عن الآخرين، ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدوّ، ولا خلافَ في هذا» اهـ[(١)].

ومن الشافعية: قال الإمام النووي ﵀ في «شرح مسلم»: «قال أصحابنا: الجهاد اليوم فرض كفاية إلا أن ينزل الكفار ببلد المسلمين فيتعين عليهم الجهاد، فإن لم يكن في أهل ذلك البلد كفاية وجب على من يليهم تتميم الكفاية»[(٢)] اهـ.

ومن الحنابلة: قال الإمام موفق الدين بن قدامة ﵀ عند ذكره للأحوال التي يتعيّن فيها الجهاد: «الثاني: إذا نزل الكفار ببلد المسلمين تعيّن على أهله قتالهم والنفير إليهم ولم يجز لأحدٍ التخلف إلا مَن يحتاج إلى تخلفه..»[(٣)] اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في «الفتاوى الكبرى»: «وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريبَ أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والدٍ ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا»[(٤)] اهـ، وقال فيها أيضا: «فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجهٌ، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجبٌ إجماعًا»[(٥)] اهـ.

تنبيه: لاحظ أن الفقهاء ﵏ يتحدثون عن حالة كثيرة الوقوع، وهي هجوم العدو الغازي على ثغور دار الإسلام وحلوله بها، ولأنها هي الحالة المتصورة في العادة ولا سيما في أزمانهم، فلا يُفهم من ذلك ما فهمه الجهلة من أن الدفاع إنما هو عن «دار الإسلام» فقط أو عن المسلمين بشرط وجودهم في هذه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١٥١، ١٥٢).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٣ / ٩).

(٣) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤ / ١١٨).

(٤) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٩).

(٥) الفتاوى الكبرى (٥ / ٥٣٧).

الدار (دار الإسلام بمعناها الاصطلاحي)، فإن الدفع قبل ذلك هو عن الدين والنفس ثم المال وسائر الحرمة.. ولذلك فعبارة شيخ الإسلام أوضحها: «**فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجبٌ إجماعًا**».

وليعلم أن هذا التقسيم للجهاد إلى جهاد دفعٍ وجهاد طلبٍ إنما هو تقسيم اصطلاحي وضعه الفقهاء لتيسير ضبط بعض الفروع، ودرسها وحفظها، وإنما العبرة بالمعاني والحقائق لا بمجرد الألفاظ ومباني الاصطلاح والمواضعة، وهذا هو بعض السر في فساد أفهام هؤلاء القوم؛ «المخلف» وأتباعه.. فإنهم اغتروا باصطلاحات كما سبق الإشارة إليه، ولم يحققوا الحقائق ويمحصوا المعاني ويعطوا كل شيء حقه بحسب الدليل الشرعي.

وإلا فنحن نسأل هذا السائل: ما هو جهاد الدفع وأين يوجد ومتى؟ فلو أن بلدة أهلها مسلمون يحكمهم حاكم مسلمٌ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (دار إسلام) في نواحي الدنيا بعيدة عن ديار المسلمين الأخرى، وقع فيها انقلاب عسكري وسياسي، وسيطر على الحكم فيها رجالٌ زنادقة أظهروا الكفر والردة عن الإسلام وعطلوا إقامة الصلاة، وساندهم قادة الجيش فسيطروا على البلاد في أيام، وشرعوا في تبديل قانون البلد من شريعة الإسلام إلى قوانين وضعية وضعوها وأخذوا يحملون الناس عليها.. إلخ؛ فما الواجب على الناس المسلمين سكان هذه البلدة الآن؟

الجواب الذي لا جوابَ غيرُه عند كل علماء المسلمين: أنه يجب عليهم جهاد هذا الحاكم الكافر والخروج عليه ومنابذته بالسلاح والقتال، ليخلعوه وينحّوه عن الحكم ويقيموا في مكانه مَن يحكمهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. هذا واجبٌ عليهم اتفاقًا، وإنما يسقط عنهم هذا الواجب بالعجز، فقط، فإن عجزوا ورأوا أنهم لا يستطيعون وأنهم ضعفاء جدا عن مقاومة هذا الحاكم الكافر ودولته وجنده وأنهم مقتولون مهزومون لو دخلوا في حرب معه، وبالجملة ظنوا أو أيقنوا العجز، فإنهم يجب عليهم حينئذ الإعداد للجهاد حتى يصلوا إلى مرحلة القوة والقدرة على مجاهدة هذا الحكم الكافر، وفي غضون ذلك يجب عليهم الدفع بما يقدرون من الدعوة والأمر والنهي وكلِّ سعي مشروعٍ في تحصيل المقصود من إقامة شرع الله ﷻ وإزالة حكم الكفار.

هل يسلّم «المخلف» وأتباعه بهذا؟! إن لم يسلّموا به فقد خرجوا عن إجماع كل أهل العلم، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وخالفوا نصوص الكتاب والسنة، وضلوا ضلالا بعيدا.

وإن سلموا فقد قامت عليهم الحجة واندحض باطلهم؛ لأن أهل هذه البلدة التي تحوّلت -على

الأصح من أقوال أهل العلم- إلى دار كفر وحربٍ بمجرد سيطرة الكفار عليها وغلبة أحكامهم الكفرية عليها، يجب عليهم الجهاد، أو على الأقل هو مشروعٌ بإجماع العلماء، لا يخالف في ذلك أحدٌ من العلماء، كما أوضحناه، فإذا قاموا وجاهدوا فما هو هذا الجهاد إلا جهاد الدفع؟! بحسب التقسيم الفقهي الاصطلاحي، لأنه دفع لهذا الكافر الصائل على الدين والمال والعرض والأرض.. وإن شئت أن تسميه جهاد طلبٍ فافعل، لا يضرك..!! ولكن لا ترتب عليه إلا أحكامه الخاصة بجهاد الدفع، وأعظمها أنه متعينٌ على أصحاب تلك الناحية بخلاف جهاد الطلب المعروف في اصطلاح الفقهاء، فهذه في النهاية مجرد اصطلاحات أيها الإنسان..!! المهم أنه جهادٌ مشروع بل واجبٌ مع القدرة والمتخلف عنه بغير عذرٍ فاسقٌ مستحقٌ للعقوبة ساقط العدالة.

فتدبر هذا المثال لكي تدرك مدى اغترار القوم بالألفاظ والاصطلاحات، وبُعدهم عن التحقيق والعلم النافع.. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

واعلم أن حقيقة قولهم -كما يصرح به «المخلف»- أنه لا بد لمشروعية الجهاد من وجود دار للإسلام ينطلق منها الجهاد والمجاهدون.. هذا قولهم، يعني: أن شرط مشروعية الجهاد هو: وجود دولة إسلامية ممكنة منها ينطلق الجهاد.. وهذا كله من الباطل والكذب على الله ورسوله ودينه، لأنه لا دليل عليه ولا برهان، وما أنزل الله به من سلطان، ولم يقل به أحد من أهل العلم من أهل السنة على مدار تاريخ الإسلام فيما نعلم، وإنما هو نفس قول الرافضة أخزاهم الله إنه لا جهاد إلا بإمام ويعنون به الإمام المعصوم، حتى جاء «الخميني» الهالك ووضع لهم نظرية «ولاية الفقيه النائب عن الإمام الغائب»؛ ليخرجهم من هذه الضائقة الفقهية التاريخية.!!

وصورة أخرى شبيهة بما ذكرناه تبين فساد هذا القول وضلاله: فلو فرض أن بلدًا للمسلمين كانت تحكم بالإسلام وتعلوها شرائعُهُ ويهيمن عليها سلطانه؛ فتوجه نحوها عدوٌ بقوته وجيشه يريدُ مداهمتها والغلبة على أهلها، فإن جهاد أهلها عند أول جزء من أرض الإسلام وطأته أقدام العدو يُعَدّ جهادَ دفعٍ، حتى على قول هذا المخلف المفتون، فإذا تغلب هذا العدو على البلدِ وبسط سلطانه، فمقتضى قول هذا المفتون وشيعته أن الحال قد انقلب فورًا وتبدل الحكمُ في طرفة عين وصار الجهادُ عند أول لحظة تسلط الكفارِ وغلبتهم على البلدِ ليس مشروعًا، لأنه لم يعد هناك دارُ إسلام يجب الدفاع عنها بعدما صارت القوة والسلطة في يد العدو الكافر المتغلب، فهل يذهب لهذا عاقل يدري ما يقول؟! أم هو نفثة شيطانية وشبهة إبليسية يراد منها إسقاط واجب الجهاد الذي بدأت معانيه وحقائقه تسري في أمة الإسلام.!! فليتدبّر العاقلُ ذلك، وبالله التوفيق.

الخامس: أن مِن موجبات الجهاد، ومن المواضع التي يجب فيها على المسلمين حتى تحصل الكفاية، فإن قام به من يكفي فقد كفى ونال الأجر، وإن لم يقم به مَن يكفي أثم الجميع حتى يقوموا به أو يقومَ به من يكفي منهم: تخليصَ أسرى المسلمين من أيدي الكفار، ومعلومٌ كم للمسلمين من أسرى عند الكفار اليوم؛ فلو قام المجاهدون يقاتلون أعداء الله وينكون فيهم ويتحيّنون فيهم الفرص لتخليص أسرى المسلمين فهذا مشروع ولا شك، وعملٌ صالح، كيف وهو فرضٌ عند جميع العلماء.!

قال القاضي ابن العربي المالكي ﷺ: «إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهمٌ، **كذلك قال مالكٌ وجميعُ العلماء**، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد والقوة والجلد»[1] اهـ.

ولا شك أن أحد أسباب وجوب الجهاد على المسلمين اليوم، بل وتعيّنه على جميعهم، هو هذا السبب الذي ذكرناه وهو تخليص الأسرى، ولا شك أن المجاهدين من «القاعدة» وسائر إخوانهم أهل التوحيد والسنة والعقائد السلفية السليمة يجاهدون من أجل ذلك مع باقي المقاصد المرعية، والحمد لله رب العالمين.

السادس: أنه على التنزّل يقال لهذا المعترض الجاهل: هب أن المجاهدين اليوم أعزهم الله قاموا يجاهدون من أجل تخليص قومهم «الكفار» -على زعمكم الباطل- أو أي كفارٍ مستضعفين، يبتغون تخليصهم من ظلم الظلمة الفراعنة وتحريرهم من قهر الجبارين الطاغين.. فما حكمُ ذلك عندك؟! وهل يصحّ أن يقال: هذا قتال في سبيل الطاغوتِ؟ أو يقال: هذا كفرٌ بالله ﷻ وموالاة للكفار المشركين؟ أو يقال: هذا ليس قتالا لإعلاء كلمة الله؟ أو ماذا؟ بيّنوا لنا..!!

وأما نحن فنقول بحمد الله: لو قدر المجاهدون أن ذلك فيه مصلحة للإسلام والمسلمين، بتخليص القوم من القهر وتحريرهم من الجبابرة المستولين عليهم، رحمةً بهم وإحسانًا، وليكونوا قادرين على حسن الاختيار، ولأن المرجوَّ منهم أنهم إذا تحرروا يكونون أدعى وأدنى إلى قبول دعوتنا وأقربَ إلى قبول الإسلام والدخول فيه أو الرجوع إليه، ولنتوصّل بذلك إلى إقامة الدين ورفع رايات دعوة التوحيد يفيء إليها الناسُ، والحالُ أنه لم يوجَد طريقٌ إلى جهاد أعداء الله وتحقيق مقاصد الجهاد

---

(١) أحكام القرآن (٢ / ٤٤٠).

غير هذا الطريق في ظرفٍ معيّن وأحوالٍ معيّنة.. فإن هذا جائزٌ إن شاء الله ﷻ، كما هو اختيار بعضِ العلماء، ويكون حينئذٍ جهادا في سبيل الله مرادًا به إعلاءُ كلمة الله.

وانظر في هذا ما جمعه الشيخ «أبو قتادة» من أقوال العلماء في رسالته «جؤنة المطيبين» في فصل: «تحقيق حديث قتال الزبير ﷺ مع النجاشي»؛ فإنه ساق أقوالًا مهمة وفتاوى للعلماء في المسألة..

وهذا جزء يسيرٌ مما نقله أبو قتادة فرّج الله عنه: «وفي «المدونة» لسحنون المالكي: «قال مالك في الأسارى يكونون في بلاد المشركين يستعين بهم الملك على أن يقاتلوا عدوًا له ويجاء بهم إلى بلاد المسلمين. قال: لا أرى أن يقاتلوا على هذا، ولا يحل لهم أن يسفكوا دماءهم على مثل ذلك؛ وإنما يقاتَلَ الناس ليدخلوا في الإسلام من الشرك، فأما أن يقاتلوا الكفار ليدخلوهم من الكفر إلى الكفر ويسفكوا في ذلك دماءهم في ذلك فهذا مما لا ينبغي ولا ينبغي لمسلم أن يسفك دمًا على هذا» [١/ ٣٩١].

وفي «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود: «قال الإمام أحمد: لو قال مِلِكُ الكفار للأسرى المسلمين: اخرجوا فقاتلوا أعطيكم كذا وكذا، فلا يحل أن يقاتلوا معه، وإن قال: أخلي عنكم، فلا بأس بذلك رجاء أن ينجوا، وسئل: إن قال لهم ملك الكفار: أعطيكم وأحسِنُ إليكم، هل يقاتلون معه؟ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**)[1]، لا أدري» [ص ٢٤٨- ٢٤٩].

يقول أبو قتادة: رحم الله أهل العلم والتقوى كيف كانوا على بصيرة من دينهم، وكيف كانت تقواهم، فهذا الإمام أحمد يقول في مسألة: «لا أدري»، ولو عرضت اليوم على غِرّ صغير جاهل لما حك ذقنه قليلا قبل أن يخوض فيها ويقول فيها ما يرى، ثم لن يتردد في تبديع مخالفه ولعنه»[2] اهـ.

وانظر للفائدة: كيف فرّق الإمام أحمد بين قتالهم معهم رجاءَ أن ينجوا، وبين قتالهم معهم من أجل نيلِ ما وعدهم المِلِكُ الكافر به بقوله: «أعطيكم وأحسِنُ إليكم»؛ فأجاز الأول، وتردد في الثاني خشية أن يكون قتالا لا في سبيل الله بل لمجرد الدنيا.

فهذا بعضُ كلام الأئمة في هذه المسألة، فأين الكفرُ وموالاةُ الكافرين من ذلك؟!! وإنما الكلامُ في الجواز من عدمه، وقد تردد بعضُ الأئمة في بعض الصور.!

فالله المستعان، والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، صحيح مسلم (١٩٠٤).

(٢) جؤنة المطيبين (ص ٥٦).

وهذا ما تيسر كتابته حول هذا السؤال، وأسأل الله ﷻ أن ينفع به كاتبه وقارئه والساعي فيه بخيرٍ، وأن يجعله في ميزان حسناتهم..

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه: **عطية الله**

رجب ١٤٢٨هـ

❋ ❋ ❋





انفذ على رسلك



تم نشر هذه السلسلة من المقالات الماتعة النافعة في مجلة «طلائع خراسان» الجهادية..

وذلك في تسع حلقات من العدد الحادي عشر وحتى التاسع عشر

وقد استشهد الشيخ قبل أن يتمها؛ فتقبله الله في عليين

ذو الحجة - رمضان

١٤٢٩ - ١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحلقة الأولى - مجلة طلائع خراسان، العدد الحادي عشر، ذو الحجة ١٤٢٨]

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه وجنده.. وبعد:

فإنني منذ زمن كنت مأخوذًا بسِحْر هذه الكلمة النبوية البليغة التي جعلتها عنوانا لهذه المقالات، كثيرَ التدبر في معناها والتأمل لفحواها، والتمثل بها، وكنت أزداد كل يوم مع التجارب تأثرا وانفعالا بها.. ونبينا ﷺ أوتيَ جوامع الكلم، واختُصر له الكلامُ اختصارًا؛ يقول الكلمة القصيرة الجامعة، التي تجمع المعاني الكثيرة جدا، وأمثلة هذا كثيرة مشهورة في أحاديثه ﷺ لا تكاد تنحصر؛ فليضف إليها هذا المثال أيضا.

وهو ﷺ يحب الإيجاز، وأَمَر به كما جاء في «السنن»، والإيجازُ من فنون البيان، وهو: التعبير عن المعنى كاملًا بأوجز لفظ وأقصره، وفيه من المناحي الجمالية ما يُعرَف في محله من كتب «البلاغة»، واختياري هذه الجملة المباركة عنوانًا لهذه المقالات هو للتنويه بها، وبما فيها من المعاني الجليلة، ولتُحْفَظ، وإن كانت المقالات ستستطرد كثيرا إن شاء الله بحسب الحاجة إلى معالجة القضايا والتذكير بالعلم والحكمة.

وسنبدأ بذكر الحديث الشريف الذي وردت فيه هذه الكلمة النبوية العظيمة، ونتدبر في بعض معانيه، ثم ننطلق إلى مسائل متنوعة بحسب ما يفتح الله تعالى، وعليه ﷻ توكلي واعتمادي.

۞ تدبر في حديث (لأعطين الراية غدا..):

الحديث متفق عليه، رواه البخاري ومسلم رحمهما الله[1]، كلاهما من عدة طرق عن سهل بن سعدٍ وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنهما، وسأقتصر على إيراد أكمل ألفاظه، وأشير إلى ما يهمّ من زياداتِ الألفاظ الأخرى:

قال البخاري في «صحيحه»، في «كتاب المغازي: باب غزوة خيبر»: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم

(١) صحيح البخاري (٤٢١٠)، صحيح مسلم (٢٤٠٧).

خيبر: (**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**)، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: (**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**) فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: (**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**)؛ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟» فَقَالَ: (**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**) اهـ.

❖ تاريخ القصة ومعنى اليوم:

القصة إذن وقعت في يوم خيبر، المقصود باليوم في مثل هذا التعبير: «أيام حادثة أو واقعة غزوة خيبر وفتحها»، فلا يلزم أن يكون يومًا واحدًا بالمعنى اللغوي لليوم، وإنما هو استعمال عرفي لكلمة «يوم»، كما يقال: «أيام العرب: يوم ذي قار، ويوم بُعاث»، وما شابه.. وكذا في الإسلام: يوم بدرٍ، ويوم أحدٍ، ويوم الخندق، ويوم القادسية، ويوم اليرموك، وهكذا.. ومنه: أيام الله؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، وأنت ترى أن الصحابيَّ في حديثنا هذا قال: إن النبي ﷺ قال «يوم خيبر»: (لأعطين الراية **غدًا**).. فالقصة حصلت في اليوم السابق ليوم الانطلاق للغزو الذي وقع فيه الفتح على يد عليّ، ومع ذلك قال: «يوم خيبر»، وهذا واضح، وأيضًا قد حاصر النبي ﷺ خيبر قريبا من الشهر، حتى فتح حصونها واحدًا تلو الآخر، وقد جاء في روايات أخرى أن الصحابة ﷺ ظلوا أياما يحاولون فتح حصن خيبر الكبير ثم ينصرفون ولا يتمكنون منه، حتى قال النبي ﷺ (**لأعطين**..) الخ.

وكانت غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة النبوية الشريفة، بعد صلح الحديبية، العدو فيها هم اليهود المغضوب عليهم؛ لعنهم الله، واليهود في خيبر منهم قسم سكنوها منذ أزمان طويلة عبر هجرات من أرض الشام وغيرها، وقسم آخر هم ممن لجأ إليها بعد أن أخرجهم النبي ﷺ من المدينة المنورة وأجلاهم عنه وهم بقايا بني النضير وقريظة وبني قينقاع وكانوا أهل تجارة وفلاحة، وكعادتهم كانوا يسكنون حصونا محصنة، وكانت حصونهم كثيرة وكبيرة لها أسماء معروفة، أكبرها حصن «القَموص» -بفتح القاف-؛ وهو الذي فتحه علي ﷺ ووقعت فيه قصة هذا الحديث.

ولما فتح النبي ﷺ خيبر سأله أهلها من اليهود أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن

أعلم بها نكم وأعمر لها ففعل، على أنه إذا شاء أن يجليهم أجلاهم، فكانوا على ذلك إلى أن أجلاهم عمر ﷺ في خلافته.

❖ الراية؛ معناها وأهميتُها ورمزِيّتُها:

قال: (**لأعطين الراية**) في الحرب من قدم الزمان منذ أن بدأت تتميز الجماعات البشرية الكبيرة والأمم، ودخلت في حروب وصراعات كان للناس في حروبهم رايات؛ وهي الأعلام التي يرفعونها ليتميزوا بها، ويراها القاصي منهم والشارد، فيأوي إليها، ويجتمعون حولها، وترتفع معنوياتهم وتشحذ هممهم وعزائمهم بارتفاعها وعلوها ورفرفتها في السماء.!

وربما كان لها وقع في نفوس الأعداء بالإخافة وإنزال الرعب والرهبة، وغير ذلك من الفوائد التي لا تخفى، ولذلك كانت الأمم كلها عربها وعجمها تتغنى في أشعارها وآدابها بارتفاع راياتها وعلوها وانتصابها، وخفقها ورفرفتها مع الرياح، وانتشارها في الهواء، وفوق سواد الجيوش، ويتغنون بألوانها وما فيها من الرمز والمعنى ولمعانها ودلالتها.. إلخ.

وجرى عمل نبينا ﷺ على اتخاذ الراية كذلك؛ لما في ذلك من المنفعة الظاهرة التي أشرنا إلى جملة منها، وهكذا كان ﷺ، وهكذا شريعته.

كل شيء فيه مصلحة ومنفعة دنيوية أو أخروية خالصة أو راجحة، مما كان الناس يفعله قبل الإسلام، ومما تفعله الأمم، أقره أو أمر به وحث عليه، وما زاده إلا قوة، وربما أدخل عليه ما يصلحه ونفى عنه ما داخله من فساد، بحسبه، كما هو مبسوط في موضعه، فالراية هي ما يسميه الناس اليوم العَلَم، وكانت تسمى أيضًا البند، وجمعه بنود، وتسمى أيضا اللواء، وجمعه ألوية.

لكن في تصرف النبي ﷺ في غزواته وسراياه وبعوثه، اختلف علماؤنا؛ **هل الراية واللواء كانا مترادفين، أي هما شيء واحدٌ، مرة يسمّونه الراية، ومرةً يسمّونه اللواء؟ أو هما متغايران؟ وإذا كانا متغايرين؛ فما الفرق بينهما؟**

والأظهر -والله أعلم- أنهما يجتمعان ويفترقان؛ فإن كانت واحدة فتسمى راية أو لواءً، سواء، وقد جاء في الحديث عند «أحمد» وغيره من رواية بُرَيدة الأسلمي ﷺ: (**إني دافع اللواء غدًا**)[١]، وإن كان أحدها للقيادة ولإمارة الجيش، والأخريات للفروع ولكل قوم أو مجموعة أو قطعة من الجيش، فالذي

---

(١) مسند أحمد (٢٢٩٩٣) وقال الأرنؤوط: صحيح.

للقيادة يسمى اللواء، والذي للفروع يسمى الرايات، والله أعلم.

وتتبع أمثلة ذلك وأدلته يطول، وإنما نشير هنا إشارة، وهو مبحث جزء منه تاريخي أدبي، وفيه أحكام أيضًا من جهة الاقتداء بفعله ﷺ في راياته وألويته، وأشكالها وألوانها وما يكتب فيها ومعرفة ما كان يراعيه من الحكمة فيها، وغير ذلك..

وللراية معنىً آخر: وهو الجانب المعنوي لها وهو المعنى الذي جاء في بعض الأحاديث؛ كحديث (**من قاتل تحت راية عمية**..) الخ، سمي راية والله أعلم من باب تسمية الشيء باسم ما له ملابسة ظاهرةٌ به؛ فهو تجوّز إذن، إن شئتَ، ولا مشاحة.!

وذلك أن الراية كما وصفناها هي تعبير عن القوم والأمة الذين يتخذونها ويرفعونها، وتعبير عن هذه القوة البشرية والجهة القومية أو الدينية أو غيرها التي تتخذ هذه الراية، وهذه الجهة إنما تتخذ هذه الراية المخصوصة وتصنعها وتجعلها معبرة عنها مميِّزة لها، منادية بدعوتها وعصبيتها، ناطقة بفكرتها وفلسفتها، ولذلك تجتهد كل جهة أن تجعل رايتها تعبر أصدق تعبير عنها، وهي كذلك دائمًا بلا شك، فوجه الارتباط (العلاقة) بين الراية التي هي العلم، وهي قطعة القماش، وبين الراية بالمعنى الذي نتحدث عنه هنا واضح جلي.

فالمسلم يقاتل تحت راية الإسلام دين الله الذي بعث به محمدًا ﷺ، والكافر يقاتل تحت راية قومه الكفار، تحت راية الكفر والشرك، يهودية أو نصرانيةٍ، أو وثنيةٍ أو مجوسيةٍ أو غيرها، سواء كان يرفع علمه الخاص (قطعة قماش) في ساحة المعركة أو لم يكن يرفع..!

الجندي الأمريكي: يقاتل اليوم تحت راية «الولايات المتحدة الأمريكية» بكل ما تعبر عنه هذه التسمية من عِرقٍ وقوميةٍ ودين ومعتقدات وفلسفات وما يسمونه بالقيم الأمريكية والحضارة والمدنية والثقافة الأمريكية والكبرياء والقوة والعصبية الأمريكية..!!

وبالجملة: الانتماء الأمريكي، أي الانتماء والولاء لهذه الدولة، فهو يقاتل تحت راية أمريكا.

والمسلم المجاهد: يقاتل تحت راية الإسلام، يقاتلهم تحت راية هذا الدين لا غير، ومن أجله لا غير، وبأحكامه لا غير..! فهو يقاتل تحت راية الإسلام؛ فإن كانت للإسلام دولةٌ فهي ترفع راية الإسلام، فهو تحت راية هذه الدولة الإسلامية، وإن لم تكن فالإسلام هو الراية على كل حال، وسواء رُفِعتْ (قطعة القماش) أو لم ترفع، فالراية هي ذلك المعنى الذي وصفناه.

❖ أخطاء شاعت في مسألة الراية:

شاع في هذا الباب بعض الأخطاء..

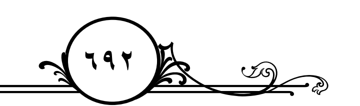
منها: أن الراية لا بد أن تكون موحدة تحت أمير عام أعظم للمسلمين حتى يكون الجهاد مشروعًا، وذلك لا شك في أنه خطأٌ لا صواب، بل الجهاد مشروع تحت راية الإمام الأعظم الممكن (الخليفة وما يقابله) أو بغيره، على تفاصيل تُذكَر في موضعها.

نعم.. يجب على المسلمين والمجاهدين خصوصًا أن يتحدوا ويكونوا صفًا واحدًا ويعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، وإنما الكلام في جعل ذلك شرطًا لمشروعية الجهاد على كل حال، فذلك خطأ.

وظن البعض أن الراية لا بد أن تكون سلفية تقية نقية مهذبة..! حتى يكون الجهاد مشروعًا تحتها، وذلك أيضًا خطأ؛ **فإن منهجنا نحن أهل السنة والجماعة أهل الحق الذين هم على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه أن الجهاد مشروع مع كل بر وفاجر من الأمراء والأجناد، ولله الحمد**، وهذا مبسوط في كتب عقائد أهل السنة وفي كتب الفقه أيضًا، وذلك لا ينافي وجوب استمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح والدعوة إلى الخير، وإلى تكميل النقص بحسبه وعلى ضوء فقه هذا الباب وآدابه.

وذكر بعض أهل الخير في المسألة العراقية اليوم (أعوام بضع وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة) أنه لا توجد راية، فلا جهاد مشروع.!! وأخطأ القائل في ذلك خطأً فاحشًا، أصلح الله شأننا وشأنه، وهو قول خارج عن أصول العلم والفقه..! عجيب من قائله..! ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولله ﷻ الحجة البالغة على خلقه، بل الراية كائنة موجودة ولله الحمد، فهناك جماعات وتنظيمات سنية سلفية مجاهدة، ولله الحمد والمنة والفضل، ومن كان له انتقاد على البعض أو لم يعرفهم، فله مندوحة في الكثيرين، ومن لم يعرِف فلا يحلّ له أن يتكلم عن جهل؛ فإن العبد يقول الكلمة لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا، وإن من أعظم الآثام رجلٌ صدَّ عن جهاد العدو الكافر الصائل بمثل هذه الحجج الواهية والداحضة..!

ثم على التسليم بعدم الراية.. فالجهاد مشروع بكل حال، لأنه جهاد دفع للعدو النَّصراني الصليبي الصائل الذي يفسد الدين والدنيا؛ وهذا واجب دفعه على المسلمين بالإجماع الأقرب فالأقرب إلى أن تحصل الكفاية في تحقيق المقصود، لا خلاف في ذلك، ولا يُشترط لمشروعية ذلك شرط..! وكلام العلماء في ذلك من كل المذاهب قديمًا وحديثًا في أروع ما يكون من القوة والوضوح، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



❖ معنى قوله ﷺ: (من قاتل تحت راية عمية):

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصر عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضربُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ)[1] اهـ.

قال علماؤنا رحمهم الله: الراية العمية «هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه؛ كذا قال أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق ابن راهويه: هذا كتقاتل القوم للعصبية» قاله النووي في شرح مسلم[2]، وهي مأخوذة من العمى وهو الضلال وعدم البصيرة، فصاحبها يقاتل لا على الحق ولا على بصيرة من الله تعالى، بل يقاتل لهوى نفسه ونصرًا لقومه أو بلده ووطنه ودولته وما شابه، ذلك وبغضّ النظر عن كونه مع الحق أو لا، وبغض النظر عن كون ذلك محبوبًا لله ﷻ مأمورًا به في شريعته سبحانه أو لا.

فإذا عرفت أن من هذا حاله في قتاله قد أخبر النبي ﷺ أنه يموت ميتة جاهلية؛ أي يموت عاصيا لله تعالى، شبه ميتته بميتات أهل الجاهلية، يموتون على الباطل! فكيف بمن يقاتل على الباطل رأسًا وهو يعلم أنه على الباطل الواضح البين: يقاتل على الكفر والشرك ومحاربة الدين وينصر قوى الكفر والطغيان والضلالة والعهر والمجون والإفساد في الأرض؟! نسأل الله العافية والسلامة.. آمين.

وقوله ﷺ: (**يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة**) هو تفسير لقوله: (**من قاتل تحت راية عمية**).. بيانه أن جملة (**يغضب**) هي إما جملة مفسرة لا محلّ لها من الإعراب على قول أكثر النحاة، أو موضعها موضعُ ما تفسِّره على قول بعضهم، وهي كاسمها تفسيرٌ لما جرتْ عليه، أو هي جملة حالية فموضعها نصبٌ، وجملة الحال قيدٌ لعامِلها، أو هي على أضعف الاحتمالات جملة مستأنفة مبتدأة، فلا محل لها من الإعراب أيضا وهي حينئذٍ خارجة مخرج البيان لما قبلها، وعلى كل التقديرات: فإن جملة (**يغضبُ لعصبةٍ**) وما عطف عليها، هي تفسير وبيان ووصف وتقييد لقوله: (**من قاتل تحت راية عمية**) وهذا واضح إن شاء الله.

إذا تبين ذلك؛ فإن الذي يقاتل تحت راية عمية هو من يقاتل من أجل العصبة ويغضب للعصبة ويدعو إلى العصبة وينصر العصبة، أي لا على أساس الدين، **ومعنى العصبة**: ما يتعصب له الإنسان أي

---

(١) صحيح مسلم (١٨٤٨).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢ / ٢٣٨).

ينصره وينحاز له ويكون معه من القوم والوطن ونحوه، فهذا هو الذي يقاتل تحت راية عمية.

وها هنا مسألة: وهي من قاتل تحت راية (علم أو بيرَقٍ أو لواء أو بنْدٍ) لدولة أو جماعة هي على غير الحق، لكنه لا يقاتل لهذه العصبة ولا ينصر هذه العصبة ولا يدعو إليها، وإنما اتفق أنه قاتل معهم لغرض صحيح في نفسه، ويُتَصَوَّرُ ذلك في بعض الأحوال؛ كمن قاتل في وقت من الأوقات تحت راية بعض الحكومات الكافرة كمن قاتل في أول غزو أمريكا للعراق تحت راية «صدام» لدفع العدو الصليبي الصائل الأكثر فسادا للدين والدنيا، لأنه لم يكن يمكنه في وقت من الأوقات إلا ذلك لعدم وجدانه جماعة الحق وراية الحق، أو لعجزه عن الالتحاق بها.

وكمن قاتل مع بعض جيوش الكفار ضد كفّار آخرين لغرض تحصيل مصلحة راجحة للإسلام والمسلمين كنصر أحدهما على الآخر مما يؤول إلى نصر الإسلام، أو لتحصيل مصلحة التدريب والتعلم لفنون الحرب والعسكرية ونحو ذلك، وهذا قد أفتى به بعض الفقهاء قديما وحديثا.

لكن هذا يقدّر بقدره ويرجع فيه إلى مشاورة الفقهاء وقيادات المسلمين الموثوقة؛ فهذا بلا شك لا يدخل تحت قوله ﷺ: (**من قاتل تحت راية عمية**.. -إلى قوله- **ميتة جاهلية**)؛ لعدم وجود القيد والصفة التي بيناها، فمعنى الحديث إذن: من قاتل تحت راية عمية بهذا الوصف وهذا الشكل (المبين في نص الحديث)، فمات في تلك الحال فإنه عاصٍ مرتكبٌ كبيرةً.. والله أعلم.

❖ قتال المسلم تحت راية قومه في جيش المسلمين:

كان النبي ﷺ يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه، كذا جاء في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما في «المسند» وغيره، وإن كان الحديث في إسناده ضعف إلا أن له شواهد، فالمعنى ثابت إن شاء الله، ولهذا حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة»[(١)].

ومن شواهده: ما ثبت في «صحيح البخاري» من حديث مروان والمسور في قصة الفتح وقصة أبي سفيان قال: ثم مرت كتيبة لم يُرَ مثلها فقال: (**من هؤلاء؟**) قيل له: الأنصار عليهم سعد بن عبادة ومعه الراية، وفيه: وجاءت كتيبة النبي ﷺ ورايته مع الزبير.. الحديث[(٢)].

وهذا هو الذي كان يجري عليه عمله ﷺ مع أجناده؛ ولهذا أطلق علماؤنا القول بأن السنة أن يقاتل

---

(١) مسند أحمد (١٨٣١٦)، السلسلة الصحيحة (٣١١٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٢٨٠).

الرجل تحت راية قومه، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية؛ نقله عنه ابن كثير في «البداية والنهاية»[١]، وذكره غيره من العلماء أيضا.

وهذه جملة مما وقفت عليه الآن من السنة وعمل الصحابة:

- **أبو لبابة** رضي الله عنه: كان أحد النقباء وشهد أحدًا، ويقال: شهد بدرًا، واستعمله النبي ﷺ على المدينة وكانت معه راية قومه (وهم بنو عمرو بن عوف، من الخزرج) يوم الفتح، ومات في أول خلافة عثمان على الصحيح[٢].

- **وائل بن حجر** رضي الله عنه: كان على راية قومه يوم صفين مع علي[٣].

- **عوف بن مالك الأشجعي** رضي الله عنه: حمل راية قومه يوم الفتح[٤].

- **جابر بن عتيك** رضي الله عنه: كان معه راية قومه يوم الفتح[٥].

- **عبد الله بن الحارث** بن كثير أبو ظبيان الأعرج الغامدي رضي الله عنه: كان صاحب راية قومه يوم القادسية[٦].

- **خزيمة بن ثابت** رضي الله عنه: ذو الشهادتين، كانت معه راية قومه بني خطمة يوم الفتح[٧].

- **قتادة بن النعمان** رضي الله عنه: كانت معه راية قومه بني ظفر في غزوة الفتح[٨].

- **عبد الله بن زيد** بن عبد ربه الأنصاري صاحب الأذان رضي الله عنه: كانت معه راية بني الحارث بن الخزرج في غزوة الفتح[٩].

---

(١) في ذكره وقعة شقحب (١٨ / ٢٧).

(٢) فتح الباري (٣٤٨/٦)، تهذيب التهذيب (١٢ / ٢١٤). [المؤلف، عدا عزو التهذيب]

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٧٢/٢). [المؤلف]

(٤) الكاشف للذهبي (٢ / ١٠١)، مستدرك الحاكم (٦٣٢٣)، البداية والنهاية: حوادث سنة ثلاث وسبعين للهجرة (١٢ / ٢٢٢). [المؤلف عدا العزو]

(٥) الإصابة (١ / ٥٦١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢ / ٤٣). [المؤلف، عدا العزو]

(٦) الإصابة (٤ / ٤٤). [المؤلف، عدا العزو]

(٧) صفة الصفوة لا بن الجوزي (٢ / ٢٣٩). [المؤلف، عدا العزو]

(٨) المستدرك للحاكم: باب ذكر مناقب قتادة بن النعمان الظفري (٥٢٨١). [المؤلف، عدا العزو]

(٩) المستدرك: باب ذكر مناقب عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري (٥٤٤٧)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ٢٨٦٨). [المؤلف، عدا العزو]

- **مِخْنف بن سليم الأزدي** رضي الله عنه: وكان ممن خرج مع سليمان بن صرد في وقعة عين الوردة وقتل بها سنة أربع وستين، وكانت معه راية الأزد يوم صفين[١].

- **عمارة بن حزم** رضي الله عنه: كانت معه راية قومه مالك بن النجار في غزوة الفتح[٢].

- **قطبة بن عامر** رضي الله عنه: كانت معه راية بني سلمة يوم الفتح[٣].

قال العلماء رحمهم الله: «إنما كان ذلك مشروعا لما يتكلفه الإنسان من إظهاره القوة والجلادة إذا كان بمرأى من قومه ومسمع، بخلاف ما إذا كان في غير قومه فإنه لا يفعل كفعله بين قومه لما جبلت عليه النفوس من محبة ظهور المحاسن بين العشيرة وكراهة ظهور المساوي بينهم، ولهذا أفرد ﷺ كل قبيلة من القبائل التي غزت معه غزوة الفتح بأميرها ورايتها؛ كما يحكي ذلك كتب الحديث والسير»[٤].

❖ فائدة؛ وهذا معنى من المعاني الشرعية الصحيحة للقومية:

وحاصله جعل الانتساب إلى القوم خادمًا للدين ومعينا عليه؛ فلا عيب أن ينتسب الإنسان إلى قومه يكون معهم، فهذا في الأصل شيء جبلي وعادي مباح ولله الحمد، وفيه خيرٌ وصلاح للجنس الإنساني، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات]، ثم يرقى لدرجة أن يكون مطلوبًا مأمورًا به استحبابًا أو وجوبًا حين يكون معينا على الدين خادمًا له وناصرًا، كما في قتال الرجل تحت راية قومه في حروب المسلمين مع الكفار كما تقدم، وقومُ الإنسان وأهله الأدنون أولى بمعروفه وصلته وإحسانه.. كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾[الشعراء]، ومن لم ينفع نفسه وأهله وقومه أولًا فقَلَّ أن ينفع الناس.!

ولعلي إن شاء الله أزيد هذه القضية توضيحا في حلقات أخرى إن شاء الله، ونتكلم عن دعوى القومية الجاهلية الفاسدة المصادمة للدين، وما شابهها من معاني الوطنية التي هي اليوم إحدى الضلالات العظيمة التي ابتلى به الناس وطال شررها حتى بعض المنتسبين إلى الدين والشريعة يا للأسف..!

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠ / ٧٨). [المؤلف، عدا العزو]

(٢) الإكمال -في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال- (ص ٣٠٣). [المؤلف، عدا العزو وتتمة الاسم]

(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٥٣٥)، الاستيعاب لابن عبد البر (٣ / ١٢٨٢)، الإصابة لابن حجر (٥ / ٣٣٨). [المؤلف، عدا العزو]

(٤) نيل الأوطار: باب ترتيب الصفوف وجعل سيما وشعار يعرف وكراهة رفع الصوت (٧ / ٢٨٦). [المؤلف، عدا العزو]

رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، نعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.. آمين.

[الحلقة الثانية - مجلة طلائع خراسان، العدد الثاني عشـر، شعبان ١٤٢٩]

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمدٍ وآله وصحبه وجنده.. وبعد، فنتابع حديثنا، وهذه هي الحلقة الثانية:

❖ منقبة لعليّ رضي الله عنه:

(رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) أخبر أن الله تعالى سيفتح على يديه، وقد كان، ولله الحمد، وأخبر أنه يحبُّ اللهَ ورسوله، وأن الله يحبُّه ورسولُه ﷺ.. وهذه منقبة عظيمة يتمنّاها ويرجوها كل مسلمٍ صادق، ومن أجل ذلك: «بات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها».

❖ تنافس الصحابة رضي الله عنهم وتسابقهم إلى الخير والفضل والدرجات العالية:

قوله: «فبات الناس» أي أصحاب النبي ﷺ، حينما سمعوا منه تلك الكلمة التي فيها منقبة لمن يكون صاحبها، «باتوا يدوكون» أي يخوضون ويتحدثون في هذا الأمر يا ترى من يكون صاحب هذه المنقبة العالية؟، ومن هو صاحب الحظ الطيب الوافر من الفضل الذي أخبر النبي ﷺ أنه يحب اللهَ ورسوله ويحبُّه اللهُ ورسوله؟.

قال علماؤنا: ومما يبيّن لك فضيلة الصحابة رضي الله عنهم أنهم باتوا منشغلين في معرفة صاحب هذه الفضيلة يرجو كلٌّ منهم أن ينالها، حتى إذا أصبحوا غدوا إلى رسول الله ﷺ كل واحدٍ منهم يرجو أن ينالها، وتطاولوا لها واستشرفوا -رغم بُعدهم عن الحرص على الإمارة- حتى غفلوا عن البشارة بالفتح (فتح خيبر) انشغالًا منهم واهتماما بفضيلة محبة الله ورسوله!.

فقوله: «**يدوكون**»؛ أي يخوضون ويتحدثون ويختلفون في هذا الأمر، وقوله: «ليلَتَهم»؛ بالنصبِ على الظرفية، فهو ظرفٌ للدّوكِ؛ المعنى: باتوا يدوكونَ طَوالَ ليلتهم، وقوله: «**أيُّهم يُعطاها**» جملةٌ حاليّة؛ فموضعُها نصبٌ، كأنه قال: باتوا يتحدثون طوال ليلتهم يتساءلون ويحزرون ويستظهرون: مَنْ يُعطى الراية؟.

قوله: «**فلما أصبح الناسُ غدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها**»؛ غدوا: أي ذهبوا إليه

صباحًا، وفيه إشارة إلى المبادرة والتبكير، وفيه دلالة على قوة الحرص على الخير والمسابقة إليه وقوة الاهتمام به كما تقدم، وكذا قوله: «**كلهم يرجو أن يُعطاها**» أي كل الصحابة، ولعله من العموم المراد به الخصوص، والمقصود والله أعلم: كل من تأهل في الجملة لنيل هذه المرتبة، وهم جماعة مقدمي الصحابة المقربين، والسادة السابقون من المهاجرين والأنصار ﭫ وأرضاهم، ومنهم عمر ﭬ، قال: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ؛ قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها» رواه مسلم وغيره[١]، ومنهم بريدة بن الحصيب الأسلمي ﭬ، قال: «وأنا فيمن تطاول لها» رواه أحمد وغيره[٢].

وفيه كما تقدم حرص الصحابة على الفضيلة ومحبتهم للخير، رغم عدم حرصهم على الإمارة إلا أنهم هنا كان دافعهم الحرص على هذه الفضيلة والمنقبة العظيمة.

❖ فضل الله يؤتيه من يشاء:

قوله: فقال: (**أين علي بن أبي طالب؟**) فقيل: «هو يا رسول الله يشتكي عينيه»؛ لم يكن حاضرا ولعله حتى لم يسمع بالبشارة المجملة أمسِ، وهذا يبين لك أنه فضل الله يؤتيه من يشاء، وأنت ترى أن من حضر وحرَصَ وغدا وتعرَّض لم ينلها، ومن لم يكن في وارد ذلك كله أتت إليه تسعى! لكن فضل الله تعالى له أسباب يجريها الله لمن شاء أن يكرمه من خلقه.. فما نال عَلِيٌّ هذه المنقبة إلا لما هيأه الله لها وقواه على تبوئها؛ بأسباب العمل الصالح والشكر والصبر والذكر والسبق إلى الخير.

جاء في لفظ آخر: «أنه كان به رمدٌ شديد»[٣].

قوله: «قال-أي الراوي-: فأرسَلُوا إليه، فأُتي به، فبصَقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية» فيه معجزة للنبي ﷺ، وهي من جملة معجزاته الكثيرة في إبراء المرضى وغير ذلك.

قوله: «**فبَرَأَ**» أي شفي من مرضه، وتعافى، وهو بفتح الراء أفصح، وفيه لغة أخرى: برِئ بكسر الراء، وهذه أكثر ما تستعمل في البراءة التي هي ضد الوَلاء.

❖ استلام الراية والتثبت من المهمة:

قوله: «فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟» لما تحققت فيه ﭬ الفضيلة والبشارة

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٥).

(٢) مسند أحمد (٢٢٩٩٣) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري (٣٧٠٢) ولم يذكر «شديد».

بالفتح، واستلم الراية، أخذها بحقها فسأل متثبتًا متحققًا مسترشدًا مستفهمًا عن الهدف والغاية من المهمة، وكان السؤال هو: «أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟» أي يكونوا مسلمين مثلنا؛ فالمراد بالمثلية هنا المثلية في صفة الإسلام، والظاهر والله أعلم أن مراده السؤال عما يقبل منهم وما لا يقبل، وعن الغاية التي ينتهي إليها قتالهم، أي نستمر في قتالهم حتى يدخلوا في الإسلام، ولا نقبل منهم شيئًا آخر غيره، أو يمكن أن نقبل منهم الجزية مثلًا أو غيرها؟

لماذا هذا السؤال دون غيره؟ الله أعلم..! وإنما قد نستظهر بعض الاحتمال؛ فيظهر أنه لم يسأل غير هذا السؤال لأن عامة الأحكام والأوامر العسكرية والسياسية كانت واضحة لا سيما وأن المسلمين استمروا أيامًا محاصرين للحصن يحاولون كل يوم فلم يفتح لهم، حتى جاءت البشارة من النبي ﷺ بالفتح على يده رضي الله عنه، فكأنه رضي الله عنه لما استيقن بالفتح بالبشارة النبوية رأى أن يستثبت من هذا الأمر وهو: نقاتلهم (وفي ضمن ذلك قتلهم) إلى أي غاية وَحَدٍّ؟ بعد أن يظهرنا الله عليهم، والله أعلم.

وفي لفظ آخر في صحيح مسلم وغيره: قال: «يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟، قال: (**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى**)»[1]، وظاهره الأمر بقتالهم حتى يسلموا، ولا يقبل منهم غير الإسلام، لكن الذي وقع بعد ذلك أنهم بعد أن كُسِروا، وأيقنوا الهزيمة.. نزلوا على حكمه ﷺ، وصالحهم على عمارة الأرض ما شاء الله.

❖ جواب القائد المعلم القدوة ﷺ الذي يبهر القلوب:

فقال: (**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**) اهـ.

وفي رواية مسلم التي ذكرناها قبل قليل: (**امشِ ولا تلتفت حتى يفتح الله تعالى عليك**)، قال (أي الصحابي راوي الحديث): فسار عليٌّ شيئًا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟ قال: (**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**).

وفي لفظ آخر -عند ابن أبي شيبة- قال: (**قم اذهب فقاتل ولا تلْفِت حتى يفتح الله عليك**)، فلما

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٥).

ففي كره أن يلتفت، فقال: «يا رسول الله، علام أقاتلهم؟» قال: (**حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها**)(١).

أكثر الروايات في الصحيحين هي: (**انفذ على رسلك**..) الخ، وأشرنا إلى بعض الألفاظ الأخرى، والقصة واحدة بلا شك، فلا يمكن الحمل على تعدد الواقعة.. وإنما الواقع أن الصحابة رووا بالمعنى وحفظ بعضهم أكثر من بعض.

وهاهنا فائدة من كتاب «حجة الله البالغة» للشيخ العلامة ولي الله الدهلوي رحمه الله

قال: «وكان اهتمام جمهور الرواة -عند الرواية بالمعنى- برؤوس المعاني دون الاعتبارات التي يعرفها المتعمقون من أهل العربية؛ فاستدلالهم بنحو الفاء والواو وتقديم كلمة وتأخيرها ونحو ذلك من التعمق، وكثيرًا ما يعبر الراوي الآخر عن تلك القصة فيأتي مكان ذلك الحرف بحرف آخر، والحق أن كل ما يأتي به الراوي فظاهره أنه كلام النبي ﷺ، فإن ظهر حديث آخر أو دليل آخر وجب المصير إليه»(٢) اهـ، وهذا المبحث موضعه كتب أصول الحديث وهو متناثر في كتب أهل العلم، وشروح الحديث.

نرجع إلى الموضوع: فتحصل من مجموع روايات القصة وألفاظ الحديث فوائد وحكم بالغة، نذكر منها ما تيسر منها بفضل الله تعالى ومنه وكرمه:

باكورة الحِكَم: قوله (**انفذ**) مع قوله (**على رسلك**).

حكمة ثانية: قوله (**ولا تلتفت**).

حكمة ثالثة: قوله (**حتى تنزل بساحتهم**).

حكمة رابعة: قوله (**ثم ادعهم إلى الإسلام**).

حكمة خامسة: قوله (**وأخبرهم بما يجب عليهم**..).

حكمة سادسة: قوله (**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا**..).

فنسأل الله أن يعيننا على تدبر هذه الحكم وإبدائها للإخوان في أوضح صورة، وعلى الله الاتكال وبه المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به ﷻ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٨٨٢).

(٢) حجة الله البالغة (١ / ٢٦٦).

۞ الحكمة الأولى: قوله ﷺ: (انفذ على رسلك):

في الروايتين الأخيرتين: (**اذهب**) و(**امش**) وفي رواية ثالثة أيضًا: (**سِرْ**)[(١)] أمر من سار يسير، ومعنى (**انفذ**) هو هذا في الأصل، أعني معنى الألفاظ الثلاثة المذكورة، مع إضافة أخرى تتضمّنُها هذه اللفظة البليغة وهي: السرعة، والاستقامة، والمضاءُ في تصميم إلى بلوغ الغاية.

فكأنه قال: انطلق وسر في سرعة واستقامة ومضاء وتصميم إلى أن تبلغ هدفك، فكل هذه المعاني تضمنتها كلمة (**انفذ**)؛ فكلمة انفذ فيها إيحاء بالسرعة والنفوذ والمضاء والتصميم والاستقامة، ولعل ذلك ناشئ من كثرة استعمالها للسهم والحربة.

مختار الصحاح: «نفذ السهم من الرمية، ونفذ الكتاب إلى فلان، وبابهما دخل، [أي فالمصدر: نفوذًا، ولهذا عطف عليه فقال:] ونفاذًا أيضًا، وأنفذه هو، ونفَّذه أيضًا بالتشديد، وأمرٌ نافذٌ أي مطاع»[(٢)] اهـ.

وفي «مفردات القرآن» للراغب: «نفذ السهم في الرمية نفوذًا ونفاذًا، والمثقب في الخشب: إذا خرق إلى الجهة الأخرى، ونفذ فلان في الأمر نفاذًا، وأنفذته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾[الرحمن]، ونفذت الأمر تنفيذًا، والجيش في غزوه، وفي الحديث: (**أنفذوا جيش أسامة**)»[(٣)] اهـ، وانظر «النهاية في غريب الحديث»[(٤)] وغيره في معاني (**نفذ**).

لكنه ﷺ قال له: (**على رسلِك**) بكسر الراء على المشهور، ويجوز فتحها وكسر السين، أي على مهلك، وبرفق وتأن وتؤدة، والمقصود أنه ﷺ يقول له: انفذ إليهم على مهل وبرفق واتَّئِد في أمرك، وذلك يتضمن النهي عن العجلة والطيش والحركة الخارجة عن الرفق والتثبت، وهو لا ينافي الإسراع والسير بجد! كما قال الله تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣]، وجاء في صفة النبي ﷺ أنه كان يسرع المشي، حتى كأنه ينحطّ من صببٍ[(٥)]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ٩]؛ أي فامضوا إليه مبادرين، أي على وجه لا يخل بالسكينة والوقار كما بينته صحاح الآثار.

---

(١) المستدرك (٤٣٤٢).

(٢) مختار الصحاح (ص ٣١٥).

(٣) مفردات القرآن (ص ٨١٧).

(٤) النهاية (٥ / ٩١).

(٥) سنن الترمذي (٣٦٣٧) وصححه الألباني، مسند أحمد (٧٤٦) وصحح إسناده أحمد شاكر، لكن حسنه الأرنؤوط لغيره.

فتحصل من ذلك مجموعة من الحكم النافعة مما ترشد إليه هذه الكلمات النبوية البليغة: النفاذ في الأمر، وهو السير والمضاء في جد واستقامة وسرعة، لكن هذه السرعة ليست بالعجلة ولا بالطيش، وإنما هي جدّ ونشاط في رفق وتمهّلٍ وتأنٍّ في الأمر وتثبّت، وبصيرة كاملة بمواضع القدم!

وهاهنا فوائد:

الإسراع والعجلة: هذه ألفاظ تتقارب أحيانًا أو تجتمع أحيانًا وتفترق أخرى؛ فالإسراع والسرعة في الاستجابة لأمر الله تعالى، والمسارعة والتعجيل والمبادرة أي التوجه إلى العمل دون إبطاء أو تأخير أو توان.. خُلُقٌ محمود أمر الله ﷻ به ورسوله ﷺ في مواضع، ومثلها المسابقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ..﴾[آل عمران: ١٣٣] الآية، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ..﴾[الحديد: ٢١] الآية، وقال: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[الأنبياء: ٩٠]، وقال: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ٩] على معنى بادروا؛ على أحد الأوجه في تفسيرها.

وقال ﷺ: (**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**) رواه مسلم[1]، وقال: (**بادروا بالأعمال ستًا: الدجال والدخان ودابة الأرض طلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم**) رواه مسلم أيضًا[2]، ومعنى (**خويصة** -بالتصغير، أو خاصة بالتكبير- **أحدكم**): الموت، ومعنى (**أمر العامة**): القيامة.. كذا فسروها والله أعلم.

وقال ﷺ: (**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**)[3]، ومعنى تعجيل الفطر: المبادرة إليه بدون تأخير بعد تحقق دخول وقت المغرب.

وأما الإسراع في أداء نفس العمل، بمعنى أن نؤديه بحركة سريعة لا بطيئة.. فهذا بحسبه، والغالب أن السرعة ليست محمودة فيه، بل يطلب فيه الرفق والتؤدة والمهل كما مرَّت الإشارة إليه، مثاله: الإسراع في حركات الصلاة ونقلاتها، والإسراع في المشي ونقل الخُطى، وفي الكلام وسرد الحديث، والإسراع في سائر حركات الإنسان الاعتيادية.. فهذه جميعها يُطلب فيها الاعتدال والتوسط والرفق، إلا أن يوجد موجب للإسراع فبحسبه، والله أعلم.. وأما العجلة والاستعجال فهي مذمومة.!

---

(١) صحيح مسلم (١١٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٩٤٧).

(٣) صحيح البخاري (١٩٥٧)، صحيح مسلم (١٠٩٨).

قال العلماء: العجلة هي تطلب الشيء قبل أوانه، قال الراغب في «مفرداته»: «العجلة: طلب الشيء وتحرِّيه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة؛ فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل: «العجلة من الشيطان» وقال تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه: ١١٤]، وقال ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾ [طه]، وقال ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾[طه]، فذكر أن عجلته -وإن كانت مذمومة- فالذي دعا إليها أمر محمود، وهو طلب رضا الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل: ١]، وقال ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦]، وقال ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾[النمل: ٤٦]، وقال ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾[الحج: ٧٤]، وقال ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾[يونس: ١١]، وقال ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، قال بعضهم: من حمإ، وليس بشيء!! بل تنبيه على أنه لا يتعرى من ذلك، وأن ذلك أحد الأخلاق التي ركب عليها، وعلى ذلك قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾[الإسراء]»[1] اهـ، وقوله: «حتى قيل: العجلة من الشيطان» اهـ، هذا لفظ حديث كما سيأتي.

قال القرطبي عند قوله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[الأعراف: ١٥٠]: «والعجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، وهي مذمومة، والسرعة عمل الشيء في أول أوقاته، وهي ممدوحة»[2] اهـ.

واعلم أن العجلة مركبة في الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾، ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ **ابتلاه الله ﷻ بها، وكلفه بالتثبت في أمره**؛ فالموفق من وفقه الله تعالى وسدده وأعانه على نفسه.

لكن قد يستعمل لفظ «التعجيل» وما يشتق منه مكان لفظ الإسراع ونحوه، من باب التقايض بين الألفاظ وهو من سعة اللغة وتسامحها؛ فليتنبه لهذا، كقول أبي بكرة رضي الله عنه: «كنا عند النبي ﷺ، فانكسفت الشمس، فقام إلى المسجد يجر رداءه من العجلة، فقام إليه الناس، فصلى ركعتين كما يصلون، فلما انحلت خطبنا».. الحديث، رواه النسائي[3]؛ فقوله «من العجلة» أي من الإسراع.

ومثله حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة، والعصر والشمسُ

---

(١) مفردات القرآن (ص ٥٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (٧ / ٢٨٨).

(٣) سنن النسائي (١٥٠٢) وصححه الألباني.

نقية والمغربَ إذا وجبتْ[١] والعشاء أحيانًا يؤخرها وأحيانًا يُعجّلُ؛ كان إذا رآهم قد اجتمعوا عجل، وإذا رآهم قد أبطأوا أخر، والصبح كانوا -أو قال: كان- النبي ﷺ يصليها بغلس» متفق عليه[٢]؛ فمعنى التعجيل هنا المبادرة بها وتقديمها في أول وقتها.

ومن ذلك حديث: «**إذا وضع عشاء أحدكم، وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعشاء، ولا يعجل حتى يفرغ منه**»، وكان ابن عمر يوضع له الطعام، وتقام الصلاة، فلا يأتيها حتى يفرغ، وإنه ليسمع قراءة الإمام» متفق عليه، وهذا لفظ البخاري[٣]، وفي لفظ آخر له: (**إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه، وإن أقيمت الصلاة**)[٤].

ولذلك قد تجد في كلام العلماء ما تحتاج في فهمه إلى التفصيل المذكور؛ كقول الصنعاني في «سبل السلام»: «العجلة هي السرعة في الشيء وهي المذمومة فيما كان المطلوب فيه الأناة، محمودة فيما يطلب تعجيله من المسارعة إلى الخيرات ونحوها، وقد يقال: لا منافاة بين الأناة والمسارعة، فإن سارع بتؤدة وتأنٍّ فيتم له الأمران والضابط أن خيار الأمور أوسطها» اهـ[٥]، ونقل المباركفوري في «تحفة الأحوذي» عن القاري: «بونٌ بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات وبين العجلة في نفس العبادات؛ فالأول محمود والثاني مذموم»[٦] اهـ.

ومما سبق بيانه تعرف أن ما كان من الإسراع والسبق والمبادرة والتقدم مذمومًا اختصّ في اللغة بلفظ العجلة؛ فلفظ العجلة -في عُرف اللغة- هو لما كان مذمومًا من ذلك، هذا هو الغالب، ولذا ولم يجئ لفظ الاستعجال في القرآن إلا في سياق النهي والذم والعيب والنعي على المشركين.

قال العلماء: «ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، وعدوها قاعدة[٧]، وقالوا: دلت عليها دلائل من الشرع والقدر، وذكروا لها أمثلة في محلها، وهي بكل حال أغلبية، والله أعلم.

وقد جاء الحديث عن رسول الله ﷺ في ذم العجلة وأنها من الشيطان: عن أنس بن مالك ﷺ أن

---

(١) أي غربتْ أي الشمس. [المؤلف]

(٢) صحيح البخاري (٥٦٠)، صحيح مسلم (٦٤٦).

(٣) صحيح البخاري (٦٧٣)، صحيح مسلم (٥٥٩).

(٤) صحيح البخاري (٦٧٤).

(٥) سبل السلام (٢ / ٦٨١).

(٦) تحفة الأحوذي (٦ / ١٢٩).

(٧) نظمها الشيخ السعدي في «منظومة القواعد الفقهية» بقوله: مُعاجل الشيء قبل أوانه... قد باء بالخسران مع حرمانه.

النبي ﷺ قال: **(الأناة** -وفي لفظ: **التأني- من الله، والعجلة من الشيطان)** رواه الترمذي وابن أبي شيبة وأبو يعلى وغيره، وفيه بعض مقال معروف، وجود ابن القيم إسناده في إعلام الموقعين وصححه الألباني في «الصحيحة»: ١٧٩٥[(١)]، فالله أعلم.

ومن المواضع التي جاء النصُّ فيها على ذم العجلة ما ثبت في الصحيحين عن النبيّ ﷺ قال: **(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ يقول دعوت فلم يستجب لي)**[(٢)]؛ فمعنى العجلة هنا: استبطاء الإجابة وعدم الصبرِ، فينشأ عنها ما أشار إليه من الظن السيء.

وفي رواية لمسلم وغيره: «**(لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعةِ رحم، ما لم يستعجل)**، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال يقول: **(قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدعُ الدعاء)**»[(٣)]، قال العلماء: معنى **(يستحسر)** يَمَلُّ ويسأم ويعيى؛ فيترك الدعاءَ وينقطعُ، ويكون كالمانّ بدعائه، أو يظنّ أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة، ومع هذا لم يُستَجَبْ له فيصير كالمبخل لربه سبحانه..!

وقد عقد الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» فصولًا للفرق بين أشياء، حري بكل مسلم أن يقرأها لأنها من صريح العلم النافع والفقه في الدين، وذكر منها فصلًا في الفرق بين المبادرة المحمودة التي يحبها الله، وبين العجلة المذمومة، فقال: «فصل: **والفرق بين المبادرة والعجلة**: أن **المبادرة** انتهاز الفرصة في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في إدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها، **والعجلة**: طلبُ أخذ الشيء قبل وقته، فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها كلها؛ فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين: أحدهما التفريط والإضاعة، والثاني الاستعجال قبل الوقت، ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وَحِدَّة في العبد تمنعه من التثبّت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من

---

(١) سنن الترمذي (٢٠١٢) وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في «عبد المهيمن» وضعفه من قِبل حفظه، مسند أبي يعلى الموصلي (٤٢٥٦) وضعف إسناده محققه حسين سليم أسد، وقال ابن القيم في: إعلام الموقعين (٢ / ١٢٨): إسناده جيد، وحسنه الألباني في: الصحيحة (١٧٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٣٤٠)، صحيح مسلم (٢٧٣٥).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٣٥).

الشرور وتمنعه أنواعًا من الخير، وهي قرين الندامة فقلّ من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة»(١) اهـ.

❖ الحلم والأناة والتأني في الأمر كله، والسكينة والوقار:

في صحيح مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: (**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**)(٢).

قال النووي: «أما **الحلم** فهو العقل، وأما **الأناة** فهي التثبت وترك العجلة، وهي مقصورة(٣)، وسبب قول النبي ﷺ له ما جاء في حديث الوفد: «أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ، وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن الثياب ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبيّ ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ: (**تبايعون على أنفسكم وقومكم؟**) فقال القوم: نعم، فقال الأشج: «يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه»، قال: (**صدقت، إن فيك خصلتين..**) الحديث».
قال القاضي عياض: فالأناة تربصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدالُّ على صحة عقله وجودة نظره للعواقب» اهـ(٤).

وفي سنن أبي داود عن رجل كان في وفد عبد القيس قال: «لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته -أي حقيبته- فلبس ثوبيه، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال له: (**إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة**) قال: يا رسول الله**!** أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: (**بل الله جبلك عليهما**) قال: الحمد لله الذي جبلني خلتين يحبهما الله ورسوله»(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة**

---

(١) الروح (ص ٢٥٨).

(٢) صحيح مسلم (١٧).

(٣) يعني أن لفظ الأناة مقصور أي بدون همز. [المؤلف]

(٤) المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج (١ / ١٨٩).

(٥) سنن أبي داود (٥٢٢٥).

والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) متفق عليه[١].

وعن أبي قتادة ﷺ قال: «بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: **(ما شأنكم؟)** قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: **(فلا تفعلوا؛ إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)** متفق عليه[٢].

وكان ﷺ في الحج يقول للناس: **(السكينة السكينة)** رواه مسلم[٣].

وسمع يوم عرفة وراءه زجرًا شديدًا وضربًا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: **(أيها الناس؛ عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع)** رواه البخاري[٤]، والإيضاع نوع من المشي سريعٌ، قال النووي ﷺ: «هذا إرشاد إلى الأدب والسنة في السير تلك الليلة ويلحق بها سائر مواضع الزحام»[٥] اهـ.

وكان ﷺ في حجته «يسير العنق وهو سير -متوسط-؛ فإذا وجد فجوة نص» متفق عليه[٦]، قال السندي: ««يسير العنق» أي السير الوسط المائل إلى السرعة، «فجوة» بفتح فاء وسكون جيم: الموضع المتسع بين الشيئين، «نص»: أي حرك الناقة ليستخرج أقصى سيرها»[٧] اهـ.

ومنه نعرف أن السكينة لا تنافي الإسراع في موضعه، والخير والحكمة: وضع كل شيء في موضعه الذي هو أليق به، والسَّكينة: بوزن «فعيلة» من السكون وهي الطمأنينة والوقار.

والسكينة يحبها الله تعالى، وهي جند من جنوده ﷻ ينصر بها من يشاء وينزلها على عباده المؤمنين ينصرهم ويكرمهم بها ويثبتهم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح]، وذكر الله ﷻ السكينة في القرآن في ستة مواضع، وراجع للفائدة ما ذكره ابن القيم ﷺ في «مدارج السالكين» في «منزلة السكينة»[٨].

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٦) وهذا لفظه، صحيح مسلم (٦٠٢) بمعناه.

(٢) صحيح البخاري (٦٣٥) بنحوه بدون لفظ (فامشوا)، صحيح مسلم (٦٠٣) بمعناه لا بلفظه.

(٣) صحيح مسلم (١٢١٨).

(٤) صحيح البخاري (١٦٧١).

(٥) المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج (٩ / ٢٧).

(٦) صحيح البخاري (١٦٦٦، ٢٩٩٩، ٤٤١٣)، صحيح مسلم (١٢٨٦).

(٧) حاشية السندي على سنن النسائي (٥ / ٢٥٩).

(٨) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٠، ٤٧١)، وذكر هذه الآيات هي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]، الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ

ومما قال: «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها؛ من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال: فلما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولي: «اقرأوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قلبة»، وقد جربت أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته، وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقارُ والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات»[1] اهـ.

في الحديث الذي في صحيح مسلم: (.. **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله** ﷻ **ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**)[2].

❖ معنى الجد والحزم:

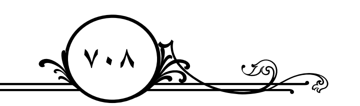
يتضمن قوله ﷺ **(انفذ)** معنى الجد في الأمر، أي الجد في المضي لتحصيل المطلوب، كما سبق الإشارة إليه.

والجد ضد الهزل واللهو والتراخي والتواني والتفريط والتضييع، وقريبٌ منه معنى الحزم، وهو بضديّة التضييع والتفريط أخص، ومجموع الجدّ والحزم وصفٌ فاضلٌ ينفي الوهْنَ والعجزَ والضعفَ والتخاذل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨] وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾[آل عمران]، ومن الأخلاق المذمومة فينا التي يجب أن نتخلص منها ونتخلى، وبضدها نتحلى: ما نسميه بـ«اللامبالاة»، ومنها التضييع وقلة الحزم وضعف المحاسبة..!

يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، الرَّابِعَة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾الْخَامِسة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، السَّادِسة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]. الْآيَةَ.

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩).



فـ«**اللامبالاة**»: هي الاستهانة بالأمور وعدم الاحتياط، وترك الاستعداد والأخذ بالأسباب الممكنة، وبالجملة هي ضد قول النبي ﷺ: **(احرص على ما ينفعك)**[1]..!

ومن التضييع وقلة الحزم: أنك ترى ولي الأمر (مهما كان الأمر والولاية: أبًا في أسرته أو معلمًا مع تلاميذه، أو أميرًا مع رعيته، أو غيره) لا يأخذ بأسباب تعليمهم وتفهيمهم وتحذيرهم وتدريبهم، ولا يحاسبهم إذا أخطأوا، ولا يتدرج معهم في الأمور فيبدأهم بصغارها حتى لا يخطئوا في كبارها..! ودليل ذلك أنك ترى الأخطاء تتكرر، ولا أحد يستفيد من التجارب، وتموت التجارب وتنسى وكأنها لم تكن..!!

وضعف المحاسبة: هو من أهم أسباب كل ذلك وهو في حد ذاته مرض خطير وسبب لأمراض أخطر، نسأل الله العافية السلامة، والذي يكرر الأخطاء ولا يستفيد من التجارب فهو بعيد جدًا عن النجاح، وقمينٌ بالفشل والسقوط.! والذي لا يحاسب نفسه -فردًا كان أو جماعة- هو كذلك.

ولعلنا نزيد هذه المعاني توضيحًا وبسطًا في حلقات أخرى بعون الله.

[الحلقة الثالثة - مجلة طلائع خراسان، العدد الثالث عشـر، محرم ١٤٣٠]

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمدٍ وآله وصحبه وجنده، وبعد.. فنتابع حديثنا، وهذه هي الحلقة الثالثة، وما زلنا نتحدث عن العجلة والإسراع وما قاربهما من معاني:

❖ **فائدةٌ في قوله تعالى**: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه]:

قال المفسرون ما حاصله: هذا سؤال لومٍ من الله تعالى لموسى في تعجّله وتقدّمه قومه مع أنه مأمور باستصحابهم وإحضارهم معه، وقصتها أن موسى لما واعده ربه ﷻ ثلاثين يوما جاء مع السبعين الذين اختارهم للقاء ربه ﷻ في الموعد في جانب الطور، ورأى موسى عليه السلام على وجه الاجتهاد منه أن يتقدم قومه مبادرًا إلى الله تعالى وطلبا لمرضاته وشوقا إليه ﷻ، فوقع العتاب من الله تعالى له في تقدّمه ذلك. والله أعلم.

في القرطبي: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الله عالما ولكن قال ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾ رحمة لموسى

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

وإكراما له بهذا القول وتسكينا لقلبه ورقة عليه، فقال مجيبا لربه ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي عجلت إلى الموضع الذي أمرتني بالمصير إليه لترضى عني، يقال: رجل عَجِلٌ وعَجُلٌ وعَجُولُ وعَجْلانُ بيّنُ العجلة، والعجلة خلاف البطء»[1] اهـ.

وفي البيضاوي: «﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ سؤالٌ عن سبب العجلة يتضمّن إنكارَها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهامُ التعاظم عليهم؛ فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدّم جواب الإنكار لأنه أهم؛ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ أي ما تقدَّمتهم إلا بخطى يسيرة لا يعتدّ بها عادةً، وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدَّم بها الرفقة بعضهم بعضا، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجِبُ مرضاتك»[2] اهـ.

ونقل الألوسي عن بعض العلماء «أن المراد من سؤال موسى ﷺ عن سبب العجلة –وهو سبحانه أعلم– أن يعلّمه أدب السفر، وهو أنه ينبغي تأخر رئيس القوم عنهم؛ ليكون بصره بهم ومهيمنًا عليهم، وهذا المعنى لا يحصل مع التقدم، ألا ترى كيف علم الله تعالى هذا الأدب لوطًا فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾[الحجر: ٦٥] فأمره ﷺ أن يكون آخرهم» اهـ، ونقل عن بعضهم أيضا واستحسنه أن: «المعنى: أي شيء أعجلك منفردا عن قومك، والإنكار بالذات للانفراد عنهم؛ فهو منصبٌّ على القيدِ كما عُرف في أمثاله، وإنكار العجلة ليس إلا لكونها وسيلة، فاعتذر موسى ﷺ عنه بأني أخطأتُ في الاجتهاد، وحسبتُ أن القدر اليسيرَ من التقدّم لا يخلُّ بالمعيّةِ، ولا يُعدّ انفرادًا ولا يقدح بالاستصحاب، والحامل عليه طلب استدامة مرضاتك بالمبادرة إلى امتثال أمرك؛ فالجواب هو قوله: ﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ وقوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ هو كالتتميم له»[3] اهـ.

وإنما اعتنيتُ ببيان معنى هذه الآية الكريمة لإخواني؛ لما فيها من بيان كراهية العجلة على المعنى الذي وضحناه فيما سبق، ولأني رأيت بعض الناس يجعلون من قول موسى ﷺ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ شعارًا في بعض المناسبات، كضرورة خوض العمليات الفدائية (الاستشهادية)، وهي عندي جائزة ولله الحمد بشروطها، لكن لا يناسبها أن تجعل هذه العبارة شعارًا لها؛ فإن هذا إنما هو مقام الاعتذار عن الخطأ؛ فكيف يحسُنُ أن يجعَل شعارًا؟! والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبي (١١ / ٢٣٣).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٤ / ٣٥).

(٣) روح المعاني للألوسي (٨ / ٥٥٢).

كيف وقد قال تعالى في الحديث القدسي: (**بادرني عبدي بنفسه؛ حرَّمتُ عليه الجنة**)[١]، وهذا من المبادرة المذمومة قطعًا ويقينًا بهذا النص وغيره، وهي من العجلة التي بيّنّاها، والتي هي من الشيطان، وهو من أدلة تحريم الانتحار تحريما شديدا جدًا.

وإنما جوّزنا الاستشهاد لأنه ليس بانتحارٍ (فرَّقنا بينه وبين الانتحار) وهو موضع ضرورة أو ما يقاربها لنصر الدين لا غير، وقد دلَّتْ عليه الأدلة كما هو مبسوط في موضعه؛ فهل يقول إنسانٌ إنه يصلح أن نجعل من عبارة هذا الحديث القدسي شعارا للقيام بالعمليات الاستشهادية فنقول مثلا: بادرتُك يا رب بنفسي؟! لا شك أن هذا خارج عن معاني البلاغة والذوق والأدب!! وبالله التوفيق.

وقد راجعتُ أكثر التفاسير المعتبرة لعلمائنا لأقف على معنى الفاء في قوله: ﴿**فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ**﴾[طه: ٨٥] فلم أرَ أكثرهم تعرّض له، حتى وقفتُ عليها في كلام الطاهر بن عاشور ﷺ في سفره الثمين «التحرير والتنوير»، قال: «والإعجال: جعْل الشيء عاجلًا، ولا استفهام مستعمل في اللّوْم. والذي يؤخذ من كلام المفسرين وتشير إليه الآية: أنّ موسى تعجَّل مفارقة قَومه ليحضر إلى المناجاة قبل الإبّان الذي عيّنه الله له اجتهادًا منه ورغبةً في تلقي الشريعة حسبما وعده الله قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور، ولم يراعِ في ذلك إلا السبقَ إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه، فلامه اللهُ على أن غفل عن مراعاة ما يحفّ بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذّرهم مكر من يتوسّمون فيه مكرًا، فكان في ذلك بمنزلة أبي بكرة حين دخل المسجد فوجد النبي ﷺ راكعًا فركع ودَبّ إلى الصف فقال له النبي ﷺ: (**زادك الله حرصًا ولا تَعُدْ**)[٢]، وقريبٌ من تصرّف موسى ﷺ أخذُ المجتهد بالدليل الذي له معارضٌ دون علم بمعارِضِه. **وكان ذلك سبب افتتان قومه بصنع صنم يعبدونه**.. وقوله هنا ﴿**هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي**﴾ يدل على أنّهم كانوا سائرين خلفه وأنه سبقهم إلى المناجاة، واعتذر عن تعجّله بأنه عجل إلى استجابة أمر الله مبالغة في إرضائه، فقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ**﴾ فيه ضربٌ من المَلام على التعجل بأنّه تسبب عليه حدوث فتنة في قومه ليعلّمه أن لا يتجاوز ما وُقت له ولو كان لرغبة في ازدياد من الخير»[٣] اهـ.

وعليه.. ففي الآية بيانُ أن العجلة قد تتسبّب في نوعِ بلاءٍ وفتنةٍ، وإن وقعتْ عن اجتهادٍ أحيانًا، وفيه

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٣).

(٢) صحيح البخاري (٧٨٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٦ / ٢٧٧).

بيان أن الجزاءات القدرية لا تلازمُ الذنبَ.. وفي ذلك كله تمام التحذير من العجلة المذمومة، والله ﷻ أعلم وأجل وأحكم، وأستغفر الله من كل ذنبٍ.

ولعل «الفخر الرازي» أشار إلى هذا المعنى بقوله: «عرَّفه الله تعالى ما حدث من القوم بعد أن افرقهم مما كان يَبْعُدُ أن يحدث لو كان معهم فقال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾»[1] اه.

وأبدى الألوسي ؒ في «روح المعاني» وجهًا آخر للفاء؛ فقال: «والفاء لتعليل ما يفهمه الكلام السابق، كأنه قيل: لا ينبغي عجلتك على قومك وتقدمك عليهم وإهمال أمرهم لوجه من الوجوه فإنهم لحداثة عهدهم باتباعك ومزيد بلاهتهم وحماقتهم بمكانٍ يحيق فيه مكر الشيطان ويتمكن من إضلالهم، فإن القوم الذين خلّفتهم مع أخيك قد فتنوا وأضلهم السامريّ بخروجك من بينهم فكيف تأمن على هؤلاء الذين أغفلتهم وأهملت أمرهم» اه[2]، فالله أعلم.

(فائدة): في الآية استعمالُ لفظ العجلة في المعنيين: الممدوح والمذموم؛ فأما المذموم فظاهر في قول الله تعالى له: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾ كما سبق توضيحه.. وأما الممدوح (بمعنى المسارعة إلى الخيرِ) ففي قول موسى ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ﴾ وذلك أنه أخبر بما كان على حسبِ ظنه واجتهاده.. فيضاف هذا إلى ما قلناه سابقا.

❖ لكلِّ شـيءٍ إبّان:

هذه الكلمة من الحكمة التي ينبغي أن يحفظها شبابنا ويتشبّعوا بإدراك معناها، وهي في رأيي قاعدة دلَّت عليها سنة الله في خلقه، كما دلَّ عليها الشرعُ أيضا؛ فإن الله تعالى جعل لكل شيء وقتًا معلومًا، وجعل من أسباب نجاح العمل أن يصادفَ وقته المناسب الذي دلت عليه الدلائل التي نصبها الله تعالى عليه، من الشرع أو العقل والحسّ والتجربة ونحو ذلك، كما أن من أسباب ذلك أن يصادف محلّه القابل له، فمن طلب الشيء في غير محله وقبل وقته وقبل تهيؤِ أسبابه وبلوغ أجله؛ فإنما يتعِبُ نفسه، ولن يجني إلا الشقاء دنيويًا أو أخرويا أو كليهما بحسبه!!

ويدخل في ذلك الثوراتُ والتغييراتُ الاجتماعية والسياسية؛ فإن أهلها إن لم يراعوا إبّانها وسائر أسباب نجاحها؛ فإن الفشل -بحسب سنة الله تعالى في خلقه- هو مصيرها؛ فلكل شيء إبّانُ..

ولكن هٰهنا تنبيه: وهو أنّ كلامنا هذا إنما هو في حال الاختيار، لا في حال الاضطرار.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٢ / ٨٦).

(٢) روح المعاني (٨ / ٥٥٣، ٥٥٤).

بيانه: أنّ القائمين بالثورة والخارجين على الدولة حيث وجدت الأسباب الشرعية للخروج والثورة، إن كان لهم مجالٌ للاختيار وسعةٌ في التأخير شرعًا؛ فعليهم أن يختاروا الوقت المناسب الذي تنضج فيه سائر أسباب النجاح وتكتمل وتتمّ، ويسعون في ذلك في تكميل الأسباب، وهو المعبَّر عنه في الفقه بوجوب الإعداد عند سقوط الجهاد للعجز.

أما إذا اضطروا وضاق عليهم الاختيار ولم يجدوا بُدًا من الخروج؛ لكون العدوّ فرض عليهم ذلك بحيث إن لم يخرجوا ويتحرّكوا الآن وقع عليهم ضرر كبير وفسادٌ عريض.. في حين أنهم إن خرجوا كان الضرر الواقع أقلّ بحسب توقّعهم الناتج عن دراسة ونظر جيد منصف في الأمور فإنا لا نمنعهم من الخروج -ما دام أصل الجواز والإذن موجودا شرعا-، بل نقول: توكلوا على الله وانطلقوا، لكن قد لا تصيبون كل الهدف ولا تحققون كل المراد، لأن الإبّان لم يحلّ، فوطّنوا أنفسكم على الاكتفاء بتحصيل ما يمكن من الأهداف الجزئية حيث لم يمكن الكمال، وأجركم على الله، فأنتم تشتغلون هنا تحت مبدأ «ارتكاب أخف الضررين».

وبالجملة.. فإن الخروج والثورة حيث قلنا بجوازها شرعا -لوجود أسبابها الشرعية كوجود الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان من السلطان- فهي جائزة لا نمنعها بحال، ولو خرج الرجل وحده، وقاتل حتى قُتِل..! ما لم نعلم أو نظن ظنا غالبًا أنّ خروجه يؤدي إلى منكر -فساد- أكبر مما هو موجود أصلا؛ لأن قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شريعتنا قاضية بذلك.

ولكن لأن المنكر -الفساد- الموجود أصلا هو الكفر المتمكّن، ثم سائر ما ينشأ عن سيطرة الكفر وتمكّنه في الأرض من فساد عريض؛ فإنه لا يكاد يُتصوَّر فساد أكبر منه، إلا في حالة واحدة قليلة الوجود وهي: أن يزداد الكفر قوة وتمكّنًا من البلاد وتحكما في العباد.

هذا هو الأساس، مع ما يضاف إليه من مفسدة مقتل هذا الخارج -أو الخارجين- وفنائهم، وتعطّل مصالح كانت متاحة أو فشل مشاريع جهادية ودعوية كانت ناشبةً وفي أطوار معينة، ومفاسد سفك الكثير من الدماء بغير حق من قبل الكافر، بسبب استثارتنا له.. وما شابه ذلك.. فهذا موضع اجتهاد.

فمن ظن أنّ الكفر لن يزول بخروجه بل سيقوى ويزيد تمكّنه، مع بقية المفاسد المشار إليها؛ فكفّ يده وترك الخروج، إلى أن يتهيّأ حالٌ يُظَنّ فيه تحقق النجاح، فهذا محتمل.

وحينئذ يبقى عليه واجب الإعداد بكل معانيه.

ومن قال: هذه مفاسد ظنية، وهذا الاحتمال -احتمال وقوع مفسدة أكبر على النحو الذي وضحناه-

احتمال ضعيف قليل الوجود، جوّز الخروج.

وصاحب هذا القول الأخير يقول: لا نسلِّمُ أنّ الكفر يقوى ويزداد فإن هذا شيء متوهّم، ولا يكاد يوجد في الواقع، بل هو إما أن يزول ولو طال عمر الثورة، وإما أن يضعف ويقل حرده وشره.. فإن زال وأقمنا حكم الله مكانه؛ فذاك غاية المطلوب ولله الحمد.

وإن لم يزُل فإنه يضعف ويقل شره، ويحصل في غضون ذلك مصالح عامة كثيرة دينية من قبيل تجريءِ قلوب المسلمين وتشجيعهم على منابذة هذا الكافر والسعي في التخلص منه، وإحياء مواتهم: موت الإرادة والعزائم، والموت الاجتماعي والنفسي، ونفض غبار الذل عنهم واستثارتهم لمرحلة قادمة وجولة آتية يكونون فيها إن شاء الله أقوى وأقدر، وينشأ فيهم جيل يعشق الحرية ويسعى في تحصيلها، ويقتدي بالأبطال الذين تقدموهم وضربوا لهم الأمثال:

وفي القتلى لأقوامٍ حياةٌ ... وفي الأسرى فدىً لهُمُ وعتقُ[1]

فإن الأمة إن لم يوجد فيها ذلك ماتت لا محالة، وبالجملة: فإن خروجنا وإن لم يكن يحقق الهدف الكامل المطلوب لكنه خطوة في الطريق الصحيح إن شاء الله، ونحن يكفينا ذلك، مع سلامة أدياننا -نحن في أنفسنا- من فتنة تسلط الكفار والنظام الكافر علينا، ومع ما نرجوه -وهو المطلوب بالقصد الأول- من فضل الشهادة والقيام بنصرة الدين بالمهجة والدم ونيل رضوان الله تعالى وأعلى الدرجات في دار كرامته.

وهذا القول الأخير هو الأرجح عندي، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وأستغفر الله تعالى من كل زلل.

وهذا على كل حال موضع ينبغي الاعتناء بتحريره من قبل أهل العلم والرأي، نسأل الله أن يلهمنا وسائر أحبابنا الهدى والسداد... آمين.

[الحلقة الرابعة - مجلة طلائع خراسان، العدد الرابع عشر، جمادى الآخر ١٤٣٠]

❖ توضيح معنى قوله ﷺ: (ولكنكم تستعجلون):

في صحيح البخاري: عن خبَّاب بن الأرتِّ ﵁ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: (**قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له**

---

(١) قاله: أحمد شوقي، قصيدة «نكبة دمشق» انظر: الشوقيات (٢/ ٤٥٦)، وصوابه: «ففي القتلى لأجيال حياة .. وفي الأسرى فدىً..».

في الأرض فيجعل فيها، فيُجاءُ بالمنشار فيُوضَعُ على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[(١)] اهـ.

وهذا الحديث النبويّ الشريف قد كثر استدلال الدعاة والطوائف المختلفة في ساحة العمل الإسلامي به، كلٌ يستدل به على صحة طريقه واختياره من بين أفكار التغيير والإصلاح، والكلّ يذمّ الاستعجال ويحذّر منه وينهى عنه، وكثيرٌ منهم يصف مخالفيه بأنهم يستعجلون!!

والحاصلُ أن الجميعَ متفقون على ذم الاستعجال، وإنما الخلاف في الصور الواقعة في عمل الناس هل هي من الاستعجال أو لا؟.

ونحن نرجو التوفيق من الله تعالى في توضيح معنى هذا الحديث الشريف على الوجه الصحيح.

فاعلم يا أخي وفقنا الله وإياك إلى كل خيرٍ ورزقنا وإياك الهدى والسداد أن الاتفاق واقعٌ على ذمّ الاستعجال كما سبق بيانه بحمد الله، فهذا لا اختلاف فيه.

لكن ما معنى الاستعجال المذموم وما حدوده؟ وهل هذا التصرّفُ المعيَّن أو ذاك هو من الاستعجال المذموم؟ أو لا؟ هذا هو محلّ البحث والتحقيق، وهو الجدير بالتحرير والتدقيق، وهو المجال الذي يختلف فيه المختلفون، ويتنازع فيه الناس، والموفَّق من وفّقه الله تعالى ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود]، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال: ١٠].

فلنستعن بالله تعالى ولنجبْ على هذا السؤال على وجه الإجمال أولًا، ثم نعرج على بعض التفاصيل ونوضّح بعض المعاني المستفادة من هذا الحديث الشريف، فنقول:

تقدّم توضيح معنى العجلة والاستعجال المذموم، وأنه: تطلّب الشيء قبل أوانه، ومعناه محاولة تحصيل الشيء قبل أن يحلّ وقته.! وهذا يتضمّنُ محاولة تحصيله قبل اكتمال أسبابه التي جعلها الله تعالى أسبابًا موصلةً له؛ لكن ما هو وقته؟ وكيف نعرفه؟ وما هي طرقُ معرفة وقتِ الشيء الذي نريد تحصيله، حتى لا نكون مستعجلين مذمومين بتطلّبه قبل وقته وإبّانه؟

والجواب: أن الوقتَ المناسبَ للشيء هو ما دلّ عليه الدليل الشرعيُّ من الكتاب والسنة وما في معناهما وما دلّا على اعتباره دليلا عند عدم النصّ أو الدلالة اللفظية منهما.

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٤٣).

وبالجملة فذلك منحصر في طريقين: إما طريق النص، أو طريق الاجتهاد؛ فإن وُجِدَ النصُّ فلا اجتهاد حينئذٍ، وإنما هو التسليم والإذعان والمبادرة إلى الفعل متوكلين على الله الحيّ القيوم.. فإن لم نستطعْ ووُجِدَ العجزُ، فحينئذٍ ننظر في المطلوب في تلك الحالة نظرًا جديدًا.

وأما إذا لم يُوجدِ النصُّ فالموضِع موضع اجتهادٍ؛ فلنجتهد على أصول العلم والفقه المضبوطة المعروفة عند أهل العلم، مستعملين تقوى الله تعالى والإخلاص له ﷻ، ولنقايس الأمورَ وننظر الأشباه والنظائر، ونستعمل الأدلة المتوافرة على حسب ترتيبها ودرجاتها، ونبحث عما نظنّ أنه الأقرب إلى مراد الله تعالى ومرضاته، مما يحصِّل المصلحةَ الدينية الأخروية أولًا، ثم المصلحة الدنيوية مهما أمكن أيضا.

ولا شك أن المقام الأول (النص) يجبُ ألا يكون فيه اختلاف بين أهل الحق، والمخالفُ فيه ملومٌ مؤاخذٌ، يُنكَرُ عليه ويعنَّفُ بحسبه وبشرطه.

وأما الثاني (الاجتهاد) فهو موضع اختلاف الأفهام وتفاوتِ العقول والأذهان، ومجال جولة الفرسان وتصاول الأقران.! وهو ككل موضع اجتهاد في مسائل الدين والدنيا؛ مبناه على التوفيق أولا، بعد الأخذ بأسبابه والتوكل على الله تعالى وحده، كما قال نبينا ﷺ: **(احرصْ على ما ينفعُك واستعن بالله ولا تعجز)**[1]، وحينئذٍ إذا اختلف المختلفون: فواجبٌ عليهم أن يتأدبوا بآداب الاختلاف المعروفة، وأن يتحلّوا بفقه الخلاف المبيّنة في مواضعها من كتبِ أهل العلم.

ومن زاوية أخرى، فعندما قلنا في تعريف الاستعجال إنه: تطلّب الشيء قبل أوانه، ومعناه محاولة تحصيل الشيء قبل أن يحلَّ وقته، وإن ذلك يتضمّنُ محاولة تحصيله قبل اكتمال أسبابه التي جعلها الله تعالى أسبابًا موصلةً له؛ فإننا نلمِحُ إلى أن كون هذه الأسباب هي بالفعل أسبابٌ موصلة إلى ذلك الشيء المقصود يُعرَف أيضًا إما بدلالة الشرع -بأن يدلّ الشرعُ على أن كذا هو سببٌ لكذا- أو بدلالة الحسّ والواقع والتجربة -بأن يدل الحسّ والتجربة بأن كذا هو سببٌ لكذا-، وفي كلا طريقي الاستدلال مزلّات وأخطاء محتملة في النظر؛ فعلى المستدلّ التيقظُ وتكميل التحرّز والاحتياط في النظر، وتكميل آلات وأسباب النجاح وأن يستعين بالله تعالى ويقومَ مقامَ العبودية حتى يوفقه الله.. والله وليّ التوفيق.

فهذا جوابٌ إجماليٌّ ينبغي أن يكون لمريد الحق والخير قاعدةً وأصلًا لا يحيدُ عنه، وسندرُجُ بعون الله

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٦٩).

إلى أمثلةٍ من الواقع نبيّن فيها نماذج من الاستعجال المذموم، ونمحّص وننقد فيها دعاوى الاستعجال في أمثلة أخرى، وعلى الله الاتكال.

ونرجع إلى الحديث الشريف وما فيه من المعاني:

قصةُ الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم شكوا إلى رسول الله ﷺ ما كانوا يلاقونه يومئذٍ من الأذى والشدة والتعذيب من كفار قريش، وطلبوا منه ﷺ أن يدعوَ اللهَ لهم ويطلب لهم من الله تعالى النصر.

والسؤال: هل في الحديث دلالةٌ على أن تصرُّفَ الصحابة هذا مذمومٌ يُنهَى عنه؟

والجواب -والله الموفق للصواب-: أن هذا يحتاج إلى شيء من التحرير: فالظاهر من قوله لهم (**ولكنكم تستعجلون**) أنه عدَّ تصرُّفهم هذا من الاستعجال، والاستعجالُ مذمومٌ.

لكن ما هو تصرُّفهم الذي تصرّفوه رضي الله عنهم؟ هل هو مجردُ طلب الدعاء منه؟ أو أكثر من ذلك؟ الذي يظهر والله أعلم أن تصرّفهم الذي عدّه النبي ﷺ من الاستعجال ليسَ هو مجرد أنهم طلبوا الدعاء، بل يُحتَمَلُ أنهم وقعَ منهم نوعُ تضجّرٍ من الحال التي كانوا فيها، وهي حال الشدة التي يلقونها، وأنهم استعجلوا النصر على عدوّهم استعجالًا فطرياً طبيعيًا.

فأما كون استعجال النصر على العدوّ شيئا جبليًّا طبيعيًا مركبًا في الإنسان، فواضح معروفٌ لا إشكال فيه، وهو بمعنى محبة النصر عليهم عاجلًا والميل القويّ إلى ذلك، وعليه فهو مما لا يُلامُ العبدُ عليه، وحينئذٍ فقوله ﷺ لهم (**ولكنكم تستعجلون**) إنما هو لبيان الواقع، هذا بخصوص هذا الوجه.

وأما احتمال أنه قد وقع منهم (أي من بعضهم) بعضُ الضجر في بعض المرات من حال الشدة والكرب التي هم فيها رضي الله عنهم وأرضاهم؛ فغير مستنكر أيضا أن يقع ذلك من خيار الناس، فنبّههم النبيّ ﷺ إلى اجتناب ذلك وعلاجه، وعلّمهم وعلّم أمته من ورائهم علمًا نافعًا وحكمةً في هذا الموضع كما هي عادته الشريفة ودأبه ﷺ، بأبي هو وأمي، وجزاه الله عنا وعن سائر أمته خيرَ ما جزى نبيًّا عن أمته، فكان من الحكمة الإضافية في ذلك: التشريعُ والتعليم للأمة.

يؤيّد ما قلناه خطابهم له بلفظ (**ألا**) وهي هنا للتحضيض، وهو حثٌّ بنوعِ إزعاج إلى المقصود، وتكاد روايات الحديث تجمع على هذا اللفظ، فهو محفوظ إن شاء الله

ضُمَّ إليه قوله (**شكونا**)، وقوله في بعض الروايات: «أتينا النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا، فجلس مغضبًا محمرًا وجهُهُ، فقال: (**إن من كان قبلكم ليُسألُ الكلمة فما يعطيها، فيوضع عليه المنشار فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه وإن**

كان أحدهم ليمشط ما دون عظامه من لحم أو عصب بأمشاط الحديد وما يصرفه ذاك عن دينه)» رواه أحمد وأبو داود وغيرهم، وهذا لفظ ابن حبان في «صحيحه»[(١)].

والغالب على الظن بل المتيقَّنُ أنه ﷺ لا يغضبُ ويحمرُّ وجهه من مجرد طلبهم أن يدعوَ لهم بالنصر، وإنما لشيء أكثر من ذلك اقتضاه.

وقولهم: «ألا تستنصر لنا»، أي تطلبُ لنا النصرة من الله على عدوِّنا، فيه إجمالٌ من جهة اشتراك لفظ النصر بين عدة معانٍ وصور، فيحتمل مما يحتمل أنهم تصوّروا النصرة على طريقة نصر الله تعالى أنبياءَه السابقين على عدوّهم بإهلاكهم.

ثم قوله لهم في الجواب (**قد كان الرجل فيمن قبلكم..**) الخ؛ أيضا مشعِرٌ بذلك؛ فإنه أحالهم على الأسوة والقدوة، وضربَ لهم المثل بمن قبلهم من الصالحين أتباع الأنبياء أنهم أوذوا وعُذّبوا أكثر مما تلاقون أنتم اليوم؛ فتمسّكوا بدينهم وثبتوا وصبروا، واختاروا دينهم وآخرتهم على إعطاء ما أراده الكفّار منهم، فاصبروا أنتم مثلهم وليكن لكم فيهم أسوة، ولا شك أن الحال كان يقتضي مزيد الصبرِ والمصابرة والتضحية من الصحابة ﷺ كما قد بيّنه علماؤنا ﷺ حينما تكلموا عن الحِكم الظاهرة في الأمر بالصبر والعفو والصفح ونحو ذلك، في تلك المرحلة.

وعلى هذا الوجه، فالاستعجال هو التضجّر واستبطاء النصر، مع أنه ينبغي أن يكون معلومًا أنهم الطبقة الأولى التي يقوم عليها الدين والتي يتعيّن عليها أن تصبِر على البلاء وتصابرَ وتضحّي وتبذلَ أكثر من غيرها، لما في ذلك من الحِكم العظيمة الظاهرة، ولما هيّأهم الله تعالى له من المراتب العالية الجليلة.! والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحاصل أن الدعاء على العدوّ، وطلب ذلك من الصالحين، ليس مذمومًا ولا يُنهى عنه، وليس في الحديث ما يقتضي أنه مذموم، وليس قوله (**تستعجلون**) راجعًا إليه بمجرّده، والنبيُّ ﷺ قد دعا على الكفار في مثلِ تلك الأحوال وفي غيرها كثيرًا، وهذا معروف في موضعه، والحمد لله رب العالمين، وكذلك سؤالُ الله النصر على العدوّ ليس مذمومًا في حالٍ من الأحوال، بل هو ممدوح محمودٌ مطلقًا، والنصر معناه الإعانة على العدوّ والظالمِ.

وهل دعا النبيُّ ﷺ لهم أو لا؟ وإذا لم يدعُ لهم فما تعليل ذلك؟

---

(١) مسند أحمد (٢١٠٦٩، ٢١٠٧٣) قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، سنن أبي داود (٢٦٤٩) وقال الألباني: صحيح، صحيح ابن حبان (٢٨٩٧).

الجواب: «قال ابن بطال: إنما لم يجب النبيُ ﷺ سؤالَ خباب ومن معه بالدعاء على الكفار مع قوله تعالى ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠] وقوله ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[الأنعام: ٤٣] لأنه علم أنه قد سبق القدرُ بما جرى عليهم من البلوى ليؤجروا عليها، كما جرت به عادة الله تعالى في من اتبع الأنبياء فصبروا على الشدة في ذات الله ثم كانت لهم العاقبة بالنصر وجزيل الأجر، قال: فأما غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلةٍ لأنهم لم يطلعوا على ما اطلع عليه النبيُ ﷺ» نقله الحافظ في «الفتح» وتعقّبه بقوله: «وليس في الحديث تصريحٌ بأنه ﷺ لم يدعُ لهم، بل يحتمل أنه دعا، وإنما قال: (**قد كان من قبلكم يؤخذ**) إلخ، تسلية لهم وإشارة إلى الصبر حتى تنقضي المدة المقدرة، وإلى ذلك الإشارة بقوله في آخر الحديث: (**ولكنكم تستعجلون**)»[1] اهـ.

وقول ابن بطال: «فأما غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلةٍ لأنهم لم يطلعوا على ما اطلع عليه النبيُ ﷺ» هو رحمه الله اختار أن النبيَّ ﷺ لم يدعُ لهم هنا في هذه القصة، ثم علل ذلك بما ذكره من أن النبيَّ اطلعَ.. إلخ، ثم فرَّق بأن غير النبيّ لا يطلع على ذلك، فعليه أن يدعو.

فيقال: صحيحٌ أن غيرَ النبيّ ﷺ لا يطّلع على ما يطّلع عليه النبيّ، إذا كان طريق هذا الاطلاع هو الوحي، ولكن قد يحصُلُ لغيرِ النبيّ من قادة الناس من عقلائهم وعلمائهم علمٌ مما يُعمَل به في الشرع (اليقين أو الظن الغالب) بطريقٍ من طرق حصول العلم الكسبيّ الاجتهادي الاستدلاليّ، فيعرِفُ أن الحكمة في موضعٍ ما تقتضي الصبرَ أكثرَ ومزيد التضحية وعدم الردّ على العدو وترك مقاومته بمثل فعله (بالحرب والقوة)، وترك استعجال النصر الذي هو بمعنى الغلبة والظهور على العدوّ، وترك طلب ذلك من الله تأدبًا وخضوعًا، فهذا إن شاء الله لا مانع منه.. والله أعلم.

[الحلقة الخامسة – مجلة طلائع خراسان، العدد الخامس عشـر، شعبان ١٤٣٠]

❖ تنبيه:

اعلم أن الكثير من طوائف العمل الإسلامي تلومُ المجاهدين أو مَنْ اشتهرت تسميتهم بالجماعات الجهادية أو التيار الجهاديّ في الحركة الإسلامية (إما عمومًا، أو طوائفَ منهم)؛ يلومونهم على الخروج على أئمة الردة ومنابذتهم بالسلاح، والسعي في تغييرهم بالقوة والحرب والعمل العسكريّ الجهاديّ، ويجعلون ذلك من الاستعجال المذموم، ويسوقون لهم حديث النبيّ ﷺ المذكور هنا وقوله في آخره:

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٣١٦، ٣١٧).

(ولكنكم تستعجلون)!!

وعند التأمل.. يظهر للباحث المنصف أن المجاهدين هم أسعدُ الناس بهذا الحديث، ولله الحمد والمنة، وأنه وإن توجّه إليهم أو إلى طوائفَ منهم اللومُ على الاستعجال في بعض الأوقات أو الأحوال، كما قد يقع الخطأ من غيرهم من سائر الناس؛ فإنهم في الجملة من أكثر المسلمين توفيقًا وتسديدًا، ومن أسعدهم بهذا الحديث وغيره.

بيان ذلك على وجه الإجمال: أن المجاهدين قائمون بفريضة الله تعالى في قتال هؤلاء الحكام المرتدين والسعي في إزالتهم وإقامة حكم الله تعالى مكان كياناتهم الجاهلية الكافرة، وأدلة الكتاب والسنة معهم في ذلك بشكل لا أوضح ولا أجلى منه، والحمد لله.

ومَن يستدل بهذا الحديث (ولكنكم تستعجلون) على المجاهدين ويخطئهم زاعمًا أن خروجهم على أئمة الردة استعجالٌ فهو مخطئ محجوجٌ، وذلك من وجوه:

أحدها: أن كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ كلها حقّ ووحيٌ ولا يعارض بعضها بعضًا، ونحن لا نضرب بعضها ببعض، بل نجمع بينها ونعمل بها كلها ونفهمها على الوجه الذي علمنا اللهُ ﷻ من رد المتشابه إلى المحكم، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على وجوب منابذة وقتال هذه الحكومات المرتدة، فإذا ثبتت الأدلة على ذلك -وهي ثابتة وفي غاية الوضوح- فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعارضها بنصوص مجملة مثل هذا الحديث الذي له معنى واضحٌ، ولكنه مجملٌ، وليس هو واردًا في خصوص هذه المسألة.!

وقد بيّنا أن الحديثَ دالّ على ذمّ الاستعجال، وعمومُ هذا المعنى مسلّمٌ (أنّ الاستعجالَ مذمومٌ)، إنما الإجمالُ في: ما هي الصورة التي هي استعجالٌ؟! مع ضميمةِ أننا لا بد أن نعتقد أن ما علمنا أنه حكمٌ شرعيٌّ ثابتٌ فلا يجوز أن يوصَف بأنه استعجالٌ.

الوجه الثاني: أن معنى الحديث: أنكم تستعجلون؛ فتريدون تحصيل النصر واكتمال الأمر وزوال كل شدة وكربٍ بغير الطريق المعتادة شرعًا وقدرًا، فنبههم ﷺ إلى سنة الله تعالى في خلقه من ضرورة حصول الابتلاء لأهل الحق، وضرورة الصبر على الأذى، والثبات حتى يأذن الله ويأمر بأمره ﷻ، وقد جاء أمرُ الله فعلًا فأمرنا ﷻ بأن نخرج على الحاكم الكافر وننابذه ونقاتله حتى نخلعه ونزيله ونقيم حكم الله مكانه، وأما حين قال النبي ﷺ تلك الكلمة لخباب بن الأرت والصحابة فإن أمر الله بالجهاد لم يكن قد جاء بعد، وهذا واضحٌ جدًا لمن تأمّله.! وقد بيّنا معنى الاستعجال المتوجه إليه الذم في قصة الحديث.

الوجه الثالث: ولو قال قائل: حالنا اليوم أشبه بحالهم ساعتئذٍ حينَ أمرهم النبيُّ ﷺ بالصبر وحذرهم من الاستعجال؛ فالجواب عدمُ التسليم بذلك، بل الفارق كائنٌ وكبيرٌ، فنحن قادرون اليوم على الجهاد، والجهاد قد شرع ووجب حيث كنا قادرين، ولسنا نخافُ اليومَ على الدعوة أن تستأصل حتى لو قُتِل منا الكثير، ونحن حين ظننا أن لنا قدرةً وطاقة وقررنا الانطلاق في العمل العسكري (الجهاد) فمعنى ذلك أننا قررنا أنه لا مفسدة في ذلك تربو على مفسدة وجود واستمرار الحكومة الكافرة المرتدة واستمرار السكوت عليها، فانتهى الإشكال.!

الوجه الرابع: أنه إذا تقررت الأدلة على وجوب الجهاد -في مثل أحوالنا اليوم- واضحةً بيّنة كثيرة متضافرة؛ فلا ينبغي للمسلم أن يعارضها بمثل هذه الأقيسة التي في ضمنها تعطيلُ أدلة الشريعة وتعطيل حكم جليل من أحكامها، بل ذلك هو فعل المفتونين وصفة الزائغين الذين ذكر اللهُ ﷻ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾[آل عمران: ٧]، على أن هذه الأقيسة محتمِلةٌ للمقابلة بمثلها بل بما هو أقوى وأولى منها، وهو:

الوجه الخامس: أنه لو عكس خصمكم الدليل فقلبه عليكم، فقال: أنتم المستعجلون المذمومون في فعلكم، لأنكم تركتم طريق الجهاد والقوة وذات الشوكة التي أمر الله بها، وقامت عليها البراهين من كتابه ﷻ وسنة نبيه ﷺ وإجماع أهل العلم بهما، وهي طريقٌ طويلة وشاقة صعبة محتوية على عظيم الابتلاءات والتمحيص بالجراح والقراح والحرمان والبُعد عن الأوطان ومفارقة الخلان.. واخترتم طرقًا أخرى استسهلتموها (رأيتموها وظننتموها سهلة) استعجالا للتغيير (النصر والظفر في ظنكم) وطلبًا للراحة والسلامة وإشفاقًا على العيش الهنيّ أن ينخرم قانونه ويذويَ كانونه لم يكن مُبعِدًا، بل هو مستقربٌ جدًا، والله المستعان.!!

وتوضيحُهُ: أن الاستعجال الذي لاحظه الرسولُ ﷺ في حال خباب وصحبه ﷺ ساعتها، كان وجهه كذا وكذا، والاستعجال الآن في حالنا هذه هو كذا وكذا؛ فتأمل.!

نعم قد يُتصَوَّرُ أن يكون خروج بعض الخارجين على أئمة الكفر والردة استعجالًا في بعض الصورِ، وذلك إذا كان قبل استكمال الاستعداد والتهيؤ والأخذ بالأسباب الممكنة المتاحة، يعني أنه كان بإمكانه استكمالُ العدة والأخذُ ببعض الأسباب فترك ذلك وخرج بدونه، أو كان بإمكانه انتظارُ فرصته الجيّدة القريبة السانحة التي لاحتْ بوادرها وظهرت علاماتها وإرهاصاتها مثلا، فترك ذلك واستعجل الخروج ضجرًا..!

لا مجرد الخروج على أئمة الردة في حدّ ذاته، مع بذل الوسع في الأخذ بالأسباب الشرعية الممكنة المتاحة؛ فهذا واجبٌ شرعيّ ثابتٌ بالأدلة القوية البيّنة التي تقترب في قوتها من القطع، فكيف يكون استعجالًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.. وقد سبق شيءٌ من شرح ذلك عند قولنا: «لكل شيءٍ إبّان».

وقولي «ضجرًا» هو في قوة الصفة الكاشفة؛ فإن الخروج في مثل هذه الصورة التي وصفتُها لا ينفك عن الضجر، ولا يكاد يكون إلا عن تبرّمٍ وقلة صبرٍ وربما انضاف إليها قلة الفقه والبصيرة.

وهنا ألمِحُ إلى أسباب الاستعجال (المذموم): فأولها قلةُ الصبر.

ومنها -وهو فرعُهُ-: التضجّرُ والتبرّمُ من الحال والواقع، بدون النظر والتفكّرِ والتبيّن؛ هل التحوّلُ إلى الحالِ الآخرِ خيرٌ أو لا؟، وممكنٌ أو لا؟، بل طلبًا للتغيير مهما كان وعلى أي وجهٍ، حتى كأن التغييرَ مطلوبٌ لذاته، وإن إلى أسوأ.. فبان بذلك أن الأسباب إما راجعة إلى ضعفِ الإرادة أو ضعفِ العلمِ، أو إلى كليهما.

والله الموفق، وهو أعلم وأحكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأله تعالى أن يرزقنا الهدى والسداد.

ومن الفوائد في هذا الحديث، بالإضافة إلى ذم الاستعجال:

- قوله: (**والله ليتمّن الله هذا الأمر**) يعني الدين الذي بُعِث به ﷺ وهو الإسلام.

- قوله (**لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه**) فيه ذكرُ الخوف الطبيعي الذي لا يؤاخذ العبدُ عليه، والمعنى: لا يخافُ لصًّا ولا ظالمًا باغيًا، لتمام حصول الأمن، بانتشار الإسلام وحكمه وسلطانه.

- في الحديث حكمةُ التصبير للأتباع والتبشير في أوقات الأزماتِ والشدائد، وله أمثلة كثيرة في سيرة النبي ﷺ، كما بشرهم في أشد أيام الخوف في غزوة الخندق «الأحزاب» بفتح بصرى واليمن ومدائن كسرى، وغيرها، وهكذا على القيادات في أوقات اشتداد الكرب أن يستعملوا التبشير ورفع المعنويات وتثبيت الأتباع، بالحق والعدل.

- وفيه ذكرُ الأسوة بالصالحين السابقين في موكب الإيمان، والتذكير بالاقتداء بهم في الصبر واليقين.

- فيه من الفقه: فضلُ من صبر على القتل ولم ينطق بكلمة الكفر، حيث جاز النطقُ بها للمكرَهِ المعذَّبِ، ففيه الترغيبُ في هذا المقامِ لمن تعرّض له، نسأل الله من واسع فضله وعافيته.

❖ فائدة في معنى الرفق، وحث الشريعة عليه، وذم ضده وهو العنف:

الرفق هو: اللطفُ واللينُ واليسر والسهولة في معالجة الأمر، والعنف ضده وهو الشدة في معالجة

الأمر وتعاطيه، وقد جاء في الشرع المطهر مدح الرفق كثيرا، وذم العنف، ونذكر هنا طرفا مما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية، ثم نتكلم في فروع للمسألة:

- قال النبي ﷺ: (**إن الله رفيق يحب الرفق**) رواه البخاري ومسلم، وأحمد وأبو داود وابن ماجه، ولفظ البخاري وابن ماجه: (**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**)، ولفظ مسلم وأكثر الباقين: (**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**)(١).

- وقال ﷺ: (**من يُحْرَمِ الرفقَ يُحرم الخيرَ**) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم، ولفظ أبي داود: (.. **يُحرَم الخيرَ كله**)(٢).

- وقال ﷺ: (**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**) رواه الترمذي، وعند أحمد نحوه(٣).

- وقال ﷺ: (**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**) رواه مسلمٌ وأبو داود وأحمد وغيرهم(٤).

فهذه أصول الأحاديث في هذا الباب، ولها ألفاظ متقاربة، ولها موارد (قصص وردت فيها) تتّضح بها معانيها ويتبيّن بها فقهها وحدودها، كما سنشير إلى بعضها إن شاء الله تعالى.

ومن مجموع ما ورد في الكتاب والسنة في شأن الرفق واللين والرحمة والتلطف والتيسير، وأضدادها من العنف والشدة وما قاربها من معاني، نستطيع أن نخرج بالتوجيهات الآتية:

ألف: أن العدل والحكمة يقتضيان وضع كلٍ من الوصفين في محله اللائق به؛ فالرفق في موضعه والعنف في موضعه.

باء: ولذلك فإن خير الأخلاق أعدلها، و«العدل في الأخلاق» أصل من أصول التزكية، وراجع ما كتبه ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفوائد» في فصلٍ في ذلك(٥)؛ قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٢٧)، صحيح مسلم (٢٥٩٣)، مسند أحمد (١٦٨٠٢)، سنن أبي داود (٤٨٠٧)، سنن ابن ماجه (٣٦٨٨).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٩٢)، مسند أحمد (١٩٢٠٨)، سنن أبي داود (٤٨٠٩)، سنن ابن ماجه (٣٦٨٧).

(٣) سنن الترمذي (٢٠١٣) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٥٢٥٩، ٢٧٥٥٣).

(٤) صحيح مسلم (٢٥٩٤)، سنن أبي داود (٢٤٧٨، ٤٨٠٨)، مسند أحمد (٢٤٩٣٨).

(٥) الفوائد (ص ١٤٣، ١٤٤).

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾[النور].

جيم: وأن المقصود بالرفق والرحمة والسماحة واللطف والتيسير المحمود والممدوح في الكتاب العزيز والسنة المطهرة؛ هو ما كان في محله اللائق به ولأهله.

دال: وكذلك العنف المذموم والشدة، المقصود بها ما كان في غير محله ولغير مستحقه وأهله، وإلا فإن العنفَ والشدة في محلها محمودةٌ مطلوبة بلا ريبٍ، كما تدل عليه الآيات المتقدمة مثلا، وغيرُها.

هاء: أنه ينبغي أن يكون الرفق هو الأصلَ وهو الغالب على الإنسان، ويكون العنف هو الاستثناء وهو الأقل وهو الذي يقدّر بقدره.

واو: وأن يكون الرفق هو الأسبق وبه تكون المبادرة، إلا أن يستوجب الحالُ عكسَه؛ جاء في الحديث في الصحيحين: (**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق، إن رحمتي سبقت غضبي؛ فهو مكتوب عنده فوق العرش**) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلمٍ: (**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**)[1].

ولا يقال: هذا مبنيّ على التشبه بأفعال الله تعالى وصفاته، أو ما يسميه بعض أهل العلم الاقتداء بفعل الله، فإن هذا محل فيه تفصيل ويحتاج إلى مزيد تحرير، وليس الاعتماد هنا على مجرد ذلك، وإنما العمدة هنا أننا عرفنا أن الله ﷻ يحب من عبده ذلك، كما تدل عليه الدلائلُ الكثيرة.

قال الغزالي ﵀ في «الإحياء»: «اعلم أن الرفقَ محمود، ويضاده العنفُ والحدة، والعنفُ نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت؛ فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسنُ الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه.. -ثم ذكر طرفًا من الأحاديث والآثار، وقال:- وقال سفيان لأصحابه: «تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمورَ في مواضعها؛ الشدة في مواضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه»؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

---

(١) صحيح البخاري (٣١٩٤)، صحيح مسلم (٢٧٥١).

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى[(١)]

فالمحمودُ وسط بين العنف واللين، كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباعُ إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسنًا كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحقُ الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا.

وقال عمر بن عبد العزيز ﵀: «روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية: أما بعد، فإن الفهم في الخير زيادة رشدٍ، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائبَ من خاب عن الأناة، وإن المتثبّت مصيبٌ أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العجِل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئًا، وإن من لا ينفعه الرفقُ يضره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي». وعن أبي عون الأنصاري قال: «ما تكلم الناس بكلمة صعبةٍ إلا وإلى جانبها كلمة ألينُ منها تجري مجراها». وقال أبو حمزة الكوفي: «لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه، فإن مع كل إنسان شيطانًا، واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئًا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه». وقال الحسن: «المؤمنُ وقاف متأنٍ وليس كحاطب ليل».. فهذا ثناء أهل العلم على الرفق، وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنفِ قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعةٍ من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر»[(٢)]، انتهى كلامه ﵀.

زاي: أن العنف المذموم والفحش قرينان، ولهذا جاء في أحد ألفاظ البخاري في حديث عائشة ﵂ المتقدم: (.. **يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش**)، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟، قال: (**أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ**)، وفي لفظٍ لمسلمٍ: (**يا عائشة لا تكوني فاحشة**)، فقالت: أما سمعت ما قالوا؟، فقال: (**أو ليس قد رددتُ عليهم الذي قالوا؟ قلت: وعليكم**)، وفي لفظ آخر له: ففطنت بهم عائشة ﵂، فسبتهم، فقال رسول الله ﷺ: (**مهْ يا عائشة، فإن الله لا يحب الفُحْشَ ولا التفحش**)[(٣)]، وفي لفظ ابن حبان في الحديث المتقدم: (.. **ولا كان الفحشُ في**

---

(١) قاله: أبو الطيب المتنبي، كما في: التمثيل والمحاضرة (ص ١١١).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٤ - ١٨٦).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٣٠، ٦٤٠١)، صحيح مسلم (٢١٦٥).

شيء إلا شانه).

وهذا محمول على أنه لفظُ النبي ﷺ، هذا هو الأصل، ويُحتَمل أنه ﷺ تكلم بهذه الألفاظ مجتمعة فذكر في كلامه لفظ (الفحش) ولفظ (العنف) فروى بعض الرواة هذا وبعضهم هذا، كما يحتَمل أنه تكلم بإحداها، فحفظ بعضهم نفس اللفظ، وروى بعضهم بالمعنى، وأكرم بهم من علماءَ بالمعاني ﷺ، والله أعلم.

والفحش عنفٌ لأنه شدة في القول في غير محلّها! فلو كان الكلام الفاحش -بحسب ما تعطيه اللغة- في موضعه المناسب -وهو قليلٌ جدًا- فإنه حينئذٍ لا يكون عنفًا ولا فحشًا شرعًا، كما جاء في الحديث: (**من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهنّ أبيه ولا تكنوا**)[1]، وكما في قول أبي بكر ﷺ لعروة بن مسعود الثقفي في الحديبية: «امْصُصْ بظرَ اللاتِ»[2] وكان ذلك بحضرة النبيّ ﷺ؛ فهذا مما وافقَ محلَّه المناسبَ واللائق به، فكان حكمة ورشادًا وصلاحًا، وخرج عن كونه فحشًا أو عنفًا مذمومًا شرعًا، لكن لا بد أن يُعرَف أن هذا قليل جدًا، ويقدّر بقدره، ويُحتاط فيه ويُتثبَّتُ، والله أعلم.

حاء: الرفق في كل شيء ومع كل شيء حتى مع الدوابّ؛ عن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ: (**إن الله كتب الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ وليُحِدَّ أحدكم شفرته وليُرِحْ ذبيحته**) رواه السبعة إلا البخاريّ[3]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا سافرتم في الخِصْب فأعطوا الإبلَ حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنَة فبادروا بها نِقيها، وإذا عرّستم فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدوابِّ ومأوى الهوام بالليل**)[4]، وفي موطأ الإمام مالك مرسلًا: (**إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق ويرضى به ويعين عليه ما لا يعين على العنف فإذا ركبتم هذه الدوابَّ العُجْمَ فأنزلوها منازلها فإن كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيها وعليكم بسير الليل فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وإياكم والتعريس على الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الحيات**)[5]، اهـ، وقصة البغي من بني إسرائيل التي سقتِ الكلبَ معروفة مشهورة[1]، وهديه

---

(١) مسند أحمد (٢١٢٣٤) وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني في: الصحيحة (٢٦٩): هذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) صحيح البخاري (٢٧٣١) بلفظ: «ببُظرِ اللات»، مسند أحمد (٢١٢٣٤).

(٣) صحيح مسلم (١٩٥٥)، سنن أبي داود (٢٨١٥)، سنن الترمذي (١٤٠٧)، سنن النسائي (٤٤٠٥)، سنن ابن ماجه (٣١٧٠)، مسند أحمد (١٧١١٣).

(٤) صحيح مسلم (١٩٧٢).

(٥) موطأ مالك (٢٠٦٢)، وخرجه الطبراني متصلا في: المعجم الكبير (٨٥٢)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (١٧٧٠).

ﷺ وإرشادُهُ في حسن معاملة الحيوان معروفٌ.

واليومَ يتفاخر أهل العصر بمبدأ الرفق بالحيوان، وظنّ كثيرٌ من الغربيين أنهم أصحابه ومخترعوه وأنهم جذيله المحكك!! وما دروا أن ما نالوه من ذلك من الخير والصوابِ إنما هو وبيصٌ من أنوار النبوة وأثرٌ من أشعة الإسلام! فالحمد لله رب العالمين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

طاء: الرفق بالرعية: ومن الرفق رفق الأمراء والأولياء برعاياهم ومَن تحت ولايتهم بالتيسير عليهم وخدمتهم ورحمتهم والعطف عليهم والسعي في راحتهم ومصلحتهم؛ جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دعا: (**اللَّهم مَن ولي من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**)[٢].

ياء: التيسير من معنى الرفق، وهذا مبدأ يحتاجه المجاهد أكثر من غيره، يدلُّ عليه كثرة وصاياه ﷺ لمبعوثيه وأمراء سراياه ودعاته الذين يبعثهم إلى الناس بنحو قوله: (**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفّروا**)[٣]، ولأن المجاهد خصيصةُ عملِهِ ولبُّه: الدعوةُ إلى الله تعالى وهدايةُ الناس والإتيان بهم إلى دين الله وتألفهم واكتسابهم؛ فهو محتاج إلى ذلك جدًا، وبقدر حظه من ذلك يكون حظه من الخير والنجاح.! وقد جاء في الحديث: (**بعثتُ بالحنيفية السمحة**) رواه أحمد والطبراني[٤].

قال العلماء رحمهم الله: حنيفية في التوحيد، سمحةٌ في الشرائع، والسماحة معناها قريبٌ من التيسير واللطف والتوسعة، وهي ضدّ التكلّفِ والعنف والتعسير والتضييق. وفي الحديث: (**رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**) رواه البخاري[٥].

وأهلُ الزيغ اليومَ يُكثرون من ترديد لفظ السماحة ويصفون الإسلامَ بأنه دينُ التسامح، وهم يريدون بذلك معنى فاسدًا مخالفًا لدين الإسلام؛ لأنهم يريدون به ما يلغي الولاءَ والبراء وبغضَ الكافرين ومعاداتهم والكفر بهم ومجاهدتهم، قاتلهم الله، وأما نحن أهل الإسلام والسنة والجهاد فنعرف السماحة والتسامح الحق الذي جاء به محمدٌ ﷺ، ونعرف حدوده وفقهه، والحمد لله رب

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٧)، صحيح مسلم (٢٢٤٥).

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٨).

(٣) صحيح البخاري (٦٩، ٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا).

(٤) مسند أحمد (٢٢٢٩١)، المعجم الكبير (٧٨٦٨)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٩٢٤).

(٥) صحيح البخاري (٢٠٧٦).

العالمين، اللّهم إنا نسألك من فضلك وعافيتك، ونسألك دوامَ التوفيق.

وسنضرب إن شاء الله في الحلقة القادمة أمثلةً على سماحة شريعة الإسلام في الجهاد وما يلحق به من أبواب معاملة الكفار.

[الحلقة السادسة - مجلة طلائع خراسان، العدد السادس عشر، محرم ١٤٣١]

❖ أمثلة على سماحة شريعة الإسلام في الجهاد وما يلحق به من أبواب معاملة الكفار:

اعلم أن جناية الكافر بكفرِهِ وتمرده على ربه وخالقه وبارئه الكبير المتعال ﷻ جنايةٌ عظيمة، وأنه بها مستحق لأقصى ما يمكن أن يُتصوَّر من العقوبة، وأن الكفر بالله ورسله ودينه هو أعظم فسادٍ في الأرض، وأعظم إجرامٍ، فإذا زاد الكافرُ على كفرِهِ المجرد كفرًا على كُفرٍ بمحاربة الدين (الإسلام) وأهله (المسلمين) وقتالهم وقتلهم وظلمهم واضطهادهم والسعي لإزالة سلطانهم الذي يُهيمِن فيه دينُ الله، ويُحكم فيه بشريعة الله، ليستبدُل به غيره[1]، وكل ما هو غيرُ الإسلام كفرٌ، ولينشأ عن ذلك ما ينشأ من فشوِّ معصية الله وعلو كلمة الشيطان وأمره؛ فقد بالغ في الإفساد والإجرام، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النحل]، ومن أجل ذلك.. فالكافر مستحق في الدنيا لأقصى العقوبات ومستحق، للإعدام (القتل) وأن يُنفى من هذه الحياة، كما هو مستحق لأقصى عقوبة في الآخرة.

ولذلك.. فالكافر في شريعة الإسلام غيرُ محترَمٍ، وماله غيرُ محترَمٍ، ولذلك يستحق القتل كما ذكرنا ويؤخَذُ مالُه وتُسبَى النساءُ منهم ولهنَّ في الشريعة أحكامٌ تُعرَف في بَابها، إلا أن يعصمه عهدٌ من المسلمين، والحيوان المحترمُ خيرٌ منه في نظر الشريعة الإسلامية، قال الله تعالى في الكفار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف]!، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان]، وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال].

والكافرُ نجسٌ خبيثٌ غيرُ محترَمٍ ولا مؤتَمَنٍ، فإن الله ﷻ قد «أهان الشرك وأهلَهُ ووضعَهم

---

(١) في الأصل: «ليستبدله بغيره»، والمثبت هو الصحيح والمناسب للسياق.

وصغَّرهم وقمعَهم وخذَلهم وتبرأ منهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وقال: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التوبة]، وطبع على قلوبهم وخبَّث سرائرَهم وضمائرَهم؛ فنهى عن ائتمانهم والثقة بهم، لعداوتهم للمسلمين وغشّهم وبغضائهم، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[آل عمران]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾[النساء]»[١].

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴿٢٨﴾ ﴾[التوبة]، وقال في المنافقين إخوانهم الأخفياء: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[التوبة]، ومع ذلك فمن كرم الله وسماحة شريعته المطهرة وعلوّها فإن الشريعة الإسلامية تحترمُ إنسانيته بالقدر المناسب، إذ فيها أن الإنسان مكرّمٌ من حيث هو إنسان: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء]، ويظهر ذلك في آداب معاملته في القتل والقتال والأسر، من نحو إحسان القتلة والذِّبحةِ، وعدم ضربِ الوجه اختيارًا في حال القدرة عليه، وترك السب والشتم والتقبيح «الإنساني»، وحُسْنِ معاملة الأسير، وهذا له فقهه وآدابه، وستأتي الإشارة إليه في الأمثلة، وما بعد الموت، من الدفن بمواراة سوأتِه في التراب وستره في الأرض، واحترام جثته وإجلالِها حالِ الموت وعدم التمثيل بها.

ومع عظيم جُرم الكافر.. فإن الله ﷻ كثيرًا ما يستأني بهم حلما منه ﷻ ولطفًا، فإنه ﷻ أرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأخذ على نفسه ألا يعذِّبَ إلا من قامت عليه الحجة منهم ببعثة الرسل فبلغته آياتُ الله السمعية وأخباره وأوامره ونواهيه القولية التي بلَّغها الأنبياءُ المرسَلون عليهم الصلاة والسلام كما قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء]، وأخَّر أعمارَ الكثيرين منهم، وأعطاهم الفرصةَ بعد الفرصةِ ليؤوبوا إليه، صبرًا منه عليهم ﷻ وإعذارًا إليهم لأنه يحب العذر، وهو مظهَرٌ من مظاهر عظيم كرمه وحِلمه وكمال قدرته، كما قال النبي ﷺ: (**أعذر الله إلى امرئٍ أخَّر أجلَهُ حتى بلَّغه**

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٣/ ٢٣١، ٢٣٢). [المؤلف، دون العزو]

ستين سنة) رواه البخاري[١]، وقال: **(ليس أحدٌ أحبُّ إليه العذرُ من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل)** رواه البخاري ومسلم[٢]، وشرع لعباده المؤمنين الذين هم أولياؤه وجندُهُ المطيعون له أن يتركوا قتلَ الكثيرين من الكفار -مع استحقاقهم للقتل- استثناءً بهم؛ رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إليه فيسلموا ويعبدوه وحده لا شريك له، ورجاءَ أن يخرُجَ من أصلابهم من يعبُدُ الله ولا يشركُ به شيئًا، ومن ذلك الأصناف التي نهي عن قتلهم من الحربيين كالنساء والأطفال والشيوخ ونحوهم، وكالأحوال التي يترجَّحُ فيها تركُ قتلِ الكافرِ الحربي المستحق للقتل رجاء إسلامه أو إسلام قومه أو نحو ذلك، ومثلها حالةُ المنِّ على الأسير الكافر بإطلاقه مجّانًا.

فهذا كلُّهُ من سماحة الإسلام ورحمته حتى مع أعدائه المحاربين له، وهو جزءٌ يسير من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء]، وهي مقدمة مجملةٌ في الموضوع.

وسأذكُرُ في نقاطٍ نبذًا من شرائع الإسلام وأحكامه السمحة في معاملة الكافرين؛ ليتأملها أهلُ الإسلامِ ويتأملها مَن شاء الله من الكافرين أيضًا، والله ولي التوفيق.

١) **أوجب الإسلامُ العدلَ والإنصاف والقيام بالقسط مع كل أحد مسلم وكافر؛** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾[المائدة]، فحيث ثبَتَ وبان الحقُّ للكافرِ أقررنا به وأدّيناهُ إليه، والحقُّ هو ما أحقّه الله، وهو ما دلَّتْ عليه شريعتُهُ بأنواع الدلالاتِ المعتبَرَةِ، فاجْمَعْ هذا الكلام مع ما تقدَّم من الكلام على كون الكفر غيرَ محترَمٍ، ولذلك فأثر هذا المبدأِ إنما يتضحُ في الكافر ذي العهد (ذميّ، أو ذي صلح، أو ذي أمان)، وأمّا في الحربيّ (غير المحترَم) فبعض آثار مبدأِ العدل تظهرُ في بعض التفاصيل الآتية، وإلا فالحقُّ أن أعدل العدل في معاملته هو قتلُهُ وإعدامُه، ثم الفضلُ وهو درجةٌ أعلى من العدل -يعني أنها تتضمّنُ العدلَ مع الإحسان- أن يُستأنى به ويُعطى الفرصة للتوبة والإنابة؛ فأكرِم به من عدلٍ وفضلٍ، والله أكبر.!

٢) **شرع الله ﷻ لنا الحرب العادلة**: وهي الجهاد؛ فهي كلها عدلٌ؛ تقوم لسبب ولدوافع كلها عدلٌ وإحسانٌ، وتجري على وَفق العدالة والرحمة والإحسان؛ فإن كانت حرب دفعٍ فذلك ظاهرٌ عند المسلم والكافر، وأمَّا إن كانت حرب هجوم وفتحٍ، وهي التي يسميها أهلُ شريعتنا بجهاد الطلبِ فهي حربٌ

---

(١) صحيح البخاري (٦٤١٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٤١٦)، صحيح مسلم (٢٧٦٠).

من أجلِ إتاحة الفرصة لجميع البشر بأن يختاروا الإسلام إن شاءوا بأن تُوجدَ فيهم قوة الاختيار تامّة؛ لا يتسلط عليهم مَن يُجبرِهُم على اختيارٍ ويفتنهم ويتحكم فيهم ويصدهم عن سبيل الله؛ وذلك بإزالة الفتنة، وهي الطواغيتُ والسلطات الكافرة الحاكمة على الناس المتحكمة فيهم، فيتحرر الناسُ من هيمنتها ويصيرون قادرين على اختيار الإسلام إذا شاؤوا، وهذا الذي قال الله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[الأنفال: ٣٩]، والفتنة هي: القوةُ والسلطةُ الكافرةُ التي تفتن الخلق وتصدهم عن طريق الله؛ فهذا الجهاد كله من أجل الله، وفي سبيل الله؛ أي في طريق الله، وهي طريقُ الدين والشريعة، وجملتُهَا: الإخلاص والصواب، فهو في طريق الله من جهة المقصد والغاية، وفي طريق الله من جهة تفاصيل التصرّفات فيه وما يُفعَلُ وما لا يُفعَل، وهي الأحكام الشرعية الفقهية في الجهاد في الإسلام.

فليست الحربُ في الإسلام لمجرَّد الاستيلاء على خيراتِ الأقوام وأملاكهم أو لمجرد تعبيدهم وتسخيرهم، وإن كان ذلك يحصُلُ ضمنًا كليا أو جزئيا إذا هم رفضوا الإسلام وأبَوْه وقاتلوا المسلمين، إذ أباح الله للمسلمين أموالَ الكافرينَ الحربيين وسبيَهم واسترقاقَهُم كما تقدم؛ لكن هناك فرقٌ كبير بين الأمرين لمن أنصف وتأمل.

وليستِ الحربُ في الإسلام لنصرِ جنسٍ وقومية أو عصبية، ولا لمجرد الاستعلاء على البشر؛ بل هي حربٌ لإزالة الفتنة ودفع الظلم، وتحرير الناس، وإنقاذ المستضعفين ونشر دين الله (الإسلام)، ونصرِهِ وتثبيته وحمايتِهِ بحماية قاعدته على الأرض وهي دولة الإسلام وبلد الإسلام والاجتماع الإسلامي، وجعل كلمته هي العليا، ولذلك فلا اعتداءَ فيها، ولا غدرَ ولا خيانة، ولا فسوقَ ولا فجورَ ولا شيطَنَة -والعياذ بالله- بل نُبلٌ وطهارةٌ وصدقٌ ووفاءٌ والتزامٌ بدين الله وشريعته وحُسنُ خلقٍ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠ ﴾[البقرة]، فالحمد لله الذي فضَّلنا وأعزَّنا بهذا الدين.

٣) **النهي عن قتل أصناف من الحربيين:** نهتِ الشريعة الإسلامية المطهرة عن قتل أصنافٍ من الكفار الحربيين، والمقصود بالحربيين: الكفار غير ذوي العهد بأنواعه الثلاثة؛ الذمة والصلح والأمان، فنهت عن قتل النساء والأطفال، وهذا ثابتٌ في الشريعة ثبوت القطعيات أو قريبًا منها، متفق عليه بين علماء الإسلام، ونهت عن قتل الشيوخ والرهبان في الأديرة والصوامع والمرضى الزَّمنى والعُمّال العسفاء الأجراء، وما شابههم من أصنافٍ؛ يشبه أن يكون الجامعُ لهم أنهم ليسوا ممَّن شأنهم الحربُ والقتالُ والصدُّ والمصاولة، على خلافات وتفاصيل بين علماء المسلمين في بعضِ الأصناف، وعلى

شرطٍ من الجميع دلت عليه أدلةُ الشريعةِ بأن لا يحصُلَ منهم (من تلك الأصناف) قتالٌ أو معاونةٌ ظاهرةٌ عليه ولو باللسان كالأشعار والغناء والتحريض.

٤) **إحسانُ القتلة والذِّبحة**: وهو من محاسن الشريعة الإسلامية، وترفُّعٌ عن مظاهر الغل والحقد المجرد، وسفاسف التلذذ بالعنفِ والقتلِ والدماءِ، وتربيةً وتأديبًا للمسلمين بأننا إنما نقتل من قتلناه من أجل الله لا من أجل أنفسنا، وإنما قتلناه لأنه ليس له دواءٌ إلا القتل، بمنزلة الكيّ الذي هو آخر الدواء، وفي كل ذلك إيماءٌ إلى تغليب الرحمة وإلى كمال الأدب، قال النبي ﷺ: (**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وَلْيُحِدَّ أحدكم شفرتَهُ، وليُرِحْ ذبيحته**) رواه مسلم[(١)].

٥) **من آداب وفقه معاملة المغلوبين**: وهي كثيرةٌ وفي غاية السماحة وجامعةٌ لمعاني الرحمة والعدل والإحسان، ومنها: أن يترَك لهم ما يكفيهم من طعامٍ؛ قال علماؤنا: «ودُعُوا للإسلام، ثم جزيةٍ بمحَلٍّ يؤمَن وإلا قوتلوا وقتلوا إلا المرأة إلا في مقاتلتها، والصبيَّ والمعتوهَ: كَشيخٍ فَانٍ وَزَمِنٍ وَأَعْمَى وَرَاهِبٍ مُنْعَزِلٍ بِدَيْرٍ أو صومعة بلا رأي، وَتُرِك لهم الكفاية فقط واستغفر قاتلهم: كمن لم تبلغْهُ دعوةٌ وإن حيزوا فقيمتُهُم، والراهبُ والراهبةُ حُرَّان»[(٢)] اهـ.

الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: «من لا يجوز قتله من الراهب، ومن معه ممن ذكر فإنه يترك له قُوتُه من مالِهِ أو مالِ غيره من الكفار، وإلا وجب على المسلمين مواساتُهُ بما يعيش به، وقدمنا عن «خليل» أنه لا شيءَ على مَنْ قتل منهم أحدًا قبل الحوز إلا التوبةَ، وبعده يلزمه غرمُ القيمةِ إلا الراهب والراهبة فيلزمه ديتُهُما تدفع لأهل دِينهما»[(٣)] اهـ.

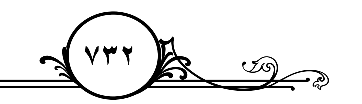
٦) **معاملة الأسرى والسبي**: ومنها شرعية المنِّ على الأسير؛ بإطلاقِ سراحِه بدون مقابل، توسعةً وقصدًا لإمالته إلى الإسلام أو تأليف قومِه على الإسلام أو نحو ذلك من المقاصدِ الحميدة، وعمومُ معاملة الأسير بالإحسانِ إليه بإطعامه وكسوته اللائقين، وعدم تعذيبه أو إهانته أو نحو ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان]، فإن استُرِقَّ (جُعِل واتُّخِذ رقيقًا أي عبدًا مملوكًا، حيث أمكن) أو فودي به فذاك، وإن قُتِل فإحسان القِتلة كما تقدم.

---

(١) صحيح مسلم (١٩٥٥).

(٢) من مختصر خليل بن إسحاق المالكي (ص ٨٨). [المؤلف، عدا العزو]

(٣) الفواكه الدواني (١ / ٣٩٩).



وفي معاملة السبيِ من النساءِ والذُّرِّيّة: حفظُهُم وصونُهُم وإكرامُهم وعدم التعرض للنساء حتى يُقسم السَّبيُ، ثم من وقعَ في قسمته (نصيبه من القسمة) شيءٌ من السبي من النساء؛ فإنه يحرُمُ عليه وطؤُها حتى تُستَبْرَأَ بحيضةٍ إن كانت حائلًا، أو يَبِينَ حملُها فلا تُوطأ حتى تضعَ، ويحرُمُ في معاملة السبي من النساء والصبيان التفريقُ بين ذوي الأرحام الأدْنَيْن، كالوالدة وولدها، وما أعطي حكمَه.

٧) **تحريم الغدر**: وذلك أصلٌ عظيمٌ في دين الإسلام ومن محاسنِ شريعته الغراء، وأكرمْ به من أصلٍ في مكارم الأخلاق وكمال الفضائل والرجولة والفحولة.

٨) **باب الموادعة (المهادنة) للكفار**: وعقد الصلح معهم على وقف الحرب والقتال، شرعته الشريعة الإسلامية لما فيه من الحِكَم، وفيه رحمةٌ وفوائدُ للجميع، يعرفها أهل الحرب وغيرُهم.

٩) **باب الأمان**: وهو إعطاءُ الأمان للكافر الحربي الذي له حاجةٌ في دخول حوزةِ المسلمين، فيأمَنُ على نفسه وماله، وإليك هذا الأنموذَجَ فضُمَّه إلى ما تقدم: «ذهب الحنفيةُ إلى أنه إذا دَخل الحربيُّ بمال التجارة إلى دار الإسلام بأمانٍ يؤخذ منه عُشر مالَه إذا بلغ المالُ نصابًا، وهذا إذا لم يُعلَم مقدارُ ما يأخذون منَّا، فإن عُلِمَ مقدارُ ما يأخذون منا أخذ منهم مثلُهُ مجازاةً، إلا إذا عرف أخذهم الكلَّ فلا نأخذُ منهم الكلَّ بل نترك لهم ما يبلغهم مأمنهم إبقاءً للأمان»[1] اهـ.

١٠) **باب الذمة**: وهو أن يعطى الكافرُ عهدًا مؤبَّدًا بالأمان ويكون في ذمة المسلمين وتحت حكم المسلمين، ويكون من رعايا الدولة المسلمة، يدافعُ عنه المسلمون ويحمونه.. في مقابل أن يدفَع الجزية عن يدٍ صاغرًا وذلك بالتزام شروطٍ موضَّحة في بابها، وإن ظهر في بعض تلك الأحكام والشروط قسوةٌ على الكافر الذِّميِّ لما فيها من الإذلال الظاهر له، وعدم تكريمه، فإن ذلك لا ينافي العدلَ، بل هو صميم العدلِ وزيادةٌ بالإحسان والرحمة، لمن تأمل وأنصف؛ لأن الكافرَ مستحقّ للإعدام وأقسى العقوبة أصلا كما تقدم لعظيم جرمِه، والجهلة قليلو الإنصاف والحِكمة من الكفار ومَن تأثّر بهم وتلوَّث بثقافتهم اليومَ، تُنكرُ قلوبهم ذلك ويشنّعون على الإسلام وأهله بأن هذه الأحكام منافيةٌ للعدل وحقوق الإنسان زعموا!! ﴿ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾[النجم: ٣٠]، وما مثلُهُم في أحسنِ الأحوال إلا كما قيل: علمتَ شيئًا وغابت عنك أشياءُ، وإنما أُتُوا من ظنهم أن العدل هو التسوية بين الناس مطلقًا؛ فجعلوا العدل هو مطلق التسوية، وليس كذلك؛ بل هذا من الخطأِ والفسادِ، وإنَّما الحقُّ أن العدل هو التسويةُ

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ١٠٤). [المؤلف، عدا العزو]

بين الأشياء المتماثلة التي لا فرقَ معتبرًا بينها والتفريقُ بين الأشياء المختلفة نوعَ اختلافٍ يوجب الفرقَ بالدليل، وأيُّ تشابهٍ وتساوٍ يثبتُ بين المسلم والكافر؟ سبحان الله! قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[القلم]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[ص]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[السجدة].

على أن مما يظهَرُ فيه سماحة الإسلام وفضلُهُ ومحاسنُهُ في هذا الباب أشياء كثيرةٌ أخرى منها: مقدارُ الجزية إذ هو مقدارٌ يسير جدًّا دينارٌ أو ما يعادِلُه أو تزيدُ قليلًا، إذا كان الحالُ أوسعَ أو تنقص بحسبه، على كل حالمٍ (بالغ) قادرٍ، في السَّنة.. فهو مع صغر حجمه لا يؤخذ من الصبيّ ولا من المرأة، ولا من المُعدَم غير القادر.

على أن من أنصفَ وبحث فإنه لن يجد أحكامًا أعدل ولا أفضلَ وأحسنَ من هذه في معاملة المغلوبين والرعايا للدولة المخالفين لها في الدين، ومن طالع التاريخ قديمه وحديثَه عرف! فإن الدولة إذا قامت على أساسٍ ديني مهما كان؛ فسيتضحُ للباحث بكل سهولة عظمةُ سماحة الإسلام وشرائعه وأنه لا نظيرَ لها أبدًا، وإن قامت الدولةُ لا على أساس الدين بل على الكفر بالدين وتنحيته واستبعادِهِ؛ فذلك شر عظيمٌ مغمورٌ في جنبه كل ما يمكن أن يتخيله الإنسانُ شرًّا.!!

وأنظمة العالَم الغربي اللادينية اليوم وإن تشدَّقَت بشعارات الحرية والحقوق في ظل نظامهم الخادع ودينهم المسمى بالديمقراطية؛ فإن ظلمَهم لأهل الدين الإسلاميّ دينِ التوحيدِ (عبادة الله وحده لا شريك له، واتباع رسوله محمد ﷺ ورسالته الخاتمة الناسخة لما سواها)، هو ظلمٌ واضطهادٌ مستمرٌّ، إنْ على المستوى الرسمي أو الشعبي أو كليهما، وبأشكال «قانونية» وغير قانونية، بالتخويفِ والإرهابِ والتضييق والتمييز والاحتقار والاعتداء والإضرار والإيذاء، ولن يتوقف ذلك إلا إذا أسلموا هم أو كفر من تحت سلطتهم من المسلمين -والعياذ بالله- أو اتخذ سبيل الفسق والفجور أو داهن، ولن يسلَمَ.! نسأل الله العافية والسلامة.

فالكفار إذا غلبوا وكانت لهم الدولة؛ فإن ظلمهم واضطهادهم للمسلمين كبيرٌ، وإن ادّعوا ما ادعوا؛ فإنهم يتلاعبون بالقوانين والمبادئ المعلَنة كيفما شاؤوا، ولن تغني الشعاراتُ شيئًا؛ لأنهم يتصرّفون على وَفق أهوائهم ومحابّ نفوسهم ومصالحهم كما يرونها، وبئسَ ما يرونَ وهم ليس عندهم تقوى لله ولا خوفٌ منه وخشية ولا إيمان حقيقي معتبَر باليوم الآخر، وأما المسلمون عندما يغلبون وتكون لهم الدولة؛ فإن الإسلام يقولها للكفار الذين تحت رعايته وسلطانه صريحةً واضحةً صادقة شفَّافةً: لكم من المعاملة كذا وكذا، وتستحقون كذا وكذا، بلا خداع ولا كذبٍ ولا تجمُّلٍ زائف ولا

«لفٍّ ولا دورانٍ»، وهذا ما تستحقونه من معاملة ويليق بكم، ولن تجدوا خيرًا منه، وأهلُ الإسلام هم أهلُ تقوى وخوفٍ من الله ومراقبةٍ وصدقٍ وطاعة ظاهرةٍ وباطنةٍ، والحمد لله رب العالمين.

وهذا مما يوضح لك معنى «الواقعية» التي يذكرها علماؤنا وأدباؤنا والتي هي من خصائص دين الإسلام، وهي حقٌّ.

١١) **وقد أوصتِ الشريعةُ المطهرةُ خيرًا بأهل الذمة والمعاهَدين والمستأمنين**، وجعلت لهم أحكامًا وحقوقًا، وهي راجعةٌ إلى احترامِ وتعظيمِ «عهد الله» و«ذمةِ الله وذمة رسوله ﷺ»، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(من قتل معاهدًا لم يَرَحْ رائحةَ الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا)** رواه البخاري[(١)]، وأَمَرَت بالإحسان إلى أهل الذمة وحسنِ معاملتهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: «أوصي الخليفةَ من بعدي بالمهاجرين الأولين خيرًا، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ؛ أن يقبل من محسنِهم، ويُعفى عن مسيئهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يُقَاتَل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم» رواه البخاري[(٢)]، وهم داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[الممتحنة: ٨].

١٢) **ومن أعظم مقاصد الإسلام في هذا الباب مقصِدُ الهداية للخلق**، بحيث يتعرَّض الكافرُ الذميُّ لفرصةٍ كبيرةٍ للتعرف على الإسلام ورؤية محاسنه ورِفعَةِ آدابه وعلوّ شأنه، وما في أحكامِه وفقهه من إتقانٍ شاهدٍ بأنه من عند الله، وما فيه من الرحمة والعدل والإحسان والصلاحِ والطهارةِ والكرامة والكمال والجمال، ومدى تأثيره الطيب الجميل على النفس والاجتماع البشريّ، وأنّه خيرٌ كله وصلاحٌ وبركةٌ.. ويعرف -إن كان يريد أن يعرف- أنه الحق المبين من عند الله رب العالمين؛ فيُسلِمُ، وهذا من معنى قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»[(٣)]، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **(عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)** رواه‍ما البخاري[(٤)]، قال العلماء: معناه

(١) صحيح البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤).

(٢) صحيح البخاري (١٣٩٢).

(٣) صحيح البخاري (٤٥٥٧).

(٤) تقدم الأول، وأما الثاني ففي: صحيح البخاري (٣٠١٠).

يُؤسرون ويقيَّدون ثم يسلمون فيدخلون الجنة.

١٣) **الإحسان إلى الوالدين الكافرين، وصلة الرحم الكافر**: قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]؛ وهذه معانيها واضحةٌ بينة لمن يريد التأمل ومعرفة الخير والحق والهدى الذي فيها فليراجع التفاسير، والحمد لله رب العالمين.

قال ابن القيم ﵀ على آية الممتحنة هذه: «فإن الله سبحانه لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفارَ أولياءَ وقطعَ المودةَ بينهم وبينهم، توهَّم بعضُهم أن بِرَّهم والإحسانَ إليهم من الموالاة والمودة؛ فبين الله سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه عن ذلك بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه، وكتبه على كل شيء، وإنما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة»[1] اهـ، وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: «قَدِمتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدهم فاستفتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله قدمتْ عليَّ أمي وهي راغبةٌ؛ أفَأَصِلُ أمّي؟ قال: (**نعم صلي أمكِ**)»[2].

فهذا بعضُ ما تيسر ذكره من الأمثلة على سماحة الدين الإسلامي في معاملة الكفار، نسأل الله برحته التي وسعت كل شيءٍ أن يرحمنا.

[الحلقة السابعة – مجلة طلائع خراسان، العدد السابع عشـر، رمضان ١٤٣١]

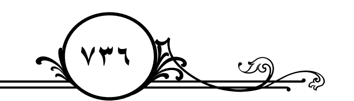
❖ فوائد تتعلق بباب الرفق والعنف زيادة على ما سبق:

قوله: (**ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**) قال أهل العلم: «يعني أن نصيب الرجل

---

(١) أحكام أهل الذمة (١ / ٦٠٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٦٢٠).



من الخير على قدر نصيبه من الرفق وحرمانه منه على قدر حرمانه منه»[١]، وهو صريحُ الحديث المتقدم: (**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**) رواه الترمذي، وعند أحمد نحوه[٢].

قوله: (**إن الله رفيق**)، هل هو من أسماء الله تعالى الحسنى أو هو صفةٌ؟ محتمل، والوجهان للعلماء، أعنى مَن ذكره في الأسماء الحسنى ومَن لم يذكرْه فيها، والأظهر والله أعلم أنه جارٍ مجرى الصفاتِ، ومحل هذا البحث كتب العقائد، وهو شبيه بقوله: (**إن الله جميلٌ يحب الجمال**)، وقوله: (**إن الله طيّبٌ لا يقبل إلا طيّبًا**) رواهما مسلم في صحيحه[٣]، ويراجع شرح النووي في الموضعين[٤]، وعند الطبراني وعبد الرزاق في مصنفه: (**إن الله محسنٌ يحب الإحسان**)[٥]، وعند الترمذي وضعّفه: (**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا** -أراه قال- **أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**) اهـ، قال الترمذي عقب إيراده الحديث في سننه: «هذا حديث غريب وخالد بن إلياس[٦] يضعَّف ويقال ابن إياس»[٧] اهـ.

وإنما أردتُ أن أطيلَ في الكلام على العنف والرفق والشدة واللين، لشدة تعلّق فهم هذه الأمور بالجهادِ، وشدة حاجة المجاهدين إلى فقهها والتشبّع بالحكمة فيها، وأرجو أنني أساهِمُ في ترشيد شبابنا وأجيالنا وتسديدهم بإذن الله، أسأل الله تعالى أن يتقبل ويبارك.

ومن النقاط العملية لكي يدرّب الإنسان نفسه على استعمال الرفق والتريّض به: أن نتذكر كلمة أبي عون الأنصاري التي مرَّتْ: «ما تكلم الناسُ بكلمةٍ صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألينُ منها تجري مجراها»[٨] اهـ؛ أي فليتأنّ الإنسانُ قبل النطق وقبل التصرّف، وليفكر في الوسيلة النطقية أو الفعلية التي يؤدي بها المعنى الذي يريد، وهذا يلفتنا إلى أهمية أن نتعلم الكلمات الطيبة التي تؤدى بها المعاني

---

(١) قاله في تحفة الأحوذي (٦ / ١٣٠). [المؤلف، عدا العزو]

(٢) سنن الترمذي (٢٠١٣) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٥٢٥٩، ٢٧٥٥٣).

(٣) أولهما برقم: (٩١)، والثاني برقم: (١٠١٥).

(٤) أولهما في: (٢ / ٨٩)، والثاني في: (٧ / ١٠٠).

(٥) المعجم الكبير (٧١٢١)، المعجم الأوسط (٥٧٥٣)، مصنف عبد الرزاق (٨٦٠٣)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (١٨٢٤).

(٦) أحد رواته. [المؤلف]

(٧) سنن الترمذي (٢٧٩٩)، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع (١٦١٦).

(٨) كذا في إحياء علوم الدين -كما تقدم ذكره-، وبنحوه في: مسند إسحاق بن راهويه (١ / ٣٥٤).

المختلفة ونكثر من الأمثلة ونقتدي بأهل الكمال في الباب.

❖ الموازنة بين الشدة واللين من أصول تربية الخلق:

ولا شكّ أن الموازنة بين الشدة واللين والعنف والرفق والترغيب والترهيب أصلٌ من أهم أصول تربية المكلَّفين، سواء على مستوى النفس أو على مستوى الاجتماع، ومن رام التربية بمجرد الرفق واللين مطلقًا ودائما وأبدًا وأنكر استعمال بعضِ الشدة في محلها، وكذا مَن رام الإصلاح بالرفق واللين وحده مطلقًا ودائما وأبدًا وأنكر عن استعمال الشدة والعنف في محلهما؛ فإنه عَرَف شيئًا وغابتْ عنه أشياءُ، وهو حرِيٌّ بوصف الجهلِ والنقص.!

وأما الزنادقة الواصفون للشريعة بالعنف استهزاءً واحتقارًا وازدراءً، لأنها تأمُرُ بقطع يد السارق بشروطه، وتقتل القاتل قصاصًا، وترجم الزاني المحصَن وتجلد الزاني غير المحصَنِ، ولنحو ذلك من الحدود؛ فإنهم سفلةٌ متمردون على الله تعالى، ولسنا نطيل هنا بالكلام عليهم، فقد تجاوزهم التيار، والحمدُ لله، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء].. وقد قالت الحكماء:

فقسا ليزدجروا ومَن يكُ حازمًا ... فليقْسُ أحيانًا على مَن يرحَمُ[(١)]

في أضواء البيان عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة: ٥٤] الآية: «أخبر تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة أنهم إن ارتد بعضُهم فإن الله يأتي عوضًا عن ذلك المرتد بقوم من صفاتهم الذل للمؤمنين والتواضع لهم ولين الجانب، والقسوة والشدة على الكافرين، وهذا من كمال صفات المؤمنين، وبهذا أمر الله نبيه ﷺ، فأمره بلين الجانب للمؤمنين بقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر]، وقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[الشعراء]، وأمره بالقسوة على غيرهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[التحريم]، وأثنى تعالى على نبيه باللين للمؤمنين في قوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وصرح بأن ذلك المذكور من اللين للمؤمنين، والشدة على الكافرين، من صفات الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ، بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[الفتح: ٢٩]، ويفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت المناسب للين، وألا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة، لأن اللين في محل

---

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ١١٢١، حاشية ١).

الشدة ضعفٌ وخوَرٌ، والشدة في محل اللين حمق وخرق، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قيل حلمٌ قل فللحلمِ موضعٌ وحلمُ الفتى في غيرِ موضعه جهلُ»[١]

انتهى، وفي «التحرير والتنوير»: «ومعنى اتّباع محمدٍ ملّةَ إبراهيم الواقعِ في كثيرٍ من آيات القرآن أن دينَ الإسلام بُني على أصولِ ملّة إبراهيم، وهي أصول الفطرة والتوسّط بين الشدّة واللّين، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٨﴾﴾[الحج: ٧٨]»[٢] اهـ.

وسورةُ النور في القرآن مثالٌ لمن أراد أن يتأمّل هذا الأصل في التربية: «والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترقى إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيقة، التي تصلُ القلبَ بنور الله وبآياته المبثوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة، والهدفُ واحدٌ في الشدة واللين، هو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر، ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة، حتى تشف وترف، وتتصل بنور الله، وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة، بوصفها نابعةً كلها من معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله، وهي في صميمها نور وشفافية، وإشراق وطهارة، تربية عناصرها من مصدر النور الأول في السماوات والأرض، نور الله الذي أشرقت به الظلمات، في السماوات والأرض، والقلوب والضمائر، والنفوس والأرواح»[٣] اهـ، والحمد لله رب العالمين.

❖ العنف والجهاد: هل الجهاد عنفٌ؟ وهل يصحّ تسميته عنفاً؟

الجهادُ شريعةٌ من شرائع الله ﷻ جاء بها دين الإسلام، كما كانت مشروعة في شرائع بعض الأنبياء السابقين كموسى ومَن بعده من أنبياء بني إسرائيل، كيوشع بن نون وداود وسليمان، وغيرهم.

قال بعض العلماء: إن بدءَ تشريع الجهاد كان في شريعة موسى ﷺ بعد هلاك فرعون، واستنبطوه من قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾، وقوله في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ

---

(١) أضواء البيان (١ / ٤١٥، ٤١٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٤ / ٢٠٦).

(٣) في ظلال القرآن (٤ / ٢٤٨٦). [المؤلف، عدا العزو]

﴿يَهۡتَدُونَ ۝٤٩﴾، وذلك بعد ذكر إهلاك الأمم المكذبة في الموضعين.

قال ابن كثيرٍ: «يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين»[1] اهـ، قال الشيخ السعدي: «مر عليَّ منذ زمان طويل كلامٌ لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه؛ فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا إهلاكُ فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص فهي صريحة جدا؛ فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٣﴾ فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدى ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة يونس من قولة: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾أي: من بعد نوح ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٧٤ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ الآيات، والله أعلم»[2] اهـ.

وقال عند آيات القصص: «﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهو التوراة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام؛ فرعون وجنوده، وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف»[3] اهـ.

وفي «نظم الدرر» للبقاعي: «ولما كان حكم التوراة لا يستغرق الزمانَ الآتي أدخل الجار فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ﴾ إشارة إلى أن إيتاءها إنما هو في مدة من الزمان ثم ينسخها سبحانه بما يشاء من أمره ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾أي بعظمتنا ﴿ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي من قوم نوح إلى قوم فرعون، ووقَّتها بالهلاك إشارةً إلى أنه لا يعم أمةً من الأمم بالهلاك بعد إنزالها تشريفًا لها ولمن أنزلت عليه وأوصلت إليه»[4] اهـ.

وهذا الانتزاع دقيقٌ لطيف، بيد أن الذي شجع عليه وساعدَ أمران:

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٣٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٥٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٦١٦).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤ / ٣٠١).

الأول: أنه معروفٌ وثابتٌ تاريخيًا بشهادة القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة أن الجهاد كان مشروعًا في شرائع بعض أنبياء بني إسرائيل من بعدِ موسى؛ ففي القرآن مثلا قصة ﴿ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾[البقرة: ٢٤٦] الآيات، وفي السنة ذكرُ قتالِ يوشع بن نون وداود وسليمان.

والثاني معنويٌّ، وهو: أن الجهادَ لأعداء الله الصادّين عن دعوته المكذبين لرسله؛ هو كالبدَلِ لعذابِ الاستئصال الذي كان يأخذ الله ﷻ به الأمم المكذبة قبل ذلك، وهو الذي إليه الإشارة بقوله ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ كما فهمه العلماءُ، والله أعلم.

ثم المعروف المشهور تاريخيًا أيضًا أنه لم تعذَّبْ أمةٌ بعدَ موسى عذابَ استئصالٍ وبسَنَةٍ عامّةٍ.! كما قال ابن كثير في تفسيره في سورة ياسين: «وقد ذكر أبو سعيد الخدري ﷺ وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة، لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم»[1] اهـ، وإن نَظَرَ فيه القاسميّ في محاسن التأويل فقال: «وما ذكره ابن كثير من وقوف عذاب الاستئصال بعد نزول التوراة يحتاج إلى قاطع، وإلا فقد خربت كثير من البلاد الأثيمة بعدها وتدمرت بتسليط الله من شاء عليها»[2] اهـ، ففي كلامه نظرٌ، والذي ذكره السلف وابن كثير أوجَهُ ولسنا نحتاجُ إلى قاطع بل المقام مقامُ غلبة الظنّ، وخراب كثير من البلاد الأثيمة ودمارها بتسليط الله من شاء من خلقه على مَن شاء ليس مما نحن فيه في الغالب.

وبعض خصوم المجاهدين، وأعداءُ الجهاد من منافقي وزنادقة هذه الأمة وأولياؤهم الكفار الأصليون يسمّون الجهاد عنفًا، وينبزون المجاهدين بالعنف والتشدد كما هو معروف مشهور، وهذا من ظلمهم وجهلهم وعنادهم للحق وطغيانهم؛ فإن الجهاد شريعة شرعها الله وعظّم قدرها، فالله يحبها ويأمر بها ويفرح بها وبأهلها ويرضى عنهم ويرفع درجتهم في أعلى الدرجات، والله هو الرب الرحيم الرؤوف البرّ الكريم الحنّان المنان أرحم الراحمين وخير الراحمين، وهو أيضا العزيز الجبار المتكبر القوي المتين والقهار القاهر فوق عباده المنتقم من الظالمين، له الأسماء الحسنى والصفات العلا سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ﷻ؛ وبالتالي فالجهاد، حيث كان جهادًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٥٧٣).

(٢) محاسن التأويل (٨ / ١٨١).

حقًّا، فهو من جملة الرحمة، وهو خير للخلق، وصلاح وإصلاح في الأرض، وليسَ فسادًا.

هذا لا شك فيه ولا ريب، ومن يرتاب في هذا فإن كان من الكفار فلا غرابة فيه، فإن الكافر عن الفهم لدين الله بمعزلٍ، وإن كان ممن ينتسب إلى الإسلام ففيه نفاق وشكّ، فعليه أن يبادر بالتوبة وتصحيح إيمانه، ومداواة نفسه المريضة بالعلم النافع والهدى والنور الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وليصدق مع الله، وليخلص في طلب الهداية والبحث عن الحق؛ فإن فعل فإن الله يهديه ويوفقه ويشرح صدره؛ فالجهادُ فريضةٌ من فرائض الله تعالى، وفرائض الله تعالى وشرائعه كلها حقٌّ وعدلٌ ورحمةٌ وصلاحٌ وإحسانٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام: ١١٥].

ولا شك أن الجهادَ عنفٌ وشدة وغلظةٌ في محلّه للمستحقين من الكفرة وأمثالهم ممن يُجاهَدون، فهو إذن عنفٌ محمودٌ مأمورٌ به من قبل ربنا وخالقنا ﷻ الذي له الحكمة التامة والرحمة التامّة والكمال والجمال والجلال سبحانه، وهو إذنْ مما ذكرنا من وضع الرحمة والرفق واللين في محله، والشدة والغلظة والعنف في محله، وهو مقتضى العدل ومقتضى الحكمة -والحمد لله رب العالمين- وإن شئتَ فقل: هو عنفٌ شرعه الله وأحبّه ورضيه وأمر به، فالعنف والشدّة ليس مذمومًا بإطلاق، في كل حين وفي كل موضع، كما كررنا، بل إنما يذمّ حين يكون في غير محلّه، وحيث يمكن تحصيل المقصود بالرفق واللين.

لكن قد أشرنا فيما مرّ أن لفظ «العنفِ» في عرف اللغة واستعمال الشرع خُصّ بما كان منه مذمومًا وهو الموضوع في غير محلّه أو الزائد على قدر الحاجة والصلاح، فالوصفُ بـ«العنف» يتضمّنُ تلميحًا إلى ذم موصوفه، ولهذا لا يجوز تسمية الجهاد عنفًا إلا على سبيل التبيين والتوضيح للمعاني وأصولها على نحو ما كتبنا في هذه الأسطر مثلا، وأما الذين ينعتون الجهاد الحقَّ المشروعَ بالعنف من أعداء الجهادِ وخصومِه ومن ضُلّال ومنحرفي هذه الأمة والمهزومين ممن يسمّون بالمفكرين والمثقفين أو العلماء.. فهؤلاء في أحسنِ أحوالهم قومٌ لا يعلمون، وفي بعضها هم قومٌ مسرفون، وهم على خطرٍ عظيم.!!

وبالجملة.. فالذين يسمّون الجهاد عنفًا ما أبعدهم عن حقيقة الدين، لكنْ علينا أن نكون حذرين في الحكم على هؤلاء المسمّين للجهاد عنفًا من أهل ملتنا؛ فإن بعضهم قد يتظاهر بذلك أمام الناس من باب السياسة والدبلوماسية، وظروفه تضطره لبعض ذلك، أو بتعبير أدق هو يرى أن ظروفه تضطره إلى بعض ذلك، وبعضهم قد يكون معذورًا فعلًا نتيجةً للخوف الذي يعيشه والاضطهاد في ظل الأنظمة البوليسية التي تحكم بلادنا الإسلامية، ولا نريد أن نظلم أحدًا، فنحن نعرف أعذار الناس في الجملة، وقد نعرف بعض المعذورين على التفصيل ونعرف حالهم.. إنما هنا نحن نتكلم عن الأفكار، وكل امرئ حسيب نفسه، وكل نفس بما كسبت رهينة، والإنسان على نفسه بصيرة، والذي يحاول

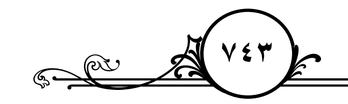
خداع الناس قد يخدعهم، ولكنه لا يخدع الله.!

ونكمِلُ الصورةَ: فالجهاد شرع للحاجة الضرورية لحفظ الدين وصلاح الاجتماع البشري وهي سنة التدافع المعبر عنها في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة: ٢٥١].

وقد يصح أن يقال: إن الجهاد هو مشروع من باب الضرورة، بمعنى أنه لو أسلم الناس فلا حاجة إلى الجهاد، ولو لم يكن هناك من يصد عن الدعوة لما شرع الجهاد.. فنقول: لا بأس، فليكن، لكن لمَّا كانت هذه الضرورة لازمةً دائمةً ولا ينفك عنها الاجتماع الإنساني، كانت فرضية الجهاد بهذه المنزلة في الشريعة: فرضيةً دائمةً مستمرة مرغّبًا في القيام بها أيما ترغيب وممدوحة أيما مدح، فكأنها لم تكن عن ضرورة، وإنما هي تصرّف أصليّ، إذ لا يُتصوّر أن يُسلم الناسُ كلهم ويخضعوا للعلم والهدى والدين، ولا أن تخلو الأرض من أهل الصد عن سبيل الله، ولله الحجة البالغة؛ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[البقرة].

توضيحه: أن الجهاد حقيقته القتال والقتل، وقتل النفوس ليس مقصودًا بالقصد الأول (القصد الأصلي الأساسي) لبعثة الرسل وإنزال الكتب من الله تعالى؛ فإن الله بعث الرسل وأنزل الكتب لهداية الخلق لا لقتلهم؛ نعم هذا صحيح باعتبار القصد الأول، وإنما لما كان في علم اللطيف الخبير أن بعض النفوس لا ينفع معها هذا، ولا ترفع رأسًا بالرسل ولا بالكتب، بل تقف ضدًا لها وحربًا عليها، وأنها لا يمكن صلاحها بالكلمة الهادية وبالدلالةِ لعدم القابلية، وأن في إزالتها صلاحَ النوع البشري وصلاح الأرض، شرع الجهاد (القتال والقتل) وأمر به، وابتلى به خلقه مؤمنهم وكافرهم، وجعله من أعظم دلائل محبته، وفرقانًا بين أوليائه وأعدائه، ومن أعظم ما يجازي عليه الجزاءَ الحسن، لما فيه من المعاني الباهرة التي خلاصتها بذل أغلى ما يملك الإنسان وهو وجودُهُ ومهجتُهُ ودمُه وروحُه في سبيل ربه ﷻ، أي من أجل دينه، فقتل تلك النفوس (مستحقي القتل من الكفار) هو بمنزلة قطع العضو المريضِ التالف الذي لا يرجى بُرْؤه من جسم الإنسان، والذي لو تُرِك ولم يقطع لأفسد بقية الجسم وأتى الفسادُ عليه كله.

وكذلك وقوع القتل في المجاهدين المؤمنين هو -إن شئتَ بالنظر إلى الأصل- من نوعِ «فسادٍ شُرِعَ لمنعِ وقوعِ فسادٍ أعظمَ منه»، فهو إذن من باب: «ارتكاب أدنى المفسدتين» التين لا بد من وقوع



إحداهما (متعارضتان)، وبعبارة أخرى: «ارتكاب أخف الضررين»، فهذه هي قاعدة الجهاد في الإسلام؛ وحينئذٍ فلا يسمّى القتل للنفوس (في الجهاد) فسادًا، معاذَ الله! وإنما عبّرنا عنه بذلك باعتبار الأصل، وللشرح وتقريب المسألة للفهم، فإنه حينما أمر الله به كان صلاحًا وخيرًا، لأن فعل المفسدة حينئذٍ (أي لمنع وقوع المفسدة الكبرى) لا يكون فسادًا بل يصير هو عين الصلاح والإصلاح، والله ﷻ يأمُرُ بالعدل والإحسان والخيرِ والصلاح والإصلاح ولا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد ولا يحب المفسدين، ﷻ وتقدّس، والحمد لله رب العالمين.

❖ تساؤل جريء:

سأل بعضُ الناسِ: نلاحظ أن المجاهدين أو «التيار الجهادي» في الأمة وفي شباب الصحوة وفي الحركة الإسلامية فيهم ميلٌ إلى العنف أكثر من غيرهم من الطوائف الإسلامية والتيارات الأخرى، نلاحظ عندهم قسوة وشدة وتشددًا زائدًا وأكثر مما عند غيرهم! وقد يتمادى بهم هذا الخلق وهذا الوصف إلى أن يفضِّلوا ويختاروا الخيارات القاسية والعنيفة كثيرا، ويتصرفوا تصرفات لا إنسانية أحيانًا وبعيدة عن الرحمة! فما تقولون في هذا؟

والجواب: أما كون أهل الجهاد و«التيار الجهادي» كما سميتَهُ، أميلَ إلى العنف من غيرهم من الطوائف الإسلامية والتيارات الأخرى في الحركة الإسلامية فهذا -إن كان- فينبغي أن يكون عاديًّا مفهومًا و«طبيعيًّا» كما يقالُ؛ فإنهم يمارسون أشياء من جنس العنف والغلظة وهي الحربُ والقتالُ والقتل والذبح وإطارةُ الرؤوس وإراقة الدماء ونثر الأشلاء والتفجيرُ والتدميرُ، ويُعالجون الشدة والقسوةَ في مواجهة الأعداء، فلا عجبَ أن يراهم غيرُهم لا سيما ممّن لم يعرِف الخشونة من أهل الرقّة والنعومةِ وممن نُشّئوا في الحِلية والترف وغلب عليهم حب السلامة وطغى عليهم الوَهْنُ وهو حبُّ الدنيا وكراهية القتال، يراهم عنيفين ذوي غلظةٍ، وهم في الحقيقةِ وفي نفس الأمر ربما كانوا أرقّ قلوبًا منه وأرحمَ وأشفق وأحنَّ على الضعيف..!

والحاصل أن هذا الحكم غيرُ موضوعيّ على الأغلبِ، فإن سُلّم أن فيه شيئًا من الصحة فهو من مضاعفات هذه الممارسة أحيانًا، التي قد تقع لبعض الناسِ وليست للجميع وليستْ غالبة، فإن الجهادَ كلما كان على الشريعة حقًا وصدقًا وكان أهلُهُ منضبطين بالشرع ذوي دينٍ متين وتقوى وفقهٍ، جامعين بين العلم والجهاد، وتقودُهم قيادةٌ رشيدةٌ؛ فإن أخلاقهم وأمزجتهم تكون من أعدل الأخلاق والأمزجة وخيرِها، ولا مقارنة بينهم وبين غيرهم ألبته.!

ولذلك فإن ما ذكره السائلُ من أنه «قد يتمادى بهم هذا الخلق وهذا الوصف إلى أن يفضِّلوا ويختاروا الخيارات القاسية والعنيفة كثيرا، ويتصرفوا تصرفات لا إنسانية أحيانًا وبعيدة عن الرحمة!» اهـ؛ فإنه يشير إلى حالاتٍ وقع فيها الخللُ والانحرافُ، فهذه لها أسبابٌ متعددة، ليس منها ممارسةُ الجهادِ، وهذا يحصُل لأهل الجهاد ولغيرهم؛ فإن من طوائف الناس من الحركة الإسلامية وعوامّ أهل القبلة مَن هو عنيفٌ جدًا وقاسٍ وشديدٌ بل وعُتُلٌ جبّار، دون أن يكون من أهل الحرب والقتال ولا انتمى إلى جهادٍ، وقد يقتصر عنفه على اللفظ في مواطن لا يقدر فيها على غيره، وعلى صورٍ من عنف المعاملة والأخلاق وتبلّد الإحساس وقلة الرحمة أو انعدامها وغلبة الأنانية والشحّ، فلمَ تظلم الجهادَ وأهلَهُ يا فتى؟!

وبكل حالٍ.. فالحقُّ يقبَل حيثُ هو، والباطل يُرَدُّ ويُنكر ممن كان، فاللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

[الحلقة الثامنة - مجلة طلائع خراسان، العدد الثامن عشـــر، ربيع الآخر ١٤٣٢]

۞ الحكمة الثانية: قوله ﷺ: (ولا تلتفت):

قال له: (**انفذ على رسلك ولا تلتفت**)؛ وقد ذكرنا رواية مسلم التي فيها: (**امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك**)، قال -أي الصحابي راوي الحديث-: فسار عليٌّ شيئًا ثم وقف ولم يلتفت، فصَرَخَ: «يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟..» الخ وفي لفظ آخر -عند ابن أبي شيبة- قال: (**قم اذهب فقاتل ولا تلفت حتى يفتح الله عليك**)، فلما قفَّى -أي عليٌّ رضي الله عنه، أي رجَعَ ليسأله هذا السؤال- كره أن يلتفت، فقال: «يا رسول الله! على ما أقاتلهم؟» قال: (**حتى يقولوا لا إله إلا الله**).. الخ، والمقصود بهذا النهي عن الالتفات تأكيد الأمر السابق بالنفاذ والمضيّ، فهو من باب التأكيد بنفي الضدّ (بالنهي عن الضدّ)، وفيه أيضا تنبيه له على عدم الاشتغال بأي أمرٍ جانبيّ يلهيه عن مقصوده، أو يستهلك شيئًا من طاقته، أو يفسد عليه نشاطه ويُضعِفُ همَّته.

وكذا ينبغي لأهل الجهاد أن ينفذوا ويمضوا لما أُمِروا به ولا يلتفتوا..! يمضوا إلى الأهداف الكبيرة الواضحة المرسومة، ولا ينشغلوا بشيءٍ مما لا يخدمهم في سعيهم، بل يفسد عليهم ويأكل من عزمتهم.! وسنزيد هذا المعنى توضيحًا إن شاء الله تعالى.

❖ **فائدة؛ في فعل عليّ ﷺ حين رجع القهقرى ليسأل النبيَّ ﷺ، ولم يلتفت، وكره أن يلتفت، وإقرار النبيّ ﷺ له على هذا التصرّف:**

هذا منه ﷺ مبالغةٌ محمودة في إظهار السمع والطاعة للنبيّ ﷺ، وهو موضعٌ (الحربُ والقتالُ وأوامرُ القيادة فيها) يحتاج إلى مبالغة ودقة في السمع والطاعة، وهو ما يعبّر عنه في لغة العصر بـ«الحَرْفيّة» و«التطبيق الحَرْفيّ» و«الانضباط العسكريّ»، وذلك أن شأن الحرب غير شأن السلم والعافية، وليس فيها مجال واسع لاجتهاد المأمور في تفسير وتطبيق الأمر الصادر إليه من قيادته؛ فالحزم الواجب دائما هو السمع والطاعة بكل دقة وحمل الأوامر على ظاهرها، إلا إذا وجد معارِضٌ متيَقَّنٌ، وهي حالات نادرة ليست هي محلّ كلامنا؛ وإنما محل كلامنا واضح وهي الأوامر المعهودة من القيادة لأفرادها، كما لو قال الأمير لبعض جنوده: أنتم تقعدون هنا ولا تتحركون، أو: لا تذهبوا إلى المكان الفلانيّ؛ فيجلس هؤلاء الجنود قليلًا مثلًا ثم إذا رأوا بعض التغيرات اليسيرة في الواقع يشرعون في التأويلات والتفسيرات قائلين: هو يقصد كذا ولا يقصد كذا، ومراده كيت وكيت!! وما أدراكم ما مراده؟! فيخالفون الأوامر ويتحركون ويذهبون، فربما وقع من ذلك فساد كبير أو صغير، بحسبه.! والله المستعان.

ومن عُرِف منه ذلك وتكرر؛ فإنه لا يصلُحُ للجندية، ولا يفيد أن يكون مع المجاهدين وفي صفّهم، وربما كان ضررًا عليهم ينبغي التوقي منه وإبعادُهُ عن الصفِّ؛ ولذلك فإن القيادات العسكرية الواعية في معسكرات التدريب وأيضًا في ميدان الممارسة القتالية تعتمِد التدرّج في تربية أفرادها بالاختبارات وإتاحة الفرصِ المتدرجة في الأعمال والمهامّ ليَعرِفوا المطيع المنضبط الذي يصلح للجندية ثم يقبَلُ الترقِّي في درجاتِ المسؤولية، ومن يحتاجُ إلى تقويمٍ، ومن هو صفرٌ من ذلك كله.!

والحاصل أن الواجب هو حمل كلام المتكلم على ظاهره دائما، والاستثناء هو فقط: حيث يوجَدَ دليل واضحٌ بيِّنٌ يُوجِبُ حمله على خلاف ظاهره؛ هذا في سائر كلام المتكلمين وفي سائر الأوقات والأحوال، ويتأكد ذلك في حال الحرب، وفي قصة الرماة ﷺ في غزوةِ أحدٍ خيرُ عبرةٍ، ولعظم موقعها وفائدتها ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم تُتْلى إلى يوم القيامة، والقصص والعبر غيرها كثير جدًا أيضًا، وهذا الخلل كثيرٌ فينا للأسف! فيجب أن نصلحه وندفعه بنور العلم والحكمة، وبوازع الدين وسلطان التقوى والحزم، وأن نربّي القاصرين الجاهلين، ونكمل الناقصين، وأن نأخذ على أيدي المستهترين قليلي الانضباط، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]،

(**ومن يتصبّر يصبّره الله، ومن يستعفف يعفّه الله**)[١]، وبالله التوفيق وعليه وحده الاعتماد، والحمد لله رب العالمين.

قال النووي ﵀: «وحمَله عليٌّ ﵁ على ظاهره ولم يلتفت بعينه حين احتاج، وفي هذا حملُ أمره ﷺ على ظاهره» اهـ. قلتُ: ويشبه ذلك من بعض الوجوه قصة أبي سعيد بن المعلّى ﵁ حين ناداه النبي ﷺ وهو كان في الصلاة؛ عن أبي سعيد بن المعلّى قال: «كنتُ أصلي في المسجد فدعاني رسولُ الله ﷺ فلم أجبه، فقلت يا رسول الله: إني كنت أصلي، فقال: (**ألم يقل اللهُ:** ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال لي: (**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**) ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟، قال: (**الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**) رواه البخاري[٢].

قال أكثر العلماء: إن ذلك خاصٌّ بالنبيّ ﷺ؛ أعني وجوب إجابته في الصلاة، لكن المقصود أن النبي ﷺ لام أبا سعيد ﵁ على عدم إجابته رغم أنه كان يصلي، واحتج أبو سعيد بأنه كان يصلي فلم يُرد أن يقطع الصلاة ولكنه تجوّز فيها وأسرع؛ ثم جاء، فبيَّن له النبي ﷺ أنه يجب عليه إجابة دعائه فورًا، وتلا عليه قول الله تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ ففيه تنبيه إلى تأكّد حمل الكلام على ظاهره أيضًا، وهو القدر المشترك بين القصتين الذي أشرنا إليه.

قال السنديّ في «حاشيته على البخاري»: «مطلقُ الأمر وإن كان لا يفيد الفور، لكن الأمر هٰهنا مقيد بقوله ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ أي الرسولُ؛ فيلزم الاستجابة وقتَ الدعاء بلا تأخير»[٣] اهـ، ونقل الحافظ في «الفتح» عن الخطابي أن الحديث فيه: «استعمال صيغة العموم في الأحوال كلها وإجراء لفظ العموم على جميع مقتضاه»[٤] اهـ، ومرادُه العمومُ المدلولُ عليه بـ﴿إِذَا﴾.

ومنه تعرفُ عظم وسَعَةَ فائدةِ العموم في كلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليتنبّه إلى هذا طالب العلم.

نسأل الله تعالى أن يزيدنا وإياكم علمًا، ويرزقنا الفقه في الدين.. آمين.

---

(١) صحيح البخاري (١٤٦٩) وقد تقدم.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٧٤).

(٣) لم أقف عليه في: حاشية البخاري، ولعل الشيخ عزاه خطأً إليه فإني وقفت عليه في: حاشية السندي على النسائي (٢ / ١٣٩).

(٤) فتح الباري (٨ / ١٥٨) اختصارًا.

[الحلقة التاسعة والأخيرة التي كتبها الشيخ ﷺ – مجلة طلائع خراسان، العدد الثامن عشر، ربيع الآخر ١٤٣٢]

ما زلنا في تأمّل قوله ﷺ (**ولا تلتفت..**)

❖ وقفة حول الالتفات:

الالتفات معناه في اللغة معروف، وهو الانصراف بالنظر أو الوجه والبدن إلى جهة ما.. هذا هو معناه في الأصل، أو لنقل: هو معناه في أكثر الاستعمال، وإن شئت فقل: هذه هي حقيقتُهُ، والمعنى الآتي مَجازٌ، وقد يكون الالتفات بالقلب أيضا، وهو التفات القلب والعقل إلى شيء ما من الذوات أو المعاني، سواء كان هذا الالتفات إرادةً وتعلّقًا، أو إدراكًا وتصوُّرًا.

وواضح من ذلك أن الالتفات يكون خيرا، ويكون شرا؛ يكون محمودا ويكون مذمومًا.

وأكثر ما جاء ذكر الالتفات في كلام الله ﷻ وفي كلام رسوله ﷺ مسلَّطًا عليه النهي، أو النفي، وكذا هو في كلام العقلاء والبلغاء، وذلك أن الأصل أن يمضي الإنسان في طريقه (حسيًّا أو معنويًّا) في استقامة واطمئنان حتى يصل إلى مقصوده وغايته، ولا يلتفت؛ فإن الالتفات خروج عن تلك الصفات وناقضٌ لها.

في كتاب الله تعالى.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ۝٨١﴾[هود]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ۝٦٥﴾[الحجر].

وفي حديث النبي ﷺ.. الأحاديث الواردة في النهي عن الالتفات في الصلاة لفظا ومعنى وهي كثيرة جدا، منها: عن عائشة ﵂ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: (**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**) رواه البخاري[١]، عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يزال اللهُ مقبلا على العبد في صلاته ما لم يلتفت؛ فإذا صرف وجهه انصرف عنه**) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وغيرهم[٢]، وعن أبي هريرة ﵁ قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث ونهاني عن ثلاث.. نهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفاتٍ كالتفاتِ الثعلب» رواه الإمام

---

(١) صحيح البخاري (٧٥١).

(٢) مسند أحمد (٢١٥٠٨) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، سنن أبي داود (٩٠٩)، سنن النسائي (١١٩٥)، صحيح ابن خزيمة (٤٨٢)، المستدرك (٨٦٢) وصححه هو والذهبي، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع (٦٣٤٥)، لكن أشار إلى تصحيحه في: أصل صفة الصلاة (١ / ٢٣٦).

أحمد وغيره[١]، وفي الحديث المشهور: (**فقال عيسى ﷺ: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنّ وآمركم أن تعملوا بهن؛ أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو وَرِقٍ، فقال هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدّ إليّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟! وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهَه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام..**) الحديث رواه أحمد والترمذي[٢]، وروى عبد الرزاق في «مصنفه» عن ابن جريج، عن عطاء قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: «إذا صلى أحدكم فلا يلتفت؛ إنه يناجي ربه، إن ربَّه أمامه، وإنه يناجيه». قال -يعني عطاء-: «وبلغنا أن الرب تبارك وتعالى يقول: يا ابن آدم إلى من تلتفت؟ أنا خير لك ممن تلتفت إليه»[٣].

قال ابن عبد البر في «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»: «وقد جاءت في النهي عن الالتفات في الصلاة أحاديث محملها عند أهل العلم على ما وصفتُ لك، وأجمع العلماءُ على أن الالتفات في الصلاة مكروه، وقال رسول الله ﷺ: (**الالتفات في الصلاة خلسة يختلسها الشيطان من صلاة العبد**)[٤]، وجمهور الفقهاء على أن الالتفات لا يفسد الصلاة إذا كان يسيرا»[٥] اهـ، وتفاصيل حُكم الالتفات في الصلاة يُعرف في كتب الفقه.

فائدة عن شرح ابن رجب لصحيح البخاري: «وقد روي عن النبي ﷺ، أنه كان يلتفت في صلاته لمصلحة غير مصلحة الصلاة: فروى سهل بن الحنظلية قال: «ثوِّب بالصلاة؛ يعني صلاة الصبح فجعل رسول الله يصلي وهو يلتفت إلى الشعب» خرجه أبو داود وقال: «كان أرسل فارسًا إلى الشعب من الليل يحرس» وخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» والحاكم وصححه[٦]، وهذا فيه جمع بين الصلاة والجهاد، ومن هذا المعنى قول عمر رضي الله عنه: «إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة»[٧] اهـ، وقال عن قول سيدنا عمر المشار إليه: «وليس فكر عمر في تجهيز الجيوش في الصلاة من حديث النفس المذموم، بل

---

(١) مسند أحمد (٨١٠٦) وضعف إسناده الأرنؤوط، ولكن قال شاكر: إسناده صحيح، فالله أعلم.

(٢) مسند أحمد (١٧١٧٠) وصححه الأرنؤوط، سنن الترمذي (٢٨٦٣) وصححه الألباني.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٣٢٧٠).

(٤) لم أقف عليه مرفوعا بهذا اللفظ، وجاء في مصنف ابن أبي شيبة (٤٥٣٧) هكذا موقوفا على عائشة رضي الله عنها.

(٥) التمهيد (٢١ / ١٠٣).

(٦) سنن أبي داود (٩١٦) وصححه الألباني، صحيح ابن خزيمة (٤٨٦)، المستدرك (٢٤٣٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٧) صحيح البخاري (بعد حديث ١٢٢٠، معلقا مجزومًا به).

هو من نوع الجهاد في سبيل الله فإنه كانَ عظيم الاهتمام بذلك، فكان يغلب عليه الفكرُ فيه في الصَّلاة وغيرها، ومن شدة اهتمامه بذلك غلب عليه الفكر في جيش سارية بن زنيم بأرض العراق وهو يخطب يوم الجمعة على المنبر؛ فألهمه الله فناداه فأسمعه الله صوته، ففعل سارية ما أمره به عمر، فكان سببَ الفتح والنصر، وقال سفيان الثوري: «بلغني أن عمر قال: إني لأحسِبُ جزيةَ البحرين وأنا في الصلاة» ورواه وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر قاله، وهذا كله من شدة اهتمام عمر بأمر الرعية وما فيه صلاحهم فكان يغلب عليه ذلك في صلاته فتجتمع له صلاة وقيام بأمور الأمة وسياسته لهم في حالة واحدة» قال: «وهذا كله من اجتماع العبادات وتداخلها، وليس هو من باب حديث النفس المذموم»[(١)] انتهى كلامه ﷺ.

أحاديث أخرى: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أفضل الشهداء عند الله يوم القيامة الذين يلقون في الصف الأول فلا يلفتون وجوهَهم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف من الجنة يضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربُّك إلى قوم فلا حساب عليهم**) رواه الطبراني، قال المنذري: «بإسناد حسن» اهـ. ومعنى (**يتلبَّطون**) هنا: يضطجعون ويتنعّمون، وروى أحمد مثله من حديث نعيم بن عمار[(٢)].

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة**) رواه الترمذي[(٣)].

وفي صفة نبينا خيرِ خلق الله تعالى ﷺ ما رواه البخاري في «صحيحه»: عن أبي هريرة ﷺ قال: «اتَّبَعْتُ النبيَّ ﷺ، وخرج لحاجته، فكان لا يلتفِتُ، فدنوت منه، فقال: (**ابغني أحجارًا أستنفض بها، أو نحوه، ولا تأتني بعظم، ولا روْثٍ**)، فأتيته بأحجارٍ بطرف ثيابي، فوضعتها إلى جنبه، وأعرضت عنه، فلما قضى أتبعه بهن»[(٤)].

وفي مسند أحمد و«الأدب المفرد» للبخاري وغيرهما وصُحِّحَ في صفته ﷺ أنه «كان إذا التفت التفتَ

(١) فتح الباري لابن رجب (٩ / ٣٧٩).

(٢) المعجم الأوسط (٤١٣١)، مجمع الزوائد (٩٥١٣، ٩٥١٤)، مسند أحمد (٢٢٤٧٦) وقال الأرنؤوط: حديث قوي، الجهاد لابن المبارك (٤٨)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (١١٠٧).

(٣) سنن الترمذي (١٩٥٩)، سنن أبي داود (٤٨٦٨) وحسنه الألباني.

(٤) صحيح البخاري (١٥٥).

جميعًا»[1]، قال الزبيدي: «أراد أنه لا يسارق النظر، وقيل: أراد لا يلوي عنقه يمنة ويسرة إذا نظر إلى الشيء، وإنما يفعل ذلك الطائشُ الخفيف، ولكن كان يقبل جميعًا ويدبر جميعًا»[2] اهـ، وأورد الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» حديث: «كان إذا مشى لم يلتفت» وقال: صحيح بشواهده، وذكر منها: عن ابن عباس مرفوعا به وزاد: «وإذا مشى مشى مجتمعًا ليس فيه كسل»، وعن عوف قال: «كان لا يضحك إلا تبسّمًا ولا يلتفِتُ إلا جميعًا» وإسناده مرسل صحيح[3].

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم؛ فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر، فقال: أتصلي للناس فأقيم؟، قال: نعم، فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت، فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ: أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر رضي الله عنه يديه، فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى، فلما انصرف قال: (**يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**) فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (**ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيقَ؟! من رابَهُ شيءٌ في صلاته فليسبح فإنه إذا سبح التُفِتَ إليه، وإنما التصفيق للنساء**)[4].

وفي كلام الحكماء والبلغاء أمثلة كثيرة لمعاني وتعبيرات الالتفات: فالرجل يمشي في الطريق ويلتفت: خائفٌ أو سارق أو غريبٌ ابن سبيل، ونحو ذلك، وفي ذلك ملحظٌ أمنيٌّ للأخ المجاهد فليتنبّه له! على الأخ المجاهد حيث سارَ ألا يكثر الالتفات؛ فإن احتاج إلى النظر عن جانبه أو عن خلفه، فليتخذ لذلك حيلةً، وهذا شيء ينبغي تعلّمه، وتختصّ به دورات الأمن، وهو مشروح في مذكراتها، وعلى الإخوة المجاهدين أن يتداولوا ويتناقلوا فيه الخبراتِ والمعلومات، فهو من العلم النافع لأنه من آلة الجهاد والحرب فهو جانب من جوانب الإعداد، والله الموفق.

وتقدم في الحديث: (**إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفتَ فهي أمانةٌ**)؛ وجهه أنه وقعت منه الإشارة

---

(١) مسند أحمد (٦٨٤) وحسنه الأرنؤوط، الأدب المفرد (١٣١٥) وحسنه الألباني.

(٢) تاج العروس (٥ / ٧٨).

(٣) السلسلة الصحيحة (٢٠٨٦).

(٤) صحيح البخاري (٦٨٤).

إلى كراهيته أن يسمع كلامه هذا أحدٌ غير الذي يتحدث إليه؛ فكان في قوة التصريح بالائتمان.

وكان بعضُ كبراء وأشراف العرب وغيرهم يأنفون أن يلتفت الرجل إذا مشى في طريق، أو كلمه أحدٌ من خلفه، وهذا الأخيرُ مظهَرٌ من مظاهر الكبر والتعالي والعياذ بالله، وإن كان أصله ملاحظة معنى صحيح وهو المضي في الأمر وعدم التراجع ومنافرة هيئة الخائف المتردد الضعيف، لكن هؤلاء المتكبرين غلوْا في هذا المعنى، ونحن أهل الإسلام نقيّده بقيد الشرعِ، فنردّ منه ما كان لا لفائدة معتبرةٍ إلا مجرد الترفّع والتميّز، فهو كبرٌ نعوذُ بالله منه، ونقرّ منه ما كان حزمًا واستقامة أو ترهيبًا لعدوّ في موطنه، ومشية وحركة المتكبر أو المتبختر يكرهها الله إلا في «هذا الموطن» أعني موطن لقاءِ العدو لإرهابِ العدوّ، والله أعلم.

مثال ذلك: من كره الالتفات في سيره؛ لأن الالتفات يوهم أنه خائف وفيه ريبة وإزراء بالنفس، وانشغال عن مقصوده، وتعرّض للأذى بالنظر إلى ما يكره، ونحو ذلك، فهذا صحيح معتبر، وهذا محسِنٌ. ومن ترك الالتفات وكرهه مع وجود الداعي الشرعيّ للالتفات، كأن يناديه إنسان ويكلمه ويدعوه إلى خير، أو يستغيث به ملهوف، ونحو ذلك فلا يلتفت بل يمضي في طريقه، فهذا مسيءٌ، سيئ الخلق، وهو مظنة الكبر والتعالي؛ فإن كان عن كبر في نفسه فهو الكبر الذي هو كبيرة من الكبائر، عافانا الله وإياكم منه.

وكره العلماءُ كثرة الالتفات في الطريق وعدوه من خوارم المروءة، أو من صفاتِ الحمقى؛ في «الآداب الشرعية» لابن مفلح: «وقال عمر بن عبد العزيز: خصلتان لا تعدمك من الأحمق -أو قال من الجاهل-: كثرةُ الالتفاتِ وسرعةُ الجواب»[1]، وفيها وفي «بهجة المجالس» لابن عبد البر: «قال إبراهيم النخعي: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق»[2].

(يتبع إن شاء الله)[3]



(١) الآداب الشرعية (٢ / ٢١٢).

(٢) الآداب الشرعية (٢ / ٢٢٠)، بهجة المجالس (١ / ١٣٩).

(٣) كانت هذه هي الحلقة الأخيرة التي نُشرت قبل استشهاد الشيخ ﷺ بمدة يسيرة، وظاهرٌ أن الحديث لم يتمَّ شرحه بعد، ولا ندري هل أتم الشيخُ الشرح ولكنه لم يُنشر؟ أم أنه لم يُتِمَّ الشرح أصلًا؟ نسأل الله أن تكون الأولى. [الناشر]





«الأمريكان» المجرمون

يتخبطون ويمارسون حربًا قـذرة

تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مركز الفجر للإعلام»

ذو القعدة

١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس بغريب عليهم، ولا هو بالمفاجئ لنا، والشيءُ من معدنه لا يستغرب، ولسنا نجهلهم ولا يخفى علينا حالهم من أول يومٍ؛ حثالة البشرية؛ لا دين ولا تقوى لله ولا أخلاق ولا قيم على الحقيقة، إلا ما يتشدّقون به -ولا بد- من شعارات وعبارات جوفاء كاذبة إنما تنطلي على الفارغين من معاني الفضيلة والدين الحق.

إنهم الأمريكان، الذين يقودون البشرية اليوم..! المجرمون الفجرة.. معلِّمو الفجور والقذارة، المفسدون في الأرض، أهل الجريمة والشذوذ والمُجون والانحلال وعبادة الشهوات والشيطان، أهل التجبر والتكبر والغطرسة والظلم والعدوان على الشعوب، أهل التخمة والأنانية والشحّ والجشع والطباع البهيمية، الكافرون بالله العظيم وشريعته وحقه في الحكم والأمر والنهي، المستكبرون عن عبادته سبحانه.! المكذبون لرسل الله ورسالاته، والسابّون لرسل الله والمستهزئون بهم.

أليسوا الذين سبُّوا محمدًا ﷺ، ووقفوا مع من سبّه واستهزأ به، وحَمَوْه؟ أليس رئيس أمريكا -وسائرُهم كذلك- يعتقد أن رسولَ الله محمدًا ﷺ كاذبٌ؛ يكذِب على البشرية ويقول إنه نبيّ أرسله الله للناس كافةً، وليس هو كذلك ولا أرسله الله ولا أوحى إليه؟! وأن هذا القرآنَ الذي جاء به محمدٌ ﷺ كذِبٌ وافتراءٌ مِن وضعِهِ هو -محمدﷺ -؟! ويعتقد زمرةُ الأمريكان أن هذا القرآن كتابٌ متخلفٌ يدعو إلى التخلف وإلى ما يسمونه «عنفًا» و«إرهابًا»، يذمّونه أشد الذمّ، وأنه يؤسس لانتهاك حقوق الإنسان والمرأة...؟! ويح البشرية إذ يقودها أمثالُ هؤلاء، وويلٌ لها إن لم تثر عليهم وترجع إلى ربها وتسلم قيادها لخيارها أتباعِ رسل الله وأوليائه المتبعين لهُداه وكتبه ورسالته.!

في غفلة بل نومه عميقة من أهل الحق -أمة الإسلام- استلم هؤلاء وأسلافُهم زمامَ القيادة في الأرض، وقد أسسوا حضارة مادية شهوانية مبناها على الكفر بالدين وباليوم الآخر والإغراق في المتعة والترف، ورؤية الدنيا كلها فرصة للمتعة بأيةِ وسيلةٍ كانت وعلى حساب أيٍ كان، بلا وازعٍ ولا قيدٍ من دين أو خوف من الإله الخالق الكبير المتعال.

ولم يكن لهم بدٌّ وهم يخوضون عالم السياسة ويزاحمون الحضارات ويحاولون التصدّر لقيادة العالم أن يزخرفوا حضارتهم وثقافتهم هذه الشهوانية الفاسدة الخبيثة بزخارف من القيم الإنسانية والأخلاقية، ومواضعاتٍ اجتماعية تتظاهر بالفضيلة، مع شيءٍ من بقايا ضمير إنسانيّ لا يُنكر، وإرادةٍ

طبيعية لهذا الكائن الإنساني أن يطمئِنَ نفسه دائمًا بالدعاوى الغرورة، وتلاؤُم اجتماعي لا بد أن ينشأ عنه زخارفُ لا تغني من الحق شيئًا، وفتاتٌ من الحق والحقيقة لا تساوي شيئا بإزاءِ ما يقابلها من الضلال والانحراف -عن سبيل الله الحق - والكفر والإلحاد والفساد.

وقد اقتبسوا - منكِرين مستكبرين غيرَ معترفين- قبسًا من أشعة أنوار رسالات الله، ولا سيما رسالة الإسلام ونبيّ الإسلام الخاتم محمدٍ ﷺ، فأخذوا بعض ما يوافق أهواءهم واستناروا في الفكر والبحث وصناعة العقل وأصول المعرفة والنظر والقانون والإدارة والتدبير والأخذ بالأسباب..! وتفرغوا لهذه الدنيا، وهم أهلُها وعبيدُها، وهي قصارى غاياتهم ومنتهى إراداتهم، ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[الروم] فكانت نهضتهم الدنيوية الصناعية والتقنية، وكانت الحضارة الخرقاء الجوفاء المزيّفة، وكانت الحريات المزعومة، ودعاوى العدالة والحقوق للإنسان والحيوان وغيرها، وشعارات الإنسانية والأخلاقية، ونظام الحكم الخبيث الخادع الذي غروا به الكثيرين من غوغاء البشرية (الديمقراطية) وكثير من أنظمة الاجتماع والاقتصاد وأمثال هذه القيم.. فكانوا فتنة على البشرية، وبلاءً؛ في غيبةٍ مؤقتةٍ لأهل الحق الأخيار أتباع دين الله ورسالاته وعبادِه الصالحين العابدين له حقا..!

وإلا فما في حضارتهم شيءٌ حَسَنٌ إلا وفي هُدى الله الذي جاء به رسوله ﷺ خيرٌ منه وأحسن وأبرك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولما دار الزمان دورته، كما هي سنة الله ﷻ وعادته في خلقه، ولاحت بوارق وعدِ الله لعباده الصالحين، قيَّض الله من هذه الأمة الإسلامية، من أهل التوحيد (عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له)، أهل التقوى والأمانة والعفافِ والصدق والعزم والغيرة والتضحية، مَن نهضوا لتزييف هذه الحضارة الفاجرة وتحطيمها وإزالتها عن كرسي قيادة البشرية، ونوّر قلوبهم بمعرفته والإيمان به وبوعدِه الحق، وهداهم إلى الطريق الصحيح، فقاموا مشمّرين عن ساعد الجدّ، وتجشّموا -على بصيرةٍ- قسوةَ الغربةِ والقلةِ والضعف ومرارةَ اللَّوْمِ، مستعينين بربهم ومولاهم ﷻ، ومعهم جمهورٌ مبارَكٌ من أمتهم الخيّرة، يجاهدون هذه الدولة الكافرة الفاجرة التي هي رأسُ حربة أعداء الله وقلبُ هذه الحضارة الخبيثة الضالة في هذا الوقت.

فتصايح دهاقنتهم وأحبارهم من كل صوبٍ: أن هؤلاء «الإرهابيين» يريدون تغيير قيمنا ونمطَ عيشنا، وصدقَ الكاذبون! والله إننا لنريد أن نغير قيمكم الفاسدة وننسفها نسفًا، والأمرُ لله ﷻ وحده أولا وآخرًا على كل حال.. وكان أول الأمر أن استهانت بهم هذه الدولة الفاجرة، كما هي العادة في

التاريخ أيضا، مع أنها جرَّت الجيوش الجرارة لحربهم وجنّدت لها من اللقطاء والأنذال أجنادًا كثيرة خوفًا وطمعًا، إلا أنها كانت تتظاهر بشيء من الفضيلة والنزاهةِ والأخلاق.

فلما حميت رحى الحرب وطال عمرها واستحرت فيهم أهوالها وذاقوا نماذج متكررة مما كانوا أذاقوه أمتنا وكثيرًا من الأمم الأخرى من طعوم الموت والقتل والجراح والحرمان والمآسي، ونزفت مع دمائهم خزائنُ أموالهم، واستشعروا المهانة وشارفوا اليأس، كشفوا عن سوءاتهم وأماطوا براقع الخُدَع عن وجوههم الكالحة، وآلوا إلى حقيقة حضارتهم المنتنة، يتخبّطون تخبّط المصروع بين دواعي نفوسهم الخبيثة الشريرة ودعاوي «تحضرهم وإنسانيتهم» الكاذبة وما يقتضيه منصبهم في العالم من التمظهر بالفضائل، ولجؤوا مؤخرًا إلى ممارسة القذارة التي هي شأنهم وهم أهلها.!

مع أنهم مارسوا هذه القذارة في أفغانستان في أول هذه الحرب، إلا أنهم عادوا يتمظهرون بالتحضر، حتى عادوا الآن من جديد يمارسون حربًا قذرةً؛ يقصدون المدنيين الضعفاء الذين لا شأن لهم بالحرب، ويقصفون البيوت على ساكنيها لمجرد التهمة والظنة والشبهة، ويقتلون مع واحدٍ مظنونٍ الكثيرَ من الضعفاء من النساء والأطفال والشيوخ؛ بل يتقصّدون المدنيين في أعراسهم وعزاءاتهم ومدارسهم؛ فيقتلون العشرات، ويجرحون العشرات، تنفيرًا للناس وإرعابًا وإرهابًا، في قرى أفغانستان وفي بلدات وزيرستان، وأكثر ذلك لا تطاله وسائل الإعلام العالمية، وينجح المجرمون الأفاكون في إخفائه.

فمن هرات وهلمند ثم قندهار إلى نورستان وكُنَر وجلال آباد وسروبي وكابل ثم خوست وغيرها.. قصفٌ للمنازل والتجمعات بعضها أعراسٌ وبعضها عزاءاتٌ، ولمدارس ومساجد في بعض الأحيان، تخويفًا للناس وإرهاقًا، مما سمع العالم ببعضه، وإنما يسمع الناس بالحوادث الأكبر والأقرب إلى مراكز المدن ووسائل الإعلام، أما ما دونها مما يمارسه الأمريكان من قذارةٍ ووحشية يوميًا فلا يكاد يدركه سمعُ العالَمِ وبصرهُ! لأن أعداء الله يمارسون عملية تعتيم شديدة، وفي مناطق الحدود والقبائل البشتونية قصفوا مدارس دينية عدة مراتٍ، في باجاور وغيرها، قتلوا فيها تلاميذ بالعشرات عامّتهم ممن لم يبلغوا، وقصفوا في أواخر شهر شوال (يوافق أواخر أكتوبر) من هذا العام بيتًا كان فيه عزاءٌ، وقصفوا عزاءً آخر قبله في بلدة ميران شاه عاصمة إقليم وزيرستان الشمالي، وقصفوا سيارة في مدة مقاربة لمجرد الاشتباه، وقصفوا بيوتًا عديدة لم يكن فيها في الغالب إلا الأطفال والنساء وبعض الرجال من عوامّ الشعب، وتوغّلوا -قادمين من أفغانستان- متسللين إلى قرية جبلية داخل حدود باكستان في منطقة وزيرستان الجنوبية مقابلة لمنطقة أرغون الأفغانية قبل رمضان الماضي فحاصروا بيتًا لبعض

السكان، ممن لا علاقة له بالمجاهدين، إنما هم فلاحون مساكين، فأخرجوا أهل البيت كلهم بما فيهم النساء والأطفال مع الرجال، وأوقفوهم في عرصة البيت وقتلوهم بدمٍ باردٍ رشًّا بالرصاص وخرّبوا البيت وهربوا..! وبلغنا أنهم عملوا إنزالًا في منطقة أخرى ليس فيها مجاهدون داخل الحدود الباكستانية تقابل مدينة خوست الأفغانية فقتلوا أهل بيتٍ مساكين من ضَعَفةِ الناس فيهم عجائز وأطفالٌ.

فهذا قليلٌ من وصفِ وخبرِ جرائمهم، وهو مظهرُ حضارتهم الفاجرة، وسنة أسلافهم من «المستعمرين» الانكليز والفرنسيين والطليان وغيرهم. وإننا نتوقع منهم الشر..!

فيا عبادَ اللهِ.. مَن يعذرنا بعدَ ذلك إذا عاملناهم بالمثل، وتوجّهنا إلى مدنهم ومدنييهم، واللهُ قد أعطانا هذا الحق، وفي قرآن ربنا -الذي يكفرُ به رئيسُ أمريكا وزمرتُهُ الأمريكان-: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾[الشورى]، ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝١٩٤﴾[البقرة]، ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦﴾[النحل]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٦٠﴾[الحج].. مَن يعذرنا بعد ذلك -إن لم يرعووا ويكفّوا عنا قذارتهم- إذا توجّهنا إليهم وفرغنا لهم، وقلنا: لن نتلهّى كثيرًا بجنودكم وكلابكم، بل لنقصدنّ بيوتكم ونساءكم وأطفالكم وأسواقكم وشوارعكم ومجتمعاتكم الضخمة...!

ولِمَ نتعِبُ أنفسنا مع أهل القذارةِ قليلي الشرف، وهم لم يقابلونا ولم نرهم إلا في حالاتٍ قليلة إذا فاجأناهم في مخابئهم أو ترصّدنا لهم الطريق في عناءٍ شديدٍ فلما صادفونا هربوا وجاءت الطائرات لتقصف كل ما حولها بوحشيةٍ لا تميز مقاتلا من غيره..!

أيها المسلمون: إن الحربَ أهوالٌ، وإنا إن شاء الله لصُبُرٌ على أهوالها، وإنّا لأهلُ صدقٍ وعفّةٍ، يكثر عديدُنا عند الفزع ويقلُّ عند الطمع، ننشد الحقَّ والعدل ونبغي الخيرَ والإحسان ونرحم الخلقَ ونؤثِرُ الآخرة، ولكن إذا لم يكن إلا الأسنة مركبًا.. فما حيلة المضطر إلا ركوبها، وإذا كان مَن نواجهه قذرًا خسيسًا.. فما حيلتنا معه، والبادئُ أظلم كما نطقتْ به كلماتُ الله أعلاه..

لقد كان مما أصابنا بالهمِّ والغم خوفُ أن تفوز امرأةُ «كلينتون» بالرئاسةِ حين نافست على الترشح لها، فوالله ما ندري لو حصلَ ذلك كيف يكون حالنا -واللهُ جاعِلٌ مخرجًا لا محالةَ- حتى دعا بعضُ

الإخوة اللهَ ﷺ ألا يُنجِحها -وإن كان المختارُ عندنا في الدعاء في مثل هذا هو سؤالَ الله ﷺ أن يبرم للمسلمين أمرَ رشدٍ- وقالوا: كيف سيكون موقف الشيخ أسامة وهو يواجِهُ امرأةً؟! وماذا عساه يقول؟! إننا الآن -على الأقل- نواجهُ رجلا ذكرًا، نسبّه ونشتمه ونهدده ونحاربه ويحاربنا.! فيا قومُ من لي بعدوٍّ شريفٍ منصفٍ..!

وبإذن الله لن تروا من المجاهدين إلا الاستقامة والقيام بالحق إن شاء الله، ولكن الحرب شديدة، والعدوّ غاشم باغٍ وقِح، فأعينوا إخوانكم بالدعاء، واجأروا إلى الله أن يكفّ بأس الذين كفروا، وأن يفرِّج كرب الأمة عامّة، وأن ينصر أولياءَه وعبيدَه وجندَه المجاهدين في سبيله.

والله لن تنجح أمريكا ولن تَسْلَم، بل سيهزمها الله ويكسرها شرَّ كسرةٍ ويقصم ظهرها كما قصم من قبلُ الجبابرة والمتكبّرين، كيف وما من لحظةٍ إلا وأكفُّ الضراعة من الضعفاء والعجائز والصالحين مرفوعة إلى السماء تدعو الملكَ الجبارَ عليها أن يهلكها وينتقمَ منها.

إن أمريكا إنما تحاربُ الله ودينه، واللهُ لها بالمرصاد، وله الحكمة التامّة والحجة البالغة على خلقه، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴿٤﴾﴾[محمد]، ولو كنا نحن مَن يحاربُها معتمدين على أنفسنا وقدراتنا -مثلَها- لكنّا انتهينا منذ زمن، وإنما نحن ستارٌ لقدرِ الله، ننفذ أمر الله طاعةً له وإرضاءً ورجاءَ موعوده، متوكلين عليه مستعينين به، ولولا ذلك ما صبَر الصابرون ولا جاهد المجاهدون، ولذلك فإن المجاهدين وأنصارهم في أفغانستان وغيرها لا يزدادون على البلاء والمِحَن إلا قوة وصلابة وتمسكًا بالحق وصبرًا وثباتًا ومضاءً.

وإن هذه القذارة وهذا التخبط الأمريكي هو علامة فشلهم، وهو إيذانٌ بانهيارهم القريب إن شاء الله، وهم لن يستطيعوا أن يواصلوا حربًا طويلة، فهذه سنة الله في أمثالهم، وليستنطقوا التاريخ.

ونحن بفضل الله لهم صامدون وعلى حربهم صابرون ولهم مصابرون، وبالله مستعصمون، وهم مستنزَفون مستهلَكون، ودولارٌ عندنا -ببركةِ الله- يغلبُ مليارًا في أيديهم لأن الله يمحقها ويجعلها عليهم حسرةً وعذابًا، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[آل عمران]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء]، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه: **أبو عبد الرحمن عطية الله**

غرة ذي القعدة ١٤٢٩هـ / ٢ نوفمبر ٢٠٠٨م

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



امـرأة ..

وقـائد ..





۞ أم المؤمنين: «**خديجة بنت خويلد**» رضي الله عنها.



۞ **بنت ساطرون**.

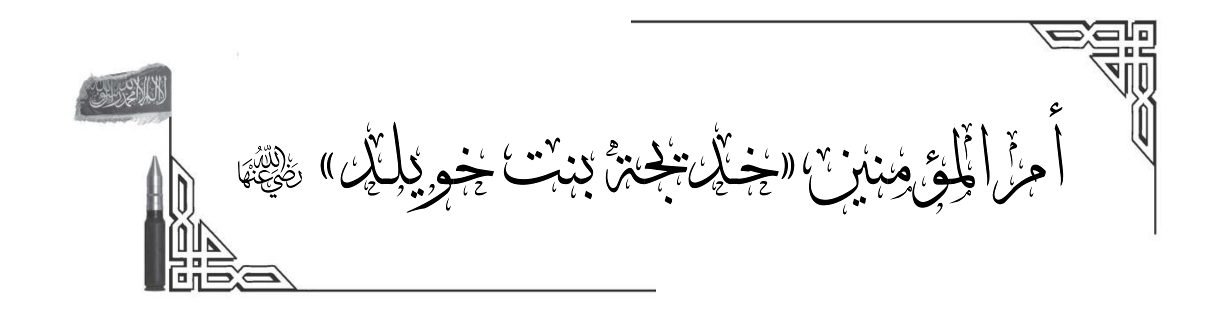
۞ أم المؤمنين: «**أم سلمة**» رضي الله عنها.

تم نشر هذه المقالات في مجلة «طلائع خراسان»..

العدد الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر

محرم - صفر

١٤٣٠



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

يقولون: «وراء كل رجلٍ عظيم امرأة»، والمعنى أنه في الغالب يكون وراء الرجال العظماء نساءٌ عظيماتٌ أيضا، إما على معنى أنهنَّ هنَ السبب المباشر أو أحد العوامل الرئيسية في عظمتهم بالتربية والتنشئة على أسباب العظمة، أو على معنى أنه في الغالب أيضا يكون مع الرجل العظيم في مسيرته نساءٌ عظيمات بمواقفهنّ في نصره وتأييده؛ فتكون المرأة عظيمة بدورها مع هذا الرجل العظيم..

والمقصود أن للمرأة دورًا كبيرًا مع الرجل، وإنما يظهر هذا في حال العظماء، وسواءٌ كانت هذه المرأة زوجةً أو أمًّا أو غيرها.

وفي حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فوجه العبارة -إن كان ولا بد- هو أن المرأة وراءَ النبيّ بالتأييد والنصر والوقوف معه المواقف العظيمة، لا بمعنى أنها هي التي جعلته عظيمًا وأعطته العظمة ولا أنها أنشأته.. الخ، كما هو واضحٌ، فالرسول: الله اختاره واصطفاه واجتباه وجعله رسولا نبيا ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام: ١٢٤] وجعله عظيمًا، سواءٌ كانت المرأة أو لم تكن، لكن الله سبحانه أجرى خلقه وأقداره على سننٍ وأسباب، وأسبل فضله على منْ شاء مِن خلقه.

خديجة وما أدراك ما خديجة؛ العظيمة الكاملة، أم المؤمنين رضي الله عنها، بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية، أول من آمن برسول الله ﷺ، آمنت به وصدّقته لأول وهلةٍ، وأيدته وقفت معه.. أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها [ومني]، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» متفق عليه[1].

كان النبي ﷺ يحبها حبا بالغا؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على

(١) صحيح البخاري (١٧٩٢، ٣٨٢٠، ٧٤٩٧)، صحيح مسلم (٢٤٣٣).

خديجة قط، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق[1] خديجة، وربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة»، فيقول: (**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**) متفق عليه[2]، وفي رواية قالت: «استأذنت هالةُ بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة؛ فارتاع لذلك، فقال: (**اللّٰهم هالة بنت خويلد**) فغرت؛ فقلت: «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراءِ الشدقين هلكتْ في الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها»[3]، وفي رواية: «وكان إذا ذبح الشاة يقول: (**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**) قالت: فأغضبتُه يومًا فقلت: «خديجة عجوز»، فقال: (**إني رُزِقتُ حبَّها**)»[4]، وفي رواية لمسلم قالت: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، لكثرة ذكره إياها، وما رأيتها قط» وقالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت»[5]، وفي مسند الإمام أحمد بسند حسن: «لما قالت عائشة رضي الله عنها: قد أبدلك الله خيرًا منها؛ قال: (**ما أبدلني الله ﷻ خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ﷻ ولدها إذ حرمني أولاد النساء**)»[6].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**) أخرجه الترمذي[7].

تلك هي العظمة حقا والكمال.! وما ذاك إلا لما هيأها الله له وما كان فيها من صفاتٍ جليلة وفضائل نبيلة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال أهل السير: «إنها كانت تُدعى قبل البعثة بالطاهرة»، عرفت الخيرَ وأهله بكمال عقلها وقوة استعدادها وجمالِ فضائلها، قال ابن حجر رحمه الله في «الإصابة»: «ومن مزايا خديجة أنها ما زالت تعظّم النبي ﷺ، وتصدق حديثه قبل البعثة وبعدها، وقالت له لما أرادت أن يتوجّه في تجارتها: «إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك»، ذكره ابن إسحاق، وذكر

---

(١) يعني صديقات. [المؤلف]

(٢) صحيح البخاري (٣٨١٨)، صحيح مسلم (٢٤٣٥) لكن بلفظ: (إني رُزقت حُبَّها).

(٣) صحيح البخاري (٣٨٢١)، صحيح مسلم (٢٤٣٧).

(٤) لم أعثر على هذا الحديث بتمامه في أحد كتب السنة، لكن ذكره صاحب: جامع الأصول (٦٦٦٨).

(٥) صحيح مسلم (٢٤٣٥).

(٦) مسند أحمد (٢٤٨٤٦) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا سند حسن.

(٧) سنن الترمذي (٣٨٧٨) وقال: صحيح.

أيضا أنها قالت لما خطبها: «إني قد رغبت فيك لحسن خلقك، وصدق حديثك» اهـ.

فتزوجتِ النبي ﷺ وعمرها حين ذاك أربعون سنة، وكان سنّه ﷺ خمسًا وعشرين سنة، لما أراد الله لها من السعادة وهيأها له من الكرامة.

قال ابن حجر: «ومن طواعيتها له قبل البعثة أنها رأت ميله إلى زيد بن حارثة بعد أن صار في ملكها، فوهبته له ﷺ، فكانت هي السبب فيما امتاز به زيدٌ من السبق إلى الإسلام، حتى قيل: إنه أول من أسلم مطلقا»[١] اهـ، وقال ابن إسحاق: «كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق ما جاء به؛ فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ، لا يسمع شيئًا يكرهه من الرد عليه فيرجع إليها إلا تثبته وتهون عليه أمر الناس»[٢] اهـ.

وفي حديث بدء الوحي الطويل الذي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «فرجع بها ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: **(زملوني زملوني)** فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: **(يا خديجة، ما لي؟)** وأخبرها الخبر، وقال: **(قد خشيت على نفسي)** فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتَقْرِي الضيفَ، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل..»[٣] الحديث.

قال ابن القيم في زاد المعاد: «وبادر إلى الاستجابة له ﷺ صديقة النساء: خديجة بنت خويلد، وقامت بأعباء الصديقية وقال لها: **(لقد خشيت على نفسي)**؛ فقالت له: «أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا» ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا؛ فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه، ولا تناسب الخزي والخذلان، وإنما يناسبه أضدادها؛ فمن ركبه الله على أحسن الصفات، وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه، ومن ركبه على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يليق به ما يناسبها، وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسل إليها ربها بالسلام منه مع رسوليه جبريل ومحمد ﷺ»[٤] اهـ.

توفيت رضي الله عنها وأرضاها، وحزن عليها رسول الله ﷺ حزنًا بان عليه؛ روى ابن سعدٍ بسنده عن أبي

---

(١) الإصابة (٨ / ١٠٢).

(٢) السير والمغازي لابن إسحاق (ص ١٣٢).

(٣) صحيح البخاري (٤٩٥٣)، صحيح مسلم (١٦٠).

(٤) زاد المعاد (٣ / ١٧).

سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قالا: «جاءت خولة بنت حكيم فقالت: يا رسول الله، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة، قال: (**أجل، كانت أمّ العيال وربّة البيت**..) الحديث، قال ابن حجر: وسنده قوي مع إرساله[1]، وروى بسنده أيضا عن حميد الطويل، عن عبد الله بن عمير، قال: «وجد رسول الله ﷺ على خديجة حتى خشي عليه حتى تزوج عائشة ﵂»[2].

لا جرم؛ قال النبي ﷺ: (**خيرُ نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**) متفق عليه[3].. فأكرم بهذه العظمة وتلك الخيرية وذلك الكمال.

قال ابن حجر: «ويفسر المراد به ما أخرجه ابن عبد البرّ في ترجمة فاطمة عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ عاد فاطمة، وهي وجعة، فقال: (**كيف تجدينك يا بنيّة؟**) قالت: إني لوجعة، وإنه ليزيد ما بي ما لي طعام آكله، فقال: (**يا بنيّة، ألا ترضين أنّك سيدة نساء العالمين؟**) قالت: يا أبت، فأين مريم بنت عمران؟ قال: «**تلك سيدة نساء عالمها**».. فعلى هذا: مريم خير نساء الأمة الماضية، وخديجة خير نساء الأمة الكائنة، ويحمل قصة فاطمة إن ثبتت على أحد أمرين: إما التفرقة بين السيادة والخيرية، وإما أن يكون ذلك بالنسبة إلى من وجد من النساء حين ذكر قصة فاطمة»[4] اهـ.

قال ابن إسحاق: «كانت وفاة خديجة وأبي طالب في عامٍ واحد وكانت خديجة وزيدٌ صدقًا على الإسلام وكان يسكن إليها» وقال غيره: «ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح وقيل: بأربع وقيل بخمس»، وقالت عائشة ﵂: «ماتت قبل أن تفرض الصلاة؛ يعني قبل أن يعرج بالنبي ﷺ»، ويقال: كان موتها في رمضان؛ كذا في «الإصابة»[5].

اللّهم إنا نشهدك أنا نحب أمَّنا خديجة بحبك وحبِّ رسولك ﷺ لها، فاللهم اجعلنا من أحبابك وأوليائك.

---

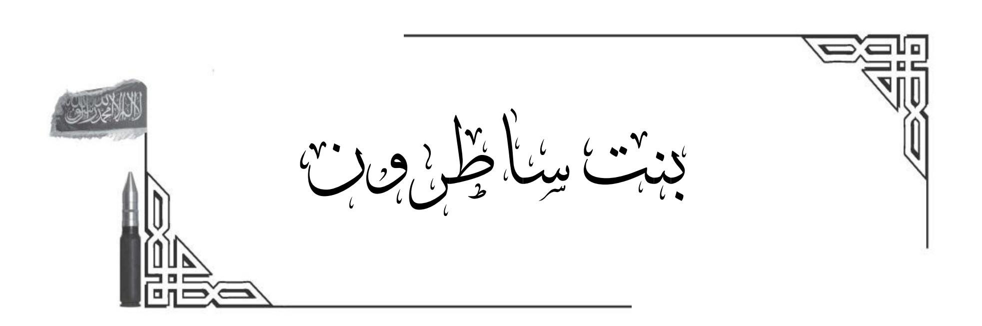
(١) الطبقات الكبرى (٨ / ٧٥)، الإصابة (٨ / ١٠٢).

(٢) الطبقات الكبرى (٨ / ٥٩)، الإصابة (٨ / ١٠٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٤٣٢)، صحيح مسلم (٢٤٣٠).

(٤) الإصابة (٨ / ١٠٢، ١٠٣).

(٥) الإصابة (٨ / ١٠٣).



بنت ساطرون

قصةُ هذا العدد هي من الوجه الآخر للنفس البشرية، من الجانب السلبيّ لها، إنها قصةُ الضعف البشري والأنثويّ، هي قصة من العصر الجاهليّ والمُلك الفارسيّ في بلاد العرب، لكنها قصةٌ للنفس البشرية حين تضعُفُ وتخون وتبيع الأصيل بالعَرَض الزائل القريب، وتنسى العهود، وتغلبها المتعة الحاضرة على القيم النبيلة والمعاني الفاضلة.!

وقائع هذه القصة القصيرة حدثت في آخر عصر ملوك الطوائف في المملكة الفارسية في مرحلة ما قبل الإسلام.

كان هناك مَلِكٌ اسمه «شاه بور»، والعربُ تنطقه: سابور، (قال بعضُ علماء السيرة كابن إسحاق وتبعَه ابن هشام: إنه هو الذي عُرِف عند العربِ بذي الأكتاف، ولكنِ الصحيحُ أنه سابورُ بن أزدشير، كما حققه السُّهيلي) قد آل إليه -بعد أبيه- في مرحلة ما معظمُ السيطرة على ملوك الطوائف ومُلك فارس، فكان في حربِهِ لتكميل ما بدأهُ أبوهُ من توحيد مملكة فارس غزا ملكًا اسمه ساطرون، وكان هذا أقوى ملوك الطوائف، كان له حصن حصينٌ مشهورٌ اسمه (الحَضْر) كان مطلًا على شاطئ الفرات، والفتاةُ صاحبةُ قصتنا هي ابنته.

قال ابن هشام رحمه الله في السيرة النبوية -مع تصرف يسير وزيادات للتوضيح-: وكان كسرى سابور غزا ساطرون ملكَ الحضر فحصره سنتين، فأشرفت بنتُ ساطرون يومًا فنظرت إلى سابور وعليه ثيابُ ديباجٍ وعلى رأسه تاجٌ من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلًا، فدسّتْ إليه(١): أتتزوجُني إن فتحتُ لك بابَ الحضر؟ فقال نعم، فلما أمسى ساطرون(٢) شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكرانَ، فأخذت مفاتيحَ باب الحضر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولىً لها ففتح الباب،

(١) أي أرسلتْ إليه خفيةً تقول. [المؤلف]

(٢) أي أبوها، صاحبُ الحصن. [المؤلف]

فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه، وسار بها معه فتزوجها، فبينا هي[١] نائمةٌ على فراشها إذا جعلت تتململ لا تنام[٢] فدعا لها بشمعٍ[٣] ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آسٍ [نوعٌ من الشجر معروف بطِيبه] فقال لها سابور: أهذا الذي أسهَرَكِ؟ قالت نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخَّ ويسقيني الخمر، قال: أفكان جزاءُ أبيك ما صنعتِ به؟ أنتِ إليَّ بذلك أسرع، ثم أمَرَ بها فرُبطتْ قرونُ رأسها بذَنَبِ فرسٍ، ثم رَكَضَ الفرسَ حتى قتلها[٤].

انتهتِ القصة ووقعتِ العبرة.!



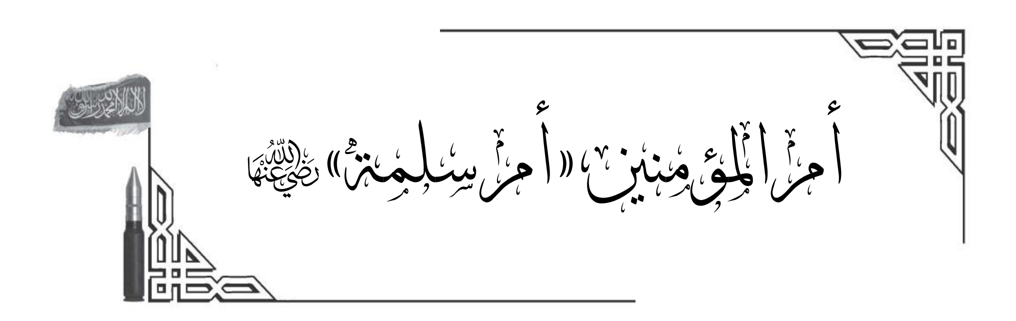
---

(١) ذاتَ ليلةٍ. [المؤلف]

(٢) لا يجيئُها النومُ. [المؤلف]

(٣) أي جيئَ لها بالإضاءة والإنارة ليُرى هل ثمَّ شيءٌ على فراشها أرّقها ومنعها من النوم. [المؤلف]

(٤) سيرة ابن هشام (١ / ٧١، ٧٢).



أُمُّنا المكرَّمة العالية القدر، أكرِمْ بها وأعظِمْ من عَلَمٍ للهجرة والجهاد والصبرِ والتضحية والتفاني واليقين والاحتسابِ وكرمِ الأخلاق..

اسمها: هندُ بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، أسلمَتْ بمكة من أوائل من أسلم، مع زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة المخزومي ﷺ، وهو ابن عمها، وكانت معه أولَ من هاجرَ من المسلمين إلى الحبشة؛ ولذلك فأم سلمة ﷺ من أهل الهجرتين، وقيل: إنها كانت أولَ امرأةٍ هاجرت من مكة إلى المدينة.

توفِّي زوجها (ابنُ عمها أبو سلمة) ﷺ في جُمادى الآخرة سنة أربع للهجرة، بعد غزوة أحدٍ، فإنه كان جُرِحَ يومَ أحدٍ ثم انتقض عليه جرحُهُ فمات ﷺ، وهو أحد السابقين الأولين من المهاجرين والمؤمنين بالنبي ﷺ وأخوه من الرضاعة (رضع هو وحمزة والنبي ﷺ من ثويبة مولاة أبي لهب)، ولأم سلمة من الأولاد: سلمةُ؛ ولد قبل الهجرة، ثم عُمر ودرة وزينب؛ وُلدوا في المدينة، وكلهم من أبي سلمة؛ فلما تُوفي أبو سلمة ﷺ تزوَّجها النبيُّ ﷺ.

تقول في قصة هجرتها إلى المدينة: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَل لي بعيره ثم حملني وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رآه رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟! قالت: فنزعوا خطامَ البعير من يده وأخذوني منه؛ قالت: فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهطُ أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة[1] عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي، فكنت أخرج كلّ غداة فأجلسُ في الأبطَح، فما أزال أبكي حتى أمسى، سنةً أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمّي أحدُ بني المغيرة، فرأى ما بي

(١) رهطُها هي. [المؤلف]

فرحمني؛ فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة؟ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟! فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: فردَّ عليّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحدٌ من خلق اللَّه، حتى إذا كنتُ بالتّنعيم لقيتُ عثمانَ بنَ طلحة أخا بني عبد الدّار، فقال: إلى أين يا بنت أبي أميّة؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. فقال: أو ما معك أحد؟ فقلت: ما معي أحد إلا اللَّه وابني هذا، فقال: واللَّه ما لك من مَتْرَكٍ! فأخذ بخطام البعير؛ فانطلق معي يهوي بي، فواللَّه ما صحبت رجلًا من العرب أراه كان أكرمَ منه؛ كان إذا بلغ المنزلَ أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري فحطَّ عنه ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرّواحُ قام إلى بعيري فقدّمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذ ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنعُ ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرِو بنِ عوفٍ بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلًا، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة» اهـ.، والقصة رواها ابن إسحاق بسند صحيح[1]، فالله أكبر يا لها من عبرةٍ للمعتبرين والمعتبرات.

وأسلمَ عثمان بن طلحة هذا بعد الحديبية، وهاجر مع خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهما، وهو الذي دفع إليه رسولُ الله ﷺ يومَ الفتح وإلى ابن عمه شيبة مفاتيحَ الكعبةِ؛ أقرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية.

قصة زواجها برسول الله ﷺ: في صحيح مسلم عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله:** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة]، **اللّهم آجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها؛ إلا أخلف الله له خيرا منها**)، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: «أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ»، قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطبَ بن أبي بلتعة رضي الله عنه يخطبني له؛ فقلت: «إن لي بنتًا[2] وأنا غيورٌ»، فقال: (**أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة**)[3].

قال الحافظ في «الإصابة»: «وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي

(١) البداية والنهاية (٤ / ٤٢٤).

(٢) تعني رضيعة. [المؤلف]

(٣) صحيح مسلم (٩١٨).

الصّائب، وإشارتها على النّبيّ ﷺ يوم الحديبيّة تدلّ على وفور عقلها وصواب رأيها»[(١)] اهـ.

عن أم الحسين أنها: «كانت عند أم سلمة رضي الله عنها، فأتى مساكينُ فجعلوا يلحُّون وفيهم نساء، فقلت: اخرجوا أو اخرجن، فقالت أم سلمة: ما بهذا أمرنا يا جارية، رُدِّي كل واحدٍ أو واحدةٍ ولو بتمرةٍ تضعينها في يدها»[(٢)].

وشهدت أم سلمةَ من المغازي مع رسول الله ﷺ غزوةَ خيبرَ، وقالت: «سمعتُ وقعَ السيف في أسنان مرحب» -تعني اليهوديَّ-.

وأُمُّنا أمُّ سلمة هي آخر أمهات المؤمنين وفاةً؛ فقد ثبت في صحيح مسلم: أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان دخلا على أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية فسألا عن الجيش الذي يُخسف به، وكان ذلك حين جهَّز يزيدُ بن معاوية: مسلمَ بن عقبةَ بعسكر الشام إلى المدينة، فكانت وقعةُ الحَرَّةِ سنة ثلاثٍ وستين. قاله ابن حجر[(٣)].

رضي الله عن أم سلمة وأرضاها، اللّهم إنا نشهدُك أننا نحبها وسائرَ أمهات المؤمنين وصحابة نبيك ﷺ؛ فاللهم احشرنا في زمرتهم وألحقنا بهم في دارِ كرامتك.



(١) الإصابة (٨ / ٤٠٦).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٩٤٠).

(٣) صحيح مسلم (١٥٤٧)، الإصابة (٨ / ٤٠٧).





التعليق على كتاب:

«جهاد بلا قائد»

لكاتبه: مارك سيجمان




قرأ الكتاب:

الأخ/ جعفر صادق

حفظه الله

وعلق عليه:

الشيخ/ عطية الله رحمه الله

[وضعنا تعليقات الشيخ بين قوسين معكوفين، وما لم يكن بينهما فهو من كلام الأخ «جعفر صادق»]

تم نشر هذا المقال في مجلة «طلائع خراسان».. العدد الرابع عشر

جمادى الآخرة

١٤٣٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تعليق: بسم الله الرحمن الرحيم، شكرًا للأخ جعفر على قراءة الكتاب، أسأل الله أن يجزيه خيرًا، وتقبل الله سعيكم، وسأعلق على بعض ما يهمّ من الفقرات والمعاني، والله الموفق.. قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[آل عمران]، **وقال** ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥﴾[الرعد]].

❋ ❋ ❋

مؤلف الكتاب «مارك سيجمان» كما عُرِّف به في الكتاب طبيب نفساني اجتماعي، يعمل مستشارًا حكوميا في مجال مكافحة «الإرهاب» وهو أستاذ جامعي، وله مركز بحثيٌّ مستقل، يبيع خدماته أيضًا لمن يشتري.!

بنى المؤلفُ كتابه كله على نظرية سماها «Radicalization» أي تحويل الشخص إلى متطرف من بعد كونه شخصا عاديا.. تحدث عن كون هذه العملية عملية اجتماعية عاطفية أكثر من كونها دينية أو عقلية برهانية، على حد قوله، وتحدث عن آلياتها، وأن ما يدعو الناس ليصبحوا إرهابيين هو أنهم -ببساطة- يعرفون إرهابيين آخرين استطاعوا نقل هذه الأفكار لهم.

فذكر أولا تعريفه لعملية التحويل «Radicalization» وأنها: «عملية تحويل الأفراد من أشخاص عاديين ذوي بدايات عادية لينتهوا كإرهابيين لديهم الاستعداد لاستخدام العنف لمآرب سياسية»، **وهذه العملية لها أربعة روافد كما يقول، -وهي ليس مترتبًا بعضُها على بعض-:**

الأول: الإحساس بالغضب الأخلاقي أو بالغضب بسبب الامتهان الذي يتعرض له المسلمون في كل مكان -كما يظن ذلك الإرهابيون-.!!

الثاني: هو تفسير هذه الامتهان ووضعه في سياق حرب متخيلة ضد الإسلام.

أما الثالث: فهو الصدى الذي يلاقيه هذان الرافدان مترددا مع الخبرة الذاتية للتمييز العنصري الذي يشعر به الفرد موضع (التحول).

والرابع: هو التحرك نحو العمل في شبكة يجتمع أفرادها وجهًا لوجه أو على الإنترنت.

الكتاب فيه مقدمة وثمان فصول؛ المقدمة يتناول فيها قصة «أحمد عمر شيخ سعيد» المتهم باختطاف وقتل أحد الصحفيين البريطانيين، الفصل الأول تكلم فيه عن المنهج العلمي لدراسة

الإرهاب، وهو فصل حصر العلم فيه في الإحصاء!

[تعليق: الإحصاء والحصر والاستقراء هي من دلائل العلم وطرقه، وليس العلم منحصرًا فيها، والكثير من إحصائيات الكاتب جيدة، ولكن الأرقام صماء وكل يفسرها على هواه، وهذا ما وقع فيه الكاتب نوعا ما، ولا عجبَ فهم أهل الأهواءِ؛ يعبدون أهواءَهم.!]

❊ ❊ ❊

في الفصل الثاني والثالث: تكلم عن الخلفيات الدينية والتاريخية والاجتماعية - الاقتصادية لهذه العملية التحولية، وهو فصل يوضح اطلاعه على الكثير من أدبيات الجهاد بدءا من «الفريضة الغائبة» و«معالم في الطريق» مرورا بـ«رجال تحت راية الرسول» و«دعوة المقاومة العالمية الإسلامية» وانتهاءً بكلمات الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله.

ذكر في هذا الفصل الكثير من المعلومات، ولكن وظف بعضها توظيفا دنيئا، كقصة مقتل الشيخ: «عبد الله عزام» تقبله الله وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرا، وزعمه تورط الشيخ «أسامة» - حفظه الله ونصره- فيها.

[تعليق: هذا من فهومهم الخاطئة المنحرفة بطبيعة الحال، بسبب انعدام التقوى وسيطرة الهوى عليهم؛ فهم عبدة الهوى كما قلنا، وهو شيءٌ من خبثهم الذي ينفثونه عند أدنى مناسبة، وبطبيعة الأشياء هم لا يتصوّرون أدنى دورٍ للإيمان ولا يتصورون معنى التقوى ودوافعها ودوافع اليقين في الثواب والعقاب الأخروي...! وبالتالي يتعاملون مع الاحتمالات العقلية تعاملا ميكانيكيًا، ثم ترجّح لهم أهواؤهم بعضَها على بعض، وهنا يظهر تهافتهم وتفاهتهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ويظهر انعكاس أحوالهم النفسية الّتي حاصلها أنهم يعيشون في قفصِ كفرهم، محكومون به مقيّدون عن الانطلاق إلى الآفاق.!]

❊ ❊ ❊

في الفصل الرابع: تحدث بالتفصيل عن روافد عملية التحول التي أشرتُ إليها سابقًا.

وفي الفصل الخامس: تحدث عن الفرق في عملية التحول بين أوروبا وأمريكا وكيف استطاعت الأخيرة أن تقلل هذه العملية أو أسبابها بشكل ناجح حسبَ زعمه.

وفي الفصل السادس: تحدث عن دور الإنترنت في هذه العملية.



وفي الفصل السابع: تحدث عن عملية انضمام الجماعات المحلية الصغيرة إلى حركة العنف الاجتماعية العالمية ارتباطا افتراضيا عن طريق الإنترنت، مما تسبب في نشوء شبكات إرهابية مرنة وسلسة، تتكيف بسرعة مع الظروف حولها، وتصعب إزالتها وهي ما أسماه بـ«جهاد بلا قائد».

وفي الفصل الثامن: قدّم ستة حلول عملية لمواجهة هذا الخطر، كما قال.

وفيما يلي بعض المقتطفات من الكتاب وأختمها بذكر الحلول الستة التي ذكرها:

ذكر في صفحة ٥٨: أن نسبة ٦٢٪ من الإرهابيين في عينته دخلوا الجامعة!! وهي نسبة تفوق -كما ذكر- نسبة المنتسبين إلى الجامعات في بلادهم، بل وتفوق نسبة الذين دخلوا الجامعة من المجتمع الأمريكي (٥٠٪ +- ٥).

ذكر في صفحة ٦٠: أن الإرهابيين لم يتلقوا تعليميا دينيا؛ فليس التعليم الديني هو السبب في كونهم إرهابيين، بل إن التعليم الديني -يقول- سببٌ في إثناء الكثير عن الإرهاب لأن الإرهاب هو مجرد تفسير متطرف حالم للدين الإسلامي، وأوصى أن يتم تعليمنا المزيد من الدين!!

[تعليق: هذا سببُهُ أن التعليم الديني في تصوره منحصر في نمطيات معينة كالدراسة في الجامعات الدينية (الإسلامية) ونحوها، ثم هو يشير إلى شيءٍ من الحقيقة الموجودة عندنا -في أمتنا-مع الأسف وهي: نوعُ انفصالٍ بين العلم والعمل؛ فنحن نعلم أنه بالتأكيد معظمٍ خريجي الجامعات والمعاهد الدينية في بلاد المسلمين ليسوا مجاهدين لا فكرًا ومنهجًا ولا سلوكا وعملا، وخذ مثلا خريجي وطلاب «جامعة الأزهر» في مصر باعتبارها أكبر جامعة «إسلامية» في العالم، وقس عليها الكثير، ونعلم أن المجاهدين هم من شرائح شتى من الأمة، لا يمثل طلبة المدارس الدينية (المتخصصون في الدراسات الدينية الشرعية) فيهم إلا نسبة محدودة، وعلى كلٍ هو يلامِس مشكلة عندنا نحن المسلمين (الأمة)، والكلام فيها عندنا يطول وهو ذو شجون، وجهادُنا الذي نمارسه من مهامه ومقاصده تصحيح هذا الخلل وكل خلل إن شاء الله، فهذا لا يهمّه هو (الكاتب) إنما يعنّي نفسه المسكين!! وهو لفقد الإيمان والتوحيد لا يستطيع -كعادتهم- أن يفهم الأمور أو أن يضعها في نصابها.. نحن عالمَان مختلفان تمامًا، كل ما هنالك هو تقاطعات، بحكم الاشتراك في كوننا خلقَ الله وبشرا من بني آدم، ولكن الفرق هائل وهو الفرق بين الإيمان والكفر وما يتفرع عن كل منهما].

❃ ❃ ❃

ذكر في صفحة ٦٤: أن الإرهابيين يتمتعون بصحة عقلية تفوق كل سكان العالم، حيث يعاني أقل من ١٪ منهم من أمراض عقلية، بينما ٣٪ هي النسبة العالمية.

[تعليق: الحمد لله، هذا واضحٌ، ونزيده أن «الإرهابيين» بفضل الله يتمتعون بأحسن صحة

نفسية، وأن فيهم أقل نسبة اكتئاب في العالم وأقل نسبة أمراض نفسية وعصبية، وأعلى نسبة أخوّة وتحابب وتكافل وتراحم في العالم، وأقل نسبة شجار على الدنيا، وأقل نسبة جريمة في العالم، وأقل نسبة شرب مسكرٍ في العالم، وأقل -إلى حد الانعدام بفضل الله- نسبة ارتكاب الفواحش في العالم... وعددًا كبيرًا من الأرقام القياسية، إن كانت تنفعه، ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس]].

❋ ❋ ❋

ذكر في صفحة ٦٥: أننا تربينا تربية كان آباؤنا فيها يحموننا أكثر من المطلوب مما جعلنا معزولين عن الواقع القاسي حولنا وحالمين مثاليين.

[تعليق: **تخرصاتهم لا تنتهي ولا يمكن تتبعها؛ لأن هذا تفنى الأعمارُ في الجدل فيه، وأي واحدٍ يستطيع أن يقول أشياء من هذه التحليلات ويخلط وقد يكون معه شيء صحيحٌ، مع أشياء عظيمة من الباطل تغطي على ما معه من الحق، وهو لا يبصر، ويظن نفسه على شيء**].

❋ ❋ ❋

في صفحة ٨٦-٨٧: ذكر واقعنا الخاطئ بحسب قوله! ومما فاه به أننا مجموعة تخلت عن الحاجات والأفكار ذات الأمد القريب إلى أفكار وحاجات بعيدة المدى، واكتفوا بالمنح الروحية بدلا عن المنح المادية، وأصبحت اهتماماتهم متعلقة بالأمة وليست فردية لدرجة أنهم مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل الأمة والرفاق، وأصبحت الشهادة غاية أمانيهم.

[تعليق: **هو يشبه الذي قال: (الدخ)، وقد خبأ له النبي ﷺ الدخان، فقال له: اخسأ فلن تعدوَ قدرك، فهو يخلط ويُلبَّس عليه الأمر.. وهو يحاول تلمّس فكرة وفلسفة العلاقة بين الدنيا والآخرة عندنا نحن المسلمين أهل الإيمان والحمد لله، وفكرة وفلسفة غاية الوجود عندنا وفي تصورنا؛ فيتراءى شيئًا من طيفها كالخيال باهتًا ويصيبُه من بعيدٍ بعضُ إشعاعها لكن يعشى بصرُه عن إبصارها للأسباب التي أشرنا إليها مرارًا،** ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف] **فهو لا يستطيع أن يستوعبها بسبب كفره وصدوده عن الإيمان وإبائه عن التسليم لله تعالى والاعتراف بعبوديته لربه ﷻ، وبالتالي محدودية حركته الفكرية، إنما يستطيع أن يستوعب هذه الأمور فقط إذا قامَ مقام العبودية لله تعالى الملك القدوس العزيز الجبار المتكبر، ولجأ إليه طالبًا الهداية، أما دون ذلك فلا وكلا.!!**

إن الفكرة التي لم يستوعبها هذا الكافر وأمثاله هي -إذا اجتهدنا في محاولة إيجاد تعبير مختصر عنها-: (نفسي نفسي) يعني أن العبد المؤمن يعمَل لنفسه أولا وقبل كل شيء لتنجح في الامتحان وتنال الفوز في الآخرة، و(إيثار الباقي على الفاني) أي الآخرة على الدنيا العاجلة، وأن الدنيا هي دار عبور وممرّ ودارُ امتحانٍ واختبارٍ وابتلاء، وإن الآخرة هي دارُ القرار، دار البقاء الأبديّ، والفوز فيها هو الفوز، وإنما وجدنا في هذه الدنيا لنُختبَر ونمتَحن فمن نجح في الامتحان فاز وصعِد إلى الجنة ومن فشل في الامتحان فلا يلومنّ إلا نفسه، فسعيُ المؤمن المجاهد هو في الحقيقة لنفسِهِ لينجوَ ويُفلح ويفوزَ، وذلك ينتظمُ أعمالا وفِعالا يصعُب على الكفرة تصوّرها وتحيّرُهم جداً ولا يعرفون لها تفسيراً، إلا مثل هذه المحاولات التصويرية من غير المتأهِّل لها ومثل التخليطات التي ترون، فمساكينٌ هم!!]

✻ ✻ ✻

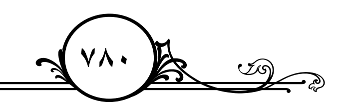
ذكر في صفحة ٩٤: أن الحرب ضد الإرهاب.. ليست حرب أيديولوجيات في الدرجة الأولى؛ بل هي حرب عقول وقلوب، لا ينبغي التركيز فيها على تقديم تفسير منا (يقصد أنفسهم النصارى أو الكفار عموما) للإسلام، بل من خلال التفسيرات المعتدلة للإسلام، وينبغي أن تسلب جاذبية الإرهاب وأن يُظهَر كشيء منفر مكروه.

[تعليق: **ما يسمونه الأيديولوجيا هو عندنا: العقيدة والإيمان ومجموعة المعايير والقيم والمفاهيم الدينية التي جاء بها الإسلام، ويحملها المسلم الذي رضي بالله ربًّا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا وبالإسلام دينًا، عن الوجود والحياة والدنيا والآخرة، وعن كل شيء، وعن العلاقة بين الأشياء، هذا لا يمكن أن ينفصل عما يسمونه (عقول وقلوب) لأنه مستولٍ على القلوب والعقول؛ فهي محاولات منهم كعادتهم، يحاولون في كل شيء!! لكن فاتهم التيار.. فمن محاولاتهم: «التفسير المعتدل للإسلام بألسنة وأقلام مسلمين معتدلين» زعموا!! وهذا إشارة إلى حاجتهم الكبرى إلى الاستعانة بعلماء السوء وأهل الضلالة وأهل الأهواء والزيغ من المنتسبين إلى ملة الإسلام، وهذا شيء معروف ومكرور، والحربُ ماضية، و**﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾[النساء]،﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]، **يعني: لا جديد!**

لكن نحن دعنا نسأل الكاتب سؤالا بسيطاً: لماذا لا تكون أنت مسلمًا عبدًا لله تعالى موحّدًا خاضعًا لربك الذي خلقك وأنعم عليك وأرسل لك الرسل وأنزل لك الكتب؟ لماذا تجعل همّك في كل «وجودِك» أن تحارب الإرهاب... إلخ؟ ألا فكرتَ في شيءٍ آخر؟ ماذا عن نفسك أنت؟ قف وانظر وتفكّر، أنت تفني نفسك في سبيل ماذا؟ «في الحقيقة: في سبيل قومك وملتك وأمتك الكافرة الطاغية التي أنت أسيرٌ مغلوبٌ في نسيجها العضويّ» ولكن ماذا عن نفسك؟ هل أنت ناجٍ في نهاية المطاف؟!].

✻ ✻ ✻

ذكر في صفحة ٩٦: أن الحلم الأمريكي المبني على كون أمريكا أرض الفرص وليست أرض الحريات كما يظن البعض خطأ، هو سبب في انخفاض الغضب الأخلاقي عند مسلمي أمريكا، بينما



العنصرية عند الأوربيين سبب للعكس، وغير هذا من أسباب ذلك في أمريكا كونها تتبنى سياسات فعالة لتوعية المجتمع ومد الجسور والتكامل مع القطاع المسلم في أمريكا وإن كان ذلك ليس بالشكل المطلوب -كما ذكر- والفردية والتطوعية كذلك.

في صفحة ٩٨: ذكر أن غياب معاداة الأمركة «Anti-Americanism» بين المسلمين الأمريكيين سبب في ضعف انجذابهم للخطاب التحريضي الإسلامي المتطرف العالمي.

أكد في صفحة ١٠٦: أنه ليست هناك خلايا نائمة في أمريكا، ثم ذكر في الصفحة التي تليها سبب كون الحدود المكسيكية آمنة ضد تسرب المتطرفين لأمريكا وهو كون المهربين هناك هم من سيبلغون السلطات الأمريكية عن تسرب أي أحد للحفاظ على عملهم.

[تعليق: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر: ٣١]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: ١٧٣]].

✲ ✲ ✲

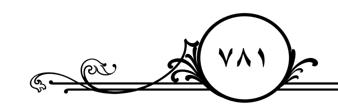
ذكر في صفحة ١١٨: أن القادة الحقيقيين للإرهاب العالمي هم متصفحو الإنترنت في المواقع الجهادية، وذلك أن شبكات منهم تنشأ وتنتسب للقاعدة فتعمل بعض الأعمال التي تقررها وتديرها هي «الشبكات» ثم ينسب الفضل فيها للقاعدة.

ذكر في صفحة ١٢٣: أنه بفضل الإنترنت فإن الإرهاب الإسلامي الدولي قد يخبو، ولكنه لن يموت أبدا (هذا بعد أن ذكر أن تراثا كاملا قد بُني على الإنترنت يسمح بقيام الإرهاب في أي مكان في أي مقر).

ذكر في صفحة ١٢٦: أن المسلمين عالميا لم يبدوا اعتراضا على غزو أفغانستان بشكل يتناسب مع العمليات وأعداد المسلمين عالميا، بعكس العراق حيث كانت السبب أو الزناد الذي قُدح ليشعل الغضب الإسلامي على أمريكا.

ذكر في الصفحات ١٤٠-١٤٢: صفات الموجة الثالثة (يعني من «الإرهابيين» كما يسميهم) والفروق بينها وبين الموجة الأولى والثانية، وأن الفرق الرئيسي هو كون هذه الموجة الثالثة تريد الموت بأي ثمن كان.

ذكر في صفحتي ١٤٤-١٤٦: نقاط ضعف مجموعات «الجهاد بلا قائد» وهي -بحسبه-: افتقارها لوجهة واضحة ولأهداف سياسية، وأنها معرضة لفقدان جاذبيتها بسهولة بين الشباب المسلمين، وأنها



لا تستطيع أن تفرض سلطتها على المنتسبين إليها لافتقادها بنية الأوامر من فوق إلى تحت (أي من الرئيس للمرؤوسين) بينما أعظم نقطة ضعف فيها -بحسبه أيضًا- هي كون أحلام المجد التي تراود منتسبيها قد تتبدل لأمجاد أخرى غير إسلامية في أية لحظة -كما يزعم-!.

[تعليق: على كلٍ، تصوراتهم هي هي، نفس الثغرات والخلل والركاكة، لنفس الأسباب التي أشرنا إليها، ويلاحظون أشياء ناقصة ويدركون بعضًا وتغيب عنهم أشياء أخرى، ولا نريد أن نخوض معهم في تفاصيل، بل نتركهم في أوهامهم وقصورهم يتخبّطون، وأيضًا يمنّون أنفسهم كما في آخر هذه الفقرة، ونحن نقول: الحربُ سجالٌ، والجهادُ ماضٍ، وكل شيء وارد في الصراعات البشرية؛ خيانات، سقوط، تعثّر أو انتكاسات والعياذ بالله، أي شيءٍ، إنما العاقبة للمتقين، والحمد لله].

❋ ❋ ❋

ذكر في صفحة ١٤٥: أن فقدان الحركات الجهادية للشيخ أسامة والشيخ أيمن -حفظهما الله- لن يؤثر فيها أبدا.

ذكر في صفحة ١٤٩: أن «القاعدة» المركزية (أو التنظيم المركزي) لم ينجحوا إلا في صناعة الأعداء لهم حول العالم.

[تعليق: هذا بحسب فهمه هو لأنه في مفهومه تمثل «الدولة» كل شيء، فعندما يرانا نحن عادينا أكثر دول العالم، وهذا واقع، فيقول: صنعوا الأعداء لهم حول العالم، لكن نحن ننظر من خارج عالَمه هو، ومن أعلى منه بحمد الله، وبالتالي ببساطة: نحن لا نخضع لمعاييرهم ولا نعترف بها، ومفهوم القلة والكثرة والعدد والعُدة، ومفاهيم النصر والهزيمة والكسب والخسارة، وغيرها من المفهومات، فضلا عن مفهوم «الأمة» ومفاهيمهم الأخرى مثل «العولمة» و«القرية الواحدة» عندنا عنها شيءٌ مختلف كثيرًا عما عندهم.. فهو يقول: صنعتم الأعداء، نقول: انظر ببساطة إلى المدّ الجهادي في الأمة اليوم وقارنه بما قبل عشرة سنين وعشرين سنة، سيصيبك الغمُّ والكمَد!! بفضل الله، فأمتنا الإسلامية وأجيالها في نهوض لمحاربتكم وللوقوف الكامل بإذن الله قريبًا في وجوهكم صفاً واحدًا، فنحن ماضون في طريق صحيح، وما نحصّله نحن المسلمين والمجاهدين من علوم ومعارف وفُهُوم صحيحة مستقيمة مما نكتسبُه من ديننا وكتاب ربنا وكلام نبينا ﷺ ومن سائر ما في ديننا الحق، في المدة اليسيرة ومع التجربة القليلة، يفوق أضعافا ما تحصّلونه أنتم في المدد المتطاولة ومع الشقاء والتعب، وهو أزكى وأنقى بما لا يُقارَن مع ما عندكم من التخاليط والضياع، والحمد لله رب العالمين، ولم نستحق هذا لأننا بيضٌ أو سودٌ أو عربٌ أو عجم، ولا لكوننا شرقيين ولا غربيين ولا غير ذلك من الاعتبارات، إنما نلناه بفضل الله تعالى بهذا الإسلام الذي هدانا الله إليه وأعزنا به، لا يمكن أن يشاركنا ويكون مثلنا إلا من أسلَم مثلنا].



كرر في صفحة ١٥٠ مقولة: أن الحرب هي حرب عقول وقلوب المسلمين، مضيفًا في صفحة: ١٥٧ أنها ليست بخصوص كيف يفهمون الأمور، بل كيف يشعرون تجاهها، وزعم أنهم متفوقون في ذلك علينا.

ذكر حلوله المقترحة وتوصياته للقضاء على الإرهاب صفحة ١٧٧ وهي:

١- من المهم أن يُزال المجد من الإرهاب عبر نقل مجال الحرب من المجال العسكري إلى غيره إلا في العمليات التي يتطلبها عدم بقاء ملجأ للإرهابيين، ويتم ذلك (إزالة المجد) عن طريق مساواة الإرهابيين بالمجرمين العاديين.

٢- تخفيض الغضب الأخلاقي عن طريق الانسحاب من العراق وعن طريق الإجراءات المدروسة بعد ذلك واتخاذ الإجراءات الصحيحة في التعامل مع العمليات الإرهابية بحيث لا تتسبب في المزيد من الغضب.

٣- لا بد من الترويج للأبطال المسالمين بين المسلمين الشباب لكسب معركة القلوب والعقول.

٤- لا بد أن ينضم المسلمون المعارضون للإرهاب إلى الحملة عن طريق مواجهة المتعاطفين مع الإرهاب.

٥- لا بد للإعلام العالمي من إعطاء المزيد من الاهتمام لقادة المسلمين الذين يعارضون الإرهاب.

٦- لا بد أن تكون الرؤية العامة للناس أن الإرهاب أصبح موضة بالية ولا بد من نبذه.

ثم ذكر أن إزالة التمييز ورفع المستوى الأخلاقي لهم هم هو أمر ضروري لتقليل جاذبية الإرهاب، ثم تكلم عن أهمية الدراسة العالمية للإرهاب وجعلها أساسًا لأي خطة للقضاء عليه.

[تعليق: **يحاولون كما قلنا في كل شيء، وما غيبوا جُهداً، أخزاهم الله..**

لكن بكل بساطة، وبكل ثقة واطمئنان بحمد الله: لا يستطيعون!! ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾[غافر]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾[الأنفال] **وكل هذه المحاولات وهذا الكيد والمكر الكبّار وهذا الخبث، هو أشياء مكررة، لكن الواحد منهم كهذا الكاتب وجماعته من أهل راند يظنون أنهم ابتكروا أفكاراً إبداعية وفاقوا عصرهم وأتوا بما لم تأتِ به الأوائل؛ فهذا مستواهم هم، لكن نحن كلُّ هذا نعرفه جيداً، أخبرنا عنه ربنا ﷻ في كتابه العزيز المطهر الذي أنزله إلينا؛ كله في القرآن، ما خرج قِيد أنملة عما في القرآن مما عارض وحارب به الأقوامُ الكافرون المكذبون رسلَ الله تعالى، وعما حكاه الله لنا من مكر الكافرين وكيدهم بجميع أصنافهم، فبالنسبة لنا الأمرُ عاديٌّ**

جداً، ولا جديد، نحن نعرف طريقنا جيداً، ونعرف بحمد الله عدوّنا بالمحدِّدات الكاملة العميقة الواضحة وبالتفصيل الكافي، الذي الزيادةُ عليه تضييعُ وقتٍ وجهدٍ وغبنٌ.! وليس معنى ذلك أن المجاهدين نائمون راكنون إلى أن كلَّ شيء معروف وكل شيءٍ على ما يُرام، بل هم بحمد الله يقظون حازمون آخذون بالأسباب قدر اجتهادهم ووسعهم باذلون كل المستطاع، فهذه حربٌ شرسة، المجاهدون فيها أولياءُ الله وأنصارُه، وخصمهم عدوٌّ لله وحربٌ عليه، والله مع المتقين.. ومن العجب أن الكاتب يدعو قومه إلى رفع مستواهم الأخلاقي، وهذا تناقض فشلوا هم في إدراكه؛ وكيف يستطيعون رفع مستواهم الأخلاقي وهم يكفرون بالله ورسوله ودينه، ويحاربونه ويحاربون أولياءه، إنه يعيش في حالة خيال عالية الوتيرة جداً.!! لكن الحل الوحيد لهم أن يعترفوا بأنهم إنما يمارسون عملية دَجَل لا منتهية وعمليات تزويق وتجميل، بلا شك أنها ستنطلي على بعض الناس، وتستهوي بعضَ مَن يخذله الله، وما أكثرهم أيضاً! لكن ثم ماذا، وإلى أين تذهبون؟! والحرب مستمرة بين الفئة القليلة المحقة وقوى الباطل والطغيان المختارة للدنيا العاجلة الفانية المفتونة بزخارفها ناسيةً غايةَ وجودها، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ (٤)﴾ [محمد].. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

انتهت التعليقات].







في ظلال آية

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

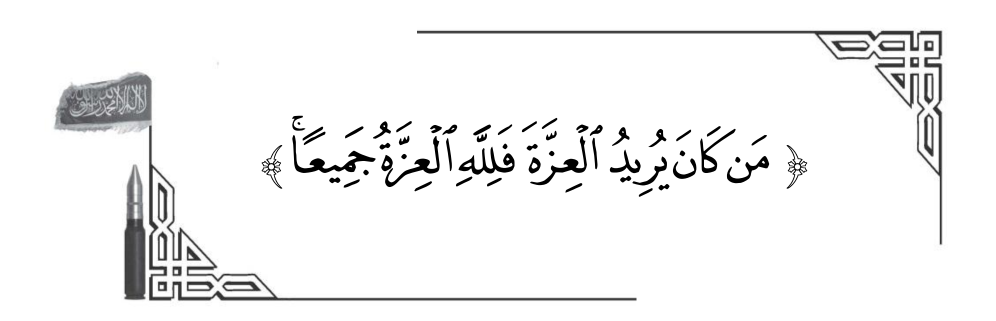


تم نشر هذين المقالين في مجلة «طلائع خراسان»..

العدد الخامس عشر، والتاسع عشر

شعبان - رمضان

١٤٣٠



لم يزل طلب العزة دأبَ البشر؛ لا جرم أن الإنسان معترفٌ في قرارته بحقيقة حقارته، وفقره وعجزه وحاجته.

فمن الناس من ابتغاها في الأموال والمِلك، ومنهم من ابتغاها في الرياسة والمُلك، ومنهم من ابتغاها في الأنصار والأولاد والعشيرة: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف: ٣٤]، ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾ [النساء]، ومنهم من ابتغاها في شركاء من دون الله يعبدهم ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١﴾ [مريم]، فكان كما قال الله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت].

الكل باحثٌ عن العزة طالبٌ لها، وأكثرهم فاسقون وعن الصراط ناكبون: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ [الملك]، فهدى الله أهلَ الإيمان به واتباع رسوله ﷺ إلى مصدر العزة ومنبعها وسبيلها وطريق تحصيلها: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠]، «و﴿مَنْ﴾ اسم شرط وما بعده فعل الشرط، والجمع بين ﴿كان﴾ و﴿يريد﴾ للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها، وجملة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ دليلُ الجواب، ولا يصح أن يُجعلَ جوابًا للشرط من حيث الصناعة النحويّة لخلوه عن ضمير يعود على ﴿مَن﴾، وقد قالوا: لا بدّ أن يكون في جملة الجواب ضمير يعود على اسم الشرط إذا لم يكن ظرفا، والتقدير: من كان يريد العزة فليطلبها من الله تعالى فلله وحده لا لغيره العزة فهو سبحانه يتصرف فيها كما يريد؛ فوضع السبب موضع المسبَّب لأن الطلب ممن هي له وفي ملكه جميعها مسبَّبٌ عنه، وتعريف العزة للاستغراق بقرينة ﴿جَمِيعًا﴾ وانتصابُهُ على الحال، والمراد:

عزة الدنيا والآخرة، وتقديم الخبر على المبتدأ للاختصاص»[1].

وبيّن ربنا ﷻ غلط الغالطين في طلب العزة من غير محلها: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾ [النساء] «وقد علم الله ﷻ أنهم كانوا يريدون الاعتزاز، لأن الإنسان مجبولٌ على طلب العزة؛ فمخطئٌ أو مصيبٌ، فمعنى الآية والله أعلم: بلغ هؤلاء المتخذين الكافرين أولياء من دون الله ابتغاءَ العزة بهم؛ أنهم قد أخطأوا في مواضعها وطلبوها في غير مطلبها؛ فإن كانوا يصدقون أنفسهم في طلبها، فليوالوا الله ﷻ وليوالوا من والاه»[2].

فيا من تريد العزة وتطلب العزة، وتتحاشى عن الذلة: عليك بربك العزيز المجيد الكبير المتعال؛ فإن العزة جميعَهَا له وعنده وبيده، يؤتيها من يشاءُ ويمتعها من يشاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾[آل عمران].

ويا من تريد عز الدنيا والآخرة: عليك بطاعة مولاك العزيز الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، المتصرف في خلقه كما يشاء، الفعّال لما يريد، الذي لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه، وهو العزيز الحكيم الذي العزةُ إزارُهُ والكبرياءُ رداؤُهُ؛ فالزم طاعته وخدمته، وكن أبدًا في صفه وجانبه، وَحِّدْه، وتذلل إليه واخضع، وانكسر وتواضع، يرفعْك ويعزّك، ولا تكن من المخالفين المحادّين فتذل؛ فإن العزة في طاعته والذل والخسران في معصيته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾[المجادلة]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾[المنافقون].

نعم؛ المنافقون لا يعلمون!، لا يعلمون أن العزة لله ولـمَن والى الله وكان في صفِّ الله، فراحوا يطلبونها من غير محلها وعندَ من لا يملكُها، يتعزّزون بالأولياء من دون الله: ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾[النساء: ١٣٩]، المنافقون لا يعلمون هذه المعاني ولا تكاد تستقرُّ في قلوبهم، وإن طافت بها أحيانًا كالخيال!!

أما أهل الإيمان فقد وُفقوا وسُدّدوا واستبانت لهم الطريق وأبصروا بما آتاهم الله من النور سبيلَ العزة في الدنيا والآخرة، وشكروا نعمةَ الله أن أعزهم بهذا الدين؛ كما قال أحدُ قدواتهم العظام -سيدنا

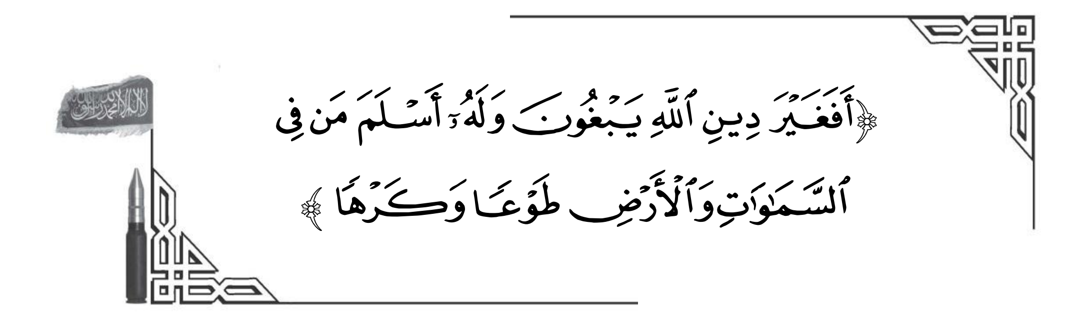
---

(١) روح المعاني للألوسي (١١ / ٣٤٦)، بتصرف يسير. [المؤلف؛ دون العزو، ودون: روح المعاني]

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ١٣١). [المؤلف؛ دون العزو، ودون: البرهان في علوم القرآن]

عمر رضي الله عنه-: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»[(١)]، فاستجابوا لله العزيز وصـــدَّقوا وأيقنـــوا وأذعنـــوا وانقـــادوا لأمـــره: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال: ٢٤] فطوبى لهم وكرامة وسيادة وسعادة، وحسن خاتمة..

(١) ورد بألفاظ مقاربة لهذا اللفظ -المشهور- في: جزء سعدان (٦) بلفظ: «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ وَأَحْقَرَ النَّاسِ، وَأَقَلَّ النَّاسِ، فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمْ»، وفي: تاريخ دمشق (٥ / ٤٤)، البداية والنهاية (٩ / ٦٦٦).



عجيبٌ أمر هؤلاء البشر عندما يَضِلُّون عن طريق الله، وعجيبٌ شأن هذا القرآن العزيز حين يحاصر ضمائرهم الحائرة بأجنادِ الأدلة والبراهين، وحين يكشفُ شرودهم التائه، وينعى عليهم هروبهم من مواجهة الحقيقة والواقع، بل وحين ينادي عليهم بفضيحة الجهل والغباوة: أين تذهبون؟! وماذا تطلبون؟ وقد كفاكم الله وأرشدكم وهداكم وأرسل إليكم الرسل وأنزل إليكم الكتب، ونصَبَ لكم من الدلائل على وحدانيته وتفرّده سبحانه باستحقاق العبادة ما يبهر العقولَ وتخضع له الأعناق، وجعل الكون كلّه مسبَحا بحمده معترفًا بربوبيته، شاهدًا بأنه الإله الحق، ناطقا بالدلالة عليه ﷻ.

هذه الآية الكريمة تتضمن حجةً من حجج الله تعالى التي جادل بها أهل الكفر، ودمغ بها باطلهم وزيّف بها ضلالهم.. وسواءٌ كان المخاطب بها أهلَ الكتاب وذلك على قراءة ﴿تبغون﴾ و﴿تُرجَعون﴾ بالتاء، أو كان السياق التفاتًا إلى خطاب المؤمنين تعجيبًا لهم من حال أهل الكتاب وعموم الكفارِ في انصرافهم عن دين الله وطلبهم غيره، والحلُ أنه قد أسلم لله تعالى كل مَن في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا، وأنهم -في النهاية- راجعون إليه سبحانه.

ومعنى الآية على وجه التقريب: عجيبٌ أمرهم ومنكرٌ صنيعُهم؛ يطلبون دينًا غير دين الله الإسلام، وقد انقاد وخضَعَ واستسلَمَ له كل مَن في السماوات والأرض، فمن لم يُسلِم مختارًا طائعًا فإنه لا محالة قد استسلم وخضع مكرهًا مجبورًا منقادًا إذ لا يمكنه الخروج عن قدرة الله ومشيئته وقضائه وتدبيره سبحانه، بل هو عبدٌ ذليل مسخَّرٌ، والكل -كل المخلوقات- هي كذلك، ثم مما يزيد العجب ويزيد من نكارة تصرفهم وسوء صنيعهم في جموحهم بعيدًا عن دين الله وطلبهم غيره أنهم في نهاية الأمر راجعون إلى الله حتمًا وغصبًا ورغمًا، لا يستطيعون فِرارًا منه ولا يمكنهم أن يعجزوه هربًا، بل يأتون إلى ميعاده فرادى خاضعين خاشعين من الذل؛ يأتيه المخلوقات حقيرُها وكبيرُها.

ولو حبس الله بولَهُ عن الخروج بعضَ الوقت لتوجَّع وتأوه وتألم ولما أمكنه أن يتمتع بشيء من لذائذ دنياه وسلطانه، ولكان مستعدًا لبيع كل ما يملك ليشتري صحته وعافيته.!

إن في هذا لعبرةً ودليلًا لمن كان عاقلًا وتفكر وتأمل وتدبر، وحسم أمرَه، قبل أن يفوتَ الأوان..

ويا سعادة أهل الإيمان والطاعة لله والاتباع لرسُله، ويا شقاوة الشاردين عن دين الله الجاهلين بحقيقة أنفسهم وبما حولَهم وبعواقِب الأمور.!

وهل سعدتِ البشرية إلا في ظل دين الله، وهل شقيتْ -حين تشقى- إلا بالبُعدِ عنه وابتغاء الشفاء والسعادة في الانسلاخ عنه، تظن أنه قيدٌ لحريتها وأنه كبحٌ لشهوتها، وغفلتْ عن أنه منهج الرب الأول الآخر الظاهر الباطن اللطيف الخبير الذي يعلم ما خلق، والذي هو بكل شيء عليمٌ، الرحمن الرحيم الودود البرّ الكريم الذي هو أرحم بهم من أنفسهم وأبرُّ وأرأفُ، الذي يدعوا عباده إلى الخيرِ والصلاح والسعادة.

فإلى دين الله يا عباد الله.. وإلى شريعة الله وأحكامِهِ وقوانينه الحقة السامية النزيهة يا من أسلمتم باللسان، وادَّعيتُمُ الإيمان.. وإياكم أن تغتروا بمن ضلُّوا من قومنا واتبعوا سبيلَ الكفار قديمًا وحديثًا، وجَرَوْا وراء السراب وتوهموا السعادةَ والنجاحَ والقوةَ في البُعدِ عن دين الله.! بل ائسفوا عليهم وتوجعوا لحالهم، واعلموا أن لضلالهم أسبابًا كثيرةً تتضح لمن بحث وتأمل.. ومن أهمها انبهارُهُم بالغربِ الكافر واغترارُهم بإنجازاتهم الظاهرية المادية، مع أن هذه فتنةٌ، وعلاجُها والجوابُ عليها وطريق النجاح في امتحانها واضحٌ غاية الوضوح في القرآن الكريم بيّنه الله لنا أحسن وأجمل بيان تطمئن به القلوب وتشفى به الصدور، لكن المشكلة في البُعد عن هداية القرآن.

إياكم أن تغتروا بهم وبزخارفهم وجدلهم؛ فقد بان لكم السبيل وأنارتْ لكم الطريقُ فاسلكوها بشجاعةٍ وصحةِ اختيار وقوة عزيمة فتلك سعادة الدنيا والآخرة..

وأختم بكلماتِ الشهيد «سيد قطب» رحمه الله «في ظلال القرآن»:

«ولا مناص للإنسان حين يبتغي سعادته وراحته وطمأنينة باله وصلاح حاله، من الرجوع إلى منهج الله في ذات نفسه، وفي نظام حياته، وفي منهج مجتمعه، ليتناسق مع النظام الكوني كله. فلا ينفرد بمنهج من صنع نفسه، لا يتناسق مع ذلك النظام الكوني من صنع بارئه، في حين أنه مضطر أن يعيش في إطار هذا الكون، وأن يتعامل بجملته مع النظام الكوني.. والتناسق بين نظامه هو في تصوره وشعوره، وفي واقعه وارتباطاته، وفي عمله ونشاطه، مع النظام الكوني هو وحده الذي يكفل له التعاون مع القوى الكونية الهائلة بدلا من التصادم معها. وهو حين يصطدم بها يتمزق وينسحق أو لا يؤدي- على كل حال- وظيفة الخلافة في الأرض كما وهبها الله له.

وحين يتناسق ويتفاهم مع نواميس الكون التي تحكمه وتحكم سائر الأحياء فيه، يملك معرفة أسرارها، وتسخيرها، والانتفاع بها على وجه يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة، ويعفيه من الخوف

والقلق والتناحر.. الانتفاع بها لا ليحترق بنار الكون، ولكن ليطبخ بها ويستدفئ ويستضيء! والفطرة البشرية في أصلها متناسقة مع ناموس الكون، مسلمة لربها إسلام كل شيء وكل حي.

فحين يخرج الإنسان بنظام حياته عن ذلك الناموس لا يصطدم مع الكون فحسب، إنما يصطدم أولا بفطرته التي بين جنبيه، فيشقى ويتمزق، ويحتار ويقلق. ويحيا كما تحيا البشرية الضالة النكدة اليوم في عذاب من هذا الجانب- على الرغم من جميع الانتصارات العلمية، وجميع التسهيلات الحضارية المادية! إن البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير. خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها.. حقيقة الإيمان.. وخواء حياتها من المنهج الإلهي؛ هذا المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون الذي تعيش فيه.

إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيدًا عن ذلك الظل الوارف الندي. ومن الفساد المقلق الذي تتمرغ فيه بعيدا عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق! ومن ثم تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب وتحس الخواء والجوع والحرمان وتهرب من واقعها هذا بالأفيون والحشيش والمسكرات وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في الحركة واللبس والطعام! وذلك على الرغم من الرخاء المادي والإنتاج الوفير والحياة الميسورة والفراغ الكثير.. لا بل إن الخواء والقلق والحيرة لتتزايد كلما تزايد الرخاء المادي والإنتاج الحضاري واليسر في وسائل الحياة ومرافقها.

إن هذا الخواء المرير ليطارد البشرية كالشبح المخيف. يطاردها فتهرب منه. ولكنها تنتهي كذلك إلى الخواء المرير! وما من أحد يزور البلاد الغنية الثرية في الأرض حتى يكون الانطباع الأول في حسه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم. هاربون من ذوات أنفسهم.. وسرعان ما يتكشف الرخاء المادي والمتاع الحسي الذي يصل إلى حد التمرغ في الوحل، عن الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمسكرات والمخدرات والجريمة. وفراغ الحياة من كل تصور كريم! إنهم لا يجدون أنفسهم لأنهم لا يجدون غاية وجودهم الحقيقية.. إنهم لا يجدون سعادتهم لأنهم لا يجدون المنهج الإلهي الذي ينسق بين حركتهم وحركة الكون، وبين نظامهم وناموس الوجود.. إنهم لا يجدون طمأنينتهم لأنهم لا يعرفون الله الذي إليه يرجعون..»[1] اهـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في ظلال القرآن (١ / ٤٢١، ٤٢٢).





النصح والإشفاق.. في الكلام على

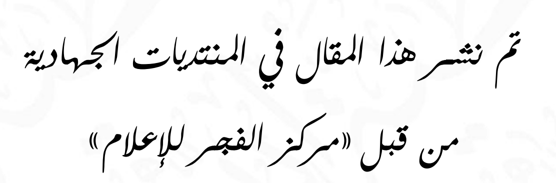
«تفجيرات الأسواق»

[سؤال وجواب حول تفجيرات أسواق بيشاور]



تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مركز الفجر للإعلام»



بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

إلى أهل العلم والدين حفظهم الله ورعاهم وسدد على طريق الحق خطاهم..

هل يجوز الفرح والسرور بمثل هذه التفجيرات التي وقعت في سوق بيشاور -أواخر شهر أكتوبر من هذا العام ٢٠٠٩م- وإظهار الشماتة بالمتضررين بها من المتسوّقين والتجّار وعموم الناس، على أساسِ أنهم مفرّطون في أمرِ الدين مهتمون بشأن دنياهم وعَيشهم فقط وتاركون للجهاد وخاذلون للمجاهدين ومقيمون تحت سلطان الحكومة المرتدة لا يبالون بشيء من ذلك؟

بيّنوا لنا وجهَ الحق في هذه المسألة

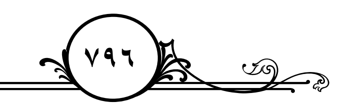
وفقكم الله وأثابكم وجزاكم عنا وعن المسلمين خَير الجزاء.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه..

وبعد: فإنه لا يجوز الفرحُ والسرورُ بمثلِ هذه التفجيرات -كالمذكورة التي وقعت في سوق بيشاور-، ولا يجوز إظهارُ الشماتة بالناس المتضررين بها والواقعةِ فيهم وفي بلدهم وسوقهم، بل يجبُ الإنكارُ عليها واعتقادُ أنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروج عن الشريعة الإسلامية المطهرة، وأنه لا يفعلُها من يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلا عن مجاهدٍ في سبيل الله، بل إن كان ثمتَ شيء مشروعٌ نحوها من المشاعر والأحاسيس فهو أن يحزَنَ المسلمُ من ذلك ويهتمَّ -يصيبَهُ الهمُّ- ويأسَفَ لها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



شرح هذا الجواب وبالله التوفيق:

أما عدمُ جوازِ الفرحِ والسرورِ بها؛ فلأنها فسادٌ وباطلٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شريعة الإسلام كما قلنا، ومعلومٌ بطريق القطع أنه لا يجوز للمسلم أن يفرَحَ ويُسر بشيء هذا وصفُهُ الشرعيّ.

فإن المسلم يحب ما يحبُّهُ الله ورسوله ﷺ، ويفرَحُ ويسر بذلك، وهو الخيرُ والصلاحُ والبرُّ والعدلُ والإحسانُ والهُدى والحقُّ والمعروفُ، ويكرَهُ أضدادَ ذلك من الشر والفسادِ والظلمِ والعدوانِ والضلال والباطل والمنكر، ولا يكون الإنسانُ مؤمنًا إلا بذلك، هذا شرطُ الإيمان الشرعيّ، وإلا كان منافقًا كافرًا في الباطن، والعياذ بالله.

والقرآن والسنة مملوءان بالدلالات على ذلك نصًّا ومعنى، ودينُ الإسلام قائم على ذلك، فإن الإسلام هو الاستسلام لله ﷻ باطنًا وظاهرًا، وهو العبودية التامة للبارئ ﷻ؛ التي مبناها على كمال الحب له ﷻ مع كمال الذل والخضوع، الموجب للانقياد لأوامره سبحانه، ومتابعة رسوله ﷺ.

فمن فرح بشيء وأحبَّهُ ورضيَهُ، وهو يعلمُ أن الله لا يحبه ولا يرضاه؛ بل يمقُتُهُ ويُبْغِضُهُ ويكرهُهُ ويسخَطُهُ، فقد عصى الله، وناقض «مبدأ الاستسلام» له ﷻ، وخرج عن عبوديته، وهذا الخروج فيه تفصيل؛ فقد يكون معصيةً (غيرَ كفرٍ) وقد يكون كفرًا ونفاقًا، ويحتاج هذا إلى بسطٍ لا يسعه هذا الجواب، لكن نشير إلى شيء منه. وهكذا من كرِه وسَخِطَ ما يحبه اللهُ ويرضاه ويأمُرُ به.

لكن قد يجتمع في الإنسان أنه يكرهُ الشيءَ لأنه يعلم أن الله يكرهه، فهو موافق لربه في ذلك مستسلمٌ له من هذا الوجه، ثم هو (الإنسان نفسه) يفعل ذلك الشيءَ ويلتذُّ به، وهذا درجات متفاوتة بحسب قوة ثبوت كون الشيء مكروهًا لله ﷻ، فإن كان قطعيا فهو درجةٌ، وإن كان غير قطعيّ فيحسبِ غلبة الظن في ثبوته.

وهو في كل ذلك بحسب حكم الله ﷻ فيه، إن كان الله ﷻ حكم في شريعته بأن هذا الفعلَ (سواءٌ كان فعلًا قلبيًّا أو من أفعال الجوارح) كفرٌ، أو حَكَم بأنه معصيةٌ غيرُ كفرٍ، ويعرف ذلك من الأدلة الشرعية التفصيلية.

ومثالُ الأولِ: المسلم الذي يشرب الخمر أو يزني، وهو يعلَمُ أن شربَ الخمرِ والزنى حرامٌ يبغضه الله ﷻ ويسخطه وينهى عنه ولا يرضاه، وهو يفعل هذا الفعلَ القبيحَ وهو يعرف قُبْحَهُ ونَكارَتَه، ولكنه يريدُهُ ويلتذ به ويحبه محبة غريزية «حيوانية» غيرَ شرعية، وغلبته شهوتُهُ فيه، فانفكت المحبة في حقه، فنجا من الكفر، لكنه على خطر عظيم (مرتكبٌ لكبيرة)، وهذا هو الذي قال النبي ﷺ: **(لا يزني**

الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)[١]؛ فنفى عنه حينَ الفعل وصف الإيمان، لكنه ليس كافرًا بهذا الفعل بإجماع أهل السنة خلافا للخوارج المارقين، بل هو فاسِقٌ بذلك ما لم يتب، وهذا من سَعَةِ رحمة الله ﷻ ولطفه أن لم يحكُمِ اللهُ ﷻ بأن مرتكب هذه الأفعال كافرٌ خارج عن دينه (الإسلام)، ولو شاء لفعل.. فاللهم لك الحمد والثناء والحسن على سعة رحمتك وعظيم فضلك.

ومثال الثاني: مرتكب الصغيرة من الصغائر مما هو من باب الشهوات، كمن يشربُ الدخانَ (السيجارة) أو يستمع إلى الألحان المطربة المحرمة (الموسيقى) ويلتذُّ بها؛ وهو عارف بحرمتها، أو هو متردد في الاقتناع بحرمتها لوجود شبهةٍ في ذلك عنده مثلًا.. وقس على هذا.

ومثالُ ما حكم الله بأنه كفرٌ: أن يُحِبَّ الإنسانُ أعداءَ الله من الكفَّارِ كاليهود والنصارى والهندوسِ والبوذيين وما شابههم ممن كفرُهُم معلومٌ، أو شأْنُهُ أن يكون معلومًا من مثله، يحب دينهم وما هم عليه، ويرضى به، أو يكرَهَ ويُبغِضَ شريعَةَ الله على وجه الإجمالِ، أو شيئا منها معلومًا كونُهُ من شريعة الله وحكمِه، فإن هذا الإنسان يكفر بذلك؛ قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩﴾[محمد]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ۝٢٦ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨﴾[محمد].

وقد يقع لبعضِ الناس تأويلٌ في المحابِّ والمباغِض (ما يُحِبُّ وما يُبْغِضُ)، كمن يظن أن فلانًا المسلم المعيَّن يستحق القتل فَيَفرحُ ويُسر بموته لاعتقاده أنه فاسقٌ فاجرٌ مستحق للقتل، وقد يكون كذلك في نفس الأمر (في الحقيقة) وقد لا يكون، فهذا في الشخص المعيَّن، لكنَّ هذا غيرُ متصوَّرٍ في عموم المسلمين وجملتهم من مستوري الحال وجماعاتهم بما فيهم ذراريهم (أطفالهم) ونساؤهم وشيوخهم وفضلاؤهم وجميعُ مستوياتهم، فلا يمكنُ أن يفرَح وُيسر مؤمن بقتلهم وهلاكهم وتدميرهم جملةً.! وقد أخبر الله عن حال المنافقين بأنهم: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾[آل عمران: ١٢٠]، وقال: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾[التوبة]؛ فهذه صفة المنافقين: يفرحون بما يصيبُ

(١) صحيح البخاري (٦٧٨٢)، صحيح مسلم (٥٧).

النبيَّ ﷺ والمسلمين من الآلام والشدائد، ويستاؤون ويغتمون لما ينالُ المسلمين من الخير.

❑❑❑

فصلٌ؛ في أن المشاعر والأحاسيس والوجدانات كثيرٌ منها داخلٌ تحت التكليف

فهي أفعالٌ قلبية من أفعال المكلفين التي يتعلق بها خطاب الله ﷻ بالطلب، إلا ما كان منها جِبلِّيًّا طبيعيًّا، لا يقدر الإنسانُ على التحكم فيه، ولا طاقة له به، كالميل الطبيعي في محبة الأهل والولدِ ونحوه، كما قال النبي ﷺ في حديث القَسْم بين الأزواج: (**اللّهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملِك**)[1].

وقد قال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾، وقال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾[البقرة: ٢٨٦].. فالفرح والسرور وما قاربها، وأضدادها من الهم والحزن والأسف والوجد، وغير ذلك -إلا ما استثني من القِسْم الطبيعي- أفعالٌ قلبية ينبغي أن تخضع لحكم الله ﷻ، وهي في جملتها راجعةٌ إلى قاعدة جامعة هي: الحب والبغض.

فعلى المسلم أن تكون مشاعره وأحاسيسه خاضعة للشرع منضبطة به، يحب ما يحبه الله ويفرح ويسر به ويأنس ويرتاح إليه، ويكره ما يكرهه الله ويحزن منه ويأسف ويهتم.. وهكذا.

لكن في كل ذلك تفاصيل دلت عليها الأدلة الشرعية تُنظر في مواضعها من كتب أهل العلم، وإنما أشير إلى شيء منها:

فأما الفرح والسرور: فقد أمر الله ﷻ عباده بأن يفرحوا بفضله ورحمته؛ قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس]، فكل ما هو من فضلِ الله ورحمته وإحسانه ولطفه وهدايته وتوفيقه من النعم والمنن والأفضال الربانية الدينية والأخروية. فهو مما ينبغي أن يفرح به العبدُ، ومعنى الفرح هنا سرورُ القلبِ بها المقتضي لشكر الله عليها بأركان الشكر؛ القلبي واللساني وبالجوارح.

قال العلماء: أغلبُ ما ورد لفظُ الفرح وفي لسان الشرع وفي لغة الكتاب العزيز في سياق الذم؛

---

(١) سنن أبي داود (٢١٣٤) وضعفه الألباني، مسند أحمد (٢٥١١١) بلفظ مقارب قال فيه الأرنؤوط: إسناد رجاله ثقات، مسند الدارمي (٢٢٥٣) وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

كقوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام]، وقوله: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[التوبة]، وقوله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[القصص]، وقوله: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[التوبة]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[هود]، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[الرعد]، وقوله: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحديد].

وهو في عامة الآيات الكريمات ونحوها: الفرحُ المطغي المؤدي إلى العُجْب والغرور والكِبر، أو الفرح بما لا ينبغي أن يفرَحَ به المؤمنُ.

ومن الفرح المحمود: الفرحُ بنصر الله عبادَه المؤمنين على الكافرين، أو نصرِهِ الأقلَّ شرا والأقرب إلى المسلمين من الكفار على غيرهم ممن هو أشَدُّ بُعْدًا وأكثرُ شرًّا؛ كقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾[الروم]، وقال النبي ﷺ: **(من سرته حسنته، ومن ساءته سيئتُهُ؛ فهو المؤمن)** رواه الترمذي وغيره[1].

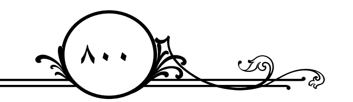
وأما الحزن والأسى ومثله الأسف؛ فإنه أكثر ما وردَ في القرآن مسلطًا عليه النهيُ أو النفي وشبهه، وليس في الكتاب والسنة أمرٌ به في حالٍ من الأحوال، وإنما غايتُهُ أن يكون مباحًا مأذونًا فيه لطفًا من الله وتخفيفًا وتيسيرًا، ومما يكون من النوع الطبيعي الجِبليِّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ونهى الله ﷻ رسوله ﷺ والمؤمنين عن الحزن في مواضع عديدة من القرآن؛ فقال ﷻ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[النحل]، ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[آل عمران].

وأخبر ﷻ أن الشيطان يُريد أن يُحزِن الذين آمنوا؛ كقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سنن الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني.



ءَامَنُواْ﴾[المجادلة: ١٠]، وكذا في الرؤيا: قال النبي ﷺ في بعض أقسامها: (**ورؤيا تحزينٌ من الشيطان**) والحديث في صحيح مسلم[1]، وقد كان النبي ﷺ يُكثِرُ من الاستعاذة من الهم والحزن ويُرْشِدُ إلى أسباب ذهاب الهم وجلائِه، والأحاديث في ذلك معروفة مشهورة.

والذي يدل على جوازه وإباحته، كحالةٍ بشرية طبيعيةٍ سويّةٍ، أدلةٌ منها قولُ وفعلُ النبيِّ ﷺ في قصة وفاة ولده إبراهيم ؛ في الصحيحين والسنن -واللفظ للبخاري- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظِئرًا لإبراهيم ، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم؛ فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يَجودُ بنفسه، فجعلت عينا رسولِ الله ﷺ تذرِفانِ، فقال له عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسولَ الله؟ فقال: (**يا ابن عوف إنها رحمةٌ**)، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: (**إن العين تدمَعُ، والقلبَ يحزنُ، ولا نقول إلا ما يرضى ربَّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون**)»[2].

ومنها: ما ذكره الله ﷻ من قصة يعقوب وحزنه على يوسف؛ قال ﷻ: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾[يوسف]، وقال سبحانه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[يوسف]، ومنها ما ذكره الله ﷻ عن نبيه ﷺ عن بعض أصحابه رضي الله عنهم أنهم حزنوا، وسكت النص القرآني عنه؛ كقوله ﷻ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام]، وقوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾[التوبة].

ويُحتَمَلُ إثبات قسمٍ مستحب من الحزن؛ كالحزن والأسف لفوات طاعةٍ، ويحتمل أن يؤخذ هذا

---

(١) برقم (٢٢٦٣).

(٢) صحيح البخاري (١٣٠٣) وقد تقدم.

من الآية السابقة، وكحزن النَّدم والمعصية وهو توبةٌ، وهذا موضع يدِقُّ التعبير عنه، ولا يبعُدُ استحباب إظهارِ قدرٍ من الحزنِ في مثل هذه الأحوال، وفيما يصيب المسلمين من مصائبَ وشدائد وكروبٍ؛ فإن هذا أقربُ إلى هدي النبي ﷺ وسَمْتِهِ، وأشبه بكمال النفس واستقامتها، وأدنى للمواساةِ، والمواساةُ من مكارم الأخلاق، والله أعلم.

فائدة: للعلماء توجيهاتٌ لحزن سيدنا يعقوب ﷺ، ذكرها القرطبي فقال: «قال النحاس: فإن سأل قوم عن معنى شدة حزن يعقوب ﷺ؛ **فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة**: منها أن يعقوب ﷺ لما علم أن يوسف ﷺ حي خاف على دينه، فاشتد حزنه لذلك[١]، وقيل: إنما حزن لأنه سلمه إليهم صغيرا، فندم على ذلك، والجواب الثالث- وهو أبينها- هو أن الحزن ليس بمحظور[٢]، وإنما المحظور الولولة وشق الثياب، والكلام بما لا ينبغي، وقال النبي ﷺ: **(تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب)** [ابن ماجه وحسنه الألباني]، وقد بين الله جل وعز ذلك بقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه، ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه، فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه»[٣].

فائدة أخرى؛ في توجيه النهي عن الحزن:

المتحصل من كلام العلماء في النهي عن الحزن أنه لوجهين:

الأول: أنه متوجه إلى ما زاد عن القسم الطبيعي الجبلِّي منه، وهو ما كان للإنسان طاقةٌ بضبطه والتحكم فيه، وذلك لأنه سببٌ لمفاسدَ كثيرةٍ من تركِ عملٍ صالح كترك الدعاء أو الجهاد، أو فعل محرم، كالنياحة واللطم وشق الجيوب وما شابهه مما نهت عنه الشريعة من مظاهر الجَزَع والتسخط المنافية للصبرِ الواجبِ؛ فيُؤمرُ المكلَّفُ بأن يكُفَّ نفسه عن الحزنِ وأن يجاهِدَه، ويستعيذ بالله منه.

الثاني: أن النهي عن الحزنِ نهيٌ عن أسبابه الجالبة له؛ قال الشيخ الطاهر بن عاشور ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]: «والوهَنُ والحزنُ حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتب عليهما الاستسلامُ وتركُ المقاومة، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد»[٤] اهـ.

---

(١) أي: فحُزنُه راجعٌ إلى الدين، فهو حزنٌ على الدين ولأجله، أي وذلك محمودٌ، لما يتضمنه من تعطّفٍ على الدين وولاء له، ولأنه سبب دافع إلى خيرٍ وغيرةٍ للدين!. [المؤلف]

(٢) أي كله جملةً، والتفصيل بالتفريق بين الطبيعيّ وغيره أولى. [المؤلف]

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢٤٨، ٢٤٩).

(٤) التحرير والتنوير (٤ / ٩٨).

والأسى قريب من الحزن أو بمعناه؛ نهى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين عنه، وعلل بنفيه (أي بنفي الأسى) بعض أفعاله وأحكامه ﷻ.. قال ﷻ: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[المائدة]، وقال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

❑❑❑

فصلٌ: وأما أن مثل هذه التفجيرات في أسواق المسلمين باطلٌ وفسادٌ وظلمٌ وعدوانٌ وخروجٌ عن شريعة الإسلام

فظاهر جدًّا، ومعلومٌ عند جميع العلماءِ بل عند جميع المسلمين؛ فإنها تستهدفُ المسلمين المعصومين، وتسفِك دماءَهم التي حرمها الله، وقد وقعَ بها قتلُ العشرات منهم وجَرحُ العشرات كذلك، وتدميرُ شيءٍ كبيرٍ من أملاك المسلمين وأضرارٌ وأذىً غيرُ خافٍ.

ومعلومٌ من دين الإسلام بالضرورة تحريمُ دم المسلم، ومعروفٌ تشديد الشريعة المطهرة فيه، وتعظيمها لأمره، وأنه من أكبر الكبائر، بعد الإشراك بالله تعالى؛ فإن الله ﷻ نهى عن قتل النفس إلا بالحق بصريح العبارات ومحكمها وبأنواع الدلالات ومتعدِّدها، وأبدأ في ذلك وأعاد، في كتابه العزيز، وقرن قتل النفس -بغير الحق- بالإشراك به تعالى في مواضع في النهي والذم، وبين أنه فعلُ العصاة الجبارين والفجرة المتمردين الممقوتين من رب العالمين، وأخبر أن النفس لا يجوز أن تقتل إلا بالحق وهو الموجب الشرعيّ والحكم الإلهي باستحقاقها للقتل، وأخبر أن من قتل نفسًا بغير حق فإنه بمنزلة من قتل الناس جميعا في جرمه وفجوره وشناعة ما أتى، أو في جرأته على الرب ﷻ، وفي تمرده وإفساده: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة: ٣٢]، وأخبر أن المؤمن لا يُتصوَّرُ منه أن يقتُلَ مؤمنًا، لا يكون هذا أبدًا، إلا على وجه الخطأ، بيانًا لشدة منافاة هذه الشناعة للإيمان: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ﴾[النساء: ٩٢]، وأخبر أن من قتل مؤمنًا متعمدًا فإنه مستحق لأشد السخط والعذاب من الملك القهار: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[النساء] نسأل الله السلامة والعافية، والصوابُ الذي لا شك فيه في معنى الخلود المذكور في الآية أنه ليس كخلود الكفار والمشركين في النار، وإنما هو دون ذلك قطعًا للأدلة من الكتاب والسنة

أن الموحدين لا يخلدون في النار، ولكنه تعبير عن شدة وطول عذابهم في جهنم والعياذ بالله، وفي هذا كفاية للمتّعظين، ومزدَجَرٌ للمتهورين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي السنة المطهرة في ذلك شيء يصعب حصره؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**اجتنبوا السبع الموبقات**)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**)[١]، وفيهما من حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: (**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**)[٢] وذلك تعبيرٌ عن عِظم شأنها عند الله، وفي البخاري من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما**)[٣]، وقال عبد الله بن عمر ﷺ: «إن من ورطات الأمور، التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله»[٤]؛ فاللهم إنا نسألك العافية والمعافاة الدائمة يا رب العالمين، وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: (**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**)[٥]، وفيها كذلك: (**كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمدا، أو الرجل يموت كافرا**)[٦]، ويكفي المسلم أن يراجع كتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري في بابِ: «الترهيب من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق»[٧] ليطلع على ما تُرعَبُ منه القلوب وتقشعر منه الجلود في ذلك.

وللمجاهدين خصوصًا في قصتي أسامةَ بن زيد والمقداد بن عمرو ﷺ عبرَةٌ ودروسٌ لمن أراد الله واليوم الآخر وكان مجاهدا حقا في سبيل الله، من الذين قال الله فيهم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٦٦، ٦٨٥٧)، صحيح مسلم (٨٩).

(٢) صحيح البخاري (٦٨٦٤)، صحيح مسلم (١٦٧٨).

(٣) صحيح البخاري (٦٨٦٢).

(٤) صحيح البخاري (٦٨٦٣).

(٥) سنن الترمذي (١٣٩٥)، سنن النسائي (٣٩٨٧) لكن زاد: (بغير حق) وهي زيادة مهمة، سنن ابن ماجه (٢٦١٩) وصححه الألباني.

(٦) سنن أبي داود (٤٢٧٠)، سنن النسائي (٣٩٨٤) وصححه الألباني.

(٧) الترغيب والترهيب (٣ / ٢٠٠).

ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[المائدة].

وأنا أذكرُ القصتين هنا للتذكير، وليُراجِعْهُما القارئُ في كتب الشروح ليعرِفَ ما فيهما من الفقه وما استنبط العلماءُ منها من العلم..

◄ قصة أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال: فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا، قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: فما زال يكررها علي؛ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[1].

◄ قصة المقداد بن عمرو رضي الله عنه:

روى البخاري ومسلم عن المقداد بن عمرو الكندي، وكان شهد بدرًا مع النبي ﷺ أنه قال: «يا رسول الله؛ أرأيت إن لقيت كافرًا فاقتتلنا، فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذَ مني بشجرةٍ، وقال: أسلمت لله، آقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتله**» قال: يا رسول الله، فإنه طرح إحدى يديَّ، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، آقتله؟ قال: «**لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**»[2] انتهى الحديث.

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[النساء] وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ قال ابن عباس: «كان رجلٌ في غُنَيْمَةٍ له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمَتَه؛ فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾: تلك الغنيمة»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٧٢)، صحيح مسلم (٩٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٠١٩، ٦٨٥٦)، صحيح مسلم (٩٥).

(٣) صحيح البخاري (٤٥٩١)، صحيح مسلم (٣٠٢٥).

وكذلك تحريم أموال المسلمين وأملاكهم وعصمتُها، وهو شيءٌ معلومٌ عند المسلمين كافة، وقد جمع ذلك كله قولُ النبي ﷺ: **(كل المسلم على المسلم حرام: دمه ومالُه وعرضُه)** رواه مسلم وغيره(١).

وتحريم أذيتهم والإضرار بهم كذلك، بل وتحريم ترويعِهم وهو تخويفُهم وإدخالُ الرَّوْعِ عليهم وهو الفَزَعُ بغير حق؛ أي بغير إذنٍ من الشريعة المطهرة.

كل ذلك معروفٌ مشهورٌ تحريمه، وما ورد في منعه والنهي عنه من التحذير والترهيب منه في الشريعة، ولا نطيل بذكر الأدلة التفصيلية على ذلك لشهرتها وظهورها، والحمد لله.

❑❑❑

فصلٌ؛ ولْيُعلَم أن الناس في هذه المسائل -كما هو الشأن في سائر المسائل غالبا- طرفان ووسط:

فطرفٌ استخف بهذه الحرمة الكبيرة وبهذه النصوص المتضمنة لأعظم الوعيد والتهديد؛ فأراقوا دماء المسلمين واستهانوا بها، ولم يعرفوا لها حرمةً ولا خافوا الله فيها ولم يرجوا لله وقارًا، وهؤلاء منهم الطواغيت أئمة الكفر الفراعنة لعنهم الله، ومنهم الزنادقة، ومنهم الفُجّار الجبابرة، ومنهم الفسقة المنحلون من أهل الدنيا وأهل اللصوصية وقطاع الطرق وأهل جاهلية العشائر والقبائل في بعض البلاد ونحوهم، ويلحَق بهم مارقو الخوارج كما حدث في بعض البلاد.

وهؤلاء هالكون والعياذ بالله، إلا من تداركه الله برحمته.

وطرفٌ آخرُ صدّتْهُ هذه النصوص وحملَهُ تعظيم هذا الوعيد على تركِ القتال والقتل حيث أذن اللهُ فيه بل وأوجبه؛ فصدّته عن الجهادِ الواجب؛ جهاد المرتدين وجيوشهم والطوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام الظاهرة، بحجة الخوف من إراقة الدماء واحترام أملاك وأموال المسلمين وتحريم إذايتهم وترويعهم.

وهؤلاء منهم قومٌ من مخنثي العزائم؛ ممن يرون القتلَ والموتَ في الحروب سُبَّةً، لم يعرفوا النزال ولا الطعان، ولا مصاولة الفرسان، رقَّت أجسادُهم ونعُمت جلودهم من رغد العيش وترفِ المقام ولذيذ الراحة والهناءة في أوطانهم ومشاريعهم الرخوة المبنية على ثقافة معايشة الكفار و«الولاء الطبيعي» -زعموا- وتعظيم حب الأوطان واختيار الحياة الدنيا وحبِّ السلامةِ والسلام والأمن

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

والأمان والاستقرار ولو على حساب ذهابِ الدين وانتقاضِ عُراه؛ فما أشبههم بمن قال الله فيهم: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾[الزخرف]، وهؤلاء الذين كتب بعضُ غلاة الزائغين منهم في أحد أشهر مواقعهم على شبكة المعلومات أن الأمن مقدَّمٌ على التوحيد وأهم منه؛ مستدلا -قاتله الله- بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم]فزعم الكاذِبُ على الله أن تقديم إبراهيم سُؤالَ الله ﷻ أن يجعل هذا البلد آمنًا على سؤاله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام دالٌّ على ذلك.!

فهؤلاء وأمثالهم منَ الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (**فَإِذَا رأيتُم الذين يَتَّبِعُونَ ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فَاحْذَرُوهُمْ**) رواه البخاري ومسلم عن عائشة ﵂ في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴿٧﴾﴾[آل عمران][(١)].

ومنهم أقوامٌ أهل أهواء مختلفة غير ذلك.. فنعوذ بالله من سوء حالهم جميعا.

وهدى الله أهل الجهاد في سبيل الله على علمٍ وبصيرةٍ وفقهٍ لِما اختلف الناسُ فيه من الحق بإذنه ﷻ؛ فحققوا الحق وأعطوا كل مقامٍ حقه، فحققوا الولاء والبراء وأقاموا الدين كله وأحاطوا به من كل جوانبه حسبَ استطاعتهم باذلين وسعهم مستعينين بمولاهم، وقاموا بواجبِ الوقت وهو التصدِّي لفتنة الردة الكبرى الطاغية المعاصرة؛ كما جاهدوا أعداء الله الكفار الأصليين الغزاة من الصليبيين واليهود والهندوس وغيرهم، واجتهدوا في حفظ دماء وأموال المسلمين وتعظيمها واحترامها والتحرز من إصابتها جُهْدَهُم، مع الاستمرار في الجهاد الواجب؛ فالله مولاهم، وعليه ﷻ أجرهم ونصرُهُم.

❑❑❑

فصلٌ؛ فبهذا يُعْلَمُ أن مثل هذه التفجيرات ليستْ من عمل المجاهدين

وأنه لا يفعلها إلا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يفعلها بالأصالة إلا المجرمون أعداءُ الله تعالى، وهذا الذي نعتقده؛ أنها من فعلِ الأعداء الكفارِ مباشرةً؛ إما بواسطة مؤسساتهم الأمنية الإجرامية مثل «بلاك ووتر» وما شابهها، وقد كثرت في باكستان في هذه المدة، وعَرَف الناس أخبارها وتناقلوها، وانتشرت قصصها.. نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم، أو عبرَ عملائهم الاستخباريين

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٤٧)، صحيح مسلم (٢٦٦٥).



الآخرين، أو بواسطة مجموعات قذرةٍ تابعة للاستخبارات الباكستانية «الآي إس آي»، أو تابعة لبعض جنرالات الجيش الخبثاء المجرمين.

وهذا شيءٌ غيرُ مستَغربٍ في الحروب؛ ومتوقَّعٌ، وقد فعله الأعداءُ كثيرًا في أفغانستان والعراق والجزائر وغيرها، ومَن يطلبُ عليه دليلًا يقينًا فيوشك ألا يجده؛ لأن الأعداء يتقنون فن إخفاء الأثر، وهي عمليات استخباراتية متخصصة، لكن علاماتُهُ وأماراتُهُ واضحةٌ للعارفين بشؤون الحرب ومَن يعيشونها.

ولذلك.. فإن على المسلمين أن يتنبَّهوا لهذا، وعلى المجاهدين أن يوضحوا هذا الأمر، ويحذروا الناس ويُوعّوهم، وعلينا أن نعرف أن هذا من الفتنة التي يبتلي الله ﷻ بها عبادَه ويمتحنهم ويختبرهم، ليعلم اللهُ من ينصرُه ورسله بالغيب، ومن الذي ينصر دينه، ويقف مع الحق وأهله، ولا ينصدُّ بسبب مثل هذه الفتن عن الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته وتحكيم شريعته، ولا عن الكون مع المجاهدين ونصرتهم بما يستطيعُ، ولا يكون في صف أعداء الله، والعياذُ بالله، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾[الأعراف]؛ فالمؤمن القويُّ الواعي الفاهم لدينه المجاهدُ بحسب وسعه؛ يحقق الحق، ويعطي كل شيء حقه، يعرف المعروف ويحبه وينصره، ويبغض المنكر وينكره بحسب قدرته.

فهذا الواضح عندنا جدًّا أن هذه التفجيرات من تدبير وفعل أعداء الله الكفرة؛ يريدون بذلك نسبتها إلى المجاهدين لتنفير المسلمين منهم، والتفريق بين المجاهدين والشعب المسلم الذي يناصرهم ويحتضنهم، وتشويه صورة المجاهدين في باكستان والعالم، وتخويف أمة الإسلام من الجهاد، وإنهاك عزائمهم بالمآسي وتيئيسهم من نتيجة هذا الجهاد..!

هذه مقاصدهم ولا تخفى على عاقل؛ وكما قال الشيخ «مصطفى أبو اليزيد» حَفِظَهُ اللهُ ووفقه:

«فليعلم جميعُ المسلمين أنه من المستحيل أن يقوم المجاهدون بمثل هذا العمل الدنيء، وهم الذين خرجوا للجهاد في سبيل الله للدفاع عن دين وأرض وعرض ودماء المسلمين التي يسفكها الصليبيون والمرتدون ويستبيحونها.. إننا نعتقد أن مثل هذه التفجيرات هي من فعل أعداء الله الصليبيين وأوليائهم في الحكومة والاستخبارات، وهي جزءٌ من الحرب القذرة التي يمارسونها، كيف لا وهم الذين لا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمة، ولا يراعون حُرْمةً، ولا تساوي دماءُ المسلمين عندهم شيئًا.

والجميع يعرف اليوم ماذا تفعل بلاك ووتر والمجموعات الإجرامية التي استباحت باكستان بتأييد من هذه الحكومة الفاسدة المجرمة وأجهزتها الأمنية، فهم يرتكبون هذه الأفعال البشعة ثم يتهمون بها

المجاهدين عبر أبواقهم الإعلامية لتشويه صورة المسلمين.

وإن مما يبين لكم أن هذه التفجيرات هي من فعلهم، هذه المؤشرات الواضحة:

أ) أن هذه السياسة تكررت في العراق وأفغانستان وهاهم الأمريكان الأنذال ينقلونها إلى باكستان، وقد صرّحوا مرارًا أنهم ينقلون تجاربهم كما رأيتم.

ب) أن هذه التفجيرات الإجرامية تتزامن مع زيارات لمسئولين أمريكان لباكستان، وذلك حتى يصرحوا في مؤتمراتهم الصحفية أن المسئول عن هذه الأعمال هم الإرهابيون الذين نقوم بقصف مخابئهم في منطقة القبائل كما يقولون، ويدّعوا أن هدف أمريكا هو مساعدة الحكومة والشعب الباكستاني للقضاء عليهم.

ج) أنه قد تمّ بالفعل -وقد نقلت الصحافة ذلك- ضبطُ أسلحةٍ ومتفجرات مع عناصر بلاك ووتر ومع دبلوماسيين غربيين في باكستان، وأن هذا الأمر تم بالمصادفة، وأقفل هذا الملف بسرعة، والحقيقة أن ما خفي كان أعظم، وأن لديهم -أخزاهم الله- خططًا لاغتيال وقتل المناصرين والمتعاطفين مع المجاهدين من العلماء والدعاة وشرفاء أهل العلم والرأي والكُتّاب والصحفيين وغيرهم.

د) أن هذه التفجيرات تتم بسيارات مفخخة يتم ركنها في الأسواق، وهذه طرق اشتهرت بها المخابرات في العالم أجمع، وكم قد فعلوها في العراق وغيرها.

إخواني المسلمين، إن الذي يقف وراء مثل هذه الجرائم هو نفسه الذي يقصف قرى ومساكن ومساجد المسلمين في مناطق القبائل وفي أفغانستان بالقنابل التي تزن الأطنان»[1] اهـ.

وأزيدُ: أن الذي يقف وراءَ مثل هذه الجرائم هو وأولياؤه الذين هدموا المسجد الأحمر على الطلبة والطالبات الأطهار المصلين التالين لكتاب الله، وهو الذي قصف المدنيين القرويين الضعفاء وأباد قراهم في سوات وفي وزيرستان، وهو الذي قتل حوالي مائتين من الفقراء الأبرياء تجمعوا حول صهريج وقودٍ في قندوز، وقتل المئات في هيرات وغزني وغيرها..

والحاصلُ أن المجاهدين في الجماعات الجهادية المعروفة الموثوقة لا يفعلون مثل ذلك وحاشاهم، ونسأل الله أن يعصمهم ويحفظهم ويسددهم، وأن يعيذنا وإياهم من مضلات الفتن.. وإننا والمجاهدين جميعًا نعتقد أنه -لا قدر الله- لو قامت جماعةٌ بمثل هذه الأعمال الإجرامية؛ تعَمُّدًا

---

(١) من كلمةٍ للشيخ «مصطفى» نشرتها «مؤسسة السحاب الإعلامية». [المؤلف، وهذه الكلمة بعنوان «بلاك وتر وتفجيرات بيشاور»].



وقصدًا، فإنها لا تسمى جماعة مجاهدة، بل ستكون جماعة منحرفة ضالّة زائغة، نسأل الله العفو والعافية والسلامة، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وسخطه.

ولهذ فإنه كان ثمتَ احتمالٌ أن يكون مَن قَام بهذه التفجيرات قومٌ ممن ينتسبون للإسلام وإلى الشريعة وإلى الجهاد؛ فإننا نَشهَدُ أنه إن فعلَ ذلك فاعلٌ متعمّدًا قاصدًا فهو منحرفٌ ضالٌّ زائغ مارقٌ، وأنه ليس مجاهدًا بل هو مفسدٌ مجرمٌ، يجب الأخذ على يديه ومعاقبته بالعقوبة الشرعية، وإلا عم الجميعَ غضبُ الله ونقمتُه وعقابُه.. وهذا احتمال ضعيفٌ في الواقع، والحمد لله، وحاشى المجاهدين من ذلك، وإنما أشرت إليه لتقرير الحكم والموقف الشرعيّ، ونسألُ الله أن يعصمنا وجميع المجاهدين من مضلات الفتن، وأن يقي ساحات الجهاد جميعَ تلك الضلالات.. آمين.

❑❑❑

تنبيهٌ؛ فإن قيل: هل يُحتَمَلُ أن يكون التفجير حصل بفعل بعض المجاهدين على وجه الخطأ؟

فأقول: احتمال وقوع مثل هذه الحوادث بفعل المجاهدين من أهل الاستقامة والجهاد الحق والالتزام بالشريعة؛ لكن على وجه الخطأ المحض، هو احتمالٌ نادرٌ جدًا مُستبْعَدٌ، وقد يحدث شيء من هذا في الحروب وفي كل عملٍ بشري، لكنه قليل الوقوع جدًا، كأن تكون السيارة المفخخة المحملة بالمتفجرات كانت منطلقةً إلى الهدف فحصل أن انفجرت في خطإٍ بشري عارضٍ وأمرٍ غير مقصود، فهذا قد يقع مثلُهُ في الحروبِ، وهو من المصائب والابتلاءات كسائر المحن والكوارث والجوائح التي تصيب الناس، وإما بأن تجري على أيدي البشر وبمباشرتهم، أو بدون ذلك بل بمحض القدر (الجوائح السماوية)، وكلها بتقدير الله ﷻ، وله سبحانه في كل قضائه الحكمة التامة والحجة البالغة.

ونحن بمعرفتنا بالمجاهدين ننفي هذا عنهم لمعرفتنا بديانتهم واحتياطهم والحمد لله، وأما البعيدُ الذي لم يعرفِ المجاهدين؛ فعليه بالإنصافِ وحُسْن الظن بالمجاهدين في سبيل الله وأهلِ الشريعةِ والدعاةِ إلى الله، وعليه أن يعرف أنهم مرمى سهامِ العدو الكافر الظالم الكاذبِ المفتري ووسائل إعلامه المجرمة، وعليه أن يتأمل الأوجه المتقدمة وغيرها، ويتدبر في الربط بين هذه الحوادثِ وتكررها وبين ما هو معروفٌ مسطورٌ من سياساتِ العدوّ واستراتيجياته الهادفة إلى فصل المجاهدين عن قاعدتهم الشعبية الحاضنة؛ كما يصرّحون به باستمرار، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فكيف يُعْقَلُ أن يقوم

المجاهدون بمثل هذه الأعمال التي تنفّر الناسَ وتصدهم عن دعوة الإسلام وعن الجهاد وتبغّضُهم في أهله، ومعَ من؟! مع شعبهم وقبائلهم وأهلهم الذين هم محضَنُهم وبيئتُهم، فهل يصدُرُ هذا من عاقلٍ أصلا؟! نعوذ بالله من الخذلان، والله الموفق للصواب، ومن يستَعن بالله يُعِنْهُ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران].

❑❑❑

فصلٌ، وقد تبرأ المجاهدون من هذا التفجير ومن أمثاله مرارًا وتكرارًا

وأصدروا البيانات في النهي عما هو أقل من ذلك، مما يُحتَملُ أن له وجهًا أحيانًا، وهو النهي عن رمي الكفار والمرتدين وقيادات جيشهم وأمنهم في الأماكن العامة؛ كالأسواق والشوارع العامة، وفي المساجد ونحوها؛ لأن ذلك يؤدي إلى قتل بعض المسلمين، ونحن إن أخذنا بتجويز مسألة «التترس» في بعض صورها تبعًا لعلمائنا، والمسألة مقررة بأدلتها في مواطنها؛ فإن ذلك له ضوابطه وشرائطه البيّنة، والحمد لله رب العالمين.

والمجاهدون بحمد الله منضبطون بالشرع، لا يقاتلون ولا يقتلون إلا من جوّز الشرع قتاله وقتله، ويسيرون على وَفق الفقه والأدلة الشرعية، ويفرقون بين الدم المباح والدم الحرام، بحزمٍ وعلى بصيرة، ويستعملون الورع والاحتياط، وقد بين المجاهدون من «طالبان باكستان» و«اتحاد شورى المجاهدين» و«القاعدة» وغيرهم في مرات عديدة أنهم إنما يستهدفون في باكستان قوات الأمن وجيوش الدولة المرتدة واستخباراتها وشرطتها وكل قواتها العسكرية وشبهها القائمة على حمايتها وحراستها والتي بها -بشكل مباشر- تقومُ الدولةُ، كما يستهدفون من رجالِ الدولة السياسيين الكفرة المحاربين لله ودينه وشريعته، ويتثبتون في كل ذلك ويحتاطون، ويتركونَ ما اشتبه أمرُهُ.

فإن المجاهدين يدركون ما ابتُليت به أمة الإسلام من اختلاط الحابل بالنابل واختلاط مجتمعاتها صالحهم بطالحهم، وما في الناس من الشبهات والترددات، وما يستدعيه ذلك من شديد الاحتياط والتحرز، واستعمال العذر والرأفة والتسمُّحِ، والشفقة على الناس ورحمتهم، ويفهمون أن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، فضلًا عن إدراكهم أن هؤلاء الناس هم قومهُم وأهاليهم وحاضنوهم؛ فسبحان الله.! فنسأل الله أن يوفقهم ويسدد خطاهم، وأن يمدهم بمددٍ من عنده، وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور].

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمدٍ وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان

كتبه: **عطية الله**

ذو القعدة ١٤٣٠هـ / نوفمبر ٢٠٠٩ م

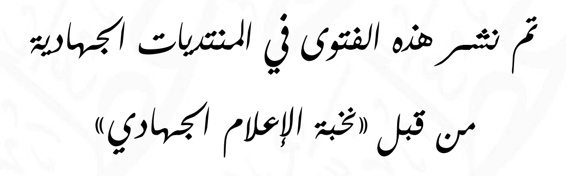
✵ ✵ ✵

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد





أجوبةٌ في حكم النفير وشرطُ المُتصدِي للتكفير



جمادى الأولى

١٤٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

〚الكلام عن فرض الجهاد كفايةً وتعينًا، وضابط ذلك، وحاجة المجاهدين إلى الكوادر〛

۞ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ شيخنا الكريم، والله إني لأحبك في الله..

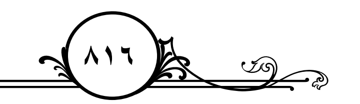
شيخنا الفاضل؛ هناك عندي بعض الإشكاليات: كنت أناقش أحد الإخوة عن الذهاب للجهاد -وهو ممن جاهد في الأفغان بعد سبتمبر- وحكمه؛ فذكرت له أنه فرض عين، قال: هل المجاهدون محتاجون لك كشخص؟ الذي أعلمه أنهم محتاجون للمال أكثر من الأشخاص!.. بل بالعكس قبل أسبوع كنت على اتصال مع أحد الإخوة، فذكر أنه بعد الانتهاء من التدريب بقي قرابة ٦ أشهر بدون النزول للمعارك خُير بين عملية استشهادية فلم يرغب، ولم ينزل للساحة. انتهى نقله.

هل كلامه صحيح؟ إن كان كذلك فهل يتعين أو يكون كفائيا؟ إذا كان كلامه غير صحيح فهل الحكم فرض عين؟ وهل أستأذن والديّ أم لا أستأذنهم؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه..

وبعد: نعم المجاهدون بالنسبة لساحة أفغانستان وباكستان لا يحتاجون في هذه المرحلة (وأؤكد على كلمة «في هذه المرحلة» لأن هذا التقرير قد يتغير من حين إلى آخر) إلى أعداد كثيرة من المجاهدين المقاتلين، فالحمد لله الأعداد المتاحة الموجودة من مهاجرين وأنصار (أهل البلد) كثيرة جدًا، لكن هذا إنما هو بسبب قدرة الساحة ونظامها الجهادي (الجماعة أو الجماعات الجهادية الموجودة هناك) على استيعاب الناس من جهة تسليحهم وتدريبهم وتعليمهم وتفقيههم وترقيتهم نفسيا ووعيًا... إلخ بل حتى استيعابهم من جهة المعيشة: تسكينهم (يعني الإقامة) وإعاشتهم بمعنى مصاريف أكلهم وشربهم.. إلخ، فالمجاهدون سواء إمارة أفغانستان الإسلامية (الطالبان) أو القاعدة أو غيرها ليس عندهم القدرة على استيعاب أعداد كبيرة جدًا لهذا السبب أي بسبب عدم القدرة المالية وما شابهها، وحتى القدرة المتعلقة بالوضع الجيوغرافي، ولذلك فنرى أننا في مرحلة انتقاء واختيار؛ فندعو الكوادر المتخصصة التي يحتاجها الجهاد بالدرجة الأولى، ثم المقاتلون العاديون بحسب الحاجة بحسب ما يقرر قيادات الجهاد وأولو أمره، فنقبل الأعداد شيئًا فشيئًا وبالاختيار والتزكية، وبالله التوفيق..

هذا بالنسبة لساحتنا هنا، والساحات الأخرى كلٌ بحسبه، وقد تكون ساحةٌ من الساحات محتاجةً إلى أعداد في وقتٍ تكون فيه ساحةٌ أخرى غيرَ محتاجة، وهكذا، لكن: هل هذا يجعلنا نقول إن الجهاد



اليوم فرضُ كفاية؟ في رأيي أن هذا غيرُ دقيقٍ، وأنا لا أستطيع إطلاق القول بأن الجهاد الآن فرض كفاية، لأن الكفاية غير حاصلة في الواقع، لأن معنى الكفاية كما وضّحه العلماء هو حصولُ دفعِ العدوّ، أو حصولُ العدد الذي يندفع بهم العدوّ بحيث يكون بصدد أن يندفع فلا يُحتاجُ إلى أكثر منهم، وهذا في الحقيقة غير حاصلٍ، وإنما كفايتنا هذه التي تحدثتُ عنها راجعة إلى عدم قدرتنا على استيعاب أعداد كبيرة، وهو راجع في جزء كبير منه إلى تقصير أهل المال في الأمة، وتقصير الكفاءات العلمية والقيادية والكوادر المتخصصة الراقية التي أنعم الله عليها بنعمة التميّز في المهارات، وإلا فهاتِ لي الأموال وهات الكوادر وترى ماذا نفتح لك من جبهات ومعسكرات، وما نصنع في أعداء الله بعون الله، والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل، ثم لأن هذه الكفاية مؤقتة فأنا قد أقول لك: لا نحتاج اليوم إلى أعداد، لكن بعد أيام ربما أنادي وأقول: هلمّوا يا شباب الإسلام، نحن محتاجون إلى أعداد أكثر من المقاتلين، لأن هذه حربٌ، والحرب تأكل الرجال، والله المولى، وكذلك الجبهات تُفتَحُ بحسب القدرة وبحسب الحكمة والمصلحة، فهذا لا بد من الانتباه له.

ثم شيءٌ آخر نبهتُ إليه بتقييدي الكلام بساحتنا وما شابهها من الساحات، لكن ما الأمرُ فيما وراء ذلك من أرض الإسلام بل ومن الدنيا كلها، أما الأولى (أرض الإسلام) فلا شك أن كثيرًا من أراضي المسلمين محتلّة مستولىً عليها من قبل الكفار وبعضها من قرون، والله المستعان، من الأندلس غربًا وأطراف أوروبا الجنوبية ووسط أسيا والبلقان والقوقاز وما قاربها، إلى تركستان الشرقية في الصين إلى الكثير من بلدان جنوب شرقي آسيا، سنغافورة والفلبين والتايلاند وغيرها بل والهند أو أجزاء كبيرة منها وغيرها، كلها كانت في وقت من الأوقات بلاد إسلام ودار إسلام ثم أخذها العدو الكافر؛ فيجب على المسلمين استعادتها وتخليصها من يد الكفار، ثم سائر بلاد الإسلام من بلاد العرب والعجم تحت سلطة حكومات كافرة مرتدة من بني جلدتنا، وهؤلاء يجب قتالهم وجهادهم، يجب على كل قادر القيام في ذلك، وقتالهم شرعًا مقدّمٌ على طلب الكفار الأصليين في بلادهم، في الأصل، إنما حصل التقدّم للكفار الأصليين الآن (أمريكا وأحلافها) لعارضٍ رجّح تقديمهم، فمن يقوم بجهاد هؤلاءِ؟ وكيف نقول إن الجهاد فرضُ كفاية؟! إنا إذًا لجُرآءُ!

وأما الثاني (وهو قولي ومن الدنيا كلها) فلأن سائر الدنيا تنتظر منا أن نفتحها بالإسلام بأن نغزو بلاد الكفار ونفتحها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ولا تكون للكفر سلطة غالبة قاهرة تمنع الناس من الإسلام، هذا واجبٌ كفائي في الأصل على أمة الإسلام، وأنت ترى أنه مهدَرٌ غير مَقومٍ به،

فقد تعرّض الجميعُ للمؤاخذة إذًا إلا من أعذر إلى الله بأن عمل المقدور عليه بالنسبة له، ويمكن أن نضيف أوجهًا أخرى كتخليص الأسرى فإنه واجبٌ كفائيّ على الأمة بكل طريق مشروعٍ من مفاداة بمالٍ أو بالقوة والحرب والسلاح، أوبالتلصص والحيلة، ووجوب السعي لإقامة خليفة للمسلمين ودولةٍ للإسلام جامعة ما أمكن، وغير ذلك..

ولذلك نقول في تحرير معنى كون الجهاد فرضَ عين علينا الآن إنه يجب على كل مسلم القيام فيه بما يستطيع وبما يناسبه وبما يكون مطلوبًا منه، وخلاصتُهُ كما قلتُهُ مرارًا هي كلمة الشيخ عبد الله عزام ﷺ: «الْحَقْ بالقافلة» فمن لحق بقافلة الجهاد والمجاهدين بأن بذل نفسه واستعدّ وقال بلسان حاله قبل مقاله: ها أنا ذا سهمٌ من سهامِ المسلمين فلترمِ بي قيادة المسلمين حيث شاءت؛ فيقال: أنت يا فلان اذهب إلى الشيشان فهم محتاجون لمثلك ولأن الذهاب إليها متيسر لك مثلا، وأنت يا فلان اذهب إلى المكان الفلاني، وأنت يا فلان ابقَ في مكانك واعمل بكذا وكذا من اقتصادٍ ومالٍ وتجارةٍ أو كتابةٍ وكلمة ودعوة وإعلامٍ أو طلب علمٍ، وأنت يا فلان كذا وكذا.. فمن أمكنه أن يتواصل مع قيادات الجهاد فيعرف ما هو المناسب في حقه والمطلوب منه، بتجرّد وصدق وإخلاص، فهذا واضحٌ، ومَن لم يستطع، وهم أكثر الناس، فهذا يسير مع الخطط العامة المعروفة، ويبذل جهده ما استطاع، ويتقي الله، ويتشاور مع الأقرب فالأقرب دينا وعلمًا من أهل العلم والجهاد الصالحين الأمناء، والله يوفقه ويسدده، وهو بذلك قد أدّى الذي عليه وبرِأت ذمته إن شاء الله، والله يتقبل من المتقين، ولذلك فالحق أنه لا يلزم استئذان الوالدين في الجهاد في أيامنا، والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما أن الأخ المشار إليه بقي ينتظر ستة أشهر أو أكثر أو أقل قبل أن تتاح له فرصة عمل عسكري (المشاركة في العمليات) فهذا عاديٌّ شائعُ الحدوث، بحسب الموسم الذي صادفه، أو بحسب عوامل متعددة، وليس العيش في أفغانستان والقبائل كله عمليات وكله قتلٌ ونحرٌ لأعداء الله، بل هو حياةٌ كاملة، فيها التدريب، وفيها القتال بحسب وقته ومناسباته ولياقة الشخص له والحاجة إليه فيه، وهكذا، وفيها الأعمال الأخرى المكملة للجهاد والتي لا بد منها كالأعمال اللوجستية والإدارية وباقي التخصصات المتنوعة الكثيرة، لكن في الغالب أن كل أحدٍ تتاح له فرصة المشاركة في القتال (العمليات القتالية الحربية) مقلٌّ ومستكثر، بل لا بد أن يعطى الفرصة، إنما «يبغالها شوية صبر» أحيانًا، والتوفيق بيد الله ﷻ وحده، فعلى الأخ إذا جاء إلى ساحات الجهاد أن يضع هذا نصب عينيه ويجهّز نفسه ويوطّنها على الصبر والانتظار والكون حيث يؤمَر أن يكون ولا يستعجل في شيء، وحياة الجهاد كلها خيرٌ وبركةٌ وأجرٌ ومليئة بالأعمال الصالحة، والإخوة في «تنظيم قاعدة الجهاد» عندهم ورقة يعطونها

للأخ الذي ينفر إلى الجهاد يقرأها قبل نفيره؛ فيها تذكير بأشياء وتوضيح لأشياء مهمة، نرى أن هذه مهمٌّ جدًا الاطلاع عليها قبل النفير والبحث عنها، ويمكن أن تطلب من الإخوة في «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية»، وأسأل الله لي ولك ولكل أحبابنا الهدى والسداد والإعانة.

〚هل الأفضل لطالب العلم أن ينفر للجهاد مباشرة؟ أم ينتظر حتى يتم قدرا كافيا منه ثم ينفر؟ وما النية في الطلب؟ وما الكتب المنصوح به كزاد إيماني للمجاهد〛

❁ وما الأفضل لشخص يطلب العلم وهو في بداية طريق الطلب ووجد الطريق للجهاد أينفر أم يكمل طلب العلم ويتمكن منه ثم ينفر؟؟ أيضا بم تنصحون من كتب للزاد الإيماني للمجاهد..

الجواب: هذا يختلف من شخص إلى شخص وحالٍ إلى حالٍ، ولا يقالُ فيه شيءٌ واحدٌ للجميع وفي جميع الأحوال؛ فيستشير من يثق فيه ممن يمكنه من أهل العلم والرأي والنصح الموثوقين الأمناء، ويتوكل على الله، لكن على الجملة من باب الإعانة لك في تقدير الموقف: فإن كان هذا الطالب ممن فتح عليه في العلم ويرجَى أن يكون من أهله ويترقّى فيه ويحصّل، ولا يخشى على نفسه فتنةً وتغيّرًا إلى سوءٍ والعياذ بالله، فالأحسن أن يتمّ دراسته وطلبه وهو على نيّة الجهادِ والنفير متى ما كان النفيرُ هو المطلوبُ منه حقًا، هذه النيّة شرطٌ، وبدونها لا تبرأ ذمته، وضابطها أن يكون بحيث لو تبيّن أن النفير هو المطلوب منه شرعًا الآن في اللحظة لنفر وترك الدراسة وترك كل شيء.

وأما الكتب التي أنصح بها فمنها: «مشارع الأشواق» لابن النحاس، ومنها رسالة بعنوان: «كشف شبهات المخذلين عن الجهاد» جمع حارث المصري[1]، تجدها على النت وفي المكتبة الشاملة الالكترونية، ومنها كتاب: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» و«الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، كلاهما لابن القيم، وكتاب «حصوننا مهددة من داخلها» لمحمد محمد حسين، والكتب الطيبة كثيرة جدًا، والحمد لله، والله الموفق.

(١) صدرت طبعته الثانية باسم: «قالوا فقل.. كشف شبهات المخذلين والمرجفين عن الجهاد»، لمؤلفه الشيخ: محمد وائل حلواني، المعروف بـ: «ميسرة الغريب» ﷺ، وفيه تنقيحات وزيادات.

〚شرط المتصدي للتكفير، وكيفية التحقق من شروط التكفير وموانعه في فاعل الكفر〛

❁ هناك شروط وموانع وضعها العلماء لتكفير المعين؛ فهل هذه الشروط لا بد من توفرها وانتفاء الموانع في الشخص بالاستفسار منه مباشرة أم يكفي حاله العام، مثلا في بلاد الحرمين الذين يستهزؤون بالدين في المسلسلات هم درسوا التوحيد وعلموا أن الاستهزاء بالدين كفر فلا أظن أنهم لا يعلمون الحكم وغيره فهل يحكم عليهم بالحالة العامة أم لا بد من معرفتها بالتثبت؟.

الجـــواب: المعيَّن لا يُحكَم عليه بالكفر إلا إذا علمنا وجود شروط انطباق الحكم عليه وانتفاء موانعه، وهذا يعرفه العلماء، وأما العامَّة ومَن لا مدخل لهم في العلم؛ فيُنهَوْن عن الخوض في تكفير أحدٍ ممن تكفيرُهم اجتهاديّ استدلاليّ؛ بل هو عملُ أهل العلم، والعاميّ غير المتخصص في العلم يقول: لا أعلم اسألوا العلماء، هذا واجبه، مع إيمانه الإجمالي بالله ﷻ ودينه ورسله.. إلخ، وكفره الإجماليّ بالطاغوت، إنما هنالك من كفر الكافرين ما يستوي في علمه العاميّ مع العالِم، مثل كفر الكفار الأصليين وهم غير المنتسبين إلى الإسلام أصلا، ومثل: المرتد الصريح الذي أعلن بالخروج من ملة الإسلام والانتقال عنها والعياذ بالله، ونحو ذلك.

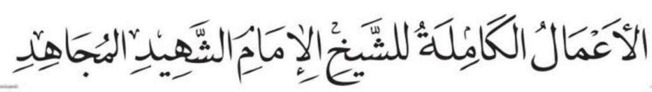
ومنه: سابُّ الله ﷻ ورسوله ودينه والمستهزئ بالله ﷻ وبدينه وآياته وبرسوله، لكن بشرط أن يكون السبّ أو الاستهزاء صريحًا لا يُختَلفُ فيه، أما ما كان محتملًا، بحيثُ يقال: هل هذا من السبّ والاستهزاء أو لا؟ فهذا يُترَك للعلماء، وبالجملة فالاحتياط في هذا الباب متأكد جدًا بل واجبٌ، وإلا هلك الإنسان، نسأل الله السلامة والعافية؛ فهذا بابُ خطرٍ لا زال علماء الملة يهابونه ويحذِّرون من الخوض فيه بغير حق وبغير قوة داعٍ.. وعليه فالمسؤول عنهم ممن قلتَ إنهم في بلاد الحرمين يستهزؤون في المسلسلات بالدين، فيُرجَع في تحقيق ذلك إلى مَن اطلع على حالهم ويعرف أمرَهم من أهل العلم هناك، وبالله التوفيق.. وجزاك الله خيرًا ووفقك الله لكل خيرٍ، وللجهاد في سبيله على هدىً وتقوى من الله، وثبّتني الله وإياك على صراطه المستقيم، ورزقني وإياك الشهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين موقنين صادقين حنفاء، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله صحبه أجمعين..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك: **عطية الله أبو عبد الرحمن**

منتصف شهر جمادى الأولى من سنة ١٤٣١هـ









لكنهم يجاهدون

تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»

ذو الحجة

١٤٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أهلِ العزائم الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

إلى إخواني الكرام أمراء المجاهدين حفظهم الله وسددهم..

إلى الأخ المكرم: [...............................].

من أخيكم/ «**عطية الله**» عفا الله عنه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللهُ تعالى المرجوّ أن تكونوا بخيرِ حالٍ، وفي ازديادٍ من التوفيق للبرّ والتزوّد من التقوى.. وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ (١) إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ (٣)﴾ [العصر]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٢)﴾ [المائدة]، وقال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

أذكر نفسي وأخي بما مَنَّ الله به علينا أن استعملنا ﷻ في طاعته، وجعلنا وإياكم من المجاهدين في سبيله، القائمين بنصر دينه وإعلاء كلمته؛ في هذا الوقت الذي غلبتْ فيه الدنيا وفتنتُها على أكثر الخلق، وغلبتْ الأهواءُ وعبادة الطواغيت الحيّة والميّتة؛ فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة، ونسأله تعالى أن يوزعنا شكرها ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

ثم أذكرُ بما ابتلانا الله وإياكم به من هذا التكليف، وأنها أمانة كما أخبر النبي ﷺ، وأنها يومَ القيامة خزيٌ وندامة، إلَّا لمن أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها، ولا والله لا يستطيع عبدٌ أن يقوم بها إلا أن يعينه الله ويوفقه فيهديَه رشده ويسدده ويرزقه تقواه وخشيته في الغيب والشهادة ويرزقه اليقين والقوة، ويعينه على اتخاذ هذه الولاية والمسؤولية عبادة له ﷻ وقُربةً، وطريقُ ذلك الاجتهاد في تحقيق العبودية له سبحانه والافتقار إليه والانكسار بين يديه والتضرّع له والاستقامة على طاعته ظاهرًا وباطنًا قدر الطاقة، مع التواضع وهضم النفس واتهامها والخوف من مساوئها، ومما يعين على ذلك كثرة الذكر والدعاء وقيام الليل وصيام النفل ومجالسة الصالحين والعلماء الطيبين وتقريبهم واتخاذ أهل الآخرة

بطانةً وأصحابًا وأعوانًا، ومجافاة أهل الدنيا والفخر والرياء والخيلاء وأهل الجفاء وقليلي الديانة، والبُعدِ عنهم.

أخي الكريم.. أكتب لكم هذه الأسطر، سعيًا في القيام بما أمرنا الله به من التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتعاون على البر والتقوى، والنصح للمسلمين وأولي أمرهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهادِ في سبيل الله تعالى، وقيامًا بزكاة العلم وما أنعم الله به من المعرفة والتجربة للأمور.

ولا شك أننا جميعًا في سفينة واحدةٍ؛ كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه والترمذي في سننه عن النعمان بن بشير ﵄ عن النبي ﷺ قال: (**مَثَلُ القائمِ على حدود الله والواقعِ فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نُؤذِ مَنْ فوقنا؛ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونجوا جميعًا**)[1].

ولَا ريب أن مسيرةَ أمتنا الجهادية تحتاجُ منا دائمًا إلى بذل الجهود في القيام على ترشيدها وتسديدها؛ فإن سبُلَ الانحراف كثيرةٌ، وليس أحدٌ بمنجاةٍ منها إلا مَن واظَبَ على اللياذ بالربّ الجليل ﷻ، والاعتصام به ظاهرًا وباطنًا وسرّا وإعلانا؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران]، فلا عصمة إلا بالله وحده، ولا ينجو من الفتن إلا مَن اعتصم بالله و﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، ولا يفلحُ إلا مَن اعتصم بالله وكان دائمًا في صفّ الله وليًّا له ﷻ، قائمًا بأمره محققًا العبودية له ﷻ.

وهذا هو الذي ينتصِرُ حقًا، وهو الذي يوفّق ويُسدَّد وتكون له العاقبة، وهو الذي لا يخشى الخسران، والذي يرجو تجارةً لن تبور.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر].

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٩٣) واللفظ له، سنن الترمذي (٢١٧٣).

أخي العزيز: لنتفكّر دائمًا في شيءٍ مهم.. ماذا استفدنا إذا انتصرنا على الأعداء وقهرناهم ودمّرناهم وانتقمنا منهم.. وأقمنا الدولة التي نريد -دولة الإسلام- وكنا نحن المنتصرين في هذه الحرب وهذا الصراع، لكن كان الله ساخطًا علينا بسبب معاصينا وذنوبنا الظاهرة والباطنة، ثم كان عاقبتنا في الآخرة أن ندخل النار والعياذ بالله؟!!

ألم يقل النبي ﷺ: (**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**)[1]؟.

فالخلاصة المهمة والوصية والنصيحة الدائمة الواجبة هي: أن نكون مستقيمين على دين الله وشريعته وأحكامه ظاهرًا وباطنًا، في أنفسنا؛ سرائرنا وعلانياتنا، ثم في مَن تحت ولايتنا من أهلٍ وأتباعٍ ورعايا وشؤونٍ، قائمين فيهم جميعًا بأمر الله؛ نعطي لله ونمنع لله، ونحب لله ونبغض في الله، ونوالي ونقرّب لله ونعادي ونُبعِد لله، ونرضى لله ونغضبُ لله ﷻ.

أخي العزيز: أمور مهمةٌ توشك أن تكون واجباتٍ علينا:

منها: أنه لا بد لنا جميعًا أن نكثّف من نشر الفقه والعلم الصحيح النافع والوعي والثقافة الإسلامية في أتباعنا وأفراد جماعاتنا، بإنشاء المدارس وإقامة الدورات التعليمية الشرعية وحلقات العلم، وبإرسال الطلبة للتعليم ليكونوا علماء في المستقبل، وبإقامة الدروس في مساجدنا ومصلياتنا ومجتمعاتنا، وبنشر الكتب والاهتمام بالقراءة وتحصيل العلم، وبأن نقرِّب أهل العلم الصالحين الأمناء ونقدّمهم.

فهذا على وجه العموم؛ فإن العلم النافع وكثرة العلماء والمتعلمين، هو صِمامُ أمانٍ للجماعة وللأمة.

ثم على سبيل الخصوص لنا نحن المجاهدين فإن من أهم ما يتعيّن علينا من العلم أن نَعْلَمَهُ وننشرَه في أتباعنا وأفراد جماعاتنا المجاهدين هو: العلمُ بأحكام الجهاد (القتال والقتل)؛ مَن يُباح لنا قتالُهُ وقتله ومَن لا يباحُ لنا، وما يُباحُ لنا أخذه من المالِ وما لا يباحُ، وما يجوز من التصرفات وما لا يجوز في جهادِنا كله وفي علاقاتنا.. وهنالك أصولٌ عامة مجملةٌ ينبغي للمجاهدين أن يتمسكوا بها، ثم تكون التفاصيل عند علمائهم، فإن عوامَّ المجاهدين لا يمكن أن يحصّلوا كل ولا أكثر التفاصيل.

ولا شك أن المسيرة الجهادية كلما طالتْ دخل فيها مَن ليسَ أصيلًا في الجهادِ، وصارتْ أكثر احتياجًا إلى الترشيد والتصحيح والمحاسبة والمراقبة، وفي هذه المرحلة التي نحن فيها؛ فإننا نلاحظ كثرة الأخطاء والتجاوزات من المجاهدين، بسبب الجهلِ أو بسبب دخول أقوامٍ وفئاتٍ من الناس في

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، صحيح مسلم (١١١).

صفوف المجاهدين، ممّن لم يتربَّ التربية الإسلامية الصحيحة، وممن فيهم جاهليةٌ وفسادُ أخلاقٍ ورقةُ دينٍ، وبتعبيرِ أهل العلم فإنهم فجّارٌ لكنهم يجاهدون!! فلا غروَ أننا صرنا نخاف على الحركة الجهادية من الانحراف والفساد والهلكة، نسأل الله السلامة والعافية، فلذلك لا بد أن نركز وندخل في التفاصيل فنقول: إن من جزئيات العلم الواجب علينا معرفتها ونشرها بين المجاهدين وتحويلها إلى فقه حقيقي لديهم وبصيرة جازمة والتزامٍ كامل: العلمُ بعِظم حرمة دماء المسلمين، وتعظيم أمرها وتفخيمه في النفوس؛ فإن قتل النفس المؤمنة هو من أكبر الكبائر، ولعله -بحسب ما تعطيه أدلة الشريعة- أكبر الكبائر بعد الكفر والشرك بالله تعالى، فإن الوعيد عليها في الكتاب والسنة من أعظم الوعيد، ومن ذلك أن المتورّط فيها لا يكاد يفلح كما قال النبي ﷺ: (**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**) رواه البخاري[1].

ولا يُقال إن كلَّ المجاهدين عارفين بذلك؛ فإن الواقع لا يصدقه، ولا سيما في القبائل وأغلب بلاد أفغانستان وقبائل باكستان؛ فإن القبائل تغلب عليهم ثقافة القتل والانتقام والتهاون في الدماء وسهولة الإقدام عليها عند التخاصم وحصول الإحن، ولا يُغلّب أمرَ الله ويلتزم به حقًا وصدقًا إلا أهلُ الديانة المتينة والتحقيق للتوحيد، وهم الأقلونَ.

والخلاصة: أنه يجب علينا أن ننشر هذا العلم (العلم بتعظيم حرمة دم المسلم، وتعظيم حق المسلم دمه وماله وعرضه) بشكلٍ عمليّ في صفوف المجاهدين، بكل وسائل نشر العلم، ويجب علينا كأمراء ومسؤولين أن نأخذ على أيدي الأتباع ونحاسبهم ونقيم الشريعة على أنفسنا، بالالتزام بأحكام الله والاستقامة على طاعته، وبتطبيق العقوبات بعد ذلك لمن خالَفَ.

وإن لم نفعل ذلك وتهاونَّا وركنَّا إلى مواضعاتنا الاجتماعية وجامل بعضُنا بعضًا وضعُفَ الأمراءُ عن محاسبةِ الأتباع وأمرهم ونهيهم وحملهم على طاعة الله والاستقامة على الشريعة؛ فإننا فاشلون مفرّطون، ومصيرنا إلى الهلاك، والعياذ بالله.. اللّهم إنا نعوذ بك من سخطك..

وإنني أشهدكم أنني وقيادتي وإخواني نبرأ من كل مخالفةٍ للشريعةِ، وأننا نحب ونوالي ونقرّب ونرضى مَن يكون وليًّا لله تعالى مطيعًا له قانتًا أوّاهًا منيبًا شكّارًا ذكّارًا، ونبغضُ ونُباعِد ونجانِبُ مَن هو بضدِّ ذلك مهما كان.

ومنها مما هو قريبٌ من ذلك: أن نعتني بشرح فقه العلميات الاستشهادية والعمليات التي يقع فيها

---

(١) صحيح البخاري (٦٨٦٢).

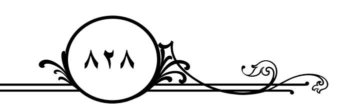
ما يسميه الفقهاء بالترس، وحدود ذلك، وضوابطه، نشرحُهُ لأفرادنا، ونشرحُهُ على وجه الخصوص لصنفين من أفرادنا: للقيادات العسكرية التنفيذية (المسؤولين عن التخطيط والإجراء للعمليات) وللمنفّذين من المجاهدين وهم «الفدائيون» (الاستشهاديون)، فقد رأينا في بعضِ المرات تهاونًا من الفدائيين وجهلًا وقلة مبالاة بالناس، وقد يكون الفدائيُّ شابًا صغيرًا لم يتلق شيئا ذا بالٍ من العلم والمعرفة والتربية الدينية، والأخطر أنه ربما يكون أحيانًا قد لُقّنَ -والعياذ بالله- شيئا من الانحراف الدينيّ؛ فيتلقاه وينطلق به، وذلك كأنْ يلقّنه بعضُ الناس من المجاهدين أن هؤلاء الناس (العوامّ) في الشارعِ منافقون ساكتون عن الحق ونصرة المجاهدين وأنهم مع «الطاغوت» ومع المرتدين، راضون بهم.. إلخ!! وعليه؛ فلا تبالِ بمَن يُقتَل منهم، وما عليك من دمائهم من شيء!!

ولا شك أن هذا بإطلاقٍ خطأ عظيم وضلالٌ مبينٌ وسبيلُ فسادٍ عريض؛ فإن العوامَّ في الشوارع وفي الأسواق وعموم البلاد الإسلامية التي يحكمها المرتدون، محكومٌ بإسلامهم في الجملة والأصل، ثم هم أخلاطٌ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك.. ونعم قد يُوجد في خلالهم من هو كافرٌ مرتدٌّ؛ فذلك حيثُ عرِف بعينه فهو حلال الدم، ولكن في الجملة فإن العوامَّ في بلادنا وعامة بلاد المسلمين محكومٌ بإسلامهم قطعًا، بأدلة الكتاب السنة والبيّنة والفقه المعروف في مذاهب المسلمين، ومجالُ تفصيل هذه المسألة مواضعُهُا من الكتب والأبحاث، ومَن قال غير ذلك فقد غلا وضلَّ وخالَفَ أهل العلم قاطبةً.

فالعوامُّ مسلمون على ما هنالك من فسقٍ أو فجورٍ أو تقصيرٍ أو قعودٍ عن جهادٍ أو غير ذلك، فمن أشرع فيهم القتل عمدًا وقصدًا غيرَ مبالٍ بهم بزعم أنهم كذا وكذا مما تقدم حكايته، فهو ضالٌّ خارجٌ عن حدود العلم والفقه، مرتكبٌ لحرامٍ، ومتعرّضٌ لسخط الله وغضبه وعقابه، وقمينٌ أن يسلّط الله عليه الفشل ويمكّن منه الأعداءَ.!

أخي الكريم: إن كان شيءٌ من ذلك تطرّق إلى بعض المجاهدين ممن يسمعون لكم فأرجوكم أن تتداركوه بالمعالجة العلمية الشرعية؛ فإن هذا واجبٌ مضيّقٌ لا بد من القيام به فورًا، وأن تأخذوا على أيديهم بأسرع وقتٍ، وإلا فإني أنذرُكم مغبةَ ذلك وسوءَ عاقبته، فبادروا بالإصلاح فورًا، واجعلوه هو الأولوية لكم، يصلْح الله شأنكم وينصرْكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

ثم إنه بمقاييس الدين والدنيا، كيف ينجح مشروعٌ سياسيّ ثوريٌّ تغييريٌّ لا يعمَلُ أصحابه وأولو أمرِهِ على كسبِ الناس (العوامّ، والجمهورِ، والشعبِ) واستمالتهم واصطناعهم واحتوائهم، وكيف يرجون لمشروعهم وثورتهم أن تنجح إذا كانتِ الناسُ تكرههم وتنفضُّ كل يومٍ عنهم، ولسانُ حالهم: «وجدناهم اخبُرْ تَقْلُهْ»، كيف ينجح مشروعُ إنسانٍ يعتقدُ الناسُ فيه ويقولون له: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا



فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ [القصص] إذا كثُرَ قائلُو ذلك وفشا هذا الاعتقاد في الناس، وصدّقتْه أفعالُ هذا الإنسان، ولم يُرَ منه إقلاعٌ عن خطإ ولا شفقةٌ ولا رحمةٌ ولا إحسانٌ.!

كيف وهذا رسول الله ﷺ وأكرمُ الخلق على الله يقول الله ﷻ له: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لا غروَ أنه على قيادات المجاهدين أن يعلّموا أتباعهم ويربّوهم -وقبل ذلك أن يكونوا هم متصفين بهذا- يربّوهم على أن يكونوا مشفقين على الناس رحماءَ بهم ميسّرين عليهم، صابرين على نقصهم وأخطائهم وما لديهم من خلل، ساعين في إصلاحهم بالهوينى والرفق وبالتدريج، غيرَ مسارعين في عقوبتهم، بلهَ القتلَ والانتقامَ، وقد كان رسول الله ﷺ لا يكاد يبعث بعثًا أو يؤمّر أميرًا على سريّةٍ أو جيش إلا كان من وصيته -كما جاء ذلك في أحاديث متكاثرة-: (**يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا**)[1]؛ فهل تدبّرنا ذلك وعرفنا فقهه وعملنا به؟!

ومنها: أنه يجب علينا صيانة المجاهدين من أن يتطرق إليهم الغلوّ في الدين، وخاصة في مسألة الحكم على الناس بالكفر (مسألة التكفير) فإن الغلوّ فيها مصيبةٌ عظيمة، وهي من أخبث الأدواء التي يمكن أن يتعرض لها المجاهدون ويُبتَلوا بها، وفي التجارب من ذلك شيءٌ يذكر للمعتبرين.. والغلوّ بعامةٍ هو داءٌ فتاكٌ ومرض خطيرٌ في كل الدين كما قال النبي ﷺ: (**إياكم والغلوّ في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين**) رواه أحمد والنسائي وغيرهما[2]، وقال: (**هلك المتنطعون**) قالها ثلاثًا؛ رواه مسلم[3]. فهذا في الغلوّ في الدين مطلقًا، فإذا كان الغلوّ وقعَ في «الحكم بتكفير المسلمين» والتجرءِ على ذلك والاستهانة بخطره، كان أشدَّ فتكًا وأعظمَ ضررًا وإهلاكًا.. أعاذنا الله وإياكم وجميع إخواننا منه.

وقد بدأنا نسمع من بعض المجاهدين مَن يتجرأ على تكفير مجاهدين آخرين أو تكفير العوامّ كما تقدم، فعلينا أن نحترز من ذلك جدًا ونسعى بكل قوة في تربية المجاهدين على المنهج الصحيح في ذلك، وإني قد جربتُ الأمور، **وأدلكم على جُمَلةٍ من ذلك نافعة بإذن الله، وهي:**

- تربية إخواننا على التركيز على عيوبِ النفس والانشغال بإصلاحها وتزكية النفسِ، والبُعد عن النظر في عيوب الناس، وتربيتهم على طلب العافية وطلب السلامة في الدين، وتعظيم خطر الفتيا في

---

(١) صحيح البخاري (٦٩)، وأيضا: صحيح البخاري (٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. **وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**).

(٢) مسند أحمد (٣٢٤٨) وصحح إسناده الأرنؤوط وأحمد شاكر، سنن النسائي (٣٠٧٥)، سنن ابن ماجه (٣٠٢٩) وصححه الألباني.

(٣) صحيح مسلم (٢٦٧٠)، مسند أحمد (٣٦٥٥)، سنن أبي داود (٤٦٨٠).

الدين بغير علمٍ، ومن أشدّها الإقدامُ على تكفير مسلمٍ بغير علمٍ مؤهِّلٍ لذلك وبدون موجِبٍ، وأن يكلوا ذلك إلى العلماء الفقهاء المتأهّلين المعروفين بحُسن الديانة والورع، فيُمنَع العوامّ (غير العلماء) من الخوض في هذه المسائل مطلقًا، وعلى الأمراء أن يغضبوا إذا سمعوا عوامّ المجاهدين يتكلمون في تكفير فلان أو فلانٍ من الناس، ممن تكفيرُهم اجتهاديٌّ، ويمنعوهم من الكلام فيه.

فإذا فعلنا ذلك فأبشروا بالنجاح إن شاء الله.

- لقنوا المجاهدين معنى الحديث المرويّ عن النبي ﷺ: (**طوبى لمن شغله عيبُهُ عن عيوب الناس**) قال ابن حجر في بلوغ المرام: أخرجه البزار بسندٍ حسن[١]، وقوله ﷺ: (**المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده**) رواه البخاري ومسلمٌ[٢]، وقوله: (**المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله**)[٣]، (**والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**)[٤]، وحديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: (غزوتُ مع نبيّ الله ﷺ غزوةَ كذا وكذا فضيق الناسُ المنازلَ وقطعوا الطريقَ، فبعث نبيُّ الله ﷺ مناديًا ينادي في الناس أنَّ **مَنْ ضيّقَ منزلًا أو قَطَعَ طريقا فلا جهادَ له**) رواه أبو داود وأحمد وغيرهما، وورد في بعض ألفاظ هذا الحديث في بعض المصادر (... **أو آذى مؤمنًا فلا جهادَ له**)[٥].

ومنها: أنه يجب على قيادات المجاهدين أن يعملوا جاهدين جادّين مثابرين على صيانةِ أنفسهم وأتباعهم من سائر الآفات والأمراض التي تعرِض لهم، وهي كثيرةٌ ومنها: العُجبُ والغرورُ والكبرُ والتعالي على الخلق وظلمهم؛ فإن هذه من الأمراض المفسدة للإيمان والموجبة للهلاك والعياذ بالله.

والسبب أن المجاهد إن لم يكن متدرّعًا بفقه النفس والمعارف النافعة فإنه مع طول الطريق ووحشته ومع ما يمارسُهُ ويُعالجُهُ من أمور القوة والغلبةِ والظهور، ومع ما قد يلاقيه من خذلان الناسِ له ممن يُفترَضُ أن يعينوه من أبناء الأمة، ومع ما يتعرض له من كثرةِ الخصومات والعداوات المناوأة بسبب سيره في طريق الجهادِ فإنه يتطرّق إليه هذه الأمراضُ ويسهّل الشيطانُ وُلوجَها عليه بأنواع الحيلِ والجدلِ فيتلقّفها ويجدِ فيها بعض السلوى عن غُربته وقلة حيلته، فيقع في شرٍّ عظيم، فينجح الشيطان

---

(١) بلوغ المرام (١٥٢٤)، لكن ضعف كل أسانيده وطرقه العراقي في: تخريج الإحياء (ص ١٠٤١)، وقال الألباني في: ضعيف الجامع الصغير (٣٦٤٤): «ضعيف جدا»، وقال مثله الحويني في: النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة (١/ ٧٤).

(٢) صحيح البخاري (١١، ٦٨٠٦)، صحيح مسلم (٤٠).

(٣) سنن الترمذي (١٦١٢) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٣٩٦٦) وقال: حديث صحيح.

(٤) صحيح البخاري (٦٨٠٦، ٦٤٨٤).

(٥) سنن أبي داود -باللفظ الأول- (٢٦٢٩) وحسنه الألباني، مسند أحمد -بلفظه الثاني- (١٥٨٨٨).

في أن يفسدَ عليه جهادَه، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الشيطان قعَدَ لابن آدم في طريقه إلى الله أيما قعودٍ يحاول أن يفسِد عليه دينه وهجرته وجهادَه، فقال ﷺ: (**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطْرُقِهِ؛ فقعد له بطريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّوَلِ؛ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جَهْد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد؛ فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك كان حقًا على الله ﷻ أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله ﷻ أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله ﷻ أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقا على الله ﷻ أن يدخله الجنة**) رواه أحمد والنسائي وغيرهما[1].

والسببُ كما قلتُ: قلةُ الفقه في الدين؛ فالعلاجُ إذن هو الفقه في الدين والوعي والتربية الإسلامية الصحيحة، والاعتناءُ بالتزكية، ثم تولية الأمناء الصالحين من الأمراء أهل الورع واعتدال الأمزجة واعتدال الأخلاق، أهل الصبر والسماحة والبذل، الباذلين لله لا يرجون من غيره جزاءً ولا شكورًا، المشفقين على أقوامهم والراحمين للخلق الذين يرحمهم الرحمن.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٥-١٨].

ففي هذه الآيات الكريمات حصر الله تعالى صفة الإيمان في الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يحصل منهم ارتيابٌ وجاهدوا ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى وحدَه، ثم لامَ ووبّخَ المتحدَّثَ عنهم في هذه الآيات -وهم جماعةٌ من الأعراب- على تبجّحهم في دعواهم وإخبارهم بأنهم آمنوا في حين أنهم لم يتصفوا بالصفات المتقدمة، وعابَ عليهم أنهم يمنّون على الرسول والمؤمنين بإسلامهم، وأمرَ رسوله الكريم ﷺ أن ينهاهم عن المنّ بإسلامهم، وأخبرهم أن المنة لله تعالى وحده.

وفي عَيْبِ التبجح بالدعاوى وذمّ المنّ والمانّين بعد ذكر صفة المؤمنين حقًا إيماءٌ إلى خطرِ هذا المرضِ ومنافاته للإيمان وإخلاله بصفة المؤمِنِ.. والله أعلم.

ومنها: أن على قيادات المجاهدين أن يعملوا على رصّ صفوف المجاهدين والتأليف بين قلوبهم

---

(١) سنن النسائي (٣١٣٤) وصححه الألباني.

وجمع كلمتهم وتحبيب بعضهم إلى بعضٍ بأنواع الوسائل المشروعة من القول والفعل، وجعلهم كما قال النبي ﷺ: (**مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحمَّى والسَّهر**) رواه البخاري ومسلم(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ٤﴾ [الصف]؛ فالله يحب ذلك ويرضاه ويأمُرُ به، فيجب علينا السعي في تحقيقه، وذلك ببثّ أسباب التحابُبِ بين المؤمنين وقطع أضدادها من أسباب الخلاف والفُرْقة والشقاق والتباغض والتباعُدِ والتدابُر.

وقد دلّت الشريعة المطهرةُ على جملةٍ متكاثرة من تفاصيل أسباب التحابب وحذرتْ من جميع أسبابِ التقاطع والتدابُر والعداوة البغضاء بين المؤمنين، على سبيل التفصيل أو على سبيل العموم والإجمالِ، وهذا من محاسن الشريعة الإسلامية الكريمة الربانية، والبسط فيها يطول جدًا؛ فلتنظر في مواطنها من كتب أهل العلم ككتب السلوك والأخلاق والفضائل وكتب الحديث وشروحه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إياكم والظنَّ فإن الظن أكذبُ الحديث، ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا كما أمركم، المسلمُ أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هٰهنا التقوى هٰهنا التقوى هٰهنا، وأشار إلى صدره، بحسْبِ امرئٍ منَ الشرِّ أن يحقر أخاه المسلمَ، كلُّ المسلمِ على المسلم حرامٌ؛ دمُهُ وعرضه وماله**) رواه مالك والبخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي، كما في الترغيب والترهيب للمنذري(٢).

والحاصلُ أن هذا من أهمِّ ما ينبغي الاعتناءُ به من قيادات المجاهدين.

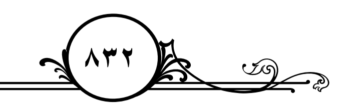
ولا بأس في هذه المقام أن نذكر بعض صور الأخطاء التي نشاهدها في المجاهدين في هذا الجانب، لكي يتم التنبّه لها بعينها ومعالجتها، ولنكون عمليين، فإن العلمَ إنما يُرادُ للعمل، فمن ذلك:

- أن بعضَ الأمراء يَرضَوْن بأن يلوك أتباعهم وجنودهم أعراضَ غيرهم من الأمراء والمجاهدين، ولا ينهونهم، بل ربما حرّضوهم وشجعوهم على ذلك، لخصومةٍ أو شحناءَ مع أميرٍ آخرَ أو إرادةِ غلبةٍ عليه وإزراءٍ به، وهذا مرضٌ على الإنسان علاجُهُ في نفسه ويجب على الأمراء الكبار مراقبة مَن دونهم ممن هم تحت ولايتهم في هذا ومعالجتهم وإرشادهم وتأديبهم. والواجب على الأمير إذا سمع من أتباعه كلامًا في غيرهم من المجاهدين أو أمراء الجهادِ أن ينهاهم وينهرَهم عن الغيبة

---

(١) صحيح البخاري (٦٠١١)، صحيح مسلم (٢٥٨٦).

(٢) موطأ مالك (١٥)، صحيح البخاري (٥١٣٤، ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، صحيح مسلم (٢٥٦٣)، سنن أبي داود (٤٨٨٢)، سنن الترمذي (١٩٢٧)، وينظر: الترغيب والترهيب (٤٣٧٥).



والنميمة والاستطالة في عرض المسلم وسائر آفاتِ اللسان وفضوله، وكيف يفعل ذلك من دون أن يكون هو متفقهًا في دينه عارفا بالله تقيًّا مراقبًا لله تعالى مخلصًا له؟!

- يكثُرُ في مجموعات المجاهدين وفئاتهم أن كل طائفة تمدح نفسها وأمراءَها وأعمالها وتتفاخَرُ بها، وتزدري مَن سواها وتطعن فيهم بالقول: إنهم لا يشتغلون وإنهم لم يعملوا شيئًا، ونحن فعلنا وفعلنا من البطولات والعمليات!! وهذا يتضمّن التلبّس بعددٍ من الأمراض القلبية، نسأل الله العافية والسلامة، والواجب على أمراءِ الجهادِ إصلاحُ كل ذلك ببث خلق التواضع والإخلاص والخوف من سوء الخاتمة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- سوء الظن، وما أدراكم ما سوء الظن، فإنه كثيرٌ جدًا بين المجاهدين، ويؤدي إلى طعن بعضهم في بعضٍ واتهامِ بعضهم بعضًا، فهذا يرمي هذا بأنه يريد كذا وكذا، وهذا يفسّر فعلا أو قولًا لأخيه على وجهٍ دنيويّ مدارُهُ على الصراع على القيادة والغلبة والظهور والجاه والسلطان، وهذا يتهم هذا بأنه عميلٌ لاستخبارات العدوّ، وأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى. وهذا خطرٌ عظيم، والواجب على أمراء الجهادِ أن يكونوا قدوةً للناس في حسن ظن المسلم بأخيه المسلم ويعلّموا هذا الخلقَ الرفيعَ والشعيرة العظيمة لأتباعهم وجنودهم.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم الإيمان الكامل وأن يوفقنا للعمل الصالح، وأن يحفظ علينا جهادنا وهجرتنا وأن يكمّلها لنا بفضله ومنّه وكرمه سبحانه، إنه وليّ الفضل والنعمة لا إله غيره ولا رب سواه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ذو الحجة ١٤٣١هـ



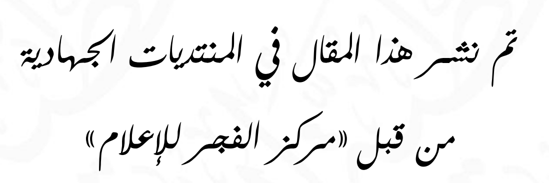


«ثَوْرَةُ الشُّعُوبِ»

وسقوط النظام العربي الفاسد ..

كسر صنم الاستقرار والانطلاقة الجديدة




تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية
من قبل «مركز الفجر للإعلام»

جُمادى الأولى
١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

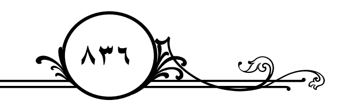
تابعنا مع شعوبنا العربية وكل شعوب العالم؛ مجريات ثورتي تونس ومصر، في حماسةٍ وحرارةٍ، وكان يخيَّلُ إلي أنني أسمع صوت تكسر عظام نظام الفرعون العجوز المتهاوي حسني اللامبارك، وأسمع معها -كقرع الطبول- دقاتِ قلوب اليهود على مرمى حجر وهي تضطرب في خفقٍ رهيب من الرعبِ والذعر الذي ألقاه الله عليهم بهذا الحادث الجلل.!

كنا على مر الأيام نتابعُ الأخبار وندعو الله للمسلمين أن يبرم لهم أمرَ رشدٍ، وأن يخلص الله أهل تونس من الطاغية الجبان، وأن يخلّص مصر وشعبها المسلم من هذا الطاغوت ونظامه الخبيث الفاسد الظالم العاتي العتلّ الجواظ، وأن يبرم للمسلمين في مصر أمر رشدٍ، ويجعل هذه الثورة خيرًا للإسلام والمسلمين، صحيحٌ أنها ليستْ الكمال الذي نتمناه، ولكنّ زوال بعض الشر أو كثيرٍ منه شيءٌ يسر المرء، مع ما نرجو من كون هذه الخطوة مقدمةً لخيرٍ آتٍ وفاتحة لأبوابٍ بإذن الله.

ولذلك فإن شعوبنا العربية والإسلامية في تونس ومصر والجزائر وليبيا والأردن واليمن وغيرها محتاجة لمن يذكرها بالله في هذه الأيام، ويذكرها بأيام الله وسننه، وينبّههم بلطفٍ إلى مواقع العبر والحِكَم المستفادة من هذه الدروس الكونية، وهذا دورٌ مهمّ للدعاة إلى الله وطلبة العلم والحركات الإسلامية.

لم تكن هذه الثورات وخاصة ثورة مصر ثورة على النظام المصريّ والنظام العربي الفاسد الخبيث، فحسبْ، بل إن أبعادها أشمل وأعمق؛ فهي نقطة فاصلة ونقطة تحول بارزة في تاريخ المنطقة وعلاقاتها الاجتماعية، ولم يكن حسني اللامبارك ونظامه هو الساقط في ثورة مصر فحسبْ، بل سقطت معه أيضا فكرة «الاستقرار» الذي جعلوه صنمًا عبده الطواغيت الأنذال وعبّدوا الناس له، استقرار المنطقة، الذي ليس معناه إلا توافر كل عوامل الطمأنينة لهم والأمن من أي منغّصٍ ينغص عليهم أحوالهم الباذخة الناعمة الفارهة أو يهدد مُلكهم وسيطرتهم المطلقة على البلاد ومقدراتها وانفرادَهم وعائلاتهم بالحظ الأوفر والنصيب الفائض من ثرواتها وخيراتها، بما يستلزمه ذلك من حراسة حدود دويلة إسرائيل البائرة وضمان أمنها وحمايتها من أي توجه جهادي.!

سقط النظام المصري، وقبله التونسي، ولعله يلحقه اليمني والأردني وربما الليبي والجزائري والمغربي، بإذن الله ﷻ.



وساعة إرادتي إرسال هذا المقال للنشر، جاءت الأخبار ببدء تحرّك أهلنا في ليبيا وثورتهم على الطاغوت المخبول المشؤوم وعائلته الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد وجعلوها ملكًا لهم ولكلابهم، فنسأل الله أن يخلّص الناس منهم، وأن يبرم للمسلمين في ليبيا أمرَ رشدٍ يعزّ فيه أهلُ طاعته سبحانه ويذلُّ فيه أهلُ معصيته.

وهكذا ضرب الله للناس الأمثال واستطاع جيلُ الشباب أن يثبت فاعليته في عالمنا الجديد رغم كل المساعي التي بذلها النظام العربي الفاسد لإفساد الشباب على جميع المستويات وتنويمهم، ولكنه كان نظامًا غبيًا غير واعٍ أشبه بالشهوانيّ لا غير، وكان لا بد للثورة أن تأتي مهما طال الزمن فهذه سنن كونية نعرفها من التاريخ والمعارف البشرية والتجارب ومن حسابات علوم النفس والاجتماع البسيطة، فإن تراكم الفساد بالطريقة الحاصلة في أمتنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية لا يمكن أن يستمر طويلًا جدًا حتى يؤدي إلى الانفجار، يوقِد فتيله ما يقدره الله ومَن يهيئُهُ الله، ويجمع بارودَهُ جهودٌ متظافرةٌ لا تحصى تتظافر لمقابلة ذلك الفساد المتراكم، منها الصالح ومنها دون ذلك، والله أعلمُ بما يعمل الخلق وما ينوون ويريدون، وفيهم المفلح الفائز في الآخرة وفيهم الذي إذا أفضى إلى الآخرة لم يجد شيئًا إلا الخسران والعياذ بالله، ولكن تلك الجهود تجتمع كلها على مقاومة النظام الطاغي. وتذكرتُ هنا ما قال الشاعر أحمد مطر: «أعلمُ أن القافيةْ.. لا تستطيعُ وحدَها إسقاطَ عرشِ الطاغيةْ.. لكنني أدبغُ جلدَهُ بها دَبْغَ جلودِ الماشيةْ.. حتى إذا ما حانتِ الساعةُ وانقضّتْ عليه القاضيةْ.. واستلمتْهُ من يدي أيدي الجموعِ الحافيةْ.. يكونُ جلدًا جاهزًا تصنَعُ منه الأحذيةْ» اهـ.

ومع ذلك لم أكن ككثيرين من الناس نتوقعها بهذه السرعة، على نحو ما حصل في تونس الخضراء الأبية، ولا أظن أن الأعداء توقعوها أيضا، وهذا ما تدل عليه تصرفات فرنسا الركيكة الغبية، وحتى الأمريكان، مع أنهم كانوا أحسن حالًا من الفرنسيين، ولا سيما في مصر؛ واستفادوا من التجربة وأدركوا أن التغيير قادمٌ لا محالة.!

لقد ظننا مع كثيرين أن الشعوب ماتت أو خُدّرت إلى أمدٍ غلب على الظن أنه طويل، بسبب ما فعله الطواغيت المجرمون بها، لكن ثورة تونس وما بعدها أثبتتْ أن الشعوبَ يمكن أن تثور في الوقت الذي يظن المراقبون أنها ماتت أو غابت عن الوعي!

لكنني أسجّل مع ذلك موقفين:

الموقف الأول: أننا قرأنا قبل مدة من اندلاع الثورة في تونس، أي في أيام الطاغية بن علي، مقالًا في



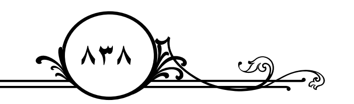
الانترنت أظنه للأخ الشيخ «أبي مسلم الجزائري» توقع فيه انهيارَ النظام التونسي قريبًا وانفجار ثورة ونحو ذلك، وكان لافتًا، وحمدتُ الله حين استذكرتُهُ بأن في شبابنا من يُحسن التأمل والاستشفاف والاعتبار والتوقع، وأن فينا طاقات واعية، نسأل الله أن يبارك فيها.

والموقف الثاني: الرسالة التي انتشرت على الانترنت من أختٍ تونسية وجهتها إلى تنظيم القاعدة وقيادته الشيخ «أسامة بن لادن» وغيره، تستغيثُ فيها وتحكي مأساة الإسلام والمسلمين والإخوة والأخوات الملتزمين بالدين في تونس، وكانت الرسالة - بغضّ النظر عن التوثق الكامل من صحتها وواقعيتها- مؤثرة ومحزنة ومثيرة للمزيد من الغضب والحنق والغيظ على أولئك الطواغيت الملاعين أعداء الله وأعداء الإسلام وأعداء الفضيلة والطّهر، الذين عاثوا هم وأحزابُهم وأنظمتهم في الأرض فسادًا قل نظيره، ولم يكن باليد كبير حيلة، وكان الإنسان في حالةٍ يكاد ينفجرُ، لولا أن يربط الله على القلوب، وما كنا نملك إلا شيئين كما قلتُ لبعض إخواني ساعتها: أن نجأرَ إلى الله بالدعاء ونجتهد فيه مع إخواننا وأخواتنا المستضعفين، وأن نستمر في جهادنا.

إن الثبات والاستمرار في الجهاد هو من أهم ما أعطانا الله ﷻ من الفرصة لأن نقدم من خلاله خدمةً لديننا وأمتنا وإخواننا وأخواتنا المقهورين المضطهدين، وبهذه المناسبة فإنني أحبُّ أن أوضّح لإخواني وأخواتي في كل مكانٍ شيئًا -مع اعتزازنا بثقة المسلمين ومحبتهم-: إن «القاعدة» ليستْ لديها عصا سحرية كما يُقال، وليست القصة أيها الإخوة والأخوات الفضلاء الأحباب هي قصة «المعتصم وعمورية» ولا قصة تحريك جندٍ وتجيش جيوش لا يُعرف أولها من آخرها، فالقاعدة جزء بسيطٌ من جهودِ الأمة المجاهدة، فلا تظنوا بها فوق قدرها، ولنكن عارفين بأقدارنا جميعًا، ولنجتهد في التعاون على البر والتقوى والجهاد في سبيل الله، كلٌّ من موقعه وبما يستطيعُهُ وبما يكون المناسبَ في حقه، والله يفتح وينزّل الفرَجَ والنصر بصدق الصادقين وإخلاص المخلصين ودعاء الضعفاء المغلوبين.

ولكأن رسالة الأخت من تونس كانت حقًا الإشارةَ الأخيرةَ لنهاية نظام الطاغوت ابن علي، وتفريج الكرب بإذن الله، وتلك عبرةٌ للمتأملين، وأتمنى من هذه الأخت الآن أن تكتب رسالة أخرى عن الوضع الجديد الذي ليس هو بالتحديد ما نحلم به جميعًا ونريده، ولكنه بالتأكيد تفريج لكثيرٍ من الكروب، والمأمول إن شاء الله أن يكون في غضونه كثيرٌ من الخير والرحمة.

وإن على المصلحين من أبناء الأمة اليوم، والمجاهدين والدعاة إلى الله أن يغتنموا هذه الفرصة التاريخية، وينطلقوا في عمل دعوي وتربوي وإصلاحي وإحيائي دؤوب في ظل ما تتيحه أوضاع ما بعد هذه الثورة من حريات وفُرَص، وبعد زوال كثيرٍ من الآصار وتحطم الكثير من القيود.

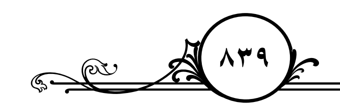


وفي الجملة.. ندعو الشباب إلى حسن الفهم للأمور، والبُعد عن «ضيق الأفق» والتشنج والاستعجالِ، ولا ينبغي أن يدخلوا في خلافاتٍ مع الطوائف المختلفة معهم في الحركة الإسلامية، كإخوة «النهضة» في تونس مثلًا أو غيرهم، بل ينطلقوا في العمل البنّاء الإعداديّ، وهكذا الإخوة في مصر وسيناء ورفح وغيرها، ولتكن الدعوة بالرفق والتزام الآداب الكريمة وسعة الصدر للناس واختلاف أفهامهم هي السائدة، وليستحضروا أن أمتنا تعيش مراحل صعبة ومعقدة وأنها للتوّ بدأت تحاول النهوض والخروج من حال الانحطاط التي ارتكست فيها عقودًا بل قرونًا! فليكن الشباب على مستوى الوعي المطلوب، وكل ذلك لا يتعارض مع الحماسة في البذل للدين والغيرة والحمية له والصدع بالحق البيّن، ووضوح المنهج، إنما ضُمّوا إليه ما أشرنا إليه من الفضائل: الرفق وكمال الأدب وتغليب الشفقة والرحمة والإحسان في التعامل مع كل المسلمين، بل مع كل الناس. اجعلوا قاعدتكم هي: بإمكاني أن أعمل الخيرَ وأقول الحق، ولكن بكل أدبٍ وكياسةٍ وتجنّبٍ للمشاكل المفسِدةِ المُعيقة. واعرفوا -بارك الله فيكم- أن الحق درجاتٌ، منه ما لا يُترَكُ قوله وفعله بحالٍ، ومنه ما يُترَكُ لمعارضٍ أو مانعٍ (عذرٍ)، فتفقهوا في هذا، وافتحوا قلوبكم لفهم العلوم النافعة والرقي بمستوى الوعي والفقه.

لقد كشفت هذه الثورة العربية في تونس ومصر وما نرتقبه بعدهما من بلدانٍ، كشفت عن مجموعة هائلة من الحقائق وأظهرتها للعيان، وذلك من الخيرِ الكثير، ومن رحمة الله بالمسلمين، وقد بدأ الناس يكتبون في ذلك ولا بد أنه سيكتب الكثير والكثير؛ فإن هذا حدثٌ تاريخيّ كبير، **وإنما أحببتُ أن أذكّر ببعض ذلك:**

فمنها: هشاشة هذه الأنظمة البوليسية الاستبدادية الشمولية الطاغية رغم انتفاشها في أعين الناظرين، ولكنها خواء، يملؤها الجُبنُ والخَوَرُ، متعفّنة من الداخل، متهاوية، ما أن تتحرك الشعوب وتثور عليها حتى تنهار ويهرب رؤوسها إلى الخارج لا يؤويهم في البلدِ جُحْرُ ضبٍ! وأدرك كثيرٌ من الناس أن الحكام الكفرة الطغاة لا قيمة لهم في ذواتهم من فضلِ صلاحٍ أو نفعٍ، وإنما صنعوا لأنفسهم قيمة بالسلطان وقوة الشرط والأعوان والطبقات المنتفعة بهم المرتبط مصيرها بمصيرهم.

ومنها: ما بانَ للناسِ من أن الغرب الكافر لا تهمّه مصالحُ شعوبنا الإسلامية في شيءٍ أبدًا، ولا يبكي علينا إلا دموع التماسيح حين يبكي، وإنما يركض ويلهث وراء مصلحته الشخصية والتي تقتضي «استقرار» المنطقة ودوام هذه الأنظمة الحلوب، رغم عَسْفها وظلمها وقهرها لشعوبها وكبتها لحريتها، ورغم فسادها الكبير الذي يعرفه الغربُ جيدًا، ورغم انعدام أبسط حقوق الإنسان في ظلها.. رغم كل



ما يعرفه الغرب جيدًا من مآسي شعوبنا وما تعانيه من الحرمان والظلم؛ فإنما يهم الغرب فقط هو استمرار الأحوال على ما هي عليه لضمان استمرار تحقق مصالحه الاقتصادية وتدفّق خيراتِ بلادنا وشعوبنا على أسواقه ومصانعه؛ بان هذا للناس في أوضح صوره في موقف فرنسا من ثورة تونس، وموقف أمريكا وغيرها، فمن لم يبصر هذه الحقائق فلن يبصر شيئًا!.

ومنها ومن أهمها: اتضاح الارتباط الوثيق بين هذا النظام العربي المرتد وبين اليهود (إسرائيل) وكيف أن مصر حسني اللامبارك هي بمنزلة الحارس الأمين اليقظ لليهود، فقد رأى الناسُ مدى تشبّث اليهود بحسني ونظامه، ومدى خوفهم ورعبهم من سقوطه، وعرف كثيرٌ من الناس اليوم أنه لولا هذه الأنظمة الكافرة الخائنة (مصر والأردن وسوريا وباقي دويلات النظام العربي الخبيث) لما بقيتْ دويلة إسرائيل في الوجود إلا ريثما تتم المعركة السريعة مع أمتنا وتنتهي بانتصار أمتنا، والله أكبر، وإن ذلك لقريبٌ آتٍ إن شاء الله.

ومنها: ما يتعلق بالنظام السعودي المنافق، فإن خائن الحرمين الشريفين ملك آل سعود وقف بكل ما أوتي من قوة خائرة مع حسني اللامبارك واستماتَ - على وَشْكِ موتِهِ - في نصرته، حتى خالف الأمريكان في موقفهم، ولعله لأول مرةٍ يشاكسهم في شيء.. رأى الناسُ في جزيرة العرب وغيرها كيف وقف عبد الله آل سعود مع حسني وحاول مجتهدًا أن يمنع سقوطه، متجاهلًا مطالب الشعب المصري وإرادته وثورته العارمة، غيرَ ملتفتٍ إلى فظاعة هذا النظام وظلمه وفساده العظيم.

ونحن نطرح على العقلاء في «السعودية» هنا أسئلة بسيطة فإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار:

لماذا يناصر عبد الله آل سعود حسني العلماني العميل لإسرائيل الوليّ للأمريكان حبيب اليهود؟ ألا يعلم عبد الله آل سعود بحال حسني وبحال نظامه المحارب للدين، البلطجيّ المنتفخ البطون من السحت؟ هل هذا الموقف من عبد الله آل سعود نابعٌ من الدين و«العقيدة السمحة» ومن الحرص على خيرِ الأمة؟ هل نَصر عبدُ الله حسني لله ومن أجل الله والدين؟ هل يلتفتُ عبدُ الله آل سعود إلى الدين وإلى اليوم الآخر؟!

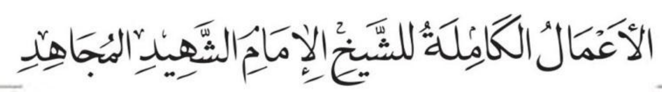
أسئلة تنتظر إجابات في نفس كل حرٍّ يلومُ نفسه ويراجعها ويحاول أن يتّعظ قبل أن يطبع الله على القلـــوب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤ ﴾[الأنفال] وقبل الطوفان، وقبل فواتِ الأوان.

وأما الإخوة المجاهدون في اليمن، فلا أنسى أن أذكرهم بأن نظام علي عبد الله صالح في أضعف حالاته، وأن الثورة عليه ماضية، وأنه منهارٌ، فلا أظنني بحاجة إلى التذكير بأنها فرصة كبيرة: سياسية

وأمنية وثقافية، وكم في الحروب وفي مراحل التحوّل من فرصةٍ لفعل الخيرِ لمن وفقه الله وسدده وآتاه تقواه.

وإلى موعدٍ إن شاء الله للتواصلِ مع أهلنا وشعوبنا المتحررة، مع شعوبٍ مسلمةٍ متطلعةٍ بجدّية تامة إلى التمسك بالإسلام دين الله ﷻ وهُداه الذي فيه الخيرُ والأمنُ العزة والكرامة والطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه].

❋ ❋ ❋





ما ليس عنه انفكاك..

في أجوبة المجاهدين الأتراك

تم نشر هذا المقال في المنتديات الجهادية

من قبل «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»

شعبان

١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

[نص السؤال]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

إلى شيوخنا الكرام وفقهم الله..

نعرفكم أن الجماعات في تركيا في مسألة التكفير قد انقسموا:

❖ فبعضهم مالوا إلى التكفير خاصة بعد انتشار أقوال وكتب الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز والشيخ أبي محمد المقدسي وفقهما الله.

❖ وبعضهم إلى الآن يشاركون في الانتخابات ولا يمتنعون عن الخدمة في الجيش.

❖ وآخرون بين ذلك.

وفي بلدنا يظن بعض الناسِ أن منهج التنظيم (قاعدة الجهاد) هو كمنهج أولئك الذين مالوا إلى التكفير، وبعضهم يظنون أن في منهج التنظيم إرجاءً.. ونحن نريد أن تزيلوا الإشكال وسوءَ الفهم بأجوبتكم على الأسئلة الآتية:

- **ما هي عقيدة التنظيم؟**
- **ما قولكم في مسألة التكفير؟**
- **كيف تنظرون إلى شعب تركيا؟**
- **بمَ تنصحون العلماء والشعب في تركيا؟**
- **ما رأيكم في قول الشيخ أبي محمد المقدسي حفظه الله في كتابه «الرسالة الثلاثينية» في التحذير من الغلو في التكفير، في فرع تكفير عموم المشاركين في الانتخابات دون تفصيل: «ولذلك فلا تحل المبادرة إلى تكفير أمثاله إلا بعد إقامة الحجة وتعريفه بحقيقة عمل النواب المشرعين، وما يرتكبونه من مكفرات تناقض دين الإسلام وتوحيد رب العالمين، فإن أصرّ على انتخابهم مع ذلك كفر» اهـ؟**

وجزاكم الله خيرًا.

كتبه: أبو صالح التركي

❏❏❏

الجواب وبالله التوفيق:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المصطفى، وآله وصحبه ومن لنهجهم قفا.. أما بعد:

فاعلموا إخواني أن الهداية والتوفيق إلى الإيمان والسداد والتقوى والعمل الصالح مِلكٌ محض لله ﷻ؛ يهبه سبحانه لمن يشاء بمنّه وكرمه وفضله، ويحرمه مَن يشاء، كما قال جل وعلا لنبيه محمد ﷺ وهو أكرم الخلق عليه وأحبهم عنده: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]، وقال: ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩] وقال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٧] ﴿يُهْدَى﴾ بالبناء للمفعول في قراءة نافعٍ وغيره، وقال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ﴾ [الزمر: ٣٦ - ٣٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ٩٩ - ١٠٠] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].. وهذا كثيرٌ في القرآن.

فهذا من أول ما ينبغي اعتقاده والاعتراف به لله ﷻ واطمئنانُ القلبِ به، فإذا حصل من العبدِ ذلك اقتضى منه أن يتوجه إلى مولاه ويلجأ إليه طالبًا الهداية ملحًّا في طلبها بحرص شديدٍ وطرق دائمٍ للبابِ، خائفًا وجِلًا متواضعًا مستشعرًا عجزه وفقره وضعفه وجهله وظلمه وحيف نفسه، مستحضرًا قول الله تعالى في الحديث القدسي: **(يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا مَن هديتُهُ، فاستهدوني أهدِكم)**[1]، ولسان حاله قبل مقاله: اللّهم إن لم تهدني فمن يهديني، اللّهم إن لم تتداركني برحمتك وتشملني بفضلك وترزقني الهداية ضللتُ وهلكتُ.

ثم ليعلم العبدُ المؤمن الذي هداه الله إلى أوائل مقامات الهداية، أن الهداية درجاتٌ ومقامات تسمو، كما قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد] ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ﴾ [مريم: ٧٦]، ولهذا أوجب الله ﷻ علينا أن نسأله الهداية كل يومٍ عددًا من المراتِ، وذلك هو

---

(١) صحيح مسلم (٦٧٣٧).

الدعاءُ الواجبُ على كل مسلمٍ وذلك حين أوجب الله علينا قراءة الفاتحة في صلواتنا وفيها هذه الآية: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة] وهي لبُّ فاتحة الكتاب، إذ ما قبلها مقدمة وتوطئة لها بحمد الله والثناء عليه وتمجيده ثم التوسل إليه، وما بعدها تكميل للدعاء بإظهار معنى الصراط المستقيم وإدماج التحدث بنعمة الله تعالى على عباده المصطفين الأخيار الذين هداهم الله ومنّ عليهم وأنجحهم.

وإن لتحصيل الهداية وتكميلها أسبابًا؛ فمن أهمّ أسبابها -بعد توفيق الله وما ذكرتُهُ من اللجوء إليه ودعائه سبحانه- هو أن يطلب العبدُ العلمَ النافع ويتفقه في الدين، على طريق صحيحٍ وقصدٍ مليح، ويحرص على الخيرِ ويطلب الفضل (يطلب أن يكون أفضلَ دائمًا)، وأن يحسن الظن بالله الجليل ويعتقد أن الله تعالى سهّل الأمرَ ويسّره لنا كما قال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر] ودل اعتبارُ مجموع فروع دينه وشريعته سبحانه على أنها يسرٌ. وسهلةٌ لا تعقيد فيها ولا تعنيتَ، ولا تشديد ولا تنطُّع، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠] أي لأوقعكم في العنتِ، وهو المشقة والضيق، أي ولكنه لم يفعل ﷻ رحمة بكم، بل يسّر عليكم وسهّلَ ووسّع. وكما قال النبي ﷺ **(هلَكَ المتنطِّعون)** قالها ثلاثًا رواه مسلم وغيره[1]، وهم المتعمقون المبالغون المجاوزون للحدود في الأقوال والأفعال المتكلِّفون البحثَ عن دقائق المسائل على طريقة أهل الكلام، فليوقن العبدُ أن الدين والعقيدة بحمد الله سهلة ميسورة، لا كما أرادها وصوّرها أصحابُ علم الكلامِ والفلسفات الفاسدة الحائدين عن سنن الشرع قديمًا وحديثًا.!

فما يجب علينا معرفته واعتقاده في حق الله تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه، وفي حق ملائكته، وفي حق رسله، وفي حق كتبه ودينه وشرائعه، وفي حق سائر المغيبات الماضية والحاضرة والآجلة الأخروية)، وفي حق سائر الخلق وأطوارهم، من مطيعين وعاصين، وفيما يتعلق بقضائه وقدَرِه سبحانه؛ فكله قد بيّنه الكتاب والسنة على الإجمال وعلى التفصيل.

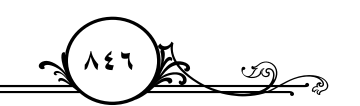
فمن حصَّل الإجمالَ وحَصَل منه التسليمُ فهو بحمد الله ناجٍ مفلحٌ.

ومَنْ منَّ الله عليه بالتفاصيل فهو أزكى، ومعرفة المكلفين بالتفاصيل بحسب ما يفتح الله عليهم من العلم والمعرفة والانقياد والتوفيق.

ثم ما هو حد تفاصيل الاعتقادات -فروع ومسائل العقيدة- التي يجب على العبدِ طلبُ معرفتها والسعي إلى أن يعلمها، هذا مجالٌ يدقّ فيه المسلك ويصعب ضبطه بعبارة يسيرة محكمة، فالله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٠)، مسند أحمد (٣٦٥٥)، سنن أبي داود (٤٦٨٠).



إلا أننا يمكن أن نذكر خطوطًا عريضة تعين على فهم المطلوب هنا فنقول:

• معلومٌ أن العلمَ النافع بإطلاقٍ منه ما يجب تعلّمُه على كل أحدٍ فهو فرضُ عينٍ، ومنه ما هو فرضُ كفاية، وقد فصّل العلماءُ ﷺ ذلك، وضابطُ ما يجب على المرءِ تعلّمُه: أن يكون مما لا يصح الإسلامُ والإيمانُ إلا به، وما يتوقّف عليه تأدية الواجبات وتصحيحُ ما يعمَلُه من الأعمال، وفي الجملة قد أمر الشرعُ بالتفقّه في الدين وحثّ عليه ورغّبَ فيه، ومن أهمه وأعلاه رتبة علم العقيدة والإيمان والتوحيد.. والنفوس الكاملة متطلعة إلى العِلم أشدّ تطلع ولا سيما علمُ العقيدة، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحثُ عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبرَ مقاصده وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر»[(١)] اهـ.

• لا ريبَ أن هنالك مسائل من العقائد يجب على كل مسلمٍ العلمُ بها، ويجب على الجاهِلِ تعلّمُها وبها يحصُلُ الإيمانُ الجمليّ وتحصُل النجاةُ من النفاق، كما أشرتُ، كما ألّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتاب الأصول الثلاثة وقال فيه: «اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة، تعلم هذه الثلاث مسائل، والعمل بهن...» اهـ ثم ذكرها، وقال: «فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ» اهـ[(٢)]. والمقصود: المعرفة الإجمالية، وقد قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد]، وقال ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

• إن تعلّم المرء لجميعِ ما يقوّي إيمانه ويزيدُهُ ويصححه ويجعله في مأمنٍ من الوقوع في الآفات والأخطاء والانحرافات والضلالات في جانب توحيد الباري ﷻ وتعظيمه وتقديسه.. مطلوبٌ في الجملة ودائرٌ بين الاستحباب والوجوب.

فالمسلم إذن يدرس «علم» التوحيد والعقيدة والإيمان لمقاصِدَ: لتصحيح عقيدته التي بها تصح الأعمالُ ويصح الإيمان ويزيد، وليحقق التوحيد بمعنى الإتيان بكل كمالاته الواجبة والمستحبة، وليأمَنَ من الوقوع في الضلالات أو الشرك والكفرِ والعياذ بالله.. ولذلك نصّ كثيرٌ من العلماء على أن علوم

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٨).

(٢) الأصول الثلاثة -مطبوعا ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- (١/ ١٨٦ - ١٨٧).

«التوحيد» و «العقيدة» و «مسائل الإيمان»، أي من حيثُ هي فنونٌ علمية، من أشرف العلوم وأعلاها رُتبةً، وهذا صحيحٌ ظاهرٌ؛ فتعلّم مسائل وفروع علم العقيدة والتوحيد إذن منه ما هو واجبٌ ومنه ما هو مستحبٌّ.

- لا ريبَ أنه لا يجوز اعتقادُ الباطلِ، وأنه يجب إزالةُ المنكرِ بحسب الإمكان، وأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والبيئات، فمن تلطخ بالشّبهات غيرُ من كان في العافية، ومن تهيّأ للمراتب العالية وتصدّر للعلم والتعليم والدعوة والقيادة ونحوها غير من ليس كذلك من العوامّ.

ونسأل الله تعالى أن يلهمنا وسائر إخواننا الهُدى والسداد، وأن يجنبنا مضلات الفتن.

فائدة: قال الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية ﵀ في جواب من سأله أن يرشده إلى ما ينفعه من الكتب: «وقد أوعبت الأمةُ في كل فن من فنون العلم إيعابا؛ فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرةُ الكتب إلا حيرةً وضلالا، كما قال النبي ﷺ للبيد الأنصاري: (**أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟**)[1] فنسأل الله العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ويلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب»[2] اهـ.

وبعد هذه المقدمة التي أرجو أن تكون معينة على الحق.. أدرج إلى الجواب على السؤال؛ فأقول وبالله أستعين:

الإخوة المجتمعون في «جماعة قاعدة الجهاد» اجتمعوا بحمد الله تعالى على دين الإسلام وعقيدته ومنهجه، وهي الإيمانُ بما جاء به محمدٌ ﷺ، واتِّباعُهُ محبةً وإجلالًا وتعظيمًا، والانقيادُ لحُكمه والكون معه ومِن أوليائه؛ وهي الإسلام والإيمان، وقد بني الإسلام على خمس؛ شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت مَنِ استطاع إليه سبيلا، والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأما في التفاصيل التي يسأل عنها الناسُ، وأظن السائل يقصدها، إذ قد وقع في أمة الإسلامِ الاختلافُ والتنازُع والتفرق في الدين كما حصل في الأمم قبلهم، مصداقَ ما أخبر الصادقُ المصدوق ﷺ في حديث افتراق الأمة وهو حديث صحيحٌ ثابتٌ وله طرق وألفاظ في السنن، ومنها قوله:

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٥٣) وصححه الألباني.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٥).

(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار، قيل يا رسول الله من هم؟ قال الجماعة) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألباني[1].

فإننا بحمد الله نرجو ونسعى ونجتهد أن نكون من الفرقة الناجية، التي جاء وصفها في الحديث المتقدم بأنها هي الجماعةُ، والمقصود بها الجماعة الأولى والجماعة قبل أن تفسد؛ كما قال بعض علماء الصحابة وهو ابن مسعود ﵁ للتابعيّ المخضرم عمرو بن ميمون ﵀: «يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية؛ تدري ما الجماعة؟ قلت لا، قال: إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك». وفي رواية: فقال ابن مسعود –وضرب على فخذي-: «ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى». قال نعيم بن حماد: «يعني: إذا فسدت الجماعةُ فعليك بما كانت عليه الجماعةُ قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ». ذكره أبو شامه في «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، وقال: أخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي ﵀ تعالى في كتاب «المدخل»[2].

وجاء وصفها أيضا بأنها «على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه» وهو مطابق للوصف السابق؛ كما في رواية الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ مرفوعًا: **(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوَ النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمَّهُ علانيةً لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا ومن هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي)**؛ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وصححه الشيخ الألباني وغيره[3].

ونرجو ونسعى ونجتهد أن نكون من الطائفة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في الحديث المتواتر المرويّ بألفاظٍ متنوعةٍ، في الصحيحين والسنن وغيرها من دواوين الحديث، ومنها ما في صحيح مسلم من حديث ثوبان ﵁ مرفوعًا: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من**

---

(١) سنن ابن ماجه (٣٩٩٢) وصححه الألباني.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٢)، وينظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٦٤).

(٣) سنن الترمذي (٢٦٤١).

خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[١] ومن حديث جابرٍ رضي الله عنه مرفوعًا: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة).

وأما تفاصيل مجمل الاعتقاد على الأبواب كما فرّعه الناسُ وكتبوا فيه؛ فإننا على مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث النبوي الشريف المتبعين سنة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وسنة أصحابه المرضيين وخلفائه الراشدين المهديين، فما بان في نصوص الكتاب والسنة وأجمعوا عليه فهو ذاك ولا محيد عنه، وما احتمل ووقع فيه الاختلافُ بين العلماء رجّحنا بحسب الدليل والحجة والبرهان على طريقة أهل العلم رضي الله عنهم.. والحمد لله رب العالمين.

هذا وينبغي أن يُعلَمَ أن تصحيحَ الاعتقادِ واجبٌ، كما سبقَ، لكنه لا يُغني عن تصحيحِ أعمال القلوبِ، فكمْ قد رأينا في الناسِ من هو عارفٌ باعتقادات أهل السنة حافظٌ لها نظريًّا، مناظِرٌ عنها، وهو مع ذلك رقيق الدين قليلُ الأمانة قاعدٌ عن أداءِ الواجبات المتحتّمات من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة الحق وإقامة الدين، مرتمٍ في أحضان السلاطين الزنادقة الطغاة، والغٌ في موائدهم متضلّعٌ من صِلاتهم وزقّومهم، منافِحٌ عنهم وهو يعرِف حالهم، حبًّا في الدنيا وزُخرفها من المكاسب من مالٍ وجاهٍ، فلم ينتفع حقَّ الانتفاع.. فمعرفته بعقائد أهل السنة والجماعة نظريًا والانتساب إليها وحفظِ ألفاظها وكُتبها. والسبب في ذلك هو إيثار الدنيا واللّذة العاجلة الكدِرة الفانية على الآخرة الباقية الكاملة، وذلك لضعفِ ما في القلبِ من الإرادة وقلةِ اليقين وقلة الصبرِ، وبالجملة فإن ذلك من خذلان الله تعالى له وتخلّيه عنه وعدم توفيقه إياه.. نسأل الله السترَ والعافية.

ولذلك فالواجبُ أن يكون تصحيح الاعتقادِ وأن تكون دراسةُ العقيدة مؤديةً إلى صحة القلبِ وحياته وعِمارته بحقائق الإيمان من معرفة الله تعالى وإجلاله وتقديره حق قدره، وتعظيمه تعالى وتعظيم أمره ونهيه وتعظيم شعائره، والخوف منه والرهبة له وخشيته عز وجل ومراقبته، ومحبته تعالى ورجائه وتعلّق القلب به، والذلة له والخضوع والتسليم والانقياد باطنا لحكمه، وشكره وذكره جل وعلا، والصبر على طاعته وعن معصيته والصبر على أقداره، والتوبة والأوبة إليه والإنابة، والتوكل والاعتماد عليه والثقة به، وحسن الظن به عز وجل، والتفويض والتسليم له، والرضا بقسمته وقضائه وقدره، والتصديق الجازم لخبره ووعده ووعيده وكل ما جاء به نبيّه ﷺ، والإخلاص في عبادته وتمحيض القصد والتوجه إليه سبحانه، وغير ذلك من أعمال القلوب التي هي قاعدة التقوى والأمانة

(١) صحيح مسلم (٥٥٠٩).

وصلاح السريرة والباطن الذي يتبعه صلاح الظاهر، فإن التقوى هي كما قال التابعيّ طلق بن حبيب رحمه الله: «العملُ بطاعة الله على نورٍ من الله رجاءَ ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافةَ عذاب الله»[(١)].

إن مقصد الشرائع وتعلّمها والعمل بها هو تحصيل التقوى، ليكون العبدُ من المتقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة] وقال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه]، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ [الأعراف]، وأخبر أن الجنة التي عرضها السموات والأرض ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقال: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران]، ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٣٥﴾ [الزخرف] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور] وأخبر أنه ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وأنه ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل] وهذه هي المعيّة الخاصة التي معناها النُّصرة والتأييد والإمداد والعون والتوفيق، وهي تتضمّن أو تستلزم المحبة والرضا.

وأصل التقوى ومركزُها في القلبِ؛ فإذا عُمِّرَ بها القلبُ صلُحَ، وإذا صَلُح القلبُ صلحت الأعمال وحصلت الاستقامة، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي في صحيح مسلم وغيره: (**التقوى هٰهنا، التقوى هٰهنا، التقوى هٰهنا) وأشار إلى صدره** ﷺ[(٢)]، وكما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ: (**ألا وإن في الجسدِ مضغةً إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسدُ كله، ألا وهي القلب**)[(٣)].

ومن أهم الأسباب المعينة على ذلك باختصارٍ:

- عبادة التفكّر، وهي من أجلّ العباداتِ التي أمر الله بها وحث عليها، وأكثرُ الناسِ عنها غافلون وفيها مقصّرون.
- الاهتمام بقراءة كتب الرقائق والتربية والتزكية، التي تعتني بأحوال القلب والنفس ومعالجة

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣٥٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٢)، صحيح مسلم (١٥٩٩).

أمراضها، وكيفية تقويمها وتحليتها بالأخلاق الحسنة والفضائل والآداب الطيبة.

- أخذ النفس بحظٍ من العبادةِ، بالاهتمام بالفرائض والواجبات ثم الاجتهاد في الإكثار من النوافل والقُرُبات، والاجتهاد في أن يكون للإنسان عبادةٌ أو عبادات في السرّ.
- معرفة أحوال الصالحين من سلفنا وأئمتنا وأخيار الأمة، بقراءة سِيَرهم وتراجمهم وأخبارهم، ليحصل الاقتداء والتشبّه بهم.
- الاهتمام بمعرفة أسماء الله الحسنى وحفظها ومعرفة معانيها والتأثر بها، وذلك بطلب هذا العلم والقراءة فيه، وفيه كتبٌ مصنفة قديمًا وحديثا، ومن أحسنها للمعاصرين كتاب «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة» للقحطاني[1]، مع ما في كتب التفسير وشروح الحديث وغيرها من ذلك وهو كثيرٌ جدًّا.
- عَمَلُ الإنسان بما يعلَمُ؛ فمهما علِم من العلم النافع من الفقه ومن الأخلاق ومن سنن المصطفى ﷺ ولو كان قليلًا -بعد أن يتثبّت منه ويتلقاه صحيحًا- فإنه يعمَلُ به ليفتح الله عليه مزيدًا من العلمِ والعمل.

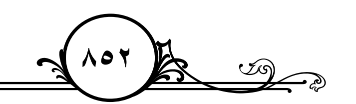
فإذا اتضح للسائلين ما تقدم من عقيدتنا -عقيدة التنظيم- فقد تبيّن أننا نعتقد ما هو من أصول أهل السنة والجماعة من أن «الدينَ والإيمانَ قولٌ وعملٌ؛ قولُ القلبِ واللسانِ، وعملُ القلبِ واللسانِ والجوارحِ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»، **وإننا نبرأ من الإرجاء بجميع أنواعه وصوره.**

والحق أن الإرجاءَ مفهومٌ خبيثٌ يتلوّن في صورٍ وقوالبَ شتّى ويتخذ أشكالًا وعبارات مزوّقةً، يظهر منها في الأعصُر. والبيئات نماذج متعددة، متفاوتة الخطورة، ولكنْ من عرفَ الحقَّ الذي جاء به القرآن والسنة وما كان عليه السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ، وفقُه في الدين، فإنه يكون في حِرزٍ منه إن شاء الله.

وإذن فأنواع الإرجاء وأقسامُهُ وصوره كثيرةٌ قد بيّنها علماؤنا قديمًا وحديثًا وحذروا منها وهي درجاتٌ في القُبْح والفسادِ، فأنا أذكُرُ منها ما تيسّر الإحاطة به تبيينًا لها لتحذر وتنكر:

فمنها -وهو أخبثها وأكثرها غلوًّا-: القولُ بأن الإيمان هو المعرفة فقط، أي المعرفة بالقلبِ، أي أن من عرفَ الله بقلبه؛ حتى لو لم يحصل عنده تصديقٌ (مع أنه من الصعبِ جدًا إن لم يكن مستحيلا

(١) يعتبر هذا الكتاب من أحسن كتب شرح أسماء الله الحسنى، حيث شرح فيه تسعة وتسعين اسما مع ذكر أدلتها، وقسم كتابه إلى خمسة عشر مبحثًا آخرها في شرح هذه الأسماء؛ وبلغت عدد صفحاته قرابة ٢٦٠، في طبعة مؤسسة الجريسي بالرياض.



التفريق بين المعرفة والتصديق)، فهو المؤمنُ. فعندهم أن التصديقَ الجازِمَ والإقرار والنطق بشعارِ الإسلام والإيمان والأعمال، كلها لا تدخل في مسمّى الإيمان.. وهذا هو قول الجهمية، ومعنى هذا أن مَن وُجِدت منه هذه المعرفة فهو مؤمن بغضّ النظر عما يظهر بلسانه أو جوارحه، فحتى لو أظهر الكفرَ بلسانه فما دام قد عرفَ أن الله هو الإله الحق فهو مؤمن، ولازم مذهبهم أن الشيطانَ وفرعون وقارون وهامان وأبا جهل وأمثالهم مؤمنون.. نعوذ بالله من الكفر والضلالة.

فهذا المذهب كفرٌ وخروج من ملة الإسلام ومضادّة صريحةٌ بيّنةٌ للقرآن ولما جاء به محمدٌ ﷺ.

ومنها: القولُ بأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، فمَن أقرّ بلسانه بالإيمان فهو مؤمنٌ، بغضّ النظر عما في قلبه والعياذ بالله؛ وهذا هو قول قومٍ عُرفوا بالكرّامية (نسبة إلى شخصٍ اسمه: محمد بن كرام السجستاني).. وعند هؤلاء أن المنافقين مؤمنون كاملو الإيمان في الدنيا لأنهم يقرون بالإيمان بألسنتهم، ولكنهم مخلّدون في النارِ في الآخرة.

نسأل الله العافية والسلامة، ولا شك أن هذا المذهب فاسِدٌ متناقضٌ وأنه خلافُ الحق الذي جاء به الكتابُ والسنة، ولا شك أن المنافقين كفّارٌ في الباطن غيرُ مؤمنين، وإن كانوا معدودين مسلمين في الظاهرِ تجري عليهم أحكام الإسلام، فهم مسلمون عند مَن لم يتبيّن له نفاقُهُم (كفرُهم في الباطن) بالدليل القاطع. وهذا من المواضع التي يظهر فيها الفرقُ بين الإسلام والإيمان.

ومنها: القولُ بأن الإيمان هو التصديق بالقلبِ فقط. أي وليس منه الإقرارُ باللسان ولا عملُ الجوارح، وهو قول كثيرٍ من المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية.

وهؤلاء احتاجوا إلى أن يقولوا: إن الإقرار باللسان شرطٌ لإجراء أحكام الإسلام في الدنيا فقط، وليس هو من حقيقة الإيمان.

ولا شك في بطلان هذا أيضا ومخالفته الصريحة لأدلة القرآن والسنة وإجماع السلف.

وكل هؤلاء الطوائف يقولون: لا يضرّ مع الإيمان ذنبٌ، وينكرون أن الإيمان يزيد وينقصُ، نعوذ بالله من الضلالة.

ومنها: القولُ بأن الإيمان هو الاعتقادُ (أي التصديق) بالجنان (أي بالقلبِ) والإقرارُ باللسان، فقط، وليست الأعمالُ (أعمال الجوارح) داخلةً في حقيقة الإيمان (في مسمى الإيمان)، ولكن قالوا: إن أعمال الجوارح لازمة للإيمان.

وهذا هو ما عُرِف عند علمائنا بإرجاء الفقهاء، ونُسِبَ القولُ به إلى الإمام أبي حنيفة ﷺ وشيخه

حمّاد بن أبي سليمان ﷺ، وغيرهما.

ولا شك أنه خطأٌ ومخالفٌ لما دلتْ عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماعُ السلف أيضا قبلهم.. ولكن مخالفته للحق أخفّ من كل ما قبله، حتى قال جماعةٌ من علماء أهل السنة إن الخلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة خلافٌ صوريّ لفظيّ[1].

ومن صور الإرجاء وألوانه الخبيثة المتجددة التي هي مظهرٌ لتلك الاعتقادات الرديّة للمرجئة الجهمية وأضرابهم مما ذكرتُه أعلاه، والتي تم إحياؤها وبثُّها وتزيينها هو ما ظهر به علينا أقوامٌ من المبتدعة أهلِ الأهواء في هذه الأزمان، وغالبُهم من المتزلفين للطواغيت من السلاطين، وأصحابِ دين الملوك كما عبّر بعض السلف عن الإرجاء قديمًا بأنه دينٌ تحبه الملوك.

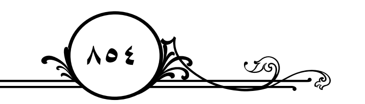
ومن ذلك قولهم:

- لا كفر إلا بالجحود.
- لا كفر إلا كفر التكذيب؛ أي أن الكفر منحصرٌ في هذا النوع فقط (كفر التكذيب).
- لا كفر إلا مع الاستحلال (استحلال العمل الذي هو كفرٌ بنص القرآن أو السنة أو بالإجماع).
- لا كفرَ إلا بالاعتقادِ؛ وإن الكفرَ محصورٌ في الاعتقاد فقط، وليس شيءٌ من أعمال الجوارحِ كفرًا أكبر مخرجًا من الملة بنفسه، إلا أن يكون معه الاعتقاد، والاعتقاد الذي يكون معه هو: تكذيبٌ وجحود، أو استحلال الكفر.
- لا كفرَ إلا أن يقصد الإنسانُ الكفرَ، أي يقصد ويريد أن يَصِيرَ كافرًا، وحتى يُعلَمَ انشراحُ صدره بالكفر.
- أنه ليس شيءٌ من الأعمالِ كفرًا أكبرَ بنفسه، بل حيثُ ثبتَ الدليلُ الشرعيّ على أنه كفرٌ أكبر فمعناه أنه دليلٌ على كفرِ القلبِ.!

فهذه كلها من صورِ وألوان الإرجاء الخبيثة التي نبرأ إلى الله منها.

---

(١) كتب جملة من العلماء في باب الإرجاء، وبيان أقوال الناس فيه ونقض كلامهم تفصيلا، وممن كتب في ذلك من المعاصرين: سفر الحوالي في كتابه: «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»، وأبي معاوية علي أحمد سزف في كتابه «التبيان لعلاقة العمل بمسى الإيمان»، والكثيري في «براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة»، والشثري في رسالته المختصرة: «حقيقة الإيمان وبدع المرجئة في القديم والحديث»، وأبو عبد الله التونسي في رسالته: «مجمل أقوال السلف في ذم الإرجاء وأهله»، وقد نقض أهل العلم الإرجاء المعاصر في عدد من الرسائل من أهمها: «حول مرجئة العصر» لأبي قتادة الفلسطيني، و«إمتاع النظر في كشف شبه مرجئة العصر» لأبي محمد المقدسي، و«تأسيس النظر في رد شبه مرجئة العصر حول الحاكمية والجهاد» لأبي عبيدة عبد الكريم الشاذلي.. الخ.



وأما أهل السنة والجماعة نصرَهم الله وأعزّهم وكثّر سوادهم فإنهم يعتقدون ويقولون كما سبق: إن الإيمان هو قول وعمل ونيّةٌ، يزيد وينقص، وإن ضدّه وهو الكفرُ يكون: بالاعتقاد، والشكّ، والقول، والفعلِ، والتَّرْكِ، فيكون كفرَ تكذيبٍ، أو كفرَ جحودٍ، أو كفرَ شكٍّ، أو كفرَ إباءٍ واستكبارٍ، أو كفرَ إعراضٍ، أو كفرَ جهلٍ. ويقولون: إن ما ثبتَ بالدليل الشرعيّ أنه كفرٌ مخرجٌ من الملة فهو كفرٌ يقال هو كفرٌ، ويُقالُ: من فعله فهو كافرٌ، ثم الشخص المعيّنُ (الفاعل) يُحكَمُ بكفرِه إذا توفّرت شروطُ الحكم وانتفتْ موانِعُهُ. ولا يُقالُ فيه (أي فيما ثبتَ بالدليل الشرعيّ أنه كفرٌ): لا، حتى ننظر إلى الفاعلِ هل اعتقدَ الكفرَ أو لا، أو ننظر هل استحلّ فعلَ هذا الكفر أو لا، أو ننظر هل هو مكذّب وجاحدٌ أو لا.

نسأل الله أن يثبّنا على الهُدى وأن يعيذنا من مضلات الفتن.

تنبيه مهم: مما ينبغي أن يُعرَف أن بعض العلماء من أهل السنة قد يقول قولًا يوافق بعضَ ما تقدّم من الأقوال التي فيها إرجاءٌ، من الدرجات الخفية والأقل وضوحًا، وهو في الجملة على عقيدة أهل السنة والجماعة، لكن أخطأ وأداه اجتهادُهُ إلى قولٍ ظنّه الحقَّ وافقَ قولًا للمرجئة، فمثل هذا لا نسارع بوصفه بالإرجاءِ، فإن كان لا بد من الكلام عليه لبيان زلته والتحذير منها فيقال مثلا: أخطأ ووافق المرجئة في كذا، وقال قولًا مؤدَّاه إلى قول المرجئة وهو كذا وكذا. وإنما ينسَبُ الإنسانُ إلى أظهر وأكثر ما عنده. وبالجملة يجب التثبّت والاحتياط والورع في نعتِ أحدٍ بالبدعةِ، ولا سيما العلماء ومن ظهرَ فضلُهُ وكثُرَ صوابُهُ وخيرُهُ وعُرِفَ التزامه بالسنة منهم، وظهر حرصه عليها وذبُّه عنها، وشدَّة تحرِّيه في اتِّباعها.

وأما قول السائل: وما قولكم في مسألة التكفير؟

فالجواب بحمد الله تعالى: أن مسألة التكفير هي فرعٌ عن مسألة الإسلام والإيمان؛ إذِ الكفرُ ضدُّ الإيمان، ومن الكفرِ الشركُ بالله وهو ضد التوحيد. ونحن بحمد الله تعالى على مذهب أهل السنة والجماعة كما ذكرنا في كل الأبواب، ومنها مسألة الإيمان حدّه ومسمّاه ومعرفة ما يناقضه ويضادّه، ومعرفة التوحيد لله رب العالمين في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته سبحانه، ومعرفة ما ينقض ذلك ويفسده، ومعرفة ما يدخل به الكافر في الإسلام فيصير مسلمًا، وما يخرج به المسلم من الإسلام فيصير كافرًا مرتدًا والعياذ بالله.

في كل ذلك نحن على مذهبِ علمائنا وأئمتنا من أهل السنة والجماعة.

ومسألة التكفير والكلام فيها يؤخذ من مجموع كلام العلماء في كتب العقائد والإيمان والتوحيد،

وكتب الفقه في الأبواب التي يعقدها الفقهاء للردّة –أعاذنا الله وإياكم منها– وأحكامها وأحكام المرتد.. ولهذا ننبّه دائمًا على خطأ من يعتمد في فهم أحكام مسألة التكفير على ما في كتب التوحيد والعقيدة فقط، يشدو منها طرفًا ثم يظل يطلق الأحكامَ بدونِ معرفة بـ «الفقه» وأقوال الفقهاء وطرائقهم وشروحهم.

وفي عصرنا كُتِبت عدة مؤلفات في هذه المسألة وفي بيان نواقض الإسلام القولية والعملية وغيرها، منها الجيّد ومنها دون ذلك، وطالبُ العلم يستفيد منها، ويسترشِدُ العلماء الأمناء ويراجعهم في مواطن الإشكال، ويتذكر الفائدة التي مرت عن شيخ الإسلام ابن تيمية في كثرة الكتب[١]، ويكثِرُ من الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به في افتتاح صلاته من الليل: **(اللّٰهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم)**[٢]، والتوفيق بيد الله وحده.

وأذكر هنا جملا مفيدة في هذه المسألة (مسألة التكفير):

أولا: التكفير هو الحكمُ بكفرِ الشخص.. هذا هو الاستعمالُ الأكثر، وقد يستعمَلُ لتكفير «الفعل» ومعناه حينها الحكمُ بأن الفعل الفلاني من أفعال المكلفين –فعلٌ أو تركٌ، أو قول، أو اعتقادٌ ومنه الشك– محكومٌ عليه في ديننا وشريعتنا بأنه كفرٌ وخروجٌ من دائرة الإسلام، وهو التكفير المطلق في الاصطلاح.

ثانيًا: التكفير سواءٌ كان مطلقًا –وهو الحكم بأن الفعل أو الترك، أو القول أو الاعتقاد ومنه الشك، كفرٌ–، أو كان معيّنًا –وهو الحكم بأن الشخص المعيّن الفلاني قد انطبق عليه الكفرُ فهو كافرٌ خارج من ملة الإسلام، غيرُ مسلمٍ– هو حكمٌ شرعيّ، ككل الأحكام الشرعية؛ لا يجوز القول به إلا ببرهانٍ من الله ﷻ، بمعنى أن تدل الشريعة المطهرة عليه دلالة بيّنة.

فما صح الدليل من القرآن والسنة وما في معناهما على أنه كفرٌ فنقول هو كفرٌ.

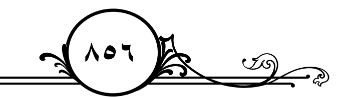
ونطلِقُ فنقولُ: مَن فعل كذا فهو كافرٌ؛ لبيان الحُكمِ وللتخويف والزجر والردع.

ثم الشخص المعيّن، أي فلان بن فلان الذي وقع منه هذا الفعلُ نحكُمُ عليه بأنه كافرٌ إذا توفرت شروط التكفير ولم توجدْ موانِعُ تمنَع من إيقاع الكفرِ عليه، وهذا هو: تكفيرُ المعيّن.

---

(١) يعني قول شيخ الإسلام المتقدم قبل وُرَيْقات: «وقد أوعبت الأمةُ في كل فن من فنون العلم إيعابا؛ فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرةُ الكتب إلا حيرةً وضلالا».

(٢) سنن أبي داود (٧٦٧)، سنن الترمذي (٣٤٢٠)، سنن النسائي (١٦٢٥)، وصححه الألباني.



ثالثًا: إذا عرفنا أنه حكمٌ شرعيّ فسبيلُهُ سبيل سائر الأحكام الشرعية من حيث درجةُ ثبوتِه، فمنه ما هو مستيقن مقطوعٌ به، مثالُهُ: كون اليهود والنصارى كفارًا وكذا الوثنيون عبّاد الأصنام والأوثان كما كان عليه حالُ مشركي العرب الذين بُعث رسول الله ﷺ فيهم، وكما عليه حالُ عبّاد البقر من الهندوس في الهند حاليًا وكذا عبّاد بوذا «البوذيون»، وأشكالهم من كلّ أصحاب الأديان والمللِ غير ملة الإسلام، ومن لم يدخل في الإسلام ولا انتسبَ إليه في وقت من الأوقات، نعوذ بالله من حالهم.

فهؤلاء كفرُهُم -أي كونهم كفارًا- مقطوعٌ به وهو معلوم من الدين بالضرورة، ويجب على كل مسلم عرفهم أن يعتقد أنهم كفارٌ.

ومنه ما هو ملحقٌ بذلك كالمرتد الذي صرّح وأعلن بالانتقال إلى ملة أخرى غير ملة الإسلام، كمن يتنصّرون والعياذ بالله ويُعلنون كفرهم بدين الإسلام ورفضه والانتقال إلى دين النصارى.

وقريبٌ منه كفرُ مَن اتبع مدّعي نبوّةٍ كأتباع مسيلمة الكذاب لعنه الله، وأتباع الدجاجلة المتنبّئين الكذابين، ثم قريبٌ منه -وهذا كله في المرتد- من يجاهِر بالكفر الصريحِ ويسبّ الدين ويستهزئ به بشكلٍ واضح لا لَبْسَ فيه، ولا سيما مع التكرر، ومن هؤلاء من يكون كفره أعظم وأوضح من كفر اليهود والنصارى.. وهكذا.

ومنه ما هو دون ذلك؛ حكمٌ اجتهاديّ يحكم به الفقيه المؤهّلُ كالحكم على حاكمٍ بأنه كفرَ لأنه لم يحكم بالشريعة، فإن ذلك درجاتٌ تتفاوتُ: كمن نبذها رأسًا ولم يحكم بشيء منها، أو من حكم ببعضها دون بعضٍ بحيث يمكن أن يدّعي أو يُدّعى له أن له عذرًا وتأوّلًا فيما لم يحكم به، ومن هو متصوّرٌ فيه شبهةٌ وتأويلٌ، ومَنْ لا، وغير ذلك من الأمثلة وهو كثيرٌ جدًا.

وكمن كفر بفعلٍ مكفّر وقع الخلاف بين العلماء في التكفير به، وترجّح عند البعضِ التكفيرُ به، كلبْس الصليب، وكترك الصلاة تركًا تامًّا بالكلية.. وهكذا.

قال الشيخ محمد أنور كشميري: «مأخذ التكفير أي دليله الذي أخذ منه وبُني عليه قد يكون ظنيًا، ونظيره العمل بالظن في حالة الجهاد إذا تردد في شخص أهو مسلم أم لا، ولا ينبغي أن يظن أن التكفيرَ ونفيه ينبغي أن يدرك قطعًا في كل مقام؛ بل التكفير حكمٌ شرعي، يرجع إلى إباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار؛ فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية؛ فتارةً يُدرَكُ بيقينٍ، وتارةً بظنٍّ غالبٍ، وتارةً يُتَرَدَّدُ فيه، ومهما حصل ترددٌ فالوقف فيه عن التكفير أولى» اهـ، من «إكفار الملحدين في



ضروريات الدين»، مستفيدًا من الغزالي في «التفرقة»[١].

رابعًا: وكما يقع الاختلافُ من الفقهاء المُفتين، ويقعُ الترددُ من الفقيه الواحد في الحكم بأن شيئًا من أفعالِ المكلّفين كفرٌ أو لا، كذلك يقع الاختلافُ والترددُ في إيقاع الكفر على الفاعلِ، أي تكفير المعيّن، بسبب الاختلاف في النظر في الشروط والموانع وتطبيقها.

خامسًا: وبناءً على ما سبق؛ فإنه لا يجوز الإقدامُ على تكفير أحدٍ من أهلِ الإسلام، أي ممن سبق أن حُكِم بإسلامه وثبتَ له عقدُ الإسلام، إلا ببرهانٍ من شريعة الله تعالى، ولأن الحكم بالتكفير حكم شرعيّ تتفاوت درجاتُ وضوحه وثبوته كما أشرنا:

- فإن الواضحَ منه جدًا يعرفُهُ المسلمون أو أكثرُهم ومتوسّطوهم، وربما استوى العالِمِ والعامّيُّ في معرفته، كبعض الأمثلة المبيّنة أعلاه، وكمن يسبّ الله ﷻ وتبارك وتعالى وتقدس، ويسبّ دينه، ويستهزئ به بشكل صريح واضحٍ لا لبسَ فيه، ولا سيما مع التكرر مثلا؛ فإن هذا لا يحتاجُ إلى أن يُفتِي فيه عالِمٌ لأن كل الناسِ علماءُ بأن هذا العمل كفرٌ أكبر مخرجٌ من ملة الإسلام، فمَن رأى من يفعل ذلك ولم يكن مُكرَهًا -كأن يكون طاغيةٌ يُكرِهُهُ على فعل ذلك في سجنٍ ويعذبه مثلا-، ولا كان مجنونًا -فإن المجنون المسلمَ محكومٌ بإسلامه ولا تصحُّ ردّتُهُ- فإنه يحكم بكفره.

- أما غيرُ الواضح جدًا، مما قد يقع الخلاف بين أهل العلم فيه من الأعمال هل هو كفرٌ أو لا، أو يقع الخلافُ والتردد في تكفير فاعِلِهِ بناءً على: هل له عذرٌ أو لا، أي هل توفرت في حقه الشروط وانتفت الموانع للحكم عليه بالكفرِ أو لا.. فهذا يجبُ أن يُترَكَ للعلماء ولا يتكلم فيه مَن ليس من أهل العلم؛ لأنه مظنة الخطأ، والخطأ في هذا البابِ على وجه الخصوص خطيرٌ وأمرُه صعبٌ، لما ورد في الشريعة من التحذيرِ من الإقدام على تكفيرِ مسلمٍ بغير حق والمبادرةِ إليه، والوعيد على ذلك، فيخشى المؤمنُ الحريصُ على دينه والنجاة في آخرته أن يكفّر مَن لا يستحق التكفير فيبوء بالوعيد الشديد.!

والله أعلم، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا وإخواننا الهدى والسداد..

وأما الكلام على تركيا وواقعها؛ فيحتاجُ إلى تفصيل، ولا بد من النظر إلى كل مسألة نظرًا خاصًا.

وعلى ضوءِ ما ذكرتُ فيما سبقَ فإن الواجبَ على عمومِ الإخوة أن يسألوا العلماء ولا يتسرّعوا في تكفيرِ الناس، بمجرد ما يقرأون ويفهمون من عبارات المؤلفين في الكتب، فإن هذا من أسباب الغلط الفاحشِ؛ لأن الأخ «العامّيّ» يطبّق ما يفهمُهُ من تلك الكتب، فربما أخطأ في الفهم، وربما أخطأ في

---

(١) إكفار المحدين في ضروريات الدين (ص ١١٦، ١١٧).

التطبيق، وربما أخطأ في كليهما، فيحصل فسادٌ كبير.!

ولذلك نكرر ونوصي بأن تُترك مسائل التكفير للعلماء، وعلى الشباب أن يعلموا أنها -أكثرها- مسائل اجتهادٍ يُحتمل فيها الاختلافُ، فلا يتعصّب أحدٌ لقولٍ ولا لشيخٍ ولا لجماعةٍ، ولا ينصبوا العداء من بعضهم لبعضٍ بسبب الاختلاف في تكفير شخصٍ أو أناسٍ أو طائفة، ممن سبيلُ تكفيرهم الاجتهاد، بل من بانَ له الحق بنفسه وبحثه ونظره من طلبةِ العلم فاطمأن له فليعمل به، ومن لم يتبيّن له فليحتطْ، وليعذر كلُّ أحدٍ مَن خالفه في شيءٍ من ذلك.

هذا هو السبيل الصحيحُ، وإلا فلن يكون هناك صلاحٌ ولا إصلاحٌ وقد يُفسِد الشبابُ وينفِّرون عن الدين ويصدّون عن سبيل الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وأنهم ينصرون دين الله؛ فيكونون معرّضين للوعيد الشديد.. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ [النحل] قال ابن كثير رحمه الله: «حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلًا أي خديعة ومكرًا، لئلا تَزل قدم بعد ثبوتها، مَثَلٌ لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزلَّ عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله، لأن الكافرَ إذا رأى أن المؤمنَ قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصدَّ بسببه عن الدخول في الإسلام» اهـ. فإذا كان هذا الصدّ عن سبيل الله وهذا الوعيد الشديدُ عليه يقع بسبب التلاعب بالأيمان واتخاذها للخديعة والمكر، فإن ما يقعُ من التنفيرِ عن دين الله والصدّ عنه بسبب «التلاعب» بأحكام التكفير والتصرف فيها بجهلٍ وغلوّ وتعصّبٍ واستعجالٍ، أكبر من ذلك بكثيرٍ، كما هو معروفٌ، فليحذر الشباب المجاهدون والدعاة إلى الله من ذلك أشدّ الحذر. والله وليّ التوفيق.

بقي أن أشير إلى أشياء:

- **فأما كتب الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز** المشار إليها، فهي تتمثل في كتاب «الجامع في طلب العلم الشريف» وقد بيّنا من قبلُ وبيّن غيرُنا بعض ما في هذا الكتاب من أخطاء منهجية وجزئية، فلتُراجع، وأنا أنصح الإخوة الأتراك على وجه الخصوص باجتنابِ هذا الكتاب، فإنه (الكتاب) على فائدته لا يكاد يستفيد منه الاستفادة المأمونة من الخطل والشطط إلا طالبُ علمٍ درس العلوم ونهل منها وأسس لنفسه قاعدةً جيدة فيها. وأما من لم يكن من طلبة العلم فالكتاب مضرّ له وخطِر في حقه.

وقد بلغني أن بعض الإخوة الأتراك يريدون ترجمته إلى التركية، وأنا أحذِّرُهم من ذلك لسببين: الأول هو ما تقدم، ولأن الكتاب لا يستفيدُ منه إلا طالبُ علمٍ درس فنون العلم وتمرّس، وطالبُ



العلم هذا إذا وُجِد فالأفضلُ أن يقرأ الكتابَ بالعربية كما هو، أي بدونِ ترجمةٍ. والسبب الثاني: أن ترجمة كتابٍ كهذا غايةٌ في الصعوبة، فإن الترجمة علمٌ وفنّ له أهله ومؤهّلاته، وترجمة كتابٍ كهذا تحتاجُ إلى عالمٍ باللغة العربية وبالفقه والشريعة متضلّعًا منهما، ويندر وجود هذا، وأما أن يُقدِم بعضُ الإخوة ممن عرفَ شيئا قليلا أو متوسّطًا من العربية ولا إلمامَ له جيّدٌ بالفقه وعلوم الدين فيترجمه فإنه يضلّ ويفسِدُ من حيثُ يظن أنه يُحسِنُ، فلا يجوزُ الإقدامُ على هذا بدون التأهّل اللازمِ الذي يضمَن صحة الترجمة ودقتها وسلامةَ وكمالَ نقلها للمعنى إلى اللغة المعنيّة، والغالبُ أن يحتاجَ مثلُ هذا إلى مترجمين ومراجعين قادرين متعددين.. ثم في كتب الدعوة والعقائد والفقه والتربية ما هو أجدَرُ وأولى بالترجمة وبأن يُنشَرَ بين الناس ويوفّر لهم بأسعارٍ هيّنة، والحمد لله.

- وأما الإشارة إلى كتب الشيخ أبي محمد المقدسي، فلا أدري أيّ كتابٍ المقصود، ولكن من أحسن كتب الشيخ أبي محمد المتأخرة، في هذا الباب كتابُ: «الرسالة الثلاثينية»؛ فأنصح بقراءتها.

- وأما المشاركة في الانتخابات فالأصلُ أنها لا تجوزُ، لأنها: دعمٌ وتقوية للتطبيق لما يسمى بالنظام «الديمقراطي»، بل هي -ولو في الصورة- تطبيقٌ لهذا النظام الكفريّ، ولأنها في الغالبِ أو في كل الأحوال في الواقع التركي وما شابهه تستلزم تأييد حزبٍ من الأحزاب الكافرة، أو ترشيح رئيسٍ أو عضوِ برلمانٍ كافرٍ، وإذا كان الانتخابُ لأعضاء البرلمان فإن ذلك اختيارٌ ودعمٌ وتأييدٌ لمن يشاركُ في المجلس الشركيّ الذي يشرّع ما لم يأذن به الله، وذلك كفرٌ.. فلا تجوزُ المشاركة في الانتخابات.

وقد طرح بعض العلماء المعاصرين مسألة للبحث وهي: أن يكون هناك تنافُسٌ بين مرشّح للرئاسةِ منتمٍ للإسلامِ (إلى ما يسمى ويزعم أنه حزب إسلاميّ مثلا)، أو حزبٍ وطنيّ لا يظهِرُ عداوة للدين أو عداوته غير شديدةٍ، ويلاينُ أهل الدين، ومرشّح آخر شيوعيّ علمانيّ بيّن الكفر والعداوة للإسلام والشريعة شديد الولاء للكفّارِ من اليهود والنصارى.. وهكذا أيضا في حالِ الأقليات المسلمة في بلاد الكفر، فيقال: هل للمسلمين أن يعطوا أصواتهم للأقل ضررًا على الإسلامِ وأهله، دفعًا للضرر، مع علمِهم أن جميع أولئك المرشحين كفارٌ ولن يحكموا بما أنزل الله وأنهم لا يرضونهم ولا يقبلونهم للحكم، وإنما صوّتوا للأخف ضررًا دفعًا للضرر الأكبرِ.؟

والذي نراه أقوى وأقرب للصوابِ: أنه لا يجوز لهم التصويتُ، لأننا إذا قررنا أن التصويت للكافر هو دعمٌ له وتأييدٌ لبرنامجه الحزبي الكفريّ، وأن ذلك كفرٌ لو قصده القاصدُ؛ فإنه لا يجوز الإقدامُ على الكفر لمثل ما ذكر من إرادة دفعِ الضرر.. ولأن ما قيل من أن هذا لدفع الضرر الأكبر غيرُ مسلّمٍ، بل

هو محل شكّ، فما يدرينا أن ضرر نجاح مدّعي الإسلام المنتسب إلى حزب يزعم أنه إسلامي.. أن ضرره أكبر، وأن نجاح المرشح الأكثر والأوضح كفرًا وعداء للإسلام وأهله مرحليًا قد يكون خيرًا في العاقبة للإسلام وأهله بتهيئة الناس للتحدّي والاستعداد للدخول في الصراع، وإتاحة الفرصة للدعاة والمجاهدين لتعبية الشعب وتوطّد أحوال الناس للجهاد في سبيل الله.

لكن بكل حالٍ لا يكفّر من تلبّس بهذا التأويل وهذه الشبهة، وهذا هو المقصود من ذكر هذه المسألة.. فعلى الشباب المجاهدين أن يحذروا من تكفير مثل هذا، فإنهم إن فعلوا ارتكبوا إثمًا وأفسدوا وفشِلوا وصدّوا عن سبيل الله. إنما من علِم وتفقّه في الدين عليه أن يبيّن للناسِ الحق ويدعوهم إلى الصوابِ ويشرح لهم، وبالله التوفيق.

- **وأما دخول الجيش في تركيا وما شابهها من دول الكفر والردة**؛ فلا يجوز، لأنه جيش الدولة المرتدة، فمن شارك في هذا الجيش وكان جنديًا فيه فهو جنديّ من جنود الكفارِ مُعَدٌّ لهم مكثِّرٌ لسوادهم محضَرٌ لنُصرَةِ وحماية دولتهم ونظامهم ودستورهم، ولأنه في الغالبِ يتضمّن الدخول إلى هذه الجيوش ارتكابَ بعض أمور الكفر الأخرى سوى مناصرة القوانين الوضعية، ويؤدي إلى الوقوع في الكثير من المعاصي والذنوب والمخالفات الشرعية، فيسمع الجندي كلامَ الكفر، وربما أرغم على قولِ أو عمل الكفر كتعظيم الطواغيت الكفار كأتاتورك اللعين وكتعظيم دولة تركيا ودستورها وعَلَمِها والإقسام على حمايتها والموت من أجلها، وغير ذلك.

فدخول هذه الجيوش غيرُ جائز.. بل الأصلُ أنه كفرٌ، والعياذ بالله.

لكن هل نكفّر كل من دخل الجيش؟ الجواب: أما في حال العافية والسعةِ فلا، بل حتى ننظر في حاله، ثم نحكم عليه على وَفق ما هو مقررٌ في باب الردة ومسألة التكفير، كما تقدم الإشارة إلى أصولها؛ لأنه يُتصَوّر أن يكون للناس أعذارٌ تمنع تكفيرهم في دخولهم الجيش، كالتأول وظن أنه جيش البلد بغض النظر عن الدولة والسلطة الحاكمة، مع زعم الداخل أنه يحفظ دينه ولا يشارك في الكفر ولا في المعصية. أو كمن دخل وهو عارفٌ بأنه جيش الدولة المرتدة، ولكن دخل مريدًا العمل للانقلاب على السلطة بواسطة الترقي في مراتب الجيش، أو للوصول إلى غرضٍ جهاديّ، بغضّ النظر عن الكلام في

هذه المسألة وهل هذا الفعل جائزٌ أو غيرُ جائز. أو كمن كان معذورًا بالإجبار (الإكراه المعتبر شرعًا)، أو تأوّل هو أنه مكرَهٌ الإكراه المعتبَرَ شرعًا. والله أعلم.

أما عند القتالِ، في حال دخلنا في حربٍ وقتالٍ مع دولةٍ من دول الردة، فإننا نقاتِلُ جيشها قتالَ المرتدين والممتنعين عن شرائع الإسلام.. فالأفرادُ مَن لم نعلَم أن له عذرًا ينجّيه من الحكم عليه بالكفر، اعتبرناه كافرًا وعاملناه معاملة الكافر في أحكام القتال وأخذ المالِ. إذن فالأصلُ حينئذٍ معاملة جنودهم معاملة المرتدين، باستثناءِ مَن عرفنا حاله وأنه معذورٌ في الكون معهم، وهذا قليلٌ كما هو مجرّبٌ معروف.

هذا مع أننا ننبه هنا إلى أن هذه المسألة مما كثُر فيها الكلام، وتعددت صور طرحها ومناقشتها، وأثيرت فيها جزئيات وتفصيلات بعضها مفيدٌ مؤثِّرٌ في الحكم، وبعضُها قد يكون ضربًا من ضروب الجَدل، وبابًا من أبواب الانشغالِ بالقولِ عن العملِ، ونحنُ نعلمُ ما يطرح غالبًا بين شباب المجاهدين ويخوضون فيه خوضًا مستمرًا: **هل هؤلاء طائفة مرتدة على العموم أم هو مرتدون على التعيين؟** وبما أن كلامنا هنا مرتبط بأحكام الجهادِ، فلا نرى كبيرَ فائدة تتعلق بهذا التفصيل والاستفسار سواء قيل بهذا أو ذاك، فعلى كلا الحالتين فهم يعاملون معاملة المرتدين في القتال وأخذ المالِ، وهذا ما يقتضيه المقام هنا من الاختصار.. والله أعلم.

- **وأما السؤال: كيف تنظرون إلى شعب تركيا؟**

فنحن ننظر إلى الشعب التركي كشعبٍ مسلم في الجملة، فنطلق في كلامنا عبارة: الشعب التركي المسلم، ونحوها، وهم كسائر شعوبنا المسلمة.. وذلك بناءً على الأصلِ والغالبِ، فأما الأصل فلا يخفى أن الأصل في شعبِ تركيا أنهم مسلمون أبناءُ مسلمين وينطقون بالإسلام (بالشهادتين) منذ نشأة الناشئ منهم، ومع الدوام، ودعواهم الإسلامُ.

وأما الغالب فلأننا نظن أن غالبَ الشعب بحمد الله مسلمٌ حقًّا، فإنه مهما كان هناك في شعب تركيا من الكفار الأصليين من نصارى (من الأرمن وغيرهم) ويهودٍ وزنادقةٍ مرتدين من العلمانيين والإباحيين المنسلخين عن الدين بالكلية ومن الفرقِ الكافرة المنتسبة للإسلام كالنصيرية وكغلاة الصوفية عُبَّاد القبور والملحدين وأمثالهم، فإنه تبقى الأغلبية من عوامّ الشعب التركي في المدنِ والقرى

ودواخل البلاد وأطرافها وأعماقها يبقون هم الأكثرية وهم أهل العافية الباقون على الإسلام في جملتهم وأغلبيتهم، والله أعلم.

ولو قُدّر أنهم ليسوا بأغلبيةٍ؛ فليس من الحكمة ولا من الحصافة أن ندقّق في الإحصاءِ حتى نخرج بنتيجةٍ تغلّب حجم وعدد الكفّارِ، بل نكتفي بالظاهر الذي ذكرناه من تغليب الأصل والغالب معًا، مع تغليبِ الفأل والميلِ إليه.

على أن عبارة «الشعب المسلم» حتى في أسوأ الاحتمالات يمكن حملها على «اعتبارِ ما كان»، فلا يُعتَرَضُ في «الأدب» والسياسة عليها.

والله أعلم وأحكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- **وأما قولكم: بمَ تنصحون العلماء والشعب في تركيا؟**

فإننا ننصح العلماءَ ونذكرُهم بالقيام بواجبهم كما أمرهم الله في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ونحذرهم من أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة]، وأنْ يعلموا أن الناس تنظر إليهم؛ فإن استقاموا استقام الناسُ وإن فسدوا فسدَ الناسُ.. وهذه أمانة جسيمة؛ فعليهم أن يجاهدوا في سبيل الله بالعلم والدعوة واللسان والكلمة والقلم، وينصروا الحق وأهله، ولا يخافوا في الله لومة لائم.

ولْيعلَم كلُّ منتسِبٍ إلى العلم أن العلماء أصنافٌ كما دلّت عليه دلائل الشرع والاعتبار:

- **علماء دينٍ وآخرة**، يؤثرون ما عند الله، ألجمتْهم الخشية من الله، وقادهم العلمُ إلى القيام بحق الله، وهم الفائزون المفلحون، المتعلّقون بالله الناصرون لله الراجون ما عنده.

- **وعلماءُ دنيا**، همّتُهم أن يطلبوا بعِلمهم هذه الدنيا وحُطامَها، يستخدمون العلم والدين لأغراضهم العاجلة من تحصيل الأموالِ والتمتّع بملذاتِ المآكل والمشارب والمساكن والمناظر وغيرها، أو تحصيل المناصبِ والعلوّ في الأرض.

ومن هذا القسم الثاني: علماءُ جُمهورٍ، همّهم إرضاءُ الناسِ ونيلُ الوجاهةِ عندهم والشهرة والمكانة الاجتماعية.

فعليهم أن يختاروا أن يكونوا من القسم الأول المفلحين، ويؤثروا ما عند الله على ما يفنى.

وأما ما ننصح به الشعب في تركيا، فهو أن نذكّرهم أن الله لم يخلقهم عبثًا ولا هَمَلًا، وأنهم مسؤولون أيضًا ومكلّفون؛ فعليهم أن يحققوا العبودية لله وحده ويستقيموا على طاعة الله ﷻ، ويعلموا أنهم لن ينفعهم يوم القيامة حين تبلى السرائر ويوم يأتي كلُّ عبدٍ ربَّه فردًا وحيدًا.. لن ينفعهم ولن ينفعَ أحدًا أن يقول إنني أَطَعْتُ فلانًا أو عِلّانًا من الكبراء والسادات والزعامات أو الأشياخ أو الآباء والأجداد، إذا ضلّ وغوى وحاد عن طريق الحق وسلك طريق الردى؛ فإن الله أقام الحجة على الناسِ بهذا الرسول والدين والقرآن وأعذَرَ ﷺ إلى خلقه أجمعين.. فليتعلّموا العلم الدينيّ، وليختاروا أهل الصدق والصلاح المستمسِكين بالكتاب والسنة وليكونوا معهم، وليسألوا عن مراد الله تعالى وأحكامِه ويطلبوا معرفتها وفقهها.. وليكونوا أنصارًا لله ولدينه ولأوليائه.

وإن الشعب التركيّ أمّةٌ عظيمة أعزها الله بالإسلام حين دخلت فيه وبارك الله عليها بسببه، ولن يكون لهم عزّ بين الأمم إلّا بالعودة من جديد إلى الإسلام والتمسّك به، لا بالارتماء في أحضان الغرب ولا الشرق، ولا باتّباع مناهج الكفار من الديمقراطية والعلمانية وغيرها، فذلكَ كلّهُ في شقّ والإسلامُ دينُ الله دينُ الحرية والعزة والكرامة والمجد والسعادة في الدنيا والفوز في الآخر في شقّ آخر.

والله يهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

- **وأما قولكم: ما رأيكم في قول أبي محمد المقدسي حَفِظَهُ اللهُ في كتابه «الرسالة الثلاثينية» في التحذير من الغلو في التكفير**، في التحذير من تكفير عموم المشاركين في الانتخابات دون تفصيل: «ولذلك فلا تحل المبادرة إلى تكفير أمثاله إلا بعد إقامة الحجة وتعريفه بحقيقة عمل النواب المشرعين، وما يرتكبونه من مكفرات تناقض دين الإسلام وتوحيد رب العالمين، فإن أصرّ على انتخابهم مع ذلك كفر» اهـ؟

نقول: إننا نتفق مع هذا القول ونراه صوابًا، وهذا على العموم والإجمال، أما من يقيم الحجة على هذا المنتخِب، ومتى يقال بأنها قامت عليه وزالت شبهته، وهل مثله أصلا يفقه ويدرك ما يقال له

حولها؛ فهذه أمور لا بد من مراعاتها تمام المراعاة، ولا يكتفى بمجرد الزعم بأن فلانا أو فلانا قد أقيمت عليه الحجة، وصار مصرا مستكبرا كأن لم يسمعها، ثم يُبادَر إلى تكفيرِه فإن هذا مجازفة واندفاع لا سيما في مثل هذه المسألة الدقيقة والتي يفتي كثيرٌ من العلماء بجواز أو وجوب انتخاب «الأصلح» كما هو معلوم مشهورٌ، والحمد لله.. ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وسائر إخواننا لكل خيرٍ وأن يبرم للمسلمين أمرَ رشدٍ يعزُّ فيه أهلُ طاعته ويَذِلُّ فيه أهل معصيته ويؤمَرُ فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وآله وصحبه.

كتبه: **عطية الله** | شعبان ١٤٣٢هـ

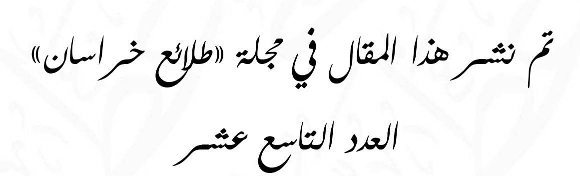
الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد





«الثورات العربية»

..:.. وموسم الحصاد ..:..



رمضان

١٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مع اقتراب «ربيع الشعوب العربية» كما يحلو لأهل الصحافة أن يسموه من الانتهاء في بعض الجهات، رغم أنه لا يزال جاريا في بعضها، وذلك بحسب اختلافِ الأجواء حرارة وبرودة وجرْيًا على سَنن السراية الطبيعية الاجتماعية، وغير ذلك من عوامل.. شرع الكثيرون في عملية حصاد وجرد للأرباح أو للخسائر؛ فمن ربح شيئًا فهو يسعى لتطوير أرباحه وإنتاجه وتوسيع مجالات كسبه والاحتياط لشأنه وللمفاجآت.

والمستفيدون بطبيعة الحال درجات، والخاسرون أصناف؛ منهم من خرج بالكلية من الحلبة وانتهى إلى غير رجعة: منهم جماعات ومنهم أفراد، كالأنظمة المخلوعة ورجالاتها وعوائلها وأحزابها الفاشلة الخبيثة الذاهبين إلى مزبلة التاريخ يلعنُهُمُ العالَمون، ومنهم من يضمّد جراحه ويداوي كلومه ويحصي أخطاءه ويراجع نفسه، يتلمس أسباب الكَرّة بعد الفرَّة، ويعيد صناعة أنواع من الكيد والمكر؛ كما هو حال الغرب الكافر وعلى رأسه ام الخبائث الدولة الفاجرة أمريكا.. نسأل الله أن يكفينا شرهم.. والكل متيقّظٌ والجميعُ يسعى، و﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾[الليل]، والأطراف على تفاوتٍ كبير لا يحصيها إلا الله.

ولكن الذي لا شك فيه قِيد أنملة أن أمة الإسلام هي أكبرُ المستفيدين إن شاء الله من هذه الانتفاضات الشعبية والحركات الاجتماعية، وأهلُ الصدق والإخلاص من المجاهدين والدعاة إلى الله هم في طليعتها وأوّل الداخلين في جملة أبنائها المستفيدين، وأهل الجهادِ أخصّ بذلك وأدخل فيه ولله الحمد، والكلام في ذلك يحتاجُ إلى تطويلٍ في المقال، وعليّ أن أخلُصَ إلى بعض ما هدفتُ إليه:

❖ مسلاة البساط:

كان من اللافت للنظر منذ وقتٍ مبكر من عُمر الثورات العربية وبالتحديد مباشرة بعد نجاح الانتفاضة الشعبية المصرية في الإطاحة بالطاغية حسني الـ «لا مبارك»..

تلك الأحدوثة التي تقول إن هذه الثورات سحبتِ البساط من تحت أقدام القاعدة، وكان من أهم مطلقي هذه الفكرة ومن تولى كبَرها العجوزُ النصراني «روبرت فيسك» الذي أفنى عمرَهُ يجوب أقاصي الأرض، ويدون لحروب البشر وجَمَع من الأخبار وحكايات الناس وأوعى وتَخَصّصَ في شأن الشرق الأوسط؛ ولكنه للأسف لم يهتدِ إلى أهم شيءٍ وأشرفه وأغلاه وأعزه في الشرق الأوسط وهو

دينُ الله ورسالته الخاتمة وشريعة الله الناسخة للشرائع السماوية التي سبقتها.

دين الله الذي هو التوحيد الذي لا يقبل الله تعالى دينا سواه، ومن لم يدخله ويأتِ به يومَ القيامة فهو هالكٌ معذَبٌ خاسر الخسرانَ العظيم الدائم.

دين الله الذي هو عبادةُ الله وحده لا شريك له واتباعُ رسوله محمدٍ خاتم الرسل ﷺ، وبه ينتظم الإيمان برسل الله الكرام أجمعين؛ لم يهتدِ روبرت لهذه القيمة العظيمة ولا رفعَ بها رأسًا، ولا يزال متخلّفًا سادرًا في متابعة دين قومه وجاريًا مع تيارهم الخاطئ الجامح في ضلالته، ولم يملك -للأسف- الشجاعة- التي قد يبدو لبعض من يقرأ له أنه يتصف بها- لكي يتخذ قرارَ تحقيق غاية وجوده وإنجاءِ نفسه وتحديد مصيره الأخروي بنجاح!! وإن لم تدركه رحمة الله ويهدِهِ الله ليندمنَّ ندامةً لا فسحةَ بعدها ولا مردّ، وليكونن مصيرُه بعد هذا التطواف في العالم وبعد تلك الكتابات الرائقة والمقالات الشاقة والتصويرات البديعة والتشبيهات البليغة أن يردَّ النارَ الحامية والعذابَ الأبديّ مع الكافرين المكذِّبين لله ورسله.!

وتلقف تلك الأحدوثة بعده صحفيّون ومتحدثون آخرون ممن يسمون بـ «المحللين» وتلقاها منهم بألسنتهم بعضُ الصحفيين والمذيعين في قنوات فضائية وغيرها ممن هم أقربُ إلى السطحية وأبعدُ عن التحقيق، وممن يتلقون الفكرة المزوّقة ويفرحون بها ويظلّون يرددونها، بالإضافة إلى أناس آخرين ممن يسمون بـ «الإسلاميين» كأن الأحدوثة وقعت منهم موقعًا مستلذًّا!

وعقد الإعلامي «محمد كريشان» في «قناة الجزيرة» حلقة خاصة للترويج للفكرة، واستضاف ثلاثةً ممن أيدوا الفكرة تحصيلَ حاصلٍ، منهم النصراني خاوي الوفاض: «جهاد الخازن»؛ فبالله عليكم ما دخلُ النصرانيّ المثلِّثِ في أن يفتي في شأن التغيير الإسلاميّ والجهادِ.. ويحكم هل سُحب البساط من تحت القاعدة أو لم يُسحب؟! وقد ظهر في الحلقة تهافته وسخافة تصوره وسطحية نظره وضحالة إلمامه وتخبّطه وضعفُ معلوماته!، وثانيهم ولعله أمثلُهم طريقة في المسألة؛ الأستاذ الكاتب: «فهمي هويدي»؛ فإنه أنصف بعض الإنصاف واعترف بدورٍ للقاعدة والمجاهدين في المشاركة في التأسيس لهذه الثورات من خلال إحياء روح التحدي والجهاد والمقاومة للطغيان، وثالثهم الأستاذ: «محمد الأحمري»؛ الذي وافق على ما سموه «موت فكر القاعدة»! ودعاة السّلم والسلمية واللاعنف من المفكرين الإسلاميين وممجدو مذهب غاندي وفلسفات مالك بن نبي ومذهب ابن آدم الأول وخزعبلات جودت سعيد والمخذول خالص جلبي وغيرهم.

معروفون معروفةٌ أفكارهم وهي قديمة، ونقدُهم والرد عليهم قد أخذ مجاله وتجاوزتهم الحركة



الجهادية وراءها منذ مراحل، إنما قد يتجدد للفكر المتأثر بهم بهذه الثورات نبتٌ غيرَ أنه لا يلبثُ أن يذبُلَ إن شاء الله لأن مصادمته للشرع والقدر مصادمة كلية، وبالمناسبة وللحق؛ فالأستاذ «الأحمري» له نقدٌ في السابق لبعض هذه الفلسفات من دعاة الخيال المسمى اللاعنف أجاد فيه، وليس هو من دعاة هذا المذهب بإطلاق؛ إنما قد يوافقهم بعض الموافقة، ووافق قولُهُ -على خجلٍ- رأيَ التيار في هذه الأحدوثة المطروحة، وحريٌّ به أن يتأمل المقام وينصف.

وقد تجنى المذيعُ «محمد كريشان» وأجحف وما أنصف، خلع عن نفسه ثيابَ الموضوعية حين زعم زورًا وبهتانًا أن القاعدة لم تدعُ يومًا إلى إزالة هذه الحكومات والإطاحة بها ولا تحدثت عن فسادها، غافلًا في زيغةِ حاله وانبهارِه بما حصل عن حقيقة دعوة المجاهدين وأدبياتهم المتكاثرة؛ بل ومحاولاتهم المتضافرة في محاربة هذه الأنظمة الطاغوتية وكشف فسادها وظلمها وتجبرها وتبيين خروجها عن دين الله وخيانتها وعمالتها وإجرامها، ودعوة الأمة إلى الخروج عليها ونبذها ومنابذتها وتغييرها بالطرق المشروعة.. غفل كريشان وغيرُه كثير عن أن هذا هو بمثابة الركن في فكر القاعدة وعموم المجاهدين، كيف وهم أعداء هذه الأنظمة «رقم واحد»، وهم الثوار الأوائل والأواخر عليها؟! فسبحان الله ما أصعب توضيح الواضحات.!

هل سبب كلام هؤلاء هو ظن ظنّوه ورأي ارتأوه مبنيّ على أساس من التفكير صحيح؟ أو هو قولٌ وفكرةٌ انقدحتْ لهم للطعن في منهج القاعدة منهج الجهاد غذَّاها هوىً قديم وميلٌ متعدد الاتجاهات؟ الله أعلم، ولا نريد أن يقولوا -وما أسرع أن يقولوا-: إننا ندخل في النيات؛ ولو فقهوا لعلموا أن النوايا إذا كان عليها علامات وأمارات ظاهرة أمكن التكلم فيها بحسب ما يظهر من الأمارة والدلالة، وأحوال المتحدثين بهذا الكلام لا تخفى؛ وما الظن بكافرٍ نصرانيّ يتحدث عن المجاهدين وعن القاعدة؟! والأهواء مسيطرة فيما دون ذلك، وانظر إلى الحلقة كيف أنه لم يذكر الله ﷻ فيها ولا اليوم الآخر إلا قليلا!

وغالبُ ظني أن كثيرًا من المتحدثين بهذه الفكرة وجدوا فيها مَسْلاةً لهم ولضمائرهم عما غمّهم زمنًا طويلًا من حجج منهج الجهاد وقوة منطقه ووضوح رايته ونصاعة مطلبه وغايته، فهي أقربُ إلى أن تكون حركة نفسية تمظهرت في فكرة وتحليل -زعموا-.

❖ رجم الفكرة الغاوية:

وهذه الفكرة خاطئة بشكل قطعيّ لعدة أسباب، وأهم ذلك أنها مبنية على مقدمات خاطئة فكانت النتيجة خاطئة بالضرورة، فالفكرة مبنية على مقدمتين أساسيتين:

المقدمة الأولى المغالِطة: أن هذه الثورات هي ثورات سلمية محضة.

والمقدمة الثانية الخاطئة: أن هدف هذه الثورات هو نفسه ما كانت تسعى إليه القاعدة ولم تستطع تحقيقه؛ أي فجاءت هذه الثورات بِسلميّتها ونعومتها وحققته بكل سهولة وسلام!!

فأما الكلام على المقدمة الأولى: فنحن لا نسلّم أن هذه الثورات كانت ثوراتٍ سلمية بالمعنى الكامل، وإن كانت ترفع شعار «السلمية» وعدم استخدام العنف؛ فذلك أشبه بالتكتيك ولكن العبرة بالواقع وحقيقة الحال، فهذه الثورات -على تفاوتٍ بين نماذجها- استخدمت في مراحل منها العنف بشكل واضح، من اقتحامٍ وحرقٍ لمقرات الشرطة والأمن وضربٍ وتحطيم وتدميرٍ بل ونسفٍ في بعض الأحوال، واستعمال لقنابل المولوتوف الحارقة، واشتبك المتظاهرون في حالات كثيرة مع رجال الأمن واستعملوا الحجارة والعصي والأسلحة البيضاء، ووقع قتل لبعض رجال الأمن في بعض الحالات؛ فالعنفُ ثابتٌ وليس لأحدٍ أن يدفع ذلك.. لكنِ الحقُّ أن الأغلب عليها هو الطابع السلمي المعتمد في قوته على كثرة العدد؛ أي على الجمهور والقوة البشرية التي عوّضت قوة السلاح والعنف، مع عدم اعتمادها ابتداءً على السلاح والقوة، ولأجل ذلك فلها من وصفِ السلمية نصيبٌ لا ننكره أيضا، إنما المقصود أنها احتاجت للعنف واستعملته ولو بشكل محدود في حالات كثيرة من مراحل تفاعلها، فهذا وجهٌ.

ثم إن الثورة في ليبيا قصمت ظهر فكرة سلمية الثورة و«اللاعنف» فإنها منذ أيامها الأولى تقريبًا -إذا ما صحَّ أن نستثني يومًا أو يومين- كانت عنيفة وتحوّلت إلى السلاح، إذ هاجمت الجماهير في شرق ليبيا (بنغازي، درنة، البيضاء، طبرق، وإجدابيا، وغيرها) مقرات الشرطة والأمن وكتائب القذافي وأخذت الأسلحة والذخائر وانطلقت بها، والسبب واضحٌ أنه لا مجال للتظاهر والاحتجاج السلمي مع نظام الطاغوت القذافي، والشعب في ليبيا يدرك هذا جيدًا ولا يمكن أن يخدعه عن هذا خادعٌ مهما زوَّق، يدركون أنه لا يمكن الثورة على القذافي إلا بالسلاح والقوة، وهو الذي حصل، ومع كل ذلك كاد القذافي أن يغلبهم ويستأصلهم.. حتى احتاجوا واضطروا إلى طلب مساعدة الغرب الكافر وحلف الناتو وحصلتِ الورطة التي نرجو من الله أن يخرجوا منها قريبا. فالشاهد أن ليبيا دليلٌ دامغٌ ومثال لا يمكن تجاوزه لإبطال فكرة السلمية الدائمة واللاعنف أبدا!! وهكذا الحال في اليمن سواءً.

والحق أن القاعدة والمجاهدين لا يمنعون من العمل السلميّ بإطلاق، ولن يجدَ أحدٌ في كلامهم ودعوتهم هذا أبدًا.. بل يدعون إلى مقاومة الكفر والطغيان والظلم والأنظمة المتصفة بها بجميع الوسائل المشروعة بحسب القدرة، وعلى رأسها وأساسها الجهاد، وإنما الذي ينكره المجاهدون هو أن



يُجعَلَ المنهج السلميّ بديلا بإطلاق عن منهج الجهاد الذي هو إعدادُ العُدة والقتالُ في سبيل الله بالسلاح والضرب والقتل والتفجير، أما حيث يكون التحرك السلميّ متاحًا ومحققا للمطلوب أو بعضه مرحليا، ولم يخرج في كيفيته عن حدود الشرع، فلم يمنع المجاهدون ذلك، بل هم يؤيدون ويدعون إليه، وكم دعا قادة القاعدة الشعوب إلى التحرك الشعبي والتظاهر والاعتصام في مناسباته.

وأما الكلام على المقدمة الخاطئة الثانية: فإن القاعدة لا تسعى لأي تغيير مهما كان، اللّهم إلا أن يكون جزئيًّا مرحليًّا تكتيكيًا، وهي تعلم أنه جزئيٌّ مرحليٌّ؛ حيث لا يتسنى التغيير الكامل المنشود.

إنما تسعى القاعدة إلى تغيير جذريّ وثوريّ حقيقيّ تكون نتيجتُهُ وضعًا: تكون فيه كلمة الله هي العليا وشريعة الله هي الحاكمة الوحيدة المهيمنة، وتتحقق فيه حريةُ الأمة وعزُّها وكرامتها تحت حكم الرب الجليل وحده ﷻ، وهو معنى أن يكون الدين كله لله، والحكم لله، وهو معنى الدولة الإسلامية التي تنشدها القاعدة وجميع المجاهدين.

أما الأوضاع التي آلت إليها هذه الثورات في تونس ومصر وحتى ليبيا فليست هي غاية القاعدة، إذ ليست غاية القاعدة تحقيق نظام «ديمقراطي» ولا غاية القاعدة مجرد استبدال نظام كفري بآخر مثله لا يلتزم بدين الله ولا يحكم بشريعته -معاذ الله-، وإذا أيدت القاعدة ثورات الشعوب هذه فإنها تؤيدها مقيدةً بشكل واضح معبَّرٍ عنه بأبين تعبير، لا لبس فيه ولا غموض، إنها خيرٌ مقيَّد محدودٌ من جهة كونها: كسرا من شعوبنا المسكينة المقهورة لحاجز الخوف من تلك الأنظمة اللعينة الطاغية التي سيطرت على الناس بالخيال والتخويف والإرهاب والقهر، وأنها مرقاة إلى تغييرات أخرى، وإتاحةٌ للفرصة للدعوة إلى الله وإلى انطلاق الأمة في اختياراتها التي نرجو ونسعى لأن تكون صحيحة مسددة، ولما فيها من التخفيف على الناس بزوال الأنظمة البوليسية القمعية المتجبّرة الظالمة، وما فيها من رفع للظلم عنهم، وإطلاق سراح المسجونين، وزال الخوف والرعب من قلوب الناس من أنظمة الحكم، وتحقق قدر كبير من الحرية، وغير ذلك من الخيرِ ولكنه نسبيّ، فبإزائه شرٌّ أيضًا.

الثورات في مصر وفي تونس وليبيا لم تحقق حتى ما يريده الثوار وشباب الثورة؛ فهي وإن أسقطت النظام، وبتعبير أدق: رأس النظام، وهو الطاغية الذي أُرعِبَ وخاف وانهار تحت ضغط كل الشعب وتبعًا لضغط الشعب ضغوط كل القوى الداخلية والخارجية.

إلا أن فلول تلك الأنظمة البائدة ما زالت لها اليدُ الطولى في حكم البلد وإدارة شؤونه، وما زالت تمارس الثورة المضادة وتعوق تحقيق أهداف الثوار، وما زال الثوار يعانون ويكافحون ويجددون التظاهر حتى كاد يملّهم الناس، وذلك مقصِدٌ للفلول المهزومة من النظام البائد.!

فهذا حال الثورات في تونس ومصر: لم تحقق ما تريده هي إن صحت لها إرادة فضلا عن أن تحقق ما تصبوا إليه القاعدة، بل غاية ما هنالك أن تكون ساعدت في تحقيقه إن شاء الله، وساهمتْ في وضع لبنة في الطريق وسهّلتْ، كما أن القاعدة ساهمتْ وساعدت على التأسيس لهذه الثورات وتهيئة الأرضية لها بالعمل على تكسير حاجز الخوف لدى جماهير وأجيال الأمة، ومن خلال بث روح التحدي والمحافظة على قوة الرفض والإباء للظلم والظالمين لا تموت، ومن خلال معانٍ ووسائل كثيرة لو أردنا الحديث عنها، ثم من خلال عاملٍ مهم جدًّا وهو: تحييد أمريكا وإخراجها من دائرة التأثير المباشر والتسلط الامبراطوريّ، فلولا ما من الله به على الأمة من هذه الفئة المجاهدة -المجاهدين- ولولا بلاؤهم الحسن -جزاهم الله خيرًا ونصرهم وأعزّهم- في النكاية في أمريكا وحلفائها في العراق وأفغانستان وسائر أنحاء العالم إلى أن جعلوها تستكين وتركع وتذل وتتطامنُ وتهابُ وتخشى أن تدخل في مشاكل أخرى وحروبٍ وصراعات ونفقاتٍ إضافية لما وقفت أمريكا موقف المتفرج من أول يوم ولتدخلت بالقوة العسكرية في تونس أو مصر.

لقد جعل المجاهدون -بفضل الله- أمريكا ولأول مرةٍ بعد أن عرفتِ الغطرسة والتفرعن والنزعة الامبراطورية تقول بلسان حالها: «العين بصيرة واليد قصيرة»، كما كانت أمتنا تقولها أزمانًا؛ فلله الحمد، وهذا فضلٌ وإنجازٌ للمجاهدين عظيمٌ لمن أنصف واعترف بالحق.

أرجع وأقول: نحن إذ نؤيد هذه الثورات لما فيها من الخير الذي أشرتُ إلى جُملٍ منه، ولما هي مرحلة نرجو أن يعقبَها خيرٌ أكثر، ولهذا السبب فإن القاعدة هي من أسعدِ الناس بهذه الثورات وأفيدِهَا منها بحمد الله ومنِّه وكرمه، فليمت الشامتون بغيظهم! ولهذا أيّدتها من لحظاتها الأولى وسارت بها وشاركت الأمة في السرور بها على ما فيها من دَخَنٍ ودخَلٍ! لسنا غافلين عنه ولكن متغابين، لأن القاعدة تسعى لخير الأمة ورحمتها وإزالة الضر والضير عنها ما استطاعت؛ لهذا قامت القاعدة، فأي خير يتحقق فالقاعدة معه وتفرح به ولا تعارضه، إن القاعدة لا تشترط أن يجري الخيرُ على يديها حتى يكون خيرًا وحتى يُقبَل، وهذا دليلُ عمَلِها لله تعالى -فيما نحسبُ- ومعاذ الله أن نكون مثلَ اليهود الذين اشترطوا للإيمان بالرسول أن يكون منهم وإلا لم يؤمنوا به، ولا يُقرّون بالحق إلا أن يكون منهم ومن طائفتهم، مع معرفتهم أنه حق، وقال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴿٩١﴾﴾[البقرة]، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، بل مقصود القاعدة أن يتحقق الخيرُ والصلاح ويسود الحقُّ والعدل والرحمة والإحسان، وذلك لا يكون بشكله الكامل إلا في ظل تحكيم شريعة الله تعالى، وفي

ظل «دولة الإسلام» التي ننشدها في بلداننا جميعا، وإن كره الكافرون.! وحيث لم يمكن في مرحلة من المراحل تحقيق أكثر الخيرِ المطلوب فنسعى لنحقّق بعضه بحسب الإمكان، إن القاعدة وهي تسعى هذا السعي تمارسُ عبادة لله تعالى وتؤمنُ بأنها تؤدي واجبًا وفرضًا فرضه الله على جميع الأمة، فازت القاعدة وغيرُها من المجاهدين بالقيام به، وربما سدَّت المسدّ في بعض الأحيان وربما أسقطت الفرضَ عن سائر الأمة في أحيانٍ ومواقعَ، ونالتِ الفضل والأجر من المولى الكريم.

على أن من أهم الأهداف التي قامت القاعدة من أجلها كان وما زال هو طرد الغزاة الكفرة والاحتلال الأجنبي من بلاد المسلمين وفي مقدمة ذلك احتلال اليهود لفلسطين، وذلك مبرّرٌ مستمر لوجود القاعدة واستمرار عملها إلى أن يتحقق الهدف، والقاعدة تنظر إلى ثورات شعوبنا العربية ولا سيما في مصر ثم ما ننتظره ونرجوه في الشام المباركة بإذن الله الواحد الأحد: على أنه تكميلٌ لجهودها ودعمٌ لها وتقويةٌ وإسنادٌ، فما أسعد القاعدة بثورات شعوبنا العربية والإسلامية، والتي نرجو أن يكون منها قريبًا بعون الله ومدده تحرك شعبنا المسلم في باكستان، وما ذلك على الله بعزيز: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾[الحديد].

❖ لنحذر مغالطات العدو ومكره:

إن أجهزة المكر للعدوّ وخدمَهُ المندسين في أمتنا يحاولون أن يوجهوا الثورة ويتحكموا في بوصلتها بكل ما أمكنهم من وسائل المكر الخفيّ والمكشوف الجليّ، ومن هذا أنهم يكررون عبر أبواقهم الإعلامية عباراتٍ ويطرحون أفكارًا ومسائل ويكبّرون ما يشاؤون، ويصغرون ويقللون من شأن ما يشاؤون، ويمدحون ويذمون بأهوائهم ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾.

ومن ذلك على سبيل المثال: تكرارهم لعبارة «المظاهرات المطالبة بالديمقراطية»، و«الاحتجاجات السلمية المطالبة بالديمقراطية»؛ فيموّهون ويخدعون بجعل مطلب الشعب هو الديمقراطية، في حين أن أغلب شعوبنا لا تعرف الديمقراطية ولا ترضاها لو عرفتها على حقيقتها، وإنما قد يستعمل أكثر الناس هذا اللفظ للتعبير عن معانٍ وصورٍ للحرية ومضادة الديكتاتورية والاستبداد، وحكم الشورى ومحاسبة الحكام وحرية ونزاهة القضاء وشفافية أجهزة الدولة ونحو ذلك، فعلى دعاة الإسلام أن يتنبهوا لهذا ويبذلوا جهودهم المكافئة، والله المستعان.

كما على المجاهدين أن يحذروا من خُدع العدو ومكره باستدراجهم إلى ظهورٍ مبكرٍ غير مدروس، أو الدخول في أعمال ومواجهات غير أصلية تكشفهم وتستنزف طاقتهم، كما سمعنا عن تصرفاتٍ لبعضِ الإخوة استعراضية في بعض النواحي لا تخدم هدفًا صحيحًا ومضرتها أكثر لما تهيج من الأعداء

وتستفز وتنبّه، مع ما قد يكون فيها من تنفير للناس؛ بل الواجب أن نخدع العدو ونعمِّي عنه قوتنا وإمكاناتنا حتى نبغته بإذن الله في الوقت المناسب، وليكن عمل المجاهدين في هدوءٍ وصمتٍ وبُعدٍ عن الظهور ما أمكن، وكذلك في الثورات المستمرة القائمة فإن الجيِّد هو فسحُ المجال للتحرك الشعبي، مع الدعم والاستعداد بكل ممكنٍ، ومع دعم الثورة الشعبية حيث كان الدعم الجهاديّ مناسبًا كما فعل إخوة العريش حيث فجَّروا خط أنبوب الغاز الذاهب إلى إسرائيل أثناء الثورة؛ فكان دعمًا للثورة كبيرًا.

❖ مقارنة:

ولْنُنْهِ المقال الذي طال بعقد مقارنة تقريبية بسيطة بين حال وموقف أمريكا من ثورات شعوبنا العربية، وبين موقف المجاهدين منها:

المجاهــدون: وقفوا من قبلُ (قبل هذه الثورات) ضد تلك الأنظمة الظالمة الغاشمة الفاسدة الكافرة وحاربوها وثاروا عليها وبذلوا دماءهم وأرواحهم وأموالهم في ذلك وضربوا المُثُل، ودعوا إلى الثورة عليها بكل الوسائل المشروعة وحرَّضوا الأمة على منابذتها والسعي في انتزاع حريتها وحقوقها المسلوبة منها.

أمريكـا والغـرب: وقفت طوال عقودٍ مع هذه الأنظمة الفاسدة العقيمة، بل في الحقيقة هي التي رعتْ وسندتْ وأقامتْ هذه الأنظمة على رغم إرادة الشعوب، أنانية منها (أمريكا والغرب) ومحافظةً على مصالحها غيرَ مباليةٍ بمصالح شعوبنا ولا باكيةً على فقرهم وجوعهم وما يصيبهم من الألم والاضطهاد والعذاب.

المجاهـدون: فرحوا بهذه الثورات وأيَدوها واعتبروها متكاملة مع عملهم ومسيرهم.

أمريكـا والغـرب: اغتمّت وارتبكت ووقعت في ورطة موحِلَة، وكرهَتْ هذه الثورات وخشيت على مستقبل أذنابها وخدمها من الأنظمة الطاغوتية في بلادنا ومن ثَمَّ خافت على أمنها ومصالحها التي تضمنها وتحميها تلك الأنظمة، ولو أمكنها أن تسعى في إنهاء هذه الثورات وقمعها من البادية لفعلتْ، كما همَّت فرنسا بذلك في تونس، وورطة أمريكا والغرب أنهم إن سمحوا بحكومات حرة مستقلة تختارها الشعوب وتستجيب هي لمطالب الشعوب وتحقق غايات الشعوب؛ فسوف تتضارب مصالح تلك الحكومات الجديد «الشعبية» مع مصالح أمريكا والغرب، ثم تخرج الأمور عن سيطرة الغرب فيما بعد، وإن هم قمعوا الثورات ووقفوا مع الأنظمة الدكتاتورية القمعية الظالمة الفاشلة الفاسدة: فقدوا ما تبقى لهم من مصداقيتهم المضمحلّة، هذا مع أنهم شعروا وأدركوا أنه لا مستقبل لتلك الأنظمة وأنها زائلة لا محالة وأن الشعوب قد ثارت حقا وصممتْ، فكان دعمهم (الغرب) للثورة إجباريًّا وهم

كارهون، ثم يبدأ المكر الجديد، وكذا إن سمحوا مثلا بانقلابات عسكرية على هذه الثورات وحرَّكوا العساكر الموالية لهم؛ فإنهم يفقدون البقية الباقية من مصداقيتهم ويصطدمون بالشعوب اصطدامًا كبيرًا مباشرا، أو يؤدي تصرفهم إلى وقوع حربٍ أهليةٍ ثم حروبِ عصاباتٍ وجهادٍ تُعَكِّر بل تفسد عليهم مصالحهم لا سيما في المناطق الحساسة القريبة من مجالِ ما يُسمَّى بأمنهم القومي مثل الشام ومصر، ولهذا فهم في ورطات متتابعة لا يدرون ما يفعلون.

المجاهـــدون: يدعون إلى استمرار هذه الثورات وانتشارها وعمومها لكل العالم العربي والإسلاميّ.

أمريكـا والغـرب: تحاول تحجيم وتضييق دائرة الثورة ومنع انتشارها وانتقالها، ودعم الثورات المضادة، وتساندُ ما يسمّى بالإصلاحات وهي الترقيعات الخادعة التي يحاول على عجلٍ أن يقوم بها طواغيت آخرون ينتظرون أن تنتقل الثورة الشعبية إليهم وتنالهم أيدي الشعوب المقهورة، في مثل: الأردن والمغرب وغيرها، كما هللت فرنسا وغنتْ وطبلتْ وزمَّرت لما عُبّر عنه بإصلاحات ملِك المغرب.!

المجاهدون: يحاولون الالتحام بالجماهير والشعوب وترشيدها في مطالبها ومسيرتها لنيل حقوقها وتكميل حريتها وكرامتها وأن تنطبق على بركة الله متوكلة على الله ملتزمة بأحكام الله، تناضل وتجاهد لتصل إلى تحقيق أهدافها الدينية والدنيوية التي تضمن لها سعادة الدنيا والآخرة.

أمريكا والغرب: منهمِكون إلى أقصى الحدود في إيجاد حلول للخروج من ورطاتهم المشار إليها، والهيمنة على الحكومات الجديدة بعد الثورة وتخويفها وإرهابها وتقييدها وإخضاعها؛ بأساليب الترغيب والترهيب والدسائس والعملاء والخونة وغيرها..

والصراع بين الحق والباطل مستمرٌّ

والعاقبة للمتقين..



الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد



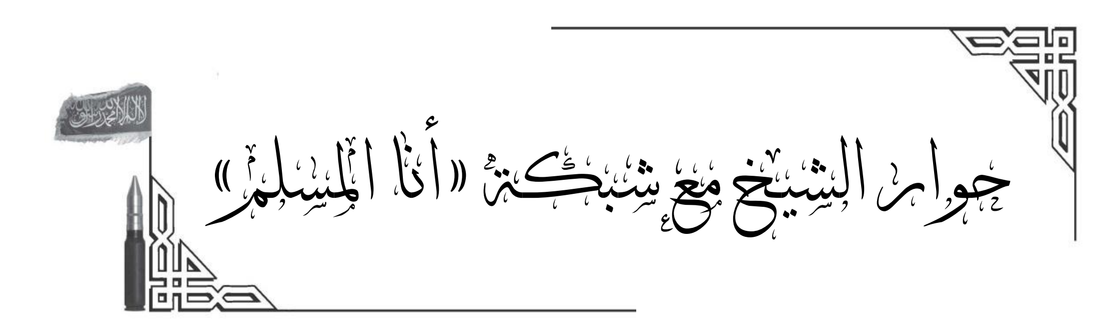
فتاوى الشيخ وأجوبته على أسئلة متفرقة

– باستثناء لقاء الشيخ مع «شبكة الحسبة»، ومع «مركز اليقين» –





- حوارٌ مع الشيخ رحمه الله في «شبكة أنا المسلم»
- إجابات أسئلة موجهة من اللجنة الشرعية للقاعدة في أحد الأفرع
- إجاباتٌ على بعض التساؤلات من مجاهدي «قطاع غزة»
- الأسئلة الصومالية
- أسئلة خاصة من الأخ «أبي مصعب الكردي»
- جوابٌ في القَسم بين الأزواج
- جوابٌ في البدعة
- جوابٌ على رسالة مناصحةٍ من السلفيين الباكستانيين



[حوارٌ متوسط نسبيا أجراه الشيخ ﵀ مع شبكة «أنا المسلم للحوار الإسلامي»، أجاب فيه الشيخ عن عددٍ من الأسئلة الشرعية والفقهية والمنهجية المهمة، وكانت محاور اللقاء منوعة، وغير منتظمة في الأصل، وقد غيرنا في نص الأسئلة لتوافق منهجية عملنا في المجموع، وقدمنا أحيانا سؤالًا على آخر وربما أخرنا في ترتيب الأسئلة؛ لتنظيم المادة؛ حيث ناسبنا الأسئلة والأجوبة مع بعضها، وقد أُجري هذا الحوار بتاريخ: ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٥م]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلاما على عباده الذين اصطفى.. وبعد.

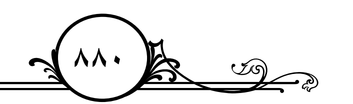
[*السؤال الأول*: **شيءٌ من سيرة الشيخ عطية الله الذاتية**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: نعرف بعض ظروف الشيخ عطية الله..
ولا نريد أن نثقل عليه في الأخبار عن شخصه وشيء من سيرته الذاتية، إذ نعلم أيضًا أن الشيخ من أكثر من عاملته من أهل العلم تواضعا وقد طلب ألا نخاطبه بلفظ الشيخ، ولكنني وجدت أناملي تعصيني حين أكتب «الأخ».. لذلك نطلب من الشيخ عطية الله أن يعطينا طرفًا من سيرته الذاتية بالقدر الذي يستطيعه ويطيقه..
جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم وحفظكم من كيد أعداء الدين.

الشيخ عطية الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

جزاكم الله خيرا أيها الإخوة على ما أوليتموني من الثقة على رغم الجهالة، وما أكرمتموني من



المحبة وحسن الظن على القلة، بل الضحالة، وأسأل الله الكريم أن يسترني وإياكم بستره الجميل، وأن يجعلنا إخوة متحابين فيه وجلاله، ويظلنا بظله يوم لا ظل إلا ظله.

رأيت تقديمكم أخي الشيخ رضا، والسؤال الأول، وسأكتب جوابه الآن إن شاء الله:

أخوكم عطية الله من بلاد «المغرب العربي البربري الإسلامي الكبير»، العمر: سبع وثلاثون سنة -لستُ كبيرا كما تظنون-، متزوج ولي أربعة أولاد ولله الحمد، النشأة في أسرة متوسطة محافظة متدينة، الدراسة في أصلها كانت دراسة «علمية» كما يسمونها وهي تسمية مغالطة، والمعنى أنها ليست أدبية وليست دينية، في المرحلة الثانوية في أوائل الثمانينات كان التعرف على الحركة الإسلامية والانخراط في السلك الدعوي والنضالي من أجل الدين، بعد الثانوية درست الهندسة في الجامعة ولم ييسر الله الإكمال، بسبب الظروف السياسية وغيرها، ومنّ الله بالذهاب إلى أفغانستان في أواخر التسعينات، فلحقناها مع انسحاب الروس، وبعد فتح كابل وجميع أفغانستان بيد المجاهدين، ووقوع الفتنة غادرنا إلى بلادنا، متجهين إلى طلب العلم إذ قد عظمت الرغبة فيه، وتحققنا الحاجة إليه أكثر وأكثر؛ فيسّر الله من ذلك بعض التحصيل في عامة الفنون، وخاصة مدة معيّنة -ثلاث سنوات تقريبا- في بلاد شنقيط كانت هي معظم المحصلة لأنها كانت مركزة وعلى مشايخ متقنين، وقبل ذلك وبعده سواء في بلادنا أو بلاد العجم كان هناك أيضا نوع من التحصيل العلمي المتفرق، وكانت هناك تجارب، ولله الحمد على نعمه.

ونحن الآن قاعدون، نرجو رحمة الله وفرجه لأمة محمدٍ ﷺ؛ نعمل في كسب رزقنا ونعبد ربنا وندعو لإخواننا، والله المسؤول أن يحسن ختامنا وختامكم وسائر أحبابنا أجمعين، جزاكم الله خيرا وبارك فيكم وسدد..

❑❑❑

[*السؤال الثاني*: **هل للظرف الاجتماعي تأثيرٌ في الفرد المسلم؟ وهل له أثرٌ في الجبن والشجاعة مثلا**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: هل تظنون أن محيط الأسرة والمجتمع له أثر في التركيبة النفسية؛ التي قد يكون لها أثر في صياغة التوجه الديني، وما يستتبعه من اختيار الفصيل

الإسلامي الأقرب؛ توافقا مع ميوله ونفسيته -التي كان في علم الله وتقديره وخلقه أنه ستكون كذلك-؟

وبناء عليه؛ هل ترون أن الحالة الاجتماعية في كل بلد إسلامي له دور في تحديد نوعية الجماعات العاملة للدين؟

وفي ظنكم أن الظرف الاجتماعي هو الذي يولد المعتقد أم أن المعتقد هو الذي يولد الظرف الاجتماعي.

فمثلا: هل الفقير يحب المذهب الجبري لأنه فقير أم أن جبريته ستؤدي به إلى الفقر؟ وهل الجبان سيحب الإرجاء لأنه جبان أم أن اختياره للإرجاء سيؤدي به إلى الجبن؟ حبذا لو كانت الإجابة بناء على رؤاك وتجاربك في المغرب العربي ثم في أفغانستان، وبناء على تحليلكم لمن لقيتموهم من القادة والأتباع.

الشيخ عطية الله:

هذا سؤال فلسفي كبير أخي الشيخ رضا.. نسأل الله الإعانة والله، أنا ما رأيت كلمة أجمع في هذا الباب وأحسن من قول نبينا ﷺ: **(كلٌّ ميسّر لما خُلِق له)**[1].

ومعلوم أن الله خلق كل شيء فقدره تقديرا، وكل شيء عنده بمقدار، وأنه قد جعل لكل شيء قدرًا، وأنه تعالى إذا قدر شيئا وأراده وتعلقت به مشيئته أنه يجريه بحكمته ولطفه على مقتضى عادته ﷻ في خلقه -سنة الله-، وهي الأسباب والمسببات التي يلاحظها العقل في الجملة يدرك من أجزائها ما يدرك ويفوته الأكثر..

فلا شك عندي أن التربية والنشأة الأسرية والمجتمعية لها تأثير في اختيارات الإنسان وتوجهاته العامة في حياته، وأن الملكات الفطرية والميولات عند الشخص لها تأثير في اختياراته كذلك؛ هي من جملة الأسباب، ويقابلها سبب العقل والفهم والتأثيرات الأخرى من قدوة أو نحوها.

فهذه الأسباب إما تتوافق وتتوارد على مدلول معين أو تختلف وتتدافع فتكون الغلبة لبعضها.

والتوفيق بيد الله ﷻ وحده.

ومن ذلك اختيار الإنسان للاتجاه الإسلامي أو السياسي الذي يعمل فيه ومعه.

ونحن نلاحظ تأثير التاريخ مثلا على الشعوب والأمم، وفي منطقتنا في المغرب العربي على سبيل المثال؛ تاريخ الجزائر وليبيا الجهادي القريب: حروب التحرير ضد الاستعمار الصليبي، الأمير عبد

---

(١) صحيح البخاري (٧٥٥١).

القادر وبوعمامة وثورة الأربعة وخمسين في الجزائر، وعمر المختار والباروني والسويحلي وغيرهم في ليبيا، هذا له تأثير على الأجيال المعاصرة لا تخطئه عين المتأمل، هناك شعوب تميل إلى الجهاد والثورة وتتعطش إلى الحرية وتتلمّض تحت سلطة قاهريها وتتململ، وتختار سبيل الجهاد والنفير والقوة والعزة متى ما أتيحت لها فرصة وبرقت لها بارقة..

وهذا موجود في معظم الشعوب الأخرى أيضا والحمد لله، لكن تلاحظ فروقا من مكان إلى مكان، حتى في البلد الواحد.

في الجزائر؛ المناطق التي كانت معاقل الجهاد ضد فرنسا في ثورة نوفمبر هي هي نفسها كانت معاقل الجهاد الحديث في السنين الماضية ضد الحكومة، وفي ليبيا أشياء قريبة من ذلك.. والله أعلم.

وهل الحالة الاجتماعية في كل بلد إسلامي لها دور في تحديد نوعية الجماعات العاملة للدين؟

أظنك تقصد من حيث كونها جهادية أو سلمية، صداميّة أو تصالحية كما يعبّرون إلى غير ذلك، وعلاقتها بالمنظومة الاجتماعية في بيئتها.

هناك تأثير إلى حد ما كما سبق القول، لكن هو أحد المؤثرات كما سبق أيضا.

وهل «الظرف الاجتماعي هو الذي يولد المعتقد أم أن المعتقد هو الذي يولد الظرف الاجتماعي»؟

أظنكم تقصدون بالمعتقد مجمل الأفكار حول مجمل القضايا والتي هي في غالب مفرداتها اجتهادية مستنبطة.

في ظني أن هناك تداخلا في التأثير والتأثّر، وليس مهمًا معرفة أيهما الأسبق.

وبصفة عامة على مستوى عمر الجيل -العمر الافتراضي العملي لشخص واحد-؛ فإن الأوضاع الاجتماعية لها تأثير على أفكار الشخص أكثر من تأثير الأفكار على تلك الأوضاع، إلا في النادر فيما يتعلق بالنوابغ والموهوبين النوادر الأفذاذ في الأمم والذين يوفّقون لإحداث التغييرات الكبيرة، والله أعلم.

وأما هل الفقير يحب ويختار المذهب الجبري، والجبان يختار الإرجاء؟

فظني أن العلاقة هنا ضعيفة.!

بالنسبة للجبن وضده الشجاعة هي أخلاق، وهي صفات وهيئات راسخة في النفس فقد تجد المرجئ من الناحية العلمية النظرية، شجاعًا في غاية الشجاعة وقد تجد العكس.

ونحن على سبيل المثال نعرف أن كثيرًا جدا من شجعان أمتنا وأبطالها في عصورها الوسطى كانوا من الناحية العلمية النظرية على مذهب الإرجاء في العقيدة، ويمكن إلى حدّ ما التمثيل بالأفغان هنا

أيضا، وحتى بأبطال الجهاد ضد الاستعمار في القرن الماضي كما أشرنا للأمير عبد القادر وغيره.

بالتأكيد أن المذهب العلمي الاعتقادي له تأثير على أخلاق الإنسان والأخلاق تكتسب.

وإن كان أفضلها ما جبل اللهُ الإنسانَ عليه.

ولكن التأثير المعاكس هنا -تأثير الإرجاء على خلق الشجاعة- أضعف بالجملة في تأملي وملاحظتي أن تأثير الخُلُق و«الميولات» على اختيار الإنسان قويّ؛ كالجبان يميل إلى الاختيارات السهلة والراحة وينفر بادي الرأي مما يشق ويصعب ونحو ذلك، والله أعلم..

وأهم شيء أن لا ننسى أن هذه الأشياء هي من جملة الأسباب كما قدمتُ وأنها بين النقم والنعم، والعافية والبلاء، وفضل الله وعدله، وأن التوفيق في النهاية بيد الله وحده لا شريك له.

نسأل الله لنا ولكم ولسائر أحبابنا التوفيق والسداد، جزاكم الله خيرا..

❑❑❑

[السؤال الثالث: ما مكانة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ ابن عبد الوهاب عند الشيخ عطية؟ وبمن تأثر من الأهل والأصدقاء والمعاصرين؟]

❁ **شبكة أنا المسلم**: كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والأستاذ سيد قطب.. ما مكانتها عندكم وتأثيرها عليكم؟ وهل هناك علماء آخرون أثروا فيكم؟

وفي سياق ذلك، بمن تأثرت: من الأسرة، من الأصدقاء، من عامة الناس، من المجاهدين من الملتزمين، من الجماعات الإسلامية الأخر..؟ وفقكم الله.

الشيخ عطية الله:

بارك الله فيكم أشرتُ إلى أن الأسرة ولله الحمد محافظة متدينة، وكان الأثر الأول للوالد أسعده الله في الدارين؛ فإنه من أهل الخير والتقوى أحسبه كذلك، رغم أنه في فترة لاحقة بعد أن صار لي نشاط في الدعوة وقف معارضا لي إلى حد ما في بعض الطريق، وذلك لأننا كنا دخلنا في بدايات نشاطنا الدعوي في صراعات مع طوائف من الناس كالصوفية القبوريين وغيرهم من أهل الفساد بالإضافة إلى التوجهات السياسية؛ فتسبب ذلك في مشاكل اجتماعية سببت ضغوطا على الوالد، وهو بحمد الله معافىً من فتنة القبوريين والصوفية، والله يعفو عنا وعنه، ونحن طبعا كانت لنا أخطاء وقلة مبالاة

بالخلق وخلافهم أكثر من الحد ربما، وضعف في التجربة بلا شك، واندفاع وحماس الشباب الذي عرف دينه وطالع الكتاب والسنة وفقه الدليل ونبذ التعصب وتنوّر بأفكار أئمة الدعوة وعلماء الإسلام، وقيادات الصحوة المعاصرة، وفتح عينيه في مجتمع منكوس بالفعل؛ المنكر فيه معروف والمعروف فيه منكر إلا ما ندر..! فهذه كانت مرحلة طبيعية، وبعدها صرنا إلى الاعتدال إن شاء الله ومنه التوفيق.

قبل الانخراط في سلك الدعوة كانت معظم مطالعاتي في اللغة والأدب والتاريخ بسبب أن المكتبة في بيتنا كانت تحتوي شيئا أكثر من غيره من الكتب في هذه الفنون، بالإضافة إلى بعض الكتب الدينية الميسرة ككتاب «رياض الصالحين»، ثم حبب إلى قراءة التفسير وكان عندنا نسخة من «تفسير القرطبي». وأما **أول كتاب قرأته في فقه الدليل** وفتح عينيّ على الكيفية الصحيحة لتلقي الشريعة والدين الحق كما جاء به النبي ﷺ فهو كتاب «حجاب المرأة المسلمة» للشيخ الألباني رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا وعن المسلمين خيرا، وهو أول كتاب قرأته للشيخ الألباني قبل أن نعرف «صفة الصلاة» وغيرها من كتبه، وكانت طبعة قديمة من الكتاب لعلها أول طبعاته، فلما قرأته شغفت به وبمنهجه وأحدث عندي تحولا في الفهم كبيرا.

بعدها بدأ البحث عن الكتب من هذا النوع.. في أثناء ذلك انخرطت في النشاط الدعوي والحلقات وطلب العلم النافع، والنقاشات والمعارك أيضا..!

بالنسبة للكتب التي تأثرت بها في بداياتي تلك؛ فبالعموم كتب ابن القيم، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كـ«كتاب التوحيد» و«كشف الشبهات»، ومن أهم الكتب التي قرأناها واعتمدنا عليها في تلك الفترة كتاب «مجموعة التوحيد» التي تضم رسائل لأئمة الدعوة النجدية ولشيخ الإسلام وغيرهم، ثم كتب سيد قطب كـ«الظلال» «ومعالم في الطريق».

ولا أنسى «المحلى» لابن حزم؛ فإنه سحرني في فترة البداية لقوة محاجته، ولقوة الشغف بالدليل ونبذ التقليد التي تكونت لدينا أنا وبعض الأصدقاء، وحيث أننا لم نكن نملك نسخة منه، فإننا كنا نذهب إلى المكتبة العمومية في المدينة ونجلس فيها الساعات نقرأ في المحلى، كان بالنسبة لنا شيئا مبهرًا وعجبًا، وهو كذلك في الحقيقة؛ على هناته وظاهريته، والله يعفو عنا وعنه وعن سائر المسلمين.

من ناحية الشخصيات العامة التي تأثرت بها؛ فكان هناك بالتأكيد الشيخ الألباني، ثم الشيخ عبد الله عزام -رحم الله الجميع- من خلال أشرطته، بالإضافة إلى بعض مشايخنا والدعاة في بلدنا ذكرهم الله بجميل الذكر، ورحم الله أمواتهم وتقبلهم.

فهذا بعض ما حضرني ذكره من حيث التأثر في بدايات التكوين الدعوي والفكري والعلمي.

وأما على العموم؛ فإن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وفقهه وطريقته ربما تأتي في المرتبة الأولى من حيث تأثري بها، وكل ما سبق ذكره من الكتب والشخصيات لا تزال كما هي من حيث قيمتها عندي، وانضاف إليها غيرها الكثير، ولله الحمد والمنة.

ونسأل الله أن يفتح علينا وعليكم ويرزقنا الهدى والسداد، جزاكم الله خيرا..

❑❑❑

[*السؤال الرابع*: **نقطة التحول من المعارك الكلامية إلى الجهاد عمليًّا**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: ما هي نقطة التحول.. من مجرد الدعوة، والمعارك الكلامية مع القبوريين؛ إلى فكرة الجهاد؟ من بلاد المغرب العربي إلى أفغانستان؟ وفقكم الله..

الشيخ عطية الله:

في الحقيقة بالنسبة لي وللكثيرين من أقراني من أهل بلدي؛ لم تكن هناك نقطة تحول في مسألة الجهاد بالمعنى الكامل، وذلك لأن التزامنا وانخراطنا في سلك الدعوة والحركة الإسلامية من بدايته كان على فكر سلفي تغييري قريب من الجهاد، وذلك راجع إلى مسألة كفر الحاكم والنظام الذي يحكم البلد، فهذه المسألة كانت عندنا مسألة متجاوَزة ومفروغ منها من البداية لقوة وضوح أمر الحاكم والنظام وعدائه وحربه للدين ولكون الجميع من علمائنا ومشايخنا لا يختلفون فيه؛ فمن البداية كان الالتزام والانخراط في الحركة الإسلامية يعني بالنسبة للشخص منا: الاصطدام مع الحكومة في يوم من الأيام والسجن والملاحقة وما شابه ذلك، كانت هذه الأمور واضحة تمامًا، ومع ذلك فإن النشأة الأولى بلا شك كانت سلمية دعوية تتفادى قدر الإمكان الاصطدام، وكان الذهاب إلى أفغانستان متاحًا وكان الناس يذهبون من عندنا وكنت من طائفة من الإخوة ترى أن البقاء في البلاد أولى وأفضل للدعوة والتغيير، إلى أن حصلت أمور وأمور وجاءت ظروف وساق الله لنا الذهاب إلى أرض الجهاد.

بلا شك؛ الإنسان ربيب بيئته ولا يمكن أن ينفصل عن زمانه بالكلية، وقد كان هناك أحداث في العالم من حولنا في أول الثمانينات كان لها أثر فينا بلا شك نحن ذلك الجيل، فهناك مقتل «السادات» عام واحد وثمانين، و«الغزو الإسرائيلي للبنان» عام اثنين وثمانين، وعملية «سناء محيدلي»، وغيرها، وكانت هناك أحداث محليّة ومحاولات جهادية لها تأثير خاص ومهم.. كلها أسهمت في صياغة التوجه أو تأكيده، وكانت أشرطة «الجهاد الأفغاني» والشيخ «عبد الله عزام» وغيرها، لها دور كبير في

التحريض والتأثير.

والله المسؤول أن يتقبل منا ومنكم صالح العمل وأن يعفو عن السيئات، إنه جواد كريم، برّ رؤوف رحيم.

❑❑❑

[*السؤال الخامس*: **الجهاد في الجزائر، وخاصة جهاد الليبيين فيها**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: لو تكلمتَ لنا بارك الله فيك عن الجهاد في الجزائر، وبشكل خاص عن الإخوة الليبيين الذين ذهبوا للجهاد مع إخوانهم في الجزائر..

الشيخ عطية الله:

الجواب عن هذا السؤال بابه واسع والكلام يطول فيه، وأنا قد تكلمت عن الجزائر في مناسبات كثيرة، والتكرار والله صعب، وهنا لي مجموعة مشاركات عن الجزائر، ولي موضوع بعنوان «توضيحات في المسألة الجزائرية وقضية الجهاد»؛ فلتراجع ففيها شيء لا بأس به من الفائدة.

وبالنسبة للإخوة الليبيين الذي ذهبوا للجهاد مع إخوانهم في الجزائر -كانوا مجموعة من الإخوة من الخبرات العسكرية-؛ فإنهم كانوا محترَمين موقّرين غاية التوقير من عموم الإخوة المجاهدين، وأما القيادة متمثّلة في «جمال زيتوني» ومجلس شوراه وبعض أمراء المناطق، فكان منهم المحترم لهم والمقدّر لجهودهم والعارف لهم قدرهم كـ«أبي طلحة الجنوبي الأغواطي» و«حسن حطاب»، ومنهم دون ذلك، ومنهم المتضايق منهم كـ«أبي بصير ماكادور» الذي كان مسؤول العلاقات الخارجية عندهم، وعنتر زوابري الذي كان مستشارًا ومساعدًا عسكريا لزيتوني، وهذان الاثنان من أجهل خلق الله وأفسد من رأينا ممن ينتسب إلى الجهاد في الوجود؛ نسأل الله العافية، فأما «عنتر» فقد عرفتم ما آل إليه حاله، وأما «ماكادور» فقد قتلوه وتخلّصوا منه -قتله «عنتر» وأصحابه بعد أن تولى «عنتر» قيادة «الجيا» المنحرفة-. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام].

وبلا شك كانت فترة عصيبة جدًا ومليئة بالأخطار، ولكن الله وقى شرها والحمد لله رب العالمين.

كانت العلاقة بين الإخوة الليبيين وقيادات الجماعة في تصاعد نحو التوتر إلى أن قتلت الجماعة الشيخَ «محمد السعيد» وصاحبه «عبد الرزاق الرجام» ﭬ، وادعوا أنهما وقعا في كمين للعدو وقتلا،



وظلوا يظهرون الترحم عليهم، تمثيلًا وتمويهًا.

استمر هذا قرابة الشهرين، ثم بسبب الضغوط من داخل الصف الجهادي ومن الشعب ومن الخارج، مع تسرّب بعض الشائعات أن الجماعة قتلتهم ومع تزايد الشكوك ووجود اللوث -الشبهة المسبقة من الشحناء والعداء والبغض للرجلين- وعدم وجود أي دلائل على وقوع كمين في ذلك الوقت وذلك الزمان المدعى، وغير ذلك.. لم تستطع الجماعة -بقيادة زيتوني- أن تستمر على نفيها قتلهما وادعائها أنهما سقطا في كمين للعدو، فصرّحت وأعلنت أنها قتلتهما وأصدرت بيانها المشهور بـ«الصواعق الحارقة على الجزأرة المارقة» أو كما سمّوه.

ولم يكتفوا بذلك، بل أعلنوا عن تبنّي مشروع كبير لما أسموه تطهير الصف من المبتدعة وأهل الأهواء، وبدأوا حملات اعتقال في صفوف إخوانهم المجاهدين، ووقعت مآسي ومصائب وكوارث يندى لها جبين التاريخ، وتذوب القلوب حسرة من مجرد تذكرها، نسأل الله أن يعافينا وإياكم.

في تلك الأيام كان الإخوة الليبيين قسمان: قسم استأذن «زيتوني» فأذن لهم في الذهاب إلى شرق البلاد، بعد أن عرفوا أن هناك بعض الأمراء الجيدين وبعض معارفهم القدماء في أفغانستان، وذهبوا بالفعل، ولم نعلم مصيرهم بعد ذلك، نسأل الله أن يرحم حيهم وميتهم.

وقسم فرّوا إلى بعض الكتائب التي خرجت على الجماعة بعد إعلانها وتبنّيها قتل الشيخ «محمد السعيد» ولم يبق إلا شخص واحد هو الأخ «صخر» ؒ؛ فاستدعاه «زيتوني» على خلفية فرار أصحابه، وحقق معه ثم أطلقه، وكان يقدّره نوعًا ما، واستأذنه في اللحاق بأصحابه الذين ذهبوا إلى الشرق فأذن له، وتوجّه بالفعل، وهو في الطريق جاءت الأخبار بمقتل «زيتوني» -قتل على يد بعض الكتائب الخارجة عن الجماعة المنابذة لها وهي كتيبة «المدية»- وجاءت الأخبار بأن «عنتر» قد تولى قيادة الجماعة، فعلّق «صخر» على الخبر، وقال ما معناه: إن عنتر جاهل ولا يصلح للإمارة، فنقلها بعض الإمّعات المفسدين المتقرّبين للأمراء فاستدعاه «عنتر» من منتصف الطريق، ثم قتله، بعد أن نكلوا به وعذبوه عذابًا على غرار ما نسمع به في سجون طواغيت مصر وأضرابهم، نسأل الله أن يرفع درجته ويعلي قدره في عليين، وحاولوا أن يسجّلوا له شريطا يعترف فيه بشيء يخدمهم، فلم يظفروا منه بكلمة ولله الحمد، فاكتفوا بإشاعة أنه كان جاسوسًا خطيرًا وأن «القذافي» بعثه لإثارة الفتنة في «الجماعة الإسلامية المسلحة».!

أعاذنا الله وكل أحبابنا من الفتن، ولعنة الله على الظالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

❑❑❑

[السؤال السادس: **الغموض الذي يكتنف بعض الشخصيات الجهادية المعاصرة، وعن لقاء الشيخ عطية الله ببعض قادات المجاهدين**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: توجد بعض الشخصيات البارزة على الساحة؛ هناك من يشكك فيها وربما حتى في وجودها على الواقع أصلا، وهذا قد حصل مع الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاوي؛ حيث أثير منذ فترة أنه مجرد أسطورة خيالية لا وجود لها ولا حقيقة، وأن أمريكا تبرر وجودها في العراق بمثل هذه الإشاعات والأسباب.

وسؤالنا لفضيلتكم: هل سبق لكم وأن التقيتم أو عرفتم عن قرب هذه الشخصيات الشهيرة؟ أسامة بن لادن، أبو مصعب الزرقاوي، أبو الفرج الليبي، أبو مصعب السوري، أبو قتادة الفلسطيني، محمد الحسن بن الددو، أبو بصير الطرطوسي.. وجزاكم الله خيرا.

الشيخ عطية الله:

بخصوص الغموض الذي يكتنف بعض الشخصيات الجهادية المشهورة، من حيث فكرها وفهمها ورأيها في الكثير من القضايا المهمة:

في البداية: أقول إنني اقتصرت في الجواب على قدر السؤال ولم أردْ أن أتوسّع، إرجاء لكثير من الكلام لما يأتي من الأسئلة عن «النزعة التكفيرية» وغيرها، ولذلك تكلمت على من ينفي أو يتشكك في وجود بعض تلك الشخصيات كـ«الزرقاوي» مثلا.

وأما ما دمتم قد سألتم عن «الغموض» والتشكيك في فكر وعقلية الشخصية من تلك الشخصيات؛ فسنتكلم على ذلك بما يفتح الله ﷻ.

فاللهم اشرح لي صدري يسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واهدني وسددني.

قال الأخ: «فالتشكيك في بعض الشخصيات الجهادية ليس من حيث وجودها أصلا، ولكن الاختفاء الذي يفرضه الواقع، ثم صدور بيانات لهؤلاء القادة المختفين تحدث عزلة للجهاد والتيار الجهادي بما يجعل الإنسان منا يقف حائرا أو قل متشككا؛ فيتحدث الناس عن الجهاد والجهاديين والنزعة التكفيرية التي عندهم.. فيأتي بيان من أحد القادة، ، ينفي هذه التهمة ثم يقرر أنه لا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ثم تلمح -بوضوح- في بيانه تأصيل النزعة التكفيرية..

يتحدث الناس عن قتل المجاهدين للأبرياء في العراق.. فيأتيك بيان لقائد مختفٍ ليؤصل لهذه

المسألة تحت بند مسألة التترس.

يتحدث الناس عن بغض التيار الجهادي الجديد للعلماء وسلاطتهم عليهم وتضليلهم لهم..» الخ.

فأقول وبالله أستعين:

كلام الأخ منطقي جدًا ومحترم، بارك الله فيه.

وسأحاول توضيح الصورة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب:

هذا الكلام لا ينطبق على المعروفين المشهورين مثل الشيخ أسامة نصره الله وواضح أن المقصود به على الخصوص الأخ «الزرقاوي» وفقه الله.

نعم الاختفاء الذي يفرضه الواقع مع عدم اشتهار الشخصية المعنيّة في السابق، بحيث يعرف أفكارها ومذهبها ورأيها في جمهور المسائل والقضايا، وينضم إلى ذلك بعض الأشياء التي تثري تلك المخاوف ككون الزرقاوي -وهو مثالنا- تلميذا أو صديقا حميمًا للشيخ «المقدسي»، والشيخ «المقدسي» عُرف بتشدده، ومتّهم بنوعِ غلوٍّ في مسائل التكفير وفي موقفه من العلماء، وينضم إليه أيضا كلمات تصدر في بيانات «الزرقاوي» تعطي للناس فكرة أنه يسارع في إطلاق الكفر ويستهين بمسألة التكفير، ويتكلم في أهل العلم بقسوة ونحو ذلك.

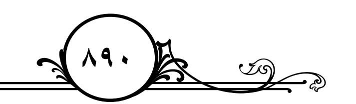
فهذه كما ترى مجموعة من العوامل اجتمعت لترسّخ تلك المخاوف عند الناس.

بالنسبة للذي يعرف الأخ «الزرقاوي» وأخلاقه ودينه وأصوله النظرية، فهو أكثر اطمئنانًا ولله الحمد إلى أن هذه الأشياء هي عارضة وليست بالعمق الذي قد يتصوره من لا يعرفه.

فأنا لا أملك إلا أن أطمئن إخواني ومن يعرفني أنه ليس هناك تكفير بالمعنى المذموم الذي عرفناه عند جماعات التكفير، وأن الأخ «الزرقاوي» بحمد الله بعيد جدًا عن ذلك، ولا خوف من بدعة الخوارج أو التلبس بضلالتهم إن شاء الله.

وأن تلك الأشياء التي ترون إنما هي مجموعة أخطاء واتفاقات على درجات متفاوتة، وهي فتنة، قدرها الله؛ فالموفق في تجاوزها من تريّث وتثبّت وأنصف واستعان بالله واعتصم به، فلا يتسرّع في رمي المجاهدين والتنفير منهم، بل يتثبت ويتمهّل، وإن كان لا بد فليقل: إني أخشى كذا وليقل خيرا أو ليصمت.

وأما من يتسرّع ويبدي الاحتمالات السيئة ويظهر الأوهام والتحليلات المخيفة ويجعلها كالعلوم النافعة ويظل يتحدّث عن العمالة للاستخبارات الفلانية والحكومة الكافرة العلانية، ويبرز تلك الشكوك ويكررها، فهذا قد جانب الصواب فعلا وأتى منكرًا، ولم يصنع شيئا في إصلاح ولا دعوة إلى



خير.! وإني أحذّر إخواني من ذلك، وأذكّرهم الله تعالى في المجاهدين وحرمتهم، وحرمة الجهاد الذي يقومون به.. نسأل الله لنا ولكم الصلاح والتسديد.

ومما يدلّكم على صحة ما قلت لكم: أنكم تعلمون وتسمعون تصريح الأخ «الزرقاوي» وإخوانه في التنظيم في بياناتهم بتعظيم دماء المسلمين، والإقرار بأن الشعوب العربية والإسلامية شعوب مسلمة، وأنهم يتوجعون لأحوال المسلمين في كل مكان، ويهبّون لنجدة امرأة مسلمةٍ اغتصبت واعتدى عليها العلج أو الرافضي، ويقدّمون أنفسهم فداء لها، وغير ذلك كثير، وهم بحمد الله يعيشون مع الشعب العراقي ومع باقي الجماعات المجاهدة، ولا يكفرونهم ولا يفسّقونهم ولا شيء من ذلك؛ فكيف يصح أن يظن الإنسان بهم أنهم «تكفيريّون» مع هذا كله..!

ومسألة «التترس» التي تكلم فيها الأخ الزرقاوي واعتذر بها عن إصابة -مقتل- بعض المسلمين أحيانا، مهما خالفته أو وافقته فيها فهي في حد ذاتها دلالة على هذا الأصل العظيم وهو أن شعوبنا مسلمة ولله الحمد، ودماؤهم معصومة محترمة كل الاحترام، ما في ذلك شك.

وعلينا أن نبلّغ إخواننا في «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» وأميرهم الأخ «الزرقاوي» وفقهم الله، أن يبتعدوا عن إطلاق الكفر في المسائل التي لم تتحرّر ولم يكن فيها فتاوى معروفة من علماء مجتهدين، وأن يخاطبوا الناس بما يعرفون، ومعنى ما يعرفون: المسائل المشتهرة والواضحة التي تعقلها وتستوعبها قلوب الناس، ولا تحدثُ لهم فتنةً، وذلك يتضمن الابتعاد عن المسائل المشتبهة والصعبة على الناس والتي قد تسبب لهم فتنة وتشويشًا، وهذا من أصول الحكمة ولا سيما لمن يتصدى للقيادة وسياسة الخلق.. ومن ذلك الكلام في أهل العلم؛ فليكن بأدب كامل وتلطّف واحترام مهما اختلفنا معهم ومهما رأينا العالِم وقف ضدنا فإنه إن كان من الأهل الصلاح -وهو فرضنا هنا- فإن ما يصدر منه محمول على أنه ما أداه إليه.

وبالنسبة للأخ الشيخ أبي بصير الطرطوسي؛ فلم يسبق لي أن التقيت به، ولم أقرأ له إلا مقالاتٍ على الانترنت، ومن آخرها مقال له بعنوان «هؤلاء أخافهم على الجهاد» أو نحو ذلك، وهو مقال جيد، نصح فيه وأجاد، جزاه الله خيرا.

وبقية الأسماء الستة المذكورة للسادة القادة النبلاء والمشايخ الفضلاء والمفكرين والعلماء؛ فقد شرُفتُ بلقائهم ومعرفتهم ولله الحمد، وبعضهم عرفته أكثر من بعض، على تفاوت درجاتهم وتنوّع مواهبهم، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، وغفر الله لنا ولهم جميعا، ووفقهم الله وثبّتهم وفرج كرب المكروبين منهم، وجمعنا بهم في خير حال وأهنئِ بال، في هذه الدار وفي دار القرار.. آمين.

وكون البعض يشكك في بعض الشخصيات المشتهرة منهم ومن غيرهم، فهذا يحصل بسبب عدم الاطلاع، ولكن قد ينضاف إليه عند البعض سيطرة فكرة «المؤامرة» على تكوينه الثقافي، وقد ينضاف إليه عند آخرين غرض نفسيّ وهوىً ومؤثرات أخرى؛ الله أعلم بها.

والذي لا يعرف له عذره إذا اقتصر على نفي علمه وتشكك في الأمر، ونحن لا حيلة لنا كبيرة معه، وماذا نفعل..؟!

ونقول لهم: اسألوا وابحثوا وتبيّنوا، سافروا وارحلوا إلى بلد الرجل واستخرجوا حقيقته؛ فبلده معروف، وأسرته وقبيلته وبيته، ومسجده ومدرسته وزملاؤه، إن كان يهمكم أمره.

وغالبًا مع مرور الوقت تتبين الأمور للناس وتشتهر.

وأظن في أكثر الأحوال أن من ينكر وجود الزرقاوي مثلا ليسوا هم من الناس المهمين والمؤثرين في الأمة الفاعلين على ساحة التغيير فيها؛ فإن وجد من ذلك أحدٌ فهو قليل، ويكون الأمر عارضًا مؤقتا يزول بقليل من البحث والسؤال والتحقيق، والله أعلم.

فالأمور تتبين للمطلعين والباحثين المتابعين المهتمين.. ولله الحمد رب العالمين.

وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه.

❑❑❑

[*السؤال السابع*: **بخصوص سعي طالبان للانضمام لـ«هيئة لأمم المتحدة»**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: شيخنا الكريم؛ هل عندكم معلومات بخصوص سعى «إمارة طالبان» للانضمام لـ«هيئة الأمم المتحدة»؛ فقد تحدثت عن هذا وسائل الإعلام قديما!.

الشيخ عطية الله:

فيما يتعلق بسعي «طالبان» للحصول على مقعد في «الأمم المتحدة»؛ فقد رأيت جوابًا للأخ «المضري» في إحدى مشاركاته على قصرها تفي بمعظم الغرض، قال جزاه الله خيرا: «طالبان كانت تسعى لهذا الأمر في بداياتها، وكانت تعلل الأمر برغبتها في إيصال صوتها للعالم عن طريق كرسي الأمم المتحدة، ولكن الأخوة في القاعدة قاموا بحملات تثقيفية واسعة في أفغانستان ضد هذه القضية انتهت باقتناع قيادات طالبان بشكل نهائي ومن ثم أصدرت قرار سحب طلبها من الهيئة.. راجع مذكرات أبي مصعب السوري حول تلك الفترة» اهـ.

وقوله «الإخوة في القاعدة قاموا بحملات تثقيفية»؛ ليس الإخوة في القاعدة فقط، ولكن كل العرب، وكل الجماعات الجهادية التي كان لها تواجد هناك، والمستقلون، والجماعات غير العربية أيضا كالتركستانيين وغيرهم، والأخ أبو مصعب السوري الذي أحال المضري على مذكراته، موثوق وهو ممن عاشوا القضية بعمق، **وأزيد بعض التوضيحات في نقطتين:**

- **النقطة الأولى**: أن طالبان في بداية الأمر لم يكونوا يعرفون تفاصيل كثيرة عن ماهية الكون عضوًا في الأمم المتحدة، وتصوّرهم كان في غاية البساطة: أنت دولة، فعلى العالم أي الدول الأخرى أن تعترف بك، ولك الحق في تمثيل نفسك وأخذ مقعدك في الأمم المتحدة التي هي مجلس عالمي لكل الدول.. تقريبا هذا هو تصورهم ببساطة دون إدراك كثير من التفاصيل، ولا تستغربوا هذا فطالبان كانوا بسطاء ولا يعرفون كثيرا من الأشياء، ولكنهم تطوروا مع السنين، ونظنهم الآن صاروا أكثر ثقافة عما كانوا عليه من قبل بكثير، وكان للإخوة العرب أثر كبير في ذلك..

ومن الطريف الذي يذكر هنا ما حدثنا به أكثر من واحد من الإخوة الثقات عن الشيخ مولوي «إحسان الله إحسان» وهو من مؤسسي الحركة مع «الملا محمد عمر»، وكان يعتبر الرجل الثاني بعده، وقتل ﷺ في مذبحة «مزار شريف» على يدي قوات الطاغية «دستم»، وكان «إحسان الله» هذا من الربانيين نحسبه كذلك بحسب ما بلغنا عنه، أقول من الطريف أنه قيل له من قبل بعض الإخوة العرب في موضوع الأمم المتحدة، فقال: «هم فسّاق، نرسلُ لهم واحدًا فاسقًا مثلهم يجلس معهم».!

طبعا، طالبان عندهم تورّع مبالغ فيه في مسألة التكفير؛ فتراهم في كثير من الأحيان يكتفون بإطلاق لفظ الفسق لأنهم يستعظمون التكفير.. أعاد الله ملكهم وأعزّهم الله ونصرهم.

وهو أطلق عليهم لفظ «الفسق» بالنظر إلى أن فيهم عربًا ومسلمين، لكنْ الكفار الأصليون طبعا لا يتردد الطالبان أبدا في تكفيرهم والبراءة منهم كأوضح ما يكون، ولله الحمد.

وبعض من أخبرني بهذه القصة قالوا إنه قالها على وجه المزح، ولكن قالوا لي أيضا -وهو مستقربٌ- إنه وإن كان مزحًا من الشيخ إحسان، ولكنه في الحقيقة يعبّر عن عفوية وبساطة الفكرة عندهم: نرسل لهم واحدًا فاسقا مثلهم من فسّاقنا «الأفغان» يجلس معهم!!

وكأن المسألة هي مجرد جلوس، يمشي يأخذ له مقعد ويجلس معهم، المهم أنه يجلس هناك فقط.

ولكن ما داموا فسقة مجرمين؛ فنحن أهل الدين لا نرضى أن نجلس معهم، فإن كان لا بد بعثنا لهم فاسقًا من فسّاق الأفغان.!!

هذه بساطة الأفغان والطالبان، والذي عرفهم لا يستغرب هذا.

- **النقطة الثانية**: أن طالبان كتنظيم كان فيه جناح غير جناح «الملا محمد عمر»، وإن كان هذا الجناح لم يكن قويًا بالدرجة الكافية ولله الحمد، وكان مغلوبًا، لكنه كان موجودًا.

هذا الجناح يتكون من بعض الأفراد ممن يحمل فكرًا منفتحًا -وهذه اللفظة مجملة- وتشرّب شيئا من الثقافة المعاصرة، وزاد انفتاحهم حينما أتيحت لهم بعض الفرص للسفر للخارج وحضور مؤتمرات والسكن في بعض الدول والإقامة في فنادقهم ورؤية بعض الترف بأنواعه، وتكوين علاقات شخصية مع السياسيين في دول عربية وإسلامية أخرى وحتى دول غربية؛ فكانوا يحاولون بعض التغيير في حركة طالبان في اتجاه «الانفتاح» على العالم، والتحوّل إلى «الدولة» -يمكن القول إن طالبان لم تكن دولة بالمعنى الكامل، هي في مرحلة أشبه بالبين بين، بين الحركة والدولة، لكنها أقرب إلى الدولة ولمّا تصرْ دولة بالمعنى الكامل-، وكان من أهم رجالات هذا الجناح: «وكيل أحمد متوكل» الذي كان وزير الشؤون الخارجية في وقت من الأوقات -سلم نفسه الآن للقوات الأمريكية، وتعرّض للإهانة، هداه الله وأصلحه- وغيره، وبالعموم كانت «وزارة الخارجية» هي معقل هذا الجناح.

فهؤلاء النفر أو قل التيار كانوا هم من يحرص على الحصول على مقعد أفغانستان في الأمم المتحدة، وفي التمثيليات الدولية المختلفة، ويحرصون على إيجاد علاقات ديبلوماسية مع كثير من الدول، حتى إنهم حاولوا جاهدين عمل علاقات ديبلوماسية مع القذافي! ويحرصون على إيجاد مظاهر الدولة الحديثة وغير ذلك.

لكن كان الأمر كله متوقفًا على الأمر النهائي من أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» حَفِظَهُ اللهُ ونصره.. فهم كانوا يحاولون ويشتغلون.. لكن في النهاية الأمر ليس لهم.

والإخوة العرب والأنصار عمومًا جزاهم الله خيرا، كانوا مستوعبين لهذه الأمور، وكانوا يمارسون دورًا مهمًا جدًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة على الخير والإعانة على سبل الرشاد؛ فكانوا يتكلمون مع «وزارة الخارجية» وينصحون مشافهة وكتابة وغير ذلك، وكانوا يرفعون كثيرا من هذه الأمور والنصائح إلى «الملا» أمير المؤمنين مباشرة، إما عن طريق اللقاء به أو عن طريق مكتبه وسكرتاريته في قندهار.

فهذا مهم في فهم المسألة والاعتذار عن طالبان فيها.. والله الموفق.

اللّهم انصر عبادك المجاهدين من طالبان وإخوانهم يا رب العالمين يا خير الناصرين.

❑❑❑

[*السؤال الثامن*: **علاقة القاعدة بالعمليات في الدول الإسلامية وأوروبا، وأثر قادة الجهاد في الرد على فكر التكفير والهجرة، والرد على مقولة أن المجاهدين مطية لتحقيق أهداف الغرب، وسبب اتساع الفجوة بين العلماء والمجاهدين**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: **السؤال الأول**: ما يقوم به الشباب المتحمس للجهاد في بلاد الحرمين أوفي غيرها من الدول الإسلامية أو حتى أوروبا.. هل هو بتخطيط مباشر من قادة «القاعدة» أم باجتهادات فردية من الشباب على ضوء التوجه العام للقاعدة؟ ما يعني اقتصار دور القادة على الأبوة الروحية لهذه العمليات ثم مباركتها في النهاية؟

السؤال الثاني: لا يخفى خلط ساحات الجهاد في أفغانستان -أقصد ضد الروس- الحابل بالنابل والغث بالسمين والمبتدع بالمتبع، والسؤال هل كان للقادة -بصراحة- دور إيجابي في مواجهة جماعة التكفير والهجرة -ومن تأثر بهم أو غيرهم من المبتدعة- أو على الأقل عزلهم أو عزل الشباب عنهم؟ أم لا؟.

السؤال الثالث: ما ردكم على مقولة شرّق بها المنافقون وغرّبوا: «أنكم كنتم مطيّة لتحقيق أهداف أمريكا ضد روسيا»؟.

السؤال الرابع: المنخرطون في سلك التيار الجهادي -أقصد المتحمسين أكثر من غيرهم لقضايا الجهاد والمجاهدين- نلاحظ أن هناك فجوة تتسع يوماً بعد يوم بينهم وبين العلماء، حتى وصل الأمر -عندهم- إلى اختزال العلماء الصادقين فيما لا يتعدى أصابع اليدين وربما اليد الواحدة عند البعض، والسؤال: هل تلاحظون معي هذه الفجوة؟ وإن كانت الإجابة بنعم؛ فمن المتسبب؟ وما رأيكم فيمن يعتبر هذه الفجوة إحدى مفرزات الجهاد الأفغاني ضد الروس؟ والسبب قد يكون أيدي مبتدعة أو السبب نظرة الاستعلاء من قبل المجاهدين ونظرة دونية لمن لم يجاهد وربما الزج -بتلابيبه- إلى خندق المنافقين أو المداهنين؟.

الشيخ عطية الله:

جواب هذه الأسئلة مكون من أربعة أشطر:

١ - **ما يقوم به الشباب المتحمس للجهاد في بلاد الحرمين..** الخ!

والله يا أخي أكذب عليك لو قلت لك إنني أعرف..! فالله أعلم.

لكن إنما أتكلم بالظن والتوقّع على ضوء ما نعرف سابقا؛ فظني القويّ والله أعلم أنه لم يكن هناك



تخطيط من قيادة القاعدة -إذا كان المقصود بهم الشيخ أسامة ومن معهم-، وأن الشباب المنتمين للقاعدة والمؤيدين وجدوا أنفسهم مضطرين؛ بسبب سياسات الحكومة المستفزة والظالمة، للمواجهة والدخول في حرب، والحربُ إذا نشبتْ فهي الحربُ!! تتطور وتتغذى من أشلاء أهلها وتنضج بأحقادها وثاراتها وتأتي على ما لا يشتهي العقلاء في كثير من شأنها، ونسأل الله أن يجعل عاقبتها خيرا للإسلام وأهله.

الذي أعرفه ولا أشك فيه أن القاعدة متمثّلة في الشيخ أسامة كانت لا ترى الدخول في حرب ومواجهات مع الحكومات العربية وحكومات بلدان العالم الإسلامي عامة، ومنها والسعودية بل هي أشد وأولى في ذلك، وكان رأي الشيخ تجنّب الصدام مع الحكومات المحليّة، وينهى عن إعلان حرب معها في أي بلد، ويستدل بتجارب الجزائر ومصر وغيرها، وأنا أعلم أنه نصح بذلك الإخوة المغاربة وحتى الإخوة الليبيين، ويأمر بتوجيه كل الجهود لضرب الأمريكان واليهود.

وهذا ما يحملني على القول إن الذي حصل في السعودية كان مما خرج عن الاستراتيجية الموضوعة مسبقًا.. والله أعلم.

٢ - هل كان للقادة دور إيجابي في مواجهة جماعة التكفير والهجرة ومن تأثر بهم أو غيرهم من المبتدعة؟ أو على الأقل عزلهم؟ أو عزل الشباب عنهم؟ أم لا؟

أخي الكريم، نعم؛ الاختلاط حاصل، لكن ليس بالقدر الذي قد تفهمه عبارتك، فبحمد الله الخير كان هو الغالب والأظهر والأقوى، وذلك من فضل الله.. ونعم كان للقادة دور إيجابي وفعّال، وللمشايخ وطلبة العلم وعقلاء الناس في مواجهة مجموعات التكفير والهجرة التي كانت تنبت لهم نوابتُ بين الحين والحين، وغيرهم من المبتدعة أيضا.

كانت المساعي تشمل الدعوة والتفهيم وممارسة شتى أنواع التوعية لهم والنصح والإرشاد والمجادلة والتقويم، ثم الهجر والعزل والأخذ على أيديهم والتحذير منهم ومحاربة شرهم وضلالهم بنور العلم وبالقوة أيضا، وأنا أعلم من طريق صحيحة أن الإخوة في القاعدة أهدروا دم بعضهم -كان بعض الليبيين ممن انحرف وصاروا تكفيريين خوارج- وطلبوهم، وهذا شيء يعرفه الإخوة الذين عاشوا تلك المرحلة.

وبالجملة؛ فهؤلاء الضلال المنحرفون مما كانت تبتلى بهم ساحات الجهاد كما يبتلى بهم ساحات كثيرة من ساحات الدعوة والعمل الإسلامي في أماكن كثيرة، وكان عامة المجاهدين وقياداتهم العلمية والعملية يعرفون خطرهم ويتصدّون لهم، والله الموفق.

٣ – ما ردكم على مقولة: «أنكم كنتم مطيّة لتحقيق أهداف أمريكا ضد روسيا»؟.

أشكر لأخي أنه نسب هذه المقولة الفاجرة للمنافقين أخزاهم الله؛ فهي مقولة لا تصدر إلا من فاجر منافق مخاصم بالباطل، أو في بعض الحالات القليلة من جاهلٍ ضعيف العقل.!

فإن المجاهدين أفغانهم وعربهم لم يكونوا مطية لتحقيق أهداف أمريكا، وإن استفادت أمريكا من ضربهم لروسيا وتحطيمهم للاتحاد السوفييتي بفضل الله، فهذا مما تتقاطع فيه المصالح، ومما يقع اتفاقًا -أي دون تخطيط وإرادة- أو مما لا بد منه؛ فإن الحرب كانت مع روسيا باعتبارها هي المحتل لأفغانستان، وكانت أمريكا عدوًا لعدوّنا فدعّمت الجهاد نوعَ دعم -وليس بالحجم الذي يضخّمه بعض المغرضين-، وكان دعمها أيضا على وجه الفتنة ومحاولة تحقيق أكبر قدر من مصلحتها وضرب أكثر ما يمكن من العصافير؛ فكانت تدعم بعض الجهات الميدانية دون بعض وتحاول شراء بعض الذمم من الأفغان، مستغلة ومجذّرةً الاختلاف بين الأفغان وأحزابهم، لأنها في الوقت الذي كانت تعمل جاهدة لتدمير عدوها الأول في ذلك الوقت وهو الاتحاد السوفييتي كانت أيضا تتحسّب من انتصار المجاهدين المسلمين وهم عدوّ متوقّع عندهم من زمان.. وكان دعم أمريكا غالبه عن طريق الدولة الباكستانية جيشها ومخابراتها، بالسلاح والمعلومات والأجهزة ونحوها، أو عن طريق التجّار، تجار السلاح وسماسرته ولا سيما وأن المنطقة كان فيها ولازال نوع حرية وانفلات في مناطق القبائل الحدودية.

وأما المجاهدون العرب، سواء القاعدة أو غيرها؛ فلا أعلم أنهم تلقوا شيئا من أمريكا أو وقع بينهم تعاون في أي مرحلة من المراحل، هذا لم يكن.

وبالجملة، فالذي حصل كان بمثابة ضرب المسلمين في صدر الإسلام للروم فتستفيد فارس، أو العكس.. وهكذا عندما يضرب المسلمون اليوم أمريكا فتستفيد الصين، وربما سعتْ «الصين» لدعم كل من يضرب أمريكا ويثخن فيها الجراح ويورّطها ويضعفها، ولو أن المجاهدين من طالبان والقاعدة مثلا تعاونوا الآن مع الصين مثلًا وحصلوا على دعم منهما بالصواريخ والخرائط والمعلومات والأجهزة وما شابه؛ فإن هذا من الحرب مما أباحه الله إن شاء الله لا يخالف شريعة الرحمن، والأمر فيه راجع إلى تقدير المجاهدين للنفع والضرّ.. والمجاهدون لو فعلوا فإنهم يدركون أن هذه مرحلة وأن الصين هي أيضا عدوّ -هذا هو الأصل والمتوقّع-، لكنها الآن عدوّ بعيد غير مباشر، وهم -المجاهدون- لا ينسون ثارات الإسلام والمسلمين في تركستان الشرقية وغيرها، وربما لا نبالغ إذا قلنا إن الأصل أن عداء الصينيين الوثنيين للإسلام أشد وأعمق وآصلُ من عداوة أمريكا التي هي أهل كتاب، وإنما هو

اختلاف أحوال العلاقات بحسب الظروف.

وبحمد الله؛ المجاهدون من أفهم الناس لهذه المسائل وأكثرهم إدراكًا لها، وإنما يجهلهم من لا يعرفهم ولم يخالطهم، وعندما أقول «المجاهدون»؛ فإني أعني قياداتهم ومشايخهم وطلبة العلم فيهم وعقلاءهم وساداتهم؛ فإن لكل قومٍ ساداتٍ وفيهم دون ذلك، واعتبر بما جاء في حديث الأنصار: **(قال: ما حديث بلغني عنكم؟)** فقال له فقهاؤهم: «أما ذوو رأينا فلم يقولوا شيئًا، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟!»[1].

وبحمد الله الطائفة المجاهدة من أكثر الطوائف احتواء على الخير والكمال.

والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤ - ما رأيكم فيمن يعتبر سوء العلاقة بين المجاهدين والعلماء إحدى مفرزات الجهاد الأفغاني؟

الحمد لله، اللّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

أخي الكريم، إن الذين عبّرت عنهم بالمنخرطين في التيار الجهادي هم كما تعرف ليسوا شيئا واحدًا ولا هم شيء منضبط بحدّ تمام الانضباط، وهم درجات متفاوتة لا يعلمها إلا الله، وبالتالي فإن المحاسبة لهذا التيار كسائر أمثاله من الطوائف والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية في أي أمة أمرٌ ليس باليسير، وتكتنفه مخاطر من عدم الدقة وتضييع العدل الواجب، وغالب الأخطاء في هذا الباب كما هو معروف تأتي من قبل التعميم والإطلاق، بالإضافة لشيء ربما هو خاص بأهل الجهاد وهو طبيعة عملهم في كثير من الأحيان والأحوال التي تستوجب السرّيّة والكتمان وما شابه ذلك.

هذه مقدمة لا بد منها.

أخي الكريم، إن إشكالية الفجوة بين أهل العلم وأهل الجهاد هي إشكالية حقيقية وموجودة، وهي واقعة بحق وبباطل، وعلى تفاوت أيضا بين ناحية وناحية، ولكن محاولة حصر المتسبب فيها في طرف واحدٍ ليست -في نظري- صائبة، والبدء في تناول القضية على هذا النحو يزيد في حجم المشكلة ولا يعالجها.

والذي تحصّل عندي أن الأسباب متعددة، وهي راجعة في معظمها إلى تراكم أخطاء من الطرفين.

وهي قضية من جملة الفتن التي ابتلانا الله تعالى بها في وقتنا هذا، ولله ﷻ الحكمة البالغة، وإلى الله ترجع الأمور.. هناك أخطاء واقعة من أهل الجهاد وهناك أخطاء واقعة من أهل العلم.

---

(١) صحيح البخاري (٣١٤٧)، صحيح مسلم (١٠٥٩).

وإن تتبع ذلك وحصر أفراده -الأخطاء- ليس مهمًا في نظري، ولا يوصل إلى نتيجة مفيدة ولا إلى إصلاح، كما إن محاولة البحث عن الطرف البادئ بالخطأ هي أيضًا ليست ذات فائدة كبيرة، مع صعوبتها، ومع ما تسببه من إيغار الصدور ونبش المدفون، وليس شيء كالستر والعفو.

ومحاولة إلقاء اللوم على طرف دون آخر هو في كثير من الأحيان مزلةٌ، والكلام فيه لا يخلو غالبًا من نوع من التعصب أو الميل إلى طرفٍ، بحسب كل إنسان وما يعيشه من المؤثرات.

وإنني أقول لإخواني كلمة، باعتبار أني عرفت طوائف عديدة من المجاهدين والتيار الجهادي: إنني بإذن الله لا يذكر لي أحد خطأ للمجاهدين إلا ذكرتُ له خطأ مقابلًا له للطرف الآخر، مثله أو مقاربٌ له أو أكبر منه.!

وهكذا إذا قال قائل من يمثّل الطرف الفلاني فيقال له: ومن يمثّل الطرف الآخر؟!

وإذا كان لا بد من ذكر أمثلة من الأخطاء من الطرفين؛ فإن ذلك لضرورة تفهيم المسألة وأن المسؤولية موزّعة بينهما، وإذن فنحن إذا ذكرنا شيئا من تلك الأخطاء فإنما نذكر منها ما نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، ولن نبحث في: **من البادئ؟**

وسننطلق إلى المطلوب الأعظم والمقصود الأهم وهو: إصلاح ذات بين المسلمين، وإيجاد التلاحم والترابط والتعاطف والتراحم والتوادد والتحابب والتعاون والتضامن والتكافل، والشعور بالجسد الواحد، والبنيان المرصوص بين أهم طائفتين مأمولتين لتحقيق عز الأمة واستعادة مجدها وكرامتها وصيانة شرفها ورفعتها وهما: أهل العلم وأهل الجهاد.

وأما اعتبار «هذه الفجوة إحدى مفرزات الجهاد الأفغاني ضد الروس» فهو خطأ! وهي مقولة فيها غموض، وأخشى أنها تشير إلى نوع فساد في التصوّر.!

فإن جملة «إحدى مفرزات» يفهم منها أن للجهاد الأفغاني مفرزات أخرى، ولعل بعضها أسوأ من هذه -عند ذلك القائل-، وكلمة مفرزات هي في عرفنا مستعملة على الأكثر في السيّء والذي لا يحبّذ؛ فأخشى أن قائل ذلك هو أصلا ممن يرون الجهاد الأفغاني كان مفسدة على الأمة برمّته.!!

نسأل الله السلامة، ونعوذ به من الضلالة.

بل الجهاد الأفغاني شامة في جبين الأمة، وصفحة مضيئة في تاريخنا المظلم في العصور المتأخرة، ونقطة تحوّل في طريق نهضة أمتنا، أحيا به الله تعالى مواتًا شاسعًا من جسد أمتنا، وفتح به طرقًا للخير والعزة والكرامة والتجربة، وهو كان مدرسة عُليا للجيل بل لأجيال قادمة، وأظهر للأمة مكنونات قوتها، وأنار دربَها بالأمل بعد اليأس، فالأمة اليوم بفضل الله تعالى ثم بفضل هذا الجهاد المبارك أقوى

عودًا وأصلبُ وأعزّ وأكرم، وأكثر استعدادًا لنيل المكرمات، ولا خوف عليها إن شاء الله من عدوّ خارجيّ، وهذا ما فهمه قادات الجهاد وكثير من أهل العلم ولله الحمد.

فبارك الله في هذا الجهاد وفي أهله، وأرغم الله أعداء الجهاد.

وفي الحقيقة، مدة الجهاد الأفغاني للروس ثم للحكومة الشيوعية المرتدة في كابل، كانت مرحلة تواؤم وتعاون وتلاحم بين الطائفتين -أهل العلم وأهل الجهاد- وكان العلماء الصالحون الموثوقون من قبل جماهير أهل الحركة الإسلامية كلهم مع الجهاد تقريبا إلا ما شذّ، وكان الاحترام المتبادل والتحابب والتعاون والتشاور بين الطائفتين غالبًا ظاهرًا..

نعم وجدتْ منغّصات واستثناءات.! وجد نوع افتقاد للعلماء في ساحات الجهاد يقودون ويعلّمون ويرشدون، وقد كانت الفرصة متاحةً أيما إتاحة، ووجد من أهل العلم من أساء إلى المجاهدين وقصّر، وما عرف كيف يدعو ولا يقود شباب الأمة الصاحي الملتهب المتوقّد حماسًا المتوثّب للبذل والتضحية والفداء في سبيل هذا الدين وشرف هذه الأمة.

كما وجد من المجاهدين من ينظر باستعلاء لمن لم يجاهد من أهل العلم، ويصفهم بالقعود والركون إلى الدنيا والخلود إلى الأرض واختيار الترف ونحو ذلك.!

ووجد من يغالي في نقدهم بأنواع المؤاخذات، ويسيء الظن والأدب.

ولكن كل ذلك كان هو الشذوذ والاستثناء، وكان الخير غالبا كما ذكرتُ، بحمد الله تعالى.

وهذا لا يخدم مقولة ذلك القائل إن المشكلة هي من «إفرازات الجهاد الأفغاني» لأن أي جهاد وقع في الأمة في أي مرحلة من مراحلها -حاشا الصدر الأول- كان يمكن أن يكون فيه كل ما ذكرناه، بل كان فيه بالفعل فهو شيء طبيعيّ؛ أخطاء من الناس من هنا وهناك.

لا إفرازات الجهاد الأفغاني ولا غيره.. ولو لم يكن الجهاد الأفغاني لكانت في غيره ما دام هناك جهاد وهناك صراعات وهناك احتكاك بين الناس في أي مجال في دعوة أو علمٍ أو جهادٍ، وما دامت هناك فتن ومحكات وابتلاءات وامتحانات.

وهذه الأخطاء المشار إليها تراكمت ونفخ فيها المبطلون والمنافقون والأعداء، وازدادت الفجوة بعد الحادي عشر من سبتمبر باعتبار أن تنظيم القاعدة يتزعم الحركة الجهادية العالمية، وقد وقع من التنظيم نوع انفراد بالأمر -ضربات ١١ سبتمبر-، وفاجأ العالم، وشعر كثير من أهل العلم أنهم لم يستشاروا وأن «القاعدة» استبدت بالأمر وافتأتت على الأمة وأدخلتها في حرب هي لم تستعد لها، ثم كان من تداعيات الحدث وقوع انقسامات بين العلماء أنفسهم وبين قسم منهم وبين أهل الجهاد،

ووقوع ضغوط على أهل العلم ومخاوف وإرهاب من طرف الحكومات وأمريكا، ووقوع فتن وتمييز واختبارات صعبة، أدت في بعض ما أدت إلى أن اختار بعض أهل العلم المقاربة أكثر وأكثر مع بعض الحكومات التي هي عدوّ للمجاهدين اجتهادًا منهم وإرادةً للتخفيف مما رأوه حملةً شرسة تتهدّد الأمة والحركة الإسلامية، بل اختار بعضهم نوعًا من المداهنة والملاينة للغرب، واختط بعضهم لأنفسهم خطًّا يدعو إلى التسامح والتعايش مع أعداء الله من الصليبيين، وصدرت من بعضهم أقوال ومواقف غير مرضيّة، ووقعت أشياء وفتن.. وكان ذلك كله يؤثر في أهل الجهاد وجماهير المتعاطفين والمناصرين والمحبين لهم وقواعدهم الشبابية في أوساط الأمة وعمقها الذين هم وقود الحرب، كان يؤثر فيهم سلبًا ويصيبهم بالإحباط ويزيدهم نفرة من الكثيرين من أهل العلم الذين كانت تربطهم بهم علاقة جيدة في الماضي؛ فربما تكلموا فيهم وربما اتهموهم وربما نبذوهم وأهملوهم.. وهكذا اتسعت الشقة بين الفريقين، وتباعدت المسافة بين الطائفتين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وله الأمر من قبل ومن بعد.

ويظهر هذا الأمر أكثر ما يظهر في السعودية، وأما في غيرها من بلاد العالم فالكثيرون من أهل العلم ما زالوا على ما كانوا عليه من مواقف، المحب والمؤيد محب ومؤيد، والمتارك المشتغل بنفسه كما هو، وما دون ذلك، أغلبهم لم يتغير موقفه شيئا كبيرًا؛ بل في بعض البلدان ازداد أهل العلم تقاربًا مع المجاهدين ومحبةً لهم وتعاونًا معهم كما هو الحال في باكستان وغيرها.. لكن الانقسام الحاصل إنما يظهر بصفة خاصة في بلاد الحرمين.

وازداد الطين بلة بوقوع الحرب بين طائفة من المجاهدين والحكومة السعودية وما جرى فيها من بعض الأحداث.

نسأل الله أن يجعل عاقبتها خيرا للإسلام وأهله، وأن ينصر أهل الحق ويفرج كربهم، وأن يبرم للأمة أمر رشدٍ..

وبحسب ما أعرف فإن المجاهدين لم يختصروا العلماء الصادقين في عدد قليل، هذا تقرير غير دقيق، وهذا الظانّ لذلك لعله انحصر نظره في بلاد الحرمين فقط، فلو سلّمنا أن ذلك حصل من الإخوة المنتسبين إلى الجهاد والقاعدة في بلاد الحرمين، فليس هو كذلك بلا ريب في سائر البقاع والساحات.

والمسألة لها تصويران:

فمن حيث المبدأ: فإن المجاهدين يسلّمون بحق العلماء ودورهم وعظم منزلتهم وشرفهم في الأمة، وأنهم المرجع في الفتوى ومعرفة الحلال والحرام وسائر أحكام الشريعة، ويستفتونهم في نوازلهم



ويقرّون أنهم لا يخرجون عن إجماعهم، ولا يستغنون عن دلالتهم وعلمهم والنور الذي آتاهم الله..

ومن حيث التطبيق والحاصل في الواقع: فإن المجاهدين لا يلجؤون في الاستفتاء والمشاورة ونحوها إلا لمن وثقوا فيه، وعرفوا حسن ديانته وورعه، ومعرفته بالواقع الذي يعيشونه أو شبيهه.

وهذا حق لهم، لا مطعن فيه إن شاء الله ولا لوم عليهم فيه.

أما الثقة وحسن الديانة والورع، فمن أكبر ضوابطها: البُعد عن الطواغيت، والبراءة من الانغماس في موائدهم والافتتان بفتنتهم والتلبس بمصاحبتهم ومودتهم والثقة فيهم..!

وأما المعرفة بالواقع فهي معروفة، وأمرها أخف من سابقه، ومجالها أيضا مخصوص بما كان من غير الأمور الشرعية المحضة، وبما دقّ من مسائل السياسية والحرب والإدارة ونحوها.

وهذا كما ترى، فيه شرح لقولي في الأعلى: «وهي واقعة بحق وبباطل».

وأنت تعلم أخي الكريم أن المجاهدين لا يمكن أن يأتوا إلى عالم يثني على الحكام الطواغيت -الواضحين، حتى نخرج من الخلاف في البعض- ويدعو لهم في كل مناسبة، ويدخل عليهم ويقبل مننهم وأفضالهم ويثني عليهم الخير، ويراهم أئمة شرعيين ويأمر الناس بطاعتهم وموالاتهم، ويعلن ولاءه لهم واستعداده لمحاربة من يحاربهم، وما شابه ذلك وقاربه..!

وكذلك أيضا لا تتوقع من المجاهدين في أي مكان في شرق الأرض وغربها أن يأتوا إلى شيخ يزعم أننا علينا أن نضع أيدينا في أيدي الحكومات ونحافظ على الأمن في بلادنا ونفوّت الفرصة على الغرب المتربّص ويتكلّم عن التعايش السلمي الأممي، وأن الإسلام دين الرحمة!! -وهو كذلك، لكنه أيضا دين تكفير الكافرين والبراءة منهم وحربهم والغلظة عليهم- ودين التسامح! وأننا في العراق مثلا يجب أن نحافظ على الوحدة الوطنية، ونبتعد عن «الأحلام» يعني السعيَ لتحقيق دولة تحكم بالإسلام، وأنه لو سلّم بدور للمجاهدين هناك فإن دورهم يقتصر عنده على طرد المحتل فقط، وعلينا أن نتحد مع الشيعة -الروافض-، ويطلق القول بتحريم قتل العراقيّ لأخيه العراقيّ مهما كان، والجزائريّ -في الجزائر- لأخيه الجزائريّ..!!

لا تتوقع أخي الكريم أن يأتي المجاهدون لشيخ مثل هذا ويستفتونه ويستشيرونه؛ هذا مستحيل..!

وليس من الإنصاف أن نطلب منهم ذلك، وإنما كل ما نطلبه هو أن يعذروا أمثال هؤلاء، ويلتمسوا لهم العذر في التأوّل والاجتهاد وإرادة الخير، ويحسنوا الظن بمن عُرف صدقه منهم وسابقته وحسن بلائه في الإسلام والدعوة إلى الخير ونصحه للأمة، ويقولوا: غفر الله له وعفا الله عنه، وهو أخونا رغم هذا كله وشيخنا، وهذه زلّة نجتنب قوله فيها، ولا نبخسه حقه، بل نعرف له فضله، وندعو له

بالصلاح والغفران.

مثال: فمثلًا ليس من الإنصاف إذا رأت قيادات المجاهدين الذين مارسوا العمل الجهادي -وهو عمل سياسي اجتماعي- وهم أهل الحرب والسلاح إذا رأوا مثلا أن يدعوا الشباب للنفير إلى العراق مثلًا، أن يعارضهم أحدٌ بقول العالم الفلاني، الذي يقول لا تذهبوا إنها محرقة وما شابه ذلك من التعليلات..!

هذا خروج عن الاختصاص أيضا، وتجاوز للحدود في ظني، وقصاراه عند المنصفين أن يكون رأيًا لصاحبه يحترم حقّه في إبدائه والنصح به، لكن لا يحقّ للبعض أن يجعل كلام هذا العالِم كالحجة، ثم يعيبُ المجاهدين بأنهم لا يسمعون كلام العلماء!! هذا، والله أعلم.

يبقى تنبيه: وهو أنه عندما تأتي للتطبيق على أرض الواقع تجد أن هذا مما يختلف فيه المجاهدون من ناحية إلى ناحية، ومن جماعة إلى جماعة، وتجد من المجاهدين مَن يميل إلى الشدّة ومَن يميل إلى اللين، ومنهم من يخطئ في تقويم المواقف وفهمها وتفسيرها والحكم عليها ويتسرّع ويسيء الظن، وهناك المسدّد الحكيم المنصف، وهكذا، وهو شيء طبيعي في البشر، والله وليّ التوفيق.

وهنا أختصر وأذكر بأمور:

- أنني اختصرتُ وأجملتُ، ورأيي أن الغوص في تفاصيل الأخطاء ليس من الحكمة.

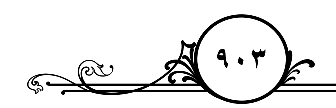
- أن الفجوة بين أهل العلم وأهل الجهاد، لم تصل إلى حدّ الانقطاع النهائي ولله الحمد، بل هي نفرة بين الإخوة والأحباب نرجو أنها تعود إن شاء ألفة وتراحما عما قريب.

- أن تلك الفجوة والانفصام إنما هو نسبيّ في كل بلد وناحية بحسبها كما تقدت الإشارة.

- أن القول بأن المجاهدين اختصروا العلماء في أنفارٍ معدودين لا يتعدّون أصابع اليدين غير صحيح، بل الذي أعرفه وأؤكده أن مجاهدي القاعدة ومن قاربهم -أفغانستان ووزيرستان، والعراق وغيرها- مازالوا مستعدين لمشاورة كثير من العلماء والأخذ منهم وقبول قولهم واستفتائهم، وإنما الظروف الصعبة الراهنة تعوق دون أكثر ذلك، وهم يحفظون للعلماء الأخيار الصالحين الناصحين حقهم وفضلهم وإن اختلفوا معهم في قليل أو كثير.

- أن الأمور الآن فيها كثير من الاختلاط والصعوبات الأمنية وصعوبات الاتصال، ومن الصعب جدًا أن يحدد الإنسان الجهة التي تمثل المجاهدين الفلانيين والتي لا تمثلهم؛ فينبغي التثبّت والاحتياط وعدم التسرّع، وكذا العلماء عليهم من الضغوط ما هو معلومٌ وكثير منهم يسكت أو يورّي.

- أن لكل واحدةٍ من الطائفتين اختصاصها وما هي أولى به من غيرها.



- أن كل الذي يجري إنما هو من جملة الابتلاءات والفتن والمحن، فلا يغيبنّ عنا ذلك ونحن في خضم الأحداث، ولنكن منه على ذكر، ولنعلم أننا عبيد لله تعالى في النصر والهزيمة والسراء والضراء وفي كل حال وحين.

- وأن هذه الكربة والغربة عما قليل إن شاء الله تزول وتنفرج، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

فأوصي نفسي وإخواني بالتؤدة وعدم الاستعجال، والتشبث بالولاء الإيماني، والنظر إلى اليوم الآخر؛ فهو رأس المال ومن فاز فيه فقد فاز.

- أن المقصود الأهم والمطلب الواجب علينا السعي فيه بكل قوة الآن هو إصلاح ذات البين، وبذل كل الجهود للاتصال بالعلماء من جهة وبالمجاهدين من جهة أخرى للإصلاح والتبيين والتوضيح ورأب الصدع ووصل حبل المودّة، واستعمال كل الوسائل المشروعة في ذلك، ومنها حتى الكذب للإصلاح، على الحدّ الذي رخّص لنا فيه الشرعُ، وقبل ذلك وأولى منه استعمال الستر والتعافي والتراحم والكف عن تكرار ذكر المعايب من الطرفين، بل إشاعة المحاسن وحسن الظن والرجاء في الخير.

أيها الإخوة الكرام، لقد مرّت أمتنا عبر مراحل تاريخها بمشكلات اجتماعية وثقافية كبيرة أكبر من هذه وأشد تعقيدًا؛ لقد سيطرت على الأمة بكاملها تقريبا على مدى عدة قرون الفُرقة والتناحر والتدابر بين أهل المذاهب الفقهية الأربعة، ولا سيما بين الأحناف والشافعية، ثم بين الشافعية والحنابلة في بغداد والشام ومصر وغيرها، ومرّت عليها مشكلة التناحر العقدي الكلامي ولازالت آثاره وبقاياه ولن تنتهي، ومرّت عليها مشكلة إغلاق باب الاجتهاد، ومرت عليها مشاكل وفتن اجتماعية وسياسية لا تعدّ ولا تحصى..!

كان أسعد الناس في كل تلك المراحل وأنجاهم من الفتنة أهلُ البصيرة المتمسّكون بالحق على هَونٍ، الباحثون عن الحكمة حيثما وجدوها أخذوا بها، الساعون في الإصلاح، والغاضون عن بعض ما يرون مما لا يرضون ترجيحا لخير الخيرين ودفعا لشر الشرين، والآخذون بالرفق واللين مع إخوانهم.

أكتفي بهذا القدر.. وأستغفر الله العظيم من كل ذنب.

ونسأل الله أن يصلح ذات بيننا ويفرج كربنا ويسددنا للخير والبر والتقى، وأن يبرم لأمتنا أمر رشد وعزّ ورفع.

❑❑❑

[*السؤال التاسع*: **ذكر بعض المفاسد التي تجعل بعض الدعاة يدعو إلى عدم الذهاب للجهاد في العراق وأفغانستان.. ومناقشتهم**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: إن لكل عمل مصالح ومفاسد، فما هي «المفاسد» الطاغية على المصالح التي تجعل كثيرا من الدعاة - ممن عرف بصدقهم ونصحهم للأمة - ينصحون الشباب بعدم الذهاب للجهاد بالعراق حالياً وقبله إلى أفغانستان؟

الشيخ عطية الله:

الحمد لله..

في البداية لا يخفى عليكم أن الكلام هنا من الرأي والاجتهاد، والعلماء والدعاة وكذلك المجاهدون جزاهم الله خيرا جميعا، كلهم بذلوا النصح للشباب وللأمة بحسب ما رأوا أنه الأفضل والخير، وقد تختلف الآراء هذا شيء عاديّ.

وما فهمته من كلام بعض هؤلاء المشايخ الدعاة الأفاضل المشار إليهم أشياء:

- **منها**: الخوف على شباب الإسلام من أن يستحرّ فيهم القتل بسبب عدم تكافؤ القوى بيننا وبين العدو -أمريكا- ولا سيما بالنظر إلى قوة أمريكا الجوية؛ فيخافون أن تحصل مقاتل عظيمة بالجملة للشباب المسلم عن طريق القصف بالطيران كما حصل شيء من ذلك في أفغانستان، وأن ذلك لو حصل فإنه يكون قد حصل من دون مقابلٍ من منفعة راجحة معتبرة، وهو قول -في رأيي- لا يخلو من وجاهة واعتبار، مع تعديل سأذكره إن شاء الله.

- **ومنها**: الخوف من أنه لو فتح الباب على مصراعيه للشباب للذهاب هناك، وذهبوا بالفعل وكثروا قد يكون لهم دورٌ سيء في الساحة هناك -العراق- بالنظر إلى تعدد مشارب شبابنا بحسب بيئاتهم وثقافاتهم ومدارسهم الدعوية والفكرية وغيرها، ويقولون إن هذا قد يسبب بلبلةً في الساحة هناك ويؤدي إلى فتن أو مرج فكري وما شابه ذلك! وهذا الملحظ ضعيفٌ لا يعوّل عليه.!

- **ومنها**: الخوف من التكفير؛ يعني أن الشباب إذا ذهبوا هناك يخشى عليهم أن يتشرّبوا ما يطلقون عليه «التكفير» والغلو، وهم -أي هؤلاء الفضلاء المشار إليهم- يرون أن ساحات الجهاد هي من أكثر الساحات التي ينشأ فيها وينمو فكر التكفير، وهو -أي هذه الجزئية الأخيرة- كلام فيه شيء من الصحة، لكن الاحتجاج به لمسألتنا غير صحيح كما سأوضح.

- **ومنها**: الخوف من أن الشباب لو ذهبوا هناك فإنهم يرجعون بعد فترة -كما حصل مع العرب الأفغان كما يسمونهم- وقد تدربوا وتعلموا فنون الحرب والقتال والشجاعة والإقدام واكتسبوا خبرات، ويُخشى من أنهم يقدمون على أفعال وإشعال حروب وصراعات في بلدانهم المختلفة في غير وقتها ومن غير دراسةٍ ومن غير إذنٍ من أهل العلم، ونحو ذلك، وأن ذلك لو حصل فإنه مفسدٌ للمشاريع الدعوية والإصلاحية التي يتبنّاها كثيرٌ من أولئك الفضلاء ويرعونها.

- **ومنها أشياء دون ذلك**.. وما ذكرته هو الأهم مما عرفناه من رأيهم.

وقد توجد أشياء ودواعي نفسية قد تغلب على بعض مشايخنا أحيانًا ويقوى اعتبارها في تصوّره بسبب كثرة لهجه وانشغاله بها، بل وتماهيه معها أحيانا؛ كمن تغلب عليه مخاوف فساد مشاريعه الدعوية والتربوية والإصلاحية أو كمن يتبنّى منهجًا معينًا تحت شعار معيّن كالتصفية والتربية ونحوها فيؤثر في قراراته ويقع تحت تأثير مشروعه وبرنامجه وتكون قراراته وآراؤه تفتقد إلى حرية في النظر والاختيار إلى حد ما، بل أسيرة فكرة معينة وبرنامج مخصوص، وهذا واقع لمن عرفه وتأمله.. والإنسان مهما كان عرضة للمؤثرات.

وكذا المجاهد المولع بالجهاد هو عرضة لمثل ذلك، وربما أشد، وقد رأينا من هذا أشياء؛ فإن بعض أهل الجهاد يتحول الجهاد عنده إلى ما يشبه روحه ومهجته ويختلط حبّه والتعلق به والشغف بميادينه بدمه ولحمه وشحمه، فيكون مأسورًا له، وتكون اختياراته فيها ميل مسبّق إلى الحرب والقوة والسلاح والغلب والنزال وصهوات الخيل وما ناسب.!

فهذا في الطائفتين، وهو ليس بحثًا في النوايا أو تنقيبا عن القلوب.

بل هو مما يعرف من معاشرة الناس، مع سبر مواقفهم وآرائهم واعتبارها.

وليس هو عمدةً في المحاجّة.. بل الحجة في الدليل على كل حال.

وإنما فائدة معرفة ذلك الاعتذار للناس على اختلاف مشاربهم، ومعرفة أقدارهم وتعليل اختياراتهم لمن وقف على ذلك.

وشرط الاستفادة من ذلك: عدم التسرّع في الحكم على الناس به، أو تصنيفهم على أساسه، ولا اعتباره هو العمدةَ؛ بل العمدة كما قلتُ هي الدليل والبرهان.

وليس شيء كالعدل والإنصاف والسعي لتحقيق الحق في كل أمرٍ بالبحث والتشاور والاستعانة بالله، والتوفيق بيد الله تعالى وحده.

طبعا نحن -للتذكير- نتكلم عن العلماء والدعاة الخيّرين الصالحين المعروفين بنصحهم للأمة

وحسن بلائهم في الإسلام، ولسنا نتكلم عن المنافقين أو من باعوا دينهم بعرض قليلٍ وهم معروفون.

كما أننا عندما نتكلم عن المجاهدين نعني أهل الصدق منهم المعروفين بالاستقامة والعدالة والخير والنصح للأمة والشفقة عليها.

والذي أراه، والله أعلم، وأظنه الوسط العدل، وهو ما تحصّل لي على ضوء المعلومات المتاحة:

أن المجاهدين يحتاجون إلى نوعيات معينة الآن وليسوا محتاجين للأفراد المقاتلين لمجرد القتال، فعندهم من ذلك البركة إن شاء الله، فهم محتاجون لأصناف منها:

- طلبة العلم والمشايخ والعلماء والدعاة والمربّون.
- مهندسون وخبرات عسكرية، ولا سيما في المتفجرات والاتصالات ونحوها.
- خبرات سياسية وعسكرية وقيادية تعينهم.
- في وقت سابق قالوا إنهم بحاجة إلى «استشهاديين» أي من يريد أن ينفذ عملية استشهادية واستعد لذلك واطمأنت نفسه لها، والآن لا أدري هل لا تزال الحاجة قائمة، محتمل.
- بالإمكان أن يكون هناك حاجات أخرى مثل الأطباء وغيرهم، لكن هذا ما عرفته.

فهذه النوعيات المشار إليها وما شابهها مما يقول قيادات المجاهدين إنهم يحتاجونها؛ فنحن ندعوها للذهاب ونحثّها عليه، بل نرى أنه قد يتعين على الواحد منهم إذا لم تحصل الكفاية في بابه ولم يكن له عذر معتبرٌ يمنعه من الذهاب.

وهذا القول هو قول بعض علمائنا، وهو ما أعرفه من رأي عامة الجماعات الجهادية في مثله.

يضاف إليه أنه قد يوجد عند بعض المسلمين سبب خاص؛ فيؤمر بالذهاب للجهاد، كمن فرّ من ملاحقة عدوّ ظالم وطاغوت كافرٍ وضاقت عليه الأرض، ففي سوح الجهاد ملجأ له وتفريج لهمه وإذهاب لغمّه، ونحو ذلك.

وخلاصة القول: أن هذه المسألة المرجع فيها إلى تقدير قيادات الجهاد وأهل شأن الحرب في الميدان، بحيث يقال لهم:

هل أنتم محتاجون للمسلمين (للرجال المقاتلين منهم) أن يأتوا إليكم ويساعدوكم؟

أم حصلت عندكم الكفاية لقتال عدوّكم؟

أم ماذا تريدون وتطلبون من إخوانكم المسلمين البعيدين عنكم؟

فما يقوله قيادات الجهاد وأولو أمره هناك فهو المعتبر، وعلى أساسه يكون الحكم.

توضيح الرأي: وهذا مبناه على أصل واضح معلوم وهو: أن العدو الكافر الصائل إذا قصد بلاد

الإسلام أو دخلها فإنه يجب على أهل تلك البلاد ومن أمكنه الدفع معهم ممن قاربهم أن يدفعوه بما استطاعوا؛ فإن عجزوا أو قصّروا اتسعت دائرة الوجوب إلى من حولهم ثم من حولهم إلى أن يعمّ الفرضُ الدنيا كلها إن لم يقم به من يكفي.

وهذا أصل محكم وإجماع ثابت لا مطعن فيه؛ فهو حكم الشريعة وحكم الله لا مرية فيه.

فهو الأصل، وإنما ننتقل عنه حين يقول لنا من وقع عليهم الاعتداء -أهل الثغر- وأولو الأمر من المجاهدين في ذلك الثغر إننا الآن حصلت لنا الكفاية إما مطلقا، أو في الجانب الفلاني والجانب الفلاني.

فإذا علمنا أن المسلمين المعتدى عليهم، والمجاهدين القائمين بالدفع وقتال العدوّ الصائل، يقولون لنا: نحن نحتاج إليكم ويطلبون منا المساعدة بالمقاتِلة؛ فهذا معناه وجوب النفير حتى تُسَدّ خلّتهم وتقضى حاجتهم، وإذا علمنا منهم أنهم لا يحتاجون إلى المزيد، وأنهم اكتفوا، بل إن الزيادة ربما تثقلهم وتعيقهم ولا تنفعهم، فعندها نقول للناس: مكانكم، لا يذهب أحدٌ.

وهكذا، إذا قالوا لنا: نحتاج كذا وكذا من الناس، كان بحسبه.

فهذا إن شاء الله هو الصواب في المسألة.

وإما إطلاق النهي عن الذهاب، فليس بصواب.

وكذلك إطلاق القول بوجوب النفير على الناس كلهم ليس بصواب، والله أعلم.

فإذا تقرر هذا؛ فإن أكثر استدلالات المشايخ الكرام المشار إليها، مما لا يسلّم ولا يُوافقون عليه.

بيانه: أن المخاوف المذكورة إنما هي «مخاوف» وهي كالوهم لا اعتبار له هنا في مقابل الحكم الشرعي المذكور -الإجماع-، وفي مقابل المصلحة الراجحة العظيمة المرجوّة بنفير المسلمين لمساعدة إخوانهم، مع العلم بأن دور الإخوة النافرين للجهاد من البلاد العربية المختلفة ولا سيما منهم المجاهدون السابقون وأهل الخبرة والبأس والشجاعة وأهل الرأي والحكمة دورٌ عظيم جدًا، وربما أتكلم عليه بعدُ.

فالخشية من استحرار القتل في النافرين، يمكن تفاديه بتنظيم الأمر وحسن ترتيبه، فلا يرتقي إلى أن يكون مانعا من النفير.

والخشية من التكفير أيضًا، لا ترقى للمنع، ولا يصح في الفقه -والله أعلم- أن تجعل دليلا يعارض به أصل وجوب النفير، بل نحن نقول: لو كان المقاتلون في العراق خوارج ومبتدعة من مبتدعة أهل القبلة لوجب إعانتهم على عدو الله وعدوهم والنفير لنصرتهم وهم يقاتلون عدوّا صائلا صليبيا يفسد

الدين والدنيا.

أما الواقع فإن المجاهدين هناك بفضل الله تعالى بعيدون عن التكفير والغلوّ وصفة الخوارج والابتداع؛ فلو قُدّر أن أحدًا بقيت لديه مخاوف من جماعة معيّنة فعنده مندوحة في جماعات أخرى، بل عنده حتى بقايا البعثيين فليأمر الناس بمساعدتهم، والفضلاء المشار إليهم لا يكفرونهم -بقايا البعثيين والوطنيين المقاومين-، وهو حق.

وأما الخشية من حدوث مرج فكري.. الخ؛ فهذا ليس من عمدة استدلالهم وإنما يسوقونه وما شابهه للاعتضاد والاستئناس وللتقوية، وهو ظاهر الضعف، وأما المخاوف من أن يرجع الشباب بعد ذلك فيحصل منهم أخطاء من قبيل افتتاح صراعات وإشعال حروب داخل بلدانهم العربية وغيرها، فهذا أيضا لا يرقى للمنع ومعارضة الواجب المقرر بالبرهان.

بل نحن نقول لعلمائنا: فليكن منكم أنتم اقتحام الميدان وتوجيه الشباب، ولتقودوا المسيرة ولتضعوا الحدود وتبينوا الأحكام، فهذا هو العلاج الصحيح لكل تلك المخاوف، أما أن تمنعوا الشباب من النفير -ولن يمتنعوا- بحجة الخشية من أنهم عندما ينتهون من العراق.. الخ؛ فهذا غير منطقي! وما الخوف أصلًا وما المشكلة في أن يرجع الشباب وقد استعدوا لقتال أعداء الله المرتدين في بلادنا؟ أليس هذا حكما شرعيا واجبًا علينا معلّقا في رقابنا، متى ما قدرنا عليه وقع الوجوب علينا؟ أوليس الإعداد له وتحصيل القدرة عليه وتكميل النقص فيه واجبًا علينا؟ فكيف تجعلونه محذورًا وتحرّمون لأجله -بل لمجرد الخوف من وقوعه- على الشباب النفير لنصر إخوانهم المسلمين في الثغر المهيض؟ الحل ليس في إصدار الفتاوى بالمنع أيها الفضلاء.: بل في اقتحام الميدان ومعالجة الأخطار وتفصيل الأحكام بوضوح للشباب، وفي أن يكون أهل العلم وأهل الجهاد يدًا واحدة.

الحل هو بيان حدود ما أنزل الله على رسوله، ونهوضكم أنتم بالأمر والتحامكم مع إخوانكم المجاهدين.

لماذا لا نقول للشباب: نعم، اذهبوا للعراق وانصروا إخوانكم هناك وانفروا خفافا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، وإذا سهل الله أمركم ومنّ عليكم بالنصر والفتح، فعليكم بكذا وكذا، وانتبهوا لكذا وكذا، ويجوز لكم كذا وواجب عليكم كذا ويحرم عليكم كذا.. التفاصيل لكل شيء، ومنها كيف نتعامل مع حكام بلادنا المختلفة، ومتى نخرج، ومتى نلزم الصبر والانتظار..!

هذا دور العلماء أعزهم الله ووفقهم، وهم أدرى به، وإنما أذكر إخواني هنا:

ولا بد من ذكر شيء من الواقع المؤلم:

وهو أن فتاوى بعض الفضلاء المشار إليها مما يزيد الفجوة بين أهل الجهاد وأهل العلم، ويوسّع الشقة بين مدرستي الجهاديين والإصلاحيين.! بدل أن يكونا متعاونين متوازيين متعاضدين.

وأن الواقع الأكيد الذي نعرفه ونحن على اطلاع منه وتجربة، والله رأيناها وجرّبناها وهي عندنا يقين، أنه لا يكاد يكون هناك تأثير يذكر لمثل هذه الفتاوى..!

أعني التأثير على الكمية المطلوب تدفقها للجهاد.

بل بالعكس لعلها من حكمة الله تعالى ورحمته أن يوجد هذا الخلاف وأن تصدر هذه الآراء من بعض علمائنا، حتى لا يرتفع مستوى التدفق فوق الحد الممكن استيعابه، ولا يفيض سيل النفير عن المجرى، ويبقى الأمر معدلًا ميسورا ضبطه والتحكم فيه للقيادات على الأرض.

وهذا شيء عجيب لمن تأمّله.!

النسبة الأغلب ممن يريدون الذهاب للجهاد ويتحرّقون عليه ويبكي الواحد منهم للبعد عنه وشوقا إليه، ويرتكب الأخطار ويقتحم الأسفار ويبيع كتبه وحتى ملابسه الزائدة وذهيبات أهله، من شباب المسلمين في أنحاء الأرض من لن ترده فتوى أحد أو رأي أحدٍ يقول: لا تذهبوا، لأن هناك مثله من يقول: اذهبوا؛ فله في من يقول اذهبوا كفاية ومندوحة، ولأن مؤثرات الواقع وحقائقه أقوى أثرًا، ولأن الحق أوضح من أن يخفى، وكيف يستمع إلى كلام من يقول له لا تذهب فتقتل وهو عن ذلك يبحث، وذاك الذي يتمنّى؟!

هذه الفتاوى قد تحدث بعض البلبلة في بعض الأوساط، وتتسبب في خلخلة الصف الإسلامي، وتعمّق انفصال العلماء عن الشباب، وتمنع ذهاب الكثيرين ممن لا ينشطون للذهاب أصلًا، وإنما قد يتحرّجون من الحكم الشرعي -واجب النفير-؛ حينما يتذكرونه أو يُذكّرون به، فتنزل هذه الفتاوى على قلوبهم بردًا.!

أما الوقود الحقيقي والأصلي للجهاد، وهم الشباب المتحرق المتحمّس الذين هم بالفعل الجنود والفاعلون الأساسيون في المعركة؛ فلن يرعوا سمعا لتلك الفتاوى والآراء.!

أنا أظن أن معرفة هذا وما شابهه مهم جدًا، ويا ليته يوصل بكل صدق وأمانة للعلماء الكرام والدعاة الأفاضل، وليته يزداد حجم الحوار والتباحث والتشاور بين المجاهدين وأهل العلم والفكر، حتى يخرج الرأي سبيكة من حكمة وعلم وتجربة الفريقين، فتتنوّر به الأمة وتهتدي وتجتمع على الخير.

والعالِم الرباني هو من يجمع «العلم والحلم والعقل»، ويعرف كيف يربي الناس بالعلم، ويسوسهم

بشريعة ربهم، ويأخذهم إلى طرق الهداية بالمسايسة والتلطّف، والمجاهد الزعيم القائد الموفق من يجمع بعد توفيق الله بين خصال الرفق والمشاورة ثم العزم في شجاعة.. والله أعلم.

وجزى الله علماءنا ومشايخنا ودعاتنا خيرا؛ فإن شفقتهم على الأمة ظاهرة، ونصحهم لها لا يخفى، فبارك الله فيهم وزادهم هدى وسدادا وحفظهم الله لنا هداةً مهديين.

وبارك الله في مجاهدينا، وسددهم ونصرهم وأعانهم، فهم السادات الأغيار والذائدون عن حمانا والرافعون رؤوسنا، وهم حماة التوحيد.

ونسأل الله أن يعفو عنا وعن سائر إخواننا ومشايخنا وأحبابنا وأن ينصر المجاهدين في كل مكان.

إنه خير الناصرين وهو رب المستضعفين.

وأذكر كلمة مختصرة حول دور المهاجرين في الجهاد، وهم النافرون من أقطار الأرض لنصرة إخوانهم في الثغور وأرض الجهاد:

اعلموا -يا إخواني- أن المهاجرين القادمين للجهاد من شتى البلاد أثرهم كبير وخطرهم جسيم وفائدتهم كبيرة للجهاد؛ يرفع الله بهم الهمم ويجلو بهم عزائم أهل الثغر، ويصقل بهم مواهبهم ويجري على أيديهم وبسببهم الخير العميم لطوائف لا تحصى من أهل البلد الأصليين، وذلك أن أهل البلد إذا رأوا هؤلاء المهاجرين النافرين لنصرتهم والجهاد معهم وما بذلوه للوصول إليهم لا لشيء إلا لنصرتهم في الدين وجهاد عدو الله معهم، ونفعهم والوقوف معهم والحمية لهم، أعظموا ذلك وأحدث في نفوسهم بالغ الأثر، وشحذ عزائمهم ونافسوهم واقتدوا بهم، ورجعوا إلى أنفسهم بالذم واللوم على التقصير في الجهاد والبذل والتضحية، ولا سيما حين يكون أولئك المهاجرون من النوع الموفّق الذي آتاه الله نورًا وعلمًا وعقلًا وحسن خلق.

ثم إنه من صنع الله تعالى ولطفه بأهل تلك البلد أن كل شخص من المهاجرين يكون بإزائه عدة أشخاص يُعدّون بالعشرات بل المئات بل أكثر، ممن يؤوونه ويخدمونه ويحفظونه ويعينونه ويقضون له حوائجه ويلتقون به ويحبون رؤيته؛ لأنه غريب، ويساعدونه ويعرضون عليه أنواع الخدمة، ويزورونه ويُزيرونه، ويمشون معه في هذا الطريق أو ذاك وفي هذه المهمة أو الحاجة أو تلك، ويتحدّثون عنه، ويسمعون له درسًا إذا كان من أهل الدروس، وينصتون إلى أحاديثه حين يتكلم، وقد يزوّجونه كما قد حصل كثيرًا، وقد رأينا من أهل البلاد الأصليين من يتطوع فرحًا مسرورًا مغتبطًا بتزويج كريماته

للمجاهدين المهاجرين حبًّا لهم وإعظامًا، وذلك من أعلى درجات الامتزاج، إلى غير ذلك..

فيحصل لأولئك العدد الكبير من أهل البلد الملابسين لهذا المهاجر انتفاع عجيب في الدين والفضائل، ومن جرّب عرف؛ فتجد المجاهد المهاجر يؤثر في الفئام من الناس، وفي القبيلة الكبيرة، وفي مجموعة عوائل، ويحيي الله به ما شاء ﷻ من مواتهم، ويجري على يديه الخير الكثير، فإذا استشهد فيهم فتلك الغاية في التأثير، وإن شئت فقل هي السقيا للمجدِبين والبشرى للممحِلين، فسبحان المحيي المميت!!

ثم إن المهاجرين يفتحون لأهل البلد آفاقًا من الترابط والتآخي والتآلف مع سائر المسلمين ويذكرونهم بالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، ويفتحون لهم أبوابًا للتواصل مع سائر أهل البلاد الأخرى التي جاؤوا منها وذلك ينطوي على منافع دنيوية وأخروية لا تنكر.

هذا غير ما ينقلونه من خبرات وتجارب وما يحصل في غضون ذلك من تلاقح في الفكر والثقافات وتمازج حسنٍ طيب، لأن الجميع في ظل الشريعة وعلى أساسها تعارفوا والتقوا وتآخوا.

وبالجملة؛ فإن نفع الإخوة المهاجرين لأي جهاد هو نفع عظيم، يشدّ الله بهم أزر الجهاد فيقوى ويعتزّ ويصلب عوده على المحن ويستعصي بإذن الله على كيد الكائدين ومكر الماكرين.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]؛ فسبحان الله الذي أتقن بحكمته كل شيء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❑❑❑

[*السؤال العاشر*: آثار هجمات ١١ سبتمبر على الحركة الجهادية، والعلاقة بين أمريكا وإيران، وكيفية تعامل الأمريكان مع مأزقهم بالعراق]

۞ **شبكة أنا المسلم**: برأيك.. آثار هجمات ١١ سبتمبر على التيار الجهادي بالخصوص:

١- هل زادته قوة وانتشاراً؟ أم كانت نتائجه كارثية على رموزه وكوادره و شعبيته؟

٢- هل التهديدات الأمريكية لسوريا وإيران جدية؟ وهل ستقدم أمريكا على مغامرة أخرى كمغامرتهم بالعراق، وأين؟

٣- بظنك كيف سيتعامل الأمريكان مع مأزقهم بالعراق، وماذا سيفعلون؟

الشيخ عطية الله:

بالله نستعين:

بالنسبة لآثار هجمات ١١ سبتمبر على الحركة الجهادية:

في البداية لا بد من الاعتراف بصعوبة التقييم، والخروج بنتيجة؛ لأن ذلك يتطلب مسحًا جيدًا ودراسة يشترك فيها أهل الجهاد وغيرهم.. ولكن ممكن أبدي رأيي بعد هذه المقدمة، ففي ظني أن الحركة الجهادية تعرّضت من جراء تلك الهجمات إلى ضربات شديدة جدًا نتجت عنها خسائر كبيرة للغاية وأصابتها ثلمةٌ، بالنظر إلى القدر الكبير من القتلى والأسرى وفقدان القواعد و«دولة الإمارة الإسلامية» في أفغانستان، وانقطاع السبل والاتصالات، وتمزق أوصال الجماعات وتفرقهم في البلاد، وانقطاع مصادر عديدة لا تحصى للدعم والإمداد.. إلى غير ذلك.!

هذا فيما يتعلق بالحركة الجهادية متمثّلة في الجماعات الجهادية في أنحاء العالم وما يتبعها من قواعدها البشرية والمادية.

وأما على مستوى أوسع: على مستوى المشروع الإسلامي بالعموم، والحركة الجهادية جزء منه، وعلى المدى البعيد، فأنا ممن يرى أنها كانت خيرًا -وأنا أُجمل هنا- ومهما كان في نتائجها القريبة من السوء والفقدان والخسائر والبلاء؛ فإنها على المدى البعيد وعلى مستوى الإسلام والمسلمين كأمة، خيرها أكبر وأعظم إن شاء الله.

ولذا فنحن صابرون ولربنا حامدون إن شاء الله، ونرجو فرج الله ونَفَسَه ﷻ.

وأملنا أن الحركة الجهادية، والحركة الإسلامية عمومًا، ستستعيد قوتها وعافيتها من تلك الضربات بالتدريج، وستعود أقوى وأصلب إن شاء الله، وأنا متفائل حقًا.

لأنه في الوقت الذي ضُربنا فيه نحن المسلمين؛ فإن العدوّ أيضا ضُرب وخسر وانكسر وانجر إلى معارك على الأرض هي ليست في صالحه على المدى البعيد، وانبعثت في أمتنا روحٌ جديدة، وبدأ في الظهور جيل جديد.. الخ.

والآن بعد انفتاح جبهة العراق، وما منَّ الله على المسلمين فيها من انتصارات واضحة نسأله تعالى أن يتمّها ويزيدنا من فضله؛ فنحن أكثر رجاء وأملا في الخير.

وأوصي إخواني جميعا؛ المجاهدين والمحبين والدعاة والعلماء وكل المسلمين: أن لا يستعجلوا في إبداء آرائهم، وأن يبدي الإنسان رأيه -إن كان فاعلًا- بالهوينى وبعيدا عن التشدد والجزم والمصادرة، وعلى الوجه الذي يخدم الأمة ومصلحتها.

ولنتعامل مع الواقع الآن، ولا نترك أنفسنا رهينة للماضي وخلافاته.

ولنأخذ العبرة من طالبان جزاهم الله خيرا ونصرهم، والملا محمد عمر حَفِظَهُ اللهُ؛ فإنهم وإن كانوا لم يأذنوا للشيخ أسامة في ذلك العمل، ولا هم راضون بفعله من حيث الأصل، ومع فقدهم لدولتهم وملكهم، إلا أنهم علموا بما آتاهم الله من عقل وفقه؛ بعد وقوع الأمر، فالشأن الآن شأنُ الموالاة الإيمانية والأُخُوّة الإسلامية، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه..!

مع استمرار التشاور في ما يُستقبل، والتعاون والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وهذا كله لا ينفي أيضًا مطلوبية مراجعة الماضي والتاريخ في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، لنأخذ منها الدرس والعبرة، ونرصد الخلل ونتجنبه ونصحح المسيرة، ونحن في حالة حربٍ، والعقلاء والحكماء في الدنيا كلها يمنعون كثيرا من النقاشات في حال الحرب، وإنما يكون ذلك بقدْرٍ وعلى وجه مخصوص.. فلو مشت الأمور على هذا النحو في تصوّري لكنا أحسن حالًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليعلم كل إخواني المسلمين أن أكثر من تضرروا بعمليات «سبتمبر» هم طالبان، والمجاهدون المهاجرون في أقطار الأرض والمنتمون للحركات الجهادية، مع معارضة أكثرهم لها من حيث الأصل، ومع هذا فإني رأيتهم بفضل الله تعالى من أصبر الناس وأحسنهم مقالًا،؛فجزاهم الله خيرا وثبّتهم الله وفرج كربنا وكربهم وكروب المسلمين.

وأما عن التهديدات الأمريكية لسوريا وإيران؛ فغالب ظني أنها مجرد تهديدات في الوقت الراهن والقريب، وستقتصر أمريكا على الاستمرار في التهديدات والتخويف كعملية ضغط مستمرة لتحقيق أكبر قدر من الأهداف والتجاوب من البلدين، لكن ليس من المرجح أن تغامر أمريكا بدخول حرب أخرى مع أي من البلدين المذكورين ولا غيرهما.. هذا مستبعد جدًا بالنظر لخسائرها في العراق وأفغانستان ولتفاقم مشاكلها السياسية والدعائية في العالم ومشاكلها الاقتصادية أيضًا، بالإضافة إلى الرأي العام الداخلي في أمريكا.

وحتى الضربات المحدودة أنا أستبعدها في الوقت الحالي؛ أعني مثلا ضرب المفاعلات النووية في إيران.. ولو تمّت هذه فطبعا المتوقع أنها تكون عن طريق اليهود «إسرائيل».. والعلم عند الله.

وفي نظري فإن أي ضربة أمريكية لسوريا أو إيران سيكون في صالح الحركة الجهادية، وبالتالي في

صالح المسلمين، مهما كان فيها من خسائر، وإن كنا لا نتمنّى إلا الخير والعافية لأهل الإسلام.

وأما كيف سيتعامل الأمريكان مع مأزقهم بالعراق وماذا سيفعلون؟

فأظن أن أمريكا ستركز في هذه الفترة على أمور:

- المماطلة والمصابرة إلى أقصى ما يمكن، أملا في انفتاح ثغرات -لصالحها- في جسم الحركة الجهادية وحركة المقاومة في العراق.

- السعي الحثيث لإعمال معاول التفرقة، وشق صف المجاهدين، وبدأت هذه العملية بالمحادثات التي أعلن عنها في الشهر الماضي مع أطراف من المقاومة أو ممن يدّعي أنه يمثل المقاومة.

- مع الاستمرار -على يأس وفتور وتذمّرٍ- في السياسات السابقة -تعسوا وخابوا وخسروا-: تأسيس قوة أمنية عراقية قادرة على «محاربة الإرهاب»، ودعم وترقية العملية السياسية بزعمهم، ومحاولة توريط أكثر عدد ممكن من الدول وخصوصا الدول العربية ودول الجوار في ذلك، كما فعلوا مع مصر حين أرسلت سفيرًا، ثم باءت بحمد الله بالفشل.. الخ.

نسأل الله تعالى برحمته ولطفه أن يثبّت المجاهدين وأن يوحّد صفّهم ويجمع كلمتهم ويؤلف بين قلوبهم ويسددهم ويوفقهم لكل خير، ويزيدهم هدىً، وينوّر أفكارهم ويصوّب آراءهم، ويمدهم بمدد من عنده، إنه هو الوليّ الحميد.

فعلى المجاهدين أن يكونوا في غاية الانتباه لهذه المرحلة الخطرة سياسيًا.

ويتفطنوا -وهم كذلك بفضل الله- للمكر الواضح في المفاوضات وما شابهه، وهذا لا يحتاج إلى كبير توصية، وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويتقوا الله.

والعاقبة للتقوى، والعاقبة للمتقين، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥﴾ [محمد] وفي قراءة نافع: ﴿قَاتَلُوا﴾.

ومع الصبر والمصابرة إن شاء الله تعالى.. فإن أمريكا ليس أمامها إلا الانسحاب مخذولة مذمومة منكوسة خائبة مكبوتة لعنها الله.!

وحينها ستبدأ مرحلة جديدة، وسيتغيّر الكثير، وتلك مرحلة تحتاج إلى استعداد من الآن ومدارسة من أهل الشأن وتشاور وتذاكر.. والمتوقع أن تكون أكثر تمحيصا وفتنًا، ونسأل الله أن يأتي بالخير، ونسأله تعالى الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد.

اللّهم إنا نسألك ما قضيتَ لنا من أمر أن تجعل عاقبته لنا رشدًا، والحمد لله.

❑❑❑

[السؤال العاشر: **الحفظ عند الشناقطة**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: لو حدثتنا عن الحفظ عند الشناقطة، بارك الله فيكم.

الشيخ عطية الله:

نعم يتمتع الشناقطة -وهم أهل الديار الموريتانية- بمقدرة على الحفظ ظاهرة، تفوق ما عرف عن غيرهم في عصورنا هذه، وقد رأينا من ذلك الكثير ورآه غيرنا من الطلبة، والقصة التي أشار إليها أخي مشهورة وهي تحكى عن الشيخ «سيديّا» ﷺ، وهو من أقطاب المدرسة الموريتانية، وهم يحفظون المتون العلمية والشروح نظمًا ونثرًا، وأكثر محفوظهم النظم، فتجد الواحد من أهل العلم يحفظ آلاف بل ربما عشرات الآلاف من الأبيات نظمًا في سائر الفنون؛ لأنهم ينظمون المسائل لكي يحفظوها، فتجد الطالب يحفظ المتن الأصلي في الفن كألفية ابن مالك في النحو، أو متن خليل في الفقه ويحفظ تحت كل جملة من جمله ومسألة من مسائله الأبيات العديدة التي تنظم أقوال العلماء في المسألة وصورها وشروطها وقيودها ونحو ذلك، وقد رأينا من هذا الكثير، ولا سيما في اللغة والفقه.

وكان شيخنا «محمد فال ول آبنٍ» حَفِظَهُ اللهُ وختم لنا وله بالحسنى يحفظ شيئا كثيرا يُتعجّب منه، كان يحفظ على سبيل المثال مقامات الحريري وشرحها، ويسردها سردًا كالسورة من القرآن بلا تلعثم! ولو سألته عن كلمة من غريبها -وما أكثره- يذكر معناها في اللغة ويأتيك بدلائل الشعر والنثر والقرآن والحديث، ومع أن المشايخ هناك اهتمامهم بالحديث وعلومه قليل، كان شيخنا المذكور إذا قال: هذا الحديث في البخاري أو ليس فيه، لم يكد يخطئ، وبعد البحث نجده كما قال، فكنا نقول له: يا شيخ تحفظ البخاري، فيقول لا: «إلا طالعتو وتوفْ» يعني طالعته فقط، وهكذا يحفظ الكثير جدا ويسرد بلا تلعثم؛ فإذا سألناه: حفظت الكتاب الفلاني، يقول لا، إنما طالعته فقط!! وكنتُ مرة مع أحد الإخوة الطلبة ذكره الله بالخير وكنا عند الشيخ «محمد السالم ولد عدود» ذكره الله بالخير و حَفِظَهُ اللهُ ، وكان درسنا في الألفية وكانت «دالة» صاحبي -نوبته في الدرس- وكان يقرأ على ما أظن -وقد نسيت قليلا- في باب الإضافة، فذكر الشيخ مسألة، فقال: إن ابن مالك اختار هنا هذا الرأي ولكنه في الكافية رجح الآخر، ثم سرد أبياتًا، ما بين خمسة عشر وعشرين بيتا من الكافية، من دون أي تلعثم أو ركاكةٍ في الاستحضار، ثم كأنه تعجب من نفسه، فقال لنا: هذه الأبيات عهدي بها من زمن البلوغ، لم أراجعها ولا أقرأتها لأحدٍ..! وعمر الشيخ كان يومها حوالي خمسًا وستين سنةً، بارك الله في عمره، وهو ممن يحفظ الكافية، ولكنه حفظها على شيوخه في زمان الصبا، ولم يلتفت إليها بعدُ بسبب أن هذا النظم

«الكافية لابن مالك» تركه أكثر العلماء في محاضر المدرسة الموريتانية ولم يعد أحدٌ يقرأه من أزمانٍ، واستغنوا عنه بما يعرف عندهم بـ«الطرّة»، وهي الاكحلال والاحمرار، وهي التي وضعها لهم علم أعلام المدرسة الموريتانية وصانع أمجادها: الشيخ «المختار بن بونَ» رحمه الله.

والمراد بالاكحلال: نظم ألفية ابن مالك؛ لأنهم كانوا يكتبونه بالأسود، والمراد بالاحمرار ما أضافه «ابن بونَ» من النظم ومزجه مع الألفية، وهو ضعف الألفية -حوالي ألفي بيت- وكانوا يكتبونها بالأحمر تمييزا لها عن أصل نظم ابن مالك فعرفت بالاحمرار، ثم وضع عليها شرحًا، ثم تعاقب عليها الشيوخ الكبار وتلامذتهم كالشيخ «يحظيه بن عبد الودود» وابنه «التاه» والشيخ «ممّو» وغيرهم فأضافوا إلى الشرح أشياء كثيرة من الأنظام البديعة، وعُرف المجموع بالطرة، واسمها الكامل الذي وضعه لها مؤلفها ابن بون: «الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من التطويل والخصاصة»[1] إن لم أخطئ قليلا في الاسم، فهو في الحقيقة نظم ما نثره ابن مالك في كتابه التسهيل وأهمله في الخلاصة وهي الألفية، ثم مزجه بالألفية، وفي ظني أنه من أبدع ما ألّف على الإطلاق في علم النحو.

وقد كان الشيخ «محمد بداه بن البوصيري» حفظه الله -وهو مقدّم علماء البلد في هذا الوقت- يحفظ شيئا عجبًا من أقوال العلماء في الشروح، حتى إنه أحيانا يسرد قدر صفحة كاملة من كتابٍ ككتاب الفروق للقرافي أو تفسير ابن العربي في خطبته أو درسه ثم يقول: انتهى، ويمضي سريعا في خطبته أو درسه بدون توقف حتى إن من يسمعه ولا يراه يقول هو يقرأ من كتاب.! ولم أقرأ عليه شيئا لكني حضرت له مجالس وخطبًا، وكان ينثر الخطبة مسجوعة غير متكلفة كأنه قد سهر الليل في إعدادها، ولكنك تعرف بدلائل معينة ومن خلال سيرته وأحاديث من عرفوه أنه لم يفكّر فيها أصلا، وربما لم يعرف موضوعها إلا قبلها بدقائق وإنما يرتجلها ارتجالًا، ويأتي فيها بالعجائب.. وقد أخبرنا بعض الشيوخ أنه كان كثير من علمائهم في السابق يحفظون «القاموس»[2] للفيروز آبادي حفظا كالقرآن.. وسمعت أن بعض حفظته لا يزال حيا إلى وقت قريب.

فهذا بعض ما رأيناه وسمعناه.. وعندهم في ذلك حكايات عجيبة.

وفي ظني أن السبب في ذلك راجع إلى عوامل: منها أنهم كانوا أهل بادية وتنقّل وترحال؛ فكانوا يعتمدون على حفظ العلم لا على كتابته، وكان عزمُ الواحد منهم من أول ما يضع قدمه في طريق طلب

---

(١) اسمه الصحيح: «الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة» لابن بونة، وزياداته على قسمين: الزيادات المنظومة، والزيادات المنثورة وهي المعروفة عند الشناقطة بـ«الطرة»، وقد طُبع المتن طبعة جيدة عام ١٤٢٤ أعدها: محمد محفوظ بن أحمد.

(٢) القاموس المحيط: معجم لغوي كبير، يقع في طبعة الرسالة في ١٣٥٧ صفحة من القطع الكبير والخط الصغير!!.



العلم ينعقد على أن يحفظ كل شيء يقرأه، فكانت الهمم من البداية عالية لم يصبها كلل ولا مثنوية ولا تعللات، هكذا بهذا الجزم والوضوح: كل ما يقرأه يحفظه لا فرق بين مسألة صغير وكبيرة، مهمة أو غير مهمة، كل شيء.! أما نحن فنقول: هذه مسألة مهمة ركّز عليها واحفظها، وهذه ليست مهمة، ونتعنّى في الحفظ ونتعب.! وكنت في بعض المرات أتكلف حفظ نظم في مسألة، ثم قلت لنفسي: ما فيه فائدة كبيرة هذا -وهو كذلك عندي- ففاتحت فيه شيخنا «عبد الله ول الفغ» ذكره الله بجميل الذكر وعفا الله عنا وعنه، فقال لي: إنك لا تتقن المهمّ حتى تحفظ الكثير مما لا يهم! فعلمتُ أن ذلك من شأنهم ومفاهيمهم التي ساعدتهم.

ثم تنوقل هذا فيهم من جيل إلى جيل، وصار كالخلق المتوارث والعُرف والعادة الراسخة فيهم، ينشأ ناشؤهم عليها، فكان العلم عندهم مرادفًا للحفظ، لا سيما وهم الغالب عليهم التقليد وعدم الاجتهاد وعامة أعلامهم الكبار ممن صنعوا تلك المدرسة العريقة الكبيرة كانوا على الاعتقاد بانغلاق باب الاجتهاد في الفقه، مع أنهم بلغوا مراتب عالية في امتلاك آلة الاجتهاد، فهذا ثبّت عندهم أن العلم هو الحفظ.. ولم تكن عندهم الكتب والمكتبات كما الآن.. فكان لا بد أن يكون العلم في الرأس.! والاعتماد على الاستحضار لا على الاستحصال.

ومنها أنهم أهل صحراء وطبيعة بسيطة قريبة إلى الفطرة، لم يشبها الكثير من آثار التمدّن، وينشأ الناشئ فيهم في الصحراء ورمالها وآفاقها يرى الشمس تشرق من هنا ثم عندما تغرب تغوص هناك في الرمال!! ويرى النجوم في غسق الليل كما كان يراها العربي القديم فيحفظ أسماءها وأبراجها وفنونها وما قيل فيها من شعر العرب الأوائل وآدابهم وغير ذلك.

بالجملة أظن أن طبيعة الصحراء معينة على الحفظ، والله أعلم.

فائدة: الحفظ موجود عند كثير من أهل العلم في أقطار الأرض، وإنما على العموم الموريتانيون تميزوا فيه عن غيرهم، وقد قرأت في ترجمة كتبها الشيخ الإمام «محمد البشير الإبراهيمي» صاحب الإمام «ابن باديس» وهما من علماء الجزائر ومؤسسا جمعية علماء المسلمين أيام الاحتلال الفرنسي، أقول: قرأت للشيخ الإبراهيمي ترجمةً كتبها لنفسه بطلبٍ من مجمع اللغة العربية في القاهرة حين اختاروه عضوا شرفيا فيه، مما جاء فيها وقد تكلم عن ما أوتيه من مقدرة على الحفظ، يقول ما مثاله بقريب من حروفه: «وقد أوتيت مقدرة على الحفظ يُتعجّب منها، تشهد بصدق ما ورد عن السلف في

ذلك»[1] أي ما ورد عنهم في قوة الحفظ، وأنهم كانوا إذا قرأوا شيئا حفظوه ولم ينسوه، ثم حكى عن نفسه عجائب.. وقد كان أعجوبة بالفعل ﵀ ورضي عنه، وقد حكى عنه الشيخ «علي طنطاوي» ﵀ مرة في إحدى مقالاته أنه لما كان في دمشق معهم كان مرة معه في بعض الطريق في سفر، فظل الشيخ «الإبراهيمي» يسرد الشعر الكثير، قال فتعجّبت من حفظه فقلت له: لو استعملت هذه القدرة على الحفظ في حفظ الأحاديث وكذا وكذا، فقال لي: إنني لم أحفظ شيئا -أي لم أتعنّ ولم أتكلف حفظه- وإنما قرأته فعلِق، أو كما قال[2]؛ فسبحان الله.!

نسأل الله تعالى أن يفتح علينا وعليكم في العلم والعمل، إنه كريم وهّاب.

❑❑❑

---

(١) قال الإبراهيمي ﵀ محدثًا عن نفسه: «حفظت القرآن حفظًا متقنًا في آخر الثامنة من عمري، وحفظت معه- وأنا في تلك السن- ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح، وما بلغت العاشرة حتى كنت أحفظ عدّة متون علمية مطولة، وما بلغت الرابعة عشرة حتى كنت أحفظ أَلْفِيَتي العراقي في الأثر والسير، ونظم الدول لابن الخطيب ومعظم رسائله المجموعة في كتابه ريحانة الكتاب، ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس كابن شهيد وابن أبي الخصال وأبي المطرف ابن أبي عميرة، ومعظم رسائل فحول كتاب المشرق كالصابي والبديع، مع حفظ المعلقات والمفضليات وشعر المتنبي كله وكثير من شعر الرضي وابن الرومي وأبي تمام والبحتري وأبي نواس، كما استظهرت كثيرًا من شعر الثلاثة جرير والأخطل والفرزدق، وحفظت كثيرًا من كتب اللغة كاملة كالإصلاح والفصيح، ومن كتب الأدب كالكامل والبيان وأدب الكاتب، ولقد حفظت وأنا في تلك السن أسماء الرجال الذين ترجم لهم نفح الطيب وأخبارهم وكثيرًا من أشعارهم، إذ كان كتاب نفح الطيب- طبعة بولاق- هو الكتاب الذي تقع عليه عيني في كل لحظة منذ فتحت عينيّ على الكتب، وما زلتُ أذكر إلى الآن مواقع الكلمات من الصفحات وأذكر أرقام الصفحات من تلك الطبعة، **وكنتُ أحفظ عشرات الأبيات من سماع واحد مما يحقق ما نقرأه عن سلفنا من غرائب الحفظ**.. وكان عمّي يشغلني في ساعات النهار بالدروس المرتبة في كتب القواعد وحدي أو مع الطلبة ويمتحنني ساعة من آخر كل يوم في فهم ما قرأت فيطرب لصحة فهمي، فإذا جاء الليل أملى علي من حفظه- وكان وسطًا- أو من كتاب ما يختار لي من الأبيات المفردة أو من المقاطيع حتى أحفظ مائة بيت، فإذا طلبت المزيد انتهرني وقال لي: إن ذهنك يتعب من كثرة المحفوظ كما يتعب بذلك من حمل الأثقال» انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥/ ١٦٥). **قلتُ**: وهذا والله من عجائب الدهر التي يكاد العقل يطيش بتصور حدوثها فضلا عن حصولها عيانا في زمانه؛ فنسأل الله من فضله العظيم.

(٢) قال الشيخ علي الطنطاوي في: ذكرياته (٥/ ٥٢) وهو يتحدث عن الشيخ البشير الإبراهيمي: «قد كنّا يومًا معًا في سيارة واحدة من القدس إلى دمشق، وكنت إلى جنب السائق حيث تعوّدت أن أركب دائمًا (حتى إني إن ركبت داخل السيارة توهّمت أنه دار رأسي وضاق نفَسي). وكنّا نتحدّث، فتعبَت رقبتي من الالتفات إليه لأنني لم أكُن أتلو بيتًا من الشعر إلاّ قال: إنه لفلان الشاعر من قصيدة كذا، وسرد عليّ القصيدة كلها أو جلّها.. فقلت: كيف حفظت هذا كله؟ قال: وأخبرك بأعجب منه، فهل تحبّ أن تسمع؟ قلت: نعم.. فراح يقرأ عليّ مقالات لي كاملة ممّا نُشر في «الرسالة» أو مقاطع كثيرة منها، ما كنت أنا نفسي أحفظها. قلت: يا سيدي، الشعر فهمت لماذا تحفظه، فلماذا حفظت مقالاتي وما هي من روائع القول ولا من نماذج الأدب؟ قال: ما تعمّدت حفظها، ولكني لا أقرأ شيئًا أحبّه وأطرب له إلاّ علق بنفسي فحفظته» اهـ، وهذه آية صدقِ إخباره عن نفسه فيما ذكرناه من قبلُ، نسأل الله التوفيق والفضل.!

[السؤال الحادي عشر: **هل نجحت طريقة المجاهدين في التغيير أم فشلت؟**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: على ما رأيتم في مشواركم الدعوي والجهادي في سبيل نصرة هذا الدين؛ هل ترجحون صرف الهمم وشحذها للسعي في تطبيق شرع الله في بلاد الإسلام عن طريق استخدام القوة والعمليات المسلحة؟ أم ترون أن هذه الطريقة باءت بالفشل والأفضل الاقتصار علي الدعوة فقط؟

الشيخ عطية الله:

الحمد لله وبه أستعين..

لا شك أن هذا موضوع كبير، وقد تفاوتت فيه الاجتهادات والأفهام، وتنوّعت فيه الآراء، وحصلت فيه الانقسامات والاختلافات، وإلى الله ترجع الأمور، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

وسأحاول تلخيص ما عندي في الموضوع في نقاط أساسية:

١- أن مشاكلنا نحن أمة الإسلام كثيرة ومتداخلة، يُجملها قولنا: البُعد عن الدين والتفريط في مصدر عزنا الذي أعزّنا الله به، والتفريط تبعا لذلك ومعه في أسباب القوة والرفعة الروحية والمادية، وانهدام الفضائل.!

٢- أن أكبر مشكلات أمتنا وأهم ركيزة من ركائز الفساد الواقع فيها هي قضية الحكم، أي كون الحكم أي الملك والسلطة في الأمة بأيدي أناس خونة للدين وللأمة ومرتدون عن الإسلام كثيرٌ منهم، نبذوا شريعة الله وحكّموا القوانين والشرائع الوضعية المستوردة من الكفار الصليبيين، وأفسدوا في الأرض ونشروا فيها الرذيلة وثبّتوها وصانوها وحموها ووضعوا لها الحرس والقوانين الحامية، وحاربوا الفضيلة والعفة والطهارة والتقى.. إلى آخر ما تعلمون!

٣- أن الجميع متفقون على أن الحل هو الرجوع إلى ديننا الذي أعزنا الله به، فهو عصمة أمرنا، وهو سبيل فلاحنا ونجاحنا وعزتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، ونشر الفضائل والتخلي عن الرذائل والأخذ بأسباب القوة والرفعة، وكل ذلك يجمعه قولنا: العودة إلى ديننا مصدر عزّنا.

٤- أن المصلحين والدعاة إلى الله تعالى اتخذوا طرقًا شتى تنوّعت واختلفت -حسب اجتهاداتهم- في كيفية تحقيق هذا الحل، وكيفية هذا الرجوع إلى ديننا مصدر عزنا وشرفنا وفلاحنا؛ فوجدت السبل المختلفة التي نعرفها جميعا: الدعوة بأنماطها واختلاف كيفياتها ومدارسها، والجهاد بالسلاح لأولئك الكفار الحاكمين على بلادنا، وغير ذلك.

٥- والذي ترجّح لي، وعليه محققون من علمائنا، أن كل بلد وكل ناحية من جسم الأمة وكل شعب ودولة يناسب فيها طريقة معينة، من اكتفاء بالدعوة اللسانية السلمية، أو إعلان جهاد وحرب على الحكومات الكافرة، بحسب ظرف كل بلد وقطر والمعطيات المتوفرة فيه.

فإن كان البلد تهيأت فيه فرصة لجهاد الطواغيت ووجدت أسباب النصر ومقومات النجاح لمشروع جهادي تغييري من جمهور جيّد، وقوة مادية وتنظيم قادر وكوادر واتفاق من جماعة مقتدرة من أهل البلد على الأمر، وضعف العدو نتيجة ظروفه السياسية والاقتصادية ومشاكله المتراكمة، ونقمة الشعب عليه بطوائفه وشرائحه، ونحو ذلك من الأسباب؛ فإن الجهاد يكون هو المناسب، لأنه واجب متى ما قدرنا وظننا النصر.

وإن كانت ظروف البلد وأهله والمعطيات الميدانية فيه لا يمكن أن ينجح معها عمل عسكري جهادي في حكم العادة، بحيث لا تتوفر الأسباب التي أشرنا إليها وما شابهها، فإن الأفضل والأنسب، وقد يكون هو الواجب، تركُ الجهاد والاستمرار في الدعوة إلى الله، والصبر والانتظار حتى يأذن الله بتهيّئ الأسباب وإتاحة الفرصة، مع التنبيه هنا إلى وجوب العمل لإعداد القوة والقدرة التي نتمكن بها من إزالة هؤلاء الطواغيت في يوم من الأيام، فإن هذا واجب لا يسقطه شيء ما دام أولئك الكفرة جاثمين على صدر البلاد والعباد.! إلا العجز، وإذا سقط للعجز بقي واجب الإعداد بمعانيه.

٦- **وعليه**؛ فإن على المسلمين أن يتراحموا ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر، ويتعاذروا فيما بينهم، وتتسع صدور بعضهم لاجتهادات بعض، ويتناصحوا ويتعاونوا فيما يمكن.. ويحترموا التخصص واختلاف أنواع المواهب والقدرات لدى الخلق.

٧- وهنا مسألة مهمة تتعلق بالتخصص واختلاف المواهب والقدرات.. وهي أنه لا حرج على إنسان أن يقول: أنا أتخصص في العلم والتأليف وإصلاح المكتبة الإسلامية وتنقيتها مما شابها من فساد التصورات والفكر، وأربّي الناس عليه «التصفية والتربية»، وهذا الذي أقدر عليه والذي فُتِح لي فيه، وآخر يقول: أنا أتخصص في الدعوة إلى الله في المساجد وغيرها والدعوة إلى الالتزام بالدين على العموم والرجوع إلى المسجد والصلاة وكذا وكذا -الدعوة والتبليغ مثلا- وأترك الآن الدخول في مسائل سياسية ومشاكل اجتماعية عميقة وصعبة ولا نقدر على معاناتها، وآخر يقول: أنا أتخصص في إصلاح الفكر السياسي والاجتماعي ويترخّص في الدخول في بعض المضايق الشرعية كدخول البرلمانات في دولنا الطاغوتية ونحو ذلك -على التسليم باجتهاده-، وآخر يقول: أنا أتخصص في كذا وكذا.. فهذه التخصصات لا بأس بها حين تكون من اختلاف التنوع، وأن يختار الإنسان منها ما يقدر

عليه ويُحسِنه منها، وما فُتِح عليه فيه، لأنه هو الذي يقدر على عمله وإجادته وهو العمل الذي يُحسنه، وما أداه إليه اجتهاده أنه الأنسب للإصلاح.. هذا الحد جيد لا بأس به.

وعليه -من تمام ذلك- أن يُسلّم للناس فيما يحسنون هم أيضا وفيما يجتهدون، وفيما يقدرون عليه وما فتح عليهم فيه من أبواب الخير.

لكن هذه التخصصات والاختلافات تكون شرّا وفسادًا عندما تكون من اختلاف التضادّ.

بمعنى أن أهلها لا يقبلون اجتماعها، بل كل أهل اختصاص وطريقة يرون أن الحق هو طريقتهم وما يحسنونهم هم ويفعلونه، وينصبون العداء للآخرين الذين لم يختاروا طريقتهم، ولا يسلّمون لأحدٍ، إلا من اتبع طريقتهم فقط!! وقد يصل الحال ببعضهم إلى أن ينحاز إلى العدوّ -الحاكم الكافر المرتد مثلا- ضدًّا لإخوانه بسبب اختلافه معهم ومحبّته لانتصار طريقته وسلامته وسلامة مشاريعه! وهذا والعياذ بالله من أنواع الخذلان والضلال المبين، وهذا من أشد ما رأيت من الزلات والفتن لأصحاب الدعوات، نسأل الله برحمته أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

فهذا هو الشرّ والوبال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والخلاصة: أن الواجب على أهل الإسلام أن يتكاملوا ويتعاونوا ويتعاضدوا وتتظافر جهودهم وأعمالهم على تحقيق الخير لهم في الدارين، فهذا مجاهد في ميدان الجهاد أي القتال، وهذا مرابط في ميدان العلم والتدريس والدعوة والتربية، وهذا وهذا.. والكل إخوة متحابون متعاونون محافظون على الحقوق والإخاء.

وحيث يوجد الاختلاف في الرأي والاختيار في المكان الواحد والوقت الواحد، فليكن الحرصُ على ائتلاف المسلمين ووحدة صفّهم وإن على الرأي المرجوح، ليكن هو السبيل، والبُعد عن الخلاف فإنه شرّ، ثم إن وقع ما هو أشدّ من قضاء الله فليكن التمسّك بثوابت الدين ومحكماته نصب أعين الجميع: الولاء الإيمانيّ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه، وتحقيق العدل والقسط، مع استمرار التباحث والتناصح والتذاكر بين المسلمين في شأنهم.. والموفق من وفّقه الله.

وليعلم الجميع أن الله تعالى ابتلانا بهذا الاختلاف، وأنه مرادٌ لله تعالى قضاءً وقدرًا لحكمٍ بالغةٍ، أهمها الابتلاء والاختبار، وإظهار درجات الناس في المجاهدة والبحث عن الحق واتباعه في مخالفة أهواءهم، وتمايز درجات العباد في ذلك، والتفريق بينهم على أساس الدين في الدارين.. إلى غير ذلك من الحكم العظيمة لمن تأملها، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وهذا المعنى كثير

في القرآن والسنة.

والعصمة في الالتجاء إلى الله وحده، والتوكل عليه، وتحقيق التوحيد له ﷻ، والعدل والإحسان، وأن يكون هوى الإنسان تبعا للشرع المطهر، والنظر إلى اليوم الآخر وجعله هو رأسَ المال، وذلك هو الزهد واليقين، وتقديم مصلحة اجتماع المسلمين وائتلافهم، والتشاور وردّ الأمر إلى أهله في كل شيء بحسبه، واجتناب الشذوذ والفُرقة حيث كان الأمر من موارد الاجتهاد، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]، والله أعلم.

والموضوع كما قلت كبير وواسع، وفيه فروع وتفاصيل تطول.

وأما القول بأن طريق القوة واستخدام الجهاد المسلح باءت بالفشل -يعني ضدّ الحكومات المرتدة المسيطرة على كثير من بلاد المسلمين- فإن هذا ليس على إطلاقه، ولا ينبغي هذا الإطلاق!! بل هو مزلّة وخطأ، لأنه يشبه المعارضة لحكم الشرع؛ فإن الخروج على الحاكم إذا كفر كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان، ومنابذته بالسلاح والقوة هو حكم شرعيّ متقرر مجمع عليه، وإنما يحصل الاختلاف بين الناس في تقدير الواقع وتحقيق المناط، وهل امتلكنا القدرة على ذلك في البلد المعيّن أو لا؟ ونحو ذلك..

صحيحٌ أن الكثير من التجارب في التاريخ فشلتْ، بل أكثر تجارب الخروج على الدول ومحاولات التغيير المسلح والثورات في تاريخ الأمم كلها كافرها ومسلمها فاشلة، والقليلُ منها هو الذي نجح، فإن الدول راسخة كما قال علماء التاريخ والاجتماع، ومن الصعوبة بمكانٍ نقضها وإزالتها، ولكن هذا لا يقتضي إطلاق القول بأن طريق الخروج المسلح فاشل، والتنفير مطلقا من هذا الطريق أو تحريمه والمنع منه؛ بل ما يقتضيه ذلك هو مزيد الاحتياط والحذر في التقدير والتثبّت في الأمر وعدم التسرّع، ومعرفة أن الأمر ليس بالهيّن السهل، وأنه يتطلب من الاستعدادات ما يناسبه، وهذا مهمّ للعقلاء والسادة النبلاء.!

والحق دائما في العدل والقسط وهو وسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

والله أعلم وأحكم، وهو وحده ولي التوفيق، لا إله غيره ولا ربّ سواه.

❑❑❑

[*السؤال الثاني عشر*: **الفجوة بين العلماء والمجاهدين، وما سبب تضخيم أخطاء العلماء القاعدين، وتهوين أخطاء علماء المجاهدين**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: جاءت عدة أسئلة تتحدث عن العلاقة بين أهل العلم والجهاد، وأن العلاقة بينهما قد ازدادت سوءًا، وأن الإعذار الذي يلتمسه المجاهدون لعلمائهم -الذين ينظرون لفكر الجهاد- يمكن أن يُلتمس مثله لغيرهم من علماء الأمة؛ فلم لا يكون ذلك؟ ولماذا تُهون أخطاء علماء الجهاد وتضخم أخطاء غيرهم من العلماء؟

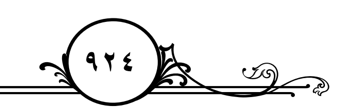
الشيخ عطية الله:

أنا لا أريد أن أهوّن من الأخطاء، والأخطاء متفاوتة، وواجب عند التحقيق أن نعطي كلًا حقه وننصفه، وإنما الذي وقع مني هو شبيه إلى حد ما بقولنا للمريض أو المبتلى: بسيطة إن شاء الله! وأنا أرى يا أخي أن الأخطاء وقعت من الطرفين، الله أعلم هل هذا أكثر أو هذا؟ ذلك لا أريد أن أركز عليه، ولا أراه مدخلا للإصلاح، وكذلك «من البادي؟» كما ذكرت.

وأرجو ألا يضطرني أخي إلى الغوص في ذكر تفاصيل الأخطاء والمعايب والتقصير، ولا والله لا أهدد أحدًا، وإنما:

أولا: لأنه حينئذ سيكون «من مخسوري»، و«سأربح أنا العيب» لأنني سأبدو في صورة العائب لأهل العلم والطاعن فيهم.! وهذا ليس موقف نَصَفٍ، وأنا أحاذر الوقوع فيه، ولو كنت الآن في الأنبار أو القائم أو الموصل أو في تورا بورا أو زابل أو باكتيا لربما كنت في حصن حصين!. فإني رأيت المتكلم في العلماء محارَبًا، وإن تكلم بحق، أما المجاهدون فلا حرمة لهم عند الأكثرين كما للعلماء، وهم عند أكثر الناس حمىً مستباحًا.!

ويا أخي الحبيب؛ صحيح أن العالم يقضي السنين الطويلة في الكد والجد والاجتهاد والسهر والصبر حتى يصير عالمًا، ولكن ما ذكرته عن المجاهدين إنما ينطبق على الجنود وقواعد المجاهدين، وأما الزعماء فهم صنوُ العلماء، فليس من السهل أن تصير زعيمًا قائدًا كبيرا في الأمة تقول الكلمة فيسمع لها ألوف وربما ملايين ويطيعونك وتحمى لها منهم الأنوف!! هذا يسمّى الرياسة والشرف والزعامة والقيادة والمُلك، والله يؤتي ملكه من يشاء، وحينما يكون الملك عادلًا صالحًا فإن له مقامًا وحقوقًا في ديننا وفي كل عرفٍ، وهذا كما تعلم يحتاج أيضا لسنوات وسنوات وجهد لا يقل عن جهد العلماء.!



فلا يوجد زعيم للجهاد نال مثل هذه المكانة المشار إليها في أيام!

وإنما هو الميدان الذي ينجب القادة كما يقال؛ الصبر وحسن الديانة واستيعاب الناس والجد والاجتهاد وملكات فطرية ومواهب.. وقبل ذلك كله توفيق الله.

والحاصل أن أهل العلم درجات، منهم الكبراء، ومنهم دون ذلك، وكذلك أهل الجهاد..

وثانيا: لأنني لا أحب التعمق في ذكر المعايب والأخطاء، ولا أراه سبيلا للإصلاح كما قد ذكرته. وأنا يا أخي قلت إنني عندما أذكر المجاهدين فإنما أركز على قياداتهم وساداتهم، فلا عبرة بما يصدر عن الكثيرين ممن ينتسبون للجهاد من غير السادات وفقهاء القوم، وما وقع من هؤلاء السادات يمكن علاجه وإصلاحه وفهم بعضه على وجه حسنٍ، ورد بعضه وإنكاره، وأخطاؤهم هي الأخطاء التي نتكلم عنها، وفي النهاية هو محصورٌ، وهو مقصودنا بالمعالجة والإصلاح؛ فمثلا: عندما يقول الدكتور أيمن مثل هذا القول الذي ذكرته أنت عنه من أنه «لمز فيه الذين يتشدقون بالتربية وينشغلون بها والكفار يحتلون في كل يوم بلدا ويقتلون مسلما ويأسرون آخر».

فإننا نقول له: **يا دكتور بارك الله فيك هذا خطأ من وجهين**:

الوجه الأول: أن الناس مشارب ومواهب وتخصصات وكل ميسّر لما خلق له، وكل يعمل في جانب؛ فلنتكامل بدل أن نتدابر ونتناحر، وكما أن المجاهدين على ثغر عظيم فإن العلماء والدعاة في كل البلاد كذلك، فلا تعارض، بل تنوّع وتكامل.

الوجه الثاني: من جهة السياسة، فهب أن كلامك صحيح في نفس الأمر، وأن من وصفتهم بالتشدق بالتربية والانشغال بها.. هم كما تراهم: مقصّرون تاركون للواجب المتعيّن عليهم من الجهاد، أو حتى مسيؤون للجهاد وأهله، هب أنهم كذلك؛ فإن السياسة والحكمة في تألف الناس واحتوائهم وأصل التبشير وعدم التنفير يقتضي منك أشد الاقتضاء أن تعرض عن هذا الكلام ولا تقوله، بل تلين العبارة وتلطف الخطاب وتثني على الناس بما فيهم من خير وتغضي عن النقص والضعف، وتأخذ العفو، ما داموا بحمد الله لم ينصبوا أنفسهم لحربك وعداوتك.

هذا هو الذي نريد أن نقوله للمجاهدين، ونوصله إليهم..

ينبغي أن نكون قد نضجنا، وصقلتنا التجارب، وصارت هذه عندنا من الواضحات.

إنه من القبيح جدًا أن تظل هذه الأخطاء تتكرر..

والحق أن قيادات المجاهدين صاروا أكثر إدراكًا لهذه المسألة، فلله الحمد.

وهذا يعرفه من عرفهم من سنوات ويتابع ما يصدر عنهم الآن.

ووالله يا إخوة إنني أعرف التغير واضحًا في هذا الباب، وسأحدّثكم بمثالٍ تستدلّون به على ما وراءه وهو أن الدكتور أيمن حَفِظَهُ ٱللَّهُ قد تأسّف على تأليفه كتاب «الحصاد المرّ»، وصرّح بهذا لبعض الإخوة الثقات ونقلوه لي، وقال لو استقبلت من أمري ما استدبرتُ ما كتبته، ورآه لا يخدم مصلحة الإسلام والمسلمين العامة، وليس من الحكمة.. وهناك أشياء غير ذلك.

وهذا الكلام من الدكتور أيمن حَفِظَهُ ٱللَّهُ قاله في وقت العزّ وكامل الحريّة والتمكّن، في وقت طالبان عام ألفين أو قبلها.

وهكذا على الجانب الآخر؛ فنحن نريد أن نوصل لمشايخنا ودعاتنا وعلمائنا في كل مكان أن لا يتسرّعوا ولا يخذلوا إخوانهم وإن أخطأوا وجهلوا؛ فهؤلاء أبناؤكم وإخوانكم لهم عليكم حق كبير، فضلا عن حرمتهم كمجاهدين، وعظم مكانهم في الأمة وحسن بلائهم، و﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨] ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ ﴾ [النساء: ٩٥] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ .. ﴾ [التوبة: ١٩] وغيرها من الآيات تنبئك.!

فيا علماءنا ومشايخنا ودعاتنا: الكلمة الطيبة الكلمة الطيبة، يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا، ولا تستعجلوا، وعليكم بالسكوت إن غم الأمرُ، وحاولوا أن تفهموا أكثر وأكثر إخوانكم وأبناءكم المجاهدين..!

أخي الكريم؛ هناك ترسّبات كثيرة وأسباب عديدة وتراكمات معقدة أدت إلى الفجوة بين أهل العلم وأهل الجهاد، وهناك أحيانا مشاحنات وخصومات وعداوات، ونحن نعرف هذا، وهناك أشياء مؤسفة والله..!

لكن، هذا كله لم يصدّ الكثيرين من أهل الخير وأهل الحق والإنصاف في الطرفين أن يعرفوا لكل ذي حق حقه، ولم يغرّهم، ولم يثنهم عن العمل للإصلاح وتأليف القلوب.

وهو ليس أمرًا خاصًا بهاتين الطائفتين فقط، فأنت تعرف المشاكل والعداوات بين طوائف السلفية والإخوان، وبين الإخوان والجهاديين، وبين التحريريين وكذا، وبين التبليغ وغيرهم.. الخ.

وفي كل بلد من ذلك، ما شاء الله وقدّر.!

إنه جزء من اختلاف الأمة الأوسع، ونحن مبتلون به، والمفلح من حقق الحقّ، ولم يتّبع هواه، وكان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

ملاحظة عابرة: أخي الكريم؛ وأما ما ذكرته من أنك تظن أن الدكتور أيمن هو الرجل الأول والمحرك للقاعدة، فإن كان يهمك رأيي فاسمح لي أن أقول لك وللقراء إن هذا بعيد عن الواقع، وإنما يظنه كذلك من لا يعرف الشيخ أسامة، بل الحق أن الرجل الأول والمحرك هو الشيخ أسامة، وهم في

حقيقتهم كما هم في ترتيبهم المعلن.

وإن للشيخ أسامة من قوة الشخصية وموسوعية المعرفة والحزم في الرأي وعلو الهمة وغيرها من الفضائل حظًا وافرًا؛ فليس من السهل أن يقوده أحد أو يؤثر فيه بسهولة، صحيح أن الإنسان بطبعه يؤثر ويتأثر، وكل قرين بالمقارن يقتدي، لكن من الصحيح أيضا أن الأعلى والأفضل قد يتأثر بالأدنى والأقل، ويبقى هو الأعلى.. والله أعلم.

وأنا من أشد الناس كرها للخوض في هذه الأمور، وإنما ذكرتها لأنها قيلت ومن قبل كررها بعض الناس، وبارك الله فيكم.

ونسعد بمذاكراتكم الطيبة، والكمال لله وحده، وإنما نحن عبيده نتعاون على طاعته.

نسأل الله أن يعفو عنا جميعا.

❑❑❑

[*السؤال الثالث عشر*: **التناصح بين العلماء والمجاهدين، وهل الحل في السكوت؟**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: لماذا لا يكون هناك المخلصون الناصحون من الطرفين ممن يجرؤ على ذكر أخطاء الفريقين ومناصحة الفريقين؟ وهل تظن أن التساكت طريقة شرعية للإصلاح؟ أنا لا أعني الكلام عن الأخطاء على الملأ كما يفعله الحمقى ممن يريدون تصفية الحسابات، بل أقصد تقرير الأخطاء دون ذكر الأسماء؛ كأن نقول: من المجاهدين من يفعلون كذا، من الجهاديين من يقولون بكذا، من العلماء من يفعل كذا، ونقرر الخطأ بالدليل، وبالأسلوب المؤدب المهذب.

الشيخ عطية الله:

أنا لا أقول بأننا نسكت عن الأخطاء جملةً! بل الأخطاء يذكر منها ما يحسن ذكره لغرض التنبيه عليه والتحذير منه ومن تكرره ولتصحيح الموقف فيه؛ فهي دروس مستمرة ودائمة لا تتوقف..

وكل ذلك بحسب المناسبات، وبحسب الدروس.

فلو أنا عندي درس لإخواني اليوم في «فقه الجهاد وأحكامه» فإنني سأجد نفسي مضطرًا لذكر بعض الأخطاء التي تقع في هذه الأبواب، وسأستحسن التمثيل بها للتفهيم أولا لأن المثال مهم جدا في التعليم والتفهيم، وثانيا للتحذير منه والنهي عنه ومحاولة إيصال الكلام فيه إلى أصحابه ومن ماثلهم

ممن يمكن أن يقعوا فيه ويجهلوه، ونحو ذلك من الأغراض والمقاصد المشروعة.

وهكذا لو كان درسي في التوحيد، فإنني سأذكر أمثلة لما أراه من أخطاء واقعة في أبواب التكفير والحُكم وغيرها.. وهكذا.

فهذا مورد من موارد ذكر الأخطاء..

والذي ينبغي حينئذ أن تذكر الأخطاء مجردة عن أسماء أصحابها، مهما أمكن ذلك، هذا الأصل.

لكن قد يكون في ذكر الاسم أحيانا فائدة وغرض صحيح فيقدر بقدره، وهذا معروف في مواضعه.

كما أن من الأخطاء ما يحسُنُ أن نناقشه على الملأ وفي المنتديات والمجالس العامة، ومنها ما الواجب فيه الإسرار بالنصيحة، والكتمان عن العامّة، وهذا كله ولله الحمد معروف للغالبية من عقلاء الإخوة والناصحين وطلبة العلم.

وكذلك عند التناقش والمناظرة بين الناس بالحق، تذكر الأخطاء وتبيّن بشروطها من العلم والعدل وحسن القصد والأدب.

وأفضل مواطن ذكر الأخطاء: هو موطن النصح مباشرة لأهله ثم لمن يمكن أن يغترّوا به من الناس ممن يتعلق بهم ذلك الخطأ في العمل.. كما يحصل عندما نكتب موضوعا ننكر فيه خطأ وقع من المجاهدين أو تصرفًا سياسيًا معينًا نراه خطأً، ونحذرهم منه وننصحهم بتجنبه، أو عندما ننقد فتوى نراها خطأً من عالمٍ أو ننتقد موقفا له أو كلاما في بيان أو موقفا سياسيّا ونحو ذلك.

وأنا -عن شخصي- أمارس هذا، ولي من النقد لهذا أمثلة هنا وفي غير هذا المكان، ولله الحمد.

فالمقصد الشرعي هنا مركّب من مجموع أمرين مهمّين: النصح لصاحبه، وتبيين الصواب للآخرين حتى لا يغترّوا بالزلة.

مع ما يتبع ذلك من تعليم الناس طرائق للاعتذار عن العلماء والمجاهدين وأهل الفضل، وطرائق التعامل مع مثل هذه الزلات والأخطاء، وغير ذلك.

لأننا لو لم ننكر نحن طلبة العلم ولم نمارس حق النقد والمناقشة، لأوشك أن يتولّى ذلك من لا يحسنه ومن هو أقل مرتبة في العلم وغيره، ولفاتت مصالح كبيرة للمسلمين، وهذا معروف مجرب.

ولا يخفى مكانة النقد والمناقشة والتباحث لحماية بيضة الدين من تطرق الخلل.

والحاصل أنني لا أدعو إلى التساكت، ولا أتوهم أن هذا ممكن، أبدا والله.!

أعرف أنه ليس واقعيا..

وعندما نبّهتُ إلى كراهتي الغوص في ذكر المعايب والأخطاء -لاحظ كلمة «الغوص» والبحث في

«مَن البادئ»، كان هذا في مقام تأكيد أن المقصود الأعظم والهدف الأسمى هو إصلاح ذات البين؛ فلا يكون تَعداد العيوب والحرص على تعيين البادئ بالظلم عائقا عن الوصول إلى ذلك الهدف.

ولا بد عند التواصل بين الناس من وضع جملة من الأخطاء المهمة الرئيسية على بساط النظر، وتصحيحها وبيان الحق فيها والواجب والاتفاق عليه، وهذا يسير على من يسّره الله عليه، والمطلوب التوكل على الله والصدق وحسن النية فقط، وما توفيقنا إلا بالله وما النصر إلا من عند الله، ولينصرنّ الله من ينصره.

وعليه فأنا أدعو إلى أن نضع نصب أعيننا هذه الأمور:

❖ أن الأخطاء كثيرة ومتراكبة ومتراكمة ومنذ أزمان، منذ الجهاد الأفغاني وقبله.

❖ أن الأخطاء متقاربة من الطرفين.

❖ وأن الواجب أن نصلح ذات البين، ونقرّب بين الطرفين، ونزيل الوحشة، هذا هو الهدف.

❖ وأن يدعو كلٌّ منا من يستطيع الاتصال به من هؤلاء وهؤلاء إلى ذلك بشتى الطرق الممكنة ويسعى في تفهيم المواقف وتغليب العذر وحسن الظن، وليستعمل حتى الكذب لأجل ذلك، بلهَ الستر والتعافي.

ومع كل ذلك.. فإننا واقعيون، ولا يظنن بنا ظان أننا سنخرج من هذا اللقاء وقد قضينا على كل المشاكل! وإنما هي دعوة لمن يبلغه، لعل الله يبارك فيها، ويسخّر لها من يكملها ويقوم بها حق القيام، من المخلصين الناصحين من الطرفين ومن سائر المسلمين.

وهناك ملاحظة أخرى دقيقة أرجو أن أوفق لحسن التعبير عنها، وبالله أستعين:

وهي أن الكلام في الأخطاء العلمية النظرية، وهو ما يقع في العادة من أهل العلم حين يقع، يختلف في شيء دقيق عن الكلام في الأخطاء العملية التي تقع في العادة والأكثر من المجاهدين حين تقع.

وهذا الفرق هو: أننا عندما نتكلم في نقد رأي أو تصرف للمجاهدين في الميدان نكون أكثر حذرًا، لماذا؟ لأننا نخشى الفتّ في العضد، ونخشى توهين العزائم، ووقوع التثبيط والتخذيل من دون أن نشعر، ونخشى أن نضعف موقف المجاهدين الذين هم في أمسّ الحاجة الآن وهم في ساحة الحرب يقفون أمام جيوش الأعداء الجرارة ويجودون بأرواحهم؛ في أمس الحاجة إلى كل دعمٍ منا وكل كلمة طيبة ودعاء ونصرٍ وذبّ عنهم وسكوت حتى عن أخطائهم الواضحة فضلا عن المحتملة..!

فمراعاة هذا، والشعور بهذه المسؤولية شيء في غاية الأهمية.

وهذا -في الغالب- هو بخلاف ما إذا انتقدنا رأي العالم وناقشناه، فإنه ليس فيه هذه المحاذير في

الغالب، وأقول في الغالب، لأنه في بعض الحالات يكون كذلك أيضا.

فهذا في نظري مهم جدا أن يتنبّه له إخواني طلبة العلم وأهل الرأي والنصيحة.

فأرجو من إخواني أن يتأملوه جيدًا..

وقد نبّهت إخواني فيما سبق إلى أن من الحكمة ومن أخلاق الحرب عند الأمم كلها السكوتُ عن ذكر الأخطاء أثناء المعارك والمواجهات مع العدو، حتى تضع الحرب أوزارها، ثم يمكننا أن نناقش الأخطاء ونحاسب المخطئين وما شابه.

صحيح أننا في أحوال من الحرب لا تكاد تنتهي، لكن كل شيء يقدر بقدره، وحالةٌ دون حالةٍ، وهناك دائما فُرص لقول الكلمة الطيبة وللتصحيح لمن تأنى وتخلّق بالحلم والأناة، والله أعلم.

وجزاكم الله خيرا وبارك في جهودكم.

ونسأل الله أن يتولانا ويتولاكم برعايته وتوفيقه، إنه لطيف بعباده برّ رؤوف رحيم.

❑❑❑

[*السؤال الرابع عشر*: **عن الشعوب الكافرة، وحكم القرضاوي والبوطي وأمثالهما**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: سؤال عن الشعوب الكافرة، وما حكم القرضاوي والبوطي وأمثالهما؟ وهل يجوز تكفيرهما؟

الشيخ عطية الله:

بالنسبة للسؤال عن الشعوب –وأظن المقصد شعوب بلاد الكفر الأصلية، بلاد الغرب–، وعن «القرضاوي» و«البوطي».

فإنني أرشدُ فقط إلى الرجوع للعلماء وسؤالهم حول هذه المسائل، ارجع إلى من تثق فيه من العلماء واستفتهم، وبإمكانك أن تستفتي أكثر من واحدٍ من العلماء لو أتيح لك من أجل التأكد.

وأنا بالطبع عندي اختياري وقناعتي الخاصة، ولكن ليس لي أن أفتي الناس، والعلماء موجودون.

وممكن أن أنبه فقط فيما يتعلق بسؤالك الثاني إلى أنه قد توجد بعض المزالق للمشار إليهم أو غيرهم نحكم عليها بأنها كفر، لكن تبقى مسألة تكفير الشخص المعين مسألة أخرى، وهذا شيء بلا شك معلوم عندكم وعند عموم الإخوة لكن نحب دائما التذكير به، والتذكير بأن الحكم بالتكفير خطرٌ ولا نعدل بالسلامة والعافية شيئا.

وتنبيه آخر: وهو أنني في مثل هذه المسائل أستحب لإخواني المجاهدين وغيرهم من سائر المسلمين أن يكتفوا بالحكم على الأفعال، ولا يتعنّتوا ويصرّوا على الحكم على الأشخاص، ولا سيما من عافانا الله من مقاربته وملابسته في الواقع والميدان.

وأن يكتفوا أيضًا بالحد الأدنى من الحكم المستيقَن، وأعني به أنك يكفيك أن تعرف أن الشخص الفلاني منحرف عن الدين، ضالٌ، عنده ضلالات كبيرة وكثيرة، وأنه يُخشى عليه من الكفر.!

وبالتالي تجتنبه وتحذر منه.. فهذا القدر كافٍ وبركة ولله الحمد.

أما الإصرار على الجزم بكفر فلان أو علان (من أهل القبلة وممن ينتسب إلى الدين والدعوة ممن وقعت منهم أخطاء تحتمل تكفيرهم) فإن هذا من الخطر العظيم ومما لا نفتأ نحذر منه؛ لأن هذه المسائل هي في الأصل من باب القضاء لا الفتوى، ومهما يكن فهي تحتاج إلى تثبّت في معرفة حال الشخص وإثباتات وبينات لما صدر منه، بعد معرفة حكم ما صدر منه في الشرع.

ولا شك أن الأشخاص والأحوال والصور مختلفة، وليست في درجة واحدة.

فقد يكون كفر بعض الأشخاص مما عُرف واتضح حتى للعوام.

ومنها ما يكون أقل ظهورا وأكثر التباسا واحتمالا فليترك لأهل العلم، وهكذا..

وهذا -عند العقلاء الحريصين على دينهم وأخراهم- موجبٌ لتمام الحذر والتأني وعدم التسرع، وطلب السلامة.!

فمَن كان من أهل النظر وتبيّن له كفرُ الشخص المعيّن ساغَ له القول به، ومَنْ لا فليعرف قدر نفسه وليلزم السكوت والاكتفاء بالحد االمستيقَن كما أشرتُ إليه.

وأشد منه خطأ بل هو الانحراف الخطير والضلال المبين والعياذ بالله أن تُجعل مثل هذه المسائل أعني تكفير فلان أو علان -مما يُحتمَلُ- كالمسائل القطعية المحكمة في دين الله تعالى، ويُمتَحن بها الناس، ويصنّفون على أساسها، ويعقد عليها الولاءُ والبراء، وتوقد من أجلها نيران الحروب.!!

فهذا وباء خطير ومرض فتّاك حين تبتلى به ساحات الدعوة والجهاد، لا بد من التحذير منه وتحصين شبابنا وأجيالنا منه، والله وليّ التوفيق.

وإلى الوقت الذي يتسنّى لكم فيه الرجوع إلى أهل العلم؛ عليكم بالحلم والأناة، وترك الطيش والعجلة، وليتذاكر مع الأمثل فالأمثل، مع معرفة أنها مسألة قابلة للبحث أكثر ولتغير رأيه فيها.

❑❑❑

[*السؤال الخامس عشر*: **فتوى الشيخ «العقلا» في الذب عن المجاهدين**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: هل غطت فتوى الشيخ العُقلا كل الشبه المثارة على المجاهدين؟

الشيخ عطية الله:

بخصوص هذا السؤال؛ فيمكن ألا تكون غطت كل الشبه المثارة، والشبه لا تنتهي! لكن أهميتها أنها فتوى وتأصيل وتأييد من عالم معتبر.

واعلم أخي الكريم أن الخلاف في تأصيل هذه المسائل من الناحية الشرعية هو أسهل المطالب بإذن الله، فإنها مسائل مبحوثة مطروقة قد طُبخت ونضجت واستوت من قديم الزمان على أيدي فقهاء الإسلام ﷀ، والنوازل فيها لا تكاد توجد من الناحية الشرعية المحضة، وإنما المطلب الصعب الذي هو محور خلاف المختلفين هو في النظر السياسي الشرعي.. والله الهادي إلى سواء السبيل، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

❑❑❑

[*السؤال السادس عشر*: **عمل الشيخ مع «إمارة أفغانستان الإسلامية»**]

۞ **شبكة أنا المسلم**: هل اشتغلت شيخنا في إمارة أفغانستان الإسلامية مع «طالبان» في أي مجال من مجالات الدولة الوليدة الفقيدة؟

الشيخ عطية الله:

بالنسبة لهذا السؤال؛ فلا أدري إن كان فيه فائدة يغفر الله لنا ولك، لكن ما دمت قد سألت فإن العبد الفقير اشتغل معهم في «وزارة المعارف» في إعداد المناهج، وكان العمل هو ترشيد وتصحيح منهج اللغة العربية لكافة السنوات من الابتدائية والإعدادية، مع فريق عمل من المولوية وأهل العلم الصالحين نحسبهم كذلك، نسأل الله أن يحفظهم ويختم لنا ولهم بالحسنى، والحمد لله تم إنجاز العمل كاملا تقريبا وقدمتْ أوائله لمطبعة الدولة، حتى كان الحادث الذي تعلمون، ولله الأمر من قبل ومن بعد. كما كانت هناك بعض الأعمال الأخرى الإعلامية والدعوية وغيرها، نسأل الله أن يمن بالقبول والعفو، ونسأله تعالى أن يعيد دولة الإسلام في أفغانستان وفي سائر البلاد أفضل وأقوى وأعز وأكرم.. آمين، وجزاكم الله خيرًا.

❑❑❑

[السؤال السابع عشر: **العمل الجماعي، وهل يصح الجهاد بدونه؟**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: ما رأيكم في العمل الجماعي؟ وهل يصح الجهاد بدونه؟

الشيخ عطية الله:

العمل الجماعي هو من باب الوسائل؛ لأنه وسيلة للجهاد، والوسائل لها حكم الغايات إذا تعيّنت، وما لا يتم المأمور به إلا به فهو مأمور به، بحسبه.. هذا أصلٌ في المسألة.

ولا بد من حسن فهمه؛ فالعمل الجماعي وسيلة، لأننا نعلم أن الجهاد لا يمكن أن يتم إلا بجماعةٍ، وليس هو عمل الآحاد، فلا يجب على الواحد إذا نكل الناسُ كلهم، وإنما قصاراه حينئذٍ أنه قد يستحب له كما قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤]؛ فمن وجب عليهم الجهاد سواء لعدوّ كافر أصليّ محتلٍ معتدٍ صائل، أو لعدوّ محليّ كافر مرتدٍ.. فإنه يجب عليهم أن يؤمّروا عليهم أحدهم ويجاهدوا تحت إمرته، وهذه هي الجماعة والعمل الجماعي، والذي يحصل في العادة أن الناس إذا عزموا على التغيير والجهاد يحتاجون إلى زمنٍ للإعداد، فينظمون أنفسهم في جماعة من أجل ذلك، فهذا مشروعٌ لما ذكرتُهُ ولأدلة أخرى، كما أن العمل الجماعي وتعاهد الناس وتبايعهم على القيام بأعمال الخير، والتعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك، كله مشروع بحمد الله، وأدلته مبسوطة في مواضعها من كتب أهل العلم، وهي بيعات وعهود مبنيّة على التخيير والتوسعة لا على التحريج، بمعنى أن الداخل فيها إنما يدخل مختارًا لا إلزامًا أصليًّا عليه في الشرع ما لم تتعيّن في بعض الحالات، بخلاف بيعة الإمام الأعظم، ثم هي تنقل المباح أو المستحب إلى الوجوب، وتؤكد الواجب وتقوّيه، وغير ذلك مما هو معروف في مباحثه.

وقد يكون في بعض الأحوال وفي حق بعض الأشخاص عدم الانضواء في جماعة معينة بل البقاء مستقلا في بعض هذه الأزمنة هو الأنفع للعمل الإسلامي أي للجهاد والدعوة وللمجاهدين وللمشروع الإسلامي، وهذا في غير «الجبهة» -غير حال مباشرة القتال-، فإنه في حال مباشرة القتال لا يسعُ أحدًا إلا أن يكون تحت إمرة أمير الحرب، وإنما الكلام عن الدخول في بيعة أمير وجماعة في غير حال مباشرة القتال بل للإعداد وللعمل الطويل النفس السياسي والعسكري أو الدعوي؛ فإذا تحقق الشخص المعيّن أن بقاءه مستقلا أفيد للإسلام والمسلمين، لأنه يعطي أكثر، ويكون بعيدا عن كذا وكذا مما يُحذر، ويكون تأثيره أكبر على الناس مثلا، لا سيما إن كان طالب علمٍ، لأنه غير محسوب على أي طرف أو نحو تلك الأسباب التي ترجح هذا الخيار فإنه إن شاء الله لا حرج عليه ولعله يكون في حقه

هو الأفضل، وهذا ما اختاره بعض أهل العلم ممن عرفنا.. والله أعلم.

والحاصل:

- من وجب عليهم الجهاد -القتال- فإنه يجب عليهم أن يكونوا جماعةً واحدةً ويشرعوا في الإعداد لتحصيل القدرة عليه؛ فإن تحصيل القدرة هنا واجبٌ بخلاف تحصيل القدرة على الحجّ فإنها ليستْ بواجبة، لأن الحجّ إنما وجب بشرط القدرة، كما هو معروف في الفقه والأصول، كما قال سِيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم رحمه الله:

وما وجوبُهُ بهِ لم يجبِ ... في قولِ مالكٍ وكلِّ مذهبِ[1]

- قد يخرج عن هذا بعض الحالات للمصلحة الراجحة، لأن الجماعة وسيلة وليست مطلوبة لذاتها، فإذا عُلِم أنها في حق الشخص المعيّن ليست وسيلةً بل غيرها أفضل فينبغي فعل الأفضل.

- أما في ساحة القتال وفي حال مباشرة الحرب، فإن الجميع يجب أن يكون تحت إمرة أمير الحرب، سواء كان من جماعته أو كان طارئا.

والله أعلم وأحكم، نسأل الله لنا ولكم الهدى والسداد.

❑❑❑

[*السؤال الثامن عشر*: **التعليق على الكتب المؤيدة للنظام الجزائري**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: تعلمون شيخنا أن هناك حملة علمية ومنهجية ضد كل من خرج على شرعية النظام الجزائري، وقد استوعب الشيخ «عبد المالك رمضاني» -وفقه الله- هذه الحملة في كتب أهمها «مدارك النظر» وكتابه في «الرد على أبي قتادة الفلسطيني»، فالرجاء منكم أن تكتبوا لنا تعليقًا يناسب مواضيع هذه الكتب؟

الشيخ عطية الله:

أما كتاب «رمضاني» وردوده فلم أقرأها، ولكني طالعت فصلا أو فصلين من كتابه «مدارك النظر منذ زمن وكان يرد على المشايخ «سلمان» و«سفر» وإخوانهم وفقهم الله، وينعى عليهم اشتغالهم بالسياسة كما يقول، والقدر الذي طالعته منه لم أر فيها علمًا نافعا ولا إنصافًا، وليس بشيء.!

---

(١) انظر: منظومة مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود (بيت رقم: ٢٨٧).

وأما الذين يسعون لدفع الكفر عن النظام الجزائري، فهم هؤلاء «رمضاني» وأمثاله ممن يتسمون بالسلفية وهم بعيدون عن حال السلف، ويدّعون أنهم على منهج المشايخ الكبار: «الألباني» و«ابن باز» و«ابن عثيمين» رحمهم الله جميعا.. وهي دعوى لا تسلم لهم فإنهم يخالفون المشايخ المذكورين في أصول في المنهج!

ويطلق عليهم إخواننا في الجزائر تسميات متعددة تنفيرا منهم ومن حالهم، مثل الخلوف، والتلفية، ولا كولون، والمدخلية، وغيرها.

وهؤلاء يجعلون «بوتفليقة» وقبله «زروال» و«علي كافي» وأمثالهم أولياء أمور المسلمين حكامًا شرعيين يجب لهم السمع والطاعة في المعروف في المنشط والمكره وأثرة علينا، ويحرّمون الخروج عن طاعتهم، بله منابذتهم، ويقولون: إننا لم نر الكفر البواحَ الذي عندنا فيه من الله برهان -ولن يروه!-، ويوالون هؤلاء الحكام ضدًا لإخواننا المجاهدين وسائر الدعاة المكفرين للحكام المتبرئين منهم، ويتعاونون مع هؤلاء الحكام ويظاهرونهم ويبدون استعدادهم لحرب المجاهدين معهم -ولن يفعلوا فقد عرفناهم من أجبن خلق الله- ويدعون إلى ذلك، وعندهم أن المجاهدين كلهم جملة وتفصيلا خوارج مارقون من الدين، ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون.!!

نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ بالله من الخذلان.

وأما أحوالهم مع الناس وفيما بينهم فإنها على أسوأ ما يوصَف!

وهذا حال أمثالهم في كل مكانٍ، تنافسٌ وتكالبٌ على الفانية ومتاع الغرور، وتناحرٌ وتدابرٌ.

وهم قومٌ مفتونون متنطّعون هالكون، متشدّدون **(ولن يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه)**[1]، غالون، جعلوا الدين كلماتٍ وشعاراتٍ وحزبًا ورسومًا ووسومًا وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وعقدوا عليها الولاء والبراء.

وأما فسادهم في المعتقد فإن الإرجاء ضاربٌ أطنابه فيهم.!

وأما الفساد الأخلاقي والتربوي فيعرفهم من قاربهم وابتلي بهم، نسأل الله الستر والسلامة.

وأما فتور الدين وضعف الالتزام والاستقامة، وانعدام الغيرة والنجدة، وموت القلوب، وتمكن الوهْن، فحدّث ولا حرج.!!

وقد أجملتُ.. وما عبّرتُ إلا عن شيء يسير مما رأيته وعلمته منهم ومن أمثالهم.

---

(١) صحيح البخاري (٣٩)، سنن النسائي (٥٠٣٤).

عافانا الله وسائر إخواننا من شرهم ومن شر كل ذي شر.

ونسأل الله لمن فيه خيرٌ منهم أن يهديه وينقذه، ومن كان من أهل الشرّ أن يهلكه ويريح المسلمين من شره.. آمين.

❑❑❑

[السؤال التاسع عشر: **التعريف ببعض أزلام النظام الجزائري المجرم**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: هناك من يدفع الكفر عن النظام الجزائري ويقر بشرعيته، وأنه لم يصدر منه أي كفر بواح.. نرجو منكم أن تكتبوا كلمة تعريفية بخصوص رجالات هذا النظام، منهم: اللواء خالد نزار، العماري، رضا مالك، خاليدة مسعودي، بوتفليقة.

الشيخ عطية الله:

اشتهر على ألسنة الخبراء بالشأن الجزائري أن الجزائر يحكمها العسكر.

وهي عبارة صحيحة في الجملة.

وعند التحقيق؛ فإن **الجزائر يحكمها طائفتان:**

- طبقة سياسية.

- عسكر.

وكلا الطبقتين يدور في فلكهما منظومات أمنية واقتصادية وقوى اجتماعية.

كما أن بينهما تداخلًا كبيرًا، ومعظم رؤساء الجزائر كانوا من العسكر.

والعلاقة بينهما مرة هكذا ومرة هكذا، أي مرة على وئامٍ وانسجام ومرة على توتّر وتجاذبٍ، وتكون الغلبة عند التدافع للعسكر كما وقع في كل أو معظم الحالات، حتى نستطيع القول إن المؤسسة العسكرية في الجزائر -بما يتبعها من استخبارات- هي السلطة الحقيقية والفعلية في البلد، وهي التي تعيّن الرؤساء أو تطيح بهم متى شاءت، وكثيرا ما تضع لهم خطوطًا حمراء لا يتجاوزونها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومشهورة.!

والطبقة السياسية لها نفوذها واستقطاباتها في العسكر والاستخبارات، وكذلك العسكر وقيادات الاستخبارات لهم نفوذهم في الأحزاب والمكوّنات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

هذا باختصار..

فإذا نظرنا للطبقة السياسية فإن الغلبة فيها والمكنة الحقيقية للعلمانيين اللائكيين -اللادينيين- الفرانكفونيين أحباب فرنسا وربائبها.

والأحزابُ الإسلامية أو الوطنية المعتدلة والتي لها شيء من الشرف والكرامة أقل تمكنًا ونفوذًا في الدولة.

فالقوة الحقيقية والتمكن والنفوذ إنما هو للقوى السياسية اللائكية المتحالفة مع جنرالات العسكر والاستخبارات، مثل: رضا مالك وحزبه «التحالف الجمهوري»، وسعيد سعدي وحزبه البربري «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية»، وحزب آية أحمد وإن كان بنسبة أقل، وحزب زروال وأويحيى «التجمع الوطني الديمقراطي»، وحزب بوكروح المتلبّس بنوع من السمة الإسلامية زعم، وما شابهها، بالإضافة إلى القوة الكبرى المتمثلة في «الاتحاد العام للعمّال الجزائريِّين» الذي كان يرأسه الهالك عبد الحق بن حمودة الحليف الأول لزروال في عهده، وبعض القوى المدنية الاجتماعية والاقتصادية الأخرى.. وأما حزب «جبهة التحرير الوطني» -الحزب الوحيد الحاكم سابقا-؛ فهو أعرق الأحزاب وأكثرها نفوذًا إلى وقت قريب لكن صار يتآكل في السنين الأخيرة، وهو حزب علماني أيضًا، وفيه بعض الشرفاء الوطنيين مع ذلك.

وبالنسبة لبوتفليقة؛ فإنه من رجال الحزب الوحيد الحاكم سابقا، ومن رجال الجيش أيضًا فهو ضابط سابق، ووزَر لهواري بومدين في السبعينات، وهو علماني فرانكفوني يميل إلى اليسار والاشتراكية على الطريقة البومدينية، لكنه سياسيّ ذكيّ وفيه نوعُ تلطّفٍ ومسايسة بالمقارنة بكثيرين غيره.!

وإذا نظرنا إلى العسكر وما يتبعهم من استخبارات فإن قياداتهم بلا استثناء ذي بالٍ من اللادينيين أيضًا المحاربين للدين ممن تربوا في فرنسا وتكونوا أكثرهم في الجيش الفرنسي، وهم المعروفون بالجنرالات، أمثال: خالد نزار -القائد السابق للعسكر- ومحمد العماري -القائد الحالي للعسكر- وعلي كافي، والجنرال توفيق «محمد مدين» وهو رئيس الاستخبارات العسكرية، وعبّاس غزيل، ولامين زروال، وصاحبه ومستشاره محمد بتشين، ومحمد تواتي، ومحمد حردي -قتله المجاهدون على ما أظن-، وسليم سعدي، وطيب دراجي، وخليفة رحيم، والعربي بلخير، وعبد المالك غنايزية، وعبد الحميد جوادي، وقاصدي مرباح -قتله المجاهدون- وغيرهم.

وبالجملة؛ فإن الجزائر يحكمها مجموعة كفار مرتدون عن دين الإسلام، لا شك ولا مرية.

هم المسيطرون عليها وأصحاب السلطة والتمكن فيها.

وإنما ينكر ذلك ويستعظمه من لا يعرف حقيقة حالهم ولا خبرَ واقعهم، لا سيما ممن يعيش في بيئات

محافظة ولم يعرف مثل هذه النماذج!

والذي ننصح به من كان بعيدًا إن لم يسلّم بتكفير هؤلاء فعلى الأقل فليسكت وليقل لا أعرفهم.

وقد رأيت بعض أهل العلم من السعودية يُسأل مرة عن حكام الجزائر فقال إننا لا نستطيع أن نكفرهم، وقرر أنهم مسلمون على الأصل!

وهذا ليس بسديد من هذا العالِم الفاضل، لأنه لا يعرفهم ولا يعرف أحوالهم ومذاهبهم وما يفعلون، فكان عليه أن يقول: لا أعرفهم، ولا أتكلم فيما لا أعرفه.

وبالمناسبة فإن هذه الفتاوى لبعض العلماء من بعيد تسبب نفورا عنهم من قِبَل المجاهدين وكثير من المسلمين حتى العاديين، وقد رأينا هذا عيانًا.

وكأني بمعترضٍ متسرّع هنا يقول لي: أنتم تريدون من العلماء أن يمشوا على أهوائكم!!

وهذا باطل، نحن لا نقوله ولا نطلبه، معاذ الله.!

بل نقرّ ونؤمن أن واجب العالِم أن يقول الحق الذي عرفه، وما أداه إليه اجتهاده، ويصدع بما أمره الله به، غير ملتفتٍ إلى هوى أحدٍ، وأن يتقي الله ما استطاع.

ولكن إنما خطّأتُ قول العالم المشار إليه من وجهين:

الأول: أنه عندي خطأ في نفس الأمر لا شك فيه.

الثاني: أنه كما قلتُ؛ كان ينبغي أن يقول إنه لا يعرفهم، ولا يتكلم فيهم وهو لا يعرفهم.

فإن قيل: هو جرى على الأصل، والأصل فيهم الإسلام، فلا لومَ عليه.

قيل: لا يصلح هذا هنا.

لأن هذا العالم يعرف أنه قد قيل بتكفيرهم، وأنهم متّهمون بالكفر والزندقة والخروج من الدين ومحاربته، وأن هناك جماعة من المسلمين كبيرة ترى كفرهم وتقاتلهم، وفيها مشايخ ويؤيدهم بعض العلماء، ثم هو يعلم أن الكفرَ والخروج من الإسلام قد عمّت به البلوى في بلداننا في طبقة الحكام فكيف يتسرّع ويحكم لهم بالإسلام بمجرد استصحاب الأصل، ما أضعف هذا! هذا مع ظهور كفرياتهم القولية منها والعملية وموالاتهم للغرب وتحكيمهم لغير شريعة الله، وحربهم للدين وأهله.. الخ. ثم عليه أن يعلم أن فتواه هذه ستصل إلى الآلاف من المجاهدين لذلك الحاكم والنظام الكافر؛ فماذا ينتظر منهم أن تكون ردة فعلهم على فتواه إلا مزيدًا من النفور والاتهام للعلماء بأنهم في وادٍ والناسُ في وادٍ، فكان عليه أن يراعي ذلك كله، ويتلطّف ويحسن دعوة الخلق، وأفضل سبيل إلى ذلك -ما دام هو لم يعرف ردّتهم- أن يقول: لا أعرفهم ولا أتكلم فيما لا أعرفه، ويُحتاج إلى النظر في أحوالهم

وبحث قضيتهم جيدا، ويُحيل إلى علماء ذلك البلد ومن قاربهم ممن عرفه وعرف أهله جيدًا، أو ممن اطلع جيدا على حالهم ودرسه وأحاط به.

هذا أفضل جواب في حقه وحق من كان مثله بعيدًا، وهذا هو الأفق للمصلحة والأقرب لأصول العلم، والله أعلم..

وهذا النقاش وهذه الملاحظات مما نحرص أن نوصله إلى علمائنا ومشايخنا وفقهم الله وسددهم.

وأما النظام؛ أعني منظومة الفكر والقيم والدستور والقوانين والأحكام والعلاقات التي تحكم البلد فهي محتوية على الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان.!

فإن قوانين البلد مستوردة أصلا من القوانين الأوروبية، وهي تنصّ على الكثير من المسائل المصادمة لنصوص الشريعة ولإجماع المسلمين، في العديد من المسائل في المعاملات والأقضية.. وتفاصيل ذلك تطول.

ودستور الدولة يجعل الشريعة الإسلامية المطهرة واحدًا من مصادر التشريع كغيرها من المصادر، يعني يؤخذ منها ويستفاد، بل ويمكن لرجل القانون أن يلجأ إليها في الحكم -كأحد المصادر- في حالة وجود ثغرة قانونية مثلا، ولكن من دون التزام بالحكم بها وعدم تجويز الخروج عنها.!

وأما ولاؤهم للغرب وكفرهم الاعتقادي العلماني والقومي وغيره، وحربهم للدين ولأهله واستهزاؤهم به؛ فهذا يعرفه كل من عرفهم، ولا يخفى على متابع عارف بزمانه.

والله المستعان وإليه المشتكى.

ونسأل الله أن يعجّل بزوالهم ويريح المسلمين من شرهم.

وأن ينصر المجاهدين عليهم بمنه وكرمه إنه وليّ حميد.

❑❑❑

[*السؤال العشرون*: **الرأي بكتاب «ثمرات الجهاد» للشيخ أبي محمد المقدسي**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: فضيلة الشيخ؛ ما رأيكم بكتاب «ثمرات الجهاد» للشيخ أبي محمد المقدسي وفقه الله، وسلمه من كيد الأعداء.. آمين.

الشيخ عطية الله:

إذا كان المقصود مقالات الشيخ «أبي محمد المقدسي» وفقه الله التي عنوانها «وقفات مع ثمرات الجهاد»؛ فرأيي أنها مقالات طيبة ومفيدة نصح فيها الشيخ وأجاد بارك الله فيه.

وإن كانت هناك بعض الملاحظات فهي في الأمثلة التي يسوقها الشيخ؛ فبعضها غير مسلّم دخوله فيما أدخله فيه وهي محلّ اجتهاد، كما أنه ينوّع الأمثلة من هنا وهناك فيتوهّم القارئ في بعض فقراته أنه يقصد العراق مثلا أو «القاعدة»، ولكنه إنما يعني في كثير من أمثلته مجموعة من الشباب حاولوا القيام ببعض التفجيرات في «عمّان»!! لأن الشيخ يقصد إلى المعاني المجردة بقطع النظر عن الفاعل.

وليته وضح مراده أكثر في بعض الأمثلة.

وهو تكلم عن «القاعدة» على أساس أنهم متقنون محترفون..

كما أن بعض تنبيهات الشيخ ووصاياه تحتاج إلى تقييدات أدق، وعلى سبيل المثال: كلامه عن التهديد والوعيد متى يحسن وفقه ذلك، ومجمل ما قاله صحيح متفق عليه، لكن يحتاج إلى بعض إضافات وتقييدات؛ كالقول مثلا بأنه قد يحسن التهديد في حالات خاصة حتى من فاقد القدرة على الفعل والضرب، بشرط أن يعلم أن عدوّه يجهل أنه فاقد للقدرة على الضرب، بحيث أنه وصل بعد دراسة وبحث إلى أن التهديد سيجعل خصمه يتوقف عن بعض الشر ويندفع إلى ارتكاب أعمال معينة مرادةٍ لنا نريده أن يسقط فيها، أو يخاف وينقمع ويرتدع وينزجر، أو يخسر خسائر مادية كبيرة أو نحو ذلك.

وكذلك الكلام عن الاشتغال ببعض الجبهات وقتال الشيعة، يحتاج إلى تفصيل وإلى رجوع إلى أهل الميدان.!

وكلامه في «الوقفة الرابعة» عن الانتفاش والغرور والظهور بصورة أكبر من الحقيقة وعن التهديد والوعيد قد يفهم منه أنه يقصد «القاعدة» أو «الزرقاوي».. لا أدري!

وعلى كلٍ؛ كلامه على التجريد جيد لا أظنه يخالفه فيه الكثيرون، ولكن عند النزول للواقع والميدان الحقيقي، وتحقيق ما إذا كان الذين قصدهم هم كذلك أو لا؟ فهذا مجالٌ آخر، وقد يتبيّن أن حظ الشيخ «أبي محمد» ليس بأكثر من حظ من ينتقدهم من فقه المسألة والتوفيق فيها، وأنه لو وضع مكانهم لما عمل أفضل منهم، فإن ممارسة السياسة في الواقع غير الكتابة عنها، والتوفيق بيد الله وحده، والله أعلم.

نسأل الله أن يلهمنا وجميع أحبابنا الصواب ويرزقنا السداد.

ونسأل الله تعالى أن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان.

❑❑❑

[*السؤال الحادي والعشرون*: **الرد على الأخ «أبي طواري» المعترض على الشيخ «عطية الله» وعلى الحركة الجهادية**]

❁ **شبكة أنا المسلم**: دار في الصفحات كلام طويل للأخ «أبي طواري»، يعترض فيه على الشيخ «عطية الله»، وعلى الحركة الجهادية، وذكر فيه عدة مسائل ناقش فيها الشيخ؛ فما جواب الشيخ على كلامه؟ وحبذا لو أفرد لهذا الموضوع شيئا من التفصيل؟

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، توكلت على الله، اللّٰهم يسّر وأعن..

قد وقع لي مع الأخ «أبو طواري» عدة نقاشات سابقة، ويبدو أننا لم نصل لتحرير محل النزاع جيدا، وتحديد نقاط الخلاف بدقة، وصعُب علينا أن يفهم بعضنا بعضا فهما حسنًا بسبب ضعف قناة التواصل؛ فالكتابة لا تفي بالمقصود كاملا في مثل هذه الأمور.. والأخ «أبو طواري» عنده أفكار كثيرة جيدة وأنا وجدت نفسي متفقا معه في الكثير، لكن أيضا هناك بعض الأفكار الرئيسية هو يؤمن بها لا أراها إلا مجانبة للصواب.!

وقد رأيت أن أجمل بعض ما فهمتُ من أفكار الأخ الكريم، لأن اعتراضه هو جزء من فكرة شاملة، تختلف كثيرًا مع فكر الجهاديين.. وله أن يردّ في صفحة التعقيب أو في أي موضع يشاء، ومرحبا بالمناقشة معه ومع كل إخواننا على قاعدة المودة والمحبة والإخاء والاحترام.

فأخونا أحيانا يريد العلماء أن يقودوا الجهاد.. قلنا له: إن العلماء لن يقودوا الجهاد، ولن يستطيعوا، فلا تطمع في هذا، وإن العلم والسياسة -ومنه العمل الجهادي اليوم- انفصلا منذ ما بعد عصر الصحابة إلا ما شذّ.! وقسط كبير من اللوم واقع في هذا على العلماء أنفسهم، وإنه قد كانت الفرصة سانحة للعلماء في وقتٍ من الأوقات فقصّروا إلا من شاء الله؛ فتكون في ساحة العمل الإسلامي والجهاد قيادات أخرى غيرهم غالبهم ليسوا متخصصين في العلوم الشرعية، لكن هذا في حد ذاته ليس عيبا؛ فهم رجال سياسة وحربٍ، وعليهم أن يسألوا العلماء عما جهلوه من أحكام الشرع التي يحتاجون إليها، ويشاوروا أهل العلم والفكر والرأي.. الخ.

ما تكلمنا فيه كثيرا، ومع هذا فالفرصة مازالت -ولن تزال إن شاء الله- متاحة للعلماء أن يقتحموا ساحة الجهاد مع إخوانهم ويقودوا المسيرة، القيادة العملية أو العلمية أو هما معًا، والله يرفع من يشاء

ويفتح على من يشاء ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت].

ومرة يريد الأخ أبو طواري من القاعدة أن تترك الأمر وتنزع القميص الذي ألبسها الله إياه، وتأتي منكسرة معترفة بخطئها وتعتذر عن افتئاتها على الأمة -كذا!-، وعدم مشاورتها للعلماء وإدخالها الأمة في حربٍ ليست متكافئة وهي لم تستعد لها.. الخ.

وهذه الأخيرة هي فكرة جزئية تحتاج إلى بحث ومناقشة أيضا، وتقول للعلماء -الذين يُحددهم «أبو طواري»- أنا بين أيديكم قولي لي ماذا أفعل..! وقد ينصحها أولئك العلماء بحل نفسها وتسليم كل أفرادها أنفسهم لوليّ الأمر!! وإنما قلت: «العلماء الذين يحددهم أبو طواري»؛ لأن أخانا «أبا طواري» لا يقنعه أن تشاور القاعدة بعض العلماء في شرق الأرض أو غربها، ولو نفرًا قليلا منهم، ولو سرًّا لضرورة الواقع المعروفة، ولمحاربة أولياء الأمور للقاعدة وللمجاهدين حيث كانوا، لا يقنعه ذلك حتى تستشير جماعة مخصوصة معروفة مشهورة، هم الجمهور الذين يدور عليهم الأمر عنده..!

ومرة يقول إنه مع الجهاد ومع المجاهدين، ولا ندري مع أي الجهاد والمجاهدين هو؛ لأن الجهاد هو واقع في الميدان، فهو إذا أخرج القاعدة ومن قاربها ووالاها من الجماعات في أنحاء الأرض اليوم، فلن يبقى معه -كما ترون في كلامه- إلا حماس والجهاد في فلسطين على ما فيهم، بارك الله فيهم، ثم لا يجد ما يمدح به هاتين الجماعتين المجاهدتين إلا أنهم لم يكفروا عرفات وأبو مازن ولم يتبرأوا منهما ومن السلطة الفلسطينية الكفرية -لم يستعدوا حتى العلمانيين المصرّحين بعلمانيتهم-! فهو يجعل هذا الشيء الذي قصاراه أن يكون إخواننا في حماس والجهاد الإسلامي معذورين فيه يجعله من أكبر مناقبهم ويمدحهم به يقول إنهم هم المجاهدون حقا من أجله..!

وفهمتُ أن «أبو طواري» يعتقد أن الأمة الآن ضعيفة لا تقوى على محاربة عدوّ، ويقول: إن نسبة الملتزمين في الأمة لا تتجاوز عشرين في المائة، ويظن أنهم لذلك لا يقدرون على ما تدعوهم إليه القاعدة من جهاد وتغيير..!

وغفل عن قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقول نبينا ﷺ: (**ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة**)[1]، وأن هؤلاء العشرين في المائة هم من يحرك المليارات وراءهم وأن هذه هي سنة الله في خلقه منذ أول تاريخ البشرية وصراعات أممها وحروبهم، الغالبية الساحقة من البشر يُساقون سوقًا ويحرّكهم ويقودهم أفراد قليلون، ولم يدرك «أبو طواري» أن الملتزمين أكثرهم لا

(١) سنن أبي داود (٢٦١١)، سنن الترمذي (١٥٥٥) وصححه الألباني.

يجاهدون، وإنما يجاهد عند الفزعة والهيعة وعندما يحصص الحق المسلمون العاديون البسطاء الذين لا ندخلهم اليوم في دائرة الملتزمين ولا يشملهم إحصاء «أبو طواري»، أولئك المسلمون الذين لم تتلوث أفكارهم بالوساوس ولم تذبل عزائمهم بالحسابات المعقدة، والذين هم ذخيرة الإسلام، شبابًا وشيبا، ونحن رأينا هذا وعشناه؛ فاسأل به خبيرًا، ولله الحمد والمنة!

ويعتقد أبو طواري أن ما يسمّيه بـ«الصحوة» المباركة ولا ندري ما هي حدودها عنده؟ هي ثمرة جهود مجموعات من العلماء والدعاة وأنه علينا أن نترك لهم الأمر حتى يكملوا هم المسيرة والقيادة، وهذا القول باطلٌ، ولعلي أناقشه في فرصة أخرى، ويكفي على الجملة أن يقال في ردّه: إن الصحوة الإسلامية وهذه النهضة واليقظة التي شهدتها أمتنا في عقودها الأخيرة هي نتيجة تراكمية لجهود وأعمال وجهاد الكثيرين من العلماء والدعاة والمجاهدين وقوّالي الحق والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأهل التضحية والفداء والابتلاء في أنحاء الأرض، وليست نتيجة عمل فرد أو مجموعة أفراد محصورين معينين حتى يحاجُّونا بأن نترك لهم الزمام، بل إن أولئك الذين يشير إليهم «أبو طواري» ليسوا إلا ثمرة من ثمرات دعوة وجهود من قبلهم ومن سبقهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ثم هو لا يستطيع أن يعيّن ويحدد من هم هؤلاء الأشخاص الذين يريدنا أن نترك لهم الزمام، لن يستطيع!! ثم هم مختلفون بينهم اختلافات كثيرة، ثم هذا باطل لأنه يصادم قاعدة أن الحق هو المتبَع لا الأشخاص، فلو قال لك قائل: أنا أرى أن هؤلاء الذين تشير إليهم أخطأوا وأساءوا -مع كثرة خيرهم أيضا ولا نبخس أحدًا حقه- فكيف تأمرني أن أترك لهم القيادة وهم ليسوا أهلا لها وقد وُجد من هو أفضل منهم وأولى؟ وهل نستمر على أخطائهم وزلاتهم وقصورهم أو نصحح ونتبع الحق؟ ثم لو جئنا نحدد من هم هؤلاء الذين بنوا الصحوة كما يقول لربما وجدنا «جماعة الإخوان المسلمين» -وهذا من الإنصاف لهم- هم من أوفر الناس حظًا في بعث الخير في الأمة في قرنها الأخير بارك الله فيهم وتقبّل الله منهم وعفا عنهم، حتى إن جماعة من علمائهم لما قوي هذا المعنى عندهم واستولى على فكرتهم قالوا بأن «جماعة الإخوان المسلمين» هي الجماعة التي مَن خرج عليها فقد خرج على الجماعة وخلع ربقة الإسلام من عنقه! -وهو قول باطل بلا شك- وسمّوها «الجماعة الأم» و«جماعة المسلمين» وغير ذلك، أو نقول: دعوة وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأصحابه النجديين، وأنت ترى أن من تشير إليهم اليوم مخالفون للشيخ محمد بن عبد الوهاب في الكثير.!! -حتى إن أحد كبار الطائفة التي يشير إليها «أبو طواري» ينصح الآن بترك الاشتغال بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀، أو التقليل منها، ويرى فيها غلوًا، ونسأل الله الستر والعافية-؛ فكيف يخالفون هم من سبقهم ولا يريدون

لمن بعدهم أن يخالفهم، هذا ليس عدلا! وتكفي هذه الإشارات.

ويدندن أبو طواري كثيرًا حول السنّ والخبرة وما قاربها من المعاني، وهذا شيء لا نخالفه فيه بل نوافقه في أهمية كبر السن والتجربة في الحياة وفي مداولة المسائل وطول الزمن في دراسة العلم والفكر، وحديث (**حدثاء الأسنان**..)(١) يُرعبُ قلب كل مؤمن، ولكن أيضا نحن نعرف أن العمر لا اعتبار له في إصابة الحق، وأن الحق أحق أن يتبع، ولا نظر في العلم إلى كبير أو صغير، ونعرف أن زعيم علماء الأمة الذي روي أنه يأتي أمام العلماء بكذا يوم القيامة وهو معاذ بن جبل توفّي وله بضعة وثلاثون عامًا من العمر في الدنيا، وشيخ الإسلام ابن تيمية كان إماما مفتيا وجلس لدروس التفسير يحضر له العلماء وعمره إحدى وعشرون سنة، وذلك كثير جدًا في العلماء وفي القادة العسكريين والسياسيين، وحتى بعض من يشير إليهم «أبو طواري» تصدّروا وصاروا مدرسةً في الحركة الإسلامية وهم في الثلاثينات من أعمارهم.!

صحيح أننا نوصي أنفسنا ونوصي إخواننا الطلبة بمعرفة قدر أنفسهم وأن لا يتقدموا من هم أعلم وأعرف وأكبر منهم سنًا.. الخ، وهذه من أصول تربيتنا، ولكن أيضا من الحق الذي نؤمن به وندعو إليه أن الحق إنما يعرف بدليله وبرهانه لا بقائله؛ فكبر السن أو صغره والشهرة أو الخمول ونحوها لا يعارض بها البرهان عند البحث والمناظرة، إنما المقارعة بالبرهان وحده.!

وأما ادعاء الإجماع فخطأ واضح اجتنبه الأخ «أبو طواري» واستعاض عنه بمسألة الكون مع الجمهور الأعلم والأعرف والأكبر سنًا وخبرة وتجربة والقول باحتمال الخطأ والتراجع من طالب العلم... الخ.

ونحن نقول له: إن احتمال الخطأ والتراجع من الجميع وارد وإن زاد هذا على هذا، وإذا كان من أسباب ذلك لدى الشابّ صغر سنه فعند كبار السن أسبابٌ أخرى تقاربه أو تربو عليه! وبكل حالٍ فهذه مسألة تربويةٌ ينصح بها الإنسان نفسه وإخوانه ويعتني بها مريد الخير في خاصة شأنه، لكن -كما قدمت- لا تُعارض بها البراهين عند البحث والتحقيق.

ثم مسألة الخبرة التي يتكلم عنها تحتاج إلى ضبط؛ فكم رأينا شابًا في العشرينات والثلاثينات عنده من الخبرة في الحياة وإدارة شؤون البشر وسياستهم ما يفوق أصحاب الستين، لأنه خاض التجارب وخالط وتخصص وقرأ في هذا المجال واعتنى به، وأولئك لم يخالطوا ولم يجربوا ولا اعتنوا فمن أين تأتي

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٥٧، ٣٦١١) وزاد: (سفهاء الأحلام).

الخبرة؟ أمن مجرد الجلوس وإن لطلب العلم؟ فقد يقول لك قائل الآن على سبيل المثال إنه يعتقد أن يوسف العييري ﷺ ورضي عنه أعظم خبرة وأوثق في الرأي من كثير من كبار العلماء بالشريعة الذين تشير أنت إليهم.!!

وهذا الكلام إنما نقوله للاضطرار إليه في المناقشة، وإلا فهو ليس نهائيا وما كان أغنانا عنه! ويحتاج إلى تدقيق أكثر.. والمقصود هنا الحث على المراجعة والتأمل.

وأما الإلزام بالأخذ بقول الجمهور فهو باطلٌ، إذا ظهر الدليل ولاح البرهان، وفي المسألة تفاصيل. ولعلي أزيده إيضاحًا فيما يأتي إن شاء الله، أو في فرصة أخرى.

وقلت لأخي «أبو طواري» في مرة سابقة إن قول الجمهور في مسألة الخروج -على الحكومة- قوي في الاعتبار، لأنها مسألة راجعة إلى تقدير المصالح والمفاسد والنظر للإسلام والمسلمين؛ فالرأي فيها رأي الجماعة، وترك الشذوذ والتفرّد هنا مؤكد أيما تأكيد.. لكن لا يمكن أن تحتج على معتقد كفر فلان أو علان برأي الجمهور، ما دام قد ظهر له الحق واتضح لديه.

والله أعلم، وهو وليّ التوفيق.

والآن نأتي لبعض التفصيل:

قوله غفر الله له: «المشكلة أن الشيخ ينطلق من أصل يسلّم به وهو تكفير الحكام -بدون استثناء- وهو ما يخالف به كبار العلماء السلفيين: -ابن ابراهيم، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني وغيرهم- وهؤلاء العلماء فضلا عن فارق العلم والتأصيل والسن والخبرة والتجربة والحكمة والاطلاع والاختصاص وشهادة القريب والبعيد لهم، والقبول فهم أيضا أقرب إلى حكام الجزيرة، وأكثر اطلاعا بأضعاف ما عليه الأخ الكريم» اهـ.

التعليق: أولًا لا أريد أن أنجر إلى الكلام في الحكومة الفلانية لأن هذا ليس موضعه ولن أكون في موضع نَصَفٍ في نقاشه، وأحتفظ برأيي فيها.

ولكن قوله «تكفير الحكام بدون استثناء»، هذا غلطٌ عليّ، ولن يجد «أبو طواري» تصريحا لي بذلك أبدًا؛ فأنا لا أعرف أنني قلت في حياتي ربما: كل الحكام، وإنما عبارتي دائما هي أكثرهم وأغلبهم ونحو ذلك، وذلك للاحتراز ممن لم أعرفهم، وممن وقع الخلاف فيهم، واقتداء بالكتاب العزيز كما في قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨﴾ [التوبة] ونحوها، وفي ذلك بركة وكفاية.

وذكر الشيخ ابن إبراهيم ﷺ هنا هو مجرّد تهويل لا غير!! فالشيخ ﷺ متوفى منذ ما يقارب الثلاثة عقود؛ فكيف يقال إنني خالفته، وهل حضر الشيخ حرب أفغانستان والعراق و«مؤتمر مكافحة

الإرهاب»؟ الشيخ ﷺ إنما رأي في وقته بعض الانحراف وبداياته وكان ذلك من خلال قوانين «الغرفة التجارية»، فتكلم فيها ونصح ونصّ على أن بعض تلك المخالفات كفر مخرج من الملة؛ لم يكفر الأشخاص.. نعم، لكن هل عدم تكفير الأشخاص يستمر إلى ما لا نهاية؟ ثم كيف لو رأى اليوم ما آلت إليه «الغرفة التجارية» من تطورات، وقوانين النشر والإعلام، وصروح الربا المصرّحة بناء على قوانين «الغرفة التجارية»، وكيف لو رأى الموالاة والمظاهرة في أظهر صورها للصليبيين على أهل الإسلام، وكيف لو رأى المودة المكشوفة، وغيرها وغيرها..؟!

إن كانت الظنون تنفع؛ فظني أنه لو كان بيننا لكان رأيه أقرب إلى رأي عبد الله الرشود!

والشيخان ابن باز وابن عثيمين والشيخ الألباني ﷺ لم يشهدوا أيضا ما بعد «احداش سبتمبر»، ولهم آراء واعتذارات معروفة عن القوم، ليس من شرط المؤمن أن يوافقهم عليها، وإلا فانظر إلى كلام ابن باز ﷺ مجردًا في مسألة الإعانة والمظاهرة؛ فهو من أقوى كلام تجده في كتب أهل العلم على الإطلاق، وأما عند التطبيق على الواقع فيقع الاختلاف.

وما على المؤمن -عالم أو طالب علم أو عاميّ- أن يخالفهم في اعتقاد كفر فلان أو عدم كفره حين يرى الحق ويتضح له البرهان؟

ولكني أنصفك أخي الكريم، أنا أترك لعلماء السعودية وأهل الرأي فيها الكلام في حكومتهم ولا أتكلم فيها.

والتخلص من السؤال عنها أمرٌ سهل ميسّر، بالقول إنني لا أعرفها جيدًا، وبعيد عنها، ولم أبحث أمرها جيدا لأنني لست مبتلىً بها، وأحيل إلى علماء البلد وأهل الرأي فيه؛ إذا كان ذلك يقرب بيننا وبين إخواننا وأحبابنا.

وهل رأيتني أفتتح المواضيع وأدعو إلى اعتقاد كفرها؟ أبدًا ما فعلتُ هذا لا في هذا المنتدى ولا غيره، ولا أراه مما يهم جدًا، والخروج عليها لو شووِرتُ فيه لما أمرتُ به، وإنما لما وقع فأنا لا أنصر ظالمًا اختلف الناس في كفره وخروجه من ملة الإسلام وبحثوا في أمره -على الأقل- على شباب الإسلام أهل الدعوة والجهاد؟ هذا خلاف ديني، معاذ الله!! فإما أن أسكت وأعتزل، وإما إن اضطررتُ للكلام أن أنصف أهل الحق وأدعو لهم وأنصرهم بكلمة حق وإنصاف.

والذين وقفوا مع الحكومة التي ذلك وصفُها ضدًا للشباب بحجة أن الشباب فجروا وقتلوا بعض المسلمين في حربهم مع الحكومة -وقد قَتل عبد العزيز بن سعود أضعاف أضعاف ما قتلوا- فقد صرّحتُ بأني أراه خطأ، وأنا أعتقد أن ما يحمل الكثيرين منهم على ذلك هو الخوف على مشاريعهم

وعلى أنفسهم وعلى أمنهم وراحتهم، هذا ظني للأسف وأرجو أن أكون مخطئا، لكن ماذا نفعل في هذه الأزمان أزمان الفتنة؟!

وقد أرى في الحوارات في هذا «المنتدى» أو غيره من يدعو إلى حسن الظن بأولئك الحكام ويثني عليهم ويحاول تحسين صورتهم؛ فأرى حقا عليّ ودينًا لله تعالى وتقىً أن أقول كلمة حقّ وأردّ ذلك الباطل وأبيّن أن هؤلاء الحكام هم أولياء للذين كفروا، وقد حسموا أمرهم واختاروا خيارهم وهو الوقوف مع النظام العالمي تحت قيادة العاهرة أمريكا، ولا يرجى منهم خيرٌ ولا صلاح ولا إصلاح، نصحًا للأمة ودفعًا لغشّ الغاشّين لها.! وإنما هي كلمة حق نقولها لعلها تهدي إلى هدىً أو تردّ عن ردىً، وقد ينتفع بها واحدٌ من مئات القارئين، والهداية من الله وحده: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:٩].

وقد كنت مشرفا في أحد المنتديات وكانت عندي كل الفرصة لأكتب في تكفير الحكومة الفلانية أو غيرها، وما كتبتُ شيئا، لأني لم أرَ ذلك صلاحًا ولا زيادة فضلٍ، لا سيما مع أناس عندهم من التكفير ما يكفي ويُخشى عليهم من الزيادة، وهم أحوج إلى من يعينهم على الاعتدال والتوسّط والتريّث.. وكنت عندما أكتب في «منتدى الأنصار» ونحوه من المنتديات التي يغلب عليها نصرة المجاهدين ويكثر فيها الميل إلى التكفير واستعمال ألفاظه أتشدد أكثر في النهي عن التكفير وإحراج من يطلق ألفاظه بالأسئلة والتدقيقات لكبح جماحهم عن بعض الغلو والمبالغة، وذلك مما أراه من الفقه ولله الحمد، وكنت في بعض الأزمنة مع المجاهدين في الجبال؛ فكانوا يبالغون في أشياء منها لبس العمامة حتى يجعلونها كأنها واجبٌ ينكرون على من تركها، فكنت أتعمد تركها وحسر الرأس أو لبسَ شيء آخر قلنسوة أو نحوها لأجل معادلة تشددهم وتنطعهم، وردّهم إلى شيء من الاعتدال، وقد لاقيت أنا وقلة من أمثالي من العنت والقهر في ذلك ولله الحمد..

وكان هذا من فقه السلف ﷺ: كان أيوب السختياني يرسل ثوبه إلى حدِّ الكعبين فقيل له فيه؛ فقال: «إن الشهرة اليوم في التقصير»(١)، واشتهر استعمال هذا الفقه عن الإمام مالك ﷺ، حتى انتقد عليه بعض الفقهاء مبالغته فيه وأنه عارض به النص في بعض المسائل.

والحاصل أن الاشتغال ببيان كفر بعض الناس من حكام أو غيرهم ممن ارتكبوا الكفر هو ككثير من الأحكام والبيان، يكون بحسب الحال والأشخاص وما يناسب أن يعطى لهم من البيان والهدى

---

(١) قال ابن الجوزي في: صيد الخاطر (ص ٢٦٤): «وقد كان أيوب السختياني يطول قميصه حتى يقع على قدميه، ويقول: كانت الشهرة في التطويل، واليوم الشهرة في التقصير».

ويربّون عليه.. وبالله التوفيق.

والمشكلة يا «أبا طواري» ليست في تكفير الحكومة السعودية أو عدم تكفيرها، لنترك هذه وسلّمنا أنها مسألة خلاف والأمر فيها ليس واضحا وضوحه في غيرها، وسلّمنا لعلماء السعودية اجتهادهم وهم أهل الأمر هناك، لكن ما قولكم في القذافي، وحسني، وزين تونس، وحكام الجزائر، والمغرب، وبرويز مشرف وأمثالهم؟!

وهذه حكومة الكويت جارتكم وأمثالها.. ما قولكم فيها؟

هل ترى أن أقوال العلماء في أمثال هؤلاء تشجّع على قبول قولهم في حكام السعودية؟!

المشكلة أيضًا يا أخي «أبا طواري» أنك تحصر نفسك وتحصر العالم كله معك في «السعودية» وأولياء أمورها.!! وسّع أفقك يا أخي وانظر إلى أرض الله الواسعة.

حقا بلاد الجزيرة وأرض الحرمين مهد الإسلام ومأرزه وبيضته، ولا نهمل غيرها، والزمان مراحل والأيام دول، وقد تكون فترة من التاريخ يتحول قطب رحى السياسة والملك إلى حيث شاء الله.

ثم اتركنا من تكفير أعيان الحكام المشار إليهم، لكن لنتكلم في المطلق -عن الفعل-؛ هل وقع منهم الكفر البواح؟! لا أريد نقاشها هنا، ولكني أكتفي بالتنبيه بالسؤال.

قوله: «ولذا تجد الشيخ يعتذر دائما عن المقدسي مع ما قاله المقدسي من ألفاظ غريبة جدًا يعتذر له لأن المقدسي له جهود!! طيّب؛ القرضاوي له جهود، والطنطاوي له جهود؛ فهل قاس تلك الاعتذارات عليهم!! ولكن لأن الأصل لدى الشيخ هو تكفير الحكام -مطلقا-.. فلا خلاف في الفروع إذًا» اهـ.

التعليق: ينعى عليّ الاعتذار عن الشيخ المقدسي، ويلزمني بالاعتذار عن الطنطاوي وغيره.! فسبحان الله! ويخرّج اعتذاري عن المقدسي على موافقتي له في تكفير الحكام!

وهذا خطأ عليّ أيضًا.. ولا حولا ولا قوة إلا بالله.

فأنا أعتذر كثيرا أيضا للشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي وغيرهم، وأعتذر عن الشيوخ ابن باز وابن عثيمين والألباني كل علمائنا فيما أخطأوا فيه؛ فأين تكفير الحكام؟ سامحك الله، هذا ظلم.

المقدسي رجل توحيد وعقيدة وإيمان نحسبه كذلك، ورجل دعوة إلى الخير وصدع بالحق وجهاد به، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.. لا ينكر هذا ويغمطه حقه إلا جاهل أو مكابر رقيق الدين.!

وهو من أحق من يعتّذر له في أخطائه، وخطؤه في سبّ بعض العلماء والطعن فيهم بعبارات شديدة قاسية خطّأناه فيه وأنكرناه عليه، ثم اعتذرنا له بحسن بلائه في الدعوة إلى التوحيد ومجاهدة الطواغيت

وكشف باطلهم، وأنه ما دفعه إلى تلك العبارات القاسية إلا الغيرة على الدين والحمية له لا نشك في ذلك، واعتبرنا ما صدر منه من جنس قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: «ولكنك منافق تجادل عن المنافقين»[1]، وقلنا إن الشيخ صار يجتنب هذا والحمد لله وصار أكثر اتزانا في عباراته، وفقه الله.

فأين هذا من القرضاوي والطنطاوي؟ ؟ سامحك الله.!

ثم إنني مع هذا كله أعتذر عن القرضاوي في كثير من أخطائه.

وأما الطنطاوي فهو عندي خارج الدائرة ولا شأن لي به.

قوله: «المشكلة التي تدمي القلب هي ربط الجهاد بأشخاص معينين.. وعزل العلماء عن الجهاد! وهذا خلاف الواقع؛ فالمجاهدون لا يكفرون، بل لا يشتغلون بذلك عما هم عليه ويستشيرون العلماء، والعلماء مع الجهاد في أفغانستان والبوسنة والشيشان، والصومال، والآن في العراق وأفغانستان، هم مع الجهاد وبحكمة كحكمة الإخوة المجاهدين في فلسطين، حيث لم يستعدوا حتى الذي يصرح بالعلمانية -عرفات- لأنهم يعرفون الأهم والمهم.. كان هذا الوضع هو السائد -وما زال كثير من المجاهدين على هذا الحال نسأل الله له النصر والثبات-، ولكن هناك مجموعة من المجاهدين يشغلون أنفسهم بمسائل التكفير وهم ليسوا أهلا لتناول تلك المسائل -علميا ومعرفيا- وهذا ما حاد بهم عن الجادة، وترى بعينيك وتسمع أذنيك نتائج تلك الحيدة وسياسة الاستعداء وآثارها السلبية حتى على المجاهدين أنفسهم» اهـ.

التعليق: هذا كلام عجيب، فيه خلط وفيه ما هو باطل.

فلقائل أن يقول لك: المشكلة التي تدمي القلب هي ربط العلم والحكمة بأشخاص معيّنين!! ومحاولة عزل أهل الخير والجهاد في سبيل الله عن الأمة!!

ولا أدري كيف يريد أخونا الجهاد؟ جهاد بدون أشخاص؟

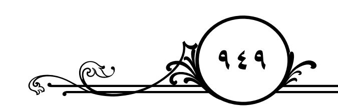
هو الجهاد عبارة عن ناس من بني آدم مسلمون يقاتلون أعداء الله في سبيل الله..! وفي كل عصر وزمان مجاهدون شئت أم أبيتَ هم الظاهرون الأعلونَ، وسأوضحه أكثر إن شاء الله.

وقوله: «المجاهدون لا يكفرون» هذ كلام باطل، ولا ينبغي إطلاقه وليس هو من كلام العلماء ولا طلبة العلم، بل هو أشبه بكلام الجهلة والعلمانيين -اللادينيين- وحاشا أخي غفر الله له!

فالذي لا يكفر ليس بمسلمٍ أصلًا..!

---

(١) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (ص ٣٢٨)، تاريخ الطبري (٢ / ٦١٤)، البداية والنهاية (٦ / ١٩٧).



دين الإسلام قائم على تكفير الكفر وأهله.

والمقصود: بيان فحش الخطأ في هذه العبارة وما شاكلها من إطلاقات.

ولا ينبغي أن ينجرّ إليها العقلاء المصلحون.

وإن كان مقصود الأخ «أبو طواري» هو تكفير مخصوص، وهو التكفير المذموم الواقع بغير حق.

لكن ما هو التكفير المذموم هذا؟ هذا هو ما يختلف فيه الناس، و«أبو طواري» عنده أن تكفير الحكام -ما حدود ذلك؟- من التكفير المذموم، وأن اشتغال المجاهدين بذلك هو فسادٌ.! ولا بد أن يكون عنده تفصيل لكن هو يتجنب التفاصيل هنا ويطلق.

وإذا كان القصد أن تُترك تلك المسائل للعلماء المؤهلين للبتِّ فيها؛ فهذا كلام صحيح.

وهو ما ننصح به ونوصي دائما.

والحمد لله غالب الواقع من تكفير الحكام واقع على هذا السَّنن، إن لم نقل كله.

فلن تجد المجاهدين -شرحت مرارًا من أقصد بالمجاهدين- يكفّرون أحدًا إلا عن قولِ عالمٍ، عرفته أنتَ أو جهلته.!

والخلل الواقع في هذا الباب لا يخرج المجاهدين عن كونهم مجاهدين أهل خير وصدق وحسن بلاء في الإسلام، بل هم من أولى الناس دخولا اليوم في الطائفة الظاهرة المنصورة بلا شك، لله درهم وعلى الله نصرهم!!

فإن التكفير الواقع خطًا عن اجتهادٍ -من أهله ولو واحدًا- وغيرةٍ للدين صاحبُه معذورٌ بل مأجور..!

وإنما المَفتونُ هو الذي تفتنه هذه الهناتُ والأخطاء -على التسليم أنها أخطاء أو بعضها- فيظلم المجاهدين في الحكم وربما عاداهم ونصب نفسه ضدًا لهم وخصمًا وسعى في تشويه صورتهم؛ نعوذ بالله من الخذلان.! ونسأله تعالى لنا ولإخواننا جميعا الهدى والسداد.

و«أبو طواري» يريد من المجاهدين أن يكونوا جنودًا مثل عسكر الحكومة يقاتلون حيث قيل لهم اذهبوا وقاتلوا، ثم يرجعون إلى قواعدهم سالمين ويرحم الله موتاهم، ولا يشتغلوا بتكفير أحدٍ ولا بشيء!! ليس لهم دخل في تلك الأمور، وليس لهم أن يسوسوا الأمة ولا أن يتطلعوا إلى حكمٍ أو يعلنوا حربا أو سلمًا مع أي أحدٍ، إنما هم عسكر فقط.! وليس لهم أن يطمحوا أو يحلّموا بإقامة دولة إسلامية أو ما شابه، هذا أيضا ليس لهم.!

يريد «أبو طواري» للمجاهدين أن يطردوا المحتل، ويقاتلوا أمريكا هناك بعيدًا إن شاءوا في

أفغانستان ونحوها، ثم يتركوا الأمر لغيرهم.!

هذا تصوّر خاطئ جدًا، ولن يلتقي صاحبه مع المجاهدين أبدًا.

بل سيصطدم معهم في بعض الطريق قريبا.!

المجاهدون الآن هم حماة الأمة وهم طليعتها وهم من ساداتها، وهم مكوّن كبير وأساسي فيها، وهم الساعون لاستعادة مجدها، ولهم استقلالهم ولهم رأيهم في كل شيء، إنهم رقم صعب في زمن العولمة لا يمكن تجاوزه!

المجاهدون ليسوا عسكرًا لدولة، لأنه ببساطة ليس للإسلام اليوم دولة للأسف، وما وُجد المجاهدون إلا للعمل على إيجاد هذه الدولة.

إن المجاهدين هم دولة بذاتها إن شئتَ..!

وقوله: «إن العلماء مع الجهاد»؛ أي كانوا مع الجهاد في أفغانستان وغيرها، نعم أكثرهم كانوا كذلك، وكانت العافية غالبة والحمد لله، والآن جاء من التمحيص والمحكات ما محّص الناس وميّزهم، سنةَ الله.. والناس ليسوا كلهم سواء، منهم من هو مجاهد ومنهم من هو مع الحكومات الخائنة ورضي بالدون ومنهم دون ذلك وهم درجات، والمجاهدون يميزون بين الناس علمائهم وعامتهم، ولا لوم على المجاهدين إذا لم يثقوا في بعض الناس وخافوهم أو تركوا استشارتهم لأنهم رأوهم ليسوا جديرين بذلك بسبب مقاربتهم للسلاطين الخونة ونحو ذلك من الأسباب، أنت تلومهم على ماذا؟!

أنا لا ألومهم، وإنما أدعوهم إلى احترام المحترمين منهم وأهل الخير مهما اختلفنا، ولا نبخسهم حقهم ونحاول أن نتألفهم، وندعو إلى حسن الظن والتفاهم ما استطعنا، ونستمر في إيجاد الثقة المتبادلة.. الخ ما كررناه مرارًا.

ثم قوله «إن العلماء مع المجاهدين» نحن لا نريدهم مع المجاهدين فقط، نحن نريدهم أن يكونوا هم المجاهدين، ما رأيك يا «أبا طواري»؟

ومدحه للإخوة المجاهدين في فلسطين تقدمت الإشارة إليه، وأنه لن يستطيع -إن شاء الله- أن يمدحهم بشيء حقيقي من الخير إلا وهو موجود في مجاهدي القاعدة وأوضح وأوفر منه، وأنه لن يهرب من شيء من مجاهدي القاعدة إلا ويقع فيما هو أشد منه عند غيرهم!

وهذه عبارة فيها إجمالٌ فتأملها، وإن شئتَ شرحتها في موضع آخر..!

الكلام عن التكفير فيه تفصيل، فيه حق وباطل.. وقد حصل النقاش فيه كثيرا.

وكذا الكلام عن ما عبّر عنه بـ«الاستعداء»، فيه تفصيل منه ما نوافقه عليه ومنه ما لا، وفي آخر المطاف هي أمور لا تخرج المجاهدين عن كونهم مجاهدين أهل حق واجبٌ علينا جميعا نصرتهم والنصح لهم.

قوله: «عندما تخيّرني بين قول الشيخ ابن باز ﷺ والمشايخ الكبار ممن نعرف علمهم وفهمهم وسلفيتهم وجهودهم وتجربتهم وتقواهم وورعهم وصدقهم -والله حسيبهم- في عدم كفر شخص هم قريبون جدا منه، وبين قول بعض الأخوة في تلك المسألة الحساسة والكبيرة والخطيرة، وهم أقل علما وقربا بمراحل.. لا أظنك تتوقع مني الحيرة في الاختيار.. فضلا عن وضوح أجوبة العلماء.. وغموض أدلة الآخرين، وكما يقال «الشك يفسر لصالح المتهم»، ولأن أخطي في عدم التكفير خير لي من الخطأ في التكفير، وقد اطلعت على أقوال الطرفين.. فلم أشك في خطأ القول بالتكفير، وأنه فتنة يجب التحذير منها -ومن آثارهم تعرفونهم-.. ولكن المشكلة في تقصير كبار العلماء وطلبة العلم في مناقشة تلك الأفكار خلال مثل هذه المنتديات ولا حول ولا قوة إلا بالله.. هذه المشكلة التي تحتاج إلى مراجعة وتأصيل، وليت الشيخ يراجع بها كبار العلماء» اهـ.

التعليق: قوله: «عندما تخيرني..» الخ؛ هذا موقف المقلد المحض، وأنا لا ألوم من كان مقلّدًا أن يقلد الشيخ ابن باز وأمثاله من العلماء الكبار وأكرم بهم.. بل قد آمره بذلك.

لكن من ارتفع درجةً عن هذه المرتبة من طلبة العلم -المتبعين- أو من كان من العلماء المجتهدين، والاجتهاد يتجزأ على الصحيح، فلا يصلح له ذلك، بل عليه أن يعمل بما ترجح عنده بالدليل والبرهان.. وإنما يلجأ إلى تقليد الأعلم والأورع إذا عجز عن معرفة الحق بدليله ولم يستطع الاجتهاد هنا لفقد الآلة أو ضيق الوقت ونحو ذلك، فحينئذ هو كالعاميّ، فواجبه التقليد.

وهذا أظنه من الوضوح لطلبة العلم بحيث لا يحتاج إلى تطويل.

وأما قول أخي إنه «اطلع على أقوال الطرفين فلم يشك في خطأ القول بالتكفير وأنه فتنة يجب التحذير منها» فنقول له: فغيرك من طلبة العلم اطلع ورأى القول بالتكفير أقوى وأصوب وأسعد بالدليل، فما قولك؟!

هل تأمره باتباع ما ظهر له أنه الحق بالبرهان والدليل أو تأمره بترك ما بانَ عنده صحته بالبرهان واتباع قول العلماء؟ ما جوابك؟

إذا قلت بالثاني فأنت مبطل قائل بقول لم يقل به أحدٌ من علماء الإسلام!

ومخالف لأدلة الكتاب والسنة والإجماع.

وإن قلت: بل يتبع ما ظهر له صحته وأنه الحق بالدليل والبرهان بعد أن يكون قد استفرغ وسعه في طلب الحق، فقد حُججتَ.!

ولا ينفعك شيئا القولُ مثلا: أشكُ في قدرة طالب العلم على الترجيح.. ونحو ذلك؛ فهذا يساوي صفرًا في البحث والمناظرة!

تشك أنت أو لا تشك هذا شأنك، وإنما كلامنا على الواجب في نفس الأمر، وكلّ امرئ حسيبُ نفسه.

وأنت لك أن تحذّر ممن شئتَ ما رأيت ذلك دينًا وتقىً لله تعالى، ولكن قبل ذلك اسأل نفسك هل أنت تفعل ذلك على بصيرة من الله؟ أم تقليدًا وتعصّبا وتعظيما لمن تقلّده؟ واستحضر أن العالم المجتهد هو بين الأجر والأجرين، لأنه باحث عن الحق ناصر له قائلٌ به حيث ظهر له، ولكن مقلّده ليس كذلك بالضرورة.! فإن الغالب على المقلدين نصرُ قولِ مشايخهم الذين يحبّونهم ويعظمونهم لمجرد أنه قول مشايخهم.!

لكن قل لي يا أخي، لماذا الاطلاع على أقوال الطرفين وأنت قد حسمتَ أمرك وقررتَ ابتداء لزوم الأخذ بقول المشايخ؟! هل هو للتنفل ولمجرد الاستزادة من المعرفة؟

ثم قولك «وأنه فتنة يجب التحذير منها» أخشى أن يكون في هذا إشارة إلى نوع ميل خفيّ؛ فأرجو أن تتأملها يا أخي.. فإن التكفير إذا صحّ فلا يقال في معارضته: فتنةٌ..!

بل يكون الواجب هو الصدع بالحق، أو السكوت إلى حين أن يفتح الله، والمواراة واستعمال المعاريض، والصبر على تبعات الحق وتكاليف الجهاد، ولا يقال: فتنة فتنة!!

فإن من الناس من تستولي عليه فكرة الخوف من الفتنة دائما حتى يترك كثيرًا من الحق، ويهرب من تحمل التكاليف، والدين إنما هو تكليفٌ.. والله المستعان.

وقول أخي: «ولكن المشكلة في تقصير كبار العلماء وطلبة العلم في مناقشة تلك الأفكار خلال مثل هذه المنتديات» اهـ؛ هذا من الحق.. ولكن أليس من حق العقلاء أن يتساءلوا عن أسباب ذلك؟!

وقد دعي الكثيرون للمناظرة والمناقشة حول هذه المسألة فلم يجيبوا، ألا يدعو هذا للريبة؟

إن الكثيرين من الشباب يقولون: إن المشايخ هربوا من مناظرة المجاهدين لأنهم يعلمون ضعف حجتهم وأنهم لو ناقشوهم أمام الناس لبان ارتباكهم وتلعثمهم في مقابل ظهور حجج المكفّرين للحكومة.! وسيبدون فقط في موقع المرقّع المعتذر في كل أمره.!

وستظهر في المناقشة كثير من الحقائق..

وهذا ليس عندي دليلا على بطلان قول المشايخ، فلامتناعهم أسبابٌ واعتبارات أخرى معروفة، ولكنه يثير شكًا حول قوة قولهم.

وقوله: «وليت الشيخ يراجع بها كبار العلماء»؛ أنا مستعد لذلك، محتاج إليه حقا.. فهل لك في مساعدتي؟!

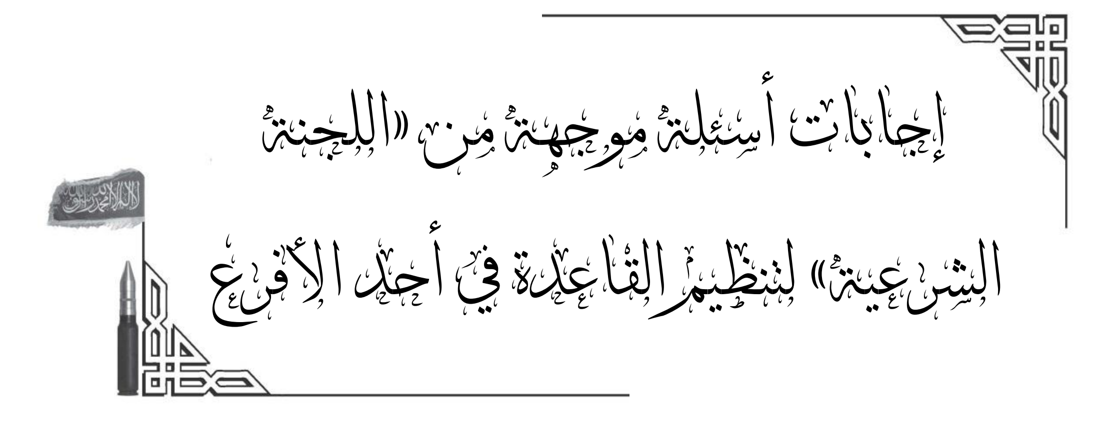
وأقول قولي هذا وأستغفر الله..

ونسأل الله تعالى أن يرينا الحقَّ حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه..

ويغفر الله لي ولأخي ولسائر المسلمين..

اللّهم ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم..

والحمد لله رب العالمين



إجابات أسئلة موجهة من «اللجنة الشرعية» لتنظيم القاعدة في أحد الأفرع

[هذه الأسئلة خاصة لم تُنشر على الشبكة، وصلتنا من «اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة» في أحد الأفرع، وفيها أسئلة وُجهت للجنة الشرعية المركزية، وقد أجابهم عنها الشيخ ﷺ، وهي مسائل في السياسة الشرعية وفقه الجهاد ونوازل في الدماء، وغير ذلك، وقد قُمنا بوضع أجوبة الشيخ بالخط المعتاد، والأسئلة بين معكوفين بخط مميز؛ فليُنتبه لهذا، وقد كُتبت هذه الرسالة وما تضمنته من أجوبة بتاريخ: ٢٢/١٢/٢٠٠٩م].

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز/ [......................] حفظكم الله ورعاكم وسدد خطاكم؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فالله المسؤول أن يمتعكم جميعًا بالصحة الطيبة والعافية التامة والقوة، وأن يفتح علينا وعليكم ويسددنا جميعا لكل خير.

❖ أحوالنا وأخبارنا على الجملة؛ لا بأس بها، لكننا فقدنا خلال الأسبوعين الماضيين أخوين عزيزين هما: الشيخ أبو صالح الصومالي، ثم الشيخ عبد الله سعيد «الليبي» رحمهما الله، وهما من قياداتنا، وأعضاء الشورى، والله المسؤول أن يتقبلهما في الشهداء، ويلحقنا بهم في الفائزين المقبولين، وأن يعوضنا والمسلمين خيرًا منهم، استشهدا في حادثين منفصلين، بقصف جوي جاسوسيّ، والله المستعان.. وعظم الله أجرنا وأجركم فيهم، والله المحمود على كل حال سبحانه وتعالى.

الحملة الجاسوسية شرسة جدًا، ونحن ما زلنا نقصر في الاحتياط، والله المستعان.

باقي أمورنا جيدة، والحمد لله.. و﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].

❖ مرفق لكم رسالة من أبي يحيى فيها جواب ومشورة فيما يتعلق بموضوع الإخوة الليبيين.

وقد قرأت جوابه جزاه الله خيرا وتقريبا نحن متفقون في عامة ما ذكره، لكن بالنسبة لموضوع التكتلات؛ فأنا شخصيًا لا أرى مانعًا أن يكون الرجل مع قومه وأهل بلده أو ناحيته أو قبيلته وعشيرته في شبه «تكتّل» مثل سرية أو كتيبة أو نحوها، إذا كان الكل على أساس أنهم في الجماعة وتحتها وجنودٌ لها، وأعضاء فيها، ويكون هذا حينها من «يحب أن يقاتل الرجل تحت راية قومه»، ونحن في الواقع والتجربة عندنا هذا الشيء في ساحتنا، فعندنا في الجماعة -القاعدة- في ساحتنا إخوة من جنسيات معينة موجودون معًا في الأعمال والمراكز والكتائب وهكذا، باعتبارهم من بلدٍ واحدٍ ولغة واحدة وثقافة واحدة، مثل: الإخوة الأتراك عندنا موجودون في تكتل بل في تكتلين -كتيبتين-، وكذا الإخوة الباكستانيين الذين هم مع التنظيم منظّمون في عدة مجموعات أو كتائب، والإخوة من وسط آسيا وأوروبا الشرقية كذلك، والتركستانيون كذلك، وإخوة آخرون من جنسيات أخرى، لكن ليس على أساس أنهم جماعة أو على أساس أنهم يفكرون في تكوين جماعة أو كيان مستقل، لا، بل على أنهم كتيبة من الجماعة.

وفي تكتلهم مصالح، لا يقابلها من المفسدة أو المضرة ما يرجح عليها، فلا يُمنَع منها.. هذا رأيي.

وعليه.. فأهم شيء هو أن يكون واضحًا أن الذي نراه الحق والصواب وقرارُنا عليه هو: أننا نمنع ولا نسمح بإحداث جماعات جديدة، بلهَ أن تكون هذه الجماعات المراد إنشاؤها نابعة من وسطنا ومن تحتنا ومن بيننا وفينا!!

بل نحن يجب علينا أن نتوحد -أعني الجماعات الموجودة أصلا يجب عليها ذلك- وهي آثمةٌ إن لم تبذل وسعها في تحقيق الوحدة المطلوبة شرعا، إلا إذا كان عندهم أو عند بعضهم عذرٌ شرعيّ ومسوّغ شرعي لعدم الاجتماع، ومانعٌ أعجزَهم عنه، فقط.

فكيف نسمح بوجود جماعات أخرى، بدون مسوّغ ولا داعي.

وليس معنى ذلك أن نتقاتل ونفكر في قتال مَن يخرج، فهذه مسألة أخرى، وهي خطرٌ شديد، والأصل فيها المنع عندنا من استعمال أي قوة.. لكن المقصود المنع الشرعي العلميّ بلا شك.

وفي واقع قضية إخواننا الليبيين التي نحن بصددها لا أرى أي مسوّغ، بل الذي نراه الخير والأفضل، ويوشِك أن يكون هو المتعين لا غير، هو: ما كتبناه لكم من قبل وكتب لكم في الشيخين عبد الله ﵀ وأبو يحيى أن يجتهد في جمع العمل تحت راية واحدة هي راية «التنظيم»، ونتوسط بحسب القدرة والإمكان والفرصة، ولا نستعجل، ولا ندخل في عمل عسكري تنظيمي شمولي في ليبيا الآن، لعدم قناعتنا بوجود الفرصة والمؤهلات لذلك، لكن لا بأس بل مطلوب القيام بأعمال نوعية تندرج تحت فكرتنا العامة للجهاد العالمي -ضرب الرأس: أمريكا ومَن معها من القوى الكبرى-.. وهكذا.

والله الموفق..

وأرجو أن تبلغوا سلامنا لإخواننا الليبيين، ووالله لوددتُ أنني بينهم أعينهم بالمشورة والرأي والتجربة؛ فهم أولى الناس بذلك مني.

والله يسددهم ويعيننا وإياهم على كل خير.. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم

٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٩م

❑❑❑

۞ نص الأسئلة مع إجاباتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلّ اللهمّ على محمّد وآله وصحبه وسلّم.

أخانا الفاضل وشيخنا الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بادئ ذي بدء وامتثالا لحديث نبينا ﷺ:(من لم يشكر النّاس لم يشكر الله)[1] أتوجه لكم بالشكر الجزيل على جهدكم في إفادتنا بما ترونه صوابا في المسائل التي أرسلناها إلى جنابكم المحترم.

وبناء على كثرة النوازل في ساحة الجهاد مع قلة طلبة العلم كما لا يخفى عليكم نريد هذه المرة طرح بعض المسائل المشكلة والمستعجلة التي داهمتنا، نرجو منكم بيان الصواب فيها كما ترون، والله لا يضيع أجر المحسنين؛ فالمسائل الواقعة التي نحن في حاجة إليها هي كالآتي:

(١) سنن الترمذي (١٩٥٥) وقال الألباني: صحيح لغيره.

السؤال الأول: **حدثت في بعض الكتائب أنّه تمّ ضبط مجاهد يريد تسليم نفسه للطاغوت وآخر يصرح أنّه تعب ويريد ترك الجهاد ولازم ذلك الذهاب إلى الطاغوت ويعرف أسرارا يضر إعطاؤها للطاغوت بالمجاهدين والأنصار.**

وآخر ذهب ولكن ألقي عليه القبض من طرف المجاهدين قبل أن يسلم نفسه وهو الآن معتقل فما الحكم الشرعي في هذه النازلة؟!

الشيخ عطية الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يعلم الله تعالى أننا نحب خدمتكم ونصرتكم بما يمكننا، ونتمنى أن يكون عندنا كل ما تحبّون حتى نعطيكم ونخدمكم، غير أن بعض المسائل والنوازل، والله إنها لصعبة جدا، وكما يقال: لو عرضت على عمر بن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر؛ فكيف بنا بالله عليكم؟! ووالله لقد قرأت أسئلة الإخوة في اللجنة الشرعية أول ما وصلتني وتألّمت لفقد العلماء وقلة النصير منهم ألـمًا متجددًا، وحسرة مكبوتة وإنا لله وإنا إليه راجعون، ورأيت النازلة المشار إليها، وعلى الفور في نفس اليوم حوّلت الرسالة -الأسئلة- إلى الشيخ «أبي يحيى»، والحمد لله الإخوة استلموا البريد أمس؛ فأتوقع أن الرسالة بلغت للشيخ «أبي يحيى» واللجنة الشرعية اليوم، وطلبت منهم الإسراع قدر المستطاع في الإجابة عليها، وطلبت منه أيضا عرضها أيضا على الشيخ «أبي الوليد»، رغم أنه -حسب ما أبلغوني- مشغول هذه المدة في أموره اجتماعية وعائلية وغيرها، نسأل الله أن ييسر جميع أمورنا وأمور إخواننا.

ثم جاءني استدراك واستعجال الأخ «أبي محمد» اليوم؛ فاستخرتُ الله تعالى، وعزمت على كتابة ما عندي في المسألة معترفا بالعجز والنقص والتقصير، فهذا الجهد ولكم غنمه وعلى صاحبه غرمه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونكون مع ذلك في انتظار جواب الشيخين «أبي يحيى» ومَن معهما هناك، أرجو من الله أن يوفق الجميع.

ولعلي -أقول لعلي- أرسل بالأسئلة أو بعضها إلى بعض المشايخ ممن نتصل بهم.

لكن الذي يثبّطني عن عرض مثل هذه النوازل عليهم هو علمي بأنهم لا يتصورون الواقع جيدًا، فبعد انتظار سيكتب لك الشيخ العالِم سطرين قد لا يكون فيها مقنع!!

ومع هذا سنفكر ونحاول في عرض بعض الأسئلة على الأقل على بعضهم.. والله المستعان.

وإلى المسألة وعلى الله وحده الاتكال:

الجواب وبالله التوفيق:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه.

لا إشكال أن مثل هذا الشخص الذي يصرّح أنه سيسلّم نفسه للمرتدين أنه ويحاول ذلك، بل يصرح -كما ذكر لي أبو محمد في استدراكه- أنه سيعطي كل المعلومات التي يعرفها عن المجاهدين وأنصارهم للطاغوت المرتد، بل قد حاول بالفعل -كما فعل الشخص الآخر- ولكن الإخوة المجاهدين أمسكوه ومنعوه وحجزوه، أقول: لا شك أنه إذا فعل ذلك ونزل بالفعل وسلم ننسه للطاغوت أنه ضرر كبير وخطر عظيم لما يترتب عليه في حكم العادة المستيقن من: سجن وتشريد وربما قتل لبعض المسلمين من المجاهدين وأنصارهم، وإفساد لبرامج وخطط للمجاهدين، وكشف لأسرارهم وعيوبهم ونقاط ضعفهم وثغراتهم وطرقهم، وإضرار بالمسلمين -المجاهدين- ماديّا وماليًا من خلال تغيير بيوتهم ومآويهم ومراكزهم ومناطقهم، وغير ذلك من الأضرار التي لا تخفى.. بالإضافة إلى فتح باب الاستسلام للطاغوت، في حال التهاون مع هذه الحالات، وما في ضمن ذلك ولا سيما لو تكرر مِن تخويف للناس وتثبيط لهم عن معاونة المجاهدين، وتشكيك لهم، وغير ذلك مما لا يخفى أيضا.

وهذه كلها مضارّ عظيمة تضرّ بالجهاد والمجاهدين.. ويجب السعي في منعها.

لكن هل يصل ذلك إلى تجويز قتل هذا الشخص، لأجل هذا الضرر المرتقب المَخوف؟

هذا محل البحث.

ثم إن هذا الشخص أو الشخصين المسؤول عنهما في السؤال، ومن شابههما لا يخلو حالهما:

إما أن يكونا وصلا إلى حدّ الكفر الصريح، كمن يصرّح أنه سينضمّ للطاغوت المرتد، وسيسعى في إهلاك المجاهدين وتدميرهم، ونصرة الطاغوت عليهم بما يستطيع، ونحو ذلك..!!

فهذا إن كان في كامل أهليته الشرعية، بمعنى أنه ليس مجنونًا أو ما يقاربه ممن غُلِب على عقله وأهليته.. ولم يكن قال هذا الكلام وصرّح به في حالة غضب شديد وإغلاق، بل قالها وهو في كامل اعتدال حاله مختارًا مريدًا على حسب ما يظهر.. فإنه كافرٌ مرتد..!

وإما أن يكون هذا الشخص يقول إنه سينزل لمجرد أنه تعب ولا يستطيع الصبر، ولا يقدر على

المواصلة، ولكنه لن يضر المجاهدين ما استطاع إلى ذلك سبيلا.. فهذا يختلف عن الأول، وهذا ليس لنا إلى تكفيره سبيل، وهذا أظنه واضحًا إن شاء الله للإخوة ولا يحتاج إلى بسط.

فالذي أراه أن الأول: بعد التأكد جيدًا من حاله، وثبوت عزمه بظاهر أقواله وتصريحاته البيّنة، فإنه يستتاب ويُعطى فرصة ثلاثة أيامٍ أو أكثر إذا أمكنَ، وهو فعلا ممكن للمجاهدين في الغالب، وفي الأمر سعة في تطويل مدة الاستتابة إن شاء الله متى ما رجى الإخوة توبته وعودته عن كفره، فإن تاب وإلا حل دمه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهذا الأول إذن جاز قتله للردة أولا، مع ما انضاف إليها من إفساده في الأرض وإضراره العظيم بالمسلمين، وهو ضرر مرتقبٌ لكنه مستيقنٌ أو مظنونٌ ظنًا غالبًا جدا.

وأما الثاني؛ فالذي يظهر لي أن ينبغي أن يُنظر في حاله أكثر ويفصّل في أمره:

فإن كان بدا للمجاهدين أنه صادق محاوِل لأن لا يضرّ المجاهدين، لما يعرفون من صدقه ومحبته ولكنه انهار عزمه وضعُف وقل صبره، فلا أرى ما يُجيز قتله، ولا يحلّ دمه بمجرد ذلك، والله أعلم.

هذا الذي نقف عنده، ولا أستطيع أن أقول غيره.

لكن لهم أن يحبسوه، وعليهم أن يعظوه، ويسعون في إصلاحه قدر المستطاع لعل الله يصلحه.. هذا هو الأصل.

والأضرار المتوقعة نعتبرها بلاء وجائحة حلت بالمسلمين ونصبر لها ونحاول دفعها ورفعها بما يمكن من الأسباب الأخرى، وندفع قدر الله بقدر الله.

لكن قد يحصل حالة غير الحالين المذكورين، بل هي مختلفة عنهما، وهي:

أن الشخص لا يصرح بما يجعله كافرًا مرتدًا -كما في المثال الأول-، ولا هو ممن نظن فيه الصدق ومحبة المجاهدين وبغض الطاغوت بحيث نعرف أنه يبذل جهده في ألا يضرّ المجاهدين لو هو سلم نفسه، بل يكون مرتبة أخرى وهي:

أنه شخص يقول إنه لن يضر المجاهدين، ولكننا نعرف من حاله وسيرته أنه لو سئل الفتنة لأعطاها، وأنه بمجرد أن ينزل ويكون في كنف الطاغوت فإنه لا يبالي بإضرار المجاهدين، بل ربما سعى جاهدا في الإضرار بهم، لما نعرفه من سيرته وحاله من خلال المعاشرة والمعرفة به أنه لا يحب

المجاهدين ويحمل عليهم غلا وحقدًا مثلا، ونحو ذلك، مع قلة دينه وعدم مبالاته بالله تعالى وباليوم الآخر، وحسبنا الله ونعم الوكيل.!

فهذا هو لعله موضع السؤال حقا.. فهل يحل قتله؟

سنتكلم عليه إن شاء الله بعد مقدمة بسيطة:

معلومٌ أن المسلم معصوم الدم والمال والعرض، وهذا قطعيّ.

ومعلومٌ ما على قاتل المسلم بغير حق من الوعيد العظيم في الشريعة، نسأل الله العافية والسلامة.

ومعلومٌ أنه لا يباح دم المسلم إلا بسبب شرعيّ بيّن موجبٍ لذلك.

وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)** لفظ مسلم[١].

وللعلماء ﷺ كلام في الإشكال الواقع حول هذا الحديث النبوي العظيم، والذي حاصله أن الحصر في هذه الثلاث هل هو محكمٌ، وكيف الجمع بينه وبين أسبابٍ أخرى ثبتت في الشرع لقتل المسلم، **ولهم في الجواب على هذا الإشكال طريقان مشهوران:**

إما إرجاع كل أسباب القتل إلى الثلاثة المذكورة، فقتل اللوطي راجع إلى الثيب الزاني، وقتل الخوارج والروافض ومَن في حكمهم راجع إلى التارك لدينه المفارق للجماعة، وكذا قتل الداعي إلى البدعة، وقتل الصائل أيضا، مع شيء من العسر في هذا الإلحاق، قال النووي: «واعلم أن هذا [أي ما في الحديث] عام يخص منه الصائل ونحوه؛ فيباح قتله في الدفع، وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة، أو يكون المراد: لا يحل تعمد قتله قصدا إلا في هذه الثلاثة. والله أعلم»[٢] اهـ.

وكذا قتل شارب الخمر في الرابعة عند من يقول بعدم نسخه راجع إلى ذلك، وفيه تكلّف لا يخفى،

وكذا قتل الساحر عند مَن يقول بقتله، وفيه كلام يطول، وكذا قتل الجاسوس المسلم، وغيرهم.

أو القول بأن الحصر وقع باعتبار معيّن، إما زمانيّ أو غيره، وأن للقتل أسبابا أخرى صحّت بها أدلة

---

(١) صحيح مسلم (١٦٧٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٥).

الشرع؛ فما ثبت بدليل صحيح من الكتاب والسنة فهو شرعٌ وحكمٌ زائدٌ ثابتٌ يُصارُ إليه، ونعمل بالجميع.

وهذه المسألة لها أشباه ونظائر أيضا واقعة في الشريعة مثل ما وقع من الاختلاف في الجمع بين قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، وبين الآيات والأحاديث المحرّمة لغير المذكورات في هذه الآية، ومن مثل الآيات التي فيها حصرٌ ورد في غيرها من الآيات والأحاديث حصر في غيره في نفس القضية؛ كقوله تعالى في عدة آيات: ومن أظلم من كذا، وكقول النبي ﷺ: خيركم كذا، وخير الناس كذا، وشر الناس كذا وشر الخلق ونحوها، وهو مبحث مشهور.

ومن مراجع المسألة المهمة:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر.
- شرح النووي على مسلم.
- وسائر شروح الحديث.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب، فقد شرح الحديث ثَمَ[1].
- أحكام القرآن لابن العربي، أظنه عند آيات المائدة، وقد اختار القول الثاني وأوصل أسباب القتل إلى عشرة فيما أذكر؛ فليراجع للفائدة[2].

والحاصل أن أسباب جواز قتل المسلم عند الفقهاء أوصلها بعضهم إلى عشرٍ، وفي بعضها خلاف، والحق الحقيق بالقبول هو التشدد في هذا الباب غاية التشدد وتضييقه.

فلا يُقدَم على قتل مسلم إلا ببرهان واضح كالشمس.!!

ونرجع إلى الحالة المفترضة فنقول:

فقتل هذا محتمل، وهو راجعٌ إلى مسألة التعزير بالقتل.

والصحيح في هذه المسألة جواز أن يصل التعزير إلى القتل، لكن بشرطين:

الشرط الأول: أن تكون المفسدة المضرة الواقعة من الجاني كبيرة عظيمة لها شمول وعمومٌ، بمعنى

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣١٠).

(٢) أحاكم القرآن لابن العربي (١/ ٤٩٤) قال: «وَقَدْ بَلَغَ الْعُلَمَاءُ الْأَسْبَابَ الْمُبِيحَةَ لِلدَّمِ إِلَى عَشَرَةٍ».

أنها ضررٌ كبير يتعلق بالمسلمين، كمسألتنا هذه، فإن ضررها كبير جدا على المجاهدين.

والشرط الثاني: أن يكون هو -أي القتل- آخر حلّ، بمعنى أن لا يمكن دفع فساده إلا بالقتل، فإن أمكن بما هو دونه لم يجز.

وهذه المسألة يسمّيها بعض علماء الحنفية وغيرهم: القتل سياسةً.

ولهم فيها تفاصيل اشتهرت عنهم متعلق بكثرة التكرر وغيرها.

وهذه التسمية لا نفضّلها، لما فيها من إيهام معنىً غير جيد..!

فهذا للفائدة.

وسَأُلحق بهذا الجواب فصلًا من كتاب الشيخ أبي يحيى «منة الخبير»، وهو الفصل المتعلق بـ«التعزير بالقتل»؛ فقد بحثَ هذه المسألة بحثًا وافيًا، لا مزيد لي عليه، جزاه الله خيرا، وهذا يغنينا عن التطويل في تحرير المسألة.

وعليه؛ فالخلاصة في مسألتكم إن شاء الله، وما أراه لكم من النصح فيها، هو ما يلي:

- أن يشكل الإخوة لجنة من أعلم الإخوة وأعقلهم وأخبرهم بشؤون النفس والاجتماع، والأفضل أن يكونوا من كبار السن، ولا بأس أن يكون فيهم مع ذلك شبابٌ من أهل العلم والنبوغ، تكون مهمة هذه اللجنة تحديد وتقييم حجم الضرر المتوقع من هؤلاء الأشخاص الذين يريدون تسليم أنفسهم، وقوة هذا التوقّع، هل هو مستيقن، أو ما يقارب المستيقن، أو هو مجرد ظن ضعيف ووهم.

وينظرون في أمرٍ آخر وهو: أنه لا حلّ مع هذا الشخص أو الأشخاص إلا القتل، بمعنى أنه لم يعدْ يجدي محاولة إصلاحهم ووعظهم وإقناعهم، ولا تخويفهم بالله تعالى ولا بغيره، ولا يجدي تعزيرٌ بما دون القتل.

ثم يعطون تقييمهم بكل أمانة وتجرد، والله حسيبهم..

. فإذا قرروا بالإجماع أو بالأغلبية أن الضرر كبير جدا وعظيم وعامٌ بمعنى أنه لا يتعلق بشخص واحدٍ فقط مثلا أو عدد محدود قليل في العُرف وفي نظر سائر الناس -كعائلة فقط مثلا-؛ بل يتعلق بالمجاهدين وأنصارهم و«اتصالاتهم» وعملهم ومشروعهم -الجهاد-، وأن هذا الضرر متوقع بقوة -ظنّ غالبٌ- تصل إلى ما يقاربُ اليقين.

إذا قرروا ذلك؛ فإن اللجنة الشرعية أو الجهة المختصة في الجماعة أو الأمير عليه أن يتخذ قرارًا بقتل هذا الشخص أو الأشخاص تعزيرًا وقياسًا على قتل الجاسوس والصائل والداعي إلى البدعة ونحوها، وتصدّق على القرار اللجنة الشرعية -يُتخذ قرارها بالإجماع أو بالأغلبية-، ولو أمكن أيضا أن يصدّق عليه مجلس الأعيان أو الشورى -بحسب حالكم- لكي يكون القرار متخذا عن نظر أهل الحل والعقد في مثل هذه الأمور العظيمة، وصادرًا عن النظر للإسلام والمسلمين على قاعدة التقوى، لا غير، فنقطع الطريق على أي فتنة محتملة ووسوسة شيطانية وتوهّمات مِمَّن في قلبه مرض.

وقد صح عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب إلى عماله أن أمر القتل إليه فقط[(١)].

لكن بقيت مسألة أخرى لا بد من النظر فيها، فإما أن تنظر فيها اللجنة المقترَحة، أو ينظر فيها الأمير بضميمة مجلس الشورى أو مجلس الأعيان، وهي:

أن قتل هذا الشخص أو الأشخاص لا تترتب عليه مفسدة مساوية أو غالبة على المفسدة المرتقبة التي إنما نقتل هذا الشخص أو الأشخاص من أجل منع وقوعها.

بمعنى أنه لا يحصل من تنفيذ هذا الحكم منكرٌ أكبر، ومفسدة أعظم.

فإذا قررت اللجنة أو المجلسُ -بضميمة الأمير ونائبه مثلا- أنه لا خوفَ من ضرر ومنكرٍ أكبر.

فتوكلوا على الله ونفذوا الحكمَ.

والله يتولاكم بلطفه وتأييده ويلهمكم رشدكم ويرزقكم الهدى والسداد.. آمين.

فهذا الذي أراه لكم والله تعالى أعلم، وأستغفر الله العظيم من كل ذنب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ **عطية الله**

الثلاثاء ٢٩ذو القعدة ١٤٢٧هـ

الموافق ١٩ديسمبر٢٠٠٦

❑❑❑

---

(١) انظر: الأموال للقاسم بن سلام (١٢٠)، الأموال لابن زنجويه (١٨٠)، تاريخ الطبري (٦/ ٥٦٩)؛ فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد: «ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب، حتى تراجعني فيه».

السؤال الثاني: خلال اجتماع مجلس شورى الجماعة تناول الإخوة مسألة توجيه نداء استتابة لكل المتورطين في محاربة المجاهدين، وبالطبع يدخل فيه ضمنًا أولئك الذين كانوا في الجبال ثمّ نزلوا وسلموا أنفسهم واستعملهم الطاغوت، نرجو أن تفيدونا في المسألة من جهة شرعيتها ومصالحها ومفاسدها وضوابطها؟

الشيخ عطية الله:

إخواني الكرام، أظن أن جزءًا من هذا السؤال سبق لي شخصيا أن أجبت عليه في جوابي على مسألة الاحتياطيين، فأرجو أن تراجعوه، وأعني بذلك الجزء المتعلق بقبول توبة التائب منهم وممن نزل وسلم نفسه، وخلاصته أن ذلك مبناه على الاطمئنان إلى حسن وصدق توبته، وذلك في العادة يستلزم مرور وقتٍ يُعرَف فيه حسنُ تويه الشخص وصلاحه واستقامته.

وأما توجيه نداء بالتوبة والإنابة لكل المتورطين في محاربة المجاهدين بجميع أصنافهم، فهذا لا شكّ أنه أمرٌ طيبٌ ومطلوبٌ شرعًا وسياسةً وتدبيرًا، فهو من الدعوة إلى الله تعالى والتيسير على الناس وفتح أبواب التوبة لهم والرجوع إلى الله، وهو تدبير وسياسية عاقلة حكيمة تكسر.شوكة عدائهم في أنفسهم وتؤرق ضمائرهم وتزعزع إراداتهم، وهذا معروفٌ لا نشك فيه.

فنحن نشجعكم على هذه السياسية المسددة.. بارك الله فيكم.

فالمصلحة إذن ظاهرة بيّنة في هذا الأمر، ولا مفسدة تقابلها إن شاء الله، بل هي مصلحة شرعية راجحة ظاهرة بينة.

وأما الضوابط: فلا يحضرني إلا أن تتحرّوا بذلك التيسير على الناس كما أمرنا رسول الله ﷺ في جهادنا، وتتحروا من الألفاظ والعبارات ما يؤدي المقصود من وعظ الناس وحثهم على التوبة وفتح أبوابها أمامهم وترغيبهم في الرجوع إلى الحق، ولا يلزم أن يكون في الخطاب إطلاقُ أحكامٍ قد يفهم منها التعسير والتشديد، لأن المقام مقام ترغيب في التوبة وكسر لشوكة العدو وحرده.

والله يوفقكم ويسددكم.

❑❑❑

السؤال الثالث: لا يخفى عليكم حاجة الجهاد للمال، وانعدام موارده المستقرة وشحتها:

أ- مؤخرا يمارس الإخوة اختطاف أصحاب رؤوس الأموال ويفرضون عليهم ضرائب مقابل إطلاق سراحهم وربما يمتنع أحدهم من الدفع لمدة طويلة.. نرجو التوجيه الشرعي والعملي؟

ب- أحيانا يقع في الأسر مرتدون «والي، رئيس بلدية، برلماني..».

هل يجوز مفاداتهم بالمال أو بأسرى المسلمين؟

الشيخ عطية الله:

أ - لا بأس إن شاء الله بأخذ بعض أصحاب رؤوس الأموال وأهل الثراء، ومطالبتهم بدفع أموال للجهاد بحسب حالهم من أجل الحاجة الشديدة التي أنتم فيها، **ومختصر هذه المسألة ما يلي:**

❖ ما داموا مسلمين فالأصل في أموالهم العصمة كما هي دماؤهم وأعراضهم وأبشارهم، ولا يحلّ شيء من أموالهم إلا بطريقين:

إما -وهو الطريق الأول- بطيب نفس منه، وهذا منعدم الآن؛ لأن فرض المسألة أنهم لا يدفعون شيئا ولا يتبرعون بشيء ولا يعطون شيئا للمجاهدين، والحاجة ماسّة لأخذ بعض أموالهم الكثيرة للاستعانة بها على الجهاد؛ بل قد تصل هذه الحاجة إلى الضرورة أو ما يقاربها.

وإما -وهو الطريق الثاني-: بحقٍّ، أي بالشرع، **وهذا الطريق الثاني له صور:**

منها: أخذ الزكاة منه قهرًا وقسرًا وعنوة إذا امتنع من بذلها طوعًا، كما في الحديث الذي في السنن: (**فإنا آخذوها وشطرَ ماله عزمة من عزمات ربنا**)[1]، فأما أخذها منه فمحل اتفاق بين الفقهاء، وأما أخذ شطر ماله فاختلفوا فيه؛ فمنهم من أخذ بظاهره، وجعلوه من باب التعزير بأخذ المال -عقوبة مالية-، ومنهم من قال: إنه منسوخ، وهذا ضعيفٌ، ومنهم من اعتذر عن الأخذ بظاهره بتأويلات لا تخلو من ضعف.

ومنها: أخذ الحقوق الواجبة عليهم مثل النفقات الواجبة عليهم لأزواج أو عيالٍ أو غيرهم.

ومنها: أخذ الديات وأروش الجنايات متى ما وجبت على أحد منهم.. ونحوها.

ومنها: أخذ الضمان في حال استحقاقه على أحد منهم ووجوبه عليه بالقضاء.

ومنها: أخذ الغصوب منهم لو كانوا مغتصبين شيئا؛ فترد إلى أهلها، إن كان مالا عامّا أو خاصّا، ويضمنون قيمتها في حال التلف والاستهلاك.

ومنها: أخذ الضيافة منهم إذا نزل بهم ضيف وأبوا أن يضيّفوه، فيُؤخذ منهم قدرُها لثلاثة أيام.

---

(١) سنن النسائي (٢٤٤٩)، سنن أبي داود (١٥٧٥) وصححه الألباني.

وهل منها أخذ شيء من أموالهم من أجل سدّ حاجة المجاهدين والثغور وتخليص الأسرى وسدّ حاجة المشرفين على التلفِ؟

الجواب: نعم، الصحيح أن ذلك منه، أي مما يجوز ويُشرَعُ، لا شك في هذا.

وقد قرر ذلك الفقهاء، وحاصله: أن الدولة ومثلها الآن في حالنا: الجماعة الجهادية في بلد أو ناحيةٍ ما إذا عجزت -أي عجز بيت المال- عن سدّ هذه الحاجات، وكان الأمر بحيث لو لم نأخذ فضول أموال هؤلاء الأغنياء؛ انسد باب الجهاد أو تعطل أو ضعف المسلمون -أي مجاهدوهم وجيشهم- عن مقاومة العدوّ، وتعرّض للهزيمة والانكسار؛ فإن ذلك يبيح لنا الأخذ من أموالهم ما يسدّ الحاجة، ولا نزيد على قدر الحاجة.

فهذه مسألة صحيحة، وفقه صحيح.

والدليل عليه كثير:

منه: أن هذا موضع ضرورة كما هو واضحٌ، وهي مصلحة ضرورية كلية كما سيأتي إن شاء الله في كلام الغزالي وغيره، تُدفَع بها مفسدة ضرورية أيضا.

ومنه: مسألة وجوب المواساة، وفيها تفصيل يعرَف في محله.

ومنه: وجوب الجهاد بالمال عليهم وعلى الناس جميعا، فإذا قصّروا، كان لولي الأمر أن يستخرجه منهم بالقوة إذا كان متعيّنا عليهم، ومنه ما إذا كان كفائيا وقصّروا ولم يقم به أحدٌ.

ومنه: أن الإجماع منعقد على وجوب بذل فضول الأموال لردّ العدوّ الصائل النازل بالعقر وتخليص الأسرى.. حكاه غير واحد من الأئمة.

كما قال القاضي أبو بكر بن العربي ﵀: «وليس في المال حق سوى الزكاة، وإذا وقع أداء الزكاة ونزلت بعد ذلك حاجة؛ فإنه يجب صرف المال إليها باتفاق من العلماء، وقد قال مالك: يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم، وكذا إذا منع الوالي الزكاة، فهل يجب على الأغنياء إغناء الفقراء؟ مسألة فيها نظر، أصحها عندي وجوب ذلك عليهم»[1] اهـ.

وقوله: «إذا منع الوالي الزكاة» معناه إذا قبضها وامتنع عن صرفها على الفقراء والمستحقين.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٨٨).

وقال رحمه الله أيضا: «وأما قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾[الأنفال: ٧٢]: فإن ذلك عام في النصرة والميراث؛ فإن من كان مقيما بمكة على إيمانه لم يكن ذلك معتدا له به، ولا مثابا عليه حتى يهاجر، ثم نسخ الله ذلك بفتح مكة والميراث بالقرابة، سواء كان الوارث في دار الحرب أو في دار السلام ؛ لسقوط اعتبار الهجرة بالسنة، إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم، كذلك قال مالك وجميع العلماء.. فإنا لله وإنا إليه راجعون؛ على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد، والقوة والجلد»[1] اهـ.

ومنه: قياسه على جواز أخذ قدر الضيافة منهم لو امتنعوا عن بذلها، وفي المسألة نصوص حديثية معروفة، كما في الصحيحين وغيرهما عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلنا يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم**)[2] اهـ.

وهل هو خاصّ بأهل البوادي، أو عامّ فيهم وفي غيرهم؟ خلافٌ بين العلماء.

قال في عون المعبود: «قال النووي: حمل أحمد والليث الحديث على ظاهره وتأوله الجمهور على وجوه أحدها أنه محمول على المضطرين فإن ضيافتهم واجبة وثانيها أن معناه أن لكم أن تأخذوا من أعراضهم بألسنتكم وتذكروا للناس لومهم قلت: وما أبعد هذا التأويل عن سواء السبيل قال: وثالثها أن هذا التأويل باطل لأن الذي ادعاه المؤول لا يعرف قائله، ورابعها: أنه محمول على من مر بأهل الذمة الذي شرط عليهم ضيافة من يمر بهم من المسلمين، وهذا أيضا ضعيف لأنه إنما صار هذا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذا في المرقاة. قلت: التأويل الأول أيضا ضعيف لأنه مما لم يقم عليه دليل ولا دعت إليه حاجة، ولبطلان التأويل الثالث وجه آخر وهو أن تخصيص ما شرعه صلى الله عليه وسلم لأمته بزمن من الأزمان أو حال من الأحوال لا يقبل إلا بدليل ولم يقم ها هنا دليل على تخصيص هذا الحكم بزمن

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٤٤٠).

(٢) صحيح البخاري (٦١٣٧)، صحيح مسلم (١٧٢٧).

النبوة، وليس فيه مخالفة للقواعد الشرعية؛ لأن مؤنة الضيافة بعد شرعتها قد صارت لازمة للمضيف لكل نازل عليه؛ فللنازل المطالبة بهذا الحق الثابت شرعا كالمطالبة بسائر الحقوق فإذا أساء إليه واعتدى عليه بإهمال حقه كان له مكافأته بما أباحه له الشارع في هذا الحديث: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[البقرة: ١٩٤].

واعلم أن الضيافة ليست بواجبة عند جمهور العلماء، لكن ذهب البعض إلى وجوبها لأمور: الأول إباحة العقوبة بأخذ المال لمن ترك ذلك، وهذا لا يكون في غير واجب، والثاني قوله (**فما سوى ذلك صدقة**)[١] فإنه صريح أن ما قبل ذلك غير صدقة بل واجب شرعا، والثالث قوله ﷺ: (**ليلة الضيف حق**)[٢]، وفي رواية: (**ليلة الضيافة واجبة**)[٣] فهذا التصريح بالوجوب، والرابع قوله ﷺ: (**فإن نصره حق كل مسلم**)[٤]؛ فإن هذا وجوب النصرة وذلك فرع وجوب الضيافة وهذه الدلائل تقوي مذهب ذلك البعض وكانت أحاديث الضيافة مخصصة لأحاديث حرمة الأموال إلا بطيبة الأنفس والتفصيل في النيل»[٥] اهـ.

ومنه: فتوى النبي ﷺ أو قضاؤه في قصة هند بنت عتبة وقولـه لها: (**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**)[٦].

ومنه: غير ذلك..!

والمقصود أن هذا أصلٌ متقرر دل عليه الشرع بأدلة كثيرة جدًا.

وفي فتاوى العلماء ذلك معروف غير منكور..

وقصة سلطان العلماء العز بن عبد السلام ﷺ مع سلاطين المماليك مشهورة.

وقال ابن حزم ﷺ في المحلى: «مسألة: قال أبو محمد: وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن

---

(١) جامع معمر بن راشد (٢٠٥٨٢)، والحديث هو قوله ﷺ: (**حق الضيافة ثلاثة، وما سوى ذلك صدقة**).

(٢) سنن أبي داود (٣٧٥٠) وصححه الألباني.

(٣) سنن ابن ماجه (٣٦٧٧) وصححه الألباني.

(٤) سنن أبي داود (٣٧٥١)، مسند أحمد (١٧١٩٧) وضعفه الألباني، وضعفه الأرنؤوط.

(٥) عون المعبود (١٠/ ١٥٦).

(٦) صحيح البخاري (٥٣٦٤).

يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين بهم؛ فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر، والصيف، والشمس وعيون المارة، برهان ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦]..»[(١)] إلى آخر كلامه؛ فانظروه في «المحلى» في آخر كتاب الزكاة، فإنه جيّد.

وقال خليل بن إسحاق في مختصره في كتاب الجهاد وأحكام المسابقة: «الجهادُ في أهم جهة كل سنة، وإن خاف محاربا، كزيارة الكعبة، فرضُ كفاية، ولو مع والٍ جائر، على كل حر ذكر مكلف قادر، كالقيام بعلوم الشرع والفتوى، ودفع الضرر عن المسلمين، والقضاء، والشهادة، والإمامة والأمر بالمعروف، والحرف المهمة ورد السلام، وتجهيز الميت، وفك الأسير. وتعين بفجء العدو، وإن على امرأة، وعلى مَن بقربهم إن عجزوا، وبتعيين الإمام..»[(٢)] الخ.

وانظر كلام الشرّاح على قوله «ودفع الضرر عن المسلمين».

الدسوقي: «أي بإطعام جائع وستر عورة حيث لم تف الصدقات ولا بيت المال بذلك، وبالمعاونة على رد ما أخذه اللص لصاحبه، وبرد الظالم على المظلوم وبغير ذلك»[(٣)] اهـ.

عليش: «(و) القيام بدفع «الضرر عن المسلمين» ونسخة «غ» والدرء مصدر درأ أي الدفع أولى لعدم احتياجها لتقدير، ويلحق بالمسلمين من في حكمهم كأهل الذمة، والدفع بإطعام جائع وستر عورة حيث لم تف الصدقات، ولا بيت المال بذلك»[(٤)] اهـ.

وفي «نهاية المحتاج» للرملي إلى «شرح المنهاج» للنووي عطفا على فروض الكفايات: «(ودفع ضرر) المعصوم من (المسلمين) وأهل الذمة على القادرين، وهم من عنده زيادة على كفاية سنة لهم

---

(١) المحلى بالآثار (٤/ ٢٨١).

(٢) مختصر خليل (ص ٨٨).

(٣) حاشية الدسوقي على مختصر خليل (٢/ ١٧٤).

(٤) منح الجليل شرح مختصر خليل لعليش المالكي (٣/ ١٣٨).

ولمموَنهم كما في الروضة وإن نازع فيه البلقيني «ككسوة عار» ما يستر عورته أو يقي بدنه مما يضره كما هو ظاهر، وتعبير الروضة بستر العورة مثال: «وإطعام جائع إذا لم يندفع» ذلك الضرر بزكاة و«سهم المصالح» من «بيت المال» لعدم شيء فيه أو لمنع متوليه ولو ظلما ونذر وكفارة ووقف ووصية صيانة للنفوس، ومنه يؤخذ أنه لو سئل قادر في دفع ضرر لم يجز له الامتناع، وإن كان هناك قادر آخر، وهو متجه لئلا يؤدي إلى التواكل، بخلاف المفتى له الامتناع إذا كان ثم غيره، ويفرق بأن النفوس جبلت على محبة العلم وإفادته، فالتواكل فيه بعيد جدا بخلاف المال، وهل المراد بدفع ضرر من ذكر ما يسد الرمق أم الكفاية ؛ قولان أصحهما ثانيهما، فيجب في الكسوة ما يستر كل البدن على حسب ما يليق بالحال من شتاء وصيف، ويلحق بالطعام والكسوة ما في معناهما كأجرة طبيب وثمن دواء وخادم منقطع كما هو واضح، ولا ينافي ما تقرر قوله لا يلزم المالك بذل طعامه لمضطر إلا ببدله لحمل ذلك على غير غنى يلزمه المواساة، ومما يندفع به ضرر المسلمين والذميين فك أسراهم على التفصيل الآتي في الهدنة، وعمارة نحو سور البلد وكفاية القائمين بحفظها فمؤنة ذلك على بيت المال، ثم على القادرين المذكورين، ولو تعذر استيعابهم خص به الوالي من شاء منهم»[1] اهـ.

ونصوص العلماء في هذا كثيرة جدا من كل المذاهب.

وقال الغزالي رحمه الله في المستصفى في بحث المصالح بعد أن مثّل لكلامه بمسألة التترس، وأطال الكلام فيها، قال: «فإن قيل: فتوظيف الخراج من المصالح فهل إليه سبيل أم لا؟ قلنا: لا سبيل إليه مع كثرة الأموال في أيدي الجنود، أما إذا خلت الأيدي من الأموال ولم يكن من مال المصالح ما يفي بخراجات العسكر ولو تفرق العسكر واشتغلوا بالكسب لخيف دخول الكفار بلاد الإسلام أو خيف ثوران الفتنة من أهل العرامة في بلاد الإسلام، فيجوز للإمام أن يوظف على الأغنياء مقدار كفاية الجند، ثم إن رأى في طريق التوزيع التخصيص بالأراضي فلا حرج؛ لأنا نعلم أنه إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشرع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين وما يؤديه كل واحد منهم قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت خطة الإسلام عن ذي شوكة يحفظ نظام الأمور ويقطع مادة الشرور وكان هذا لا يخلو عن شهادة أصول معينة فإن لولي الطفل عمارة القنوات وإخراج أجرة الفصاد وثمن

(١) نهاية المحتاج (٨/ ٤٩).

الأدوية وكل ذلك تنجيز خسران لتوقع ما هو أكثر منه»[١] اهـ.

وقال إمام الحرمين ؒ في الغياثي -غياث الأمم في التياث الظلم-: «فأما الكلام في الفصل الثالث منها، وهو أهمها؛ فالغرض ذكر ما تقتضيه الإيالة الشرعية، والسياسة الدينية فيه، إذا صفرت يد راعي الرعية عن الأموال، والحاجات ماسة.. فليت شعري، كيف الحكم وما وجه القضية؟ فإن ارتقب الإمام حصول أموال في الاستقبال، ضاع رجال القتال، وجر ضياعهم أسوأ الأحوال. وإن استرسل في مد اليد إلى ما يصادفه من مال من غير ضبط أفضى إلى الانحلال، والخروج عن الشرع في الأقوال والأفعال، وقد قدمنا فيما سبق، أنا لا نحدث لتربية الممالك في معرض الاستصواب مسالك، لا يرى لها من شرعة المصطفى ﷺ مدارك. فإن بلي الإمام بذلك فليتئد، ولينعم النظر هنالك فقد دفع إلى خطبين عظيمين: أحدهما: تعريض الخطة للضياع. والثاني: أخذ أموال في غير إسناد استحقاقه إلى مستند معروف مألوف.. والله ولي التوفيق والتيسير، وهو بإسعاف راجيه جدير.. فنقول: إذا خلا بيت المال انقسمت الأحوال، ونحن نرتبها على ثلاثة أقسام، ونأتي في كل قسم منها بما هو مأخذ الأحكام.. وطرح القضايا السياسية بالموجبات الشرعية؛ فلا يخلو الحال، وقد صفر بيت المال من ثلاثة أنحاء: أحدها: أن يطأ الكفار -والعياذ بالله- ديار الإسلام. والثاني: ألا يطئوها، ولكنا نستشعر من جنود الإسلام اختلالا، ونتوقع انحلالا وانفلالا، لو لم نصادف مالا، ثم يترتب على ذلك استجراء الكفار في الأقطار، وتشوفهم إلى وطء أطراف الديار. والثالث: أن يكون جنود الإسلام في الثغور والمراصد على أهب وعتاد، وشوكة واستعداد، لو وقفوا، ولو ندبوا للغزو والجهاد، لاحتاجوا إلى ازدياد في الاستعداد، وفضل استمداد، ولو لم يمدوا لانقطعوا عن الجهاد.. فهذه التقاسيم قاعدة الفصل؛ فلنقل فيها أولا، ولنذكر في كل قسم منها معولا ثم ننظر إلى ما وراءها والله المستعان، على ما نحاوله من البيان. فصلٌ فأما إذا وطئ الكفار..»[٢] اهـ، إلخ كلامه فانظروه فإنه في غاية النفاسة والأهمية.

وقال الشاطبي ؒ في الاعتصام عند كلامه على المصالح المرسَلة، في المثال الخامس من الأمثلة العشرة التي مثّل بها لها: «المثال الخامس: إنا إذا قررنا إماما مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسد الثغور

---

(١) المستصفى (١/ ١٧٧).

(٢) غياث الأمم (ص ٢٥٨).

وحماية الملك المتسع الأقطار، وخلا بيت المال وارتفعت حاجات الجند إلى ما لا يكفيهم؛ فللإمام إذا كان عدلا أن يوظّف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال إلى أن يظهر مال بيت المال، ثم إليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك، كيلا يؤدي تخصيص الناس به إلى إيحاش القلوب، وذلك يقع قليلا من كثير بحيث لا يجحف بأحد ويحصل المقصود، وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم بخلاف زماننا فإن القضية فيه أحرى ووجه المصلحة هنا ظاهر، فإنه لو لم يفعل الإمامُ ذلك النظام بطلت شوكة الإمام وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار، وإنما نظام ذلك كله شوكة الإمام بعدله، فالذين يحذرون من الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالإضافة إليها أموالهم كلها فضلا عن اليسير منها، فإذا عورض هذا الضررُ العظيم بالضرر اللاحق لهم بأخذ البعض من أموالهم فلا يتمارى في ترجيح الثاني عن الأول، وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد، والملائمة الأخرى: أن الأبَ في طفله أو الوصي في يتيمه أو الكافل فيمن يكفله مأمور برعاية الأصلح له، وهو يصرف ماله إلى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج إليها، وكل ما يراه سببا لزيادة ماله أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله، ومصلحة الإسلام عامة لا تتقاصر عن مصلحة طفل ولا نظر إمام المسلمين يتقاعد عن نظر واحد من الآحاد في حق محجوره، ولو وطىء الكفارُ أرضَ الإسلام لوجب القيام بالنصرة وإذا دعاهم الإمام وجبت الإجابة وفيه إتعاب النفوس وتعريضها إلى الهلكة زيادة إلى إنفاق المال، وليس ذلك إلا لحماية الدين ومصلحة المسلمين.. فإذا قدرنا هجومهم واستشعر الإمام في الشوكة ضعفا وجب على الكافة إمدادُهم، كيف والجهادُ في كل سنة واجب على الخلق، وإنما يسقط باشتغال المرتزقة فلا يتمارى في بذل المال لمثل ذلك، وإذا قدرنا انعدام الكفار الذين يخاف من جهتهم، فلا يؤمن من انفتاح باب الفتن بين المسلمين، فالمسألة على حالها كما كانت، وتوقع الفساد عتيد فلا بد من الحراس، فهذه ملاءمة صحيحة إلا أنها في محل ضرورة فتقدر بقدرها، فلا يصح هذا الحكم إلا مع وجودها، والاستقراض في الأزمات إنما يكون حيث يرجى لبيت المال دخلٌ ينتظر أو يرتجى، وأما إذا لم ينتظر شيئا وضعفت وجوه الدخل بحيث لا يغني كبير شيء.. فلا بد من جريان حكم التوظيف. وهذه المسألة نص عليها الغزالي في مواضع من كتبه وتلاه في تصحيحها ابن العربي في أحكام القرآن له، وشرط جواز ذلك كله عندهم عدالة الإمام وإيقاع التصرف

في أخذ المال وإعطائه على الوجه المشروع»[1] اهـ.

فهذه بعض النقول عن الفقهاء في هذا الباب، وكلامهم في هذا مشهور كما قلتُ.

ثم في مسألتكم انضاف إلى أصل المسألة شيء آخر وهو:

خطف صاحب المال المراد أخذ شيء من ماله عنوة.

وذلك أذى له، ويقتضيه ترويعه وترويع أهله وذويه.

وانضاف إليها شيء آخر، وهو: الخوف من وقوع مفسدة أكبر ومنكرٍ أعظم، وهو تنفير الناس وصدّهم عن سبيل الله، إذا ظنوا أن المجاهدين يعتدون على أموال الناس..!

فلا بد من النظر في هذه الأشياء، فأقول مستعينا بالله:

الذي أره لإخواني هو الآتي:

يجوز لكم أخذ شيء من أموالهم تسدون بها ضرورتكم، وإذا كان ذلك متوقفا على خطف الشخص وأخذه إلى السجن حتى يدفع المقدار المطلوبَ منه، فلا بأس، ويُغْتَفَر ما في ضمن ذلك من بعض الأذى له والترويع له ولأهله، **لكن بشروط**:

- لا تأخذون من كل أحدٍ إلا المقدار الذي لا يُجحف به ولا يذهب بماله، بل تأخذون بالمعروف، وتقسّمون الأخذ على أصحاب رؤوس الأموال بحسب أموالهم، وتنسدّ الحاجة إن شاء الله بدون إجحافٍ بأحدٍ.

-أن يكون الخطفُ آخر حلّ، كالكيّ آخر الدواء، فإن أمكن أن تكلموا الناس وتراسلوهم فيدفعوا ما يكفيكم فلا يجوز الخطف والسجن والأذى.

- جائز في حال تعيّن الخطف طريقا كآخر حلّ أن تسجنوا الشخص مدة وتخوّفوه نوعَ تخويف حتى يدفع ما تقرر عليه من قبلكم، وذلك لضرورة سد حاجة الجهاد والمجاهدين.

- يجب ألا يؤدّي كل ذلك إلى إحداث مفسدة أعظم من مفسدة نقص وانعدام الأموال، بمعنى ألا يؤدي عملكم هذا إلى منكر أكبر؛ فإن أدى إليه منعنا منه، وهذا محل إجماع لا خلاف فيه، أعني شرط ألا يؤدي الأمر والنهي إلى منكر أكبر ومفسدة أعظم.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٦٢٠).

فعليكم أن تدرسوا الحالات، وتختاروا في كل منطقة ومع كل أناس ما يناسبهم، وليس شرطا أن تعاملوا كل الناس وكل المناطق بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب، بل تتصرفون في كل حالٍ ومع كل أناس بما يناسب، مما يحقق المصلحة ولا يترتب عليه مفسدة أكبر.

وتأخذون القليل الكافي -قدر الحاجة وحتى أقل منه، تيسيرًا على الناس-، وتقسّمون الأخذات على الناس، بحسب أموالهم وثرائهم، وهكذا.

وعاملوا الناس بالمعاملة الحسنة، وعظوهم وأحسنوا إليهم وتألفوهم، وبيّنوا لهم أن هذا واجبٌ نأخذه منكم للضرورة لأنكم لم تدفعوه بسبب من الأسباب إما لعدم ثقتكم فينا لعدم معرفتكم بنا، وإما لشدة حبكم للمال وجمعكم له وتقصيركم في البذل وشكر النعمة، وإما لخوفكم من العدوّ.. الخ.

فنحن نأخذ منكم قدر الحاجة للجهاد ولمصلحة الإسلام والمسلمين، ولا نجحف بكم ولا نعتدي عليكم، ولا نضركم، وما في ضمن هذا العمل من بعض الأذى، فلا بد منهم ونحن مضطرون إليه، ونعمل في ذلك بالشرع وفتوى علماء الإسلام.. إلخ، ونحو ذلك من التفهيم.

وتفهمون الواحد منهم أنه لو دفع لكم في كل سنة أو ستة شهور أو نحوها مبلغا معينا عن طريق الطريق الفلاني، فلا يتعرض لشيء بعدها.. وهكذا.

فإن المال شقيق النفس، ولا تنسوا وصية رسول الله ﷺ لمعاذ: **(واتق كرائم أموالهم)**(1).!

فهذا الأمر -أخذ أموال الناس- سبيلُ تنفير، وسبيلٌ خطِرٌ جدًا..! وإنما جوّزنا ما جوّزنا للضرورة.

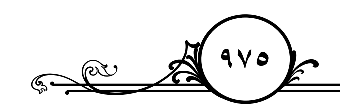
وشرطنا ألا يحدث منكر أكبر من مثل تنفير الناس عن الجهاد والمجاهدين وانقلاب الناس عنا وعن نصرتنا وذهابهم إلى صف العدو المرتد الذي يظنون أنه يحفظ أموالهم ويصونهم..!!

فإذن لتتصرفوا في ضوء هذا الفقه، بالمعروف..

والله معكم وهو خيرُ الرازقين ﷻ، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ [طه]، ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ ﴾ [العنكبوت]، **وَقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾ [الذاريات]، والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري (١٤٥٨، ٧٣٧١) بلفظ: (وَتوقَّ كرائم أموال الناس)، صحيح مسلم (١٩) بلفظ: (وتوق..)، وجاء لفظ الشيخ في: المعجم الكبير للطبراني (١٢٢٠٧).



باء: مسألة مفاداة أسرى المرتدين بأسرى المسلمين أو مبادلتهم بالمال؛ الصحيح فيها عندي الجواز، وهي مسألة جرى فيها البحث كثيرا، والخلاف واقع فيها بين الناس، وقد سألتُ فيها جماعة من أهل العلم ومعظمهم أجازها.

ولعلي أكتب لكم ما عندي فيها في فرصة أخرى إن شاء الله، لضيق الوقت الآن

❑❑❑

السؤال الرابع: حدث أن تقني في الطب «مجاهد» أخطأ في مداواة مجاهد؛ فمات هذا الأخير.. فماذا عليه؟!

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، إذا كان هذا التقنيّ معروفًا بالطب، يعني أنه طبيبٌ يعالج الناس ويداويهم، ولا يلزم أن يكون طبيبًا متخصصا أو عامًّا بالمعنى الاصطلاحي المتداول اليوم، بل المقصود أنه بالنسبة لكم -في واقعكم وحالكم- بمنزلة الطبيب الذي يداوي الإخوة ويعالجهم لكونه أحسن الموجود في باب الطب، وقد أخذ حظا من معرفة علم التطبيب، كما تفيده عبارة «تقني في الطب»، وهو باذل جهده ونصحه، وأظن أن هذا هو المنطبق على مسألتكم.

أقول: إذا كان كذلك فلا يخلو الأمر من صورتين:

- إما أنه داوى المريض وطبّبه -عالجه- علاجًا صحيحًا على مقتضى الاجتهاد في باب الطب، فمات المريض، فهذا لا شيء عليه فيه، وهو -أي الطبي، وهو التقني هنا- مجتهدٌ على أصول صحيحة.

- وإما أنه أخطأ خطأ فاحشًا ظاهرًا مخالفًا لأصول الطب المعروفة عند أهله، وتسوّر وتجرأ على ما لا يحسنه، فأدى خطؤه إلى وفاة المريض، فهذا تلزمه الدية، لأنه قتل خطأ.. والله أعلم.

فإذا قلنا إنه قتلُ خطأ وإن عليه الدية، فإن الدية على عاقلته، وعاقلتُه هنا هي الجند، أي الديوان الذي هو منتمٍ إليه في الجماعة، كذا قاله علماؤنا، وباختصار: ديته على بيت المال.

فإن تيسّرت الآن فتُدفع لأوليائه، وإن لم تكن متيسّرة -كما أظن جدا، كيف وأنتم في حال ضرورةٍ وشدة بالغة- فتؤخّر حتى يفتح الله، ولو طال الزمن، لكنها مستحَقة لأولياء الميت على بيت المال.

والله أعلم.

روى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **(من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن)**، وحسّنه الشيخ الألباني[١].

قال في عون المعبود: «**(من تطبب)**: بتشديد الموحدة الأولى أي تعاطى علم الطب وعالج مريضا، **(ولا يعلم منه طب)**: أي معالجة صحيحة غالبة على الخطأ؛ فأخطأ في طبه وأتلف شيئا من المريض، **(فهو ضامن)**: لأنه تولد من فعله الهلاك وهو متعد فيه إذ لا يعرف ذلك فتكون جنايته مضمونة على عاقلته. قال الخطابي: لا أعلم خلافا في أن المعالج إذا تعدى فتلف المريض كان ضامنا والمتعاطي علما أو عملا لا يعرفه متعد فإذا تولد من فعله التلف ضمن الدية وسقط القود عنه لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض. وجناية الطبيب في قول عامة الفقهاء على عاقلته. انتهى»[٢] اهـ.

والمسألة عند الفقهاء معروفة مشهورة، ويذكرونها في باب «الضمان» وفي باب «التعزير» أو غيرهما من الأبواب:

قال خليل بن إسحاق المالكي في مختصره: «باب التعزيز: وعزّر الإمامُ لمعصية الله، أو لحقِّ آدميّ، حبسًا، ولومًا، وبالإقامة، ونزع العمامة، وضربٍ بسوط، أو غيره، وإن زاد على الحد أو أتى على النفس، وضمن ما سرى كطبيبٍ جهل أو قصر أو بلا إذن معتبر ولو إذن عبدٍ، بفصد أو حجامة، أو ختان..»[٣] اهـ، وانظر شروحه..

ومنها ما قاله الشيخ علّيش في منح الجليل: «وسواء سلِم المعزَّرُ «أو أتى» تعزيره «على النفس» بأن مات منه، إن ظن الإمام سلامته «و» إلا «ضمن» الإمامُ «ما سرى» أي ترتب على تعزيره؛ فإن مات ضمن ديته وإن تلفت له منفعة ضمن ديتها. ابن عرفة: الشيخ في المجموعة: الإمام مالك رحمه الله: معلمُ الكتاب والصنعة إن ضرب صبيا ما يعلم الأمن منه لأدبه فمات فلا يضمن، وإن جاوز به الأدب ضمن ما أصابه. عج: المسائلُ ثلاثة:

الأولى: أن يفعل مع ظن السلامة وينشأ عنه هلاك أو نقص، وفي هذه الحالة يجوز الإقدام على

---

(١) سنن أبي داود (٤٥٨٦)، سنن النسائي (٤٨٣٠)، سنن ابن ماجه (٣٤٦٦).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٢١٥).

(٣) مختصر خليل (ص ٢٤٦)، منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/ ٣٥٥)، شرح الزرقاني على مختصر خليل وحاشية البناني (٨/ ٢٠٠).

الفعل.. واختلف في ضمانه فقيل لا يضمن سواء قال أهل المعرفة ينشأ عن فعله هلاك أو عيب أو لا، وهذا يفيده ما في النوادر والعتبية، وعزاه الموضح للجمهور.

الثانية: أن يفعل مع ظنه عدم سلامته وينشأ عنه هلاك أو عيب فلا يجوز له الإقدام على الفعل، ويقتص منه سواء قال أهل المعرفة ينشأ هلاك أو عيب أو لا، كما يفيده كلام ابن مرزوق.

الثالثة: أن يفعل مع شكه في سلامته وعدمها، وينشأ عنه هلاك أو عيب، فلا قصاص عليه والدية على عاقلته»(١) اهـ.

وانظر تمام كلامه؛ ففيه فوائد تجمع لك المسألة وفقهها.

❑❑❑

السؤال الخامس: أثناء العملية العسكرية (أكمنة، اغتيال، تفجير) يقتل بعض الشعب حين اختلاطهم بالطاغوت؛ فما الواجب الشرعي من جهة الديّة والكفارة في حالة إمكان الاحتراز وعدمه ومعرفة القاتل وعدمها؟

الشيخ عطية الله:

هذه المسائل، أستعفيكم من الإجابة عليها، والأفضل أن ننتظر جواب المشايخ، لأنها تحتاج إلى تحرير وتدقيق، والله المستعان، وفيها صور متعددة.

❑❑❑

السؤال السادس: بحكم معرفتكم ظروف الساحة الجهادية عندنا.. ما الضوابط التي ترونها للعمليات الاستشهادية؟ وإذا كشف حال الأخ قبل الوصول إلى الهدف؛ هل يجوز له التفجير، وما رأيكم في فتح المجال للنساء في هذا الباب.

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، أما الضوابط للعمليات الاستشهادية؛ فأختصر الكلام وأدلكم على بحث الشيخ «أبي يحيى» حَفِظَهُ اللهُ المسمى «العمليات الاستشهادية في الجهاد المعاصر»؛ فهو جيد في بابه، وهو منشور على الانترنت، وهناك أيضًا فتاوى وبحوث كثيرة لعلماء وطلبة علم منشورة كذلك؛ فراجعوها، فمن مجموعها تعرفون إن شاء الله تعالى ضوابط هذه العمليات، وأهمها:

---

(١) منح الجليل (٩/ ٣٥٨، ٣٦١).

- **الإخلاص**: وأن يكون الدافع هو إعلاء كلمة الله تعالى، لا السأم من الحياة والجزع من الموت أو من الدنيا..!

- تعين هذا الطريق -العملية الاستشهادية- لتحقيق الهدف الذي هو النكاية المعتبرة في العدو التي يحصل بها نصرٌ للمسلمين ودفعٌ للعدو، وتجريء للمسلمين -في بعض الأحوال التي يصل فيها الحال إلى أن نقول: لقد وهَن المسلمون واستكانوا وماتوا بالذل والرعب من الكفار؛ فلا بد من تشجيعهم والنهوض بهم وإحياء مواتهم، والتبيين لهم بأن «فرعون» و«الطاغوت» مخلوق ضعيف نقدر عليه لو توكلنا على الله- ونحو ذلك..!

- ألا تؤدي إلى منكر أكبر؛ كما هو شرط سائر باب الأمر والنهي والجهاد.

وأما إذا كشف العدو حال الأخ قبل وصوله إلى الهدفِ؛ فهل يجوز له أن يفجر نفسه ولو بدون تحقيق الهدف المقصود أصلا، أو تحقيقه جزئيا فقط؟ فهذا موقف لا أدري ما أقول فيه.!!

أرجو أن نحاول مراجعة العلماء فيه إن شاء الله.

والواجب بكل حال: تفادي ذلك الانكشاف من قبل العدوّ، وأن تكون العملية قائمة بضوابطها من التعيّن وحصول النكاية المحققة في العادة.. والله المستعان.

وأما النساء؛ فالأصل أنه لا فرقَ، لا سيما وأننا في جهاد دفعٍ، ولكن قد جاءت الدلائل في الشريعة على وجوب الاحتياط للفروج.!

وهذا الاحتياط له محلان:

- الاحتياط بعدم بعث النساء لهذا العمل ونحوه أصلا، والاستغناء بالرجال حيث أمكن.

- إذا اضطررنا لإرسال النساء؛ فيجب الاحتياط في تدبير أمرهن جدًا، أكثر مما نحتاط للرجال، فلا نرسلهن إلا مع كمال الاحتياط ألا يؤسرن مثلا قبل الوصول، وألا يبقين حيّاتٍ بعد التنفيذ فيأخذهن العدوّ كما حصل مع أختنا «ساجدة» فرّج الله عنها بلطفه ورحمته.. آمين.

فإذا كان لا بد من إرسال النساء أحيانا للعمليات الجهادية سواء استشهادية أو غير استشهادية؛ فالواجب هو كمال الاحتياط.

وأصلا؛ لا نلجأ إلى النساء إلا حيث تعذر الرجال، احتياطًا للفروج وللعرض، وحذرًا من شماتة

الأعداء، والله المستعان، فإن النساء لسنَ كالرجال.!! والله أعلم.

❑❑❑

السؤال السابع: لقد فتح الطاغوت الباب للمنصّرين فهم يفتحون بيوتا للتنصير.. ما ترون في طريقة مواجهة هذا البلاء؟

الشيخ عطية الله:

أنتم أدرى بطريقة مواجهة هذا البلاء، والله يفتح عليكم، وأما يتعلق به الحكم الشرعيّ؛ فهؤلاء المنصّرون الذي يسمّون المبشّرين، قاتلهم الله، جائزٌ قتلهم قصدًا، وليسوا هم في حكم الرهبان المعتزلين للتعبد في الصوامع، فأولئك نهينا عن قتلهم، ووقع الاتفاق من الفقهاء على أنهم من أصناف الحربيين المنهيّ عن قتلهم، لكن هؤلاء المسؤول عنهم ليسوا منهم، بل هؤلاء ممن يُقصَدون بالقتل من الحربيين؛ لأنهم رجالة مقاتلة -بالقوة-، ومقاتلون بالكلمة والسعي والمعاونة، والله أعلم.

ويخطر ببالي - رأيي الشخصي - أن ضرب مراكز هؤلاء المجرمين المنصّرين قاتلهم الله: جيدٌ ومفيدٌ حتى ينقلعوا ويخافوا ويرتعبوا فهرب أكثرهم ويخفّ البلاء بهم، فأظن أن عملية عليهم أو عمليتان أو ثلاثة إن شاء الله كافية في إزالة فسادهم بإذن الله وإبطال كيدهم وتدمير ما بنوه من أحلام وآمال، لعنهم الله، فاضربوهم ومَن يشتغل معهم ممن ينتسب إلى المسلمين، لعن الله الجميع..!!

❑❑❑

السؤال الثامن: ما تقولون في حكم أعضاء البرلمان التابعين للأحزاب الإسلامية، وهل يجوز استهدافهم؟

الشيخ عطية الله:

الأصل أن أعضاء البرلمان في نظام كافر نظام ردة ودولة المرتدين، هم كفارٌ؛ لأنهم مشرّعون بالمعنى الذي هو معروف عندهم وعندنا وعند الجميع، وهو التشريع من دون الله تعالى، وما لم يأذن به الله، ولأسبابٍ أخرى مكفرة؛ مثل كونهم أولياء للدولة المرتدة وجزءًا منها مناصرًا ووليّا، لكن إن كان في هؤلاء المسؤول عنهم -من أعضاء الأحزاب الإسلامية كما تسمّى- مَن يُعرفُ بصلاحٍ وتقوى وتحرٍّ للخير في الجملة، لكنه ضلّ في هذه المسألة وتأول الخير وزعم أنه يحاول الإصلاح ونحو ذلك، فهذا لا نحكم بكفره، ولا نرى قتله قصدًا كما نقصد الكفّار بالقتل، والله أعلم.

لكن لعل هذا قليل الوجود أو نادرٌ، أو لعله منعدم، أنتم تعرفون واقعكم، وتتقون الله في النظر..!

هذا من حيث التأصيل.

ثم يبقى مسألة النظر السياسي «السياسة الشرعية»: حتى لو حكمنا بكفر الشخص منهم، واستحق القتل، وهو منتمٍ إلى حزب إسلامي كالإخوان المسلمين مثلا؛ فهل يحسُن أن نقتله؟

فهذه ينظر فيها لا على أساس محض الشرع، بل بضميمة النظر في ما يترتب على ذلك من مفسدة أو عدمها، فهي من جنس: (**لا يقالُ أن محمدًا يقتل أصحابه**)[1]، ونحوها.. والله أعلم.

فائدة بالمناسبة: أنصح بقراءة رسالة «المتأولون وأهل القبلة» للشيخ أبي قتادة الفلسطيني فرج الله عنه؛ فإنها قيمة ونفيسه في بابها، جزاه الله خيرًا.

❑❑❑

السؤال التاسع: هناك من يظن أن المجاهد يصلي صلاة الخوف دوما بغض النظر عن تحقق الخوف أو عدمه.. فنرجو منكم توضيح المسألة.

الشيخ عطية الله:

صلاة الخوف بصورةٍ من الصور الكثيرة الواردة عن النبي ﷺ إنما تُشرَع في حال الحاجة إليها في حال الخوفِ؛ لا في كل أحوال المجاهد، فإذا كان المجاهد في حالِ أمنٍ في مكانٍ لا خوف فيه من عدوّ ولا سبُعٍ ولا نحوه، ولا هو طالبٌ ولا مطلوبٌ؛ كأن يكون نازلًا أو سائر في أرضه المحررة وفي ناحيته الآمنة؛ فلا يصلي صلاة الخوف، بل يصلّي الصلاة كما أمره الله على الأصل، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: ١٠٣].

ومَن ظن أن المجاهد يصلي صلاة الخوف دومًا وعلى كل حال بغض النظر وجود الخوف أو عدم وجوده؛ فهذا خطأ وجهلٌ.

وليعلم أن صلاة الخوف ليست خاصة بالمجاهد، بل يصليها، بل هي صلاة الخائف طالبًا أو مطلوبًا، سواء كان في جهاد أو غير جهاد.



---

(١) صحيح البخاري (٤٩٠٥)، صحيح مسلم (٢٥٨٤).

السؤال العاشر: نرجو منكم إفادتنا في تأصيل مسألة «التصوير» تأصيلا يجنبنا شر الخلاف.

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، **مسألة التصوير** أيها الإخوة الأحباب كُتبَ فيها الكثير من قبل أهل العلم، وأصول المسألة معروفة والحمد لله، وصار العلمُ بها منتشرا ذائعا، ولكن ظني أنكم تسألون عن فروع معينة مما تتعرضون له في مسيرتكم وعملكم؛ مثل استعمال صور الفيديو الذي يظهر فيه صورة آدميين من المجاهدين أو من العدو أو من سائر الناس في الإعلام الجهادي، وهكذا عموم استعمال صور ذوات الأرواح في الإعلام الجهادي.

فاعلموا أن هذه المسألة مسألة اجتهادية وقد سئل فيها جماعة من المشايخ وتكلموا فيها، فمنذ أيام الجهاد الأفغاني كان الشيخ عبد الله عزام ﵀ يجيز ذلك سواء في الفيديو أو في المجلات الورقية، وكذا آخرون من العلماء، والشيخ عمر عبد الرحمن فرج الله عنه يجيز الفيديو على الأقل، وإن كانت مجلتهم «المرابطون» أيام زمان كانت تجتنب تصوير ذوات الأرواح، ومن العلماء من منع ذلك ولم يرَ جوازه، والآن أيضا لازال العلماء يختلفون، ومنهم من يجيز ومنهم من لا يرى الجواز، ممن لا يجيز عامة علماء الجزيرة الكبار مثلا.. واختلف النقل عن الشيخ ابن باز في الفيديو؛ فنقل عنه بعض الناس إجازته، ونقل عنه آخرون المنع.

ومنهم من فرق بين الفيديو وبين الصورة على الورق -كمجلة-.. وهذا منقول عن ابن باز، ونقل عن غيره أيضا، أنهم تساهلوا في الفيديو ولم يتساهلوا في الصورة الفوتوغرافية، ذكر هذا الشيخ عبد الكريم الخضير فيما نقله بعض طلبة العلم.

ومن العلماء من أجاز الصورة الفوتوغرافية -وبالأحرى الفيديو- ولم يرُوها أصلا داخلة في المنهي عنه، وعندهم أن المنهي عنه ما رُسِم باليد وخلقه الإنسان مضاهيا به خلق الله أن تصويره، وأما صورة الآلة «الكمرا»؛ فإنها ليس فيها هذا الوصف -العلة-، وأنها أشبه بصورة في المرآة.. الخ كلامهم، ومِن هؤلاء جماعة كثيرون من أهل العلم، مثل الشيخ محمد الحسن ولد الددو وغيره.

والكلام في المسألة من حيث الأصل يطول استدلالا ونقضا..

لكني أحاول هنا إعطاء إخواني ملخصًا لأقوال أهل العلم فيها.

فالذين يقولون: إن هذا التصوير -الفوتو والفيديو- لا يدخل في النصوص الناهية عن التصوير واقتناء الصور؛ فلا إشكال عندهم.

والذين فرقوا بين التصوير وبين الصورة، كالشيخ ابن عثيمين، قال: التصوير -أي بالآلة- لا يدخل في نصوص النهي والوعيد لعدم وجود الوصف المعلق عليه الحكم -العلة-، لكن إذا خرجت الصورة على ورقة فهي صورة داخلة في أحكام «الصور» مثل: (**لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة**) ونحوه.. فهؤلاء لم يجيزوا استخدام الصور إلا لضرورة.

ومثلهم وأحرى الذين حرموا كل ذلك، أعني التصوير والصورة -بالآلة- كما باليد.

هؤلاء كلهم لم يجيزوا إلا في حالات الضرورة ويقتصر عليها وتقدّر بقدرها.

طيب.. في الإعلام الجهادي اليوم؟

اعلموا أن أكثر الإخوة المجاهدين -في الجماعات الجهادية- ماشين في الإعلام الجهادي على الفتوى باستعمال الصور سواء منها الفيديو أو الفوتو، وذلك:

- إما لعدم تحريم هذا النوع من الصور الآلية؛ لعدم تناول النصوص لها عندهم، كما قلنا إن هذا قول لأهل العلم المعاصرين.

- وإما للضرورة والحاجة الشديدة المقاربة للضرورة المتعلقة بأمر عامّ، وهو أمر الإسلام والمسلمين وصراعهم من الكفار، فإن العصرَ ووسائل العدوّ تفرض علينا الترخّص في ذلك من أجل مكافأة وسائل العدوّ، فلتبيين حالنا وحال العدو، ولا يخفى أهمية الصورة اليوم في الإعلام والحرب.

وممن يقول بهذا القول: جماعة من أهل العلم المعاصرين الموثوقين؛ منهم الشيخ علي الخضير فرج الله عنه، والشيخ ناصر الفهد أيضا فرج الله عنه، رغم تشدده جدا في منع جميع أنواع الصور والتصوير، لكنه يرخّص فيه للجهاد، وجعله الشيخ علي الخضير وغيره من باب: ما يجوز في الجهاد لمصلحة إعلاء كلمة الدين، ولا يجوز في غيره مثل لبس الحرير لمن احتاجه في الحرب، ومثل مشية الخيلاء التي يبغضها الله إلا في هذا الموضع، ونحوها.

وأظن -حسب ما نقل لي- أن الشيخ حمود العقلاء ﵀ وهو شيخ المذكورَيْن يقول بهذا القول

أيضا، وغيرهم كثير اليوم ممن نعرف من أهل العلم يقول بهذا القول، ويترخّصون في هذه الصور: تصويرا ونشرًا في الجهاد ومن أجل نصر الدين وإعلاء كلمة الله تعالى والأخذ بأسباب الغلبة على الكافرين مما لو لم نفعله لفاتنا سلاح خطير ومهم جدًا، ولأرهقنا العدوّ..!

وإذا تقرر ذلك فيقتصر به على هذا السبيل، والله الموفق.

وهكذا لعلكم ترون أيها الإخوة أن المسألة مسألة اجتهاد، والعلماء فيها بين مشدد ومرخّص، وأن ما كان من أجل الجهاد وإعلاء كلمة الدين؛ فلا بأس به ولا حرج فيه إن شاء الله، لا سيما وأصل المسألة أصلًا مختلفٌ فيه وقابلٌ للنقاش أعني أصل تحريم صور الفوتو والفيديو، والفيديو لا شك أن أمره أخف بكثير لأنه ليس بثابتٍ؛ فهو أشبه بالصورة في المرآة، ولهذا ترخّص فيه بعض مَن لم يترخَص في غيره كما أشرتُ إليه.

من أجل ذلك، فلا أرى أن يتحرج الإخوة في استعمال الصور في الإعلام الجهادي.

وأيضا؛ لا أرى لإخواني أن يتشددوا في المسألة وينصبوا فيها شديد اللوم والمخالفة أو يجعلوا منها سبيلا للشقاق والخلاف، فهي كما ترون من هذا الملخص البسيط مسألة محتملة للنظر واختلاف الأفهام.. والله ﷻ أعلم وأحكم، وأستغفر الله من كل ذنب.

❑❑❑

طلب نصيحة

وفي الأخير نرجو أن تكتبوا لنا رسالة في «أدب الخلاف»، كما نود أن تفيدونا بالنظام الداخلي للهيئة الشرعية من جهة طريقة الفتوى (التقليد واعتماد مذهب مع فقد المجتهد) ومن يرجح عند الخلاف. وهل فتوى الهيئة ملزمة للإمارة فيما يتعلق بالمسائل العامة؟.

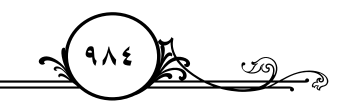
كما نود عذرنا وتحمل كثرة مسائلنا وإحالة نسخة منها إلى «اللجنة الشرعية» في «القاعدة»، جزاكم الله خيرا.. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

الشيخ عطية الله:

سأرفق لكم مع هذه الأجوبة مقالًا أو أكثر مما كنتُ كتبته مما يتعلق بأدب الخلاف، وأيضا أضيف أن أدب الخلاف وفقهه قد كُتب فيه الكثير قديما وحديثًا، **ومن أحسن ما يُقرأ في هذا الباب ما يلي:**

- رسالة الإمام ابن تيمية ﷺ: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»؛ فهذا أهم كتاب مع لطافته.



- ما كتبه الشيخ الإمام وليّ الله الدهلوي في كتابه «حجة الله البالغة» من فصول تتعلق بهذا، وقد أفردها بعض الناشرين وطبعها في رسالة مستقلة، وهي من أروع ما كتبَ، وهي الفصول التي تكلم فيها عن كيفية تلقي الأمة الشرعَ عن النبي ﷺ فما بعده من فصول في أسباب الخلاف وفقهه ومراتب الناس فيه وأعذارهم.. إلخ، وفيها دُرر ونفائس قل أن توجد عند غيره رحمه الله.

- رسالة للشيخ ابن عثيمين بعنوان: «اختلاف العلماء وموقفنا منه»، وهي جيدة جدا.

- رسالة للشيخ الداعية أحمد عبد الرحمن الصويّان بعنوان: «منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم»، وهناك غيرها كثير..

لكن هذا أهم ما وقفت عليه وقرأته واستفدت منه، ورأيته أحسن من غيره.

ومعلومٌ أن فقه هذا الباب متناثر في كتب أهل العلم ومصنفاتهم، من حسن مناقشاتهم وأدب اختلافهم ومناظراتهم في العلم، واعتذار بعضهم لبعضٍ، ولطائف ودقائق في احتجاجاتهم واستدلالاتهم واستدلالهم بالنص الواحد على حكمين مختلفين أو أكثر، وخلاف أفهامهم في ذلك، ومَن تتبع ذلك وجمعه حصّل منه شيئا كثيرا جدا، وقد كنت فعلت شيئا من هذا معظمه ضاع مني. والحمد لله رب العالمين.

وأما «النظام الداخلي للهيئة» وما بعده مما أشرتم إليه، فلعل الإخوة يكتبون لكم فيه.

ونسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق.

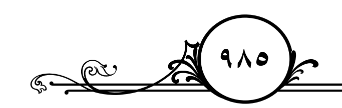
جزاكم الله خيرا، وبارك الله فيكم، ولا بأس عليكم؛ فنحن نتعاون على القيام بهذا الدين، ونتواصى بالحق وبالصبر كما أمر الله، ونسأل الله الإعانة والتوفيق، وأنتم أيضا تعذرونا دائما على التقصير والقصور، وتلتمسوا لنا العذر فيما بان خطؤه عندكم، والله مولانا ومولاكم، والكافرون لا مولى لهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم

غرة ذي الحجة ١٤٢٧هـ.



ملحق: توجيهات تتعلق بالدورات الشرعية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذه رسالة كنت كتبتها جوابًا لبعض إخواني في العراق -من أنصار السنة- كانوا طلبوا مني نصائح تتعلق بإقامة الدورات الشرعية، فكتبتُ لهم بعض التوجيهات في ذلك، وهذا نصها:

الدورة الشرعية: توجيهات عامة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم، أعزكم الله..

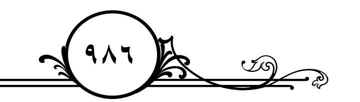
اعلم أن الدورات الشرعية فائدتها عظيمة لمن أحسن تنظيمها وأحسن اختيار المادة لها وأحسن فيها الإعطاء والتربية بالعلم والأدب؛ فهي مدرسة مصغّرة مؤقتة، يحصل فيها دراسة أبواب أو مسائل مختارة ومقدمات مهمة وضرورية من فنون العلم والمعرفة، تكون في العادة مركزة قوية مدققة.. فإذا كان الإشراف جيدا محترما نبيلا، وكان المكان والجو مناسبا والزمان ملائمًا، والنفوس مستعدة للقبول متشوّفة للنهل من العلم والمعرفة، والمدرّسون المعلمون الملقون من النوعية العاقلة أصحاب العلم النافع ولو كان قليلا، وأصحاب الدين والتقوى والسمت الصالح والرأي السديد والتجربة والتربية، فإن الدورة قد ضمنت عوامل نجاحها، وأكرم بها حينئذ من معهدٍ علميّ ومحضن تربويّ..

وقد رأينا بحمد الله ذلك في تجاربنا، ولا نتكلم من مجرد تخيّل وفراغ، فكم أخرجت الدورات الشرعية من طلبة علمٍ كان لهم فيما بعد عطاءٌ ونماءٌ، وكم اكتشفت من مواهب، وكم أيقظت من نيام وشحذت من عزائم، وكم قوّمت وكمّلت وتخرّج منها قيادات في العمل الإسلامي: الدعوة والجهاد.

أما إذا فقدت الدورات الشرعية تلك العوامل أو بعضها فإنها تفقد من أسباب نجاحها، وينالها من الفساد والفشل بحسب ذلك، وقد تكون في بعض الحالات -إذا فقدت كثيرا من تلك العوامل أو جميعها- وبالًا على أصحابها وخرابا ودمارا لعقولهم وإفسادًا..! نسأل الله العافية والسلامة، وقد رأينا هذا الصنف أيضا.

رأينا بعض الدورات التي كانت مجرد دورات تخريبية بمعنى الكلمة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعليه؛ فإنني سأذكر لك هنا أهم ما أوصي به في إقامة الدورة الشرعية ومنهجها.



فأذكر ما يحضرني بدون ترتيبٍ مقصود، وبالله تعالى أستعين:

أولًا: من أهم الأشياء أن يلقّن الطالب المتلقّي في الدورة من البداية وفي الأثناء وعند الانتهاء أن هذه الدورة ليس لتخريج علماء مفتين، وليس المطلوب من الطالب فيها أن يخرج عالمًا ويفتي ويحيط بمسائل العلم، وإنما المطلوب منها أشياء أخرى مهمّة جدًا؛ **منها**: إيقاف الطالب على ساحل بحر العلم، ليعرف أنه بحر كبيرٌ، وأن الخوض فيه يتطلب صبرا وجدًا واجتهادًا وبذلا عظيما وسهرا وتجلدًا وتفرّغا وحبّا، وقبل ذلك توفيقا من الله تعالى؛ فيخرج الطالب من الدورة وقد عرف قيمة العلم والعلماء، وعظم دور العلم والتعلّم والطلب، وفضل هذا الشيء وأهله، وعرف أن العلم بحر كبير عميق وأنه لا يخوض فيه ولا ينبغي أن يخوض فيه إلا من صار من أهله وفقهت نفسه واكتسب الأهلية الجيدة لذلك، وتتسع مداركه وزوايا نظره ويتّسع أفقه، فيصير أكثر معذرة للناس، وأكثر نظرًا لاحتمالات المسائل، وأحسن تصورًا لها وتفريقا بين صورها، وأكثر عمقا وفهما.. ويعرف أنه جاهلٌ، وأنه محتاج للمزيد من التعلم والبذل في سبيل ذلك، ويقف على أهمية العلم والتعلم، وبالجملة يعرف قدر نفسه فلا يتسلّط على المسائل التي ليس هو أهلا لها، بل يكلها لأهلها من العلماء، ولا يتسرع ولا يتهوّر، ولا يغتر بقليل ما عنده من المعرفة.

فلو خرج الطالب من الدورة الشرعية وقد حصّل هذه الفائدة فإنها خيرٌ وبركة.

ثانيا: أن يكون من المقاصد: إعطاء تصوّر للطلبة عن فنون العلم: الفقه، الأصول، النحو والصرف، الحديث وعلومه، القرآن وعلومه، السياسة الشرعية.. وما شابه.

ومعنى إعطاء التصوّر أن نفهّمه مضمون الفن من هذه الفنون، وما فيه من محتويات وموضوعات وأبواب وفروع ومسائل، وما يندرج تحتها، حتى يصير الطالب عارفًا بالفنون والعلوم متصوّرا لها ولأهمية كل علم، ومدركا لترابط العلوم وضرورة المشاركة فيها، وأن العالم لا يصير عالمًا حتى يشارك فيها جميعا ويؤسس في كل فنّ تأسيسًا جيدا.. فهذه فائدة تصوّرية مهمة، ولا تنسوا أنكم من مهامكم في هذه الدورات إخراج قيادات، لا أناس عاديين فقط، فلا بد أن تضعوا في تصوركم أن بعض شبابكم الذي يحضرون الدورات اليوم سيكونوا قيادات للعمل الدعوي والجهادي في وقت ما، وربما يكون منهم من يصير ذا شأنٍ بإذن الله.

ثالثا: فالمقصد الثالث إذن هو هذا: أن نعلم نحن المشرفين على الدورة أننا بصدد تخريج قيادات، ولو بعد حين، لا أقول إننا سنخرِّجهم بعد الدورة مباشرة ليقودوا، ليس هذا بالضرورة هو المقصود، ولكن نضع في حسابنا أن بعض هؤلاء على الأقل سيكونوا قيادات في المستقبل ويتولّون هم أزمّة الأمور، وقد رأينا هذا في تجارب الإخوة، نحن نتمنّى أن يتخرّجوا كلهم قيادات، لكن هذا مستبعدٌ عادة، ولا ينسجم مع سنن الله في الخلق، ولذلك فنقول البعض.. فليكن إذن عملنا على أساس تخريج قيادات، ونعني بالقيادات: الرجال الفاعلين المؤثرين في أمتهم وقومهم وما حولهم من الناس، سواء كانوا قيادة سياسية في المستقبل وجهادية أو قيادة علمية وفكرية وتوجيهية تربوية وهي القيادة الأدبية.

رابعًا: أن يكون من مقاصدنا اكتشاف المواهب لدى الشباب والتعرّف على القدرات والملكات التي لديهم؛ فنهذبها ونوجّههم على أساسها ونشجّعهم على تنميتها، وقد نحتاج بعدها أن نفرّغ بعض شبابنا الذين نكتشف فيهم قدرة على طلب العلم والتقدم فيه للدراسة وقد نرسلهم للدراسة في أماكن أخرى، وهكذا.

خامسًا: المقصد التربوي التوجيهي الأخلاقي، وهذا لا يخفى، نسأل الله لكم التوفيق..

ومما ينبّه عليه فيه من أصول: الجمع بين العلم والعبادة، والتعلّق باليوم الآخر ورجاؤه وجعله هو همّة الإنسان ورأس ماله وهو محطّ نظره وأمله، والتقلل من الدنيا، والزهد واليقين، ولا تنسَ نصيبك من الدنيا في حدود معتدلة شرعًا وعقلًا وعُرفًا بحسب الحال.. ومعرفة فضل أهل الفضل، وبرّ أهل الصلاح ومحبة المؤمنين، والإيثار وحسن المعاشرة، والبعد عن الخوض في ما لا يحسن الإنسانُ، وترك ما لايعينه، والاشتغال بالأفضل، والحذر من مصائد الشيطان، والحرص على ما ينفع من خيري الدنيا والآخرة، وسؤال الله العافية، والشكر والصبر والخوف والخشية من الله والرجاء والتوكل والإنابة والذكر والتوبة.. إلى آخر أعمال القلوب.

سادسًا: في الغالب يكون من مقاصد مثل هذه الدورات التركيز على مسائل وأبواب مهمة، لمسيس الحاجة إلى معرفة فقهها وأحكامها في وقتنا وحالنا..

مثل: فقه الجهاد بعامة، وفقه مسائل منه خاصة، ومقدّمة في السياسة الشرعية، ومقدمة جيدة في العقيدة والتوحيد، ونحو ذلك، فهذا جيد طيب، وينبغي أن يكون مصاحبًا للمقاصد المذكورة قبله،

وأن يفهّم الطالب أن هذه المسائل إنما نركز عليها الآن لأننا بحاجة إلى معرفة أحكام الشرع فيها، لأننا مبتلون بها، وبصدد العمل بها، ففرضٌ علينا التفقّه فيها ومعرفة حدود ما أنزل الله فيها، لكن ليس ما نقوله هنا هو كل شيء، ولا نستطيع في دورة صغيرة كهذه أن نحيط بها وبتفاصيلها، وإنما نحرص على معرفة المهم والمشهور من المسائل، وما كان من مسائل الخلاف فنعرف الخلاف، ونختار ما نراه الأرجح من أقوال أئمتنا وعلمائنا.. وهكذا.

سادسًا: أخي العزيز؛ ليكن من مقاصد الدورة تربية الشباب على الاعتدال في قوةٍ، واللين في صلابةٍ، والعزةِ في غير غرور ولا تكبرٍ.. علّموهم ولقّنوهم يا أخي أن المجاهد القويّ العزيز الأبيّ المرضيّ عند الله، يجب أن يكون متكامل الصفات جامعا بين اللين والرفق واضعًا كلًا في محله، والعنف والشدة في محليهما، وبين كمال الرحمة وقوة الغضب كلّ في محلة، وهذا جِماعُهُ: الحكمةُ والعدلُ.

الحكمة: وضع الشيء في موضعه.

والعدل: إعطاء كل ذي حقّ حقه.

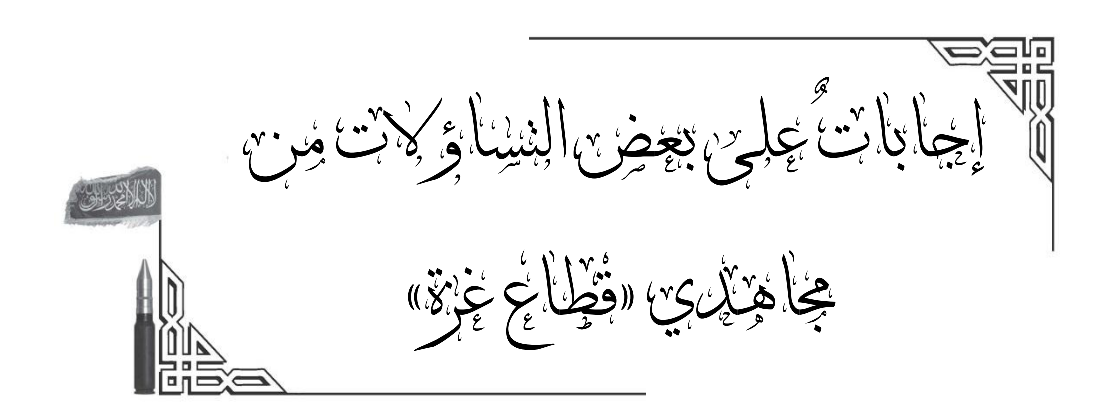
وهذا ما تيسّر جمعه من النصح لإخواني فيما يتعلق بالدورات الشرعية، وحسبُه أن يفتح أبوابًا للتأمل والإثراء وجمع الفوائد وتقييد الفرائد.

والله أعلم وأحكم ﷻ ومنه نستمد التوفيق، ونسأله ﷻ أن يبارك في جهودكم ويفتح عليكم من أبواب رحمته وفضله.. آمين.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم/ عطية الله

[كتبت في سنة ألفين وستة، بطلب من الأخ أبي الدرداء الكردي من جماعة «أنصار السنة في العراق» ﷺ وتقبله في الشهداء].



[هذه الرسالة قد تم اقتباسها من «وثائق أبوت أباد» التي تم نشرها من قبل «المخابرات الأمريكية» أذلها الله، وتحمل الوثيقة رقم: «SOCOM-2012-0000008Orig»، ومكتوب مطلعها: «الأخ عبد الحميد وفقكم الله، هذه أسئلة من إخوة جيش الإسلام (في غزة) مع إجاباتٍ عليها من الشيخ محمود؛ للاطلاع ربما يفيد»، وكان الأولى أن تُنشر في قسم «الرسائل الخاصة»، لكنْ رأيناها بقسم «الأسئلة والفتاوى الموجهة إلى الشيخ ﷺ» ألصق؛ فوضعناها في هذا القسم، وقد كُتِب هذا الجواب في شوال ١٤٢٧]



الأسئلة:

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد:

هذه أسئلة نرجو منكم إخواننا عرضها على أهل العلم تيجان رؤوسنا ليفتونا بها إن شاء الله..

السؤال الأول: هل يجوز أخذ المال من التنظيمات الأخرى وذلك بفرض دعم الجهاد عندنا..

مع بيان الآتي:

- حركة «الجهاد الإسلامي»: تتلقى أموال طائلة من الخارج - خاصة إيران - ولدى بعض عناصرها تبني لأفكار التشيع والعياذ بالله، ولكنهم عرضوا علينا التمويل مقابل العمل معهم والاشتراك في العمليات النوعية كنوع من الدعاية والاحتواء إن استطاعوا؛ بحيث نقوم نحن بالعملية بالتمويل عن طريقهم ثم يتم الإعلان باشتراكهم فيها.

- تنظيم (فتح) كذلك قام بعرض المال علينا بغرض يتشابه مع غرض الجهاد، ولكن هنالك سبب آخر هو خوفهم من أن يكونوا هدفا لسيوفنا.

مع العلم بأن الأموال ستذهب مباشرة لشراء وتصنيع الأسلحة ولدعم العمليات التي سنقوم بها

إن شاء الله، ومع الأخذ بعين الاعتبار فرض الحصار الخانق علينا سواء من اليهود لعنهم الله أو من التنظيمات الأخرى أمثال حماس لخوفها من نمو نفوذنا وسيطرتنا.

السؤال الثاني: هل يجوز استثمار الأموال في البورصة وبيع وشراء الأسهم بهدف دعم الجهاد، أو استثمار بعض أموال التبرعات في البورصات والأسهم..؟

السؤال الثالث: هل يجوز ضرب تجار المخدرات والقضاء عليهم وقتلهم؟ أم أن هناك تفصيلا في المسألة؟ وهل يجوز أخذ أموالهم التي اكتسبوها من التجارة بالمخدرات؟

وهل يجوز استغلال المخدرات التي نحصل عليها منهم في:

(١) استدارج العملاء الساقطين المدمنين واستخدامهم كعملاء مزدوجين ضد اليهود.

(٢) بيعها لليهود بهدف الإضرار بهم وأخذ الأموال منهم.

(٣) إسقاط جنود يهود بواسطة المخدرات خصوصا من حرس الحدود.

هذا والله ولي التوفيق..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو مولانا ﷻ وبه نستعين، ونصلي ونسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

جواب السؤال الأول

الذي فهمتُه من السؤال أن الإخوة يسألون عن مشروعية قبول أموال من التنظيمات الأخرى إذا عرضت عليهم ذلك وأعطتهم.

وهذا لا شك أن فيه تفصيلا؛ فهو ينبني أولا على حليّة هذه الأموال أو حرمتها في نفسها، ثم على ما يترتب على هذا الأخذ والقبول من مصلحة شرعية أو مفسدة؛ فلنفصل على هذا الأساس، وبالله التوفيق:

- إذا كان المال حلالا في نفسه؛ بمعنى أنه ليس مالًا حرامًا، فالأصل جواز قبوله ما لم يمنع مانع آخر كما سيأتي.

والمال الحلال هو ما لم نعلم أنه حرامٌ، **والحرام من الأموال نوعان**:

أحدهما: المحرم لذاته كالخمر والخنزير ولحم الميتة ونحوها، فهذا لا يحلّ إلا للمضطر.

والثاني: المحرم لجهة اكتسابه، وهذا فيه تفصيلٌ وخلافٌ بين أهل العلم.. **فإن كان معيّنًا** -أي شيئا بعينه عرفته- اكتسبه مكتسِبه بالحرام، فالصحيح عدم جواز أخذه، كالمسروق والمغصوب، ومثله

المكتسب بعقد فاسدٍ كفوائد الربا، وكالأموال المجنية من تجارة الخمر والمخدرات ونحوها، فلا يجوز الأكل منها ولا قبولها.. بخلاف أثمان الخمر والخنزير من أهل الذمة فيجوز الأخذ منها، كما قال سيدنا عمر ﷺ: «ولُّوهم بيعها وخذوا أثمانها» وهو أثر صحيح[١]، وهو أصل في هذا الباب عند الفقهاء. **وإن كان غير معينٍ**؛ وهي مسألة اختلاط الحلال بالحرام، ففيها أيضا اختلاف كثيرٌ وتفاصيل، والراجح ما سنذكره بعدُ. **وإن كان من كافرٍ**؛ فهل يختلف عما إذا كان من مسلم، لأن النبي ﷺ وأصحابه أكلوا من طعام وهدايا الكفار من اليهود وغيرهم ولم يسألوهم، وكذلك قصة سيدنا إبراهيم الخليل الآتية بعدُ، هذا أيضًا محل اختلف فيه أهل العلم، ويحتاج إلى تفصيل.

وهذا الفرع في حد ذاته يحتاج إلى تفاصيل، أعني معرفة الأموال وما يحل منها أخذه وقبوله وأكله وما لا يحل، من مسلم وكافر، في حال التعيّن وفي حال الاختلاط، والفقهاء يتكلمون في هذه المسائل في أبواب متفرقة في كتب الفقه وفي الفتاوى؛ فمن المواضع التي أدلكم عليها تراجعونها في ذلك، الآتي:

- كتاب الحلال والحرام، وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي ﷺ[٢]، فهو أَصَّلَ في هذه المسألة تأصيلًا لم يسبق إليه فيما أعلم، وإن كان على اختياراته في فروع هذا الباب ملاحظات وتعقبات، وبالغ في مسائل من الورع واعتبار الشبهات..!

- «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»؛ خصوصا المجلد التاسع والعشرين[٣] ففيه عدة فتاوى في هذه المسائل، وفيها تحرير ونفائس لا تكاد توجد عند غيره.

- «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي ﷺ[٤] عند شرح الحديث: **(الحلال بين والحرام بين)**[٥].

---

(١) ثابت عن عمر وهو مذهب الأئمة؛ قال هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٦٥).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٨٨ - ١٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣) قال -لما سُئِل عن أصحاب الحرف المحرمة-: «إذَا كَانَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ وَحَرَامٌ فَفِي مُعَامَلَتِهِمْ شُبْهَةٌ؛ لَا يُحْكَمُ بِالتَّحْرِيمِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ يُعْطِيهِ مَا يَحْرُمُ إعْطَاؤُهُ. وَلَا يُحْكَمُ بِالتَّحْلِيلِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ مِنْ الْحَلَالِ. فَإِنْ كَانَ الْحَلَالُ هُوَ الْأَغْلَبَ لَمْ يُحْكَمْ بِتَحْرِيمِ الْمُعَامَلَةِ وَإِنْ كَانَ الْحَرَامُ هُوَ الْأَغْلَبَ. قِيلَ بِحِلِّ الْمُعَامَلَةِ. وَقِيلَ: بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ».

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٠٠) قال: «مُعَامَلَةُ مَنْ فِي مَالِهِ حَلَالٌ وَحَرَامٌ مُخْتَلِطٌ، فَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَالِهِ الْحَرَامَ؛ فَقَالَ أَحْمَدُ: يَنْبَغِي أَنْ يَتَجَنَّبَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَيْئًا يَسِيرًا، أَوْ شَيْئًا لَا يُعْرَفُ، وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا: هَلْ هُوَ مَكْرُوهٌ أَوْ مُحَرَّمٌ؟ عَلَى وَجْهَيْنِ. وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَالِهِ الْحَلَالَ، جَازَتْ مُعَامَلَتُهُ وَالْأَكْلُ مِنْ مَالِهِ».

(٥) صحيح البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، صحيح مسلم (١٥٩٩).

- «الفروع» لابن مفلح الحنبلي[١].

- «المجموع» للنووي عند قول صاحب «المهذب»: «ولا يجوز مبايعة من يعلم أن جميع ماله حرام..»[٢].

والحاصل أننا إذا علمنا -مما تقرر في هذه المسألة: مسألة الأموال- أنّ المال المُعطى لا يحل أخذه وأكله، فهذا واضح.. فإن لم نعلم حرمته فإما أن يكون شبهةً فالمسنون فيها الاتقاء، وإما أن يترجح لنا حليّته أو يُتَيقّن فالأمر عندئذ واضح أيضا.

فإذا تبين أن المال في نفسه جائز القبول والأخذ، فبقي علينا النظر في ما يترتب على هذا القبول والأخذ، ويُتصوَّر في ذلك صورٌ كثيرة:

منها: أن يدخل على المسلم ذلةٌ في ذلك ومهانة.

ومنها: أن يدخل على المسلم في ذلك مِنّةٌ من الكافر أو الفاجر تجره إلى مودتهم ومداهنتهم ونحو ذلك.

ومنها: أن يترتب عليه تسلط من فاسقٍ أو كافرٍ -تدخل في الشؤون وإملاءات وشروط ونحو ذلك-.

ومنها: أن يترتب عليه أن يقوى الكافر أو الفاجر ويقوى ويكبر ويزداد نفوذا، يعني: تقوية الكافر أو الفاجر وإعانته.

وقد لا يكون شيءٌ من ذلك.. بل يكون للكافر والفاجر نوعُ مصلحة في العطاء، لا تؤثر كثيرا علينا ولا تضر المسلمين، وقد يكون الكافر يبذل للمسلم المال من أجل القرابة أو الوطن -بدوافع وطنية أو قومية ونحو ذلك- ولا يكون يترتب عليها شيءٌ من المفاسد المعتبرة المذكورة أعلاه.

فهذه بعض أشياء مؤثرة في المسألة.

وأما الأخذ من المسلم العدل الصالح المريد للخير؛ فهذا واضح لا نتكلم فيه وليس هو محل السؤال، بل السؤال عن الأخذ من تنظيمات متهمة في دينها: إما كافرة أو فاجرة متلبسة ببدعةأو فسوق، ومرتكبة للموبقات بل وربما للكفر -بالتأويلات الفاسدة- مع بقاء حكمنا عليها بالإسلام لحد الآن.!

ولا شك أن بعض ما مرّ أعلاه ضرر يشترك فيه الكافر والمسلم الفاجر، فلا بد أن يُعلم أن الفاجر

---

(١) الفروع وتصحيح الفروع (٤/ ٣٩٦، ٧/ ٨٢).

(٢) المجموع شرح المهذب (٩/ ٣٤٣).

المسلم لا يساوى بالكافر من كل وجهٍ، فمثلًا: الذلة الداخلة علينا من مسلمٍ فاجرٍ لا تساوي الذلة الداخلة علينا من كافر، وتدخل المسلم الفاجر وحصول نوع تسلط منه علينا لا يساوي تسلط الكافر علينا والعياذ بالله، فكل تلك الأشياء ينظر في مقاديرها، وبناءً عليه تحصل الموازنة بين المفاسد والمصالح، والله أعلم.

وأما حال الضرورة؛ فالضرورة لها أحكامٌ كما تعلمون، ويقدرها أهلها على مقتضى تقوى الله تعالى، ويُقتصر بها على موضعها «الضروة تقدر بقدرها».

وكذلك حال الحاجة الشديدة التي لم تصل إلى حدّ الضرورة لكنها قريبة منها، فهذه حالةٌ يُترخّص فيها في المكروهات والمشتبهات، والفرق بينها وبين الضرورة أن الضرورة تبيح المحظور الممنوع -أي المحرم-، لكن الحاجة ترفع الكراهة وحكم الاشتباه، وتجلب التيسير في الحكم؛ فترفع عن صاحبها الحرج فيما هو مكروه أو محل شبهة، كدخول بعض الذلة علينا: يمكن أن نحتمله في سبيل تحصيل مصلحة أكبر، ما دمنا محتاجين إلى أخذ المال حاجة شديدة معتبرة.! والله أعلم.

فهذا جواب تحليليّ على سبيل الإجمال، والإخوة يعرفون الأحوال فينزلون عليها ما ذكرناه..

وإلى شيء من التفصيل على حسب ما جاء في السؤال:

واضح أنكم في حاجة شديدة وضيق مالي..! كون أموال حركة الجهاد أصلها من الدعم من الدولة الرافضية (إيران) فلا يضرّ في حد ذاته، أعني أنه يجوز الأكل مما يُعطَى الإنسانُ منه وقبولُه إن شاء الله، فإنها دولة كافرة عندنا، وقبول أموال الدول والملوك الكفرة جائزٌ في ذاته، فإن منع مانع بعد ذلك فبحسبه، **ودليله**: حديث إبراهيم الخليل ﷺ وقبوله هدية الكافر، في قصة سارة عليها السلام حين حاول الملك التعرض لها فمُنع بإذن الله، ثم أعطاها مالا وأخدم وليدة (وهي هاجر عليها السلام) وقبل إبراهيم ذلك وانتفع به، والحديث في الصحيحين وغيرهما. **ولفظه عند البخاري**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (**هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، فأرسل إليه: أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي، ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي، فإني أخبرتهم أنك أختي، والله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك، فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت توضأ وتصلي، فقالت: اللّهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي، إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر، فغط حتى ركض برجله**)، قال الأعرج: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة، قال: (**قالت: اللّهم إن يمت يقال هي قتلته، فأرسل ثم قام إليها، فقامت توضأ تصلي، وتقول: اللّهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط علي هذا**

الكافر، فغط حتى ركض برجله)، قال عبد الرحمن، قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: (**فقالت: اللّهم إن يمت فيقال هي قتلته، فأرسل في الثانية، أو في الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم إلي إلا شيطانا، ارجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها آجر فرجعت إلى إبراهيم ؈، فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة)**[1].

قال الحافظ ابن حجر ؒ: «وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام وإباحة المعاريض والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح؛ وسيأتي نظيره في قصة أصحاب الغار، وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم، ويقال: إن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة وإنه لم يصل منها إلى شيء، ذكر ذلك في «التيجان» ولفظه: (**فأمر بإدخال إبراهيم وسارة عليه ثم نحى إبراهيم إلى خارج القصر وقام إلى سارة فجعل الله القصر لإبراهيم كالقارورة الصافية فصار يراهما ويسمع كلامهما**)، وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة، وفيه أن الوضوء كان مشروعا للأمم قبلنا وليس مختصا بهذه الأمة ولا بالأنبياء لثبوت ذلك عن سارة، والجمهور على أنها ليست بنبية»[2]. انتهى كلامه وذكرته بطوله للفائدة، ومثله في شرح «العيني»[3] أيضًا.

فهذا أصلٌ في هذا الباب، والأدلة أكثر من ذلك؛ ومنها قبول الصحابة -بعلم النبي ﷺ بالضرورة- هبة الكافر وعطيته وجائزته، وقبول النبي ﷺ هدايا الكفار حيث لم يكن ثمت دخول ذلة عليه، ولذا قبل بعض هدايا الكفار، كما جاء في عدة أحاديث، ورفض بعضها وردها ولم يقبلها وقال: (**إني نهيتُ عن زَبَدِ المشركين**) رواه أحمد وأبو داود والترمذي[4]، ومعنى (**زبد المشركين**): رفدهم وعطيتهم وهديتهم.. وغير ذلك.

فإذا أنتم لستم قادرين على تمويل أنفسكم اليوم بطريق شرعي سليم خالٍ من الموانع، فقبول أموال من تنظيمات أخرى مثل بعض الحركات الإسلامية -على ما فيها- كحماس أو حركة الجهاد الإسلامي، أو حتى من حركات قومية تشترك معكم في ضرب العدوّ اليهودي؛ من أجل الجهاد بها وضرب اليهود لعله خيرٌ من ترك الجهاد بسبب قلة المال.. بل خذوا إذا لم يكن إلا ذلك، واضربوا اليهود.. وانظروا في هذا أكثر، وأنتم أدرى بواقعكم..! وسددوا وقاربوا.

---

(١) صحيح البخاري (٢٢١٧، ٢٦٣٥)، صحيح مسلم (٢٣٧١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٩٤)، عمدة القاري (١٥/ ٢٥٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٢١٧، ٢٦٣٥)، صحيح مسلم (٢٣٧١).

(٤) مسند أحمد (١٧٤٨٢) وصححه الأرنؤط، سنن أبي داود (٣٠٥٧)، سنن الترمذي (١٥٧٧) وقال الألباني: حسن صحيح.

وكون الحركات تلك (الجهاد أو حماس، أو حتى فتح) تستغل تلك الأعمال وتتبناها، هو أقل ضررًا من ترك قتال اليهود، والله أعلم.

حتى إذا فتح الله عليكم وقدرتم على تمويل أنفسكم واستغنيتم عنهم، فاتركوهم واعملوا مستقلين على منهاجكم الذي هداكم الله إليه.. نسأل الله تعالى أن يفتح عليكم ويسددكم ويقويكم من ضعف، ويجعلكم من الهداة المهتدين.. آمين.

جواب السؤال الثاني

هذا أيضًا يختلف حكمه بحسب أحوال وقوانين هذه البورصات، ولا أعلم عن أحوالها وقوانينها شيئا يؤهلني للكلام عليها، كما أن صور البيع فيها كثيرة التعقيد ومليئة بالحيل فلا قدرة لي عليها، والله يقوينا وإياكم، وأنصح بسؤال أهل العلم المتخصصين في هذا المجال بعد تحرير سؤالكم جيدا وتفصيل أحوال وقوانين البورصات عندكم التي يمكنكم المتاجرة عبرها.. وفقكم الله وأعانكم.

جواب السؤال الثالث

الحمد لله..

أما ضرب تجار المخدرات والقضاء عليهم وقتلهم؛ فنعم فيه تفصيل، وذلك بحسب قوة تمكن المجاهدين وسلطتهم، والضابط الذي ينبغي أن تعلموه وتعتصموا به في هذه المسألة هو الآتي:

أن هذا الأمر هو من باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فالضابط في مشروعيته أن لا يؤدي الأمر والنهي إلى منكر أكبر.. هذا هو الضابط فاحفظوه، بارك الله فيكم.

ولذلك: فلو كان المجاهدون في منطقة ما أو إقليم من الأقاليم متمكنين وقادرين على تنفيذ الحدود وإقامة الشرائع أو أكثرها، بمعنى أنهم إذا طبقوها فيحصل المقصود منها شرعًا، ولا يترتب على فعلها ضررٌ أو مفسدة أكبر منها، فهذا لهم، بل قد نقول: هو واجبٌ عليهم حينئذٍ لأن الأصل هو هذا؛ أعني وجوب إقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره باليد، وذلك كما يفعل المجاهدون اليوم في بعض النواحي في العراق وأفغانستان ووزيرستان وغيرها..

أما في مثل حالتكم فالظاهر أنكم لستم بهذه المنزلة الآن، واللهُ يقويكم ويفتح عليكم.

فالذي أراه لكم: هو أن لا تفعلوا، فإني أخشى أن يحصل من ذلك مفاسد كبيرة وتفتحون على أنفسكم أبوابًا لا طاقة لكم بها، وتتكاثر عليكم المشاكل وأنتم ما زلتم ضعفاء.

وهؤلاء العصاة -إذا كانوا من المسلمين- ففيهم تفصيلٌ في جواز قتلهم أو عدمه؛ فالأصل أنهم

معصومون بالإسلام لا يجوز قتلهم، وإنما يجوز في حالات معينة فلا بد من تفصيل آخر من هذا الوجه.

وأما إذا قدرتم على أخذ أموالهم في بعض الحالات بدون أن يترتب على ذلك مفسدةٌ أكبر كما قلنا، فلكم ذلك وتُصرف الأموال في الجهاد في سبيل الله.

وهي -في تصوري- حالاتٌ ضيقة إن وجدت، مثل أن تعثروا على أموالهم، أو تسقط قافلةٌ من قوافلهم -تجار المخدرات- في أيديكم فتأخذون أموالهم -لا المخدرات نفسها- وتصرفونها في الجهاد في سبيل الله؛ لكن تذكروا أن الشرط في ذلك دائما هو: ألا يؤدي ذلك إلى مفسدة أعظم، والله أعلم.

والشق الثاني من السؤال تقصدون به أيضًا السؤال عن قبول عطية وهبة وصدقة تجار المخدرات من المسلمين.. أي هل يجوز قبول الأموال منهم؟ هكذا فهمتُ من سؤالكم.

فإن كان المقصود هو: أخذ الإنسان لنفسه وقبوله منهم لنفسه، كقبول هديتهم وأكل طعامهم؛ فهذا فيه تفصيلٌ وفي بعض فروعه خلافٌ بين أهل العلم أيضًا، كما سبقت الإشارة.

فإن كان مالهم متمحضًا للحرام، يعني أنه كله من الحرام -تجارة المخدرات- فأكثر العلماء -جمهورهم- يقولون بعدم جواز الأخذ منهم والأكل من أموالهم، وبعض أهل العلم يختار الجواز ويقول: إثمهم عليهم، ولا شيء على المُعطى الآخذ، ولكن الأول أرجح، والله أعلم.

وإن كانت أموالهم مختلطة جاز الأكل من أموالهم وقبول عطاياهم، لكن ينبغي أن يقيّد بما لا يزيد على قدر الحلال من أموالهم.

وتحرير هذه المسألة يطول، وتراجع في المظان التي أشرنا إلى بعضها أعلاه.

وأما إذا كان هؤلاء التجار الذين يتاجرون بالحرام كالمخدرات يتصدقون بأموالهم للجهاد في سبيل الله، فالذي يظهر لي -والله أعلم- جواز صرف هذه الأموال في الجهاد في سبيل الله؛ لأن هذه الأموال اكتُسبت من حرام، فوجب على صاحبها التوبة، ومن التوبة التحلل من هذه الأموال وألا يبقيها في ملكه، وطريق ذلك هو وضعها في بيت مال المسلمين؛ فتصرف في مصالح المسلمين، ومنها الجهاد والغزو في سبيل الله، أو التصدق بها.

وبعض العلماء يقولون: يُتلفونها لأنها أموال اكتسبت من حرام؛ وهذا ضعيف جدا لأن الله تعالى لم يأمر بإتلاف الأموال، بل نهى عن تضييعها، وإتلافها في هذه الحالة تضييعٌ لا ينطوي على صلاحٍ، ولأنه لا موجب لإتلافها -لا دليل يوجب ذلك-، بل المصلحة الظاهرة تقتضي صرفها في مصالح الإسلام والمسلمين فتدخل في بيت المال، فتكون من جملة موارد بيت مال المسلمين، كالأموال المأخوذة -المصادرة- من أهل الفساد؛ حيث أجزنا المعاقبة بذلك.

وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما بسط ذلك في مواضع من فتاويه -في المجلد التاسع والعشرين أكثر من فتوى بسط فيها هذه المسألة، وفي غيرها أيضًا[(١)]-.

وإن كان صاحبها لم يتب، بل هو مستتر في ارتكابه للمعصية، وهي المتاجرة بالحرام؛ فالواجب على المسلمين الحسبة عليه، وواجبٌ على ولي أمر المسلمين الأخذ على يده، وجائزٌ في ذلك مصادرة ماله على أصح أقوال أهل العلم، من قِبَلِ ولي الأمر المسلم.

فالخلاصة: أنه إذا تبرع تجار الخمور والمخدرات بشيء من أموالهم للجهاد في سبيل الله تعالى؛ جاز قبول ذلك منهم وصرفه في الجهاد في سبيل الله، مع وجوب استمرار دعوتهم ودعوة سائر الخلق إلى طاعة الله تعالى والتوبة إليه بترك المنكرات واجتناب المحرمات، فهذا احتراز من معاونتهم على المتاجرة بالحرام، والله أعلم. ولو كان المجاهدون مستغنين عن ذلك؛ فلعل تركه أفضل.

وأما سؤالكم: «وهل يجوز استغلال المخدرات التي نحصل عليها منهم في: (١) استدارج العملاء الساقطين المدمنين واستخدامهم كعملاء مزدوجين ضد اليهود، (٢) بيعها لليهود بهدف الإضرار بهم وأخذ الأموال منهم، (٣) إسقاط جنود يهود بواسطة المخدرات خصوصا من حرس الحدود؟»..

فهذا كله لا يجوز..

أما الأول فواضحٌ؛ لأنها وسيلة محرمة واضحة التحريم: إعطاء المخدرات والخمور للناس وإعانتهم عليها ونشرها فيهم.. فهذا كله مما نهى الله عنه وحرمه، فبأي دليل نجيزه؟! وكون أولئك المقصودين «مدمنين ساقطين» فيرُ مؤثرٍ في الحكم والله أعلم.. فإن كانوا من شباب المسلمين المحكوم لهم بالإسلام لكنهم فُسَّاقٌ بهذه الكبيرة -تعاطي المخدرات- فهذا واضح جدا، وإن كانوا كفارًا فلا يجوز أيضًا استعمال هذه الوسيلة مع الكفار على الصحيح عند عامة العلماء، وإنما رخَّص بعض أهل العلم في مسائل أخرى من هذا الباب مختلفة عن مسألتنا هذه؛ مثل تجويز أبي حنيفة ﷺ التبايع مع أهل الحرب -الكفار الحربيين- في دار الحرب بالربا، كما ذكره أصحابه كما في «بدائع الصنائع»[(٢)] وغيره،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣) قال -لما سُئِل عن أصحاب الحرف المحرمة-: «إذَا كَانَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ وَحَرَامٌ فَفِي مُعَامَلَتِهِمْ شُبْهَةٌ؛ لَا يُحْكَمُ بِالتَّحْرِيمِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ يُعْطِيهِ مَا يَحْرُمُ إعْطَاؤُهُ. وَلَا يُحْكَمُ بِالتَّحْلِيلِ إلَّا إذَا عُرِفَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ مِنْ الْحَلَالِ. فَإِنْ كَانَ الْحَلَالُ هُوَ الْأَغْلَبَ لَمْ يُحْكَمْ بِتَحْرِيمِ الْمُعَامَلَةِ وَإِنْ كَانَ الْحَرَامُ هُوَ الْأَغْلَبَ. قِيلَ بِحِلِّ الْمُعَامَلَةِ. وَقِيلَ: بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ».

(٢) قال الكاساني: «إذَا دَخَلَ مُسْلِمٌ أَوْ ذِمِّيٌّ دَارَ الْحَرْبِ بِأَمَانٍ؛ فَعَاقَدَ حَرْبِيًّا عَقْدَ الرِّبَا أَوْ غَيْرَهُ مِنْ الْعُقُودِ الْفَاسِدَةِ فِي حُكْمِ الْإِسْلَامِ جَازَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِيهِمْ أَوْ أَسْلَمَ فِي دَارِ الْحَرْبِ وَلَمْ يُهَاجِرْ إلَيْنَا؛ فَعَاقَدَ حَرْبِيًّا، وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ فِي دَارِ الْحَرْبِ إلَّا مَا يَجُوزُ لَهُ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ». بدائع الصنائع (٧/ ١٣٢)، وانظره في: (٥/ ١٩٢).

وخالفهم في ذلك جمهور أهل العلم، وقول الجمهور هو الصحيح، وهو المنع من ذلك مع الحربي كما هو مع المسلم ومع غير الحربي، وسواء كان في دار الحرب أو في دار الإسلام.

ومثل تجويز سحنون من أئمة المالكية فداء أسرى المسلمين بالخمر والخنزير إذا طلب الكفارُ ذلك؛ قال ابن جزي في «القوانين الفقهية»: «وإن طلب العدو في الفداء خيلا وسلاحا دفعت إليه بخلاف الخمر والخنزير وقد أجاز الفداء بهما سحنون ومنع ابن القاسم ما فيه مضرة على المسلمين ومن فدى أسيرا بخمر وشبهه لم يرجع به ولا بقيمته»[(١)] اهـ.

ومثل قول «شيخ الإسلام» في «الفتاوى»: إن ترك الكفار من التتر وغيرهم يشربون الخمور ويسكرون خيرٌ من نهيهم عن ذلك؛ لأن الخمر لا يصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة بل يصدهم عن الفسوق والعصيان، ولأنهم إذا صَحَوْا أفسدوا أكثرَ[(٢)]، كما ذكر ذلك في كتاب «الاستقامة» له، فهذا يتعلق بالأمر والنهي، ومقصوده ترك نهيهم عن ذلك لما فيه من الرجحان. والله أعلم.

وأما الثاني (رقم اثنين): فهي مسألة بيع الخمور والمخدرات وما هو محرّم في شريعتنا للكفار بغرض الإضرار بهم.. والصحيح فيها عدم الجواز؛ فكل ذلك محرم؟، مشمول بالنهي عن بيع هذه الأشياء ولا فرق بين بيعها لمسلمٍ أو لكافرٍ، لا في الحرب ولا في السلم، هذا هو الصحيح كما تقدمت الإشارة.

وأما الثالث (رقم ثلاثة): فقد تبين حكمها مما سبق، وهو أيضا المنع وعدم الجواز، هذا هو الأصل: تحريم بيع الخمر ونحوها للكفار الحربيين، وتحريم استعمالها في العطايا لأهل الحرب بغرض التجسس واصطنعا أناس منهم، فهذه كلها وسائل محرمة، لا تجوز.

والأدلة على ذلك:

- عموم أدلة تحريم بيع الخمر ونحوها، وتحريم إعطائها ومناولتها وسقيها لمن يشربها وحملها إليه.. الخ. والأدلة على ذلك كثيرة معروفة، وأعني بالعموم شمولها للبيع للكافر، وللبيع للمسلم.
- لأن فيه إعانة على الإثم والعدوان..
- لأن فيه تشويها لصورة الإسلام ولدعوته الكريمة الطاهرة، وفيه صدّ عن سبيل الله.

اللّهم إلا أن تكون هناك ضرورة، وليس لنا وسيلة غير ذلك في نحو تخليص مسلم من بين أيديهم

---

(١) القوانين الفقهية (ص ١٠٢).

(٢) قال شيخ الإسلام: «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم» المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠٧).

بمثل هذه الوسيلة، إذا هم طلبوا في تخليصه خمرًا أو مخدراتٍ مثلا، وقد جوز سحنون كما سبق فداء الأسرى بالخمر والخنزير، وهذا يشبه أن يكون محمولًا على الضرورة، ولأن ضرر التشويه فيه يشبه أن يكون مأمونًا في هذه الحالة إذا كان العدو هو طلَبَ ذلك. والله أعلم.

وحيث قررتم أن هناك ضرورة لذلك؛ فيجب أن تقدر بقدرها ويقتصر على قدر الضرورة فقط، ولا يكون الأمر كالمباح بالأصل..! وينبغي الحرص على الستر والكتمان فيه أيضًا، لما في ذلك من خوف انتشار الفاحشة في الذين آمنوا، وخوف تشويه صورة المسلمين وحصول التنفير.

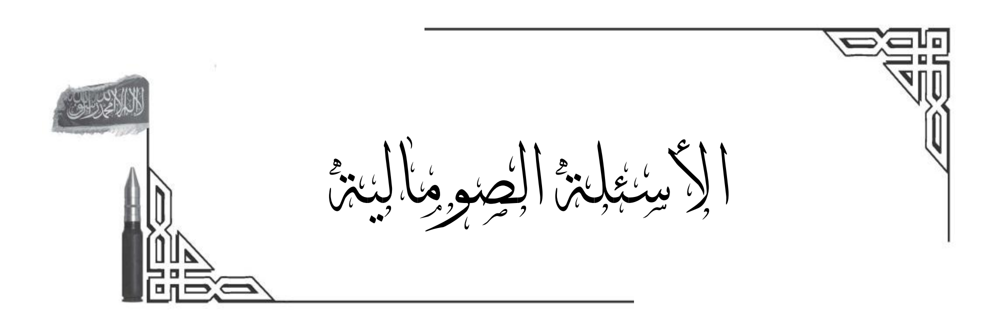
وحسبنا الله ونعم الوكيل، والله أعلم وأحكم..

والحمد لله أولا وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه..

كتبه: **عطية الله**

شوال ١٤٢٧

✵ ✵ ✵



الأسئلة الصومالية

[رسالة نشرها بعض المجاهدين -بشكل غير رسمي- بعد مقتل الشيخ رحمه الله، تضمنت أسئلة من المجاهدين في الصومال، متعلقة بمسائل جهادية نازلة، أجابهم فيها الشيخ عطية رحمه الله مع تقديم بعض النصائح والمقترحات للجهاد الصومالي المبارك، نسأل الله أن يبارك في الإخوة في «الصومال المجاهد» ويقويهم ويعينهم وينصرهم على عدو الله وعدوّهم.. آمين]



الأسئلة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هذه بعض الأسئلة، أريد أن تستفتي لي بها العلماء وبسرعة، وهي حول العمليات الخاصة «الاغتيالات» جزاك الله خيراً.

س ١: أثناء تنفيذ العملية تعرض بعض الحراس القريبين في المكان للإخوة المنفذين للقبض عليهم أو الإصابة بهم، فماذا يعملون؟ وهل لهم أن يقاوموهم وإن أفضى ذلك إلى قتل الحراس؟

س ٢: ثلاثة إخوة ذهبوا لتنفيذ عملية واحد منهم باشر العملية والاثنان حماية له، فالمنفذ قتل الأهداف ووجد «سلبا» فهل يكون هذا السلب خاصا بالمنفذ أم يشترك معه صاحباه؟

س ٣: هناك مجموعة استطلاع ومجموعة تنفيذ، المستطلع دل المنفذ هدفا؛ فنفذ المنفذ، فبان أنه ليس هو الهدف، بعد قتله بالخطأ، فما العمل؟ وعلى من تكون الدية؟ وهل هي شبه خطأ أم خطأ محض؟

س ٤: ممتلكات جماعة من سيارات وأسلحة، يقاتل بها شباب مقاتلون؛ فإذا غنموا غنيمة فكيف تكون القسمة بين الجماعة التي تملك الممتلكات، والمقاتلين الذين باشروا العمل ؟

س ٥: أعضاء في حركة.. بعضهم يباشر المعارك، وبعضهم لا يباشر؛ لانشغالهم بمهمات أخرى جماعية، كجمع المعلومات وتجهيز الغزاة وصيانة السيارات والأسلحة؛ فهل يسهم لغير المشاركين أم لا؟

س ٦: عضو من الحركة انفصل منها، ثم رأى بعض شباب الحركة في مكان شبهة «منطقة العدو» فظن أنهم يريدون تنفيذ عملية؛ فأشار إلى العدو أن احذروا، فهل ذلك تجسس منه؟

وجزاك الله خيراً

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله ومن اتبعه بإحسان.. وبعد:

فقد نظرتُ في هذه الأسئلة المرسلة من الإخوة فرأيت أكثرها يدور حول أحكام الغنائم.

فرأيت قبل الشروع في الأجوبة المختصرة أن ألفت النظر إلى أنه وإن كانت أحكام الغنائم وما فيها من أحكام الأسلاب وقانون القسمة وغير ذلك، كله من الشريعة المطهرة والعلمُ به والفقه فيه علمٌ نافعٌ ممدوح، ثم العمل بمقتضى ذلك الفقه عمل صالح وفرضٌ شرعيّ، إلا أننا ينبغي أن ننبه إخواننا إلى أن الاعتناء والاهتمام جدًا وفي هذه المرحلة المبكرة من عمر الجهاد والقتال بأمر الغنيمة والأسلاب ونحوها يُخشى منه بعضُ الضرر الداخل على نيات المجاهدين ومقاصدهم، ولذلك فمن فقه هذا الباب أن يتدبر الإنسان في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال]، وهذه الآية العظيمة هي فاتحة سورة الأنفال، وفيها فقه كبير جدا لمن أعطاها حقها من التدبر، وأن الإجابة على هذا السؤال -السؤال عن الأنفال- جاء في هذه السورة الكريمة -سورة الأنفال- بعد أربعين آية[1].. قال بعضُ أهل العلم: إن في ذلك من الحكمة تعليمَ المؤمنين ترتيب المقاصد وما هو المقصود الأعظم والأهم وما هو دون ذلك وما هو تبع للمقصود ومعينٌ عليه وخادم له، وفيه من الحكمة أيضا تعليم المفتي التريّث في الفتوى والإجابة على سؤال السائل وأنه يحسُن منه اهتبال الفرصة لتعليم الجاهل وتكميل تصوره وتصحيح سؤاله وتقديم ما يحسُن تقديمه من المقدمات والتوطئة، ثم الجواب بعد ذلك على بصيرة وتثبّت. والله أعلم.

ولذلك فإننا ننصح الإخوة أن يكون الغالب عليهم هو التسامح في هذا الباب والبذل وقلة الحرص على النصيب المفروض أو المحتمل من الغنيمة؛ فإن الجهاد في مراحله الأولى في مثل ظروفنا هذه يحتاج منا إلى بذل فضول الأموال لا أن نأخذ منه!.

ولذلك فإن الرأي الراجح عندي وهو ما اختاره بعضُ أهل العلم -والمسألة خلافية-: أن لوليّ الأمر منع الغانمين من الغنيمة إذا رأى -نظرًا لمصلحة الإسلام والمسلمين- أن يمنع قسمتها على الجيش ويصرفها في مصلحة الدين والجهاد.

---

(١) انظر في هذا المعنى اللطيف كتاب الشيخ أبي قتادة: مع صبغة الله الصمد (ص ١٦).

ودليل هذه المسألة الحديث المشهور الثابت في الصحيحين من رواية أنس بن مالك وغيره أن النبي ﷺ أعطى غنائم حنين للمؤلفة قلوبهم من مُسلِمة الفتح ولم يقسمها بين الجند ولم يعط الأنصارَ -وهم معظم الجيش- شيئًا حتى وجدوا في نفوسهم وقالوا كلمتهم المشهورة: «يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويمنعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»[1] القصة المعروفة.

وجه الدلالة: أن الجيش كانوا مستحقين للأربعة أخماس بلا شك.

وقد كانت شريعة الغنائم -الأنفال- قد تقررت قبل ذلك بأعوام، بلا خلاف.

ولكن النبي ﷺ رأى مصلحة عظيمة في منع المقاتِلة منها وصرفها في مصلحة الدين.

وقول مَن قال من العلماء: إنه أعطاهم من الخمس ضعيفٌ جدا، وأضعف منه وأوهى القول بأنه من خمس الخمس.. بل الصحيح الظاهر جدا أنه أعطاهم من أصل الغنيمة، بل الغنيمة كاملة، ولم يعط الأنصار شيئا كما هو نصّهم.. ولا دليل على أنه استرضاهم، بل القصة تدل على خلافه، وكونه وكلهم إلى إيمانهم فليس هذا معنى الاسترضاء في الحقوق.

ومن أدلة هذا الرأي الذي قلتُ إنه الراجح ما ثبت في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قتل رجلٌ من حمير رجلا من العدو فأراد سلبه فمنعه خالد بن الوليد وكان واليا عليهم، فأتى رسولَ الله ﷺ عوفُ بن مالك فأخبره فقال لخالد: ما منعك أن تعطيه سلبه؟ قال: استكثرته يا رسول الله. قال: ادفعه إليه. فمر خالد بعوف فجرّ بردائه ثم قال: هل أنجزتُ لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ؟ فسمعه رسولُ الله ﷺ فاستغضب فقال: (**لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد.. هل أنتم تاركون لي أمرائي؟! إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعي إبلًا أو غنمًا فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم**)[2] اهـ.

---

(١) صحيح البخاري (٣١٤٧)، وتمام الحديث عن أنس بن مالك، أن ناسا من الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ، حين أفاء الله على رسوله ﷺمن أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشا ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبة من أدم، ولم يدع معهم أحدا غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: «ما كان حديث بلغني عنكم». قال له فقهاؤهم: أما ذوو آرائنا يا رسول الله، فلم يقولوا شيئا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشا، ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أعطي رجالا حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله ﷺ، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا، فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ على الحوض».

(٢) صحيح مسلم (١٧٥٣).

وجه الدلالة: أن الرجل -الحميري اليمني المددي- استحق السلبَ، وأقرّ النبيُّ ﷺ له باستحقاقه السلب، وأمر خالدًا بدفعه إليه، ثم منعه إياه وقال: لا تعطه؛ نظرًا لمصلحة عارضة وهي هنا: التأديب والتعزير والتنكيل.

فهذا فيه دلالة على أشياء:

منها: ما نحن بصدده، أعنى أنه يجوز لوليّ الأمر منع الغنيمة -والسلب غنيمة وفرعٌ لها- عن مستحقها لمصلحة دينية بيّنة.

ومنها: ما يدخل في باب التعزير والتأديب بمنع الحق المالي المستحق.

وقد يقال: هذا خاصّ بالسلب، لولا أن عندنا أصلا اعتضد به العموم في الغنيمة كلها وهو حديث الأنصار المتقدم، مع أنه مجرد احتمال.. وللمسألة بحث أوسع في موضعها.

والمقصود: اتقوا الله أولًا، وأصلحوا ذات بينكم ولا تختلفوا، ولا تجعلوا همّكم الغنيمة؛ فإن الدين والجهاد يحتاج منا في هذه المرحلة إلى بذل وعطاء وسماحةٍ وسخاء، يحتاج منا إلى أن نبذل من أموالنا وننفق.

فإما أن تكون الغنائم ممنوعة عن الجيش في هذه المرحلة إلى أن يشاء الله، ويرى أمراءُ الجهاد وولاة أمر المجاهدين أن يشرعوا في قسمة الغنائم؛ فهذا لهم(١).

وإما - إن كانوا مبدئيا ماشين على الرأي الآخر، أو يرون بكل حالٍ أن تُعطى الغنائم لمستحقيها حتى في هذه المرحلة- أن يتولى قَسْم الغنيمة والفصلَ في الأسلابِ وليُّ الأمر الحاضر في ميدان القتال أو الأمير الأعلى، على مقتضى الشرع، ويستعين في ذلك بمن حوله من أهل العلم ليعرّفوه كيفية القسمة.

ونمر الآن على الأسئلة بأجوبة مختصرة، وبالله الاستعانة:

س١/ أثناء تنفيذ العملية تعرض بعض الحراس القريبين في المكان للإخوة المنفذين للقبض عليهم أو الإصابة بهم، فماذا يعملون؟ وهل لهم أن يقاوموهم وإن أفضى ذلك إلى قتل الحراس؟

---

(١) في مسألة وجوب قسمة الغنائم خلاف كبير، ولعل ما اختاره الشيخ ﷺ هو أولى الأقوال هذا الزمان، ولعله أجدر أن يرجح لما دخل على هذه المسألة من مستجدات، وانظر رسالة ابن الفركاح -شيخِ ابن تيمية رحمهما الله- الموسومة بـ: «الرخصة العميمة في أحكام الغنيمة» حيث قال فيها: «حكم الفيء والغنيمة راجع إلى رأي الإمام يفعل فيه ما يراه مصلحة ويعتقده قربة؛ فإذا فعل الإمام الواجبُ الطاعةَ شيئا من ذلك كان فعله جائزا، وحكمه في ذلك ماضيًا نافذًا، وكان التصرف في تلك الأموال حلالا سائغًا» (ص ٧٢).

أنتم تقاتلون عدوّا كافرا بيّنا إما النصارى الأحباش «الأثيوبيين» الذين هم كفارٌ أصليّون، أو المرتدين من جند الحكومة الصومالية المزعومة المؤقتة، وهؤلاء لا شك في أنهم زنادقة مرتدون كفرة بيقين عندنا؛ فقتالكم قتالٌ شرعيّ واضح جليّ، فعندما تنفذون عملية فمن وقف في صف العدوّ ضدًّا لكم ومانعًا لكم من ضرب العدوّ؛ فهو مهدور الدمِ جائزٌ قتله بلا شك، لا نعلم في هذا خلافا أصلا في ديننا وشريعتنا.

وإنما الحكم على هذا الذي هو في صف العدو -كالحراسة المشار إليها- ممن يمنع المجاهدين من تنفيذ عملياتهم وضرب العدو الكافر.. **الحكم عليه بالكفر هو محل النظر والتفصيل؛ فنقول:**

- إن كان يحرُس النصارى المحتلين ويدافع عنهم ويمنع المجاهدين من قتالهم؛ فهذا كافرٌ، وهذا واضحٌ.
- وإن كان يحرس مؤسسة معينة تابعة للدولة (الحكومة العميلة المؤقتة المرتدة) فهذا لا نسارع بتكفيره لاحتمال أنه يظن أنه يحرس مؤسسة عامة (ملك عام، ملك للأمة، للشعب، للبلد.. بغض النظر عن الحكومة) فهذا نوعٌ من التأويل كثير الوجود في الناس، فنحن لا نكفر أمثال هؤلاء من أجل هذا الظن والتأويل الذي عندهم، إن كانت المؤسسة التي يحرسها غير عسكرية، كمن يحرس مؤسسة اقتصادية أو بنكًا أو مصلحة تابعة لوزارة الكهرباء أو النفط والصناعة والميناء والمطار مثلًا. وهناك تفصيلات أخرى..

والمقصود: القتل شيء، والحكم بالكفر شيء آخر..

لا بد أن يفقه الإخوة هذا الفارق والتمييز، وأنه لا تلازم بين القتل والكفر.

قد نقتل المسلم، وقد نترك الكافر، كل ذلك له تفاصيله في محلها.

فإذن للإخوة في مثل حالة السؤال أن يقتلوا الحارس أو يتركوا قتله بحسب ما يرون وبحسب الحال، وهم مجاهدون محسِنون قائمون بأمر الله.. وفقهم الله وسددهم.

ويحتاطون في أمر الجهّال المساكين من الناس، ويختارون دائما دفع الجهلة والمتأولين بالتي هي أحسن ما استطاعوا ما لم يكن القتل ضروريا أو كان ترك الحارس يؤدي إلى فسادٍ وضررٍ داخلٍ على جهادهم.. والله أعلم.

س٢/ ثلاثة إخوة ذهبوا لتنفيذ عملية واحد منهم باشر العملية والاثنان حماية له؛ فالمنفذ قتل الأهداف ووجد (سلبًا) فهل يكون هذا السلب خاصًا بالمنفذ أم يشترك معه صاحباه؟

السلب للقاتل فقط، لكن السلب له حد، فعليكم أن تعرفوا ما يدخل فيه وما لا، وهذا مبسوط في

كتب الفقه فارجعوا لها، وحيث اختلفتم فليحكم بينكم أهل العلم، وطلبة العلم عندكم وحيث أنتم.

فالسلب يتناول: سلاح القتيل: السيف والرمح (هذا أيام زمان، والآن البندقية والمسدس وما يحمله من سلاح)، ويدخل فيه الدرع (مثلا: سترة واقية)، ويدخل فيه لباسه وحذاؤه وحزامه وكل ما يلبس.

لكن هل يدخل فيه فرسُه؟ -ومثله الآن لو كان يركب مركوبًا-، هذه مسألة خلافية، والظاهر أنه لا يدخل في السلب.

وهل يدخل فيه المال الذي يوجد في جيبه؟ مثلًا: لو وجدنا القتيل واضعا في جيبه ألف يورو، أو عشرة آلاف يورو، هل هي داخلة في السلب؟ الصحيح أيضا أنها ليست من السلب بل تردّ إلى الغنيمة.

فالمنفذ مع الردء -المعاون والحماية والإسناد- كلهم يشتركون في الغنيمة (يستحقونها)، لكن السلب للقاتل.

س٣/ هناك مجموعة استطلاع ومجموعة تنفيذ.. المستطلع دل المنفذ هدفًا، فنفذ المنفذ، فبان أنه ليس هو الهدف، بعد قتله بالخطأ، فما العمل؟ وعلى من تكون الدية؟ وهل هي شبه خطأ أم خطأ محض؟

هذا قتل خطأ، وهو واقعٌ في الحرب -الجهاد-، ففيه والله أعلم: الكفارةُ على القاتل -وهي مبيّنة في كتاب الله-، والدية على عاقلته لأولياء المقتول.

وعاقلة القاتل -المجاهد الذي وقع منه القتل خطأ- هنا هي ديوان الجند الذي يتبعه، أي الجماعة، أي على بيت المال.. وليستغفر الله تعالى.

وليلتزموا دائمًا قوة التحري والتثبّت، ولا يتسهينوا، فإن استهانوا بالدماء فإن الله تعالى يعاقبهم ويُذلّهم ويفشّلهم، مع عقوبة الآخرة التي هي أشد وأدهى وأمرّ، والعياذ بالله..

نسأل الله لنا ولكم العافية والسلام.

وأما هل على الدالّ شيءٌ؟ فلا أدري.

ملاحظة: ليس هناك شيء اسمه «شبه خطأ» في الاصطلاح، وإنما هناك: القتل العمد، والقتل الخطأ، والقتل شبه العمد.

وهذا القتل الواقع صورته في السؤال هو من نوع قتل الخطأ.. والله أعلم.

س٤/ ممتلكات جماعة من سيارات وأسلحة، يقاتل بها شباب مقاتلون، فإذا غنموا غنيمة فكيف تكون القسمة بين الجماعة التي تملك الممتلكات والمقاتلين الذين باشروا العمل؟

قدمتُ مقدمة مهمة في مسألة الغنيمة..

وعلى كل حال؛ لو كان اختيار القيادة هو تقسيم الغنائم وإعطاءها لمستحقيها، فيقال: هل السيارة أو الدبابة أو المدرّعة أو الطائرة كذلك، هل هذه الوسائل المركوبة تقوم مقام الفرس في الغنيمة فتستحق سهمي الفرس؟

هذه مسألة محتملة، واختلفت فيها آراء العلماء المعاصرين، فالله أعلم.

هذا لو كان المقاتل يقاتل بسيارته ودبابته.. وهذا يشبه أن يكون غير موجود الآن، بل الدبابات والسيارات والطائرات هي للجماعة أو للدولة، وعليه فليس لها ما للفرس، والله أعلم، ولو كان لها فإنه راجع إلى مالكها وهو هنا الجماعة، فهو تحصيل حاصل.

فإذن ليس للمقاتل إلا سهمه من الغنيمة على حسب القسمة.. والله أعلم.

س٥/ أعضاء في حركة بعضهم يباشر المعارك وبعضهم لا يباشر لانشغالهم بمهمات أخرى جماعية، كجمع المعلومات وتجهيز الغزاة وصيانة السيارات والأسلحة، فهل يسهم لغير المشاركين أم لا؟

يُسهَم لكل من كان في الجيش، ومنه الردء والاستطلاع والحراسة وغيرها، وإذا غنمت السريةُ من الجيش، والجيشُ وراءها بحيث هو لها سندٌ وملجأ تلجأ إليه وتفيء إليه إذا أصابها شيء وتتقوى به، فإن الجيش كله مع السرية شركاء في الأربعة أخماس.

لكن هل الجماعة كلها منزلة الجيش؟ هذا محل نظر ويختلف باختلاف الأحوال ؛ أحوال الجماعات وميادينها.

والغالب في الجماعات الصغيرة التي تمارس حرب عصابات أنها كلها بمنزلة الجيش، فيما يظهر لي، والله أعلم.

س٦/ عضو من الحركة انفصل منها، ثم إنه رأى بعض شباب الحركة في مكان شبهة (منطقة العدو) فظن أنهم يريدون تنفيذ عملية؛ فأشار إلى العدو أن احذروا، فهل يعتبر ذلك تجسسا منه؟

نعم هذا من التجسس للعدو بلا شك، ويستحق صاحبه عقوبة الجاسوس.

وأخشى أن يكون كافرًا أيضًا.. هذا محل بحث!.

والحق أن مسألة الجوسسة ومسألة مظاهرة العدو ومعاونته المعدودة كفرًا أكبر مخرجًا من الملة بينهما بعضُ التداخل، وأحيانا يصعبُ الفصل بينهما، فيُحتاط في ذلك، والله أعلم.

وليس لكون هذا الشخص المشير على العدو عضوا سابقا في الحركة ثم انفصل تأثيرٌ في المسألة، وقد يكون مقصود الإخوة من ذكر هذا في السؤال أنه قرينة على أن هذا الشخص موالٍ للعدو واقفٌ في صف أعداء الله رأسًا، محاربٌ للمجاهدين الذين انفصل عنهم، فهذا محتمل لكنه ليس بقاطع حتى يبينَ ذلك لكم من حاله وأفعاله الثابتة المستيقنة.

والحاصل: أن الذي يظهر أنه إن كان الشخصُ جسّ للعدو مرة واحدة، أو مرتين مثلا أو حتى مرات قليلة على فترات متباعدة لغرضٍ من قرابةٍ أو طمعا في دنيا، ولم يكن في جسّه مظاهرة واضحة للكفار على المسلمين، بل هي من جنس تحذيرهم من المسلمين أو دلالتهم على تحرك للمسلمين في اتجاههم أو نحو ذلك، فهذا جاسوس.

وأما إن كان الشخص يشتغل مع العدوّ عميلا لهم دائما ومستمرًا كعضو الاستخبارات لهم، والعميل الكامل كحال العملاء المعروفين اليوم، فهذا لا نقول إنه جاسوس، بل هذا منهم، كافرٌ مثلهم، موالٍ لهم، وهو مهدَر الدم ولا كرامة.. والله أعلم.

والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد واله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه الشيخ/ **عطية الله**

الأربعاء منتصف ربيع الآخر ١٤٢٨هـ

❁ ❁ ❁



[أربعة أسئلة خاصة لم تُنشر من قبل، موجهة من الأخ «أبي مصعب الكردي» للشيخ عطية الله ﵀، وصلتنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي» حفظه الله ورعاه، وهي مسائل في التوحيد والعلم وفقهه، وأخرى في البيوع، وقد كُتبت في: ربيع الآخر ١٤٣٠].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

السؤال الأول: هل أجمع العلماء على أن معنى «لا إله إلا الله» لا معبود بحق إلا الله؟

الجواب وبالله المستعان: نعم؛ قد أجمع لا العلماءُ فقط بل كلُّ عقلاء المكلفين ممن بلغتهم هذه الكلمة على ذلك، ولا شك ولا ريب أن هذا هو معنى هذه الكلمة الطيبة كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص، هذا مقطوع به، معلومٌ علمًا يقينيا وضروريًا من الدين ومن بعثة محمدٍ ﷺ ورسالته؛ فإن جميع العقلاء ممن استجابوا لدعوة محمدٍ ﷺ وهم المسلمون المؤمنون، وممن صدوا عنها وكفروا بها ولم يستجيبوا له وهم الكافرون، يعلمون أن معنى «لا إله إلا الله»: لا معبود بحق تنبغي له العبادةُ وحده لا شريك له إلا الله ﷻ، وهو الله رب السموات والأرض ورب كل شيء وخالق الخلق ورازقهم ومحييهم ومميتهم، وجميعُهم يعلمون أن محمدًا ﷺ بُعث بذلك ودعا إليه الخلق وأمرهم به ونهاهم عن ضده؛ فكل الدين والشريعة، والكتاب والسنة وما في معناهما ولغة العرب التي جاء بها هذا الدين وهذا الرسول الخاتم ﷺ دالة على ذلك، لا يفهم منها عاقل سوى ذلك ولا يمكن أن يُفهَم منها إلا هذا.. فهذا أمرٌ من أوضح الواضحات في الوجود، فلا يُحتاج فيه إلى نقل إجماع لفظيّ نصّي، بل إذا تطلب أحدٌ نقل إجماع للعلماء على هذا على طريقة حكاية الإجماعات في كتب الفروع فإن هذا يُعَدّ من القصور في لغة أهل العلم، إذ فيه تهوين وتقليل لهذه المسألة اليقينية الكبرى وقصورٌ عن إيفائها حقَّها، فهذا لا يقال فيه: هل نقل فيه إجماعٌ أو لم ينقل.

وإن كان المراد: أن هذا اللفظ المفسر لهذه الكلمة العظيمة -كلمة التوحيد- وهو المحكي في السؤال؛ هل هو مجمَعٌ عليه، فهذا كذلك لا يُحتاج إليه لأن لفظ الإله واضحٌ معناه في اللغة وضوحَ البديهيات المنقولة بالتواتر من لغة العرب، وأقرب لفظٍ مرادفٍ له يفسّره هو «المعبود».

فالإله معناه المألوه، وهو المعبود، والتألّه هو التعبد والعبادة.

فمعنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»: لا مألوه أي معبود، أي بحقّ -وهو الحقيق والجديرُ بأن يَعبُدَه الخلقُ-، إلا الله تعالى.

وقولنا: «أي بحق» احتيج إلى هذا التفسير للاحتراز من الآلهة الباطلة المدعاة.

فإن أبا جهلٍ وأبا لهبٍ وأمية بن خلف وأشباههم يقولون: «اللات» إلهٌ، وهم يعبدونه، وكذلك «العزى» و«مناة» و«هُبَل» وغيرها.

والهندوس يقولون: هذه البقرة إلهٌ.

وعبدة الشمس والقمر والأشجار والأحجار والأنهار والفروج وغيرها يقول كل واحدٍ في معبوده: إنه إلهٌ.

فكل هذه في الحقيقة وفي نفس الأمر ليست آلهةً، بل هي مخلوقات من مخلوقات الله تعالى، ضعيفة عاجزة فقيرة حقيرة، واللهُ تعالى هو الذي خلقها وأوجدها ومتى ما شاء أماتها وأهلكها؛ فهم كاذبون في زعمهم أنها آلهة وتسميتهم لها آلهةً، خاطئون ضالون، ولهذا جاء في كلام الله تعالى مجادلةً لهم: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ [النجم: ٢٣].

فقولنا «لا إله إلا الله» واضحٌ معناه، وأنه نفي لكل تلك الآلهة المزعومة المدعاة المكذوبة، فهم يقولون: هُبل إله، ونحن نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، فكلامنا نص في تكذيبهم ورد قولهم والبراءة من دعواهم ونفي أن يكون شيءٌ إلهًا إلا المستثنى وهو الله، فقط لا غير، سبحانه وتعالى وتقدّس.

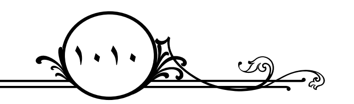
أبو جهل يقول: هبل إله. نقول له: لا إله إلا الله وحده.

والهندوسي يقول: البقرة إله. نقول له: لا إله إلا الله وحده.

وهكذا..

ولهذا فهذه الكلمة الطيبة هي نفي وإثباتٌ، كما هو واضح.

فإن «لا» هذه هي التي يسميها علماء النحو لا النافية للجنس، وهي نص في نفي جنس مدخولها إذا بُني معها، وهي عند «سيبويه» ومن وافقه مع مدخولها المفرد المبنيّ -في مثل كلمة التوحيد- في موضع



الرفع على الابتداء، وخبرُها محذوفٌ وهو إما كونٌ عامّ، والتقدير: لا إلهَ كائنٌ أو موجودٌ، أي بحقّ، أو كونٌ خاصٌّ والتقدير نحو: لا إلهَ حقٌّ أو بحقٍّ، ثم استثنى لأن المراد هو الإثبات على سبيل الحصر، فقال: إلا الله، فالمستثنى مرفوع على البدل من المستثنى منه لأن الكلام تامٌ منفي.. والله أعلم.

وعلى كل حال؛ عند الشرح لها نحتاج إلى هذا التفسير لمزيد التوضيح، لأنه يقال لنا: قد قيل إن هناك أشياء كثيرة هي آلهة عبدها أقوام كثيرون، فنقول: تلك آلهةٌ باطلة كاذبة مدعاة زورًا، وهي في الحقيقة ليست آلهة.. إلخ.

فنقول: لا إله إلا الله معناها: لا معبودَ -أي بحقٍّ- إلا الله تعالى.

أي: لا إله في الحقيقة وفي نفس الأمر إلا الله تعالى، وكل ما سُمّي إلهًا -سماه قومٌ من الأقوام الضالة- غيرَ الله فهو كذبٌ وزورٌ وضلالٌ.

هذا معناها، وهذا كما قلتُ لك قطعيّ القطعيات ويقينيّ اليقينيات، وليس في الوجود أوضح ولا أبين منه.

وإنما نبّه الفطنون أهلُ الهداية من العلماء على خطإٍ من فسّر من المنتسبين إلى العلم كلمة التوحيد بقوله: لا ربَّ إلا الله.

وبيّنوا أن تفسير الإله بالرب غيرُ صحيحٍ؛ لأنه ليس المقصودُ بكلمة التوحيد نفي الربوبية عن غير الله وإثباتها لله وحده، فإن هذا معنىً صحيحٌ بلا شك، لكنه ليس هو المقصود إذ لم يخالفْ فيه أحدٌ ممن بُعِثَ النبي ﷺ إليهم، لا أبو جهل ولا غيرُه، فإنهم كلهم مقرون أن الله تعالى هو ربهم بمعنى أنه هو الخالق البارئ الرازق المحي والمميت الذي يدبر الأمر ولا يعجزه شيء وهو أكبر وأقوى من كل شيء.. إلخ وهكذا أكثرُ الأمم يقرّون بذلك، إنما خالفوه في عبادة هذا الربِّ وحده لا شريك له، فإنهم إما لم يعبدوه رأسًا وعبدوا غيرَه، أو عبده غيره معه، وهذا الثاني كان الأكثر في مشركي العرب، ولهذا كثر في لسان الشرع تسميتهم بالمشركين.

ثم إن اللفظ لا يعطي المعنى الذي ذكره المخطئون المشار إليهم، كما بيناه أعلاه، فإن معنى الإله هو المألوه أي المعبود، وليس معناه الرب، وفرقٌ بين معنى الرب ومعنى الإله في اللغة.

ولهذا يحتج الله ﷻ على المشركين بالربوبية لإثبات الإلهية (الألوهية) في آيات كثيرة من الكتاب العزيز مثل الآيات التي فيها: ولئن سألتهم من خلق كذا ليقولن الله، فإنه يقررهم بربوبيته تعالى ليتوصل بها إلى إثباته تفرده باستحقاق العبادة سبحانه.

كقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ

أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

وغيرها من آيات المحاجة كقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس].

وقوله على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران]

والحاصل أن مَن فسَّر «لا إله إلا الله» بقوله: لا رب إلا الله فهو مخطئ، لكن الذي يظهر -والله أعلم- أنهم قسمان:

قسمٌ مخطئون في التفسير للجملة الشريفة، وسبب خطئهم ظنهم أن الرب مرادفٌ للإله، فأرادوا توضيح كلمة الإله بكلمة مرادفة تبيّنها فاختاروا كلمة «رب» فنتج هذا الخطأ، ولو تنبّهوا للفرق لفطنوا وانتبهوا وصححوا اللفظ.

وقسمٌ من الزنادقة المنتسبين للقبلة من غلاة المتصوفة ونحوهم أو من أهل الكلام والفلسفة والإلحاد؛ فهؤلاء مرادُهم أن هذه الكلمة الطيبة معناها اعتقاد أنه لا رب للوجود إلا الله تعالى، وجعلوا ذلك غاية التوحيد، فمن أقرّ به فهو موحّدٌ في زعمهم، بقطع النظر عن قضية: هل عبدَه وحدَه لا شريك له والتزم بذلك أو لا، وهؤلاء -الذين يقولون ذلك ويعتقدونه- كفارٌ ولا كرامة معاندون لما جاء به الرسول ﷺ خارجون عن دينه الذي بعثه به الله ﷻ، نعوذ بالله من سوء حالهم ومقالهم وعاقبتهم.. والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❑❑❑

السؤال الثاني: قيل «العالم للعامي كالدليل»؛ هل هذا الكلام صحيح بهذا الإطلاق أم فيه تفصيل؟

الجواب: قد قال بعض العلماء إن فتوى المفتي أو العالِم كالنصّ للعاميّ، ومرادُهم أن العاميَّ واجبُه أن يسأل العلماء؛ فإذا أفتوه فإن فتواهم بالنسبة له بمنزلة النص من الشريعة، لأن العاميّ لا يفهم النصوص ومعاني ألفاظها ودلالاتها، أو لا يفهم اللغة مثلا لكونه أعجميًا.

وهذا المعنى صحيحٌ، بشروطه، وهي شروط صحة أي جواز التقليد المبيّنة في مواطنها من كتب

الأصول.

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩].

والله أعلم.

❑ ❑ ❑

السؤال الثالث: هل يجوز بيع وشراء الهاتف الموبايل - السيار -؟ وهل هناك فرق بين الموبايل الذي نستطيع أن نستعمله لأخذ التصاوير وتسجيل الصوت والأفلام وبين الذي لا يوجد فيه هذه الإمكانيات، إلا الاتصال، أقصد بيعه وشراءه في بلدنا؟

الجواب: بيع وشراء الهاتف الموبايل الذي ليس فيه كمرا (آله التصوير) نرجو أنه جائز إن شاء الله، ما لم يُعرَف أن المشتري يستعمله في ما لا يحل، لأن الغالب عليه أنه آلةٌ تستعمل في مباح جائز ومصلحة للخلق وهو الاتصال بين الناس لقضاء مصالحهم.

أما الذي فيه كمرا، فهذا ينبغي الاحتياط في بيعه بشكل أكبر، فلا أرى يُباع إلا لمن عُرف أنه يستعمله في خيرٍ.. والله أعلم.

❑ ❑ ❑

السؤال الرابع: هل أهتم بقراءة الكتب الشرعية أم أهتم بإعادة الدورات التي أخذتها وقراءة الكتب العسكرية الموجودة في المراكز وهي كثيرة جداً، وفي المستقبل أحتاج إلى أيهما أكثر؛ العلم الشرعي ولو قليلا أو العسكري؟

الجواب: الذي يُنصَح به في مثل هذا يختلف من شخص إلى شخص ومن حالٍ إلى حال، وبحسب ما أعرف من حالك فالذي أراه لك -والله الموفق للخير والصواب- هو أن تهتمّ هذه الفترة بأخذ دورات التدريب العسكري المتاحة في ساحتنا وتكمل نفسك فيها وتهتم بها وقتًا ما، هو وقت التدريب والإعداد، وإذا أتيحت فرصة لدخول العمل العسكري الفعلي (القتال لأعداء الله) بحسب ما يتيسّر ويكون فيه طاعة أولي أمر الجهاد؛ فهذا مهمّ جدًا أيضا لتكميل تدريب الإنسان المجاهد وإعداده نفسيًا وتربويًا، بالإضافة إلى ما فيه من الخير العظيم الأخروي والدينيّ والدنيوي أيضًا، ثم بعد مدّة إذا كان الإنسان من أهل الدنيا إن شاء الله تعالى وقد أخذ قسطًا جيدًا من التدريب والإعداد العسكري الحربي والمشاركة الجهادية، يتحوّل إلى التركيز على الشيء الذي يُجدي فيه ويمكنه أن يُحسِنَه وينفع فيه الإسلام والمسلمين في إطار القيام بواجب الجهاد المفروض علينا اليوم، وأنت أرى لك أن تهتم بعدها بالعلم الشرعي، بحسب ما يتاح من طرق تحصيله ومن التفرغ له، لعلك تكون من أهل العلم المجاهدين إن

شاء الله، أسأل الله لنا ولك ولجميع الإخوان التوفيق والسداد.

والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وكتبه:

عطية أبو عبد الرحمن

في ربيع الآخر ١٤٣٠هـ



جوابٌ في القَسْم بين الأزواج

[سؤال من مجاهد مهاجرٍ في «القسْم بين الأزواج» لم يُنشر من قبل، أجاب عنه الشيخ عطية ﷺ، وقد وصلنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي»، كُتب في: ذي القعدة ١٤٣٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

رجل مهاجرٌ متزوج باثنتين، سافرت إحداهما بإذنه وباختيارها ورغبتها إلى بلدِ أهلها، قبل بضعة سنين، ومكثت عند أهلها نحو تسعة أشهر، ثم رجعت، ولم يقضِ لها ما فاتها من القَسْم، والآن سافرت الأخرى إلى بلدٍ آخر غيرِ بلدِ أهلها، هو بعثها من أجل العلاج (التطبب) مع أولاده منها؛ فإذا رجعت فهل يقضي لها؟ وإذا قضى لها فإن الأولى تطالب بأن يقضي لها ما فاتها في سفرها المذكور إلى أهلها، فهل لها عليه القضاء؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله وصحبه الطاهرين المهديين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعدُ:

فإنه بعد مراجعة كلام الفقهاء في المذاهب الأربعة وغيرها من أمهات كتبهم، مع جملة من فتاوى أهل العلم في مثل هذه المسائل اتضح لي الآتي:

الأصح من قولي الفقهاء وجوب القضاء على الزوج إذا فوّت على الزوجة قَسْمها بسبب منه..

وهو مذهب الشافعية والحنابلة، خلافًا للحنفية والمالكية الذين لا يرون وجوب القضاء على الزوج إذا فاتَ الزوجةَ قَسْمُها.

وتفريعًا على هذا المذهب الصحيح المختار في المسألة، وبناءً على ما تقرر في الباب من مباني المسألة وضوابطها، أقول:

ما دامتِ الزوجةُ المذكورة أولًا قد سافرتْ باختيارها ورغبتها، مع إذنه لها؛ فإنها لا تستحق

القضاء، يعني أنه لا يجب عليه أن يقضي لها ما فاتها من حظها من القَسْم.

قال الفقهاء في تعليل ذلك: إن المرأةَ إذ قد سافرت باختيارها ولحاجتها وحظِّ نفسِها، وفوّتتْ على الزوج حقَّه في الاستمتاع بها؛ فإنها بذلك أسقطتْ حقها، فلا يُقضى لها، وهذا ظاهرٌ.

وأما إذْنُ الزوج لها في السفر لحاجتها، فقُصاراه أنه مسقِطٌ لحقه في التمكّن منها والاستمتاع بها تلك الأيام والليالي، ولا يُوجِب في ذمّته لها حقًا يقضيه لها.

وأما الأخرى التي سافرت مع أولاده للعلاج، وقال إنه هو بعثها للعلاج مع أولاده منها؛ فإن كانت قد سافرت لحاجتها هي وحظ نفسها، بإذنه، فهي كالأولى وتقدم الكلام فيها.

وإن كانت سافرت لعلاج نفسها، بمعنى أنها هي التي تتطبب وتتعالج، وكان هذا الغرضُ هو الغالبَ والمقصودَ الأعظم من سفرها، فكذلك لا يقضي لها.

وإن كان الغرضُ من سفرها الذي أذن لها فيه وبعثها فيه هو مرافقة الأولاد (الكون معهم ورعايتهم..) لأنه لابدّ أن يبعَث أحدًا من أهله أو غيرهم مع الأولاد الصغار يقوم عليهم ويرعاهم، أو كان هذا هو المقصود الأعظم الأغلب من سفرها.. فهذه يقضي لها. والله أعلم.

وتعليل ذلك حسب ما يتخرج من كلام الفقهاء: أن المرأة في هذه الحالة إنما سافرَتْ لحاجةِ الزوجِ وخدمتِهِ لا لحاجتها هي وحظِّ نفسها، فهي لم تفوِّت عليه شيئًا من حقه من عندِ نفسها وبسببٍ منها، بل فاتَه هو حقه في التمكن منها والاستمتاع بها بتفويته هو، لأنه بعثها وأشخصها في حاجته، (وحاجتُهُ في هذه الحالة هي: إرسالُ أحدٍ مع الأولاد الصغار يقوم عليهم ويرعاهم، وهذا واجبٌ عليه، والأولاد أولادُه، فآل الأمرُ إلى حاجةِ نفسِهِ، واختار هو أن يرسِلها هي (أم الأولاد) لأنها أرفقُ بهم وأرعى لهم ولغير ذلك من المرجّحات)، وبقيَ حق المرأة في الإيواءِ والإيناس تلك الليالي التي فاتتها منه، فيقضيه لها. وقولنا: «أو كان هذا هو المقصود الأعظم والأغلب من سفرها» معناه أنه في أكثر الصور والحالات تكون هناك مقاصدُ متعدّدةٌ للسفر، وإنما النَّظَرُ إلى المقصود الأساس الرئيسيّ. فيُعلَّقُ الحكمُ به، ولا تؤثّرُ المقاصدُ الأخرى الثانوية.

والله أعلم أحكم، لا إله غيرُهُ ولا ربَّ سواه، وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان.

وكتب: **أبو عبد الرحمن عطية**

١٠ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ



جوابٌ في «البدعة»

[أسئلة في البدعة وفروعها قاربت الأربعين سؤالًا لم تُنشر من قبل، موجهة من الشيخ المجاهد «أبي زيد خالد الحسينان الكويتي» رحمه الله، أجاب عنها الشيخ عطية الله رحمه الله، وصلتنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي»، وقد أجاب عنها الشيخ بمقدمة تأصيلية مفيدة في البدعة ثم مثل بأجوبة الأسئلة، وقد كُتبت الإجابة في: جمادى الأولى ١٤٣١].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بديع السماوات والأرض ذي الجلال والإكرام الكبير المتعال ذي القوة المتين، وأكمل بنعمته لنا الدين وهدانا صراطه المستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمدٍ النبي الأمي الأمين الذي ما ترك خيرًا إلا دلّنا عليه بصورته وفرعه أو بقاعدته وأصله، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه وأرشدنا إلى سبيل التوقي منه؛ فنصح للأمة وأدى الأمانة كما أمَرَهُ ربه عز وجل، وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار أولي الفقه في الدين والجهاد في سبيله صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الدين.

وبعد:

فإلى حضرة الأخ المكرم والشيخ الفاضل «أبي زيد خالد الحسينان».. جعلنا الله وإياه من أهل الإيمان والإحسان وختم لي وله بخاتمة الشهادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

جوابًا على سؤالكم المرفق، المتضمن لمجموعة كبيرة من الأسئلة كلها من جنسٍ واحدٍ؛ فإني رأيتُ أن الجواب عليها واحدًا واحدًا يطول، والأمثلة لا تكاد تنحصر، وإنما الطريقة المثلى ضبط كل هذه الفروع بالأصول والقواعد التي لا تخفى عليكم، وإنما أحلتم على أخيكم المسكين لما رجوتم من مساعدته لكم في تحرير المقام وضبطه، فحق عليَّ تلبيةُ طلبكم محبةً وكرامة ورجاءَ مشاركتكم في الأجر، والله وليّ المؤمنين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسأنظم الكلام في فصلين:

الفصل الأول: مقدمة في أصلٍ ضابطٍ لهذه المسائل -في البدعة- وتحرير الإشكال فيها.

الفصل الثاني: في الجواب على أمثلة منتخبة من أسئلتكم تكون كالتطبيق لما تحرر.

فأقول وبالله أستعين:

الفصل الأول: ذكر أصلٍ ضابط لمسائل البدعة وتحرير الإشكال فيها

فقد تقرر في الشريعة الإسلامية المطهرة بما لا ريبَ فيه ولا جدال: النهيُ عن الابتداع في الدين، والتحذيرُ من البدعة، وذمها وذمُّ أهلها، وهذا محلُّ اتفاقٍ وموضعُ قطعٍ في ديننا الحنيف.

أصلُهُ أن الله تعالى أتم علينا نعمته بأن أكمل لنا الدين، ولم يُتوفَّ رسولُ الله ﷺ خاتمُ النبيين إلا وقد أكمل لنا بيان الدين والشريعة، وذلك منقسمٌ إلا ما هو مبيّن بالنص عليه بعينه، وما هو مشمول بعمومات ألفاظ الشارع أو داخلٌ تحت سائر الدلالات الصحيحة المعتبرَة عند أهل العلم، وخلاصتُها ما هو مبحوث في علم أصول الفقه، والحمد لله رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ﴾[الأنعام: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[النحل: ٨٩]، قال ابن الجوزي في زاد المسير: «قال العلماء بالمعاني: يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين» اهـ[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾[الشورى]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[النور].

والمخالفة عن أمر الله تعالى تكون بالنقصان منه أو بالزيادة فيه ما لم يشرعْهُ.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٧٨).

ومن الحديث النبوي الصحيح: حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: (**فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**) رواه مسلم(١).

وروى الترمذي وأبو داود واللفظ له وغيرهما من حديث العرباض بن سارية ﷺ عن النبي ﷺ، وفيه: (**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)(٢).

وعن عائشة أم المؤمنين ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) رواه البخاري ومسلم(٣)، وفي رواية أخرى عند مسلمٍ: (**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**)(٤).

ومعنى الحديث: من أحدث في ديننا ما ليس منه فما أحدثه فهو مردود عليه.

ثم كلام السلف من الصحابة ﷺ فمن بعدهم في التحذير من البدع وذمها كثير جدًا.

وكسائر شأن الدين؛ والشريعة فإن الأمرَ عند جِدّته وطراوته وقوة حلاوته وحسن تلقيه وأخذه بقوة وعزيمة كاملة وتوافر الديانة والطهارة والبُعدِ عن التكلف عند الجيل الأول الجيل الفريد صحابةِ رسول الله ﷺ -ﷺ أجمعين- كان واضحًا على الجملة وضوحًا من القوة بحيث يُستغنى بها عن الخوض في كثير من التعمّق في التفريع، وكان أمر الحياة والمعيشة بسيطًا غير معقّدٍ جدًا، فلم يحصل في جيلهم في أواخره إلا أشياء يسيرة مما وقع البحث فيها عندهم: هل هي مما يشملُهُ وصفُ البدعة والابتداع وذمُّ الشرع لها أو لا، وكالعادة كان ذلك على درجات متفاوتة، كما وقع لهم في مسألة المناخل وهي الغرابيل والدقيق -طحين الحنطة ونحوها- المنخول فوقع البحث والكلام من بعضهم هل هو مما يُذَمُّ ويدخل تحت البدع أو لا، فكرهه بعضهم، وله محملان إما أنهم رأوه بدعة فعلًا، أو كرهوه احتياطًا أي لأنهم خشوا أن يكون مشمولًا بمعنى البدعة ووصفها أي رغم أنهم مترددون فيه غيرُ جازمين، فيكون من الورع. وكما وقع لأبي موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود ﷺ في الإنكار على

---

(١) صحيح مسلم (٨٦٧).

(٢) سنن أبي داود (٤٦٠٧)، سنن النسائي (١٥٧٨)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٢٦٩٧)، صحيح مسلم (١٧١٨).

(٤) أوردها البخاري معلقة (قبل ح ٧٣٥٠)، صحيح مسلم (١٧١٨).

أصحاب قصة الذكر الجماعي المخطط المبرمج في مسجد رسول الله ﷺ إذا صحت القصةُ[1].. وهكذا في أمثلة معدودةٍ.

ولعل من رحمة الله تعالى أن ذلك من الصحابة رضي الله عنهم يكون كالمثال الذي ينبني عليه شيءٌ من فقه مَن بعدَهم من الأمة، وهذا لعله جزءٌ من معنى أن اختلافَهم رحمةٌ، وهو بمعنى التوسعة وبمعنى أن مَن بعدَهم يستفيد من طريقتهم في حل المسائل ومعرفة حكمها، كما استفيد مما وقع من اقتتالهم مثلًا في الفتنة؛ رضي الله عنهم أجمعين.

ثم إن الحال بعد جيل الصحابة كما هي سنة الله في خلقه صارَ إلى نقصٍ، وهكذا إلى آخر عمُر الدنيا.. ومن هنا كان الفقهاء والأئمة في العلم والدين من أمتنا محتاجين إلى بيان تفصيليّ لكثير من المسائل والأنواع من التصرفات وأفعال المكلفين، هل هو مما يدخل في البدعة أو لا.

وحاصل الأمر:

أولا: أنهم احتاجوا إلى تعريف البدعة وضبطها ضبطا أصوليًا وبيان معناها وما يدخل فيها وما لا يدخُلُ.

وثانيا: تلخّص من النظر في هذا المجهود أن الأمرَ في نهايته على طرفين ووسطٍ:

---

(١) هذه القصة ذكرها ابن وضاح والشاطبي في الاعتصام، وقد رواها الطبراني وعبد الرزاق وأبو نعيم والإمام أحم د في الزهد، ولم نر من ضعفها من أهل العلم، وقد احتج بها الشاطبي وابن دقيق العيد وابن الجوزي، وليس في القصة أنها وردت بالمسجد النبوي، أخرج الدارمي (٢٢٢) أن أبا موسى الأشعري جاء إلى أبي موسى؛ فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته-ولم أر والحمد لله إلا خير- قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: ما رأيت؟ قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك، وانتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟!، ثم مضى، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. قال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الخلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

❖ طرفٌ لا إشكال في كونه بدعةً، بحيث يكادُ يُجمِع الجميعُ أو يتوافق أكثر أهل العلم من أهل السنة والجماعة على أنه بدعة، لقوة وضوحِ بدعيته (دخوله في معنى ووصف البدعة).

❖ وطرفٌ لا إشكال في سلامته من البدعة (أنه لا يدخل في البدعة)، على عكس الأول.

❖ وطرف وسطٌ هو محل التجاذب والتردد والإشكال.

فلا تخلو المسائل كلها في هذا الباب أن تكون من أحد هذه الأقسام الثلاثة، ولا رابع لها بدليل الحصر.. فسبيل القسمين الأول الثاني واضحٌ، وهو أن ما كان بدعةً فيجب اجتنابُهُ والنهي عنه، وما علمنا أنه ليس ببدعةٍ اعتقدنا مشروعيته والحمد لله.

وسبيل القِسْم الثالثِ هو ما يحتاجُ إلى شيءٍ من التوضيح:

فالمشروع فيه الاحتياطُ في الدين، واستعمالُ الورعِ، والتباعُدُ عما يَضيرُ، فهو من اتقاء الشبهاتِ، ومن طلب السلامة للدين، ومن خشية انخرام الاستقامة، ومن ترك ما يَريبُ، ومن علوّ الهمّة.

لكن هذا المقام يحتاج إلى توضيح أمورٍ:

ما معنى الاحتياط في الدين؟ وما حكم هذا الاحتياط ومتى يكون مطلوبًا؟ ومتى يرجَحُ عليه غيرُهُ أي تركُ الاحتياط؟ وهل يلزم الجميعَ (كلَّ الناس أو جمهورَهم) الأخذُ بالاحتياط؟

فالحاصلُ أن الاحتياط هو كما قيل:

وذو احتياطٍ في أمورِ الدينِ ... من فرَّ من شك إلى يقينِ[1]

فهو أخذ جانب الاطمئنان إلى الحكم الشرعي، ومن صور ذلك مسألة الخروج من الخلاف.

فهو مندوبٌ إليه (مستحبٌّ)، غيرُ فرضٍ، إذ الواجبُ هو ما دل الدليلُ الشرعي الواضحُ على تحتّمِ فعله أو تركه، والاحتياطُ ليس من ذلك بل هو من اتقاء الشبهاتِ المندوب إليه.

لكن هل استحباب الاحتياط مطلقٌ؟ أو يكون تركُ الاحتياط أرجح أو واجبًا في مواطن؟

الجواب: أن الاحتياط ليس مطلوبًا مطلقًا، بل بقيودٍ، منها كما يتحصّل من كلام أهل العلم:

- ألا يعارض دليلًا شرعيًا أقوى.

- وألا يؤدي إلى مشقة خارجةٍ عن المعتادِ، ولا سيما إذا تعلّق بالجمهور (عموم الناس وكثرتهم)

---

(١) ذكره الشنقيطي في: أضواء البيان (١/ ٣٤٩) ولم يعزه، بل قال: قال الناظم.

وصرّحوا أن احتياط الإنسان لنفسه مستحبٌّ، لكن ليس لأحدٍ من سلطانٍ أو مفتٍ أن يحرّج على الناس بحملهم على الاحتياط.

ولذلك نقول رجوعًا إلى مسألتنا: إذا اتضح للناظر المعين (المجتهد، أو من كان في حكمه) بشكل راجح وهو غلبة الظن أو اليقين، أن هذا الأمر هو من أحدِ الطرفين بدعة، أو غير بدعة بل مشروعٌ، فإنه يعمل بما تبين له.

فإن حصل التردد في الأمرِ هل هو بدعةٌ أو لا، ولم يستطع الترجيح لا بنفسه (مجتهد أو متبع) ولا بواسطة غيره (وهي حالة العاميّ المقلد للعلماء الموثوقين عنده) فإنه يحتاطُ، ويترك ذلك الأمر خوف كونه بدعة.

هذا هو الأصل.. إلا إذا كان يقع في حرجٍ بترك ذلك الأمر، وذلك بظهور الحاجة إلى فعله، فحينها لا بأس بالإقدام على الفعل، لأن الحاجة ترفع الكراهة، بمعنى أنها تبيح الإقدام على المكروه، ولا كراهة فيه حينئذٍ للفاعِلِ المحتاج.. والله أعلم.

معنى البدعة: ثم اعلم أن من أحسن من حرر معنى البدعة وبسط الكلام فيها من المتأخرين هو الإمام الشاطبي رحمه الله (توفي سنة ٧٩٠ هـ) في كتابه «الاعتصام»؛ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وغالبُ من كتبَ بعدَه في الموضوع مستفيدٌ منه، مع تحريرات وتقييدات مفيدة لكثير من العلماء، قبله وبعده، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، وأسأل الله أن يجعل هذه الأسطر مفيدةً نافعةً مبارَكةً مقبولةً عنده تعالى.

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام في تعريف البدعة -بواسطة اختصار الشيخ السقاف- وما بين [المعكوفين] مني: «وأصل مادة «بَدَعَ» للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[البقرة: ١١٧] أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي ما كنت أوَّل من جاءَ بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق. وهذا أمر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، فكأنَّه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه.

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتها هي

البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة [**قلتُ**: ثم الظاهر أنه الغالبُ على الاستعمال]؛ فمن هذا المعنى سُمِّيَ العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة فالبدعة إذن عبارة عن: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه» وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنَّما يخصها بالعبادات، وأمَّا على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»، ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد.. فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد وهو ما رسم للسلوك عليه وإنَّما قُيِّدت بالدين لأنَّها فيه تخترع وإليه يضيفها صاحبها، وأيضًا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم، فمنها ما له أصل في الشريعة، ومنها ما ليس له أصل فيها، خُصَّ منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع، إذ البدعة إنَّما خاصَّتها أنَّها خارجة عما رسمه الشارع، وبهذا القيد انفصلت عن كلِّ ما ظهر لبادي الرأْي أنَّه مخترع مما هو متعلق بالدين، كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأُصول الدين، وسائر العلوم الخادمة للشريعة فإنَّها وإن لم توجد في الزمان الأوَّل فأُصولها موجودة في الشرع. [**قلتُ**: يضافُ إليه أنها ليست بنفسها عبادةً ودينًا محضًا، بل فيها الشائبتان].

فإن قيل: فإنَّ تصنيفها على ذلك الوجه مخترع. **فالجواب**: أنَّ له أصلًا في الشرع، ففي الحديث ما يدل عليه، ولو سُلِّم أنَّه ليس في ذلك دليل على الخصوص، فالشرع بجملته يدل على اعتباره، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة، وسيأْتي بسطها بحول الله.

فعلى القول بإثباتها أصلًا شرعيًا لا إشكال في أنَّ كلَّ علم خادم للشريعة داخلٌ تحت أدلته التي ليست بمأْخوذة من جزئي واحد؛ فليست ببدعة ألبتَّة.

وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات، وإذا دخلت في علم البدع كانت قبيحة، لأنَّ كلَّ بدعة ضلالة من غير إشكال، كما يأتي بيانه إن شاء الله.

ويلزم من ذلك أن يكون كَتْبُ المصحف وجَمْعُ القرآن قبيحًا، وهو باطل بالإجماع فليس إذًا ببدعة.

ويلزم أن يكون [ثمتَ] دليل شرعي، وليس إلا هذا النوع من الاستدلال، وهو المأخوذ من جملة الشريعة.. وإذا ثبت جزئيٌّ في المصالح المرسلة، ثبت مطلق المصالح المرسلة.

فعلى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو علم الأصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة، بدعة أصلًا.

وقوله في الحد «تضاهي الشرعية» يعني: أنَّها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

منها: وضع الحدود كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد، ضاحيًا لا يستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة.

ومنها: التزام الكيفيات والهَيْئَات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي - عيدًا، وما أشبه ذلك.

ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وثَمَّ أوجهٌ تضاهي بها البدعةُ الأمورَ المشروعة، فلو كانت لا تضاهي الأمورَ المشروعة لم تكن بدعة، لأنَّها تصير من باب الأفعال العادية.

وقوله: «يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى» هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها.. وذلك أنَّ أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات]؛ فكأنَّ المبتدع رأى أنَّ المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أنَّ ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كافٍ.

وقد تبين بهذا القيد أنَّ البدع لا تدخل في العادات.. فكل ما اختُرِع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن هذه التسمية. [وهذا السطر الأخير مشكِلٌ، فندعُهُ الآن، ولا يبعُدُ أن كلمة «في الدين» خطأ، والتحقيق أن القيدين في التعريف: «في الدين» و«يقصد بالسلوك عليها المبالغة.. إلخ» راجعان إلى معنى واحدٍ وهما متلازمان.]»[1] اهـ.

---

(١) مختصر الاعتصام (ص ٧ - ١٠).

معقد الإشكال في مسألة البدعة:

إن معظم الإشكال -والله أعلم- في باب البدعة يأتي من جهة التداخل في أفعال المكلف بين ما هو تعبّديّ (أي أنه عبادةٌ وقربةٌ ودينٌ بشكل واضح) وما هو عاديّ (أي ليس بعبادةٍ ولا قربة ولا من الدين بمعناه القريب المباشر).

فما كان من الدين والعبادة والقربات فتدخُلُه البدعة، بلا إشكال.

وأما ما كان من الأمور العادية وهي تصرفات الناس الحياتية الدنيوية التي ليست موضوعة بالأساس موضع العبادة والقربة، فليست من «الدين» بمعناه القريب الواضح؛ فهذه قد دلّت أدلة الشريعة على أن الله تعالى وسّع على المكلفين فيها وقال النبي ﷺ: **(أنتم أعلم بأمور دنياكم)**[1]، وإنما سيّجهم بسياجات الحرام البين لا يتعدّونه، وأباح الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، وأمرهم بفعل الخير والأسباب والوسائل المعينة عليه، ونهاهم عن الشر والظلم والبغي والعدوان والأسباب والوسائل المؤدية إليه.

لكن المشكلة أن كثيرًا من تصرفات الخلق (أفعال المكلفين) يكون فيها تداخلٌ بين الوصفين، فهي من جهة «تدينٌ» وعبادة، ومن جهة هي أمرٌ عاديّ مما يتصرّف به الناس في حياتهم «ارتفاقًا» أي انتفاعًا وتيسيرًا، ففيها الشائبتان؛ «شائبة العبادة» و«شائبة العادة»، وقد تغلب هذه الشائبة وتكون الأكثر ظهورًا، وقد تغلب تلك.

ومن هنا بحث الشاطبي: هل للبدعة مدخل في العاديات (وهي الأمور العادية الحياتية غير التعبدية، وضابطها أنها التي لا يقصد بها التعبد لذاتها):

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام -بواسطة اختصاره للشيخ علوي السقاف-: «أفعالُ المكلفين -بحسب النظر الشرعي فيها- على ضربين:

أحدهما: أن تكون من قبيل التعبدات.

والثاني: أن تكون من قبيل العادات.

فأمَّا الأوَّل: فلا نظر فيه ها هنا.

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٦٣).

وأمَّا الثاني -وهو العادي-: فظاهر النقل عن السلف الأوَّلين أنَّ المسألة مختلف فيها؛ فمنهم من يُرشد كلامُه إلى أنَّ العاديات كالعباديَّات، فكما أنَّا مأمورون في العبادات بأن لا نحدث فيها، فكذلك العاديات والجنايات كلها عادي، لأنَّ أحكامها معقولة المعنى، ولا بد فيها من التعبد، إذ هي مُقَيَّدة بأُمور شرعية لا خيرة للمكلَّف فيها، وإذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد؛ فإن جاء الابتداع في الأُمور العادية من ذلك الوجه، صح دخوله في العاديَّات كالعباديات، وإلا فلا.

وهذه هي النكتة التي يدور عليها حكم الباب، ويتبين ذلك [بمثال] وضع المكوس في معاملات الناس، فلا يخلو هذا الوضع المُحرَّم أن يكون على قصد حجر التصرفات وقتًا ما، أو في حالة ما، لنيل حطام الدنيا، على هيئة غَصْبِ الغاصب، وسرقة السارق، وقطع القاطع للطريق، وما أشبه ذلك، أو يكون على قصد وضعه على الناس كالدِّين الموضوع والأمر المحتوم عليهم دائمًا، أو في أوقات محدودة، على كيفيات مضروبة، بحيث تضاهي المشروع الدائم الذي يُحمل عليه العامة، ويؤخذون به وتوجه على الممتنع منه العقوبة، كما في أخذ زكاة المواشي والحرث وما أشبه ذلك.

فأمَّا الثاني: فظاهر أنَّه بدعة، إذ هو تشريع زائد، وإلزام للمكلِّفين يضاهي إلزامهم الزكاة المفروضة، والديات المضروبة، بل صار في حقهم كالعبادات المفروضة، واللوازم المحتومة أو ما أشبه ذلك؛ فمن هذه الجهة يصير بدعة بلا شك، لأنَّه شرعٌ مُستدرك، وسَنٌّ في التكليف مَهْيَع فتصير المكوس على هذا الفرض لها نظران: نظر من جهة كونها محرمة على الفاعل أن يفعلها كسائر أنواع الظلم، ونظر من جهة كونها اختراعًا لتشريع يؤخذ به الناس إلى الموت كما يؤخذون بسائر التكاليف، فاجتمع فيها نهيان: نَهْيٌ عن المعصية، ونَهْيٌ عن البدعة.

فالحاصل أنَّ أكثر الحوادث التي أخبر بها النبي ﷺ من أنَّها تقع وتظهر وتنتشر أُمور مبتدعة على مضاهاة التشريع، لكن من جهة التعبد، لا من جهة كونها عادية، وهو الفرق بين المعصية التي هي بدعة، والمعصية التي هي ليست ببدعة.

وإنَّ العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يُتَعبَّد بها أو توضع وضع التعبد تدخلها البدعة، وحصل بذلك اتفاق القولين، وصار المذهبان مذهبًا واحدًا، وباللهِ التوفيق»[1] اهـ.

(١) مختصر الاعتصام (ص ٩٥ - ٩٧).

فهذا السطر الأخير هو الخلاصة: «العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها، ومن حيث يُتَعبَّد بها أو توضع وضع التعبد تدخلها البدعة».

ويتضح ذلك بمعرفة معنى كلمة (**أمرنا**) في قول النبي ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا**) وقوله (**من عمل عملا ليس عليه أمرنا**) وقوله: (**محدثات الأمور**)، وقوله: (**وشر الأمور محدثاتها**)[(١)].

فهذا الأمر أفردَه أحيانا وجمعه أحيانًا، وأضافة تارة إلى ضمير الجمع على معنى أمر المسلمين المنسوب إليهم، وقطعه عن الإضافة تارةً معرفًا تعريفَ العهد الذهني والله أعلم، وهو في كل ذلك معناه: أمر الدين والشريعة التي جاء بها ﷺ من عند ربه ﷻ.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح حديث (**من عمل عملًا**..): «فهذا الحديث بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره غيرُ مردود، والمراد بأمره هٰهنا دينه وشرعه، كالمراد بقوله في الرواية الأخرى: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**)؛ فالمعنى إذا أن من كان عمله خارجا عن الشرع ليس متقيدا بالشرع فهو مردود وقوله: (**ليس عليه أمرنا**) إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود»[(٢)] اهـ.

والحاصلُ؛ أن هنها ثلاث مراتب:

الأولى: ما كان من «الدين» ومن أمر الشارع، بلا إشكال.

الثانية: ما ليس من الدين ولا من «أمر الشارع».

الثالثة: ما وُجِد فيه الشائبتان وحصل فيه التداخل؛ فهو من الدين من جهة ومن زاوية وباعتبارٍ، وهو من جهةٍ وزاوية أخرى وباعتبارٍ آخر: من أمور العادات ومن التصرفات الحياتية العادية المباحة للناس أو مما لهم فيه حاجة ومصلحة.

فهذا القسم الثالث: الأمرُ راجع فيه إلى النظر والترجيح، ولذا أمكن أن يختلف فيه المفتون وتتعدد

---

(١) تقدم تخريج هذه الأحاديث قبل قليل.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٧٧).

فيه أنظار أهل الفقه.

فما غلب عليه الاعتبار الدينيّ (أي: غلبَ وجهُ كونه من الدين ومن أمر الشريعة) فتدخله البدعة، ولاسيما إن انضاف إلى ذلك: علمُنا بوجود المقتضي في العهد النبوي الشريف مع عدم فعل النبيّ ﷺ وأصحابِهِ له، أو: عدم وجود مصلحة راجحة فيه ولا حاجة ذات بال تدعو إليه.

وما غلبَ عليه الاعتبار العاديّ، فلا مدخلَ للبدعة فيه، لا سيما إذا انضاف إليه: حاجةُ الناس إلى الفعلِ لمصلحةٍ راجحة.. والله أعلم.

وهو ما أشار إليه الشاطبي رحمه الله في تعريفه حين أضاف الطريقة إلى الدين، ثم قيّدها بأن تكون مقصودًا بها المبالغة والغلو في التدين والتعبد.

«وفائدة هذا الضابط في تحرير مفهوم البدعة التمييز بينها وبين ما أحدث بعد عهد النبي ﷺ مما لا يراد به التعبد بذاته، قال الإمام الشاطبي: «وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات»[1] قلت: ومثال هذا وسائل الركوب والاتصال وكل ما دخل على حياة الناس من وسائل الراحة التي سخرها الله تعالى لنا، بل إن هذا القيد يُخرج من البدعة أيضًا أمورًا حدثت بعد رسول الله ﷺ لا يقصد التعبد لله بذاتها، وإنما هي من الوسائل التي يوجد في أصول الشرع ما يدل على مشروعية اتخاذها لتحقيق مقصود الشرع، وذلك من باب أن الوسائل لها حكم المقاصد وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا دل الشرع على مقصد مشروع -كتسوية الصف في الصلاة- فلا مانع من اتخاذ وسيلة مباحة لتحقيق ذلك، طالما لم يرد التعبد بهذه الوسيلة وإن لم تكن موجودة على عهد النبي ﷺ، ومثال ذلك الخطوط التي ترسم في أرض المسجد؛ فإن هذه لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ، ومع ذلك فإنها لا تعتبر بدعة لأننا لا نتعبد لله بها، وإنما نتعبد لله بتسوية الصف ونتخذ هذه الخطوط وسيلة لضبط ذلك، وكذلك ركوب السيارة إلى المسجد لا يراد منه التعبد بركوب السيارة، وإنما يتعبد لله بالسعي إلى المسجد وتتخذ السيارة وسيلة لتحقيق هذا المقصد المشروع، ومن ذلك أيضًا علوم النحو والإعراب ونقط المصحف وإعجام الحروف، فهي وسائل لحفظ القرآن الكريم ولكننا لا نتعبد لله تعالى بذاتها وإنما نتعبد لله بالمقصد الذي تبلغنا إياه.

---

(١) مختصر الاعتصام (ص ١٠).

إن تحرير هذا الضابط مفيد جدًا في التمييز ما بين البدع المذمومة والمستحدثات غير المذمومة، ويقطع دابر التشويش الذي يحدثه البعض حين يلبسون على الناس، فيوهمونهم أن دعاة الحق ممن يحاربون البدعة يريدون أن يعودوا بالناس إلى عصر الدواب والحمير والبغال، وهذا التشويش إرجافٌ وتضليلٌ بلا ريب، فدعاة الحق في كل زمان ومكان – نسأل الله أن يجعلنا منهم - ليس لهم همٌّ سوى حمل الناس على متابعة هدي النبوة، ثم ليستمتعوا بما أباحه وسخره الله تعالى لهم في الكون ما شاؤوا، وهل كان ضلال أهل الكتاب إلا عندما فرطوا في هذه المتابعة فأحدثوا في دينهم وحرفوا كتاب ربهم حتى انتهى بهم الحال إلى عبادة العباد ومخالفة صراط رب العباد» اهـ[1].

فائدة مكملة لكلام الشاطبي المتقدم في ضابط البدعة:

وهي عن الشيخ ابن عثيمين ﵀، قال: «كل عبادة يُتعبد اللهُ بِها يجب أن تتحقق فيها المتابعة للرسول ﷺ، **ولا يتحقق فيها ذلك إلا بموافقتها للشريعة في ستة أوصاف**؛ فتغيير صفةٍ من هذه الصفات بدعة، وهذه الصفات الست هي:

١- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها، فأيُّ عبادة ليس لها سببٌ ثابتٌ بالشرع مردودة، مثل الاحتفال بمولد النبيِّ ﷺ.

٢- أن تكون موافقة للشريعة في جنسها، فلو ضحى أحدٌ بفرس كان بذلك مخالفًا للشريعة.

٣- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في قدرها، فمَن زاد في الصلاة الظهر مثلًا ركعتين لم يكن موافقًا للشريعة بالعبادة في قدرها.

٤- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في كيفيتها، فمن ابتدأ في وضوئه بغسل الرجلين ثم مسح الرأس لم يكن موافقًا للشريعة في كيفيتها.

٥- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في زمانِها، فلا تصح صلاة الظهر قبل الزوال.

٦- أن تكون العبادة موافقة للشريعة في مكانِها، فلا يصح في اليوم التاسع من ذي الحجة الوقوفُ بغير عرفة»[2].

---

(١) من كلام الدكتور وسيم فتح الله، من رسالته بعنوان: «البدع وأثرها السيء في الأمة» [المؤلف].

(٢) ذكرها الشيخ في عدد من المواضع بألفظ متقاربة مع شرحها أحيانًا، لعلَّ أجمعها في: فتاوى نور على الدرب - قسم البدعة.

نماذج من تصرفات العلماء في نحو هذه المسائل:

❖ **في «فيض الباري شرح صحيح البخاري للعلامة أنور الكشميري**: باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة»: «يريد أن مثل هذه التعيينات لا تعد بدعة، والبدعة عندي ما لا تكون مستندة إلى الشرع، وتكون ملتبسة بالدين، ولذا يقال إن الرسوم التي جرت في المصائب بدعة دون التي في مواضع السرور، كالأنكحة وغيرها، فإن الأولى تُعَدّ كأنها من الدين فتلتبس به بخلاف الثانية. والسر فيه أن رسوم المسرات أكثرها تكون من باب اللهو واللعب فلا تلتبس بالدين عند سليم الفطرة، بخلاف رسوم نحو الموت فإن غالبها يكون من جنس العبادات فيتحقق فيها الالتباس»[(١)] اهـ، وهو نفيسٌ.

❖ **ومن كلام الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الدرر السنية**: «وإنما ننهى عن البدع، المتخذة دينًا وقربة؛ وأما مالا يتخذ دينًا وقربة، كالقهوة، وإنشاء قصائد الغزل، ومدح الملوك، فلا ننهى عنه، ما لم يخلط بغيره إما ذكر أو اعتكاف في مسجد، ويعتقد أنه قربة؛ لأن حسان رد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وقال: قد أنشدته بين يدي من هو خير منك، فقبل عمر[(٢)]، ويحل كل لعب مباح، لأن النبي ﷺ أقر الحبشة على اللعب في يوم العيد في مسجده ﷺ[(٣)] ويحل الرجز والحداء في نحو العمارة، والتدريب على الحرب بأنواعه، وما يورث الحماسة فيه، كطبل الحرب، دون آلات الملاهي، فإنها محرمة، والفرق ظاهر، ولا بأس بدف العرس، وقد قال ﷺ: **(بعثت بالحنيفية السمحة)**[(٤)] وقال: **(لتعلم يهود أن في ديننا فسحة)**[(٥)]»[(٦)] اهـ.

❖ **الشيخ ابن عثيمين في خطوط تسوية الصفوف في المساجد:**

قال رحمه الله في شرح نظم الورقات للعمريطي: «وهنا يرد السؤال وهو: هل الوسائل تعتبر كالمقاصد

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري (١/ ٢٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٣٢١٢)، صحيح مسلم (٢٤٨٥) وقد تقدم.

(٣) صحيح البخاري (٤٥٤، ٢٩٠١)، صحيح مسلم (٨٩٢).

(٤) مسند أحمد (٢٢٢٩١)، المعجم الكبير (٧٨٦٨)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٩٢٤).

(٥) مسند أحمد (٢٤٨٥٥، ٢٥٩٦٢) وقال الأرنؤوط: حديث قوي وهذا إسناد حسن، وقال مرة: إسناده حسن.

(٦) الدرر السنية (١/ ٢٣٩).

والغايات بحيث لا نأتي بوسيلة إلا إذا ثبتت بعينها عن الشارع أو نقول: إن الوسائل أوسع من الغايات فكل ما كان وسيلة لشيء فله حكم ذلك الشيء؟

الجواب: الأخير دون الأول، لكن يستثني من ذلك أن تكون الوسيلة محرمة بعينها، فهذه لا يجوز أن تستخدم، كما لو قال قائل: أنا أدعو هؤلاء الكفار بالضرب على الربابة والعود وبإسماعهم من الأغاني الخليعة، قيل له: لم يا أخي؟ قال حتى يدخلوا في الإسلام، فهذا لا يجوز. إذن فانتبهوا لهذه النقطة، لأن بعض الناس الآن يشتبه عليهم الأمر، ويظنون أن الوسائل غايات، ويقولون لابد أن تثبت الوسيلة بعينها، عن النبي ﷺ، وإلا فلا نقبلها، ونقول: أنت مبتدعٌ، ولهذا يبدعون الفقهاء في تقسيمهم العبادات إلى واجبات وأركان وشروط.

وعليه فنحن نقول: الشرع مقاصد ووسائل، المقاصد غايات لا يمكن أن نغير فيها، ولا أن نستبدلها بغيرها، والوسائل لها أحكام الغايات، مالم تكن محرمة بعينها، فإن كانت محرمة بعينها كانت حراما، وعليه فإن جعل الخط في المسجد لا يمكن أن يقال إنه بدعة وذلك لأنه ليس عبادة، وإنما هو وسيلة إلى عبادة، وهي استواء الصفوف، فإنه كما ترون لا يتم استواء الصفوف إلا بهذه الخطوط، وليست هذه الوسيلة محرمة بعينها.

فإن قال قائل: هذا السبب الذي جعلته مناط الحكم موجود في عهد النبي ﷺ، فلماذا لم يفعل، فترك النبي ﷺ الشيءَ مع وجود سببه سنة، كما أن فعله سنة.

فالجواب عن ذلك أن يقال: إن هذه القاعدة إنما هي في حق العبادات، فالمراد أن العبادات إذا وجد سببها في عهد النبي ﷺ فلم يحدث لها أمرًا، فإن مَن أحدث لها أمرًا فإحداثه مردود عليه»[1] اهـ.

❖ **جواب للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك -حفظه الله-، من فتاوى واستشارات «موقع الإسلام اليوم»**:

السؤال: هل يجوز نشر الاقتراح التالي بين الناس إذا قامت الحرب؛ نحث المسلمين بالالتزام بالصيام طوال أيام الحرب، وذلك تعبيرا عمليا على رفض الشعوب للحرب وللاستفادة من الصيام في الدعاء عند الإفطار على المعتدين الأمريكيين واليهود، وهل هذا الاقتراح يدخل في البدع؟

---

(١) شرح نظم الورقات لابن عثيمين (ص ٧٣) طبعة الأنصار المصرية.

الجواب: الحمد لله، لقد جاءت شريعة الإسلام التي بعث الله بها محمدًا ﷺ بكل ما فيه الخير والسعادة لمن قبلها وتمسك بها، فقد دل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أنهم أصحاب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، فشرع الله لعباده أنواع العبادات التي يتقربون بها إلى الله، ويستجلبون بها فضله سبحانه وتعالى، ومغفرته، ورحمته في الدنيا والآخرة، ويستجلبون بها النصر على الأعداء، وجماع ذلك تقوى الله في السر والعلانية، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، والاستكثار من الأعمال الصالحة التي ندب الله إليها عباده في كتابه، وندب إليها رسوله ﷺ في سنته، ومن أعظم الأسباب التي شرعها الله لجلب المنافع، ودفع المضار الدعاء، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وأخبر عن رسله عليهم السلام بذلك، وأنهم عليهم السلام يدعون الله بكشف ضروراتهم ونصرهم على أعدائهم، وهكذا كان الرسول ﷺ وأصحابه إذا اشتد بهم أمر لجأوا إلى الدعاء، لأن الأمر كله لله، والملك كله له، فبيده الملك، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير، فعلى المسلمين أن يقتدوا بنبيهم عليه السلام وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، ويهتدوا ويقتدوا بهدي الأنبياء، كما أمر الله بذلك نبيه ﷺ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ولم يأت في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ الأمر بوجوب أو استحباب الاتفاق على الصيام في أيام الشدائد، من أجل تحري الدعاء عند الإفطار، فالدعوة إلى ذلك دعوة إلى ما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ، **فهو بدعة**، ولكن يغني عن ذلك حثُّ الناس على التوبة إلى الله، والاستكثار من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى الخلق، والإكثار من الدعاء، والتضرع إلى الله ﷻ، الذي لا يكشف الضر غيره، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل]، ومن الدعاء المشروع القنوت في النوازل، ولكن إذا كان يترتب على القنوت اختلافات وشقاق فيحسن تركه دفعًا للمفاسد الناشئة عن ذلك، وغاية الأمر أنه ترك لأمر جائز أو مستحب، ومن لم يتأتى أو لم يتيسر له القنوت فأوقات وأحوال الدعاء كثيرة ليست محصورة على هذا الوجه المعروف الذي هو الدعاء في صلاة الفجر، أو غيرها من الصلوات بعد الركوع، كما قنت الرسول ﷺ، انظر: البخاري (٨٠٤) ومسلم (٦٧٥)، فهذا نوع من أنواع الدعاء، فالله ﷻ يسر لعباده طرق العبادة وطرق دعائه؛ فليدع المسلمون جميعًا رجالًا ونساءً برفع الشدة عن المسلمين، ونصرهم على أعداء الدين، وأن يرد

كيد الكافرين والمنافقين، إنه تعالى على كل شيء قدير، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنفال]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر]، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، والله أعلم»[(١)] اهـ.

❑❑❑

الفصل الثاني: في الجواب على أمثلة منتخبة من أسئلتكم تكون كالتطبيق لما تحرر

س١: في الحديث الصحيح أن (**رسول الله ﷺ كان يستغفر الله في اليوم ١٠٠ مرة**)[(٢)]؛ فهل يجوز الزيادة على هذا العدد في الاستغفار؟ وما الدليل على جواز هذا الأمر؟ وهل يعد هذا الأمر من المخالفة للسنة؛ لأنها زيادة؟.

س٢: وكذلك في الحديث الصحيح: (كان الرسول ﷺ في المجلس الواحد يقول: **رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم** ١٠٠ مرة)[(٣)]؛ فهل يجوز الزيادة على هذا العدد فنستغفر في المجلس الواحد ٢٠٠ مثلا أو ٣٠٠ مرة مثلا؟

ج١، ٢: لا بأس بالزيادة أو النقصان؛ فإن الشريعة لم تُلزِم بهذا العدد كل يوم، ولا في كل مجلس، والأظهر في تأويله أنه خرج مخرج المبالغة يعني التكثير والتقريب، فإن الظاهر أنه ﷺ لم يكن يَعُدُّ استغفاره، هذا بعيدٌ، ولا وكّل أحدًا بالعدّ له، وإنما هو شيءٌ تقريبي، ثم المراد به التكثير، ويؤيده أنه جاء في مثله في أحاديث أخرى سبعين مرة[(٤)]، والله أعلم.

س٣: هل يجوز أن يحفظ المسلم كل يوم ٣ أحاديث وهل هذا يعد من التحديد أم من تنظيم الأمور؟.

ج٣: نعم يجوز، وهو من التنظيم المشروع؛ فلينظم الإنسانُ وقته ونشاطه على حسب ما يناسب،

---

(١) فتاوى واستشارات «موقع الإسلام اليوم» (٤/ ٤٧) بترقيم المكتبة الشاملة آليًّا.

(٢) صحيح مسلم (٢٧٠٢).

(٣) سنن أبي داود (١٥١٦)، سنن الترمذي (٣٤٣٤)، سنن ابن ماجه (٣٨١٤).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة قال ﷺ: (**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**).

والله ولي التوفيق.

س٤: هل يجوز للمسلم أن يقرأ كل يوم قبل النوم صفحة من القرآن؟ وهل هذا يعد من التخصيص؛ حيث خصص قبل النوم، وهل هذا يعد من التحديد حيث حدد وجهًا واحدا من القرآن؟

ج٤: للمسلم أن يلتزم ما استطاع بأن يقرأ كل ليلة شيئا من القرآن؛ فإن جعله قبل النوم من باب تنظيم هذا الأمر واستعانة بذلك على المواظبة على الأمر والمداومة فلا بأس إن شاء الله، وله أن يلزم نفسه ألا تقل قراءته عن صفحة مثلا كذلك، لكن لا يلتزم عدم الزيادة إذا نشِط لقراءة أكثر من صفحة؛ لأن ذلك لا معنى له ومنعٌ لنفسه من الخيرِ، ويوشك أن يكون حينئذ (أي لو التزم ألا يزيد على صفحةٍ حتى لو نشط وأراد فإنه يمتنعُ محافظة على الصفحة الواحدة فقط) بدعةً والعياذ بالله.

ثم ليُعلَم أن مثل هذا الالتزام وإن جاز إلا أن الصحيح أنه مكروه وقد نص العلماءُ على ذلك، وذكروه تحت قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾[التوبة: ٧٥] الآيات من سورة التوبة، وفي مواضع من شروح الحديث كقوله ﷺ: (**مه، عليكم من العمل بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا**)[(١)]، وفي كتب السلوك.. والله الموفق.

س٥: وهل فعل الإمام أحمد بن حنبل يعد من البدع؛ حيث أنه كان يصلي كل يوم ٣٠٠ ركعة كما أخبر بذلك ابنه عبد الله[(٢)]، وبناء على هذا: هل يجوز للمسلم أن يداوم على ١٠٠ ركعة في كل يوم؟

ج٥: للمسلم أن يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة أو أزيد إذا قدر ونشط لذلك وفتح الله عليه، وما يمنعُهُ؟! إنما الكلام في الأفضل في حقه ما هو، هذا الذي ينبغي أن يعتني به كل إنسانٍ فيعرف ما هو الأفضل له من الأعمال والانشغال بأنواع الطاعات، ثم ليجتهد في طاعة الله تعالى.. والله أعلم.

س٦: وهل فعل شيخ الإسلام يعد من البدع حيث أنه كان يقول بين سنة الفجر وصلاة الفجر ٤٠

---

(١) صحيح مسلم (٧٨٥).

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٣٨٢) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يُصلي في كلّ يوم وليلة ثلاث مئة رَكعة، فلما مَرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يُصلي كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة، وقد كان قُرب من الثمانين.. الخ.

مرة" «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي...»[(١)]؟

ج٦: للإنسان أن يقول ذلك أربعين مرة أو أكثر أو أقل، في هذا الوقت أو غيره، ويكون من الذكر المطلق والدعاء المطلق، هذا لو فعله أحيانا، وحيث عنّ له.. لكن يقال: لو داومَ عليها وجعلها وِردًا له، أو صنّفها في كتابٍ وحث الناس عليها، أعني بهذا العدد وفي هذا الوقت المخصوص، فما تقولون؟ فالظاهر أن ذلك من البدعة، والله أعلم، فليبتعد الإنسانُ عن هذا.

فائدة: الذي نقله ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مدارج السالكين» هو قوله: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول: من واظب على يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيا الله بها قلبه» اهـ؛ فهذا لفظ الذكر الذي ذكره، فيقال: لم نعرف ذلك في حديثٍ ثابتٍ، فلعله اعتمد على أثرٍ ضعيفٍ، أو لعله من باب ما يثبِتُهُ بعضُ العلماء بالتجربة، فيجعلونه أشبه بباب الرقية، ومن أهل العلم من وقع منه توسّعٌ في هذا.. والله أعلم.

س٧: هل يجوز للمسلم أن يفعل له برنامجًا يوميًا للعبادة وطلب العلم من باب المحافظة على الوقت وتنظيم الأمور؛ فيخصص مثلا بعد صلاة الفجر للتفسير، وبعد الظهر للحديث، وبعد العصر للفقه، وبعد المغرب للمراجعة لما سبق من العلم والحفظ.. فهل هذا يعد من البدع حيث أنه خصص لكل عبادة وقت معين؟

ج٧: لا بأس بذلك، هذا ظاهرٌ لا إشكال فيه، كل هذا واسعٌ والحمد لله.

س٨: وهل يجوز لأب الأسرة أن يقوم ببرنامج معين يربي فيه الأسرة على أمور من العبادات والطاعات؛ فيخصص بعض الأوقات وبعض الأوراد ويحاسبهم على هذه الأوراد؟

ج٨: نعم يجوز له ما لم يخالف الشرع، ومنه ألا يبتدع! وتخصيص بعض الأوقات عبارة مجمَلة فيحتاج إلى أن يفصَّل في ذلك، وكذلك تحديد وتعيين بعض العبادات لبعض الأوقات، يفصل فيه

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٤٦) قال ابن القيم: «من أدمن يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أورثه ذلك حياة القلب والعقل.. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللهج بها جدا، وقال لي يوما: لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم، وسمعته يقول: من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث حصلت له حياة القلب، ولم يمت قلبه».

وينظر فيه؛ فلو ألزمهم أن يقوموا من أول الثلث الأخير من الليل وألا يناموا بعده مثلا ويشتغلون بصلاةٍ أو تلاوةٍ أو قراءة كتابٍ، فهذا حسنٌ لا بأس به ولا مانع شرعي منه إن شاء الله، لكن لو ألزمهم كل يوم بصلاة الضحى وبأن يصوموا الخميس والاثنين، أو يصوموا يومًا ويتركوا يومًا، ونحو ذلك، فلا يعجبني ذلك، وأخشى أن يكون زيادة في الشرع وتنطعًا، فإن هذه أمور مستحبة مفضلة سبيلها الترغيب وترك المجال لتنافس المتنافسين واقتداء المقتدين الكاملين.. والله أعلم.

وهكذا ينظر في تفاصيل ذلك، وقد تكون بعض الصور ممنوعة لظهور معنى الابتداع فيها، فيُحتاط باجتناب ذلك، وأبواب الخير كثيرة والحمد لله.

س١٤: هل يجوز للمسلم أن يحيي ما بين العشاءين؛ كما كان الإمام أحمد بن حنبل يفعل[1]، وهل ورد في السنة ذلك؟

ج١٤: نعم يجوز، وهذا محلٌّ للتطوّع والنفل المطلق، ففيه فليتنافس المتنافسون، نسأل الله أن يحيي قلوبنا وقلوبكم بذكره وطاعته.

س١٦: هل يجوز أن يقوم بعض مراكز المجاهدين بعد صلاة الفجر بدرس في تصحيح تلاوة القرآن ويداوموا عليه؟ مع أنه لم يثبت عن الرسول ﷺ أنه قام بدرس في القرآن بعد صلاة الفجر بل كان يسأل الصحابة (**من رأى منكم رؤيا**)[2]؟ فهم خصصوا التلاوة بعد الفجر فقط.

ج١٦: هذا جائز إن شاء الله، لا مانع منه ولا حرج فيه، وهو مما للعباد أن يتصرفوا فيه من تنظيم شؤونهم، وهذا من تنظيم دروس العلم، وهو وسيلة إلى مقصود تحصيل العلم، ولا يلزم أن يكون عين هذا العمل ثبت عن النبي ﷺ فعلُهُ، لكن عليهم أن لا يعطلوا موضع الأذكار من الأذكار أعني أذكار الصلاة وأذكار الصباح؛ فإذا أتوا بها أو بما يسّر الله منها، فلهم أن يشرعوا في التعلّم للقرآن أو غيره، وأن يخصص إنسانٌ أو ناسٌ وقتَ ما بعد صلاة الفجر للدرس الفلاني أو الفلاني فهذا لهم بحسب ما يرونه مناسبًا.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٣) قَالَ عَبْدُ اللهِ: «رُبَّمَا سَمِعْتُ أَبِي فِي السَّحَرِ يَدعُو لأَقوامٍ بِأَسمَائِهِم.. وَيُصَلِّي بَيْنَ العِشَاءيْنِ».

(٢) صحيح البخاري (١٣٨٦)، صحيح مسلم (١٧).

س٢١: ما هو الفرق بين تحديد الوقت وتحديد العدد مثال حدد في العدد أن يقول ١٠٠ مرة «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وحدد في الوقت ٥ دقائق أن يقول «لا حول ولا قوة إلا بالله».. فهل يجوز الأمران أم لا يجوزا؟

ج٢١: للإنسان في نفسه أن يفعل مثل هذا، من باب حمل نفسه على فعل الطاعة المطلقة وتجشيمها هذه العبادات تربية لها وتربيضا، لكن لا ينبغي أن يجعلها بمنزلة الشيء الذي فرضه الله؛ فليفعل وليترك، ولا له أن يجعله في أتباعه إن كان له أتباع من أهل وذرية ومن تلاميذ أو نحوهم بمنزلة السنة، فإنه حينئذ يدخل في حدّ البدعة.

س٢٥: هل يجوز للمسلم أن يخصص دعاء معين لكل سجدة؛ مثلا في السجدة الأولى يدعو لأهله وأقاربه، وفي السجدة الثانية للمجاهدين والمسلمين، وهكذا.. حتى يشمل دعاءه كل شيء؟

س ٢٦: هل يجوز أن يخصص دعاء يقوله كلما يسجد مثل: أن يدعو بالشهادة والفردوس الأعلى كلما سجد من باب الإلحاح في الدعاء؟ أو يأخذ على نفسه عهدًا أنه كلما سجد دعا الله ﷻ أن يرزقه الشهادة؟

ج٢٥، ٢٦: كل ذلك واسعٌ إن شاء الله، والله أعلم.

س٣٠: هل يجوز لمجموعة من الشباب أن يتفقوا على صيام الاثنين والخميس، ويكون الإفطار في كل مرة على أحدهم.. فهم قد اجتمعوا على أمر لم يأمر الشرع في صفة الاجتماع عليها؟

ج٣٠: لا يعجبني ذلك، وأحبُّ إليّ أن يجتهدوا في الاقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه وكيف كان حالهم، ولم نعهد منهم ﷺ مثل هذا، بل سبيلهم في مثله: التواصي وأن يحث بعضُهم بعضًا على فعل الخير والاجتهاد في العبادة والتذاكر فيها وتفقّد الأخ لحال أخيه وعبادته: كيف تقوم الليل؟ كيف تقرأ القرآن؟ كيف صيامُك؟ وهكذا، أما اتفاق الناس على ما يشبه التعاهد والتعاقد مضافًا إليها هذه الكيفيات، فابتعدوا عن ذلك بارك الله فيكم.!

س٣١: كان الإمام مالك ﵀ أو غيره من الأئمة قبل أن يحدث بالأحاديث يتوضأ[1].. فهل هذا

(١) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٧/ ١١٠) عَن أبي سلمة الخزاعي قال: «كان مالك ابن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر بِهِ حديث رسول اللَّهِ ﷺ».

الفعل مشروع؟ وهل فعله أحد من الصحابة؟ ولو أن شخصًا قال: أنا لا ألقي محاضرة حتى أتوضأ حيث أنه اتخذ مع نفسه طريقة معينة من العبادة.. فما حكم ذلك؟

ج٣١: نعم قد روى أصحاب الإمام مالك عنه أنه كان لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا على طهارةٍ، تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ، والمقصود -والله أعلم- أنه لا يجلس مجلس التحديث إلا على طهارةٍ؛ فهذا نوعٌ من إلزام النفس بالخيرِ وحملها عليه من غير شائبة «تشريع»، وينبغي على مذهبه وأصله رضي الله عنه ورضي عنه أنه إذا خشي أن يظن الناس أن ذلك سنة ويتخذوه سنةً أن يترك ذلك أحيانًا..

وللإنسان أن يجتهد في أن لا يلقي درسًا أو محاضرةً إلا وهو على طهارة كاملة؛ فإن لم يكن متوضئًا وقد طُلِب منه إلقاءُ محاضرة فليبادر بالوضوء وليتوكل على الله في إلقاء المحاضرة إن كانت خيرًا، فهذا حسنٌ، ما المانع فيه؟! فإن أدلة الشرع دلت على استحباب ملازمة الإنسان للطهارة والمحافظة على الوضوء، فهذا يتأكد في مقام حلقات العلم والدرس واجتماعات المسلمين، فلا يقال حينها إنه اتخذ لنفسه طريقة، لأن هذا مدلول عليه في الشرع مطلوبٌ على وجه الاستحباب.

لكن لو كان مطلوبًا من إنسانٍ في موضع معين ووقت معين أن يتكلم في العلم والنصح للمسلمين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتعليمهم ما يلزمهم فورًا، فامتنع من ذلك بحجة أنه غير متوضئٍ، وقال لا يفعل حتى يتوضأ، واتفق أن محل الوضوء والماء بعيدٌ وأن الوقت سيمرّ ويفوت تعليم الناس العلمَ الواجب في الحال (فورًا).. فإنه آثمٌ بذلك، وهذا جاهلٌ مفرّط متنطع.

س٣٦: هل يجوز للمسلم أن يجعل لنفسه أورادًا يقولها في النهار وأورادا يقولها في الليل، وهذه الأوراد ورد فضلها في السنة ولكن لم ترد على هذه الطريقة؛ كأن يقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ١٠٠ مرة في النهار، و١٠٠ مرة في الليل، وهو لا يقصد أن هذه الطريقة وردت في السنة، أو أنه يتعبد الله بهذا الرقم، وإنما هو من باب استغلال الأوقات وتشجيعها حتى لا تتكاسل؟

ج٣٦: أرجو إن شاء الله أنه لا بأس بذلك، ما دام هو يفعل ذلك بنفسه حملًا لها على الاجتهاد في العبادة، من دون أن يجعله طريقة ثابتة كالشريعة المنزلة، وعليه أن يخشَ أن يظنَّ الناسُ أنها سنة، لا سيما إن كان ممن يقتدى به؛ كشيخ علمٍ وفضلٍ في قومه، ومن كلام الشاطبي في الاعتصام: «وبالجملة فكل عمل أصله ثابت شرعًا إلا أن في إظهار العمل به والمداومة عليه ما يخاف أن يعتقد أنه سنة، فتركه

مطلوب في الجملة أيضًا من باب سد الذرائع»[1] اهـ.

س٣٩: هل يجوز ابتكار طرق جديدة لكسب الثواب؟

مثاله: هل تريد أن يصلي عليك الله في الشهر مائة ألف مرة فعليك بالخطوات التالية:

١- أن تصلي على الرسول ﷺ كل يوم ٢٠٠ مرة فالله يصلي عليك ٢٠٠٠ مرة؛ فيكون المجموع في الشهر ٦٠٠٠٠ مرة.

٢- وتزيد في كل جمعة ألف مرة تصلي على الرسول ﷺ فيصلي الله عليك ١٠٠٠٠ مرة فيكون المجموع في أربع جمع ٤٠٠٠٠ ألف مرة.. فيتحصل المجموع في خلال شهر مائة ألف مرة.

ج٣٩: اللّهم صلى وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.. ليُعلَم أنه ليس ثمت طريق لتحصيل الثواب والأجر من الله تعالى إلا وقد دلنا عليها رسول الله ﷺ، فالخيرُ كل الخير في اتباع طريقه والاقتداء به، وليقل الإنسان: لو كان خيرًا لسبقونا إليه، والله المستعان.

وهذه الكيفيات والطرائق ما أشبهها بالابتداع، وقد عبّرتم بلفظ الابتكار وهو هو!! والذي أراه أنه إن كانت على سبيل الوعظ والتحريض والحث والتحضيض على الإكثار من ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ والترغيب في نيل الثواب وتحفيز همم السامعين إلى التنافس في تحصيل الأجور من العزيز الوهاب، فعسى أنه لا بأس به إن شاء الله، وما عدا ذلك فدعْ، وفيما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم غنيةٌ وكفاية.. والله الموفق للخير والفلاح، لا إله غيرُهُ ولا رب سواه، نسأله سبحانه لنا ولكم ولكل إخواننا التوفيق والإعانة والهدى والسداد.

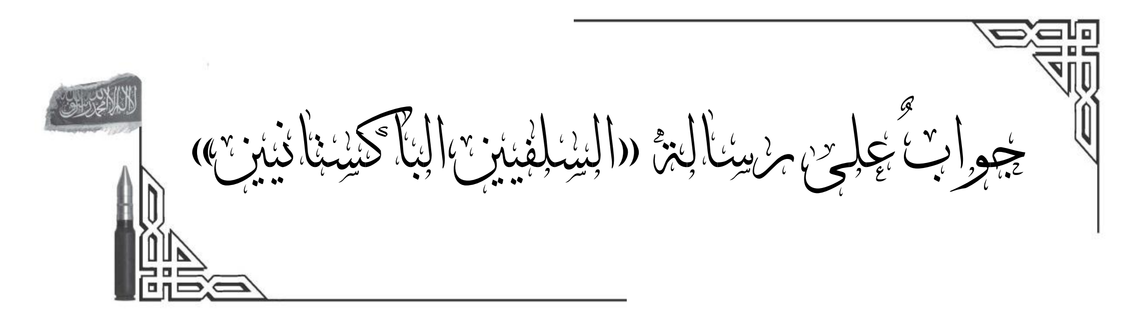
هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

كتبه: **عطية أبو عبد الرحمن**

جمادى الأولى ١٤٣١ هـ

---

(١) مختصر الاعتصام (ص ٧٩).



[أسئلة في البدعة وفروعها قاربت الأربعين سؤالًا لم تُنشر من قبل، موجهة من الشيخ المجاهد «أبي زيد خالد الحسينان الكويتي» رحمه الله، أجاب عنها الشيخ عطية الله رحمه الله، وصلتنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي»، وقد أجاب عنها الشيخ بمقدمة تأصيلية مفيدة في البدعة ثم مثل بأجوبة الأسئلة، وقد كُتبت الرسالة في: جمادى الأولى ١٤٣١]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت].

وقال رسول الله ﷺ: **(إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه)** رواه أحمدُ وغيرُه[1].

إلى الإخوة الكرام الأفاضل طلاب العلم والخير وخدام الدين والعلماء والمجاهدين، المتصفين بالشجاعة المنتسبين إلى المولى الكريم ﷻ، نسبةً معنوية بلا مثنوية، أما النسبةُ اللفظية فنراها عُجمةً غيرَ مرضيّة فيها نوعُ مجانبةٍ للطريقة الشرعية والعذرُ فيها أنها قضت بها العوائد المحلية والأعراف الزمانية؛ فصار فيها شبهٌ بما يحكى حكايةً، واعتبارُ الأحوال ما منه شكاية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. **وبعد؛؛**

فقد وصلنا كتابُكم الكريم ونصحكم القويم المفعَم بغاية الشفقة واللطف، وفهمتُ ما فيه وعرفتُ فكرتكم ورغبتكم ووجهَ مشورتكم، جزاكم الله خيرَ الجزاء، ونسأل الله تعالى أن يتقبل سعيكم وأن

---

(١) مسند أحمد (١٥٧٨٥، ٢٧١٧٤) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، صحيح ابن حبان (٤٧٠٧، ٥٧٨٦).

يبارك فيكم، كما وصل معه الكتابان المرفَقان: «المهنَّد على المفنَّد» و«الطريق إلى الجماعة الأم».

وجوابًا على كتابكم الكريم أقولُ، وبالله أستعين، وعليه توكّلي واعتمادي:

في البدءِ فإنني أؤكد على أننا قابلون لمناقشة ومدارسَةِ كل المسائل مع إخواننا وأحبابنا الناصحين أهل الخيرِ والصلاح، ونحن بلا شك ناقصون غيرُ كاملين، ضعفاء محتاجون، لا نستغني عن نصح أهل العلم والمعرفة والخبرة، توّاقون دائما إلى الكمال وإلى أن نكون أفضل، وأن نفعل أحسنَ ما يمكن مما يرضي ربنا ﷻ، وإننا لقريبون إلى الانتقال عن هذه الدنيا إلى دار الحق، وليس عندنا بفضل الله مانعٌ أبدًا يمنعنا من القولِ بحقٍّ أو إنكارٍ منكرٍ أو الوقوف في الموقف الذي يطلبه منا ربنا ﷻ؛ فإن الله تعالى قد أنعم علينا بنعمة الحرية وكمال الاختيار، والخروج من ربقة الجبابرة الطغاة أو ضغوط أهل الدنيا والشهوات، نسأل الله -جل وعلا- أن يزيدنا وإياكم من فضله، وأن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعل هذه النعم علينا وعليكم رحمةً وبركة لا فتنة ولا شقاءً ولا عذابًا.. آمين.

ولذلك فلا تظنوا أننا نستنكف عن مراجعة مسألةٍ أو المذاكرة فيها مع طلاب العلم وأهله، لا والله، بل نحن ساعون أبدًا لنكون من الذين قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه]، وكما رُوِي عن النبي ﷺ -إن صحّ-: **(الحكمة ضالة المؤمن)** رواه الترمذي وغيره وإسنادُه ضعيفٌ[1]، لكن المعنى صحيحٌ.. فهذا مبدأنا، والحمد لله على ما هدانا.

إخواني الكرام؛ إنكم تعرفون والعالَمُ كله يعرف أن اعتقادنا بحمد الله هو عقيدة أهل السنة والجماعة وهي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابُهُ ﭫ وأرضاهم، جملةً وتفصيلا، نلتزم ذلك ولا نجيز الخروج عليه، ونرى الخروج عنه ضلالة وزيغا نعوذ بالله منه؛ فما كان مجمعًا عليه أو فيه نصوصٌ واضحة من الكتاب والسنة فسبيله واضحٌ وهو أننا نلتزمه بعينه ونقول به، وما كان محتملًا ووقع فيه الخلاف بين الصحابة مثلا أو مَن بعدهم من أئمة الهدى فإننا نرجّح بالدلائل العلمية بين أقوالهم ولا نخرج عنها بإحداثٍ قولٍ آخر لم يقولوه.. فهذا هو اعتقادنا الجُمليّ وإليه ندعو الناس، ثم في التفاصيل أننا نعتمِدُ كتبَ السنة التي روى فيها الأئمة الأثباتُ من الحفاظ أقوالَ

(١) سنن الترمذي (٢٦٧٨)، سنن ابن ماجه (٤١٦٩) وقال الألباني: ضعيف جدا.

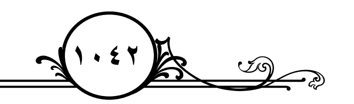
واعتقاداتِ السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان التي هي ترجمانٌ للكتاب والسنة، مثل كتب الإمام أحمد وابنه عبد الله وابن أبي عاصم واللالكائي وابن خزيمة والآجرّي ونحوهم رحمهم الله، وتقريرات ابن عبد البر والبغوي وغيرهم، ثم من المتأخرين تحقيقات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم من هذه «المدرسة»، فإننا نراهم أقربَ إلى تمثيل عقيدة وطريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية، وما كان من هَناتٍ أو مجال خطإ من هؤلاء الأئمة المذكورين أو غيرهم فإننا أيضا نردّه بالحق وننقده ونلتزم ما بان وظهر من الصواب، كالملاحظات التي على ابن خزيمة مثلا، وكما يمكن أن ينتقد على شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم من نظرٍ قليلٍ كالقول بفناء النار، مع أن الصحيح أنهما رجعا عنه، ونحو ذلك، ونعلمُ أن كلًا يؤخَذ منه ويُترَك إلا رسولَ الله ﷺ.

فالحاصلُ أننا نجتهد في إصابة الحق قولا وعملا ظاهرًا وباطنا إن شاء الله، والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه.

والناس كلهم يعرفون عنا ذلك، أعني ممن شأنه أن يعرف، من أهل العلم وممن يتابعون شؤون العلم والدين ويعرفون أننا نحارب الكفرَ والشرك والطاغوت بكل معانيه وصوره، وأهلَهُ وأولياءَه وعبيدَهُ، وأننا منتسبون إلى السلف الصالح وإلى «أهل السنة والجماعة» في صورتها الأولى، وأننا صادقون في نسبتنا لا ندّعي أو نتظاهر دون تحقيق؛ بل هو انتساب الظاهر والباطن بحمد الله تعالى.

فمن ذلك أن «طالبان أفغانستان» و«إمارة أفغانستان الإسلامية»، و«طالبان باكستان»، وسائر مَن عرفنا في هذه الإقليم يعرِف عنا ذلك ويتحققه.

ثم إنهم مع أنهم يعرفون عنا ذلك؛ فإنهم يعرفون أيضا أننا أهلُ فقهٍ بحمد الله، وأصحابُ أفقٍ واسعٍ، ولدينا «مرونةٌ» و«ديناميكية» كما يقولون، ولا بأس.. فهذه اصطلاحاتٌ وإن كان فيها إجمالٌ وفضفضةٌ لكننا نريد المعنى والقدرَ الصحيح منها الممدوحَ وهو غيرُ خافٍ، فإننا بحمد الله جرّبنا العلمَ وأهلَهُ وخضنا الدعوة بالكلمة واللسان، وبالحربِ والسنان، وعَرَكنا الخلق وعرفنا أنواع النفوس وألوانها، عربًا وعجمًا، وآتانا الله من معرفة سنن الاجتماع وأسباب قيادة الأقوام، ما به نستعين بإذن الله في استجلاب أكثر المصالح الدينية الأخروية والدنيوية ونستدفع أكثر ما يمكن من مفاسدها،



وذلك فضل الله تعالى، وهذا إن شاء الله من التحدث بنعمة الله اقتضاه مقامُ التعريف والتوطئة لبعض الفكرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فكان فمما نراه فقهًا صحيحًا هدانا الله إليه من فضلِهِ بأسباب تحصيل العلم النافع والتجارب أنَّ حالنا نحن اليوم باعتبارنا طائفةً من الأمة متصدية للجهاد في سبيل الله (جهاد أعداء الله الخارجيين من الكفار الأصليين، وأذنابهم من الأعداء المرتدين من الحكومات المستولية على مقاليد الأمور في سائر بلاد المسلمين) وما يتضمنه ذلك من تصرِّفات دعوية وسياسية وقيادية، وباعتبار حالِ أمتنا من الضعفِ والخور والتعاجز وتمكن الأعداء منها الداخليين والخارجيين، وتسليط الوهن عليهم بقدر الله كما أخبر الصادقُ المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الفساد المتراكم فيها في بابي العلم والعمل، مما لا يخفى على عاقلٍ، حتى ضَرَبَ الفسادُ والضلال والانحراف أطنابه في الطبقات المنتسبة للعلم والدين، حتى لا يُبعِد الإنسانُ إذا قال: إن الفساد والضلال والانحراف في هذه الطبقة أشد وأعمق وأخطر مما هو في سواها من سائر طبقات الأمة العوامّ، وباعتبار قِلّتنا نحن أهلَ الدعوة والجهاد وضعفنا، وكثرة أعدائنا، وكثرة ما نواجه من المشكلات غير المنحصرة والعميقة والشديدةِ التعقيدِ والرسوخ.. فإننا باعتبار هذه الأشياء مجتمعةً رأينا بدلائل الشرع والقدر أنه يُشرَعُ لنا بل ربما يجب علينا أن نتلطّف ونأخذ بأسباب الرفق وقوة التحيّل فيه لكي نحق ما استطعنا من الحق، ونبطل ما استطعنا من الباطل، ونتدرّج في ذلك من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ، فما أدركنا في عُمُرنا القصير فذلك فضل الله، وما لا فقد أعذرنا إلى الله ومهّدنا لمن بعدنا طريقًا إلى تحقيق المرام بعون الله، فإن دلائل الشرع مع دلائل العقل والحس والتجربة قاطعة بأنّ كل ذلك الفساد المشار إليه لا يمكن القضاءُ عليه جملةً واحدةً ولا يُظَنُّ أن الله يكلفنا بذلك، فإنه -لو فرض- تكليفٌ بما لا يطاق، مع أنه خالٍ من الحكمة إذ محاولة ذلك لا تحقق المقصود وهو الإصلاح، فلا تأمُرُ الشريعة بمثله، والحمد لله، والله عز وجل أعلم وأحكم.

واعتبرنا في ذلك بطريقة الشريعة المطهّرة، وبسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبسيَرِ المصلحين المشهودِ لهم بالخيرية في هذه الأمة المجددين للأمة دينها؛ فإن طريقة التدرّج والسكوت والإغضاء والتغافل لا تخطئها عينُ الناظر في سيرهم والمتفرّس في مسالكهم، وسيرةُ سيدنا عمرَ بن عبد العزيز ﵁ معروفة مشهورة، ومن آخرهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ فقد ذكروا في ترجمته أنه

كان في بادئ أمره يمرُّ على عباد القبور عند قبر زيد بن الخطاب فيقول: اللهُ خيرٌ من زيدٍ، وبقي على ذلك مدة تمرينًا لهم على نفي الشرك وإثارة للبحث والنظر ومراعاةً لمصلحة عدم التنفير(١)، ثم انتقل إلى مرتبةٍ أعلى في الإنكار.

ولذلك فإننا نجمَع بين: الصدع بعقيدتنا وبالدعوة إلى التوحيد بكل معناه وتفاصيله وننكر الشرك والكفرَ ونحاربه بقدر الطاقة، وهكذا في عموم منهجنا ومفاهيمنا وفقهنا، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر قدر الإمكان في مرحلتنا، ونستعمل العذرَ مع الناس لما نعرف من قوة تراكم الفساد في أمتنا وما سبق الإشارةُ إليه من الاعتبارات؛ فنميل إلى اللين مع أمتنا وفي علاج أمراضها وتغليب الرحمة والشفقة نظرًا لصعوبة حالها، فنصبر على انحرافهم وعوَجهم وفسادهم ونستأني بهم ساعين في الإصلاح بالتلطف والتدرج، مع قوةٍ في الدين أيضا والحمد لله ووضوحٍ في الراية والمنهج، ونتأمل فيما نقدّمه وما نؤخّرُهُ، وما نعطيه أكثر تركيزنا واهتمامنا وما نقلل من التركيز عليه في كل مرحلةٍ بحسبها، وأيضا نَنْظر فيما هو منوطٌ بنا كمجاهدين وما هو مغطًّى مسدودٌ ثغرُهُ من قِبَل غيرنا من الدعاة والعلماء من سائر طوائف الأمة.

فمثلا: محارَبةُ شرك القبور بالدعوة المقالية والكتابية، لا شك أنه من فروض الكفاياتِ، وقد يتعيّن على آحاد الناس بحسبه؛ ففي الجملة: الحمد لله في الأمة الكثير من أهل الخير من أهل العلم والدعوة ممن يسدون هذا الثغر، ويبذلون فيه غاية البذل، فجزاهم الله خيرًا، وقد انتشر العلم بهذا الباب في الأمة اليوم انتشارًا واسعًا بفضل الله، فنحن مكفيّون بحمد الله، ولنا تخصصٌ آخر ولنا انشغالات أخرى هي أليق بنا وألصق ونحن أهلها، مع مشاركةٍ في كل بابٍ من أبواب الخير، ومعاونةٍ لأهلها وتأييد، مع أننا حيث نكون (كما في أفغانستان، وباكستان: مناطق القبائل منها) فإننا ندعو ونأمر وننهى ونعلّم وننشر بعض الكتب والرسائل وغير ذلك في هذا الباب أيضا ولسنا مهملين له بالكلية لكن نتلطف، والحمد لله؛ لقد أثمرت جهود المجاهدين على اختلاف طبقاتهم وتوجّهاتهم عربًا وعجمًا من لدن الجهاد الأفغاني الأول وإلى اليوم في هذا الباب خيرًا كثيرًا لا ينكره إلا مَن لا يعرف الواقعَ، ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر: الدرر السنية (٢/ ٢١١) قاله الشيخ: عبد الرحمن بن حسن ﷫، حفيد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب ﷫.

وفي مسألة «مجمَل الاعتقاد» وهو الاعتقاد الكلاميّ المقاليّ كأبواب الصفات للعليّ العزيز ﷻ، والقرآنِ، وأبواب الإيمان، والأسماء والأحكام والوعد والوعيد، والقدَرِ، وأبواب النبوات وما يتعلق برسولنا محمد ﷺ، وأبواب الصحابة، وسائر أبواب العقائد، فإننا كذلك مكفيّون والحمد لله، ومع ذلك؛ فحيثُ يتعيّن أن نتكلم ونبيّن الحق فعلنا واجتهدنا في القيام بالواجب بحسب الإمكان.

لكن في هذا الباب على وجه الخصوص، وحتى في الباب الذي قبله (ما يتعلق بكثير من مسائل توحيد العبودية) بقدرٍ أقل فإننا تواجهنا مشكلاتٌ وصعوبات هي من نوع ما أشرتُ إليه في الفقرة أعلاه، والمثال التطبيقي لذلك هو ما تعرفون من الحال في أفغانستان عمومًا وفي باكستان؛ فإن عموم أهل العلم والقائمين بفرض الجهاد هم من المنتسبين إلى طائفة علماء مدرسة «»ديوبند» الهندية التي هي مزيج من المذهب الحنفيّ في الفروع ومذاهب الماتريدية الأشعرية في العقائد، والصوفية متعددة الطرق، ونحن معهم في جهادٍ لأعداء الله الصليبيين كما كنا معهم في جهاد أعداء الله الشيوعيين الماركسيين السوفييت من قبلُ، وإن الدخول مع إخواننا في مباحثاتٍ ومناقشاتٍ في هذه المسائل غيرُ ممكن الآنَ أبدًا.. هذه هي القناعة التي وصلنا إليها ونحن بها عاملون، وموقنون بأنها هي الصواب وبها يتحقق الصلاح.

فأنتم تعرفون معنا ما في هذه المسائل من التعقيد، وأنها ليست مسائل بسيطة تنحلّ بأبسط بحثٍ ونظرٍ، وأن الدخول فيها مع إخواننا المسلمين -بالضرورة ولاشك- أنه مؤدٍّ إلى جدلٍ وشحناء وفسادٍ، ثم إلى عداوةٍ وبغضاءَ، وتقاطُعٍ وتدابُر، وأن ذلك لو وقع لا قدّره الله؛ فإنه لا يبقى معه قيامٌ بجهادٍ ولا دفعٌ لعدوٍّ وأن الفساد ساعتها سيزداد ويتسع ويعظم ونكون والعياذ بالله كمن يبني قصرًا ويهدِمُ مصرًا، وينطبق علينا ساعتها وصفُ الحماقة والبلاهة والغباوة والعياذ بالله، وكما قلتُ؛ فإننا نعتقد أن الله لا يأمرنا بذلك ولا يحبّه منا، فإن الله يأمُرُ بالصلاح والإصلاح وينهى عن الفساد وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وكونُ ذلك سبيلًا إلى الفسادِ ظاهرٌ جليّ بل هو عندي مقطوعٌ به.!

وقواعدُ الشرع ومعرفةُ مقاصده دالةٌ على اعتبار هذا، وهو فقه صحيحٌ معروفٌ عند علمائنا جميعًا.

ومن أجل ذلك فإن طريقتنا في هذه المسائل هو تركُهَا والسكوتُ عنها مع إخواننا في الجملة، وهذا لا ينافي أننا نفتحها للنقاش بتلطفٍ وتأدّبٍ ورفقٍ متى ما واتت الفرصة، كأن يوجَد منا ومن إخواننا

بعض طلبة العلم يفتحون النقاش فيها على أصول أهل العلم في بعض المناسبات، وأنا شخصيًا قد حصل لي هذا أكثر من مرة في أفغانستان أو باكستان، أتناقش مع بعض أهل العلم من «المولوية» في مسائل الاعتقاد مستعملا الرفق واللين والتلطف الكامل؛ قائلًا: إن الذي نراه صوابًا هو طريقُة الإمام أحمد، وأننا نعتقد أن سائر الأئمة الأربعة بما فيهم الإمامُ الأعظم أبو حنيفة ﷺ جميعًا على هذه الطريقة وهي: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ وإمرارُه كما جاءَ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، ومن غيرِ تأويل يخرجها عن ظاهرها المعلوم معناه من لسان العرب بغير دليلٍ؛ لأنه حينئذٍ يكون تحريفًا للكلم عن مواضعه، ونعتقد أن هذا هو الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وتدل عليه ظواهر القرآن والسنة قبل افتراق الفرق وتبلْوُرِ مقالاتها وتدوينها، وقبل غلبةِ الفلسفة والمنطق وعلم الكلام المذموم... إلخ، وهكذا وندخل في بعض التفاصيل، لكنني أتحاشى أن أتلفظ في حق إخواننا بألفاظ البدعة والضلالة ونحو ذلك؛ فإن في ذلك تنفيرًا لا يخفى ولا يفعله عاقلٌ، وأنا شخصيًا من جهة اعتقادي في نفس الأمر أُفصِّلُ في ذلك؛ فما هم عليه من المعتقداتِ منه ما هو حقٌّ نتفق معهم فيه وهو كثير ولله الحمد، ومنه ما هو بدعة وضلالة، ومنه ما هو خطأ غيرُه أصحُّ وأصوبُ منه، لكن بالنسبة لهم هم (الأشخاص المعيّنين) فلا أجترئ على وصفٍ كثيرٍ منهم ممن عرفنا من أهل الخير والصلاح والتقوى والجهاد في سبيل الله بالبدعة والضلالة، لما أعتقد أنهم معذورون، قام بهم العذرُ، وأنهم محسنون باتباع ما ظهر لهم وبان وما غلب على ظنهم أنه حق وصوابٌ، مقلّدون لمدرسة علمية كبيرةٍ مشهورة.. وهكذا لنا تفاصيل في هذه الأحوال وفي الأعيان، والله المستعان.

وكما وصفتم أنتم إخواننا بالجهاد والصلاح؛ فقد أصبتم، فالحمد لله: هم أهل خيرٍ وصلاح وتقوى وجهادٍ، وفيهم صدقٌ وإخلاصٌ، كثيرٌ منهم، نخبتُهم والقوةُ الضاربةُ فيهم، وفيهم دون ذلك كما في سائر الطوائف والأقوام، وما فيهم من النقص باتباع هذه المدرسة العلمية «الديوبندية» فهم في الجملة معذورون فيه، إلا مَن تبين له الحقُ وعانده واستكبر عن الانقياد له، فمن علمناه كذلك عاملناه بما يستحقه شرعًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فنحن عندما نمدح «الطالبان» والملا «محمد عمر» أمير المؤمنين حفظه الله ووفقه؛ نمدحهم باعتبار

ما عندهم من الخيرِ والحسناتِ والعمل الصالح والإحسانِ والجهاد في سبيل الله ونصر الدين والقيامِ بما عرفوا وما أمكنهم القيام به منه.. فهذا لا يتضمن إقرارنا إياهم على أي باطلٍ لا جملةً ولا تفصيلًا، وكونُ بعض الناس قد يتوهَّمُ ذلك من صنيعنا فإننا غيرُ مسؤولين عنه ولا يضرُّنا، ويُوشِك أن توجَد فرصةٌ لإصلاح وهمه في مناسبةٍ من المناسبات فيعرف ويفقه، فلِمَ العجلةُ، ولماذا نترُك الخيرَ في الثناء على أهل الخير أهل الجهاد والوقوف معهم وتأييدهم ونصرهم والتنويه بهم في الأمة، والأمةُ وأجيالها محتاجةٌ إلى ذلك أشدَّ الحاجةِ، بحجةِ أنه قد يتوهّم بعضُ الناسِ أننا نثني على ما عندهم من الباطل؟! هذا ليس من الفقه ولا من الحكمة، والله أعلم، وهو سبحانه الموفق لما فيه الخير والفلاح.

ولذلك أذكّركم - وفقكم الله - بأن لا يغيبَ عنكم أن تصرّفات المجاهدين ملحوظٌ فيها الاعتبارُ السياسيّ؛ فأنتم تقترحون أن نصدر بيانا شافيًا تفصيليًا باعتقاداتنا في سائر المسائل وأن نردّ البدعَ والضلالات كلها، فنقول: إن تبيان عقائدنا حاصِلٌ كما قدّمنا ويحصُلُ بحسب المناسباتِ، وهذه في الحقيقة طريقة القرآن والسنة: العلمُ والحكمة بحسب المناسبات، وأنه يكفي أحيانًا بيانُ الحقِّ والأمرِ الصحيح الصواب عن ذكر الباطل والتصريح به وردّه؛ فإن الحق مزهِقٌ للباطل، ونفسُ معرفة الحق ماحقةٌ للباطل، فإذا انضاف إليها ما أشرنا إليه من أننا قد نختارُ بعضَ السكوت للمصلحة الظاهرة الراجحة، وأننا نراعي ما لا يراعي غيرُنا ولكلٍّ مقامُهُ؛ فقد وَضُح الأمرُ، والحمد لله.

والحاصل أننا بحاجةٍ إلى تدبّر عدة مسائل تتعلق بحالنا وتمسُّ الحاجةُ إليها في زماننا وما بُلينا به، مثل مسألة السكوت عن بعض الباطل إلى حين القدرة على الإنكار والتغيير، وأن السكوت يسع ما يسع النطق، وأن القدرة من معناها ضمانُ عدمِ حصولِ منكر أكبر مما نحاولُ إنكارَه، ومسألة ترك التحديث ببعض العلم مخافة مفسدةٍ راجحةٍ، ومَنْ كتم بعضَ العلم من أجل ذلك أحيانًا، وحديث عائشة: (**لولا أن قومَك حديثو عهدٍ بجاهلية**)[1]، وأن من المشروع في بعض الأوقات والأحوال تركُ بعضِ المشروع من مندوبٍ أو واجبٍ لمصلحة تأليف القلوب واتقاءَ الفتنة بين المسلمين، فيكون تركُ السنة حينئذٍ هو السنة؛ لأن مصلحة ائتلاف المسلمين واجتماعهم ووحدة كلمتهم لا سيَّما في مقابل أعداء الله الكافرين الصائلين الغازين النازلين بالعُقر أو المهددين لبلاد الإسلام، ولا سيما والأمرُ على

(١) صحيح البخاري (١٥٨٦)، صحيح مسلم (١٣٣٣).

ما وصفنا من حالنا وحال أمتنا، والله المستعان، هي مصلحةٌ كبيرةٌ جدًا تُترَك في معارَضتِها مصالحُ كبيرة ويُتحمَّل من أجلها مفسدةُ وجود واستمرار الكثير من البدَعِ والأخطاء العقدية أو العملية. ونحو ذلك من المسائل.

وأنتم تعرفون ما ذكره علماؤنا في مسائل كهذه وإني لم أشأ أن أكثر من النقل هنا حتى لا تطول الرسالةُ وتُمَلّ، ولكني أستسمحكم في نقل هذه الفقرة من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهي ضمن فتاوى قتال التتر؛ قال رحمه الله:

«فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل؛ فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة، أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه: كان الواجب أيضا قتالهُم دفعا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما؛ فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها. ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: الغزو مع كل بر وفاجر؛ فـ(**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم**)[(١)] كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفعُ الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامةُ جميعها.. فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها؛ بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه. وثبت عن النبي ﷺ: (**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم**)[(٢)] فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله ﷺ: (**الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**)[(٣)]، وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: (**لا تزال طائفة**

(١) صحيح البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، صحيح مسلم (١١١).

(٢) صحيح البخاري (٢٨٥٢، ٣١١٩)، صحيح مسلم (١٨٧٣).

(٣) سنن أبي داود (٢٥٣٢) بلفظ: (**والجهاد ماضٍ**..)، وضعفه الألباني، لكن قال الأرنؤوط في تخريج أبي داود: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.. وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: «الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر» قال الحافظ في: الفتح (٦/ ٥٦): «سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد؛ لأنه جمع ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، وفسره بالأجر والمغنم، والمغنم المقترن بالأجر

من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة)[١] إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم؛ بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة.. هذا مع إخباره ﷺ بأنه: **(سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض)**[٢]؛ فإذا أحاط المرء علما بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم؛ علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض: جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسئول عنهم مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم؛ إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديما وحديثًا، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقا وإن لم يكونوا أبرارا.. ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل، والله أعلم.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[٣] اهـ.

إخواني الأحباب؛ إن هذا الدين دينُ الله تعالى، والله ناصرُهُ ومتمُّه ومظهِرُه على الدين كله ولو كره الكافرون، وإن المستقبَل لهذا الدين لا شك، وإن خوفنا من أن تتكرر بعضُ التجارِب السيّئة لا بأس

إنما يكون من الخيل بالجهاد، ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً، فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر». وكذلك قال ابن عبد البر في: التمهيد (١٤/ ٩٧) وذكر هذا الحديث: «وقد استدل جماعة من العلماء بأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة تحت راية كل بر وفاجر من الأئمة بهذا الحديث، لأنه قال فيه: **(إلى يوم القيامة)** ولا وجه لذلك إلا الجهاد في سبيل الله لأنه قد ورد الذم فيمن ارتبطها واحتبسها رياة وفخراً ونواء لأهل الإسلام» اهـ، ويعني بحديث الذم حديث أبي هريرة عند البخاري (٧٣٥٦)، ومسلم (٩٨٧) وفيه: **(ورجل ربطها فخراً ورياء فهي على ذلك وزر)**. ويشهد لقوله: **(الجهاد ماض)** أيضاً قوله ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، لا يضرهم من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)**.

(١) صحيح مسلم (١٥٦).

(٢) سنن الترمذي (٦١٤، ٢٢٥٩)، سنن النسائي (٤٠٢٧، ٤٢٠٨) وصححه الألباني.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٠٤ فما بعد [المؤلف].

أن يدفعنا إلى احتياطٍ وحسنِ تدبيرٍ وحذر، لكن كلُّ شيءٍ بقدر، والأمرُ لله أولا وآخرًا، فنجمِلُ في الطلب متوكلين على الملك الوهاب ﷻ محسنين الظن به.

فإن كان الزنديق «مجددي» وجدَ له في سابق الأوان فرصةً في بعض الكعكةِ؛ فإنه لم يستطع استدامتَها لا هو ولا أمثالُهُ ولا أولياؤُه، وإن المراحل الحالية والمستقبَلَةَ -فيما نظن والأمر لله من قبلُ ومن بعدُ- لا مجالَ لهم فيها بإذن الله، فالحركة الجهادية في قوة ونضجٍ وتقدّم، وكذا الأمة بعامّة، وقد غبَرَ زمانُ الدراويش.!

ثم هب أن شيئا من ذلك كانَ وابتلانا الله، لا قدّر الله ذلك؛ فإن الجهاد ماضٍ ونحن عبيدُ اللهِ على كل حالٍ، فلمَ الخوف الكبير؟!

إن المؤمن ينبغي له أن يكون قويًا متفائلًا مصمّمًا على الجهاد والثبات على الحقّ ولو عاش الدهرَ حتى آخر قطرةٍ من دمه وآخر نفسٍ من أنفاسه حتى يلقى الله.

وقلتم في كلامكم النفيس: «فإن أخرنا تبيين هذه الأشياء إلى قيام رياسة الإسلام فهذا ليس بصحيح، بل والله لا تمكن هذه التصفية في ذلك الوقت، بل تكون أصعب، وسينتج عند ذلك مصائب كبرى، وإن نلزم السكوت بعد قيام الدولة الإسلامية كما نسكت أيام الجهاد فماذا نجيب ربنا في الآخرة في غفلتنا هذه» اهـ.

فأما السكوتُ؛ فسواءٌ كان قبلُ أو بعدُ فإنما حكمُهُ منوطٌ بمطلوبيته شرعًا وذلك بحسب الدليل في كل حالةٍ على حدةٍ، فالحمد لله.. هوِّنوا على أنفسكم بارك الله فيكم، فإذا ملّككم اللهُ البلادَ والعبادَ فافعلوا ما تقدرون عليه من الخير وأقيموا ما تقدرون عليه من الدين، ولن تُحصوا! فإن نكلتم عن القيام بالأمانة وتوانيتم عن شكر نعمة الله وركنتم إلى الدنيا وزهرتها وسقطتم في امتحان النصر بعد أن نجحتم في امتحان الهزيمة، فإن ذلك خسرانٌ، نعوذ بالله منه.

وأما أنَّ تأخيرَ تبيين تلك الأشياء إلى قيام دولة الإسلام غيرُ صحيحٍ وأن التصفية والإصلاح في ذلك الوقت يكون غيرَ ممكنٍ؛ فما الذي جعلَهُ غيرَ صحيح وغير ممكنٍ؟! نحن لا نقول ذلك، بل نقول: هو عملٌ دؤوبٌ متواصلٌ، لا ينتهي بقيام رياسة الإسلام ودولته؛ فلكل حالٍ ومرحلة وظائفها، فالدعوة والتصفية والتربية والجهادُ والأمر والنهي والإصلاح بكل الوسائل المشروعة سلسلةُ عملٍ

مستمرة لا تتوقف، بل إن الإصلاحَ بعدَ التمكّن أيسَرُ وأوقعُ بلا شك.

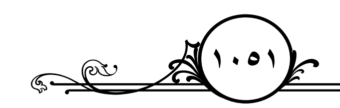
فإن كان المرادُ أن عدم الإصلاحِ الآن على الوجه الذي تتصورونه وتطلبونه مانِعٌ من حصول التمكّن للتوحيد والسنة وأهلها، فقد تبيّن جوابُهُ مما تقدّم، والله وليّ المؤمنين.

إخواني الكرام؛ أما الكتابان المرفَقانِ: فكتاب «الديوبندي»، وهو صاحب «بذل المجهود»، فيه ما فيه مما عَلَّمتُم عليه بالتلوين، وغيرُه، على ركاكةٍ في مسائله مضمونًا وشكلًا، تعجّبتُ منها فلعل الترجمة العربية ليست له، وعلى كلٍّ لا أظننا نختلف في تقويمه ونقده، وجزاكم الله خيرا على إرسالِكم الكتاب إليّ لأني أولّ مرةٍ أقف عليه بنفسي وأطالع ما فيه.!

وأما كتاب «الطريق إلى الجماعة الأمّ» فإننا نعرفه وطالعناه في أوان أول صدوره أيام الجهاد الأول – حوالي سنة ١٩٩١م– وكما تفضلتم بالتنبيه؛ فإنه في جملته من «سلفية» السعودية، والرجل لا نعرفه بعينه، وأظن أن الاسم وهميٌّ، والكتابُ وراءه جماعة «جميل الرحمن» ﷺ، ونحن نفصِّلُ في حالهم ونعرف ما عندهم من حق وخيرٍ، ولنا عليهم مآخذ معروفة في موضعها.

والكتاب جعلَ الرجلُ عمدَتَه وفكرتَه الأساسية الطعن في الشيخ «عبد الله عزام» ﷺ والغضّ منه، وهذا مريبٌ! فإنه لم يكتفِ بانتقاد «جماعة الإخوان المسلمين» وبيان عوارِهم وضلالهم وفساد فكرهم ومنهجهم؛ فهذا جيدٌ بشرطه وهو أن يكون بعلمٍ وعدلٍ وأدبٍ ونيّة صالحةٍ، لكن بالغ في الطعن والحطِّ على الشيخ «عبد الله» والغمز فيه بما لا يليقُ؛ فإن الشيخ «عبد الله» وإن كان منتميًا إلى «جماعة الإخوان المسلمين» ولم يشأ أن يخرج عنهم ويتركهم إلى أن قُتِل ﷺ، لما رأى من مصلحة ذلك، وهو اجتهادٌ له، نعتقد أنه مريدٌ للخير فيه؛ فإنه مخالفٌ لهم في مسائل كثيرة من منهجهم وفكرهم.. مخالفاتٍ تصلُ إلى حدّ أن تكون كليَّةً جذريةً أحيانًا، وبقطعِ النظر عن أخطائه أو صوابه في اختياراته الفكرية والفقهية والمنهجية.. فإنه بلا شك كان من أئمة الهدى ربَّانيًا صالحًا مجاهدًا في سبيل الله باذلًا نفسه لله ﷻ فيما نحسبُ، هذا ظننا فيه ولا نزكيه على الله، وكانت له قدمُ صدقٍ في الدعوة وإحياء الأمة وتربية الجيل على معاني الجهاد والعزة والحمية الدينية واختيار الآخرة، ونحن لا نغلو فيه ولا نقدّسُهُ، والله يعفو عنه ويتولاه برحمته ويتقبله في الشهداء الصالحين.. آمين.

إخواني الأحباب؛ نكرر لكم الشكر على هذه المناصحة الطيبة، ونسأل الله أن نستفيد منها، وإنني



أشعُرُ بأنني استفدتُ فعلًا، وبإذن الله سأطلع من أستطيعُ من مشايخنا عليها للتأمل والتدبّر؛ فلئن لم يُؤخَذ الكلامُ كلُّه لاختلاف نظرٍ واجتهادٍ فإن مطلق الاستفادة حاصلةٌ بحمد الله في التنبيه على هذه المسائل والاعتناء بها والتدقيق في كلماتنا ومواقفنا ومراجعتها وتسديدها، فجزاكم الله خيرا كثيرا..

ونتمنّى أن يزداد التواصُلُ والترابط تعاونًا على البر والتقوى كما أمر الله، والله سبحانه المسؤول أن يجعل أعمالنا صالحةً ولوجهه خالصة، وأن لا يجعل لأحدٍ فيها شيئًا، وأن يصلح أحوال أمتنا ويفرّج الكروب وينصُرَ المجاهدين في سبيله ولإقامة دينه وحُكمِه في كل مكان.. آمين.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم/ **أبو عبد الرحمن**

١٥ جمادى الأولى ١٤٣١ هـ

الأعمال الكاملة للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطية الله الليبي

مقالات ورسائل وقصائد

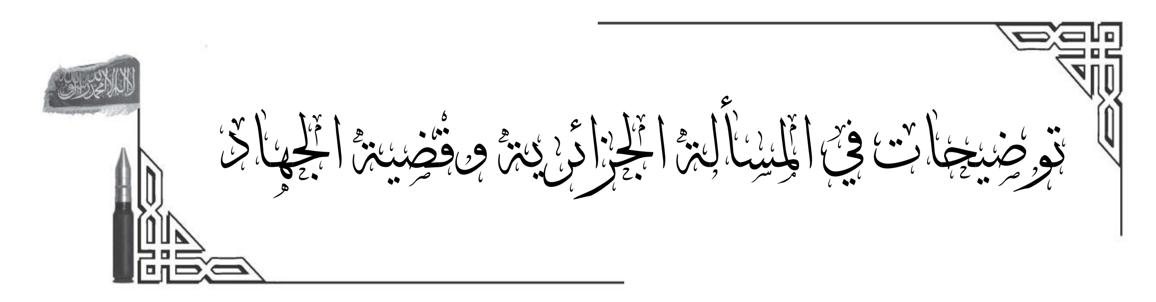
ومقدمات للكتب وتعليقات عليها

المقالات القصيرة

- توضيحات في المسألة الجزائرية وقضية الجهاد
- تذكرة رمضان
- أسئلة وأجوبة نافعة لكتاب المنتديات
- أمة الشهادة
- ما بعد هزيمة أمريكا
- مرثية في الشيخ المهاجر وصحبه رحمهم الله
- في بيان حكم التصوير، مع تعليقٍ على كتاب «الفيديو الإسلامي»
- مقدمة كتاب «وبل الغمامة في أحكام الإمامة»
- حكم الانضمام إلى الجيش والشرطة العراقيين العميلين
- تحية وتقدير للشيخ القائد «أبي حمزة المهاجر»؛ ودعمٌ وتأييد
- مذمة الناقص البطال.. شهادة للأخيار الأبطال
- تعليقٌ على بيان.. في مسألة التحالف مع العلمانيين المعارضين لاحتلال الصومال
- التعليقات السّداد؛ على كتاب «التذاكر الجياد، لأهل الجهاد»
- بنت ساطرون.. امرأة وقصة
- رثاء وعزاء في عالِمي موريتانيا [من الشيخين: عطية اللّه وأبي يحيى الليبيان رحمهما الله]
- توجيهات في العمل الإعلامي الجهادي
- مقدمة كتاب «الأربعون في فضل الشهادة»
- مقدمة قصيدة «رثاء وحداء.. في الفتى عاصم»
- الرسالة البحرينية
- الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.. نسيجُ وحدِه
- نبذة من سيرة الشيخ المجاهد «مصطفى أبي اليزيد» رحمه الله



بعض المشاركات القصيرة للشيخ رحمه الله في «المنتديات الحوارية»



توضيحات في المسألة الجزائرية وقضية الجهاد

[تم نشر هذا المقال في منتدى «أنا المسلم»، ربيع الآخر ١٤٢٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فهذه توضيحات في قضية الجهاد في الجزائر وفي فكر المجاهدين عموما كتبتها مساهمة في تنوير مشايخنا وعلمائنا على ضوء مناقشة ما كتبه الشيخ «ناصر العمر» وفقه الله، راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد وحسن الادب والعرض والقبول لديه ﷻ؛ فما كان فيها من حسنٍ فمن الله وحده وبتوفيقه ومنه أستمد وعليه أعتمد، وما كان غير ذلك فهو مردود إلي وعليَّ وأنا عنه راجع.

هذا ولم يكن الغرض الأساس هو مناقشة ما كتبه الشيخ «ناصر» وإن كان هناك شيء من ذلك، بقدر ما قصدت التوضيح والتنوير كما ذكرت.. وليعلم أني لا أمثل جهة من المجاهدين، ولست ناطقا رسميا باسم أي جهة، وإنما أكتب ما أكتب بحسب ما أعلم وأرى، فإن أخطأت في تقرير بعض آرائهم فهو خطأي، وأنا من أحباب الجهاد والمجاهدين، نسأل الله أن يجعلنا منهم ويحشرنا في جملتهم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون المَلِكِ المعبود:

وسأقرر هنا رأيي في المسألة الجزائرية بما يشبه المتن، على أن أفصله أو بعضه بما يشبه الشرح فيما بعد، فاقول وبالله المستعان.

الجهاد في الجزائر عند انطلاقته في عام ٩٢ م ضد السلطات الحاكمة في الجزائر كان جهادًا مشروعًا؛ فهو خروج بالسلاح على سلطات كافرة مرتدة، توفّرت لدى المسلمين والطائفة المجاهدة منهم قدرة عليه، وتوفرت له أسباب النجاح ووسائل الوصول إلى الهدف المنشود، وهو إزالة هذه السلطة

والدولة الكافرة وإقامة دولة تحكم بشريعة الله تعالى مكانها.. لكن هذا المشروع الكبير حصلت له انتكاسة مهلكة وانحرفت مسيرته، وبالتحديد منذ النصف الثاني من سنة ٩٥م، وهذا الانحراف وهذه الانتكاسة هي شيء داخليّ ذاتي، ولها أسباب وعلل، وخلاصتها أن الانحراف وقع على مستوى القيادة حيث تولّت قيادة فاسدة منحرفة وبلغ انحرافها وضلالها حدًا كبيرا في الوقت الذي كانت الدولة الكافرة توشك أن تنهار بالفعل، والمشروع الجهادي بصدد أن ينجح ويحقق هدفه.. والآن نحن في مشكلة وأزمة إن شئتَ، وقد كتبتُ مقترحًا للمجاهدين وللجادين من أهل العلم لمحاولة حلها.

فهذا هو المختصر، والآن إلى شيء من التفصيل:

فأما تحديدي لانطلاقة الجهاد بسنة ٩٢؛ فلأنها الانطلاقة العامة الشاملة للثورة الجهادية عقب إلغاء الانتخابات التي فازت بها «الجبهة الاسلامية للانقاذ»، ولم ألتفت إلى أعمال مسلحة قبل ذلك لأنها صغيرة وأشبه بالفردية، والكلام فيها ليس من غرضي الآن.

وقولي إنه كان جهادًا مشروعا؛ فلأنه بحمد الله خروج على سلطات كافرة وكفرها كفر ردة، وقد ملك المسلمون أو الطائفة التي قامت بالجهاد منهم القدرة والإمكانية للقيام في ذلك، وظنوا بل استيقنوا أيضا التمكن من عدوّهم والانتصار عليه بإذن الله (بغض النظر عما حصل بعد ذلك لأنه في علم الله وحده)، وتوفّرت لهذا الخروج وهذا الجهاد المسلح وهذه الثورة أو المشروع الجهادي كما عبرت عنه.. أقول: **توفرت له أسباب النجاح، وهي في أهم نقاطها:**

١- **عدالة القضية ومشروعيتها،** فعلى المستوى الشرعي: ما عليه الحكومة من الكفر واللائكية ومضادة الدين، في مقابل الحركة الاسلامية المتمسكة بدينها الداعية الى ربها، وعلى المستوى الأدبي والسياسي والثقافي: فقد كانت قضية إلغاء الانتخابات التي فازت الجبهة الاسلامية بدورتها الأولى بأغلبية ساحقة، كانت هي أهم عامل؛ فهؤلاء قوم منعوا حقهم الذي حصّلوه بطريق سلمي ولم يبق لهم خيار إلا العنف، فهم مظلومون وحقهم مغتصب، أضف إليه أن عدوهم (السلطات) هو الذي بدأ بالعنف.. الخ.

٢- وهي ثمرة للأولى، **التأييد الشعبي الكبير جدًا،** والذي قلّ نظيره في تجارب مماثلة في القديم والحديث، حتى بإمكان الانسان العارف بالأحداث والمعايش لها أن يقول بكل اطمئنان: إن نسبة

سبعين في المائة على الأقل من الشعب الجزائري كانت مع المجاهدين، بمعنى التعاطف، والتأييد والمحبة والفرح بهم... ونحو ذلك، ثم هم بعد ذلك في إيجابية موقفهم وبذلهم مع المجاهدين درجات متفاوتة، وذلك في غالب أنحاء الوطن الجزائري الكبير، وقد تصل نسبة التأييد للمجاهدين إلى مائة بالمائة في بعض المناطق، وهي مجتمعات حضرية كبيرة في البلاد كبعض أحياء العاصمة وبعض بلديات البليدة وغيرها.

٣- وهي ثمرة للأولى أيضًا؛ **تأييد الرأي العام العربي والإسلامي، وحتى الدولي**، وهذا له أهمية ظهر كثير من آثارها في عمليات التهريب والتعامل مع الخارج.

٤- **ضعف النظام الحاكم في الجزائر وتآكله**، وتراكم المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية عليه، وفقده للمصداقية وكسبه عداء الشعب وكراهيتهم البالغة، أضف إليه ضعفه أيضا في جهة المقدرة العسكرية لو قورن حتى بأنظمة أخرى مجاورة، فمن ناحية توفّره على القوات المستعدة والمدربة على مواجهة حرب عصابات، أو من ناحية التجهيزات والخبرات وغيرها هو ضعيف جدا.

٥- **وجود القدرة لدى الطائفة المجاهدة**، ويكفي في ذلك الظن الغالب، وقد كان موجودا، بل أعلى منه ربما، وتمثلت عناصر القدرة في أشياء أهمها: الطاقات البشرية، والتنظيمية، وتوفّر قدر كافٍ من السلاح مع إمكان الحصول عليه بغير صعوبة بالغة من طرق متعدد، واتّباع أسلوب حرب العصابات الذي لا يعرفه كثير من شيوخنا للأسف ولا يتصورونه ربما، فضلا عن أن يمارسوه أو يذوقوا حلاوته، والذي مبناه على فكرة: قوة صغيرة متماسكة لها عقيدة وقضية عادلة... الخ تقضي بالتدريج وبالضربات المتوالية ونظرية «حرب البرغوث» على قوة كبيرة مهلهلة مخلخلة فاقدة للشرعية والقضية العادلة.. الخ.

وسأذكر لكم بحول الله تعالى أنه بالفعل كاد وأوشك واخلولق أن يقع المظنون من هزيمة الدولة وانهيارها وزوالها بالكامل، لولا الأقدار السابقة التي تمثلت في الانتكاسة التي حصلت، وهي كما أشرت ويأتي شرحه إن شاء الله، انتكاسة داخلية ذاتية من داخل الصف الاسلامي نفسه فليست هي هزيمة من العدو بقوته أو شطارته، ولا هي نتيجة لضعف المسلمين ولا قلة عددهم وعُدّتهم كما يظنه بعض من لا يعرف، ولا حول ولا قوة إلى بالله.

وأما قولي: إن **النظام الحاكم أو السلطات التي تحكم البلاد والتي خرج عليها المجاهدون وحاربوها هي سلطات كافرة،** فهو نظام علماني لائكي «لا ديني» يحكم بغير ما أنزل الله، بالقوانين الوضعية وشريعة مخترعة وأخلاط من زبالات أفكار البشر، ويشرّع ما يشاء مما لم يأذن به الله تعالى، ومحارب للدين، موالٍ للكفار منسلخ من دين الاسلام عمليا وحقيقةً.

ولا أريد أن أدخل هنا في بحث نظري لهذه المسألة لأن لها مواضعها، ولأنها قتلت بحثًا ونقاشًا في كل مكان، وهي المسألة المحورية في الفرق بين التيار الجهادي وبين من يخالفهم، لكني سأركز هنا قليلا على مسألة مهمة رأيت الشيخ «ناصر العمر» وغيره يركزون عليها ومعهم حق وهي:

هل قال بكفر النظام وهذه السلطات عالمٌ يعتدّ به، وهل أيّد الخروج على هذه الحكومة وجهادها عالمٌ أو هي اجتهادات من طلاب علم صغار؟؟

فأقول: إن الإخوة عندهم في ذلك فتاوى وتأييد من علماء كبار..

أما في «الجزائر» فمن العلماء الكبار المؤيدين للمجاهدين في جهادهم الشيخ «أحمد سحنون» رحمه الله وهو شيخ الشيخ الداعية والمصلح الاجتماعي الكبير «محمد السعيد» رحمه الله، الذي قتلته «الجماعة الاسلامية المسلحة» المنحرفة، وقد حاولت السلطات المرتدة مع الشيخ «سحنون» مرارًا وتكرارًا، ومارست عليه ضغوطا كبيرة لكي يدينَ المجاهدين فأبى.

ومنهم الشيخ «علي بلحاج» حفظه الله وأيده، وهذا معروف.

ومنهم الشيخ «يخلف شرّاطي» رحمه الله، وقد قتل في السجن في مجزرة سجن «سركاجي» سنة ٩٥ وقد كان أصدر فتواه المشهورة على أشرطة وانتشرت في البلاد قبل اعتقاله وسجنه.

وهناك غيرهم من غير المشهورين.

والجزائر ليس فيها الآن علماء كبار مشهورون كُثُر -وقد كانت بلاد علم وعلماء- أعني من المستقلين الموثوقين، وأما علماء السلطة والمشايخ الرسميون (كجيلالي وحماني وأمثالهم) فلا عبرة بهم.

وأما من خارج الجزائر فهناك علماء في المغرب وفي موريتانيا، وغيرها أيدوا المجاهدين وأفتوا لهم..

وقد حكى لنا الإخوة عن علماء في الباكستان وفي الجزيرة أيضا أيدوا ونصروا الجهاد في الجزائر في ليبيا سنوات ١٩٩٤ و١٩٩٥ بارك الله فيهم، ولأنهم لا يزالون أحياء فمن الأحسن عدم ذكر أسمائهم لما

تعلمون، ولكني على الاقل سأتحدث عن نفسي فيما علمتُ، لأن هذا الكلام يفيد من يعرفني، أما من لا يعرفني فأنا أعذره طبعا ومعه حق وأنا لا أملك في وقتي هذا أكثر من ذلك، ولست بصدد إقامة الحجة على أحد.. فأنا أعرف خمسة من العلماء في موريتانيا ممن كانوا يرون كفر الحكومة الجزائرية ويؤيدون المجاهدين في الجزائر وينصرونهم ويذبون عنهم ويدعون لهم ويفرحون بأخبارهم؛ اثنان من هؤلاء العلماء هما من العلماء الكبار، في درجة كبار العلماء في السعودية مثلا -وهذا للتقريب- والآخرون على الأقل هم في مرتبة الشيخ «ناصر العمر» وطبقته (وهذا للتقريب أيضا، وإلا فالعلم لا يوزن بالكيلو) وليسوا هم بحمد الله من المقلدين ولا المتعصبين للمذهب (المالكي) بل هم متبعون للدليل ناظرون في المذاهب والحجج.

وقد درست بمنّة الله على بعضهم في اللغة والفقة والأصول، ومن لم أدرس عليه فالتقيتُ به وسمعت منه بنفسي إلا واحدًا منهم فقط سمعت كلامه في الجهاد في الجزائر بواسطة الثقة.

فالقول بأن الجهاد في الجزائر لم يؤيده العلماء غير صحيح، اللّهم إلا أن يريد الإنسان الإجماعَ، فهذا ربما لن يحصل إلى يوم الدين، فأبشروا بالراحة.

واعلموا أن العلماء الصادقين في معظم بلاد المسلمين ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣] ومن حكوماتهم المراقِبة لهم والمتربّصة لهم، وكثير من أهل العلم لا يصرّح بآرائه إلا لخواصّه، ويتحاشى أن يكتب شيئا أو يعلن في العامة رأيه، بسبب المخاوف والاضطهاد والتهديدات والله المستعان، فليكن هذا منكم على ذكر.

بقي عليّ شرحُ أشياء.. الله أعلم هل أتمكن من شرحها أو لا.

الانتكاسة التي حصلت للعمل الجهادي، وانحراف الجماعة الإسلامية المسلحة «الجيا» وهي أكبر الكتل والتنظيمات التي كانت تعمل عبر الوطن الجزائري، كيف حصلت هذه الانتكاسة وهذا الانحراف، أسبابها وعللها؟ على من تقع المسؤولية؟ ثم ما نتائج ذلك؟ وإلامَ آلَ الوضع بعدها؟

وهذا كلام طويل جدا، وهو أشبه بالتاريخ، لكن فيه عبرًا ودروسًا مهمة لمن وفقه الله، والله المستعان، ثم بعد ذلك الوضع الآن.

والكلام على «الجماعة السلفية للدعوة والقتال» وهي أهم كتلة وتنظيم جهادي موجود في الساحة

في هذا الوقت.. الكلام على هذه الجماعة وتقييمها، ونقدها، وبيان ما عندها من حق وصواب، وما عندها من خطأ وباطل بحسب ما نراه، الآفاق للعمل، وفرص النجاح أو الفشل، هل الجهاد مشروع الآن وما درجته؟ أم هل نحن في أزمة ومشكلة، ووصلنا إلى طريق مسدود؟ كيف الحل؟ وما المخرج العملي؟

وقد كتبتُ في هذا بشكل مختصر في اقتراحي الذي أشرت إليه على الروابط المذكورة أعلاه، والذي لم يعلّق عليه الشيخ «ناصر العمر»، فلا أدري هل قرأه أم لا؟ المفروض أنه قرأه أو قرأه أصحابه -أسرة التحرير في موقعه-؛ لأنهم اطلعوا على ما كتب في «أنا المسلم» وعلق الشيخ على بعضها.

❑❑❑

فصلٌ

الاعتراض على مشروعية الجهاد في الجزائر وما شابهها من ثلاثة أوجه رئيسية حسب ما يظهر من اعتراضات المخالفين:

الأول: أن الحكومة مسلمة ولا نكفرها ولا يجوز الخروج عليها.

الثاني: سلّمنا أنها كافرة، ولكن لا نخرج عليها لعدم القدرة، إما لعدم القدرة ابتداء، أو لأن القدرة التي تظنونها في البداية خادعة؛ فإنكم وإن أمكنكم الدخول في حرب مع الحكومة في البداية فإن الاستمرار صعب، وشاقّ جدا، وكلما طالت الطريق كان مظنّة الفشل.

الثالث: سلّمنا أن الحكومة كافرة وأنكم تقدرون على منابذتها (الخروج المسلّح عليها) وتغييرها، ولكن هذا مشروع كبير جدًا ودونه خراب البلاد ودمار هائل في الممتلكات، وانقطاع السبل، ومقاتل عظيمة، وإراقة دماء لا يعلمها إلا الله، وانتهاك أعراض.. الخ.

❑❑❑

تنبيه حول مصطلح «القدرة» ومعنى لفظ «القدرة» في كلام العلماء:

الظاهر من استعمال أهل العلم ولغتهم أنهم يقصدون بالقدرة أو التمكن، أو الاستطاعة معناها المعروف، وهو معنى الاستطاعة المشروط لوجوب كل التكاليف الشرعية إجماعا، والمدلول عليه بنصوص الوحي المتكاثرة كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[البقرة: ٢٨٦] وأخواتها في

القرآن، وكقول النبي ﷺ: (**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه**)[١] ونحوه.

وهذا معناه مجرد التمكّن وإطاقة الفعل، من غير أن يدخل فيه ملاحظة ظن أو تيقّن تحصيل المقصود، وهو هنا في مسألتنا إزالة دولة وإقامة دولة مكانها، والله أعلم.

ومن الباحثين اليوم من يوسّع معنى القدرة، فيدخل فيها القيد المذكور، فيجعل معناها في مسألتنا الإمكان المذكور مضافًا إليه ظنّ أو تيقّن حصول المقصود، وظن أو تيقّن عدم حصول مفسدة أعظم من الموجودة أصلا، وعلى هذا فيرجع فيه إلى الحكم العاديّ بالمقايسة بأمثاله، ويحكم فيه أهل الخبرة والعلم بشأن الحرب وفنون القتال والسياسة.

فهذا اصطلاح، ولا مشاحّة، لكن ينبغي التنبه للمراد عند كل متكلم.

على أن شرط عدم تأدية الخروج إلى منكر أكبر من الموجود في الأصل هو شرطٌ متفق عليه فيما أعلم، وصورتُهُ: أن يخرج المجاهدون على الحكومة الكافرة وهم غير مستكملين القدرة؛ فلا هم أزالوا الكافر ولا هم أراحوا الناس وحافظوا على المصالح الموجودة على قلتها، بل بقي الكافر واستمر، وربما ازداد قوة وتمكّنًا، فيبقى ما حصل من قتل ودمار وانتهاكٍ وغيره مفاسد إضافية.

وأنا أنصح بتحرير هذه المسألة بشكل وافٍ، فليت بعض المشايخ يتفرّغ قليلا لبحثها وتحريرها، ولنشرع الآن في التعليق على بعض ما ورد في كلام الشيخ «ناصر العمر» وفقه الله وسدده

قوله: «وكثير من الدعاة وطلاب العلم في الجزائر منحازون عن القتال، بل يدينونه من أول ما وقع ولم يكونوا مجمعين عليه» اهـ

سيأتي التعليق عليه.

قوله: «وأذكر من يزعم أن الواقع فرض عليه ذلك بحال المسلمين في مكة لم ينطلق المسلمون إلى قريش ولم يقولوا فرض علينا هذا الأمر.. فكانوا يؤمرون بالصبر» اهـ

هذا ليس من عمدة قول المجاهدين؛ فإن كان قد قاله بعضهم، فقد يكون وجهه أنه على سبيل الاستئناس والمعاضدة، وليس هو عمدة في المسألة بل فضلة، ومرادهم أن العدوّ لم يترك لهم مجالا ولا

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٨).

فرصةً للدعوة، بل بدأهم بالعدوان بالسجون والتقتيل والحرب وممارسة العنف وكان له سبق لمس الزناد كما قال الشيخ الداعية المجاهد الشيخ علي «بن حجر» في قصيدةٍ له [من المتقارب]

تداعوا لحرب وقمنا لسلمٍ فكان لهم سبقُ لمس الزنادِ

وهي قصيدة طويلة مطلعها

«تمزقيدةُ» رمزُ هذي البلاد جبالٌ رواسٍ قلاعُ الجهادِ

وقد كرر الشيخ الاحتجاج بحال النبي ﷺ وأصحابه في مكة، ومسألة العهد المكي والاحتجاج بها على هذا النحو فيها بحث، ولا أريد التطويل بها هنا، وقد بحثت كثيرا.

قوله: «ومع أني لست ممن يرى تعطيل هذا الحكم العظيم [يعني التكفير] ولكن تنزيل هذا الحكم على الواقع لا يُترَك لكل طالب علم..) اهـ.

مرة ثانية الشيخ يتحاشى التصريح برأيه في حكام الجزائر أو النظام الحاكم فيها هل هم كفار أو لا! ونحن نعذره إذا كان ذلك ناتجا عن مراعاة أسباب أمنية مثلا، لكننا نرفض التلبيس والتعمية في الوقت نفسه.. وكونه لم يهده اجتهاده إلى تكفيرهم، فللناس اجتهاداتهم، والحق أن الشيخ -لرفيع أدبه- يسلم للإخوة اجتهاداتهم ويكرر كثيرا أن هذه هي نصيحته ورأيه لا غير.

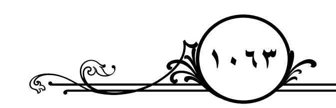
قوله: «والعلماء تحدثوا عن هذا وبينوا أن القدرة شرط من شروط الخروج على الحاكم الكافر» اهـ

وقوله بعد: «فالحاكم الكافر وإن تحقق كفره لا يجب الخروج عليه إلاّ إذا ثبتت القدرة أو الاستطاعة على تغيره بمفسدة لا تتعدى مفسدة بقائه؛ فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، ومنع المفاسد وتقليلها، ومن أهم ما جاءت الشريعة بحفظه الضروريات الخمس، والتي منها النفس والمال والعرض، فهذه جميعًا لا بد أن تعتبر عند المقايسة بين المفاسد، وخاصة إن كانت المفاسد متحققة والمصالح متوهمة» اهـ.

هذه عودة إلى مسألة القدرة مرة أخرى، وهنا أمور:

أ – قوله «لا يجب..» فماذا عن الجواز؟ والمجاهدون يفصّلون في هذا، وصورته في الأغلب العمليات الفردية وشبه الفردية، فيعتورها المنع والإجازة بحسب المصالح والمفاسد ونحو ذلك.

ب – ثم يقال: لو قال لكم جماعة من أهل البلد أولي بأس: نحن نستطيع محاربة هذا الحاكم



وتغييره، لكن نعلم أن هذه الحرب (وما الحرب إلا ما علمتم وذقتموا) سوف تؤدي إلى مقتل المئات بل والآلاف من الناس من المسلمين، والآلاف من جنود الطاغوت (قد يكونون مسلمين وقد يكونون كفارًا) وستؤدي إلى خسائر مادية كبيرة جدا في الممتلكات العامة والخاصة تقدّر بمئات المليارات من الدولارات!! لكننا في النهاية نظن (وربما قالوا: نستيقن، طبعا على فرض التقوى والصدق والخبرة والداراسة الواعية الكافية) نظن أن الغلبة والنصر لنا بإذن الله تعالى.. فما تقولون؟؟؟

وقوله بعد: «وقد نصّ أهل العلم على أن الخروج على الحاكم وإن بدر منه كفر بواحٌ منوط بالقدرة..» اهـ.

يقال: إنهم اشترطوا القدرة للوجوب (وجوب الخروج) ومعناه: أن من قدر فلم يخرج حينئذٍ على الحاكم ولم ينابذه ولم يسع في خلعه وإزالته، فهو مرتكبٌ حرامًا (ما درجته؟) وآثمٌ، مستحقٌّ للعقاب.

فيقال هنا: فعلى غير سبيل الوجوب؟ هل يجوز؟ أي هل يجوز لغير القادر (على تغيير الحاكم الكافر بحكم العادة) أن يخرج؟

علمنا أنه لا يجب عليه، وأنه يسعه القعود، لكن هل يجوز له؟، مثاله: لو خرج رجلٌ من آحاد الناس على القذافي مثلًا في يوم من أيام زينته واحتفالاته وقتله، إما بتفجير نفسه معه (عملية استشهادية) أو بأن فاجأه برشاش كلاشنكوف أو بيكا مثلا فضرب القذافي وحرسه وموكبه وقاتلهم إلى أن قُتِلَ سواء ظَفِر ببغيته وبغيتنا وقتل الطاغوت أو لم يظفر!! وكل ذلك قد وقعت بالفعل أمثلته كما تعرفون، فما تقولون؟

وقوله: «وأما الزعم بجواز الخروج بغير قيد أو شرط فمحلّ نظر.. -إلى قوله:- فليأت بدليل» اهـ.

هذه من مسائل الاجتهاد، والمجاهدون لهم فيها تفصيل كما مرّ، وهي غير مسألة وجوب الخروج.

قوله: «ولو نظرنا إلى ما حدث في الجزائر لرأينا المفاسد بينة واضحة؛ فقتل النفوس المعصومة مفسدة، وإهدار الأموال المصونة مفسدة، وانتهاك الأعراض المحرّمة مفسدة، بل كل هذه ضروريات جاء الدين بحفظها» اهـ.

ممن وقعت هذه المفاسد؟ هل هي من فعل الطاغوت أو من فعل المجاهدين؟ الجواب معروف.

فما بقي إلا أن يقال: لكن أنتم تسببتم فيها.! فهذا جوابه في غير هذا الموضع، ومختصره أوجه.

أحدها: أننا قائمون بعمل مشروع، وداخلون في حرب على حقّ، وهذه هي الحرب، أتريدون حربًا بلا دمار ودماء وأشلاء؟

وثانيها: أن المفاسد في الدين والأنفس والأعراض وغيرها التي تنتج عن حكم الطاغوت واستمرار سلطته أضعاف أضعاف ما ترون من دمار محاولة خلعه، فهاهي الأعراض أمامكم.. هل هي مصونة؟ أليس الطاغوت كل يوم بوسائله المتعددة يفسد بناتنا وشبابنا وأجيالنا؟ ألم تروا دور الدعارة المرخّصة والفنادق العاهرة والفن وتوابعه والإعلام والرياضات النسائية والبحار والسياحة وو؟ ألم تروا الطواغيت كيف يدخلون بلادنا وأبناء شعبنا في حروب جاهلية خاسرة من أجل كراسيهم وجبروتهم فيموتون فيها بالآلاف؟ هذا القذافي أدخل أبناء ليبيا في حرب أوغندا فأكلتهم التماسيح على ضفاف مستنقعات البحيرات الكبرى وأدغالها، وما حرب تشاد عنكم ببعيد!! ولو دخلت الجزائر في حرب مع المغرب، وقد كادت في بعض المرات؛ فماذا سيفعل الشعب البائس ومشايخ السطان إلا الطاعة والموت في سبيل الطاغوت، ومن الموت فرّوا، (**حبّ الدنيا وكراهية القتل**)[1].

وثالثها: أن مفسدة الدين ببقاء حكم الطاغوت أعظم من كل المفاسد، وحيث وجدت فلا نظر إلى باقي المفاسد وهذا يكفي.

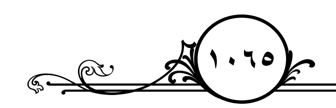
وأما إن كانت تلك المفاسد المشار إليها واقعة من المجاهدين؛ فإن إتلاف الأموال في الحرب مشروع بقدره حين يكون في خدمة الحرب وهذه مسألة مقررة مباحثها في فقه الجهاد، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[الحشر] وفعل النبي ﷺ في بني النضير[2].

ثم يقال: ما الفرق في هذا بين الجزائر وبين البلاد الأخرى التي أيدتم فيها الجهاد كأفغانستان والعراق وفلسطين؟ وأنتم ترون الخراب في فلسطين أضعاف ما ترونه في الجزائر وغيرها.

وفي الأخير: من حقنا أن نبدي ملاحظة مهمة، وهي أننا نرى مشايخنا كثيرًا ما يذكروننا بأن

(١) لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن جاء في: سنن أبي داود (٤٢٩٧) بلفظ: (.. وكراهية الموت) وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري (٢٣٢٦) عن النبي ﷺ أنه: «حرق نخل بني النضير وقطع».



الأموال والأعراض والأنفس وسائر الخمس هي ضروريات جاء الدين بحفظها، وهذا كلام صحيح، لكن لم نرهم يركّزون على فرعٍ مهمٍ في المسألة وهو أن حفظ الدين مقدّم على سائر الباقيات، بما فيها النفس؛ فلم نرَ تطبيقا واضحًا لهذا المبدأ في كلام الشيخ ومن يوافقه.

قوله: «وقد خرج بعض المسلمين في بعض بلاد الله على بعض الحكام الذين كانوا يدينون بدين البعث غير أنهم لم يحسبوا العواقب..» اهـ.

وقوله: «ومن تأمل في أحداث بعض الدول الإسلامية العربية التي وقعت قبل سنوات يجد مصداق ذلك» اهـ.

يشير الشيخ إلى الجهاد في سوريا وأحداث حماة في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، وما حصل في مصر وغيرها في السنين الأخيرة، وقد رأينا مواقف الناس إزاء هذه التجارب والمحاولات التغييرية الجهادية على أنماط متعددة؛ فبعضهم يرى أنها غير مشروعة أصلا، إما لأن الحكام مسلمون ولا يجوز الخروج عليهم، وإما لأسباب أخرى مما تقدم الإشارة إليه، وبعضهم مع تسليمه بكفر الحكام أو -على الأقل- يرى أن تكفيرهم مسألة قابلة للاجتهاد، يرى أن هذا أشبه بالعبث لأنه يؤدي إلى دمار وخراب ومقاتل هائلة وضياع أعراض، وتعطّل مشاريع الدعوة والأعمال الخيرية، ورجوع الدعوة سنين إلى الوراء (كذا!) ولا يؤدي إلى نتيجة بحال، وهذه التجارب الفاشلة في كذا وكذا أمامكم، والحل هو الدعوة السلمية إلى الله تعالى والتحرك في الهامش المتاح، ولا ندخل في صِدَام مع الطواغيت، ولا نستفزّ أعدائنا قبل أن نستعد ونقوى ونحصّل القوة المكافئة له، وتكون الأمة على أتم الاستعداد للجهاد، وربما لا نحتاج إليه لأن الأمة ستصلح بصلاح أفرادها، وما الحكومات إلا من أفراد الأمة.. الخ.

وهناك آراء أخرى بَيْنَ بَيْنَ، وقسم من الناس يرى أن الخروج على هذه الحكومات جائز في الأصل وهو جهاد مشروع، لكن وقعت أخطاء وسوء تصرّف حال دون النجاح بالإضافة إلى خذلان الخاذلين من المسلمين ومنهم في كثير من الحالات طائفة العلماء أو بعض هذه الطائفة.

ومنهم من يرى أن المجاهدين في بعض هذه المحاولات لم يكونوا استكملوا القوة والقدرة التي بها يتمكنون من تغيير النظم الكافرة، وبالتالي غلبهم عدوهم.

وهذان الرأيان الأخيران مجموعهما في الحقيقة قول واحد، ويرى أصحابه أن كل حالةٍ وكل بلدٍ ينظر فيها وتدرس على حدة؛ فحيث شُرِع الخروج على الحاكم، ووجدنا القدرة، وظننا تحقيق الهدف بعد الدراسة الكاملة من ناس موثوقين معرفةً ودينًا، وعن تشاور، وحيث كانت الظروف تساعد، ورياح النصر هابّةً، فلنتوكل على الله.

وهذا القول هو أعدل الأقوال وأوسط المواقف، وهو الحق إن شاء الله، وهو قول من عرفنا من قيادات الجماعات الجهادية ورموزها وعلمائها وطلبتها، فمنهم وعلى رأسهم الشيخ الجليل والزعيم المجاهد النبيل «أسامة بن لادن» أيده الله، وأصحابه مثل الشيخ الدكتور «أبي حفص الموريتاني» وغيره، ومنهم «الجماعة المقاتلة في ليبيا» وشيوخها مثل الشيخ «أبي المنذر الساعدي» وغيره حفظهم الله، وسائر قيادات المجاهدين في كل مكان.

❑❑❑

قوله: «وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: «ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصا إلا إذا وجد منهم كفر بواح عند الخارجين عليه من الله برهان، ويستطيعون بخروجهم أن ينفعوا المسلمين، وأن يزيلوا الظلم، وأن يقيموا دولة صالحة، أما إذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج ولو رأوا كفرًا بواحًا؛ لأن خروجهم يضر الناس ويفسد الأمة ويوجب الفتنة والقتل بغير الحق- ولكن إذا كانت عندهم القدرة والقوة على أن يزيلوا هذا الوالي الكافر فليزيلوه وليضعوا مكانه واليًا صالحًا ينفذ أمر الله، فعليهم ذلك إذا وجدوا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، وعندهم قدرة على نصر الحق وإيجاد البديل الصالح وتنفيذ الحق»[(١)]) اهـ.

هذا كلام دقيق من الشيخ ابن باز ؒ؛ فقوله: «عند الخارجين عليه من الله برهان»، عبارة دقيقة كما ترى، وتستغني عن التعليق.

وقوله: «أما إذا كانوا لا يستطيعون فليس لهم الخروج، لأن خروجهم يضرّ الناس ويفسد..» الخ، هذا منزّل على التفصيل الذي قدّمته في فرع «جواز الخروج» والله أعلم.

ملاحظة: واضح من كلام الشيخ ابن باز أن معنى القدرة: التمكّن من إزالة الحاكم الكافر

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٧ / ١١٩).

وتغييره، لا مجرّد التمكّن من حمل السلاح في وجهه ومقاتلته مع ظن أو تيقّن الفشل وعدم إمكان خلعه وتغييره، وهي شيء مظنون، وينظر فيه إلى الحكم العاديّ، ويحكم به أهل الخبرة، والله أعلم.

قول الشيخ ناصر: «لو تمحّض عسكر الكفر واستبان، ولم يختلط الأمر، فمقاتل هؤلاء بين إحدى الحسنيين: ظفر أو شهادة، وهذا ما لم يتحقق في الجزائر إلا على رأي من يكفّر سائر العسكر، ومن انتمى للدولة والعامة الذين لم يتبيّن إيمانهم، ولا شك أن هذا غلوّ لا يوافق عليه من ذهب إليه بل هو منكر يجب إنكاره» اهـ.

هذا فيه تفصيل عند المجاهدين فيما نعلم؛ **فأما تكفير كل من انتمى إلى الدولة** (بهذا التعميم) وتكفير العامة الذين لم يتبيّن إيمانهم -كما عبّر الشيخ- فهذا عند سائر المجاهدين في الجزائر وغيرها غلوّ وضلال مبين، ومنكر يجب إنكاره حقًا، وهو ما وقعت فيه الجيا (الجماعة الإسلامية المسلحة) حين انحرفت كما قدمنا الإشارة إليه، وهو ما يعبّر عنه في الجزائر وغيرها بمنهج «الهجرة والتكفير»، وأذناب «الخوارج»، وقد تبرأ منها المجاهدون الذين كانوا يؤيدونها في الداخل والخارج، وهذا معلوم مشهور.

وأما تكفير سائر العسكر؛ فهذا محتمل، والمجاهدون فيه على أقوال:

منهم من يكفّر سائر العسكر أي الجيش والشرطة وقوات الدرك الوطني والقوات الخاصة وماشابهها من قوات الأمن التابعة للدولة والتي هي اليد الحقيقية للدولة الكافرة المرتدة.. فيحكم عليهم بالكفر عموما ويعاملهم معاملة الكافر.

ومنهم من يفصّل فيجعل الأصل فيهم الإسلام باقيًا، وإنما نحكم بكفر من كفر منهم بسبب عُلِم، احترازًا من الجهّال والمتأولين والآخذين بفتاوى الجامية والمدخلية وعلماء السلطان ونحو ذلك.

وعلى كل حال.. الذي أعلمه في هذه القضية من قول المجاهدين أنهم يفرّقون بين بلد وبلدٍ، وبين مرحلة وحالة، ومرحلة وحالة أخرى.. فليست الجزائر كبلاد أخرى مثلا، وليست الجزائر بعد انطلاق الجهاد وعموم الثورة كالجزائر قبل ذلك.. والله أعلم.

وأشار الشيخ في هذه الفقرة إلى مسألة أخرى، وهي مسألة «الاختلاط» وعدم تمايز الصفوف، وستأتي إشارة أخرى إليها.

وهو قول الشيخ ناصر: «.. وأما ما يحدث في داخل بلاد المسلمين من احتراب لم تتميز فيها

الصفوف فهو ولا شك فتنة وبلاء ينبغي أن نفرق بينها وبين الجهاد الحقيقي في ميادينه المشروعة» اهـ.

أ- العبارة غير دقيقة؛ فإن أفغانستان أيضا من بلاد المسلمين، وكذلك فلسطين والعراق والشيشان.. إلا أن يقصد الشيخ معنى آخر وهو أننا لا نقاتل إلا الكافر الأجنبي المحتل، فهذه المسألة غلط محضٌ..! ولكن الظن أن الشيخ يرفضها بهذا العنوان، وإن كان كلامه ربما يؤدي إليها.

ب – يقال: ما الفرق المؤثر بين الجزائر وأفغانستان مثلا؟ واسأل خبيرًا ينبئك، هل بدأ الجهاد في أفغانستان إلا كما بدأ في الجزائر؟ ثم الآن هاهم «طالبان» يقاتلون حكومة «كرزاي» في أفغانستان، وهي حكومة معها الكثير من القوى الوطنية وبعضها إسلامي (بالاسم)، وما قولكم في الشيخ «سياف» الشيخ الأزهري والمجاهد السابق العتيد؟ والبروفيسور «رباني» وحزبه «الجمعية الاسلامية»؟ وغيرهم وغيرهم..

فإن قيل: طالبان إنما يقاتلون الأمريكان فهذا خلاف الواقع، بل هم يقاتلون الأمريكان وحكومة كرزاي مجتمعين ومفترقين.. فلو انسحبت أمريكا الآن من أفغانستان فطالبان مستمرون في قتال حكومة كرزاي ومن والاها، فما قولكم أنتم حينئذٍ؟

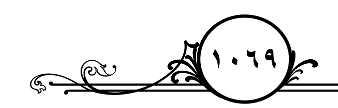
وهذه العراق، لو انسحب أمريكا منها كذلك، وهذا غير مستبعد في أي لحظة، لظروف سياسية داخل أمريكا وفي العالم، ولتوالي الضرابات الشديدة من المجاهدين والمقاومة العراقية زادهم الله بأسًا وتسديدًا ولغير ذلك.. لو انسحبت أمريكا بالفعل، فما قولكم في جهاد حكومة «الياور» و«العلاوي» وأصحابهم؟؟ ونكتفي بهذا..

والمجاهدون يفرقون بين أن يقول الإنسان: أنا لا أقاتل ولا أشجع على الجهاد إلا في فلسطين مثلا وفي الشيشان وأفغانستان والعراق؛ لأن المبررات الشرعية والسياسية والأدبية، والرأي العام وغير ذلك من الظروف والمعطيات المساعدة، كلها تساعد على الجهاد هنا وتجعله أمرًا ممكنًا، فالعدو كافر أصلي محتل للأرض مغتصب للحقوق منجّس للمقدسات، والأمة مجمعة على مشروعية جهاده.. الخ.

وبين إنسان يقول: أنا لا أرى الجهاد إلا في هذه الأماكن لأنه يرى هذه الحكومات مسلمة.

فالأول: الخلاف معه راجع إلى تحقيق معنى القدرة، والى نظر سياسيّ شرعيّ.

وأما الآخر: فالخلاف معه أصليّ وفكريّ، وهذه مسألة فارقة؛ فالمجاهدون مثلا يقبلون أن يقول



الإنسان: لا نقدر أن نخرج على القذافي الآن، ولكنهم لا يقبلون أن يقال إن القذافي مسلم وليّ أمر.

وسأخبركم أن الشيخ «أسامة بن لادن» على سبيل المثال وكذلك «الجماعة الاسلامية المقاتلة» وكثير من أعيان المجاهدين المعروفين الذين كانوا في ساحة أفغانستان نصحوا بشدّة الإخوة في المغرب وفي تونس بعدم بدء عمل مسلح أو إعلان الجهاد، وكان من رأيهم أن الظروف في تلك البلاد ونحوها لا تساعد على النجاح، وأن الإخوة هناك والمسلمين غير مستعدين وغير مستكملين للقدرة، وأن الدخول في حرب الآن مع الحكومات في تلك الدول سيكون حربًا خاسرة على الأغلب، ولذا نصحوا بالاستمرار في الدعوة السلمية، مع الإعداد وتنظيم الصفوف، واستكمال النقص وجمع الطاقات، وأغراض وفوائد أخرى أيضا.

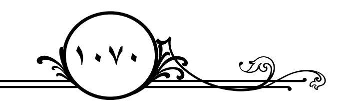
وأما ما أشار إليه الشيخ من الاعتراض على جهاد الدول المرتدة والحكام والأنظمة الخائنة العميلة من بني جلدتنا من «عدم التمايز في الصفوف»، ويعبّر عنها أيضا بمسألة «الاختلاط بين المسلمين والكفار».. فهذه مسألة فيها بحوث للمجاهدين وهم على دراية بها وتحقيق؛ فتراجع في مظانها من كتبهم وبحوثهم.

❑❑❑

وقول السائل للشيخ: «بعضهم يقول: الدعوة أثبتت فشلها عبر عقود مضت..» الخ.

هذا ليس قول المجاهدين فيما نعلم لا في الجزائر ولا في غيرها؛ فإن صدر من بعض المنتمين للتيار الجهادي فهو -فيما نعلم- لا يمثّل عمدة قولهم الذي عليه جماعاتهم وقياداتهم المعروفة، مع إمكان أن يكون بعضهم قاله على سبيل المجادلة والمعاضدة قاصدًا أن الدعوة السلمية وحدها والعدوّ يقتّلنا لا تجدي وقد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾[الحج: ٣٩]، وأما قول المجاهدين فإن الدعوة والجهاد عندهم أخوان وصنوان، ويسيران في خطين متوازيين كما يقال، وبينهما عموم وخصوص من وجهٍ إذا اعتبرنا الجهاد بمعناه الأعم؛ فالجهاد دعوة، والدعوة جهاد.. وعموم وخصوص مطلق إذا اعتبرنا الجهاد بمعناه الأخص وهو القتال، والدعوة أعم حينئذ من الجهاد.

لكن متى يصلح أن نسلك سبيل الدعوة السلمية بالقول والمجادلة بالتي هي أحسن ونحوها ونترك القتال، ومتى نعكِسُ فنلجأ إلى الجهاد (القتال) مع الاستمرار في الدعوة بما أمكن من الأساليب



وبما يتكيّف مع الظرف.. فهذه المسائل التي يعرفها المجاهدون الحقيقيون والدعاة الصادقون والزعماء الربانيون؛ فيعطون كل ذي حق حقّه، ويضعون كل شيء في موضعه، وتلك هي الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء.. فهذا هو الذي عليه المجاهدون بحمد الله تعالى، وأما بعد ذلك، تحصل أخطاء هنا وهناك في التطبيق على الأرض، نعم تحصل، في الجهاد كما في الدعوة، فهذا عمل بشريّ، والتوفيق بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقول الشيخ ناصر: «الذي قال هذا الكلام لا يعرف المنهج الحق، منهج الرسل..» الخ.

هذا فيه مبالغة من الشيخ غفر الله له، وبعد عن الدقة، بل وسطحية في فهم كلام المعترضين والمناقشين؛ فمعاذ الله أن يقصد الإخوة من المجاهدين وأحبابهم المعنى الذي ردّه الشيخ وأطال في ردّه، بل مرادهم واضح، وهو التحذير من الثقة في الطواغيت والظن الحسن فيهم، وتوهّم أنهم طيبو القلوب مثلا كما قال بعض الشيوخ الجزائريين الساكنين في بلاد الجزيرة ذات مرة: «هؤلاء الحكام أناس طيبون، قلوبهم ليست من حجر..» الخ كلامه الذي نشرته صحف الطواغيت في الجزائر فرحةً به سنة ثلاث وتسعين.

وفرق بين من يدعوهم وهو يعرفهم على حقيقتهم وينزلهم منزلتهم، ويعرف أنهم طغاة معاندون مجرمون معرضون عن الحق محاربون للدين ناصرون للفحشاء والمنكر بكل ما أوتوا من سبيل، فهو يدعوهم عارفًا بهم، ثم يرجو بعد ذلك أن يستجيبوا لدعوة الله ويؤمنوا أو لا يرجو، هذه مسألة أخرى وهذا شأنه.. وبين من يدعوهم وهو يظن فيهم الخير وأنهم فيهم خير، ولا يريدون ردّ الحق ولا محاربة الدين، هم فقط جهال وملبّس عليهم، ويحتاجون من يأخذ بأيديهم ويقف معهم ويعينهم، ونحو ذلك من الكلام الزين الرقيق الذي يعجب البعض، والاعتذارات والترقيعات.

فإن قيل: الشيخ يرد على الكلام المكتوب، ولا يعلم ما في القلوب، قيل: نعم، لكن الكلام الذي كتب واضح متى ما وضع في سياقه، وحيث يكون الكلام مجملا أو فيه إبهام فعلى العالم إن يفصّل فيقول: إن كان المراد كذا فكذا، وإن كان كذا فكذا.. ونحو ذلك، وعليه أن يستعمل حسن الظن في مناظرة إخوانه ومناقشتهم بأن يعرف مرادهم جيدا ويقرر رأيهم، ثم يناقشه، لا سيما المجاهدين الباذلين مهجهم في سبيل الله، الذين يحبهم الله ويحبونه.

ثم العالم المربّي يعرف أن عبارات كثير من الناس من غير المتخصصين في الشريعة، والذين لم يتدربوا على لغة الفقهاء ربما تقصُرُ عن بيان مقصودهم، ويكون مقصودهم في نفس الأمر صحيحا، فلا بد أن يكون منتبها.. ولو تعلّق الأمر بالرد على بعض العلماء لصاح بنا الكثيرون احترموا العلماء وافهموا مرادهم، وأما المجاهدون فكأنهم كلأ مباح للمنتقدين..! ولا مدافع ولا مناضل.

وحسبي إن شاء الله مما أنا فيه أني أنوي الدفاع عنهم والذبَّ عن عرضهم، أسأل الله تعالى أن يذبّ عني النار يوم القيامة.

فإن قيل أيضا: الشيخ لم يقصد المجاهدين، وإنما ردّ على كلامٍ قيل بغضّ النظر عن قائله، قيل: لكن الكلام جاء في أثناء ردّه ومناقشته للمجاهدين ومن ينوب عنهم، فهو يوهم أن ذلك من قولهم ومن باطلهم؛ فما أشد فرح خصوم المجاهدين بهذا، من الجامية والمدخلية وأنصار الطواغيت وأشباههم.

وكما أن للعلماء حرمةً، فإن للمجاهدين حرمةً -أيهما أكبر؟ الله أعلم-، كيف وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[النساء]، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[التوبة: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾[الحديد: ١٠].

وغيرها من الآيات الدالة على فضلهم وعلوّ درجتهم عند الله، فالحمد لله رب العالمين.

وفي الاحاديث كثير، ويحضرني الآن منها قوله ﷺ كما في صحيح مسلم: (**حرمةُ نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم**)[1] الحديث وغيره من الأحاديث في هذا نصّا ومعنى كثير، والحمد لله رب العالمين.

ثم هذا يبيّن شيئا آخر وهو مدى معرفة الشيخ بفكر المجاهدين وآرائهم، ويوضّح ما ظنه الإخوة بالفعل من أن الشيخ لم يسمع من المجاهدين، اللّهم إلا القليل النزر الذي لا يغني، وأن ما سمعه من خصومهم أكثر للأسف.

---

(١) صحيح مسلم (١٨٩٧).

إذا عُرف هذا.. فتطويل الشيخ في هذا المقام وشرحه لما سماه منهج الأنبياء وسرده للآيات الكريمات من مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ تطويل بلا طائل! مع ما فيه من قصور واضح لمن تأمّله، والله المستعان.

وقد حاولت أن أتماسك هنا فلم أقدر على أقل من هذا، والمعذرة للشيخ ولأحبابه، وكما قال بعض شيوخنا مرة وكان في معرض ردّ ومناظرة لبعض الشيوخ:

واصفح إذا زلّةٌ ساءَتك من قلمي ... فليس مثلي يهجوكم ولو صُفِعا

❑❑❑

فصلٌ

في معرفة الشيخ «ناصر» والمشايخ بواقع الجزائر وغيرها.. أسجّل هنا أنني لا أريد أن أكون مثل العراقيين الذي يتحدّثون في برامج «البي بي سي» الحوارية، ويردّون على كل عربي قال قولًا لا يعجبهم بأنه لا يعرف العراق، وأن أهل مكة أدرى بشعابها.

ونحن نجزم أن الشيخ «ناصر» ما تكلّم في مسألة الجزائر ولا غيرها إلا وهو عند نفسه على معرفة كافية وتصوّر واضح للأوضاع فيها وواقعها، هذا لا شك فيه.. لكن قد يبدو من بعض كلامه قلة إلمام وهذا طبيعي، ولا يضرّه في الغالب، ولكن من حق الإخوة المجاهدين أن يسألوه.

هل سمع الشيخ من المجاهدين وحاورهم وعرف منهم لا من غيرهم ما يذهبون إليه من الرأي والفكرة؟ وهل الْتَقَى بممثلين حقيقيين لهم؟ أو على الاقل بأناس من أنصارهم وأحبابهم ينوبون عنهم في بيان منهجهم بشكل جيد؟

وهؤلاء الإخوة الجزائريون الذين يزورون الشيخ في مكة أو غيرها ويتصلون به بالهاتف أو غيره.. هل هم أو هل فيهم نسبة عددية معقولة من المجاهدين أو ممن يقال عنهم جهاديون فكرًا وتيّارًا؟

أم هم من خصوم المجاهدين والجهاديين من الإخوان المسلمين مثلا أو من الناس الذي يسمون أنفسهم بالسلفيين، ويسمّيهم المجاهدون بالجامية والمدخلية ونحوها من الأسماء ونحوهم من الناس؟ نخشى أن يكون الشيخ، وهكذا غيره من العلماء والدعاة، إنما يسمعون من هذه الأصناف، ولم يسمعوا قط من المجاهدين أو ممن يمثلهم، ولم يروهم بأعينهم.

وقد كان في سنوات ماضية (سنوات ٩٢ – ٩٦) أو ما يقاربها –وما قبلها من باب أولى – كان متاحًا أن يتحرك المجاهدون، ومتاحًا للعلماء أيضا أن يلتقوا بالكثيرين منهم، لمن كان مهتمًّا.

وهؤلاء الإخوة الذين قال فيهم الشيخ: «وكثير من الدعاة وطلاب العلم في الجزائر منحازون عن القتال، بل يدينونه من أول ما وقع، ولم يكونوا مجمعين عليه» من هم؟

نحن لا نطلب معرفة أعيانهم، لكن من أي طائفة هم؟ وما نسبتهم إلى المجاهدين؟

وأيضًا.. هؤلاء الذين انحازوا عن القتال، وأدانوه من أول ما وقع هم أصناف ودرجات:

منهم من وقف رأسا مع الحكومة وفي صف الطاغوت منافحا عنه بكل ما يملك مضفيا عليه الشرعية، مدافعا عنه.. متعاونًا معه ضد المجاهدين.

ومنهم من انحاز فقط ورأى الأمر فتنة، وأن هذا الخروج غير مشروع؛ إما لأنه غير معتقد بكفر الحكومة، أو لغيرهما من الأسباب التي قدمت الاشارة إليها.. لكنه في الوقت نفسه يرى المجاهدين أهل خير وصلاح، وأنهم مجتهدون متأولون؛ فهو لا يوافقهم، ولكنه لا يقف في صف الحكومة الفاجرة الظالمة ضدهم، ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨﴾ [الفرقان].

والمجاهدون يفرّقون في التعامل بين هؤلاء وهؤلاء، ويحاولون ألا يظلموا أحدا.. فليس كل المخالفين في درجة واحدة، فمنهم المحب المشفق، ومنهم الشانئ المبغض المعادي الباذل ما يستطيع في عداوتهم، ومنهم الذي يريد الله واليوم الآخر، ومنهم من يستحب الحياة الدنيا على الآخرة

فما موقف الشيخ يا ترى من هذه الأصناف؟ لا سيما والشيخ يظهر من كلامه أنه يرى الإخوة المجاهدين متأولين مجتهدين، ويسلّم لهم اجتهادهم.

وهذا الظن بمشايخنا الناصحين، فحتى لو لم يقتنع الواحد بما يذهب إليه المجاهدون من الرأي والاجتهاد، فإنه يحبهم ويفضلهم على عدوّهم وينصرهم بما استطاع، لو دار الأمر بين أن يفعل شيئا أو لا يفعل، فإن كان لا بد فالسكوت، والله أعلم.



فصلٌ

في كلام الشيخ ناصر عن رسالته: «حقيقة الانتصار»

أولا: فهمنا من كلام الشيخ أنه ألفها بشكل أخصّ للإخوة المجاهدين في الجزائر وغيرها الذين يراهم الشيخ متعجّلين.

ثانيا: نقول للشيخ: إننا قرأنا الرسالة منذ صدورها وفرحنا بها، ونعتبرها رسالة طيبة، ولكننا لم نفهم منها ما يعارض ما نحن عليه مما نخالفه فيه، وأزيده أن الإخوة المجاهدين في الجزائر في سنوات ٩٣ – ٩٥ كانوا يتداولون هذه الرسالة ويقرأونها.

وفي إحدى الكتائب أراد المسؤول الشرعي أو «الضابط الشرعي» -هكذا كانوا يسمونه في الجزائر- أن يضع برنامجا تربويا لمجاهدي الكتيبة يطبّق في كل المراكز التابعة لها؛ فوضع فيها أذكر: قراءة القرآن الكريم بعد صلاة الفجر، وقراءة رياض الصالحين بعد صلاة الظهر أو العصر، وقراءة رسالة للشيخ ابن عثيمين بعنوان «اختلاف العلماء وموقفنا منه»، ورسالة أخرى للشيخ «أحمد بن عبد الرحمن الصويان» بعنوان: «منهج أهل السنة والجماعة في تقييم الرجال..» إن لم أخطئ في العنوانين الأخيرين لأني بعيد العهد بها، وَكان من ضمن الرسائل التي فكر فيها الإخوة واقتُرِحتْ في البرنامج رسالة الشيخ ناصر العمر «حقيقة الانتصار»؛ غير أنها لم تدرج في البرنامج لوجود ما هو أولى منها.. ولكن يكفي هذا القدر لبيان ما قصدته.

وكذلك كان الإخوة في أفغانستان يقرأون هذه الرسالة، وكثيرا ما تجدها في مراكزهم ومكتباتهم.. وما علمنا أن المجاهدين ومشايخهم وطلبة العلم فيهم ومثقفيهم يعتبرونها تناقض المنهج الذي اختاروه.. فهذا عجيب، ويزول العجب بالآتي:

أ – الشيخ يقول: «نحن ندعو الى الله وما علينا النتائج واهتداء الناس فذلك إلى الله، والمجاهدون يقولون نفس الكلام: نحن ندعو إلى الله ونجاهد وما علينا النتائج.. الخ».

ب – الشيخ يقول: «حقيقة الانتصار هي ثبات المؤمن على دينه إلى أن يموت ويلقى الله وهو عن راض».. واشتهر ضربُهُ المثلَ -ومن قبلُ شهَّره سيد قطب ﷺ- بقصة أصحاب الأخدود، والمجاهدون يقولون الشيء نفسه.

جـ - الشيخ يقول: «والواجب الحقّ هو ألا نسلك أي مسلك من هذه المسالك، لا منهج المتعجلين ولا منهج المتنازلين المتساهلين، ولا منهج اليائسين القانطين، وإنما علينا أن نبلّغ رسالة الله جل وعلا وأن نصبر ونصابر على ما نلقاه في سبيل الله جل وعلا من أذىً وبلاء» اهـ.

والمجاهدون يقولون: نعم يا شيخ، صدقت والله، بس حاجهْ وَحْدَهْ بس!! لو تضيف إليها: «ونجاهد في سبيل الله».. نعم، وحتى لو قيّدتها بقيد مناسب لا بأس، مثل: «متى ما قدرنا وتحققنا مشروعية الجهاد»؛ فتكون العبارة هكذا مثلًا: «..وعلينا أن نبلغ رسالة الله جل وعلا وأن نصبر ونصابر على ما نلقاه في سبيل الله جل وعلا من أذىً وبلاء، ونجاهد في سبيل الله جل وعلا متى ما قدرنا وحيث يكون الجهاد (القتال) هو المطلوب».

طبعا، متى يكون مطلوبا ومتى لا، هذا هو كل الموضوع.. ثم المجاهدون عندما يقرأون بعض عبارات الشيخ مثل «المتعجّلين» يقع في نفوسهم أن الشيخ ربما يقصدهم ويشير إليهم، فيقولون: سامحه الله إن كان يقصدنا ويشير إلينا، فنحن إن شاء الله لسنا متعجّلين، بل نحن مبادرون إلى الاستجابة لأمر الله تعالى بالجهاد مسارعون إلى مرضاته، وقد اشترى منا نفوسنا -وهي له- بالثمن الغالي.. الخ الكلام الحلو الجميل الذي يحبّونه ويطربون له -وحُقّ لهم- مما يثير الغرام إلى دار السلام، ويبعث الأشواق إلى مصارع العشاق، ويحدو الأرواح إلى دار الأفراح.

فاللهم اجعلنا من الدعاة إليك المجاهدين في سبيلك المرضي عنهم عندك.. اللّهم استعملنا في طاعتك، وخدمتك فنحن عبيدك.. اللّهم خذ من دمائنا حتى ترضى يا رب العالمين..

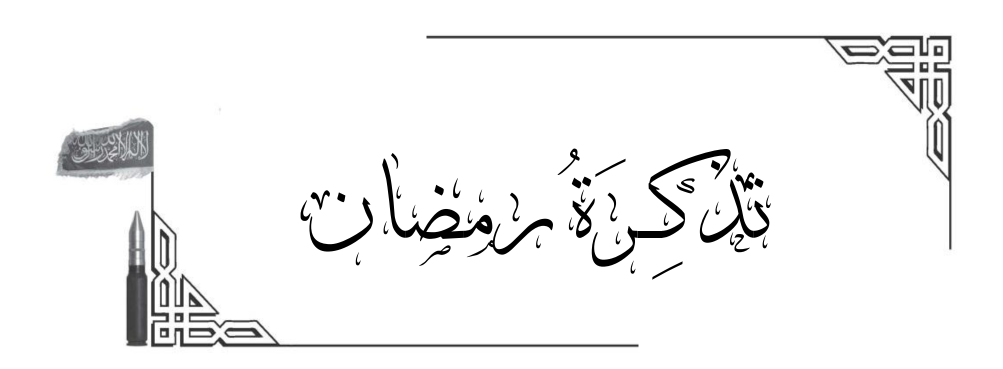
وأقول قولي هذا وأستغفر الله رب العالمين، والحمد لله أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: **عطية الله**

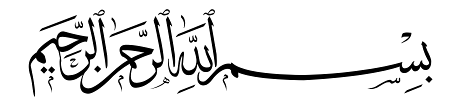
الخميس ٢٩ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ

الموافق ١٧ يونيو ٢٠٠٤م





[تم نشر هذا المقال في منتدى «أنا المسلم»، رمضان ١٤٢٥]

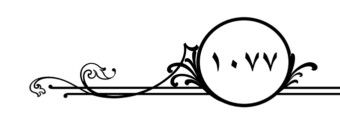


الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانه.

وبعد: فهذه تذكرة لطيفة كتبتها تذكيرًا لنفسي ولإخواني بمناسبة هذا الشهر الكريم الذي أظلنا «شهر رمضان»، وعسى أن ينتفع بها من هو خيرٌ منا؛ فيعمل ببعض ما فيها فيرزقنا الله أجره وإن لم نبلغ عمله، وقد جعلتها متضمنةً للتذكير بحق الله تعالى علينا في هذا الشهر من العبادة والأحكام والوظائف، وفوائد متعلقة بهذا الركن، ولطائف تعرِض رأيت أن فيها فائدة لمن عقلها، وإنما العلم مناسبات، وحاولت التبسيط والاختصار حذَرًا من الضجر والملل؛ فإننا في وقت ما عادت النفوس تطيق التطويل والسرد الكثير، بل تميل إلى الاختصار والتقليل والقراءة السريعة، راجيا من المولى ﷻ أن يجعلها ذخرًا لنا في آخرتنا يوم نلقاه.

تذكرة في الإخلاص والنية:

تنوعت عبارات العلماء ﷺ في تعريف الإخلاص، وحاصله: تجريد العمل من شائبة التوجه إلى غير الله تعالى، أي إخلاص العمل له والتوجه والقصد والإرادة، فلا يقصد العبد بعمله إلا الله تعالى ورضاه وما عنده من الثواب وجزيل الكرامة.. وعليه؛ فالإخلاص هو خلاصة التوحيد، ولبّ الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله» التي هي كلمة الإخلاص، والمخلِصُ هو عبد الله حقًا، وكلما كان أكثر إخلاصا كان أعرقَ في عبوديته لربه وأكمل تحقيقا للتوحيد، وقد أمر الله ﷻ بالإخلاص له في كتابه العزيز



وكرره وأبدأ فيه وأعاد، ونكتفي بذكر بعض الآيات خشية التطويل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة]، وقال: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ - ٣]، وقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [الزمر]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر]، وقال تعالى ذكره: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾ [النحل] أي وله الدين دائمًا في كل حين وحال لا يشركه فيه أحد ﷻ.

والأمر بالإخلاص ومدحه النهي عن ضده وذمه في السنة أيضًا كثير مشهور.

وضد الإخلاص الشرك بأنواعه، ومنه الرياء والتسميع، وقد نهى الله عنه ورسوله أيما نهي.

ومعنى **الرياء**: إيقاع العمل قاصدًا أن يراه الناس فيمدحوه ويعظموه ونحو ذلك.

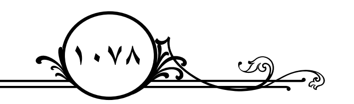
ومعنى **التسميع**: إسماع الناس أنه عمل كذا وكذا من العمل الصالح ليمدحوه ويعظموه.

والإخلاص شرط لقبول العمل مع شرط الصحة، فلا يقبل الله من عبد عملًا حتى يكون صالحًا خالصا، بينه الله تعالى بقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة].

وبين الله ﷻ في ثلاثة مواضع من كتابه العزيز أن المطلوب من العبد بالمقام الأول إحسان العمل أكثر من إكثاره، وأن حسن العمل خير من كثرته، والعمل الحسن هو ما كان أتم في استجماع الشرطين المذكورين وهما: الجريان على قانون الشريعة، والإخلاص لله تعالى فيه، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ [الكهف: ٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك] فبين تعالى في هذه الآيات الكريمات أنه خلق الخلق ليختبرهم ويستظهر في عالم الشهادة التي مبنى الجزاء عليها أيهم أحسن عملًا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ [النمل: ٨٩، القصص: ٨٤].

قال العلماء: هذا تنبيه على الإخلاص، فإن المجيء بالحسنة يتضمن فعلها والمحافظة عليها



وصيانتها عن المحبطات ومفسدات العمل حتى يلقى الله تعالى بها يوم القيامة، فإن بعض الناس يعمل العمل ثم لا يجيء به يوم الجزاء لكونه ذهب هباء منثورًا، نسأل الله السلامة.

وهذا يقودنا إلى السؤال عن **محبطات العمل ومفسداته**، وقد حصرها بعض العلماء في الشرك؛ فقال: لا يحبط العمل إلى بالشرك إما كليًا أو جزئيا، فالشرك الأكبر وهو الكفر والردة أعاذنا الله وإياكم منها، محبط للعمل بالكلية، والرياء والتسميع محبط لما قارنه من العمل، وهذا قدر متفق عليه.

وقال بعض العلماء: إن محبطات العمل أعم من الشرك؛ فإن الأعمال الخبيثة الموبقة قد تسبب إحباط بعض العمل الصالح، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات] قالوا: وهذا -رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ- ليس شركًا، بل معصية كبيرة، ومع ذلك حذر الله أن تحبط عمل صاحبها، واستدلوا بقول عائشة رضي الله عنها لامرأة من آل زيد بن أرقم حين علمت أنه تبايع بالعينة: «أخبري زيدًا أنه أحبط جهاده مع رسول الله ﷺ» وصححوا الخبر؛ قاله ابن القيم رحمه الله[1]، واستدل له بعضهم أيضا بقوله ﷺ فيما رواه ابن ماجه من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ وصححه بعضهم: (**إن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثورًا**) قالوا: يا رسول الله صفهم لنا جلّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نشعر، قال: (**إنهم منكم ويأخذون بحظهم من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**)[2].

وهذه مسألة فيها بحث ونظر، فالله أعلم، وإنما ذكرتها تتميما وتنبيها لخطورة الأمر.

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٤٨١٢) قالت: «أَخْبِرِي زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ: أَنَّهُ قَدْ أَبْطَلَ جِهَادَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ»، وذكر هذا الخبر ابن عبد البر في: الاستذكار (٦/ ٢٧٢) وقال: «هُوَ خَبَرٌ لَا يُثْبِتُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ وَلَا هُوَ مِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ عِنْدَهُمْ، وَالْحَدِيثُ مُنْكَرُ اللَّفْظِ لَا أَصْلَ لَهُ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا يُحْبِطُهَا الِاجْتِهَادُ وَإِنَّمَا يُحْبِطُهَا الِارْتِدَادُ وَمُحَالٌ أَنْ تُلْزِمَ عَائِشَةُ زَيْدًا التَّوْبَةَ بِرَأْيِهَا وَيُكَفِّرُهُ اجْتِهَادُهَا فهذا ما لا ينبغي أن يظن بها وَلَا يُقْبَلَ عَلَيْهَا»، ونصر ابن رجب الحنبلي في: تفسيره (١/ ٢١٦) هذا القول واستحسنه وقال: «والآثارُ عن السلفِ في حبوطِ بعضِ الأعمالِ بالكبيرةِ كثيرة جدًّا، يطولُ استقصاؤها.. وأمَّا مَن زعم أن القولَ بإحباطِ الحسناتِ بالسيئاتِ قولُ الخوارج والمعتزلةِ خاصةً، فقد أبطلَ فيما قال، ولم يقفْ على أقوالِ السلفِ الصالح في ذلك. نعم، المعتزلةُ والخوارجُ أبطلُوا بالكبيرةِ الإيمانَ كلَّه، وخلَّدُوا بها في النارِ، وهذا هو القولُ الباطلُ، الذي تفرَدُوا به في ذلك». ونصر ابن القيم تصحيح هذا الحديث جدا ودلل على ذلك في: زاد المعاد (٣/ ١٣٢، ١٣٣) واستدل بهذا الأثر في مواطن؛ فلتراجع.

(٢) سنن ابن ماجه (٤٢٤٥) وصححه الألباني، وفي الحكم على هذا الحديث خلاف كبير ليس هذا موطنه.

فصلٌ:

والنية هي المعنى الباعث على العمل من حبِّ الله تعالى وتعظيمه والتصديق بخبره تعالى ووعد ووعيده، وهي والقصد والعزم والإرادة ألفاظ متقاربة في المعنى

والنية الحسنة الصالحة تجامع الإخلاص فيما سبق ذكره، وتختص النية بأمور، منها: تعيين العبادة وتمييزها عن العادة، وتمييز الأفعال الجبلية الطبيعية عن القربات، والتمييز بين العبادات كسنةٍ أونافلة، وصلاة ظهر أو صلاه عصر ونحو ذلك.

وفي النية قول الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ ﴾ [الحج: ٣٧]، وقوله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)** متفق عليه[1].

ومعنى **(إنما الأعمال بالنيات)** أن اعتبار الأعمال من حيث القبول وعدمه، ودرجتها عند الله تعالى ونحو ذلك إنما هو بحسب النية.

مثاله: رجلان يدعوان إلى الله ويجاهدان في سبيله -في الظاهر-، أحدهما نوى أي قصد وأراد وابتغى بذلك نصر الدين وإعلاء كلمة الله تعالى، ونفع الناس وإنقاذهم من الجهل والهوى ونحو ذلك من المقاصد الخيّرة وفوق ذلك كله رضى الله تعالى وجزيل ثوابه والدرجة عنده.. والآخر نوى أي قصد وأراد وابتغى تحصيل رياسة وشرف وحظوة عند الناس ونحو ذلك، وليس له كبير التفات إلى ما عند الله واليوم الآخر.

والاحتساب قريب في معناه من النية الصالحة، كقوله ﷺ: **(من صام رمضان إيمانًا واحتسابا)**[2]، وقوله: **(فلتصبر ولتحتسب)**[3]، وقول معاذ: «وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»[4].

مسألة خطيرة الشأن:

النية السيئة تفسد العمل في الجملة وتحبطه وتجعله غير مقبول، وليتها تقف عند هذا الحدّ فقط، بل

---

(١) صحيح البخاري (١، وغيره في سبعة مواضع)، صحيح مسلم (١٩٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٣٨)، صحيح مسلم (٧٦٠).

(٣) صحيح البخاري (١٢٨٤، ٦٦٠٢)، صحيح مسلم (٩٢٣٠).

(٤) صحيح البخاري (٤٣٤١، ٤٣٤٤).

إنها في بعض الأحيان حين تقارن الأعمال العظيمة الشأن التي هي نعمة جليلة وهبة منه تعالى وحقّها أن توقَع خالصة لوجهه تعالى؛ فإنها لا تفسد هذه الأعمال على صاحبها فحسب ولكنها تقلبها إلى سيئات وموبقات نسأل الله السلامة والعافية، ومثال ذلك ما قصه علينا نبينا ﷺ من حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة كما في الحديث المشهور الذي «رواه مسلم»، وهم المقاتل ليقال جريء، والذي قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال قارئ، والمنفق ليقال جواد[1].

وصحّ عن النبي ﷺ أيضا: (**من تعلّم علمًا مما يُبتَغَى به وجه الله لا يتعلّمُه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرفَ الجنة يوم القيامة**)[2].

فالله الله في النية.. نسأل الله أن يصلح نياتنا ويرزقنا الصدق والإخلاص.

اللّهم اجعل أعمالنا صالحة ولوجهك خالصة ولا تجعل لأحدٍ فيها شيئا.

فصلٌ، وهنا مسائل تكلم فيها العلماء:

منها: من جاهد في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، وقصد مع ذلك تحصيلَ الغنيمة، والصحيح فيها إن شاء الله أن ذلك لا يضر، لأن قصد الغنيمة مشروع مباح لترغيب الله ورسوله فيها وعدها من أشرف الكسب، وفيها أحاديث صحاح؛ كقوله ﷺ: (**من قتل قتيلا فله سلبه**)[3]، لا سيما عند من رأى أنه قال ذلك قبل القتال كالشافعي وأحمد خلافا لمالك رحمهم الله جميعا، وكقوله لعمرو بن العاص رضي الله عنه: (**إني أريد أن أبعثك إلى هذا الوجه فيسلمك الله وتغنم**) قال يا رسول الله: إنما أسلمت ابتغاء وجه الله، قال: (**نعم المال الصالح للرجل الصالح**) أو كما قال، وهو حديث صحيح رواه أحمد وغيره[4].

لكن قد يقال: إنه مع ذلك ينقص من أجر المجاهد، ولا يكون بمنزلة من جاهد لإعلاء كلمة الله ولم يلتفت بقلبه لشيء أصلا ولا حصّل شيئا من متاع الدنيا، فهذا كمل أجره وهو أكمل ممن قصد

---

(١) صحيح مسلم (١٩٠١) بنحوه.

(٢) سنن أبي داود (٣٦٦٤)، سنن ابن ماجه (٢٥٢) وصححه الألباني، صحيح ابن حبان (٧٨)، مستدرك الحاكم (٢٨٨) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ سَنَدُهُ، ثِقَاتٌ رُوَاتُهُ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، قال الذهبي في «التعليق»: «على شرطهما».

(٣) صحيح البخاري (٣١٤٢)، صحيح مسلم (٢) بلفظ: (**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**).

(٤) مسند أحمد (١٧٧٦٣) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ولفظه كاملا: (.. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً) الخ الحديث المذكور فوق.

أشياء أخرى مما هو مشروع أو حصّلها كما بينت ذلك أحاديث أخرى أيضا.

وهذا ما لم تكن إرادة الغنيمة أو أي منفعة دنيوية هي الغالب عليه وهي الباعث الأساسي والحقيقي له؛ فإنه قد صح: أن رجلا قال يا رسول الله، رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضًا من عرض الدنيا، فقال رسول الله: **(لا أجر له)** فأعاد عليه ثلاثا والنبي ﷺ يقول **(لا أجر له)** رواه أبوداود[١].

قال العلماء: وهذا محمول على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا.

وهذا بخلاف مسألة من غزا يلتمس الأجر والذكر؛ فقد سُئل عنه رسول الله ﷺ فقال: **(لا شيء له)** يعني من الأجر. والحديث في سنن النسائي[٢].

وأما ما يقع في نفس المسلم مثلًا من أن الناس يمدحونه ويذكرونهم بخير ويعتبرونه بطلًا ونحو ذلك إذا جاهد في سبيل الله، فلا يضرّه، لأنه لا يقصده ابتداء وليس هو باعثه على العمل والجهاد في سبيل الله، بل هو أشبه بتحصيل الحاصل، لأنه معلوم أن من سنة الله تعالى في خلقه أن الناس يحبون ويحمدون الأبطال وأصحاب الفِعال، وإنما الضرر على من جعل ذلك هو مقصدَه ومرادَه، فهذا ليس له من جهاده إلا ذلك، فإذا أفضى إلى ربّه ﷻ عذّبه، كما مرّ في الحديث.

والأمر خطير، ونسأل الله السلامة والعافية.

ومنها: من شرع في العمل لله ثم طرأ عليه الرياءُ أثناءه، كمن صلى لله ابتداء ثم طرأ عليه الرياء أثناء الصلاة، والراجح فيها التفريق بين أصل العمل وصفته، والتفريق بين ما يتجزّأ وما لا يتجزّأ.

ومنها: أن يصوم الإنسان وهو يريد مع العبادة تحصيل الصحة لبدنه ونحو ذلك، فهذا لا بأس به إن شاء الله ما دام الباعث الحقيقي والغالب هو عبادة الله تعالى بهذا الصوم، وذلك كمن يعاني من السِّمْنة ويستعمل أنظمة تخفيف الوزن -الريجيم- ففكر أو نصحه طبيبٌ -مثلا- بأن يصوم الاثنين والخميس أو يوما بعد يوم؛ فهذا لا بأس به ولا يضرّه إن شاء الله أن ينوي الصوم مع قصد تحصيل تلك المصلحة، لأن الباعث الأساسي هو طاعة الله وإنما التقت العبادة هنا مع منفعة مباحة مطلوب تحصيلها نوعَ طلبٍ فشجّعه ذلك على هذه العبادة، بدليل أنه يمتنع عن شربةِ ماء مثلا، ويمتنع عن

(١) سنن أبي داود (٢٥١٦) وحسنه الألباني، مسند أحمد (٧٩٠٠) وحسنه لغيره الأرنؤوط.

(٢) سنن النسائي (٣١٤٠) وقال الألباني: حسن صحيح.

التدخين إن كان ممن ابتلي بمعصية الدخان، وقد يمتنع عن استخدام السواك أو شم العطر إن كان ممن يظن أن ذلك يؤثر في الصوم ونحو ذلك، وهو يعرف أن كل ذلك لا يؤثر في ريجيمه، والله أعلم.

وهذا كالذي يتوضأ ويقصد مع تحصيل الطهارة للعبادة التبرّدَ من الحرّ ونحو ذلك.

ومنها: من عمل العمل خالصا لله، فمدحه الناس وأثنوا عليه، ففرح بذلك، والصحيح أن ذلك لا يضر العمل، بل جاء في الحديث أنه ﷺ سُئِلَ عنه فقال: (**ذلك عاجل بشرى المؤمن**) رواه مسلم(١)، فهو من جملة نعم الله عليه فلم لا يفرح به ويشكر الله عليه؟! وقد قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الصافات]، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم] ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

ومنها ما قاله العلماء من السلف: «العمل من أجل الناس رياء، وترك العمل من أجل الناس شرك»(٢)، يعنون أن الأمرين محذوران مذمومان، وكلاهما يرجع إلى ضعف الإخلاص أو زواله، الفعلُ والترك، لأن مبناهما هنا على ملاحظة الخلق لا ملاحظة الخالق ﷻ.

فصلٌ:

ينبغي أن يُعلم أن الإخلاص يُتعلّم ويكتسب، ولولا ذلك لما كان في أمر الله ورسوله به فائدة ولا معنى.. فينبغي للعبد أن يروّض نفسه عليه، ولذلك طرق ننبه بحول الله على شيء منها.

فمنها: التنبيه المستمر للنفس أن تلاحظ الله تعالى وما عنده وتتخلّص من ملاحظة المخلوقين وتعويدها أن يستوي عندها مدح الناس وذمهم في الأصل ما دام العمل مرضيا عند الله.

ومنها: المحاسبة الدائمة للنفس؛ لِمَ فعلت كذا ولِم فعلت كذا؟ أَلِلَّهِ أم لغيره؟

ومنها: أسباب تقوية الإيمان جملة بالأعمال الصالحات والتفكر ونحوها؛ فإنه كلما قوي إيمان العبد وعرف قدر نفسه وحقارته وعبوديته، وعرف ربه وعظمته وكماله وجلاله وجماله، وأحبه وخافه ورجاه؛ فإن ذلك يؤدي به إلى الانقياد له وإرادته وحده دون غير والتعلق به.

ومنها: قراءة قصص وسير الصالحين المخلصين من الأنبياء وأتباعهم وعلى رأسهم الصحابة

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٤٢) بلفظ: (تِلك عاجل..)، وأما لفظ (ذلك عاجل..) ففي: سنن ابن ماجه (٤٢٢٥) وصححه الألباني.

(٢) قال هذه الكلمة: الفضيل بن عياض، انظر: شعب الإيمان (٦٤٦٩).

وصالحو التابعين وعلماؤهم وسائر المشهود لهم في الأمة بالصدق والإخلاص والصلاح والخيرية، فإن في قصصهم عبرة لأولي الألباب.

ومنها: التنبه لوسوسة الشيطان؛ فإن له في هذا الباب وساوس ومكائد عظيمة، وذلك يتناسب مع عظم هذا الباب في الدين، وليدفع عن نفسه وسوسة الشيطان بقوة العزم والثقة بالله تعالى وحسن الظن به ﷻ ورجائه سبحانه وملاحظة كرمه وجوده ومنته وعظيم فضله وما شابه ذلك من المعاني.. وقد رأيت بعض الإخوة الصالحين نحسبهم كذلك كثير الوسوسة والشك حتى لا يكاد يعمل عملا إلا وهو يوسوس ويتهم نفسه بعدم الإخلاص ويمتنع أحيانا عن بعض العمل من أجل تلك الوساوس، وهذا ليس بجيد، وهو قدر زائد على الخوف المحمود من أن لا يتقبل الله عمله، وهي الصفة التي مدح الله أهلها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون] فليتنبه إلى هذا الفرق.

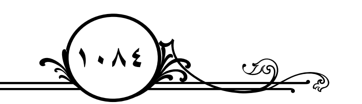
والقصدَ القصدَ، ونسأل الله لنا ولكم الهدى والسداد والتوفيق.

ومنها: معاشرة الصالحين ممن يظن فيهم الإخلاص والصدق وحسن المعاملة مع الله والمراقبة له تعالى.

ومنها: أن يتخذ العبد له بعضَ الأعمال الخفية الصالحة ويجعلها سرّا بينه وبين الله لا يراها ولا يسمع بها أحدٌ من الخلق كصلاة أو صدقة أو خدمة أو مساعدة مسكين وضعيف إلى غير ذلك؛ فإن ذلك مما يعلّم النفس الإخلاص والاقتداء بفعل نفسها وتذوق طعم الإخلاص فتتعود عليه وتجد حلاوته.

وقبل ذلك كله: سؤال الله الإخلاص والإعانة عليه والإلحاح عليه في ذلك والإكثار من التضرع له؛ فإنه إن لم ييسّره الله لم يتيسّر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة]، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وليعلم أن سؤال الله ذلك ونحوه أهم وأولى من سؤاله الرزق والمال وسائر حاجات الدنيا ونجاحاتها.

مَلْحَظٌ: لا يكاد الناس يسألون عن الإخلاص في أداء الفرائض، وإنما يتوجه بحثهم إلى الإخلاص في أداء النوافل والقربات مما سوى الواجبات والأركان.. ووجه ذلك مفهوم، والإخلاص مطلوب في



الفرائض قبل النوافل، لكن لما كان المسلم لا يتصور أنه يكون مسلما مؤمنا بدون إخلاص في الفرائض كالصلوات المكتوبة وصوم رمضان سهل عليه الخلوص من الوسوسة في بابها، وبقي باب النوافل والتطوع مجال الوسوسة والمجاهدة.. وتدبّر هذا مما يعين على طرد الوسوسة ويعطي فسحة رجاء، والله الموفق.

فائدة: الفرق بين الصدق والإخلاص، أحسن ما رأيته فيه ما قاله ابن القيم ﵀: «الصدق توحيد الطلب، والإخلاص توحيد المطلوب»(١)؛ فتأمله فإنه لطيف.

نسأل الله الكريم أن يرزقنا وإياكم الصدق والإخلاص.

والله الموفق، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.

فصلٌ:

إذا عُلِم ذلك فلنعقد العزمَ إخواني أننا إذا مدّ الله في أعمارنا وأعطانا الصحة والعافية وحضرنا رمضان؛ أننا نصومه بعونه تعالى مجتهدين في إيقاعه على الوجه الذي يرضي ربنا ﷻ وكما بيّن لنا رسولنا ﷺ عن ربنا، طاعةً لله تعالى وتعظيمًا لأمره وامتثالًا له ومسارعة في الاستجابة له وخضوعًا وتذللًا ومحبّةً، راجين منه ﷻ أن يتقبل منا ويتوب علينا، ويكتبنا من عباده المرحومين المغفور لهم المرضي عنهم، وأن يجعلنا من أهل «باب الريان» الذي هو باب من أبواب الجنة يدخل منه الصائمون ولا يدخل معهم أحدٌ غيرهم، وراغبين إليه ﷻ أن يرزقنا تقواه والاستقامة على صراطه المستقيم في هذا الشهر وفيما بعده ما أبقانا.. وهو ذو الفضل العظيم الكريم المنان الوهاب الرحمن الرؤوف الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

فصلٌ؛ في فضل رمضان وفضل صيامه وقيامه وفضل العمل الصالح فيه.

وبيان معنى قول الله: **(إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)**(٢).

شهر رمضان أفضل الشهور، فيه نزل القرآن، وهذا له معنيان: أنه وقع فيه ابتداء نزوله، وأنه نزل فيه جملة من اللوح المحفوظ إلى الصحف التي بأيدي الملائكة في السماء الدنيا كما وضحه ابن عباس

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٧) قال: «فَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ: تَوْحِيدُ الْمَطْلُوبِ، وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ: تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ».

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٤، ٥٩٢٧)، صحيح مسلم (١١٥١).

ﷺ، وفي رمضان ليلة القدر وهي أفضل الليالي على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [القدر]، وفيه الليالي العشر وهي أفضل الليالي وليلة القدر إحداها.

وصيام رمضان أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة]

وفي معنى ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ قال العلماء: لتتقوا، وليهيئكم ويُعِدَّكم للتقوى، ولتكونوا على رجاء حصول التقوى لكم.

وههنا فائدة: اشتهر عند العلماء أن «عسى» من الله واجبة -ومثلها «لعلّ»-، ومعناها كما شرحها بعض المحققين: أن الإشارة من العظماء بمنزلة التصريح من غيرهم، وأن الكريم إذا كان محلّ الأمل اقتضى عظيم منزلته وشرفه أن لا يخيِّب مؤمِّلَه.

وأزيده توضيحا فأقول: الإنسان العادي والسوقة من الرعية مثلا إذا قُدّر له أن يلتقي الملِكَ أو الأمير أو ما شابهه من عظماء القوم فإنه إذا طلب إليه حاجة، فإن الملِك أو ذلك العظيم قد يقول له: عسى يكون خيرٌ، ولعل كذا إن شاء الله، أو يلمح له بنوع عبارة أنه يقضي حاجته، فجرت عادات العظماء ومنهم عظماء العرب وأشرافهم أن التلميح والإشارة من العظيم يكفي، وأنه بمنزلة التصريح من غيره، والقرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ [الرعد: ٣٧]، والفرق بين هذا الأسلوب وبين التصريح أنه يجعل العبدَ متعلّقا بمولاه بحبل الرجاء.. فتأمله فإنه نفيس.

وأصل الإشكال أن «عسى» و«لعل» موضوعان في اللغة: للتوقع والمقاربة في الأول، والرجاء في الثاني، وهما فعلان من أفعال العبد ولا ينسبان إلى الله تعالى، لأن علم الله كامل لا يعتريه نقص؛ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقدرته كاملة ﷻ لا يعزّه شيء؛ فكان توجيهها ما

أوضحته.

والمقصود: أن شهر رمضان موسم للعبادة الحقة والتزود من التقوى فمن خاض في بحره بجدّ وحسن نية ورغبة فيما عند الله ﷻ حصل له التقوى بلا شك وحصل له نور عظيم، وأجر كريم، وحصل له زاد من تقوى الله يعينه على السير في طريق الله تعالى إلى أن يلقى ربه؛ فإن لقيه في عامه فذاك، وإلا حلّ عليه رمضان الآخر فتزوّد للعام الذي بعده، وهكذا حتى يلقى ربه.

والله ﷻ من لطفه بنا ورحمته نوّع لنا العبادات وكثّر طرق الخير، وشرع لنا فرائض وأركانًا لا يسع أحدًا تركها لأن تركها هدمٌ للدين بمعنى من المعاني -إما الكفر في بعضها أو ما هو قريب من الكفر في أخرى على تفاصيل معروفة في موضعها-، وشرع لنا نوافلَ وتطوعاتٍ رغّبنا فيها من غير إيجاب؛ فهذه مجال للمسابقين إلى الخيرات المنافسين على المكرمات والمقامات العاليات.

لكنه نبهنا إلى أن تلك الأركان والواجبات هي أحب له وأولى عنده من النوافل والتطوعات؛ فلا يتوهم متوهّم أن النوافل التي يتطوَّعُ بها خيرٌ مما افترض الله عليه؛ فربما حصل له من طريق ذلك مَنٌّ على ربّه ورؤية لنفسه وعمله.

وفي الفرائض من المعاني والحكم والأسرار ما لا يقارن به ما في النوافل.

وكل هذا من حديث النبي ﷺ: (**وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه**).. ثم ذكر النوافل، رواه البخاري[1].

وهذه الأركان وصوم رمضان منها: هي كالأعمدة لبناء الدين، وقد شبه النبي ﷺ الصلاة بعمود البيت في حديث[2]، وهي مثبّتات على الطريق وكالأوتاد وكالجبال للأرض لتستقر ولا تضطرب.

ولهذا يجب أن يكون اعتناء العبد بالأركان والواجبات أعظم من غيرها.

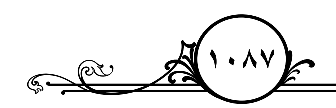
ومما جاء في الشريعة لتعظيم ركن الصوم:

❖ النهي عن صوم اليوم الذي يُشك فيه «يوم الشك» -وهو اليوم الذي يشك هل هو من تمام شعبان أو هو أول رمضان-.

---

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

(٢) فجعل الصلاة عمود الدين، قال ﷺ: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة)، انظر: سنن الترمذي (٢٦١٦) وصححه الألباني.



❖ والنهي عن تقدّم رمضان بصوم يومٍ أو يومين كما ثبت في حديث الصحيحين[١]، وفي آخَر: النهي عن الصوم إذا انتصف شعبان كما في حديث رواه الترمذي وغيره[٢].

وللعلماء في حلّ اختلاف الحديثين وجهان: الأول: تضعيف حديث النهي عن الصوم إذا انتصف شعبان، فلا نأخذ به ولا يعارض ما ثبت في الصحيحين، **والوجه الثاني**: أن يحمل النهي عن الصوم إذا انتصف شعبان على الكراهة -كراهة التنزيه- ليتقوى الإنسان على صيام رمضان ولا يضعف ويتهيّأ للقدوم على الشهر بنشاط وجدّ ورغبةٍ، وحمل حديث الصحيحين على التحريم.

يستثنى منه كما صرّح به الحديث من كان يصوم صومًا فليصمه.

وهذا الحكم يشبه ما جاء في باب الصلاة من النهي عن وصل الفريضة بالنافلة حتى يفصل بينهما بفاصل من كلام أو انتقال[٣].

❖ ومن تعظيم شهر رمضان: تحريم صوم يوم العيد، والأمر بالأكل وإظهار الفرح والسرور في العيد وتمييزه بسنن مخصوصة.

❖ والترهيبُ من إفطار ولو يومٍ واحدٍ منه أي من رمضان تعمّدا، فإنه لن يقضيَه وإن صام الدهر كما جاء في حديث هكذا، لكن ضعّفه الأكثرون[٤].

وانتزع الفقهاء من ذلك أنه إذا أفطر لخطإ أو نسيان -عند من يفطّر بذلك ويوجب القضاء- أو عمدًا، أو قادما من سفر -عند آخرين- أو أفطرت المرأة لحيض أو نفاس ثم طهرت في أثناء النهار، أنه يجب عليه الإمساك بقية يومه، قالوا: لحرمة الشهر.

❖ وتغلظُ المعاصي فيه لحرمته أيضًا.

أما التنويه بالصوم وبرمضان وإعلاء شأنه وذكر فضائله وبركاته في كلام الله

---

(١) صحيح البخاري (١٩١٤)، صحيح مسلم (١٠٨٢) ولفظ البخاري: (لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ).

(٢) سنن الترمذي (٧٣٨)، سنن أبي داود (٢٣٣٧)، وصححه الألباني.

(٣) يعني بذلك قول معاوية ﵁: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ لَا تُوصَلَ صَلَاةٌ بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ)، صحيح مسلم (٨٨٣).

(٤) يعني بذلك قوله ﷺ: (مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ، لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ)، انظر: سنن الترمذي (٧٢٣) وهو ضعيف ضعفه الألباني وغيره من المتقدمين، ورواه البخاري ممرضا له غير محتجٍّ به.

ورسوله فكثير جدًا وأكثره معروف

وكل ذلك من عناية الشريعة المطهرة بهذا الشهر وهذا الركن الجليل وتمييزه وتنبيه نفس المسلم إلى عظيم قدره.

وقال رسول الله ﷺ: (**قال الله: كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخُلُوف فمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه**) متفق عليه وهذا أحد ألفاظ البخاري[1].

وفي معنى قوله (**إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**) للعلماء أقوال: أظهرها أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تعبيرًا عن جزيل ثوابه وعظيم جزائه عنده، قال بعض العلماء: إن الله عيّن للملائكة أجزية الأعمال وما يُضاعَفُ إلا الصوم، فإذا كان الصومُ فإن الملائكة لا تعرف أجره وثوابه، فترفع أمره إلى الله تعالى فيقول الله: اتركوه لي، قاله الدهلوي ﵀ في «الحجة البالغة»: «وهذه منقبة عظيمة للصيام»[2]، وذكر العلماء من أسباب ذلك أن الصوم لا يدخله الرياء، بمعنى أن المرائي والمنافق لا يستطيع أن يرائي بفعل الصوم لأنه لا يظهر -مع أنه قد يرائي بادّعاء الصوم-، وأن الصائم لا يمكن أحدًا الاطلاعُ على صدقه إلا الله تعالى، وأنه تركٌ محض، وأنه ترك لشهوات النفس وحظوظها من أجل الله تعالى وحده، وأنه عبادة جمعت الشكر والصبر وهما كل الدين، وذكر بعض العلماء أنه لم يعبد به غير الله قط، فإن الأصنام والأوثان وسائر الآلهة الباطلة عبدت بالصلاة والدعاء والصدقة والنسك وغير ذلك إلا الصوم فما يُعرَف عبِدَ به غير الله تعالى.. وغير ذلك مما جاءت الإشارة إليه في الأحاديث ومما استظهره العلماء ﵏.

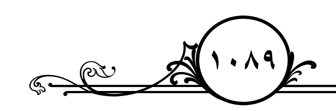
ومعنى (**الصيام جنة**) أي وقاية، وأطلق للتعميم والتفخيم، فهو وقاية من النار وسخط الجبار، وفي طريق ذلك هو وقاية للنفس من آفاتها ومن كثير من الأمراض والمعايب.

ومعنى (**خُلُوف فم الصائم**) تغيرُ رائحة فم الصائم بسبب الصيام.

---

(١) صحيح البخاري (١٩٠٤)، صحيح مسلم (١١٥١).

(٢) حجة الله البالغة (١/ ١٤١، ٢/ ٧٨) قال: «وَالصَّوْم حَسَنَة عَظِيمَة يقوى الملكية، ويضعف البهيمية».



وكونه (**أطيب عند الله من ريح المسك**) هل المقصود الآن في الدنيا أو يوم القيامة، الاثنان محتملان، ووقع في هذه المسألة سجال بين بعض العلماء.

وقال: (**إذا جاء رمضانُ فتحت أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين**) متفق عليه، وفي لفظٍ: (**سُلسِلت الشياطين**)[١].

ونحن نؤمن بذلك كله حقًا وصدقًا على ما أخبر الصادقُ المصدوق ﷺ ومعناه واضح ولله الحمد، ومعنى (**صفّدت الشياطين**) أي قيّدت ومنعت من كثير من الحرية والحركة مما كانت تستطيعه في غيره، وليس معناه أنها لا توسوس بالكلية، وهذه فضيلة عظيمة لرمضان، ولعل الكثيرين منا يشاهدها في نفسه وفي غيره.

وقال: (**من صام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**) متفق عليه[٢].

وفي آخر: (**من قام رمضان**) متفق عليه أيضًا[٣].

وفي الحديث الذي رواه الترمذي والإمام أحمد في مسنده وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**رغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ، ورغم أنفُ رجل دخل عليه رمضانُ فانسلخ قبل أن يُغفرَ له، ورغم أنفُ رجل أدرك عنده أبواه الكبرَ فلم يُدخلاه الجنة**)، قال ربعي -الراوي-: ولا أعلمه إلا قد قال: (**أو أحدهما**)[٤].

في صحيح ابن حبان عن مالك ابن الحويرث أن رسول الله ﷺ قال: (**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فقَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ**)[٥].

فاللهَ اللهَ في هذه الفرصة إخواني لا نضيعها، والله المستعان وبه الثقة.

---

(١) صحيح البخاري (١٨٩٨، ١٨٩٩)، صحيح مسلم (١٠٧٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٨)، صحيح مسلم (٧٦٠).

(٣) صحيح البخاري (٣٧)، صحيح مسلم (٧٥٩).

(٤) مسند أحمد (٧٤٥١) وصححه الأرنؤوط.

(٥) صحيح ابن حبان (٤٠٩) وصححه الألباني لغيره.

فصلٌ: حقيقةُ الصوم وصفةُ الصائم

حدّ الصوم الظاهر الذي لا يجزئ ما وراءه: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية.

لكن قد بيّن النبي ﷺ أن حقيقة الصوم أعمق من ذلك؛ فجاء في الحديث القدسي وقد سبق ذكره: **(يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)** أحد ألفاظ البخاري ولفظ مسلم قريب منه، وفي نفس الحديث: **(فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفُثْ ولا يَصْخَبْ، فإن سابّهُ أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائم)**[1]، وقال ﷺ: **(من لم يدع قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامَه وشرابه)** البخاري[2]، واللهُ ﷻ لا حاجة له إلينا أصلًا، لكن هذا تعبير عن عدم القبول وأنه لا يبالي به؛ فكأنه يقول بتعبيرنا مثلا: لا داعي تتعب نفسك!!

نسأل الله السلامة، ونعوذ بالله أن نردّ ونطرد عن رحمته وجزيل ثوابه.

وروى هذا الحديث أبو دواد أيضا في سننه ولفظه: **(من لم يدع قول الزور والعملَ به والجهلَ)**[3] وليس المراد الجهل الذي هو ضدُّ العلم، بل الجهل الذي هو ضدّ العقل والحِلْم، وهو استعمال القوة الغضبية في خلاف الحق؛ فتجده يغضب كثيرا لأدنى سبب، ويصخب ويرفع صوته كثيرا، ويسب ويشتم ويخاصم كثيرا ويفجر إذا خاصم ولا ينصف.

وربما زاد على ذلك أن يعزو سوء حاله إلى الصيام، فكأن الصيام هو سبب فحشه وجهله، بدلَ أن يكون الصيام له مهذّبًا ومؤدّبا وسكينة وطمأنينة، عافانا الله وإياكم.

فبيّن لنا رسولنا ﷺ في هذه الأحاديث وما في معناها أن حقيقة الصوم تشمل ترك شهوات النفس تركًا مّا -ولا يمكن تركها بالكلية ولا قصدت الشريعة إلى ذلك-، وترك الرفث والفسوق والمخاصمة والفجور وقول الزور والكذب والغيبة والنميمة وما شابه ذلك، فهذا الصوم هو موسم لهذا الترك، ومن امتنع عن الأكل والشرب والجماع فقط مع استمراره في سائر الفسوق والفجور وانهماكه في

---

(١) صحيح البخاري (١٨٩٤).

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٣).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٥٧)، ولم أقف على لفظ **(الجهل)** في سنن أبي داود، وهذا الحديث عنده برقم (٢٣٦٢).

شهوات نفسه مما سوى ذلك فإنه بمنزلة من لم يصم، وهذا تشنيع على من هذا حاله، وتنفير من هذا الحال، ولكن في الأحكام الشرعية الظاهرة لا يحكم عليه بفساد صومه ووجوب قضائه.

والخلاصة: أنه على المؤمن الصائم أن يجعل نصب عينيه دائما أن هذا الشهر -ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون- هي موسم للصبر والعبادة والإقبال على الله والتزود من التقوى والتدرب على الصبر والشكر واكتساب الفضائل وتهذيب النفس؛ فهو كمدرسةٍ أو دورةٍ تدريبية مكثفة وفي غاية الأهمية.

فإذا جعل ذلك نصب عينيه طَوال هذا الشهر واجتهد وحاول واستعان بالله مولاه فإن الله تعالى لا يخيبه سبحانه.

وأما ما جرت به عادات الناس في هذا الزمن من جعل الصوم موسمًا للأكل والشرب والتخمة، حتى كأنهم يجوّعون أنفسهم في النهار ليستكثروا من الأكل والشرب بالليل؛ فهذا خلاف حقيقة الصوم وحِكمته، ومُذهِبٌ للكثير من بركته ونوره.. وتراهم مع ذلك يسهرون لياليَه في المفاكهة ثم ينامون النهار يقطعون الوقت بالنوم في انتظار لحظة الإفطار والليل.

صحيحٌ أنه للصائم فرحتان: إحداهما حين يفطر، وذلك يصدق بفطره كل يوم وبالفطر من الشهر كله وهو العيد، لكن ليس معنى هذا أن نتجاوز ونسرِف ونزيد على حدّ الشبع كل ليلةٍ ونذهَل بسبب ذلك عن حقيقة هذه العبادة العظيمة ونفرّط في القيام وساعات الذكر وقراءة القرآن، فأقل أحوال من يفعل ذلك أنه مغبون قد فاته خير كثير.

نسأل الله أن يصلح أحوالنا جميعا، وأن يعفو عنا.

وأما الطامات العظام التي يندى لها الجبين ويوشك أن ينزل بسببها علينا العذاب في أي حين، فهو ما عمّ به البلاء في بلاد الإسلام العربية والعجمية من إقامة الحفلات الغنائية والفنية -زعموا- في ليالي رمضان، وإحياؤها بالرقص والاختلاط والعري والفجور، وترعاها حكومات ودول فاجرة اتخذت شريعة الله وراءها ظِهريًّا، وبدّلت نعمة الله كفرًا، بدلَ أن تُحيا بالطاعة والقنوت والقيام والذكر والبكاء من خشية الله.

وهذا والله من عظيم المنكرات التي نبرأ إلى الله منها، ونعلم أنه لا يطهرها في الغالب -في سنة الله- إلا السيف، وإنه لقادم إن شاء الله، أتراءاه وفتيةُ الإسلام يحملونه قادمين من بعيد، يسعَوْن هونًا

ويمشون رويدًا، وعمّا قريب يأذن الله بالفتح والفرج؛ فتزول عن أمتنا الغمّة وتنكشف بإذنه الكربة، ألا إن نصر الله قريب.

فصلٌ: في بركات الصوم وفوائده وحِكمِه الجليلة

الصوم عبادة عظيمة البركات والفوائد على المسلم في نفسه وعلى المجتمع الإسلامي في جملته، وسأذكر جملا من هذه الفوائد والبركات:

فمنها: أن الصوم جنةٌ كما قال المصطفى ﷺ؛ أي وقاية تقي صاحبها من هجمة القوى السَّبُعِيَّة والشهوانية للنفس وتكسر حدّتها وتُليّن طبعها وتكسبها اعتدالا، ولذلك قال ﷺ في الحديث الآخر: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء)** متفق عليه[1].

ومنها: أنه تدريب للنفس على الصبر وتحمل التكاليف وإعدادٌ لها لمقامات الرجولة التي يحبها الله، وتعليمها الشكر أيضا لأنه حين يفقد النعمة فقدًا مؤقتا اختياريًا يوضع في حالةِ تصوّر فقدِها حقا، ويتولّد عنده إحساس بنعمة وجودها، فيتوجه قلبه إلى الله بحمده وشكره على نعمه وآلائه

ومنها: تعليم النفس الإخلاص والمراقبة لله تعالى، وهو أجل الفوائد، وهو المشار إليه في قوله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة] وقد سبق الإشارة إليه.

ومنها: إكساب النفس فضائل كثيرة أخرى تعرف بالتأمل والتجربة، من معرفة الإنسان بنفسه وخباياها والوقوف على نقاط ضعفها وغير ذلك.

ومنها: ترقيق المشاعر وتنمية العواطف النبيلة من خلال تذكر الفقراء والمحتاجين والجياع والإحساس بشيء من حالهم.

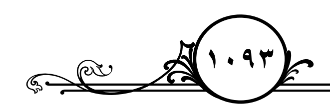
ومنها: تنمية التوادد والتحابب التعاطف والتكافل بين المسلمين من خلال **(من فطّر صائما)**[2]، وزكاة الفطر: **(أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم)**[3] وغيرها.

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٦٥)، صحيح مسلم (١٤٠٠).

(٢) سنن الترمذي (٨٠٧) وصححه الألباني، وتمامه: (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا).

(٣) سنن الدارقطني (٢١٣٣) بلفظ: (**أغنوهم عن الطواف**..) وضعفه الألباني في: إرواء الغليل (٨٤٥).



ومنها: أنه أي صيام رمضان صورة بديعة لوحدة المسلمين بحيث يصومون ويفطرون كلهم في شهر واحد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كل يوم من هذا الشهر، وفي ذلك من المعاني الإيحائية والظلال الجميلة الباهرة ما فيه، وهو من حكم الشريعة الغرّاء، ففيه ترسيخ للوحدة بين المسلمين وتثبيت لمبدأ الجسد الواحد.

وفي الصيام فوائد صحية للبدن عرفها الناس بالتجارب وتكلم فيها الأطباء، من إراحة المعدة والمساعدة على تنظيم عملها، على ألا يفسد ذلك بكثرة الأكل والزيادة على الشبع أو حتى الشبع كل ليلةٍ، مع التنبيه هنا إلى أن الحديث الذي يُروى: (**صوموا تصحّوا**)(١) هو حديث ضعيف لم يثبت إسناده.

وفيه: تربية للنشء؛ يتدرّبون فيه على العبادة والمراقبة من الصِّغَر ويبدأون يفهمون ويتذوّقون معناها، ويتلقون دروسهم الأولى في الصبر والتحمّل.

وفي صوم رمضان أيضًا: إشعار بالارتباط بموكبِ الصالحين السابقين على امتداد هذه الأمة، والأمم التي قبلها أيضًا، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣] والله أعلم؛ فالمؤمن الصائم يستشعر أنه يصوم هذا الشهر الكريم كما صامه النبي ﷺ وأصحابه والسابقون من المسلمين، وكذلك هو يصوم كما صام المسلمون من قبله لله تعالى من الأمم السابقة وإن لم يكونوا يصومون شهر رمضان على الخصوص.

هذا والله أعلم وأحكم، وهو الموفق لكل خير.

فصلٌ: في معنى الصبر الذي هو لبُّ الصوم، وبيان شيء من فضله

الصبر هو: حبس النفس والأعضاء واللسان عن كل ما يكرهه الله، كالجزع والتسخّط والشكوى لغير الله، وقد قدّمتُ أن مبنى الصوم على الصبر فهو لبّه، وإن كان الصوم فيه أيضا معنى الشكر كما أشرنا إليه من قبل.

والصبر والشكر هما جماع الدين؛ فإن الإنسان لا يخلو من إحدى هاتين الحالين: إما في حال مشقة وضراء تستدعي الصبر، أو حال يُسرٍ ومسرّة تستدعي الشكر.

---

(١) الطب النبوي لأبي نعيم (١١٣)، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع الصغير (٣٥٠٤).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر] فسّرها بعض المفسرين من السلف بالصائمين، فهذا يلتقي مع قوله في الحديث القدسي كما سبق: (**إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**).

وذكر الله تعالى الصبر في القرآن في قريبٍ من تسعين موضعًا، أمرًا به وحثًّا عليه ومدحًا لأهله وإعلاء لشأنه، ومن ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣، الأنفال: ٤٦]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾ [آل عمران]، ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة]، ولمّا نعتَ عباد الرحمن وأثنى عليهم بجميل الأوصاف قال﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ [الفرقان]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

قال العلماء: والصبر ثلاثة أقسام:

صبرٌ على قضاء الله تعالى وأقداره من البلاء وحال الشدة والضراء.

وصبرٌ على طاعة الله وملازمتها والاستقامة عليها.

وصبرٌ عن معصية الله ومحارمه؛ يصبر عنها فلا يقربها ولا يأتيها.

قال الإمام البخاري في «صحيحه» في «كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، وقولِ الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر] وقال عمرُ: وجدنا خير عيشنا بالصبرِ»[(١)].

قال الإمام ابن حجر في شرحه: «قوله «باب الصبر عن محارم الله» يدخل في هذا المواظبةُ على فعل الواجبات والكفُّ عن المحرمات، وذلك ينشأ عن علم العبد بقبحها وأن الله حرّمها صيانةً لعبده عن الرذائل؛ فيحمل ذلك العاقلَ على تركها ولو لم يَردْ على فعلها وعيدٌ، ومنها الحياءُ منه والخوف منه أن يوقع وعيدَهُ فيتركها لسوء عاقبتها، وأن العبد منه بمرأى ومسمع فيبعثه ذلك على الكفّ عما نهى عنه،

---

(١) صحيح البخاري: (قبل ح ٦٤٧٠).

ومنها مراعاة النعم فإن المعصية غالبا تكون سببًا لزوال النعمة، ومنها محبةُ الله فإن المحب يصبِّر نفسه على مراد مَنْ يحب. وأحسن ما وصف به الصبر أنه: حبسُ النفس عن المكروه وعقد اللسان عن الشكوى والمكابدة في تحمله وانتظار الفرج... إلى أن قال: قال الراغب: الصبر الإمساكُ في ضيقٍ، صبرتُ الشيءَ: حبسته. فالصبرُ حبسُ النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع، وتختلف معانيه بتعلقاته فإن كان عن مصيبة سمي صبرا فقط، وإن كان في لقاء عدو سمي شجاعة، وإن كان عن كلامٍ سمي كتمانًا، وإن كان عن تعاطي ما نهي عنه سمي عِفّة»[1] اهـ.

وقال رسول الله ﷺ: (**ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغنِ يغنه الله، ومن يتصبّر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاء خيرا وأوسعَ من الصبر**) متفق عليه[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**الطُّهورُ شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصلاة نورٌ، والصدقة برهان، والصبرُ ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كلُّ الناسِ يغدو فبايع نفسَهُ فمُعتقها أو مُوبقها**)[3].

فصلٌ: في سرد جملة مفيدة من أحكام الصوم وآدابه

قدمنا أن الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنيةٍ من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وسنذكر هنا جملة من أحكامه وآدابه

❖ يجب الصوم على المسلم البالغ العاقل المقيم المُطيق، مع الخلوّ من حيض ونفاس؛ فلا يجب على صبيّ، ولكن يستحب إن أطاق أن يُرغَّب فيه ويدرَّب عليه.

❖ وغير المطيق كالشيخ الكبير أو المريض مرضًا مزمنًا يطعم عن كل يومٍ مسكينًا مُدًّا من طعام، أو وجبةَ غَداء أو عشاء كاملة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾[البقرة: ١٨٤].

❖ ومن خاف بصومه الضررَ على نفسه، أو الحامل على جنينها أو المرضع على رضيعها؛ فله الفطر

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٠٣).

(٢) صحيح البخاري (١٤٦٩)، صحيح مسلم (١٠٥٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣).

على أن يقضي متى قدر، فإن لم ترجُ إمكان القضاء فدتْ كالمزمن.

❖ والمسافر رخّص الله له أن يفطر على أن يقضي عدد ما أفطر من الأيام، ومثله المريض مرضا غير مزمن، فالصوم واجب في ذمتهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

❖ ولا يجب الصوم على حائض ولا نفساء ولا يصح منهما ولا يجوز، يعني أنها حتى لو صامت فإن صومها باطل بل هي ترتكب حرامًا بذلك وتتعرّض للإثم. ولكنه وجب في ذمتهما فيقضيان الأيام التي أفطرتها بسبب الحيض أو النفاس، وهذا بخلاف الصلاة فإن الحائض والنفساء لا تقضي الصلاة، ولله الحجة البالغة.

وهذه مسألة مهمة فليتنبه لها، ولينشر العلم بها في النساء، فإن من النساء مَنْ ترفض الفطر في رمضان إذا حاضت وتصرّ على الصوم جهلًا.

وأما الفتيات العواتق يستحيين أن يُطّلع على أنهم حُيّض فيكتمن ذلك ويفطرن سرًا ويظهرن الصوم، فهذا غير الأول وهو واسع إن شاء الله بحسب الحال، لكن المهم أن تعلَم أنه يجب عليها الفطر، وتفطر.

مفسدات الصوم:

❖ الأكل والشرب والجماع وما في حكمها.

قال العلماء: في حكم الأكل والشرب وصولُ طعام أو شراب إلى الحلق، وتناول دواء مغذٍّ كإبرة السيروم التي للتغدية والتقوية.

وأما إبرة الدواء غير المغذية فلا تفسد الصوم.

والدخان -وهو السيجارة- قد صرّح العلماء المعاصرون أنها تفطر، وبكل حال هي خبيثة، والأصح في حكمها أنها محرّمة، عافانا الله وإياكم وكل أحبابنا منها.

وأما مضغ العلك -اللوبان أو المصطكى- فلا يجوز، وربما يفسد الصوم إن كان له طعم ونوع تغذية.

وإخراج المنيّ تعمّدًا على الأصح يفسد الصوم، فإن خرج بغلبةٍ وبدون تعمّد كاحتلامٍ أو بسبب

نظر أو تفكّر فلا يضر، لكن يكره ملابسة أسبابه أو يحرم بحسبه؛ كالتقبيل للزوجةِ فإنه يجوز في الأصل لمن ملك نفسه، وقد كان النبي ﷺ يقبل وهو صائم، لكن يكره -وربما أفتى العلماء بتحريمه- إن خشيَ أو علم أنه لا يملك نفسه، كالشابّ الشديد الشَّبَق، أو القادم على أهله بعد غيابٍ، ولا سيما إذا كانت المرأة حسناء.

❖ والقيء فيه تفصيل كما جاء في الحديث: (**من ذرعه** -أي غلبه- **القيء فلا شيء عليه، ومن استقاء** -أي تسبب في القيء بنفسه متعمّدًا بإدخال أصبعه في جوف فمه مثلا- **فليقضِ**) رواه أبو داود والترمذي[1].

❖ والحجامة على كل حال مكروهة للصائم لأنها تضعفه، وللاحتياط والخروج من الخلاف، فإن احتاج إليها فليحاول أن يؤخرها إلى الليل

لكن إن احتاج إليها في النهار أو اضطر فاحتجم هل تفسد الصوم أو لا؟ فيها خلاف بين أهل العلم، والأصح إن شاء الله أنها لا تفسد الصوم وهو قول أكثر أهل العلم، وحديث (**أفطر الحاجم والمحجوم**)[2] منسوخ على أصح الأقوال بأحاديث أخرى صحت من فعله وقوله ﷺ.

ومن باب أولى ما يؤخذ من الدم من المريض لأجل التحليل؛ فإنه لا يضر، وهو في الغالب شيء يسير، لكنْ علماؤنا يقولون: إن الأولى دائما في مثل هذا أن يؤخره إلى الليل حيث أمكن.

❖ وههنا مسائل يُظَنُّ أنها تفسد الصومَ وليست كذلك:

فمنها: السواك، ولو كان رطبًا، ولو وجد طعم العود -أراك أو غيره- في فمه فلا يضره. هذا هو الصحيح خلافا لمن كرهه

ومنها: شم الطيب والعطور والأزهار، كل ذلك جائز لا شيء فيه.

ومنها: الغبار يدخل فمَ الصائم والخيشوم ويتنفّسه الإنسان في طريق أو مصنعٍ مثلا أو طاحونةٍ، كل ذلك لا يضر على الصحيح في مذهب المالكية وغيره، لكن إن تجمّع في فمه وكثر فليبزقه.

وبعض الناس يتحاشى بلع ريقه وهو صائم يظن أنه يضر الصوم، وربما تكلفوا وأصابتهم وسوسة

---

(١) سنن أبي داود (٢٣٨٠)، سنن الترمذي (٧٢٠)، سنن ابن ماجه (١٦٧٦) وصححه الألباني.

(٢) سنن أبي داود (٢٣٦٩)، سنن الترمذي (٧٧٤)، مسند أحمد (٢٢٤٣٢)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

وعَنَتٌ، وكل ذلك تكلّفٌ وخروج عن هدي الشرع.

والتبرّد بمضمضة الفم بالماء في الوضوء وبغير وضوء لا يضرّ ولا يكره، ولا يلزم المبالغة في التفل والبزاق بعد أن يَمُجَّ الماءَ.

ومنها: تذوق الطعام لحاجةٍ، لا يضر، ويكره لغير حاجةٍ.

ومنها: الكحل -للعين- لا يضرّ إن شاء الله

وكذلك قطرة الدواء في العين والأذن وإن وجد طعمها في حلقه، لا تضر الصوم إن شاء الله، وبه أفتى كثير من العلماء المعاصرين، لأنها ليست من جنس الطعام.

ومنها: الاغتسال في نهار رمضان؛ يتحاشاه الكثيرون حتى يترك بعضهم الغسل للجمعة مثلا، ولا كراهة فيه، وليحترس أن يدخل الماء إلى حلقة، وما عليه بعد أن يحترس.

ومنها: الاستنشاق في الوضوء يتركه بعض الناس في نهار رمضان حذرًا من دخول الماء إلى حلقه، وهو جهلٌ ووسوسة، والاستنشاق هو إدخال الماء إلى الأنف، وقد علّم النبيّ ﷺ رجلًا اسمه لقيط بن صَبِرَة الوضوءَ فقال: (**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**)(١) رواه أبو داود والترمذي.

ومعناه أنه يستحب المبالغة إلى حدٍّ ما في إدخال الماء إلى الأنف في الوضوء إلا إذا كان الإنسان صائما فلا يبالغ بل يستنشق بلطفٍ لئلا يصل الماء إلى حلقه، لكن إن وصل الماء مع الاحتراس فالعلماء مختلفون -وهي مسألة الخطأ- منهم من يوجب القضاء فيه ومنهم من لا يوجبه وهو الأرجح.

❖ **من أكل أو شرب ناسيًا**: من أكل أو شرب ناسيا فلا شيء عليه؛ لأن النبي ﷺ قال: (**من نسِيَ وهو صائمٌ فأكل أو شرب، فليتمَّ صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**)(٢) متفق عليه.

وبعض العلماء يوجبون على الناسي القضاء، ولكن الصحيح أنه لا قضاء عليه لهذا النص، وهذا من رحمة الله تعالى وفضله.

❖ **من جامع في نهار رمضان**: ومن جامع في نهار رمضان وجب عليه الكفارة مع قضاء اليوم، والكفارة هي: عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينًا على هذا الترتيب كما جاء

(١) صحيح البخاري (١٩٢٣)، صحيح مسلم (١٠٩٥).

(٢) صحيح البخاري (١٩٣٣)، صحيح مسلم (١١٣٥).

مبيّنًا في الحديث الصحيح. وعليه مع ذلك أن يتوب ويستغفر.

❖ **السحور**: قال رسول الله ﷺ: (**تسحروا فإن في السُّحور بركة**) متفق عليه[١].

ويستحب تأخير السحور، قال النبي ﷺ: (**لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطرَ**) متفق عليه[٢].

ويجوز له الأكل إلى طلوع الفجر الصادق، ومعظم الناس اليوم في المدن والقرى في أنحاء بلاد المسلمين يسمعون أذان مساجدهم، فإذا سمع النداء للفجر فليمسك لأن الأذان هو إعلام بدخول الوقت، أما ما وضعته بعض الجهات الرسمية مما سمّوه «وقت الإمساك» وجعلوه حوالي عشرين دقيقة قبل الفجر الصادق وزعموا أنه للاحتياط فهذا لا يلزم بل هو خلاف السنة.

❖ **الإفطار**: ويستحب تعجيل الفطر؛ فيفطر إذا غاب قرص الشمس، أو أقبل الليل واضحًا من جهة الشرق وأدبر النهار من جهة الغرب.

وكما قلنا في الإمساك كذلك في الإفطار عامة المسلمين يسمعون النداء بالمغرب فيفطرون، لأن النداء إعلام بدخول الوقت والأصل في المؤذنين التحري ويؤذنون إذا تحققوا دخول الوقت، بأن يعرفوا بأنفسهم إن كانوا عارفين بأحكام المواقيت، أو باتباع تقويمات صحيحة، فإن كان غير ذلك فليفطر إذا تحقق دخولَ الوقت.

❖ **ومن مستحبات الإفطار**:

أن يفطر على ثلاث تمرات، فإن لم يجد فعلى شربة ماء كما كان النبي يفعل ﷺ

ومن أذكاره: (**اللّهم لك صمتُ وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وابتلتِ العروق وثبت الأجر إن شاء الله**) رواه أبو داود[٣].

ويستحب الدعاء عند الإفطار لأنه جاء في الحديث أنه من مواطن الإجابة، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري (١٩٢٣)، صحيح مسلم (١٠٩٥).

(٢) صحيح البخاري (١٩٥٧)، صحيح مسلم (١٠٩٨)، وظاهرٌ أن استشهاد الشيخ هنا ليس في محله؛ فلعله وهم ﵀، وقد دلَّ على استحباب تأخير السحور حديث سهل بن سعد قال: «كُنْتُ أَتَسَحَّرُ فِي أَهْلِي، ثُمَّ تَكُونُ سُرْعَتِي أَنْ أُدْرِكَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وحديث زيد بن ثابت لما سُئل: كم بين الأذان والسحور؟ فقال: «قدر خمسين آية». انظر: صحيح البخاري (١٩٢٠، ١٩٢١).

(٣) أما (اللّهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت) فهو في: سنن أبي داود (٢٣٥٨) وضعفه الألباني، والشق الثاني فيه (٢٣٥٧) وحسنه.

(**للصائم عند فطره دعوة لا تُردّ**) رواه ابن ماجه[١]، وفي حديث آخر: (**ثلاثة لا ترد دعوتهم** -وذكر منهم- **الصائم حين يفطر**) رواه الإمام أحمد وغيره[٢].

❖ **فضلُ تفطير الصائم**: قال ﷺ: (**من فطر صائمًا كان له مثلُ أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**) رواه الترمذي[٣]، وهو يشمل الفرض والنفل، وحيث يكون الصائم فقيرًا محتاجًا فهو أكمل وهذا هو أصل مورده، فهو صدقة وتفطير وتعظيم لشعائر الله ومحبّة للخير وأهله وخيرٌ كثير.

فصلٌ في وظائف رمضان من الأعمال الصالحة:

شهر رمضان موسم عبادة وتزوّد من الصالحات، فينبغي للعبد أن يملأه بالأعمال الصالحة ويجتهد فيها، وقد كان العلماء من السلف ﷺ كالإمام مالك وغيره يتوقفون فيه عن دروس العلم وحلق التحديث ويتفرّغون فيه للعبادة، مع أن الاشتغال بالعلم أفضل من نوافل العبادة في الجملة، لكن لأنهم استشعروا خصوصية هذا الموسم، وأنه فرصة لا تفوّت، والشيء في محلّه لا يعدله غيره.

فلنذكر جملةً من أهم العبادات والأعمال الصالحات في شهر رمضان:

❖ **قيام الليل**: قال رسول الله ﷺ: (**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**) متفق عليه[٤]، وكان النبي ﷺ يجتهد فيه أكثر مما يجتهد في غيره، ولا سيما في العشر الأواخر منه.

وقالت عائشة أم المؤمنين ﷺ: (**ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعةً**) متفق عليه[٥]، لكن مع ملاحظة صفة صلاته ﷺ؛ فقد قالت عائشة ﷺ أيضًا في تتمة هذا الحديث: (**كان يصلى أربعا لا تسأل عن حسنهنّ وطولهن، ثم يصلى أربعا لا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنّ**) الحديث، وهذا هو الأكمل لمن قدر عليه، لكن لا يدلّ على المنع من الزيادة على إحدى عشرة ركعةً، وهو قول أكثر العلماء.

---

(١) سنن ابن ماجه (١٧٥٣) المستدرك (١٥٣٥)، شعب الإيمان (٣٦١٢)، وضعفه الألباني في: إرواء الغليل (٩٢١)، وقال علوي السقاف في: تخريج الظلال (٥٨): «ضعيف يحتمل التحسين»، وقال محمد فؤاد عبد الباقي تعليقا على السُّنن: في الزوائد إسناده صحيح.

(٢) سنن ابن ماجه (١٧٥٢) وضعف الألباني مقصودنا من الحديث، مسند أحمد (٨٠٤٣) وقال الأرنؤوط: صحيح بشواهده وطرقه.

(٣) سنن الترمذي (٨٠٧) وصححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري (٣٧)، صحيح مسلم (٧٥٩).

(٥) صحيح البخاري (٢٠١٣)، صحيح مسلم (٧٣٨).

وصلاة التراويح وهي قيام الليل جماعة في المسجد قد شرعها النبي ﷺ وفعلها في حياته، وصلى الناس معه ليلتين أو ثلاثًا، ثم تركها خشية أن تُفرض على المسلمين، رحمةً ورأفةً بهم واختيارًا للتيسير، وبوفاته ﷺ زال هذا المَخُوف، ففعلها الصحابة رضي ﷺ، وجمع سيدنا عمر ﷺ الناس عليها في المسجد عندما رآهم حريصين عليها ويصلّونها متفرقين جماعات جماعات صغيرة، فجمعهم على إمام واحدٍ في مسجد النبي ﷺ.. وصار سنة في المسلمين، فالحمد لله رب العالمين.

وقال النبي ﷺ فيها: **(من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)** رواه ابن حبان في صحيحه[(١)].

فليحرص المسلم في رمضان على صلاة التراويح، وليحرص على أن يكملها مع الإمام؛ فإن بدا له أن يصلّي من آخر الليل مثلا فليصلّ شفعًا ولا يعدِ الوتر.

ومن آدابها: تطويل القيام -القراءة- وتطويل الركوع والسجود، والاجتهاد في الدعاء، وختم القرآن فيها ليسمعه الناس كاملا مرتلًا وتلين به القلوب، والفصل بين كل ركعتين والتين تليهما بجلسة خفيفة ليست طويلة.

القنوت فيها في الركعة الأخيرة -وهي الوتر- مستحبٌ، ولو تركه الإمامُ أحيانًا فهذا من الفقه، لكي يشعر النفس بعدم لزومه، ولا يظن العامة وجوبه.

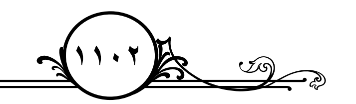
❖ **الإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن**: ارتباط شهر رمضان بالقرآن واضح كما سبق، وقد **(كان النبي ﷺ يأتيه جبريل ﷺ فيعارضه القرآن كل رمضان مرة، وإنه عارضه القرآن في العام الذي توفي فيه مرتين)**[(٢)]، والقرآن هو أفضل الذكر؛ فيستحب عند جميع العلماء الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان في الصلاة وفي غير الصلاة، ويستحب أن يختم القرآن، ويكرر ختمه

وفي ذلك من المعاني: أن العبادة لا بدّ أن تكون مرتبطة بالقرآن وعلى نور القرآن، فرمضان يجمعهما أحسنَ جمع؛ العبادة وهداية القرآن.

---

(١) سنن النسائي (١٦٠٥)، سنن الترمذي (٨٠٦)، صحيح ابن حبان (٢٥٤٧)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) انظر: مسند أحمد (٢٤٩٤) وصححه الأرنؤوط، من حديث عبد الله بن عباس ﷺ: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرَيلَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ).



الذكر يشمل القرآن وغيره، فليكثر منه ما استطاع، ولا شيء من الأعمال بعد الفرائض يعدل ذكر الله، بل كل العبادة هي ذكر الله من قول أو عمل، لكن المراد هنا الذكر اللساني، المصحوب بيقظة القلب وحضوره، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾ [الأحزاب].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا إلا الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبا على تركه، فقال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال» اهـ(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ [الأحزاب].

وفي الحديث: (**وآمُرُكم بذكر الله كثيرًا فإن مثلَ ذلك كمثلِ رجُلٍ طلبَهُ العدوُّ سِراعًا في أثَرِه حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرزَ نفسه منهم، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطانِ إلا بذكر الله**) رواه الترمذي وغيره(٢).

وقال النبي ﷺ: (**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقَهم ويضربوا أعناقكم، قالوا بلى يا رسول الله. قال: ذكرُ الله** ﷻ) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه(٣).

وتكلم العلماء في الإشكال الوارد في هذا الحديث، وهو أن فيه تفضيل الذكر على الجهاد، وأجابوا على ذلك بأجوبة من أظهرها الحملُ على اختلاف الاعتبارات؛ فالنبي ﷺ مرةً قال إن أفضل الأعمال كذا ومرةً قال كذا بحسب الاعتبار وبحسب حال المخاطبين وما هو الأفضل في حقّ كلٍّ، والله أعلم.

المقصود أن ذكر الله تعالى فضله عظيم جدًا، فما أشدّ غبن الغافلين!

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤٤٦، ١٩/ ١٢٤).

(٢) سنن الترمذي (٢٨٦٣)، مسند أحمد (١٧٨٠٠)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) سنن الترمذي (٣٣٧٠)، سنن ابن ماجه (٣٧٩٠)، مسند أحمد (٢٢٠٧٩)، وصححه الألباني.

ومن رحمة الله تعالى ولطفه بنا أن علمنا كيف نذكره، وعدّد لنا الأذكار ونوّعها ووزّعها على الأسباب والمناسبات والمواسم، لتخف على النفس ويتجدد نشاطها وتتفكر فيها وتتدبّر ويحصل لها في كل ذلك من أنواع المشاعر والتوجه إلى الله ما يكمّل الآخر، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [الفرقان].

فليحافظ المسلم الصائم على أذكار الصباح والمساء والنوم والاستيقاظ والأكل والشرب والدخول والخروج وسائر أذكار اليوم والليلة، وليستكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والتسليم على النبي ﷺ وكل أنواع الذكر المشروع وهو كثير ولله الحمد.

وليتدبّرها ويتفكّر في معانيها، وليحضر قلبه ما استطاع عنده؛ فإذا فعل ذلك رَجا إن شاء الله أن يكتبه الله من السابقين المفرِّدين الداخلين في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾، وكان ذلك له حرزًا وحصنًا حصينا من الشيطان الرجيم.

❖ **الدعاء**: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة].

رمضان ليله ونهاره فرصة للدعاء؛ فلنتضرّع إلى الله فيه أن يصلح أحوالنا ويغفر لنا ويعفو عنا، وأن ينصرَ أمتنا ويكشف كربتنا، ولنلِحّ على الله تعالى فإن الله يحب الملحّين في الدعاء، ولنسأله من خيري الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)** رواه الترمذي[١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِى سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر].

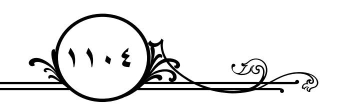
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر ما أدعو؟ قال **(تقولين: اللّهم إنك عفوّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني)** رواه الترمذي وابن ماجه[٢].

ومن مواطن الدعاء المهمة خلال هذا الشهر الكريم: عند الإفطار، وفي جوف الليل وخاصة في الثلث الأخير وعند السَّحَر أي قرب الفجر، وبين الأذان والإقامة، وفي كل سجوده في صلاته، وبعد

---

(١) سنن أبي داود (١٤٧٩)، سنن الترمذي (٢٩٦٩)، سنن ابن ماجه (٣٨٢٨)، وصححه الألباني.

(٢) سنن الترمذي (٣٥١٣)، سنن ابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني.



التشهد وقبل التسليم من صلوات الفريضة، وإذا نزل المطر، وفي لحظات صفاء النفس وخشوعها ودمعِ العين، وحين التقاء الصفين واحتدام القتال بالنسبة للمجاهد في سبيل الله، وحيثما اجتمع أكثر من سبب للاستجابة -حسب الأسباب والمواطن التي بينتها الشريعة-؛ فليبادر المؤمن بالدعاء وليحرص عليه أشد الحرص.

❖ **الصدقة**: الصدقة برهانٌ كما في الحديث الذي سبق ذكره، وفي القرآن والسنة من الترغيب في الصدقة والإنفاق الشيء الكثير جدًا؛ لأن الصدقة تطهر النفس من الشحّ والبخل والهلع وكثير من الأمراض والآفات، وتعلّمها السخاء والبذل والعطاء وتكسبها رِفعةً وتحررًا من التعلّق المفرط بالمادة والدنيا الفانية، فهذه العبادة إذا اجتمعت مع صوم رمضان كانت أتمَّ ما يكون.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (**كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلُ، وكان جبريلُ يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخير من الريح المرسلة**) متفق عليه[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

❖ **رمضان شهر الجهاد والرباط**: شهر رمضان ارتبط منذ مشروعيته بالجهاد؛ ففي أول رمضان صامه المسلمون مع رسول الله ﷺ كانت غزوة بدرٍ الكبرى التي هي يوم الفرقان التي فرق الله بها بين الحق والباطل وأذل الشرك وأهله.

وفي رمضان أيضًا كان فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة النبوية.

فكان لهذا الارتباط والاتفاق انعكاس في تاريخ المسلمين وأجيالهم لا ينكر.

ولا زال المجاهدون الأبرار عبر عصور هذه الأمة يعتبرون شهر رمضان شهر المزيد من الجهاد والرباط والتضحية والفداء والاستشهاد، أسوة بصالح الأعمال في هذا الشهر الكريم.

وقال رسول الله ﷺ: (**من صام يومًا في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**) رواه

---

(١) صحيح البخاري (٦)، صحيح مسلم (٢٣٠٨).

البخاري، وفي لفظ آخر عند غير البخاري: (**ما من مرابط يرابط في سبيل الله فيصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**)[١]، قال العلماء: هذا محمول على من لم يخش ضعفًا ولا سيما من اعتاد به، فصار ذلك من الأمور النسبية فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصومُ في حقّه أفضلُ ليجمع بين الفضيلتين، ويجوز للمجاهد إذا علم أن الصوم في رمضان يضعفه عن قتال العدو أن يفطر ثم يقضي كالمسافر والمريض، ولله الحمد والمنة والفضل.

نسأل الله أن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان نصرًا عزيزًا، وأن يفتح لهم فتحًا بينًا.

❖ العشر الأواخر والاعتكاف:

عن عائشة ﵂ قالت: (**كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليلَ، وأيقظَ أهلَه، وجَدَّ وشدّ المِئزرَ**)[٢]، متفق عليه، وعنها قالت: (**كان رسول الله ﷺ يعتكف العشرَ الأواخرَ من رمضان حتى توفّاه الله تعالى**) متفق عليه[٣].

والاعتكاف عبادة عظيمة تعلّم المسلم الصبر وحبس النفس على الطاعة وتفريغ قلبه من شواغل الدنيا، وفيها تعرّضٌ لليلة القدر، وفيها حِكَم طيبة من خاض تجربتها عرفها وأحبها إن شاء الله.

ومن أحكام الاعتكاف: أنه يشترط له أن يكون في مسجد جامع لكي لا يحتاج إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجماعة.

وألا يخرج إلا لحاجةٍ كقضاء حاجته، أو للغسل من جنابةٍ، وإحضار طعامٍ لا بد منه مثلًا ونحو ذلك؛ فإذا خرج لغير حاجة بل ليجمّ نفسه أو يتحدث مع الناس لغير ضرورةٍ ونحو ذلك فسد اعتكافه وانقطع.

ولا يشترط أن يعتكف جميع العشر الأواخر، بل يصح اعتكافُ يوم فأكثر.

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٤٠)، وقلما لفظٌ إلا كان شبيها بلفظ البخاري، وأما التنصيص على الرباط، فقد قال ابن حجر: «قَالَ ابن الْجَوْزِيِّ: إِذَا أُطْلِقَ ذِكْرُ سَبِيلِ اللَّهِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْجِهَادُ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: سَبِيلُ اللَّهِ طَاعَةُ اللَّهِ؛ فَالْمُرَادُ مَنْ صَامَ قَاصِدًا وَجْهَ اللَّهِ، قُلْتُ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ وَجَدْتُهُ فِي فَوَائِدِ أَبِي الطَّاهِرِ الذُّهْلِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّيْثِيِّ عَنِ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ: (مَا مِنْ مُرَابِطٍ يُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ..) الْحَدِيث» فتح الباري (٦/ ٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٢٤)، صحيح مسلم (١١٧٤).

(٣) صحيح البخاري (٢٠٢٦)، صحيح مسلم (١١٧٢).

ويستحبُ للمعتكف: أن يتخذ له في المسجد حجرةً أو عريشًا في المسجد يجلس وينام فيه، إذا أمكن بحسب المقام، وأن يتقلل من النوم، ويكثر من الذكر وقراءة القرآن، والصلاة، ويجدّ ويجتهد فإنها فرصة عظيمة.

❖ **ليلة القدر**:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان]، وقال النبي ﷺ: **(من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)** متفق عليه[1]، وهي في العشر الأواخر من هذا الشهر العظيم، والأرجح أنها في وترٍ منها.

وقال كثير من العلماء: إنها تنتقل في وتر العشر الأواخر من سَنةٍ إلى سنةٍ؛ فمرةً تكون ليلة إحدى وعشرين، ومرةً تكون ليلةَ ثلاث وعشرين، ومرةً ليلةَ خمس وعشرين، ومرةً ليلةَ سبع وعشرين، ومرةً ليلة تسعٍ وعشرين، والله أعلم، واقتضت حكمة الله تعالى أنه عمّى أمرها عنّا لنجتهد في طلبها والتعرّض لها، ولله الحكمة البالغة.

وأرشد النبي ﷺ عائشة أن تقول إذا وافقتها: **(اللّهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنّي)**[2].

ففيه دلالة على أن من أفضل ما يغتنم في ليلة القدر الدعاء ومن أفضله سؤال الله العفو.

❖ **زكاة الفطر**: وهي واجبة على كل مسلم حرّ عنده قوت يومه معها.

ويخرجها عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقته كأولاده وزوجته عن كل رأس صاعًا من طعام، كالقمح أو الشعير أو الأرز أو التمر؛ فهذا هو الأفضل، ويختار أن يخرجها من غالب طعام أهل البلد، وقد قدرها بعض العلماء المعاصرين -مع شيء من الاحتياط- باثنين ونصف من الكيلوجرامات وزنًا.

وأجاز جماعة من العلماء إخراج قيمتها نقدًا، منهم الإمام أبو حنيفة وأشهب من المالكية ﵏، وفي هذا سعةٌ وتيسيرٌ إن شاء الله، إذ في بعض الأحوال تكون القيمة أفيد بها لا يقاس، والله أعلم.

وتدفع للحرّ الفقير المسلم.

---

(١) صحيح البخاري (١٩٠١)، صحيح مسلم (٧٦٠).

(٢) سنن الترمذي (٣٥١٣)، سنن ابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني.

وجاء في الحديث: (**أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم**) أي الطواف على الناس وسؤالهم، وإن كان الحديث إسناده ضعيف[(١)].

ووقت إخراجها ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد، وأجاز العلماء تعجيلها يوما أويومين قبل العيد، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى] قال بعض السلف: هو إخراج زكاة الفطر وصلاة العيد[(٢)].

❖ **عيد الفطر**: العيد تمام الفرحة للصائمين ولكل المسلمين؛ يومٌ جعله الله لإظهار السرور وحمد الله وشكره وتكبيره على ما أتمّ من نعمة الصيام؛ فهو كالخاتمة السعيدة للصائمين، وتتويج لهذا الموسم الكريم.

ومهما تتعاظم الكروب على المسلمين فإن العيد يبقى يوم بهجة يخلط الأحزان بشيء من الفرحة، لتعتدل الأمزجة وتتداوى النفوس شيئًا من التداوي وتجدد الأمل والرجاء في مستقبل أفضل.

ولمن وفقه الله وصام رمضان آدابٌ يوم عيد الفطر منها:

أن يفطر على تمرات قبل أن يخرج إلى صلاة العيد.

ومن السنّة أن يخرج إلى العيد ماشيًا حيث أمكن، وفي ذلك تواضع وإتاحة فرصة للتكبير والذكر وغير ذلك.

ومن السنة أن يخالف الطريق يوم العيد؛ فيذهب من طريق ويرجع من أخرى.

والسنة في العيد أن تصلى في المصلّى -أرض فضاء تعدّ في العادة للصلاة ونحوها-، لأنها أجمع للمسلمين وأتمّ لظهور الاجتماع والتكبير والفرح بهذا العيد.. فإن لم يمكن صُليت في المسجد.

ومن سننها وآدابها الاغتسال لها والتطيب والتجمل باللباس.

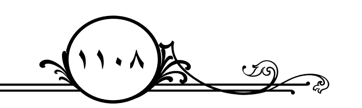
ومن سننها التكبير في طريقها وفي انتظار الصلاة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة]، والحمد لله رب العالمين.

❖ **وماذا بعد رمضان؟** عزمٌ ويقين واستقامة في كل حين.

---

(١) سنن الدارقطني (٢١٣٣)، وضعفه الألباني في: إرواء الغليل (٨٤٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢٠)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢).



سنّ لنا رسولنا ﷺ لمن منّ الله عليه بصيام شهر رمضان أن يتبعه بصيام ستة أيام من شهر شوال.

وذلك من سياسة هذه الشريعة الحكيمة التي تستدرج النفس وتستجرّها رويدًا رويدًا إلى الخيرات وتستخرج منها عبوديتها لله تعالى بلطفٍ، وكأنها تقول للعبد: فقط زدْ هذا الشيء القليل، ثم تزيده أنواعًا أخرى، وترغّبه فيها بأنواع الوعود والمرغبات، وتقول له زدّ هذا القليل السهل إنه ميسّرٌ إن شاء الله، وهكذا لا يزال العبد في عبادة لربه وطاعة وعملٍ في مرضاته.

فرغّب النبي ﷺ في هذه الفضيلة فقال: (**من صام رمضانَ ثم أتبعَهُ ستًّا من شوال كان كصيام الدهرِ**) رواه مسلم[١].

قال العلماء: وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، فصيام شهر -ثلاثين يومًا- يعادل صيام ثلاثمائة يوم، وصيام ستة بعده تعادل ستين يومًا فهذه ثلاثمائة وستون وهي السَّنَةُ على وجه التقريب بحذف الكسر، وكل ذلك من فضل الله وعظيم منّته على عباده؛ فالحمد لله رب العالمين.

فإذا منّ الله علينا إخواني بصيام رمضان، فلنعقد العزم أننا نستمر على طاعة الله بما يمكننا ونبذل جهدنا في تحقيق الاستقامة والمسابقة إلى الخيرات.. صحيح أننا لن نكون في كل حين كما كنا في رمضان، فرمضان موسمٌ، النفسُ ساعةٌ وساعةٌ، ولكن لنتعلّم من رمضان ولنحاول أن نكون دائما أفضل.

صحيح أننا لنا أعمال ولنا أولاد وأزواج وغير ذلك لكن لا يعجز المسلم الناصح لنفسه الطامع في النجاة والفلاح والفوز برضى ربه أن يتكيّف مع ظرفه ويجعل له وردًا من القرآن والقيام والذكر وغير ذلك.. ثم يظل يحِنّ إلى رمضان، سائلًا المولى ﷻ أن يتقبّل منه، وأن يبلغه رمضان الآخر ليزداد من الخيرات والباقيات الصالحات.

وأهل المعاصي والذنوب؛ فإن رمضان نِعْمَ الطبيبُ بإذن الله لترك المعاصي والإقلاع عن رذائل العادات ومساويها، فمن كان مبتلىً بالتدخين فهذه فرصته مع رمضان فليبادر بالتطبب والعلاج وليستعن بالله، ومن كان مبتلىً بالغضب فكذلك، ومن كان مبتلىً بالنظر المحرم فكذلك وكذلك.

اللّهم اجعلنا في هذا الشهر الكريم الذي عظّمته ورفعت شأنه من المقبولين الفائزين.

---

(١) صحيح مسلم (١١٦٤).

اللّٰهم وعمّر أيامنا بطاعتك وشكرك، وعمّر قلوبنا بذكرك والأنس بك.

اللّٰهم ارزقنا حلاوةَ الإيمان وطعمه ولذّته يا رب العالمين، وأغننا بها عن كل حلاوةٍ فيما لا يرضيك.

والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا

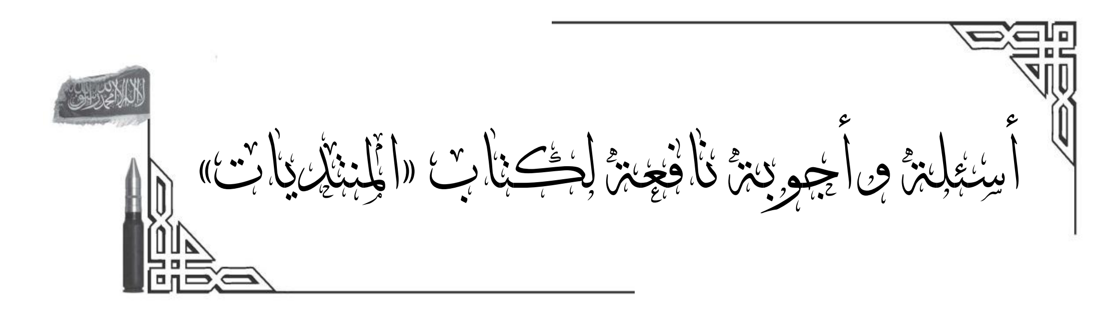
وصلِّ اللّٰهم وسلمْ وبارك على عبدك ورسولك محمد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

كتبه تذكرة لنفسه وإخوانه/

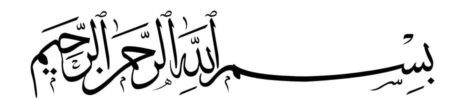
عطية الله

تم الفراغ منه ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٤٢٥هـ





[تم نشر هذا المقال في منتدى «أنا المسلم»، ذو الحجة ١٤٢٥]



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد.. فهذه تذكرة صغتها على شكل أسئلة وأجوبة تذكيرًا لنفسي وإخواني من الكتاب في هذا المنتدى الطيب وفي أي منتدى، نسأل الله أن يجعل فيها الخير والبركة وينفعنا بها، وأن يرزقني أجرها وأجر من استفاد منها، وهو أهل المنة والفضل.

❑❑❑

س/ لماذا نكتب في المنتدى؟

ج/ نكتب ما رجونا أن تكون الكتابةُ خيرًا وعملًا صالحًا يحبه الله ويرضاه، من دعوة إلى الخير وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، وبيان لسبيل الله ﷻ وشرعه، ونصرًا للإسلام والمسلمين، وإنذارًا مما يضاده، وتعليم علمٍ نافع، وفكرٍ وثقافةٍ نافعةٍ، ومن ذلك ما أباحه الله مما يروّح عن النفس ويجمّها ويجدد نشاطها من ملح المعارف والعلوم ونكات التجارب والفهوم.

❑❑❑

س/ وما هو الموضوع الجيد المطلوب؟ وهل يشترط أن يكون محتويًا على الآيات والأحاديث؟

ج/ كل ما دلّ على الله ﷻ وشرعه وما يحبه تعالى ويرضاه، وكل ما كان مندرجا تحت الكلام المتقدم بدرجاته هو موضوع طيب.

وليس من شرط الكتابة في المنتديات أن تكون محتوية على آياتٍ وأحاديث ولا غير ذلك، بل ذكر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة إن كان في محله وبحقّه؛ فذلك المطلوب والكمال،

وإن كان غير ذلك فلا يطلب.. وإنما المطلوب أن يكون معنى ما يكتب صحيحا نافعًا موافقا للصواب غير مخالف للشريعة، ثم يكون ذلك بألفاظ حسنة خالية من السوء وآفات اللسان.

ثم المشاركة في الكتابة في المنتدى لا تنحصر صورها، فالتعليق بالكلمة الطيبة، وبالأساليب المختلفة، فتارةً جدٌّ، وتارةً هزل، وتارة بأسلوب علمي وتارة عاطفي، ومرةً بالدعاء والتأييد والشكر والثناء، ومرةً بالتعبير عن المخالفة والردّ والاعتراض، وأنواع المحاورة المفيدة. والنقول المفيدة والتذكير والوعظ والتنبيه إلى كل نفعٍ وصلاح.. وبالجملة فلا يعجز الأخ المسلم أن يقول خيرًا.. فإن لم يجد فليسكت، وليتقِ الله في كل أحواله.

❑❑❑

س/ وما هو السوء في الألفاظ والقول؟

ج/ جماعُهُ كل ما دل ديننا على كراهته والنهي عنه من القول.

وتفاصيله أكثرها معروف؛ كالفحش في القول بذكر الكلام البذيء، والسب والشتم بغير حق، والاستهزاء والسخرية من الخلق بغير حق، والكذب والزور والمبالغة في المدح أو الذم بما يجاوز الاعتدال والإنصاف، وغير ذلك.

❑❑❑

س/ وهل السب والشتم واستعمال بعض الأساليب التي فيها استهزاء أو تهكّم ممنوع مطلقًا؟

ج/ لا نقول إنه ممنوع مطلقًا، لكن غالب أفراده من القسم الممنوع، والشريعة متشوّفة إلى التقليل منه وصدّ بابه، وإنما أذن فيه حيث كان فيه نصرُ الدينِ وردّ عادية المعتدين وزجرُ وردعُ المجرمين والمنحرفين، وحينئذ يكون مشروعًا، كما جاء في الحديث: (**من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعِضُّوه بهنِ أبيه ولا تكنوا**)[1] ونحوه من الأحاديث ومما ورد في القرآن من عيب وثلم أصناف أهل الكفر والعناد.

ولكن ليعلم أن هذا خلاف الأكثر الغالب والأصل من حال المسلم.. وخير الهدي هدي محمدٍ

(١) مسند أحمد (٢١٢٣٦) وقال الأرنؤوط: حديث حسن. قال الشيخ عبد الله عزام ﷺ: «قال: أنا ابن فلان أو أنا من عشيرة فلان، فقولوا له صراحة: عض أير أبيك، هكذا قال الرسول ﷺ، هن يعني ذكر أبيه ولا تكنوا. يقول الألباني في تفسيرها: أي قولوا له عض أير أبيك، فلا مواربة، ولا مداراة ولا مداهنة. انتهى، إسلام أو لا إسلام هذه هي الصلة، إيمان أو لا إيمان» اهـ.

ﷺ، فما كان النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحّشًا وقال: (**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء**) رواه «الترمذي» وغيره[١]، أي الكثير الطعن واللعن كما تفيده صيغة المبالغة، ولا الموصوف بالفحش والبذاءة كما تفيده صيغة الصفة المشبهة، وفي «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: (**لا ينبغي لصدّيقٍ أن يكون لعّانًا**)[٢] وفي حديث آخر فيه أيضًا: (**لا يكون اللعّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**)[٣] أي المكثرون من اللعن، لأن الإكثار منه خلاف حال الصدّيقين الرحماء الهداة المهديين، ولأنه مظنّة الوقوع في اللعن المحرّم وذلك حين يكون من لعنته غيرَ أهلٍ لها ولا يستحقّها.

فلا ينبغي للمسلم أن يكون هذا هو الأكثرَ من حاله، أو أن يغلب على أسلوبه، بل يكون الأصل من حاله والأغلب هو الكلام الطيب والمعتاد في الخطاب المحترم، ثم إن استعمل السب أو الشتم ونحوه فإنما يكون بقدرٍ وطاعةً لله تعالى. والله أعلم وهو وليّ التوفيق.

❑❑❑

س/ بم توصي الإخوة الكتاب في المنتدى؟

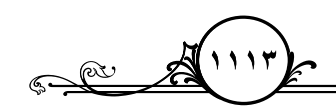
ج/ ينبغي أن نجعل من هذه النعمة –تقنية الاتصال وعالم الانترنت– سبيلا إلى الازدياد من طاعة الله تعالى وخدمة دينه وبناء أنفسنا وأمتنا؛ فذلك من شكر النعمة الذي هو طريق الحفاظ عليها والازدياد منها، ومما أوصي به نفسي وإخواني أن نجعل من الكتابة والحوار في منتدياتنا فرصة للترقي في المعارف والعلوم والتربية وبناء الذات، ومن ذلك أن نتعلم آداب الحوار، ونروّض أنفسنا على سعة البال وسعة الصدر وتحمّل الاختلاف في وجهات النظر في شتى المسائل، وأنّ الاختلاف لا يفسد للود قضية بين الإخوة الأحباب؛ ففي هذا المنتديات الحوارية فرصةٌ كبيرة لكل أخ أن يتعوّد على المناقشة الصحيحة المؤدبة العاقلة الواعية، وأن يرقى بنفسه وآدابه إلى مصاف أهل الرأي السديد والحكمة، فإنك تجد في المنتديات من يشتمك أحيانا ومن يجهل عليك يتعصّب لمذهبه أو رأيه أو مشايخه أو طريقته وبلده ونحو ذلك، ومن يردّ قولك على غير أساس منطقي ولا علم ولا هدى، ومن يستفزّك

---

(١) سنن الترمذي (١٩٧٧) وصححه الألباني، مسند أحمد (٣٨٣٩) وصححه الأرنؤوط.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٩٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٥٩٨).



ويحاول إخراجك عن طورك أو جرّك إلى سوء الأدب إلى غير ذلك مما هو معروف..

فليجعل الواحد منا كل ذلك فرصةً لتعليم نفسه الصبر على المخالفين وتحمّل مشاق الدعوة إلى الخير وسعة الصدر مع الجاهلين، وأن لا يردّ السيئة بالسيئة بل يعفو ويصفح ويكون خيرا ممن يجهل عليه، وتعلم أساليب الدعوة، واحترام الإخوان، وتقدير أهل العلم والفضل والسابقة، ومعرفة قدر نفسه، وانتقاء أطايب الكلم، وتحلية لسانه وقلبه بالكلم الطيب وهكذا.. فمن جعل هذا نصب عينيه في المنتديات عاد عليه بالخير إن شاء الله واستفاد. والله الموفق.

❑❑❑

ولنختم بتذكير أنفسنا بشيء من الكلم الطيب:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

وقال رسول الله ﷺ: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**)(١).

وقال: (**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**) (٢).

وقال: (**اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ، فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ**)(٣).

وقال: (**والكلمة الطيبة صدقة**)(٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

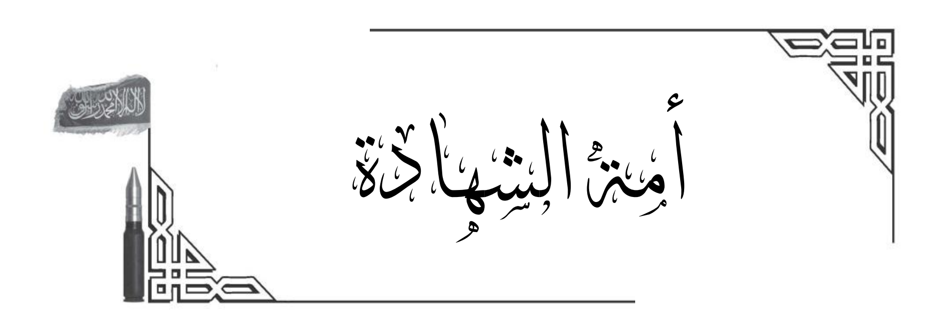
٣ - ١٢ - ١٤٢٥ هـ

(١) صحيح البخاري (٦٠١٨، ٦٠١٩، ٦١٣٥، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٥٧)، صحيح مسلم (٤٧، ٤٨).

(٢) سنن الترمذي (٢٣١٧، ٢٣١٨)، سنن ابن ماجه (٣٩٧٦)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٦٥٤٠)، صحيح مسلم (١٠٦١).

(٤) ساقه البخاري معلقا مجزوما به في: صحيحه (قبل حديث ٦٠٢٣)، مسند أحمد (٨١٨٣) وصحح إسناده الأرنؤوط.



أمة الشهادة

[تم نشر هذا المقال في منتدى «أنا المسلم»، صفر ١٤٢٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

نِعَمُ الله تعالى على هذه الأمة كثيرة، وخصائصها التي ميزها بها عن الأمم كلها جليلة، وهي الأمة المرحومة، والمنصورة والمبتلاة، والمعصومة من الاجتماع على خطأ أو ضلالة، ونحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن **أمة الشهادة**.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما تعدّون الشهيد فيكم؟**) قالوا: يا رسول الله من قتِل في سبيل الله فهو شهيد، قال: (**إن شهداء أمتي إذن لقليل**) قيل: فمن هُم يا رسول الله؟ قال: (**من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد**) رواه مسلم[1].

وعنه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**الشهداء خمسة: المطعونُ، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله ﷿**) متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من قُتِل دون ماله فهو شهيد**) متفق عليه[3].

وعن سعيد بن زيد ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**) رواه أبوداود

---

(١) صحيح مسلم (١٩١٥).

(٢) صحيح البخاري (٦٥٣)، صحيح مسلم (١٩١٤).

(٣) صحيح البخاري (٢٤٨٠)، صحيح مسلم (١٤١).

والترمذي وقال حديث حسن صحيح[(١)].

وعن سويد بن مقرن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قتل دون مظلمته فهو شهيد)** رواه النسائي[(٢)].

وأما الشهيد في سبيل الله -الذي يقتل في سبيل الله، أي في القتال في سبيل الله-؛ فإن ما جاء في فضله وتعظيم شأنه لم يجئ مثله في الشريعة لأحدٍ غيره كما قاله العلماء.

وسأذكر فيما بعدُ إن شاء الله نبذةً من الأحاديث الواردة في فضله.

والشهادة اليوم هي أقصر وأقرب طريق للحاق بركب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا..

إنها أوسع باب وأيسره لمن يسّره الله له، ولمن اصطفاه الله واختاره ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.

والشهادة حياةٌ.. ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة]

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران].

والشهيد يحي الله بشهادته أمَّةً من الناس، لأنه شهد على حقيّة هذا الدين بما لا يتصوّر أصدقُ منه، ببذل مهجته وإزهاق روحه في سبيله، وهذه أعظم شهادة على حقٍّ يمكن أن يقدّمها إنسان.

وهو أحد المعاني التي سمّي الشهيد شهيدًا لأجلها.

بشهادة الشهداء تحي أجيالُ الأمة، وتنبعث إلى النهوض والرقيّ والبذل والعطاء والتضحية والفداء.

بشهادة الشهداء تنجو الأمة من خطر الذل الذي هو موتُ الأمم.

إن الأمة التي لا تقدِّمُ شهداءَ من أبنائها تموت! وموتها أن يتمكّن منها الذلُّ، ويستولي عليها الوهن؛ حب الدنيا وكراهية الموت، ويتسلّط عليها أعداؤها، ويقهرونها ويستحقرونها ولا يهابونها!

الشهيد يعطي للأمة درسًا في معنى الوجود، ويصحح لها قيمَ الحياة والموت.

---

(١) سنن الترمذي (١٤٢١)، سنن النسائي (٤٠٩٥)، سنن أبي داود (٤٧٧٢) وصححه الألباني.

(٢) سنن النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وصححه الألباني.

الشهيد يعدّل في الأمة الانحراف الذي ينشأ دائما ويستفحل كثيرا في هذه المعاني

ويعطيها درسًا -لا كالدروس- في الإيمان بالقضاء والقدر: الأجل، والزرق، والجراح، والحرمان، الفِراق، والقوة، والضعف...!

تصوّر يا أخي أنه لم يكن في الأمة شهداء!!

وتفكّر كيف كان يمكن أن يكون الحال والشأن؟!

تصوّر أنه لم يكن ياسرٌ ولا سميّةُ ولا حمزة بن عبد المطلب، ولا مصعب بن عمير ولا عمير بن الحُمام، ولا حبيب بن أم عطية، ولا خبيبُ بن عديّ وأصحابه، لا أبو أيوب الأنصاري، ولا الحسين بن علي ريحانة رسول الله ﷺ، ولا عبد الله بن الزبير، ولا سائر شهداء الصحابة، ولا سعيد بن جبير وإخوانه من التابعين وتابعيهم، ولا عمر المختار ولا سيد قطب ولا عبد الله عزام، ولا الدكتور صالح الليبي ولا أبو العباس المدني ولا أبو معاذ الكويتي ولا خطاب ولا أبو عبد الله أحمد، ولا القاري سعيد، ولا أبو أنس الشامي ولا غيرهم من إخوانهم ﷭ ورضي عنهم جميعًا!

وتصوّر كيف ستتربى أجيالنا حينها، وأي مثُلٍ عليا في الوجود سيفقدون!

وكم رأينا ورأى الناس بيوتًا بأكملها أحياها الله من موت الجهالة والضلالة والذل بشهادة واحدٍ من أبنائهم.

وكم رأينا أحياءً و«شوارعَ» أحيى الله شبابها بشهادة شهيد منهم.

وكم رأينا من تأثر وعاد إلى الدين والإسلام واستفاق ونهض ونفض عن نفسه الغبار حين رأي الشهداء يشنقون على شاشات التلفاز.!

وكم أحيى الله بمقتل الشيخ عبد الله عزام، وقبله سيد قطب، وقبلهما عمر المختار وغيرهم كثير، مقلّ ومستكثر.

وهذا المعنى كان يدركه الصحابي خبيب بن عدي حين قال وهو بصدد الشهادة:

وذلـــــــك في ذاتِ الإله وإن يشـــــــأ   يبـــارك عـــلى أوصـــال شـــلوٍ ممـــزَّعِ[1]

عرفَ ﷺ بما آتاه الله من نور اتباع الوحي والعيش في كنف الرسول أن الشهيد يبارك اللهُ على

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٠٢).

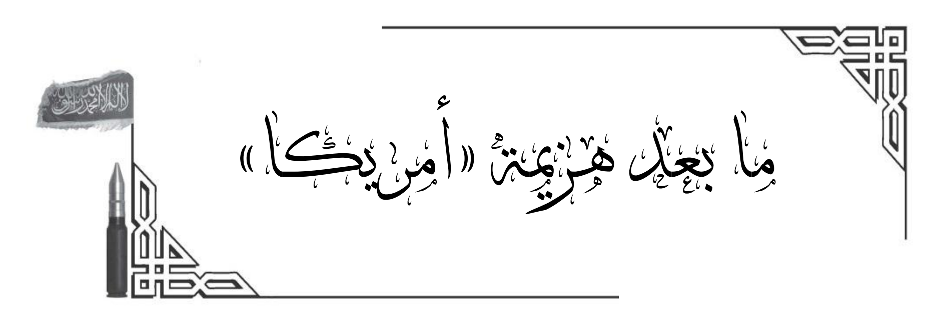
أوصاله وأعضائه الممزّقة، ومن هذه البركة ما ذكرنا وغيره، يظهر أثرها في أهل بيته وفي قومه وفي أمته بل وحتى في أعدائه، وهل نسيتم قصة إسلام سعيد بن عامر الجمحيّ وغيره ممن شهدوا مقتل خبيبٍ كفّارًا فتأثروا مما رأوا، فما طال مكثهم حتى أسلموا وكانوا أبطالا في أمة الإسلام، وكانت أعمالهم إن شاء الله في صحيفة خبيبٍ، وأكرم بها.!

إن الأمم كلها تحرص أشد الحرص على أن يكون لها أبطال وقدوات ومثل عليا و«شهداء» في سبيل مبادئهم وقيمهم التي يؤمنون بها، حتى الكفرة الملحدون يحرصون على هذا لأنهم عرفوا قيمة أن يموت إنسانٌ في سبيل مبدئه وما يؤمن به.

عطية الله

١٠/ ٢/ ١٤٢٦هـ





[تم نشر هذا المقال في منتدى «أنا المسلم»، شعبان ١٤٢٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحيّ الذي لا يموت، المتفرّد بالملك والجبروت، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعزّ من يشاء ويذل من يشاء، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام كاملين دائمين على عبد الله ورسوله وصفيّه من خلقه وخليله نبيّنا وقدوتنا محمدٍ رسول الله، الذي قال له ربّه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[الشورى]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران]، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا الجيلَ المثال، والمثل الأعلى لكمال الرجال، ومنتهى غاية القادة الاجتماعيين من المصلحين الأبطال، رضي الله عنهم وأرضاهم، وعنا معهم بمنّه وكرمه وجوده.. آمين.

وبعد: أيها الإخوة المسلمون في كل مكان، وخصوصا أنتم أيها المجاهدون في شتى بلاد الله، ولا سيما في العراق وأفغانستان.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن انكسار أمريكا وحلول الهزيمة بها، وفشلها وانشغالها بنفسها وتقوقعها في جزيرتها البعيدة، وانسحاب جيوشها خائبة ذليلة خاسرة من بلاد الإسلام: من العراق وأفغانسان ثم من جزيرة الإسلام، ليس على الله بمستبعدٍ، وقد رأينا بوادره، ونحن بحمد الله موقنون بحصول ذلك لا محالة، لا نشك فيه ولا نرتاب، وإنما المسألة مسألة متى، لا مسأل هل، وستكون بعون الله آياتٌ عظيمة وتغيّرات كبرى جليلة لصالح أهل الإسلام، وذلك فضل الله عز وجل ووعده الحق.

والغالب كما نعرف من التاريخ، وكما تدل عليه النصوص، أن هذه التحوّلات الكبرى سيكون فيها دخنٌ وفتن، وقلّ شيء يصفو في هذه الدنيا، فإنها دار الكدر والكبد والوصب والنصب!

قد ينسب أناسٌ النصر إلى أنفسهم وجهودهم وأعمالهم، ويستدلّون بها على صحة منهجهم دون

من سواهم، وذلك فيه كثيرٌ من الحقّ، وقد يغلو أناسٌ في ذلك، ويتعالون ويتعاظمون وهم في الحقيقة إنما يتهاوون ويسقطون! وقد يحمل النصر أقوامًا على أن يستطيلوا على الخلق ولا سيما على إخوانهم المسلمين، فيذلّوهم ويسخروا منهم ويُسخّروهم ويظلموهم ويهينوهم!! نسأل الله لنا ولسائر إخواننا السلامة والعافية وحسن الختام.. آمين.

أيها الإخوة، وسترون كثيرا من الناس يدّعون أنهم كانوا وكانوا، وأنهم عملوا وضحّوا وجاهدوا وأعانوا وآووا ونصروا وفعلوا.. فيهم الصادق وفيهم غير ذلك.! وأكثرُ الناس مع مَن غلب..! ومن يعش منا ومنكم فسيرى أمورًا عظيمة..!

أيها الإخوة الأحباب، ليس شيء أنجى من الفتن من العدل وإحقاق الحق، وإعطاء كل ذي حقّ حقه، والعفو والتعافي والإغضاء والتسامح، (**رحِم الله عبدًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى**)[1]، ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف] والقبول من المحسِن والعفو عن المسيء، و(**إنما بُعِثتم ميسرين**)[2]، و(**إن الله بعثني معلّمًا ولم يبعثني متعنّتًا**)[3]، الله عزّوجل قسم فضله ورحمته بين خلقه، فمنهم السابق ومنهم اللاحق المقارب، ومنهم دون ذلك.. فالسابق للخير والفضل له فضل سبقه وتقدّمه، واللاحق له من ذلك بحسبه.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. وبعض الناس اليوم يخالفني ويخاصمني وقد يعاديني وينصر عدوّي عليّ، ولكن إذا انتصرتُ فإن من يكتب اللهُ له الخيرَ والنجاح، يلحق بركبِ أهل الخير ويكون معهم، ويقرّ بذنبه وتقصيره، ويصدق اللهَ ﷻ، فينال ما كُتِب له من الأجر.

فإن فاته أن يكون من السابقين فليكن من التابعين بإحسانٍ، وأهل السبق وأهل النصر والظهور، عليهم أن يعفو ويصفحوا وييسروا ويقبلوا العذرَ ويُقيلوا العثرة في غير تكبّرٍ ولا تعالٍ ولا تجبّر، بل تواضعٌ في غير ضعف، وعفو عند المقدرة، وإحسانٌ ورحمة وإعانة على الخير وفتح لأبوابه.

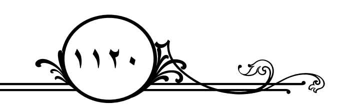
وأساس ذلك كله تقوى الله ﷻ والصدق والإخلاص، وتحقيق التوحيد لله رب العالمين، والاتحاد والائتلاف والاجتماع واجبٌ متأكدٌ، والحذر الكامل من أسباب الفُرقة والاختلاف، واعلموا أن الاجتماع وائتلاف قلوب المسلمين على المفضول خيرٌ من التنازع في تحصيل الفاضل، ولئن ساغ أن

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٧٦)، سنن ابن ماجه (٢٢٠٣) وهذا لفظه، وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري (٢٢٠).

(٣) صحيح مسلم (١٤٨٧) بنحوه.



تختلف جماعاتنا اليوم في ظلّ السيطرة الأمريكية وظروفنا السياسية القاسية، فإن هذا الاختلاف لن يكون سائغًا حينما يكون لنا الغلبة، بل سيكون وبالًا وشقاءً وخرابًا وخسرانًا..!

إن الأمم لا تنتصر ولا تحصد نتائج كفاحها ونضالها وتضحياتها إلا أن يكثر فيها ويُمجّد معنى ونوعُ «الجندي المجهول»، وعندنا نحن المسلمين المؤمنُ التقيّ الخفيّ، وعندنا أهل الإخلاص ومريدو الدار الآخرة، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا، وعندنا السادة حقًّا **(إن ابني هذا سيد..)**[1]، ونحن بحمد الله أولى الناس بالنجاح وأعْطِينا من أسبابه ما لم يعطَه غيرُنا من العالمين.

مع أننا بفضل الله ﷻ على كلٍ حالٍ بين إحدى الحسنيين، وأمامنا التجارب والعبَر، والعاقل من اتغظ بغيره، والسعيد من وُقيَ الفتن.

أيها الإخوة الأحباب: ماذا انتفعنا لو أننا انتصرنا على أمريكا وعلى كل الطغاة وأقمنا الدولة التي نحلم بها ثم دخلنا النار؟! أعاذنا الله وإياكم منها. إن رأس المال المقصود الحقيقي هو الفوز في الآخرة ونيل رضوان الله ﷻ، والنجاح والفلاح يوم لقائه. أما الدنيا فهي دار ممر وعبور، ودار فناء وزوال، وهي متاع الغرور..! وإنما قيمتها في كونها مزرعتنا للآخرة، وفرصتنا التي نستغلّها ونتوصّل بها إلى الفوز عند مالك يوم الدين، بالتوحيد والعمل الصالح، والزهد واليقين.

أيها الإخوة المجاهدون نصركم الله وأعلى في الدارين مقامكم: اسمعوا معي هذا الحديث الذي يزعج القلوب الحية: عن حذيفة ﷺ قال: «ضرب لنا رسولُ الله ﷺ أمثالًا، واحدًا وثلاثةً وخمسة وسبعة وتسعة وأحدَ عشر، قال: فضرب لنا رسول الله ﷺ منها مثلا وترك سائرها، قال: **(إن قوما كانوا أهل ضعفٍ ومسكنة، قاتلهم أهلُ تجبّرٍ وعدد فأظهر اللهُ أهلَ الضعف عليهم، فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلّطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه)**»[2]، قال الإمام ابن كثير ﵀: «هذا حديث حسن الإسناد، ومعناه أن هؤلاء الضعفاء لما قدروا على الأقوياء فاعتدوا عليهم فاستعملوهم فيما لا يليق بهم أسخطوا لله عليهم بسبب هذا الاعتداء، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا»[3] اهـ.

أيها الإخوة -المنتصرون إن شاء الله-: بارك الله فيكم، إياكم والظلم فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، فضلا عن أن الظلم مفسِدٌ للمُلك، مخرّب للعمران، مذهبٌ لبركة النصر..!

(١) صحيح البخاري (٣٦٢٩، ٣٧٤٦).

(٢) مسند أحمد (٢٣٤٦٢) وضعفه الأرنؤوط، لكن حسنه ابن كثير كما ذكر الشيخ ﵀.

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٤).

الظلم -باختصار-: خسارةُ الدنيا والآخرة..! نعوذ بالله من الظلم؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴿١٣٥﴾﴾[النساء]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[المائدة]، واعلموا أن الظلم أصيل في الإنسان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم]

والنفس الأمارة بالسوء مركّبٌ فيها من أنواع الشهوات وأصناف الإرادات، ومن أخطرها الشهوة الخفية؛ شهوة الغلبة وشهوة الملك والرياسة والشرف، الداعية إلى ما لا يحصيه إلا اللهُ من الإفساد والظلم والعدوان، والموفَّق من وفّقه الله ﷻ وأعانه على نفسه و﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، وإننا نسمع من الآن البعض منّا يقولون أحيانا لخصومهم وأعدائهم: إذا انتصرنا عليكم سنقطّعكم إربًا، وسنحاسبكم على كل كبيرة وصغيرة، وسنفعل بكم ونفعل..! وهذا لا خيرَ فيه..! ولئن حسُن أن نقوله في بعض الأحيان لفراعنة أعدائنا من الكفرة، فلا يصلح لسائرهم، ولا لخصومنا من المسلمين وضعفة أهل القبلةِ، مهما عادانا بعضهم وغلا في خصومته لنا.!

بل نقول: إذا قدرنا فسنكون خيرَ قادرٍ وخير آخذٍ وخيرَ منتصر، ستسبق رحمتنا غضبنا وتغلبه إن شاء الله، وسيكون العفوُ أسرعَ وأوسع خياراتنا، والعدل والرحمة والإحسان جِماع سياستنا.

لما حلف النبيّ ﷺ إن أظهره الله على المشركين ليفعلنّ بهم وليفعلنّ جزاءَ ما صنعوا بحمزة ﷺ في أحدٍ، قال له ربّه ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾[آل عمران].

أيها الإخوة الأحباب: تذكروا حال رسولنا وقدوتنا وإمامنا صلى الله عليه وآله وسلم حين دخل مكة فاتحًا منتصرًا، واستحضروا ما روي في ذلك، وحالَه في كل انتصاراته وفتوحاته، وحالَ أصحابه الميامين البررة المتقين: تواضعٌ، وشكرٌ لله ﷻ، وانكسارٌ وعدلٌ ورحمةٌ وإحسانٌ، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

اللّهم انصر دينك وكتابك وسنةَ نبيّك وعبادك المؤمنين.. اللّهم عليك بأمريكا وأوليائها، زلزلهم -اللّهم- ودمّرهم، وسلّط عليهم المصائب والمشكلات، والمعايب والآفات، واشغلهم بأنفسهم، واجعل تدبيرَهم تدميرَهم، واجعل كيدهم في تضليل، وكفّ بأسهم عن المسلمين، وانصر عبادك المؤمنين عليهم يا خير الناصرين.. اللّهم اجعلنا من عبادك المخلصين وجندك الغالبين.. اللّهم اجعلنا لك شاكرين ذاكرين مخبتين، إليك منيبين.. اللّهم أتمم نعمتك علينا واجعلنا قابليها وأوزعنا شكرها..

اللّهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفُجاءة نقمتك، وجميع سخطك..

اللّهم أحسن في كل الأمور عاقبتنا، وتوفّنا وأنت راضٍ عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.. آمين.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم: **عطية الله**

الجمعة ١٩ شعبان ١٤٢٦هـ

❋ ❋ ❋



[تم نشر هذا المقال في مجلة «طلائع خراسان»، العدد السادس، ربيع الأول ١٤٢٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحقٌّ عبادَ الله ما أنا سامعُ ... إذن فلتسحَّ الدمعَ منا المدامعُ

وتذرفْ دموعًا أو دماءً غزيرة ... فما اليومَ إظهارُ التّجلّدِ ناجعُ

دهى القلبَ من صَوبِ الأحبة واردٌ ... وصادفه قد أنهكته المَواجعُ

فبالله لو قد كان جُلمودَ صخرةٍ ... تفّتتَ من كرّ الخطوبِ الفواجعُ

ذكرتُ فأبكاني التذكرُ بُرْهة ... وأعقبهُ أحمالُ هَمّ تصَارعُ

ذكرتُ وقارَ الشيبِ في وجهِ ماجدٍ ... حيي كريم غيبته القوارعُ

أخو هجرة قد لقّبوهُ مهاجِرًا ... وقد كان للكفار دومًا يقارعُ

وأستاذُ أجيالٍ سما بعلومِهِ ... وفي نسفِ أرتالِ الملاحدِ بارعُ

وبكرًا أخا البيتِ المقدّسِ إنه ... سليلُ كرام للجهاد مسارعُ

يفيض شبابًا واجتهادًا وهمةً ... إذا استثقلتْ بالمترَفين المضاجع

وذلك الفتى التلميذ نجل عكاشة ... مثالٌ عزيزٌ أن تحُزْهُ المراضعُ

ولا غروَ في فلوجة العزّ جَذْرُه ... ومَنبِتُهُ تلك الرُبَى والمراتعُ

وذاك أبو تُربٍ مثالُ مَواثِقٍ ... من الدينِ قد شُدتْ عليها الأصابعُ

دماثةُ أخلاقٍ وطيبة مَعْشر ... رزانةُ كهلٍ حنكته المعامِعُ

فأكرم بهم في جملة الصَّحْب منهُمُ ... وإخوانَ إحسانٍ كساه التواضُعُ

رجالٌ إذا همّ العدوُّ بريبةٍ ... تغذَّوْا به قبلَ العَشاءِ وسارعوا

وإن نزلــتْ بالمسلميــن مُلمّــةٌ ... تنــادوا إلى بــذلِ النفـوس وبايعـوا

تربّـوا علـى بـذلِ الدمـاءِ رخيصـةً ... وأرواحُهُـم فـوقَ الرمـاح شـوارعُ

فيـا أمـتي هـاهم بنـوكِ حـقيقة ... وليسوا كمن ذلوا وهانوا وصانعوا

أكـارمُ نزّاعـون مـن كـل لحمـةٍ ... كواكبـهم بيـن الأنـام سـواطعُ

دعـاةُ هـدىً لا يبـتغون سفاسفـًا ... وللنـاس في دنيـاهُمُ لم ينـازعوا

بصـائرهم نحـوَ الجنـان سـديدةٌ ... وآخـرهم للسابقيـن متابـعُ

أولئـك إخـواني وفخـري وأسـوتي ... ومبعـثُ آمـالي بهـم نتشاجَـعُ

ويـا ربِّ بـاركْ في الدمـاء وزكّهـا ... قبـولًا فـكلُّ الخلـقِ نـحوكَ راجـعُ

قولي: «**ذكرتُ وقارَ الشيبِ في وجهِ ماجدٍ**» إلى آخر الأبيات الثلاثة المقصود بها هو السيد الشهم النبيل القائد البطل الجليل والشيخ الوقور «أبو عبد الرحمن المهاجر» ﵀ ورضي عنه.. آمين، وقد كان معلّم جيلٍ في فنون نسف الكفرة، مع متانة الديانة والتعبّد وكمال الأخلاق وحسن البلاء وكثرة العطاء[(١)].

وقولي: «**وبكرًا أخا البيتِ المقدّسِ**» إلى آخر البيتين: هو الفتى البطل المغوار المسارع إلى كل مكرمة حافظ القرآن صاحب الخلق الرفيع والنشاط والحيوية «أبو بكر الفلسطيني» ﵀، وقد شاع في بعض الوقت أنه سوريّ، وكأنه كان يتغاضى عن ذلك تعمية للكفار، وشاع أيضا أنه صهر الشيخ القائد الدكتور «أيمن الظواهري» وليس ذلك بصحيح فيما أعلمُ، بل هو متزوّج بابنةِ الشيخ أبي عبد الرحمن المصري المعروف بـ«البي إم» ﵀.

وقولي: «**وذلك الفتى التلميذ**» إلى آخر البيتين: هو الشاب الغض اليافع «عبد الرحمن أبو بكر بن عكاشة العراقيّ»، من أهل الفلوجة الغراء، وأكرم بهم أصلا ومحتدًا وشرفًا، هاجر مع أبيه وأسرته في أوائل التسعينيات إلى بلاد باكستان فارين بدينهم من الفتن، ثم أقاموا في أفغانستان أيام الإمارة الإسلامية أعاد الله أمجادها، وهو تلميذي درس عندي في المدرسة العربية الكابلية أيام الإمارة الإسلامية، وكان يومها يحفظ نصف القرآن، وقد علمتُ مؤخرًا أنه أكمل حفظ الكتاب العزيز ولله

---

(١) هو القائد: محسن بن موسى بن متولي عطوة، من الدقهلية بمصر، كان مسؤولا عن التفجيرات المباركة في «نيروبي» و«دار السلام» وهي أول العمليات الخارجية التي ينفذها تنظيم القاعدة ضد الكفر العالمي. انظر سيرته في: شهداء في زمن الغربة (ص ١٦).

الحمد، نسأل الله أن يتقبله ويجعله في ميزان حسنات والديه ومعلميه.. آمين.

وقولي: «**وذاك أبو تُربٍ**» إلى آخر البيتين: هو «أبو تراب الباكستاني» من أهل البنجاب، من قدامى الإخوة المجاهدين الذين عرفتهم ساحات أفغانستان، ذو همة ومثابرة، وصاحب خلق رفيع وبشاشة وحسن معاشرة نحسبه كذلك ﷺ[1].

وهم ومَن معهم ومن سبقهم ومن يليهم -كما ترى- نزّاعٌ من القبائل مهاجرون في سبيل الله، فارون بدينهم من الفتن، مسابقون إلى الخيرات، يبذلون لأجل الدين محبةً لله ورسوله ودينه، صابرون على القليل تاركون لمنازعة الناس دنياهم، أبصارهم مشدودة إلى الفردوس الأعلى في الجنة، ينتظر الواحدُ منهم الرصاصة أو الشظية أو الصاروخ يأتيه في لحظة الأجل، فينقله من دار القذار والأكدار إلى دار الكرامة ومحل الأبرار الأطهار.. نحسبهم كذلك والله حسيبهم ولانزكي على الله أحدا، وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

ونحسبهم واللهُ أعلم ممن ينطبق عليهم قول الله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الأحزاب].

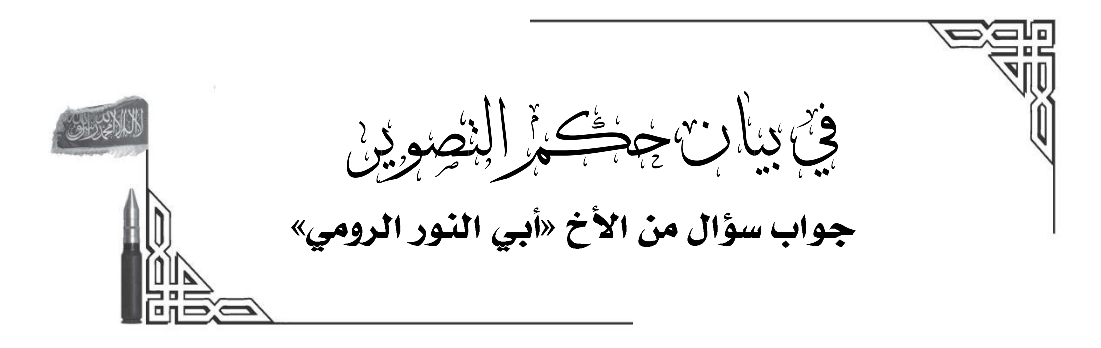
كتبه: **عطية الله**

٢٣ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

✵ ✵ ✵

---

(١) انظر ترجمته في: شهداء في زمن الغربة (ص ٧٣).



في بيان حكم التصوير

جواب سؤال من الأخ «أبي النور الرومي»

[وصلتنا هذه الرسالة من أحد طلاب الشيخ الملتصقين به جزاهم الله خيرًا، وقد كتبه الشيخ في ربيع الأول ١٤٢٧، وهي جوابٌ على سؤال تضمن إشكالات في حكم «التصوير» وطلب تعليقات على كتاب «الفيديو الإسلامي» للشيخ: ناصر الفهد، وقد ألحقنا تعليق الشيخ ﵀ على كتاب «الفيديو الإسلامي» بعد هذه الرسالة؛ ليكتمل الجواب]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد/

أيها الأخ العزيز والشيخ الفاضل «نور الدين»، وفقكم الله ورعاكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الله ﷻ المسؤول أن يحفظكم من كل سوء، وأن يبارك في عملكم وسعيكم ويسددكم، وأن يتقبل منا ومنكم صالح العمل ويتجاوز برحمته عن السيئات.. آمين.

لقد قرأت رسالتك الاستشارية في «مسألة التصوير»، جزاك الله خيرا على حسن ظنك بأخيك، ونسأل الله أن يغفر لنا ولكم ويعفو عنا جميعا..

واطلعتُ على الهمّ.. أزال الله عنا وعنكم كل همّ.

وفرحتُ والله بما اشتملت عليه من نفائس الأفكار والفُهوم المليحة الأبكار، بارك الله فيكم، مما جاء عفوًا واستطرادًا، ومما قد لا يوجَد في موضع آخر؛ فنسأل الله أن يثبّتنا وإياكم على دينه الحق ويرزقنا الهدى والسداد.

واعلم -يا أخي العزيز- أنني والله أقصر وأقل من ذلك؛ فهذه المسائل حقها أن تُعرَض على مشايخ الإسلام ومفتي الأنام من العلماء الكبار المحققين..!

ولكن ما الحيلة وقد عدم النصير وقلّ المساعِد؟

وقد أشرتم في صدر رسالتكم إلى تلك المسؤولية، مع أني أنظر إليها شزرًا، وأخشى أن تكون حيلة شيطانية -غير مقصودة طبعا، حاشاكم- لإيقاعنا نحن طلبة العلم فيما لا يحسُن، واتخاذنا جسرًا.. فالله المستعان، ونحن نلجأ إلى الله تعالى ونستجير به ونعتصم، ونتوكل عليه، لا حول ولا قوة إلا به.

وأنت يا أخي تطلب مني تحرير المسألة وذكر الأدلة و.. الخ فهذا -يا أخي- يستغرق الأوقات ويستنفذ الطاقات، مع ما عندنا من البضاعة المزجاة، وإلى الله المشتكى، وهؤلاء إخوة في البلد يطلبون مني أن أحرر لهم مسألة «العذر بالجهل»، وهؤلاء أناس آخرون يطلبون تحرير مسائل أخرى.. ونحن والله يصعب علينا ذلك، أي التحرير بمعنى أن نصنّف كتابًا أو رسالة وبحثا فيه تحرير كامل للمسألة وذكر ما شذ وفذ من فروعها وأصولها، والخروج فيها بقول فصل، فهذا يحتاج وقتا وكتبا ومعاونين ربما، وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى مسألة الأولويات عندنا.!

ولكن في كثير من أحوالنا نحن نكتفي بالفتوى أو الدلالة للإخوان والمشاورة عليهم بما نعرف مما اطمأننا إليه ورأيناه صوابا، ونعينهم في فهم المسائل ونشرح لهم بعض ما خفي عليهم، ونذكّرهم.. وهكذا.. والله الموفق، ونسأله تعالى أن يفرّج الكروب، ويصلح الأحوال.

والحاصل: أنه بعد التفكير والتأمل، رأيت من واجبي أن أشير على أخي وأعينه بما أعرف، فهي إذن مشورة أذكر فيها ما بدا لي من الصواب وما ترجح عندي وما فهمته مما يفيدك إن شاء الله ويعينك، والله المستعان:

فأقول وبالله أستعين:

لقد قرأت رسالتكم وما أوردتموه عن الشيخ «الفهد» -فرّج الله عنه-، وعن الشيخ عبد الخالق، ثم راجعت بعض ما أمكنني من المراجع في المسألة، وبحثت عن مناقشات وأبحاث وفتاوى منشورة على النت، ولم أكتفِ بمجرد ما عندي من خلفية ورأي، وبحثت عن بحث الشيخ «الفهد» في النت فوجدته وقرأته كاملا وعلقتُ عليه كما ستراه مرفقا إن شاء الله، وتحصل عندي ما يأتي:

الراجح إلى الآن -والله أعلم- هو جواز التصوير بالفيديو ومشاهدته ونشره حيث لا مانع؛ فإن كان لنصر الدين والدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله كما هو الحال محل السؤال فهذا لا أقول إنه جائز ومباح فحسب، بل هو عمل صالح إن شاء الله تعالى، مطلوبٌ: إما في درجة الاستحباب أو الوجوب.

وقولنا «حيث لا مانع» أي حيث لا مانع خارجيًا، ككون الصورة لما لا يجوز تصويره أو نشره وعرضه للناس، كامرأة أجنبية، وككل ما حرُم النظر إليه، ونحو ذلك.

وعليه؛ فلا حرج عليك يا أخي في الاستمرار في مشاريعك الإعلامية الجهادية، بارك الله فيك، ولا تتردد، فهي عمل صالح وقربة إلى الله تعالى إن لم تكن ثبتت عندنا بطريق اليقين فيكفي الظن الغالب.

وإليك الآن أهم مستندات هذا الرأي في نقاط:

❖ **النقطة الأولى**: أن الراجح عندي أن التصوير الفوتوغرافي ليس داخلا تحت التصوير المنهي عنه، والله أعلم، وهذا وإن كان هو الراجح عندي لكن ليس هو في قوة رجحان جواز التصوير بالفيديو، فالفيديو أوضح كما سيتبين لك.

وهذا القول (في التصوير الفوتوغرافي) هو قول جماعة كبيرة من العلماء المعاصرين بخلاف ما يحاول البعض إيحاءَه؛ من أن أكثر العلماء على تحريمه وأنه مشمول بنصوص النهي.!!

ووجه ذلك أن التصوير المنهيّ عنه هو الرسم باليد وما شابهه مما يكون للراسم (المصوّر) فيه صنعةٌ وخلقٌ وتصويرٌ.

وأما التصوير الفوتوغرافي فليس فيه ذلك؛ بل هو نقل للصورة، لا غير، وليس تصويرًا؛ لأن التصوير هو جعلُ الشيء وخلقُه على صورة معيّنة، واعتبر باسم الله تعالى «المصوّر».

والخلق هو في اللغة التقدير: أي تقدير الشيء المراد خلقه، أي جعله بقدْرٍ، وعلى قدْرٍ، ووضع قدْرٍ وحدٍّ له، كما قال الشاعر الجاهلي:

ولَأنـــتَ تَفْـــري مـــا خلقْـــتَ وبَعْـــ ... ـضُ القـــومِ يخلُـــقُ ثـــم لا يَفْـــري[1]

يريدُ أنك أيها الممدوحُ تفعل وتنجزُ ما قدّرته بخلاف غيرك ممن يقدّر ثم لا ينجز.

وقد فهمنا ذلك من جملة أوصافٍ -ذكرت في الأحاديث- للمصوّرين تلك الصورَ التي حرّمها الله وتوعَّدَ أهلها المصوّرين.

فمنها: المضاهاة بخلق الله: **(يضاهون بخلق الله)**[2] أي يشابهونه، ويخلقون كخلقه، ويصوّرون كتصويره -واستحضر معنى التصوير-.

ومنها: الخلق كخلقه ﷻ: (.. **ذهب يخلق كخلقي**)[3].

ومنها: أنهم يقال لهم: **(أحيوا ما خلقتم)**[4].

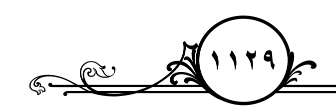
---

(١) قاله: زهير بن أبي سلمى، انظر: الشعر والشعراء للدينوري (١/ ١٣٩).

(٢) صحيح البخاري (٥٩٥٤)، صحيح مسلم (٢١٠٧).

(٣) صحيح البخاري (٥٩٥٣)، صحيح مسلم (٢١١١).

(٤) صحيح البخاري (٥٩٥١)، صحيح مسلم (٢١٠٧).



فهذه العبارات وما شابهها تدل على أن الصورة المحرّمة والتصوير المحرم هو الذي يوصف بذلك ويصدق أن يقال فيه ذلك.

فهي إذن قيود في «الصورة» المحرمة المنهي عن تصويرها.

فإن الله ﷻ ورسوله ﷺ نهى عن صورة وصفها ووصف أهلها..

وهذه من جملة الأوصاف، والأوصاف (القيود) أكثر من ذلك:

فمنها: أن تكون لذات روحٍ، حتى يصدُق أن يقال لمصوّريها: أحيوا ما خلقتم، وانفخوا فيها الروح..

ومنها: أن تكون شاملة للرأس، فإن خلت من الرأس، لم يُنْهَ عنها (**إنما الصورة الرأس**)[1]، وذلك متفق مع قوله (**أحيوا ما خلقتم**) و(**أن ينفخوا فيها الروح**)؛ لأن ما لا رأس له -مقطوع الرأس- لا تمكن فيه حياةٌ.

وهذا يدلّك على اعتبار هذا الوصف المفهوم من قوله (**أحيوا ما خلقتم**) و«ينفخوا فيها الروح» بحيث إنه حتى لو لم يرد حديث «الصورة الرأس» لأمكننا أن نفهم أن مقطوع الرأس جائز لكونه لا تمكن فيه الحياة كما جرت بذلك سنة الله في خلقة، وإنما ورود الحديث (**الصورة الرأس**) زيادة تبيين ورحمة ولطف من الله ﷻ، وصلى الله وسلم على محمدٍ عبده ورسوله.

ومنها -في الصورة لا في التصوير- أن لا تكون مُهانة، بمعنى أن تكون محترمة؛ فإن الأدلة دلّت على أنها إن كانت مهانةً غير محترمة فإنه لا ينهى عنها (أي الصورة) أي عن اقتنائها، ولا تمنع دخول الملائكة البيتَ، والله أعلم.

والمقصود أن الصورة المنهيّ عن تصويرها موصوفة (مقيّدة) في أحاديث النبيّ ﷺ، والتصوير معناه في اللغة معروف، وكلامُ الشارع حيث كان مبيّنا في نفس كلام الشارع فذاك، أي نقف على ما أوقفنا عليه من معاني ألفاظه وكلامه، وهو المعبّر عنه بالحقيقة الشرعية.

وحيث لا «حقيقة شرعية» فالمرجع هو اللغة، وهي قسمان:

- محض اللغة، وهي الحقيقة اللغوية.
- واستعمال أهل اللغة (أي في زمن التنزيل)، وهي الحقيقة العُرفية.

لأن أهل اللغة إذا استعملوا لفظا ما في معنى مخصوص، ثم جاء الشرعُ وخاطبهم بلسانهم الذي

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٢٢٩)، والإسماعيلي في معجمه، وصححه الألباني في: الصحيحة (١٩٢١).

يعرفونه، فاستعمل ذلك اللفظ، فإننا نحمله على معناه الذي يعرفونه ويستعملونه له.

وهذا الكلام مهم، فاستحضره لتستفيد منه فيما يأتي من مناقشة قول بعضهم.

وهذا ظاهرٌ في ظني، فتأمله.

وفي أقل الأحوال، هو قول محتمَلٌ ووجيه قويّ، وقال به جماعة كبيرة من العلماء.

فمن يحاول أن يسفّهه بمرةٍ، فما أحسَنَ!! والله أعلم.

❑❑❑

نأتي لمناقشة بعض قول القائلين بتحريم التصوير الفوتوغرافي:

والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه.

قالوا: هي صورة؛ لأننا وإياكم جميعا متفقون على تسميتها صورة، فهي إذن داخلة تحت كل لفظ صورة وردت في الأحاديث.

وكذلك فاعلها هو مصوّر وكلنا نسميه مصورًا، فهو داخل تحت كل حديث جاء في الوعيد للمصورين.

المناقشة: تسميتنا لها صورة، وكذا تسمية الفاعل لها مصوّرا إنما هو عرفنا نحن ولغتنا نحن أهل العصر، أو هو بحسب ما تعطيه اللغة (في خصوص الصورة)، وليس المردُّ إلى ذلك مادام قد بان من ألفاظ الشارع مراده بالتصوير، فعرفنا أن هذه الصور الفوتوغرافية ليست داخلةً في المنهي عنه، لعدم وجود معنى التصوير فيها، كما سبق بيانه وبيان الفرقِ، والله أعلم.

وهذه هي أكبر حجة استند إليها «وليد السعيدان» صاحب البحث المرفق[1] وبنى عليها كتابه كله كما تراه، وهي أيضا أكبر حجج الشيخ «ناصر الفهد»، ولهذا عبّرتُ عنها بأنها بيت القصيد ومربط الفرس.

قالوا: العلة ليست هي المضاهاة فقط، حتى تقولوا إن التصوير الآليّ ليست فيه هذه العلة، بل العلة أعم من ذلك وأكثر..!

المناقشة: العلماءُ أشاروا إلى أن علة التحريم في هذا الباب متعددة، أي مجموع أشياء، منها المضاهاة والاعتداء على صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى وخصائص ربوبيته ﷻ؛ كما قال تعالى في الحديث

---

(١) يعني بحثه المسمى: حكم التصوير الفوتوغرافي، وظاهرٌ أن الشيخ قد أرفق بعض الأبحاث مع رسالته هذه؛ منها البحث المذكور.

القدسي: (**العزة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني في شيء منهما عذّبته**)[١]، ومنها سدّ الذريعة إلى الشرك، وغير ذلك من المفاسد التي أشاروا إليها.

وبكل حال، العلة الكبرى هي المضاهاة والله أعلم.

وما عداه قد يُقال: لا ينهض بنفسه للتحريم مع وجود ما يقابله من المصالح.. والله أعلم.

ولهذا، فمن لم يرَ التصوير الفوتوغرافي والفيديو داخلًا في المنهي عنه، منعوه حيث وجدت العلل الأخرى، دون أن يقابلها ما يرجح عليها.

❖ **النقطة الثانية**: إذا تقرر ذلك، فاعلم يا أخي أن التصوير بالفيديو، وصور الفيديو «الصور التلفزيونية» أمرها أسهل وأوضح بكثير..!!

يوضح ذلك لك أن الكثيرين من القائلين بتحريم الصور الفوتوغرافية (صورة على ورقة) وجعل المصور الفوتوغرافي مشمولا بأحاديث الوعيد للمصوّرين، يقولون بأن الفيديو ليس كذلك، بل هو جائز، ومن أشهر هؤلاء الشيخ ابن باز (لكن الروايات عنه اختلفتْ في ذلك).

وليس هذا بدليل على الحق بمجرّده، لكنه مما يُستأنس به..!

وأما الدليل الأصلي عندنا فهو ما تقدم من أن هذا النوع من التصوير (الفوتوغرافي، والفيديو التلفزيوني) ليس داخلا في التصوير المنهي عنه، لأنه ليس تصويرا بالمعنى الذي بيّنه كلام الشارع ولا يدخل تحت الأوصاف التي دلّت الدلائل على اعتبارها في التصوير المنهيّ عنه، ولا هو تصوير بالمعنى اللغوي والعرفي لأهل اللغة زمن التنزيل، والله أعلم.

وأما ما يصرُّ عليه الشيخ «الفهد» من أن الصورة الفوتوغرافية أشد مضاهاةً من الصورة المرسومة باليد؛ فهذا خالفه فيه الكثيرون، والله أعلم.

وكأنهم لاحظوا أن المضاهاة المجعولة علة للنهي هي المضافة إلى الفاعل لا المضافة إلى المفعول، لأنه ﷺ قال: (**يضاهون بخلق الله**)، (**يشبِّهون..**)، (**يخلُقُ كخلقي**)، فأتي بالفعل -الجملة الفعلية- في سائر الأحاديث.. والله أعلم بالصواب.

ولهذا لم يلتفت مثل الشيخ «ابن عثيمين» وغيره من العلماء إلى هذه التي يعبر عنها الشيخ «الفهد» بأنها أشد ما يمكن من المضاهاة.

ولعلك ترى أن كون التصوير بالفيديو ليس داخلا في التصوير المنهي عنه، أكثر وضوحا من عدم

---

(١) انظر لفظا قريبًا منها في: سنن أبي داود (٤٠٩٠) وصححه الألباني، وجاء هذا اللفظ تمامًا في: المعجم الصغير للطبراني (٣٣١).

دخول التصوير الفوتوغرافي -على الورق- فيه.. وهذا أشبه بالعلم الضروري.

ومجرد معرفته وتصوّره تغني عن تصويره وتقريره.!!

وهي أيضا أشبه شيء بالصورة في المرآة.

❖ **النقطة الثالثة**: إذا علمتَ هذا يا أخي العزيز، فأنا أرى لك بقوةٍ أن تستمر على عملك، وتجتهد فيه وتبذل، فإن فيه نصرا عظيما للإسلام والمسلمين، ودعوة عظيمة إلى الله، وإحياءً للأجيال، وجهادًا لأعداء الله لا يخفاك، بل أنت أستاذٌ في ذلك، وقد أشرتَ إلى هذا في رسالتك إشارةً كافية شافية.. فلا تترك هذه المصلحة الظاهرة المحققة العظيمة، وترتكب هذا التَّرْكَ المفسِدِ المؤدّي إلى نقصٍ عظيم وضعفٍ للإسلام وأهله في مواجهة عدوّهم حتى يتبيّن لنا أمرٌ لا محيد عنه بالكلية، وأما إلى الآن فالمسألة مسألة اجتهادية قابلة للنظر في النهاية، بل لعلّ الراجح فيها ما تقدم بيانه، وعليه أكثر علمائنا (فيما يتعلق بالفيديو خصوصًا).!!

ولذلك فإن الكلام الذي قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في مسألة الرجل الذي دعا القوم السكارى الزعّار باستعمال الآلات الموسيقية والسماع، أي دعاهم إلى الله والتوبة بوسيلة محرّمة.. لا ينطبق على حالتنا هنا إن شاء الله.! وهذا واضح جدا..

فمسألتنا إما القول الراجح فيها الجواز.. وهو قول كثير من العلماء.!!

وهو الذي يترجّح لي لحد الآن، وخاصة في الفيديو.

أو على الأقل هي اجتهادية متكافئة محل نظر وبحث..!

فلا تُتْرك المصلحة الكبيرة المحققة ونرتكب المفسدة المحققة الكبيرة والمسألة قابلةٌ.! والله أعلم.

أضف إليها أنه حتى على القول بالتحريم فمحتملٌ القول بجوازها لما أنت بصدده من الجهاد ونصر الدين ومقارعة العدوّ،كما أشرتَ إليه أنتَ أخي العزيز في رسالتك بأنه من باب الضرورة، وهكذا يراه بعض العلماء فعلًا.

فبعض العلماء مع تحريمه للتصوير مطلقا، أجاز التصوير للمجاهدين في الحرب والجهاد، قال: لما فيه من نصر الدين، وجعله من باب ما يجوز في الجهاد مما يُمنع في غيره. قاله الشيخ الخضير فرَّج الله عنه، وغيره.

وبالمناسبة فأحكي لك شيئا: فقد سألت أحد تلاميذ الشيخ ناصر الفهد المقربين منه، وكان هو الذي ينشر له أبحاثه ومقالاته، ووجدته عارفا برأي شيخه وبهذا البحث جدًا، فكان مما قال لي: في إحدى المرات طلب مني الشيخ أن آتيه بسي دي لـ«جماعة الأنصار» فيه تدريبات عسكرية وصور

جهادية وحرب، فقلت له: يا شيخ غيرت رأيك أو كيف؟ فقال: لا، بس أريد أعطيه لابني لأحرّضه. انتهى كلامه. فيقول صاحبي: هو يرى التصوير حراما بجميع أشكاله، لكن أجاز أن يُريَ الفلم الجهادي لابنه لما رأى أنه ضروري جدا لتحريضه.

أضف إليها أن الشريعة قد أباحت من الصور -مما فيه المضاهاة اتفاقًا، فكيف بما اختلفنا فيه- ما كان مبتذلًا مهانًا.. وهذا على الصحيح من أقوال أهل العلم.

فهذا إلى حد ما له مدخل فيما نحن بصدده، والله أعلم.

ومع كل ذلك أيضًا، لك أن تحتاط بعضَ الاحتياط مما أشرتم إلى أطرافٍ منه في رسالتكم، بشرط ألا يؤدّي هذا الاحتياط إلى التحريج على نفسك وإخوانك، أو إلى إنقاصٍ وإفسادٍ للمقاصد الإعلامية والجهادية المطلوبة.

❖ **النقطة الرابعة**: وأما كلام الشيخ «الفهد» في القُربة وفي البدعة، وكلامه في التشبه، وكلامه في الذرائع، والأضرار، وغير ذلك؛ فالذي يتّضح لي جدًا -والله أعلم- أنه إما باطِلٌ ككلامه في البدعة، أو أنه غير سديد بل مردود (كلامه في القُربة وفي التشبه)، أو هو ضعيفٌ معارَضٌ بغيره وغير مانع من استخدام التصوير بالكامرا والفيديو ونشرها ومشاهدتها (كلامه في الأضرار والذرائع)، وقصاراه أن يُراعَى ذلك، ويُوجِب لنا الاحتياط والتوسط.. وأتركُ هذا للتعليق في وسط كلامه إن شاء الله.

❖ **النقطة الخامسة**: أيضًا سيأتيك هناك (في ضمن التعليقات في ثنايا رسالتكم) الكلام على بعض ما يظهر كونه تناقضًا، أو ما شابه ذلك من إشكالات، والكلام على الإعانة على المنكر، وغير ذلك، إن شاء الله ونسأله الإعانة.

❖ **النقطة السادسة**: فائدة: اعلم أن من أشهر القائلين بجواز التصوير الفوتوغرافي وأنه غير داخل في التصوير المنهيّ عنه: الشيخ ابن عثيمين؛ لكن لم يَخْلُ قوله من إشكالٍ؛ بيانُهُ: أنه يقول إن التصوير بالآلة «الكمرا» جائز وغير داخل في النهي، [أو ليس مشمولًا بالوعيد الوارد في المصورين] ثم هو يقول: إن الصورة إذا خرجتْ على الورق، فإنها صورةٌ تأخذ كل أحكام الصورة، وتدخل تحت كل أحاديث الصور.! فكان قوله أشبه بالمتدافع..!

واحتج عليه المخالفون بأنه ما دام يقول إنها صورة، فإن يلزم أن يكون صانعها مصوّرًا.

والشيخ فرّق بين التصوير والصورة.

فقال هنا: الفعل ليس تصويرًا، لكن الصورة صورة عندما تخرج على الورق.. فهذا موضع إشكال..!!

فمن العلماء من التزمَ أن الصورة ليست صورة (أي المنهيّ عنها) أيضا، وهذا مقتضى ما رجّحناه.

ومنهم من نفى الكل، وقال: بل الكل تصوير، والكل صور.. والله أعلم بالصواب.

وسترى في التعليق على كلام الشيخ «الفهد» شيئا يتعلق بهذا الموضع؛ فإنه ألزمهم بأن فاعل الصورة (التي اتفق الجميع على تسميتها صورةً) هو مصوّر، وقال إنه إلزام لا محيد عنه.!

ثم قال في المرآة إن الشخص الواقف مقابلَ المرآة ليس مصوِّرًا، هكذا قال.

مع أن التي في المرآة صورةٌ أيضا عند الجميع.. فراجعه هناك.

وحاصله إمكان الانفكاك بين الصورة والمصوّر.

و لما كانت المسألة محتملة، والظن فيها ليس بالقوي جدًا.

فالاحتياط متأكدٌ في مثل هذا، وحيث انضمّ إليه موجِب حكمٍ آخر قلنا به، ولا يخفى ما فيها من مفاسد من جهة، مع ما فيها من مصالح في جهة أخرى.

فأرى الاحتياط بعدم اقتنائها إلا لحاجة تظهر فيها المصلحة بوضوح، وبناءً على ذلك ينبغي إذا وجدتْ في البيت أن تخفى مهما أمكن (وهو نوعُ طمسٍ)، وأنهى عن التوسّع في ذلك، لأن الضرورة (الحاجة هنا قريب منها) تقدر بقدرها. والله أعلم وهو الموفق لما فيه الخير والفلاح.

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، عز وجل وتبارك اسمه وتعالى.

وأستغفر اللهَ العظيم من كل ذنبٍ وزلل.

ونسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق والهدى والسداد.

وسامحونا على التقصير..

وأنا أعرف أنك أرسلتَ إليّ مع وجود «أبي يحيى» عندك و«أبي الوليد»؛ لتتعاضد عندك الآراء والمشورة، وربما أردت أيضا تنشيطي وتفعيلي؛ فجزاك الله خيرا على حرصك ونصحك، وإن لم يكن لديك مانع، فإن شئتَ فاعرض كلامي هذا على «أبي يحيى»، ورأيه خيرٌ من رأيي وأفقه، والله المسؤول لنا ولكم التوفيق.

وانظر في المرفقات:

- نفس رسالتك (رسالة السؤال) مضمَّنةً تعليقاتي.

- مرفقات في ملف مضغوط تحتوي على صفحات من النت في مناقشات لطلبة علم في المسائل وتحتوي فتاوى وغيرها، وبحوثًا وجدتها على النت، ومنها بحث وليد بن راشد السعيدان، وربما أعلق عليه في ثناياه أيضا.

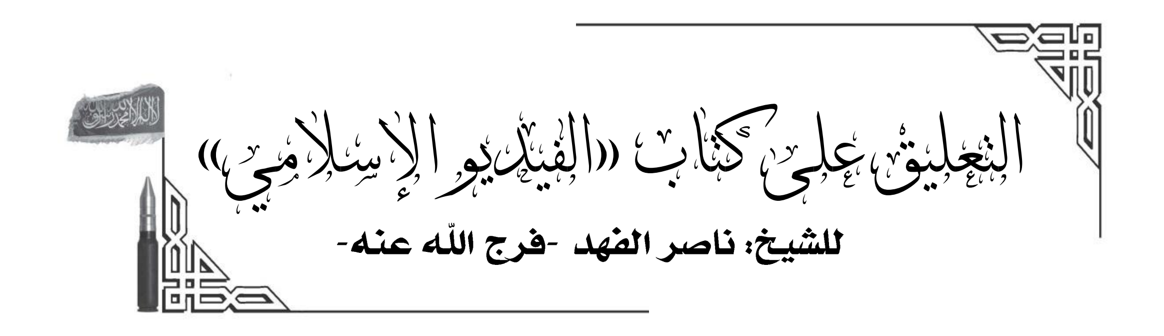
- بحث الشيخ ناصر الفهد مع تعليقاتٍ عليه.

وجزاكم الله خيرا، وبارك الله فيكم
وسلامي لكم مكررا ولكل الأحباب
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك المحب لك الداعي لكم دائمًا:

عطية

ربيع الأول ١٤٢٧هـ



التعليق على كتاب «الفيديو الإسلامي»

للشيخ: ناصر الفهد -فرج الله عنه-

[وصلتنا هذه الرسالة من أحد طلاب الشيخ الملتصقين به جزاهم الله خيرًا، وقد كتبه الشيخ في ربيع الأول ١٤٢٧، وهي رسالةٌ تضمنت تعليقات على كتاب «الفيديو الإسلامي» للشيخ: ناصر الفهد، ملحقة بجوابٍ عن سؤال الأخ «أبي النور الرومي» عن حكم التصوير.. ولأن الكتاب كبير فسنذكر تعليق الشيخ «عطية» ﷺ بعد ذكرنا النص المعلَّق عليه، ولا بد من مراجعة أصل الكتاب ليتضح التعليق؛ فيفهم ضمن سياقه التام، وقد أضيف في بعض كلام الشيخ ناصر كلامًا ليفهم المراد فأضعه بين [معكوفين] مربعين]

بسم الله الرحمن الرحيم

[**الشيخ ناصر: إضافة «جهاز الفيديو» أو «أشرطة الفيديو» إلى «الإسلام» وتسميته بـ«الفيديو الإسلامي» تفسر على أحد ثلاثة تفسيرات كلها بدعة في الدين**].

التعليق: بسم الله الرحمن الرحيم، سيأتي التعليق على هذا في آخر البحث.

[**الشيخ ناصر: أما ما لم يُنص عليه، ولم يكن من جنس المشروع فهو بدعة.. فكيف إذا كانت الوسيلة أصلًا محرمة كالدعوة إلى الله بالتصوير أو التمثيل أو الرسوم الكرتونية وغيرها؟**].

التعليق: هذا استدلال بمحل النزاع، ولا يخفى أنه ممنوع، لا يفيد!!.

[**الشيخ ناصر: إضافة هذا الجهاز إلى «الإسلام» و«الإسلام» منه براء**].

التعليق: أيضًا هذا استدلال بمحل النزاع!!.

[**الشيخ ناصر: النسبة [أي نسبة الفيديو للإسلام: «الفيديو الإسلامي»] توهم العامة أن هذا الجهاز مستحب أتى الشرع باستحبابه -وهذا الأمر تفيده الإضافة- وهو أمر باطل**].

التعليق: الإضافة لا تفيد ذلك، أي الاستحباب، بل فائدتها على الأكثر: الجواز ومطلق المشروعية، فتأمل.

[الشيخ ناصر: من أراد أن يسوغ بدعة أو منكرًا ونحوها، فما عليه إلا أن ينسبه إلى الإسلام، وقد وقع هذا فعلًا فرأينا «المسرح الإسلامي» و«التمثيل الإسلامي» و«الغناء الإسلامي»..].

التعليق: ولا تستبعد أن يأتي بعض الزنادقة فيقول: «الدعارة الإسلامية»؛ تعالى الله عما ينسبون إلى دينه علوًا كبيرًا!! ولكن مع كل ذلك؛ فإننا نعطي كل شيء حقه، فما كان حلالًا باجتهادنا، فلا بأس بنسبته إلى الإسلام فنقول: إسلامي، أي منسوب إلى أهل الإسلام، ولا نسلّم أن ذلك ذريعة إلى من يريد أن ينسب الباطل إلى الإسلام، فإن كان لابد من التسليم بأنها ذريعة فهي ذريعة من الدرجة الصغرى التي لا توجب منعًا بنفسها، والله أعلم.

[الشيخ ناصر: نسبة المنكرات -من التصوير والتمثيل والرسوم الكرتونية وغيرها مما تنشر في هذه الأجهزة- إلى «الإسلام»، أمر عظيم؛ إذ يُنسب إلى الإسلام ما حرّمه ومنع منه].

التعليق: مرة أخرى: الاستدلال بمحل النزاع! ويمكن أن يقال بالتفريق بين هذه الأشياء؛ فالرسوم الكرتونية ليست كتصوير الفيديو مثلا.

[الشيخ ناصر: ولو كان هذا الجهاز ليس فيه من المنكرات مثقال حبة من خردل فلا تجوز نسبته إلى (الإسلام)، ولكن يسمى -إذا أتي الأمر من بابه- «الملهي» أو «الفيديو الملهي» أو «الأشرطة الملهية» ونحوها؛ فإن أقل ما فيها عند ذلك أنها من «اللهو المباح»، والله المستعان].

التعليق: مبالغة لا تخفى.. بل فيه غير اللهو المباح الكثير من المصالح التي لعل المؤلف لم يكن يلاحظها، ونحن نعرفها اليوم.

[الشيخ ناصر: ولو أن قائلًا قال بأن المضاهاة الحاصلة من هذه الآلات أعظم من المضاهاة الحاصلة من مجرد «التصوير باليد أوالرسم» -الوارد في النص- لكان كلامه صحيحًا؛ فدخولها في النص من باب أولى].

التعليق: خُولف الشيخ في هذا، والأكثرون فيما رأيتُ على خلافه فيه، أي في كون التصوير الفوتوغرافي والفيديو أكثر مضاهاةً لخلق الله، بل الكثيرون صرّحوا بأنهم لا يرون فيه معنى المضاهاة، والله أعلم.

[الشيخ ناصر: ومن المتفق عليه بين الجميع أن الرسول ﷺ قصد بـ(الصورة) المانعة من دخول الملائكة نفس (الصورة) المتوعد على صنعها الوارد في باقي النصوص].

التعليق: قد يمكن للمخالف أن يحيد عن هذا الإلزام بالقول إن الفاعل (مستعمل الكمرا، ولا أريد أن أسمّيه مصوِّرا الآن حتى لا تختلط الألفاظ) هو ناقِلٌ للصورة هنا وليس مصوّرًا، كما صرّح كثيرون منهم بأنه ليس فعلَ تصويرٍ بل هو نقلٌ وحبسٌ للظلّ وحفظٌ لانعكاس الصورة على الجدران المخصوصة ونحو ذلك، وبهذا قالوا: الفعل ليس تصويرًا، لكن عندما تخرج على الورق مثلا فهي صورةٌ، لأنها صورةُ فلانٍ مثلًا، لكن مستعمل الكمرا (المصوِّر في لغتنا واستعمالنا الآن) هو ناقِلٌ لهذه الصورة، ولم يصنعها بالمعنى الذي فهمنا من الأحاديث الشريفة أنه المقصود بالذم والوعيد، والله أعلم.

[**الشيخ ناصر**: **في دلالة «العقل» على دخول ما يعرض في هذه الأجهزة في «الصور» المحرمة؛ فإذا فرّقنا بين الصور ؛ فجعلنا المصوّر باليد محرمًا والمصوّر بالآلة مباحًا للزم أمران باطلان: الأول: أننا بذلك نكون قد فرقنا بين المتماثلين شرعًا، ولكان هذا تفريقا بلا دليل؛ فإن التفريق هنا بكون هذا بـ(اليد) وهذا بـ(الآلة) تفريق بوصفٍ طرديٍ لا تأثير له على الحكم**].

التعليق: المخالفُ فرَّق لا بكون هذا باليد وهذا بالآلة، بل بكون هذا فيه معنى التصوير وهو المتضمن للمضاهاة والخلقِ كخلق الله تعالى، والآخر ليس فيه ذلك.

[**الشيخ ناصر**: **التصوير أشد مضاهاة لخلق الله تعالى**].

التعليق: واضحٌ أن المخالف ينازع في ذلك، وبنى على منازعته في ذلك خلافكَ.

[**الشيخ ناصر**: **التصوير بالآلة أيسر من التصوير باليد مما جعل عامة الناس يفعلونه، وكان سابقًا مقصورًا على الخواص**].

التعليق: حاصل هذا الوجه تقرير أن التصوير بالآلة أعظم أي شرًّا وفسادًا من التصوير باليد لأنه أي التصوير بالآلة سهل ميسّرٌ لعامة الناس، وهذا استدلال عجيبٌ، لأننا لو قررنا أنه مشروعٌ فلا تأثير لكل ما ذكره، فتأمل!!.

[**الشيخ ناصر**: **التصوير بالآلة أخطر من ناحية انتشار المنكرات بكثرة بسببه**].

التعليق: هذا صحيح في نفسه، لكن إنما جاء الخطر من أمرٍ خارجيّ، فالمخالف لك يقول: التصوير مباح في ذاته من جهة كونه ليس داخلا في التصوير المنهي عنه، لكنه حرام إذا استعمل في منكر.. الخ، كما وضّحه الجميع وهو محل اتفاق، فلا إشكالَ.

[**الشيخ ناصر**: **ومن تأمل أحكام الشريعة وانتظامها لم يشك لحظة أن الذي حرّم تلك الصور حرّم أيضًا هذه الصور**].

التعليق: هذه دعوى، وقصاراها أن يُسلَّم بوجود فساد في هذا التصوير، لكنه ليسا غالبًا (ليس راجحًا) على المصلحة التي فيه، والشريعة لا تحرّم إلا ما كان فسادًا خالصا أو راجحًا، أو يفصَّل فيه كما يقوله المخالفُ.

[**الشيخ ناصر: استعمالات ومفاسد هذه التصاوير في هذا الوقت هو نفس استعمالات ومفاسد التصاوير في السابق**].

التعليق: هذا صحيح وقويّ جدًا، والمخالف يقول: من أجل ذلك نهى الجميع عن تعليق الصور وتعظيمها ولا سيما إن كانت للعظماء والزعماء وما شابه، مراعاةً لهذا المعنى، حفظا لجناب التوحيد، ولكونها وسيلة إلى الشرك، فرجع الأمر عندهم إلى النهي عن التعليق والتعظيم لها لا لذاتها؛ لأنهم رأوها ليست صورة بالمعنى المنهي عنه، والله أعلم.

[**الشيخ ناصر: في دلالة «العرف» على دخول ما يعرض في هذه الأجهزة في «الصور» المحرمة وهذه الدلالة للاستئناس فقط؛ فإن الناس تعارفوا على تسمية ما يعرض في هذه الأجهزة بالصور، وسموا الصانع لها «مصوّرًا»، وسموا فعلها «تصويرًا»، فوافقت تسميتهم الحقيقة الشرعية واللغوية**].

التعليق: لا أثر لذلك، والله أعلم، وقد احترس المؤلف في هذا بقوله «إنه لمجرد الاستئناس».

[**الشيخ ناصر: «التصوير» حرفة لها أهلها في السابق، وكذلك هذه الآلات حرفة لها أهلها**].

التعليق: أيضًا هذا، الظاهر أنه لا أثر له.

[**الشيخ ناصر: المفاسد المترتبة على الصور: عبادتها في السابق ورفعها و تعظيمها الوارد ذمه في الأحاديث موجود نظيره في هذه الصور المأخوذة بهذه الآلات، بل ويوجد من مفاسد الصور هذا اليوم ما لا يوجد نظيره في أي زمنٍ من الأزمان**].

التعليق: على الجملة هذا كلام صحيح، لكن المخالف للمؤلف يقول: نحن نمنع تعليقها وتعظيمها بل وحتى الاحتفاظ بها للذكرى، كما يقوله الكثيرون من المجيزين.. الخ، قالوا: فنحن راعينا هنا وجود العلة، وراعينا وقوع المفسدة، لكن الكلام في أصل تحريم الصورة شيء آخر، ولهذا أجزناها حيث كانت في خير وصلاح.

[**الشيخ ناصر: فإن قيل: ولكن هذه الصور لا مضاهاة فيها لخلق الله؛ لأنها نفس خلق الله تعالى، وإنما هي نقل للصورة التي خلقها للعبد، بخلاف التصوير باليد**].

التعليق: هنا معقد الفرس في ظني، وهو عمدة المخالف.

[الشيخ ناصر: الوجه الثالث [في الرد على اعتراض المجيزين السابق] أن هذا يلزم منه أن تباح الآلات التي تصوّر وتخرج الصورة ثلاثية الأبعاد «مجسمة»، و لا أظن قائلًا يقول بهذا].

التعليق: هذا الوجه قويّ، ولا أعرف كيف رد المجيزين عليه.

[الشيخ ناصر: الفرق بين التصوير باليد والتصوير بالآلة كالفرق بين نقل الوثائق باليد وتصويرها بالآلة، فالأول تنسب الكتابة إليه دون الثاني؛ فتنسب في الآلة لصانعها وهو الله].

التعليق: هذا قاله الشيخ ابن عثيمين وغيره من المجيزين، وهو متفق مع قولهم إن الصورة الفوتوغرافية -والفيديوا أوضح- ليس فيه المضاهاة المجعولة علة للتحريم، لأنه ليس فيها إبداع وصنع وتصويرٌ وخلقٌ، ويحتاج إلى تأمل أكثر، فالله أعلم.

[الشيخ ناصر: هذا [يعني أن الفرق بينهما كالفرق بين نقل الوثائق باليد وبين تصويرها] ينتقض بتصوير التماثيل والرسوم اليدوية، فإنه لو صورها بآلة التصوير فإن ذلك داخل في تصوير ذوات الأرواح، ومع ذلك يقال فيه ما قيل في هذا إن هذه الرسوم لا تنسب إليه بل تنسب إلى صانعها وراسمها الأول، والمصوّر آثمٌ بفعله هذا حتى عند من أجاز التصوير].

التعليق: المخالفون يسلّمون بوجود المضاهاة فيها، وليس لليد أو الآلة تأثير في الحكم، إنما الكلام في معنى المضاهاة والخلق والتصوير.

[الشيخ ناصر: تسمية «الصورة» بـ«العكس» عند بعض أهل العرف هو في حقيقتها موافقة لمعنى «المضاهاة»، فإن العكس من انعكاس الصورة وانطباعها بواسطة الآلة، وهذا معنى المضاهاة فهو صنع النظير والمثيل].

التعليق: بل مرادهم أنها ليس فيها معنى التصوير والخلق، وأنها مجرد نقل للصورة وانعكاس لها وحبسٌ لظلها.. الخ؛ هذا تقرير قولهم، والمؤلف لم يقرره بشكل دقيق فتأمل!!.

[الشيخ ناصر: من رأى صورته في المرآة لا يقال له «صوّر» ولا يسمى هذا العمل «تصويرًا»، بخلاف هذه الآلات].

التعليق: لكن يقال لصورته في المرآة: صورة، وهذا يتدافع مع كلام المؤلف السابق في إلزامه للمخالفين حين قال إنه إلزام لا محيد عنه!!، لأن مقتضاه إمكان عدم التلازم بين الصورة والتصوير.

[الشيخ ناصر: مسمى «الصورة» في «الشرع» و«اللغة» و«العرف» ينطبق على هذه «الصور»، والحكم تابع للحقيقة الشرعية -ولو خالفتها الحقيقة اللغوية والعرفية-، فكيف وقد اتفقت الحقائق الثلاث؟].

التعليق: كما تقدم مرارًا، هذا بيت القصيد، والمنازع يقول إن الحقيقة الشرعية للصورة المحرمة لا تنطبق على هذا التصوير الفوتو والفيديو، فالله أعلم.

[**اللجنة الدئمة -سؤال وُجه إليها-: بدأنا مشروع «مجلة للأطفال المسلمين» باسم «أروى»، وجاء من نثق به وبدينه يعترض علينا من جهة رسوم الأشخاص**].

التعليق: واضح بالنسبة إلى هذا أنه يسأل عن الرسم، لأن لفظ رسم في لغتنا اليوم معروف، وهو غير التصوير، والله أعلم.

[ملاحظات على الكتاب إجمالا]

بسم الله الرحمن الرحيم

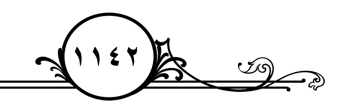
بقيت بضع ملاحظات أحببت أن أسجلها:

❖ **الملاحظة الأولى**: حول كلامه على تسمية «الفيديو الإسلامي» ونحوه، والثلاثة التفسيرات التي ذكرها في الدليل الأول، ورأيي أن كلامه فيه تكلف وإجحاف، وأنه ليس هناك بدعةٌ ولا شيء، والحق -إن شاء الله- أن تسمية «الشريط الإسلامي» و«الفيديو الإسلامي» ونحوه هي على معنى النسبة إلى أهل الإسلام؛ فمعنى «الإسلامي» -والياء المشددة في آخره ياءُ النسبة-: المنسوبُ إلى الإسلام، أو شيءٍ ملابس للإسلام، أي على تقدير مضافٍ، كأهل الإسلام أو عصر الإسلام، وعلماءُ اللغة يقولون: الإضافة لأدنى ملابسة.. وقد وُجِد هذا كثيرا في الماضي والحاضر، كقولهم: شاعرٌ جاهليّ، وشاعر إسلاميّ؛ فالجاهليّ المنسوب إلى زمن الجاهلية وعصرها، والإسلامي المنسوب إلى عصر الإسلام، وأحيانًا إلى أهل الإسلام أي المسلمين، ويُعرَف معنى ذلك بالملابسات، حتى إنهم يصنّفون «الأخطلَ» مثلا في طبقات الشعراء الإسلاميين، ومعلوم أنه نصرانيّ، فهذا وأمثاله المقصود بالنسبة فيه: النسبة إلى العصر والمرحلة الزمنية.. وهكذا أمثلة كثيرة.

فالحاصل أن نسبة الشريط أو الفيديو هنا إلى الإسلام مما لا يستدعي كل هذه التفسيرات الثلاثة التي ذكرها المؤلف، وهي في نظري تكلف وتعمّق غير محمود.

وهذه النسبة عند المجيزين للتصوير الفوتوغرافي والمتحرك «الفيديو» نسبة لا غبار عليها ولا تناقض فيها؛ فإنهم يقصدون معنى صحيحا، وهو أنها منسوبة إلى أهل الإسلام الملتزمين بدين الإسلام والمتحاشين عما يخالفه، أما نفس حكم التصوير فهو محل النزاع بين المؤلف وبينهم.!!

فهم لو أقروا معك بتحريم التصوير بدون استثناء، لما أقروا هذه النسبة -إلى الإسلام- بل لنبذوها ورفضوها.! والله أعلم.



❖ **الملاحظة الثانية**: حول ما ذكره في الدليل العاشر، وفي غير موضع من الكلام على التشبُّه؛ ففي كلامه شيء قد لا يوافَق عليه، وهو: كون استعمال هذه الأجهزة للتصوير والعرض من التشبه، فإن المخالف -الذي يجيز هذا النوع من التصوير ويرى أنه غير داخل في التصوير المنهيّ عنه- يقول: لا تشبّه هنا!! بل هذا من المباحات في أمور دنيا الناس والمعاش والصنائع والتصرفات العادية التي يشترك فيها المؤمن والكافر وتؤخذ عن أي أحدٍ، كصناعة السلاح والأدوات المباحة والنافعة وغير ذلك مما لا يُحصى..!

والحاصل أن كلام المؤلف فيه أيضا -كمواضع أخرى من استدلالاته- استدلالٌ بمحل النزاع.. والله أعلم؛ لأن المخالف لو أقرَّ معك بتحريم هذا التصوير وآلاته، لأقرَّ معك تبعًا لذلك بتحريم أخذها عن الغرب، وسهُلَ القول أنها من التشبّه بهم حينئذٍ.

❖ **الملاحظة الثالثة**: في كلامه عن المصالح والمفاسد، أطنب في بيان مفاسد هذه الأجهزة، ومعه حق بارك الله فيه، وثبّتنا الله وإياه على دينه الحق، وهو يتكلم عن «التلفزيون» والفيديو في حياة الناس، وكلامه صحيح في الجملة وملآن بالحكمة لا شك، لكنه بالَغ قليلا في نفي أي فائدة لها، حتى جعل قصارى ما فيها أن تكون من اللهو الذي لا فائدة فيه لو جازتْ!! ولعله لم يكن اطلع بشكل تامّ على ما فيها من الفوائد التي اطلعنا نحن عليها اليوم في عملنا العسكري والجهادي والسياسي وفي الدعوة والتعليم.

والمجيزون لهذا النوع من التصوير لا يقولون بحله كله بدون ضوابط أصلا كما هو معروف مسلَّم لا يلتبس.. بل يحرّمون استعمالاته التي احتوت على سبب آخر للتحريم، ويحرّمون ما كان منها مستعملا للحرام وفي الإفساد وذريعةً إلى الفساد والإفساد بدون أن يقابلها مصلحة راجحة.. الخ كلامهم وتفصيلهم كما يفصّله الشيخ «ابن عثيمين» وغيره.

فلا يرد عليهم كلام المؤلف في المفاسد والذرائع، والله أعلم.

❖ **الملاحظة الرابعة**: حول ما ذكره في الدليل الأخير وهو اتقاء الشبهات، وظاهر كلامه وصنيعه في جعله من الأدلة، أنه يحمله على الوجوب، ولكن كلام سائر الفقهاء خلافه، وهو أن الاستبراء للدين بترك الشبهات ومباعدتها مستحبٌّ مرغّبٌ فيه، وهو درجة المتقين، ولا يفتى به، بمعنى أنه ليس فتوى وإنما هو نصيحة وإرشادٌ إلى الورعِ والاحتياط.والله أعلم.

وبعبارة أخرى يذكرها بعض الفقهاء: أن العامة لا تُحمَل على الورع وترك الشبهات، بل يندبون إلى ذلك، ولا سيما حيث يتعلق الأمر بما تعمّ به البلوى وبما يشق التحرز منه، ومثله -والله أعلم- ما

تنازعه موجِب الشبهة من جهة، والمصلحة الكبيرة الظاهرة فيه من جهة أخرى، فهنا يرجح الفقيه المصلحة الكبيرة -والله أعلم- لأن مقابلها شبهةٌ.

فلا نترك مصلحة كبيرة عرفناها وتحققناها، ونرتكب مفسدة عرفناها وتحققناها، وهي مصلحة عامة -للإسلام وأهله جملة- ليستْ خاصة، من أجل الشبهة، والله أعلم.

هذا فيما يتعلق بكلامه عن الشبهة فقط، وهو الدليل الأخير الذي ذكره.

ولكن:

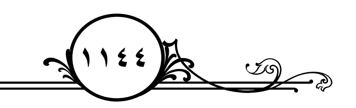
❖ **الملاحظة الخامسة**: الحق يقال أن مبحثه وكلامه -على بعض ما فيه من ملاحظات أشرنا إلى أكثرها- في غاية الجزالة، وبالغ الإزعاج والإفزاع للقلب، وحتى إن بقي الإنسان مختلفا معه؛ فقد استفدتُ أنا شخصيا منه كثيرا، ونحن ربما قد غلبنا التيار للأسف، ومشينا مع فتاوى الإباحة لهذه الأنواع من التصوير مطلقا، والإباحة للرسوم المتحركة، وأفلام الكرتون «الإسلامية» وغير الإسلامية.. وإنني -عن نفسي- سأمتنع عن اقتنائها لأولادي إن شاء الله، وسأسعى للتخلُّصِ مما كان عندي منها.. فلعلّ هذا من التوسع الذي وقعنا فيه زمانًا، صحيحٌ أنه قد أفتى جماعة من أهل العلم بإجازتها وأنه لا بأس بها، ولكن والله كان في النفس شيء منها، وقد قوي بقراءة مبحث الشيخ «ناصر» فرج الله عنه وثبّتنا الله وإياه.

فلئن استمررنا بحسب ما نرجّحه -حتى يأتيَ من ذلك أمرٌ واضحٌ جدًّا لا مردَّ له- على استخدامنا للتلفزيون والفيديو ونحوهما فيما يفيد من المصالح التي عرفناها، فإننا لابد أن نحتاط ونضيّق الدائرة، ولا سيما في الأشياء المرسومة باليد مما فيه تصوير وخلق وإبداعٌ بلاشك كالرسوم المتحركة، مع ما انضاف إليها مما ذكروه في أسباب تحريم التمثيل، وغير ذلك من بقية المفاسد..!!

اللّهم إلا أن نضطرَّ من باب ارتكاب أخف الضررين، عافانا الله وإياكم؛ فوالله إن ظروف الحال صعبة في واقعنا ومجتمعاتنا، وأولادنا شبه محبوسين، ومهما حاول المرء أن يمتنع عن بعض المكروه والفساد صعُب عليه جدا، وربما زاد بالإغلاق والتضييق تضييقًا لا يطاق، فبالله أقيموا العذرَ فإن الحال والله صعبٌ في عالَمٍ يسيطر عليه عدوّنا كما أشرتُ، ولا دولة للإسلام، ومعلوم أنه في مثل هذه الأحوال يُرخّصُ في بعض ما كان في زمن القوة والغلبة للإسلام محرَّما ممنوعًا..!

نسأل الله عز وجل أن يرفع راية الإسلام خفّاقة ويقيمَ لنا دولة الإسلام والتوحيد والسنة شامخة نفرح بها ونطمئن فيها ونعبُدُ ربنا عز وجل أحرارًا كما أمرَ وأحب ورضي ﷻ.

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.



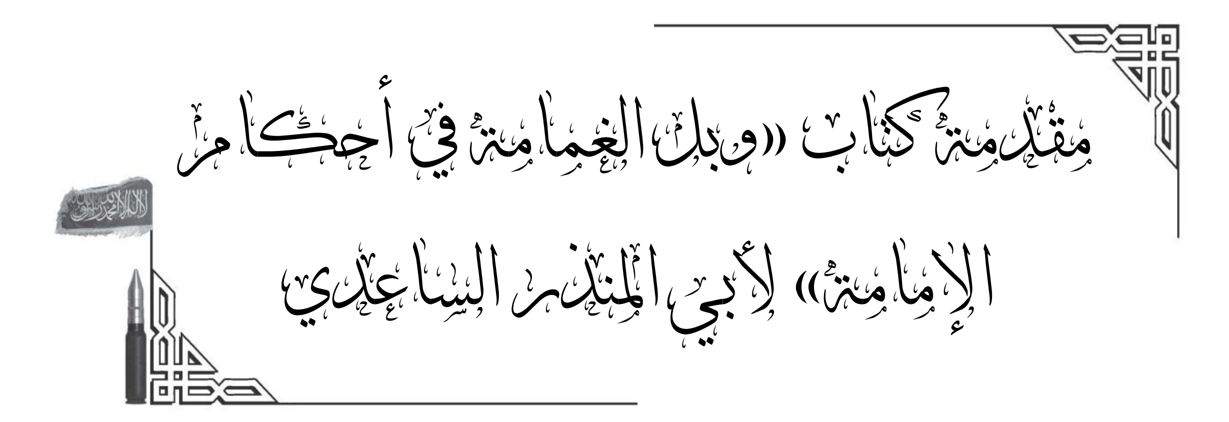
ونستغفر الله تعالى ونتوب إليه من كل ذنبٍ.

اللّهم إنا نسأل العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك المحب

ربيع الأول ١٤٢٧هـ



[قدم الشيخ لهذا الكتاب المهم في مسائل الإمامة نيابة عن ناشره، في: ربيع الأول ١٤٢٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمدٍ وآله وصحبه.

يسرّنا أن نقدم لشباب الإسلام ودعاته والمجاهدين في سبيله هذا الكتاب «**وبل الغمامة في أحكام الإمامة**» للشيخ المجاهد: «أبي المنذر سامي الساعدي» فرج الله عنه؛ إسهامًا في إثراء المكتبة الإسلامية المعاصرة، ونشرًا للعلم الواجب على الطليعة الميمونة لأمتنا المسلمة المبتلاة المرحومة، وزادًا للطائفة المنصورة بإذن الله.

هذا وننوّه إلى أن الشيخ قد ناله قضاء الله تعالى بالأسر قبل أن يكمل الكتاب؛ فهو في الحقيقة مسوّدة تركها عند بعض إخوانه، قبل أن يقع في الأسر، نسأل الله تعالى أن يفرج عنه وعن سائر إخوانه من أسرى المسلمين في سجون الطواغيت المرتدين واليهود والصليبيين.

وكان قد بدأ في تأليف الكتاب أيام «الإمارة الإسلامية في أفغانستان» في العاصمة «كابل» أعادها الله عامرةً بشريعة الإسلام، ثم كان من قدر الله ما كان من الأحداث والحرب والانحياز، وسافر الشيخ وكتب بعضه في أسفاره برغم صعوبة الأحوال.

ومن أجل ذلك؛ فإن القارئ سيجد في الكتاب أشياء تركها الشيخ بياضا في نسخته على أن يكملها فيما بعد، فلم يتسنَّ ذلك، ولله الأمر، مثل وضع الحواشي والتعليقات، وتدقيق النقول، وإثبات كثير من أرقام أجزاء الكتب والصفحات للنقولات عن أهل العلم، وغير ذلك.

وتراه يترك علامات استفهام متوالية (هكذا: ؟؟؟؟ مثلًا) للدلالة على أنه موضع سيرجع إليه ليكمله بالنقل أو العزو والتوثيق، أو نحو ذلك.

ويجدر أيضا التنبيه إلى أن الشيخ نقل الكثير من النصوص من برامج الكمبيوتر وفيها أخطاء كثيرة، وأنا أعرفُ -وقد سمعتُه يصرح بذلك في مذاكرةٍ معه- أنه كان من منهجه وطريقته أن لا يعتمد على هذه البرامج اعتمادًا نهائيا كاملا حتى يقارنها بالكتب في طبعاتها الموثوقة المصححة، ولكن حالت الأقدار دون إتمام ما أراده، فاقتضى التنبيه أيضا.

وقد رأيت بعد التشاور مع بعض إخواني أن ننشر الكتاب كما هو وفاءً للشيخ ورجاء أن يجعله الله في ميزان حسناته، وينفع بما فيه من الفائدة العلمية والتحقيقات النادرة والعرض الممتع للمسائل وغير ذلك مما تميّز به الشيخ -فرج الله عنه- في كتبه وبحوثه.

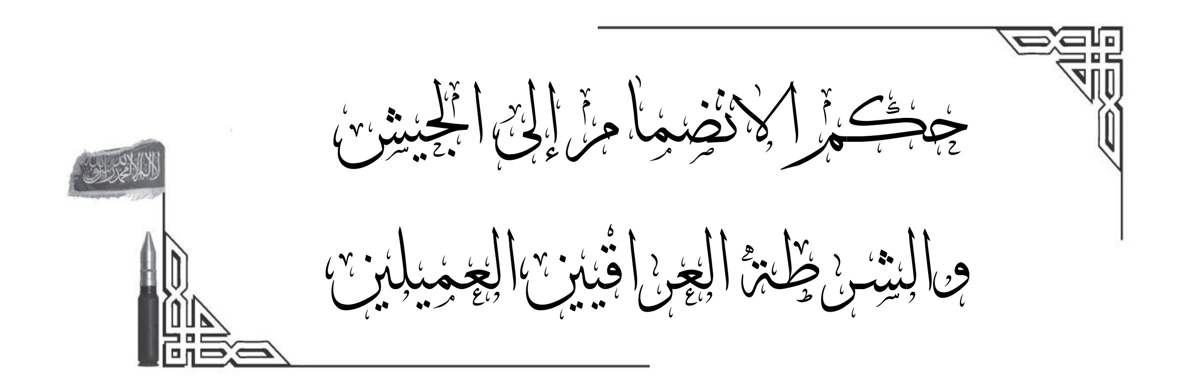
واللهَ ﷻ نسأل أن يكتب للشيخ أجره ويرفع ذكره ويفك أسره وينصره وإخوانه على عدوّ الله وعدوّهم، ونسأل الله عز وجل كما منّ بحفظة نسخة هذا الكتاب، أن يمنّ على مؤلفه بالتثبيت والفرج القريب والنصر على الأعداء، وأن يمنّ علينا جميعا بالقبول، وأن ينفع به شباب الإسلام ودعاته.

والحمد لله رب العالمين من قبل ومن بعد

وصلى الله على محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

ربيع الأول ١٤٢٧هـ





[تم نشر هذه الفتوى على الانترنت في «منبر التوحيد والجهاد» وغيره، جمادى الآخرة ١٤٢٧، ووقع عليها الشيخان الفاضلان: عطية الله ﷺ، وحسين بن محمود حَفِظَهُ ٱللَّهُ]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

إن العدوّ الصليبيّ الغازي لديار الإسلام في العراق قد يئسَ أن يغلبَ المجاهدين في سبيل الله بما لديه من قوة كبيرة وتقنية فائقة وآلة عظيمة، وأدركوا أنهم كانوا في غرور، فلجأت شياطينه -خيّبهم الله- إلى مكر جديد عِماده الاستعانة بشخصيات وجماعات من المنافقين المنتسبين إلى أهل السنة، وبعض ضعفاء الإيمان ومكدودي العزائم، ليتكئ عليهم في تأسيس قواتٍ تكون أداة له في حرب المجاهدين، ويفرّق بها شمل أهل السنة، ويبذر الفتنة بينهم والخلاف والشقاق!

وذلك من خلال الدعوة إلى تطوّع رجال وشباب أهل السنة في الجيش والشرطة العراقيين.

ومعلومٌ أن قوات الأمن العراقية من جيش وشرطةٍ وغيرهما؛ هي تحت قيادة المرتدين من عملاء الصليبيين من الرافضة والعلمانيين والزنادقة المارقين، والكل بعد ذلك مؤتمر بأمر أمريكا مشمول برعايتها وهيمنتها، غير خارجٍ في الجملة عن إرادتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾[النساء].

وقد وجدَ هؤلاء المفتونون -وللأسف- في زلّات بعض العلماء؛ مستمسكًا لهم في ما يسعون إليه من أمرٍ شنيع، مخالفين بذلك الحق الواضح الجليّ المتقرر بنصوص الشريعة المطهرة، بشبهٍ وأوهام! وإننا إذ ننكر ذلك، ونراه زلةً شنيعة ممن صدر منه، أو تلبيسًا وإفسادًا وخيانة لله ولدينه، سائلين الله تعالى - لمن أخطأ - الهدايةَ للصواب.

فإننا ندعو المسلمين من أهلنا في العراق؛ أهل السنة والجماعة، أهل الحق وأتباع النبيّ ﷺ وصحابته الأخيار؛ إلى الحذر من هذه الفتاوى الخاطئة وتلك الدعوات الضالة.

ونبيّن أن التجنّد في الجيش والشرطة العراقيين تحت دولة الردة هذه، وتحت إشراف العدوّ الصليبيّ؛ هو حرامٌ ممنوع، غيرُ مشروع، بل هو سبيل إلى الكفر والردة، بل هو كفر وردة في بعض صوره، لإعانتهم للصليبيين وتمكينهم إياهم من بلاد المسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۝٥١﴾[المائدة].. وإن هذا الأمر مما لا ينبغي -بمقتضى أصول العلم والفقه- أن يختلف فيه العلماء ولا يتنازع فيه الفقهاء.

لوجوه عديدة شديدة الوضوح، منها:

١) أن هذه مناقضة للواجب المتعيّن الذي هو جهاد الكفار الصليبيين الغزاة لبلد الإسلام والمرتدين الموالين لهم، فإن الله أمر المسلمين بقتالهم، وأجمع العلماء على وجوب ذلك على الأعيان في الدائرة الضيقة القريبة، التي تتسع بحسب الحاجة حتى تحصل الكفاية.. فكيف يترك المسلم هذا الفرض المتعين عليه، ولا يكتفي بذلك، بل يأتي بنقيضه ويكتتبُ في جيش الكفار، وهو جيش الحكومة المرتدة الموالية للصليبيين العميلة لهم؛ الرافضية العلمانية، التي هي خليط مشؤوم من أنواع الكفر والزندقة والمروق من الدين، فيكون جنديا في جيشها وشرطتها، يأتمر بأمرها، ويحمل لواءها ويدافع عنها وعن مشروعها وأهدافها، وينصر الكفار ويحميهم ويتعرض للموت من أجل نجاح مشروعهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾[المائدة].

٢) أن التجنّد في قوات الجيش والشرطة العراقية؛ يقتضي من المتجنِّد -حتمًا ولا محالة- أن يقف في وجه إخوانه المجاهدين في سبيل الله المدافعين عن الدين والعرض والأرض، الرافعين راية لا إله إلا الله، وأن يقاتلهم وهو في صف الكفار، مكثّرا لسوادهم في أقل الأحوال، محاربا معهم للمسلمين في أحوال أخرى! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾[النساء]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ۝١﴾[الممتحنة]..

٣) أن هذا التجنّد؛ سبيل إلى التلبيس على المسلمين والصدّ عن سبيل الله تعالى، وإفساد مشروع الجهاد، والطعن في المجاهدين، وبثّ الفتنة بينهم وبين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ

وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة].

٤) أن المتجنّد في هذه القوات الخبيثة؛ سيأتمر بأمر قوادٍ كفرة فسقة فجرة، وسيسمع الكفر في كثير من الأحيان، وسيتربّى على أيدي النصارى وأوليائهم، أو على أيدي الرافضة والعلمانيين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[الأنعام].

٥) أن المتجنّد معهم؛ مكثّرٌ لسوادهم، ناصر لهم، ساعٍ في دعمهم وإنجاح مشروعهم اللعين، بمجرد وقوفه في صفّهم، خاذلٌ للمسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[القصص]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾[المجادلة]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة].

٦) أن أي فائدةٍ أو مصلحةٍ يرجوها المتجنّد من ذلك؛ هي غير معتبرةٍ، لأنها مصادمة لنصّ الدين وحكم الشرع البيّن المجمع عليه، والمدلول عليه بأدلة كثيرة واضحة جليّة، فهي ليستْ مصلحة شرعا، وإنما هي أهواء ودواعٍ انهزامية، قال الله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[المائدة].

٧) أن أفرح الناس بهذا التجنّد وأكثرهم اغتباطا به وأحرصهم عليهم وأكثرهم استفادة منه؛ هو العدوّ الصليبيّ الغازي لعنه الله.

٨) أن الداعي إلى التجنّد المذكور إنما هو في الحقيقة؛ الوهن، حب الدنيا وكراهية الموت، وكراهية القتال، والرضى بالدون وحبّ السلامة والدعة.. هذا مع أن القدرة عند أهل السنة لدحر العدو والغلبة على الكفرة بأنواعهم؛ موجودةٌ -بحمد الله- لو استقاموا على الجادة، وصبروا وثبتوا ووقفوا مع إخوانهم المجاهدين المسابقين إلى النفير؛ فالذي يدعو الناس للتجنّد المذكور، ويفتي لهم به قبل أن يأمرهم بالجهاد والصبر والمصابرة والمرابطة؛ غاشّ لهم آمرٌ بالمنكر، والعياذ بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آل عمران]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[محمد].

٩) أن كل ما يشبّه به بعض أصحاب هذه الدعوة للتبليس على المسلمين في هذا الأمر؛ إنما هي دعاوى وخيالات وأمانيّ كاذبات، من مثل زعمهم؛ أنهم بهذا التجنيد يساهمون في استتباب الأمن،

واستقرار البلد، وبناء الدولة العراقية! ومنع سيطرة طائفة واحدةٍ على الدولة -زعموا- وحماية أهل السنة -زعموا- وأن يكون لهم نصيب في الملك مع الرافضة -زعموا-!

وكل ذلك في الواقع ليس بشيء، بل السيطرة للصليبيين والروافض والعلمانيين المنتسبين للطائفتين وغيرهما، والهيمنة الأمريكية؛ لن ترضى إلا بما يوافقها ويخدم مصالحها، والجزء المشار إليه على أنه من أهل الخير -على التسليم بحسن نيّته-؛ هم جزء مستضعف حقيرُ القدر، عاجزٌ لا يقدر على شيء، بل هو داخل تحت عموم سلطة الكفرة الأصليين والمرتدين!

وكيف يخطر على قلب مسلم أن يسعى في استتباب الأمن للعدوّ الكافر؟ وأي دولةٍ هذه التي يسعى لتشييدها بإشراف العدوّ الصليبيّ وربائبه العلمانيين والرافضة المارقين؟!

والله المستعان.. وبالله التوفيق

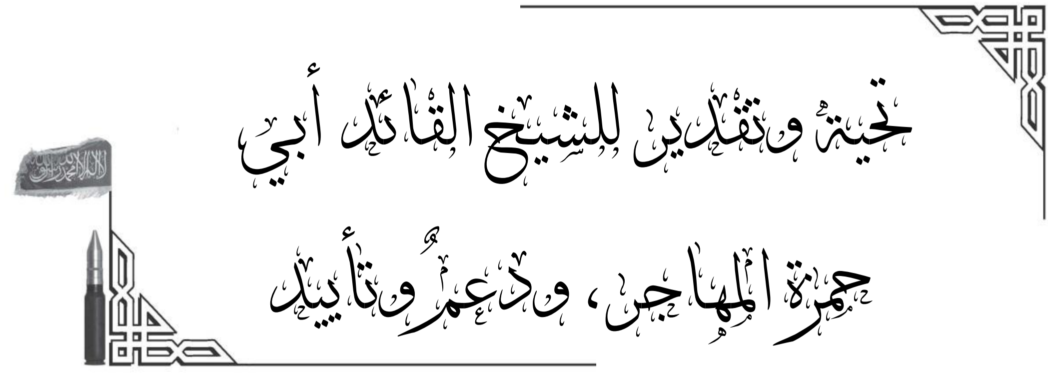
﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾[يوسف]

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان

الموقعان: عطية الله، حسين بن محمود

بتاريخ ٧/جمادى الاخرة/١٤٢٧ هـ

❊ ❊ ❊



تحية وتقدير للشيخ القائد أبي حمزة المهاجر، ودعم وتأييد

[تم نشر هذه المقالة على الانترنت في شبكة «أنا المسلم»، في رمضان ١٤٢٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

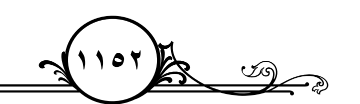
فقد سمعت البارحة -كما سمع سائر العالَم- الكلمة الرمضانية الطيبة -٦رمضان ١٤٢٧هـ- للشيخ أبي حمزة المهاجر(١)، وأحببتُ -إذ قد فاتني شرف الكون معهم في الميدان- أن أبعث بكلماتٍ؛ تأييدًا ونصرة لإخواني، والله يتولانا ويتولاهم بتوفيقه ورعايته.

فتحيةٌ عاطرة وسلام، وتقديرٌ وإكبارٌ واحترام، إلى الشيخ أبي حمزة المهاجر حَفِظَهُ اللهُ ورعاه وسدده، سائلين المولى ﷻ أن يزيده من فضله علمًا وحكمة، وأن يحفظه ويقوّيه ويعز به الإسلام وأهله، وأن يفتح عليه وعلى إخوانه المجاهدين من أبواب رحمته، وأن يمدّهم بتأييده نصرًا وفتحًا مبينا.. آمين، وهنيئا لأمتنا المباركة المنصورة المرحومة أن منَّ الله عليها بأمثالكم.. أدخلتم على قلوبنا الفرحة والسرور، مرة بعد مرة، وأعظمتم لنا الرجاء في الله تعالى والطمعَ في فرَجه القريب وفتحه المبين.. بعد الأعمال العسكرية الباهرة، والنكاية البالغة الظاهرة، في أعداء الله، التي أطربتْ أهل الإسلام وأيقظت شبابهم وفتحت للنشء مدرسة عليا في العزة والكرامة.. ها أنتم تبلغون بنا حدّ الطرب وتهزون قلوبنا هزًا، بما كشفتم عنه من حلية الحكمة وأصالة الرأي وعلوّ الهمة وقوة القلب وسموّ الخلق ورفعة النفس.. نحسبكم كذلك والله حسيبكم، وهو مولاكم.. وجزاكم الله عن أمتنا خيرَ الجزاء وبارك الله لنا فيكم يا فرسان العزة وأسود التوحيد.. ونسأل الله تعالى لنا ولكم الثبات على الحق واليقين.. آمين، وسيروا على بركة الله، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾[الحج].

أيها الإخوة الأحباب: تضمنت كلمة الشيخ أبي حمزة معانيَ طيبة، أحببتُ أن أشير إلى أهمها على جهة

---

(١) يقصد الشيخ ﷺ الكلمة الصوتية المعَنونة بـ: «تعالوا إلى كلمةٍ سواء» ضمنها الشيخ رسالتان وثالثة خاتمة.



التنويه والتلخيص، إذ كانت ظاهرة بنفسها، مستغنية بجمالها وروعتها وعذوبتها عن التزيين والتزويق..!

فقد تضمنت:

- التأكيد على عظم تقدير المجاهدين واحترامهم وتعظيمهم لأهل العلم، ومعرفتهم بحقهم وفضلهم ومكانتهم في الأمة، ومحبتهم لهم وحنوّهم عليهم، وإن وُجِد منهم الخطأ والتقصير، ما داموا متحلّين في الجملة بزينة العلم النافع والعمل الصالح، ما خانوا دينهم ولا بدّلوا ولا والوا أعداء الله، عافانا الله وإياهم من ذلك..

- والتأكيد على عظيم نصح المجاهدين لأمتهم، من خلال التأكيد على القناعة الكاملة الراسخة بضرورة التحام المجاهدين والعلماء وكافة طبقات الأمة وتعاونهم وتعاضدهم وتناصرهم حتى نكون كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص، كما أمر ربنا ﷻ، ومن خلال التأكيد على معنى: أن المجاهدين هم طليعة الأمة وجيشها وفرسانها، وهم أبناؤها البررة، وليسوا شيئا منفصلا عنها، وأن الجهاد هو مشروعُ أمتنا، يجب على الجميع التعاومن لإنجاحه وحسن القيام به، فالقائم به مفلحٌ فائز ظافر، والناكل عنه مذنب مقصر خاسر..!

- والتأكيد على خلق التواضع لدى المجاهدين، كيف لا وهم أهل بذل النفوس رخيصة في سبيل الله تعالى، كيف لا وهم أبعد الناس عن مزاحمة الخلق في دنيا فانية، كيف لا وهم في كل حين أقرب الناس إلى أبواب الآخرة..!

- التأكيد على سموّ أخلاق المجاهدين وشفقتهم على الخلق بأخذ المخطئين بالعفو رغم عظم جنايتهم وكبير جريمتهم، قال علماؤنا: العفو من أخلاق الملوك.! فلله دركم أيها الملوك حقا، يا ملوكًا تيجانهم العزّ..!

وهنا أقول تذكيرًا ووعظا لمن زلت بهم الأقدام، وسوّل لهم الشيطان أن يوالوا أعداء الله، تحت أي دعوى من الدعاوى الشيطانية الباطلة الهالكة: إن هذه فرصة عظيمة لكم لتراجعوا الحق، وتنزعوا عن الذنب، وتلتحموا من جديد مع أمتكم وإخوانكم، وتكونوا في صف أهل الإيمان والتوحيد، فإن الدنيا فانية والكل إلى زوال، والساعة قريبة، ويؤمئذ لا ينفع مالٌ ولا بنون ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾[الممتحنة: ٣]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء]، والأمر سهل يسير بتيسير الله لمن أراد نجاة نفسه واختار لها الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة..!

واعلموا -وليعلم العالَمُ أجمعُ معكم- أنكم لن تضروا المجاهدين في سبيل الله، ولن تستطيعوا مهما فعلتم أن تطفؤوا نورَ الله مهما ختنتم ومهما حالفتم الكفارَ ومهما مكرتم، فكتابُ الله العزيز دلنا على ذلك يقينًا، والتاريخ والتجارب، ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾[آل عمران]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الصف]، **(لا تزال طائفة من أمتي**

يقاتلون على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)[(١)].

وانظروا إلى تجارب الخونة في كل بلاد المسلمين أيام الاستعمار الانكليزي والفرنسي والإيطالي وغيره؛ هل ربحوا أو خسروا؟ وهل صنعوا شيئا إلا أن كسبوا الذل والمهانة والخزي، وكُتب عليهم في التاريخ العار، وأتمّ الله نوره ونصرَ جنده وأعلى رايته، وإنما هو سوق واختبار وامتحان: يربح فيه الرابحون، ويخسر فيه الخاسرون..!

والمجاهدون ماضون مستمرون في مشروعهم، لا ينقصهم بحمد الله عزم، ولا يعيبهم قلة صبر، والحمد لله رب العالمين، فهل يظن بعض رجال العشائر أنه إذا والى الصليبيين والمرتدين ووقف في صفهم ضدًا للمجاهدين من القاعدة أوغيرها أنهم سيقضون على القاعدة وعلى المجاهدين؟! لا والله، لن يستطيعوا بإذن الله، فأمر الجهاد قد أمِرَ وخافه بنو الأصفر..!

وما تلك إلا وعودُ الشيطان وأمانيّ بعض النفوس المريضة: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[النساء]، ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾[الحشر: ١٦]، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[إبراهيم].

إن المجاهدين يجاهدون في سبيل الله، يبتغون الموت مظانه، ويحبون القتل في سبيل الله كما يحب أهل الدنيا الحياة، فلا طاقة للخونة بهم واللهِ..!! وإن شجرة الجهاد قد ثبت في الأرض جذرها وعلا في السماء فرعها الطيب، فهي تُؤتي كل حين أكلها بإذن ربها، فأنى يقدر شياطين الإنس والجن على خلعها، خابوا وخسروا وباؤوا بالهُون والدُّون..! وإن أمر الجهاد هو أمرُ الله تعالى، وإن المجاهدين إنما هم عباد الله وأولياؤه، على ما يوجد من خطإ أو عثرة، وعلى قلتهم وضعفهم، و(**من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب)**[(٢)]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[الحج: ٤٠].

- وتضمنت هذه الكلمة الطيبة التأكيد على الوفاء لساداتنا ورجالات أمتنا من العلماء والمجاهدين من خلال التذكير بالشيخ عمر عبد الرحمن والدعوة إلى بذل المستطاع لتخليصه وتحريره، فرّج الله عنه، ومن خلال الشكر والعرفان للأنصار أهل البذل على رغم الخصاصة، والأكارم من عشائرهم أهل الصدق والوفاء، نصرهم الله وثبتهم، وجزاهم الله خيرا.

- كشفت هذه الكلمات البسيطة عن علوّ همة أهل الجهاد وارتفاع أقدارهم في الحكمة والفهم، وسموّ فكرهم ونظرهم، من خلال دعوتهم أهل العلم والكفاءات والتخصصات لما دعوهم

---

(١) صحيح مسلم (١٩٢٠) بنحوه، وهو حديث متواتر بمعناه.

(٢) أصله في: صحيح البخاري (٦٥٠٢)، وهذا اللفظ في: مسند أحمد (٢٦١٩٣) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

واستنهضوهم إليه، ودلّوهم عليه، ومن خلال ما أبدوه من مستوى التفكير وحسن النظر والتدبير..!

- وكشفت عن اعتدال ورزانة اتزان، وصحة اختيار، وشجاعة قلوب؛ كشفت عن رجالٍ قد حنّكتها التجارب وصقلتها الحِكَم والمعارف، وقوّمتها المراقبة، وذللتها الطاعة لربها ﷻ، نحسبهم كذلك ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة].. فانظروا إلى الاعتدال في استعمال الكلمات وإبداء المعاني وطرح الأفكار؛ انظروا إلى كلمة الأوطان كيف جاءت في محلها صحيحة مستقيمة عذبة، رغم أننا طالما قد نفرنا منها من كثرة استعمال أهل الجاهلية المعاصرة لها استعمالا ضالا جاهليا، وانظروا إلى كلمات: الأمن والأمان، وإخراج المحتل، وغيرها، كيف تجدها في مكانها منسجمة عذبة رائقة..!

فالحمد لله على توفيقه، ونسأله ﷻ أن يبارك في هذه الكلمات وأن يبلغ عن عباده المجاهدين، وأن يبرم لهم أمر رشدٍ، وأن يمدّهم بمددٍ من عنده، إنه وليّ حميد، وبارك الله في أخينا الشيخ أبي حمزة، وسدده الله ووفقه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا.

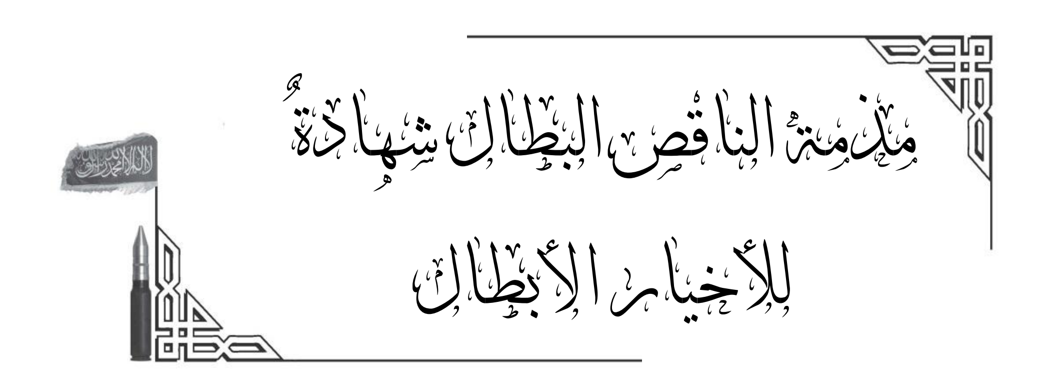
ونسأل الله تعالى أن يتقبل شهداءنا بواسع رحمته وعفوه وكرمه وإحسانه وأن يحلّ عليهم رضوانه.. آمين.. فاللهَ اللهَ يا إخواني المسلمين في كل مكان، وخصوصًا أنتم يا شباب الإسلام الناهضين لنصرة الجهاد والمجاهدين بالكلمة وببذل المجهود، في المنتديات والمجالس والمحافل وفي كل موطن.. اللهَ اللهَ في نشر هذه الكلمة المباركة إن شاء الله، وإيصالها إلى أهل العلم خاصة، وإلى جميع الناس.. انشروها ووزعوها بكل وسيلة وفي كل محفل وعلى جميع المستويات والأصعدة.. واحتسبوا وأحسنوا النية وعلى الله أجركم، والله مولاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم: **عطية الله**

الجمعة ٧رمضان١٤٢٧هـ

❋ ❋ ❋



[تم نشره على الانترنت، من قبل «مجموعة الأنصار البريدية»، في محرم ١٤٢٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾[الحج]

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد نبي الملحمة والمرحمة، الذي روى لنا عن ربنا ﷻ أنه تبارك تعالى قال: (**مَن آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**)[1].

وبعدُ فيا أيها الإخوة المسلمون:

إن العدوّ الصليبيّ الغازي لديار الإسلام بعد أن انكشف عنه غطاء غروره، وأيقن بفشله في ميدان النزال في أرض العراق، بعد أن أثخنته سيوف إخواننا المجاهدين الأبرار، وداووا غطرسته بترياق حبّ الاستشهاد، وسقوه المُرارَ، وأرشفوه من كأس المنون، فأخذ منه داءُ الذئب كلَّ مأخذ، طفِقَ اللعينُ يركّز بشكل كبيرٍ على الكيد والمكر الكبّار، مستعملا -كعادته- كل أسلوبٍ خسيس، مجنّدا لخدمته كل حقير، باذلا في ذلك أموالًا تهول أرقامُها العادّين، وتذهلُ الحاسبين، فتنةً مقدورةً من رب العالمين، يشتري بها هذا العدوّ الفاجرُ ذممَ أهل الخسّة والنذالة، الحقراء الأذناب، ممن كتب الله عليهم الصغار، فاستمرأوا المهانة والخدمة لمن يدفع ويُشبِع ويُمتِع، ومستهويًا بوعده ووعيده وترغيبه وترهيبه بعضَ أهل الضعة مرضى القلوب مهزوزي النفوس خائري العزائم؛ ممن ينشُد شيئا من مغانمَ ولسان حاله أو مقاله: ﴿إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡ﴾[الفتح: ١٥]، ممن إذا أصاب المسلمين ﴿فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾[النساء: ١٤١]، أو ممن يطمح إلى شرفٍ كاذبٍ ومجدٍ بالباطل على حساب دينه الذي

---

(١) أصله في: صحيح البخاري (٦٥٠٢)، وهذا اللفظ في: مسند أحمد (٢٦١٩٣) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

لا يفقه منه شيئا ولا يعنيه في شيء، ممن قال نبينا ﷺ في أمثالهم: **(ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئا)**(١)..!

أيها الإخوة، إن هذه المرحلة من عمر الحرب بيننا وبين عدوّنا الغازي المعتدي، قد بانت فيها علامات انهيار جيوش الدولة الفاجرة قائدة الصليب أمريكا، في العراق وفي أفغانستان، ولاحت أمارات هزيمتهم القريبة بحول الله تعالى، وهي تتطلب مزيدا من التفطن والوعي، والتآخي بين المؤمنين والتراصّ والتلاحم، حتى لا يجد العدوّ الخبيث خللا في الصفّ يركز فيه مِعوله الهدّام.

إن هذه المرحلة مرحلة طابعها الأساسُ قوةُ الدسائس والمكر وخبث المؤامرات والكيد العظيم للتفريق بين المؤمنين، وللفتنة والتشويه والتنفير..!

وقد قال الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة].

إن شأن المنافقين معروف غالبًا، إلا أنهم أحقر وأهون من أن ينالوا من المؤمنين إلا أن يكون فينا سماعون لأقوالهم يقبلون منهم ويصغون إليهم..!

فاتقوا الله وأحسِنوا بربكم ﷻ الظن، وأحسنوا بإخوانكم الظن والثقة، وأنتم ترون منهم الاستقامة وصحة النهج وحُسن الفِعال، والحمد لله، وقولوا حينما تسمعون الإفك: ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾[النور] و﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[النور].

وأما هذا الفاجر المبطل الذي خرج على فضائيته المشبوهة يفتري على المؤمنين ويقول الكذب والإفك المبين؛ فنقول له: اخسأ يا عدوّ الله فلن تعدوَ قدرك، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴿٩٤﴾﴾[التوبة: ٩٤]، وقد عرفناك وأمثالك، ولم نفرح بك يومًا..!

وإن ما تفوّهت به من البهتان ما زادنا إلا يقينا بخيريّة إخواننا، ونصاعة منهجهم وصحة طريقهم واستقامتهم، كما قيل:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأنيَ فاضلُ(٢)

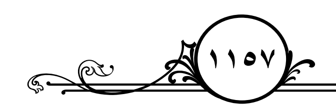
فبؤ بالخيبة أيها الناقص.

ومالك وللكُمّل الأفاضل ... تطاولهم يا حِنتر يا بغيض.!

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٦٧) وزاد: «قال الليث: كانا رجلين من المنافقين».

(٢) قاله المتنبي، ينظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص ٣١) لكن بلفظ: «.. بأني كامل».



كلامك ينادي عليك بوصف الجاهلية والجهل بدين الله الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، والضلال عنه ضلالا بعيدًا.

ووسمُ السفول والخسة والانحطاط في نبراتِ كلماتك بارزٌ لا يخفى، ومعاني الجاهلية فيها طافحة، وأمارات العمالة عليه بادية..!

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها ... واقعدْ فإنك أنت الطاعِمُ الكاسي[1]

وإن حال إخواننا مع أمثالك كما قال القائل:

ما ضرني حسدُ اللئام ولم يزلْ ... ذو الفضل يحسده ذوو التقصير[2]

وكما قال الآخر:

وقد زادني حبا لنفسيَ أنني ... بغيضٌ إلى كل امرء غير طائل

وأني شقيٌّ باللئام ولا ترى ... شقيا بهم إلا كريمَ الشمائل

إذا ما رآني قطّع الطرفَ بينهُ ... وبينيَ فِعْلَ العارف المتجاهل

ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل[3]

ويا أيها الإخوة المجاهدون الأحباب في «دولة العراق الإسلامية»، انفذوا على رِسْلكم، ولا تلتفتوا، واتقوا الله وسددوا وقاربوا، واصبروا واثبتوا، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾[البقرة: ١٩٠]، واعلموا أن الله مع المتقين، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن الله مع الصابرين، وأن العاقبة للتقوى، والعاقبة للمتقين.

ومع أن المُخبِر فاسقٌ كاذبٌ؛ فعليكم بأشياء وفقكم الله وأعانكم:

أن تردّوا على حربه وحربِ مَن وراءه من أعداء دين الله بحربٍ مكافئة من البيان والإعلام والاجتهاد في نقل الصورة الطيبة للمجاهدين ومحاسن فِعالهم وسيرتهم وأخلاقهم وتآلفهم وتحاببهم وتوادهم مع عوامّ المسلمين وضعفائهم، وعدلهم وإحسانهم ورحمتهم.

وأن تفتّشوا مزيدَ تفتيش عن أنفسكم وعمّن تحت ولايتكم، فإن الكاذب البغيض قد يصيبُ بعض

---

(١) قاله الحُطَيئة، ينظر: عيار الشعر (ص ١٨٢).

(٢) قاله مروان بن أبي حفصة، ينظر: الموازنة (ص ٩٨).

(٣) قاله الطرماح، ينظر: التمثيل والمحاضرة (ص ٦٧).

الصدق، وقد تكون مع المائة كذبة كلمة واحدةٌ صادقة، وإننا قومٌ أهل دين، دينُ الله هو نسبنا، وهو شرفنا وهو لنا كلّ شيء، ورأسُ مالنا الآخرة، نأبى أن نظلِمَ كما نأنف أن نُظلَمَ، ونسعى للفضل ونكمل النقص، هذا دأبنا إلى أن نلقى الله تعالى، نرجو رضاه عنا وقبوله لنا.

فإن كان ظلمٌ وقع فلا تقعدوا ولا تطعَموا حتى تزيلوه..

وإن كان حقٌ ضاعَ فلا تناموا حتى تردّوه لأهله، مهما صغُرَ..

وأنتم تعلمون أن الله ينصرنا على عدوّنا بالعمل الصالح والتقوى، لا بكثرة عدد ولا عدة.

ويا إخواننا المجاهدين من سائر الجماعات والفصائل، أهل الصلاح والخير والولاء للمؤمنين، اتقوا الله في إخوانكم وفي أمة الإسلام؛ عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وانصروا إخوانكم في هذا الموقف الذي يحبون فيه نصرتكم، وذبّوا عنهم بالحق، ولا تسكتوا، واجعلوا منها فرصة لمزيد الألفة والتحابب والتراصّ وإظهار الولاء، كبتًا لأعداء الله وإغاظة للكافرين.

نسأل الله تعالى لنا ولكم ولجميع أحبابنا التوفيق والهدى والسداد.

اللّهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادَك المؤمنين.

اللّهم انصر عبادَك الموحّدين المجاهدين في سبيلك في بغداد وفي سائر العراق، وفي كل مكان.

اللّهم أمدّهم بمددٍ من عندك يا مَن لك جنود السماوات والأرض، يا مَن لا يعلم عدد جنودك إلا أنت.

اللّهم كن لهم ناصرًا ومعينا، وتولّهم برحماتك وألطافك وبركاتك يا كريم يا منان يا وليّ المؤمنين..

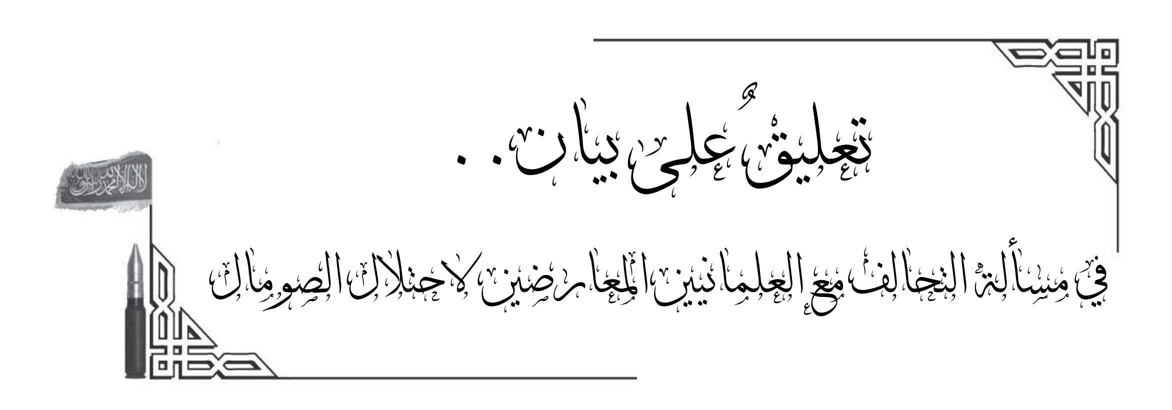
آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: **عطية الله**

السبت ٢٩ محرم ١٤٢٨هـ

١٧ فبراير ٢٠٠٧م

❊ ❊ ❊



[تم نشره من قبل «بعض المجاهدين في خُراسان»، وكُتب في شعبان ١٤٢٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوة الأحباب في «جيش العسرة» سهّل الله تعالى برحمته ولطفه أموركم وأعانكم ونصركم على أعداء الله، وسدد رميكم وصوّب رأيكم وفكركم، وأمدّكم بمدد من عندِه سبحانه.. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتني رسالتكم التي فيها فتوى المفتي المذكور بخصوص تحالف المحاكم الشرعية -أو بعض أناس منها- مع العلمانيين المعارضين للاحتلال الاثيوبي وللحكومة العميلة له.

وقد كانت وصلتني من قبل عبر أحد الإخوة من جهتكم..

وكتبت عليها تعليقات قصيرة، أرجو أنها مفيدة لكم، تجدونها أدناه.

أما تحرير المسألة وكتابة رد -كما أشرتم في طلبكم- ونشره على الانترنت؛ فلا أرى ذلك الآن، لأنه ليس عندي تحرير كافٍ للواقع عندكم ولحقيقة أولئك القوم، حتى أعرف صحة كلام المفتي من حيث مطابقة دعواه للحقيقة على الأرض، وتنزيله على الواقع.

وأما الكلام على التجريد، فالمسألة لديكم معروفة، ورأينا معروف وهو باختصار:

عدم جواز التحالف مع المرتدين..

أما الكفار الأصليون فالأمر مختلف وأمرهم أسهل، فيجوز التحالف معهم أو التعاون معهم على

عدوّ واحدٍ مشترك مثلا، كما جاء في حديث: (**تصالحون الروم صلحًا آمنًا**)[(١)] وكما يدل عليه عمومات في الشرع، لكن هذا مقيّدٌ بالحاجة إلى ذلك نظرًا لمصلحة الإسلام والمسلمين لا غير..

وكذا مسألة الاستعانة، هي جائزة على قول جماعة من الفقهاء بشروطها المعروفة عندهم، بالكافر الأصلي، دون المرتد.

أما الكفرة المرتدون فحكمهم مختلف في هذه المسائل والأحكام، إذ المرتد لا يُقبل منه إلا الإسلام (العودة إلى الإسلام) أو السيف (بمعنى أن يقاتل ويُقتَل إن لم يرجع إلى الإسلام)، ولا يجوز إقراره على دينه (على ردته)، ولا تقبل منه جزية وذمة، ولا تجوز مهادنتهم عند طائفة من أهل العلم، إلا لضرورة، (مع أن مسألة الهدنة على الخصوص فيها بحثٌ محتمل، ومحل اجتهاد)، والأصل أيضا أنهم لا يجوز إعطاء أمانٍ لهم؛ فإن أعطاهم أحدٌ أمانًا فهو غير نافذ، اللّهم إلا لضرورة أو حاجة تقترب من الضرورة في حال كان بيننا وبينهم حربٌ وحصلت بيننا وبينهم مراسلة ووفود ونحوها، واحتجنا إلى تأمين بعضهم لحاجة الحرب على قاعدة النظر لمصلحة الإسلام والمسلمين، ورسلهم لا يجوز قتلها كباقي الرسل؛ كما حصل مع رسوليْ مسيلمة الكذاب إلى النبي ﷺ، وقال النبي ﷺ لهما: (**لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**)[(٢)]، كما في سنن أبي داود وغيره.

فهذا هو الأصل في المرتدين..

المرتدون، الله ﷻ أمرنا بقتالهم وقتلهم حتى يرجعوا إلى الإسلام فنكفّ عنهم فقط.

فكيف نتحالف معهم وندخل معهم في حِلفٍ واتفاقات تعاون بدعوى أننا نحاربُ عدوًّا مشتركا غازيا؟ كيف وهم (الكفار المرتدون الوطنيون، أعني المحليين أهل البلد) أكفر في حكم الإسلام من الكفار الأصليين سواء الأثيوبيين أو الأمريكان.

فقد اتفق الفقهاء على أن المرتد أشد وأغلظ كفرًا من الكافر الأصلي.

فالحاصل أنه لا يجوز التحالف مع المرتدين؛ اللّهم إلا لضرورة يقدرها بقدرها أهل الشأن.

وأما من ناحية النظر والاعتبار؛ فالتحالف والتعاون والدخول في مشاركات واتفاقيات مع المرتدين

---

(١) انظر: سنن أبي داود (٢٧٦٧)، مسند أحمد (١٦٨٢٦) وتمامه عند أحمد قوله ﷺ: (**تصالحون الروم صلحا آمنا، وتغزون أنتم وهم عدوا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلول، فيقوم رجل من الروم، فيرفع الصليب، ويقول: ألا غلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم، فيجتمعون إليكم، فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف**) وصححه الألباني، والأرناؤوط.

(٢) سنن أبي داود (٢٧٦١) وصححه الألباني.

العلمانيين خطره عظيم جدا على دين الإخوة الذين يدخلون معهم سامحهم الله وهداهم، وخطر على الجهاد بل على الدين برمته، وتلبيس على المسلمين وخلط لمبادئ الدين من الولاء والبراء وغيرها، ومدعاة إلى سلسلة من التنازلات والمفاسد الشرعية المعروفة.. وغير ذلك..

وكل هذا مجرّبٌ معروف، والاعتبار بما فعلته بعض الحركات الإسلامية من قبل ينبه العاقل الحريص على دينه، والعاقل من اتعظ بغيره، والسعيد من وُقي الفتن، ورأس مال المرء هو دينه وآخرته، ونحن إنما نقاتل في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته ورفع راية دينه ﷺ وأن يدخل الناس في الدين: التوحيد والشريعة، لا أن نتعاون مع مرتد أشد وأغلظ كفرا ومحاربة لله ورسوله ودينه وتمردا على شريعته، لندفع كافرا أقل وأهون..!!

ثم من جهة النظر في الحاجة والواقع السياسي والعسكري الذي بحمد الله جربه إخواننا وصاروا خبراء فيه ولهم فيه رسوخ وفهم وإدراك ليس لغيرهم؛ فإن الحاجة إلى التحالف مع أولئك المرتدين لا حاجة إليه أصلا..!!

بل نحن «مجاهدون»، وشبابنا بالتوكل على الله تعالى عندهم القدرة على خوض حربٍ ولو طالت تنكي في العدو الكافر المحتل والمرتد العميل له، وتخرجه مدحورا مهزوما مغلوبا بإذن الله، وليفتحوا الأبواب لإخوانهم من شباب ورجال الأمة الغيارى أهل الدين والتقوى والصلاح والبذل والتوق إلى الاستشهاد والجنة، الذين يبارك الله فيهم وفي أعمالهم، وليسهّلوا لهم الهجرة إليهم؛ ففيهم الخير العظيم، فهؤلاء المؤمنون هم الذين يجب الاستعانة بهم على دفع العدو الكافر، ويجب أن نساعدهم ونيسر لهم الطرق للجهاد، لا أولئك العلمانيين الذين ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧] والعياذ بالله!.

فهذا والله من العجب لأهل العلم وأهل الدعوة الإسلامية؛ أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويتركوا ما أمر الله به مما فيه النصر والعز والخير والبركة، ويذهبون يلتمسون الخيرَ في غيره من الأفكار والسياسات والأعمال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء].

الله أكبر ولله الحمد..!

وأمامكم تجارب العراق وأفغانستان وغيرها..

ونحن لا نستعجل؛ الحرب سجال، والأيام دول، والله ابتلانا بهم وابتلاهم بنا..

فلماذا العجلة والذهاب إلى أسمرا وأخضرا وأحمرا، وطلب مثل هذه التحالفات التي أقل ما يقال

فيها إنها خطرٌ على الدين وعلى الجهادِ وفتنة ومذلة.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولهذا فقول المفتي في الفتوى المذكورة: «خامسا: إن العدو الذي نقاتله في الصومال ليس الحكومة العميلة وحدها برئاسة عبد الله يوسف وعلي محمد كيدي، وإنما نقاتل حكومة إثيوبيا ذات الإمكانات العسكرية الهائلة من عدد وعتاد وتموين، وليست أيضا وحدها، وإنما معها أمريكا في مشروعها الاحتلالي للصومال؛ بحيث توفر لها الدعم بكل ما تحتاج إليه بل وتشارك معها في الحرب إن لزم الأمر، وجميع الدول الغربية منطوية تحتها تبارك باحتلال الصومال.. وليس يعقل -والحال ما ذكرته- أن جماعة أو مجموعة واحدة تقدر أن تواجه عدوا بهذا الحجم بمفردها» اهـ.

كلامٌ غير سديد؛ بل هو كلام من لم يجرّب الحرب، وهو أشبه بكلام أهل الحكمة المدَّعاة والعقل الخادع، وهو في الحقيقة الجبن، كما قال أبو الطيب:

يرى الجبناء أن الجبن عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيمِ[1]

ومثل هؤلاء والله أعلم لا يمكنهم أن يقودوا جهادًا ما داموا يفكرون بهذه العقلية، وما دامت هذه نظرتهم للأمور وهذه نفسيتهم؛ إلا أن يكون ذلك زلة ويتداركوا أنفسهم بالثقة بالله والتوكل عليه، بشرط أن يكونوا شجعانًا كرماء المعادن.

بل نحن نؤمن أنه ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].

ونؤمن بمقتضى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٢٣].

والمهم هو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب الشرعية التي أمر الله بها وأباحها ونبّه وحث عليها أو على أصولها في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ وسيرته، وفي الحس والعقل والتجارب والخبرات البشرية الممحصة الصحيحة النافعة.

ولهذا قال الله تعالى في تمام الآية السابقة: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

وفي الحقيقة هذا هو الفرقُ العظيم بين جهاد الإخوة في «القاعدة» ومَن هم على طريقتهم من إخوانهم أهل تحقيق التوحيد والالتزام بالسنة وطريق السلف الصالح رضي الله عنهم، وبين سائر من ينتسب إلى جهادٍ أو مقاومة من جماعات «إخوان مسلمين» وما شابههم أو نحو ذلك..!

---

(١) قاله: أبو الطيب المتنبي، كما في: الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص ٣٤).

أعني الثقة والظن الحسن والتوكل على الله والإيمان بوعده وصدق خبرِه، والشجاعة والاستهانة بكبر وعظم قوة العدو (أعني الاستهانة المحمودة، أي احتقار العدو وعدم الخوف منه، وذلك لا ينافي حسن المعرفة به وبقدراته ومكره وخبثه، وحسن الإعداد لمواجهته)، وعدم الخوف من ضخامة العدو المنتفش؛ ثقة بالله تعالى وتوكلا عليه وطلبا لنصره وارتكانا إلى وعده سبحانه.

وقوله: «جماعة أو مجموعة تواجه العدوّ بمفردها».. هذا فيه تسطيح واختزال للمسألة، وسوء تصوير لها، وأخشى أن يكون تلبيسًا مقصودا، وأنا لا أعرف الرجل المفتي وحاله، فإن هذه طريقة أهل التلبيس، وقد يكون الرجل صادقا لكنه غير مجرب ولا يُعتَمد عليه في مثل هذ ه الأمور؛ فإنها أمورٌ تحتاج إلى أهل العزائم وأهل الشجاعة والإقدام الذين باعوا الدنيا وطلقوها، تحتاج إلى «الزرقاوي» وأمثاله وأشباهه، على أن يكونوا -أيضا- أهل تقوى وأهل عقلٍ ورزانة، لا أهل طيشٍ.!

وذلك توفيق من الله تعالى واصطفاء؛ فعليكم بالله مولاكم ﷻ، واحذروا من خداع النفس، واعلموا أن التوفيق كله منه وحده سبحانه والنصر من عنده فقط لا غير.. والله المستعان.

لأن الأمر ليس كما قال؛ فهذه الجماعة لا تقاتل وحدها في الحقيقة، بل معها عموم المسلمين أو جمهرة كبيرة منهم فيهم الخير والبركة، ولا يلزم أن يكون كل الشعب أو أكثره معها، بل يكفي أن يكون معها جمهرة طيبة من أهل الخير والفطرة الحسنة وأهل الشرف والإباء، وهؤلاء خيرٌ من أضعافهم من أهل الركون إلى الدنيا وأهل الفساد والضعة أهل القبول لكل غازٍ يدفع لهم الدولار ويشبع بطونهم ويوفر لهم الرفاهية والمتعة ولو كان يهوديا أو مرتدا فاجرا خليعا مخنثا والعياذ بالله..!

فهذه الجماعة أو المجموعة إن كانت منعزلة عن سائر الناس بكل حالٍ، مقطوعة من شجرة المجتمع المسلم الذي تعيش فيه، فيصحّ كلامُ المفتي حينها، وتكون هذه الجماعة غير قادرة ومحكومًا على عملها بالفشل، حتى وإن جوّزنا لها الخروج لقتال العدوّ، فنحن قد نجوّز حتى خروج الرجل الواحد لوحده مفردًا كما قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾ [النساء: ٨٤] ولكن هذه المسألة ينظر في أفرادها صورة صورة، ويحكم فيها، لأنها لا بد فيها من اعتبار المصالح والمفاسد.. لكن المقصود أنك قد تجاهد وأنت تعرفُ أنك لن تغلبَ العدوّ ولن تزيحه، وهذا معنى قولنا «محكوم عليه بالفشل» أي محكوم على عمله بأنه لن يزيل العدو ولن يغلبه، وليس معنى ذلك أنه فاشل من كل وجهٍ دنيا وأخرى.. أما الدنيا فقد يكون الغرض أحيانا جزئيا صغيرا مثل تجريء المسلمين وتشجيعهم وضرب المثل والقدوة والأسوة لهم وتوهين شأن العدو في قلوبهم، وهذا يكون هدفا مرحليا أحيانا، حيث لا يمكن أحسن من ذلك، وحيث يكون هذا مطلوبًا للتوطئة لما بعده من الجهاد الأسدِّ والأكمل.

وأما في الآخرة فالأجرُ والثواب العظيم ونيل كرامة الشهادة لمن قاتل وقتل في سبيل الله، وأكرم به وأنعم من فوز عظيم، وهل بعده غاية.. اللّهم ارزقنا الشهادة في سبيلك يا رب العالمين.

والخلاصة أيها الإخوة الأحباب:

أنه أوَّلًا لا بد أن نعرف حال أولئك القوم الذين تقولون أنتم إنهم علمانيون كفرة (مرتدون)، ويقول المفتي في ظاهر كلامه إنهم مسلمون..

لا بد من تحرير هذا الموضع أولا.. وبناء عليه تعرفون الحكم.

فإن كانوا مسلمين فسّاقًا فكلام المفتي صحيح، ولا داعي أصلا للتطويل بكلامه ولا بالبحث والنقول؛ لأن التعاون والتناصر والتحالف والاستعانة بالمسلمين ولو كانوا فساقا جائز لا غبارَ عليه، وإنما يبقى النظر في الأحسن والأصلح للإسلام والمسلمين، وذلك محل اجتهاد، يُرجَع فيه إلى أهله، وتتشاورن فيه، ويسع فيه الخلاف، ولا يفسد للود قضية إن شاء الله.

وأما إن كانوا كفارًا مرتدين، فكلامنا ورأينا واضحٌ قد بيّناه..! وهو ردّنُا على المفتي حينها.

أنا لا أعرف بالضبط حقيقة أولئك القوم وحالهم، فأنتم حرروا هذا «الحال» جيدا وبدقة وإنصاف وأمانة، بعيدًا عن التسرع وإرادات النفوس الخدّاعة، عافانا الله وإياكم، بل بصدق وبتقوى الله ﷻ، وناقشوا أمرهم مع علمائكم وطلاب العلم فيكم، ومنهم هذا الشيخ المفتي وغيره، وتشاوروا في أمرهم والتوصل إلى معرفة حقيقة حالهم، لكي تحرروا أصل هذه المسألة: هل هؤلاء القوم كفارٌ أو لا.

ثم بناء عليه يكون تنزيل الحكم في «التحالف».

وإن شئتم أن تصفوا لنا حالهم بتقارير مفصلة فابعثوا لنا حتى ننظر ونعينكم.

والله الموفق، والله أعلم.

أسأل الله تعالى لنا ولكم الإعانة والتوفيق والهدى والسداد، وأوصيكم بتقوى الله تعالى في السر والعلن، وعدم الاستعجال، وبحسن الأدب مع كل الناس، من موافق ومخالف، واحذروا من التسرع ومن الدخول في مسابة أو مشاتمة أو تعصّب لرأي على خلاف الحق، بل خذوا الأمور بعقل وروية ومشاورة، واقبلوا الحق والنصح والحكمة ممن كان، وتألفوا الناس، ولا سيما أهل الخير منهم وأهل الفضل لو أخطأوا..

ومسائل التكفير تعرفون رأينا فيها بارك الله فيكم: انتبهوا منها جيدا، واحتاطوا فيها احتياطا مبالغا فيه؛ ففي ذلك السلامة في الدين وفي الآخرة، واتركوا ما أشكل عليكم منها ومن غيرها من المسائل لعلمائكم ولطلبة العلم، ونحن إن شاء الله في خدمتكم، بما نملك، فما عرفنا أجبناكم وأعناكم، وما لا،

سعينا لكم عند مشايخنا وعلمائنا وبحثنا لكم فيه.

أعانكم الله وقواكم ووفقكم..

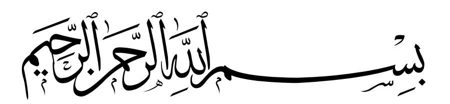
ولا تنسونا من صالح دعوة جزاكم الله خيرا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم: **عطية الله**

سلخ شعبان ١٤٢٨هـ

❊ ❊ ❊



أخي العزيز،،، وفقك الله وحفظك ورعاك وسائر إخوانكم، ونصركم على القوم الكافرين ووقانا وإياكم سبيل الفتن والضلالة.. آمين، وبعد/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

استلمت رسالتك، وقرأت الفتوى المرفقة، وعلقتُ عليها سريعا، غير مريدٍ التقصّي والتحرير الكامل، وإنما هي تعليقات مفيدة توضح لك المسألة إن شاء الله، وأما التحرير لمسألة التحالف مع الكفار أصليين ومرتدين، وكذا مسألة الاستعانة وغيرها من المسائل فلها موضع آخر، وتحتاج إلى شيء من الوقت، والمعذرة الآن لأني مشغول والله، ولكن إذا عندكم استشكالات معينة وأسئلة محددة فاكتب لي، ولا بأس عليكم، والله يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

[**نص البيان**[1]]

يا شيخنا.. ما تعليقكم على هذه الفتوى التي يحتج بها بعض المحاكم لتبرير التحالف مع بعض العلمانيين، وبعض أعضاء البرلمان المعارضين للحكومة؛ علما أن رئيس البرلمان الذي هو الآن من المعارضين؛ هو الذي كان يرأس الجلسة التي قرر البرلمان فيها نشر قوات إفريقية في أنحاء الصومال؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد/

وردت إليّ أسئلةٌ كثيرة حول التحالف المزمع إنشاؤُه من قبل المجتمعين في أسمرا عاصمة أريتريا، وكان من بين السائلين من لا أقدر رد طلبه فأجبتهم إلى ما دعاني إليه من كتابة فتوى شرعية عن صحة ذلك المؤتمر، فأقول مستعيناً بالله، وهو اعتمادي، وعليه توكلي، ولا حول ولا قوة

---

(١) تعليق الشيخ عطية الله ﷺ على البيان موجودة بين معكوفين بالخط المعتاد.

إلا بالله.

إن الذي تنوي المحاكم الإسلامية الدخول فيه مع أطراف أخرى هو تحالفٌ (isbeheysi) والتحالف في اللغة مأخوذ من الحِلف (بكسر الحاء) وهو العهد والصداقة لأن كل صديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به، وجمع الحلف أحلاف.

وشرعا: المعاقدة والمعاهدة والاتفاق على إحقاق الحق ورد الباطل ونصر المظلوم وردع الظالم.

ويكون بين قوم كفار، ويكون بين مسلمين وكفار.

والحلف كان معروفا قبل الإسلام كما يدل عليه ما عُرف في الجاهلية بحلف الفضول الذي أشاد به النبي ﷺ وأثنى عليه بعد بعثته بقوله: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دُعيت به في الإسلام لأجبت) وفي لفظ آخر: (ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)[١]، وقد روي عنه قوله: (وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة)[٢] أي قوة.

وحلف الفضول أكرم حلف سُمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب ﵁؛ فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.

وأما قوله ﷺ: (لا حلف في الإسلام)؛ فذاك حلف في تناصر على الظلم والمعصية كأكثر الأحلاف التي كانت تقع بين قبائل من العرب قبل الإسلام، والدليل أن النبي ﷺ دخل في حلف مع قوم من مشركي العرب كما سيأتي إن شاء الله، ولا يعقل أن يثني النبي ﷺ على شيء ثم ينهى عنه، فيتعين أن يكون الذي نهى عنه غير الذي أثنى عليه لأن كلامه وحي من الله لا يتناقض.

[كلام صحيح في الجملة، وحاصله أن الحلف المنهي عنه هو ما كان على سنن الجاهلية من الحلف على الظلم والغارة والتناصر المطلق: على الحق وعلى الباطل، وعلى العدل وعلى الظلم سواء، على حد قولهم: انصر أخاك ظالما أو مظلومًا على مرادهم المعروف.. وأما الحلف الجائز في الإسلام فهو الحلف على التعاون على البر والتقوى ونصر الحق وإقامة العدل..، وكلام العلماء في ذلك وشروحهم لحديث (لا حلف في الإسلام) وبيان معناه ومعنى ما عارضه من أحاديث وطريق الجمع بينها.. مبحث يطول، وراجع «عون المعبود على سنن أبي داود»، و«حاشية ابن القيم على أبي داود»[٣]، و«فتح الباري»[٤] و«شرح النووي»[٥]، تكفيك إن شاء الله].

وأما صحة الحلف بين المسلمين والكفار فيدل عليه ما ثبت عنه ﷺ في عام الحديبية، وذلك بعد أن وقع الاتفاق مع قريش على هدنة في وضع الحرب بينهما عشر سنين، وكان من بين بنود الاتفاقِ أن

---

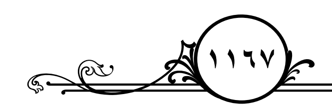
(١) السنن الكبرى للبيهقي (٦٥٩٦، ١٣٠٨٠)، معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٣٢٢٨ وما بعده) والحديث حسن أو صحيح بمجموع طرقه، وإن رواه البيهقي مرسلا؛ فقد رواه غيره متصلا، كما عند أحمد في المسند (١٦٥٥) فقد صحح إسناده الأرنؤوط.

(٢) مطلع الحديث: (لا حلف في الإسلام..) الخ، رواه مسلم (٢٥٣٠)، سنن أبي داود (٢٩٢٥)، مسند أحمد (١٦٧٦١).

(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود (٨/ ١٠٠ - ١٠٢).

(٤) فتح الباري (١/ ١٠٧)، (٤/ ٤٣٧).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦ / ٨١، ٨٢).



من أراد أن يدخل مع محمد ﷺ في عقد وعهد دخل، ومن أراد أن يدخل مع قريش في عقد وعهد دخل.. فدخلت قبيلة بني بكر مع قريش في عهدها، ودخلت قبيلة بني خزاعة مع النبي ﷺ في عهده، والقبيلتان يومئذ على الشرك، واستمرت المعاهدة زهاء سنتين، فلما كان العام الثامن من الهجرة اعتدت قبيلة بني بكر على قبيلة بني خزاعة حيث هاجموهم بغتة، وقتلوا منهم أعدادا كثيرة بمساعدة قريش لها بالسلاح والمال مع توفير الحماية لها؛ فأرسلت قبيلة بني خزاعة وفدًا إلى النبي ﷺ، وأخبروهم بما حدث؛ فقام النبي ﷺ لنصرة قبيلة بني خزاعة وفاء لها بالحلف الذي كان بينهم[١].

فاعتبر النبي ﷺ الاعتداء على من دخل معه في حلف اعتداء عليه، لهذا جهز جيشا، قوامه عشرة آلاف لمعاقبة قريش على صنيعها، وكان سببا لفتح مكة.

وقبيلة خزاعة شاركت القتال وهي مشركة في صف النبي ﷺ بل وفي «مسند أحمد» وغيره أن النبي ﷺ لما فتح مكة قال للناس: كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر، فأذن لهم حتى صلى العصر.

۞ اتفاقية بين الرسول ﷺ واليهود حول المدينة:

لما قدم الرسول ﷺ المدينة كتب مع اليهود كتابا تحالف فيه على حماية المدينة من العدو على التعاون على المصلحة العامة، وظل محترما هذا التحالف حتى نقضوه هم على ما هو مذكور في كتب السير[٢].

وهناك أمور يجب أن يعلم بها قبل الدخول في الموضوع:

أولا: لا خلاف بين المسلمين قاطبة في جواز الاستعانة بسلاح وأموال غير المسلمين أيا كانوا لمحاربة كفار آخرين؛ فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ استعار من صفوان بن أمية دروعا في قتال قبائل هوازن[٣]، ومن هنا كان قبول «المحاكم الإسلامية» للمساعدات العسكرية من إريتريا.

ثانيا: اختلف أهل العلم في جواز استعانة الكفار في محاربة كفار آخرين، فمنعها قوم، وأجازها آخرون، فأما من منعها فلقول النبي ﷺ: (**إنا لا نستعين بمشرك**) وذلك حينما سئل عن رجل أراد أن يغزو مع المسلمين وهو مشرك[٤].

والعلة أنه لا يؤمن أن ينقلب الكفار على المسلمين ويكونوا مع الكفار الحربيين في صف واحد، فتعظم المضرة، وتحل المفسدة.

وأما من أجازها فقد أجازها بضوابط، وهي فيما إذا أمن شرهم وغدرهم بأن يكون في المسلمين منعة وقوة تكفي لردعهم فيما إذا انقلبوا عليهم، يكونون في كلتا الحالتين مغلوبين لا غالبين[٥]،

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٥٠٩) وبعد مناشدة خزاعة قال النبي ﷺ: (نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ).

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٥٥٦) وما بعدها.

(٣) موطأ مالك (١٥٤٧) وفيه: «فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى صَفْوَانَ يَسْتَعِيرُهُ أَدَاةً، وَسِلاَحًا عِنْدَهُ، فَقَالَ صَفْوَانُ: أَطَوْعًا أَمْ كَرْهًا؟ فَقَالَ: بَلْ طَوْعًا، فَأَعَارَهُ الأَدَاةَ، وَالسِّلاَحَ التي عِنْدَهُ، ثُمَّ خَرَجَ صَفْوَانُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ كَافِرٌ، فَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ، وَهُوَ كَافِرٌ»، سنن أبي داود (٣٥٦٢) وصححه الألباني.

(٤) سنن أبي داود (٢٧٣٢) وصححه الألباني.

(٥) انظر في مسألة استعانة المسلمين بالكفار في الحرب: «الحكم المختار في الاستعانة بالكفار» للشيخ: حمود بن عقلاء الشعيبي ؒ، «المورد العذب لبيان حكم الاستعانة بالكفار في الحرب» للشيخ أبي يحيى الليبي ؒ، «العمدة في إعداد العدة» (المسألة الخامسة من

ويستدل لهم بقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[آل عمران: ١٦٧].

فهذه الآية نزلت في المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول ومن معه حين رجعوا عن المسلمين وهم متوجهون إلى غزوة أحد، وهم أشد كفرا من الكفار المعلنين كفرهم ومع ذلك: ﴿قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ **أي إن لم تقاتلوا فأقل شيء ادفعوا عنا بتكثير سواد المسلمين.**

ومن المجيزين في استعانة الكفار في حرب الكفار الإمام الشافعي، فمن ذلك قوله في هذه المسألة: «إن رأى الإمام أن الكافر حسن الرأي والأمانة بين المسلمين، وكانت الحاجة داعية إلى الاستعانة به جاز، وإلا فلا»[(١)].

وقال ابن حزم الظاهري: «فلا بأس أن يلجأوا إلى أهل الحرب، ويمتنعوا بأهل الذمة (أي يستعينوا بهم ضد الحربيين) ما أيقنوا أنهم في استنصارهم لا يؤذون مسلما أوذميا في دم أو مال أو حرمة مما لا يحل» ثم قال: «وهذا رأي أصحاب أبي حنيفة أنه لا بأس بأن يستعان عليهم»[(٢)].

وهناك من يقول: إن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها، قال الحافظ ابن حجر: «وهذا أقربها، وعليه نص الشافعي»[(٣)].

فإذا كان هذا في حق الكفار فمن باب أولى أنه يجوز أن يستعان بالعصاة، والفساق من المسلمين تحت راية الإسلام في قتال المحتلين والغزاة من أجل تحرير البلاد، يقول الشوكاني في نيل الأوطار: «وتجوز الاستعانة بالفساق على الكفار إجماعا»[(٤)].

والقصد من هذه النقول أنه إن جاز الاستعانة بالكافر المحض في قتال الكفار عند كثير من أهل العلم فكيف لا يصح الاستعانة والتحالف بأقوام يقرون بالإسلام في قتال الإثيوبيين المحتلين، وقد وافقوا معنا على تلك المبادئ من تحكيم الشريعة في المجتمع الصومالي.

[**حاصله:** القول بأن القوم الذين حالفوهم هم مسلمون، وحينئذٍ فلا داعي لكل الكلام السابق عن الحلف والاستعانة بالكفار بأنفسهم أو بأموالهم وسلاحهم والنقول عن العلماء في ذلك...! لأن البحث هو في الحلف مع الكافر، بل أخص من ذلك: الحلف مع كافرٍ مرتدٍ، وعليه فيجب النظر أوّلًا

الباب الثالث) لسيد إمام، «مسائل من فقه الجهاد» (المسألة الخامسة عشرة) للشيخ أبي عبد الله المهاجر، «أفغانستان والطالبان ومعركة الاسلام اليوم» (المسألة الأولى من الفصل الثاني) للشيخ أبي مصعب السوري، «الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان» (السؤال السادس) للشيخ عبد الله عزام ﷺ.

(١) انظر: المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٨٣).

(٢) المحلى بالآثار (١١/ ٣٥٥).

(٣) التلخيص الحبير (٤/ ١٩٠).

(٤) نيل الأوطار (٧/ ٢٦٤).

في هؤلاء الذين تحالفت معهم المحاكم هل هم مسلمون (فساق)؟ أو كفارٌ خارجون من ملة الإسلام؟ لأنكم أخي السائل قلتم إنهم علمانيون].

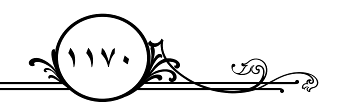
ثالثا: الأسباب التي دعت المحاكم الإسلامية في الصومال إلى المشاركة في هذا التحالف ما يلي:
١ . إن المبادئ التي قام عليها التحالف، ويجب المحافظة عليها هي كلها مبادئ إسلامية ومنها على سبيل المثال:
أ . وحدة الأراضي الصومالية وسيادة أهلها عليها ووجوب إخراج المحتل الإثيوبي.
ب . تطبيق الشريعة الإسلامية في كافة المجالات بعد إخراج المحتل من البلاد.
ج . حل أزمة الصومال بعد توفيق الله بيد الصوماليين، وأي تدخل في الشؤون الصومالية من أي طرف كان فهو مرفوض.

[هذا فيه إجمال؛ فقد يدخلُ فيه تدخّل الإخوة المسلمين المجاهدين الناصرين لإخوانهم المسلمين في الصومال، فإن قيل: إن المحاكم لا تقصد ذلك، فإن هذا لا يكفي في المعاهدات والتحالفات، لأن الخصم يمكنه تفسيره على مراده وقت الحاجة، والتجربة قاضية بهذا والعقول جازمة بالاحتياط فيه، وأن مثله مغبة وغررٌ وتضييع وتفريط..!!]

د . دعوة مؤتمر مصالحة موسع تشترك فيه جميع الأطراف في الساحة الصومالية من أجل بناء حكومة وفاق.

[وكذا قوله: «من أجل بناء حكومة وفاق»؛ هذا مبهم، فما هي حكومة الوفاق التي تكون بين مسلمين وبين كفرة علمانيين وملاحدة لا دينيين؟ وكيف يمكن أن يجتمعوا على تحقيق مقاصد الإمامة والولاية في الإسلام؟ هذا محالٌ، ولذلك فهذا البند أيضا مما فيه خطر وغرر كبير في الدين، وهو مدخل لفسادٍ كبير، بل هؤلاء العلمانيون المرتدون الملاحدة يجب علينا مجاهدتهم وقتالهم فكيف نتوحد ونتحالف معهم على تحقيق حكومة وفاق متوهمة؟ ونرجع إلى ما قلته قريبا: ننظر أولا في الناس الذين تحالفت معهم المحاكم: هل هم مسلمون أو كفارٌ مرتدون؟ وبعدها نتكلم في المسألة، **وبالجملة عندنا أنه لا يجوز التحالف مع المرتدين، بخلاف الكفار الأصليين**، هذه من المسائل التي يفترق فيها الكافر الأصلي عن المرتد، وهي مسائل كثيرة جدا معظمها معروف مشهور، فإن الكافر المرتد يجب قتله ولا يجوز إقراره على دينه، ولا يقبل منه إلا الإسلام أو السيف، **وفي مهادنته إن كان قوة ودولة خلافٌ والمسألة محتملة**، وأما التحالفُ معه، فلا شك أن الأصل هو المنع منه، وعدم جوازه، اللّهم إلا أن يكون المسلمون مضطرين، والضرورة تقدر بقدرها، ويعرفها أهلها، والله أعلم].

رابعا: البرنامج السياسي للتحالف الذي يسير عليه، ويسعى إلى تحقيقه يقوم على النقاط التالية.
أ . التحالف يرى وجوب تحرير البلاد من الاحتلال الإثيوبي ومن ساعده من الحكومة العميلة



له، والوسيلة إلى وصول تلك الغاية هي الجهاد في سبيل الله بكل السبل المتاحة.

ب . ومن برامجه أيضا رفض ما يسمى بالفيدرالية لأنها طريق لتجزئة الوطن الواحد ثم في النهاية تقسيم البلاد إلى دويلات، وكل ذلك يصب في مصلحة أعداء الصومال.

ج . ومن برامجه أيضا رفض توزيع السلطات على حسب نفوذ القبائل وقوتها (أي ما يسمى ٤.٥) لأن ذلك في الحقيقة ترسيخ لمبدأ الظلم، وتأسيس لطبقية في المجتمع وإلغاء الكفاءات.

تنبيه: إن جميع الأطراف التي شاركت في الإعداد للمؤتمر وافقت على هذه المبادئ وعلى ذلك البرنامج السياسي ولم يذكر في مقابل ذلك الديمقراطية، والعلمانية، والدساتير، والأعراف الصومالية، وهذا في نظري مكسب كبير للمحاكم الإسلامية في مشروعها الإسلامي، فينبغي الاحتفاء به والحفاظ عليه.

ثم لو قدر أن يكون هناك أشخاص أو جماعة من المشاركين في التحالف غير مقتنعين ببعض تلك المبادئ؛ فعلينا أن نسعى لإقناعهم بالحجة والبراهين لا برفضهم وطردهم من التحالف حتى لا تتلقفهم الحكومة العميلة وتوظفهم ضدنا.

وكلنا يعلم أن في الزكاة قسماً للمؤلفة قلوبهم، وهم في الأصل قوم دخلوا في الإسلام، وعندهم تردد من قبول الإسلام أومن بعض مبادئه، فيعطون من الزكاة لتطمئن قلوبهم بالإسلام، إذن فما المانع من المحاكم الإسلامية في مثل هؤلاء أن تحببهم إلى الإسلام ومبادئه بالعطايا والإقناع مع الاحترام والتقدير لهم دون التسرع في الحكم عليهم بالكفر وإخراجهم من الملة.

[التسرع في الحكم بالكفر دون تثبت وإثبات يحصل به الظن الغالب المعمول به شرعا، أو اليقين.. مذمومٌ؛ نعم، إنما نريد الحكم الشرعيّ فيهم على ثبتٍ وبدون عجلة مذمومة، هاتوا بيّنوا لنا.. و«المؤلفة قلوبهم» قسمان كما ذكره العلماء: قسم دخلوا في الإسلام ولما يثبوا فيه ويرسخوا ويُخشى من افتتانهم ورجوعهم إلى الكفر، وقسم كفارٌ غيرُ مسلمين لم يدخلوا في الإسلام يُراد الاتيان بهم إلى الإسلام وتحبيبهم إليه بالعطايا، فمن أي القسمين هؤلاء الناس الذي تحالفت معهم المحاكم؟ بيّنوا لنا، لأن صاحب هذه الفتوى لم يحرر هذا الموضع، لكن ظاهر كلامه أنهم مسلمون عنده، لكن مع ذلك في كلامه بعض الخلطِ، فهو تكلم على الاستعانة بالكفار والتحالف معهم، ثم يظهر من باقي كلامه أنه يراهم مسلمين ليسوا كفارًا..!! ووصفهم في موضع بأنهم أقوامٌ يقرون بالإسلام، فما معنى إقرارهم بالإسلام؟

ومعلومٌ أنهم ينتسبون إلى الإسلام والملة ويدّعون الإسلام، لكن البحث في حكمهم عندنا نحن في ظاهر الشرع، هل هم مسلمون أو كفارٌ؟ لا مجرد دعواهم وانتسابهم.!

ولعله قصد شيئا لم يتضح لي الآن، ولهذا قلتُ: إن أول شيء ينظر فيه: هل هم مسلمون أو كفارٌ].

ملحوظة: إن كثيرا من السياسيين الصوماليين ليس عندهم مبادئ -علمانية، أوديمقراطية أو اشتراكية- يؤمنون بها ويحبذون الموت عليها، وإنما هي مصالح شخصية يبحث عنها الفرد منهم أنَّى وجدها أخذها، ولهذا تجده اليوم هنا، وغدا هناك، وبعد غد هنالك، يسير مع مصلحته حيثما سارت؛ فهو أسير لها، فمثل هؤلاء يحتاجون إلى العناية بهم وتبصيرهم بأمور دينهم وتذكيرهم بأن المبدأ هو الذي ينبغي أن يضحى من أجله.

[هذا نوع من الخلط ولبس الحق بالباطل، وحاشَ الكاتبَ الذمَّ إن كان لا يستحق، فأنا لا أعرفه،

لكن الكلام هنا على الفكرة في حد ذاتها، فهناك فرق بين معرفة الشخص الذي نتعامل معه كافرٌ هو أو مسلم، حتى نعطيه حقه الذي أمره الله به، وبين مسألة تألّف الناس وعدم تنفيرهم ودعوتهم بالتي هي أحسن أو بالعنف بحسب ما يناسب، وبحسب ما يعطيه الفقه والحكمة، ولهذا فأكرر مرة أخرى: النظر أوّلًا في أولئك القوم.. هل هم كفارٌ أو مسلمون؟].

خامسا: إن العدو الذي نقاتله في الصومال ليس الحكومة العميلة وحدها برئاسة «عبد الله يوسف» و«علي محمد كيدي»، وإنما نقاتل حكومة إثوبيا ذات الإمكانات العسكرية الهائلة من عدد وعتاد وتموين، وليست أيضا وحدها، وإنما معها أمريكا في مشروعها الاحتلالي للصومال بحيث توفر لها الدعم بكل ما تحتاج إليه بل وتشارك معها في الحرب إن لزم الأمر، وجميع الدول الغربية منطوية تحتها تبارك احتلال الصومال.

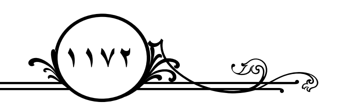
وليس يعقل -والحال ما ذكرته- أن جماعة أو مجموعة واحدة تقدر أن تواجه عدوا بهذا الحجم بمفردها.

[هذا غير مسلّم، بل هو منقوض بجهاد المجاهدين في أفغانستان والعراق وغيرها، ولو أنتم اخترتم طريق الجهاد التي أمركم الله بها وجعلها حظكم ونصيبكم وفرضكم وابتلاكم بها، فقلتم سمعنا وأطعنا ولبيك ربنا، وتقدمتم للجهاد في سبيل الله وبذل النفوس والأموال فيه، لفتح الله عليكم، والحربُ سجال، ولكان لكم في إخوتكم المسلمين المهاجرين إليكم الناصرين لكم خيرٌ معين بعون الله تعالى، أفتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!].

والنظرة الشرعية والعقل السليم يقتضيان أهمية توعية الجماهير وحثها على الجهاد في مقاومة المحتلين، ولن يتسنى ذلك إلا بالتنسيق مع جميع الأطراف التي تؤمن بعدالة قضية الشعب الصومالي في تحرير أراضيه، وهذا يتطلب وضع آلية في تسيير الأمور وإدارتها من خلال لوائح ونظم تضبط العمل وتوفر الجهد، وتمنع الفوضى وفوق ذلك تشعر الناس أن تحرير البلد مسؤولية الجميع من خلال إشراكهم في الرأي والمشورة فيما لهم وما عليهم في هذا الموضوع.

[دعك من تحرير البلد وكونه مسؤولية الجميع أو البعض، لكن ما مسؤوليتك أنت أيها المسلم وقد نزل العدو الكافر بالعقرِ؟ هذا هو بيت القصيد، فإذا أقررتم بوجوب الجهاد، وتوكلتم على الله وقمتم بالجهاد فعلا، فعندها نناقش: بمن نستعين، ومع من نتحالف إذا احتجنا إلى التحالف، وكيف نتعامل مع الآخرين (حتى من العلمانيين والزنادقة) ممن يشاركوننا في إرادة تحرير البلد.. إلخ].

سادسا: إن هذه الحكومة العميلة التي هي السبب في احتلال البلاد تسعى حثيثا في اشتراء ذمم الناس بالدولارات لتضمهم إلى صفها، وتجعلهم في مواجهة المحاكم الإسلامية تبذل كل غال ورخيص من أجل تحقيق ذلك، فالواجب علينا ونحن أصحاب الحق أن لا نترك الناس لهم بل علينا أن نضمهم إلى صفنا ونقنعهم بعدالة قضيتنا ليكونوا عونا لنا عليهم، كل بما يقدر عليه من كلمة ورأي ومشورة.



سابعا: إن السعي إلى تكثير سواد المسلمين في وقت مواجهة الأعداء مطلب شرعي لما له من أثر في نفوس المجاهدين من رفع معنوياتهم باستئناسهم بوجودهم وإن لم يقاتلوا و فيه أيضا تخويف للأعداء بكثرة المسلمين.

وعلى كل حال فالكثرة لها دور مهم في ميدان القتال؛ ألا تلاحظ أن الله أوجب على المؤمن أن يثبت لاثنين من الكفار، وأن لا يفر منهما لكن إذا زاد العدد على الضعف بأن يكون المؤمن في مواجهة ثلاثة فأكثر، فله أن يفر، وينسحب، وله أن يثبت حتى ينتصر أو يستشهد، وفي ذلك يقول تعالى:

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال].

إشكال وجواب عنه:

قد يقول قائل: إن هؤلاء الذين تتحالف معهم «المحاكم الإسلامية» قد يخذلوننا ويتركوننا ويتحولون إلى أعدائنا في وقت نحن بأمس الحاجة إليهم؛ فيُحدث ذلك خللا في داخل صفنا.

الجواب: هذا الاحتمال وارد، إذ لا يعلم الغيب إلا الله، ونحن لسنا مكلفين بعلم ما غاب عنا، وما منا أحد إلا وهو معرض لسوء الخاتمة نسأل الله تعالى السلامة، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من قوله في دعائه: (**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)[1] وما علينا إلا أن نفعل ما نقدر عليه من السعي لهذه القضية ودعوة الناس إليها، ولو قدر شخص أو طرف خرج من التحالف، فإن ذلك لا يضير «المحاكم الإسلامية» لأنها وإن كانت تصير جزءا من التحالف لكن يكون لها جهازها الخاص بها، فلا تتأثر بخروج أحد أو دخوله، ولو بقيت وحدها في الساحة فإنها تواصل رسالتها بإذن الله تعالى.

وكم من أناس دخلوا في الإسلام في وقت النبي ﷺ، وجاهدوا معه ثم ارتدوا على أعقابهم، وكم من أناس كانوا في الحركات الإسلامية، ثم انحرفوا كلية فصاروا علمانيين أو صوفيين خرافيين ينشرون الباطل ويدعون إليه، فهل توقفت مسيرة الإسلام بسبب هؤلاء.

وقبل أيام كانت «المحاكم» تخوض حربا مع القوات الإثيوبية في العاصمة فرأى مسؤولوا المحاكم الموجودون في العاصمة أن يوظفوا شيوخ قبائل هوية من أجل توسيع دائرة الحرب مع الأعداء، لصالح القضية ليتكلموا بلسانهم كواجهة سياسية حتى لا تكون المحاكم الإسلامية وحدها في الساحة، ولا تكون مستهدفة ومنفصلة عن الشعب، وكانت هذه طريقة موفقة في نظر كثير من المراقبين، وتحقق على أيديهم مكاسب كثيرة.

ولم يمنع ذلك أن ينقلب بعض الشيوخ على المشروع، ويدخل في صف الحكومة كما فعل عبد إيمان وعبد الله شيخ حسن، وقد يكون غيرهم في الطريق، نسأل الله العصمة.

ولم يكن ذلك دليلا على خطأ مسؤولي المحاكم لأنهم بنوا الأمور على ما ظهر لهم من الصلاح وحسن النية في هؤلاء الشيوخ، فإذا ظهر من بعضهم عكس ذلك فليس عليهم من جناح لأنهم لا يعلمون ما في الصدور، ولا زالت الأكثرية حتى الآن ماضية في الطريق الصحيح، ولله الحمد.

هذا ما ظهر لي في هذه المسألة؛ فما كان فيها من صواب فمن الله وتوفيقه، وله على ذلك الحمد والمنة، وإن كان فيها خطأ فمني ومن الشيطان، والله أستغفر، وإليه أتوب.

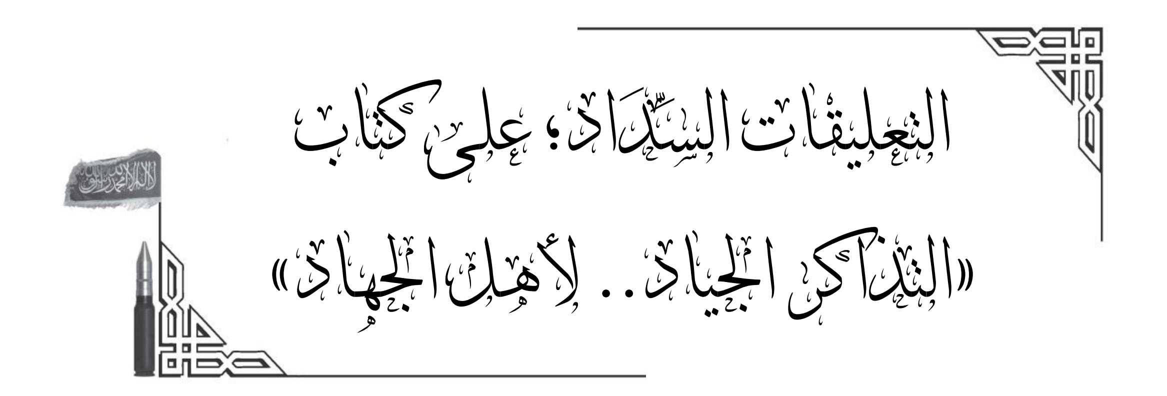
كتب هذه الفتوى وحررها:

الشيخ/ عمر إيمان أبو بكر

النائب الأول لمجلس الشورى ورئيس لجنة المحاكم الإسلامية للتحضير في المؤتمر

---

(١) سنن الترمذي (٢١٤٠، ٣٥٢٢) وصححه الألباني.



[**تعليقات** لطيفة؛ كتبها الشيخ رحمه الله على كتاب «التذاكر الجياد لأهل الجهاد»: **للشيخ المجاهد**: «عبد الله العدم» رحمه الله، **نشره**: «مركز الفجر للإعلام» عام ١٤٣٢، **وقد قمت** بترقيم هذه الفوائد مع ذكر تعليق الشيخ رحمه الله، مع الإشارة لرقم الصفحة في الكتاب المنشور على الشبكة]

بسم الله الرحمن الرحيم

❖ **إهداء: قال الشيخ عبد الله العدم [ص ٧]: «لا يسعني في هذا المقام إلا أن أهدي ثواب هذا العمل للشيخ المجاهد الشهيد أبي عبد الرحمن عطية الله جمال ابراهيم اشتيوي المصراتي على مراجعته لأكثر ورقات هذه التذاكر وقد أثبتُّ فيها أكثر تعليقاته ليعم خيرها فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير وجعل ذلك في ميزان حسناته».**

❃ ❃ ❃

١ - قال الشيخ عبد الله العدم [ص ١٩]: «النية العامة في الجهاد تكفيه ولا يشترط له تحقق النية في كل جزئية أو حركة أو لحظة من لحظات جهاده، ويكفي عدم حدوث ما يبطل نية الجهاد».

التعليق: هذه العبارة الأخيرة في غاية الأهمية، فينبغي التنويه بها وشرحها، ومرادُهُ بقوله «تحقق النية» استحضارُها في كل جزئية وحركة ولحظة، لأن القلب يغفل ويذهل عن استحضار النية في كل جزئية وحركة ولحظة، فكان مما يقتضيه لطفُ الله تعالى وجميلُ إحسانه العفو عن ذلك، وجعلُهُ مندرجًا تحتَ النية العامة الأولى المستصحبة، ومع ذلك فاستحضار النية وتجديدها وتذكرها دائما هو الأفضل والأكمل المحثوث عليه.

❃ ❃ ❃

٢ - قال الشيخ عبد الله العدم -نقلا عن الفتاوى الهندية- [ص ٢٩]: «من قال للمسلم يا كافر ولم يكن كذلك فالمختار عندهم بخلاف الفقيه أبي بكر الأعمش البلخي أنه لا يكفر بذلك، وهو المختار عندهم للفتوى في جنس هذه المسائل، هذا إن أراد الشتم ولا يعتقده كافراً لا يكفر، وإن كان يعتقده كافراً فخاطبه بهذا بناءً على اعتقاده أنه كافرٌ يكفر كذا في الذخيرة».

التعليق: قوله «وإن كان يعتقده كافرًا» يعني لا عن اجتهادٍ معتَبَرٍ.

❃ ❃ ❃

٣- قال الشيخ عبد الله العدم [ص ٤١]: التذكرة الرابعة، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ...﴾[النساء: ٥٩]؛ **[وساق في هذه التذكرة آيات وأحاديث وعظات؛ ثم قال:]**

مسألة مهمة ذكرها شيخنا الشهيد عطية الله رحمه الله: وهذه الأحاديث النبوية والنصوص الشرعية التي ذكرت في وجوب السمع والطاعة والوفاء للأمراء بيعاتهم وعدم الخروج عليهم.. إلخ، إنما هي شاملةٌ للأمراء ممن هم دون الإمام الأعظم؛ كأمراء الجماعات المجاهدة في وقتنا هذا، أو الممكنة تمكينا غير كامل في بعض نواحي البلاد الإسلامية ونحوها، (كما كانت دولة طالبان في معظم أفغانستان مثلا) فهذه تأخذ في محل ولايتها حكم الإمام الأعظم وتنطبق عليها الأحاديث الواردة في السمع والطاعة والوفاء وتحريم الخروج عليها.. أما الجماعات المجاهدة فليس لها حكم الإمامة العظمى في كل ما ورد من أحكام شرعية، ولكن تجتمع معها في بعض الأحكام بمقتضى العموم المعنوي، مثل عموم تحريم الشقاق بين المسلمين وتفريق كلمتهم وإضعافهم وإذهاب ريحهم.. وعموم وجوب أضداد ذلك من الاجتماع على الحق وعلى أمير واحدٍ قدر الإمكان والائتلاف.. وأن الجهاد لا يقوم ولا يمكن إلا بها فهي واجبةٌ بقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وأنها جائزة بأصل الشرع بأدلة متعددة، فلما كانت مشروعة؛ بل واجبةً، اقتضت المصلحة المتحققة الضرورية أن تكون هذه الجماعات المجاهدة تأخذ الكثير من الأحكام التي وردت في الإمامة العظمى، ثم إن الكثير من الأحكام الورادة في الحديث هي معلقة بطاعة الأمير، الذي يشمل كل تأميرٍ سواء كان الإمام الأعظم نفسه، أو أميرًا من جهته، أو غيرهما كأمير سفرٍ مثلا، أو أمير جهادٍ وحرب عيّنه المسلمون في حربِ عدوهم.

❃ ❃ ❃

٤- قال الشيخ عبد الله العدم [ص ٤٧]: قال النووي رحمه الله: **«وأما إكرام الداخل بالقيام فالذي نختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة من علم أو صلاح أو شرف أو ولاية ونحو ذلك، ويكون هذا القيام للبر والإكرام والاحترام، لا للرياء والإعظام، وعلى هذا استمر عمل السلف والخلف»**[١].

التعليق: ناقش العلماء كلام النووي هذا -القيام- واعترضوه، ومنهم ابن الحاج المالكي في «المدخل»، ونقل كلامه ابن حجر في «الفتح» ومال إلى ترجيح عامة اعتراضاته على النووي، ومنهم ابن

---

(١) أصله في: صحيح البخاري (٦٥٠٢)، وهذا اللفظ في: مسند أحمد (٢٦١٩٣) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

القيم وغيرهم[1]، وأما مطلق الاحترام والتوقير والتعزير لذي السلطان المقسط العدل؛ فهذا لا شك في أنه من الدين ومن العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه وهو مأمورٌ به، لا خلاف في ذلك ولا ريب.

❋ ❋ ❋

٥- قال الشيخ عبد الله العدم [ص ٤٧]: «وإكرام الأمير وذي السلطان يكون بالدعاء له، وعدم التقدم بين يديه فيما يكره وخاصة بحضور العامة، وعدم رفع الصوت أثناء الحديث معه، ومناصحته سراً، وتحين ذلك في الوقت المناسب، وعدم الإنكار عليه علانية خشية خرق هيبته».

التعليق: إلا لمقتضٍ خلافَ الأصل، يعني فيجوز النصح والإنكار عليه علانية إذا اقتضى الحالُ والمصلحة ذلك وقد فعله السلف من الصحابة ومَن بعدهم، ولذلك نقول: النصح للولاة سرًّا هو الأصلُ.

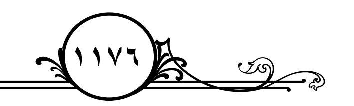
❋ ❋ ❋

٦- قال الشيخ عبد الله العدم [ص ٥٣]: التذكرة السادسة؛ في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[الأنفال: ٦٠]؛ **[وساق في تذكرته كلاما؛ ثم قال:]**

فائدة مهمة لشيخنا عطية الله ﷺ: لا شك أن الحث على الأخذ بالأسباب صحيحٌ، أسبابِ القوة وأسباب كل نفع دنيوي وأخرويّ، ولكن بقدْرٍ وعلى قانون الاقتصاد، أعني بالاقتصاد الاقتصادَ في مفهومه التربوي الديني عندنا نحن المسلمين، وأقربُ كلمات تفسّره هي: التوسط والاعتدال والتؤَدة، ومجانبة الإفراط والحرص الشديد، فإن الشريعة كما حثتنا على الأخذ بالأسباب (أسباب تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية) ومنها أسباب القوة الحربية العسكرية وأسباب الغلبة على الأعداء، حددت لنا ذلك بدلالة الجمع بين هذا الأمر وسائر أوامر الشريعة ومطالبها، وبدلالةِ مثلِ قول الله تعالى: ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ ومعنى ذلك -والله أعلم-: في حدود المعتاد من قدراتكم دونَ أن نعنّتكم، ودون الخروج عن حال الاعتدال والاستقامة والاقتصاد المقتضية لتقديم واجباتٍ أخرى كثيرة من العبودية لله تعالى تتزاحَمُ. وقد قطعَ بعضُ العلماء بأن المسلمين لن يستطيعوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه الكفارُ من تقدّم تقني صناعيّ، وهذا (أعني هذا القطعَ) عندي غيرُ بعيدٍ! لأن الوصول إلى المستويات التي وصل إليها الكفارُ في الصناعة وفنون التقنية يحتاج إلى تفرّغٍ لها كاملٍ بكل معاني التفرّغ الذي يؤول إلى الانهاك والتوغّل والاستغراق فيها، على المستوى الفردي والجماعي، وإلى استعمال قاعدةِ: «لا يحيط الإنسان بما ينفعُ حتى يتعلم كثيرا مما لا ينفع» -ذكرها لي بعض شيوخي الموريتانيين

---

(١) المدخل (١ / ١٥٨ وما بعدها، فصل: في القيام للناس في المحافل والمجالس)، الفتح (١١ / ٤٩) وما بعدها.



عازيًا إلى الإمام اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي ﵀-..

وأنا أضربُ لك أمثلة مما يقربُ لك الفكرة:

الأول: الرياضة بمعناها المعاصر وهي الألعاب والملاهي على تعدد فنونها وأنواعها ومنها المزيّنُ الباهي ومنها الخسيس السافي، هل بإمكان المسلمين أن يصلوا فيها إلى ما وصل إليه الكفار؟ تأمّل هذا، نعم ليس مطلوبًا منهم أصلا أن يصلوا، لكن المقصود هنا ضرب مثلٍ يقرّب الفكرة، ولهذا انظر مثلا إلى ما تعانيه الدول التي تسمى إسلامية وعربية من «مآسٍ» في هذا المضمار، فإنهم يتلاومون ويتناقشون كثيرا: لماذا وما هي الأسباب التي جعلتهم متخلفين لا يصلون بمستوياتهم الرياضية إلى مستوى الأوروبيين وغيرهم من الكفرة؟! والجواب عندنا نحن طبعا واضح بحمد الله، وهو: ما دمتم لا تزال فيكم رائحة الإسلام فلن تصلوا إلى مستوياتهم، يعني بصريح العبارة: لن تصلوا حتى تكفروا، هذا طبعا الوصول بمعناه الكليّ المتكامل (وهو الذي ينشده العرب ويتناقشون فيه)، فلا يشكل عليه وجود أفراد أو حالات تصل أحيانا لمستوى الكفرة، وهذا المعنى هو الذي لاحظه الخبيث الزنديق طه حسين عندما قال: «لا بد أن نأخذ الحضارة الغربية كاملة بحلوها ومرّها ولا ننتقي منها..!!» كذا قال الملعون أخزاه الله؛ فهو وأمثاله قد لاحظوا ذلك وتفطنوا له، لكن هذا ذكاءُ الكافر المتمرد على الله المخذول من الربّ ﷻ! والمقصود في هذا المثل المضروب أن الرياضي الغربي الكافر متفرّغٌ لرياضته أيما تفرغٍ حتى تكون بمنزلة العبادة وبمنزلة العشق البالغ أقصى مداه، باذلٌ فيها كل نفسه وروحه وجهده وقوته والمجتمع (الوسط والبيئة) الذي هو فيه هو كذلك ومساعدٌ له معاضدٌ، فبالتأكيد سيصل إلى مستويات كبيرة في فنون اللهو والرياضة والفساد..!

أما المسلمُ ما دام فيه إسلام، أو حتى المنتسب للإسلام ما دامت لا تزال فيه رائحة الإسلام وما دام لا يزال في مجتمع مسلم، فلن يستطيع أن يصل إلى مستوى ذاك.

الثاني: الكثير من العلوم التقنية الصناعية كذلك، فتأملها.

الثالث: هل تأملتَ أن المسلمين في عز حضارتهم «الإسلامية»، «الإيمانية» وعز قوتهم وتمكنهم في الأرض وتحقيقهم للاستخلاف، لم يهتموا كثيرا بمثل هذه الأشياء، وإنما أعدوا العدة لعدوهم في حدود الاستطاعة المعتادة وفي حدود الاعتدال دونَ مشاقّة أو دخولٍ في عنتٍ شديد، أو حرصٍ دقيقٍ جدًا (لأن ذلك غير ممكن مع مطالب العبادة والإيمان..) كما قلتُ؛ خذ على سبيل المثال زمن الخلفاء الراشدين وبالذات زمن عمر وزمن عثمان ﵄، بل تأمل الزمن والعهد النبويّ الكريم ماذا تجدُ فيه من هذا الباب، لا تجد إلا ما ذكرتُه لك إن شاء الله، أعني من الاعتدال والاقتصاد ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ أي في حدود الاستطاعة المعتادة.. إلخ ما شرحتها؛ فمثلا: هل وجدتَ في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية أنه فتح المصانعَ والمشاغل والمعامل وأرسل البعوث من الطلبة لتعلم هذه الفنون واستجلب الخبراء من الأمم مثلا أو ترجم الكتبَ ورصد مراكز البحوث... أو نحو ذلك؟! أعلمُ أنه يمكن أن يُعترَض على هذا ببعض الاعتراضات، وعندي الجواب عليها، ولكن المقام مقام اختصارٍ، وحثٌّ على التأمل.

وأزيدُك مجالا آخر للتأمل: هل تأملت أن كل من برعوا في جنس هذه الفنون الإنسانية الصناعية والتقنية ممن ينتسب إلى الملة الإسلامية في بعض عصورها المتقدمة (عصر الدولة العباسية) كانوا من قليلي الدين بل لعل أكثرهم ممن رمي بالزندقة والإلحاد، وبعضهم لا شك في كفره وإلحاده..!؟

والمقصود أن الحث على الأخذ بأسباب القوة مقيّدٌ بالمفهوم الذي شرحته، ولا شك أن أسباب الغلبة على العدو والتمكين في الأرض معظمها هو القوة المعنوية: التوحيد وعبادة الله تعالى والإيمان والتقوى والأمانة والعمل الصالح، والتمسك على الجملة بهذا النور والهدى الذي عندنا مما جاء به نبينا ﷺ وما يتضمنه من عدلٍ ورحمةٍ وإحسانٍ.. وسائر الفضائل البالغة حدًا لم تجمعه أمة من الأمم أبدًا في التاريخ، ومن أهمها؛ بعد تقوى الله والوازع الديني: الفضائلُ النفسية المتعلقة بعزة النفس وكرامتها وحريتها وشجاعتها وأنفتها وتنوّرها بحجج الله وبراهينه الدالة على كل خيرٍ.. إلخ، فمن كان كذلك لم يحتج من الأسباب المادية التقنية إلا ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾: أي «اللي قدرتوا عليه بسهولة دون أن نشقّ عليكم كثيرا»، وتكون الغلبة له بإذن الله، ويكون الكفرةُ المهرة في الدنيا المتفرغون لها ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم] عبيدًا له وخدمًا.. والله أعلم، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

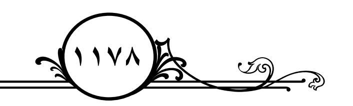
❊ ❊ ❊

٧- **قال الشيخ عبد الله العدم [ص ٦٥]: قال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن الهجرة: «والله تعالى يقول:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٧٥]؛ **قالت طائفة من السلف: هذا يدخل فيه من آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة»**(١).

التعليق: ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ١٠﴾ الآية من سورة الحشر، وهي في بيان مصرف الفيء ويدخل فيها كل من جاء بعد المهاجرين والأنصار من المؤمنين إلى يوم القيامة، كما فسرها سيدنا عمر وعليه الجميعُ.

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوى (١٨ / ٢٨٤).



٨- قال المصنف [ص ٦٦]: «ولقد كان عمر رضي الله عنه، وهو من جعل الله الحق على لسانه، لا يساوي في العطاء بين المؤمنين، فقد كان يعطي أهل السبق في الهجرة والجهاد والنصرة أكثر من غيرهم، خلافًا للصديق الأكبر رضي الله عنه الذي ساوى في ذلك» [وساق حديثا في المسند؛ ثم قال:]

فائدة مهمة لشيخنا عطية الله رحمه الله: تحرير مذهب عمر رضي الله عنه في القَسْم (أي لأموال الفيء) هو أنه يفاضل بينهم بحسب المزايا والفضائل، وبحسب أسباب الاستحقاق، والفضائلُ والأسبابُ عنده متعددة ذكرها أو ذكر بعضَها (من باب الاكتفاء) والتي ذكرها هي: البلاءُ الحسنُ، السبقُ، نفعُ الإنسان، حاجةُ الإنسان، هذه الأشياء الأربعة التي ذكرها عمرُ رضي الله عنه على التوالي، وواضحٌ منها أنها ليستْ كلها من بابِ السبق، ولا كلها فضائل، ولهذا قلتُ في كلامي «المزايا والفضائل وأسباب الاستحقاق»؛ فإن الحاجة ليستْ فضيلة، ولكنها سببٌ للاستحقاق، فيُقدَّمُ المحتاج على غيره، أي غير المحتاج.

❊ ❊ ❊

٩- قال المصنف في ذكره آدب الخلاف: «عدم رفع الصوت في حال نشوب الخلاف».

التعليق: لا شك أن رفع الصوت بلا موجبٍ مذمومٌ، ومن أدب المناظرة والنقاش والتحاور والمجادلة بالحسنى: أن يخفض الإنسان صوته ولا يرفعه إلا بقدر ما يحتاج إليه لإسماع مناظِره، وهو أنه أدبٌ معروف تعرفه العقول السليمة والفطر المستقيمة وتدل له آداب الشرع عامة، ولأن ضده وهو «رفع الصوت بلا موجب»؛ يؤدي إلى فسادٍ وشحناء ويوقع في قلب المناظر من المعاني ما هو مفسِدٌ، ولأن رفع الصوت بلا موجبٍ ولا مرجّحٍ صالحٍ مذمومٌ مطلقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[لقمان] ونحوها مما في معناها من القرآن والحديث.

تمت التعليقات السِّداد عى كتاب «التذاكر الجياد.. لأهل الحهاد»

والحمد لله رب العالمين

رثاء وعزاء في وفاة عالمي موريتانيا

«بداه ولد البوصيري» و«محمد سالم ولد عدود» رحمهما الله

[كتب هذه التعزية الشيخان الفاضلان المجاهدان: «عطية الله الليبي» و«أبي يحيى الليبي» رحمهما الله، **ونشرها:** «مركز الفجر للإعلام»، **في:** «المنتديات الجهادية»، **بتاريخ:** رجب ١٤٣٠]

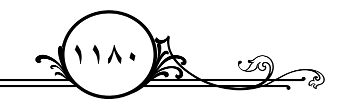
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فَرِضىً بقضاء الله، وتسليمًا لأمره، متصبرين بحسن وعده، نعزي الأمة الإسلامية بعامة وفي بلاد شنقيط بخاصة في وفاة عالمين جليلين من علمائها- الشيخ العلامة الزاهد بداه ولد البوصيري، والشيخ العلامة البحر محمد سالم ولد عدود رحمهما الله رحمة واسعة وأكرم مثواهما وعوّض الأمة خيرًا في فقدهما، قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة]؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فلقد كتب الله لنا شرفَ التتلمذ عليهما وحضور بعض حلقهما قبلَ خمسة عشر عامًا، فكانا بحقٍّ بحرًا لا ساحل له، في العلم، والفهم، والحفظ، والأدب والوقار، والتواضع، مع تتبّعٍ لأحوال المسلمين «والمجاهدين» والسؤال عن أوضاعهم، والدعاء لهم، ومناصرتهم وتأييدهم؛ فعندما كان الجهاد في الجزائر في أوج قوته، وتمام فتوته (١٩٩٤م) وقبل أن يصيبه ما أصابه من المحنة والزلزلة كان هذان العالمان -وغيرهما من العلماء الشناقطة- مؤيدين للمجاهدين هناك تأييدًا تامًا، محبين لهم محبة صادقةً، ولم نسمع منهما في مجلس من المجالس كلمة واحدةً تطعُن على المجاهدين، أو تشكك في شرعية عملهم، أو تزري بهم وتقلل من شأنهم، بل كثيرًا ما كان العلامة محمد سالم رحمه الله يستفسر عن أحوالهم وأوضاعهم قبل أن يشرع في درسه وشرحه، ويتهلل وجهه حينما يسمع أخبار انتصاراتهم، أما تأييد العلامة بداه رحمه الله لهم فهو أشهر من أن يشهر، فقد عرف ذلك القريب والبعيد، وبلغَ المؤالفَ والمخالف.

نذكر هذا في وقتٍ اشتدت فيه وطأة الانتقاد للمجاهدين، وكثر صخب التشنيع عليهم، وارتفعت أصوات المعاندين والمشككين فيهم، ليعلمَ هؤلاء وأولئك أنَّ قافلة الجهاد -التي كان يؤيدها هؤلاء



العلماء الأجلاء- لم تنحرف عن مسيرتها، ولم تبدل دينها بل هي اليوم أثبت على الطريق، وأوضح محجة، وأصرح حجة، كما أن الطغاة العتاة الذين ارتفعت في وجههم راية الجهاد -وناصرها هؤلاء العلماء الفضلاء- لم يُقلعوا عن كفرهم، ولم يتبرءوا من قوانينهم وأنظمتهم، ولم يكفوا شرهم وتنكيلهم وتضليلهم، بل ازدادوا مع الأيام عتوًا وكبرًا وكفرًا، والقاعدة تقول: الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا؛ فما بال المستباح الممدوح بالأمس صار عند البعض محرمًا مذمومًا اليوم؟ أم هي الآراء والأهواء؟ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ١١٩﴾[الأنعام] وفي السنة المذكورة قامت حكومة موريتانيا بحملة اعتقالات واسعة على شباب الإسلام، فشملت عددًا منَّا حين كنا متفرغين لطلب العلم، فكتب العلامة محمد سالم ﷺ قائمة بأسمائنا مضمنةً بالثناء علينا، والتوثيق لنا، وأننا من طلابه المعتمدين وقدمها للحكومة، حتى جاء الفرج وظهر أمر الله وهم كارهون.

أما العلامة الزاهد بداه ﷺ فقد كان معروفًا بقول كلمة الحق، وإلقائها من غير مبالاة، والصدع بها من دون تحرّج، فهو من أكبر المعارضين للمصالحة مع اليهود المحرمين لها تحريما باتًا، يصرح بذلك على المنبر وفي حلقات العلم العامة، ويرد على من يجيزها، وفي أحد الأعياد خطب خطبةً بحضور الرئيس المخلوع معاوية فكان من ضمن ما قال فيها: إن الرزية الرزية، والبلية البلية في تحكيم القوانين الوضعية الكفرية، وصدق فيه العلامة محمد سالم ﷺ إذ يقول:

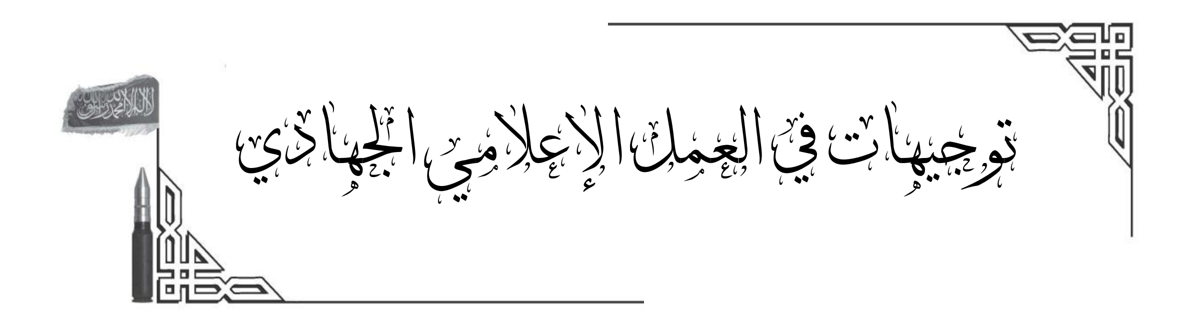
الشـــيخ بـــداه الإمـــام دون شـــكْ ... محقـــقٌ معلِّـــمٌ مفـــتٍ مُـــزكْ

وبهذا الحدث الجلل ندعوا مشايخنا وعلماءنا الكرام في بلاد شنقيط أن يقفوا بجانب إخوانهم المجاهدين في بلاد المغرب الإسلامي، وأن يستنهضوا الأمة لتكون معهم، ويحرضوها على مساندتهم، ويدفعوا الشبهات التي يلصقها أعداء الإسلام بهم، بل الخير كل الخير في نفيرهم إلى ساحات الجهاد، ليجمعوا بين شرفه وشرف العلم والتعليم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات] فرحم الله العالمين الجليلين رحمة واسعة وجزاهما عنا وعن الإسلام خير الجزاء وجعلهما مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، والحمد الله رب العالمين.

كتبه: **عبد الكريم الليبي، ويونس الصحراوي**

الأحد: ١٣ رجب الحرام، ١٤٣٠هـ

❃ ❃ ❃



توجيهات في العمل الإعلامي الجهادي

[رسالة مختصرةٌ موجهة للعاملين في «الإعلام الجهادي»؛ وُزِّعت على مُشرِفي المنتديات، وإعلاميي «تنظيم القاعدة»، كُتبت في ربيع الأول ١٤٣١، ونُشرت للعموم بعد مقتل الشيخ ﵀]

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الإخوة الأحباب الكرام في الثغور الإعلامية المباركة على «الشبكة العالمية» وفي الساحات الجهادية في الأقاليم.. وفقهم الله رعاهم ونصرهم وسدد خطاهم/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو أهل الحمد والمجد والثناء، ﷻ وتبارك و﷯، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله حبيبنا وقدوتنا محمدٍ النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومَن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فنسأل الله أن يتقبل سعيكم وأن يبارك في جهودكم وأن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين وجنده الغالبين الفائزين.

نبثّ إليكم مشاعر المحبة والود والسرور بجهادكم وجهودكم الطيبة، نسأل الله أن يبارك فيها، ونشدّ على أيديكم ونحثكم على الصبر والثبات والمصابرة لأعداء الله كما أمر ربُّنا ﷿، وكل ذلك إنما يتأتّى بالاستعانة به سبحانه والتوكل والاعتماد عليه وحده ﷻ، وتكميل مقامات الإيمان من المحبة والخوف والرجاء والشكر والصبر والذكر والإنابة والافتقار إليه وتعظيمه وإجلاله ومعرفة حكمته وما له ﷿ من الكمال والجلال والجمال على قدر ما يستطيع العبدُ من معرفة ذلك، مما يورث حسنَ الظن به سبحانه ومتانةَ موالاته والكون في صفه وخدمته ومن جنده، وتكميل العبودية له إلى أقصى ما يمكن وما يسعه طوقُ البشر.

أيها الإخوة الأحبة: إن الجهاد والعمل لإقامة دين الله بدفع الكفار والغلبة عليهم وإقامة دولةِ الإسلام التي تُقيم هذا الدين وشريعته في أرض الله وعلى عباد الله لهو أكبر «مشروع» وأعظم هدفٍ يمكن أن يعيش له إنسان ويتفرغ له ويبذل فيه عمره وروحه ودقائقه وثوانيه، كيف لا وهو قمة العبودية للملك الكبير المتعال ذي العرش العظيم ﷻ، لا جرم كان هو «ذروة سنام الإسلام»؛ فالحمد لله الذي أكرمنا وإياكم بهذا الدين، وجعلنا من المجاهدين في سبيله، وإن هذه المكرمة الإلهية لتقتضي منا المزيد من الشكر له سبحانه ومزيد التقرب إليه بأنواع الوسائل المشروعة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة] عسى الله أن يُنيلنا وإياكم الفلاح والنجاح والفوز العظيم والفوز المبين.

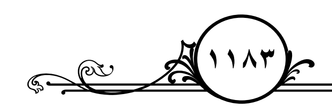
وتعلمون أن هذا الجهاد -كسائر أعمال الخَلْق- لا يمكن أن ينجح ويؤتي ثمرتَه المرجوّة منه إلا بأن يجري على الأسباب التي تدلُّ أدلةُ الشرع والقدر على أنها أسبابُهُ الموصِلةُ إلى قيامه واستمراره وسداده وقوته حتى يتم نجاحُهُ ويؤتي أكله بإذن الله؛ فتتمَّ بعونه تعالى الغلبةُ للمسلمين على أهل الكفر وتقام شريعة الله على أرض الله، ومن ذلك وكما تعلمون:

رصّ الصفوف حتى تكون كما قال الله: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف]، مع سائر الأسباب الأخرى التي لا تخفى، وإنما الغرضُ أن نتذاكرها معكم، ورصّ الصفوف إنما كمالُ صورته وحقيقته بكمال المحبة والألفة والولاء وكمال الثقةِ والتفاهم والترابط والتعاون.

ولذلك ففي إطار سعينا لتكميل التراصّ وتكميل الشوكة بقوة الولاء والترابط، فإن علينا جميعًا أن نسعى إلى تكميل الانسجام وتحقيق التناغم التامّ في جهودنا ومساعينا كلها الدعوية والجهادية، ومنها السياسية، ولأجل ذلك وفي سبيل الرقي بعملنا الإعلامي الجهادي، أردنا أن نضع بين أيديكم هذه الورقة التي تم التشاور فيها مع القيادة، وجاءت كثيرٌ من توجيهاتها بنصها من الشيخ «أبي عبد الله أسامة» ومن الشيخ «أبي محمد أيمن الظواهري» وفقهما الله.

ولا شكّ أن الإخوة المجاهدين-بعد أن ثبتوا أقدامهم في المعركة الإعلامية- عليهم أن يتوقفوا بين الحين والحين مع أنفسهم وقفات محاسبةٍ ومراجعةٍ حتى يكونوا في مستوى نِدِّية شياطين العلمانية والصليبية واليهود والماسونية وغيرهم من الأعداء وما أكثرهم وقد تكالبوا على أمة الإسلام، ويتغلّبوا عليهم بإذن الله.

ويمكن لهذه الورقة أن تكون نواةً أو جزءًا من ميثاق عمل إعلامي جهادي أكمل، وبالله التوفيق.



تذكير بأسس عامة للخطاب الإسلامي الجهادي:

الإعلام هو دعوةٌ إلى الله، فيلتزم بكل فقه وآداب وأخلاق الداعي إلى الله، وهو جهادٌ فيلتزم بفقه وآداب وأخلاق المجاهد في سبيل الله، وينبغي أن يمثل صورة المسلم الكامل، ولأن آلته هي الكلمة وما في معناها (كالصورة)، فإن **الخطاب الجهادي:**

- **خطابٌ صادق،** بكل معاني الصدق، ينقل الحقيقة ويعبّرُ عنها، ومنه الصدق «البلاغيّ» الذي مبناه على صدق المشاعر والأحاسيس وصدق التصوير لها وللأشياء، ومطابقة ومناسبة العبارة للمعنى، وصدق اللهجة الممدوح في الشرع مدحًا خاصًا، ويتبيّن معناه بالبُعدِ عن المبالغات والتشبّع بما لم يُعطَ.

ولا يتعارض هذا مع مسألة جواز الكذبِ على العدوّ في الحرب، وهذه مسألة لها فقهها وحدودها، تُعرَف في موطنها، وتعلّقها بالقيادة أكثر من تعلقها بالإعلام، ويظهر في حالتها أهمية الانسجام بين القيادة وبين جنود الإعلام.

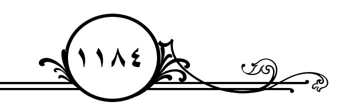
- **خطابٌ منطقيّ واضح وميسَّر،** يفهمه الجمهور ويستوعبونه، يعتمد على الحجة والبرهان بكل أنواعه على حسب ما يناسب المخاطَبين.

وأيضًا لا ينافي هذا وجود موادّ يكون «الإبهام» والغموض أو التعقيد فيها مقصودًا؛ فهذه بحسبها وهي الاستثناء.

- **خطابٌ حكيمٌ رفيقٌ وغير منفر (بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا)**[1].
- **خطابٌ جذاب،** لا يخلو من عوامل إثارة في الحدود المشروعة وغير المفرطة.
- **خطابٌ قويّ في تواضع ولين،** وبعيدٌ عن الغرور والتعالي على الخلق.
- **خطابٌ أخلاقيّ،** ملتزمٌ مؤدب.
- **خطابٌ زكيّ طاهرٌ،** نقي نظيف متسامٍ عالي الهمّة، يبتعد عن السفاسف وعن المهاترات السخيفة والانحطاط في العبارة أو الاهتمامات.
- **خطابُ رحمة وإحسان وشفقة على الناس،** يظهر فيه ويفيض من عباراته معاني الرحمة بالخلق ومحبة هدايتهم وإرادة الإحسان إليهم.
- **خطابٌ شامل؛** دين ودنيا، وواقعيّ، يعرف النفس البشرية ويعيش هموم الناس ويعالجها ويرتقي

---

(١) صحيح البخاري (٦٩)، وأيضا: صحيح البخاري (٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا).



بهم إلى أفضل ما يمكن لهم.

وشامل في جمهوره؛ يخاطب عامة الناس (الشعب) وجميع شرائحه ونخبه المتخصصة أيضا، صغارًا وكبارًا رجالًا ونساءً.

– **خطابٌ إيجابيّ**، لا يبدو مجرد ردود أفعال، ولا يقتصر على الوقوف موقف الدفاع وتبرئة النفس، بل هو هجوميّ إن شئتم.

۞ هموم تتعلق بالإعلام الجهادي على الانترنت:

– كيف يمكن أن نرتقي بمستويات جيلنا المجاهد (شبابنا وأبناء أمتنا المجاهدين عمومًا وأنصار الجهاد ومحبيه)؟ الارتقاء بمستوى عقولهم وتفكيرهم واهتمامهم وطموحاتهم وهممِهم، ومستوى آدابهم وأخلاقهم، ومستوى مشاعرهم وانفعالاتهم حتى تكون مهذّبةً كاملة جامعة للفضائل، من غير أن نطفئ فيهم جذوة الحماس والغيرة والحمية للدين والعرض والشرف، والمثال الواضح على ذلك: «أعضاء المنتديات الجهادية»؟.

– مسألة التطوير والترقية للأداء الإعلامي الجهادي.

– مسألة أمن المجاهدين الإعلاميين و«الإعلام الجهادي»، وضمان حفظه واستمراره بإذن الله.

– الوظائف والأدوار التي يمكن أن يضطلع بها «الإعلام الجهادي» ولا سيما على الشبكة العالمية، ويهمنا هنا التنبيه إلى دور «البحوث والدراسات» والتزويد بالمعلومات.

هذه وغيرها أمورٌ لا بد من البحث المستمرّ فيها.

ولا ريبَ أن «الجهاد الإعلامي» على الشبكة العالمية، باعتبار أنه يمثّل في جزء كبيرٍ منه نخبةً طيبة من رجال وشباب ونساء المسلمين من أنصار الجهاد ممن لم تتح لهم الفرصة للكون في ساحة الحرب الفعلية (القتال بالنفس والسلاح المعروف) أو أتيحتْ لهم لكن وُجِّهوا للكون في هذه الجبهة وهذا الثغر، وفيهم طاقات جبّارة، فإنهم لهم مشاركة في صناعة السياسة الجهادية و«القرار» والفكر الجهادي والرأي الحربيّ؛ فعليهم أن يستشعروا ذلك ويتحلّوا بكمال الإخلاص والصدق والمسؤولية والأمانة، فيكونوا نعم العون للقيادة الجهادية، والله مع المؤمنين.

۞ ما يتعلق بالإصدارات الإعلامية:

١. ينبغي مراعاة حسن الانتقاء للكلمات من قيادات المجاهدين والترفع عن استخدام ألفاظ قد نهينا عنها والألفاظ التي تتنافى مع كون المسلم غيرَ طعان ولا لعان.

٢ . ينبغي تجنب نشر بعض الصور -في أفلام العمليات- مرفقة بأصوات بعض الإخوة وهم يشتمون الأعداء بما لا يليق.

٣ . ينبغي تجنب بث صور الزنادقة وهم يتلفظون بألفاظ التوبة ويتبرؤون من ردتهم، لأن العامة قد لا تستوعب ذلك فتحدث لهم فتنة، ونحن نعلم الحكم الشرعيّ في هذه المسائل لكن العوامّ ربما لم يفهموه ويقع عندهم تناقض كيف أنه تاب ثم تقتلونه.!

٤ . ينبغي إطلاق لفظ الانتصار في موطنه المناسب، وعدم المبالغة في بعض الأمور أو ما يكون في ظاهره أنه مبالغة، كتصوير نجاح في عمل عسكري محدود وصغير وكأنه انتصار عظيم! أو كإظهار الفرح بقتل ذنبٍ من أذناب العدوّ، وكلبٍ من كلابهم المهينة الخسيسة، وكأن الإخوة قتلوا «هرقل»! بل يعطى كلُّ شيءٍ قدره، وهذا كالمثال لما ذكرناه من مبدإ الصدق، وعلوّ الهمة.

٥ . الأفضل الاكتفاء بتصوير الغنائم دون تصوير المجاهدين في كيفية انتزاعها من الأعداء، إذا كان في صورةِ النزع بعضُ الشدّة قد تنفّر.

٦. الواجب الابتعاد عن نشر الصور غير اللائقة كتغيير صور الأعداء بواسطة الحاسوب وتشويهها، أو تغيير صور المجاهدين كأن يوضع لها شعر أو لحية.

٧. علينا الاحتياط في نشر الصور المأخوذة للإخوة الشهداء عليهم رحمة الله وهم يمزحون دون علمهم، والابتعاد عن ذكر القصص التي لا تفيد المشاهد والمستمع أو القارئ وربما تعود بآثار سلبية على المجاهدين، كأن يذكر أن بعض الإخوة الاستشهاديين قد تراجعوا بعد وصولهم إلى الهدف، أو كذكر الأمور المنهي عن فعلها بسياق المزاح على لسان بعض المجاهدين.

٨ . المفضل عدم نشر صور الإخوة الشهداء المصابين إصابات بالغة ظاهرة قد ترعب الناشئة والشباب المسلم الراغب في الالتحاق بركب المجاهدين، وقد يتعارض بعضُ الصور مع وجوب تكريم الشهيد واحترامه.

٩ . ينبغي اجتناب بث صور الأعداء وهم يُذبَحون.!

١٠ . ينبغي اجتناب إظهار بعض الأسرى بلباس غير مناسب.

خاتمة الورقة:

وبعد؛ فلنوقن أن النصر من عند الله وحده، وأنه لا توفيق إلا بالله، وأن الفوز الحقيقيّ هو نجاح الإنسان في الامتحان الذي خُلِق من أجله وخروجُه منه مفلحًا فائزًا، فلنجعل هذا همَّنا، والله

المستعان، ووسائل هذا الفوز وأسبابه واضحةٌ غاية الوضوح: تحقيق العبودية لله ﷻ خالصةً صادقة وإيثار الآخرة الباقية على الدنيا الفانية وبذل المجهود في طاعة الله تعالى، ولنتذكر أن الدين دينُ الله، منصورٌ بنا أو بغيرنا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد]، وإنما المهمُّ هو نحن وماذا استفدنا، فـ(**إن الله ينصرُ هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوامٍ لا خلاقَ لهم**)[1]، أي لا نصيبَ لهم في الآخرة إذا أفضوا إلى الله، والعياذ بالله، ونسأله تعالى العافية والسلامة، ونسأله تعالى أن يصلح لنا أعمالنا ويتقبلها منا ويعفو عن السيئات ونحن لها أهل، وهو جل وعلا أهل المغفرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

القيادة العامة

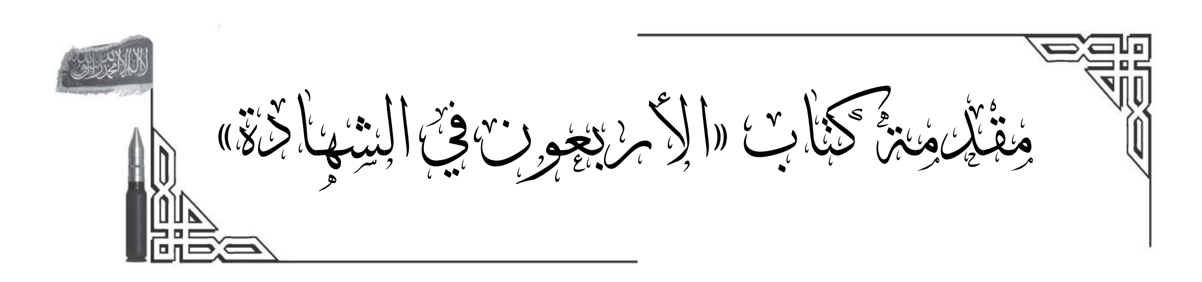
عنهم: **عطية الله أبو عبد الرحمن**

ربيع الأول ١٤٣١هـ - فبراير ٢٠١٠م

❃ ❃ ❃

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، صحيح مسلم (١١١).



مقدمة كتاب «الأربعون في الشهادة»

[مقدمة قصيرة لكتاب «الأربعون في الشهادة وطلب الحسنى وزيادة»: **للشيخ المجاهد**: «أبي يحيى الليبي؛ حسن قائد» ﷺ، **نشره**: «مركز الفجر للإعلام»، **ونُشر في** ربيع الآخر ١٤٣٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه..

أما بعد؛ فقد قرأتُ الكتاب الموسوم بـ «الأربعون في فضل الشهادة وطلب الحسنى وزيادة»؛ من جمع وتأليف أخي الفاضل الشيخ: «أبي يحيى حسن قائد» حَفِظَهُ اللهُ وسدده، اقتدى فيه بطريقة كثير من أهل العلم في جمع أربعين حديثًا في بابٍ من العلم ومقصدٍ من مقاصد الدين؛ فوجدتُهُ كتابًا بديعًا في بابه على لطافته، سهلَ العبارة محكَمَها، طيبَ الثمرة دانيَ الجنى، ورأيتُ فيه فوائدَ ودررًا ونكاتًا ولطائفَ قلما يجدها الإنسانُ مجموعة في كُتيّبٍ بهذا الحجم وبهذه السهولة، مع ما في خلالها من التحقيقات المنيفة والإشارات العلمية الدقيقة، فنسأل الله أن يجزي أبا يحيى خيرَ الجزاء وأن يبارك في سعيه وفي عمُرِه، وأن يزيده من فضله.

وإني أحثُّ على الاعتناء بطبع الكتاب ونشره، سائلًا الله تعالى أن يضع له القبولَ وينفع به المسلمين، ويُحييَ به قلوبَ رجالِ الأمة ونسائها وفِتْيانها وفتياتها، فوالله إن الشهادةَ لحياةٌ كأسمى ما يُتصوّر من معنى الحياة، وإن الكلام فيها والتأليف والتحريض عليها والسعي إليها والدلالة على فضلها وعلى طريقها لسبيلٌ إلى الحياة والسعادة والكرامة والعزة الدنيوية والأخروية.

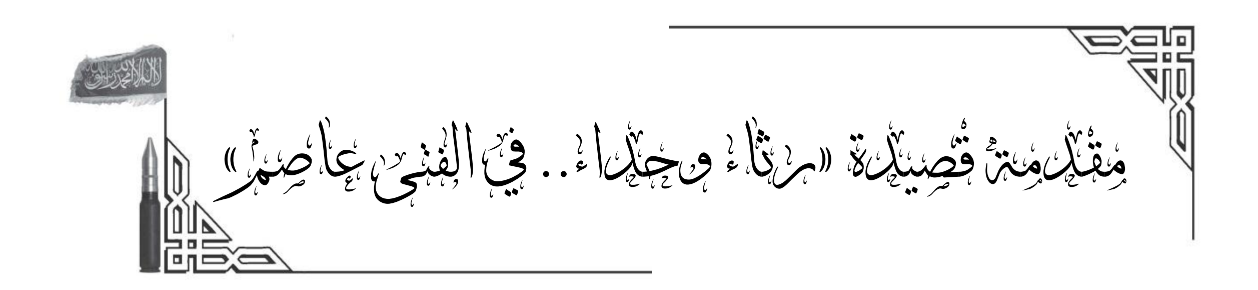
فنسأل الله من فضله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمدٍ وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

كتبه: **أبو عبد الرحمن جمال بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن اشتيوي الليبي المصراتي**

(المعروف **بعطية الله**)

غرة ربيع الأول من سنة ١٤٣٢هـ.

❁ ❁ ❁



[مقدمة لقصيدة «رثاء وحداء.. في الفتى عاصم»: **للشيخ المجاهد**: «أبي يحيى الليبي» رحمه الله، **نُشرت في**: منتدى «أنا المسلم»، **بتاريخ** صفر ١٤٢٩، وقد كُتبت باسم: **محمود حسن**]

بسم الله الرحمن الرحيم

عظماء، في بساطتهم.. أتقياء أخفياء.. ضعفة المسلمين ومساكينهم، كل ضعيف متضعّف.. الشعث الغبر الذين لو أقسموا على الله لأبرّهم.. الزهّاد العباد.. أولياء الله..!

الأبدال (على قول من يثبت هذا الاسم بمعنى صحيح من علمائنا)، من أي هذه الأقسام شئتَ فقل، وفي أي خانة شئتَ أن تضعه فافعل..! نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا..

إنه الفتى «عاصم الأفغاني المهاجري الأنصاريّ»، الفتى الفارسيّ من أهل «بغمان» أهل الجهاد والبذل والكرم والجود.. وما على مَنْ دخل من باب من تلك الأبواب من ضرورة، وأما عاصم فأرجو أن يدخل من تلك الأبواب كلها.. رؤيته تذكرك بالله، كلماته رفعٌ للمعنويات ورجاء وأمل وفأل حسن، قسمات وجهه ترسم معالم الطريق..!

مجالسته تواضع وسكينة ووقار، معاملته محبة وصدق ووفاء وإيثار وبذل وعطاء، طول الصمت فيه علامة، والبشاشة وحسن السمت والحياء أمارات له معروفة.

من رآه أحبه.. ومن خالطه أجلّه.. كان شهيدا يمشي على الأرض، ولسنا نقول على الله بلا علمٍ ولكن قد جعل الله لكل شيئا علامة..

الذين عرفوه كانوا يكادون يجمعون على أنه شهيد.. كانوا يقولون: هذا ما يطوّل..!

فزع الشيخ أبو الليث وإخوانه بعدما عرفوه وسجّلوا له مقاطع فيديو لإحساسهم أنه «ما يطوّل»..! عاصم نموذج لمن أراد الشهادة وتعلّق بالله ورجا اليوم الآخر..

صفات الشهيد حيّا اجتمعت فيه أوضح اجتماع.. وقد عرفنا الشهداء ورأينا نماذجهم الطيبة

وأنواعهم وأقسامهم..

وصفاتهم التي يشترك فيها أغلبهم:

سلامة الصدر، التواضع والخدمة لإخوانهم والذلة والمسكنة، تصميم وإصرار على الوصول إلى الغاية العليا، تجافٍ عن سفاسف دار الغرور.

إنهم الشهداء، أمرهم عجب، والكتابة عنهم شيء صعب، وقد يظن البعيد أننا نبالغ، والحق أنا لما نوفي حقهم، ولئن سطرنا بالمداد كلمة في أثرهم، فلقد سطروا أبلغ وأزكى منها بدمائهم:

وفي القتلى لأقوامٍ حياةٌ وفي الأسرى فدىً لهمُ وعتقُ[1]

رحم الله عاصمًا، ومطيعَ اللهِ وإخوانهم جميعا، ورفع الله منزلتهم، وأعلى الله درجتهم في الفردوس الأعلى..

اللّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم.. اللّهم بارك على أوصالهم، وارزق أهلهم وإخوانهم وأحبابهم منهم العوض واخلفهم فيهم يا رب العالمين.. اللّهم إذ قد أدبرت أيامنا من «عاصم» بسلامٍ منك؛ فأمتعنا من خلفه بإقبال برحمتك ولطفك..

وإذ قد أخذتَ برحمتك مطيعا، فاجعل من خلفه معتصمًا بحبلك يا كريم.. آمين.

حق لعاصمٍ وإخوانه أن يقال فيهم الشعر وأن تسطّر سيرهم الطيبة، لتكون تذكارًا لمن عرفهم ومن يسمع عنهم، وجزى الله أخانا الشيخ أبا يحيى حسن قايد خيرا على ما جادت به قريحته في ذكرهم والتنويه بهم، وبارك الله فيه وحفظه ورعاه[2]..

---

(١) قاله: أحمد شوقي، قصيدة «نكبة دمشق» انظر: الشوقيات (٢/ ٤٥٦)، وصوابه: «ففي القتلى لأجيال حياة .. وفي الأسرى فدىً..».

(٢) بما أن الشيخ قد قدم هذه المقدمة لقصيدة «رثاء وحداء.. في الفتى عاصم» التي نظمها بحسن يراعه؛ الشيخ المجاهد: «أبو يحيى الليبي» ﷺ، فقد أحببنا أن نزين هذا «المجموع» بهذه القصيدة التي قد ضاعت من الشبكة، حفظًا لها من الضياع والاندثار:

قف بالمنازل واقصد نحو ناديها واستمطر الدمع غيثًا من مآقيها
وقلب الفكر في ذكرى حوادثها واذهب وأُب بالمراثي في نواحيها
وسل ديارًا عفت من بعد بهجتها ما بال أثواب أحزان تغطيها
جربوع أُنسٍ عهدناها مفتَّحة أبوابُها للمعالي يُرتقى فيها
واليوم صارت-وقد أوهى قواعدَها فجائعُ الدهر – قفرًا بلقعًا تِيها
أين الوضاءة أم أين الصباحة بل أين المسراتُ تلقى من يلاقيها
قل للقوافي أما آن الآوان لأن تصوغَ شعرًا رصينًا من معانيها

والحمد لله رب العالمين

ناديتهـــا صـــارخًا والبـــثُّ يـــدفعني ... فكـــم ســـأبقى بـــآلامي أُناديهـــا

فـــاضرب عـــن الشـــعر صـــفحًا وافتـــتح صـــحفًا ... فيهـــا المكـــارمُ ألـــوانٌ توشـــيها

واقـــرأ ســـطورًا مـــن الأخـــلاق ســـامية ... حروفهـــا الجـــود والإحســـانُ تاليهـــا

مـــدادها الصـــبر يُجريـــه الـــيراع بهـــا ... يـــراعُ صـــدق وإيـــمان فيُبـــديها

وقـــف مليًـــا عـــلى معنـــى الـــوداد تـــرى ... عجائبًـــا مـــن خبايـــا الحُـــب يخفيهـــا

وإن تـــرُم أحرفًـــا خُـــطَّ الحيـــاء بهـــا ... ســـبَتْكَ أنوارُهـــا حســـنًا تُحليهـــا

مكـــارمٌ ســـامياتٌ كيـــف يـــدركها ... في شـــأوها غـــيرُ أهليهـــا ويحويهـــا

قـــد عشـــتُ حينًـــا أحييهـــا فتســـمعُني ... وهـــا أنـــا اليـــوم أبكيهـــا وأرثيهـــا

يـــا «عاصـــم» كنـــت فينـــا البـــدرَ نرقبُـــه ... كـــلا بـــل الشـــمس كـــلا بـــل تُســـاميها

ســـمتٌ وديـــنٌ وبـــذلٌ لا تكِـــلُّ بـــه ... وبســـمة مثـــلُ ضَـــوء الصـــبح تُهـــديها

نـــديُّ قلـــب ســـخيُّ الـــنفس قـــد جُبلـــت ... فيـــك الفضـــائل لا زورًا وتمويهـــا

أبيـــتَ إلا حيـــاة يُســـتطاب بهـــا ... عـــيشٌ عزيـــز بـــلا ذل يغشِّـــيها

فلـــم تـــزل في بـــروج المجـــد مرتقيًـــا ... بـــالعزم تســـمو وبـــالإصرار تُـــدنيها

في همـــةٍ كلـــما حلـــت بمنزلـــة ... قالـــت: ســـواها وطـــارت في معاليهـــا

كـــم جرعتـــك الليـــالي كـــأس محنتهـــا ... فلـــم تَهِبْهـــا ولا أضـــناك داعيهـــا

ريـــح المنايـــا إذا هبـــت بســـاحتها ... قلـــتَ الـــمنايا بنفـــسي ســـوف أشريهـــا

لمـــا رأيـــتَ الـــمُنى يـــسري بأمتنـــا ... آليـــتَ إلا ببـــذل الـــروح تُحييهـــا

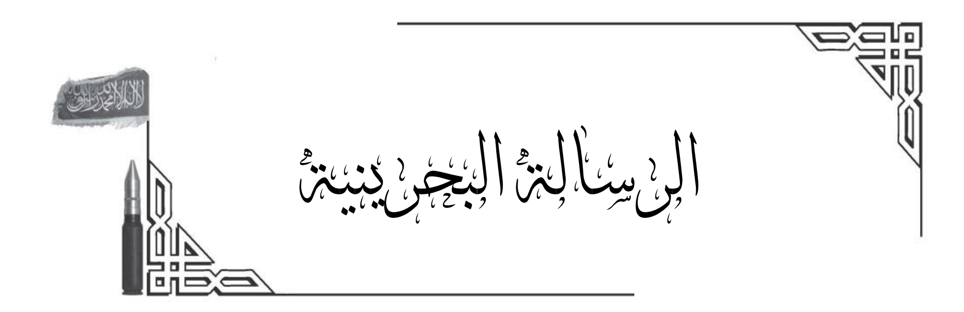
فغبـــتَ عنـــا وأعقبـــت الفـــؤاد لظـــىً ... إذا خبـــتْ جـــاءت الـــذكرى فتـــذكيها

آهٍ أخـــي مـــن صروف الـــدهر مـــا فتئـــت ... تفـــت فينـــا ومـــا زلنـــا نعانيهـــا

لكـــنها الصـــبر زاد كلـــما هجمـــت ... جنـــد البلايـــا وهـــدَّتنا دواهيهـــا

فمـــن فـــؤادي إلى قـــبر ثويـــت بـــه ... أهـــدي تحايـــا صـــفاءُ الـــود يســـقيها

هذا آخر هذه القصيدة المسبوكة الماتعة التي تتألف من ٢٨ بيتًا، نسأل الله أن يجزي عليها ناظمها خيرا ويتقبله في عليين، والله أعلم.



[جوابات خاصة نُشرِت على «المنتديات الجهادية»، رد فيها الشيخ ﵀ على بعض المقترحات والأسئلة من إخوة البحرين، نشرناها رغم خصوصيتها لما فيها من فائدة]

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الإخوة الكرام في «الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية» وفقهم الله..

أرجو من الله تعالى أن تكونوا بخير وعافية وسترٍ وحفظٍ وكلاءة من المولى القدير، وأسأله ﷻ أن يلهمكم التسديد والتوفيق في الأقوال والأعمال.

أما بعد.. فقد وصلتني رسالتكم المتضمة لمختصر مقترح من إخوة البحرين..

وهذا رأيي، وبالله التوفيق:

أولا: فهمتُ من المقترح أن حقيقته (أو فقط في المرحلة الأولى): إنشاء موقع على النت يعبر عن أهل السنة في البحرين ومطالبهم ويدعمهم، وينشر فيهم العقيدة السنية الصحيحة والوعي الشرعي ويرتقي بهم في مقامات الإيمان والعمل الصالح.

وهذا لا شكّ أنه عملٌ صالحٌ أؤيده وأشجع عليه، وأرى أنه مهم.

ثانيا: أما إذا كان المقصود -ولو في المرحلة الثانية- إنشاء كيان سياسي معين في البلد لأهل السنة يرثُ التجمع الوطني الحالي، في شكل حزب أو نحوه من التشكيلات السياسية، فإني لا أؤيد ذلك، بل أنهى إخواني عنه، لأنه مجرّةٌ لكل ضَيْرٍ ولا أرى جواز المشاركة الحزبية السياسية في الدولة المرتدة، بتشكيل أحزابٍ أو دخول معتركهم العفن المسمى باللعبة السياسية وقواعدهم عندهم المنتنة المخالفة لديننا بل نؤمن بالتميّز بديننا وعقيدتنا ومنهجنا الإسلامي الصافي، منهج التوحيد والجهاد والسنة والعلم النافع والبُعد عن الفتن.

ثالثا: أرى أنه يمكن أن يكون هناك فكرة بديلة عن «الحزب» أو الكيان السياسي وهي فكرة إنشاء جمعية أو مؤسسة تأخذ غطاءًا خيريًا خدميًا وعلميًا ودعويًا فهذه -ما لم توجد موانع في الواقع عندكم من تأسيسها وممارسة عملها- فهي جيدة، ويمكن للإخوة أن يجعلوا منها جامعة لقوى وطاقات رجال وشباب ونساء أهل السنة ويحققوا من خلالها معظم أهدافهم المنشودة بعون الله.

رابعا: إن أهل السنة في البحرين بعد أحداث انتفاضة الرافضة الحالية «٢٠١١» سيكونوا أكثر

وعيًا وانتباهًا، فعلى الإخوة أن يستغلوا هذا التهيء النفسي للشعب السني وأن ينشطوا في الدعوة والتعبئة الدينية، وأن يحرصوا على النقاء والصفاء الإسلامي بأن يحذروا الوقوع في حبائل الدولة أو يُستجرّوا إلى صفها.. نعم يمكن إظهار المسالمة والموادعة، فإنهم مضطرون إلى ذلك ولكن لا يتورطوا مع الحكومة الكافرة في الوقوف معها ودعمها أو إضفاء شرعية عليها، كما عليهم ألا يستعجلوا الصدام أو المواجهة معها.

وعلى الإخوة الكبار العقلاء أن يلينوا لإخوانهم الشباب الصغار أهل الحمية والغيرة الأبطال، ولا يستهينوا بهم بل يرفقوا بهم ويفهّموهم حتى تجتمع قوة قلوب وعزائم الشباب وبذلهم وعطاؤهم، مع تجربة ورزانة الإخوة الكبار واعتدال نظرهم.

إن أهل السنة في البحرين دورهم -والله أعلم- هو دورُ مساندةٍ ودعمٍ، للمجاهدين في كل ساحات الجهاد، بالمال والكلمة والخبرة والتواصل والارتباط وربما الرجال.. وغيرها. لصغر البلد ومحدوديته وانحصاره بين قوىً كبرى والتقاء مصالح للأعداء ضخمة فيه.!

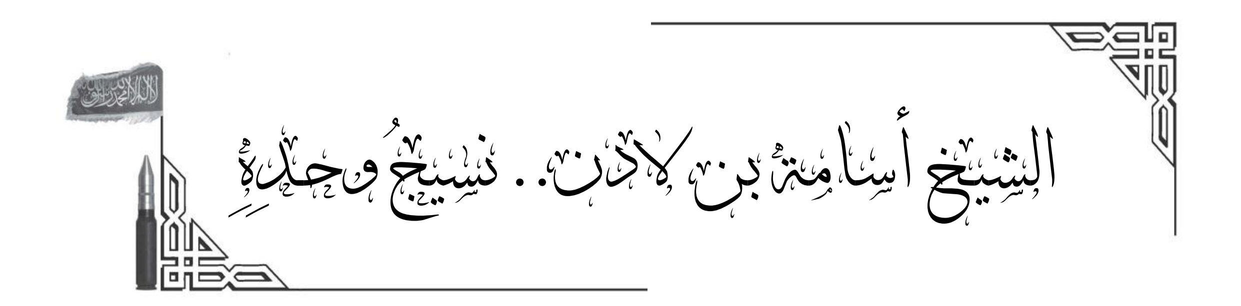
خامسا: أوصي نفسي وإخواني جميعًا بإخلاص العمل لله تعالى، وليذكروا الله واليوم الآخر ﴿وَٱلۡأَخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾[الأعلى]، وليعلموا أن الدنيا دارُ ممرٍّ وعبور وامتحان، وعما قريب يدق الجرس وتُسحب أوراق الامتحان، ويكرم من يُكرم ويهان من يهان؛ فاعتصموا بالله ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[آل عمران: ١٠١]، واعلموا أن بركة الله علينا بطاعتنا له وتمسكنا بدينه ظاهرًا وباطنًا خير لنا من كثير من أفكارنا العبقرية ونشاطاتنا الذكية وأعمالنا الكثيرة، واعلموا أن الدين هو دينُ الله، والله ناصرٌ دينه لا محالة، وإنما السؤال هو عن أنفسنا هل نجحنا وفزنا أو خسرنا والعياذ بالله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾[المائدة: ١٠٥].

وفقني الله وإياكم لكل خيرٍ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أخوكم: **عطية الله**

رجب ١٤٣٢هـ

❋ ❋ ❋



[شذرات من سيرة الشيخ الإمام «أسامة بن لادن» رحمه الله، **نُشِرَت في:** «مجلة طلائع خراسان» العدد التاسع عشر، **في:** رمضان ١٤٣٢، وقد نُشِرَ بلا اسم لكنه من كتابة الشيخ رحمه الله]

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم، إنه جبلُ الفضائل، وسابقُ عصرِهِ..

ولا غروَ أن يتحيّر الكثيرون في وصفه والتعبير عنه، ولا عجبَ أن يكون مقتله إلهامًا لأجيالٍ كما كان ممن أحيا الله بهم جيلنا هذا، ولا عجب أن يكون تأثيره مستمرًا في نصرة الدين والنكاية في أعدائه حتى بعد مغادرته دنيانا.

يصعب الحديث عن الشيخ أسامة رحمه الله ورضي عنه؛ لتعدد جوانب شخصيته وقلة عهدِ الناس بمثله في أزماننا.

إنه جبلٌ في الصدق والإخلاص نحسبه كذلك، وجبلٌ في الأخلاق والسماحة والكرم والشجاعة والعفّة والصيانة والمروءة.. جمع بين أطرافٍ من الشمائل جمعًا بديعًا إيجابيًا، وكان هذا سببَ تحيُّرِ الكثيرين في أمره وتقييمه.. لينٌ بالغٌ وحلمٌ وافرٌ وسماحة وتواضعٍ وهدوء ورزانة وحياء، مع شدّة شكيمة وقوة إصرارٍ إلى درجة أن يصفه بعضُ الناس بـ«العناد»، وفزعةٍ عربيةٍ وغضبةٍ قحطانية، وإقدام وعلوّ همّةٍ وركوبٍ للصعاب.

هو العسلُ الماذيُّ لينًا وشيمةً　　　　وليثٌ إذا لاقى العدوَّ غضوبُ[1]

جمع الله له من الشيم ومحاسن الخلال وجميل الخصال.. تفرقتْ في كثيرين ففاق بها أهل زمانه وتميز به على أقرانه.

---

(١) قاله: كعب بن سعد الغنوي، في رثاء أخيه أبي المغوار، انظر: العقد الفريد (٣/ ٢٢٧).

ولـــيس عـــلى الله بمســتنكرٍ أن يجمـــع العـــالَمَ في واحـــدِ[1]

احتوى على صحة الديانة واستقامة السيرة وحُسنِ الطوية فهو دائمُ النيّة للخير، وسلامة الصدرِ؛ فلا يحمل الحقد والغلّ على مسلمٍ، ورفعة الأخلاق والشمائل وجميل المعاشرة، وحسن الصحبة، مع زهدٍ في الدنيا وترفعٍ عن سفاسف الأمور وبُعدٍ عن المزاحمة على الزخارف.. مع أخلاق الفروسية والشهامة، وما حباه الله من مواهب القيادة وأسرار مفاتيح السيادة والريادة، وبهاء الطلعة والصورة التي تأسر القلوب.

رحمه الله وغفر له.. إنه قدوةٌ من القدوات لما اقتدى بالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم؛ فقد كان شديد التعظيم للسنة والمحافظة عليها، ولسِيَرِ الصحابة، شديد العناية بالتنقيب عنها والتأمل فيها والتمثّل بها، وله ولوعٌ بسيرة سيدنا عمر بن الخطابِ رضي الله عنه.

وقد رأينا أناسًا كثيرين تنكبوا سبيل القصد في الحديث عن الشيخ، وقسطوا في تقييمه والحكم عليه، بسبب تعدد شمائله ومواهبه وتنوع جوانب شخصيته، والحقُّ أن هذا كثيرًا مَّا وقع في حق المشهورين من الزعماء والقادة وسادات الناس، والله عليم حكيم، يحكم بين عباده يوم الدين، وفي هذه الدارِ ولو بعد حين.. وكفى الشيخ فخرًا وشرفًا إن أراد أن يفخر بأنهم يتباهون برؤيته أو السلام عليه أو حضور مجلس معه.

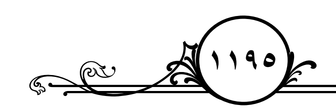
سمعتُ بعضهم يقول: «ابن لادن» لو نظر إليه طفلٌ صغيرٌ لطأطأ رأسه حياءً وخجلًا.

يشيرُ إلى وفور حيائه ولين خلقه وسماحته، يستدلّ بذلك على أنه -أي الشيخ أسامة- بعيدٌ عن العنفِ كما قال، وبعيدٌ عن هذا الفكر العنيف -الجهادي- وأن هذا الفكر كما قال هذا القائل المومَأ إليه دخيلٌ على ابن لادن، وأنه ما حملَه عليه إلا فلانٌ وغيرُه من المصريين وغيرهم!

فقلتُ: سبحان الله؛ رأوْا طرفًا من أخلاق الشيخ وتحيّروا في الجمع بينها وبين بقية أخلاقه وشمائله وصفاته، وعزّ عليهم استيعاب أحواله.

وسمعتُ معلقًا يعلّق على كلمة الشيخ الأخيرة الموجهة إلى الأمة الإسلامية المؤيدة المشيدة بثورات شعوبنا العربية، فيقول ما معناه: «لو علِمَ أعداؤه أي فكرٍ وصل إليه ابن لادن لما أقدموا على قتله». يريد هذا المعلّق أن ابن لادن قد آلَ إلى فكرة العمل السلميّ، فقلتُ: لعل الأعداء فهموا ابن لادن ودرسوه واستوعبوا خِلاله أكثر من هذا المعلّق الذي أضاء له جانبُ الرحمة واللين والرقة

(١) قاله:أبو نواس؛ في مدح الفضل البرمكي، انظر: ديوان أبي نواس ط ١٨٨٤م (ص ٢٢).



والحنان من شخصية الشيخ؛ فظن أنها كلّ شيءٍ وغفل عن تكامُل شخصية الشيخ وما درى أن هذا جزءٌ مما وفقه الله إليه وأكرمه به من تكامل الفضائل وقوة النفس وسعة أفقها ومدى حركتها.

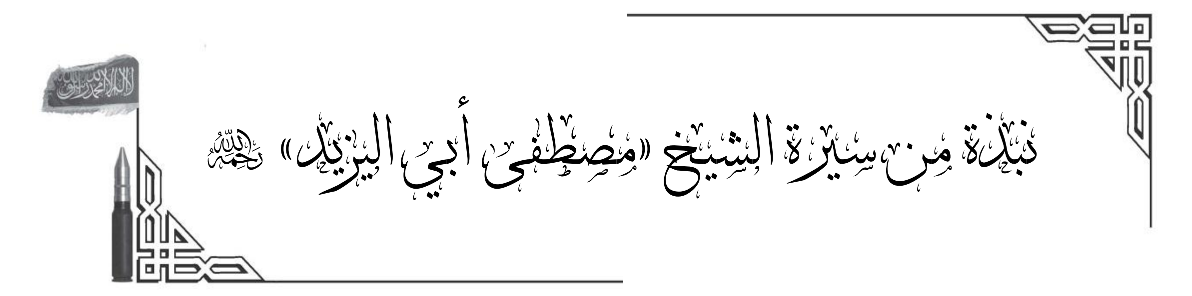
وقال المعلق المشار إليه: «إن إشادة الشيخ أسامة بالثورات العربية وتأييده لها يدل على إخلاصه لقضية أمته»، ونحن نقول: إنه الإخلاصُ لله ﷻ؛ ونصرُ الدين والسعيُ الصادق لإعلاء كلمة الله، عبادةً لله وحبًّا له وابتغاءً لمرضاته سبحانه والفوز بين يديه، لا غيرَ، والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا، وذلك الذي فقده كثيرٌ من الزعامات حتى «الإسلامية» منها، والذي فاق فيه الشيخ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

لم يتبرّم ابن لادن بالثورات، ولا توهّم أنها يمكن أن تزاحمه على زعامةٍ أو «تسحَبَ البساطَ» من تحت قدميه، كما يتوهّم أهلُ الدنيا حتى ممن ينتسبون إلى الدين، بل استبشر بثورات الشعوب وسُرَّ وأيّد والتحمَ معها بما استطاعَ وأمرَ بنصرها والوقوف معها.

لما قرأت كلماته ﷀ في آخر رسائله وهو يتحدث عن هذه الثورات ويقول: «وإن ما نشهده في هذه الأيام من ثورات متتالية حدثٌ هائل وعظيم جدًا ويغلب على الظن حسب متابعة الواقع وتأمل التاريخ أنه سيشمل معظم العالم الإسلامي بإذن الله والأمور بفضل الله تسير وبقوة نحو خروج ديار المسلمين من الهيمنة الأمريكية... فهذه الأحداث هي أهمُّ أحداث تشهدها الأمة منذ قرون فمنذ أن دخلتِ الأمةُ فيما هي فيه لم تشهد أي تحركاتٍ لإنقاذها بضخامة التحركات الشاملة التي انطلقت بفضل الله في هذه الأيام، ومعلومٌ أن التحركات الشعبية الشاملة تغير الأوضاع لا محالة فإن ضاعفنا جهودَنا لتوجيه الشعوب المسلمة وتفقيهها وتحذيرها من أنصاف الحلول مع الاعتناء بحسن تقديم النصح لها ستكون المرحلة القادمة للإسلام بإذن الله» اهـ.

لما قرأت هذه الكلمات أخذتني منها هِزّةٌ وتعجّبتُ -وما استغربتُ- إذ لم يذكر أحداث الحادي عشر من سبتمبر ولا أشار إليها كما يفعل من يعمَل لنفسه، وهو صانع تلك الأحداث وبطلها، بل قال بكل سهولةٍ ويسرٍ عن هذه الثورات إنها أهمُّ أحداثٍ تشهدها الأمة منذ قرون.

فلله درُّهُ، ولله محياه ومسعاه ومماتُهُ.. اللّهم ارحمه واغفر له واعفُ عنه، وألحقه بالشهداء المرضيين عندك، وبارك في أثرِه وعقبه.. آمين.



[شذرات من سيرة الشيخ القائد «مصطفى أبي اليزيد» رحمه الله، **نُشِرَت في**: «مجلة طلائع خراسان» العدد العشرين، **في:** ربيع الآخر ١٤٣٣، وهي آخر ما نُشر رسميًّا للشيخ رحمه الله]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقييد تراجم الصالحين والقدوات الخيرين من رجال الأمة ونسائها، وإبرازها للأمة عملٌ صالح، فإذا قُصِد به الدعوة إلى الله تعالى بنشر الأمثلة الصالحة وإحيائها وتكثيرها وحث الأجيال على الاقتداء بها نشرًا للخير والصلاح والفضيلة وإعلاء لكلمة الله فذلك من الجهاد في سبيل الله، وهو من الجهاد باللسان والكلمة والقلم.

وقد دعاني الإخوة إلى الكتابة عن الشيخ «سعيد مصطفى أبي اليزيد» رحمه الله ورضي عنه، آملين في نيل ثواب هذا العمل الصالح؛ فلبيتُ رغبتهم بكتابة هذه النبذة راجيًا أن أشاركهم في الأجر، وبالله المستعان وبه الثقة وعليه التكلان.

ومن فائدة الكتابة عن سير الصالحين من أهل العصر: تقريبُ القدوة للجيل واستحصال الرجاء في القربِ من مقاماتهم أو بلوغ درجاتهم والاندراج في سلكهم، فإن من الحُجُب المانعة من الانفعال بسير السلف الغابرين أن الواحد منا أهلَ العصر يتوهّمُ أن أولئك القوم كانوا ومضوا، وكان لهم شأنٌ وكان فيهم وفي زمانهم بركة، وتهيأ لهم من الأسباب الربانية ومما حُبُوا من المنح الإلهية بوجود الرسول ﷺ بين ظهرانيهم، أو قُرب عهدهم منه، وكانوا وكانوا، وقد انتهى ذلك وانقضى ولم يبق إلا الحثالةُ! فينصد عن الاقتداء بهم لقصورِ همّته عن بلوغ شأنهم وقصورِ تصوّره عن إمكان وجود مثلهم في الزمن الحاضر.

وأما النماذج المعاصرة فإنها صورٌ حيةٌ لا يغشاها هذا الحجابُ المشارُ إليه؛ فهذه فائدتها، وإلا ففي سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ما يكفي ويشفي وما لا يحتاج معه إلى مزيدٍ.

رُبُع قرنٍ من حياة الشيخ «سعيد» رحمه الله وهي نحو نصف عمرِهِ قضاها في الهجرة والجهاد، تقلب فيها

في أطوار المسيرة الجهادية لطليعة الأمة المجاهدة في عصرنا، والشابُّ المكتملُ صاحبُ القرآن، رقيقُ القلبِ المعلقُ قلبُهُ بالمساجد، التواقُ إلى فيءِ حُكم الشريعة وظلال دولة القرآن، الذي منّ الله عليه بالنجاة من سجون الطغاة في مصر بعد أحداث قتل «السادات» حيث كان من شباب وأنصار جماعة الجهاد، والذي خرج من مصر خائفًا يترقب، ميمِّمًا شطر أفغانستان في سنة ستٍ وثمانين من القرن الميلادي الماضي، مارًا بالحجاز حاجًّا ومعتمرًا وماكثًا في بلاد الحرمين ينتظر ترتيبات الطريق، ومعرّجًا بعدها على بنغلاديش مع «جماعة التبليغ» في قصص ظريفة ظل يستمتع بحكايتها إلى آخر أيام حياته ﵀، لم يكن حينها يظن أنه يعيش هذه المدة كلها ولا أن يذكر هذا الذكر كله، فلا بد أن هناك أسرارًا وراء ذلك، ولعل شيئًا منها يُعرف مِن تلمّس أخلاقه وصفاته.

فأول ما يصادفك من أخلاقه **طيبةُ القلب** التي تُشِعُّ في بشاشة الوجه وحسن اللقاء وطيب الحديث و«البساطة» والسماحةِ والحياءِ والتواضع والمحبة للمسلمين جميعًا والقربِ من المساكين والضعفاء، فلم يكن يحتاج من يتعرف عليه إلى جهدٍ كبير ومدة طويلةٍ ليحبه ويأنس به وينضم إلى قائمة أصدقائه حتى يُخَيَّل إليه أنه يعرفه منذ زمن طويل، ومع «اجتماعيته» وأنسه بالأصدقاء وأنسهم به، لم يكن يشغله مخالطتهم والأنس بهم عن برنامجه اليومي وأوراده وأحزابه، من قيام ليلٍ أو تلاوة قرآن ومحافظة على أذكارٍ وممارسة دعوةٍ بدرسٍ وتذكيرٍ بعد صلاةٍ من الصلوات وما شاكل ذلك، كانت شخصية الداعية إلى الله متأصلة في كيانه ومنادي الدعوة كامنًا في أعماقه، يُحبُّ أن يرتب مع إخوانه قراءة كتابٍ في المركز أو المسجد أو المضافة، وإن لم يقم بالأمر بنفسه قدّم أحد إخوانه له وحرّضه، وفي الجملة كان داعيةً معلّمًا دائم الارتباط بالتذكير، وكان من أجل هذا الميل الروحاني الشديد يحبُّ «جماعة التبليغ» وله ميلٌ إليهم، لما فيهم من الرقة وأخلاق الدعوة والمحافظة على مجالس التذكير، مع معرفته التامة بما عندهم من خطأٍ وصوابٍ وما عليهم من نقدٍ ومؤاخذات، حتى كان في بعض السنين أيام الجهاد الأول في أفغانستان يذهب أحيانًا قليلة إلى اجتماعاتهم في «بلاد البنجاب»، ويخالط بعضهم، وقال لي ذات مرة: إنه يحرص على ذلك لما فيهم من المعاني المشار إليها، وذلك من شدة حرصه على قلبه وتعهده لنفسه ﵀، وقد كنّا في بعض الوقت الخالي نلقبه بـ «التبليغي» واستعملنا هذا اللقب للإشارة إليه في بعض الشفرات البسيطة في بعض المراحل.

ثم من عاشَرَهُ وعاش معه وعرفه عن قُربٍ عرف فيه أخلاقًا أخرى وفضائل ورأى جوانبَ من الصلاح مشرقة.

ومن أهم أخلاقه وصفاته وفضائله مع ما تقدم: سلامة الصدر، وحسن الظنِّ، والرويّة وسعة

البال، والحِلْمُ والتواضعُ، وقوةُ الصبرِ، والشجاعةُ، وكرمُ النفس، وعلوّ الهمةِ، واليقينُ وقوة التوكل على الله تعالى، وحُسن الديانة والتقوى.

لم يكن يحمل الغِلَّ والحقد على مسلمٍ، وكم جرى له في سنواته الأخيرة -فيما بعد الحرب الصليبية على أفغانستان وقد ابتلي في هذه السنين بالمسؤولية والإمرَةِ- من خصوماتٍ وكم دخل مُرْغمًا في نزاعاتٍ كان يكرهها ويضيق منها ويحزن لها، ولكنه لا يحمل الغل بسببها على أحدٍ من إخوانه، ولقد كان تبلغه مسبته عن أناسٍ واتهامُهُم له بالباطل وبَهتُهم له؛ فيلوذ بذكر الله ويظهر عليه الحزن والأسف ثم سرعان ما تراه بعد قليل إن جاء ذكر ذلك الرجل السابّ يثني عليه ويذكره بخيرٍ ويقول: أخونا، ويدعو له ويجزيه بالخير، ويذكر محاسنه، كأنه ما سبّه ولا تكلم فيه بسوءٍ، حتى إنك لتقول: لعله نسي أو اشتبه عليه اسم ذلك الإنسان بغيره!

وأما الروية و«**طول البال**» فسجايا فيه مجبولٌ هو عليها؛ لا يتكلفها بل تنطق بها أفعاله وتترجم عنها سيرتُهُ وخِلالهُ، حتى إن العَجول لا يطيقُهُ وربما ضَجِر الحازم الوقّادُ من مصاحبته، وهذه في الغالب وفي أصلها هي صفة طيبةٌ وفضيلةٌ ممدوحة نافعة، وإنما لا بد أن يعلم أن الاعتدالَ في كل شيءٍ من الأخلاق والفضائل هو الغاية وهو الذي عليه المعوّل، والعبرة بالكمال وبالخواتيم، والتوفيق بيد الله تعالى، وقد كان صاحبنا ﷺ من أهل التوفيق فيما نحسب، والله يتولى الصالحين، ولقد رأيته على بطء حركته وشدة رويّته يُنجِز من الأعمال في الأوقات القليلة ما أتعجّب منه.!

والحلمُ ممزوجٌ بكل ما تقدم، وأما الصبرُ فإنه من أهلِهِ؛ نحسبه كذلك، وله حظٌ طيبٌ من أنواعه؛ الصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الأقدار؛ فكان صابرًا على متطلبات الطريق من هجرةٍ وجهادٍ ولزوم استقامةٍ وتقويم دائم للنفس، وصابرًا على الأذى، وصابرًا على القلة، مثابرًا على معالجة ما يراه من اعوجاج حال المسلمين والمجاهدين، كان الصبرُ شعارَه حقًّا، وكان يعمل بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾[البقرة: ١٥٣]وكان كثيرَ الترنّم بهذه الآية والاستشهاد بها في تذكيره، ويفزع إلى الصلاة ويحافظ على صلاة الليل شديدًا، وكان له حظ من الصوم، ولم أره التزم طريقةً في الصوم، لكنه كان يكثر من الصوم مفرّقًا.

ومما تَعرف به تجذّر خلق الصبر في شخصيته: أنه كان يحب الصابرين وينقّب في تقويم الإنسان عن صفة الصبر فيه، وإذا مدح إنسانًا لا بد أن يكون في طليعة عناصر المدح: الصبرُ وحسنُ الديانة والعبادة، ولما استشهد أخونا «أبو إسلام المصري» ﷺ وكان رجلًا معروفًا بالصبر والحلم والأناة، تذاكرتُ سيرته مرة معه؛ فقلت: إني لأظن أنّ الله يقول عن أبي إسلام: إنا وجدناه صابرًا، فتأثّر بهذه

الكلمة.

ورزقه الله بامرأةٍ صابرةٍ أعانته على الصبر على طريق الله تعالى ﷺ وإياه، وكانت لهما ابنةٌ معاقة مشلولة وُلدتْ لهما في السودان في مرحلة ما بعد الجهاد الأفغاني الأول وبين مرحلة الإمارة الإسلامية في أفغانستان، فأصابها في صغرها داء الصفراء واشتد بها وارتفع مقداره؛ فأورثها شللًا وعيبًا فكانت وهي في عمر عشر سنين كأنها ابنة بضعة أشهر لم تجلس ولا وقفت ولا مشت ولا تكلمتْ، وإنما كانت تبتسم لأبويها وتناغي، وكانوا يرجون بركة الله ورحمته بخدمتها، ولم يتبرّموا يومًا بها، وتقوم أمُّها عليها صابرةً راضيةً إلى أن توفيت البنت واسمها حسناءُ في نفس السنة التي قتل فيها أبواها وأخواتها، سبقتهم ببضعة أشهرٍ، رحم الله الجميع.

وأما الشجاعة: فقد رأيت منه المواقف الكثيرة الدالة على شجاعة قلبه ورباطة جأشه عند الزلازل واستهانته بالخطر، وإقدامه على قول الحق والصدع به، رحمه الله.

وأما التواضع وحب المساكين والضعفاء والميل إليهم وإكرامهم؛ فهذه شيمته، ومشهودٌ مذكورٌ حبّه للأنصارِ وعوامِّ الناس وقربُه منهم وقربُهُم منه.

وكان له من **كرم النفس وعلوّ الهمّة** نصيبٌ طيبٌ، عرفناه في اختياراته وفي تعبّده واجتهاده، وعفَّة نفسه وعزته، يحب معالي الأمور ويجتهد أن يضرِبَ بسهمٍ في كل مجالٍ للعمل الصالح، وفي العلوم والمعارف.

وكان شديد المحبة **لاجتماع المسلمين**، والكراهية للفُرقة والنزاع، ورأيت منه في ذلك ما يذكر ويثنى عليه من قوة سعيه وشديد حرصه واجتهاده البالغ في توحيد صفوف المجاهدين وجمع كلمتهم سواءٌ في أفغانستان أو باكستان أو غيرها، لا يكاد يكلُّ أو ينكلُ عن حركةٍ ورحلةٍ واجتماعاتٍ رغم مرضه في بعض المرات، ورغم صعوبة الأجواء وطبيعة الأرض تاراتٍ.

وإذا كانـــــت النفـــــوس كبـــــارًا   تعبـــــت في مرادهـــــا الأجســـــام[1]

فأين شباب الإسلام ليقتدوا وينافسوا.؟

وكان رحمه الله -نحسبه والله حسيبه- **صاحبَ دينٍ متينٍ وتقوى ومراقبة**، ومن أهل اليقين والتوكل على الله، متحرّيًا في المال العام وفي مطعمه ومشربه، متحفّظًا في كلامه متوقّيًا عن آفات اللسان، شديد الحذر من الغيبة والكُرهِ لها، ولقد كنت أراه يتخذ بعض القرارات ويختار بعض الاختيارات في العمل،

---

(١) قاله المتنبي، ينظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص ٣٧).

لا أوافقه عليها وربما أبدي له رأيي المخالفَ لرأيه وأجادله، وربما تركتُهُ ركونًا إلى ظنٍّ أن الله يوفقه، وكثيرًا ما كنت أراه يُوفَّقُ، ويكون العمل أسدُّ مما قدرتُ، ويسترُ الله بستره الجميل ويسدُّ الخلل، وتمشي الأمور على أحسن وجهٍ؛ فأتذكر قصة «القاضي أبي يوسف» صاحب الإمام «أبي حنيفة» ﷺ، التي ذكرها الحافظ «الخطيب البغدادي» في ترجمة «حفص بن غياث» المحدث والفقيه والقاضي؛ رحم الله الجميع، وأختم بها هذه النبذة، فإنه قال في ترجمته:

«أنبأنا عليُّ بن المحسن أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر أخبرني عبد الباقي بن قانع حدثنا إبراهيم بن محمد بن رزق قال: لما ولي «حفص بن غياث» القضاء بالكوفة قال لهم أبو يوسف: اكسروا دفترًا لتكتبوا فيه نوادر قضاياه؛ فمرت قضاياه وأحكامه كالقدح، فقالوا لأبي يوسف أما ترى؟! قال: ما أصنع بقيام الليل..! يريد أن الله وفقه بصلاة الليل في الحكم»[(١)] اهـ.

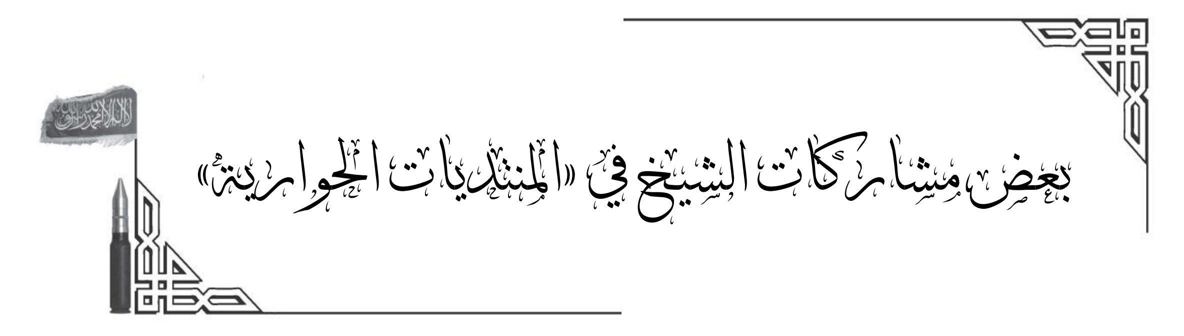
فنسأل الله أن يرحم «مصطفى أبا اليزيد» ويتقبله في الشهداء الصالحين.

والحمد لله رب العالمين

❊ ❊ ❊

---

(١) تاريخ بغداد (٨ / ١٨٩).



[تاريخ هذه المقالات -إن وُجد- يُذَيَّل بآخر المقالة كما كتبه الشيخ عطية الله ﷺ، وما لم يدون تاريخه؛ فإنه يتضح من خلال سياقها، أو نضعه بين معكوفين]

۞ التنبيه على أخطاء شائعة في ضبط ألفاظٍ من الحديث النبوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فهذه تنبيهات لطيفة على أخطاء شائعة في ضبطِ ألفاظٍ من الحديث النبوي الشريف يقع فيها بعضُ طلبة العلم وغيرهم.

١- قول النبي ﷺ: (**لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ**)(١).

يَضبِطونَه: (**يفرُك**) بضم الراء، وهو خطأٌ مُفسِد للمعنى، والصَّواب: (**يَفْرَك**) بفتح الراء، ومعناه: يُبْغِض، يقال: فَرِكَ الرجلُ امرأتَه يَفْرَكُها: إذا أبغَضَها. وأكثرُ ما يُستعمَل هذا الفعلُ في بِغْضَة الزوجين، أي: بُغْض الرجل زوجتَه، أو بُغْضها إياه. وأما (**يَفْرُك**) فمعناه: يدلُك ويَحُتُّ(٢).

٢- قوله ﷺ: (**الحبَّةُ السوداءُ شِفاءٌ من كلِّ داءٍ إلا السَّامَ**)(٣).

---

(١) صحيح مسلم (١٤٦٩).

(٢) قال النووي في: شرح مسلم (١٠/ ٥٨): «يَفْرَكُ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالرَّاءِ وَإِسْكَانِ الْفَاءِ بَيْنَهُمَا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ فَرِكَهُ بِكَسْرِ الراء يفركه بفتحها إِذَا أَبْغَضَهُ وَالْفَرْكُ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ الْبُغْضُ».

(٣) صحيح البخاري (٥٦٨٧، ٥٦٨٨)، صحيح مسلم (٢٢١٥).

يَضبِطونه: (إلا السَّامَّ) بتشديد الميم؛ ظنًّا منهم أن المُرادَ بها: ما فيه السَّمُّ «من مادة س م م»، والصَّواب فيها أنها مخفَّفةُ الميم، أي: (**إلا السَّامَ**) وهو: الموت «من مادة س و م»، والألفُ فيها منقلبةٌ عن واوٍ.

٣. قوله ﷺ: (**إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوْعي؛ أن نَفْسًا لن تموتَ حتى تَسْتكمِلَ رزقَها؛ فاتَّقوا الله، وأَجْمِلوا في الطَّلَب**)[1].

يَضبِطونَه: (في رَوْعي) بفتح الراء، وهو ضبطٌ مفسدٌ للمعنى، والصواب: ضمُّ الراء (**في رُوْعي**)؛ لأن الرُّوْع هو القلبُ والنفْسُ والذِّهنُ والعَقلُ. والمراد: أن رُوحَ القُدُس -وهو جبريلُ عليه السلام- نَفَثَ، أي نفخَ -وَحْيًا وإلهامًا- في قلب النبيِّ ﷺ ونفْسِه بالأمر المذكور.

وأما الرَّوْع بالفتح فهو: الفَزَعُ والخَوفُ، وهو غيرُ مرادٍ هنا.

٤ - قوله ﷺ: (**فَوَاللَّهِ، لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**)[2].

يَضبِطونَه: (النِّعَم) بكسر النون؛ لتوهُّمِهم أنها جمعُ نِعْمَة، والصواب (**النَّعَم**) بفتح النون، وهو جمعٌ لا واحدَ له من لفظِه، يُطلَق على جماعة الإبِلِ والبَقَر والغَنَم، وأكثرُ ما يُطلَق على الإبِلِ خاصَّة، والمراد بحُمْر النَّعَم: كرائمُها وخِيارُها، وفي المصباح المنير: «وهو مَثَلٌ في كلِّ نفيس»[3] اهـ.

٥ - قوله ﷺ: (**اللهُمَّ لا سَهْلَ إلا ما جَعَلتَهُ سَهْلًا، وأنت تَجعَلُ الحَزْنَ إذا شئتَ سَهْلًا**)[4].

يضبطونها: الحَزَن -بفتح الحاء والزاي-، فيُحيلون المعنى عن وجهه المراد؛ لأن الحَزَن كالحُزْن، وهو: الهَمُّ والغَمُّ، والصواب: (**الحَزْنَ**) بسكون الزاي، ومعناه: كلُّ أمر شاقٍّ وَعْر مُتَصَعِّب، وهو عكسُ السَّهْل الهيِّن، وأصله ما غَلُظَ من الأرض وخَشُنَ وارتَفَع.

٦ - قوله ﷺ: (**مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ**)[5].

---

(١) شعب الإيمان (١١٤١، ٩٨٩١)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير (٣٨٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٩٤٢)، صحيح مسلم (٢٤٠٦).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ص ١٥٠).

(٤) صحيح ابن حبان (٩٧٤)، وصحح إسناده الأرنؤوط في تخريجه لابن حبان، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٨٨٦).

(٥) صحيح البخاري (٢٢٨٧)، صحيح مسلم (١٥٦٤).

يقولون: مُطْل -بضم الميم-، والصواب: (**مَطْل**) -بفتح الميم-، وهو تأجيلُ مَوعِد الوَفاء بالحقِّ وتَسويفُه مرَّة بعد أُخرى.

٧ - قوله ﷺ: (**لا رُقْيَةَ إلاَّ مِن عَينٍ أو حُمَة**)[١].

يضبطونها: حُمَّة -بتشديد الميم-، والحُمَّةُ والحُمَّى بمعنًى واحد، وهو ارتفاعُ حرارة الجسم من مَرَضٍ وعِلَّة (من مادة ح م م)، وليس هذا المرادَ هنا، والصوابُ فيها تخفيفُ الميم، (**حُمَة**) -من مادة: ح م ي-، وهي: سَمُّ كلِّ ما يَلدَغُ ويَلسَعُ، وتُطلَق أيضًا على الإبْرَة التي بها يُلدَغ ويُلسَع.

٨ - قوله ﷺ: (**المؤمنُ القَويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله منَ المؤمن الضَّعيف، وفي كُلٍّ خيرٌ، احرِصْ على ما ينفَعُكَ، واستعِنْ بالله ولا تَعْجِز..**)[٢].

يضبطون الفعل: تَعْجَز -بفتح الجيم-، وهو خطأٌ مخالفٌ لما نصَّ عليه غيرُ إمام من شُرَّاح كتب السنَّة؛ من أنها بكسر الجيم؛ لأن الفعلَ (عَجَزَ) هنا من العَجْز الذي هو الضَّعفُ وانقطاعُ الحيلَة دونَ الأمر، فهو بوزن ضَرَبَ، فهو في المضارع مكسور الجيم (**تعجِز**).

وأما عَجِزَ يَعْجَزُ -من وزن فَرِحَ- فمعناه كبُرَتْ عَجِيزَتُهُ، وهي مؤخّر الإنسان، والأكثر استعمالها للمرأة، فيقال عَجِزَتْ أي عظُمتْ عجيزَتُها.

٩ - قوله ﷺ: (**مَنْ بَنى للهِ مَسْجِدًا، ولو كمَفْحَص قَطاةٍ لِبَيْضِها، بَنى اللهُ له بيتًا في الجنَّة**)[٣].

يَضبطونها: مِفْحَص -بكسر الميم-، على وزن اسم الآلة: مِفْعَل، والصَّواب أنها بفتح الميم (**مَفْحَص**)، بوزن: مَفْعَل؛ لأنها اسمُ مكانٍ من الفعل الثلاثيِّ: فَحَصَ، ومضارعُه: يَفحَصُ -مفتوح العين، وهو الحاء هنا-، وما كان كذلكَ فإن اسم المكان منه يُصاغُ على وزن مَفْعَل.

لخصته وهذّبته من بحث لـ: أيمن بن أحمد ذوالغنى

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

(٣) مسند أحمد (٢١٥٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

• **[تتمة]** ما أورده بعض الإخوة من أن أوجه اللغة واسعة وكثيرة؛ فهذا لا يُعتَرَض به على من يضبط الألفاظ؛ فاللغة واسعة، والأوجه كثيرة، والكلمة الواحدة كثيرًا ما يكون فيها لغات، ولكن الذي يهمك أن تثبت أن الوجه الذي تنطق به اللفظ صحيح.

ثم هذه التصحيحات التي نوردها ويوردها العلماء ليست على درجة واحدة؛ فمنها ما يُجزم بخطأ مقابله ويقال في مثله صوابه كذا، ومنها ما يرجح ترجيحا فيقال فيه: الأصوب كذا، أو الأصح أو الصحيح كذا، ومنها ما يقال: فيه وجهان أو أوجه هي كيت وكيت.

ويكفي من فائدة هذا الموضوع أن يعرف الطالب للفظ ضبطًا موثّقًا منقولًا عن كتب العلماء الضابطين فيستيقنه وإن وُجِد غيره، والله الموفق

ومما ينبه عليه أيضا:

- **(سِيفُ البحر)**[1] جاء في حديث العنبر، وتكرر في مواضع من السيرة، وهو بكسر السين، ومعناه ساحل البحر، وليس هو بفتح السين كالسلاح المعروف.

- **(قِيدُ)**[2] رُمحٍ، أو قِيد أنملة، ونحوهما، هو بكسر القاف بمعنى قَدر كذا.

- **(مِسْعَر حربٍ)** جاءت في حديث أبي بصير المشهور: **(مسعر حرب لو كان له أحد)** أو **(لو كان له رجال)**[3]، وهو بصيغة اسم الآلة -بكسر الميم ثم سكون السين ثم فتح العين-، والمِسْعَرُ والمِسْعارُ ما يحمى به النار من عودٍ ونحوه.

وكثيرون ينطقونه مُسْعِر -بصيغة اسم الفاعل- من سَعَرَ النارَ والحربَ، وقد يكون له وجه، ولكن ما قدمتُه هو ما نصّ عليه العلماء في الشروح، كما في الفتح وعون المعبود وقبلهم عند الخطابي[4].

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٣١)، صحيح مسلم (١٩٣٥).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٦)، صحيح مسلم (١٦١٢).

(٣) لفظ (لو كان له أحد) في: صحيح البخاري (٢٧٣١)، ولفظ: (.. له رجال) ذكره الدارقطني في: المؤتلف والمختلف (١/ ٢٢٢).

(٤) انظر: فتح الباري (٥/ ٣٥٠)، عون المعبود (٧/ ٣١٩).

۞ لو أقسم على اللّٰه لأبره

عندما كتبتُ مقالة «ما بعد هزيمة أمريكا» جالت بخاطري ذكريات، ولمعتْ في سماء مخيلتي بوارق، وهتفت بوجداني هواتف من رسيس الوفاء؛ فتذكرت كلمة شيخنا الحبيب وأخينا الكبير، السيّد الشهم النبيل، والزعيم الإسلامي العظيم، فخر الأمة وأحد مَنْ أحيا الله على أيديهم الجيل: الشيخ «أبي عبد الله أسامة بن لادن» حَفِظَهُ اللهُ ونصره وأدام عزّه، وأعلى في الدارين مقامه ورفع في الآخرين ذكره.. وتذكرتُ قسمه الذي أقسمه على أسماع العالمين:

«أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تنعم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعًا في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ».

فقلتُ: أرجو أن يكون هذا مما قال نبيّنا ﷺ: **(إن من عباد الله مَنْ لو أقسم على الله لأبرَّهُ)**[(١)].

وأن يذيق الله -جلّت قدرته- أمريكا لباسَ الخوف بعد الأمن، والجوعِ بعد الشبع، والذلةِ بعد العزّ، ويستمرّ ذلك بها حتى تخرج من أرض الإسلام خائبة منكسرة، وحتى يذوق المسلمون النصر والأمن والعز في أوطانهم.!

ومعنى الحديث: لو أقسمَ هذا العبدُ الموصوفُ على شيء أنه يكونُ ويقعُ، حسنًا ظنّه في ربّه، لأبرّهُ اللهُ، أي لأبرَّ اللهُ ﷻ قسَمه، وأوقع -بلطفه- الأمرَ على مراده، كرامةً له، فلا يحنثه ولا يُخيّبه.

ومن موارد هذا الحديث أي القصص والمواطن التي ورد فيها، قصة أنس ابن النضر رضي الله عنه وهو عمّ أنس بن مالك خادم النبي ﷺ، وهو صاحب القصة الشهيرة في أحد التي يحفظها كل أحباب الجهاد، الذي قال: «غبت عن وقعة بدرٍ، ولئنِ اللهُ أشهدني قتال المشركين ليريَنّ اللهُ ما أصنع.. وقال: واهًا لريح الجنة إني لأجد ريحها دون أحد، قال سعدٌ: فما استطعتُ يا رسول الله ما صنع.. قال أنس بن مالك -ابن أخيه-: فوجدنا به بضعا وسبعين أو بضعا وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم فما عرفته إلا أخته ببنانه، قال: كنا نُرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية»[(٢)].

هذا أنس بن النضر عنده أختٌ اسمها الرُّبَيِّع بنت النضر -تكون عمة أنس بن مالك-، مرةً تعاركَت مع بعض بناتِ جيرانها، كما يحصل بين الناس أحيانا.. فكسرت ثنيّة -إحدى السنّيْن

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٠٦)، صحيح مسلم (١٦٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٢٨٠٥).

المقدمتين الطويلتين في مقدّم كل فكّ- جاريةٍ منهم -أي إحدى بناتهم-، فجاء أهلها إلى النبيّ ﷺ شاكين طالبين القصاص.

فحكم النبيّ ﷺ بالقصاص؛ تُكسَرُ ثنيّة الربيّع.

فجاء أخوها هذا أنس بن النضر بعدما سمع حكم النبي ﷺ بالقصاص فقال: «والذي بعثك بالحقّ لا تكسَر ثنيّة الربيّع».!

فكرر عليه النبيّ ﷺ: **(كتاب الله، القصاص)**..!

فكرر عليه: «لا والله، لا تكسَرُ ثنيّة الربيّع».!

فإذا بأهل تلك المرأة فجأةً يتنازلون عن حقهم في القصاص ويرضون بالأَرْشِ -دية الجرح وهو السنّ هنا-.

فهنا قال النبي ﷺ: **(إن من عباد الله مَنْ لو أقسمَ على الله لأبرّه)**[1].

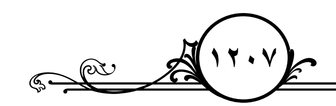
ونحن والله نرجو أن يبرّ الله قسم عبده أسامة بن لادن..

ونسأله تعالى أن يشفي صدورنا وصدره من أمريكا وأوليائها..

وأن يرينا من نصره ولطفه وفرَجه ﷻ ما تقرّ به أعيننا وأعين المستضعفين من المسلمين في كل مكان.. آمين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٠٣، ٤٥٠٠، ٤٦١١)، صحيح مسلم (١٦٧٥).



۞ نموذج للطواغيت الذين يحكمون بلاد المسلمين..!!

هؤلاء الحكام الذين -بقدرة قادر- تسلطوا على رقاب شعوب أمتنا ومقدَّراتها، وساموها الخسف واسترجلوا على ضعفائها، واستنسروا واستأسدوا في ساحاتها، وهم أمام الأعداء نعامات وفراخ ونعاج إن شئت، مع أني أكرم كل هذه الحيوانات المحترمة عن أن أشبههم بها، لكن لا أجد في قاموسي ما أعبر به عن جبنهم وخورهم وحقارتهم في أنفسهم واستئسادهم على الأمة المسكينة مع ذلك!!

هؤلاء الحكام أيُّ صفاتٍ ذاتية يتميزون بها عن غيرهم، ويفوقون بها أقرانهم، وتؤهلهم للقيادة والسيادة؟؟؟ إنما ملكوا الأمة على حين غفلة من أمرها وأتيحت لهم فرص من فلتات الزمان اقتنصوها ببعض الجرأة، على أحسن التقديرات، وإلا فالغالبية منهم عملاء منصوبون من قبل أسيادهم البيض!! أشباه رجال، لا كرم ولا شجاعة، ولا دين، ولا علم ولا أدب..! لو الواحد منهم تمسكه تعطيه كفين يتبرأ من نفسه!! ولكن هذه أقدار الله.. وعلينا أن ندفعها بأقداره، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

انظروا هذا القذافي بماذا خرج علينا في آخر خرجاته:

ليبيا تعين ملكة جمال أميركية قنصلا فخريا بواشنطن: ذكرت وكالة الأنباء الليبية أمس الثلاثاء أن الجماهيرية الليبية عينت ملكة جمال أميركية قنصلا فخريا لها في واشنطن، بعيد إعلان الرئيس الأميركي جورج بوش تجديد العقوبات الاقتصادية المتخذة عام ١٩٨٦ ضد طرابلس لمدة سنة إضافية.

وقالت الوكالة إن ذلك تم مساء الأحد في حفل رسمي بطرابلس حضره الأمين المساعد للثقافة والإعلام باللجنة الشعبية العامة للاتصال الخارجي والتعاون الدولي، وعدد من أعضاء البعثات السياسية المعتمدين لدى ليبيا وعدد من مراسلي وكالات الأنباء والصحفيين، وحصلت تيسا زنديك التي تنافست على لقب ملكة جمال الإنترنت أواخر أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٢ في طرابلس على الجنسية الليبية، خلال الحفل الذي أقيم في أحد الفنادق الفخمة بالعاصمة الليبية.

وقال المسؤول بالخارجية الليبية حسونة الشاوش إن «تعيين زنديك من قبل الحكومة الليبية لا يعني أن البلدين يقيمان علاقات دبلوماسية». وأضاف أن تيسا زنديك التي تعيش في الولايات المتحدة لن تشغل مكتبا هناك لأن لقبها «فخري»[(١)].

---

(١) ذيل الشيخ ﷺ هذا المقال برابط على موقع الجزيرة: http://www. aljazeera. net/news/arabic/2003/1/1-8-5. htm

۞ الإسلام في أمريكا والغرب بعد الحادي عشر من سبتمبر

الحادي عشر من سبتمبر يوم فاصل في التاريخ الحديث، وعمليات الحادي عشر من سبتمبر حدث غير مجرى التاريخ بالفعل، والناس في تقويمه على مذاهب، منها العادل ومنها القاسط، وقرونا بين ذلك كثيرا.. وبغضّ النظر عن تقويمنا ونظرتنا لتلك الأحداث من حيث الأصل، فإننا نحب أن ننظر في أثر الحدث على دعوة الإسلام في أمريكا بخاصة وبلاد الغرب بعامة.

هل كان الأثر إيجابيًا؟ هل ساهم في قوة الدعوة الإسلامية؟ هل نتج عنه فتح في القلوب؟ هل ساهم في تصحيح المسار؟ أو هل كان له آثار سيئة على دعوة الإسلام؟ وما هي تلك الآثار؟ وما المقارنة والمفاضلة بين الإيجابيات والسلبيات لتلك الأحداث؟

ونحن قد سمعنا وقرأنا الكثير عن ازدياد الإقبال على الإسلام في أمريكا والغرب بعد ١١ سبتمبر تعلّمًا ودراسةً وبحثًا وقراءةً واعتناقًا أيضا، كما سمعنا عن المضايقات وموجات العداء والابتلاءات وغيرها.

وفي هذا «المنتدى» إخوة لنا يكتبون معنا يعيشون في أمريكا وبلاد الغرب، لهم مساهمة في الدعوة ومعرفة بأوضاع الإسلام هناك وأحوال المسلمين ومعرفة بالغرب وأهله وعلاقته بالدين، فنحب أن نسمع رأيهم وتقييمهم ونستنير بما يرصدونه من آثار ونتائج.

ملاحظة: الرجاء مَن أحب أن يشارك فليوجِز قدر الإمكان، وليتحرَّ الاقتصار على صلب الموضوع أي آثار الحدث ووضع «دعوة الإسلام» بعده.

وجزاكم الله خيرا.

نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم، وأن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لطاعته.

ونسأل الله أن يعزّ الإسلام والمسلمين ويذل الشرك والمشركين وسائر أعداء الدين.. آمين.

العلماء والدعاة والشورى المطلوبة.. قضية للتأمّل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله صحبه ومن والاه:

الشورى خلق إسلامي أصيل رفيع، وسنة كريمة من سنن المصطفى ﷺ، أمر الله بها رسوله تعليما لأمته وتنبيها لمكانها وفضيلتها، واتفق عقلاء الأمم قديمها وحديثها على أهميتها والحث عليها والعمل بها لا سيما للملوك والقادة وأولي أمور الناس..

ويكفي في بيان فضلها ما ورد في كتاب الله من جعلها صفة للمؤمنين في قوله تعالى في السورة الكريمة المسماة بها «الشورى» -وهذه التسمية هي أيضا منبهة لشرفها-: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى] الآيات..

فقوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ﴾ جملة اسمية جارية صفةً للذين آمنوا، والوصف بالجملة الاسمية يفيد أن هذه الصفة ثابتة لهم لا تنفك عنهم، والمراد هنا ما ينبغي أن يكون، وقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وفي السنة من فعله وقوله ﷺ الكثير مما هو معروف مشهور، بل كانت الشورى في حياته صفة مميزة واضحة لا يخطِئُها الملاحظ.. وعلى هذا مضت الأجيال الفاضلة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ومعلوم أن للشورى أحكاما وآدابا بحثها العلماء والفقهاء والحكماء في كتبهم ودواوينهم، وسجلوا فيها كل ما يتعلق بهذه الفضيلة من الفوائد والتجارب والمآثر.

والغرض هنا أن أطرح -للتأمل والتنبيه- مسألة أهمية التحلي بهذه الصفة الفضيلة (الشورى) بين علمائنا وطلبة العلم والدعاة إلى الله والمربين من أهل الخير والصلاح والجهاد..

فباعتبار أن العلماء والدعاة إلى الله تعالى هم القادة الحقيقيون للأمة، (أو المفروض كذلك):

هل يتحلّى علماؤنا بهذه الصفة ويمارسونها بشكل ثابت ومستمر فيما بينهم؟

وكذلك الدعاة وطلبة العلم ممن هم دون العلماء الكبار لكن يشاركون في التوجيه والترشيد لمسيرة أمتنا ونهضة جيلنا؟

على مستوى الفتوى، وعلى مستوى الأفكار العملية والعمل الدعوى والعمل السياسي، وعلى مستوى البحث العلمي، وغير ذلك، أفرادًا وجماعاتٍ.

كم رأينا من عالمٍ من العلماء يبحث في تخريج حديث مثلًا ثم يقول: لم أجده، أو لم أعرفه.. وهذه عبارة حديثيّة معروفة عند العلماء ولها معناها الدقيق.

نعم، ولكن هل كان بإمكان هذا العالم أن يرفع سمّاعة الهاتف ويتصل بأخيه العالم الآخر الموجود بالهند أو السند أو موريتانيا أوالمغرب أو غيرها من بلاد المسلمين، فيستشيره ويستعين به لعل أخاه قد عثر على الحديث وعرفه لا سيما إن كان الحديث مما ينبني عليه عمل مهم من العبادات أو المعاملات؟!

وماذا نقول الآن في عصر الإنترنت وتقنية المعلومات المتقدمة، وهي نعمة إن أحسنا استغلالها.

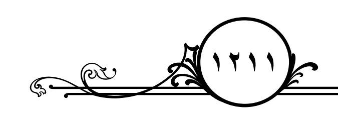
وفي مجال الفتوى، وخاصة فيما يتعلق بقضايا الأمة العامة والقضايا المصيرية أعني السياسية الاجتماعية منها بشكل أخصّ.. هل للشورى بيننا مكانها الواجب..؟ وخذ مسألة الغزو الأمريكي المزمع للعراق مثالا.

وعلى مستوى الحركات الجهادية مثلًا: عندما أفتى بعض الشيوخ الفضلاء بجواز قتل نساء عساكر الطواغيت المرتدين وأطفالهم في الجزائر باجتهاد ارتآه، هل بذل جهده قبل ذلك في التشاور مع مَنْ أمكنه من إخوانه من العلماء والمشايخ وطلبة العلم والجماعات التي لها مؤسسات للبحث الشرعي والفتوى، وعرض عليهم رأيه قبل أن ينشره للعامة ويعلنه للعالَمِ؟ ومعلوم خطر هذه المسألة وعظم شأنها؟ وقس على ذلك.

وهكذا عندما يساند علماؤنا ودعاتنا موقفا، وعندما يتبنون حركة ويدعمونها، وقس عليه.

بالتأكيد أنا لا أقصد بالشورى هنا المؤسسات كمراكز البحوث ونحوها وهي وسائل مهمة لتطبيق الشورى وتفعليها بين أهل العلم متى تخلّصت من تعقيدات الروتينية المفرطة وغيرها من العيوب، ومتى صَفَتْ لأهل الخير والصلاح والجهاد، وخلتْ عن مخالطة أهل الزيغ والضلال والبدع والأهواء وعملاء الطواغيت.. وهو ما يصعب أن يتم لأهل الخير في كثير من البلاد اليوم..

ولكن الذي أقصده هنا أن تكون الشورى صفةً ملازمة لنا في كل أمورنا، يتشاور العالم والداعية مع من أمكنه وقاربه من إخوانه وليكثروا التدارس في مسائل الأمة التي هي من الأمور الجامعة التي لا



يصلح فيها التفرّدُ ولا يحصل الاطمئنان بإيكالها إلى عقل واجتهاد الفرد في الغالب، وليعتمد الداعية والعالم أنه متى عنّ له رأيٌ أو اجتهاد في مسألة أن يعرضه على من أمكن من إخوانه من أهل العلم والتقوى والصلاح ويتشاور معهم فيه قبل إبرازه للناس.

وفق الله علماءنا ودعاتنا وقاداتنا إلى ما فيه الخير والصلاح..

ونسأل الله أن يعفو عنا وعن سائر المسلمين..

وأن يفرّج عنا وعن أمة محمد ﷺ فرجا عاما قريبا..

إنه وليّ حميد.

والحمد لله أولا وآخرًا وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

۞ تعليقاتٌ على كلام الشيخ محمد المختار الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الشيخ أشياء كثيرة في كلامه، فيها أشياء يوافقه عليها المجاهدون وأشياء لا يوافقونه عليها، وكذا غيرهم من الناس بالتأكيد يوافقونه في بعض مما قال ولا يوافقونه في بعض: مثل تحذيره من الأخذ عن المجاهيل، وأمره بالتثبت والرجوع إلى العلماء، وقول كلمة الحق، وليس كل من لفّ على رأسه عمامة؛ نأخذ منه ونتبعه.. وما شابه ذلك، هذا كلام كل الناس متفقون عليه.

❑❑❑

كرر الشيخ مرات عديدة الثناء على «ولاة الأمر» في أول الكلام ووسطه وآخره وتبيين ما يجب لهم من الولاء والسمع والطاعة وأن ذلك من عقيدة ومذهب أهل السنة والجماعة.. الخ، وأبدأ في ذلك وأعاد، ويبدو أن ذلك كان صلبَ موضوعه.

حتى قال: الطعن فيهم طعن فينا يعني ولاة الأمر..! وليس هذا بسديد، فلماذا يربط نفسه ويربط العلماء بهؤلاء الحكام؟ هذا غير سديد، بل ظاهر البطلان ولا يحتاج إلى إطالة في ردّه.

وبالمقابل ذكر الشيخ الذين يكفرون الحكام في الانترنت، ويسمّمون أفكار شباب الأمة كذا قال.! طيب؛ إذا كان يتكلم عن السعودية، فهذا اجتهاده ولنتجاوز هذا لأننا في منتداهم أولًا، وثانيًا لأنها مسألة قابلة للاختلاف عندي، وهي كذلك عند سائر جماعات الجهاد المعروفة في العالم الإسلامي «القاعدة» وغير «القاعدة» على حسب علمي: الذي يكفّر الحكومة ويرى مشروعية الخروج عليها يعذر من لا يوافقه في ذلك، ولا يكفّره ولا يبدّعه ولا يفسّقه، هذا الذي عرفناه عنهم ومتأكدون منه جيدًا، وما يوجد خلافَ ذلك فليس هو المعتمد والله أعلم..

أقول: لنتجاوز عن السعودية، ونسأل الشيخ عن برويز مشرّف مثلًا! قبل مدة كان هناك إخوة باكستانيون يسألون عن حكمه ويريدون أن يجاهدوه، أنا سأحيل السؤال إلى الشيخ، ماذا يقول لنا يا ترى؟ ولنسأله عن حكام ليبيا، وتونس وموريتانيا موطنه هو الأصلي أو موطن آبائه بعبارة أدقّ..

يا ريت والله نسمع رأي الشيخ!

❑❑❑

وذكر الشيخ قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[النساء: ١٤٨] وأوردها مورد المحاجة والإنكار على «هؤلاء الذين يتكلمون» على حسب تعبيره، ويقصد والله أعلم: كل من يتكلم في

الحكومة، وجوابه تمام الآية لو أنصف وتثبّت: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾!

❑❑❑

استدل الشيخ بكون الإخوة بيعوا بالدراهم في باكستان وأفغانستان وأنهم انتهوا إلى نهايات أليمة وإلى السجون على أن نفيرهم للجهاد كان خطأ، وعلى صحة مذهبه في النهي عن ذهاب الشباب للجهاد.. وسها عن أن الصحابة بيعوا بالدراهم: باعتهم بنو لحيان إلى قريش؛ خبيب بن عدي وصاحبه!! وأسروا وقتلوا شرَّ القتلات كل ذلك بفضل الله تعالى حصل لأصحاب النبي ﷺ وهو بين أظهرهم والوحي ينزل عليه من رب العالمين؛ فلله الحمد والمنة على ظهور حجج المجاهدين.. وما ضرّهم، سبحان الله!! قوم قاموا للجهاد في سبيل الله على بيّنة من الأمر ثم قتلوا أو أسروا وبيعوا ما تنقم منهم؟ وهل في ذلك ما يدل على خطإ نفيرهم للجهاد، بل والله هم خير منك أنت القاعد.

بل نذكر الشيخ بأن الأنبياء بيعوا بالدراهم يا شيخ؛ ألم تقرأ في القرآن قصة يوسف عليه السلام؟

وبالجملة: فهذا المسلك مسلك غير علمي للحكم على المسائل.. لكن لو أن الشيخ يقول مثلًا: إن النظر السياسي اقتضى في وقتٍ ما أن نقول للشباب؛ تريثوا ولا يذهب أحدٌ الآن لأن المجاهدين هناك في أرض المعركة غير محتاجين لأحد، ولأن الذي يذهب يقتل في الطريق حتمًا في حكم العادة مثلا، أو لأن انصرافهم لضرب العدو في مكان آخر أفضل، أو نحو ذلك فهو حقٌّ وصدق، وهذا هو عين كلام المجاهدين وقياداتهم.

لكن نحن لم نر من الشيخ ذلك.. وإنما رأينا منه الاستدلال بأن الإخوة أسروا وقتلوا وشرّدوا وتبهدلوا على أن ذلك خطأ، وهذا في حد ذاته ليس دليلًا على خطأ أو صواب، الدليل غير هذا يا شيخ أصلحك الله!

❑❑❑

أنكر الشيخ على من يقول إن الجهاد فرض عين.. -وقد كُفيت الرد على هذا-، وأزيد: أن الصورة التي ذكرها: وهي أن بعض الناس يقولون الجهاد فرض عين وهم جالسون يأكلون المندي ويشربون القهوة يعني ولا ينفرون إلى الجهاد، فهذه الصورة لا أدري كم حجمها -كم ميجا؟!.. ابتسامة- أعني هل هي واقعة في العلماء؟ أو في الطلبة؟ أو رعاع الناس وأسواقهم؟ وكم انتشارها ووجودها؟ لكن نحن بالتأكيد لا نعرف عالمًا قال: إن الجهاد فرض عين إلا نفر بنفسه للجهاد أو كان له في نفس الأمر عذر يعذر به عن النفير ككونه أعمى، أو حاول ولم يستطع، أو كان اجتهاده وقال له أولياء الأمر الناصحون -ومنهم أهل الجهاد وقياداته-: ابقَ في مكانك للحاجة إليك هناك أو ما شابه ذلك. فمن

يقصد الشيخ بهذا الكلام؟ ولماذا هذا المستوى من التفخيم للكلام والتهويل الذي لا يليق بعالم تدرّب على الفقه ولغة الفقهاء؟ هذا شيء مؤسف!

❑❑❑

بالمناسبة: حاولت البحث -عن طريق المكتبات الكمبيوترية- عن كلمة «زاعق وناعق» التي استخدمها الشيخ في كلامه ونسبها إلى النبي ﷺ، فلم أجدها: أما كلمة «زاعق» فلم أجدها بالكلية، وأما «ناعق» فلم أرها في حديث مرفوع أصلًا لا صحيح ولا غير صحيح، وإنما وردت في كلام مرويّ عن عليّ ﷺ وهو قوله لكُميل -كما في تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٢٠) وغيره-: «الناس ثلاثة: فعالم رباني، وعالم متعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح»[١].

مع أن الشيخ قد بنى على كلمة «زاعق وناعق» تعليقًا..! وبالذات كلمة «زاعق» أعجبته الظاهر، وقال: «انظر كيف؟ زاعق» ثم فسّرها بقوله: «معناها: كلمة تبلغ الآفاق»!! ومثّل لها بقول من يقول: إلى الجهاد، الجهاد فرض عين.. الخ، فسامحه الله!!

نقول للشيخ: إن ممن كان يفتي بأن الجهاد فرض عين علماء هم أكبر منك قدرًا وحُسنَ بلاء في الإسلام، فمنهم الشيخ عبد الله عزام ﷺ ومنهم الشيخ عمر عبد الرحمن فك الله أسره وفرّج كربه، وغيرهم.. فهل هؤلاء كانوا يزعقون وينعقون عندما أفتوا بذلك، أيها الشيخ الفاضل اعرف قدر نفسك وانتبه بارك الله فيك.

❑❑❑

وسأل الشيخ مخاطَبيه: هل تعرفون معنى فرض عين؟

إذا كان مخاطَبوه لا يعرفون معناها فجيّد أن يبيّنه لهم جزاه الله خيرًا.

لكن إن كان كما نظن أن مراده بذلك الطعن في هذه الفتوى بما حاصله أن القول بفرضية الجهاد الآن على الأعيان يلزم منه أن ينفر كل الناس وهذا لا يمكن، فإذا فسد اللازم فسد الملزوم.!

إذا كان هذا مراده فنقول للشيخ: هذه شبهة قديمة مطروقة، والأمر فيها يسير على من يسّره الله عليه. فالهونَ الهون يرحمك الله.

الذين قالوا إن الجهاد فرض عين، قالوا معناه -كما شرحه الشيخ عبد الله عزام ﷺ ورضي عنه-:

---

(١) وانظره أيضًا في: جامع بيان العلم وفضله (١٨١٨)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠/ ٢٥٢).

بكلمة مختصرة وبليغة: «الحق بالقافلة»[1].. فتأمّلها فإن التأمّل يغنيك عن تطويل الكلام.

❑❑❑

تكلم الشيخ عن العاطفة.. وما أدراك ما العاطفة! وقد كُفيت التعليق عليه، بارك الله فيكم.

❑❑❑

وفي الأخير.. يقول الشيخ إنه عاش سبع عشرة سنة في الدعوة إلى الله، وعاش مع العلماء وأنه له تجربة.. الخ كلامه، وهذا شيء عجيب! ولا أدري ما الذي يدعوه لقول هذا الكلام، وكلام آخر مثله.. أتعجّب والله للعلماء ماذا أصابهم!

وقد كنت ظننته سيقول أربعين سنة على الأقل أو خمسين أوستين، ممكن يعني نقول مجرّب!! لكن يذكر أو يلمّح إلى معرفته وتجربتهم، وكلها سبعطاش سنة!

إذًا ماذا يقول الشيخ عن الإخوة المجرّبين الذين لهم عشرين وثلاثين سنة في العمل الإسلامي بمعانيه ومعاناته؟! من طلب علمٍ ومخالطة للعلماء وهجرةٍ وجهادٍ.

هذا إذا كان الكلام مبناه على التجربة والخبرة.

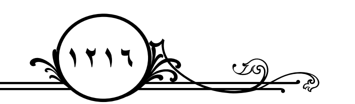
أنا أصررت فقط على ذكر هذه الفقرة لأني ألمسُ فيها إيماءً بأن الشيخ يتوهّم أن المجاهدين -الحركة الجهادية بتنظيماتها- ليس فيها من خالط العلماء ربما أو جرّب وخَبَرَ وفهِم، فضلًا عن أن يكون فيهم عالِمٌ!! وإذا كان الكلام إنما مبناه على العلم والفقه، فهات الأدلة وابسط المسألة على أصول العلم والعلماء.

والشيخ في الجملة فقيه معروف، مسلّم له في معرفة الفروع، ونقاشنا له لا يعني بأي حال من الأحوال الطعن فيه جملة حاشَ لله، وإنما في هذه المسألة لم يوفّق في نظرنا وجانب الصواب في تعليقاته.

وهذا ما تيسّر الآن من التعليق ومن الله وحده نستمد العون والتوفيق.

---

(١) **الحق بالقافلة**: هي رسالة صغيرة في حجمها، كبيرة في معناها وأثرها، كتبها الشيخ عبد الله عزام ﷺ في شعبان ١٤٠٧- ١٩٨٧م، قال في مطلعها: «فهذه رسالة صغيرة كتبتها للذين يتحرقون للجهاد ويطمعون في الشهادة في سبيله، وهي من فصلين: أولهما: مبررات الجهاد، ثانيهما: وا إسلاماه» وقد طُبعت مفردة مرات كثيرة، وهي منشورة على الانترنت وضمن «حقيبة المجاهد».



كيف نال الشيخ ياسين كل ذلك المجد والشرف.. تأمّل!

تابعت كما تابع الجميع هذا التعاطف الواسع القليل النظير مع الشيخ أحمد ياسين رحمه الله وتقبله في الشهداء.. ورأينا وسمعنا عن موجات التأثر والغضب والحزن وغيرها من المشاعر الإيجابية التي هبت على العرب والمسلمين بسبب حادثة اغتياله الفاجعة الأليمة والسارة إذا صح أن تجتمع هذه الاوصاف والمشاعر!

وقفت متأملا كثيرا.. في السبب الموجب لذلك فاجتمع في فكري أسباب منها:

❖ كونه رمزا لأهم قضية معاصرة راهنة للمسلمين على الإطلاق، وهي قضية فلسطين السليبة وبيت المقدس.

❖ حالة الشيخ الإنسانية الفريدة من نوعه.. شيخ كبير السن مقعد بالشلل مصاب بمجموعة من الامراض في بدنه.. الخ.

❖ تاريخ الشيخ النضالي الجهادي والدعوي.. وحياته المرتبطة ارتباط الروح بالجسد بالقضية الفلسطينية.

❖ الكيفية التي استشهد بها رحمه الله وخاصة ما تعلق منها برجوعه من صلاه الفجر.

❖ الشجاعة التي أبداها الشيخ رحمه الله رغم ضعفه البدني والمادي - الشجاعة في مواجهة تهديدات اليهود لعنهم الله-.. وما أظهره من قلة المبالاة بهم وبوعيدهم وهو يعلم أنهم يترصدونه وقد سبق لهم أن حاولوا اغتياله قبل بضعة أشهر.!

❖ التناقض الدرامي والعجيب بين حالة الشيخ البدنية وبين سموه الروحي وعلو همته قوة نفسه وشموخه رحمه الله.

ولعل هناك الكثير مما لم أتفطن له ولم تستوعبه عبارتي.. ولعل الإخوة يثرون التأمل..

فنعِم والله الشرف في الدنيا مع رجاء الدرجات العلا عند الله تعالى..

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ[(١)]..

وقد غطت تلك المكارم والمناقب وذاك الشرف على ما يكون من زلل أو عيب.. وفضل الله أعظم

---

(١) قعبان: تثنية قعب، وهو القدح الذي يحلب فيه، قاله: أمية بن الصلت، ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٦٦).

وأوسع.. وهل خلا مخلوق من عيب إلا الأنبياء المعصومون؟

فيا غصة الشامتين ويا حسرة الحاسدين.. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

نسال الله تعالى أن يتقبل عبده «أحمد ياسين» في الشهداء.

اللّٰهم ارفع درجته عندك في عليين.

وبارك على أشلائه واخلفه في أهله وقومه..

برحمتك ومنك يا أرحم الراحمين.. آمين.

صبرًا أبا الفرج فإن الفرج قريب!

أتذكر يا أبا الفرج يوم عزمت ثم على الله توكلت ثم ألقيت ثِقال الأرض عن كتفيك، ورميت الهوى وشهوات الدنيا ومفاتنها وزخارفها وراءك ومضيتَ مهاجرًا إلى الله، باذلًا النفس والروح في سبيل الله نصرًا لدينه ومحبةً له وطلبًا لرضاه وطمعًا فيما عنده، ونصب عينيك الدرجات العلى وهمّتك المقامات الرفيعة؛ مقامات الرجال ومناصب الأبطال، تزاحم السابقين ولا ترضى غير مراتب المجلّين.. أتذكر يا أبا الفرج يوم هاجرت صغيرا وقد تضاءلت الدنيا أمام همتك، وتقازم الكبراء أمام طموحك، وتقاصر الأقوياء دون بلوغ شأنك.. كنتَ تقرأ: ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ② وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ③﴾[العنكبوت].

كنت من يومها تبصر مواضع طريقك، وتدرك مخاطر دربك، وتعرف أنهُ:

لا يبلـــغ المجـــدَ إلا ســـيّدٌ فطـــنٌ ... مـــا يشُـــقُ عـــلى الســـادات فعّـــالُ

لـــولا المشـــقّة ســـاد النـــاس كلهـــم ... الجـــود يفقـــر الإقـــدامُ قتّـــال[1]

كنت يومها تفقه -وأنت الفقيه النفس اللبيب- أن العبد الكامل العبودية لربه ﷻ لا يشترط على الله شيئًا ليحقق عبوديته لربه، ولكنه يبيع نفسه لله تعالى يفعل بها ما يشاء بلا شرط ولا مثنوية، ولا يقيل ولا يستقيل.

فصبرًا أبا الفرج.. فإن تكُ أَسِرتَ فقد أَسِر الأبطال من قبلك، وإن كنت قد غُلِبتَ فلقد طالما غلبتَ، ومازلت غالبًا ظاهرًا بالحق على أعدائك.. صبرًا أبا الفرج؛ فإنما هي صبرُ ساعةٍ وعما قليلٍ ليصبحُنّ نادمين.. صبرًا أبا الفرج فإن ساعة النصر الحقيقي قد اقتربت، يوم يقال: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾[الحج: ١٩].. مزيدًا يا أبا الفرج من الصبر والمصابرة واتل عليهم: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ㉖﴾[سبأ].

اللّٰهم فرّج عن عبدك أبي الفرج وانصره على القوم الكافرين، اللّٰهم أنزل عليه السكينة وغشّه الرحمة وأفرغ عليه صبرًا وثبت قلبه ولسانه، اللّٰهم صُب عليه الثبات واليقين صبًّا، اللّٰهم اعفُ عنه وتقبل منه وأحسن ختامه وأكرمه بالدرجات العُلى.

---

(١) قاله المتنبي، ينظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص ٦٥).

تنبيهات لمن يناظر الرافضة وغيرهم من الفرق الضالة

هذه بعض التنبيهات أردت أن أضعها بين يدي إخواني الذين إما يضطرون أو تتاح لهم فرصة لمناقشة ومناظرة الروافض وما شابههم من الفرق الضالة، ولم أقصد بها الاستيعاب، ولكن هي ملاحظات عنّت على ضوء بعض ما رأيته في المنتديات.. وأسأل الله التسديد والتوفيق لنا ولكم.. آملا من الإخوة الكرام الإثراء، مع مراعاة الاختصار وعدم التطويل.

التنبيه الأول: أن يكون الكلام معهم حول المهمات والمسائل الكبيرة التي هي من أصول المذهب وقواعده (وضرورياته على حسب تعبيرهم هم) أو ما قاربها، مما هو قول كلهم أو جمهورهم.. بحيث لا ينبغي أن يركز الأخ معهم على مسائل فرعية من تفاصيل الأحكام عندهم وحواشي خرافاتهم إلا على سبيل الاستطراد أحيانا منبها على أن ذكر هذا الفرع هو من باب «لدرجة أن بعضهم قال كذا».. ولذلك أيضا لا ينبغي أن يكون عمدة الأخ في الحوار معهم جمع التشنيعات والسقطات (مع أن كل مذهبهم باطل وسقطات حاشا «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وبعض ما وافقوا فيه دين الإسلام) لكن هذه الطريقة ليست -في الغالب- بسبيل للهداية ولا للإفحام أيضا، وإنما هي تحمل لدى الخصم طابع التعصب الطائفي والتشفي والتشنيع.. الخ، ثم هي بعد ذلك تفتح لهم باب التشنيع علينا نحن أهل السنة أيضا بأقوال سفهائنا، وما من قوم إلا ولهم سفهاء، وبسقطات كبارنا وعلمائنا، فمثلا لا يعدم الرافضي أن يشنع على أهل السنة بقول أبي حنيفة بجواز تأجير الفرج وأنه لا حد فيه!! وقول الشافعي بجواز نكاح البنت من الزنا، وتجويز بعض علمائنا للاستمناء مطلقا أو مقيدا ونحو ذلك.. والباب واسع لهم لإطلاق ما قيد، وتعميم ما خصص وتفسير ما أجمل وتأويل ما وضح... الخ ومعلوم أن تشنيعاتهم تلك هم من جنس تشنيعات اليهود والنصارى والمستشرقين وسائر ملل الكفر على الإسلام وأهله.

وحينئذ يكون هذا فتنة لهم وصارفا عن الحق لأنهم بسبب ذلك ينصرفون عن تدبر المسائل الكبيرة الأصولية التي تضاد مذهبهم وتجتثّ باطلهم إلى الانشغال بالفروع وما يكتنفها من تأويلات وما يصاحبها من التعصّب: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾[المائدة: ٤١] ولكن نحن منهيّون عن التعنّت وأن نكون سببا لفتنة الخلق عن الحق، ومأمورون بتيسير سبل الهداية لهم. ولذلك

ينبغي للأخ المناظر أن يستجرهم دائما إلى المسائل الأصولية.

التنبيه الثاني: الرافضة يلبسون في إطلاق اسم «أهل السنة»؛ فتجدهم يدخلون المعتزلة والجهمية وغلاة المرجئة وغلاة الطريقة الصوفية الشركية مثلا وغيرهم في مسمى أهل السنة.. فليتنبه لهذا عند مجادلتهم، فنحن أهل السنة كما نتبرأ من ضلال الرافضة نتبرأ أيضا من ضلال من سواهم وإن انتسبوا إلى السنة في الجملة أو باعتبارٍ ما، فالكلام معهم ومع غيرهم إنما هو في تحرير وبيان الدين الحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

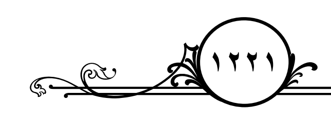
التنبيه الثالث: الحق الذي لا ريب فيه أنه لا ينبغي أن يناظر هذه الفرق الضالة من رافضة وغيرهم إلا من كان من أهل السنة عالما بما يناظرهم فيه مشاركا في العلوم الشرعية بنصيب وافر، عارفا بضلالاتهم ومآخذهم وشبهاتهم، عارفا بآداب المناظرة وشروطها، بشروطه من إخلاص القصد وصحته.. أما أن يدخل في مناظرتهم ومحاورتهم كل من هب ودب من شبابنا وجهّالنا فهذا الظاهر أنه عمل غير صالح، ولا يبعد أن يكون حراما وإثما.. ونهي السلف عن مناقشة أهل الأهواء معروف وكراهيتهم للمناظرة معروف، وتفاصيل فقه هذه المسألة مبسوط في محله.

التنبيه الرابع: دين الرافضة يرجع بعد تحريره إلى أصل واحد وهو: أن النبي ﷺ نص على خلافة عليّ ووصايته وولده من بعده إلى آخر الاثني عشر، وأن من معنى الوصي أنه معصوم.. هذا هو أصل مذهبهم الأصيل، وكل ما عدا ذلك فراجع إليه.. فعلى الأخ المناظر لهم أن لا يغيب هذا عن باله، وعليه أن ينطلق من هنا، ويستجرهم إليه، ويهدمه على رؤوسهم كلّ مرة.

والله أعلم وأحكم، وهو ولي التوفيق.

عطية الله

٢٠٠٣/٥/٨



من يبلغ عني المجاهدين في العراق؟

[الرسالة الأولى]

سمعت يوم الاثنين الموافق ١٤/ ٧/ ٢٠٠٣ خبر الشريط الذي قيل إنه بث عبر «قناة العربية الفضائية» على أساس أنه صادر عن المجاهدين في العراق -ولم أسمع الشريط-.. لكن بغض النظر عن صحته أو لا، أعني صحة نسبته للمجاهدين؛ فإني أريد أن أتحدث في الفكرة..

والذي أراه -والله أعلم- أنه لا ينبغي في هذه المرحلة الراهنة للمجاهدين أن يتبنّوا أعمالهم أو يعلنوا عن أنفسهم أو يبينوا تنظيماتهم وارتباطاتهم، خاصة الإعلان عن ارتباط مهما كان نوعه مع القاعدة، فإن هذا يخدم الأمريكان، ويوظفونه في تأكيد ما كانوا يقولونه من وجود علاقة بين نظام صدام وبين القاعدة، وبالتالي يستغلونه لكسب الرأي العام الداخلي في أمريكا وفي العالم..

فالحاصل أن إعلان المجاهدين أنهم قاعدة أو أن لهم علاقة بالقاعدة -حتى على فرض وجودها- لا ينبغي الآن لأنه ليس فيه مصلحة فيما يظهر، بل هو مكسب للأمريكان، والأمريكان يتمنّون ذلك ويريدونه لأنهم يعرفون أنه يخدمهم سياسيا.. واسم القاعدة الآن مشوّه في الرأي العام العالمي فالأحسن الابتعاد عن الارتباط به، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا..

فهذا ما بدا لي من الرأي، وآسف للاختصار لضيق فرصتي على النت.

وأرجو من أهل الرأي والعقل الإثراء بذلا للنصح لإخواننا المجاهدين.

والسلام عليكم.

❑❑❑

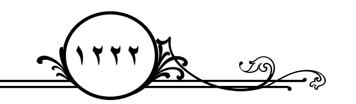
[الرسالة الثانية]

بسم الله الرحمن الرحيم

فرحنا بأخبار اختطاف عدد من الكفرة في العراق.

آخر الأخبار تفيد باختطاف أمريكيين ومجموعة من الإيطاليين، وقبل ذلك اختطاف الثلاثة اليابانيين، والاثنين الإسرائيليين العرب.

وأنا لا أعرف الجهات المختطِفة لهذه الأعداد من الكفرة، والذي علمناه من وسائل الإعلام أن المختطفين لليابانيين هم سرايا المجاهدين، وليس لدي معلومات عن هذه الجماعة، لكن التنظيم أرجو



أن يكون سنيا مجاهدا.

فإذا كان كذلك فأحب أن أطرح هنا مناقشة، وبإمكان الاخوة من أهل الرأي أن يشاركوا ويدلوا بما عندهم من النصح لإخواننا.

الذي أراه بالنسبة للعربيين اليهوديين أن يقتلا ولا كرامة، ولو أمكن أن يشرد بهم من خلفهم بطريقة إعلامية فهذا أيضا حسنٌ إن شاء الله.

وكذلك الأمريكان والإيطاليين أيضا.

أما اليابانيون فالذي أراه مختلف عما تقدم، فأنا أرى أن يطلق سراحهم على أن يصاحب ذلك إبلاغهم برسائل واضحة تندد بالمشاركة اليابانية في الحرب على العراق والتورط في مساندة أمريكا ضد الشعب العراقي المسلم، ورسالة أخرى بمثابة الإنذار الأخير والنهائي لليابان بأن من يمسك منهم في المستقبل فإن مصيره سيكون الموت -إنذار وتخويف-.

والسبب الذي جعلني أفرق بين اليابانيين وغيرهم هو خصوصية الشعب الياباني وما عرف عنه من كونه مسالما في الجملة بعد الحرب الكونية الثانية، وشعوب شرق آسيا بصفة عامة فيها عاطفة وحساسية إنسانية مفرطة بالإضافة لرفض غالبية الشعب الياباني لتورط حكومتهم في العراق مع أمريكا، هذا بالإضافة إلى كون المختطفين هم صحفيان وعامل في مؤسسة إنسانية على حسب ما بلغنا.. وبالتالي فالمناسب هو المنّ هنا والله أعلم؛ فلنحتسب ذلك ولنجعلها فرصة للدعوة إلى الله، ونستغلهم في إيصال الرسائل، ونعطي الانطباع بأننا نفرق بين الناس والمستويات والشعوب وغير ذلك.

فهذا الذي أراه.. والله ﷻ ولي التوفيق.

ويا ريت الإخوة من أهل الرأي والخبرة والعلم يدلون بآرائهم؛ لعلها تصل إلى إخواننا في العراق فيستنيرون بها.

سدد الله الجميع لكل خير.

اللّهم هذا ما نملك في ساعتنا هذه؛ فتقبل وبارك وأصلح يا أرحم الراحمين.

اللّهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك في الفلوجة والعراق.

اللّٰهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللّٰهم أنج المستضعفين من المؤمنين في العراق وفي فلسطين وفي كل مكان.

ملاحظة: نحن نتكلم عن أمر جائز كلا طرفيه في الأصل، ومن باب السياسة الشرعية ويعتمد النظر فيه على دراسة المصالح والمفاسد وعلى الخبرة السياسية.. الخ، ولا نتكلم عن حكم شرعي محض؛ فليتنبه لهذه الجملة.

والله الموفق لما فيه الخير.

❑❑❑

[الرسالة الثالثة]

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني في الله / السلام عليكم ورحمة الله.

هذه ثلاث مسائل من الرأي؛ لعله يصل إلى إخواني المجاهدين في العراق.

نسأل الله العلي القدير أن يسددهم ويهديهم وينور أبصارهم وأفكارهم، ويسدد رميهم في نحور أعدائهم.. وأن يفتح عليهم ويعزّ بهم الإسلام.. آمين.

❖ المسألة الأولى: لا تتوسّعوا في القتل:

فالقتل لمن يستحق ليس دائما هو المطلوب، بمعنى أنه كثيرا ما يكون الإنسان كافرًا غير معصوم الدم بل دمه هدر، حيث لا عهد له ولا ذمة ولا أمان.. ولكن لا يحسن قتله، بل ربما يُذَمّ! وذلك بحسب ما يعتوره من المصالح والمفاسد.. فمن مصالح الاستبقاء على سبيل المثال: رجاء إسلامه، أو تبليغه عنا خيرًا من وراءه من قومه، أو تألّف قومه وأمثاله، أو إعطاء انطباع عن المجاهدين بأنهم حكماء وعقلاء ويفرّقون بين الناس والحالات وأنهم أصحاب قضية بالفعل، وليسوا عبثيّين ولا فوضويين ونحو ذلك، وأنهم رحماء أيضا بالخلق، ويتمتّعون بقدر عالٍ من الإنسانية، وغير ذلك مما ينبغي للعاقل العارف بزمانه أن يراعيه.

ومن المفاسد أضداد ذلك، ومنها التنفير للخلق عنا وعن دعوتنا ورسالتنا وتشويه صورتنا وصورة ديننا، ومنها تهييج الناس ضدنا وكسب أعداء جدد، ومنها إتاحة فرصة للنائلين منا في هذا

الوقت الذي نحن فيه الأضعف من حيث الإمكانيات الإعلامية وما شابهها، وقد قلت كثيرا في مناسبات مشابهة: إننا نحن نصنع الحدث، لكن عدوّنا هو الذي يوظفه.!

وكل ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وكل حالة ينظر فيها، ثم يعمل فيها بالأصلح لمشروعنا ورسالتنا.. والإخوة المجاهدون هم أهل هذا الأمر، وعليهم بالمشاورة ما استطاعوا وحيث شكوا في رجحان مصلحة القتل فالغالب أن الترك والاستبقاء أنفع وهذا مجرّب فاسمعوه.

وفرق بين صورتين: أولهما: شخص كافر مستحق للقتل لكن لا خير لنا في قتله، وربما أضر قتلنا له بنا سياسيا كما سبق الإشارة، باعتبار أنه من ضعفاء قومه فهو أشبه بالنساء والصبيان ونحوهم..

وبين شخص آخر من الكفار المستحقين للقتل أيضا لكنه عسكري مثلا، جندي أو ضابط، أو رجل مخابرات أوأمن عُرِف عنه ذلك وأمكن أن يعرفه الناس، أو مسؤول سياسي من العدو معروف كذلك أو حتى مسؤول شركة كبيرة معروفة مثل «هاليبرتون» وليس مجرد عامل أوموظف بسيط..

فمن الناحية الشرعية؛ من حيث الأصل كلاهما دمه هدر جائز قتله -وليس معنى ذلك وجوبه- فيعمل بما يناسب في كل حالة لأن الله تعالى خولكم حينئذ أن تفعلوا الأصلح لدينكم وأمتكم..

طبعا أنا أتكلم كما هو اضح -ولكن أزيد التذكير به- على أرضية «المستحِق للقتل شرعًا».

❖ المسألة الثانية: مسألة الذبح والتصوير بالفيديو نشرها على العالَم:

فهذه أنا أنصح بتركها واجتنابها إلا ما ندر في الحالات التي يكون فيها الشخص من الصورة الثانية من الصورتين المذكورتين أعلاه؛ أي عسكري مثلا ولا سيما إن كان ضابطًا، أو شخصية سياسية معروفة أو ما شابه.. والله يمنّ عليكم، ولا تستعجلوا.

أما الضعفاء وأشباه النساء فلا يصلح لهم ذلك، بل فيه -فيما أظن والعلم عند الله تعالى- تنفير ومفاسد تربو على ما ترجونه من التشريد بهم من خلفهم، أو تحقيق مطالب مظنونة في الغالب لا تتحقق.

مع أن مسألة الذبح والتصوير لها بالفيديو بهذا الشكل الذي تقومون به وأكثرتم منها هذه المدة، عندي فيه رأي أكثر تفصيلا، أرجو الله أن ييسر عرضه قريبا.

❖ المسألة الثالثة: ترشيد المطالب السياسية:

وذلك حين تمسكون أسيرا، وتهددون بقتله ما لم يستجب قومه ودولته لمطالب معينة تعلنونها؛ ففي هذه الحالة ينبغي أن تكون المطالب من النوع الذي لا يعني التعجيز -مع أن التعجيز قد يكون مطلبا صحيحا أحيانا لكن في حالات خاصة ليست مرادنا الآن- ولا يحمل مجرّد معنى «الاحتجاج»، بل يكون مما يمكن للدولة تنفيذه بشيء من السهولة أو شيء من الصعوبة في حكم العادة، وهذه حكمة فقد قالوا: «إذا أردتَ أن تطاع فأمر بما يستطاع».. فاتركوا للدولة المعنيّة فسحة للاستجابة وأعينوها على الاستجابة لمطالبكم، وعلى الأقل أمام الناس -الرأي العام الداخلي والدولي- تظهرون بمظهر الذي طلب مطلبا معقولا يمكن الاستجابة له، وحين لا تستجيب الحكومة المعنيّة تكون هي عند الرأي العام وعند شعبها ملومةً وتتضرر هي!

فلا تبالغوا في المطالب، وانظروا في الممكنات عادةً، واتبعوا سنّة التدرّج، فلا بأس أن يكون المطلب صغيرا اليوم، وغدًا إن شاء الله تتاح لكم فرص أخرى بحول الله تعالى تطلبون فيها مطالب أكبر.. خاصة بعدما ينفتح لكم الباب وتتعوّد الحكومات والرأي العام على الاستجابة لمطالبكم، وتنكسر عندهم عقدة الغطرسة والكبرياء ولو قليلا، وفي ذلك من الفوائد الشيء الكثير، أقله التخذيل بين الأعداء، وكسر عزائمهم في عداوتنا.. والله الموفق.

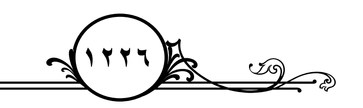
إخواني.. أنتم أولو الأمر في ساحتكم، ونحن نشاور عليكم وننصحكم، ولا نملك في مقامنا هذا أكثر من ذلك.. ونعلم أن الأمر لكم هناك، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولكن لا تنسوا المشاورة لأهل العلم الصادقين الناصحين، ولأهل الخبرة بالحرب والسياسة من السابقين لكم والذين خاضوا تجارب قبلكم.. فاحرصوا على السماع منهم، والاستفادة من تجاربهم ونصحهم، وقبل ذلك كله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، والاجتهاد في الإخلاص له ﷻ، والتوكل عليه ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران].

وإلى الله المشتكى من قلة العلماء الناصحين المشفقين المجاهدين..

وإلى الله المشتكى من تخذيل الخاذلين وتثبيط المخذّلين..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل..

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف].

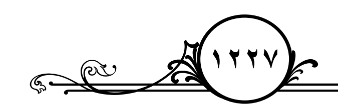


اللّٰهم انصر عبادك المجاهدين الذين يجاهدون في سبيلك ولإعلاء كلمتك في كل مكان.

اللّٰهم انصرهم نصرًا عزيزا، وافتح لهم فتحًا مبينا.

اللّٰهم أمدهم بجندك ومددك يا من لك جنود السموات والارض يا الله.

والسلام عليكم ورحمة الله



الرأي في مسألة الذهاب إلى العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

رأي بعض الناس أنه «لا يجوز لك أيها الشاب السعودي أن تذهب للعراق»، والذي يُنسب إلى بعض العلماء هو رأيهم واجتهادهم، وليس بإجماع، بل ولا نستطيع أن نقول هو رأي أكثر علمائنا..

ومع أنه يظهر لي -والله أعلم- أنه مخالف للصواب المقرر عند علماء الأمة، والذي عليه إجماع العلماء من المذاهب الأربعة وغيرها، وقد حكاه غير واحد من أئمتنا من أن: الجهاد في مثل حالة العراق -نزل العدو الكافر بأرض الإسلام- واجبٌ على من حضر من أهلها؛ فإن حصلت بهم الكفاية وإلا وجب على من قاربهم من المسلمين.. وهكذا حتى يعمَّ فرض العين الأمةَ كلها ما لم تحصل الكفاية.. وأنه حينئذ يسقط وجوب الاستئذان؛ فيخرج العبد بدون إذن سيده، والمدين بغير إذن دائنه، والولد بغير إذن والده وهكذا..

أقول: مع كل ذلك.. فإني لمستُ في طرح الأخ حرصا ونصحًا، ونسأل الله أن يجعلنا وإياه وكل أحبابنا من أهل الخير.

وما قاله وجهة نظر قد تابع فيها بعض علماء بلده، وليس من فعل ذلك بملوم إن شاء الله، حتى يتبيّن له ما هو أهدى.!

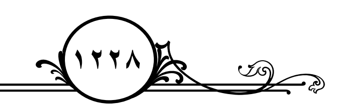
ولكن سأعلّق على بعض النقاط:

قولك يا أخي: «لأن المملكة العربية السعودية دولة مطبقة لشرع الله تعالى وحاكمة بما أنزل» اهـ. هذا غير مسلّم على إطلاقه..! فليتك تتثبّت فيه وتبحث.

وقولك: «فمن ابتلاه الله من شباب المسلمين بحكومة علمانية تفصل الدين عن الدولة ولا تحكم بشرع الله وبما أنزل، فإن اشتراط إذن ولي الأمر ملغى في حق هؤلاء» اهـ. هذا إنصاف منك بارك الله فيك.. ولكن هل يقول بذلك من تعتمد عليهم من العلماء المشار إليهم؟.. نتمنّى ذلك.

وطبعا معنى هذا الكلام لو قالوا به: أن المصريين والسوريين والأردنيين وأهل المغرب العربي قاطبة وأهل الكويت أيضا.. وكثيرون غيرهم وهم أكثر العرب المسلمين ليس عليهم استئذان حكوماتهم، بل لهم أن ينفروا للجهاد في العراق إذا شاءوا ورأوا ذلك صلاحًا -طبعا على قولهم هم باستحبابه في حالتهم-.

وهذا القدر جيد، نحن نرضى به، بس نريد نسمع من العلماء هذا الشيء على الأقل؛ لأنه إذا كان الخلاف في قضية فرض عين أو كفاية، وأين حدود فرضية العين وما شابه ذلك؛ فالخطب هيّن.



وقولك: «أن أهل العراق لا ينقصهم المجاهدون والمحاربون؛ فتحت كل حجرة مقاتل والحمد لله» اهـ. وهذا يقوله بعض العلماء وسمعناه منهم.. وليس بصحيح والله أعلم لحد الآن.

وهم إما لم يعتمدوا فيه على دراسة وتحقيق كامل، أو أنهم ينقلونه عن بعض أهل العراق، كمن ينقل عن «الإخوان المسلمين» أو بعض الشخصيات العراقية الإسلامية التي لهم بها علاقة قديمة مثلًا؛ فيعتمدون على رأيهم.

وأفضلهم حالًا وأعلاهم رتبةً من ينقل عن «هيئة علماء المسلمين أهل السنة»

لكن لم نعلم لحد الساعة أن أحدًا من العلماء الذين يقولون إن العراقيين ليسوا محتاجين للرجال -مثل الشيخ سلمان العودة وغيره- اعتمد على تقييم صادر عن المجاهدين هناك مثل «جماعة القاعدة في بلاد الرافدين»، أو «الجيش الإسلامي»، و«أنصار السنة» وغيرهم من الجماعات المجاهدة.. وغالب ظننا أنهم لا يشركونهم في التقييم.. فهذا شيء مهم فليتنبّه له.

يعني: لو صحّ أن العراقيين لا يحتاجون إلى رجال بقول أهل الأمر هناك -وهم مجموع قيادات الجماعات المجاهدة أولًا، ثم علماء البلاد الموثوقين- لصحَّ كلام المشايخ أن الجهاد على من سوى أهل العراق ليس بفرض عين.

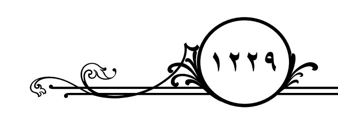
لكن نحن لحد الآن؛ الذي عندنا من المعلومات فيه تفصيل.. فهم لا يريدون الناس كلها تأتي طبعا، لكن يريدون نوعيّات خاصة..

مثلًا: يريدون متخصصين في المتفجّرات والتفخيخ والتشريك، ومهندسي اتصالات وفنيِّين في الدوائر والمخابرة والتفجير عن بعد.. أيضا أطباء ومعالجين ورجال علم ودعوة وتربية وإرشاد، وأهل الرأي والمكيدة والخبرات السياسية والعسكرية والاستراتيجية، والشباب المستعدين لتنفيذ عمليات استشهادية..!

وبالتالي فالواجب -فيما يظهر لي والله أعلم بالصواب- هو التفصيل؛ فعلى المفتي في المسألة أن يفصّل، هذا إن كان ناصحًا أمينًا غير مكره. والله المستعان.

وقولك أخي: «ومن لنا بمن يربي أبنائنا على الدفاع عن الأوطان وعلى الجهاد في سبيل الله إن فقدنا هؤلاء في حروب ومعارك في بلدان أخرى بينما بلدهم ينتظر حربًا مدمرة مصيرية الله وحده يعلم توقيتها» اهـ.

يعني لو نفر من السعودية ألفٌ، أو ألفانِ، أو حتى عشرة آلاف أو عشرين، إلى أن تحصل الكفاية يقينا ويقال لهم ما نحتاج بعد.. يعني خلاص يكون انتهى المخزون السعودي وستبقى البلاد ما لها من



يحميها؟ هذا كلام لا يقال، دعك من هذا!!

وأيضا لو عكسنا هذا الكلام وقلنا: إن ذهاب بعض الشباب السعودي هو إحياء لكل الشباب والجيل السعودي، وبدل الواحد سيخرج من أهله وجيرانه وأهل عشيرته وبلدته عشرة أو عشرون كما هو مشاهد كثيرًا لمن اعتبر، وإن هذه فرصة للشباب السعودي ليتدرّبوا على الحرب، ويكتسبوا الخبرات ويصقلوا الشجاعة والفضايل الرجولية، ويتعلموا فنون الحرب، وإن ذهابهم هو في الحقيقة من الآن دفاع عن بلدهم وحماية ووقاية لها، وإنهم أن يغزوا العدو هناك خير لهم من أن ينتظروا حتى يأتيهم العدو في عقر دارهم ويصبّحهم وهو مشغولون بحفظ أنفسهم والمحافظة على أرواحهم كما تزعم.. فما تقول؟!

وعلى ا العموم، أقول:

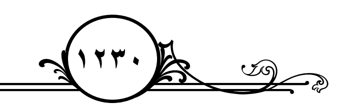
لو كانت الحكومة -في السعودية- قائمة بنصر الجهاد والمجاهدين في العراق على الكفار الصليبيين باذلةً في ذلك ما يمكنها من الجهد من مال ونصح وعمل ودعم سياسي ودبلوماسي وإعلامي وغير ذلك.. لو كانت قائمة بذلك حقًا وصدقًا، ولو كانت مؤتمنة على ذلك، يُعْلَم تقواها وصدقها وأمانتها وبذلها للجهد.. لو كان ذلك كذلك لهان الخطب والله، ولما كتبنا شيئا ولاسترحنا والله وطلبنا العافية، وهل شيءٌ يا أخي أعزّ وأجمل من العافية؟

ولكنّا حينئذٍ احترمنا رأيها واجتهادها، ولصحّ عندئذٍ كلامك يا أخ خالد.. لكن هيهات أن يصحّ وكل الحقائق تكذّبه، والواقع يدمغه!! والمواقف والأحداث الظاهرة للعيان -بله ما خفي- تردّه!!

فالله المستعان، وإلى الله المشتكى، وعليه وحده التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويغفر الله لنا ولكم.

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعزّ فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته.. آمين.



تعليقًا على فتوى الفوزان بالتحذير من الذهاب للجهاد في العراق

إنا لله وإنا إليه راجعون.. وإلى الله المشتكى!

كلام الشيخ فيه خلط واضح، ويفتقر إلى التفصيل الذي هو سمةُ المحققين من العلماء الكبار..

يعني إذا كان هو يريد أن يحذّر من الالتحاق بالإخوة الذين خرجوا على الحكومة السعودية «المقرن والعوفي وإخوانهم» ويراهم مخطئين، -وحتى خوارج كما يقول!- فهذه مسألة، وهذا اجتهاده وهذا رأيه في النهاية ولا نستطيع أن ننكر عليه.. وليس لأحد إلا أن يناقشه إن أتيحت فرصة مثلا.

ولكن لماذا الخلط؟؟

لأن الظاهر من سؤال السائل أنه سأله عن ذهاب ابنه إلى «الجهاد» أي في مواضعه المتفق على مشروعيتها مثل أفغانستان، والعراق ونحوها، هكذا فهمت أنا من السؤال..

فكان الواجب أن يفصّل الشيخ ويبيّن الحق من الباطل -عنده، وبحسب ما أراه الله- ويحرّر المسائل، ويسلّ الحقَّ من بين ركام الباطل كما تُسَلّ الشعرة من العجين!

فيقول مثلا: إذا كان ابنك يريد الذهاب إلى الجهاد في أفغانستان أو الشيشان أو العراق -مثلا- فكذا وكذا..

وأما الجهاد مع هؤلاء -الذين يقصدهم- فلا.. الخ، ويقول رأيه ويفتي بالذي يدين الله به..

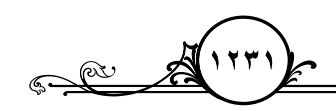
وهكذا يشعر السامع سواء العاميّ وطالب العلم وإخوانُه العلماء أيضا وكل الناس أن هذا العالم صادق مدقّق يميّز بين الأشياء ويعطي كل ذي حق حقه، ومهما اختلفتَ معه حينئذٍ، فتظل تحترمه وتعظّمه لدينه وتقوا ه وصدقه وتحرّيه.

أما الخلط هكذا بين المسائل؛ فما هو من منهج العلماء بسبيل، اللّهم إلا أن يلتزم التسوية بين هاتين القضيتين ولا يرى فرقًا..! فساعتها يكون النقاش بشكل مختلف..

لكن المعروف عن الشيخ أنه يؤيد الجهاد في الشيشان وفي أفغانستان وفي العراق، وإن كان له رأي في مسألة ذهاب غير أهل البلد إلى هناك ويشترط الإذن..

نسأل الله أن يصلح أحوالنا جميعا

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٨/ ١١/ ٢٠٠٤]



۞ هل ثَمّ تلازمٌ بين العلم والشجاعة؟

معلومٌ أنه ليس كل شجاعٍ عالمًا فقيهًا في الدين؛ فالشجعان في الناس كُثر منهم العالم ومنهم الجاهل ومنهم الصالح المستقيم ومنهم الفاجر.

ولكن هل كل عالم من علماء الشريعة المفتين شجاعٌ؟

هل هو لازم للعالِم -غير قابل للانفكاك- أنَّه شجاع لا يخشى أحدًا إلا الله، قوّالٌ للحق صدّاع به ولا يخاف في الله لومة لائم، قويّ النفس -قويّ الشخصية- ثابت القلب، لا يهاب الأعداء ولا يخشى الردى...؟!

بمعنى آخر: هل يمكن أن يوجد عالِم جبان -خوّاف-؟ ضعيف النفس -ضعيف الشخصية- هيّاب متردد، يخاف من ظله كما يقال، لا يحسِن عمَل الشجعان ولا صولةَ الفرسان ولا مقارعة الأقران؟

تذكرتُ حادثة أني لقِيتُ قبل أكثر من عقدٍ من السنين عالمًا في بلد من بلاد المسلمين، عالمٌ كامل العلم مفتٍ في بلده وإقليمه، مشارك في فنون العلم لا سيما الفقه والحديث واللغة، يحفظ من المتون نظمًا ونثرًا في فنون العلم شيئًا يُتعجّبُ منه.. عندما حدثناه عن الجهاد -من باب التنوير وإطلاعه على ما يجري- رغِب رغبةً شديدة في الجهاد، حتى طلب مني أن أسعى أن أجد له طريقا إلى بعض ميادينه، لكنه كان يقول عن نفسه إنه «خوّاف» ونفسه ضعيفه، ولم يجرب الحرب ولا الطعان ولا يحسن حتى العراك ويخاف من أبسط شيء -هذا كلامه بقريبٍ من حروفه-!

لا أشك أبدًا في صدق ذلك الشيخ -ذكره الله بالخير وأحسن لنا وله الخاتمة- وأن ما ذكره عن نفسه هو في حد ذاته دليل صدقه ومعرفته بنفسه وإزرائه عليها، وبعده عن الغرور والزهو وما شابهه من أمراض النفس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فله الحمد والمنة.

وإنما المقصود أن العالم قد يكون على الصفة التي ذكرها، وأن العلم والجبن -عدم الشجاعة- قد يجتمعان.!! لكن هذا الكلام يحتاج إلى تحرير أكثر من هذا..

فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إذا كان المقصود بالعلم: العلم عند السلف الذي هو الخشية وهو نور الله في قلب المؤمن، كما صح عن ابن مسعود ﷺ وغيره: «إنما العلم الخشية»(١)؛ انتزاعًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

---

(١) إيطال الحيل لابن بطة (ص ٣٤) عن ابن مسعود ﷺ قال: «لَيْسَ الْعِلْمُ لِلْمَرْءِ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ».

ﵟٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗﵞ [فاطر: ٢٨]، وكما قال الإمام مالك ﵀: «ليس العلم عن كثرة الرواية، وإنما هو نورٌ يؤتيه الله من يشاء»[1]، أو كما قال، وهو ما يجتمع فيه علم الباطن -القلب- مع العلم الظاهر -علم اللسان- وخلاصته حسنُ الفهم وحسنُ الحفظ والذكر والخشية التامة لله تعالى.

إذا كان هذا المقصود بالعلم فإن العالِم على هذا النحو لا يكون جبانًا في حكم العادة!

فإن شذّ شيءٌ فهو نادرٌ جدًا لا يلتفت إليه.

وأما إن كان العلمُ علمَ اللسانِ، ولا نصيب كبيرًا للباطن والقلب، فلا كبير خشية ولا رهبة ولا ذكرٍ لليوم الآخر، وبالتالي فلا نورَ وإنما هي معلومات و«انفرميشنز» يدرسها ويحفظها حفظًا تامًا ويعلّمها للناس ويحكم بها بينهم، ويجادل بها، ويكتب ويبحث.. الخ؛ فهذا قد يكون جبانًا وقد يكون شجاعًا، بل هذا الصنف يكثر فيهم الجبن حقًا.

لكن لما كان من غير اليسير تمييز كثير من المنتسبين إلى العلم، ومعرفة هل هم من الصنف الأول أو الآخر، ولما كان كثير من الناس من يكون حاله مترددًا بين هذا وهذا، وقد يغلب عليه الحال الأول، وقد يغلب عليه الثاني.. فينسبه الناسُ إلى ما يغلب عليه، أو إلى ما عرفوه من حاله وقد يخطئون فلا يطّلعون على حاله اطلاعًا جيدًا، وقد يغلب عليهم الهوى والتعصب له أو عليه، وغير ذلك من الأسباب.. لما كان ذلك كذلك فإن قولنا «قد يكون العالم جبانًا» صحيح.

فالعالم -وكذا كل مسلم- قد يجتمع فيه إيمانٌ وخشيةٌ وحب لله ورسوله وللإسلام وعملٌ له ولليوم الآخر، مع شيء من محبة الدنيا وإيثار العاجلة أحيانا، وحب الظهور أو غيرها من المعاصي.

وكلما كمل إيمانه وتوحيده وعلمُه، كلما كملت قوته النفسية وشجاعته.. وكلما ضعُف إيمانه وتوحيده وعلمُه كلما ضعفت نفسه وكان فيه نصيبٌ من التردد وخوف المخلوقين.

وهو من معنى قوله تعالى حاكيا عن خليله إبراهيم ﵇ أنه قال لقومه: ﵟوَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ﵞ [الأنعام].

والله أعلم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر: الكامل في الضعفاء (١/ ١٠٠).

۞ نصحاء البي بي سي!

بسم الله الرحمن الرحيم

يمكن للموقع المقترح أن يحمل اسم: «نصحاء البي بي سي».

فكرة المقترح باختصار هي: إنشاء موقع للرد على الأفكار الخبيثة التي تنشرها البي بي سي العربية سواء عبر الإذاعة (الراديو) أو عبر صفحتها على الإنترنت.

لكن لماذا البي بي سي دون غيرها؟

وكيف يكون أسلوب العمل ومنهجه؟

فأقول: **لماذا البي بي سي؟** لأنها واحدة من أهم وأخطر المؤسسات الإعلامية المسموعة في عالمنا العربي.. ومع هذا فيمكن إنشاء مواقع مشابهة للرد على المؤسسات الأخرى كقناة الجزيرة مثلا وغيرها إذا توفرت الدواعي والنشاط.!

كما يمكن أن يكون كل ذلك في موقع واحد متخصص، لكن بشرط مهم، وهو أن يكون عنوانه واسمه مختارًا بدقة تؤدي الغرض كما سأوضحه.

وأما المنهج والأسلوب فباختصار أيضا أقول: إن الهدف من الفكرة هو إتاحة الفرصة لإسماع الصوت الإسلامي الأصيل -صوت الملتزمين بالإسلام والدعاة من أهل السنة، صوت القرآن والسنة والحق- إلى العالم في المسائل التي تطرحها البي بي سي خاصة في برامجها الحوارية، وذلك لأن البي بي سي تحجبه وتمنعه من الظهور، ولا تعطيه الفرصة.

ومن أجل نجاح عمل كهذا لا بد من أن يكون ذلك بأسلوب متأدب و«حضاري» كما يحلو لهم أن يسمّوه، وبعيدا عن الشتم والسب أو الدعاوى والدخول في مهاترات كلامية وما شابه ذلك من ضوابط.

ومنهج العمل هو: التركيز على القضايا التي من خلالها ننصر ديننا وندافع عن الإسلام وأهله، وذلك مثل: عرض وجهة نظر الإسلاميين وخاصة المجاهدين في المسائل المطروحة للنقاش، مثل قضايا المرأة والجهاد في العراق وغيرها والموقف من الشيعة ومقدساتهم النجسة، والرد على افتراءات وأكاذيب معينة حين توجد..

هذه فكرة جالت في خاطري منذ مدة، منذ أن سمعت أن جماعة من الفارغين هداهم الله أنشؤوا في مصر ناديا أسموه «نادي أصدقاء البي بي سي»، ولا زالت تخطر على بالي وأتمنى تحققها كلما استمعت إلى البي بي سي وخاصة برامجها الحوارية الجديدة، وخاصة ما يتعلق منها بقضايا الجهاد في العراق

وغيره، والملاحظ أن أكثر المشاركين في تلك الحوارات هم من الشيعة الذين يعيشون في الخارج، ويتمكنون من قول ما يريدون من زور وبهتان وباطل، ولا يوجد من يقول كلمة حق في كثير من الأحيان؛ لأن أهل السنة وأهل الجهاد منهم خاصة إما لا يمكنهم التصريح أو هم مشغولون في ما هم فيه من خير جزاهم الله خيرا.

ولذلك فمن قدر على سد هذه الثغرة ونشط لها فنرجو له إن شاء الله الأجر والثواب العظيم، وهو نوع مهم من الجهاد جهاد القلم واللسان. والله الموفق

وحتى في موقعها على النت؛ فإن البي بي سي لا تنشر معظم ما يكتب لها مما يعبّر عن وجهة نظر من يسمّونهم هم بالمتطرفين، فقد جرّبت بنفسي وكتبت كثيرا من المشاركات في منتداهم الحواري في عدة قضايا ولم ينشروا لي أيًا منها لما تتضمنه من الوجهة الإسلامية التي لا يريدون نشرها مع اجتهادي في التلطف وكتابتي لها بأسلوب مناسب لهم!!

والعنوان المقترح أظنه مناسبا، وعلى كل حال لا بد أن يكون العنوان معبرا عن المضمون ولطيفا وجذابا، وأن يكون محتويا على اسم «بي بي سي» لما لذلك من أهمية في محركات البحث وغيره.

ومن فوائد الموقع المقترح: دعوة الصحفيين رجالا ونساء من العاملين في هذه المؤسسة، وتكون دعوتهم أيضا نموذجا لدعوة غيرهم وربما وصلت بسهولة إلى غيرهم.

فهذه خطوط عريضة في الفكرة، وإذا كان رجالنا من أهل التخصص في الكمبيوتر والنت جاهزين وناشطين فإن التذاكر بعد ذلك في التفاصيل متاح ولله الحمد، والتطوير أيضا، فلعل هذه الفكرة تفتح أفكارا.. ونسأل الله أن يرزقنا أجرها وكل من سعى فيها بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله.

۞ خبراء الإرهاب وأهل الرأي في دار الندوة!!

استمعتُ البارحة إلى حلقة برنامج «حديث الساعة» في إذاعة البي بي سي العربية، وقد جمعوا عددا من خبراء «الإرهاب» وأهل الرأي والثقافة، يتحاورون ويتباحثون في هذا الأمر الذي أفزعهم، يحاولون فهمه -على أصولهم- ووضع حلولٍ له ومعالجات، واقتراح أفكار للقضاء عليه!!

انتقل بي الخيال وأنا أتابع حديثهم إلى أعماق الزمن البعيد: فرعون مصر يجمع خبراءه وأهل مشورته وأهل الرأي في مملكته ويستشيرهم ويتباحث معهم في شأن موسى ومن معه! كيف يمكن القضاء عليهم ومعالجة هذه المشكلة المتفاقمة بهم والتي توشك أن تفسد عليهم ملكهم، هؤلاء الذين يريدون أن يبدلوا دينهم ويظهروا في الأرض الفساد: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ﴾[الأعراف: ١٢٧]..

الحلّ الأمني، والعلاج الثقافي والفكري، تجفيف المنابع، وتدمير البنية التحتية لهذا الفكر الخطير..!

وحلق بي الفكر في مكة قبل أربعة عشر قرنًا وقد اجتمع كبراء قريش وساداتها في دار الندوة وجمعوا معهم مثقفين وإعلاميين وشعراء وأهل رأيٍ وتجربة من أفخاذ قريش وسائر القبائل القريبة الحليفة، يتشاورون ويأتمرون ويتباحثون؛ ما هذا الدين و«الفكر» الخطير الذي جاء به محمد ﷺ الذي يفرق بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه، يريد أن يفسد ديننا ودين آبائنا ويغيّر قِيمَنا، وطريقةَ عيشنا، ويفرض علينا نمطه الفكري المتشدد المتزمّت؟ ما العلاج وما السبيل للقضاء عليه؟

الحلّ الأمني، العلاج الثقافي والفكري، الحلول الاجتماعية والاقتصادية، معالجة الفقر والبطالة، وتجفيف المنابع، وتدمير البنية التحتية لهذا الإرهاب الخطير..!

لم يردْ هؤلاء المجتمعون المتحاورون جميعا على مدار التاريخ أن يسألوا أنفسهم: هل محمد ﷺ محقّ أو كاذب؟ تعالوا ننظر أولًا ونبحث في هذا، هذا هو الأساس، فإن كان محقا صادقا رسولا من عند الله اتبعناه ولو جاء بالمشقة، فإننا عبيد الله، خلقنا للتكليف والامتحان الابتلاء..!

لم يُردْ أولئك المجتمعون المؤتمرون جميعا أن يسألوا أنفسهم: أنحن على حقّ في ديننا وتصورنا وقيمنا وسائر أوضاعنا أم أولئك «الإرهابيون»؟، تعالوا نبحث هذا..

ليكن ها هو محل التباحث والتشاور.. فإن كان حقا اتبعناه، وإن كان باطلًا حاربناه على بصيرة.!!

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾[هود].

بلغ السيل الزُّبى!

[تعليقا على انفجارات القاهرة]

وافقنا أو لم نوافق على مثل هذه الأعمال..

الأمر أبعد وأعمق من ذلك.. إنها الفتن والمحن، وأيام الصبر..

ولن يستطيع أحد أن يمنع من يريد الشهادة وعزم عليها وضاقت عليه الأرض من فعل ما يريد!

المسألة ليست مجرد مسألة أفكار أو استراتيجيات، إنها حالات انفجار نفسي واجتماعي، فقد بلغ السيل الزبى!

نسأل الله ﷻ أن يرحم الإخوة والأخوات الذين قاموا بهذه التفجيرات..

نسأل الله أن يعفو عنهم ويكرم نزلهم ويوسع مدخلهم ويغسلهم بالماء والثلج والبرد..

وأن يرزقهم الفردوس الأعلى في الجنة..

ونسأل الله أن يجعل عاقبة هذه التفجيرات خير على المسلمين، وأن يقي المسلمين شر كل ذي شر..

آمين.. آمين.. آمين

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٨/ ٤/ ٢٠٠٥]

تعلم اللغات يستدعي قوة ودولة

[وهي مناقشة مع أحد الإخوة الذين يرون وجوب تعلم اللغات في زماننا لعموم المسلمين]

تعليقا على قول: «وأعيد وأكرر ما أقوله دائما أننا أمة لا يزال يحكمنا جهل اللغات، ولا نهتز إلا إذا وجدنا الخطر بلساننا المنطوق!».

نعم قد رأيتك تعيد ذلك وتكرره، وهو من حرقتكم وغيرتكم على دينكم وفقكم الله وزادكم هدىً، ولكن يخطر ببالي أخي الكريم ربما كان لتخصصكم ومواهبكم -زادكم الله- تأثير في رفع وهج هذه الفكرة لديكم؛ فأنتم تعانون في محيطكم وعلاقاتكم ما لا نعاني وتطّلعون من أخبار الغرب والشرق وثقافاتهم على ما لا نطّلع عليه، وهو خير وبركة لأمثالكم ممن ملكوا مثل مواهبكم وقدراتكم ونهلوا من العلم النافع وتشبّعوا به قبل ذلك.. والذي أعنيه أن هذا الجانب من القصور فينا نحن المسلمين هو حقّا كذلك، قصور، وهو أحد جوانب القصور الكثيرة لدينا كأمة!! لكن أظن أننا حين نحاول أن نضع سلّمًا للأولويات فإنه ربما كان في غير الدرجة التي يوحي بها كلامكم وفقكم الله.

أزيد فكرتي إيضاحا بأن ما تتمنّونه من سدّ هذه الثغرة، وهي المتعلقة بمعرفة لغات العالم وألسنةِ الأمم، وبالتالي التعرف الوثيق على ثقافاتها ومن ثم التأثير فيها والوقاية من شرها ونقل نشاط الدعوة الإسلامية إليها بكل قوة وعرض ما عندنا من العلم والهدى عليهم بأوضح صورة وبألسنتهم والوسائل الشرعية المناسبة لهم.. الخ.

كل هذا لا يمكن القيام به على الحد المُرضي ولا قريب منه إلا بوجود أمةٍ قوية ناهضة، وذلك يستدعي وجود «دولة» إسلامية ممكنة ظاهرة وانصلاح حالنا نحن -أمة الإسلام- الداخلي بشكل جيد جدًا أو جيدٍ على أقل تقدير.!

لكن نحن الآن.. أين الأمة بمعناها الصحيح؟ وأين دولة الإسلام؟ وكيف صفّنا الداخلي؟

من الداخل نحن نعاني من بني جلدتنا من زنادقة العلمانيين والملحدين والانحلاليين وأشباههم، فضلا عن الفساق وأهل الجهل والضياع والمستكبرين، وهؤلاء في الغالب لهم النفوذ والسلطة والغلبة على مجتماعتنا التي هي قطعُ أمتنا، ونعاني ونعاني ونعاني.

فكيف سنطلع للخارج وإلى الأمم ونحن بهذا الشكل؟!

هذا من جنس جهاد الطلب، ونحن الآن ما زلنا وسنظل إلى ما شاء الله في مرحلة جهاد الدفع: دفع الحكومات المرتدة الزنديقة المسيطرة على بلداننا وكل أو غالب أجزاء أمتنا، ويعطّلون طاقاتنا ويفسدون فرصنا ويؤخروننا إلى الوراء كل يوم ويدمّرون أي جهد مخلص للإصلاح، قاتلهم الله.

وذلك بعد -أو بالتوازي مع- دفع الجهل وظلمات الجاهلية والضلال الرائن عليها، ودفع الشرور والمفاسد الداخلية بعامة.

فقط هي خاطرة، وأظنني أتفق معك في الكثير ولا أخالفك.

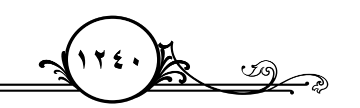
لأن جزءًا لا بأس به مما تتمنّون وتدعون إليه يمكن القيام به بالجهود الاجتماعية وحتى الفردية بعيدًا عن «الأمة» و«الدولة».

ولكن لكل شيء قدر..

وفقنا الله وإياكم لكل خير..

والسلام عليكم ورحمة الله

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٤]



الحضارة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله..

ألـم تلاحظوا معي أنكم تتكلمون عن شيء لم تتفقوا بعد على تعريفه، والظنّ عندي -وسيتضح لو سألناكم منفردين- أنكم غير متفقين في بعض تصوره..

ولا يخفاكم أن تعريف «الحضارة» لم يتحدد بشكل متفق عليه عند المفكرين والمؤرخين، ولم تحسم هذه المسألة منذ زمن قديم.. ومثلها «الثقافة» وأمثلة أخرى.!

ولكن، حيث لم يمكن وضع تعريف لها على طريقة «الحد» وهو الجامع المانع؛ فإن تصورها عن طريق «الرسم» وما يقاربه ممكن.

وعلينا أن ننتبه إلى أن الحضارة لفظ فيه إجمال وفضفضة، وأن التعامل معه يكون على هذا الأساس.. كما تتعامل مع الألفاظ المجملة، وفقهُ ذلك معروف.

أضف إلى ذلك أنه لفظ حادث بالنسبة لنا نحن المسلمين في علومنا الإسلامية!!

وحتى من الناحية اللغوية هو لفظ مولّدٌ.

نعم.. فلم تعرفه قروننا الأولى التي هي قرون حضارتنا التي نفاخر بها ونقتدي، وهذه من المفارقات من جهة، ومن جهةٍ أخرى هي علامة على أن هذه المسألة ليست أساسية ولا ذات كبير أهمية عندنا نحن المسلمين!! بالمعنى الإيجابي لا السلبي، وهذا يحتاج إلى أيضاح.

فنحن المسلمين (أهل الإسلام الحق، ولا أتكلم عن عموم أهل القبلة) ليس من أولوياتنا ولا من مهمّات أمورنا التعمّق في مثل هذه الفلسفات والتعريفات والأوصاف أوالاعتناء بها، ولا أن نسأل: ما هي الحضارة وما حضارتنا وحضارات الآخرين ونحو ذلك.. فذلك كله ليس مقصودا لنا، ولك أن تقول: ليس مقصودًا بالقصد الأول، وإنما هو مما دخل علينا، أو اضطررنا إليه.. ففي الأصل نحن لا نهتم بهذا ولا ديننا يأمرنا بالاهتمام به؛ بل أكثر من ذلك في ديننا ما يشير إلى التنفير من ذلك وأنه ليس بمحمود وأنه من الترف الفكري والانشغال بما لا يفيد..! وسرد أدلة ذلك يطول.

لكن مع اختلاط الشعوب والأمم والثقافات و«الحضارات» صار دخول هذه المناقشات له حكم آخر قد يرقى لدرجة الاستحباب والوجوب الكفائي باعتبار حاجتنا إلى التصدي للعولمة والغزو الثقافي والفكري والحضاري من الأمم الأخرى الكافرة، لا سيّما مع ضعفنا السياسي الذي يزيد من قابليتنا للتعرض للمرض والانهزام.. وهنا -حيث يكون هذا هو الدافع والمقصود- يكون الاهتمام

بهذه الفلسفة أو القضايا الكلامية مشروعا وعملًا صالحًا إن شاء الله، ومطلوبًا نوعَ طلبٍ، والقائم به مأجور حيث قصد نصر الدين والدعوة إلى الله والذبّ عن دين الله والردّ عنه.

فنحن أمة إسلامية، محور اجتماعها وكينونتها هو الدين وهو «الإسلام»؛ فلا وجود لهذه الأمة بدون الإسلام، لأنه قبل الإسلام وبعده -حين تتركه- تتحول كما هو مشاهد إلى أمم أخرى: أمة عربية، أمة تركية، أمة باكستانية، أمة كذا وأمة كذا..

وأفضل تجلٍّ لهذه الأمة بالاتفاق هو عصرها الأول، وهو جيل الصحابة؛ الجيل الفريد الذي ربّاه الرسول ﷺ وصنعه بيده.. ولو أردنا تحديدًا دقيقا لقلنا إنه فترة العهد النبوي المدني وعهد خلافة الخلفاء الراشدين، وهناك فترات أخرى مقاربة لها بعد ذلك متقطعة.

هذا شيء مهم إذا اتفقنا عليه، فإنه يحلّ لنا كثيرا من المسائل.

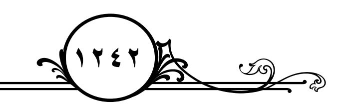
أما من لا يعتقد ذلك؛ فالنقاش معه سيكون فيه أولًا.

هذا الجيل أو تلك الأجيال لم يعرفوا هذه الفلسفات حول الحضارة والفكر والثقافة والفنون والآداب -بمعناها المعروف عند المؤرخين- وما شابه ذلك!!

وإنما عرفوا فقط: الدين ولا شيء غير الدين، وأن هذه الدنيا دار ممر وفناء، وزينة زائلة ومتاع، وهي دار اختبار وامتحان، ومطلوب من العبد أن يتجافى عنها -في الجملة، وللمسألة تفاصيل- وأن يكون فيها كعابر سبيل، وأن يكون كراكب استظل تحت شجرة يوشك أن يتركها ويرتحل، ومطلوب منه فيها أن يعبد الله كما أمره الله، وخلاصته اتباع رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

وأنت إذا بحثت عن موقع العمارة والمدنية والترف والبناء والغنى وجمع الأموال والآداب والفنون، وتصنيف هذه الأشياء وتحريرها وتدقيقها والغوص في بحارها والاعتناء بها، والثقافات والمقارنة بينها وو.. مما يعتني به العالَمون اليوم، لم تجد له مكانًا عندهم وفي اهتمامهم وسعيهم ولا اعتبار له إلا بقدرٍ عرضيّ إن وُجِد، ينتظمونه انتظامًا وهم سائرون في طريقهم إلى الله تعالى..

وهم قد فتحوا البلاد شرقًا وغربًا، ولم ينقضِ عصر الصحابة حتى دمّروا أعظم حضارتين في ذلك الزمان وأعظم دولتين: الفرس والروم، وملكوا أرضهما أو معظمها وحازوا كنوزها وظهروا عليهما أيما ظهور، ومع ذلك لم يهتموا بحضارةٍ كانت لهم أو ثقافةٍ أو مدنيةٍ، ولم يرفعوا إليها أبصارهم ولا وجّهوا لها عناية.. بل قالوا بلسان حالهم وقالهم بما لا غموض فيه: إنهم قد أغناهم الله عن معظم ذلك، وأن الله قد أكرمهم بما هو أتم وأكمل من كل تلك الحضارات، وبما هو أرفع وأعزّ وأكرم وبما لا يحتاج معه صاحبه إلى غيره في الجميلة.



وهذا لم يمنعهم من أخذ ما رأوه نافعًا من صناعة أو عمارةٍ وتدبيرٍ وفكرةٍ.

فلم يتعارض عندهم ما تقدم سرده مع مشروعية الاستفادة مما عند الكفار والأمم المغلوبة لهم من أمور الحياة الدنيا التي يستوى فيها الخلق، ويأخذها اللاحق عن السابق، بشرط واحدٍ وواحدٍ فقط وهو كل شيء في المسألة وهو: أن يكون كل ذلك تحت هيمنة الدين وفي حدود ما يسمح به، ولا يتعارض معه، فإن كان بعد ذلك مما يعين عليه أي على القيام بالدين وعلى تقويته (كإتقان صناعة السلاح وتدبير وسائل الجند ونحوها مما يعين على الجهاد)؛ فهو مما يتخطى مطلق المشروعية بل يطلب أخذه وجوبًا أو استحبابًا.

ونرجع إلى بعض النقاش السابق، في نقاط:

❑ الغالب أن تعريف الحضارة هي مجموع ما عند أمةٍ من الأمم من العلوم والمعارف والفنون الثقافات والعمارة والمدينة.. الخ وملاحظة الفضفضة!!

❑ كل من يتحدث عن الحضارة الإسلامية سيخطر بباله لأول وهلة: العمارة الإسلامية والطُّرُز المعمارية الإسلامية الأموية والعباسية والأندلسية للمساجد والقصور والحمامات وغيرها وما فيها من ألوان وفسيفساء وو.. الخ.

❑ القول بأن الدين والقيم والمبادئ والأصول والشريعة ونحوها يمكن أن تكون في الكتب ولكن الحضارة لا تكون كذلك، وأن الحضارة تمثُّلٌ واقعيّ!!

هذا فيه ما فيه، فإن الدين أيضا تمثّل واقعي، وأنت تعرف أن الدين محفوظ في الكتاب والسنة، لكن أين هو في واقع الناس؟ فقل مثله في الحضارة، ولمه؟

❑ ليس هناك شعب ولا أمة من الأمم بل ولا أي تجمع بشريّ مهما قلّ يعيش فترة من الزمن تطول نسبيًا (عقودًا فضلًا عن القرون) إلا ويكون لهم حضارة.. لأن الحضارة ما هي إلا كما قدّمنا مجموع ما عندهم من العمارة والثقافة والتدابير والمعارف والعلوم والفنون والآداب والحكايات والتجارب وو.. كل ذلك بغضّ النظر عن كونها سيئة أو حسنة، محمودة في ميزاننا وديننا دين الحق أو مذمومة باطلة.

❑ فقولك أخي: «**ضعفت الحضارة الإسلامية في القرون الأخيرة.. ضعف وجودها في المجتمعات الإسلامية.. في الفرد المسلم.. وبدأت في القرنين الأخيرين تتسرب الحضارة الغربية إلى عقول وقلوب المسلمين، وبدأت في الظهور أكثر في هذه الأيام**» اهـ.

تتفق معي طبعا أن مردّ ذلك كله إلى غياب الدين، ولا تقل لي: هناك أشياء أخرى غير الدين مثل الفكر والعلم التجريبي وغير ذلك.. كلنا نعرف أهمية ذلك، لكن هي كلها تساوي لا شيء بدون الدين، وحيث لا دين لا أمة إسلامية أصلًا، ولا مجال لمناقشة موضوع اسمه «الحضارة الإسلامية» حينئذٍ!!

فالذي ضعف في المجتمع المسلم وفي الفرد المسلم هو الدين، والذي بدأ يتسرّب إلى عقول وقلوب المسلمين هو دين الغرب وهو حضارته وفكره وكفره فسوقه وعصيانه وتمرّده وقيمه المصادمة للإسلام ومفاهيمه البهيمية وتصوراته عن كل شيء وأخلاقه السبعية والحيوانية، وانحطاطه الأدبي المفعم بالغرور في نفس الوقت وو.. الخ.

طيب، هذه هي جلّ الحضارة وأساسها، وإلا ما هي الحضارة: صفّ الحجارة وكيفية صناعة السيارات؟!!

❏ وقولك أيضا: «**والحضارة أفرق بينها وبين الدين.. الدين الإسلامي دين الحق، وهو باق إلى يوم القيامة.. لكن الحضارة الإسلامية، ليست دينا، وليست واجبة بذاتها وبمظاهرها وبمواصفاتها.. فقد تذهب الحضارة وتأتي غيرها**» اهـ.

فما هي الحضارة، لم نفهم شيئًا..! اللباس مثلًا، طريقة بناء المنازل، استخدام الأشياء ووسائل العيش المباحة بطرق وأوجه مختلفة.. الخ أو غير ذلك، ما هي بالضبط؟؟!

المسلم العربي في الخليج يلبس دِشْداشَ وغترةً، وفي حضرموت يلبس إزارًا، وفي باكستان وأفغانستان يلبس لباسهم المميز في تفصيله، هذه حضارة وثقافة، كلها تدور في باب المباح ولا تخرج عنه، ومندرجة تحت «البَس ما شيتَ» ما لم تتجاوز الخطوط الحمراء التي وضعتها الشريعة.

فإذن؛ ما الغرض من البحث عن الحضارة؟ لأننا نستطيع أن نقول: للمسلمين بعامةٍ حضارة، ولكل طوائف المسلمين وأجناسهم حضاراتٌ مندرجة تحت الحضارة الإسلامية العامة؛ الترك والفرس والهند والسند والماليزيون والأندونيسيون غيرهم، وأهل المغرب الإسلامي.. لهم ما يميّزهم عن المشارقة وهكذا.. لا بأس، سمّه حضارة أو ثقافة لا مانع!

وكل له ما يميّزه نوعَ تميّزٍ قلّ أو كثر ضاق أو اتّسع، مع اشتراكهم في الإسلام وفي معظم ما يسمى حضارة وثقافة لأن محورها وأصلها وجامعها هو الدين.. وما اختلفوا فيه مما يميّز بعضهم عن بعض هو راجع إلى اختلاف الأقاليم والأمزجة والألسنة ونحو ذلك فهو اختلاف ضروري عند أهل النظر وما كان كذلك فلا ضرر فيه ولا تعارضه الشريعة كما هو معلوم وواضح.

لكن يبقى السؤال: ما الغرض من بحثنا في الحضارة؟ هذا هو أهم شيء..

والذي عندي أنه إن لم يكن من العلوم الفاسدة غير النافعة؛ فقد يكون من الترف والاستجمام ومن مُلَحِ العلم والمعرفة، ومما يباح من الانشغالات، وقصاراه إن ارتقى درجة على ما تقدّم أن يكون مما يستحب للتصدّي للأمم الأخرى ومحاورتها والظهور أمامها بما يناسب من المستوى المعرفي ونحو ذلك من المقاصد السياسية والدعوية.

وأعلى من كل ذلك درجةً أن يكون الباحث في ذلك يريد به -كما سبق القول- الذبّ عن الدين والرد عنه والدعوة إليه بواسطة الوقوف على دقائق معارف الأمم الغربية مثلًا وفهمها ومن ثَمَّ الدخول إلى عقولها وقلوبها ومخاطبتها بما يناسبها مما تسمح به الشريعة.

وقد لاحظتم معي أن لفظ «الحضارة» لفظ فضفاض، ومن أجل ذلك كان السؤال فضفاضًا أيضًا، وبناء عليه كذلك لا بدّ أن يكون الجواب فضفاضًا ويحتاج إلى تفصيل طويل، وقد أشرت إلى ما رأيته أصولًا مهمة في المسألة.

فبإمكان المجيب أن يقول: نعم هناك حضارة إسلامية، وتفصيله كذا وكذا وهناك الكثير ليذكره.

كما بإمكانه أن يقول: لا، لا وجود للحضارة الإسلامية بمعناها الكامل النقي والمتميّز لأنه لا وجود كاملًا للأمة وللدولة الإسلامية كما يريدها الإسلام.. الخ

ونحن نختار التفصيل في كل ما يماثل هذه المسائل، ونحاول أن نعطي لكل ذي حقّ حقه، والحضارة بالنسبة لنا نحن المسلمين تبع للدين، فوجودها بقدر وجود الدين أعني في الواقع.

والله أعلم وأحكم، وهو وحده وليّ التوفيق.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٤/ ١٢/ ٢٠٠٤]

۞ القضية الأصلية التي ينبغي أن يناقش فيها المجاهدون

مما يؤسف له أن معظم من يتناول هذه القضية إما يفتقرون إلى الإنصاف، أو أنهم لا يحررون مواقع النزاع، ويخوضون في عمومات أو يقررون -أو يذكرون- بأحكامٍ متفق عليها، وإنما الخلاف في تنزيلها على الأرض.

فمثلا: هؤلاء الإخوة أهم مسألة في قضيتهم أن الحكومة كافرة مرتدة..

هذه هي أمّ كل القضية وأساسها، والباقي جزئيات ثانوية ومساعدة؛ فلا يمكن مناقشة أي جزئية من عملهم إلا على هذا الأساس.

وأنت مهما وافقتهم فيها أو خالفتهم، فلا يمكن لعاقل عرف العلمَ إلا أن يقرّ أن قولهم فيها -أعني تكفير الحكومة- قويّ وله وجه!! هذا بكل بساطة.

وحينئذٍ؛ لا فائدة من مثل المحاورات التي تكرر: «.. وإنما تركوا هذا الأمر لمن توجه إليه في قوله ﷺ: (**أخرجوا**)، وهم ولاة الأمر الذين تناط بهم القضايا العامة».!!

ولي تعليق آخر لا أرى السكوت عنه:

إخواننا المشايخ هؤلاء جزاهم الله خيرا لا يملّون من ذكر الجزائر مثالًا للفشل وأنموذجًا للخسران، ودليلًا على خطأ هذا الخيار، وإني لعلى ظنّ غالبٍ أنهم ما حرروا مسألة الجزائر ولا أحاطوا بها علمًا ولا قاربوا..!! وبالتالي ففي كلامهم دائما أخطاء عجيبة وثغرات.

ولا أريد الخوض في نقاش طويل حولها الآن وقد سبق مرارا لكن تعليقي هو:

إذا كان الشيخ يرى أن الحكومة السعودية حكومة مسلمة.. الخ ما يترتب عليه؛ فهذا لا ننكره عليه.. ولكن أن يرى حكومة الجزائر العلمانية اللائكية اللادينية مسلمة مثل حكومة السعودية عنده؛ فهذه والله ننكرها ونشنّع عليها..!

ملاحظة: هو لم يصرح بإسلام أو عدم إسلام حكومة الجزائر، لكن هذا قد عرف عن كثير من المشايخ، وكلامي عامّ، وإنما الشيخ هنا ذكر الجزائر بجامع العنف.

وكيف تلوم الشباب بعدَ ذلك ألا يسمعوا للشيوخ قولًا!!

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٨/ ١٢/ ٢٠٠٤]

إيران، والخليج الفارسي!

يوجد قانون في إيران يمنع ذكر كلمة الخليج إلا مقرونةً بوصف الفارسي.. يعني حتى مجرد ذكر الخليج بلفظ «الخليج» مجرّدًا عن الوصف ممنوع، وهو ما حصل بالفعل مع إحدى شركات الطيران في إيران حيث أصدرت مطبوعة إعلانية تذكر الخليج العربي باسم «الخليج» بدون وصفه بالفارسي.

فتعرضت بسببه للمساءلة القضائية واضطرت للاعتذار وطلب العفو كما نشرته صحيفة «الوفاق» الصادرة في طهران باللغة العربية.

الإيرانيون مصرّون على تسمية الخليج بالفارسي وتكريس ذلك وإرضاعه للأطفال مع الحليب بشكل عجيب، وما تقدم هو بعض الأمثلة فقط، **وفي نظري لذلك دلالات**:

- **من أهمها**: أن الشعوب والمجتمعات والدول الضعيفة المهينة يشتد تمسكها بالأسماء والألفاظ حين تفقد القوة والمكانة الحقيقية على الأرض.!

- **ومنها**: أن مقصودهم طبعا كما هو واضح لكل مخلوق ولا يحتاج إلى شرح تثبيت ملكيتهم للخليج وشواطئه وجزره وو.. والله أعلم إلى أي حدود في عقولهم، أقول: تثبيت ذلك لدى الأجيال من شعبهم أولا ثم من المنطقة المجاورة ثانية لتكريس هيمنتهم وتمهيدا لدولتهم المنتظرة الحالمة وزحفهم المنشود.

وهم في ذلك يمارسون تماما ما يمارسه اليهود من أعمال حفريات وجهود تاريخية وجيولوجية والاستعانة بكل ما يمكن من الألفاظ والخرافات، وقيل وقالوا وزعموا وروي وحكي وو.. الخ ما لا ينتهي من هالشاكلة لتثبيت ملكهم لفلسطين، وأنهم أهلها الأصليون وو.. الخ مما هو معروف.

ومن دلالاته المهمة: أن النزعة القومية الفارسية في إيران غالبة على الصبغة الإسلامية، فهم عندهم «إسلام فارسي» ولا يريدون «الإسلام العربي» وكل من خبرهم عرف ذلك، وهو متماشٍ مع دينهم «الرافضي» الوضعيّ الطائفي الذي مبناه على: لنا ونحن، وآباؤنا وأجدادنا وطائفتنا وإيران وفارس وو.. وما شاكل.

وليس مبنيّا على «دين الله» و«أمره» ووحيه وشرعه وتكليفه لنا وكونه خلقنا لعبادته بما شاء مما شرع.. لا، هم لا يعرفون هذا!!

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٤]

۞ حُلُمَانِ..!

يحلم كثيرٌ من المسلمين أن يستيقظوا صباحَ ذات يومٍ وحاكمٌ عربيّ أو حاكمُ بلدٍ من بلاد الإسلام قد تاب إلى الله وانصلح شأنه وهداه الله إلى الدين الحقّ ورجع إلى الله وأناب، وشرع يصلح البلاد والعباد، ويقرّب العلماء الصالحين والأتقياء الناصحين، وينفي عنه الفجّار الغشاشين والنفعيّين الخائنين، ويرفع لواء الدعوة إلى الله ونشر العلم النافع والدعوة إلى الخير، وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبدأ يتدرّج في عزمٍ ويقين -وفق تصوّر وخطةٍ مدروسة- في إصلاح المجتمع والاقتصاد والإعلام وكل مناحي الحياة، وإصلاح المناهج والطبقة السياسية والجيش والشرطة والأمن وغيرها من مباني الدولة، ويعدّ العُدّة ويرصّ صفوفَ أبناء أمته الذين أحبّوه وصاروا يلهجون ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارا بالدعاء له - يرصّ صفوفهم ويبني منهم نموذجَ خيرِ أمةٍ من جديد، ويتطلّع لإقامة الجهاد الحقّ ونصرة الإسلام والمسلمين حيثما أمكنه، وَفق تصوّر مدروس أيضا يجتمع عليه العلماء الصالحون والعقلاء الناصحون والخبراء الباحثون...!

ما أجمل هذا الحلم وما أروعه..! إنها أمنية وحلم لكل مسلم صادق.

ويراودني أنا حلمٌ آخر أرجى من ذلك وأقرب غير أنه لا يقلّ عنه -إن تحقق- خطرًا وأثرًا: أن أستيقظ في يوم من الأيام.. فأسمع أن عالمًا كبيرًا من علمائنا ممن علا بين الناس صيتهم، وطار في الأقطار ذكرهم، وسلّم الناسُ لهم بالتقدّم في العلم والفضل وقد التحق بالجهاد في الفلوجة والعراق، أو في أفغانستان ووزيرستان، أو في الشيشان وما شابهها!!

أحلم أن أصبح ذات صباح فأصلّي الفجر وأقول أذكاري ثم أفتح المذياع أو الانترنت لأطالع أخبار المسلمين والدنيا من حولي؛ فأسمع أن الشيخ سلمان العودة أو الشيخ سفر الحوالي أو ناصر العمر أو الطريري، أو البراك أو الراجحي أو ابن جبرين أو غيرهم من علماء السعودية، أو محمد إسماعيل المقدّم أو غيره من إخوانه ونظرائه من علماء سلفية الإسكندرية وغيرهم من علماء مصر وما أدراك ما مصر!.. أو عالمًا كبيرًا من علماء موريتانيا وبلاد شنقيط بلاد العلماء ومعقل الأدباء والفصحاء.. أو غيرهم أو غيرهم أو غيرهم من علماء المسلمين..!

أحلم أن أسمع وأرى واحدًا منهم على الأقل -أو اثنين أو ثلاثة- قد امتشق سلاحه ولبس لأمته

والتحق بإخوانه في الجبهة جنديًا مجاهدًا..

أشعث أغبر، أنور أزهر..!

قد يكون قائدًا أو لا يكون بعدها.. ليس مهمًّا!

لكنه بكل حال سيكون معلّمًا ومرشدًا ومفتيًا وداعيًا ومطاعًا مبجّلا..

وفوق ذلك سيكون بطلًا من أبطال الأمة -حيًّا- وشهيدًا عظيما من شهدائها -ميّتًا- إن شاء الله.. وسيُحيي الله بعمَله قبل عِلمه فئامًا عظيمة من أمة محمد ﷺ.

بعبارة أخرى: سيكون ثورةً حقًا..! سيكون نصرًا وفتحًا..!

آه.. ما أجمل ذا لو تمّ ذا.! ما أجمل هذا الحلم وأروعه..!

تُرى هل يتحقق الحلم؟

[تكميل: جوابًا على قول من قال: إنَّ الواجب على «القاعدة» أن تعود إلى العلماء وتصدر عنهم!]

أنت تدندن حول فكرة صحيحة في الجملة وتبدو متينة وهي الكون مع العلماء واتباعهم، فهم أولو الأمر.. لكن أخشى أنه قد يكون هناك نوعُ تطرّف في الفكرة، وتجاوز بها الحدّ..!

لأن معناها هنا في موضوعنا: كونوا مع «العلماء» فإن جاهدوا جاهدتم، وإن قعدوا ونكلوا عن الجهاد فاقعدوا معهم.! لأنك إن أردت بالعلماء جميعهم (الإجماع) فهذا غير ممكن في العادة، وليس مطلوبًا شرعًا، ولن تجده، وهم غيرُ ممكن أن يجمعوا على خلاف الحق.

وإن أردتَ جمهورهم (أكثرهم) فكذلك ليست الحجة فيه حيث يسطع البرهان.

وإن أردت البعض فحاصل ولله الحمد في معظم الأمثلة، وما خرج عن ذلك فهو النادر جدًا، كمسألة «عمل القاعدة في السعودية» التي هي محور فكرتك أنت وكثير من الإخوة، والتي يبدو أنكم تنظرون إلى كثير من الأمور من خلالها، وهي لا تعدو كونها «مشكلة» نرجو من الله تعالى أن ييسر حلها لصالح الإسلام والمسلمين، ونصرًا للمجاهدين.

ألم تلاحظ أخي أن الكثيرين من أهل الجزيرة وبلاد الحرمين ينظرون إلى الدنيا من خلال «السعودية» فقط، حتى العلماء والدعاة، والمفكرون كثير منهم.!

انظر عندما يقع الكلام عن «وليّ الأمر»، والسمع والطاعة.. الخ.

أخي العزيز: إنما يقال كونوا مع العلماء حيث لم يتبيّن لنا الدليل والبرهانُ من الله على صحة

المسألة، أما حيث يتضح الدليل ويتبيّن البرهان ويسطع نوره فلا يبقى لأحدٍ مقال؛ فالقول الفصل هو: كونوا مع الحق، ووافقوه، مع الدليل والبرهان، وطاعة العلماء إنما هي تبعٌ لذلك، ولا طاعة لهم استقلالا، وكذا الأمراء، وهذا ليس فيه خلاف بين المسلمين؛ كما قال الشافعي رحمه الله: «أجمع من نحفظ عنه من أهل العلم أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ أنه ليس له يدعها لقول أحدٍ كائنا من كان»[١].

انظر إلى آفاق أخرى، وتأمل الجهاد في الجزائر وفي ليبيا وفي باكستان وغيرها ضد الحكومات المرتدة هناك.. هل ستقول لي أيضا كونوا مع العلماء؟

سأسألك: ومن هم؟ تعال نعيّنهم ونرى من يصلح أن يؤخذ منه؟ وماذا قالوا؟ وماذا تعني؟ كم واحدًا منهم؟ هل تريد كلهم؟ أو أكثرهم؟ أو حتى القليل؟

ثم أقول لك: ألا يكفي أن يفتي في مشروعيته وتأييده واحدٌ واثنان وثلاثة وعشرة من أهل الثقة والدين والورع؛ من العلماء؟..

هذا من حيث الفتوى وموقف العلماء الذي تطلبه ويطلبه الناس عادة لكي يطمئنوا، وإلا فإن البرهان ساطع سطوع الشمس في صحو الظهيرة، لأهل النظر، ولله الحمد والمنة.

تبقى بعد ذلك تفاصيل المسائل والأفعال وما نأتي وما نذر من جزئيات فقه الحرب؛ فالمرجع فيها إلى أهل العلم بالشريعة ودلائل الكتاب والسنة، كمسألة «التترس» مثلا وما شابهها مما يُسأل عنه.

أخي الكريم: أنت تطلب من العلماء أن يقودوا العمل السياسي والحرب والجهاد

هذا مطلب ولنقل «حُلُم» مشروع، لكنه بعيد عن الواقعية، وفيه مثالية، ولا يراعي سنّة الله في الخلق، وأما حلمي أنا فإنه بحمد الله واقعيّ قريبٌ، فأنا لم أطلب من العلماء أن ينفروا كلهم للجهاد والحرب، وإنما تمنّيت عليهم أن ينفر بعضهم والقليل منهم من كبارهم؛ سواء قادوا المسيرة وكانوا هم الأمراء، أو كانوا جنودًا في الصف مع إخوانهم وأبنائهم المجاهدين يعلّمون ويفتون ويرشدون ويربّون ويوجّهون ويحفظون ويصونون.. وحينئذ يكونون هم القيادة الأدبية والعلمية، وهي القيادة الحقيقية.!

أخي الكريم: إن العلم والسياسة افترقا في الأمة بعد عصر الصحابة، ولن يتحدا في شخص أو أشخاص إلا في النادر القليل جدًا جدًا لو حصل، وهذا التاريخ وكلام العلماء والحكماء معروف ومسطور.. السياسة والحرب والجهاد لها رجالها، كما أن العلم والفقه له رجاله.

---

(١) ينظر: الروح (ص ٢٦٤).

والمطلوب هو أن يكون هناك انسجام وتواؤم وتعاون بين الطائفتين.

ولكلٍ واجباته وحدوده ودوره ومقامه المعلوم..

وهو ما لا نفتر ندعو إليه، والله أعلم وأحكم..

ونسأل الله أن يصلح حالنا وأحوال أمتنا إنه على كل شيء قدير.

والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه.

[كُتب هذا المقال بتاريخ: ٣ شوال ١٤٢٥]

قمة التخلف

إذا صح معنى هذا العنوان وهو أن للتخلّف قمة؛ فإني رأيت أصنافًا من خلق الله يتربّعون -ولا فخر- على هذه القمة فأولهم النصارى من الأمم الغربية والشرقية، ووجه تخلفهم أنهم تمسكوا بدين قديم وتعصبوا له وجعلوه محورَ هويتهم وجزء كينونتهم، لا يقبلون عنه تزحزحًا ولا يتطلعون إلى أهدى منه، مع أن الرب ﷻ الذي أنزل هذا الدين قد أرسل إليهم وإلى الناس كافة رسولًا بعده يخبرهم أنه قد نسخ تلك الشريعة وأنه يبيّن لهم ما هم فيه مختلفون، وأنه أتاهم بالدين الأكمل والشريعة الأتم؛ فأبوا إلا التمسك بالقديم الذي اختاره يومًا من الأيام آباؤهم وأجدادهم، هذا على فرض بقائه كما أنزله الله، فكيف وقد حُرّف وبدّل حتى صار شيئا آخر.

فأي تخلّف أبعد من هذا وأسخف؟!

وقل مثلهم في اليهود وأولى.

والصنف الثاني ممن يتربعون على قمة التخلّف العلمانيون والمستغربون من بني جلدتنا؛ قومٌ أكرمهم الله بأفضل دين وأكمل شريعة وأعظم رسالة، وبعث فيهم أفضل خلقه وخيرته منهم، وبلسانهم، وعلى صبغتهم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧] حتى قال الإمام الشافعي في قوله تعالى ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]: «ما استخبثته العربُ فهو الخبيث»[1]، ومع ذلك فهم يتملّصون منه ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويبدّلون نعمةَ الله كفرًا، ولا يدّخرون جهدًا في التبرؤ من معرّته كما صوّرت لهم شياطينهم -وحاشاه- وتحريفه وتأويله على غير تأويله ليرضوا بتأويلهم بني الأصفر والأبيض الذين ملكوا عليهم قلوبهم وأشربوا حبهم والانبهار بهم، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ [مريم].

فهل رأيتم تخلفًا أبعد من هذا وأشدّ غُبنًا؟!

والصنف الثالث من المتربعين على تلك القمة السحيقة غلاةُ الأمازيغ في بعض بلاد مغربنا العربي الكبير، قومٌ منّ الله عليهم بأن أدخل عليهم الإسلام والعربية لغةَ الإسلام، حتى صاروا عربًا لا

---

(١) انظر: مختصر المزني (٨/ ٣٩٣)، قال الشافعي ﷺ: «وَإِنَّمَا خُوطِبَ بِذَلِكَ الْعَرَبُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْ هَذَا وَنَزَلَتْ فِيهِمُ الْأَحْكَامُ، وَكَانُوا يَتْرُكُونَ مِنْ خَبِيثِ الْمَآكِلِ مَا لَا يَتْرُكُ غَيْرُهُمْ».

يتميّزون عن العرب العرباء، وبنوا بالإسلام والعربية أمجادًا، وارتقوا بهما الى قمم السؤدد في بعض حقب التاريخ، بعد أن نهلوا من الإسلامِ عذبًا بلا واسطة ولا ترجمان.

أراد الله أن يرفعهم ويكرمهم فأبوا إلا الحضيض والسفالة؛ يبحثون في جبالهم وأوديتهم لعلهم يجدون نقشًا أو أثارةً من غابر جاهليتهم العمياء ليرفعوا بها عقيرتهم ويثبتوا بها أن لهم حضارةً وماضيَ شرفٍ ومدنيةٍ.. ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [غافر: ٨٣].

فأي تخلّفٍ أبعد من هذا؟ وأي جهالةٍ أظلم من تلك؟!

بل أيّ جريمة نكراء في حق شعوبهم وأجيالهم يرتكبونها بإبعادهم عن العربية لغة الإسلام، وإرجاعهم على أعقابهم منكوسين في جاهلية البرابرة الهمج؟!

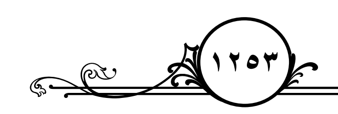
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف].

فسبحان الذي يخلق ما يشاء ويختار!

ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز القهّار

عطية الله

١٧ - ١١ - ١٤٢٥هـ



لا نحب ذلك لك يا شيخ سلمان!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

نَشَرَ موقع الشيخ «سلمان العودة»: «الإسلام اليوم»؛ أن الشيخ «سلمان» سيشارك في مؤتمر يُعقَد في شرم الشيخ -في مصر- وجاء في وصف هذا الموتمر أنه مؤتمر إسلامي موسّع ضد الإرهاب.!! يستمر على مدى ٣ أيام ويشارك فيه أكثر من ٥٠ فقيهًا.!

وذكر الإعلان أسماء مجموعة من العلماء المشاركين في المؤتمر منهم: سيد طنطاوي، وعلي جمعة، والبوطي، والقرضاوي، وعبد المحسن العبيكان، وأحمد الكبيسي، وممثل لمحمد حسن فضل الله الرافضي، وغيرهم.

وقد تبدو أهداف المؤتمر المعلنة محتملة للخير وللشرّ، وفيها مجال لمن يريد ولمن لا يريد..!

ولكنا والله ما كنا نتمنّى للشيخ سلمان أن يكون واحدًا من جمعٍ كهذا..!

ما كنا نتمنّى له أن يخالط هؤلاء ويجالسهم ويبحث معهم قضايا الأمة والإسلام والمسلمين.!

لأنه خليط غيرُ صالحٍ باعتبار ما يغلب عليه، وغير متجانس، وليس مؤهلًا لمناقشة قضايا الأمة، وليس مؤتمنًا عليها.

وأين؟ في شرم الشيخ.! وتحت عنوان «ضد الإرهاب».!

إن مثل هذه الاجتماعات ينبغي أن تنبذ وينفّر منها ومن أهلها والقائمين عليها، لا أن يُشارَك فيها.

إن المشاركة فيها من قبل أهل الخير والصلاح تعطيها شرعيّة ومصداقية عند العامة، وتستعملها الدول المحادة لله ورسوله ودينه ورقةً إضافية للتلبيس على الخلق، وتستمد منها قوة متجددة على باطلها وفسادها.!

إننا بحاجة في هذه الأزمان والأحوال إلى إظهار قوة الحق والدين والصراط المستقيم غير المعوجّ، الواضح البيّن، ودفع اللبس والتشويه عن الناس، ومنع الخلط والتمويه.

إننا بحاجة إلى ولاء وبراء، ومواقف مفاصلة لأهل الباطل، لا مداهنة فيها..

ولا أظن مثل هذه المشاركات من «المداراة» المحمودة، بل إن ما ينشأ عنها من مفاسد التلبيس

والخلط والتمويه وإضعاف صوت الحق ودعم المنافقين والزنادقة، أكبر من كل ما نقدّره فيها من مصالح.!

هذا مع ما فيها من خطر على أهل الصلاح من الفتنة في الدين والاحتواء من جرّاء مخالطة أهل الباطل ورؤيتهم ورؤية مفاتنهم وأملاكهم وسلطانهم ودخول المنّة منهم على الصالحين!!

إن نصر الله ودينه اليوم بابُه الوضوح والقوة في الحق والصدع به والمفاصلة لأهل الخلط والباطل والتمويه والنفاق..

نعم، برفقٍ ولينٍ وحكمةٍ وتلطّفٍ واختيار الأسهل ما لم يكن إثمًا..! ولكنني والله أخشى أن تكون مثل هذه المشاركات إثمًا..!

نعم، نعلم أن الشيخ سلمان وبعض الخيّرين المشاركين يريدون الخير وإيصال صوت الحق والتخفيف من بعض المفاسد وما شابه ذلك مما هم يقدّرونه، ولا نؤثّمهم ولا نظن فيهم إلا الخير، ولكن هذه نصيحتنا للشيخ، وهذا رأينا نكتبه لعله يَرشَح إليه فيتأمله فيكون فيه خير ولو بعد حين.

وإن مما يحزِن أننا في زمن قلّ فيه الناصحون.. فأين الناقدون المصحّحون الآمرون الناهون الناصحون ممن كتبوا وباحثوا وناقشوا ونصحوا ونقدوا أيام «بيان المثقفين»(١) لا يكاد يوجد منهم أثرٌ، وإن هذا والله لهو الخطر العظيم على الدعوة وعلى الدين.!

والله أعلم وأحكم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) **بيان المثقفين**: بيانٌ نُشر في موقع «الإسلام اليوم»، قال فيه الشيخ ناصر الفهد: «إن البيان المسمى بـ«بيان المثقفين» والذي تبناه ونشره موقع «الإسلام اليوم» بيان خطير على التوحيد، قادح في عقيدة الولاء والبراء، معطل لأحكام الجهاد، مخالف للكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، محرف للنصوص، منحرف عن الشريعة، متبع سبيل غير المؤمنين»، وقد رد عليه الشيخ ناصر الفهد في كتاب كبير سماه: «التنكيل بما في بيان المثقفين من أباطيل»، وكذا الشيخ يوسف العييري ﷺ في رسالته: «فضلا انبطحوا سرا» ورد عليه غيرهما.

من هي الفئة الضالة فعلا؟

[مناقشة مع الشيخ: سليمان الخراشي، حول موضوع الفئة الضالة، والجهاد في جزيرة العرب]

اللّهم يسّر وأعِنْ..

نحن في زمن غربةٍ شديدة..

الأخ الكريم «سليمان الخراشي» وفقه الله.. اسمح لي بعرض بعضِ الرأي المختلف، وأنت شيخ وطالب علم رأينا فيك اعتدالا ونصحًا وحسن فهم بارك الله فيكم، ونحن أحببناكم لما رأينا فيكم من الخير، ونرجو أن لا يفسد الاختلاف الودَّ.

سأعرض عليك ما عندي من الرأي والقناعة، وما أنا إلا واحدٌ من المسلمين، ولكن هذه قناعة قوية عندي وعند غيري، والله المسؤول لنا ولكم التوفيق للصواب، واعلم أنه لولا الرغبة في الحق والخير، وحسن الظن بكم لم نناقش.

أولا: مَن هي الفئة الضالة؟ أظنك تقصد الإخوة الذين خرجوا على الحكومة في بلاد «السعودية» ونابذوها بالسلاح، وهم أصحاب «العوفي» و«المقرن» و«الرشود» و«العييري».

ثانيا: ما هو ضلالهم؟ هذا أرجو أن توضحه لي في جملٍ مختصرة لكي نناقشه..

فإنني أزعم أن «الفئة الضال هي الحكومة..! نعم؛ الحكومة السعودية هي «الفئة الضالة».

فنحن أمام طائفتين متقاتلتين:

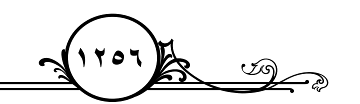
- الحكومة.
- جماعة العوفي.

أنا واحدٌ من كثير من المسلمين يرَوْن أن الأقرب إلى الحق وأولى الطائفتين بالحق هم الإخوة «جماعة العوفي» رحمهم الله.

وأن الطائفة التي هي أولى بلقب «الفئة الضالة» والتي هي الأبعد عن الحق، والفئة المبطِلة الخارجة عن الشريعة هي الحكومة.!!

أنا واحدٌ من كثير من المسلمين مؤيدٌ للإخوة الخارجين على الحكومة في السعودية -إذا كان التأييد معناه محبتهم وتمنّي أن يظهروا وأن ينصرهم الله على هذه الحكومة، لا بمعنى التأييد في كل شيء وفي كل فعلٍ-..

وأنت يا شيخ «سليمان» كررت أكثر من مرّة في موضوعك الدعاء للحكومة بقولك «وفقها الله»



وفي ظني أن الأحق بهذا الدعاء هم الإخوة الخارجون على الحكومة..!

ليس هذا اعتراضا عليك؛ فلا أنكر عليك أن تدعو لأحدٍ أن يوفقه الله أي للهدى والحق والخير والبر والرشاد.. وإنما يلفت الانتباه الإكثار من الدعاء للحكومة بالتوفيق، مع إهمال مثله للإخوة الخارجين عليها، وهم أهل الحق، بالقياس إليها..!

فهم أحق بالدعاء والعطف، نسأل الله تعالى أن يوفقهم ويسددهم وينصرهم.

وأنت يا شيخ «سليمان» سمّيتَ هذا الواقع فتنةً؛ فإن كنت تقصد الفتنة بمعناها اللغوي، فما علينا، ونسأل الله أن يقينا وجميع المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يعافينا، فليس شيء أحبّ إلينا من عافية الله ﷻ.

وإن كنت تقصد الفتنة في عُرف هذا الباب، فالموقف في الفتنة أحدُ شيئين:

- إما رجلٌ تبيّن له أن الحق مع أحد الطرفين ببرهانٍ واضحٍ من الكتاب والسنة وما في معناهما، فهذا يجب عليه نصر الحق ما استطاع.

- وإما رجل أُغمي عليه الأمر ولم يستبِنْ له، فهذا قد أمره الصادق المصدوق في أحاديث كثيرة أن يعتزل الفتنةَ، وبأحكامٍ أخرى معروفة..!

هذه مقدمة إجمالية، فإن شئت فالكلمة لك.. ويأتي بعدها التفصيل إن شاء الله.

فبيّن لي أنت الآن ضلال هذه الفئة، وأنا أبيّن لك إن شاء الله ضلال الفئة الأخرى، حتى ننظر أي الفئتين أولى بالحق، وأيهما المبطِل الضالّ الخارج عن الشرع.!

وبناء عليه تكون مواقفنا.

۞ التسمي بالعجمية في المنتديات

من يسجل باسم باللغة الانكليزية لغرض تسهيل الدخول للمنتدى من أي مكان وتفادي مشاكل الأسماء والباسوردات العربية -في برامج المنتديات- ونحو ذلك؛ فهذا غرضٌ صحيح إن شاء الله، وهو خارج عن الكلام الذي ذكرتموه، فأرجو الانتباه!

فلا تضيقوا على الناس..!!

لكن بشرط أن يكون الاسم حسنا بمعنى أنه لا مانع آخر شرعيًا فيه (غير كونه بلغة العجم).

ومن الموانع (ولعلكم تقصدون ذلك بموضوعكم) أن يكون الاسم من أسمائهم هم (الكفرة العجم) ولا سيما إن كان من أسمائهم المشهورة المختصة بهم أو مما هو من شعائرهم وشعاراتهم، أو من كلماتهم المشهورة الدالة على ثقافتهم ودينهم، أو أسماء شخصياتهم ونحو ذلك..

عافانا الله وسائر المسلمين من ذلك..

فالذي أردتُ أن أقوله: أن الاسم إن كان عربيا وإسلاميا حسنًا؛ فلا حرج على الأخ إن شاء الله أن يكتبه بالحروف الانكليزية للغرض الذي أشرت إليه.. والله أعلم.

وجزاكم الله خيرا..

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٤/ ١/ ٢٠٠٥]

الانتخابات العراقية، وأمريكا

شخصيًا أتوقع بقوة أن الأمريكان سيزورون نتائج الانتخابات وسيحافظون على «علاوي» رئيسًا للحكومة.. لأنهم ببساطة لحد هذه الساعة غير واجدين لشخص يخدمهم بكل نذالة ورُخص مثله، ولتاريخه الطويل الموثوق لديهم في العمل معهم، ولأنه يملك نسبة لا بأس بها من التأييد الشيعي، ولأن البديل له إما تكتّل السيستاني والحكيم والجلبي، وهؤلاء لا تودهم أمريكا كثيرا لقربهم من إيران ولوجود «دين» عند بعضهم وانتسابهم للإسلام، مهما كان ذلك مزيفا ومحرّفًا..

وإما «الباجه جي» وهو وإن كان يخدمهم أيضا وما يقصّر لا بارك الله فيه! وفيه ميزة أخرى وهو أنه سنيُّ الانتساب، لكن هذه الميزة هنا في هذه المرة لعلها عيب وليست ميزة لأنه لو أن أمريكا زوّرت الانتخابات لصالحه «الباجه جي»؛ فإن هذا التصرف سيكون مفضوحًا جدًا، وسيؤدي إلى اتهامات واسعة لها بالتزوير وعدم النزاهة وسيزيد من مشاكلها على المستوى السياسي والثقافي والرأي العام العراقي والعالمي، وفي ظني أن الأمريكان الآن يحذرون من شيء كهذا، مع احتمال أن يقدموا دائما على أي حماقة!

أما «الياور» فهو واحد «خرطي مرطي»، ما أظن حتى الأمريكان يعتمدون عليه، والله أعلم.

هذا من ناحية.

من ناحية ثانية: المتوقع أن الوضع في العراق من الناحية السياسية والأمنية سيزداد تعقيدًا وسوءًا على رأس الأمريكان ومن والاهم.

وأن الانتخابات هذه ستقوّي احتمال اندلاع حرب بين السنة والشيعة، وستكرّس وتعمّق الافتراق على أساس طائفي «سني – شيعي».

بالنسبة لوضع الحركة الجهادية وإخواننا المجاهدين، وهم قرة عيوننا وسواد أفئدتنا ورأس مالنا نصرهم الله وقوّاهم وسددهم وألهمهم الحكمة في كل تصرفاتهم؛ فالمتوقع أن لا يضرّهم أي نتيجة للانتخابات سواء زوّرها الأمريكان كما توقعته أو لم يزوّروها.

إلا في حالة واحدة فقط؛ أن تصرّ أمريكا على تزوير الانتخابات لصالح مرشّح سني وهو «الباجه جي» على الأرجح في هذه الحالة.

فإن ذلك لا شك سيلقي بظلاله على علاقة المجاهدين بالوسط السني العراقي: العشائر، والمشايخ، والإخوان المسلمين وقواعدهم، وهيئة علماء المسلمين وما شابه ذلك.. وسيظهر من يقول: خلاص القيادة الآن في يد السُّنة ولننتظر حتى تقوم هذه القيادة بحل مشكلة الاحتلال سلميا، ولندعم جهودها وو.. الخ كما يقوله الشيعة الآن.!

يعني في هذه الحالة -لو وقع هذا الاحتمال-؛ فإن المجاهدين لا بد سيدخلون في حالة علاقات مختلفة بكثير من الأطراف، ونخشى أن تنطلي اللعبة على بعض الأطراف التي تعدّ الآن مؤيدة للمجاهدين وللمقاومة فتنقلب مثبّطة لهم أو حتى مناوئة لهم.. نسأل الله السلامة.

طبعا إخواننا إن شاء الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، والجهاد ماضٍ بحول الله وقوته إلى أقصى غاياته التي يعرفها ويفهمها قيادات المجاهدين وشيوخهم وأهل الحل والعقد والفك والربط فيهم.. والله وليّ التوفيق.

لكنَّ شريعة الأخذ بالأسباب تلزم المجاهدين أن يبذلوا ما يمكن من الدعوة والبيان للناس ويحسّنوا علاقاتهم بمن أمكن من الأطراف السنية الشعبية والعشائرية ويحتووا من يمكن ويتألفوا الناس ويستميلوهم ويرغّبوهم في الكون معهم وفي مواصلة الكفاح والجهاد وأنه شرف الدنيا وعزّها وكرامة الآخرة ورفعتها.

ونسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد.. آمين.

وواضحٌ أن الأمريكان يتجهون نحو الانسحاب وسل اليد من العراق وإيكال المهمة للعملاء المحليين، وقواتهم التي سيدعمونها، ويصبون معظم جهودهم القادمة في خانة بنائها وتقويتها لتقوم بالمهمة جيدا، وهذا السبب الرئيسي -والله أعلم- في حرصهم الشديد على إجراء الانتخابات في موعدها، مع ما يرجونه من نجاح سياستهم ونموذجهم.

ولكن أرجو على كل الاحتمالات ألا يكون هناك كبير ضرر على المجاهدين

أنا ذكرت أن أسوأ احتمال يتضرر منه الإخوة هو أن تنتج عن الانتخابات حكومة سنية (على الأرجح بالباجه جي هنا) وغالبا لو تم ذلك فسيكون بتدخل آلة التزوير الأمريكية.

أما في حال أنتجت الانتخابات حكومة شيعية سواء علاوي كما أتوقعه أو تكتل السيستاني؛ فإن

الضرر على المجاهدين لن يكون كبيرا إن شاء الله.

شوية ضرر ممكن يحصل، ولا بد منه وفيه الكثير من المصالح بالمقابل: فيه تميز الصفوف وخلوص الجهاد من المدّعين والنفعيين والطفيليين!

لكن الظن عندي أنه ليس بالدرجة التي يقال فيها إنه كبير وإن المجاهدين مثلا سيصعب عليهم مواصلة العمل وسيتخلى عنهم المعين والمتعاطف من الشعب العراقي أولا ثم من المسلمين

هذا بعيد إن شاء الله، والله أعلم.

ستظل عملية تكوين جيش عراقي وقوات أمن للحكومة مسألة صعبة جدًا ومعقدة ولن تتحسن ظروفها كثيرا بالنسبة لهم.

وسيتعمّق بلا شكّ ولا ريب الخلاف الشيعي السني في اتجاه حربٍ أنا أراها آتية لا محالة، وإذا وقعت فإنها ممكن أن تؤدي إلى انفجار في المنطقة بشكل غير مسبوق!

ونسأل الله أن يجعل عاقبتها خيرا ورشدًا للمسلمين.

أخي لم أفهم إشارتك إلى ما حصل بعد الانتخابات الأفغانية، فالمعلومات التي لدي أنه ما حصل شيء يذكر من التأثير السلبي على جهاد الإخوة هناك من طالبان وأنصارهم ومن معهم.

أمور الجهاد والمجاهدين ماشية بشكل عادي ولله الحمد.

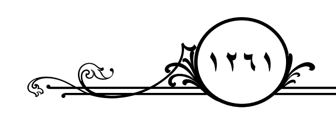
والتعاطف الشعبي الأفغاني والباكستاني مستمر ولم يتغير.

أما محاولة المجاهدين إحباط العملية الانتخابية في العراق فهو تصرف صحيح ولا بد منه.

من أجل منع أي شبهة «شرعية» للدولة والحكومة القادمة سواء كانت شيعية أو سنية الانتساب - وهذا يندرج فيه ما أشرت إليه أنت-، ومن أجل تحطيم النموذج الأمريكي المراد فرضه، وإفساد أي فرصة للنجاح على الأمريكان يمكنهم التفاخر بها واستغلالها دعائيا وسياسيا، ومصالح كثيرة.

فليس للمجاهدين إلا محاولة إحباط وإفساد العملية الانتخابية وإفشالها والنهي عنها والتحذير منها ومنع الناس من المشاركة فيها.. هذا هو الصحيح لا شك بمقاييسنا.

وأما موقف هيئة علماء المسلمين فأنا خائف منه!! ولله الأمر من قبل ومن بعد؛ نسأل الله أن يلهمهم رشدهم ويبصّرهم بالصواب.



ونسأل الله أن ينصر عباده المجاهدين ويقوّيهم ويمدّهم بمددٍ من عنده وأن يلهمهم الحكمة وفصل الخطاب، آمين.

وما كل هذا الذي قلناه إلا الظنون، و﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل: ٦٥].

وهو وحده الذي له الخلق والأمر سبحانه، وقد يحدث من أمره ﷻ ما ليس في حسباننا!

اللّهم أبرم لأمة محمد ﷺ أمرَ رشدٍ يا رحمن.. آمين.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٤/ ١/ ٢٠٠٥]

الشيعة في العراق.. فرصة تاريخية وتقدّم أم بداية النهاية؟

أيها الإخوة الكرام: السلام عليكم ورحمة الله..

موضوع الشيعة «الرافضة» من أهم المواضيع التي أرى أنها يجب أن تكون موضع عناية الدعاة وقادة المسلمين الحقيقيين من علماء وزعماء إسلاميين وقيادات الجهاد وحاملي لواء التوحيد والذب عن الدين؛ هذه الأزمان.. لا بد أن يعطى الموضوع ما يستحقه من الدراسة والبحث والرصد ثم بذل غاية الجهد علمًا وعملًا من أجل صد هذا الخطر العظيم ودرء هذه الفتنة الشعواء والقضاء عليها متوكلين على الله تعالى مستعينين به. وإن ما نلاحظه -للأسف الشديد- من بعض مشايخ الصحوة والعلماء وبعض قيادات الحركات الإسلامية من قلة اهتمام بالموضوع وعدم جدية في تناوله وعلاجه والتصدي له، لهو شيء مؤسف حقًا.

والأنكى من ذلك ما لمسناه من كلام البعض من التهوين من هذا الخطر أو عدم الإدراك بأنه خطر وتكرار العبارات الجوفاء التي تدندن حول وحدة المسلمين وعدم إثارة الفتنة -زعموا-.

ولي هنا كلمة أقولها على هذا الطريق: الرافضة يظنون أن ما يجري في العراق اليوم بعد دخول الأمريكان وسقوط نظام صدام هو فرصة تاريخية لهم لكي يتحوّلوا من محكومين إلى حاكمين، ويمسكوا بزمام الأمور في العراق بحكم كثرتهم العددية حسب زعمهم طبعا، ويظنون أن ما يبثّونه عبر الفضائيات من المزارات الشركية يوم عاشوراء وما يسمونه بأربعينية الحسين وغيرها من مشاهدهم يظنون أن ذلك انتصار كبير لهم ونشر لدينهم ومذهبهم وفتح عظيم غير مسبوق لطائفتهم! ويظنون أن ذلك سيحرك الشيعة في العالم ويستنهضهم ولا سيما في بلدان الخليج: البحرين والكويت والسعودية وغيرها ويدعم مطالبهم بالمشاركة الفعالة في الحكم ويمدّهم بمدد معنوي كبير.. ويتمادى ببعضهم الوهم إلى الاعتقاد بأن المستقبل مبتسم لهم وأن غدهم زاهرٌ، وأن المدّ الشيعي سيجتاح العالم الإسلامي زعموا خيّبهم الله!

وهم في أكثر ذلك واهمون غالطون، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[آل عمران]، وهم بعد ذلك خائبون وعلى أعقابهم ناكسون إن شاء الله.

لماذا وكيف؟

أولًا: لأن الله حافظٌ دينه وكتابه وسنة نبيّه ﷺ، وهذا من صميم اعتقادنا، ولن يمكنهم الله من الغلبة على أهل الإسلام ولن يعدوا قدرهم، ولن يضرّوا أهل الإسلام إلا أذى بإذن الله.

وثانيا، وهو الدليل المنطقي العقلي: أن الشيعة ما وصلوا لما وصلوا إليه من التكوين والتأسيس السياسي والاجتماعي في العراق وفي غيرها من بلاد الإسلام إلا في غفلة أهل الإسلام (أهل السنة) ونومهم وسباتهم الذي طال، ومن المعروف في حياة الأقليات وسُننها أن أهلها دائما يتداعون للتعاون والتكافل والتضامن ويتآزرون فيما بينهم أكثر من أهل الأكثرية في أي مجتمع، والشيعة أقلية في أهل الإسلام، والشعور بالأقلية والضعف والظلم والصغار ملازم لهم لا يفارقهم وهو -بالإضافة إلى أصل الاعتقاد الفاسد- مما دفعهم عبر التاريخ للخيانة والتآمر حينًا على أهل الإسلام والوقوف مع أعداء الإسلام، وحينا إلى الكيد الباطني الماكر، ودومًا إلى العمل الدؤوب للخروج من وضعهم السيئ بين أهل الإسلام.

واستطاعوا في حين غفلة من أهل السنة أن يصلوا إلى أشياء كثيرة ما كانت تخطر ببال! أجزاء كبيرة من العراق تشيّعت، وقبائل وعشائر.. سيطرة تامة تقريبا على ما يسمونه بالمراقد المقدسة ومشاهدهم الوثنية والمدن التي تحتويها كالنجف وكربلاء وما شابهها وقل مثل ذلك في لبنان وأفغانستان وغيرها.. أما إيران وتاريخ إيران فحدّث ولا حرج عن غفلة أهل الإسلام وتضييعهم!.. والله المستعان وإنا إليه راجعون.

المهم أن كل ذلك ما كان ليحصل لولا غفلة أهل الحق ورقدة أهل السنة الطويلة، بالإضافة إلى عوامل كثيرة معروفة على رأسها الحكام والحكومات الخائنة المرتدة عن الإسلام التي ابتليت بها أمتنا وكان نموذجها في العراق صدام حسين الخائب.

أما اليوم -وهو ما لم ينتبه له الرافضة في غمرة سكرتهم وغرورهم- أما اليوم فإن أهل السنة قد صحوا من رقدتهم وانتبهوا من سباتهم فما عاد للشيعة الرافضة مجال وهذا نهاية المطاف لتقدمهم وزحفهم.. اليوم استيقظ أهل السنة في كل مكان وهم يرون دين الشيعة؛ دين الشرك والقبور ودعاء غير الله، دين الخرافة والطقوس الوثنية والبكاء والسواد والجاهلية! انتبهوا في كل مكان إلى هذا المنكر والدين المبدّل المنسوب ظلما وزورًا إلى الإسلام، وعرفوا كم كانوا غافلين عن الشيعة ومخدوعين فيهم

وفي إيران والخميني وغيره.!

ففي الوقت الذي كان أهل العمائم السوداء من الروافض «يشربون أنخاب النصر» -وذلك لائق بهم- ويتمايلون على الفضائيات فرحًا وجذلًا ويتبخترون في كلامهم ويتحدّون العالم بأنهم قادمون ومنجزون ما أرادوا وخططوا وأن هذه فرصتهم التي كانوا ينتظرونها منذ قرون كان أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها ولا سيما أجيالها الصاعدة الشابة من أبناء الإسلام يتنبهون من غفلتهم ويتعرّفون لأول مرة على هذه الطائفة المارقة الكافرة ومعتقداتها الباطلة وفسادها العريض وتحريفها لدين الله وعداوتها لله ولرسوله ولأصحاب رسوله وللمؤمنين، وتزييفها للتاريخ الإسلامي وتشويهها للإسلام.! ملايين المسلمين في مصر والمغرب العربي وأفريقيا على سبيل المثال لم يكونوا يعرفون الشيعة لأنهم لم يبتلوا بهم وما رأوهم في بلادهم وإنما كان بعضهم يسمع عنهم في الكتب ولا يدري عنهم شيئا ولا يهتم لأمرهم، ومثلهم كثير في سائر بلاد الإسلام، وفي عُقر دار الإسلام وجزيرة التوحيد وفي بلاد الشام.. أما اليوم فقد عرفوهم وشاهدوهم على الفضائيات.

فنقول للشيعة: أبشروا بما يسوؤكم.. واعلموا أن هذه بداية النهاية لكم.. فإلى هنا تمت فرصتكم وانتهى المطاف بكم، وبعد الآن لا خوف ولله الحمد من مدّ شيعي ولا تأثير خميني ولا غيره على أهل الإسلام، ووالله الذي لا إله إلا هو خذوها مني نصيحة أيها الرافضة: إنه أن تعيشوا في كنف أهل الإسلام أهل السنة كما كنتم وتأمنوا على عيشكم وما يسدّ حاجة كروشكم خيرٌ لكم من هذا المولج الذي ولجتموه أن تحاولوا أن تنازعوا أهل الإسلام الرياسة.!

وإن لم تسمعوا نصيحتي فوالله ليأتين عليكم يوم تتمنّون أن لو سمعتموها ولم تركبوا غروركم ورضيتم بما كتب لكم في كنف أهل السنة أذلةً صاغرين.. كفانا الله والمسلمين شرهم وشرَّ كل ذي شرّ.. اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك آمين.

عطية الله

٢٠٠٥/٢/١

۞ تعليق على بيان المفتي «آل الشيخ» في الجهاد!

«بيان الشيخ»[(١)] عادي ومتوقع بالنسبة لرجل في مقامه وعلى رأيه وليس فيه شيء جديد تقريبا..

هو بيان تذكيري بالمناسبة الحاضرة -الحملة السعودية، والمؤتمر الدولي ضد الإرهاب!- وهذا هو رأي الشيخ ومذهبه في المسألة ولن نناقشه؛ لأننا لن نريد أن ننصب أنفسنا لذلك الآن وفي هذا المكان أيضا.

لكن أرجو أن يكون من الخير أن نطرح بعض الملاحظات، مع الأخذ في الاعتبار طبعا أن كلام الشيخ هو بيان مختصر وليس بموضع بحث للمسألة؛ فلا نحمّله ما لا يحتمله، ولكنه مع ذلك هو يجمع أصول الفكرة في القضية:

(١) كالعادة في تناول مشايخ «الدولة» لهذه القضية تجدهم لا يتناولونها بصراحة تامة؛ فإن محور القضية والخلاف والسبب الذي جعل الشباب يخرجون على الحكومة وينابذونها أنهم يرونها حكومة ارتكبت الكفر البواح فحلّ الخروج عليها ومنابذتها بالسلاح وخلع اليد من طاعتها.. هذا هو لب المسألة، وكل ما زاد على ذلك فهو من مُلح المسألة لا من صلبها.

هذا هو محل النزاع ولب المسألة، وهذه وجهة نظر الخارجين على الحكومة ولهم حججهم وطرحهم العلمي خالفتهم أو وافقتهم، ولهم علماء يوافقونهم في ذلك ولو سرًّا وعلى خوفٍ.!

(٢) إذا تقرر ذلك؛ فإن محاولة إغلاق الباب الذي تجيء منه الريح بالقول: إنهم يتصدون للكلام في دين الله ﷻ بغير علم يؤهلهم لذلك، وأنهم جهلة وما شابه ذلك.. لا يغني كثيرا، ولعله يوشك أن ينطق بعض العلماء المعتبرين عند الجميع بنصر هؤلاء الشباب! فماذا سيقولون بعدها؟ ربما سيدّعون الإجماع ويصفون من خالفهم بالشذوذ ومخالفة الإجماع ونحو ذلك.

(٣) الملاحظة الأخرى الدائمة على كلام مشايخ «الدولة» أن في كلامهم تعميمًا وبعدًا عن الدقة والإنصاف: كقول الشيخ في تعداده لجرائمهم: «تكفير المسلمين»، وقوله: «سعيهم إلى الإخلال بأمن هذه البلاد» وقوله: «سعيهم لانتقاص هيبة هذه البلاد الإسلامية وتسليط الأعداء عليها وفتح ثغرات

---

(١) هذه المقالة تعليق على مقال مفتي «السعودية» عبد العزيز آل الشيخ، المعنون بـ: «بيان هام وعاجل من المفتي إلى عموم المسلمين»، والذي كتبه مطلع الشهر الثاني عام ٢٠٠٥م، وهو قرابة الخمس صفحات، منشور على موقع «صيد الفوائد».

لأهل الكفر على أهل الإسلام».

فإن كل منصف يعلم أنهم لا يكفرون المسلمين بهذا الإطلاق، وأن هذا تعميم فيه ظلم لهم، ولعل مراده التشنيع عليهم بأنهم ضالون في الاعتقاد والعلم، وهو ما نسمعه دائما من مشايخ الدولة حين يصفون الشباب بأنهم خوراج وكلاب النار.

وكل منصف يعرف أنهم من حيث الأصل النظري العلمي على مذهب أهل السنة الجماعة في مسألة التكفير؛ جملته وتفاصيله، لا يرون الخروج عنه، بل هم متمسّكون به نابذون لمن خالفه، هذا معروف لا شك فيه.. وإنما أكثر الخلاف في تطبيق بعض المسائل على الواقع، والمسألة المقصودة هنا هي: هل كفرت الحكومة بما ارتكبت أو لا؟.

وكل منصف يعلم أنهم لا يريدون الإخلال بأمن هذه البلاد لمجرد الإخلال بأمن هذه البلاد، فليس في الدنيا عاقل يريد أن يخلّ بأمن بلده ووطنه لمجرد ذلك أو يجعل ذلك مقصدًا له لذاته.. هذا تعدٍّ عليهم وعدم إنصاف.. وهو يشبه قول الطاغية الصليبي «بوش» عن المجاهدين: إنهم يكرهون الحرية.!

لكن حقيقة الأمر أنهم لما رأوا كفر الحكومة وخروجها عن الشريعة وحربها لهم ولأهل الجهاد وغير ذلك رأوا مشروعية الخروج عليها ومنابذتها، وبطبيعة الحال أنه يلزم من ذلك وقوع الخلل في الأمن في البلاد، فهي الحرب، وما الحرب إلا ماعلمتم وذقتموا!! وإلا فكذلك يقال في كل من خرج على حكومة كافرةٍ؛ إنه يريد الإخلال بالأمن فيُمنع من ذلك مطلقًا، وهذا لا شك في بطلانه وينبغي أن يكون متفقًا على بطلانه، لأن الإجماع منعقد على مشروعية الخروج على الحاكم إذا كفر كفرًا بواحًا كما نصت عليه الأحاديث المستفيضة، وهذا لا يخالف فيه الشيخ عبد العزيز ولا غيره من حيث هو مبدأ، وإنما الخلاف مع الشباب الآن.. هل وصلت الحكومة السعودية إلى هذا الحد أو لا؟

وبالفعل، قد وصل الحال ببعض غلاة مشايخ «الدولة» إلى التلميح إلى أن الأمن أهم من الدين ومقدّم عليه وقبله، وإن لم يجرؤ كثيرون على التصريح به عند المضايقة في النقاش.. وإذا يسّر الله سأفرد له مقالًا.

ومثل ما سبق يقال أيضا في قوله: «سعيهم لانتقاص هيبة هذه البلاد الإسلامية وتسليط الأعداء

عليها وفتح ثغرات لأهل الكفر على أهل الإسلام»!!

معاذ الله أن يكون مقصود الشباب من يوسف العييري والمقرن ومن معهم أن ينتقصوا هيبة هذه البلاد لذاتِ هذا الأمر، -ولو قال هيبة الحكومة أو الدولة لربما صحّ- أو أن يسلّطوا الأعداء عليها، أو يفتحوا ثغرات لأهل الكفر على أهل الإسلام.. سبحانك هذا بهتان عظيم في حقهم ولو لم نعرفهم لكان يمكن أن يمشّي علينا من يمشّي لكن يأبى الله.!

فإن قيل: إن المقصود أن هذا هو مآل أفعالهم ونتيجته ولازمه، فنقول ما تقدّم: هي الحرب، ومن صمّم على الحرب ودخل في مشروعها هو عارف بذلك وحاسب له، فليكن النقاش إذن في الأصل.

ثم لا يسلّم أن ما ذُكِر لازم بالضرورة أو أنه بالضرورة مفسدة أعظم مما هو واقع بالفعل، أعني انقاص هيبة الدولة وما ذكر معه.

(٤) من الملاحظات أيضا أن الشيخ يحاول إصلاح ما يمكن بحسب اجتهاده، ونرجو أن يكون مأجورًا معفوًّا عنه خطؤه إذا أخطأ، ولكن الحكومة في الواقع لا تساعده؛ فإن المؤتمر المزمع انعقاده اليوم -ولعله بدأ في هذه الأثناء- لا يخدم ما يدعو إليه الشيخ، لأن دلالته أن الحكومة بدل أن تصلح نفسها على حسب الشريعة وتعترف بأخطائها وتؤوب إلى الله تعالى وتستغفره وتتوب إليه وتناقش المسائل التي انتقدها عليها الشباب المجاهدون، وتصلح ما حقه -شرعًا- الإصلاح.. بدلًا من ذلك فإنها تتمادى في غيّها وأخطائها وترتكب أخطاء جديدة وتتراكم عليها المشاكل وهي تظن أنها تحقق نجاحات وأنها بصدد التغلب على الشباب.!!

ألـم تدرِ الحكومة من تجارب الأمم والشعوب والدول أنها بهذا الشكل قد تتغلب على جماعة «المقرن»، ثم ما يلبث أن يخرج عليها جماعة أخرى أشد وأنكى وأقوى حجة وقد يكون على رأسهم في المرة القادمة علماء كبار مطاعون!

فهذا المؤتمر الذي تجتمع فيه الحكومة السعودية مع أمريكا الصليبية الظالمة العاهرة حامية الظلم والعهر ومفسّقة العالم وراعية الإرهاب الظالم، ومع بريطانيا وباكستان والكثير من الدول التي لا يناقش ولا يجادل مسلم عاقل أنها عدوة للإسلام وأهله، لكي تناقش مشاكل الشباب المسلم، وتحاربهم وتسعى في سبيل القضاء عليهم.. هذا هل يساعد دعوة الشيخ أو يساعد الحكومة ويمنحها

نصرا على المستوى الشعبي والإسلامي؟؟ بالعكس، سيفاقم من مشاكلها الاعتبارية عند شعبها وعند جميع المسلمين، وسيظهرها أكثر وأكثر في صف أمريكا وبرويز مشرف وأعداء الإسلام.

هذا هو يا شيخ ما ينقص هيبة الدولة، وهذا هو السعي الحقيقي لقتل المسلمين وترويع الآمنين.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهؤلاء الشباب الخارجون على الحكومة هم مسلمون، والشيخ لا يكفّرهم بحمد الله؛ فكيف يجوز يا شيخ للحكومة أن تتعاضد وتتعاون مع الكفار الأصليين الصليبيين الحاقدين المعتدين الإرهابيين الظالمين على قتل وسجن وقهر هؤلاء الشباب.. أليس هذا من أعظم المنكرات أيضًا.؟!

يعني في النهاية: ماذا يريد الشباب؟ يريدون الدولة و«الحكم» ويريدون أن نتخلّى -نحن بني سعود- عن الحكم؛ فلنتخلّ ونترك، وهذا هو «الحكم» خذوه!

ولكن لا أقف في صف الكفار ضد أخي المسلم الذي بغى عليّ!

معلوم أن هذا مستحيلٌ، وغير ممكن في حكم العادةِ، لكن هو الحق، وهو خير من عذاب النار وبئس القرار.

هذا ما تيسّر من التعليق الساعة على بيان المفتي، وإلى الله وحده المشتكى..

نسأله تعالى الهدى والسداد.

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٤/ ٢/ ٢٠٠٥]

من قتل الحريري؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا والله محتار بالفعل في الجهة التي عملت هذا العمل! وسأستعرض بعض الاحتمالات بسرعة وأعلق عليها:

أما الإخوة المجاهدون في القاعدة فمن المستبعد جدًا إذا كان الأمر يتعلق بالقاعدة المعروفة فليس عندهم غرض الآن في مثل هذا العمل فيما أظن وليس قتل شخص كهذا مهما كان حكمه هدفًا مباشرًا له أولوية بالنسبة للقاعدة وفصائلها الآن..

ولكن المشكلة الآن أنه ممكن توجد مجموعة صغيرة من الشباب في أي مكان ويقومون بأعمال باجتهادهم؛ فينسب للمجاهدين وللقاعدة، فهذا محتمل لكنه حينئذ ليس عمل القاعدة، وإنما عمل جماعة محلية صغيرة مثلا.

وأما سوريا فظني أنها لا تقدم على مجازفة بهذا الشكل، اللّهم إلا في لحظة طيش غير عادية.! وهذا قد يحصل على فكرة فلا تستبعدوه بالكلية ولا سيما في الأنظمة المستبدة الدكتاتورية التي لا تصدر القرارات فيها عن منظومة سياسية سليمة.

وأما اليهود والأمريكان فلستُ متأكدًا من كون اليهود يريدون حدوث فوضى في لبنان، لكن يبقى الاحتمال الأقوى من هذا أن أمريكا يمكن أنها هي وراء العمل وهدفها التمهيد لحصار سوريا وإخراجها من لبنان بالكلية وربما ضربها أو حتى غزوها..

ومما يلفت الانتباه هنا أن الأمريكان قالوا في أول تصريح لهم على الحادث إنهم سيعاقبون الفاعل!! فهم عينُهم على الفاعل من البداية، وهو على الغالب -حسب مرادهم- سوريا.

وهناك احتمالات أخرى كأن يكون الحادث من فعل قوى سياسية محلية متصارعة.. وهذه لا أعرفها جيدًا ولا أستطيع الكلام فيها لعدم إلمامي الجيد بواقع لبنان!

وبالنسبة **للنقطة الثانية**: فإنني أتوقع أن يكون التأثير على العالم الإسلامي إيجابيًا لا سلبيا إن شاء الله، سواء كان وراء الحادث أمريكا أو غيرها، فإذا غزت أمريكا سوريا فهذا في النهاية في صالح المسلمين، وإن بدا ظاهره غير ذلك بادي الرأي كغزو العراق، وبالتالي هو تقوية للمجاهدين في العراق وغيرها وفتح لأبواب واسعة للحركة الجهادية وإحياء فوق إحياء للأمة والعاقبة للمتقين، وإذا اكتفت أمريكا بمعاقبة سوريا ببعض الأساليب وبإخراجها من لبنان فهذا أيضا ليس فيه ضرر على الإسلام والمسلمين لأن سوريا بالنسبة للمسلمين السنة هي على حد معلوماتي شرّ في لبنان، ودعمها وولاؤها

إنما هو للروافض.

وفي حال حصول اختلاط للأمور في لبنان وحرب أهلية وطائفية ففيها شر كبير لا شك على المسلمين والضعفاء في البلد نسأل الله أن يقيهم شرها ويلطف بنا وبهم، ولكن نرجو أيضا أنها في المجمل خير للإسلام والمسلمين وللمجاهدين في العراق وغيرها.. وعلى العموم أنا عندي بشكل عام تفاؤل بالنسبة لجريان الأحداث بعد الحادي عشر من سبتمبر، وظني أن الأمور تسير في صالح الإسلام والمسلمين وانتصار خيار الجهاد ونهضة الأمة ونشوء أجيال أفضل منا نحن وتحول العلاقة بيننا وبين الغرب وأوليائهم من الحكام الخونة إلى علاقة مبنية على الدين وهي هنا البغُض والعداء والبراء ثم المجاهدة الفعلية إلى النصر والفتح إن شاء الله.

بالنسبة **للنقطة الثالثة**؛ فرأيي أننا لا ننصح هؤلاء الطواغيت ولا نقترح عليهم شيئا، بل هم ميؤوس منهم في نظري أن يفعلوا أي شيء من الخير والنصر للأمة، ولا ينفع أي تحالف أو تعاون معهم على أي مستوى من المستويات ولا على نصف خطّة..! وقد يرد على الذهن هنا: (**والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها شعائر الله إلا أجبتهم إليها**)[1] فعندي أن هذا ليس منه.

وإنما نحن ننصح حكام العرب والمسلمين ونقترح عليهم أن يرجعوا إلى دينهم ويتوبوا إلى الله مما هم متلبّسون به من الكفر والموبقات والخيانة ويحكّموا شريعة الله ويلتزموا بها، وبعد ذلك نحن نقول لهم كيف يفعلون إذا أرادوا نصيحتنا على التفصيل.

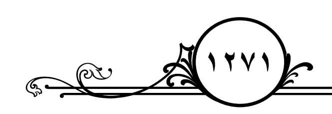
وبالنسبة **للنقطة الرابعة**: بم ننصح القيادات الإسلامية والمفكرين والمثقفين المسلمين؟ فأهم شيء بنظري هو عدم الانزلاق وتجاوز الخطوط الحمراء للشريعة، ومن مظاهر ذلك التباكي على الطواغيت ومدحهم وإعلان الوقوف معهم، وإعلان التضامن مع الزنادقة والملحدين والخونة من أجل الأوطان ونحو ذلك.

ثم بعد ذلك هناك باب واسع من السكوت أو قول كلمةٍ «سياسية» و«دبلوماسية» يمشّي بها الإنسان إذا اضطر ولم يكن قادرًا على قول كل شيء، كقول: إننا نرفض مثل هذا العمل الذي لا يخدم مصلحة الأمة، أو نحو ذلك.. أو إلقاء مغبّته على جهة معادية مشهورة كإسرائيل.

لكن لو ثبت أن المجاهدين هم من قام بهذا العمل، فمهما كان رأينا أنه غير مناسب وأن العمل في نفسه خطأ سياسي فهذا لا يغير كوننا مع المجاهدين في الجملة، وأولياؤهم من دون الطواغيت

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٣١) بلفظ: (**والذي نفسي بيده.. شعائر الله**)، مسند أحمد (١٨٩١٠) وحسن إسناده الأرنؤوط.



وأشياعِهم..! اللّهم إلا أن يجيء من ذلك أمرٌ لا مصمد له، نسأل الله الستر والعافية.

وعليه.. يكون دورنا نصح المجاهدين وترشيدهم وإصلاح الخطأ بما يمكن ودفع ضرره بما نستطيع أو قد ننصحهم بالتبرؤ منه وإن فعلوه خطأ ونكذّب ذلك، فهي الحرب!

فعلى أهل الخير من قيادات العمل الإسلامي والمفكرين والمثقفين أن يتقوا الله ويعملوا بالمبدأ الذي علمنا الله والمتضمّن في هذه الآية الكريمة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[البقرة: ٢١٧].

وليعلموا أنها فتنٌ واختبارات ومحكّات يبتلي الله بها عباده ليعلم الصابر الثابت على دينه واختياره من الباذل دينه لأبسط عارضٍ ولمصلحةٍ شخصية ودنيوية.

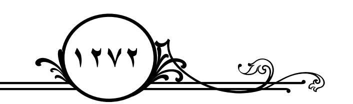
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد]

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٢٦]

والله أعلم

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٥/ ٢/ ٢٠٠٥]



حكم قول «وامعتصماه»، وأنواع الذرائع عند الفقهاء

عبارة «وا فلاناه» تسمى في العربية «النُّدبة»، وهي قسم من أقسام النداء: أداتها الأشهر هي «وا»، وقد تستعمل لها «يا» أيضا، ويضاف إلى المنادى بها -ويسمى المندوب- ألفٌ في آخره، أو ألفٌ وهاء وهي هاء السكت -هذا في حال الوقف-.

والحاصل في معنى هذا الأسلوب العربي الفصيح البديع أنه نداء، واستغاثة، ونَدْبٌ إلى إيقاع فعلٍ.

وحينئذ فهي كسائر أنواع النداء في حكمها الشرعي.

ولها معنى آخر سأذكره.

فأما قول المرأة ساعتها «وا معتصماه»[1]؛ فإنها استغاثت بأمير المؤمنين لكي ينتقم لها ويأخذ لها حقها وينتصر لها من عدوها، وهذا مشروع بلا شك ولا خلاف؛ بل هي هنا فاعلةُ خيرٍ محمودةٌ ممدوحةٌ، وهذا لا يحتاج إلى تطويل.

وكذلك ما كان على هذا المنوال مما فيه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه ويدخل تحت كسبه عادةً ونداؤه، ولله الحمد.

وأما لو قال قائل الآن «وامعتصماه»؛ فهذا الغالب الذي لا محيد عنه في التأويل عند العقلاء أن يحمل على «الحكاية»، أي حكاية قول تلك المرأة إشارة إلى واقعة استغاثتها بالمعتصم ﵀ وانتصاره لها وفتحه عمورية.

ولا حرج إن شاء الله في استعمالها على وجه الحكاية.

لأنه لا يتصوّر -في الغالب الذي يكاد يكون المستيقن- أن أحدًا يستعملها الآن على معنى أنه يستغيث بالمعتصم الميّت ﵀.

فلو قُدّر أن أحدًا قصد ذلك فحكمه حكم من يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده فهو شرك!

لكن هذا كما قلتُ إنما هو على هذا الفرض والتقدير ولكن لا يوجد في الخارج -في الواقع- إن شاء

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٦/ ٣٨) قال ابن الأثير: «ذِكْرُ فَتْحِ عَمُّورِيَّةَ: لَمَّا خَرَجَ مَلِكُ الرُّومِ، وَفَعَلَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ مَا فَعَلَ، بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ اسْتَعْظَمَهُ، وَكَبُرَ لَدَيْهِ، وَبَلَغَهُ أَنَّ امْرَأَةً هَاشِمِيَّةً صَاحَتْ، وَهِيَ أَسِيرَةٌ فِي أَيْدِي الرُّومِ: وَامُعْتَصِمَاهُ! فَأَجَابَهَا وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِهِ: لَبَّيْكِ لَبَّيْكِ! وَنَهَضَ مِنْ سَاعَتِهِ، وَصَاحَ فِي قَصْرِهِ: النَّفِيرَ النَّفِيرَ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ، وَسَمَّطَ خَلْفَهُ شِكَالًا، وَسِكَّةَ حَدِيدٍ، وَحَقِيبَةً فِيهَا زَادُهُ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ الْمَسِيرُ إِلَّا بَعْدَ التَّعْبِئَةِ وَجَمْعِ الْعَسَاكِرِ؛ فَجَلَسَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ».

الله.. وبالتالي فلا التفات إليه.

بقي معنى آخر للندبة وهو التفجّع والتوجّع للشيء! كقولنا: «وا إسلاماه»، و«وا وَطَناه»، و«وا أخيّاه» و«وا رأساه»، ونحوه..

واستعمالها على هذا الوجه كثير في مقاصد الناس وبلاغتهم عامّتهم وفصحائهم قديمهم وحديثهم، وواضح فيه أن النادب «المنادِي» لا يدعو أحدًا؛ أي لا يستدعي حضوره ولا عَونه، بل هو أشبه أن يدعوَ له ويتحزّن عليه.

تنبيه: اشتهر عند العرب عبارات من هذا الباب -باب الندبة- استعملوها لمعانٍ مخصوصة عرِفت من عُرفهم لا تخرج عن معاني هذا الباب مثل قولهم: «واصباحاه»، أو «يا صباحاه» -استخدمها سلمة بن الأكوع ﵁ في الحديث المعروف[1]- للنداء للحرب والفزع للسلاح، و«واسوأتاه» -للتفجّع من مصيبة عِرضٍ ونحوه-، و«وا رأساه» -للتوجع من مرض وصداع ونحوه-، وقد استعملها النبي ﷺ في حديث عائشة كما في «صحيح البخاري»[2] وغير ذلك.

والله أعلم.

[تكملة]

تعرفون أن الذرائع درجات وليست درجة واحدة.

والعلماء في مبحثها من أصول الفقه قسموها إلى ثلاثة أقسام: كبرى وصغرى ووسطى[3].

أما «الكبرى» فهي التي عليها الإجماع ولا خلاف في اعتبارها كما قاله «القرافي» وغيره؛ كبيع العنب لشركة تصنيع الخمور لغرض تصنيعه خمرًا.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٠٨].

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٤١، ٤١٤٩)، صحيح مسلم (١٨٠٦، ١٨٠٧)، واستعملها النبي ﷺ كذلك لما صعد الصفا أول الدعوة، قال: (**يا صباحاه**) كما في: صحيح البخاري (٤٨٠١)، صحيح مسلم (٢٠٨).

(٢) صحيحه (٥٦٦٦)، وبوب عليه البخاري: «بَابُ قَوْلِ المَرِيضِ: إِنِّي وَجِعٌ، أَوْ وَا رَأْسَاهْ، أَوِ اشْتَدَّ بِي الوَجَعُ».

(٣) الذي أعرفه في تقسيمات أهل العلم للذرائع انها ثلاثة أقسام: قسم أجمعت الأمة على سده ومنعه وحسمه؛ كحفر الآبار في طريق المسلمين، وقسم أجمعت الأمة على عدم منعه وأنه ذريعة لا تسد ووسيلة لا تحسم كالمنع من زراعة العنب، وقسم اختلف فيه العلماء؛ هل يسد أم لا؟ كبيوع الآجال عند المالكية، والحكم بالعلم، وقد بلغ هذا نحو ألف مسألة. انظر: الفروق للقرافي (٢/ ٣٢، ٣/ ٢٦٦). وتقسيم الشيخ هو فهمه للمسألة، وهو تقسيم جيد لعله استفاده من أشياخه الشناقطة؛ فالكبرى القسم الأول، والصغرى القسم الثاني، والوسطى القسم الثالث، وبتأمل الأمثلة يتضح المراد، ولا مشاحة في الاصطلاح، والله أعلم.

وأما «الصغرى» فغير معتبرة بلا خلاف أيضًا، ومثالها: غرس العنب، مع العلم أن في البلد أو في الدنيا من يتخذه منه الخمر.

وأما الوسطى فهي التي يتجاذبها الطرفان، وهي التي وقع فيها الخلاف بين العلماء وهي محل الاجتهاد والنظر والسجال، وهي التي يختلف في تقديرها المجتهدون؛ فمن ألحقها بالأولى اعتبرها، ومن رأى قربها من الثانية ألغاها.. وكل ذلك في كل مسألة على حدتها.

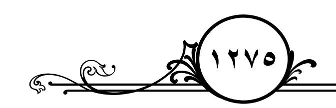
وعليه؛ فإن كون قول القائل الآن «وا معتصماه» -مثلا- ذريعة للشرك؛ فيمنع من أجل ذلك محل بحث!

وعلى كل حال.. أنا لا أحفظ في المسألة شيئا عن العلماء، وإنما قلت أعلاه باجتهادي: أنها إن كانت على سبيل الحكاية فلا بأس بها إن شاء الله، لما بيّنته هناك.

وأظن الأحسن في مثلها مشاورة العلماء، والصدور فيها عن رأي جماعتهم وجمهورهم لأنها كما قلت مسألة اجتهاد وتقدير.

والله أعلم، وهو الموفق للصواب.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٥]



۞ تعظيم الرسول ﷺ، وبيان وصفه بأنه «فنان تشكيلي»

[سأل سائل عدة أسئلة من ضمنها: هل يصح وصف الرسول ﷺ أنه فنان تشكيلي؟ فأجاب الشيخ رحمه الله]

نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم، والله المستعان..

تضمن سؤالك عدة قضايا، ويبدو أن صاحبك «امْخَلّطْها» إذا صحّ ما تنقله عنه!

ولعلي أفيدك بشأن القضية الأولى على الأقل:

فبغضّ النظر عن الشخص المعيّن الذي تقصده؛ فقد يكون قال هذا الكلام بشكل مختلف قليلا، أو في حالٍ ما وكان قصده حسنا من توصيل فكرة لمخاطَبيه أو غير ذلك، وقد يكون أيضا قليل الدين والأدب، كله ممكن ونحن لا نعرف الرجل، لكن نتكلم عن الكلمة التي نقلتها.

فإن القول بأنه ﷺ كان فنانًا تشكيليًا -هكذا-!! هذا قول شنيع لا يليق بلا شك، ولا يجوز إطلاقه، وفيه قلة أدب وقلة احترام وتعظيم للنبي ﷺ، وينبغي لقائله أن يستغفر الله ويتجنب مثل هذه الإطلاقات غير المحترمة في المستقبل، إذا كان قصده حسنًا.!

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج]

ولا نطيل بذكر وجوب احترام النبي ﷺ وتعظيمه وتوقيره، وتحريم كل ما ينافي ذلك، فإن هذا مما علم من الدين بالضرورة، وهو مبنى الإسلام ومن صميم معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ووجه كون هذه العبارة مما لا يجوز وأنها منافية للتعظيم والتوقير الواجب له ﷺ؛ أن ما يسمى بـ«الفن التشكيلي» هو نوع من أنواع الفنون البشرية، التي هي من جنس التصوير «الرسم»، وهي في أقل مراتبها -حيث جازت- من الأعمال الحقيرة التافهة، وفي بعض مراتبها هي من الحرام الممنوع المنافي للدين، والغالب على أهل هذه الصنعة الفساد والفسق والخروج عن الدين والارتباط بسائر الفنون الفاسدة والمعارف الكاسدة، وكل ذلك معلوم لدينا اليوم نحن أبناء هذا العصر.

فمن هنا فإن وصف النبي ﷺ بأنه كما قال هذا القائل فيه من عدم الاحترام ما لا يخفى.

فالنبي ﷺ هو رسول الله إلى الناس كافة، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وخير خلق الله أجمعين، وليس فنانًا تشكيليًا.!

أما إن قال إنه ﷺ استخدم الرسم أو «الفن التشكيلي» في واقعة معينة كما أشار إليه فهذا أمره أخف، مع أنه أيضا لا حاجة إليه، وإنما نقول: خط رسول الله ﷺ خطوطًا كما جاءت به الرواية[١] عن الصحابة العارفين بمقام النبي ﷺ وتعظيمه، أو نقول رسم خطوطًا أو عبارة مشابهة.

والذي خط خطًّا أو رسم شكلا معينا لتوضيح معنى من المعاني لا يقال له رسّام أو فنان أو ما شابه، فضلا عن أن يعدّ ظلما وزورا من أصحاب هذا الفن الفاسد التافه وينسب إليه.!

والله المسؤول أن يصلح الأحوال ويهدي المسلمين لكل خير

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٥]

---

(١) يقصد به حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: (**هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا**)، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ)، انظر: مسند أحمد (٤٤٣٧) وحسن إسناده الأرنؤوط، سنن ابن ماجه (١١) وصححه الألباني، مستدرك الحاكم (٢٩٣٨) وصححه الذهبي في التعليق.

حول إسبال الإزار

[تعليقًا على رسالة «طرح العتاب في جواز إسبال الثياب» كتب الشيخ رحمه الله ما يلي]

جزاك الله خيرًا، بحث مفيدٌ.

وتنبيهه إلى هذا القول الذي هو قول جمهور العلماء في محله(١)، فإن أغلب شباب الصحوة -من الاتجاه السلفي، إذا لزم التعبير- يجهلون ذلك، وأكثر من يفتي في هذه المسائل في عصرنا -من السلفيين أيضا إذا لزم التعبير؛ لا يذكرون للناس هذا القول، وهذا لا يحسن؛ بل الأمانة العلمية والتربوية تقتضي ذكر ذلك وبيانه بحسبه.

لأن أهميّته تكمن -بالدرجة الأولى- في فقه «الإنكار»؛ فمن عرف أن القول بأن جر الثوب من غير خيلاء ليس محرّما عند أكثر الفقهاء، فإنه وإن رجّح خلافه -كقول الشيخين ابن عثيمين وابن باز- فإنه يكون أوسع أفقًا في الإنكار والدعوة والبيان، وأوسع عذرًا للناس ومراعاةً.. ويتّزن في فهمه ويكون أقرب إلى العدل، وينزل الحكم الشرعي منزلته من غير مبالغة ولا تفريط.

هذا مع أن المسألة تحتمل بحثًا أكثر ومراجعة، وفي بعض ما كتبه صاحب البحث بحثٌ.

وعلى القول بأن الجر بدون خيلاء غير محرّم فهلا قيل بكراهته؟ -وقد صرح بها بعض الفقهاء ونقل بعضها أخونا الباحث(٢)- لكونه مظنة الكبر والخيلاء في كثير من البلاد والأحيان، ووسيلة إليها في بعض الأحيان -لا أريد أن أقول غالب الأحيان-، وللاحتياط بالخروج من الخلاف، ولأنه حيث احتمل أنه يجره للخيلاء وأنه يجرّه بدون خيلاء فإن الحزم المنع منه..

والله أعلم.

بالمناسبة: القول بأنه إذا كانت عادة القوم جر أثوابهم فإن من جر ثوبه منهم جريًا على عادتهم، أنه لا يدخل في الوعيد الوارد، هذا القول يحتاج إلى مزيد تأمل، وينبغي ألا يكون على إطلاقه، فأنا أعرف

---

(١) قال في مطلع البحث: «هذه نتف من أقوال الأئمة على مر القرون، في مسألة إسبال الثياب، جمعتها في هذه الأوراق عسى أن تصحح المفاهيم؛ ذلك لأن الشائع من المؤلفات التي ترد علينا في هذا الباب يعطي انطباعًا خاطئًا.. حتى إنه ليخيل لقارئها أنه ليس في المسألة غير قول واحد و هو التحريم، و هذا خلاف ما كان عليه علماء الأمة من السلف»، والبحث متوسط، كتبه: عبد الوهاب مهية.

(٢) نقل من ذلك كلام النووي رحمه الله في «المجموع»: «يحرم اطالة الثوب والإزار والسراويل على الكعبين للخيلاء، ويكره لغير الخيلاء، نص عليه الشافعي في «البويطي» وصرح به الأصحاب»، .

في موريتانيا -مثلا- عادة الناس جر أثوابهم «الدّرّاعة»، وحين تفتّش عمّا وراء ذلك تجد الكبرَ من العوامل الأساسية في المسألة؛ بدليل استخفافهم بمن يقصّرها، واستحيائهم من تقصيرها خوف المهانة والضّعةِ!!

والله الهادي إلى سواء السبيل.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٥]

مجاهدة المرتدين وقتالهم

ما يُعترض به على قتال المرتدين في هذا الزمان؛ يمكن أن تعترض به أيضا على قتال خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين للمرتدين.

وينبغي أن يُعلم أن الشروع في إجراءات الانخراط في جيش حكومة «علاوي» الكافرة هو كفر واضح لا إشكال فيه إن شاء الله.

سؤال: بعض المنتسبين إلى الإسلام شرعوا في إجراءات الانضمام إلى صفوف الجيش الأمريكي، وها هُم الآن مجتمعون أمام أحد المراكز -مكان عام في المدينة اتخذوه لهذا الغرض وليس قاعدة أمريكية- لإتمام الإجراءات؛ فهل يجوز لنا نحن المجاهدون ضرب هؤلاء المتجمّعين بصاروخ أو قنبلة؟ -ولو نفترض أننا في حالتنا هذه متأكدون أنها لن تصيب أي أحد مدني من عامة الناس حتى لا نناقش الآن مسألة التترس-؟

طبعا أنا لو كنت أعرف أنهم رجال مطافي فلا أجيز ضربهم إلا إذا ثبت أنهم يشاركون بشكل مباشر في حرب المجاهدين.. فأنا لا أساوي!

ولكن أظن أن وضع هذا الاحتمال في هذا المقام أشبه بالتشغيب؛ لأن الفرض أن المجاهدين لا يضربون هدفا إلا بعد جمع معلومات كافية ووافية، وبعد دراسة له جيدة، وهذا ظننا فيهم ورجاؤنا.

فهذا الهدف هو: جيش -وما كان يسمى بالحرس الوطني داخل فيه-، وشرطة -والظن أيضا أنهم ليسوا شرطة مرور مثلًا-.

فإذا تبين غير هذا فيمكن أن يكون هناك نظر آخر.

وقولهم: «رجل الشرطة المتخصص في أمن البلد» غريب! لأن رجل الشرطة المتخصص في أمن البلد هم بذاتهم أول صفوف الحكومة في محاربة المجاهدين والقضاء عليهم وهم من قوتها الضاربة، فإذا كنت لا تجيز ضرب هؤلاء فمعناه أننا نختلف اختلافا كبيرا لا يصلح معه كثير من النقاش السابق.!

وذكري لقتال أبي بكر للمرتدين، لأنه أصل في أحكام هذا الباب، فالصحابة قاتلوا المرتدين وقتلوهم وقتلوا المقدور عليه منهم، وسمّوهم مرتدين، وليسوا كلهم مرتدين عند التحقيق، ولكن سمّوهم مرتدين تغليبًا وباعتبار أن رأسهم -القيادة- كانت للمرتدين منهم كمسيلمة والعنسي وأضرابهم ومن معهم.

فالمرتدون الذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه كانوا قسمين:

- قسم مرتدون في نفس الأمر محكوم بكفرهم وخروجهم من الإسلام، وهم من شهدوا لمسيلمة بالرسالة وكذبوا النبي ﷺ.
- وقسم منعوا الزكاة ولم يرتدّوا، والذي يظهر من كلام الصحابة ومن كلام الفقهاء أن هؤلاء كانوا قسمًا كبيرًا، وهؤلاء مقرّون بالشهادتين وبسائر شرائع الإسلام لكنهم منعوا الزكاة تأوّلًا أو بخلًا بها واستكبارًا أن تدفع لغير قومهم وأنفةً معدّيّةً أن يدفعوا مالًا لسلطانٍ.

وهم الذين قال قائلهم:

أيورثهـــا بكـــرًا إذا مـــات بعـــده   وتلـــك لعمـــر الله قاصـــمة الظهـــرِ[1]

وهم الذين قال فيهم الصدّيق رضي الله عنه: «والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدّونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»[2].

وهم الذين جادله فيهم عمر رضي الله عنه وغيره فقالوا: كيف تقاتل قوما يقولون لا إله إلا الله؟

فاحتج عليهم رضي الله عنه بأنهم منعوا الزكاة، وأن الزكاة حق المال، وأن النبي ﷺ قال: (إلا بحقها) والزكاة حق المال.. ولم يقل لهم: إنهم كفروا وخرجوا من الإسلام.!

ولذلك كان هذا أصلا عند الفقهاء في قتال الطائفة الممتنعة عن شريعةٍ من شرائع الإسلام، وهي عند أكثر الفقهاء لا يُحكم بكفر أفرادها.

ولكن يجوز بل يجب قتالهم حتى يرجعوا إلى العمل بما اجتمعوا على تركه من الدين، ويجوز قتل المقدور عليه منهم إن لم يرجع.

ولهذا قلت لك: «ما تعترض به هنا يمكن أن تعترض به أيضا على قتال خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين للمرتدين»؛ فتقول له: يا أبا بكر كيف استحللتَ أن تقاتل هؤلاء الناس وتسلّط عليهم جيشك وو.. ونحن لا نجزم لكثير منهم بالكفر؟!

فأجبْ!

والشاهد الآن أنه لا لوم على من سمّى هؤلاء الشرطة والجيش العراقي وأمثالهم مرتدّين؟

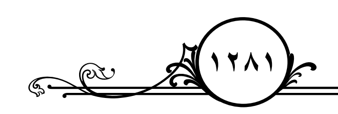
فهم إما مرتدون كلهم فلا إشكال، أو نسميهم مرتدين باعتبار أنهم جنود الحكومة المرتدة.

فالمجاهدون يقاتلون المرتدين، ويقاتلون أولياءهم وأسيادهم الصليبيين.

---

(١) قاله: حارثة بن سُراقة، انظر: كتاب الردة للواقدي (ص ١٧٢).

(٢) صحيح البخاري (٧٢٨٤)، صحيح مسلم (٢٠).



أما أن تقول لي: احتمال فيهم رجل أو -بضعة رجال- نيته صالحة أو جاهل أو لا نستطيع أن نحكم له بالردة عند التحقيق..

فهذا لا يمنع من ضرب هؤلاء جملة ورميهم بالمنجنيق، وتسميتهم على الجملة مرتدين.

وهذا النقاش لا يشمل مسألة إصابة الناس العاديين من المسلمين المارين من الطريق والساكنين بالجوار، فذلك نقاش آخر، ونرجو من المجاهدين أن لا يتهاونوا، والله المستعان.

والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله

وأنصح الإخوة أن يرجعوا إلى علمائهم ويسألوهم كل في ناحيته ومن يثق فيه من أهل العلم الناصحين.

لكن لا يتسرّعوا أن يعارضوا أعمال المجاهدين.

مع العلم أن المناقشة على سبيل المذاكرة والبحث شيء جيد ولا بأس به.

والله المسؤول لنا ولكم التوفيق والسداد.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢/ ٣/ ٢٠٠٥]

القول المختصر في التعامل مع الشيعة

شرعية أهل السنة شرعية دينية ربّانية.

فهم أهل الدين الصحيح -على الجملة-؛ دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ.

وأما الشيعة فمبتدعة ضالون منحرفون عن دين الإسلام؛ خارجون عنه نوعًا من الخروج: خروج كليّ في بعض أفراده وأنواعه، وخروج جزئي في بعضٍ.

الشيعة أصحاب دينٍ مبدّل محرّفٍ غير دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وإن أخذوا منه كثيرا أو قليلًا!!

وبالتالي.. فأحسن أحوال الشيعة أن يبقوا أحياءً ويتمتّعوا بالعيش في ظل دولة الإسلام التي يحكمها أهل الإسلام -السنة-.

وفي أسوأ الأحوال.. أنت فاهم!

والله ناصر دينه ومعزّ أولياءه ولو كره الكافرون.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٧/ ٣/ ٢٠٠٥]

الذب عن سيد قطب رحمه الله

[**جوابا على موضوع بعنوان: «أين رجع الأستاذ سيد قطب عن سبه للصحابة؟» قال الشيخ رحمه الله**]

لا بأس بأن تحرر هذه المسألة، ونقصد بذلك إن شاء الله المقاصد الخيّرة؛ من الذب عن الصحابة وبيان منازلهم الرفيعة، والاعتذار عن الأستاذ سيد رحمه الله، وبيان منهج أهل السنة عند ذكر ما وقع بين الصحابة من فتن واقتتال واختلاف وما شابه ذلك.

ولكن يا أخي الكريم، العنوان الذي وضعته لموضوعك وسؤالك لم يكن في نظري موفقًا؛ فإن الاستاذ سيد رحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه لا يحسُن ولا يليق أن يقال في مثله: سبّ الصحابة!! هكذا بإطلاق، ولو في سياق السؤال؛ فهذا ينافي معرفة قدر الرجل وحسن بلائه في الإسلام والدعوة إلى الله تعالى ودينه والمجاهدة في سبيله وبذله روحه في سبيل ذلك، وصبره لله تعالى وما عُرِف عنه واستُوقِن من حسن الإسلام والمحبة لله ورسوله والنصح لأمة الإسلام، والتعظيم لأمر الله ورسوله وشعائره، والتعظيم للصحابة الكرام رضي الله عنهم على الجملة بلا شك ولا ريب، ولو لم يكتب في ذلك غير «الجيل الفريد» لكان كافيًا رحمه الله ورضي عنه.. آمين.

ومن قرأ كتبه كـ«الظلال» وغيره من كتبه التي كتبها بعد التزامه بالدين واهتدائه إلى التمسك به يرى على كلامه نور الإيمان الاهتداء بالقرآن العزيز وقوة التدين والله حسيبه.. وهذا يعرفه من عقل وأنصف.

فمن العيب وغير اللائق بطالب علم عرف الناس وأقدارهم ومنازلهم أن يأتي ويقول عن «سيد» إنه سبّ الصحابة..!!

وإنما الذي وقع من «سيد» كلامٌ في بعض الصحابة رضي الله عنهم لا يليق، وأخطأ فيه «سيد» بلا شك، ونحن نستغفر له ونسأل الله أن يعفو عنه.

وكلامه في الصحابة الثلاثة الكرام رضي الله عنهم ليس كله أيضا من طبقة واحدة وعلى درجة واحدة.

فمنه ما قد يصح تسميته سبًّا، ومنه ما هو دون ذلك من ذكر مآخذ أو ما رآه هو مآخذ وانتقدها على الصحابي المعين.

ومعروف أن هذا الذي وقع منه خطأ، ولكنه بعيدٌ كل البعد عن ما يرومه القاسطون من رمي

«سيد» -بسببه- بالكفر والضلال المبين.

فإن الكلام في بعض الصحابة بسبب تلك الفتن وقع من جماعة من العلماء بعد عصر الصحابة، وهو وإن كان خطأ استقرت مذاهب أكثر أهل السنة على التشنيع عليه واعتباره مما يجب تركه والكف عنه.. لكنه ليس كمن سبّ الصحابة لدينهم أو لأنهم عربٌ أو قال عنهم على الجملة أقوالًا فيها انتقاص وتحقير.. وحاشا سيدًا أن يكون من ذلك، بل والله هو أبعد ما يكون من ذلك.

إنه على النقيض من ذلك تمامًا.. وما وقع منه كان رأيا له لعله اقتدى فيه أو تأثر ببعض من سبق من أهل العلم ممن أخطأ قبله أو بعض المبتدعة.

ولم يحرر المسألة جيدًا، وكان ظرفه ووقته وانشغاله سبّب له عدم إتاحة فرصة لمراجعة الأمر بشكل مناسب وأصر على كلامه.. فسامحه الله وغفر له.

ولا تقل لي: نصحه فلان؛ فلم يرجع، فإن أمرًا كهذا لمثل سيد ومواهبه لايرجع عنه صاحبه بسهولة في العادة.. فالسبيل هو الاعتذار عنه والاستغفار له وكفى.

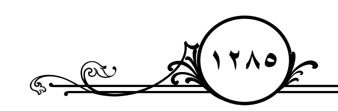
وأذكر ممن وقع منه كلام لا يليق في الصحابة الشيخ «صديق حسن خان» ﵀، وقد علّق عليه العلامة أحمد شاكر في نسخته من «شرح الدرر البهية».. ووقع من غيره قديما أشياء من هذه.

لكن هذه لا يقال في صاحبها إنه سب الصحابة أو حتى انتقص الصحابة، هكذا بإطلاق، بل هو إنما تكلم في صحابي أو بعض الصحابة بسبب آراء سياسية أو تصرفات انتقدها عليهم.

وقد نصّ علماؤنا على أن ذلك خطأ، ولكنهم نصّوا أيضا على أنه ليس بمنزلة من يسب الصحابة أو يطعن فيهم لأجل الدين وما فضّلهم الله به من العلم والفهم والسابقة وحسن الديانة والبلاء في الإسلام.. فبين الأمرين فارق عظيم لا ينبغي لطالب علم أن يغفل عنه أو يخلط.

وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٨/ ٣/ ٢٠٠٥]



۞ التعليق على قصيدة «أبتاه ماذا قد يخط بناني»

قصيدة «هاشم الرفاعي المصري» ﷺ؛ قصيدة مشهورة من عيون شعره[(١)].

وكما ترى فيها النفَس «الإخواني» الحنون زيادة على الطواغيت، سامحه الله وعفا عنه..

«هو طيب الأردان مثلك يا أبي»[(٢)].. الخ هو طيب زيك يا بابا بس يعمل ايه؟ خايف على عياله مسكين، يعني لو ما عملش كده حيموتو عيالو..!!

وللقصيدة معارَضة -على المعنى الأدبي- لشكري مصطفى مؤسس جماعة الهجرة والتكفير -الجماعة الإسلامية، كما سمّاها-.

وهي أيضا جميلة وبديعة، وفيها معاني غاية في الرونق، مطلعها:

أقري العدا من لحمهم أشلاءَ ... وأذيقهم كأسَ الردى لا ماءَ[(٣)]

---

(١) قصيدة الرافعي المعنونة ب: «رسالة في ليلة التنفيذ» مبثوثة في كتب الأدب المعاصر، وقد صوّر فيها محكومًا بالإعدام يخاطب أباه في آخر ليلة من عمره قبل تنفيذ حكم الإعدام، بلغ عدد أبياتها أربعة وستين (٦٤) بيتًا، يقول في مطلعها:

أَبَتَاهُ مَاذَا قَدْ يَخُطُّ بَنَانِي ... وَالسَّوْطُ وَالجَلاَّدُ مُنْتَظِرَانِ

هَذَا الكِتَابُ إِلَيْكَ مِنْ زِنْزَانَةٍ ... مَوْبُوءةٍ صَخْرِيَّةِ الجُدْرَانِ

لَمْ تَبْقَ إِلاَّ لَيْلَةٌ أَحْيَى بِهَا ... وَأُحِسُّ أَنَّ ظَلاَمَهَا أَكْفَانِي

سَتَمُرُّ يَا أَبَتَاهُ لَسْتُ أَشُكُّ فِي ... هَذَا وَتَحْمِلُ بَعْدَهَا جُثْمَانِي

اللَّيْلُ مِنْ حَوْلِي هُدُوءٌ قَاتِلٌ ... وَالذِّكْرَيَاتُ تَمُرُّ فِي وِجْدَانِي

(٢) يعني بذلك قوله في البيت الثامن عشر (١٨) من هذه القصيدة:

هُوَ طَيِّبُ الأَخْلاَقِ مِثْلُكَ يَا أَبِي ... لَمْ يَبْدُ فِي ظَمَأٍ إِلى العُدْوَانِ

(٣) هذه القصيدة للدكتور «صالح سرية» ﷺ وهي ليست لشكري مصطفى؛ فلعل الشيخ وهم، وكذلك ليست هي معارَضة لقصيدة «رسالة في ليلة التنفيذ» التي كتبها الرافعي، وإن كانت قصيدة «صالح سرية» قد كُتبت في السجن أيضا، ولأن الشيخ قد رغب لو أُثبتت هذه القصيدة، فنحن ننقلها هنا من ديوانه الذي ما نُشر منه على الشبكة إلا مقتطفات، وعنوان قصيدته هذه: «رسالة في ليلة النصر»:

أبتَاهُ لاحَ الشطُّ للرُّبَّانِ ... ودنا الأمانُ لقلبِهِ الحيران

وتلألأَتْ بين النُّجومِ رسالةٌ ... للفجرِ.. من نورٍ ومن تحنان

وبدَتْ تباشيرُ الصَّباحِ تزفُّ لي ... بشرى لحوقِ الركبِ بالركبان

يا تائهًا بين البلادِ مُغَرِّبًا ... أبشر فساعاتُ اللِّقاءِ دواني

دارُ السلامِ كما علمتَ ازَّيَّنَتْ ... من يومها للشائقِ الولهان

لم يُبقِ فيه الشَّوقُ إلا ومضةً
عذريةً جادت بها العينان

وبقيَّةً من أدمعٍ لم تُمتَهن
أبدا.. ولم يُشرِقْ بها خدَّان

محبوسةً في القلب فاضت دفعةً
كدمِ الشهيدِ هناك أحمرَ قاني

مهما أطالَ الظالمون عذابَه
فعذابُ حُرِّ النفسِ غير جبان

لا موتَ في موتِ الشهيدِ.. وقتلُهُ
نصرُ الحياةِ.. وعمرُهُ عمران

هذا الكتابُ إليك سُطِّرَ يا أبي
من خاضعٍ للواحدِ الديَّان

أُمْليه أثْبتُ ما تكون جوارحي
وأبُثُّ أرْبطُ ما يكون جناني

في وقفةٍ للحق يسري في دمي
رَيْعَانُها ويمورُ في وجداني

ما قام غيرُ المسلمين لمثْلِها
أبدًا ولا اشتدَّتْ بها كفَّان

ولربما أطَّ الزمانُ مخافةً
من ثِقلِهَا.. وتأوَّه المَلَوان

أبتَاه ما أحلى السكينةَ كلما
زاد العذابُ تزيدُ في الإسكان

وأقولُ مات اللَّيلُ!! إلاّ ليلةً
بقيت كليلِ الحرِّ في الليمان

ما بينها والصُّبحُ -غير الصُّبحِ- وا
شوقاهُ للصُّبحَ الرفيقِ الداني

بنقائهِ وبهائهِ وضيائهِ
وجلالهِ وجمالهِ النوراني

روحي وما كانت إليه مُشوَّقةً
آن الأوان.. غدًا سيلتقيان

فرَّ الأسيرُ إلى أمانِ بلادهِ
ومشى على أرضٍ بغيرِ هوان

فاليوم لا استضعافَ لا حذرَ
من الدنيا.. ولا خوفَ من الخذلان

طهَّرتُ أثوابي من الدَّنسِ الذي
ألصقتُه في صُحبةِ الشيطان

ونفضتُ عنِّي الأرضَ لا أحبابُها
رحبي ولا خلانُها خلاني

في مسجدٍ شيَّدتُهُ في مهجتي
عطَّرتُهُ بالمسكِ والريحان

وحلفتُ حين بنيتُه.. فأبرَّني
ربِّي ولم تحنثْ إذًا أَيْمَاني

ألا يمرَّ عليه إلا طاهرٌ
مما يُحبُّ وخالصُ الإيمان

وقفٌ على الإسلامِ طُهرُ ترابهِ
وأساسُهُ وبناؤهُ.. والباني

أبتَاهُ في قلبي مشاهدُ من رؤى
بدرٍ ترفُّ وبيْعةُ الرضوان

وأعيشُ ساعاتٍ كعمرٍ كاملٍ
ليست ككلِ دقائقٍ وثواني

مستصحبًا للمسلمين وواقفًا
معهم أُكلِّمُهم بكلِ لسان

من أول الإسلامِ لا أرضٌ تُفرِّقُنا
ولا زمنٌ من الأزمان

زنزانتي روضٌ إذا ما زارهَا
غيثُ الهدى أو زارَها إخواني

أبتَاهُ حتَّام التنقُّلُ والسُّرَى
في موحشٍ قفرٍ من العمران

يا ريت لو وجدها أحد الإخوة يثبتها لنا هنا.

والهجرة «شأنها شديد»، وطوبى لمن هاجر بحقّ وكُتِب عند الله في ديوان المهاجرين.

والتكفير بالباطل نعوذ بالله منه ونسأل الله السلامة والعافية.

وأنا قلت «نَفَس إخواني»، وهذه عبارة لطيفة!

ولا تقتضي أنني أكفر كل سجّان بالضرورة؛ لكن رجل سجّان من خَدَمَةِ الطاغوت يسجن المسلمين الملتزمين بدينهم وعذّبهم.. الخ ما هو معروف، هذا في الغالب يكون كافرًا.

يعني لو فيه واحد من مائة ممكن يكون معذور ويكون باقيًا على إسلامه؛ فهذا قد يوجد ولكنه قليل لمن عرف واقع هؤلاء، ولم يتكلم عن فراغ.

أبتاهُ ما تلك الحياةُ نعيشُها ... عيشَ الأسيرِ ومرتعَ العُبدان

غاياتهم ملءُ البطونِ وقولُهم ... في الحلقِ في سجنٍ من الكتمان

أرأيتَ كيف يسوقُنا جلادُنا ... سوقَ الرعاءِ غرائبَ القطعان

ويسيرُ جيشُ البغي فوق جماجمٍ ... منَّا وفوق كرامةِ الإنسان

أنا لا أرى عيشَ الذَّليلِ بأرضِهم ... إلا اليدَ اليُمنى من الطغيان

يبقى مع الباقين في استضعافِهم ... ويَعُضُّ في غيظٍ على الأسنان

أنا يا أبي أعلنتُ أولَ هجرتي ... فرفعتُ للطاغي يدَ العصيان

قلبًا صبورًا زال عن أدرانهِ ... متيممًا أرضًا بلا أدران

ومضى يَغُذُّ السيرَ يبلغُ شَعْفَةً ... أو واديًا من تلكم الوديان

إن كان سيفي اليوم ليس بقاطعٍ ... أو كنتُ صفرَ الكفِّ من أعواني

فلقد دفعتُ بكل ما ملكتْ يدي ... وتركتُ للجبَّار ما أعياني

وحفظتُ محضَ الحقِ بين جوانحي ... وأحطْتُهُ بشغاف قلبي الحاني

وأبحتُهم جسمًا نهايةُ أمرِه ... عندي غدًا واليوم يستويان

ظهرًا كعُرجُون النخيلِ وأضلعًا ... ويدًا مقرَّنةً بها الساقان

فليستبيحوا ما استباحوا من ... فتى جَلدٍ وصبَّارٍ على الأقران

متقلِّبٍ في الجمرِ مكويٍّ ... ومطبوعٍ على الجنباتِ بالنيران

ماذا جنوا إلا دمًا سفكُوه ... لا.. أما الفؤادُ فليس في الإمكان

أرأيتَ يا أبتاهُ لو أن الذي ... ألقاهُ من إيذائهم.. أرواني؟

وللقصيدة تتمة؛ فهي طويلة نسبيا لكن هذه أول أبياتها، وانظرها كاملة في: ديوان شكري مصطفى.

على العموم سجّان كهذا حتى إن لم أحكم عليه بالكفر؛ فهو فاسق فاجر مرتكبٌ ظلمًا عظيما وعصيانًا يقرب من الكفر، حتى يحارُ في الحكم عليه العقلاءُ والفقهاء!!

فهذا، أنا واحد من الناس لا أستطيع أن أقوله عنه: إنه طيب الأردان، أو طيب الأخلاق؛ معتذرا بأنه يطعم عياله من سياطي وتقشير لحمي، نسأل الله العافية[1].

وهذا بعض معنى ما أشرتُ إليه بـ«النَّفَس الإخواني»، بل هو فاسد الأخلاق فاسد السريرة، على شفى هلكةٍ، وليس بمؤمنٍ، نعوذ بالله من حاله.. هذا إن لم نصل إلى مرحلة الحكم عليه بالكفر.

ومع ذلك نحن نعتذر عن الشاعر بتوجيه كلامه بأنه قصد حالة معينة عرفها، فهذا وجهها إن شاء الله وعلى هذا نحملها.

وبالجملة فالحق عندي أن كل مسألة ينظر فيها على حدةٍ عند التعيين، والله أعلم، وأستغفر الله.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٩/ ٣/ ٢٠٠٥]

---

(١) كتب الشيخ أبو محمد المقدسي وقفة مع هذه القصيدة، على ذات وزنها، وقافيتها، قال في مطلعها:

قف ها هنا يا صاحِ هونًا فلنا ... مع هذه الأبياتِ قولٌ ثاني

إن الذي نصرَ الطغاة وعانهم ... ذاك الخؤون وناصر الطغيان

ذاك الذي خذل الشريعة والهدى ... ومضى لينصر شرعة الشيطان

يغدو ويأتي مكثرًا لسوادهم ... الشانئين لشرعة الرحمن

واذكر إجابة ذلك العلم التقي ... أعني سعيدًا ذلك الرباني

في سجنِ حجّاج هناك لسائلٍ ... هل عونَ ظالم مهنةَ السجّان

فيقول بل ذاك الظلوم بعينه ... فاحذر هديت مزالق الشيطان

لا بدّ من بغضٍ وكرهٍ نحوهم ... هذي دعائم عروة الإيمان

وكذاك لا يُرضى اعتذارك عنهمو ... بالرزق أو خوفًا من الحرمان

إلى آخر قصيدته التي تؤكد على أن «تكثير سواد الظالمين ونصرتهم وإعانتهم؛ ظلم عظيم، وأن الرزق لا ينال بمعصية الله»

معارضة قصيدة الشيخ إبراهيم الربيش التي كتبها في غوانتانامو

[كتب الشيخ إبراهيم الربيش ﵀ قصيدة شعرية[١] مشهورة أثناء وجوده في سجن «غوانتانامو» الشهير؛ فعلَّق عليها الشيخ عطية الله ﵀ في موقع «أسرى» الذي قام بنشر القصيدتين، فقال:]

---

(١) هذه القصيدة من عيون شعر السجناء عند الظلمة والكافرين، وقد دُرست في بعض جامعات الهند، يقول فيها «الربيش» ﵀:

يسائلني عن الحال الحبيب ... ويبدو من كتابته الشحوب
وقد جافى المبيت بلا أنيس ... وأخفت حلو بسمته الخطوب
يناديني فقدتك منذ حول ... وشمسك قد تغشاها الغروب
وقد كنت المجيب إلى ندائي ... وشخصك حاضر فلم المغيب
تذكر أمك الظمأى ... بقلب به من شدة البلوى ثقوب
تقضي ليلها من غير نوم ... ويغلبها على النوم النحيب
وترفع كفها رباه ابني ... بحفظك أنت لي نعم المجيب
ويمضي يومها عبثا تنادي ... أريدك يا بني ألا تجيب
أجبني يا بني ودع عقوقي ... بعيد أنت عني أم قريب
وبنتك أشرقت من غير نور ... مع الأطفال يلهبها اللهيب
تنادي أمها في كل يوم ... ولون الوجه مبتئس كئيب
أرى في الحي أطفالا صغارا ... وللأطفال آباء تجيب
أيا أماه أين أبي مقيم ... أيا أماه أين أبي الحبيب
فقدنا والدي فمتى سيأتي ... أجيبي هل ترين أبي يؤوب
فتنكأ جرحها وتهيج أخرى ... ويفرق خدها دمع سكيب
تكفكف دمعها من غير صوت ... ليخسأ شامت نذل جريب
وإخوان أخيات عكوف ... على الأحزان تجمعهم كروب
حبيبي يا عزيز القلب صبرا ... فإني صابر جلد أريب
ولست مباليا في أي واد ... من الدنيا تجمعت الخطوب
ولست مباليا في أي سجن ... من الأوطان أقفلت الدروب
كتاب الله خير الزاد فينا ... عظيم وهو للبلوى طبيب
إلى يوم القيامة سوف نمضي ... وثم هنا لكم تشفى القلوب
ويعلم عندها نذل كفور ... عقاب الله وهو لهم رقيب

الله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، لقد أثرتم شجوننا والله بذكر إخواننا، نسأل الله أن يفرج عنهم وأن يفك أسرهم وأن يعيدهم إلينا سالمين غانمين..

وفي ذكراكم نبضت القريحة الكليلة برسيس الوفاء، وواجب الإخاء:

عهـــدتُكَ صـــابرا جَلْـــدًا أريبًـــا ... فكنـــت كـــما نظنُّـــك يـــا حبيـــبُ

تجمّعـــتِ الخطـــوبُ عليـــك طـــرًّا ... فلـــم تجـــزعْ وأخفقـــتِ الخطـــوبُ

فمعـــــذرةً أخَـــــيَّ خـــــلاكَ ذَمٌّ ... فـــأنتم في نـــواصي المجـــدِ طيـــبُ

بـــذكرِكُمُ نَبُـــزُّ النـــاسَ فَخْـــرًا ... إذا افتخـــر القبائـــلُ والشـــعوبُ

فـــوا لهفـــي علـــيكم هـــل تُراهـــا ... كتائـــبُ عِـــزِّ أمتنـــا تجيـــبُ

فعهـــدًا لـــن نـــزالَ عـــلى طريـــقٍ ... بـــه سِرْتُـــمْ لِيَنْـــدَحِرَ الصـــليبُ

ولا والله لا يرتـــــاحُ بـــــالٌ ... ولا عـــيشٌ لنـــا أبـــدًا يطيـــبُ

ولمـــا نبـــذُلِ الأرواحَ فـــيكم ... ونفـــرحَ باللقـــاءِ (عســـى قريـــبُ)

اللّٰهم اعفُ عنا وعن إخواننا..

اللّٰهم فرجك القريب العامَّ لأمة محمد ﷺ.

أهمية العدالة ومفهومها عند الفقهاء!

أخي الكريم، جزاكم الله خيرا وبارك الله في جهودكم وتقبل الله منكم مساعيكم لإصلاح ذات بين المسلمين، ونعم -واللهِ- المسعى، ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: ١١٤].

ولكنْ.. لي تعقيبات خفيفة لعلها تكون بمثابة التكميل لكلامكم وفقكم الله.

فأقول وبالله أستعين: قد صرحتَ حفظك الله في مداخلة لاحقة على أصل الموضوع أنك بنيت قاعدتك على أصل العدالة، وهذا ليته كان في أصل الموضوع لأنه قيد مهم، وينبغي التصريح به، والعلماء في عباراتهم عن هذا الأصل -كما تشير إليه أنك استقيته منهم- يذكرونه ولا يغفلونه.

والعدالة هي: الدين والتقوى، وحدُّها عند علمائنا كما هو معلوم: اجتناب الكبائر، واتقاء الصغائر في أغلب أحواله.

والعــــدل مــــن يجتنــــبُ الكبــــائرا ويتَّقــــي في الأغلــــب الصــــغائرا[1]

فلو ارتكب شيئا من الكبائر، أو كثرت منه الصغائر كثرة تُعرف فإنه يخرج عن حد العدل.

ثم ههنا فروع منها: التائب من الكبيرة، ومنها الإصرار على صغيرة، تعرف في موضعها.

ولهذا شيخنا الكريم؛ فإن العلماء الذين هم قدوات في هذا الباب وكلماتهم معروفة محفوظة لدى طلبة العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، والذهبي، وابن كثير، وابن عبد البر، وابن حجر، وغيرهم كثير، تجدهم عندما يذكرون هذه القاعدة يركّزون على مثل قولهم: «من عُرِف حسنُ قصده، وتحرّيه للحق، وأنه متى ما عرفه واستبانه وظهر له أخذ به وطرح ما سواه، وكثرت حسناته وحسن في الإسلام بلاؤه وكان خيرُه غالبًا.. الخ».

فهذا مهم جدا حين نريد أن نضع قاعدة كهذه، ولذلك فعندي اعتراض على بعض الأمثلة التي ذكرتها؛ فـ«علي الحلبي» مثلا، ليس بعدلٍ عندي ولا يدخل في ما ذكرتم، وذكره خطأ!

وسأزيد هذا وضوحًا إن شاء الله.

ولذلك أخي الشيخ فقولك: «من اعتصم بأغلب المنهج ومعظمه فهو سلفي، من اعتقد مجمل

---

(١) هذا تعريف «ابن عاصم القيسي الغرناطي» للعدل، كما في: تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (ص ٢٣).

عقيدة السلف فهو سلفي» اهـ؛ مقيّد بما تقدم ولا بد، وهو كذلك عندك بلا شك، وإنما فاتك ذكره في الأصل فأنا أكمله.

فإن الشخص قد يكون نظريًا على عقيدة السلف الصالح يحفظ الطحاوية والواسطية والتدمرية والحموية وغيرها ويجادل فيها ويناظر عليها، ولكن يكون دينه فاسدًا؛ لا تقوى ولا ورع ولا خوف من الله تعالى ولا خشية!! منغمسٌ في الموبقات والنفاق وموالاة أعداء الله، والتكالب على الدنيا والحطام الفاني.. الخ ما هو معروف.

وهذا إنما يعرف بالمعاشرة ونحوها من الطرق التي يعرف بها تزكية الرجل، والتي جمعها سيدنا عمر رضي الله عنه في كلمته المشهورة في قصة مزكي الشاهد وهي:

- الصحبة التي تطول شيئا ما في سفرٍ.
- الجيرة، بأن يكون جارك الأدنى الذي تعرف مدخله ومخرجه.
- المعاملة بالدرهم والدينار[1].

أخي «الشيخ رضا»؛ لا بد من وجود حدّ واضح لمن يُعذَر ومن لا يعذر، ومن تغتفر سيئاته وتطوى، ومن تذكر سيئاته ويشنّع عليه ويحكم عليه بمقتضاها؛ فالكلمة الواحدة يقولها الرجلان تقبل من هذا ولا تقبل من ذاك، والخطأ الواحد يقع فيه الشخصان فيغتفر من هذا ولا كذلك من ذاك.. وهذا الحد هو «الدين» و«التقوى»، وباختصار هو «العدالة».

في ليبيا أناس يقولون إنهم سلفيون ويوالون «الحلبي» ومن على شاكلته، ومن أصول مذهبهم العملية التي يتميّزون بها موالاةُ القذافي واعتباره إمامًا مسلمًا عدلًا تجب طاعته وبيعته ومحبته وو.. الخ ويحرم الخروج عليه، والخارج عليه عندهم تكفيريّ خارجيّ من كلاب النار.. الخ ما تعرفون وتتعجّبون!! فهؤلاء، لا يمكن أن نقبل من أحدٍ أن يقول لنا إنهم أخطأوا، وأن منهجهم في الجملة وفي الأغلب هو منهج السلف، وأنهم يأخذون أغلب منهج السلف ويتمسّكون به، وأنهم متأولون في هذا المسألة مخطئون فلا نخرجهم من السلفية ومن مذهب أهل السنة بسبب ذلك..!!

بل هؤلاء عندي خارجون من مذهب أهل السنة والجماعة ولا كرامة، مبتدعة ضالون، فجرةٌ، أهل

---

(١) انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري (٧٠٨) وقال محققه مشهور آل سلمان: إسناده ضعيف.

دنيا! بل لا ألوم من كفّرهم وحكم بإخراجهم من الملة الإسلامية والحنيفية المحمدية (أعني رؤوسهم ومن كان على بصيرة في ذلك، لا عوامّهم وتبّعهم وإمّعاتهم)؛ فإن هذا يتخرّج على أصول علمائنا، وله قدوة في فتوى السادة المالكية في شمال إفريقية في تكفيرهم لمن والى بني عبيد القداح الفاطميين وخطَب لهم ورفع ذكرهم على المنابر وحكم بإسلامهم وصحة إمامتهم، وهذا مدوّن معروف، والقائل به أئمة في الدين، منهم الإمام محمد بن أبي زيدٍ القيرواني صاحب الرسالة.

فلا يوالي القذافي ويدافع عنه إلا أحد رجلين:

إما جاهل بحاله، مغترٌّ ببعض دعاياته، كما رأينا ذلك عند بعض علماء باكستان، فلما كُلّموا في ذلك وذُكِرَ لهم بعض كفريّاته تعجّبوا وأسقط في أيديهم، وتوقّفوا، وبعضهم تشكك في صحة ما ذكِر له، وظن أن الإخوة يزيدون عليه ويبالغون!

أو رجل لا دينَ له، منافق، فاجرٌ، ممن استحب الحياة الدنيا على الآخرة.

أما رجل مسلم ينتسبُ إلى العلم والدين، ويعرف القذافي وأحواله ثم يواليه ويعدّه حاكما مسلمًا أميرًا للمؤمنين واجب السمع والطاعة، ويذود عنه ويقف في صفّ من خرج عليه.. فهذا لا يكون.!

وكذلك عندي في مصر، من والى حسني ورآه إمامًا شرعيًّا.. الخ ما ذكرتُ فهو ساقط العدالة عندي، مطعون في دينه، وليس بسنّي ولا سلفيّ ولا كرامة!

وأنا لا أعرف الشخص الذي ذكرتموه واختلفتم فيه، فلا أقصد أحدًا معيّنا بكلامي، والله المستعان..

وقولك أخي الشيخ: «فهل اعتبر المحدثون الدخول على السلاطين الظالمين قادحا في العدالة؟ وهل اعتبر المحدثون وجود بدعة كالإرجاء مانعا من الرواية» اهـ.

أما الدخول على السلطان بمجرده فلا.. هذا أولًا، ثم السلطان كان يومها مسلمًا وإن كان بعضهم فجرة، وأما كون المحدّثين لم يعتبروا بدعة الإرجاء مانعا من الرواية فليس على إطلاقه، فقد ردّوها من غلاتهم، أو حيث كانت روايته مما يؤيّد بدعته.

ثم الرواية مبناها على الصدق، فحيث عُلِم صدق الراوي، وأن ظُنّ قبلت روايته، -طبعا مع شرط الضبط-، ولهذا قبلوا رواية الخارجي لأنه لا يكذب، ولم يقبلوا من عرف من المبتدعة بالكذب وما

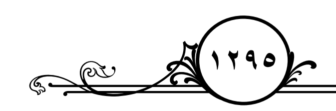
يقاربه كالروافض، وفصّلوا حيث يجب التفصيل.

فكون البدعة في المقالات (الاعتقاد) مما يخرج صاحبه من العدالة أو لا، هذا محل تفصيل، فليس كل تلبّس ببدعة مخرجًا لصاحبه من حد العدالة والقبول، وحيث قلنا إنه خرج من العدالة فهو مردود الرواية.

والله أعلم.

وجزاكم الله خيرا مكرَّرًا

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٥]



۞ الداخلون في الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر

هل ازداد الداخلون في الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر؟

نعم ازداد بلا شك.. ازداد عدد من يُسلِم ولله الحمد، وازداد إقبال الناس على دراسة الإسلام وعلوم اللغة العربية، والتعرف على ثقافة المسلمين والعرب، وافتتاح أقسام في جامعات ومعاهد شهيرة وعريقة في أمريكا وغيرها لهذه التخصصات، بعدما ازداد عدد الطلبة الراغبين في هذه الدراسة زيادة ملحوظة.

إحصائيات كثيرة وتقارير للغربيين أنفسهم تؤكد ذلك، ولا شك في هذا، وهذا يقر به الجميع سواء ممن أيّدوا عمليات ١١ سبتمر وممن لم يؤيدوها.

وبصفة عامة ازدادت بعد أحداث ١١ سبتمبر فرص الحوار بين أهل الإسلام وغيرهم من أمم الكفر، وصار بحث الناس عن الإسلام وعن حقيقة هذا الدين أكثر وأوضح، وهذه نعمة كبيرة، ولله الحمد.. هذا على مستوى الغرب.!

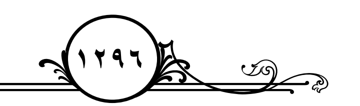
وأما على مستوى العالم الإسلامي نفسه؛ فكذلك نعم ولله الحمد رُصِد في كثير من البلاد ازدياد الصحوة وانتشارها وتغيرات فكرية أيضا وهذا ربما يعرفه كل أحد في بلده وما يراه حوله.. ولله الحمد.

نسأل الله أن يصلح أحوالنا، وأن ينصر الإسلام والمسلمين نصرًا عزيزًا.

وأن يجعلنا إياكم من الفائزين المفلحين.

وجزاكم الله خيرًا

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٥]



إلى علمائنا ودعاة الإسلام.. لا بد من استغلال الفرص التاريخية

يا أيها الإخوة، ليس مهمًا أن تعتني وسائل الإعلام العالميه بموت مشايخنا وعلمائنا حين يموتون؛ ليس ذلك من مقاصدنا الأولى والمهمّة..

فالشهرة مبناها على الحظ، والشهرة اليوم للكفار وأهل الدنيا الفانية، واللاعبين وأهل المجون واللهو وأشكالهم.

ثم وسائل الإعلام العالمية هذه سواء العربية أو الأعجمية هي كلها أو أغلبها وسائل مملوكة للكفار أو لزنادقة هذه الأمة ومنافقيها وفجرتها، القليل منها فقط الذي خرج عن هذا الوصف، فكيف نطلب منها أن تعظّم علماءنا ومشايخنا وترفع ذكرهم وتنوّه بهم في العالَمين، أتطلبون الفصَّ من اللصّ؟! عجبًا.. هذا لا يكون!

المهم عندنا هو أن يكون علماؤنا ومشايخنا «أهل دين» حقًا، لا «أهل دنيا» وغرور، أن يكونوا دعاة إلى الله مجاهدين، أن يكونوا نموذج الولاء والبراء، والتطبيق الواقعي على الأرض لمنهج الله ومعايير دينه و«الميزان» الذي أنزله الله مع الحديد!

المطلوب منهم أن يستغلوا الفرصة اليوم لبيان دين الإسلام ورسالة الله الخاتمة للبشرية ويشرحوها للناس وأنها نسخت كل الشرائع السابقة، وأن الدين عند الله الإسلام، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران]، وأن هؤلاء النصارى ليسوا على شيء، وأن ما عندهم من بقايا الدين المنسوب إلى الله محرّف مبدّل لا يوثق فيه، وأنه منسوخ برسالة الله الخاتمة، وأن دين الله واحد هو التوحيد وهو دين جميع الأنبياء، بعث الله به كل رسله وأنزل به كل كتبه، لا نفرّق بين أحد من رسله عليهم الصلوات والسلام، وأن النصارى بعد ظهور دين الإسلام ببعثة محمد ﷺ كفار عند الله، من مات منهم على هذا الدين وقد بلغه دينُ الإسلام فهو في النار وبئس القرار خالدًا مخلدًا فيها، وهكذا كل الأديان الأخرى غير الإسلام، وأن هذا «البابا» مات كافرًا وهو في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها؛ نسأل الله العفو والعافية والسلامة ونعوذ بالله من سوء الخاتمة.

وأننا نبرأ منهم ومن دينه الباطل ومن كل دين سوى دين الإسلام الذي هو دين كل الأنبياء والرسل.. إلى آخر هذه المعاني الجليلة والأصول العظيمة.

فهذه فرصة تاريخية للدعاة وعلماء الإسلام لكي ينبّهوا البشرية على قضية الدين الحق، ويحدثوا فيها صدمةً وهزّة عنيفة، ترجع الناس إلى مبدأ النظر والبحث والجدل والحوار الحقيقي؛ ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة، وتقوم حجة الله على من لم تقم عليه بعد، وتزول الشبه.

وسترون لو فعل علماؤنا ذلك كيف يدخل الناس في دين الله أفواجًا بإذن الله، وكيف يظهر الدين وينتشر ويعلو.

إنها فرصٌ تاريخية لعلمائنا ومشايخنا ودعاتنا، وهو محكّ لهم وابتلاء واختبار، لينظر الله من ينصره ومن يخذل دينه يرضى بالدون والهوان ويستحب الحياة الدنيا على الآخرة ويداهن ويصانع.!

إنها فرصةٌ من الفرص العظيمة؛ فهل يستغلها علماؤنا ودعاتنا ولا سيما المشهورون منهم المسموعو الكلمة؟!

إذا هبّــــت رياحـــــك فاغتنمهـــــا   فــــإن لكــــل رائحـــــةٍ ســــكونُ(١)

وإن من أكبر أسباب الانحطاط الذي أصاب أمتنا هو «تضييع الفرص التاريخية»؛ الفرص التي لا تتكرر كثيرًا، وتمرّ الدهور والأزمان ولا تعود!!

وقد كتبتُ من قبل عن فرصةٍ مشابهة فيما يتعلّق بالشيعة الرافضة أخزاهم الله.. والكلام فيهم يشبه الكلام هنا؛ فليستغل علماؤنا ومشايخنا فرصة الفضائيات وزيارات الشيعة الحسينية ولطمهم ونواحهم على شاشات التلفاز في كل العالم وأربعينياتهم وشركهم.. ليستغلوا كل هذا لبيّنوا للناس شرك هؤلاء وكفرهم وضلالهم، بذلك يوقفون المدّ الشيعيّ في العالم ويفسدون على الرافضة خططهم ويخيّبون آمالهم ويوقفون زحفهم، ويحصّنون أمة الإسلام والسنة من خطرهم.

إنها فرصة حقيقية للانتصار عليهم نصرًا مبينًا؛ فقط نحتاج من علمائنا رجالًا أبطالًا يقفون ويقولون كلمة الحق، يصرخون في الأمة بأعلى صوتهم في الفضائيات وكل وسائل الإعلام أن هذا شرك وكفر وليس من دين الإسلام في شيء، وأن هؤلاء الروافض مبتدعة ضالون بل مشركون خارجون على الدين.. الخ.

---

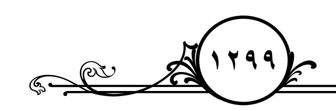
(١) كذا ذكره الشيخ، ولعل صوابه: «ولكل خافقة..» الخ، وقد نسبه بعضهم لعلي بن أبي طالب ﷺ، ولم أعثر على قائلها يقينا مع طول البحث عن ذلك، انظر: التمثيل والمحاضرة (ص ٢٤١)، تفسير القرطبي (٨/ ٢٤).

وكلما كان العالم مشهورًا متبوعًا مطاعًا أكثر من غيره كان هذا أوجب عليه وآكد في حقه، والحمل عليه أثقل، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

هذا الذي نريده من علمائنا وفقهم الله.

أما المفتونون المخذولون ممن يسمّون -عند الناس- علماءَ فهؤلاء لا نخاطبهم ولا يشملهم كلامنا، كالذي يترحّم على «البابا» الهالك ويستغفر له ويثني عليه وعلى جهوده ويمدحه ويتحزّن عليه.. وإلى الله المشتكى وحده، لا حول ولا قوة إلا به.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٨/ ٤/ ٢٠٠٥]



موقفنا من محاولات هدم الأقصى!

الله المستعان..

اللَّهم عذرًا وغفرًا..

جزى الله خيرا من ذكر بهذا الموضوع..

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا بد يا إخوة من بذل كل الجهد، اتصلوا بالعلماء والجمعيات والجامعات وكل أهل الخير والدين، وحرّضوهم على الكلام وإصدار البيانات والظهور في الفضائيات: أقل شيء الاستنكار والتخويف والتحريض على الجهاد بما أمكن والدفع عن هذا المسجد المقدس المشرف وهذه الحرمة العظيمة.

كاتبوا العلماء، وليتصل كل منا بعلماء ودعاة بلده وإقليمه ومنطقته ولنحرضهم فهم أهل الأمر في الحقيقة؛ لأن ا لحكومات خانت ونكصت وبدَّلت!!

وحركوا الشعوب لتعمل شيئا وتتحرك بأي وسيلة مشروعة..

والعصمة بالله وحده..

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٩/ ٤/ ٢٠٠٥]

ضوابط إدخال النصارى إلى المساجد

[السؤال: سنقيم في المسجد احتفالاً وندعوا اليه الكثير من النصارى الأمريكان حتى نبين لهم ما هو الإسلام، ونريد التأكد من حكم الشرع في هذين السؤالين:

الأول: هل يجوز أن ندخلهم الى المسجد بالأحذية؟

الثاني: هل يجوز أن نفرق بين الرجل وزوجته في الجلوس على الكراسي؛ بمعنى هل هناك بأس في جلوسهم مختلطين في المسجد؟ مع العلم أن هذا طبيعي عندهم!]

الجواب:

الحمد لله.. رأيي أخي الكريم أنه إذا كانت ظروفكم ضاقت عن مكان آخر للاجتماع بهؤلاء الكفار وتعريفهم بالإسلام، ولم تجدوا غير المسجد إلا بصعوبة وتكلفة عليكم كبيرة؛ فلا بأس إن شاء الله وتوكّلوا على الله، والله يسددكم ويوفقكم.

دخول الكافر المسجد وجلوسه فيه للحاجة كرسولٍ ونحوه، أو أسير يربط في المسجد إن لم يوجد مكان مناسب له، ونحو ذلك: **جائز**، وقد دل عليه الأحاديث المعروفة لديكم.

والظاهر أنه لا فرق بين النساء والرجال، وما هم متلبِّسون به من الكفر أعظم من الحيض والجنابة؛ مع أن الكافر جنبٌ مطلقًا، وهي علة أمره بالاغتسال عند إسلامه عند طائفة من أهل العلم.

وما ذكره بعض الإخوة من السعي في محاولة منعهم دخول المسجد في حال تبرّج فاضح وتكشّف زائد عن الحد -لبس الشورتات مثلا- ومحاولة إعطاء النساء -إذا أمكن- غطاء للرأس ولو بشكل جزئي.. أرى أنه جيد لا بأس به إن قدرتم عليه، لا على سبيل الشرط، وإنما على سبيل تعظيم حرمة المسجد وتعليمهم من البداية -ما دمتم بصدد تعريفهم بالإسلام ودعوتهم إليه وهم قادمون على هذا الأساس- تعظيمَ بيوت الله وشعائره في الإسلام وإدخال الهيبة في قلوبهم.. فهو إذن مندرج تحت هذا الأصل؛ لكن لا أراه شرطًا لجواز دخولهم المسجد للغرض الذي قصدتموه.. وفقكم الله.

نسأل الله أن يفتح عليكم وأن يسددكم ويهديكم ويهدي بكم، ويتقبل منا ومنكم صالح العمل.. آمين.

[تكميل المشاركة]

ما نبّه الإخوة عليه من شأن «الخداع» وتغيير الشرائع طمعًا في استمالة الناس!!

فهذا لا يجوز ولا يصح بحالٍ.. وليس هو من الحكمة ولا من التيسير؛ كما قد يتوهّمه بعض الناس، ولكن من الحكمة مثلا الآتي:

أن يتعلم الداعية فنون التحدّث مع الناس، ولا سيما -بالنسبة لكم- مع غير المسلمين -نصارى وغيرهم-.

ومن ذلك أن يتعلم كيف يتخلّص من الأسئلة التي فيها نوع «إحراج» إذا صح التعبير.. وليس في ديننا ولله الحمد حرج ولا فيه شيء محرج معاذ الله، ولا شيء نستحيي منه.

ولكن المقصود أنه قد يتحرج الداعية أحيانا من بعض الأسئلة ويخاف أن المدعوَّ قد يحصل له فتنة إن ألقيت عليه تلك المسائل، أو إن هو أجابه بصراحةٍ على أسئلته، كما ضربتم مثلا بمسألة التعدد، وكثير من مسائل المرأة والمعاملات وغيرها.

ففي مثل هذه الحالات إما أن يختار الداعية أن يجيب بما هو الواقع في ديننا بكل صراحة.

أو أن يتخلص من الجواب؛ بأن يصرف السائل إلى شيء آخر أهم وأولى، أو يقول له: إن هذه المسألة ينبغي أن نتحدث فيها في وقت لاحق، وتحتاج إلى شرح أكثر وفرصة أخرى، والكلام فيها فيه شيء من الدقة، وقد اعتراها بسبب الأهواء وبسبب تعصب غير المسلمين عليهم نوعٌ من التشويه.. الخ.

وهذا نموذج جواب متوسط في ظني أنه يناسب الكثيرين، وهو أن يقول الداعية المجيب عن مسألة التعدد:

مسألة تعدد الزوجات مسألة من حيث الأصل -المبدأ- أقرها دين الإسلام وأجازها، بمعنى أنه أجاز للرجل القادر أن يتزوج بأكثر من امرأة، ولكنه وضع لها شروطًا وضوابط وآدابًا..

❑❑❑

[سؤال آخر: تزوج رجل امرأة، ولها بنت؛ فهل هي محرم عليه؟]

البنت المذكورة في سؤالك هي محرمٌ للرجل المذكور -زوج أمها- إذا كان الرجل قد دخل بأمها، -يعني عقد عليها ودخل بها، مش عاقد فقط-.

وهذه تسمّى في اللغة -وفي لسان الشرع أيضا-: الربيبة.

وفيها قوله ﷻ في سياق ذكر المحارم من النساء: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣].

فهذه نكاحها محرّم على زوج أمها حرمة أبدية، وهي محرم له.

فهي إذن ربيبة، نعم..

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ فهو عند أكثر العلماء ليست قيدًا، وإنما هذا يقولون عنه: خرج مخرج الغالب، يعني هو وصف جاء للبيان جريًا على ما هو الغالب ولم يُرَدْ به التقييد.

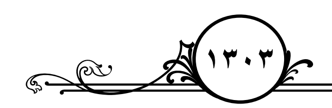
لكن الفقهاء ﷺ بيّنوا أن المحارم للرجل لسنَ في درجة واحدة!

فليست محرمية الأم مثلا في القوة كمحرمية الأخت من الرضاعة أو الربيبة ونحوها.

ولذلك ينبّهون إلى الاحتياط في الخلطة مع المحارم الأضعف في المحرمية، لا سيما مع فساد الزمان وضعف الإيمان.

فلا بأس إذن أن يرى منها ما يرى الرجل من محارمه من النساء، وغير ذلك من الأحكام.. ولكن يحتاط أكثر في شأن الخلوة والسفر ونحوها، وخاصة إذا كانت جميلةً، وخاصة إذا كانت ممن يقل اعتناؤها بالمحرمية والعفة ونحو ذلك.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٥]



۞ جوابٌ على سؤال فقهي بين زوجين متخاصمين

الأخت الكريمة:

سؤالكِ الأول: إذا كان زوجك -سابقًا- أعطاكِ المال تمليكًا، يعني ليس دينًا؛ فالأمر كما قال لك الإخوة: بالنسبة لك أنت ذمتك بريئة.

لكن قد يكون هو أعطاك المال على وجه الدين -سُلفة- وأنت نسيتِ.. هذا ممكن، أو غير ذلك.. وبناء عليه فإذا كان هو الآن يطالبك بالمال فالحل هو أن تلجآ (أنتِ وهو) إلى قاضٍ مسلم يحكم بينكما؛ فانظرا في بلدكما إنسانًا من أهل العلم والدين وحكّماه بينكما، لأن هذه مسألة ينظر فيها القضاء، ولا تُحلّ بالفتوى، لأنها مبنية على البينات والإثباتات الموصلة إلى معرفة الحقوق.. الخ.

وقد يصلح القاضي بينكما صلحًا، والصلح خير..

بالنسبة للسؤال الثاني: فنعم، في الشريعة الإسلامية أن المرأة (المطلّقة) إذا تزوجت زوجًا جديدًا سقط حقها في حضانة الطفل، يعني أنها تفقد حقها.

ولكن بعد أن عرفت هذه المسألة، يحسن بكما أن ترجعا إلى قاضٍ مسلم أيضا لينظر في المسألة ويعيّن شخصا للحضانة حسب المقرر في كتب الفقه، وخاصة عند التنازع؛ فإن القاضي ينظر في القضية: يعرف أقارب الطفل وينظر فيما يحقق مصلحتة، لأن الحضانة مبناها على النظر للطفل وتربيته واختيار أفضل حِجْر له.. وقد يكون في الأب مانعٌ يمنعه من حق الحضانة فيعطيها القاضي لأقرب محرم للطفل من جهة أمه.. الخ الترتيبات الفقهية.

وغنيّ عن التأكيد أنكِ لا يجوز لك أبدًا أن تأخذي طفلك بناء على القانون الغربي، ما دامت الشريعة الإسلامية تقول بخلافه.

إنما الحكم والتحاكم لشريعة الله.. فهذا فاصل بين الإيمان والكفر، فانتبهي وارضِي بقضاء شريعة الله، واعلمي أن الخير كله في طاعة الله تعالى، وتوكلي على الله.. والله يفتح عليك، والله أعلم..

نسأل الله لكِ ولزوجك التوفيق لطاعة الله، ونسأل الله أن يسددكم ويصلح أحوالنا وأحوالكم.

[كُتب هذا الجواب بتاريخ: ٢/ ٥/ ٢٠٠٥]

۞ فتح «مصرف إسلامي» في دولة نصيرية.. ليس نصرا مبينا

[تعليقا على من اعتبر فتح «مصرف إسلامي» في سوريا: نصرًا عظيمًا]

يا أخي.. هذا ليس نصرا عظيما، كونه خبرًا مفرحًا ممكن.. لكن أن يقال أنه نصر عظيم..!!

لهذه الدرجة تمشي علينا هذه الأشياء؟!

أصلح الله حالنا وأحوالكم وأحوال المسلمين..

اللّٰهم عليك بالطواغيت: بشّار وأحزابه وأشكاله، اللّٰهم دمّرهم تدميرًا.

اللّٰهم خذهم أخذ عزيز مقتدر يا جبار.. آمين.

يا خسارة على المثقفين والله!!

يا أخي.. ما دمت تقر أنهم طواغيت كفرة مرتدون محاربون لدين الله ليلًا نهارًا موالون لأعداء الله خائنون لأمتهم ولدينهم، وأنك قد نفضت يديك منهم من زمان.. فكيف تعتبر قرارًا لهم بفتح بنك إسلامي نصرًا؟..

أما استطعت أن تستوعب أن هؤلاء لا يضيرهم ذلك في شيء، بل بالعكس هو يقوّي جانبهم ويستجلب لهم المغفلين من المسلمين! يعني هي عملية ضحك على الذقون، وسياسة..

لكنها جاءت في الوقت الضائع، ولن تفيده شيئا..

لقد انتهى بشّار خلاص!! المسألة الآن بالنسبة لنا ما بعد بشّار إن شاء الله.. ويوم انهيار النظام وانفلات الأمور في سوريا قريبا إن شاء الله ما هو دورنا وكيف ينبغي أن نستعد من الآن للآتي!

الحاصل يا أخي، لا ينبغي لمثقف أن يسمي مثل هذا الأمر نصرًا..

كيف يكون نصرًا للمسلمين وهو يخدم سياسة الطاغوت عدو الله؛ ألمجرد أن تجد أنت وغيرك المسلمين بنكًا إسلاميًا تضعون فيه فلوسكم ولا تتعرضون لمحذور الربا، يكون هذا نصرًا..

احمدوا الله على هذه النعمة التي أجراها الله على أيدي هؤلاء الكفرة لكم، نعم.. طيب، ولكن ليست نصرًا.

النصر كلمة كبيرة يا أخي إذا أردنا أن نعرف للكلمات مسؤولية ووزنا وأمانة وأن نكون مثقفين..

النصر هو خطوة للأمام للأمة الإسلامية وللإسلام..

النصر هو فتح في قلوب الناس واندحار للكفر وأعداء الدين..

أما بنك إسلامي -زعموا- يخدم مصالحهم السياسية ويثبّت اقتصادهم ودولتهم، حتى وإن

استفاد منهم المسلمون -وأكثرهم قاعدون عن اللحاق بقافلة الدعوة والجهاد طبعا كما تعرف- استفاداتٍ شخصيةً، فكيف نسمّيه نصرًا، ونقسِمُ على ذلك؟!

والله لا نسمح بذلك أبدًا.. هي لعب الحكاية؟!

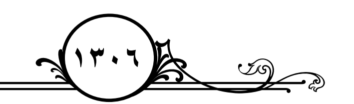
نحن نقول: الحمد لله، هذا جيد ورحمة من الله تعالى أنهم افتتحوا بنكًا إسلاميًا رغمًا عنهم، وهذا كله من مكر الله بهم، أن جعلهم يضطرون لافتتاح بنك إسلامي -يلتزم بالفقه الإسلامي ورأسُهُ وأساسه عدم التعامل بالربا-، ولكن نحن نعرف أنهم لم يريدوا به وجه الله ولا نصر الدين، وأنهم كفرة قبله وبعده، وأنهم إنما أرادوا به محاولة تثبيت عروشهم وخدمة رياستهم وحفظها، ومدّ عمر سلطانهم، والضحك على المسلمين البسطاء وبعض المثقفين.!

فكوننا نحمد الله على هذا، هذه مسألة صحيحة.. وأما أن نعتبره نصرًا؛ فما أبعده!

وما أدلّه على السطحية والسذاجة، وسامحني يا أخي الكلام ليس بالضرورة لك، ولكن لا بد أن نقوله لمن يقرأون.

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٦/ ٥/ ٢٠٠٥]



الرد الحديد على «السلفي فريد»

تعددتِ الأسماء والمَفْتونُ واحدُ!

ولا يَخْفُون؛ نفس الأسلوب ونفس الأفكار الفاسدة الكاسدة!

ولا تحاول التظاهر بحسن الخلق، فهناك الكثير من الأمريكان والعلمانيين الزنادقة يحسنون هذه «الأخلاق» أجود منك.!

ودع عنك النفاق بالدعاء والتلطف؛ فمهما حاولت، فوالله لن يزيدنا فيك وفي أمثالك إلا بصيرة بفساد منهجكم وفهومكم.

يا أهل الفتنة؛ اعلموا أنكم لستم عندنا إلا مجموعة من المخذّلين والمرجفين والمثبّطين، مهما أظهرتم اللطف والجدال بالعلم، قد عرفناكم وقد نبّأنا الله من أخباركم، وقرأنا صفاتكم وخلاجات نفوسكم أيضا في سورة براءة المقشقشة الفاضحة البَحوث. لقد فضحتكم وعرّتكم وتركتكم تمشون وسواءتكم مكشوفة لو تشعرون! آهِ لو تشعرون!

أقول لك ولأمثالك: ليس بيننا وبينك كثير حوار ولا مجادلة، ولن نماريك -إن ماريناك- إلا مراءً ظاهرًا، وإلا حيث يُرينا اللهُ بمنّه وكرمه وفتحه أنه يجب التصدّي لكم ولشبهكم وقهرها ودحرها، فذلك جهادٌ: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣]، ولنكشف للمسلمين عواركم بإذن الله.

وفي غير ذلك لن نقول لكم إلا:

﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤﴾ [الإسراء].

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾ [هود].

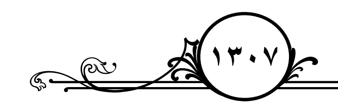
﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾ [الشعراء].

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾ [الحج]

﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ].

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥﴾ [طه].

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون].



هؤلاء المفتونون -عافانا الله وإياكم أيها القراء الكرام- عندهم أن المنهج السلفي هو تحريم جهاد العدو الصائل الصليبي الكافر الأصلي «أمريكا» في العراق، وحرمة جهاد اليهود في فلسطين المغتصبة -خلّصها الله من رجسهم- والوقوف مع كل طاغوت وسلطان متزندق أو منافق موالٍ لأولئك الأعداء سرًا وجهارًا وعلنًا وإسرارًا، والمنافحة عنهم بكل ما أوتوا من سبيل!

هذه هي أصول المنهج السلفي الذي يتكلمون عنه ويريدون.

نعوذ بالله من الخذلان..

اللّهم لا تجعلنا مثلهم، اللّهم إنا نعوذ بك من سوء حالهم.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٨/ ٥/ ٢٠٠٥]

الأفغان لا يرضون بتدنيس القرآن

لماذا فقط الشعب الأفغاني هو الذي هب لنصرة القرآن؟

نعم إخوتي..

الإجابة ببساطة: العزة التي تجري في دماء الأفغان.. بخلاف الشعوب التي ألفت الذلة!

هذه الإجابة فيها الكثير من الصواب؛ فالشعب الأفغاني وقريب منه الشعب الباكستاني والبانغلاديشي من أكثر الشعوب الإسلامية عاطفة إسلامية وتعظيمًا للقرآن وشعائر الدين التي يعرفونها: المصحف، الكعبة، والنبي ﷺ، أسماء الله وذكره، وما شابه ذلك من الشعائر العظيمة، وهذا من منّة الله ولطفه بهم رغم عجمتهم وكونهم إنما يفهمون القرآن بواسطة التراجم في الغالب، بخلافنا نحن العرب أهل اللغة واللسان القرآني.. ولكن للأسف القلوب ميّتة مستمرئة للذلة والتحريف والتأويل الفاسد والاستكانة إلا ما رحم ربي.!

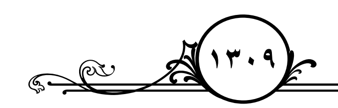
إنها مزية طيبة في تلك الشعوب، مع بقية عزة ونخوة لم تفسدها كثيرا ثقافات العصر ولم تميّعها العولمة.

وفي كل شعوبنا خيرٌ إن شاء الله..

نسأل الله أن يصلح أحوالنا ويلهمنا رشدنا ويأخذ بأيدينا للعزة والكرامة والحرية والعلم النافع والعمل الصالح.

إن هذا الحدث يصلح أن يكون تفهيمًا لنا لماذا كان الأفغان أهل الجهاد ومحيي شعيرة الجهاد في عصرنا الحاضر!!

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٣/ ٥/ ٢٠٠٥]



قضية التشبث بالرأي

الحديث في هذه القضية حيوي بالفعل، وجماع العلاج عندي هو: الأخذ بأسباب الهداية.

وأسباب الهداية كثيرة: ذكرت أصولًا منها -مما يتعلق بمسائل الخلاف- في مقالي «تذكرة في حكمة الاختلاف».

أولًا: من رأيي أن الكلام نظريا في هذه المسألة -وهو جيد ومهم وفقه صحيح لمن فتح الله عليه- يظل يفتقر إلى التربية، والذي يقوم بعملية التربية هنا هم العلماء والدعاة والمشايخ والمعلّمون -المدرسون- في المدارس والمعاهد والجامعات والمحاضر وفي كل مجلس علمٍ ومنتدى تربية.

لا بد لهذه الطبقة في أمتنا أن تكون مشبّعة بفقهٍ صحيح متكامل في هذه المسألة: مسألة «أسباب الهداية»، وأسباب الوقاية من الانحراف والشطط بكل أنواعه.

لا بد أن ينتشر هذا العلم بهذه المسألة وينضج بين أفراد هذه الطبقة المذكورة، وأن يتواصوا به ويتعاونوا عليه ويتدارسوه ويكون فيهم ولهم كالنار في الحجر أو كالماء في غصن الشجر.!

بدون ذلك؛ فلن تكون هناك فائدة تذكر على المستوى الاجتماعي.

ستكون الاستفادة مقتصرة على أفراد من هنا وهناك ممن يكتب الله لهم التوفيق، بمحض منه وكرمه ﷻ، وكل خير فمن منّه وكرمه على كل حال.. وسيكون الانحراف فاشيًا في المتعلّمين والقراء والمتديينين هنا وهناك، وسنظل نتكلم دائما عن الغلوّ من جهة، وعن التفريط من أخرى، وعن التمييع والمميعين من ثالثة، وعن سائر أنواع النُكوب عن الصراط المستقيم.

صحيح أن العلماء الناصحين الصالحين المخلصين أهل الآخرة يقومون بجهودهم في ذلك، وفي كل ناحية منهم قائم لله بحجة ولله الحمد، ومن تربّى على هؤلاء المشايخ وصاحب أمثال هؤلاء العلماء؛ فهو على طريق الأخذ بأسباب الهداية إن شاء الله، ولكن الجهود الفردية دائما تظل قاصرة.

من أجل ذلك ولأنه لا دولة للإسلام على الحقيقة الآن بحيث تتبنّى هذه العملية التربوية وتقوم عليها بأمانة وإخلاص لله تعالى ونصح للأمة وأجيالها؛ فإنه لا بد للمدارس العلمية وللدعاة في كل إقليم ومجتمع وناحية من أرض أمتنا أن يكون لهم اجتماع واهتمام بهذه المسألة ويرسموا لها الخطط على النحو الذي ذكرته، والله أعلم.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٣/ ٥/ ٢٠٠٥]

معنى قول السلف: «لوكانت لي دعوة مستجابة لصرفتها للإمام»

إن هذه المقولة التي تُحكى عن السلف والعلماء(١) يسيء الكثيرون فهمها.

لأن معنى قولهم: «لو كانت لنا دعوة مستجابة لجعلناها للإمام» معناها أولا؛ بعد ضمان أن نكون نحن ناجين عند الله تعالى فائزين مفلحين، وهذا لم يذكروه لأنه داخل ضمنًا في قوله «لنا دعوة مستجابة» لأنهم لا يكونون كذلك في حكم العادة إلا إذا كانوا ممن ﷺ ونجوا.

لهذا **أول** شيء أيها الإنسان نفسك نفسك.!

وثانيا: يقال ما هي الدعوة التي سيدعون بها للإمام إذا فرض أنهم كانت لهم دعوة مستجابة؟

والجواب والله أعلم: هي الدعوة له بالصلاح.. هذا هو المختصر المفيد..َ

وذلك لأنهم من فقههم كانوا يعلمون أن صلاح الأئمة -الحكام- به صلاح الأمة، صلاح المسلمين جميعا، صلاح الشعوب.

وكانوا يفقهون أن الناس على دين ملوكها.

وكانوا يفقهون حقًا أنه: وهل أفسد الدين إلا الملوك(٢) -إذا فسدوا-.. الخ.

وكانوا يفقهون أن السلطان هو جنةٌ ووقاية، وذلك في أمر الدين من قبْل أمر الدنيا..

وبالجملة فتحت هذه المقولة السلفية من الفقه الكثير..

وثالثًا من فقه هذه الكلمة أن يقال: مرادهم ﷺ ورضي عنهم الإمام العدل الصالح بالأساس، ثم إن كان فاسقا أو فاجرًا فكذلك الدعاء له بالصلاح على ما قدّمتُ، فإن كان وصل إلى درجات أعمق من ذلك في الفساد، فقد يقال إن الدعاء بأن يخلّص الله العباد من شره وأن يستبدل به خيرًا منه أولى وأحب إلى الله..

هذا غير مستبعد، وقد دعا به أئمة صالحون..

دعوا على بعض أئمة بني أمية وبني العباس أن يبدّلهم الله بخير منهم، وهذا فقهٌ صحيح لا غبار عليه..

وأما الدعاء لأئمة الجور والفساد بالحفظ والنصر ونحوه فهذا ليس من عمل السلف ولا فقههم، ولا يمكن أن تجده عندهم أبدًا.

---

(١) نُسبت هذه العبارة لـ: الفضيل بن عياض ﷺ، انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/ ٦٠).

(٢) هذا صدر بيت مشهور، قاله: عبد الله بن المبارك، عجزه: «وأحبار سوء ورهبانها»، انظر: إعلام الموقعين (١/ ٨).

بل قد صح عن بعضهم أن من دعا إلى إمام جائر أو قال ظالمٍ فقد أحب أن يعصى الله[1].. وهذا ظاهر.

وأما الدعاء للإمام إذا طرأ عليه الكفر والتبديل للشرع بالحفظ والنصر وما في معناه فهذا قد صرّح جماعة من أئمتنا بأنه كفر بصاحبه.

نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

وأنا هنا إنما أستطرد في فقه المسألة، ولم أقصد أحدًا.

فالحاصلُ أن الدعاء للإمام إنما يكون بالصلاح -أن يصلحه الله، أي يرزقه الصلاح ويجعله إمامًا عادلا صالحًا-، هذا أهم شيء.

ثم الدعاء بالحفظ والنصر ونحوهما إنما يكون للعادل الصالح الموفّق الناصر لدين الله تعالى.

والله أعلم.

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمر رشدٍ يعزّ فيه أهل طاعته، ويذلّ فيه أهل معصيته.. آمين.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٥]

---

(١) جاء عن جملة من السلف قولهم: «مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِبَقَاءٍ، فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ ﷻ»، نُقل هذا عن: الحسن، ويوسف بن أسباط، وسفيان الثوري، انظر: شعب الإيمان (٨٩٨٦)، ولا يصح مرفوعًا.

الشيخ «علي بلحاج» في سطور

[تعليقا على بيان صحفي للشيخ «علي بلحاج» كتب الشيخ رحمه الله]

رحم الله العلماء الصالحين الذين ذكرتموهم، وكلَّ علمائنا الأبرار.

وأبشركم أنني التقيت بالشيخ عليّ حَفِظَهُ اللهُ وصليتُ معه وسمعت بعض دروسه وخطبًا من خطبه؛ فوالله إنه الحبيب القريب ذو السيما الصالحة والوقار، لا تخطئه القلوب ولا تنكره النفوس، بل تألفه وتحبّه لأول وهلة ولآخر وهلة.

كل ذلك مع الفقه والعلم والنصح والحُرقة الظاهرة والعاطفة القوية الجيّاشة والشجاعة والصراحة والقوة في الحق.

حُق للشيخ عليّ حَفِظَهُ اللهُ وثبّته أن يقال فيه الكثير وأن يُكتَبَ عنه..

ولكن لأننا لا نحب الكلام في الأحياء، وقد قال سلفنا رضي الله عنهم: «إن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة»[1]، وهذا أصل عندنا نتمسك به ونراعيه.

وإلا فقد خطر ببالي مرارًا أن أكتب مثلا عن «الملا محمد عمر»، وما صرفني إلا ذاك.

فالآن نحن نجتهد في الدعاء لهم بالثبات على الحق، وأن ينصرهم الله ويقوّيهم ويعينهم ويحفظهم ويكثّر أمثالهم.

ونشهِد الله على حبّهم وأنهم لامسوا منا شغاف القلوب، بل حلّوا سواد الفؤاد لا جرم!

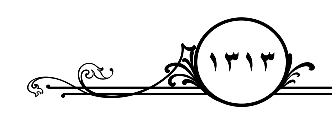
وما شهدنا إلا بما علمنا، والله يتولانا ويتولاهم بستره وعفوه.

نسأل الله أن يثبّتنا وإياهم وكل أحبابنا على الحق ويحسِن لنا جميعا الخاتمة إنه أكرم مسؤول وأرجى مأمول.. والله المستعان، لا حول ولا قوة إلا به.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٥]

---

(١) هذا من كلام: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣٤٩).



۞ صحة قول «الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر»

قول أحد المشايخ -فك الله أسره- أن: «الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر»[1] جملة صحيحة، وهي صادقة بكون الإرهاب للعدو مشروعًا في ديننا مأمورًا به، وأن من أنكر هذا الشيء المشروع -كأيِّ شيء مما شرعه الله- فهو كافر بشروطه.

فرأيي أن العبارة صحيحة لا غبار عليها، ومراد الشيخ بها واضح وبيّن، ولا أرى فيها لبسًا يُخاف! ولا تعارض بين هذا المعنى وبين كون الإسلام ورسول الإسلام رحمة للعالمين.

وبيانه من وجوه:

الأول: أن الرحمة تغلب وتسبق؛ فهي أعم وأكثر وأقدم.

الثاني: الرحمة لأهلها ومستحقيها، والغضب لأهله ومستحقيه.

الثالث: أنه حتى العدو الذي نرهبه؛ فاعتقادُنا أن إرهابنا له وأيضا قتالنا وقتلنا له حين نقتله هو رحمة بمعنىً من المعاني شاء من شاء وأبى من أبى.. له ولغيره من الخلق.

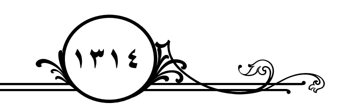
فليتأمل.

والله أعلم بالصواب

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢/ ٦/ ٢٠٠٥]

---

(١) لعله قائل هذه المقالة هو «سيد إمام» المعروف باسم «عبد القادر عبد العزيز» صاحب «العمدة»، و«الجامع في طلب العلم»، لكن هذه الكلمة لا نستطيع الجزم أنها له؛ فقد قالها غيره كذلك، وقد قال الشيخ عبد الله ﷺ: «الإرهاب من الإسلام».



لماذا تخاف دول الجوار العراقي من انتصار المجاهدين؟

هذا السؤال حقه أن يتأخر ويتقدمه سؤال آخر:

هل تحب دول الجوار العراقي انتصار المجاهدين على الأمريكان؟

ثم يأتي السؤال: لماذا؟!

الذي نعتقده جزما أنها جميعا لا تحب ولا تودّ ولا تتمنّى أن ينتصر المجاهدون في العراق.. ولكنهم في الوقت نفسه لا يحبّون أيضا أن ينتصر الأمريكان.

أما لماذا لا يحبّون انتصار المجاهدين في العراق، فهذا أظنه واضحا معروفًا لكل مسلم واعٍ.

وأما لماذا لا يريدون انتصار الأمريكان أيضًا فهذا أظنه أيضًا -مرة أخرى- معروفا واضحا.

فما بقي إلا أن أقول لكم: كل شيء واضح.. والسلام

ولكن قبل أن أنصرف أذكركم -وأنتم تعرفون جيدًا- أنهم -أي دول الجوار العراقي- من أجل ما تقدّم ذكره يسعون ويمكرون مكر الليل والنهار ويبذلون كل ما باستطاعتهم لكي يكون هناك حلّ وسط يتحقق لهم من خلاله الأمن على كراسيهم ورياستهم ويضمن لهم الاستمرار في ملكهم ودولتهم.

ومن أوضح السيناريوهات في ذلك -كما تعرفون دائمًا- البحث عن ودعم قوى محليّة عراقية عميلة فاسدة لا دين لها ولا حتى عروبة ولا وطنية، خبيثة مثلهم لا يهمّها شيء إلا «الاستقرار» مثلهم أيضًا وليذهب الدين في ستين داهية كما تقول العامة.

وهذا هو الواقع، والبحث الآن جارٍ عن هذه القوى المحلية التي تحقق ذلك، لأنه حتى علاوي وقومه لا يحققون الحد الكافي لأمن هؤلاء الجيران، وليسوا هم الحل المثالي للأمريكان أيضًا.

اللّهم اكفناهم بما شئت.

۞ على المجاهدين أن لا يستثيروا كل الناس عليهم

بعض دول الجوار العراقي على الأقل، ستستميت كي لا ينتصر المجاهدون في العراق.. ستتعاون مع بعضها وتتعاون مع الأمريكان، وحتى مع «شارون» ودويلة إسرائيل ومع أي أحدٍ لأجل هذا الغرض، وهي الآن ماضية في هذا السبيل جاهدة فيه لا تألو..! وهذا معروف وظاهر.

ولا تنقصهم الفتاوى والترقيعات من المفتونين وعمي البصائر أهل الدنيا، لا كثّرهم الله.!

وإنما قلتُ «البعض»؛ لأن البعض بالفعل عندهم أولويات مختلفة قليلا على المدى القصير وإن اتفقوا على المدى البعيد؛ مثل سوريا؛ وإيران فإنهما وجدا مصلحة كبيرة لا نشك في ذلك في اشتعال المقاومة والجهاد في العراق، وفشل المشروع الأمريكي وتورّط أمريكا في مستنقع العراق..

فلهذا قد يحصل منهم تراخي في حرب الإخوة، إلى حين طبعا، وقد يحصل منهم إغضاءٌ أيضا..

لكن تبقى للمسألة زاوية أخرى، وهي أنه على المجاهدين ألا يستثيروا كل الناس عليهم ولا يستَعْدوا كل دول الجوار..

ما المانع أن نظهر للناس أننا لسنا أعداء لكل أحد.. ولا نقصد أحدا غير ما نحن فيه الآن.. إلى ما شابه ذلك.

هناك مندوحة في المعاريض، وفي الكلام الدبلُوماسي والخطاب السياسي، وفي كثير من السكوت.. هذه مسألة مهمة، تحتاج إلى مدارسة وتفهّم..

ونحن على كل حال مع المجاهدين ضدّ سائر الكفرة والطواغيت ومرقّعيهم!

حتى لو فرض أن المجاهدين سينكسرون، وأنهم جهال لا يعرفون السياسة كما يدّعيه أهل الدنيا الذين يقولون ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ [الأنفال: ٤٩].

ونرجو عفو الله ونطمع في عافيته وفضله.

نسأل الله التوفيق للمجاهدين، ونسأله تعالى أن يفتح عليهم وينصرهم نصرًا عزيزًا..

و أن يجعل العاقبة خيرا للإسلام والمسلمين في كل بلاد.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٧/ ٦/ ٢٠٠٥]

في الكلام عن الشيخ «أبي محمد المقدسي»

أظن «الشيخ رضا» يقصد بعبارته وكلامه عن الشيخ المقدسي: أن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة؛ مع أن العبارة -التي استعملها- شديدة في حق الشيخ المقدسي، وكأنها جرت من «الشيخ رضا» على سَنن قول سيدنا سليمان للهدهد: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل].

نسأل الله أن يهديه ويسدده ويجنبه الزلل ويفك أسره ويفرج كربه وينفع المسلمين به، ونسأله تعالى أن يعفو عنه ويغفر لنا وله ولجميع المسلمين، وأن يحسن خاتمتنا جميعا.

ولا شك أن عبارته المذكورة من أخطائه المعدودة، والتي تنبه إليها ممن تنبه منذ زمن بعيد كثير من المجاهدين وقيادات الحركات الجهادية، وعندي من ذلك أخبار يقينية أنا واقف عليها بنفسي منذ أيام أوائل التسعينات، لكن ما كل ما يعلم يقال..! وممن كان -ولازال كما أظن- ينكر مثل هذه العبارات الشنيعة في حق العلماء الكبار وهذا الأسلوب الخاطئ الشيخُ «أسامة» نفسه.

ومن الإنصاف القول إن الشيخ المقدسي صدرت منه هذه العبارات وما ماثلها في فترة تعتبر هي مرحلة من مراحل سيرة الشيخ المقدسي، وأظنه تجاوزها ولله الحمد، وصار في السنوات الأخيرة أكثر اعتدالا ونضجًا..

ثم إنني ألاحظ أن هناك مبالغة قد تكون مقصودة من البعض بالقول إن الشيخ المقدسي من قيادات الجهاد، ومن منظري الحركات الجهادية..! ورأيت بعضهم يعتبره من أكبر المنظرين وما شابه ذلك من عبارات.! وهذا في رأيي مجانب للواقع وليس بدقيق أبدًا لمن أراد أن ينصف.

لا ننكر للشيخ المقدسي جهوده في الدعوة ومنابذة الحكومات الكافرة المرتدة وكشفه لزيفها وزندقتها وغير ذلك من جهوده، جزاه الله خيرا، وأيضا نعرف قوته في دينه وصبره وتضحيته وجهاده.. ولكن أن يقال هو منظر للحركة الجهادية فليس بصواب..

له إسهامه؛ نعم، وأما القول بأنه من قياداتها، فهذا مجانب للصواب كل المجانبة..!

لكن إطلاق هكذا أقوال قد يراد به السوء، واقتضى النصح التنبيه وللتدقيق وتحرّي العدل.

والله أعلم.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٥/ ٦/ ٢٠٠٥]

الشيخ أسامة لا يرى مواجهة الحكومات العربية الآن!

[جواب سؤال: هل يكون استشهاد الشيخ «عبد الله الرشود» بداية لتصحيح المنهج؟]

نسأل الله أن يكون استشهاد الشيخ عبد الله ﷺ -في العراق- عامل تصحيح للمسار ومؤشر خير وبرّ وبركة وعنوان توفيق على إخواننا في بلاد الحرمين.

ونسأل الله أن ينصرهم على عدوّ الله وعدوهم وأن يسددهم ويجنبهم الزلل والخطل.

إنني مازلت أعتقد أن الإخوة ما كانوا مختارين للحرب مع «الدولة السعودية» على أرض الجزيرة، ولكنهم ضويقوا واضطهدوا وطوردوا وصيل عليهم والجميع يعرف ذلك..

ودافعوا عن أنفسهم واتخذوا القرار ثم هي الحرب تتطور وتتوالى أهوالها..

ولكن أنا لا أشك أن إخواننا لو وجدوا طريقا لميادين الجهاد الواضحة المعالم والمتفق عليها؛ لما تخلفوا وهذا هو ما نظنه من رأي الشيخ أسامة بن لادن أيضا حَفِظَهُ اللهُ ونصره وسدده، وهذا هو رأيه الثابت من سنين، لا يرى المواجهة أبدا الآن مع الحكومات العربية عموما بلهَ الحكومة السعودية.

نسأل الله أن يصلح الأحوال وأن ينزّل النصر، إنه خير الناصرين وأرحم الراحمين.

أما الحكومة؛ فهي الخاسر الأكبر في كل الأحوال إن لم تتب إلى الله وتراجع دينه.

ولئن كانت اليوم قد أخطأها السهم ونبا عنها السيف؛ فذلك قضاء الله وحكمته ليبتلي بعض خلقه ببعض، وسيأتي اليوم الذي لا بد منه لمن لم يتب إلى الله ويحكم دينه وشريعته، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشدٍ يعزّ فيه أولياؤك، ويذلّ فيه أعداؤك يا قوي يا متين.. آمين.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٣/ ٦/ ٢٠٠٥]

جوابا على رسالة الشيخ الزرقاوي: «دعوا عطية اللّه فهو أعلم بما يقول»

اللّهم اغفر لأخي أبي مصعب وأعلِ قدره وارفع في الآخرين ذكره، وسدده وزده هدى وتوفقيا واختم لنا وله بالحسنى.. آمين.

بل أنا والله أحق بأن أنتصح بكلامكم وفعالكم؛ فقد سبقتم وتأخرنا، نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم ويجعلنا وإياكم من المفلحين.. وجزى الله الإخوة خيرا من بلّغ ومن ظن خيرا وقال خيرا.

وليعلم الإخوة أني لم أصف الإخوة في «العراق» بأن عندهم نوعا من العجب والفخر كما هي عبارة أخي، فهو حكاها بالمعنى، فتغيرت بعض الشيء عن أصلها، ولا والله ما أصفهم بذلك وما رأيت إلا خيرا إن شاء الله.

وإنما حذرت من الغرور، كما أحذّر نفسي، وقلت إن ما اقترحته من الرأي والبيان في قضية انسحاب الإيطاليين «يعطي انطباعا لأصدقائنا وأحبابنا قبل أعدائنا أننا متواضعون لا مغرورون منتشون. وأننا حقًّا بالله مستعينون وعليه متوكّلون، ومن تقصيرنا خائفون..».

ويعلم الله أني فرحتُ بما ذكره أخي حَفِظَهُ اللهُ ونصره من التوضيحات حول تحرّي الإخوة -كما في مثال أقارب علاوي وسائر ما ذكره- وهذا والله شيء يطمئن القلب ويثلج الصدر، وهو والله الظن بكم، ما حالَ ولا زال..

فبارك الله فيكم وقوّاكم ونصركم وتقبل منكم، وجعلنا الله وإياكم مفاتيح للخير مغاليق للشر.

وما ذكره أخي أبو مصعب حول مسألة الشدة، وما يراه من مدى مطلوبيتها.. فالحكمة وضع كل شيء في محله شدة ولينا ورفقا وعنفًا وغيرها..

والموفق من وفقه الله تعالى، فاستعينوا بالله فإنه مولاكم، نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1]

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٥/ ٧/ ٢٠٠٥]

---

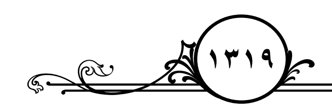
(١) خطاب الشيخ أبي مصعب الزرقاوي ﷺ المعنون بـ: «دعوا عطية الله فهو أعلم بما يقول»، هو خطابه السادس والعشرين، قال فيه: «مما وقعت عليه عينايَ: مقالٌ للأخ الكبير الشيخ عطيَّة الله.. وكان المقالُ يتضمن ردًّا من الشيخ عطيَّة الله، على بيانٍ سابق لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين؛ بشأن انسحاب القوات الإيطالية من العراق، على لسان رئيس وزرائها بيرلسكوني».

فكان لي بعضُ الوَقَفات مع هذا المقال:

١. مما يحسُن بيانه ابتداءً أن يعرف الإخوة؛ وهذا ليس من باب التواضع -عَلِمَ الله- بل هو حقيقة وواقع؛ بأن الأخ عطيَّة الله هو أخ كبير لأخيكم الصغير، وأنه أيضًا هو الشيخ لا أنا، فما أنا إلا رجل من رجالات المسلمين، وجندي من جنود هذا الدين، زللي وخَطَلِي أكثر من صوابي، نسأل الله أن يُمَسِّكَني بالإسلام حتى ألقاه، وأن يختم لي بالحسنى.

فشتَّان بين من قضى شطرًا من عمره في اللهو والمعاصي، وبين من نبتت لحيته، واشتد عوده في أرض الجهاد.

٢. ما قلته سابقًا متعلق بما سأقوله لاحقًا؛ وهو أن يعلم الإخوة بأن الأخ الكبير عطية الله ممن كانت له تجارب سابقة في عِدَّة ساحات جهادية، مما أَكْسَب الرجلَ -نحسبه والله حسيبه، و لا نزكي على الله أحدًا- خبرةً ثريَّة، وتجربة ناضجة، وبُعْدَ نَظَرٍ في مآلات الأمور، تؤهله بأن يُدْلِيَ بدَلْوِه، ويبديَ ما يعتقد في النوازل التي تواجه الجهاد والمجاهدين» رحم الله الشيخين وأسكنهما الفردوس الأعلى، آمين.



تعليق على موقف أبي بصير من تفجيرات لندن

لو أن أبا بصير اقتصر على إدانة العملية بكلام عام وورَّى واستعمل المعاريض؛ لكان كلامه متجهًا، وذلك كأن يقول: نستنكر هذه العملية الفظيعة -وهي فظيعة بالفعل ومهولة-، ونظن أنها من عمل بعض أعداء المسلمين لتوريطهم وتشويه صورتهم وتأليب الشعب والحكومة البريطانيين عليهم، وإن الجالية المسلمة -يقتصر عليها، ولا يقول الإسلام- بينها وبين الدولة البريطانية عهود ومواثيق ملتزمة بها، وهي تعيش في جوار الدولة البريطانية.. الخ؛ مما يناسب.

أما النسبة للإسلام والبراءة بهذا الشكل، والقول بأنه «لا رجولة فيه ولا مروءة ولا أخلاق»؛ فهذا أظنه خطأ من الأخ أبي بصير.. وقد كان في غنى عنه، والله أعلم.

لأنه إذا كان ناسٌ من المسلمين ممن ينتسب إلى «القاعدة» أو من محبيها والمنتسبين إليها على الطريقة الحديثة عن بُعد وما شابه ذلك، وهذا محتمل عندي جدًا؛ فأنا لا أقول فيه: لا رجولة، وجبن.. ونحو ذلك..

بغضّ النظر عن رأيي في جدوى تلك العمليات، وموقعها في السياسة وغير ذلك.

لكن يبقى المسلم أخي وحبيبي ووليّي وإن قتل مليون كافر خطأ وهو يجاهد ويثأر لدينه وعرض أمته وشرفها.

أنصحه وأقوّمه وآخذ على يديه حين يأتي منكرًا، وأنصره ظالمًا ومظلوما، ولا أخذله ولا أسلمه..

قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[البقرة: ٢١٧].

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١٠/ ٧/ ٢٠٠٥]

كيفية التعامل مع المرتد

[تعليقا على أسر رجلين دبلوماسِيِّيْن، عند المجاهدين في العراق، كتب الشيخ ﷺ]

رأيي أن ردّة الرجلين غير مستبعدة، بل مستقربة جدًا، لكثرة الردة في طبقتهما وأمثالهما، هذا شيء نعرفه..! ومع ذلك فإنني لو كنتُ أنا لم أقتلْهما، ولكان لي خيارات أخرى تحقق أكثر المصالح والنصر لنا، وتندفع بها المفاسد المحتملة من التنفير والإيحاءات السيئة.!

كأن أوافق على المطالبة بإطلاقهما بشرطٍ: أن تسحب بلدُهما بعثتها بالكامل، وتتعهّد ببيان رسمّي علنيّ أنها لا تعود إلى مثل ذلك حتى تخرج قوات الاحتلال من العراق كاملةً.

وهناك أفكار أخرى كثيرة جيدة..

ولست أريد مناقشة ذلك، والظن عندي أن المجاهدين دققوا في أمرهما وجمعوا المعلومات عنهما، وعرفوا حالهما وعملهما: هل هم مجرد موظفين قادمين لخدمة الرعايا الجزائريين كما قال البعض؟ أو هم قادمون لعمل سياسي واستراتيجي، أو تجسسي، وللتعاون مع الحكومة المرتدة في العراق أو مع القوات الصليبية ودعمهما، ونحو ذلك، هذا كله محتمل، والمجاهدون هم من يعرفه ويقف على كنهه.

وإنما كلامي فيما بعد أن يصحّ أنهما كافران يستحقان القتل -دمهما هدرٌ-، وبعد اختيار أنهما زنديقان لا استتابة لهما -لا تقبل توبتهما-..

فأقول لإخواني المجاهدين في العراق من الجماعات السلفية التي تلتزم الدليل من الكتاب والسنة وتسير على منهج أهل السنة والجماعة الكامل؛ سواء من إخواننا في «قاعدة الجهاد» أو «أنصار السنة» أو غيرهم: إنني أظن أن المسألة التي أنتم متمسكون بها هي أن المرتدّ لا يمكن العفو عنه والمنّ عليه، وأنه يجب قتله بكل حالٍ، على حدّ قول نبينا ﷺ: **(من بدّل دينه فاقتلوه)**[1] وأنه ليس كالكافر الأصليّ في إمكان المنّ عليه، ونحو ذلك من الأحكام.

لعل هذا هو مأخذ الرأي عندكم في مسألتهم.

وظني الذي لا يتزعزع أنكم من أحرص الناس على كل خيرٍ، وعلى إقامة الدين كاملا غير منقوص، لا تأخذكم في ذلك لومة لائم، ولا يضركم تخذيل مخذّل ولا إرجاف مرجف، ولا مخالفة العالمين..

وأنكم معكم من طلبة العلم وشيوخه من ينظر في هذه المسائل ويقضي فيها بعون الله على وَفق

---

(١) صحيح البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢).

شريعة الله المطهرة.

وأعرف أنكم تدركون جيدًا وتقرّون مع جميع إخوانكم المسلمين في كل مكان أن تأليف قلوب الخلق عليكم واكتسابهم في صفّكم هو من أهم دعائم قوتكم وأسباب نصركم بإذن الله تعالى، وأنه واجبٌ في حدّ ذاته لطالما أوصانا به رسولنا ﷺ: (**بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا**)[١] تيسيرا للناس طريق الهداية والاستقامة، وجرًّا لهم إلى بحبوحة هذا الدين الذي أكرمنا الله به..

وأعرف أنكم من أعرفِ الناس بمعنى قول رسول الله ﷺ: (**لا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه**)[٢]..

وتعرفون أن كون الشخص كافرًا مباحَ الدمِ، لا يعني وجوب قتله بالفعل، بل قتله أمرٌ متروك لنا إن رأيناه صلاحًا فعلنا وإن رأينا الترك فعلنا..

غير أني أحب أن أنبهكم إلى أن تدرسوا مسألة المرتد هذه، وتباحثوا فيها من أمكنكم من أهل العلم؛ فإن فيها رأيا آخر يقول: إن المرتد في مثل حالتنا هذه هو كالكافر الأصليّ، لأن له دولةً يلجأ إليها ويأرز، وأن المقصود بحديث النبيّ ﷺ: (**من بدّل دينه فاقتلوه**)[٣] المرتدّ في حوزتنا وتحت قدرتنا -المقدور عليه بكل معناه-، ولأجل ذلك أجاز بعض شيوخنا مهادنة المرتدين -دول الردّة- وموادعتهم، إذا احتاج المسلمون إلى مهادنتهم ورأوها مصلحة لهم راجحة، وأجازوا المنّ على الكافر المرتد الأسير أو مفاداته بمالٍ أو أسرى المسلمين، إذا رأى المسلمون في ذلك مصلحة راجحة، تشبيها له في هذه الحال بالكافر الأصليّ وتنزيلا له منزلته..

وممن عرف عنه هذا الرأي الشيخ «عليّ بلحاج» فرج الله كربه ونصره الله وأعزه.

وأعرفُ غيره من أهل العلم من يرى جواز مهادنتهم، وأن قول شيخ الإسلام ونقله الإجماع على أن المرتدين لا يهادنون ولا تعقد لهم ذمةٌ.. الخ[٤]؛ أنه محمول على مثل حال المرتدين مع دولة الصدّيق رضي الله عنه، أي حال القدرة على قتالهم وإخضاعهم؛ فلا يجوز للمسلمين ولإمام المسلمين أن يقبل منهم في هذه الحال إلا الرجوع في الإسلام أو السيف.

لكن في حالنا اليوم؛ المرتدون لهم دولٌ وقوة، ونحن في ضعف وقلة، والناس في حيص بيص من

---

(١) صحيح البخاري (٦٩)، وأيضا: صحيح البخاري (٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٠٥)، صحيح مسلم (٢٥٨٤).

(٣) صحيح البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢).

(٤) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٤): «استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة؛ منها أن المرتد يقتل بكل حال ولا يضرب عليه جزية ولا تعقد له ذمة».

الجهالات وسوء الفهم والتلبيس الواقع عليهم، إلى غير ذلك، فإننا قد نجد سعة ورحمة في هذا الرأي، فتأملوه بارك الله فيكم، وادرسوا المسألة وباحثوا فيها العلماء، فلو يسّر الله علينا فإننا لا نعدل بتيسير الله شيئا.

فهذه المسألة تحتاج إلى مراجعة..

فإن المفسدة ظاهرة لنا نحن الذين في خارج العراق في قتل أمثال هؤلاء الدبلوماسيين.

وإن كان لكم أنتم في الداخل زاويا أخرى للنظر لا ندركها نحن في الخارج، لكن ما أجمل وأكمل أن يجتمع النظر من الداخل والخارج.

واعلموا يا إخواني أن أهمّ شيء هو أن تكونوا أنتم أقوياء متماسكين في صفّكم الداخليّ.. ووالله لو اجتمعت عليكم جيوش العالم بأسرها لن تغلبكم بإذن الله ما دمتم متماسكين، وما دام صفّكم مرصوصًا، وما دمتم على قلب رجلٍ واحدٍ؛ فأهم شيء في مسألتنا هذه أن تصدُروا عن كلمة واحدة، وعزمٍ واحدٍ، لا اختلاف ولا شقاق.! وحتى لو كان ما جرى خطأ، فلن يضرّكم ما دمتم تصْدُرون عن كلمةٍ واحدة، وتنبضون بقلبٍ واحد.

أما إن كان رأيكم متفرّقا فيها، ووجد الانفراد والاستبداد من بعضكم على بعض، ودخل الشيطان وغرزَ معاوله، فإياكم إياكم ثم إياكم.!

وأما مسألة الإثخان والشّدّة على أعداء الله، فمطلوبة لا شك، غير أنه لا شيء يعدل التوسّط والعدل في الأمور كلها، والجمع بين ما يمكن من المصالح وتقديم الأكبر عند التدافع.

والله الموفّق ﷻ، والله المسؤول أن ينصركم على أعداء الله، وأن يوفقكم ويسددكم ويجنبنا وإياكم الزلل، ونسأل الله أن ينصر دينه وكتابه وسنة نبيّه وعباده المؤمنين في كل مكان.. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٥]

السيادة للشرع حتى في القوانين التنظيمية والحياتية

[تعليقا على بيان لجيش أنصار السنة حول قضية كتابة الدستور، كتب الشيخ رحمه الله]

نسأل الله لكم التوفيق والسداد والنصر على الأعداء.. آمين.

ملاحظة:

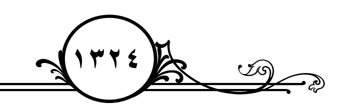
قول البيان: «والأصل في دين الإسلام سيادة شرع الله وحده فقط، يستثنى من ذلك القوانين الخدمية ما لم تخالف شرعا» اهـ.

هذا الاستثناء غير سديد، ولا داعي له؛ بل عموم وشمول حكم الإسلام وهيمنته على كل القوانين وكل أفعال المكلفين ثابتٌ ولا يخرج عنه شيء؛ فلا استثناء فيه ألبتة.!

ما أسميتموه يا إخواني بـ«القوانين الخدمية» وتقصدون بها -والله أعلم- الأمور التنظيمية المدنية الحياتية المندرجة تحت باب المباح في شريعتنا مما خوّل الله تعالى الناس أن يفعلوا فيها ما يصلحهم، مثالها قوانين المرور بالسيارات والعربات وتنظيم عمل العمّال والمتاجر والشركات وحتى المجاري والقمامة ونظافة المدن.. الخ مما يشبهه، هذه الأمور نعم هي أمور لا نصوص فيها في الشريعة وهي متروكة لاجتهاد الناس بما يحقق مصلحتهم، لكن بشرط: أن تكون السيادة للدين والشريعة، وعدم تجاوز الخطوط الحمراء التي وضعتها الشريعة، وإنما نعمل فيها بما نراه مصلحة ونفعًا وخيرا، في دائرة ما أباحه الله تعالى.. فصحّ إذن أن هيمنة الشريعة وسيادتها عامّة شاملة لا استثناء فيها أبدًا.

هذا للتنبيه ولتصحيح العبارة، مع أننا نجزم أن إخواننا لا يخالفون هذا المعنى، والله ولي التوفيق.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٥]



حكم الدعوة إلى مناصرة الشيعة الرافضة

العراق بلاد إسلام وأهلها مسلمون في الجملة، هذا صحيح مسلّم..

وقولنا «أهلها مسلمون»: يشمل أهل السنة منهم، ويشمل أيضا «المعذورين من الشيعة» وهم جملة كبيرة من عوامّهم لأننا نفصّل في الحكم على الشيعة، والتفصيل فيهم هو الحق إن شاء الله، لكن في الجملة هو من أهل القبلة، ولا بأس من إطلاق القول بأنهم مسلمون بهذا الاعتبار، والله أعلم.

لكن الدعوة إلى مناصرة الشيعة الرافضة أخزاهم الله والوقوف معهم ضد الأمريكان في النجف وكربلاء وغيرها الآن في ظروفنا هذه.. غير سديد في رأيي، والله أعلم.

لماذا؟ لأن عندنا اليوم خيارات أخرى ممكن أن نقوم بها، أولها أن تتوجه قوانا وطاقاتنا إلى مناصرة إخواننا أهل السنة وهم الحمد لله القائمون بمعظم الجهاد في العراق اليوم وهم بحاجة إلى كل عون منا، ولأن التنافس بين السنة والشيعة غير خاف، بل إن الحرب «الطائفية» أي الحرب بين السنة والشيعة محتمل نشوبها في أي وقت في العراق.. وعليه فنحن في غنىً الآن عن الدعوة إلى نصرة الشيعة!! كيف وهم من الناحية السياسة أعداء لنا أعني نحن السنة، بل أعداء استراتيجيّون بالمصطلح السياسي، متربصون أشد التربص، وينظرون إلى هذه الفرصة اليوم على أنها فرصة تاريخية لا يجوز لهم أبدا أن يفرّطوا فيها ليحكموا العراق ويتغلّبوا على أهل السنة، وكل وهذا واضح ليس به خفاء!!

ولذلك لا ينبغي أن تغيب عنا كل هذه الحقائق ونحن نتكلم في موضوع نصرة الشيعة من عدمها اليوم في العراق، لأن النظرة إلى العمومات الشرعية المحضة بدون مراعاة ما ذكرته يؤدي إلى خلل كبير؛ لأن مؤدّاه نصرة قوم خطرهم على الإسلام ربما كان أشد من خطر النصارى أنفسهم، وطائفة معتبرة من علمائنا تكفرهم وتعتبرهم طائفة كفر رأسًا!!

ولذلك قول من يقول لك:

إن الرافضة أشد خطرا حتى من النصارى، قول ليس بالبعيد؛ فتأمل، **وله وجهان:**

الأول: أنهم أشد غيظا وحقدا على أهل السنة، ولو تمكنوا يُتوقّع لهم أن يفعلوا في المسلمين أشد مما يتصوّر أن يفعله النصراني، والنصراني كافر واضح معلوم الكفر مسلّم كفره عند الكافة، أما هؤلاء فكفرهم من باب الزندقة فهم أخطر.



والثاني: أنهم كفار مرتدون -عند من يكفرهم طبعا، وأنت قصاراك أن تختار وجها، لكن لا تستطيع نفي الخلاف- والنصراني كافر أصلي.. ومعلوم طبعا أنه على هذا الوجه فإن المرتد أكفر وأشد على الإسلام من الكافر الأصلي كما هو متقرر.

وبالجملة فنحن يسعنا اليوم أن نسكت عنهم ونتفرّج، نعم.. لعل الله ينتقم من الظالمين ببعضهم من بعض، ونوجّه كل قوانا لنصرة إخواننا السنة فليس عندنا فائض في الطاقات نعطيه للشيعة.! نسأل الله أن يهلكهم ويطهر بلاد المسلمين منهم.. آمين، وإذا اقتضى النظر السياسي أن نبدي استنكارنا وتنديدنا بأعمال الأمريكان في النجف وغيرها من مناطق الشيعة فلا بأس، ولا مانع من ذلك، كما قد فعلته هيئة علماء السنة في العراق؛ فهذا تصرّف سياسي جيد وله وجه وجيه، لا يمنع منه الشرع، باعتبار أن البلاد هي في الحقيقة بلاد الإسلام، وباعتبار القسم غير المكفّر عندنا من الشيعة، وباعتبار إنكار الظلم مطلقا وهكذا..

لكن الدعوة إلى نصرتهم أو الوقوف معهم، أو اعتبار مقاومتهم جهادا كما يقوله البعض من الناس مثلا، فهذا غير صحيح ولا سديد، والله أعلم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل..

نسأل الله لنا ولكم التسديد والتوفيق في العلم والعمل

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٣/ ٨/ ٢٠٠٤]

مسألة جز عنق الكافر

نصَّ العلماء على أن القتل المشروع لمن وجب عليه القتل هو الذبح، والمعبّر عنه كثيرا في نصوص بعض الأحاديث وفي كلام السلف بـ«ضرب العنق».

وأظن شيخ الإسلام ابن تيمية ممن نصّ على هذا، لكني لا أستحضر موضعه الآن، فليبحث عنه.

والنبي ﷺ قتل من قتل من أسرى المشركين في بدرٍ، ثم مقاتِلة بني قريظة الستمائة بضرب العنق وهو الذبح، والله أعلم.

وهذا طبعا ما لم يكن القتل قصاصًا؛ فحينئذ فيه التفصيل، فالأصل المساواة: يُقتَل بما قتل، إلا حيث يوجد مانعٌ، واختلفوا في فروع منها كالتحريق بالنار ونحوه.

هذا من حيث تجريد المسألة، أما من حيث النظر السياسي والفتوى؛ فقد يفتي المفتي ويري السياسي الملتزم بالشريعة أنه من الأفضل في بعض الأوقات والأحيان أن يكون القتل بالرصاص مثلا وأنه أولى لأسبابٍ منها الخوف من التنفير والتبشيع على المسلمين أو نحو ذلك، وهذا نظر اجتهادي يسوغ إن شاء الله في بعض الأحوال والأوقات ينظر فيه المفتي وولي الأمر، بحسب قوة المسلمين وضعفهم والمرحلة التي هم فيها والشعوب التي يتعاملون معها ثقافاتها وبحسب حال عدوّهم أيضا وغير ذلك.

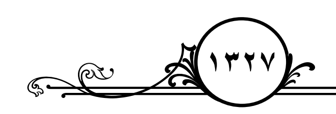
وكذلك أيضا هناك مسألة إظهار الذبح على وسائل الإعلام مصوّرا بالفيديو وغيره، فهذه مسألة إضافية، وينظر فيها من حيث المصلحة والمفسدة، فما ترجح من ذلك عُمِل به، فقد يترجح مقصد التشريد بهم من خلفهم أحيانا، وقد يترجح مقصد عدم التنفير أحيانا أخرى، وبالجملة فليس شيء يعدل التوسّط والقصد والسداد، وإعطاء كل شيء حقه، ووضع كل شيء في محله.

والموفق من وفقه الله تعالى.

مثاله: لو أمسكت ضابطًا كبيرًا من الأمريكان فهذا يُستحسن أن يذبَح ويُصوّر ويذاع على الملأ..! ولو كان الممسوك رجلا أمريكيا مدنيا حقيرًا فليس الأمر كذلك..!! واعتبر بهذا، والله أعلم.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم وجميع أحبابنا الهدى والسداد.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ١/ ٩/ ٢٠٠٥]



۞ الذي خلقهم هو أشد منهم قوة

قُتل أكثر من عشرة آلاف أمريكي في «إعصار كاترينا»..

فالحمد لله.. نسأل الله تعالى العليّ القدير أن يشغلهم بأنفسهم ويكفّ بأسهم عن المسلمين.

اللّهم سلّط عليهم الآفات والمعايب، والمشكلات والمصائب واشغلهم بأنفسهم عن عبادك المؤمنين.. آمين.

سبحان الله، عبرة وآية، وأي آية..!!

مما لفت انتباهي في الأخبار عبارة جاءت في تقرير السي إن إن:

«.. فيما يتابع العالم مذهولًا القوة العظمى الوحيدة على كوكب الأرض، وهي تواجه صعوبات في التعامل مع الأزمة..» فالله أكبر..

هؤلاء الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢/ ٩/ ٢٠٠٥]

بعد تبني القاعدة لغزوات لندن.. القاعدة تسعى لإحياء معالم التوحيد

نسأل الله أن ينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان وأن يزيدهم هدى وسدادًا..

ونسأله ﷻ أن يبارك في أعمالهم ويصرف عنهم السوء والفحشاء..

وأن يجعل هذه الأحداث خيرا على الإسلام والمسلمين ونصرًا.. آمين.

الجميع يقدّر المصالح، ولكن قد يختلف التقدير، والفكرة مختلفة كثيرا..!

فعند المجاهدين -الشيخ أسامة تحديدًا- ميلٌ إلى عدم اعتبار ما يسمّى بالجهود الإسلامية والمؤسسات الإسلامية وكثير من الوجود الإسلامي في بلاد الغرب، في مقابل مصلحة إنشاء وإشعال وإحياء الجهاد بيننا وبين الغرب الكافر المحارب لنا في أماكن وصعُد كثيرة، والبادئ والظالم لنا، وأن تتحول العلاقة بيننا وبينهم إلى علاقة مبنيّة على أصل الدين وعلى ألفاظ ومعاني: «كافر» و«مسلم»، وإلى مبادئ التوحيد وصراعه مع الكفر والإلحاد والتنديد، وإلى الولاء والبراء في الدين لا غير.. بعد أن طمست تلك المعالم بفعل العولمة والغزو الفكري والثقافي الغربي.

فهذه نقطة مهمة ومحورية في فكر الشيخ؛ فينبغي التنبّه لها عند تحليل تصرفاته وفكره نصره الله وإخوانه.

من هذا المنطلق وبعبارة بسيطة، نستطيع أن نقول: إن أحداث «إحداش سبتمبر» هي في أحد أبرز وجوهها؛ ردّ الأمة المسلمة المدمِّر على «العولمة» الأمريكية المقيتة الطاغية.

مع الفكرة السابقة فكرة أخرى: وهي أنه حَفِظَهُ اللهُ وإخوانه يرون أن الأمة قادرة على التصدّي لأعدائها وطردهم من بلادها، وإزالة عدوانهم ودحرهم في المواجهة العادلة بالنسبة لنا بكل المقاييس، وأن حربنا لهم سواء هنا في أرضنا أو في أرضهم هم، هي من قبيل الدفع لا من قبيل الطلب.. فنحن وإن ضربنا لندن أو نيويورك فإنما نفعل ذلك دفعًا فليس المقصود الآن هو فتح أمريكا أو بريطانيا، وإنما صدّ عدوانها وردعها..

هذه بعض الأفكار المهمة لفهم ما يجري، وإغفالها مضرّ بأي تقييم وتحليل في نظري..

وبعد ذلك لكل إنسان رأيه، ولكن على أن يعطي كل شيء حقه وينصف ويحسن تقرير مذاهب الناس وتصوّرها ثم يناقشها.

والله أعلم وأحكم.

نسأل الله أن يزرقنا وسائر إخواننا الهدى والسداد.

وأن ينصر الإسلام والمسلمين ويذلَّ الشرك والمشركين.

اللّٰهم إنا نسألك ما قضيتَ لنا من أمرٍ أن تجعل عاقبته لنا رشدًا.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢/ ٩/ ٢٠٠٥]

فقه السكوت

موضوع فقه الجاليات الإسلامية في بلاد الكفر «الغرب» موضوع مهم حقا، ويحتاج إلى مزيد دراسة من أهل العلم والفكر.

للأسف؛ أكثر الذين تصدّوا للتوجيه في هذا المجال هم أناس لنا عليهم ملاحظات جذرية وكبيرة، في حين أن كلام أهل العلم الموثوقين في ذلك وجهودهم أقل فيما رأيت.

فنسأل الله أن يلهمنا وإياكم وسائر المسلمين رشدنا ويفقهنا في الدين وينوّر بصائرنا جميعا.

لا شك الكلام فيه باستيعاب لا نستطيعه الآن، ولكن حسب ما رأيت فهناك نقطة مهمة وهي: «**فقه السكوت**»؛ علينا أن ننشر هذا الفقه ونفعّله..

يعني مثلا، هذا الشيخ الفاضل -صاحب المقال الذي نعلق عليه- كان بإمكانه أن يسكت.

يقول قائل: هذا صعبٌ عليه في مثل تلك الظروف وعليهم ضغوطات ولا بد أن تداري..!

نقول: إذا كان لا بد، فلينتقل إلى درجة أخرى من المداراة، وهو أن يظهر التأسف على ما أصاب القوم، ويقول نحن مستعدون لمساعدتهم بأموالنا فهذه مساعدة إنسانية وفي ضمن ذلك نحاول تحقيق ما يمكن من مصلحة دعوتهم..!

ولا داعي هنا لإظهار الحزن المبالغ فيه، أو الحماسة الزائدة في الدعوة إلى المساعدة والنصرة لهؤلاء الكفرة.. لأن الغرض هو المداراة والدفع عن المسلمين المستضعفين في تلك البلاد، فيُقتصر على ما يكفي من ذلك مما لا يوقع في محرّم.. حتى إذا وصلنا إلى الوقوع في محرّم واضحٍ بيّنٍ.. فهذا حدّ ننتهي إليه؛ فإما تصبر على إظهار الحق والامتناع عن مطاوعتهم على معصية الله، وإما أن يهاجر من تلك البلاد من لم يستطع إظهار دينه.. بعد ذلك من بقي ممن لا يستطيع الهجرة فأمره أخفّ والعذر في حقه واسعٌ..

الإنسان الذي يقول إنه مستضعف ومضطر للعيش هناك في وسط الكفار، نحن نعذره لمكان الاضطرار، ولكن ليس له أن يتكلم بالباطل!! فليسكت وليصبر على آثار السكوت وليتحمّل ضريبة بقائه هناك واستضعافه، وليجتهد في التخلص من هذه الحال السيء بهجرةٍ طيبة، وإلى أن يفتح الله عليه ويأذن بالفرج عليه أن يتحمل ويصبر ويعتصم بالله، والسكوت باب واسع من رحمة الله ولطفه، والله أعلم.. نسأل الله تعالى أن يبرم لهذه الأمة أمر رشدٍ يعزّ فيه أولياؤه، ويذلّ فيه أعداؤه.. آمين.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٤/ ٩/ ٢٠٠٥]

بيت الأنصار وقضية التكفير

بالنسبة إلى القول بأن الشيخ أسامه نصره الله كان يمنع الكلام في التكفير في سابق الأوان في مضافاته ومعسكراته، وكانوا في «بيت الأنصار» يمنعون دخول من يكفر.. الخ هذه الأقوال..

فهذا تقرير وتصوير غير دقيق وغير صحيح بهذا الشكل لما كان واقعًا بالفعل..!

ولعلي إن شاء الله أجد فرصة أخرى أفضل أكتب فيها ما عندي في هذا الموضوع.

ولعل بعض إخواني الذين حضروا تلك الأزمان أيضا يكتبون؛ يغفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين.

وسأقتنص فرصة مناسبة إن شاء الله لأبيّن ما أعرفه في هذه المسألة، مع أنها ليست بذات أهمية كبيرة، -على عكس ما يعطيها البعض من الأهمية ويجعلها كالأدلة على صحة فكرته وهذا خطأ منهجي-!! والحق أنها تصرفات بشرية في وقت من الأوقات وظرف من الظروف ولأسباب، وقد يتكرر مثلها الآن أو في أي مكان، وسأزيدك أمثلة أخرى كثيرة في الفرصة المناسبة إن شاء الله، وسأقول لك إن الجماعات كلها تقريبا والمضافات كانوا يمنعون التكفيريين -سأشرح هناك معناها- من الدخول إلى مضافاتهم، وينهون -بنسب مختلفة- عن الخوض في مسائل التكفير بغير علمٍ ومن غير أولي التأهل، وسأذكر إن شاء الله أخبار «القاري سعيد» ﷺ، وأخبار الشيخ «أبي طلال القاسمي» فرّج الله كربه حيا وميّتًا، والشيخ «أبي المنذر الساعدي» وإخوانه من المقاتلة، وأخبار «القاعدة» و«أبي عبيدة البنشيري» و«أبي حفص الكومندان» ﷺ، وغيرهم كثير، عندي بحمد الله أخبارهم في هذا الباب وجهودهم..!

وهم على ذلك -الحيّ منهم- لم يبدّلوا ولم يغيّروا، من حيث الأصول العامة في الباب، وإنما تتغيّر معطيات الواقع فتتغيّر الفتوى بناءً عليه؛ فالذي تغيّر هو الفتوى أو الحكم القضائي بناء على الواقع المتجدد، فيأتي بعض الناس ويقول: كانوا، وما كانوش..! ويجعل منها قصصًا طويلة ليس فيها هداية.!

وما سأحكيه إن شاء الله إما رأيته وشهدتُ عليه بنفسي في سنوات تسعة وثمانين، وتسعين وواحد وتسعين إلى أواسط اثنين وتسعين، وإما مما نقلته من أخبار الثقات الكثر من البلاد العربية المختلفة من

طلبة العلم المجاهدين ونبلاء الناس. إن شاء الله ستأتي الفرصة المناسبة للحديث..

ولست أدعي أني أحطت بهذه المعارف دون الناس؛ معاذ الله، فما عرفتُ إلا القليل، والناس كلٌّ منهم رأى وسمع وجمعَ، وتفرّقوا في البلدان، وإنما حظنا أننا وجدنا هنا وربما احتاج الناس إلى شيء مما عندنا الآن فنؤديه لمن ينتفع به، والله المستعان.

فالآن أنت تكلم كما تشاء، واعلم أن الله يراك، وربنا يرزقك الهدى والسداد ويقيك الزلل.. آمين.

نسأل الله أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين جميعا وأن يعفو عنا.

والسلام عليكم

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٠/ ٩/ ٢٠٠٥]



۞ يا أمتي.. أين أنت من صمت «الخونة» عن الفلوجة؟!

لن أقول: أين حكام العرب؟

لن أطالب الحكام والحكومات بكلمة حق أو جهادٍ بكلمةٍ إزاء ما يحدث في الفلوجة الآن؟

لا، لن أفعل ذلك..! لأننا بكل بساطة نفضنا أيدينا منهم منذ زمن!

تحققنا خيانتهم، ووقوفهم مع أعداء الأمة في سبيل المحافظة على كراسيهم واستعدادهم التام للتضحية بشعوبهم، وبيع دينهم ودنيا شعوبهم في سبيل أن يبقى لهم ملكهم.

نعم.. لن نناشدهم أو نطالب! ولن نأمل فيهم أو نرجوهم.

ولكن أما آن لأمتنا أن تستيقين ما نقول؟! أما آن لشعوبنا ولشبابنا ورجالنا أن يقفوا على حقيقة حال هؤلاء فينفضوا وينتفضوا؟! أما آن لأجيالنا أن تدرك أنهم العقبة الحقيقية في طريق عزّتنا؟ وأنهم العائق الحيقيقي بيننا وبين استعادة مجدنا السليب؟ وأن المانع الحقيقي من انتصارنا على اليهود ومن وراءهم؟ أما آن لشعوبنا أن تستيقن أن هؤلاء الخونة هم العدوّ الأول، وهم العدوّ حقًّا؟ أما آن للمخدوعين من قومنا أن يبصروا ويعوا؟

لا أريد أن أردد:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي[(١)]

فأنا أؤمن أن أمتنا كالغيث.. وأنها أمة منصورة، وأنها خير أمة أخرجت للناس، وإنما هي غشاوة، وإن طالت شيئًا فستزول وتنقشع، وعما قريب سنردد بإذن الله:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١ ﴾ [الإسراء]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ ﴾ [سبأ]، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤ ﴾ [البقرة].

عطية الله

٨/ ١١/ ٢٠٠٥

---

(١) اختلفوا في نسبة هذه الأبيات؛ فمنهم من نسبها إلى: فضالة بن شريك، انظر: الحماسة البصرية (٢/ ٣٠٠)، ونسبه بعضهم إلى: عمرو بن معديكرب، انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٥/ ١١)، ونُسب لكثر، وفي مواضع بلا نسبة؛ فالله أعلم.

قصيدة في المشرف العام على «منتدى أنا المسلم»

الأخ الكريم «ورنتل» جزاك الله خيرا ما نافحت عن السنة، وبارك الله في جهودكم وسددكم.

وقد قلتُ فيك هذه الأبيات البسيطة تشجيعًا، وأنتم أحسن من ذلك:

و«رنتـــلُ» سُـــددتم إلى الرشـــد إنكـــم عـــلى ثغـــرة للســـنة اليـــوم قمـــتمُ

وقفـــتَ بوجـــه الرافضـــيين ذائـــدا عـــن الســـنة الغـــرا تحـــاجي وتفحِـــمُ

فكـــم مـــوطن للحـــق كنـــتَ نصـــيره بصـــحة مقصـــود يصـــاحبه فهْـــمُ

وكـــم بدعـــةٍ باتـــت بشـــرّ مكانـــةٍ وقـــد طالهـــا مـــن كـــف برهـــانكم هـــدْمُ

فبـــوركتمُ في كـــل خطْـــو وموقـــفٍ وزادكـــمُ الـــرحمنُ عـــزّا و(دمـــتمُ)

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٥]

۞ القرآن الكريم يُدَنّس في سجون القذافي وحسني!!

الأمريكان الصليبيون الكفرة -عليهم لعائن الله المتتابعة- أهانوا المصحف الشريف ودنّسوا أوراقه بالقذارة، فهبّ المسلمون الصادقون وكثيرٌ من المنافقين أيضا (ولا بد) للتنديد والاستنكار فجزى الله الصادقين خيرا وتقبّل الله منهم ورفع قدرهم ونصرهم..

وهذا خيرٌ نمدحه ونشجّعه ونشارك فيه.

وأما أهل النفاق فأقوامٌ لا خلاقَ لهم..!

ما علينا.. ولكني أحببتُ أن أذكّركم بأن القرآن الكريم كتاب الله العزيز المطهّر لم يزل يهانُ ويدنّس وتُمزّق أوراقه وتُلقى في المراحيض أو يُداس عليها بالأقدام، أمام أعين الإخوة المسلمين لإغاظتهم وإهانتهم في سجون القذافي في ليبيا وفي سجون اللامبارك، في مصر وفي سجون الجزائر والمغرب وغيرها، بين الحين والحين.!!

وليس ذلك منا على سبيل الظن أو التهمة، فلا والله لا نرضى أن نظلم مخلوقًا مهما ظلَمَنا ومهما كان طاغيا عاتيًا.

كيف وقد قال لنا ربنا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]، وإنما هو شيء مقطوع به عندنا، رأي العين، بشهادات الكثيرين من أهل الدين والاستقامة الثقات الأثبات من الدعاة إلى الله تعالى.

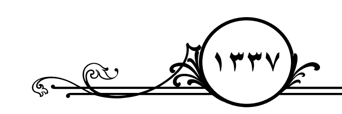
وأعظم من ذلك وأشنع ما يتفوّهون به صباحَ مساء وليلَ نهار من سبّ الله ﷻ وسب دينه.. تعالى الله وتقدّس عما يقولون ويفترون علوًا كبيرًا

وقد حصل لي أن ابتليتُ بالتوقيف لفترة قصيرة في الجزائر في أوائل التسعينات ثم نجّى الله بمنّه وكرمه، فسمعت من ذلك شيئا تتفطر له السماوات وتخرّ له الجبال إلا أن الله يحلم بالعباد ﷻ وجلّ وعزّ.. كان يمرّ علينا كلَّ وقت شخصٌ منهم (جنود الطاغوت من المحققين والمعذِبين) فيوبّخك ويسألك عن اسمك مثلا أو نحو ذلك ليبدأ معك مسلسل الإهانات والضرب والتعذيب والسب والشتم والإرهاب؛ فكانوا جميعا يبدؤون كلامهم بسب الدين وسب الربّ ﷻ، فإن كلمته أو رددت عليه زاد وتفنن في التفوّه بالكفر الغليظ مع الضرب وفاحش القول، فربما تضطر للسكوت والتحمل

حياءً من الله وحذَرَ أن يتمادى عدوُّ الله في سب الله تعالى.

إنه برنامج منظّم، وكفرٌ مَرَدوا عليه وعُلّموه وتلقّوه وتدرّبوا عليه.! ومثله في بلاد المسلمين كثير كثير..! فهل نطمع في استنكارٍ وشجبٍ وتنديد ممن «يهمّهم الأمر»؟!

إلى الله المشتكى.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.



أقسم بالله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والله أكبر، ولله العزةُ ولرسوله وللمؤمنين.

إن طاغية الروم وكلابه يقولون: إنهم سيهزمون الإرهاب، وطلع على قومه بالأمس يقول: إن الدستور العراقي يرعب الإرهابيين ويقضي عليهم، وكذبَ عدوّ الله.!

وأنا أقول له ولكل طغاة العالم: خسئتم، وخبتم وخسرتم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والله مولانا ولا مولى لكم، ولا سواء؛ قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.!

وأقول لإخواني المجاهدين في العراق وفي كل مكان:

أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بغير عمد، وخلق الوالد والولد، لو اجتمع عليكم البنتاجون والناتو ومَنْ بأقطارها، فلن يستطيعوا أن يغلبوكم أبدًا..!

إلا في حالة واحدةٍ فقط -لا قدّرها الله تعالى-: أن تكون الهزيمة ذاتيّة منكم أنتم، من أنفسكم، ومن داخلكم..!!

والله لن يغلبكم عدوّكم أبدًا مهما بلغ من السطوة والقوة، إلا أن تكونوا أنتم تسقطون أنفسكم وتدمّرون أنفسكم بأنفسكم وتخربون ما بنيتم، لا قدّر الله ذلك.!

فأمركم بيدكم بإذن الله، إن أردتم النصر على عدوّكم فالطريق بيّن واضحٌ.

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾[آل عمران]، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾[آل عمران: ١٦٠]، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٥١]، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾[محمد].

إنكم ما دمتم «أنصارَ الله»، وما دمتم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، وما دمتم آخذين بما استطعتم من الأسباب وتوكلتم على ربكم ﷻ، واجتنبتم معصيته؛ فإنكم منصورون ظاهرون، لا يضرّكم من خالفكم ولا من خذلكم.

﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾[آل عمران].

أيها المجاهدون؛ لا تنظروا إلى عدوّكم وقوته وكثرته وجبروته، فهذا لا يساوي شيئا في ميزاننا نحن المسلمين، ولكن انظروا إلى أنفسكم؛ إلى قلوبكم وأعمالكم، إلى صفّكم هل هو مرصوص، وإلى جبهتكم الداخلية هل هي صلبة متماسكة لا مدخل فيها لمِعْوَلٍ، فإنما تقاتلون بأعمالكم وتنصَرون بتقواكم لله ومعصية عدوّكم له، فإن تساويتم أنتم وهُمْ في المعصية غلبوكم بالأسباب المادية.

قال رجلٌ لسيدنا خالد بن الوليد ﷺ يوم اليرموك: «ما أكثر الرومَ وأقلَّ المسلمين! فقال خالد: ما أقلَّ الرومَ وأكثرَ المسلمين، إنما تكثر الجنودُ بالنصر وتقِلُّ بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر (اسم فرسه) بَرَأ من توجّيه وأنهم أُضْعِفوا في العدد، وكان فرسُه قد حَفِي في مسيره»[1].

اللّهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيّك وعبادك المؤمنين.

اللّهم نصرَك الذي وعدت يا خير الناصرين.

اللّهم لا تشمتْ بنا الأعداء ولا تجعلنا مع القوم الظالمين.

اللّهم رب السماوات السبع وربَّ العرشِ العظيم، كن لنا جارًا من شرّ «بوشٍ» وأحزابه من خلائقك أن يفرُط علينا أحدٌ منهم أو أن يطغى، عزّ جارُك وجلّ ثناؤك، ولا إله إلا أنت.

(١) البداية والنهاية (٩/ ٥٥٦)، وقوله «توجيه» من وجا الفرس، أي أصيب بالوجا، وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره.

قبل الهجرة الأخيرة (قصة قصيرة)..!

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه قصة قصيرة أو خاطرة إن شئتم، كتبتها لنفسي ولأمثالي، وربما لا يفهم كثيرًا من مراميها إلا المقصودون.. والله المستعان:

قبل الهجرة الأخيرة..!

انتهى للتو من تناول طعام إفطاره مع زوجته وأولاده الأربعة، وجلس يتابع لعب أبنائه في وسط البيت، ويتأمل حركاتهم السريعة وقفزاتهم الواثبة، ويعجب لحيويتهم ونشاطهم وشجارهم الدائم، ويرنو بعينيه إليهم وهم يتبادلون اللكمات تارة والركلات تارة أخرى، ويتبارون في عمل المقالب فيما بينهم.. قبل أن يعطيهم إشارة التوقف عن اللعب لينصرف الكبار منهم إلى الدرس اليومي الأول وهو حفظ صفحة أو نصف صفحة من القرآن الكريم أقرأهم إياها من الليل كما هي عادته..

جالت في خاطره أفكارٌ كثيرة وهو ينظر إليهم وقد بلغ أكبرهم سن العاشرة.. مرت في مخيلته صور طفولته هو، وهو في بيت أبيه وأمه البعيدين عنه، وطافت به أشباح إخوته وأخواته الذين لم ير حتى صورهم منذ سنوات..

تذكر أيام شبابه وعزوبته، ومراحل هجرته وغربته.. تذكر يوم زفافه البسيط الذي لم تحضره أمه ولا أبوه ولا أحد من إخوته وأخواته الكثيرين..

تذكر اليوم الذي خرج فيه من بيته، واضطر لمفارقة أهله ووطنه..

لقد كان حُرًّا خفيف الحمل سهل الحركة عندما خرج من بيت أبويه وتغرّب أوّل مرة ولم يكن يخطر بباله أنه سيعيش حتى يرى نفسه أبًا ويرى أبناءه كبارًا..!

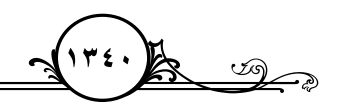
كان يظن أنه سيكمل هجرته سريعا إلى السماء؛ بعدما ضاقت الأرض بأحلامه وطموحاته..

ربما ظن أنها شهور أو سنة أو سنتان على الأكثر، لكنه لم يتخيّل أبدًا أنها ستبلغ العقد والنصف..!

وها هم أولاده يكبرون وتكبر معهم همومهم: التربية، الدراسة، كسبهم وعيشهم، أوراقهم ووثائقهم وهويتهم ووطنهم.. بل حتى أجدادهم وأعمامهم وأخوالهم الذين لم يروهم...

طوى أفكاره المتلاحقة المنهالة على قلبه، وذكر ربه وتمتم بكلمات يسيرة: الله المستعان.. ربنا يسهل الأمور.. يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث..

وصاح في ابنيه الكبيرين ليكفّا عن اللعب وينصرفا إلى القراءة.. وانصرف هو إلى نفسه: نعم لقد كان من قدر الله تعالى ونعمته علينا أن تزوجنا وأنجبنا الأولاد، ونحن مستعينون بالله تعالى على



تربيتهم وتعليمهم وتنشئتهم على ما يحب ربنا ويرضى، والإنفاق عليهم بما ييسّر ﷻ..

وهل يكلفنا الله أكثر من أن نطيع الله فيهم بهذا ونحوه؟

- لكن أوراقهم؟! إلى متى يستمر عيشهم هذا عيش الهارب الشريد؟ والمدرسة..؟ انظر إلى أقرانهم كيف يغدون ويروحون إلى مدارسهم ونواديهم!

سبحان الله..! مالكِ ولأولئك؟ أولئك ما هاجروا ولا ضحوا ولا.. أولئك في أحوالهم، ونحن في حال آخر.. أنزدري نعمة الله علينا ونقارن أنفسنا بهم، وننزل من عليائنا لنكون معهم وندخل مدارسهم؟ ما فائدة المدرسة والشهادات إذا كان المرء سيغدو مثل الألوف التائهين الذين ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾؟! [محمد].

وهل أنا مكلف بأكثر من أن أطيع الله في أولادي ما استطعت: أنفق عليهم بحسب الوسع وأحسن تربيتهم؛ فأغرس فيهم مكارم الأخلاق وأصول الفضائل من الصدق والكرم والسخاء وحب الخير وحب البذل والعطاء والشجاعة وعزة النفس وسموّ الهمة... وأنشئهم على حب الله ورسوله ﷺ وأسقي فيهم شجرة الإيمان والمعرفة بربهم ودينهم ونبيهم.. ومع ذلك أعلمهم القراءة والكتابة وما أمكن من علوم اللغة والأدب والشريعة والحساب وغيره.. وأتحيّن الفرص المواتية لترقيتهم في العلوم والمهارات والفنون النافعة..

هل يطلب مني ربي -من أجل أن يقرأ أولادي في مدرسة مؤسسة على غير تقوى من الله- أن أهين نفسي، وأريق ماء وجهي وشرفي، وأنزل مستسلما ذليلًا تائبًا للطاغية الملحد الكافر بالله؟!

لا والله ما أمر ربي بهذا ولا أحبه.. ولكنها يا نفسي خدعة وفتنة..

وغدا تهاجرين هجرتك الأخيرة، ولن تنفعك فيها شهادات ولا تخرُّج من جامعات.. ما ثم إلا التقوى فقط.. وأما أبناؤك فلن تقدمي لهم أفضل من أن تتقي الله ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾[النساء].

طلعت طرطورة..!

مُنذ أن فتحنا أعيننا على الدنيا والثقافة وهم يسيطرون علينا بفكرة يبهروننا بها ويأسرون عقولنا بحبكتها: أن أمريكا هي الدولة الواعية المفكرة، دولة العلم والبحوث العلمية، ومراكز الدراسات والمعاهد المتخصصة في كل شيء، حتى في كثير مما لا يخطر ببالنا، دولة النظام والتخطيط.. الخ.

كم سيطروا على عقولنا بهذه الفكرة وخدعونا بهذه الدعاية، وكم بهرونا أشعرونا بالدُّون، والعقلاء العالمون منا يفنّدون دعاوى أمريكا ويحاولون وضع الأمور في نصابها، والانصاف، ولكن الدعاية غالبة وصوت أمريكا أعلى، وأبواقها اكثر ضجيجا وصخبا، وشاء الله أن يفضح أمريكا، ويظهر للإنسانية غباوتها وطيشها وسخافة ما عندها من قيم وفكر.

وفي العراق كان ذاك.. شاء الله أن يبين لنا وللناس أن أمريكا غبية جاهلة مغرورة لم تحنكها التجارب، ولم تفدها حكمة، ولم تنفعها كثيرا مراكز بحوثها ودراساتها.

وإذا شئت فقل: العلم (بالدنيا) والدراسة والبحوث كل ذلك موجود، نعم، ولكن ما يجدي مع فقد الهداية والبعد عن العلم الحقيقي والأهم الذي جاءت به رسل الله ونزلت به كتبه؟

ما تجدي كل تلك الدراسات العميقة، والتجارب المرصودة بدقة، والأبحاث الفائقة، مع سيطرة الغرور، والعُجب، وتراكم الأمراض النفسية، ومنتهاها الكِبر والغطرسة والطغيان؟

ما أصدق الزعيم المجاهد الملا محمد عمر حَفِظَهُ اللهُ حين قال في أحد بياناته من نحو سنتين ولم تكن أمريكا غزت العراق بعدُ: «إن أمريكا دولة كبيرة وقوية، ولكنها صغيرة العقل ومغرورة» أو كما قال.. أمريكا اليوم تتخبط في العراق كما يتخبط المتورّط في رَغدة مستنقع واحلٍ! لا يرفع رجلا إلا لتغوص أخرى، ولا يتقدم شبرا إلا ليتأخّر ذراعا أو باعًا.

شيء عجيب والله، عبرةٌ وأيّ عبرة.. حتى بعيدا عن كفر أمريكا، وبغضّ النظر عن مسألة إسلامها أو كفرها؛ هل كان أحد من المراقبين الناظرين يتوقع أن تقع أمريكا في كل هذه الغلطات؟

هل يوجد عاقل شام شيئا من الرأي والحكمة، وخاض شيئا من التجارب، وقرأ قليلا من التاريخ، يمكن أن يقع في هذه الشبكة من الأخطاء المتراكبة؟!

بناء الحرب كلها على كذبة وفرية وأدلة سخيفة؛ فلا قضية عادلة، القدوم على العراق بمنتهى

الجهل به وبأهله وقيمهم وتكوينهم، وبأفكار سخيفة عنهم، عدم الاستعداد بتجهيز حكومة تحل محل نظام صدام من البداية، حل الجيش العراقي، وعموم وزارتي الدفاع والداخلية، موضة اجتثات البعث، تلك المداهمات البوليسية والتحرشات والتصرفات التي تستفزّ حتى الحمير حاشاكم، تدمير دولة بجميع مؤسساتها وبنيتها التحتية بهذا الشكل، الاعتماد على «شلبي» اللص وأمثاله كمصادر للمعلومات، نموذج احتلال سافر على الطراز القديم الذي جربته شعوبنا أقسمت لا يتكرر، مشابهة ربيبتها إسرائيل في تصرفاتها؛ فتتكون في العقل الاجتماعي العربي والإسلامي صورة واحدة للاثنين..

وفوق ذلك: استمرارها وتماديها في دعمها الكامل واللا محدود لدويلة اليهود، وآخر خزاياها: فضائح التعذيب والانتهاكات في السجون والمعتقلات، وسقوط ورقة التوت كما يقولون، ومع كل ذلك التشدُّق الدائم بالقيم: الحرية، العدالة، الديمقراطية، حقوق الإنسان، الإعلام الغبيّ الموجّه: الحُرّة، إذاعة سواء،،، الخ سفالاتهم، خطابات بوش الغبيّة الذي يريد في كل مرة أن يكحلها فيعميها ولله الحمد.

من أظهر الأدلة على غباء أمريكا وجهلها أنها تعتقد أن يمكنها ببعض الكلام المعسول والسخافات الإعلامية أن تغير قلوب العرب وتجتذبهم إليها وتكسبهم إلى صفها في الوقت الذي تمارس عليهم أفظع وأبشع أنواع التنكيل والإجرام؛ سواء في العراق و افغانستان أو في فلسطين أو في غيرها!!

هذا يدلّك على مدى سخافة «عِلم» القوم وهبوط ثقافتهم وتفكيرهم.. هم أقرب الى الحيوانية منهم الى سموّ الانسان وتكريمه، وضحالة معرفة بالنفس البشرية، وإن عرفوا شيئا فلا يفيد؛ إذ لا تقوى ولا إسلام ولا عِلم بحدود الله..

حقا: طلعت طرطُورة أمريكا، وخايبة!!..

قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الروم]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[يونس]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[النور].

۞ بعد معارك «وزيرستان».. اليوم نغزوهم ولا يغزونا

ورد عن نبينا محمد ﷺ أنه قالها بعد غزوة الأحزاب(١)، واليوم باستطاعة المجاهدين في أفغانستان ووزيرستان أن يقولها.

نعم اليوم نغزوهم ولا يغزونا إن شاء الله.. فقد بلغت الحملة الباكستانية على إخواننا المجاهدين من طالبان والقاعدة ومن معهم من المجموعات المجاهدة الأخرى العاملة مع أميرهم الملا محمد عمر حَفِظَهُ اللهُ؛ بلغت أقصى مداها في الأيام القليلة الماضية وكانت ذروتها ما أعلنته الحكومة الباكستانية من محاصرة عضو قيادي بارز من القاعدة فسره البعض بأنه الظواهري، ثم قالوا أنه إما قيادي شيشاني أو أزبكي، وقالت أنباء أخرى أنه قائد قبلي باكستاني من المتعاطفين مع المجاهدين والمؤوين لهم.

الخط البياني للحملة الفاجرة بدأ في الانحناء والتراجع بعد تلك الذروة بالإعلان عن الفشل في إلقاء القبض على القيادي المفترض أو قتله، وتزامن ذلك مع إعلان المتحدث باسم القوات الباكستانية عن مقتل أحد عشر جنديا باكستانيا يوم الأحد ٢١ مارس الجاري ثم الإعلان عن مقتل أربعة عشر آخرين في اليوم الموالي الاثنين ٢٢ مارس بعد استئناف العمليات التي هي في مجملها عمليات قصف بالمدفعية والطيران بعدما فشلت مساعي الحكومة الباكستانية في استمالة بعض الزعماء القبليين ومحاولة شراء ذمم البعض منهم والتفاوض على تسليم المجاهدين.

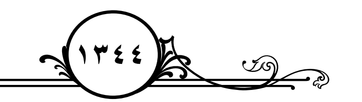
❑❑❑

بالنظر إلى التكتم الإعلامي الشديد والتعتيم الذي تفرضه الحكومة الباكستانية على مجريات الأحداث منذ بدايتها، وبالنظر إلى عادة الكذب المفضوح وتكرر أمثلته، وما هو معروف من حرص حكومة «برويز» على منع تسرّب أي معلومات عن خسائر في الأرواح في صفوف قواتها لما لذلك من وقع على الرأي العام الباكستاني والقبلي، ولما فيه من رفع لمعنويات الأنصار القبليين وكسر لهيبة الدولة الباكستانية في دارها - بالنظر إلى ذلك وغيره.. فإن باستطاعة المرء أن يضرب تلك الأعداء في عشرة بكل اطمئنان..

ونحن عندنا من المعلومات المستقاة من مصادر الإخوة الخاصة ما يؤكد ذلك: هذه الحملة التي

---

(١) المعجم الكبير (٦٤٨٥)، وصححه الألباني في: السلسلة الصحيحة (٣٢٤٣).



حشدت لها الحكومة الباكستانية العميلة حوالي سبعين ألفا من قواتها حسب ما هو معلن، ستكون بعد فشلها بإذن الله تعالى بمثابة المحاولة الأخيرة للقضاء على الإرهاب الجهادي في المنطقة.. وستكون أمرّ تجربة ممكن أن تخوضها القوات الباكستانية المنهارة المعنويات، الخالية من العقيدة والفاقدة لعدالة القضية.. وبالتالي فإن انكسارها وخيبتها هذه المرة بإذن الله تعالى سيجعلها تفكر ألف مرة قبل أن تقدم على محاولة أخرى، وتتردد ألف ذبذبة في الثانية بمجرد التفكير في تكرار أي محاولة أخرى لخوض حرب مع المجاهدين.

هذه التجربة الفاشلة من الخائن «برويز» ستؤدي حتما إلى خروج الإخوة المجاهدين من طالبان ومن معهم أشد قوة، وأصلب عودا، وأقدر على الحركة، وأكثر أنصارا في باكستان، أوثق صلة بالقبائل وجماهير «البشتون» في إقليمي «سرحد» و«بلوشستان» المحادين لأفغانستان على الخصوص..

ستزداد معاناة حكومة «برويز» الخائنة من انعدام التأييد الشعبي بسبب انحيازها وولائها الكامل للصليب في مواجهة الإسلام والمسلمين.. وستزداد نقمة الآلاف من الشباب الإسلامي في سائر أنحاء باكستان المتحمسين والمستعدين لبذل المهج في سبيل الله.. وستزداد معاناة الحكومة الخائنة من المخاوف من اعتبار طالبان لباكستان عدوا لها وهدفا مباشرا؛ فقد كان المجاهدون يتعدون عن الدخول في حرب مع الحكومة الباكستانية في السابق، أما بعد هذه الحملة فقد يتغير الرأي لا سيما إذا اتسع خرق العداوة والتناقض والثأر بين القبائل في وزيرستان وبين الحكومة العميلة.

فهذا محتمل ومتوقع، ولكنه يبقى في انتظار ما تقرره قيادة طالبان والمجاهدين بالتشاور مع الزعماء القبليين الأنصار، وإذا ما كان هذا هو القرار حقا فإن ذلك سيكون مصدر.. لا أقول قلق؛ بل رعب حقيقي للحكومة الخائنة في إسلام اباد!

وعلى كل حال.. فإنه من الظاهر أن اليد العليا ستكون للمجاهدين بعد هذه الحملة الباكستانية الخائبة.. ومما يزيد من أثر ذلك عليها أن الحكومة الباكستانية تعرف ذلك وتدركه، الأمرُ الذي سيعمّق حقارتها عند نفسها ويصيبها بما لا يعلمه إلا الله من الآفات والخلل.. أيام قليلة إن شاء الله وتنتهي هذه الحملة الصليبية الظالمة التي تخوضها حكومة «برويز» بالوكالة، ويعود المجاهدون إلى مواقعهم ونشاطهم، وينضم إليهم الكثيرون ممن تمنوا دائما أن يكونوا معهم، وسيكونوا أكثر حرية في الحركة

وأكثر ثباتا في مواقعهم وظهورا في مواقفهم إن شاء الله.

نسال الله أن يختار لإخواننا المجاهدين ما فيه الخير والصلاح والبركة لهم ولأمتهم

والحمد لله، والله أكبر، ولا عزة إلا بالله، ولا رفعة إلا بالإسلام.

حديث نبوي عظيم القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسولُ الله ﷺ: (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**).

هذا حديث نبوي شريف مستفيض عظيم القدر رواه السبعة «البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد»[1] وغيرهم كثير من الأئمة المصنفين في دواوين الإسلام الحديثية.. مُجمَعٌ على صحته وجلالة قدره، رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وأبو هريرة وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

وهو أصل من أصول فقه الجهاد وبيان الطريقة المحمدية في التعامل مع الناس والأمم، وفيه من الفوائد والأحكام الشيء الكثير، وأول من احتج بهذا الحديث العظيم القَدْر: خليفةُ رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ احتج به لقتال المرتدين الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، وقتال من منعوا الزكاة مع كونهم يقولون «لا إله إلا الله»، قال رضي الله عنه: «فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا (أو عَناقًا) كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم عليها» ووافقه الصحابة كلهم بعد أن بيّن لهم ذلك رضي الله عنه وأرضاه؛ فبان به فقهه وعلوّ كعبه في الإسلام، وهو أحد المواقف والمناقب العظيمة للصديق رضي الله عنه وأرضاه.

وفي معنى هذا الحديث العظيم في الأمر بقتال الناس حتى يُسلِموا أحاديث لا تحصى، وفي القرآن الكريم قبل ذلك آيات محكمات من أم الكتاب لا يغسلها الماء، ولو اجتمع عليها البشر ما قدروا على تغييرها أو طمس شيء منها، كلها معروفة مشهورة محفوظة.

وكلنا نعرف هذا الحديث، ولكنِ الكثيرون منا ربما غفل -تحت ضغط الأفكار المشوّهة والهجمة الشرسة التي يشنها الانهزاميون من قومنا على «مفاهيم الجهاد»- عن هذا الحديث العظيم القدر، وعن

---

(١) صحيح البخاري (٢٥)، صحيح مسلم (٢٢)، سنن أبي داود (٢٦٤١)، سنن الترمذي (٢٦٠٨)، سنن النسائي (٣٩٦٧)، سنن ابن ماجه (٧٢)، مسند أحمد (٨٥٤٤، ١٣٠٥٦) وقد اكتفيتُ بتخريج بعض المواضع اليسيرة، وغيرها كثيرٌ فليراجع في مظانّه.

أننا مأمورون بقتال الناس حتى يقولوا ويشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. الخ، ويكونوا مثلنا.

صحيح أننا عاجزون في كثير من الأحيان والمواطن، ولكن هذا هو مفهومنا وهذا هو ديننا لا نداهن فيه ولا نخشى الصدع به ولا نستبدل به شيئا.!

ولنا طموح وأمل، ولنا تطلّع إلى الحين والحال التي نكون فيها قادرين على الانطلاق بهذا الدين نقاتل عليه العالَمين حتى يقولوا ويشهدوا أن لا إله إلا الله.. الخ، ونبلغ رسالة ربنا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله وحده.

ولنا شغل اليوم بجهاد الدفع، وهو حظنا وقَسْمنا، ونسأل الله أن يعيننا على القيام به ويقوّينا وينصرنا.. ولكن همّتنا لا تقف عند جهاد دفعِ صائلٍ، بل ترنو إلى جهاد الطلب والفتح والغزو على ثبج البحار والمحيطات، وما ذلك على الله بعزيز؛ فإن أدركنا ذلك فذاك ما نتمنّى، وإن لم يكن فنية المرء تسبق عمله.. والله ناصر دينه ومُعلٍ كلمته ولو كره الكافرون.

فسحقا وبُعدًا لقومٍ يريدون أن يمنعونا حتى من جهاد الدفع، فلا رقأ الله له دمعةً، ولا نامت أعين الجبناء.

۞ بين السودان وأفغانستان.. درس وعبرة

هما مثالان: خياران وموقفان، ونتيجتان ولَقَبان: رابح وخاسر، أهل دنيا وأهل آخرة..

حين قامت ثورة الإنقاذ في السودان بزعامة الترابي في عام ٩٨م استبشر الكثيرون بالانقلاب الإسلامي، وأملوا حلول الخير والخيرات ببلاد السودان بعد عهود النميري العميل والصادق المهدي الصوفي الكاسد، وعندما وضعت حرب المجاهدين مع النظام الشيوعي في أفغانستان أوزارها، وآل الأمر إلى حرب طائفية وفتنةٍ بين فصائل المجاهدين، وتوالت الضغوط على المجاهدين العرب ليخرجوا من باكستان اختار كثير من المجاهدين جماعاتٍ وأفرادًا السودانَ أرضَ مهجر وملجأ راجين أن تكون دولة إسلام أو أمان على الأقل، وكان على رأس من هاجر إليها السيد الزعيم الشيخ أسامة بن لادن وفقه الله وجماعته، ورحبت بهم الحكومة السودانية وآوتهم وانخرط الشيخ بأمواله وإمكاناته وخبراته وتنظيمه في الأعمال الخيرية وخدمة الدولة الناشئة، وبذلوا جزاهم الله خيرا وما قصروا..

وجاء التمحيص والبلاء الذي لا بد منه..!! ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾.. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾.. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ﴾.. ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾..، ولو يعطى الناس بدعواهم...!

وتوالت على حكومة السودان الضغوط ولا سيما بعد أعمال الإخوة المجاهدين في الصومال ومساهمتهم بفضل الله تعالى بشكل كبير في طرد القوات الأمريكية من هناك.. وفي تلك الفترة حققت السودان تقدما واضحا على جبهة النصارى في الجنوب بفضل الله تعالى ثم روح الجهاد والبعث الإسلامي الذي أبدته.

ولكن زعامات السودان الجديد سواء الترابي أو البشير اختاروا الاختيار الخطأ وقرروا الرضوخ لضغوط الأمريكان والمصريين والقذافي.!

ظنوا لقلة الفقه في الدين وقصور نظرتهم على العاجل.. أنهم لا بد لهم من التخلص من الإخوة المجاهدين، ومباعدتهم؛ لكي يعيشوا بسلام وأمان ويبنوا دولتهم ويَسْلَم لهم ملكهم.

وظنوا أن رضى الغرب عنهم سيتيح لهم فرصة حل الكثير من مشاكلهم والرقي بدولتهم.

وظنوا أنهم بإبداء تعاونهم مع أمريكان والطواغيت العرب سيسلمون من شرورهم..!

وطلبوا من الإخوة المهاجرين والمجاهدين الرحيل، وشددوا عليهم، ثم شنوا حملات التفتيش

على من حاول منهم البقاء والاختباء، ولم يبق منهم إلا القليل ممن يحملون جوازات معينة، أو بقوا تحت غطاء معين.. وأمعنت حكومة السودان في إظهار حسن نيتها للغرب وطواغيت الجوار في التخلص من الإرهاب والإرهابيين، حتى سلمت بعض الإخوة إلى بلادهم، فسلمت مجموعة من الليبيين إلى عدو الله القذافي..

واستمرت التنازلات ومسلسل إعطاء الدنية.. ثم ماذا؟؟

هل رضي عنها الغرب؟ هل حققت سلاما أو عيشا رغيدا؟ هل تركت أمريكا السودان رغم كل الاستحذاء والاستجداء والقرابين؟ فرضت أمريكا على حكومة الخرطوم الحلول السلمية المهينة مع نصارى الجنوب، ومارست عليها شبه وصاية وأذاقتها ألوان العقوبات والتهديدات..

وبظلم قادة السودان وبُعدهم عن الله سلط الله بعضهم على بعض انقلاباتٍ وسجونًا وغدرًا!

وها هي الآن في أسوأ حال، يرثي لها كل من عرفها: فقرٌ وانقسامٌ وانفصال وحربٌ.. لا استقرار ولا نموّ ولا شيء صالح في المنظور.! وها هو «البشير» اليوم يطلب من «أخيه» القذافي أن يتدخّل شخصيّا في دارفور!!

وأما «الإمارة الإسلامية في أفغانستان» بقيادة رجل الدين والعقيدة أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» حفظه الله وأعلى قدره فكان لهم في امتحان متشابهٍ اختيار آخر وموقف آخر واستحقوا لقبًا آخر وجزاء آخر إن شاء الله.. آووا ونصروا، وعاهدوا فوفّوا.. وصبروا وصابروا.. وأيقنوا أن النصر من عند الله، وأن الله لا يضيع من لجأ إليه.. وأن الله لم يجعل شفاء أمة محمد ﷺ فيما حرّم عليها.. وأن الدين أسمى وأعز وأغلى من كل شيء: من نفوسنا وأموالنا ودولتنا وكراسيّنا.. وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.. وأن الأمر لله من قبل ومن بعد.. وأن الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه عمّن يشاء وحده سبحانه.. وأنه إذا كان الملك والرياسة والحكم سيؤدي بنا إلى سخط الله وأن نسلّم المسلمين المهاجرين والمجاهدين الصالحين إلى أعداء الله الكفرة وإلى أن نرضيَهم ونترك شيئا من ديننا لهم فإنه لا خير فيه، وعيشُ الطريد في الجبال مجاهدا حتى يلقى الله خيرٌ منه.

وما نصنع بالملك إن لم ننصر به الدين ولم نجعله لله عبادةً ورضىً؟ وما ينفع الملك إذا أوردنا النارَ يوم القيامة؟!

وها هم اليوم صابرون محتسبون، يجاهدون في سبيل الله يرجون إحدى الحسنيين، وألسنة الصالحين في كل مكان تلهج بالدعاء لهم والثناء عليهم.

وها هو التاريخ يسجّل من جديد على أيديهم مواقف كادت البشرية أن تنساها، وما عادت تتصور أن تكون.

وها هم يفتحون للأجيال الطريق إلى خيارات العزة والكرامة ويعطون المثل، ولو لم يكن إلا هذا لكفى.

ومع كل هذا هم في انتظارٍ ورجاء، وما أفادوه وغنموه من دينهم ورضى ربهم أعظم بما لا يقاس مما خسروه من الدولة والملك، والملك متاع يجيء ويذهب، وإنما المفلح من جعله مطية إلى رضى الله.

ومن يذكر السودان وحكومة السودان؟ هل سمعتم أحدًا يدعو الله لحكومة السودان أو لقادة السودان؟ وبماذا سيذكر التاريخ حكومة السودان؟ أفي سجل العز والكرامة أم في سجل الوضاعة والخسّة والمهانة؟ هل قدمت حكومة السودان للأمة وللأجيال القادمة شيئا؟ قدوةً أو متّكأ شرفٍ ومجدٍ وفخر؟

ألا ما أبعد الثرى عن الثريا! وما أشد الفرق بين البعرة والجوهرة! وما أسعد من اختار الله، وما أشد خيبة من اختار عاجل راحته في سخط الله.!

قصة إبراهيم هتون

لعل الجميع يعرف «إبراهيم هتون»، والجميع تابع عبر وسائل الإعلام تلك المجادلات الواسعة المتعلقة به والتي استحوذت علي الصفحات الأولى لصحف العالم الكبرى خلال هذا الشهر وقبله أيضا.. لكن لعل القليل منا فقط من أدرك لحد هذا السطر أن السيد إبراهيم هتون هو اللورد «برايم هاتون»!

نعم.. هو نفسه، هل استمعتم إليه وهو يعرض على الهواء مباشرة تقريره الذي طال انتظار الانجليز والعالم معهم له؟! هل رأيتم ذلك التقرير كيف قرر براءة الحكومة وعدالتها وسماحتها..! هل رأيتم كيف سبح بحمدها وأثنى عليها بما ليست أهله؟ وحرف القضية وصرفها عن وجهها ولوي عنق الحقيقة وأراد أن يغطي عين الشمس بالغربال كما نقول نحن العرب! وبالمقابل صب كل اللوم والمواخذة على الهيئة الإعلامية المسكينه والصحفي الضعيف؟! ألم يذكركم ذلك بشي؟ ألم يذكركم ببعض لجاننا العربية المستقلة؟! ولجاننا الحكومية!

إذن هل لاحظتم فرقا بين «برايم» و«إبراهيم»؟!

كثير من مثقفينا العرب الذين يظهرون على شاشات فضائياتنا العربية وتهدر أصواتهم عبر إذاعاتنا المرموقة، ومثلهم كثير من مذيعينا المهرة، تراهم يتبارون ويتفننون في إتقان النطق بأسماء أولئك القوم علي الطريقة الانجليزية لا يفوتون منها حركة ولا سكنة ولا لكنة، وكأنها أسماء مقدسة.. مبالغة في الانبهار بهم والصغار حتى أمام أسمائهم!!

فترى الواحد منهم ينطق باسم «كولن باول» وكأنه يتهوع من أثر الغثيان عند النطق بالباء المثلثة غير العربية.. ويأنف أن يخطئ فيها..!

أو عندما ينطقون باسم «بريمر» أو عندما يأكلون الراء ويلحسونها لحسًا من اسم «بلير»؛ فتصير «بلي .. ي»!

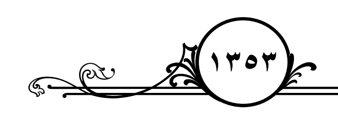
نذكر مثقفينا وصحفيينا من أهل الحصافة أن العربية عزيزة كريمة، وهي أعز وأعلى مما يظنون وهي لا تقبل ما يفعلون.. بل هي تأخذ الاسم الاعجمي وتعركه وتخضعه لقانونها وسيادتها ولا تخضع هي له.

ومن المؤسف جدًّا أن بعض أولئك المذيعين والمثقفين عندما ينطقون ببعض الأسماء العربية من أعلام الناس والبلدان والمدن والقرى وغيرها لا تجدهم يدققون نفس التدقيق ولا يعتنون بالبحث في المعاجم ودوائر المعارف المتخصصة عن كيفية النطق الصحيح بها.. بل ينطقونها كيفما تهيأ، ويكونون في كثير من الأحيان قد أخذوها مترجمة عن مصادر غير عربية.. فتصير العاصمة المغربية «الرِّباط» - بكسر الراء- الرَّباط -بفتحها- لأن الفرنسيين هكذا ينطقونها!

وتصير مدينة «الأربعاء» في الجزائر «الارباع» أو حتى «الأرباح»! هكذا سمعتها بنفسي في بعض الإذاعات! هل رأيتم العجب؟!

ليس عندي تفسير لذلك كله إلا شيئا واحدًا هو الذل والمهانة التي أصابتنا والانبهار أمام الغربي، كل ما هو غربي، حتى احتقرنا لغتنا وأسماءنا وأشخاصنا.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

تجد الواحد منا ربما يخجل من ذكر بعض الأسماء العربية ولا سيما إن كانت غريبة بعض الشيء عن ذوقه ومعتاده، ويستعظم أسماء الغربيين لمجرد أنها أسماؤهم.. ولم يدر أن ديفيد بلانكت هو داود بطانية، وديفيد كي هو داود مفتاح، وأن برايم هاتون هو إبراهيم بن هتون نفسه.



مِنْ وَحْيِ مَعْرَكَةِ الرَّسُولِ ﷺ

حُق لنا أن نسمّيها معركة الرسول ﷺ لأنها دارت ولا زالت تدور رحاها حول النبي ﷺ، وبالتالي حول دين الإسلام وشريعة الإسلام.

سبّوا رسول الله واستهزؤوا به، فهبت أمته للذب عنه والانتصار له ولدينه.

سخروا بدين الإسلام وبالتوحيد، فنحن نرفعه وندرأ به في نحورهم وندعو إلى دين الله ونشرحه وننصره ونفديه.

أهانوا القرآن كلام الله تعالى، فنحن نجاهدهم به جهادا كبيرا، ونصدع به، ونتغنّى به في الخافقين، ونطرق به أسماع العالمين..!

لم تنتهِ المعركة بعد..

ولن تنتهي في الحقيقة؛ لأنها حلقة في سلسلة الحرب السرمدية بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر، إلى قيام الساعة..!

هي جولات، وسجال..

ابتلاءات وامتحانات..

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣]

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]

وبإزائها أسواق ومواسم تنعقد ثم تنفضّ.!

ومن جرائها يربح الرابحون ويخسر الخاسرون.!

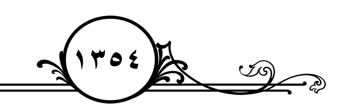
إنها أيضا شيء بديع من قدر الله تعالى، وله ﷻ الحجة البالغة.

تبدي بغضهم وتظهر عداءهم وحقدهم المكنون الذي تحاول دولهم ودوائرُهم الدعائية إخفاءه.!

وتهيّج أبناء الإسلام عليهم، وتبغّضهم لهم.. وتزيل عنهم الغشاوة..!

وتذكرهم بحقيقة الكفر والكافرين، وعداوتهم لله وتمرّدهم على رسالته وشرائعه، وعداوتهم لنا ولديننا ولرسولنا..

وتبيّن لهم كيف يروننا وكيف ينظرون إلينا.. وكيف لو ظهروا علينا: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ



عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [التوبة].

وتدفع أهل الإسلام إلى التمسك بدينهم غيرةً عليه وحميّة له.!

ألـم يقل حمزة ﷺ يومًا وقد انتزع قوسه فشج به رأس أبي جهل: «أتسبُّ محمدًا وأنا على دينه»[1]؟

وتدفعهم أكثر وأكثر إلى تذكر رسولهم ونبيِّهم وقدوتهم وحبيبهم، وإلى القراءة عنه والتفتيش عن هديه وسنته، وتنمّي لديهم الشعور بالانتماء إليه واتباعه ﷺ..

وتذكرنا بنعمة الله ﷻ علينا بالإسلام والإيمان، ونعمة الله علينا بمحمد ﷺ: نبيّ الرحمة ونبيّ الملحمة، أحمد الحاشر العاقب المقفى، الذي هو رحمة للعالمين، فداه أنفسنا وأولادنا.!

وتدفع من أراد الله له الخير من الكافرين إلى البحث والتنقيب عن الحق والقراءة عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ والتعرف على رسالته والإيمان به..

وتكسِرُ شيئا من شوكة العتاة المجرمين حين ينقمعون في أنفسهم تحت وطأة سلطان براهيننا الظاهرة وحججنا القاهرة، وتستيقن بواطنهم وضمائرهم بالحق الذي هدانا الله إليه، رغم جحودهم وكفرهم، فينخذلون ويخوضون غمار الحرب وهم منهزمون فاشلون..!!

إنها معركة كبيرة ومهمة..

في سلسلة الحرب الطويلة.. تصحح مسار العلاقة بيننا نحن المسلمين، أهل الهدى والاستقامة، أهل النور والحق والبيانات والبرهان المبين.

وبين الكفار، الكافرين برسول الله ﷺ، أهل التخلّف والجهل والانحطاط والضلالة والعمى، إخوان البهائم، الأنجاس الأرجاس، الكذبة الفسقة الفجرة، أعداء الله وأعداء رسله أجمعين..!!

المتمردين على خالقهم، المغترين -من جهلهم- ببعض ما عندهم من العلم..!

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر]، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم].

إن هذه المعركة نقلة نوعية أخرى -بفضل الله تعالى وكيده لأوليائه- في اتجاه جعل الحرب بيننا وبينهم حربًا على الدين، حربا بين الكفر والإسلام، وبين الحق والباطل، -وهي حقيقة الأمر التي

---

(١) سير أعلام النبلاء (٠/ ١٣٧).



تنتظم سائر الدوافع- وتقيم العلاقة بيننا على أساس الدين.

إن هذه المعركة تساهم بشكل قوي في تخليص المسلمين من الانبهار بأولئك الأنجاس والاغترار بما عندهم من حضارة وتقدم ماديّ صناعيّ.!

وتردّنا إلى الحقائق الكبيرة: يغنينا الله عنكم، وإننا أمة نصفُ دينها الصبر، نأكل الجلف ونمص النوى ونتواسى ونرضى بالقليل ونحمد الله ونعبده ونتوكل عليه.!

ولن تأمنونا إذا جُعنا..!

فما يُصلحنا شيء كبعض الجوع..!

كيف ونحن نؤمن أن أحلّ الطعام وأطيبه وأبركه وأشرفه ما أخذناه من أيديكم بالقهر والغلبة: (**وجعل رزقي تحت ظل رمحي**)[(١)].!

وإن هذه المعركة تزيد اللحمة بين الأمة وطليعتها المجاهدة، وتعطف قلوب الأمة على أبنائها البررة المجاهدين في سبيل الله في أصقاع أرض الله، الباذلين المهج في سبيل عزتها ورفعتها وحريتها بهذا الدين وتحت ظله.

يلتفت المسلمون اليوم فيجدون المجاهدين هم المدافعين عن دينهم وعرضهم ونبيّهم..

ولا تسل عن الملتحقين بقافلة الجهاد..!

ولا تسل عن إحياء الموات، وبعث الرفات..!! بإذن الله.

وبجانب ذلك كله تفضح هذه المعركة المنافقين والزنادقة.

وتري المسلمين من خيانتهم وتناقضاتهم وكذبهم دلائل بيّنات، وبراهين ساطعات..!

إن معركتنا مع عدونا الخارجي الصليبي الحاقد المتغطرس هي اليوم أشبه ما تكون بمعسكر إعداد لقتال الأعداء الداخليين من الزنادقة أبناء جلدتنا، الخائنين لديننا وأمتنا، البائعين دينهم والدائسين عليه والواقفين مع عدوّنا علينا في سبيل بقاء كراسيّهم ورياساتهم ورسومهم وامتيازاتهم الباطلة، وفي سبيل استمرارهم في إشباع شهواتهم.!!

---

(١) رواه البخاري معلقا بصيغة التمريض (قبل ح ٢٩١٤) قال الحافظ في الفتح: إسناده حسن، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إسناده جيد، وقال العراقي: سنده صحيح، وانظر في تخريجه: أنيس الساري تخريج فتح الباري (٣٥٦١)، مسند أحمد (٥١١٤).

اليوم -بمنّة الله تعالى وبتوفيقه، ثم بصبر الصابرين السابقين أهل العزائم واليقين- ارتفع الإشكال واتضح المقال، واستوعبت الأمة إن شاء الله -أو هي بصدد ذلك- كيف تنتظم جهاد العدوّين، وتتصدّى للفريقين المبطلين، وتغزو على بركة الله تعالى الطائفتين الكافرتين المتحالفتين.. تقدم هذا حينا وتقدم الآخر حينًا، وتغضي حينًا، وتضرب وتنتقم حينًا، وتناور بينهما لتجعل من معركتها مع كل منهما عونا لها على الآخر..!

وكأنها تقول لعدوّها:

أغـــرك في ثـــوب العفـــافِ تـــزمُّلي ... وأخـــذي مكـــان الآمـــل المترقِّـــبِ

إذا أنـــا طالـــتْ وقفتـــي فتـــوقّني ... فـــإنّ لهـــا لا بـــدّ وثبـــةَ مُنْجِـــبِ[1]

إنه لطف الله بالمؤمنين..

ومكره بالكافرين العتاة المتجبّرين..

والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

عطية الله

٤ محرم ١٤٢٧هـ

---

(١) قاله: مهيار الديلمي -شاعر عباسي-، انظر: «موقع أدب» قصيدة رقم (٥٩٩٥٤).

صورتان في القرآن الكريم للعلم النافع والعلم الذي لاينفع

قال الله تعالى في سياق قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾..

هؤلاء أهل العلم بالله تعالى وعظمته ووقاره وحقّه ﷻ والعلم بحقارة الدنيا وزخرفها، والعلم بأمر الآخرة وأنها هي خير وأبقى وهي المقصِد، والعلم بأن ما أوتيه قارون ليس دليلًا على رضاء الله عنه، وليس دليلًا على أنه ناجٍ مفلح، وأن الذي ينبغي أن يتمناه العبدُ وتتوجه إليه همته هو ثواب الله، لا زخرف الدنيا فهي علوم مجتمعة ونور على نور.. كل ذلك من جملة ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾.

وأهل الجهل قالوا عن قارون: ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فتمنّوا أن يكونوا مثله وظنوا أنه حظيٌّ عند الله، إما في الدنيا -والحال أن هذا منتهى إرادتهم ونظرهم ولا التفاتَ لهم إلى الآخرة- أو أنهم مع ذلك ظنوا أنه لا يكون ذا حظ بهذا الشكل في الدنيا إلا وهو حظيٌّ عند الله بإطلاق مرضيٌّ عنه عند ربه، فكان جهلهم جهالاتٍ متراكمة بعضها فوق بعض.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[آخر سورة غافر].

عندما جاءتهم رسلهم بالهدى والبينات، وَتَلتْ عليهم الوحي.. صدوا عن دعوتهم، واستهانوا بهم، واستخفوا واستهزؤوا، وفرحوا بما عندهم من العلوم والفلسفات والثقافات والحضارة والمدنية والتقدم والتكنلوجيا والفنون والآداب وسائر المعارف والتجارب والمكاسب الإنسانية، ورأوا أنهم على شيء وأنهم أفضل من الأنبياء علمًا ومعرفةً، وأن ما عند الأنبياء ليس بعلمٍ ولا شيئًا ذا قيمة، مجرد مواعظ وآداب وأحكام وما شابه ذلك عندنا نحن مثلها وأكثر منها وليس فيها جديد ولا إبداع..!

إنه العلم الفاسد المذموم المردي، وقد سماه الله علمًا مع ذلك.

ولعلي أستظهر لتسميته علمًا أوجهًا:

منها: أنه كذلك في نفس الأمر إذ هو إدراكٌ.

ومنها: أنه ليس مذمومًا بإطلاق من حيث هو وإنما كان علمًا فاسدًا غير نافع لأنه صدّ عن سبيل الله وجُعِل في معارضة العلم والهدى والنور الذي جاء به الأنبياء، والله أعلم.

اللّٰهم إنا نسألك علمًا نافعًا وعملا صالحًا ورزقًا طيبًا مباركًا وعملًا متقبَّلًا وغنىً عن الناس..

آمين.

بوش رئيسًا لأمريكا مرة أخرى.. بعض الدلالات

أقرَّ «جون كير المرشّح الرئاسي عن الحزب الديمقراطي بهزيمته في الانتخابات أمام منافسه الرئيس الحالي«بوش».. في وقت مبكر من ليلة البارحة، ثم أعلن بوش فوزه رسميًا..

وتتابعت احتفالات الجمهوريين وأنصارهم من اليمينيين والمتديين المتصهينين.. واليوم الخميس توالت رسائل التهنئة من زعماء دول العالم للرئيس الطاغية!

وبحسب النتائج التي أعلنت فإن بوش فاز بنسبة ٥١٪ من الأصوات على مستوى الولايات المتحدة.. ويقولون: إنها أول مرة في تاريخ الانتخابات الأمريكية يفوز فيها مرشح رئاسي بنسبة أعلى من خمسين في المائة.

إذن فبوش لم يفز فحسب، بل حقق سابقة أيضًا ستكون مصدر فخر ومزيد إلهام له ولمؤيديه.

ولم يبق شك أنه إن كان لا بدّ من القول بأن هناك فرقًا بين الشعب والإدارة.. فإن هذا الفرق ضيئل جدًا لدرجة أنه لا يحسن التركيز عليه والإكثار من الدندنة حوله.. ولا سيما إذا علِمنا أنه حتى الذين صوتوا لصالح كيري ولم يصوتوا لبوش كثيرٌ منهم إنما صوتوا لكيري إما لقضايا داخلية اقتصادية واجتماعية مثل الضرائب والبطالة والصحة والتعليم ونحوها، أو قضايا أخلاقية مثل الإجهاض والشذوذ!

وبالتالي فالحصيلة أن مسألة «الإرهاب» لم تكن فارقًا كبيرا وحقيقيا بين الاثنين.

وهي أيضا لم تكن أهم المسائل، وهذا يدل في أدنى دلالاته على أن الشعب الأمريكي لا يهمّه كثيرا ما يفعله بوش بالشعوب الأخرى، وخاصة بنا نحن المسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها، ولا يكترث لذلك.!

فإذا عرفنا أن القيم هي أهم ما رجح كِفّة بوش فالأمر واضح.

الدلالة الثانية: ونمدّهم في طغيانهم يعمهون.. هاهو بوش يتحصّل الآن بكل جدارة على تفويض واضح من الشعب الأمريكي للاستمرار في سياسته الرعناء الظالمة المتغطرسة التي أهم محاورها جعل الإسلام (يسمّونه الإرهاب) هو العدوّ الأول والأساسي، وتجفيف منابعه والقضاء على مصادر قوته والسيطرة عليه، والمحور الثاني الذي يلازم الأول ويتلوه هو ضمان أمن وقوة وتفوق إسرائيل ونصرها

على المسلمين والعرب!

الدلالة الثالثة: حرب القيم وصراع الأديان (هم يقولون: الحضارات)؛ نعم، فانتصار بوش في هذه الانتخابات كما تؤكد تحقيقات وتحليلات الصحف الأمريكية والبريطانية الصادرة اليوم الخميس إنما ارتكز بالأساس على مسألة «القِيم» ومعنى القيم: القيم الأمريكية وقيم العالم الحرّ كما يسمّونها، وهي تصوراتهم وعقائدهم المركبة من تديّنهم المنحرف (المسيحي المتصهين) مع عنصريتهم وكبرهم وعلوّهم على شعوب الأرض وفسادهم الأخلاقي الذي مردوا عليه عبر القرون.. هذه هي قيمهم!

وهم يتخذون لها عناوين براقة خادعة مثل: الحرية، العدالة، الديمقراطية، محاربة الشرّ والإرهاب.. وما شابه ذلك.

والمقصود بكل تلك العناوين واضح بالنسبة لنا لا يخفى على مسلمٍ عاقل.!

ومما ذكرته صحف اليوم أن أحد مؤيدي بوش في التجمعات الاحتفالية كان يرفع لافتة كتب عليها: وأخيرًا جاءنا الله بالرئيس الذي سيحارب الشرّ!

ونحن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله مولانا ولا مولى لكم.

ونسأل الله أن يجعل في فوز هذا الطاغية في انتخاباتهم خيرا للإسلام المسلمين.

وإن شاء الله هو كذلك بإذن الله الواحد الأحد.

وهذه بعض المبشّرات:

١ - فوز بوش سيزيد من تراكم العداء لأمريكا لدى الشعوب الإسلامية وشعوب العالم.

٢ - وسيحرك المياه الراكدة في شعوبنا الإسلامية أكثر وأكثر.

٣ - وسيتجنّد للجهاد من شبابنا ورجالا أكثر وأكثر، وسيجعل حديث أجيالنا عن مسألة «نحن وأمريكا واليهود.. لماذا نتقاتل».

٤ - وسيرتفع صوت الجهاد والمجاهدين أكثر وأكثر، وستكون حججهم أكثر منطقية ووضوحًا لدى الناس، وهذا من تسخير الله وحسن بلائه علينا.

٥ - وسيواصل بسرعة وقوة تحوّل الصراع من الصورة المغبّشة المشوهة التي كان عليها إلى صورة الصراع الديني الذي نريده نحن.

٦ - وسيعطي للدين قيمة أكبر في الضمير العالمي، وبالتالي يتحوّل الدين إلى محور العلاقات الإنسانية من جديد كما كان في القرون الأولى وكما كان في عهود الأنبياء وأتباعهم حقًا، وهو ما نريده بالضبط ولله الحمد، وحينئذ سيكون الإسلام (دين الله) هو الأقوى والأعزّ وسيظهر زيف ما سواه للعقلاء الذي أغشاهم التزييف والإفك (الصرف) والفتنة عن المقصود الحقيقي من الوجود، ويهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بينة.

٧ - وسيسارع بسقوط أمريكا واضمحلال نفوذها وتقوقعها في جزيرتها هناك بعيدًا، وربما ما هو أكثر من ذلك من تفككها واحترابها الداخلي، وذلك من خلال تورّطها المتزايد في مستنقعات العراق والأفغان وربما سوريا وإيران قريبا.! ودعمها المتزايد اليهود في فلسطين، وكل ذلك مؤذنٌ بقرب الفرج.

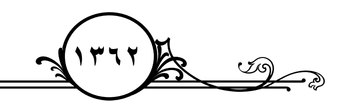
٨ - وأخيرًا: فإن فوز بوش سيكون امتحانا ومِحكًّا نتعرف به على الكثيرين، وانتظروا وسترون: المسبّحين والحامدين والمهنّئين والمثنين... والآكلين الشاربين..!

وكل ذلك ربما ما كان ليكون لو فاز كيري، فلله الحمد.

ولن أنسى في الختام أن أذكر أن ذلك كله -بفضل الله تعالى- من بركات الجهاد، فلله الحمد دائما وأبدًا.

اللّهم أعزّ الإسلام والمسلمين، ودمّر أعداءك أعداء الدين من اليهود والصليبيين ومن والاهم.. آمين..

والحمد لله رب العالمين.



صور من أرض الجهاد في الجزائر

نسأل الله أن ينصرهم على القوم الكافرين، ونسأله ﷻ أن يوفقهم لما فيه الخير والصلاح، وأن يجنبهم الزلل المُردي والفتن، وأن يوحد صفوفهم ويقويهم ويسددهم وأن يحسن لنا ولهم العاقبة، آمين.

يا أخي حتى لو كانوا خوارج -تنزّلا- ففي مقابل الحكومة المرتدة لا تحريج على من وقف مع الخوارج إن شاء الله.! اقتداء بأئمتنا المالكية في الجزائر وتونس وشمال إفريقيا في القرن الثالث والرابع، وأخذا بفتاواهم رحمهم الله.

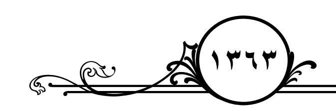
وأما كونهم خوارج فهي فرية صلعاء، دون إثباتها خرط القتاد وسفّ الرماد؛ هؤلاء يا أخي لا يكفرون المسلمين عمومًا لا الذي في معسكر السلطان ولا غيره، ولا يكفرون بكبيرة، ولا خرجوا على إمام عدْل، ولا يقتلون المسلمين ويدعون أهل الأوثان، ولا غيرها من صفات الخوارج التي هي صفاتهم التي بها يعرفون، ولا يعتقدون اعتقادات الخوارج بل اعتقاداتهم في مسائل الكفر والإيمان وغيرها هي اعتقادات أهل السنة والجماعة، الاعتقادات السلفية، مذهب الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأمثالهم من أهل السنة في الجملة، ويسعهم ما يسعهم من الخلافات في التفاصيل.

وأما أنهم يختلفون مع بعض العلماء في تكفير فلان الحاكم أو النظام الفلاني أو تكفير أشخاص معينين أو تكفير أحزاب علمانية ونحو ذلك، هذه مسائل تطبيقية، ولهم فيها فتاوى علماء آخرين ومعهم ظواهر النصوص ومرجحات قوية.. نسأل الله الهدى والسداد.

والله إننا لمع المجاهدين ضد الكفرة المرتدين مهما كانوا، نعينهم ونسددهم وننصح لهم ونأخذ على أيديهم إذا أخطأوا.. فإذا وصل الأمر إلى أن نقرر أنهم منحرفون مثلا أو ضالون ضلالًا بعيدا ولا يرجى منهم صلاحٌ -لا قدّر الله- ففي تلك الحالة نعتزلهم ونبيّن للمسلمين حالهم ونمارس واجبنا في إزالة منكرهم، لكن لا نقف مع المرتدين ضدّهم.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

[تكميل المشاركة] كل ميسّر لما خلق له، ولن يستطيع أحد أن يقف عجلة الجهاد، وتدفّق الشباب



والطاقات البشرية لبذل المهج والأرواح فداء للدين ورغبة في الفردوس، وتنسّمًا لشذى الكرامة والعزة؛ عبثا يحاول المحاولون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. هذه خاطرة فقط.

[**تكميل**] يا أخي «ابن ماجه» -ولي تحفّظ على الاسم-: أنت عاقل إن شاء الله؛ لكن هذه الكلمة التي تقولها، وقد كررتها سابقا أنت وبعض الإخوة الآخرين: «جهاد في بلاد المسلمين؟؟» لا ينبغي أن تكون من كلامك فهي غلط وباطل!

وأنا أسألك ببساطة: هل هذه العبارة تحتوي على فقه صحيحٍ وعلمٍ نافع محقق؟! لو جئنا نحاسبك على هذه الكلمة لما وجدت لها إثباتًا ولا سندًا! أنت من جهة تقول إن العلماء لم يفتوا بالجهاد في الجزائر، وهذه هي عمدتك على ما فهمتُ وعمدة غيرك من المعارضين؛ فلو أن العلماء أفتوا بالجهاد هناك فإنه سيكون جهادٌ في بلاد المسلمين! أليس كذلك؟ وأنت تجوّز عقلًا وشرعًا أن يفتي العلماء بذلك، أم أن عندك من قواطع العقل والنقل ما يُحيل ذلك؟ لا أظن.!

ثم.. قد قرر العلماء أن بلاد المسلمين يكون فيها جهاد، ويمكن أن يقال إنه إجماعٌ: قال النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض: «أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر وتغيير للشرع خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر»(١) اهـ.

وكلامهم في هذه المسألة كثير معروف لن نطيل به؛ فإذًا يا أخي الكريم، عبارة «جهاد في بلاد المسلمين» التي تسوقها مساق استفهام الإنكار والتوبيخ وتجعلها حجة لك عبارةٌ خطأ ليس فيها فقه صحيح ولا علمٌ نافع محقق.! وأما أنك تقول إن المجاهدين لن يجدوا إجماعًا.. فهو أيضا كلام لا يحسن أن يقوله العاقل الرزين! لأن الإجماع ليس شرطًا لمشروعية الجهاد ولا غيره عند أحد من أهل الملة؛ بل يكفي أن يقوم الدليل الصحيح على المشروعية ولو بغلبة الظن، ويكفي فتوى بعض العلماء وآحادهم في ذلك، وهذا لا يحتاج أيضا إلى تطويل، لكن كما قيل: لو سكت من لا يعلم لقلّ الخلاف، وقلّ الكلامُ أيضا.!

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢ / ٢٢٩).

وأما ما يقوله البعض بأن المجاهدين في الجزائر وما شابهها لا يوجد عالم يفتي لهم بأن جهادهم مشروع، فهو أيضا قول لن يثبت طويلا على النقد والمناقشة؛ فإننا نقول لك: قد وُجِد.. وقد أفتاهم بعض أهل العلم الكبار أهل الفتوى، وقد ذكرتُ في موضوع لي سابق بعنوان «توضيحات في المسألة الجزائرية وقضية الجهاد» أنني أعرف بعض كبار العلماء في موريتانيا -على سبيل المثال- أفتى للإخوة بالجهاد في الجزائر في سنة ثلاث وتسعين وأربع وتسعين؛ فهذا نزر يسير مما عرفته أنا بنفسي، مشافهة بلا واسطة في البعض وبواسطة عالية في البعض الآخر.

طبعا أنا لن أذكرهم لك الآن لأنهم أحياء، والقوم لا يعلنون ذلك أمام الناس للظروف التي تعرف، وليس من حقي ولا يمكنني أبدا أن أذكرها دون استئذانها أو معرفة إذنها.

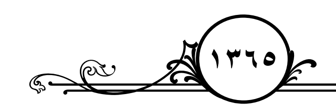
هذا مع أني حتى لو ذكرتُ لك أسماءهم فإنني بالنسبة إليك مجهولٌ لا يحصل بنقلي عندك شيء من العلم، وإنما أكتفي الآن من الفائدة بأن أجعلك تتريّث ولا تندفع في مقالك المعارض على غير بصيرة، ثم هي المجادلة ببعض ما نملك الآن، فليأخذها من يأخذها ويترك من يترك، ومن يعرفني يستفيد من كلامي ويستيقن.

وكذلك جهاد الإخوة في «الجماعة المقاتلة الليبية» في ليبيا؛ فإنهم عندهم فتاوى من علماء كبار معتبرين طلبًا للاستيقان والاستيثاق والحجة البينة عند الله تعالى وإعذارًا للناس، وقد سمعت من الشيخ «أبي المنذر الساعدي» مشافهة أنهم حصلوا على فتوى من اثنين كبار من علماء الوقت هما: الشيخ حمود العقلا الشعيبي في بلاد الحرمين، والشيخ بديع السندي في باكستان، وإنما ذكرتُ أسماءهم لأنهم توفوا ﵏، ولستُ بصدد إقامة الحجة على أحدٍ لكن كما قلتُ: لعلكم تتريّثون على الأقل ما يشبه أصل علمائنا ﵏ المعروف بـ«إعمال دليل المخالف»!

فالشاهد، أن قول القائل: إن العلماء لم يفتوا بالجهاد في كذا وكذا.. إن كان المراد جميع العلماء فهذا غير ممكن ولا لازمٍ، ولا هو مما يتوقف عليه العلم والعمل! وكذلك الأكثر..

وإن كان المراد نفي أن يكون أيّ من العلماء المفتين المعتبرين أفتى فهذا باطل يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله، ولا يزال الله يقيم من العلماء في أقطار الأرض من تقوم به الحجة، ولله الحمد.

وأما حصر العلم والفتوى في جماعة من العلماء ثلاثة أو أربعة أو خمسة ونحو ذلك، والزعم بأنهم



لم يفتوا أو أن بعضهم قال في فتوى تلفونية إن هذا ليس بجهاد أو قال خوراج أو قال فلينزلوا ويضعوا السلاح أو ما شابه ذلك، فهذه ليست بلازمةٍ وليس هو دينًا يتعبّد به على وجه اليقين، يقطع النزاع ويوجب الانكفاف!! بل هو كله اجتهاد، كسائر موارد الاجتهاد.

وقد حصل عندنا الجزم في بعض تلك الحالات بأن الكلام المقول باطل لأنه بني على تصوّر باطل مزوّر وعلى جهل شبه كامل بصورة المسألة، وتلبيس من بعض السائلين المغرضين ممن اطمأن إليهم المفتي، وبعضه منزّلٌ على حالات معينة خاصة وغير ذلك، ونحو ذلك من الأعذار.

وغفر الله للجميع.. والله المستعان.. ولا حول ولا قوة إلا به.. اللّٰهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

ويا أخي: المجاهدون ينصفون مخالفهم ويقولون: «لن نجاهدَ ولن نؤيّدَ جهادًا حتى يفتي فيه عالمٌ معتبرٌ مفتٍ»؛ أفلا يكون هذا داعيًا إلى أن ننصفهم.

ثم للمسألة تصوير آخر: وهي أنه قد قام جماعة من المسلمين بمقاتلة هذه الحكومة الكافرة المرتدة، خرجوا عليها ونابذوها وجاهدوها ومازالوا يجاهدونها، آخذين بفتاوى بعض أهل العلم، وهي مسألة اجتهادية وأدلتهم فيها ظاهرة قوية، فأنت يا أخي بإمكانك أن تقول: أنا لستُ مقتنعًا بشرعية جهادهم لأن العلماء لم يفتوا فيها أو لم يظهر لي رجحان أدلتهم أو غير ذلك، أو أرى أنهم استعجلوا، أو أنهم لم يدرسوا المسألة دراسة موثوقة يحصل الاطمئنان بها، وبالتالي فأرى أن عملهم هذا يؤدي إلى زيادة المنكر لا إلى نقصانه فضلا عن زواله، ولأجل ذلك فأنا لا أكون معهم ولا أؤيدهم، بل أعتزلهم.

فهذا القدر عاديّ ومعقول، وجارٍ على أصول العلم، والمجاهدون يقبلونه على حد علمنا، ولا يشنّعون على من هذا حاله ورأيُهُ، بل يرونه أخاهم ويحفظون له حقه ولكنه يخالفهم في هذه المسألة ويخالفونه، ويستغفرون له ويتمنون له الخير، وقد عشتُ هذا ورأيتُ منه حالات كثيرة. فما كان من خلاف ذلك من بعض المتعصبين الجهلاء المحسوبين على المجاهدين فليس هو الأصل ولا الغالبُ ولا المعتمد. لكن؛ هل يصح فوق ذلك أن يقف هذا الرائي لهذا الرأي مع الحكومة ضدًّا للمجاهدين. ويتحول إلى عدوّ لهم يسعى في كيدهم وتدميرهم والقضاء عليهم وتسليمهم للكفرة المرتدين يدنسون أعراضهم ويطؤون مصاحفهم في زنازينهم ويسبون ربّهم ودينهم؟؟ هنا السؤال المهم، والمحك

الأهم، وكل امرئ حسيب نفسه، والله الموفق لما فيه رضاه لا رب غيره ولا إله سواه.

تنبيه مهم: كلامي إنما هو عن مشروعية جهاد هذه الحكومات المرتدة والخروج عليها ومقاتلتها من حيث الأصل الشرعي، ولست أتكلم على جماعة معيّنة الآن، لأن الكلام على كل أناس بحسب حالهم، ويحتاج إلى تفصيل.. فلا يعترض على ما ذكرته بالجماعة الإسلامية المسلحة إذ انحرفتْ، ولا بزيتوني وعنتر وما شابه، فإن من انحرف فإننا نتبرّأ منه، ولا يدخل في كلامنا، ونحن إنما نتكلم على أصل مشروعية قتال هذه الحكومات المرتدة سواء في الجزائر أو ليبيا أو ما شابهها.

يبقى أن يقول القائل: أنا لا أرى مصلحة البدء في جهاد الآن في البلد الفلاني لأنه مشروع فاشل.. الخ؛ فهذا كلام أيضا من حيث الأصل صحيح، وقد نوافقه عليه وقد نختلف معه بحسب كل بلدٍ وكل ظروف ووقت، وكل مسألة وقضية تحتاج إلى دراسة من أهل الشأن على حدة، والله الموفق.

[**تكميل**] بالنسبة لقيد القدرة والإمكان فنعم عندي أنه كان متوفّرًا عند انطلاقة الجهاد.

وهذا كان رأي جمهور عريض من أهل الدعوة والجهاد وجماعة من العلماء كما أشرتُ إليه، ولن نذكر أسماءً لما قدّمته من الاعتذار.

لكن عندك في الجزائر إن لم تكتفِ بعلي بلحاج ومن في طبقته من أهل العلم، فالشيخ أحمد سحنون وهو عالم من أهل الفتوى؛ فقد كان موافقًا على الجهاد لا شك في هذا، وعندنا توثيق لهذا، عن طريق تلميذه النجيب الشيخ محمد السعيد وغيره.

وقد حاولت الحكومة مرارًا وتكرارًا الضغط عليه لقول كلمة ضد الجهاد والمجاهدين؛ فلم يظفروا منه بشيء وعصمه الله من كيدهم ولله الحمد.. نسأل الله أن يرحمه ويغفر له.

وأما الآن ضعُفتِ القدرة جدًا.. لكن المسألة الآن استتباع وليست ابتداءً؛ فالكلام فيها مختلف..!

هذا من جهة، ثم -وهذا الأهم أن تنتبهوا له- أن قيد القدرة الذي يذكره الفقهاء إنما هو للوجوب لا للجواز.. فليكن هذا واضحًا؛ فالمشروعية ثابتة.

ثم إن من أعظم أسباب ضعف القدرة أو عدمها هو خذلان من يخذل المجاهدين ممن يقف ضدّهم وقد يختاروا الوقوف رأسًا مع عدوّهم المرتد نعوذ بالله من الخذلان والضلال.!!

وأما ما ذكرته عن الشأن العام والخاص، فالحق أنه لا يخلو من وجاهةٍ.

ولكن لم يكن هناك معارض معتبر عند انطلاق الجهاد؛ الناس إما ساكتون أو مؤيدون.. هكذا كانوا جميعا في جميع أنحاء العالم ونحن نعرف هذا جيدًا..

ثم بعد ذلك في سنوات متأخرة صار يتكلم من يتكلم من أهل العلم البعداء عن ساحة المسألة.

وللأسف أن في كلامهم ثغرات عظيمة وأخطاء فاحشة، تجعل كلامهم لا يوثق فيه، وأحسن أحواله عندنا أن نعتذر عنهم ونحسن الظن بهم؛ لا سيما وأن بعضهم يخالف المجاهدين في أصول كبيرة مما ينبني عليه كل هذا «المشروع» أعني الجهاد، وذلك مسألة تكفير الحكومة.

فكيف يأخذ المجاهدون فتوى في الجهاد من شيخ لا يكفّر حكومة الجزائر العلمانية اللادينية البيّنة الكفر، أو يقول: إنه لا يعرفُ حالها ولا يستطيع أن يحكم عليها، إذن اسكتْ!!

ما أبعد هذا عن ذا!! إن هذا لأشبه بالعبث للأسف.!

يا أخي أنت تريد أن يجتمع العلماء؛ فإن لم يمكن فجمهورهم، فإن لم يمكن فكثير منهم بدون معارض -أي يسكت الباقون، إجماع سكوتي-..

وأنا أقول لك: كل ذلك غير ممكن ولن تجده أبدًا.

القذافي أشد كفرا وأوضح وأشنع وأظهر وأبين.. لن تجد فيه هذا!!

ونظام الحكم في سوريا كفار أصليون نصيرية أجمع أهل السنة على تكفيرهم وأنهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى كما حكاه أهل العلم، هذا بالإضافة إلى ما هم متلبّسون به من الكفر الذي يشتركون فيه مع غيرهم من إبعاد الشريعة والكفر بها وتحكيم زبالات الأفكار الغربية والشرقية، وموالاتهم للكفرة ومحاربة الدين ليل نهار وو.. الخ.

ومع ذلك هل سمعت العلماء المعتبرين عندك يكفّرونهم أو يبيّنون حالهم؟

ولو قام الآن جماعة من أهل الحق في الشام فشرعوا في مقاتلة هذا النظام الكافر، ثم جاء عالم كبير ممن تعتبرهم من أكابر العلماء عندك فقال لهم: لا يجوز لكم الخروج وو.. الخ. فسألته: يا شيخ ما تقولون في بشار ونظامه الحاكم في سوريا؟ فيقول لك: لا نستطيع نكفرهم، لا نعرف حالهم!! إلخ.

فهل يعقل هذا؟؟ إذا استطعت أنت أن تهضم هذا، وتتبع العلماء هنا مع ظهور بطلان قولهم؛ فإنك خالفت الشريعة الظاهرة في سبيل المحافظة على مبدأ طاعة العلماء.. فقد عاد الفرعُ على الأصل

بالبطلان، إنما يطاع العلماء حيث لا يظهر بطلان قولهم، وفي مسائل الاجتهاد حيث تتوفر الثقة وأساسها الحرية «حرية الاختيار».

العالِمُ إما راوٍ ناقلٌ عن الله ورسوله ﷺ.. وهذا إخبار محضٌ وهو في المنصوصات.

أو حاكِمٌ (مفتٍ أو قاضٍ) وهذا في مسائل الاجتهاد، يُدلي فيها بما يفهمه (الاستنباط والاستدلال) من كلام الله ورسوله.

فسبيل الرواية؛ قبولها أو ردّها بحسب ما هو مقرر.

وسبيل الحكم (فتوى أو قضاء) فيه تفصيل لا نريد أن نطيل به.

لكن ما أريدُه أنه متى خالف النصّ (أو ما في حكمه) نُقِض ولم يقبل.

وأنه إذا اختلف المُفتونَ فالسبيل معروف: إما الأخذ بالأرجح لأهل الترجيح، أو تقليد الأعلم والأورع للمقلد..

فإذا انضم إلى ذلك ما عُلِمَ من فساد في هذا العصر وفتن وخوف ومداهنة وبيع للدين والآخرة وافتتان بالسلاطين وغيره من المصائب العظام.. فإن التحرّي والاحتياط في قبول فتاوى المفتين أشد وآكد وأوجب.. وتفاصيل ذلك تطول!

وأنت عندك في الجزائر حُماني وجيلالي وغيرهم واعتبر.. وفي كل بلاد المسلمين أمثالهم وما يفوقهم أو يدانيهم..!

وأما أنه يُخاف أن ينحرف اللاحق كما انحرف السابق؛ فهذا الخوف وهمٌ لا يقاوم الأدلة الشرعية، ولا ينفي المحاولة..

إنـــــــــــــــــــــــــــما نحـــاول ملكًـــا أو نمـــوت فنعـــذرا[1]

مع تغيير المعني بحسب ما يليق بنا كمسلمين.

وكما قلت لك؛ الكلام يطول ولا يكاد ينتهي، والفتن داهمة وإلى الله المشتكى!!

ووالله ما عندي الآن جلدٌ للاستمرار في الكلام، وإنما لحسن أدب أخي استمررتُ معه..

(١) هذا عجز البيت، وقد قاله: امرؤ القيس، انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/ ٣٠٨)، وصدر البيت قوله: فقلتُ له: لا تبك عينك إنما * نحاول.. الخ.

فالمعذرة، الشجون كثيرة.. ونحن مشغولون الآن بالعراق وما هو أهم من الجزائر ونحوها بكثير كثير!!

نسأل الله أن يهدينا ويسددنا ويفتح علينا وعليكم.

ونسأله تعالى أن ينصر المجاهدين في العراق وفي كل مكان.

وأن يعفو عنا ويغفر لنا تقصيرنا.

وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان.. آمين.

۞ الشيخ «أيمن» داعية توحيد وهدى -نحسبه كذلك-

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]

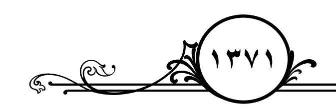
لا ريب أن خطاب الدكتور أيمن الظواهري المعنون: «إن فلسطين شأننا وشأن كل مسلم»(١) المنشور بتاريخ ٢٢صفر ١٤٢٨هـ كان جاريا على سيرة الدكتور أيمن حَفِظَهُ اللهُ في نصحه للمسلمين، وقيامه بواجب الدعوة إلى الله تعالى وتحقيق توحيده ﷻ والقيام بأمره والجهاد في سبيله والصبر على ذلك، وما علمنا الشيخ أيمن إلا ناصحًا مشفقا على المسلمين، غيورًا على دين الله وحرماته، لا يخاف في الله لومة لائم، مع علم وحكمة وتجربة وفضلٍ، نسأل الله أن يبارك فيه وأن يزيده هدىً وسدادًا.

وهذا الخطاب جاء حلقة في سلسلة خطابات متعلقة بفلسطين وتوجيه إخواننا في فلسطين وبذل النصيحة لهم، ومناصحة الحركة الإسلامية الكبيرة هناك وهي حركة «حماس»، وتحذيرها من المزالق الخطرة التي انزلقت إليها وبيان خطئها في دخولها ما يسمى باللعبة السياسية وتولّي الحكومة في ظل نظام السلطة المرتدة، وما في ضمن ذلك من انحرافات واضحة تتمثل بمجموعة متراكبة من الأخطاء الشرعية المتعلقة بالتعامل مع المرتدين والوثوق في بعضهم وإظهار الموالاة والمؤاخاة لهم والتصريح باحترام دستورهم وقانونهم والعمل به، واحترام الاتفاقات الباطلة المبرمة بين مرتدي السلطة وفتح وبين العدو اليهودي، وغير ذلك.!

والملاحظ أن هذه الخطابات كان فيها تدرج في شدة اللهجة، وهذه مسألة اجتهادية، والشيخ فيها محسِنٌ مظنونٌ به الخير والنصح، وهو أهل للنصح والتوجيه واختيار الأسلوب المناسب، ولا ينبغي للعقلاء منازعة مثل الشيخ أيمن في مثل ذلك؛ فالكبار لا يُنازَعون بمثل هذا، بل يُسلّم لهم اختيارهم واجتهادهم، ولهم من الحق في التشديد والتعنيف والتوبيخ ونحوه مما ليس لغيرهم ممن ليس في درجتهم، وتُحتَمل منهم الكلمة ما لا تُحتَمل من غيرهم، وبيان حماس -إذا صحّ- كان فيه إشارة إلى هذا المعنى، وهذا شيء طيبٌ، والحمد لله.

---

(١) نشرت هذه الكلمة «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»، في قرابة العشر صفحات.



وكلمة الدكتور هذه كسائر خطاباته السابقة كلمة هي في جملتها دعوة توحيد وإيمان وطاعة لله رب العالمين، وأمر بالخير والمعروف وتحذيرٌ من الشر ونهي عن المنكر؛ ينعى على حماس دخولها سبيل «اللعبة السياسية» القذرة بما فيها من دخول مجالس التشريع الشركية، وتولي الحكومة التنفيذية لسلطة المرتدين، والتعرّض للإهانة والإذلال، والتوقيع على احترام الاتفاقات الباطلة، واحترام الدستور والقانون، وإظهار الوحدة الوطنية والتآخي مع المرتدين، وينبّه إلى أن ذلك كله في المحصلة ينشأ عنه في العادة ترك الجهاد -المقاومة-، وخدمة للعدو اليهودي والأمريكي، رغم تصريح حماس وتأكيداتها المتكررة بأنها لم ولن تترك المقاومة والسلاح، ولكن ليس لمثل الشيخ أيمن أن يغترّ بالتصريحات والتأكيدات اللفظية، وهو يرى الأفعال المخالفة.!

فالمؤمن العاقل المتفقه في دينه المريد للخير يراعي هذا ويفهمه ويشدّ بيديه عليه، وإن كانت العبارات قاسية، وإن كان الأسلوبُ شديدًا، وإن صاحبه بعض الخطأ الذي هو صفة البشر مهما علا قدرهم، ومَن غلبَ عليهم الهوى والعصبية لأشيائهم يغفلون عن هذا، ولا يلاحظون إلا القسوة في الخطاب، وبعض العبارات، أو حتى بعض المعاني التي تكون خطأ أوهي مما يُنازَع فيه، ويقال ليته لم يُقلْ..!

في ظني أن الدكتور -والقاعدة من ورائه- يختارون في هذه المرحلة الصدع ببيان أخطاء حماس وتحذير المسلمين في فلسطين وغيرها من هذه الأخطاء، وعدم السكوت عنها، -أعني في العلنِ، وإلا ففي السرّ وفيما بينهم وبين إخوانهم هم لا يسكتون على ما يرونه باطلا- لأنها من الباطل والمخالفات الشرعية الكبيرة الواضحة التي يجب أن يبيّنها العلماءُ والدعاة والزعماءُ المسلمون، وهذا مندرج تحت أصول الجهاد باللسان والكلمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح، والدعوة إلى الله تعالى، وحفظ الدين، والردّ على المخالف وبيان زلته وخطئه وضلالته حتى لا يغتر الناسُ به ولا يتابعونه ولا يقتدون به فيها، بل يحذرون خطأه ويجتنبونه.

فمن مقاصد الدكتور والقاعدة من مثل هذا التصدّي والبيان -والله أعلم- أن يُعرَف الحقُّ، ويُرفَع لواؤه، وتُعلى رايتُه، يفيء إليها مَن شاء اللهُ تعالى، فإن الأمر كله لله، والملك كله لله يؤتيه مَن يشاء، وما نحن إلا دعاة توحيد وطاعةٍ لله، نسعى في مرضاة الله ونجاهد في سبيل الله كما أمرنا الله.

وربما تكون القناعة قد قويت عندهم بأن الإصلاح صار عسيرًا، وأنه لا بد من التغيير، وأن القدر والشرع أوشكا أن يتعانقا، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد].

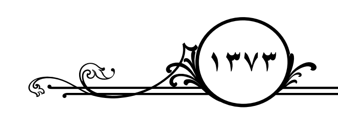
لكن الدكتور أيمن هنا يفرق بين قيادة حماس وبين سائر حماس، تفريقا واضحًا، فلا يضع الجميع في درجة واحدة، وهذا واضح من عبارته: «ويؤسفني أن أواجه الأمة المسلمة بالحقيقة فأقول لها: عظم الله أجرك في قيادة حماس، فقد سقطت في مستنقع الاستسلام»، وكذا في سائر خطاباته السابقة، وهذا من العدل والقيام بالقسط، فنحن نعلم أن في حماسٍ وعموم أهل فلسطين مجاهدين أهل تحقيق للتوحيد وأهل دين وتقوى واستقامة، لا يرضون تلك الانحرافات ولا يؤيدونها بل يتبرؤون منها وينكرونها، ويعملون على تغييرها ما استطاعوا، ولكنهم لم تحن فرصتهم للعمل والجهاد كما يرضون.

ومن أجل ذلك يوجّه الدكتور أيمن خطابًا لأولئك المجاهدين في فلسطين: «ولذا فإني أهيب بإخواني إخوة الرباط والاستشهاد والجهاد في فلسطين أن يعلموا أنهم مجاهدون في سبيل الله، وأن عليهم أن ينبذوا القرارات الدولية التي سلمت فلسطين لليهود، وأن لايحترموها بل يحتقروها ويستنكروها ويتبرؤا منها، وأن يواصلوا جهادهم في سبيل الله حتى تتحرر كل دار إسلام غزاها الكفار من الأندلس إلى العراق، وحتى تكون كلمة الله هي العليا وتعود الخلافة لتحمي حمى الإسلام وتنشر شريعته».

والرادّون على الدكتور أيمن المخالفون له في رأيه ممن يؤيدون حماس وقد يتعصّب بعضُهم لها يدفعون بأشياء: أنه قسا في العبارة، وأنه بكلامه هذا يخدم الأعداء، ويفرق الصفوف، ويزيد من نزاعات المسلمين..! وأنه أخطأ في القول بأن حماس قد استسلمت، وحماس لم تستسلم، بل هي باقية ماضية على خط المقاومة والجهاد، كذا يقولون، وأنه أخطأ في قوله عنها إنها سلمت اليهود معظمَ فلسطين: «واليوم في زمن الصفقة تسلم قيادة حماس اليهود معظم فلسطين»، وأنه أخطأ في تشبيهها بالسادات وأفعاله: «لحقت قيادة حماس أخيرا بقطار السادات للذل والاستذلال».

فهذه أهم مؤاخذاتهم على كلام الدكتور أيمن.

وأنا أفترضُ أن الدكتور يمكنه أن يجيب بمثل الآتي:



أما **القسوة** فقد يقال إنها مستحقةٌ لأن الانحراف كبير وخطير، ولأن التدرج والاستئناء قد حصل، وإن الهزّة العنيفة مقصودة..!

أو يُسلّم بخطأ الدكتور فيها، ويُعتَذرُ عنه بحسن القصد وإرادة الخير والإحسان، وبأن كلامه صادرٌ عن غيرة وحميّة دينية لا غير، وهو في موضع اجتهادٍ ونظرٍ للإسلام والمسلمين كما قلنا، وهو أهلٌ له، فهو من سادات المسلمين وقياداتهم في هذا الوقت.

ومثل هذا يقال في أبيات الشعر التي أنشدها الدكتور، فإنها خارجةٌ مخرج الزجر والتغليظ، والله أعلم.

وأما **تفريق الصفوف وزيادة النزاعات**؛ فليس منظورا إليها هنا ما دام الدين والتوحيد قد انثلمَ، فإن الأصل الأصيل هو اجتماع المؤمنين على كلمة التوحيد، وأن الإغضاء والسكوت على ذهاب الدين وفساده لا يجدي معه طلبُ اتحاد الصفوف.

وأما **اتهامه لحماس بأنها استسلمتْ**، فهو نظرٌ إلى المعنى، وحاصله أن الدكتور يجعل ما فعلته حماس بمنزلة الاستسلام، وترك خيار الجهاد الحق، إلى خيارات غير ذات الشوكة، خيار اللعبة السياسية، وهذا حقٌّ، فمن نظر إلى المعاني وجعلها عمدته، فما بقي كبيرُ إشكالٍ..!

فإن بقي عتبٌ على شدة العبارة فالأمرُ هيّن إن شاء الله وقد مرّ.

والدكتور لا يعيب على حماس عقد هدنةٍ مؤقتة مع العدوّ حيث احتاجت إليها، ما دامت الهدنة بابًا من أبواب الجهاد، بل ولا يعيب عليها أن تحقن الدم الفلسطيني كما قال: «اتفقوا إن شئتم على حقن الدم الفلسطيني، ولكن لا تتفقوا على بيع فلسطين» اهـ.

وقصارى حماس أن تقول: نحن لا نبيع فلسطين، وفلسطين أرضُ وقفٍ لا يملك أحدٌ بيعها.. إلخ، وهذا جوابٌ غير كاملٍ، لأن النظر إنما هو إلى المعاني والحقائق؛ فنعمْ أنتم لا تستطيعون بيعها، ولكنكم بالتوقيع على احترام الاتفقات الدولية واتفاقات منظمة التحرير مع اليهود في معنى من يتخلى عن جزء كبير من فلسطين، وهو معنى البيع الذي يقصده الدكتور أيمن، وهو الذي وقع إنكار الدكتور عليه، فلا يُجاب عليه بالقول: لم نبع، بل ينبغي أن يكون جوابه بتحقيق عدم التخلي عن خيار الجهاد، بالجهاد فعلا، وتحقيق الكفر بالاتفاقات الباطلة التي تعطي الحق لليهود في موضع أصبُع من

أرض الإسلام، وتحقيق الولاء والبراء على أساس دين الإسلام فقط لا غير، وخلاصته: الجواب بالأفعال والاستقامة على دين الله وشريعته لا بالأقوال المجردة والتطمينات.!

ومثل ذلك أو قريبٌ منه القولُ في تشبيهه لحماس بالسادات في ركوب الجميع قطارالذل والاستسلام.

فالمقصود هو أن أفعال الحركة، أي قيادتها السياسية، هي في معنى الاستسلام والذل والتخلي عن فلسطين والاكتفاء بالفتات وطلب رضا الكفرة: وهذا -لمن أنصف- واضح جدا: «إخواني المسلمين، إنه بكل صراحة المخطط الأمريكي للالتفاف على المقاومة الجهادية الإسلامية للحملة الصليبية الصهيونية، فإن أمريكا رأت أن عليها أن تحل قضية فلسطين حلا صوريا، أو قل هزليا، حتى تزيل سببا من أكبر أسباب كراهية المسلمين لها، وقبلت قيادةُ حماس بواسطة التجويع والحصار والقتل والمساومة والإغراء بفتات السلطة أن تسير في هذا المخطط، فذهبت في نزهة مع الشيطان الأمريكي ووكيله السعودي، ولكن غاب عنها أن الذي يذهب في نزهة مع الشيطان يعود خاسرا، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء]» اهـ.

والدكتور أيمن حدد أساس الانحراف وشخصه تشخيصا صائبا حين قال: «إن الدرس الخطير لنا جميعا في هذه السقطة أن الانحراف العقدي قد سهل الانحراف السلوكي؛ فإنه لما هان عليهم التخلي عن حاكمية الشريعة كان أهون عليهم أن يتنازلوا عن معظم فلسطين.. أمتي المسلمة هذه هي ثمار الديمقراطية العلمانية، وثمار الانتخابات في ظل الاحتلال وفي ظل مرجعية الدساتير العلمانية الاستسلام والتنازل والاعتراف بشرعية إسرائيل» اهـ.

ولا يُغفِل الدكتور أيمن أيضا أن ينبّه إلى نقطة مرجعية لانحراف قيادة حماس حين يلفتُ الانتباه إلى أنها جزء من منظومة «الإخوان المسلمين» وهو الخبير بالإخوان المسلمين، فيقول في سياق نقد منهج الإخوان المسلمين في زعمهم إنهم يجاهدون العدوّ المحتل الأجنبيّ فقط: «.. ورغم ذلك وجدناهم يتعاونون ويشاركون المحتل الصليبي الأجنبي، ويدخلون كابول وبغداد على ظهور الدبابات الأمريكية الصليبية الأجنبية، ووجدناهم في فلسطين يرضون بثلث الحكومة في مقابل التنازل عن معظم فلسطين وعن حاكمية الشريعة، ويسقطون بذلك أخر حجة كانوا يحتجون بها على أنهم لا

زالوا يجاهدون العدو الأجنبي» اهـ.

والدكتور أيمن يعجّب من وقوع ذلك الانحراف في قيادة حركة حماس مع أن عدوّنا الأمريكي الذي هو راعي العدوّ اليهودي في تراجع وانكسار بفضل الله تعالى، فأين الثبات والصبرُ: «لماذا كل هذا التراجع أمام المخطط الأمريكي وبينما أمريكا تنهزم في أفغانستان والعراق، وتئن من ضربات المجاهدين وتبحث عن مهرب؟ لماذا يتراجعون والمجاهدون يتقدمون نحو فلسطين حثيثا؟ لماذا يتراجعون وقد عمت الأمة صحوة جهادية هزت كيانها وبعثتها بعثا جديدا» اهـ.

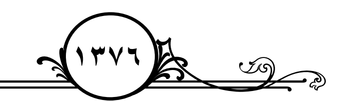
فهو يقول لقيادة حماس: لماذا تنهزمون وتتراجعون وتقبلون بفتاتهم وتنجرون إلى ألاعيب الأعداء، والأجدر عقلا وشرعا أن تصبروا وتثبتوا، فإن النصر قريب، وإن إخوانكم الغياب للميدان قد وصلوا، وقريبا إن شاء الله وبعونه تعالى وتوفيقه سيكون إخوانكم المجاهدون من أبناء الأمة جمعاء عند أسوار القدس...؟!

اللّهم إلا أن تقول قيادة حماس: لا نريدكم، ولا نريد «الإخوة الغيّابَ» هؤلاء، ولا شأن لهم بفلسطين، فليتركونا وليبقوا بعيدًا..! وحينها لو قيل ذلك، فإن الأمر واضحٌ أنه ليس مسألة قسوة في خطاب أو تفريق للصف وتمزيق، لمن تدبّر، ولكنه الدين والتوحيد والمنهج.!

وقد رأيت أن الإخوة من حماس أو مؤيديها يكثرون من القول: إن حركة حماس قدمت ولازالت تقدم الشهداء تلو الشهداء، وأنها لو أرادت أن تستلم وتنال رضا أمريكا والغرب وحتى اليهود وتعيش في هناءٍ لاعترفت بشكل صريح بإسرائيل، وأنها صابرةٌ رغم الحصار والحرب الشرسة عليها...!

وهذا الكلام وإن كان فيه بعضُ الحق، ففيه بإزائه قدرٌ لا بأس به من التلبيس؛ أما الحق الذي فيه فإننا نثمّن عدم اعتراف الحركة بإسرائيل رغم قوة الضغوط عليها، فهذا مما تُحمَد عليه على كل حال، وكذا صبرها في سبيل ذلك رغم التجويع والحصار، وكذا كونها قدمت -بالمعنى الإجمالي- الشهداء ومازالت تقدم.

وقولي «بالمعنى الإجمالي» أردتُ به أن الكثير من الشهداء ممن تقدمهم حماس، ليسوا بالضرورة موافقين على ما ننتقده من انحراف الحركة وضلالها، ولا مؤيدين لها فيه، وقد قلتُ إننا نعلم وجود



الكثير من المجاهدين كذلك، رغم أنهم يجاهدون أعداء الله في إطار حركة حماس، أضف إلى ذلك أن الكثير من الشهداء الذين تقدمهم حركة حماس هم من عامة المسلمين، فأي مزيّة لحماس فيهم، أعني أنهم ليسوا لها جنودًا وأعضاء، وإنما هم من عموم أهل الإسلام ممن قد يوافقها أو يخالفها، يحبها أو يبغضها.!! أضف إلى كل ذلك شيئا آخر مهمًا وهو: أن مسألة تقديم الكثير من «الشهداء» ليست دليلا على صحة طريق السالك، إنما تُعرَفُ صحة طريق الإنسان بأدلة الشريعة والفقه أولًا وقبل كل شيء، وما سوى ذلك إنما هو للاستئناس والمعاضدة بعد معرفة حكم الشرع.

ثم الله أعلم بمن يجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُقتل في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيه.

وها نحن نرى «كتائب شهداء الأقصى» تقدم وتقدم؛ فهل هذا دليلٌ على شيء؟! وهي ذراعُ منظمة فتح، وهم أعداؤكم الذين وقفوا مع الزنديق «دحلان» يقاتلونكم ويقتلون شبابكم قبل اتفاق مكة..!!

ولا أريد أن أذكركم بأمثلة أخرى، فالمنوال فجّ.

وهذا ما عنّ من التعليق، وبالله تعالى التوفيق.

ونسأل الله أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين في كل مكان، وأن يردّ ضالهم إلى الحق ردًا جميلا، وأن يعافينا فيما بقي، وأن ينصر أولياءه المجاهدين في سبيله في كل مكان، وأن يفرج كروبنا وكروب المسلمين في فلسطين وفي كل مكان، إنه هو المولى الكريم.

وكتبه/ **عطية الله**

الثلاثاء ٢٤ صفر ١٤٢٨هـ

عِتَابُ الأَحْبَابِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللّهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم، والله المستعان وبه الثقة سبحانه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تعليقا على الفقرة من كلام الأخ «الزرقاوي» وفقه الله ونصره والتي يقول فيها:

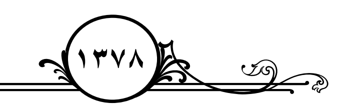
«فلو فُرض على المجاهدين التمييز بين الكفار والمسلمين لتعطل الجهاد في كل مكان، فقد قام المجاهدون بمثل هذه العمليات في غزوتي نيويورك وواشنطن وكان هناك بعض المسلمين، وفعلوها في الرياض وبالي، وعلى المعبد اليهودي في تونس، وفعلوها في نيروبي وفعلوها في تنزانيا وومباسا، وكراتشي وكويتا وكابل، وغروزني وموسكو؛ فمن أراد تحريم هذه العمليات بسقوط المسلمين فيها تبعًا لا قصدًا فعليه أن يمنع الجهاد في كل مكان لأنه لا يمكن أن يسلم عمل جهادي من سقوط المسلمين، ولا يؤمر المرء بما لا يُطيق»[1] اهـ.

أشارك برأيي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب:

قد والله تمنّيت أن الأخ أبا مصعب حَفِظَهُ اللهُ لم يكن قالها؛ فإنه يمكنه أن يستغني عنها، ويتجنّب فتح الجبهات عليه، وعلى خطابه وعلى المجاهدين، ويتجنّب التنفير ويتألّف القلوب، وكان يمكنه في موضوعه الرئيسي الاكتفاء بالتأكيد مثلا أنه بعد الدراسة واستفراغ الوسع في تقدير الأمور تبيّن لهم أنهم مضطرون للرمي والتفجير في بعض الحالات التي يحتمل أو يُجزم فيها بإصابة (مقتل) بعض المسلمين، حين يقدّرون أن المصلحة في الضرب في تلك الحالة المعيّنة كبيرة وضرورية، بحيث إنهم لو لم يضربوا في هذا ومثله (وهي حالات كثيرة التكرر وربما تمثّل الطبيعة الغالبة لواقع الحرب) فإنهم يتعرّضون للهزيمة والانكسار، ويتعطل الجهاد بحيث إن العدو يستولي ويتمكّن وتحصل له السيطرة الكاملة في البلاد، وتحصل المفسدة العظمى في الدين والدنيا ويحصل أضعاف أضعاف ما نحذره الآن من موت بعض المسلمين.. فتقرير هذه المعادلة هو بالمقام الأول حق قيادات الجهاد، ولا شك أن الأخ

---

(١) ذكرها الشيخ في خطابٍ له بعنوان: «وعاد أحفاد ابن العلقمي» الصادر بتاريخ: ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٦.



«الزرقاوي» منهم ومن أهمهم..

ثم من حق المحبّين الناصحين في الخارج ممن يتابع شؤون الجهاد والعمل الإسلامي بصفة عامة، أن يتريّثوا ويقفوا موقف المتثبّت الذي يريد التأكد والتدقيق البالغ في الأمر، لأنه ليس أمرًا سهلا بلا شك شرعًا وسياسةً.!

فيقولون: نريد أن نتأكد من صحة هذه المعادلة، نريد أن نرى آراء الأطراف الأخرى في ساحة الجهاد في العراق في هذه المسألة، ونعرف تقديرهم للأمر؛ فنريد أن نعرف مثلا رأي «أنصار السنة»، و«الجيش الإسلامي»، وغيرها من الجماعات في الساحة، وأيضا آراء القيادات العلمية والعلماء الموثوقين في البلاد ممن يؤيد الجهاد وينصح لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين..

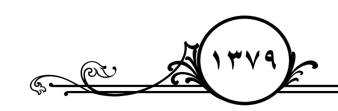
فإذا عرفنا أن الجميع أو الأكثرين يرون رأي الأخ «أبي مصعب» في تقدير تلك الضرورة.. فإننا نؤيدهم ونقبل قولهم، ونقول لهم: توكّلوا على الله واستعينوا به، واضربوا أعداء الله وأثخنوا.. آسفين كل الأسف على من يمكن أن يقتَل من المسلمين في أية عملية.

ونوصيهم أكثر وأكثر بالتثبّت في كل حالة وعملية على حدة، وأن يبالغوا في الاحتياط لدماء المسلمين، والأخذ بأسباب ألا يصاب مسلمٌ.. والله يعوّض عما فات من فُرَصٍ.. ونعينهم بما أمكن من الوصايا والتوجيه.. وإن كان الأكثرون في تقدير هذه الضرورة على خلاف تقدير الأخ «الزرقاوي»، وتبيّن لنا بالنظر أن تقديره خطأ، فيمكن أن يقال له: لا تتفرّد عن باقي المجاهدين، ولا تشذ عنهم، ولا نقبل منك ولا لك ذلك، بل نأخذ على يديك ونمنعك منه.

فإن أبيتَ فأنت أخونا على كل حال، ولن نخذلك، بل ندعو لك ولا نبخل عليك بنصح ولا إرشاد وتوجيه ودعم؛ فهذا حقنا: أن نقول: الشيء الفلاني خطأ لا نقرّه، ولكن أنت أخونا ونحن معك على عدوّ الله وعدوّنا.. هذا إنصاف إن شاء الله..

أرجع إلى تلك الفقرة المذكورة من كلامه حفظه الله، وما كنت أرى التعليق عليها لولا كلام المشنّعين وجهرهم.! وأقول: قد كنت من أول ما سمعتها في خطاب الأخ «الزرقاوي»، عرفتُ أن أهل الشحناء سيستغلّونها، وسيكون فيها فتنة.. ولله الأمر من قبل ومن بعد..

ونحن نعتذر لأخينا «أبي مصعب»، لأن الإنسان في ساحة المعركة وتحت ضغوطها الصعبة



والشديدة قد لا يتفطّن لبعض الملاحظات، ويغلب عليه اعتبار الشدة أو غير ذلك.

ولذلك.. فإن أمثل الحالات وأوفقها وأكملها في الأعمال الجهادية والثورية هي أن يسود الوفاق والتحابب وكمال الانسجام والثقة التامّة بين أهل الحرب والعسكرية من جهة، وأهل السياسة والدعوة وأهل العلم من جهة أخرى، وكذلك بين أهل الداخل وأهل الخارج.. فإن الإنسان في الخارج حينما يكون عاقلا ناصحا أمينا محبًّا مشفقًا فإنه يفيد أهل الداخل (أهل الميدان) إفادة عظيمة؛ لأنه يرصد لهم مسيرة الجهاد من موقع أكثر تحررا وتجردًا من بعض المؤثرات، ومن زاوية أخرى، ويلاحظ ويراقب ويسجل ويدوّن ويقوّم ويستنتج، فهو يعمل لهم عمل الراصد مع الرامي.. فما أجمل وأروع أن يجتمع الرأي من الداخل والخارج، مع أن صاحب الداخل والميدان له التقدّم بلا شك.

ولذلك: فرأيي أنه ما كان ينبغي أن يذكر بعض تلك العمليات التي هي محلّ اختلاف بين الناس، والكثيرون ينكرون شرعيتها ولا يوافقون أهلها، وهي بلا شك محل نظر كعملية الرياض، وكعمليات بالي وتونس أيضا، وليست كلها على مرتبة واحدة في اعتبار الضرورة إلى الرمي وفي إمكان إصابة مسلمين.. فلو اقتصر على نيويورك وواشنطن وموسكو كان مقاربًا ولا بأس به، مع أنه لا حاجة له أيضا؛ فأما في كويتا وكابل وكراتشي فالأمر فيها مقاربٌ، كمثل محاولة اغتيال الطاغية «برويز» وما شابهها، ولم يبنْ لي ما الذي يشير إليه على وجه التحديد الأخ «أبو مصعب».

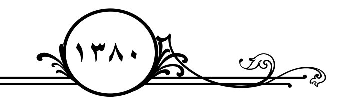
وقد عرفنا أن المجاهدين لديهم فتاوى في بعضها من علماء، وظننا أنهم يجتهدون في الاحتياط.

أما الرياض (وقريب منها تونس وبالي) فهذه بلا شك التفجير فيها ليس مما نسلّم بمشروعيته، وليس هو مما يرى مشروعيته أكثر أهل العلم والدعوة، وليس التوقف عنه مؤدّيا إلى تعطيل الجهاد بحالٍ أبدًا.!! فهذا من الخطأ الذي نردّه، وهذا من التوسع الذي ننكره.!

فإن مسألة «التترس» ونحوها من الرمي بما يعمُّ الهلاك به مما يطال المسلم (والمسلم معصوم بإسلامه حيث كان) إنما أجيزت على خلاف الأصل، ضرورةَ أنا إن لم نرمِ ولم نضرب وقعت المفسدة العظمى في الدين والدنيا؛ فلا بد أن تقيّد بموضعها وتقدر بقدرها كشأن الضرورات.

ونحن نعتذر عن الأخ «الزرقاوي» في هذا الخطأ، ونرجو له ولكل إخواننا التوفيق والسداد.

وحسب معرفتنا بأخينا «أبي مصعب»؛ فإنه لو نوقش معه الموضوع، وعُرضت عليه الآراء



ونوصح فإنه لا يتأخر ولا يتوانى في قبول التصحيح والتوجيه والرجوع إلى الصواب والأصوب في أية مسألةٍ، ولله الحمد، وهنا يأتي دور أهل العلم الناصحين أن يمدّوا الجسور مع إخوانهم المجاهدين وينصروهم ويقفوا إلى جنبهم.

وعلى كل حال فمقصود الأخ «أبي مصعب» -والله أعلم- أن جنس هذه العمليات مشروع قد أفتى فيه العلماء، وأنه لو أن المجاهدين امتنعوا عن جنس هذه العمليات بالكلية فإن هذا مؤدٍّ إلى تعطّل الجهاد وانسداد بابه في أماكنَ كثيرة، وذلك بأن يأخذ العدو راحته ويبالغ من جهته في تعمّد الاختلاط بالمسلمين ويسلَم بذلك، ويظل يضربنا وينحرنا وهو في غاية الأمان والراحة..!

قد يكون كلام أبي مصعب فيه اندفاع وتهويل خطابيّ لكن هو هذا المقصود في ظني، ثم تبقى الأمثلة التي ذكرها يُسلَّم له في بعضها ولا يُوافق على البعض الآخر.

وأما المسألة الأخرى: فحتى لو كان أبو مصعب الزرقاوي مؤيّدًا للإخوة الخارجين على الحكومة السعودية (وهو كذلك) فهو أخونا ولينا، سواء وافقناه في هذه المسألة أو خالفناه.. وأنا واحدٌ من الناس مؤيّد للإخوة الخارجين على الحكومة السعودية إذا كان التأييد معناه محبتهم وتمنّي أن يظهروا وأن ينصرهم الله على هذه الحكومة.! لا بمعنى التأييد في كل شيء وفي كل فعلٍ؛ فإني لا أؤيد تفجيرات الرياض في المحيا وغيره، وأراه خطأً وغير مشروع، لكني أراهم في الجملة هم أهل الحق، وخصمهم أهل الباطل، ولي تفاصيل دون ذلك.. ولو أن الكثير من العلماء أنصفوا وقاموا بأمر الله حق القيام، لأنكروا الخطأ ممن كانَ بحسبه، ولقالوا للظالم المجرم أنت ظالم مجرم، ولم يقفوا -بسبب وجود أخطاء أو مفاسد عند أهل الحق ولو كبرتْ- مع حكومةٍ هذا حالها!

وليس وراء السكوت مقعد لصاحب حق هنا، والله يصلح الأمور.

يا أهل الإنصاف: تنكرون على أبي مصعب أن يؤيّد المقاتلين للحكومة السعودية، والحكومة السعودية دائبةٌ ليل نهار على حربِ «أبي مصعب» والمجاهدين في العراق بما أمكنها، والتعاون مع دول الجوار بأنماطها الكفريّة ومع الأمريكان على حربهم؟! إن هذا لعجبٌ!! إنا لله وإنا إليه راجعون.. وإن دعوتنا المستمرة هي رصّ صفوف أهل الخير والدين والتقوى والصلاح، وإيجاد التلاحم والتراحم والتعاطف والتحابب بينهم في كل مكان، وأن يكونوا يدًا واحدةً على أعداء الله، ولا سيما فيما يتعلق

بطائفتي العلماء والمجاهدين في ميادين الجهاد.

وأما من يستغل مثل تلك الكلمات وتلك الأخطاء ليقول: إن المجاهدين خوارج يستحلون دماء المسلمين بالتكفير العامّ (تكفير جميع من في دار الحرب وعسكر السلطان) وإنهم يتستّرون بفتاوى «التترس» وبأقوال الفقهاء، ويمارسون التقية مع الأمة! ولا يبالون في الحقيقة بدماء المسلمين ولا تهمّهم في شيء! فهذا -والله الذي لا إله إلا هو- لهو البهتان العظيم، والكذب والافتراء، والظلم الشنيع.!! فنسأل الله أن يهدي قائل هذه المقالة القبيحة، أو يهلكه شرّ هلكةٍ.. وأن يكف شرّهم عن المجاهدين وعن أمة محمدٍ ﷺ، وأن ينصر المجاهدين عليه وعلى أمثاله من أهل الجور والظلم والعدوان البهتان.

أما الحقيقة التي لا شك فيها ولا غموض لمن وفّقه الله وأنصف وأراد الخير، فهي أن المجاهدين - والمثال هنا المجاهدون في العراق، وعلى الخصوص «جماعة الزرقاوي» و«الأنصار» لأننا نعرفهم- أنهم لا يكفرون المسلمين، بل يرون عموم الشعوب الإسلامية من أهل السنة مسلمين معصومي الدماء والأموال والأعراض، إلا من قام الدليل على كفره بخصوصه وردّته وخروجه من دائرة الإسلام بدليل واضح صريح فتلك حالات يحكم فيها بحكمها.

وإنما الذي وقع هنا وهناك من أخطأ في القول والفتوى والرأي، أو في الفعل والواقع الميداني من قتل مسلمين.. فهو واقع بناء على تأويل واجتهاد ورأيٍ ذهبوا إليه، كهذه المسألة التي وقع الكلام كثيرا فيها (مسألة التترس) وتوسّع فيها بعض المجاهدين هنا وهناك نوعًا من التوسّع ناتجًا عن تقديرات عسكرية تطبيقة في الغالب.!

اللّهم إنا نشهدك أننا نحب المجاهدين في سبيلك.. اللّهم إنا نعتذر إليك من أخطائهم.. ونبرأ إليك من كل ما يخالف دينك وشرعك مما يقعون فيه هم أو غيرهم، ونسألك أن تنصرهم وتسددهم وتأخذ بأيديهم إلى كل خير وفلاح وعلوّ ورفعة.. ونسألك أن تصلح ذات بين المسلمين وتؤلّف بين قلوبهم يا أرحم الراحمين، وأستغفر الله من كل ذنب، والحمد لله رب العالمين.

❑❑❑

[تكملة المشاركة]

ليس هناك إجماع من العلماء في هذه الأحداث، والجهاد ماضٍ نعم بالقاعدة أو بدونها.

ولكن نعرف لكل أهل الفضل فضلهم من كل الطوائف -علماء ومجاهدين وغيره- ونعرف للجميع حقهم.

وكما قلت: إن الجهاد كان يمكن أن يكون بـ«القاعدة» وبهؤلاء المجاهدين أو بغيرهم؛ فلقائل أن يقول: يمكن أن يكون الجهاد بدون أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير.. وكل الصحابة ﭫ، وكان يمكن أن يكون بدون صلاح الدين ويوسف بن تاشفين ونور الدين زنكي، وعمر المختار والقسّام وعبد القادر الجزائري.. إذا كان المعنى أن الله قادر أن يخلق ما يشاء ويختار ويأتي بغيرهم ﮏ وﮋ وتقدس.

فهذا افتراض لا يغني، والواقع أن هؤلاء ناس لهم فضلهم وأن الله منَّ عليهم بالتقدم في الجهاد والبذل والقيام بهذا الفرض العظيم.

ومن أراد أن يفرّق بين المجاهدين، ولم يجد ولله الحمد من يسلّه من كل ذلك إلا «خطاب»؛ فيمدحه ويذمهم.. وخطاب أهل المدح حقا إن شاء الله، ﵀ وتقبله في الشهداء..

ونحن نعرف أن خطاب وابن لادن والظواهري والزرقاوي إخوة متحابون متعاونون..

وبين القاعدة وخطاب وإخوة الشيشان تعاون وتنسيق مستمر إلى آخر ما علمنا.. بل إن خطاب كان على وفاق مع القاعدة وباقي المجاهدين وتعاون وتنسيق لم ينتهي إلى آخر عهدنا به وبهم.

[كُتبت هذه المشاركة بتاريخ: ٦/ ٦/ ٢٠٠٥]

۞ إلى إخواننا المجاهدين في العراق، تحية ونصح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: أيها الإخوة الأحباب نصركم الله وسددكم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

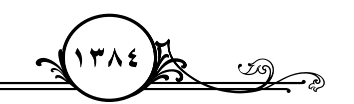
تعلمون -قوّاكم الله- أن هذه المرحلة الراهنة التي عنوانها «إقرار الدستور الأمريكي في العراق» هي مرحلة خطيرة وتحتاج إلى مزيد حكمة في التعامل معها، وإن موقفكم -ومعكم في ذلك أهل الحق من أهل السنة والجماعة في سائر بقاع الأرض من علماء ودعاة وشباب الإسلام- بتجريم هذه العملية القذرة وإنكارها والحكم ببطلانها، بل واعتبارها كفرًا بالله العظيم، ومحادّة لما بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ، ومشاقّة ومعاندة لشرع الله الحكيم، ومناقضة لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، لا مثنوية في ذلك ولا ارتياب.!

فهذا الدستور المراد إقراره وفرضه موضوعٌ على خلاف شريعة الإسلام المطهّرة، لا على قاعدة الالتزام بدين الله وحكمه، وواضعوه هم أعداء الله تعالى بأصنافهم المختلفة من صليبيين ومرتدين قوميين لادينيين وصفويين مجوس حاقدين وأشياعهم.. ولا يغيّر في الأمر شيئا مشاركة بعض ممن ينتسب إلى السنة فإن يدهم فيه سفلى ذليلة، وأبصارهم فيه حسيرة كليلة.!

هذا موقف عقديّ واضحٌ أعلنتموه، وحقٌ ناصع أظهرتموه، وهو من توفيق الله تعالى لكم ونعمته عليكم؛ فلله دركم وعلى الله نصركم.

وإن من تمام التوفيق إن شاء الله أن لا تعكّروا نصاعة هذا الحق ببعض الأخطاء التي نخشى أن تفسد دعوتكم وتشوّه موقفكم، وأن تحذروا -بشكل عامّ- من التسرّع في التكفير وإطلاق ألفاظه سواء على الأعمال أو على الأعيان حتى يكون الأمر من الوضوح والتحرير والخلوّ من الاحتمال المعتبر بدرجة كبيرة لا يكاد يختلف فيها العقلاء العلماء.. وهذا كلام عامّ يوضحه ما بعده.

وهو أني أحببت أن أنبه إخواني **أنه من الخطأ إطلاق القول بتكفير من صوّت في الاستفتاء على الدستور**؛ فاجتنبوا هذا الإطلاق بارك الله فيكم، فإنه خطأ في الشرع وظلم للخلق، وهو من أجل ذلك معصية قد تجرّ إلى الفشل والهزيمة فاحذروها.



بيان ذلك أن التصويت ليس صورة واحدة وليس حكمه واحدًا:

- فمن صوّت (أي وضع ورقته في صندوق الاستفتاء) برفض الدستور الكفريّ؛ فهذا حيث قصد بذلك درأ هذه المفسدة ومنعها.. فهذا ليس من الكفر بسبيل، بل هو مأجور إن شاء الله قائمٌ بعملٍ صالح من هذه الجهة، مع أنه قد يكون مسيئا من جهة أخرى وهي: إنجاح العملية السياسية التي خطط لها الأعداء ومساعدتهم في تحقيقها، فهذا مناط الخطأ لكنه لما لم يكن أصليًا أو مقصودًا وإنما هو لازمٌ للفعل، فلا سبيل للتكفير به بحالٍ، لا سيما وأنه قد يعارضه بعض الناس بمصلحة أخرى في التصويت بالرفض.. فقصارانا أن ننهى عنه وننكره، أما التكفير بذلك فلا.

- ومن صوّت بالموافقة على الدستور، وهو يعلم أنه موضوع على محادة الشرع، أو أراد بممارسته التصويت إنجاحَ ودعمَ العملية السياسية للصليبيين وأوليائهم المرتدين وتمكينهم رغبةً في العاجلة، فهذا الذي يكون قد ارتكب الكفر، والعياذ بالله.!

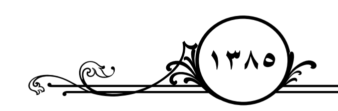
لكن لما كان هذا الأخير متعلّقًا بالإرادة وهي فعلُ القلبِ، وجب الحذر الشديد في الحكم به على الناس إلا في الحالات التي يظهر فيها ذلك بدلائل لا تقبل التأويل من تصريحٍ أو ما في قوته.

وبالجملة.. فالواجب البيان للناس وتحذيرهم من الوقوع في هذه المكفّرات أعاذنا الله منها، وعلينا أن نحذر من الخطأ بإطلاق أن من صوَّت فقد كفر، ثم تكفير كل من شارك في الاستفتاء.! فهذا خطر عظيم لو وقع فإنه يجرّ إلى فتنة كبيرة وفسادٍ عريض، عافنا الله وإياكم والمسلمين جميعا من ذلك.

وأنا أوصي دائمًا باستعمال عبارات: من فعلَ فنخشى عليه من الوقوع في الكفر، وهذا العمل قد يصل إلى الكفر في بعض صوره.. وما شابه ذلك من الخطاب؛ فإن هذا من لغة العلم والفقه، ومن محاسنها أنه يحصلُ بها الزجر والتخويف، وتشتمل على الاحتياط والتثبّت.

ولا داعيَ هنا للقول بأن من شارك في التصويت فإنه مقرّ بمبدإ الديمقراطية، فهذا كلامٌ غير صحيح ألبتة، فلا تلازمَ.!

والكثيرون في أنحاء الأرض من المسلمين يكفرون بالنظام الديمقراطي ويعدّونه دينا غير دين الإسلام، ثم هم يشاركون في التصويت في بلدانهم من أجل دفع ضررٍ أو تخفيفه، أو تحقيق مصلحةٍ أو تكثيرها، من خلال اختيار مرشّح على آخر (مثاله: مسلم في أمريكا صوّت لكيري بدل بوش، أو



بالعكس: مسلمٌ صوّت لبوش لما رأى أنه وبالٌ على أمريكا ودمار، وفهِم أن الشيخ أسامة بن لادن والقاعدة يريدون ذلك ويتمنّونه) أو منع مشروع أو المطالبة به ونحو ذلك، وهذا جائز إن شاء الله، وبه يفتي عامة العلماء المعاصرين، وضوابطه لا تخفى.

ومن منعه فلا يصل به إلى حدّ الكفرِ، هذا لا نعلمه عن عالمٍ معتبرٍ.

والحاصل: أن المشاركة في التصويت ليس معناها الإقرار بالنظام الديمقراطي والإيمان به.

فإنه لو طرح حاكم ديكتاتوري مستبد استبدادًا مطلقًا لا يؤمن بالديمقراطية ولا يعرفها ولا يطبقها مشروعا للاستفتاء (ليس هو مخالفا للشريعة في ذاته، وإنما من قسم المباحات) وصوّت مسلم بما يراه المصلحة له ولدينه من «نعم» أو «لا»؛ فإن هذا كما ترون لا تعلّق له بالديمقراطية ولا غيرها.

وإنما هو دفعٌ بما أمكن للمضرة، وجلب للمصلحة، بوسيلة مباحة؛ بقول نعم نريد كذا، أو لا نريده ونرفضه، وهذا في أزمان الاستضعاف للمسلمين، وفي حالة غلبتهم من الكافرين، وأما في زمن القوة والتمكن فالمسألة غير واردة، والله أعلم.

ملاحظة: هذا يختلف عن دخول بعض الجماعات الإسلامية للعبة الديمقراطية والتنافس والمراهنة على خيار الشعب؛ فإنها مسألة أخرى، غير مسألتنا هنا، لأن تلك فيها التزام بمبدأ «خيار الشعب» وهو لبّ الديمقراطية، وإن فعلها بعض الإسلاميين على سبيلٍ يشبه الخدعة في وقت من الأوقات على أساس أننا نستغل الوضع ونعلم أن الشعب سيختار الإسلام لا محالة، كذا قالوا وكذا وقع في بعض التجارب كما تعرفون، لكن صارت النظم الحاكمة الكافرة اليوم تضيّق عليهم وتشترط على من ينافس في اللعبة الديمقراطية أن يكون مؤمنا بمبادئ الديمقراطية ملتزما بها متعهّدا بتطبيقها ويبرهن على ذلك.. نسأل الله السلامة.!

والحاصل أيها الإخوة: أن إطلاق القول بكفر كلّ من يصوّت خطأ فاحذروه واجتنبوه، واتقوا الله تعالى؛ فإنه يحب المتقين ومع المتقين، والتزموا العدل وكونوا قوّامين بالقسط كما أمر الله.

هذا من حيث الإطلاق والتجريد.

وأما من حيث التعيين: فإن الشخص المعيّن قد يرتكب ما هو كفرٌ ويكون له من العذر ما يمنع وقوع الكفر عليه، من نحو جهلٍ أو تأويل أو العمل بفتوى مفتٍ موثوق عنده قلّده وهكذا.

وأنتم تعلمون هذا جيدًا، وإنما اقتضاه التذكير وتكميل الموضوع.

ونحن يكفينا أن نحذر الناس من المشاركة في التصويت ومن الدخول في الألاعيب السياسية، فإنها لا جنى لها إلا الذلة والمهانة، فضلا عن فساد الأديان ومعصية الرحمن، الغبن والندامة باستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.!

وأن نحثّهم على الجهاد والصبر واختيار طريق ذات الشوكة التي هي طريق العزة والكرامة، وتفيهم الناس ذلك بأنواع البيان والإيضاح والشرح والتعريف.

إنه لا عزة لكم ولا رفعة ولا كرامة يا معشر أهل السنة في العراق إلا بالجهاد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[الأنفال: ٢٤]، وإنكم متى تركتم الجهاد غلبكم أعداؤكم وظهروا عليكم وأذلوكم ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ [النساء: ١٠٢]؛ فإن أعداءكم أكثر عددا وأوفر عدةً، وقد تمالؤوا عليكم ورموكم عن قوس واحدة، وأرادوا اجتثاثكم لأنهم علموا أنكم أنتم لا غير مصدرُ الخطر الحقيقي عليهم الذي يسمّونه الإرهاب، لأنه لا دين صحيحَ إلا عندكم وفيكم وبين أظهركم.!

فيا أيها الإخوة: لا تستعجلوا ولا تظلموا أحدًا في حكمٍ..

واعلموا أيها الإخوة أن كثيرًا من المسلمين ومنهم كثيرون من المحبين لكم والناصحين المؤيدين والمتمنّين لكم النصر والرفعة، عندهم مخاوف مشروعة ومنطقية تجاهكم؛ يخشون عليكم من الغلوّ والتشدد ولا سيما في مسائل التكفير.. فطمّنوا إخوانكم واقطعوا الطريق على أعدائكم من المنافقين ولا تجعلوا لهم عليكم سبيلا؛ بإطلاقاتٍ متسرّعة، أو تعميمات في غير محلّها، أو اجتهادات رأيتموها خالفكم فيها كثير من أهل العلم الموثوقين.

فاجتنبوا قدر الإمكان ما اختلف فيه وما احتمل، وتمسّكوا بالمتفق عليه وما قاربه من الواضح البيّن الظاهر الحجّة، ففيه مندوحة وبركة ولله الحمد، واعلموا أن الزمان زمان فتنةٍ فاللهَ اللهَ في الحكمة وحسنِ الخطاب؛ حدثوا الناس بما يعرفون، وعليكم من الأمر بما تطيقون.

وأما مسألة ضرب مقرات التصويت ومراكز الاقتراع، فإن كان لا بد فالنصيحة التفصيل، فاضربوا حيث يكون الضرب في هدفٍ مباحٍ واجتنبوا ما اشتبه..! ومجرد وجود صندوق للاقتراع بين المسلمين

ليس هدفًا مباحًا فاجتنبوه، جنّبنا الله وإياكم كل مكروه، وبارك الله في جهادكم وسعيكم.

إخواني وأحبابي، أما إن أردتم الرأيَ من ناصحٍ: فإنه لا يلزمكم أن تضربوا مراكز الاقتراع، ولا أن ترسلوا لها الاستشهاديين؛ فإنه في عمل السياسة والحرب ليس بذاك الهدف الذي يُتْعَب عليه.!

فإن الأمريكان وحكومتهم العميلة وأولياءهم سيقيمون الاستفتاء مهما كان الثمن ومهما ضربتم وفجّرتم ومهما قتلتم من أوليائهم، وسيخرجون بالنتيجة التي يريدون، وهو يومٌ سيخصصون له من قواتهم وتعبئتهم وأموالهم وطاقاتهم كل شيء لكي يمضي؛ فأن تضربوا أو لا تضربوا فليس ذلك بذي فائدة كبيرة، وليس مجرد تعكير عرسهم عليهم من المقاصد المهمّة، وهم في هذا اليوم حاشدون لقواتهم محكمون سيطراتهم فلا يبعُد أن الحكمة تقتضي تجنبهم في هذه الحال.

الفائدة حقا والنجاح فعلا وصدقا هو استمرار الجهاد وازدياد قوته، وامتلاكه زمام المبادرة، والفتح في قلوب الناس واحتواؤكم لهم، واكتسابكم إياهم، بحسن دعوتكم ومعاملتكم وصدقكم وقوتكم وشجاعتكم وحكمتكم ونصحكم وشفقتكم عليهم وإحسانكم إليهم، وأن تكونوا أهل صدق عندهم وأهل أمانة موثوقين محبوبين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤] وأن تنجحوا في تعبية أهل السنة والمسلمين من وارئهم في سائر البلاد للاستمرار في الجهاد وجعله هو الخيار لهم، والصبر عليه والمصابرة فيه.. هذا هو النجاح الحقيقي.

لقد جرّب إخواننا في طالبان من قبلُ فكرة ضرب مراكز الاقتراع ومحاولة تخريب الانتخابات على الحكومة العميلة؛ فلم تنجح ورأوها لم تؤتِ ثمارًا.. وقد سمعنا بالأمس أنهم أصدروا بيانًا يقولون فيه: إنهم لن يضربوا مراكز الانتخاب هذه المرة، لا علاقة لنا بها، لا نقرّها ولا نأمر بها، بل ننهى عنها وننفّر منها، وندعو إلى مقاطعتها، وأما ضربها فلا نضرب تفاديا لقتل المدنيين من عوامّ المسلمين، وأهم شيء: أننا مستمرّون في جهادنا وطريقنا الذي هو الحق، قبل الانتخابات ومعها وبعدها، إلى أن يأذن الله بالفتح وهو خير الفاتحين.. هذا معنى كلامهم وموقفهم، قوّاهم الله ونصرهم.

إنهم استفادوا من تجربة سابقة.. وعملوا بما رأوه الخير، والله هو وليّ التوفيق.

كأنهم رأوا أن الدخول في تحدٍّ في هذا اليوم قد لا ينجح؛ لأن العدوّ حاشد مستعد مستوفز بكل ما يملك هذا اليوم، وأن من أضرار الدخول في هذا التحدّي إصابة مدنيين من عوام الناس وقد يكثر

فيفسد، مع أن ما قرره الأعداء سينفذونه في الغالب وحكم العادة ولو كثرت فيهم الإصابات مهما بلغت، ورأوا ادخار القوة إلى حين غرة العدوّ وتفرّقه، وأن المهم في الأمر هو الاستمرار في جهادنا ومقارعتنا لعدوّنا كما نقدّر نحن وفي الوقت الذي نختاره، فإنه عمل مبناه على الصبر والمصابرة..

والله أعلم

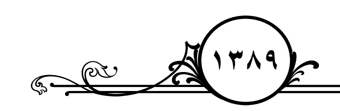
نسأل الله تعالى أن يفتح عليكم وينوّر بصائركم ويجعلكم مفاتيح للخير مغاليق للشرّ وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين..

ونسأله تعالى أن ينصركم على أعداء الله الكفرة الملاعين.. آمين.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

محبكم: **عطية الله**

الأربعاء ٢٠ رجب ١٤٢٦هـ



انصروا إخوانكم في الفلوجة

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني الكرام.. واجب علينا وعلى المسلمين أن يجتهدوا في الدعاء لإخوانهم في الفلوجة هذه الأيام؛ فهذا من أقل ما يمكن من نصرهم والمجاهدة معهم، كلٌّ من مكانه وكلٌّ بقلبه ولسانه، يدعو ربه سرًّا وجهرًا، وتضرعًا وخيفة، والله أكرم مسؤول وأرجى مأمول، ولا سيما في هذه الأيام والليالي المباركات ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦] ولعل بعضنا يصادف ليلة القدر، أو ساعة إجابة، والله يحبّ أن يُسأل، وهو سبحانه حييٌّ ستّير يستحيي أن يرفع العبد إليه يديه فيردّهما صفرًا؛ فالداعي مجاب على كل حال بإحدى صور الإجابة، فهو رابح على كل حال، فليتوكل على الله، وليفوّض أمره إلى مولاه، وينبغي أن نتواصى بالدعاء هذه الأيام لإخواننا، وتذكر أهلنا ونساءنا وأطفالنا وضعفاءنا وأئمة المساجد بذلك ونحرّضهم، ولو أن المسلمين أخلصوا وصدقوا في الدعاء في هذه الليالي لرأينا عجبًا مما يصنع الدعاء، إنه والله سلاح عظيم أعطانا الله إياه وحرمه أعداءنا، فله الحمد والمنة.

وهذا دعاء خرج من قلب أخ لكم.. فأمّنوا يرحمكم الله، وادعو بمثله وبخير منه، ولنجتهد بارك الله فينا وفيكم:

اللّهم لك الحمدُ كله، ولك الملكُ كله، وبيدك الخيرُ كله، وإليك يُرجَع الأمر كله.. لك الأسماء الحسنى والصفات العلى، سبحانك وبحمدك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك.

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيّك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

اللّهم نحن عبيدك الضعفاء الحقراء والفقراء إليك، نواصينا الكاذبة الخاطئة بين يديك، توكلنا عليك ووجّهنا وجوهنا إليك وأسلمنا أنفسنا إليك وفوضنا أمورنا إليك، رغبةً ورهبةً إليك..

اللّهم بما عظّمت هذا الشهر، وهذه الليالي العشر..

نسألك أن تمنّ على إخواننا في «الفلوجة» وسائر العراق بالنصر المبين، اللّهم إنهم عبيدك يجاهدون في سبيلك وعلى دينك، اللّهم إنهم لا ناصر لهم سواك، أنت وليّنا ووليهم، وأنت خير الناصرين.. انصرهم نصرًا عزيزًا، وافتح لهم فتحًا مبينًا..

اللّهم إنه لا يقع شيء في ملكك إلا بإذنك، اللّهم فأذَن بالنصر المبين لعبادك المؤمنين في

«الفلوجة»، اللّٰهم أمدّهم بجندك يا مَن لك جنود السماوات والأرض، يا مَن لا يعلمُ عددَ جنودك إلا أنت.

اللّٰهم إنهم عالةٌ فأغنهم، جياعٌ فأطعمهم، حفاةٌ فاحملهم، عراةٌ فاكسهم يا رب العالمين، اللّٰهم أطعمهم واسقهم واكفهم وآوهم يا ذا الجلال والإكرام، اللّٰهم سدد رميهم في نحور أعدائك وأعدائهم، اللّٰهم أفرغ عليهم صبرًا وثبّت أقدامهم واربط على قلوبهم.

اللّٰهم أنزل عليهم السكينة وغشّهم الرحمة، وآنس وحشتهم، وأزل همهم، فرّج كربهم، اللّٰهم استر عواراتهم، وآمن روعاتهم، وأعمِ أعين أعدائك عنهم.

اللّٰهم لا تؤاخذنا بسفهنا وظلمنا وجهلنا وغفلتنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللّٰهم عاملنا بما أنت أهله يا منّان يا عفوّ يا كريم، ولا تعاملنا بما نحن أهله فنهلك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

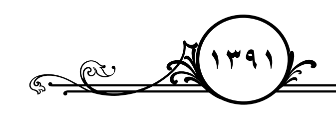
اللّٰهم هذه أمريكا قد جاءت بحدّها وحديدها تحادّك وتحاربُ دينك وأولياءك، وأنت رب العالمين، نواصي الخلقِ بيدك، اللّٰهم زلزلهم ودمّرهم، اللّٰهم اجعل كيدهم في تضليل، اللّٰهم اجعل كيدهم في نحورهم، اللّٰهم فرق جمعهم، شتّت شملهم، اللّٰهم اقذف الرعبَ في قلوبهم، واجعل بأسهم بينهم شديدًا، واشغلهم بأنفسهم يا قوي يا متين، اللّٰهم اكفناهم بما شئت وكيف شئت يا كبير يا متعال.

اللّٰهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزم أمريكا ومَن والاها وانصر عبادك المؤمنين عليهم، اللّٰهم إنهم لا يعجزونك يا قويّ يا عزيز، اللّٰهم إنه إن تنتصر أمريكا في هذه الحرب تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، اللّٰهم إنك إن تدع أهل الصليب ينتصرون في هذه المعركة يفسدوا في الأرض إفسادًا عظيما، اللّٰهم لو شئت أهلكتنا من قبل ولك الحمد وحدك، إن هي إلا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدي من تشاء، أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، اللّٰهم لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين..

اللّٰهم إليك نشكو ضعفنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربنا، إلى من تكلنا.. إلى بعيد يتجهّمنا أو إلى ضعيف ملّكته أمرنا، إن لم يكن بك سخطٌ علينا فلا نبالى، غير أن عافيتك أوسع لنا.

اللّٰهم إنا نطمع في نصرك وعافيتك، اللّٰهم إنا نطمع في نصرك وعافيتك، اللّٰهم إنا نطمع في نصرك وعافيتك.

اللّٰهم إن النصر من عندك وحدك لا شريك لك، اللّٰهم انصر دينك وكتابك وسنةَ نبيّك وعبادك المؤمنين.



اللّٰهم نصرك الذي وعدت، اللّٰهم نصرك الذي وعدت، اللّٰهم نصرك الذي وعدت.

اللّٰهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد عدد ما شئت من شيء بعد، لا حول ولا قوة إلا بك، قضيتَ على خلقك بالفناء، وتفرّدت وحدك بالبقاء، اللّٰهم ارحم قتلانا في الفلوجة وفي كل مكان، واقبلهم عندك في الشهداء، وارفع درجتهم في المهديين، اللّٰهم ومَن أخّرتَ أجله منا ومنهم فثبّته على الإيمان واليقين، واجعله من عبادك الشاكرين المنصورين، في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مضلة..

آمين.. آمين.. آمين

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا..

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أنت للأجيال مدرسةٌ.. مقطوعة صغيرة، هديتي للفلوجة الغراء

تركت الشعر من زمنٍ حين عرفت أني لستُ من فرسانه..

ولكنْ أحيانًا تمرُّ بالإنسان أحداث يأبى الشعر فيها إلا أن يشارك بقدر الوسع..

وهذه أبيات هجمتْ قبل أيام مع تصاعد العمليات وصمود الأبطال هناك في «الفلوجة» فسجلتها في حينها، ثم أحببت أن أضعها هنا مشاركة في التشجيع، وإسهاما في التحريض، وكلمةً طيبةً إن شاء الله، وهذا من بعض ما نملك في ساعتنا هذه..

نسأل الله أن يمن علينا بنعمة الجهاد ويكرمنا بالشهادة في سبيله.. آمين.

عنوانُـــكِ الغَلَـــبُ المُـــؤزّر والأكيـــدْ وسُـــماكِ فـــألٌ مشـــرقٌ كهـــلالِ عيـــدْ

وبنـــوكِ: صـــنديدٌ لـــه في المجـــدِ أصـــلٌ ثابـــتٌ حيًّـــا وفي الأخـــرى شـــهيد

يـــــا قلعـــــةً للســـــنةِ الغـــــرّاء ثابتـــــةً وللـــــذكر المجيـــــد

علّمْتِنـــا بجهـــادكِ الميمـــونِ معنـــى العـــزّ والبـــأسِ وعرّيـــتِ القعـــود

وأذقتِنـــا طعـــمَ الكرامـــةِ حـــين ناحـــتْ في ســـواعدنا القيـــود

فَلُّوجـــةَ الشـــرفِ المؤثَّـــلِ أنـــتِ للأجيـــالِ مدرســـةٌ وللنصـــرِ نشـــيدْ

عطية الله

[٢٤ صفر ١٤٢٥]

۞ مُبدِعون..!

بسم الله الرحمن الرحيم

الإبداع كلمة ساحرة في ثقافات المعاصرين..!

وأهلها يقال لهم: «المبدعون»، وهم الموهوبون المتفوقون المرموقون بالأبصار.. فهذا شاعر مبدعٌ، وهذا كاتب، وهذا روائيّ، وهذا قاصّ، وهذا نحّاتٌ، وهذا مطربٌ، وهذا لاعبٌ، وهذا ماجِنٌ، وهذه هاتكةُ عرضِ أهلها.. والى آخر ما هنالك.. كلهم مبدعون يعشقون الجمال ويقدمون للإنسانية الجديد والمفيد! كذا!

وأحيانا أيضا -للإنصاف- يوجد عندهم مبدعون في علمٍ نافع وعملٍ صالح من علوم الدنيا والآخرة.. وعلى كل حال هي عندنا مع كونها لفظًا مولّدا بهذا الاستعمال، ففي معناها إجمال ومواطأة.

قبل مدة أتيح لي أن أرى في تلفاز «أبو ظبي» برنامجا يحمل هذا الاسم «مبدعون» تقدّمه مخلوقة تمثّل أصدق تمثيل «الإبداع» في ثقافة المعاصرين.. نسال الله الستر والعافية.

تستضيف المبدعة في البرنامج مبدعين وتحاورهم، كان ممن رأيت منهم: «محمد سليم العوا».

«محمد سليم العوا» نحن نعرفه، وليس غريبا علينا، تحدّث عن إبداعاته وإنجازاته وفلسفاته البديعة؛ فلم نرَ إبداعًا! ولا جديدًا! وكل ما رأيناه أشياء مكررة، ومُضَغًا من أفكار بالية يلوكها الرجلُ ثم يمجّها أمام الناس!

ولو أنه استغاث بنا لذكرنا له مثالا جيدا لإبداعه لن يجد في ظني مثالا أفضل منه؛ فتواه -وليس هو بأهل للفتوى- مع «القرضاوي» وجماعة آخرين من المبدعين للجندي المسلم -زعموا- في جيش أمريكا أنه يجوز له أن يقتل المسلمين في أفغانستان حتى لا يُشَكَّ في وطنيته وانتمائه لأمريكا وولائه..!

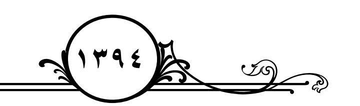
هذا المبدع «العوا» لم يشعر بأي تناقض وهو يجالس تلك الهاتكة عرضَ أهلها، ويجاذبها أطراف الحديث العذب أمام العالم بكل طمأنينة وارتياح وانشراح..!

في الحقيقة ليس «العوا» إلا مثالا متواضعا لمن يسمونهم «المبدعين» في ثقافتنا المعاصرة.

يظن «العوا» أو يُظَنُّ له أنه مبدع مُفْلِق، وأنه آتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ..

ولو قرأ القرآن كما أمر اللهُ لعلِم أن الإبداع الحقيقي هو العبودية لله تعالى، وأن التفوّق الحقيقي هو تحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

لو فقِه «العَّوا» والعاوون مثله من مثقفينا لعلموا أن الإبداع الحقيقي هو طاعة الله تعالى واتعابُ



النفس في طلب رضاه سبحانه بالسير على صراطه المستقيم والتزام شريعته واتباع نبيه ﷺ.

ولو صدق «العوا» مع نفسه لعلم أن المبدع الحقيقي هو المؤمن التقيّ الورعُ المتحرر من شهواته ومن أسرِ هواه، المجاهد لنفسه في سبيل الله، والمهاجر لما نهى الله عنه الفارُّ بدينه من الفتن، الصابر على التكاليف الربانية المؤثر ما عند الله القائم الصائم القانت الذاكر الله كثيرا.

لو صدق «العوا» لقال إن المبدعين على الحقيقة هم أولئك المجاهدون في ساحات الوغى، يحملون أرواحهم على أكفهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله..

أولئك المفارقون للشهوات -مع إقدامها وإمكانها- إرضاء لمعبودهم ﷻ، القائمون بأمر الله المتحمّلون للتكاليف الجسام، الصادعون بالحق في وجه الباطل، المتحدّون للظلم والظالمين.!

أولئك الذين يصنعون الأمجاد ويكتبون الصفحات المضيئة في التاريخ، فربما قرأها «العوا» وأمثاله بعد حين.. أولئك الذين قال الله عنهم حين وضعوا في سياق المقارنة مع غيرهم: ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾.

الملا محمد عمر مثلا عند مثقفينا المعاصرين كـ«العوا» ليس مبدعًا، ولا يساوي شيئا في ميزانهم.. لكنه عند المؤمنين وفي ميزانهم مثال المبدع الحقيقي.. بل والله ما أضيق هذه الكلمة وما أصغرها وأحقرها حين تحاول أن تصف رجلا كاملا كالملا محمد عمر.

يا الله..! إنها تتضاءل وتصغر في جنبه.

إنها اللفظ القزم في جنب العملاق العظيم.

إنها النسخة المزورة المقلّدة بجنب العلامة الأصلية المسجلة.

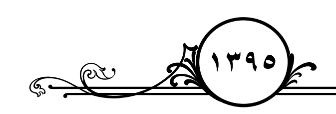
إنها حقّا شيء تافه لا يرقى لأن يصف الكبار..!

محمد عمر رجلٌ عملاق نحسبه كذلك، ومبدعٌ حقًا.

جاءته الدنيا مقبلةً بزخرفها تتدلّل له: مُلْكٌ، وجاه، ومالٌ، وشهرة.. فنظر إليها بعقله الذكيّ وقلبه الزكيّ -نحسبه كذلك- فرآها زائلة فانية، وهي مع ذلك منغّصة، مقرونة بخزي الدنيا وندامة الآخرة وعذاب الله، فركلها برجله ثم داسها بقدمه ووطئها وسار في طريقه إلى حيث رضى مولاه مختارا ما عنده..

هذا هو الإبداع.. وقل مثله في إخوانه من كل عالمٍ وعامِلٍ مطيع لله مختارٍ ما عنده.

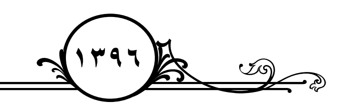
أعرف شبابا من إخواننا من ليبيا ممن كانوا في أفغانستان، بعد أن غزاها الصليب وسقطت حكومة طالبان وقعت لهم المحنةُ ككثيرين من إخواننا وشُرّدوا في البلدان.. اليوم مؤسسة «ابن القذافي» تناديهم إلى حدّ التوسّل إليهم أن يرجعوا إلى بلدهم وعليهم الأمان ولهم الإكرام(!!) وهم مع ذلك رافضون



أن يعطوا الدنيّة في دينهم ولسان حالهم يقول: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[يوسف: ٣٣].. فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر.. منهم من تخطّفته أيدي الحثالة من بني جلدتنا فسلّمته للصليب، فهو يلبس البرتقالي في الأقفاص، ومنهم من وجد ظهر سابحٍ فهو يقارع أهل الصليب ومواليهم إلى أن يحكم الله، ومنهم دون ذلك.!

هؤلاء مبدعون ولا مثنوية!

بمثل هؤلاء المبدعين تحيا الأمم، وترقى وتبذّ الأمم، وبمثلهم ففاخر وإلا فدعْ.



فرعون يكفر موسى..!

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾، خشي ﷺ أن يكذِّبه قومه ويصدّوا عن دعوته، بسبب قصور فيه أو تقصير منه؛ فسأل ربّه -إشفاقا على قومه وحرصًا- أن يعضّده بأخيه الذي هو أفصح منه، ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾[الشعراء]، وهو قتله للقبطي (رجل من قوم فرعون، من أهل البلاد الأصليين) هو الذي وكزه موسى فقضى عليه المذكور في سورة القصص، ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾؛ أفردَ لفظ الرسول مع أنهما اثنان لأن رسالتهما واحدة ومرسلهما واحد فهما رسول واحد حكمًا، ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ وكان فرعون يستعبد بني إسرائيل ويستضعفهم ويقهرهم ويهينهم ويستخدمهم في أخس الأعمال، ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ فقد ربّاه الله في بيت فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنًا كما بينه في سورة «القصص» وكان لفرعون كابنه رجل من العائلة المالكة و«أمير»!

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾سبحان الله.. فرعون يكفّر موسى؛ يقول له: «أنت من الكافرين»، **وهكذا فراعنة اليوم**: يكفّرون أولياء الله والدعاة إليه تعالى، ويرمونهم بكل موبقة، وهم في الحقيقة الكافرون..

ألم تسمعوا بوش يكفّر أسامة بن لادن والزرقاوي؟! هذا على قول من فسّر من المفسّرين الكفرَ بالكفر المقابل للإسلام، ومنهم من فسّرها بكفر النعمة: يعني كفرت نعمتنا عليك بتربيتنا إياك.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ يقول: إنني فعلت تلك الفعلة في زمن ضلالي وغفلتي عن هدى الله، أي قبل أن يمنّ الله عليّ بهذا العلم والهدى وهذه النبوة والرسالة، فضلًا عن أني فعلتها خطأً لا تعمّدًا واستغفرت الله منها.. فلا يمنع ذلك كله من أن أكون صالحًا، ولم يمنع ذلك من أن يختارني الله تعالى رسولا إليكم فلماذا تحتجّون عليّ بذنب سابق هذا وصفه وهذه ظروفه؟!

وهكذا فراعنة اليوم: يحتجّون على الدعاة إلى الله وعلى المجاهدين بأشياء صدرت منهم تُعَدُّ أخطاءً وربما وقعت منهم في زمن مضى وتابوا منها، وربما كان وقوعها على سبيلٍ هم غير مؤاخذين فيه أو نحو ذلك، وتراهم يبحثون عن ثغرة وغلطة يشوّهون بها سيرة الداعي إلى الله والمجاهد.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾؛ نعم فرّ نبي الله موسى من فرعون عندما خاف من شرّه ومكره، وفرّ نحوًا من فراره هذا أنبياءُ آخرون وصالحون أولياء لله وتركوا أوطانهم وهاجروا لمّا رجمهم قومهم وأخرجوهم وآذوهم وعذّبوهم وتهدّدوهم!!

وللأسف اليوم.. رأينا بعض المشايخ وممن اشتهر بالعلم يبقى حتى يقبض عليه الطاغوت ويسجنه ويهينه ولا يفرّ ولا يهاجر يقول: لا أفرّ أبدًا ويلبّس عليه الشيطان ويتوّهم أن هذا الفرار مسبّة، بل والله بقاؤك في قبضته -وقد كنت قادرا على الفرار منه- هو المسبّة والعار، وهو الغبن والخسار.! فسبحان من قسم الأفهام بين الناس! وسبحان من قسم العزائم والإرادات!

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ وهذا على الأشهر من أقوال المفسّرين على تقدير همزة الاستفهام أي: أَوَتلك نعمةٌ تمنّها عليّ؟ والمعنى: أتمنّ عليّ يا فرعون بأن عبّدت بني إسرائيل لك واستعمرتهم وقهرتهم وسلِمْتُ أنا من ذلك بسببٍ قدريّ جعله الله؟ أيُّ منّة لك عليّ في ذلك؟ ثم ما قيمة هذه المنّة في مقابل إجرامك العظيم في حق هذا الشعب المسكين الفاضل بني إسرائيل؟

وهكذا فراعنة اليوم: يتبجّحون بذكر مننهم على شعوبهم وعلى الدعاة والمجاهدين والمخالفين لهم: ألم نفتح المدارس والمساجد والجامعات والمستشفيات؟ وكذا وكذا؟ أتخرج أيها «الإرهابيّ» على الدولة التي تعبتَ عليك وأنفقت، وعلّمتك وربّتك حتى كبرت وصرتَ مهندسًا وطبيبًا وكذا وكذا؟

ونسوا أن هذا شيء لا منّة لهم فيه؛ لأنه واجب عليهم أن يفعلوه، زد عليه أن فعلهم إياه لم يكونوا ينوون به الخير غيرَ أن الله كادهم، زد عليه أنه إذا قُوبلَ بظلمهم وفسادهم وكفرهم وحربهم للدين والطهر والفضيلة ونصرهم للرذيلة تلاشى واضمحلّ ولم يعد لذكره مسوّغ بل صار كالقيمة المهملة في علم الحساب!! ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ إلى هنا انقطع اللعين ولم يبق له حجة يجادل بها وأدرك أنه عديم البرهان فاقد للشرعية فلجأ كعادة كل الفراعنة إلى التهديد: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

فرعون زمان كان أهون من فراعنة اليوم، على الأقل ذلك حاجج وناظر وأعطى لخصمه فرصة لإبراز حججه وإثبات دعواه، أما فراعنة اليوم فقد استفادوا من دروس الفراعنة السابقين: لا مناظرة ولا حوار ولا مفاوضات مع الإرهابيين والمارقين!!

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

وهذه هي الحجة الكبرى لكل الفراعنة التي يستخفّون بها أقوامهم ويستنهضون من كُتِب عليه الشقاءُ منهم للصدّ عن سبيل الله ودعوته، ويجنّدونهم لخدمتهم وللموت في سبيلهم.. إنها حجة «الأرض» و«الوطن» والبلاد»: يريد أن يخرجكم من أرضكم!

وهل جاء موسى ﷺ ليخرجك من أرضك يا فرعون؟ إنه جاء يقول لك: أسلمْ، وإذا لم تُسلِم ولم تؤمن بي؛ فأرسل معي بني إسرائيل ولا تعذّبهم ولا تستعمرهم وتستعبدهم، وقال لكم الناصح: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾[غافر: ٢٩]، آمِنْ بالله وأسلم له واتّبع رسله ويبقى لك ملكك! من قال لك: إننا جئنا لنسلب ملكك؟! يا سبحان الله!

﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[**تكميل**] نعم إنهم الفراعنة في كل مكان، إنها موازينهم وأسلوبهم ومنطقهم وشنشنتهم التي يعرفها التاريخ وتعرفها البشرية عبر تاريخها كله!!

الحرص على الدين زعموا.. وهم الكفرة المردة الزنادقة المحادون لله ودينه المحاربون له.!

الحرص على الوطن.. وهم مفسدو الوطن وسارقو خيراته ومذلوه ومخرّبوه وخائنو أمانته!

الحرص على المواطنين.. وهم قاتلو الشعب وظالموهم ومذلّوهم وقاهروهم وقاتلي أحلامهم!

الحرص على الأمن والاستقرار وسعادة البشر.. وهم المفسدون في الأرض، مخوّفو المستضعفين ومروّعو المساكين!

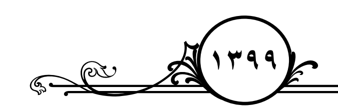
الحرص على الوحدة الوطنية والحرية والقيم النبيلة وو.. وكل شيء!!!

وهم في الحقيقة أعداء كل فضيلة ومروّجو كل رذيلة، قاتلهم الله ولعنهم!!!

حتى نستيقن جزءًا من الحكمة العظيم من ذكر فرعون في القرآن، وتكرار قصته والإبداء فيه والإعادة.. إن فرعون ما هو إلا نموذج ومثال للفراعنة في كل زمان ومكان!!

اللّهم إنا نشهدك أنا كفرنا بفرعون وبكل الفراعنة وبدا بيننا وبينهم العداوة والبغضاء..

وحسبنا الله ونعم الوكيل.



۞ تذكرة في حكمة الاختلاف وفقهه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الحليم العزيز الحكيم، الذي نطقت الخلائق بكمال حكمته وسطعت على الوجود أنوار حجته، الغني الحميد ذو العرش المجيد، خلق الخلق ليعبدوه ويوحّده، ما يريد منهم من رزقٍ ولا يريد أن يطعموه، وبين لهم سبلَ الهداية ليتبعوها، وكشف لهم عن طرق الغواية ليحذروها، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفيّه من خلقه وخليله، محمدٍ الصادق الأمين، المبعوث رحمةً للعالمين، المبيّن بسنته وسيرته وهديه ما نُزّل عليه من ربّه أحسنَ تبيين، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فاعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن الله ﷻ قد امتحن عباده بالاختلاف في مسائل الدين، سواء في مسائل العلم -الاعتقاد والتصور- أو مسائل العمل، وسواء في المسائل الكبار أو المسائل الصغار، ولله ﷻ في ذلك الحكمة العظيمة والحجة البالغة على خلقه ﷻ.

ولو شاء الله جل وعلا ما اختلف الناسُ!

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[البقرة].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[هود].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ٤]، قال الإمام القرطبي ﵀ عندها: «إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية أي معجزة ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية، ولكن سبق القضاء بأن تكون المعارف نظرية»[1] اهـ، وهذا المعنى في كتاب الله كثير وواضح.. ولو شاء الله ﷻ أن ينزّل كتابًا مطوّلا حاويًا كل التفاصيل لمسائل المكلفين، وفيه كل كبيرة وصغيرة مما يحدث للخلق على وجه التفصيل، وعلى وجه النص على حكمها لفعل، ولا يعجزه شيء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٨٩).

ﷻ، وهو العزيز الحكيم، ولو شاء الله تعالى لأنزل لكتابه شروحًا مطوّلة، على غرار المذكرات التفسيرية والملحقات التفصيلية والتوضيحية والدساتير والقوانين البشرية لفعل، بحيث ينص على كل مسألة صغُرت أو كبرت!

فلا يجد الناس فيها إلا قولًا واحدًا لا مناص إما من الأخذ به أو تركه، فلا احتمال ولا اجتهاد!

لو شاء الله لأنزل في كتابه المطول وشروحه المفترضة مثلًا: حكم الدخان.. فيقول مثلًا: سيكتشف الناس على رأس القرن العاشر للهجرة النبوية حشيشة اسمها التنباك وكذا وكذا يتخذون منها شيئا اسمه الدخان ويسمونه أيضا السيجارة ووصفه كذا وكذا وخصائصه كذا وكذا.. فذلك حرام فلا تقربوه.....الخ.

ولو شاء الله لأنزل مثل ذلك في الموسيقى والتلفزيون والستلايت والانترنت ومسائل الاجتماع والأسرة والمرأة والمعاملات المالية والعلاقات وغيرها وغيرها...

ولو شاء الله لأنزل مثله في نوازل الطواغيت المرتدين الحاكمين بلادنا اليوم، وحكم من معهم ممن يدخل في طاعتهم وخدمتهم على جميع الوجوه وتفاصيلها..

ولو شاء لأنزل مثله في كل مسألة يمكن أن تتصورها صغرت أو كبرت، علمية أو عملية، أو في معظم المسائل.. لكنه ﷻ لم يفعل لحكمةٍ بالغة، فالحمد لله كله.

وقد كانت هذه إحدى الحجج الداحضة التي جادل بها كفار قريش النبيَّ ﷺ؛ فردّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ۝٥٢﴾[المدثر] فسبحان الله! ثم بيّن الله تعالى حقيقة الأمر الذي دفعهم إلى هذا التعنّت والجدل والمعاجزة فقال -كما هي عادته في مثله ﷻ وتبارك وتعالى-: ﴿كَلَّاۖ﴾ أي ليس الأمر كذلك، وما هذا وجهه ﴿بَل﴾ الأمر أنهم ﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ هذه هي الحقيقة.

وكذلك الرسل؛ فلو شاء الله لبعث في كل قرية (بلدٍ أو مدينةٍ أو دولة) رسولًا خاصًّا ولا يعجزه شيء سبحانه، ولكن لم يكن هذا مقتضى حكمته، وله الحكمة التامة والحجة البالغة ﷻ.. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾[الفرقان] أي فلا تطعهم ولا تلتفت إلى قولهم الباطل وحججهم الداحضة إذ يقولون هلا أرسل الله رسلًا كثيرين أو بصفة كذا وكذا مما اقترحوا.

وقوله ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾أي بهذا الوحي المنزّل عليك يا محمد وهو القرآن ففيه كفاية كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ

أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[العنكبوت: ٥١].

فالحاصل أيها الإخوة المؤمنون أن هذا الاختلاف الواقع بين الناس في مسائل الدين وفهم أحكام الشريعة مقصودٌ لله تعالى مراد له، جارٍ على وَفق حكمته تعالى وعلمه التام ورحمته وعدله وإحسانه، فله الحمد كله؛ فالواجب اعتقاد ذلك على الجملة.

وسنحاول استظهار بعض الحكم الربانية في ذلك بعون الله تعالى وتوفيقه.

فمن الحكَم في هذا «الاختلاف» بين الفقهاء وبين الناس في الأحكام الشرعية ومسائل الدين: أن يكون هناك مجالٌ يتسابق فيه الناس في البحث عن الحق والعِلم وطلبه والبحث عنه وتحرير المسائل، فيتميّز العالم من الجاهل، ويرفع الله قدر أهل العلم، ويتبيّن الباحث عن الحق من الذي لا يبالي ويتبع هواه ويقنَعُ بما عليه قومه وجمهور الناس الذين هم في الغالب على غير الهدى.!

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[المجادلة].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر].

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الروم].

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القصص].

ومنها: أن يتميّز المتقي من القليل التقوى وقليل الخوف من الله تعالى، ويتسابق الناس في الأخذ باليقين وبالأحوط وبالأرضى لله تعالى، ويجتهدون في طلب رضاه، ويتميّز المحبّ المُوالي الذي يأخذ بأدنى إشارةٍ فيسمعُ ويطيع ويسارع في الخيرات وهو الحرُّ -الكامل العبودية لربّه ﷻ- من الذي لا يتحرّك ولا يفعل إلا بالقوارع والنصوص الواضحة والزواجر القاطعة لكل حجة، وربما لم يسمع ولم يطع إلا بالعقوبة والنكال، وهو العَبْد -ضدّ الحرّ، وهو الذي لم تكتمل عبوديته لربّه، وما وفّى- والعبد يقرع بالعصا!! فسبحان الله.!

ومنها: التخفيف على العباد، لأنه لو نصّ على حكم كل مسألة نصًّا جازما قاطعا لا تختلف فيه أفهام الناس لكان في ذلك تضييق وتحريج على الخلق، لأنهم إما أن يفعلوا ما نصّ عليه أو يتركوا، وفي هذه الحالة لو تركوه فإنهم يعصون ويتعرّضون لسخطة ويستحقون العقاب منه، وبتراكم العصيان منهم في أمثالها يبتعدون عن سبيل الله ويستحقون اللعن والطرد وتبعد عنهم فرصُ التوبة والإنابة، ويحلّ بهم الخسران والعياذ بالله.

وكذلك السكوت عن تفصيل وتبيين بعض الأحكام هو مرادٌ لله تعالى، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[المائدة]، وكما قال النبي ﷺ في الحديث: (**وسكتَ عن أشياء رحمةً بكم غير نسيانٍ فلا تسألوا عنها**) اختلفوا في تصحيحه ومعناه صحيح عند الجميع[1].

وتأمل حديث النبي ﷺ: (**إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرّم فحُرّم من أجل مسألته**) متفق عليه[2].

فالخلاف وإمكان الاجتهاد والتأويل أيضا هو في الحقيقة رحمة ولطف، ولهذا قال علماؤنا: إن اختلاف الصحابة ومن بعدهم من العلماء رحمةٌ وتوسعةٌ لمن بعدهم؛ كما قاله الإمام مالك رحمه الله وغيره.

فهذه بعض الحكم في الاختلاف بين العلماء، وربما ظهر المزيد لمن تأمل، وقد تكلم أهل العلم فيها وكتبوا في ذلك في متناثر كتبهم في الأصول والسلوك وغيرها.

وكل ذلك من لطف الله تعالى ورحمتة وعظيم منته على خلقه، إنه هو الرؤوف الرحيم اللطيف الخبير، تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٤٣، الحج: ٦٥].

ولنختم هذا المقام بذكر آية عظيمةٍ من كتاب الله هي أصل في هذا الباب:

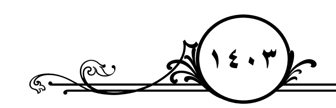
قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[الحج].

وجمهور المفسرين على أن معنى التمنّي هنا القراءةُ والتلاوة، فمعنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ وتلا؛ فأخبر تعالى أنه ما أرسل من رسول ولا نبيّ إلا حصل له شيء من ذلك، وهو أنه إذا قرأ وتلا على الناس ما أوحاه الله إليه من العلم والهدى ألقى الشيطان -بتمكين الله إياه للحكمة التي بيّنها بعدُ- في قراءته وتلاوته شيئا من الباطل، لكن الله العليم الحكيم سبحانه قضى أن هذا لا يستمرّ ولا يدوم بل ينسخه الله أي

---

(١) الإبانة الكبرى (٣١٤)، وضعفه السقاف في: تخريج الظلال (٣١٨)، وضعفه الألباني أيضًا في: غاية المرام (٤)، وحسنه الألباني في: الأربعين النووية (٣٠).

(٢) صحيح البخاري (٧٢٨٩)، صحيح مسلم (٢٣٥٨) واللفظ له.



يبطله ويزيله، ويُحكم الله آياته ويثبّت الحق ويظهره ويعليه، ثم بيّن الله عز وهو العليم الحكيم أن حكمته اقتضت ذلك ليجعل هذا الإلقاء من الشيطان، أو ما يلقيه الشيطان من الباطل فتنةً لأصنافٍ من الخلق ذكرهم بأهم صفاتهم وهم:

- الذين في قلوبهم مرض، مرضُ الشك والريب والنفاق، واستحباب الدنيا، وخلوّها (أي القلوب) من التعلق بالآخرة ورجائها وما شابه ذلك.

- القاسية قلوبهم، وهم أهل القلوب القاسية التي لا تلين للحق، ولا ترق للوعظ والتذكير والتخويف، ولا يجدي معها كثيرًا الإنذارُ؛ فهي قد قستْ واستعصت على براهين العلم أو أن يدخلها نور الهدى.! وهؤلاء لا شك أنهم ظالمون، أهلُ ظلم عظيم، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ﴾!! خلافٍ للحق بعيد، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾[التوبة: ١٩].

وليست هذه هي الحكمة فقط.. بل من الحكمة الإلهية البالغة في تمكين الشيطان من هذا الإلقاء وما يتبعه: أن يظهر فضل أهل العلم وطالبي الحق والباحثين عن الهدى؛ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ فيزدادوا علمًا وإيمانًا وتسليمًا، ويذعنوا وينقادوا للحق بقلوب منكسرة ذليلة، ولسان حالهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾[الأعراف]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾[آل عمران]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾[الأعراف: ٤٣].

فهؤلاء هم المؤمنون، أهل الإيمان الصحيح، هؤلاء هم الذين يهديهم الله في مضلات الفتن ويفتح عليهم من بركات العلم والعمل ويجعل لهم نورًا يمشون به في الناس، ويوفقهم لسلوك الصراط المستقيم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه، والحمد لله رب العالمين.

كيف نتعامل مع هذا الاختلاف؟

إذا تقرر هذا.. فاعلم أخي المسلم أن الله تعالى من كمال رحمته ولطفه سبحانه ومنته علينا بيّن لنا أصولًا جامعة نتعامل بها مع مسائل الخلاف والاجتهاد، ونعرف بها الصواب من الخطأ في الغالب الأعم لمن اعتصم بها وتوكل على الله وصدقه في الطلب..

وأنا أبيّن لك هنا بشيء من الاختصار بعض تلك الأصول المهمة:

فأول هذه الأصول: عقدُ النية على البحث عن الحق والسعي في الوصول إليه، وأنه متى ظهر وبانَ

دليلُه واتضح سبيله وسطع نوره أنك تأخذ به وتتمسّك بحبله، وتترك ما سواه مهما كان.

مع ملاحظة أن الحقَّ في كثيرٍ من الأحيان يكون على غير ما تهواه النفس وترتاح إليه، وقد يكون فيه صعوبةٌ ونوعُ مشقّة، لا سيما حين يقلّ القائلون به المتمسكون بحبله السالكون طريقه، أو يكون مخالفًا للعادة والمتأصّلة في النفس والاجتماع، أو يكون كرهًا للنفس ويستدعي بذلًا وتضحية.

ومن أهم الأصول المرعية عند الاختلاف: ما جاء مبينا في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[آل عمران]، وأنت أخي المسلم إن شاء الله تعرف معنى الآية ولا بد أنك قرأت تفسيرها وجعلتها دائما نصب عينيك.

ومع ذلك فلا بأس أن أكتب لك شيئا من شرحها:

خلاصة فقه هذه الآية الكريمة أن المسائل والأدلة قسمان: مسائل وأدلة محكمة أي واضحة بيّنة لا يختلف فيها الناس باديَ الرأي ولا يحتاجون إلى عناء كبير في فهمها ومعرفتها فهذا هو المحكم، ومسائل أخرى ليست كذلك بل هي مما يمكن أن يختلف في فهمه الناس، من أجل احتماله من جهة دلالته اللغوية والعقلية وغير ذلك وهذا الذي اسمه المتشابه؛ فالصواب في التصرف إذا صادفنا ذلك في أيةِ مسألة أننا نتمسّك بالمحكم الواضح البين الثابت، ونردّ المتشابه إليه، أي نردّه إلى المحكم ونفهمه على ضوئه، فإذا أمكن أن نفهم وجهًا للجمع بينهما وانسجم فهمنا للاثنين معًا وانتفى التناقض في أذهاننا فتلك الغاية ولله الحمد، وإن لم يمكن فإننا نتمسّك بالمحكم البيّن الواضح الثابت، ونكِل المتشابه إلى الله تعالى ونقول فيه: الله أعلم، لا ندري ما المقصود بهذا، وكيف نجمع بينه وبين ذاك الآخر... وهكذا.

ومن الأصول المرعية عند الاختلاف: أن يعرف الإنسان أنه لن يستطيع أن يصل إلى اليقين في كل بل ولا جُلّ مسائل الدين والدنيا..! وحينئذ عليه أن يقنع بما ظهر له أنه الأقرب للصواب والأوضح والأظهر أنه المراد وأنه هو الحق بعد أن يبذل جهده في التحرّي والبحث وتقليب النظر ومقايسة الأمور والاستدلال عليها بأدلتها من الكتاب والسنة وغير ذلك. هذا إن كان من أهل النظر؛ فإن لم يكن منهم فإن اجتهاده إنما هو في تقليد الأورع (الأكثر ورعًا ودينًا وتقوى) والأعلم من العلماء حسب ما هو مبيّنٌ في محله في علم أصول الفقه.

ولأجل ذلك فإن من يصرُّ على أن يصل إلى يقين في كل مسألةٍ فإنه يضلّ ويصيبه انحراف.. ويشطّ

في تصوره وسلوكه، وقد اعتبرتُ هذا في الناس ورأيتُ منه عجبًا، فالحمد لله على الهداية والتوفيق.

ولأجل ذلك قال علماؤنا: إن أكثر فروع الشريعة مبنيّ على غلبة الظنّ لا على اليقين.. فتأمل هذا يا أخي فإنه نافع جدًا إن شاء الله.

ومن الأصول المرعية عند الاختلاف: أن يجمع الإنسان الأقوال في المسألة وينظر فيها بعين الإنصاف، ولا يهمل شيئا من النظر الأول، لأنه لو أهمل قولًا في المسألة فلربما كان الحقّ أو جزءُ الحق فيه، وحينئذ يفوته الحق كلُّه أو بعضه.

ومن الأصول المرعية عند الاختلاف: أن يجمع الإنسان بين الأدلة ما أمكن ولا يترك إعمالَ شيء منها مهما أمكن، لأن العمل بكل دليل واجب، إلا إذا لم يمكن الجمع فيلجأ إلى الترجيح، أو عُرف المتقدمُ من المتأخر فيقال بالنسخ، وهذا مبيّن في الأصول أحسن بيان في باب الترجيح.

ومن الأصول المرعية أيضا: أن يعرف الإنسان مراتب المسائل والأدلة، فلا ينزل القطعيَّ منزلةَ الظنيّ، ولا الاجتهاديَّ المحتملَ منزلةَ المجمع عليه، وهكذا، وهذا مهم في نفسه، وفي ما يتعلق بالأمر والنهي وإنكار المنكر؛ فتأمله فإنه مهم جدًا.

ومن أهم الأصول الموصلة إلى تحقيق الحق عند الاختلاف: تقوى الله تعالى والخشوع والإخبات له ﷻ، وترك الكبر والغرور، والتوكلُ عليه تعالى والالتجاء إليه واللياذ به والتضرع له والإكثار من الدعاء وسؤاله الهداية والتوفيق، وأن يعلم العبد المسلم أن التوفيق بيد الله وحده، وأنه ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، ولهذا قال بعدها: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ فليطلبه منه وحده، بعد الأخذ بالأسباب المتقدمة.

فالمتكبر المغرور المعجب بنفسه لا يهديه الله ولا يوفقه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: ٣٥]، وإنما يهدي الله ﷻ أهل الخشوع والمخبتين له سبحانه ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [غافر]، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ [الأعلى]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

فعلى المسلم أن يبحث عن الحق ويتحرى الصواب ويتبيّن ويأتي الأمور من أبوابها ويخشع لله؛ لأن المتكبر والظالم والمتعالي والذي يريد أن ينتصر لنفسه أو لمشايخه أو لطائفته ومدرسته ونحو ذلك هذا

بعيد عن نيل الحق، بعيد جدا.

الحق عزيز ولا يعطيه الله تعالى إلا لمن خضع له وخشع واستكان وانكسر واتقى الله واجتهد في تقواه، ليس لعبًا ولا هزلًا هو!! وإنما هو الجدّ والفصل، والله المستعان.

وجماع الأمر: أن يعلم الإنسان أنه عبدٌ لله مكلّفٌ مبتلىً بهذا الاختلاف وهذه المسائل؛ فلينهض في عبادة ربه وليقم بواجب العبودية كما يحب الله ويرضى، وليطلب العلم ويسأل ويبحث عن رضى ربه في كل مسألة، وفي كل حركة وسكنة وفعلٍ وتركٍ.

إن الدين مبناه على التكليف والابتلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، والنجاحُ في القيام بالتكليف مبناه على التسليم لله تعالى، ومعرفة أنه أرادنا للآخرة لا للدنيا، فالآخرة هي دار القرار وهي الدار المقصودة، والدنيا دار ممر وابتلاء وامتحان واختبار ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾[الأنفال: ٦٧]، ومثال العبد في هذه الدنيا هو كما قال النبي ﷺ: **(ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)** رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»[١].

وقال لعبد الله بن عمر كما في صحيح البخاري: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابرُ سبيل»[٢].

فالله إنما خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، وبعث لنا رسلًا وأنزل لنا كتبًا، وعرّفنا بنفسه ﷻ وبيّن لنا كيف نعبده وهدانا السبيل وبين لنا النجدين، وما ترك رسول الله ﷺ شيئا يقربنا إلى الجنة إلا أمرنا به ولا شيئا يقربنا من النار إلا نهانا عنه وحذرنا منه وخوّفنا من الوقوع فيه، وشرح لنا وسائل الهداية وأسباب التوفيق؛ فلله الحمد والمنه والفضل.

ونسأل الله أن يوزعنا شكر نعمه ويهدينا ويسددنا، إنه نعم المولى ونعم النصير، لا حول ولا قوة إلا به.

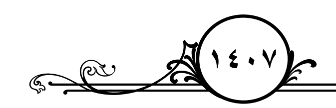
فهذه أهم الأصول التي من تمسّك بها أفلح في مسائل الخلاف وصار دائرًا بفضل الله بين الأجر والأجرين، ولم أقصد استيعاب أحكام الخلاف وفقهه وآدابه، وقد كتب فيه أهل العلم وصنّفوا وإنما المقصود ذكر أصول تعصم من الفتنة في مسائل الخلاف بإذن الله تعالى وحوله وقوته.

فعليك أخي المسلم بتدبره وتمثّله واجعله نصب عينيك وزد عليه من التفكر والتأمل وطلب العلم

---

(١) سنن الترمذي (٢٣٧٧)، سنن ابن ماجه (٤١٠٩) وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري (٦٤١٦).



النافع من أهله المعروفين به العاملين به القائمين به. والله يوفقنا وإياك لكل خير.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

كتبه: **عطية الله**

الأربعاء ١٢ربيع الأول ١٤٢٦هـ

۞ تعليقة مختصرة على فتوى الشيخ أبي بصير في العمليات الاستشهادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: هذه تعليقة مختصرة على فتوى الشيخ «أبي بصير» وفقه الله في مسألة «العمليات الاستشهادية»[1]، أردت بها المذاكرة والمباحثة للمسألة مع الشيخ وغيره، مع تأكيدي على أن المسألة قابلة للبحث أكثر، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

في البداية ملاحظات عامة:

❖ هذه المسألة من النوازل، فلا يُعرف للسلف فيها كلام، لأنه لم يكن ثَمَّ وسائل تشبه وسائلنا الحربية المعاصرة من المتفجرات والبارود ونحوها، والظاهر أنهم لم يفترضوها، فلم نعثر لهم على كلام فيها.

❖ المسألة اجتهادية محتملة، وكلامنا في ترجيح أحد القولين.

❖ لاحظت في كلام الشيخ «أبي بصير» أنه حصل في تصويره للمسألة خلط بين العملية الاستشهادية، وبين مسألة «التترس»، والحق أنهما يجتمعان ويفترقان؛ فلكل واحدة منهما حكمها مفردة ومقترنة بالأخرى.

وهذا أوان التعليق المفصل:

استند الشيخ في تحريمه للعمليات الاستشهادية إلى الدليلين الآتيين مع جوابهما:

أولا - ما عبر عنه بقوله: «أهمها أنها تعني بالضرورة قتل المرء لنفسه بنفسه.. وهذا مخالف لعشرات النصوص الشرعية المحكمة في دلالتها وثبوتها، التي تُحرم على المرء أن يقتل نفسه بنفسه أيًّا كان السبب الباعث على فعل ذلك» اهـ.

وجوابه والله أعلم: منع هذا المقام؛ فلا نسلّم أنها قتلٌ للمرء لنفسه بنفسه على النحو المحرّم المتوعّد عليه بالنار.. فجميع الأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة الدالة على تحريم قتل المرء نفسه أو نفس غيره: هي حق وصدق، وهو وحي من الله تعالى.. سمعنا وأطعنا وصدّقنا وآمنا، وإنما البحث في كون هذا من هذا، والمجوّزن يقولون إنه ليس منه لما سيأتي في ثانيًا.

ثانيا - القول بأن أدلة المجوّزين هي من المتشابه، وأن المحكم هو تحريم قتل النفس مطلقا.

وجوابه والله أعلم: عدم التسليم بذلك أيضا، وبيانه فيما يأتي:

---

(١) هي فتوى مختصرة في ست صفحات، نُشرت في موقعه -الشيخ أبي بصير- بتاريخ: ٢٠/ ٧ /١٤٢٦.

أن النصوص الواردة في تحريم قتل الإنسان نفسه محمولة على من قتل نفسه على وجه مخصوص، أو قتلٍ مقيّد إن شئتَ، وردت الإشارة إليه في كثير من هذه النصوص، وما لم يرد فيه فهو محمول على ما ورد فيه القيد؛ فالكلام أولًا في معنى قتل النفس المنهي عنه والمتوعّد عليه بالوعيد الغليظ.

قال المجوّزن الذين كتبوا في هذا المسألة -كالشيخ العقلا ﷺ والشيخ العلوان والشيخ الجربوع وكالبحث الذي وضعه الإخوة في حماس وغيرهم كثيرون[١]- قالوا: إن هذه القيود والأوصاف التي تبيَّن معنى القتل المحرم منها الجزع؛ كما جاء مصرَّحًا به في حديث الصحيحين: (**كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرحٌ، فجزِعَ، فأخذَ سكينًا فحزَّ بها يدَه، فما رقأ الدمُ حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرَّمتُ عليه الجنة**) هذا لفظ البخاري، وفي لفظ مسلم: (**إن رجلا ممن كان قبلكم خرجت بوجهه قرحةٌ فلما آذته انتزع سهما من كنانته فنكأها فلم يرقإ الدم حتى مات**)، وفي مستخرج أبي نعيم عليه: (**بادرني عبدي بنفسه فقتلها فقد حرمت عليه الجنة**)[٢]، قال النووي ﷺ: «إن هذا محمول على أنه نكأها استعجالا للموت أو لغير مصلحة، فإنه لو كان على طريق المداواة التى يغلب على الظن نفعها لم يكن حراما.والله أعلم»[٣] اهـ.

وفي صحيح ابن حبان عن جابر بن سمرة ﷺ «أن رجلا كانت به جراحة فأتى قرنا له فأخذ مِشْقَصًا فذبح به نفسه فلم يصل عليه النبي ﷺ»[٤].

ومنها: ما جاءت في قصة «قزمان» الذي قاتل مع النبي ﷺ في أحد وكان لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا فلقها بسيفه وقال النبي ﷺ: (**هو في النار**)[٥]؛ فقد جاء فيه أنه أصابته الجراح فاستعجل

---

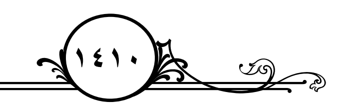
(١) بحث جماعات كُثرٌ هذه العمليات في رسائل عدة وفتاوى متنوعة؛ منها: «حكم العمليات الاستشهادية» للشيخ حمود العقلا الشعيبي، وقد علق «أبو حفص الجزائري» على هذه الفتوى في رسالته: «فقه العمليات الاستشهادية» وذيلها بمناقشة فتوى أبي بصير المذكورة، و«البشرى المهدية لمنفذي العمليات الاستشهادية» لأبي الحسن الفلسطيني، «الدلائل الجلية على مشروعية العمليات الاستشهادية» لأحمد نجيب، «ردود وتلميحات على منكري العمليات» لأبي الحسن الفلسطيني، «الأدلة الواضحة الجلية على مشروعية العمليات الاستشهادية» لأبي عمرو عبد الحكيم حسان، «الأقوال المهدية إلى العمليات الاستشهادية» لتركي البنعلي، ويُنظر رسالة: «الفتاوى النّديّة في العمليات الاستشهادية» التي جمعت أكثر من عشر فتاوى لكبار العلماء: محمد بن إبراهيم، الألباني، الشعيبي، سليمان بن منيع، العلوان، الخضير.. وغيرهم.

(٢) صحيح البخاري (٣٤٦٣)، صحيح مسلم (١١٣)، مستخرج أبي نعيم على مسلم (٣٠١).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢ / ١٢٧).

(٤) صحيح ابن حبان (٣٩٠٥) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٥) صحيح البخاري (٣٠٧٤).



الموتَ ولم يصبر فقتل نفسه؛ فأشار إلى عدم الصبر على الجراح والألم ونحوه وإرادة التخلص من الحياة، وهذا هو معنى الانتحار.

ومنها: قوله ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما: (**مَن قتل نفسه بحديدةٍ فحديدتُه في يده يتوجَّأُ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًّا فقتل نفسه فهو يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردَّى من جبلٍ فقتلَ نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا**)(١)، وفي حديث آخر في الصحيحين أيضًا: (**ومن ذبح نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**)(٢)؛ فهذا معنى الانتحار وهو قتل النفس المجرّد عن غرض الجهاد وإرادة إعلاء كلمة الله تعالى، يشير إليه قوله (**من قتل نفسه بحديدة**) وقوله (**من شرب سمًّا**) وقوله (**من تردّى من جبل**).. فهذه الأفعال هي فعل القاتل لنفسه، لا في الله ولا لإعلاء كلمته، بل تخلّصا من الحياة وهمومها، وجزعًا من التكاليف والبلاء والتحديات والكَبَد الذي خلق اللهُ الإنسان فيه، والابتلاء، وهو ما أشار إليه بقوله: (**بادرني عبدي بنفسه حرّمت عليه الجنة**) والله أعلم؛ فهو كناية عن استعجاله الموت بتعاطي سببه بإنفاذ مقاتله؛ لأنه استعجل الموت قبل أجله عند نفسه، أما بالنسبة إلى الله تعالى فإن كل مقدور له أجله المسمى يعلمه الله تعالى وكتبه وقدره ويخلقه ﷻ كما أراد في الأجل الذي كتبه ﷻ.

ومنها ما جاء في قوله ﷺ:(**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار، والذي يقتحم يقتحم في النار**) رواه البخاري(٣)، ومعنى (**يقتحم**): يقتحم الموت، أي يقتحم الشيء المميت في حكم العادة كالنار ونحوه مريدًا: قتل نفسه.. ويؤيد هذا المعنى -أعني النهي عن قتل النفس على هذا الوجه- النهيُ عن تمنّي الموت؛ لضرٍّ نزل به الدعاء به وما في معناه.

ومثاله الآن: مسألة ما لو أسر الأعداءُ رجلا مسلمًا؛ فتردى من شاهق أو ألقى بنفسه أمام سيارة مسرعةٍ فقتل نفسه لكي يتخلّص من عناء وابتلاء السجن والأسر والتحقيق والتعذيب، فهذه مسألة الانتحار، لأنه قتلٌ للنفس لا بغرض إعلاء كلمة الله ونصرًا لدينه وجهادًا في سبيله، بل لمعنى راجع إلى حظّ النفس، والله أعلم، ولهذا لم يجز أحدٌ هنا الانتحار، مع أنه قد أجازه بعض الفقهاء المعاصرين في صورة يُتحقَّق فيها وقوع ضرر كبير كليّ، أي على جماعة المسلمين، كأن يكون المأسور حاملًا أسرار المسلمين وخططهم التي يقع بمعرفة العدو لها ضرر كبير على المسلمين وينجرّ عنه -في حكم العادة-

(١) صحيح البخاري (٥٧٧٨)، صحيح مسلم (١٠٩).

(٢) صحيح البخاري (٥٧٧٨) بلفظ: (ومن قَتَل نفسه بشيء في الدنيا..)، صحيح مسلم (١١٠).

(٣) صحيح البخاري (١٣٦٥).

مقتل أنفسٍ كثيرة مسلمة وغيرها من الأضرار والفساد والخراب؛ فهذا الذي أجاز له بعض الفقهاء الانتحار هنا، وهو راجع كما ترى إلى إعلاء كلمة الله تعالى ونصر الدين وحفظه، ومع كل ذلك فالمسألة محل بحثٍ، وأكثر أهل العلم يمنعونها، وإنما المراد بيان اعتبار الفرق بين قتل النفس لإعلاء كلمة الله، وبين قتلها على الأوجه التي ذكرت في أحاديث الوعيد المتقدمة، والله أعلم.

والمستشهِد -الفاعل للعملية الاستشهادية- ليس مريدًا لقتل نفسه في الأصل، مع أنه مستيقن لحصول ذلك -قتل نفسه- بالتبع؛ فهو لم يقصد من وجهٍ بهذا الاعتبار -وأما القصد باعتبار علمه القطعي بحصول الانقتال فهذا لا يضرّه فهو فيه كالمنغمس في صف العدو وقد جوّزتموه وجوّزه الجميع بشرطه-، ولا يفعل ذلك جزعًا ولا خوفا من بلاء أو تكليف أو همّ دنيوي ونحوه، وليس مريدًا للتخلص من حياته على طريقة المنتحرين القاتلين لأنفسهم المشار إليهم في الأحاديث، بل إنما يفعل ذلك الانقتال؛ لغرض إعلاء كلمة الله ونصرًا للدين، وهو يقول: لو أملك أن أنصر الدين بغير ذلك لما فعلتُ؛ فهو يقرّ أنه في موقف الاضطرار أو الحاجة الشديد المنزلة منزلة الضرورة، وقد صرّح علماؤنا أن الحاجيّات إذا عمّت وتعلّقت بجمهور المكلفين أنها تنزّل منزلة الضروريات، والله أعلم.

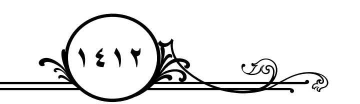
أو يقال: النهي عن قتل النفس والوعيد عليه مطلقٌ، قيّدناه بما لم يكن لإعلاء كلمة الله -بشروطه- بالدلائل المشار إليها.. والله أعلم.

فهذا حاصل عمدة ما استدل به الشيخ على تحريم العمليات الاستشهادية، مع الجواب عليها مما تحصّل من بحوث العلماء المجوّزين لها.

وأما باقي كلامه فهو كما ذكرت في المقدمة قد مزج فيه بين الاستشهادية والترس، وليس هو محل بحثنا الآن، أو هو من باب الاستئناس وليس دليلا أصليا؛ كالمحاذير التي أشار إليها من اعتبار قيمة الأخ المجاهد الذي وصل إلى درجة أن يطلب الاستشهاد، وعدم جواز أن نفرّط فيه بسهولة، ونحو ذلك، وهو في جملته كلام حق وصدق نوافقه عليه، ولا يتعارض عندنا مع القول بتجويز العمليات الاستشهادية حيث احتيج إليها وقُدّر حصول النكاية المعتبرة بها وتوفّر فيها شرط الإخلاص لله تعالى وإرادة نصر الدين وإعلاء كلمته ﷻ.

وأما تحريمها من جهة أنه يقتل بسببها معصومون آخرون فهذه مسألة أخرى، فحيث منعناها هنا فإنما لمانعٍ خارجيّ، كما أشرنا إليها وقلنا إن الشيخ أبا بصير مزج بين المسألتين، ولا تلازم.

تكميل: قوله: «وما استُدل به على جواز أن يقتل المرء نفسه بنفسه لغرض إنزال النكاية بالعدو.. كالأدلة الدالة على جواز الإقدام والانغماس في صفوف العدو.. وقصة الغلام مع الملك.. ومسألة قتل



الترس.. فهي أولًا لا تعني أن يقتل المرء نفسه بنفسه.. وإنما تعني أن يُقتلَ على يد عدوه أو غيره لا بيد نفسه.. وهي ثانيًا متشابهة في دلالتها على جواز قتل المرء لنفسه بنفسه لغرض النكاية بالعدو.. حمَّالة أوجه ومعانٍ.. يُمكن صرفها إلى أكثر من معنى.. وإلى أكثر من وجه.. غير معنى ووجه قتل النفس بالنفس.. وما كان كذلك لا يصلح أن يكون دليلًا في المسألة.. ولا تُرد بمثله الأدلة المحكمة القطعية في دلالتها وثبوتها.. ولا يقوى على دفعها ومعارضتها» اهـ.

في هذا الكلام نظر من وجوه وفيه عدة مسائل متداخلة، أبينها في نقاط:

منها: أن الاستدلال بأدلة الانغماس، هو قياس بجامع تيقّن الانقتال، وأن المنغمس متسبب فيه؛ فهو كالفاعل لقتل نفسه، هذا وجه استدلالهم به، وهو قوي، وإن لم يكن قاطعا في المسألة.

ومنها: قصة الغلام، وهو أقوى أدلة المجيزين، ووجهه أن الغلام دلّ الملك الكافر الظالم على طريق قتله، بعد أن أعجزه ذلك، لغرض نصر الدين ودعوة الحق وأن يؤمِن الناسُ، ومنْ دل على قتلِ نفسه فهو كالمباشر لقتل نفسه، ولا فرقَ مؤثرًا هنا، والله أعلم، فتمَّ الدليل على أن الغلام قتل نفسه (في حكم من قتل نفسه إذ لا فرقَ) لغرض نصر الدين وإعلاء كلمة الله، فصحّ أنه ليس بمنتحر، وصحّ قولنا إن الانتحار غير الاستشهاد، والله أعلم.

ولو أن إنسانًا أراد التخلص من حياته جزعا وقلةَ صبرٍ على الهموم والبلاء ونحوه؛ فاستدعى صبيّا لا يميّز أو مجنونًا فأمره أن يشغل عليه جهاز كهرباء قاتلًا، أو أن يطلق عليه نارًا من سلاحٍ أو نحو ذلك، فهو قاتل لنفسه عند الجميع بلا خلافٍ.!

ومنها: الاستدلال بقتل الترس المسلم في مسألة «التترس»؛ وهو قياس أيضا، فإن الإجماع حاصل على جواز قتل الترس في بعض الصور، فصار في بعض صوره أصلا يمكن القياس عليه.. الجامعُ أنه قتل لنفسٍ مسلمة معصومةٍ تعيّنَ سبيلا لإعلاء كلمة الله تعالى ونصر دينه، ولا فرقَ مؤثّرًا بين قتل المرء نفسه وبين قتله لنفس غيره من المسلمين المعصومين كعصمته أو أشدّ..! بل الذي قرره العلماء أن قتل الغير أشدّ وأغلظ من قتله لنفسه، فهو من باب أولى إذن، وهذا قوي كما ترى.

إذا تبيّن هذا، فقول الشيخ أبي بصير: «فهي أولًا لا تعني أن يقتل المرء نفسه بنفسه.. وإنما تعني أن يُقتلَ على يد عدوه أو غيره لا بيد نفسه» اهـ، لا يؤثر، لما بيّنّا أنه لا فرقَ بين أن يقتل نفسه وبين أن يقتل نفس غيره، ولا بين أن يباشر قتل نفسه أو يدلّ على ذلك ويتسبب فيه عالمًا مختارًا مريدًا.

ثم قوله: «وهي ثانيًا متشابهة في دلالتها على جواز قتل المرء لنفسه بنفسه لغرض النكاية بالعدو.. حمَّالة أوجه ومعانٍ.. يُمكن صرفها إلى أكثر من معنى.. وإلى أكثر من وجه.. غير معنى ووجه قتل

النفس بالنفس» اهـ.

يقال في جوابه: ما هي الأوجه والمعاني المحتملة غير معنى ووجه قتل النفس بالنفس؟ بيّنها!! وأما الاعتراض المجمل فلا يفيدُ، وقد بيّن المجيزون وجه احتجاجهم بالأدلة المشار إليها كما ذكرناه.

والحق أنه ليس فيها معانٍ ولا وجوه غير ما ذكره المجيزون، وبه يتّضح أنها استدلالات صحيحة، وأن الجمع بينها وبين الأدلة المحرّمة لقتل النفس ممكن متيسّر ولله الحمد كما سأذكره إن شاء الله.

وقوله: «وما كان كذلك لا يصلح أن يكون دليلًا في المسألة.. ولا تُرد بمثله الأدلة المحكمة القطعية في دلالتها وثبوتها.. ولا يقوى على دفعها ومعارضتها» اهـ.

جوابه: أن يقال: إنما يقال هذا في حال نصبِ المعارضة بين الأدلة، وتعطيل بعضها، والمجيزون ليسوا كذلك؛ فهم يقولون: لا تعارض بين ما بيّناه من الاستدلال بحديث الغلام والقياس على التترس والانغماس، وبين الأدلة الدالة على تحريم قتل النفس بغير حقّ، وحاصلُ ذلك راجع إلى أن ما جوّزناه قتلٌ للنفس بحقّ وهو قتل مشروع مأذون فيه دلت على ذلك الأدلة المذكورة بشروطه المذكورة، وما تدل عليه النصوص الواردة في تحريم قتل النفس والوعيد على ذلك بالنار والعذاب هو قتل بغير حقّ، وقتل غير مأذون فيه، وهو قتلها جزعا ومن قلة الصبر واستعجالا للتخلص من الألم ونحوه، لا لإعلاء كلمة الله؛ فانفكّت الجهة فلا تعارض، وأمكن الجمع بين الأدلة ولله الحمد على وجهٍ لا تعسّف فيه، بل هو وجهٌ قريبٌ ظاهر، وبذا يكون المجيزون للعمليات الاستشهادية أسعدَ بالعمل بجميع الأدلة وإعمالها كلها والجمع بينها وعدم تعطيل شيء منها، ولله الحمد والمنة.. وأما من يمنع العمليات الاستشهادية؛ فإنه قد عطّل بعض الأدلة وأظهرها دليل قصة الغلام، والله أعلم وأحكم ولا حول ولا قوة إلا به.

ملاحظة: قول الشيخ: «قواعد الشريعة تُلزم العمل بمجموع النصوص.. وعدم اللجوء إلى القول بالنسخ، أو التعطيل، أو تقييد المطلق إلا في حالة استحالة التوفيق بين مجموع النصوص» اهـ.

أما في النسخ والتعطيل (أي الترجيح؛ وهو ترجيح أحد الدليلين المتعارضين والعمل به، وترك الآخر حيث لم يمكن الجمع) فكلامه صحيح، **وأما في التقييد** فلا.! بل حيث صحّ القيدُ أعمِلَ بشروطه المقررة في الأصول، ولا يقال: لا نعتبر القيدَ إلا في حالة استحالة الجمع، والله أعلم.

هذا أهم ما حضرني من التعليق على فتوى الشيخ أبي بصير وفقه الله وسدده، وجزاه الله خيرا على نصحه للمسلمين وشفقته وبارك الله في علمه وجهوده.

هذا ولا يفوتنا التنويه بما ذكره الشيخ وأصاب جزاه الله خيرا من النصح والتحذيرات

والانتقادات لبعض ما هو جارٍ في بعض ساحات الجهاد من المبالغة في خوض العمليات الاستشهادية في غير نكاية معتبرة وفي غير وجه حاجة ملحّةٍ ظاهرة، حيث يمكن الاستغناء عنها وحفظ روح المسلم، وما أشار إليه بقوله: «قد بلغني أن بعض ساحات الجهاد المعاصرة التي يقصدها الشباب المسلم المجاهد من جميع الأمصار.. أول ما يُخيَّر الشاب الذي يصل إلى تلك الساحات بخيارين لا ثالث لهما: إما أن يرضى أن يكون مشروعًا استشهاديًا تفجيريًا، جهاده كله بل وحياته كلها محصورة في عملية واحدة لا غير، قد تصيب وقد تخيب.. وما أكثر العمليات التي تخيب.. وإما أن يعود من حيث أتى» اهـ، فهذا إن صحّ فهو منكر يجب أن يؤخذ على أيدي إخواننا فيه، والله المستعان.

كما أصاب الشيخ وفقه الله في التفصيل الذي ذكره في مسألة: **هل القائم بالعملية الاستشهادية شهيد أو لا؟**، فما ذكره هو الحق إن شاء الله، وهو قوله: «إلا أن صاحبها إن كان متؤولًا قد اعتمد على أدلة المجيزين لها واعتقد أنها هي الراجحة والتزم بشروطهم وقيودهم، أرجو أن يكون شهيدًا ومن أهل الوعْدِ، والنعيم والجنان، وأن يغفر الله له إن شاء الله. أما إن كان يعلم بحرمتها، وكان معتقدًا بأن الأدلة التي تُفيد التحريم هي الراجحة، أو كان في شك وريب من حلها وجوازها، ثم هو مع ذلك أقدم على فعلها -لسبب من الأسباب- فهذا منتحرٌ وقاتل لنفسه بنفسه، وهو من أهل الوعيد والعذاب» اهـ، نسأل الله العافية والسلامة.

ونسأله ﷻ لنا ولسائر إخواننا الهدى والسداد، والتوفيق لما يحب ويرضى إنه وليّ حميد سميع قريب مجيب، برٌّ رؤوف رحيم.. آمين

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه: **عطية الله** | الاثنين ٢٤ رجب ١٤٢٦هـ

دستور التابعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

فهذه تذكرة قليلة الكلمات كثيرة الفائدة إن شاء الله، أقدّمها إلى شباب الإسلام وحاملي راية التوحيد، الذين هم أمل أمتنا وغدنا المنتظر، إلى المجاهدين والعاملين للإسلام حيثما كانوا وأينما حلّوا، لعل الله ينفع بها ويصلح، ويكتبنا في زمرة الهداة المصلحين، ولا يحرمنا أجرهم.

وسميتها «دستور التابعين» وأردتُ بالتابعين: المعنى اللغوي للكلمة، وهي جمع تابع، فهي بمعنى الأتْباع، وهم جمهور شبابنا ورجالنا العاملين للإسلام الذين يتبعون قياداتهم ويتجنّدون في جماعاتهم في سبيل الله لخدمة هذا الدين، وسعيًا لرفع رايته، واستعادة مجد أمتنا وعزّها وكرامتها.

قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف]؛ في هذه الآية الكريمة -مع آيات أخر في كتاب الله سنذكر طرفًا مهمًّا منها- دستورٌ لكل تابع مع متبوعه؛ مأمورًا مع أميره، أو تلميذًا مع شيخه، أو ما شابه ذلك، كما هي أيضا دستورٌ للمتبوع في اختيار أتباعه.

وهي وإن كانت خطابًا للنبي ﷺ فإنها خطابٌ وأمرٌ لأتباعه من أمته، لما تقرر عند العلماء أن الخطاب له ﷺ خطابٌ لأمته وأتباعه ما لم يمنع مانع ويدلّ دليلٌ على الخصوصية، والله ﷻ يخاطب الأمة في شخص رسولها وأمينها وقائدها وإمامها لما في ذلك من البلاغة التي تستوعبها قلوب الأتباع، فلله الحجة البالغة.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾: أي احبسها واحملها على الكون مع هؤلاء وامنعها من الانصراف عنهم.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾: يوحّدونه ويعبدونه وحده لا شريك له، ويخلصون له سبحانه، ولا يدعون أحدًا سواه ولا يرجون غيره.

﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾: وفي كل حين، وإنما خصّ هذين الوقتين الذين هما طرفا النهار لما لهما وللذكر فيهما من المزية كما جاء في غير ما آيةٍ من القرآن.

﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾: وهذه جملة حالية، أي يدعون اللهَ ربَّهم في الأوقات المذكورة وفي كل وقتٍ مريدين وجه الله وحده أي مخلصين له تعالى.

﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾وهذا نهيٌ، أي ولا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم ممن ليسوا كذلك.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ الجملة حالية أيضا، أي لا تعدُ عيناك عن أولئك الذين وصفناهم لك مريدًا زينةَ الحياة الدنيا؛ فعلم أن مما يدخل في إرادة زينة الحياة الدنيا أن تلتفتَ إلى الأشراف المترفين وترغب فيهم على حساب أولئك الضعفاء، ويحتمل أن المراد بقوله ﴿زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ هم أولئك الأشراف المترفون الذين طمع النبي ﷺ في إسلامهم وحرَص عليه، على طريقة الاستعارة التصريحية، وحئنئذٍ فيكون التعبير عنهم بزينة الحياة الدنيا فيه معنى بديع جدًا وهو أنه سمّاهم زينة الحياة الدنيا وكأنهم زخرفٌ ومتاعٌ وتزويقٌ! ففيه إشارة إلى ذم أحوالهم وتنفيرٌ عن طلبهم والحرص عليهم. والله أعلم

ثم نهى عن طاعة صنفٍ من الناس اتصفوا بصفاتٍ بيّنها فانتبهوا لها:

﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ وهو من أغفل اللهُ قلبَه عن ذكر الله، فهو لا يذكر الله إلا قليلًا، إن ذكر.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وما اشتهته نفسه، قد أسلم نفسه لهواها وشهواتها الظاهرة والخفية.

﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ أي ضائعا، فهو غيرُ حازم في أمر دينه ولا في مصالح دنياه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ﷺ في تفسيره: «ودلت الآية على أن الذي ينبغي أن يطاع ويكون إمامًا للناس من امتلأ قلبه بمحبةِ الله وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه فقدَّمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعالُه، ودعا الناس إلى ما منّ الله به عليه، فحقيقٌ بذلك أن يُتَّبع ويجعل إمامًا»[1] اهـ.

وقال الشيخ الإمام ابن قيم الجوزية ﷺ: «فإذا أراد العبدُ أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحيُ، فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطًا، ومعنى الفرط قد فُسِّر بالتضييع أي: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشدُهُ وفلاحه ضائع قد فرّط فيه، وفُسِّر بالإسراف أي: قد أفرط، وفُسّر بالإهلاك، وفسّر بالخلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة، والمقصود أن الله ﷻ نهى عن طاعة مَنْ جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غَلَب عليه ذكرُ الله تعالى ﷻ واتباعُ السنة وأمرُهُ غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه» اهـ من كتاب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٧٥).

«الوابل الصيب»[١] له.

وقد تكرر في القرآن الكريم النهيُ عن طاعة الكفار والمنافقين والمفسدين والفجار؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ أي بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب] وهذا كله واضح ولله الحمد.

نهى عن طاعة الكافرين والمنافقين، كما نهى عن اتباعهم واتباع أهوائهم في آيات كثيرة: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء]؛ فنهى عن طاعة المسرفين وهم المجاوزون للحدود التي وضعها الله لكل شيء، ولما اتفقت عليه العقول السليمة والفطر المستقيمة من القيم. ووصفهم تبيينًا لهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ وهذا واضح.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم]

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾: الذين كذّبوا الحق وعاندوه وردّوه ولم يقبلوه.

﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾: أي ودّ الكفّار لو تدهِن يا محمد أي تصانعهم وتوافقهم على بعض ما هم عليه إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعيّن الكلام فيه، فيدهِنون هم كذلك.

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ كثير الحلف في غير وجه حقّ، وهي من صفات الكاذبين والمنافقين، وتأمّل سورة التوبة الكاشفة المقشقشة تنبئكَ.

﴿مَّهِينٍ﴾ خسيس النفس ناقص الهمة، ليس له رغبةٌ في الخير بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.

﴿ هَمَّازٍ)كثير الهَمْز أي العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء وغير ذلك، فهو هُمَزَةٌ لُمَزَة.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٤١).

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ كثير المشي بالنميمة، وهي نقل كلام الناس من بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد.

﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ كثير المنعِ للخير الذي يلزمُهُ القيامُ به معنويًّا كان أو ماديًّا، بخيل.

﴿مُعۡتَدٍ﴾ وقيلَ على الخلقِ يظلمهم ويجور عليهم.

﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام والذنوب والعصيان.

﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي وهو فوق ذلك كله عُتُلٌّ أي غليظٌ شرسُ الخُلُقِ قاسٍ شديدُ الخصومة غيرُ منقادٍ للحق.

﴿زَنِيمٍ﴾ وفسّرها العلماء بوجهين:

الأول: الزنيم هو الدعيّ الذي ليس له أصلٌ، فهو خبيث المنبتِ لا يرجى منه خيرٌ، كولد الزنا، وكالدعيّ في القوم وليس منهم، ففيه إشارة إلى مراعاة شرف الأصل والمنبِت.

الثاني: الزنيم الذي له زَنَمَةٌ أي علامة يعرف بها، أي في الشرّ، كما تعرف الشاة بزنمتها وهي ما يتدلّى من عنق المعزى وهما زنَمتان. نسأل الله السلامة والعافية.

قال الشيخ السعدي ﷺ: «وحاصل هذا أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذّاب خسيس النفس سيء الأخلاق، خصوصًا الأخلاق المتضمّنة للإعجاب بالنفس والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس بالغيبة والنميمة والطعن فيهم وكثرة المعاصي»[1] اهـ.

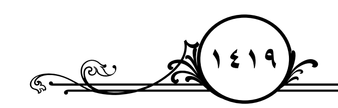
ثم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ﴾ وهذه الجملة هل هي متعلقة بما قبلها أو بما بعدها؟ وجهان للعلماء.

الوجه الأول: أنها متعلّقة بقوله ﴿فَلَا تُطِعۡ﴾ أي لا تطع من هذه صفاته لأجل أن كان ذا مالٍ وبنين، وفي هذا تحذير من الاغترار بأصحاب الأموال والبنين وزينة الحياة الدنيا واتباعهم لمجرّد ذلك، ويؤخذ منه إشارة إلى التحذير من الاغترار بأصحاب المواهب والقدرات ما لم يكونوا على الصفات المطلوبة فيمن يُتَّبَع.! وكم رأينا من أصحاب مواهبَ وقداراتٍ وإمكانياتٍ علميّة أو فكرية أو نفسية وغيرها يتصدّرون للقيادة ويغترّ بهم كثيرون ويتّبعونهم من دون أن يفتّشوا عما وراء ذلك من صفات الإمامة والقيادة التي بيّنها الله، ثم لا يلبثون أن يكتشفوا أنهم أخطأوا الطريق وربما بعد أن يفوت كثير من الوقت والفرص، والله المستعان.

والوجه الثاني: أنها متعلّقة بقوله بعدها ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، أي لأجل أن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٧٩).



كان ذا مالٍ وبنين طغى وكذّب بآيات الله وإذا تليتْ عليه زعم أنها أساطير الأولين.

وأمر الله تعالى في مقابل ذلك باتباع سبيل المؤمنين المهتدين؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴿١٥﴾﴾[لقمان] وهو سبيل المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[الأنبياء]

قال الشيخ السعدي ﵀: «﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾أي يهدون الناس بديننا لا يأمرون بأهواء أنفسهم بل بأمر الله ودينه واتباع مرضاته، ولا يكون العبدُ إمامًا حتى يدعو إلى أمر الله» اهـ.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾[يس]؛ فبيّن أن من علامات الداعية الصادق الذي حقيقٌ أن يُتّبَع أنه لا يسأل الناسَ أجرًا على دعوته، ولا يريدُ منهم مالًا ولا دنيا، وأنه مهتدٍ في نفسه، فهو قبل أن يدعوَ الناس متّصفٌ بالهداية قدوةٌ لما يدعو إليه. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف]

أخي المسلم، خصوصًا أنت أخي الشاب المسلم المتوقّد غيرةً على الدين والحرمات وحُرقةً لنصرة الإسلام والنهوض بأمتك: تأمّل يرحمك الله هذا الدستور القرآني وما في معناه مما لم نذكره مما لا يخفى على من قرأ وطالع وتعلّم، من أحاديث نبيّنا ﷺ وسنّته وسيرته، وسيرة أصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ الذين هم خير القرون، ومن سيرة قيادات المسلمين الأوّلين وأئمتهم الذين اجتمعت الأمة على خيريّتهم وصلاحهم، وانظر انطباقها على من تريد أن تتبعه وتلحق به في تنظيم أو جماعةٍ تدعو إلى الله، أو تجاهد في سبيل الله، أو تأمر بمعروف وتنهى عن منكر ونحو ذلك من أعمال البر والخير، واجعل هذا ميزانك، ومعيار انتخابك واختيارك، وتوكل على الله فهو حسبك..

ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنا، وصلى الله وسلم
وبارك على عبده ورسوله محمدٍ وآله وصحبه

۞ استنهاض علماء أهل السنة لنجدة أهل السنة (شاركونا الحملة لاستنهاض علماء أهل السنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى بقايا أهل العلم والهدى، والصلاح والتُقى..

أين أنتم يا علماء أهل السنة مما يجري لإخوانكم وأبنائكم من أهل السنة في العراق؟ أين أنتم أيها الغيارى من العلماء والدعاة في بلاد الحرمين واليمن، وفي مصر والشام، وفي المغرب الإسلامي الكبير وبلاد شنقيط، وفي باكستان والهند، وفي سائر البلاد؟ هل بلغكم ما يجري لأهلكم في العراق؟ هل بلغكم أن كل من اسمه عمر يقتل في العراق بأيدي الرافضة أصحاب الحكومة العميلة؟ هل بلغكم ما جرى وما يجري من مذبحة لأهل السنة في الكاظمية؟ هل بلغكم أن شباب سامراء من أهل السنة يخفون هويّاتهم خوف القتل في نقاط التفتيش؟ هل بلغكم ما يجري لعلماء ودعاة ومشايخ وخطباء المساجد من أهل السنة وكوادر التدريس في المدارس والجامعات وكوادر العلوم والهندسة وغيرها من اغتيالات صباح مساء، على أيدي الرافضة أصحاب الحكومة العميلة؟ هل بلغكم أن نساء أهل السنة في العراق يستغثن بكم وبكل أهل السنة في العالم؟ هل بلغكم أن إخوانكم المجاهدين من الفصائل المتعددة من أهل السنة الأحرار الأبطال يتصدّون لوحدهم في الميدان -مع الضعفة من المسلمين- للرافضة المتحالفين مع المحتلين النصارى، وأنهم يحتاجون منكم إلى التأييد والنصر ولو بكلمة؟ وهل بلغكم أن أهل السنة في العراق قد صاروا يشكّون فيكم بسبب صمتكم المريب، حتى بلغ الأمر ببعضهم أن دعا عليكم؟

أين أنتم يا علماء أهل السنة ودعاتها الأخيار الصالحون الأحرار؟ أين نجدتكم وغيرتكم؟ أين الكلمة تنديدا واستنكارًا وشجبًا، كما عوّدتمونا في مناسبات كثيرة..؟! أين جهاد الكلمة؟ أين دعاؤكم؟ أين بياناتكم؟

إذا لم تنفروا للجهاد الواجب لما أبديتم من الأعذار؛ فما بال الجهاد بالكلمة لنصرة أهل السنة على أعدائهم الظالمين المجرمين الكفرة المشركين؟

أين سلالة علماء الدعوة النجدية؟ وأين حماة المنهج والعقيدة السنّيّة؟ وأين أبناء المنهج الصافي

والتربية السلفية؟ أين أنتم من بيانٍ تؤيدون فيه إخوانكم وتنصرونهم وتُشعرونهم أنكم معهم وأنكم ردء لهم وفئة، وتشدون من أزرهم وترفعون من معنوياتهم؟ إننا نخاطب فيكم بقايا الغيرة والنخوة..! ونناشدكم الرحم والولاءَ الإيمانيّ أن تنصروا إخوانكم..!

لماذا هذا السكوت؟ ألم تعلموا -بما آتاكم الله من العلم والهدى- أن السكوت في مثل هذا الموطن مما يبغضه الله؟ ألا تعلمون أن سكوتكم هذا يُضعفُ موقفكم الضعيفَ أصلا، ويشكك الناس فيكم، ويزهّدهم في التلقي عنكم؟

نذكّركم ونعظكم يا أهل الكتاب والعلم والهدى والنور أن الله قد أخذ عليكم العهد ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران: ١٨٧].!! إن الناس قد صاروا يقتنعون على نطاقٍ واسعٍ أنكم إنما تتحركون في الضوء الأخضر، وتتكلمون متى ما أراد الحكام الكفرة أو الظلمة، وأنكم تسكتون عن الحق خوفا منهم ومراعاة لهم وانتظارا للإذن منهم!! بل إن الكثيرين من جماهير أمتنا وشعوبنا البسطاء العوام قد صاروا يرددون بلا تحرج أنكم إنما يحرككم الحكام الخونة كيفما شاءوا، وأنكم جبناء لا تملكون شجاعة ولا تنفرون لنصر حق، ولا يهمّكم إلا سلامتكم وهناءةُ عيشكم..!!

هل يسرّكم هذا؟ وهل ستحفظون الدين والشريعة بمثل هذا؟ وهل ستأتون غدًا شاكين من عدم احترام الناس لكم..؟!

وإن خطابنا هو لأهل الخير وأهل القلوب الحية منكم، أما أولئك الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، واطمأنوا بها، والذين هم عن آيات الله غافلون،ورضوا بخفض العيش في ذلة، وركنوا إلى الظالمين، وانغمسوا في موائدهم إلى أن غرِقوا في وحلها... فما هم بمعنيين، ولسنا نخاطبهم ولا نطمع فيهم، بل هم مع أعدائنا ومن جملة جلادي الأمة وخونتها، نسأل الله أن يجزيهم بما يستحقون، وأن يكفّ شرهم.. آمين.

اللّٰهم إنا نعتذر إليك مما صنع هؤلاء (علماؤنا الصالحون الغافلون المقصّرون) ونبرأ إليك مما صنع هؤلاء (الخونة البائعون للدين)، اللّٰهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشدٍ يعزّ فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمَر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر.. آمين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون..!

فيا شباب الإسلام، ويا فتية الإيمان، ويا طلبة العلم، يا أهل الغيرة ويا ناشدي العزة والكرامة لأمتكم، ويا أهل البذل والعطاء، بارك الله فيكم، اتصلوا بعلمائكم ومشايخكم في كل بلدٍ وناحية، وحرّضوهم وذكروهم واستنهضوهم، واحتسبوا في ذلك، فإن هذا واجب علينا جميعا.

وإن رأيتم هذا البيان مناسباً فانشروه في كل المواقع وأرسلوه إلى كل بريدٍ..

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الذاريات].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

وصايا، وسلام، واستعلام

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إخواني وأحبابي: أسأل المولى ﷻ أن تكونوا جميعا بخير وعافية، وتوفيق من الله تعالى وتسديد: أحببتُ أن أسلّم عليكم وأخطرَ ببالكم، لعلي أنال منكم دعوة صالحة.. يعلم الله أنني اشتقتُ إليكم وإلى محاورة الإخوة العقلاء والأدباء، ومدارسة أهل الخير والحكمة منكم. وما تركتكم إلا لظروف خاصة اجتماعية وغيرها..! فجزاكم الله خيرا جيمعا على ما أوليتموني من حسن الظن والثقة. وبارك الله في كل من دعا بخير وسأل عن أخيه وتفقّد، ولولا خوف الإطالة لذكرتُ جميع الأسماء وسلّمتُ عليكم واحدًا واحدًا. وأسأل الله تعالى أن يبارك فيكم ويزيدكم هدى وتوفيقا، وأن يصرف عنا وعنكم شر كل ذي شر.. آمين.

أوصيكم ونفسي المقصّرة بمزيد تحقيق الصدق والإخلاص في القول والعلم، فالفائز من جعل نصبَ عينه الدارَ الآخرة، وراقب الله تعالى في كل حركة وسكنة، ونصرَ الحق ودارَ معه حيث دار، و﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾[محمد]

إخواني الكرام: أطمنكم أنني بحمد الله بخير ونعمة من الله على ما كان من التقصير، والله المستعان، ولعل الظروف تكون أحسن في وقت آتٍ، وأعود إلى المشاركة معكم في المنتدى.. وإنني أرسل بين الفينة والفينة بعض المقالات عن طريق بعض إخواني لينشروها، في منتدانا هذا وغيره، مشاركة معكم ومع أهل الخير في الدعوة إلى الله تعالى ونصرة دينه ودعم المجاهدين في سبيله في ميادين الجهاد أعزّهم الله وقوّاهم.

وكان من آخر ما أرسلتُ مقال كتبته بعنوان: «استنهاض علماء أهل السنة لنجدة أهل السنة» وكنتُ قصدتُ أن يجعل الإخوة منه حملة شاملة لتحريض علمائنا؛ فيا ليت إخوتي يجتهدون في ذلك، وإن كان المقال غير مناسبٍ عند بعضكم فلا بأس اتركوه، ولتمضِ الحملة: حملة طلبة العلم وشباب الإسلام لتحريض العلماء وتشجيعهم للقيام بواجب البلاغ وتوجيه جماهير أمتنا في هذه اللحظة الحرجة، ونصر الحق ونصر المستضعفين من المسلمين أهل السنة في العراق خصوصًا.

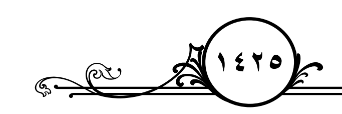
اذكروا لهم أحداث الكاظمية وغيرها، وبصّروهم بالواقع وعرّفوهم بالحال، كلٌ في ناحيته،

وبحسب من يتصل به من أهل العلم وعلى قدر وسعه، وانقلوا لهم جرائم الرافضة، وحذّروهم، فوالله إنه لمفترق طريق أيها الإخوة، وإنها أيضًا لفرصةٌ عظيمة لنصرة الدين وإحداث تحوّل كبير في الأمة..! وقد تأتي أيضا أحداث كبيرة، فعلينا أن نكون مستعدّين، ونساهم في جعل علمائنا مواكبين، وبارك الله فيكم.. ونسأل الله تعالى أن يبارك في علمائنا الخيّرين، وفي مجاهدينا الصالحين، ونسأل الله أن يحفظ قادات الجهاد ويبارك فيهم ويُجري الحكمة في أقوالهم وأفعالهم، إنه وليّ حميد.

والحمد لله على ما أدخل على قلوبنا في هذه الأيام من بشارات ومسرّات بسماع صوت الشيخ أسامة ثم رؤية الشيخ أبي مصعب ثم الشيخ الظواهري، والاطمئنان عليهم، حفظهم الله وسائر إخوانهم ونصرهم على أعداء الدين، وبما يبلغنا من أخبار إخواننا في أفغانستان ووزيرستان وغيرها، فالحمد لله رب العالمين.

فنسأل الله أن ينصر الإسلام ويعزّ المسلمين في كل مكان، ونسأله ﷻ أن يتقبل منا ومنكم صالح العمل ويتجاوز عن السيئات، إنه عفو كريم برّ رؤوف رحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الجهاد فرقان

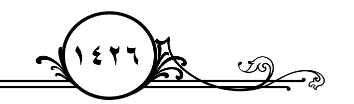
الجهاد فرقان.. يفرّق الله به بين أهل الحق وأهل الباطل؛ وبين الكفر والإيمان: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾[الأنفال].

والجهاد فرقانٌ.. يفرّق الله به بين المؤمنين وبين المنافقين الذين في قلوبهم مرض: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾[التوبة]، ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾[التوبة]، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾[محمد].

والجهاد فرقان.. يفرّق الله به بين أهل الصدق وبين أصحاب الدعاوَى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾[آل عمران]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٢]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[محمد]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[التوبة].

والجهاد فرقانٌ.. يفرّق الله به بين المؤمنين أهل الطاعة والتسليم وبين الفاسقين، بين من يريدون وجه الله ومن يبتغون عرض الدنيا الفانية: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[التوبة]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[التوبة]

والجهاد فرقانٌ.. يفرّق الله به بين أهل العزائم من الرجال، وبين أهل التفريط مخنّثي العزم: ﴿فَإِذَا



عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[محمد]، ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النور]، ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[التوبة]، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[التوبة].

والجهاد فرقانٌ.. يفرّق الله به بين أهل المقامات العليا من المؤمنين وبين أهل الراحة القانعين بالدون: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[التوبة]، ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾[النساء].. **حقًّا الجهاد فرقان**..! وجهاد الصليبيين الذين تقودهم طاغيتهم أمريكا اليوم في العراق وفي أفغانستان ووزيرستان وفي فلسطين هو حقّ مشروع محبوبٌ لله تعالى بالإجماع، ليس فيه مثنوية، بل هو مما يقطع به في دين الإسلام أنه مشروع وواجب في الجملة؛ فمن خالف في ذلك، وزعم أنه غير مشروع فهو مفتون ضالّ، أفّاك أثيم، بلا مرية!

ومن زاد على ذلك أن صدّ عنه وسفّه أهله القائمين به، ونفّر الناس عن نصرتهم، أو حذّر -بزعمه- منهم أو دعا الحكومات إلى الأخذ على أيديهم ومنعهم منه.. وما شابه ذلك؛ فهو مردود مخذول، ساقطٌ منبوذ، لا نقيم له وزنًا ولا نسمع له قولًا ولا نرفع له رأسًا، ولو كان كبير المفتين أو رئيس العلماء المبرّزين..! ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾[الحج: ١٨].

نقبلُ أن نختلفَ في مسألة خروجٍ على حاكمٍ أو دولةٍ ما من دولِ بلاد المسلمين ومجاهدتها، فكثير منها مسائل اجتهاد، ونحترم من ظهر صلاحُ دينه وقصده وحسن عمله في الأمة..! لكننا لا ولن نقبل أن يخالف في جهاد الأمريكان في العراق ونحوها مخالف مهما كبر اسمه وعظم منصبه ورسمه..

بل الجهاد المقطوع بمشروعيته عندنا فوقنا وفوقهم جميعا، وهو ميزانٌ نزن به الناسَ، وفرقانٌ.

۞ مفهوم مهم جدا

لا حقَّ إلا ما أحقّه الله ﷻ، فالله هو الحق وكل ما حكم الله بأنه حق فهو الحقُّ لا غير، نحن المسلمين عندما نقتل الكافر الحربي (غير الذميّ ولا المعاهَد ولا المستأمن ممن بلغتهم الدعوة) نقتله بالحق، ونحن على حقّ، وهو إذا قتلنا فهو ظالم مبطِلٌ لا حقَّ له.

نحن نضرب أمريكا وإسرائيل والكَفَرة، ونقتل الأمريكان واليهود والكفرةَ بالحقّ، فنحن محقّون عادلون، وهم حين يردّون علينا -فضلًا عن البدء- مبطلون ظالمون معتدون، لا حق لهم، فمن قال من المفتونين الضالين من أهل الأهواء: أن أمريكا لها الحق أن تردّ على ضربات ١١ سبتمبر وتقصف أفغانستان وتقتل المسلمين وطالبان والمجاهدين فهو مبطلٌ زائغٌ، لم يفقه دينَ اللهِ، ولم يعرف الحقّ.

وفرنسا عندما تمنع ارتداء الحجاب في دولتها وبلدها لا حقّ لها يا شيخ الأزهر! نعم، لا حقّ لها، بل هي مبطِلة ظالمةٌ معتدية محادّةٌ لأمر الله، ومخالفةٌ للحقّ الذي حكم الله بأنه حقّ، لأن فرنسا نفسها مفروضٌ عليها من قِبَلِ الله خالقها جل وعلا كما هو مفروضٌ على غيرها شريعةُ الحجابِ للنساء وكلُّ شرائع الإسلام التي بعثَ الله بها محمدا ﷺ؛ وأولها توحيد الله تعالى والإيمان بكل ما جاء به، وهذا واضح وضوح الشمس يا شيخ الأزهر، يعرفه أهل الحق، ولكن أعماك عنه الهوى وعبادة الدنيا وتراكم الظلمات عليك منذ زمن بعيد، فعَمِيت بصيرتك عن إدراك هذا المعنى وفطن له شاعر عامّيٌّ (في حكم الفقه) فقال: «فلترحل فرنسا عن فرنسا إن كان يزعجها الحجاب»؛ فالحمد لله الذي جعل أهل طاعته هم أهل الحقّ، وكرّمهم بالانتساب إليه، ورفع شأنهم بالعبودية له.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران]، ولا حول ولا قوة الا بالله.

إعظام الآمال بجهاد الصومال (كذبوا الآن جاء القتال)!

الحمد لله معزّ أوليائه من ذلة، ومكثرهم من قلة، وناصر المظلوم ولو بعد حين، القائل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج]، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ المصطفى، نبيّ الملحمة والمرحمة، إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد؛

فيا أيها الإخوة المجاهدون في الصومال، الثبات الثبات والصبر الصبر، فإن الله مع الصابرين ومع المؤمنين ومع المتقين ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون، والله مولاكم، والكافرون لا مولى لهم: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

ولا بأس عليكم في تحرّفكم لقتالٍ أو تحيّزكم إلى فئة؛ فأنتم إن شاء الله الكرار لا الفرار، وأنتم أهل العزائم، وقد سمعنا منكم حكمةً وأنكم تستعدّون لحربٍ طويلة، نسأل الله أن يقوّيكم وينزّل عليكم سكينته، ويمدّكم بمددٍ من عنده: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح].

فاستعينوا بالله ولا تعجزوا، ووالله إن العدوّ الكافر لهو أهون على الله وأحقر مما تظنون!

كيف وهم يعادون أولياء الله ويحاربونهم، وقد قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ [المجادلة]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة].

وقال ﷺ: **(مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب)**[1].

أيها الإخوة، الآن جاء القتال وحصحص الحق؛ فاتقوا الله واصبروا واصدقوا الله يصدقكم:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا

---

(١) أصله في: صحيح البخاري (٦٥٠٢)، وهذا اللفظ في: مسند أحمد (٢٦١٩٣) قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

أيها المجاهدون، استعينوا بالله وادّرعوا بالأرض كما أوصاكم أسامة واحفروا الخنادق وهيئوا القواعد الآمنة، وأعدوا العبوّات ولغّموا المداخل والطرقات والمقرات وركزوا على نصب الأكمنة، واضربوا العدو بعد ارتخائه وقد تعب وهو خائف قد دخل أرضكم كالسارق المرتاب، وأعدوا المفارز المحكمة من شبابكم، وكونوا على قلبِ رجلٍ واحدٍ، وإياكم والخلاف والتنازع، واقطعوا الطرق وخطوط الإمداد، وما أطولها وما أشدّ تهلهلها، واعلموا أن أشرف الكسب الغنيمة واذكروا قول نبيكم ﷺ: (**وجعل رزقي تحت ظل رمحي**)(١)، والإخوة المجاهدون من المهاجرين فَسَهِّلوا لهم الطرق، وافتحوا لهم الأبواب وسلطوهم على أعداء الله؛ فإن قلوبهم حرَّى ونفوسهم إلى الجنة عَجلى؛ فهم والله للحرب الوقود، وللجهاد العمود، لما بين الهجرة والجهاد من النسب، وذلك سرّ يعرفه أهل الجهاد، واستنيروا بتجارب إخوانكم في أفغانستان وفي العراق، والله مولاكم.

والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه.

واحذروا قصف الطائرات أيها الإخوة، واستفيدوا من خبرات إخوانكم في أفغانستان والعراق وغيرها؛ خبرات وفنون التجمع والتفرّق، والحركة والتنقل ليلًا ونهارًا، والتمويه وغيرها من خدع الحرب. ولا تعطوا لعدوّكم الجبان الخسيس فرصةً لينالَ منكم عن بُعدٍ، وإياكم والتهاون والتفريط، وإياكم ثم إياكم وخلقَ اللامبالاة، بل عليكم بالحزم والكيس والأخذ بالأسباب، ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾[البقرة]، قال نبينا ﷺ: (**المؤمن القويّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيفِ وفي كل خيرٌ؛ احرصْ على ما ينفعك واستعنْ بالله ولا تعجزْ**)(٢).

ولا يهولنَّكم كثرة عدد عدوكم ولا عدتهم، ولا يهولنكم أن مِن ورائهم أمريكا والغرب الكافر، فإن أمريكا معهم بلا شك ولا ريب، والطائرات التي تقصف مقاديشو هي طائرات أمريكية، ولكنّ الله معنا! والله أكبر، والله أعلى وأجلّ.

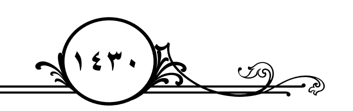
﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

---

(١) رواه البخاري معلقا بصيغة التمريض (قبل ح ٢٩١٤) قال الحافظ في الفتح: إسناده حسن، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إسناده جيد، وقال العراقي: سنده صحيح، وانظر في تخريجه: أنيس الساري تخريج فتح الباري (٣٥٦١)، مسند أحمد (٥١١٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٦٤).



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ [الصف].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد].

فكونوا مع الله وفي صفّ الله، في كل موقفٍ وفي كل حركةٍ وسكنةٍ، وأعلنوا الحق الذي معكم وارفعوا رايته، فوالله لن يرضى الأعداءُ عنا أبدًا -كما قال الله- حتى نتّبع ملتهم، ولن يقبلوا إلا بأن نتخلّى عن ديننا الذي أكرمنا الله به وهدانا إليه وأضلّهم عنه، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

وكونوا مع إخوانكم وأمتكم، واحذروا -بارك الله فيكم- أهل النفاق من بني جلدتنا والمرجفين والمخذّلين والمثبّطين والمبطّئين والمعوّقين!

تالله إنها لجادّةٌ ما أوضحها في كتابِ الله وفي سنة رسول الله ﷺ!

يا أمة الإسلام ويا شباب الإسلام، أبشروا وأمّلوا وعظّموا في الله تعالى الرجاء، فقد جاء الفرج إن شاء الله واقترب النصر ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ ﴾ [الشرح] ولن يغلب عسرٌ يسرين، واعلموا **(أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الشدّة)**[1].

إن العدوّ الكافر الظالم قد أعماه الغرور وأذهله حقده عن رؤية وخامة عاقبة أفعاله!

وإن غزو أثيوبيا لبلاد الصومال الإسلامية، ودخول الصليبيين وأوليائهم بلاد الإسلام -على أنه ظلم عظيم وفجور منهم قاتلهم الله وكبتهم- لهو فتح لسوق جديدة واسعة للجهاد، تَحيَا بها طائفة من أمتنا وتروج بها دعوة الحق بعد الكساد، ونحن والله أمة الجهاد والاستشهاد، لا نخشى الحرب والنزال، إنما يفسدِنا القعود، ونموت بترك الجهاد!

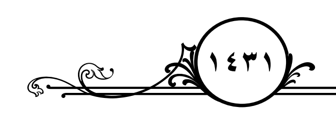
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ [الأنفال].

فالآن ستبدأ المعركة الحقيقة في الصومال شامة الإسلام في القرن الأفريقيّ، الآن ستكون لأهل الإسلام هنا الفرصة ليذيقوا أعداء الله الويلات ويتدربوا وتتربى أجيالهم في مدرسة الجهاد، ويبنوا النفوس ثم الأمة والدولة على مهل وثبتٍ!

وعما قريب إن شاء الله سترون وستسمعون.

---

(١) مسند أحمد (٢٨٠٣)، وصححه الأرنؤوط، شعب الإيمان (٩٥٢٨)، وصححه الألباني في: الصحيحة (٢٣٨٢) بلفظ: (.. الفرج مع الكرب).



والحرب بيننا وبين عدوّنا سجالٌ، حتى يفتح الله بيننا وبينهم بالحق وهو خيرُ الفاتحين.

وهل يخشى المؤمن شيئًا وقد ضمن له مولاه إحدى الحسنيين؟!

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة].

وإن أمة الإسلام تتقدّم وتسيرُ رويدًا بفضل الله ومنّته من حسنٍ إلى أحسن وتقتربُ كل يوم من التمكين والظفر المبين: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

أبشروا بالخير الكثير، وإنما هو الصبر واليقين، فبهما تنُال الإمامة في الدنيا والدين.

وارغبوا إلى الله تعالى، وأكثروا من الدعاء، والإلحاح فيه، ولا سيما في هذه الأيام المباركة، فوالله يا أيها الإخوة إن الدعاء لهو من أعظم أسلحتنا، ولا يملكُ عدوّنا منه شيئًا!

ومَن استطاع منكم اللحاق بإخوانه فلا يتأخّر، ولا سيما أهل البلاد القريبة، فالواجب في حقهم متأكد، والله خير الناصرين.

اللّهم يا مَن لا يُخلف وعدُك ولا يهزَم جندُك، انصر دينك وكتابك وسنة نبيّك وعبادك المؤمنين. اللّهم هذه أثيوبيا الصليبية جاءت بخيلها ورجلها ومِن ورائها قائدة أهل الصليب أمريكا تحادّك وتحارب دينك وأولياءك، اللّهم فاهزمهم وزلزلهم وأرنا فيهم عجائب قدرتك.

اللّهم انصر عبادك الموحّدين المجاهدين في سبيلك ولإعلاء كلمتك في الصومال، وأعنهم وقوّهم وأمدّهم بمدد من عندك.

اللّهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

اللّهم بك نصول وبك نجول وبك نقاتل.

يا مولى المؤمنين ويا وليّ الصالحين.

آمين آمين.

والحمد لله رب العالمين

عطية الله

الأربعاء ٧ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ

الشيخ العالم الأسير.. هل نسيناه؟

الشيخ «عمر عبد الرحمن» فك الله أسره وفرّج كربه وكرب إخوانه في كل مكان، أحد العلماء الدعاة الصادعين بالحق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمجاهدين في سبيل الله بالعلم واللسان وبالنفس، يقبع في سجون الطواغيت الصليبيين الأمريكان منذ أكثر من عشر سنين، يتعرض للإهانة والإذلال والتعذيب، وتنتهك أبسط حقوقه الإنسانية على يد عبّاد الصليب لعنهم الله، المتشدقين باحترام حقوق الإنسان وحقوق الحيوان!! مدعي العدالة والحرية والإنسانية واحترام القانون! شيخ كبير السن تجاوز الآن السبعين من العمر، كفيف البصر، ضعيف القوى، معتل الصحة، مصاب بعدة أمراض ليس أخطرها السكري.

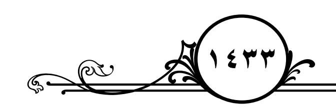
لم تشفع له عندهم كل تلك الاعتبارات ولم تلق منهم رحمة ولا شفقة، وما ذاك إلا للحقد الدفين والغيظ البالغ على الإسلام وأهله.

لقد أراد عباد الصليب بإهانتهم للشيخ أن يهينوا في شخصه الإسلام وأهل الإسلام، أرادوا أن يهينوا القرآن الذي في صدره والعلم والهدى الذي يحمله ويدعو إليه..

إن محنة الشيخ «عمر عبد الرحمن» أعزّه الله، قبل أن تكون محنة له شخصيا، هي محنة أكبر لنا نحن المسلمين؛ لينظر الله ماذا نصنع له وماذا نقدم في نصرته!! فهل تحركنا لفك أسره؟ وهل بذلنا شيئا لنصرته؟ لقد شملتنا هذه المحنة ونحن جلوس في بيوتنا ونيام على فرشنا، في نفس الوقت الذي طالته هو في سجنه! أين علماء الأمة ودعاتها من محنة الشيخ عمر؟ هل من ذاكرٍ له؟ وهل من ناصر؟ وهل من داعٍ؟ أين الجماعات الإسلامية والجمعيات إلا من رحم الله؟ وأين شباب الإسلام إلا من رحم الله؟ وأين المحامون والحقوقيون والإعلاميون والشرفاء والأحرار؟

يا أمة الإسلام، إن سَجن الشيخ وبقاءه على هذه الحال عارٌ عليكم وشنار..! أليس فيكم أهل نخوة أو نجدة؟ أين أخلاق العرب؟ وأين حق الإسلام؟! أين عزة المسلم؟ وأين شرف المسلمين؟

اللّهم إنا نشكوا إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس. اللّهم إنا نعتذر إليك من حياتنا التي نحياها ولما نقدّم للشيخ شيئا.! وإنا لله وإنا إليه راجعون.



تعليقات على بعض ما احتواه بيان «الجيش الإسلامي» بالعراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله صحبه والتابعين.

وبعد.. فلما قرأنا البيان الصادر عن «الجيش الإسلامي» في العراق بعنوان: «رد الجيش الإسلامي على خطاب أبي عمر البغدادي»، أشار عليّ بعض الإخوة أن أكتب بعض التعليقات لعل الله ينفع بها، ويدفع بها بعض السوء ويهيئ بها لمعالجة متعقلةٍ للأمر، بعونه تعالى ولطفه.

فتأملتُ الأمر فرأيت فيه خيرا؛ فهذه بعض التعليقات على أهم ما جاء في البيان وهو لبه وعصبه، وهو ما يتعلق بالاتهامات التي ساقها أصحاب البيان ورموا بها إخواننا في القاعدة في العراق، ودولة العراق الإسلامية.

لافتًا النظر إلى أنها تعليقات سريعة مختصرة لم تستقص كل شيء، والمقصود: الذب عن إخواننا في القاعدة وفي دولة العراق الإسلامية، والنصح للمسلمين ومنهم كاتبو البيان أصلحنا الله وإياهم أجمعين[1].

[هذا، ومع أن كثيرا من الناس يحمّلون المجاهدين عامة والجيش الإسلامي خاصة إثم السكوت على ما يقوم به بعض الإخوة في تنظيم القاعدة من تجاوزات شرعية، غير أننا نبرر ذلك ب:
١ - انشغالنا بقتال أعداء الله تعالى من الأمريكيين والصفويين ومن يعينهم].

المقصود: انشغال الجميع بذلك، وإلا فإن الإخوة في القاعدة ودولة العراق الإسلامية لا شكّ أنهم أكثر أو من أكثر الناس انشغالا بقتال أعداء الله من الصليبيين والمرتدين الذين يحب أصحابُ البيان تسميتهم باسم الصفويين لغاية وملحظ معروفٍ، ونختار تسميتهم بالمرتدين.

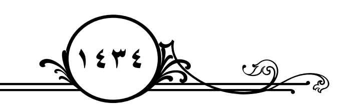
[٢ - الحفاظ على إخوة الإسلام والدين مع كافة المجاهدين.
٣ - الحفاظ على المشروع الجهادي الذي هو ملك الأمة جميعا].

نعم.. لا شك أنه ملك للأمة جمعاء، وهكذا يقول ويعتقد كل إخواننا في القاعدة ودولة العراق الإسلامية، وحرصهم ومزيد غيرتهم وقوة حميتهم لهذا المشروع لأنهم من أخص الناس به لأنهم طليعة جنوده والقائمين به الممارسين لشؤونه الرافعين لرايته في صفاء معتقد وتوحيدٍ، لا يعني أنهم يظنون أنه مشروعهم هم وحدهم، بل إن من صميم منهجهم ويقينهم أنهم طليعة الأمة وجنودها وجزء منها لا ينفصل عنها، وليسوا بديلا عنها، فليتنبّه لهذا، حتى لا يقع الإيهام والغلط.

[٤ - الحذر من استغلال ذلك من قبل أعداء الإسلام والمسلمين.

---

(١) ملاحظة: كلام الجيش الإسلامي في البيان موضوع بين معكوفين، وتم تمييزه بكتابته بخط غامق مختلف.



٥ - إعطاء فرصة كافية للإصلاح والرجوع للحق.

فآثرنا معاملتهم بالحكمة والصبر الجميل، في البخاري عن أنس قال: (لم يكن رسول الله فاحشا ولا لعانا ولا سبابا؛ كان يقول عند المعتبة: ماله ترب جبينه)[١]، مع إسداء النصح الواجب.

غير أن هذا لم يجدِ نفعا؛ فأصبحوا ومن أهم ما يهمهم النيل من هذه الجماعة المباركة بإذن الله، بشتى الوسائل والأساليب ومنها:]

لا أدري عن جهود الإخوة في الجيش الإسلامي لـ«إسداء النصح الواجب» والإصلاح، ولكن الذي أعلمه أن اتصالاتهم بإخواننا في القاعدة وفي دولة العراق الإسلامية قليلة جدا في هذا الصدد في العراق، وأما خارج العراق حيث القاعدة الأصل فلم أعلم أنهم اتصلوا بهم أو كتبوا وقد عرفت من الشيخ أبي يحيى وغيره أنهم ليس عندهم شيء من هذا؛ فلا أدري أين السعي للإصلاح وإسداء النصح؟ في حين أننا قد علمنا ما كان يمارسه الإخوة من قيادات ومندوبي الجيش الإسلامي على الأقل منذ شهر رمضان الفائت ثم في موسم الحج وما بعده إلى الأيام الأخيرة، من جهود واتصالات مكثفة بالمشايخ في الأقطار وبالمحسنين المتبرّعين وبسائر أعيان الناس، للتنفير من إخواننا (القاعدة والدولة) وتشويه صورتهم بحملة شديدة من الاتهامات غير المحققة، والتي جزء كبيرٌ منها كذب وبهتان من أصله، وروايات باطلة، وبعضها له أصلٌ لكنه محرَّف مزيد في روايته ومنقوص منه، وبعضها الحقُ فيه مع إخواننا أصلا، وإنما يسوقونه لمن يناسبُ سوقه له، كما ساق أصحاب البيان هنا مسائل من قبيل: يكفرون الجيوش العربية، ويحكمون على الديار بالكفر.. إلخ، والمقصود أن الإصلاح والسعي له، له طريق واضح وأصولٌ، نسأل الله لنا ولكم الهداية والسداد.

[رمي الجماعة بشتى التهم الباطلة الجائرة فمرة ينسبونها للبعث، ويعلمون ويعلم القاصي والداني أنه ليس في الجماعة بعثي واحد ولا يوجد أي ارتباط بأي شكل من الأشكال بيننا وبين حزب البعث أو البعثيين لا فكري ولا تنظيمي ولا ميداني].

لا والله ما سمعنا من إخواننا في القاعدة والدولة مَن ينسبكم إلى البعث، فهذا غلطٌ بلا شك على إخواننا، نعم سمعنا اتهاماتٍ لكم أخرى، أما البعث فلم نسمعها لا سرًا ولا جهارًا، فهذا من الدلائل على عدم الدقة وأنكم تعتمدون غيرَ المعتمدِ.

[ومرة ينسبون الجماعة إلى مناهج وتيارات إسلامية أخرى وهو محض كذب]

نعم هذا حاصلٌ، ينسبكم الكثير من إخواننا إلى الجماعة المعروفين في عبارات بعض إخواننا بـ«السرورية» على معنىً من معاني النسبة والإضافة، وعلى كل حال: فالمهم هو قول الحق والعمل به، والله الموفق.

[وأخرى حيث ينسبونها إلى جهات مخابراتية،]

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٤٦).

هذا غيرُ صحيح بلا شك، إن كان بمعنى أنكم استخبارات وأنشأتكم الاستخبارات مثلا، لا سمح الله، وحاشاكم، وأعاذنا الله وإياكم من ذلك، هذا لم يقله الإخوة عنكم أبدا، وإنما الذي قيل – مما قيل وهو كثير وبيانكم هذا للأسف سيفتح عليكم بابًا كبيرا كان مغلقا بستر الله– ويحتاج منكم إلى نفي وصدق ومجانبة للتهمة والريب فيه: أنكم اتصلتم بجهات مخابراتية عربية وجلستم معهم..!

[وفي كل مرة يحق الله الحق ويتبين بطلان هذه الدعاوى فيزداد المجاهدون وتزداد العمليات وتعم البركة على هذه الجماعة ويزداد قبول الناس لها وانتشارها حيث تسير على نهج قويم وعدل وطريق مستقيم، وكان الواجب أن تنشرح صدورهم ويدعوا لنا بالخير والتوفيق وحسن الخاتمة كما نفعل تجاههم في مواقفنا سرا وعلنا.]

وقد فعلوا سرًا وجهارًا والله، لكن لعلكم لم تركزوا

[في الصحيحين عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[1]، وفيهما عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[2].

– اتهام قيادة الجماعة بتهم واهية واهنة كبيت العنكبوت].

أنا شخصيا لم أسمع بشيء مما يمكن أن يشار إليه بمثل هذه الألفاظ في حق قيادة الجيش الإسلامي، ولم يبلغني شيء، اللَّهم إلا بعض الكلام في متحدثكم الرسمي «الشمري» وبعض كلامه الذي صرح به في مناسبات معينة، ونحو ذلك، وهو لا يتناول كل القيادة، والقيادة غير معروفة لدينا أصلا؛ فلعل الذي بلغكم هو شيء من حواشي القوم ومن غير ذوي الأحلام منهم، وهذا يوجد في كل الطوائف والجماعات وغيرها.

[وفي الصحيحين عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ، إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ)[3]، وفي مسلم: (وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ)[4]، يعني رجع عليه، وفي البخاري عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهْوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهْوَ كَقَتْلِهِ)[5]، وفي سنن أبي داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ

---

(١) صحيح البخاري (٦٠١١)، صحيح مسلم (٢٥٨٦).

(٢) صحيح البخاري (١٣)، صحيح مسلم (٤٥).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٤٥)، صحيح مسلم (٦١).

(٤) صحيح مسلم (٦١).

(٥) صحيح البخاري (٦٠٤٧).

رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ) صحيح الجامع «٦١٩٦»[1]، ورَدغةُ الخَبال: عصارةُ أهلِ النار، كما في صحيح مسلم.

– ومن ذلك تهديد بعض أفراد الجماعة بالقتل إن لم يبايعوا القاعدة أو أسمائها الأخرى].

ليس للقاعدة أسماء أخرى، وإشارتكم واضحة؛ لكنها ليست صحيحة ولا مناسبة، سامحكم الله، وأما التهديد بالقتل لمن لم يبايع القاعدة أو مجلس شورى المجاهدين أو الدولة، فهو غير صحيح، قطعا بلا شك، بالمعنى الرسمي المعتمد والمركزيّ، فإن كان حصل من بعض الأفراد فهو خطأ يحسب على فرد منتمٍ إلى طائفة، ومن الظلم حسابُه على الطائفة وهي تنهى عنه وتنفيه وتتبرأ منه، وكان ينبغي أن تحلّ هذه المشاكل، بين القيادات ويحصل التثبّت منها والتحقيق فيها والانفصال بشيء واضح عنها، فأنا أسأل الإخوة أصحاب البيان وقد قلتم إن هذا حصل مرارًا: مَن هذا الذي هددكم؟ ومتى؟ وأين؟ وكم مرة حصل هذا؟ وما عبارته؟ وفي أية حالٍ؟.. والأسئلة كثيرة، وأخشى أننا عند التحقق لا نجد إلا روايات أن شخصا منتميا للقاعدة أو للدولة أو من أنصارها قال وقال وزعم..

[وكنا ندفع بالتي هي أحسن لحسم مادة الشر وحصر الصراع ليكون مع الأعداء فقط بل وتحييد بعض الأعداء ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[فصلت: ٣٤]**، وقد حصل هذا مرارا ولم نكترث له حتى لا يشمت بنا الأعداء.**

– ومن ثم تطاول هؤلاء الناس فقتلوا بعض الإخوة ظلما وعدوانا من المجاهدين في هذه الجماعة تجاوز عددهم الثلاثين حتى الآن]

أما أنا فلا علم لي بذلك، ولكن أقول هذه دعوى، وأنتم أقرانٌ وخصومٌ ومتنافسون، والحسدُ واردٌ ونزغات الشيطان، وحيثُ وقعتِ الدعوى فلا بد من السماع من الخصمِ، على قانون القضاء، فالله أعلم، وحين يجلس الخصمان في مجلس القضاء واقعا أو تقديرا، سيقع السؤال: عن أعيانهم، وطلب بينات المدعي، ولماذا قتلوهم لو ثبت أنهم قتلوهم؟ وغير ذلك، ومعلومٌ أنكم في ساحة حربٍ شأنها القتل والقتال.. نسأل الله أن يعصم دماء المسلمين وأن يعافينا.. آمين.

[ولم يكتفوا بذلك بل ناصبوا الجماعات الجهادية الأخرى العداء، وتحول هذا العداء إلى مواجهات مع بعض الجماعات مثل كتائب ثورة العشرين ولا تزال إلى هذه الساعة مواجهات بينهم بين الحين والآخر في «أبو غريب»، كان من أحدثها قتل أحد قادتهم الميدانيين وهو الأخ «حارث ظاهر الضاري» تقبله الله تعالى، وقتلوا بعض أفراد جيش المجاهدين وبعض أفراد أنصار السنة، وهددوا الجبهة الإسلامية «جامع»؛ فتحملت كل الجماعات أعباءا هائلة صيانة للمشروع الجهادي كي لا ينحرف عن مساره وأهدافه]

---

(١) سنن أبي داود (٣٥٩٧) وصححه الألباني.

ولم لا تكون بعض هذه الجماعات هي المعتدية، ونحن أيضا عندنا دعاوى مشابهة من إخواننا في القاعدة والدولة، فيها أن بعض تلك الفصائل أعانت المرتدين على الإخوة، وبعضها تعاون على إخواننا مع مجلس إنقاذ الأنبار، وبعضها كان مندسًا فيه جماعات مجرمون منتمون إلى الحزب الإسلامي (حزب طارق الهاشمي) متعصبون له، سعوا في قتل إخواننا والتخذيل بينهم وإثارة الفتنة ففطن لهم إخواننا وتيقنوهم فضبطوهم وقتلوهم.. وتصلنا دعاوى عليكم بأنكم قتلتم وشاركتم وفعلتم كذا وكذا، ونحن في كل ذلك نتحفظ ونحاذر من الحكم عليكم وعلى غيركم بشيء لم نحققه، ونقول علّ ولعلَ.! والحاصل أن هذه كلها دعاوى، لا غير، ولا يمكن أن تثمر فائدة حين تساق في بيان هكذا، فما تقولون الآن لو أن إخواننا في الدولة أخرجوا بيانا مشابهًا وساقوا فيه عليكم من الدعاوى سيلًا جارفًا..؟ ستتعادلون وستكونون في قفص الاتهام وستحتاجون إلى فصل قضاء، وأما دون ذلك فلستم أنتم بأصدق عندنا منهم!

[**غير أن هذا الصبر الجميل جرّأهم أكثر، فاستحلوا قتل طائفة من المسلمين وخاصة الأهداف السهلة مثل أئمة المساجد والمؤذنين**]

يا سبحان الله!! قتْلُ الأئمة، قلنا: لعلهم يمارسون عملا خطابيا ضد المجاهدين أو ضد القاعدة أو نحو ذلك كما يدعيه الحزب الإسلامي الخائب وإخوانه كثيرا في الفلوجة وغيرها من أن إخواننا قتلوا بعض الأئمة لمجرد أنهم انتقدوهم، مع أن ذلك كله دعاوى كسائر الدعاوى من عدو وخصم، وقولنا فيه كما سبق، ولكن ما شأن المؤذنين؟ رجل يؤذن للصلاة، يذهب إخواننا فيقتلونه؟! وكيف تعتبرهم إخوانا بعد ذلك، وكيف كنت تصبر عليهم كل هذه المدة إذن، والله لو صح ما تقول وكنتُ مكانك ما صبرتُ عليهم يوما واحدًا بل ولا ساعة، وهل خرجنا وجاهدنا وتعرّضنا للصعاب والمشاق لكي نقتل المؤذنين الذين يؤذنون في بيوت الله؟! يا سبحان الله، لكن هذا والله كذبٌ محضٌ لا شك فيه.

[**والعزّل من أهل السنة ومنهم أعضاء في «هيئة علماء المسلمين»**]

دعوى كسائر الدعاوى، وما دمتم قد فتحتم على أنفسكم هذا الباب فلا أدري والله ما ينتظركم وينتظرنا جميعا، نسأل الله أن يجعل عاقبته خيرًا ورحمة ولطفًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللّهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

[**وقد ثبت في البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)**[1]**، وفي الصحيحين عَنْ أَبِى بَكْرَةَ رضي الله عنه أن النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ**

(١) صحيح البخاري (٦٠٤٥)، صحيح مسلم (٦١).

وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)[١]، وفي الترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ)، قَالَ وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ»، ورواه ابن ماجة مرفوعا وهو في السلسلة الصحيحة «٣٤٢٠»[٢].

بل أصبح عامة أهل السنة هدفا مشروعا لهم وخاصة الأغنياء فإما أن يدفع لهم ما يريدون أو يقتلوه، وكل من ينتقدهم أو يخالفهم ويبين خطأهم في مثل هذه الأفعال فإنهم يسعون لقتله فالقضية سهلة وتبريرها أسهل].

وهذه من أعرض الدعاوى في هذا البيان، ووالله إننا لا نشك أنها كذبٌ وبهتانٌ، والعياذ بالله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل].

[وأصبح الاعتداء على بيوت الناس وأخذ أموالهم أمرا سائغا].

وهذه كسابقتها، من أعرض الدعاوى في هذا البيان، وهذا كله لا شك أنه كذب وبهتان، ولا نقول إلا: سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا إفك مبين.. والردّ والله مقدور عليه، ونعلم من تفاصيل حال إخواننا في دولة العراق الإسلامية ما يبين بطلان هذا الكلام كله وأنه افتراء محضٌ..! لكن نتركه لإخواننا إن شاءوا أن يدفعوا عن أنفسهم، أو يتركوه للأيام، والله المستعان، أسأل الله لهم التسديد والتوفيق، وأن يربط على قلوبهم، ويأخذ بأيديهم إلى الخير والصلاح. ولكن أقول: هل هذا إلا كما كان يقال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في وقته، وإلا كما يفتري الرافضة على أبي بكر وعمر مثلا وعلى معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة، وهكذا ما كان ولا زال يفتريه المفترون الكاذبون على الشيخ أسامة وعلى طالبان في وسائل إعلام الكفرة والمنافقين؟!

[وأصبح رمي الناس بالكفر والردة أمرا مألوفا مشاعا].

هذا فيه إيهام وتلبيسٌ وتهويل، وهي للأسف اسطوانة معتاد سماعها، ومعروف عازفوها، فرويدكم أيها الإخوة، وحققوا الحق: فمَن هم الناس؟ هل المقصود الرافضة مثلا، فإخواننا يختارون القول بتكفيرهم، وهو مذهب جملة من علمائنا، وقولٌ معتبرٌ قويّ، ولا سيما الآن في ساحة العراق، أو المقصود طوائف المرتدين الموالين للصليبيين وللحكومة المرتدة، وما أكثرهم اليوم في العراق؟ أو غيرهم؟ فما المقصود؟ نعم لا بد أن يلاحظ الملاحظُ أن التكفير واستعمال ألفاظه ومرادفاته كثيرٌ،

---

(١) صحيح البخاري (١٧٣٩)، صحيح مسلم (١٦٧٩).

(٢) سنن الترمذي (٢٠٣٢) وقال الألباني: حسن صحيح، سنن ابن ماجه (٣٩٣٢) وهذا المرفوع ضعفه الألباني.

لأنك أنت في ساحة يكثر فيها الكفرُ حقا.. فما هو معقد الخطأ؟ وأين بالتحديد؟ بيّنوا لنا وحققوا لنا الأمر جزاكم الله خيرا، وتعالوا نحقق الحق في القضية، وأما أنا فغالب ظني أننا لو حققنا في الأمر لوجدنا الحق مع إخواننا ناصعا بيّنًا، ومع ذلك لا نبرئ إخواننا المجاهدين عموما في الدولة وغيرها من الأخطاء في هذا الباب، وهي لعلها في ساحات الجهاد أكثر منها في غيرها، لأسباب تحتاج إلى شرح وتفهيم، ولكن هي ابتلاء للناس، وفتنة للظالمين الذين لا يحققون الحق ولا ينصفون، وينجّي الله الذين اتقوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[ثم لم يرق لهم إلا التشهير في الإعلام ومن ذلك ما ظهر في خطابي الأخ «أبي حمزة» وخطابات الأخ «أبي عمر» حيث أكثر من كيل التهم والمجازفات، حتى تجاوز الكتاب والسنة وأوغل في مخالفة منهج سلف الأمة بدعايات يعلم عدم صحتها].

لم أستغرب ذكركم لخطاب «أبي عمر»، ولكن ما شأن خطاب «أبي حمزة»، هذا مستغربٌ، وأما تجاوز الكتاب والسنة والإيغال في مخالفة منهج سلف الأمة؛ فتهويلٌ ومبالغة، وإلا فعند التحقيق فليس هناك شيء مما يستحق أن يوصف بذلك، وإن وجدتْ أخطاء، فهي من الصغائر وليس فيها شيء مخالف لمعلوم قطعا من الدين، أو مخالف لنصّ من كتابٍ أو سنةٍ؛ فاتقوا الله وأنصفوا، وكونوا قوّامين بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقربُ للتقوى.

[ولم نسارع في رد ما اتهمنا به انتظارا لرد العلماء الربانيين لينصحوهم ويبينوا الأخطاء والتجاوزات الشرعية الواردة وخاصة في الخطاب الأخير حتى نضيع الفرصة على أعدائنا من الأمريكيين والصفويين ومن معهم، ولتكون نصيحة وبلسما شافيا للجميع، ولكن لم يتكلم أئمتنا فكان لا بد من بيان بعض الأمور حتى لا يظن ظان أن ماورد من المسائل أو التهم صحيح.

- ومن ذلك قوله: «كيف حال الجهاد في بلاد الرافدين لو لم يكن هناك مجلس شورى المجاهدين ولا دولة الإسلام؟ وكيف تصير الأمور لو ترك كل أبناء الدولة الإسلامية السلاح، وقعدوا عن الجهاد؟ الجواب معروف.. استباحة للعرض، وإبادة للحرث والنسل»، قال ﷺ في الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ)[1]، وفي البخاري عَنْ طَرِيفٍ أَبِى تَمِيمَةَ قَالَ: «شَهِدْتُ صَفْوَانَ وَجُنْدَبًا وَأَصْحَابَهُ وَهْوَ يُوصِيهِمْ فَقَالُوا هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - قَالَ - وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، فَقَالُوا أَوْصِنَا، فَقَالَ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَأْكُلَ إِلاَّ طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ)[2]، وفي الصحيحين عَنْ أَسْمَاءَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أنه قَالَ: (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ

---

(١) صحيح البخاري (٧١٥٢)، صحيح مسلم (٢٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري (٥٢١).

ثَوْبَيْ زُورٍ)[1]، والله تبارك وتعالى لم يضيّع صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة واعتبرها إيمانا، أفيضيع عند الله الكريم المنان جهاد شرعي لأربع سنين متواصلة ملئت بالتضحيات، ثم ما هو مبرر هذا التعالي على المسلمين المجاهدين؟ ومحاولة إلغاء جهاد الآخرين إلا من تبعهم أليس هذا من التحزب المذموم؟!]

بغض النظر عن موافقتي لأبي عمر في حُسن إيراد هذا الكلام في خطابه، فإن كلامكم أيضا فيه بعض التحامل، فالرجل كان بصدد بيان فكرة هي: أن إخواننا في الدولة ومن قبلها في شورى المجاهدين وفي القاعدة، هم أهم الطوائف والفصائل التي حفظ الله بها الجهاد، وهذا والله حق لا نشك فيه، وليس في كلام أبي عمر أن جهاد الآخرين ضائع أو غير مقبول عند الله أو ما يقارب ذلك، فهذا خارج عن الموضوع..! وأما حملكم كلام الرجل على التسميع والمباهاة فهو تعسّف ومبالغة، فالرجل لا يتكلم عن نفسه ولكن عن دولة يدعو إليها ويحث على الانضمام إليها واللحاق بركبها وهو بصدد بيان قوتها وتمكنها وأنها فعلت وتملك أن تفعل من الجهاد والخير، فهذا لونٌ والتسميع لونٌ، والله أعلم، ونسأل الله أن يصلح أحوالنا جميعا ويحسن ختامنا.

[مع تحد لكل المجاهدين من غير القاعدة بأن يأتوا بعملية واحدة على قاعدة أمريكية، اللهم غفرانك، وهل يحتاج النهار إلى دليل؟.]

حسب ما أذكر أنه تكلم عن عمليات مخصوصة، وهي عمليات الاقتحام، وكل ذلك ذكره في سياق بيان قوة جماعته «دولة العراق الإسلامية» وهو يدعو إليها، وأنها القوة الضاربة القائمة بالنصيب الأوفر الأكبر من الجهاد والنكاية في العدو، فهذه هي الفكرة، والله أعلم.

[فإن الأصدقاء والأعداء علموا وشهدوا ببعض ذلك، وما خفي عنهم كان أعظم وما قامت به جماعة الجيش الإسلامي من اقتحامات لقواعد وثكنات عسكرية يبلغ بالعشرات وأسقطت قواعد كبرى بفضل الله أولا وآخرا ومنها أكبر قاعدتين وهما القاعدة الذهبية في جرف الصخر التي أصبحت من أخبار الغابرين في عام ٢٠٠٣ قبل أن يتأسس تنظيم القاعدة في العراق، وقاعدة الصقر التي أصبحت أثرا بعد عين في ٢٠٠٦، وقواعد الأوكرانيين حتى هربوا إلى بلادهم خائبين خاسرين، والكثير من العمليات التي تجاوز معدلها هذه الأشهر الألف عملية في الشهر الواحد نسأل الله القبول والتسديد]

ولم نرد ذكر هذا إلا بيانا للحق فقد أغنانا الله تعالى عن كثرة الكلام بكثرة الفعال وحسنها بلطفه وتدبيره.

[وكذلك فإن الجماعات الأخرى تقوم بعمليات مباركة تفوق الحصر يراها ويسمع بها القاصي والداني وَفق الله الجميع لطاعته. فكيف يتم شطبها جميعا!!]

ومن الذي شطبها أيها الإخوة؟ ومَن يقدر أن يشطب، ولمَ هذا التحميل للكلام أكثر مما يحتمل؟!

(١) صحيح البخاري (٥٢١٩).

وهل لنا أن نقول لو أردنا التعسفَ: ولماذا -وأنتم المخلصون إن شاء الله- ثارت ثائرتكم حين انتقدتم وحين قال لكم الناس إنهم قاتلوا أكثر منكم، فقمتم تفاخرونهم وساويتموهم بإبراز مفاخركم معتذرين بأن كلامكم جاء اضطرارًا وبيانًا للحق؟؟ وهل هذا يدخل تحت حدّ الإخلاص عند العارفين وأهل الفقه في الدين؟!.

[ومن ذلك اتهام الجماعة بالتآمر مع الصحفي «يسري فوده» والموساد بكلام سمج وهو فرية علينا لو مزجت بماء البحر لأفسدته]

حسب ما فهمت من خطاب أبي عمر فإن الكلام كان منصبا على الصحفي نفسه وتآمر الأعداء من خلال هذا الصحفيّ، ولم يتهم الجيش الإسلامي بالتآمر مع الموساد ولا مع الصحفي المذكور، فكلامكم تحامل هداكم الله.

[وللمفارقة فإن نفس الصحفي قد التقى بقادة تنظيم القاعدة وعمل لهم برامج وأفلاما وذهب إلى أماكنهم ومقراتهم فماذا كان؟ هل كان هؤلاء القادة -حاشاهم- من أعوان الموساد المتآمرين؟ مثل خالد شيخ ورمزي بن الشيبة فك الله أسرهم، أم أن صفة الموسادية تأتي معه إذا التقى بجماعة الجيش فقط؟]

هذه ليست مفارقة أيها الأخ، وهذا شيء معروف، لكن أبو عمر يرى أن الصحفي المذكور عدوّ وأنه يتعامل مع الاستخبارات العالمية، ثم كيف يجيبُ أبو عمر على ما سبق من تعامل إخواننا في القاعدة في باكستان مع هذا الصحفي؟ لا أدري؛ لعله يقول يعتذر عن الإخوة بأنهم كانوا ساعتها لا يعرفونه جيدا، ووثقوا فيه بتزكية معينة انخدعوا بها، أو لعله يقول إن الصحفي صار بعد ذلك يعمل مع الاستخبارات لما أن وجد لبضاعته مشترين، أو نحو ذلك..

[ونحن نتعامل مع كل إعلامي فردا كان أو وسيلة بما يخدم قضايا أمتنا وخاصة قضية الجهاد في العراق بغض النظر عن الحكم عليهم، المهم عندنا أن لا يكون أي خرق أمني سواء على الجماعة أو على أي مجاهد أو أي مسلم من الجهة التي نتعامل معها قدر تعلق الأمر بنا].

هذا جيد وحق، جزاكم الله خيرا..

[أما قلة الرجال وكشف الطريق فكل الناس يعلم بطلانها فإن طريق عبور المجاهدين ليس بخاف على أحد، فماذا يقول عن التقارير والأفلام المعدة بعلم القاعدة وخطابات قادتها التي لم تترك تفصيلا إلا ذكرته، فلسنا من ذكر تفصيلات ١١/ ٩ ولسنا من يخبر بأماكن تواجد أفراد القاعدة في البلاد العربية وغير العربية بل كل ذلك مذكور في خطاباتهم؟ فهل هذا تعاون مع الموساد؟].

على كل حال فأظن أن هناك فرقا واضحا بين الحالين، ووضوحه يغني عن التطويل بشرحه.

ونحن نذكر هؤلاء الإخوة بأن يراقبوا الله تعالى في أقوالهم وأفعالهم وان لا يجازفوا بآخرتهم بثمن بخس لا قيمة له في ميزان الله تعالى.

[- وأما تسميته المجاهدين بحزب الله السعودي فنحن بحمد الله تعالى لم نكن تبعا لأي حكومة أو حزب أو جهة لا داخلية ولا خارجية وقد عانينا كثيرا مثلما عانى إخواننا السلفيون في العراق

وخاصة في العقد الأخير من القرن الماضي، من الاتهام بالارتباط بالوهابيين والسعوديين كما يسمونهم والعجيب أنهم يضيفون لهم الموساد أيضا!!!!!

وبعد الاحتلال زادت الأوصاف فأصبحت، وهابي إرهابي.. الخ، ثم يأتي أخونا ليتهم إخوانه ومن معه في الخندق ضد الأعداء بنفس التهم التي يتهمنا بها أعداء الإسلام، فحسبنا الله ونعم الوكيل].

ذلك الماضي شيء لم يتكلم فيه أحد، ولا نعرفه ولا ننقب فيه، وإنما الكلام في الحاضر أيها الأخ، وأنتم تتهمون بتهمٍ تحتاجون إلى تبيين الحق فيها وتطمين إخوانكم، فاتقوا الله أنتم أيضا، وأنصفوا وحققوا الحق، ثم لا يضركم بعد ذلك من يتهمكم لو اتهمكم بالباطل، إن الله يدافع عن الذين آمنوا..

وحزب الله السعودي الذي ذكره أبو عمر، لا أعرف والله مَن هو، ولكن قد سألني بعض إخواني بعد سماع خطاب أبي عمر هل يقصد فيمن يقصد به الجيش الإسلامي؟ فاستبعدتُ ذلك، وظننتُ أنه ربما قصد قوما من منحرفي العقائد المائلين إلى ما يسمى بالحزب الإسلامي ونحوهم، فإن الأمريكان بصدد تهيئة الجو لقوىً يسمّونها معتدلة يطمئنون إلى أنها ستملأ الفراغ في العراق حين ينسحبون خائبين، ويوسّطون في ذلك دول الاعتدال السني كما سموها، وعلى رأسها السعودية، فهذا معنى إشارة أبي عمر، وما كنا نظن أنه يقصدكم، فهذا تخمين منكم وظنٌ فاستغفروا الله فلعله من الظن السيء، ولكن ما رأيكم أنتم في الفكرة؟ أعني فيما قلتُ إن أبا عمر يعنيه بعبارة حزب الله السعودي؟؟

[ونحن بحمد الله لم نتلق أي دعم من أية حكومة إلى هذه الساعة لا من الحكومات العربية ولا من إيران،]

نعم قد يخشى بعض الناس أنكم تتلقون دعما ما من حكومة آل سعود، ولو دعمًا سلبيا كالإغضاء والسكوت والمتاركة، ولكن لم يتهمكم أحدٌ بأنكم تتلقون شيئا من إيران، فهل هذه إشارةٌ كما قد وقع في القلب عند قراءتها، أو هي فلتة وليس وراءها معنى مقصود؟! فإن كان وراءها المعنى المحتملُ فسيكون هذا أيضا اتهامًا آخر وتصعيدًا، ووالله إن القائل به لظالم باغٍ، وسيبين له بإذن الله ما يُخزيه ويندّمه!! ولكن الاخلاص الذي سقتم أعلاه بعض الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في بابه، يقتضي تحقيق الحق والقيام بالقسط، لا مجرد البحث عن تهمة نردّ بها على خصمنا، من جنس تهمة خصمنا، ولو بالباطل وبدون برهان، فهذا فجورٌ في الخصومة، وهو لا يغني شيئا في ميزان أهل التقوى، فأنت إن كنت اتهمتَ أخاك بالباطل فلا يلبث أن يظهر الله كذبك وينصره عليك، وشواهد الشرع والقدر على ذلك مستيقنة، والله غالبٌ على أمره.

[ولم نسع لتحصيل دعم للجهاد من أي دولة عربية إلا ما كان دعما لعموم المسلمين في العراق، ومع ذلك فما تزال جميع الحكومات تقدم خطوة وترجع ألف خطوة منتظرة إذنا أمريكيا صحيحا صريحا مؤكدا!!!!! لدعم أهل السنة في العراق.

أما ما يزعم من أموال النفط فلم يصل شيء منها للمجاهدين لا من نفط العراق ولا من نفط

أي دولة أخرى لا بطريق مباشر ولا غير مباشر.

ثم من هؤلاء كهنة الطاغوت وتجار الدين؟ ولم هذه الطلاسم؟

وماذا بقي من التهم للخطابات القادمة وماذا ترك أخونا لقوات غدر وجيش الدجال والجلبي وعلاوي وغيرهم.

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لما احتاج الأمر إلى رد لوضوحه بحمد الله تعالى لكن الأخ أبا عمر تجنى على الأمة جميعا وعلى منهج سلف الأمة وعلى علمائها بإيراد أحكام وقضايا عجيبة،

- ومن ذلك اعتبار ديار الإسلام جميعا ديار كفر، ثم ما حكم دولته تحت سلطة الصليبيين ومن عاونهم؟].

بل ما قاله أبو عمر صوابٌ ومعناه ومحمله واضح، واستغرابكم له هو العجبُ، ودولته هو هو فيها في سجال مع عدوه، مستعلٍ بدينه وجهاده وسلاحه، يطبق فيها ما يقدر عليه مما علمه الله، وليس يستطيع أحدٌ أن يفرض عليه حكمًا..! ولكن ما الحاجة لهذا الإيراد؟ وهل هو هدىً؟!

[- وقوله أن قتال جيوش الحكومات العربية أوجب من قتال المحتل الصليبي؟!]

وهذا أيضا حق وصوابٌ، فإن المرتد أغلظ كفرا من الكافر الأصلي بالإجماع، وقتاله -من حيث الأصل وهو الذي يقصده أبو عمر- أوجب من قتال الكافر الأصلي، وإنما اقتضت موجِباتٌ أخرى ترجع إلى مصلحة الحرب والتدبير البداءة بالكافر الأصليّ، فكلام أبي عمر لا إشكال فيه.

[- والقول بأن الجهاد فرض عين - بهذا الإطلاق - منذ سقوط الأندلس قول غير محرر].

نعم لأن التحرير له محل آخر، ولكن لابأس بإطلاق هذه العبارة، وهي حق وصدقٌ، وتحمل على المحمل اللائق المحرّر والمبيّن في مواضعه، وهذه العبارة كان يقولها الشيخ عبد الله عزام ﵀ وكفى به قدوة في هذا، ويقولها علماء آخرون، والحمد لله.

[- وحكمه على طوائف أهل الكتاب في بلادنا بأنهم أهل حرب لا ذمة لهم، مَن من العلماء من يقول بهذا الأطلاق؟]

أما كلامه فحق، وأما أن التصريح في الخطاب الرسمي بهذا الكلام من الناحية السياسية جيد أو لا، فهذا مبحث آخر، ورأيي أنه لم يكن مناسبًا، لكن أنتم لم تنتقدوا ذكره هذه المسألة في الخطاب، لكن انتقادكم انصبّ على المسألة في نفسها، ولم تصيبوا، والتساؤل بنحو: مَن يقول هذا؟ لا يفيد! فهاتِ أنتَ المفيد..

[- ثم إنه حكم على جميع أبناء الجماعات الجهادية بأنهم عصاة، وهذه مجازفة غير مبررة، وذكر أنها تدعوا عشائرها وأصحابها إلى الدعة والراحة!!! سبحان الله وهل في العراق دعة وراحة؟ وسمى بيعته بواجب العصر وهذا خطير جدا لمن فهمه!!]

الله المستعان، نسأل الله أن يجعلنا جميعا من أهل طاعته ورضوانه، ويجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، الله أعلم بمن يطيعه وبمن يعصيه، وأنا أدعو أمير المؤمنين أبا عمر سدده الله إلى عدم وصف الإخوة بذلك، ويترك الحكم عليهم، لما للناس من رأي يصدرون عنه، وهذه مسائل اجتهاد، والله

أعلم.

[- **ثم اتهم الجماعات بالانخراط القوي والانضمام إلى خنجر ثلاثي الرؤوس... الخ وهم (ج) طائفة الحساد واستدل بحديث ضعيف، وإن العجب لينقضي من الجرأة على إخوانه من المجاهدين الذين تحملوا كل التهم وسكتوا على كل التجاوزات مراعاة لمصلحة الجهاد، فالله المستعان.**

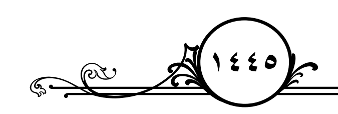
- واتهم الجماعات بأنها تريد معاهدات مع الأمريكيين والظاهر عدم التفريق بين المفاوضات المشروطة المنضبطة بضوابط الشرع وبين معاهدات الاستسلام التي يسعى لها الخائبون، واشترط إذن دولته فمن اعترف بها حتى يشترط إذنها؟

- وفيما يخص جماعة الجيش الإسلامي فإنه مع قولنا بمشروعية التفاوض مع الأعداء إلا إننا لم نفاوض أي عدو لا الأمريكيين ولا الصفويين ولا غيرهم إلى هذه الساعة، وشروط المفاوضات ذكرت كثيرا حتى أغنى عن إعادة ذكرها، كما لا نعلم أي جماعة جهادية كبرى فاوضت الأمريكيين ومن معهم إلا ما كان من بعض العالة على الجهاد وأمرهم مفضوح]

كان عندنا معلوماتٌ أن أناسًا منكم جلسوا مع الأمريكان (الوفد الرباعي) في آواخر سنة ألفين وخمسة، وأكثر من جماعة (قياداتها) ذكروا عنكم ذلك، وأنكم كنتم في بعض المرات بصدد الجلوس للمفاوضة مع العدوّ، وأنتم الآن تنفون، فلعله كان شيئا لا يمثلكم رسميًا. وعلى كل حال، كلامُكم يوهِم أن الإخوة في القاعدة والدولة يحرّمون التفاوض مع العدوّ ومحاورته، لذاته، وهذا غلط عليهم إن كنتم قد فهمتم ذلك، وإنما الكلام في الوجه السياسي للمسألة لا غير، فإن التفاوض مع العدو في وقت مبكرٍ من عمر الحرب والعدوّ في حال فورته وتمكنه وقوته، والمفاوض المسلم قليل ضعيفٌ... إلى غير ذلك من الأحوال المعروفة، يُخشى منه أن هذا المسلم المفاوض ينجرّ إلى ترك الجهاد والرضى ببعض الفتات وينخدع وتحصل الفتنة والعياذ بالله، ويضر بالجهاد والمجاهدين، والتجارب في هذا كثيرة، فمن هنا يرفض الإخوة التفاوض إلا والعدو الصليبي الغازي مدحورٌ مكسورٌ مريدٌ للخروج وكلمتنا هي الأعلى وموقفنا هو الأقوى... وبالله التوفيق.

[- **ثم جعل الأخ أبو عمر تحريم الدش وتغطية وجه المرأة من الثوابت التسعة عشر التي ذكرها، هذا مع أنه يعلم ما يحصل في العراق فهو شيء آخر فإن الأخوات المسلمات المنتقبات يتعرضن لمضايقات كبيرة من تفتيش واعتداء قد يصل إلى الاعتقال من قبل أعداء الله تعالى من الحرس الوثني والشرطة الصفوية وقد حصل هذا في حوادث كثيرة جدا وخاصة في بغداد ومحيطها الجنوبي مما حمل الأخوات على ترك النقاب في الأماكن التي قد يتعرضن فيها لمثل هذه البلايا، وهو تضييق لما وسع الله على عباده ولو كان الأمر في بلد آمن عليهن لكان الأمر هينا**].

الاعتذار لأبي عمر سهلٌ علينا والله إن شاء الله، لكن فرق بين كلام المحب الناصح وبين كلام الخصم العائب، وعندي أن النظر إنما هو من جهة أن ذكر هذه المسألة في خطاب القائد علاوة على ذكرها في سياق الثوابت ليس بسديد حقًا، ولعلها مجرد هفوة فاتت التأمل، والله الموفق، أما المسألة في نفسها فالكلام فيها معروف والخلاف وتفاصيل أحوال الضرورات وغيرها.



وهذا ما حضر من التعليق على ما ظننته أهم ما يحتاج إلى تعليق، وتركت التدقيق، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها، ويجعلها عونا على الصلاح والإصلاح ومفتاحا للخير مغلاقا للشر.

وقبل الختام:

أدعوا إخواني في «الدولة» إلى مراجعة صارمة وتفتيش دقيق لكل ما تحت أيديهم، وألا يهملوا شيئا قد قيل أبدا؛ فساحات الجهاد تتعرّض للمندسين ولكيد عظيم من الأعداء والمنافقين، والفجّار المتاجرين باسم الجهاد والمبتزّين للناس بسطوة الانتساب إليهم، كما يحصل فيها الجهل والتفريط من بعض المجاهدين فيفسدون، فلا بد من الأخذ الحازم على أيديهم، وأيضا لا بد من ردّ وتوضيح وجوابٍ لكثير من التهم وتبرئة النفس في الأحوال التي يكون الاتهام فيها محتملا، قد يصدقه السامعُ ولا سيما البعيد الذي لا يعرفكم، واعلموا أنه لا شيء كالصدق التام إن وقع خطأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة]، والإنصاف من أنفسكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾[النساء: ١٣٥].

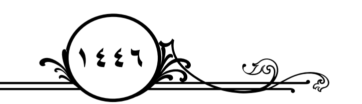
وأنتم أهل الخير والصدق نحسبكم كذلك، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧﴾[محمد]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾[الحج].

وفقكم الله ونصركم، ونسأل الله تعالى أن يؤلف بين قلوب المؤمنين ويصلح ذات بينهم ويجمع كلمتهم على الحق، وأن يرزق إخواننا في الجيش الإسلامي فيئة إلى الحق ويجنبهم الزلل، وأن يوفق إخواننا في «دولة العراق الإسلامية» لحسن العمل ويربط على قلوبهم ويسددهم ويجنبهم الزلل، وأن يجعلهم من الهداة المهتدين.. آمين.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه: **عطية الله**

الجمعة ١٨ ربيع الأول ١٤٢٨هـ



تحية لجيش الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم، حمدا لله وحده، هو أهل الثناء والمجد، وهو أعلى وأجل، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه..

لقد تابعنا بمزيج من الرجاء والخوف قصة أسر الصحفي النصرانيّ من قبل مجاهدي «جيش الإسلام»، وما نشأ عنها من مضاعفات بلغت ذروتها بعد سيطرة حماس في قطاع غزة وميلها إلى العمل على إطلاقه بأي ثمن، بناءً على حساباتها المبنية في جانب كبير منها على فكرٍ ومنهجٍ معروف..!

رجاءٍ وخوفٍ.. رجاءٍ في تحقق مطالب الإخوة في «جيش الإسلام» بفكاك بعض أسرانا من المشايخ العلماء وأختنا «ساجدة الريشاوي»، فرّج الله عنهم جميعا.

وخوفٍ من وقوع الاقتتال وسفك الدماء بينهم وبين إخوانهم من مجاهدي القسام ممن ينضوي تحت راية حماس.. وكنتُ كالمستيقن أن الإخوة في «جيش الإسلام» لن يقتلوا الصحفيّ، وأنهم يدركون أنه لا خيرَ لهم ولا للإسلام والمسلمين في قتله، بغض النظر عن بحث المسألة من الناحية الشرعية، لأن ذلك يتطلب معرفة كاملة بحاله وملابسات الأمر، وإنما قضيّة الإخوة هي أخذه رهينة والتهديد والتخويف بقتله للضغط على قومه الكفار المحاربين المعتدين وحملهم على فك بعض أسرى المسلمين ولا سيما «ساجدة» أعزها الله، والمسألة هنا أقرب ولله الحمد؛ لكنْ أقدارُ الله تعالى أسبق وأغلب..! وقضاء الله كله خيرٌ للمؤمن إذا صبرَ، ونرجو من الله تعالى لإخواننا في «جيش الإسلام» أنه قد ثبتت أجورُهم؛ فليحتسبوا فنية المرء خيرٌ من عمله، كيف وقد عملوا وسعوا واجتهدوا وحرَصوا، وعُرِضَ عليهم المالُ فأبوه في عزّة وشرفٍ ولم يستبدلوا بإطلاق سراح أختنا ساجدة وإخواننا المشايخ شيئا ولم يقبلوا عنهم عوضًا مهما كان مغريًا..!

ولئن فات اليوم تحقق ذلك المقصود، فقد حصلت مقاصد وتحققت مآرب؛ وكانت محنة ومحكًا، ظهرت فيها مكنونات، وانكشفت فيها عورات، وسقط فيها مَن سقط أو ازداد سقوطًا..!! وثبتَ فيها رجالٌ ومحّصوا الحق ونصحوا لله ولدينه، وظهرَ ولاؤهم الإيمانيّ.

وكانت تجربة ومحنة أيضا لحركة جهادية ناشئة نرجو لها الخيرَ إذا استقامت على منهاج الله أيقنتْ وثبتت وصبرت. وأظهرت للأعداء قوة التضامُن والتكافل (والولاء الإيماني) عند المسلمين ولا سيما أهل الجهاد الحق أهل الاستقامة على دين الله وشرعه، في مشارق الأرض ومغاربها، وأوجدتْ سابقة طيبة أعُدُّها فتحًا حين نادى الشيخ «أبو الليث» باسم «القاعدة» الأم في خراسان وإخوانهم «طالبان» أنهم مستعدون لاستقبال أسرى المسلمين من أي مكان، وكان فيها خيرٌ كثير..

وما كان ضرَّ المتحمّسين لإطلاق النصرانيّ والساعين إلى فك أسره ولو بإراقة دماء إخوانهم لو تريّثوا وتغاضوا وتوانوا وتكاسلوا قليلا وورّوا وداروا، بل وتعاونوا مع إخوانهم سرًّا إن شاءوا درجة أعلى، لتحقيق شيء من الأهداف للإسلام والمسلمين، وفي الأمر سعة إن شاء الله، ويرجع الصحفي بعدها سالمًا..؟! وأنا إنما أفترض ذلك، مع معرفتي بأنه بعيدٌ أن يتأتى منهم في الواقع، لأن الأمرَ أبعدُ من ذلك.!!

وأقول لإخواننا المجاهدين وأنصارهم وأحبابهم في كل مكان: لا تحزنوا، واعلموا أن البركة حيثُ يباركُ الله، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء]، ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه]، تحية لجيش الإسلام؛ جاهدوا واجتهدوا وتواضعوا وخضعوا للشرع وحقنوا الدماء، وصبروا على الأذى، فجزاهم الله خيرا كثيرا، ونسأل الله لهم التوفيق فيما بقي، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعا، وأن يردّ ضالهم إلى الحق ردًا جميلا.

اللّهم انصر أولياءَك ومَن نصرَ دينك في الشام وفي كل مكان.. واخذل اللّهم مَن خذل الإسلام والمسلمين.. اللّهم أصلح جيش الإسلام واجعلهم من عبادك الصالحين وارزقهم الهدى والسداد.، وانصرِ اللّهم فتحَ الإسلام وفرّج كربهم واجعل لهم من ضيقهم مخرجا ومن همهم فرجا ومن عسرهم يسرًا.. اللّهم فرّج كروب المسلمين في غزة وسائر فلسطين، وفي نهر البارد وفي كل مكان يا أرحم الراحمين.. اللّهم إنها الشام أرضك التي باركت فيها إلى يوم الدين، وبيتك المقدّس الذي باركت حوله، اللّهم نصرك وفتحك وفرَجَك الذي وعدت يا رب العالمين.. آمين آمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين.

كتبه: **عطية الله**

الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ

أهل التوحيد في «نهر البارد».. ويلٌ لأمةٍ خذلتكم؟!

الحمد لله.. مشهد الأخوات -أزواج الإخوة المحاصرين في نهر البارد- وأولادهن معهن وهنَّ في حوزة العدو الكافر جيش الدولة الكافرة، مشهدٌ مؤلم لكلّ مؤمن.

ربما كان خيارًا لا حرج فيه ولا عارَ على الإخوة مجاهدي «فتح الإسلام»؛ فالظاهر أنهم اختاروا حفظ أرواح أزواجهم وأولادهم، وسعوا في أخذ ما يمكن من الضمانات والعهود من الوسطاء والعدو لينقذوا هؤلاء النسوة والأطفال المساكين الضعفاء الذين قضوا أكثر من ثلاثة أشهر في العذاب الشديد، وليكون أعونَ لهم على الصبر والثباتِ والتصميم على المواجهة حتى آخر قطرة دم، لكنه والله عارٌ على المسلمين، ويبوء بإثمه جميعُ من خذلَ ولم يحرّك ساكنًا وهو يقدر.

لا ألوم الضعفاء العاجزين المحاولين الباذلين ما استطاعوا، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾[التوبة].

وإنما هؤلاء الملايين الغافلين المغيَّبين طوعًا، السمّاعين للكفرة أعداء الله، المصدّقين للكاذبين وهم يعلمون أنهم كاذبون، اللاهين اللاهثين وراء المادة ومتع هذه الدنيا الفانية، عيشَ البهيمة، لا يبحثون عن حقيقة، ولا ينصرون حقًا إلا مَن رحم الله، وأولئك النخب المترفة المشغولة ببرامجها المريحة المتخمة بالأمن والهناء، وأولئك المستهزئين الضاحكين، وأولئك الواقفين مع أعداء الله بحجة أن هؤلاء الثلة من الرجال إرهابيون أو خارجون على كذا وكذا مما يفوهون به، قاتلهم الله.

هؤلاء والله عارٌ على الأمة وعلى أهل الإسلام، وكلهم آثمون مؤاخذون، كلٌ بحسب جرمه، وسيندمون في الدنيا، مَن عاش منهم، وفي الآخرة لمن لم يتب ويصلح.

سيندمون حين يأتي عليهم الدور، وتأتيهم الحروب والويلات والمجازر والمذابح، بحقّ أو بباطل؛ بسيف الزرقاوي أو بسكين الزوابري، حينها سيظلون يولولون ويصرخون، ويعترضون ويتسخّطون، وكأنهم أبرياء مساكين لم يقترفوا إثما أو يرتكبوا خطيئة، لأنهم ينسون ولا يذكرون، وما كان ربُّك نسيا؛ ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾[النساء].

(ما من امرئ يخذل امرءًا مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته)[1].

---

(١) سنن أبي داود (٤٨٨٤) وضعفه الألباني، مسند أحمد (١٦٣٦٨) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

لكم الله يا مجاهدي فتح الإسلام.. لكم الله.. ولا والله لا خيرَ في العيش في ذلةٍ.. لكم الله.. اصبروا واثبتوا فإن الله ابتلاكم وابتلى بكم، اصبروا يرفعِ الله درجاتكم وينصركم ويثبّت أجوركم، ويجلعكم للناس إمامًا، من عاش منكم كان بطلا وقدوة وجَذوة، ومن قتل منكم نال حسنى الحسنيين إن شاء الله، وفاز وربح بإذن الله، وأكرم بها من كرامة ومنزلة.

اللّهم إني أعتذر إليك من تقاعس المسلمين وخذلانهم لإخوانهم، وأبرأ إليك ممن والى أعداء الله ووقف معهم وأعانهم، اللّهم ارحم ضعفنا واجبرْ كسرنا وقوّنا وأعنا، وأذهبْ همنا وغمّنا بلطفك، وافتح لنا أبواب رحمتك، يا أرحم الراحمين، اللّهم أبرم للمسلمين أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك.. آمين.. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

وكتبه شاكيا إلى الله وحده: **عطية الله**

١٣ رجب ١٤٢٨هـ

السيف المهند؛ في بيان حقيقة ما صدر من «العوفي محمد»:

الحمد لله ناصر المستضعفين قاهر الجبابرة الظالمين، والصلاة والسلام على من بعث بالسيف بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، أما بعد:

الساعة راجعت لإصدار الإخوة الغيارى في مؤسسة الملاحم الذراع الإعلامي لتنظيم «قاعدة الجهاد بجزيرة العرب» المعنون بـ: «من هنا نبدأ وفي الأقصى نلتقي» لأتابع وأركز على كلمة الأخ «محمد العوفي» المكنى بأبي الحارث -فك الله أسره وفرج عنه-.

شاهدت كلمة الأخ مرتين وأنا أتأمل في عبارته القوية ووجهه المشرق ويداه الملوحة المهددة بالويل والثبور وعظائم الأمور، وقارنت الكلمة مع ما بُث في ما يسمى «القناة السعودية»، التي بثت حلقة زُعم فيها تسليم الأخ نفسه وتراجعه عن أفكار «القاعدة» وأمور أخرى، ولم يتسنَّ لحدِّ الساعة التأكد من مصداقية الحلقة.

المقارن بين الكلمتين يرى بوضوح جلي لا مناص منه الفرق البيّن والمفارقة الواضحة بين الرجل والرجل، وهذا بعض ما ظهر لي:

في كلمة «من هنا نبدأ..» وجه الأخ محمد العوفي مشرق مستنير أبيض البشرة عليه نور الله الواحد الأحد، حركات جسمه كلها نشاط وقوة مع فتوة وإقدام، كلامه فصاحة وشجاعة.

وهذا خلافا لكلمة التراجع المزعومة حيث يبدو الأخ وكأنه أشحب البشرة لحد الحمرة، منهك الجسم لحد الإغماء والغشيان، الجسم يبدو هزيلا ضعيفا، الكلام متقطع لدرجة الخوف والهلع.

قوة الكلام: حيث ظهر لكل ذي عينين أن الأخ «أبا الحارث» هو أجرأ من تكلم في كلمة «مؤسسة الملاحم»، حيث صدع بالحق المر وهدد وتوعد بما لم يهدد غيره، وهذا بين واضح، حيث استوقف الأمر القاصي والداني، إذ كيف يعمد الأخ «العوفي» إلى إخراج قنبلة يدوية ويذكر أنها وصية توارثها مجاهدو الجزيرة واحدًا تلو الآخر، وتقاسموا العهد على إهدائها لهامان «نايف بن عبد العزيز» وإخوانه.. لا شك؛ كلام «العوفي» فرج الله عنه خطير وهذا لم يقله حتى أمير التنظيم الأخ المجاهد القائد «ناصر الوحيشي» حَفِظَهُ اللهُ، لذلك فأمر التراجع والانتكاس مرفوض والقول به -والله أعلم- غباءٌ وتقول.

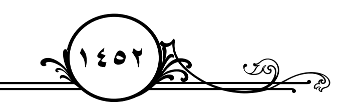
إذا قارنا بين هذا وبين لقاء التراجع! نرى الفارق البين والتناقض الصريح، خاصة وكلام الأخ «العوفي» في قناة «آل سعود».. يبدوا أن الأخ مكرهٌ وملزمٌ بقول ما أُمليَ عليه من مباحث أمن الدولة، وهذا يعرفه كل الإخوة الذين اعتقلوا في بلاد الحرمين.

الذي ترجّح -والله أعلم بالحال والمآل- كذب ودجل ما أثير في هذا اللقاء؛ خاصة وقد كذَّب التصريحات «الحوثيون» الشيعة، وجعلوها من صميم التلبيس والتدليس الذي اعتادوا سماعه من قنوات وإعلام آل سعود، أضف إلى ذلك أن حكومة اليمن العميلة صرحت أنها كانت وراء اعتقال الأخ «محمد العوفي» وتسليمه إلى السعودية قربانا ولعلها بطلب أمريكي، وهذا خلاف ما أشاعته حكومة «آل سعود» من أن الأخ محمدا سلم نفسه، هذا وغيره كافي والله أعلم بدحض شبه القوم ورد كيدهم في نحرهم.

ونحن بدورنا؛ نقول لأخينا «أبي الحارث»: وإن كان الواجب على مثلك الأخذ بالعزيمة والصبر إلى الموت، لكن طبائع البشر تختلف فإن عادوا فعد، فلك أسوة بصحب رسول الله ﷺ، ولعلنا نسمع ونرى تراجع الأخ «محمد العوفي» فرج الله عنه عن التراجع المزعوم أسوة بالشيخ الفاضل «ناصر الفهد» -فك الله أسره- الذي تراجع عن تراجعه، الذي بث أيضا على نفس القناة وكتب رسالته الشهيرة القوية: «التراجع عن التراجع»، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وكتب: **عطية الله الليبي**





جهاد المرأة المسلمة

في تصوّري أن أهم جهاد تقوم به المرأة هو وقوفها مع الرجل؛ زوجًا كان أو ابنًا أو أخًا أو غيره، أعني «وقوفها وراءَه» كما يُقال في لغتنا الاستعمالية؛ بمعنى أن تكون معه مشجعة دافعة فرِحة مؤيدة حاملة لهمه حافظة لسرّه أمينة عليه وعلى شأنه.. إلخ، وذلك يتطلب حظًا وافرًا من «الحق والصبر»، وأنا أعتقد أن جزءًا كبيرا من مهمة إصلاح الرجال يتم عن طريق إصلاح النساء، وأن جزءًا كبيرًا من عطاء وبذل الأبطال وراءه نساءٌ شامخات..

ولا بأس أن أحكي شيئا خطر ببالي الآن وأنا أكتب هذه الكلمات لتصوير الفكرة؛ فإنني رصدتُ في تجارب الإخوة الذين ابتلوا بالسجن في بلادٍ كثيرة شيئا عجيبًا تكفي حكايته عن شرحه، يحدثنا الكثير من الإخوة يقولون: كنا في السجن؛ فيأتي يوم الزيارة، زيارة الأهل لذويهم من الرجال المسجونين، من وراء القضبان، ربما لمدة خمس أو عشر دقائق، فتجد عجبًا ؛ تجد بعض الإخوة تأتيه زوجته تزوره فينقلب بعد زيارتها له بطلا وعملاقا قوةً وصلابة وهمة وصبرًا وانشراحَ صدر وقدرةً على الصمود والمقاومة لكيد الكفرة الظلمة، قد أخذ من هذه الزيارة شحنةً لشهورٍ آتية..

وتجد آخر تأتيه زوجته تزوره كمثل الأول، لكن ما إن تنتهي الزيارة حتى تجد الرجل محطّما محبطًا كئيبًا منهارًا والعياذ بالله، قلقًا مضطربًا ضيّق الصدر، ازداد همًّا على همه وغمًّا إلى غمه، وإنا لله وإنا إليه راجعون..

والسبب أن الأول تأتيه زوجته مصبّرة مبشرة مشجعة، تقول له: نحن بخير ولا ينقصنا شيء إلا تفريج كربك وحصول حريتك قريبا إن شاء الله، ونحن جميعًا ندعو لك، وساعون لكم، واصبر يا زوجي واثبت والله معك، ولا تقلق علينا ولا تخف، وأولادك بخير كلهم، والحمد لله أهلك طيبون معنا وإخوانك وأخواتك ويعاملوننا أحسن وأعظم معاملة؛ احترام وشفقة ورحمة إحسان وسعي في مصالحنا وسهر علينا، والإخوة ما قصروا، والجميع يخدمنا.. إلخ.

والثاني تأتيه زوجته فتقول له -بجهلها وقلة عقلها-: «خصّنا وخصّنا» و«مشتاقين الخبزة مش محصّلينها» و«أخوك قال وما قالش» و«أمك.. وأختك..» وفعلوا فيّ وقالوا لي، والأولاد ضربوهم.. إلخ، من كلام النسوان الجاهلات؛ فيسودّ وجهه المسكين ويتحطّم، نسأل الله أن يعافينا وإخواننا وأخواتنا جميعًا.

فانظروا إلى بُعدِ ما بين المثالين.. الله أكبر.!

ولا بد أن نلاحظ أنه في المثال الأول قد يكون كلام المرأة بعضُه أو كثيرٌ منه كذبٌ؛ بمعنى أنها

تكون بالفعل تعاني من سوء معاملة أسرة زوجها لها ومعاملتهم لأولادها أو إهمال الأصدقاء والأقارب لها ولأولادها، وقلة ذات يدها المسكينة، وهذا من الابتلاء والفتنة التي تتعرض لها المرأة، والله يخلق ما يشاء ويختار ويبتلي عباده على مقتضى حكمته وهو الحكيم العليم واللطيف الخبير سبحانه، لكنها -هذه المرأة- تخفي عن زوجها المسجون كل ذلك؛ لأنها تعرف -بذكائها وزكائها- أن ذلك يحزنه ويُحبطه ويُضعِفه..

وقد حصل ذلك بالفعل في إحدى القصص والوقائع الخاصة التي أعرفها، فهذه هي المرأة حقًا.

فإذا قدرتنّ يا أخواتي أن تساهمن في صناعة مثل هذه المرأة فقد نجحتنّ نجاحًا عظيمًا حقا ، فما بقي إلا الاحتساب فقط، وإلا فهذا جهادٌ يوازي وربما فاق جهادنا نحن الرجال..

عطية أبو عبد الرحمن

ربيع الآخر ١٤٣٠هـ

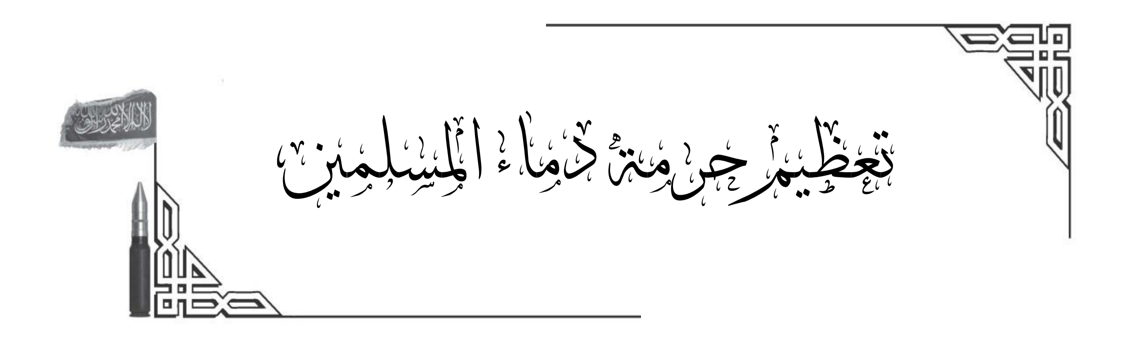
✵ ✵ ✵

محاضرات صوتية ومرئية

مفرغة



- ❖ تعظيم حرمة دماء المسلمين [كلمة مرئية مفرغة]
- ❖ تحية لأهلنا في ليبيا [كلمة صوتية مفرغة]
- ❖ بشائر النصـــر في شهر الصبر [كلمة صوتية مفرغة]
- ❖ درس في التحريض على «الجهاد» [كلمة صوتية مفرغة]
- ❖ محاورة مع الشيخ حول الثورات العربية [حوار مرئي مفرغ]
- ❖ سلسلة الثقافة والوعي (٦ محاضرات) [سلسلة صوتية مفرغة]
- ❖ التجربة الجزائرية [محاضرة صوتية مفرغة]
- ❖ شرح حديث (المؤمن القوي) [محاضرة صوتية مفرغة]
- ❖ الجندية وأحكامها [محاضرة صوتية مفرغة]
- ❖ أسباب النصر [محاضرة صوتية مفرغة]
- ❖ مقاصد الجهاد [محاضرة صوتية مفرغة]
- ❖ التكفير والردة [محاضرتان صوتيتان مفرغتان]
- ❖ الموالاة والمعاداة [كلمة صوتية مفرغة]
- ❖ قراءة في كتاب «مختصر منهاج القاصدين» [كلمة صوتية مفرغة]
- ❖ كلمات.. في بعض الإصدارات [كلمات صوتية ومرئية مفرغة]



تعظيم حرمة دماء المسلمين

[كلمة مرئية: **مدتها** إحدى عشر دقيقة، **نشرتها** «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»، **وقام بتفريغها** الإخوة في «نخبة الإعلام الجهادي»، **نُشرت في** ربيع الأول ١٤٣٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهديه إلى يومِ الدينِ، أمّا بعدُ:

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ والأخواتُ المسلماتُ، أيها الإخوةُ المجاهدونَ مِن أبناءِ أمّتنا العزيزةِ المنصورةِ، السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

مُوجِبُ هذه الكلمةِ القصيرةِ إليكم هو ما كَثُرَ سماعُنا وسماعُ الناسِ له مِن قِبَلِ العدوِّ ووسائلِ الإعلامِ الجاريةِ في فَلَكِه مِن اتهاماتٍ للحركةِ الجهاديةِ بقتلِ المسلمينَ، وتصويرٍ للمجاهدينَ على أنّهم جماعاتٌ مِن القَتَلَةِ لا همّ لهم إلا سفكُ الدماءِ ونهبُ الأموالِ، وأنّهم لا هدفَ شريفَ لهم ولا غايةٌ نبيلةٌ ولا برنامجٌ سياسي وما شابه ذلك، وكذبوا!

وقد أمدّهم في ذلك مكرُ العدوِّ الصليبيِّ الذي يستعدُّ للرحيلِ مِن أفغانستانَ مذؤومًا مدحورًا، وعادتُه جاريةٌ بالإفسادِ، واتباعِ سياسةِ الأرضِ المحروقةِ، وبإهلاكِ الحرثِ والنسلِ إذا كان خارجًا، لا يلوي على إنسانيةٍ ولا يفكرُ في عاقبةٍ ولا مستقبلِ علاقةٍ بينَ الشعوبِ، وساعدَهم أيضًا أجواءٌ مشحونةٌ بغبارِ هذا العدوِّ الهاربِ، وعملياتٌ مشبوهةٌ تتمُّ في أسواقِ المسلمينَ وأحيانًا في المساجدِ وغيرها.

وقطعًا للطريقِ، وإنارةً للسبيلِ، وإعذارًا إلى اللهِ، ومزيدًا مِن المساهمةِ في ضبطِ حركتِنا الجهاديةِ الطيبةِ؛ فإنّنا نؤكِّدُ على تبرُّئنا الكاملِ مِن أيِّ عملياتٍ تستهدفُ المسلمينَ سواءٌ في مساجدِهم أو أسواقِهم وطرقاتِهم أو تجمّعاتِهم، وأنّ تنظيمَ قاعدةِ الجهادِ مُمثّلًا في قيادتِه وعبرَ بياناتِه وعبرَ متحدثيه قد

أكّدَ هذا الأمرَ مِرارًا، وبيّنّا هذا الأمرَ من منهجنا وطريقِنا ودعوتِنا، وأوضحنا أننا ننظرُ إلى شعوبِنا الإسلاميةِ على أنها شعوبٌ مغلوبةٌ على أمرِها، ولا نُعفيها ولا أنفسَنا مِنَ التقصيرِ؛ وإنما يُنسبُ الشَّيءُ إلى أظهرِ أوصافِه التي عليها المدارُ في المسألةِ المخصوصة، وأنّ شعوبَ أمّتنا المحكومةَ مِن قِبلِ الطُّغاةِ المرتدينَ والأنظمةِ العلمانيةِ الخائنةِ العميلةِ للأعداءِ المواليةِ للغربِ هي شعوبٌ مسلمةٌ يجبُ علينا كما يجبُ على كل فردٍ قادرٍ مِن أفرادِ هذه الشعوبِ أن يسعى في إنقاذِها وتخليصِها وهدايتِها والرقيِّ بها في مدارجِ الصلاحِ والعزةِ والكرامةِ، لا إعمالَ التقتيلِ فيها والنهبِ لأملاكها وزيادةِ معاناتها وبؤسها ومآسيها.

وأوضحنا أنّنا متقيدونَ بشريعة ربنا ﷻ الذي حرّمَ قتلَ النفسِ إلا بالحقِّ مهما طغى العدوُّ وتجبّرَ، ومهما بلغتِ الأحقادُ وتراكمتِ الثاراتُ في الحروبِ، إنّ دينَ اللهِ ﷻ أغلى وأعلى، وإنّ الفوزَ برضوانِ اللهِ وكرامتِه أعزُّ وأسمى مِن كلِّ غايةٍ.

فنحنُ بريئونَ مِن أيِّ عملٍ مِن هذا النوعِ، تقومُ بهِ أيةُ جهةٍ كانت، وفي أيِّ مكانٍ كان، سواءٌ كانت عصاباتٍ مجرمةً تنتسبُ إلى العدوِّ، أو شركاتٍ أمنيةً كافرةً مرتزقةً أخزاها اللهُ، أو كانت تنتسبُ إلى المسلمينَ وإلى المجاهدينَ وَتهَاوَنَتْ وَفرّطَتْ.

إنّنا بكلِّ وضوحٍ نعدُّ تلكَ الأعمالَ مِنَ الفسادِ في الأرضِ الذي نُهينا عنه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة]

إنّ جهادَنا المشروعَ المباركَ غاياتُه ساميةٌ وأهدافُه نبيلةٌ، كلُّها عدلٌ ورحمةٌ وإحسانٌ وشرفٌ وعزةٌ وكرامةٌ وصلاحٌ وفوزٌ وفلاحٌ، يجمعُها رضا اللهِ ﷻ والكونُ معه وفي صفه وأنصارًا له ﷻ، نُعلي كلمةَ اللهِ وننصر دينَه ونحميه، ونحقُّ الحقَّ، وندفعُ الظلمَ والعدوانَ، ونحررُ الإنسانَ والأوطانَ، ونرحمُ الخلقَ وننفعهم.

ونذكِّر إخواننا المجاهدينَ في كلِّ مكانٍ -وفّقهم الله- إلى ضرورةِ بثِّ ونشر العِلمِ بِعِظَمِ حُرمةِ دمِ المسلمِ، ووجوبِ الاحتياطِ فيه، وصيانته والمحافظةِ عليه، والخوفِ عليه مِن أن يُراقَ بغير حقٍّ، ووجوبِ سدِّ أيِّ طريقٍ مفضٍ إلى الاستهانةِ بدماءِ أهلِ الإسلامِ وأموالِهم وأعراضِهم، وأن لا تطغى الحربُ وأجواؤها وأحوالها وثاراتُها وأحقادها على تمسكنا بشريعة ربنا ﷻ في هذا الأمرِ وفي كلِّ أمر، ولا على عبوديتنا الكاملةِ له ﷻ؛ فنحنُ عبيدٌ لله ﷻ وجنودٌ له، نسيرُ على طريقِ محمدٍ ﷺ بالتزامٍ كاملٍ وصبرٍ ويقينٍ.

إنّ المجالَ مجالُ تذكيرٍ وتأكيدٍ وبيانٍ للموقفِ الواضحِ وليسَ بيانَ إسهابٍ، وإلا فإنّ نصوصَ الشريعةِ المطهّرةِ في هذا المجال لا تخفى على المسلمينَ جميعًا، ويكفي في بيانِ عظمةِ وضخامةِ قدرِ النفسِ المؤمنةِ وحرمةِ دمِ المسلمِ قولُ النبي ﷺ: (**لزوالُ الدنيا أهونُ عندَ اللهِ مِن قَتْلِ رجلٍ مسلمٍ**)(١).

فلتزُل الدنيا ولنفنَ ولتفنَ تنظيماتُنا وجماعاتُنا ومشاريعُنا ولا يُراقُ على أيدينا دمُ مسلمٍ بغيرِ حقٍّ، إنها مسألةٌ حاسمةٌ في غايةِ الوضوح.

ثم إنني أدعو إخواني المجاهدينَ حيثما كانوا -سدّدهم اللهُ ونصرهم- إلى نقاطٍ مهمّةٍ عملية:

الأولى: أدعوهم إلى إصدارِ أوامرَ للكتائبِ والسرايا الميدانيةِ المقاتلةِ بمنع التفجيرِ واستعمال ما يعمُّ به القتلُ في مساجدِ المسلمينَ ونحوها وأماكنهم العامة كالأسواق والملاعب ونحوها مهما كان الهدف، ضبطًا للأمور واحتياطًا وتحاشيا عن الخطأ والضرر.

الثانية: لا بدَّ من التشديدِ في ضبط العملياتِ التي تُعرف بعمليات «التترّس»، وضرورة الحذرِ من التوسعِ فيها؛ فإنها أجيزت على خلاف الأصل، فهي في مقام الضرورة فلتُقدّر بقدرها، وليُشدِّد الأمراءُ فيها أيما تشديد في توفرِ شروطها وانتفاءِ موانعها بأن تكونَ النكايةُ كبيرةً معتبرةً والفرصةَ ضيقةً في غيرها بحيث لا يمكنُ في العادةِ الوصولُ إلى الهدفِ الكبيرِ بغيرها وتتعيّن وسيلةً إلى المقصود، ويُخشى أنّ عدم الإقدام عليها يضر بالجهاد ضررًا واضحًا، ويمنح العدو الفرصة للتقدم والانبساط المريح في الحرب وفي الوضع العسكري.

وهذا يكمل بالنقطة التالية وهي **الثالثة**؛ وهي أن يوكل الإشرافُ على العملياتِ النوعيةِ التفجيريةِ إلى لجانٍ متخصِّصةٍ موثوقةٍ فيها مِن طلبةِ العِلم ومن العسكريين الأمناءِ يدرسونَ كل مسألةٍ على حِدة ليقرِّروا إجازتها والإقدام عليها أو لا، كما نفعل نحنُ في «تنظيم قاعدة الجهاد» والحمدُ لله.

الرابعة: يجب على قياداتِ المجاهدينَ في كل مكانٍ الاعتناءُ بتفقيه الإخوةِ المجاهدين عمومًا والفِدائيينَ الاستشهاديينَ على وجه الخصوصِ، والنصحُ الكاملُ لهم وتعريفُهم إلى حدِّ الاطمئنانِ الكاملِ بما يلزمُ من فقهٍ للمجاهدِ المُقدمِ على مثل هذه العملياتِ من وجوبِ الإخلاصِ لله ﷻ، والتوفر التام لطاعة الله ﷻ ببذل نفسه لإعلاء كلمة الله وإعزاز راية الدين، بدفع العدو الكافر الذي يُفسد الدين والدنيا، فلا يُقدِمُ على هدفٍ مشبوهٍ أو مشكوكٍ فيه أو محل خلافٍ وإثارةِ جدلٍ ونقاش،

---

(١) سنن الترمذي (١٣٩٥)، سنن النسائي (٣٩٨٧) لكن زاد: (بغير حق) وهي زيادة مهمة، سنن ابن ماجه (٢٦١٩) وصححه الألباني.

ولا يُقدِم إلا حيثُ تحقّق وتأكّد مئةً بالمئة واطمأنّ اطمئنانًا تامًّا أنّ الهدف مشروعٌ، وأنّ الإقدام رضًا لله ﷻ.

يجبُ على قياداتِ المجاهدين أن ينصحوا للاستشهاديين في ذلك، ويحذروا أشدَّ الحذر من غشّهم وإرسالهم إلى أهدافٍ مشبوهةٍ مشكوكةٍ؛ فإنّ ذلك ليس من النصح، وكذلك الفِدائيُّ نفسه إذا أقدم على ذلك بدون تثبّتٍ وعلى غير بصيرةٍ فإنّه مقصر ملومٌ يحاسبه الله ويعاقبه، بدل أن ينال الشهادة، وأيّنا يرضى بهذا؟ وكم من قتيلٍ بين الصفين الله أعلم بنيّته، وكم من طالبٍ للخير لم يدركه.

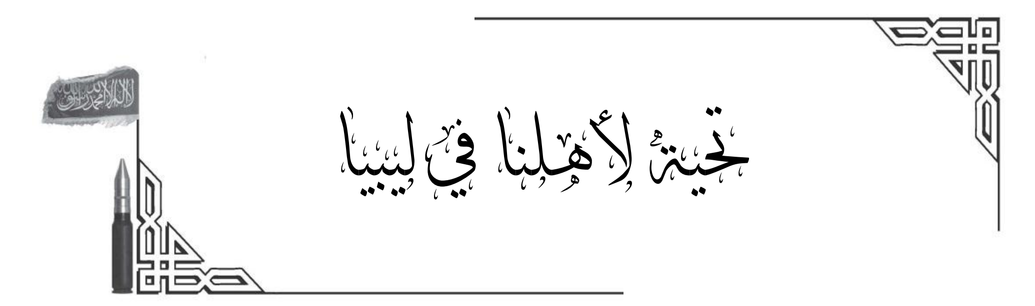
إنّ المجاهدين الذين يبذلونَ أموالهم وأنفسهم وأرواحهم في سبيلِ اللهِ ابتغاءَ رضوانِ الله لا يقبلونَ هذا أبدًا، إنّ ديننا عِلمٌ وعملٌ ونيّة، فلنتعلّم العِلمَ النافعَ، ولنكن أهلَ بصيرةٍ، ولنصلح العملَ، ولنصلح النيّةَ، وبالله التوفيق.

اللّهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمةُ أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادُنا.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته





تحية لأهلنا في ليبيا

[كلمة صوتية: **مدتها** تسع دقائق ونصف، **نشرتها** وفرغتها: «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»، تضمنت نصائح لمجاهدي وثوار ليبيا، **نُشرت في** ربيع الأول ١٤٣٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملِك الواحد القهار، قاصم ظهر كل طاغية وجبار، والصلاة والسلام على سيد الأخيار نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار.

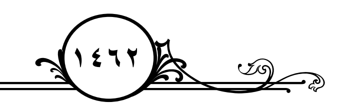
وبعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية لأهلنا في ليبيا الحرة الأبية، وأخص بالتحية أولًا أهلنا وشبابنا في بنغازي العزيزة الشامخة، ثم سائر نواحي ليبيا الرحبة بالخير، وقبل ذلك تحية لأهلنا في تونس الأبية وفقهم الله، ولأهلنا في مصر سددهم الله..

نحيّيهم جميعًا ونهنئهم على ما منَّ الله به علينا وعليهم من زوال هؤلاء الطغاة الجبابرة المجرمين الظلمةِ المفسدين في الأرض، سائلين الله ﷻ أن يكون ذلك فاتحة خيرٍ وبركةٍ علينا وعليهم وعلى سائر المسلمين، وسبيلًا إلى الاختياراتِ الصحيحة الخيّرة الصالحة التي تحقق سعادة الدنيا والآخرة.

الحمد لله الذي شفى صدورنا من الطاغوت القذافي وسلطانه الخبيث، المحارب لله ودينه ورسله.. الحمد لله الذي أرانا ذِلّته وهوانَه واستجداءه، وجعله للناسِ عبرةً، ولمّا تنتهِ العبرة بعدُ ونحن في أثناء مشاهدتها، الحمد لله أن جعل القاعدة همًّا عليه عظيمًا جاثمًا على صدره وغيظًا له وتنغيصًا وجعلها عليه عذابًا ونكالًا، هذا الوضيعُ المهلوسُ حقًّا الذي أخلجنا أمام الدنيا!

وإنني أعتذر لكل العرب والمسلمين عمّا صدر من هذا المخبول المتفرعن الهالك، وأعتذُرُ للأحرار والحرائر من الحقوقيين وغيرهم، ومن الإعلاميين في قناة الجزيرة وغيرها، وأعتذُر لأهل العقل والأدب وأهل الشرف مما شوّه به هذا الفاسدُ ليبيا وأهلها.

اللّهم لك الحمد وبك الثقة نرجو فضلك ومددك: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران]



أيها الإخوة المسلمون في ليبيا أتوجه إليكم ببضعِ رسائل مختصرةٍ:

الرسالة الأولى: أنني أرجو من الله ﷻ أنَّ هذه الثورة الشعبية والشبابية تكونُ كفارةً أو جزءًا من كفارةٍ عما فرَطَ من السكوت والتخاذل وقبول الذل والمهانة من كثيرين منا، بل ومشاركة البعضِ هداهم الله وأصلحهم لنظام القذافي القذر في جرائمه على مدى أزيد من أربعة عقود.

وإن هذه التضحيات التي قدمها أبناء ليبيا وبناتُها خلال الأيام الماضية من قتلى وجرحى ومحروبين مكلومين لهو جزء من تلك الكفارة.. نسأل الله ﷻ أن يرحم قتلى المسلمين ويغفر لهم وأن يتقبلهم في الشهداء، وإن تمام المحوِ لتلك الذنوب والسيئات، والتكفيرَ الكاملَ عن تلك الموبقاتِ العظيمات إنما يكون بالتوبة إلى الله ﷻ والعودة الصادقة إليه؛ إلى دينه الحق وشرع المطهّر ونُورِه وهُداه الذي حبانا أمةَ الإسلام به، والارتباطِ أكثرَ وأكثرَ بالله سبحانه، والاستقامة على طاعته، فهو وليّ نعمتنا سبحانه، وهو الودود الرحيم الشكور الوليّ الحميد، له الأسماءُ الحسنى والصفات العُلا، وله الثناءُ والمجدُ كله.

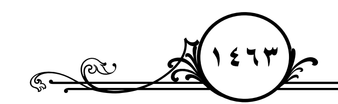
الرسالة الثانية: إن مرحلة ما بعد القذافي، هي مرحلة الإسلام لا محالة؛ فأتمنى أن يدرك الجميعُ ذلك، وينضموا إلى خياره ويعملوا له محبةً في الخير والفلاح الدنيوي والأخروي، فوالله إن الإسلام لقادمٌ من جديد بعز عزيز أو بذُلِّ ذليل، شاء من شاء وكرِه من كره.. فلنكن جميعًا مع ديننا وحضارةِ وهويةِ إسلامنا وعزة وكرامة إسلامنا.

ولذلك فإنني أدعو أي وضعٍ جديدٍ في ليبيا إلى أن ينصَّ دستورُ البلد بشكل واضحٍ على الالتزام بدين الله الإسلام، وأن شريعة الإسلام هي مصدر التشريع، وما أقرته الشريعةُ ودلتْ على اعتباره فهو من الشريعة، وأن يلتزم حقًّا وصدقًا بذلك.

إن هذا شرطٌ لازمٌ لا يمكن لأي أحدٍ أن يفرّط فيه أو يتهاون، ولا يمكن أن يقبل شعبُ ليبيا وشبابُها الصاحي المتيقظُ الفطنُ الطامحُ غيرَهُ.

أدعو كل الخيّرين من العلماءِ والدعاة والمثقفين وأهل الفكر والرأي وأهلِ الجاه وأهل المال، والنشطاءِ الداعين إلى الحرية والعدل وإحقاق الحق، ومَن في الجيش الليبي من ضبّاط وجنودٍ صالحين ممن نعرِفُ وممن لا نعرف، وجميع شباب ليبيا، أدعوهم إلى أن تتكاثف جهودُهم لتحقيق هذا الهدفِ العظيم وتكليل النجاح بتحقيق هذا المقصد النبيل.

الرسالة الثالثة: أن من الصلاح والإصلاح الذي يحبه الله ويرضاه ويبارك عليه، أن أيّ وضعٍ جديد في ليبيا إن لم يكن مع الطليعة المجاهدة من أبناء الأمة الإسلامية، لاعتبارات التدرج ومراعاة



شيءٍ يتصوّر من مصلحةٍ وملاحظة حالِ ضعفٍ ونحو ذلك؛ فلا أقل من أن يكون مصالحًا مُتاركًا ومجانبًا لأي ضررٍ بها أو تورّطٍ في وقوفٍ أو تحالفٍ ضدها مع أعداء الله، وإن سنة الله جارية، وإن كلمة الله هي العليا، وإن جندَ الله هم الغالبون.

واعلموا أن الأمر لله ﷻ وأن الأرض لله وأن الملك كلَّه لله، وأن ما يُخوِّف به بعضُ الضعفةِ المهزومين المهزوزين شعوبَنا من غزو خارجي وتسلطٍ أمريكي وأوروبيّ إنما هي أوهامٌ شيطانية: كما قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران]، وإن الخيارَ الصحيح هو الكون مع ديننا وأمتنا، وإن الأعداء لا يقدرون منا على شيءٍ حينما نكون كذلك.

الرسالة الرابعة: أن من المصالح الكبرى البيّنة أن يحافظ أهلنا في ليبيا على تماسكهم وتآخيهم وتآلفهم وصلاحِ ذاتِ بينهم، وليس شيءٌ أقومَ بذلك وأعونَ عليه من الاجتماع على دين الإسلام الذي أعزَّنا الله به.

الرسالة الخامسة: وتتميمًا لذلك فإنني أدعو إلى تغليبِ العفو والصفح والمسامحة لمن أخطؤوا وأساؤوا ومشوا مع التيار واختاروا الخيارات الخاطئة في العهد السابق، مع دعوة الجميع إلى التوبة النصوح والإحسان، ما لم يكونوا من عُتاةِ المجرمين المرتكبين لأبشع الإجرام في حق الدين وفي حق الشعب، من زبانية القذافي وأعوانه.

الرسالة السادسة: تحذيرٌ لأعداء الله من الأمريكان وغيرهم أن يفكروا مجرّد تفكيرٍ في أي اعتداءٍ أو تدخّلٍ في البلد، وإلا فإن جنود الله ورجال الإسلام سينسونهم -بإذن الله- مآسيهُم، وافهموها.!

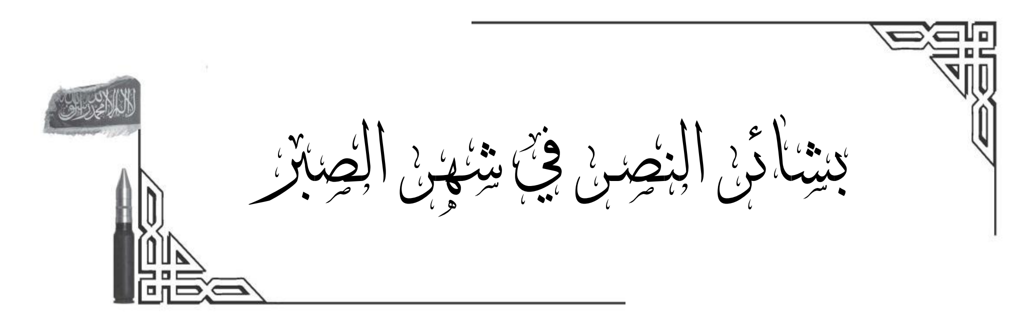
﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والله أكبر ولله الحمد والعزة، وإليه يُرجع الأمرُ كله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم: **جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي؛ المعروف بـ: عطية الله**

الجمعة: الثاني والعشرين من ربيع الأول ١٤٣٢هـ، الموافق: الخامس والعشرين من فبراير ٢٠١١م

❋ ❋ ❋



[كلمة صوتية: **مدتها** ثلاثون دقيقة، **نشرتها** «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»، **وقام بتفريغها** الإخوة في «نخبة الإعلام الجهادي»، **نُشرت في** رمضان ١٤٣٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمدٍ وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

إلى إخواني وأحبابي المهاجرين المجاهدين في سبيل الله في أزمنة الغربة، النَّاصرين دين الله بالأنفس التي هي أغلى ما يملك الإنسان، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أتوجَّه إليكم بهذه التذكرة بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك شهر الخير والبركات والجهاد والفتوحات وموسم الأفضال من الله والرحمات، وقد ورد عن النبي ﷺ فيما رواه أحمد والنسائي والبيهقي، أنه كان يبشر أصحابه بقدومه ويقول: (**أتاكم رمضان شهرٌ مبارك فرض الله ﷿ عليكم صيامه، تُفتَّح فيه أبواب السماء وتُغلَّق فيه أبواب الجحيم وتُغلّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر من حُرِم خيرها فقد حُرِم**)[١].

وكان سلفنا الصالحون يترقَّبون مجيء شهر رمضان ويستبشرون به ويدعون الله أن يُبلِّغهم رمضان وأن يسلِّمهم لرمضان وأن يسلِّم رمضان لهم، لما استقر في علمهم وفقههم من أنه موسمٌ عظيمٌ للخيرات والباقيات الصالحات من أنواع العبادات مع الصوم من الصلاة والقيام وذكر الله ﷻ وتلاوة القرآن والصدقات وصلة الأرحام وغيرها، وأنه تضاعف فيه الأجور، ولعلمهم بما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين**) رواه مسلم[٢].

(١) سنن النسائي (٢١٠٦) وصححه الألباني، مسند أحمد (٧١٤٨، ٨٩٩١، ٩٤٩٧) فضائل الأوقات للبيهقي (٣٤).

(٢) صحيح مسلم (١٠٧٩).

وأما أهل الجهاد -المجاهدون- فإنهم مع اشتراكهم مع سائر المسلمين في ذلك يحِنُّون إلى رمضان ويرجون رحمة الله عليهم وبركاته فيه بالفتوحات والنصر، ولأجل ما يعلمون من فضله وفضل العمل الصالح فيه يحرصون على التزوُّد من معينه صبرًا وإصرارًا وثباتًا؛ فإنَّ رمضان شهر الصبر، بذا سمَّاه رسول الله ﷺ.

ويندفعون إلى مزيدٍ من البذل في قتال أعداء الله ﷻ في رمضان، ويتقدَّمون للنكاية والإثخان في الكفرة ويتفنَّنون في ذلك ويتعرَّضون لنيل الشهادة فيه، إنَّ رمضان موسمٌ بحقٍ لا يُفوَّت.

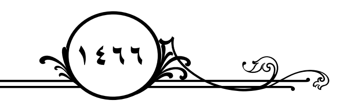
أيها الإخوة؛ لقد منَّ الله علينا بنعمٍ كثيرةٍ جليلة تستدعي مزيد الشكر للمولى الجليل الكريم سبحانه، فهذا رمضان فرصةٌ أخرى بعد الفرصة لشكر الله على ما أولانا من نعمه السابغة الوافرة التي لا نستطيع أن نحصيها ولا أن نؤدي شكرها مهما عملنا، لكن الله يغفر ويعفو ويقبل من عبده المؤمن القليل ويزكِّيه ويربيه ويثيبه عليه من فضله ورحمته أعظم الثواب.

ومن خصوص نِعم الله علينا هذه النعمة بأن هدانا لطريق الجهاد في سبيله ولإقامة دينه وإعلاء كلمته في هذه الأزمان، واستعملنا في قتال أعدائه الكفرة المجرمين العاثين في الأرض بالفساد والعدوان والظلم والطغيان، وجمع لنا ﷻ بين عددٍ من الأعمال الصالحة الجليلة وأدخلنا من فضله ورحمته في دواوين كبيرة عالية القدر عنده: الهجرة، والغربة، والجهاد، والرباط، والصبر، والدعوة إلى الله ﷻ، ونصر دينه والدفاع عنه.

إخواني؛ إنَّ طريق الجهاد طويلٌ وشاقٌّ، ولكنه حلوٌ لمن ذاق حلاوة الإيمان، ونحسبكم إن شاء الله كذلك ذقتم حلاوته وعرفتم لذته.

وفي هذا الطريق غالب أنواع الأحوال التي يمكن أن يمرَّ بها الإنسان في الدنيا ولهذا يكبر الإنسان فيه في عقله وتجربته ما لا يكبر في غيره، وهو متضمنٌ للأسفار والاغتراب الذين حثَّ الحكماء عليهما لتعلم الحكمة ونيل التجربة والحنكة، ومتضمنٌ للسياسات ومعاناة القيادة وأحوال أهل الملك والسيادة، ومتضمنٌ لأحوال الشدة واللين والرحمة والقسوة والحلو والمر والفرح والترح، وفيه من لذائذ الروح وكمالاتها ما لا يوجد في غيره، جمع الله فيه لأهله استخراج العبودية له سبحانه من عبده والإخلاص له، إذ دواعي الإخلاص في الجهاد أوفر لمن رُزِق التوفيق لقرب الإنسان من الموت على الدوام مع حظوظ النفس بتكميل فضائلها وقوتها ولذَّاتها من الحرية والكرامة والعزة والطمأنينة وراحة البال وغير ذلك، فما أجمله من حظٍ وافق حقًا.

وإنَّ من شكرنا لله ﷻ أن نقرَّ ونعترف له سبحانه بهذا الفضل وهذه النعمة، ونعرف أنها من محض



منِّه علينا وحده لا شريك له، وننسبها إليه ونثني عليه بألسنتنا ونحمده، وأن نستمر على طريق الجهاد ونبذل فيه وسعنا ونجتهد في طاعة الله ﷻ وتطبيق شريعته ﷻ على أنفسنا وعلى من تحت مسؤوليتنا حسب الإمكان، فإنَّ من جاهد بنفسه عن الدين أحق الناس بالتزام أحكام الدين، ولهذا أيضًا أمرنا الله ﷻ بالصبر والمصابرة وبالثبات وبمداومة الجهاد ما استطعنا، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾[آل عمران]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥﴾[الأنفال]، ونهانا عن الفرار من الزحف كما هو معلوم، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ ..﴾[النساء: ١٠٤] الآية، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩﴾[آل عمران].

وإنَّ هذا الجهاد -أيُّها الإخوة- لا يتم ولا يقوم على ساقه ولا يؤتي ثمرته إلا باجتماع المجاهدين وألفتهم وإلا بالجماعة، ولا جماعة إلا بسمعٍ وطاعةٍ وانتظامٍ وانضباطٍ بالأصول الشرعية والآداب المرعيَّة والحكم التي دلت عليها الشرائع والعقول والتجارب من آداب وفقه العمل الجماعي المنظَّم، فإنه بذلك يكون المؤمنون المجاهدون في سبيل الله صفًا كأنهم بنيانٌ مرصوص، كما يحب الله، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾[الصف].

وإننا -أيها الإخوة- في هذه الأوقات في مرحلةٍ من مراحل حربنا مع العدو تتطلب مزيد الانضباط، ويعظم فيها خطر المعصية والتصرفات الفردية.

والتصرفات الفردية -أيها الإخوة- نوعان:

أعمالٌ جهاديةٌ فردية مندرجةٌ تحت الخطة العامة للمجاهدين تخدمها وتقويها وتنسجم معها، مأذونٌ فيها إذنًا عامًا أو خاصًا وتؤدي دورًا لا يمكن للجماعة أن تؤديه فتسد ثغرًا وتحقق نصرًا، فهذه أعمالٌ جهاديةٌ شرعية ندعو إليها ونعتقد أنَّ الله يحبها ويرضاها ويأمر بها.

والنوع الآخر: أعمالٌ فرديةٌ ليست مندرجةً تحت خطة المجاهدين ولا تخدمها ولا تقوِّيها ولا تنسجم معها، بل تضعفها وتتعارض معها، وينشأ عنها فسادٌ أكثر مما يمكن أن ينشأ عنها من نفع، من التفرق والتنازع وغيره؛ فهذه التي ننهى عنها ونظن أنها لا ترضي الله، فعلامتها واضحة، والفرق بين الاثنين بينٌ والحمد لله.

وأعود فأقول: إنَّ المرحلة التي نحن فيها تتطلب منا جميعًا أكبر قدر من الطاعة والانضباط والصبر، وأن نتحاشى جهدنا عن المعاصي سواءٌ منها ما كان معصية لله ﷻ محضة أو ما كان معصيةً

للأمير وهي بذلك معصيةٌ لله ﷻ؛ فإن شؤم معصية المجاهدين لأمرائهم خطيرٌ ومبير، ويكفي فيه ما ذكره الله ﷻ لنا في القرآن في قصة أحد وجعله قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة تذكرةً للمتقين وتحذيرًا للعابدين، ذكر الله ﷻ ذلك في سورةٍ من أعظم سور القرآن -سورة آل عمران- في سياق حكاية قصة أحد وبيان ما حصل من معصية بعض المسلمين، وهي معصية الرماة أمر رسول الله ﷺ الذي أمرهم بأن يلزموا أماكنهم ولا يبرحوها، قال: **(ولو رأيتمونا تخطَّفنا الطير)**(١) فلما رأوا بعض ما ظنُّوا أنَّ المعركة انتهت به لصالح المسلمين، وأنَّ المشركين قد ولَّوا منهزمين، اجتهدوا اجتهادًا على خلاف النص، وتأوَّلوا في ترك تطبيق الأمر الواضح، وتركوا أماكنهم ونزلوا على رغم مناشدة أميرهم لهم بعدم النزول وإباء الأمير وبعضٍ من إخوانهم النزول، فأنزل الله في ذلك هذه الآيات وسمَّى فعلهم معصية ونسبه لجماعة المسلمين وأخبر أنها كانت سبب ما نال المسلمين من الكسرة يومئذٍ ولله الأمر من قبل ومن بعد ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[آل عمران].. الآيات.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الفوائد المستفادة من قصة أحد: «فمنها تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأنَّ الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾.. الآية، فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظةً وتحرُّزًا من أسباب الخذلان»، قال: «ومنها أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر؛ فإن خُلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴿٢٥﴾ ﴾[التوبة]؛ فهو سبحانه إذا أراد أن يعزَّ عبده ويجبره وينصره كَسره أولًا، ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره»(٢) انتهى كلامه رحمه الله.

أيها الإخوة: والذي يتضح من كلام علمائنا أنَّ معصية الرماة هنا للنبي ﷺ كانت معصيةً له

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٣٩).

(٢) زاد المعاد (٣ / ١٩٦).

باعتباره قائدًا وأميرًا وإمامًا، فإن تصرفات النبي ﷺ -بأبي هو وأمي- لها عدة اعتبارات، فهو ﷺ يتصرف باعتباره نبيًا رسولًا مبلِّغًا عن الله ﷻ شرعه، ويتصرف باعتباره إمامًا وقائدًا للمسلمين، ويتصرف باعتباره قاضيًا.. وهكذا.

والمقصود أنَّ معصية من نزل من الرماة في أحدٍ كانت من نوع معصية أمر الأمير وقد عفى الله ﷻ عنهم ﭫ وأرضاهم، فهذا يبين لنا عظم خطر معصية أوامر الأمير.

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾[الحج] فبقدر إيماننا وكماله وقوته تكون مدافعة الله عنَّا، والله يحب المؤمنين ويحب المتقين ويحب المحسنين وهو معهم بنصره وتأييده وإمداده، فبقدر حسن الطاعة والاستقامة والإيمان والتقوى والعمل الصالح يكون نصر الله ﷻ لنا، ولعله -والله أعلم- أن يكون تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ إيماءً إلى أن الخيانة والكفر -ومنه كفر النعمة والكفر الأصغر وهي المعاصي- تنافي وتناقض موجبات دفع الله ﷻ ومدافعته عن عبده؛ ففيهما تحذيرٌ من المعاصي فإنها تعرِّض المؤمن إلى أن يخسر دفاع الله عنه؛ لأنه إذا كان الله لا يحب كل خوانٍ كفور ومن أجل ذلك يدفع عن الذين آمنوا وينصرهم فإن في هذا تنبيهًا للمؤمن أن يجانب صفة الخوَّان الكفور ولا يقاربها، وهكذا في الشهادة فإن الظلم والمعاصي قد تمنع منها والله أعلم، كما قال الله ﷻ: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾[آل عمران].

وإنَّ مما يُطاع فيه الأمير ما يتعلق بالأمور الجامعة التي تمسُّ شأن الجهاد والمجاهدين بوصفهم الاجتماعي كالأوامر المتعلقة بالحركة والاتصالات وغيرها، كل هذا مما يدخل دخولًا واضحًا لا إشكال فيه فيما يجب أن يُطاع فيه الأمير، والمعصية فيه معصية، والله يعاقب على المعصية وقد يتخلف النصر ويُبطئ الفرج بسببها، فلتتقِ الله جميعًا ولنجعل من رمضان فرصةً لتجديد الطاعات كلها والاجتهاد فيها والتوبة لله جل وعلا.

أيها الإخوة والأخوات المؤمنون المجاهدون: إنَّ بشائر نصر الله ﷻ لهذه الأمة ولمجاهديها كثيرة تُفرح القلوب وتدعو إلى مزيد الثبات ومزيد العطاء، ففي أفغانستان بدأ أعداء الله الغزاة المعتدون -الأمريكان والأوربيون- بدأوا ينسحبون رويدًا خائبين خاسرين، وإنما زوَّروا على الناس وزوَّقوا انسحابهم بخططٍ تدريجية وجداول زمنية -زعموا- وبرامج وترتيباتٍ فاشلة مع عملائهم المرتدين ليخفوا فشلهم وهزيمتهم والحمد لله رب العالمين، فإن انسحابهم فرصةٌ لمجاهدي الإمارة الإسلامية

للتقدم ومزيد الفتوح بإذن الله، وانسحابهم هو بدايةٌ فعليةٌ لانفراط عقد تحالفهم الكافر وتشتُّت شملهم بإذن الله، والدعم الشعبي والمدد الجهادي من الشعب الأفغاني للمجاهدين متواصلٌ متدفقٌ بحمد الله بل ومتزايد، وأعداء الله يعانون أشدَّ المعاناة في أفغانستان كما يعاني وكلاؤهم، ونكايات المجاهدين فيهم تتضاعف وتقوى، وهم يُعتِّمون على الأخبار ويجتهدون في إخفاء خسائرهم حتى وصل بهم الأمر إلى استصدار قوانين في ذلك خوفًا من انتشار أخبار عمليات المجاهدين، وحرصًا أن لا يسمع الناس بما يذيقهم المجاهدون كل يوم من كؤوس المنايا وعذاب الجراح ومرارات الثكل.

وكم من العمليات النوعية الناجحة للمجاهدين أخفاها أعداء الله وأبواقهم وكتموها وزوَّروا الأخبار حولها، هل سمعتم بعملية «ميدان وردك» في هذا الشهر شعبان؟

كما أنَّ أعداء الله يعانون ويُقاسون مما يُسلِّطه الله عليهم من جنوده التي لا يعلمها إلا هو، ولله جنود السماوات والأرض، ومن أهمها مشاكلهم الاقتصادية والمالية، فهم في خساراتٍ وانهياراتٍ دائمة بسبب كفرهم وفجورهم واستكبارهم وتمرُّدهم على الله وأخذهم الأموال بغير حقٍ من غير حلِّها، وإهلاكها في الباطل وفي نصر الكفر وعداوة الله ﷻ ورسوله ودينه وأوليائه.

والآن نحن في نعمة الله علينا نتابع ونترقَّب وشك عذاب الله لهم بأزمة الديون الأمريكية والأزمات المالية في اليونان ودولٍ أوروبيةٍ أخرى وما قد ينشأ عن هذا وهذا من قوارع تصيبهم بإذن الله وحوله وقوته، كما قال ﷻ: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد].

مع ما يُفتح على أمريكا من أبواب شر في كل اتجاه ومن جبهات حربٍ وعداوة في كل ناحية فلنجتهد في الدعاء عليهم في هذا الشهر وفي كل وقت، ولنتحين للدعاء أوقات الإجابة وأحوال الصفاء ولحظات الخشوع، ولنوصِ به المستضعفين من النساء والولدان والضعفة من المسلمين.

وفتوحات الله على المسلمين في ساحاتٍ متعددة في العراق واليمن والصومال والمغرب الإسلامي وغيرها كثيرةٌ مبشرةٌ بحمد الله وهي تُراكِم المصائبَ على أعداء الله وتعجِّل بانكسارهم بعون الله، فأعداء الله في تراجعٍ ويحيط بهم غضب الله، وأمة الإسلام ومجاهدوها في تقدمٍ وازديادٍ ترعاهم عناية الله ولطفه ويحدوهم وعد الله.

وهذه الانتفاضات الشعبية العربية إذ كسرت الشعوب العربية المسلمة حاجز الخوف بحمد الله وفضله ثم بجهاد المجاهدين وصبر الصابرين، فهي نعمةٌ كبيرة وفيها خيرٌ كثير وإن لم تكن صورتها

الحالية هي الشيء المطلوب المأمول بلا شك، لكن فيها خير وهي مرحلةٌ وخطوةٌ وفرصةٌ ومعونةٌ من الله الكريم، نرجو الله أن يجعل عاقبتها خيرًا للإسلام وأهله، وأن يصلح شباب الأمة ويأخذ بأيديهم إلى الخير.

فأبشروا بنصر الله القريب؛ فحاشا لدماء الشهداء وصدق الصادقين وإخلاص المخلصين المخبتين المنكسرين لله أن تذهب هباءً، وحاشا لدعاء المستضعفين في أنحاء الأرض أن يُردَّ، وإنما لكل أجلٍ كتاب ولله الحكمة التامة والحجة البالغة على خلقه وهو الحكيم العليم.

ولا يغرَّنَّكم تقلب الأعداء في البلاد، وما وصلوا إليه من أدوات ووسائل الدمار والخراب، وما يرتكبون من فظائع وبشاعات، ولا يوهننَّ من عزائمنا كثرة ما وقع ويقع من القتل في صفوف المسلمين من المجاهدين وغيرهم فإنها شهادة والشهادة خيرٌ وبركة، وكلما تمرَّد أعداء الله وطغوا وتفرعنوا وعتوا فإنَّ ذلك مؤذنٌ بقرب هلاكهم وإدالة الله عباده المؤمنين عليهم؛ فإن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيَّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم، فيتمحَّص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم.

إنَّ دم الشيخ «أسامة» ﷺ ودماء الشهداء الصالحين في أنحاء الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا - ﷺ جميعًا وتقبلهم- لهي سقيا لشجرة الجهاد وفألٌ بقرب النصر بإذن الله ﷻ، والله سبحانه يبارك عليها ويرى الناس بعد حينٍ آثار بركة الله ورحماته.

أيها الإخوة؛ كيف يمكن أن ينتصر أعداء الله الكفرة الملحدون الفجرة الفسقة أهل الرجس والنجاسة والقذارة ورذائل الأخلاق، أهل البخل والحسد والكبر والشرك وسائر ما يُتصور من أمراض القلوب ومفاسد النفوس، كيف يمكن أن ينتصروا على أهل التوحيد لله ﷻ، أهل الإخلاص والنية الحسنة وإرادة الخير الساعين في محاب الله والطالبين رضوانه، أهل الوضوء والطهارة والعفة والتقوى وصلة الأرحام، أهل العبادة لله جل وعلا والانكسار إليه والتوبة والإنابة والشكر والصبر والخوف والرجاء والمحبة والطاعة باطنًا وظاهرًا، هذا لا يكون بإذن الله.

كيف يمكن أن ينتصر من يريدون العلو في الأرض والفساد، ويبغون رفع راية الكفر والصليب والأوثان، وينشرون الرذيلة والفجور ويعبِّدون الناس للشهوات والدنيا والشيطان ويخرجونهم من النور إلى الظلمات، كيف يمكن أن ينتصروا على الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحج]، ﴿ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء]، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[البقرة]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾[غافر].

فإن رأينا للكفار غلبةً وظهورًا فهو شيءٌ مؤقتٌ زائل اقتضته حكمة العزيز الحكيم اللطيف الخبير في مداولة الأيام بين الناس، ولكن العاقبة في الدنيا والآخرة للمؤمنين بلا ريب، والنصر الحقيقي هو انتصار المؤمن التقي سواءٌ كان انتصارًا دنيويًا وأخرويًّا، أو أخرويًا محضًا ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر].

ولأجل ذلك أوصي نفسي وإخواني جميعًا بأن نحسن الظن بالله سبحانه، وأن نعظِّم رجاءنا فيه ﷻ، ولنجتهد في الذكر والدعاء والعبادة، ونجتهد في تحصيل شروط النصر والأخذ بأسبابه، وجماعها أن نكون أنصارًا لله ﷻ وذلك بالإيمان والتقوى والعمل الصالح والاجتهاد في الحذر عن المعاصي بكل أشكالها: الفردية والاجتماعية الظاهرة والخفية الصغيرة والكبيرة، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾﴾[محمد]، أحذِّركم ونفسي من الاستهانة بالمعاصي أيها الإخوة أو احتقار صغارها، فإيَّاكم ومحقرات الذنوب فإنها تؤدي إلى هتك أستار الخشية والمراقبة وتجرُّ إلى كبارها، ثم إنَّ الإصرار عليها قد ينزِّلها منزلة الكبار منها.

أُوصي نفسي وإخواني بحفظ اللسان والاجتناب عن آفات اللسان -وما أكثرها-، وأن نقرأ في هذا ونتفقه ونكثر من المذاكرة فيه، وأن نجتهد أن تكون لنا عباداتٌ في السر من صلاةٍ وصدقةٍ وصلةٍ وغيرها، وأن نحافظ على اجتماع المسلمين وألفتهم ووحدتهم ونقوِّيها ونحذر من الفرقة والاختلاف فإنها شؤمٌ ومن الأسباب القوية لتخلف النصر.

وإلى إخواني في المواجهات حيث كانوا -وكل المجاهدين في المواجهة-، توَّكلوا على الله واعتصموا به ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران]، وأشعروا قلوبكم الجرأة فإنها من أسباب الظفر كما قال بعض شجعان المتقدمين، وأكثروا ذكر الضغائن -يعني ما يثير الحقد والضغينة على العدو- فإنها تبعث على الإقدام، فتذكَّروا ما يفعل أعداء الله من الكفر ومحاربة الله ﷻ ودينه والاستهزاء برسوله ﷺ ومن الطغيان والفساد في الأرض ومن الظلم والعدوان على إخواننا المسلمين

في كل مكان، وتذكروا إخواننا وأخواتنا الأسرى المعذبين، ثم استعينوا بالله وخذوا بأسباب الاحتياط من قصف العدو؛ فإنَّ أعداء الله ليس لهم سلاحٌ ينتفشون به على المسلمين إلا هذه القصوف بالطائرات والصواريخ وبإنفاقهم الأموال على أوليائهم الجواسيس، فاحترسوا منهم معتمدين على الله واثقين بنصره، وخذوا حذركم وانتشروا بما يناسب، واجتنبوا كثرة الظهور والبروز، ولا تعطوا العدو الفرصة من أنفسكم فإنَّ الله ممتحنكم بذلك وسائلكم عن ذلك، ولكل إنسانٍ من عباد الله تكليفه وابتلاؤه الذي قسمه الله له، واصبروا فإنها معركة الصبر والله معكم.

وأختم بذكر وصية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأجناده، فقد روي في السير أنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال؛ فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإنَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأنَّ عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة وإلا نُنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أنَّ عليكم في سيركم حفظةً من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إنَّ عدونا شر منا فلن يُسلَّط علينا، فرب قومٍ سُلِّط عليهم شر منهم كما سُلِّط على بني إسرائيل لما عملوا بالمعاصي كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولًا، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله سبحانه وتعالى ذلك لي ولكم»[1] اهـ.

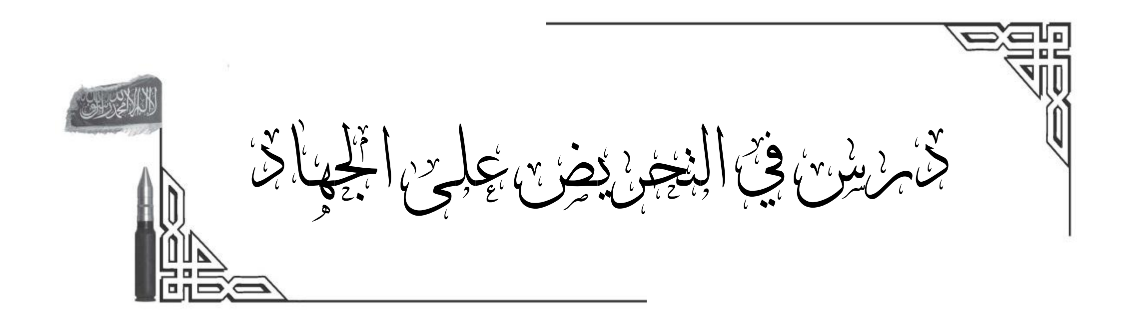
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

❁ ❁ ❁

---

(١) العقد الفريد (١ / ١١٧).



[كلمة صوتية: **مدتها** تسع دقائق ونصف، **نشرها** «مركز الفجر للإعلام»، **وقام بتفريغها** الإخوة في «نخبة الإعلام الجهادي»، **نُشرت في** محرم ١٤٣٣، وهي آخر كلمة صوتية تم نشرها للشيخ؛ حيث نُشرت بعد استشهاده ﵀]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريَّته ومن اهتدى بهديه وسار على سنَّته واتَّبع سبيله بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد..

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١﴾[الصف]، والجزاء: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ..﴾[الصف] -وشيءٌ آخر وخصلةٌ أخرى تحبُّونها- ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾[الصف]، ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١١١ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٢﴾[التوبة]، ويقول الله ﷻ: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢﴾[التوبة]، ويقول ربنا ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾[النساء]، ويقول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الحديد: ١٠].

أيها الإخوة: تعظيم الله ﷻ لقدر الجهاد والمجاهدين في الشريعة الإسلامية وبيان فضلهم -فضل الجهاد وفضل المجاهدين في سبيل الله ﷻ- وفضل الشهادة والشهداء الذين يُستشهدون في سبيل الله، الذين يزهقون أرواحهم ويبذلون أنفسهم ودماءهم، يريقون هذه الدماء التي هي أغلى شيء عندهم وهذه الروح وهذه النفس، ويهلكون هذا الوجود في هذه الدنيا في سبيل الله ﷻ وسعيًا لتحصيل ونيل مرضاته ﷻ ونيل الحظوة عنده والأجر العظيم والمكانة الرفيعة التي أعدَّها الله ﷻ لمن قام هذا المقام، بيان الله ﷻ في كتابه وسنة نبيه ﷺ لفضائلهم -فضائل الشهادة والشهداء والمجاهدين والجهاد في سبيله ﷻ- شيءٌ كبير جدًا جدًا حتى قال العلماء إنه لم يرد في الكتاب والسنة في فضائل الأعمال مثلما ورد في الجهاد وفي الشهادة، لم يرد في شيء لا في فضائل الصلاة ولا فضائل الصوم ولا الزكاة والصدقة ولا غيرها من الأعمال الصالحة وهي كثيرة -أبوب الخير كثيرة-، لم يرد في شريعة الله ﷻ في الكتاب وفي السنة في ذكر فضائل الأعمال مثلما ورد في الجهاد، الذي ورد في الجهاد وفي المجاهدين وفضلهم وما أعدَّ الله لهم وفي الشهادة والشهداء شيءٌ كثيرٌ يفوق الحصر يصعب حصره ولم يرد مثله أبدًا في أي فضيلة من فضائل الأعمال الصالحة، هذا كلُّه من تعظيم الله ﷻ لهذه المرتبة وهذه المنزلة في الأعمال الصالحة -مرتبة الجهاد ومرتبة الشهادة في سبيله وهي خاتمة الجهاد- ولا شك أنَّ عظمة الجهاد وعظمة الشهادة في سبيل الله ﷻ مستقرَّة في نفوسنا وفي نفوس المسلمين جميعًا بسبب هذا الذي ورد في الكتاب والسنة من ذكر فضلهم ورفع منزلتهم عالية.

لكن أيها الإخوة، الجهاد.. الجهاد الذي هو الجهاد الممدوح أهله.. الممدوح والممدوح أهله، والمشرف والمشرف أهله، الذي أحبه الله ورضيه ووعد أهله بالجزاء العظيم كما في هذه الآيات التي تلونا بعضها وفي غيرها كثير من القرآن، ومن السنة مثلًا كقول النبي ﷺ لما «سُئِل عن شيءٍ يعدل الجهاد قال: (**لا أجده، أتستطيع إذا خرج المجاهد في سبيل الله أن تقوم فلا تفتر وتصوم فلا تفطر؟)**

قال: ومن يستطيع ذلك؟!»[١].

الجهاد الذي قال فيه النبي ﷺ: **(إنَّ في الجنة مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله)**[٢].

الجهاد الذي قال فيه النبي ﷺ: **(من جاهد في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)**[٣] فواق ناقة، ولو لحظة بسيطة وجبت له الجنة.

الجهاد الذي قال فيه الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ قَٰتَلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾[محمد] وفي قراءة أخرى ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾[محمد] حفص يقرأ ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لكن نافع يقرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ قَٰتَلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾[محمد].

هذا الجهاد، هذا العمل الصالح العظيم إنما يكون هو كما أراده الله وكما مدحه وشرفه وعظَّمه وفضَّله ومدح أهله وشرفهم وعظَّمهم ووعدهم بجزيل الثواب إذا كان على شريعة الله إذا كان في سبيل الله، هو جهادٌ في سبيل الله هذا هو شرطه هذا هو قيده هذا هو وصفه، لا بد أن يكون في سبيل الله، **وكونه في سبيل الله معناها أنه جامعٌ لخصلتين هما محدِّدا سبيل الله، سبيل الله له حافتان وله ضابطان ومحدِّدان:**

١-الإخلاص لله ﷻ.

٢-والجري على الشريعة؛ العمل على وَفق الشريعة المطهَّرة.

هذا هو سبيل الله، سبيلُ الله هذان ركناه وهذان ضابطاه وحافتاه ومحدِّداه، أن يكون خالصًا لوجه الله ﷻ مرادًا به وجهه ﷻ مرادًا به التقرب إلى الله، نيل رضوان الله ﷻ، مرادًا به الفوز بين يدي الله ﷻ عند لقاء الله، مرادٌ به إذن ما عند الله من الأجر والثواب وحسن المثوبة وحسن الجزاء، نعيم الله ﷻ وفضله ورحمته ورضوانه في الآخرة، هذا معنى إرادة وجه الله ﷻ، أن لا يُنهِض الإنسانَ للجهاد إلا إرادة ما عند الله ﷻ إرادة وجه الله إرادة الله إرادة ثواب الله ﷻ وحسن جزائه، هذا تعبير عن معنًى واحد. لا ينهضه دنيا يريدها ويثمِّرها ويتأثَّل فيها أمواله، ولا ينهضه جاهٌ وطلب رياسة ومنصب، ولا أن يُذكر عند الناس فيُقال شجاعٌ وجريءٌ وبطلٌ وقائدٌ وكومندان ولا شيء من عرض

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٨٥).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣).

(٣) سنن الترمذي (١٦٥٧)، سنن النسائي (٣١٤١)، سنن أبي داود (٢٥٤١) وصححه الألباني.

الدنيا، إنما يريد وجه الله ﷻ هذه نيته، هذا الذي أنهضه وهذا الذي دفعه وهذا الذي أخرجه، «لا يخرجه إلا إيمانٌ بي وجهادٌ في سبيلي» -كما جاء في الحديث- هذا الضابط الأول لمعنى سبيل الله.

الضابط الثاني: أن يكون جهاده على وَفق شريعة الله ﷻ، فهو يعمل الصالحات يعمل الخير فهو عاملٌ بالحق، داعٍ إلى الحق، آمرٌ بالحق، وناهٍ عمَّا ينهى عنه بالحق، ويقتل بالحق، ويقاتل بالحق، يقاتل ويقتل من أمر الله بقتالهم وقتلهم وأباح الله وشرع وأجاز قتالهم وقتلهم، لا يفعل شيئًا في جهاده وفي قتاله إلا أن يكون قد علم أنَّ الله رضيه وشرعه وأباحه له وجوَّزه وسوَّغه له، وهذا لا يُعرف إلا بالعمل النافع، الفقه في الدين، معرفة الفقه الذي هو متحصَّل من الكتاب والسنة، كما شرحه علماؤنا وأئمتنا ﷺ ورضي عنهم أجمعين.

فهذان هما الضابطان لطريق الله -سبيل الله-، الجهاد في سبيل الله يعني في طريق الله، جهادٌ في سبيل الله، السبيل هو الطريق، لكن الشريعة اختارت التعبير هنا بلفظ؛ جرى في لسان الشرع التعبير بلفظ «سبيل الله» لأن كلمة سبيل فيها نوع من الخصوصية أكثر من الطريق، كلمة الطريق لعلَّها كلمة استُعمِلت استعمالًا أوسع فجاءت الشريعة باستخدام هذا اللفظ ليكون له رونق أو نوع من البلاغة.

«جهادٌ في سبيل الله» سبيل الله هو هذا أيها الإخوة، سبيل الله هذا ضابطه وهاتان حافتاه: الإخلاص، والمتابعة للنبي ﷺ، المتابعة للشريعة، العمل على وَفق الشريعة، فلا يكون الجهاد محمودًا ولا يكون المجاهد مجاهدًا حقًّا وإن سمَّاه الناس مجاهدًا؛ النبي ﷺ قصَّ علينا خبر الثلاثة الذين هم أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة -حديث أبي هريرة ﷺ في صحيح مسلم- قال: (**واحد منهم رجلٌ قاتل في سبيل الله فقُتِل** -يعني فيما يرى الناس كما جاء في بعض الألفاظ- **قاتل في سبيل الله فقُتِل فيؤتى به، يأتي به الله ﷻ يوم القيامة، فيسأله فيعرِّفه نعمه فيعرفها فيقول: فما فعلت فيها؟ فيقول: قاتلت في سبيلك حتى قُتِلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ثم يؤمر به فيسحب على وجهه في النار** -أو كما قال ﷺ- **قالوا له: كذبت إنما قاتلت ليُقال جريء**)[1]، شجاع وتُمدح بالشجاعة وتُذكر بالشجاعة، فهذا أحد الثلاثة الذين هم أول من تُسعَّر بهم النار؛ فمعناها أنه ليس مجاهدًا في نفس الأمر في الحقيقة، ليس مجاهدًا وإن سمَّاه الناس مجاهدًا، وإن جرينا نحن في لغتنا وفي استعمالنا على أنه مجاهد تسامحًا وتجوُّزًا، لكن المجاهد الحقيقي من هو؟ هذا الحديث فيه عبرة عظيمة.

هذا الحديث كان أبو هريرة ﷺ إذا حدَّث به يُغمى عليه -يُغشى عليه- حتى يُرشَّ عليه الماء

(١) صحيح مسلم (١٩٠١) بنحوه.

فيقوم ويعود له الغشي أحيانًا يُغشى عليه أكثر من مرَّة، لأن هؤلاء الناس عملوا أعمالًا صالحةً، هذا قائم آناء الليل وأطراف النهار يقرأ القرآن ويعلِّم الناس القرآن، وهذا مُنفق في سبيل الله وأموال تجري ونفقه كبيرة في سبيل الله، وهذا مجاهد يبذل روحه ودمه في سبيل الله -فيما يرى الناس- ومع هذا عذَّبهم الله وعاقبهم بهذه الأفعال التي ظاهرها أفعال في غاية الصلاح.

هذا الحديث دال على أنَّ ليس كل من نراه مجاهد فهو مجاهد، ولا كل ما نراه جهادًا هو جهاد، علينا أن نبحث ونفتِّش وندقِّق لا بد أن نصيب الجهاد الذي هو جهادٌ عند الله الممدوح عند الله، حقيقة الجهاد ما هو؟ النبي ﷺ لما عرَّف لنا الجهاد رجع بنا إلى قاعدة أصلية كبيرة جدًا، قال: (**والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله**) هذا حديث صحيح أيضًا في الترمذي وغيره[(١)].

إذن معناها ممكن الإنسان يكون مجاهد في الصورة في الظاهر ويكون عمله جهادًا في الظاهر وفي الصورة ولكنه ليس مجاهدًا عند الله وعمله ليس جهادًا عند الله سبحانه، ليس معدودًا جهادًا ولا عمل صالح يكون يوم القيامة هباءً منثورًا ويكون وبالًا عليه يوم القيامة، فمن هنا كان لزامًا علينا نحن المسلمين والمجاهدين في سبيل الله أن نفتِّش عن أنفسنا وجهادنا وأن ننظر هل نحن مجاهدون حقًا أم لا؟ هل الذي نمارسه ونعمله جهاد حقيقي هو الجهاد الذي مدحه الله ورضيه وأحبه وأمر به أم شيء ثانٍ نحن نسمِّيه جهادًا؟ هذا كله يُعرف أيها الإخوة بالعلم النافع، بمعرفة أحكام الجهاد والمجاهدين وصفة المجاهد ومعرفة ما هو المجاهد على الحقيقة في كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ.

ولهذا نكتفي -طبعًا الكلام طويل- ولكن نكتفي في هذا الإطار بمدارسة ومذاكرة حديث من أحاديث النبي ﷺ التي تبيِّن معنى الجهاد في سبيل الله وما يُرى جهادًا ولكنه ليس جهادًا في سبيل الله ﷻ لأنه لم يحقق إما الشرطين أو أحدهما، شرط الإخلاص وشرط المتابعة.

والحديث في السنن في سنن النسائي وغيره وفي مسند الإمام أحمد كذلك، أنَّ النبي ﷺ قال: (**الغزو غزوان**) الغزو يعني الجهاد غزو الناس يكون على ضربين ونحوين، قسمان، الغزو غزوان، غزو صفته كذا وغزو صفته كذا حاصلها أنَّ أحدهما ممدوح وهو الغزو الحقيقي والجهاد الحقيقي والثاني لا ليس كذلك.

(**الغزو غزوان**) ثم فصَّل جاء بفاء التفريع والتفصيل فقال: (**فمن غزى ابتغاء وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد في الأرض فإنَّ نومه ونبهه أجرٌ كله، ومن غزى**

---

(١) سنن الترمذي (١٦١٢) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٣٩٦٦) وقال: حديث صحيح.

فخرًا ورياءً وسمعةً وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف) أو في لفظٍ آخر: **(فإنه لم يرجع بالكفاف)**[1].

(الغزو غزوان) معناها أنَّ الغزو قسمان ونوعان: ممدوحٌ، ومذموم، وسيأتيكم التفصيل.

(فمن غزى ابتغاء وجه الله) أولًا: شرط الإخلاص صاحبه حقق فيه شرط الإخلاص غزى ابتغاء وجه الله يريد ما عند الله ﷻ، هذا الذي أنهضه وأخرجه وحرَّكه ودفعه للجهاد أنه يريد نصرة دين الله، التقرب إلى الله، دفعته محبة الله والغيرة على دين الله والخشية من الله والخوف والرهبة من الله أن يلومه وأن يعاقبه ويؤاخذه لو لم يجاهد في سبيله، مريدًا ثواب الله وحسن جزائه وكرامته في الآخرة، مريدًا رضا الله ﷻ، منافسًا في درجات وسُلَّم الكرامات عند الله ﷻ. هذه المعاني كلها متضمَّنة في قولنا **(يريد وجه الله)**.

(فمن غزى ابتغاء) ابتغاء يعني إرادة وجه الله ﷻ؛ «فمن غزى ابتغاء وجه الله وأطاع الإمام» هذه خمسة شروط ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث للغزو الصالح، للمجاهد الصالح، للجهاد الصالح؛ **(فمن غزى ابتغاء وجه الله)** إخلاص، إرادة وجه الله ﷻ وحده لا شريك له.

(وأطاع الإمام)؛ **الشرط الثاني**: طاعة الإمام، وهو الأمير الذي عليك، سواءً كان الإمام الأعظم في حال وجوده أو كان نوابه في حال وجوده أيضًا ونوابه هم المباشرين لك، أو في حال عدم وجوده مثلًا كأحوالنا اليوم.. عدم وجود إمام جامع واحد للمسلمين فيقوم جماعة المسلمين وقياداتهم وأمراؤهم تقوم مقام الإمام في هذا، هذا لا شك فيه، والشريعة والفقهاء متفقون على أنَّ مثل هذه الجماعات وجماعات المسلمين الصغيرة تقوم مقام الإمام في حال فقده وفي حال شغور الزمان عن الإمام الأعظم في مسائل متعددة ذكروها في الفقه، ومن هذه المسائل مسألة الجهاد اليوم الذي لا بد فيه من جماعةٍ وإمارةٍ وسمعٍ وطاعة لأنه لا يتم الجهاد إلا بها؛ فهذا لا شك في دخوله في هذا دخولًا أوليًا، لا شك في دخوله في هذه المسألة التي هي مسألة ما يقوم مقام الإمام في حالة عدم وجود الإمام؛ أعني أمراء الجهاد، **(وأطاع الإمام)** يدخل فيه الأمير: أمير الجهاد، وهو السمع والطاعة الذي لا تكون الجماعة جماعة إلا به؛ لأنه لا جماعة إلا بسمع وطاعة، فما هي الجماعة وما هي حقيقتها؟ الجماعة قوم مجتمعون لهم رأس يطيعونه لهم رأس يعني أمير، قيادة، قائد، مسؤول عليهم يطيعونه ويأتمرون بأمره.. هذه هي الجماعة، وليس مجرد يعني ناس وُجدوا في مكان واحد؛ فهؤلاء ليسوا جماعة، إنما الجماعة هي

---

(١) سنن النسائي (٣١٨٨، ٤١٩٥) سنن أبي داود (٢٥١٥)، وحسنه الألباني، مسند أحمد (٢٢٠٤٢) وضعفه الأرنؤوط.

الجماعة التي اجتمعت على شخص واحد يقودهم ويسوسهم يأتمرون بأمره لأنه:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سـراة إذا جُهَّالهم سادوا

الشرط الثاني إذن: طاعة الإمام، (**وأطاع الإمام**)؛ طاعة الإمام في الجهاد، السمع والطاعة والانضباط في كل شيء والطاعة في كل شيء إلا إذا خالف الأمر الشريعة المخالفة الصريحة للشريعة إذا ارتكب حرامًا أو أمرك بحرام واضح ليس من المسائل الاجتهادية وغيرها لا، الأمر الواضح فحين إذ تقول: (**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصيةِ الخَالِقِ**)[(١)]، (**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**)[(٢)] لا طاعة للإنسان لأمير أو غيره في معصية الله أبدًا، إذن (**وأطاع الإمام**) هذا الشرط الثاني.

(**وأنفق الكريمة**)؛ يعني أنفق الأموال الكريمة عليه؛ الكريمة على نفسه التي تكرم عليه وتنفس عنده؛ تكون كريمة ونفيسة عنده، وإما يكون المقصود بها (**الكريمة**) يعني الأموال عمومًا مطلقًا لأنها كل الأموال في الحقيقة هي كريمة على الإنسان نفيسة عنده، المال مطلقًا، وإما أن يكون المقصود أنفق الأموال الكريمة التي هي الأموال الخاصة التي هي تكرم على الإنسان فيكون فيه ترغيب وحثٌّ على إنفاق كرائم الأموال.

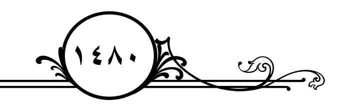
فالإنفاق واجب في الجهاد في سبيل الله في مثل حالتنا هذه إذا كان الجهاد متعينًا فالإنسان واجب عليه أن يجاهد بنفسه وماله الجهاد بالنفس لا يغني عن الجهاد بالمال يا إخواننا، نحن كل واحد منا واجب عليه أن يجاهد بنفسه ويجاهد بماله إذا كان عنده مال، طبعًا لا شك نحن معظمنا نحن يعني قليلي المال وما عندنا شيء كبير، ولكن لو فرض أن إنسانًا غنيًا وجاء إلى الجهاد هنا بنفسه يجب عليه أيضًا أن يجاهد بماله، وحتى في الجهاد الفرض الكفائي؛ الجهاد بالمال قد يتعيَّن إذا احتاج المسلمون في حال ما وفي وقت ما إلى ماله مثلًا، وعزَّ عليهم وصعب عليهم أن يأخذوا من غيره أو تعيَّن فيه واجب النفقة فـ(**وأنفق الكريمة**)، وعلى كل حال حتى في حالة عدم تعيُّنه عليه شخصيا فإنفاق الكريمة فإنفاق الأموال في الجهاد في سبيل الله دالٌّ على سخاء النفس في طاعة الله ﷻ وبذلها في ابتغاء مرضاة الله ﷻ، **(وأنفق الكريمة) هذا الشرط الثالث.**

الشرط الرابع: (**وياسر الشريك**)، ياسره يعني عامله باليسر ولم يعنته ولم يشدد عليه لا تعالى عليه

---

(١) مسند أحمد (١٠٩٥) بلفظ (.. في معصية الله) وصحح إسناده الأرنؤوط، ولفظ المصنف ورد في: مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٧١٧) وصححه الألباني في: تحقيق مشكاة المصابيح (٣٦٩٦).

(٢) صحيح البخاري (٤٣٤٠، ٧٢٥٧)، صحيح مسلم (١٨٤٠).



ولا ترفَّع عليه بل تواضع له وذلَّ له كما قال الله ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة].

ف**(وياسر الشريك)** هو الشرط الرابع؛ وشريك المجاهد هو زميله وأخوه المجاهد معه؛ لأنه زميله وشريكه في هذا الجهاد وصديقه ورفيقه، و**(ياسره)** يعني عامله باليسر؛ خفض جناحه له وذل وتواضع له، وعامله المعاملة اليسرى السهلة اللينة؛ فهذه تحتها معانٍ كثيرة جدًا، وإذا كنا نحن في الصلاة؛ فإن النبي ﷺ يقول: **(لِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ)**[1] ويقول: **(خَيْرُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلَاةِ)** حديث صحيح[2]، فالجهاد مبني على العنف أصلًا؛ الجهاد شدة وقوة وعنف ومن هذا الجنس، ربما يكون الإنسان في حالة حدة وشدة واشتداد وقوة وغضب يعني يحتاج إلى القوة الغضبية في الجهاد، الحقد على الأعداء والغيظ عليهم تنمية الغيظ عليهم، لكن بالمقابل لا بد أن يكمل هذه الفضيلة بفضيلة الذلة للمؤمنين: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩]، التراحم فيما بين المؤمنين، الرحمة للمؤمنين والشفقة عليهم والذلة لهم والتواضع لهم، رحمتهم، الإحسان إليهم، التودد والتعاطف والتراحم والتوادد فيما بين المؤمنين، **(وياسر الشريك)** يعني عامله بالرفق وباللين وبالذلة والتواضع والمودة والتيسير عليه ولا يعنته، وهذا مراتب متعددة طبعًا يتفاوت فيها الناس، كلما كان الإنسان ألين لإخوانه أكثر ذلةً وتواضعًا كان أعلى عند الله ﷻ **(وما تواضع أحد لله إلا رفعه)**[3]، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ إذن هذا الشرط الرابع.

الشرط الخامس: **(واجتنب الفساد في الأرض)** اجتناب الفساد هذا عموم، كل فساد؛ كل ما لا يحبه الله ﷻ، كل ما لا يرضى عنه الله ﷻ، كل ما ينهى عنه الله ولا يأمر به بل ينهى عنه الله ﷻ ويكرهه ويبغضه ويذمه؛ فهذا هو الفساد، **(واجتنب الفساد في الأرض)** كل ما يتفق الناس عقلاؤهم على أنه من الفساد في الأرض يكون فسادًا إذا ما جاءت الشريعة بخلاف هذا؛ فالمنكر والفساد يجتنبه الإنسان، الاجتناب هو المباعدة، يجتنبه: يبتعد عنه، فلا يرتكبه ولا يقربه ولا يكون من أهله ومن أصحابه، ومن الفساد: قتل الناس بغير حق، وأخذ أموال الناس بغير حق، والتعالي والتكبر على الناس، وظلم

---

(١) سنن أبي داود (٦٦٦) وصححه الألباني.

(٢) صحيح ابن حبان (١٧٥٦) وصححه الألباني.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٨٨).

الناس، وإرادة العلو في الأرض والفساد وأعراض الدنيا والغلبة على الناس؛ لأن المجاهد تعتريه آفات وفتن كبيرة، من أخطر الآفات التي تعتري المجاهدين ويبتلون بها وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم إزاءها ويعتصموا بالله ﷻ هي فتنة العلو على الخلق، والظلم للناس، وأخذ أموالهم وأخذ حقوقهم بغير حق، بغير إذنٍ من الله ﷻ، وبغير إذنٍ من الشريعة، لأن الإنسان إذا ملك السلاح وصار له مُلك وتمكن في الأرض؛ فإن هذه النفس الأمارة بالسوء تأمره وتدعوه وتميل به إلى ما تهواه من الغلبة على الناس والترفع عليهم والظهور فوقهم والأمر والنهي والسلطنة؛ فعلى الإنسان المجاهد أن يكون متواضعًا وألا يقع في هذه المحذورات العظيمة، أن ينتبه إلى جهاده وإلى قلبه وإلى نفسه وإلى عمله فينضبط بشريعة الله ﷻ ويتواضع لله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران].

ومن الفساد أيضًا: الفساد في وسط الجماعة المجاهدة بالفتنة والكلام بالتثبيط وبالتخذيل، وببث الفتن بين الناس؛ الإرجاف مثلًا والطعن في المؤمنين وفي جماعاتهم وفي قياداتهم وفي علمائهم أو غيرها بغير حق، هذا كله من الفتن، ومن الفساد في الأرض.

ومساوئ الأخلاق -عمومًا- في التعامل مع إخوانه في الجهاد، هذه كلها من الفساد الذي يبغضه الله ﷻ، فالمجاهد الحقيقي -إذن- من شرطه أنه يجتنب الفساد في الأرض؛ فإذن هذه خمسة شروط.

(فمن غزى ابتغاء وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد في الأرض) قال النبي ﷺ: **(فإن نومه ونبهه أجرٌ كله)** هذا جواب الشرط أو الجزاء، فمن غزى وكذا وكذا بهذه الصفات **(فإن نومه ونبهه أجرٌ كله)**؛ يعني نومه أو صحوه، كله أجر، ومعدود كله ومصبوب في ميزان حسناته، لا يمضي عليه ثانية ولا دقيقة وهو في ساحات الجهاد بهذه الشروط -الجهاد الحقيقي- إلا وهو إيش؟ العدَّاد يحسب، عداد الحسنات والملائكة تكتب يقظته ومنامه؛ **(فإن نومه ونبهه أجرٌ كله)**.

والغزو الثاني أيها الإخوة؛ النوع الثاني والقسم الثاني من الغزو ومن الجهاد الذي يراه الناس غزوًا ويسمَّى غزوًا ونسميه غزوًا ونسمِّيه جهادًا؛ من باب اعتبار الظاهر، من باب اعتبار الصورة، النظر إلى الصورة وإلى الظاهر فقط أو من باب الدعوى، اعتبار الدعوى، اعتبار دعواه، هذه كلها اعتبارات مبنية على التسمُّح، النبي ﷺ سمَّاها غزوة أيضًا في أول صدر هذا الحديث؛ **(ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف)** من غزى بهذه الصفات وهذه الأعمال المصاحبة لغزوه وجهاده وعدَّها خمسًا، بعضها يقارب بعضًا في المعنى، لكن هي خمسٌ أيضًا كأنه تنظير بالأول ومُشاكلةٌ له.

(**ومن غزى فخرًا**) يفاخر الناس ويفتخر عليهم بغزوه، مريدًا الفخر أو قاصدًا بغزوه الفخر والافتخار على الناس، (**ومن غزى فخرًا ورياءً**): فخرًا هذه مفعول له، تسمَّى في النحو مفعول له ومفعول لأجله منصوب على المفعولية لأجله هذا، (**ومن غزى فخرًا**): يعني لأجل الفخر، أي غزى مفاخرًا ومفتخرًا على الناس.

(**ومن غزى فخرًا ورياءً**): الرياء هو إرادة إراءة الناس عمله لكي يمدحوه ويَعْظُم في قلوبهم مثلًا، أن يعمل الإنسان العمل مريدًا أن يراه الناس، قاصدًا إراءة الناس عمله هذا حتى يمدحوه ويَعْظُم عندهم أو يكبر في نفوسهم وهكذا فهو لا يريد وجه الله إنما يريد أن يكبر ويعظم عند الناس، (ومن غزى فخرًا ورياءً) هذا هو الرياء، غزى رياءً يعني إنما دفعه وحمله على الغزو الرياء، مراءاة الناس مريدًا إراءة الناس عمله لكي يمدحوه أو يعظموه.

(**ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً**): السمعة هي إرادة الإنسان أن يسمع به الناس أو أن يُسْمِع الناس، السمعة والرياء هما باب واحد لكن هذا متعلق بالرؤية بالبصر وهذا متعلق بالسمع لإسماع الناس، (**ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً**): يسمِّع الناس، يريد أن يسمع الناس ويسمِّعهم إذا هم لم يروا، يسمِّعهم ويتحدَّث ويتكلَّم، وأنا ونحن وفعلنا وحطّينا..، ولهذا الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكرهون التحديث بمواقفهم في الغزو وبمشاهدهم في الغزو، وإنما حدَّثوا ببعض مشاهدهم في الغزو من أجل الفائدة ومن أجل التربية والتعليم وإعطاء حكم شرعي مثلًا أو غير ذلك وإلا كانوا يكرهون التحدُّث بمشاهدهم في الغزو خوفًا على أعمالهم أن تحبط حفظًا لأعمالهم وصيانةً ومجانبةً لأسباب حبوط العمل -نسأل الله العفو والعافية والسلامة-.

(**ومن غزى فخرًا ورياءً وسمعةً وعصى الإمام**) بعكس الأول الذي أطاع الإمام هذا عصى الإمام، يعصي الإمام؛ إمَّا المعصية الجهريَّة الواضحة فيُفسد في الأرض ويعصي الإمام ولا يطبِّق الأوامر ولا يسمع ولا يطيع ويخرج عن الطاعة والمشاقة والعصيان الكامل، أو العصيان الكثير الصغير المفسد؛ فهذا أيضًا فقد شرطًا كبيرًا من شروط المجاهد الجهاد الصحيح الحقيقي المحبوب لله سبحانه وتعالى، هذا عصى الإمام فهذا يكون من القسم الثاني من الجهاد ومن الغزو الذي لا يرضى عنه الله سبحانه وتعالى.

(**وعصى الإمام وأفسد في الأرض**) بعكس الأول الذي اجتنب الفساد في الأرض، هذا أفسد في الأرض بالعلو والتعالي على الخلق وظلم الخلق بأخذ أموالهم وانتهاك أعراضهم -مثلًا- وقتلهم بغير حق وضرب أبشارهم بغير حق والتكبُّر عليهم والترفُّع.

(وأفسد في الأرض) قال النبي ﷺ هذا الذي غزى هذا الغزو وغزى على هذا النحو وعلى هذا الوجه قال: **(فإنه لن يرجع بالكفاف)** لن يرجع من غزوه وجهاده بالكفاف، والكفاف هو حالة الاستواء لا لك ولا عليك، يُقال رجع كفافًا يعني ما ربح وما خسر، رجل أخذ رأس مال للسوق يتاجر فباع واشترى وكذا وصفق بالأسواق فإذا به يرجع برأس ماله فيُقال: رجع كفافًا، لا له ولا عليه، هذه حالة الكفاف، وأيضًا تُستعمل بمعنى الحالة الكافية أو الحد الأدنى كما قال النبي ﷺ: **(اللَّهُمَّ اجْعَلْ رزق آل محمد كفافا)**(١)، يقول النبي ﷺ هذا الذي غزى على هذا النحو وعلى هذا الوجه بهذا الصفات: **(لن يرجع بالكفاف)** يعني لن يرجع حتى برأس ماله، يعني أنه يرجع خاسرا -والعياذ بالله- فالحديث واضح وجلي جدًا جدًا، أن من الناس من يغزو ويجاهد وهو يخسر -والعياذ بالله- لا يربح شيئًا، بل يخسر لأنه قال: **(لن يرجع بالكفاف)** أو **(لم يرجع بالكفاف)** يعني حتى برأس ماله ما رجع، بل رجع خاسرا.

فوالله هذا شيء عظيم جدًا جدًا شيء عظيم، ينبغي علينا أن يكون دائمًا نصب أعيننا، والله شيء يُطير القلوب ويُفزعها أنَّ الإنسان يجاهد ثمَّ يقول: ليتني لم أجاهد، ونحن أيها الأخوة بين نارين فعلينا أن نستعين بالله ﷻ وننجو بين يدي الله ﷻ ونكون من المفلحين الفائزين الرابحين الناجحين المرضي عنهم عند الله ﷻ، لا بد نسعى في هذا ونجتهد، هذا هو الربح الحقيقي وخلافه هو الخسران المبين، نحن بين نارين: نار القعود عن الجهاد ونار أن نذهب إلى الجهاد ولكن نخسر، فلا بد أن ننجو، لا بد أن نكون رجالًا حقًّا ونستعين بالله ﷻ ونتوكَّل عليه ونعتمد عليه فيوفِّقنا الله وننجح، امتحان صعب في غاية الصعوبة ومحك خطير جدًا جدًا، لأن ربَّما إذا سمع بعض الناس هذا الكلام يقول: إذا كان فيه خطر عظيم أني أنا ممكن أذهب للجهاد ثمَّ أخسر فأنا لا أجاهد، نقول له: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾[التوبة]، بل عليك أن تجاهد يجب عليك الجهاد ولو قعدت ولم تجاهد فإنك مرتكب كبيرةً في مثل هذا الوقت الذي الجهاد فيه فرض عين، القاعد عن الجهاد بغير عذر مرتكب كبيرة، ويل له من الله إن لم تتداركه رحمة الله ﷻ إن لم يتب أو تتداركه رحمة الله ﷻ بأسباب المكفِّرات فإنه متعرِّضٌ لسخط الله وعذابه، متعرِّضٌ لوعيد الله على هذه الكبيرة الفظيعة التي ارتكبها وهي القعود عن الجهاد الواجب المتعيّن عليه، فيجب علينا أن نجاهد وما نخاف

---

(١) جاء في: صحيح البخاري (٦٤٦٠)، صحيح مسلم (١٠٥٥) بلفظ (قوتا) بدل (كفافا)، ولفظ الشيخ ورد في: السنن الكبرى للنسائي (١١٨٠٩)، وفي ثبوت هذه اللفظة نظر كما في: الصحيحة (١٣٠).

منه يجب علينا أن نجاهد أيضًا حتى نكون مجاهدين حقًّا كما يحب الله سبحانه ويرضى، كلُّها جهاد؛ في البداية جهاد وأنت في أرضك وبين أحضان أمِّك فتنهض للجهاد وتخرج للجهاد وتنفر للجهاد تاركًا وراءك الدنيا والأحباب والأهل والخلاَّن والأوطان وتهاجر وتجاهد في سبيل الله.

ثم عليك جهاد آخر وهو جهاد حقيقي؛ لكي تكون مجاهدًا حقًّا، جهاد أن تحقق هذه الخمسة شروط التي هي:

١- ابتغاء وجه الله ﷻ.

٢- وإطاعة الإمام.

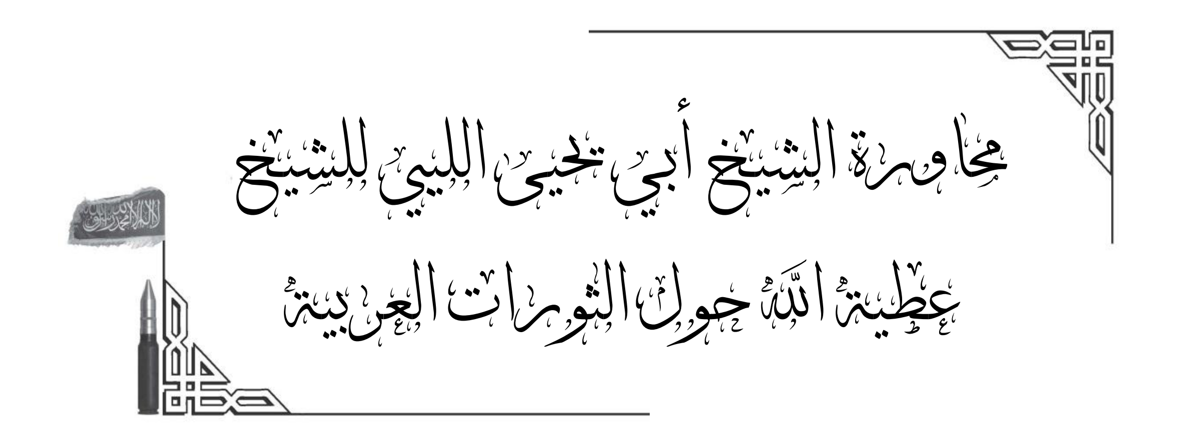
٣- وإنفاق الكريمة.

٤- ومياسرة الشريك.

٥- واجتناب الفساد في الأرض.

لا بد أن تُحقِّقَها مجاهدةً للنفس، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله، تجاهد نفسك وتأطرها وتحملها على أن تستقيم على منهاج الله ﷻ وعلى شريعة الله، حتى تكون في سبيل الله وفي طريق الله ﷻ حقًّا مرضيًّا عنك عند الله ﷻ، فهو جهاد كلُّه، جهاد إلى آخر نَفَس أيها الأخوة، جهاد إلى آخر قطرة من دمائنا.. جهاد.

❋ ❋ ❋



[كلمة مرئية، فيها حوارٌ بين العالمين الشهيدين أبي يحيى الليبي وعطية الله الليبي رحمهما الله حول الثورات العربية، **مدتها** مائة وثمانية وأربعون دقيقة، **نشرها:** مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، **وقام بتفريغها:** نخبة الإعلام الجهادي، **نُشرت في** رمضان ١٤٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ أبو يحيى الليبي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

شيخنا الفاضل، أولًا أريد منكم تعزية للأمة الإسلامية في المصاب الكبير الذي ابتليت به وابتلي به المجاهدون أيضًا في استشهاد الشيخ والقائد أبي عبد الله أسامة بن لادن رحمه الله.

الشيخ عطية الله:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

نعزي أنفسنا وأمتنا الإسلامية عامة والمجاهدين خاصة في هذا المصاب الجلل بفقد شيخنا القدوة السيد النبيل المجاهد الشريف البطل المجدد لشعيرة الجهاد في هذا العصر الشيخ «أسامة بن محمد بن لادن» رحمه الله؛ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله في الشهداء وأن يرفع درجته في عليين، نعزي أهله وعائلته وقومه في جزيرة العرب وسائر المسلمين، ونعزي إخوانه المجاهدين في كل أنحاء الأرض.

وتعزيتنا مقرونة أيضًا بالتهنئة لأنفسنا ولأهله ولإخوانه المجاهدين وللمسلمين عامة، التهنئة لهم بهذا المقتل الشريف مقبلًا غير مدبر، وبهذه الخاتمة الطيبة على طريق الجهاد ثابتًا على طريق الحق والهدى

داعيًا إلى الله ﷻ وإلى دينه ناصرًا لحقوق المستضعفين في الأرض رافعًا لراية «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، مناديًا بتطبيق شريعة الله ﷻ، داعيًا إلى رفع الظلم عن أمته، ناصرًا لحقوقهم ومدافعًا عن مطالبهم المشروعة الحقة؛ فلا شك أن هذا المقتل وهذه النهاية نهايةٌ سعيدة وخاتمةٌ مرضية يحبها ويتمناها كل مسلم.

والحمد لله نحن نحمد الله ﷻ على أن قيادات الأمة تموت وتقتل هذه القتلات العالية القدر، هذه القتلات الأبية، هذه القتلات الشريفة، هذه القتلات وهذه النهايات التي تشهد بصحة طريقهم وتشهد على حقية مطالبهم وحقية ما نادوا به في حياتهم وما رفعوه من شعارات وما دعوا إليه من دعوات؛ فهذه الخاتمة خاتمة سعيدة والجميع يترقبها للشيخ ولكل مجاهدٍ في سبيل الله، ليست بدعًا من النهايات والخواتم، ولكنها برهان على صحة طريق الشيخ وزيادة فضيلةٍ يرفع الله ﷻ بها درجته في الدنيا في قلوب أهل الأرض وفي قلوب أهل الإسلام خاصة، ويثبت بها منهجه وينصر بها طريقه وهو طريق الجهاد، طريق البذل في سبيل الله، طريق الدعوة إلى الله، طريق القتال في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا.

فلا شك أن هذه الخاتمة خاتمة سعيدة في ظاهرها وفيما نحسب وفيما نرجو، نسأل الله ﷻ أن يتقبله في الشهداء وأن يبارك على أثره وأن يبارك في طريقه الذي سلكه والذي عليه إخوانه، وأن يبارك في دعوته وفي آثاره فيما كتب أو فيما قال وفيما دعا وفيما أسس وفيما كان فيه قدوة للناس، نسأل الله ﷻ أن يجعل خاتمة الشيخ بدايةَ دفعٍ جديد وانطلاقة كبرى للأمة الإسلامية للبذل والعطاء في جميع ميادين الجهاد، ولا سيما القتال في سبيل الله الذي هو غاية وأعلى درجات الجهاد في سبيل الله قتال أعداء الله من الأمريكان والكفار الأصليين بجميع أصنافهم معتدين على أمتنا والصائلين على حرماتنا ومقدساتنا، وقتال أذنابهم وأعوانهم وعملائهم ووكلائهم من الطواغيت من بني جلدتنا الذين دمروا هذه الأمة ومقدراتها.

والحمد لله، تزامن مقتله مع ثورة هذه الشعوب، ولعل فيها خيرًا كثيرًا، نحن كنا نتمنى أن يكون الشيخ بيننا وأن نزيد من فرحتنا بتحرر شعوبنا من هؤلاء الطواغيت الذين أزالهم الله عنهم قريبًا، ولكن هذه أقدار الله ونعلم أن قدر الله فيه الخير؛ أن قدر الله إذا تحقق نعلم أنه هو الخير.

الحمد لله أن الشيخ صدرت عنه بعض الكلمات ونشرت كلمته الصوتية قريبًا، وتحدَّث وكتب إلينا في موضوع الثورات وفي الفرح بما نالته شعوبنا من الحرية، وتحدثنا في شجون هذه التغيرات الكبيرة

وما ينبغي علينا كمسلمين وكدعاة وكمجاهدين من نصرة أمتنا وترشيدها وتوجيهها ونصرة الحق والمساهمة مع أمتنا، وهذا مجال ممكن أتحدث فيه فيما بعد، والحمد لله.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

الأمة أظهرت من التلاحم ومن المحبة والولاء للشيخ ﷺ ما بهر العدو وتعجب له الصديق.. أيضًا المظاهرات الكبيرة التي خرجت في مصر، في إندونيسيا، في تركيا، في تونس، في غيرها، فكما نعلم هناك قيادات كثيرة جدًّا في الأمة الإسلامية من أهل العلم ومن الدعاة ومن غيرهم يموتون ويذهبون ولكن لا نرى مثلًا هذا التأثر الكبير من قبل الأمة، وبعضهم يموت ولا تسمع به الأمة أصلًا.

فالسؤال: كيف يمكن للمجاهدين أن يستفيدوا من هذا الحدث الذي أظهر ولاء الأمة للشيخ الذي هو يعتبر رمزًا للأمة وللمجاهدين أيضًا؛ كيف يمكن للمجاهدين أن يستفيدوا من هذا الحدث لزيادة الترابط بينهم وبين الأمة الإسلامية وتوطيد العلاقة معها؟

الشيخ عطية الله:

محبة الأمة الإسلامية وجمهورها ولا سيما أهل الخير فيها والصلاح وشبابها المتيقظ؛ محبتهم للشيخ أسامة في الحقيقة هي محبة لما كان عليه الشيخ أسامة من المبادئ ومِمَّا يرفعه من دعوة ومن شعارات، أو يعني ما يدعو إليه من هدى ومن خير ومن صلاح ومن حق ومطالبات شرعية ورفض -أيضًا في المقابل- رفض للغطرسة الأمريكية، للظلم والهيمنة الأمريكية، للغرور الأمريكي، لهذا الاستعمار المباشر والغير مباشر الذي تمارسه أمريكا والغرب على أمتنا الإسلامية، وهذا الصيال وهذا الاعتداء والعدوان والظلم الفظيع الذي يمارس علينا نحن أمة الإسلام في نواحٍ متعددة بشكل مباشر وفي سائر مناحي أمتنا ومقدراتها بشكل غير مباشر؛ فمحبة الجماهير المسلمة في المناطق التي ذكرتموها للشيخ أسامة وتأييدهم له وصلاة الغائب التي حصلت في مواضع متعددة وبكاء الناس عليه وإشادتهم به هي محبة إذًا لمنهج الجهاد ومنهج الدعوة إلى الله ﷺ الذي كان يتبناه الشيخ أسامة، وهي أيضًا كره لأمريكا وبغض لأمريكا والغرب ولإسرائيل ولكل من يقف مع أمريكا من أعداء ديننا وأمتنا.

المجاهدون كيف يوظفون هذا وكيف يستثمرونه؟ طبعًا لا شك أن فيه قدرًا كبيرًا من التعاطف مع الشيخ أسامة والتقدير والمحبة والإعجاب؛ حاولت وسائل الإعلام أن تعتم عليه وأن تكتمه، وإذا أظهرته تظهره بشكلٍ خجول وبشكل باهت لا يعبر عن الحقيقة، ولكن نحن رأينا والحمد لله الآن الإعلام البديل وما يتيحه التواصل عبر الشبكة العالمية وعبر الوسائل الحديثة ما يتيحه من فرص الحصول على المعلومة وعلى الخبر، الحمد لله فوت على وسائل الإعلام ذات الأجندات المتعددة فوت

عليها الكثير من قدراتها السلبية؛ فنحن الحمد لله نعلم أن التعاطف كبير وأن هذا التعاطف تعبير عن تعاطف الأمة مع المجاهدين عمومًا، الشيخ أسامة هو الرمز، الشيخ أسامة هو القدوة، الشيخ أسامة هو القيادة، هو الرأس.

تعبير الناس عن تضامنهم مع الشيخ أسامة هو ذو شقين: في شخصية الشيخ أسامة نفسها، وما يعبر عنه الشيخ أسامة وما يرمز إليه وما يمثله من المنهج الجهادي، والفكر الجهادي، والقيام بعبادة الجهاد وشعيرة الجهاد، وطبعًا هما متلازمان وغير منفكين، فالحمد لله هو تعاطف كبير، هذا يعبر عن دعم الأمة للمجاهدين، نحن كمجاهدين إخوان الشيخ أسامة وجنود الشيخ أسامه وأحبابه نتضامن مع الأمة ونتكاتف معها ونشعر أننا كل يوم نكون -إن شاء الله- أقرب إلى الأمة، إلى جماهيرنا المسلمة في آمالها في تطلعاتها في همومها في تفكيرها، فنحن والحمد لله خاصةً بعد هذه التغيرات التي حصلت في العالم العربي وما زالت تحصل الآن؛ يعني الآن الثورة مستمرة في ليبيا وفي اليمن وفي سوريا وغيرها، فالتغييرات الكبيرة التي حصلت هي أيضًا بتقدير من الله ﷻ وبتدبير الله ﷻ جاءت كفرص لنا لمزيد الالتحام مع أمتنا الإسلامية ومزيد من تحقيق الوحدة وتحقيق الاندماج بالفعل مع الكثير.. جمهرة رجالنا ونسائنا في الأمة الإسلامية.

كيف نوظف هذا التعاطف؟

نوظفه بأن نزيد من دعوتنا، نزيد من ممارساتنا الدعوية وجهودنا والبذل الدعوي بالذات، مزيد من التواصل مع الأمة الإسلامية، وهذا دعا إليه الشيخ في رسائله الأخيرة على ضوء الأحداث الكبيرة التي حصلت في أمتنا الإسلامية، الأحداث والتغييرات هذه والثورات العربية.. مزيد من الالتحام مع الأمة، مزيد من التواصل مع الأمة، مزيد من القيام بأدوارنا نحن كمجاهدين كدعاة إلى الله ﷻ في توجيه شبابنا وتوجيه فتياتنا، في تذكير أمتنا الإسلامية وجمهورها بالحق الشرعي بأمجادها بما يستحقونه من العيش الكريم في ظل شريعة الله ﷻ؛ لأن الأمة تتطلع إلى الحرية، الأمة تتطلع إلى الكرامة، لكن قد يغيب عن بعض شبابنا عن بعض فئات من جمهورنا الإسلامي؛ قد يغيب عنه التصورات الإسلامية الصحيحة التي تكفل وتضمن للأمة العيش في كرامة وفي سعادة دنيوية وأخروية، نحن الدعاة والمجاهدين علينا أن نبين هذا للأمة وأن نبرزه وأن نشرحه ونجعله مفهومًا مقبولًا بحسب لغة الناس وبحسب ما يناسب أفهامهم مستغلين الوسائل الحديثة، مستغلين ما أتاحته هذه التغييرات بفضل الله ﷻ من مجال الحرية والدعوة إلى الله ﷻ، إن شاء الله المجال واسع وكبير وطيب، وليس هناك أي

تناقض كما يحاول بعض المغرضين وبعض الناس الين يتربصون للنيل من الفكر الجهادي أو من الدعوة الجهادية والحركة الجهادية.

ليس هناك أي تناقض بين دعوتنا الجهادية وممارستنا الجهادية وما نقوم به من الجهاد وما كان يقوم به الشيخ أسامة وما يستمر عليه الآن المجاهدون من الجهاد في سبيل الله وضرب أمريكا التي هي رأس الكفر العالمي؛ وبين الوقوف مع أمتنا والفرح بفرحها، ويعني مساهمة معها في الوصول إلى أحسن وأفضل أحوال الحرية والسعادة الدنيوية والأخروية بإذن الله ﷻ.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

طيب ننتقل إلى محور آخر أو موضوع آخر وهو مرتبط بشكل أو بآخر مع ما كنا نتحدث عنه وأنتم أشرتم إليه بآخر الجواب عندكم وهو الثورات القائمة الآن في عالمنا العربي.

أولًا: نريد جوابًا إجماليًّا عن نظرتكم لهذه الثورات.

الشيخ عطية الله:

الحمد لله رب العالمين، نحن كمجاهدين سواءً في تنظيم القاعدة أو حسب ما أعلم من كافة المجاهدين بفضل الله ﷻ الذي رأيناه من ردود أفعال المجاهدين جميعًا هو يتلخص في تأييد ثورات شعوبنا العربية على هؤلاء الطواغيت، على هذه الأنظمة الدكتاتورية الشمولية الظالمة الفاسدة القمعية القهرية، لا شك أن التأييد لثورات شعوبنا هو موقفنا المبدئي وموقفنا الثابت الذي لا شك فيه، نحن نؤيد هذه الثورات وندعمها وفرحنا بها كتحرر من الطواغيت كنيل للحرية من قبل شعوبنا كتخلص من هؤلاء الطواغيت من حيث يعني زوال أنظمة القهر والعسف والظلم والإرهاب اللي هي الأنظمة الطاغوتية نظام «شين العابثين بن علي» ونظام «اللامبارك حسني» ونظام «القذافي»، وهكذا نظام «الأسد» إن شاء الله قريبًا يتهاوى، ونظام «علي عبد الله صالح» في اليمن وغيرهم من الطواغيت مرشحين جميعًا إن شاء الله للانهيار والزوال وأن تثور عليهم شعوبنا، نحن موقفنا المبدئي هو الفرح بهذه الثورات، الفرح لشعوبنا أنها نالت الحرية والتخلص من هؤلاء الطواغيت وأتيحت لها فرصة لممارسة حريتها في الدعوة إلى الله ﷻ، ممارسة حريتها في الاختيار.

أما الشق الآخر من هذه الثورات؛ هل حققت الهدف الذي نصبو إليه والذي نأمله ونرجوه ونعمل له؟ لا طبعًا، هذه الثورات فيها تحقيق مطالب جزئية التي هي مطلب الحرية والتخلص من هذه الأنظمة القمعية القهرية الطاغوتية إلى حد ما، طبعًا في انتظار أن يأتي ربما طاغوت آخر أو نظام آخر شمولي أو طاغوتي أو حتى نظام ديموقراطي ولكنه طاغوتي لأنه نظام غير إسلامي غير مبني على

الالتزام بدين الله ﷻ، بتوحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وبتطبيق شريعة الله ﷻ، طبعًا ما لم يكن كذلك فهو نظام طاغوتي ولو كان ديموقراطيًّا، ولهذا نحن الثورات هذه ننظر إليها على أساس أنها مرحلة جيدة وأنها خطوة جيدة إلى الأمام، أن فيها رحمة، وفيها لطف من الله ﷻ بشعوبنا أيدناها من هذا الجانب، أيدناها لما تتضمنه من الحرية؛ حرية الكلمة وحرية التعبير التي أتاحته هذه التغييرات، ينطلق الشباب وينطلق الدعاة وينطلق العاملون للإسلام في الدعوة إلى الله ﷻ، وتتاح لشعوبنا فرصة للاستماع للأقوال وللآراء وللخيارات وللأفكار، وتتاح للمسلمين ولدعاتهم الفرصة لتوضيح المنهج الإسلامي، والفكر الإسلامي، والشريعة الإسلامية ومبادئها ومحاسنها؛ فنحن أيدنا الثورات بهذا الاعتبار.

لكن الثورات لها حد معين لا شك أنها لا توفي بالمطالب التي يسعى إليها المجاهدون، حتى لو جاءت هذه الثورات بأنظمة ديموقراطية فليس مسعانا هو النظام الديموقراطي؛ فالنظام الديموقراطي هو نظام غير إسلامي بل هو نظام مصادم للإسلام ومخالف له مخالفة أساسية جوهرية، هو نظام طاغوتي في النهاية، فهي أنظمة طاغوتية حتى الأنظمة الديموقراطية بالمفهوم الإسلامي الذي نعتقده ونؤمن به، لكن نحن نؤيدها ككرامة للناس وانعتاق من سيطرة الطاغوت -الطواغيت الجبريين أو الطواغيت الدكتاتوريين- من طاغوت الأنظمة الشمولية الدكتاتورية القمعية القهرية المتسلطة على رقاب شعوبنا طيلة العقود الماضية لا شك أن هذا خير للناس وهذا رحمة من الله ﷻ للناس، نحن نؤيدها ونطلب الآن من شعوبنا أن تواصل المسير في اتجاه الخير الكامل، الخير المطلق الذي لا يشوبه فسادٌ ولا يشوبه كدر الظلم والظلمات وهو الإسلام وشريعة الإسلام.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

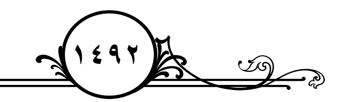
هذه الثورات أو الانتفاضات التي قامت في الدول العربية كما هو معروف ومتداول في وسائل الإعلام توصف بأنها ثورات سلمية يعني يقابلها أن تكون الثورات ثورات مسلحة أو عنفية؛ **فهل هذا الوصف صحيح وشامل ودقيق بحيث ينسحب على كل الانتفاضات التي حصلت في العالم العربي؟**

الشيخ عطية الله:

أصحاب الفكر السلمي ومن يسمون أنفسهم بالسلميين والذين ينبذون العنف سواءً في الوسط الإسلامي أو غير الإسلامي -وطبعًا هذه دعوات غالبة على الثقافة المعاصرة-، وهي نبذ العنف والعمل السلمي، هم وصفوا هذه الثورات بأنها ثورات سلمية وحاولوا أن يثبتوا هذا الفهم لطبيعة

الثورات وهذا التصور وهذه الصورة عن ثورات الشعوب العربية الحالية وحاولوا أن يزيلوا كل شبهة وأن يردوا عن كل منغص ينغص عليهم هذه الفكرة، ولكن أنا رأيي الشخصي أن هذه الثورات فيها شق لا شك أنه سلمي، مثلًا في اليمن الآن؛ نحن نلاحظ مثلًا أن الطاغية «علي عبد الله صالح» يحاول استفزاز الجماهير في الساحات المعتصمين في الساحات والمتظاهرين في الشوارع، ويحاول أن يطلق عليهم النار ويحاول أن يقتل منهم كل يوم حتى يستفزهم ويأتي بهم إلى المواجهة المسلحة -مثلًا-؛ هذا الفهم يتفق عليه جمهرة المحللين والمراقبين ونظنه صحيحًا، وفي نفس الوقت نحن طبعًا نرى أن الشباب أو جمهور الناس المتظاهرين والمعتصمين متمسكون بعدم استعمال السلاح، متمسكون بالتظاهر السلمي؛ فنحن نسلم أنه توجد جوانب لا شك أنها سلمية وأن الناس تريد أن تحقق تغييرًا بشكل سلمي لأن فكرة السلمية ونبذ العنف مؤثرة في الناس، وهي فكرة معاصرة نشرها الفكر المعاصر بجميع قنواته وسيطرت أو كبرت جدًّا جدًّا جدًّا في واقعنا المعاصر، وعلينا أن نتعامل معها بالطريقة الموضوعية وبالطريقة المنضبطة بديننا الإسلامي وبمفاهيمنا الإسلامية.

نحن عندنا فيها تفصيل مجاله وقت آخر لكن من الأسباب قلنا: الفكرة الميل إلى السلمية في فكر الناس عمومًا في أذواقهم في مجتمعنا المعاصر، وأيضًا خوف الناس من السلاح وبُعدهم عن السلاح واستعمال السلاح وظنهم أن استعمال السلاح يؤدي إلى مشكلة -مثلًا الحرب الأهلية أو غيرها- فهذه من الدوافع، كذلك عدم وجود السلاح نفسه في كثير من البلدان -مثلًا تونس ومصر ما في سلاح عند الناس-، لكن إذا نظرنا إلى جوانب أخرى أو زوايا أخرى لا شك أننا نجد أن هذه الثورات حصل فيها مقدار لا بأس به من العنف؛ فلا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه الثورات وهؤلاء الشباب وهؤلاء الرجال وهؤلاء المتظاهرون الشعب الذي خرج هائجًا في الشوارع وفي الميادين وفي الساحات أنه مارس ممارسات عنيفة ومقدارًا لا بأس به من استعمال القوة واستعمال السلاح أحيانًا، حرقوا مراكز الشرطة في مصر مثلًا، كذلك قبلها في تونس حرقوا الولايات والمديريات وحرقوا مقرات الحكومة وحرقوا مقرات الشرطة والدرك وغيرها، حصل في تونس ثم انتقل إلى مصر كذلك حرقوا مؤسسات الحزب الوطني، ومقر الحزب الوطني الرئيسي في القاهرة قريب من ساحات الاعتصام الكبرى «التحرير» وغيرها، وحرقوا مقرات الأمن المركزي أو أمن الدولة، وحرقوا مقرات الشرطة بشكل يعني في جمعة الغضب وما بعدها من أيام حرقوا مقرات الشرطة بشكل متزامن وبشكل عمومي في البلد كلها يعني هناك عنف، أيضًا قتلوا بعض الناس ورفسوا بعض من الشرطة وغيرها وحصلت مواجهات والرمي بالحجارة وتحريق السيارات وغيرها يعني كانت فيه ممارسات عنفية فما يستطيع



دعاة اللاعنف ودعاة السلم أنهم يقولوا أنه ما في عندنا عنف؛ هذا إنكار للحقائق هنا نحن نضعهم أمام حقائق، فينبغي أن يكونوا منصفين وأن يكون حوارنا حوار إنصاف مبني على قواعد العدل والإنصاف، العنف مارسته الشعوب لكن هذا مقدارها وهذه استطاعتها من العنف، ربما لو كانت الشعوب مسلحة مؤطرة منظمة لكانت تخرج بالسلاح.

ثم عندنا ثورة ليبيا، وثورة ليبيا في الحقيقة يحاولون أن يقولوا في الإعلام؛ جميع أو معظم أو أكثر المتحدثين يحاولون أن يقولوا أنها بدأت سلمية والشعب خرج سلميًّا ويهتف بهتافات سلمية ثم اضطرهم النظام الطاغوتي نظام القذافي وكتائب القذافي إلى أن يحملوا السلاح لأنه خرج عليهم بال(م ط) وبالأسلحة المضادة للطيران أصلًا والأسلحة الرشاشة الكبيرة وبدأ يرش في الناس، ولكن أنا رأيي الشخصي أنها ربما من اليوم الأول كانت عنفية ومسلحة، الناس ممكن نقول إلى حد ما حاولوا أن يتظاهروا في الأيام الأولى سلميًّا ولكن يوجد ميل من الناس إلى الهجوم على كتائب القذافي وعلى الشرطة وعلى الأمن وغيرهم، وبالفعل هجموا وشهادات الناس موجودة، ونحن رأينا بعضها واتصالاتنا تتيح لنا قدرًا من المعلومات، والذي يعطينا هذه الصورة أن من الأيام الأولى كان يوجد توجه من الناس وخاصةً من الشباب إلى استعمال القوة ضد قوة القذافي المنتظرة، والمنتظر أنه يستعملها في أقسى صورها، القذافي رجل دموي، رجل قليل مثيله في الدموية وفي العنف -والعياذ بالله- وفي قلة الرحمة والشفقة على الشعب؛ فالناس كانت فاهمة القذافي وعارفة القذافي وأنه لا يوجد حل، وأن الحلول السلمية لا تنفع معه؛ فمن البداية كان فيه ميل عند الناس، وبالفعل من الأيام الأولى، خلينا نقول لو بعض الأيام الأولى يومين ثلاثة أربعة ربما كانت إلى حدٍّ ما يغلب عليها السلمية، بعدها تحولت مباشرةً إلى ثورة مسلحة والناس هجمت على المعسكرات وأخذت الأسلحة وبدأت تجاهد، إذًا على كل حال سواءً بدأت سلمية أو عنفية مسلحة وصلوا إلى نقطة معينة واقتنعوا أنه لا حل إلا باستعمال السلاح؛ لأن العدو اللي قدامك -الطرف المقابل- لأن الطاغوت لا ينفع معه إلا لغة السلاح، معناها جاؤوا هم إلى فكر «القاعدة»، جاؤوا إلى النقطة اللي هي لا بد فيها من استعمال السلاح.

فإذًا كون الثورات سلمية أو عنفية أظن أن فيها هذا وفيها هذا، وإن كان ربما في بعض الأماكن غلب عليها اختيار الناحية السلمية والاعتماد على الحشد الجماهيري، الاعتماد على كثرة الجماهير المشاركة في الثورات في الاعتصامات، يوجد -أيضًا- العصيان المدني والإضرابات اللي كانت

مصاحبة للمظاهرات والاعتصامات؛ فيعني هذا فيه شيء من التفصيل، ولكن مثل ما قلنا نموذج ليبيا.. وربما يحصل هذا كذلك في اليمن؛ ربما يصل الشعب أحيانًا أو الجماهير تصل إلى نقطة ترى أنه ما فيه حل إلا السلاح، إذًا كونها سلمية أو عنفية أو المفاضلة بين السلم وبين العنف وكذا ينبغي أن تكون موضوعية وينبغي أن تكون على أسس صحيحة، نحن كمسلمين وكمجاهدين عندنا منطلقاتنا الإسلامية التي نتمسك بها ومبادئنا وعندنا -الحمد لله- إجابات مفصلة على الصور المختلفة، ولهذا أيَّدنا المظاهرات، ودعونا من زمان ودعى قادتنا إلى أن تتظاهر الشعوب وأن تخرج ولو سلميًّا، وأن تقاوم الطواغيت والأنظمة الدكتاتورية القهرية القمعية بشتى الوسائل الممكنة التي يستطيعونها، هذا دعونا إليه ودعا إليه الشيخ أسامة، والدكتور أيمن، في أدبياتنا هذا موجود.

ولكن متى ينبغي استعمال السلاح ومتى يكون السلاح لا بد منه؟ هذا نحن عندنا فيه تفصيل كما ذكرنا، وفي العموم نعتقد أن الشعوب لا بد أن تتسلح، وأن لا يمكن إحقاق الحق في النهاية إلا بالقوة المسلحة بالجهاد في سبيل الله الذي نعبر عنه نحن أهل الإسلام وأهل الجهاد وأهل الشريعة بالجهاد في سبيل الله والقتال في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

ما هو دور الدول الغربية في هذه الثورات في تأييد أو توجيه هذه الثورات؟

الشيخ عطية الله:

دول الغرب ما لها دور في هذه الثورات، كان لها دور في قمع هذه الثورات ومنع هذه الثورات، دورها البارز والذي يسلِّم به الجميع بدون نكارة هو دعم هؤلاء الطواغيت، تثبيت هؤلاء الطواغيت الحاكمين على شعوب أمتنا.

مداخلة من الشيخ أبي يحيى الليبي:

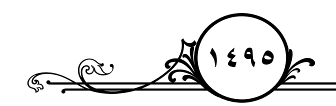
ولكن هذا ألا يتناقض مثلًا مع ما يقومون به الآن من دعم قوي جدًّا عسكري واقتصادي للثوار الليبيين ضد القذافي؟

الشيخ عطية الله:

لا، هذا ما يتناقض؛ لأنه في لحظة معينة كان لا بد أن يدركوا بطبيعة الأشياء وبطبيعة الأحوال أن الخيار الصحيح هو الوقوف مع الشعوب، فيعني بالنسبة لليبيا؛ حالة ليبيا على وجه الخصوص وتدخل الناتو طبعًا كان بطلب من ممثلي الشعب الليبي إلى حدٍّ ما وكانت الظروف تضطر الناس وتعذرهم في

طلب المساعدة من أي طرف كان، يعني يساعدهم حتى يضرب قوات القذافي اللي كانت خلاص لو تركوه كان ممكن يكون هاجم على المناطق الشرقية وعلى بنغازي ويحدث فيها من المجازر ومن إسالة الدماء شيء مهول لو أردنا أن نتخيله -نسأل الله العفو والعافية- وكان الناس إذًا مضطرين إلى حدٍّ ما إلى طلب النجدة من قوات أجنبية كان الأفضل أن تكون إسلامية وعربية طبعًا ولكن وين العرب ووين المسلمين؛ فالقوة الجاهزة الفعالة وسريعة الحركة واللي بيدها زمام الأمور الآن هي القوة الغربية أمريكا والناتو وأوروبا، فالتدخل جاء بطلب من ممثلي الشعب الليبي ومن الشعب الليبي إلى حدٍّ ما خلينا نقول، والظرف كان ظرف قناعة خلاص قناعة غربية بأنه لا بد أن يوقفوا مع الشعوب، حرج غربي في ترك طاغوت زي القذافي أن يسيل أنهار الدماء من شعب أعزل كان فيه طبعًا محاولة أو حركة نفسية ممكن نسميها من قيادات الدول الغربية لتدارك الخطأ الذي وقع في البداية، الذي وقع خاصةً في تونس عندما أرادت وزارة الخارجية الفرنسية في رأسها كانت طبعًا المرأة وزيرة الخارجية اللي كانت ثم أقيلت، التي كانت بصدد إرسال قوات خاصة ومعدات وتجهيزات لابن علي لقمع الثورة التونسية وقمع الشعب التونسي الثائر على الطاغية، فكان فيه خطأ، كان تأخرهم أيضًا.. كان الخطأ التاريخي المتراكم الذي هو عبر عقود وهم يدعمون هؤلاء الطواغيت ويثبتونهم ويرضون بأنظمتهم الشمولية القمعية القهرية الدكتاتورية رغم تشدقهم هم في بلدانهم ورغم ملئهم الدنيا ضجيجًا بالكلام عن الديموقراطية والحريات وحقوق الإنسان وغيرها؛ فكان فيه إذًا محاولة لتصحيح هذه التراكمات الخاطئة، محاولة للقول للشعوب الإسلامية: نحن معكم ونحن ندعم؛ لأنه ما لهم خيار إلا هذا، ليس لهم خيار الآن إلا هذا من الناحية الميكانيكية، من الناحية التدبيرية المحضة.

أما هم هل مرادهم خير بالشعوب؟ نحن ظنُّنا فيهم سيء هؤلاء الكفرة لا يريدون إلا مصالحهم، ولكن طبعًا في عالمنا المعاصر في الثقافة المعاصرة في هذا الواقع المعاصر الذي حصل فيه تداخل شديد بين الثقافات، تواصل شديد بين الناس وبين الأمم وبين الشعوب وبين مكوِّنات المجتمعات المختلفة، حصل فيه نوع من الضغط الذاتي الذي هو عضوي ناشئ من التلاوم الاجتماعي ومن الضمير الجمعي الإنساني يخلي هؤلاء ما يستطيعون إلا هذا، لا بد أن يقفوا مع الشعوب ولا بد أن يحاولوا أن يبرروا بعض تصرفاتهم السابقة بأنهم كانوا مثلًا كذا وأنهم كانوا كذا، وأنهم الآن أدركوا أن التغيير لا بد منه، وأنهم خيارهم أن يقفوا مع الشعوب، وأنهم مخزيون ومحرجون من أن يقفوا موقف المتفرج وألا يحموا المدنيين مثلًا في ليبيا، لأنه حتى عنوان «التدخل الدولي الغربي» كان عنوانه هو حماية المدنيين، هذا كله



دافعه وكله ناتج تحت ضغط التلاوم الإنساني والضمير الإنساني الجمعي والثقافة المعاصرة الضاغطة والضمير والشعور والإحساس الجمعي المعاصر الضاغط في اتجاه نصرة المستضعفين والوقوف مع المدنيين، حماية المدنيين، حماية حقوق الإنسان، كيف تقف موقف المتفرج وأنت الدولة الكبرى وأنت القوة الكبرى المرجو منك أن تنصر المستضعفين؟ فهم محرجون، يعني دافعهم ليس تقوى الله ﷻ لأنهم كفار ولا ينظرون إلى الآخرة ولا إلى الله ﷻ، ولكن دوافع إنسانية ربما تكون لا بأس أن نقول هناك دوافع إنسانية أو ضمير إنساني يعني حتى عند الكفار، الكفار قد يكون فيهم رحمة.

مداخلة من الشيخ أبي يحيى الليبي:

لكن هذا يتصور عند أمريكا وعند فرنسا وعند بريطانيا؟

الشيخ عطية الله:

قد يتصور لأن أمريكا ليست مجرد شخص أو قيادة «أوباما» أو قيادة «الكونغرس» فقط، أمريكا هي دولة كبيرة فيها مؤسسات، فيها مؤسسات المجتمع المدني مثلًا، ما يعبر عنه بالرأي العام في أمريكا داخل أمريكا وضغطه على الإدارة الأمريكية وعلى «الكونغرس» في اتجاه أن يتخذوا قرارًا أن يساعدوا، وأن يدعوا القذافي إلى الرحيل، وأن يدعوا مبارك قبله إلى الرحيل، وأن يقفوا مع خيار الشعب، هذا موجود، وطبعًا هذا لا شك أنه يكون فيه نوع من الرحمة عند النصارى، ضمير عند النصارى موجود، نحن لماذا ننكر الحقائق؟ يعني قد يكون شيء من هذا موجودًا لكن هل هو الدافع الكبير وهو الدافع الرئيسي؟ مصالحهم دائمًا هي الأساس، الآن مصلحتهم في ليبيا مثلًا أن القذافي يزول وأن تأتي حكومة أخرى تكون تحت السيطرة، وأن يعمدوها هم ويوجهوها، وأن تكون على ودية معهم وعلى تحابب وتواصل وسلام ووئام وتقبل منهم وتحت مظلة «المجتمع الدولي» الذين هم قيادته وهم رؤساؤه وماشية معاهم تمام التمام، هذا هدفهم الآن ومصلحتهم في ليبيا هي هذا الاستقرار في ليبيا تحت ظل حكومة ديموقراطية طبعًا، لأن الدعوى الآن كلها ديموقراطية وهي التي يريدونها ولا بد أن يحاولوا يظهروا بمظهر أنهم ينصرون الخيار الديموقراطي وخيار حرية الشعوب وكذا، ولكن أن تكون هذه الحكومة خاضعة لهم وتابعة لهم وذيلًا لهم هذا الآن هو خيارهم وهذه مصلحتهم، طبعًا مصالح النفط والمصالح الاقتصادية، المصالح على المدى البعيد الذي هو مصلحة مثلًا أن يكون هناك نظام يضمن الاستقرار في المنطقة ويمنع مثلًا تمدد ما يسمونه الإرهاب وهو الجهاد في سبيل الله، هذه المصالح التي هم يسعون إليها الآن، كان لا بد أن يتدخلوا من أجل هذه المصالح وينصروا النظام الذي بدأ يتأسس أو ينشأ من جديد أو يحاولوا هم أن يدعموه حتى يسبقوا حتى يتفادوا الخطر الإسلامي والخطر

الجهادي، ونسأل الله ﷻ أن لا يوفقهم، نسأل الله ﷻ أن يوقعهم في شر أعمالهم وأن يخزيهم لأنهم أشرار ينصرون الشر ولا شك أنهم لا يهمهم دين الله ولا عبادة الله ولا يهمهم شيء إلا أهواؤهم وإلا مصالحهم الدنيوية وإلا أن يكونوا هم الذين بيدهم الأمر وبيدهم المكنة وبيدهم السلطان، وشعوبنا في النهاية إذا اهتموا بها فإنما يهتموا بها تحت مظلة مصالحهم التي تكلمنا عليها.

فأنا أظن -والله أعلم- أنه بالنسبة للغرب لم يكن له دور في هذه الثورات؛ بل دوره كان هو محاولة منع هذه الثورات ثم محاولة التقليل من شأنها، لكن لما وجدوا أنها لا بد منها والتغيير والعاصفة ستقتلع الجميع كان خيارهم الطبيعي والمتوقع والذي ما فيه أي غرابة ولا مفاجأة هو أن يقولوا: نحن مع الشعوب ومع التغيير، ثم تكون ردود أفعالهم تأتي تباعًا، وما زلنا نرصد ردود أفعالهم طبعًا، وأن يسارعوا لاحتضان التكوينات السياسية الجديدة وتوجيهها وجعلها تمام التمام معهم منسجمة معهم، وطبعًا في الخلفية دائمًا الخوف على «إسرائيل» حليفتهم في المنطقة وربيبتهم، وفي الخلفية طبعًا دائمًا الذي هو الخوف من المد الجهادي والمد الإسلامي عمومًا يعني حتى «الإخوان المسلمين» الخوف من الإخوان المسلمين ومن وصول الإسلاميين عمومًا يعني إلى السلطة في مصر أو غيرها؛ فهذه ردود أفعالهم السريعة ولا شك أن دهاقنتهم يفكرون لبرنامج طويل المدى كرد على هذه التغيرات الكبيرة في عالمنا العربي والإسلامي.

الغرب ضد هذه الشعوب وليس مؤيدًا للشعوب وضد هذه الثورات وإنما يؤيد مصلحته.. هذا هو المختصر المفيد.

الشيخ أبو يحيى الليبي:

الآن هناك موقف مزدوج من الغرب مع قضيتين متشابهتين أو شبه متطابقتين: ما حدث في ليبيا والدعم العسكري والسريع من قبل الدول الغربية ودعم الثوار وضرب القذافي، وما يحصل الآن في اليمن، اليمن نظام «علي عبد الله صالح» قتل وقصف وأباد عددًا كبيرًا من الناس ومن عوام الناس ولكن لا يزال موقف الغرب موقفًا باهتًا أو ضعيفًا مماطلًا، يعني لا مبالاة، **فما هو سبب هذه الازدواجية في الموقف؟**

الشيخ عطية الله:

الله أعلم أن «القاعدة» في الخلفية، المجاهدون، اليمن باعتبار وجود الإخوة المجاهدين في اليمن بشكل قوي وبشكل متجذر أيضًا لهم مجال كبير للحركة والمناورة والامتداد في الوسط الشعبي

والوسط القبلي اليمني، هذا ليس موجودًا في ليبيا بشكل كبير، يعني هذا فرق واضح، مصالحهم اقتضت في ليبيا -كما قلنا- أن يدخلوا مع الشعب وأن يطالبوا برحيل القذافي ويضربوا القذافي وأن يحموا المدنيين وهكذا، لكن في اليمن؛ أولًا المظاهرات والاعتصامات والجماهير والحركة إلى حد الآن ما زالت مصرة على الخيار السلمي وعدم المواجهة، الشيء الآخر كان فيه تردد أيضًا في قوة هذه المظاهرات وقوة الثورة، قوة الانتفاضة وقوة الثورة، وهل هي قادرة بالفعل ووصلت إلى الحدود التي لا يمكن أن يبقى معها علي عبد الله صالح أو ما زالت لم تصل إلى هذا الحد، أظن كان فيه تردد عندهم.

في الأيام الأخيرة بدأنا نلاحظ أنهم صاروا أكثر قناعة، طبعًا اليومين الأخيرين هم طالبوا علي عبد الله صالح بنقل سلمي للسلطة، هكذا عبروا هذا كلام أوباما وأمريكا، فإذًا تغيروا الآن، الأيام الأخيرة فقط، والآن صاروا مقتنعين معناها أن علي عبد الله صالح لا يمكن أن يستمر، ولكن لا بد أنهم الآن منهمكون في محاولات ليل نهار حثيثة وجادة وقوية ودؤوبة لضمان أن لا تتعرض مصالحهم في اليمن وفي المنطقة، لا تنسَ أن اليمن يعني جزيرة العرب السعودية والبحر كذلك وباب المندب وهكذا.. الموقع خطير واستراتيجي جدًّا وفي غاية الخطورة، منهمكون الآن في محاولة ضمان أن لا يكون هناك خطر عليهم من خلال مثلًا استيلاء المجاهدين على السلطة في اليمن وامتداد المد الجهادي أو يحصل امتداد في المد الجهادي وأن يحصل تمكن المجاهدين في المنطقة، حريصون على هذا وسيبذلوا فيها ما ندري إلى أي مدى يصل شرهم وغطرستهم وغرورهم وجبروتهم، لا ندري، نسأل الله ﷻ أن يكف بأسهم عنا وعن المسلمين وعن المستضعفين في كل مكان وأن يكفينا إياهم، نسأل الله ﷻ أن يجعل تدبيرهم تدميرهم لأن هؤلاء القوم مجرمون دمويون لا تهمهم إلا مصالحهم ومستعدين أن يستعملوا كل الوسائل القذرة، يعني هم يتظاهرون بالإنسانية وبالرحمة يتظاهرون بأنهم ينصرون الخير وينصرون حقوق الناس وحقوق الإنسان وغيرها ولكن كل هذا مشروط بأن تكون السلطة لهم والتمكن لهم وتكون يدهم هي العليا وأن تكوت الشعوب الأخرى تحتهم وأن يكون هواهم هو النافذ على الناس أجمعين؛ فإذا شعروا بأن الشعوب الإسلامية تخرج من ربقتهم فإنهم مستعدون لاستعمال أشد أنواع القذارة في الحروب، من الممكن أن يستعملوا أشياء وفظاعات ما يعلمها إلا الله ﷻ، نسأل الله أن يعافينا والمسلمين جميعًا.

ولكن الآن هم -كما قلت لك- منهمكون في محاولة ضمان أن تكون السلطة المستقبلية التي تمسك من علي عبد الله صالح أو الوضع الجديد أن يكون تحت السيطرة وتحت أيديهم، وضمان عدم انتقال

الضرر أيضًا إلى السعودية –الضرر بالنسبة لهم– إلى السعودية ومنطقة الخليج وما حولها، فالوضع مختلف أظن بين ليبيا واليمن في عدة نقاط.

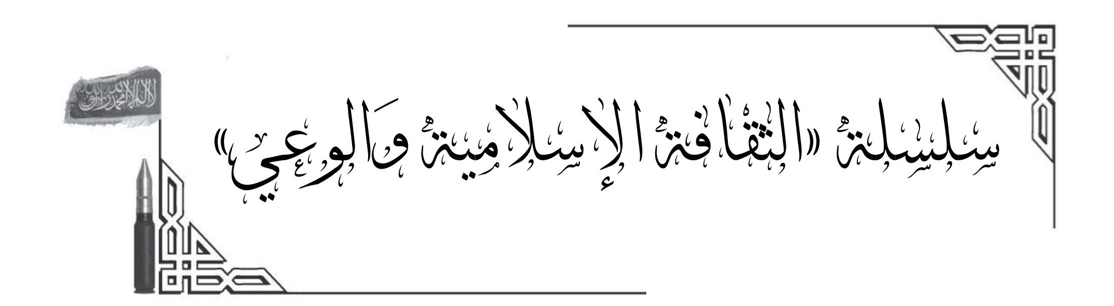
الشيخ أبو يحيى الليبي:

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم ونسأل الله أن ينفع بهذا اللقاء، ولعله يكون لنا لقاء آخر أو حلقة أخرى نتناول فيها بعض المواضيع الأخرى. والسلام عليكم.

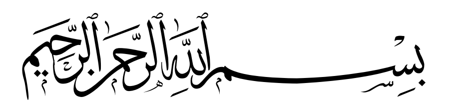
الشيخ عطية الله:

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم.

❋ ❋ ❋



[دورة شرعية مكثفة، مكونة من ست محاضرات تكلم فيها الشيخ ﷺ عن «التصور والتصديق، تصحيح المفاهيم، الهداية، الحق، الدين، الابتلاء، الاختبار، الامتحان والفتنة، الدنيا والآخرة، العدل والفضل، الدعوة والجهاد، مناهج التغيير» وقد شرح الشيخ في المقدمة ماهية هذه السلسلة، ومدة السلسلة كاملة: ثمان ساعات ونصف تقريبًا، **وقد قام بتفريغها**: «مؤسسة التحايا للإعلام» بارك الله فيهم، **نُشرت في** ربيع الأول ١٤٣٥]



الدرس الأول

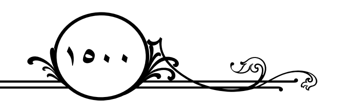
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّهم لا سهلَ إلا ما جعلته سهلًا وأنت تجعل الحزْن إذا شئت سهلًا، سهّل برحمتك ولطفك أمورنا، واهدنا سبلنا، وافتح علينا يا رب العالمين.

الإخوة الكرام، الموضوع والعنوان الذي سنتكلم فيه هو ما أعطيناه اسم «الثقافة الإسلامية



والوعي»، وأحيانًا هذه المادة يعبرون عنها بـ«الوعي الإسلامي» أو «الثقافة الإسلامية» أو «التربية الإسلامية» كما سيتضح لنا.

وكما نتصور من العنوان هي: مادة شرعية تنحو منحى النظر في الكليات أكثر من الجزئيات، كان عندنا طبعًا تفاصيل في جزئيات كثيرة أكثر تعلقها بالتصورات وتصحيح المفاهيم وإنشاء مفاهيم إسلامية عن كل شيء؛ لأن الإنسان هذا الكائن الذي خلقه الله ﷻ عاقلًا مفكرًا ومتدبرًا ومدبرًا، الإنسان هذا -تقريبًا- قوته العقلية منحصرة في شيئين: «التصور والتصديق».

فمعظم كلامنا سيتم في هذين: «تصور الأشياء» أي أن نتصورها كما هي، أن نفهم الأشياء بشكل صحيح، ثم «التصديق» وهو الحكم عليها من حيث حسنها وقبحها، جيدة أم لا، وما مقدار ما فيها من خير وصلاح، أو فساد وشر.. وهكذا.

وذلك بالموازين الشرعية، والدلالات الشرعية، والدلالات التي اعتبرتها الشريعة: دلالات العقل والحس والتجربة، هذا معنى العنوان.

سنتكلم في «الثقافة الإسلامية» و«الوعي الإسلامي»؛ إيجاد مادة شرعية سياسية نظرية علمية تجريبية ثقافية، وأكثر تعلق هذه المادة بـ«التصورات» و«التصديقات»، والتصور والتصديق «اصطلاح»، ولعلكم دائمًا تصادفونه في الكتب.

وأنا وضعت مجموعة من العناوين ومعظم كلامنا سنحاول أن يكون دردشة أكثر منه كلامًا رسميًا؛ لأن كثيرًا من هذه العناوين تحتاج إلى تحضير مادة ومذكرات ونحن لأنه لا يوجد وقت ولا ذاك التخصص والتفرغ؛ فقد وضعت مجموعة من العناوين وتشاورنا مع بعض الإخوة نتدارسها ونتكلم فيها، وأنا كتبتها وسأقرأها عليكم، ونمر عليها مرورًا سريعًا حتى نتصور ما هي الأشياء التي سنمر عليها.

الحق، الدين والدنيا والآخرة، العدل والعدالة، الفضل، العلم، الجهاد والدعوة، مناهج وطرائق التغيير، الأمانة والشعور بالمسؤولية، حفظ السر، القيادة والإمارة والولاية، العقل والعاطفة، الحماس والتحريض، الخَطابة والخِطاب واللغة، أسس الخطاب الصحيح، الموت والحياة والرزق والقدر، الفتنة والامتحان والابتلاء والاختبار، المسيح الدجال -بعض العناوين ستكون تفريعًا عن عنوان سابق بشكل تفصيلي-، العقيدة وأعمال القلوب، الهداية أسبابها وموانعها، التوفيق، الخير والشر، الهوى -اتباع الهوى-، الفتنة -نعوذ بالله منها-، التوحيد، الكفر والشرك، الطاغوت، التكفير؛ فقهه وبعض

مسائله، مراتب المسائل الشرعية، اليقين، الحجة والبرهان والدليل، الجماعة والعمل الجماعي وفقهه وآدابه، معايير صحة الجماعة واستقامتها، معايير التقويم للأشخاص والجماعات وغيرها، الشخصية المسلمة، شخصية المجاهد، الاستقامة والصلاح، العبرة بالخواتيم، النقد والمحاسبة والرقابة، الأسباب والأخذ بها والتوكل، السنن الشرعية والسنن الكونية، أسباب النصر وأسباب الهزيمة، الحق والصبر والعلاقة بينهما، معاني النصر والفتح، السياسة والعمل السياسي، الأمة، الدولة، الحرب، الثقافة والحضارة والمدنية، الانحراف والضلال والزيغ -نعوذ بالله منها-، الحرية والمكتسبات البشرية والإنسانية، الوطنية، القومية، العلمانية، الديموقراطية، الغزو الثقافي والفكري.

هذه عناوين بعضها غير مرتب لكن نحاول أن نتصور بعض الأمور والعناوين التي سنمر عليها وسنتحدث فيها -إن شاء الله-، نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

۞ التصور والتصديق

فكما قلنا إن مادتنا هذه والكلام الذي نريد أن نتحدث فيه هو يتعلق بالتصورات والتصديقات.

التصور: هو الإدراك المتعلق بالمفردات.

والتصديقات: هو ما يتعلق بالمركبات، بالجملة؛ لأن الجملة فيها تركيب كلمة مع كلمة فيها تركيب، فيه إسناد.

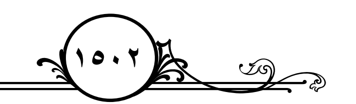
الآن إذا قلت: «حصان»؛ ماذا تصورتَ الآن؟ تصورت «حصان» أليس كذلك؟ سيارة تتصور سيارة، أنت بسماعك للمفرد حصل عندك تصور، أليس كذلك؟

«هِيَلَة»! ماذا تصورت؟ لم تتصور شيئا؛ لأنك لا تعرف ما معنى هذا اللفظ أليس كذلك؟ إذن التصور متعلق بالمفردات، تقول: جدار، سقف، عمود، سبورة، تقول فلان -شخص-، ثم تعين الشخص تقول: فلان الفلاني ابن فلان.

التصور هو هذا؛ كونك أنت تصورت معنى اللفظ وأدركت معناه، وقد يكون أحيانًا متعلق بمفردات بسيطة، وقد يكون فيها بعض التعقيد.

أيضًا يختلف التصور باختلاف مُتَعلَّقِهِ، يعني إذا قلت لك جدار أي شخص يتصور جدار؛ فهذا يتعلق بالذوات، لكن عندما يتعلق بالمعاني، مثلا: إذا قلت لك: الخير، الشر، هذه معاني ليست ذوات محسوسة، لا تُدرك بالحواس الخمس.

فإن الألفاظ تنقسم إلى قسمين:



- لفظ دال على ذات.
- لفظ دال على معنى من المعاني: الخير، الشر، العلم، الصلاح، التقوى، الفوز، النجاح، هذه معاني.

فاللفظ الذي يدل إما على ذات وإما على معنى تتصور به شيئًا ما، تصورك هذا تابع لمعرفتك بدلالات هذا اللفظ، فهذا اللفظ موضوع في لغتنا نحن التي نتخاطب بها -العربية لغتنا المكرمة التي فضلنا الله بها- هذه اللغة وضع فيها هذا اللفظ لمعنى معين للدلالة على ذات معينة أو للدلالة على معنى معين.

فأنت إذا قلت لك: المسخن البخاري -أو سمِّه المدفئة الكهربائية- هذا اللفظ دال على معنى معين أنت تتخيله، هذا هو التصور.

والمطلوب من الإنسان أن يتصور الأشياء على حقيقتها؛ بحيث يتصورها تصورًا صحيحًا سواء كانت ذوات أو معاني.

أما الذوات فليس فيها إشكال؛ لأنها أشياء محسوسة والناس لا تختلف فيها في العادة، إنما الاختلاف الكبير والمشكلة تحصل في تصور المعاني، ولهذا وقع في اللغات كلها وفي خطابات البشر كلها وفي البيان كله على مستوى البشر كلهم وقع التشبيه، وهو تشبيه معنى بشيء محسوس، ووقع ضرب الأمثال، قال ﷻ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] الأمثال وظيفتها تقريب المعنى إلى الحس؛ فعندما تريد تقريب معنى من المعاني تأتي بصورة حسية تتصورها فتقول: هي مثل كذا، قال ﷻ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر] هذا مثال من أمثال القرآن، والمقصود من المثال تقريب المعاني إلى الحس؛ لأن الناس لا تختلف في الحسيات ولا يحصل فيها كبير إشكال، وكثير من المعاني لا بد أن يعرفها الناس كالخير والشر والحسن والقبيح والصلاح والفلاح وغيرها.

وهذه المعاني يعرفها الناس باختلاف إدراكاتهم وقوة ملاحظتهم للمعاني وفهمهم لها، لكن الله خاطب الرسل بتقريب هذه المعاني في صور حسية بضرب الأمثال والتشبيهات، فهذه هي التصورات؛ فمطلوب منا إذن أن نتصور الأشياء تصورًا صحيحًا.

التصديق: هو الحكم -وهذا أخصر تعاريفه-، أو هو قضيةٌ ما يُحكم عليها بصدق أو بكذب، أو هو معرفة النسبة أو إثباتها، هذا تعريفه في المنطق والاصطلاح: «إثبات النسبة».

والنسبة: هي نسبة شيء إلى شيء، فعندما تقول: هذا البيت جميل، هذه جملة اسمية كاملة: مبتدأ وخبر -وهذا أبسط تركيب للجملة الاسمية-، هذه الجملة فيها إسناد لأن الخبر هو حكم على المبتدأ، هذا هو الإسناد، وكذلك الجملة الفعلية فهي إسناد الفعل للفاعل مثل: فاز زيد، فأنت نسبت الفوز لزيد، في الاصطلاح يسمونه الإسناد.

الجملة هي ألفاظ مركبة فيها إسناد، هذا الإسناد كونك أنت تثبته هي القضية فهذا هو التصديق، كونك حكمت على البيت أنه جميل، إذن هذا حكمٌ عليه وهذا تصديق، فحصل عندك إدراك لهذه النسبة وهذه الإضافة، هذا هو التصديق، أنت تصدق وتحكم وتثبت شيئا في نفسك أو تدعي إثباته، بعد هذا سيأتينا الادعاء.

إذن هذا هو التصديق: الحكم على الأشياء.

الإنسان خلقة الله ﷻ لا يعرف شيئًا، قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [النحل: ٨٧] لكن الله ﷻ ركب فيه أدوات لو استعملها كما أمره الله وهيئه وخلق فيه الاستعداد لاستعمالها، والفطرة التي هي الميل المجبول فيه إلى استعمالها؛ ليصل إلى الهداية، ومعرفة الخير فيفعله، ومعرفة الشر فيجتنبه، معرفة النافع فيأخذه ويعمل به ويكون بجانبه، ومعرفة الضار فيجتنبه ويبتعد عنه، قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل].

إذن، الإنسان يخرج جاهلًا لا يعرف شيئا، بسيط، لكن الله خلق له أدوات، أعطاه السمع والبصر -وهذا لعله من باب الاكتفاء- وأعطاه الشم واللمس، وأعطاه أكثر من ذلك: الأفئدة التي هي القوة المدركة التي هي القلب، والحق أن العقل في القلب وهذا مذهب أهل السنة والجماعة كما دلت عليه ظواهر القرآن والسنة؛ لأن الله ﷻ ينسب دائمًا الهدى والصلاح، وحتى ضده، الفساد وغيرها ينسبها إلى القلوب، جرى القرآن على هذا في مواضع كثيرة، وأحيانًا إلى الصدور باعتبار القلب في الصدر.

إذن الفؤاد: هو القلب، وهو القوة العاقلة هو القوة المدركة.

البصر: هو آلة تنظر ثم تذهب إلى العقل وهو يتصور الأشياء المحفوظة عنده، فهذا اسمه كذا يفيد في كذا والمقصود منه كذا.. إلى آخره.

القلب أيضًا يعرف النِّسب بين الأشياء، هذا نافع وهذا ضار؛ يبدأ يحكم القلب.

إذن؛ الإنسان بهذه الأدوات يذهب في طريق معرفة الخير والشر والضار والنافع والحسن والقبيح وهكذا، فيخرج الإنسان إلى الدنيا أول ما يخرج إليها وهو لا يعرف شيئًا، يتفتح بصره وآلات الإدراك؛

يرى أشياء ويسمع أشياء وهكذا خلق الله فيه أشياء إضافية منها قوة التقليد بالنسبة للطفل الصغير، يبدأ يقلد في البداية ليعرف شيئًا، والتقليد ليس عيبًا فيه، لا هو يعيب نفسه ولا غيره يعيبه؛ لأنه قوة بالنسبة للطفل، يجب أن يقلد حتى يمشي ويسير مع الناس، وعندما يكبر تصير لديه اختيارات، الحالة الأولى يسميها العلماء «الحالة الطَّبْعية أو النفسية» ويسمونها «حجاب النفس» أو «حجاب الطبع» فهو يمشي على طبع الناس، على ما وجد عليه الناس وعلى ما خلقه الله، أيضًا جزء من قوتة التي يتحرك بها قوة الفطرة والغريزة والقوة التي أودعها الله ﷻ فيه كإنسان من البداية، لكن عندما يكبر يصل إلى حد معين يصبح عنده تأمل واختيارات، ويبدأ يتفتح على معرفة الأشياء التي فيها متضادات؛ يوجد خير ويوجد شر ويوجد فروق بين الأشياء، هذا قال خيرًا هذا قال شرًا وأيهما أحسن، هذا رجل يعطي وهذا رجل بخيل لا يعطي، يبدأ في معرفة البخل والعطاء والكرم والجود والأخلاق ويقارن بينهم، مثلًا كيف هذا الرجل قاسٍ وعنيف يضرب الفقير وينهر المسكين، وهذا يحن عليهم ويودهم ويعطف عليهم؛ فيقارن بين نماذج يراها.

لكن على كل حال هو بدأ يميز ويختار لكن باقي عنده حجاب آخر يسميه العلماء «حجاب الرسم» معناه أنه هو يجري على رسوم قومه، رسوم معينة، ومواضعات اتضع عليها الناس، فهو يمشي عليها في البداية، مثلًا: جاء وجد قومه يحبون الشرف والفخامة والرجولة والشجاعة يمشي ويفاخرهم، يحبون الفصاحة في الكلام والشعر إذا شهر فيه الشعر والأدب يمشي ويحاول يكون مثلهم ويتفوق عليهم، وإذا كان قومه من أهل الخيل يحبون الخيل وركوبه يمشي على ما وجد عليه قومه، هذه رسوم معينة هو يمشي عليها فترة ما، عادة الإنسان أن يمشي على هذا؛ لكن بحسب قوه الإنسان وما يعطيه الله ﷻ من الهداية يبدأ يتفكر ويتأمل ويقول مثلًا: أنا أصرف عمري في الخيل وتتبعها والتمييز بين أصواتها وصهيلها وألوانها ومن أبوها وأمها وجدها، أنا لدي أولويات أخرى أو اهتمامات أخرى، أنا عمري محدود.. فيبدأ يتفكر ويتأمل في حاله وفي نفسه.

سيسمع طبعًا أن هناك أنبياء أرسلوا وهناك رسل جاءت من الله ﷻ يدعون إلى كذا وكذا، وأن هناك مصلحين وأن هناك أئمة وأن هناك قادات وأن هناك رجال برزوا في التاريخ، وأن هناك الشر وأن هناك أمم تعاركت وتطاحنت، فتتسع مداركه ويخرج قليلًا عن «حجاب الرسم»، فمثلًا إذا رأى الخير واضحًا في جانبٍ ما فيمكن أن يكسر الصور والرسوم العالقة في ذهنه كلها ويثور عليها ويتمرد عليها.

ولكي يكسر هذه الرسوم والصور العالقة في ذهنه والعادات والتقاليد التي كان عليها أجداده

وقومه والمواضعات الاجتماعية التي عليها قومه -إن كانت ينبغي تكسيرها مثلًا سواء إما من حيث الأصل أو على الأقل بالنسبة له هو في وقت ما وفي زمن ما-، نفرض أن قومه جارُون -أي معتادون- على شيء مباح لكنه نظر فوجد أن هذا المباح ليس وقته الآن، ضياع وتلبيس من الشيطان بإيقاعنا في المفضولات وإغنائنا وإلهائنا عن الفاضل؛ فتفطن لهذا بعد أن هداه الله لهذا فيكسره ويدوس عليه.. لكي يصل للفاضل، ولكي يفعل ذلك يحتاج إلى قوة، وهذه القوة ليس لها حل إلا بتوفيق الله ﷻ، قوة العزيمة وقوة الإرادة وقوة أن يدوس على كل المواضعات والرسوم كلها وهو لا يبالي بها وإن خالفته الدنيا كلها.

قوة العزيمة وقوة الإرادة يخلقها الله ﷻ في العبد، ولها أسباب: ومن أسبابها تَربية الإنسان دائمًا على قوة الاختيار من صغره؛ فتكون همته عالية ولهذا يُهتم في تربية الأطفال بتعليمهم الهمة العالية، فالطفل إذا قال لك أريد أن أفعل شيئًا ما، قد يكون شيئا كبيرًا لا يستطيع فعله، فقل له: اذهب وافعله الله يوفقك، ولا تزجره وتقول له: إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك فتكسر بذلك إرادته، بل دعه يجرب؛ لكي تكون عنده إرادة قوية، ولكن انتبه ألا يكون هذا الشيء كبيرًا جدًا بحيث لا يصاب بخيبة أمل، فالإحباطات المتكررة قد تؤدي به إلى عدم الثقة بنفسه، هذا ما يتحدثون عنه في التربية.

لكن المقصود بذلك أن الإنسان، وليس شرطًا الطفل، ولكن عادة النفس البشرية تُمثل بالطفل، فالعلماء والحكماء وأهل النظر والتأمل يشبهونها بالطفل، وهذا شهير في تشبيهاتهم:

والنفس كالطفلِ إن تتركه شبَّ على ... حبِّ الرضاعِ وإن تفطِمْه يَنفَطِمِ[1]

وكثير من كلام العلماء والأدباء والشعراء شبهوا النفس بالطفل، وأيضًا من التشبيهات الأخرى أن يشبهوا نفسك بإنسان آخر معك، فنفسك التي بين جنبيك اعتبرها إنسانًا آخر معك تربي فيه، وهذا الإنسان كالطفل فأيضًا لا تضغط عليها كثيرًا؛ لكي لا تنفجر وتصل إلى قضية الكذب ونحو ذلك؛ بل سايسها يعني ساعة وساعة كما جاء في الحديث[2]، أي الترويح عن النفس ونحو ذلك، والمقصود من ذلك مسايسة النفس؛ فهذا الأمر مهم في التربية.

نعود إلى تقوية العزائم وتقوية الإرادة؛ تقوية الإرادة يقصد بها أن الإنسان يجب أن يحاول البحث

---

(١) قاله: البوصيري صاحب البردة، كما في: البردة (ص ٣، بيت رقم ١٩).

(٢) يعني بذلك قوله ﷺ: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**) رواه مسلم (٢٧٥٠).

عن الأسباب التي تقوي الإرادة في نفسه، وإن كان عنده أيضًا تعلق بالنظر والاجتماع فعليه أن ينظر كيف يقوي الإرادة في مجتمعنا؟ فنحن كجماعة صغيرة وكأمّة، كيف نقوي الإرادة في الأمّة؟ فلا بد من النظر في هذا، وهناك عدة أسباب لكن غالبها يعتمد على التدرج في التوقي في العزائم والإرادات، وضرب الأمثلة والاقتداء بأصحاب الهمم العالية وأصحاب الإرادات القوية وقوة الاختيار ووضوحه والتصميم؛ فنُعوّد أنفسنا أن نصمم على الأشياء وقبل ذلك يجب أن نتأكد أنها خير وصلاح وأنها حق وهدى ثم نصمم عليها ونفعلها.

مثلًا: العرب من ميزاتهم قوة الإرادة -أي جنس العرب الذي بعث فيهم محمد ﷺ- حتى العلماء عندما تكلموا في بعثة محمد ﷺ قالوا: ما الحكمة أو ما الذي يمكن استظهاره من الحكم في هذه البعثة النبوية في هؤلاء القوم؟ وإلا كان هناك أقوام أخرى عندهم ثقافات وعندهم حضارات وعندهم مدنيات أكبر بكثير من العرب التي لا تساوي شيئا، وكان أولئك يضحكوا على العرب بأنهم الهمج الرعاع الجهال الذين لا يعرفون شيئًا، وكانت الروم وفارس والهند والسند والصين واليونان والإغريق وغيرهم كلهم سابقون للعرب، لكن الله ﷻ اختار العرب وبعث فيهم النبي الأمّي الخاتم أفضل خلق الله وخيرهم وسيدهم، وجعل فيهم الرسالة الخاتمة وبلسانهم؛ فإذًا هناك ميزات معينة، وحكم معينة كذلك.

العلماء استظهروا مجموعة من الحكم لذلك، منها: ما تميز به العرب من صفات كانت فيهم؛ وصلت أكمل ما يكون بالنسبة لغيرهم من الأقوام وغيرهم من الأمم، مثل صفات الصدق، الشجاعة، الكرم، والتفاخر بكمالات الفضائل الإنسانية؛ كان يبلغ عندهم مستوى أقوى من الأمم، فالأمم كلها تمدح الصدق وتذم الكذب ولكن ما كان الصدق فيهم مثله في العرب، فكانوا أهل صدق لا يكذبون، فالعرب لم تكن تكذب لأن الكذب شيء مذموم جدًا وخسيس، وبالطبع فالكذب موجود في الناس، ولكن المقصود أن قوة الصدق منتشر فيهم والتفاخر بالصدق والميل عن الكذب والتجافي عنه، ومشهور فيهم الجود والكرم والشجاعة وقوة الإرادة والعزيمة؛ فكانوا أهل عزائم لدرجة أن الشخص ممكن أن يموت وتفنى أسرته وقبيلته على شيء تافه وبسيط، وأنتم تعرفون حروب العرب كحرب «البسوس» وحرب «داحس والغبراء» والحروب هذه وغيرها -يسمونها أيام العرب- معظمها كانت لأسباب تافهة، هي في الحقيقة مظهر من مظاهر وليس الأصل، مظهر من مظاهر الصفات التي منها قوة الإرادة، لكن لعل من الحكم فيها تُربي هذه الأمة على قوة الإرادة، فالعرب كان

فيهم هذا.

فجاء الإسلام فيهم وجاءت الرسالة فيهم وجاء النبي ﷺ فيهم لتقوية هذه المعاني الفاضلة كما في الحديث: (**إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**)[1]؛ مكارم الأخلاق التي كانت توجد فيهم أكثر من غيرهم من الأمم.

فالنبي ﷺ كمل ما كان فيها من خير وهو كثير، وتممه وزاده وقواه وحث عليه ومدحه، وما كان من شر أبطله بحسبه إن كان كليًا أو جزئيًا، فهناك أشياء تحتاج إلى تهذيب؛ كخلق الشجاعة -مثلًا- هذبها وجعلها منضبطة، وأيضًا خلق الرحمة واللين والشدة والعنف وكيفية التوازن بينهما، جاءت الشريعة بتهذيب هذه الأخلاق وتكميلها وتتميمها؛ فكانت شريعة الإسلام محتوية على أكمل الأخلاق التي يمكن أن يتصورها الإنسان مهما حاول ودرس كان عقله قويًا وفيلسوفًا، والفلاسفة بعلومهم كلها من الأولين والآخرين إلى جانب هذا لا يساوون شيئًا بل يلعبون، وما عندهم من خير فهو قطرة في بحر، بالإضافة إلى ما عندهم من الشرور والمفاسد والمعارف الفاسدة والخبالات.

فالمقصود: تقوية الإرادة له أسبابه في الفرد وفي المجتمع، ومن المفترض أن نأخذ بأسبابه في أنفسنا وفيما حولنا وما تحت أيدينا وهكذا، وأن يمشي المرء على سنن التدرج، ولكن كما قلنا: لو أن الإنسان الآن في نفسه أو طفل معه ونحو ذلك من أسبابها المهمة دائمًا: أن تجعل عزيمتك قوية، لو تبين لك الحق والخير يجب أن تفعله.

الآن في الثقافة المعاصرة غير الإسلامية يقولون: «الصفة الثورية أو الرجل الثوري»؛ فيتكلمون عن صفة الثورية في الرجال، فالناس التي تغير الأمم والشعوب وتحطم دولا وتبني دولًا.. يقولون بأنهم يجب أن يكونوا ناسًا ثوريين.

الرجل الثوري: هو الذي لا يكون أسيرًا للعادات والتقاليد والإلف، مثل الخوف من كلام الناس، مثال ذلك: عندما يستقيم الرجل في مجتمعاتنا أول شيء يفكر فيه: ماذا سيقول عني الناس؟ ووالده سيقول له: أنت ماذا فعلت لنا؟ ماذا سيقول عنا الناس؟؛ فهذه المشكلة من أكبر الحجب والحواجز التي تحجب الإنسان عن الترقي لمراتب الكمال.

أما الإنسان الثوري الذي يثور على الإلف والعادة وهذه المواضعات التي سماها العلماء «الرسوم»

---

(١) موطأ مالك (١٨٨٥) بلاغا، الأدب المفرد (٢٧٣)، مسند أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: (صالح الأخلاق)، وصححه الأرنؤط، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

أو «حجاب الرسم»؛ لكن لا يكون ذلك مطلقًا وبدون قيد، بل بقيد الشرع وبقيد أن تكون هذه الثورة وهذا التمرد وهذا التكسير لهذه الرسوم تبين بدلالة ديننا أنه خيرٌ وهدى.

فالإنسان عندما يعطيه الله ﷻ قوة الإرادة يكسر هذه الرسوم والحجب والإلف والعادة إذا كان يجب تكسيرها، أو يتخطاها ويتخلى عنها ويبحث عن الكمالات، والخير والهدى ويبحث عن الأفضل، وهنا يأتي شيء اسمه «الهداية».

۞ تصحيح المفاهيم

كيف يهتدي الإنسان إلى معرفة الخير؟ وما هو الخير أصلًا؟ العلماء طبعًا يحاولون دائمًا أن يُعرِّفوا كل شيء، والتعريف: هو اللفظ الجامع المانع.

«الجامع»: يجمع المعاني التي نريدها نحن لتعريف هذا الشيء؛ يجمعها بحيث لا يند منها شيء.

«المانع»: أي يمنع دخول غير المعنى المقصود فيه.

فعندما تقرأ الفقه أو أي فن من الفنون العلمية تقرأ مثلًا: تعريف الصلاة، تعريف الجهاد، تعريف المرتد، يعني تعريف الشيء ومحاولة وضع حد له حتى يُتصور بكماله.

والحد يُقصد به خدمة التصورات.

ثم تأتي الحجج والبراهين لخدمة التصديق.

ولهذا علماء المنطق يقسمونها إلى واديين كبيرين يقولون: «الحد والبرهان» وهذا علم الجدل أو علم المنطق يدرس في مقدمات الأصول، وإن كانت دخيلة على المسلمين ولكن علماء المسلمين استفادوا منها إلى حد لا بأس بمعرفتها؛ كنوع من التنظيم للعقل أو الفهرسة ولكنها شيء من ملح العلم والزيادات وليست من أصوله.

فالمقصود أن الإنسان يبحث عن الهداية، يريد أن يعرف ما هو الخير؟ وما هو الشر؟ ما هو الحسن؟ وما هو القبيح؟ عادةً الإنسان يبحث عن الشيء النافع له، والنافع: هو الملائم لك، مثال ذلك: إذا لمستَ شيئًا ووجدته ساخنًا فإنك تبتعد عنه، أو لمست شوكًا آذاك فتبتعد عنه لأنك عرفت ضرره -بسبب الحس؛ لأن الحس إدراك قطعي-، وإذا وجدت شيئًا رطبا ناعمًا فإنك ترتاح عليه وتضع رأسك عليه وتنام لأنه شيء نافع، هذا بالنسبة للحسيات.

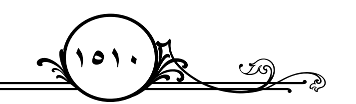
أما في المعاني؛ فما هو النافع؟ وما هو الضار؟ يوجد كثير من الأشياء يعرفها الإنسان عن بادئ الرأي بسرعة وعن قرب، لكن أيضًا يوجد أشياء لا يعرفها الإنسان، مثلًا: عبادة الله ﷻ التي هي

التوحيد ومجانبة الشرك والطاغوت وتحقيق هذا بتفاصيله الدقيقة، قد لا يهتدي إليها الإنسان ببساطة، وإن كان الإنسان مفطورًا عليها، لكن الإنسان تأتيه الحجب والحواجز؛ لأن (**أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**)[(١)]، فعندما يكبر وتأتيه قوة الاختيار يصبح مأسورًا لما طبعَه عليه أبوه وأمه وقومه، فيصبح على الفطرة غشاوة وتصبح ضعيفة جدًا ليس لها أثر أحيانًا في الإنسان؛ لأنها مرت عليها عوامل هدم وتغطية كثيرة جدًا، لكن تبقى الفطرة في الإنسان يستدل بها، ومن المفترض أن يستدل بها ويستعملها.

فالمقصود أنه من الممكن ألا يعرف الإنسان الخير أحيانًا مثلًا: قبح الزنا، وأن الله ﷻ يبغضه ويحرمه وأنه قبيح، من الممكن ألا يدرك الإنسان ذلك؛ لأن الزنا مستلذ ومخالطة النساء ومعاشرتهن مطلقًا مستلذة، يستلذ الإنسان باعتبارها لذة وشيء ملائم للإنسان، لكن دخلت علينا هنا العواقب والنظر فيها، وهذا يعني أننا يجب أن نعلم بأن الخير ليس هو مجرد إدراك الملائم في الحال؛ لأنه لو كان كذلك فالزنا مستلذ ولكن ما الذي منع منه؟ كون عاقبته وخيمة على المستوى الدنيوي ومستوى البشر في الدنيا؛ لأنه لو انتشر وفعله الناس بدون قيد وتسامحوا فيه كما في المجتمعات الكافرة يفسد الاجتماع والمجتمع، وهذا الحاصل فيهم، وتفسد الكثير من الفضائل الإنسانية الفردية أيضًا، التي يرجع حاصلها إلى اتباع الإنسان لشهواته؛ فيصبح الإنسان منغمسًا في الشهوة؛ لأن هذه شهوة كبيرة حيوانية بهيمية لو فتحت للإنسان بدون قيد يصبح الإنسان مستغرقًا فيها فلا يبقى لديه مجال أصلًا ليفكر في أشياء كثيرة أخرى، فيفسد الاجتماع البشري ويفسد الإنسان، وحدث ولا حرج عن الفساد الاجتماعي الأسري من تفكك الأسر وغير ذلك من الفساد.

والعلماء أخيرًا يقولون هو انقطاع للنسل، وهذا الذي يحصل الآن في ألمانيا وإيطاليا وسويسرا ومجموعة من الدول يدقون -كما يقولون- نواقيس الخطر للتحذير من قوة ممارسة هذه العملية بهذا الشكل الحيواني الذي لديهم؛ فلم يعد لديهم زواج وبالتالي لم يعد لديهم نسل جديد معتبر، حتى نسلهم الجديد -وربما هذا حاصل من قرون- معظمه أو كله أولاد غير شرعيين، ومع ذلك؛ فليتهم ينجبون أولادًا شرعيين، بل لم يعد لديهم حتى هذا! أو لديهم لكن قليل جدًا؛ لأن المرأة لا تريد أن تنجب والرجل أيضًا ليست لديه رغبة كبيرة، المهم أن يستمتعوا فقط، فصار لدى الفتاة ثقافة بأنها لا يجب

(١) صحيح البخاري (١٣٥٨)، صحيح مسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ: (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**).



عليها أن تلد؛ لأن بطنها سوف يكبر، ومن ثَم فسترتخي.. وهكذا؛ فصارت عندهم ثقافات.

وللأسف تسربت إلينا بعضٌ من ثقافاتهم؛ فإذًا صار هناك عزوف عن الزواج؛ لأنه لم يعد أحد ينظر إلى حفظ النسل وهذه المعاني الاجتماعية؛ لأن الإنسان أصبح مستغرقًا في شهوته وغير مبالٍ بمجتمعه فهو لا يهمه.

الآن في ألمانيا يدقون ناقوس الخطر؛ يقولون: من الممكن بعد ٤٠ سنة يفنى الشعب الألماني، وفي إيطاليا كذلك، الآن يشجعون أي واحد حتى من المهاجرين سواء كان عرب أو لاتين أو غيرهم، يشجعونهم: فقط تعالوا أنجبوا عندنا وسنمنح أولادكم الجنسية، ودعم مجاني لكثير من الأشياء، والذي لديه خمسة أولاد لا داعي لأن يشتغل؛ لأنه يتحصل على علاوات على كل ولد، وعليه فقط تسديد إيجار البيت.

المقصود أنهم وصلوا إلى هذه الحالة، نحن نتحدث عن اللذة والملائم للإنسان والنفع والضر والخير والشر؛ فالإنسان لا يدرك الأمور في الحال، وقد ضربنا مثالًا على الزنا، اللذة مؤقتة لكن ما هي عاقبتها؟ إنها فساد الإنسان في نفسه وانغماسه وارتكاسه، بحيث يكون كالحيوان، مع اكتسابه للخلق الحيواني والبهيمي وابتعاده عن المعاني التي يتميز بها الإنسان التي هي الفضائل والشرف ومنع النفس.. أي يكون حاكمًا على نفسه، ويكون لديه عزة وكرامة وغِيرة.

هذه المعاني تذهب عندما يكون متلبسا بهذه المعاصي، بل إنهم لا يعرفون هذه المعاني؛ فهم كالبهائم، وعندما نتحدث لهم عن هذا الشيء يقولون لك: ما هذا الشيء وما معناه؟ وبعض من أسلم منهم تحدثوا عن هذا الأمر وشرحوه، وهذا على المستوى القريب؛ فسادٌ في العاقبة والضرر، وعلى المستوى البعيد -الضرر الأخروي-؛ فالله ﷻ حرمه؛ لأنه مفسدة وشر، والله لا يحرم شيئًا إلا لكونه فسادًا محض أو غالبًا، الله حرمه؟ في العاقبة صار شيئا كبيرًا جدًا.

فالإنسان كي يعرف أن هذا خير أو شر، ينظر لهذا الشيء الذي هو الزنا؛ هل فيه مصلحة؟ هو لذة في القريب فقط ثم يعقبها مباشرة: الفساد والضرر على المستوى القريب،؛ ضرر على نفس الإنسان والاجتماع وغيره، ثم الضرر في العاقبة؛ فيحكم إذن بأنها شر، كيف حكم بهذا؟ من خلال هذه الدلالات التي تحدثنا عنها، وهذا مثال الدنيا والآخرة.

العلماء قالوا: «العاقل هو من اختار الآخرة على الدنيا»، وهذا كمال العقل، ولذلك كان المؤمن التقي أكمل الناس عقلًا، والعقل يتجزأ طبعًا، فيمكن أن هذا الإنسان اختار الاختيار الصحيح في شيء

وتمسك به وعض عليه بالنواجذ وشد عليه بأنامله، ولكن في مسائل أخرى لا يكون لديه بها معرفة ولا يمكن لعقله أن يدركه؛ فالعقل يتجزأ.

قد تجد إنسانًا بروفسورًا في علم الذرة والتقنيات والفيزياء والرياضيات والكيمياء، ولكن في جانب الهداية تجده سخيفًا ويعبد فأرًا! لو ذهبت إلى الهند لوجدتَ علماء في الذرة يعبدون بقرة أو فأرًا؛ هذا أغبى خلق الله، فالذكاء يتجزأ، لكن هذا وضع عقله في جانب معين وفُتح عليه فيه، وأعطاه الله فيه فاستنفذ قوته فيه واستغرقه هذا الجانب، لكن الجانب الآخر وهو الأهم وهو الذي يرتبط به مصيره إلى ما لا نهاية، لا يعير له اهتمامًا! لهذا كان المؤمن أكمل الناس عقلًا، الذي اختار الآخرة على الدنيا في حال تعارضهما.

مثال ذلك: لو قلتَ لإنسان: لديك اليوم أربعة وعشرين ساعة تعيش فيها برفاهية، تدخل إلى قصر تجد أمامك أنواع المآكل والمشارب والمناظر وصنوفها، وزوجة حسناء؛ فتمتع فيها، لكن غدًا سوف تحرق على شمعة وتعذب إلى أن تموت وبعدها نقطعك ونفعل بك الأفاعيل، هذا خيار عندك، أو تصبر هذه الأربع وعشرين ساعة حتى لو جعت وعطشت فقط استعِن بالله وقوِّ عزمك، ولو صبرتها فسيكون القصر ملكك على الدوام.

فالعاقل سيختار الثاني، ومن اختار الأول فهو إنسان جاهل؛ لأنه سيتمتع قليلًا وبعدها سيعذب عذابًا مهينًا؛ فنحن عندما أتينا بمثال الحرق في الدنيا فإنه في الدنيا سيموت لا شك، لكن في الآخرة لا يوجد موت: (**يؤتى بالموت بين الجنة والنار على هيئة كبش فيُذبح ويُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**)[1].

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ جاء في الأثر عن بعض السلف -لعلها مأخوذة من الإسرائيليات- قيل: فيجيبهم بعد ألف سنة: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[2] [الزخرف].

يقال: لو يموت الإنسان من الحسرة لمات في ذلك الوقت ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أي: يدعو على نفسه بالهلاك لكنه لا يموت، فقط عذاب، ينتهي شيء اسمه موت، أيقنت الناس من أهل الجنة وأهل النار أنه لم يعد هناك موت؛ فأهل الجنة يفرحون فرحًا عظيمًا، وأهل النار يكادون يموتون من الحسرة

(١) صحيح البخاري (٤٧٣٠)، صحيح مسلم (٢٨٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٦)، تفسير البغوي (٧/ ٢٢٢)، رُوي هذا الأثر عن ابن عباس ﷺ، وعبد الله بن عمرو ﷺ.

والكمد، ولو وجد الموت في الآخرة لم يخَف الإنسان ولبقي مرتاحًا وفرحًا، فلو كانت مجرد نار تعذب فيها وتخرج ليست مشكلة؛ لكن المشكلة أنه ليس هناك موت، عذاب لا ينقطع، فأنت خلال أربع وعشرين ساعة فعلت كل شيء تريده ثم تذهب العذاب المهين للأبد!

مثال ثانٍ: أن تصبر قليلًا؛ فأنت لا تعرف متى يأتيك الموت، تصبر قليلًا تحارب أعداءك فتُقتل وتذهب للنعيم الذي لا يمكن أن يتصوره عقل إنسان.

ماذا ستختار؟ العاقل سوف يختار الثاني، أما الذي يختار الأول فهو مجنون ليس فيه عقل.

ولذلك فالكفرة ما عندهم عقول أصلًا، بل هم أحط من الحيوانات، ولهذا قال الله ﷻ عنهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان] وعند التحقيق هم أضل بالفعل؛ لأن الحيوان بسيط، خلقه الله يعيش ويموت، هكذا خُلق فلم يخالِف، أما الإنسان فقد هُيئ لشيء فتركه، بعث الله لهم رسلًا يرفعونهم إلى الكمال ويدعونهم إلى الخير فأعرضوا قائلين: اذهبوا عنا نحن لا نريد الرسل. وتجدهم يذهبون للانغماس في الضر والفساد، وفي أسباب العذاب وطريق الهلاك!

الله يريد أن يكرمهم وهم يرفضون نعم الله وكرامته وهديته وعطاءه ويتكبرون؛ فلا عقل لهم.

وحتى على مستوى البشر، فالإنسان تسعى بكل قواك أن تخدمه وتعمل له، وهو يرفض الخير منطلقًا للشر والهلاك، فهذا هو مثال حياة الدنيا والآخرة.

فالإنسان محتاج أن يفكر في العواقب وأن ينظر إلى الأشياء نظرًا كليًا لا نظرة حالية، وإنما نظرة في المآل وما يؤدي إليه؛ وعودة إلى «الهداية» نقول: يحتاج المرء إلى أن ينظر إلى معرفة الخير والشر والنافع والضار، ولكن بالمعاني الكلية، الخير في الحال والمآل، والحق والصلاح والنفع والحسن، وأضدادها كالقبح والفساد والمضرة والشر؛ فيحتاج المرء إلى النظر فيها وفي معانيها ويحققها ليحكم عليها في الحال والمآل، يعني نظرة كلية، والمرء لا يصل إلى هذه إلا بتوفيق الله ﷻ.

والله ﷻ جعل الهداية أعظم المقاصد على الإطلاق؛ لأن كل الدين والدنيا والآخرة في الهداية، ومبنى الهداية على توفيق الله ﷻ، ولذلك سماها العلماء: «هداية التوفيق» وهي أن يهتدي الإنسان للخير فيفعله، ويهتدي للشر فيعرفه ويجتنبه، ويكون ثابتًا عليها مستمرًا إلى أن يتجاوز مرحلة الاختبار وينجح، هذه الهداية لها أسباب، وسنتكلم عن أسباب الهداية وموانعها.

كتب لي أحد المشايخ رسالة قال فيها: «سر الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ الفاتحة]»، فعلقت عليها قائلا: «سر الفاتحة هو ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ [الفاتحة: ٦]».

إذا صح أن نسميَ شيئا: سر الفاتحة ولبها وقلبها وهي ما تنتهي إليه؛ فهي كلمة ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾؛ لأن سورة الفاتحة التي أوجب الله ﷻ على المسلم في اليوم أن يقرأها مرات متعددة: إحدى عشر مرة لمن يقصر صلاته كحالاتنا الآن، ولمن يقيم ويتم صلاته سبعة عشر مرة، وواجب عليه أن يسأل الله الهداية بمقتضى قراءته للفاتحة، فهذا السؤال والدعاء الواجب على الإنسان أن يدعو به كل يوم، هل يوجد دعاء آخر يدعو به الإنسان؟ لا، اللّهم إلا أن تكون مواضع مخصوصة لا تحضرني الآن.

لكن هذا الدعاء واجب ولا يتم دين المرء إلا به؛ لأن الصلاة بدون فاتحة خداج، ومن لم يُصلِّ بها يمكن أن دينه كله يصير خداجًا.

فالفاتحة سرها في سؤال الله الهداية بقولنا: ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾وذلك لأن ما قبلها توطئة لها وتوسلٌ للوصول إليها، وما بعدها تكميل لها، وتأمل آياتها:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ يقول الله: (**حمدني عبدي**)، وهذا حمد لله أي: إثبات المحامد كلها له، والحمد هو الثناء بالجميل على الجليل ﷻ.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وصف لله ﷻ صفة جارية على المنعوت وهو لفظ الجلالة.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ فيقول الله ﷻ: (**أثنى علي عبدي**).

الفرق بين الحمد والثناء، وهو تفريق أشبه ما يكون بالتفريق بين المترادفات[(١)]؛ فالفرق بينهما طفيف، ثناء على الله ﷻ بذكر صفات الكمال والجمال والجلال.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ هذه إن قالها العبد يقول الله ﷻ كما جاء في الحديث: (**مجدني عبدي**)[(٢)].

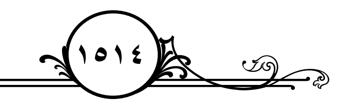
وفي هذا دلالة على أن المجد هو ذكر الصفات المتعلقة بالملك والعظمة وكذا، وكل هذه الألفاظ؛ الثناء والتمجيد هي حمد ومدح لله ﷻ.

ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ وهذا تلقين من الله ﷻ للعبد أن يقول هذا، كأنه يقول له: يا

---

(١) أفاد كلام ابن القيم في «الوابل الصيب» (ص ٨٨) أن الحمد: هو الإخبار عن الله تعالى بصفات كماله مع محبته والرضا به، والثناء: هو تكرير المحامد.

(٢) صحيح مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ؛ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي -وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي- فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).



عبدي قل هكذا، والعلماء اتفقوا على أنه تلقين منه ﷻ للعبد لا يمكن غيره، وقد تكلم علماء البلاغة على أنه يوجد هنا «الالتفات»، والالتفات: هو التحول من ضمائر الغيبة إلى ضمائر الخطاب؛ فكان يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ يتكلم عن غائب، إلى أن قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ولم يقل: إياه! وهذا يسمى بالالتفات في البلاغة، وهو التحول من ضمائر الغيبة إلى ضمائر الخطاب في الغالب، وهذه صورته وقد تكون له صور أخرى.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ تلقين من العبد أن يخاطب الله ﷻ أن يقول له: إياك نعبد يا الله، وإياك نستعين؛ فهو هنا أقرّ واعترف بأنه يعبد الله وأنه يستعين بالله ﷻ، والثلاث الآيات الأولى كلها توسّل إلى المقصود، وهو ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ توسل إلى الله بذكر صفات كماله وجلاله بالإشارة إلى أصولها -حمد وثناء وتمجيد-، هذا كله توسلٌ إلى المقصود، ثم توسل إلى الله أكثر واعتراف العبد بأنه يعبده ويستعين به على عبادته، ومقصود هذا كله هو ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ فهذا هو كل الفاتحة، وما قبل هذا هو توسل وتوطئة وسعي إليها وصيرورة إليه، ثم ﴿ ٱهۡدِنَا﴾ هي مقصود الفاتحة كلها.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ وصف لهذا الصراط ونعت له وتوضيح بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم، بأنه غير صراط الناس الذين ضلوا وانحرفوا من المغضوب عليهم والضالين، ثم الكلام في الصراط تكميل للسؤال، فالفاتحة كلها؛ سرها ولبها ومقصودها هي في كلمة ﴿ ٱهۡدِنَا﴾ وهو سؤال الله الهداية وهذا المقصود الأعظم؛ أن يسأل العبد ربه ﷻ الهداية بكل معانيها:

- هداية الدلالة على الخير والشر.
- وهداية الإرشاد للعلم والمعرفة.
- وهداية العمل بمقتضى هذا العلم وهي هداية التوفيق؛ لأنه من الممكن أن يعرف المرء الخير والشر ولكن لا يعمل بمقتضاهما، فمن الذي يجعله يهتدي؟! هو الله ﷻ الذي يخلق في قلبه هداية معينة حاصلها الإرادة، فهو عرف الخير وأراده فالْتقى العلم والإرادة فوقع الفعل، وهذه الهدايات كلها مقصودة عندما نقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ فهي داخلة بقولنا ﴿ ٱهۡدِنَا﴾ نسأل الله الهداية بجميع أنواعها.
- وآخرها هداية التثبيت على هذا الطريق والهداية إلى آخر مراتب الفوز والفلاح.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ أوجب الله علينا أن ندعوه ونسأله الهداية، والله ﷻ جعل لنا وسائلَ وأسبابًا مؤدية إلى الهداية في كتابه وسنة رسوله ﷺ،

وفي القرآن خاصة بين لنا الله ﷻ الكثير من أسباب الهداية، التي نمر نمر عليها كثيرًا ولا نتأملها جيدًا ولا ننتبه إليها:

۞ الهداية: أسبابها وموانعها

أن يعرف الإنسان أنه في مقام العبودية وأنه عبد لله ﷻ، وإذا عرف الإنسان أنه عبد لله عندئذ يعرف قدر نفسه، ويعني ذلك أنه عرف أنه محتاج ومفتقر إلى سيده ولا يعمل شيء إلا بإذن سيده ورضاه ولا يتمرد عليه، ويعرف أنه فقير ضعيف عاجز في مقابل مولاه وربه وسيده القوي القادر المتصف بكل صفات الكمال، هذه العبودية تدفع الإنسان لأن يقول: يا رب أنا ضعيف عاجز فقير جاهل؛ فيا رب أرشدني واهدني.

أما من لا يعترف بأنه عبدٌ لله ويستكبر عن عبادته كما يفعل الطواغيت والجبابرة المتكبرين والأمم الكافرة، هؤلاء فقدوا سببًا كبيرًا من أسباب الهداية؛ ولهذا فإن المتكبر يمنعه الله من الهداية، قال ﷻ: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ .. الآية ﴾ [الأعراف: ١٤٦] المتكبر لا يحصّل على العلم ولا تحصُل له هداية ولو تحصّل على بعض العلوم، والمستكبر لا يهتدي وسيدخل النار، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر].

ما هي العبودية وعلى ماذا مبناها؟

مرجعها إلى التذلل والخضوع، ومعنى العبودية الأصلي مأخوذة من طريق معبد، عبَّده أي: ذلله، ومعبَّد أي: مُذلَّل لسيده.

معنى العبودية ومدارها على الذلة والخضوع.

فالعبد إذا عرف أنه عبد وحقق العبودية لجأ إلى الله ﷻ أن يهديه وبحث عن الخير والصواب وبحث عن الشيء الحسن الذي يرضي ربه ﷻ، وبحث عما ينجح ويفلح به ويسأل ربه: يا رب أعنّي، يا رب وفقني، يا رب أرشدني.. هذا أهم شيء.

وهذا يتضمن أشياء أخرى؛ فإذا عرف أنه عبد فسيعرف نفسه أنه جاهل وعاجز ويعرف أن نفسه مركبة من أشياء كثيرة جدًا تمنعه من الهداية مثل: الهوى والشهوات، وعندئذ يلتجيء إلى الله ﷻ فيسأله ويستعين به؛ لكي يوفقه ﷻ إلى الخير الذي يرضى به اللهُ عنه، ولهذا جاء في القرآن قوله ﷻ: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾ [الأعلى]، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [غافر]؛ فالذي يخشى الله ويتقيه ويرجع وينيب إليه.. هذا هو الذي يهديه الله ﷻ.

في المقابل الجبارون والمتكبرون الذين لا يخشون الله ﷻ أولئك لا يهديهم الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النحل]؛ ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف].

فأول أسباب الهداية: العبودية لله ﷻ؛ بالبحث عن الهداية والخير، حال كون الإنسان معترفًا بأنه عبد لله، حقير جاهل ضعيف إن لم يوفقه الله ﷻ فلن يوفَّق، قال ﷻ في مواضع من القرآن: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف]؛ فبين لنا أن هناك أشياء تضاد الهداية وهي موانعها: كالكفر والظلم والفسق والخيانة والتكبر والعلو في الأرض، كل هذه موانع للهداية.

الهداية ليست معرفة الخير فقط، ولكن أن يعرف الخير ثم يعمل به؛ ولهذا في ظلمات الحيرة والتردد والشكوك وعندما تأتي فتن الأفكار والمناهج التي يُبتلى بها الإنسان في الدنيا وفي الاجتماع البشري والمضايق يحتاج المرء حينها إلى الهداية، والموفَّق والمهتدِي هو الذي يهديه الله ﷻ فيوفقه لاختيار القول الصحيح ويفعل الفعل الصحيح ويكون في المكان الصحيح مع من ينبغي أن يكون معهم.

كيف يوفق المرء لهذا؟ بتوفيق من الله ﷻ، والله ﷻ أجرى أقداره كلها بأسباب، أهم سبب هو العبودية لله ﷻ بكل معانيها كالخشوع والخضوع والإنابة والتواضع والإلحاح على الله ﷻ وطلب الهداية والاعتراف والإقرار بجهل الإنسان وضعفه ومسكنته وافتقاره إلى الله ﷻ أنه إن لم يهده الله لا يهتدي؛ قال الله ﷻ في الحديث القدسي من حديث أبي ذر: (**يا عبادي؛ إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تَظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**)[1] أي: اطلبوا مني أن أهديكم.

العبودية تستطيع أن تقول أنها السبب الجامع، لكن نحن نتكلم في بعض تفاصيلها سبب الهداية الأساسي، خشية الله ﷻ، الإنابة والتواضع والافتقار لله ﷻ، كثرة الدعاء وسؤال الله الهداية، الإلحاح على الله أن يهديه ويفتح عليه، إذا فتح الله ﷻ على العبد في العبودية وعرّفه بقدر نفسه وأنه عبد لله ولجأ إلى الله، الله يهديه وبعدها لا تَخف عليه، إنما قد يكون الإنسان في الجملة عبد لله ﷻ معترف

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧).

بالعبودية لله مسلم خاضع له ﷻ.

الإسلام: هو إسلام الوجه لله ﷻ، الاستسلام لله ﷻ وحكمه وشرعه، أسلم الإنسان ولكن فيه انحراف وفيه معاصي وفسوق وعصيان لم يهتدِ في أبواب تفصيلية جزئية وإنما اهتدى الاهتداء الكلي الجملي، أي خضع للإسلام على الجملة صار مسلمًا لكنه قد يكون ضالًا ضلالا عقديا تصوريا مقاليا، أو ضلال عمليا؛ ككونه فاسقًا يشرب الخمر ويفعل المنكرات، فهذا الله ﷻ حرمه من أنواع الهداية، من أجزاء منها، أي أن هدايته ليست كاملة، وعندما تنقب الأسباب التي أدت به إلى أن لا يهتدي الاهتداء الكامل لا بد أن هناك أسباب، والسبب الجملي لا بد أن يكون حاضرًا وهو نقص العبودية، كل ما كملت عبودية الإنسان لله ﷻ وحققها تحقيقًا كاملًا كان أهدى؛ فالله ﷻ يهديه ويوفقه، إذا نقصت عبوديته فتنقص هدايته بحسبها، قد يكون من تفاصيلها بعض من الآيات التي أشرنا إليها، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولهذا من أسباب الهداية أن يقوم الإنسان بالقسط، أن يكون منصفًا عادلًا، أن يحرص الإنسان في حياته كلها ومسيرته إلى النفس الأخير أن يكون من أهل تحقيق الحق والعدل والإنصاف والقيام بالقسط لا يرضى بغير هذا، يبتعد عن الظلم بكل معانيه فلا يظلم صديقا ولا قريبا ولا بعيدا ولا عدوًا.. لا يظلم أحدًا.

الظلم: ضد العدل، وهو عدم إعطاء المستحق حقه، عدم إعطاء الأشياء حقها، كل شيء له حق.

والعدل بضده: وهو إعطاء كل شيء حقه ووضْع كل شيء في محله، أي إذا وجدنا شيئا جيدًا نقول جيد، شيء ممتاز نقول ممتاز ونقول هذه أحسن من هذه، العدل في كل شيء.

غالبًا الإنسان في هذه الأمور يعرفها بالعقل كالظلم والعدل ويفرق بينها، لكن كون الإنسان يلتزم بهذا المبدأ ويجعله مبدأه الذي لا يحيد عنه أبدًا، أن يقوم بالقسط، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [النساء: ١٣٥] نقوم بالقسط، وأن لا يظلم أبدًا، ويعلم أنه إذا ظَلَم فبقدر ظلمه يمنعه الله من الهداية، يصرف عنه التوفيق، ترتفع عنه فتوحات الله ﷻ، وإذا قام بالقسط وحقق الحق وكان مع الحق فإن الله ﷻ يهديه ويوفقه وتؤدي الحسنة إلى حسنة أخرى ويفتح الله عليه العمل الصالح والحسنات.

إذن، من أسباب الهداية التوقِّي من موانعها، ومن موانعها الظلم، ومنها الكفر بالله إذا كان بمعناه الأكبر وهو الشرك والكفر الأكبر فهذا أقصى درجاته وهو الخروج من الهداية بمعناها الكامل والخروج من الإسلام، وان كان بمعنى الكفر الأصغر فهو المعاصي، جملة المعاصي كبيرها وصغيرها، ومنها كفر النعمة فكل الذنوب والمعاصي هي من أنواع الكفر ومن أجزاء الكفر.. فهذا بحسبه أيضًا يؤثر

بالهداية.

الخيانة من موانع الهداية، فالله ﷻ لا يهدي الخائنين؛ لأن الخيانة ضد الأمانة فالله ﷻ استأمنك على شيء، العبودية كلها أمانة، والعبادات كلها أمانات، تكاليف الله كلفنا بها واستأمننا عليها أن نؤديها؛ فإذا نقصت أمانة الإنسان بحسبه تنقص هدايته وينقص حظه من الهداية، مطلوب من هذا العبد أن يكون عبدًا لله سائرًا مع أمر مولاه مفضلًا لما يفضله مولاه محبًا لما يحبه مولاه، فإذا عمل بعكس ما يحبه الله فيكون خان الله وخان أمانته فإن الله يعاقبه ويحرمه من الهداية بمقدارها، والله ﷻ حكَم عدْل، قال ﷻ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

هذه بعض أسباب الهداية، وخلاصتها: تحقيق معنى العبودية لله، لكن في المقالات وفي مسائل الفكر وغيرها يستعين الإنسان بهذه المعاني؛ يعلم أنه عبد لله إن لم يهده الله لا يهتدي، يعلم أن الهداية من عند الله ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ٩٩ - ١٠٠].

الهداية كلها من عند الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

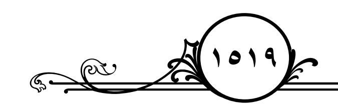
إذن، لا يمكن للإنسان أن يهتدي إلا أن يهديه الله ويوفقه ويعينه.. هذا الأمر يعترف به الإنسان بكل ما يملك من قوة ويقر به في نفسه ويتمثله ويجعله ممزوجًا في لحمه وعظمه وشحمه، يحقق عبودية الله ﷻ ويلح عليه ويلجأ إليه ﷻ أن يهديه، يبتعد عن الظلم والخيانة والفسوق والتمرد والخروج عن أمر الله ﷻ فيوفقه، يبحث عن الخير وعن الهداية عازمًا أنه إذا ظهر له الخير فعله وكان مع أهل الخير، فالله ﷻ يوفقه ويهديه.. هذه أهم أسباب الهداية.

ومن موانع الهداية أيضًا: هذه الحجب التي تكلمنا عن بعضها، فمن العوائق والموانع عن الهداية: **حجاب العادة والإلف** وحجاب الطبع، يتعود عليه الإنسان ويألفه بحيث يصبح صعبًا عليه تركه، فهذه الحجب على الإنسان أن يكون مستعدًا دائمًا أن يتخلص منها ويتجاوزها، حجاب العادة والإلف والمواضعات البشرية التي تكونت من خلال ملامساتهم لبعض في الاجتماع.

من موانع الهداية: **اتباع الهوى**.

الهوى: ميل النفس إلى شيء تهواه؛ أي تميل نفسك إليه، وهذا تعريف بسيط للهوى.

والنفس تميل إلى الشيء الذي يضرها والشيء الذي ينفعها؛ فالنفس تهوى الراحة، وتهوى الأشياء



التي تلائمها وتلتذ بها، ولكن من الممكن أن يكون هذا الذي تلتذ به النفس ضارًا؛ فجاءت الشريعة بالنهي عن اتباع الهوى وبُعث الرسل كلهم بالنهي عن اتباع الهوى، والرسل الذين أرسلهم الله، والكتب التي أنزلها الله جاءت كلها آمرة بمحاربة الهوى، وناهية عن اتباع الهوى.

وجُعل الهوى ضد الهدى، يقول العلماء: «الهوى ضد الهدى»؛ قال الله ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص]، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

كل الأمم التي ضلت وكل الناس الذين ضلوا من أول البشرية إلى آخرها ضلوا باتباع الهوى، إذا اتبع الإنسان هوى نفسه -أي ما تهواه نفسه- كالغلبة على الخصم والظهور والرياسة والملك وراحتها، ما ترتاح به وتلتذ وتحصيل لذاتها كلها وإن كان عاقبة هذه اللذات الهلاك والبوار، لكن النفس لا تفكر! بل تهوى وتميل إلى الشيء فتفعله.

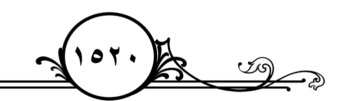
البشر بحسبهم، هناك من هو غارق جدًا في الهوى مثل الكفرة المحاربين للرسل؛ فهؤلاء غارقون في الهوى؛ استغرقهم الهوى وأخذهم، فاتبعوا أهواءهم وتركوا الهدى.

والمسلم الذي أسلم لله ﷻ ودخل في الإسلام على الجملة قد يكون لا يزال عنده بعض الأشياء التي يتبع فيها هواه كأن يأتي يتخاصم مع شخص ويعرف أن الحق مع خصمه ولكن هو يغلبه لكي لا يغلبه خصمه؛ لأنه دخل في نفسه حب الغلبة على الخصم وحب الظهور وحب الملك والشرف والرياسة، الهوى وهو من أشد الشهوات، فهي **(الشهوة الخفية)** كما أخبرنا ﷺ[1].

وحب التملك؛ فالنفس تحب هذا ويظهر صورته في النساء كثيرًا حب الاقتناء للملابس، والأجهزة.. إلخ، فالنفس طبيعتها هكذا، وأظهر ما تَظهر في الطفل ثم النساء، أما في الرجال والشخص الكامل فيزول منه هذا فيصبح حاكمًا في نفسه؛ فحب التملك والقُنية، والغلبة على الناس بحيث يكون هو الغالب وأن تكون الرياسة له والملك والشرف وأن يأمر وينهى وله السلطان، وحب أن يغلب الناس الآخرين بالمعاني أيضًا بأن يكون هو الممدوح دونهم وهو الأفضل منهم وأن ينظروا إليه وهكذا، وكله يرجع ويعود لحب الرياسة «الشهوة الخفية».

---

(١) روى الحاكم في «المستدرك» (٧٩٤٠) أن النبي ﷺ تخوف على امته من بعده **(شرك وشهوة خفية)** فلما سُئل عن الشهوة الخفية قال: **(يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَيُفْطِرُ)**. قال العراقي في «تخريج الإحياء»: حديث لا يصح. لكن جاء عن أبي داود السجستاني أن «الشهوة الخفية: حب الرياسة» نقله ابن عساكر في تاريخه (٢٢/ ٢٠٠) مسندًا.



وحب الشهوات التي تشتهيها النفس بالغريزة، الشهوات الحيوانية كلذة البطن كالمآكل والمشارب والتلذذات البطنية ولذة الفرج؛ فهذا ما تريده النفس، فالنفس تميل إلى الراحة وملء البطن والخمول والبيت الناعم والحمام الساخن هذا ما تحبه النفس، فإذا قلت للشخص: اذهب للجهاد إلى الجبهة الفلانية، فيقول لك: لا أريد لأن الجبهة الفلانية كذا وكذا، أريد الجبهة الفلانية، يجب أن نكون محققين للحق فهذه كلها افتراضات، فنحن نقول: يا إنسان، اسأل نفسك لماذا اخترت هذا؟

هذا -مثلًا- مجاهد يجاهد في سبيل الله لديه العلم الفلاني والخبرة الفلانية؛ فطلبنا منه أن يكون في المكان المناسب لأن لديه علمًا معينا؛ فيرفض ويطلب مكان آخر بحجة أنه لا يناسبه، نقول: لماذا اخترت هذا الاختيار؟ بل هو يجب أن يدقق ويسأل نفسه هذا السؤال.

نفسه التي بين جنبيه -كما قلنا- كأنه شخص آخر يعيش معه ويحاسب فيه، فيقول لها: لماذا اخترت هذا الاختيار وطلبت أن تكون هنا؟ فيقول: هذا المكان فيه جبال وأنا لا أستطيع أنا مريض فلا بأس، هذا عذر فخرج عن المؤاخذة.

فهذا عذر وعجز، ولكن نقول: فتش واسأل نفسك، فبعضهم يعتذر فيكون الجواب: أنا أختار كذا لأنه مكان قريب من كذا وهناك اتصالات وتليفونات، وهناك يوجد ناس يخدمونا ويقدموا لنا.. أو تقديم بعض الحلويات -مثلًا-! فنقول: هذه قصاراها أن تكون مباحة، ولكن هل طلب هذا المباح يجعلك تترك العمل الفاضل المطلوب منك أن تؤديه واختير لك من قِبَل المسؤولين عليك ومن الأشخاص المفترض عليك اتباع أوامرهم، قيادة، إمارة، أمير، إمام، فاختارت لك أن تكون هنا، ونظرت النظر المصلحي -المصلحة الشرعية- الذي يحبه الله ويرضاه، والمفروض حسب النظر الشرعي بعد أن تشاورنا المفروض فلان يكون في هذا المكان المناسب؛ فإذا كان عندك اعتراض واخترت اختيارًا آخر ممكن تبديه وتجادل به وتقول مثلًا: الأنسب أن أكون هنا، وهناك جانب لم تنظروا فيه، واقتصر نظركم على شيء معين وغفلتم عنه ولم تراعوه؛ فهذا لا بأس به فهذا جدل يحصل، فالمقصود من الجدل هذا الوصول للخير والوصول للحق فإذا كان هذا هو المقصود فليس مذمومًا، فلا بأس به هنا بالخير وبالتي هي أحسن، لكن إذا كان عنده شهوة خفية ويجادل ويكثر الكلام والجدال، فيجب عليه أن يسأل نفسه -مثل ما قلنا- فقد يكون ذلك لا لسبب مهم إلا أن هذا المكان فيه راحة له أو فيه أصدقاء يسهل التواصل معهم أو هناك يوجد أماكن وبيوت مريحة.. إلخ، فإما أن يكون رجَّح لأمر مباح فحينئذ هذا أمر مباح، فأنت -مثلًا- ذاهب إلى هناك لأكل التوت فهذا من

المباح لكن المشكلة ليست هنا، المشكلة أنه أحيانًا ترك خيرًا كثيرًا من أجل حرصه على مباح؛ فهو قدَّم مباحًا وأراد أن يتشبث به، وقصاراه أنه حظ نفسه وهي لذة أنه يحب التوت، لا حظَّ للإسلام، الإسلام لن ينتصر وأنت ذاهب لأكل التوت؛ فترَك خيرًا كثيرًا وترك أمر الجماعة وأمر الأمير وربما أدى جدله إلى مشاغبة أو إلى شِقاق أو إلى نقص احترام ونقص أدب وضعف في القوة الجماعية.. إلخ.

فحصلت مفاسد كثيرة في الأثناء كلها في سبيل أنك أنت ذاهب لتحقق هدف شخصي قصاراه في النهاية أنه مباح، لا نقول أن حبك للتوت أو إرادتك أن تأكله أنها حرام، ليس من هنا الحُرمة أو ما يقاربها دعونا نقول الشيء الغير مرضيّ؛ أنت بسبب إرادتك لهذا المباح وتفضيلك واختيارك له وتشبثك به تركت خيرًا كثيرًا وأدى تركك -مثلما قلنا- إلى مشاغبات وعدم طاعة وعدم انتظام الأمر وتنغيصات وهكذا.

فهذه ينتبه إليها الإنسان، فهذا مثال يمس واقعنا في عملنا الجماعي في الجهاد، لكن المقصود أن النفس تميل دائمًا إلى أشياء معروفة تميل إلى اللذات، لذة الراحة، لذة الظهور والغلبة والرياسة، لذة شهواتها الغريزية البهيمية الحيوانية التي هي لذة البطن والفرج، لذة المناظر والأسماع والنظر، النفس تميل إلى تحقيق لذائذها، جاءت الشرائع كلها وجاءت الرسل ونزلت الكتب بالنهي عن اتباع الهوى، وضرورة ووجوب مخالفته، قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] هذا هو المعيار والمقياس، ويمكن أن تكون هذه الآية شعار.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ الطغيان: وهو مجاوزة الحد، طغى الماء: جاوز الحد.

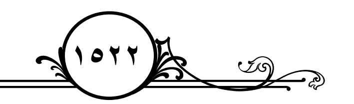
﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: على الآخرة، آثرها واستحبها وفضلها وتشبث بها، تاركًا الآخرة.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ الجحيم مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ خاف مقام الله ﷻ، ونهى نفسه عما تهواه وخالفها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

النهي عن اتباع الهوى والأمر بمخالفة الهوى، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية] دائمًا في القرآن نهي عن اتباع الهوى، والهوى ضد الشريعة ضد الهداية ضد ما جاءت به الرسل.

المكذبون والمعاندون من الأمة ومن الذين أهلكهم الله كذبوا الرسل وعاندوهم، المترفون



وأتباعهم يتّبعون أهواءهم في القرآن، وصفهم الدائم أنهم اتبعوا أهواءهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ١٦﴾ [محمد] فجاءت الشرائع والرسل بالنهي عن اتباع الهوى، مخالفة الهوى ضرورة ووجوب، فينتبه الإنسان للهوى في نفسه والمفروض أن يُفتش عليه تفتيشًا دقيقًا جدًا ومتعنتًا وقويًّا.

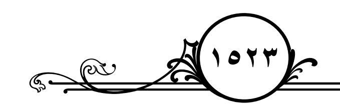
التعنت ليس محمودًا، لكن نقول: تفتيشًا دقيقًا حازمًا عن ماذا تهوى نفسه، وإذا النفس رُوِّضت على هذا يصير سجية فيها دائمًا اختيار الخير، لكن تبقى النفس أمَّارةٌ بالسوء، تبقى النفس دائمًا خدَّاعة، تبقى النفس فيها دائمًا النزعة تميل إلى شهواتها وغرائزها ولذائذها -هكذا طُبعت- فيكون الإنسان دائمًا منتبهًا لنفسه ولهذا لا يتكلم في شيء عنده فيه هوى، حتى في حالة الشورى -مثلًا- في التشاور في الأمور، إذا كانت المسألة عندك فيها هوى فاحزم لنفسك قل: أنا هذا الموضوع لا أستطيع التكلم فيه؛ لأن عندي تعلقٌ مَّا به فأخاف أن يكون كلامي غير صادر عن تحقيق وتجرد.. هذا جيد، وهذا من عقل الإنسان أنه إذا شُووِر في أمر وكان له فيه هوىً قال: ما أستطيع أن أتكلم في هذا، يعتذر عنه، طبعًا إذا كان هناك مجال، لكن أحيانًا لا بد أن يكون لك قول، لكن ينتبه الإنسان للهوى في نفسه انتباهًا دقيقًا جدًا جدًا.

العلماء لهم تدقيقات في هذا، في عبارةٍ لابن رجب اقتنصتها في مسألة اتباع الهوى، يمكن أن نقرأها هنا أيضًا في مسألة الاختيارات العلمية والفكرية والمنهجية واختلاف الناس في الفكر الآن، والأطروحات التي يطرحها الناس الأهواء كثيرة في هذا، ولا يسلم إلا من سلمه الله ﷻ وقليل هم، ولا يدَّعي إنسان أنه سالم من الهوى أبدًا؛ لأن هذه نفس الإنسان بين جنبيه كون الإنسان يدَّعي يقول: أنا لا أتبع الهوى.. هذا أجهل الخلق! لكن على الإنسان أن يعرف أنه مبتلى بهذا ابتلاءً شديدًا وأنه ضعيف إلا من يوفقه الله ﷻ، فمن الممكن أن يغلبه الهوى.

فلو عرف الإنسان هذه الأشياء فيكون منتبهًا لها، فيوفقه الله ﷻ ويعينه.

[سؤال من أحد الحضور: يا شيخ، في اتباع النفس للهوى، أحيانًا الشخص ينظر للأشياء في نظره أنها مصلحة أو فائدة -خاصة في العمل الجهادي- بينما الأمير ينظر إلى نظرة أخرى حتى لو ما كانت فيها مصلحة ظاهرة؛ فالشخص هذا تحركه هذه الأمور فيذهب إلى ما يراه مناسبًا، والأفضل أنه الذي يعمله هو الخير، مثلًا: هو جالس في منطقةٍ ما ليس بها عمل الآن، وهو ينظر إلى منطقة ثانية ليعمل بها.. هذه ظاهرة بها عمل فيريد أن يذهب إلى القتال والخير، بينما جلوسه هنا لو صبر والخير غير ظاهر له كان سينتج أكثر مما سينتجه في المنطقة الثانية، فهو ينظر بهذه النظرة؛ لكن كيف نستطيع تقنع هؤلاء الإخوة بهذا الأمر!]

الشيخ: ما مراتب الخير فيها؟ هنا خير وهنا خير، نحن نبتلى بهذا كثيرًا في عملنا، هذا أخ -مثلًا-



وضعناه نحن هنا قلنا له اعمل هنا إداريًا اعمل في المكتب أو في الورشة، فيقول: أنا يا شيخ أريد أن أذهب للجبهة؛ فنقول لماذا الجبهة؟! هو ذاهب إلى خير؛ فهو ليس ذاهبًا لرذيلة بل إلى فضيلة وخير وعمل صالح، لكن نحن نظرنا وتبيَّن لنا من خلال النظر ومن خلال العلوم النافعة والعلم الشرعي وما يدل على الشريعة وبالتشاور والدراسة تبيَّن للقيادة أنك أنت المفروض أن تكون هنا؛ لأنك مناسب ومحتاجون لك نحن هنا، محتاج لك الإسلام والمسلمون والجهاد والمجاهدون هنا في الورشة وتصبر لا يوجد قتال في الورشة، جلوس وصناعة أشياء، ويمكن أن نحتاجه في الإعلام في المجلة -مثلًا- فنحن نؤسس للمجلة ونحتاج إخوة كُثر في المجلة؛ فكثيرٌ من الناس مؤهلون أن يكونوا في المجلة يكتبون ويفكرون وينتج في هذه المجلة؛ محتاجونه حتى وإن كان عملًا قليلًا كجماعة محتاجة أن يكون عندها مجلة، لماذا؟ لأنها منبر من خلالها نحن ندعوا ونحرض ونقول بعض الأفكار، فأنا أريد أن أكتب أفكارًا، أين أكتبها؟! فنحن لا نستطيع أن نظهر كل يوم في الشاشات ونقول أفكارنا، مثل ما قلنا سابقًا أنه يجب أن يكون هناك منابر معينة نستطيع أن نتحدث فيها؛ فالمجلة مهمة.

طيب؛ هناك شخص غير مقتنع ولكن نحاول إقناعه فيأتي ويجلس ويقلق ويقول: أنا جالس هكذا أكتب فقط فأنا أريد جهاد أريد جبهة قتال.. فنقول له: اصبر، ولكن ممكن أيضًا نعطيك فرصتك في الخط نسدد ونقارب مراعاة لحاجتك أن تقاتل وتخوض تجربة جهادية، ومحتاج أيضًا لتربية نفسك للجهاد وكذلك للترويح عن نفسك، لكن هو اختياره لأن يذهب للجبهة ناتج عن محبته وغلبة حب القتال على نفسه فقط، ليس ناظرًا إلى أن الخير هنا، هذا خير وهذا خير لكن خير الخيرين هو أن أكون هنا.

بدليل أن الجماعة أمرَتْني أن أكون هنا واختارت لي الجماعة -العقل الجمعي هو الذي اختار-، وأنا عقلي الوحيد وهو غالب على هوى نفسي وإرداتها جعلني أختار هذا الجانب؛ فالمفروض أن الإنسان يختار الجانب الذي اختارته له الجماعة ويصبر عليه ويعلم أنه هو الخير، لكن لا بأس أنه هو إذا طال الوقت إذن هناك مدة وهناك فرصة أنه هو يطلب ممكن سنة ثم بعدها يذهب للجبهة الموسم القادم من باب تجديد النفس؛ فهذا غالب ما يحصل فيه المشاورة وتتيسر، الأمور ليست صعبة لكن لا يتعنت الإنسان؛ لأنه حتى دخوله للجبهة هو تربية لنفسه، فيه معانٍ تربوية كبيرة؛ لا يكتسبها الإنسان إلا بالممارسة القتالية، وفيه عبادة كبيرة يذوق حلاوتها وطعمها ويمارسها وينال أجرها وفيه ترويح عن نفسه أيضًا؛ حتى لا يقلق في مكان واحد لأن من طبيعة الإنسان يحب التغيير والتبديل والتنويع.

والمفروض أن تخالف نفسك، اللَّهم إلا إذا رأيت أن الجماعة مخطئة مئة بالمئة وتبين لك خطؤها

بعدم خروجك للقتال، لكن هذا في حالات قليلة أن يجزم الإنسان أن الجماعة مخطئة هنا، فحينئذٍ ممكن أن يجادل بقوة ولكن يبقى في النهاية يجب عليه أن يطيع لأن الأمور الاجتهادية تطاع فيها القيادة حتى وإن رأى الإنسان خلافها، فهذه الأمور مبنية على قوة المعرفة وقوة العلم بـ«أين الخير»؟ ولهذا فمن الشعارات التي أعددتها «أين الخير فنفعله» هذا المفروض أن يكون شعارنا في جميع أمور حياتنا.. دُلني على الخير فقط وأنا أفعله.

يقول ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»[1]: «ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يُظهر أنه يبغض لله»؛ يظن أنه يبغض لله ويحب في الله وأحيانًا يهجره؛ لأنه يخالف مذهبه فهو ليس لله عند التحقيق، فيجب أن ينتبه الإنسان لهذا.

«وقد يكون في نفس الأمر -الذي يبغضه في الله- معذورا، وقد لا يكون معذورا، بل يكون متبعا لهواه، مقصرا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه» فيحتمل أن يكون الإنسان الذي تقول أنت عنه «أبغضه لله» قد يكون معذورًا في نفس الأمر؛ لأنه لم يعرف الحق واجتهد ولكنه لم يصب لكنه معذور، مريد للخير باحث له بادر في طلبه لكنه لم يوفق له، وقد يكون متبعًا لهواه مقصرًا في البحث عن معرفة الحق.

«فإن كثيرا من البغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق» الغالب أن هذا سببه هو موافقة الإنسان لمتبوع له من إمام أو عالم أو شيخ يظن أنه لا يقول إلا الحق، فيعمل بهذا فيصير الحق متماهيًا وكأن الحق هو قول شيخه أو إمامه، وليس كذلك.

«وهذا الظن خطأ قطعا، وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه، فهذا الظن قد يخطئ ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل مجرد الهوى، والإلف، أو العادة» قد يكون الحامل إلى الميل إلى قول معين هو مجرد الهوى مثلًا: هذا قول قومي ومشايخي ومدرستي ومشايخنا وعلمائنا فالإنسان يحب أن يكون مع قومه ويميل إلى أن يختار ما عليه قومه.

«وكل هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله، فالواجب على المؤمن أن ينصح نفسه، ويتحرز في هذا غاية التحرز، وما أشكل منه، فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهي عنه من البغض المحرم» فهو ينتقد قول كثير من الناس: أنا أبغض فلان في الله، وفي الحقيقة عند التفتيش تجده يبغضه؛ لأنه

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٧).

يخالف مذهبه لا لمجرد أنه خالف الحق وخالف مراد الله ورضى الله ﷺ، بل لأنه خالف ما عليه، هو خالفني لأنني أنا رأيي كذا فأنا أبغضته -مثلًا- أو لأنني أنا تابع لمدرستي ومشايخي وعلمائي وقومي والألفة التي بيني وبين قومي في هذا القول وغيرها والعادة التي نحن معتادين عليها فأنا أبغضه وادعيت أنني أبغضه لأجل الله ﷺ، فهذه الإنسان يحترز منها، وكذلك أيضًا المحبة؛ فقد يقول لك أني أحبك في الله يا أخي وهذا أيضًا يقع كثيرًا، ولهذا لا ينبغي التسرع في أن الإنسان يحبك أو لا يحبك في الله لكن يقولها عن تحقيق، وإن قالها يقولها عن فعل عرف أن صاحبه يستحق أن يحب في الله، والبغض أشد.

«وها هنا أمر خفي ينبغي التفطن له وهو أن كثيرًا من أئمة الدين قد يقول قولًا مرجوحًا ويكون فيه -هو هذا الإمام- مجتهدًا مأجورًا على اجتهاده فيه موضوعًا عنه خطؤه فيه -مغفور له- ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة» يعني عندنا إمام قال قولًا ربما يكون خطًا في نفس الأمر، أي في الحقيقة هذا القول خطأ لأن هو هذا الإمام العالم مجتهد مغفور له محطوط عنه وزره ولكن هذا ما أدى إليه اجتهاده ليس ملامًا في ذلك وهو معذور بل مأجور لكن المتبع له ويكون المنتصر لمقالته من الناس، من الأتباع، مثلًا: الإمام مالك قال قولًا، يأتي شخص منتصر للإمام مالك والمالكية يبدأ ينتصر لهذا القول، فمالك قال هذا القول اجتهادًا وهو مأجور محطوط عنه وزره، مغفور له ومجتهد لم يصب في هذه المسألة في نفس الأمر فله أجر واحد، لكن المنتصر لمقالته لا يكون بتلك المنزلة؛ لأن كثيرًا من الناس يغلب عليهم الانتصار لمذهبهم، لمذهب إمامهم، لمذهب بلدتهم لما عليه قومهم واختيارهم وهكذا ومشايخهم ومدرستهم.

«ولا يكون المنتصر بمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة؛ لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه -الإمام الذي اتبعه هو- قد قاله؛ بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة العلم والدين لما قَبِله ولا انتصر له ولا والى من يوافقه ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق، وإن أخطأ في اجتهاده -فخطؤه معذور فيه- ، وأما هذا التابع فقد شابَ انتصارُه لما يظن أنه الحق إرادة علو متبوعه وظهور كلمته أنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصد الانتصار للحق؛ فافهم هذا فإنه فهم عظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» اهـ.

فالمقصود: الانتصار للمقالات وللمذاهب وللآراء وللمدارس ولغيرها؛ فالإنسان ينتبه أشد الانتباه والعلماء دائمًا ينبهون على هذا، والعبارات التي عثرنا عليها أبرزناها، وإلا فكلام العلماء في هذا

كثير كلام المتقدمين والمتأخرين، ينتصر الإنسان أحيانًا لقول أو لرأي معين أو اختيار معين، لا لكونه هو الحق في الحقيقة، لكن لكون متبوعة إمامه قال به أو جماعته، نحن الآن عندنا الجماعات، هذا اختيارها وتقول بهذا القول، الشيخ أسامة قال كذا والشيخ فلان قال كذا ونحن ومشايخنا...! لا، أنت تنتصر للحق وتكون مع الحق وإذا نصرت قولًا يجب أن تفتش وتسأل: لماذا تنصره؟ لماذا تؤيده؟ لماذا تفضله؟ لماذا تختاره؟ لماذا تمشي عليه؟ فهذا شيء مما يتعلق باتباع الهوى.

إذن: من أسباب الهداية مخالفة الهوى والتحرز من اتباعه؛ فنتنبه لهذا الهوى، نكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللّٰهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

أذكر نفسي وإياكم بإخلاص النية لله ﷻ في هذه المجالس؛ حتى تكون لنا لا علينا، تكون -إن شاء الله- مجالس مباركة، ننوي مدارسة العلم والتعاون على البر والتقوى، وإصلاح أنفسنا، والتهيؤ لإصلاح أمتنا، والتزود بالعلم النافع والمعارف، نسأل الله لنا ولكم التوفيق.

عطفًا على موضوع الهداية؛ في القرآن الكريم تكرر كثيرًا أن آيات الله ﷻ في الكون، أو آياته السمعية التي جاء بها الرسل.. أنها لا تنفع إلا أصناف معينة من الناس، وأن الآيات لا تنفع في بعض المرات، لا تنفع بعض الناس، وأن آيات الله ﷻ كثيرة ولكن الناس لا ينتفعون بها إلا قليلا ينتفعون بها، هذا كثير في القرآن؛ في باب المعاني أقصد.

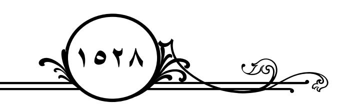
كقوله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف] وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس]، وهذا كثير جدًا.

فآيات الله ﷻ مبثوثة في كونه، في خلقه ﷻ، ومعظم المقصود بالآيات هنا: الآيات الكونية؛ أي ما نصبه الله ﷻ من الدلالات والأمارات والعلامات الدالة عليه ﷻ، على الخالق ﷻ، على توحيده، والدالة على الحق وعلى الخير الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه، الآيات كثيرة في كون الله ﷻ ولكن الناس لا ينتفعون بها.

هناك آيات أخرى بين الله ﷻ فيها أنه ينتفع بها أصناف من الناس، وأصناف آخرون من الناس لا ينتفعون بها؛ بسبب اتصافهم بأوصاف معينة، مثلًا؛ الله ﷻ عندما يقول: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، لقمان: ٣١، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣] تكررت هذه في ثلاثة مواضع في القرآن[(١)]، هي آيات

---

(١) بل في أربعة مواضع؛ ذكرناها في تخريج الآية.



لكن الله ﷻ أخبر أنها آيات لهؤلاء الناس ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ قالوا: قصرها عليهم؛ لأنهم هم المنتفعون بها، هي آيات، هي في نفسها آية، آية من آيات الله.

معنى الآية: علامة؛ يعني علامة دالة على الله ﷻ أو على مراد الله ﷻ، لكن لا ينتفع بها إلا هذا الصنف من الناس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم].

في سورة سبأ -مثلًا- بعد أن قص ﷻ قصة قوم سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ قيل أنها الشام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ يحكي الله ﷻ ما أنعم عليهم من النعم العظيمة، من الرغد في الحياة الدنيا، وحاصلها: بلدة طيبة، ورب غفور.

رب راضي عليكم وأنتم مُبحبحين! نعمة كبيرة جدًا كانوا فيها، وساق بعض تفاصيلها: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ سهلة وميسرة، وكل شيء ممكن حتى الخدمات والمواصلات، ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨﴾ أمن! نعمة الأمن كذلك، الناس تمل حتى من النعمة، ويتمردوا ويكفرون، ولا يُقدرون النعمة ولا يشكرون، ولا يصبرون، لاحظ قلة الصبر: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ما هي الأسفار هذه السهلة والميسرة!! وفي قراءة ﴿بعِّد﴾ وكلاهما معنى واحد: باعد وبعَّد، بعَّد الله وجه من النار، ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ لذلك، وهذا حقيقة الظلم؛ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ مزقهم الله شذر مذر حتى صاروا يضرب بهم المثل، فيقال: تمزقوا أو تشتتوا أو تفرقوا أيادي سبأ.. هكذا عن العرب؛ فصاروا تاريخًا يتحدث بهم الناس، يتحدثون عن قصصهم ويضرب بهم المثل، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ تعقيب كله وتذييل، تعقيب أي: عادة القرآن أنه يختصر العبرة ويعطي الحكمة والفائدة والعبرة، والتذييلات هذه مهمة جدًا ولها فقه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾ صبّار = فعّال، وهذه إحدى صيغ المبالغة، أي كثير الصبر، وكذلك شكور = فعول، صيغة مبالغة من الشكر، كثير الشكر، فمعناها إن الآيات هذه ما يستفيد منها ولا تكون آيات على حقيقتها بالفعل علامات دالة ومنبهة ومفيدة للعلم إلا لهذا الصنف من الناس: من حقق الشكر على أحسن مستوى، وحقق الصبر على أحسن مستوى.

هؤلاء الناس ظلمهم الذي ظلموه أنفسهم من نوع غريب، كما تلاحظ ناس مبحبحين في نعمة كبيرة ملوا من هذه النعمة! كما ملَّ بنوا إسرائيل من المن والسلوى فقالوا: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ

﴿ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[البقرة: ٦١].

فيصدر عن الإنسان أحيانًا أشياء غريبة من مناقضة الحق، ومناقضة الحكمة، ومناقضة مقتضى العقل، ومناقضة أسباب الخير؛ بسبب قلة الصبر، وأنت تلاحظ في الجهاد كم من إنسان ترك كثيرًا من الخير وفاته كثير من الخير؛ بسبب قلة الصبر: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يشكر الله ﷻ على النعمة، فالله ﷻ يديمها عليه؛ لأن شكر النعم سبب إدامتها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فهذا كان من ضمن ما ورد في القرآن من المواضع، وهذا كثير جدًا في القرآن؛ يبين فيها الله ﷻ كما قلنا أن الآيات كثيرة في خلقه ولكن الناس عنها معرضون، الناس لا تتفكر فيها، الناس لا تتأمل، الناس لا تنتبه.

أيضًا كثير من الآيات أحيانًا ما تغني عن بعض الناس؛ لأنهم لا يؤمنون ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس] واحد لا يؤمن فلماذا تكثر عليه في الآيات؛ لأنه هو أصلًا ليس عنده استعداد أن يؤمن، أو أنه لم يؤمن بالبدايات حتى يضاف إليه التكميليات! ولهذا كان من سنة الله ﷻ في خلقه أنه إذا آمن العبد واهتدى يزيده هدى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد].

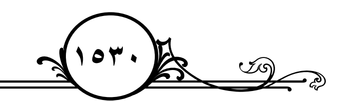
وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] في البداية تأتي لهم الآيات فيتكبرون، فيصرف عنهم الآيات.

وهذا في عدة مواضع أيضًا في القرآن في الدلالة عليه، مثل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ [النحل: ١٠٤] لا يؤمنون بآيات الله يعني جاءتهم الآيات ولم يؤمنوا بها؛ فالله ﷻ صرف عنهم الآيات وصرف عنهم الهداية.

مثلًا: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام].

مثلًا: في سورة الأعراف موضع الشاهد: ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾[الأعراف: ١٠١] يعني بسبب، الباء سببية، يعني بسبب تكذيبهم من قبل، تكذيبهم الأول، عاقبهم الله ﷻ بأن صرف عنهم الآيات.

هذه تكلم فيها العلماء على أن الله ﷻ يصرف آياته عن الناس إذا لم يؤمنوا أول مرة، ولهذا ينتبه الإنسان ربما الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] هذا بعد الأمر بالاستجابة لله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٢٤] معناها: فإن لم تستجيبوا وإن لم تفعلوا فليكن في علمكم، انتبهوا هذا تحذير وتوعد وتهديد



وتخويف فاعلموا، فإن لم تستجيبوا، فليكن في علمكم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ معناها: أن الله ﷻ قد يحول بينك وبين الهداية في وقت تكون محتاجًا للهداية فيه، لكن يحول الله ﷻ بينك وبينها؛ فعليك أن تستجيب لله وللرسول وتنتبه، وإذا جاءتك الآيات وجاءتك الفرصة استغلها ولا تضيع فرصتك ولا ترد نعمة الله ﷻ عليك، بل اقبلها؛ حتى ينميها الله ﷻ لك ويتمها عليك، وإلا إذا رفضت نعمة الله أول مرة قد يعاقبك الله ﷻ بالحرمان، لا تأتيك النعمة مرة ثانية، لا تأتيك الآيات مرة ثانية، هذا المعنى مهم جدًا جدًا، هذا أيضًا عطف على أسباب الهداية.

ننتقل إلى بعض العناوين الأخرى وهي كلها -إن شاء الله- خادمة لموضوع الهداية.

۞ الحق

الحق معناه في اللغة: الثابت، حق يحق يعني ثبت، ورسخ، ثابت في نفس الأمر، هذا شيء ثابت، كائن موجود مستقر ثابت حاصل واقع.

الإنسان الذي يطلب الهداية والذي يأخذ بأسباب الهداية أولها: أن يعلم أنه عبد لله ﷻ، متحقق بالعبودية مفتقر إلى الله ﷻ محتاج إلى الله، سائر إلى الله ﷻ، لاجئ إلى أن يهديه الله ﷻ وأن يُعرّفه الحق، الله ﷻ هو الحق، وكل ما صدر عنه هو الحق، فالحق هو ما أحقه الله..

هو الله وما أحقه الله -هذا الحق شرعًا-.

طبعًا الحق يتفرع:

- من أسماء الله الحسنى: الحق ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور] الله ﷻ هو الحق «يقول الحق ﷻ»؛ كثيرًا ما تجدها على ألسنة أهل العلم، كأنهم اختاروها بمناسبة أن فيها آيات الله تتلى وهي حق، وليعلم الناس أن الله حق.

الله ﷻ هو الحق؛ حق لأنه ﷻ هو المتصف بالوجود والكينونة الثابتة الدائمة الأزلية، الذي لا أول له ولا انتهاء؛ فهو الأول، وهو الآخر، المتصف بالوجود الكامل، أولًا وآخرًا؛ ولهذا نقول: لا ابتداء له ولا انتهاء، أو الأزلي؛ متصف بالوجود الأزلي، والبقاء السرمدي اللا منتهي، هذا كلام للتفسير، ولكن اللفظ الشرعي هو الأول والآخر، لكن نستعمل أحيانًا للشرح ألفاظ مثل البقاء والوجود الأزلي وهكذا.. استعملها العلماء ولكن على سبيل التوسع في الصفة فقط عند الشرح، لكن هو يجمعها في أسماء الله الحسنى أنه الأول ﷻ الآخر، لا يلحقه زوال ولا عدم، من باب الصفات أنه يوصف الله بهذا.

- وما أحقه الله وما صدر عن الله هو الحق، هو الثابت، هذا مفهوم مهم لا بد أن نركز عليه في ثقافتنا وفي فكرنا وتصورنا.

- طبعًا يتفرع عن الحق ما أحقه الله، فالله ﷻ قَسَّم الحقوق أيضًا؛ جاءت الشريعة بتقسيم الحقوق، حق لله، حق للعبيد -حق للنفس، وحق للغير-.

حق الله ﷻ على العبيد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ العبادات؛ عبادة الله ﷻ وحده، كل ما يدخل في العبادات، هذا حق الله.

حق العبيد: ما أحقه الله له سواء لنفسك أنت أيها الإنسان، أو لغيرك؛ بحيث يجعل له حقًّا عليك فتراعيه، أحَقَّه الله للعبد أي هو: إما لنفسك، أو للغير، مثلًا: قالت لك الشريعة احترم حق والدك عليك، الزوجة -مثلًا- قالت لها الشريعة: حق زوجك عليك أن تطيعيه وأن تبريه وأن تتوددي إليه وأن تحترميه وتخدميه، وهكذا.

فحق الله على العبيد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، لحديث معاذ: **(أتدري ما حق الله على العبيد)**[1]، وحقوق العبيد واضحة.. ولذلك دائمًا نجد الفقهاء في مسائل الفقه يقولون: هذا حق لله وهذا حق للعبيد، أحيانًا يكون فيها حق الله وفيها حق للعبيد، مثلًا: العبادات، قسم العبادات كله حكم مبني على حق الله ﷻ، والمعاملات غالبها مبنية على حق العبد، ولكن فيها حق لله.

كل ما أحقه الله صار حقًّا؛ فنحن أهل الإيمان والإسلام والمجاهدين.. على حق؛ لأن الله ﷻ أمرنا أن نعبده وحده لا شريك له، أمرنا بالإسلام له ولحكمه وشرعه، وأمرنا بأن نجاهد الكفار، وأن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر، وأمرنا أن نقاتل هؤلاء المرتدين والكفار وأن نجاهدهم؛ هذا حق نؤمن به، فيأتي أحدهم -مثلًا- ويقول لنا: بأي حق تحاربوا الحكومة؟ بأي حق تقتلوا هؤلاء الناس؟ فنقول: هذا حق أحقه الله لنا، وأعطانا إياه، نحن على حق، ونحن أهل الحق، ونقاتل على الحق.

الآن -مثلًا- أنا ذهبت فاتحًا لبلاد الكفار -بحيث نكون قد انتهينا من مرحلة جهاد الدفع-، ذهبنا نفتح استراليا، نحن كتائب وشاقين بحار وماشيين على السواحل ودخلنا -بإذن الله ﷻ سيكون-، سيقول الناس أننا غزاة! ونحن لا زلنا عندنا حق ندافع عن أنفسنا وعن أرضنا وعن وطننا.!

نقول لهم: لا، ليس حقكم، نحن أصحاب الحق، نحن المسلمين أهل الإيمان، نحن عبيد الله، نحن جند الله، نحن الذي لدينا الحق.. نبدأ نحن نعرض عليهم الإسلام مثلًا -طبعًا هذا عرض مستحب

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٥٦، ٦٢٦٧)، صحيح مسلم (٣٠).

وإلا فقد بلغت الدعوة لهؤلاء- ونبدأ نعرض عليهم الجزية.. إذا لم يستجيبوا نبدأ القتال، والقتل يكون فيه رمي طبعًا، مات فيهم رجال وأطفال ونساء وبدأ تدمير المنازل والمزارع وغيرها، نحن كل هذا الذي نفعله إنما نفعله بالحق،؛ فهذا حق لنا أحقه الله؛ لأن الله ﷻ هو الذي أمرنا بجهادهم، وأن نغزوهم وأن نستولي على أرضهم، وأن يكون الله هو الحاكم وهو الغالب، وهم يكونوا تحتنا، إذا أسلموا فهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإذا لم يسلموا يقرون على دينهم ولكن يكونون تحتنا ويدفعون الجزية ويكونون أذلاء، نحن أهل الحق، هم يقولون: لا، هذه أرضنا، هذا وطننا وهذه بيوتنا ونحن ندافع عنها؛ فنحن أهل الحق نقول: لا، ليس لكم حق، أنتم كفار، الله ﷻ لم يجعل لكم حق؛ لأنكم كفرتم بالله، وأشركتم بالله، وتمردتم على الله، وعصيتم الله؛ ففسقتم وخرجتم عن أمر الله، وحاربتم أولياء الله، وكنتم في الصف المعادي لله ﷻ ولدينه ولأوليائه ولجنده.

فما عندهم حق؛ ونحن عندما نقاتلهم ونقتلهم، إنما نقتلهم بالحق، وهم عندما يردون ويقتلون، إنما يقتلون بالباطل، ويضربون بالباطل، ويقاومون بالباطل، وليس عندهم حق؛ فيأتي واحد يقول: لا، عندهم حق، أنت تضربه، فهو يضربك، عنده حق! نقول: لا، هو ما عنده حق، أنا عندي حق أقتله وأضربه، وهو ما عنده حق. هذا المفهوم مهم جدًا.

شيخ الأزهر لما جاء فرنسا وقال: فرنسا عندها حق أنها تمنع الحجاب في دولتها، إذا فرنسا أرادت أن تمنع الحجاب فهذا حقها حقها حقها! ثلاث مرات قالها!

هذا واحد جاهل لا يعرف الحق؛ لأنه ليس من حق فرنسا أن تمنع الحجاب بل فرنسا عليها هي نفسها أن تحتجب وتأمر بالحجاب وتخضع لشريعة الحجاب، ليس حقها، ولا يقال أن هذا حقها، الحق حقهم لما تعطيهم الشريعة الحق، مثلًا: لو كانوا كفار عندهم حق في شيء فنقول هذا حقهم، الشريعة أعطتهم هذا الحق، ليس عندنا حق أبدًا إلا ما أحقه الله وجاء به شرعه فقط، أما سواه لا يوجد أبدًا.

طيب، حينئذ كل شرائع حقوق الإنسان وحقوق الحيوان والشرائع الدولية وما اتفق عليها البشر، كلها تحت الشريعة، ننظر هذا أقرته الشريعة نوافق عليه، لم تقره نرفضه، ليس عندنا أبدًا أي شيء اسمه حق إلا ما أحقه الله ﷻ بأن أقرته شريعة الله ﷻ ودلت عليه الشريعة أنه معتبر، وأنه محترم ثابت، نحترمه ونراعيه، هذا معناه.

كثيرا ما يعرض لأفراد الناس، وللواحد منا، أن يتوهم الإنسان أن عنده حقًّا في شيء، فيظن الإنسان أو يشتبه أو يتوقع ذلك، ويُهيأ ليدرك إدراكًا خاطئًا أن عنده حقًّا في شيء؛ فإذا أحس الإنسان

بهذا فعليه أن يدقق وينظر هل عنده بالفعل حق في الشيء أو لا؟ فإن كان عنده حق فليطالب بحقه إن شاء، ويقول: هذا حقي وأنا أريد كذا وكذا، هذا حق أحقته لي الشريعة.. فإن كان ليس حق له فلا يأخذه؛ فالذي يبخس الناس أشياءهم، والذي يقتطع حق غيره بغير حق، خاصة في الأرض؛ فقد توعدته الشريعة وعيدًا شديدا: **(من اقتطع شبرًا من الأرض طوّق سبع أراضين)**(١).

فيتنبه الإنسان إذن إلى معرفة حقوقه هو ومعرفة حقوق الغير، إن كان مسلمًا أو إن كان كافرًا، ثم هذا المسلم أو الكافر إن كان جارًا، إن كان شريكًا، إن كان بينك وبينه معاملة.. إلخ، يعرف الإنسان الحقوق، وتفاصيل معرفة الحقوق موجودةٌ في الشريعة.

الشريعة بينت الحقوق، لنفرض -مثلًا- مسألة الجار، أنا جاري جنبي بيني وبينه حائط، وجاري مسلم أو كافر؛ لنفرض صورة أنه مسلم، وصورة غيرها أنه كافر، نفرض أنه كافر، من أهل الذمة، أو في بلد مختلطة فيها الكفار وفيها المسلمين مثل كثير من البلدان الآن، يعني لا يوجد فيها أصل الحكم الديني ولا شيء، لكن المهم يوجد جار، الجار جاءت الشريعة باحترامه، وجعلت له حقًا ما، لا سيما إن كان مسلمًا طبعًا؛ فإن كان قريبًا مسلمًا فله ثلاثة حقوق كما قال العلماء: حق الإسلام، حق القرابة، حق الجوار.. إن كان كافرًا فله حق الجوار فقط، وإن كان قريبًا كافرًا فله حقان، حق القرابة وحق الجار، وهكذا بحسبه.

طيب.. أنا -مثلًا- شغلت مسجل أناشيد أو قرآن، وجاري لا يستطيع الرقود، هذا لا ينفع؛ لأن من حقه علي أن أحترم مجاله السمعي -إذا صح التعبير- بحيث لا أشوش عليه، لا أؤذيه، عدم الإيذاء هذا حق؛ فأنا ألتزم به وأحترمه، هذا مثال بسيط.

فالإنسان يجب عليه أن يعرف الحقوق في الأموال -مثلًا- وقسمتها، على الإنسان أن يتبين دائمًا أنه هل عنده حق في الشيء أو ليس عنده، سواء كان في غنيمة أو فيء أو أي قسمة للأموال، على الإنسان أن ينتبه إلى معرفة الحقوق ويتذكر دائمًا أن الحق ما تقره الشريعة، وما لا تقره الشريعة فليس بحق وإن توهمه.

[سؤال من أحد الحضور: شيخ، هل كل الحقوق واجب أداؤها للآخرين أو النظر للمصلحة؟]

الشيخ: الإنسان إذا ثبت له حق فهو له، ويجب أن تعطى الحقوق لأصحابها؛ فإذا عجز الإنسان أو تعارضت المسائل، فإنه عند التعارض يلجأ إلى الترجيح، ويعمل بخير الخيرين، الواجب هو الجمع بين

---

(١) صحيح مسلم (١٦١٠).

الخير، فيفعل الإنسان كل الخير، وإذا لم يستطع فعليه الترجيح، هذا في كل المسائل.

لكن معنى أنه حق لشخص معين أنه يجب أن يوفى له الحق، استيفاء الحقوق، وتوفية الحقوق إلى أصحابها، وقيام العدالة.

العدالة مبناها على هذا، توفية الحقوق إلى أصحابها، كل إنسان عنده حق يأخذ حقه بسهولة، لا بتعنت، وبعد صعوبات ومشقات وبعد حروب! فينبغي أن يصل إلى حقه بسهولة، وأن يسلم له حقه، ويقال له: أنت لك الحق الفلاني هذا حقك، ما نستطيع أن نمنعك إياه، هذا حقك خذه إن شئت.. يُخلى بينه وبين أخذ حقه.

ليس واجب عليه أن يأخذ حقه؛ إن ثبت له مال معين نقول: هذا حقك من المال، قال: والله أنا لا أريده، أنا متبرع به.. فهذا من حقه.

هناك من الحقوق الناس تُسامح فيها وتتركها، لكن معناه أنه ثبت له حقه إن شاء أخذه ويخلى بينه وبينه ويُمكّن من أخذه.

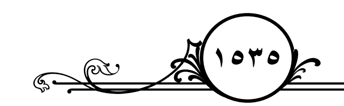
الناس لا تستغني عن بعض الحقوق أصلًا، -مثلًا- لا يرضى الإنسان أن تزعجه باستمرار ليل ونهار، جار تزعجه وهو نائم ولا يستطيع النوم، عادة لا يوجد أحد يقول: لا، أنا ليس عندي مشكلة، أزعجني عادي.. لا يوجد من يقولها! كل واحد يريد أن يرتاح.

وحقه في أنك أنت لا تتطلع على عورته ولا تبني بناء عاليًا يكشف عليه، هذه حقوق، عندما يتنازع فيها الناس ويتشاحّوا ويحصل التشاجر، يرجعون فيها إلى حكم الشريعة، بواسطة القضاء الإسلامي، أو على الأقل محكّم معين مفتي أو إنسان يحكم بينهم.

[سؤال من أحد الحضور: يا شيخ، سمعنا من بعض الناس في بلاد الكفار، يأخذ مالا من شخص كافر ولا يرجعه، ويقول: يجوز أن آخذه لأنه كافر، ألا يعتبر هذا حقًّا للكافر؟]

الشيخ: هذا لا يجوز إن كان على سبيل الدين؛ وهذه فيها تفاصيل طبعًا، ونحن قلنا أن ما أقرته الشريعة يصير حقًّا، وإذا خالف الشريعة لا يصير حقًّا.

يعني سؤالك هنا: هل يجوز هذا الفعل أو لا؟ إذا جاز فهو حق لك، صرحت لك الشريعة وأذنت لك بفعل هذا، حينئذ لم يكن هناك حق للآخر المأخوذ منه؛ فننظر هل هذا جائز التصرف أو لا، فعلى كل حال إذا كان في باب المداينة فلا يجوز أن تستدين من شخص بنية عدم الوفاء؛ لأن المداينة عقد من العقود لا يجوز الدخول فيها على نية عدم الوفاء، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾



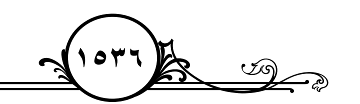
[المائدة: ١].

العقود معظمة في الشريعة ولو كانت مع كافر حربي، إذا دخلتَ في عقد فيجب أن توفيه، لكن في حالات معينة يجوز الأخذ بالغلبة والحيلة ما لم يكن هناك مانع، أحيانًا تدخل في هذه المسائل أمور أخرى يعتبرها الفقيه والناظر والمفتي؛ يعتبرها فيمنع، لكن أتكلم من حيث الأصل، مثلا: لو أن إنسانًا دخل بلاد الكفار بغير أمان وتلصص وسرق منهم وأخذ هذا شيء جائز، فإن دخل بأمان لا يجوز له أن يأخذ من أموالهم؛ لكن لو دخل بغير أمان وهم كفار حربيون، لو دخل بغير أمانهم فله أن يأخذ من أموالهم ما قدر عليه، له أن يأخذ ما يشاء، إلا إذا أمنوك فلا يجوز، إنما الخلاف واقع الآن كما -في المسائل المعاصرة الآن- في التأشيرة، هل هي أمان أصلًا أم غير أمان؟ هذه مسائل أخرى.

لكن المقصود الآن، كل مسألة ينظر فيها إذا كانت الشريعة أجازتها فهذا قد صار حقًّا لنا، أنا حق لي أن آخذ هذا المال.

مثلًا: دخل بلاد الكفار متسللًا ودخل لإيطاليا، وهناك بلاد كفار، أخذ من أموالهم ما شاء، هذا حق أحقته الشريعة؛ هذا حقي أن أفعل هذا؛ لأن الشريعة أعطتني هذا الضوء الأخضر، أعطتني الحق في هذا، هؤلاء كفار غير معصومي الدم ولا المال، وأنا لم أدخل -ليس بيني وبينهم أمان ولا عهد ولا ذمة ولا أي شيء- مشيت وأخذت بالخلسة، بالاختلاس وبالحيلة أخذت أموالهم، أو بالسيف، مشينا نحن عصابة ومجموعة ودخلنا، ودخلنا على قرية وقتلنا الناس، غارة، هذا كله جائز، هذا اسمه حق لنا نحن، لكن رجل ماشي بأمان لهم، ودخل بأمان وقالوا: تفضل أنت عليك الأمان ادخل.. لا يجوز له أن يأخذ من أموالهم شيئًا ولا أن يقتل من نفوسهم شيئًا؛ هذا يختلط وينظر فيه في الفقه.

مسألة القراصنة التي في الصومال، ما زالت مستمرة فيها، سمعت بعض المحللين الجهلة -هؤلاء طبعًا زنادقة-، يقول: على السعودية ودول الخليج أن تعمل مع فرنسا ومع أمريكا وبريطانيا؛ لإيجاد منظمة دولية لحماية البحار، وإنشاء وتأسيس وتشريع قوانين جديدة للقضاء على هذه الفوضى وشريعة الغاب، قلت له في نفسي: والله أنت صاحب شريعة الغاب، أنت وأولياؤك الكفرة، أنتم الكفار أصحاب شريعة الغاب الذين خالفتم شريعة الله ﷻ، وتمردتم على الله، ولم تعترفوا بدينه ولم تلتزموا بحكمه، ولم تستسلموا ولم تخضعوا له، شريعتكم هذه التي أنتم عليها مخالفة لدين الله ﷻ هي شريعة الغاب، مهما بدت منظمة وقوانين وتقسيمات وتفريعات، هذه كلها شريعة الغاب، أما القراصنة هؤلاء فهم على شريعة الله؛ لأنهم يغيرون على الكفار فيأخذون من أموالهم ما شاؤوا وما قدروا ويهربون، هؤلاء يعملون بشريعة الله، بغض النظر عنهم، أنا لا أزكيهم، أنا لا أعرفهم، هل هم أصلًا مسلمين أو



كفار، لكن أنا أقول أن هذا الفعل موافق للشريعة، ولو فعله مسلم فهذا جائز وهذا عمل صالح موافق لشريعة الله؛ لأنهم يغيروا على كفار غير معصومين لا بالإيمان ولا بالأمان، لا بالإسلام ولا بالعهد، ليس بيننا وبينهم شيء، ولا عندهم عصمة، يغير عليهم وعلى سفنهم ويقطع عليهم الطرق ويتلصص عليهم، ويأخذ أموالهم بما شاء بالحيلة وبالقوة، هذا جائز في الشريعة، نحن نشجع المسلمين عليه، وندعوهم إليه، ونحرضهم عليه، هذه شريعة الله ﷻ وما عليه أنتم من إرادة تنظيم البحار وقوانينها وأن تمشوا فيها بأمان، أنتم شريعة الغاب؛ لأنكم أنتم خارجون عن شريعة الله غير ملتزمين بشريعة الله ﷻ.

أنا أريد دائمًا أن تكون المفاهيم عندنا قوية وواضحة وناصعة، نعرف ما هو الحق، لا يخدعونا هم، الحق نعرفه نحن، الحق ما أحقه الله ﷻ وما وافق دين الله، وما أجازته شريعة الله.

[أحد الحضور: يا شيخ، مثال: السفن السعودية، يجوز الإغارة عليها من القراصنة؟ هذه أموال مسلمين؟]

الشيخ: طبعًا السعودية فرع، هم لم يغيروا على السعودية فقط؛ بل سفن الكفار كلها، السعودية فيها اللخبطة، هي أصلًا دولة مرتدة وفيها مسلمين، عمال مسلمين، وفيها أموال مسلمين، فتحرر المسألة على حدة، لكن سفينة فرنسا، أو سفينة إيطاليا، أو سفينة أمريكيا.. هذه ليس فيها مشكلة.

فإذا أتينا للسعودية؛ فالمال هذا مال الدولة، والسفينة هذه سفينة الدولة، فنحن ليس عندنا إشكال في أخذه وفي الإغارة عليه وأنه حلال لنا في شريعة الله ﷻ، لا يقال أنه للشعب؛ لأنه في يد الدولة، الدولة تحكمه، الدولة تملكه، الدولة أنا أعتبرها كافرة مرتدة، فجائز لنا أخذه، هو حلال لنا.

أما شائبة أنه راجع في النهاية للشعب وأنه مال الدولة الذي تخدم به الشعب، هذا غير منظور إليه، هذا ضعيف لا ينظر إليه، هذا مال في يد المرتدين، الدولة هي التي تحكمه، لكن عندما يَخلُص للشعب المسلم، لا نمسه، لنفرض أنها شركة خاصة، مثلًا بنك الراجحي مسيِّر قافلة إلى استراليا تمشي في البحر، أنا لا آخذها؛ الناس مسلمين، والرجل مسلم وعنده مال مسير بسفينة؛ فما دام الرجل مسلمًا لا آخذه، المال تبع للحكم على الشخص.

[أحد الحضور: يقاس عليها المصارف الربوية يا شيخ؟]

الشيخ: أنه أموال الدولة؟ إذا كان مالًا للدولة، هو مال للدولة، ربا أو غير ربا، لو تعاملت بغير الربا وهو مال للدولة يؤخذ.

[السائل: حتى على جهة الدين يا شيخ، مثل القرض؟]

الشيخ: لا لا، إذا دخلنا في القرض لا يجوز، يعني لا يأتي -مثلًا- إلى ناس مرتدين ويقول لهم: أعطوني مليون دولار دينًا، وأنا سآخذها وأهرب، لا يصح، ولا يجوز، حتى مع المرتد، هذا دخول في عقد بنية غير شرعية، نية عدم الوفاء، بنية الخداع، لا تجوز في العقود هذه، لكن لو قدرت على ماله آخذه بحيلة أو بالقوة -بالغلبة- بدون أن يكون بيني وبينه عهد، فهذا جائز، نعم.

[السائل: حتى لو كان المحارب الذي ليس بيننا وبينه عهد؟]

الشيخ: نعم؛ حتى المحارب، حتى المحارب الذي ليس بيننا وبينه عهد، والعهد ثلاثة أقسام:

١- الصلح الذي هو الهدنة والموادعة، هذه تسمى الصلح، وتسمى الهدنة، وتسمى الموادعة، وهي تكون بيننا وبين قوم في بلدهم مثلًا، قوم هم لهم أرض ونحن لنا أرض، وبيننا وبينهم صلح، بين الدولتين، بين المسلمين وبين الكفار، المجاورين لهم أو شيء.

٢- والأمان هو: كافر أو بعض الكفار يدخلون أرضنا بأمان، أو نحن ندخل أرضهم بأمان بإذنهم هم وبأمانهم، هم يعطونا الأمان أو نحن نعطيهم أمان، هذا يسمى الأمان.

٣- والذمة: أهل الذمة الذين يدفعون الجزية، يعيشون تحتنا -تحت حكمنا أو سلطاننا- يدفعون الجزية ويلتزمون بما تجري عليهم من أحكامنا.

هذا العهد، الإنسان الذي له عهد -ذمة-، وإما صلح -هدنة- وإما أمان.

العهد بأقسامه الثلاثة؛ أي واحد من الكفار له نوع من أنواع العهود لا يجوز أخذ ماله ولا يجوز لنا قتله.. أمَّن نفسه بالعهد، ما سوى ذلك فهو الكافر الحربي.

الكافر الحربي معناه: الكافر الذي ليس له عهد، ليس معناه الذي يحارب بالفعل.

حتى الحربي إذا عاملته تعامله على مقتضى الشريعة، والشريعة حرمت الدخول في العقود على هذا النحو، أن تدخل مع كافر بعقد ناويًا عدم الوفاء، أو تدخل معه بعقد مخادعًا له في العقد؛ لأن العقود تكون واضحة مبنية على الصدق، ومبنية على نية الوفاء في الديون، حتى مع الكافر الحربي؛ ليس شرطًا أنه يقاتل، كافر: ليس عنده عهد، هذا هو الحربي، منسوب إلى الحرب أو إلى دار الحرب أو إلى المحاربة، يسمى الحربي ويمسى المحارب.

الكفار قسمان: أهل عهد، ومحاربين -أهل حرب-.

أهل عهد: الذي له أمان منا، نحن أعطيناه بخصوصه أمان يدخل أرضنا، إلى أن ينتهي الأمان يرجع محاربًا من جديد، أو بيننا وبينه موادعة التي تسمى الصلح وتسمى الهدنة، هي شيء واحد،

تسمى هدنة، أو ذمة هو تحتنا عايش في أرضنا، يدفع الجزية وخاضع لنا، أما إن لم يكن واحد من هذه الثلاثة فهو محارب، فهو حربي، يجوز قتله، يعني دمه وماله غير معصوم، هدر، هذا هو الحربي.

[أحد الحضور: أهل الذمة يختلفون عن أهل العهد؟]

الشيخ: الذمة هي نوع من أنواع العهود، العهد من أنواعه الذمة، الذمي الذي يعيش تحت سلطاننا هذا عنده عهد، ما هو عهده؟ هو الذمة، عهد الذمة، ولهذا يسمى الذمي.

[أحد الحضور: إذا أخلوا هم العهد يا شيخ، دخلت أنا في العهد وأعطوني شروط معينة، ما أعطوني الحقوق كاملة، فهل يجوز لي أن أخالف العهد؟]

الشيخ: إذا اعتبروا ناقضين للعهد، إيش نوع الإخلال هذا، الإخلال راجع للعقد بالبطلان...؟

[السائل: أُسجن فترة ويتركوني فترة ومراقَب، وقد قالوا نعطيك الأمان وما يحصلك شيء، فأخلوا هم، فهل يجوز لي أن أخالف العهد؟]

الشيخ: الله أعلم، لا أعرف، لكن إذا اعتبر العهد منتقضًا يصبح ملغيًا، لكن هل كونهم -مثلًا- شكوا في شخص فسجنوه أو شيء، يعتبر نقضًا للعهد، هذا لو كان أصلًا فيه عهد؛ لأنا نحن بناء على ماذا نقول: يوجد عهد، الآن لا يوجد حقوق تعطى؛ هل هناك الآن دولة كافرة أتى إليها مسلم قالت له: تعال نحن نعطيك أمان، هم يعطون حاجة اسمها التأشيرة -الفيزا- هذه تعطيها سفاراتهم ومكاتبهم الموجودة في الدولة المختلفة، الفيزا عبارة عن ماذا؟ هذا الكلام وقع هنا؛ هل تعتبر عقد أمان؟ بل هي مجرد إذن بالدخول فقط، سماح لك أن تدخل؟ أَوْ لا يعتبر أمانًا؟ فيها خلاف، أنا أميل وأرجح أن الفيزا ليست أمان، لكن المسألة محتملة وفيها بحث طويل.

[أحد الحضور: حقيقة الأمان، ما معنى الأمان؟ يعني آمن لا يمسك أحد؟]

الشيخ: نعم أمّنوك، لا يمسك شيء، ويلزم منه -على الصحيح- أن يكونوا آمنين منك، أنت لا تقربهم.. الأمانان متلازمان، إذا أمّنوك فمقتضاه أيضًا أنهم آمنون منك، يعني أنت آمن على نفسك ما يصيبك منهم شر، وأنهم هم يكونوا آمنين منك لا تقربهم أنت ولا تقرب أموالهم، هذا معنى الأمان.

لكن التأشيرة الآن ما فيها معنى الأمان، المسألة تطول مناقشتها، ليس موضوعنا الآن.

[أحد الحضور: طيب يا شيخ، بالنسبة للتأشيرة؛ هل تعتبر أمان حين يشكّوا في أخ يمسكونه ويسلمونه ويأخذونه؟!]

الشيخ: تستطيع القول أن هذا أحد الأدلة القوية أنه ليس أمان أصلًا؛ فلا يعتبر أمانًا لأن الإنسان

غير آمن على نفسه، يمكن أن تدخل عندهم ثم هم في أي لحظة يشكوا فيك فيأخذوك ويسلموك أو يعذبوك أو تبقى في السجن محبوسًا، وممكن أن يقتلوك، فلا يوجد أمان! لكن الأمان أن يأمّنوك، لو اطلعوا على أنك -مثلًا- كنت مطلوبًا، أو محاربًا، كنت تحاربهم قديما قبل عشرة سنين في أفغانستان أو غيرها، يقولون نحن أمناك، ارجع إلى بلادك، لا نقدر أن نمسك؛ لأننا أعطيناك الأمان.

الأمان، هذا مقتضاه، لكن هو أصلًا الآن في عقليتهم هم الغربية لا يوجد ما يسمى عندهم أمان، وهذا ما تكلم عليه الدكتور أيمن في «التبرئة» إذا قرأتم هذا الفصل المتعلق بالتأشيرة والأمان فقد ركز على هذه النقطة، يقول: هم أصلًا ليس عندهم أمان، ويسخرون من هذا المعنى، نحن لو قلنا لهم هذه التأشيرة أمان، يضحكوا علينا، لا يوجد عندهم ما يسمى أمانًا، مفهوم الأمان وأن التأشيرة تسمى أمانًا، وأنكم آمنون منا وأنا مؤمّن على حياتي حتى أرد إلى مأمن، هذا مفهوم عندنا نحن، وزمان كان بين بعض الأمم والدول، لكن الآن هم ليس عندهم هذا أصلًا، وهو راجع حتى لتعريفاتهم هم الخاصة بالإنجليزية وجاءت بنصوصها وتراجمها في دائرة المعارف الإنجليزية تعريف التأشيرة والفيزا، وحدودهم لها وتعريفاتهم لا تشمل أيضًا النص على أنه يكون آمنًا أو هم يكونوا آمنين منه، لا يوجد أصلًا ذكر الأمان[1].

على كل حال؛ فهذا هو الأرجح أن التأشيرة ليست أمانًا، ثم نحن في عالم لا نملك شيئًا، الأمان أصلًا يكون بين دولة ودولة، ونحن عندنا كيان وعندنا سلطان وهم عندهم دولتهم، فهو معاملة بين دول، لكن الآن السلطان كله لهم! نحن هاربون مشردون في كل مكان، بأي اعتبار أنت تعطي الأمان لأي شخص؟! فأنت منهم وإليهم، مثلًا: واحد خارج من دولة كفر إلى دولة كفر، ليس وراءه دولة إسلام ثابتة في الأرض وعندها تمكين معين اعترف بها الكفار ونظروا لها، نعم يعادونها! لكن المهم أنها دولة مقابل دولة تعامل معها الند بالند، لا يوجد دولة أصلًا للمسلمين.

على كل حال.. هذا استطراد فنرجع إلى كلامنا، مفهوم الحق؟ فهمتم مثال فرنسا وكلام شيخ الأزهر لما قال فرنسا عندها حق أن تمنع الحجاب! نقول: لا، ليس عندها حق، بل ما فعلته فرنسا هو ظلم وباطل ولغو ومحاربة لله ﷻ، تعدي على حق الله ﷻ أولًا، ومخالفة شرعه والنهي عن شريعة الله، بل الحق هو أن تخضع لشريعة الله مطلقًا.

---

(١) انظر: الفصل السابع من رسالة «التبرئة»، تحت عنوان: «التأشيرة والأمان».

الدين

معنى كلمة الدين بالرجوع إلى المصادر العربية والمعاجم:

لو رجعنا لابن فارس في معجم مقاييس اللغة، يرجعونها إلى معنى أساس هو: الذلة والخضوع، شبيهة بالعبودية، الدين هذا تعريفه لغة(١).

المعنى الشرعي مبني على المعنى اللغوي، يقال: دان له يدين، أي: خضع وذل له، مرجع مادة «دَ يَ نَ»، الدال والياء والنون مرجعه مدارها على الذلة والخضوع.

الله ﷻ خلق الخلق المكلفين -الإنس والجن- وأرسل لهم الرسل، وأنزل لهم الكتب، هذه الكتب وهؤلاء الرسل الكرام جاؤوا بشرائع معينة، تكليفات وأوامر ونواهي، افعلوا كذا، لا تفعلوا كذا، هذا حق، وهذا باطل.. تكليفات؛ فكان هذا الدين من اتبعه -خضع له ودخل فيه وذل له وانقاد- فقد دخل في دين الله، هذا دين الله.

إذن الدين مبناه على ماذا؟ الخضوع لتكليف الله ﷻ، الدين هو دين الله ﷻ، المطلوب من العبد أن يلتزم بدين الله -انتبه لكلمة «يلتزم» هذه مهمة جدًا في الاصطلاح- هو يقول: أنا ملتزم أن أخضع لدين الله ﷻ، أنا مستسلم لأمر الله، أي شيء يأمر به الله أنا مستسلم، هذا الالتزام الإجمالي، الاستسلام لأمر الله، ولحكمه، والتكليف الوارد من الله ﷻ، لأمر الله ونهيه، هذا الاستسلام والخضوع، والذلة له، والانقياد له، الإجمال المبدئي من حيث المبدأ، بشكل كلي مطلق أنا ملتزم بدين الله ﷻ، ملتزم بحكم الله، أي أمر لله ﷻ أو نهي أنا ملتزم به، أفعل ما يأمرني وأنتهي عما نهاني عنه، هذا الالتزام هو دين الله ﷻ، هو الخضوع لأوامر الله ﷻ، حاصلها أن الدين مجموعة من التكاليف.

التكاليف هذه فيها مشقة؛ ولذلك التكليف هو -في الأصول-: إلزام ما فيه مشقة، أو طلب ما فيه مشقة، واختلفوا في التعريفين، وتناظروا واختلفوا وذكروا الفرق بين الإلزام والطلب.

على كل حال؛ الدين معناه التكليف، مطلوب منك تأدية شيء فيه بعض المشقة، والمشقة هذه مرات تكون بسيطة جدًا كطاعة الوالدين سهلة، الصلاة متوسطة، الجهاد هذا مشقة كبيرة جدًا، الهجرة، ترك الديار والأوطان، هذا شاق جدًا جدًا لدرجة أن الله ﷻ قرنه في القرآن في مواضع بقتل

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣١٩) قال: «الدَّالُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ كُلُّهَا، وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الِانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ، فَالدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ».

النفس، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦]، وفي عدة مواضع: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ومواضع أخرى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وأيضًا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣].

وما تعرض له الأنبياء كقتل النفس، وإخراج الإنسان من أرضه كقتله، الهجرة؛ ولهذا جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: إني أريد الهجرة، قال: (**وَيْحَكَ؛ إِنَّ الهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ.. فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ البِحَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا**) الحديث في البخاري[1].

الهجرة أمرها شديد جدًا وعظيم، مفارقة الأهل والأولاد، والقوم الذين تربى فيهم الإنسان والديار والوطن الذي أحبه الإنسان وعاش فيه؛ فليس أمرًا سهلًا، هو شاق غاية المشقة، هذا التكليف صعب.. لكن أحيانًا يكون لا بد منه، الله ﷻ أخبرنا أنه لم يكلفنا إلا ما هو تحت طاقتنا، في حدود طاقتنا، قال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[الطلاق: ٧]، فالله ﷻ لا يكلفنا إلا ما نطيق ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالله ﷻ أوجب وتعهد أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق، وإلا ما نقدر عليه، وإلا ما هو داخل تحت استطاعتنا وقدرتنا، لكن هذا الذي داخل تحت استطاعتنا وقدرتنا أنواع وأصناف، منها تكاليف بسيطة وصغيرة سهلة على كثير من الناس، ومنها المتوسطة، ومنها الشاقة جدًا، من أشقها: الهجرة والجهاد؛ ولهذا كان الجهاد لا سيما إذا كان معه هجرة: ذروة سنام الإسلام، يعني القمة العالية جدًا، التي يصل إليها الإنسان في إسلامه، أعلى شيء، ذروة سنامه، تشبيه ذروة سنام الجمل يعني أعلى شيء فيه، فهذا ذروته، وذروة الشيء أعلاه.

فالتكاليف إذن متنوعة، كلها فيها مشقة، طلب ما فيه مشقة أو إلزام ما فيه مشقة، لكن المشقات مختلفة.

أتانا العدو وهجم على أرضنا، ابتلانا الله، امتحننا الله، اختبرنا الله، كتب علينا أن العدو جاءنا وهجم على أرضنا، ونحن مكلفون بالجهاد، وقع التكليف واتفقت كلمة العلماء هنا على أن الشريعة تأمر حينئذ بالتصدي للعدو ومقاومته ومجاهدته، ورده، ودفعه، ومصاولته، ومعارضته، حتى نصده عن بلاد المسلمين، ثم بعد ذلك لما ندفعه ويرجع إلى أرضه، مطلوب منا أن نمشي خلفه، لكن هذا طلب آخر بعده، جهاد ثانٍ، جهاد الطلب.. لكن جهاد الدفع هذا واجب متحتم، متفقة عليه الكلمة

---

(١) صحيح البخاري (١٤٥٢، ٢٦٣٣، ٦١٦٥).

بالإجماع، من أقوى الإجماعات في الشريعة، تدبرتُ أنا مجموعة كبيرة من الإجماعات، من أقوى الإجماعات -يقترب من الإجماع القطعي- هذه المسألة، كثير من مسائل الشريعة في فروع الشريعة التي أُدعي عليها الإجماع وحكي فيها الإجماع، ونقل فيها الإجماع منظور فيها، ومعظمها قابل للقدح بإثبات المخالف، ومعظمها ظني، لكن هذا الإجماع لا يوجد أقوى منه تقريبًا، يقترب من الإجماع على وجوب الصلاة، والإجماع على وجوب الزكاة، والإجماع على وجوب صوم رمضان، طبعًا هذه إجماعات قطعية، معلومة من الدين بالضرورة، أقول هذا يقترب منها.

لكن هذا في الفروع الظنية من أقوى الإجماعات، المذاهب الأربعة كلهم يصرحون، علماؤهم وغيرهم، إجماع العلماء على وجوب دفع العدو الصائل المعتدي علينا، العدو إذا اعتدى على أرضنا ونزل بعقر دارنا، واحتل شبرًا أو أقل، نزل بل حتى إذا لم ينزل، إذا اقترب، جاء يهدد أرضنا غازيًا لنا، يجب على المسلمين أن يدفعوه الأقرب فالأقرب حتى تحصل الكفاية، واجب على المسلمين، ويتسع الوجوب الأقرب فالأقرب، إن عجزوا أو تكاسلوا يجب على من يليهم، ثم من يليهم، ثم من يليهم، إذا عجزوا، الطبقة هذه تعجز مع الأولى، والأولون يعجزون أو يتكاسلوا ويتركون، يجب على من يليهم إلى أن يعم فرض العين الأمة كلها، أو الأرض كلها كما قالوا، هذا من أقوى الإجماعات، جميع المذاهب متفقة؛ المذاهب الأربعة وغيرهم، الظاهرية، وبعض العلماء المستقلين، والأئمة الأولين غير الأربعة مثل سفيان الثوري والليث والأوزاعي وغيرهم، كلمة العلماء جميعًا سلفًا وخلفًا، متفقة عليه ما فيه أصل خلاف ولا شائبة خلاف.

النصوص الشرعية واضحة في الدلالة على هذا، إذا كان جهاد الطلب أصلًا اختلفوا فيه السلف، منهم من قال واجب عيني -والأصح أنه كفاية-، هذا جهاد الهجوم والطلب والفتح، نحن عندنا أرضنا وعندنا بلادنا ودولتنا ومستقرين وممكنين ومالكين الدنيا، هل يجب علينا أن نفتح هناك؟ هذا واجب عيني يجب عليك أن تجاهد، لكن الصحيح أنه واجب كفائي. أما إذا جاء العدو وهجم على أرضنا فلا يوجد خلاف أصلًا، نصوص الكتاب الدالة على الجهاد يدخل فيها دخولًا أوليًا هذا الأمر، ونصوص السنة طبعًا كذلك، وشيء لا يحصى من هذا.

[أحد الحضور: طيب يقولون الآن بأنه فرض كفاية؟]

الشيخ: دعنا منهم، هؤلاء ضالون.

المقصود أن الله ﷻ ابتلانا هنا في هذا المثال الذي ضربته، سلط علينا عدو، امتحننا، اختبرنا، ما

الواجب علي؟ الواجب علي أخرج أجاهد، هذا الجهاد هو دين، تكليف، التكليف هذا شاق في هذه المرة، شاق وصعب جدًا، لا بد أن أدخل في دين الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ادخلوا في الدين كافة، ادخلوا في دين الله جميعًا، قوموا بالدين، السِّلْم أو السَّلْم.

[أحد الحضور: يا شيخ، إذا كان العدو في أفغانستان وأنا هاجرت إليها، فهل أدخل في الذين أخرجوا من ديارهم؟ وأنا هاجرتُ مختارًا!]

الشيخ: في الأصل كثير من الإخوة خرجوا مختارين، لا يوجد من اضطرهم بالمعنى المباشر الواضح، لكن أُخرجوا بوجه من الوجوه، بدليل أنك لا تستطيع أن ترجع الآن، أنت في حكم المخرج، أنت مخرج الآن من أرضك.

انتبه فهذا مهم جدًا، لا يلبسوا عليكم، أنت الآن مخرج من أرضك، بدليل أنك لا ترجع إلا تحت سلطانهم، وتحت إخزائهم وذلهم، أعاذنا الله وإياكم من هذا، والله للموت أحب، قاعدين ينادوا فينا تعالوا مكرمين معززين، القذافي قعد ينادي فينا، أنا شخصيًا بعثوا لي أكثر من مرة عن طريق أهلي وكذا.

لكن هذا ليس معززًا مكرمًا، هذا ذليلًا حقيرًا أنك ترجع وتقول: والله نحن نشكر القائد العظيم ونحن رجعنا للوطن، لازم تقول هذا الكلام، إذا كنت درويش ممكن يسامحوك ويقولون لك تعال واسكت، ولا يخرجوك في التلفزيون، هذا أحسن شيء ممكن، ولكن هم لازم يخرجوك في التلفزيون، خاصة الناس البارزين، لا بد أن يخرجوك في التلفزيون، وفي النهاية في التلفزيون سيضغطون عليك وسيعطونك صيغ معينة وفي النهاية لازم تشكر القائد، والمعلومات يقولون لا بد أن تتعاون معنا وتعطينا وكذا.

فهذا خزي الدنيا، حتى في الدنيا الإنسان انتهى معناه لو فعل هذا -والعياذ بالله نسأل الله العفو والسلامة، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من مواقف الذلة- ولكن خزي الآخرة أشد، وخسارة الآخرة أشد، بعد أن يكون الإنسان قد ارتقى في الجهاد، والعياذ بالله هذا شيء نسأل الله العافية والسلامة، نسأل الله أن يعيذنا، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللّهم عافنا يا رب، نعوذ بالله.

المقصود أنت خرجت مختارًا، ومهاجرًا في سبيل الله لنصرة دين الله في أرض معينة فيها طائفة تجاهد، مشيت تناصرهم؛ لأن الناس تكاسلوا وتقاعسوا وقعدوا وتركوا، أنت مهاجر، مجاهد، -انتبهوا لأني سمعت بعض الناس يقولوا هذا ليس مهاجرًا! هذا جهل عظيم والله، من أعظم الجهل الذي سمعته- يقولون هذا ليس مهاجرًا!، كيف غير مهاجر؟! هذا مهاجر في سبيل الله؛ لنصرة دين

الله، لكونه مع طائفة تجاهد في سبيل الله، بعد أن تقاعس الناس، هذا مجاهد مهاجر في سبيل الله، هذا أعظم من الذي هاجر لكونه غلبه الكفار ووجبت عليه الهجرة، هذا أعظم منه، مشى مختارًا بعد أن رأى تقاعس الآخرين، الذين قبله المفروض يهبوا ويسدوا الكفاية، لم يسدوها وتقاعسوا وقعدوا، فطلع هذا مهاجرًا في سبيل الله، وجاهد في سبيل الله، والآن أيضًا بالاعتبار الذي قلناه أنت مخرَج من أرضك، هذه كلها أنت مكتوب في هذه الدواوين -إن شاء الله- فاعتصم وتمسك به، أنت في دواوين عظيمة عند الله، ديوان المهاجرين، ديوان ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٤٠] ديوان المجاهدين في سبيل الله، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم أيضًا في الديوان الأعظم من هذا وحصيلتها ديوان الشهداء في سبيل الله.

[أحد الحضور: والرباط يا شيخ؟]

الشيخ: والرباط أيضًا؛ ديوان الرباط مهم جدًا، نحن في هذه الأرض، في رباط كذلك، لأننا كلنا في رباط؛ لأنا نحن قيد الاستعداد أن نمشي، أسلحتنا كلها معنا، هذا رباط لا شك أنه رباط، قطعًا مئة في المئة، والله ما فيها شك أبدًا، تأمل عبارات العلماء كلهم، وتعريفاتهم كلهم، وتقييداتهم كلهم، وشروحهم كلها لمعنى الرباط، إن لم يكن صورتنا نحن هنا في وزيرستان وباكستان، وما حولها والمناطق الحدودية وغيرها وطبعًا أفغانستان من باب أولى، إن لم نكن في رباط معناه لا يوجد رباط أصلًا في الشريعة! هذا هو من أوضح صور الرباط، نحن بفضل الله ﷻ في نعم عظيمة، مكتوب في هذه الدواوين كلها، دواوين شريفة عظيمة عند الله، من أعلى الدواوين.

فاعتصموا بالله ﷻ وافتخروا بها عند الله ﷻ وليس عند الخلق، اعتزوا بها وحافظوا عليها حتى تأتوا بها عند الله ﷻ يوم القيامة ويكون لكم أجرها، كما قال الله ﷻ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ [النمل: ٨٩] من جاء، قالوا: جاء معناها: عملها وحافظ عليها حتى يأتي بها؛ لأن كثيرا من الناس يعملون حسنات لكن لا يأتوا بها، بل يضيعوها في الطريق بالمراءاة، والتسميع، والمنّ، وعوامل المبطلات المحبطات، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

إذن الدين هو مجموعة من التكاليف، الأوامر والنواهي كلفنا الله بها، التكليف أصلًا لا بد يكون فيه مشقة صغرت أو كبرت، والتكاليف منها الصغير ومنها الكبير، ومنها يحبها الإنسان، كلفنا الله -

مثلًا- بأن نفرح أيام العيد (**أيام أكل وشرب**) كما قال النبي ﷺ[(١)]، الناس تأكل وتشرب وتفرح وهي تحصل في الأجر.

النبي ﷺ سُئل: أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: (**أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر؟**) قالوا: نعم. قال: (**كذلك إن وضعها في الحلال فله أجر**)[(٢)].

الإمام أحمد سئل عن هذا فقال كلمة صارت عند العلماء وطلبة العلم تجري مجرى المثل، سئل عن طالب الحديث -في الماضي هم يقصدون بطالب الحديث طالب العلم؛ لأن طلب الحديث والرحلة في طلبه كانت هي المشهورة في ذلك الوقت، والمقصود: الذي يرحل في طلب الحديث، ويشافه الأشياخ- فيحصل له مكانة في الناس، وتعظمه الناس، فقال: «حظٌ وافق حقًا»[(٣)] يعني حظ للنفس وافق حقًا، اتفق مع الحق، وانتظمه الحق انتظامًا وأقرته الشريعة، أنت ما سعيت له؛ ولهذا طالب العلم أو الإنسان الذي يعمل الصالحات ثم يمدحه الناس، قال فيه النبي ﷺ لما سئل عنه في حديث أبي ذر رضي الله عنه في صحيح مسلم، سئل عن الرجل يعمل العمل الصالح فيمدحه الناس، قال: (**ذلك عاجل بشرى المؤمن**)[(٤)].

إذا عمل حتى يكسب ثناء الناس ومدحهم يصير هذا -والعياذ بالله- مراءاة يعمل لغير الله، هذا يعمل لكسب ثناء الناس، لكن إذا عمل عملًا صالحًا ومدحه الناس، قالوا: هذا رجل طيب يعمل الخير، الحمد لله، أن الله ﷻ جعل ذكري حسنًا عند الناس، الحمد لله، هذه نعمة الله ﷻ عليه، لكن أنا لا أعمل لها، وأجاهد نفسي ألا أعمل لها.

فالمقصود أن الدين هو مجموعة من الأوامر، مجموعة من التكاليف نحن مأمورون بها، نخضع لها، ونطبقها ونؤديها على قدر استطاعتنا، قال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] عجزت؟ تقول: والله يا رب أنا حاولت واجتهدت ولكن عجزت، ما قدرت، لم يستطع أن يصلي قائمًا، يصلي جالسًا، يصلي مضطجعًا، لم يستطع صوم رمضان قال له الله ﷻ: عليك فدية، لم يستطع أن يجاهد في سبيل الله، يده مقطوعة وأعمى ونحوه، قال: يا رب لم أستطع؛ هذا العجز، الذين هم أصحاب الأعذار الشرعية الذين لم يستطيعوا أن يطبقوا العبادة على نحو ما، إما أن الله ﷻ نقلهم إلى

---

(١) صحيح مسلم (١١٤٢).

(٢) صحيح مسلم (١٠٠٦).

(٣) انظر: فتح الباري (٢/ ١٧١).

(٤) صحيح مسلم (٢٦٤٢) بلفظ: (تِلك عاجل..)، وأما لفظ (ذلك عاجل..) ففي: سنن ابن ماجه (٤٢٢٥) وصححه الألباني.

بديل، أو أعفاهم بالكلية.

الشريعة فيها تفاصيل، لكن نحن نذكر أمثلة، قلنا في البداية أن معظم كلامنا سيكون في الكليات، وليس في التفاصيل، فالمقصود هنا بيان معنى الدين، الدين هو مجموعة أوامر ونواهي، وتكليفات.

ومعنى التكليف أنه طلب ما فيه مشقة.. يجب علينا أن نلتزم ابتداء أننا نطبقها ما استطعنا (**وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت..**)[1] نقولها كل يوم صباح ومساء في سيد الاستغفار، ونعاهد الله ﷻ ونجدد كل يوم؛ ولذلك هذه هي فائدة الأذكار، تذكير هذه النفس البشرية دائمًا أن تجدد العهد مع الله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[المائدة: ٧] المسلم يقول: سمعنا وأطعنا، سمعت وأطعت، لبيك يا الله، أنا ملتزم، ثم إذا أتى في حالة لم يستطع، يقول: يا رب والله لا أستطيع، أنت تعلم يا رب بحالي، ما قدرت.. فإما -كما قلنا- أن الشريعة نقلته إلى بديل، وإما عفت عنه في هذا الأمر كاملًا.

فهذا هو الدين: يجب الالتزام المبدئي والقول سمعنا وأطعنا هذا مبدئيًا، الالتزام المبدئي، ثم المحاولة، أن نطبق أمر الله ﷻ ونطبق هذه التكاليف ونعمل بها، لم نستطع بعد ذلك، عجزنا والله أعلم بنا.. هذا هو الدين.

بعض الناس عندهم خطأ في فهم الدين، في بعض مفاهيم الناس وموجود في الحركة الإسلامية وموجود عند بعض الدعاة وهكذا، لا سيما المتأثرين ببعض الحركات الإصلاحية التي تأثرت بالغزو الفكري والأفكار غير الإسلامية، تحول الدين عند بعضهم إلى «برنامج للحياة السعيدة» مثل ما تخيلوها هم، يعني سعادة في الدنيا بحبوحة في الدنيا، يعني أنت بالإسلام ونحن سنطبق الإسلام، والإسلام هو الحل، الإخوان المسلمين ومجموعة من هذه -فيهم وفيهم؛ أخلاقٌ هم- وبعض الحركات الإسلامية، وتكونت حركة «وحيد الدين خان» في الهند وعنده امتداد في ليبيا، كان عندهم جماعة في ليبيا في طرابلس، يسمونها «الحركة التعميرية» هكذا يعبرون عن أنفسهم، حركة يهتمون بالرجوع إلى الدين كوسيلة دين، وكسبب لاستعادة العزة، وأن نكون، وأن نكون، ونحن أمة، والدين هذا جزء من آثارنا، وجزء مما يؤدي إليه تمسكنا بالدين، ولكن ليس هذا هو الأساس، يعني نتخذ الدين ونستغله لأغراض سياسية؛ فنحن لا نستغل الدين، وليس هو وسيلة حتى تعيش مبحبحا، لا!

(١) صحيح البخاري (٦٣٠٦).

وإن كان هذا أيضًا -إن شاء الله- من المقاصد: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]، لكن ليس هو المقصود بالقصد الأول، إنما هو مقصد ثانٍ ثانوي، يدخل ضمن الالتزام في الدين؛ فمن التزم بالدين يعيش حياة طيبة، ولكن هذا في ضمن مجتمع كله ملتزم بالدين، ولكن ممكن أن إنسانًا يلتزم بالدين ثم يأتي الكفار فيأخذونه ويضعونه في الحبس عشرين سنة! لا عاش حياة طيبة، عاش مسكين مبهدل طول عمره عشرين عام زهرة شبابه كلها وهو في السجن يعذب، ما الحياة الطيبة التي عاشها؟

فحينئذ كيف نفهم الآية؟ في حق هذا الإنسان المسلم المؤمن الصالح التقي المعذب الذي تسلط عليه الكفار والمجرمون الظلمة والطغاة، وسجنوه وعذبوه وقهروه وأذلوه وجعلوه يعيش في ضنك شديد وفي عذاب، هذا كيف نقول في حقه بالنسبة لهذه الآية؟ كيف تنطبق الآية عليه؟ إشكال يقع للناس، حتى هو نفسه هذا المعذب في السجن ممكن لما يقرأ هذه الآية يقول: أين الحياة الطيبة؟!

الجواب -والله أعلم-: إما أن يكون المقصود بهذه الآية ليس المسلم كفرد، إنما المسلمين كاجتماع، أو المسلم بقيد كونه في الاجتماع، في الدولة المسلمة، في الكيان المسلم، لو أن الناس عاشوا هكذا في الإسلام والتزموا بالإسلام وعملوا الصالحات لحيوا حياة طيبة، كل واحد منهم يحيا حياة طيبة. ممكن هذا وجه محتمل.

الوجه الثاني: أن تحمل الحياة الطيبة على معانٍ متعددة، الحياة الطيبة إما أن تكون بكاملها وإما أن تكون جزئية بمعنى حياة سعادة النفس، فهذا المؤمن المعذب في الدار ولكنه بالأنس بالله ﷻ واختياره الكون مع الله ﷻ فهو يحيا حياة طيبة، خالية من الكفر، خالية من مناقضة الفطرة، ومناقضة أمر الله ﷻ وشريعته، خالية من التمرد على الله، خالية من مناكدة الضمير والفطرة، فهو يحيا حياة طيبة، وهذا واقع نقطع به لا محالة، والذين عاشوا في السجون سنين طالت أو كثرت يعرفون هذا جيدًا، يعرفون أن الإنسان المؤمن الصالح في السجن يعيش حياة طيبة أطيب من حياة جلاديه المنعمين وقاعدين مبحبحين في فللهم وفي قصورهم، وفي كل مساء يعذبوا فيه! يأتونه ليعذبوه وهو مطمئن، الله ﷻ يكلؤه وينصره عليهم بالحجة وبالبرهان وهم مقموعين أمامه، كما كان يحكي لنا الإخوة كثير جدًا في السجون سواء سجون المرتدين أو سجون الأمريكان، ولعل الشيخ أبو يحيى والذين خرجوا من السجن جربوا الأمريكان هناك، وبعض الإخوة الآخرين لعل بعضكم سمع منهم نحو هذا، جربوا الأمريكان وعاشوا في سجونهم، كيف كانت معنوياتهم وكيف كان انتصارهم وهم في السجن منتصرين عليهم، والأمريكان مقموعون أمامهم، حتى يضرب أو يبخ عليهم أو كذا أو يسجنه حبس

انفرادي لكن هو مقموع، وهو خائف، وهو نكد، والأخ جالس في حياة طيبة، حياة طيبة بهذا المعنى وهذا الاعتبار، ممكن نحمل الآية عليه.

المهم، المأخوذ من مجموع الشريعة، لا بد أن نفهم الموضوع في كل مسألة من مجموع الأدلة ونجمع بينها، المفهوم من كل الأدلة الشرعية أن المسلم المؤمن الصالح التقي قد يعيش في هذه الدنيا حياة مرفهة، حياة متوفر له فيها الأكل والشرب وحرًا طليقًا، فتح الله عليه، وقد يعيش مسكينًا محرومًا فقيرًا.. هذا ممكن وذاك ممكن؛ هناك أنبياء عاشوا فقراء، وهناك أنبياء عاشوا متسلط عليهم العدو وقتلهم أعداؤهم بعد ذلك، بنو إسرائيل كم قتلوا من الأنبياء؟ وهكذا! وكذلك من الصالحين ومن أولياء الله ﷻ وأهل الأخدود مثال ضربه القرآن لنا، المثال الخالد، وهكذا.

ولهذا قلنا نحن -مثلًا-: إنسانٌ مسلم مؤمن تقي صالح يعيش في النيجر وأصابته المجاعة، وبطنه منتفخ من المجاعة، ولا يجد ما يأكل، هيكي عظمي، هذا أسعد حياة من «بيل جيتس» أغنى رجل في العالم مالك «مايكروسوفت»، هذا عايش حياة طيبة -إن شاء الله-؛ لأنه عايش بالله ﷻ وآنس بالله ﷻ ومؤمن خاضع لأمر الله، مطمئنة نفسه، ويقول: يا رب هذا كله امتحان، وهذا اختبار منك، وأنا صابر لأقدارك، محب لك راضٍ بقسمتك، خاضع لأمرك، أرجو فضلك في الآخرة، هي صبر ساعة وتنتهي، وأكون أنا الفائز.. بهذه المعاني والتحقق بها وملاحظتها هو عايش حياة طيبة، وتلك هي جنته ثم يفضي إلى الآخرة ليس عنده شيء، رغم أنه في بحبوحته لكن تجد النكد في حياته، طبعًا الغربيون وبعض الذين لامسوا الحضارة الغربية والثقافة الغربية ألفوا كتب كثيرة في حياة المترفين هؤلاء، وأن حياتهم مليئة بالمنغصات وبالنكد وغيرها، وكثير من رؤوسهم ومن رجالاتهم ينتهون إلى الانتحار، ما عندهم الحياة السعيدة.

المقصود أن بعض الناس في الحركة الإسلامية في عصرنا هذا، تحول الدين عندهم إلى برنامج لحياة سعيدة، والحياة السعيدة بمفهومهم هم، أن كلمة سعيدة هذه لفظ مجمل، السعادة وحياة سعيدة، لا بد أن نشرحها، ما هي السعادة؟ معنى السعادة اختلف فيه البشر، كل واحد يشرحه ويفهمه على حسب ما يسعى فيه؛ الذي عنده السعادة أن يأكل ويشرب ومبحبح، هذه هي السعادة عندهم، لكن أمور أخرى! أين سعادة القلب في اتصاله بخالقه وبمولاه ﷻ؟ عبادته لله، وتوجهه إلى الله، وخضوعه إلى الله ﷻ، لا يوجد عندهم، تجد عندهم النكد دائمًا، نكد المشركين.

فالمقصود أن الدين ليس برنامجًا سياسيًّا، وليس برنامجًا من أجل أن نعيش حياة طيبة، وليس وسيلة

نتخذها لكي نعيش حياة طيبة، لا، الدين هو بالأساس هو عبادة الله ﷻ، نحن عبيد الله، مكلفون بهذه الأوامر والنواهي والتكليفات، خاضعون لأمر الله، نلتزم بدين الله ﷻ وأمره ونهيه وهذه التكليفات التي أمرنا بها، مستسلمون له ولأمره ولحكمه، بعد ذلك نحن إذا فعلنا ذلك الله ﷻ وعدنا بأن نعيش حياة طيبة، ولو أن المسلمين جمهرة من البشر فعلوا هذا وعاشوا في مجتمعٍ ما بهذا الشكل لكانوا كلهم قوة واحدة ويعيشوا حياة طيبة بكل المعاني، لكن أن نتخذ الدين وسيلة للسياسة، نتخذ الدين وسيلة من أجل أن نعيش حياة طيبة، ونوظف الدين حتى نغلب الأمم بالصناعات، ونغلب الأمم بالتكنولوجيا وغيرها، ونحن مقصرون؛ لأننا تركنا ديننا ونرجع إلى الدين حتى نغلب! لا يبحث غالبيتهم إلا عن التكنولوجيا، وكثير من التكنولوجيا أصلًا هي خراب، نحن لا نحتاجها، وما احتجنا إليها في كثير من الحالات إلا لكي نتكافأ معهم، ولكي نحاربهم، نحتاج إليها في حرب، وإن كثيرًا من العلم الذي عندهم والتكنولوجيا هي باطل أصلًا، لا حاجة لنا فيها، تعب بشري فقط. المقصود أن هذا الدين بالأساس هو عبادة الله ﷻ وتكليفات نحن نرجع إليها، نخضع لها.

[أحد الحضور: بالنسبة لبعض التكاليف منها الشاقة ومنها السهلة، بعض التكاليف الشاقة الإنسان يؤديها، فبعضهم يتعلل بهذا الشيء في الهجرة والجهاد يقول أنا ما أطيق، وهؤلاء ناس وجدناهم، موجودين، يقول: فيني حب الدنيا مع أني أقر أن الجهاد فرض عين.. ولو قلت له عن الهجرة قال: أنا لا أستطيع؛ فما هو ضابط الاستطاعة؟]

الشيخ: لا، عدم الاستطاعة المدعى خطأ، هذا ادعاء كاذب.. يعني مثل واحد كافر تقول له: أسلم واعبد الله. يقول لك: ما أستطيع أن أطيع الله. دعواه عدم الاستطاعة دعوى كاذبة غير صحيحة بل هو يستطيع وهذا في مقدوره، وما يمنعه هو تشبثه بالدنيا، واختياره لها فقط، إذن أنت مقصر، وحقيقة أمرك أنك اخترت الدنيا على الآخرة، اخترتها وفضلتها وقاعد تثمرها وتركت الدين وتركت الآخرة، هذه حقيقة الأمر، ولكن هذه دعوى، هو يقول أنا لا أستطيع، كيف لا تستطيع، عندك الفلوس وعندك منسق، هيا جاهد في سبيل الله، ما الذي يمنعك؟! عدم الاستطاعة مدعاة وهمية وغير صحيحة.. هذا تلاعب بالألفاظ، هو يقولها لك غير صحيحة، ليس هذا الذي ينظر إليه الإنسان، ينظر الإنسان إلى حقيقة الأمر، حقيقة الأمر أنه مستطيع وأنه قادر ولكنه ما زال يفضل الدنيا على الآخرة؛ فهذا ما وفقه الله وتعذر بأنه لا يستطيع، الاستطاعة ليست هي عدم الاستطاعة التي هي بمعنى العجز عن تأدية التكليف التي عذر الله صاحبها، لا، ليست هي. الإنسان معه عدم الاستطاعة المذكورة في قوله ﷻ: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبۡصِرُونَ ۝٢٠﴾ [هود].

قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠)﴾ [هود] هذا عدم الاستطاعة، فهذا ما كان يستطيع؛ الله ﷻ منعه من هذا حرمه ولم يوفقه، وهو يتعذر بأنه لا يستطيع لكن هذا تعذر لفظي وادعاء كاذب -كما قلت لك- لا يغني شيئًا، يضحك على مَن هو؟ يضحك علي أنا أو عليك أنت؟! نحن بشر عبيد ما نساوي شيئًا، يضحك علينا، لكن يخادع الله؟ ما يستطيع، ما يستطيع أن يخادع الله، الذي يقول لا أستطيع هذا غير صحيح، الذي لا يستطيع ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨)﴾ [النساء] الإنسان الضعيف المريض الأعمى أو غيره، لم يهتدِ سبيلًا؛ يعني ما وجد، مسكين يبحث ولم يجد الطريق، وخائف والعدو متربص به، جالس ومتربص ومتمني ومريد.. هذا معذور، عذره الله بنص القرآن، هذا مجاهد في قلبه بنيته، وهذا داخل لا شك في قول النبي ﷺ: **(ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا شركوكم في الأجر)**[1].

لكن واحد يستطيع وعنده الآلات والقوة والتمكن ووجد السبيل ووجد الزاد والمال، والحمد لله، ثم يقول لك: والله أنا لم أستطع! هذا ليس عدم استطاعة، بل هذا عدم توفيق من الله، خذله الله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)﴾ [التوبة]؛ فالله ثبطه وخذله وتخلى عنه ولم ينصره ولم يعنه ولم يوفقه، كل هذا باختصار، فهذا فقط مجرد تعبير خاطئ عن واقع معين، والله أعلم.

[أحد الحضور: يا شيخ، الآن نحن قرروا لنا في المدارس إذا العدو داهم أرض المسلمين فيجب الجهاد على أهل البلد ثم من يليهم وهكذا.. الآن خمس سنوات في العراق، وثمانية سنوات في أفغانستان، ما قدرت الناس ترد العدو؛ فما هي حجة الذين يقولون أن الجهاد إلى الآن فرض كفاية؟ ما حجتهم؟]

الشيخ: هم يقولون أن المجاهدين غير محتاجين للرجال مكتفين، هذه حجتهم، يقولون كفاية، ما هي الكفاية؟ يعني أنت مكتفي من الرجال، ساحة أفغانستان غير محتملة لرجال آخرين -وأنت قاعد يا شيخ فلان وشيخ فلان، الناس تريد أن تأتي وأنتم قاعدين توقفوا فيهم- يعني فرض كفاية! هم عندهم حجة هي هذه الحجة فرض كفاية، فيقولون أن بعض قيادات المجاهدين صرحوا لنا أنهم غير

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٣)، صحيح مسلم (١٩١١).

محتاجين للرجال، الجيش الإسلامي في العراق يقول لناصر العمر ويقول لأصحابه: نحن غير محتاجين، العراقيين يكفوننا، نحن نحتاج فقط إلى مال، إيتوا لنا بالمال، نحن عندنا الكثير من العراقيين جالسين وما يجدون سلاحًا أصلًا بسبب عدم وجود المال، قد يكون جزء من هذا صحيح وأنا لا أنفيه بالكلية، لكن لا بد من بعض التقييدات والتحريرات، لعلنا نتكلم فيها مرة ثانية؛ لأن هذا ليس موضوعنا الآن.

ولكن جزء من هذا الكلام صحيح، بمعنى أنه لو تحقق عندنا أننا لسنا محتاجين للرجال حينئذ نقول: اكتفينا في هذه الساحة، لكن لا بد من نظر كلي، طيب في الساحات الأخرى؟ لأنه عندما نقول الجهاد فرض عين الآن، ليس قصدنا في أفغانستان فقط أو العراق فقط، طيب والساحات الأخرى؟ والساحات التي ليس فيها جهاد أصلًا؟ الأندلس طيب ما فيه جهاد، حتى في بلادنا نفسها، وبلادنا نحن: ليبيا، ومصر، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، والشام، وبلدان الخليج، من يجاهد؟ فقولنا: الجهاد فرض عين الآن في هذا الوقت يحتاج إلى ضبط وتحرير، أنا شرحته في بعض المواضع مكتوب على الإنترنت وفي بعض المواقع وفي لقاء الحسبة لعلكم رأيتموه أنا شرحت هذا وقلت أنها تلخصه عبارة الشيخ عبد الله عزام لما قال: «الْحق بالقافلة».

هذه العبارة أنا أراها تعبير كشعار وكعنوان يلخص فرض العين الآن، الإنسان الذي لحق بالقافلة وقال: أنا مستعد، أنا معكم يا مجاهدين مروني أين أكون، مروني بما شئتم، ضعوني حيث ترون الصلاح والخير.. هذا إنسان برئت ذمته وأدى الذي عليه، وإلا فالإنسان ذمته تبقى مشغولة، لا تبرأ ذمته إلا أن يبذل نفسه.

مثلًا: هذا في السعودية إنسان من هناك اتصل على المجاهدين وقال لهم: أنا معكم، مروني بأمركم، تريدوني أن آتي عندكم وتحتاجوني عندكم أنا مستعد آتي، أبقى هناك أخدمكم أنا مستعد، أو أجلس أدعو لكم وخلاص، وأنا -إن شاء الله- لعلي تجدوني ذخيرة لكم في وقت لاحق، مروني.. ما المناسب الآن، ما هو الخير؟ ما هو الذي يحتاجه الجهاد ويأمر به الله ﷻ الآن من مجاهدة الكفار في هذا الحين أنا باذل هذا من نفسي، مستعد؛ فهذا قد برئت ذمته، فإذا جاء الأمر من القيادة يقول: لا، أنت كن في مكانك الآن عندنا عدد يكفي، أنت كن في مكانك يحتاجونك هناك إما ساعدنا في الدعوة هناك أو الإعلام والذب علينا بالكلمة ونشر دعوتنا والتحريض، ساعدنا ماليًا واجمع أموال، استثمر واعمل مشروع، ساعدنا مثلًا بمجموعة من العلاقات إذا كان عندك معارف قل لهم كذا.

مثلًا وجدناه يستطيع أن يتعلم: اذهب وتعلم في الجامعة الثلاث سنين هذه وادرس مثلًا هندسة

الكيمياء، فسنحتاجك بعد سنتين أو ثلاثة نحتاج إلى كوادر في هذا، يمشي يتكلف بأمرنا، هذا برئت ذمته، هذا مجاهد في سبيل الله مثل الذين في الميدان، هذا لحق بالقافلة.

لكن الذي لم يفعل ذلك أنا عندي أنه آثم مقصر، المسألة ليست متعلقة بقضية الرجال؛ ولذلك نحن نوقف الناس، نوقف الناس بالفعل، ونختار وننتقي؛ لأننا نحن نعرف قدراتنا الاستيعابية، لا نستطيع أن نستوعب الناس، لا من الناحية المادية وأكلهم وشربهم وطعامهم ولباسهم وأغطيتهم وغيرها، ولا من الناحية الأمنية نحن في قصف وغيره، أين نضع الناس؟ ولا من الناحية حتى الإدارية والناحية التربوية، يعني الناس أتوا كيف نربيهم وكيف نعلمهم وكيف نكون مسؤولين عن دينهم وعن أخلاقهم، لا نستطيع أن نستوعبهم، ولا حتى الساحة هنا والقوم هنا، الأتراك هنا قاعدين سبعين مليون في تركيا عدد سكان تركيا، فيهم ملايين من الشباب قاعدين متحمسين للمجيء للجهاد لو فتحنا لهم الباب على مصراعيه بدون أي ضوابط وقيود، ممكن يأتيك في سنة واحدة مليون تركي لوزيرستان!

تركستان الشرقية عندنا ملايين هنا بجانب الصين، بس افتح لهم الباب وقل لهم: تعالوا ويعطونكم اتصالات وكفالات، وبيوت، تجدهم يأتون جريًا بالآلاف، لكن نحن نقول لهم: ما عندنا كفالات ولا عندنا... نشد على الناس، لو أي واحد يأتي يقول: أنا عندي حق، نقول: لا، ما عندك حق وما عندك حاجة، اجلس هناك أنت، نحن الذين نختار، نحن أعطانا الله هذه الأمانة وخولنا هذا المنصب، نحن نمارس حقًّا ومسؤولية، النظر فيها إلى مصلحة الإسلام والمسلمين والقيام بهذه الأمانة وهذا الجهاد، لا يصلح الجهاد أن يأتيه كميات كبيرة ضخمة جدًا جدًا ثم تكون عبئًا علي ثم أهلَكُ أنا، وما يقدر أحد يرعاهم ولا يدير شؤونهم، وتصبح مجموعات وفوضى كثيرة جدًا ويصبح البشتون يشكون منا، والطلبة يشكون منا، وبيت الله هنا يطردنا، وهؤلاء يقاتلونا، ما ينفع أبدًا، يعني مستحيل هذا، هذا فساد عظيم، فالذي لا بد أن يحصل الآن هو عملية انتقاء، واختيار الناس بحسب قدراتنا، ونتوسع نتوسع، الذي لحق بنا بمعنى اللحاق، الذي تكلمت عليه هذا رجل في السعودية هناك أرسل وقال: أنا معكم مروني بما ترونه مناسب لي، أنا طالب أجيد كذا، أعمل كذا، عندي مهارات كذا، تعلمت كذا، آتيك؟

لو قال: أنا طبيب.

قلنا له: تعال جري نريدك. وجب عليه المجيء، نحن محتاجين إلى أطباء هنا الآن، مهندس

الكترونيات، مهندس في الكيمياء، وفي السموم، تعال جري لا تشاور، محتاجين لك.

طالب علم ومتخرج من جامعة الإيمان ودارس عند الشيخ البراك والغنيمان ورجل مزكى ورجل طيب، طبعًا التزكية هذه دائمًا لا بد منها يكون رجل صالح في البداية، ثم بعدها ماذا يحسن من المهارات، وماذا عنده من الإمكانيات، تعال جري محتاجين طلبة علم هنا، هذه الأصناف نحتاجها؛ ولذلك في خطاباتنا كلها نحرض في الكوادر والطاقات وغيره، لكن كجنود عاديين، لا، مكتفين إلى حد ما، لا نقول فرض كفاية بمعنى انتهى وبحبحوا يا ناس وتمت الكفاية ولا نحتاج أحد! لا، لكن أنا حكمتني ظروف معينة، سياسية، جغرافية، اجتماعية، مالية، مادية، أنا حكمتني الظروف، فما أستطيع أن أقول أن الكفاية حاصلة في الساحة الفلانية.

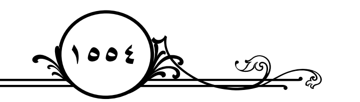
أما حصول الكفاية على مستوى العالم الإسلامي، على مستوى الدنيا، فهذا لا نستطيع أن نقوله أبدًا، أسبانيا الآن المحتلة لأرض المسلمين الأندلس، هذه من يجاهدها؟ هذا الذي يقول وهو جالس مثلًا في الكويت يقول: هذا فرض كفاية!

وفلسطين وأسبانيا وهذه الدول المسيطر عليها المرتدون هذه كلها من يجاهد فيها؟ وهذه سنغافورة التي هي من بلاد الإسلام وسيطر عليها الكفار، هذه دار من دور الإسلام احتلها الكفار الذين أصولهم صينين، استولوا عليها وسموها سينجابور، صار عندها اسم جديد وصبغة جديدة، بلاد كفار خلاص صارت رسمية، وغيرها وغيرها، من يجاهد هؤلاء؟!

لا بد للمسلمين أن يجاهدوا في سبيل الله، فالجهاد متعين علينا، لكن ما هو القدر المتعين، أنا شرحتها، يلحق الإنسان بالقافلة، توجد قيادة مجاهدة وطائفة تجاهد في سبيل الله، حصلت لها بفضل من الله ﷻ نوع وثوق وأمانة وسلمتها الأمة أمانتها وجمهرة كبيرة من الأمة، ما نقول الأمة كلها؛ لأن الأمة جزء كبير منها فساق وكفرة وزنادقة منتسبين للأمة الإسلامية، لكن أنا أقول جمهرة لا بأس بها من أمة الإسلام من أخيارهم، صالحيهم، اعترفوا بهذه الجماعة ووثقوا فيها وسلموها قيادتهم، واعترفوا بها كقيادة للمجاهدين، هنا مثلًا: القاعدة وطالبان، هؤلاء الْحق بهم، هذه قيادة موجودة، الْحق بهم، وقل لهم: أنا مستعد، مروني بأمركم، إذا قلتم لي تعال أنا آتي، إذا قلتم لي لا، ابقَ هناك، أو امشِ إلى مكان ثاني أنا سآتمر بأمركم ما استطعت، بهذا برئت ذمته، وأدى الذي عليه.. هذا معنى وجوب الجهاد الآن.

أما بمعنى أن كل واحد لازم يُحضِر نفسه، لا، ما أقول هذا، لكن نحن نختار من الناس.

الإخوة في الصومال، الإخوة في الجزائر كذلك، وهكذا، قيادات الجهاد محليًا في كل مكان هي تختار



الناس بحسبها، لكن على الناس أن يكونوا مستعدين وأن يبذلوا أنفسهم، فمن قيل له: أنت بنفسك نحتاج إليك لأنك طبيب أو مهندس أو كذا، طاقة معينة، فيجب عليه المجيء بنفسه، ومن لم يكن عنده هذه الخصوصية وكان مجاهدًا عاديًّا، فرد، يحمل الكلاشينكوف ويجاهد، فهذا بحسبه، يأخذون بحسب الحاجة، هذا والله أعلم.

الإخوة في الشيشان أيام خطاب وغيره حتى بعده وصلوا في مرحلة من المراحل وقالوا: لا نحتاج رجال.. هم أدرى بتقييم ساحتهم وحاجتهم، هذا ليس عيبًا، والقيادة هي التي تقرر هذا.

[أحد الحضور: حتى أن غالب الناس يحبون هذا الكلام، مثل كلمة ناصر العمر الذي يقول: «العراق غير محتاج إلى رجال»]

الشيخ: لأن إطلاق هذا القول يثبط الناس لكن نحن علينا أن نشرح هذا للناس، الناس لا بد أن تجاهد في سبيل الله وأن تكون مستعدة للبذل في سبيل الله، متعين على كل واحد أن يلحق بقافلة الجهاد وأن يبذل نفسه، وهذا هو القدر المتعين، احفظوها يا إخوة؛ لأن المسألة دقيقة، القدر المتعين على كل أحد الآن هو أن يبذل نفسه وأن يكون مستعدًا للحاق بالمجاهدين، وأن يأتمر بأمر الجهاد والمجاهدين، فإن قيل له تعال والجهاد محتاج إليك، وجب عليه، وإن قالوا له اقعد خلاص، أنت أبحث عن الأنسب لك، ساحة أخرى، أو ابحث عن عمل آخر تنفع به المجاهدين، يأتمر بالأمر.

أما هؤلاء الملايين الذين هم من قومنا ومن أمتنا، الذين يمشون كالبهائم، يخرجوا في الصباح ويروحوا في العشية، كل عمله ثمان ساعات في النهار، ثم في الليل يكون كالجيفة النائمة، جيفة ملقاة على الفراش ويمارس حياته البهيمية والحيوانية ولا يدري عن جهاد ولا عن هجرة ولا على إسلام ولا على الطواغيت ما عملوا، ولا عفسوا على المصاحف، ولا عذبوا المسلمين، لا يشعر بالكلام هذا، ولا يهمه أصلًا، ولا باكي.

هذا مقصر لا شك أنهم مقصرون واقعون في كبيرة من الكبائر، ترك الجهاد المتعين كبيرة من الكبائر: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٣٩]، ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ هذه الأشياء الثمانية إن كانت ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ المقصود هو الجهاد في سبيل الله، وذكر الله ورسوله هي كالتوطئة ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة] فأشار إلى أنهم فاسقون بهذا.

ترك الجهاد المتعين يصرح بها العلماء في الكبائر، والجهاد يتعين في مواضع ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب ما رتبه العلماء، إذا عُين الإنسان بنفسه من قيادات الجهاد، استُنفر الإنسان بنفسه لحاجة الجهاد إليه، أو تعينت الحاجة فيه وعرفها هو، تعين عليه، حتى لو لم يستنفره أحد، أنا مثلًا إنسان مسلم عربي عايش في الإمارات، عرفت أن المجاهدين في أفغانستان محتاجين لخبير في جانب معين، ولا يوجد عندهم، وأنا هذا الخبير، أنا عندي هذه الخبرة، أعرف هذا العلم، عندهم أجهزة والكترونيات وكذا يستطيعون يضربون بها العدو، أجهزة تصنت وأجهزة تشويش على هذه الجاسوسيات وحتى إنزالها مثلًا، وأنا عندي هذه الكفاءة وأستطيع أعمل هذا.

المجاهدون عندهم أجهزة، ولا يستطيعون أن يشغلونها لأنه لا يوجد عندهم من يفهم في الأمور هذه، وعلمت أنا بهذا، يجب علي أن أنفر مباشرة، جري، ولو لم يستنفرني أحد، ولا أحد شعر بي، تعين علي؛ لأني علمت التعين، هذا من مواضع التعين.

كذلك إذا نزل العدو في العقر، فهذه المسألة التي كنا نتكلم عليها، نزل بأرض المسلمين فيتعين على من قرب دفعه وهكذا حتى تحصل الكفاية.

إذا حضر الإنسان الصف وجب عليه، إنسان ماشي هكذا، وجد الجهاد أمامه والحرب قامت فيجب عليه أن يكون مع المسلمين، لا يقول أنا كنت آتي أسلم على أخي هنا وماشي، لا ينفع، أنت أتيت والحرب قامت يجب أن تحضر.

هذه مواضع يتعين فيها الجهاد، يتعين الجهاد أيضًا بتحرير أسارى المسلمين، هذا موضع لم يذكره الكثيرون، ولكن ذكره البعض وهو صحيح، لتحرير أسارى المسلمين يتعين الجهاد، الآن من أحد أسباب تعين الجهاد على المسلمين تحرير أُساراهم، من يحرر الأسرى؟ من يحرر إخواننا الذين في كوبا وإخواننا الذين في باغرام وإخواننا الذين في أفغانستان وفي العراق، مليئة العراق، الأمريكان عندهم أحد عشر ألفًا، من يحررهم هؤلاء؟ في كل البلاد أيضًا من يحررهم؟ واجب على المسلمين أن يجاهدوا في سبيل الله لتحريرهم، كيف يقولوا فرض كفاية؟ جهل عظيم هذا، لا يوجد فرض كفاية، ولكن أنا أقول ما هو القدر الواجب على كل إنسان، هذا فقط حاولوا تدققوا فيه وتفهموه تنحل عندكم المسألة، والله أعلم.

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تكلمنا عن الدين، وقلنا: من الأخطاء التي تقع في الدين أن يُنظر إليه على أنه برنامج لحياة سعيدة -وهذه وقع فيها بعض الحركات الإسلامية وبعض المفكرين والمثقفين-، والحياة السعيدة بمفهومهم يعني أن نستغل الدين لكي نحيا حياة جيدة، تعيش الإسلام على أنه شيء جميل، وهو جميل بلا شك، ولكن هذا ليس هو المعنى الأساسي؛ فالمعنى الأساسي هو دين الله ﷻ وهو مجموعة التكاليف والأوامر والنواهي، التكليفات الشرعية التي ابتلانا الله وامتحننا واختبرنا ﷻ بها، حيث أمرنا بالخضوع لها وتطبيقها والعمل بها.. فهو عبادة لله ﷻ، لبّه هو عبادة الله، وهو الذلة: كمال الذلة وكمال الخضوع لله ﷻ والانقياد لأمره ومتابعة رسله.

ومن الأشياء المهمة أيضًا في فهم معنى الدين وشرحه أن كثيرًا من الناس ينظرون إلى الدين من جانب واحد فقط؛ فتعرفون قضية العنف والإرهاب.. الخ، فيقولون:الدين دين التسامح ودين الرحمة، فينظرون إلى الدين من جانب واحد، نعم؛ لا شك أنه دين التسامح، ولا شك أنه دين السلام، ولا شك أنه دين الرحمة، لكنه أيضًا دين الحرب، ودين الجهاد الذي يسمونه عنفًا؛ فقد جاء الإسلام بعنف مشروع وهو الشدة على الكفار وقتالهم وقتلهم وذبحهم، فأين هذا؟ لماذا لا تذكرونه؟ هذا عادة لا يكون من سوء الفهم، هذا يكون عادة من الغرض المقصود عند أصحابه من الزنادقة وأمثالهم الذين يحاولون تصوير الإسلام على أنه دين جمالي ودين رقة ورحمة! وهو ليس كذلك، هذا دين الله فيه شدة الرحمة، وفيه شدة العذاب أيضًا على الكفار وعلى مستحقيه، يعطي كل أحد وكل شيء حقه وما يستحقه من عنف أو لين أو ما يستحقه من حكم، هذا دين الله ﷻ ففيه الرحمة لمن يستحق الرحمة، وفيه السلام وقد يكون السلام هو المراد والمحبوب لله ﷻ والأَرْضَى، السلام للمسلمين ومع من يدخل في هذا الدين أو تحته أو في أمانه أو فيمن يسالمه، وفيه القوة والشدة والعنف والقسوة والدماء والأشلاء،

هذا كله موجود في الدين، قال ﷻ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فأمر الله ﷻ بالبراءة من الكافرين ومن المنافقين، وموالاة المؤمنين، وأمر بقتال الكفار وأصناف الناس التي جاءت الشريعة بقتالهم.

فلا بد أن تكون هذه المفاهيم عندنا واضحة.

كذلك أيضًا من ضمن الفرعيات التي ترد علينا في خطاب الكفار لنا وحربهم الإعلامية علينا أنهم يحاولون **تشويه صورة الدين وتشويه صورة الإسلام** بمجموعة من الحجج التي يستعملونها؛ حجج داحضة في الحقيقة؛ كقولهم مثلًا: أن هذا الإسلام دين العنف، ودين الإرهاب، ودين ضد حرية المرأة، وفيه عنجهية وفيه تخلف، وفيه عدم احترام لحقوق الإنسان أو حقوق المرأة.. فهذه كلها محاكمة للإسلام الذي هو دين الله ﷻ إلى أهوائهم هم وإلى خزعبلاتهم وسخافاتهم وأفكارهم الشيطانية؛ فهذا كله بالنسبة لنا لا يساوي شيئا، وكله تحت أرجلنا، الحق هو ما أحقه الله ﷻ، والدين هو دين الله ﷻ؛ فما جعله الله دينًا وارتضاه لنا دينًا فهو ديننا، الذي نتدين لله ﷻ به، ونحن عبيد الله.

من الشُّبه أيضًا أن يقولوا: تلجأ الناس إلى هذا الدين وإلى الإسلام وإلى التدين بصفة عامة -ولاحظوا أن هذا يكثر في خطابات الزنادقة والمحللين ونحوهم- يلجؤون إليه بسبب المشاكل الاقتصادية؛ فكثير من هؤلاء الشباب يلجؤون إلى الجهاد ويلجؤون إلى التدين وإلى الحركة الإسلامية بسبب الظروف الاقتصادية! ويأتوا بدراسات مبنية على إحصاءات ونظر واستبيانات واستطلاعات، تبين أن أكثر المتبعين للحركة الإسلامية وأكثر شبابها وأفرادها وكذلك الحركة الجهادية على وجه الخصوص أنهم من الطبقات إما المتوسطة وإما الضعيفة في المجتمع اقتصاديًا.. ويجعلون هذا من باب محاولة التنفير عن الإسلام، فيجعلوا غرض هؤلاء الأفراد الذين انتسبوا إلى الإسلام وتدينوا واتبعوا الحركة الإسلامية غرضًا اقتصاديًا، ناس لا تجد مالا وفي جهل، أو ناس لا يجدون حلا إلا في الذي يشبع رغبتها في التحدي، وبالخطب الرنانة؛ بالدين الدين يملأ الفراغ.. وهذا كله زندقة وكفر طبعًا.

ونحن نرد عليهم أن هذا من نعمة الله ﷻ على الفقراء والضعفاء أن جعلهم أكثر تهيئًا وأكثر استعدادًا وأكثر خلوًا من الموانع ومن العوائق ومن العلائق؛ بحيث يكونوا أقرب إلى اتباع الدين، واتباع الحق، وهذا هو الفرق؛ فلما جاوب أبو سفيان عن أجوبة هرقل، قال له هرقل: «سألتك أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أنَّ ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل»[1]؛ فهذه علامة استدل

(١) صحيح البخاري (٧)، صحيح مسلم (١٧٧٣).

بها، علامة على أنه رسول حق فعلًا؛ من ضمن مجموعة العلامات التي يستدل بها.

فأتباع الرسل هم الضعفاء، وجرت سنة الله مع الأنبياء جميعًا والأقوام لما أرسل الله إليهم الأنبياء والمرسلين أن المترفين والسادات والكبراء والأشراف ما يؤمنون في الغالب؛ فإن آمن منهم قليل في بعض الحالات فهو قليل ونادر، والسبب في ذلك واضح جدًا؛ لأن الأشراف والسادة والرؤساء والملوك ورؤساء الأقوام والمترفون الذين مثالهم فرعون وقارون وهامان، هؤلاء عندهم عوائق كثيرة تعوقهم عن الاستسلام لله ﷻ والخضوع والذلة لأمر الله ﷻ، ومتابعة الرسل، عندهم أموالهم وعندهم جاههم، وعندهم سلطانهم، ويخافون أن يفقدوا هذه المكاسب التي بأيديهم، بخلاف الفقير المسكين الضعيف الذي ليس عنده ما يخسره؛ فإذا جاءه الحق وعرض عليه هكذا بسيطًا فإنه يتبعه؛ لأنه ليس عنده عوائق.

أما المترفون والسادات والكبراء فإنهم يعرفون الحق ولكن لا يتبعونه؛ خوفًا على مكاسبهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، هذا طبيعي، وهذا ممتد ومستمر إلى يوم القيامة.. وهؤلاء الضعفاء هم أتباع الرسل؛ لأن الله ﷻ منَّ عليهم وجعلهم أكثر تهيئًا وأكثر استعدادًا وقابلية لأن يتبعوا رسل الله ﷻ ورسالات الله ﷻ ويعملوا بها، هذه منة من الله ﷻ عليهم.

فليس عيبًا أن الدعوة يتبعها الضعفاء.

[**سؤال عن كتاب «المصطلحات الأربعة» لأبي الأعلى المودودي** رحمه الله]

يقصد بالمصطلحات الأربعة، الألفاظ الأربعة: الرب، والدين، والعبادة أو العبودية، والطاغوت، إن لم أكن مخطئًا.. وهو تقريبًا في ستين صفحة[1].

۞ الابتلاء والاختبار والفتنة والامتحان

نحن تكلمنا عن الدين، قلنا الدين هو مجموعة تكاليف، هذه التكاليف التي كلفنا الله ﷻ بها فيها نوع مشقة، والتكليف هو طلب ما فيه مشقة أو إلزام ما فيه مشقة، وقلنا أن المشقات منها كبير ومنها

---

(١) ألف الشيخ العلامة أبو الأعلى المودودي هذه الرسالة في سنة ١٣٦٠هـ - ١٩٤١ م، ونشر فصولها تباعا في مجلته الشهرية «ترجمان القرآن» ثم جمعها ونشرها في رسالة سماها «المصطلحات الأربعة في القرآن»، والمصطلحات هي: الإله والرب والدين والعبادة. قال الشيخ في مطلعها (ص ٣): «هذه الكلمات الأربع أساس المصطلح القرآني وقوامه، والقطب الذي تدور حوله دعوة القرآن؛ فجماع ما يدعو إليه القرآن الكريم هو أن الله تعالى هو الإله الواحد الأحد والرب الفرد الصمد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، ولا يشاركه في ألوهيته ولا في ربوبيته أحد.. فيجب على الإنسان أن يرضى به إلهًا وأن يتخذه دون سواه ربًا، ويكفر بألوهية غيره ويجحد ربوبية من سواه، وأن يعبده وحده ولا يعبد أحدًا غيره ويخلص دينه لله تعالى ويرفض كل دين غير دينه سبحانه».

صغير، فالله ﷻ إذن قد ابتلانا بهذا الدين، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢] خلقناه لنبتليه، وجملة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في موضع الحال، يعني خلقناه مبتلين له، أو مبتلينه، مبتلين إياه؛ فالله ﷻ خلقه وهو يريد أن يبتليه، وأن يختبره، وأن يمتحنه، بماذا اختبره؟ اختبره بالتكاليف؛ لينظر الله ﷻ وليستخرج في عالم الشهادة عبوديته، أو تمرده على الله ورفضه لعبادة الله ﷻ.. هذا هو الابتلاء والاختبار والامتحان.

هذه الامتحانات والابتلاءات هي التكاليف؛ منها الشاق ومنها الخفيف.. في حال العافية وحال السلامة وحال الرخاء وحال الخلو من المحن؛ يدخل كثير من الناس في الدين ويبذلون طاعة الله ﷻ، لكن إنما يتميز العابدون لله ﷻ حقًا في وقت الشدائد ووقت الامتحان والابتلاء، إذا وُضعوا على هذه المحكات التي يتميز بها الخلق، كما قال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؛ فيه إشارة إلى أن الله ﷻ -وهو كذلك- يعلم الغيب، يعلم حالهم ولا يحتاج أن يمتحنهم لو كان الأمر متعلقًا بعلم الله، لكن الله ﷻ أراد أن يظهر هذا إلى عالم الشهادة، الله ﷻ لا يعذب أحدًا إلا على ما ظهر منه، وإنما يعاقب العباد أو يثيبهم على الشيء الذي ظهر وتحقق فيهم في عالم الشهادة، أما عالم الغيب يعلمه الله ﷻ وقد استأثر به، لكن عالم الشهادة يظهره الله أمام الخلائق.

فالمقصود أن الله ﷻ خلق الإنسان ليبتليه ويكلفه، وجعل محل الابتلاء هذه الدار الدنيا التي هي دار ابتلاء ودار امتحان ودار اختبار، تبدأ فيها مرحلة امتحان الإنسان من مرحلة تكليفه بأن يبلغ العقل، وهذا هو البلوغ الذي أنيط به التكليف، وهو مرحلة تهيؤ العقل بشكل مناسب لأن تناط به التكاليف؛ فيخاطب بالأحكام من لحظة بلوغه إلى أن يموت الإنسان عاقلًا فتنتهي فترة الاختبار، وتسحب منه ورقة الامتحان، ويُنظر بعد ذلك إلى صحيفته وفي إجاباته: هل أحسن الإجابة أم لم يحسن؟! هذه فترة الدنيا؛ فترة الامتحان وفترة الاختبار.

الامتحانات أحيانًا تكون شاقة وصعبة، ومن ذلك: امتحان الجهاد وامتحان الهجرة، وامتحان أن الله ﷻ يسلط علينا عدوًا ويسلط علينا طواغيتًا؛ لينظر الله ﷻ ماذا نعمل، فلا يُعترض على الله ﷻ أنْ كيف اختبرتنا بهذا، نحن نريد أن نعيش في سلام.. الخ، فنحن عبيد الله لا يُسأل الله عما يفعل ونحن العبيد نُسأل، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣] الله ﷻ هو خالق الخلق، وهو مدبرهم، وهو ربهم وهو مالكهم، يفعل ما يشاء فيهم، لو عذب أهل سماواته وأرضه لم يكن ظالمًا لهم ولا يسأله

أحد، فالله ﷻ أحيانًا يختبر العباد بشيء مهم.

من الأمثلة التي ضربتها الشريعة وجاء بها الرسل؛ وهو ليس مثالًا ولكنه أشبه بالمثال؛ لأنه لم يأتِ بعد، لكن هو واقع وسيأتي، وهو: «الدجال»؛ فأشهر مثال للفتنة الكبيرة والامتحان الكبير هو اختبار الدجال.

الرسل كلهم حذروا أقوامهم منه **(ما من رسول إلا حذر أمته من المسيح الدجال)**[1] قاله النبي ﷺ، فالمسيح الدجال هذا مثال كبير للفتنة وللامتحان والاختبار الذي يأتي كبيرًا أحيانًا على الناس، ولكن لا أحد يعترض ويقول: كيف امتحان، ولماذا نُختبر هكذا؟ هذا معناه سقط من البداية ورفض أن يدخل الامتحان، الله ﷻ لا يُسأل عما يفعل؛ ولهذا نحن العبيد أول شيء يجب علينا أن نعترف بأننا عبيد لله ﷻ ومستعدون للقيام بأي تكليف من الله ﷻ يكلفنا به؛ فنقول: سمعنا وأطعنا، نحن عبيدك يا الله، نعبدك، ونشكرك، ونصبر لأمرك، وقضائك، وحكمك، ولا نخرج عن حكمك، وعن أمرك، نطبق ما تأمرنا به ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، ما قدرنا وما وسعنا؛ فإن عجزنا رجونا عفوك ومغفرتك، هكذا الإنسان ملتزم، إذا جاءه تكليف كبير نستعين بالله ونطبق، إذا جاءه تكليف صغير نطبق نفس الشيء؛ فنحن عبيد الله ﷻ في كل حين.

الدجال يبعثه الله ﷻ في وقت من الأوقات عندما يشاء وهو في آخر الزمان ومن علامات الساعة الكبرى، يخرج المسيح الدجال، خلق من خلق الله ﷻ، أعطاه الله ﷻ مجموعة من القدرات؛ ابتلاءً للعباد، لا يقال: كيف هو، ولماذا، وهو إنسان أو غير إنسان، هذه مباحث كلها لا طائلة تحتها، لكن هو مخلوق من خلق الله ﷻ أعطاه الله ﷻ قدرات معينة فتنة للعباد واختبارًا، وجعلها من أعظم الاختبارات والامتحانات التي تمر على البشر من لدن آدم إلى آخر الدنيا، ما يمر عليهم فتنة أشد من المسيح الدجال، صرح بها نبينا ﷺ، المسيح الدجال يخرج يوم يأذن الله ﷻ بخروجه؛ فيأمر الناس بعبادته هو، ويدعي الألوهية ويزاحم الله ﷻ في ربوبيته وإلٰهيته.

فينقسم الناس في ذلك؛ مع أن صفاته يتضح فيها جدًا أنه عاجز لا يكون إلهًا؛ لأنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة، وعليه علامة واضحة جعلها الله ﷻ واضحة للعباد كلهم، مكتوب على جبهته: «كافر»؛ يقرأها كل مؤمن، ومع هذا كثير من الناس الذين يخرج فيهم ما ينتبهوا لهذا ويغترون

---

(١) مسند أحمد (١٤١١٢) من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: **(مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ، وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَكْبَرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ)**، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

ببعض المزايا والغرائب التي عنده والخوارق والأشياء التي تدل على قدراتٍ؛ فيتبعونه ويمشون معه فيكفرون ويسقطون في الامتحان وينتهون إلى الجحيم، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

هذا المسيح الدجال هو أكبر فتنة، وهو أوضح مثال للدجاجلة على مر تاريخ البشرية كلها من لدن آدم إلى آخر عمر الدنيا.. أكبر مثال للدجاجلة والفتن والابتلاءات الكبيرة؛ لأن هذا الرجل يمر على القرية فيأمرهم أن يؤمنوا به ويتبعوه، فيرفضون ويكفرون به؛ فيأمر الأرض أن تجدب ويأمر السماء أن تمسك يعني ما تنزل القطر، ويأمر القرية فتتبعه كنوزها لا يبقى شيء لهم ثمين إلا ويتبعه ويمشي كيعاسيب النحل، ويبقوا هم وراءه في حال سيء جدًا وكرب عظيم لكنهم كفروا به، وتمسكوا بعبودية الله ﷻ وحده لا شريك له.

ويمر على القرية الأخرى فيدعوهم إلى الإيمان به واتباعه، فيتبعونه فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتخرج نباتها على أزهى صورها وأحسنها، كل هذا ابتلاء من الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ أقدره هذه القدرات، ولما يقول للسماء أمسكي فتمسك، ولما يقول لها أمطري تمطر، جعل هذه الأشياء منقادة له؛ فتنة للعباد.

وهو شرير مجرم مدعٍ للألوهية يدعو الناس إلى أن يعبدوه، فيصبح الذين كفروا به في ضيق شديد، والذين يؤمنون به ويتبعونه يكونوا في بحبوحة، تغدوا عليهم سارحتهم وتروح، نوقهم وبقرهم ومَعِزُهم تصير ضروعها كبيرة والحليب كثير.. فتنةً للناس كبيرة؛ لكن أمره بسيط، ونهايته قريبة؛ فهو يبقى أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، ويوم كبعض أيامكم.

تنتهي فتنتهم، وينزل عيسى بن مريم فيقتله عليه السلام[(١)]؛ وربح من ربح، وخسر من خسر، هذه مدة بسيطة تقيسها أنت سنة وشهر وأسبوع وزد عليها سبعة وثلاثين يومًا، في النهاية تكون سنة وشهرين، شيء بسيط، فتنة مرت علينا، نحن عندنا الأمريكان هنا لهم في أفغانستان سبع سنين! يعني سنة ونيف فيها هذا كله!! مدة الدجال وفتنته، ولكن انظر كيف ينقسم الخلق وهو يطوف الأرض كلها لا يبقى موضع إلا ويدخله، إلا مكة والمدينة حفظهم الله ﷻ وحرزهم منه ومنعه قدرًا وكونًا منه، لا يستطيع أن يدخلهما أبدًا، يأتي ليدخلهم فتصده الملائكة فلا يستطيع.

فهذه فتنة عظيمة أخبرنا بها النبي ﷺ وأخبر بها الأنبياء السابقين أممهم كذلك؛ تحذيرًا وتنبيهًا، وأيضًا من باب ضرب المثال لجنس الدجاجلة، وجنس أسباب الابتلاءات والفتن والامتحانات

---

(١) انظر في قصة الدجال: صحيح البخاري (١٥٥٥، ١٨٨٢، ٣٣٨٣،٣٤٣٩، ٣٤٥٠، ٧١٢٢ حتى ٧١٣٤؛ باب ذكر الدجال).

الكبيرة، وإلا نحن لو نظرنا إلى الواقع الذي نعيشه الآن ولو نظرنا أيضًا إلى التاريخ لوجدنا دجاجلة كُثر خرجوا، أمريكا الآن هذه مثال للدجال، هذه مثال صغير على كبرها، أمريكا هذه يقولون أنها أكبر قوة في التاريخ؛ هي في النهاية بجانب الدجال لا تساوي شيئًا، الدجال قدراته خارقة.

تدخل أمريكا للعراق فينقسم الناس، ناس يتبعوها ويكونوا معها، لماذا يتبعوها؟ رضا بالحياة الدنيا، واستعجالًا لطيباتها، وطلبًا واختيارًا ورضاءً وقناعة بحطامها، ما عندها من الدولار وما عندها من الفلوس وما عندها من خدمة وما عندها من ضرع وزرع، حتى أن كثيرًا منهم ربما غير مقتنعين بأمريكا، وبعضهم عنده قناعات معينة من خلال الثقافة الأمريكية؛ لكن كلها راجعة في النهاية إلى استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والرضا بالحياة الدنيا واختيارها وتفضيلها على الآخرة.. فتجدهم يتبعون أمريكا، وطوائف قليلة جدًا -دائمًا أهل الحق هم القلة- هم الذين يكفرون بهذا الدجال ويحاربونه؛ فهذا هو الحاصل في العراق وفي أفغانستان وفي أي مكان حيثما نزلت الدجاجلة، وقبلهم الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي وغيرهم، وقبلهم التتار -مثلًا- لما هجموا على أمة الإسلام قديمًا؛ على المشرق الإسلامي، واكتسحوا دولة الخلافة العباسية وأسقطوا الخلافة سنة ستمئة وستة وخمسين؛ فكانت فتنة عظيمة جدًا جدًا[1].

تصوروا أن جماعات كبيرة جدًا من العلماء في ذلك الوقت الذي كان فيه فطاحلة من العلماء.. دخلوا مع التتار! واقرؤوا «البداية والنهاية»، و«الكامل» لابن الأثير؛ في هذه السنين بالذات[2]، وقد استمروا في فتنتهم مدة طويلة، وهم هجموا عدة هجمات قبل سقوط الخلافة ثم وقفوا مدة ثم هجموا لما جاء «هولاكو» الذي أسقط الخلافة، ثم بعد إسقاطهم خلافة بغداد مشوا إلى الشام وسيطروا على معظمها، وكادوا يأخذون بقيتها، واتجهوا إلى مصر؛ فسخر الله لهم «قطز» و«بيبرس» وقادة المسلمين السلاطين والمماليك وغيرهم ومن معهم من الفرسان والأبطال والعلماء والأئمة الذين وقفوا معهم، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية من أبرز العلماء الذين وقفوا مع هؤلاء الطائفة المجاهدة وقفة عظيمة؛ فنصر الله ﷻ المسلمين عليهم، وإلا كانت فتنتهم فتنة كبيرة جدًا جدًا.

ودخل معهم خاصة بعد سقوط الخلافة في هذه المرحلة التي سقطت فيها الخلافة وما بعدها،

---

(١) انظر في فتنة التتار رسالة: «المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار»، لعلي محمد الصلابي، ويقع في قرابة ٤٣٠ صفحة.

(٢) جاء في عدة مواضع في «البداية والنهاية» ما يؤيد كلام الشيخ؛ ففي (١٧/ ٣٩٧) في استيلاء التتار على حلب قال ابن كثير: «أخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافعة، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة».

دخل معهم جماعات كثيرة جدًا من العلماء، دخلوا في حكمهم وفي وظائفهم وصاروا يفتون لهم ويعملون معهم ويساعدونهم؛ فهذا شيء فظيع جدًا حتى من العلماء، أما العامة فحدث ولا حرج، وهكذا ينقسم الناس في وقت مجيء الدجال.

هؤلاء الذين أسلموا وصبروا، يعني آمنوا بالله ﷻ وكفروا بهذا الطاغوت وبهذا الدجال، ضاعت عليهم دنياهم، وخسروا كثيرًا من المتع، وضحوا بدنياهم.. لكن هذه التضحية مرادة لله ﷻ ومحبوبة له ﷻ، أرادها الله وأحبها منهم، وأحب أن يبذلوا دنياهم في سبيله ﷻ وأن يظلوا بتوحيد الله وبعبوديته وحده لا شريك له، والإيمان به ﷻ واتباع رسله والتحاكم إلى شريعته وترك ما سواها.

هذا الامتحان لا شك أنه امتحان كبير وقاسٍ لدرجة كبيرة، ولكن هذه هي الامتحانات، وعلى المسلم المؤمن أن يكون مستعدًا دائمًا للابتلاء والامتحان وشعاره دائمًا: سمعنا وأطعنا، ولا يقول: لماذا وكيف ولماذا أنا فقط؟.. ولا يعترض على اختيار الله ﷻ وحكمته، وعلى قضاء الله ﷻ وحكمه، بل يخضع ويذل وينقاد، ويكون في صف الله ﷻ، المراد من هذه الامتحانات والاختبارات أن يظهر من يكون مع الله ومن الذي يمشي مع أعداء الله..

وكما قلنا أن الأمريكان الآن -مثلًا- هم عبارة عن دجال صغير.

والخلاصة: أن الحياة الدنيا هذه كلها دار فتنة وابتلاء وامتحان واختبار، خلقنا الله ﷻ فيها للامتحان والاختبار، وهذه الاختبارات بعضها يكون شديدًا وقاسٍ جدًا جدًا؛ فعلينا أن نستعد لهذا، فنحن ما خلقنا إلا له، خُلقنا لكي يبتلينا الله ويمتحنا ويختبرنا، ونسأل الله ﷻ العافية دائمًا، شرعت لنا الشريعة وأمرنا النبي ﷺ واستحب لنا وبين لنا ومدح هذا الأمر وهو أن نسأل الله دائمًا العافية، ونطلب العافية، ولا نجرب الله، ولا نجرب أنفسنا، لا تقل: أنا قوي وما يضرني شيء.. لا، ابتعد عن المصائب وابتعد عن الابتلاءات والفتنة، العافية أن يعافيك الله ﷻ وأن لا يضعك على المحك، وأن لا يختبرك ولا يمتحنك ولا يبتليك، بل يبعد عنك أسباب الابتلاء والمحن، وإن كان كل إنسان لا بد أن يصيبه البلاء؛ فلا بد أن يبتلى الإنسان، لكن أن يعافيه الله ﷻ بمعنى يخفف عليه ويبعد عنه الابتلاءات الكبيرة والشرور والامتحانات والفتن؛ فهذا مطلوب، وسؤال الله العافية من الأدعية المهمة، وجاء في بعض الأحاديث: (**أنه ليس شيء أحب أن يسأله من العافية**) ببعض الألفاظ: (**اليقين والعافية**)[1]؛

(١) في سنن الترمذي (٣٥٥٨) أن أبا بكر الصديق ﷺ حدث عن النبي ﷺ أنه قال: (**اسْأَلُوا اللَّهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ**) وقال الألباني: حسن صحيح.

فدائمًا نسأل الله ﷻ اليقين والعافية؛ أن يرزقنا الله اليقين وأن يعافينا.

لكن إذا وقع الابتلاء ووقعت الشدة؛ فعلينا أن نصبر ونستعين بالله ﷻ وحينئذ ينزل الصبر على الذي يستعين بالله، وفي الحديث: **(ومن يتصبر يصبره الله)**[1] يتصبر ويستعين بالله فيصبره الله ﷻ ويعينه ويقويه؛ لأن الإنسان ضعيف، لا يقدر على شيء إلا أن يقدره الله، وإلا أن يعينه ويصبره، وإلا أن يهديه الله، وإلا أن يوفقه الله، وينصره ﷻ.. فهذا ما يتعلق بالامتحانات والابتلاءات.

والفتنة تأتي بمعنى: الابتلاء والاختبار والامتحان؛ فتكون هذه بمعنى هذه.

الفتن -وواحدها الفتنة- جرى أكثر استعمالها في لسان الشرع والسنة على معنى الابتلاءات والاختبارات والامتحانات التي تكون في جانب الشر، والفتنة في لسان الشرع -في القرآن خاصة- ذكر العلماء أنها **وقعت وجاءت على معانٍ متعددة**[2]:

❖ جاءت بمعنى الصرف عن الدين.

❖ وجاءت بمعنى الاختبار والامتحان المجرد: أي مطلق الاختبار والامتحان.

❖ وجاءت بمعنى العذاب: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠] أي عذبوهم.

❖ الاختبار والامتحان: جاءت في آيات؛ نحو: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص: ٣٤]، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١، الجن: ١٧] ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠] اختبارًا وامتحانًا، وفي القرآن تكررت كثيرًا كلمة ﴿فِتْنَةً﴾.

❖ وجاءت بمعنى الشرك والكفر: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وتحتمل أيضًا في هذه الآية معنى الصرف عن الدين والصد عنه؛ لأنهم قالوا أن أصل الفتن هو الصرف، ومنه فتنة الذهب: تنقيته وتصفيته من الشوائب عندما يحرق بالنار ويُغلى ويذاب ويصفى من الشوائب ثم تُعاد صياغته.

آية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ تحتمل المعنيين، وهذا كله مذكور في التفسير؛ فقد ذكر السلف المعنيين؛ ولذلك فإن بعض المفسرين جمع بينهما، أي حتى لا تكون كفرًا وشركًا، أي: شركٌ

---

(١) صحيح البخاري (١٤٦٩).

(٢) ذكر الشنقيطي في: العذب النمير (٥/ ٢١٦)، أضواء البيان (٦/ ١١٨) أربعة معانٍ للفتنة: الحرق في النار، الاختبار -وهذا أكثرها استعمالًا-، نتيجة الاختبار بشرط كونها سيئة خاصَّة، الحجة.

ظاهرٌ غالب تقع منه الفتنة للمؤمنين بالصرف عن دينهم؛ لأنه ليس المقصود القضاء على الكفار بالكامل؛ بدليل أن الكفار يبقون تحتنا أهل ذمة، ولكن المقصود: أن الكفر والشرك إذا كان ظاهرًا له كلمة، فلا بد أن يُضرب حتى يكون ذليلا تحتنا.. فالكفار إذا غلبوا وكان لهم تمكن وسلطان فإنهم يفسدون فسادًا عظيمًا؛ يفسدون الدين والدنيا، وهذا هو الواقع الآن.

وأحب هاهنا أن أنبه على معانٍ في الفتنة:

أولًا: الإنسان عليه أن يفر من الفتن؛ لأن الشريعة جاءت عندنا بالأمر بالفرار من الفتن: باب من الإيمان الفرار بالدين من الفتن، (**يوشك أن يكون خير مال المؤمن غنم يرعى بها شعف الجبال ومواقع القطر؛ يفر بدينه من الفتن**)[1].

الفرار بالدين من الفتن مطلوبٌ في الشريعة، إذا وقعت الفتن وحلت الفتن حاول أن تهرب، ولا تواجه الفتنة، لا تدخل فيها ولا تقربها، وابتعد عن الفتنة.

[أحد الحضور: يا شيخ، هل نحن نعتبر فارين من الفتنة؟]

الشيخ: إن شاء الله، لا شك أن الإنسان إذا هاجر وترك هذه البلدان وغيرها وانضم إلى طائفة مجاهدة مهاجرة مالكة لنفسها مقيمة لحكم الله ﷻ في نفسها وفيما حولها وفي البقعة التي هي فيها؛ فهذا قمة الفرار من الفتنة.

الفتن كثيرة لا شك؛ فيكثر الإنسان من الدعاء أن يقيه الله الفتن؛ نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، الظاهر والباطن، الخفي والجلي، معنى الفرار والهرب من الفتن أن لا نواجهها ولا ندخل فيها ولا نقاربها ولا نكون عندها، ونسأل الله العافية ونطلبها منه، هذا مما يعين على الفرار من الفتنة، الدعاء أن يعافيك الله منها، اطلب العافية، اطلبها دومًا وادعُ الله بها، اطلبها عمليًا.

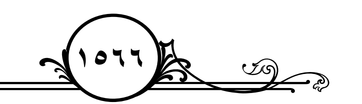
كنا مرة في موريتانيا ندرس هناك، وكنا في جنوب موريتانيا بعيدين جدًا في قرية صغيرة، فوجدنا مركز شرطة، غرفة طين فيها نقطة، وكنا قريبين منهم؛ فقال لي أحد الإخوة الذين كانوا معي: امشِ نسألهم -عن شيء معين-، فقلت له: هؤلاء شرطة لا تقرّب منهم.

كنا عايشين حياة عادية هناك؛ معنا جوازات ولا أحد يبحث عنا، ولكن مهما كان فيحب على الإنسان أن يبتعد عنها، فقال: أنت ليش خايف؟ فمشى هو إليهم فشدّوه! وأخذت منها درس طبعًا.

بعدها؛ الحمد لله طلبوه وأخذوه لمركز المدينة وصاروا يسألون: أنتم من متى هنا ولماذا لم تسجلوا ولماذا لم تأتوا من البداية للشرطة؟!.. فسايرناهم وهربنا بطريقة سلمية.

---

(١) صحيح البخاري (١٩).



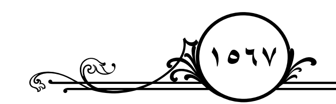
لكن استفدت منها أن الفتن يجب عليك أن تبتعد عنها، لا تقل: لا يوجد مشكلة، ابتعد عن الشر يبعد عنك، هذا مثال لطلب العافية دائمًا، ولا تجرب نفسك، ما استطعت أن تبعد ابتعد، ونحن كذلك في حركتنا هنا إذا استطعت حتى في الحالات العادية أن تبتعد من الفتن والمشاكل فافعل، اطلب العافية، ويجب الفرار من الفتن التي تفسد دين الإنسان من فتن النساء، والأموال، والمناصب، وفتن الكفرة ومبهجاتهم، وزخارف الدنيا.. يفر منها الإنسان، يفر من مفاسد الدنيا الصادَّة عن سبيل الله؛ يفر بدينه، هذه الأمور حثت عليها الشريعة جدًا وهذا من الإيمان.

هذه الفتن تقع بأسباب متعددة؛ تكون الفتن في العلم، والفتن في الدين، وفتن في الفكر والمنهج، فتن في فهم الأشياء في التصورات والتصديقات، فتن لها أسباب متعددة، ولهذا فالله ﷻ كما أمرنا أن نفر من الفتن ونهرب منها ونحاول ألا نقع فيها ولا نواجهها ما استطعنا.. أمرنا كذلك ألا نكون فتنة للناس، أي ألا نكون سببًا لفتنتهم؛ قال الله ﷻ: ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس: ٨٥ – ٨٦].

أمرنا الله ﷻ ألا نكون فتنة للناس عمومًا، وللقوم الظالمين على الخصوص، ويعني ذلك أن لا نكون سببًا لفتنتهم، وهذا عام في كل الناس وإن كان هذه الآيات وردت في القوم الظالمين فلها معنى أخص، ولكن المطلوب في مجمل الأدلة من المؤمن أن يفر من أن يكون فتنة للناس عمومًا؛ لأن الله ﷻ لا يحب أن نفتن الناس، ويحب العافية، وأمرنا الله ﷻ أن نسأله العافية؛ حتى القوم الظالمين، وحتى لو كانوا عدوًا نحاربه.. لا نكون فتنة له.

كيف لا نكون فتنة للناس؟ فُسرت هذه عند السلف كمجاهد وغيره بأن معناها: لا تظهرهم علينا فيظنوا أننا لو كنا أولياء الله حقًا لنصرنا الله؛ فيفتتنوا، فيقولوا: لو كان هؤلاء أولياء الله لنصرهم الله، فيفتتنوا.. هكذا فسرت وفسرت بغير هذا، لكن المقصود المعنى المهم العام أنه فيه تعليم وتلقين من الله ﷻ لنا أن ندعوه ألا يجعلنا سببًا لفتنة الناس؛ ولهذا نحن نحاول دائمًا أن نبتعد عن أن نفتن الناس بكلمة، أو بتصرف معين، سواء الناس الذين من أوليائنا وأحبابنا وإخواننا وأهل الإسلام، أو من الخصوم من أهل الإسلام نفسهم، أو من الأعداء من غير أهل الإسلام، نحاول ألا نفتن الناس، بل نحاول دائمًا أن نسهل على الناس طريق الإتيان للحق، طريق أخذ الحق وقبول الحق واتباع الحق، لا نفتنهم عن دينهم، في خطابنا في كلامنا.

مثلًا: عندما تتكلم مع الناس، عليك أن تراعي عقولهم، كما قال سيدنا عبد الله بن مسعود في



مقدمة «صحيح مسلم»: «ما أنت محدث قومًا حديثًا إلا كان لبعضهم فتنة»[١]، وكما قال سيدنا علي رضي الله عنه في «صحيح البخاري»: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله؟»[٢] فيمكن أحيانًا أن تحدث الناس الحديث وبعض الأشياء الشرعية الصحيحة، ولكن الناس لا تستوعبها فيكذبونك، يكذبون ما تقوله، وفي الحقيقة هم يكذبون الله ورسوله؛ فلا تفتن الناس ولا توقعهم في تكذيب الله ورسوله، كيف أنت تعظم الله، المفروض تتجافى وتتجنب أن يكذب الله ورسوله بسببك وقدامك.

أي أنك لا تأتي لقوم تحدثهم حديثًا لا تبلغه عقولهم ولا يستطيعون أن يستوعبوه ولا يعرفونه بمعنى أنهم يجدونه منكرًا، وليس معنى أنهم لا يعرفونه أنه يجب أن تحدث الناس بشيء يعرفونه فقط، وأن لا نعلم الناس شيئا جديدًا! ليس هذا المقصود.. معناها: الشيء الذي يعرفونه عندهم بمعنى أنه ليس بمنكر، من المعروف الذي هو ضد المنكر، ليس من المعروف بمعنى أنه ضد المجهول، انتبه إلى هذا «حدثوا الناس بما يعرفون» يعني بما لا ينكرون؛ هذا هو المقصود.

الفتن تقع في أرض الجهاد وفي العمل السياسي بشكل كثير جدًا؛ فعلى القيادات وعلى المتصرفين والأولياء والمسؤولين أن يحذروا من أسباب الفتن، مثلًا: تفضيل بعض الناس بالعطاء دون بعضهم، تقريب بعض الناس بشكل معين في الولاية أو في المجالس دون بعض؛ فيقع فتنة لبعض الناس.

مثلًا: كلمة تقولها أحيانًا تصدر منك لا تنتبه لها فتكون فتنة لبعض الناس، وهكذا التصرف -مثلًا- من إنسان مقتدى به أو منظور إليه لا يفهمه الناس أو لا يعرفون وجهه فيكون فتنة لبعضهم.

هذه الأشياء تقع كثيرًا ويبتلى بها الولاة والمسؤولون؛ فعليهم أن ينتبهوا لها أشد الانتباه؛ لأنه صار عليه تكليف إضافي غير التكليف العادي، لو كان إنسانًا عاديًا فيمكن أن تكون حريته أكثر أن يتصرف بطبيعته؛ أي ينام بشكل عادي، ويتكلم بشكل عادي، لكن لما كان منظورًا إليه فيجب أن يضبط نفسه أكثر؛ لأن الناس حساسة للأمراء وحساسة للمسؤولين ينظرون إليهم، ويقيمون من خلالهم -مثلًا- جماعتهم أحيانًا؛ فأنت تمثل جماعة، يقيمون أحيانًا الدين من ورائك أنت، هذا الدين وهذا الإسلام الذي تدعو إليه يقيمونه من خلالك، يقتدون بك؛ فالناس متشوفة للاقتداء بالمسؤولين وبالكبراء، فصار هناك تكليف جديد على المسؤول أن ينتبه.

المقصود أن عموم الناس عندهم ميل إلى أن يقتدوا بكبرائهم -وهذا في طبيعة البشر كلهم-،

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (ص ١١).

(٢) صحيح البخاري (١٢٧).

يقتدوا بالكبراء والناس المنظور إليهم وليقال: هذا فلان اقتدوا بهم انظروا كيف يعمل وكيف.. الخ.

فإذن يجب على المسؤولين وعلى القيادات وعلى كل من يمثل الدعوة والكبار والعقلاء -بغض النظر عن كونه في منصب أو غير منصب-، ممكن يكون شيخًا محترمًا أو داعية أو رجل كبير أو رجل قديم في الجهاد وفي الدعوة؛ كلهم عليهم مسؤوليات، هذه مسؤولية ورعاية عليه أن يرعاها، وأن ينتبه ألا يكون فتنة لبعض الناس، بكلمة أو تصرف.. إلخ؛ فيضبط نفسه وينوي بذلك أن يحافظ على دين الناس من خلال اقتدائهم به، وألا يكون فتنة لهم، ويكون حينئذ انضباطه وتحرزه عمل صالح، ليس مقصوده فقط أن يقال عليه أنه ما شاء الله منضبط، هذا لا ينبغي أن ينظر إليه، لكن يغلب الجانب الآخر وينظر إليه، يعني الناس تقتدي به، والناس تحاول أن تبحث عن عيب، بعض المتربصين -مثلًا- أو بعض النفوس الضعيفة أو بعض الخصوم أو بعض من عندهم مشاحنات؛ يحاولون أن يبحثوا له عن شيء أصلًا حتى يغلط فيه فقط، ويا ويلك!

ومن معاني الفتنة كذلك: التفريق بين الناس، ومنها حرب الفتنة؛ ويعني ذلك أن الناس يحصل بينهم حرب في حالة الفتنة، وضابط حرب الفتنة: أنه لا يُعرف وجه الحق فيها مع أي الطرفين هو.

والناس يفتن بعضهم بعضا،؛ أي يصرف بعضهم عن بعض، داخلة في معنى الصرف؛ فمن معانيها الصرف؛ لأنهم -مثلًا- يقولون: رجل فتان.

النبي ﷺ قال: (**أفتان أنت يا معاذ؟**)(١) أي تفتن الناس عن الدين؛ إذْ صلَّى بهم فأطال وهم ناس بسطاء، أحدهم يعمل طول النهار، ثم يأتي في الليل ليصلي المغرب وينتظر للعشاء؛ فجاء معاذ ﵁ متأخرًا وصلى بهم فأطال جدًا، فغضب منه النبي ﷺ غضبًا شديدًا وقال: (**أفتان أنت يا معاذ**) تفتن الناس عن الدين؛ فهذا مثال نبوي علمنا إياه ﷺ من خلال قصة معاذ هذه، أننا لا نكون فتنة للناس؛ فلا نفتنهم في تصرفاتنا الجهادية، ولا في تصرفاتنا السياسية وغيرها، فننتبه جدًا من تنفير الناس من الدين من خلال أخطائنا وأخلاقنا السيئة، بحيث لا نفي بالوعود والعهود، نحلف الحلف الحانث -والعياذ بالله- وغير ذلك.. هذه الأشياء تنفر الناس تنفيرًا عظيمًا، كما في الآية وهي قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ [النحل] حذرنا الله ﷻ ونهانا أن نتخذ أيماننا دخلًا بيننا؛ بمعنى أن نحلف الأيمان ولا نفي بها، وأن نحنث فيها تعمدًا، هذا هو اتخاذ الأيمان دخلًا بيننا.

---

(١) صحيح البخاري (٦١٠٦)، صحيح مسلم (٤٦٥).

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ المراد أن قدم الإنسان الذي دخل في الإسلام ولـمّا تثبت ولـمّا ترسخ قدمه في الدين بعد؛ فتزل بعد ثبوتها، وكذلك من باب أحرى وأولى الكافر الذي لم يدخل بعد في الإسلام، ويُراد منه ويُرجى منه أنه يدخل، وربما يريد أن يدخل؛ فلما يأتي ليدخل يرى أخلاقكم هكذا؛ فينصد عن الدين، يراكم سارقين، متكالبين على الدنيا، مهتمين بالسفاسف، كذب وحلف بالباطل، وتعمد الحنث، والأيمان الغموس، عدم الوفاء بالعهود، عدم الوفاء بالأمانات، خيانات، ما هذا الدين؟ فينصد، ويترك، وتكونون أنتم فتنة له وسبب في انصداده عن الدين: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهذا وعيد شديد، نسأل الله العفو والعافية والسلامة[(١)].

فليتنبه المسلم خاصة أهل الجهاد والدعاة إلى الله ﷻ والعلماء والقيادات والناس المقتدى بهم.. عليهم أن يتنبهوا جدًا جدًا إلى هذه المعاني، ولا يصدوا الناس عن دين الله بسوء أعمالهم ومقابحها؛ فهذه هي الفتنة.

والفتن أسبابها كثيرة متعددة غير منحصرة، وعلى الإنسان أن يحذر منها وينتبه لها، وأحيانًا تكون بسيطة جدًا؛ فالنبي ﷺ في قصة صفية، كانت صفية وكان بيتها في العوالي وبعيدة قليلًا، فخرج يشيعها بعد أن سهرت عنده؛ خرج يمشي معها حتى تقترب من البيت ويتركها، فأتى اثنان من الأنصار فرأوه مع امرأة في الليل! ماشي وأنت معك امرأة في الليل من يعرف أنها امرأتك أو غيرها؟ فناداهم النبي ﷺ قال: (**إنها صفية**) يعني اعلما أن هذه صفية زوجتي، فطبعًا استعظما الأمر وقالا: «والله يا رسول الله ما كنا نشك» أو كما قالا؛ فقال: (**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما أو في أنفسكما شيئًا**)[(٢)] فبين لهم أن هذا الإجراء إجراء وقائي من النبي ﷺ شفقة منه ورحمة بهم، شفقة منه ﷺ وهو الذي وصفه ربه ﷻ بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة] فحرصًا منه وشفقة على أمته وعلى هؤلاء الأنصار وهؤلاء الاثنين أن يبين لهم حتى لا يترك فرصة للشيطان أن يقذف في قلوبهم شيئًا؛ لأنهم الآن ربما لا يكون عندهم شيء، ولكن -مثلًا- يذهبوا ثم يأتي الشيطان يوسوس، وممكن تنسى وأنت عادي طبيعي جدًا، ثم تحصل حادثة أخرى تقول: نعم، معنى هذه التي رأيتها المرة الفائتة إذن هي هكذا! ولهذا على الإنسان أن ينتبه.

---

(١) حدثنا بعض مشايخنا في أرض الجهاد قال: «من ساق عاصيا إلى الكفر كان له به كفل» أي وزر وإثم؛ انتزعها من هذه الآية.

(٢) صحيح البخاري (٢٠٣٨، ٣٢٨١)، صحيح مسلم (٢١٧٥) وقد قالا: «سبحان الله يا رسول الله!».

ماذا قال لهم؟ وقفوا هذه صفية، انتبهتم؟ رُوحوا.. فهو تنبيه فقط؛ حتى لا يقذف الشيطان في قلوبهم شيئًا لا في الحال ولا في المستقبل، وهذا من تمام شفقة النبي ﷺ بأمته ورحمته بهم وعطفه عليهم وكمال حرصه عليهم ﷺ، وقد يكون موقفًا محرجًا للأنصار، فهم مساكين جاؤوا طبعًا استعظموا هذا الأمر، وقد يكون تعليمًا للأمة، تعليمًا لنا نحن، كيف نتصرف في مثل هذه الحالات.

أسباب الفتن كثيرة؛ فهذا رجل من الصحابة -وهو عبد الله بن سعد بن أبي السرح-، آمن ثم ارتد ثم آمن، وقصته مشهورة: لما جاء واستأمن له عثمان والنبي ﷺ في البداية لم يرد أن يقبل منه وسكت، وكان عثمان يلح، والنبي ﷺ ساكت، ثم قال النبي ﷺ بعد أن قبل منه في النهاية، قال للصحابة: **(أنا سكتُّ من أجل أن يقوم إليه واحد منكم فيضرب عنقه)**، قالوا: يا رسول الله، هلا غمزت لنا؟ فقال: **(ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين)**[(١)].

فالمهم؛ أن عبد الله بن أبي السرح -روي عدم صحتها لكن لا بأس نذكرها؛ لأنها ممكن أن تقع سواء صحت هذه القصة بعينها أو لا، فمثلها يقع في الوجود، فيُتأمل ويعتبر- روي أنه -ولعل هذا سبب «القشة التي قصمت ظهر البعير» وهذا مثال معناه الحاجة الأخيرة، البعير لما تضع عليه الحطب الكثير، فيتحمل، ويتحمل.. وفي النهاية ممكن تأخذ قشة وتحطها عليه ممكن يسقط هو؛ فيقولوا: القشة هذه قصمت ظهر البعير، ليس من قوة القشة هذه ولكن من الذي قبلها، فلعلها هي، مثل الذي أتى للبيت فيجد الطعام مالح شوي فيطلق المرأة، هو لم يطلقها يعني لأن الطعام مالح، بل من الذي قبلها، ممكن المشاكل المتراكمة، لكن السبب المباشر الأخير، أو مثلًا: يقولون الذي يكسر في حطب بالفأس يكسر يضرب، يضرب، يضرب، في النهاية هي أوشكت لو ضربها الضربة الأخيرة ستنكسر، وهو لم يعلم، لا يعلم الغيب، فترك الفأس ومشى، فأتى غيره ضعيف أو طفل، فقالوا: انكسرت! الله أكبر، الدقة الأولى! ساعة يدق فيها، فالمقصود هذه القشة التي قصمت ظهر البعير هذا هو توضيح المثال-، على كل حال هذا الصحابي رجع إلى الإسلام وتثبت له الصحبة؛ لأنه مات على الإيمان وقد رأى النبي ﷺ مؤمنًا.

---

(١) سنن أبي داود (٤٣٥٩) من حديث سعد بن وقاص ﷺ قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، اخْتَبَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: **(أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ، فَيَقْتُلُهُ؟)** فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: **(إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ)**» وصححه الألباني.

المهم حصلت له فتنة فيما روي وقيل -وقد كان هو من كُتَّاب الوحي- فيقال في هذه الرواية أن النبي ﷺ لما نزل عليه آية ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فيُملِي عليه النبي ﷺ هكذا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ فقال هو -عبد الله بن السرح- لما تعجب من هذا السياق قال من نفسه: تبارك الله أحسن الخالقين! فقال له النبي ﷺ: **(اكتبها هكذا نزلت:** ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾**)** فحصلت له منها فتنة؛ فلما مشى وكفر وارتد، قال: أنا الذي أملي عليه القرآن، قلت له هذه الآية فقال لي: اكتبها هكذا![1] فكانت هذه فتنة عظيمة جدًا له.

لكن نحن نقول أنه بالتأكيد كانت توجد أشياء أخرى وليس هذه فقط؛ هذا في الغالب.

الفتنة تضر من؟ غالبًا الذين تقع لهم الفتن يكونون أصلًا عندهم خلل مسبق لكن خفي؛ فلا تكون الحادثة التي فتنته هي الوحيدة، لا يكون مثلا رجل قوي الإيمان واليقين، وجاءت حاجة أسقطته! لا، بل تكون«قشة قصمت ظهر البعير»، الغالب أنه توجد عنده ظروف معينة، كأن يكون الكفار ألقوا له شبهات قبلها أو شيئا من هذا القبيل؛ فلما مشى هناك قال: أنا الذي أمليت عليه، وأنا الذي قلت له، ما أقوله يكتبه وهكذا.

حاشا رسول الله ﷺ، بآبائنا هو وأمهاتنا ﷺ، لكن هي الفتن لما تقع للإنسان.

فنريد أن نقول: **الفتن تضر من؟** دلت الأدلة -والله أعلم- بحسب ما يظهر من الاستقراء من القرآن والسنة واستفادةً من قول النبي ﷺ في الحديث المشهور الذي في الصحيحين: **(تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نقطة بيضاء)** فالمقصود أن الفتن تعرض على القلوب كعرض الحصير، وهذا تمثيل بالتدريج؛ نقطة نقطة، كلها محكات؛ فالقلب الذي ينكر الفتنة يكون أبيضَ سالمًا، والقلب الذي يشرب هذه الفتنة ويقبلها تنكت فيه نقطة سوداء، كل مرة تأتي له الفتن فتنقط نقطة سوداء حتى يصبح القلب أسودَ، ولما يسود القلب يتكون عليه نوع من الران، ثم إن هذا الران وهذا الغين يتبعه الختم والطبع، والعياذ بالله، فيصبح القلب ماذا؟ وصفه النبي ﷺ في آخر الحديث بأنه **(كالكوز مُجَخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه)**[2] فيعيش هذا الرجل ولا يقبل الهدى.

---

(١) هذا الخبر بهذا التفصيل ذُكر في عدة تفاسير من غير إسناد، كما في: النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٤٤)، وما جاء مسندا فهو من المراسيل بأسانيد ضعيفة، وقد قال ابن عاشور معقبا على هذا القول في: التحرير والتنوير (٧/ ٣٧٥): «هذا لا يثلج له الصدر؛ لأن عبد الله بن أبي السرح ارتد بعد الهجرة ولحق بمكة، وهذه السورة مكية» فالقصة ضعيفة كما ذكر الشيخ عطية ﷺ.

(٢) صحيح مسلم (١٤٤).

ومعنى (**إلا ما أشرب من هواه**) أن هذا الذي يعرفه أُشرب من هواه، أي إلا الذي أشربه هو وتشربه من هوى نفسه فقط؛ هذا الذي يقبله هو الهوى فقط؛ فيصبح متبعًا لهواه اتباعًا خالصًا.

وينبغي أن يُعلم أن قلوب العباد -والإيمان في القلب، والعقل واللب هو القلب كما قلنا- قلوب العباد تعرض عليهم الفتن؛ فمنهم الذي يسلم ومنهم الذي يتأثر بالفتنة ويمشي؛ سواء كانت هذه الفتنة عقلية علمية فكرية منهجية مقالية تتعلق بالتصورات والأحكام، أو كانت فتنة عملية: عمل، عراك بين الناس وفتن ومرج وهرج وحروب وهكذا؛ فلما تأتي الفتن ينقسم الناس، كيف ينقسمون وبناء على ماذا؟ تأمل في هذا وانظر فيه تجد أسبابًا معينة؛ يظهر -والله أعلم- من دلالات القرآن أن الفتنة في الغالب تضر الظالمين، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الصافات] في ماذا تكون الفتنة هنا؟ في شجرة الزقوم: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات] يظهر من إشارات القرآن..

فيظهر من إشارة القرآن أن الفتنة تضر الظالمين ضررًا خاصًا، ومعنى ذلك أنه يجب علينا أن نحذر من الظلم؛ فأكبر شيء يجعل الفتنة تضرنا هو أن نكون في موضع الظالم، كما قلنا أن من أسباب الهداية: تحقيق الحق، والقيام بالقسط، والعدل والإنصاف، وأن لا نظلم، ونبتعد عن الظلم.

الفتنة تضر الظالمين، والرجل إذا أتى الإنسان الظالم الذي لا يحق الحق ما يقسط ولا ينصف ولا يقوم بالقسط تضره الفتنة، لكن لو حقق الحق؟ في المثال عبد الله بن أبي السرح لو حقق الحق وأنصف، لكان تريث وتثبت وقال: لا، لعلي أنا قلتها فاتفق بطريق الاتفاق والمصادفة، الحمد لله وافقت ما عند الله، وافقت ما نزل.. فأي عيب في هذا؟ ما فيه عيب، حقق الحق وأنصِف، قد يكون كذا لها وجه، محتملة كذا، ومحتملة كذا.

طيب، أنت لماذا رجحت هذا الاحتمال الذي رجحته؟ أين نسفت النبوة؟ هذا محمد ﷺ؛ نبوته، وكماله، وجلالة قدره، وعظمته، وهذا الصدق، وهذه الأمانة وهذا العقل، وهذه البلاغة وهذه الفصاحة وهذه الكمالات العظيمة المبهرة للألباب أين نسفتها كلها بشيء مثل هذا؟!

فعليه أن يحقق الحق، لكن لو حقق الحق فلا تضره الفتنة، لكنه ظَلم فتضره الفتنة ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ والآية التي ذكرناها قبل قليل تكررت في موضعين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٥ ﴾ [الممتحنة]، وفي قصة موسى وهارون: ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥ ﴾ [يونس]

في آية أخرى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [يونس: ٨٨] هذه الآية بعدها، نرجع إلى الخلف في ترتيب المصحف؛ فأصعب شيء الرجوع إلى الخلف.

يقولون: الحجاج كان يتحدى -والحجاج مشهور في التاريخ أنه كان عنده قوة في حفظ القرآن عجيبة، وعنده أمور أخرى عملها في القرآن مثل: التحزيب والشكل والنقط؛ كلها تنسب إليه، وكان معتنيًا بالقرآن على كل حال، هو جبار وضال- فمرة كان يختبر في الناس كثيرًا بهذ الأمر؛ أن يأتي أحدهم بالآية التي قبلها وليس التي بعدها.

وحتى عندنا قديمًا حضرت أكثر من مرة المشايخ عندنا في الكتاتيب كانوا يعملون في هذا الأمر مسابقات؛ تأتي بالآية التي قبلها وليس التي بعدها، هذه يتميز فيها الحفاظ المتقنون.

فالحجاج قال لرجل: ائتي بالذي قبل آية الزمر: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[الزمر: ٩]، فقال له: ﴿ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ ﴾ [الزمر][(١)].

قالوا: فلم يسأل أحدًا بعده.

وعودا لموضوعنا؛ فالآية التي قبلها قوله ﷻ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٨٣ ﴾ [يونس].

وفي سورة الممتحنة آية شبيهة بها فيها: ﴿ وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٥ ﴾ [الممتحنة].

فالله ﷻ في الموضعين علمنا ولقننا أن ندعوه ألا يجعلنا فتنة للذين كفروا، وألا يجعلنا فتنة للقوم الظالمين على كل حال، وآية يونس فيها إشارة إلى أن الفتنة تضر الظالمين، وآية الممتحنة فيها القوم الكافرين؛ فينتبه الإنسان لهذه المعاني؛ لأن الفتنة إذا جاءت تضر الإنسان إذا لم يكن محققًا للحق؛ لم يكن معتصمًا بالله، أما الذي يعتصم بالله وبنور الله وبحبل الله ويلجأ إلى الله ﷻ ويحقق الحق وينصف ويقسط؛ فينجو -إن شاء الله- من الفتن، الفتن العامة التي تصيب الناس ولا مناص منها، وهي تحصل كثيرًا سواء -مثلما قلنا- كانت فكرية أو عملية، وإلا فالأصل أن المطلوب من الإنسان أن يهرب

---

(١) انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٠) قال: «وكان الحجاج كثيرًا ما يسأل القراء، فدخل عليه يومًا رجل فقال له: ما قبل قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾. فقال: ﴿ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾، قال: فما سأل أحدًا بعدها».

من الفتن ويفر منها ويبتعد عن الفتن -كما قلنا في البداية-؛ هذا ما يتعلق بالفتنة، وما أكثر الفتن التي تحصل في الواقع اليومي.

نكتفي بهذا القدر

سبحانك اللّٰهم وبحمدك نشهد ألا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقصود من هذه الدروس: تصحيح بعض المفاهيم والتركيز في فهم هذه الألفاظ وهذه الألقاب الشريفة والكلمات الكبيرة الشرعية؛ التركيز على فهم معانٍ معينة لمواجهة أعدائنا وفي معرفة ما يدور حولنا من أفكار ومناهج والحكم عليها.. وقد تحدثنا سابقًا عن معاني الدين ومعاني الابتلاء والفتنة والمحنة.

ومن المقدمات الضرورية التي أذكر بها أن الكلام الذي نقوله على درجات؛ فالكلام ليس له طبقة واحدة أو درجة واحدة، منه كلام نقول فيه: هذا حكم الله ﷻ؛ كلام مقطوع به في الشريعة أو دلَّ عليه النص الواضح أو إجماع أو ما في حكمه من حيث قوة الدلالة، ومن كلامنا أشياء هي محل اجتهاد ومحل نظر؛ فنحن نختار فيها ونرجح ونناقش ونجادل ونحاول أن نوضح الذي نعتقده، وفي النهاية نقول: الله أعلم؛ فهي مسائل مختلفة، فانتبهوا لهذا، وأي شيء يحتاج إلى نقاش أو شيء دائمًا نناقشه.

تكلمنا عن الدين وكنت أريد أن أتكلم عن علاقة الدين بالدنيا والآخرة، فإنا لما ذكرنا أن الدين ليس برنامجًا سياسيًا ولا برنامجًا لحياة سعيدة كما يتصورها الناس: حياة رغدة، منعمة مترفة وراحة واطمئنان، وليس هو برنامجًا سياسيًّا مثلًا: يأتي حزب يأخذ الدين ويوظفه ثم يقولون: استغلال الدين لأغراض سياسية أو شيء! لا، الدين هو دين الله ﷻ، هو التكاليف والأوامر والنواهي التي نعبد الله ﷻ بها، وعلى أساسها نعبد الله ونتدين، هذا هو أساس الدين.

لكن الدين في أساسه وفي داخله وجملته تنتظم سعادة الإنسان الدنيوية؛ كما تنتظم سعادة الإنسان الأخروية، والغرض الأساس والمقصود الأول هو سعادة الإنسان الأخروية: أن ينجح الإنسان بين يدي الله ﷻ، وأن يخرج من هذا الامتحان -امتحان الدنيا- ومن دار الممر، ودار الزوال، ودار الفناء؛ يخرج منها ناجحًا يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠﴾ [الحاقة] أو يكون حتى أعلى من هؤلاء جدًا الذين يمشون بغير حساب ولا عذاب، أو يكون من الشهداء، المهم أن يكون الإنسان

ناجحًا، هذا هو المقصود الأساس؛ لأن الله ﷻ خلقنا وأوجدنا في هذه الدنيا؛ ليختبرنا ويبتلينا، ابتلانا بالعبادة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ ﴾ [الذاريات] خلقنا لعبادته، وامتحننا بهذه العبادة، أنزل لنا الكتب وأرسل لنا الرسل؛ بيّن لنا كيف نعبده، عرّفنا بنفسه ﷻ، ثم انقسم الناس إلى مؤمن وكافر، تقاتلوا وتناحروا وتشاجروا.. أفلح من أفلح، وخسر من خسر، والإنسان العاقل الذي آتاه الله هداه فآمن بالله واتبع رسله، وفاز بالمقصود الأساسي: أن يُنجِّح نفسه بين يدي الله.

ولهذا أهم الشعارات التي سنكتبها هنا -إن شاء الله-، أن يكون شعار الإنسان المؤمن دائمًا هو «نفسي نفسي» يعني أنا أنجي نفسي بين يدي الله أولًا، وأن أكون رابحًا أولًا.

نحن ندعوا إلى الله ونجاهد في سبيل الله وهنا حرب ومعارك شرسة، وشهداء ودماء وأشلاء، ثم في النهاية.. لنفترض أننا أقمنا دولة الإسلام ثم دخلنا النار، ما الفائدة؟! هل استفدنا شيئًا؟!

(إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خَلاق لهم)[1] يعني لا نصيب لهم؛ فالخلاق هو النصيب، لا نصيب لهم فيما فعلوا وفيما تحقق وفيما أُنجز، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

ولهذا هناك عبارات تتكرر على الساحة؛ يأتيك أخ يقول: أنا أخدم دين الله.. نقول له: اخدم رُوحك ونفسك أولًا؛ لا أن تخدم دين الله، دين الله غني عنا جميعًا، حتى العبارة هذه وإن كان لها معنى حسن تحمل عليه، ولكن نخشى أنها صارت تعبيرًا عن مفهوم سيء؛ فلهذا لا بد من التنبه لها.

فالمقصود: أننا لم نخدم دين الله، نحن نخدم أرواحنا، نخدم أنفسنا، والمطلوب أن أخدم نفسي، وأنجيها بين يدي الله ﷻ، أنا أعبد الله ﷻ، أنا عبد لله، جندي من جنود الله، أعمل ما يرضي الله ﷻ، ما هي مصلحتي؟ على ماذا أبحث؟ أن أفوز، وأكون من الفائزين المفلحين الرابحين الناجحين المرضيين عند الله ﷻ، هذا هو الأساس، ما خالفه وشذ عنه تحت رجلي ولا أنظر إليه، إنما هذا يدخل فيه أنني أعمل لإقامة دولة الإسلام، وأدعو الناس إلى دين الله، وأحرص على هداية الناس.

لماذا نحرص على هداية الناس؟

أولًا: أول شيء هو أنا، أنا نفسي، أمرٌ أنا مكلف به، عبادة لله ﷻ أؤديها، أوجبها الله علي بمقتضى أنه علمني شيئًا من العلم، علمني القرآن، وعلمني الفقه والعلم الشرعي والحكمة؛ فأنا أقضي بها بين

(١) صحيح البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، صحيح مسلم (١١١).

الناس وأعلمها الناس وأدعو الناس إلى دين الله ﷻ، أعبّدهم لله، وأدلهم على طريق الله وأرشدهم، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر؛ فهذه أوامر إلهية أنا أطبقها.

أطبقها لماذا؟ لا لأنجح أنا سياسيًا وعندي برنامج سياسي، بل أطبقها لأنها عبادة لله ﷻ، أنا أقوم بها أولًا، لكن -كما قلنا- في ضمنها السعادة، فهذه عبادات أنا أؤديها مقصدي الأساسي الأول والمقصد الكلي والمقصد العظيم هو أني أنا أنجح، وأفوز برضوان الله ﷻ، وأؤدي ما علي فيرضى عني الله ﷻ وأنقلب إلى ربي مسرورًا محبورًا، هذا هو مقصدي.

هذا المقصد لا شك أنه ينتظم -يعني يأخذه الإنسان في طريقه وهو ماشي- ينتظم سعادة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، سعادة الاجتماع البشري، الغلبة على الكفار وأن نعيش أحرارًا، هذه كلها معانٍ قصدها الشارع، وحثَّ على تحصيلها وجعلها من الخير الذي يُسعى له، لكن الإنسان يضيع المقصد الأساسي ويلهى بهذه التفاصيل؛ هذا مغبون، مخدوع، مثل هذا الذي ضربه لنا النبي ﷺ مثلًا: (**إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوامٍ لا خلاق لهم**) هذا الحديث والله يخلع القلب، تصور أنك تقيم دين الله ﷻ ودولة الإسلام وتهزم الكفار ثم تجد نفسك معهم في النار! ما الفائدة؟! المقصد الأساسي هو نحن «نفسي نفسي».. هذه الكلمة فلتكن شعارًا لنا.

فقلنا: تريد تخدم دين الله؟ تعرَّف كيف تخدم دين الله، يوجد علم شرعي، ومعارف، ووسائل لمعرفة الخير والهدى؛ دعونا نعرف الخير فنفعله، هذا أول شيء، لما يأتي لك إنسان يقول أنا أريد أن أخدم دين الله وسأذهب للمكان الفلاني! لا، ليست هناك خدمة لدين الله، تريد تخدم دين الله حقًا وأنت صادق فيه فتعرف كيف يُخدم دين الله؟، ثم ما المقصود من خدمة الله؟ أولًا نفسك أنت، رضوان الله ﷻ عليك، هذا أول مقصود يجب أن تحصله.

فمثل هذه الأحاديث (**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم**) المفروض دائمًا أن تكون نصب أعيننا لا ننساها ولا نغفل عنها؛ مقاصد الإنسان ومقاصد الشريعة، ولماذا الله ﷻ خلقنا؟ خلقنا لنعبده ولننجح ونفوز، نحن في امتحان في هذه الدنيا، كلنا في امتحان وفي اختبار.

وهذا الامتحان والاختبار يحتوي على جزئيات من الأسئلة والتفاصيل، وفروع متكاثرة جدًا.. فعلى الإنسان أن ينجح فيها؛ كما ينجح في معركته مع عدوه، أول شيء معركته الداخلية هو نفسه، وهو جهاد النفس، جهاد الهوى، جهاد الدنيا، جهاد الشيطان.. هذه الأشياء التي هي العوائق والعلائق والحجب عليه أن ينتصر عليها؛ يستعين بالله ﷻ؛ لأن الإنسان ضعيف لا يساوي شيئًا ولا يقدر أن يعمل أي شيء إلا أن يقدره الله، وإلا أن يوفقه الله، وإلا أن يعينه الله ﷻ، واستحضار معنى العبودية

في كل تصرفاتنا وكل أفعالنا باستمرار، نحن عبيد الله ونحن جنود الله، نسأل الله أن يقبلنا في جنده وألا يطردنا.

المقصود: أن هذا الدين ينتظم هذه السعادات الدنيوية؛ أحيانًا تمر علينا مسائل في عملنا السياسي وفي عملنا الجهادي والدعوي؛ مثلًا: أن الناس لا بد أن تخاطبهم أحيانًا بشيء مما يحصلون به أو يشعرون أنهم يحصلون به ويكسبون به سعادتهم الدنيوية؛ لأن الناس نظرهم قاصر -عوام الناس، ومعظم الخلق، وجمهور الناس- يعني ليس كل الناس تتعلق بالآخرة فقط ولا تنظر إلى الدنيا ويستطيع أن يأكل ماء وتمرًا وفقط، الناس تحتاج رفاهية.

ولكن بالأساس وفي مراحل معينة يكون التركيز على الدين وعلى الآخرة والوعد بالجنة فقط؛ كما كان النبي ﷺ في أول مراحل الدعوة لما كان يعرض نفسه على قبائل العرب ويقول: (**من يؤويني حتى أبلغ دعوة ربي**)؛ فيسأله بعض الناس: فماذا لنا إن نحن أويناك ونصرناك؟ يقول: (**لكم الجنة**)[(١)].

وأتى بنو عامر وقالوا: نشترط عليك أن تجعل لنا الأمر من بعدك، قال: (**لا، الأمر لله يؤتيه من يشاء**)[(٢)].

وفي مراحل معينة أنت أيها الداعية، وأنت أيها المجاهد، وأنت أيها القائد للناس.. ليس من المستحسن وليس من الجيد -بل قد يكون من السيء جدًا- أن تعد الناس بوعود دنيوية في مراحل معينة؛ فهذا يختلف بحسب المرحلة ومتطلباتها، لكن أحيانًا يكون الناس -لا سيما إذا كان الناس بالجملة مسلمين، محكوم عليهم بالإسلام- ونحن نريد أن نحرضهم على أن يلتزموا بالدين فلا بأس أن ندخل في دعوتنا بيان محاسن الدين، هذه يتكلم عنها العلماء يقولون: «محاسن الشريعة، محاسن الإسلام، محاسن الدين الإسلامي»

من محاسنه أنه سعادة الإنسان فيه نفسه، وسعادة الإنسان في الحياة الأسرية إذا التزمت بالإسلام الله ﷻ ينزل عليكم البركات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح] هذا في الدنيا؛ المقصود هنا في الدنيا، والله أعلم.

فلا بأس أن يوعَد الناس أحيانًا، ويكون هذا من تكميل البيان ومن تكميل المقاصد، لكن المقصد

---

(١) مسند أحمد (١٤٤٥٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٠)، البداية والنهاية (٤/ ٣٤٧).

الأساسي دائمًا الذي لا بد أن يكون حاضرًا هو توحيد الله ﷻ؛ أننا نحن عبيد لله ﷻ، ندعوكم إلى عبادة الله حتى تفوزوا وتفلحوا وتكونوا من الناجحين الرابحين المفلحين الفائزين الذين يرضى الله ﷻ عنهم ويدخلهم جنات النعيم، هذا هو الأساس، وأن هذه الدار هي دار امتحان وابتلاء وفتنة واختبار؛ أنتم في دار ممر تمرون فيها وتختبرون، ثم ينتهي الامتحان في نقطة معينة وهي نقطة الموت فيفترق الناس: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى].

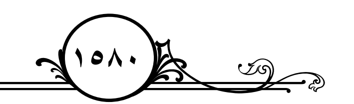
فيجب أن تحرص بكل قوة على هذا؛ فهو رأس مالك ووجودك، وهذا كل شيء بالنسبة لك أنت؛ يجب أن تحرص أن تكون من الفائزين، هذا المعنى دائمًا يجب أن يكون حاضرًا في خطابنا وفي دعوتنا.

لكن أحيانًا من بعض التكميلات -وجاءت الشريعة بهذا؛ مثل هذه الآيات التي قلناها وغيرها- لا بد أحيانًا يقول له الناس: الدين الدين الدين، والدنيا.. فلازم الدين، ودنيا تدخلها للناس، وهذا لعله من لطف الله ﷻ؛ لأن البشر لا تتحمله، والإنسان بفطرته وغريزته مولعٌ بالعاجل، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة]؛ فالإنسان مُولع بالعاجلة أي أنه يريد الحاجة القريبة، يقولون: «عصفور في اليد ولا عشرة في الشجرة».

وبعض الناس يطبقها، هكذا بعض الزنادقة -سمعت بعض الزنادقة طبقها على الدنيا والآخرة- يقول: عصفور في اليد يعني هذه الدنيا؛ أنا متمكن منها الآن، ولا عشرة في الشجرة يقصد الآخرة، بعض الزنادقة هكذا طبقها، فهذا من الفتنة له.

وهذا من الخطأ الذي يقع في التشبيهات؛ الخطأ في التشبيهات من أكثر الأخطاء التي تقع في الجدل، يأتي لك بمثال يحاول أن يقنعك به في حين أن المثال هذا غير منطبق على الشيء الذي يريد أن يطبقه عليه، يعني الدلالة لا تطابق المدلول، الدعوة أعم وأكبر من المدعى؛ فيقع في هذا الخطأ كثير جدًا من الناس، فتجد حتى في أهل العلم، وفي الدعاة، وفي الناس، وفي الخطباء، وفي القُصّاص.. في الناس التي تقنع الآخرين وتستعمل أدلة خطابية وكلام يأتون بتشبيهات معينة، مثلًا: تتناظر مع واحد في طرائق التغيير الآن أو الجهاد والدعوة والسلفية فيأتي لك بتشبيهات؛ فالتشبيهات هذه يقع فيها الخطأ كثيرًا، يقع فيها الخطأ في وجه الشَّبه مثلًا، العلماء حتى في علم البلاغة وعلم الجدل نبهوا على هذا؛ ويمكن أن نمر عليه -إن شاء الله- إن أسعفنا الوقت.

لكن المقصود المهم أن الدين أساسه هو هذا الذي شرحناه: عبادة الله ﷻ، والاختبار، وأنه يجب أن نكون ناجحين في الاختبار، ونذهب هناك نحن ناجحون رابحون مفلحون، لكن هو ينتظم -عبارة ينتظم هذه عبارة يستعملها العلماء- ينتظم مجموعة من الخيرات الدنيوية، والمنافع الدنيوية، منها:



- أن نعيش سعداء.
- وأن نغلب الأعداء.
- وأن نعيش أحرارًا ونكون في عزة وكرامة.
- ونبني دولتنا.

هذه كلها معانٍ صحيحة ومرادة لله، لكن نقول: هي مرادة وليست هي الأساس؛ ليست بالقصد الأول كما يقولون، إنما هذا القصد الثاني يعني مرتبة ثانوية.

إذن؛ الدنيا والآخرة صارت في نظرتنا شيء واحد، ربعي بن عامر ﷺ قال: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا -التي أنتم يا كفار يا جهلة حاصرين أنفسكم فيها، واستفرغتكم هذه الدنيا واستغرقتكم وتفرغتم لها ولا تعرفون غيرها ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ ﴾ [النمل]، ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ ﴾ [الروم] الدنيا هي التي أخذتكم، وهي ضيقة في النهاية؛ لا تساوي شيئًا- نحن ابتعثنا الله كي نخرجكم -إذا آمنتم واستجبتم لنا واتبعتمونا- من ضيق الدنيا هذه إلى سعة الدنيا والآخرة[(١)].

فالمؤمن ينظر إلى الدنيا والآخرة كلها شيئًا واحد؛ هكذا ابتداءً، هذه دار ممر وأنا أمشي للآخرة، علي أن أنجح هنا، وهذه مزرعتي للآخرة؛ فالذي أزرعه هنا أحصده هناك.

ولهذا سيدنا إبراهيم قال لمحمد ﷺ في الإسراء: (**يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**)[(٢)] فالمقصود ذكر الله ﷻ وخاصة هذه الأذكار، هذه غراس الجنة، والمقصود بهذا الترغيب وحث على ذكر الله ﷻ ولا سيما بهذه الأذكار الشريفة والألفاظ التي شرعها الله ﷻ واختارها لنا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

(**لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة**)[(٣)] كما جاء في الحديث، وهكذا؛ فأنت تغرس هنا..

---

(١) تاريخ ابن كثير (٩ / ٦٢١، ٦٢٢) وقال: «رواها سيف عن شيوخه» وسيف هو ابن عمر التميمي صاحب كتاب «الردة والفتوح» وهو متروك الحديث؛ اتهمه جماعة بالوضع، لكن قد يُستأنس بمثل هذا الحديث خاصةً مع وجود شواهد على حوادث مثله، مع الأخذ بالاعتبار أن العلماء يتساهلون في نقل الروايات التاريخية والاستفادة منها، وهو الراجح؛ في تفصيل ليس هذا محله.

(٢) سنن الترمذي (٣٤٦٢) وحسنه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٤٢٠٥)، صحيح مسلم (٢٧٠٤).

وتحصد هناك، وتجني هناك في الجنة.

وهكذا (**من بنى لله مسجدًا بنى الله له قصرًا في الجنة**)[(١)] ومن فعل كذا أعطاه الله في الجنة، هذه الأعمال الصالحة تعملها أنت هنا وتجنيها هناك؛ فصار في نظر المؤمن وفي تصوره أن الدنيا والآخرة شيء واحد، متصلتان، وصار نظره متسعًا، وأُفُقه واسعًا جدًا جدًا.

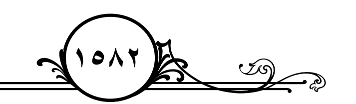
أما الكافر فهو في ضيق الدنيا؛ لأنه لا ينظر إلى الآخرة، حتى وإن قال الكفار مثل اليهود والنصارى؛ أنهم يؤمنون بالآخرة في آخرة وفي جنة، و«ديانا» دخلت الجنة و«ماما تريزا» هذه في الجنة، هؤلاء أكابر أهل الجنة عندهم! لكن ما عندهم علم بهذا أو حتى ظن غالب، مجرد أوهام مقتبسة من آثار النبوات السابقة التي هم منتسبون إليها، نبوات الأنبياء التي ينتسبون إليها، موسى والتوراة، وعيسى والإنجيل، وأنبياء بني إسرائيل عمومًا داوود وسليمان وغيرهم من الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ لا شك أن جميع الأنبياء جاؤوا بإثبات هذه الأصول كلها، الحشر والنشور والجنة والنار، جاؤوا به واتفقوا عليه جميعًا ودعوة الناس إلى اتباع السبيل الموصل إلى الجنة والنجاة من النار.

فهذه من آثار هذه النبوات التي لا تزال عندهم وما زالت في كتبهم مكتوبة وهم يؤمنون بها، يظنون أنه توجد جنة، لكن هل يوجد يقين بذلك؟ هل إيمانهم حقيقي يجعلهم يعملون لهذه الجنة وللنجاة من النار؟ ويتحرقون ويخافون ويبكون؟ لا يوجد أصلًا بل هذا منعدم عندهم؛ لأنهم في الحقيقة كافرون بهذه الرسالات، وليسوا معظمين لله ﷻ ولا لأمره ونهيه، ولا متبعين منقادين عابدين خاضعين خاشعين، ليسوا كذلك، وليس هناك يقين ولا حتى غلبة الظن، إنما باقي آثار عندهم: نؤمن بالله، ونحن نكون في الجنة، وبوش يقول لك: أنا في الجنة، وشارون يقول لك: أنا في الجنة، كلهم يقولون هكذا!!

هذا الذي عبر الله ﷻ عنها في القرآن بالأماني: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[البقرة: ١١١] ألم يقولوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة] أحضروا، أروني، هل عندهم براهين أو عندهم قناعة أو يقين يعملون له؟ لا، هذه بقايا من النبوات السابقة أنهم يقولوا نحن مؤمنون بها، يقولوا نؤمن بالله، الأمريكان كاتبين على الدولار نؤمن بالله، ونثق في الله، ونحن نوحد الله، واليهود يقولون: نوحد الله! وهي بمعنى أنهم لا يعبدون غيره عبادة صريحة هذا صحيح، وإن كانوا يعبدون الشيطان ويعبدون أهوائهم؛ لأنهم كفروا بمحمد ﷺ.

---

(١) هو بهذا اللفظ في: جزء ما انتقى فيه ابن مردويه على الطبراني (١٥٨) وأصل الحديث في الصحيحين وغيرهما.



أما المؤمن فهو الدنيا والآخرة، نظرُه مشدود ومنصب على الآخرة؛ فهي الأساس، الدنيا ليست مشكلة إن خسرناها، فلو عافانا ربنا وسهل لنا وأنعم علينا وكنا فيها أحرارًا وكنا فيها غالبين ومقتدرين على الأعداء ومنتصرين؛ فهذا فتح من الله ونعمة وزيادة خير، لكن ممكن أن الإنسان يكون في النيجر وضربته المجاعة، وممكن أن يكون معذبًا في السجون، لكن الدنيا هذه لا يبالي بها الإنسان، إنما الفوز الحقيقي -الذي هو رأس ماله وكل شيء بالنسبة له- هو الفوز بالآخرة هناك، الذي هو البقاء الأبدي السرمدي الذي لا انتهاء له؛ فصار الدين والدنيا والآخرة في نظرة المسلم هكذا، والدين هو كيف يعبد الله ﷻ ويتعبد لله ﷻ وكيف ينجح، هو برنامج للنجاح بين يدي الله ﷻ هناك، هو هذا إن شئت.

۞ العدل والفضل

غرضنا الأساسي في موضوع «الثقافة والوعي» أن نتناول بعض المفاهيم فنشرحها ونحاول إذا كان فيها بعض الأخطاء في تصوراتنا موجودة ومنتشرة بيننا أو شائعة عندنا؛ فننبه عليها؛ حتى لا نقع فيها، ويتفطن الإخوة لها بعد ذلك، نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم.

الله ﷻ حكم عدل، من صفاته ومن أسمائه ﷻ أنه العدل، أو أنه حكم عدل هكذا اسم مركب؛ فمن أسماء الله الحكم العدل.

الله ﷻ قائم بالقسط: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران] فالله ﷻ شهد حال كونه قائمًا بالقسط، وكذلك الملائكة وأولو العلم شهدوا، ﴿قائمًا﴾ هذه حال على كونه ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾.

فالله ﷻ قائمٌ بالقسط في خلقه، والله ﷻ حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا، الله ﷻ لا يظلم أحدًا، نفى الله ﷻ في القرآن عن نفسه الظلم في مواضع عديدة: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

الله ﷻ حكم عدل وقائم بالقسط وحرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا، ويكره الظلم، ويحب العدل والقيام بالقسط ويأمر به، وينهى عن الظلم، وجعل هذه الحياة لا تستقيم -السموات والأرض كلها- إلا بالعدل والقيام بالقسط؛ لهذا لما بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة لليهود يجذ لهم النخيل؛ أي يخرص عليهم نخيلهم -الجذاذ يعني جني الرطب، قص العراجين أو بالطرق المختلفة

حسب ما يناسب النخل؛ يعرف ذلك أهل النخل، ونحن بالنسبة لنا ومناطقنا لا نقص عراجين النخل، بل ننقي النخل عدة مرات في الموسم، في بعض المناطق نخيلها يقصوها قصة واحدة، على كل حال هذا الجذاذ، وقبل الجذاذ يأتي الخرص، وهو أن نأتي بواحد خبير يعرف النخل؛ فينظر في النخيل أربعين نخلة أو خمسين نخلة، ويقول: هذه تأتي بمقدار ثلاثة قناطر مثلًا، هذا يسمى الخرص، وهو تخمين كم يكون عدد التمر؛ لأنهم لما يبدؤون بالأكل منها لا تستطيع أن تعرف حسبتها، لكن من البداية قبل الجذاذ يخرصوا-.

بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة لليهود يخرص عليهم نخيلهم، فخرص عليهم فحاولوا يراودوه عن هذه الحسبة فقالوا له: انقص أو زد قليلًا.

فقال لهم: والله لأنتم أبغض خلق الله إليَّ، ومع هذا لا يحملني بغضي لكم أن أظلمكم.

فقالوا له: بهذا قامت السموات والأرض[1].

يعني هذا العدل وهذا القسط.. هو يقول لهم أنكم أبغض خلق الله إليَّ أنتم اليهود، ومع هذا فإن بغضي لكم لا يحملني أن أظلمكم، وهذا هو معنى الآية: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ [المائدة: ٨]، فهو قال لهم: لا يحملني بغضي لكم أن أظلمكم، والله لا أظلمكم أبدًا، أخرص بالضبط مثل ما أعتقد وأتحرى وأدقق وأخرج الخرص كما هو؛ لا أزيد عليكم ولا أنقص، تحسبوني أني جئت لأظلمكم؛ فهو يريد أن يقول لهم هكذا، فلما رأوا هذه الكلمة منه ورأوا هذا الفقه قالوا: بهذا قامت السموات والأرض، وطبعًا هم عندهم قليل علوم ومعارف، يعرفون العدل.

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ قائم: حالٌ من ﴿هُوَ﴾، وقيل: هو حال من اسم الله، أي شهد لنفسه بالوحدانية حال كونه قائمًا بالقسط.

فهذه هي منزلة العدل: به قامت السموات والأرض ولا يمكن أن تقوم السموات والأرض ولا ينتظم حالها إلا بالعدل والقيام بالقسط، ولو وقع فيها الظلم على مستوى كبير تفسد هذه الأرض، والسموات وما فيها.. المكلفون في الأرض، والجن أيضًا؛ إذا طلعوا فوق السماء تضربهم الشهب، فلو كثر الظلم كثرة عظيمة يفسد نظام الأرض قطعًا لا شك، ولهذا فالعدل الذي جاءت به الرسل وأمرت به وجاءت به شرائع الله ﷻ وأمرت به، كما أنه موصل إلى رضوان الله ﷻ -كما قلنا في معنى الدين-، أيضًا به ينتظم سعادة الناس والبشرية في هذه الدنيا؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ

(١) انظر في هذه القصة: سنن أبي داود (٣٤١٠) وقال الألباني: حسن صحيح، موطأ مالك (٢٣٩٧، ٢٣٨٩).

﴿١٠٧﴾ [الأنبياء] من الرحمة التي أتى بها: هذا العدل الذي أسسه في الأرض.

والثقافات الأخرى بعد ذلك اقتبست الكثير جدًا من معاني العدل ومن تفاصيل العدل والقسط؛ اقتبسته من الشريعة الإسلامية، فاستفادت أوروبا من خطوط التّماس الثقافي التي كانت بين أوروبا على البحر المتوسط والشام وتركيا وإسبانيا هناك وغيرها.. استفادوا وأخذت أوروبا في عصور الظلام -التي سموا هم فيها أنفسهم عصور الظلام- العصور الوسطى التي كانوا هم فيها في قمة التخلف، وكانت امبراطورية الإسلام ودولة الإسلام قائمة عندنا؛ اقتبسوا الكثير من العلوم حتى تخاذلنا نحن وحصلت عصور الانحطاط الإسلامي هذه، وهم بالمقابل هناك استفادوا من حضارة الإسلام، واستفادوا من المفاهيم الإسلامية، وترقواوأخذوا بالأسباب الدنيوية وجاؤوا وغلبونا ونحن جلسنا مغلوبين مهزومين؛ لكن هم في النهاية تنوروا ببعض أنوار الشريعة واقتبسوا شيئًا من أشعتها؛ استفادوا منها، هذا كما قال العلماء يدخل في قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

إنما العدل الكامل المنجي والمفيد في الدنيا والآخرة هو العدل الذي عند المسلمين القائمين بالقسط الملتزمين بدين الله ﷻ، شريعة الله كلها عدل، ودين الله كله عدل، وليس عدلًا فقط، بل هو عدل ورحمة وإحسان؛ هذه ثلاث صفات قال العلماء أنها لم تجتمع أبدًا في أي حضارة ولا في أي فكر ولا في أي ثقافة إلا في الإسلام فقط: العدل والرحمة والإحسان؛ صرح بهذا العلماء وممن ذكره: الشيخ بشير الإبراهيمي رحمه الله قالوا لم تجتمع، ونقلها عن المؤرخين والحكماء أنهم صرحوا أنها لم تجتمع إلا في الإسلام وفي الفتوحات الإسلامية، كان كلها عدل ورحمة وإحسان.

لكن ما معنى العدل؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالعدل، ولكن قد يكون العدل عندهم ما رآه أكابرهم»[(١)].

ما من أمة من الأمم في التاريخ قديمًا وحديثًا إلا وهي تأمر بالعدل وتدّعي العدل والعدالة، وتدعو إلى العدل وتمدح العدل وتذم الظلم، هل سمعتم أحدًا في الدنيا يمدح الظلم؟ فرعون أعتى إنسان وأظلم إنسان في الوجود وفي تاريخ البشرية ضربه الله مثلًا للفراعنة -«فرعون» لقب لهذا المعنى البشع الفظيع- هل كان يأمر بالظلم أو يمدح الظلم؟ أو يقول أنا ظالم وأريد أن أظلم؟ لا، اتفقت البشرية كلها جميع الأمم كلها كافرهم وملحدهم ومسلمهم وغيرهم على ذم الظلم، ومدح العدل.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣٠).

كل أمة من الأمم تدعي أنها تحكم بالعدل وتأمر بالعدل، لكن ما هو العدل؟ الدين الأمريكاني يقول لك: عدل، نحن حاكمين على «خالد شيخ»، و«رمزي بن الشيبة» ونطبق عليهم، ونعذبهم وحابسينهم المؤبد، «عمر عبد الرحمن» حاكمين عليه ٢٤٠ سنة! ويقولون: هذا عدل!.

نقول لهم: والله العظيم إن هذا من أظلم الظلم يا مجرمين يا كفرة قاتلكم الله، لكنَّ العدل هكذا عندهم، هم يفهمون العدل «حسب ما رآها أكابرهم» كما قال شيخ الإسلام، أكابرهم مثل «الكونجرس» الذي وضع هذه القوانين، هم أنفسهم مجتمعين وواضعين قوانين، ومراعاة هذه القوانين هي العدل عندهم.

لكن نحن نقول: لا، العدل -على الجملة- هو: ما جعله الله عدلًا، وما دلت شريعة الله على أنه عدل؛ فكل ما جاءت به الشريعة من الحق فهو عدل، والشريعة كلها عدل، ولا تأتي بالظلم، وتحرم الظلم، وتنهى عنه نهيًا عظيمًا، بل كلها عدل ومصلحة وصلاح، وليس فيها فساد، أي شيء دلت أدلة الكتاب والسنة وما في معناهما على أنه مشروع فهو عدل وهو صلاح وهو رحمة وهو إحسان، وما سواه كل ما دلت الشريعة على أنه غير محبوب لله، وأنه مكروه أو حرام؛ فإنه ليس بعدل، مع أنه ممكن أن يكون بحثٌ في مسألة المكروه؛ لكن المقصود كل ما لم يكن مشروعًا فهو ليس بعدل، بل هو ظلم.

العدل هذا تعريفه الصحيح: قال العلماء: «العدل هو: التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين»[1] هذا هو العدل، أحسن تعريف وأضبط تعريف للعدل.

والشريعة -شريعة الله المطهرة- قاعدتها هي هذه؛ تأتي بالتسوية بين المتماثلين، تسوي بينهما في الحكم؛ تعطيهما حكمًا واحدًا، عطاءً واحدًا، وتفرق بين الشيئين المختلفين بحسبهما إذا كان الفرق كبيرًا أو إذا كان الفرق صغيرًا؛ فتعطي كل ذي حق حقه.

تعريف آخر للعدل تستطيع تقول أنه: إعطاء كل ذي حق حقه، يستعملها العلماء في تعريف الحكمة كذلك، الحكمة والعدل: وضع كل شيء في محله، وإعطاء كل شيء حقه، هذا هو العدل أيضًا.. هذا أين مكانه اللائق به المناسب الذي هو أفضل من غيره! يُوضع فيه، وإعطاؤه حقه.

لكن التعريف الأضبط الأحسن هو: التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين.

العدل هو: أن تسوي -أيها الإنسان الناشد للعدل- بين الأشياء المتماثلة، أما إذا اختلفَت فلا

(١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٢٣١) قال: «الإسلام يتضمن العدلَ، وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المتفاضلين من المخلوقات»، مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٥٩).

تسوي بينهما، بل تفرق.

مثال: أقدار الناس المختلفة؛ الكبير والصغير، والسابق واللاحق، والعالم والجاهل، والمجاهد وغير المجاهد، والمؤمن والفاسق، تعطي كل ذي حق حقه؛ لا تسوّي بينهم في الاعتبار: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم].

نقول: هذا أفضل في الحكم، ونقول: هذا صالح ونعطيه درجته، نقول: هذا فاسق أو يستحق كذا، كل واحد نعطيه حقه، ناس متساوية مثلًا فهي متساوية في الحكم بلا تفريق بينها، إو كانت مختلفة في علم الله فنحن لسنا مكلفين بهذا، كتساويهم في السبق والجهاد والصلاح.. هؤلاء متساوون مثل بعضهم؛ فلا نأتي لواحد فاضل ونبخسه حقه من إيمان وجهاد وهجرة وصلاح وعلم وفضل ونجعله في مرتبة الناس الذين ليس لديهم هذا كله؛ بل نفرق بين الناس! فهذا التفريق بين المختلفين.

من أظهر الأمثلة التي نحتاج فيها إلى فهم معنى العدل: مسألة العطاءات، وكذلك مسألة الولايات؛ والتقديم والتأخير فيها، والخطأ الذي يحصل عند كثير من الناس أنهم جعلوا العدل بمعنى التسوية مطلقًا، ولهذا حتى في الشعارات الحديثة مثل الثورة الفرنسية شعارها «إخاء وحرية ومساواة» اقتبسها العرب منهم وترجموها.

العدل ليس هو المساواة! بل هو: إعطاء كل ذي حق حقه، هو تسوية بين المتماثلات، فإذا وُجدت المختلفات كيف تسوي بينها؟ ينبغي تفرق، لكن لما تأتي تفرق، تفرق بهواك؟ لا، فرّق على مقتضى الدليل، الدليل يقول: لا، هذان مختلفان، فرق بينهما، هذا يستحق كذا تعطيه كذا، وهذا يستحق كذا تعطيه حقه، فالأشياء المختلفة، لا تسوي بينها في العلم والأفكار والمناهج والأحكام العلمية.

باب القياس مبناه على هذا؛ الأشياء المتساوية المتماثلة سوّت بينها الشريعة في الحكم؛ فالقياس هو: إلحاق فرع بأصل لجامع بينهما؛ إلحاق فرع بأصل في الحكم لتساويهما أو لانعدام الفارق، فالفقيه أحيانًا يعتمد في القياس فقط على نفي الفارق، يقول: لا يوجد فارق مؤثر بين هذا وهذا فحكمهما سواء، هذا يسمونه «القياس بنفي الفارق» يعني هو صب نظره على نفي الفارق.. وهذه كثيرًا ما نحتاجها في المسائل العلمية.

ينظر الفقيه ويقلب وجوه النظر يقول: هل هذا له تأثير أم ليس له تأثير؛ فيخرج بنتيجة في بعض المسائل أنه لا يوجد فارق مؤثر بين هذا وهذا، المقصود بالفارق: الذي له تأثير، وإلا قد يكون هناك فارق ككون أحدهما أبيض والآخر أسود؛فهذا وصف طردي ليس له تأثير.

وإذا كان قياسًا جليًا واضحًا؛ كأن تكون الشريعة وضحت العلة في حكم معين وجاءت مسألة ثانية فرع لها فنلحقه بالأصل؛ لأن نفس العلة فيهما واضحة جدًا، نلحقه بها.. لكن لا بد أيضًا ألا يكون فارقًا مؤثرًا، نفي الفارق لا بد منه.

إذن؛ العدل في كل شيء، في الأحكام التي نطلقها على الأشياء -على التصورات كلها كيف نحكم عليها ونصدق عليها- في كل شيء، المتعلقة أيضًا بالأشخاص، والمتعلقة بالقسمة بين الناس والعطاءات والتوليات وفي أقدار الناس ومراتبهم وهكذا نحتاج إلى مفهوم العدل، الخطأ الشائع الذي يحصل عند الناس أنهم يظنون أن العدل هو مطلق التسوية.

ذو الخويصرة -صاحب الخوارج الأول- الذي خرج في عهد النبي ﷺ وحديثه في الصحيحين، الذي قال فيه النبي ﷺ: (**يخرج من ضئضئ هذا قوم..**) وساق حديث الخوارج الطويل (**تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم..**) إلى آخره؛ فذو الخويصرة هذا كان رجلًا فيه تنطع وسخافة عقل فرأى النبي ﷺ يقسم شيئًا من الغنائم، فقال: والله إن هذه قسمة ما أُريدَ بها وجه الله! نسأل الله العفو والعافية والسلامة؛ فغضب النبي ﷺ، غَضِبَ لله ﷻ؛ لأن هذه إهانة للرسول ﷺ، وتكذيب له في الحقيقة هو آيلٌ إلى التكذيب.

فقال ﷺ: (**أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني!**) أو كما قال ﷺ في لفظ: (**أيأمنني على وحي السماء ولا تأمنوني**)[1] يعني الله ﷻ اصطفاه واختاره واجتباه وجعله رسولًا، وأنت تأتي تخوّنه في قسمة عرم كبير وعرم صغير! أين عقلك أنت يا ذا الخويصرة؟!

ولو أردنا تحليل قصة ذي الخويصرة؛ فنجد أن قصده أنه رأى القسمة فنظر بعقله أن هناك حاجة كبيرة وحاجة صغيرة مثلًا، نفرض لما جاء هذا القاسم الذي يقسم -وهو النبي ﷺ- قسم قسمة، عطاءات، خذ هذا لفلان، وأعطِ هذا لفلان، أو للعائلة الفلانية، أو بني فلان، فذو الخويصرة جلس ينظر إلى القسمة فلم تعجبه؛ رأى بعض الحاجات أكثر من بعض، فاكتفى بهذا وحكم به، هذه الرؤية التي رآها مجرد أنه رأى نوعًا من عدم الاستواء، الأكداس ليسوا مثلًا أو الأشياء المقسومة ليست كمثل بعضها، فظن أنه يجب أن تكون كلها متساوية؛ لم يفهم موضوع العدل؛ فرأى هذا بعقله.

رأى أن هذه القسمة غير سوية، فاعتمد على هذا وحكم بأن هذه القسمة باطلة وبالتالي ما أُريد بها وجه الله، ما فيها عدل، من نظرته هو؛ فقال للنبي ﷺ: «اعدل فإنك لم تعدل».. فاعتمد على أن هذه

---

(١) انظر قصة ذي الخويصرة التميمي في: صحيح البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، صحيح مسلم (١٠٦٤).

كبيرة وهذه صغيرة وأنهم ليسوا كمثل بعض وليس بينهما تسوية؛ لأنه في ذهنه رى أن العدل هو التسوية، وليس كذلك؛ لأنه من الممكن أن هذا الشخص كبير أو عائلته كبيرة، وأسباب الاستحقاق أكثر وأقوى؛ فأعطاهم شيئًا كبيرًا، وأناس أقل عددًا أو فضلًا أو سابقة بحسب أسباب الاستحقاق فأعطاهم قليلًا، فهذا هو ما يستحقون، فهؤلاء أعطاهم ما يستحقون، وأولئك كذلك؛ فليست التسوية شرطًا، هذا ظن أن العدل هو التسوية، والعدل ليس التسوية، بل هو: إعطاء كل ذي حق حقه.. فإذا كانوا يفترقون في أسباب الاستحقاق تفرق بينهم بحسب ما يستحق كل واحد.

فذو الخويصرة لم يفهم معنى العدل وظنه التسوية؛ هذا هو الشيء الأول.

وحتى لو فُرض أنك رأيت خطًا في التفريق؛ فأنت بهذا تلغي رسول الله ﷺ كله! الذي اختاره الله ﷻ واصطفاه واجتباه وأرسله للعالمين رحمة، وائتمنه على وحي السماء وهو خير خلق الله، وأتقاهم لله وأعلمهم بالله وأشهدهم له خشية، وأرضاهم عند الله ﷺ وخير خلق الله أجمعين وأكرمهم على الله، هذا كله ألغاه بمجرد أنه رأى شيئًا هكذا؟! فهذه هي عقلية ذي الخويصرة وهي عقلية لا تؤدي إلى النجاح؛ بل آيلة إلى الانحراف عن الدين والفساد والزيغ والضلال وهذا هو حال الخوارج.

إذن قلنا: التفريق بين المختلفات، كيف نفرق بينها؟ التفريق يكون بحسب أسباب الاستحقاق، في العطاء مثلا، نفرض أن عندنا شخصان عندهما عوائل، لكن هذه العائلة عدد أفرادها كُثر، أو متولي أيتاما يربيهم، فهذا نعطيه أكثر وزيادة، ولا يُقال لي: لماذا أعطيت هذا أكثر وهذا أعطيته أقل!

إذن، الحاجة بسبب كثرة العدد، نحن لو كنا نقسم عطاءات أو أشياء؛ فيمكن أن نراعي أسبابًا معينة؛ كأن يكون البعض يعيشون في بلدان أو مناطق الأسعار فيها مرتفعة جدًا، ومواصلاتها مكلفة جدًا أو نحو هذا؛ فبحسب حاجات الناس، ولهذا مذهب سيدنا عمر رضي الله عنه في العطاء -في القسمة وفي الفيء وغيرها- من بيت المال، قال: «الرجل وحاجته، والرجل وسابقته في الإسلام، والرجل وغَناؤه في الإسلام»[1] اعتبر ثلاثة أشياء، ويمكن أن يقاس عليها غيرها.

«الرجل وغناؤه» غَناء بالفتح، أغنى يغني يعني: نفع ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾﴾ [الحاقة]؛ وأما الغِناء -بالكسر-: فهو المطرب الخبيث، ويعني: نفعه، جدواه، بلاؤه؛ فغناؤه يعني: حسن بلائه ونفعه للإسلام، مثلًا أن يكون فارسًا أو مجاهدًا، اعتبره سيدنا عمر وقدمه في العطاء.

---

(١) مسند أحمد (٢٩٢) وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد.

«سابقته في الإسلام» سابقته في الهجرة والجهاد، وسابقته في الدين.

«الرجل وحاجته» يعني أهل الحاجات؛ مقدار فقره وحاجته عنده عيال محتاجين أو لا، هذا يختلف في العطاءات.

هذه الأشياء لعلها تكون أساس أو أكثر أسباب الاستحقاق وقد يكون غيرها.

حتى في التفريق بين الأبناء في العطية، معلوم أنه لا يجوز التفريق بين الأولاد في الهبات، هذا تقريبًا أكثر العلماء عليه، والمفروض أن تكون محل اتفاق لكن وقع فيها خلاف؛ لأن النصوص واضحة فيها عن النبي ﷺ أنه حرمها وردها، وقال: (**لا تشهدني على زور**) وقال: (**أشهد على هذا غيري**)[(١)]؛ فمن الباطل أن يفضل بعض أبنائه في الهبة على بعض.

لكن قالوا: إذا وُجد سبب موجب لتفضيل بعضهم فهل يجوز؟ الصحيح أنه يجوز، لو كان واحد منهم معيبًا -لا سمح الله وعافانا الله وإياكم-، معاق مثلًا؛ فيحتاج إلى نوع من التفضيل في العطاء لسد حاجته؛ فهذا يجوز لأن فيه سببًا موجبًا، استحق به تفضيلًا وعطاءً أكثر من الباقي؛ فهذا لا بأس.

وأما مسألة البر فالصحيح عدم اعتبارها، فلو كان أحدهم أبر من غيره فهل يفضله؟! الصحيح أنه لا يجوز؛ تحصل الشحناء بينهم والتحاسد.

الأسباب الظاهرة التي ترجع الناس إليها، يعرف الناس حتى الآخرين لما يعرفوا يقرون بهذا يقولون: صح هذا يحتاج أكثر؛ لأنه مسكين مريض يحتاج إلى أن يُصرف عليه، فيجوز أن يفضله في العطاء لشيء.

المهم قالوا: إذا كان هناك سبب موجب للتفضيل فلا بأس به، لكن الأصل هو هذا الذي يُلتزم ما لم يكن هناك سبب واضح ظاهر.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾[الأحزاب: ٥١] في أزواج النبي ﷺ تكلم بعض أهل العلم -القاضي ابن العربي- في «أحكام القرآن»[(٢)].

وهذه المسألة تتعلق بشيء من هذا الباب، أنه أيضًا مما تسكن إليه النفوس وتطمئن إليه أن يُبين

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٥٠)، صحيح مسلم (١٦٢٣) بلفظ: (**على جَوْرٍ**)، ولفظ (**أشهد على..**) في: صحيح مسلم (١٦٢٣).

(٢) انظر:أحكام القرآن (٣/ ٦٠٦) قال في معنى الآية: «الْمَعْنَى أَنَّ الْأَمْرَ إذَا كَانَ الْإِدْنَاءُ وَالْإِقْصَاءُ لَهُنَّ، وَالتَّقْرِيبُ وَالتَّبْعِيدُ إلَيْك، تَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا شِئْت، كَانَ أَقْرَبَ إلَى قُرَّةِ أَعْيُنِهِنَّ، وَرَاحَةِ قُلُوبِهِنَّ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ إذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ فِي شَيْءٍ كَانَ رَاضِيًا بِمَا أُوتِيَ مِنْهُ وَإِنْ قَلَّ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّ لَهُ حَقًّا لَمْ يُقْنِعْهُ مَا أُوتِيَ مِنْهُ، وَاشْتَدَّتْ غَيْرَتُهُ عَلَيْهِ، وَعَظُمَ حِرْصُهُ فِيهِ، فَكَانَ مَا فَعَلَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ مِنْ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إلَيْهِ فِي أَحْوَالِ أَزْوَاجِهِ أَقْرَبَ إلَى رِضَاهُنَّ مَعَهُ، وَاسْتِقْرَارِ أَعْيُنِهِنَّ عَلَى مَا يُسْمَحُ بِهِ مِنْهُ لَهُنَّ، دُونَ أَنْ تَتَعَلَّقَ قُلُوبُهُنَّ بِأَكْثَرَ مِنْهُ».

بالنسبة للمولّى والإنسان المسؤول أسباب التفضيل؛ فإذا بينها لهم فإن نفوسهم تطمئن، وهذا الذي قاله الله ﷻ: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أمر الله ﷻ أن يبين لهن أن الله ﷻ أذن له وشرع له وأباح له أن يتصرف كما يشاء؛ يأخذ من يشاء ويسرّح من يشاء وأنه ليس عليه حرج في هذا، وأنهن ليس لهن حق بحيث يدعين حقًا مثلًا، يقولوا: كيف فلانة قربتها وهذه كذا؟!

ما عندكن حق، جاءني أمر من الله أن آخذ من أشاء وأخلي من أشاء، ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ يعني أنه لن يوجد من سيعترض عليك؛ فالبيان في مثل هذا جيد.

وهذا راجع إلى أسباب الاستحقاق؛ لأن الإنسان إذا ظن أن له حقًا فإنه يظل يطالب ويدعي وينازع؛ فيُبين له أنه لا يوجد حق لك عندي، نُبتلى نحن هنا في ساحات الجهاد بشيء من هذا في العطاءات وفي الأموال وفي الكفالات، يأتي لك إخوة يقول لك: أنا عندي حق لماذا لا تعطوني؟ فنقول له: العطاء كذا وكذا؛ فهل لك حق؟ نحن نرى شرعًا أن لك حق أو نرى شرعا أنه ليس لك حق، وهكذا..

ومذهب عمر ﵁ في مسألة العطاءات هو في مقابل مذهب أبي بكر، وهي أيضًا سنة النبي ﷺ وهو عدم التفريق بين الناس في العطاءات التي تعطى من الفيء؛ قسمة من بيت المال، فلا يفرق بينهم بسبب السبق مثلًا أو بسبب الغَناء، بالذات هذين الاثنين، بل يعطي الجميع عطاءً متساويًا.

سيدنا عمر ﵁ لما جاء كان اجتهاده ومذهبه أنه يفرق بينهم بحسب السبق أو بحسب الغَناء، وهو ذكر «الرجل وحاجته والرجل وسبقه والرجل وغَناؤه» وذكر الحاجة معهم، لكن هو يظهر الفرق بين المذهبين أصلًا في السبق وفي الغَناء، في السبق وفي النفع، أبو بكر ما كان يعتمد هذا، وكانت هذه هي سنته ﷺ، وهذه من المسائل التي اجتهد فيها سيدنا عمر؛ فكان في المسألة مذهبين:

مذهب عدم التفريق في العطاء بين الناس بسبب السبق وبسبب الغَناء، ومذهب من يراعي هذا، وسيدنا عمر مستند في ذلك إلى أمور؛ فالشريعة في بعض الفروع راعت غَناء الإنسان، مثلًا في النَّفَل؛ فجائزٌ تنفيل الرجل الذي حسن بلاؤه، وهو أن يعطى من الغنيمة قبل القسمة؛ فاعتبرت الشريعة هذا الأمر؛ فراعى سيدنا عمر هذا الأمر، وكأنه رأى أن الناس يناسبهم هذا في ذلك الوقت، وأكثر لياقة

بهم فاعتمده، والله أعلم.

[أحد الحضور: ما يتعلق بمسألة «بيت المال»؛ هل بيت مال المسلمين يختلف عن بيت مال الجماعة، الآن هل يعد ما عندنا من مال هو لجميع المسلمين، أو للجماعة فحسب؟ يعني هل الواحد مثلا إذا أتى يقول أريد حقي؛ هل فعلا له حق مشروع إن كان بيت مسلمين أو بيت جماعة؟]

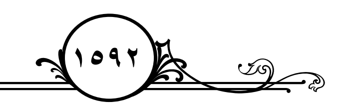
الشيخ: لا؛ ليس بيت مال المسلمين قطعًا؛ فهذه ليست دولة الإسلام وكل المسلمين خاضعين لها! لكن هناك بعض الأحكام تطبقها الجماعة وتأخذ أحكام جماعة المسلمين، وقد ذكر العلماء أنه في حالة عدم وجود الإمام؛ فإن كثيرًا من الأحكام تُناط بأقرب شيء يقوم مقام الإمام، مثلًا: إن وُجد قاضٍ في المنطقة يرجع إليه الناس ويتحاكمون إليه، أو إن كان هناك نظام قبلي معين، بل إذا اصطلح الناس على رجل ولّوه الأمر وأقاموا حتى الحدود، التي يُعتبر أمرها عظيمًا، وهكذا قسمة الغنائم.. الخ، وتزويج النساء اللاتي لا ولي لهن، وهكذا الوصاية على الأيتام ونحوها من يتولاها.. كل هذا ذكروا أحكامه وأنه يقوم بدل الإمام من يأخذ مكانه في حال عدم وجوده.

تكلموا على هذه المسائل في أبواب الفقه؛ فقالوا: يقيمها القاضي أو العالم أو شيخ القبيلة أو نحو ذلك؛ ممن يرجع إليهم الناس ويخضعون لهم نوع خضوع، وإن كان ليس عنده تمكن كامل، لكن يستطيع أداء هذه الأشياء، ولهذا نقول: بالنسبة للجماعات القائمة الآن، كهذه الجماعة المجاهدة عندنا في هذه المنطقة؛ فهي تستطيع أن تقوم بكثير من الأحكام، والأموال التي تأتي إليها هي إلى بيت مالها؛ فتصرفه في المصالح التي تحت رعايتها ولا يلزمها أن تقسم على كل المسلمين من السينيغال إلى إندونيسيا!! لا يلزمها هذا، ولا يجب عليها.

بل هذا قد يكون من الفساد حينئذ، يكون من الفساد الذي يبغضه الله وينهى عنه، كيف يأتيني أموال نقسمها ونوزع هناك ونرسل! لا، هذه جماعة جهادية؛ فالأموال التي تأتي لها تعمل بها في الجهاد، فلو قسمناها بهذا الشكل لانعدم تأثيرها ولبطلت الجماعة التي تجتمع الآن، لبطلت أصلًا وغلبَنا العدو وانتهينا! فلا يصح هذا، بل هو فساد ظاهر.

لكن مثلًا لو جاءني أخ يسألني عن بعض المال، أقول له: ضعها في بيت المال، يقول: أين بيت مال المسلمين؟ نقول: أقرب بيت مال، حتى جمعية في مكان معين في ناحية من الأرض، جمعية موثوقة ومأمونة بإمكانها أن تقبل هذا المال وهي تمثل بيت مال المسلمين في ناحية معينة -جمعية ليست جماعة بالمعنى الاصطلاحي، جمعية خيرية- بشرط أن تكون مأمونة في يد ناس أمناء؛ يستطيع الإنسان أن يعطيها تبرعًا أو الأموال التي لا يُعرف أصحابها أو أموال تاب عنها صاحبها مثلًا.

البغي التي كانت تأخذ أموالًا عن الزنا والفاحشة -والعياذ بالله- ثم تابت، سراق كان يسرق ثم



تاب، رجل كان يصنع الخمر ويبيع ثم تاب، هذه الأموال ينبغي أن يخرج منها تمامًا لتوبته، ولا تصح توبته ولا تكمل توبته إلا بأن يخرج من هذا المال..

ماذا يفعل به؟ هناك مذاهب للعلماء؛ منهم من قال يتلفه، ومنهم من قال يضعه في بيت المال وهكذا، وهناك تفاصيل أخرى إن كان مغصوبًا أو مسروقًا ثم لم يُعلم أصحابه، قيل: يتصدق به عن أصحابه، لكن فيما إذا كان في حالة لا توجد فيها سرقة أو غصب؛ كأن تكون بغيًا؛ فهذه ليس لها إلا القولان اللذان قد ينطبقا عليها؛ الإتلاف أو أن يضعها في بيت المال، الإتلاف هذا أضعف الأقوال، ولا تدل عليه الشريعة بل تدل على ضده؛ الله لم يأمر بإتلاف الأموال بل ينهى عن إتلاف الأموال، فيكون الصحيح: أن يرجع هذا المال إلى بيت المال.

فأين بيت المال؟ لا يوجد للمسلمين إمارة جامعة أو إمامة جامعة ودولة عندها بيت مال، فيضعها في أقرب بيت مال لجماعة قائمة، وتُصرف في مصالح المسلمين.

بالنسبة للجماعات الجهادية -مثلًا- الآن ما عندها من أموال وخزينة وبيت مالها هي؛ فهو بالأساس مصروف في مصالح الجهاد التي هي قائمة بها، قائمة بولاية معينة يصرف هذا المال في مصالح هذه المهمة والولاية القائمة بها وهي الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله ﷻ، هذا العمل الذي نحن فيه بكل عمومه وبكل تفاصيله؛ بحيث إنا لو أنشأنا بها مدرسة مثلًا؛ فإن ما ننشئه يخدم هذا المقصد الجهادي الذي نحن فيه، لو تألفنا بها إنسان فإنما يخدم هذا المقصد، فهي تكون في هذا المقصد، مقصد العمل الذي نحن قائمين به، مقصد الجهاد وما يخدمه بحسبه.

جاء رجلٌ مثلًا من بلاد بعيدة يقول: أنا أريد كفالة، نقول له: لا نستطيع أن نعطيك كفالة، ولا نستطيع أن نكفل المسلمين جميعًا، نحن نكفل من احتجنا إليه في عملنا، وهو مجاهد معنا ونحتاجه؛ فهذا نكفله؛ لأنه سيتفرغ للجهاد، ما دمنا قادرين -حسب الإمكان على كفالته-.

ولنفرض أننا عجزنا عن كفالته نقول له: لا نستطيع أن نكفلك، جاهد في سبيل الله ودبّر نفسك، لكن نحن ما دمنا قادرين وعندنا نوع قدرة -والحمد لله هذا موجود في المتوسط- فإنا نكفل المتفرغ للجهاد، فمن تفرغ له وكان معنا فإنه يأخذ من بيت المال بحسب حاجته وما يزيد عن الحاجة قليلًا بحيث لا يضيق عليه، وهكذا نقدر تقديرات اجتهادية؛ لكن ما نستطيع أن نكفل المسلمين جميعًا.

ولهذا يأتينا الإخوان من تركستان ومن تركيا ومن بعض البلدان الكثيرة، وهم كثر جدًا؛ فلو أردنا أن نكفل هؤلاء الناس عادَ هذا على عملنا بالزوال والبطلان والخسران؛ فما نستطيع، لكن نحن نعمل

بالانتقاء وبالاختيار.

بعض الناس معنا لا بد أن نكفلهم؛ لأنهم قائمون بمصلحة الجماعة والعمل بالجماعة وبرامجها فلا بد على الجماعة أن تسد حاجتهم؛ من قام بمصالح المسلمين وجب على المسلمين القيام بمصالحه، وهذا بحسبه.

لو قال: أنا أخدم هناك وأنا قائم بمصالح المسلمين. أقول: أنت تشتغل هناك لست تبعي ولا مسؤوليتي، لكن أنا باعتباري عندي ولاية أو مسؤولية أو أمانة معينة، عندي جهاد قائم به وعمل؛ فمن كان تحتي وتبع لي ويخدم معي في هذا المشروع؛ فالأموال التي تأتيني أنا أوزعها على الناس وأكفلهم وأسد حاجتهم وخلتهم بحسب الإمكان، وغالبها راجع إلى هذا فينتبه الإنسان لها، ليست حقوقًا مستقرة بمقتضى الإسلام؛ أن أي مسلم لا بد له حق! هذا إذا كان في دولة الإسلام والناس كلهم تحتها خاضعون لها؛ حينئذ الموجود هناك في أقصى الدنيا، القرش الذي يدخل بيت المال له فيه حق لمجرد كونه مسلمًا تابعًا للدولة الإسلامية، لكن الآن لا، الجماعات ليست بهذه المثابة.

فأسباب الاستحقاق ينظر فيها، يعني أي أمر من الأمور سواء المعنوية أو الحسية مثل العطاءات وغيرها ينظر في أسباب الاستحقاق، فالإنسان إذا كان يستحق شيئًا يُعطاه، الذي ليس مثله ولا يستحق أي أنه ليس عنده من أسباب الاستحقاق كالذي عند الأول؛ فبحسبه لا يُعطى مثل الأول.

ومسالة التفضيل بين الناس في العطاء بحسب الغَناء والسبق ضربتها كمثال؛ وهي لا تشمل كل شيء؛ فمن أسباب الاستحقاق حاجة الإنسان إلى العطاء، يُنظر إلى حاجته فتُسد حاجته، يُنظر إلى سبقه ممكن يُفضل بالسبق وهذا مذهب سيدنا عمر، غَناؤه في الحرب والجهاد، سيدنا عمر اعتبر هذا، قد نعتبر نحن الآن أشياء لكن في الحقيقة سنجد أن معظمها راجع إلى هذا.

في العمل الجماعي الآن نعتبر سبب التألُّف، تألف قلوب بعض الناس ونعطيها، وإن كان هذا ليس سببًا للاستحقاق؛ لأنه هو في نفس الأمر لا يستحقه وإنما نحن أعطيناه لحاجتنا إلى تألفه، وقد يكون حرامًا عليه -انتبه إلى هذا- المتألَّف: الإنسان الذي نتألفه، من الممكن أن يكون حرامًا عليه أن يأخذ، ولكن نحن ليس حرامًا علينا أن نعطيه؛ فتنفك جهة المعطي وجهة الآخذ.

وسبب كونه حراما عليه أحيانا -وليس دائمًا- أن يكون غير مستحق لهذه الأعطية؛ ككونه غنيا مثلًا وهذه الأموال نحن نحتاجها في أن نسد بها ثغرات أخرى وفي نفس الوقت هو آتٍ ويطمع في المال ويلمح أو لا يرضى حتى تعطيه أو لا يخدم الخدمة حتى تعطيه؛ فأنت تتألفه حتى لا يضرك وحتى تكون علاقته معك جيدة؛ فتتألفه فهو يأخذ المال ويفرح به ولكنه لا يستحقه في نفس الأمر؛ فقد

يكون حرامًا عليه، ومسألة انفكاك جهة الآخذ والمعطي ذكرها الفقهاء في عدة مسائل منها هذه؛ قد يكون هو حرامًا عليه، وليس حراما للمعطي.

[أحد الحضور: لو وقفنا في هذه النقطة قليلا يا شيخ؛ في الوضع الحالي للجماعة يأتي مجاهد من المجاهدين يريد أن تكفله، والحال صعب أن تكفله، فيؤثر عليك ولا تستطيع أن تكفله، وترده أو تبقيه! لو جاء لك عشرين أو ثلاثين شخص أو أربعين هكذا يريدون الدخول معك، أنت في الأول ترى ممكن واحد تحتاجه عنده شيء، تنتقي منهم انتقاء، لكن في حالة وصوله إلى هنا إلى الجبهة.. ممكن الرجوع يؤثر عليه وبقاؤه هكذا يؤثر أيضًا..! ما الحل، وما العمل في هذه الحالة؟]

الشيخ: نسدد ونقارب، ونراعي ما نستطيع من المصالح، لكن ليس في كل مرة تستطيع أن تقبل الناس عندك في الجماعة، الناس كلها تريد تدخل «القاعدة» -على سبيل المثال-، تصور أنك قبلت الناس كلها ماذا يحصل لنا؟ هل يستقيم هذا، كثير من الناس نردهم؛ لعدم الإمكان والعجز نعتذر لهم.

[السائل: وفي المستقبل القريب؛ ألا توجد إمكانية أن تنفتح طرق للمال؟]

الشيخ: ما في شيء كبير هكذا، من الممكن أن تتحسن الأوضاع قليلًا، لكن بقدر ماذا سوف تتحسن؟ نبقى نحن جماعة محدودة في النهاية إلا أن يشاء الله ﷻ وتكبر ويفتح لنا ربي فتوحات كبيرة وتنهار أمريكا -إن شاء الله- وتكبر الجماعة، لكن الآن ما زالت هناك مراحل، نحن جماعة محدودة عندها قدرات محدودة وإمكانيات محدودة ولا يناسبها الكثرة والانبساط جدًا جدًا فما نستطيع أن نقبل هكذا بإطلاق، أن تقبل إنسان معك عضوية كاملة، أو بيعة أو عهد أو غيره معناها يصير عليك مسؤولية، أنت مسؤول عنه؛ فلا نستطيع أن نقبل كثيرًا من المسلمين، لكن نقبل بحسب حاجتنا وبحسب ما يستمر به عملنا بنجاح، ويحقق المصلحة، نحن قائمون بجهاد لا نستطيع أن نقبل ناسًا كُثر فيعود علينا هذا بالفساد، والسبب هو العجز، هذا نشرحه للناس.

قبل مدة أتى لنا إخوة أتراك وشرحت لهم هذا؛ فراحوا مطمئنين، فنحن عاجزون لا نستطيع أن تكونوا معنا، لكن ندربكم وترجعون إلى بلادكم وتكمنون في أرضكم.

النبي ﷺ أتى له أناس في مرحلة من المراحل وقال له: **(ارجع إلى بلدك حتى إذا سمعت بي ظهرت فأتني)** قالها لأبي ذر وقالها لعمرو بن عبسة وقالها لغيرهم[1]، هذا الأمر موجود؛ فما كان يستطيع أن يقبلهم في مرحلة من المراحل، ونحن أيضًا كذلك.

تصور أنه أتى لي آلاف من الأتراك مثلًا؛ نحن لا نستطيع قبولهم؛ فأنا اعتذرت لهم وقلت لهم لا نستطيع، هذا واقعنا، نحن جماعة صغيرة محدودة، مواردها محدودة، وإمكانياتها محدودة، قدارتها -حتى

(١) انظر في قصة أبي ذر: صحيح البخاري (٣٨٦١)، وفي قصة عمرو بن عبسة: صحيح مسلم (٨٣٢).

المعنوية-؛ نحن كقيادة وكأفراد وككوادر وكطاقات.. ماذا يقدرنا أن نربي الناس، وأن نعلم، وأن ندرب، أو نأتي بهم ونضعهم هنا ونقول لهم: تعالوا ثلاثين واحد أو أربعين في بيت، ثم ماذا؟ يتمردوا عليك ويعملوا عليك مظاهرة! فلا يمكن، لا هم تربوا ولا تعلموا.

نحن هنا مشاكلنا قليلة، والشكاوي كثيرة من البطء في التدريب والدورات والانتظار وصعوبات الانتظار؛ المشاكل ستكثر جدًا حينها؛ فكيف نستطيع أن نقبل عددًا كبيرًا؟! بالعكس نحن نتوقف في مراحل معينة، وبالفعل كنا موقفين في الثلاثة شهور الماضية عن استقبال الناس.

ومع هذا مع أننا آمرين بالتوقيف كان الناس بالإلحاحات ويعتذر الإخوة، ويرسلوا الإخوة من إيران: والله بالسيف قابلنا هذين الاثنين ويلحون جدًا وهم إخوة مضطرون، ويأتي الناس لنا ونحن موقفين الاستقبال، نحن بالأساس تنظيم عربي، والعرب هم الأساس عندنا في التنظيم وهكذا، حسب برنامجنا أيضًا وتكويننا؛ فعندهم أفضلية قليلًا، وأيضًا أحوالهم أسهل، رددنا بعض الأتراك، أكراد إخوة من إيران رددناهم والله، دفعتين تقريبًا رددناهم.

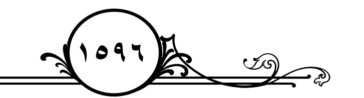
الأكراد في إيران هناك مئات ممكن لو تفتح لهم فقط يأتونك، لو تقول لهم: تعالوا؛ يأتون لنا!

نقول: لا نستطيع أن نقبلكم كونوا هناك حتى يفتح الله، ما عندنا قدرة الآن؛ فكله راجع للعجز، لا لأننا لا نريد المسلمين ونمنعهم ولكن نحن عاجزون؛ باختصار.. فنعتذر لكم ولا نستطيع، لكن إذا لم نقدر أن نقبلكم ولم نقدر أن نستوعبكم ولم نقدر أن تكونوا معنا الآن في هذه المرحلة فقد نستطيع شيئا أقل من ذلك؛ التدريب مثلًا، قلنا لهم: التدريب شيء جيد؛ أرسلوا كل شهر كذا وكذا عدد نحن ندربهم معنا شهر أو ثلاثة ويرجعوا لأرضهم ويبقوا هناك، يوم يقوم جهاد في الشام، يقوم جهاد في تركيا نفسها، تسقط أمريكا، وإيران تقوم فيها حرب، التغيرات الدولية آتية، والله ﷻ يفتح، يكون لكم دور وتكونوا مستعدين وأنتم ذخيرة، وأنتم الحمد لله قد أبرأتم ذمتكم بهذا وحققتم فرض الإعداد وبذلتم أنفسكم وكنتم مستعدين للجهاد، قلنا لكم استريحوا هناك، أنتم أسقطتم الذي عليكم، لماذا مستعجلين؟ لازم كل واحد يكون معي الآن؟ مرحلة الانتقاء ومرحلة الاختيار ومرحلة جماعة صغيرة لا يناسبها أن نكون أعدادًا كبيرة جدًا فوقنا طيران يضرب فيهم ولا نستطيع نهرب، لا ينفع هذا، المرحلة تحتاج لعدد صغير.

[أحد الحضور: ألا يمكن استغلال هذه المناطق مثل تركيا؛ بتدريب مجموعات وإنشاء المعسكرات؟]

الشيخ: غير ممكن هذا، تُضرب، ما رأيك نبعثك أنت ومعك ثلاثة أو أربعة؟

والأتراك يعملون هكذا ومع ذلك ينضربون وأمنيّاتهم ضعيفة وتحصل لهم مشاكل وتعرفون أنهم



حصلت عليهم حملات شديدة؛ فالأمر ليس سهلًا، تقول لي: أرسل مجموعة ويعملوا هناك! أنت لا تشتغل وحدك في الساحة، أنت في ساحة عدوك فيها نفس الشيء وهو المسيطر وهو المتمكن، ليس سهلًا أبدًا، كيف ترسل مجموعة تتدرب هناك؟ لا يمكن، إلا على نطاق ضيق جدًا، نطاق سري للغاية، تدرب أعداد محدودة فقط لأعمال خاصة، أما تفتح معسكرات وتبعث ناس وكذا!! فقط أسبوعين ثلاثة فإذا بك عليك حملة وماسكين مئة أو مئتين وقاتلين كذا وكذا وانتهى، فهذا الذي حصل من قبل.

إخوة أبو خالد -أبو خالد التركي تعرفونه، أخ من القدامى الذين كانوا معنا- ذهب لتركيا هناك وكان عنده مجموعة وما زال امتداداتهم موجودة حتى بعض الناس الذين أتوا لنا مؤخرًا قالوا إنا كنا مع أبي خالد؛ فهو هناك حاول يفتح عمل تدريبي وعمل بعض الأشياء.

ليس عندنا فرع تنظيم القاعدة في تركيا ولكن يحاولوا إنشاء نواة وبدأ بعمل تدريبي؛ فقط إعداد ونحوه.. ضربتهم الحكومة بسرعة، الأمر ليس سهلًا، دول مسيطرة عليها دولة!

السعودية؛ لماذا لا تبعث للسعودية مجموعة وتذهب هناك وتفتح معسكرات وتدريب وكذا؟ لماذا يأتوا لنا كلهم السعوديين هنا؟

ومصر، لماذا لا ترسل مجموعة هناك في مصر أيضًا تعمل تدريب، وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والشام وغيرها!

صعوبات الواقع موجودة؛ فلا تستطيع ولا يمكنك غير هذا.. غير ممكن إلا على نطاق ضيق جدًا جدًا؛ ترسل شخصين مثلا ويكون عندك أحد أهل الأرض هناك من الأنصار يرتب لهم ويسبقهم، ويكون عندهم تموين أو مصدر هناك يأخذون منه على نطاق ضيق، وُيدخلون ثلاثة أو أربعة يجندوهم ويدربونهم في بيوت، ثم ينتشروا، وبعدها يأخذون دفعة ثانية، يكون عملا متقنا جدًا، وإلا لو أن الإنسان يعمل كبعض إخواننا؛ عملًا فوضويًا فهذا ينضرب سريعًا، وينتهي.

نحن لا نستطيع تحمل مسؤوليات الناس؛ هذا عمل دقيق وخطير جدًا بل في غاية الخطورة تقوم به مكاتب صغيرة جدًا جدًا، نحن عندنا في بعض البلدان تدرب نفرين أو ثلاثة فقط، أعمال خاصة فقط، أما أن تفتح معسكرات! فكيف تفتحها في بلاد مسيطرة عليها دولة بوليسية، يسيطر عليها الاستخبارات! لا يمكن فتح معسكرات فيها بهذا المعنى إلا أن يقوم فيها حرب؛ فتكون ساحة حرب، يسقط النظام، ويبدأ الاضطراب والفوضى والانفلات الأمني، مثل الشام الآن؛ في لبنان يقولون لنا: ابعث لنا كذا وكذا -مع أن لبنان قد تختلف قليلًا عن سوريا، وحتى سوريا تعتبر أحسن من بعض

دول الخليج أو مصر، وهكذا يختلف الحال من بلد إلى بلد- ممكن تبعث اثنين ثلاثة مدربين ويبدؤون بتدريب الناس وتجهيزهم في أماكن معينة؛ فيها صحاري وفيها جبال وفيها غابات، فيها مناطق تعطي مجالًا للاختفاء والحركة والبعد عن سيطرة الطاغوت وهكذا؛ فيختلف من بلد إلى بلد.

تركيا فيها بعض المجال أيضًا، مناطق الأكراد -بالذات ديار بكر وهذه المناطق التي فيها حزب الأكراد- فيها مجال، ولكن ليس بسهل، بل في غاية الصعوبة، ولهذا نحن محتاجين أن يأتي الناس ويتدربوا هنا؛ يتدرب أفواج وأفواج سنة وسنتين وثلاثة وأربعة وتتغير تأتي الظروف، تتغير ظروف الواقع العالمي، ممكن أمريكا أو إسرائيل يضربوا إيران في أي مرحلة من المراحل، هذا احتمال ما زال واردًا وإمكانيته قائمة.

أمريكا إذا انهارت أو حصلت لها انهيارات تبعًا لها في هذه الدول أو في إسرائيل وغيرها؛ سيكون هناك تأثيرات كبيرة في العالم، لو حصل انقلاب في باكستان هنا وانهيار للدولة، ولو خرجت أمريكا من العراق أو خرجت من أفغانستان؛ نحن ننتظر فرصتنا التاريخية، المهم أن نكون دائمًا مستعدين، ودائمًا على أهبة الاستعداد وفاهمين ومنتظرين، وغير مستعجلين، لا تستعجل، هذه جماعة سوريا يقولوا سوريا سوريا والعمل والشام ورسائل.. وكل يوم يرسلون لي مجموعة رسائل.. نحن لا نستطيع أن نعمل في سوريا الآن؛ لأن قصارانا أن نرسل شخصًا أو اثنين ليعملوا عملًا دقيقًا وعملًا أمنيًا شديدًا، أما أن تفتح معسكرات في سوريا الآن! فلا تستطيع، لكن يومًا ما يبدأ الجهاد في سوريا، لبنان والشام تنفتح وينفلت أمن الطاغوت وتضطرب الدنيا.. فحينها نستغل فرصتنا؛ انهار النظام.

هؤلاء الناس الذين ندربهم أجيال، نحن ندرب أجيالًا، بعد فترة بسيطة تجدهم، فلان تدرب عندنا وفلان مرتبط بنا، وهكذا، وهذا الذي حصل للقاعدة نفسها، وفي كل مكان بدأ الجهاد، في بلدان كثيرة جدًا تدرَّب معظمهم هنا في هذه الساحة؛ فهذه ساحة تأسيس وأم للساحات الأخرى، هذه فائدة كبيرة للمسلمين أنهم يجتمعون ويشعرون بالانتماء لجماعة واحدة، أو لفكر واحد وعقلية واحدة وذهنية واحدة، وصارت عندهم ثقافة مشتركة، وصار عندهم آمال وآلام مشتركة، وصار عندهم ترابط، حتى لو ذهبوا وفتحوا جهادًا في أماكن أخرى.. الإخوة في الصومال ذهبوا وجاهدوا -وإن كانوا ليسوا معنا رسميًا الآن، لكن هم أولياؤنا ومحبون لنا وبإمكانهم أن يدخلوا معنا، بل هم عرضوا ليدخلوا معنا منذ مدة-.

فالعمل الجهادي عمل كبير وواسع؛ فلا نستعجل فيه، بل نمشي حسب طاقتنا وحسب قدرتنا، والذي نعجز عليه نعتذر ونقول للمسلمين: انتظروا واصبروا حتى يفتح الله ﷻ.

وحتى التدريب يكون بحسب إمكانياتنا، بقدر ماذا تستطيع أنت أن تدرب من الناس في الشهر؟ مثلًا: الإخوة الأتراك كُثر جدًا، الحركة الإسلامية هناك قوية، شباب ومجتمع شبابي، وناس تحب أن تنفر، لكن بقدر ماذا تستطيع أن تدربهم أنت، في الشهر كم يأتيك؟ فلازم أن يكون هذا بحسب إمكانياتك.. ولو تفتح الباب يأتي لك آلاف.

ومن المشاكل التي نعاني منها أنه يأتيك المتزوج ثم يقول: أنا عندي أبناء وأهل؛ أنا أريد أن آتي بعيالي، نقول له: لا نقدر أن نستضيف عيالك، أحضرهم أنت؛ لكن لا تأتي بهم ثم تقول: لي أريد كفالة، وأريد كذا، أنا ما أستطيع، نحن من الآن عاجزون.

ولا نستطيع أن نشرح لكل واحد ونجلس معه، وإلا فنسجل شريطًا ونجلس مع الناس نقول لهم: تعالوا اسمعوا هذا الشريط لو سمحتم! لا نستطيع أن نشرح لكل الناس، وسنقع في حرج معهم، لكن يجب أن نكون فاهمين أنفسنا، ونعرف ما عندنا من مقدرات.

أنت؛ تصور موقف أبي ذر لما النبي ﷺ قال له ارجع، أو عمرو بن عبسة!

وكذلك الطفيل بن عمرو رضي الله عنه في حالة قال له: اذهب دعوة لقومك، ثم قال له اجلس[1].. موقف محرج وصعب؛ لكن هي قرارات صعبة لا بد منها، أنت ليس عندك مجال وإلا فسيحصل فساد.

حتى في أقدار الناس؛ يجب التفريق بين الفاضل وغيره.

ولهذا قالوا:

وإذَا الحبيبُ أتى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءتْ مَحَاسِنُه بألْفِ شَفِيعِ[2]

(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)[3].

وهذا سيدنا أبو عبيدة لما قال لسيدنا عمر رضي الله عنهما: «أتفرُّ من قدر الله» غضب منها سيدنا عمر قال: «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة»[4] يعني لضربته؛ لكني أحتملها منك، وإلا فقد أنكر هذه الكلمة سيدنا عمر وقال: لا تصح أن تقولها أنت يا أبا عبيدة لو غيرك قالها لنكلت به، لكن أنت يا أبا عبيدة قدرك ومقامك عظيم، وهكذا.

---

(١) انظر: قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه في: البداية والنهاية (٤/ ٢٤٥)، زاد المعاد (٣/ ٥٤٧).

(٢) قاله: محمد بن أحمد التكريتي، أبو البركات بن أبي الفرج بن أبي نصر، ينظر: تاريخ بغداد (٨ / ٢١).

(٣) سنن أبي داود (٤٣٥٧) وتتمته قوله ﷺ: (.. **إلا الحدود**)، وصححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري (٥٧٢٩)، صحيح مسلم (٢٢١٩).

فيختلف الحال بين رجل والآخر؛ يأتيك الحبيب والرجل الفاضل وقد غلط غلطة فتُغتفر، ويقول الكلمة فتُغتفر ويتسامح منها، ويقف الموقف مثلًا يغضب منك ويمشي ويتركك وتُغتفر، لكن رجل ثانٍ ليس بمنزلته فلا تغتفر له، أو لا يُسامَح فيها، وقد يعاقب عليها! فيختلف هذا كله، وهذا أيضًا من العدل؛ فينتبه أحدنا لهذا ويعرف قدر نفسه ويعرف أقدار الناس؛ هذا الأمر مهم جدًا.

سيدنا عمر في الحديث الصحيح لما كلم ابنته حفصة عندما سمع أنها تراجع رسول الله ﷺ غضب عليها، وقيل ضربها أو أمسكها وهكذا، قال: أتراجعين رسول الله ﷺ؟!

فقالت له: «كل أزواج النبي ﷺ يراجعنه»! ومعنى «يراجعنه» يجادلنه ويناقشنه ويقلن: لا ليس هكذا ونحن نريد كذا، يناقِشْنَ فيه.

فجاء لبيت النبي ﷺ وتكلم مع بعض أزواج النبي ﷺ -والقصة التي حصلت مشهورة- وقيل له: أنت تدخل يا عمر في كل شيء حتى دخلت بين النبي ﷺ وأزواجه!

القصة في الصحيح، الشاهد فيها -هذا الذي أردت أقوله- سيدنا عمر لما جاء ينصح ابنته حفصة قال لها: «لا يغرنك تلك التي أعجبها حسنها ووضاءتها» يقصد عائشة؛ يعني: لا تجعلي نفسَكِ مثلها، تلك جميلة وحسناء ووضيئة، والنبي ﷺ يحبها كثيرًا؛ فأنتِ لستِ في مرتبتها، هذه تراجع ممكن أن يكون هذا مقبولًا منها لكن أنتِ لستِ مثلها! فانتبه لهذه الحكمة؛ وهذا الحديث في الصحيحين [(١)].

يحصل عند بعض الناس أحيانًا تنطع في مفهوم العدل الخطأ، وهذا راجع لموضوع التسوية والمساواة والعدل، رأيت هذا الأمر عند بعض الإخوة في الجزائر، أذكر بعض المواقف منها:

البطيخ «الحبحب» أحدهم يأخذ الموس ليقسمها؛ فرأيتهم مرة -وأنا كنت جالسًا واستغربت، وكنت قريب عهد في وجودي معهم- فكل واحد يقول: لا أنا ما أقسمها، اقسمها أنت، يتدافعونها، لا أحد يريد أن يقسمها! قلت: ما المشكلة؟ قال: أخاف ما أعدل! هو ممكن يكون جيد في ظاهره، لكن أنا عندي أن هذا ليس بجيد؛ لأنه بعد مدة كان في هؤلاء الناس تنطع شديد، وبعضهم صار من الخوارج ومن التكفيرين -والعياذ بالله-.

لكن هذا شيءٌ من الغلو والتنطع في الدين؛ لأن الله ﷻ أمرنا بالعدل ولكن لم يجعل علينا في الدين من حرج؛ فكونك تأتي لتقسمها فتكون قطعة أكبر قليلًا من قطعة ثانية فهذا لا يضر، أنت تجتهد أن تقسم البطيخة للناس فتعطيهم بالتساوي، لكن ليس معناها أنك تأتي بكمبيوتر وميزان إلكتروني

(١) صحيح البخاري (٢٤٦٨، ٤٩١٣، ٥٢١٨)، صحيح مسلم (١٤٧٩).

ديجتال وتقسم به الأحمر!-طبعًا لازم تحول الأبيض لأنه ليس فيه فائدة- الأحمر كله توزنه بالميزان! ما ينفع هذا، بل هو من تكليف ما لا يطاق وإدخال لنا في حرج شديد؛ فينتبه الإنسان أن الله ﷻ أمر بالعدل بالمعروف؛ فلا يُدخل الإنسان الوسواس في عقله.

وكانوا يقسمون الخبز أيضًا بشكل هم يسمونه «المورسو» يعني الجزء أو القطعة -أصلها بالفرنسية- يقسمونه ويتحرَّون فيه؛ فكلمتهم: قلت هذا شيء من التشدد لا يوجد داعي له، أنت قسم تقسيمًا مقاربًا وتوكل على الله وبسم الله، ثم ما الداعي للتقسيم؟ كُلوا مع بعضكم ولا تقسموا يُبارك لكم الله فيها.

ولهذا أيضًا في كلامنا على العدل أحيانًا ليس ضروريًا القسمة والحسابات؛ لأنها ترفع البركة، أمنا عائشة رضي الله عنها توفي النبي ﷺ وعندها صاعٌ، أو قالت: «شيئًا من شعير» فأكلَت منه كم شهر، المفروض أن يتم هو في أيام؛ فأكلت منه مدة طويلة، ثم جاء خاطر لها قالت نحسبه ونكيله وهكذا، قالت: «فكِلْتُهُ فَفَنِي»[1] لما كالته فَني!

جاء في سنة النبي ﷺ وهديه التحذير من العد والحساب والكيل وغيره في غير مواضعه، هذه الأمور تكون في المبادلة والبيع والشراء وهكذا، أو في القسم بين الناس، هذا خمسة كيلو وهذا كذا، في الكيل والتوزيع، لكن أنت في مالك أو في أشيائك ابتعد دائمًا عن الحسابات والتدقيق فيها؛ فإذا كان هناك اجتماع وأنتم تأكلون مع بعضكم الخبزة قسمها تقسيم معروف من باب التقريب جنب الناس ويأكلوا مع بعضهم، أما أن تضع لكل واحد قطعته..! ينمي الشعور بالأنانية والفردية، ونوع من الملكية والقنوة ويزيل معاني الأخوة والمشاركة والتضامن وغيرها، وفيها إيحاءات ليست جيدة تربويًا؛ لا تقسمها هكذا، تعطي بالمعروف فقط، لكن إذا أحضرنا أشياء مقسمة قطعًا قطعًا فكل واحدة قطعة، لكن الأشياء التي هي في العادة يُشترَك فيها فيأكل الناس مع بعضهم بالمعروف.

في قِران التمر -مثلًا- نهى النبي ﷺ عن القِران -أن يأكل بالحبتين- إلا أن يستأذن قال سيدنا عبد الله بن عمر: «إلا أن يستأذن صاحبه أو أخاه»[2] فالإنسان منهي عن القِرَان.

القران: أن يقرن بين التمرتين، فيأخذهما معًا ويأكل؛ هذا منهي عنه؛ لأنه يؤدي إلى أن بعض الناس

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٩٧)، صحيح مسلم (٢٩٧٣) قَالَتْ رضي الله عنها: «لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ، حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ».

(٢) صحيح البخاري (٥٤٤٦)، صحيح مسلم (٢٠٤٥) وفيه: قال شعبة" «الإذن من قول ابن عمر».

يكون جشعًا؛ فالناس يأكلون بالحبة وهم محتشمون وهو يستغل فرصة استحياء الناس، وهذا الأمر ليس جيدًا؛ حتى في الخلق في الظاهر في الصورة، وؤدي إلى فساد الأخلاق وانتشار قلة الحياء في الناس، والشريعة راعت أن الأخلاق المذمومة تبقى دائمًا مذمومة وتعمق في قلوب الناس وفي نفوسهم ذمها وألا يستعملوها؛ لأن هذه الأخلاق الفاسدة إذا انتشرت واستمرأها الناس فإنها تؤدي إلى انعكاسات في نفوسهم قبيحة جدًا جدًا، فنهت عن القِران إلا أن يستأذن صاحبه، مثلًا: كان يأكل بسرعة: اسمح لي يا أخي آكل بسرعة وماشي، أو كان التمر كثيرًا لا يُخشى عليه من التزاحم والتشاحّ، لكن في الحالات التي يكون قليلًا فتأكل بالحبة، وتعلم نفسك ألا تأكل سريعًا ولا تكبر اللقمة، يضع طرف الجبنة في الغمسة الأولى يأخذ نصفها! لا، تأخذ القليل وتعلم نفسك وتعلم الآخرين وتعلم من حولك وهكذا، وحتى في تربية الأطفال هذه مهمة جدًا؛ علمه ألا يكبر اللقمة.. فهذه من أسباب البركة، والإنسان لا يتشدد في العدل لدرجة أنه يقسم ويحسب ويعد ويكيل في هذه الأمور.

۞ السبق

السبق له مزية وفضيلة؛ لكن ليس معناه أن السابق هو أفضل بالضرورة من اللاحق، فالعلماء وخاصة الأدباء منهم تكلموا في مسألة «أيهما أفضل؛ السابق أم اللاحق؟»، وهو كلام فلسفي ليس له قيمة كبيرة، والأدباء مغرمون بمثل هذه المسائل وعندهم فيها أشعار وأنظام[1] وغيرها، لكن الحق الذي حققه علماؤنا أهل التحقيق إذا قالوا: «الفضل للفاضلِ لا للسابق ولا لِلَّاحِقِ».

الفضل للفاضل، الفاضل في نفسه وفي ذاته، والسبق هو مزية من المزايا، والمزية لا تقتضي الأفضلية الكلية، المزية الواحدة مع مجموع المزايا ومجموع الفضائل تُكَوِّن قيمة الإنسان الكلية.

هذا الإنسان سابق وهو فاضل في ذاته؛ عنده علم وعنده تقوى وصلاح وخشية وشريف النسب وبلاؤه حسن وكذا وكذا، هذه مجموعة مزايا.

ورجل ثانٍ عنده سبق؛ فعنده فضيلة السبق لكن ليس عنده باقي المزايا، أو عالم فقط لكن ليس عنده بقية المزايا، فنحن عندما نقارن بين الناس نقيس المزايا هنا وهنا؛ نعمل موازنة فيكون الفضل للفاضل الذي هو أكثر مزايا وأكثر فضائل، هذا هو الأفضل، السبق مزية من المزايا لا تقتضي بالضرورة أفضلية السابق على كل حال.

لكن لا شك أن السابق إلى الخير والسابق إلى الفضائل والسابق إلى الجهاد وإلى الهجرة وإلى الإسلام

---

(١) أنظام: جمع نظم، وقد استُعملت هذه الكلمة كثيرا عند الشناقطة؛ كما في: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ص ٤٠) وغيره.

عنده مزية من جهة كونه سابقًا؛ فإذا أضيف إليها مزايا أخرى تكمُل فضيلته، وغيره قد يفقد فضيلة السبق لكن عنده مزايا أكثر غلبت على غيره؛ فيكون أفضل إذا كان مجموع فضائله أكثر من الأخرى.

نضرب مثالًا: سيدنا عمر ﷺ ليس من السابقين بالنسبة لكثير من الصحابة، ومذكور في السيرة أنه أسلم على رأس أربعين شخصًا[1]؛ فالعشرة المبشرون بالجنة كلهم قبله، التسعة الآخرون هو عاشرهم، إسلامهم كلهم قبله بكثير جدًا، وأبو بكر كان أول رجل إسلامًا، ثم عثمان، قيل عثمان هو الذي جاء وراءه أبو عبيدة وعبد الرحمن وطلحة والزبير، قالوا هؤلاء جاؤوا كلهم -وربما حتى سعيد بن زيد- على يد عثمان، وأبو بكر قبلهم، أبو بكر هو الذي أتى بعثمان ودعاه، وعثمان ذهب فكلم هؤلاء.. وعلي وحده كان في حجر النبي ﷺ وأسلم، وقيل أنه أسلم حتى قبل أبي بكر، وفي المسألة والترتيب بين أي الناس أسلم أولًا أقوال معروفة.

ومع هذا؛ فسيدنا عمر أفضل من الجميع ما عدا أبي بكر، أجمع أهل السنة أن سيدنا عمر أفضل واحد من الصحابة بعد أبي بكر، فأبو بكر هو الأول إجماعًا، وعمر الثاني بعده إجماعًا، وعثمان الثالث على خلاف قليل في السلف كان ثم انتهى، ووقع الإجماع كذلك أن رُتَبهم في الخلافة هي رتبهم في الأفضلية، والله أعلم؛ أما أبو بكر وعمر فلا يوجد خلاف بين أهل السنة جميعًا، ما عدا الروافض الزنادقة وهؤلاء لا نتكلم عنهم هاهنا، حتى بقية الفرق: المعتزلة والجبرية والجهمية وغيرهم كلهم مع أهل السنة في هذه الأبواب؛ ليس هناك فرق في باب الصحابة.

فالمقصود: أن سيدنا عمر لم يكن سابقًا بالنسبة إلى عثمان؛ لكنه أفضل من عثمان، بماذا استحق الأفضلية؟ بما عنده من المزايا الأخرى، هم غلبوه بالأسبقية فهم أفضل منه بمزية السبق، لكن هو بمجموع المزايا غلبهم: الصلاح والتقوى والخيرية التي فيه، هي مجموعة مزايا صغيرة لكنها كثيرة جدًا؛ الأخلاق والفضائل والتقوى وقوة الإيمان والفقه وما فتح الله عليه بالعلم والعمل، فغلَب سيدنا عمر، فننتبه إلى هذه النقطة؛ نقطة الأسبقية.

[**أحد الحضور: لو جمع بين السبق والغَناء، الغَناء هو فضله**].

الشيخ: لا، حُسن بلائه في الإسلام هو الذي فضله؛ فممكن أن يكون متأخرًا لاحقًا لكنه مثل «خالد بن الوليد» مجاهد شجاع وبطل ورجل صاحب اقتحامات؛ رجل يساوي ألفًا، ولكن رجل سابق مسكين وضعيف يساوي واحدًا فقط؛ فهناك فرق بينهما.

---

(١) انظر: تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٦٦٠) بإسناده إلى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: «أَسْلَمَ عُمَرُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَعَشْرِ نِسْوَةٍ».

فهمتم معنى الغَناء؟ الغَناء يعني بلاء الإنسان الحسن، ونفعه.

[السائل: يعني هذا على قصة عمر رضي الله عنه هم سبقوه لكن هو غَناؤه كمل عليه؟]

الشيخ: غَناؤه وبقية الفضائل مجتمعة: إيمانه وتقواه وخشيته لله سبحانه وتعالى وقوته في الدين غلب بها الآخرين؛ ليس الغَناء فقط.

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

بمجموع ما عند الإنسان من المزايا والفضائل يكون فضله؛ عنده علم وإيمان وتقوى وصلاح وعمل صالح وعبادة لله ﷻ، وعنده رأي وحكمة وتدبير ومعارف نافعة، وعنده مهارات معينة ينفع بها نفسه وعباد الله، عنده فصاحة وشعر وبيان وتعبير عن الأشياء.. كل هذه فضائل، فبمجموع ما عند الإنسان منها يكون فضله، والسبق إلى الخير ممدوح وهو فضيلة من الفضائل؛ فالذي يكون عنده سبق، هذه فضيلة، لكن ليس بالضرورة أن يكون أفضل من غيره ممن لحقه وكان متأخرًا عنه؛ لأن المتأخر قد يكون عنده فضائل أخرى ليست عند السابق، وقد قالوا: «كم ترك الأول للآخر».

وفضائل الناس معروفة، وهناك مرتبة الفضل ومرتبة العدل، والفرق بينهما:

العدل: هو إعطاء كل ذي حق حقه؛ أي الذي يستحقه.

الفضل: هو أن يُزاد الإنسان فضلًا منه، كأن يأتيك إنسان يطلب منك حقًّا؛ فاعترفت له بحقه ثم زدته على حقه، فهذه الزيادة فضل منك تتفضل بها عليه؛ فالفضل: هو الزيادة، فضل يفضل يعني زاد، ثم لما كان ما عند الإنسان من فضيلة ومزية كأنها زيادة على غيره سُمي هذا فضلًا، هذه هي العلاقة بين المعنى الاصطلاحي العرفي الاستعمالي -الجاري في الاستعمال- وبين أصل المادة في اللغة العربية.

(من كان عنده فضلُ ظهرٍ فليعُد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له)[(١)]، وقد منع النبي ﷺ وحرم بيع فضل الماء لابن السبيل[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم (١٧٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٢٣٥٨) من حديث أبي هريرة قال ﷺ: (ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ) وابن السبيل: المسافر.

في حق الله ﷻ قلنا: إن الله ﷻ حكم عدل قائم بالقسط وأنه حرم الظلم على نفسه وحرمه بين عباده وأنه لا يظلم أحدًا وما هو بظلام للعبيد، وقلنا: إن الله ﷻ يعامل الخلق على وجهين وعلى نحوين من المعاملة؛ إما بالعدل وإما بالفضل، إذا عاملهم بالعدل فقد هلكوا! فالذي يعامله الله ﷻ بالعدل يهلك؛ لأنه يعطيه ما يستحقه، العبد مهما عبَد الله فهو مقصر لا يساوي شيئًا، عبادته كلها لا تساوي شيئًا، لا يستطيع أن يوفي الله حقه، وأبسط النعم لا يستطيع أن يؤدي شكرها؛ قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨] بمعنى: لا تعدوها، وبمعنى: لا تستطيعوا مكافأتها بالشكر.

وكما قال الشاعر:

إِذَا كَـــانَ شُـــكْرِي نِعْمَـــةَ اللَّهِ نِعْمَـــةٌ ... عَـــلَيَّ لَـــهُ فِي أَمْثَالِهَـــا يَجِـــبُ الشُّـــكْرُ

فَكَيْـــفَ وُقُـــوعُ الشُّـــكْرِ إِلا بِفَضْـــلِهِ ... وَإِنْ طَالَـــتِ الأَيَّـــامُ وَاتَّصَـــلَ الْعُمْـــرُ

إِذَا مَـــسَّ بِالسَّـــرَّاءِ عَـــمَّ سُرُورُهَـــا ... وَإِنْ مَـــسَّ بِالضَّـــرَّاءِ أَعْقَبَهَـــا الأَجْـــرُ

وَمَـــا مِنْهَـــا إِلا لَـــهُ فِيـــهِ مِنَّـــةٌ ... تَضِـــيقُ بِهَـــا الأَوْهَـــامُ وَالْـــبَرُّ وَالْبَحْـــرُ[1]

والعلماء عبروا عن هذا وقالوا أن شكر نعمة الله مهما حاول الإنسان أن يشكرها فإنه لا يستطيع؛ لأن نفس الشكر نعمةٌ تقتضي مزيدًا من الشكر -هذا هو المعنى المراد من الأبيات-، أن يوفقك الله أن تشكر نعمته فهذه نعمة أخرى اقتضت شكرًا آخر، وهكذا تتسلسل النعم، ولا يستطيع الإنسان أن يوفيه ﷻ حقه؛ فهذا باب الدلالة العقلية أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم مقام الشكر، أي لا يستطيع أن يوفيه لله ﷻ، ولهذا لم يفرض الله علينا إلا ما استطعنا وعفى عنا وعلم ضعفنا وعجزنا، فالله عاملنا بفضله، ولو عاملنا بعدله لهلكنا.

۞ الجهاد والدعوة

نريد أن نركز على بعض النقاط ونذكر بها ونتناولها بالفحص والتأمل؛ فالكلام في الجهاد والدعوة يطول وهو ذو شجون وله حلاوة أيضًا، لكن أهم شيء أن نعرف العلاقة بين الدعوة والجهاد؛ لأننا لاحظنا في مسيرتنا في العمل الدعوي والجهادي أن بعض المجاهدين قد يتخيل أن الجهاد هو مرحلة

---

(١) قاله: محمود الوراق، انظر: الشكر لابن أبي الدنيا (ص ٣١).

بعد الدعوة؛ فإذا تمت الدعوة وانتهت يبدأ الجهاد.. هذا المفهوم يتكون عند بعض الأفراد أو الجماعات أننا في حالة جهاد ولسنا في وقت دعوة، وأننا تجاوزنا الدعوة، وهذا لاحظناه في بعض الأوساط، لاحظتها أنا في الساحة الجزائرية -على سبيل المثال، والأمثلة كثيرة-.

أحد الإخوة كان معنا وهو رجل في الإعلام -المفروض أنه مثقف-، وكان أخوه ضابطًا في الشرطة، ويستطيع أن يراسل أخاه ويكلمه ويدعوه، والواسطة هي الأهل؛ فيقول: أرسلوا هذا لفلان؛ فأهله كانوا في المدينة وهو معنا في الجبل، فقلت له: أخوك هذا ضابط، أما دعوته ولا كلّمته؟

فقال لي: نحن الآن في مرحلة جهاد، وانتهت مرحلة الدعوة.!

فهذا مثال وهو المفهوم المنتشر؛ فأحببنا دائمًا أن نراجع هذا ونقول: المفروض أن الجهاد والدعوة بينهما من العلاقة قدر معين؛ فلا بد أن يُفهم ويوضع في موضعه الصحيح.

وحسب ما يظهر لي من توصيف العلاقة بين الجهاد والدعوة أن بينهما خصوصًا وعمومًا من وجهين؛ فكل دعوة هي جهاد بمعنى الجهاد الأعم والأشمل، وكل جهاد هو دعوة أيضًا بمعنى أنه دعوة إلى الله؛ فجهادنا هذا هو دعوة إلى الله؛ لأننا ننصر دين الله ﷻ، ونفتح الآفاق، ونكسب قلوب الناس، ونحببهم في دين الله، ونضرب الكفار؛ فتنكف عاديتهم عن المسلمين ودين الإسلام، فنحن ننصر وندعو ونبين دين الله، نرفع قدر الإسلام وعزة الإسلام والمسلمين؛ فنهيج القلوب على الالتزام بالدين والعودة إلى الدين؛ فالجهاد هو دعوة إلى الله، والدعوة إلى الله بالمعنى الاصطلاحي هي نوع من الجهاد؛ فأنت عندما تدعو إلى الله المقصود بها الدعوة اللسانية والكتابية فهذه هي الدعوة، فنقول: هذا يدعو إلى الله، ويعمل الدروس والبرامج الدعوية ويطوف في القرى والمدن، هذه الدعوة هي أيضًا جهاد بالمعنى الأعم للجهاد، لا بمعنى القتال، بل المعنى الأعم الذي هو جهاد النفس وباللسان وبالنفقة وبالسنان، وجهاد المنافقين بالكلمة؛ فالدعوة من هذا الأمر.

والذي ينبغي أن يكون عندنا هو أن ننظر إلى جهادنا هذا أنه دعوةٌ في سبيل الله، دعوة إلى الله وإلى دينه، ورفعةٌ لدين الله، وحمل للناس عليه، وتهييجهم على أن يلتزموا بهذا الدين وبأحكام الله، وأن

يحبوا شريعة الله وأن يسعوا في تحكيمه وتطبيقه؛ فهذا المفهوم هو المفروض يجب أن يكون عندنا؛ أن ننظر إلى جهادنا أنه دعوة إلى الله ﷻ.

[**أحد الحضور: هل يجب على أحد إن كان أخوه في الجيش مناصحته؟**]

الشيخ: لا، هذا مستحب، ولا يجب، هم من قومنا وأصلهم مسلمون، والمرتد لا تجب دعوته أصلًا، لكن أنا أتكلم عن الاستحباب، والمستحضَر أننا نحن دعاة، ولنفرض أن أخاك كافر وهو مع الأعداء، وأتيحت لك الفرصة أن تكلمه؛ لماذا لا تكلمه وتدعوه إلى الله؟ ولو أن كل واحدًا منا مارس الدعوة فيمن حوله من الناس أقاربه وأشقاؤه وأهله وأهل الحي ومعارفه؛ دعوة شفهية بالمشافهة، وهي من أحسن وأقوى وسائل الدعوة قبل الكتابة.

[**أحد الحضور: هل الدعوة بالنسبة للمجاهدين واجبة على كل أحد؟ أم مقتصرة على طلبة العلم فقط؟**]

الشيخ: الدعوة من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها تفصيل؛ فمنها واجب ومنها مستحب؛ فإذا رأيت أناسًا جهالًا لا يعرفون أداء الصلاة ولا يقيمونها صحيحة ولا يوجد أحد يعلمهم إلا أنت المتعلم فيتعين عليك تعليمهم، ولو كنتَ لا تعرف؛ فيتعين عليك أن تأتي بمن يعلمهم، وكذلك في أسرتك وتحت رعايتك زوجة وأولاد؛ فأنت مسؤول عليهم في أخطائهم ويجب عليك تعليمهم، لا أقول لك: اقرأ عليهم كتب الفقه واجعلهم فقهاء! أو اقرأ عليهم أبواب النكاح والطلاق والعدد والظهار والنفقات!! هم لا يحتاجون هذا؛ كما نتكلم في العلم فمنه العيني الواجب على الإنسان أن يطلبه، ومنه المستحب.

وكذلك الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب؛ لا بد من التفصيل فيه، لكن بصفة عامة علينا أن نستحضر أننا دعاة إلى الله ﷻ؛ فجهادنا هذا هو نفسه دعوة حتى لو لم نتكلم ولا كلمة، أنا هذا مقصودي، لو فرض أننا لا نتكلم أبدًا لا عندنا منابر إعلاميه ولا عندنا مشايخ يخرجوا فيتحدثوا؛ فقط نجاهد ونضرب الكفار؛ جهادنا هذا دعوة إلى الله، ولكن نحن مع هذا لا نرضى بذلك فقط بل ندعو إلى الله باللسان مع الرصاصة ونتكلم ونكتب ونرد على الشبهات وندعو إلى الله ﷼؛ لنبين توحيد الله ﷻ، ونبين لماذا نجاهد وندعو الناس أن يكونوا معنا وأن يعودوا إلى الإسلام وأن يلتزموا بدين الله، ونوضح لهم التوحيد والإيمان ونحثهم على العمل الصالح وننهاهم عن ضده ونبين لهم محاسن الإسلام ونرغبهم فيه ونبين لهم زيف الثقافة الغربية والغزو الثقافي ونرد

عاديته ونرد عليه بالحجج المنطقية والعقلية وغيرها؛ هذه كلها دعوة إلى الله ﷺ لسانية نحن نمارسها مع الجهاد.

وكذلك القتال هو نفسه دعوة إلى الله، ثم معه الدعوة اللسانية والكتابية، ثم معه أنواع أخرى من الدعوة مثل الإنفاق في سبيل الله والأعمال الخيرية والاجتماعية ونصرة الناس وخدمتهم لتأليفهم على الإسلام؛ هذه كلها من وسائل الدعوة التي نمارسها في عملنا الجهادي، والمهم أن نكون دائمًا مستشعرين أننا دعاة إلى الله.

ربعي بن عامر ﷺ لما دخل على رستم قال له: ما أنتم؟ ولم يقل من أنتم! لم يسأل عن تعيين أسمائهم، يسأل عن ماهيتهم: ما هي حقيقتكم، ما هو كُنهكم؟!

قال: «نحن قوم الله ابتعثنا..»، وهنا يظهر استشعار الصحابة أنهم مبعوثون من قِبَل الله ﷺ، ونحن أيضًا الله ابتعثنا وهذا الابتعاث هو بعث (**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها**)[(١)]؛ فالله ﷻ ينشئ خلقًا ويغرس غرسًا من الناس يصلحون للناس دينهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ويجددون لهم دينهم، وقد كان الصحابة يستشعرون أن الله باعثهم، هذا معنًى من معاني البعث.

قال: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد -أولًا التوحيد-، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»[(٢)].

فقد كانوا مستحضرين أنهم دعاة إلى الله؛ ولهذا كان حرصهم وتشوفهم وميلهم الكبير دائمًا أنهم يُدخلوا الناس في دين الله ولهذا قالوا في تفسير قوله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

---

(١) سنن أبي داود (٤٢٩١) وصححه الألباني.

(٢) تاريخ ابن كثير (٩ / ٦٢١، ٦٢٢) وقال: «رواها سيف عن شيوخه» وسيف هو ابن عمر التميمي صاحب كتاب «الردة والفتوح» وهو متروك الحديث؛ اتهمه جماعة بالوضع، لكن قد يُستأنس بمثل هذا الحديث خاصةً مع وجود شواهد على حوادث مثله، مع الأخذ بالاعتبار أن العلماء يتسامحون في نقل الروايات التاريخية والاستفادة منها، وهو الراجح؛ في تفصيل ليس هذا محله.

قال أبو هريرة: «خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ» والحديث في صحيح البخاري(١).

وهكذا كان الصحابة وقيادات الإسلام وأئمتهم ومن سار على نهجهم؛ كان عندهم دائمًا استحضار أنهم دعاة إلى الله، مقصودهم الأول هو هداية الخلق؛ ولهذا فمن غايات الجهاد ومقاصده هداية الخلق؛ فالله ابتعثنا وأمرنا أن نسعى في هداية الخلق ونشرح لهم الإسلام وندعوهم إلى توحيد الله ونعبّدهم لله ﷻ، ونخرجهم من عبادة الأرباب والآلهة الباطلة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا كله موجود في كلام الصحابة ﭫ.

فالوظيفة الأساسية للداعية والمجاهد في سبيل الله هي هداية الناس، وأن يكون عامل هداية لهم ويستجلبهم لدين الله ويعبّدهم لربهم ومولاهم ﷻ.

وقد يحصل عند بعض الناس أحيانًا أن يغلب عليه إرادة قتل الناس والتخلص منهم، وهذا حينئذ يصير انحرافًا، وجزء من هذا حصل في الجزائر وكان هذا مع بداية الانحراف؛ حتى وصلوا إلى الانحراف الكبير وصاروا تكفيريين وخوارج يقتلون الناس ويكفرون المسلمين عمومًا، لكن في البدايات قبل هذا الانحراف وقبل أن يتضح كان هناك مجموعة من المفاهيم السيئة التي لاحظناها من بينها ظنهم أنها غلبة القسوة والشدة.. لدرجة أنهم يكفّرون الشخص ليقتلوه! ولدرجة التشوف أحيانًا لقتل بعض الناس قبل أن يهتدوا! فبدل أن يمنحهم فرصة أن يهتدوا أو يخاطبهم أو يكلمهم، يقولون: نقتلهم قبل أن يفهموا؛ فهذه مفاهيم لاحظناها وهي انحرافات ثم بعده تؤدي إلى الانحرافات الكبيرة وتغلب لو لم تعالج.

أما نحن فنقول: إن مقصدنا وغايتنا من الجهاد هي هداية الناس وهي أحب إلينا من أن يكونوا كفارًا وأن نقاتلهم ونقتلهم، وأن يسلم الكافر أحب إلينا من أن نقتله؛ فليس المقصود الأول أن نقتله! المقصود أن يهتدي، ولكن لأن كثيرًا من الناس لا يهتدون لا سيما من الطواغيت وأنصارهم وجنودهم وجيوشهم؛ فهنا لا بد من القتال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة] لا بد أن يقتتلوا؛ لأنهم اختلفوا على التوحيد، اختلفوا على عبادة الله ﷻ، ويحصل الجدل وتحصل الدعوة، لكن

(١) صحيح البخاري (٤٥٥٧).

لا يمكن أن يستجيب للدعوة كل الناس؛ فشرَع الله القتال، وهذا هو عنوان واقعية هذا الدين، صفة واقعية في هذا الدين تكلم عليها سيد قطب(١) والمفكرون الإسلاميون: «الواقعية في هذا الدين»؛ فهذا الدين دين واقعيٌّ بمعنى أنه يمكن تطبيقه ويراعي الواقع ويعرف كيف يتعامل معه ويغيره وليس مجرد مثاليات وخيال؛ فهذا من ضمن الوسائل التي نريد أن نوضحها.

۞ غايات الجهاد

- الغاية الأساسية الأولى هي: هداية الخلق ومحاولة أن نأتي بهم إلى الإسلام ما استطعنا، ثم حماية هذا الدين والتوحيد؛ لأن الدين لا يحميه إلا سيف، وهذا أيضًا جزء من واقعيته أنه دين القوة، وأمر بإعداد القوة وأن يكون له جنود؛ لأن الناس لا تخضع إلا للقوة، وليس هو دين مثاليات؛ رجل طيب يقول كلامًا جميلًا ويذهب، مسكين! لا؛ بل هو دين يقوم به رجال أقوياء أشداء يقتلون ويحاربون وينفِّذُون أمره بالقوة.

- ومن غايات الجهاد المعبر عنها في القرآن في عدة آيات؛ قوله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣، الأنفال: ٣٩] حتى، هذه للغاية، و﴿لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ عدم الكون هنا معناها: حتى لا يكون هناك كفر ظاهر له سلطان وقوة وشوكة بحيث يفتن الناس، وليس المقصود عدم وجود الكفر أصلًا؛ لأن الشريعة أجازت إقرار الكفار على دينهم إذا دفعوا الجزية لنا ودخلوا تحت ذمتنا، وحتى لو بقوا في أرضهم وعاهدونا فأمّناهم وعاهدناهم وإن كان عهد الهدنة والصلح ليس دائمًا إنما هو مؤقت.

[أحد الحضور: بالنسبة للجزية؛ هل تؤخذ حتى من الكفار، أم تؤخذ من أهل الكتاب فقط؟]

الشيخ: لا؛ من الجميع، أهل الكتاب والمجوس متفق عليهم، والخلاف فيما سواهم، والخلاف أشد في مشركي العرب، وهم الآن انتهوا لكن ما سواهم لا يزال قائمًا، لكن الصحيح أنها تؤخذ من الجميع؛ يجوز حتى المشركين أن يقروا على شركهم ويدخلوا تحت ذمة المسلمين ويدفعوا الجزية؛ المجوس والوثنيين يعتبرون أهل كتاب على الأصح، والمسألة خلافية.

---

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي، فصل: الواقعية (ص ١٧٤)، هذا الدين لسيد قطب (ص ٥٩ وما قبلها).

هذه أهم مقاصد الجهاد كما عبر عنها في سورتي البقرة والأنفال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ٣٩] بمعنى: الدينونة كلها لله، أي أن يكون دين الله هو الغالب والظاهر وهو المهيمن وهو الذي تخضع له الناس؛ خضع له المؤمن بإيمانه، وخضع له الكافر بالصولة والجولة والسلطان، خضع له بمعنى: كان تحت أحكامه وسلطانه.

- **ومن غايات الجهاد ومقاصده أيضًا:** تحرير أنفسنا وأقوامنا وشعوبنا وأوطاننا والناس، قال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ﴾ [النساء: ٧٥]؛ فالقتال من أجل هؤلاء المستضعفين مقصد مشروع.
- والقتال من أجل رفع الظلم بصفة عامة.

فتقريبًا كل مقاصد القتال التي يمكن أن تذكرها هي صحيحة في الجملة؛ لكن هذه مقاصد تفصيله جزئية تدخل تحت المقصد العام: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ نصرة المظلومين، وتحرير الشعوب المستعبدة المستضعفة.. هذا داخل تحت ذلك المقصد.

أما الكلام عن الدعوة إلى الله ﷻ فالمسلم يفترض أن يكون داعيًا إلى الله؛ لأنه بمجرد إظهار إسلامه في الناس وقيامه حتى وإن لم يكلمهم بالخطاب والدعوة الشفهية فإنه يدعوهم إلى دين الله؛ لأنه يطبق دين الله، لكن الدعوة تكون باللسان كما تكون بالحال والقدوة والمقام وتكون بالكتابة وتكون بالوسائل المختلفة، وأشهر وسيلة هي الدعوة اللسانية وهي التي ينسب إليها الناس؛ فيقال: فلان داعية.. ويقصدون الدعوة اللسانية.

فإذا قال الناس: نحن كنا في مرحلة دعوة، والآن في مرحلة جهاد؛ فهذا تقسيم اصطلاحي لا مشاحة فيه في النهاية، نعم نحن كنا في مرحلة دعوة أي: أننا لم نعلن الجهاد بعد واكتفينا بالدعوة اللسانية فقط -أي الدعوة بصفة عامة؛ الجدل والمحاجة-، ولكن جاءت مرحلة معينة بدأنا الحرب والجهاد فنحن في مرحلة جهاد ودعوة إلى الله ﷻ فالدعوة مستمرة، لكن لا بأس إن قال الإنسان: هذه مرحلة الدعوة وهذه مرحلة الجهاد، لا مشاحة؛ لأنها تقسيمات اصطلاحية تنسب المرحلة إلى أهم صفة من صفاتها لأن نسبة الأشياء وتسمياتها ترجع إلى اعتبارات متعددة، فنحن نسمي الشيء باعتبار زاوية نظر معينة أو لاحظنا شيئًا معينًا فنسبناه إليه؛ فالمرحلة هذه غلب عليها الدعوة اللسانية فقط، وليس

فيها حرب؛ فنسميها مرحلة الدعوة، ثم بدأنا الحرب والجهاد في بلد من البلدان فتُعرف بمرحلة الجهاد؛ فلا يعني ذلك أنه ليس فيها دعوة بل نسبت إلى أغلب ما فيها أو أهم ميزة من ميزاتها وهو الجهاد، وأنا لا أقصد أن تقسيم المراحل فيه ضرر أو شيء، لكن علينا أن يكون في مفهومنا أن الدعوة مستمرة، نحن دعاة إلى الله ندعو الناس إلى هدى الله، إلى دين الله، نعبّدهم لربهم ﷻ.

[أحد الحضور: هل كل دعوة لها طريقة معينة؟]

الشيخ: كل دعوة لها طريقة معينه ولها فقهها ولكن الحديث فيها يطول، أصَّل فيها العلماء إلى نفس الدعوة وما الذي تدعو إليه أنت في الأساس، وما تقدم وما تأخر، ثم الداعية وصفاته، ثم المدعوين وأصنافهم وكيفية مخاطبة كل منهم؛ فالكلام فيها يطول.

لكن عليكم -أيها الطائفة المجاهدة- أن تستحضروا دائمًا ولا تنسوا أنكم دعاة إلى الله؛ فلا يعني أن الأخ إذا كان من اليمن مثلًا أنه كان هناك داعية وعندما أتى إلى هنا أصبح مجاهدًا فقط! لا، هو داعيه إلى الله أينما كان وحلّ، يدعو إلى الله ﷻ بكتابة إن أمكن، وبلسانه إن أمكن، وبمجرد القدوة؛ ولهذا فالمجاهدين إذا دخلوا للجبهات يجب أن يستحضروا هذا بالخصوص ويعرفوا أنهم دعاة ورسل إلى أولئك الأقوام في تلك المناطق يدعونهم إلى الله؛ فيكون حالهم حال الداعية يُقتدى به ويُنظر إليه، يمثل الإسلام بأخلاقه وأدبه ورزانته، وفي عبادته وصلاته وخشوعه، وفي سمته وحسن تصرفه، داعية إلى الله يربط الناس دائمًا بالله ﷻ، يحببهم في الله ﷻ والرسول ﷺ وفي الإسلام، فهذه من الأشياء المهمة التي يجب أن يستحضرها المجاهدون دائمًا.

أما الدعوة اللسانية ففيها تفاصيل كثيرة؛ نحن نركز على نقاط نحتاج إليها، الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء، من أعظم الوظائف.

بعض الناس يظن أن قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت: ٣٣ أن الداعية إلى الله هو الذي يعطي دروس ومحاضرات، وحسب!

﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني حيثما كان؛ بأي وسيلة كانت، بالوسيلة الأحسن، والطائفة المجاهدة هي من أولى الناس دخولًا في هذه الآية؛ لأنهم أصرح الدعاة إلى الله ﷻ، وأحسن الدعاة إلى الله ﷻ.

وقال ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥]، ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف].

في هذه الآية معانٍ نبه عليها العلماء، وممن نبه عيلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب «التوحيد»؛ قال في قوله ﷺ ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾: «فإن كثيرًا من الناس لو دعا فإنما يدعو إلى نفسه»[(١)]، ولهذا نزه الله ﷺ هنا عن كل آفة وعيب وعجز؛ قال: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ومعلوم أنه ليس من المشركين؛ لكن تنبيه إلى شدة التبرؤ من الشرك.

ويستنبط منها تحقيق الإخلاص في الدعوة إلى الله ﷻ؛ فكثير من الناس يدعو إلى الله ويدعو إلى نفسه؛ لينال مقامًا ومكانة! فلينتبه الداعي إلى الله والمجاهد الذي هو داعية إلى الله، فلينتبه إلى هذا ولا يطلب الحظوة عند الناس والمقام عندهم ولا المدح؛ بل عليه أن يدرب نفسه ويوطنها ويشد عليها ألا تبحث عن هذه المسائل، وبالتالي حتى ذم الناس كأن يقول: الناس تقول علي كذا وكذا.. فلا تبحث عن هذا؛ لأنك لو تبعته هلكت، لا تبحث عنه هذه أحسن طريقة، أهمِلْه واتْركه كأنه غير موجود، ذم الناس ومدحهم لو غلب هذا الوسواس على الإنسان؛ فسيفسده إفسادًا عظيمًا.

وعلى الإنسان أن يستحضر عندما يدعو إلى الله أنه يدعو إلى الله حقًا، يعبّد الناس لله لأنه يحتاج ذلك هو: «نفسي نفسي»، وأنا أريد أن أنجو وأفلح بين يدي الله؛ لأن الله كلفني بذلك، فهو عمل صالح سواء كان واجبًا أو مستحبًا يحبه الله فأنا أعمله وأزداد من الصالحات، والدعوة لأنها تعبيد الناس لله، هل هناك أفضل عند الله ممن يعبّد الناس لله؟! وهو نفسه عابد، لذلك قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتب التوحيد (ص ٨١).

أمر الله الأنبياء أن يقولوا: أنا أول المسلمين، أول المؤمنين؛ فأنت أصلًا يجب عليك أن تكون مسلمًا، ولهذا فالمجاهد -كما قال النبي ﷺ-: **(المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)**[(١)].

هذه هي حقيقة الجهاد، وإلا فإنه لا يكون مجاهدًا عند الله؛ لأنه يجاهد وهو فاجر فاسق يبحث عن الغلبة والظهور، وليمدحه الناس؛ لينال كذا ويطلب ذكرًا أو شهرة فهذا لا يكون مجاهدًا عند الله وإن كان عندنا في الظاهر مجاهدًا، ونجري عليه أحكام المجاهد، وهذا لا ينال فضل الجهاد؛ بل قد يُعذب بهذا الجهاد كما جاء في حديث: **(أول من تسعر بهم النار)**[(٢)] نسأل الله العفو والعافية.

الجهاد حتى يكون ممدوحًا، مرادًا، محبوبًا لله ﷻ؛ مرضيًا عند الله إذا قيد بكونه في سبيل الله.

وهذه «إلى الله» أيها الداعية، وليست إلى نفسك.

وماذا يعني في سبيل الله؟ معنى السبيل: الطريقة؛ أي في طريق الله، لكن الشريعة اختارت «في سبيل» لحكمة بلاغية؛ لأنه في علم البيان إذا أراد الفصيح أو البليغ ترسيخ شيء معين عند الناس يأتي فيه بلفظ غير المعتاد؛ فهو لو قال: في طريق الله لكان معروف المعنى؛ لكنه اختار «في سبيل الله» لأن الطريق كلمة مبتذلة تذكر دائمًا -هذه طريق، مررت من الطريق، جاء من الطريق-، ولكن الشريعة أخذت كلمة السبيل؛ حتى تكون كلمة لها معنى واحترام مميز وشادة للانتباه؛ لكن مع غلبة الاستعمال لم يفهم الناس، فإذا قلنا له: ما معنى في سبيل الله؟ قال: وجه الله.

فهو جاء بالمعنى الإجمالي فقط؛ أعطيك شيئًا بلا مقابل لوجه الله ﷻ؛ فصار هذا هو المعنى الاصطلاحي الذي أرادته الشريعة وهو الصحيح، لكن عندما ندقق نجد أن معنى ﴿في سبيل الله﴾ أي: في طريق الله.

---

(١) لم نقف على هذا الحديث هكذا بتمامه في كتب السنة المسنَدة؛ بل ورد مفرقا في مواضعه، وبيان ذلك كالتالي: أما لفظ **(المجاهد من جاهد..)** فقد ورد في: سنن الترمذي (١٦١٢) وصححه الألباني، ولفظ: **(المهاجر من هجر..)** فقد ورد في: صحيح البخاري (٦٨٠٦، ٦٤٨٤)، ولفظ: **(المسلم من سلم..)** فقد ورد في: صحيح البخاري (١١، ٦٨٠٦)، صحيح مسلم (٤٠).

(٢) صحيح مسلم (١٩٠١) بنحوه.

ما هو طريق الله؟ طريق الله له حافَتان؛ -كلمة حافَة بالتخفيف وليست بالتشديد، بعض الناس يقول حافَّة بالتشديد وهذا من الأخطاء الشائعة-، حافَة الطريق تعني: حاشيته أو حده، وهما: الإخلاص والمتابعة.

١- **الإخلاص**: هو ما اشتهر عند الناس.

٢- **سبيل الله**: أي وجه الله، ولا شك أنه صحيح، لكن يضاف إليه أنه لا بد أن يكون موافقًا للشريعة، انتبه لهذا القيد ولا تنسَه.

رجل يجاهد وعنده إخلاص وهو يقتل في الناس بغير حق، هل هذا جهاد في سبيل الله؟ هذا ليس جهادًا؛ لأنه على غير شريعة الله.

لو جاء يأخذ أموال الناس بالباطل ويقول «غنيمة»، ويأخذ بنات الناس ويزني ويقول «سبي»؛ فهذا مجرم، ولو فرضنا أنه مخلص مع أن الغالب أنه لا يكون مخلصًا، ومن الممكن أن توجد بعض هذه الصور في الخوارج؛ ففيهم الإخلاص والعبادة ويريدون وجه الله إلى حدٍ ما، لكنهم وقعوا في خلل فكري كفروا به الناس، وبناء على ذلك استحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم فهذا لا يكون في سبيل الله؛ لأنه فقد شرط المتابعة.

شرط المتابعة يعبر عنه بـ«الموافقة للشريعة»، وبعض الناس يعبر عنه بـ«الموافقة للسنة أو اتباع السنة»؛ التعبير عن شيء واحد، لا تضيق نفسك بالتعبيرات والألفاظ، بل دقق بالمعاني والحقائق.

الموافقة للشرع يعني أنه لا بد أن يكون جهادك موافقًا للشارع؛ على شريعة من الله، وعلى بصيرة وعلى هدى من الله، وإلا تحول المجاهدون إلى عصابة مجرمة وهذا الذي حصل في الجزائر، لو فرض أن عندهم إخلاصًا..!

والحافة الثانية التي تحدد سبيل الله هي: **الإخلاص**، أن يكون مرادك هو إعلاء كلمة الله؛ أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن تحكّم دين الله، وأن ترضي الله وتنجو وتفرح وتفوز بين يدي الله ﷻ؛ وهذا هو الجهاد في سبيل الله؛ فأنا أجاهد لأن الله أمرني بهذا وأخاف إن قعدت أن يعذبني الله، فهذا ما دفعني للجهاد.

لماذا أتيت للجهاد يا فلان؟ واجب علي الجهاد، كيف نقعد عن الجهاد؟ لا يرضى عنا الله! الله ﷻ يعذبنا ويعاقبنا في الدنيا والآخرة، حرام، هذا هو الذي دفعني.

هذا ما يقوله المجاهد وهذا هو الإخلاص؛ ما أنهضه وجاء به للجهاد إلا لأنه يخاف الله وهو متبع لأمر الله، يريد أن يرضي الله وخائف من عقاب الله؛ هذه كلها معانٍ واحدة، هي: إرادة وجه الله، هذا هو الإخلاص أن يريد إعلاء كلمة الله، لا أن يجاهد لتكون كلمته هو هي العليا! أو كلمة جماعته أو مشايخه هي العليا!! لا، بل لتكون كلمة الله هي العليا.

وكلمة الله هي: دينه وشرعه وحكمه.

في سبيل الله: في طريق الله.

وطريق الله هو هذا، لا يكون شيئًا من طريق الله إلا أن يكون موافقًا لشريعته مرادًا به وجهه؛ هذا هو طريق الله، وغير هذا لا يكون.

هذان هما الحافتان المحددتان لطريق الله، كيف تعرف طريق الله؟ أن يكون موافقًا لشريعته، ومرادًا به وجهه فقط، وما سواه ليس بجهاد في سبيل الله حتى لو سماه الناس جهادًا، أو سموه بأمير المجاهدين وبطل المجاهدين! إن فقد إحداها فهو عند الله ليس مجاهدًا وليس له فضل الجهاد ولا يعتبر هو الممدوح الذي مدحه الله في القرآن والسنة وعظّم شأنه، ولا هو من الجهاد والمجاهدين في شيء، إذا فقد أحد الشرطين أو كليهما.

نكتفي بهذا القدر.

الدرس السادس والأخير

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ مناهج وطرائق التغيير

أيها الإخوة: نحن وُجدنا في عصرٍ كانت فيه أمتنا ليست في حالة جيدة؛ الأحوال السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والفكرية، والدينية لا شك بأنها سيئة في الأمة اليوم؛ اتفق المصلحون والعلماء والمفكرون والمغيرون والثوريون وكل الناس على هذا؛ أن عصرنا هذا الذي نحن فيه -وهذا من مدة قرنين أو ثلاثة ربما- وأن حالة الأمة سيئة؛ وفي انحدار وانحطاط شديد جدًا جدًا على جميع المستويات، الكفار الأصليين غلبونا ويحتلون أجزاء كبيرة جدًا من ديارنا؛ أوضحها مثالًا: فلسطين منذ ستين عامًا وهي محتلة، واليهود أخس خلق الله ﷻ يحتلونها، والنصارى يحتلون بقاعًا أخرى شرقًا وغربًا وهكذا، والآن في هذا الوقت: احتلال أمريكا وغيرها، وقبلها عصور الاستعمار الإنجليزي والفرنسي وهكذا، غير السيطرة الأخرى؛ الفكرية والعلمية والاقتصادية والغزو الفكري والغزو الثقافي والغزو الأخلاقي والدمار العظيم الحاصل في الأمة؛ من انحطاط ديني في أنظمة التعليم وغيرها.. الأمة حالتها يرثى لها ولولا أنها فقط أمة الإسلام، والحمد لله جمهورها -إن شاء الله- مسلمون والحمد لله مع كثرة الكفار ومع كثرة الزنادقة أيضًا الذين يكفرون بالدين ويحاربون الله ﷻ ورسوله ودينه من المتعلمنين -هؤلاء العلمانيين- وأمثالهم وغيرهم كثيرين أيضًا مبثوثين في مجتمعاتنا، ولكن الحمد لله باقي جمهرة المسلمين من الناس العوام والعاديين ما زالوا في دائرة الإسلام والحمد لله محافظين على الدين؛ معظم الناس محافظة على الصلاة وصوم رمضان وأركان الإسلام يحبون الله ورسوله ويحبون الإسلام وإن كثر فيهم الجهل وإن كثر فيهم غيره، على اختلاف هذا في المجتمعات المختلفة، وطبعًا توجد مجتمعات أفضل من مجتمعات لو ذهبت مثلًا لبعض المجتمعات التي فيها

محافظة كثيرة مثل السعودية والخليج أو السودان؛ فهي أحسن مثلًا من مجتمعات العراق وسوريا ولبنان ومصر وشمال أفريقيا -والعياذ بالله-.

لو ذهبت لتونس مثلًا تجد الالتزام ضعيف جدًا أو أصلًا، المحافظة قليلة جدًا، وكثرة سب الدين وسب الرب ﷻ وكثرة الكفر علنًا وغيرها تجده هناك.

وفي لبنان أيضًا كثير جدًا هذا، وفي سوريا كذلك، وهذا يختلف من بلد إلى بلد؛ لكن المهم هو أن الناس كلها متفقة على أن حال الأمة حال لا يرضي أحدًا أبدًا، لا يرضي الله ﷻ ولا رسوله ولا المؤمنين ولا يرضي أي إنسان صالح.

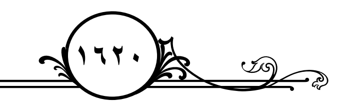
والمصلحون دائمًا يتجددون؛ فقيض الله ﷻ في المدة الأخيرة -العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة أو حتى أكثر- قيَّض الله مجددين يصلحون أمر هذه الأمة؛ فالإخوان المسلمون منذ سنة سبعة وعشرين -١٩٢٧م- وحسن البنا هو مؤسس تنظيم «الإخوان المسلمون»؛ ففي هذه الخمسين سنة الأخيرة قيض الله ﷻ جماعات ومجموعات وأفراد وجمهرة لا بأس بها طيبة وطوائف طيبة من الناس الملتزمين الذين الْتزموا بالدين والحمد لله؛ منهم علماء وأئمة ومنهم من المشايخ ودعاة ومفكرون ومنهم أناس مثقفون ومنهم جمهرة لا بأس بها طيبة من الشباب ومن الرجال ومن النساء الذين الْتزموا بهذا الدين وصارت هناك عودة للدين هذه كلها في ميزان حسنات جماعة من الرجال الأفذاذ الذين أثروا في هذه الحركة الإسلامية وهم الذين جدّد الله ﷻ بهم الدين في هذه العصور المتأخرة؛ منهم حسن البنا ومنهم قبله الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته المباركة وأئمة الدعوة وعلمائها وسلالتهم ومنها علماء متفرقون في البلاد؛ الشيخ عبد الحميد بن باديس وبشير الإبراهيمي في الجزائر وجماعة من المشايخ في ليبيا وفي تونس، وفي المغرب الشيخ طاهر بن عاشور على سبيل المثال وغيرهم جماعة لا بأس بها كلهم جهودهم صبَّت، حسن البنا والإخوان المسلمين نشؤوا في مصر وأسسوا تأسيسات جيدة وانطلقوا في الدعوة وكانت لهم جهود مشكورة جدًا وطيبة، وجماعات الدعوة والتبليغ في الهند، وفي بلاد العجم وغيرها، في كل مكان.. كلهم جهودهم مشكورة أخطؤوا أخطاء وأصابوا إصابات؛ كلها مجهود وعامل بشري،

ولكن -والحمد لله- هؤلاء في الجملة من أهل الصلاح ومن أهل الخير ومن أهل الغيرة على الإسلام المريدين لنصرة الدين العابدون لله ﷻ.

أما الأخطاء وغيرها؛ فالنقد يأتي لاحقًا، لكن المقصود أن الله ﷻ قيض للأمة جماعات من العلماء والمشايخ وأهل العلم والدعوة والثقافة وأهل الفكر، وجاء بعدهم المودودي وجاء سيد قطب وأبو الحسن الندوي وهؤلاء مفكرون وجماعة من أهل صياغة الفكر الإسلامي وأبدعوا في هذا الباب، وهم ليسوا متخصصين في الفقه بالمعنى الفقهي ولكنهم تنوروا ودرسوا الفقه ودرسوا علوم الشريعة وكان اهتمامهم أكثر شيء بالجوانب الثقافية والتربوية وغيرها ورد عادية الكفار في الغزو الفكري والثقافي وشرح الإسلام ومحاسنه وفلسفة الإسلام في المسائل كلها، وركزوا على المسائل التي تهم هذا العصر وابتلي بها هذا العصر مثل مسألة الحاكمية ومسألة هذه الأنظمة الحديثة والغزو الثقافي والفكري من الغرب وغيرها، فكانوا -جزاهم الله خيرًا- لا سيما منهم سيد قطب؛ أئمة في هذا الشأن.. أسأل الله ﷻ أن يجزيهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

فالمقصود؛ الحمد لله، منّ الله علينا -نحن الشريحة الموجودة الآن- أنَّا كنا من أتباع هؤلاء وتعلمنا منهم وقرأنا كتاباتهم وأخذنا هذه العلوم وتعلمناها وانضممنا إلى هذه الطائفة المباركة، طائفة الصحوة الإسلامية وطائفة حَمَلة الإسلام وحملة همّ الإسلام في هذا العصر «الدعوة والجهاد»، ومنّ الله علينا أيضًا بالجهاد أكثر وأكثر خصوصية؛ فنحن حسنة من حسنات أولئك كلهم مجتمعين بين مقل ومستكثر.

لكن لاحظنا في هذا العمل الكبير الضخم الذي هو عمل لإعادة إحياء الأمة وإعادة أمجادها وإعادة عزتها وكرامتها وإعادة هيمنة وحاكمية وغلبة وظهور وهيمنة الدين؛ هذه العملية كبيرة وضخمة جدًا وهي أكبر عمل ممكن أن يمارسه الإنسان في الأرض، الذي هو: أمة منهارة في غاية الانهيار وفي غاية الانحطاط فتأتي أنت -أيها المجاهد وأيها الداعية ويا طائفة المجاهدين والدعاة يا أيها الشباب الأطهار- تأتوا لتعاودوا بناءها من جديد؟! هذه مهمة صعبة جدًا في غاية الوعورة والصعوبة وفي غاية الدقة وفي غاية الخطورة، مسؤولية ضخمة وجسيمة جدًا جدًا، لكن عندما أتينا منّ الله علينا بهذا ورأينا كما رأى الجيل الذي قبلنا رأينا الكثير من الاختلافات في هذا الخضم الكبير، والاختلافات



معظمها في أساليب التغيير، كما قلنا بأن الناس متفقة على أن الواقع لا يرضي أحدًا ويجب أن يتغير، ولكن كيف نغيره؟ أناس جاءت وقالت: التغيير بطلب العلم، والناس إذا تعلمت وفقهت تكون صالحة؛ فركَّزوا على العلم وأخرجوا شعارات وفعلوا أشياء وعندهم أيضًا جهود مشكورة وأشهرهم: التيار السلفي الذي أخذ شعار «التصفية والتربية» وغيرها.

الشيخ الألباني مثلًا ونموذجه المشهور، وله جهوده المعروفة أيضًا؛ فهو من ضمن الأناس الذين جهودهم مشكورة، وقبله طبعًا جماعات كبيرة من العلماء منهم أحمد شاكر في مصر ومحمد فؤاد عبد الباقي ومنهم رشيد رضا وغيرهم من الجماعة الذين سبقوهم في مصر وغيرهم كثيرون.

وفي الشام مجموعة، وجمال الدين القاسمي قبلهم.. هؤلاء الطبقة الذين قبل المشايخ الأخيرين، ثم جاءت الطبقة التي بعد الشيخ الألباني من مشايخ الجزيرة ومشايخ آخرين من مصر وغيرها؛ متفرقون في أماكن كثيرة، هؤلاء جميعًا لهم جهودٌ مشكورة.

ولكن نحن ننظر إلى أساليب التغيير، ومناهج وطرائق التغيير التي أثَّرت في الأمة، جاء أناس من «جماعة التبليغ» -وتعلمون أنتم طريقتهم- وعملوا جماعة وعملوا نقاطًا معينة وتأسيسات وفكرًا ومنهجًا وساروا عليه، وقالوا: هذا هو طريق التغيير.

جاء «الإخوان المسلمون» وعندهم برنامجهم الذي هو منظومة متكاملة جدًا ثقافيًا وفكريًا ومنهجيًا وفقهيًا، وهي جماعة كبيرة من أكبر وأعرق الجماعات، ولكن لا شك بأن هناك أخطاء كثيرة جدًا فيها وتراكمت هذه الأخطاء مع التاريخ وللأسف ما صلحت كثير من الأخطاء فبدأ التراكم وبدأت الانهيارات حتى وصلت إلى أحوال سيئة جدًا وهي جماعة فيها الخير وفيها الشر، ولكن لا شك بأن موقفها بالجملة موقف سيء جدًا، والآن حالها يرثى له.

وجاءت جماعات بين ذلك؛ «توحيد الدين خان» والجماعة «التعميريين» الذين يقولون أن طريق العودة إلى عزة الأمة وكرامتها هي طريق أن نهتم بالعلم والعلوم والفنون والتكنولوجيا ونغلب الغرب ونحن العرب ونحن المسلمون ونحن كذا ونحن كذا ونحن أصل هذه العلوم وو.. كلام فارغ كله؛ لا يسمن ولا يغني من جوع.

وجاءأناس وركزوا على التوحيد وعلى العقائد.. إلخ.

وجاءت «الصوفية» وركزت على العبادة وعلى التربية والتزكية.

وهناك أناس بين وبين يأخذ من هنا ويأخذ من هنا.

وجاءت «الطائفة المجاهدة»، ووُجدت أيضًا طوائف تجاهد من المُدد الأولى، ولكن كانت المدد الأولى إما أنها مثل عز الدين القسام والجماعة المقاتلة لليهود والإنجليز لليهود في فلسطين مثلًا كان قتال عدو في البداية والاستعمار، أو بعض الجماعات الأخرى التي قاتلت الاستعمار في بلدان أخرى.

ثم جاءت بعد ذلك الحرب الأفغانية -وهذه هي نقاط الجهاد الواضحة في المدة الأخيرة في الخمسين أو الستين سنة الأخيرة أو حتى السبعين سنة الأخيرة بل حتى في القرن الأخير كله- جهاد «الإخوان المسلمون» الذي هو حركة إسلامية تجاهد، وإلا قبلها فنحن لا نريد أن نتحدث عن حركة مقاومة الاستعمار «عمر المختار» و«السويحلي» والجماعة في ليبيا، وهناك في الجزائر «عبد القادر الجزائري» و«أبو عمامة» وغيره من الناس الآخرين و«عبد الكريم خطابي» هناك وغيرهم في العالم الإسلامي كثير، هذه حركات مقاومة الاستعمار -جهاد الدفع-.

بعد هذه الفترة وبعدما جاءت مرحلة الدولة الحديثة العربية والإسلامية وجاءت مرحلة الاستقلال ومرحلة التحرير وغيرها؛ فبعدها كانت نقاط الجهاد أين؟ كانت في جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين وحسن البنا كان موجودًا -في حياة حسن البنا- وكانت هذه حركة إسلامية بالفعل وكونت شبه جيش «ميليشيات مسلحة» -مجاهدين- وبعثتهم إلى فلسطين، وأبلوا بلاءً حسنًا.

لكن نتيجة القصور الكبير الذي كان في الفكر، وفي الفكر السياسي بالذات؛ حصل لديهم -المساكين- انتكاسة كبيرة في العمل.

الخلل الذي صار باختصار: هو أنهم في الوقت الذي كانوا ذاهبين ليجاهدوا؛ قال لهم الفلسطينيون: يجب أن ترجعوا -وكان الملك فاروق وقتها- ضغط الإنجليز -الغرب؛ النصارى- على الملك وقالوا له يجب أن تخرجهم من الميدان، فالملك أصدر أوامر أنه أنتم يا حسن البنا ويا جماعته اخرجوا من الميدان وادخلوا في الجيش ونحن سوف نقوم بالجهاد وسنقوم بالواجب وسنرسل قواتنا.

فهنا الخلل؛ أنهم كانوا لا زالوا لم ينضجوا لدرجة أن يعرفوا أن هؤلاء طواغيت مجرمين لا خير فيهم ولا أمل؛ فصدقوهم وأملوا فيهم الخير وقالوا: لعلهم هذه المرة -إن شاء الله- هم جادين ويريدون الجهاد وندخل فيه؛ فرجع بالقوات، والإخوان المسلمون تراجعوا على أساس يتم تنظيمهم في الجيش أو يتم بطريقة معينة الترتيب مع الجيش؛ فهم رجعوا وعمل عليهم الحملة المشهورة وقتلوا حسن البنا في ١٩٤٩ وعملوا عليهم حملة كبيرة جدًا جدًا، وأسروا الكثير من قيادتهم وشبابهم وكانت هذه هي الحملة الأولى التي كانت أيام فاروق؛ فهذه كانت نتيجة عدم النضج، فقد كانوا طيبين ويحملون هم الإسلام والثقافة الإسلامية والعلم والدعوة الإسلامية، ولكن ما زالت في بداياتها فغُلبوا.

ثم جاء الجهاد الأفغاني، وكان نقطة تحول أساسية وكبيرة جدًا جدًا في تاريخ الأمة الإسلامية «مدرسة الجهاد الأفغاني»، وبرز فيه أئمة في هذا الباب كان على رأسهم من العلماء الشيخ: عبد الله عزام ﵀ وقبله وبعده وأثناء وجوده كثير من الناس الصالحين الأخيار الطيبين من الدعاة ومن القيادات وغيرهم، والحمد لله أبقى الله منهم جماعة كجماعة الشيخ أسامة وجماعة من المجاهدين الأخيار -إن شاء الله نحسبهم والله حسيبهم- والصالحون مستمرون على الطريق -بإذن الله-.

تدرب في الجهاد الأفغاني عشرات الآلاف بدون مبالغة، وبلا شك كان من الذين تدربوا عربًا وعجمًا عشرات الآلاف انتشروا في الأمة شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا في كل مكان؛ فنشروا الجهاد وتكونت مفاهيم جديدة وتعرف الناس على مفاهيم الجهاد، وبدأت تنضج هذه المفاهيم، والمرء منا يتفكر كيف جاء الجهاد منذ حوالي عشرين سنة، وكيف كانت كثير من المفاهيم بسيطة وكثير من الأشياء ما زال بسيطًا وكثير من المسائل ليست ناضجة وليست محررة بعد وغيرها، ثم بعد خمس سنين ثم عشر سنين وخمس عشر سنة وعشرين سنة؛ الآن نستطيع أن نقول: وصلت الحركة الإسلامية الجهادية إلى مستوىً من النضج.

أنا شخصيًا حسب تأملي والذي رأيته من تجارب أعتبر أنه نُضج ممتاز جدًا -جيد في الجملة-، فالحركة الجهادية بصفة عامة تكونت عندها قناعات في مسائل كانت الناس محتارة فيها؛ الآن الحركة الجهادية تعدتها صارت مسائل مفروغ منها، وهي مسائل كثيرة جدًا جدًا.

المهم؛ كانت الحركة الجهادية من ضمن الاتجاهات والفلسفات إذا صح التعبير -نستعمل أحيانًا بعض الألفاظ والأمر ليس فيه مشاحة- فالمقصود: الأفكار وطريقة النظر في المشكلة وكيفية علاجها وغيرها؛ فكانت أيضًا إحدى الطرق والتي هي -نراها بالجملة- أقرب طريق وأفضل طريق لتغيير الأمة، وهي التي أسعد الطرق وأسعد المناهج بالدلائل من الكتاب والسنة؛ هي الطريقة التي سلكتها الحركة الجهادية وأقطابها وعلماؤها ومشايخها وجماعتها، والحمد لله رب العالمين أن جعلنا الله ﷻ منهم هذه منة من الله ﷻ علينا جميعًا.

هذه الطائفة -إن شاء الله- هي الطائفة المرجو لها أنها الطائفة المنصورة ومرجوٌّ لها -إن شاء الله- أنها الطائفة المحقة التي وفقت للصواب، وهداها الله لما اختلف فيه الناس في هذا العصر من وسائل وأساليب التغيير.

لا نقول إن الحركة الجهادية مبرأة من النقص، ولا نقول أنها بلغت المستوى.. لا؛ لكن قلت أنها نضجت وتعلمت والآن صارت عندها ثروة، ثروة من المعارف والعلوم والخبرات والأدبيات ومن المسائل المحررة ومن الفكر ومن المنهج بشكل استقلالي؛ صار عندها ثروة جيدة جدًا جدًا ممتازة، صار عندها خبرة نفسية وصار عندها قيادات وصار عندها تاريخ وصار عندها اعتبار في الأمة، لا شك أنها ممتازة جدًا وأنها متهيئة -بإذن الله- أن تزداد في هذا السبيل وتتقدم أكثر وأكثر.

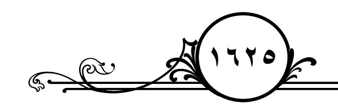
وما زلنا -بفضل الله- نرى فضل الله عليها ومنته عليها بالازدياد؛ في كل يوم تزداد وما زالت لم تبلغ أقصاها ومداها، ولكن -بإذن الله- ماضية في خط جيد، وهناك الأخطاء وتوجد الانتكاسات والانكسارات هنا وهناك، لكن في الجملة: الحركة الجهادية هي الحركة الموفقة ومنهجها في الجملة هو الذي نؤمن به بأنه أسلوب التغيير وهو الجهاد والدعوة إلى الله ﷻ مع هذا الجهاد، والجمع مع هذا كله العلم والتمسك بالعلم وتعظيم العلم وتعظيم أهله والحرص عليه والحرص على طلبه والتمسك بالشريعة أصولًا وفروعًا وعلى منهج صافٍ وعقيدة جيدة، هؤلاء هم الذين وُفقوا.

أما المناهج الأخرى فالكلام عليها ومعرفة ما يقولون وما عندهم من مسائل ثم نقدها وغيرها يطول جدًا جدًا ولكني أردت أن أختصر وأعطيكم فكرة؛ حتى يكون عندكم فهرسة في أذهانكم وكيف يتناول الإنسان هذه المسائل؛ لكن لا بد أن نذكّر دائمًا بأصول معينة:

الأصل الأول: أن وسائل وأساليب التغيير هي مسائل شرعية لا بد أن يُنظر فيها على مقتضى الدليل من الكتاب والسنة، لا بمجرد العقل فقط؛ لأن هناك أناسٌ قالوا كيف ما ندخل في البرلمانات، وفي المشاركة السياسية؟! أحد «الإخوان المسلمين» في الجزائر رفع شعار «المشاركة لا المغالبة» وأخذوا يضعون الشعارات: يجب أن نشارك، ولا نترك المجال للوطنيين والعلمانيين؛ لا بد أن نشارك ولا سبيل لنا إلا أن نشارك حتى نقلل من الشر.. هذا كله كلام فلسفات.

لكن نحن نقول: ماذا يقول لنا الشرع؟ ما هو الواقع و ما هو حكم الشرع فيه؟ الواقع كما ترون الآن؛ الكفار مسيطرين، والمرتدون مسيطرون على معظم بلادنا هذا إن لم يكن كلها -الحكومات المرتدة- ما هو الواجب شرعًا في هذا الواقع؟ ماذا فرض الله علينا تجاهه؟ فرض الله علينا أن نجاهده -هذا بالإجماع-، واجب علينا جهاد هؤلاء؛ فلو قال شخص: لا أقدر أن أجاهد ولا نستطيع ولا قدرة لنا ولا طاقة؛ فالعدو سيضربنا ويستأصلنا وننتهي.. طيب عجزنا ماذا نفعل؟ ننتقل إلى إعداد العدة، الشريعة دلت على هذا، والأدلة الشرعية دلت على هذا، وبسط هذا الكلام يطول ولكنه هكذا باختصار وببساطة.

الشريعة دلت الآن أنه واجب علينا في حق هذا الوضع المزري -الذي هو سيطرة الكفار والمرتدين على بلداننا وشعوبنا وعلى دولنا ومقدّراتنا- الواجب علينا شرعًا أن نجاهدهم؛ فإن قيل: لا نستطيع وعجزنا، فيقال: العاجز ينتقل إلى إعداد العدة، وفي الأثناء وهو يعد العدة فيعد نفسه ويعلم الأمة ويحرضها ويدعو إلى الله ﷻ، لكن الجهاد هو لا يقدر حتى يصل إلى مرحلة أن يقول جمهور أهل الحل والعقد والعلماء وأهل الخبرة وأهل القيادات السياسية مثلًا أو الدعوية وغيرهم قيادات الناس وأعيانهم الموثوقين الأمناء: نحن الآن نستطيع أن نجاهد، نحن الآن وصلنا إلى مرحلة نستطيع أن نجاهد؛ وأن نعلن الجهاد؛ فحينئذ يجب عليهم الجهاد، وهذا هو الذي دلت عليه الشريعة.



أمَّا أن يأتي أحدهم ويقول مثلًا: «الإخوان المسلمون» وبعض الجماعات في باكستان، وجماعات مثل جماعة «القاضي حسين» امتداد للجماعة الإسلامية التابعة لـ«المودودي» وغيرهم من الجماعات الأخرى الإسلامية، أو في كل مكان في الأردن وفي الخليج وفي الجزائر وفي المغرب وفي تونس وغيرهم في كل مكان الناس سلفيين وإخوان مسلمين ومستقلين رأوا أن في سبيل التغيير هو دخول البرلمانات هذه واستغلال الفرصة واستغلال الهامش المتاح وتحرك في الهامش.. كل هذه العبارات كلام فارغ؛ كلها نحن نقول إن هذا لا يجوز، بل يمكن أن يكون في بعض الصور كفرٌ -والعياذ بالله-.

أما الواجب شرعًا فهو أن نجاهد هؤلاء، فإذا كنت لا تستطيع جهادهم فأعد للجهاد؛ لأن إعداد العدة حتى تستطيع أن تجاهد واجبٌ بنفسه؛ لأن الإعداد واجب استقلالًا وواجب بالتبعية لأنه لا يتم الواجب -الذي هو الجهاد- إلا به، فنحن عندنا الدليل؛ بل نحن أسعد الناس به، والمسألة بسيطة جدًا لا تحتاج كلامًا كثيرًا.

الشيخ الألباني وجماعة السلفيين مثلًا وأمثالهم وامتداداتهم «المدخلية» الآن وغيرهم غَلَو في جانب آخر؛ جانب العلم وطلب العلم والتصفية والتربية.. فنقول لهم: وأين الجهاد؟ قالوا: نحن لا نستطيع أن نجاهد.. طيب فأعدوا العدة! فتركوا إعداد العدة وقالوا: لا، نحن لا نعد العدة ولا غيرها.. وبدؤوا يتفلسفوا وقالوا: نحن إذا أعددنا العدة؛ فالعدو يمكن يغلبنا. طيب قد فتحت ساحة أفغانستان أخرجوا الشباب بالمئات والآلاف ليتدربوا؛ فلتتدرب الأمة وليرجع منهم من يرجع، المهم أن تتدرب الأمة وتتعلم، ولا بد أن يكون هناك شهداء ولا بد من قتلى ولا بد من جراح ولا بد أن يكون فيه قراح، أتظنون أنكم تخرجون من هذا الانحطاط العظيم الذي أنتم فيه بدون جراح؟! أين عقولكم؟ الأمة تظن أنها تخرج من هذا الانحطاط -هذا الوضع المنحط جدًا جدًا- تخرج بعافية وسلامة! لا بد من عملية جراحية بل لا بد من عملية قيصرية، لا بد من عمليات خطيرة جدًا جدًا، لا بد أن يُجرح الإنسان، ولا بد أن تُدفع الضريبة؛ تدفعها هذه الأجيال الموجودة، ضريبة هذا الانحطاط والبعد عن الدين وترك الدين.

هذه هي القصة الناس حاولَت تخرج بتكييفات معينة للواقع، وباقتراحات معينة للحلول وللتغيير، لكن كثيرًا منهم ما وُفق، ومنهم من وَفق توفيقًا جزئيًا.

وعلى كل حال، ومع هذا كله نحن والله -فيما رأيت- أن الحركة الجهادية -بفضل الله ﷻ-، وهذا من نضجها الذي وصلت إليه، وهي أرحم الناس بالناس -بفضل الله ﷻ-، ومن نضجها أنها رحيمة بالحركات الأخرى، وَوالله نحن لا توجد لدينا مشكلة مع التبليغ؛ فهل رأيتمونا نتشاجر معهم وفي حرب معهم كل يوم؟ هل تكلمنا عليهم؟ تريدون أن تدعوا إلى الله؛ ادعوا يسر الله لكم، دعونا وشأننا، أنتم مشتغلين بالدعوة، حسنًا أَذِنَّا لكم حتى لو كان عندنا حق؛ حتى لو كان عندنا نحن مسؤولية، آذنون لكم بالدعوة؛ فقط لا تضرونا، نحن الذي نطلبه منكم شيئًا واحدًا «لا تقفوا أمامنا ولا تضرونا».

هذا يقول -التابع للإسكندرية والقاهرة والسلفية وحلب والتابع للأردن والتابع للمدينة، وهذه السلفيات المختلفة- قال: نحن مهتمين بالعلم والتصفية والتربية وتصفية الكتب والمناهج العلمية والثقافة الإسلامية وغيرها من الدخيل والحديث الضعيف والموضوعة وخرافات وخزعبلات الصوفية والانحراف الفكري والعقدي، ثم تربية الناس على هذا الشيء المصفَّى وهذه المناهج والكتب المصفاة، المكتبة الإسلامية لا بد من إعادة صياغتها وبنائها، ولا بد أن تكون في كل المجالات التربوية والعلمية والفقهية؛ كتب جديدة محققه ومخرجة، ويجب الاهتمام بعلم الحديث والسند والرواية وغيرها، حسنًا هذا عمل جيد فلتقوموا به لكن لا تضرونا! يوم أن تقفوا أمامنا وتضرونا فالويل لكم! ربما كثير منهم تجد تطاحنٌ بينهم نحن والله لا نبحث عنه، هذا من النضج الذي وصلت إليه الحركة الجهادية.

الحركة الجهادية ماضية في خطها:انفذ على رِسلك ولا تلتفت؛ هذا عنوانها: ماضية ونافذة ولا تلتفت، إنما المشكلة أنهم نفسهم يتسلطون علينا ويضروننا -بعضهم- بين الفينة والأخرى؛ فيتسلط عليك هذا من هنا وهذا من هنا، وهذا يقف مع الطاغوت ضدك وهذا واقف مع الأمريكان ضدك وهكذا؛ فاليوم الذي يقفون فيه ضدنا أو يضرونا نحن نعلم جيدًا كيف نتصرف، نحن عندنا فقهنا وعندنا علمنا ومعارفنا -بفضل من الله ﷻ- فنحن لسنا معتمدين عليكم كثيرًا، سائرون على طريقة

علمائنا نأخذ من مَعينهم، مصادر هذا الدين نفهمها على طريقتهم وننضبط بأُصولهم وماضون على طريقة سلفنا ونعرف كيف نتصرف معكم.

«علي الحلبي» أو «علي عبد الحميد»؛ قاعد في الزرقاء بالأردن، أنا ما أدراني ماذا ألف من الكتب «نعيم الجنة» و«جحيم النار» يؤلف الرسائل ويُتاجر ويكتب؛ أي أحد يستطيع أن يؤلف الكتب ويبيع ويشتري ويتاجر بها، وله قصر بـ«الرصيفة»! فأنا ما هي مشكلتي معه؟ يجب أن أخرج أبو يحيى في السحاب وأعمل درس؟ هل رأيتم أننا نحن مهتمين بهذا؟ أبدًا، لا!

فالحركة الجهادية -بفضل من الله- غنية عن ذكرهم، لا الشيخ ذكرهم ولا الدكتور أيمن ذكرهم ولا ألفنا الكتب فيهم ولا جعلنا رأسنا برأسهم، أبدًا! فنحن لا مانع عندنا من التخصص.

مثلًا؛ رجل قال: أنا متخصص؛ كالشيخ أبو بكر بو زيد ﵀ رجل طيب، قلنا له: تعال يا شيخ أبو بكر للجهاد.. قال: نحن متخصصين في العلم ونحن -إن شاء الله- ننفع الأمة في العلم وعندنا دور كبير ونسد ثغر.

نقول: لا بأس، ليس لدينا مشكلة أعانكم الله ووفقكم، ونحن أيضًا نستفيد منكم.

ورُبَّ إنسان فُتح عليه في العلم ولم يفتح عليه في غيره، وربَّ إنسان فتح عليه في العبادة وربَّ وربَّ.. وهذا كلام صحيح جيد استمروا لن تضرونا.

لكن لو كان أمامنا شيخ -لا أعرف ما اسمه- نحن لزام علينا ونضطر أن نتكلم؛ لأنه واقف أمامنا ويسفهنا! لا أقبل، وسأعرف كيف أرد وأعرف كيف أتصرف معه -خطوة بخطوة-.

فو الله لو أن إنسانًا قال: أنا متخصص، والله يعينكم ويوفقكم وأنتم -إن شاء الله- على عمل صالح وأنا أيضًا على ثغر وعلى عمل صالح؛ فهذه ليست بمشكلة، والله نحن نحاول أن نقنعه، تبدأ بعملية الإقناع ولكن يبقى حبيبنا ويبقى ولينا وما بينا وبينه إلا المحبة والإخاء والمودة والدعاء، لكن المشكلة أن كثيرًا من هؤلاء أيضًا مع الزمن ومع الأحداث ومع المحن والمحكات والفتن تجدهم أمامك! كسلمان العودة يدور ويدور وفي النهاية يأتي ويقف أمامك؛ لأن المصير في الأخير -أي غايته في النهاية- أن يقف مع الطاغوت ضدك، لا بد أن هذا الطريق يوصل إلى هذا؛ لأن الطريق الذي هو سالكه يوصل إلى الكون مع الطاغوت ضد الحركة الجهادية؛ لأن الحركة الجهادية هي العدو رقم واحد

والعدو الأساسي والرئيسي ومممكن أن تكون العدو الوحيد في بعض الصور لهؤلاء الطواغيت؛ فهم ليس لديهم مشكلة في «الإخوان المسلمين» فهم شيء بسيط، ولا مع «السرورية» و«السلفية» ولا «التبليغ» ولا «الصوفية»؛ ليس لديهم مشكلة معهم، وسلفية الإسكندرية أو القاهرة موجودين مكرمين معززين؛ الطاغوت يضايقهم قليلًا فقط ومعظمها نوع من التخويف والتحجيم لهم والمراقبة، لكن يبقيهم في النهاية ولا يستطيع القضاء عليهم، هم آلاف موجودين فلا ينظر أن في مصلحته أن يشن عليهم حملة ليس فيها جدوى، فتركهم، وهم بقوا يعملون دعوة ودروس وعلى مواقع الانترنت واتصالات وغيرها.. حسنًا، وماذا بعدها؟!

العدو الوحيد للطواغيت هو الحركة الجهادية؛ يوم يكون هناك جهادٌ في مصر هؤلاء سيكونوا في مفترق طريق وعلى محك خطير جدًا، إما أن يكونوا مع المجاهدين فحينئذٍ يصبحوا مجاهدين مطاردين ومشردين، وإما أن يكونوا مع الطواغيت، وإما يحاولون إحسانًا وتوفيقًا فيبدؤون في البحث عن طريق ثالث ويحاولون أن يقولوا نحن مستقلين لسنا مع هذا ولسنا مع هذا، وهذا حصل في الجزائر، السلفيين في الجزائر -المداخلة- أيام عزة الجهاد في أواسط التسعينيات حاولوا أن يأخذوا مسلكًا لوحدهم؛ هذا في البداية أيام الجهاد في عزته -١٩٩٣/ ١٩٩٤/١٩٩٥- ثم بعد أن ضعف الجهاد وحصل الانكسار في الجهاد والفتن مشوا كلهم مع الدولة! فكان في البداية عملية خوف؛ لأن موازين القوة لم تكن معروفة بعد هي لصالح من؟ فهم قد قاموا بحسبتها هكذا فبقوا لوحدهم والدولة تضغط عليهم ليكونوا معها ضد المجاهدين فهم يتمنّعون ويقولون: ليس لنا دخل بهذه الأشياء، نحن لوحدنا، وبعضهم خرج على قنوات الإعلام وفي الصحافة وتكلموا من على المنابر وغيرها في أماكنهم، وحصل بينهم وبين المجاهدين أمر، والمجاهدين قتلوا منهم بعضهم، لكن الأكثرية منهم كانت تحاول أن تأخذ موقفًا لوحدها؛ فلا زالت موازين القوة الآن غير واضحة وهم خائفين من أن المجاهدين ينتصروا وفي الوقت نفسه خائفين أن المجاهدين ينكسروا والحكومة تنتصر وتسيطر؛ فلو أخذوا موقفًا من هنا أو من هناك فهم لا يعلمون كيف ستكون النتيجة، ولمَّا ضعف المجاهدون بدؤوا بشكل شبه علني مع

الحكومة؛ فهذا كله لا ينفع، فالذي ينفع هو أن تكون ملتزمًا بالحق، والحق الذي رأيناه في الكتاب والسنة هو منهج الجهاد في سبيل الله.

والجهاد ليس معناه ترك العلم! بل نطلب العلم ونحرص عليه ونعظمه ونعظم أهله بحسب قدرتنا وإمكانياتنا.

وبفضل الله ﷻ؛ فالحركة الجهادية منتشر فيها العلم، وطلبة العلم على قلّتهم ولكن يبارك الله ﷻ فيهم، وهم مستفيدون من العلماء حتى القاعدين؛ فهؤلاء القاعدون كثير منهم معذورون إما أن يكون كبيرًا في السن فلا يستطيع أن يسافر ويجاهد، وإما أن بعض الناس الآخرين عندهم تأويل ومتأولون؛ فنحن نعلم بأنهم -إن شاء الله- أناس جيدون وصالحون ولكن لهم تأويل معين وقد يكون مخطئًا في نفس الأمر ولكنه معذور باجتهاده وهكذا.

فالحركة الإسلامية مستفيدة من الجميع عربًا وعجمًا وفي كل مكان، وحريصة على العلم ولا تعمل شيء إلا بشريعة.

والحركة الجهادية داعية إلى الله لا تهمل الدعوة.

والحركة الجهادية لا تهمل العمل السياسي.

والحركة الجهادية لا تهمل الفكر والثقافة وغيرها.

والحركة الجهادية هي أجمع الجماعات للفضائل وللخير وللاهتمامات الصالحة.

فهذا الذي نراه هو الخير وهو الصواب وهو الأسعد بالدليل والأقرب إلى الحق؛ إن شاء الله ﷻ.

أما المناهج الأخرى فكما قلنا أن النقد فيها يطول الكلام عليه، ورد بعض الأفكار كذلك، ولكن أحببت أن أعطي فكرة تكون مدخلًا لكم إذا كان هناك بعض المناقشات وبعض الأفكار التي تريدون طرحها للمناقشة، ولا بد أنكم لاحظتم كما ذكرت في البداية بأن الناس متفقون تقريبًا على توصيف الواقع، مع أنه حتى توصيف الواقع يقع فيه بعض الخطأ لكن هم اتفقوا على أن الحال لا يرضي أحدًا ولا بد من تغييره ولكن حتى التوصيف...، كيف ليس مرضيًّا؟ ولماذا؟ ما هو السبب؟ فتجد الخلافات في توصيف الحالة، مثلًا: مريض لديه مرض غير معروف فيذهب إلى الأطباء فأحدهم يقول

له: بسبب الكلية. وآخر يقول له: البنكرياس. آخر يقول له: التهاب في القولون. ويبدأ كل طبيب في تشخيص الحالة وكل طبيب يقول سببًا؛ هذا هو الحاصل تقريبًا.

لو أني سألتكم الآن سؤالًا خفيفًا ولكن حاولوا أن تسرعوا في الإجابات، ما هو سبب هذا الانحطاط في الأمة وسبب الحالة المزرية والرديئة التي تعيشها الأمة الآن؟ كل واحد منكم يحاول أن يذكر لي السبب في ذلك بعبارة يصوغها.

[أحد الحضور: حديث الرسول ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة...) ترك الجهاد يعني.
أخ آخر: البعد عن الدين الصحيح.
أخ ثالث: ترك الجهاد، وتسلط الطواغيت على المسلمين].

الشيخ: تسلط الطواغيت هذا عامل خارجي؛ هم تسلطوا، ولكن نحن ما السبب من جهتنا؟

[جواب من أخ: ترك الجهاد والبعد عن الدين.
جواب من أخ: البعد عن شرع الله.
جواب من أخ: حب الدنيا.
جواب من أخ: ترك الدين.
جواب من اخ: اختيار الدنيا على الدين].

الشيخ: تقريبًا كل الإجابات صحيحة ولكن المقصود أن ترك الجهاد هو جزء من ترك الدين، فالبعد عن الدين أصلًا، ومنه خاصة الجهاد وترك الجهاد، ولماذا تركوا الجهاد؟ لحب الدنيا وكراهية الموت، فالناس انغمسوا في الدنيا انغماسًا ما بعده انغماس، وانظر لأي عاصمة من العواصم.

والله لقد كنت في طرابلس منذ زمن وكنت أرى الملايين التي تمشي والسيارات وأصواتها الصاخبة والشوارع الكبيرة ممتلئة! وفي القاهرة مثلًا لو خرجت على سطح عمارة عند الساعة التاسعة صباحًا ونظرت إلى هذه الملايين التي تمشي، إلى أين هي ذاهبة؟ عن ماذا يبحثون؟ لقمة العيش! هل وجدتهم في المساجد؟ لن تجد أحدًا إلا القليل جدًا، فالمسجد الكبير مثلًا لا تجد فيه إلا صفًا واحدًا؛ فيه بعض كبار السن، الناس بُعد عن الدين وترك للدين بالكامل.

يقابله -وهذه طبيعة الإنسان إذا ترك الدين فلا بد أن يعمل شيئًا- انغماس نهائي كامل في الدنيا؛ فقد استغرقتهم الدنيا، واستولت عليهم، وأخذتهم وأكلتهم أكلًا فتركوا الدين، وسبب هذا موجة كبيرة جدًا من الفساد على جميع المستويات؛ فساد على مستوى العقائد والتوحيد -الاعتقادات والتصورات والمفاهيم-، وفساد على المستوى الثقافي وعلى المستوى الأخلاقي، فالأخلاقي هذا من

أشره ما يتعلق بمشكلة الشباب والبنات والنساء والآن التلفزيون وغيرها.. أشياء لا تتصور ويمكن لو قيلت للإنسان في قديم الزمان لما أمكن أن يتصور هذا ويخطر بباله أصلًا أو لكذّبه، هذا شيء من السحر؛ فوصلت الأمة إلى حالة من الانحطاط شديدة جدًا؛ هذا الانحطاط تستطيع أن تقول هو البعد عن الدين والانغماس في الدنيا وترك الجهاد؛ فمن أساسيات البعد عن الدين ترك الجهاد وحتى قبل أن يحصل هذا البعد الكبير لعل ترك الجهاد هو من بدايات الفساد، ولهذا فالذي يقول: السبب هو ترك الجهاد صحيح جوابه بقوة؛ لأنه حتى قبل الانحطاط الكبير وقبل الفساد الكبير وقبل البعد الكبير عن الدين كان البدايات أن الأمة تركت الجهاد منذ زمنٍ بعيد، وإلا لو كان الجهاد مستمرًا ولو لم يتركوه في وقت من الأوقات؛ لما سيطر عليهم العدو ولما دخلتهم الدنيا.

ولكن نقول: سيبقى الدين وستبقى قوة الجماعة وقوة الأمة وتماسكها وصدها للعدو، ولن يستطيع العدو أن يغزوهم؛ هذا الغزو الثقافي والفكري والأخلاقي وغيره وغزو المناهج؛ مناهج التعليم ومناهج الثقافة صنعها العدو، ومن ضمن وسائل الثقافة الإعلام وغيره.. كلها من صناعة العدو وإشرافه؛ فهذا هو وصف حالة الأمة؛ فمعظم الناس متفقون على هذا، ولكن الخلاف الأكثر في كيف نعالج هذا؟ كيف نعود بالأمة إلى حالتها الصحيحة؟

[**أحد الحضور**: الآن يحدث مكر شديد بين الإخوان والأنظمة؛ فالآن الحركة التي حكمت الصومال ستجعل كثيرًا من الأنظمة العلمانية تخاف من الإخوان؛ لأن كل فرد منهم يتسابق لأمريكا وما يُرضِي أمريكا لكي تضعه على السلطة؛ الحكام أعطوا كل شيء لأمريكا، ثم أمريكا حتى الآن لم ترضَ؛ فقد باعوا شعبهم فرمتهم أمريكا، وكذلك الإخوان والله أعلم حتى هم يقومون بنحو هذا؛ فقد رأيتهم يلمزون للأنظمة أننا نحن البديل لكم؛ فالآن سيحدث مكر شديد بعضهم ببعض.

وهذا يا شيخ؛ خاصة في مصر وليبيا سيحدث عما قريب، الإخوان لهم في اليمن سيطرة كبيرة].

الشيخ: أظن هذا يختلف من حالة إلى حالة لكن ما دامت الحركة الجهادية موجودة -ونسأل الله ﷻ أن يبقيها قوية ويزيدها بركة-؛ فهذا العدو وهذه السلطات المرتدة الكافرة سيظلون محتفظين بالإخوان المسلمين أو على الأقل لا يفتح معهم جبهة، ولا يعمل معهم مشكلة حتى يحاول أن يأكل الثور الأبيض قبل، ويستخدمهم هم أيضًا معه في ضرب الثور الأبيض هذا.

والعدو الآن في أفغانستان يمكن أن يعملوا هذا، وباكستان يمكن أن يعملوا هذا؛ يعني ليست مستبعدة أن يعملوا هذه التغييرات الكبيرة، الأمريكان يعملوها، في مصر مثلًا يُنَجّحوا الإخوان المسلمين في مصر ويضغطوا على الحكومة، قادرين أن يضغطوا على الحكومة ضغطًا شديدًا جدًا تحت مسمى انتخابات ودولة حرة وكذا وو.. ويفوز الإخوان، ثم الإخوان يبدؤون معك في تأديبك؛ لكن شبَّت الحركة الجهادية، فاتهم التيار، وخرج الأمر من أيديهم.

[أحد الحضور: يا شيخ، هل يوجد أمل في رجوع بعض هذه الجماعة كقيادة ككل وليس كأفراد يخرجون منها؛ هل يوجد أمل لرجوعهم للحق وانضمامهم للمجاهدين؟ أو هل هناك بوادر بدرت منهم للتواصل مع قادة الجماعة الجهادية؟]

الشيخ: ما أعرف اتصالات أو بوادر مثلًا أنهم يغيروا طريقهم، ما أعرف؛ فالجماعات الكثيرة والمشهورة كجماعة التبليغ والإخوان المسلمين وبعض الجماعات السلفية والجماعات البرلمانية وغيرها ما رأينا إلا على مستوى الأفراد فقط، أما كجماعة تترك هذا الطريق الذي سارت عليه من مدة! هذا في العادة صعب.

وجماعة التبليغ مسالمين، وميزتهم أنهم مسالمون، وأناس طيبون، ونحن نستفيد منهم وهم يستفيدون منا، ويدعون فينا للتبليغ وللخروج في سبيل الله.

وأحسن أسلوب معهم، أن تجعله يتكلم ويتكلم، ثم تقول له: تعال اسمع مني أيضًا، وقل له أين أنت من الجهاد؟ الجهاد قائم ألا تريد الدعوة؟! تعال للجهاد؛ فنحن خارجين لنا عشرين سنة وأنتم تخرجون ٤ شهور أو ٥ شهور ونحن خارجين من عشرين سنة؛ ننتظر نصرتكم.

[أحد الحضور: كثير من العلماء وطلبة العلم عندما تتكلم معه عن الجهاد يقول نحن عاجزين، تقول له الإعداد؟ يقول لك الأمة جاهلة لا بد أن تعلمها قبل أن تعدها يعني هذا منهج بعض العلماء في الجزيرة كسفر وغيره؛ يقولون هذا الكلام].

الشيخ: طبعًا كلامهم ليس صحيحًا؛ فالأمة جاهلة نعم، لكن بهذا الشكل كم تستطيع أن تعلم؟ الأمة فيها من العلماء والمشايخ وطلبة العلم والمدارس العلمية والدينية وغيرها.. فيها قدر كافٍ فاخرج أنت وجاهد، إلى متى تتركون الجهاد؟ الواجب عليكم معلق في أعناقكم وإنما عذرناكم بالعجز في فترةٍ ما، لكن كم سيستمر هذا العجز؟ هذا غير صحيح وهذا غير مسلم به عندنا بل هذا الكلام

مردود، وصاحب هذا الكلام لو اقتصر على هذا وقال هذا رأيي وهذا الذي أدى إليه اجتهادي وجلس معنا بشكل جيد؛ فليس لدينا مشكلة معه.. هذا اجتهاده كفانا شره.

وانظر إلى «سفر الحوالي» الذي كان يقول هذا الكلام.. إلى أين ذهب به هذا الكلام في النهاية، يؤول إلى أن يكون مع الطاغوت ضد الفئة المجاهدة! هذه هي المشكلة، أنا ليس لدي مشكلة أن يأتيني سلمان أو سفر أو ابن باز أو بن عثيمين ويقول: أنا الآن أرى أن الأمة لا تستطيع أن تجاهد، لا زالت ضعيفة وأرى أنَّنا نحن كطائفة العلماء نشتغل بالدعوة والتعليم.. الخ؛ فهذا الذي أراه هو الصواب الآن.

ثم هذا شيء بسيط وهي مسألة اجتهاد في النهاية؛ فأنا أحاول أن أقنعه وأجادله وأن هذا أفضل من هذا وأن الأمة الآن استعدت وفيها جمهرة لا بأس بها من الشباب ومن الرجال المستعدين للجهاد؛ فقط تحتاج إلى قيادات لكي تحركها وعلماء، وأنتم الآن من المفترض أن تخرجوا وتقودوا الأمة وهذا جهاد واجب، إنما هذا العجز، والعجز يقدر بقدره؛ لأنه عذرٌ فيقدر بقدره لا تتوسعوا فيه؛ لأنه بعد ذلك سيدخل عليكم التخاذل، والنفوس أيضًا ستتعلم على الذل.

انتقادات كثيرة من زوايا أخرى أيضًا، نقول له: أنت كم تبني؟ أنت تبني قليلًا والعدو يهلك أكثر، مثل ما كان يقول لهم الشيخ عبد الله عزام: عاملين مثل مصانع تفريخ الدجاج؛ كان يستعمل الشيخ عبد الله عزام هذه العبارة، يعني أنت كم تربي وتفقص وتفرخ من الدجاج، والطاغوت يأتي في ضربة واحدة يأكلهم! أليس هذا صحيحًا؟

الذي تفسده القنوات الفضائية في أيام أو شهر واحد من البث لا تستطيع أن تصلحه وتسده ربما في عشرين عامًا، هذا في شهر واحد فقط!

فالنقد كثير ونستطيع أن نتكلم ونجادل كثيرًا في هذا الكلام، ولكن يبقى في النهاية اجتهادًا لهم، ولكن أنا أقول: أنت رضيت بهذا الاجتهاد أنا عاذرك ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق: ٧] أي من العلم، وهذا الذي بلغ إليه علمك واجتهادك وأنت مكلف باجتهاد نفسك على كل حال، وأنا أعذرك وأنت حبيبي.

لماذا ركزت على النقطة هذه؟ لأنه لا ينتهي الأمر هنا، تجدهم ضدك! الشيخ ابن عثيمين مع من واقف؟ مع آل سعود، والشيخ عبد الله بن جبرين رجل طيب أليس كذلك؟ لكن في النهاية واقف مع آل سعود، حتى لو كان ليس الآن وكان عمره طويل، هو على كل حال شيخ طاعن في السن وقد اقترب من الموت، فأي واحد يبقى بهذا الشكل معرض إلى أنه يكون مع الطاغوت في مرحلة من المراحل؛ لأني أنا سوف أقول لك أن هذا الكلام من اجتهادك سلمنا لك، لكن هناك طائفة خالفتك في الاجتهاد وعندها اجتهاد آخر، ولا تستطيع أنت باجتهادك أن تلغي اجتهادهم صح أم خطأ؟ وخرجت تجاهد وشقّت شوطًا طويلًا لعشرين عامًا، فما تأمرهم، ماذا يفعلوا؟ أسامة بن لادن وجماعته وأمير المؤمنين الملا عمر وجماعته، هؤلاء الناس الذين يجاهدون الآن ماذا تفعل لهم؟ الشيخ ابن عثيمين قال أثناء جهاد الجزائر: ينزلون من الجبل ويسلمون أنفسهم للحكومة، هل هذا صحيح أم لا؟ ألم يقل هكذا؟ ومن ثم يخرجون بطامات كبيرة جدًا جدًا وهذا والله العظيم أنه ضلال مبين وأنا قلتها، قلت في أجوبة الحسبة هذا ضلال مبين، ليس خطأ فقط هذا خطأ وضلال مبين، الكلام الذي قاله الشيخ ابن عثيمين خارج عن أصول العلم وأصول الإيمان، لا أعلم كيف يقع فيه أحد كالشيخ ابن عثيمين! هذه من الخزعبلات، البعد عن الجهاد والقعود عن الجهاد يعاقبهم الله بقلة الفقه فهم لا يفقهون: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ٣] لا يغرك أنه عالم، هو قد تخصص في الفقه ونبغ فيه وكذا لكن عندما تأتي للفقه الحقيقي في الدين ربما تجد عنده ثغرات.

[أحد الحضور: أليس من مصلحة الحركة الجهادية أن توجه خطاباتها للحركات الأخرى مثل جماعة التبليغ توجهها لها بأسمائها؟]

الشيخ: لا، هكذا بشكل علني! لا ليس من المصلحة والله أعلم، ولكن يستمر النقاش بينها وبينهم كل ما تأتي فرصة وتستمر المجادلة بالتي هي أحسن كل ما تأتي فرصة في دروس أو كتابات، لكن بدون أن نحولها لقضية عداء أو كلام سياسي أو خطابات سياسية، ولكن تكون في سياق النقد العلمي والنقد المنهجي المدروس في سياق التناصح بين أفراد الأمة؛ فهذا جيد بهذا الشكل، حتى بقية العلماء وحتى الحركة السلفية؛ حتى المتشددون منهم الكارهون لنا والواقفون ضدنا، إذا احتجنا أن نذكر أسماءهم فبقدر معين، وهذه الطريقة التي يمشي عليها مشايخنا وأمراؤنا هي طريقة سديدة

وسليمة ونراها هي الخير، لا نذكر أسماءهم ولكن نذكر المناهج والأفكار حسب كل مناسبة وما يناسب كل وقت وكل حين؛ نركز على مسألة أو غيرها، ولكن الأسماء أو تدخل في حرب وتذكرهم! تذكر في السلفية تذكر الألباني أو ابن باز أو ابن عثيمين تذكر هذه المدارس.. هذا ليس بجيد، وليس بسبيلِ هدىً، والله أعلم.

[**أخ: لكن الإخوان المسلمين دخلنا معهم في حرب واضحة!**]

الشيخ: الإخوان إلى حدٍ ما هناك شرور كثيرة منهم؛ كوقوفهم مع الطاغوت في عدة ساحات، على سبيل المثال في العراق: الإخوان المسلمين وقفوا مع برايمر ومع الذي قبله، أول ما أتوا الأمريكان دخلوا مجلس الحكم وكذا وتركوا الجهاد ولم يكتفوا بترك الجهاد ودائمًا هذه المشكلة، المشكلة ليس بأنهم تركوا الجهاد، وقال: هذا اجتهادي وأنتم لكم طريقكم ويسهل الله عليكم وكل واحد منا يشتغل في جانب، لا! على العكس، هو ينتقد الجهاد ويقف مع العدو ضدك.

فالمشكلة أن يكونوا مع العدو ضدك، ولو أنه قال من باب التخصص فأنا مقتنع أني أنشر العلم وأهتم بالعلم والتصفية والتربية وكذا، ولكن في نفس الوقت يكونون ضد العدو ولا يكونون مع الأمريكان، يجافي الأمريكان ويعاديهم حتى وإن لم يجاهدهم لكن يكون على الأقل متبرئًا منهم وبعيدًا عنهم ولا يدخل معهم، وهذا ما أدى إليه اجتهاده وفهمه: هذا فهمي وهذا ما علمني ربي؛ هذا إنسان معذور، لكن المشكلة أنهم يقفون ضدنا؛ ضد الحركة الإسلامية ويكونون مع العدو، وهات من الحجج ما شئت، يقولون خوارج، بغاة، مفسدين، وهم متأولون يتعاونون مع الصليبيين لتطبيق العدالة في الأرض! المشكلة ليست في التخصص نحن نحترم التخصصات، لو أن إنسانًا قال: أنا عاجز عن الجهاد أو لست مقتنعًا به الآن ولا جدوى منه ستهلكون أنفسكم أو كذا -مع بطلان كلامه في اعتقادنا- ولكن مع هذا كله نقول له: ليست مشكلة؛ هذا اجتهادك وأنت حر، واذهب اشتغل في الدعوة؛ ولهذا قلت أن جماعة التبليغ لا يضروننا في شي وعلاقتنا بهم جيدة؛ لأنهم لم يضروننا فهم أناس يدعون إلى الله، برغم الجهل الذي فيهم، ويقولون ليس من أصولنا الكلام في السياسة وهكذا، وهذا الكلام كله باطل، وانحراف، وضلال؛ ويقولون لا نتكلم في السياسة ولا في أمراض الأمة، وهذا كله كلام فاضي وانحراف، ونحن مع هذا نحن ساكتين عليهم بخيرهم وشرهم، المهم ادعوا إلى الله واجعلوا الناس تصلي في المساجد، وكفوا شركم، وفي النهاية هم أقرب الناس لنا باعتبار أنهم يحبون

المجاهدين في الجملة، وكذلك المجاهدين احتاجوا إليهم في كثير من الساحات؛ فآووهم في أفغانستان وباكستان، التبليغ آووا المجاهدين كثيرًا جدًا، نحن في إيران من آوانا؟ الإخوة بعد الخروج إلى إيران بعد الانسحاب من هنا من آواهم؟ التبليغ، في «زاهيدان» وفي نواحي «بلوشستان» من الذي آوى الإخوة؟ التبليغ، مسجد مكة الذي يسمونه «شيخ الإسلام»، عبد الحميد وجماعته آوونا ونصرونا ووقفوا معنا، ومواقفهم معنا مواقف كريمة وشريفة جدًا جدًا، وتعرضوا للسجون وتعرض بعضهم للقتل وكذا.

جزاهم الله خيرًا كثيرًا، شبابهم خدمونا وذهبوا معنا لمناطق إيران يطلق عليها اسم الفرس العاصمة طهران، وكانوا في خدمتنا، ومن الذي خدمنا غير جماعة التبليغ؟ لأنهم محبين لنا، لكنهم يمشون على منهج الدعوة والتبليغ وهم لم يضرونا بل نحبهم ويحبوننا، لكن عندهم بعض الأخطاء والكثير منهم ترك هذه الأشياء وصار مجاهدًا ويحمل فكر الجهاد.. وهكذا.

ولكن الكثير منهم لم يكونوا يعرفوا، ولكن البعض منهم خالط الإخوة فتعلمَ منهم الكثير، وهذا الشيء يأتي بالتدريج، لكن الشيء المهم أنهم لم يضروننا، ونحن إذا قلنا أن لديهم أخطاء وضلالات نعرف أن هناك جهلًا في الأمة، وأن هناك أخطاء، وأن هناك علماء أورثوهم هذه الأخطاء وصعب تغييرها، وليس من السهل أن تأتي تتحدث له ساعة أو نصف ساعة ويغير منهجه! تحتاج إلى معاشرة وأن يثق فيك ويحبك ويعرف أنك أنت على شيء من العلم والدين؛ حتى يستعد القبول منك ويهتم.

لكن في الجملة نحن نعرف أنهم أناس طيبين لا يضروننا، وليسوا خونة، ولا يقفون مع الطواغيت هذا في الجملة، قد يكون منهم في بعض الساحات أناس خانوا لكن بالجملة يوجد فيهم الربانية والروحانية والمحبة للدين، ونحن ليس لدينا مشكلة معهم، لم يجاهدوا! ليست مشكلة، نحن مشكلتنا مع الذين يقفون ضدنا، والله لو أن السلفية وغيرها قالوا: نحن نكفيكم هذا الجانب وسنهتم بالتصفية والتربية وبطلب العلم وبالمدارس والكتب والتنقية.. لقلنا: هذا جيد وأنت على ثغر، لكن المشكلة أننا نجدهم أمامنا مع الطواغيت.

[أخ: هناك يا شيخ جماعتين في اليمن ممن يزعمون التصفية والتربية، كثير من الإخوة الذين ذهبوا للجهاد نفروا من جماعتيْ الحكمة والإحسان التي هي السرورية، في الفترة الأخيرة من سنتين جماعة الحكمة وضعت يدها في يد الرئيس..

والشيخ «محفوظ حسين» طردوه عندما عرفوا أن منهجه جهادي يحرض للجهاد، أعطوه مهلة أن يترك البيت والمعهد؛ لأنه هو كان مديرًا للمعهد، وسُجن بعدها، وعندما خرج سألوه هل أنت من الحكمة، قال: أنا لست من الحكمة ولا من الإحسان.. حتى لما اجتمعوا مع الرئيس وصارت أيديهم بأيدي الرئيس، قال: «الحكمة الآن تبينت، وقعوا في البلاء وفشلوا، صاروا مع الطاغوت» هذه الكلمة قالها لجماعة الإحسان، فقال لهم: بقي أنتم إما أن تتبرؤوا من الطاغوت وتكونوا مع المجاهدين أو ستقعون في بلاء وفيما وقعت فيه الحكمة، لا يتركّكم الله بدون بلاء...

طردوه من بيته! فلا راعوا حقوق المسلمين ولا نظروا في دينه ولا في علمه؛ لأجل المصلحة الدنيوية!! وجلس على الرصيف في سبيل الله، نسأل الله أن ييسر أمره، والله المستعان].

هؤلاء هذه هي مشكلتهم..



[كلمة صوتية: **مدتها** مائة وثمانية وأربعون دقيقة، **نشرها:** بعض المجاهدين -بشكل غير رسمي-، **وقام بتفريغها** «مؤسسة التحايا للإعلام»[1]، **نُشرت في** ربيع الأول ١٤٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه:

طبعًا أنتم تعرفون أنَّ الحركة الجهادية في الجزائر جاءت بعد أحداث سياسية كان لها طابعها الخاص، وكان لها تأثيرها الإيجابي على الحركة الجهادية، ودخول «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» بقيادة «علي بلحاج» للانتخابات، ومشاركتهم في العملية واللعبة السياسية ونجحوا في الانتخابات، وكان من المفترض أن يحكموا البلد.

«الجبهة الإسلامية للإنقاذ» كانت تنظيمًا إسلاميًّا سلفيًّا إلى حد ما -أي تحمل طابعًا سلفيًّا-، ليس لها انتماءٌ واضحٌ جدًّا لمدرسة معينة أو لمجموعة معينة، ولكن يغلب عليها الطابع السلفي، مع نوعٍ من الحركية والاستفادة من تجارب جماعات أخرى كجماعة الإخوان والجماعات الجزائرية المحلية.

«الجبهة الإسلامية» تكونت بشخصيات شكلوا أنفسهم وجمعوا أنفسهم كحزب سياسي للدخول في العمل السياسي.. كانوا متناثرين، وكان علي بلحاج هو الخطيب المفوه، وأُوتي القدرة على الخطابة

---

(١) سياسة العمل في تفريغ المادة: ١- التصرف؛ من حذف (كحذف المكرر وأغلب المداخلات مع تفريغ جواب الشيخ على المداخلين)، وإضافة (كإضافة بعض المفردات حتى يتضح مقصود الشيخ في السياق). ٢- تحويل جُلِّ الكلام من عامية إلى فصحى، وإعادة صياغته مع عدم الإخلال بأصل المعنى. ٣- تغيير كثير من الجمل غير الواضحة بسبب اختلاف أسلوب الإلقاء عن أسلوب الكتابة، وفيه ما فيه من عدم إكمال الجُمَل أحيانًا، والانتقال إلى كلام آخر وهذا يجعل الكلام المقروء مُبهَمًا، وجعلنا محور الكلام في سياق واحد بتقديم أو تأخر في النص، فحاولنا جعل الكلام بأسلوب الكتابة قدر الإمكان. [الناشر: مؤسسة التحايا للإعلام]

على طريقة الشيخ كشك في مصر، ولكن كانت له جماهيرية أشد وأكبر جدًّا، كانت آلاف مؤلفة من الناس يتعلقون به؛ كان يطوف في البلدان والمناطق والمساجد الكبيرة، وعنده أسلوب مميز؛ يتكلم بلغة أقرب إلى العامية، ويمزج بين العربية والعامية، ويستعمل العامية بكثرة في كلامه، ويميل أحيانًا إلى أسلوب فكاهي وتهكمي، وقد فتح الله عليه في الخطابة، وأظنه -إن شاء الله- رجلًا صالحًا؛ فيه بركة، وفيه صدق وإخلاص، وفيه حمية للدين، سمته صالح، وهو أيضًا من مشايخ العلم، درس العلم ومن العلماء -إن شاء الله-.

كان «عباس مدني» ومجموعة من القيادات الأخرى هم الأقرب إلى القيادات السياسية؛ لكن كانوا قيادات تاريخية لهم دور من زمان.

«علي بن عباس» رجل شيباني كبير في السن عمره سبعون سنة ويزيد تقريبًا، حضر الثورة الجزائرية، وشارك في الجهاد الجزائري، وعنده خبرة في ذلك، بالإضافة إلى أنه مثقف؛ فعلى المستوى الوطني يعتبرونه مثقفًا على مستوى عالٍ جدًا، فهو يحمل درجة بروفسور، وله أربع شهادات دكتوراه، ويجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية وأشياء مماثلة، ولكنه كان إنسانًا عاديًّا وطنيًّا مجاهدًا من المجاهدين القدامى، وكان لديه توجه إسلامي وتاريخ إسلامي، وكان محبًا للحركة الإسلامية.

في أوائل الثمانينات وأواسط الثمانينات كان هؤلاء يجمعون أنفسهم، رغم اختلاف التوجهات إلا أن العمل الإسلامي جمعهم، وإرادة إقامة النظام الإسلامي، والدولة الإسلامية.. فكان فيهم سلفيون، وكان فيهم بعض الناس العاديين، ومثقفين إسلاميين، ومشايخ، ولم يكن عندهم انتماء معين، ولكن اجتمعوا على فكرة تكوين حزب.

وفي عام «١٩٨٨م» عندما كان الشاذلي بن جديد هو الرئيس الجزائري، حدثت مظاهرات ضده، خرج فيها شباب أسموها «ثورة الخبز»، خرج الشعب الجزائري بالملايين في مظاهرات عارمة بالعاصمة حتى ظُنَّ أنهم سيزحفون ويحتلون القصر الجمهوري؛ فخرج الشاذلي على التلفاز يبكي ويناشد الناس بأن ترجع، ووعدهم أنه من تلك اللحظة شرَّع التعددية الحزبية، وأعلن عن إصلاحات وغيرها؛ فرجع الناس، وأرجعتهم قياداتهم استنادًا إلى أن الرئيس وعد بأنه سَيُفعِّل تعدد الأحزاب وسيقوم بالإصلاحات وغير ذلك، بعد ذلك وفَّى «الشاذلي بن جديد» بوعده، وشرَّعوا في البرلمان: التعددية الحزبية؛ لأن الشاذلي كان حاكمًا لحزب واحد في السابق وهو حزب جبهة تحرير الوطن (FLN)، وهو الحزب الذي توحدت فيه الأحزاب أيام الثورة، واستلم السلطة في الاستقلال بعد خروج فرنسا، فكان الحزب الحاكم ومنه كل رؤساء الجزائر، فكان هذا الحزب هو الحزب الوحيد،

وقد ضجرت الناس من تصرفات هذا الحزب ودكتاتوريته، وحصل تمرد شعبي وثورة كادت تطيح بالدولة والحكومة؛ فتدخلوا في النهاية بالبكاء وبالاستجداء والمناشدات، وهكذا هدأ الشعب.. هدأتهم القيادات الشعبية وغيرهم، ثم دخلوا مرحلة التعددية؛ فلما دخلوا مرحلة التعددية كان هؤلاء (علي بلحاج، وعباس مدني) وجماعة كبيرة من الدعاة ومن المشايخ وغيرهم، كان فيهم الصالح وفيهم الطالح، ثم أتتهم المحكات وتدينوا، المهم أنهم كونوا حزبًا «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» وأسموه اسمًا دالًّا على أنه اسم ثوري، وكان عندهم ثورية بالفعل، كان منهجهم فيه كثير من الخير وكثير من الصواب والوضوح؛ فكانت مسألة الحاكمية مسألة واضحة جدًّا عندهم، وهذه الدولة كافرة مرتدة، فـ«عباس المدني» في جميع خطبه وفي كل تنظيراته يبث هذا، ويركز على تكفير الدولة، ولم يكن لديهم تردد في ذلك ولكن كانوا يرون أنه يجوز استغلال الفرصة السياسية، فيقولون: ندخل كحزب سياسي فنزاحم على السلطة، وكانوا يتشجعون بحجة أن الشعب سيؤيد دعوتهم، وكان هناك -طبعًا- صحوة ونهضة شعبية إسلامية كبيرة جدًّا؛ فكانوا يتوقعون أن الشعب سيختارهم ١٠٠٪؛ سيختار الإسلام، وسيختار الحزب الإسلامي، وقيام الدولة الإسلامية.. فكان هذا تأويلهم واجتهادهم، وبالفعل دخلوا العمل السياسي، ودخلوا الانتخابات، وفي أول انتخابات بلدية فازوا بها في العاصمة في البلديات الكبرى وسيطروا على العاصمة على مستوى البلديات.. فتجد أبا اللحية مدير البلدية، ومدير الدائرة، ومدير الجوازات، أو مدير الشرطة والحماية المدنية، وهكذا فكانوا مسيطرين، وبعد الانتخابات التشريعية البرلمانية والتي يشكل الفائز فيها الحكومة، فقامت الجبهة الإسلامية بدخولها ففازوا فيها بنسبة ٨٨٪ أي نسبة ساحقة، فمن المفروض أن يستلم حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ السلطة، ولكن مباشرة بعد إعلان النتائج وإعلان فوز الجبهة الإسلامية دخل الجيش.

كان الجيش متوقعًا فوز «الجبهة الإسلامية»؛ فتهيأ لذلك جيدا، وكان قد حسم أمره بالمشاورات، وكونهم تشاوروا وأعدوا لا يحتاج إلى وثائق؛ فلا بد أن يكون هذا موجودا لمن تتبع الأحداث، فكان الجيش حاسمًا أمره أنه في حال وصول «الجبهة الإسلامية» للحكم ليس عندنا غير الحل الأخير وهو النزول للشارع بالدبابات، أي الانقلاب على نتيجة الانتخابات، وبالفعل نزل الجيش وسيطر على العاصمة وعلى المدن الكبرى، ونزلوا بالدبابات إلى الشوارع، وألغوا نتائج الانتخابات، وأعلن الجيش إلغاء الانتخابات.

حينها استقال «الشاذلي بن جديد» مباشرة، واستقال «الغزالي(» الذي كان رئيسًا للوزراء،

ووضعوا رئيس وزراء آخر، وحدثت تغيرات دستورية سريعة، وصدر قرار المجلس القيادي العسكري بإلغاء منصب رئيس الدولة، ووضعوا بدلا منه منصب المجلس الأعلى للدولة أو شيئًا من هذا القبيل، أي أحدثوا منصبًا جديدًا، والمعنى في الحقيقة هو الرئيس ويتولاه الجيش، فجاء «علي كافي» وهو أحد جنرالات الجيش الكبار ومعه «خالد نزار» ومجموعة من الجنرالات الذين كانوا عملاءً لفرنسا وتربية فرنسا وأبناء وربائب فرنسا، كانوا هم المسيطرين، وهم من أنزل الجيش، وإنزال الجيش معناه الاصطدام بالشعب، والشعب صوَّت للجبهة بالأغلبية الساحقة، وهذا قليل حصوله بهذا المستوى في جميع الدول الديمقراطية؛ فدخول الجيش ونزوله معناه صدام بالشعب، وهذا ما حصل بالفعل.

خرج الشعب للمظاهرات والاعتصامات وسُميت: «مرحلة الاعتصامات»، كان الشعب يخرج للساحات الكبيرة في العاصمة، كان هناك ساحة كبيرة مشهورة تاريخيًّا من أيام الثورة أو من قبلها من أيام فرنسا اسمها «ساحة الشهداء» وهي معروفة إلى الآن بساحة الشهداء، وفي «ساحة أول نوفمبر» وفي الساحات الكبيرة في العاصمة وهكذا في المدن الأخرى.

الشعب كان يخرج بمئات الآلاف، والناس يعتصمون في الخيام، شُلَّت الحركة، وحدث عصيان مدني؛ فلا حركة إلا للجيش بالدبابات والمدرعات، الجيش بدأ بضرب وإطلاق الرصاص وبدأ الاصطدام بالشعب، فقُتل كثير من الناس، قَتل الجيش المئات بل الآلاف من الناس، ثم بدأت بعدها حملات الاعتقال في كل مكان، وحصلت اعتقالات للمشايخ فاعتقل «علي بلحاج» و«عباس المدني» و«عبد القادر حشاني» وغيرهم، وكلهم قيادات، ومن تفطن منهم وكان لديه إرادة وعزيمة وذكاء حزم أمره وهرب مثل: «محمد السعيد» وبعض القيادات الذين كانوا أعضاء في الحركة الجهادية.

في الأيام التي كانت «الجبهة» تمارس فيها العمل السياسي، وأثناء دخولها للمشاركة السياسية، كان هناك إخوة من إخواننا منهم من كانوا هنا في أفغانستان ومنهم من لم يأتِ إلى أفغانستان، ولكن كانوا يقتنعون ويحملون الفكر الجهادي، ولم يكونوا في الأصل على قناعة بتيار الجبهة، أو لم يكونوا مقتنعين بدخول الجبهة للبرلمان، وبدخول الجبهة للعمل السياسي والانتخابات، كانوا يرون عدم شرعية هذه الأعمال وعدم جوازها، وكان لهم خط جهادي معين، فبدؤوا بتشكيل وتكوين أنفسهم، وبلوروا أنفسهم شيئًا فشيئًا، فنزل من هنا مجموعة من بينهم الشيخ «خالد سعيد»، ولكن كان نزول الشيخ «خالد سعيد» بعد إلغاء الانتخابات، وكانت هناك مجموعات من قبله، مجموعة من إخواننا كما قلنا لم يأتوا للجهاد في أفغانستان، وكانوا يمارسون بعض العمليات وكانت إمكاناتهم محدودة وقليلة

والأسلحة عندهم قليلة، ولكن جمعوا بعض الأسلحة من الناس، ومن البيوت، وأسلحة الصيد، وبعض الرشاشات التي تحصلوا عليها، فكانوا يمارسون بعض العمليات، فيهجمون على مركز شرطة، وكان هذا قبل الفترة الانتخابية، وكذلك أثناء الحملة الانتخابية، ونفذوا مجموعة من العمليات واشتهر منها عملية «قمارة»، وعمليات صار لها اسم في التاريخ، وفي تلك المرحلة هجموا على ثكنات، ومراكز الشرطة، وكانوا يأخذون الأسلحة، وبهذا بدأت شوكة المجاهدين تقوى وجمعوا أنفسهم؛ فهؤلاء تقريبًا كانوا هم السابقين، وكان جزء منهم امتدادٌ لحركة جهادية كانت تجاهد في أيام «الهواري بومدين» الرئيس الجزائري السابق قبل الشاذلي، كانت توجد أيضًا حركة جهادية رئيسها رجل صالح -نحسبه مجاهدًا- اسمه «مصطفى بويعلي» فهذا كان رجلًا مجاهدًا، ومعه شخص آخر داعية شيخ كبير وقديم في الجهاد، وهو ممن شارك في الثورة وحضرها اسمه «عبد القادر شبوطي»، وكان هؤلاء عندهم حركة جهادية أيام «البويعلي»، وثم تم القبض على البويعلي وقُتل بعد ذلك، و«عبد القادر شبوطي» قد هرب وكان يعيش في الجبال لفترة طويلة هاربًا من الدولة، كان من هذه الحركة بعض الناس من الهاربين والدولة تبحث عنهم، ثم هدأت الحكاية والدولة تركتهم، ولكنهم هم اختاروا العيش بعيدًا ولم يدخلوا المدن، وعاشوا في القرى والجبال وهكذا، وعندما بدأ الإخوة يجمعون بعض بقايا الحركة تواصلوا مع هؤلاء، وبدأ يحصل نوع من الإعداد لانطلاقة الجهاد.

كان هذا أيام «الجبهة» وهي لا زالت في عزِّ نشاطها وتمارس العمل السياسي والدعوي، ولم يكن في برنامجها الجهاد أو الإعداد أو أي شيء من هذا، وعندما نزل الجيش وألغى نتائج الانتخابات، وحدث الانقلاب الذي أسموه انقلاب ديسمبر ٩١م، حصل هذا الانقلاب على الشرعية كما يقولون، بعد اختيار الشعب لهذه النتيجة، وبدأت الاعتقالات وكثير من أنصار الجبهة وخاصة من الشباب في كل أنحاء الجزائر وخاصة في المدن الكبرى وتحديدًا في العاصمة التي هي قلب البلاد ولبّها، كثير من الشباب أنصار الجبهة رأوا أنه لا خيار إلا الانضمام إلى المجاهدين والقتال معهم، لا خيار إلا خيار الجهاد.

«الجبهة» لم يكن في برنامجها الجهاد، ولكن في نفس الوقت لم تكن بعيدة كثيرًا عن الجهاد، ولم تكن تسب المجاهدين ونحوها من هذه الأمور، كان بها البعض مع الصالحين، و«علي بلحاج» أحسنهم كوجه صالح وواجهة صالحة، وتقريبًا معظم ما في الجبهة من خير وصلاح يدور في هذا الرجل علي بلحاج، وربما لولا وجوده وتأثيره وعمله في «الجبهة» لكان لا فائدة منها، فكانت لديهم مبادئ وأفكار

جيدة، منها تكفير الحكومة ومعروف لديهم أن الحكومة كافرة مرتدة ويجب جهادها، فكانت هذه الأفكار موجودة وقد هيأت الكثير من الشباب، وكثير من الشعب للانضمام للحركة الجهادية واختاروا الجهاد، بُدئ الجهاد عندما أُلغيت هذه الانتخابات، والشباب الذين كانوا يمارسون العمل الجهادي بنظام قبل ذلك، قد بدؤوا بتجنيد الشباب وانتشر الجهاد في البلاد كلها، فبدأ العمل الجهادي ينتشر بشكل مجموعات في كل المدن وكل القرى وفي كل الأرياف.

طبعًا بطبيعة الحال الجزائر تعرفون طبيعة تضاريسها وظروفها الطبيعية، فهي بلد من الجبال والجبال فيها أكثر من أفغانستان، العاصمة جزء منها وراء البحر وخلفها كله جبال، وكذلك بقية المدن، مدن في الجبال، وقرى في الجبال، جبال وسلاسل جبلية وراء سلاسل جبلية تشق البلاد من غربها إلى شرقها، جبال عالية، وفيها أيضًا ميزة أخرى فكثير من جبالها كسلاسل الأطلس التي تمتد من حدود المغرب إلى تونس وتصل قممها في باتنا في وسط الجزائر، وكلها جبال وقمم وهضاب، وهناك ميزة أخرى هي أن معظم جبالها خضراء وغابات، وليست جرداء كجبال باكستان، فهناك بيئة مناسبة وممتازة جدًّا لممارسة حرب عصابات طويلة الأمد، فهذه قواعد خلفية طبيعية تسهل لك الهروب، وتاريخيًّا منذ أن عرفت الجزائر في التاريخ قبل الإسلام وبعد الإسلام وأثناء الدول الإسلامية وأثناء الدولة العثمانية ثم أثناء الغزو الاستعمار الفرنسي وغيرها كان كل من يعارض الحكومة، أو يعارض الاستعمار، يأوي مباشرة إلى الجبال، فكانت الجبال تقل الناس كلهم، وملجأ للناس كلها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل: ٨١].

بالنسبة لي أنا عشت في أفغانستان ورأيت جبالها، ثم بعد فترة غبنا عن الجهاد حوالي ثلاث سنوات كنا في الخارج للدراسة ونحوها، وعندما رأيت جبال الجزائر والسلاسل الجبلية ومشيت في الجبال ورأيت الغابات كان منظرًا مؤثرًا جدًّا، وقد قلتُ قصيدة في ذلك الوقت عن الجبال، وكانت قد نشرت في مجلة، طبعًا نسيتها كلها ولكن مطلعها:

أيا جبلا خلقت لكي تُكنَّ المسلم الحرَّا

وتجعل من شعابك للذي بالدين قد فرَّا

ملاذًا آمنا به ينجو من فتن كبرَى

أذكر أن هذا كان مطلعها، وهي من البحر المتقارب، وزنها إيقاعي موسيقي خفيف.

فهذا منظر كان مؤثرًا جدًّا بالنسبة لي، المهم بعدها لما حصل انقلاب على الانتخابات، بدأت الناس تؤمن بأن الخيار للجهاد ولا خيار غيره، وبدأت المجموعات الجهادية بتجنيد آلاف الناس،

والناس تبحث: أين المجاهدون، فبدأت تتكون مجموعات و«كليكات» كما يسمونها بلهجتهم العامية، ونحن نقول بالليبي: «كبانية، أي مجموعة أو شلة أو عصبة»، فتكونت مجموعات ومجموعات للجهاد، وكان السلاح كثيرًا والحمد لله، وأيضًا كان في الجيش أناس هربت وتمردت، وفي الشرطة أيضًا أناس تمردت، كان هناك ملتزمون كثير في الجيش وفي الشرطة وفي كل مكان، كان في الالتزام كثير في الجزائر، كانت هناك صحوة شعبية قوية جدًّا جدًّا، وكان العامل والمحرك الأول الكبير فيها هو علي بلحاج، وهذا الرجل موهوب جدًّا، بدأ الجهاد وانتشر الجهاد، فكان هنا عملية وهناك عملية، الشرطة مضروبة، مجموعات معظمها غير منظمة في كل مكان، ولكن كانت هناك أناس منظمون هم النواة لهذا العمل، وهم الجماعة الإسلامية المسلحة، كان منهم «عبد القادر لعيادة» الذي أُطلق قبل أربع أو خمس سنوات، كان في السجن في الفترة الماضية وقد حكم عليه باثنتي عشرة سنة تقريبًا، وقد سُجن في بداية الجهاد وخرج من السجن مؤخرًا، وكان منصور الملياني، وجاء القاري سعيد، القاري سعيد شيخ جزائري وخريج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، من قدامى المجاهدين العرب الذين جاءوا لأفغانستان، من القدامى المعدودين على الأصابع، وهو من مشايخنا، نحن لما أتينا هنا أنا شخصيًّا قرأتُ عليه، رجل صالح، رجل طيب، من أهل العلم، وكان مع الشيخ أسامة أيضًا، فهو أيضًا انضم ضمن مجموعة، لكن لم يطل عمله هناك حتى قُبِض عليه وسُجن هو ومجموعته ضمن عملية أسموها «عملية الميناء» في العاصمة، حيث كانوا يريدون الاستيلاء على الميناء، وقدر الله أن فشلت العملية وسُجن قائدها في العام ١٩٩٢م، وخرج من السجن أوائل العام ١٩٩٤م، مكث سنتين في السجن، وكان خروجه ضمن هروب مثل هروب قندهار الذي حدث هذه السنة، حصل هروب هكذا في الجزائر سنة ١٩٩٤م من سجن في مدينة باتما إحدى المدن الريفية الكبرى على هضاب الأطلسي، وهي مدينة داخلية لا تطل على البحر -أي الأطلسي عاصمة الأطلس-، هذا السجن في باتما اسمه «لومبيز» - لفظ فرنسي-، هرب منه حوالي ألف أخ، فكانت عملية هروب كبيرة ومشهورة، وكانت بتنسيق بين الداخل والخارج، كان قائدها القاري سعيد فهو قائد الترتيبات في داخل السجن، وبعد خروجه بعدة أشهر لعلها كانت حوالي أربعة أشهر قُتل ﵀ في عملية، كان رجلًا صالحًا جيدًا موثوقًا عند كثير من وجهاء الناس، وكان من الممكن أن تجتمع عليه الحركة الجهادية، وكان الأمير وحينها أبو عبد الله أحمد أمير الجماعة الإسلامية حسب ما شهد وقاله الإخوة الذين سمعوا منه وعرفوه، حيث قال أنه كان يريد أن يسلم للشيخ سعيد الإمارة ولكنه قُتل، وفي فترة مقتله أنا دخلتُ للجزائر، دخلت الجزائر مرتين،

الأولى عام ١٩٩٣م، وخرجت أوائل ١٩٩٤م، ثم رجعت في أواخر ١٩٩٤م، وبقيت حتى ١٩٩٨م، فكانت هي الفترة طويلة، ولم يقدر لي ربي أن ألتقي بالقائد سعيد طبعًا، فحينما دخلت كان هو في الشرق وأنا كنت في العاصمة، ثم أتى خبر مقتله، فالمهم أن الجهاد قد بدأ بمجموعات تنتشر في كل مكان، والشرطة تُضرب في كل مكان، والجيش يُضرب في كل مكان، ويغنم سلاح من كل مكان، وتتحرك سيارات النيسان أو البترولات التي تتبع للشرطة والدرك، ولديهم الشرطة والدرك هما القوتان التابعتان لوزارة الداخلية، ولديهم طبعًا الاستخبارات، ولديهم الجيش، ثم بدؤوا يستحدثون مؤسسات عسكرية أمنية جديدة، وفي فترة الجهاد أحدث عدد من المؤسسات.

بدأت الشرطة تضرب في كل مكان، والدرك يضرب في كل مكان، والجيش يضرب في كل مكان، والثكنات يُهجم عليها، والمعسكرات ومراكز الجيش، هذا في البداية وبطبيعة الحال مثل أي حرب عصابات، مثل كل حروب العصابات التي قرأناها في الكتب، من حرب الصين ماو تسي تونغ، إلى جيفارا وكاسترو، وكل هؤلاء الذين قرأنا عنهم وجدناها هناك، وفي البداية كان الجيش يصعد إلى الجبال بسيارتين أو ثلاث سيارات تصعد بحثًا عن الإرهابيين في الجبال، وكانت الحكومة في البداية مستأسدة، والمجاهدون لم ينضجوا بعد وما زالت أسلحتهم قليلة، فتصعد السيارات هذه إلى الجبال، ولا تدخل للجبل ولا تتعمق في الغابة، تمشي في شعاث الجبال والغابات، ويحمون أنفسهم ولا يستطيعون تتبع المجاهدين، ولكن يأتون للجبال وغالبًا الجبال لا يكون فيها طرق وتنتهي الطرق فيها لمستوى معين، وبعض السلاسل الجبلية إلى الخلف لا يوجد أصلًا طرق إلا بالأرجل -ليس فيها إلا أنت وركابك-، فكانت الدوريات في البداية بسيارتين أو بالثلاثة، وتعرفون أن الأرياف والجبال توجد بها قرى، كما ترون القرى هنا في أفغانستان على ضفاف الجبال، وذلك غير الجبال الخلفية الممتدة لغابات لا يوجد فيها سكان غالبًا، فتأتي السيارتان أو الثلاث لهذه الجبال، ثم بدأوا يضربون، تدخل السيارتان فيضربها المجاهدون، ثلاث سيارات يضربونها، فبدأ يحصل توازن - تُسمى «مرحلة التوازن» في حروب العصابات-، فصارت الدولة لا تستطيع إرسال سيارتين أو ثلاث، إذا أرادوا إرسال قوات إلى الجبل فلا بد أن يبعثوا قوات كبيرة مكونة من قافلة ضخمة وطيران هيلكوبتر يحميه، فبدؤوا يُضربون، والمجاهدون في بداية هذه الضربات الخفيفة غنموا فيها السلاح، ففي كل ضربة يأخذون سلاحًا يقوون به أنفسهم، وازداد أنصارهم.

توفر في التجربة الجهادية الجزائرية عوامل نجاحٍ -بحسب ما قرأت في التجارب، وحسب ما رأيت وتابعت- لم تتوفر في غيرها، فكان هناك نسبة تأييد من الشعب لا أتوقع أنه وُجِد في مكان آخر

على المستوى الإسلامي، فمثلًا قرأنا في التجربة السورية التي كتبها أخونا الشيخ أبو مصعب السوري وتابعناها أيضا من خلال مصادر أخرى، كان هناك تأييد شعبي ولكن لم يكن لهذه الدرجة، أما الذي وُجِدَ في الجزائر تأييد أُجزم بدون شك أن ٧٠٪ من الشعب كان مع الحركة الجهادية، ويمكن أن تصل النسبة إلى ٨٠ أو ٨٥٪ أو أكثر، وحيثما يتحرك المجاهدون يحصل المجاهد على الإيواء ويحصل على الطعام والشراب، والناس تحرسه أينما مشى، أي كان هناك تأييد شعبي في المدن، أما القرى والأرياف والجبال فالتأييد للمجاهدين كان ١٠٠٪، فنسبة ٧٠٪ على الأقل أتكلم عن أنها كانت في المدن الكبرى، والمدن الصغرى، والبلديات.

كانت نسبة التأييد الشعبي كبيرة، والذي جعل التأييد الشعبي يوجد عدة أسباب:

أولها: ما سبق الحركة الجهادية من الدعوة وحركة الدعوة والصحوة الإسلامية.

ثانيها: وهو عامل رئيسي وكبير جدًّا لا يقل عن العامل الأول في الأهمية، وهو الحجة المنطقية والأدبية والعقلية التي اقتنع بها الناس، فكان الناس يرون أن هؤلاء أناس مساكين جاءوا بطريقة سلمية، وهؤلاء أناس مؤدبون، ضربتهم الدولة على رؤوسهم وألغت الانتخابات، ما الذي تريده الدولة أكثر من هذا؟ لا يوجد غير خيار الحرب، فالناس اقتنعت بهذا وأكثر الشعب بسطاء لا يفهمون القول بأن هذا الحاكم مرتد وغير مرتد وكافر وغير كافر، وأنه يجب تغييره والخروج عليه والجهاد ومنابذتهم بسيفك وهكذا، فالناس لا تفهم ذلك إلا من يعرف الأمور الشرعية، ولكن الناس استووا جميعًا في القناعة بهذه الحجة المنطقية والأدبية بأن الجبهة حاولت بطريقة سلمية ومُنعت، فكان لذلك تأثير على طبقة المثقفين وعوام الناس والمقموعين، فلم يعد هناك من يُعارض المجاهدين؛ لأن من يُعارضهم يعارض هذه الحجة الظاهرة، وهذا ما رأيته بعيني وعشته أن المجاهدين أصبحوا عند الناس هم القوة الظاهرة والغالبة والبرهان الساطع، فلا أحد يستطيع التحدث أمامهم، فأنت عندما تتمكن من ناصية الحجة والبرهان تبدأ هذه القوة السياسية الضخمة، فأينما تمضي تجد الناس تقتنع بك لأن الحق معك، حتى من ليس معك من الناس تجده مقتنعًا بك ويقول: معه حق، هذا بالإضافة إلى التأييد الشرعي، وأيضًا كره الناس للحكومة ووصل هذا الكره إلى مستوى قبل المظاهرات مثل أيام الشاذلي، والعصيان المدني الذي حصل ثم ردَّة فعل الحكومة بالقتل ضد الاعتصامات الشعبية في الساحات حين قتلوا مئات الآلاف، ثم الاعتقالات وغيرها، فكان في كل بيت ثأر، وكل بيت لديه ثأر مع الحكومة، فهذه التراكمات أوصلت الكره للحزب الحاكم والحكومة إلى مستوى عالٍ، أضف إلى ما

سبق من عوامل أن الحكومة كانت مفككة وكحكومة باكستان الآن، فكانت الحكومة مفككة وناخر فيها دودة الفساد، فكان الحديث لدى الجميع عن الفساد، فعندما تقرأ في الصحافة وتطالع كل الجرائد الجزائرية تجدها تتحدث عن الفساد، وكان الإعلام والصحافة مستقلًا وديمقراطيًا، فكان الحديث عن الفساد ويقصدون به الفساد الاقتصادي من سرقات أموال ورشوات، وأيضًا كان هناك فساد في الإدارة والبيروقراطية فساد كبير جدًّا، ومن أمثلة الفساد أن قيادات من الجيش استأثروا بالشركات الكبرى في البلاد، فترى جنرالًا أو اثنين مثلًا هما المتحكمان في القهوة وفي استيرادها، الناس في الجزائر تشرب القهوة بديلًا عن الشاي، أغلبهم يشربونه سواء في الصحراء في الشرق والغرب، ومعظم أهل الوسطى يشربون القهوة كما يُقال: «القهوة حاكمة فيهم» فيشربون القهوة السوداء ويسمونها «الكحلي»، الجزائر لا تُزرع فيها القهوة، وإنما تأتي من كوبا والبرازيل واليمن وكينيا وساحل العاج، فيتحكم في الاستيراد جنرال أو اثنان، فيشدون على الشعب برفع السعر، ويعملون المقالب في الشعب وهكذا، وهذا نموذج واحد فقط، فكانت الطبقة السياسية والطبقة العسكرية تتحكم في الدولة وفي التجارة وفي الاستيراد والتصدير والشركات الكبرى كلها بأيديهم، فكان هناك نوع من الإقطاع والنظام الطبقي، وصلت البلاد إلى مستوى رهيب جدًّا من الفساد، فالدولة كانت مخلخلة، دولة سهلة الانهيار، فكانت هذه العوامل: القوة المنطقية والحجة والبرهان الأدبي االذي تمتع به المجاهدون، وكذلك إلغاء الانتخابات، وما سبقها من مرحلة الدعوة والصحوة الإسلامية القوية جدًّا، وقضية كره الحكومة والدولة، والثارات التي تكونت مع الدولة، وضعف الدولة نفسها وفسادها، والأهم التأييد الشعبي، أضف إلى ذلك الظروف الطبيعية التي تكلمنا عنها كالجبال والغابات أيضًا، فالغابات فيها أجزاء مثمرة بها ثمار وأعشاب يمكن أن تأكلها، وتشرب منها، الشاي نجده فيها والنعناع أيضًا، وفيها كذلك نبات الفقاع -هذا وقت الفقاع-، والبلوط، يوجد غابات بلوط، والتوت، وأشياء كثيرة جدًّا، طبعًا هذا ليس الأساس ولكنه مساعد، وكان هناك غابات يعيش فيها الإنسان، والأمر الآخر توفر الماء في كل مكان، أين ما تذهب تجد عينًا، العيون والشعاب والوديان تسيل في الصيف والشتاء، وكثير من المناطق ثلجية، الكثير من المناطق ثلجية مثل المنطقة الوسطى القريبة من البحر، تكسوها الثلوج في الشتاء دائمًا، وأمطار شتوية غالبًا، فالعيون كثيرة تسيل ويأتي المجاهدون والناس وتملأ منها بدون أي مشكلة، ويستعملون في نقلها البغال والحمير، وتُحمل في أوعية زرقاء «الجركات الزرقاء».

كانت طريقة العسكر في الجبال هي التخندق والحفر في الأرض غالبًا، وأحيانا باستعمال الخيام تحت أشجار الغابات، فيحفرون «نصفية» حفرة متر مثلًا وفوقها الخيمة، وكان لديهم طرق فنية جيدة

في استخدام الأشجار فيبنون فيها الغرف وهكذا، ولا يستخدمونها في الخيام، يربطون بها المشمع ويستخدمونه، ولكن الغالب هو استخدام البلاستيك الذي ينسجون منه خيامًا ويعملونه بشكل عريش وبأغصان الأشجار، حيث يثبتونها ويربطونها بالحبال أو بالتل «أسلاك حديدية» ثم يغطونها بالبلاستيك، أو مادة تشبه البلاستيك قوية سوداء اللون، ويستعمل هذا النوع في الغابات على نطاق واسع، وقليل ما يستعملون اللون الأبيض، ويستعمل المزارعون البلاستيك الأسود في تغطية التبن، في المزارع والسهول الجبلية والبيوت الزجاجية، ويستخدم أيضًا في التخييم في العرائش أو الخنادق في الأرض يسمونها «كازمة»، وهي غرفة تكون كبيرة كلها في الأرض، تدخل من الدرج لغرفة تحت الأرض ليس لها جدار، غرفة كلها في الأرض، وجدرانها من الجبل نفسه، ولكن السقف يبدو فيها سقفًا عاليًا مكونًا من أغصان الشجر الكبيرة وبعض الأغصان الصغيرة ويضعون عليها البلاستيك، ويضعون عليها التراب.

«الكازمة أظنه لفظ عربي، وكأن أصلها الكاظمة من الكظم، كظم الغيظ، أو المنع أو التضييق، ولعل اسمها الكاظمة أو ربما له أصل أعجمي أو أوربي، وكان هذا الاسم مشهورًا لدى الجزائريين من قبل أيام الثورة، والمجاهدون يستعملون نفس الاسم».

كان هناك بعض المغارات -جمع غار في الجبال، بعضها قديم منذ أيام الثورة ضد فرنسا، ومنها ما هو جديد الذي حفره الإخوة في الجبال التي تكون بيئتها مناسبة للحفر، أي تربتها جيدة أو بحجارة صخرية جيدة، فيحفرون فيها، وكلامي هذا فيه لمحة عن طريقة تمركزهم في الجبال، وكانت طبيعة هذه الغابات تختلف من منطقة لأخرى، فهناك غابات جيدة وهناك غابات ليست جيدة كالغابات الصنوبرية، فالصنوبر هذا يشتعل كعود الكبريت وخطير جدًا، لهذا كانت الحكومة أين ما وجدت الصنوبر تشعله بقنبلة أو أيِّ مادة تحرق هذه الغابة، طبعًا كان الطاغوت يحرق الغابات، وهذا ما يستعملونه في حروب العصابات حتى الكفار، وكذلك الطيران يحرق الغابات في الصيف، أما في الشتاء فلم يكن بإمكانهم إشعال الحرائق في الغابات؛ لأنها تكون خضراء وبسبب المياه والأمطار، ولذا كان تخوف المجاهدين من الحرائق يبدأ في موسم الصيف حيث كان الطاغوت يحرق الغابات بواسطة الطيران، وكان يفرح إذا وجد غابات الصنوبر، حيث يرميها بالقنابل الحارقة التي تشتعل في الأشجار، هل تعرفون ما هو الصنوبر؟ هو ما تستخدمونه في إشعال النار -حطب التوليع-، هذا الشجر عندما يشمُّ رائحة النار تجري فيه وتشعله، وقد حدثت لي قصة مع الحريق عندما مشت عليَّ النار، أحرقوا

الغابة والذي بها، فقلت ستأكلني النار حتمًا -وأنا أحكي لكم عن النار عندما تأتي إليك، فقد قلت لا تقترب من النار، ولا تمش في الغابة بزعم أنك تعرفها وتقول أنا أعرفها، ولا تمش في الصحراء تقول أعرفها، فتضيع في الصحراء وكذلك الأمر في الغابة- فالنار أمرها عجيب ففي مرة أحرق الطاغوت الغابة كنت أنا و«عبد الرحمن الفقيه» -هذا الأخ من الإخوة المسجونين الآن في بريطانيا، وهو كان معي هناك في الجزائر مع مجموعة من الإخوة في الجماعة الإسلامية المقاتلة ممن التقينا بهم هناك، وكنت أنا هناك نيابة عن القاعدة، وهم مع القاعدة وهو من الجماعة المقاتلة، فالتقينا هناك دون أي تنسيق بيننا وكنت قد سبقتهم بقليل وهم جاؤوا بعد مدة مقاربة، فالتقينا هناك وبقينا لمدة أربع سنوات وكنا معًا أينما ذهبنا، وكان صاحبي وجاري في البلد، ومعنا في الجهاد والعمل الجهادي، وخرجنا معًا إلى الجهاد في العام ١٩٨٩م، ثم افترقنا وجمعتنا الجزائر مرة أخرى- فكان معي في الغابة، وكانت غابة كبيرة وقد حكيت لكم عن شجرة الصنوبر فهو يتميز بأن شجرته تكبر هكذا وفي فصل الصيف تتساقط أوراق الصنوبر تحت الشجرة وهي أوراق طويلة كالإبر، فالذي يجف منه يسقط ويكون طبقة من القش على الأرض، فبمجرد رمي عود ثقاب تشتعل النار وتمشي في الأشجار نفسها، تمشي النار أمام عينيك بشكل عجيب جدًّا ومخيف، فعندما أحرق العدو الغابات في تلك المرة، كان بيننا وبين الضفة الأخرى شعبة كبيرة وطويلة، وهذه الشعبة أحيانًا يكون بها ماء، وأعتقد أنها كانت في تلك الفترة جافة، ونحن كنا في هذه الشعبة والحريق كان قد وصل للشعبة الأخرى، فكنا قد جمعنا أغراضنا والمركب والشنط وكان لدينا محمل فوضعنا فيه أغراضنا، وكان من المفترض أن ننسحب لكن قلنا ننتظر قليلًا وتشاورنا حيث كان معنا اثنان أو ثلاثة من الإخوة الجزائريين، وقلنا ننتظر نحن قد جمعنا عدتنا وأغراضنا ويمكن أن تغلب الشعبة النار، كانت النار تلتهم الحشائش والقش وتأتي مشتعلة وكان لها صوت مخيف وهي تحرق المنطقة، قلنا هذه النار لن تتجاوز الشعبة لأن الشعبة كان بها حجارة وبعض المناطق التي لا قش بها -كان الوقت حينها بعد الظهر أو العصر تقريبًا-، فتخيل معي أن الشعبة بدأت بالتفحم ونحن للتو نمر عليها، فكان الحل هو الفرار حيث كان منظر النار عجيبًا، كان صهد النار وحرارتها تنتقل من مكان إلى آخر، ونحن نهرب منها وهي تجري خلفنا، في نهاية هربنا واجهنا جبلًا والجبل كهضبة يصعب الصعود عليها لأعلى، فكان معنا أخ جزائري مسكين وكأن لديه خبرة من قبل، لجأ إلى خندق صغير به قطعة فرش «موكيت» كان الإخوة يصلون عليها كالمصلى، فنام في الخندق والنار تمشي وتجيء على المكان لمدة دقيقتين أو ثلاث، فمشت النار فوقه وهي تجري خلفنا، وهو قاعد تحت النار وطبعًا أكلت النار قليل من يديه وأصابعه وقليل من رجليه وعالجناه لاحقًا، وهي تجري

خلفنا، المهم أن النار كانت تلحق بنا نحن الأربعة، وأحرقتنا قليلًا، فلجأنا إلى منطقة فيها حجارة والحمد لله ابتعدنا قليلًا عن الحشائش ونجانا الله تعالى.

الحكمة من هذا الموقف أن لا يستهان بالنار فهي تأكل بشكل سريع، ولا تقل أبدًا النار بعيدة، النار خداعة وتجري بسرعة، لا تقل سنطفئها، ولا تقل أن شيئًا سيوقف النار، فهي صعبة جدًا إذا اشتعلت، الأمر الآخر هي تأكل وتمشي فإن كان الشخص لديه حفرة يختبئ بها قد تضره ولكن لا يموت منها، هذه قصة النار وكان هذا استطرادًا المقصد منه أن العدو كان يحرق الغابات وخاصة غابات الصنوبر. وهناك أنواع من الأشجار في الغابات كان الجزائريون يسمونها أشجار «الضرو» كأنه اسم عربي-، وكان هناك شجرة اسمها «الدفلة» التي تعمل النوار الأحمر البنفسجي، هذه الأشجار أوراقها غليظة وشديدة الخضرة فلا تحرقها النار ولا تأكلها، الضرو لا تأكله النار أبدًا مهما حاولت الاشتعال فيه لا تشتعل إلا بصعوبة بالغة، حتى كانوا يحرقونها ويرمون القنابل الحارقة بلا فائدة، فأفضل الغابات هي التي بها الضرو، ومن أشدها وأصعبها التي بها الصنوبر، وكانت أكثر المناطق بها الصنوبر، ولكن كانت هناك أشجار أخرى منها الكاليتوس الذي يسمى السرو أو المعروف بشجرة الكافور ذو الرائحة، هذا الكافور يحترق ويعود الموسم القادم لتجد شجرته ضاربة بعد أن يكون قد تفحم، ولكن سبحان الله قلبها يكون صحيحًا فترجع وعند نزول المطر تعود للنمو وبعد موسمين تقريبًا تجدها شجرة عادية، بعكس الصنوبر بمجرد اشتعاله يتحول إلى فحم وينتهي.

المهم بدأت الحركة الجهادية، وبدأت تتجمع المجموعات الجهادية، وتكونت الجماعة الجهادية المسلحة، وكان شبوط الذي حكيتُ عنه صاحب أبو يعلى ومعهم آخر اسمه: سعيد مخلوفي، كان ضابطًا في الجيش وهو من ألف كتابًا أيام الاعتصامات وأسماه «العصيان المدني»، وكانت فكرة العصيان محاولة للاستفادة من فكرة الخميني في الثورة الخمينية في إيران، أي الثورة الشعبية لإسقاط الدولة.

«سعيد مخلوفي» أسس هو و«عبد القادر شبوطي» ما سمي بـ «حركة الدولة الإسلامية»، كانت جماعة منصور بلعيان ولعيادة والقاري سعيد، والجماعة الإسلامية المسلحة، وتكونت مجموعة أخرى، هذه المجموعات الكبيرة التي هي تابعة للجبهة الإسلامية للإنقاذ المُقالة بشكل رسمي، والرسميون التابعون للجبهة التي كان يقودها «محمد السعيد»، والشيخ محمد كان داعية مشهورًا، وكان يقود خلية الأزمة بعد اعتقال قيادات الجبهة الإسلامية منهم العباسي وعلي وعبد القادر حشاني، هؤلاء الثلاثة هم

كبار القادة وبعد اعتقالهم فرت القيادات الأخرى الوسطى والصغيرة ومنهم «سعيد مخلوفي» وتجمعوا بعد هربهم وشكلوا ما يُسمى بخلية الأزمة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وكان لهؤلاء سرِيَّة في العاصمة اسمها «سريَّة الفداء»، ثم تحولت إلى «كتيبة الفداء»، وكانت هذه الكتيبة نخبوية، أي جميع شخصياتها أساتذة جامعات وأطباء ودكاترة وبعضهم طلبة في الجامعات ومهندسين، أي كانوا مثقفين جدًّا، وهذه هي مجموعة «محمد سعيد»، وكانوا قد دخلوا مع الجبهة قبل الانتخابات وحضروا معها وفازوا معها، أي دخلوا مع الجبهة واندمجوا اندماجًا كاملًا، ولما تم إلغاؤها جمعوا أنفسهم وبدؤوا يمارسون العمل الجهادي، وكانت الطوائف الأخرى السلفية تسميهم «جماعة الجزأرة» -وهذا الأمر يحتاج لشرح وتوضيح وتعليق-، كان السلفيون يعتبرونهم أشبه بالإخوان المسلمين وهم ليسوا إخوانًا، هم أناس مستقلون لديهم أخطاء ولديهم صواب، عرفنا أناس منهم عن قرب، وهم فيهم أناس صالحون وعقول مفكرة ومثقفة، و«محمد سعيد» أعتقد أنه رجل صالح ورجل طيب جدًّا ومتعلم وشيخ وداعية من أهل العلم وكان أستاذًا في الجامعة.

كانت هناك أيضًا مجموعة الجيش الإسلامي للإنقاذ، وكان تمركزهم في شرق الجزائر وهم مجموعة من الشباب الذين كانوا مع الجبهة وسلحوا أنفسهم، وبدؤوا بممارسة العمل الجهادي، وكانوا مستقلين وكان اسمهم امتدادًا للجبهة الإسلامية، أو كالجناح المسلح للجبهة.

إذًا كانت هذه هي المجموعات الرئيسية للإنقاذ وكان هناك مجموعات صغيرة أخرى متفرقة ومتناثرة، كمجموعة عبد القادر الصوان في جبل اللوح، وحسن حطاب ومجموعات قريبة من العاصمة في بومرداس، وجميع هؤلاء دخلوا في الوحدة عندما قامت في مايو ١٩٩٤م، وسبق هذه الوحدة جهود واتصالات واجتماعات ونقاشات وغيرها.

«الجماعة الإسلامية المسلحة»، و«الحركة الإسلامية» أو «حركة الدولة الإسلامية» -وهذا اسمها بعد التغير، ولا أدري أي الاسمين كان أولًا- نسيت اسمها بقيادة عبد القادر الشبوطي وسعيد مخلوفي، وكانت لديهم خلية الأزمة التي عندها كتيبة الفداء لسعيد العاصي ومحمد سعيد، والجيش الإسلامي للإنقاذ الذين اعتبروا أنفسهم امتدادًا أو بمثابة الجماعة المسلحة لجبهة الإنقاذ، وكان معظم تمركزها في الشرق، وليس لهم أي نشاط في الوسط والعاصمة، فلم يستطيعوا عمل أي شيء، وكان معهم جماعات أخرى، ولم يكن هناك ولاء فيما بينهم وكان بينهم تنافر وتفرق، فكثرت جماعات ومجموعات غير مرتبطة ببعضها، إلى أن جاءت الوحدة في مايو ١٩٩٤م كان أمير الجماعة المسلحة رجلًا فاضلًا وصالحًا وطالب علم وشيخًا وداعية اسمه «أبو عبد الله أحمد» وكان من العاصمة وداعية

مع الجبهة وإمام مسجد، وهو من تولى بعد أن تم أسر عبد القادر العيايدة، وقُتل الشيخ سعيد، والشيخ خالد سعيد، ومنصور الملياني، وقُتل بعدها شخص اسمه جعفر الأفغاني، كان قد تولى القيادة جاء بعده «أبو عبد الله أحمد» ولم ألتق به شخصيًّا ولكن حسب أثره وشهادة الناس أنه تم تزكيته واتفق عليه المخالف والموافق، واتفقوا على جلالة قدره وصلاحه، كان جيد الفهم، والفتن وقعت بعده، عندما جاء «جمال زيتوني» وكانت بدايات الانحراف.

«أبو عبد الله أحمد» فترته لم تطل كثيرًا، واعتقد أنه مكث نصف سنة أي ستة أشهر تقريبًا، ثم قُتِل اغتيالًا أثناء مشيه بسيارة في طريق سريع بين العاصمة ومنطقة بليدا على الطريق السريع فحاذته سيارة ثم رشقوه بالرصاص حتى قُتِل، وكان مقتله غامضًا فقد كانت هناك تساؤلات ونظريات وتفسير للقتل، وحين حدث التفكك بين الجماعات بدأت المعلومات والشكوك تظهر، وظهرت سيناريوهات الله أعلم بصحتها ولا أجزم بشيء، ولكن كانت النظريات التحليلية تتمركز حول وشاية من الداخل واختراق وأناس معينة كُتبت أسماؤها واتهمت بأنها تخلصت منه اغتيالًا، والله أعلم ليس لدينا يقين بشيء.

المهم أن الوحدة قامت على يد «أبو عبد الله أحمد» بعد جهود ومشاورات واتصالات استمرت لمدة سنة أو أكثر وبضغوط كبيرة حيث أن كل الناس كانوا يريدون الوحدة، حتى الشعب والناس في الخارج كانوا يريدون الوحدة، فقامت برئاسة أبي عبد الله أحمد، واعتمدوا اسم «الجماعة الإسلامية المسلحة» فدخلت فيها الحركة الإسلامية أو حركة الدولة الإسلامية التابعة للشبوطي، ودخل محمد سعيد ومجموعته، وأبو الفداء، ودخلت مجموعات كثيرة أخرى، أما الجيش الإسلامي فبقي في الشرق ولم يدخل في الوحدة.

أعلنت الوحدة وفرح بها الناس وهللوا، وكانت وحدة على سبيل الجهاد وعلى المنهج السلفي وو..، وكانت بنودها العامة جيدة، وازداد عدد المجاهدين في هذه الفترة -بين مايو ١٩٩٤ إلى أواسط ١٩٩٥ تقريبًا-؛ فكانت هذه الفترة هي الفترة الذهبية للجهاد، وأنا أنا حضرت هذه الفترة في أواخر أيام «أبي عبد الله أحمد»؛ أي بدايات أيام «الزيتوني»، وبقيت سنة ونصف أي إلى أواخر ١٩٩٥م تقريبًا.

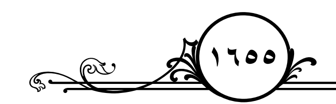
كانت فترة ذهبية حيث كان المجاهدون يسيطرون على معظم البلاد بنسبة ١٠٠٪ من أرياف وجبال ليلًا نهارًا، يتحركون فيها بحريّة ولا تستطيع الحكومة أن تخرج، ولا تدخل الحكومة إلا في حالات التمشيط، أي تأتي لمنطقة معينة بجيش يتكون من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف عسكري

ودبابات ومدرعات وهيلوكبتر للغطاء الجوي، المجاهدون ماذا يفعلون؟ يقومون بجمع أغراضهم وإخفائها، وعند بحثهم لا يجدون شيئًا فيتركون المكان ويذهبون، ويعلنون في إعلامهم أنهم قد أحرقوا مركزًا وقتلوا عددًا من الإرهابيين، وهذا كله كذب والله، فنحن في المنطقة وقد رأينا شيئًا عجيبًا، فيقولون قتلنا خمسين إرهابيًّا ويستحيل أن يُقتل خمسون واحدًا منهم مثلًا في تمشيط، والكلام الذي كتبه أرباب ومؤلفو حرب العصابات تراه كما هو حتى يُهيأ لك أن كل شيء يطبق كما هو مكتوب في حروب العصابات، فتجد العدو يطبق ما كتب، وكذلك رجال العصابات يطبقونه، فيأتي العدو ويقوم بحشد كبير جدًّا ويهاجم المجاهدين، فينسحبون ويلتفون عليه وينصبون له كمينين أو ثلاثة ويضربونه، فيأسرون عشرة أو اثني عشر جندي، فيهرب الباقي وهكذا في كل مرة، ويأتي الطيران يضرب ويحرق الغابات، ويحرق آثار المراكز، مثلًا تجد المركز يجمع أغراضه ويرحل ويُبقي القليل من الفراش فالعدو يفرح بأن عثر على آثار مركز، فيقولون حرقنا مركزًا وهكذا، ويأتون بصور في أطراف الغابة لمراكز قريبة، ونحن كنا قد قرأنا في حروب العصابات وحرب المستضعفين ومذكرات ماو سي تونغ وكاسترو، فكنت أتعجب وأقول: سبحان الله حذو القذة بالقذة، فكما هو مسجل في حروب العصابات العدو يطبقه في المرحلة، وفعل المجاهدين كرجال العصابات وطبعًا الجزائريون لا يعرفون حروب عصابات ولا شيء، فقط هم تدربوا هكذا بالفطرة، وهكذا العمل يوجب عليك أن يكون هكذا، فكان العدو يأتي بحشد كبير ويخرج فاشلًا في كل مرة؛ لأنه وصل إلى مرحلة توازن مع العصابات، فكان لا يستطيع أن يأتي بسيارتين أو ثلاث سيارات إلى الغابة، فصار لا يستطيع أن يأتي إلى منطقة المجاهدين إلا بحشد كبير ويقوم بالتمشيط الذي يقوم به بين الحين والآخر حتى يحافظ على هيبة الدولة، هو يحقق مكاسب بقتل بعض الناس أو بأسر البعض أو يحرق المراكز ويقطع الطرق، وأيضًا الأمر الأخطر والمحزن جدًا وما كان يحزننا هو العوام فقد وصل العوام إلى مرحلة الهروب مع المجاهدين، فكم من مرة هرب مع المجاهدين عوام من الناس؛ لأنه ليس لديهم سلاح، وكان بعضهم يعرف الغابات والطرق فيساعد المجاهدين في الدلالة، فالعدو عندما يأتي ويهجم ويحشد الآلاف ويغلق الطرق، وكان الدرك والشرطة في خدمة الجيش ومعهم دائمًا، ووظيفتهم تفتيش الشعب فهذه مهمتهم، وهم يمثلون وزارة الداخلية وتفتيش الناس ليس من مهمة الجيش، فكان الجيش يستخدم الدرك لإخراج الناس ومحاصرة الرجال والنساء فتحصل انتهاكات لأعراض الناس مثل اليهود وهم كاليهود بالضبط، وهذا الأمر يزيد الناس حنقًا وغضبًا على الطاغوت، وكلما زادت ممارساته يزداد حنق الناس عليه، فيدور في حلقة مفرغة ولا يحقق أي نتائج، فيتعب من هذا.

أكبر عملية تمشيط حضرتها هناك كانت مدتها أربعة أيام أغلقوا فيها المنطقة، وقيل أن التقديرات لعدد العساكر في هذه العملية ما بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف عسكري، أغلقوا المنطقة وكانت منطقة جبلية كبيرة واسعة في بومرداس وكانت في مناطق خميس...، وتمتد إلى البيرا ومناطق واسعة جدًا، أغلقوا المنطقة وكانوا يدخلون إلى الوادي وإلى الغابة، ولا يدخلون إلى أعماق الجبال العالية، ولكن يرمون بالطيران للإغلاق والحصار، وكان عملهم الأغلب هو تفتيش الناس، وطبعًا هؤلاء الناس من العوام، وكنا نعيش على مجهودات هؤلاء العوام، فكان المجاهدون على اتصال بهؤلاء الناس فينزل الناس إلى المدينة ويحضرون الحاجيات ويخدمون المجاهدين ويخبزون لهم ويقومون بجميع هذه الأمور، كانوا أنصارًا كالأنصار هنا، ولكن الفرق أنهم هناك أنصار عرب، وهذا أمر أفضل.. فالضرر الحقيقي كان على الناس، ولهذا كثير من الشباب في مراحل لاحقة كانوا يهربون مع المجاهدين، فلا يبقى إلا الرجال من الكبار والشيب والعجائز والنساء، أما الشباب فكانوا يهربون عندما يسأل الجيش عنهم، وعندما يسألون عنه أهله يقولون لهم هذا في العاصمة وليس موجودًا، طبعًا كانوا يؤذون الناس، وأقل الإيذاء هو إهانتهم وضربهم وتفتيش بيوتهم، والدخول للبيوت إهانة!

استمرت هذه الحرب بعدما تكونت هذه الوحدة برئاسة أبو عبد الله أحمد، واستمرت لمدة ستة أشهر، فكانت فترة ذهبية، وبعد مقتله الغامض والذي تدور حوله الشكوك حدثت فوضى كبيرة جدًّا، فكانت بداية الفتن وبداية المشاكل، وكان هناك قانون داخلي للجماعة المسلحة أسموه القانون الأساسي، وكان ينص على أن المجموعة المسلحة في حال غياب أمير الجماعة أو مقتله أو عجزه يتولى نائبه، وكان النائب يسمونه بالمستخلف الأول، وهو يتولى القيادة بعده بشكل تلقائي، ثم يجتمع مجلس الشورى في فترة تقدر بأسبوعين ويدرس هل يُقِر المستخلف هذا أم يُعين غيره، وهكذا نص القانون تقريبًا.

الذي حدث أنه عند مقتل أبي عبد الله أحمد تولى المستخلف القيادة، وكان المستخلف حينها اسمه محفوظ أبو خليل؛ من منطقة براقي من ضواحي العاصمة، هذا الرجل كان من جماعة محمد سعيد الذين يسمون بالجزأرة، التيار السلفي لم يكن يحب تيار الجزأرة ولديه ملاحظات وغلٌّ من أيام المرحلة السلمية الدعوية وكان بينهم شحناء، وكان هناك تيار في الجماعة المسلحة منهم عنتر زوابري والزيتوني وآخر اسمه أبو كابوس وعدنان وأبو بصير ماكادور وآخر اسمه أبو ريحانة، مجموعة أسماء لأشخاص كانوا متنفذين وأكثرهم أناس جُهال، فهذا تعنت شخص جاهل، ولا أعتقد أنه مخابرات أو أن فيهم



مخابرات، ولا أعتقد أن المخابرات تقبله، والجهل بلغ لديهم مبالغ، لا حول ولا قوة إلا بالله، وكل هؤلاء من الجماعة الإسلامية المسلحة. فهذه المجموعة كانت لديهم تركيبة معينة، وأغلبهم جُهال ومعظمهم حديث عهد.

عنتر كان حديث عهد وجاء للجهاد واستلم سلاحًا ولم يكن ملتزمًا، ولكن كان له أخ قبله ملتزم اسمه إبراهيم زوابري قُتِل، وقيل أنه رجل طيب صالح وملتزم ومعروف، وعنتر هذا ذهب للجهاد بعد مقتل أخيه ما بين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٣م تقريبًا، وكان عنده جرأة وشجاعة وقتال، وقد تحصل على نوع من التقدم بالفتوة والقوة، فكان رجل مهمات وقريبًا من أبي عبد الله أحمد لأن الأخير كان يعرف أخاه، فكان يستعمله في بعض المهام ويبعثه وهكذا، ولم يكن لديه منصب وكذلك لما جاء زيتوني قربه فصار متنفذًا أكثر، أما ماكادور فكان مسئولًا للعلاقات الخارجية، وأبو ريحانة كان مسئولًا شرعيًّا عندهم، وكان لديهم شخص آخر اسمه أبو الوليد قرادية كان هذا مسئولًا شرعيًّا، كل هؤلاء عرفتهم عن قرب، لم يكن بينهم أهل علم، أبو ريحانة كان قد درس قليلًا ولكن لم تكن دراسته تأصيلية، كان يقرأ قليلًا ويعتمد على الكتب، ولم يكن بينهم طالب علم متخصص أو أي شيء من هذا، وكان فيهم واحد فقط طالب علم جيّد اسمه أبو بكر، لم ألتق به وقد عملوا له مقلبًا وقتلوه.

المستخلف محفوظ أبو خليل كان المستخلف المفترض أن يتولى القيادة ريثما يجتمع مجلس الشورى خلال أسبوعين وإما أن يقره أو أن يعلن غيره، وفعلًا تولى القيادة بعد مقتل أبو عبد الله أحمد، وكان الأفراد الذين قلنا أنهم مجموعة جهال وملكوا السلاح غير راضين عن تولي محفوظ القيادة، كانت هذه الجماعة عصابة مسلحة،وأفرادها رجال عصابات ولديهم قيادة وجنود وعندهم نزعة التعصب للسلفية، وعندهم في الدين مفاهيم خاطئة جدًّا، تركيبة من المفاهيم الخاطئة العجيبة، كان الدين لديهم مقسمًا إلى قسمين: سنة وبدعة، لا يعرفون حلالًا ولا حرامًا، ولا يعرفون الأحكام التكليفية الخمسة، لم يعرفوها ولم يسمعوا بها، الدين لديهم سنة وبدعة، فتجد أحدهم يسأل أنت لماذا تضع يديك هكذا؟ سنة؟ أنت تفعل بدعة..! وكل شيء يناقشون فيه سنة أو بدعة، لدرجة أنهم وصلوا إلى نماذج نخاف ونخشى أن نحكيها لأنكم لن تصدقوا! والله عندما كنت أنا وعبد الرحمن الفقيه كنا نقول إذا ذهبنا للإخوة في الخارج وحكينا لهم هل سيصدقوننا يا ترى؟!!، فكان عندهم تنطع شديد في موضوع السنة والبدعة، وفي يوم كنا في مركز قريب من القيادة، كان جمال زيتوني قد طلبنا بعد توليه، انطلقنا ووصلنا ووضعونا بمركز ريثما يلتقي بنا، وكان المركز في الغابة، وهذا المركز مركز حراسة القيادة حيث التمركز في الأسفل والقيادة في الأعلى، بقينا في المركز وبتنا ليلة فيه، في النهار رأينا الناس تتصارع! حوالي سبعة

أو ثمانية أشخاص من حراسة القيادة، فكانوا يتصارعون في النهار ثم في العشية وقبل المغرب وقبل النوم، يتصارعون! ما الأمر؟!.

جاء اليوم الثاني وأحد الشباب لا أتذكر اسمه ليس له لحية ولكن كان طويلًا ما شاء الله وفتوة، فقال: ما بكم اليوم؟ خالفتم اليوم ولم تطبقوا السنة، قريبًا تسقطون في البدعة..! ففهمنا نحن الأمر حينها، ولم نتكلم معه لأننا كنا ضيوفًا وهم حراسات، وسنذهب للقيادة والأحاديث بيننا كانت ودية، المهم علمنا أن المصارعة لديهم سنة ولا بد من تطبيقها كل يوم، وإن لم يطبقوها يومًا يسقطون في البدعة ويصبحون مبتدعة!، ولديهم أي شخص يفعل البدعة ولو صغيرة يصير مبتدعًا ويُحذر منه ويُبرأ منه، ليس لديهم بدعة صغيرة وبدعة كبيرة، ولا بدعة كلية ولا بدعة جزئية، ليس عندهم أي فقه، شيء عجيب! تجد لديهم مجموعة من المفاهيم والتصورات الغريبة، ولكن نحن الحمد لله مارسنا الدعوة وكنا في البداية نعطي بعض الدروس، وأنا شخصيًّا في أول نزولي لمنطقة ولاية بومرداس وما حولها التي تسمى بالمنطقة الثانية، وكان أميرها العام حسن حطاب، وقبل ذلك كان أمير أجناد فيها حيث كان التقسيم الإداري لديهم أن المنطقة تتكون من الأجناد، ثم الكتائب، ثم السرايا، ثم الزمر، فكانت هذه هي المنطقة الثانية وكان رئيسها أمير أخ طيب وصالح، كان هنا في الجهاد الأفغاني أي معرفتي به قديمة وبسيطة لانشغالي، وكان هو في الأصل من الإخوان المسلمين قديمًا حتى عندما وصل إلى الجهاد كان عن طريق الإخوان المسلمين، ولكن عندما جاء للجهاد تغير اسمه وترك الإخوان، فهذا رجل فيه عقل ورزانة وكبير في السن اسمه أبو طلحة الأغواطي، من منطقة الأغواط، وهذه منطقة جنوبية في بداية الصحراء، منطقة نخيل، وهذا الرجل كان رجلًا عسكريًّا جيدًا وفيه شجاعة وتدبير عسكري جيد، قام بعمليات كبيرة وممتازة، متفوق عسكريًّا، وباعتبار أني كنتُ في أفغانستان كان يقدرني ويحترمني، وكذلك طالب علم، وقد حثني وأعطاني مجالًا للدروس وكنتُ أعطي دروسًا على مستوى الشباب، وحتى بعد أن جاء الإخوة الليبيون الذين ذكرتهم بعد شهرين والتقيت بهم، فأنا سبقتهم بفترة، فكانوا معي وكنت في المنطقة الثانية، فكان الوضع بالنسبة لنا مريحًا إلى أن أتت فترة بدأت تسوء الأمور مع قيادة الجماعة، ولكن هذا الرجل ظلَّ يحترمنا إلى آخر الأمر، وقُتِل بعدها ﵀ في بداية الفتن.

كان أكثر الفساد في الأمراء وبعض الناس المتنطعين والمتحكمين والمتنفذين والمجموعات، ولكن جمهور الشباب الهادئين كانوا عاديين وبسطاء يحبون الدروس وشرح الدروس وقراءة القرآن ومداخل كثيرة جدًّا يمكن أن تجمعهم فيها، والأمية فيهم كانت بنسبة عالية جدًّا، فكثير من الشباب تجده لا يقرأ

ولا يكتب، فالقيادات هي التي كان الفساد فيها كبيرًا، فهذا كله بعد أبي عبد الله أحمد، وأول عهد جمال الزيتوني أبو عبد الرحمن، وقد تقدمت في الأحداث سابقًا حتى أعطي لمحة عن أفكارهم، وكيف كان تقسيم الدين لديهم إلى سنة وبدعة، وكيف أن عندهم تنطع وتبديع وتفسيق وتكفير، وأمورهم مختلطة جدًّا، المهم كان أكثر الفساد في القيادات والضباط الشرعيين، للأسف كان هناك خلط وفساد كبير جدًّا لدى بعض الشباب، ولكن معظم الشباب بسطاء وفيهم الصالحون وفيهم الاستشهاديون وفيهم أناس طيبون جدًّا، ولكن غلب الفساد من خلال النماذج الفاسدة في القيادات.

نعود لقضية مقتل أبو عبد الله أحمد وكيف حدث تولي الزيتوني، باختصار أحاول شرح هذا، وهو أن جمال زيتوني عمل انقلابًا أيضًا مثل ما يُسمى في الانقلابات السلمية لحدٍ ما، لا يوجد سلاح ولكن هناك تهديد بالسلاح بدون استخدامه، فالحدث شبيه بالانقلابات التي تحدث في هذه الدول، كيف حدث ذلك؟ نأتي للتفاصيل وهو أنه عندما تولى القيادة محفوظ أبو خليل بمقتضى الدستور عندهم كما ذكرنا وكان مستخلفًا، كان من المفترض أنه بعد أسبوعين يجتمع مجلس الشورى ويقرر، بعد مقتل أبي عبد الله أحمد بعد عدة أيام اجتمعت مجموعة من هؤلاء المتنفذين وقالوا: لن نسمح أبدًا بأن يتولى محفوظ أبو خليل هذا «الجزأرة»، وهذا سيحرف الجماعة الإسلامية إلى غير ذلك من أقوالهم، فكانوا يتهمون محفوظ وجماعته بأنهم فكريون عقلانيون وأنهم إخوان وأنهم قطبيون ونحوها، وهكذا اتهموهم بتهم كثيرة، وهم فيهم من هو كذلك وفيهم من هو مسكين.. ما رأينا أن كثيرًا منهم هم نماذج صالحة، ولكن أيام الحركة الدعوية السلمية كان هناك خلاف بينهم وبين التيار السلفي، فهم كان لديهم توجه بأن يحلقوا اللحية على سبيل المثال ويلبسوا البنطلونات، ولا يلتزموا بالزي المعتاد -الدشداش- ويرون أن هذه المرحلة تستوجب ذلك، يسمون جماعة الحذر، فكان مثلًا قول لديهم بأن لا تظهر اللحية وهذه فتوى سائدة لديهم، فكان التيار السلفي يعتبرهم أشبه بالإخوان المسلمين، ويعتبرهم مبتدعة، ولم يكن الأمر بالضرورة كذلك فهم فيهم شباب جيدون وكثير من قياداتهم حقيقة صالحون وملتزمون، ولديهم وعي وفهم إسلامي جيد، ولديهم رجولة، وقد أثبتوا جدارتهم في الجهاد حتى أن كتيبة الفداء التابعة لهم في العاصمة كانت متخصصة في اختطاف واغتيال الشخصيات الكبيرة والعمليات الخاصة، فهم من قتل عبد الحق بن حمودة رئيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين، الرجل الذي تعتبره الجزائر الرجل الثاني بعد رئيس الجمهورية، كان عبد الحق بن حمودة زنديقًا أحمر من أكبر الزنادقة في الجزائر، عبد الحق بن حمودة هذا عندما كان يخرج ليلقي كلمة تقف الجزائر كلها، «الاتحاد العام للجزائريين» هذه المنظمة التي يندرج تحتها كل العمال في الجزائر عندما تقول: اليوم إضراب؛

تتوقف كل الدولة، إضراب لمدة أسبوع تجد الدنيا كلها متوقفة لا أحد يأكل ولا يشرب، فكان بمثابة الرجل الثاني في الجزائر، فهؤلاء -جماعة الفداء التابعين لمحمد سعيد- هم الذين قتلوه، وقتلوا الكثير من الجنرالات في الجيش، وكان لديهم عمليات كثيرة جدًّا، كانوا يعملون البارجات وهي النقاط الوهمية، هذا طبعًا لأنهم متنفذون، وكان عندهم من يشتغل في الشركات وفي الدولة، فكانوا يحضرون الألبسة والأسلحة الجيدة، فيعملون نقاطًا في العاصمة بعد دراستها، طبعًا يعملون فيها نقاطًا وهمية ويمسكون من يشاءون، ويختارون الشخصيات والقيادات الكبيرة لخطفهم وقتلهم، وقتلوا كثيرًا جدًا، والدولة كانت تعاني منهم، وكان عملهم منظمًا وسريًّا، وكانوا يعيشون في العاصمة ويمارسون حرب العصابات في العاصمة، ولم يذهبوا إلى الجبال، خاضوا تجربة مميزة من المفترض -والله- أن يُكتب عنها وتُسجل، ولكن للأسف ليس لديَّ الكثير من تفاصيلها، التقيت بقيادات منهم ومن قياداتهم الذين لم ألتق بهم ولكن التقيت بنوابه هو عبد الوهاب العمارة، وهو الذي قتلته الجماعة المسلحة وأصدروا شريطًا وقد عذبوه ثم قتلوه، والتقيت من نوابه بشخص اسمه أبو صالح كان هو رئيسهم بعد مقتل عبد الوهاب العمارة الذي قتلوه بحجة أنه مبتدع، تولى رئاسة الكتيبة أي أصبح أميرًا للكتيبة بعده.

كان الزيتوني وجماعته لم يرضوا بمحفوظ أبو خليل كمستخلف بعد أبي عبد الله أحمد، فاجتمع الزيتوني وماكادور وبوكابوس وعدنان وعنتر الزوابري -كان عنتر شخصية عجيبة- ومعهم مجموعة، وكان معهم شخص اسمه أبو مريم كان مسئولًا إعلاميًّا حينها، فاجتمعوا وقرروا وقالوا نصدر بيانًا الآن، قال لهم المسئول الإعلامي: ولكن كيف نصدر بيانًا ومجلس الشورى لم يجتمع؟ فأرغموه على طبع البيان بالقوة، وكان لديه مركز وأدوات وكمبيوترات وطابعات وغيرها، فتم صياغة بيان وطباعته وكان مفاده أنه في يوم كذا وكذا قد اجتمع مجلس الشورى وقرر تنحية الأخ محفوظ أبو خليل وتعيين الأخ جمال زيتوني -أبو عبد الرحمن أمين- أميرًا للجماعة الإسلامية المسلحة.. طبعًا لم يجتمع مجلس شورى ولا غير ذلك، وبعضهم لم يكن في مجلس الشورى أصلًا كعنتر والزيتوني، أما أبو ريحانة وماكادور وربما شخص ثالث معهم كانوا من مجلس الشورى حقيقة... وطُبع من البيان مئات النسخ وتم توزيعه ووصل إلى الكتائب البعيدة المسكينة التي قالت عندما وصلتهم الورقة: هذا البيان من الجماعة، وعليه فقد سمعنا وأطعنا، فلم يكن لديهم إشكال، والقريبون كذلك.

بعد نشر البيان جاء محفوظ أبو خليل ومعه أبو بكر -الذي ذكرنا أنه طالب علم وقتلوه فيما بعد-، وكان معهم مجموعة -وأنا لم أحضر القصة ولكن حكاها لي بعض الذين حضروها-، جاءوا واجتمعوا

في منطقة اسمها الأربعاء، وكان التساؤل هو: من أصدر هذا البيان وكيف؟ ولِمَ ونحن أعضاء مجلس الشورى؛ فكيف وبأي نصاب اجتمع؟ المهم أنهم عرفوا أن عنتر والجماعة التي معه هم من فعلوا ذلك، وحدثت مقاولة بينهم وكلام كادت تنتهي إلى حرب وقتال، فتدخل الإخوة ومنهم الشيخ مصطفى كرطالي -وهو من كان يحكي لي- فقد كان حاضرًا حيث كان أمير الأربعاء، وأيضًا مساعده يحيى القرموح، والشيخ يوسف الطيبي، ومجموعة من الإخوة الفضلاء الصالحين الذين عشنا معهم مدة طويلة، فكاد الأمر يصل إلى قتال ولكن تدخل هؤلاء الإخوة واجتمعوا وصار اجتماع كبير جدًّا وهدءوا بينهم ولم يحدث قتل، وفي النهاية عندما رأى محفوظ أبو خليل أن فتنة ستقع سلم لهم وتنازل وترك الأمر واعتزل، ثم نزل منطقته براقي في ضاحية العاصمة وعاش بسرية، وبقي تلك الشهور حتى مات وترك لهم القيادة وترك كل شيء، فتولى جمال زيتوني ومشى هذا البيان وأصدروا بيانات أخرى وأصبح أميرًا للجماعة الإسلامية المسلحة، وهذا هو الانقلاب الذي حصل، وجمال زيتوني الذي صار أميرا للجماعة المسلحة كان في البداية أمير سرية فقط في العاصمة في منطقة اسمها (بئر خادم)، وكان صديقًا لأبي عبد الله أحمد في أيام الدعوة، وكان يشتغل معه في مكتب الجبهة، وكان من رواد مسجده ومن شباب مسجده، فاستغلوا الاضطرابات هذه وكانوا يقولون هذا مع فلان، ومثل هذا يحدث في الجماعات كثيرًا وهذا ما حدث أن تولى جمال القيادة ومرت فترة عادية، حيث أن المجاهدين كانوا يجاهدون، والكتائب والسرايا تجاهد في كل مكان شرقًا وغربًا وجنوبًا والطاغوت يَضرب ويُضرب، وكذلك الناس لم يشعروا بشيء، وكل الأحداث كانت في أوساط القيادة، وبقي جمال زيتوني يصدر البيانات، ومع توالي صدور البيانات بدأت تظهر وتبين صبغة الفساد -أي نوع من الغلو في الأحكام- وبدأت البيانات المتدرجة تصدر كبيان قتل جماعة الحماية المدنية التابع لإطفاء الحرائق، وقتل موظفي الضرائب والذين كان قتل بعضهم شرعيًّا، ولكن من الناحية السياسية لم يكن مناسبًا، ثم أتت فتوى قتل نساء الطواغيت وأطفالهم؛ والتي اعتمدوا فيها على كلام أبي قتادة، ثم قتل ليزارمي -ويسمى لزارمي- وهم الشباب الذين يذهبون إلى الخدمة العسكرية الإجبارية بعد الدراسة الجامعية، فكانوا يقولون أن أي شخص يذهب للخدمة العسكرية يُقتل، حتى وإن أنهى خدمته ورجع لبيته فيجب قتله فهو محتمل شرعًا، بدؤوا يتخذون القرارات السريعة وغير المدروسة من ناحية الحكمة ومن ناحية النظرة السياسية.

كنا قد لاحظنا هذا وأعطينا ملاحظات مهمة ولكن لم يسمعوا لنا، وكان تأثيرنا محصورًا على مستوى الشباب وكان هناك محبة لنا، ولكن على مستوى القيادة كان بيننا تنافر منذ الجلسات الأولى،

وقد صنفونا أنا والفقيه بأننا من القطبية وحاولوا ترويجها بين الشباب، ولكنها لم ترج خاصة بين من عشنا معهم وعرفونا، وكل محاولتهم لتشويه سمعتنا من الجلسات الأولى اصطبرنا عليها.

الذي حصل أن البيانات بدأت تصدر بشكل ركيك وبها نوع من التدبير السياسي غير الجيد، أي احتوت على أخطاء شرعية، ولكن الأشد من هذا أنهم بدؤوا يتبنون مجموعة من المفاهيم ويبثونها ويكرسونها، مفاهيم كلها أخطاء وغلو منها أنهم كانوا يقولون نحن الجماعة الوحيدة، والجماعة المبصرة الوحيدة، جماعة الراية المبصرة الوحيدة، كانت هذه هي التسميات التي يضعونها على البيانات حتى جاء في بعض بياناتهم قولهم: أن الجماعة الإسلامية تضرب أينما تشاء وكيف تشاء ومتى تشاء..! كان يقرؤه الأخ قلت له: ذاك الله، اقتداءً بالحديث الذي قال فيه الأعرابي: «إن مدحي زين وذمي شين»، فقال رسول الله ﷺ: **(ذاك الله)**[1]؛ فكنا نعلق من مرة لمرة وكانت تعليقاتنا تبلغهم، وكان لديه قائمة واجهونا ببعض الأمور.. واجَهْنا نوعًا من المحاصرة، ومارسوا علينا الإرهاب، في كل هذه المدة كنا نحاول الخروج من البلد والسفر، فقد كنا هناك والسيف علينا، وكان وضعنا بصفة عامة وضع الضيف ووضع الرسل، والمفترض أن نسافر، وقد قمنا بمحاولة سفر وفشلنا فيها ورجعنا من الحدود، وقبض علينا في الحدود ليوم كامل، وحين حاولنا السفر أنا وعبد الرحمن قطعنا الطريق من بين جيش ودرك، فأمسكونا الجمارك، وكانت أوراقنا غير مضبوطة، فبقينا يومًا كاملًا ونحن نحاول الخروج، ولكن الجمارك رفضوا إخراجنا ووجدنا بينهم شخصًا فيه بعض الخير فقال لنا: سأخرجكم ولكن ترجعون من دبداب، فقد كنا ختمنا الأوراق بختم دبداب وهذه دبداب من جهة غدامس، وحينما أتينا للخروج خرجنا من بوكريمر من جهة تونس، والأمر الذي كان سيكشفنا أنه في اليوم الذي عملنا فيه الأختام من دبداب كان مغلقًا ولم نكن نعلم بذلك، فهم فطنوا لذلك وقالوا كيف أتيتم والمنطقة مغلقة؟ ألهمنا ربنا أن نقول: نحن دخلنا بطريقة خاصة مع وفد ليبي دبلوماسيين وتجار وكذا، ونحن دخلنا معهم، وكان محتملًا كشفنا ولكن ربنا ستر، ومع المراودة فخشينا أن يذهبوا بنا إلى العاصمة ويتعرفوا علينا، فأنا كنت هاربًا من السجن وهاربًا أصلًا من العاصمة قبلها، فأنا هربت من الجزائر وأول دخول لي جئت هاربًا وذهبت للجبل مباشرة، فلا أستطيع السفر ولا أستطيع ركوب الطائرة، فذهبت للجبل وكانت جميع الأجوبة التي يجيبها المجاهد، ورسائل القاعدة من الشيخ وحتى الرسائل

---

(١) في السنن عن البراء بن عازب، قال: قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (ذَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ). ينظر: سنن الترمذي (٣٢٦٧) وصححه الألباني، مسند أحمد (١٥٩٩١).

التي كتبتها كانت مع أخ جزائري آخر فرتبها وسفرتها معه للإخوة في السودان، وبلغ الإخوة الإجابات، واستأذنت في البقاء بالجزائر فقالوا لي: ابقَ لا مشكلة، لكن عندما بدأت المشاكل بيننا وبين قيادة الجبهة الإسلامية التقيت بالإخوة الليبيين كعبد الرحمن الفقيه وعاصم وصخر الذي قتلوه فيما بعد، وعبيد الله، وفاروق، وسلمان، ومجموعة..

[السائل: وعروة؟] لا، عروة لم يذهب حينها للمجاهدين، وهو ذهب للزواج وكان بعد هذه المرحلة وبقي في العاصمة وتزوج جزائرية، كان هناك لديه علاقات واتصالات وتزوج هنا ثم أتى ولكنه لم يأتِ هذه المرحلة، المهم نحن كنا بصورة ضيوف ورسل فكنا نحاول السفر ولم يساعدونا، ولا يريدون أن نخرج والسبب أننا سنخرج ونخبر عنهم، فلذلك لم يساعدونا في الخروج، ولكننا بإلحاحنا وضغوطنا سمحوا لنا بالسفر، فحاولنا بجهودنا الشخصية وبجوازات ليبية قديمة دخلنا بها، لم أستخدم جوازي بل جواز أحد الإخوة أخذته وغيرت الصورة في الجبل، وعندما طلعنا عملنا الختم في دبداب، فالحمد لله كانت في الجمارك أي مسئولوا الحدود كانوا يسمون شرطة الحدود والجمارك، هؤلاء أمسكونا نهارًا كاملًا أي اثنا عشرة ساعة من النهار حتى حلَّ الليل، وقالوا لنا: اذهبوا ودبروا أنفسكم من المكان الذي أتيتم منه، فعند رجوعنا رجعنا إلى الزيتوني وجماعته، لم يكن لدينا حلٌّ آخر، فجوازاتنا مضروبة والحمد لله الذي أنجانا، رجعنا إليهم وبقينا لديهم ثلاث سنوات، وخلالها ولمدة سنتين وثمانية أشهر لم أرَ أهلي وأبنائي، كانوا قريبين في العاصمة وأنا في الجبل، المسافة بيننا أقل من خمس وثلاثين كيلو مترًا، كانت العاصمة تحتي والبحر أمامي، وكانت فترة حرب ومرحلة صعبة جدًّا، وبسبب صعوبة المرحلة وبداية الانهيار، المهم أننا لما رجعنا وبقينا مع الجماعة وكانت السنة الأولى جيدة إلى حد ما خاصة أنني كنتُ مع الأخ أبو طلحة الأغواطي الذي حدثتكم عنه سابقًا، وشاركتُ في بعض العمليات معهم، وعملت بعض الدروس فكانت مرحلة جيدة ولكن ما بعدها وخاصة بعد محاولتنا السفر ثم رجوعنا بقينا لعدة أشهر ثم جاء أمر من جمال زيتوني أمر فيه بأن فلانًا وفلانًا وفلانًا عليهم الذهاب للمركز الفلاني ويبقون فيه، فوضعونا في شبه إقامة جبرية، أي وضعونا في مركز في الغابة، هذا المركز يسمى «مركز العبور» وهذا كان كإدارة ويأتي إليه أناس من كتائب مختلفة ليرتبوا أمورهم، وضعونا هناك في وسط الغابة وقالوا: لا تتحركوا، فجلسنا فيه أربعة أشهر لم نغادره، وكنا نبعث بالرسائل والخطابات ونرقق الكلام ولكن دون جدوى، حتى مرَّ علينا جمال، وقبلها أخبرنا حسن حطاب -بعد تغير أبو طلحة الذي حولوه إلى منطقة أخرى ومجيء حسن حطاب أمير المنطقة الثانية إلينا- فأخبرنا بأنه يجب أن لا نتحرك حتى يأتينا الزيتوني، فجاء أثناء مروره مع الكتيبة الخضراء

وهذه كتيبة خاصة مسلحة بأجود ما لديهم من أسلحة، وكان فيها عنتر الذي كان مرافقا دائمًا له، وكان من ضمن هذه الكتيبة عدد من الأشخاص منهم «عبد الرزاق البارا» الذي تم القبض عليه في تشاد قبل عامين أو ثلاثة أعوام مع جماعة من السواح الألمان، هذا الرجل عقله كعقل عصفور، كان طويلًا وكبيرًا جدًا لكنه مسكين لا يعرف شيئًا، حتى العلم الشرعي والثقافي لا يعرف منه شيئًا، كان رجلًا في الجيش في فئة المظليين أي عسكريًّا في المظلات، عقله في كرشه! رجل أكلٍ، أكل أمامي في بعض المرات عشرين برتقالة، و هذا من غرائب الأكل، طبعًا أنا لم أعدها ولكنه هو أكل مجموعة ثم قال: هذه الرقم عشرين، والإخوة بجانبه شهدوا بأنه يأكل هذه الكمية بكل راحة، ويمكن أن يأكل ثلاث دجاجات أو أربع دفعة واحدة!، كان مسئولًا عسكريًّا في مرحلة من المراحل، وفي مرحلة كان مسئول كتيبة، وفي غالب المراحل لم يكن مسئولًا، وكان رجل مهمات ورجل أعمال خاصة أي كمين كان هو يقوده ويعمل أي شيء يوكل إليه، حقيقة كان رجلًا لا يعرف الموت، شجاعًا لدرجة التهور، يخرج أمام العساكر ويضربهم حتى يكمل مخزونه ويعبئ وهو واقف ويكمل الضرب، كان رجلًا بلا عقل لا يفهم قضية الإخلاص في العمل ونحوها، فكان يعمل العملية ثم يبدأ يحكيها للإخوة ويمثلها بسذاجة عجيبة، شيء عجيب والله! رجل قائد عسكري وعقله في بطنه، هذا الرجل مسكين بسيط تورط بعد فترة الانحرافات ومشى في طريق عنتر فترة، وتورط في مقتل إخوة، قاتل معهم وارتكب الفظائع معهم ثم تركهم لأسباب، ثم بعد أن استمرت الانشقاقات وكان آخرها هذا الذي عملوه في الصحراء والذي فيه الأجانب السياح الذين أخذهم هو وكان قد عمل مجموعة خاصة به لا تنتمي لأي جماعة أبدًا، وقُبض عليه في تشاد وكان موجودًا في السجن في الجزائر ثم سلموه بوساطة ليبية، مسكين جويهل لدرجة كبيرة، ولكن سبحان الله نموذج في الشجاعة، وكأن الموت ليس موجودًا في قاموسه، نحن ندخل للمعركة ونحسب حساب الموت، ولكن هو لم يكن موجودًا عنده.

المهم أن جمال زيتوني جاء وطبعًا كان لا بد أن نراه ويرانا ونريه الرسائل، عندما أتى أتذكر أننا وقفنا معه تحت الشجرة، وسألناه: نحن جالسون هنا فترة -نعوذ بالله من موقف الذلة-، كان فيه تكبر والله أعلم ولديه أبهة، فقال: أنا بلغني أن بعض الناس تكلموا عنا في الخارج -في السودان تحديدًا؛ لأن كل الإخوة كان تمركزهم في السودان آنذاك-، وأنا سأتأكد بطرقي الخاصة ثم نرى، كنتُ أعلم أن كلامه هذا تهديد أو تخويف، فطفقنا نحن نبرر: ليس لدينا أي اتصالات ولا علم لنا بهذا الشيء، وليس لنا أي علاقة لا من قريب ولا من بعيد، وأنت تعلم أنه ليس لنا اتصالات ونحن هنا منذ أربعة أشهر،

وفعلًا لمدة سنة ونصف لم نتصل بأي هاتف، وقبلها كنا نتصل بإخوة هناك في بريطانيا منهم الشيخ أبو المنذر، وإخوة من الجماعة الليبية المقاتلة هناك كانوا هم وسيلة التواصل بيننا وبين الإخوة في السودان، كنتُ أتصل بهم وأقول لهم: بلغوا الإخوة هناك، فكانوا يبلغون أنس السبيعي حيث كان هو المختص بأمنيات الشيخ في تلك الفترة، وهو أخ ليبي من قبيلة السبيعي ويسمون بالسبيعات، وهي قبيلة كبيرة ينسبون أنفسهم إلى بني عامر[أخ من الحضور يقول: قبيلة العتيبي ينسبون لبني عامر، والسبيعي لبني صعصعة]، المهم كنا تقريبًا لمدة سنة وأكثر لم يكن لدينا اتصال، كنا نفهم موقف الزيتوني مسبقًا وبعد اللقاء تأكد لنا الموضوع، فهم خائفون من تحدثنا ونقلنا للمعلومات عنهم، فقد بدأ الإخوة يتكلمون عنهم في بريطانيا والسودان، وبدأت الأمور تنكشف وتتضح وكان ذلك في منتصف عام ١٩٩٦م.

بقينا في المركز فترة، وبعدها جاءت مجموعة وكنت قبلها قد كونت صداقة ومحبة مع شخص اسمه زكريا وهو قبائلي من قبائل البربر، كان رجلًا عسكريًّا ومسئولًا عسكريًّا، وكان أمير أجناد في المنطقة هناك، وكان تابعًا لأبي طلحة، جاء فترة بعد أسبوعين لإجازة فرأيته رجلًا طيبًا ودودًا مثقفًا -ما شاء الله- أحببته وأحبني والتقيت به لعدة مرات، فجاء زيارة ثم بعد فترة طويلة انقطع عنا، ولكن بعد أن جاء الزيتوني توافق أن جاء زكريا لمنطقة أخرى وعند مروره عمل جولة وبما أنه رجل عسكري فهو يأتي للقيادة ويأتي لمشاورات وأمور كهذه، فمرَّ علينا في المركز الذي كنا نقيم فيه إقامة جبرية وأخبرني بسرٍ فقال: فلان أخبرني -فلان هذا هو أبو الوليد الذي أخبرتكم عنه من الأغواط من منطقة غرداية، وهم قبائل من بني مزاط، يسمونهم (الجبيلية) كالجبيلية الذين لدينا في ليبيا، أباضية أصولهم أمازيغية، وهم أباضيون كأباضية عُمان وينتمون إليهم ويعترفون بالخليلي ويعتبرونه مفتيهم، يوجدون في ليبيا والجزائر، هذا الرجل منهم ولكنه أصبح سنيًّا، وكان عضوًا في مجلس الشورى، لم يكن لديهم أمور محددة ١٠٠٪ في النظام، ولكن كان هناك أعضاء معروفون بأعضاء مجلس الشورى وكان منهم-، فقال لي: جاءتني أخبار وتكلموا في مجلس الشوري عنكم، ويفكرون بالتخلص منكم أو تكلموا في قتلكم فانتبهوا لأنفسكم، وهذا الرجل أعرف صدقه وإخلاصه لي وأعرف أنه ناصح، ولديه علاقة بذلك ولا يعلم بأن علاقته بي حميمة، فكان الأمر أنهم يفكرون بتصفيتنا أنا وعبد الرحمن صاحبي، حينها ذهبت مباشرة لعبد الرحمن وعاصم وصخر كنا أربعة إخوة، وبقية الإخوة الستة كانوا قد ذهبوا إلى الشرق للإخوة المقاتلة، وجميع الإخوة كانوا من الجماعة المقاتلة إلا أنا، المهم أن الأخ أبلغني على وجه النصح وذكرني أنا وعبد الرحمن بالتحديد دون بقية الإخوة؛ لأنهم لم يكن لديهم أي إشكال مع القيادة، فصخر كان رجلًا عسكريًّا بعثه الإخوة المقاتلة من باب معاونة ومساندة الإخوة في الجزائر في أمور التدريب

حيث كان مدرب تكتيك وتنفيذ، وعاصم كان مختصًا بالوثائق فني ولديه مهارات متعددة، وهو الرجل الأول في تزوير الوثائق بالجماعة الإسلامية المقاتلة، وهو من ختم لي جوازي تحت الشجرة، وكان ماهرًا أيضًا في الخراطة، كان يصنع التور، وقد فتح في الجزائر ورشة وبقي يصنع الأسلحة ويصلحها، وكان خبير متفجرات، متعدد المواهب -ما شاء الله-، والآن هو مسجون في ليبيا في العاصمة، فهؤلاء من الكوادر الليبية التي أرسلها الإخوة في السودان لإعانة الإخوة في الجزائر، ولكنهم في الجزائر لم يستفيدوا منهم في العمل وقالوا: لا نريد، كان لديهم نوع من التنطع وأمورٌ بعضها تجاوزات لم أَحْكِها، المهم كنا أنا وعبد الرحمن المقصودين بالقتل لأن البقية لم يكن لديهم علاقة بالعمل القيادي أو الفكري، هم إخوة فنيون فلم يذكروا بشيء لأنهم لم يحتكوا بهم واقتصر عملهم على الكتائب، فعاصم اشتغل في الورشة ونشط فيها وكانوا يحبونه جدًّا، وكذلك صخر، وأما نحن الاثنان فقد تكلمنا وناقشنا وجادلناهم، وقد قالوا أننا مبتدعة، ورددنا عليهم في مرحلة من المراحل في بداية الأمور.

بعد أن أخبرت الإخوة قررتُ أنا وعبد الرحمن الهرب بأي وسيلة، فهم يريدون قتلنا وفي أي لحظة يمكن أن يأتوا لتصفيتنا، فلا بد من المغامرة والهروب، كلمنا عاصم وقال: أنا معكم، وكان عقلانيًّا متفتحًا يعرف الأمور، ويعرف الناس ويعرف الفساد، وكلمنا صخر وكان طيبًا من النوع الذي يصعب إقناعه، حاولنا إقناعه بضرورة الهروب وأخبرناه بنية هؤلاء، فقال: هذا مستحيل ولا يوجد ما يُبنى عليه...، سهرت معه ليلة لإقناعه، وجاء عبد الرحمن وكلمه فلم يقتنع ولم يقبل بالهروب معنا، فعندما يئسنا منه قلنا له: سنهرب نحن وهذا قرارك وأنت المسئول عن نفسك، ولكن أنت لم ترنا ولا تعرف عنا شيئًا، وقل لهم أنك كنت على خلافٍ معنا، وفعلًا عندما هربنا استدعاه جمال زيتوني فقال له عاصم هذا الكلام، وكان الزيتوني يعتبره محترمًا بشوشًا، فقد استدعاه لديه لأكثر من مرة، وصخر لم يكن على دراية بشرهم؛ لأنه كان ضعيفًا من الناحية الشرعية، وكان عسكريًّا فقط، وقد قتله عنترة لاحقًا.

هربنا في الساعة الثانية عشر ليلًا، كان الشتاء قد انتهى وبدأ فصل الربيع، في تلك الليلة كنا نحن من نحرس المركز، ومعنا شخص ثالث جعلناه ينام، قلنا له نم ونحن سنستلم عنك، رغم أن إقامتنا في المركز إقامة جبرية إلا أننا كنا نعمل في الحراسة ولم نكن مقيدين بالسلاسل أو متهمين، وإقامتنا كانت عادية، ولقد هربنا بعد أن نام الشخص الثالث، حيث كنا ثلاثة في الحراسة وكان معي سلاح صنعه أبو عاصم في الورشة صناعة تقليدية، خرطوش صيد وماسورة ماء بولشي! كان هناك فقر في

الأسلحة بشكل لا تتصوره لدرجة أن هناك إخوة في المعسكرات يبقون في المعسكرات للسنة والسنتين دون أسلحة، فيتم عمل هذا السلاح في الورشة، وكذلك القنابل يدوية إما من القنابل العادية المنتشرة أو أخرى يصنعونها محليًّا من القصدير ويلحمونها باللحام البارد ويجعلونها كالقوالب، وتشتعل بالفتيل البطيء، ومن الطريف أن الفتيل أحيانًا لا يشتعل، ولا بد من أن تُقص بشكل جديد، المهم كان حينها عوز وحاجة شديدة وفقر في السلاح، فتجد المائة شخص مثلًا يكون لديهم عشرون رشاشًا كلاشنكوف، وشيء من بنادق الصيد، فتجد خمسة أو ستة ليس لديهم إلا قنبلة، وهناك من لا يملك شيئًا من السلاح يقعد ولكن يبقى مع إخوانه ويمشي معهم وإذا انسحبوا ينسحب معهم، فيكون تأمينهم بالجملة!

كان حينها عبد الرحمن عنده مسدس إيطالي أو سلاح مصنوع محليًّا، خرجنا هكذا على بركة الله، مشينا حينها إلى منطقة قريبة اسمها منطقة الأربعاء، وكنتُ قد ذهبت إلى هذه المنطقة سابقًا مرة أو مرتين، وأعرف الطريق العام، ولكن لا أعرف تقاطيع الطريق في الغابة، وخشينا أن ندخل إلى الغابة ونجد أنفسنا بمركز لهم؛ لأن الغابة مشكلة معقدة والاتجاهات فيها يصعب معرفتها كالصحراء وربما أصعب، ففي الصحراء يمكن أن تهتدي بالنجوم ولكن الغابة يمكن أن ترى نجومًا ويمكن أن لا تراها بسبب الأشجار، لم يكن لدينا حل إلا أن نمشي في الطريق الذي يبلغ طوله ٢٥ كيلو متر، ولو أننا قطعنا طريق الغابة لكانت المسافة أقل من ١٠ كيلو متر، فكان لا بد أن نجول منطقة الأربعاء ومشينا مسافة ٢٥ كيلو متر بجانب الطريق، بدأنا المشي من الساعة الثانية عشر ليلًا إلى الساعة الحادية عشر صباحًا، وفي منطقة الأربعاء كانت هناك كتيبة خارجة عن الجماعة التحقنا بها وهربنا إليها، كانت هذه المرحلة التي هربنا فيها مرحلة سميت بمرحلة الخروج، حيث بدأت الكتائب هنا وهناك تخرج عن الجماعة وتعلن الخروج عنهم لضلالها ويصدرون البيانات بذلك، وكذلك كتيبة الأربعاء أعلنت عن خروجها عن الجماعة والتي سمتها بالجماعة الضالة، الذي جعل هذه الكتائب تخرج عن الجماعة هو مقتل محمد سعيد وصاحبه عبد الرزاق رجام المسئول الإعلامي، فقد بدأ جمال زيتوني قبلها بعدة تصفيات وأصدروا بيانًا اسمه: «الصواعق الحارقة على الجزأرة المارقة»، وبدأ لديهم مشروع أسموه «مشروع تطهير الصف من المبتدع»، فبدؤوا في تصفية الناس الذين أسموهم المبتدعة من الإخوان والجزأرة والقطبية، وكان تنطعًا شديدًا جدًا حتى وصلوا إلى مرحلة يقتلون فيها الناس تحت تهمة «جامعي» أي ملتحق بالجامعة، فكل جامعي هو من الإخوان والجزأرة، وكانت مرحلة فتن وليس بالسهولة على المجاميع أن تغير في هذه المرحلة، ويجب التريث والتأسيس لمعرفة طريقة التحرك.

بعد بداية مشروعهم استدعوا محمد سعيد وصاحبه لمنطقة وقتلوهما فيها، ثم قالوا أنهما قُتلا بكمين للطاغوت، وكان هذا أمرًا مشهورًا حيث تنصب الكمائن من الحكومة فيُقتل فيها خمسة أو ستة أشخاص، فحاولوا ترقيع الأمر بهذا القول، ولكن الناس لم يقتنعوا بذلك، فكانوا يتساءلون: أين هذا الكمين؟، لأنه عندما يحصل كمين في أي مكان كانت القرى والمدن القريبة ومن فيها من الناس وفي الجبال يسمعون الرصاص ليلًا ويعلمون أن الطاغوت كان هنا ونصب كمينًا، أيضًا لو قُتل محمد سعيد في كمين فإن الحكومة ستأخذ جثته، وعادةً عند مقتل أحد القادة يتم أخذ الجثة وعرضها على التلفاز ويعلنون مقتله ويحللون جثته وهكذا لإثبات مقتله، وإن لم يكن شخصًا معروفًا للدولة فإنهم سيقتلونه ويتركون جثته، وإن لم تأخذه الدولة فأين جثته؟ وأين تم دفنه هو وصاحبه عبد الرزاق؟

بدأت الأسئلة وكثرت وبدأ إلحاح الناس والشعب لمعرفة الحقيقة، وبدأت الاتصالات من بريطانيا حيث كان هناك الكثير من الإخوة كأبي قتادة، وأبي مصعب السوري، وأبي الوليد، والجماعة المقاتلة، كانت لندن في تلك الفترة بحبوحة للإخوة، والاتصالات ترد منها لمعرفة ما حدث.

زادت الضغوطات حتى وصلت جماعة زيتوني إلى مرحلة لم يستطيعوا فيها تحمل هذه الضغوطات فأصدروا بيان «الصواعق المارقة على الجزأة المارقة» واعترفوا فيه بأنهم قتلوا محمد سعيد وعبد الرزاق رجام، وأنهم سيستمرون في قتل كل المبتدعة، ثم بعد ذلك بفترة أمسكوا عبد الوهاب العمارة حيث استدعوه لديهم فذهب إليهم بنية طيبة فأمسكوه وعذبوه، وأصدروا تسجيلًا مرئيًّا له يعترف بطريقة تشبه طريقة الطواغيت تمامًا في التعذيب واستخراج الاعترافات، واعترف بالفعل بأنهم كونوا تنظيمًا وأنهم كانوا يخططون للانقلاب على الجماعة، ثم قتلوه وقالوا هذه اعترافات الفاسق المبتدع، ولم يكفروه حينها، بل قتلوه لأنه لديهم مبتدع، وكان طبيبًا وقائدًا لكتيبة الفداء، ويُحكى عنه أنه رجل صالح.

[**مداخلة أحد الحضور**: وعبد الحق؟] عبد الحق لم أره، سمعت من الإخوة في الخارج خبر مقتله، ولكن عندما كنت في الداخل لم يكن لدي أي معلومات عنه، سمعت من الإخوة في الخارج أنه دخل إلى الجزائر في أوائل ١٩٩٦م تقريبًا، وقُتل في الجزائر، وكان جزائريًّا ودخل للجهاد وقُتل غالبًا، ولكن ليس لديَّ يقين بقصة وتفاصيل مقتله أو من الذي قتله، ولكن الناس وأهله كذلك تحدثوا عن مقتله.

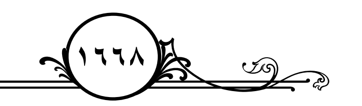
بعد مقتل محمد سعيد بدأت الجماعة تعلن وتتبجح بأن لديهم مشروعًا لتطهير الصف من المبتدعة والجزأرة، وكنا لا نزال لديهم، فعندما جاء هذا البيان هربنا، وخرجت في نفس الفترة مجموعة من

الكتائب من ضمنها كتيبة الأربعاء، وكتيبة المدية، والمدية هذه منطقة مهمة جدًا وإستراتيجية، وكذلك الأربعاء منطقة إستراتيجية قريبة من العاصمة، وكانت معقلًا من معاقل المجاهدين، حتى في أيام الثورة ضد فرنسا، وتضاريس المنطقة مساعدة في منطقة في سفح جبل وخلفها الجبال والأودية.

كتيبة الفداء هي من أول الكتائب التي أعلنت خروجها على الجماعة عند صدور البيان، فبعد يومين أو ثلاثة أعلنت الفداء والمدية بيانًا بالخروج، وبعدها بأيام أعلنت منطقة الأربعاء كذلك خروجها، فهؤلاء عندما سمعنا بخروجهم فتحت لنا آفاقًا، خصوصًا أني قد زرت منطقة الأربعاء في أيام الرخاء وأعرف فيها إخوة مسئولون، فعند هروبنا كانت خطتنا أن نتوجه إلى الأربعاء وكان أقرب مكان لنا وكان هناك كتائب أخرى خرجت ولكنها بعيدة قليلًا...

هربنا من الحراسة عند الساعة الثانية عشر ليلًا، ورتبنا أمورنا كما ذكرت وكنا نمشي جريًا خاصة النصف الساعة الأولى، كان يجب فيها أن نجري جريًا قويًّا حتى نبتعد عنهم، وحاولنا تخطي الطريق والانحراف قليلًا عن الطريق المعتاد، حتى اقتربنا من طريق الأربعاء ولم يكن خلفنا أحد، ولكن قيل لنا فيما بعد أننا تجاوزنا كمينًا قد أعدته جماعة حسن حطاب، لا أعلم مدى صحة هذا ولكننا لم نشعر بشيء والحمد لله، وسبحان الله الذي أعاننا فقد كان الجو باردًا وكانت هناك زخات مطر بسيطة، فلو أن الجو كان حارًا لتعبنا كثيرًا، كنا نمشي لمسافات ثم نستريح، وهكذا حتى وصلنا قبل الأربعاء بقليل وصلينا وارتحنا ثم واصلنا المشي إلى أن وصلنا عند الضحى وكانت الساعة الحادية عشر صباحًا تقريبًا.

في منطقة الأربعاء وقبل أن نصل إليها كان الإخوة فيها قد خرجوا على جماعة زيتوني وبدأت الحرب بينهم، وكانت أي كتيبة تعلن الخروج عنهم تبدأ القتال معها مباشرة، فحين وصولنا كانت الحرب قد بدأت، وكانت الطرق ملغمة من قبل جماعة الأربعاء، وكان التلغيم بأنابيب الغاز وأسطوانات الأكسجين المخصصة للحام، وكانت حرب الألغام في الجزائر قديمة، كانت في تلك الفترة على أشدها وتستعمل على نطاق واسع جدًّا، فقد كانوا يستخدمون اليوريا وخلائط المستودعات والأسمدة ويخلطونها مع السكر أو النجارة بعد إذابتها ثم الطحن ثم الرحى وهكذا، وكان لديهم خليط ثان مكون من اليوريا -نترات الأمونيا- مع الكافور والفحم والزيت المحروق، وكنت أحفظ هذه الأمور وعملت معهم بها في الورشة لفترة، وكان لديهم مواد متفجرة أصلية عسكرية ولكنها كانت قليلة جدًّا وغالبًا يصنعونها بأنفسهم، المهم كانوا في ذلك اليوم قد لغموا الطريق وكانوا مرابطين على الألغام، لم يكن لديهم ريموت للألغام، الحركة الجهادية الآن تطورت، كانت الألغام في ذلك الوقت تعمل بالأسلاك يقولون: فلان وفلان مرابطان على اللغم، فكان اللغم يوضع على الطريق



ويدفن السلك ويحفر له مائة متر في الأرض ويختبئ المرابطون تحت شجرة أو عوسج ويترصدون للسيارات القادمة، ويمكن أن يبتعدوا عن الشجرة ويجلسوا في بيت أو منطقة، وإذا جاءت قافلة من بعيد يرجعون إلى تحت الشجرة وينتظرون مرور القافلة لتفجير اللغم، وعندما مررنا باللغم كان هناك اثنان من الإخوة مرابطان فقال أحدهما للآخر: فجر، قال الآخر انتظر قليلًا، ولم يعرفونا آنذاك ولكنهم قالوا أن أشكالنا كانت غريبة، وأتينا ونحن نضع الأسلحة على أكتافنا ويظهر علينا التعب والإرهاق فلم يكن يظهر علينا أن مقدمنا لشر، فالأخ تثبت قبل التفجير رغم أن صاحبه يحرض على تفجير اللغم بنا، وعندما تجاوزنا اللغم جرى إلى المركز وكلم الإخوة فيه فانتشروا بسرعة، فعرفنا بعضهم عند مقدمنا فاستقبلونا والحمد لله، وعشنا لديهم حوالى عامين تقريبًا وكنا نتنقل في فترات لأماكن أخرى خارج الجماعة، ورتبت لمقدم الأهل وكانت الأمور جيدة...

استمر الزيتوني أميرًا للجماعة الإسلامية حتى قتلته كتيبة المدية، حيث عملوا له كمينًا وقتل هو ومن معه من أصحابه، وكان معه حينها عبد الرزاق البار ذلك الشجاع -أبو كرشة- ولكنه لم يُقتل.

بدأت مرحلة عنتر بعد مقتل زيتوني فكانت أشد انحرافًا، رغم أن الانحراف بدأ يُمارس في نهاية عهد زيتوني حيث كانت المجازر وبعض الأعمال المنحرفة، وبدؤوا يرتقون ويكفرون الناس فصار التكفير فكرًا لديهم، وكان هناك أمور يصعب أن أسردها أو أن أذكرها، فهم لم يصلوا لهذه الدرجة من الانحراف مرة واحدة وإنما بالتدرج، ووصلوا إلى مرحلة القناعة بتكفير الناس، فالناس حينها بدأت تتعاطف مع الكتائب التي خرجت من الجماعة، بدأ هؤلاء يحقدون على الناس ويمارسون إذلالهم، وعندما جاءت مرحلة الانتخابات صوت الناس وشاركوا فيها بقوة، فكفرتهم الجماعة واعتبروا كل من شارك في الانتخابات كافرًا مع الطاغوت، ثم بدؤوا بتصنيف الولايات فهذه ولاية محاربة وتلك ولاية مرتدة وهكذا، وأول ولاية بدؤوا بها كانت ولاية اسمها (تيبازة) في غرب الجزائر، كان رقم لوحات السيارات فيها هو ٤٢، وفي الجزائر كل منطقة وكل ولاية لديها رقم لوحة تبدأ به السيارة، فكان المتعارف عليه أن تنظر للوحة السيارة لتعرف المنطقة، فكانوا عندما يجدون سيارة برقم ٤٢ يُقتل صاحبها مباشرة؛ لأنه من ولاية محاربة كما زعموا وذلك لأسباب معينة لا أتذكرها ولا أفهم كيف ذلك، فكانت هذه بدايتهم بالحكم على المناطق بأنها محاربة، ثم بدؤوا بعمل حواجز، فكان أي باص يأتي من المنطقة الفلانية يُقتل من فيه، فانتشرت عمليات قتل شنيعة جدًا في كل مكان، وانتشرت المذابح في كل مكان.

ثم حدثت مذبحة كبيرة في منطقة صغيرة اسمها «تالاغ» فوق الجبل على طريق جبلي وأنت في طريقك للعاصمة، دخلوا إليها في شهر رمضان في أوائل عام ١٩٩٧ أو في أواسطها، فدخلوا إلى مسجد وكان ذلك بعد الانتخابات، دخلت السرية وحاصرت المسجد وشرعوا في مناداة الموجودين في المسجد، أنت تعال إلى هنا: هل انتخبت؟ فيجيب الرجل: انتخبت، أنا لا أعرف، أنا أنتخب لأجل البطاقة و.. يقولون له: اذهب إلى هناك ثم يذبحونه، ويقولون للآخر تعال إلى هنا: هل انتخبت؟ لا لم أنتخب، اذهب إلى هناك، وفي النهاية تم ذبح الجميع، ذبحوا أربعين شخصًا تقريبًا وكانت مجزرة كبيرة، الناس عندما سمعوا بالدماء وأصوات المذبوحين صاروا يتقافزون من نوافذ المسجد، فأطلقوا عليهم الرصاص وقتلوا منهم مجموعة أيضًا -وهذه رواية بعض من حضر الحادثة- وكانت في شهر رمضان في صلاة التراويح، وكانت هذه من أكبر المجازر التي بدؤوا بها، وكانت ترتكب مجازر متفرقة بعضها صغير وبعضها كبير، ولكن أكبرها مجزرة بن طلحة في ضاحية العاصمة السفلى، ومجزرة سيدي حماد، ومجزرة لاعصاص، ومجزرة التفاح، ومجازر عديدة جميعها ارتكبتها الجماعة.

هناك من يجلس على الإنترنت ويتكلم ويقول بأن الضباط من فعل ذلك وفرنسا وغير ذلك من الأمور، ونحن نستر على أهل الإسلام، هذه المجازر جميعها ارتكبت في آخر أيام الزيتوني وفي أيام عنتر، وكلها مجازر الجماعة الإسلامية المسلحة، ومعظم الكتائب خرجت منها وحتى جماعة حسن حطاب خرجت منهم لما رأت هذا الانحراف، ولم تبق إلا جماعة عنتر في المنطقة الوسطى بمحاذاة للغرب وكانت لديهم مجموعة كتائب في مناطق أخرى، وخرجت هذه الكتائب بعد سماعها للمجازر.

كانوا يرصدون القرى فينزل خمسة عشر شخصًا مثلًا ويقتلون مئتي شخصٍ، يأتون ليلًا ويدخلون البيوت ويقتلون من فيها من النساء والأطفال، يسرقون الذهب والأموال، وأتت مرحلة كانوا يأخذون فيها الفتيات!.. ارتكبوا فظائع كبيرة جدًّا وأمور لا تكاد تُصدق، بلغوا من الانحراف والجهل والضلال مبلغًا عظيمًا لا يمكن تصوره.

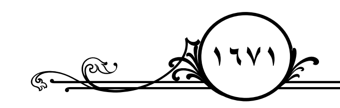
الحكومة ارتكبت بعض المجازر البسيطة وشاركت فيها، وتحدث بذلك بعض الناس في الخارج وكان كلامهم صحيحًا؛ فعندما بدأت الانحرافات وبعد تولي عنتر كانت الحكومة تأتي بأناس في سيارات يتظاهرون بأنهم من المجاهدين ويقتلون العوام ويهربون، وكل ذلك لتشويه صورة المجاهدين وتنفير الناس منهم، هذا ما فعلته الحكومة، أما المجازر الكبيرة المعلنة فهذه كلها من تنفيذ هؤلاء -الغلاة- وليست الحكومة.

مجزرة سيدي حماد هذه من أكبر المجازر، حين حدثت أنا كنت بجانبها في الجبل وهم قريبون منا،

أصبحنا صباح ذلك اليوم والدنيا مليئة بالقتلى، لم نشعر بهم في الليل لأنهم لم يكونوا يطلقون النار، معظم قتلهم بالسكاكين والفأس، كانوا يستخدمون سكاكين فرنسية أصلية اسمها (أوبنال) أتمنى أن أجد مثلها الآن، لم أر مثلها في حياتي، لديها نصل لوحي وعند إغلاقها لها مخبأ وتُطبّق، حديدها قوي جدًّا وحادة جدًّا، لديها درجات «٨ - ١٠ - ١٢ - ٢٠» و٢٠ هو أكبرها، كان لديَّ ٨ وهذا متوسط، لم يكونوا يستخدموا النار إلا قليلًا، وكان استخدامهم الغالب للسكاكين، وقد يكون هذا سبب عدم سماعنا لهم.

كان كل الناس لديهم كفار بدخولهم في الانتخابات أو عدمه، حكموا على الناس بالكفر، وبعد خروج الكتائب عليهم ونبذهم الناس تم فقدان ثقتهم فبدؤوا يتضاءلون، واستمروا لمدة سنة تقريبًا والناس في بلاء منهم، وكانت الناس تؤمن نفسها منهم، وكانت فترة العام ١٩٩٧م فترةً مريرة وصعبة للغاية، مرحلة جعلت الحليم حيرانًا، والله رأيت من الناس العقلاء والعباد والطيبين لم يعودوا يصبرون على ما حل؛ فذهبوا لتسليم أنفسهم للحكومة، ولم نكن نستطيع أن نظهر وجوهنا للناس، عندما يرانا الناس يقولون: «أبو لحية هو أبو لحية»، انتشرت هذه المقولة بين الناس، حينها لا يمكنك أن تقنع الناس بأنك رجل طيب، وأنك لست من المنحرفين، لا مجال لذلك، يجب عليك الهروب فقط.

في حادثة أقسم بالله أني كدت أبكي منها، كنا نمشي في منطقة الأربعاء في منطقة اسمها زبربر قريبة من جبال زبربر، وهي مشهورة جدًّا ومن معالم الجزائر، وكان فيها الثوار أيام الثورة، جبال كبيرة وعالية، كنا نمشي في منطقة من الأربعاء إلى كتيبة هناك -اسمها الغرباء-، مشينا ليومين وشعرنا بالعطش ولم يكن لدينا ماء وخلال مشينا مررنا ببيوت في الجبال وفيها أشجار لوز، منطقة اشتهرت باللوز، وجدنا في طريقنا فتى صغير عمره أحد عشر عامًا تقريبًا، ناديناه فلم يجب علينا وهرب؛ لأن المنطقة يمر بها هؤلاء الخوارج المجرمون، قلنا له: تعال لنكلمك، فخرجت لنا والدته العجوز وظلت تصرخ بصوت عال جدًّا وأخذت ابنها وهربت، فكانت مفارقة؛ كيف كان الناس يستقبلوننا ويحبوننا، فكان المنظر صعبًا للغاية، الناس لم تعد تتحمل هذا الإجرام، ولا يمكن أن تقنع الناس بأنك مجاهد، فكانت مرحلة صعبة جدًّا بشكل لا يتصور، مجازر في القرى يروح ضحيتها القرويون، تُوقف السيارات فيُقتل منها خمسة أو ستة بشكل يومي فهذا أصبح أمرًا معتادًا في كل يوم، وهذا غير ما ينقل في الإذاعات من المجازر الكبرى التي يكون ضحيتها أربعون أو خمسون أو مائة شخص، هناك قتل بشكل يومي، مرحلة طويلة من القتل والقتل والقتل؛ فبدأت القرى تحرس نفسها، وضاقت الناس



ذرعًا بتلك الجرائم، فأصبحوا يشتكون للحكومة وبدأت الحكومة بتسليح الناس، والناس يحرسون، توفرت الأضواء الكاشفة «الكشافات» أين ما تذهب تجدها، فكان الناس يحرسون في كل مكان، وأهل القرى يحرسون ليلًا، أصبحنا لا نستطيع المشي ليلًا وسابقًا كنا نمشي ليلًا بكل أريحية، ولو احتجنا أي شيء في السابق كنا نطرق أبواب البيوت فنسأل الناس، وكانوا يدلوننا على الطرقات، أما بعد هذه المرحلة لم نعد نقدر على التحرك، حالة صعبة حتى الأشخاص الطيبون من المجاهدين الأخيار الذين ينكرون هذا وهم على منهج صحيح وباقون في صلاحهم وعملهم لم يعد لديهم مجال للعمل، الناس فقدت الثقة بنا، فكانوا يقولون: «أبو لحية هو أبو لحية».

كل هذه الأحداث والمجازر حدثت في المنطقة الوسطى، أما الشرق لم يحدث به أي مجازر، حتى في الوقت الحاضر الجماعة الجهادية عندما رجعوا إلى الجزائر رجعوا من الشرق، وبداية العودة من الشرق لأنها كانت بخير، الفساد كله كان في المنطقة الوسطى، جهة العاصمة وبليدا ومدية وبومرداس، تقريبًا أربع ولايات هي ما حصل فيها كل هذا، ولكنها تمثل حوالي ٦٠ إلى ٧٠ ٪ من الدولة.



[محاضرة صوتية: **مدتها** ثلاثون دقيقة، **نشرها:** بعض المجاهدين -بشكل غير رسمي-، **وقام بتفريغها**[١] «مؤسسة التحايا للإعلام»، وقد **نُشرت في** مطلع عام ١٤٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فموضوعنا اليوم كلمة بسيطة هي تذكرة اخترتُ لها حديثًا من أحاديث النبي ﷺ وهو الحديث الذي رواه «مسلم» في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(المؤمن القوي خيرٌ وأَحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجِز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان)**[٢] انتهى الحديث.

هذا الحديث النبوي الكريم يُعتبر في الحقيقة قاعدة من القواعد وفيه جملة من الأحكام وجملة من الآداب العظيمة:

يبدؤه النبي ﷺ بقوله: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)** وفي هذه الجملة من

---

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغييرَ كثير من الكلمات العامية واستبدالها بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريدها الشيخ ﷺ.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

المعاني:

- أن المؤمن يمكن أن يكون قويًا ويمكن أن يكون ضعيفًا.
- وأن المؤمن القوي خيرٌ من المؤمن الضعيف.
- وأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ولكن في كلٍ خير؛ فقد قال: (**وفي كلٍ خير**)، هذا احتراز ودفع لتوهمِ أن الضعيف مذموم -مثلًا- أو أنه لا خير فيه؛ لأنه أحيانًا إذا مدحتَ شيئًا قد يُتوهَّم أنك تذم ضده، هذا كقول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، أو كقوله ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء].

فالنبي ﷺ هنا يقول: (**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**) ثم قال: (**وفي كل خير**) المؤمن كله خير قد جاء هذا مصرحًا به في أحاديث كثيرة، وهذا متقرر معروف؛ فالمؤمن خيره كثير ولهذا شبَّهه النبي ﷺ بالنخلة كما قال في الحديث الذي رواه «البخاري» في «صحيحه»: (**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟**) فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله بن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: (**هي النخلة**)[(١)].

ووجه الشبه بالنخلة أنها نافعة، أي لكثرة وعموم النفع بها؛ حيث أنها يُنتفع بها على كل وجه، فينتفع بكل شيء منها، وكذلك المؤمن؛ حيث ما كان نَفَع، فالمؤمن فيه خير كثير، حتى وإن كان فيه بعض الشوك وبعض الشر أحيانًا، لكن باعتبار الغالب فهو خير وهو نفع وهو صلاح، المؤمن خير وخيره كثير وغالب ونفعه غالب (**وفي كلٍ خير**)، لكن المؤمن القوي فيه من الخير أكثر مما في المؤمن الضعيف.

ما معنى القوة في قوله: (**المؤمن القوي**)؟ قال العلماء: معنى القوة هنا قوة العزيمة في تحصيل المنافع، ولهذا قال بعدها: (**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**) فنهى عن العجز؛ فالقوة هنا ليست قوة الإيمان، فبعض الناس يتوهم أن المقصود بالحديث قوة الإيمان، أي المؤمن القوي بإيمانه؛ يعني خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف إيمانًا! لا، ليس كذلك.

---

(١) صحيح البخاري (٦١، ٦٢، ٧٢، ١٣١، ٢٢٠٩، ٤٦٩٨، ٥٤٤٤، ٦١٢٢، ٦١٤٤).

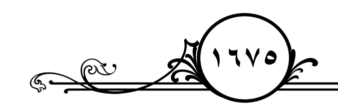
الجُمل التي بعد هذه الجملة توضِّح الحديث وتشرحه؛ فليس هذا المراد والله أعلم، إلا أن يُقال أنه داخل في عموم لفظ القوي هذا ممكن، لكن المراد بالقصد الأول وأصالةً هو المؤمن القوي، القوة التي في تحصيل منافع وخيرات الدنيا والآخرة هذه القوة، قال العلماء: «هي قوة العزيمة في التدبير وفي تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية»، يعني هناك من المؤمنين مثلًا من هو مؤمن ضعيف مسكين ما يحسن التدبير وما يحسن يتصرف ولا يحسن يجاهد ولا يحسن يأمر بمعروف ولا يحسن يصدع بالحق ولا يحسن يقود الثورات، ولا يحسن أن يعمل الأعمال العظيمة، وهناك مؤمن قوي يصلح لهذا ويجاهد ويأمر ويصدع ويفعل ويفعل ويقوم بالمهمات وبعظائم الأمور، ويرتكب المشاق، هذا المؤمن القوي.

المؤمن القوي هذا يحتاج إلى -كيف كان قويًا؟ القوة هذه ملكات- يحتاج استعداد، يحتاج إلى استكمال أدوات القوة، القوة البدنية والقوة العقلية والفكرية، لكن أهمها قوة الإرادة وقوة العزيمة؛ ولهذا غالبًا العلماء يقولون في شرحه: «قوة العزيمة في تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية».

وفي هذا حثٌّ على القوة في تدبير شؤون الدنيا والآخرة، وتحصيل منافعك الدنيوية والأخروية؛ فلتكن فيها أيها المؤمن قويًا.

يوضحه ما بعده قال: (**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**) هذه الثلاث جمل أيها العبد المؤمن، (**احرص على ما ينفعك**) يعني ليكن منك حرص دائم على ما ينفعك من خيري الدنيا والآخرة؛ فالمؤمن القوي يحرص على ما ينفعه، الحرص، وقوة الحرص على النفع هذه من أسباب النجاح والفلاح، حتى في مشروع دنيوي بسيط عندما تكون حريصًا ينجح، كثير من الناس عندهم أماني، وعندهم حتى أفكار أحيانًا ومشاريع معينة، وممكن هو عنده تخيُّل جيد وفكرة جيدة لكن ما ينجح المشروع بمجرد أنه فكرة! لا بد أن تتحول الفكرة إلى إيمان، إلى اعتقاد بأن هذا نافع وهذا مفيد وأن هذا لا بد أن نفعله، فيكون فيه نوع من الحرقة ونوع من التصور الحامل للإنسان على العمل وهو إيمان بهذه الفكرة، وقناعة معينة، بمعادلة معينة، قضية معينة تؤمن بها فتحولها إلى عمل، هذا الإيمان وهذا التحول إلى عمل هو أن تحرص على ما ينفعك.

قوة الحرص أنه يتضمن قوة العزيمة في فعلك لِما اقتنعتَ به؛ هذا سبب عظيم من أسباب النجاح في أمور الدنيا والآخرة، الحريص على الجنة وعلى الدرجات العلا يحرص على فعل الطاعات والخيرات ويُسابق إليها، ويحرص على الشهادة -مثلًا-؛ فهذا بابٌ مفتوح سهل ميسر من أبواب الجنة، باب يرفعك إلى منزلة النبيين والصديقين؛ فما بعد هؤلاء إلا الشهداء!



أقرب الطرق إلى الدرجات العلا، هو أن يقتنع المرء بهذه الفكرة والباب مفتوحًا والسوق ما زال لم يغلق، فاقتَنَع قناعة تحولت كأنها رأي عين؛ فاندفع إلى الجهاد وإلى ساحات الاستشهاد؛ فيستشهد في سبيل الله.. هذا حريص، هذا حِرصٌ على أمر أخروي.

الحرص على أمر دنيوي كثير، كثيرة أمثلته في تدبير شؤون دنيوية، في تحصيل معاشنا وفي أمورنا الاجتماعية وفي أمورنا الاقتصادية، كمشروع اقتصادي بسيط، وفي أموور الحرب ومنازلة الأعداء، في سياسات الأمم، وفي كل شيء (**احرص على ما ينفعك**)، في هذه الجملة تنبيه بل أمرٌ بالأخذ بالأسباب، هذا ما يسميه العلماء الأخذ بالأسباب.

والمقصود بالأسباب: جمع سبب، وهو الأمر المُفضي إلى أمر آخر، سبب مفضي إلى نتيجة معينة وإلى هدف وإلى مقصود؛ هذا هو السبب.

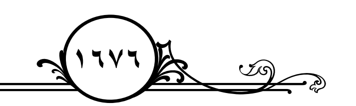
وعندما نقول نأخذ بالأسباب أي: نعمل بهذه الأسباب وهذه الوسائل الموصلة إلى مقاصدنا؛ المقاصد المشروعة التي نريدها والتي تندرج فيما شرع الله ﷻ وأباح وأحل أو أمر.

فالأخذ بالأسباب الموصلة إلى المقاصد مأمور به، والحقيقة أن فيه تفصيل طبعًا، الأخذ بالسبب متى يكون واجبًا ومتى يكون مستحبًا أو مباحًا فهذا فيه تفصيل بحسب الهدف، وبحسب المقصود؛ فإن كان المقصود واجبًا يعني تحصيله وتحقيقه واجبًا كان السبب المفضي إليه واجبًا؛ لأن ما لا يتم المأمور إلا به فهو مأمور به.

الشريعة تأمر بكل شيء توقَّف تحصيل المأمور به عليه، فنحن أمرَنا الله ﷻ -مثلًا- بالجهاد، أمرنا بجهاد أعداء الله وقتالهم دفعًا وطلبًا؛ فلا بد من إعداد العدة لهذا الجهاد، وهذا القتال فيه إعداد العدة وحسن التدبير والتنسيق وترتيب أمورنا وغيرها.. كل ما يتوقف عليه تحصيل هذا السبب الذي هو انتصارنا على الأعداء ودحر الأعداء وهزيمتهم وأن نغلب عليهم وأن ندفع شرهم وأن نحرر أرضنا منهم ونحرر مقدساتنا.. كل ما يتوقف عليه ذلك فهو واجب، تبقى تفاصيل بعد ذلك يعني بحسب ما يتوقف عليه بوضوح وبحسب قرب ذلك وبعده من معنى توقف عليه.

أما إن كان المقصود مستحبًا؛ فالسبب الموصل إليه مستحب، وإن كان مباحًا فالسبب الموصل إليه مباح، وهكذا..

فالمقصود: (**احرص على ما ينفعك**) فيها الأمر بالأخذ بالأسباب والحرص على منافع الدنيا والآخرة، والحرص هذا هو الذي يتحقق به النجاح والفلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، أما الإنسان الذي ليس بحريص، أي عاجز؛ فهذا الذي قال فيه النبي ﷺ: (**ولا تعجز**).



(واستعن بالله) نبَّه على الاستعانة بالله؛ ليجمع لك أيها العبد المؤمن بين أمرين لا بد أن تفقههما أيها المؤمن وهما: الأخذ بالأسباب والتوكل على الله؛ الشريعة والتوحيد.

الشريعة: هي الأحكام والأوامر والنواهي وما في معناها، طلب الفعل وطلب الترك وما قارب ذلك من الأحكام وأنتم تعرفون الأحكام الشرعية -قوانين الشريعة- أباح الله كذا، أمر الله بكذا، نهانا الله عن كذا، وضع الله الشيء الفلاني له علاقة بشيء آخر، هذه هي الأحكام، هذه هي الشريعة.

ومنها الأسباب: أي شيء دلت دلائل الشريعة على أنه سبب موصل إلى شيء آخر مقصود شرعًا مأمور به أمر إيجاب أو استحباب أو على الأقل مباح فهذا السبب مشروع، أو دلت دلائل الحس والتجربة والعقل على أن هذا الشيء مفضٍ إلى ذاك الشيء، مؤدٍّ إليه؛ فإن كان ذلك المقصود مباحًا أو مشروعًا فهذا السبب مشروع، هذه هي الأسباب.

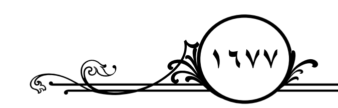
نحن عرفنا بدليل التجربة -مثلًا- أن الطريقة الفلانية هي التي تمنع الشيء -الضرر الفلاني- فنفعل هذه الطريقة الفلانية، علمنا بطريقة تجارب الأمم والشعوب أن هزيمة هذا العدو ما تكون إلا بهذه الطريقة -حرب العصابات ونحوها، وبسبب التكتيك الفلاني- فنستعمل هذا السبب المفضي إلى ذلك الهدف والمقصود.

السبب إما أن يكون مدلولًا عليه بدليل الشرع، وإما أن يكون مدلولًا عليه بدليل التجربة والعقل والحس، ولهذا الآيات تدل والشرع يعتبر ذلك.

فنبدأ هنا بالاستعانة بالله بعد الأخذ الأسباب، تأخذ بالأسباب وتحرص على ما ينفعك وهذا لا يكفيك؛ بل لا بد من الاستعانة بالله ﷻ **(واستعن بالله)** يعني توكل عليه، **(استعن)** بمعنى واطلب العون منه، دلالة الألف والسين والتاء هذه دلالة الطلب، يعني اطلب العون منه، الْجأ إليه واطلب العون منه؛ فإنه هو الذي يعينك فقط، وإن لم يُعِنك ولم يأذن بتصريف أمرك وبإنجاحك وإفلاحك فلا تنجح، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨].

(واستعن بالله) فنبَّه إذن -بعد الأمر بالأخذ بالأسباب- على وجوب الاستعانة بالله ﷻ، والتوكل على الله، تستعن بالله وتتوكل عليه.

والتوكل على الله ﷻ معناه أن توَكِّله في أمرك، أن تُوكِل أمرك إليه، وهذا التوكل يقتضي أنك أنت تثق فيه، يعني أنت كيف توكل أمورك لأحد لا تثق فيه! هل توكل إليه أمورك؟ لا بد من الثقة وحسن الظن، هذه الثقة وحسن الظن بالله ﷻ هنا في هذا المقام تحصل من أين؟ تحصل من معرفتنا بالله ﷻ



المعرفة بالله ﷻ بأسمائه وصفاته، المعرفة بجماله وكماله وجلاله ﷻ وعظمته.

توحيدنا لله ﷻ ومعرفتنا بالله ﷻ هي التي تجعلنا نثق بالله، نعرف رحمته وأنه أرحم بنا من أنفسنا وأنه أرحم بنا من أمهاتنا اللائي ولدننا، عندما نعرف أن الله بنا رحيم، وأنه بنا لطيف يلطف بنا، وأنه ودود كريم وهاب وأنه رزاق وأنه أيضًا القادر على كل شيء وهو الغالب على أمره وهو العزيز الذي لا يمتنع منه شيء، وهو القاهر فوق عباده، وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم السر وأخفى، وهكذا نعرف صفات الله ﷻ، وأنه الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغفل ولا ينسى، والذي لا يعجزه شيء.

صفات الله ﷻ وأسماؤه الحسنى عندما نعرفها ونحصيها ونعرف معانيها ونقف عندها ونتدبرها تحصل عندنا الثقة بالله ﷻ؛ الثقة بقدرته وقوته وبرحمته ولطفه وإحسانه، والثقة بأنه لا يعجزه شيء وأنه أرحم بنا من أنفسنا -كما ذكرنا-؛ فتوكله في أمورك تتوكل عليه، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل] اتخذه وكيلًا لك، وكِّل إليه أمرك وشأنك وفوِّض إليه أمورك، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل، نِعْمَ الله وكيلًا لنا؛ فهذا نبَّه على الاستعانة والتوكل الذي هو التوحيد بعد الأمر بالأخذ بالأسباب؛ ولهذا توصف شريعتنا وديننا بأنها «الحنيفية السمحة» أو «السمحاء».

الحنيفية؛ قال العلماء: «حنيفية في التوحيد» يعني كاملة في التوحيد؛ فهي أكمل الأديان في التوحيد، صحيح أن الانبياء كلهم جاؤوا بالتوحيد بدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له ولكن ديننا حتى في التوحيد هو أكمل من الأديان السابقة، هناك أشياء كانت في الأديان السابقة مباحة حُرمت في ديننا زيادة في تحقيق التوحيد، كقولهم مثلًا: «ما شاء الله وشئت»، وأشياء من هذا القبيل كالسجود لغير الله ﷻ وغيره؛ حماية لجناب التوحيد -كما قال العلماء- وسد منافذ الشرك وذرائع الشرك وغيرها؛ لأن هذا الدين إذن وهذه الشريعة هي أكمل حتى في التوحيد؛ في تحقيق التوحيد.

وفي الشريعة شريعة «سمحة» أو «سمحاء» بمعنى أن فيها اليسر، والبعد عن التكلف، والبعد عن الصعوبة والتعسير، وفيها الواقعية، وفيها البعد عن التكلف الذي هو السماحة.

السماحة ضد التكلف في الأصل يعني ما فيها تكلف ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص]، «نُهينا عن التكلف» قاله سيدنا عمر رضي الله عنه[1].

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٩٣).

فإذن نبَّه على الأمرين: الشريعة والتوحيد، الشريعة الأخذ بالأسباب والعمل بالقوانين هذا الشيء مفضي إلى هذا الشيء، لكي تنجح في الشيء الفلاني لازم تعمل كذا وكذا، هذه الطريقة ميكانيكة لا بد أن تفعلها، يستوي في هذا المؤمن والكافر، حتى الكافر يعرف أن كثيرًا من هذه الأسباب مفضية إلى هذه المقاصد، ونحن أهل الإيمان نزيد عليهم بما علمه الله ﷻ لنا من هذه الشريعة العظيمة، ومما نبهنا عليه من دلائل في الأسباب والمسببات.

فهذا الشيء الأول، الأخذ بالأسباب: (**احرص على ما ينفعك**).

ثم قال: (**واستعن بالله**) الاستعانة بالله ﷻ والتوكل عليه هو التوحيد.

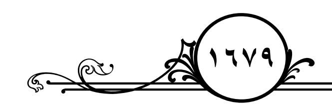
بعدها قال: (**ولا تعجز**) النهي عن العجز، العجز ضد الكَيْس في اللغة -هنا ضد- معنى الكيس مذكور في القوي، (**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف**) وفي (**احرص على ما ينفعك**) هذا الكَيْس؛ الكِيَاسَة.

العاجز: هو الذي لا يأخذ بالأسباب، فالعاجز هو الضعيف، وهو الذي لا يعرف كيف يصرف أموره ولا يدبر شأنه، لا يحرص على ما ينفعه لا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة هذا عاجز، هذا عَجْز يلوم الله عليه ويؤاخذ عليه.

لأن العجز عجزان؛ فيطلق العجز باعتباريين أو بمعنيين، أو إطلاقين:

- العجز الذي هو ضد القدرة، والقدرة طبعًا هي مناط التكليف؛ فالله ﷻ لا يكلف العبد إلا ما يستطيعه؛ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] شرط كل تكليف في الدين هو القدرة؟ الذي ليس عنده القدرة للقيام بالتكليف يسمى عاجزًا وهذا غير مُكلَّف، أي أنه سقط عليه التكليف الذي لم يقدر عليه؟ التكليف الذي لم يقدر عليه المرء يسقط عنه، هذا عاجز لكن هذا ليس مقصودًا هنا، فهذا لا يؤاخذ الله عليه، هذا عجز أنت لا إرادة لك فيه؛ كالعاجز عن القيام بالصلاة يصلي جالسًا أو نائمًا مضطجعًا وهكذا، العاجز عن الجهاد لا يستطيعه؛ فهذا معذور، والعاجز عن الحج لا يجب عليه، وهكذا العاجز عن الصيام، والعاجز عن أي تكليف يسقط عليه التكليف الذي يعجز عنه؛ لأنه لا يقدر، خلاص ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، هذا عجز آخر لا يلوم الله عليه، لا لوم فيه.

- لكن العجز الذي يُنهى عنه هنا هو عجزٌ مِن كَسْب الإنسان؛ ولهذا لِيم فيه لأنه عجز يقدر أن يتداركه بالأخذ بأسباب القوة، ويستطيع أن يزيله عن نفسك؛ فهذا العجز منك أنت ومِن كَسْبك ومن فعلك فنُهيتَ عنه.. فصح أن يتوجه إليه التكليف.



(ولا تعجِز) معنى العجز هنا عدم الأخذ بالأسباب، وعدم الحرص على ما ينفعك، وعدم القوة، أي الاستكانة والضعف، إذن المؤمن هو الكيِّس الفَطِن الذي يأخذ بالأسباب ويحسن التدبير في أمره الدنيوي والأخروي ويكون قويًا، والعاجز هو الذي يترك هذه الأشياء، ويترك الأخذ بالأسباب، يُفَرِّط، فهو مفرط في الأسباب، الذي لا يحرص على النفع الدنيوي والأخروي، هو الضعيف ضعفًا ملامًا فيه، وذلك بتركه أسباب القوة.

(ولا تعجز) في سنن أبي داوود وغيره أن النبي ﷺ قضى بين رجلين اختصما - يعني خصمان اختصما عنده- فقضى لأحدهما على الآخر -يعني أعطاه الحق- فولَّى الذي قُضِي عليه -الثاني - انصرف، وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فدعاه النبي ﷺ فقال له: تعال أو قال: ردوه عَلَيْ، فنادوه وقال: **(ما قلتَ؟)**

قال: قلتُ: حسبي الله ونعم الوكيل.

قال: **(عليك بالكَيْس)** الكيس هنا معناها الفَطانة والحرص على ما ينفعك، وهو معنى الحديث الذي ورد هنا حديثنا هذا **(احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)** وهو معنى القوة أيضًا **(فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل)**.

هذا الحديث في «سنن أبي داوود» في سنده مَقال، لكن معناه تشهد له الأحاديث الأخرى ويشهد له كثير من الدلائل، وبعض العلماء صححه أيضًا مع هذا[1].

قال: **(عليك بالكيس)** يعني احرص على منفعتك إذا كان الحق معك فأظهر بيناتك ودلائلك وحُججك واحرص على أخذ حقك، لكنك فرطت في أخذ الحق وفي تحصيل المنفعة الدنيوية والأخروية ثم تقول: حسبي الله ونعم الوكيل!! ما هذا محلها، **(عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل)** بعد ذلك هناك محلها، خلاص لم يعد لديك إلا اللجوء إلى الله ﷻ والتفويض إليه فقط، هذه معنى حسبي الله ونعم الوكيل: أي الله كافيَّ وقد فوضتُ إليه أمري وشأني.

إذن **(احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء)** يعني من البلاء والمصيبة **(فلا تقل لو أني فعلتُ)** وجاء في رواية أخرى: **(فعلتُ كذا وكذا لكان كذا وكذا)**.

هذا فيه النهي عن قول **(لو)** بهذا القيد، يعني لا تقل: **(لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا)** هذه (لو) التي تفيد الاعتراض على القدر أو التسخط على القدر؛ فهو نوع من الاعتراض على قدر الله ﷻ

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٢٧)، وضعفه الألباني، مسند أحمد (٢٣٩٨٣) وضعفه الأرنؤوط، ولم أجد من صححه.

وقضائه والتسخط، هذه (لو) التي نُهي عنها؛ لأن (لو) ليس منهيًا عنها بالإطلاق ولهذا جاء استعمال (لو) في القرآن وفي السنة كثيرًا.

النبي ﷺ استعملها في مواضع متعددة وجمعها العلماء، والبخاري أيضًا بوَّب في صحيحه «باب ما يجوز من اللَّو»[1]، وعقد الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» في كتاب «التوحيد» أيضًا: «باب ما جاء في اللَّو»[2] أدخَلوا عليها الألف واللام؛ لأنهم جعلوا هذا الحرف بمعناه يفيد التمني أو يفيد ما يقاربه، وهي حرف «امتناع لامتناع» كما يقولون في النحو؛ امتنع جوابها لامتناع شرطها.. فإذا كانت بمعنى الاعتراض على القدر والتسخط عليه فهي ممنوعة: (**لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا**) أرشد إلى هذا بقوله: (**فإن لو تفتح عمل الشيطان**) واستدلوا بهذا التذييل الأخير على أنها نهي كراهة؛ لأنه قال: (**تفتح عمل الشيطان**) أنها تؤدي بك أيها الإنسان المؤمن إلى الوسوسة، فهي تفتح للشيطان بابًا كبيرًا عليك يدخل منه إليك وإلى قلبك فيوسوس إليك فيجعلك يعني تشك في قضاء الله ﷻ وقدره وتتسخط عليه، وتتسخط على قسمة الله ﷻ وتتهم ربك، ويفسد حسن ظنك بالله ﷻ.!

---

(١) قال البخاري ﵀: «بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ اللَّوْ، وقوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠]» ثم ذكر في الباب ثمانية أحاديث استعملت فيها كلمة (لو)، وقال ابن حجر في «الفتح: ١٣/ ٢٢٨»: «قَالَ عِيَاضٌ: الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ تَرْجَمَةِ الْبُخَارِيِّ وَمِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْبَابِ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ لَوْ وَلَوْلَا فِيمَا يَكُونُ لِلِاسْتِقْبَالِ مِمَّا فَعَلَهُ لِوُجُودِ غَيْرِهِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ لَوْ لِكَوْنِهِ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْبَابِ إِلَّا مَا هُوَ لِلِاسْتِقْبَالِ، وَمَا هُوَ حَقٌّ صَحِيحٌ مُتَيَقَّنٌ؛ بِخِلَافِ الْمَاضِي وَالْمُنْقَضِي أَوْ مَا فِيهِ اعْتِرَاضٌ عَلَى الْغَيْبِ وَالْقَدَرِ السَّابِقِ، قَالَ: وَالنَّهْيُ إِنَّمَا هُوَ حَيْثُ قَالَهُ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ حَتْمًا وَأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُصِبْهُ مَا أَصَابَهُ قَطْعًا؛ فَأَمَّا مَنْ رَدَّ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا. قَالَ: وَالَّذِي عِنْدِي فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ النَّهْيَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَعُمُومِهِ لَكِنَّهُ نَهْيُ تَنْزِيهٍ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: (فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) أَيْ يُلْقِي فِي الْقَلْبِ مُعَارَضَةَ الْقَدَرِ فَيُوَسْوِسُ بِهِ الشَّيْطَانُ. وَتَعَقَّبَهُ النَّوَوِيُّ بِأَنَّهُ: جَاءَ مِنَ اسْتِعْمَالِ لَوْ فِي الْمَاضِي مِثْلَ قَوْلِهِ لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أهديت فَالظَّاهِر أَنَّ النَّهْي عَن إِطْلَاقُ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَهُ تَأَسُّفًا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَاعَة الله أَو مَا هُوَ مُتَعَذر عَلَيْهِ مِنْهُ وَنَحْوُ هَذَا فَلَا بَأْس، بِهِ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَكْثَرُ الِاسْتِعْمَالِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَحَادِيثِ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ: الْمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَنَّ الَّذِي يَتَعَيَّنُ بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالرِّضَى بِمَا قَدَّرَ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الِالْتِفَاتِ لِمَا فَاتَ؛ فَإِنَّهُ إِذا فكر فِيمَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا) جَاءَتْهُ وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ فَلَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى يُفْضِيَ إِلَى الْخُسْرَانِ؛ فَيُعَارِض بِتَوَهُّمِ التَّدْبِيرِ سَابِقَ الْمَقَادِيرِ، وَهَذَا هُوَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ الْمَنْهِيُّ عَنْ تَعَاطِي أَسْبَابِهِ؛ بِقَوْلِهِ: (فَلَا تَقُلْ لَوْ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَرْكَ النُّطْقِ بِلَوْ مُطْلَقًا إِذْ قَدْ نَطَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ، وَلَكِنَّ مَحَلَّ النَّهْيِ عَنْ إِطْلَاقِهَا إِنَّمَا هُوَ فِيمَا إِذَا أُطْلِقَتْ مُعَارِضَةً لِلْقَدَرِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَانِعَ لَوِ ارْتَفَعَ لَوَقَعَ خِلَافُ الْمَقْدُورِ، لَا مَا إِذَا أَخْبَرَ بِالْمَانِعِ عَلَى جِهَةِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ فَائِدَةٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُخْتَلَفُ فِي جَوَازِ إِطْلَاقِهِ، وَلَيْسَ فِيهِ فَتْحٌ لِعَمَلِ الشَّيْطَانِ وَلَا مَا يُفْضِي إِلَى تَحْرِيمٍ».

(٢) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٤٦٠).

والعاجز هو الذي يقول: لو، دائمًا يقول: لو أني ولو أني، ويُتبع نفسه هواها، لكن القوي الكَيِّس الفَطِن الحريص على ما ينفعه هو الذي يفعل الأشياء فإذا أصابه شيء لم يكن في حسابه بعد أن يأخذ هو بالأسباب ويستعين بالله ﷻ ويتوكل عليه، عندما يصيبه شيء هنا يقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، هذه الكلمة هذا موضعها، هنا التفويض، خلاص ما عاد في من الأسباب شيء، انتهت الأسباب!

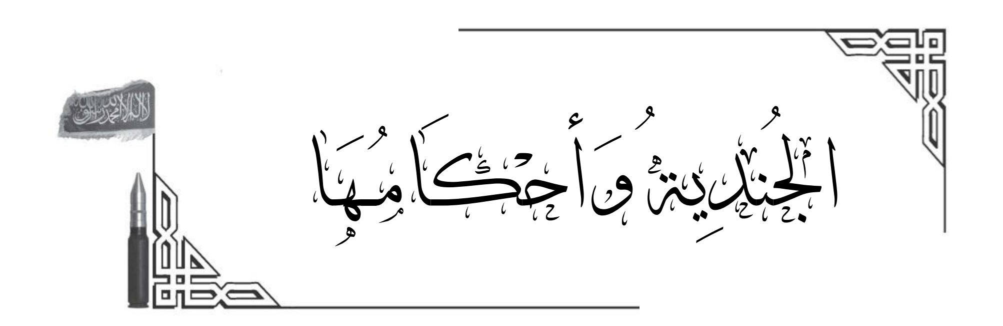
الأسباب التي أمرَنا الله بها أو دلنا عليها أخذنا بها، ولكن ليس شرطًا أنك أنت تنجح! قد تفشل بعوامل كثيرة يقدرها الله ﷻ؛ فيصيبك مثلًا شيء من قدر الله ﷻ مصيبة أو تصيبك شدة أو مشقة، فشل، انكسار، فتقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ففيه أيش؟ فيه الإيمان بالقضاء والقدر والتفويض إلى الله ﷻ واللجوء إليه كما لجأنا إليه أولًا نلجأ إليه آخرًا، سبحانه ﷻ.

فإذا فاتنا الأمر الدنيوي مثلًا أو أصابتنا مصيبة فعلى الأقل لا يضيع منا إيماننا، وعلى الأقل لا نُكسَر في إيماننا فنلجأ إلى الله ﷻ ونسلم بقضائه وقدره وقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، ويشرح الله ﷻ صدر العبد المؤمن ويفتح عليه ويُغلق عليه أبواب الشيطان فيقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فهذه الكلمة هنا في موضعها كلمة تفويض وكلمة إيمان بالقضاء والقدر، وهذه الكلمة عظيمة جدًا فيها معانٍ، إذا لم يقلها المؤمن في موضعها يشعر بتلك المعاني بلا شك.

هذه أهم المعاني في هذا الحديث النبوي العظيم ونعيد قراءته مرة أخرى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأَحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان**».

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا..

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



[محاضرة صوتية من جزئين؛ **مدتها**: ثلاث وأربعون دقيقة، وهي خاصة بهذا المجموع؛ لم تُنشر من قبل، تم تفريغها[1] بالتعاون مع «مؤسسة التحايا للإعلام»، **ألقيت** في عام ١٤٣٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

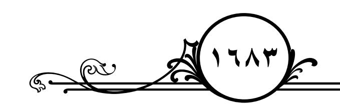
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فنتكلم بإذن الله عن مسائل في «الجندية» و«البيعة» و«السمع والطاعة» وما يتعلق بهذا من أحكام.

والأصل الذي ينبغي القيام به في مثل هذه المسائل أن][2] يربي فيها الكبير دائمًا الصغير، والعالم يربي الذي تحته وهكذا، ولكنَّ المجال يجب أن يُترك للأمراء من قبل الأمراء الذين هم أكبر منهم ومن قبل رعيتهم ومن قبل الجنود، وذلك ليتركوا لأمرائهم المجال ولا يعترضوا عليهم؛ حتى لو عندك رأي فاسكت، اللّهم إلا إن ترجح لديك وظهر عندك ظهورًا جيدًا أن هذا خطأ فتأتي تبلغ وتقول الرأي وتقترح وتعطي المشورة -في وقت المشورة كما قلنا، أما بعدها فلا-. واحذر بعد انتهاء الأمر أن تقول:

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغييرَ كثير من الكلمات العامية واستبدالها بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريدها الشيخ ﷺ.

(٢) نظرا لوصول المحاضرة لنا مبتورة في مطلعها؛ فقدأضفنا لها ما بين [القوسين المعكوفين] ليكتمل السياق، وليُفهم المقصود والمراد.



أنا قلت؛ لا تقلها أبدًا، كأنك أنت الفالح الشاطر المعصوم، وهم المفرطون الذين لم يأخذوا بقولك؛ لأن هذه الكلمة مزلة خطيرة جدًا لنفسك ولقلبك؛ فقد تؤدي بك إلى العجب وإلى أمراض قلبية خطيرة جدًا، والعجب هو رؤية النفس والإعجاب بها وظن أنها أفضل من الغير وهكذا والظن بأن لها حقوقًا وأن لها مرتبة لم يوفها الخلق حقها؛ فانتبه لهذا، واهضم نفسك وأزرِ بنفسك وتواضع وقل أنا عندي رأي؛ إن أخذتم به فجيد، وأما إن لم تأخذوا به فهذا اجتهادكم وكان من الممكن أن يكون خطًا أو صواب وقدر الله وما شاء فعل. لكن لا يدعي الإنسان ويقول أنا قلت وأنا قلت؛ فهذه انتبهوا لها، وهذه من الأخطاء التي أحيانًا يقع فيها بعض الناس، وهي مفسدة لنفسه ومفسدة أيضًا للاجتماع ومفسدة للعلاقة بين الناس وأمرائهم.

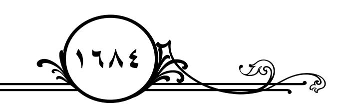
[أحد الحضور: يا شيخ كيف لو تعددت جهات اتخاذ القرار؟ فأحيانًا تجد يأتيك أمير مباشر يقول: افعل كذا، ثم يذهب، ويأتي الأمير العام يقول: لِم فعلتَ كذا بل افعل كذا، ويرجع الأمير المباشر يقول: أما قلت لك أن تفعل كذا وكذا، فيقول له الأمير العام قال لي ذلك، فيقول له لا، لا تفعل وأنا سأكلمه بعد ذلك.. وكل واحد يتضايق منه وهو لا يدري أين يذهب ومن يسمع].

الشيخ: هذه حالات قليلة وليست كثيرة؛ فهنا يقدم رأي الأمير الكبير.. الجيوش عندهم الأمر الأخير هو الذي يُنفذ، هم حاسمينها هكذا.. الجيوش الحديثة في الدول يفعلون ذلك والذي أخذ العسكرية في الجيش يعرف ذلك فالتنفيذ للأمر الأخير عندهم. لكن نحن لا نسلم بهذا الحسم مائة في المائة.

إذا جاء الأمير الكبير المُطاع عليك أن تأخذ بكلامه، إذا جاء بعده مثلًا الأمير الثاني وقال لك افعل كما قلت لك أنا وأنا سأحل مشكلتي مع الأمير الكبير، لا بأس أن تأخذ بقوله.. والظاهر والله أعلم أن عليك طاعته، وهذه حالات قليلة.

أو الأمير الآخر الصغير عندما يعلم أن الأمير الكبير أمر بهذا الشيء من المفترض أن يسلم أصلًا، إلا إذا عرف أنه خطأ؛ فحينئذ له ذلك وهو بعدها يراجع الأمير الكبير وهكذا.

[أحد الحضور: ذكرتم أنه لا بد للمأمور أن يسمع ويطيع لأميره في المسائل الاجتهادية، لكن ماذا لو كان هذا المأمور لا يرى في نفسه ليست أن هذه المسألة اجتهادية،بينما يراها الأمير اجتهادية.. هب أن جماعة جهادية قرر قادتها إيقاف القتال، وهذا المأمور يرى إمكانية الاستمرار في القتال حتى لو قليلا مثلا، أو يقولون له ما عندنا أموال فيأتي المأمور يريد حلها، والأمير يقول مثلا هناك مشكلة وهنا مشكلة؛ فهو كما يرى هذا المأمور أن حل كل المشكلات من أموال وأفراد أو خبرة عسكرية، أو أي شيء مثلا تحتاجه هذه العملية.. فهناك مأمور يقول: لا ما بقي مجال للأمير أن يقول هذه المسألة مسألة اجتهادية، فهذا المأمور لا يراها مسألة اجتهادية، بل ويرى الأمير عاصيًا لله ﷺ وتاركًا للواجب؛ فماذا نفعل الآن؟]



الشيخ: إذا كان الجندي يرى فعله من الدين، ويرى أميره عاصٍ لله ومفرط في أمره ﷻ، وأنه يأمر بالمنكر.. فلا يُطاع؛ لكن هذا الجندي على خطر، فيجب أن يكون متثبتًا جدًا وفي غاية التثبت؛ لا بد أن يعرف في هذه المسألة أن الأمير قد عصى فيها بالفعل وخالف فيها الشريعة، أي ليس بمجرد ظنه فقط.

وعلى كل حال؛ عموم المسائل يُعرف أنها مسائل منصوص عليها في الشريعة أو مجمع عليها أو هي مسائل قابلة للاجتهاد؛ عموم المسائل معروفة، ولا يحتاج الإنسان أن يدقق كثيرًا، لكن إذا تبين أن الأمير يأمر بالمعصية فلا يُطاع، الشريعة قالت هذا: (**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**)[1].

إذا تبين لك أنها معصية فلا تطعه في المعصية، لكن لا بد أن تعرف أنها معصية بالفعل، وهذا يحتاج إلى تثبت، وفي المواضع التي يحصل فيها ادعاءات تحتاج إلى تثبت شديد جدًا ولا تتخذ فيها قرارًا سريعًا، وبإمكانك في هذه الحالة مثلًا أن ترجع إلى أهل العلم بجانبك وأهل العقل والنظر والقيادات وتسألهم، تقول لهم هل هذا مثلًا مما يُطاع فيه الأمير، الأمير أمرنا بكذا فكيف ترون؟ هل هذا مما يُطاع فيه أو هو مخالف للشريعة مخالفة واضحة.. فستجد الجواب وتُحسم المسائل.

لكن الذي يحصل عند بعض الشباب أنهم يتسرعون، ويظنُّ أن الأمير عاص وكذا وسنخرج عليه؛ فهذا من الجهل ومن الطيش ومن الفساد الذي يحصل بسبب عومل كثيرة جدًا؛ منها الجهل وأحيانًا يكون متسرعًا وطائشًا وقليل الأدب وقليل المعرفة بنفسه وقليل المعرفة بالناس وأقدارهم وممكن يكون أصلًا مُصابًا بأمراض أخرى، يعني حب ظهور ونحو هذه الآفات الباطنية التي لا يعلمها إلا الله ﷻ.

فالإنسان هنا في موضع خطر فعليه أن يتثبت، أما عامة المسائل فلن تختلفوا فيها؛ نهجم اليوم أو لا نهجم؟ هذا المعسكر نقتحمه أم نكتفي برماية الصواريخ فقط والاقتحام غير مناسب وسيُقتل أخوة كثيرون مثلًا فهذا اجتهاد، وكل الناس تعرف أنها مسائل اجتهاد.

مجموعات نبعثها إلى أفغانستان أم الأفضل نضعها هنا في منطقتنا هذه؛ فكل هذه مسائل اجتهادية، توقف العمليات الآن مثلًا للتهدئة، أو نستمر بدون توقيف.. كل هذه مسائل اجتهاد وتدبر ونظر؛ فلا يوجد نص ولا إجماع ولا هي مسائل منصوص عليها في الدين.

فهذه هي عامة المسائل، أما أن تأتِ في مسألة مثلًا تقول لي أن الجماعة مثلًا قررت وقف العمل

---

(١) مسند أحمد (١٠٩٥) بلفظ (.. في معصية الله) وصحح إسناده الأرنؤوط، ولفظ المصنف ورد في: مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٧١٧) وصححه الألباني في: تحقيق مشكاة المصابيح (٣٦٩٦).

العسكري -وقفه بالكامل- ندرس هذا لتُطاع فيه أم لا، أم نترك هذه الجماعة أو نخرج عليها أو نكون جماعة أخرى أو شيء ندرس هذا حينئذ ونتثبت ولا نتسرع ولا نتعجل.. إذا مشيت على هذا القانون إن شاء الله أنت ناجح وما تخاف، لكن الخوف من الطائشين الذين تعرف أمكنتهم، الطائشون هؤلاء الذين أول ما تبدر لهم بادرة يعملون بها، وهؤلاء هم الخطر العظيم.. يقول: هذه ليست من الشريعة وهذا مخالف للشريعة وهذا كذا وكذا.. فنقول له: من قال لك هذا؛ تعال نسأل أهل العلم، وإذا ثبت أن الجماعة بالفعل خالفت الشريعة؛ فحينئذ نخرج عليها باطمئنان.

[أحد الحضور: في باب السمع والطاعة؛ إذا طلب من الأخ أو من الجندي عمل ويقينه يغلب على شكه بأنه سيحدث ضررًا إذا اتبع هذا الأمر، يعني مثلا: في خراسان عندنا تعلم ألغام، فجاء الأمير وقال للجندي: اذهب للجماعة التركستانية وعلمهم فك وزرع الألغام، وهو يعرف أنه لا يستطيع أن يتخاطب معهم بالصفة الكافية والمترجم أيضًا لا يكفي، فممكن أن يخطئ في ترجمة اللغة العسكرية؛ فهل يتعين عليه طاعة أميره مع أن يقينه يغلب على شكه أنه سيحدث ضررًا على الإخوة في هذه الحالة؟ يعني هو يعطيهم المعلومة الكافية لكن قد لا يستطيعوا استيعابها، ممكن يفكونها خطأ أو ينفجر فيهم شيء].

الشيخ: إذا كان هناك فرصة؛ فعليه أن يراجع الأمير في هذا ويناقشه في هذا الأمر حتى يتبين وجه الصواب، فإذا أصر الأمير بعد ذلك مرجحًا أنه لا يوجد خطأ ولا شيء وأن الصلاح غالب، فعليه أن يطيع في هذه الحالة.. الظاهر أن عليه أن يطيع؛ فهذه أشياء محتملة فقط وأخطار متوقعة، عليه أن يطيع ويعمل بما يمكن من وسائل تحقيق المصلحة وتعليم الناس وتفادي حدوث انفجار لهم أو شيء، والله أعلم.

فما دام الذي عنده مجرد شكوك وترجيحات فعليه أن يطيع، لكن في حالة اليقين أنه أمر بشيء هو فاسد، وأن الأمير مجتهد ولكنه مخطئ يقينا؛ فهذه الحالات التي يُمكن أن يُقال فيها لا تطيعه.

ويجوز للرجل أن يغمل بما يُسمى بـ«التظلم»، وهو أن يترك الأمير المباشر ويرفع المر إلى من فوقَه؛ فمثلا: إذا كلم الأمير المباشر -الصغير يعني- في أمر يراه خيرًا وصلاحًا أو نصيحة أو خطة عرضها عليه أو فكرة إبداعية ومفيدة وجيدة عرضها عليه، ووجده لم يُلقِ لها بالًا أو ليس عنده اهتمام بها أو وجده كسولًا؛ فلا بأس أن ينتقل إلى الأمير الأكبر.

فالتظلم هو الشكوى من الأمير الصغير إلى الأمير الأكبر، وهو جائز مباحٌ.

[أحد الحضور: هنا مسألة يتكلم عليها بعض الشباب، وهي أنهم يقولون: يقول نحن بايعنا الأمير على السمع والطاعة في أمور الجهاد، لكن هو يقول مثلا: أنت اترك هذا العمل العسكري وامشِ للدعوة مثلا، أو هو يدعو الناس إلى التوحيد فيقول له: اترك الدعوة وامشِ إلى هذا العمل العسكري؛ فيقول لأميره: أنا بايعتك على السمع والطاعة في أمور الجهاد وليس في كل الأمور، أنت لست في مكان الإمام الأعظم والخليفة حتى نسمع ونطيع في كل ما تقول إلا المعاصي؛ فماذا تقول في هذه

المسألة يا شيخنا؟]

الشيخ: الظاهر أنه يُطاع الأمير في هذا، فلو أمر أحدًا من المجاهدين أن يتفرغ للدعوة أو يتفرغ لطلب العلم فإنه يُطاع في هذا؛ لأن هذا مما يدخل في الجهاد.. هو أمير حرب وأمير جهاد كما يقول ولكن سلطانه وولايته أعم من مجرد أمير سرية مثلًا، هو تحت الأمير الأعظم؛ لأنه مع غياب الأمراء الكبار ومع غياب الإمامة العظمى صار لهذه الجماعات ما يشبه «السلطنة»، هذه الجماعات صار لها سلطانٌ، وأخذت بعض صلاحيات «الإمامة العظمى»؛ فمثلًا نحن الآن في تنظيم أو في جماعة أو كذا، لو أمرت القيادة شخصًا مثلًا للتفرغ لطلب العلم أو اختارت ثلاثة أو أربعة للسفر لطلب العلم في إفريقيا في مالي هناك أو في نيجيريا عليهم أن يسمعوا ويطيعوا.. لأن هذا جزء من الجهاد ومن العمل الجهادي؛ فهذه الجماعة ليست إمارة حرب فقط وليست هي كأمير سرية تحت الإمام الأعظم، فليس الإمام الأعظم موجودًا، ولا تطيع أمير الحرب إلا في أمر الحرب فقط وليس له علاقة أن يرسلك في مكان آخر غير المهمة التي أنت ماضٍ فيها.. لا، هي الآن أشبه بالسلطان، الجماعة صارت أشبه بالسلطان وولايتها ولاية فيها نوع من العموم؛ هذا الذي نراه والله أعلم.. فيُطاع في هذا، لأنه لا تستقيم الأمور إلا بهذا.

لأنه كما تعرفون أمور الجهاد تقوم بها جماعات وكل جماعة كبيرة أو لها قدرة أو نفوذ ولها سلطنة في ناحية من الأرض لها أن تطبق الأحكام إذا أمنت نفسها.. إذا أمنت وقوع مفسدة أكبر فلها أن تطبق الأحكام وأن تعقد العقود والأنكحة وغيرها، ومنوط بها كثير من الأحكام التي ترجع إلى السلطان.

الفقهاء في كثير من أبواب الفقه يقولون مثلًا: هذا يرجع إلى السلطان، مثلًا في الأنكحة والطلاق وأنواع العقود وأمور كثيرة أخرى ترجع إلى السلطان.. امرأة ما عندها ولي مثلًا من الرجال فوليها السلطان، وما عندنا سلطان نحن الآن، أقرب سلطان هي هذه الجماعات التي هي «شبه ممكنة»: «طالبان» مثلًا في أفغانستان، «القاعدة» مثلًا في نواحٍ من الأرض وهكذا، الجماعات الكبيرة المؤتمنة الموثوقة التي صارت لها ثقة في الأمة.. لا تذهب إلى جماعة صغيرة غير معروفة وتعملها إمارة، هذا لعب.. الجماعات التي أعطتها الأمة أمانة وأعطتها ثقة وصار لها نوع من السلطان، سلطانها ليس كاملًا؛ فليست هي دولة ممكنة في الأرض وطيرانها يجول في السماء، ولكن عندها نوع من السلطنة تُناط بها الأحكام.. الوصايا على الأيتام وعلى أموالهم يُرجع فيها إلى السلطان، وكثير من العقود وكثير من المشاكل والأمور يحلها السلطان.. تنفيذ الأحكام مثلًا، الأقضية وغيرها تُناط بالسلطان.

فالسلطان اليوم معدوم، السلطان الأعظم وما يتفرع عنه من نوابه ونحوهم معدوم؛ فصارت هذه الجماعات عند شغور الزمان عن الإمام الأعظم وعن السلطان صارت بمنزلة السلطان ولها نوع من العموم.. هذه الجماعات التي نعيش فيها طاعاتها ليست في الحرب فقط لأنك لست ضمن سرية مثلًا أو عملية ثم انتهى الأمر؛ فتذهب لبيتك تجلس تحت ظل السلطان الأعظم أنت وهذه السرية، لا، لا توجد سرية أصلًا.. سريتك هي سلطانك، جماعتك هذه هي سلطانك.

فالجماعات هذه الآن صار لها نوع من الأمانة ونوع من السلطنة، وذلك في حدود معينة وفي حدود ما تقدر عليه وما ينتظم به الصلاح، وهذه مسائل يحددها الفقيه الموجود وينظر فيها.. تحديدها بدقة بالكمبيوتر صعب، ولكن لا شك أن لها نوعًا من العموم في سلطانها، وأن طاعتها إذا بايعتها وانضويت تحتها فطاعتها أعم من مجرد أن تطيعها فقط في عملية عسكرية، ويُقال: أمير حرب فقط؛ لا.. هو ليس أمير حرب فقط بل هو أعم من ذلك.

فيه شبه من السلطان الأعظم ولكن لا يأخذ كل أحكام السلطان الأعظم، لا يأخذ كل أحكام الإمامة العظمى، ولا هو أيضًا بمنزلة أمير الحرب الذي هو أمير سرية في «الدولة الإسلامية» تحت السلطان الأعظم أرسلوه في عملية هو ومجموعته، لا، هو بين بين.. أما ما تحديده بالضبط فيصعب تحديده والتعبير عنه.

هذه الجماعات أشبه بالسلاطين في محل نفوذها، ومحل ولايتها، ومحل سلطانها.. ومثالها «طالبان»، فهي ليست دولة، بل حركة؛ حتى من حيث الاصطلاح عند الناس مسلمهم وكافرهم هي ليست دولة، لكن عندها نفوذ قوي ويرجع إليها الناس في كثير من المسائل تستطيع أن تقوم بكثير من العقود والولايات والأقضية وغيرها والمسائل التي تُناط بالسلطان كثير منها تقوم بها، إلى درجة الحدود؛ فهي تقتل، حتى الدماء تقتل فيها، وتفصل في النزاعات وغيرها وتنصب قضاة في بعض الأماكن.. فهي لها نوع من السلطان، هذا مثال.. الإخوة في اليمن مثلًا المسيطرون هناك، الإخوة في الصومال الآن، الصومال أشد فهي شبه دولة، وهكذا.

فهذه الجماعات أشبه بالسلطان في محل ولايتها في نواحيها التي تسيطر عليها ولها فيها نفوذ وقوة فتستطيع أن تنفذ كثير من الأحكام.. والناس يعيشون تحتها؛ فلا تستطيع أن تقول أنها مجرد جماعة لا نطيعها إلا في الحرب فقط، أنت تأخذ كفالة، وتتربى وتتعلم وتنتظم أمورك كلها؛ فواضح أنها ليست مجرد سلطان لأمير حرب؛ فقط تذهب معه إلى العملية وتنتهي، والسلام عليكم، وكل واحد يذهب إلى بيته، لا.. هذه ولاية كبيرة أشبه بالسلطان الأعظم في محل ولايتها.

السلطان الأعظم هو ولاية على الدنيا كلها؛ هذا هو المفروض، لأن الأساس منع تعدد الأئمة إلا إذا تباعدت الأقطار وعُلم أنه لا يمكن للمسلمين أن ينضووا وأن ينتظم شملهم تحت إمام واحد؛ فحينئذ يكون تعدد الأئمة من المستساغ على الصحيح.. هذه فتوى المتأخرين وهي صحيحة.

فالأصل أن المسلمين يكونوا تحت إمام أعظم، لكن بسبب أنه لا يوجد الآن إمام أعظم؛ فهذه الجماعات قائمة بأجزاء لا بأس بها من ولاية الإمام الأعظم.

[طيب يا شيخ؛ هذا السمع والطاعة متى يجب على الشخص المقاتل، عندما بايع الجماعة أو لا؟ عندما ينضم إلى الجماعة فقط بدون أن يبايع الأمير؟]

نحن طبعًا دخلنا في عنوان كبير وهو الجماعة والعمل الجماعي، وهذا موضوع كبير جدًا جدًا ويحتاج إلى محاضرة فيه.. نحن نتكلم عن «الجندية» الآن، وإذا وُجد نقاشٌ فيكون في الكلام الذي كنا نتكلم فيه في الجندية؛ فهذا الموضوع كبير جدًا يحتاج إلى تحرير، فمن الممكن أن تجعلوه في محاضرة أخرى ونجهز أنفسنا فيه ونأتي بنصوص العلماء ونحضر بعض الكتب وبعض التحضيرات وهكذا يكون أفضل وأليق به.

لكن أنا سأعطيك مقدمة بسيطة تنتفع بها الآن، وتكون توطئة لك إذا أنت قرأت بنفسك وحاولت فهم هذه المسألة تكون هذه المقدمات معينة لك:

الإمامة العظمى مبناها على التحريج، أي ليس فيها اختيار؛ وهذا الذي قال فيه الإمام أحمد: «من غلب على المسلمين بالسيف حتى سُمي أمير المؤمنين لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر يبيت ليلتين إلا وهو يراه إمامًا على نفسه»(١). فليس عندك مناص، إذا غلب على المسلمين رجل -وهذه إمامة المتغلب، وهي إحدى طرق انعقاد الإمامة، فالجمهور عندهم ثلاثة طرق لانعقاد الإمامة: أولًا ببيعة أهل الحل والعقد؛ أي بيعة المسلمين ويكفي جمهرة تقوم بهم الشوكة ويتبعهم الناس فيها يسمون بأهل الحل والعقد. والطريق الثاني: الاستخلاف؛ أن يستخلف الإمام السابق واحدًا خلفه، وهذا الكلام فيه نظر، والأصل أن يرجع للبيعة. والثالث: إمامة المتغلب الذي غلب عليهم بالسيف، بأن يغلب رجل على أمر المسلمين بالسيف؛ بأن يمسك الحكومة والجيش، والجيش سامع مطيع له، ونشر الجيش واستخدمه، وسُمي أميرًا للمؤمنين وخضع له أهل الحل والعقد وسلموه وبايعوه وقالوا: حقنًا

(١) انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص ٢٣) نقلها عنه من رواية عبدوس العطار قال أحمد: «ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا، برًا كان أو فاجرًا» ومسألة الحكم بالقهر والغلبة قد بحثها عدد من العلماء وأثبتوا أنها ليست طريقا شرعيا لبلوغ الحكم.

للدماء وتسكينًا للدهماء نبايعه، وسُمي أمير المؤمنين-. فالأمر راجع إلى الديانة، فيلزمك أن تعتقد أنه أمير على نفسك وأنه يجب له عليك السمع والطاعة.

فإذًا الإمامة العظمى مبنية على التحريج، إذا جاء -مثلًا- المسلمون أهل الحل والعقد -مجموعة كبيرة من أعيانهم ورجالهم الكبار ورجال مشايخ القبائل وغيرهم وقاداتهم وأمرائهم وعلمائهم وقضاتهم وهكذا- اختاروا أميرًا؛ سُمي أمير المؤمنين وانعقدت له بيعة وانتهى الأمر، فعلى الذي في أقصى الأرض أن يسلم.. ولا يقول: أنا رأيي مختلف وأنا ما اخترته، لا يحل له أن يقول هذا، هذا يجب عليه أن ينقاد، ولا تلزمه البيعة؛ لا يلزمه أن يأتي ويبايع هو بنفسه، لأن البيعة انعقدت بقدر كاف من الناس الذين تحصل بهم الشوكة ويقوم بهم الأمر أي أهل الحل والعقد كما يُسمون في الاصطلاح، انعقد بهم الأمر وانتهى، إذا غاب غيرهم يكفي هم.

فالناس الآخرون يسمعون ويطيعون ويجب عليهم أن يعتقدوا أن هذا الذي اختير وعُين وانتُخب أنه أمير عليهم، واجب له عليهم السمع والطاعة، ولا يخرجوا عن إمامته ولا يشاقوه ولا يعصوه وهكذا.. فصارت هذه الأمور أحكام دينية.

إذا جاء هذا الإنسان البعيد من أقصى الأرض وبايع بعد ذلك فخير على خير؛ زيادة خير فقط وتأكيد للسمع والطاعة وتأكيدٌ للبيعة ولكن لا تلزمه البيعة الخاصة.. ولهذا فالعلماء يقسمون البيعة إلى بيعة العامة وبيعة الخاصة، أو البيعة العامة والبيعة الخاصة. بيعة الخاصة هي التي تنعقد بها الإمامة؛ ينعقد بها الأمر.. والعوام الذين ورائهم من الملايين لا تلزمهم البيعة لكل واحد منهم؛ بيعتهم بمجرد الاعتقاد، أي أن يعتقدوه إمامًا وأن يسلموا له ويدخلوا تحت السمع والطاعة قلبيًا ودينيًا؛ فيدخلون تحت السمع والطاعة له.. هم مبايعون تبعًا لأمرائهم وعرفائهم وأعيانهم الذين هم أصلًا أعيان الناس.

فإذًا الإمامة العظمى مبناها على التحريج والتضييق، أنت ما عندك مجال، انعقد الأمر فعليك أن تسمع وتطيع فهذا إمام عليك.

أما الإمامات الصغرى في هذه الأزمان مثلًا وهذه الإمارات؛ فمبناها في الأصل على الاختيار والتوسعة، يعني جماعة من المسلمين في واقع مَّا وفي زمن ما تعاهدوا واختاروا أميرًا عليهم وتعاهدوا وتبايعوا على الجهاد في سبيل الله.. فهذا مبناه في الأصل على الاختيار، لكن يضيق الأمر فيه أحيانًا؛ فيحتاج إلى شيء من التفصيل.

فهذه الجماعات إذا اختير أميرٌ لجماعة وبدأت في ناحية من الأرض مثلًا، لنفرض هنا في «أفغانستان» أمير المؤمنين «الملا محمد عمر» انعقدت له -مثلًا- بيعة وجماعة وصارت عندها قوة

وشوكة وقادت الجهاد وكونت دولة أو شبه دولة ثم انهارت الدولة، ثم الآن هم يحاولون وبيدهم القوة والمكنة ومعظم الناس معهم وكذا، فانعقدت البيعة لهم.. فينبغي لكل مجاهد أن يكون معهم، ولا يشاقهم، ولا يخرج عليهم، ولا يعصيهم، ولا يخرج لتكوين جماعة أخرى، يريدها أفلح وأشطر وأحسن وأكثر إتقانًا، هذا لا يصلح؛ ويجب عليه أن يكون مع الجماعة، لأن الخروج أو إحداث جماعة ثانية هو فساد وشق لعصا الجماعة وفت في عضد جماعة المسلمين؛ فهي هنا قد أصبحت إلى حد ما شبيهة بالإمامة العظمى.

لكن هل يلزم كل مجاهد في أفغانستان مثلًا وما حولها أن يبايع أمير المؤمنين؟ هذا لا يلزم، فالبيعة منعقدة له بأهل الحل والعقد وانتهى.. وهو يجاهد معهم ويلزمه السمع والطاعة، وهكذا القاعدة في ناحيتها مثلًا أو كذا في محل عملها أو في محل سلطانها فمن جاء معها وانضم يلزمه السمع والطاعة، سواء بايع أو لم يبايع.. البيعة هذه تأكيد؛ لكن قد تتعين البيعة -صفقة اليد- على بعض الناس، وآحادهم، وضابطها والله أعلم أنه إذا عُدَّ بعدم بيعته مشاقة هنا تجب البيعة، حاولوا تتصوروا الضابط هذا.

مثلًا: الشيخ أبو زيد من أعيان الناس ومشايخ الناس وأهل العلم، نقول له: بايع يا شيخ؛ فالبيعة مطلوبة في حقك.. لماذا؟ لأنه لو لم يبايع لقيل: لماذا لم يبايع الشيخ أبو زيد؟ وَلَعُدَّت عدم مبايعته طعنًا في الجماعة، وَفَتًّا في عضدها وشقًّا لعصاها، فحينئذ تجب عليه البيعة وجوبًا استنباطيًا استدلاليًا يطلقه الفقيه.. لا نستطيع أن نقول: هذا حكم الله، لكن -والله أعلم- يظهر لنا في مثل هذه الحالات أنه يجب على هؤلاء الأعيان البيعة.

لكن أبو مصعب الفلاني - رجل من عامة الناس-؛ فهذا لا يهتم أحد هل بايع أو لم يبايع، لكن المهم كونه مع الجماعة وانتهى؛ لأنه ليس من أعيان الناس ولا قياداتهم وأشرافهم المنظور إليهم.

أما الشخص المنظور إليه فتجب عليه البيعة -والله أعلم- للجماعة الموجودة في المكان التي يُخشى أنه إن لم يبايع -ما دام هو معها أصلًا- أن يُعد مشاقًا وأن يُنظر إلى عدم بيعته أنه مشاق.

مثلًا: سيدنا علي بن أبي طالب تخلف ستة أشهر عن بيعة أبي بكر رضي الله عنهما[١]؛ فكانت الناس كلها تطالبه بالبيعة.. لكن الأعراب البعيدون؛ هل بحث أحد عنهم وقال لهم: تعالوا بايعوا؟ حتى غير الأعراب من عوام «المدينة» بجانب دار الخلافة، الذي يسكن بجوار أبي بكر، هل يبحث عنه أحد؟ هؤلاء ليسوا

(١) انظر قصة تخلفه عن البيعة ثم بيعته في: صحيح البخاري (٤٢٤٠)، صحيح مسلم (١٧٥٩).

من المشاهير.. لكن عليًّا كان يُعتبر ثالث أو رابع رجلٍ في الأمة، فكان مطلوب منه أن يبايع ولهذا كان الصحابة يلحون عليه وكانت التساؤلات، وما زال الفقهاء يتساءلون إلى اليوم وإلى يوم القيامة سيظلون يتساءلون: لماذا جلس علي رضي الله عنه ستة شهور ولم يبايع؟

فقيل: أنه كان مشتغلًا بتمريض فاطمة رضي الله عنها.

وقيل: أنه لغضب فاطمة من أبي بكر في قصة فَدَك، وميراث النبي ﷺ؛ فكان عليٌّ متضامنًا معها؛ فمن باب الأدب لم يبايع.. وقيل وقيل غير ذلك.

وأشد الأقوال: أنه كان ينازع في الخلافة؛ حتى هذا القول قيل في هذه المسألة! وهنا يكمن الخطر.

ولهذا قلنا أنه لا يعد مشاقًا[1]، لكن خلافة أبي بكر كانت ماشية، بايع علي أو لم يبايع؛ فلما توفيت فاطمة بايعه في اليوم الثاني مباشرة، وهذا الذي جعل كثيرًا من الفقهاء يقولون هو بسبب فاطمة وقصتها والاشتغال بها وهي نفسها غاضبة من أبي بكر رضي الله عنهما، وهي من أهل الجنة وأبو بكر من أهل الجنة، ولكن انظروا كيف أن الناس الصالحين تخالفوا، والسبب بسيط جدًا، فقد جاءت رضي الله عنها إلى أبي بكر فقالت له: أعطني ميراث أبي عنده أرض في فدك؛ فقال لها: إني سمعت النبي ﷺ يقول: (**نحن معاشر الأنبياء لا نُورث، ما تركناه صدقة**) قال: ما نعطيك، هذه لبيت المال كلها، أنا سمعت النبي ﷺ بنفسي.

---

(١) تكلم كثير من المؤرخين والعلماء عن أسباب عدم بيعة علي لأبي رضي الله عنهما، بل وجزم بعضهم أنه قد بايع سرًا في البداسة لكنه أخفى ذلك عن فاطمة حتى لا يجرحها بذلك؛ لكن هذا القول ضعيف، ولعل أوجه الأقوال ما ذكره علي في سبب تخلفه إذ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا.. فوجدنا في أنفسنا» متفق عليه، وقال النووي في توجيه هذه الحادثة في: شرح مسلم (١٢/ ٧٧): «تأخره ليس بقادح في البيعة ولا فيه؛ أما البيعة فقد اتفق العلماء على أنه لا يشترط لصحتها مبايعة كل الناس ولا كل أهل الحل والعقد، وإنما يشترط مبايعة من تيسر إجماعهم من العلماء والرؤساء ووجوه الناس، وأما عدم القدح فيه فلأنه لا يجب على كل واحد أن يأتي إلى الإمام فيضع يده في يده ويبايعه، وإنما يلزمه إذا عقد أهل الحل والعقد للإمام الانقياد له، وأن لا يظهر خلافا ولا يشق العصا، وهكذا كان شأن علي رضي الله عنه في تلك المدة التي قبل بيعته؛ فإنه لم يظهر على أبي بكر خلافا ولا شق العصا، ولكنه تأخر عن الحضور عنده للعذر المذكور في الحديث [يعني مسألة عدم قسمة علي لأرض فدك وميراث النبي ﷺ]، ولم يكن انعقاد البيعة وانبرامها متوقفا على حضوره فلم يجب عليه الحضور لذلك ولا لغيره؛ فلما لم يجب لم يحضر، وما نُقل عنه قدح في البيعة ولا مخالفة، ولكن بقي في نفسه عتب فتأخر حضوره إلى أن زال العتب، وكان سبب العتب أنه مع وجاهته وفضيلته في نفسه في كل شيء وقربه من النبي ﷺ وغير ذلك رأى أنه لا يستبد بأمر إلا بمشورته وحضوره، وكان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحا لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفاسد عظيمة، ولهذا أخروا دفن النبي ﷺ حتى عقدوا البيعة لكونها كانت أهم الأمور كيلا يقع نزاع في مدفنه أو كفنه أو غسله أو الصلاة عليه أو غير ذلك وليس لهم من يفصل الأمور فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء والله أعلم».

يقول ذلك، وهي لم تسمع هذا الكلام فتضايقت منه، مع أنها تعرف أنه صادق، فهي لم تكذبه!

ولكن الخلاف يصير بين المسلمين وبين الصالحين وبين الأولياء، وهي امرأة في النهاية؛ فزعلت وما كلمت أبا بكر حتى توفيت بعد ستة شهور من وفاة النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب كان مشغولًا بها وبتمريضها والبقاء معها وخدمتها؛ فكان متضامنًا معها وما ذهب ليبايع، وربما كان حتى غاضبًا من أبي بكر، لكن لما توفيت بايع مباشرة وانتهت المشكلة.

فالظاهر -والله أعلم- أنه بسبب هذا، أخَّر البيعة، لكن كان مطلوبًا منه أن يبايع في ذلك الوقت، وكان بالفعل الصحابة يقولون له: بايع. وكان -حتى أظن أبو بكر وعمر- كانوا يرسلون إليه يقولون له: تعال بايع ويلحون عليه.

لماذا؟ لأنه من أعيان الناس وقياداتهم الذي لو لم يبايع لعُد مشاقًا وعُد طعنًا في الإمامة والإمارة، بخلاف غيره.. هذه البيعة للخاصة؛ تعتبر في حقهم واجبة. هو كان متأولًا ﷺ وعنده سبب معين أخرها -والله أعلم-.

فالمقصود: لا يلزم كل واحد أن يبايع، ولكن الذي انضم إلى جماعة وموجود تحت جماعة في إقليم من الأقاليم أو في ناحية من الأرض أو في سلطان من السلاطين «سلطنة»، أو في مكان معين تحت ولايتها.. ينبغي عليه أن يكون مع الجماعة يسمع ويطيع، سواء بايع بصفقة اليد أو لم يبايع، هو بمجرد دخوله مع الجماعة ووجوده تحت سلطانها وفي مكانها.. يلزمه السمع والطاعة لها، ولا يجوز له أن يخرج، ولا يحدث جماعة جديدة.

إحداث جماعات جديدة لا يجوز إلا بمسوغ شرعي معتبر ويقر الفقهاء أنه مسوغ شرعي.. الخروج على الجماعات وتشكيل جماعات أخرى والانفراد والانشقاقات والاستقلالات وغيرها لا يجوز إلا بهذا المسوغ كما قلنا، والله أعلم.

مسألة: كل واحد من الجنود يملك حق الاعتراض أو إبداء المشاروة لأمرائه، وسيدنا عمر ﷺ اعترضت عليه امرأة كما تعرفون في القصة المشهورة -وإن كان الحديث ضعيفًا[1]- اعترضت على تحديد سيدنا عمر لمهور النساء؛ بقوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا﴾ [النساء: ٢٠] قالت: الله ﷻ يقول

---

(١) قال الألباني في: إرواء الغليل (١٩٢٧) عن هذا الحديث: «هو ضعيف منكر يرويه مجالد عن الشعبى عن عمر. أخرجه البيهقى (٢٣٣/٧) وقال: «هذا منقطع». قلت: ومع انقطاعه ضعيف من أجل مجالد وهو ابن سعيد، ليس بالقوى ثم هو منكر المتن، فإن الآية لا تنافى توجيه عمر إلى ترك المغالاة فى مهور النساء» وقد صحح الألباني أثر عمر ﷺ: «لا تغالوا فى صدقات النساء».

هذا؛ فكيف تحدد أنت؟ فقال: «أخطأ عمر وأصابت امرأة» القصة مشهورة وإن كان إسنادها فيه مقال.

وبغض النظر عن القصة؛ فالصحابة معروف هذا فيهم، ولا يوجد دليل في الشريعة يمنع أحدًا من ذلك، أو يحصر الاعتراض أو الانتقاد أو الاقتراح أو المشورة في أناس معينين.. هذا غير موجود.

كل إنسان مسلم له حق أن يعترض على الخطأ إذا رآه، أو يعترض على شيء معين خطأ -قول أو فعل- ويقترح ويشاور، له هذا.. لكن كما قلنا: التثبت وأن ينتبه الإنسان لموضع الخطر الذي فيه، يجب عليه أن يقول الحق، ويجب عليه أن يكون متثبتًا ومتأدبًا أيضًا، وإذا ظن أن هذا الاقتراح أو الاعتراض في موضع من المواضع يمكن أن يؤدي إلى مفسدة أكبر فلا يعترض ولا يبديه، وهكذا، وينظر أيهما أفضل أن يقوله بالسر وأن يقوله بالعلانية، وهكذا.. فهذا فقه؛ فيحتاج الإنسان أن يتفقه في هذا.

[مسألة: وبعض الناس يعترض على آراء الأمير في مسألة هو يظن أنها محسومة شرعًا وهو ما عنده علم شرعي أصلًا]؛ فهذا على خطر، وهو رجل جاهل متسرع طائش، وربما يكون عنده أمراض نفسية أخرى وأمراض قلبية فهو في موضع خطر، فعليه ألا يعترض إلا بعلم وأدب وأمانة.

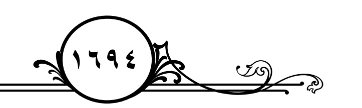
سائر الاعتراضات وسائر الكلام في الناس والكلام في الجماعات وفي الرجال وفي تقويمهم وفي الحكم عليهم وفي انتقادهم أو غيره.. لا بد أن يكون بعلم وعدل وأدب وإخلاص، وإلا يكون عليك لا لك.

هذه تكاليف مكلفٌ هو بها، لكن من حيث الأصل هو مباح له ومشروع له أن ينتقد وأن يرد الخطأ وأن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر وأن ينصح وأن يشاور، هذا مشروع لكل أحد.. لكن أنت متى تتكلم؟ وإذا رأيت ما بدا لك أنه خطأ هل تتكلم أو تصبر قليلًا وتتثبت؟ هذا تكليفك أنت.

أنا الآن مثلًا مع أمير وبدا لي أن هذا التصرف الذي تصرفه الأمير اليوم.. خطأ، هل أتكلم بسرعة أم أنتظر قليلًا وأتثبت لعل عنده وجهة نظر أو لعله كذا؟ وربما فلان مثلًا من العقلاء وأهل العلم هنا أشاوره وأقول له: ما رأيك؟ أنا يظهر لي أن الأمير فعل كذا وكذا وهذا ليس صحيحًا فكيف ننصحه؟ تشاور مع واحد.. لا أن تتشاور مشاورة كبيرة وتعمل ضجة وفتنة! فهذه الأمور تتحول إلى فتنة، لكن ممكن أن تتشاور مع واحد إذا كان يظهر لك أن هذا يؤدي إلى تمحيص الرأي ويفيدك.

فإذا بدا لكما أنتما الاثنين أن الأمير المفروض أن يُنصح؛ فاذهبوا إليه وانصحوه، واختاروا دائمًا طريق النصح السري فهو أفضل من العلني، هذا هو الأصل.

الأمراء في الأصل يُنصحوا سرًا، ولكن لا نمنع النصح علانية كما منعه بعض الناس، إنما الغالب أن النصح السري هو المطلوب والأصل هو هذا.. لكن أحيانًا في مواضع يكون الخطأ فوري وأمام



الناس ولا يحتمل التأخير فهنا ننصح علانية.

لكن الغالب إذا كان يحتمل التأخير، وكان الأمر عاديًّا وليس مرتبطًا بزمن، ويمكن أن يؤدى سرًا وهكذا؛ فينصح سرًا للأمراء.

وهذا دلت عليه سير الصحابة ﭫ وبعض الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ؛ فهذا هو الأصل.

فإذن هذا راجع إلى الإنسان نفسه، عليه أن يتثبت: وأن يعرف هل النصح الآن مطلوب؟ هل المشاورة مطلوبة؟ هل الاعتراض مطلوب؟ أم هو قد يكون يبدو له وهو مخطئ؛ فقد يبدو له أن الأمير أخطأ وفي حقيقة الأمر هو الذي أخطأ.

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا ... وآفته من الفهمِ السقيمِ[1]

قد تُنكِر العينُ ضوءَ الشّمسَ من رَمَدٍ ... ويُنكر الفَمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ[2]

فقد يشرب الإنسان المياه فيجدها مُرة، وهي في الحقيقة ليست مرة، ولكنه هو المريض.

«وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم» يعيب قولًا صحيحًا ويرده ويجادل ويعترض.. وعند التحقيق وعند النظر يكون السقم في فهمه وهو وجاهل؛ فالإنسان عليه أن يتثبت.

أنا لا أمنعك حقك في الاعتراض أو حقك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحقك في النصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، بل هذا واجب عليك أصلًا؛ فكيف أمنعك؟ ولكن بالتثبت؛ لأن كثيرًا من المسائل هي مسائل اجتهاد ومسائل للنظر ومسائل للتدبير يختلف فيها الناس، فلا تُسارع ولا تطيش، وإنما عليك بالتثبت والتمهل، وإذا احتجت أن تتشاور مع شخص عاقل من أهل العقل والرزانة والعلم والحكمة لا بأس تتشاور؛ حتى تنصحوا الأمير مثلًا وتتثبتوا من الأمر.

فإذا مشى الإنسان على هذا تكون الأمور منتظمة -بإذن الله- ولا يحصل خلل ولا فتنة في الصفوف؛ لأن كثيرًا من الاعتراضات تسبب فتنًا وفسادًا للقلوب وهكذا، والله أعلم-.

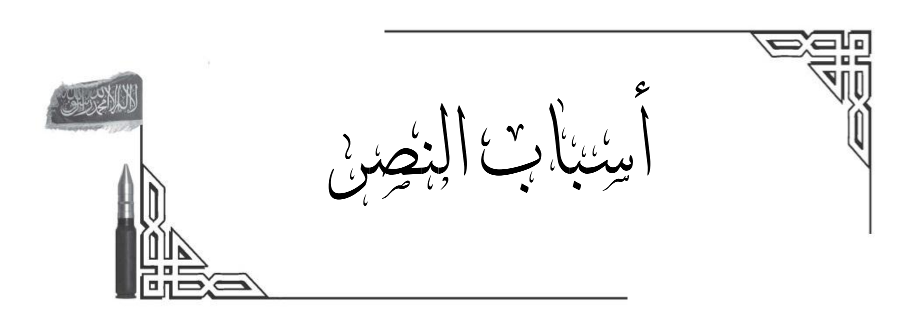
نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى..

سبحانك اللّٰهم وبحمدك

---

(١) قاله: المتنبي، انظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص ٣٥).

(٢) قاله: البوصيري، انظر: البردة (ص ١١، البيت رقم ١٠٥).



أسباب النصر

[محاضرة صوتية، ضمن «دورة الأنصار الشرعية»: **مدتها** ستة وثلاثون دقيقة، **نشرها:** بعض المجاهدين ، **وقام بتفريغها**[١] «مؤسسة التحايا للإعلام»، **نُشرت في** مطلع عام ١٤٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نتحدث عن موضوع له أهمية؛ لا بأس أن نتذاكر فيه، ونتناقش ونتحاور ونتأمل ونتدبر، وهو موضوع: «**أسباب الانتصار على العدو، والغَلَبة على الأعداء**».

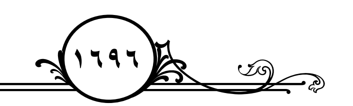
ونحن نعلم أن الله ﷻ أمرنا وكلَّفَنا بأن نجتهد ونسعى ونحاول أن نغلب العدو، والغلبة على العدو والانتصار عليه بأن تكون الكلمة لأهل الإسلام، والحكم لأهل الإسلام، والدولة لأهل الإسلام، والسلطانُ والأمرُ والنفوذ لأهل الإسلام.. هذا نحن مأمورون به وبتحصيله؛ فالله أمرنا بالغلبة على العدو، وبالانتصار عليه.. هذا مطلوب؛ فما هي أسبابه القدرية والشرعية؟ هذه سنتحدث فيها ونذكِّر بها.

لماذا نقول هذا الكلام؟ لأن بعض الناس يفهم فهمًا خاطئًا ويتوهم، يقول: «نحن علينا أن نجاهد ونقاتل وليس علينا النتيجة!».. هذا الكلام له مَحْمَلٌ صحيح، وله مَحْمَلٌ خطأ يقع فيه بعض الناس، يعني يُحمَل ويُفهم على وجه ومعنى صحيح، وله معنى آخر ووجه آخر خطأ.

المعنى الصحيح قول القائل: أننا سواء غلَبنا وانتصرنا ونجحنا أو لم ننتصر ولم نغلِب؛ فهذا فعلُ الله ﷻ، وهذا مربوط بقدر الله ﷻ وقضائه ولا طاقة لنا به، إنما يجب علينا أن نفعل الأسباب الممكنة وأن نأخذ بالأسباب وأن نجاهد كما أمرنا الله ﷻ ولكن النتيجة بيد الله، هذا الكلام وجهه صحيح.

---

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغييرَ كثير من الكلمات العامية واستبدالها بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريدها الشيخ ﷺ.



لكن المعنى الخطأ والوجه الخطأ: أن يُقصَد بهذا الكلام أننا لا نجتهد ولا نسعى ولا نحاول أن نغلب العدو، وأن ننتصر عليه.

فبعض الناس يقول لك: أنا أجاهد فقط.

تقول له: لكن الجهاد ليس هكذا، يجب أن تفعل كذا وكذا من الترتيبات والأسباب المُعيَّنة التي يجب أن تفعلها حتى تنتصر على العدو!

فيقول: ليس مهمًا النصر، أنا أجاهد فقط، والنتيجة على الله.

نعم، النتيجة على الله لكن بالأسباب، الله ﷻ جعل لكل شيءٍ أسبابًا، وأمرنا بالأخذ بهذه الأسباب؛ حتى نتحَصَّل على هذه النتيجة، فنحن يجب علينا أن نسير على الأسباب بعد ذلك نُفوِّض إلى الله؛ الله يعطينا النصر أو لا يعطينا، النصر من عند الله وحده ولكن علينا أن نبذل الأسباب ونأخذ بالأسباب، ثم نقول: النتيجة على الله.

وعلينا أن نجتهد في أن ننتصر على العدو ونغلب العدو ونقهره وتكون لنا -نحن- السلطة.. هذا يجب علينا أن نجتهد فيه ونسعى له، يعني بعد الأخذ بالأسباب واستفراغ الوسع في تحصيل النصر والسعي لتحصيله، نقول: النتيجة على الله، أي أن النصر يتجزَّأ؛ ممكن أن يكون النصر كاملًا يعطيه الله ﷻ لمن يشاء، وممكن أن يعطيه بعض النصر ويحرمه من بعضه.

الله ﷻ يعطي الناس (العباد) النصرَ على قدر أخذهم بأسباب النصر التي سنتكلم عنها، وهذه الصورة هي الصورة التي يقصدها الإنسان دائمًا عندما يتكلم عن النصر أو عندما يسأل الله النصر؛ فالغالب أن الناس يقصدون هذه الصورة وهذا المظهر من مظاهر النصر، ماذا يقصدون؟ اللّهم انصرنا، اللّهم انصر المؤمنين؛ يعني يعطيهم الغلبة على الأعداء والتمكين في الأرض والقوة والسلطان وتكون يدهم هي العليا، هذا الأمر غالبٌ يعني.

لكن من الممكن أن إنسانًا لا يعطيه الله ﷻ هذه الصورة مثلًا، لكن يعطيه الشهادة والفوز في الآخرة، الفوز الأخروي، هذا أعظم النصر، وإن كان نصرًا مؤجَّلًا وليس نصرًا مُعجَّلًا الآن، لكن في ضمنه نصرٌ مُعَجَّل -سأتكلم عليه في النقطة الأخرى- لكن هو في غالبه منظورٌ فيه إلى الآجل، إلى العاقبة، الشهادة والفوز في الآخرة، والنجاح.

الثبات على الدين والحق والمبادئ؛ الثبات: كَوْن الإنسان مع الصراع مع الفتنة، رغم طول طريق الصراع والحرب والفتنة ومكر الأعداء وغيرها.. هو ثابتٌ على دينه، ثابتٌ على الحق، ثابتٌ على مبدئه،

مبادئ الحق، مبادئ العدل والفضل والإحسان، هذا هو في حد ذاته نصر ومعنى من معاني النصر، وجوده واستمراره ثابتًا على هذا الدين، انتصار دعوة الإنسان (دعوة العبد المؤمن) ومبدئه وظهورها؛ كارتفاعها وعلو كلمتها في الناس وانتشارها في الناس هذا نوع من الانتصار.

ولهذا قالوا في الغلام، الغلام صاحب الملك، صاحب الساحر والكاهن، الذي دلَّ الملك على كيفية قتله وجعل هذه الكيفية سببًا لإيمان الناس فآمَن الناس لـمَّا قال له: «لن تستطيع أن تقتلني إلا أن تأخذ السهم وتقول بسم الله ربِّ الغلام». ففعل، والملك هذا كان يقول: أنا الله! الملك كان يدَّعي الألوهية، فقال: «أنت ما تستطيع أن تقتلني» يعني إلا أن تعترف بربوبية الله وتلجأ إلى الله وتُعظِّم الله؛ فهذا فيه اعتراف بأنه عبدٌ حقير ليس ربًا. في النهاية عَمِل بما قاله له وأخذ السهم وقال: بسم الله رب الغلام. فرماهُ فقتلهُ، فقال الناس: «آمنَّا برب الغلام»؛ فآمن الناس، فخَدَّ لهم الأخاديد وقتلهم بالنار بعد ذلك[(١)].

ولكن انتشرت دعوة الإنسان وانتشرت كلمته التي هي كلمة الحق وظهرت وآمن بها الناس، وصاروا مؤمنين، الناس هكذا بالإطلاق دلالة على الكثرة الغالبة.

هو رزقه الشهادة الله ﷻ وفازت وانتصرَت دعوته ومبدؤه وظهرت وانتشرت، ونحن ما نريد إلا انتصار الحق وانتصار دين الله ﷻ؛ فإذن هذا نوع من الانتصار.

وقد يجمع الله ﷻ للعبد بعض هذه المظاهر والصور من النصر.أو كلها ففضل الله يؤتيه من يشاء، وقد يعطيه بعضها؛ قد يعطيه مثلًا أنه ثَبَت على الدين والحق ثم مات مثلًا لم يُرزق حتى الشهادة! لكنه مات على الحق، فهذا نوع من الشهادة وإن كان ليست الكاملة مثلًا ولكن لا بأس؛ قريبٌ منها، وفضل الله يؤتيه من يشاء، وهكذا.. يعني أنواع.

لكن في الغالب بالنسبة للمؤمن أنه يُحصِّل على بعضها أو كلها، طبعًا ليس شيئًا قليلًا منها، يتحصَّل المؤمن في الغالب على كثير منها؛ إن لم يَتحصَّل على الشهادة فيموت على طريق الحق فالفوز الأخروي مضمون له وإن كان ليس في أعلى درجات (الشهادة ربما) لكنه مضمونٌ له، الفوز الأخروي معنىً أعم من الشهادة، والثبات على الدين والاستمرار عليه مضمون للعبد المؤمن الذي يثبت على الدين في الغالب، نفس الثبات على الدين هو نصر، وانتصار الدعوة في الغالب أيضًا للمؤمنين حاصلة، وإن كانت أحيانًا قد تَخبو الدعوة مراحل مُعيَّنة في بعض الفترات ثم يظهرها الله ﷻ على أيدي بعض

(١) مسند أحمد (٢٣٩٣١) وإسناده صحيح.

خلقه من جديد مرة أخرى وهكذا، لكن في الغالب تحصل هذه يعني.

السبب الجامع لأسباب النصر هو المذكور في هذه الآية: عندنا آية في القرآن آية مُجمَلَة جامعة، الفاذَّة التي جمعَت أسباب النصر كلها يعني لم تترك شيئًا، وهي قوله ﷻ في سورة محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

﴿إِن﴾ هذه شرطية، ﴿تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ هذا فعل الشرط مجزوم محذوف النون؛ لأنه مجزوم بـ﴿إِن﴾ الشرطية.

﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ جواب الشرط أو الجزاء، ويسمى: الجواب أو الجزاء، وهو مجزوم وعلامة جزمه السكون؛ لأنه فعلٌ صحيح غير مُعتَلّ، وعَطَف عليه: ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾.

هذا السبب الجُمْلِي (الإجمالي) العام، أجملَتْه هذه الآية؛ فقد أجملَتْ جميع الأسباب.. كل ما سوف نتحدث عنه من أسباب للانتصار والغلبة على الأعداء داخلٌ تحت معنى هذه الآية.

فبيَّن الله ﷻ لنا في هذه الآية أنه إذا نَصَرْنا الله؛ فإن الله ينصرنا ويثبت أقدامنا، ومن معنى ذلك أنه بحسب وعلى قدر نصرتنا لله ﷻ الله ينصرنا ويثبت أقدامنا.. إن نصرناهُ قليلًا فبحسَبِه، وإن نصرناه نصرًا كاملًا فبحسَبِه النصر وتثبيت الأقدام.

ما معنى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾؟ يعني: تنصروا دينه، أي: تكونوا معه في صَفِّه وفي حَدِّهِ، تنصروا دينه وتكونوا أولياءه، تنصروه بطاعتكم له وبعبادتكم وتوحيدكم لله ﷻ وبقيامكم بأمر الله ﷻ ظاهرًا وباطنًا، هذا معنى نصر الله ﷻ؛ فبحسبه ينصرنا الله ويثبت أقدامنا.

وقريبٌ منها قوله ﷻ في سورة الحج: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]

﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾ اللام هذي لام التوكيد، التي يسمونها اللام المُوَطِّئة للقَسَم، وهي تأتي بعد قَسَم، هنا يوجد قسم مُقَدَّر كأن الله ﷻ يُقسِم ويقول: والله -مثلًا- لينصرنَّ الله من يَنصره؛ ففيها توكيد شديد، يُقسم الله ﷻ أنه ينصر من يَنصره.

الله ﷻ ينصر من ينصره، نصر الله ﷻ هو الكَوْنُ مع الله بعبادته وحده لا شريك له والعمل بطاعته ونصرة دينه والكون مع أوليائه، ونصرة أوليائه وشريعته، وهكذا.

والقرآن ورد فيه آيات متعددة تُبيِّن فيه معنى نصرة الله ﷻ، في آيات كثيرة يمكن أن نقرأ بعضها:

منها قوله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾ [الأعراف] التعزير: بمعنى التعظيم، الاحترام البالغ والتعظيم، والاتباع.

هذا مما يُبيِّن النصر، أنه اتباع للنبي ﷺ، وتعزيره وتعظيمه، وفي هذا السياق -مثلًا- قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾ [الصف].

﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل عمومًا: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ﴾ ونصروا الله فعلًا.. الله ﷻ يضرب لنا بهم مثلًا فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ مثل الحواريين عندما نصروا عيسى ابن مريم وآمنوا به واتَّبَعوه وعزَّروه وعَظَّموه واحترَموه ونصروا دينه ودعوته، فهذا معنى نصر الله ﷻ.

قال الله ﷻ في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ [الحديد].

الله ﷻ أخبرَنا أنه أنزل هذه الأشياء، أنزل الكتاب والميزان؛ لأجل ماذا؟ ليقوم الناس بالقسط، وأنه أنزل الحديد الذي تُصنَع منه هذه الآلات؛ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الحرب وآلات الحرب، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كثيرةٌ لا يعلمها إلا الله.

وأيضًا من جملة الحِكَم في إنزاله وخلْق الله إياه لنا وتسخيره لنا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ﴾ فنصرة الله ﷻ المقصودة هنا نصرته بالجهاد في سبيل الله.

ويقول الله ﷻ في سورة الحشر في شأن المهاجرين في سبيل الله أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم من المهاجرين في سبيل الله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾ [الحشر]

فهؤلاء المهاجرون الذي هاجروا مع النبي ﷺ ونصروا الله ورسوله، كيف كانت نصرتهم لله ورسوله؟ باتباعهم لرسول الله ﷺ وكَوْنِهم معه، وبولائهم له وللمؤمنين ولدين الله ﷻ ووقوفهم مع الله ﷻ ومع رسوله ومع المؤمنين باتِّباعهم لدين الله، عملهم بطاعة الله ﷻ وثباتهم على هذا الدين وهجرتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم، هذا هو نصرهم لله ﷻ.

فالله ﷻ أخبر عنهم بأنهم ينصرون الله ورسوله.

وفي آية الحج هذه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ﴾ قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ إما

بيانٌ وإما بدلٌ لـ﴿مَنْ﴾ وهي اسم موصول.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ كأنه قال: ولينصرن الله الذين ينصرونه الذين إن مكَّناهم في الأرض؛ فهي إما بدلٌ منها أو بيانٌ لها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ هذا تذييل مثل الاعتراض، جملة مُعترِضة، ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فبيَّن ﴿مَن﴾ هذه.. فبيَّنَ من هم الذين ينصرهم؟ هؤلاء الذين إن مكَّناهم، الذين لو قُدِّر لهم التمكين، لو قُدِّر أن الله مكَّنهم في الأرض فماذا يفعلون؟ يشربون خمر؟ يأتوا بالموسيقا والصور والبنات؟ هاه؟! لا.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[الحج: ٤١] وفعلوا المقصود، يعني هذا اكتفاء، يسمونه اكتفاء، الله ﷻ يذكر بعض ما يكفي، فهمت كيف؟ والمقصود: عِملوا بطاعة الله ﷻ ومكَّنوا لدين الله ﷻ؛ فالمقصود أنهم أقاموا الدين.

فهذا على وجه الإجمال، بدون دخول في التفاصيل الدقيقة، وهذا يكفي للعبد المؤمن، ومع هذا جاءت الشريعة بأسباب كثيرة تفصيلية؛ إما عن طريق النص، وإما ما يُستَنبَط منها ويؤخَذ من ظواهر نصوصها العامة، وهكذا.

ومن أجل الاستذكار وتفهيم المسائل حتى تكون أمام عقل الإنسان واضحة، نذكر بعض التفاصيل بعد الإجمال.

ومن أهم أسباب النصر على التفصيل:

أن نكون نحن مجاهدين في سبيل الله حقًا، أن نحقق الجهاد في سبيل الله لا مجرد دعوة باللسان ونقول نجاهد في سبيل الله ونحن نلعب، ونحن نجاهد من أجل أهوائنا! لا، أن نكون مجاهدين في سبيل الله حقًا.

سبيل الله وطريق الله له حدَّان؛ ما هما؟

- موافقة الشريعة، هذا هو مقصود «في سبيل الله».

- صحة الاعتقاد والتوحيد لله ﷻ: التقوى والعمل الصالح؛ لأن السبب الثاني هو صحة الاعتقاد، لا بد أن يكون اعتقاداتنا صحيحة، أعمال القلوب صحيحة، تصوُّراتنا صحيحة، أن نعتقد في الله ﷻ الاعتقاد الصحيح، ونعرف أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وما يليق بالله ﷻ من التعظيم وما يليق في ذِكْره، وفي تصورنا لله ﷻ، ما يليق أن نعتقده فيه من الأسماء والصفات، وكذلك التوحيد لله ﷻ؛ فنوحد الله في جميع الأعمال ليس بالأعمال الظاهرة فقط، وإنما بالباطنة.

أن نوحد الله ﷻ في أن نخافه ونخشاه وأن نَرهَبَهُ وأن نتقيه، ونتقي عذابه وسخطه وغضبه، أن نحب الله ﷻ أكثر من محبتنا لكل شيء، لأي شيء، وما نحبه من الأشياء نجعل محبته تابعة لمحبتنا لله، وهكذا هي أعمال القلوب.

وكذلك التقوى والعمل الصالح سواءً كان الظاهر والباطن، يدخل تحت صحة الاعتقاد والتوحيد لله ﷻ؛ كل ما تقدم يدخل تحت أن نعتقد أن النصر من عند الله وحده، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨] ونعتقد أن النصر لا يملكه إلا الله، ولا يعطيه إلا الله، لا بأسبابنا ولا بقوتنا، ولا بحولنا ولا بذكائنا، ولا بمهارة ولكن هو من عند الله وحده لا شريك له ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

الله ﷻ عندما أيَّدَ المسلمين الصحابة المجاهدين في سبيل الله مع رسول الله ﷺ بالملائكة ومدهم بمددٍ من الملائكة.. تصوَّر أن واحدًا فقط يكفي ولكن مع هذا مدهم الله ﷻ بألفٍ من الملائكة مُردِفين في بدر، وكذلك في أُحد ما أمدَّهم بالملائكة، وقال: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران] مدهم بالملائكة وقال لهم: النصر مش بالملائكة، أنا أستطيع أن أنصركم بدون ملائكة أصلًا، انتصروا تنتصروا، كُن فيكون، ولكن ماذا؟ قال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] تطمئن القلوب، وتفرح وتُسر ويحصل لكم السرور والبِشر، فهذا من نعمة الله ﷻ ولطفه وإحسانه ورحمته بخلقه وبعباده المؤمنين.

ولكن ما النصر إلا من عند الله وحده لا شريك له، فلا بد أن نعتقد هذا.

والخلق كلهم خلق الله، والمُلك كله مُلك الله ﷻ ولا يقع في ملك الله إلا ما يريد الله وإلا ما يأذن الله به، ومن جملته إعطاء النصر لمن يريد ﷻ ولهذا الله ﷻ قال: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال أيضًا في قصة طالوت وجالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة] بدون إذن الله لا تهزم شيئًا ولا تستطيع أيها العبد أن تنتصر ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ [البقرة].

النصر بإذن الله ومن عند الله، ولهذا علينا أن نتوكل على الله وحده، توكل على الله، ونثق في الله ونحسن الظن بالله ونطلب النصر من عند الله وحده، وندعو الله ﷻ ونلح في الدعاء على الله ﷻ لا

نطلب النصر من غير الله، ونوكِّل الله ﷻ في كل أمورنا، هذا معنى التوكل.

التوكل: أن تفوض أمورك إلى الله ﷻ وتوكله وتتخذه وكيلًا كما قال الله ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل] اتخذه وكيلًا في كل أمورك وكِّله أمورك معروف معناه، أنا الآن عندي مال -مثلًا- أريد أن أعمل مشروع فآتي إلى هذا الأخ أقول له: خذ هذه الفلوس وكَّلتك تفعل لي كذا وكذا، أو أريد أشتري سيارة مثلًا، فأقول: خذ هذه الفلوس أنت تشتري لنا بينجو جيد، أن تذهب إلى السوق تشتري بينجو.

هو هذا وكيل، أنا اتخذته وكيلًا في هذا الأمر، وكَّلته أمري، لماذا وكلته أمري؟ لأنني أثق فيه، لأنني أعلم أنه يفعل لي الشيء الصالح، لأني أثق فيه وأعلم أنه لا يخدعني ولا يخونني وأنه يريد لي الخير ويريد لي الصلاح، ولأنني أثق في قدرته هل أذهب لواحد جاهل أقول له اشترِ لي سيارة؟ أنا جئت لهذا الرجل لأنني أعرف أنه يعلم كيف يشتري السيارة، هو ماهرٌ عليمٌ يعرف كيف يشتريها ويشتري الشيء الجيد، وهو يريد الخير لي فأنا وكَّلته في أمري.

الله ﷻ يقول: يا مؤمنين، يا ناس، اتخذوا الله وكيلًا، اتخذِ الله وكيلًا، توكل على الله، وكِّل أمورك لرب العزة ﷻ، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، القادر الذي لا تعلو قدرته أي نقص، ويريد بك الخير، ولا يُعجزه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، له الكمال والجلال والجمال المُطلق ﷻ فاتخِذ الله وكيلًا، توكل عليه في كل أمورك وفوِّض إليه كل أمورك فهو يقضيها لك، هذا معنى التوكُّل.

فنحن نتوكل على الله ونطلب النصر من عنده، فالله ﷻ يعطينا بحسب ذلك والأمر له ﷻ: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال] ذكر الله كثيرًا، ذكر الله والاستمرار بكل أنواع الذكر، الذكر اللساني، وأهمها الذكر القلبي؛ أن تكون دائمًا ذاكرًا لله بقلبك، والذكر باللسان باستمرار في الليل وفي النهار وفي كل وقت تسبيحًا وتهليلًا وأذكار الصباح وأذكار المساء أذكار النوم أذكار الدخول والخروج والشرب والأكل وكل شيء.. يكون لسانك رطبًا بذكر الله، ليلك ونهارك وكل وقتك وعمرك عامرًا بذكر الله ﷻ مملوءًا بذكر الله.

- الصبر: والمصابرة والثبات على الطريق من أهم الأسباب؛ لا بد نصبر ونصابر نمسك أنفسنا، نصبر ونصابر عدونا يعني نغلب عدونا بالصبر، ونثبت على هذا الدين وهذا الطريق لا يصيبنا الملل

ولا الخَور ولا التردد ولا الضعف والوهن، نصبر ونصابر ونثبت على الطريق.

- تحقيق الولاء الإيماني؛ يعني الموالاة بين المؤمنين، وإصلاح ذات بين المؤمنين، أن يكون المؤمنون كما قال ﷺ: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يَشُد بعضه بعضًا**)(١)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف] ليس فيه خلل، وإصلاح ذات البين يكون إصلاح القلوب بين المسلمين وتطابقها، والأخوَّة الإيمانية بينهم بأن يكونوا إخوةً متحابين؛ كما قال النبي ﷺ: (**مثل المؤمنين في تَوادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ٩٨ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**)(٢) هذا مثل المؤمنين، هذه صفتهم هكذا.

- إصلاح ذات البين ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال] أصلحوا ذات بينكم، إصلاح ذات البين هي إصلاح ما بين المؤمنين بحيث يكون شأنهم الصلاح، المحبة، التوادد، التعاطف، التراحم، أن يحب بعضهم بعضًا وأن يواسي بعضهم بعضا، ليس بينهم تدابر ولا شحناء ولا تحاسد هذا -والعياذ بالله- مُفسد، هذا فساد ذات البين حينئذٍ يكون كما قال النبي ﷺ: (**فإن فساد ذات البين هي الحالِقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**)(٣) قلوب المؤمنين إذا فسدت وحصل التحاسد والتدابر والشحناء وتفرّق القلوب؛ فإن هذا فسادٌ عظيم؛ لأن النبي ﷺ يقول: (**تحلق الدين**) يعني: تُفسده، وتذهب به بكُليَّة.

- حُسن الطاعة للأمراء والالتزام بالجماعة، وقصة أُحد معروفة ومشهورة، هذا من أسباب النصر، أما مخالفة أوامر الأمير فتؤدي إلى الفشل ويؤدي كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

- التواضع لله ﷻ ولخلقه أيضًا؛ لأن الله أمر أن يتواضع بعضنا لبعض أن نَذِلَّ للمؤمنين، والتواضع هو: ترك التكبر والترفّع والتعالي على الخلق -والعياذ بالله-، وإنما نفتقر إلى الله ونُظهر فقرنا إلى الله ﷻ، ونذل للمؤمنين ونكون رحماء مع المؤمنين.

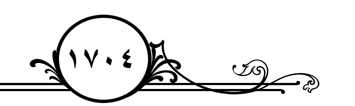
وحُسن الخلق عمومًا من أسباب النصر؛ أي الالتزام بمحاسن الأخلاق وبالفضائل جميعها، وحُسن الخلق هو لفظٌ جامعُ لكل الفضائل، قال العلماء: «هو كفُّ الأذى وبذْل المعروف» أي أن

---

(١) مسند أحمد (١٩٦٢٥) وصحح إسناده الأرنؤوط.

(٢) مسند أحمد (١٨٣٧٣) وصحح إسناده الأرنؤوط.

(٣) مسند أحمد (١٤٣٠) وحسنه الألباني لغيره كما في: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٨).



يكون الإنسان مُتصفًا بكل خُلقٍ حسن، بكل فضيلة طيبة صالحة، في كلامه، في موقفه، في عمله، في تعامله مع الناس، في كل شيء.

- من أسباب النصر المهمة: اجتناب الظلم والفساد؛ فإن الظلم يُفسد على المجاهد جهاده ويُفسد عليه النصر، وكذلك الفساد في الأرض.

والمجاهد إذا ملك السلاح وملك القوة تأتيه فتنة ظلم الخلق إن لم يكن معه دين وإيمان وتقوى ويخاف الله ﷻ قد يظلم الخلق، وقد يفسد في الأرض؛ لأن عنده السلطان!

عليه أن يتقي الله ﷻ وهذا داخلٌ في التقوى والعمل الصالح لكن نحن نفرده بالخصوص من باب التنبيه عليه، من باب ذكر الخاص بعد العام يعني.

- الدعوة إلى الله ﷻ والتبليغ عنه، ومعناها: أن يعلم المجاهد أنه داعية إلى الله، فهو بجهاده داعية إلى الله ﷻ؛ يدعو إلى دين الله، يدعو إلى تقوى الله ﷻ، يدعو إلى توحيد الله، يدعو إلى الالتزام بطاعة الله ﷻ، يدعو إلى طاعة الله عمومًا، يدعو إلى محاسن الأخلاق.. فهو داعية وحيث ما كان ينبغي أن يكون داعيةً، المجاهد داعية في سبيل الله.

النبي ﷺ عندما كان يرسل المجاهدين البعوث والسرايا والجيوش، يبعثهم لأي شيء؟ للدعوة، ويأمرهم ويوصيهم ويقول لهم افعلوا كذا وافعلوا كذا، ويقول لهم: يسروا ولا تعسروا على الناس، **(يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تُنفِّروا)**[(١)]، وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، واجتنبوا كذا.

فالمجاهد هو في الحقيقة داعية إلى الله ﷻ مُبلِّغ عن الله ﷻ معلم للناس: **(إنما بُعثتم مُيسرين)**[(٢)] في لفظ، والنبي ﷺ يقول عن نفسه: **(إن الله بعثني معلمًا ولم يبعثني مُتعنِّتًا)** الحديث في «صحيح مسلم»[(٣)].

فالمجاهد داعية إلى الله ﷻ فيجب أن يستحضر. هذا، ينبغي له أن يستحضر. دائمًا أنه داعية إلى الله ﷻ وأن جهاده من أجل هداية الناس، أنه يجاهد من أجل هداية الناس، نحن نجاهد من أجل هداية الناس لا من أجل قتل الناس، القتل هو للضرورة، نحن نقتل الكفار؛ لأننا لا بد أن نقتلهم؛ لأنهم مُفسِدون طُغاة مُتجبرون يهجمون علينا وعلى المسلمين، ولأنهم يفسدون في الأرض ولأنهم قوة لا بد من إزالتها، فبالقدر الذي يناسب نحن نقاتل ونقتل، ولكن الأساس هو أننا نريد للناس أن تهتدي.

---

(١) صحيح البخاري (٦٩)، وأيضا: صحيح البخاري (٦١٢٥)، صحيح مسلم (١٧٣٤) لكن بلفظ: (.. **وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**).

(٢) مسند أحمد (٧٢٥٥، ٧٧٩٩) وصححه الأرنؤوط.

(٣)صحيح مسلم (١٤٧٨) ولفظه: (إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا).

ومن الخطأ الذي يحصل عند المجاهدين أن يظنوا أن المجاهد هذا ليس داعية، المجاهد هذا محارب فقط ولا يدعو إلى الله!! ويتكلمون عن التبليغ والدعوة: هذا المجاهد تبليغ فقط!

لا.. المجاهد هو تبليغي أصلًا وأفضل تبليغي هو المجاهد، وأفضل داعية إلى الله ﷺ هو المجاهد، والمجاهد ينبغي أن يكون داعية ويُبلِّغ الناس ويُعلِّم الناس ويُفهِّم الناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، هذه هي الدعوة، وهذه هي وظيفة النبي ﷺ وأتباعه؛ فالدعوة والجهاد أَخَوان، فنحن نقوم بالجميع، نقوم بالدين كله.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم، نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم، نسأل الله ﷻ أن ينصرنا وأن يجعلنا من الفائزين المفلحين في الدنيا والآخرة، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم حسن الختام.

اللّٰهم أصلح لنا ديننا الذي هو عِصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادُنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللّٰهم إنَّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أن تفتح علينا في العلم والعمل، اللّٰهم ارزقنا تقواك وخشيتك في الغيب والشهادة يا رب العالمين.

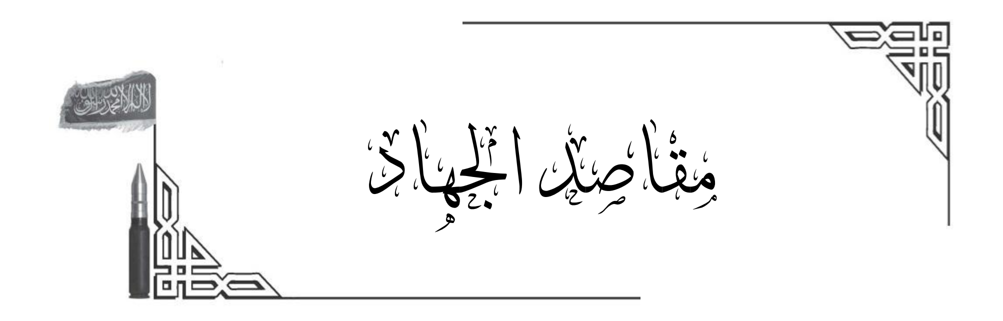
اللّٰهم إنَّا نسألك أن تنصرنا وأن تنصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللّٰهم انصر المجاهدين في سبيلك في أفغانستان وباكستان وفي كل مكان.

اللّٰهم اجعلنا من عبادك السعداء في الدنيا والآخرة، اللّٰهم اختم لنا بخاتمة السعادة في سبيلك يا رب العالمين.

اللّٰهم إنَّا نسألك أن تُفرِّج كروبنا وكروب المسلمين، اللّٰهم إنَّا نسألك أن تستر عوراتنا وعورات المسلمين، اللّٰهم إنَّا نسألك رضوانك والجنة.

اللّٰهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة، اللّٰهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة، اللّٰهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



مقاصد الجهاد

[محاضرة صوتية، ضمن «دورة الأنصار الشرعية»، **مدتها** ساعة ونصف، يتخللها ترجمة باللغة «الأوردية» لمجاهدين وطلبة أعاجم يحضرونها، **نشرها:** بعض المجاهدين، **وقام بتفريغها**[1] «مؤسسة التحايا للإعلام»، **نُشرت:** مطلع عام ١٤٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نَصِل إلى الكلام عن التوحيد، نحن قلنا أن الله ﷻ شرع لنا وفرض علينا وأوجب علينا الجهاد في سبيله؛ من أجل أن تكون كلمته هو ﷻ ودينه وشريعته هي العليا، وحتى لا تكون فتنة، قال الله ﷻ:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]

إذن نجعل العنوان الكبير: «**مقاصد الجهاد وغاياته**»

الله ﷻ أمر في هذه الآية بقتال الكافرين، قال: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ ﴾ يعني إلى هذه الغاية.

إن الله ﷻ شرع لنا وفرض علينا الجهاد لمقاصد أهمها: مقصد تحقيق التوحيد وإيجاده وحمايته وصَوْنه، وسنتكلم عن التوحيد، ونتكلم ابتداءً على هذه الآية.

قال ﷻ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ ﴾ هذا أمْر بالقتال، قَاتل يُقاتِل مُقاتلةً وقتالًا، والأمرُ قاتِلْ للواحد، وللجماعة قاتلوا.

مَن ﴿هُمْ﴾؟ الضمير عائد على الكفار المذكورين في الآية التي قبلها، قال ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ

---

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغييرَ كثير من الكلمات العامية واستبدالها بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريدها الشيخ ﷺ.

كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: قاتلوا الكفار لهذه الغاية، وهذا أمر بالقتال.

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٨ - ٣٩] يعني قاتلوا الكفار، حتى: حرف غاية، ولها معاني كثيرة في اللغة العربية واستعمالات كثيرة، ومن أهم معانيها:

- أنها حرف غاية، لبيان الغاية: «حتى تكون» بمعنى: إلى هذه الغاية، وقاتلوهم إلى هذه الغاية، وهي أن لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؛ فأمَرَنا بقتال الكافرين إلى هذه الغاية، يجب علينا، مفروضٌ علينا من قِبَل ربنا ﷻ أن نقاتل الكفار إلى هذه الغاية.

- وتستطيع أن تقول: حتى بمعنى: إلى أن، إلى أن يحدث كذا وكذا؛ يعني إلى أن لا تكون فتنة، إلى هذه الغاية، قاتلوهم إلى هذا الحد، وإلى هذا الغاية وإلى هذا القدر.

أن ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ ما هي الفتنة؟ قال العلماء في التفسير: الفتنة هي الكفر والشرك، والمقصود لا مُطلق الكفر والشرك؛ لأن الكفر والشرك يمكن أن يبقى مع غلبة الإسلام يبقون تحت الإسلام، أهل الذمة -مثلًا-، ليس المطلوب إفناء الكافرين بالمرَّة، ولكن المقصود: حتى لا تكون فتنة وشرك له سلطان ونفوذ وغَلَبة، سلطان يفتن الناس وهذا معنى الفتنة في الحقيقة ولهذا كان الكفر والشرك بمعنى الفتنة.. له سلطان وغلبة وقوة ونفوذ وحكم ظاهر غالب يفتن الناس؛ يعني يصرفهم ويصدهم عن دين الله.

﴿تَكُونَ ﴾ هنا في الآية هذه تسمى كان التامة وليست الناقصة، ليست هي التي من باب كان وأخواتها المعروفة في النحو، بل هي هنا كان التامة ولهذا كلمة ﴿فِتْنَةٌ﴾ هي فاعلٌ لـ﴿ تَكُونَ ﴾، وليس اسم ﴿تَكُونَ ﴾.

فـ﴿تَكُونَ ﴾ هذه تامة، لأن اسم «كان» يكون تامًا ويكون ناقصًا.

الناقصة هذه معقودٌ لها باب في النحو يسمى «باب كان وأخواتها»، لكن التامة فعلٌ ماضٍ كامل تام يرفع فاعلًا، يحتاج إلى فاعل، ففتنة هذه فاعل ﴿تَكُونَ ﴾.

﴿و﴾ عطَف عليه ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ المقصود بالدين: الدين الذي له نفوذ الأحكام حتى تكون أحكام الله ودين الله وقوانين الله وشريعة الله هي النافذة والمتحكمة والمهيمنة والغالبة الظاهرة؛ ففي هذه الحالة يكون الدين كله لله، دينونة الناس لله بشكل كامل، والخضوع لله؛ بأن تكون أحكامه هي النافذة فقط، فهذا تكميل للأول بأن لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، هما بمعنى

واحد هو بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع تغاير اللفظ، أو عطف الشيء على نفسه بنفي ضده فهو توضيح، فكلها بمعنى واحد.

فمعنى حصول النفوذ لدين الله، أن لا تنتفي سلطتهم فقط، بل لا بد أن يكون دين الله هو الكامل، فهذا النفي وهذا الإثبات.

ما هو الكفر والشرك والفتنة وما هي أنواعها ومظاهرها التي أمرنا الله ﷻ بأن نحاربها ونزيلها ونلغيها؟ المظاهر كثيرة، وسنتكلم عن بعضها على وجه الإجمال.

فأول وأعظم مظاهر وصور الشرك والكفر التي فرض الله علينا الجهاد من أجل إزالتها -وهي تختلف من وقت لوقت-؛ لكن من أهمها الآن:

١- **الشرك في الحكم:** أن يُشرَك مع الله غيره في الأحكام، الله ﷻ خلقَنا وأوجدَنا كي نعبده وحده لا شريك له، وأوجدَنا في هذه الحياة الدنيا للامتحان والاختبار والفتنة والابتلاء؛ لينظر كيف نعمل، لينظر من الذي يطيعه ويتبع رسله ومن الذي يعاند ويتمرد ويعصي ويتبع هواه، وأمرنا أن نحكم بشريعته وحده لا شريك له، أن نفرده وأن نوحده في الحكم في تحكيم شريعته.

قوانين الله وأحكامه وأوامره ونواهيه فقط هي التي نعمل بها؛ فأتى أقوام من بني جلدتنا من أقوامنا من أمتنا ورفضوا حكم الله! قالوا: ما نريد حكم الله، لا نريد الشريعة، لا نريد قرآن ولا سنة ولا حديث ولا علم ولا فقهاء ولا نريد شيء، ما نريد هذا كله، نريد قانون فرنسا، وقانون سويسرا، وقانون الانجليز، وبرلمان يفكر ويشرِّع القوانين لكل المسائل، ونعمل قانون وضعي نحن وضعناه، موضوعٌ من قِبَلنا نحكم به.

هذا كفر وشرك؛ هذا خروج عن الإسلام، ومن فعل ذلك فهو خارجٌ عن الإسلام، هذا كفر وشرك مثل كفر الكافرين تمامًا، هذا أمرَنا الله أن نجاهده وأن نقاتله حتى نقضي عليه.

فإذن تعبَّدَنا الله ﷻ يعني طلب منا أن نعبده، بأن نحكم بشريعته فقط لا غير، وقال لنا: الحكم بشريعتي وأحكامي وأوامري ونواهي هو الواجب عليكم وهو المفروض عليكم، وهو العبادة التي تؤدونها، لي وما سوى ذلك إذا حكمتم بغير ديني وشريعتي وأحكامي وأوامري ونواهيَّ فقد كفرتم بي وخرجتم عن ديني، وهذا موضح توضيح كاملًا في القرآن، وسنذكر بعض الآيات في هذا.

- فمن ذلك أن الله ﷻ قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿إن﴾ هذه نافية بمعنى «ما»، أي ما الحكم إلا لله.

﴿إن الحكم﴾ أصلها «إنْ» ساكنة وإنما حركت بالكسر تخلصًا من الْتقاء الساكنين.

﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي ليس الحكم إلا لله وحده لا شريك له.

﴿أمر﴾ خلْقَه وعباده.

﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أمر ألا تعبدوا أيها الناس أيها الخلق إلا إياه؛ هو فقط تعبدوه لا تعبدوا غيره. إلا هو، ﴿إياه﴾ هذا ضمير النصب.

وقال ﴿تعبدوا﴾ هنا تنبيهًا على أن الحكم بأحكامه والعمل بأحكامه هي عبادة لا تنبغي إلا له ﷻ.

﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا﴾ بمعنى: ألا تعملوا إلا بأحكامه هو، هذه هي عبادته.

﴿إلا إياه﴾ بتطبيق أحكامه والعمل بأحكامه؛ لأن الحكم له وحده لا شريك له.

فهذه هي أهم آية في الباب، ومثلها في القرآن موجود في سور أخرى، ومعناها في القرآن مبثوث.

- ومنها قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف]، الله ﷻ هو لا يُشْرِك في حكمه أحدًا، يعني لم يتخذ شريكًا بل هو الحاكم وحده.

وأيضًا على سبيل المثال قوله ﷻ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى]. ﴿من شيء﴾ هذا للتعميم، أي شيء كان.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أيها الناس، مهما كان صغير أو كبير في الأحكام المتعلقة بذواتكم، بأي معنى من معاني الذوات، بأي قيمة من القيم، بأي شيء من دين أو دنيا أو غير ذلك من منازعات ومشاجرات ومخاصمات أو أي شيء، ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي وحده لا شريك له فخذوه من الله واطلبوه من رسالة الله ومن شريعة الله.

وقال الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف]؛ فبين الله ﷻ أن الخلق والأمر كلاهما لله ﷻ وحده لا شريك له، كما أنه ليس له شريك في الخلق كذلك أيضًا ليس له شريك في الحكم، في الأمر والنهي.

يعني أن الله الذي خلق الخلق هو الذي يعطيهم الأوامر، يأمرهم وينهاهم، وقد بين لهم كيف يفعلون وكيف يتصرفون، كيف يعبدونه، وخلقهم لأجل عبادته، وبين لهم كيف يعبدونه بأن أرسل لهم الرسل وأنزل لهم الكتب، فبين لهم فيها كيف يعبدونه وكيف يتصرفون في كل مسألة وقال لهم: أنا الحاكم فيكم جميعًا، حكمي هو النافذ، ولا ينبغي ولا يجوز ولا يصح ولا يكون أبدًا أن يحكم غيري.

والعقل يحكم ويدل ويفيد بأن صانع الصنعة هو الذي يعرف صلاحها، كيف تصلح، ويتوقى عن فسادها، صانع الصنعة هو الذي ينبغي أن يضع لها القوانين ويضع لها الأحكام، كيف تسير وكيف

تفعل لكي تصلح ولكي تكون على أحسن حال، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك].

ولهذا فلا صلاح للإنسان في نفسه -في النفس-، ولا صلاح للبشرية -للاجتماع البشري- ولا صلاح للدنيا وما فيها من مصالح وإرادات وغيرها إلا باتباع شريعة الله وأحكام الله.

هذا الأمر؛ العقل يقضي به والشريعة جاءت به وبينته ووضحته، وأمرنا الله أن نحكم بشريعته فقط لا بشيء آخر، وبين لنا أن هذا من عبادتنا له المطلوبة والتي يجب أن نفرده ونوحده بها، ونهانا أن نحكم بغير شريعته النهي الصريح والقاطع والواضح في الكتاب العزيز وفي سنة نبيه ﷺ، وبين لنا أن الذين يحكمون بغير شريعته أنهم خرجوا من شريعته وخرجوا من دينه قال الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

فبين لنا أن الذي إذا حكم لا يحكم بشريعة الله فقد خرج من دين الله وصار كافرًا.

وبين لنا ﷻ أن الذي يشرع مع الله ويضع أحكامًا للخلق ويُشرِّع لهم ويزاحم الله ﷻ في حكمه، أنه طاغوت وأنه قد جعل نفسه شريكًا لله، وأن الذي يرضى به ويعمل بأحكامه قد اتخذه إلهًا مع الله وشريكًا لله وصار بذلك طاغوتًا، يسمي الله ﷻ هذا طاغوتًا؛ قال الله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

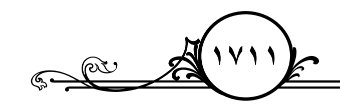
هذه الآية هي في صورة الاستفهام يعني ﴿أم﴾ هذه للإضراب والمقصود بعدها الاستفهام، يعني التقدير: هل لهم شركاء؟ المقصود بالاستفهام هذا إنكار، استفهام إنكاري، يعني لا وجود له، هل لهم آلهة أخرى يشركون مع الله شرعوا لهم من الدين شيئًا؟!

﴿ما﴾ هذه ما التنكير، يعني شيئًا لم يأذن به الله؟! لا، ليس موجود مع الله شركاء يشرعون للناس شيئًا لم يأذن به الله؛ فدلت الآية على أن كل من يشرِّع من دون الله أنه اتخذ نفسه شريكًا مع الله وأن الذي رضي به اتخذه شريكًا وإله مع الله.. فهذا شرك.

فالتشريع من دون الله شرك، والذي يتخذ مُشرّعًا يشرّع له من دون الله ويتبعه اتخذه شريكًا مع الله وأشرك بالله ﷻ وكفر وخرج من دين الله.

والله ﷻ في القرآن بيّن هذه المسألة تبيينًا كاملًا، ووضحها أحسن توضيح ليس بعده توضيح، هذه من أوضح المسائل في القرآن.

حتى قال الله ﷻ عن المنافقين الذين يزعمون أنهم مؤمنون قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ



ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء]، وسبب نزول هذه الآية أن رجلًا ممن ينتسب إلى الإسلام -ممن يزعم الإسلام والإيمان وهو من المنافقين- تخاصم مع رجلٍ من اليهود، فذهبا إلى النبي ﷺ؛ ليحكم بينهم فحكم النبي ﷺ بينهم، فرضي اليهودي ولم يرضَ المنافق بحكم النبي ﷺ، قال المنافق لليهودي: نذهب إلى أبي بكر، قال: نذهب، فذهبا إلى أبي بكر، فقالا له: اختصمنا وذهبنا إلى محمد ﷺ فحكم بيننا بكذا وكذا، فقال لهما أبو بكر: «ما حكم به النبي ﷺ هو الحكم» -خلاص ليس لأحد بعده حكم-، وذهبا عن أبي بكر ولم يرضيا بحكمه رضي الله عنه، فقال المنافق لليهودي: تعال نذهب إلى عمر، فذهبا إلى عمر -طبعًا تعرفون شدة عمر وقوته في الحق- فقالا لعمر: ذهبنا إلى محمد ﷺ فحكم بكذا وكذا ولم يرضَ صاحبي فذهبنا إلى أبي بكر -فقصَّا عليه القصة- فقال لهما عمر: حكم بينكما النبي ﷺ قالوا: نعم، حكم بيننا بكذا وكذا. قال: ولم ترضيا؟ قال: صاحبي لم يرضَ وكذا، قال: انتظرا مكانكما، فدخل إلى بيته وأخرج سيفه وأتاهما مسرعًا فضرب رأس المنافق فقتله وأطار رأسه وكان يريد أن يضرب اليهودي فهرب اليهودي، فنزلت هذه الآية في المنافقين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾[1].

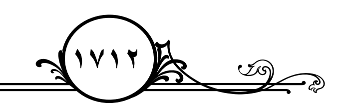
من هو الطاغوت؟ هو الذي يشرِّع من دون الله، وهو الذي يُصدر أحكامًا من دون الله، يشرِّع ما لم يأذن به الله، بغض النظر عن قول الله غير ملتزم أصلًا بأحكام الله ولا ناظر لها ولا ملتفت إليها، من عند نفسه يشرّع، هذا هو الطاغوت.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ هؤلاء المنافقون، فسماه طاغوتًا وأمر بالكفر به وقال أُمروا أن يكفروا به في الحقيقة وهم يتحاكمون إلى الطاغوت فذمهم على ذلك، وجعلهم محكوم عليهم بالنفاق يزعمون أنهم آمنوا، وفي الحقيقة هم لم يؤمنوا، والنبي ﷺ أهدر دمه بعد أن قتله عمر، قال: **(دمه هَدْر)**.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ يريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا كبيرًا بالغًا أقصى غاياته، حين يجعلهم يتحاكمون إلى الطاغوت؛ لأنه في النهاية كل الكفر وراءه الشيطان، وكل معصية وراءها الشيطان وسببها الشيطان ووسوسته -لعنه الله-، هو الذي يسول لبني آدم فقال: ويريد الشيطان أن يضلهم بذلك -بتحاكمهم إلى الطاغوت- ضلالًا بعيدًا وفي هذا بيان أن التحاكم إلى الطاغوت ضلال بعيد جدًا.

---

(١) انظر القصة في: فتح الباري (٥/ ٣٧).



وهذه الآية واضحة أنها جاءت في المنافقين والمفسرون على هذا، وقوله ﷻ: ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ قد كذَّبهم الله فيه وأشار إلى أن هذا مجرد زعم لا حقيقة له، فهذا من النفاق والنفاق كفر.

وبينت الآيات الأخرى معنى الكفر ومعنى الطاغوت، والطاغوت في لغة العرب: هو مشتق من طغى يطغى، طغى يعني: تجاوز الحد، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة] ماء الطوفان، طوفان سيدنا نوح ﵇، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق]، الطغيان مذكور في القرآن في مواضع، وهو صفة الكافرين المتمردين الجبابرة العتاة الذين يجاوزون الحد.

فالطاغوت الذي جاوز حده -حد العبودية- هو المفروض عبد لله، فتجاوز حد العبودية ونازع الله في حكمه وزاحمه في حكمه ونازعه عزته وكبرياءه ونازعه في خصائصه ﷻ فالله ﷻ يذله، الله سمى هؤلاء الطواغيت وأمرنا أن نكفر بالطاغوت قال الله ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة] وأمرنا في آيات كثيرة في القرآن أن نكفر بالطاغوت.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه] جاوز حده، مجاوزة عظيمة وادعى الربوبية والإلهية وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات] هذا طاغوت كبير، فرعون كان من الطواغيت.

فهذا هو الطاغوت، هو الذي ينازع الله ﷻ في حكمه ويجاوز حد العبودية الذي ينبغي أن يكون فيه إلى أن يأخذ صفة الرب وصفة الإله، هذا هو الطاغوت.

- ومن صور الطغيان التي يصير بها العبد طاغوتًا: أن يشرّع للناس ما لم يأذن به الله.

- ومنها: أن يدعّي الألوهية -مثلًا- كفرعون الذي ادعى الألوهية أو بعض الناس.. تعرفون «آغا خان» هذا المجرم، هذا طاغوت يدعو الناس إلى عبادته، يجعل نفسه إلهًا! وهكذا بعض الكفرة العتاة من الصوفية بعضهم يدعون الناس إلى عبادتهم فهؤلاء طواغيت، أو الناس تعبدهم من دون الله فيتخذونهم طواغيت، هذا كله داخل في معنى الطاغوت -والعياذ بالله-.

- كذلك الأصنام والأوثان وبوذا وأمثالهم، وكل ما اتُّخذ إلهًا من دون الله، كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، الأحجار والأضرحة والقبور التي تُعبد من دون الله، هذه طواغيت، الناس اتخذوها طواغيتًا واتخذوها أصنامًا وآلهةً؛ فصارت بهذا المعنى طاغوتًا يعبد من دون الله، حتى وإن كان صاحب القبر رجل صالح، إن كان رجل صالح فالله يُبرئه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء] الله

يبرئه إن كان صالحًا ولا يرضى بهذا ولا يأمر به، لكن الناس اتخذوه طاغوتًا وصار القبر أو الضريح طاغوتًا من دون الله، وصنمًا وإله يُعبد مع الله أو من دون الله، وكذلك من اتخذ شجرة أو اتخذ حجرًا أو نهرًا أو الشمس أو القمر أو غيرها أو شيئا يُعبد من دون الله؛ فهو طاغوت من دون الله.

ولهذا فالبرلمان الذي يشرّع من دون الله، البرلمان هذا طاغوت والقانون الوضعي، قانون الدولة التي لا تحكم بشريعة الله إنما يحكم بقانون أنفسهم هم الذي وضعوه، واختاروه هم من بين قوانين الأرض، استفادوا من الأمم الأخرى وزادوا وطوروا وعدلوا، وحذفوا، ونسخوا، وقدموا وأخروا، وجعلوا لأنفسهم قانونًا، وكل يوم البرلمان يزيد في القوانين ويشرّع، كل ما تحصل الأحداث يشرّع ويسن قانونًا للأحداث، وللمسائل، وللقضايا.. فهذا البرلمان طاغوت، إله يُعبد من دون الله.

لماذا؟ لأنهم يشرّعون ما لم يأذن به الله، من دون الله، بغير إذنٍ من الله، يشرّعون الأشياء التي لم يأذن بها الله ولم يعطِ إذنًا ولا إجازةً ﷻ بل الله ﷻ وضع قانونًا، وضع أحكامًا فهم لا يرضون بها فيقولون: لا نريدها ونبدلها ونعمل أحكام أخرى تليق بنا وتصلح بنا، وبحالنا وبعصرنا وبزماننا، وببلدنا.. فمثلًا: الله ﷻ حكم بجلد الزاني الغير المحصن بجلده مئةً، وحكم برجم الزاني المحصن أو الزانية، المحصن برجمه حتى الموت، فهم يقولون: لا، إذا زنى الشاب والفتاة عن تراضٍ فلا شيء عليهما، وإذا كان اغتصاب؛ أخذها بالقوة وبالاغتصاب فيحكم عليه بالسجن -مثلًا- سنتين عقوبة.

فهذا تغيير وتبديل لحكم الله، أصلًا حكم الله موجود في المسألة فهم يبدلونه ويحذفونه ولا يرضون به ولا يريدونه ولا يلتزمون به، ويأتون بشيء آخر من أفكارهم ومن قناعاتهم هم سواء هم اخترعوها من عند أنفسهم أو استفادوها من غيرهم من الأمم؛ فهذا كفر صريح بيّن واضح من أوضح الكفر، والعلماء متفقون على أن هذا كفر، ليس في ذلك خلاف أبدًا بين أهل العلم قديمًا وحديثًا.

فهذا معنى ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ فمعناه: لا يلتزمون أصلًا بحكم الله، يعني لا يهم شرع الله أم لم يشرع، هذا لا يهمنا ولا ننظر إليه، نحن نختار ما نريد ونحن نُشَرع ما نريد، هذا معناه ويشرعون، الذي شرع الله والذي لم يشرع فيه الله والذي تكلم فيه الله، والذي لم يتكلم فيه الله هم لا يهمهم! هم يختارون ما يريدون ويشتهون.

لكن -مثلًا- لو جئنا نحن هنا مجموعة من المجاهدين في المركز ووضعنا لائحة: ممنوع الخروج من هذا البيت في النهار، الخروج يكون في الليل فقط، إحضار الماء يكون الساعة كذا وكذا، الأعمال مقسمة على كذا؛ المجموعة الفلانية تفعل كذا والمجموعة الفلانية تفعل كذا، يُفعل كذا ولا يُفعل كذا.

هذا جائز وهذا ليس تشريعًا فيما لم يأذن به الله؛ لأن هذا مأذون لنا نحن عبيد الله فيه، مأذون لنا

من قِبَل الله أن نفعل هذه الأشياء، هذا تحت تخويلنا، نحن مخولون أن نضع لوائح أو قوانين أو غيرها لتسيير الأمور، أنا عندي شركة تجارية، عندي مصنع، أو عندي قوانين، قوانين سير المرور هذه جائزة، وذلك لأن الله ﷻ أذن فيها للناس ولم ينزل فيها شيء والله ﷻ قال: هذا لكم افعلوا فيه ما تشاؤون وقال النبي ﷺ: (**أنتم أعلم بأمور دنياكم**)[1] وهكذا هذه الأمور جائز فيها وضع لوائح أو قوانين؛ لأنه تحت الشريعة، شرطها أن تكون تحت الشريعة بمعنى: ألَّا تخالف الشريعة فقط.

ونحن في هذه الحالة ملتزمون بشريعة الله لا نخالفها ولا نخرج عنها ولا نبدلها ولا نغيرها، وإنما نعمل في المأذون لنا فيه؛ لأننا نحن مأمورون بفعل الصلاح والتوقي عن الفساد، والله ﷻ خولنا في الأمور التي لم يحكم هو فيها وقال النبي ﷺ: (**أنتم أعلم بأمور دنياكم**)، فهذا فرق كبير بين هذه المسألة وبين قوانينهم.. وهذه من «السياسة الشرعية» التي يسميها علماؤنا «السياسة الشرعية».

ويشبه هذه المسألة -وضع اللوائح المأذون بها-: الأحكام الفقهية التي تصدر عن الفقهاء وعن العلماء، أئمتنا ﷺ أبو حنيفة، مالك، الشافعي، أحمد وغيرهم وسائر علماء الإسلام إلى آخر الدنيا، عندما يأتي الفقيه من الفقهاء والعالم من العلماء ويفتي في مسألة معينة ويؤلف كتابًا في الفقه أو كتابًا في الفتوى ويفتي للناس ويقول: مسألة فلانية عندما يحصل فيها كذا فالحكم فيها كذا والواجب فعل كذا وينبغي فعل كذا ولا تفعلوا كذا وإلى آخره.

هو لا يحكم بغير ما أنزل الله، لكنه مخولٌ في المسائل الاجتهادية، المسائل المنصوص عليها في القرآن أو السنة المُسلَّمة الصحيحة أو المُجمع عليها سواء إجماعًا قطعيًا أو مبنيًا على الظن الغالب، فهذه هو فيها بمنزلة الراوي يروي عن الله ويخبر بحكم الله.

والمسائل الاجتهادية هو يحاول ويسعى ويجتهد في استنباط الحكم لها من كلام الله ومن كلام رسوله وما دل عليه كلام الله ورسوله، من القرآن والسنة وما في معناهما: الإجماع، القياس، المصلحة، الاستصحاب، كذا وكذا من الأدلة، فهو العالم والفقيه يجتهد فيستنبط الحكم ويستدل على الحكم ويخبر الناس به، وهذه هي الفتوى، الفتوى: هي الإخبار بالحكم الشرعي لا على الوجه الإلزامي.

فهذا الفقيه وهذا المفتي وهذا العالم وهذا الإمام يشرّع للناس فيما أذن الله له فيه، فهو يعمل تحت إذن الله ملتزمًا بشريعة الله، لا يخالف شريعة الله ولا يخرج عنها بل هو يستنبط منها ويفهم منها ويستخرج منها الأحكام للمسائل التي لم تنص عليها الشريعة، ففرقٌ كبير كما بين السماء والأرض.

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٦٣).

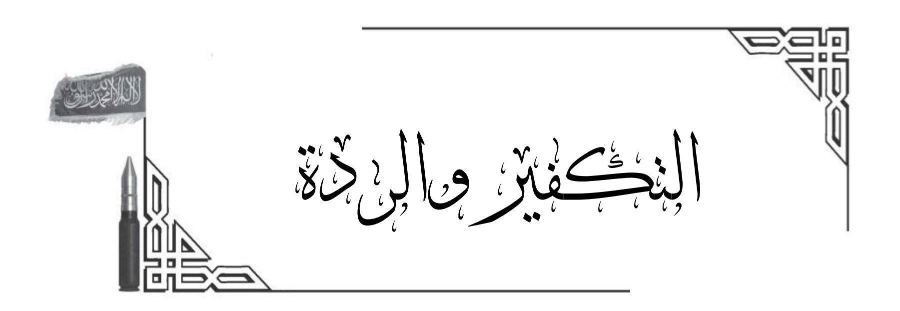
فالفقيه المستنبط للأحكام عاملٌ ومشرّعٌ تحت الإذن؛ تحت إذن الله ﷻ.

مسألة ثانية بقيت في الموضوع، وهي لو جاء البرلمانات في باكستان وقال في القانون -والقانون له شُعبٌ كثيرة-: التجارة، التعليم، الصحة، العقوبات -الجزاءات- الأحوال الشخصية، يعني أحوال الأسرة والعائلة، الزواج والطلاق والنكاح، المرأة والأطفال والتربية، الحضانة، الكفالة، سموها الأحوال الشخصية، كثير عندنا في البلاد العربية موجود هكذا، وأظن في باكستان هكذا، هم يعملون قوانين تجارة كما يحبون والتعليم كما يحبون والصحة والدولية والخارجية والقضاء والعقوبات هذه كما يحبون، ثم يأتي للأحوال الشخصية يقول: هذه من الفقه الحنفي نأخذها -أو الفقه المالكي في بلادنا- فيقول: تؤخذ من الفقه المالكي مباشرةً؛ فيحيلون على الفقه فيقولون: طبقًا لأحكام الشريعة، فهل يُعتبر البرلمان في هذه الحالة حاكمًا بالشريعة؟ لا، ولا حتى في الجزء، لماذا؟ لأنه لم يحكم بها بناء على أنها دين الله وحكم الله وشريعة الله وأمره ونهيه الذي هو ملتزم به لا يخرج عنه، أصلًا البرلمان كافرٌ بالله، هو غير ملتزم بدين الله أصلًا، ولا بحكم الله وشريعته؛ فهو لا يهمه أَمَر الله أو لم يأمر، تكلم الله أو لم يتكلم، بعث رسلًا أو لم يبعث، أنزل كتبًا أو لم ينزل!

بغض النظر، بصرف النظر، بقطع النظر عن حكم الله، البرلمان يحكم بما يريد، يحكم بما يحب! في مسألةٍ ما أو في فقرةٍ ما أعجبه حكم الله فأخذه؛ فهذا ليس حكمًا بدين الله، إنما هو حَكَم بهواهُ هو، بما يعجبه هو.. وهكذا فَعَل «جنكيز خان» وغيره من الذين انتسبوا إلى الشريعة، أول من وضعوا القوانين في أمة الإسلام فأخذوا من الشريعة ومن غير الشريعة ومن أهوائهم ومن أفكارهم، وجمعوا قانونًا.

فهذه مسألة مهمة، يعني حتى لو جاء البرلمان كله ووضع الشريعة وقال: لقد قرر البرلمان وفرض وأمر جميع الباكستانيين أن يحكموا بالشريعة، فالذي يخرج عن الشريعة نعاقبه؛ لأنه خالف البرلمان، ما ينفع! فلا بد أن نحكم بالشريعة وبدين الله على أساس أنه شرع الله، نحن ملتزمون به ولو خرجنا عليه لكفرنا، ليس لأن البرلمان جعله قانونًا! ليس بقوة البرلمان! بل هو قوته في نفسه أنه دين الله.

والله أعلم، وجزاكم الله خيرًا، سبحانك اللّٰهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، وصلِّ اللّٰهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



التكفير والردة

[محاضرتان صوتيتان مترابطتان موضوعيًّا ألقيتا ضمن «دورة الأنصار الشرعية» في خُراسان، آثرنا وضعهما في سياقٍ واحد متصلتان في ذات المكان لإتمام المعنى مع حذف المكرر منهما، **مدتهما مجتمعتان:** خمسة وثلاثون دقيقة، **نشرهما:** بعض المجاهدين -بشكل غير رسمي-، **وقام بتفريغهما**[1] «مؤسسة التحايا للإعلام»، وقد **نُشرتا في** مطلع عام ١٤٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته ومن والاه، وبعد:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن أول مقاصد الجهاد وغاياته، وهو أهم مقصد من مقاصد الجهاد وغايات الجهاد، وهو: تحقيق التوحيد وإزالة الفتنة التي هي الكفر والشرك، وقلنا أن الأصل في هذا هو الدليل الكبير الذي هو قوله ﷻ في سورة الأنفال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وقد شرحنا التوحيد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وهو معنى أن يكون الدين كله لله، وضد التوحيد هو الشرك والكفر -والعياذ بالله-، وهذا الشرك والكفر هو الفتنة.

إذن؛ نحن نجاهد في سبيل الله من أجل إقامة التوحيد ونفي الفتنة الذي هو الشرك والكفر.

ومن أنواع الكفر والشرك: الشرك أو الكفر في الحكم، وهذا تكلمنا عليه وتكلمنا على التشريع من دون الله الذي هو عمل البرلمانات، تكلمنا عليه وأظن -إن شاء الله- أن الإخوة استوعبوا الدرس الماضي.

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغييرَ كثير من الكلمات العامية واستبدالها بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريدها الشيخ ﷺ.

فقلنا أن النوع الأول للشرك هو: **الشرك في الحكم**، وضربنا له أمثلة.

والنوع الثاني من أنواع الشرك: **الشرك في العبادة**، والمقصود بالعبادة هنا: التعبُّد والتألُّه.

العبادة المباشرة: كالسجود، وتقديم القربات وغيرها لغير الله ﷻ.

وضابط الشرك في العبادة: أن كل عبادة صُرفت لغير الله، فهو شرك في العبادة، شرك في التألُّه، شرك في الإلهية، وهذا يقع من الذين يعبدون الأوثان، والذين يعبدون القبور، والذين يعبدون الأضرحة ونحوها، والذين يعبدون الطواغيت والفراعنة على اختلاف ألوانهم، والذين يعبدون الأحجار والأشجار والأقمار وغيرها.. هؤلاء كلهم أشركوا مع الله آلهةً أخرى توجهوا إليها بالعبادة وصرفوا لها أنواعًا من العبادة.

الدعاء مثلًا: يدعو غير الله، يقول: يا فلان، أو يا شمس، يا قمر، يدعو غير الله.

أو يسجد لغير الله أو ينذر لغير الله، أو يذبح؛ الذبح للجن، وللطواغيت؛ خوفًا منهم واتقاء شرهم وتعوذًا منهم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن] ذبح للقبر وغيره، أي عبادة، أي شيء ثَبَت كَوْنُه عبادة لله إذا صُرف لغير الله فهو كفرٌ بالله وشركٌ بالله وهو شركٌ في العبادة وفي الإلهية.

من أنواع الشرك -طبعًا هو أوَّلُها وأكبرها وهو حقه أن يُذكَر هو الأول لكن لقلة وجوده في المسلمين أخَّرناه- وهو: **الشرك في الربوبية**، وهو اعتقاد نفعٍ أو ضرٍ أو غيرها من الخلق أو الإحياء أو الإماتة والرزق أو غيرها لغير الله، اعتقاد وجودها يعني في غير الله.

فمن اعتقد -هذا النوع راجع إلى الاعتقاد- إنسان يعتقد أن غير الله -مهما كان، أي شيء غير الله- ينفع أو يضر أو يخلق أو يُحيي أو يُميت أو هو الذي يقدِّر المقادير أو نحو ذلك.. هذا شرك في الربوبية، وهذا لا يوجد في المسلمين إلا نادرًا، يقع فيه جَهله قد يعتقدون ذلك في بعض النواحي البعيدة، قد يعتقد بعضهم مثلًا -كما يُحكى- في بعض الأشجار أو بعض الأحجار أو شيء نحوها، لكن هذا قليل من جهة الاعتقاد، لكن يوجد الشرك في العبادة في أمة الإسلام، وقد وقع هذا كثيرًا؛ فيوجد في بعض المتصوفة وأصحاب الفساد، أو في بعض الفرق الضالة، لكن الاعتقاد يعني أنه يعتقد أنه ينفع أو يضر -نعوذ بالله- فهذا نادر.

تقريبًا هذه أهم أقسام الشرك والكفر -نعوذ بالله منها- التي نستطيع أن نقسِّم الشرك والكفر إليها، -يعني من باب الإنسان يعرف هذه-.

نحن إذن مأمورون بالجهاد؛ لإقامة التوحيد ونفي الشرك والكفر وإزالته، وذكرنا معنى التوحيد.

والعلماء -من باب معرفة الاصطلاحات- يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية -يسمونه أيضًا توحيد العبادة-، وتوحيد الأسماء والصفات.. هذا تقسيمٌ اصطلاحي درسي للتوحيد.

توحيد الربوبية: أن نوحد الله ﷻ ربًا يعني خالقًا بارئًا مصورًا رازقًا معطيًا مانعًا مُحييًا مُميتًا، نافعًا ضارًا، منه النفع والضر والإيجاد والإعدام وكل ذلك، هذا من توحيد الربوبية.

توحيد الإلهية أو توحيد العبادة: توحيد التوجُّه، أن نعبده وحده لا شريك له، وهذا هو الأهم.

توحيد الأسماء والصفات: أن نفرده بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا.

سنرجع إلى الكلام على التوحيد لاحقا عندما نكمل الكلام على مقاصد الجهاد وغاياته، وسنرجع بعدها إلى الكلام على التوحيد والشرك والكفر، وهكذا نتكلم عن الردة والمرتدين، ونتكلم على مسألة التكفير متى يُحكم على الإنسان بالكفر وهكذا.

قلنا في **مقاصد الجهاد وغاياته**: أول مقصد هو إقامة التوحيد والدين وإزالة الشرك والكفر؛ الذي هو «الفتنة»؛ أي أن إزالة الفتنة هي أول وأكبر وأعظم مقصد من مقاصد الجهاد، لماذا نجاهد نحن؟ لهذا الأمر.. هذا أهم شيء نجاهد من أجله، والجهاد له مقاصد أخرى لكنها تأتي تبعًا لهذا المقصد.

وهناك مقاصد أخرى مطلوبة ومحمودة والله ﷻ شرع لنا أن نقصدها في الجهاد، وهي تأتي بعد هذا المقصد، منها: الحرية، ودفع الظلم ورفعه.

الحرية مقصودة، وهي حقٌّ للإنسان، والله ﷻ شرع لنا أن نطلب الحرية والتحرر من الاستعباد والاستعمار والاستكبار، وأن ندفعه قبل أن يقع ونرفعه إذا وقع، يعني دفع الظلم قبل وقوعه إذا جاء، ورفعه إذا وقع.. الظلم ندفعهُ ونرفعهُ، هذا من مقاصد الجهاد.

نستطيع أن نقول أيضًا من مقاصد الجهاد: حفظ نفوس المؤمنين والأعراض والأموال والأوطان للمسلمين، كلها من مقاصد الجهاد؛ فنحن نجاهد أيضًا لحفظ نفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم وأوطانهم، نجاهد من أجل ذلك، وهذا شيء محبوبٌ للنفس فكل النفوس تحبه وتريده، والله ﷻ شرعه لنا، فهو من الحظ الذي وافق الحق كما قال الله ﷻ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ [الصف] فحفظ نفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم والدفاع عنها وأوطانهم، هذا من مقاصد الجهاد.

والله ﷻ قال في القرآن: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء].

فأمرنا الله ﷻ إذًا بأن نقاتل في سبيله، أي: وفي سبيل المستضعفين -في سبيله والمستضعفين-، وذلك لإنقاذهم وإخراجهم من الاستضعاف، ووصَف هؤلاء المستضعفين بأنهم من الرجال ومن النساء ومن الولدان -يعني الأطفال والصغار-، الضعفاء المساكين تحت الاضطهاد وتحت حكم الكفار ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ هذه الدولة أو هذا البلد أو هذا السلطان، ﴿مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ الذين يظلموننا واجعل لنا يا ربِّ من لدنك وليًا من أهل الإسلام يتولانا ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ينصرنا من لدنك وباسمك وبدينك وبحقك.

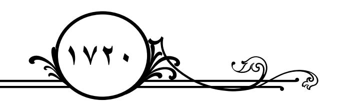
لا بد حتى يكون كل هذا مرضيًّا عند الله ﷻ أن يكون تابعًا للقصد الأول، مثلًا: لو جاء إنسان يُقاتل فقط من أجل الحرية، يريد أن يكون حرًا؛ هذا مباح لكنه ليس جهادًا في سبيل الله، يجاهد من أجل الحرية فقط! ولا نظر له إلى إقامة الدين.

مثلا: الآن دخل الأمريكان إلى أفغانستان فقام رجل مسلم يقاتلهم قيل له: لماذا تقاتل الأمريكان؟ قال: أنا أريد الحرية وأكره الاستعباد! هذا يقاتل من أجل الحرية، فيُقال له: أنت إذن تريد أن تقيم حكم الله وشريعة الله وتزيل الكفر والشرك وتقصد هذا وتريده وتحبه وتعمل له، يقول: لا! ممكن هو لو غلب على الأمريكان يقيم الكفر هو بنفسه؛ فهذا لا يجاهد في سبيل الله.

العلمانيون في فلسطين يقاتلون اليهود، العلمانيون -في منظمة التحرير الفلسطينية، منظمة فتح وغيرها- والشيوعيين -الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وغيرها- هؤلاء يقاتلون اليهود، في فترة من الفترات كانوا يقاتلون، الآن ما يقاتلونهم لكن في السنين القديمة كانوا يقاتلون من أجل الحرية، لكن هل هذا في سبيل الله؟ ليس في سبيل الله.

لكن الذي يقاتل من أجل إعلاء كلمة الله، وإقامة الدين والتوحيد والشريعة وأحكام الله وينفي الكفر والشرك ويزيل الفتنة، ويقصد معها الحرية ودفع الظلم ورفعه، وحفظ نفوس المسلمين والأعراض والأموال والأوطان وغيرها.. فالأوطان مثلًا من الأغراض؛ نحن ندافع عن أوطان المسلمين ولكن لا بد أن يكون تحت هذا المقصد حتى يكون مشروعًا محمودًا لله ﷻ وإلا فهو والبهائم لا فرق!

أنت عندما تأتي للبهيمة الخنزير -حاشاك- ما يتركك تأتي إلى عشه أو محله بل يدافع عن محله، هذا شيء جِبِلِّيٌّ فطريٌّ أجازَتْه الفطرة والشرائع كلها والقوانين الأرضية والسماوية، وهم يقولون هذا أيضًا: الدفاع عن الأوطان، هذا ليس محمودًا بذاته، إنما نحن نذكره ويكون محمودًا عندما يكون مندرجًا تحت هذا المقصد الكبير.



الشهيد لا بد أن ينوي إقامة دين الله -حتى يكون شهيدًا- لكن يمكن أن يكون عمله مباحًا كونه يقاتل من أجل حريته ويكره الاستعباد والظلم، ويدفع الظلم عن نفسه؛ فهذا مباح، هل الله ﷻ يُثيبه عليه حسنًا أو لا؟ المباح في حد ذاته لا ثواب عليه ولا عقاب، إنما هو بحسب النية إذا نُوي به الخير فيكون مُثابًا عليه وإذا نُوي به الشر يكون معاقبًا عليه، لكن المباح في حد ذاته لا ثواب ولا عقاب فيه.

فهذا كونه إنسانًا يقاتل من أجل الحرية فقط، فعله مباح ولكن إذا قُتل في هذا القتال لا نسميه شهيدًا ما لم يقصد إقامة دين الله ﷻ، ولا يكون شهيدًا في حكم الله وعند الله، والله أعلم بحاله، لكن نحن بحسب ما يظهر لنا نحكم، لكن هو في حكم الله إذا كان لا يقصد إقامة الدين لا يكون شهيدًا، لكن قد ينجو لأنه فَعل فعلًا مباحًا، فلا نقول أنه في النار؛ بل قد يكون ناجيًا لأنه فعل فعلًا مباحًا، كأنه مات موتةً طبيعية، كأنه مات حتف أنفه، لكنه لا ينال فضل الشهداء والشهادة؛ لأنه لم يقصد إقامة الدين.. هذا الذي تعطيه الأدلة والقواعد.

الذي يدافع عن نفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم وأوطان المسلمين لكونها أوطان المسلمين هذا شهيد في سبيل الله إذا قُتل؛ بحسبه يعني، إذا كان مظلومًا والثاني ظالم وهو دَفَع الظلم وقُتل، فهذا **(من قُتل دون نفسه فهو شهيد ومن قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون عرضه فهو شهيد)**[1] حتى هذه المسألة التي سأل عليها الأخ يمكن أن يدخل فيها هذا؛ لأن المسائل تتقارب وتتداخل قليلًا.

أنا أجبت عن الذي يقاتل لمجرد الحرية فقط! فهذا فعل فعلًا مباحًا، لكن إذا كان مسلمًا ويحب الإسلام ويريد الإسلام فهذا -إن شاء الله- من الشهداء، لكن أنا أقصد أنه إذا ما عنده هذا المقصد الكبير الأول، على أساس هذا أجبتُ عليه.

المسلمان إذا تقاتلا فلا يخلو من حالات، هي عندها عدة صور: إما أن يكون كلاهما يريدان الغلبة ونزاعهما على الدنيا، خلاف على الدنيا وتقاتلا على الدنيا؛ فالنبي ﷺ قال: **(القاتل والمقتول في النار)** هذا وعيد شديد -نسأل الله العفو العافية-، **(إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)** قيل: يا رسول الله هذا القاتل نعرفه -قاتل واضح يعني- فما بال المقتول؟ قال: **(إنه كان حريصًا على قتل صاحبه)** والحديث في الصحيحين[2].

وهذا الحديث أصل في هذه المسألة، ولهذا أخذ منه العلماء أنه إذا تقاتل المسلمان فأكثر تقاتلوا على

(١) مسند أحمد (١٦٢٥) بلفظ قريب منه، وإسناده قوي.

(٢) صحيح البخاري (٣١، ٦٨٧٥)، صحيح مسلم (٢٨٨٨).

الدنيا وعلى الغلبة فيها والملك والرياسة.. فهذا الوعيد متوجهٌ إليهم جميعًا -إلى الفريقين- فيكون القاتل والمقتول في النار -والعياذ بالله- يعني مُعذّب بالنار، يدخل النار، هذا وعيد بدخوله النار ولكنه ليس الخلود في النار، فهذه كبيرة من الكبائر؛ فدخولهم دخول أهل الكبائر.

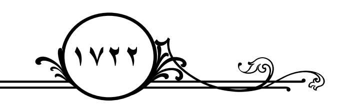
لكن إذا كان أحدهما مظلومًا ظلمًا واضحًا والثاني ظالم؛ جاء الظالم القوي الغالب يريد أن يأخذ مال هذا المسكين المظلوم أو يعتدي على عرضه أو نفسه فدفعه فقتله فهذا مشكورٌ ممدوح، وذلك إن كان قد قُتل فهو في النار، وهذا إذا قُتل فهو شهيد في سبيل الله.

يمكن أن يكون مثلًا مظلومًا لأن الظالم قتله، في أفغانستان -مثلًا- جاء الأمريكان فقام رجل من أهل أفغانستان وقاتل الأمريكان ودفعهم فقتلوه، ممكن -إن شاء الله- أن ينال أجر أنه قُتل مظلومًا، فيدخل في هذا الوعد وفي هذا الأجر أنه قُتل مظلومًا وقتله ظالم وهو يدفع الظلم لكن لا يُسمى شهيدًا الذي هو شهيد المعركة؛ لأنه ما لم ينوِ ويكون في إرادته وفي محبته ونيته وقصده أن يقيم الدين وأن تكون كلمة الله العليا فلا يكون شهيدًا؛ فالشهيد هو الذي ينوي ويكون قصده الأساسي وإرادته وطلبه ومحبته أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا وإقامة التوحيد وإزالة الفتنة -الكفر والشرك- وهذه المعاني.. هذا الذي يكون شهيدًا.

أما ما لم ينوِ ذلك، بحيث كان فارغًا من هذا، وخاليًا منه، هذا إما أنه كالميت لا أجر له؛ لأنه يفعل فعلًا مباحا ومات قتلا، أو أحسن حالاته أنه يكون مظلومًا وله أجر المقتول ظلمًا، يعني لو كان إنسانًا عاديًّا ليس مجاهدًا قُتل مظلومًا نرجو أن له أجر المقتول ظلمًا، ليس مجاهدًا، وليس شهيدًا.

وإذا كان الجهاد فرضا عليه وما قام به؛ فهو مقصرٌ ومرتكبٌ كبيرة ما لم يكن له عذر في هذه الحالة -مثل حالة أفغانستان- لكن هذه مسألة وكونه مقتول ظلمًا مسألة أخرى، مختلفتان، فنقول: هو مقصر في الجهاد ومستحق للوعيد: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة] ولكنه قُتل مظلومًا؛ فهذه مسألة وهذه مسألة، هو من هذه الجهة هو خاسرٌ خسران أهل الكبائر، ومن هذه الجهة هو مظلوم له أجر المقتول ظلمًا، فالله أعلم ما حاله في الآخرة، أمور الآخرة وأمور الثواب والعقاب؛ الكلام فيها دقيق، ما نتكلم فيها إلا بالقدر الواضح الذي قامت عليه الأدلة.

لكن الآن لو دخلَت الهند إلى باكستان، وقام «كياني» و«جيلاني» و«زرداني» يقاتلون الهند فهؤلاء يقاتلون من أجل وطنهم، ومن أجل دولتهم، لكن لا يقاتلون من أجل الدين بدليل أنهم هم حاكمون الآن وهم لا يقيمون الدين، بل هم يحاربون الدين أصلًا، ويقيمون الكفر والشرك والفتنة والمعصية والفسوق والفجور -والعياذ بالله- يقيمون هذه الأمور ولا يقيمون الدين؛ فهم لا يجاهدون في سبيل



الله ولا يعتبر جهادهم مشكورًا ولا يعتبر جهادًا في سبيل الله أبدًا.

لكن هل يعتبر مباحًا؟ الله أعلم؛ أنه إذا كان في سبيل الحرية وفي سبيل أنهم يدفعون ظلم الهند والظلم عن قومهم فهذا مباح، بل من الممكن أن يكون ممدوحا محمودًا والذي يُقتل فيه ليس شهيدًا ولا يسمى جهادًا، هو شيء مباح، كافر يمارس فعلًا مباحًا يعني هم أصلًا كفار مرتدون، هم ليسوا مجاهدين أصلًا، لكن فعلهم هذا كسائر الأفعال المباحة يكون حينئذٍ هذا أحسن حالاتهم! لكن هم ليسوا مجاهدين في سبيل الله أصلًا ومن قُتل منهم فهو في النار -والعياذ بالله-؛ لأنهم كفار لا يكون أحدٌ منهم شهيدًا إذا قُتل في هذا القتال، أقصى الحالات وأحسنها أنهم يفعلون فعل مباحًا ولكن الغالب أيضًا أنه ليس مباح، لماذا؟ لأنهم لا يقاتلون من أجل «آزادي» الوطن وحرية أوطانهم وحرية الناس والدفاع عن أقوامهم والناس، لا، إنما يقاتلون من أجل ملكهم ورياستهم هذا الغالب.

هذه مسائل مهمة في المقاصد يجب أن تُعرف.

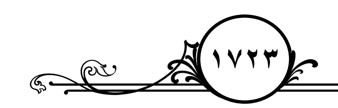
هو من جهة مرتكب كبيرة ويستحق العقاب، ومن جهة أخرى؛ له أجر المقتول ظلمًا والله أعلم بحاله في النهاية.

بالنسبة لقضية الوطن: أجمع العلماء ﷭ من جميع المذاهب الأربعة وغيرها حتى الظاهرية.. جميع العلماء أجمعوا على أنه إذا دخل العدو ولو شبرًا واحدًا من بلاد المسلمين فإنه يجب على المسلمين دفعه أو القيام بذلك الأقرب فالأقرب، هذا محل إجماع بين العلماء: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية وغيرهم كلهم مجمعون على هذا المعنى، ألفاظ العلماء تختلف في ذلك، ولكن المعنى واحد.

العلماء أجمعوا على أنه إذا دخل العدو ولو شبرًا من أرض المسلمين أو من بلاد المسلمين فإنه يجب على المسلمين أن يدفعوه، وقد نصوا على ذلك؛ فيهبُّ المسلمون لجهاده ودفعه وإخراجه الأقرب فالأقرب واجب عليهم؛ فإن عجزوا أو قصروا فعلى من يليهم، ثم على من يليهم، إلى أن تحصل الكفاية لدفع العدو وتحرير بلاد المسلمين.. هذا مهم جدًا.

لكن لكي يكون الإنسان مجاهدًا في سبيل الله لا بد أن ينوي أنه يدافع عن بلد المسلمين لأنه بلد المسلمين الذي يقام فيه دين الله وشريعة الله ولأن الكافر إذا غلب على بلاد المسلمين فإنه يقيم الكفر، فالمسلم الذي يجاهد يدفع في الحقيقة الكفر ويدفع الكفار الذين يقيمون الكفر.. هذه النية لا بد أن تُستصحب حتى يكون جهادًا في سبيل الله.

أما الجهاد في سبيل الوطن مجردًا -الوطن فقط-!؛ فنجد الآن أن كل الأنظمة العلمانية المعاصرة



والثقافة -هذه الفِرْهَنْك الحديث الجديد الغربي وغيره-، كلهم يعظمون الوطن، ويتكلمون عن الوطن مجردًا عن الدين والتوحيد، والوطن ليس بهذا الشكل، الوطن يمكن أن نتركه إذا كفر الوطن بالله، والدولة إذا كفرت بالله نتركها.

إنما نحن إذا قاتلنا من أجل أوطان المسلمين وبلاد المسلمين نقاتل عنها؛ لأنها بلاد المسلمين يقام فيها شريعة الله ودين الله وحكم الله وترفرف عليها كلمة لا إله إلا الله فنحن عندما ندفع الكفار إنما ندفع الكفر في الحقيقة، ندفعه ونرفعه ونرده ومريدين بذلك ومستصحبين بذلك أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يقام دين الله ﷻ على أرض الله.

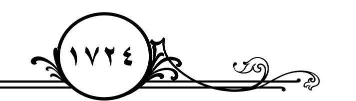
بلاد المسلمين يعني دار المسلمين، ودار الإسلام معناها واضح محدد عند الفقهاء، لكن بالنسبة للأندلس الآن -مثلًا- ليست من ديار المسلمين، في حالنا هذا، لكن نحن مأمورون بإعادتها إلى بلاد المسلمين؛ لأنها كانت جزءًا من دار الإسلام، وأخذها الكفار واستولوا عليها؛ فيجب علينا أن نجاهد من أجل إعادتها، كما يجب علينا أن نجاهد من أجل إعادة كثير من البلدان الأخرى التي كانت بلاد إسلام وندفع العدو منها.

كما يجب علينا أن نقاتل في سبيل الله حتى في البلاد التي لم يدخلها الإسلام أصلًا، يجب علينا أن نأخذها ونخضعها لحكم الإسلام، لكن هذا الوجوب يختلف عن هذا الوجوب، هذا الوجوب في «الأندلس» هو من باب وجوب جهاد الطلب، وهذا من باب وجوب جهاد الدفع، والله أعلم.

فرض عين علينا الآن إعادة بلاد المسلمين، الأندلس وصقلية وغيرها كأطراف من أوروبا الشرقية ووسط آسيا، وتركستان الغربية في الصين، وكثير من بلاد شرق آسيا وغيرها كانت بلاد إسلام وتحكم بالإسلام والهند نفسها أجزاء منها أو معظمها، فهذه بلاد المسلمين كانت في زمن -قرون ربما- يحكم فيها الإسلام وشريعة الإسلام ثم أخذها الكفار؛ فهذه يجب علينا أن نعيدها وهذا فرض على الأمة، ما لم يقم به من يكفي -ما لم تحصل الكفاية- فالجميع آثمون إلا من استبرأ، أي من برئت ذمته بالقيام بوسعه، استفرغ وسعه وقام بما أمكن وعجز؛ فهذه يجب علينا أن نعيدها إلى بلاد الإسلام، لكن المقصود ببلاد المسلمين: البلاد التي هي دار إسلام بالفعل إذا نزلها العدو، هذا هو المقصود هنا.

لكن حتى يكون جهاد المجاهد وقتال المقاتل جهادًا في سبيل الله حقًا ويترتب عليه أجر القتال في سبيل الله والجهاد في سبيل الله؛ فلا بد أن يكون دائمًا مستصحبًا لنية إعلاء كلمة الله، لا بد أن يكون مستصحبًا لهذا، يعني هذا موجود في الخلفية عنده في الباك قراوند، لا بد يعني.

ندخل إلى مسألة الردة والمرتدين -نعوذ بالله منها نسأل الله العفو والعافية والسلامة، اللَّهم



عافنا-:

الردة: هي الكفر بعد الإسلام، يعني شخص كان مسلمًا ثم خرج من الإسلام وكفر فهذا يسمى المرتد.

والمرتد: اسم فاعلٍ من ارتد يرتد فهو مرتدٌ، مرتد اسم الفاعل الذي يفعل هذا الفعل، وهذا الارتداد عن الدين يعني الخروج من الدين بعد أن يكون قد دخل فيه، دخل في الإسلام وثبت له عقد الإسلام بطريقة من طرق ثبوت الإسلام سواء كان كافرًا ثم نطق بالشهادتين فدخل في الإسلام، أو عمل أعمال المسلمين التي يثبت بها الإسلام له، أو كان بالتبعية لأهله ووالديه بحيث نشأ مسلمًا ثم ارتد، يعني كَفَر وخرج من الإسلام فنقول أنه ارتد، كأن إنسانًا مقبلًا على شيء ثم ارتد وتركه، كان مقبلًا على شيء وداخلًا فيه وموجودًا فيه ثم تركه وذهب.

واختِيرِ لفظ الارتداد لهذا المعنى؛ لما فيه من الشناعة من الجهة البلاغية، ارتداد وترك الشيء، انتكاس وارتداد ﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾ في القرآن: الارتكاس والارتداد، فهذا هو الكفر بعد الإسلام أو بعد الإيمان هذه هي الردة، الإنسان الذي ثبت له حكم الإسلام بطريقة من طرق الثبوت يخرج من الإسلام ويتركه ويكفر؛ فهذا هو المرتد الذي نقول عنه ارتد يرتد ارتدادًا فهو مرتد.

كيف يخرج المسلم من دائرة الإسلام؟ وما هي الأشياء التي يخرج بها؟

إنسان ثبت له عقد الإسلام، هذا هو الإسلام -دائرة الإسلام- إنسان موجود في هذه الدائرة، كيف يخرج من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر؟ وما هي الأشياء التي يخرج بها الإنسان من دائرة الإسلام ويصير كافرًا بعد أن كان مسلمًا؟

الجواب: يخرج المسلم من دائرة الإسلام إلى الكفر ويصير مرتدًا بكل فعل أو قول -كلام- أو اعتقاد -شيء متعلق في القلب- ومن جملته الشك، الاعتقاد منه الشك؛ فالشك يدخل في الاعتقاد تغليبًا وإن كان الشك ليس اعتقادًا في الحقيقة.

بكل فعلٍ أو قولٍ أو اعتقادٍ يكون من شأنه أن الدليل دل على أنه كفر مخرج من الملة، يعني دل الدليل على أن هذا الفعل أو هذا القول أو هذا الاعتقاد كفرٌ مخرجٌ من الملة؛ فلا بد أن يوجد دليل شرعي يدل على أن هذا الفعل أو هذا القول أو هذا الاعتقاد مخرج من الملة بدون عذر -ما لم يكن له عذر-.

الأعذار مثل المُكرَه؛ فلو قال كلمة الكفر أو نحوها، فعل فِعلَ كفر أو قال قول كفر أو اعتقد الكفر

بدون عذر، وتسمى هذه الأفعال أو الأقوال أو الاعتقادات الكفرية التي هي كفر ودل الدليل على أنها كفر تسمى «نواقض الإسلام» أو «نواقض الإيمان»، في اصطلاح العلماء يسمونها «النواقض»، التي تنقض الإسلام، تنقضه يعني النقض بعد الإبرام ، والنقض هو حله بعد برمه وتماسكه، النقض هو الحل والفك، حبل -مثلًا- تربطه والنقض هو الحل والفك؛ ولهذا سميت نواقض لأنها تنقضه وتغيره وتضاده وتحله وتفكه وتزيله، نواقض الإسلام التي تزيل الإسلام وتنقضه وتذهب به.

كل الأفعال والأقوال والاعتقادات التي يدل الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وما في معناهما على أنه كفر أكبر مخرج من الملة، هذه تسمى نواقض الإسلام.

وهذه النواقض جمعها العلماء وفصلوها ووضحوها، وكل العلماء من جميع المذاهب في كتب الفقه يبوِّبون «باب الردة»، أو «باب المرتدين» أو «باب أحكام المرتد» أو «باب أحكام المرتدين». أسماء مختلفة وكلها شيء واحد، كلها تعبيرٌ عن بابٍ واحد لكن عبارات العلماء تختلف.

ويذكرون في هذا الباب كثيرًا من المسائل؛ أنواعها وأجناسها وحتى أفرادها، بعض أفراد المسائل التي من الأقوال ومن الأفعال ومن الاعتقادات التي يكفر من يأتيها ومن يفعلها ومن يقولها ومن يعتقدها، فهذه موجودة في كتب العلماء جميعًا، الحنفية والمالكية والشافعية، الحنابلة.

في كتب الفقه كما أنه يوجد كتب الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والبيوع والأنكحة وما يتعلق بها، الجهاد والفرائض المواريث وغيرها، كذلك أيضًا يوجد باب الردة.

فهذا من الفقه، والعلماء يذكرون في هذا الباب أجناسًا وأنواعًا، والكثير من أفراد الأفعال والأقوال والاعتقادات التي يصير بها المسلم كافرًا؛ فأنت لو ذهبتَ إلى كتب الحنفية تجد في جميع كتب الحنفية باب الردة.

۞ تتمة محاضرة الردة:

ما زلنا نتحدث عن موضوع الردة -أعاذنا الله وإياكم منها-، وقلنا أن الردة هي: خروج المسلم من الإسلام بعد أن يكون قد دخل فيه، وأن المسلم يمكن أن يخرج من الإسلام بأي فعلٍ أو قولٍ أو اعتقادٍ مما دل الدليل الشرعي على أنه كفر مخرج من ملة الإسلام.

فلا بد أن يدل الدليل الشرعي على أن هذا القول أو الفعل أو الاعتقاد كفرٌ مخرج من الملة، وأن هذه الأفعال وهذه الأقوال وهذه الاعتقادات؛ التي دل الدليل على أنها كفرٌ وتخرج من ملة الإسلام، تُسمى عند العلماء نواقض الإسلام أو نواقض الإيمان.

من هذا الكلام؛ يتبين لنا أن الحكم بالردة على أي مسلم -لا بد أن يكون مسلم هو أصلًا-، هو

حكم شرعي -وهذا الكلام مهم جدًا-: الحكم بالردة على شخص معين، والحكم بخروجه من الإسلام وصيرورته كافرًا هذا حكم شرعي يتكلم فيه الفقيه المُؤَهَّل، وليس كل أحد يتكلم في خروج إنسان إلى الكفر أو الحكم عليه بالكفر، هذا حكم بالردة على شخص الذي هو يسمى بالتكفير، تكفيرُ شخصٍ معناها: الحكم عليه بالخروج من الإسلام، أن نحكم عليه أنه مرتد كافر.. هذا حكمٌ شرعي يتكلم فيه الفقيه المؤَهَّل -الإنسان العالم المفتي المؤهل- يعني درس العلوم وأتقنها وصار عنده أهلية لأن يتكلم في المسائل الشرعية.

فالتكفير حكمٌ شرعيٌ كالحلال والحرام، كما نقول -مثلًا-: أَكْلُ لحم الأرنب أو أكل لحم الدجاج، أو البيوع -مثلًا- في البيع الفلاني على الطريقة الفلانية أو بيع الشيء الفلاني وشراءه والتعامل بالمبايعة بالأمور الفلانية حلال، يفتي المفتي بأنها حلال، وكالأنكحة ونحوها يفتي فيها المفتي، وكأحكام الأوقاف والحبوس والمواريث، وكالحكم بصحة صلاةٍ أو بطلانها أو فسادها، وكالحكم من صحة الصيام، وكالحكم في الزكوات وما تجب فيه الزكاة وما لا تجب ومقاديرها وغيرها في أعيان الموجودات وهكذا.. هذا حكمٌ شرعي؛ أنت تأتي للمفتي تقول له: أنا دخلتُ في معاملة تجارية أشتري سيارة من كذا من أفغانستان وأدخل بها كذا أو أعمل بها كذا، أبيعها لفلان وأشتريها، ما حكم هذا يا شيخ؟ يقول لك حلال، أو يقول لك حرام لا يجوز، هذا حكم شرعي.

من يتكلم في هذا؟ الفقيه المؤهل، كذلك الحكم بإخراج شخصٍ مسلم من دائرة الإسلام وصيرورته كافرًا، أي الحكم بأنه كافر.. هذا حكم شرعي لا يتكلم فيه إلا الذي عنده أهلية وهم العلماء الفقهاء.

لكن معلوم أن كثيرًا من المسائل التي هي كفر، يعرفها كثير من الناس ويستوي فيها العالم والجاهل، الناس كلهم بها علماء، مثال: لو جاء رجل مسلم وأخذ المصحف ومزقه وألقاه في الزبالة -حاشاكم-، وهو عالم مختار بكمال قوته العقلية أمامنا ليس عليه إكراه ولا أحد يُكرهه ولا يضغط عليه ولا شيء، فعل هذا مُختارًا، فكل الناس يعلمون أن هذا كفر وأن فاعله كافر.

فهذه جائز لكل واحد إطلاق الكفر فيها، جائز لكل أحد أن يحكم على هذا بالكفر، وأن يحكم على فعله بالكفر، وعليه بالكفر ما دام حاله ظاهرًا، ليس له عذر من إكراه ولا نحوه.

أو يأتي شخص ويقول أنه -والعياذ بالله- كفَر بالإسلام وتحول إلى النصرانية، وصار نصرانيًا ولبس الصليب وصار يصلي في الكنيسة؛ فكل مسلم يحكم عليه بالكفر، المسلمون جميعًا يعلمون أن

هذا كفر؛ فهذا يستوي فيه العالم والجاهل من المسلمين.

هذه المسائل ونحوها وما قاربها؛ الناس كلهم بها علماء، لكن كلامنا السابق على الغالب وللاحتياط، وهو متعلق بالمسائل التي يحصل فيها الاختلاف والنظر واختلاف الأفهام وهي المسائل الاجتهادية، والمسائل التي يكون مبناها على الاستنباط والاستدلال، المبنية على العلم المُكتسب، أما المسائل الأخرى التي يستوي فيها العالم والجاهل من المسلمين وكلهم يعرفونها، هذه مبنية على العلم الضروري، معلومات من الدين بالضرورة لا أحد يجهلها من المسلمين.

هذا في المسائل التي مبناها على الاستدلال والاستنباط، مثل مسائل الحلال والحرام تمامًا، لكن المسائل المعلومة عند جميع المسلمين فهذه يستوي في معرفتها العلماء والعوام؛ كمسائل الحلال والحرام كحكم أكل لحم الضأن: حلال، كل مسلم يعرف أن هذا حلال صح ولا؟

أكل لحم الجمل: يعرف الكل أنها حلال، أكل الخبز: هذا المصنوع من القمح، كل مسلم يعلم أن هذا حلال مباح جائز، أحلَّه الله.

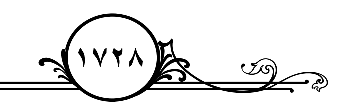
لكن لو جئنا إلى أكل الجبن المستورد من أوروبا، ممكن يتردد فيه الإنسان لا يعرف حكمه حلال أم حرام؟ هذا يحتاج فقيه ينظر فيه، فهنا نسأل الفقيه العالِم.

لماذا؟ لأن هذه المسألة دخلتها مسائل أخرى، هل موجود في تركيبه شيء حرام؟ وما حكم الأنفحة؟ معلوم أن هذا الجبن يُصنع من أنفحة الحيوان -البقر أو غيره-، فما حكم أنفحتهم؟ ومعلوم أن هذه الحيوانات إن كانت بقرًا أو غيرها مذبوحة عند الكفار؛ فما حكم أكلها؟ ما حكم أكل الشيء المصنوع منها كالجبن -مثلًا- والبسكوت والشوكولاتة أو غيرها، هذه نسأل فيها الفقيه؛ فالفقيه رجل عالم مؤهل درس العلوم الشريعة وعرف آلاتها وعرف نصوصها وأدلتها فيُعمِل فِكْره ونظره ويجتهد ويستدل ويستنبط لنا الحكم الشرعي ويخبرنا به، لكن العامي لا يعرف؛ هذه في مسائل الحلال والحرام.

كذلك أيضًا في حكم التكفير، بل حكم التكفير أشد؛ لأنه خطر جدًا، ولهذا قال علماؤنا ﷭: الحكم بخروج مسلم من الإسلام -يعني الحكم بردته- حكم خَطِر -يعني صعب جدًا- وفيه خطورة وينبغي للإنسان أن يقف فيها ويتأمل جدًا ويتردد ويخاف ويهاب -الإنسان الفقيه العالم- ويحتاط فيه غاية الاحتياط.

هذا مما نبه عليه العلماء ﷭، وأنتم تلاحظون لو قرأنا من كتاب «الفتاوى التاتارخانية» أن العلماء يختلفون في كثير من المسائل؛ قال بعضهم: يكفر، وقال بعضهم لا يكفر.

ولو قرأتَ بابَ أحكام المرتد كله، تجد كثيرًا من المسائل مختلفين فيها، قال بعض علمائنا يكفر،



وقال بعضهم لا يكفر، قال إن كان كذا كفر وإن كان كذا فهو على خطر، قال أساء ولكن لا يحكم بكفره، مسائل كثيرة جدًا وفي جميع المذاهب تجد مثل هذا في أبواب الردة، يختلفون في مسائل هل هي وصلت إلى حد الكفر، أم لم تصل إلى حد الكفر ولكنها معصية وخطر وإساءة وربما يستحق صاحبها التعزير والتأديب، لكنه لا يكفر فهذه مسائل يتكلم فيها العلماء ويختلفون فيها؛ لأنها من مسائل الاجتهاد -كثير منها كذلك-، وبعض المسائل المعروفة يتفقون عليها.

ولهذا لا بد من الاحتياط الشديد في إطلاق الكفر على الأفعال أو على الأشخاص، وقد حذر النبي ﷺ تحذيرًا شديدًا من إطلاق الكفر على المسلم، وجاء هذا في أحاديث كثيرة في الصحيحين وفي غيرهما من كتب السنن.

النبي ﷺ حذَّر من إطلاق الكفر على المسلم بغير حق، مما قال: (**من قال لأخيه يا كافر أو يا عدو الله، فإن كان كما قال وإلا حارت عليه**)(١)، وفي حديث آخر: (**فقد باء به أحدهما**)(٢) والأحاديث في هذا كثيرة.

والأحاديث كثيرة في هذا المعنى، والسبب ظاهر؛ لأن الحكم بخروج المسلم من الإسلام وصيرورته كافرًا معناها شيء كبير جدًا! خلاص انتهى! معناها: إلغاء عقد الأخوَّة بيننا وبينه، معناها الحكم عليه بأنه من الكافرين في الوعيد -والعياذ بالله- ومستحق للنار، ومعناها أيضًا في أحكام الدنيا تترتب عليه أحكام كثيرة، أنه يعامَل معاملة الكافر في سائر الأمور، أنه يستحق القتل دمه حلال، وماله حلال، وأنه لا يُدفن في مقابر المسلمين إذا مات ولا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلى عليه، وأنه تَبِين منه زوجته وتُطلَّق ويُحكم بالتفريق بينها وبينه، وأنه لا يرث المسلمين ولا يرثونه.. أحكام كثيرة تترتب عليه وهي أحكام عظيمة سواء في الدنيا وأعظم منها المتعلقة بأحكام الآخرة، واعتقادنا نحن نحوه؛ فلهذا السبب فهو حكمٌ كبير وخطير ولا بد من التثبت فيه غاية التثبت، والاحتياط غاية الاحتياط.

أحد الحاضرين: المهندسين والـ...

هذا يختلف، لا بد فيه من التفصيل، لا يستعجل الإنسان ويتثبت، يعني نحن نقول إذا كفرت الحكومة، مثل الآن حكومة مرتدة كافرة وخرجَت لعدة أسباب: لأنها لا تحكم بالشريعة، تحكم بالقانون الوضعي وقانون خلاف للإسلام، ولأنها موالية لكفار موالاة كاملة أعلى درجات الموالاة

---

(١) الأدب المفرد (٤٣٣) وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد (٥٩١٤) وصححه الأرنؤوط.

وتحارب الإسلام والمسلمين، تقف في صف الكفار الصليبيين وتحالفهم وتواليهم ويدها في يدهم، وتعاونهم أشد المعاونة على قتال المسلمين ودولة الإسلام والمجاهدين في سبيل الله، وغيرها من أسباب الكفر، حتى أسباب أخرى فكرية وعقدية وغيرها الموجودة فيهم، فهي حكومة مرتدة بلا شك، حكومة باكستان مرتدة مية في المية هذه ما عندنا فيها شك، والعلماء الذين يقولون ليست مرتدة ويعتبرونها حكومة إسلامية عندنا هذا كله ضلال وكله هذا كلام فاضي وكلها أهواء فقط لا غير، ما عندهم دليل ولا شيء.

لكن نقول لا يجوز العمل معهم -مع هذه الحكومة- لأن العمل معها هو تقويةٌ لها، ونصرٌ لها وتمكين لها وإمداد لها؛ فلا يجوز العمل معها في أي وزارة أو في أي شيء، لا يجوز العمل معها.

لكن الذي يعمل معها، ما حكمه؟ هذا يختلف، وليس فيه حكم عام ويحتاج إلى تفصيل، ولا بد أن نتحلى فيه بكامل وغاية الاحتياط ونفصل تفصيل في كل مسألة على حده نفصل ونقول -مثلًا-: بعضه قد يكفر، في بعض الحالات يكون كفرًا ويكفر صاحبه، وبعض الحالات يكون معصية فقط، فالآن ما نستطيع أن نجيب إجابة عامة؛ لأن كل المسائل تحتاج إلى نظرٍ مخصوص.

و-إن شاء الله- في فرص أخرى ممكن نتكلم أكثر ولكن الآن نحن نتكلم في الأحكام النظرية، هو النظر والتفصيل بناء على ماذا؟ عندما نقول لا بد من التفصيل في كل حالة، بناءً على ماذا نفصل؟ بناءً على قوة ظهور واتضاح وقوفه مع هذه الحكومة ومعاونته لها ومناصرته لها وقيامه معها وكينونته معها.

فالعسكري الذي يقاتل من أجل الحكومة، هذا معها، هذا جندي من جنودها وعون من أعوانها، ومناصر من مناصريها في أعلى الدرجات، أو الاستخبارات -مثلًا-، وكذلك الوزير ومعاونوه ومستشاروه الذين تقوم بهم الدولة -لا تقوم إلا بهم- فهؤلاء كفار، أو أعضاء البرلمان المشرعون من دون الله الذين تكلمنا عليهم، هؤلاء كفار فنستطيع أن نقول في هذه الطوائف هؤلاء كفار.

لماذا؟ لقوة ظهور واتضاح موالاتهم للحكومة ومناصرتهم ومعاونتهم لها، وكونهم معها وأنهم معها في هذا الكفر، وأنها بهم تقوم، معها في هذا الكفر الذي منه ومن جملته أنها تظاهر الكفار الأصليين النصارى الصليبيين الغازين الصائلين، الغازين لأرضنا، المعتدين علينا، المحاربين لدين الله ولأولياء الله.

فهذا لقوة ظهور كينونتهم مع الدولة وولائهم لها وتقويتهم ومناصرتهم لها نستطيع أن نكفرهم، لكن -مثلًا- الدكتور يشتغل في وزارة الصحة، ما نستطيع نكفره؛ لأنه وإن كان في الجملة هو يحصل من عمله في الدولة تقوية للدولة؛ لأن الدولة لو ترك المدرسون كلهم نظام التعليم يسقط، الأطباء

والدكاترة وكل الفنيين والعاملين، والملازمين في قطاع الصحة يتركون العمل يسقط قطاع الصحة، والتجارة والصناعة والري والزراعة وغيرها لو كلهم تركوا الدولة تسقط في خمسة أيام! الدولة ما تستطيع تبقى، فهم في الحقيقة يحصل من عملهم مع الدولة -مع الحكومة- قيامٌ للدولة، وتقويةٌ للدولة.. لكن هذا الحصول هو لازمُ فعلهم وهم لم يقصدوا ذلك ولا يريدونه ربما، ربما تجد دكتور ما يريدهم ولا يحب الدولة بل يعارضها أو مدرس معلم أو تاجر يعارضها ولا يحبها ويتمنى زوالها، وربما يكون مجاهدًا أحيانًا ولكنه يعمل، لماذا؟ لحاجته للعمل ولحاجة الناس لوجود دكتور أيضًا.

لكن حصل من عمله ولزِم منه -فهذا لازمٌ- تقويةٌ للدولة؛ فنحن لا نكفر هؤلاء؛ لأنهم لم يريدوا تقوية الدولة بشكل مباشر وبشكل مقصود، لم يقصدوا تقوية الدولة وإقامتها وتثبيتها وتمكينها ونصرتها ومعونتها، لكن حصل هذا من عملهم بطريق اللازم، فنحن لا نكفّر هؤلاء وأمثالهم فقس عليه.

لكن الذي عمله بشكل مباشر ومقصود، تقوية الدولة وإقامتها وتمكينها وهو الذي يعاونها، وهو عونها وجنديها أصلًا به تقوم هؤلاء عندنا أنهم يكفرون، والله أعلم.

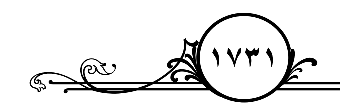
نتكلم الآن في قاعدة مهمة في هذا الباب:

قاعدة في التفريق بين الكفر المطلق وبين تكفير الشخص المعين -فلان-:

هناك فرقٌ بين كلامنا في الكفر المطلق الذي هو الحكم على الفعل أو القول أو الاعتقاد بأنه كفر، وبين انطباق الكفر على شخص معين والحكم بأنه قد كفر فعلًا وخرج من دائرة الإسلام، يعني هما مسألتان؛ هذه مسألة نتكلم فيها بدليلها، وهذه مسألة نتكلم فيها بدليلها.

نقول: كل فعل أو قول أو اعتقاد ثبت بالدليل الشرعي، بالشريعة، بالفقه، بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وما في معناه -معنى الكتاب والسنة-، ثبت بالدليل الشرعي كونه كفرًا نقول أنه كفر، هذا الفعل كفر، هذا القول كفر، اعتقاد كذا كفر، وهذه المسائل كثير منها يتكلم فيها الفقهاء في الكتب، أو نقول أن أكثر المسائل التي يذكرها الفقهاء في كتب الردة هي من هذا الباب: «باب الكفر المطلق».

من باب تعليم الناس الأشياء التي هي كفر؛ حتى يحذروها، لكن الحكم على الشخص المعين إذا فعل أو قال أو اعتقد ما هو كفر لا بد أن ننظر نظرًا آخر، ما هو هذا النظر؟ النظر هنا؛ هل هذا الشخص المعين الذي فعل الكفر أو قال الكفر أو اعتقد الكفر له عذر أو لا؟ هل هو معذور أو غير



معذور؟ إن كان معذورًا فلا نحكم عليه بالكفر وإن كان غير معذور فقد كفر وخرج من الإسلام ونقول: هو كافر.

مثال: المصحف؛ تمزيقه والدوس عليه هذا كفر بالإجماع، عند جميع المسلمين هذا كفر مقطوع به، إهانة القرآن، وتوهينه -والعياذ بالله، نسأل الله العافية والسلامة-.

هذا كفر، أنا خرجتُ الآن رأيتُ -والعياذ بالله- رجل يمزق المصحف ويعفس عليه، مصحف أمامي! هذا الفعل كفر، الكفر المطلق، لكن هذا الشخص المعين اسمه -مثلًا- سعيد، كافر أو غير كافر؟ ننظر؛ هل هو مجنون؟ ممكن يكون مجنون، صح ولا لا؟ أو ننظر؛ لعل رجل أمسك عليه سلاحًا يقول: افعل -فيكون مُكرَهًا- وإلا أقتلك الآن! فانظر هذا الرجل يُكرِهه فهو مكره.

يعني هذان العذران يُتصوران في هذه المسألة، ولا يُتصور غيرهما في الغالب، اللّهم إلا قد يُتصور أنه في حالة ذهول شديد لكن هذا قليل، أو قد يُتصور أنه لا يعرف أن هذا قرآن وهذا قليل، لكن يُتصور الإكراه ويُتصور الجنون وأنع غير عاقل.

فحينئذٍ لا نحكم عليه بالكفر نقول: هذا مسكين معذور، وما زال مسلمًا لكن فعله كفر، لكن هذا الرجل فعل هذا الفعل المكفر وهو معذور مسكين فَعله عن عذر مجنون لا يعقل، أو هو مكره شخص يقول له افعل وإلا قتلتك الآن ضربتك بالرصاص، شخص جبار مجرم وقادر على تنفيذ التهديد يقول له: افعل وإلا قتلتك، هذا معنى النظر الآخر الذي لا بد منه في الشخص المعين.

طيب؛ كيف يظهر الفرق؟ لنفرض أنني خرجتُ ووجدتُ هذا الرجل يمزق المصحف ويعفس عليه فأخذتني الغيرة فمسكتُ السلاح وقتلته في الحال وأنا لا أعرف هل له عذر أو ليس له عذر؟ أنا لم أنظر، وقتلته، فهنا يظهر أثر المسألة أو أثر النظر هذا.

بعد ذلك جاءني أهله قالوا: لماذا قتلتَ هذا المسكين؟َ مجنون معروف والناس كلهم شهدوا أنه مجنون.. فأنا قتلتُ رجلًا مجنونًا معذورًا في هذه الحالة وكان يجب علي أن أتثبت، فحينئذٍ هذا الرجل مجنون مسكين ندفنه في مقابر المسلمين ونغسله ونكفنه ونصلي عليه؛ لأنه مسكين محكوم بإسلامه لأنه كان مسلمًا أو وُلد مسلمًا من أبوين مسلمين، سواء كان مجنونًا من البداية أو جُنَّ في عمره، لعله كان رجلًا صالحًا ثم جُنَّ المسكين ولا يعرف شيئا.

فهذا محكومٌ بإسلامه، هذا من مجانين المسلمين فلا نحكم عليه بالكفر وإنما نستمر في الحكم عليه بالإسلام ونعامله معاملة المسلم، ونرجو له النجاة والفعل الذي فعله الكفر هو معذورٌ فيه؛ للجنون ولفقد العقل، هذا أثر هذا النظر، فمع أنه فعل الكفر لكننا نحكم بإسلامه.

القاتل في هذه الحالة -الله أعلم- طبعًا هذا القضاء ينظر فيها، لكن الله أعلم على العموم أنه لا يُقتل به، ولكنه أساء فممكن أن يُعزر ويؤدب، وكان ينبغي عليه أن يتثبت ويسأل ويترك حكم القتل للقضاء أو للسلطة المسلمة، ولولي الأمر المسلم، لكنه تسرع فينبغي أن يُعاقَب ويعزَّر ويؤدَّب ولكن لا يُقتل به؛ لأنه قتله من أجل الغيرة للدين ورأى الكفر الواضح الصريح أمامه؛ الكفر الذي لا يُختلف فيه فلا يُقتل به.

نضرب أمثلة أخرى، مثال: البرلمانات، نحن تكلمنا عن البرلمان وأنه طاغوت؛ لأنه إله من دون الله ينازع الرب ﷻ، ينازع الله ﷻ حكمه وصفته وخاصيته، أنه هو الذي له الخلق والأمر والحكم ولا حكم إلا لله؛ فالبرلمان هذا يحكم من دون الله، ما لم يأذن به الله، يُشرِّع للناس من دون الله وبغير إجازة وبغير إذن من الله، فهذا طاغوت وإله الناس اتخذوه من دون الله.

هذا البرلمان طاغوت، تقرَّر هذا عندنا وهو واضح، لكن جاء رجل من المسلمين، شيخ من الشيوخ، عالم من العلماء أو مفكر وداعية وأستاذ كما يحصل الآن، ودخل في البرلمان ويشارك في البرلمان مع أعضاء البرلمان وأهله في التصويت على المسائل وفي هذه التشريعات! فهذا الرجل قلنا له: المسألة كذا وكذا وهذا البرلمان إله من دون الله وهذا طاغوت وهذا تشريع من دون الله وهذا كذا وكذا، فيقول: أنا أعرف هذا ولكنني أريد أن أقلل الشر وأُسمع كلمة الحق وأدفع ما استطعتُ، وأقلل من الفساد ولعلي أفيد المسلمين وأنفعهم، وأجرُّ البرلمان ونحاول نستصدر قوانين تطابق الشريعة وتخفف من الفساد، أو سأحاول من خلاله أن أجعل البرلمان يخضع للدين.. يتأول هذه الأشياء!

فهل هذا العذر مقبول أو لا؟ وماذا يسمي العلماء هذا العذر؟ العلماء يسمون هذا العذر عذر التأويل، لكن هل يصح هذا العذر أو لا يصح؟ هل نعتبره عذرًا أو لا؟

هذه المسألة يختلف فيها العلماء، والفقيه يحكم فيها؛ قد يختلف الحكم من فقيه إلى فقيه ومن مفتٍ إلى مفتٍ، من ظهر له صدق هذا الرجل في تأويله وأنه بالفعل متأول مغلب للخير، ومريد للحق وللصواب لكنه تأول وفهم أن هذا جائز وكذا وكذا، فعمله فيظهر له عذره بهذا.

ومن ظهر له أن هذا التأويل بعيد وفاسد ويوشك أن يكون تلاعبًا وجريًا مع الهوى فلا يعذره، فهذا يختلف من حالة إلى حالة.. التأويل واعتباره من عدمه مبني على هذا النظر.

وهكذا سائر الأمثلة؛ مثل مسألة المجبورية: شخص يفعل الكفر، يُقاتل مع المرتدين عسكري جندي من جنود «سارباز» من جنود الدولة الكافرة المرتدة، في أفغانستان، أو في باكستان أو غيرها.

فلنأخذ مثلا أفغانستان: رجل في جيش «كرزاي» ويقول: أنا مجبور من أجل العيال وما في فلوس ما في عمل أحتاج أعمل في الجيش، هل هذا العذر مقبول أو لا؟ عذره غير مقبول، وهذا واضح جدًا؛ لأن هذا يستطيع أن يذهب ويحتطب يستطيع أن يذهب ويعمل حمالًا في السوق، يستطيع أن يعمل زبال، أي شيء.

يستطيع أن يعيش، ولم ولن يصل هذا لدرجة الموت حتى يفعل الكفر وعنده أعمال كثيرة، يستطيع أن يهاجر ويأتي مع المجاهدين، ويستطيع أن يتلصص على الكفار، ولو ذهب يتلصص على الحكومة الكافرة ويسرق منها ويأخذ منها المال الذي أحله الله كان أفضل حتى لو تعرض للقتل فيكون شهيدًا؛ فليس له وجه أبدًا في العذر، وأمثال هؤلاء يتحججون بالدنيا وبالمال وبالمعاش والصبيان وكذا، فنقول أن أكثر الأعذار المجبورية هذه غير مقبولة.

الآن الحكومة الباكستانية -مثلًا- تقول: نحن مجبورين، لا بد نقف مع الأمريكان؛ لأننا إن لم نقف مع أمريكا ولم نطعها ولم نتحالف معها ولا نكون في صفها؛ فأمريكا ستضربنا وهذا عذر، نحن مجبورين فلا بد نقف مع أمريكا، نحارب دولة طالبان والإمارة الإسلامية أفغانستان وكذا وهؤلاء القاعدة والإرهابيين.. فهل هذا العذر مقبول منهم؟ «برويز مشرَّف» كان يقول هذا، وأصحابه وأهل ملته يقولون هذا، فهل هذا مقبول؟ ما رأيكم أنتم؟

واضح أنه ليس عذر، هذا مجرد تلاعب فقط، بدليل أن الذي يعتذر بعذر لا بد أن يكون صادقًا في الاعتذار؛ فهم غير صادقين في اعتذارهم بهذا العذر، هذا مهم بالنسبة للفقيه بحيث ينظر إلى حال الذي يأتيه.

فما يأتي رجل ويقول أنا والله كذا وكذا وهو يتلاعب وأنا أعرف أنه يتلاعب.. هذا ما يلعب علي! الفقيه يجب أن يكون ذكيًا فطنًا، لا بد أن يعرف صدق المعتذر في هذا الاعتذار، أنه صادقٌ في دعواه فهم يتلاعبون وليسوا صادقين، لو كانوا صادقين كانوا يطبقوا الشريعة، ويلتزموا بدين الله أصلًا.

لو كانوا هم يطبقون الدين والشريعة ويحكمون بما أنزل الله ﷻ وينصرون الإسلام ويقضون على الفسق والفجور، والكفر الموجود في البلد أنواع الكفر الكثيرة، من سبِّ الله ﷻ والعلمانية والفساد والأفكار الكافرة والثقافات الكافرة الفاسدة وغيرها وكانوا ملتزمين بالدين وبعد ذلك جاءهم عدو فخافوا منه؛ فقالوا: لا بد أن نفعل كذا حتى ما يغلبنا العدو، وما يضربنا، وما يدمر دولتنا، كان ممكنا أن ينظر الإنسان حينئذٍ في عذرهم، أمَّا وهذا حالهم، كيف ننظر في عذرهم أصلًا؟ هذا كله مجرد لعب.

كان يخبئ المجاهدين، يقول امشِ امشِ ونحن نتظاهر أمام الأمريكان -مثلًا-، وكان يساعد قليلًا

بالسر وكان يُعرف حاله، لكن هؤلاء هم أصلًا مجتهدون في خدمة أمريكا وهم أصلًا كفار بأنفسهم قبل أن يكفروا بمحالفتهم وموالاتهم أمريكا؛ فلا قبول لعذرهم، هذا كله مجرد تلاعب هذا لا اعتبار له أصلًا.

إذا كان هذا الرجل يدافع عن اجتهاد ويظن أنهم ليسوا مرتدين وهم معذورون أو متأولون، يدافع عنهم في إخراجهم من الكفر، يحاول أن يعتذر عنهم في فعلهم هذا بحيث ينفي عنهم الكفر، وكان قصده صحيحًا يجادل عن علم، فهذا اجتهاد منه ما ينبغي تكفيره لا يُكفَّر بهذا، وهو مخطئ في تكفيره عليه أن يستغفر الله فقط إذا كان هكذا.

أما إذا عُلم أنه إنما يدافع عنهم بالباطل وبمجرد الهوى بغض النظر عن العلم ولا يعرف العلم ولا الدين فقط نصرة لهم لمجرد النصرة ومحبةً لهم وموالاة لهم، فهو مثلهم فهو مصيبٌ فيه -نسأل الله العافية السلامة، لا حول ولا قوة إلا بالله-، يُخشى عليه الكفر -والله أعلم- قد يكون منهم ومثلهم أو أشد منهم، الحكم عليه من جهة الكفر أو الإسلام يحتاج إلى تدقيق أكثر، ولكن لا شك أن هذا خطر عظيم وأنه محسوب من جملتهم في أحكام الحرب، هذا الذي نكتفي به، لكن يُخشى عليه الكفر أنه يكون كافرًا، لكن الحكم الكامل يحتاج إلى نظر أكثر وتدقيق أكثر في حاله وهكذا، وهل له عذر أو لا؟ أو لعله فهم فهمًا خطأ.. إلخ.

معذورٌ -مثلًا- باتباعه لبعض فتاوى أهل العلم عندهم وظن أن الجيش جيشٌ جيد وجيشٌ إسلامي، قد يكون شيء من هذا؛ في أحكام الحرب هذا محسوب منهم ما دام هو يساعدهم ويعاونهم ويدعو لهم، محكومٌ بأنه من جملتهم، المجاهدين أن يقاتلوا ويقتلوا أمثال هؤلاء إذا رأوا أن في قتله مصلحةً.

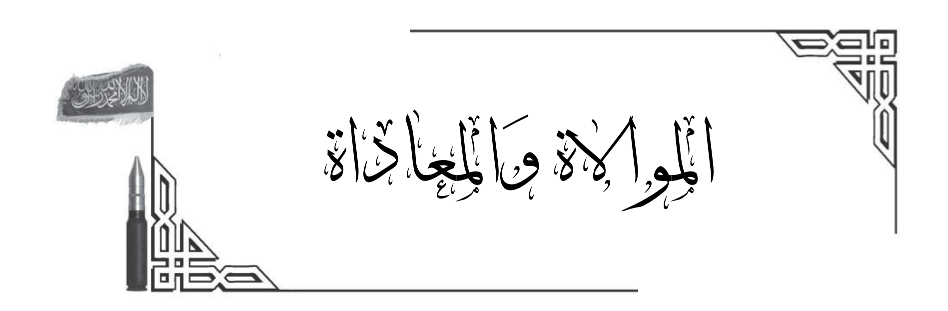
أحد الحاضرين: إذا حُسب منهم قد قُتل يعني!

لا لا، أحكام القتل والقتال تختلف، لكن قد نقتل من لا نحكم بكفره؛ لكونه منهم.

يعني إذا كان هذا من أجل هذه المصلحة فقط ويتفاهم مع المجاهدين ويقول لهم: لا ترموا الصواريخ من هنا اذهبوا هناك عند الجبل وارموها هذا من جملة المسلمين، يتفاهم مع المسلمين، لكن إذا كان...، يتغير الحال، هو في البداية يبدأ هكذا ثم يتطور، يمنع المجاهدين من الجهاد لا من قريته ولا من غيرها، وقد يكون قصده منع المجاهدين أصلًا هذا يمنع من قرب قريته وهذا يمنع من قرب قريته، فيمنعوا المجاهدين، بعضهم قد يكون مرادهم منع المجاهدين من الجهاد وإبطال الجهاد والصد

عن الجهاد وقد يتطورون في مرحلة أخرى ليكونوا مع الدولة بعد ذلك ويدخلوا في حرب مع المجاهدين؛ فهذه مسألة خطيرة جدًا وينبغي إذا كان صادقًا عليه أن يتفاهم مع المجاهدين ويفعلوا ما هو خير، وقد يكون في مرحلة من المراحل مثل الحكومة بالضبط؛ حكمه حكمها.

جزاكم الله خيرًا، سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



[محاضرة صوتية، ضمن «دورة الأنصار الشرعية»، **مدتها** ثلاثة وأربعون دقيقة، **نشرها:** بعض المجاهدين، **وقام بتفريغها**[1] «مؤسسة التحايا للإعلام»، **نُشرت** مطلع عام ١٤٣٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

نريد أن نتحدث الآن في هذه الحلقة عن موضوع آخر مهم، وله تعلق بمسألة الكفر والإيمان والردة، وما تحدثنا عنه سابقًا من التوحيد وضده وهو موضوع «**الموالاة والمعاداة**»، وقد يعبرون عنه بـ«**الولاء والبراء**»، هو تعبير عن شيء واحد.

معلوم أن الله ﷻ خلقنا من أجل عبادته وحده لا شريك له وأوجدنا في دار الدنيا، دار العبادة؛ لكي نعبده، ابتلانا وامتحننا بهذه العبادة وما فيها من الامتحانات، هل ننجح في عبادته وطاعته ونسير على صراطه المستقيم أو لا ننجح -أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الناجحين-.

ومن رحمته ﷻ ولطفه أنه أرسل لنا الرسل وأنزل لنا الكتب يُعرِّفوننا بالله ﷻ ويبينون لنا مراد الله كيف نعبده، أَمْرُ الله لنا بعبادته وحده لا شريك له، وكيف نعبده؟ تفاصيل العبادة الأوامر والنواهي والتكليفات، فبلَّغ الرسل -جزاهم الله عنا خير الجزاء- الأمانة، وأدوا الرسالة، صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وعندما أرسل الله ﷻ الرسل افترق الناس واختلفوا كما قال الله ﷻ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة] لما أنزل الله الرسل كما قال الله ﷻ في الآية

---

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغييرَ كثير من الكلمات العامية واستبدالها بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريدها الشيخ ﷺ.

الأخرى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] والمفسرون لهم قولان: أمةً واحدة على الكفر، أم أمةً واحدة على التوحيد؟ والأصح هو الذي ثبت عن ابن عباس في تفسيرها أنها «أمةً واحدة على التوحيد؛ كان الناس أمة واحدة من لدن آدم على التوحيد إلى أن وقع الكفر والشرك في قوم نوح»(١) كما حكاه الله ﷻ وأشار إليه في القرآن، وقع الشرك وعبدوا الأصنام.

طريقة عبادتهم الأصنام معروفه؛ صوروا لصالحيهم صورًا وتماثيل بإيحاء الشيطان، وقال لهم: هؤلاء الصالحون يجب أن تعظموهم؛ فأوحى إليهم الشيطان أن عَظِّموهم وصوروا لهم الصور واجعلوا لهم التماثيل؛ حتى تتذكروهم وتتذكروا نصائحهم ومواعظهم وتتذكروا ما كانوا عليه من السيرة الخيرة ونحو ذلك؛ فيزيدكم هذا صلاحًا، الشيطان دخل عليهم من هذا الباب فصوروا تلك الصور وصنعوا تلك التماثيل.

فالجيل الأول كان يعرف، وربما الثاني والثالث، ثم لما طال الأمد فنُسي العلم كما قال ابن عباس، فعبدوهم من دون الله وهم الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة نوح في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح] خمسة: وَد -أو وُد في القراءة الأخرى(٢)- وسواع ويغوث ويعوق ونسر، كانوا من الصالحين من قوم نوح، ثم صور لهم قومهم تماثيل وهكذا، ثم عُبِدوا بعد ذلك، عُبدوا لما نُسي العلم فوقع الشرك والكفر.

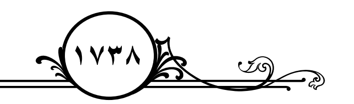
هذا معنى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي على التوحيد؛ ففي الكلام حذف، ثم وقع الشرك في الأمة، وفي البشرية والناس، ووقع الكفر.

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، مبشرين بالثواب لم أطاع الله وبالخير، ومنذرين سخط الله وغضبه وعذابه لمن كفر وعصى وأشرك ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية؛ فالمقصود أن الناس لما بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، الناس افترقوا كما قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥) روى الطبري بإسناده إلى ابن عباس ﷺ قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق؛ فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: كان الناس أمةً واحدةً فاختلفوا».

(٢) يقرأها جميع القراء بالفتح ﴿وَدًّا﴾، ما عدا نافع وأبي جعفر فبضم الواو. انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشرة المتواترة (ص ٣٢٩).



مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة]؛ فأفادت هذه الآية الكريمة أن الناس اختلفوا بين مؤمن وكافر بعد بعثة الرسل، الذين اتبعوا الرسل وصدقوهم وآمنوا بهم واتبعوهم وأطاعوا الله ﷻ؛ هؤلاء هم المؤمنون الذين عبدوا الله وحده لا شريك له.

والذين صدوا عن دعوة الرسل وكفروا بها واستهزأوا بها ورفضوها وأبَوْها ولم يتبعوها، واتبعوا أهواءهم، هم الكفار الذين لم يعبدوا الله ﷻ أو عبدوا الله وعبدوا معه غيره ولكنهم لم يعبدوه وحده؛ لأن العبادة المعتبرة عند الله ﷻ هي عبادته وحده لا شريك له وما سواها لو شخص عبَد الله وعبد غيره كأنه لم يعبد الله، فهو في الحقيقة لم يعبد الله؛ لأن عبادته الجزء الذي صرفه لله غير معتبر شرعًا عند الله، إنما المعتبر هو التوحيد؛ عبادة الله وحده لا شريك له.

فانقسم الناس إلى مؤمن وإلى كافر، ثم حصل الاقتتال بينهم قال الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فأفادت الآية أن اقتتال المؤمنين والكافرين مراد لله ﷻ، مقصود يريده الله، وهذا بينته آيات أخرى كثيرة، بينت الآيات أن الله فَتَن الخلق بعضهم ببعض، وسلط بعضهم على بعض اختبارًا للطرفين لهذا ولهذا، اختبارًا وامتحانًا وفتنةً لهم ولمقاصد أخرى منها أن يختار الله ﷻ أولياءه وأصفياءه وأحبابه ويختار الشهداء، ويختار الذين يختارونه ويفضلونه ويوالونه ويحبونه ويقدمون محابه على كل شيء، يختارهم الله ﷻ ويرفع درجاتهم فهذا مقصود لله ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال الله ﷻ في سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾﴾؛ فالله ﷻ سلط الناس بعضهم على بعض وفتن بعضهم ببعض؛ لأمر مقصود يريده الله ﷻ، إرادة إلهية ربانية سامية عظيمة شريفة، مطهرة مقدسة، الله ﷻ يريد هذا الشيء، ومن أجله بعث الرسل ومن أجله كلفنا بهذه التكليفات؛ حتى يختار الله ﷻ أولياءَه وحتى تحصل المقاصد التي أشرنا إلى بعضها.

قال الله ﷻ في مطلع سورة محمد ﷺ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي نحو ذلك البيان؛ فيبين الله هنا صفات المؤمنين ومَثلهم، وصفات الكافرين ومَثلهم؛

فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أمر بضرب رقابهم وقتالهم وجهادهم؛ فـ﴿ضرب﴾ أمر بصيغة المصدر النائب عن فعله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾أكثرتم فيهم القتل والجراح ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾أسرًا ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍ﴾ هذا محل الشاهد، والمقدمة الأولى قبلها مهمة، لكن محل الشاهد هو: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍ﴾ بعضكم أنتم الخلق ببعض، بعضكم المؤمن ببعضكم الكافر.

لو شاء الله لانتصر من الكافرين، الله يستطيع ويقدر وهو على كل شيء قدير ﷻ، يستطيع أن يفنيهم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ولكن إنما جعلهم موجودين، وابتلانا بهم وسلطنا عليهم كما سلطهم هم علينا، ابتلاءً منه ﷻ لنا نحن ولهم هم الكفار.

فهذه الآيات فيها بيان لهذا المعنى الذي ذكرناه وتكلمنا عليه، وليت الإخوة يتدبرونه في كتب التفسير حتى يفهموه جيدًا[(١)].

نستطيع أن نسجل بعض النقاط حتى يرتب الإخوة معلوماتهم: ببعثة الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- انقسم الناس إلى فريقين: مؤمنين وكفار، وسلط الله بعضهم على بعض، نستطيع نقول: ابتلى بعضهم ببعض ابتلاءً من الله للفريقين ولحكم عديدة مُرادةٍ لله ﷻ ولله الحجة البالغة والحكمة التامة، مزيد ابتلاء واختبار وامتحان، ومزيد فرصة يعطيهم الله ﷻ؛ لعل بعضهم يرجع وينتبه قبل أن يدركه الموت وقبل أن يأتيه اليقين، هذا ابتلاء لهم، الآن هؤلاء الأمريكان مسلطون علينا، هذا ابتلاء لهم هم، الله ﷻ يبتليهم، يعني يختبرهم، مزيد اختبار ومزيد امتحان ومزيد فتنة.

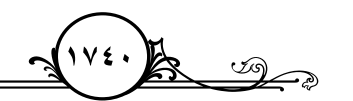
ولطف أيضًا منه أنه يعطيهم مزيد فرصة؛ لعلهم يتدبرون لعلهم يتفكرون لعلهم يرجعون.

ثم إن الله ﷻ يقيم عليهم الحجة بأنفسهم، ويُعذِر إليهم كل الإعذار وتظهر آثار أسمائه الحسنى ﷻ وصفاته العليا في أنه ﷻ صبّارٌ صبور حليمٌ، واسم «الحليم» لله ﷻ فلم يعاجلهم بالعقوبة، ولكن أعطاهم الفرصة تلو الفرصة.

فهو ابتلاء للجميع؛ فوقع الصراع بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، الصراع: الحرب والقتال

---

(١) قال الشيخ السعدي ؒ: «﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام بينهم، وانتصار بعضهم على بعض ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فإنه تعالى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا، حتى يبيد المسلمون خضراءهم، ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة، لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة، فإنه إيمان ضعيف جدا، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا».
اهـ، انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٧٨٤).



بين الحق والباطل؛ لأن هذين الفريقين -المؤمنين والكفار- لا يمكن أن يصطلحا أو لا يمكن أن يتحابا أو يتواليا؛ لا بد أن يكونا عدوين بعضهم لبعض عدو، لا يمكن أن يكون الفريقين متحابين، ومتعايشين، ومتصالحين طول الوقت!

الصلح المؤقت قد يكون وجاءت به الشريعة، لكن الصلح المستديم على طول متصالحين متعايشين متحابين متوالين متوادين لا يمكن! لا يمكن أصلًا بمقتضى هذا الانقسام وبمقتضى هذا الإيمان وهذا الكفر، لا يمكن ذلك! والله يريد ذلك ويأمر به؛ فلا بد أن يكونا عدوين متصارعين متحاربين؛ هذا مطلوب لله ﷻ مراد لله ﷻ مقصود لله ﷻ، يحبه الله أن نكون نحن معادين لهم، لكن لا يحب أنهم يعادوننا طبعًا، بل هذا مكروه لله مبغوض لله لكنه واقع بقدَر الله فهنا اختلف الكون، الوجود الكوني أو الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية، لكن في حقنا نحن؛ كوننا نكرههم ونعاديهم ونحاربهم، هذا يريده الله ويحبه الله يريده إرادة كونية، وأوجده، ويريده إرادة شرعية التي مبناها على المحبة وأَمَر به، ولأن فيه مصالح كثيرة، وهذا هو شرط صلاح الأرض، ومن عليها من البشر قال الله ﷻ: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] بينت هذه الآية أن من حكمة الله ﷻ ومما يريده الله ﷻ أن يحصل التدافع الذي به صلاح الأرض؛ لأنه لولا أن المؤمنين يدفع الله ﷻ بهم الكافرين وكفرهم وطغيانهم وظلمهم؛ لفسدت الأرض.

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ لولا حصول هذا الصراع واندفاع كثير من الشر بالخير، وبالجهاد وبالقتال، وبهذه الحرب وبهذا الصراع والتدافع لفسدت الأرض.

كيف تفسد الأرض؟ تفسد بسيطرة الكفار، وأعظم فساد هو سيطرة الكفار على الأرض إذا سيطر الكافر على الأرض وتحكم فيها -نعوذ بالله- فيقع الفساد العظيم؛ الكفر والشرك والفسق والفجور ومعاصي الله ﷻ، وسيطرة الشياطين، ودعوة الشيطان، ومحاب الشيطان وأهواء النفوس، سيطرة الكفار على الأرض هو أعظم فساد ما في فساد أكبر من هذا.

يتبين لنا من هذا أن ولاء المؤمنين لله ﷻ ودينه ولرسله، والمؤمنين بعضهم لبعض، أن هذا الولاء مطلوب لله، مقصود لله، مراد لله، الله يأمرنا به وأنه لا بد منه بمقتضى الإيمان والكفر، بمقتضى أننا عبيد لله.

فالعبادة لله وحده لا شريك له، التوحيد، الإيمان، الإسلام لله ﷻ يقتضي ويستلزم بذاته استلزامًا واقتضاء قريبًا جدًا بينًا -يُسمُّوا فيه «اللزوم البيِّن» أو «اللزوم القريب» هذا في المنطق- يقتضي أن يوالي

المؤمنون الله ﷻ ورسوله ودينه والمؤمنين، وأن يبرؤوا ويعادوا الكفر والكفار وكل ما يتعلق بهم، يعني وما ينتج عن الكفر من المعاصي والفجور والعصيان والتمرد على الله ﷻ والشيطان وحزبه، ومن قاربهم وكان منهم، فهما فريقان.

يعني العبودية لله ﷻ، والإسلام لله ﷻ، والتوحيد، والإيمان يقتضي هذا، ويستلزم استلزامًا بيّنًا قريبًا أنه لا بد أن يكون المؤمنون أولياء لله ﷻ ولرسوله ودينه وللمؤمنين، وأن يكونوا بُرآءُ، يبرؤون ويتباعدون ويتجافون، ويعادون ويبغضون الكفّار والكفر والشيطان وحزبه وكل ما تعلق به.

نستطيع نلخصها فنقول: الإسلام والإيمان والتوحيد وهو العبودية لله وحده لا شريك له هذا كله يقتضي ويستلزم من المؤمنين أن يوالوا الله ورسله ودينه والمؤمنين وأولياءه المؤمنين، وأن يعادوا وأن يبرؤوا ويعادوا أعداء الله الذين هم الكفار وكفرهم.

فمن هنا نستطيع أن نقول أن الولاء والبراء والموالاة والمعاداة هذه هي مقتضى عبادة الله ﷻ، مقتضى التوحيد، ومقتضى الإسلام، ومقتضى الإيمان، يقتضيه لازمٌ له مئة في المئة، لا يمكن أن ينفك عنه؛ فغير ممكن أن يكون الإنسان مسلمًا مؤمنًا موحدًا يعبد الله وحده لا شريك له ويحب الله ويطيعه وفي نفس الوقت يحب الشيطان ويحب الكفر والكفار أو يواليهم ويقاربهم ويعيش معهم حياة مريحة مطمئنة ليس عنده مشكلة معهم!! لا يمكن هذا، وهو غير مُتصوَّر؛ لأن العبودية أصلًا مبناها على المحبة، قال العلماء: العبودية مبناها على المحبة والذل[1]، فلا يكون العابد عابدًا لله ﷻ إلا بمجموع المحبة الكاملة لله ﷻ وأن يذل له، الذلة هي التي مقتضاها الخضوع والخشوع والانقياد لأمر الله ﷻ والطاعة له، العبودية أصلًا مبناها على المحبة والذل، فلا يكون العبد عبدًا إلا بهذا، ولا يمكن أن يحب الله وأن يحب أعداءه هذا غير ممكن.

حتى في المحاب العادية بين الناس، لا يمكن أن تحب شخص وتحب عدوه! هذا لا يمكن، وهو غير مقبول أصلًا، فمعناه أن محبة عدو الذي هو عدوه يعني مناقض ومضاد له من كل وجه.

ولا شك أن عبوديتنا لله ﷻ تقتضي منا أن نحب الله ﷻ ونحب رسله ودينه وأولياءه ومن يكون في صفه، وأن نكره ونبغض، ونعادي كل من يعاديه، لو لم يقل لنا الله هذا، ولو لم يوجبه علينا، لكان هذا واجبًا بمقتضى الإسلام والإيمان والتوحيد والعبودية؛ فكيف وقد جاءت الشريعة بالأمر بموالاة

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له». الفتاوى الكبرى (٥/ ١٥٧).

الله ورسوله وأوليائه، والنهي عن موالاة ومقاربة الكفار والكون معهم كما سنذكره -إن شاء الله-.

ومع هذا زادنا الله ﷻ بيانًا وتوضيحًا، رحمةً منه ولطفًا ﷻ، والله رفيق يحب الرفق والله ودود كريم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وتخفيفًا من الله وتسهيلًا علينا زادنا بيانًا وتوضيحًا، وبيّن لنا في آياته القرآنية وبيّن لنا رسوله ﷺ في أحاديثه الشريفة أنه يجب علينا أن نوالي المؤمنين؛ نوالي الله ﷻ ورسوله ودينه ونكون مع المؤمنين أولياء نحبهم، ونكون معهم وفي صفهم، ونقاربهم ونعاشرهم ونكون مع المؤمنين، نكون مع المؤمنين بعضنا أولياء بعض.

وأن نبغض الكافرين وأن نتبرأ منهم، وأن نجتنبهم وأن نباعدهم ولا نساكنهم ولا نجتمع معهم في سكن، وفي بلد، **(ولا تراءى ناراهما)** قاله النبي ﷺ[1]، ابتعدوا عنهم، حتى نارهم لا تراها من بعيد ولا يرون نارك، باعدهم وتجافَ عنهم واجتنبهم ولا تكُن معهم في أرض ولا تقِم بينهم ولا تخالطهم ولا ولا...

كل هذا مباعدة للكفار، ومجانبة للكفار، وبراءة من الكفار وتبرءًا منهم، ومعاداة لهم وبغضًا لهم، بغّضنا الله فيهم وقال أبغضوهم كيف تحبونهم هؤلاء؟! تبغضونهم لأنهم أعداء الله كفروا بالله وكفروا برسل الله وعصوا الله وتمردوا على طاعة الله ﷻ.. هؤلاء أعداؤكم.

بين لنا هذا في القرآن وفي السنة بيانًا عظيمًا؛ أنه لا بد لنا أن نوالي المؤمنين، ونوالي بعضنا بعض، ولا بد لنا أن نتبرأ من الكفار، وأن نعاديهم وأن نبغضهم ونقاتلهم ونجاهدهم ونحاربهم في ذات الله ﷻ.

هذا في القرآن مُبينٌ بيانًا عظيمًا جدًا من أحسن ما يكون البيان، وممكن نتلوا -إن شاء الله- الآن بعض الآيات في هذا الباب، لكن المقام يطول بذكرها وشرحها وتفسيرها، فنكتفي ببعض الأمثلة.

الله ﷻ أيضًا بغّضنا فيهم وبين لنا أنه يجب علينا أن نبغضهم في آيات كثيرة جدًا؛ لأنهم كفروا بالله وتمردوا على طاعة الله ﷻ فهذا مبين في القرآن أحسن تبيين.

آيات كثيرة فيها التبغيض للكفار: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[آل عمران: ١١٩] هذه كلها تبغيض في الكفار: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة] وغيرها.

---

(١) سنن أبي داود (٢٦٤٥) وصححه الألباني.

ففي القرآن آيات كثيرة تأمر بموالاة المؤمنين وينهانا الله ﷻ فيها عن موالاة الكافرين واتخاذهم أولياء قال الله ﷻ في سورة الممتحنة التي يُعتبر معظمها وجزء كبير منها في هذا الباب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ فكيف تحبونهم! هذا المعنى تحريض على بغضهم ومعاداتهم ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يجدوكم في أي مكان ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ هم يحبون كفركم ويودون أنكم تكفروا بالله.

ثم ضرب لنا مثلًا بإبراهيم قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ صرَّح بذكر العداوة والبغضاء ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ إلا أن تؤمنوا بالله وحده فقط؛ فتزول العداوة والبغضاء، أما قبل ذلك لا ﴿أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

فهذه واضحة جدًا تمام الوضوح، فالقرآن مليءٌ بهذا وفي سورة آل عمران وفي سورة المائدة وفي سورة الأنعام والبقرة، وفي كثير من سور القرآن هذا موضح جدًا، ومبين أحسن بيان.

إذن، نلخص هذا الكلام:

ومع ذلك -يعني مع أن العبودية والإسلام والإيمان والتوحيد تقتضي هذا كما ذكرنا، تقتضي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين وبغضهم- فقد بين الله ﷻ لنا في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ بأوضح بيان وأصرحه، وجوب موالاة المؤمنين، والنهي عن موالاة الكافرين.

ونحن نذكر الآن -إن شاء الله- بعض الآيات التي جاءت في القرآن، أهم الآيات التي فيها التشديد في موالاة الكافرين، تشديد في النهي، والتشديد في حكم من يوالي الكافرين، نذكر أهم الآيات.

نحن ذكرنا آيات سورة الممتحنة، ومثل هذه الآيات كثير في القرآن.

الآن سأذكر أهم ثلاث آيات في سور مختلفة، واحدة في سورة آل عمران، اثنتين في سورة المائدة، هذه أهم ثلاث آيات في حكم موالاة الكافرين.

نحن قلنا أن القرآن نهى عن موالاة الكافرين وأمر بموالاة المؤمنين، وشدد في موالاة الكافرين أنها إثم ومعصية، بل صرح في بعض الآيات بأنها أشد من ذلك كما سنراه في هذه الآيات، فقال الله ﷻ في

سورة آل عمران: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران].

قوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ هذا صورته صورة الخبر، ولكن المراد به الإنشاء، المراد به الأمر، وهو نهي ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لا نافية، لكن هو نهيٌ مباشرةً، فـ﴿لا﴾ هنا ناهية.

أيها المؤمنون، لا تتخذوا، هذا معناها؛ ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ هذا نهي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، هذه تكميل وتوضيح، إنما تتخذ المؤمنين أولياء فقط، ولا تتخذوا الكافرين أولياء.

بعد ذلك قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ والذي يفعل ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ هذا التعبير يستعمل في اللغة العربية للبراءة من الشيء، أو البراءة من الشخص، فيقول -مثلًا-: من فعل كذا فليس مني، فلست منه، فليس منا، فليس مني في شيء، وورد مثله ونظائره في كلام النبي ﷺ في مواضع، كقوله: **(من غشنا فليس منا)**[1]، أنا بريء من كذا.

﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ يعني فإن الله بريء منه، ليس من الله في شيء ولا يقرب الله، ولا يكون منتميًا إلى الله هذا معناه، ثم استثنى بعد ذلك فقال: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ أي إلا حال التقية، إلا أن تكونوا مضطهدين مغلوبين منهم فتتقوا منهم تقاة فتظهروا لهم -في الظاهر- أنكم لا تعادونهم، إرادة أن تتقوهم، حالة الإكراه وحالة التقية مستثناة فقط، أما غيره فلا، هذا هو الحكم الأصلي: النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، ثم إن الآية فيها صراحة أكثر من غيرها في كثير من الآيات أن من يفعل ذلك ويتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فقد برِئ الله منه ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾.

ما معنى هذه البراءة؛ هل هي الكفر؟ ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ معناها أنه خرج من دين الله أصلًا أي أنه كَفَر، أو معناها الفسوق والعصيان، محتمل؛ فالله أعلم بمراده، ولكن هذه الآية من أقوى الآيات المحتملة على كفر الموالي للكافرين، وسنزيد هذا المعنى إيضاحًا -إن شاء الله-، هذه الآية الأولى في سورة آل عمران التي بين الله ﷻ فيها أنه بريء ممن يوالي الكافرين.

الآية الثانية في سورة المائدة قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ

---

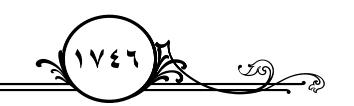
(١) سنن ابن ماجه (٢٢٢٤) بلفظ: (ليس منا من غش)، وصححه الألباني.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة] في هذه الآية يخاطب الله المؤمنين، يناديهم ويخاطبهم فاسمعوا هذا الكلام: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ نهي، ﴿لَا﴾ هذه ناهية، يعني أنهاكم أن تتخذوهم أولياء، لا تفعلوا، هذه جملة تشبه الجملة المعترضة كأنه اعتراض، والجملة المعترضة يراد بها بيان معنى قبل تمام الغرض المساق له الكلام.

فقال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ أي والحال، الشأن أنهم هم اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، هم يوالون بعضهم؛ فأنتم لا تتخذوهم أولياء، ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ ومن يفعل هذا الذي نهيناه عنه ويتخذهم أولياء ويتولهم منكم أنتم أيها المؤمنون المخاطبون؛ من يفعل ذلك منكم فقال جزاؤه أنه منهم، ﴿وَمَن﴾ هذه شرطية وهذا هو جواب الشرط وجزاؤه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.. هذه أصرح آية في كفر الذي يوالي الكفار -اليهود والنصارى هنا- وسائر الكفار مثلهم؛ أنه منهم، ومثلهم؛ محسوب منهم وكافر مثلهم، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذا تذييل فيه وعيد وفيه تهديد، يعني أنكم إذْ ظلمتم وكنتم ظالمين فاعلموا أن الله لا يهديكم فإن الله لا يهدي القوم الظالمين، فهذه فيها تهديد شديد ووعيد بعد هذا النهي وبعد بيان الحكم.

﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ صرح بعض العلماء بأنه منهم يعني: كافر مثلهم، وعلماء آخرين قالوا: فإنه منهم في الإثم، لكن الأصرح والأوضح والذي يُفهم والمتبادر والذي هو أَلْيَق بمعنى الكلام العربي أنه منهم يعني في الكفر، أي أنه كافر مثلهم والله أعلم، هذا أرجح.

الآية الثالثة أيضًا في سورة المائدة، والآية الأخرى بعدها في سورة المائدة كذلك بعدها بقليل في الترتيب وهي قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٨١] قبلها، قبل هذه الآية نتلوا الآيات التي قبلها طويلة، كلها في الموالاة قال الله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة] يعني اليهود، كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عن المنكر ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ اليهود، الله ﷻ يذمهم وينعى عليهم أنهم كانوا يوالون الكافرين ولا يتبرؤون منهم، ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.



هذه جزء من آية وهذا موضعها في سياقها في آيات هذه السورة الكريمة، فيقول الله ﷻ في هذه الآية عن الذين يتخذون الكافرين أولياء من اليهود، والكلام كله في سياق الآيات عن اليهود:

فالله ﷻ يتحدث عن اليهود وينعى عليهم ويذمهم بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وأن كثيرًا منهم كانوا يتولون الذين كفروا، ثم قال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ فلو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوا الكافرين أولياء، معناها أنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله والنبي وما أنزل إليه لأن ﴿لو﴾ هذه حرف شرطٍ، في النحو يقولون ﴿لو﴾ حرف شرط يفيد امتناع لأجل امتناع؛ فامتنع إيمانهم بالله والنبي وما أنزل إليه، هنا لا بد من التأويل طبعًا؛ لأن هذا منفي فيكون التقدير ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه، فامتنع إيمانهم لامتناع عدم اتخاذهم أولياء، لأن هذا منفي، فلا بد أن يُؤَوَّل بالعدم ويُؤَوَّل بالنفي.

فامتنع إيمانهم بالله والنبي وما أنزل إليه لامتناع ولعدم هذا الشيء وهو عدم اتخاذهم الكفار أولياء، فلا بد من تأويل فيها؛ لأن هذا في موضع النفي وإلا ﴿لو﴾ هي هكذا في أصل العربية؛ حرف امتناع لامتناع، تقول: لو جئتني أكرمتك، فامتنع إكرامي لامتناع مجيئك، لكن لوجود حرف النفي هذا فلا بد أن تُؤَوَّل جملته.

المهم والمقصود: أن المعنى أنهم لو كانوا يؤمنون بالله والنبي ما كانوا يتخذون الكافرين أولياء، فدل على أنهم لما اتخذوا الكافرين أولياء ما كانوا مؤمنين.

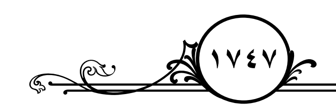
﴿لو﴾ هذه يسمونها حرف امتناع لامتناع، يمتنع جوابها لامتناع شرطها؛ فهنا أحد الجزئين منفي ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ فلا بد من تقديره بالنفي أو العدم فيكون التقدير: امتنع إيمانهم بالله والنبي وما أنزل إليه لامتناع عدم اتخاذهم أولياء.

امتناع العدم هو نفي النفي، فهو إثبات، وهو اتخاذهم الكفار أولياء.

فهذه أصرح وأوضح ثلاث آيات في القرآن في حكم الذي يوالي الكفار: أن الله بريء منه وأنه لا يؤمن وأنه منهم.

ولهذا؛ فإن العلماء استنبطوا من هذه الآيات ومن آيات القرآن عمومًا أن **موالاة الكفار درجات،** أعلاها الكفر وتحتها درجات في الفسوق والعصيان، درجات لا يعلمها إلا الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ صرح في موضع أنه بريء من الذي يوالي الكفار، وصرح في موضع أن الذي يوالي الكفار أنه منهم.

وصرح في موضع أنه لا يؤمن؛ فأخذوا من هذا أن موالاة الكفار فيها درجة تكون بهذه المنزلة



كُفرًا، وهذه الدرجة لا ينبغي أن تكون إلا أعلى الدرجات ولهذا قالوا أن أعلى درجات الموالاة للكفار كفر وهي الدرجة العالية الواضحة جدًا وهي التي سنتكلم عنها الآن، أما الدرجات التي تحت تلك الدرجة فتكون معصية، ويختلف بعضها معصية كبيرة وبعضها معصية صغيرة.

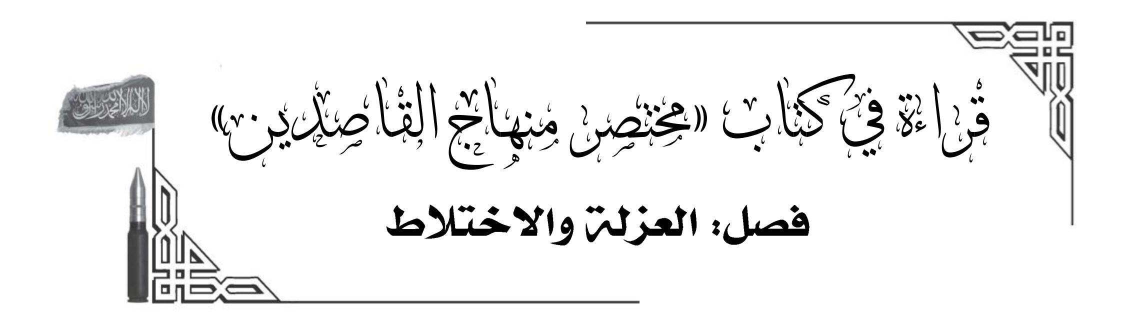
ما هي أعلى مرتبة ودرجة متصورة، يمكن أن نتصورها من مراتب موالاة الكفار؟

قال العلماء: أعلى درجة من درجات موالاة الكفار -أن المسلم يواليهم- هي أن يقاتل معهم المسلمين، وسموا هذه الدرجة: المظاهرة؛ مظاهرة الكفار على المسلمين في الحرب وفي القتال وفي الصراع.. يعني عندما تكون هناك حرب وقتال وصراع وعراك يكون هو في صف الكفار يعاونهم ويساعدهم ويقاتل معهم المسلمين، هذه أعلى الدرجات، هذه الدرجة كفر.

الذي يكون مع الكفار في صفهم وفي جانبهم وفي حدهم وفي ناحيتهم ومعهم على المسلمين، يحارب المسلمين معهم ويعاونهم ويمدهم ويظاهرهم هذه أعلى الدرجات وأوضحها، أوضح درجات الموالاة هذه التي ينطبق عليها أن الله بريء منهم، وأنه منهم وأنه لا يؤمن، هذا غير مؤمن أبدًا، هذا ناقض من نواقض الإسلام -والعياذ بالله، نسأل الله العفو والعافية-.

ودون ذلك مراتب بعضها قد يكون يحتمل الكفر لكن هذا الذي نجزم أنه كفر.

والله أعلم، والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قراءة في كتاب «مختصر منهاج القاصدين»

فصل: العزلة والاختلاط

[محاضرة صوتية: **مدتها** ستة وعشرون دقيقة، **نشرها:** بعض المجاهدين -بشكل غير رسمي-، **وقام بتفريغها**[1] «مؤسسة التحايا للإعلام»، **نُشرت في** مطلع عام ١٤٣٥، والدرس عبارةٌ عن شرح نصي لكلام «المقدسي»، وقد ميزنا كلامه بتغميقه بين «**قوسين**»]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه:

هذا هو كتاب «مختصر منهاج القاصدين»، وأصل الكتاب: «منهاج القاصدين» هو لابن الجوزي حيث اختصر به «إحياء علوم الدين» للغزالي وهذبه، وكتاب ابن قدامة هذا هو اختصار لكتاب ابن جالوزي، وابن قدامة من عائلة الشيخ الإمام الفقيه ابن قدامة صاحب «المغني»[2]، والله أعلم.

---

(١) بما أن هذه المحاضرة غير رسمية وهي موجهة للطلبة في دورة شرعية؛ فقد اقتضى ذلك تغييرَ كثير من الكلمات العامية واستبدالها بأخرى فصيحة مناسبة للسياق؛ مع مراعاة أصل الفكرة التي يريدها الشيخ ﷺ.

(٢) اختلف الناس في مؤلف «مختصر منهاج القاصدين»، وذلك لعدم شهرته إلا في زماننا فلم يذكره المتقدمون في كتبهم، وكذلك لعدم بيان من «ابن قدامة» على مخطوطة الكتاب؛ فاختلف الناس في نسبته على ثلاثة أقسام:

١- فمنهم من نسبه إلى موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠) صاحب المغني، وهذا غلط لأن ترجمة موفق الدين معروفة، ولم يُشر أحد من مترجميه إلى أن له كتابا بهذا الاسم، بل له كتاب اسمه «منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين» وهو مطبوع موضوعه مطابق لعنوانه، وأيضا فاسم «موفق الدين» مخالف تماما للاسم المكتوب على المخطوطة.

٢- ومنهم من نسبه إلى أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي، وهذا الرجل غير معروف وترجمته غير موجودة، ومن ذكر أن هذا اسمه فقد خلط بينه وبين غيره؛ فتكون هذه النسبة خاطئة أيضا.

٣- أن مؤلفه: نجم الدين أبو العباس أحمد بن شيخ الإسلام شمس الدين ابن أبي عمر بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٨٩)، وهذا هو الصحيح، الذي أكده المحققون لهذا الكتاب كمحمد دهمان، وغيره، والله أعلم.

ويتكلم المؤلف الآن في باب «العزلة» وفوائدها وفضلها، وقد سبق وتكلم في مطلع الباب على مذاهب الناس، وأشار إليها إشارات خفيفة، مذاهب الناس -يقصد العلماء- في العزلة والخُلطة، من اختار هذه ومن اختار هذه، يعني من فضَّل هذه ومن فضَّل هذه، وأشار إلى أن الصواب فيها التفصيل، وأن هذا يختلف باختلاف الأشخاص، وباختلاف الأزمان، وباختلاف الأحوال.

ثم ذكر أن للعزلة ست فوائد إجمالية، وتحت كل واحدة منها كلامٌ طويلٌ؛ ونتكلم الآن عن في الفائدة السادسة:

«**الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى**»: يعني أن العزلة يخلُص فيها الإنسان من مشاهدة الثقلاء والحمقى، والثقلاء: جمع ثقيل، هو الإنسان الذي يثقل على غيره بالإيذاء وبالفضول، وبكامل المنغصات والمكدرات، يسموهم ثقلاء، ومعروف هذا الاستعمال، حتى اليوم عندنا معروف، يقول لك: واحد ثقيل.

«**ومُقاساة أخلاقهم**»: يتأذى منهم ويقاسي أخلاقهم، ويعاني منها.

«**وإذا تأذى الإنسان بالثقلاء، لم يلبث أن يغتابهم**»: فيكون ذلك ذريعةً لاغتيابهم، وفي العزلة الخلاص من هذا كله.. هذا هو المقصود.

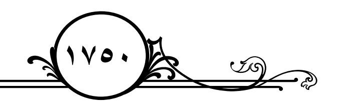
«**فإن آذوه بالقدح فيه كافأهم**»: وإذا قدحوا فيه فالغالب أنه يزِلُّ إلى مكافأتهم؛ يعني الرد عليهم بمثل ما آذوه به ونحو هذا، فيقع في مذمة أيضًا.

«**فانجرَّ الأمر إلى فساد الدين، وفي العزلة سلامةٌ من ذلك**» فهذه هي **الفائدة الثالثة**: الخلاص من مخالطة الثقلاء والحمقى، والناس الذين من هذا القبيل؛ فيسلم من أن يُستجر إلى مكافأتهم، وإلى اغتيابهم، وإلى مُقاساة أخلاقهم، والبقاء تحت وطأة ثقلهم وأذيتهم؛ فيضيق صدره وربما يفسد قلبه، وفي العزلة سلامة من هذا كله، هذا معنى هذه الفائدة.

العزلة لا شك أن فيها فوائد كثيرة؛ كهذه الخمس التي ذكرها قبل، وأيضًا فيها كثير من الحق والصواب، مع بعض الملاحظات والتقييدات؛ تكلمنا عنها في حينها في الدروس السابقة.

«**فصلٌ في آفات العزلة: اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة**»

أشار في مطلع الباب إلى أن الصواب في الكلام على فضل العزلة أو الخلطة: التفصيل، ونظَّر هناك بمسائل مثل: النكاح وغيرها؛ متى يكون مطلوبًا؟ ومتى يكون تركه مطلوبًا؟ وما الأفضل فيه بحسب الأشخاص والأحوال والأزمنة.



فهنا بعد كلامه عن فضل العزلة وما فيها من الفوائد، تكلم هنا على آفات العزلة؛ فذكر فضل المخالطة وما فيها من الفوائد، وأشار إلى أن هناك من المقاصد الدينية والأخروية ما لا يتأتَّى إلا بمخالطة الخلق.. هذا معنى كلامه؛ أي أنك محتاج إلى المخالطة.

«**ومن فوائد المخالطة: التعلم والتعليم**»: كيف تتعلم العلم والشريعة والدين والأخلاق والآداب وسائر العلوم المباحة والمشروعة والمستحبة والواجبة.. الخ إلا بالمخالطة، وهكذا إذا أردتَ أن تُعلم.

«**والنفع والانتفاع**»: عموم النفع والانتفاع، هذا أعم مما قبله، يعني النفع بالعلم وبغير العلم.

«**والتأديب والتأدب**»: واضح.

«**والاستئناس والإيناس**»: الاستئناس بالناس وإيناسهم أن تُدخل عليهم الأنس، أي أن تؤنسهم؛ هذا مقصود شرعي؛ لأن فيه سكينة القلب، واطمئنان، وراحة، وفي الراحة والاطمئنان والسكينة يفعل الإنسان الخير؛ لأن هذا الإنسان محتاج إلى السكينة، والراحة، والاطمئنان، والأنس، ولا يأنس إلا بمجانِسِه من البشر.

«**ونيلِ الثواب في القيام بالحقوق**»: كثير من حقوق البشر، حقوق الناس والخلق؛ تُحرم منها في العزلة، أما في الخلطة فتنال ثوابها وتُحصلها، وتقوم بها.. هذا من فوائد الخلطة.

«**واعتياد التواضع**»: فالمنعزل كيف يتعلم التواضع وهو بعيد عن الخلق؟ فمن يخالطهم يتربى ويتعلم، وقليلا قليلا يتعلم التواضع من مخالطة الناس ومعاشرتهم والعيش معهم.

«**واستفادة التجارب من مشاهدة هذه الأحوال والاعتبار بها، فهذه فوائد الخلطة، ولنفصلها**»: يريد أن يفصل الآن بعض التفصيل في فوائد الخلطة، مما يرجح جانب الخلطة وفضلها، كما أن العزلة لها فضائلها وفوائدها التي سبق أن ذَكَرها؛ فالإنسان العاقل الفقيه ينظر الأصلح والمناسب لشخصه وفي حاله وزمانه، ويفعل الخير.

«**الفائدة الأولى: التعلم والتعليم، وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم**»: تقدَّم كتاب «العلم»، في هذا الكتاب -الكتاب يقصد بهِ الباب-، وفي اصطلاح التصنيف: الكتاب أعم من الباب؛ الكتاب يكون تحته أبواب، والباب تحته فصول، وتحته فروع، ثم مسائل.. وهكذا.

«**فأما من تعلم الفرض ورأى أنه لا يتأتى منه الخوض في العلوم، ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل، وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع؛ فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران**»: معناها أن هذا تفصيل للكلام الذي قاله أولًا أن هذا الأمر يختلف باختلاف الأشخاص، رجل -مثلًا- يُرجى له

التبرز في العلم -عنده إمكانية البروز فيه-، عاقل ذكي، عنده جلد على السرد والجرد والقراءة والكتابة والسهر، وعنده شغف ومحبة للعلم وفهمٌ فيه، وحسن فهم، ويرجى له أن يكون من أهله وأن ينبغ فيه، هذا يقال له: اذهب تعلَّم.

لكن شخص آخر يكفيه أنه تعلم الفرائض، وتعلم ما يقيم صلاته وصومه وضروريات العلم في حقه، أي العلم العيني المتعين عليه وبعض ما يفيده من المستحبات، وكان عنده جلدٌ وقوةٌ على العبادة ومحبة لها؛ فهذا من الممكن أن يعتزل.. العزلة جيدة مناسبة لهذا الرجل الأخير، ولكن الأول لا.

هذا المثال يوضح الكلام الذي قلناه، فيختلف حكمها وفضلها من عدمه، بحسب الأشخاص وبحسب الأحوال، وهكذا.

«**ولهذا قال الربيع بن خثيم: تفقَّه ثم اعتزل**[١]**، والعلم أصل الدين، ولا خير في عزلة العوام**»: العالم يعتزل، يعني لا يخالط الناس؛ لأن الكلام هنا عن العزلة بمعنى ترك المخالطة في أكثر الأحوال وعمومها، لكن ليس معناها ترك الجمعة والجماعة وترك الجهاد!

«**سُئل بعض العلماء: ما تقول في عزلة الجاهل؟ فقال: خبالٌ ووبالٌ**» نسأل الله العفو والعافية، كيف يتعلموا؟ وكيف يتفقهوا؟ وكيف يُصلح دينه وقلبه وهو جاهل؟ وكيف يعتزل الناس ويترك مجالس العلم ويترك مصاحبة الصالحين!! هذا لا يستفيد شيئًا.

«**فقيل له: فالعالم؟ فقال: ما لك ولها، دعها، معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجهدها ربها**[٢]» هذا اقتباس من حديث النبي ﷺ في باب اللقطة، وفيه حديث اللقطة المشهور، لما سُئل عن لقطة الغنم، فقال: (**هي لك أو لأخيك أو للذئب**)، ثم سُئل عن لقطة الإبل، قال: (**ما لك ولها، دعها معها سقاؤها وحذاؤها**)[٣] معناه أنها لا تضيع؛ فالإبل من شأنها أنها تسرح وتمشي الأيام والليالي وربما تغيب فترات طويلة وترجع لصاحبها، وصاحبها يطلبها ويبحث عنها؛ فما تضيع، ومعها حذاؤها وسقاؤها. وحذاؤها: أخفافها، أي تتحمل المدة الطويلة والمشي الطويل. وسقاؤها: يعني أنها لا تحتاج للشرب، فإذا شربت رويت وتبقى مدة طويلة؛ فهي سفينة الصحراء، والله أعلم.

هذا اقتباس من الحديث، ومعناه أن المتضلع من العلم لو اعتزل فلا بأس.. فهو تمثَّل بهذا الحديث، أي أجراه مجرى المثل ومجرى الرمز فاقتبسه وعبر به عن المقصود هنا، ومعناه أن العالم والفقيه لو اعتزل

(١) انظر: العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا (٣٨).

(٢) نسب «ابن رجب الحنبلي» هذه العبارة بشطريها لـ«ابن عقيل الحنبلي»، انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٥٣).

(٣) صحيح البخاري (٩١، ٢٤٢٨)، صحيح مسلم (١٧٢٢).

فلا بأس؛ دعه معه حذاؤه وسقاؤه.

«**وأما التعليم، ففيه ثوابٌ عظيم إذا صحَّت النية فيه**»: تعليم الناس العلم النافع.

«**ومتى كان القصد إقامة الجاه والاستكثار من الأتباع فهو هلاك الدين**»: نسأل الله العافية والسلامة؛ هذا بالنسبة للمعلم.. فإذا كان قصده الاستكثار من الأتباع وقصده الجاه -أي أن يكون له جاه- وغير هذا من المقاصد الدنيوية غير الأخروية؛ فهذا -والعياذ بالله- هلاك ووبال على صاحبه.

«**والغالب في هذا الزمان سوء القصد من المتعلمين فيقتضي الدينُ الاعتزال عنهم**»: هذا هو النظر إلى الزمان والأحوال، فهو يذكر أن في تلك الأزمان المتأخرة ساءت الأمور.. فكيف بزمننا هذا الآن؟! هو يتكلم في القرن السابع أو الثامن؛،فكيف بزمننا هذا؟! لا شكّ أن الغالب على المتعلمين هو المقاصد السيئة، نسأل الله العافية والسلامة.

«**فإن صودف طالبٌ لله ومتقربٌ بالتعلم إليه، لم يجزْ الاعتزال عنه**» إذا كان محتاجًا لمن يعلمه، أنت إنسان تستطيع أن تعلم الطلبة، آتاك الله علمًا -وكنتَ من أهل العلم- ووجدتَ الطلبة محتاجين لمن يعلمهم، وهم بهذه المنزلة، يعني طالبون لله ولليوم الآخر، وللفوز والنجاة في اليوم الآخر، يريدون الطلب الأخروي الممدوح، المحمود المحبوب لله ﷻ، ونياتهم ومقاصدهم صحيحة.

حين إذن لا تنعزل عنهم وتتركهم وتذهب وتقول: أنا أتعبد، وأنا لا أريد أعلم الناس، ولا أنتصب للعلم، ولا أبغي التعليم ونحوه.. هذا خطأ، ولا يجوز إذا كان ليس هناك من يسد هذا الثغر؛ لأن الأصل أنه فرض كفاية إذا وُجد من يعلمهم سقط عنه.. لكن إذا لم يجد من يعلمهم، إلا بمشقةٍ بالغة أو صعوبة، أو لم يوجد أصلًا، وتعذر ذلك، حين إذن لا يجوز الاعتزال عنهم بل يجب عليك أن تقوم بواجب التعليم، وفي هذا تفصيل؛ يجري على النسق الفائت الذي فصلنا فيه أحكام هذه المسألة.

«**ولا يحل كتمان العلم، ولا ينبغي أن يغتر بقول من قال: تعلمنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله**» يريد أن يقول أن هذه العبارة التي وردت عن بعض السلف -تجدونها في كتب الفقيه والمتفقه وآداب طالب العلم- ويذكرها أهل العلم، فقد قالها جماعة من السلف، غير واحد منهم قال: «تعلمنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله»[(١)]، ومرادهم أن العلم يجر صاحبه إلى الله ﷻ، لكن ليس معناها: يا طالب العلم؛ لا يهمك النية وتصحيح المقصد من البداية؛ واطمئن لأن العلم سيأتي بك لا

---

(١) نُقل هذا عن: سفيان الثوري، انظر: النكت على ابن الصلاح للزركشي (٣/ ٦٤٤)، وعن معمر وعن الحسن البصري، انظر: جامع بيان العلم وفضله (١٣٧٨، ١٣٨٣)، وعن الغزالي، انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ١٤٩).

محالة.. لا تفهمها هكذا، ولا تغتر بهذا القول.

لكن معناها أنها تُحمل على أنهم لم يكونوا يعرفوا، ربما كانوا جهالا، أو كانوا صبيانًا صغارًا، فالصبي الصغير عندما يرسل إلى الكُتاب وإلى المعلمين وإلى المؤدبين يتعلم منهم، ولا يكون عنده قصد صحيح في البداية؛ فما زال لا يعرف الإخلاص والرياء وهذه المعاني، وربما يغلب عليه المحبة والشغف بالعلم، وأن يكون من العلماء، وأن يكون متعلمًا.

وربما يقصد أيضًا مُراءاة الناس والشهرة؛ ربما يدخل عليه هذا، لكنه ما زال في الغالب إما تحت التكليف، وإما في بدايات التكليف وما زال جاهلًا، لكنْ يكون فيه صلاحٌ من جهة انجذابه إلى الله ﷻ واليوم الآخر، ومن جهة ما رزقه الله ﷻ من لين القلب والتواضع والتعبد لله ﷻ.

فإذا تعلم ذلك العلم جره إلى الخير وانتفى ذلك الفساد الذي كان موجودًا؛ لأنه ناشئٌ طارئٌ بسبب جهله، وبداياته.. هذه هي التي عبَّرَ عنها السلف وأرادوها، لكن ليس معناها: لا يهمك القصد، لا بل يجب عليك أن تصحح القصد.

«**فإنه أشار بهذه العلوم إلى علوم القرآن والحديث، ومعرفة سير الأنبياء والصحابة، وذلك يتضمن التخويف والتحذير، وهو سببٌ لإثارة الخوف من الله ﷻ؛ فإن لم يؤثِّر في الحال أثَّر في المآل، فأما علم الكلام وعلم الخلاف فإنه لا يَرُدُّ الراغب في الدنيا إلى الله ﷻ ، بل لا يزال صاحبه متماديًا في حرصه إلى آخر عمره**» أشار إلى محمِل هذه العبارة ووجهها التي ينبغي أن تفهم وتحمل عليه، وهي أنها محمولة على من طلب علم الدين؛ العلم الصحيح من الكتاب والسنة وعلم الشريعة، وأراد أن يتعلم الدين وعنده محبة وانجذاب إلى الدين والتعلم -كما قلنا-؛ فهذا ينفعه العلم حتى إن كان في البداية ما زال لا يعرف الأمر، فينفعه العلم ويأتي به للطريق، ويجره إلى الإخلاص وإلى إصلاح مقصده ونيته وإصلاح قلبه ونفسه، ويظهر عليه هذا ويرسخ فيه بعد مدة.

أما من كان يتعلم علوم الكلام والفلسفة والمناظرة والجدل؛ فهذا لا ينفعه، فلا يقول: أنا أتعلم هذه العلوم لغير الله، ليست مشكلة، لكن هي ستجرني إلى الله.. فنقول: لا لن تجرك! بل والله لن تجرك إلا إلى الهلاك -والعياذ بالله-.

«**الفائدة الثانية: النفع والانتفاع**» هذه هي الفائدة الثانية في الخلطة ومخالطة الناس؛ النفع والانتفاع، وهو أعم من العلم والتعلم الذي سبق.

«**أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة، والمحتاج إلى ذلك مضطرٌ إلى ترك العزلة، وأما إن كان معه ما يقنعه، فالعزلة أفضل**» يعني بـ«**ما يقنعه**» ما يسد حاجته، فمن كان عنده ما يكفيه فالعزلة أفضل

من هذا الوجه بغض النظر عن الوجوه الأخرى؛ لأنك أنت أحيانًا تجتمع الوجوه فتحتاج إلى الترجيح وتحتاج إلى الموازنة، لكن هنا يتكلم المؤلف عن كل عنصر على حدة.

إن كان عنده ما يقنعه وما يكفيه؛ فالعزلة أفضل له، وغير لازم له أن يطلب الكسب.. العزلة هنا أفضل من الكسب ومن مخالطة الناس ومعاملتهم.

«**إلا أن يقصد التصدق بكسبه، فذلك أفضل من العزلة**» يتصدق على الفقراء والمساكين ونحوهم، إذا قصد هذا، ستكون الخلطة مطلوبة؛ لأنه كيف يكسب وهو معتزل؟

«**إلا أن تكون العزلة مفيدةً له معرفةَ الله ﷻ والأنس به، عن كشفٍ وبصيرة، لا عن أوهامٍ وخيالاتٍ فاسدة**»: هذه أشياء يرجح بينها الإنسان؛ فهو يذكر من يريد التصدق، ثم قال «إلا أن يكون يرى أن العزلة أفضل له»؛ لأنها تفيده معرفة الله والأنس به، وليس كل الناس هكذا؛ ولهذا احترز وقال لك: «عن بصيرةٍ، وليس عن أوهام»؛ يعني إذا عرفت بالفعل عن بصيرة وتبين لك أن العزلة مفيدةٌ لك، تفيدك معرفة الله والأنس به، والتحقق بعبادة الله ﷻ والسير في طريق العبودية لله ﷻ سيرًا صحيحًا مستقيمًا، مع الاجتهاد في هذا، فلا بأس.

وأضاف هنا: «**أو كشفٍ**»: العلماء وقع منهم هذا كثيرًا، خاصةً في هذه القرون، وفيه حقٌّ وفيه باطلٌ، لا نريد أن نتكلم فيه الآن، لكن المقصود أنه إذا كان عن بصيرة تبين لك هذا لا بأس، لكن إذا كانت أوهام؟ ظننتَ أنه قد يفيدك الاعتزال بينما هو لا يفيدك! فاحترز من هذا وانتبه ولا ترجح به.

«**وأما النفع: فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه؛ لقضاء حوائجهم، ومن قَدَر على ذلك مع القيام بحدود الشرع فهو أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات، والأعمال البدنية**»؛ لأن هذه الأعمال التي ينفع بها الناس أعظم من الاشتغال بنوافل العبادات القاصرة من صلاةٍ ليلًا ونهارًا، وقراءة القرآن، وذكرٍ لله، وهكذا.

فنفع الناس مقدمٌ عليها إلا القدر المتعين منها أو الواجب، لكن المستحب منها والمتطوَّع بها أفضل منه الاشتغال بنفع الناس، وهذا في حالة عدم التعين طبعًا، أما إذا تعين فالمتعين هو المتعين بلا شك، وهو الأفضل، (**ما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضته عليه**)[1].

لكن في حال كونها نوافل وتطوعات كلها؛ فالاشتغال بما ينفع الناس الذي يتعدى نفعه.. أفضل.

فمن مرجحات الأعمال: التعدي والقصور؛ كما تقرر عند العلماء، وهذا لأدلة الشريعة على أن

---

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

العمل الذي ينفع الناس أفضل من القاصر على نفسه في العموم وفي الأغلب، ولكن قد يكون في فروع هذا الأصل بعض التفاصيل.

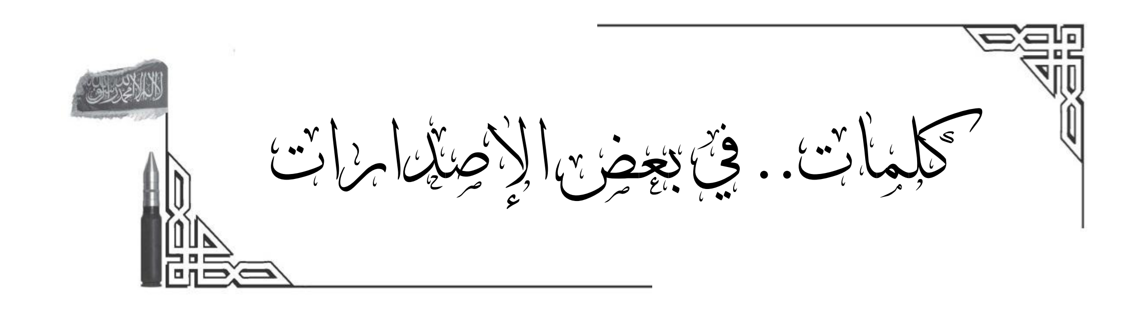
«**وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكرٍ أو فكر، فذاك الذي لا يُعدل به ألبته**» هذا إشارة إلى أنه قد يترجح القاصر أحيانًا على المتعدي، وهذا كله مقيد بما إذا لم يتعين هذا الفعل المتعدي، أو القاصر.. فإذا لم يتعين أحدهما، وكان لك أن تتنفل بالعبادة كالصلاة وتلاوة القرآن، ولك أن تتنفل بأن تذهب للناس فتبني وتحضر معهم الطوب وتعاونهم وتخدمهم قليلًا، وهم محتاجون لمن يعاونهم.. فأيهما أفضل؟ هنا مقصد كلامه، وعلى نحو هذا قِسْ.

فيقول لك: في الأغلب والأعم نفع الناس أفضل، لكن قد توجد بعض الحالات وبعض الناس؛ الأفضل له هو أن يبقى في بيته أو في عزلته ومكانه ويتعبد؛ لأنه أفيد لقلبه، لأنه ينفتح عليه في العبادة، ولا يختلف فيه الناس.

هذا إذا جلس للعبادة وقراءة القرآن يُفتح عليه في الإيمان، ومقاماته، والاتصال بالله ﷻ ومناجاة الله ﷻ ودعائه، ويحصل له علو في الإيمان وكمالٌ وتمامٌ؛ فهذا يكون في حقه أفضل، والله أعلم.

يكفي هذا القدر، وجزاكم الله خيرًا.

سبحانك اللّٰهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



[كلمات للشيخ ﵀ في بعض الإصدارات الجهادية، التي نشرتها «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي»، وفرغها الإخوة في «نخبة الإعلام الجهادي»]

۞ حصاد سبع سنوات من الحروب الصليبية[1]:

[المحاور: يدعي الأمريكان أنهم حققوا الانتصار على المجاهدين في العراق وأن خطتهم الأمنية قد نجحت؛ فكيف تردون على ذلك؟]

الشيخ عطية الله: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا من كذبهم الواضح، بل لازال المجاهدون بحمد الله يذيقونهم أصناف العذاب، وينكون فيهم النكايات الكبيرة، ويستنزفونهم، الأمريكان لا انتصروا ولا نجحت خطتهم الأمنية، وإنما فتحوا على أنفسهم أبوابًا جديدة من الشر، وما زالوا يتورطون ومن مأزق إلى مأزق، أكبر مشروع للأمريكان في العراق هو مشروع الصحوات، وهو ليس نجاحًا للمحتل بقدر ما هو مشروع خياني ذاتي ساهمت فيه أيد متعددة خائنة وبائعة لدينها وأمتها وعرضها هي مستعدة للخيانة ولاختيار العاجلة والعمالة والكون مع المحتل ومع الشيطان، وإنما أخرهم قليلا ظروف معينة، وهذا المشروع هو الآن في طور التآكل والتلاشي بفضل الله تعالى.

والمرحلة: مرحلة صبر ومصابرة وثبات وبفضل الله فإن المجاهدين ثابتون صامدون مصابرون لعدوهم وهم رجال أهل عزائم نحسبهم كذلك والله حسيبهم، والحرب سجال والعاقبة للتقوى، ثم أين نجاح خطتهم الأمنية وعمليات المجاهدين النوعية ما زالت تحصد جنودهم وتطال رؤوس عملائهم في بغداد؟!

---

(١) إصدار مرئي ضخم يتكلم عن المجاهدين بعد مُضي سبع سنوات من إعلان الحروب الصليبية الثالثة على الإسلام وأهله، وما حققه الله على يديهم من النصر المبين، نُشر في رمضان ١٤٢٩، جزء واحد، لمدة ساعتين سبع وثمانين دقيقة تقريبًا؛ تضمن هذا اللقاء الذي عُقِد مع الشيخ ﵀ قراءة سريعة للمعطيات على جبهتي العراق والمغرب الإسلامي.

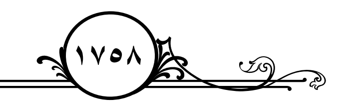
أما تراجع معدل العمليات وتراجع معدل الخسائر في صفوف الأمريكان فهذا شيء طبيعي، وكل شيء له إقبال وإدبار، كل مرحلة لها ظروفها، ثم إن المقارنة بين تصريحات بوش حين أعلن وقف العلميات العسكرية الرئيسية في العراق وقال إن المهمة قد أنجزت وبين تفاوضه للخروج وسحب قواته وترحيل المشكلة للرئيس القادم كل هذا يظهر حقيقة الهزيمة الأمريكية بعد خمس سنوات والحمد لله.

[المحاور: كما ذكرت عرفت جبهة العراق ظهور ما يسمى بالصحوات، ثم المجالس السياسية للمقاومة، وجبهات التوافق القومية الوطنية، فما هو تقويمكم لهذه الظواهر؟]

الشيخ عطية الله: نعم، ظواهر مرضية تعكس حالة الخلخلة الدينية والانحطاط الذي تعيشه الأمة للأسف، مشاريع خيانة كما قلت لك، لكن أمر المؤمن كله خير ولله الحكمة البالغة فالحركة الجهادية اكتسبت خبرات أكثر، والعدو الآن يتحدث عن نقل تجربة الصحوات هذه إلى بقاع أخرى وهذا خيال وهراء والحق أن المجاهدين والأمة المسلمة استفادت من التجربة أكثر مما استفاد العدو، وكشف الله الكثير من أصناف الخونة والمستعدين للخيانة وضرب الله للناس الأمثال..

وبطبيعة الحال أرض دخلها عدو غازي وسقطت فيها دولة كبيرة واشتعلت فيها حرب وهي بلد يعيش حالة تراكم أخطاء تاريخية وإرثًا ثقيلًا وعجيبًا أيضاً من الفساد الديني والاجتماعي وتناقضات كبيرة جدا فطبيعي أن تكون هناك مشاريع مختلفة وإرادات وأهواء وهي تبقى دائما منحصرة في مشروعين لا غير مشروع الجهاد في سبيل الله على تقوى من الله لإعلاء كلمة الله وهذا هو المشروع الحق الثابت المنصور المؤيد بتأييد الله ﷻ لكن أهله لا بد أن يُمتحنوا ويَنجحوا في الامتحان امتحان الصبر في ذات الله والثبات على الحق والعمل الصالح ومشاريع أخرى متعددة مهما تعددت أسماؤها وشعاراتها ولافتاتها وهي كلها نبتات على حافة السيل أو شجرات أرز تظل قائمة إلى أن يكون انجعافها مرة واحدة، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾[الرعد] هو هو إذن صراع الحق والباطل لكن المسألة في تطور الفهم عند جماهير الأمة وعند نُخبها الصالحة وأجيالها وقواها الفاعلة المسألة مسألة نُضج وهذا يحتاج إلى وقت يحتاج إلى شيء من الوقت وفي ضمن ذلك معاناة ومكابدة -سنة الله- والمجاهدون إن شاء الله هم أهل الصبر والمصابرة والعزم وفقهم الله.

[المحاور: في ظل الوضع السائد إلى أين يسير الجهاد في العراق؟]



الشيخ عطية الله: الأمريكان منسحبون وخارجون من العراق يجرون أذيال الخيبة لا محالة بإذن الله تعالى هذا لا شك فيه، والجهاد والمجاهدون باقون ومستمرون بعون الله ﷻ وسيفتح الله عليهم، وإنما هو قليل من الصبر، آنَ للجميع أن يدرك أن الجهاد في العراق قد شب عن الطوق وهو كالجبل الشامخ تدور حوله العواصف والأعاصير وهو ثابت لا يتزحزح ثم تمضي عنه دون أن تؤثر فيه إن شاء الله.

[المحاور: المعركة في المغرب الإسلامي، ما هي وإلى أين تتجه؟]

الشيخ عطية الله: هي معركة بين الحق والباطل بين أهل التوحيد وأهل الكفر والتنديد، بين أبناء الإسلام وأبناء فرنسا وعبيد الغرب المادي الملحد الذين يكفرون بالدين، وهي معركة الأطهار المظلومين المطالبين بحقهم في أن يحكموا بلدانهم وأوطانهم أحرارًا مستقلين يعبدون الله في أرضه كما أمر الله وأحب وبين الجبابرة الطغاة الظلمة أهل التخمة أهل المجون والفجور والخيانة، المعركة واضحة جدًا إلا على من طمس الله بصيرته، لكن أهل النفاق ومرضى القلوب الذين أعمتهم الدنيا ولم يقسم الله لهم من الهداية نصيبًا سيظلون في حيرتهم الدائمة يترددون ويتساءلون ما هذا القتل والقتال ما هذه الحروب والاحتراب الداخلي وما هذا العنف وعدم الاستقرار وما هذا المسلسل الدامي... إلى آخره مما تسمعون إلى أن يأتي عليهم قدر الله ﷻ ويمضون كما مضت القرون من قبلهم وهم لا يتعظون ولا يرجعون والله المستعان.

وأما إلى أين تتجه المعركة؛ فالمعركة تتجه إلى انتصار الحق وأهل الحق إن شاء الله، وهذه حرب والحرب ليست نزهة، بل هي أهوال وكروب، لكن نحن المسلمين مفهوم الحرب عندنا هو أرقى مفهوم وأعدله لأنه مبني على تقوى الله وعلى إرادة الله وعلى نصر دين الله، مبني على تعاليم العليم الرحيم الذي خلق الموت والحياة، الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

[المحاور: يجادل العدو وأبواقه بأنه ليس للمجاهدين برنامج سياسي في المغرب الإسلامي]

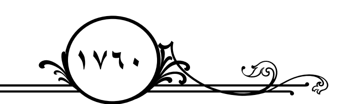
الشيخ عطية الله: هذه حجة قديمة ودائمة يعترض بها العدو وأبواقه ودهاقنة مكره على الرسل وأتباع الرسل، ويحاولون بها استعجالهم واستفزازهم، أرنا برنامجك السياسي كاملًا، ما هي رؤيتك السياسية؟ ماذا عندك من برامج كذا وكذا؟ البرنامج كله واضحٌ لمن أراده، لكنهم يستعجلون استعجال الاستفزاز، ويسألون متعنتين متحكمين ويريدون أن تسير الأمور كل الأمور على أهوائهم،

وهذا لا يمكن ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[المؤمنون]، نحن نقول لهم عندما نملك ونحكم عندما يأذن الله بزوال ملككم والتمكين لأوليائه ساعتها سترون البرنامج السياسي وغير السياسي إن شاء الله، الحقيقة أن الكثير من هذه الأبواق لم تستوعب التحول التاريخي بعد، ولم تستطع مواكبة التغيير؛ فالجزائر خصوصًا والمغرب الإسلامي الكبير عمومًا تحولت إلى ثغر من ثغور المسلمين بالمعنى الحقيقي وتحولت إلى حلقة في سلسلة جهاد أمتنا في مرحلتنا التاريخية الراهنة، وساحة من ساحات جهاد طليعة الأمة المجاهدة، المعادلة إذن اتجهت إلى الاستقرار على أن معركتنا واحدة مع عدو واحد في صف واحد، وزال بحمد الله التناقض بين قتال العدو الأجنبي الخارجي والعدو المحلي الداخلي وصار الهم همًا واحدًا والله ولي المؤمنين.

[المحاور: جزاك الله خيرا ونظرًا إلى أن هذه المواضيع تحتاج إلى تفصيل أكثر فإننا نعد إخواننا المشاهدين بأننا سنجري مع الشيخ عطية الله لقاءًا مفتوحًا على الانترنت قريبًا إن شاء الله، وفي انتظار هذا اللقاء نطلب من الشيخ كلمة لأهلنا في العراق خاصة والأمة الإسلامية عامة].

الشيخ عطية الله: الثبات الثبات والصبر والمصابرة فإن الله أمرنا بذلك فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنفال]، وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران]، وأبشروا بفرج الله ونصره وفتحه فالأمة بحمد الله ناهضة وشبابها ورجالها يتواثبون إلى ميادين العزة والكرامة ولن يردها راد عن تحقيق ما تصبو إليه من الرفعة والظهور بإذن الله، وهنيئا لمن لَحِق وسار وفقنا الله وإياكم لكل خير.





ريح الجنة (٣)[١]:

«بعد وصولنا إلى ساحات الجهاد والجبهات، وبعد أن أخذنا القسط الأول من التدريب، التدريب التأسيسي، دخلنا الجبهات القتالية ونلنا قدرًا من التجربة بحمد الله، ثم كانت هناك فرص لطلب العلم الشرعي بواسطة بعض المشايخ الذين كانوا في الساحة، وبعض الدورات الشرعية التي كانت تقام.. نحن كنا كثيرًا ما نقول: لولا الجهادُ لكنا مع طلاب العلم، ونتمثل في هذا بقول النبي ﷺ: **(لولا الهجرة لكنتُ امْرَءًا من الأنصار)**[٢]، يعني نجريه مجرى المثل على سبيل الرمز؛ لأن الفتى الطموح، شريف النفس، صاحب الهمة العالية، إذا لم يكن مجاهدًا وقائدًا في الجهاد فلا يكون إلا طالب علمٍ ومزاحمًا للعلماء.

والحقيقة أن المغبون هو الذي لا يكون هذا ولا هذا وهو يقدرُ أن يكون، وإن كان المسلم كله خير على كل حال بحمد الله ﷻ.. حاصل هذا الكلام الذي ذكرته هو معنى القيادة، القيادة كما تعرف -أخي العزيز- إما علمية أو عملية، والكمال هو الجمع بينهما.

الشيخ أبو الليث في البداية كان له توجه إلى طلب العلم، ونبغَ فيه بجودة الحفظ وحسن الفهم والجَلَد والصبر على السرد؛ فكان فيه تفوق، وكنا نرجو أن يكون له شأن فيه، ثم وقع له بعد ذلك توجه إلى الجانب القيادي العملي السياسي والتربوي والعسكري والاستراتيجي».

[وجوابا على قول المعلق: «التجارب والابتلاءات التي عايشها الشيخ أبو الليث ﵀ شكلت فيه شخصية القائد التي يحدثنا عنها أحد المقربين منه وهو الشيخ عطية» يقول الشيخ ﵀:]

«بالتأكيد كانت فيه استعدادات وملكات قيادية كامنة تفجرت أنهارها مع التجارب. طبعًا أيضًا كان جو الصدق والإخلاص والتحابب والولاء والتعاون على الخير الذي وُجد فيه الشيخ في الحركة الجهادية المباركة عمومًا وفي جماعته التي كان يعمل فيها الجماعة الإسلامية المقاتلة كان هذا الجو بيئة مساعدة لبروز مواهبه ومنحه الفرصة للنضج والترقي وليأخذ مكانه.

أبو الليث شخصية فذة وموهوبة بلا شك، والعرب قديمًا كانت تقول لمن جمع مجموعة معينة من

---

(١) إصدار مرئي يتحدث عن سيرة الشيخ المجاهد: «أبي الليث الليبي القاسمي» ﵁، مكون من جزئين، مدته الكلية: ساعتين إلا خمس دقائق، نشرته «مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي» في شهر الله المحرم لعام ١٤٣٠.

(٢) صحيح البخاري (٧٢٤٥).

الفضائل والمهارات أنه: رجلٌ كامل، كانوا يقولون رجلٌ كامل كما ذكره علماء العربية والنحاة والأدباء والأخباريون عند قولهم: «ولدت فاطمة بنت الخرشب الكَمَلَة من بني عبس»[1]، أبو الليث ﷺ في ما نحسبه والله حسيبه أعطاه الله نصيبًا طيبًا من الفضائلِ والكمالات ووفقهُ الله فبذلَ وصبرَ وثابرَ واجتهدَ حتى كان من القدوات ومن القيادات.. قيادات الأمة المحمودة المشكورة».

[**يقول الشيخ ﷺ جوابًا على قول المعلّق: «توالت الابتلاءات والامتحانات على المجاهدين، فاستشهد العديد منهم ﷺ، وأُسر العديد فك الله أسرهم، خاصة مع توالي الخيانات والخذلان، واعتبرت هذه المرحلة [يعني مرحلة ما بعد سقوط «إمارة طالبان الإسلامية»] من أشد المراحل وأكثرها معاناةً في تاريخ الحركة الجهادية»:**]

«بالفعل كانت مرحلة شدة وكربٍ عظيم، وكانت امتحانًا للجميع كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۝١٧٩﴾[آل عمران] الآية، وكان الأمر شبيهًا بما حكاه الله ﷻ عن أصناف الناس من مؤمنين ومنافقين في سورة الأحزاب، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فثبتَ من ثبت وسقطَ من سقط، نسألَ الله تعالى أن يثبت قلوبنا وقلوبكم على دينه الحق.

وكان أبو الليث ﷺ من رجال هذه المرحلة الذين ثبتوا وقبلوا التحدي وواجهوا الصعاب بكل رجولة وشهامة جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، والذين سقطوا من دعاةٍ أو منتسبين إلى العلم والدين أو من أي صنفٍ من أصناف الناس لا بدَّ أن يتأمل الإنسان العاقل المعتبر لماذا سقطوا وزلت أقدامهم واختاروا الاختيار الخطأ حتى آل الأمر ببعض الناس -والعياذ بالله- أنهم يقفون في صف الكفار وطواغيت الردة وينحازون إليهم ويعاونونهم على المجاهدين ويسعون في تسليم المجاهدين إليهم، كل ذلك من خذلان الله لهم بأسباب ينبغي أن يتأملها الناس ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[الكهف]، ترك الهجرة والقعود عن الجهاد ومجاورة الطواغيت والدخول تحت حكمهم وكثرة ملابستهم، هذا كله لا يأتي بخير أخي العزيز».

[**وجوابا على قول المعلق: «تم غزو العراق وإسقاط نظام البعث الكافر، وفرَّ الجيش العراقي من أرض المعركة وكانت الخيانة هي السمة المميزة لهذه الحرب»؛ يقول الشيخ:**]

«هو امتحان للجميع كما قلت لك، الجميع المسلم والكافر، أفرادًا وجماعاتٍ ودولًا، الخيانة هي

---

(١) انظر: المقتضب للمبرد (٤/ ١١٦)، وهم: الربيع، وعمارة الوهاب، وقيس الحفاظ، وأنس الفوارس، أبناء زياد بن عبد الله العبسي.

الداء الخبيث الذي هلكت به الأمة وغلبها بها الأعداء في كل مرة، للأسف كلما داهمَ الأمة عدوٌ وجد في استقباله أساطيل من الخونة مستعدين لخدمته وقابلين للعبودية له والسير في ركابه طمعًا في دنياه ولهثًا وراء فتاته.. هذا الشيء الذي حير المصلحين وأرّق أهل الخير الصالحين، خيانة من الداخل وخيانة من الجوار، خيانات وخيانات.. إيران الرافضية بطبيعة الحال مستعدة للخيانة وتنتظر لها فرصة وتتربص بالأمة الدوائر، فلا عجبَ أن تُحالف وتدعم التحالف الشيعي العراقي الخائن المتمثل في قوات بدر وغيرها، والتي كانت تحمي ظهر الأمريكان، والنظام السعودي وغيرهم من دول الخليج وفّروا المال والقواعد العسكرية للقوات الصليبية الغازية وما قصروا في المكر والخبث لا وفقهم الله. ومصر طبعًا قناة السويس مفتوحة لمرور الأساطيل البحرية الصليبية، واليمن فتحت موانئها لتزويد هذه القوات بالوقود والمؤن، وهكذا باقي الحكومات العميلة في العالم الإسلامي لم تدخر جهدًا في الوقوف بجانب فرعون العصر أمريكا؛ ولكن هذه هي سُنة الله ﷻ في ابتلاء الناس وامتحانهم بتسليط بعضهم على بعض ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾[الفرقان]».

[**وعن الشيخ أبي الليث الليبي** رحمه الله **يقول الشيخ عطية الله** رحمه الله:]

«كان فيه خلق التفاني والمحبة للجهاد ونصرة الدين، كان الجهاد قد ملأ عليه كيانه واستغرقه مع تكامل طيب وتعدد اهتمامات كما قلت، والحقيقة أنه لا يمكن أن يصل الإنسان إلى مراتب المجد ما لم يتفانَ في العمل، العمل بما يؤمن به من فكرة أو قضية وهذا في كل شيء في العلم في العمل في الجهاد أو في غيره، بل حتى في الأمور الدنيوية ومكاسبها.. الأمر كذلك، وبالمناسبة أيضًا حتى أهل الدنيا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقولون: إن الشخص الناجح الذي إذا آمن بفكرةٍ تفانى في تطبيقها وضحى من أجلها، وهذا المعنى صحيح في الجملة؛ هكذا كان أبو الليث في ما أحسب تفانٍ وتضحية في العمل بما آمن به من الجهاد وقيام بالدين وإقامته والبذل في سبيل الله لنيل رضى الله تعالى وجزيل ثوابه والفلاح والفوز بالمراتب العالية في الآخرة كما قيل:

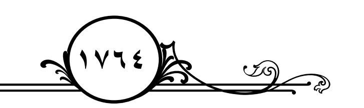
أيها العاشق معنىً حَسَنًا ... مهرنا غالٍ لمن يطلبنا
جسدٌ مضنى وروحٌ في العنا ... وجفونٌ لا تذوق الوسنا
وفؤادٌ ليس فيه غيرنا ... وإذا ما شئت أدِّ الثمنَ»

[**وتعليقًا على قول المعلِّق: «يظن البعض أن الجهاد يقتصر على خوض المعارك فقط ولكن الحقيقة أبعد من ذلك، فالعيش في ساحات الجهاد هي المحك الحقيقي لصناعة الرجال**

والميدان الفعال لتربية شباب الأمة، وكان الشيخ أبو الليث ﷺ من النماذج التي تمثلت فيهم هذه الحقيقة»؛ يقول الشيخ ﷺ:]

«فأولًا كان أبو الليث ﷺ هو الفتى ونعم الفتى، بما تتضمن كلمة «الفتى» من الشهامة وكرم النفس وشرفها وعزتها والحياء وقوة الطموح والتطلع للكمالات والمزاحمة على المراتب العالية في الخير والنفور أيضًا من السفاسف والأنفة من الكون في الحضيض، ثم حنّكته التجارب يعني استفاد من التجارب التي مر بها في حياته بأن قرأها قراءة صحيحة وبنى عليها بحيث عرف العلل والحِكَم وعرف الصحيح والخطأ والحسن والقبيح وتثقفت نفسه واكتمل عقله وهذا الشيء مهم جدًا، لأن بعض الناس يمر بتجارب كثيرة وربما تجارب كبيرة وبليغة ومعقدة ومفيدة جدًا لكن قد لا يستفيد لأنه يقرأ التجربة قراءة خاطئة فتعود التجربة عليه وبالًا عافانا الله وإياكم.. فالمهم نعود إلى الشيخ أبي الليث، كان الشخصية المجربة المستفيدة باستمرار، المتطورة الطالبة للفضل دائمًا، لا يتوقف عن طلب الفضل بمعنى دائمًا يطلب أن يكون أفضل، كل يوم يكون أفضل من أمسه، وكان يُحسن الاستماع والاستفادة ولا يترفع عن التقاط الفائدة ممن كان.. مع الوقت والتجارب كان ابن زمانه ورجل وقته مع إخوانه الرجال، كان شخصية قيادية -كما قلت-، شخصية ذات عقلية مرتبة، شخصية مستفيدة متطورة غير جامدة على ما اعتادته فحسب بل هو باحث باستمرار عن الأفضل والأكمل والأحسن، شخصية صادقة شفافة، تميز بأنه شخصية أيضًا تربوية يعني مربية، يعني شخصية ذات عقلية تربوية بناءة يهتم بالتربية وبناء النفس وبناء الشخصية، يعرف الناس ومعادنهم وأقدارهم وصفاتهم وتفاوتهم ويعرف عيوبهم ومداخل النقص فيهم، وكان حَسَن الفهم وصاحب معايير صحيحة مستقيمة وفقهٍ جيد، والإخوة الكبار لاحظوا هذا وعرفوه ولهذا كان الإخوة الذين لهم أبناء أو شباب ناهزوا البلوغ يحبون إرسال أبنائهم إليه ليكونوا معه في مراكزه وتحت إشرافه».





الغرب والنفق المظلم[(١)]:

[يقول الشيخ رحمه الله معلقا على كلام «سيد قطب» رحمه الله في أثر الربا في الغرب:]

«ليس الربا فحسب وإن كان الربا أصلًا كبيرًا ومهمًا في هذا النظام الاقتصادي الغربي الرأسمالي؛ لكن هو نظامٌ فاسدٌ ضالٌّ ظالم مصادمٌ لفطرة الله التي فطر الناس عليها يعني أنه مصادمٌ تمامًا لناموس الحياة والقوانين التي يصلح بها الفرد والمجتمع كما بينها لنا العليم اللطيف الخبير سبحانه، هو نظام قائمٌ على البهيمية والأخلاق السبعية؛ الجشع، والطمع، والظلم، والشره، والأنانية، والمادية المحضة، والبعد عن الدين، وعدم الإيمان بالغيب، والتفلت من كل القيم والقوانين السماوية التي أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله.

إنه نظام الإغراق في الشهوات بلا قيود ولا رحمة للآخرين ولا شفقة حقيقية، وما يتشدقون به من ألفاظ إنسانية ونحوها هو مجرد تمويه، أو في أحسن أحواله هو حركة نفسية لإرضاء الضمير، وإيجاد المودة الاجتماعية كما قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وبالتالي رأينا هذا النظام يتفنن في كل ما يخدم هذه القيم الحيوانية المادية الكافرة بالله العظيم.

فهذا النظام يحمل في طياته عوامل خرابه وانهياره وزواله، فالانهيار الحالي لم يكن مفاجئًا ولا مستغربًا بل لم يزل متوقعًا منتظرًا، وهذه فرصة جيدة للدعاة إلى الله لكي يبينوا للناس محاسن الإسلام دين التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له والتعلق بالآخرة ورجاء الفوز فيها، وما فيه من النظم الاقتصادية والمالية والاجتماعية المباركة التي تكفل للبشرية السعادة في دنياهم وأخراهم».

[وردًّا على من زعم من الغرب أنَّ «المجاهدين هاجموهم لأنهم يكرهون نمط العيش الغربي!»؛ يقول الشيخ رحمه الله:]

«نعم نحن نكره نمط عيشهم المادي الفاسد الذي لا يُرضي الله، ولكن ليس هذا هو سبب الحرب المباشر أو الأهم فضلًا عن أن يكون الوحيد بل السبب الأهم هو اعتداؤهم علينا وجرائمهم في حقنا وحق أمتنا وشعوبنا، إنهم يعتدون علينا منذ عقود بالاحتلال المباشر أولًا، ثم بإقامة الأنظمة

---

(١) إصدار مرئي كبير متميز يتمحور حول «النظام الاقتصادي الغربي الرأسمالي الفاسد» وآثاره، وحرب المجاهدين مع الغرب، وأحوال الساحات الجهادية، يتكون من جزئين، لمدة ساعة وخمسين دقيقة تقريبًا، نشر في ١٤٣٠.

العميلة الموالية لهم في بلداننا، ثم بدعم هذه الأنظمة والحكومات الفاسدة ضد شعوبها المطالبة بالحرية والمريدة للتمسك بالإسلام، بالإضافة إلى استهزائهم بديننا وبرسول الله؟».

[**ويقول** ﷀ:] «مارسوا على أمتنا الإسلاميّة ما لو صُبَّ على الجبال لاندكت من أساليب المكر والفتنة، ومن مشاريع التفسيق والإفساد، وذلك من خلال وسيلتي الشهوات والشبهات..

أما الشهوات: فحدِّث ولا حرج من إغراق الجيل في لذائذ الفن، والرياضة والفرجة وثقافة اللهو، عبر استعمال المرأة والصور، وثقافة المتعة واللذة والعياذ بالله، وسائر وسائل تحريك الشهوات والغرائز بدون حدود، وقتل الفضيلة والمروءة، وإماتة خلق الحياء.

وأما الشبهات: فاصطنعوا لذلك طوابير من المثقفين على طريقتهم، والراضعين من لبانهم، والعلمانيين الكافرين بالدين والزنادقة بوسائل متعددة مثل الابتعاث من أيام الخبيث محمد علي وإلى الآن، وبالجوائز والتحفيزات والتعاون الثقافي والمنح الدراسية والاستشراق وغيرها فضلًا عن وسائل الثقافة الشعبية الجماهرية التلفاز والراديو والصحافة وغيرها، بل والمناهج التعليميّة وما قصة «دانلوب» الإنجليزي واضع المناهج الدراسية في مصر عنا ببعيدة».

[وردًا على خطط الصليبيين في المنطقة وقول المعلق: «هذا المشروع الذي أشرف على التخطيط له، مجموعة من المحافظين المتنفذين في إدارة بوش السابقة» يقول الشيخ ﷀ:]

«الأمور كلها تجري وَفق تقدير الله وعلى سنته في خلقه، والقضايا حلقات في سلسلة يؤدي بعضها إلى بعض، المحافظون الجدد أين كانوا ومن أين جاءُوا؟ أليسوا هم رد فعل على صحوة أمتنا الإسلاميّة، وتحوُّل العلاقة بيننا وبينهم إلى التمحور حول الدين؟ بلى، ولذلك فعندما تتحول المعركة إلى معركة دينيّة بالأساس، فنحن أهل الإسلام الغالبون بإذن الله، لأنهم إنما غلبونا وقهرونا عندما أبعدونا عن الدين وعندما خدعونا عقودًا وقرونًا بإيهامنا أن الحرب على غير الدين، وإنما هي خلافات سياسية واقتصادية وما شابه، فأبعدوا الدين عن المعركة وهكذا فعلوا في فلسطين.. ومحافظو بوش هم انعكاس لهذا التمحور، فحربهم دينيّة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وهم كانوا سيشنون الحرب علينا بدأناهم أم لم نبدأهم، لأنهم عرفوا أننا استيقظنا وصحونا من سباتنا، وأننا قادمون، ولهذا كان من الحكمة أن يبدأهم المجاهدون حيث قدروا، وأمكنتهم الفرصة».

[ويتابع المعلق قائلا: «ولم يقتصر هذا التوجه العدائي للإسلام والمسلمين على محافظي

أمريكا فقط، ولكنه امتد ليشمل المعسكر المحافظ في العالم الغربي قاطبة، وتجلى ذلك بوضوح في مجريات غزو العراق»؛ فيعقب الشيخ ﷺ بالقول:]

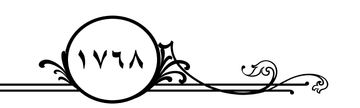
«وفي حربهم على العراق كان الأمر في غاية الوضوح، فانظر معي: إن كل الدول الغربية المشاركة في التحالف الصليبي في العراق تقودها قوىً وحكومات محافظة، بل حتى المحافظون عندما كانوا في المعارضة أيَّدوا الحرب، ألمانيا مثلًا فأنجيلا ميركل وحزبها أيَّدوا الحرب على العراق والمشاركة فيها وهم كانوا في المعارضة وقتها، وخسروا في الانتخابات لكنهم أرادوا إظهار التمسك بالمبادئ، تصور أنجيلا ميركل هذه وحزبها كانوا في المعارضة وكانوا على وشك انتخابات ومع ذلك أيَّدوا غزو العراق والمشاركة في الحرب، وبالمناسبة هم الآن على وشك انتخابات عامة جديدة وهم في مفترق طرق وقد أنذرهم المجاهدون ومنحوهم الفرصة لعلهم يرجعون، كما بين ذلك أخونا الحافظ أبو طلحة الألماني -حَفِظَهُ اللهُ ووفقه-، والبرهان العجيب أن المحافظين في بريطانيا وكانوا في المعارضة يومها أيَّدوا الحرب، وبهم استطاع بلير وهو عمالي تحالف لتدينه مع بوش والمحافظين الجدد في أمريكا أن يدخل الحرب، رغم أن شأن المعارضة في أنظمتهم أنها تعارض، لإضعاف الحكومة، لكن لما تعلَّق الأمر بمبدأ وعقيدة أيَّدوا الحكومة ويوضِّح ذلك أيضًا أن الحكومات غير المحافظة لم تشارك في حرب العراق مثل ألمانيا بقيادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي يومها، وكندا والسويد وبلجيكا، وهذه دلالة مهمة جدًّا ليت أن بعض الإخوة في مؤسساتنا الإعلاميّة الجهاديّة الطيبة على الانترنت يشبعها بحثًا واستظهارًا، والحمد لله فإننا نرى اليوم فشل مشروع المحافظين الجدد، حتى في أمريكا نفسها فمن تراجعاتهم وانتكاساتهم الفكرية والاستراتيجيّة إلى فضائحهم المتعددة إلى خسارتهم في الانتخابات ونبذ الجمهور الأمريكي لهم».

[وتعليقا على قول المعلق: «إن الجهاد في أكناف بيت المقدس والأرض المباركة، هو أمنية كل مسلم غيور، وإن الحركة الجهادية تمضي في طريقها ثابتة مستيقنة بوعد الله بالنصر، وهي المؤهلة للقيام بواجبات العقيدة والدين، وتوحيد الكلمة على كلمة التوحيد، ولذلك فهي مطالبة بأمانة تصحيح المسيرة، والانضباط على شريعة الله وأوامره، والصبر على ذلك»؛ يقول الشيخ ﷺ:]

«في هذه المرحلة الحركة الجهادية العالمية تركز على السعي لمنع التنازلات عن الحقوق الإسلامية، والسعي لمواصلة جهاد اليهودي الغاصب بقدر الإمكان، لكن أمر الجهاد في فلسطين لا زال في جملته في يد جماعات نحن لا نعتقد أنها مؤتمنة على الجهاد؛ فنسعى لتحقيق أكثر ما يمكن من المصالح الدينية

بالدعوة بالحسنى والنصيحة، وبعرض الخيارات الصحيحة الشرعية، والتشييع عليها والنهي عن المنكر، والتقليل من الفساد، والله المستعان.. ولذلك فنحن ننكر على حركة حماس وغيرها من الجماعات الإسلامية ما عندهم من مخالفات شرعية وانحرافات عقدية، ونبرأ إلى الله ﷻ مما ترتكبه حكومة حماس، من كبائر بإقدامها على قتل المجاهدين ممن يخالفونها، ونخوفها الله ﷻ وننذرهم نقمته، ولكننا أيضًا لا نرى لإخواننا خيار الاصطدام مع حماس ومقاتليها ونؤكد أن الجهاد في أفغانستان وفي العراق وفي غيرهما، هو جهاد في فلسطين، فلا ينبغي أن نحصر أنفسنا في حدود ضيقة يحاصرنا فيها العدو ويجوعنا ويقصر همتنا على فتح المعابر والسماح لقوافل المعونات بالمرور، وإن تعذر على إخواننا أن يجاهدوا في غزة والضفة فإن أبواب الجهاد مفتوحة في غيرهما، ومصالح اليهود والأمريكان حاضني اليهود منتشرة في كل مكان».





لا تكلف إلا نفسك(١):

«لا شكّ أنّ **الجهاد الفرديّ** الذي نتحدّث عنه هو صورة من صور الانغماس؛ لأنّ الانغماس هو: حمل الرجل الواحد على العدو الكثير العدد كثرة بالغة، لأنّه بدخوله فيهم كارًّا عليهم كأنّه ينغمس في بحرهم، والانغماس معروف ووردت في فضله أحاديث، ويمكن أن يراجع له الإنسان كتاب: «مشارع الأشواق» لابن النّحاس مثلًا، حيث عقد له بابًا في مشروعيّته وفضله والتحريض عليه.

والأخ المجاهد سواء كان من أهل تلك البلاد الكافرة المحاربة، أو كان داخلًا لها على وجهٍ خالٍ من الغدر؛ مريدًا الهجوم عليها وضربها وقتال وقتل من يجوز قتله من أهلها الكفرة، هو منغمس بهذا المعنى، فعليه أن يستحضر الإخلاص، وينوي إعلاء كلمة الله تعالى، وتجريء قلوب المسلمين، ورفع معنويّاتهم، وردع الكفرة عن عدوانهم، وتحطيم معنويّاتهم، وكسر إرادتهم، وتوهين عزائمهم، وكفّ بأسهم بإذن الله».

[وفي بيان دوافع «الجهاد الفردي» يقول الشيخ رحمه الله:]

«بالفعل هي معادلة بسيطة جدًّا؛ الآن أنت عندك أعداءٌ كُثُر، وتحالفات عالميّة تحاربك، وتحاصرك، وتتكالب عليك، وفي نفس الوقت هؤلاء الأعداء عندهم نقاط ضعف واضحة، مصالحهم منتشرة في أرضنا أولًا ثم في أراضيهم هم أنفسهم وفي كلّ العالم، وهي أهداف مهمّة والوصول إليها سهلٌ نسبيًّا، فهي أهداف تناسب الحركات التي تمارس حروب عصابات، والتي هي في الغالب -في العادة- الطرف الأضعف، والقوّة الأصغر ماديًّا، وضرب هذه المصالح للعدو لا أقول يردع العدو، ويُؤثّر في ميزان الصراع، بل أقول ربّما يحسم الحرب أيضًا، فكيف نغفل عنها ونتركها؟!».

[وجوابا لسؤال: «كيف نجعل هذه العمليّات متناغمة مع أهداف الجهاد العالميّ؟» يقول رحمه الله:]

«إنّما لا بدّ أن يكون هذا الجهاد، وهذا الضرب -الذي نتحدّث عنه- لمصالح العدوّ وأهدافه في أرض العدو وفي غير أرض العدو، لا بدّ أن يكون محكمًا مضبوطًا بضوابط الشرع، وخادمًا لخطّة المجاهدين العامّة (الاستراتيجية)، منسجمًا ومتناغمًا معها من حيث اختيار الأهداف، ومعرفة الأولويّات بدقّة، ومعرفة ما يُقدّم وما يُؤخّر وما يترك وما يُقدَم عليه، مثلًا الدول الغربيّة ليست كلّها

---

(١) إصدار مرئي ضخم يتحدث عن: «الجهاد الفردي» وأثره على الكفار: تحريضا للمسلمين عليه، وحثًّا لهم على إحياء هذه السنة، وبيان التاريخ المشرف لبعض المجاهدين في هذا الجهاد، مدته ١٠٠ دقيقة تقريبًا في جزئين، نشر في جمادى الآخرة ١٤٣٢.

في دولة واحدة، لا بُدّ من الانتباه إلى هذا وفهمه جيّدًا.. والوصيّة العامّة هي أنّه من يستطيع أن يتصل بقيادات المجاهدين، ويعرف منهم ماذا يريدون وما الذي ينبغي أن يفعله، ويعرض عليهم ما عنده من فكرة أو خطّة ومعلومات وهكذا.. فهذا أفضل، لكن حيث أنّ كثيرًا من الناس ومن المجاهدين والمريدين للجهاد في ظروف الحرب الحاليّة لا تسمح لهم الظروف بذلك، فالمطلوب هو: الفهم، الفهم، ثم التوكّل على الله ﷻ؛ الأمر إذًا لا يتعدّى شيئين: وعيٌ وفهمٌ جيّد، وعزيمةٌ وإرادةٌ صادقة».

[وردًا على ما قد «يتبادر إلى الذهن أنّ هذه الدعوة إلى الجهاد الفرديّ ستُفَرِّغ الجبهات من المقاتلين، وهذا ربّما يتعارض مع الدعوات المتكرّرة من قادة الجهاد التي تدعو المسلمين للنفير!»

يقول الشيخ ﵀:]

«دعوة المسلمين جميعًا إلى الجهاد، والالتحاق بقافلة الجهاد مطلقًا -يعني بدون تقييد، أو بدون قيد كون النفير إلى الجهة الفلانيّة أو الناحية الفلانيّة- والتحريض على الجهاد هذا واجب شرعيّ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾[الأنفال: ٦٥]، وقال: ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾[النساء: ٨٤]؛ لكن من الناحية العمليّة التطبيقيّة أعتقد أنّ الدعوة إلى النفير إلى ميادين الجهاد وساحاته المتعدّدة مسألة تحتاج دائمًا إلى عمليّة تحديث، تحديث للبيانات والمعلومات؛ هل المطلوب الآن نفير أعداد من المقاتلين إلى الساحة الفلانيّة، أو الساحة الفلانيّة، أو غير مطلوب، وهكذا، هذا الذي توصّلنا إليه بالتجارب، وهذا شيء مهمّ نريد لفت نظر إخواننا المسلمين إليه.

ولكن بالرجوع إلى موضوعنا فأودّ التأكيد على نقطة، وهي أنّ الدعوة إلى الجهاد الفرديّ لا تتعارض مع الدعوة إلى النفير إلى الجبهات المفتوحة، على تفصيل طبعًا في حال الجبهات كما أشرت حينما ذكرت مسألة تحديث البيانات.

فالدعوة إلى الجهاد عامّة؛ فمن الناس من يتيسر له النفير إلى الجبهات، ومنهم من لا يتيسر له ذلك، ثم منهم من يكون مطلوبًا منه أن ينفر إلى الجبهات، ومنهم من يكون الأفيد، والمطلوب في حقّه هو الجهاد الفرديّ، بالانغماس أو بنحوه من أساليب الجهاد الفرديّ؛ فهو إذًا تنويع للوسائل، ومزيد توسعة، وتكيّف مع الواقع، واستجابة للمتغيّرات، والله يُؤتي فضله من يشاء».

[وجوابًا على كلمة للشيخ أسامة بن لادن ﵀ حول أهمية التحرز من الدماء المعصومة؛ يقول الشيخ عطية ﵀:]

«حِرْصُ المجاهدين على تجنب الدماء المعصومة والمحرّمة في سائر خطواتهم وعمليّاتهم ليس مجرّد ردّة فعل على الهجمات التشويهيّة التي تشنّها وسائل الإعلام الغربيّة والمأجورة ومن يتبعها في ترويج

تلك التهم الملفّقة من بعض الضالّين الملبّسين من علماء السوء وكتّاب الصحف وغيرهم، بل إنّ منطلقهم في ذلك هو التزامهم بدينهم العظيم، الذي ينتمون إليه ويقاتلون من أجل إقامته، ويعلمون علم اليقين أنّ سعادتهم في الدنيا ونجاتهم وفوزهم في الآخرة هي فقط بالتّمسّك به والتخلّق بأخلاقه والالتزام بقيمه النبيلة.. والمجاهدون في منشوراتهم وكتبهم وسائر أدبياتهم يؤكّدون دائمًا، وقد أكّدوا مرارًا وتكرارًا على هذه المعاني وبثّوها ونشروها، وعلى سبيل المثال: العمليّات النوعيّة التي تعتمد على التفجير واستعمال ما يعمّ به القتل سواء كانت استشهاديّة أو غير استشهاديّة، ومنها ما يكون فيه ما يُعرَف فقهيًّا بالترس، المجاهدون دائمًا وبشكل مستمرّ يُنبّهون على الضوابط والقيود الدقيقة التي يجب مراعاتها فيها ويُشدّدون في ذلك؛ على المستوى النظريّ يمكن مثلًا مراجعة كتاب الشيخ أبي يحيى: «الترس في الجهاد المعاصر»، وغيره من الكتابات، وعلى المستوى العمليّ فنحن في «جماعة قاعدة الجهاد» نضبط كلّ ذلك عمليًّا وفعليًّا -في الممارسة يعني- بواسطة لجنة من المسؤولين والكوادر على مستوى طيّب من العلم والفهم للأمور، وعلى رضًا من جهة الأمانة -والحمد لله- يدقّقون في كل عمليّة على حدة، ويجيزونها أو يرفضونها».

[وتعليقًا على ضرورة الانضمام للجماعات الجهادية إن وُجِدت في البلاد الإسلامية؛ يقول الشيخ:]

«طبعًا هذا يحتاج إلى بعض الشرح والتفصيل، ولكن يمكن أن نقول باختصار: إنّ الواجب على المجاهدين هو الاجتماع ووحدة الصف؛ لأمر الله تعالى بذلك ونهيه عن ضدّه وهو الفرقة والاختلاف والتنازع، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال: ٤٦]، وذلك في القرآن والسنة كثيرٌ جدًّا وفي غاية الوضوح، ولأنّه أيضًا لا يتمّ الجهاد ولا ينجح ولا يؤتي أكله ولا يحقّق غايته إلا بالوحدة والاجتماع.. وعليه؛ فحيث أمكن، ومهما أمكن أن يكون المجاهدون جماعةً واحدة فذاك هو المتعيّن، وبالتالي ففي الجبهات (ساحات الجهاد) فعلى المسلم الذي وفقه الله للنفير إلى ساحة من ساحات الجهاد ليجاهد في سبيل الله في البلدان التي فيها جهاد وفيها جماعات جهادية واضحة الراية وشرعيّة ومؤهلة للقيام بالجهاد وقائمة به فعلًا؛ عليه أن ينضمّ إليها ويجاهد تحت رايتها».

[وفي ختام هذا الشريط يتفضّل الشيخ عطيّة الله بالإجابة على بعض الأسئلة التي قد تعترض سبيل المسلم المقبل على القيام بفريضة «الجهاد الفرديّ»]

[مسألة التأشيرة ما تقولون فيها؟]

«الحقيقة.. مسألة التأشيرة مسألة محيّرة فعلًا ومعقّدة وشائكة، ونحن وأمّتنا نعيش في عالم معقّد وفي واقع لم نصنعه نحن المسلمين، ولم نشارك في صناعته، واقع فيه اختلاط كبير في الأمور، والمسألة -مسألة التأشيرة- مسألة اجتهاديّة قابلة للاختلاف؛ قابلة لاختلاف الناس فيها، وفي ظنّي أنّها لم تنضج بعد، وأتمنّى أن يوفّق الله جماعة من أهل العلم المتمكنين الأمناء الصالحين إلى بحثها وتحريرها، ونحن لم نهمل النظر فيها والبحث والدرس والاطلاع على أقوال أهل العلم المعاصرين فيها، والتباحث مع بعضهم وسؤالهم واستفتاءهم، ونعرف أقوال أهل العلم فيها ومداركهم والحمد لله.

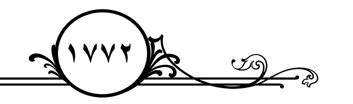
والذي يمكن قوله الآن هو أنّ الذي ترجّح عند كثير من المجاهدين -أكثرهم لعلّه- والذي عليه العمل عندنا أنّ التأشيرة «الفيزا» لا تُعدّ عقد أمان، ومن جيّد ما كُتِب فيها ما كتبه الشيخ الدكتور «أيمن» حَفِظَهُ اللهُ في كتاب «التبرئة»، والمسألة مسألة قديمة مطروقة قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وطالما كانت تبحث وتناقش، ونعرف مثلًا رأي الشيخ عبد الله عزّام رحمه الله فيها، وأخونا الأستاذ «أبو مصعب السوريّ» -ثبّته الله وفرّج عنه- له كلام مفيد فيها وشرح لحيثياتها في أشرطته المسجّلة جزاه الله خيرًا، وقد وقع السؤال في شأنها لبعض العلماء، وأفتوا فيها بهذا وهذا، ونحن نعرف بعض العلماء المشهورين اليوم ممّن يتكلّمون كلامًا مختلفًا الآن، كانوا إلى أمدٍ قريب يفتون بأنّ التأشيرة لا تُعَدّ عقد أمان ولا شبهة أمان، ونسأل الله عز وجل أن يلهمنا الرشد والصواب ويجنّبنا الزلل، وأن يعيذنا من مضلّات الهوى».

[وهل هناك مانع من مشاركة المسلمين في الغرب وغيرهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين وردّ العدوان وشبهة ما اصطلح عليه بعهد الأمان الاجتماعيّ؟]

«الأمان من مسلم لكافر قابلٍ للأمان.. أحكامُه وشروطه معروفة في الفقه ومبسوطة في مواضعه من كتب الفقهاء، **والأمان منه الصريح** وهو المتلفّظ بإنشائه وعقده، أو ما في قوّته، **ومنه الضمنيّ**، لكن أمان اجتماعي بهذا المعنى الذي يحاول بعض الناس أن يسوّقه، هذا شيء محدث وغير منضبط، والله أعلم.. ثم على فرض أنه وقع شيء من أمن الناس بعضهم بعضًا في بعض الأزمنة، وأراد بعض الناس أن يجعله أمانًا شرعيًّا؛ فإنّ الكفرة ينقضون هذا الأمان المدّعى باعتداءاتهم الصريحة والمتكرّرة على الإسلام والمسلمين، والله أعلم».

[ما ردّكم على من يقول إنّكم بهذه الأعمال تستعدُون عليكم كلّ الأمم وتفتحون جبهات أنتم في غنى عنها؟]

«الحمد لله، أنا أعتقد -وقلت هذا مرارًا- أن المجاهدين هم بفضل الله تعالى من أحسن من يجيد فن تحييد الأعداء، والتحكّم في فتح الجبهات؛ فالمجاهدون يفتحون من الجبهات على وعي وبخطوات



مدروسة بحسبه، ولسنا مستعجلين والحمد لله، نسأل الله أن يثبّتنا وإخواننا جميعًا على الحق، وعندما نتكلّم عن هذا النوع من الجهاد، الجهاد الفرديّ فنحن لا نطلب من المجاهدين استهداف البرازيل وفنزويلا مثلًا، ونحن لا نضع جميع الدول الكافرة على قدم المساواة من الناحية السياسية، حتى دول أوروبا، نحن نفرّق بينها؛ فمن تورّط في محاربة الإسلام والمسلمين عمومًا أو في محاربتنا نحن المجاهدين بشكل خاص غير الذي اجتنب ولم ينصب لنا عداء بشكل عمليّ، وكذلك الدول التي اجتنبت المشاركة في غزو بلاد المسلمين واجتنبت قتل المسلمين في أفغانستان والعراق وغيرهما، غير الدول التي تورّطت، والتي أوغلت في التورّط والعدوان والتجنّي والإساءة، غير التي اقترفت شيئًا على استحياء وتخوّف. نحن نفرّق ونميّز ونبّهنا إلى أهميّة فهم هذه المسألة حتى في الكلام عن الجهاد الفرديّ الذي نتحدّث عنه اليوم».

[وفي الختام كيف يمكن الاستفادة من هذه الأعمال المتفرّقة هنا وهناك حتّى تصب في مصلحة الجهاد العالميّ، وما دور الإعلام الجهاديّ في هذا الصدد؟]

«الإعلام الجهاديّ سواء كان المركزيّ الرسميّ أو شبه الرسميّ المساند والداعم دوره مهم جدًّا طبعًا، نسأل الله أن يبارك فيهم جميعًا، وأن يتقبّل سعيهم وجهادهم، وسهرهم وبذلهم في سبيله.

وإن كان لنا من وصيّة فنوصي دائمًا بالتثبّت من الأخبار، وتعليم الناس التثبّت والصدق والدقة الكاملة في نقل الخبر والمعلومة، والتمرّن على مهنيّة العمل الإعلامي، واكتساب فضيلة مناقشة وبحث كلّ القضايا بموضوعيّة وصدق، ولا يكن همّ الإعلاميّ أو المؤسّسة الإعلاميّة هو السبق ومجرّد الإثارة مثلًا، فهذا ليس من صفتنا بل هو من جنس مرض حب الظهور والشهرة والعياذ بالله، نحن دعاة هداية وطالبو حق وناشدو عدل على مهلٍ وتؤدة.

لكن إجابة على سؤالك بالتحديد أنّه كيف يمكن الاستفادة من هذه الأعمال المتفرّقة حتى تكون كل الأعمال -أعمال الجهاد الفردي- خادمة للمشروع الجهادي الكبير للأمّة، فهذا في نظري يكون بأشياء لعلّ من أهمّها:

- التناسق والتناغم مع استراتيجية المجاهدين كما قلنا.
- توحيد الخطاب في وصايا الاستشهاديين وكلمات المجاهدين وبياناتهم بالتركيز على دوافعنا الأساسية للحرب والجهاد والقتال بذكر أنّنا مظلومون معتدى علينا، وأنّنا ناشدو حريّة، وعندنا قضيّة عادلة، ونحن في دفاع وردّ للعدوان، ويأتي هنا في المقدمة ذكر قضيّة فلسطين المحتلّة والدعم الأمريكيّ اللامتناهي لدويلة إسرائيل اللقيطة، والحضانة الأمريكيّة الكاملة لها، وكذا بالنسبة لبريطانيا

مثلًا وبعض الدول الأخرى.

- ثم بعد ذلك يأتي ذكر قضايا أخرى مثل قضيّة أفغانستان وهكذا بحسب ما يناسب.
- أيضًا توحيد المطالب والتماهي في هذا مع المطالب المركزيّة الواضحة والمحدّدة للمجاهدين، قدر الإمكان طبعًا لأنّه قد تكون هناك بعض الاستثناءات، حاليًّا من أهم المطالب الخروج من أفغانستان بالنسبة للدول المتورّطة مع الأمريكان في حرب المسلمين في أفغانستان، والله الموفّق».



۞ فجر النصر الوشيك[1]:

تراخـــى الزَّمـــان عـــلى أُمَّتِـــي ... ونالـــت مِـــنَ الضَّـــيْم مـــا نالهـــا

ولمَّـــا نهضـــنا عـــلى علَّـــةٍ ... وثُرنـــا لنـــنفضَ أثقالهـــا

تقحَّمـــت الـــرُّوم في جحفـــلٍ ... تريـــد الـــبلادَ وأموالَهـــا

وهَـــدْمَ عقيـــدتنا والتُّقَـــى ... ونـــشرَ الرذيلـــة أنَّـــى لهـــا!

تظـــنُّ العقيـــدةَ في غفلـــةٍ ... ولكـــنَّ في الغـــاب أبطالُهـــا

تريـــد النُّفـــوسَ بـــلا عـــزةٍ ... نمـــوتُ ونـــرفضُ إذلالَهـــا

عقيـــدةُ أحمـــدَ منهاجُنـــا ... بحـــقٍ ولـــيس ادِّعـــاءً لهـــا

وحُـــبُّ النبـــيِّ اتِّبـــاعٌ لـــه ... وبـــذلُ النفـــوسِ وأموالهـــا

ولـــيس التَّبـــاكي عـــلى آلـــه ... وضربَ الـــدُّفوف وموالهـــا

وجلـــبَ الأعـــادي إلى أرضـــنا ... ونصـــر النَّصـــارى وأذيالهـــا

فـــما كـــان إلاَّ وأن أصـــحروا ... وزُلزلـــت الأرضُ زلزالهـــا

وهبَّـــت ليـــوث الـــوغى هبـــةً ... وحطَّمـــت الأُسْـــدُ أغلالهـــا

وعافـــت نفـــوسٌ مضـــاجيعها ... ونـــادى الحرائـــرُ أشـــبالها

وأفغـــانُ عـــادتْ تـــدقُّ الطبـــولَ ... وتـــضرب للحـــرب أمثالهـــا

وثـــارت عشـــائرُ مـــن يعـــربٍ ... وضـــجَّت تقـــدِّم أبطالهـــا

وأحفـــادُ فـــاتح قـــد شـــمَّروا ... وأبنـــاءُ زنكـــي تَـــدَاعى لهـــا

وأبنـــاءُ طـــارق وســـط الصـــحاري ... وتلـــبس للحـــرب سربالهـــا

وصـــومالُنا أظهـــرت بأسَـــها ... تـــردُّ الجيـــوش وآمالهـــا

---

(١) نُشر هذا الإصدار بمناسبة مرور عشر سنوات على غزوات الثلاثاء، وصُدِّر بهذه القصيدة التي قرأها الشيخ: عطية الله، ونظمها الشيخ الإمام: أسامة بن لادن -تقبلهما الله-، مدته ساعة، ونُشِر في شوال ١٤٣٢.

وكابــــلُ لم تـــنِ في حربهـــا | و«غـــزني» تفجِّـــر أرتالهـــا
وأنبارُنـــا عـــاودتْ ضربهـــا | تؤيِّـــد بالفعـــل أقوالهـــا
وبغـــدادُ عـــادتْ لهـــم مـــوئلًا | تحـــدُّ مـــن البِـــيض أنصـــالها
ديـــالى ومَوْصـــلُ موصـــولةٌ | تقطِّـــع للـــروم أوصـــالها
ونـــصر الإله وألطافـــه | لنـــا قـــرَّب الله آجالهـــا
وعُقبـــى الجهـــاد دخـــولُ الجنـــانِ | يقينًـــا فطـــوبى لمـــن نالهـــا

❋ ❋ ❋



الوثائق والرسائل الخاصة

وثائق «أبوت أباد»



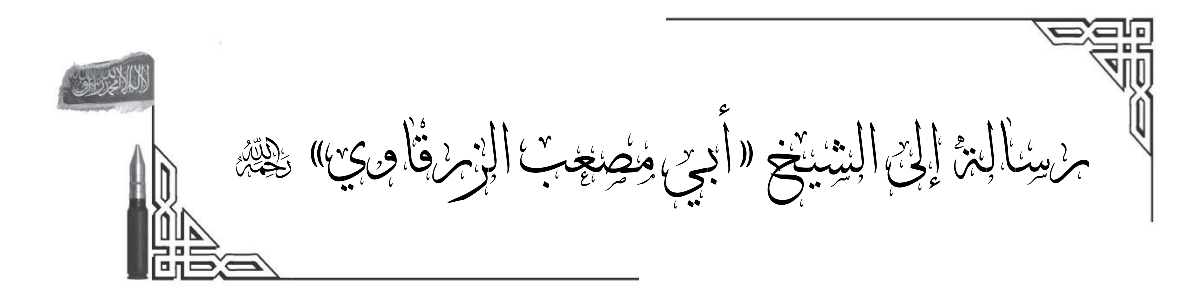


تنبيه:

وثائق أبوت آباد هي مجموعة مراسلات عثرت عليها «أمريكا» في منزل الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله حين اغتياله، وقد تم عرضها على المشايخ وتزكية الجزء الأول منها؛ فقد نقل أبو مريم الأزدي تزكية الشيخ أبو يحيى الليبي لها فقال: «أكد الشيخ أبو يحيى صحتها، وقال أنها تتضمن فوائد وحكم»، وكذلك فعل الشيخ نصر بن علي الآنسي حين سئل عن صحتها، فقال: «نعم هي صحيحة ولكن فيها نقص»، وكذلك استدل بهذه الوثائق الشيخ د.أيمن الظواهري في كلمته: «شهادة لحقن دماء المجاهدين بالشام» مُقِرا بأن الأمريكان قد وجدوها في بيت الشيخ أسامة رحمه الله.

وقد سألنا أصحاب الشأن وبعضهم من المجاهدين في خُراسان عن الجزء الثاني والثالث من هذه الوثائق؛ فقالوا: هي صحيحة في الجملة ولكن يتعذر التأكد من عدم إضافة سطر أو جملة إضافية.

والله تعالى أعلم



[رسالة خاصةٌ نُشرت في «مركز الوثائق» التابع لـ«جهاز مكافحة الإرهاب الأمريكي»؛ ضمن الوثائق التي عثر عليها الأمريكان في بيت الشيخ أسامة رحمه الله، وقد زكى هذه الرسالة «تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» وذكروا أنها وصلتهم مسبقا بطريق رسمي]

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ العزيز والصديق الحبيب والسيد الشهم النبيل أبي مصعب حفظه الله ورعاه وسدد خطاه، ورفع في الدارين درجته وأكرم مثواه، من أخيه المحب عطية عفا الله عنه.

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وجنده، وبعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نسأل الله أن تكونوا بخير وعافية ممتعين بالقوة ممدودين بالتوفيق من المولى القدير عز وجل، ونسأله تعالى لكم النصر على الأعداء وأن يربط على قلوبكم ويثبّت أقدامكم ويمدّكم بمدد من عنده وينزل عليكم وعلى سائر إخوانكم ممن قِبلكم السكينة ويغشّيكم الرحمة ويكون لكم عونا ونصيرا، إنه نعم المولى ونعم الوكيل.

أخي العزيز، سأختصر الكلام اختصار وأتوكل على الله تعالى ثم أثق في سعة صدرك وعلوّ كعب أخلاقك، وصدق محبتك لي وحسن ظنك فيّ، وثقتي أنك تسدّ الخلل وتستر العيب والزلل، وتغضي إن بدر من أخيك ما لا يليق، وأشرع في المقصود متجاوزا العمومات والإجمالات إلى التفاصيل والجزئيات، وعلى الله قصد السبيل، ومنه أستمد العون والتسديد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أخي الحبيب السعيد إن شاء الله أبا مصعب الخير وفقه الله، يعلم الله كم نظن فيك الخير وكم نحن واثقون فيك وفي دينك وإخلاصك نحسبك كذلك والله حسيبك، وأنت خيرٌ منا، سبقت ووفّيت وما

ترددتَ ولا توانيتَ ولا ألقيت السلاح، بل واصلت في الله الجهاد والكفاح، حباك الله بصفات طيبة وأنعم عليك بخلال كريمة: من صدق التوجّه والحرقة على الدين والتأثر بمصاب أهله والنجدة لهم، والهمة العالية في القيام بما تراه الحق والصواب وإن خالفتك الدنيا كلها، قوة إرادة وعزيمة يفتقدها الكثير من الخلق حتى من أهل الصلاح والعلم منهم، وشجاعة وصدق نحسبك كذلك، وغير ذلك من محاسن الأخلاق والشيم، مع حسن الديانة، نحسبك كذلك، فهذا ظني فيك ما تبدّل وما تغير، ولقد عرفتُ الناس وبلوتهم، فلا يكاد يخفى عليّ النائحة المستأجرة من الثكلى إلا ما شاء الله، ولستُ هنا أزكيك فأنت أدرى بنفسك وبعيوبك ونقصك أيها العبد أكثر من أي أحدٍ، ولكني أذكرك بنعم الله عليك وما وهبك مما عرفناه نحن، وأجعل ذلك توطئة لما سأقوله لك من الرأي والنصيحة والتوجيه؛ فإن حديثي سيكون في غالبه عن السلبيات والتحذير من المهلكات المفسدات، ولن أتعرّض للإيجابيات والحسنات فهي الأصل ولله الحمد والمنة وهي الأكثر الغالب بفضل الله، فلا تجدنّ في نفسك من ذلك، فإن المقام مقام تصحيح وتوجيه ونقد، لا مقام تقييم ولا مدح وترجمة، ولو شاء الله وترجمنا لك فستجدنا نحن أحبابك وإخوانك أنصف الناس لك وأنصحهم وأشفقهم عليك وأرعاهم لحقك وأثناهم عليك بالحق وأسترهم إن شاء الله؛ فأنتم المجاهدون لأعداء الله حقا، القائمون مقامات الصدق والبيع مع الله، الظاهرون بالدين المظهرون له، أنتم من مرّغتم في التراب أنف أمريكا أكبر قوة صلبية كافرة في التاريخ، وأرغمتموها وكسرتم هيبتها وأطحتم بها في الحضيض، وأجرى الله على أيديكم من الخير العميم من إيقاظ الجيل والنهضة بالأمة قدرا طيبا واصلتم به المسيرة في وقت عصيب، هيّأكم الله له بفضله ومنّه، وبعض ذلك يكفي للفخر في الدنيا لمن أراد، وللرفعة في الآخرة لمن احتسب، نسأل الله أن يسددنا وإياكم ويرزقنا الفقه في الدين إنه جواد كريم بر رؤوف رحيم.

فيا أخي وحبيبي بارك الله فيك وأعزك الله وحفظك اسمع مني هذه الكلمات، وضعها نصب عينيك وكن منها على ذكر، واعلم أنها إن ساءك شيءٌ منها في نفسك شيئا ما فإنها والله خير، وإنك ربما لن تسمعها من غير محبّك، وربما احتجتَ إلى من يقولها لك وقل أن تجده في مقامك هذا إلا أن يشاء الله.

أخي الحبيب، إنك اليوم رجلُ عامةٍ، صرتَ محط أنظار الناس، وصارت أفعالك وقراراتك وتصرفاتك ليست لك أنت فقط غنمها وغرمها، ولكن للإسلام وعلى الإسلام والمسلمين والمجاهدين خصوصا «الطائفة المجاهدة» في الأرض اليوم، وهذا وإن كان نعمةً من الله من بعض وجوهه، فإنه من وجهٍ آخر بلاء وتكليفٌ واختبار عظيم، يبتليك الله ويبتلي بك، ولا تدري هل أنت

فيه ناجٍ أو غير ناجٍ، وأنت على خطر عظيم، فلطالما تمنّى الصالحون أن يخرجوا من مثله كفافا.!

وأنت يا أخي تولّيت هذا المقام (مقام قائد أكبر مجموعة للمجاهدين في الأرض اليوم تقاتل الأمريكان وتنكي فيهم)، وصارت لك هذه الهالة والمكانة واختلف الناس فيك بين محب ومبغض وحامدٍ وشاتم وغالٍ متعصب في هذا الجانب أو في ذاك، وصار لك صوتٌ يصل إلى الأعداء وإلى الأمة، وصارت أفعالك يصل تأثيرها إلى الدنيا كلها، وتُرصَد وتُحلَّل، وأنت يا أخي يصعب عليك تحمّل هذا المقام والتكليف والقيام به، وربما قصّرتَ فيه وعجزتَ عنه، وربما ظننت بسبب بعض المؤثرات أنك تحسن صنعا وأنت تسيء وتخطئ في أشياء مهمة وخطرة أحيانا، فيحصل بسبب ذلك انثلام وفساد لا قدّر الله، هذا أمر يحتاج إلى آمالٍ كبيرة جدا، لا يكاد يوجد في آحاد رجالنا اليوم، فلا بد فيه من استعمال مبدأ التكميل للنقص، وذلك هو محور ما أريد لفتك إليه، فكان لزاما يا أخي العزيز أن تراجع هذا الأمر؛ فالقيادة العامة للأمة ومنصب التوجيه، يصعب عليك جدا، بل يصعب على من هو أعلى منك، ولا تقدر عليه لو تفردتَ وظننت أنك تقدر عليه، وتولّيك له بهذا الشكل فيه صعوبة وخطر، فانتبه لهذا الأمر لأنه ربما تكثر الأخطاء ولن تستطيع أن تستوعب الناس وتسوسهم وتقود أمةً من البشر وشعوبا وتوجههم.

لا بد إذن من تكميل النقص بالأعوان والإخوة المشاورين المعاضدين وبالرجوع للقيادة التي هي أعلى منك وأقدر.. وغير ذلك.

لا بد أن تضع نصب عينيك أنك قائد ميدانيّ في ناحية تحتَ قيادة كبيرة هي أقوى وأكثر قدرة على القيادة العامة للأمة.

ولا بد أن تترك بعض رأيك أو كثيرا من رأيك لرأي إخوانك الناصحين ولا سيما قياداتك ومن سبقك في هذا الشأن.

أخي الحبيب، أنت تحقق نجاحات وتنكي في أعداء الله وتثخن وتفعل وتفعل، وهذا شيء طيب وعظيم لا نقلل منه أبدا، نسأل الله أن يبارك ويزيد، ولكن ليس هذا كل شيء، فالطريق طويل وصعبٌ، والعدو ليس بالسهل، وهو كبير وكثير وبإمكانه أن يتحمّل الكثير أيضا، وإنما النصر الحقيقي هو انتصار المبادئ والقيم وانتصار الدعوة، والفتح الحقيقي هو الفتح في قلوب الناس، وتأمل تسمية «صلح الحديبية» فتحا، والسياسة لا بد أن تكون مهيمنة على العسكرية، هذه من قواعد الحرب التي اتفقت عليها الأمم كلها كافرها ومسلمها، أي أن العمل العسكري هو خادم للسياسة، ونحن أهل الإسلام أهل سياسة وحكمة وعقل وحسن تدبير ملاكها العدل والرحمة والإحسان.. الخ، وشريعتنا

أكمل الشرائع الحنيفية السمحة ولله الحمد ، قال علماؤنا: حنيفية في التوحيد (الكمال في التوحيد) سمحةٌ في الشرائع (اليسر والسهولة والوضوح والواقعية وغير ذلك من خصائصها).. فما لم تكن أعمالنا العسكرية خادمة لسياستنا الشرعية الحكيمة، وما لم تكن أهدافنا ونجاحاتنا المرحلية خادمة لهدفنا الأكبر ومقاصدنا العليا فهي أشبه بالتعب والنصب والغرور، وأشبه بفرح الأطفال قليلا بشيء أول النهار يكون عليهم وبالا في آخره ومسائه.!! نسأل الله العافية والسلامة.

فلا تغتر يا أخي الحبيب بالنجاحات السريعة والمرحلية، وكن على حذر من خطئك مهما صغر فإن الأخطاء إذا تراكمت أهلكتْ، ولا تستهِن بأي نقص من أي جهةٍ دخل عليك، بل سارع إلى سدّه وتكميله، ولتكن مفكّرا في العواقب، متوكلا على الله في كل ذلك آخذا بما شرع من الأسباب.

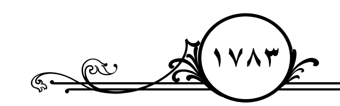
وقد كنت قديما تحدثت معك ومع الكثير من الإخوة في ما حصل في الجزائر، فكن منه على ذكر.. ويا أخي ما فائدة أن نفرح ببعض العمليات والنكايات الناجحة ثم تكون العاقبة القريبة انكسارًا لنا لدعوتنا وفقدانا لعدالة قضيتنا ومنطقيتها عند العوامّ الذين هم جماهير الأمة الجهلاء والبسطاء، الذين تراكمت عليهم دهور التجهيل والتضليل والإفساد، ومزيدا من تسلط الأعداء ومن القهر والذلة تدخل علينا، ومزيدا من الشرور والمفاسد والخسران للإمكانيات والتضييع للفرص...؟! فعلينا أن نتنبه لهذا ونأخذ بكامل الأسباب المشروعة ونضغط على أنفسنا في ذلك، فإن (**المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله**)(١) كما قال نبينا ﷺ، نعم نحن مستمرون في الجهاد ومقارعة أعداء الله إلى آخر رمق وإلى آخر قطرة من دمائنا إن شاء الله، نجحنا في العراق أو انكسرنا، وصلنا إلى شيء أو لم نصل، ولكن حرام علينا أن نضيّع الفرص التي يمنحنا الله إياها بتقصيرنا وتهاوننا وعدم أخذنا بالأسباب؛ فإن الأخذ بالأسباب التي دلت الشريعة على اعتبارها ودلت التجربة والحس على أنها سبب موصل للمقصود أقول التقصير والتهاون في ذلك محرم إذا كان المقصود (الهدف المراد) واجبًا.!!

فأمرنا هنا مجموع شيئين: الشريعة والتوحيد، وهما: الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.

نعم، ما أنت فيه أمر هجم عليك وحصل لك بدون تخطيط منك وتشرّف وحرصٍ، نعم ذلك صحيح إن شاء الله، والمرجو من المولى الكريم ﷻ أن يعينك ولا يكلك إليها، ولكن أيضا عليك أن تعرف قدراتك وقدراتنا جميعًا، وتراعي ما تقدر عليه وتستطيعه، ولا تندفع ولا تستعجل، فربما تأخّر المستعجل.!

---

(١) سنن الترمذي (١٦١٢) وصححه الألباني، مسند أحمد (٢٣٩٦٦) وقال: حديث صحيح.



فإن سألت: هل آمرك بالتخلي عما أنت فيه من الأمر؟

جوابي: لا، ليس بالضرورة، أي أن ذلك ليس بلازم، مع أنه ممكن لو أنت رأيت في وقت من الأوقات من هو خير منك وأصلح، كما كنت نصحتك بهذا قديما، ما لم يمنع من ذلك مانع من عجزٍ أو خوف مفسدة ما أو نحو ذلك، وهذا أمر أنت أقدر على تحديده وتقديره.

لكن آمرك يا أخي بتكميل النقص كما سبق القول، وكما تعرف أن هذه هي قاعدة الولايات في الشريعة: أن يولّى الكفء؛ فإن لم يمكن فالأصلح فالأصلح بحسب الإمكان، وليكمَل نقص الناقص بما يمكن من الطرق والوسائل المشروعة.. فأنت لا بد لك من تكميل نقصك بأشياء كثيرة، ولا يكفي أن يكون معك لجنة شرعية ومجموعات من الشباب الناقصي الخبرة والتجربة مهما كانوا.. وبالجملة سأنصحك في هذا الإطار بمجموعة من الإجراءات:

❖ أن تمتنع عن أخذ أي قرار في مسألة جامعة -أمر جامع- وفي الأمور الكبيرة، حتى ترجع إلى قيادتك الشيخ أسامة والدكتور وإخوانهم هناك، وتشاورهم، وأيضا أن تشاور إخوانك المجاهدين معك في العراق نفسها مثل إخواننا «أنصار السنة» وغيرهم، مهما اختلفت معهم ومهما كان لك عليهم أو على بعضهم من ملاحظات أو مؤاخذات، مثال ذلك: مسألة الإعلان عن حرب الشيعة الرافضة وقتلهم، ومسألة توسيع رقعة الحرب إلى بلدان مجاورة، والقيام ببعض الأعمال الكبيرة التي تؤثر كثيرا ويعمّ أثرها، وما شاكل ذلك.. بل أكثر من ذلك: مشاورة حتى غير المجاهدين من أهل الخير في الجملة من أهل البلد عندك أهل السنة، ومن قاربهم، وإن كانوا على بدعة أحيانا أو حتى نفاق، ما داموا مسلمين متفقين معنا في المقاومة والجهاد غير واقفين مع الكفار.. مثل كثير من العلماء وزعماء العشائر ونحو ذلك، لأن مشاورتهم (وليس معناه بالضرورة الأخذ برأيهم في كل مرة ولا في الأكثر) وإشراكهم في الأمر سياسة حكيمة دلت عليها الدلائل من الشرع والعقل والتاريخ ومعارف الأمم وتجاربها، وسأكلمك أكثر عن احتواء الناس وتألفهم واصطناعهم وتطييبهم وغير ذلك، فذلك يا أخي هو سبيل كبير للنصر والفتح لا يقل عن العمليات العسكرية، بل هو في الحقيقة الأصل والعمليات العسكرية يجب أن تكون خادمة مكمّلة له، فعندما تحتوي الناس وتسعهم بأخلاقك وكلمتك الطيبة ومسايستك وتربيتك تكون قد امتلكت أكبر وسائل النصر على عدوك بإذن الله، وإذا أحبك الناس وعظموك عن محبة وودّ، وعطف اللهُ قلوبهم عليك، كان ذلك أنجح وأقوم لكلمتك وأحفظ لك من كل مكروه يخطط له عدوك.

❖ آمرك يا أخي -وأنا أخوك ولا أملك إلا هذه الكلمات بيني وبينك والله ثالثنا- أن تبعث رسلا

من عندك يأتون إلى «وزيرستان» ويلتقون بالإخوة القيادات والعقلاء والمجربين والمشايخ هنا، لأنك أنت فرصتك في إرسال الرسل (إخوة تختارهم) أكثر من فرصة إخوانك هنا، أنت عندك إن شاء الله إمكانية أن تجند لهذا الأمر من الشباب والرجال الغير محروقين والقادرين على التحرك ويحملون الخطابات وينقلون لك الجوابات وهكذا، فقط ضع هذا من أهم أولوياتك وجدّ فيه واحرص عليه يسهّله الله لك، وأنا أقول لك شيئا قد يبدو لك مبالغة ولكن تأمله: إن تجهيز إخوة وتجنيدهم وإعدادهم لكي يكونوا رسلا بينك وبين القيادة هنا، هو أهم من تجهيز وإعداد وإرسال إخوة لبعض العمليات مثل عملية فنادق عمان الأخيرة!!

نعم، والله لستُ الهازل، ولكن أهمية تواصلك مع إخوانك هنا والتباحث المستمر والتشاور والمشي معهم على خطط مدروسة وتفاهم وانسجام وتسديد لهو أهم من كثير من العمليات الكبيرة.

فاجتهد يا أخي بارك الله فيك وأرسل رجالك ينقلون لك التوجيهات والنصائح والأفكار والاقتراحات والمشورة والنقد والرأي الناضج من إخوانك، وأنا في زيارةٍ لهم الآن وأكتب لك هذه الرسالة وأنا بين أظهرهم، وهم لهم ملاحظات على بعض أوضاعكم سددكم الله -مع كامل الثقة والمحبة والإعظام والتقدير- ويودّون أنهم يملكون طريقا لمخاطبتك ونصحك وتسديدك وتوجيهك، لكن هم أيضا مشغولون بأعداء شرسين هنا، وهم أيضا ضعفاء نسأل الله أن يقوّيهم ويجبر كسرهم، وعندهم مشاكلهم الخاصة الكثيرة، لكن هم أهل عقل وتجربة وعلم نافع وصلاح، ورأيت كلمتهم مجتمعة على مجموعة من الملاحظات والتوجيهات، تجد خلاصتها في رسالة الدكتور التي نشرها الأمريكان، وهي رسالة صحيحة، وهي تمثل أفكار الإخوة المشايخ والقيادات العلمية والأدبية كلها هنا، فأرجو أن تتأملها مليّا وتركز جيدا على كل أفكارها، وتعمل بالمستطاع منها وتحمل نفسك عليه، ودع عنك سبيل الأعذار وإبداء الفوارق، وهذه الرسالة تمثل معظم وخلاصة ما يريد أن يقوله لك الإخوة ، وخاصة في الأبواب الآتية:

❖ **اكتساب الناس وتأليفهم والحذر من تنفيرهم**، والرفق بهم وخدمتهم وأخذهم على علاتهم (أي بما فيهم من قوة وضعف وصلاح وفساد وحسن وسيّء.. ولا تنافي هذا الاستمرار في الأخذ بأيديهم إلى الخير والأفضل) واصطناعهم ونيل تعاطفهم بكل مستوياتهم ودرجاتهم، والحذر كل الحذر من القسوة عليهم أو إذلالهم وتخويفهم أو التعجل في الأحكام عليهم أو حتى التعجل في إصلاحهم بشكل قد لا يستوعبونه ويكون لهم فتنه وينقلبون علينا وعليك كراهية ومضادّة.. ولكن بالهوينى وبالشوية بالشوية بالتدريج الواسع البال، والإغضاء والسكوت عن كثير من أخطائهم وبلاويهم،

وتحمل كثير من الضرر منهم في سبيل أن لا ينفروا ولا ينقلبوا أعداء بأي مستوى من المستويات.

❖ **الاعتناء بطبقة العلماء والمشايخ** في العراق على الخصوص وفي العالم أجمع، واحترامهم على الجملة، وعدم التعرّض لأي منهم مهما كان ومهما أخطأوا تأليفا لقلوب العامة حتى يفتح الله، ثم بعد ذلك يكون لنا خطاب آخر، اللّهم إلا حالات معينة خاصة ضيقة جدا يكون فيها انحراف العالم واضحا جدا كانحراف سيد طنطاوي أو الخبيث العبيكان مثلا، مع أننا مستغنون عن الكلام في أي أحد منهم، فالسياسة الشرعية تعطينا ذلك وتؤكد علينا فيه.. وخلاصة الموضوع ولبّه أن العلماء هم مفاتيح الأمة وهم قياداتها هذا شيء واقع شئت أم أبيت، فنحن نتلطف معهم غاية التلطف في العبارة والخطاب ونظهر احترامهم وتوقيرهم على الجملة تألفًا لهم ولمن وراءهم من العامة وهم جمهور الأمة، فإنك إن ظهرت أمام الأمة في صورة المشاقق لطبقة العلماء المخالف لهم قليل الاحترام لهم الساب لهم الشاتم فإنك تخسر الناس وتفشل في أي دعوة وعمل سياسيّ، من أجل ذلك نصطنعهم بالسكوت والإغضاء وبالكلمة الطيبة حتى مع المخالفة لهم في عظائم الأمور علميا وعمليا، ويدخل في ذلك السعي في الاتصال بالعلماء الصالحين والذين فيهم خير ولو مع شيء من الدخن، وتأليفهم ومشاورتهم وسؤالهم واصطناعهم في العراق وفي الجزيرة وغيرها، والثناء عليهم بالخير واستحثاثهم للقيام بواجب النصرة والجهاد والأمر والنهي والقيام بهذا الدين والثناء عليهم بما فيهم من خير والسكوت عن بعض مساوئهم، فإن كان لا بد فبالنصح بغاية التلطّف وبإظهار كامل الاحترام والتأسف والشفقة والرحمة، وهكذا، لا بد أن تأطر نفسك على هذا الشيء، وتكون ذليلا للمؤمنين، وتكشر في وجوه الناس حتى وإن كان قلبك يلعنهم، وإن كانوا مقولا فيهم «بئس أخو العشير» وغير ذلك..

ومن أشد ما يدخل في ذلك الحذر كل الحذر من محاولة قتل أي عالم أو زعيم عشائري مطاع مستور الحال في العراق ممن ينتمي إلى أهل السنة ، مهما كان، بل نواجه شر كل ذي شر بوسائل أخرى كثيرة من المجادلة وجهاد الكلمة وغير ذلك، وبشيء من الحكمة والصبر والأناة، ونستمر في جهادنا، وحين يفتح الله وتكون لنا الغلبة يمكن أن نتصرف بوجه آخر بحسب ما يناسب حينها، ويمكن أنه هو نفسه -الذي كان عدوك- يأتي إليك ذليلا صاغرا مستسمحا خائفا وجلا طالبا الصفح، فيغنيك الله عن أي تصرف فيه سوء مغبة، وتكون لك اليد العليا، ويكون مقاماتٌ أخرى أعلاها العفو والإحسان وأدناها العدل.

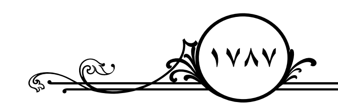
❖ والمسألة الأخرى، **الحذر كل الحذر من أن تتعصبوا لاسم القاعدة أو أي اسم وتنظيم**، وإنما كل المجاهدين من إخواننا أهل السنة إخواننا وأولياؤنا ما داموا مسلمين ولو كانوا عصاةً ولو كانوا فجارا،

سواء دخلوا معنا في التنظيم أو لم يدخلوا، فهم إخواننا وأولياؤنا وأحبابنا، نتعاون معهم ونتناصر ونتعاضد ونعمل معا، وما يدريك لعلك تذل غدا ويعزّون، وتقل ويكثرون؟! فأنت بالله ثم بإخوانك وبعطف اللهِ قلوبَ الناس عليك، وإلا فقد جاهد أناس كثيرون قبلك ووصلوا إلى أكثر مما وصلت إليه..! سلني إن شئت عن الجزائر سنوات أربعة وتسعين وخمسة وتسعين حين كانت في عز قوتها وتمكنها وكانت على وشك أخذ الدولة، وكانت الدولة على شفا انهيار في أية لحظة، عشتُ هذا نفسي ورأيته رأي العين لم يخبرني به أحد، ولكن إنها أهلكوا أنفسهم بأنفسهم بسوء صنيعهم وقلة عقولهم وغرورهم واستغنائهم عن الناس وتنفيرهم لهم بالظلم والتعسّف والتشديد، وقلة الحلم والتلطف والرفق، لم يغلبهم عدوهم، وإنما هم غلبوا أنفسهم وتآكلوا وسقطوا، والله غالبٌ على أمره ﷻ، وله الأمر من قبل ومن بعد. لا بأس –بل هو حسنٌ مطلوبٌ– أن يستمر النصح منا لإخواننا أن يتحدوا معنا أو يدخلوا في القاعدة وتحت الشيخ أسامة، على سبيل النصح والتناظر والتباحث بين الإخوان والأحباب للوصول إلى الأفضل وإلى الصواب وإلى خير الخيرين، ولكن لا تعصّب ولا بغي ولا عدوان ولا ظلم، وإنما بالنصح الصادق والتباحث والرفق والمحاورة الحسنة في العلم والفقه والرأي ومع كمال الأدب وحفظ الحقوق، فإن لم يقتنع أخوك ولم يوافقك فهو أخوك ووليّك، وذلك خلاف بينك وبينه لا يوجب تباغضا ولا تنافرا ولا تعاديا ولا تدابرا، بل هو من جنس اختلاف الصحابة في فروع الشريعة وفقه الأحكام بل وحتى في بعض التصورات والاعتقادات.!! مع بقاء الأخوة والألفة والمحبة والتناصر والتراحم والتوادد والتعاطف.. الخ.

تقريبا تلك كانت أهم المحاور كما يحضرني الآن..

وسأسرد لك الآن جملة متناثرة من التوصيات والأفكار عسى الله أن ينفعنا وإياك بها:

يا أخي أبا مصعب حفظك الله وسددك، اعلم يا أخي بارك الله فيك أننا كجماعة المجاهدين جميعا، ما زلنا ضعفاء، نحن في مرحلة الضعف وحالة القلة ولم نصل بعد إلى مستوى ذي بال من التمكن؛ فما أحرانا أن لا نفرط في أي سبب من أسباب القوة وأي معين ونصير، ولا نألو جهدا في جمع قوى أمتنا وطاقاتها، نعم نحن لنا من القوة ولله الحمد ما ليس عند عدونا من الإيمان بالله تعالى والعقيدة والتوحيد والاعتصام بحبل الله سبحانه.. الخ، وعدالة القضية والإخاء والترابط وغير ذلك كثير.. من أسباب القوة، ومنها أي من أسباب قوتنا في ضعفنا ومسكنتنا كوننا جزءا من هذه الأمة العظيمة أمة محمد ﷺ وكون الأمة معنا تحبنا وتؤوينا وتدعمنا وتعطف علينا وتؤيدنا ومنها مادتنا ومدد جندنا وهي بحرنا الذي تسبح فيه سمكتنا وو.. الخ مما لا يخفى، فلو فرّطنا في هذا السبب المهم فإننا



مقصرون مفرطون معرضون للفشل، والحمد لله الخير كثير يا أخي، وصفنا الجهادي وأنت وإخوانك يا أخي العزيز على خير إن شاء الله، ولكن لا تتفرد ولا تندفع أكثر من اللزوم، واحذر من الاغترار بمدح الناس أو بضغوطهم عليك أن تفعل وتفعل، بل عليك بتكميل نقصك بالمشاورة والرجوع إلى إخوانك، ولا تستعجل الإصلاح وصلاح الأمة ولا تستعجل النصر على العدو فالحرب طويلة ودربنا درب طويل حقا، والمهم أن تحافظ على نقاء سمعتك وسمعة المجاهدين وتنظيمك خاصة، وتكتسب محبة الناس ومودتهم وتسعى فيها طبعا في حدود ما تسمح به شريعتنا، ومما تسمح به شريعتنا ولله الحمد بابٌ واسع من السكوت والإغضاء إلى حين القدرة الكاملة والتمكن وهكذا كما أسلفتُ، والحاصل أن هذا من الفقه الصحيح المهمّ جدا أن يتعلمه الإنسان وحاصله: متى نتكلم ومتى يحسن السكوت، وماذا نقول في كل موقف ومقام ومرحلة، وماذا نلقي على الناس من المسائل، وماذا نؤخر.. وهكذا..

وعليك أن تحافظ على **ارتصاص صف المجاهدين جميعا بغض النظر عن تنظيم ومسمّى**، وعلى التآخي والتآلف والتحابب والتناصر، أهم شيء يا أخي الحبيب هو صفك الداخلي أن يكون مرصوصا متماسكا قوامه المحبة والاحترام والتعاطف الخالص الصادق، وعندما أقول «صفك» فإن كل المجاهدين وعموم الشعب (أهل السنة) من حولك هم من صفك، ولا أقصد صف المقاتلين ونخبة المنضمين إليك رسميا فقط.. فهذا أهم شيء واصبروا وصابروا واثبتوا ونحن معكم بما نملك، والله معنا، ووالله إنني أتمنى لو أطير الآن وأكون عندك ولكن الله المستعان وإلى الله المشتكى، ولعل الله ييسر، من يدري! فهذه رغبة أكيدة، ونسأل الله أن ييسر لنكون معكم وبجانبكم نعينكم بما نملك من رأي وعلم وتجربة.. أقول: أهم شيء أن تصبروا وتصابروا وترابطوا حتى اللحظة الأخيرة؛ فإن عدوكم أيضا يصابر ويراهن على اللحظة التي فيها أنتم تضعفون وتفشلون وتنهارون داخليا لا قدّر الله ذلك، فاستعينوا بالله وخيّبوا أعداءكم وحققوا رجاء أحبابكم وأوليائكم وكونوا كما قال الله ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، والهوينى الهوينى، وتذكر قول النبي ﷺ لعليّ رضي الله عنه: **(انفذ على رسلك)**[1] فإن فيه معنى إذا تأملته...!

وكذلك أيضا **فيما يتعلق بالدعوة والبيان للناس**؛ فلا تستعجلوا في ذلك، أقصد في إلقاء الدروس عليهم وفي المسائل التي تلقى على الأمة وطريقة إلقائها، وسأقول لك شيئا أخي الحبيب: صحيح أن

(١) صحيح البخاري (٤٢١٠)، صحيح مسلم (٢٤٠٧).

الأمة محتاجة إلى من يشرح لها خصائص الطائفة المنصورة ويحرضها على قتال أعداء الله ويشرح لها عقيدة الولاء والبراء والحاكمية وبعض أحكام التكفير وإلى تعريفهم بالمرتدين الطواغيت وإثارتهم عليهم وما شابه، وهو بحمد الله علم صار ينتشر ويشارك فيه شرائح متّسعة من أهل العلم والدعوة والجهاد، وهو علمٌ نافع صحيح وضروريّ، ولكن الأمة أيضا محتاجة إلى كثير من المفاهيم الأخرى ليكتمل عندها وفي وعيها صورة الإسلام الشاملة الكاملة، محتاجة إلى معاني الرحمة والعدل والإحسان، وبيان محاسن الإسلام ومفاهيمه الشاملة للحياة، ومحتاجة منا نحن الذين تصدّينا للحرب والقتال وصرنا بصدد المنازعة على الملك وقيادة الأمة- أقول محتاجة أن ترى منا ما يحببها فينا ويحنو قلوبها ويعطفها علينا، ويمنحها عطفا وثقةً واطمئنانا، تحتاج الأمة منا إلى الكلام الطيب وإلى القناعة بأننا عليها مشفقون ولها راحمون، لا جبّارون ولا مستكبرون ولا عنيفون! أما إذا كان لسان حال الأمة يقول لنا: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩﴾ [القصص]؛ فهذا يضرنا ويفسد علينا قلوب الناس وينفرهم منا أو على الأقل يجعلهم في غاية السلبية تجاهنا.

وكذلك صفنا الذي هو **صف المجاهدين يحتاج إلى تربية وأدب وتوجيه مستمر وتخلية من الآفات:** الظلم والعجب والغرور والكبر والتعالي والشدة والعنف الزائدين على الحدّ وسوء الأدب مع الناس ولا سيما المخالفين.. وما شابه، وهذه بعض أمراضنا وفينا الكثير نسأل الله أن يصلحنا، ويحتاج صفنا إلى التربية على العدل وإحداث التوازن بين الشدة واللين وبين العنف والرفق وبين الرحمة الغلظة، ولا نكون فقط أهل قتل وذبح ودماء وسبّ وشتم وغلظة، بل أهل لهذا ولأضداده من الرحمة والرفق، ونضع كل شيء في محله، وتغلب رحمتنا غضبنا وتسبقه، نحتاج أن نعطي لأتباعنا وشبابنا الصاعد معاني فيها توازن وتكامل واعتدال في الأخلاق والمفاهيم. فالصواب والكمال أخي العزيز أن نجمع بين هذا وهذا، ولا سيما للقادة المنظور إليهم منا كمقامكم الفاضل أعلى الله مقامكم في عباده الصالحين..آمين.

وأنت قائد سياسي وزعيم وقيادة في محيطك بالخصوص، لك أعمال ومهمات عظيمة أخرى، أنت أهم شيء **أن تكون قائدا ناجحا للمجاهدين** ثم تمارس ما أتيح لك وما في إمكانك من القيادة المعنوية والأدبية للأمة، وما لم تحرره من المسائل وما خالفك فيه إخوانك فتريّث فيه ولا تستعجل فيه برأي حتى تشاور فيه قيادتك وإخوانك السابقين لك في العلم والفضل والتجربة، وأنت يكفي منك كلمات قليلة حينما تكون محبوبا ، تفعل هذه الكلمات الطيبات السهلات البسيطات الخالية من التعقيد ما لا تفعله الكتب وآلاف الأشرطة من غيرك، لكن أهم شيء أن تكون محبوبا في الأمة وقد دخلت إلى قلوب عموم الأمة، حينها تنسجم كلمتك مع ثباتك ومع أعمالك العظيمة وإثخانك في عدو الله تعالى.

ومن أعمالك المهمة: **التقريب بين أهل العلم وأهل الجهاد** في سائر أقطار المسلمين وأعني بذلك أهل العلم الصالحين أهل الخير والبذل في الله تعالى، وإن خالفونا وخالفناهم في بعض أو في كثير من المسائل والآراء والمواقف كالموقف من حكومة معيّنة أو أخرى ونحو ذلك، تماما كما أعني بأهل الجهاد أهل الجهاد الصالحين الصادقين المنضبطين بشريعة رب العالمين، ومن أعمالك المهمة تربية صفنا الجهادي على محاسن الأخلاق بإعطائهم القدوة الطيبة في الأدب والاحترام والتواضع والنصح وقبول النصح والاعتراف بالخطأ واحترام الآخرين، وحسن المحاورة والأدب مع المخالفين، والرحمة والعدل والإحسان.. الخ الصفات الفاضلة المطلوبة والتي يعاني صفنا الجهادي من نقص فيها كما يقر بذلك كل إخواننا من مشايخ المجاهدين وقياداتهم، كما تقدمت الإشارة، نحن نحتاج إلى بذل كثير للتربية وتوجيه صفنا ففي صفنا (المجاهدين) كثير من الصفات السيئة التي تحتاج إلى معالجة، ورجل مثلك وفي مقامك لا بد أن يكون هذا من مهماته وأولوياتهم، طبعا كل ذلك يأتي مترافقًا مع مهماتك الآكد في العمل العسكري القتالي والعمل السياسي والعمل الاجتماعي في احتواء الناس وتألفهم وحسن العلاقة بهم، وتحييد من لم يمكن احتواؤه على الأقل...الخ وأنت إن شاء الله أهل لكل ذلك الخير، فقط ضعه نصب عينيك واجعله من أوليات أولوياتك، وشاور وتريّث وتوكل على الله.

فالشاهد أيها الحبيب أن أعمالك ومهماتك كثيرة وكبيرة، نسأل الله لنا ولك الإعانة والتسديد. ونجاحك في محيطك ينعكس نجاحا على مشروعنا نحن الطائفة المجاهدة بصفة عامة، ولو حصل لك انكسار ووقعت أخطاء فنتحمل تبعتها جميعا أيضا.

أخي الحبيب، لا بد من الاهتمام بتربية المجاهدين عبر التقويم المستمر وعدم السكوت عن أخطائنا، ولا سيما الأخطاء الفاحشة منها، بل لا بد من السعي الحثيث في معالجتها وتقويمها، لا بد للقائد من ممارسة قوامة كاملة وقوية على أتباعه عبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي المفرطين والمفسدين والمتهاونين، إنه جد وليس باللعب. وليس بالفوضى، وإذا لم يكن باستطاعتنا أن نقوم أنفسنا ونصلحها ونحملها على الخير والبر والمعروف فكيف نطمع أن نصلح الأمة.؟!

فأي شخص يرتكب الظلم والتعدي على الناس ويفسد في الأرض وينفّر الناس منا ومن دعوتنا وجهادنا ومن الدين والرسالة التي نحملها فهذا يجب أن يؤخذ على يديه ونأطره على الحق والعدل والإحسان وإلا نحّيناه وأبعدناه عن محل التأثير، واستبدلناه، وهكذا، فهذا أمر مهم.

ولا بد أن تنتبه لبطانتك وخاصتك، ولا يغلبنَّك أتباعك ومحبوك والمادحون لك والرافعون لقدرك

المعظمون لك، بل اعلم أن المشدد عليك الناصح لك ولو على مرارة هو صديقك حقا، الذي يصدقك النصح ولا يجاملك في الخطأ، وهو الذي تجده يوم الضيق، وأنت لا تعوزك التجارب إن شاء الله، ولا يفوتك استحضار دلائل هذا الباب أيضا. واعلم أنك محتاج إلى كل أحدٍ كل بحسب قوته وطاقته وبحسب موقعه وإمكاناته، فلا تهمل أحدا ولا تستغن عن أحد مهما ضعف وقلّ، بل اهتمّ بالناس جميعا ولا سيما ضعفاؤهم واستحثّهم على نصحك ومعاونتك، وأظهر الحاجة إليهم وإلى وقوفهم معك، حتى يحبوك وينفعك الله بهم، وهذه طريقة من طرق استمالة الناس واحتوائهم وتأليف قلوبهم، وهي طريقة مشاورتهم والاهتمام بهم، وحتى تخصيصهم بشيء أحيانا، وإظهار أننا لا نستغني عن مساعدتهم وأننا بهم أقوياء بإذن الله، وأن الأخ إنما هو قوي بأخيه، ونحو ذلك من المعاني، فاسعَ يا أخي في ذلك مع كل الناس من حولك من أهل السنة حتى مع المقصرين منهم ومن لا يخلون من الفسق والفجور ما داموا من أعيان الناس ومؤثريهم في مجتمعاتهم، بل حتى المنافقين منهم، اسعَ في ذلك وخذ نفسك به ولا تهمله، حتى تستوعب الناس، وتستولي على قلوبهم، أو على الأقل تحيدهم وتكسر شوكة حدتهم في عدائك وخصومتك، وهكذا، والناس مراتب وتعاملنا معهم على حسب تلك المراتب طبعا، وكل ما ذكرته في هذا الباب لا ينافي أن ندأبَ في دعوة الناس إلى الخير باستمرار وننصحهم ونأمرهم وننهاهم ونجرهم إلى الخير والمعروف، ولكن كما قلتُ على قاعدة التلطف والتدرج والمسايسة بحسب ما دل عليه شرعنا المطهر، ومن ذلك -كما قدمت- شيء لابأس به من السكوت والإغضاء والتعافي والمتاركة إلى أوقات زوال العجز وحصول القدرة الكاملة أو ما يقاربها وأمان حدوث فساد أكبر مما نسعى لإزالته...!

ودعني أضرب لك مثلا: فأنت عندك في الساحة مثلا طوائف من الخلق (أقصد هنا من أهل السنة) وهم درجات لا يعلمها إلا الذي برأها ﷻ، من حيث الصلاح والطلاح والخير والشر والقرب من الحق والبعد عنه.. وأنت لو طلبت الصافي النقيّ المهذب، لم تجد إلا القليل اليسير، ولو عاديت وخاصمت ونافرتَ كل من لا يعجبك نفر عنك معظم الناس وعادوك وخاصموك وسعوا في حربك أيضا ومالوا إلى عدوك وربما خافوك اليوم لأنك قويّ ترهبهم وتفزعهم لكنك إن ضعُفت ورأوا منك ضعفا فإنهم سيستعلنون بذلك ويكونون عليك ضدًا..!! لا قدّر اللهُ علينا وعليك ذلك؛ أنت عندك مثلا «الإخوان المسلمون» بدرجاتهم أيضا، وعندك «هيئة علماء المسلمين» بخليطها ونماذجها، وعندك رجالات المجتمع والعشائر والقبائل، وعندك وعندك وعندك، ثم سائر الناس بطبقاتهم المختلفة..

فأنت كقائد وتنظيم سياسي جهادي يريد أن يهدم قوة ودولة ويقيم على أنقاضها دولة الإسلام أو

على الأقل يكون لبنة في الطريق الصحيح إلى ذلك ، يحتاج إلى كل أولئك الناس ولا بد له من تألف الجميع بدرجات مختلفة أيضا، فالإخوان درجات على ما أظن، فإذا تجاوزنا الخائن «محسن عبد الحميد» وأمثاله فهؤلاء الظاهر أنهم كفروا وارتدوا والعياذ بالله، فهؤلاء من الناحية الشرعية أمرهم واضح ظاهر، ومن الناحية السياسية ظهرت لأكثر الناس خيانتهم وولاؤهم للدولة الكافرة وفساد موقفهم فلا يضرنا عداؤهم بل ينفعنا، وإن كان ليس من المناسب التوجه إليهم بقتل وقتال الآن بل ليس من الجيد بل هو مضرّ والله أعلم، لكن ممن ينتمي للإخوان طوائف أخرى وناس كثر مختلفون، كبعض ناس «حارث الضاري» والعاملين مع «الهيئة» وغيرهم فهؤلاء نتألفهم ولا يجب أن نضعهم كالأولين، بل نعاملهم بشكل أفضل ونقبل إحسانهم وندعوهم بالتي هي أحسن إلى ترك ما هم فيه من خطأ وفساد ونحو ذلك، ونثني عليهم بما فيهم من خير، ونحاورهم بعلم وعدل وأدب، ثم عندك زعامات العشائر وأمثالهم من الأعيان الاجتماعيين فهؤلاء درجات كذلك فالجيد منهم المقارب نشاوره في بعض أمورنا ونعطيهم قيمة ونكبّر بهم بعض التكبير ونشركهم في بعض الأمور ونخصهم بأشياء لأنهم يحبون الفخر... وهكذا ونحاول ألا نجعلهم يعتقدون أننا نتجاوزهم ونفتئت عليهم في القيادة الاجتماعية والسياسية، أو أننا نتجاوزهم ولا نعتبرهم شيئا ولا نعطي لهم قيمة ولا نحسب لهم حسابا، بل نشعرهم بأننا نريد أن نعمل نحن وهم لإقامة الدين وتحرير البلاد والعباد وإقامة دولة الإسلام والحكم بشريعة الرحمن.. الخ، وأنهم في نظرنا لهم دور كبير يقومون به ونحن محتاجون لكل مسلم ولكل إنسان منا في موضعه، وفي غضون ذلك ندعوهم إلى الالتزام بالشريعة وإلى كل خير وفضيلة وننهاهم عن المنكر وعن كل المساوئ ونسعى في تكميلهم واستنهاضهم.. فكلما شعر الناس أننا نقيمهم ونثمّن جهودهم وأننا نحترمهم، وأننا نريد لهم الخير ونشفق عليهم، فهذا هو الذي يؤلف قلوبهم علينا، كما أن من الناس من نتألفه بالعطاء والمال، وذلك لونٌ آخر، لكن المقصود هنا أن كثيرا من طوائف الناس يمكن أن نحتويهم ونتألفهم ونكسبهم في صفنا بالكلمة الطيبة والتصرف الحسن البسيط جدا، ونحذر بالجملة من الأعمال المنفرة، من قتل أو معاملة أيا كانت..

وحتى الفاسدين والخونة من أهل السنة فلا نقتلهم إلا إذا كان قتلهم يفهمه الناسُ ويستحسنونه، وذلك لظهور فسادهم وخيانتهم وشرّهم، أما أن نأتي ونقتل بعض الناس ممن اطلعنا نحن على فسادهم وخيانتهم، وهم عند الناس محترمون محبوبون؛ فهذا يؤدي إلى فساد عظيم وهو عمل ضد كل أصول السياسة والقيادة، فاحذروا ذلك أخي الكريم، والله أعلم وأحكم.

وبالنسبة للأعمال الخارجية يا أخي أي خارج محيط العراق، فأوصيك بعدم التوسع حتى تراجع

الإخوة وتآمرهم في ذلك، وهذا هو رأي الإخوة هنا، وهم عندهم بعض الأفكار والتصورات يريدون إيصالها إليك في هذا الموضوع، ويريدون يرتبوا معك فيه، فيا ليتك تبذل أقصى ما يمكنكم في التواصل السريع معهم للتنسيق فيه، واجتهدوا بارك الله فيكم في اجتناب تكرر خطأ عدم دقة التنفيذ كما حصل في الأردن وقدر الله وما شاء فعل، ونسأل الله أن يصلح الخلل ويستر العيب والزلل ويجعل عاقبة ما حصل خيرا على الإسلام وأهله..

وأهم شيء أن تستمروا في جهادكم في العراق وتصبروا وتصابروا حتى مع الضعف وحتى مع قلة العلميات، حتى لو كل يوم نصف عدد العمليات اليومية حاليّا، فلا مشكلة، بل حتى أقل، فلا تستعجلوا، وأهم شيء أن يستمر الجهاد بثبات ورسوخ ويزداد أنصارًا وقوة ونصاعة حجة وظهور برهان كل يوم؛ فإن طول الحرب من صالحنا بإذن الله، وخير الأعمال أدومها وإن قلّ، بشرط أن نحذر تراكم الأخطاء، ويكون عندنا تكامل في المشروع الجهادي، وأخوف ما تخافون عليه هو أنفسكم وأخطاؤكم لا عدوّكم، فوالله لن يغلبكم عدوّكم أبدًا ما دمتم صابرين ثابتين لم تحدثوا خللا كبيرا أو كثيرا، واستعينوا بالله، إنه نعم المولى ونعم النصير، ولن يضيّعنا ﷻ؛ ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة].

أخي العزيز الحبيب المجاهد البار حفظك الله ورعاك وأيّدك وقوّاك، هنا أكون قد أتيتُ على ما حضرني الساعة من أفكار ونصائح، وآسف لشيء من التطويل عليك، وبعض التكرار؛ فإن أصبتُ فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، لا إله غيره ولا رب سواه، ولا حول ولا قوة إلا به ﷻ، والمعذرة إن زل قلمٌ أو حاد فكرٌ أو بدرت كلمة لا تليق فوالله ما أردت إلا تكميلك والنصح لك وللمسلمين، فإننا جميعا مسؤولون..

واعذرونا أيضا إن كان تصورنا عن حالكم هناك وظروفكم فيه نقص وغبش فهذا مستقربٌ غير مستبعد، لا سيما مع الانقطاع الحاصل وفقد التواصل، ونوصيك بالتواصل الوثيق والسريع بكل ما تملك من قوة، وأنا مستعد للاتصال عبر النت أو غيرها، فابعث رجالك يطلبونني في منتدى «أنا المسلم» وغيره وكلمة السر بيننا: «هذيك الحاجة اللي أحضرتها لي زمان من هرات»، ثم بعد ذلك نتفق معهم على إيميلات، أو أوصِ رجالك الذين في البلاد التي أسكن فيها يطوّرون الاتصال بنا، ونحن مستعدون للكتابة لكم والمشاورة عليكم بالرأي في كل وقت مباشرة، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].

وسلامي لك مجددا مكررا، ولكل من معك من الأحباب الكرام..

وأبلغك سلام أبي الليث وأبي سهل والحبيب والمهاجر وسائر الإخوة هنا..

أسأل المولى ﷻ أن يجعلك هاديا مهديا..

ونسأل الله أن يحفظكم ويسهل أمورنا وأموركم، وأن يفرج الكروب ويمن بالنصر القريب.

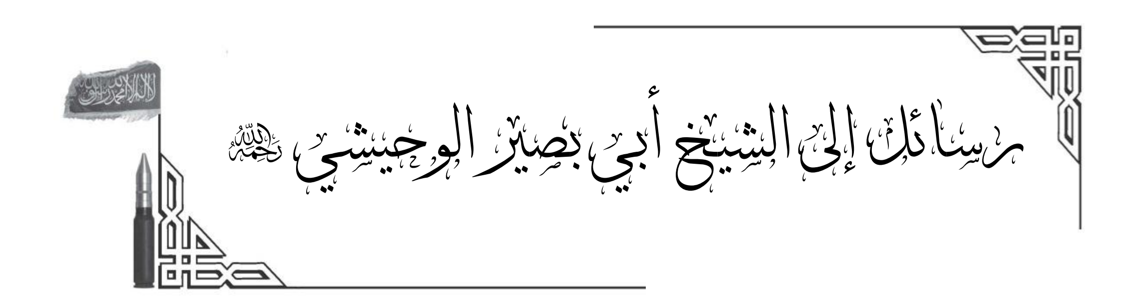
ونسأله تعالى أن يقوّيكم ويسددكم ويمدكم بمدد من عنده إن هو الرزاق ذو القوة المتين.. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك/ **عطية**

العاشر من ذي القعدة ١٤٢٦ هـ





[عدة رسائل خاصة وصلتنا رسميا من «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب»، كان قد أرسلها الشيخ «عطية الله» رحمه الله إلى الشيخ «أبي بصير ناصر الوحيشي» أمير تنظيم «قاعدة الجهاد في جزيرة العرب»، تضمنت عددا من التوجيهات والرسائل الشرعية والسياسية والمنهجية، والنقاط التي وضعناها بين الأقواس؛ هكذا (.........) هو كلام محذوف لاعتبارات أمنية]

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

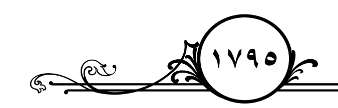
الأخ العزيز أبا بصير حفظكم الله ورعاكم؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أرجو من الله تعالى أن تكونوا بخير وعافية، وجميع إخوانكم المجاهدين الأبطال، ونسأل الله لكم التوفيق في هذه الظروف المهمة.

نخبركم أننا بخير ونعمة من الله تعالى نسأله عز وجل أن يوزعنا شكرها، وأن يعفو عنا.

وعامة المشايخ والإخوان بخير وعافية والحمد لله.

نتابع أخبار اليمن على الخصوص، وأخبار هذه الثورات الشعبية العربية بشكل عام، ونسأل الله لكم الهُدى والسداد والإعانة والمدد.. نهنئكم أنها بإذن الله فيها خيرٌ كثير، وهي مددٌ من الله للمجاهدين وفيها فرج لعموم الأمة، وهي بإذن الله إرهاصاتٌ لقرب زوال دويلة اليهود «إسرائيل».. فنحمد إليكم الله تعالى أن منّ على المسلمين بزوال طاغيتي تونس ثم مصر، ثم ها هو الطاغوت القذافي يترنّح وحكمُه في تلاشٍ والحمد لله، رغم ما حصل من مآسٍ ورغم أنه -أخزاه الله- أبى أن يغادر حتى يجر جيوش أوليائه الكفار الأصليين الجويّة تحوم في سماء البلد وتقصف وتدمّر، ولكن الله يمكر بهم جميعا، والعاقبة للمتقين، ونحن نرى فيما جرى ويجري خيرًا كثيرًا للمسلمين إن شاء الله؛ فليبيا الآن مهيأة لوضع جهاديٍّ وبحكم موقعها المهم؛ فإنه ستكون ساحة جهادية مفتوحة على الجزائر



والصحراء الكبرى وعلى السودان ودارفور وتشاد والعمق الإفريقي بالإضافة إلى انفتاحها على تونس ومصر.. وخلال هذه الأيام الجارية بدأت تحركات الشعب في سوريا وكذا الأردن.

وقد بدأت الأخبار تصلنا بالفعل بأن الإخوة في ليبيا بدأوا في ترتيب أنفسهم، (...........) وكذا الإخوة في تونس.

ومما ننصح به لكم أخي أبا بصير، بأن يتجنب الإخوة الدخول أو الانشغال بصراعات جانبية وليست أساسية الآن كالاصطدام بالحوثيين الشيعة ونحو ذلك، وأن يكونوا خيارَ الشعب اليمني في حالة انفلات الأوضاع، وأظنها منفلتة، (....................).

وأظن أن هذا الوضع هو من أحسن الأوضاع للإخوة المجاهدين في اليمن في هذه المرحلة، أعني انهيار السلطة المركزية في البلد، ويبقى الإخوة قوة كبيرة وصعبة في البلد، فإذا وفقهم الله لحسن إدارة المرحلة؛ فإنهم بإمكانهم أن يؤسسوا لسلطة فعلية إسلامية جهادية في البلد، وهذا بالتأكيد هَمٌّ وكربٌ عظيم على الأمريكان وأذنابهم السعوديين، وهو نصرٌ للإخوة في الصومال وفي الجزيرة ولنا جميعًا..

والنصيحة الصادقة هي اجتناب أي تصرفات مثيرة ومستفزة للأعداء أكثر من اللازم؛ فالتلطف مطلوبٌ والمسايسة؛ فينبغي ترك الأعمال التي لا فائدة كبيرة منها في الواقع، ومن ذلك إعلان إمارات ونحوها، بل المهم أن يكون الإخوة المجاهدون هم بالفعل في الواقع وعلى الأرض هم السلطة وهم الدولة وهم أصحاب القوة والنفوذ ويقيموا دين الله ويرفعوا راية الجهاد وينطلقوا بها إلى الأمام..

وننصح بأن يهتموا بالقبائل ويُوكلوا إلى القوى الشعبية الكثير من إدارة أمور مناطقهم، ويشجعوا التجارة (...............................).

بحمد الله؛ فقد اتسع الخرق على الأمريكان، واستنزافهم مستمرّ، وعما قريبٍ ينكفئون غير قادرين على المزيد من الكيد، والله وليّ المؤمنين.

أخي العزيز؛ إن أمامكم دورًا كبيرًا، فنسأل الله أن يقويكم ويمدكم بالمدد، وإننا نكثر الدعاء لكم ونوصي به، ونحن في خدمتكم بأية مشورة وبأية خدمة نقدرُ عليها. (........................)

وسلامنا لكل الإخوة القيادات عندكم وجميع من يبلغه من المجاهدين، نصرهم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المحب لكم: عطية

٢٢ربيع الآخر١٤٣٢هـ

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ المكرم العزيز أبا بصير حفظكم الله وعاكم وسدد خطاكم؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو من الله تعالى أن تكونوا بخير وعافية وفي ازدياد من التوفيق والفتوحات بمنة الله وكرمه وجوده..

أثلجتم صدورنا بأخباركم الطيبة وأفكاركم النيرة؛ فالله يرفع درجتهم وينور قلوبكم بذكره ومعرفته ومحبته واتباع شرعته.

أخي العزيز، هذه ردود سريعة على رسالتك الأخيرة المؤرخة في ١٧جمادى الثاني -وصوابه: جمادى الآخرة- ١٤٣٢هـ.

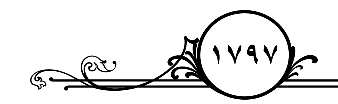
❖ جزاكم الله خيرا على التعزية وما قمتم به، والله يتولانا ويتولاكم.

❖ وعلى تطميننا على مسألة «إعلان إمارات»، ونحن دائما نقول للإخوة: المهم أن نكون إمارة ودولة وقوة ممكَّنة على الأرض فعلا؛ لنا السلطان بإذن الله، نطيع به اللهَ، ونحقق توحيده ﷻ في أرضه ونطبق شريعته على خلقه ونقيم العدل وننشر الحرية والفضيلة والبر والمعروف.. وأما الإعلان السياسي فهذه مسألة أخرى تكون مطلوبة وجيدة في وقتٍ ولا تكون كذلك في وقتٍ آخر، بحسب متطلبات تدبير السياسة النافعة وتحقيق المصالح وتجنب المفاسد مع الأقوام والجمهور والخصوم والأعداء.. إلخ؛ لكن المهم هو الواقع في الميدان.. فالله يبارك فيكم.

❖ أخي العزيز؛ ما ذكرتَهُ في مسألة الحوثيين فأقول: كلامكم واضحُ الوجاهةِ، وأقول لكم كما كان يقول شيخنا أبو عبد الله ﷀ[1] في مثلها: «إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»؛ فأنتم أدرى بواقعكم، ما دمتم بحمد الله تصدرون عن تشاور بينكم ودراسة وحسن قصد في إعلاء كلمة الله تعالى وصبرٍ على ذلك.

وإن شاء الله نتواصل دائما في التشاور حولهم وحول غيرهم، وانظروا في سياسة التعامل معهم من

(١) هو الشيخ الإمام المجدد: أسامة بن لادن ﷀ.



كل جهاتها، هل الأحسن أن تمضي بصمتٍ، أو الأحسن إعلانها وإظهارُها؟ وما الخطاب والمفردات واللغة المناسب استعمالُها، وما المسوّغات المعلنة للناس المفهومة عندهم المقبولة التي توضحونها... والله معكم. (.......................................).

❖ **أخي العزيز**؛ بالنسبة للعمل على الأمريكان في بلدة خليجية، فتشاورت سريعًا مع أخي «أبي يحيى» ونقول لك: رأينا حسب ما عندنا من معطيات وما كنا نعرف من رأي الشيخ ونتشاور معه في مثل هذه المسائل: أن تكون العملية نظيفة لا تثير مزيد جدل ومناقشات علينا في الجزيرة والخليج.. بمعنى أن تكون الضربة على الهدف متقنة لا تطول المسلمين بقتل، (...........................).

❖ **أخي الغالي**؛ بالنسبة لمسألة إمارة التنظيم بعد الشيخ ﷺ؛ فأولًا نشكرك على عبارتك المحكمة الجامعة فقد نصحتَ وبررتَ، بارك الله فيكم.. ثم نخبرُكم أن الشيخ أبا محمد أيمن الظواهري هو نائب الشيخ أسامة والمقدم عندنا والمرجع إليه بعد الشيخ أبي عبد الله في حياة الشيخ وبعده، والأمرُ يتجه إلى إعلان توليه إمرة التنظيم بشكل رسمي ربما قريبا، فقد تشاورنا في الأمر، وكنا نريد أخذ رأيكم أيضا، وكنتُ أعد مسودة رسالة لكم، مع خشيتنا من التأخر، ثم جاءت رسالتك هذه، فنخبركم بها عندنا، وإن كان لديكم رأيٌ أو مقترح فابعثوا لنا في أقرب مدة.. وإن وقع منا الإعلان فهو على ما ذكرتُ والظرف قد يتطلب نوعَ إسراع. (.......................................).

❖ يسلم عليك الأخ عبد الرحمن المغربي كثيرًا.. بلغته سلامك وأقرأته رسالتك الماضية.

❖ الغامدي بخيرٍ كذلك ومن مدة لم أره، هو بعيدٌ عني مكانًا، ولكنه بخير والحمد لله.

❖ هذا مما كتبتُه في مسودة الرسالة لكي أرسلها لكم قبل مجيء رسالتك هذه إليّ:

«ننتظر أخباركم وتعرف أحوالكم.

أخي العزيز، لو ترسلون أناسًا من الشباب المتعاطفين معكم والسامعين لكم، وتأمرونهم بالدخول في وسط المظاهرات والاحتجاجات واعتصامات شباب التغيير في الساحات ويرفعون شعارات ويافطات توجه الثورة إلى الإسلام والدين والشريعة مثل: «الحرية الكاملة في الالتزام بالشريعة»، «الالتزام بديننا وقيمنا»، «إسلامية سلمية»، مثل يافطات فيها ذكرٌ لله تعالى وآيات قرآنية وغيرها، المهم أن نعمل على توجيه الثورة وإعطائها طابعا إسلاميا قدر الإمكان فإن لهذا تأثيرا في القلوب والتوجهات.. والمهم أن تكون الشعارات واليافطات لطيفة مقبولة عند الذوق العام للجمهور ولا تثير تصادمًا؛ فنحن ندفع في اتجاه الحق وفي اتجاه الله تعالى مهما قدرنا، وربنا ولي التوفيق»

اهـ.

❖ انظروا في مسألة «الاحتفاظ بالأرض» هل هو جيدٌ لكم الآن أو يكون الأفضل أن تأخذوا الأسلحة والذخائر والتجهيزات وكل ما يفيد وتتركوا البلد للناس والقبائل يديرونها مع محاولة توجيههم.. والله الموفق.

❖ بالنسبة لسياسة عدم الكلام من طرفكم عن الثورات وعن الثورة في اليمن خصوصًا؛ فلعلها لا بأس بها، وأنتم أعرفُ بالأنسب في واقعكم.. ونحن كان لنا خيارٌ آخرُ وهو دعم الثورات والتحريض عليها ومحاولة توجيهها إلى الوجهة الدينية الإسلامية وتوظيفها واستغلالها في تقريب أهدافنا التي هي إقامة حكم الله في الأرض.. شاركنا كما علمتم بالمقالات وبالكلمات المتعددة المسموعة وما زلنا نرتب لمشاركات أخرى، ونسأل الله التوفيق.

❖ بلغ سلامنا لكل الأحباب معكم «أبي سفيان وأبي هريرة والشيخ أنور وإبراهيم الربيش والجميع» ورسالة الشيخ أنور حولتها إلى الأخ المرسَلة إليه، ولم أتلق ردًّا لحد الساعة، وهو بعيدٌ عني قليلًا أيضا.

الأخ إبراهيم الربيش عندما كان في جوانتانامو نُشِرت له قصيدة في موقع «أسرى» فعارضتها بمقطوعة شعرية نشرَها الإخوة في نفس الموقع[1]، لعله رآها.

أخي العزيز استعينوا بالله واعلموا أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الشدة وأن مع العسر يسرًا.. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم/ **عطية**

(١) أثبتنا القصيدتين في «المجموع» ضمن قسم «مقالات ورسائل وقصائد..» بعنوان: «معارضة قصيدة الشيخ الربيش..».

الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ المكرم الشيخ أبو بصير الوحيشي حفظكم الله ووفقكم، ومن معكم من الإخوة القيادات السادات جميعًا حفظهم الله.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فبقلوبٍ راضية بقضاء الله ومطمئنة بذكره وواثقة في وعده الكريم ﷻ، نخبركم بصحة الخبر، ونتقدم إليكم وإلى جميع إخواننا المجاهدين في جهتكم بالتعزية والتهنئة في شيخنا أبي عبد الله أسامة بن لادن ؒ.. والحادث كما تابعتم في وسائل الإعلام، ولا تتوفر لدينا تفاصيل دقيقة لحد الآن عن أسباب ما حصل من هذه الحادثة المؤلمة، لكون الشيخ كان منغمسًا في عمق مناطق العدوِّ؛ حيث اختار الاختفاء قرب «إسلام آباد» قبل عدة سنوات، وكان الاتصال بيننا يتم من طرفه فقط، وبشكل حلقات محكمة فيما يبدو لنا.

والحمد لله؛ إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم اؤجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرا منها.

ونطمئنكم أن عموم الإخوة عندنا بخير وبقية المشايخ والقيادات والكوادر، وصابرون محتسبون ثابتون إن شاء الله وبمنه وكرمه وتوفيقه، وإننا نحمد الله تعالى أن سترنا وشرفنا في قياداتنا ومشايخنا أنهم لا يخرون إلا واقفين، ويموتون شهداء ثابتين على هذا الطريق، غير مبدلين ولا مغيرين ولا مفتونين.

نرجو منكم رفع معنويات المجاهدين وعموم المسلمين بالكلمة الطيبة والتصبير والتثبيت، والتحريض على الثأر للشيخ ؒ والسير على طريقه.

وإن شاء الله سنرا سلكم بأي جديد أو مشورة لاحقا بعون الله.

ونحن بصدد إصدار بيان للأمة مع بعث هذه الرسالة لكم ولسائر الإخوة في الأقاليم.

والله أكبر ولله الحمد.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

والله مولانا والكافرون لا مولى لهم.

أسأل الله أن يتولانا وإياكم بتوفيقه ومدده.. آمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم: **عطية الله**

الثلاثاء ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ، الموافق: ٣ مايو ٢٠١١ م

❑❑❑

تكميل:

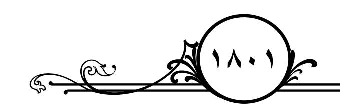
أخي العزيز أبا بصير؛ وصلتنا منكم في الشهر المنصرم رسالتان بتاريخ «الثالث من ذي الحجة ١٤٣١هـ» ثم «٦ ربيع الاول ١٤٣٢هـ»، وكنتُ في الأثناء أرسلتُ لكم رسالة بتاريخ «٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ»، هي آخر ما أرسلتُه.

أخي العزيز، بالنسبة لما ذكرتموه من تعليق على رسالة الشيخ المطولة ومقترح الهدنة مع النظام والتهدئة.. إلخ تلك الفكرة؛ فهي كانت مرحلة سابقة، وكانت من الشيخ ﵀ محل تشاور وأراد طرحها عليكم لتكميل النظر، والآن الوضع والحال مختلف تمامًا، والرأي هو ما قلتموه، وأنتم أدرى بحالكم وواقعكم، والله يتولاكم.. وواصلونا بأخباركم.

أخي العزيز؛ لابد أن يكون قد وقع في يد العدو في حادثة مقتل الشيخ ﵀ بعضُ الوثائق التي كانت معه في البيت، وقد كنتُ أرسلت له في آخر مراسلة رسالتك الأخيرة المتضمنة لسطرين عن فكرة «السموم» وأرسل في الجواب يقول: «بخصوص العمليات التي ينوي الإخوة في اليمن القيام بها بواسطة السم؛ فأرجو الحذر من الإقدام عليها قبل دراستها من جميع الجوانب بما فيها ردود الفعل السياسية والإعلامية على المجاهدين وتصور الناس عنهم فنرجو الاهتمام بالمسألة» اهـ، هذا لفظه من آخر رسالة وصلتنا منه، وَصَلتْ بعد مقتله، وكان رسوله انفصل بها من عندِه قبل أسبوعٍ من الحادثة، ولله الأمرُ.

والمقصود أن أنقل لكم جوابه ﵀، ثم ألفت انتباهكم إلى أن العدو قد يكون حصل على الرسالة في البيت.

كما أرسل الشيخ ﵀ مقترحًا لحل أزمات اليمن وقال لي: «تنشره باسمك أو اسمي أو اسم فلانٍ على أساس أنه رسالة موجهة إلى علماء اليمن ووجهائه، وهذا نصُّهُ في الأسفل [لكن هو ليس للنشر، لأنه كتبه على عجل وطلب مني تهذيبه وتكميله وإعداد للنشر، ثم لو نشرناه؛ فإن الأصل أن ينشر من



جهتنا]، لكن أنت تستفيد من الفكرة التي فيه، ونحن لعلنا ننشرها في وقت لاحق ما لم يأتنا منك شيءٌ يمنع.

أخي العزيز؛ هذا ما أمكن كتابته في هذه العجالة، ونسأل الله لنا ولكم الإعانة والتوفيق والقبول.. وإن شاء الله نستمر في التواصل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

❑❑❑

ملحق: نص مقترح لحل أزمات اليمن

«وبين يدي البحث عن مخرج للشعوب أضع مقترحًا لإنهاء أطول الثورات القائمة «ثورة اليمن» بغية تطويره وإثرائه ليكون نموذجا يمكن تعديله بما يتناسب مع وضع كل قطر في تفاصيل واقعه وخلاصة المقترح: أن من أهم العوامل التي يستمد منها حاكم صنعاء قوته في الآونة الأخيرة؛ الجماهير التي يخرجها يوم الجمعة والأجهزة العسكرية التي لم تنضم للثورة بعد.

فأما الجماهير التي يخرجها؛ فهي ظاهرة تستدعي التوقف عندها لمعرفة أسباب خروجهم لتأييد رجل خان الملة والأمة وأنزل بهم أنواعًا من الأذى وهو ما يخالف الوضع المألوف في تعامل الإنسان مع من يؤذيه، إلا أن الملم بشيء من تفاصيل واقع اليمن في ظل هذا النظام القائم منذ ثلث قرن يدرك حقيقة مرة وهي أن الكثير من تلك الجماهير أصبح حالهم يشبه حال الأسرى في يد الحاكم الذي قصر الناس في الإعداد لخلعه بعد أن سقطت ولايته شرعًا ووجب خلعه بارتكابه لناقض من نواقض الإسلام التي أجمع العلماء عليها عندما ضبط متلبسًا بدعمه للكافرين وتزويد مدمراتهم الحربية ليقتلوا المستضعفين من المسلمين في العراق وكان ذلك منذ أكثر من عقد مما يعني أن ثلث مدة حكمه تقريبا مضت بعد أن ظهر للقاصي والداني ارتكابه لناقض من نواقض الإسلام؛ فعدم إدانته بذلك الجرم العظيم دفعه لمواصلة دأبه في الخروج عن شرع الله تعالى وظلم العباد وتدمير البلاد إلى أن أوصل تلك الجماهير لدرجة من الظلم و الفقر والجهل يصعب وصفها، ثم عاد ليستعين بفقرهم على شراء ذممهم فاستغل عاطفة الأب على بنيه، والمعيل على من يعيل، وإن للأطفال الأبرياء حق على كل من يقدر على سد حاجاتهم من أبناء الأمة ولآبائهم حق في فك أسرهم من قيود الجهل والفقر التي قيدهم بها الطاغية، ولكافة المسلمين في اليمن حق في حفظ دمائهم وإخراجهم من الأزمة التي يعانون منها..

فإن بحثنا في سبل إنقاذ الجميع نجد من ضمنها أن يتقدم تجار ولا سيما تجار اليمن ودول الخليج وتنشَأ لجان كتلك التي يقيد بها الرئيس المؤيدين له إلا أن هذه لفك القيود لا لإحكامها فتتعهد بصرف

رواتب أسبوعية تسلم يوم الجمعة في القرى لكل من يترك الذهاب إلى ساحات الطاغية إلى أن تقوم حكومة جديدة تقوم بواجباتها.

وإن تكاليف هذه المبالغ سهلة ميسورة لأحد تجار الخليج فضلًا عن أن يتعاون التجار مع الجمعيات الخيرية.

وأما الأجهزة العسكرية: فمن سبل التعامل معها أن تُشكل حكومة انتقالية تتعهد لأفراد تلك الأجهزة بأنها تضمن لهم إن تابوا وأصلحوا النية الانتقال إلى أجهزتها بوظائفهم ورواتبهم فهو أسلم لدينهم ودنياهم؛ فمن تاب تاب الله عليه، وعفى الله عما سلف على أن تتكفل بتوفير الرواتب للحكومة الانتقالية جهة مقتدرة وتعلن تكفلها بذلك ليطمئن الراغبون في اللحاق بالحكومة أن هناك مصدر قارد على توفير رواتبهم.

❖ يجب على العلماء والدعاة أن يكثفوا جهودهم الدعوية لإنقاذ أبناء المناطق التي يكثر فيها الجهل.

❖ يجب على العلماء في اليمن وخارجها أن يصدروا فتوى تؤكد على سقوط ولاية الرئيس.

❖ وابتداءً أنوه إلى أن حل الأزمة في اليمن يتطلب تحركات شعبية مناصرة للمسلمين هناك وأن المبادرات الرسمية قد تضمنت بنودًا جائرة، ثم أكد مقدموها بأنها نهائية غير قابلة للتفاوض مما أكد على أنها مبادرات لإنقاذ الحاكم والالتفاف على الثورة حتى لا يتأثر جيران اليمن بنجاح ثورته، وإلا فالعقلاء يعلمون أنه غير مؤهل للتفاوض بعد أن أكثر من الخداع ونقض العهود وفقد ثقة الناس به؛ فقد أثبتت الوثائق تواطؤه مع الأمريكيين على قتل أبناء شعبه؛ كما حصل في مأرب وشبوة ثم تزويره الحقائق» اهـ.

الرسالة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ الحبيب والأمير الموقر الشيخ أبي بصير حفظه الله ورعاه؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نسأل الله تعالى أن تكونوا بخير حالٍ وفي سترٍ وكلاءة من المولى القدير اللطيف الرحيم سبحانه، أنتم وجميع القيادات وسائر المجاهدين.

نتابع أخباركم النَّزِرة عندنا، بنا شغفٌ لمعرفة الدقائق، فالله يعيننا وإياكم. (...............)

ثم نسأل عن مجريات الأحوال والأحداث عندكم على الأرض..؟

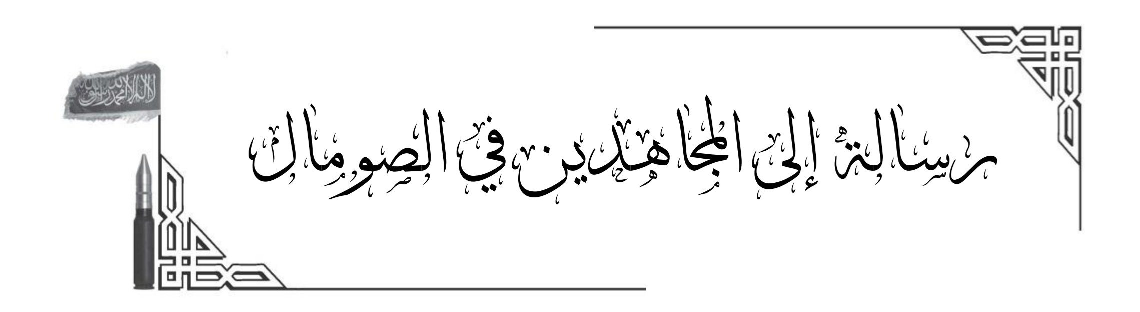
ثم عندنا مشورة خاصة -يمكن أن تشاور فيها إخوانك أخي أبا بصير، ولكن يكون الأمر سريًّا- وهي: أنكم لعلكم تعلمون أن الإخوة في الصومال قد بايعوا الشيخ أسامة وهم مع التنظيم والحمد لله، لكن كان الشيخ بعد التشاور معنا رجّح أن تكون بيعتُهم سرية لا يعلنون بها، ومن أهم مرجحات ذلك عند الشيخ أن تتاح الفرصة لمن يريد مساعدتهم ومساعدة دولتهم الناشئة من الأفراد المسلمين وأهل الخير والجمعيات الخيرية وغيرها أن تتاح لهم الفرصة لمساعدتهم ودعمهم بدون خوفٍ من الناحية القانونية الطاغوتية، وعموماً تخفيف الضغط عليهم؛ فإنهم لو أعلنوا أنهم مبايعون للقاعدة ولأسامة لسبب ذلك ضغطا واضحًا ولم يتركوا لمن يناضل عنهم عذرًا.. إلخ.

لكن الآن طلب مني الشيخ أيمن حَفِظَهُ اللهُ ووفقه أن أراجع الإخوة في إعادة النظر في هذا الأمر، وهل الإعلان يكون أفضل أو يستمر الإخوة على الإسرار ببيعتهم للتنظيم كما هو الحال إلى هذه اللحظة.. فأنا أرسلتُ للإخوة في الصومال أستشيرهم، ثم رأينا أن نشاوركم أنتم.. فأرجو منكم إعطاءنا رأيكم ومشورتكم، وتذكرون تعليلاتكم وما ترجحون من إيجابيات فيما ترون من رأيٍ، على أن يكون الأمرُ سريًا. وبالله التوفيق. (..).

والله يرعاكم، وسلامي لكل الأحباب عندك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم: **عطية** | ١٤رجب١٤٣٢هـ



[رسالة خاصة وصلتنا رسميا من «جماعة قاعدة الجهاد»، أرسلها الشيخ «عطية الله» رحمه الله والشيخ «أبو يحيى» رحمه الله إلى مجاهدي «حركة الشباب المجاهدين» في الصومال؛ تضمنت عددًا من التوجيهات والرسائل الشرعية والسياسية، في مرحلة «ما بعد التمكين» خاصَّة]

بسم الله الرحمن الرحيم

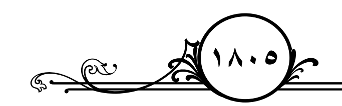
الحمد لله حق حمده ،والصلاة والسلام على نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإلى الإخوة الأحبة الأخيار من اصطفاهم المولى سبحانه ليكونوا في هذا العصر القاتم من المشاعل التي تنير سبيل السالكين، والمعالم التي تبعث الأمل في قلوب اليائسين المحبطين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

فنرجو أن تصلكم هذه الرسالة وأنتم جميعا تتنقلون من خير إلى أخير، ومن حسن إلى أحسن، تذلل لكم العقبات، وتتمهد في طريقكم الصعاب، وتنفسح أمامكم المضايق، ويتيسر عليكم كل عسير، وأن يكون جميع القادة والجند والشعب قد استنشقوا عَرف الشريعة الزكي ونسيمها النقي بعد أن أنتنت الأجواء سنين عديدة بدخاخين نافخي كير الأهواء والضلالات والشهوات والإجرام.

أما عنا؛ فنحن والحمد لله على خير إن رضي الله عنا، وسائر من قِبَلنا من المجاهدين مستشعرون نعم الله عليهم مع اشتداد الأمر، ولكن ما جعله الله في قلوبهم من الأمل الواسع هون عليهم ما يلاقون وأذهب عنهم ما يكابدون وزادهم قوة إلى قوتهم، وما يرون عدوهم –رغم تبجحه وانتفاشه– إلا كمن يتخبطه الشيطان من المس، أو كالذي يعالج سكرات الموت فيخبط يمنة ويسرة ولا يبالي،



نسأل الله أن يشدد وطأته عليهم ويزيدهم خزيا على خزيهم، ويحفظ عباده المؤمنين في كل مكان من شرهم.

إخواني الكرام؛ كان من المفترض أن تتواصل وتتابع مراسلاتنا لكم بأكثر من هذا القدر، غير أن الصوارف جمة، مع أننا نرى أن موضعكم اليوم من الأمة عموما وقضايا المجاهدين خصوصًا في المقدمة، وأنتم أحق من يوقف بجانبه، ويشد من أزره؛ فما حباكم الله به من التمكين والتوسعة لم يبلغه أحد حتى الآن، فنجاحكم نجاح لجميع المجاهدين، وتمكنكم تمكنهم، وقضيتكم لم تعد هي قضية الصومال في حدوده الضيقة بل أصبحت مسألة أمل الأمة عموما والمجاهدين خصوصًا الذين طال انتظارهم وبعدت مسيرتهم وشقتهم ليبلغوا شيئًا مما بلغتموه؛ فأنتم اليوم المثال الحي الذي يثبت للعالم الإسلامي ومن أرض الواقع أنه مُحتلٌّ ومسلوب الإرادة ومكبوت الأنفاس، وأن التصرف في مصالحه رهنٌ بإرادة مستعمريه، وأن هذه الأمة الكبيرة قد غطيت بعباءة كبيرةٍ ثقيلة مظلمة تظن أن تحتها الدفء والسكون والسكينة، وتحسب أنها لا تجد خيرًا مما هي فيه؛ فركنت إلى حالها وأَنِست به، فأنتم مَن سيمزق جزءًا من تلك العباءة ليظهر لأمته أن هناك نورًا وراء الظلمة التي تعشي أبصارهم، وأن هناك فسحة واسعةً فوق ما هم تحته من ركام الاستعباد، فحريٌّ بكم أن تحسنوا تمزيق العباءة الاستعمارية، وأن تروا أمتكم نورًا طالما حرمت منه، وأن تكشفوا لها مدى الظلم والظلام الذي تعيش فيه ويموه عليها في الركون إليه فبضدها تتبين الأشياء.. نسأل الله لكم المزيد والحفظ والتوفيق والسداد.

وابتداء نهنئكم من أعماق قلوبنا على ما وفقتم إليه من الاتفاق والاجتماع مع إخوانكم في «الحزب الإسلامي» حيث صرتم صفًا واحدًا وكلمةً واحدةً، وهذا من أجلِّ النعم وأعظمها، فلتعضوا عليها بالنواجذ، ولتحذروا من كل ما يفسدها ويداخلها، ولتحرصوا أشد الحرص على تقويتها وتدعيمها بغرس معاني الأخوة الإسلامية والمحبة الإيمانية والمودة الصادقة، وسد المنافذ الشيطانية التي يمكن أن تفرق الصف وتشتت الجمع، فإن التفرق الذي يحصل بعد الاتفاق يكون شأنه أشد وأنكى مما قبله، والقلوب بعدها ستكون أعظم نفرةً وأعمق عداوةً كما هو معلوم ومشاهد، ولتعرفوا لإخوانكم قدرهم ومنزلتهم وسابقتهم ومكانتهم، ولتقربوهم منكم فهم اليوم مثلكم ولا أقول جزء منكم فأنتم هم وهم أنتم، ولتتجنبوا إثارة كوامن النفوس بالحديث عن الماضي وما اعتراه من أخطاء أو زلل أو اجتهادات، فكلنا قد كنا لولا أن أنقذنا الله وهدانا ثم ألف بيننا، ولتجعلوا نصب أعينكم ما أنتم فيه من الواقع وما يحيط بكم من المكائد والمؤامرات وتكالب الأعداء، وما أنتم مقدمون عليه من ضخامة المسؤولية وجسامة التكاليف وإلحاح المطالبات التي لا تنتهي؛ فالأمر يحتاج إلى سعة الصدور وخفض الجناح

وليونة الجانب وسمو الأخلاق ومياسرة الشريك، والبعد عن الشماتة وتخطي الماضي والحذر من نبشه، وفي هذا المقام فسلامنا إلى كل إخواننا ممن هضموا أنفسهم وأرغموا أنف الشيطان وقدموا مصلحة الأمة العامة على الحظوظ الخاصة فاجتمعوا مع إخوانهم فأفرحوا بذلك المؤمنين المحبين، وأغاظوا أعداءهم الكافرين الحاقدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران].

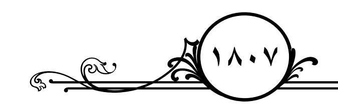
واستغلالًا لهذه الفرصة أحببنا أن ندوِّن بعض الخواطر أو الأفكار التي ربما تجدون فيها شيئًا تستفيدون منه في مسيرتكم المباركة؛ لعل الله يكتب لنا أجر المشاركة ولو كنا بعيدين.

أولًا: إخواني الكرام، كما تعلمون -سددكم الله- أن هذه الأمة قد ابتليت بأنواع من الغزو كل واحد منها كان كافيا لأن يأتي عليها لولا لطف الله ورحمته؛ فغزيت عسكريا، وفكريا، وأخلاقيا، وعقائديا، وعلى جبهاتٍ أخرى متنوعة متعددة، حتى أصبح الدين الذي تنتسب إليه وتتسمى باسمه إن نظرتَ إلى حقيقته وواقعه لرأيته **(دينا غريبًا)**[1] مصداقا لما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، وإن أكثر ما اهتم به أعداء الأمة هو إبعادها عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ وإشغالها بكثير من العلوم التي تنفق فيها الأعمار وتنقطع في تحصيلها الأنفاس وهي لا تسمن ولا تغني من جوع، وإنما هي: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور]، حتى قال أحد مجرمي الغرب وهو «غلادستون» رئس وزراء بريطاني سابق: «ما دام هذا الكتاب موجودًا، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان؛ لذا لا بدّ لنا من أن نعمل على إزالته من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به»[2] اهـ. فأنتج هذا الإبعاد ركاما من الجهل والخرافة والخزعبلات وتداخل ما هو دين بما هو عادات وأعراف شب عليها الصغير وهرم فيها الكبير، وأشربت قلوب الناس تلك الأمور حتى صارت في منزلة العقائد الراسخة التي لا تقبل النقض ولا الاعتراض إلا بشق الأنفس؛ فصار إرجاع الأمة إلى دينها وكشف غمة أنواع الغزو عنها يحتاج إلى جهد جهيد وكد متواصل مع الشمول والتعميم بحيث لا يتوقف ذلك على رد الغزو العسكري فقط – هذا مع أنه البوابة لما وراءه – خاصة في حالتكم أنتم حيث صار الشعب أو أكثره تحت سلطتكم وأمانة في

---

(١) يعني بهذا قوله ﷺ: (**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**). رواه مسلم (١٤٥).

(٢) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا اهله (ص ١٠)، نقلا عن: وا محمداه إن شانئك هو الأبتر (٣/ ١٤٢).



عنقكم وقد ضم أصنافا متعددة من الاتجاهات والمستويات مما لا يحصيه إلا الله، فأول ما ينبغي التركيز عليه هو نشر العلم الحقيقي سواء بالتدريس المنهجي لمن تيسر له ذلك وظهرت عليه مخايل الاستعداد أو بالدعوة العامة والتذكير والمواعظ والتوجيه وعلاج أمراض المجتمع رويدا رويدا وشيئا فشيئًا على مَهلٍ وبتؤدة وأناةٍ وربَّانيةٍ -البدء بصغار العلم قبل كباره- حتى ينتشر العلم ويشيع الخير وتستيقظ القلوب ويغلب على الناس ذكر الآخرة، والقرب من الله، والمحافظة على سبل الخيرات، ومحاسن الأخلاق، ويصبح هذا الخير شائعًا منتشرًا فاشيًا غالبًا؛ فإن إصلاح قلوب الناس هو نصف العلاج بل أكثر، عن النعمان بن بشير ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**) متفق عليه[1]، وإن صلاح الأجساد -الذي هو استقامتها على الحق- يعني صلاح المجتمع، ولا تهونوا من هذا الأمر ولا تحسبوا أنه من مكملات الأعمال وفضول المهمات.. كلا، وإنما هو من صميم أعمالكم، ومن أعظم ما ييسر عليكم إجراء سياساتكم، ويشرح صدور الناس لتقبلها وتقبلكم، هذا مع تخوّلهم بالموعظة وعدم الإكثار عليهم كما هي سنة المصطفى ﷺ؛ فعن شقيق قال: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا» متفق عليه[2].

وينبغي في هذا الصدد إرجاع مكانة المسجد وحيويته وربطه بسائر شؤون الحياة؛ فهذا تعبير عملي علمي حقيقي على هيمنة الدين على جوانب الحياة كلها، فكما أن المسجد من أعظم مواطن صلة العباد بربهم بأداء الصلاة فيه، فهو أيضًا من أعظم مصادر ربط المجتمعات بشرائع دينهم، وأنه لا فصل بين هذا وذاك مما نتج عن التأثر بالفكر العلماني الذي يجعل بعض ما لله لله وما لقيصر لقيصر، فالمسجد مركز الرسالة، ومحل التوجيه، وموطن الإرشاد، ومنبع الحكم، ومهد التربية، ومنطلق الجيوش وقد كان كلَّ شيء في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ﵃ فلنرده إلى ما كان عليه، ولننفض عنه غبار قرون من الهجران والإهمال والعزل الذي ضربه عليه الجهل وقنع به الجهال.

والمقصود أن أكوامًا من الجهل المكدس والأعراف المتأصلة والعادات المتجذرة والمألوفات التي أشربتها النفوس أعواما وأعواما مما يخالف الشرع.. لا ينبغي أن تهمل فلا ينظر إليها ولا يعتنى بعلاجها

(١) صحيح البخاري (٥٢)، صحيح مسلم (١٥٩٩).

(٢) صحيح البخاري (٧٠)، صحيح مسلم (٢٨٢١).

وإصلاح الناس فيها، وكذلك لا يطلب علاجها ولا تخلي الناس عنها وانقلابهم عليها بين عشية وضحاها، وإنما الناس اليوم كالمريض الذي أرهقه المرض؛ فيحتاج إلى العلاج على جرعاتٍ تناسب حاله وتراعي مرضه حتى يتعافى، فعلاج الناس في أمراض أديانهم هو في الجملة من قبيل علاجهم من أدواء أبدانهم، ومن خير ما يبعث الناس على تقبل الحق والتزامهم به هو سلوك دعاتهم -الذين هم بمنزلة الأطباء- ومن حولهم؛ فجنودكم اليوم هم القدوة للعامة، فينبغي الاعتناء بتربيتهم وتعليمهم وتوجيههم ونصحهم وتوسيع مداركهم، وتعريفهم حقيقة أنفسهم، وتفهيمهم طبيعة مرحلتهم، وأنهم في محلٍّ عظمت فيه مسؤوليتهم، وليحذروا أشد الحذر من أن يكونوا منفِّرين سواء بأقوالهم أو بأفعالهم وسلوكهم، وفي هذا الصدد يجب رصد أيةِ بادرةٍ -مهما صغرت- يكون مؤداها تنفير الناسِ وتبغيضهم وإبعادهم عنكم، وليس معنى ذلك هو إرضاء الناس على حساب الشرع، ولا التنازل عن الحقِّ وتضييعه وتمييعه طلبًا لذلك، وإنما الواجب هو إتقان الكيفية التي يقدَّم بها هذا الحق للناس حتى يتقبلوه مستبشرينَ به لا نافرين عنه، والأمثلة في سيرة النبي ﷺ كثيرةٌ ومتنوعةٌ وهي لمن تأملها مليئة بالحِكم البالغة والإرشادات العظيمةِ كما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ، فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ)**(١)، فانظر إلى هذا الحديث على وجازته كم ضم من الحِكم والدلالات والتوجيهات التي يجب عدم إغفالها:

منها: وجود الجهة التي يشتكي إليها الناس عند وجود العَنَت ووقوعهم فيه كما اشتكى الرجل إلى النبي ﷺ، حتى ولو كان ذلك التعنيت في ركنٍ من أركان الدينِ فكيف إذا كان فيما دون ذلك أو في أمرٍ من أمور الدنيا، وإن أشدَّ شيءٍ على المرء أن يكتم عناءه ويحبس معاناته مع شعوره بالضيم والإجحاف لعدم وجود من ينصفه، فمثل هذا قد يصبر ولكن إلى حينٍ، فكما يقولون: «الضغط يولِّد الانفجار»، وقد يكون انفجارًا ضخمًا متشظيًا مستئصلًا يأتي على الدولِ والأنظمةِ، وما الأحداث الجارية اليوم في الأمة عنَّا ببعيدٍ، والحكمةُ ضالة المؤمن.

ومنها: استماع النبي ﷺ إلى شكوى الرجل وعدم إهمالها والتغاضي عنها والتهاون فيها.

ومنها: حرص النبي ﷺ على سدِّ كل بابٍ يمكنُ أن يكون سببًا في إبعاد الناس عن الحقِّ وعملِ

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٢، ٧٠٤، ٦١١٠)، صحيح مسلم (٤٦٦) واللفظ لمسلم.

الخير، ولهذا غضب ﷺ، ولم يكتفِ النبي ﷺ بالاستماع إلى شكوى الرجل بل تولَّى «حل مشكلته» الخاصة، وعالج الأمر من أصله حتى لا يتكرر ويتفاقم.

ومنها: اعتبار أحوال الناسِ في الأمور والتعرُّف على أوضاعهم وتغليب جانب الرفق والتسهيل والتيسير عليهم بما لا يُخلُّ بأصل العمل الصالح الذي يُشارِكون فيه أو يقومون به.

ومنها: أن لا يُنظر في تقويم الأعمال العامة المشتركة وتصويبها إلى مجرد إخلاص المرء وصدقه وحرصه التام على القيام بذلك العمل، وإنما يُضَم إلى ذلك الحكمة في أدائه والبصيرة في القيام به، إذ لا شك أن هؤلاء الناس الذين وصفهم رسول الله ﷺ بـ(**المنفرين**) كانوا يطيلون الصلاة لحرصهم على العمل الصالح وطلبهم للأجر بتطويل الصلاة، ولكن هذا لم يمنع النبي ﷺ من وصفهم بـ(**المنفرين**)، وفي قصة إمامة معاذ قال له النبي ﷺ (**أفتَّانٌ أنتَ يا معاذ؟**) ثلاثًا[1]؛ فلتتنبَّهوا جدًّا من سلوك الفتَّانين حتى ولو كان أصل مقصدهم الخير والإصلاح وطلَبَ الازدياد من الثواب.

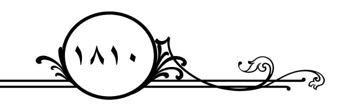
إذًا فالأمر يحتاج إلى تنشيط جانب الدعوة والتوعية لعامة الناس وخاصتهم وهذا الجهد يتحمله كل من أمكن أن يشارك فيه ويتولى نصيبا منه كالخطباء في المساجد، والأساتذة في المدارس والجامعات، والعلماء في حلقات العلم، والدعاة في الجلسات العامة المفتوحة، ووسائل الإعلام المتيسرة، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران]، وأقترحُ أن يكون هناك قراءة وتدريسٌ في سائر المجامع لكتابِ «رياض الصالحين»، حتى ولو كان على طريقة الدعوة والتبليغ ولكن من غير إقصاء لأي بابٍ من أبوابه.

ولتعلموا أن ما يتوفر لكم اليوم قد لا يتيسر غدًا لكثرة تقلب الأحوال؛ نسأل الله أن يجعل عاقبة الأمور كلها خيرً، فاستغلال الظروف ومسابقة الزمن ومواصلة الجهود في غاية الأهميةِ وإنما الحياةُ فُرصٌ، وكل غرسٍ تغرسونه الآن فإنكم ستجنون ثماره وتحمدون عقباه مما ستلاقونه من تأييد الناس لكم، وصبرهم على ما يعتريهم من الشدائد في أمور دنياهم، نسأل الله لكم العون والتسديد والبصيرة.

ثانيا: فيما نرى – والله أعلم– أن هذه الجهود الدعوية والتربوية والتعليمية التي سبق الإشارة إليها ينبغي أن يكون لها وجهتان أو مساران:

الوجهة الأولى: هي وجهةٌ إعلامية تعريفية تُبرزونها بين الحينِ والحينِ عبر مؤسسة الكتائب، أو إصدار مجلة رسمية فيها شيءٌ من بيان تلك الأعمال والجهود لتكون رسائل موجَّهة إلى عموم الأمة من

(١) صحيح البخاري (٦١٠٦)، صحيح مسلم (٤٦٥).



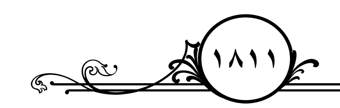
العلماء والدعاة والمثقفين والتجار وغيرهم، وليس فقط إلى المجاهدين والمؤيدين، لينال كل صنفٍ قسطه من تلك الرسائل التطمينية، ولإزالة حزازات النفوس وشكوكها لتكون دولتكم المباركة محتضَنة مؤيَدة من عامة الأمة وأكثرها، ومع مرور الأيام وتكرار النشر والتعريف وتنويعه ستجدون بإذن الله من يذبُّ عنكم ويرد عن وجهكم ممن لا تتوقَّعونه، أو على الأقل تُكسر كثير من الأقلام المخذولة التي اعتادت الطعن وإثارة الشبهات، فمن ذلك الاستمرار في إظهار مسابقات القرآن التي تجرونها بين الحين والحين، وكذلك إظهار شيءٍ من تقسيم الزكاة على مستحقِّيها وإجراء لقاءات مع بعضهم ليعبِّروا عن آرائهم وفرحتهم، أو لقاءات مع بعض الأغنياء الذين يؤدون زكاة أموالهم وبيان أنهم يؤدونها بمحض إرادتهم وطيبة بها نفوسهم، وعمومًا التركيز -مع الصدق والإخلاص وموافقة الواقع طبعًا- على ما يُسمى بالجناب «الإنساني»، وقد يكون من المناسب في هذا الصدد إنشاء بعض اللجان أو الجمعيات المتخصصة وإبرازها في وسائل الإعلام كـ«جمعية لرعاية الأيتام» وليُعمَّم هذا ولا يقتصر فيه على أبناء الشهداء، أو «جمعية الاعتناء بالأرامل»، ويا لكلمة عمر رضي الله عنه قبل مقتله بأيام: «لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى أَحَدٍ بَعْدِي» البخاري[1]، أو إنشاء «جمعية للعناية بالمعوَّقين»، وكما ظهر في الصور المؤثرة التي رأيناها من توزيع المبالغ على المكفوفين جزاكم الله كل خيرٍ، ونحوِ ذلك؛ فإن هذا الجانب والعناية به له من الفوائد الظاهرة والباطنة ما لا يحصى، وهي من أعظم أسباب استجلاب التأييد والنصر من الله سبحانه وتعالى لما فيها من عظيم الرَّحمة بالخلق والتي يُستنزل بها رحمةُ أرحم الراحمين كما جاء في الحديث: (**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**) رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود وغيرهم[2]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمْهُ اللهُ عز وجل**) رواه البخاري ومسلم[3]، وهذه المعاني علينا أن نستيقنها ونجزم بها جزمًا لا تردد فيه، فإننا ومع أخذنا بالأسباب الظاهرة الممكنة التي ظهر تعلُّقها بمسبَّباتها والتي يستوي في الأخذ بها المؤمن والكافر إلا أن هناك من الأسباب الخفية التي لا يعقلها إلا أهل الإيمان والتي يحصل بها من التأييد الإلهي والإعانة الربانية لمن أخذ بها ما يربو على تلك الأسباب الظاهرة، وهذا من أعظم الفوارق بيننا وبين أهل الكفر الذين لا يعرفون إلا الماديات المحضة والحسيات الجافَّة؛ فترتبط بها قلوبهم ويعتمدون عليها ويغترون بتمكنهم منها فيُخذلون بها في أشد المواطن حاجةً إليها ولن تغني عنهم آنذاك من الله شيئًا، كما قال

---

(١) صحيح البخاري (٦٩١٧) قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ -راوي الحديث-: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَى رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ.. الخ.

(٢) مسند أحمد (٦٤٩٤) وصححه الأرنؤوط لغيره، سنن أبي داود (٤٩٤١)، سنن الترمذي (١٩٢٤) وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري (٧٣٧٦)، صحيح مسلم (٢٣١٩) واللفظ لمسلم.



تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت]، وذلك أن استجلاب التأييد واستنزال النصر وطلب العون من الله تعالى له أيضًا تلك المعاني الخفية في ظاهر حالها الجلية عند أهل الإيمان المستيقنين بها، وعلى هذا من الأدلة ما لا يحصى سواء في باب الجهاد أو غيره؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران]، وكما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد]، وكالأحاديث التي ذكرتُ بعضها.

فالمقصود أن كثيرًا من الأمور التي يعبَّر عنها اليوم بالجانب «الإنساني» هو داخلٌ في معنى «الرحمة»؛ ذلك الوجه المشرق البهي الناصع في ديننا الحنيف والذي يجب إظهاره على حقيقته الناضرة التي كان يسير عليها مَن بعثه الله تعالى وقال له: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

فإبداء هذه الصفحة -ليس لأمة الإسلام فقط بل للعالم كلِّه مسلمه وكافره- من غير تمييع لحقائق الدينِ، ولا تنازلٍ عن أحكامِه، ولا تكلُّفٍ في إلصاق ما ليس منه به.. هو من الجهود المحمودة التي يجب الاعتناء بها، وتنويع كيفية إبدائها، والتركيز على إظهارها وإشهارها، واحذروا -مع الانضباط المذكور- أن تستشعروا أن هذا من «تمييع الحق»، أو «التنازل عن المبادئ»، أو «التفريط في الولاء والبراء»، أو «تتبع الرخص»، أو «مداهنة الكفَّار» أو نحو ذلكَ مما قد يتردد في النفوس، أو تخطُّه بعض أقلام المتهورين؛ فإنَّ نفسَ إقامة الدينِ والتمسك بالشرائع والانضباط بها على الوجه الصحيح هو الرَّحمة لأنَّ عينَ الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ -وليس فقط للمؤمنين- هي الرَّحمة، وبالتالي فلا يحتاج الأمرُ إلى تخيُل شيءٍ من الأشياء بأنه ضربٌ من ضروب الرحمةِ ثم القيام به حتى ولو كان خلاف الشرع؛ فإن تلك الرَّحمة المتخيَّلة والمزعومة إنما هي موهومة ملغاة، إما لكذبها في أصلها لانعدام الرحمة منها رأسًا وإنما هي ضعف وخور ورقةٌ في غير موطنها، وإما لمعارضتها ومناقضتها لما هو أولى منها تقديمًا، أو لاشتمالها على مفاسد عظيمةٍ غابت أو غُيِّبت عن عقلٍ وفهم متوهّم تلك الرحمة.

إن لب المشكلة مع أعدائنا -أيها الأحبة- هو حرصهم الدائم والتام على إلغاء الشريعة الإسلامية وإبعادها إبعادا تامًا عن واقع الناس وعن فكرهم، وبذل الجهد لإيصال الشعوب إلى درجة الاستهجان من ذكر تطبيقها فضلا عن السعي لإقامتها، وليس ذلك حرصا على مصالح الشعوب ولا رحمة بها ولا شفقةً عليها وإنما لأن إقامة الشريعة على وجهها الصحيح بما تضمنته من رحمة وعدلٍ وشمولٍ وإكرام للإنسان تبدد ظلام دعاوى أنظمتهم المستبدة والمغلفة زورا بحقوق الإنسان، وتكشف مدى الهمجية

والوحشية والظلم والقسوة التي تمثلها تلك الأنظمة «الديمقراطية»؛ فيكون ذلك داعيًا لالتفات الشعوب إلى هذا النموذج العادل الجديد الذي لم يعهدوا مثله ولم يروا نظيره فيتسرب إلى قلوبهم حبه والشوق إلى مزيد من التعرف عليه، وهذا وحده كافٍ لصرف الناس عن أولئك الطغاة المستبدين الذين يعدون ذلك قضاء على مصالحهم وحيلولة دون تحقيق مآربهم وسيطرة أهوائهم، وهذا الأمر يدعوكم لأن تكونوا نموذجًا حيًا حقيقيا لتطبيق الإسلام، ليشمل العناية بدين الناس و«دنياهم»، ولست بذلك أدعو إلى محاولة التكلف في التنميق والتزويق والتعسف في إظهار صورة الإسلام الجميلة -كما يقال- وإنما فقط أن نطبق الإسلام على وجهه بعيدًا عن الشطط والغلو والتنفير بسماحته وفسحتِه وسعتِه وجديته؛ فهذا وحده كافٍ لإظهار نوره وتغييب ظلام تلك الأنظمة التي طمست على بصر الناس وبصائرهم عقودًا عديدة.

وعلى كلِّ حالٍ.. فالمقصود بهذه النقطة هو أن تجتهدوا عبر وسائل إعلامكم المرئية والمسموعة والمقروءة في إظهار كثيرٍ من جهودكم «الإنسانية»، وتعريف العالَم بها، مع الاعتناء التام بموافقة الدعاية للحقيقة ومطابقتها للشرع والواقع، فليس ثمةَ شيءٌ كالصدقِ الذي يهدي إلى البر، لما في ذلك كلِّه من استنزال معونةِ الله لكم ولطفه بكم مع ما يحصل من استمالةِ قلوبِ الناسِ وكفِّ كثيرٍ من أبواب الشرور عنكم، فهي في الحقيقة جزءٌ من ساحات المعركة التي يجب أن تخوضوا غمارها بعنايةٍ وإتقانٍ ومهارةٍ والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

وفي هذا الصدد فلا أرى أي مانعٍ -وأنتم أدرى بظروفكم- من توجيه نداءٍ علنيٍّ للمنظمات الخيرية الإسلامية بالعموم والإجمال؛ ليكون لها جهدٌ في إغاثة المحاويج من المسلمين وتوفير بعض ما يمكن من ضرورياتهم، خاصةً في أوقات النكبات أو ما يسمى بالكوارث كالجفاف، والجدب، والمجاعةِ ونحو ذلكَ، فلن يعدوَ الأمر أن يكون استعانة ببعض المسلمين في وجهٍ من وجوه الخير التي يقدرون عليها، عن أسلم: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامُ الرَّمَادِيِّ، وَأَجْدَبَتِ الْأَرْضُ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَخْبَرَنِي الْعُمَرِيُّ مَا تُبَالِي إِذَا سَمِنْتَ، وَمَنْ قِبَلَكَ أَنْ أَعْجَفَ، وَمَنْ قِبَلِي، وَيَا غَوْثَاهُ، فَكَتَبَ عَمْرٌو: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، أَتَتْكَ عِيرٌ أَوَّلُهَا عِنْدَكَ، وَآخِرُهَا عِنْدِي، مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ أَجِدَ سَبِيلَانِ أَحْمِلُ فِي الْبَحْرِ» رواه ابن خزيمة، والحاكم -وهذا لفظه- والبيهقي[1].

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٢٣٧٦)، مستدرك الحاكم (١٤٧١)، السنن الكبرى للبيهقي (١٣٠١٧).

فإن تلك المنظمات حتى ولو كان بعضها في الخفاء مرتبطًا ببعض الأنظمة المرتدة، ولكنَّ أكثر القائمين عليها في ميادين الأعمال هم من عامة المسلمين أو حتى من خيارهم، والأموال التي تُسيَّر بها مشاريعها غالبًا ما تكون من صدقاتهم وتبرعاتهم، وما يُتصور من الأضرار المحتملة التي قد تقع خفية من تلك المنظمات؛ فهي ليست بتلك الجسامة مقارنةً بجوانب الخير الذي تقوم به، وليس حالها كحال كثير من المنظمات الإنسانية الغربية التي تمارس التنصير ونشر الفساد الأخلاقي والعقائدي بين المسلمين، وليكن منكم لتلك المنظمات الخيرية الإسلامية كلُّ التسهيل والتيسير في الجوانب التي يتولونها؛ فإنها قد تكون بابا عظيما لكثير من المسلمين المحبِّين لكم الذين يتحرجون من مباشرة دعمكم إما لخوفهم على أنفسهم من إلصاق تهمة الإرهاب ودعمه، وإما لميولهم إلى القيام بجوانب الخير الأخرى التي تطمئن إليها قلوبهم وتنشط نحوها نفوسهم من بناء المساجد وكفالة الأيتام والأرامل وإنشاء المدارس ونحو ذلك؛ فما دام ذلك ممكنًا ويؤدي بعض الخير الذي يحتاج إليه الناس ويخفف عنكم شيئًا من الأعباء فلا ينبغي أن يحرموا منه، ولتدرسوا الأمر بعنايةٍ، وإنما هذا مجرد تنبيهٍ.

أما الوجهة الثانية: فهو مضاعفة الجهود العملية التطبيقية في هذا الجانب، وذلك بإنشاء إدارات مناسبةٍ تُعنى بشمول شرائح الشعب كافةً لمتابعةِ أحوالهم، والتعرف على ظروفهم، وإقامة جهات تتولى توفير احتياجاتهم، وهذا يستدعي منكم إقامة بعض الدورات الإدارية بجانب الدورات الشرعية، لتكون نواةً وبدايةً لبناء مؤسسات يتولاها أهل الكفاءة والخبرة والديانة ممن يقوم على هذا الأمر بوجهه الأحسن حسب الإمكانِ، ولا يهولنّكم الأمر ولا تستعظموه فإنه في غاية اليسر مع الاستعانة بالله والشروع فيه عمليًا وستكتشفون -بإذن الله تعالى- أنه سيخفف عنكم كثيرًا من الأعباء والأثقال التي يتولى حملها الآن أفراد معدودون أو جهات محدودة.

فلئن كان عمرُ بن الخطاب ﷺ يتجوَّل ليلًا في المدينة بنفسه ليتعرف على الأحوال ويستقصيها، ويقضي حاجات الناس فإن هذا غير ممكنٍ اليوم لاتساع الرقعة وكثرة الخلق وشدة المخاطر وتنوع الحاجيات التي لا يتأتى أن يتولاها شخصٌ واحدٌ ولا أشخاصٌ، وهي من ضروريات الحياة ومن لوازمها ولا يستغني الناس عنها بحيث يمكن إغفالها؛ فلزم سلوك طرقٍ إداريةٍ يحصل بها هذا المقصود، ولا شكَّ أن هذا يحتاج إلى شيءٍ من الوقت وإلى جهدٍ كبيرٍ ومتواصلٍ أنتم له أهلٌ إن شاء الله تعالى، ويبدأ كما ذكرتُ بإقامة دورات تعريفية مركَّزة وجادَّة لوضعِ أساسٍ ينطلق منه كلُّ صاحبِ مهمةٍ وتكليفٍ؛ فمثلًا: في الجانبِ الطبِّي -وهو من الضروريات- بعد انتقاء الأفراد المناسبين يتم إقامة دورات طبيةٍ تبدأ من الإسعافات الأولية ثمُ يرتقى بهم شيئًا فشيئًا، وتعادُ لهم دورات من مستوى أعلى

بعد فترةٍ هذا مع مشاركتهم في الأعمال الطبية بجانب بعض الأطباء ليكتسبوا خبرةً عملية بجانب المعلومات الأولية التي تحصَّلوا عليها، وليشمل هذا الأمر حتى بعض النساءِ لحاجة الجنسين إليه، وقس على ذلك.

وهذا الجانب أرى أن لا تكشفوا أوراقه كلَّها أمام وسائل الإعلام، بل يكفي منه بضع ومضاتٍ مما أشرت إليه سابقًا، وإنما ينبغي أن تسير وتيرته بعيدًا عن الإشهار والتعريف رعايةً لإنجاحه والاستمرار فيه ومنع ما قد يعوقه من الكيد والمكر والتخليط الذي قد يسلكه أعداؤكم بشتى صنوفهم، لأنه يعبر في حقيقته على تمام التمكينِ، والانتقال إلى مرحلة الدولةِ -ولو لم يعلَن عنها-، وفي الحقيقة فإن هذا الجانب هو الذي عليه المعوَّل لأنه الأساس الأوَّل الذي سيقام عليه البناء ويَجعل الكيان متماسكًا متناسقًا بعيدًا عن العشوائية والارتجالية.

والمقصود من هذا كلِّه أنكم اليوم تحملون حاجاتِ شعبٍ كاملٍ على كاهلكم، ومطالبهم في الغالِب مُلحة، ولا يمكن لفردٍ ولا لأفرادٍ بل ولا لجماعةٍ أن تنفردَ بحمل هذا العبء؛ فلا بدَ إذًا من إيجاد حلٍّ لهذه القضية وذلك من خلال الاجتهاد في إنشاء جهاتٍ ذاتِ كفاءةٍ تضطلع بتلك المهام، وهذا يشمل تشجيع من كانت له سابقة وتجربة وخبرة في تخصصٍ من التخصصات وفسح المجال له ودفعه ليقوم بما يستطيع ويشمل أيضًا ما يلزمكم من تكوين كوادر جديدةٍ -ولو مع نقص الخبرة- لترتقي وتنضج مع طول الممارسة والتوجيه والتصحيح والتثقيف، وما عجزَ عنه المرء عجزًا حقيقيًا فليس بمؤاخذٍ عليه إن شاء الله تعالى، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وكما قال شيخ الإسلام ؒ: «فَمَنْ وَلِيَ وِلَايَةً يَقْصِدُ بِهَا طَاعَةَ اللَّهِ وَإِقَامَةَ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ دِينِهِ وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَأَقَامَ فِيهَا مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابِ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ: لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا يَعْجِزُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ تَوْلِيَةَ الْأَبْرَارِ خَيْرٌ لِلْأُمَّةِ مِنْ تَوْلِيَةِ الْفُجَّارِ. وَمَنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ إقَامَةِ الدِّينِ بِالسُّلْطَانِ وَالْجِهَادِ فَفَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ النَّصِيحَةِ بِقَلْبِهِ وَالدُّعَاءِ لِلْأُمَّةِ وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ وَفَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ الْخَيْرِ: لَمْ يُكَلَّفْ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ» [مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٣٩٦]، وليُراجع ما كتبه قبل هذا الكلام بصفحات فإنه مهمٌ ومفيدٌ، وفي هذا الصدد أنصح بقراءة كتاب «التراتيب الإدراية لعبد الحي الكتاني» بعنايةٍ؛ فإن فيه كثيرًا من الفوائد التي تحتاجون إليها وتفتح لكم مدارك عدةٍ، هذا مع عدم الالتفات إلى بعض ما يذكره من شواذ القصص والحكاياتِ.

وعمومًا **ينبغي أن لا يغيب عن ذهنكم أيها الأحبة أنكم اليوم الخط الأول بالنسبة للمسلمين وللكفار على حدٍّ سواء**؛ فالكفار مهما تظاهروا بتهوين قضيتكم وأبدوا عدم الاكتراث بها، ومحاولة النظر إليها على أنها مسألة سهلة ميسرة، وأن المحافل الدولية لا تعنى بها كثيرا وأن لديها من الهموم

والمشكلات والقضايا الساخنة ما هو مقدم، فإن ذلك لا ينبغي أن يخدعكم، ولا أن يجعلكم تتهاونون في أخذ كامل الحذر مما يمكرون، فهم يعدون نجاحكم قاصمة الظهر بالنسبة لهم، وتمكنكم هو بداية أفول شموسهم لا سيما مع موقع بلدكم الهام، وشراسة شعبكم في القتال، وقربكم من منطقة هي من أهم المناطق بالنسبة لهم: «جزيرة العرب»، وإطلالتكم على «باب المندبِ» الحيويّ؛ فعليكم أن تشعروا بأن الحمل ثقيل، وأن الأمر أكبر مما تتصورون، وقد اختاركم الله لهذه المهمة فكونوا حيث يحب الله تعالى. وأما بالنسبة للمسلمين فهم يعدونكم النموذج الذي إن نجح فكت قيودهم وتكسّرت أصفادهم وتحطمت أغلالهم، وأعتقوا من ربقة الاستعباد الدولي المضروب عليهم، وخرجوا من غيبوبتهم وأوهامهم، وعادوا إلى سابق مجدهم وعزهم لا سيما المجاهدون الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأنتم كما ترون -أيها الأحبة- فـ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فليس لطائفة أن تمن على الله تعالى بسابقة ولا بتاريخ ولا بكثرة تضحية ولا غير ذلك، وإنما يختار الله للتمكين لدينه من شاء وحيث شاء ﷻ، ومن تواضع لله رفعه الله، فلم يكن أحد يظن أن تكونوا خلال هذه السنوات المعدودات لا سيما منذ سقوط أفغانستان من أول من يمكن له تمكينا حقيقيًا، ويختاركم الله على غيركم، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم.

ثالثًا: علينا أن ندرك أن مأساة إلغاء الشريعة الإسلامية وإقصائها قد سارت على خطوات وخطط صبر فيها أهل الكفر أيما صبر حتى بلغوا بغيتهم ونالوا مطلبهم؛ مسخرين في ذلك علماء ضلالة ومفتونين بحضارة الغرب ولفيفًا من الزنادقة مما يكوِّن بمجموعه منظومة متكاملة تقوم على أساس حرمان الأمة من هذه النعمة وإقامة خزعبلات الغرب مكانها، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ٣﴾ [إبراهيم]، ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف].

وهم مع ذلك لا يزالون يتربصون بكم من داخل البلاد وخارجها يمد بعضهم بعضًا، ويحشدون لكم كل ما أمكن من إمكانات وطاقات وعقول وكيد ومكر وخبث، ويتحينون الفرص لحظةً بلحظةٍ، يطوون ما ينفعكم وينشرون ما يسوؤكم، يحزنون لفرحكم، ويفرحون لمصابكم، كما قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [آل عمران]، وهذا يقتضي منكم أن تكونوا على درجة عالية من الوعي واليقظة والتنبه للثغرات التي يمكن أن يعيد منها الكفرة الكرَّة غير الجانب العسكري وهو أهمها هنا؛ لأن الضعيف لا يمكن أن يفعل شيئًا، كما أنه يعني أن إقامة الشريعة بمعناها العام الواسع التام لا يمكن أن

يكون بين عشية وضحاها ولكن المهم هو الشروع والعزم والاستمرار وتتابع الخطوات وعدم التلكؤ ولا التردد، وكلما نقضتم عروة من عرى بقايا القوانين الوضعية سرتم إلى غيرها، حتى تأتوا على آخرها بإذن الله تعالى.

فمما نؤكد عليه هنا هو محاولة تقليلِ أعدائكم حسب الإمكانِ، خاصةً داخلَ الصومال، إما باستمالتهم وتألف من أمكن تألفه منهم، وإما بزرع الخلاف والنزاع بينهم وإشغالهم بأنفسهم؛ فالحربُ خدعة، وأنتم في أشرس المعارك وأكثرها ضراوةً، وحسبَ علمي فأن أكثر مَن يقفون في صفِّ شيخ شريف من الجنود والمقاتلين إما أن يكون دافعهم المالَ وهو الغالب، وإما أن يكون التعصب القبلي، ولا أظن أن واحدًا منهم له دافعٌ عقائدي أو له مبدأ أو فكر يقاتل عليه، وقد يكون هناك دوافع أخرى أنتم أعلم بها، ولكن على الأرجح فإن هذين الأمرين هما المحوران اللذان عليهما المدار، فأرى أن ترصدوا مبلغًا جيدًا من المالِ في خزينتكم يُخصّص لاستمالةِ مَن أمكن من هؤلاء وغيرهم بل حتى بعض البرلمانيين الذين لم تكن لهم جرائم مباشرة قذرة ضد المسلمينَ، وتعلنوا عبر وسائل إعلامكم أو عن طريق الوسطاء الموثوقين، أو بالطريقة التي ترونها مناسبةً: أن كلَّ من وضع السلاح وتخلَّى عن مساندة الحكومةِ فإنه سيتم العفو عنه وعدم مسائلته ولا مؤاخذته بالماضي بل يكافأ بمبلغٍ تحددونه يقبضه مباشرةً بحيث يكون مغريًا وزائدًا عمَّا يستلمونه، ويمكن أن تخصُّوا القادة والضباط الذين يتخلون عن الحكومةِ بمبلغ أكبر لإشعارهم بتميزهم وعلوِّهم على جنودهم، وهذا متوقفٌ على قدراتكم، ولكنِّي أرى أنه جانبٌ سيذلل لكم كثيرًا من المصاعب والعقبات، خاصةً إذا حددتم لذلك زمنًا معينًا كشهرين أو ثلاثة بحسب المناسبة، بحيث يبقى الجندي مترددًا نفسيًا بين الخوف من انتهاء المدةِ، وبين الإغراء الذي ينتظره ويبرقُ أمامه.

وإذا تمَّ وسلَّم بعض الجنود أنفسهم بعد الإعلان أو حتى من السابقين فيخرجون في الإعلامِ وهم في أحسنِ حالٍ مع إجراء لقاء معهم يعرِّفون به حالَهم ويدعونَ أصحابهم إلى اغتنام الفرصةِ وعدم التمادي فيما لا فائدةَ فيه.

وكذلك سياسة التفريق فيما بينهم، وزرع عدم الثقة وتشكيك بعضهم في بعضٍ فهو لمن وفِّق فيه وأتقنه من أنجع الأسلحة وأنكاها، بحيث يشعر كلُّ طرفٍ منهم أن لغيره علاقةً سريَّةً معكم، وأنه قد ينقلب على صاحبه في أيةِ لحظةٍ، وأن بعضهم قد أمَّن لنفسه خطَّ الرجعةِ سرًا، وما بقاؤه في صفوفهم إلا مسألة وقتٍ وظرفٍ ثم يظهر ما يكنّه ويبدو على حقيقته؛ فإن مثل هذه الشكوك والأوهام والزعزعة إذا وقعت في قلوب الجيش ومن يحفُّون به أو يقودونه من أشد الأمور فتكًا، وأكثرها وقعًا، كما يقال: «رب

مكيدة أبلغ من نجدة»[١]، وقد ذكر العلماء من الحِيل الحربية والمكائد العسكرية ما يمكن أن يستبصر به القادة العسكريون في معاركهم ويجعلونه نبراسًا يهتدون به، وقد علمتم كيف كانت عاقبة المتحزبين على رسول الله ﷺ وما قام به نعيم بن مسعود رضي الله عنه[٢]، مع التنبيه على أن لا تعود تلك المكائد على نفس صف المجاهدين بالضرر والاضطراب لقصور فهمهم وقلة إدراكهم فيقع عكس ما نريده، فيحصل الشكُّ وعدم الثقةِ بين المجاهدين أنفسهم لفقدانها في قادتهم، وظنهم بهم ظنَّ السوء من التواطؤ مع الأعداء، فهذه مشكلة يجب علاجها بالتوعية والتعريف.

هذا ونسأل المولى ﷻ أن ينصركم ويمكن لكم ويفتح على أيديكم ويخزي عدوكم ويري فراعنة الزمان وجنودهم منكم ما كانوا يحذرون.

والحمد لله رب العالمين، وسلامنا لمن قِبلكم.

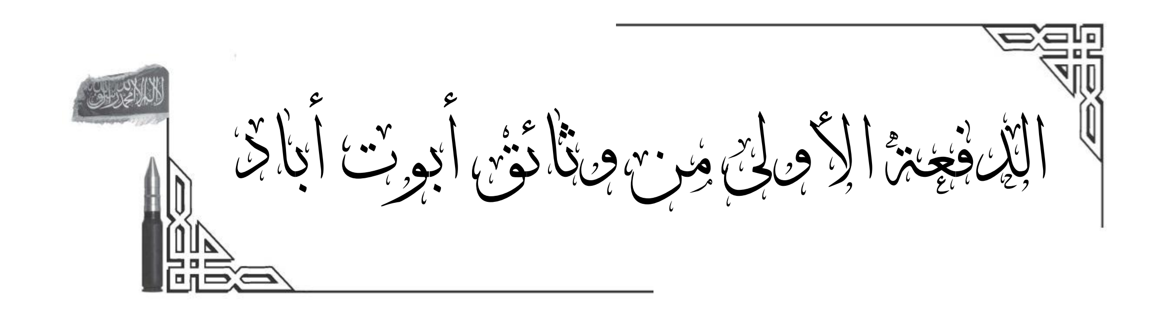
إخوانكم في تنظيم قاعدة الجهاد/ القيادة العامة

عنهم: **أبو يحيى الليبي**، و**عطية الله**

ربيع الآخر ١٤٣٢هـ

(١) انظر: سراج الملوك للطرطوشي (ص ١٨١).

(٢) قام نعيم بن مسعود رضي الله عنه بتفريق صفوف الكافرين في غزوة الخندق؛ حيث ذهب إلى قريش فأوهمهم باليهود شرا، وذهب إلى السهود فأوهمهم بقريش شرا، بعد أن قال له النبي ﷺ: (**خذل عنا ما استطعت؛ فإن الحرب خدعة**) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٨).



الرسالة الأولى

رقم الرسالة: SOCOM-2012-0000007.

المرسَلة إلى: حكيم الله محسود «أمير حركة طالبان باكستان» رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

إلى الأخ المحترم: حكيم الله محسود (أمير تحريك طالبان باكستان) -وفقه الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نود أن نوضح لجنابكم بعض الأمور المهمة:

أننا في الآونة الأخيرة اجتمع لدينا عدة ملاحظات مهمة تتعلق بفكر ومنهج وسلوك «تحريك طالبان باكستان» نراها سلبيات وأخطاء شرعية واضحة ومزلة خطيرة، و نخشى -لا قدر الله- أن تكون سببًا لانحراف وفساد عظيم في مسيرة الحركة الجهادية في باكستان، وذلك يضاد مقاصد الجهاد وينافي ما بذلنا وما بذلتم وبذل إخواننا المجاهدون وجميع المسلمين من المهاجرين والأنصار في سبيله من دمائهم وأرواحهم ومُهجِهم وأموالهم! ومن ذلك على سبيل الإشارة الإجمالية:

١- اعتبار «حكيم الله محسود» الأمير الأوحد الذي يجب على الجميع مبايعته، ويُعدُّ الخارج عليه وغير المنضم إليه في التحريك باغيًا، وعدم التفريق بين إمارة الجهاد ومنصب الإمام الأعظم، وعدم مراعاة أحوال المسلمين اليوم، وهذا لا شك أنه خطأ في التصور الصحيح للمسألة شرعًا، وفيه أيضًا خطر إشعال الاقتتال بين جماعات المجاهدين.

٢- التوسع في مسألة القتل؛ بالتوسع في مسألة التترس وعدم ضبطها بالشرع عمليًا، وقتل عوام

الناس المسلمين في العمليات الفدائية في الأسواق والمساجد والشوارع وملتقيات الناس وتجمعاتهم، وعدم المبالاة بهم، وبلغنا في ذلك أفكار باطلة بدأت تنتشر بين المنتسبين إلى التحريك، التوسع في تكفير المسلمين، وله صور بلغتنا عن أناس متعددين من المنتسبين إلى «التحريك».

٣- إن مسودة لائحة «تحريك طالبان باكستان» التي وضعها الأخ «حكيم الله محسود» وأرسل لنا نسخة منها، هي غير صالحة ولا مناسبة، وفيها أخطاء شرعية وسياسية، ونحن لا نوافق عليها، ولا بد من تغييرها جوهريًّا وقد أرسلنا لكم تعليقات مختصرة على كثير من فقراتها المهمة.

٤- إننا نعرض عليكم لائحة مختصرة لضبط مسألة الخطف وأخذ الأموال من الأشخاص ما يُسمح به وما لا يُسمح به، وندعوكم إلى أن نتفق عليها نحن وأنتم وجميع الإخوة المجاهدين في باكستان -وهي مرفقة لكم مع هذه الرسالة-.

٥- نوضح لكم أيضًا أننا نحن «تنظيم قاعدة الجهاد» تنظيم إسلامي جهادي عالمي لا يتقيد بوطن ولا جنس، وأننا في أفغانستان مبايعون لأمير المؤمنين «الملا محمد عمر مجاهد» أمير المؤمنين في «إمارة أفغانستان الإسلامية»، ومأذون لنا من قبل أمير المؤمنين بالعمل الجهادي العام، وإننا نسمع من بعض الناس تسميتنا بالضيوف على سبيل القصد إلى معانٍ سياسية، وإننا نحب أن نبين لكم أن هذا الوصف لا يتعلق به حكم شرعي، وأن المؤمنين إخوة وأن الأمر لله والأرض لله، والدين دينه ﷻ، ونحن عبيده نسعى في العمل برضاه، ولذلك ندعوكم وكل المجاهدين لترك استعمال هذا الوصف المشار إليه أو التعويل عليه في شيء.

٦- نوضح لكم أن الأخ «بدر منصور» -وفقه الله- هو جندي من جنود «تنظيم قاعدة الجهاد»، مبايع للشيخ أسامة بن لادن؛ فهو معنا وتابع لنا، وهو أمير سرية من سرايانا، وليس من الحصافة أن يتكلم أحد معه -أو مع غيره من أفرادنا- في الانضمام إلى تنظيم آخر؛ التحريك أو غيره، بل إن كان لا بد فيتم الكلام مع أمرائه والمسئولين عنه من قيادات التنظيم، هذا ما يقتضيه الفقه وأصول وآداب العمل الجماعي.

٧- نؤكد على أن الإصلاح الجادَّ الحقيقي منا جميعًا أمر واجب وأنه لا فلاح لنا ولا نجاح إن لم نحاسب أنفسنا ونفتش عن أخطائنا ونعترف بها ونصلحها ونجتهد في ذلك بالتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالأخذ على أيدي الظالمين، وبقيام كل منا بما يجب عليه من ذلك وغيره؛ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

وعليه؛ فإن لم نرَ منكم سعيًا جادًا فوريًّا وخطوات عملية فعلية واضحة للإصلاح والتبرئِ من تلك الأخطاء الشرعية الفاحشة؛ فإننا سنكون مضطرين لاتخاذ خطوات شرعية علنية حاسمة من طرفنا، والله ولي المؤمنين.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه من القول والعمل، وأن يعيذنا من مضلات الفتن، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران]، آمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم و بارك على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود الحسن (عطية الله)، وأبو يحيى الليبي

٢٧ ذي الحجة ١٤٣١هـ / ٣ ديسمبر ٢٠١٠م



الرسالة الثانية

رقم الرسالة: SOCOM-2012-00000011.

المرسَلة إلى: عدنان «حافظ سلطان».

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز عدنان «حافظ سلطان»:

طلبت منكم في رسائل سابقة المسارعة بكتابة رسائل إلى «كرومي» و«أبي عمر»[1] وناسهم؛ رسائل توجيهية حازمة، فإنني أخاف على الإخوة من الأخطاء السياسية، فقد سمعتم ولا بد خطبة «أبي عمر» الأخيرة، وفي نظري أن فيها أخطاء واضحة، فيها أشياء ما كان ينبغي أن تذكر في خطبة قائد كهذا، ويدل ذكرها في خطابه ولا سيما في سياق الثوابت والمبادئ على أنهم متشددون، وتعطي إيحاء بأنهم متعمقون مستعجلون! وفيها تنفير وقلة حكمة.

وأنا عن نفسي.كتبت لهم وعاتبتهم، وشددت عليهم بعض التشديد، وأخاف أنهم إن استمروا في مثل هذا الأسلوب والطريقة يفسدون وينفرون الناس ويفقدونهم، ويكسبون الأعداء تلو الأعداء ويعطون للأعداء والخصوم الفرصة للنيل منهم، والحملة عليهم شرسة جدًّا تشويهًا وتنفيرًا وكذبًا وافتراءً، وهذا يستدعي غلق ما أمكننا من أبواب، وقطع الطريق على الأعداء، فكيف بإخواننا يزيدون الطين بلة ويفتحون على أنفسهم أبوابًا من الشر!

والمقصود: لا تتركوا محمود «عطية» وحده، أريد منكم استصدار رسائل خاصة وعامة علنية وسرية من عبد الشافي «كليم»، وحتى من الصادق «زمراي» إذا أمكن؛ فيها نصائح وتوجيهات مباشرة ومحددة واضحة للكرومي وأبي عمر وإخوانهم في مسائل سياسة الناس، والتعامل معهم ومع الفصائل الأخرى، وعدم الاستعجال وأن لا يحدثوا أمرًا (كبيرًا مهمًّا) إلا بمشورة، وأن يسعوا جاهدين لاستيعاب الناس، وأن لا يصفوا أحدًا من المجاهدين الآخرين بعدم مشروعية أو نحوها؛ فإن هذا سابق لأوانه وللناس أفهام مختلفة وتأويلات ونظرات، ونحو ذلك مما يناسب، والرجاء الإسراع في ذلك.

---

(١) كرومي: أبو حمزة المهاجر؛ الأمير العسكري لتنظيم دولة العراق، أبو عمر: أبو عمر البغدادي؛ أمير تنظيم دولة العراق.

واكتب أنت نفسك أخي الكريم؛ فـ«الكرومي» يعرفك ودائمًا يسألني عنك، ويقول: خالي فلان، وخلي «عبد الحفيظ» يكتب ويكتب ولا يمل من المراسلة والضغط على الإخوة، وأيضًا «أحمد عبد العظيم» فهو مؤثر فيهم جدًّا، ويحترمونه كثيرًا، وكل من له تأثير.

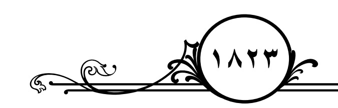
وأيضًا مسألة أخرى مهمة جدًّا لا بد أن تكتبوا لإخواننا «أنصار السنة»، فإنهم ينتظرون منكم مراسلات وأجوبة على شكواهم ورسائلهم، اكتبوا لهم واستعن بـ«عبد الحفيظ» وأحمد»، وحاول أيضًا أن تستصدر لهم رسالة من «عبد الشافي»، اكتبوا لهم كلامًا لطيفًا عاديًّا لا يخسرون منه شيئًا، هذا في الحد الأدنى، ولو كلمات بسيطة طيبة تعدون فيها بالخير وبالتحقق من الأمور، وبأنكم تتابعون وتنصحون وتوجهون، وأنكم راسلتم وستراسلون الإخوة، وأيضًا تعدونهم هم (الأنصار) إلى الكون مع إخوانهم كما فعل «عبد الحفيظ» في الشريط، وترون أن الواجب يقتضي. ذلك رغم ما هنالك من نقص وخلل ولكن الفرقة هي أشر من كل ذلك، وأنكم بالعكس: ستكونون مع إخوانكم عامِلَ إصلاح وتسديد بإذن الله... إلخ.

طبعًا يا أخي العزيز أنا كتبت لإخوة «الأنصار» عدة رسائل آخرها قبل يومين، وأنا على تواصل معهم ونصح وتوجيه، وتطييب لخواطرهم ومحاولة إصلاح وتقريب بينهم وبين «الكروم»، ولكن دائمًا أشكو إلى الله من وحدتي وانفرادي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، حتى أخاف أن الناس تملُّ مني وأصير عندهم مبتذلًا، أشكو إلى الله وحده، وحسبي الله ونعم الوكيل.

أخي العزيز: كيف أحوال الصومال؟ وهل عندكم تواصل معهم؟ هل «يوسف» ما زال حيًّا وموجودًا هناك؟ أو أحد من إخواننا موجود هناك؟ أو كونت بعض العلاقات البسيطة مع إخوة عبر معارف الإنترنت طبعًا؟ وهي بسيطة وبصدد التوثق ولكن لعلها تتطور، فأرجو أن تخبروني بما عندكم مما يسمح الحال بذكره، وقد سمعت كلمة أبي يحيى الجديدة الموجهة إليهم وهي طيبة -بارك الله فيه وفيكم-.

أخي العزيز: نريد منكم توجيهًا في مسألة استخدام تقنية «غاز الكلور»؛ فقد قيل إن الإخوة في العراق استخدموها، ولكنهم نفوا في بيان صادر عن «دولة العراق الإسلامية» نفيًا ضمنيًّا.

وكذلك الإخوة في جهة «محمود» عندهم إمكانية لاستخدامها على قوات المرتدين -جلال طالباني ومسعود برزاني-، وفكروا بالفعل في استخدامها، لكني أبديت لهم رأيي بأن مثل هذه الأمور خطيرة وتحتاج إلى مركزية واستئذان القيادة الكبيرة؛ لأنه قد يصعب ضبطها وقد تضر الناس، وقد يحصل بها تشويه لصورتنا وتنفير منا وغير ذلك، ونحن كما نقول «ما يخصناش» يعني «مش ناقصنا مشاكل»



والله المستعان؛ فهم الآن متوقفون عنها، ولكن الأحسن أنتم -أخي «عدنان»- تتدارس هذه المسألة مع الخبراء عندك وتعطونا فيها دستورًا واضحًا نقوله للإخوة! بارك الله فيكم وأعانكم الله.

● **أخبار الكرومي**: منذ آخر رسالة نقلتها لكم لم يأتني منهم أي شيء، وأنا أنتظر هذه المدة منهم رسائل لكن لم تصل بعد، وبالجملة أخبارهم على الميدان ومن ناحية التجارة طيبة جدًّا وفي تقدم ولله الحمد، ولكن الحرب عليهم شديدة جدًّا من كل ناحية، ودائمًا أنا أخشى من بعض الأخطاء فقط، فو الله لا يُخيفني الأعداء جميعهم مهما كانوا ومهما انتفشوا، بل هم والله أحقر وأهون من ذلك، وإنما الخوف على أنفسنا وإخواننا هو من أخطائنا وسوء تصرفنا ومجانبتنا للحكمة أحيانًا، ولهذا ألحُّ عليكم جدًّا يا أخي دائمًا في التعاون والمتابعة وكثرة التوجيه والتعهد لعل الله يسددنا ويفتح على إخواننا.

والمقصود: إخواننا بخير وعافية وأخبارهم الميدانية طيبة، وكثير مما يُتهمون به كذب وزور محض، والحملة عليهم قوية جدًّا، يحتاجون للمعاونة، نسأل الله أن يقويهم ويسددهم وينصرهم على القوم الكافرين والظالمين، آمين.

● لعلي أرفق لك مع هذه الرسالة ملفًا فيه تجميعات مختارة من مقالات وبيانات وغيرها من النت للفائدة.

● سنحاول نرتب مع إخوة لبنان، لكي يزورنا منهم مندوب في الفترة القادمة، والله الموفق.

● النسايب بخير وعافية، وسأضع لك في الأسفل آخر رسالة منهم، وفيها بعض الطلبات يطلبونها منكم، وهم يبلغونكم السلام الكثير.

في الأخير سلامي لكم مكررًا وللحبيب، ولمنصور، ولأبي خليل، ولمن حواليكم من الأحباب ممن يعرفنا (للأسف الآن نحن في حالة السلام على من نعرف فقط ويا دوبك!).

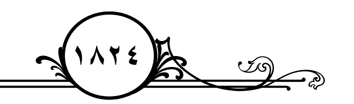
والله يحفظكم ويرعاكم ويبارك فيكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم

٩ ربيع الأول، الموافق ٢٨ مارس

❋ ❋ ❋



الرسالة الثالثة

رقم الرسالة: SOCOM-2012-00000012.

المرسَلة إلى: الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا المكرم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو من المولى القدير أن تكونوا بخير وعافية وفي ازدياد من التوفيق والنصر والتأييد، وبعد:

● **بالنسبة للقوائم والتصنيفات المقترحة؛** ففيما يتعلق بالعلماء (المنتسبين للعلم) فنحن أرسلنا لك رأينا ورأي الإخوة في «اللجنة الشرعية» أيضًا، وملخصه: أننا لا نحبذ فكرة التصنيفات والقوائم بالنسبة للمنتسبين للعلم، لما نخشى أن يكون فيها من التحجير وعدم الدقة ونحو ذلك، ونرى ترك الأمر كما هو مع موافقتي أنا شخصيًّا وكثير من إخواننا على أننا ينبغي أن نزيد من جرعة نقد وكشف وفضح علماء ودعاة السوء -لا كثرهم الله-، وذلك لأننا بحمد الله صارت لنا (لنا كجماعة ولإخواننا المتحدثين في منابرنا) من القوة والمصداقية ومن الرسوخ والثقة بين جماهير الأمة ما يؤهلهم لأن يقولوا بعض الكلام القاسي فيُقبل منهم، وأيضًا أولئك الفاسدين من المنتسبين للعلم والدعوة قد صار كثير منهم أمره من الوضوح بحيث يسمح لنا بقوة الكلام فيه وبيان عواره.. إلخ.

فالأمر بالنسبة للمنتسبين للعلم والدعوة فيه حساسية أزيد من غيره، ولكن بالنسبة للمثقفين والكتّاب والمفكرين وزنادقة الصحفيين وأرباب القلم والبيان المحاربين لله ورسوله وأوليائه؛ فهؤلاء نحن نوافق على نشر قوائم وتصنيفات لهم تضم في البداية مجموعة من رؤوسهم العفنة مع نبذة (بروفايل) عن كل منهم وصورة شخصية له إن أمكن، وننشرها بعون الله تعالى.

وقد طلبت من الإخوة في الإعلام الجهادي (النت) أن يشرعوا في إعداد هذه القوائم والملفات والمعلومات ويفيدونا بها، والله الموفق.

● بالنسبة للكلام عن الرافضة وخطرهم والخطر الإيراني الصفوي والمجوسي، فكلامكم الذي أرسلتموه لنا -بارك الله فيكم- طيب، ونحن بصدد إرساله (ربما نعدل في الصياغات، أو بعض

الإضافات المناسبة) لبعض أهل العلم كما اقترحتم؛ فأما «حامد العلي» فأمره سهل، وبإمكاننا إرساله له بسهولة –بحول الله–، لكن نخطط لإرساله إلى جماعة آخرين، والله المولى.

طبعًا بالنسبة لـ«حامد العلي» فهو ومن حوله كما يقال: «لا توصي يتيمًا على بكاء» فهم مهتمون بأمر الرافضة وخطرهم اهتمامًا كبيرًا، ومبالغون فيهم حتى! فقد كانوا يكتبون لنا ويلوموننا على أننا مقصرون في الشأن الرافضي وتصوّر الخطر الرافضي الإيراني وما شابه، وكانوا يقولون: الخطر الرافضي أشد من الخطر الأمريكي! وهكذا.

● **على مستوى العلاقة مع الإيرانيين**، ومشكلة إخواننا الأسرى هناك: فنبشركم أنهم أطلقوا سراح مجموعة من الإخوة على دفعات في الشهر الأخير، والحمد لله رب العالمين، فقد جاء إلينا الآن كل من:

- عبد المهيمن المصري، مع عائلته.
- سالم المصري (أمتاع جماعة الجهاد) مع عائلته.
- أبو صهيب المكي (أصله يمني، كان أيام الحملة الصليبية مرافقًا للشيخ أبي سليمان المكي الحربي)، مع عائلته.
- أبو صهيب العراقي، مع عائلته.
- الزبير المغربي (أخ كان يشتغل مع الإخوة في الجماعة المقاتلة الليبية)، مع عائلته.
- وفي الطريق الآن –لعله في كويته أو نحوها، المهم أنه تجاوز الحدود الإيرانية، وربنا يسلمه– خليفة المصري، مع عائلته كذلك.

والحمد لله رب العالمين.

أرسلوا خبرًا مع الأخ المنسق –أخ بلوشي في زاهدان هو الذي يسلمونه إخواننا وهو يحوّلهم إلينا– أنهم سيسلمونه عائلة «أزمراي» قريبًا ربما خلال أسبوع، هكذا قالوا له لكي يستعد لتسفيرهم إلينا. قالوا له: العائلة (نساء وأطفال، بدون رجال) كذا قالوا له؛ نسأل الله أن يسهل أمرهم جميعًا ويأتي بهم على خير، وأن ينجي الجميع من القوم الضالين.

نحن من جهتنا جاهزون لاستقبالهم وساعون في تيسير الأمور، والله الموفق.

والمقصود: أنهم سرعوا هذه الفترة من إطلاق سراح الإخوة، وهؤلاء هم إخوة متوسطون، وسربوا لبعض الإخوة الذين أطلقوهم أنهم سيطلقون سراح المزيد من الدفعات في القريب، فالله أعلم.

ويمكن أن يبدؤوا بعض هؤلاء في دفعة: أبي حفص العرب، وأبي زياد العراقي، وأبي عمرو

المصري، ونحوهم.. ونسأل الله أن يفرج عن الجميع كبارهم وصغارهم، آمين.

ونحن نظن أن جهودنا (المشتملة للتصعيد السياسي والإعلامي «الكلامي»، والتهديد الذي أرسلناه لهم، ومسك صاحبهم الوكيل التجاري في القنصلية في بيشاور، وغيرها مما رأوه منا وخافوه)، نظن أنه ربما يكون أحد أهم الأسباب لهذه المسارعة منهم، لكنهم -المجرمين- لم يرسلوا لنا بأي رسالة، ولا كلموا أي أخ بأي شيء لنا! وطبعًا هذه ليست مستغربة منهم، بل هي عقليتهم وطريقتهم أنهم لا يظهرون أنهم يفاوضون معنا ولا يستجيبون لضغوطاتنا، إنما يظهرون أن أعمالهم هذه هي محض إجراءات أحادية منهم ومبادرة! نسأل الله أن يكفينا شرهم، آمين.

• كنت أرسلت مشروع كلمتكم المزمعة عن الأزمة الاقتصادية، إلى أبي محمد حَفِظَهُ اللهُ ، فبعث ببعض الملاحظات، رأيت أنها كلها تقريبًا مما اشتركنا في التنبيه إليه، مثل: الاستغناء عن بعض العبارات المشكلة، والتي نراها غير مناسبة.. إلخ، للأسف يبدو أنني تخلصت من رسالته، فلم أجدها إلى الآن.

وهذا ما حضر الآن من جديدنا، والله يحفظكم.

• مرفق لكم بعض ملفات النت النصية، ولو استطعنا سنرسل لكم «هارد دسك» كبير فيه مواد كثيرة جدًّا من النت، فهل بالإمكان إرسال «هارد دسك» لكم؟

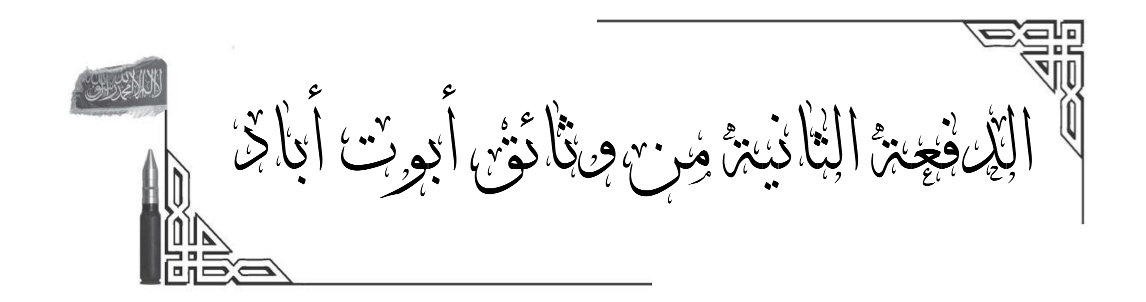
هذا والله المسئول أن يتولاكم بلطفه وإحسانه وتأييده، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محبكم: **عطية**

الخميس ١١- ٦ -٢٠٠٩

❃ ❃ ❃



الرسالة الأولى

رقم الرسالة: CR-019-S-4-RJD-Original-10-10420.

المرسَلة إلى: أبو عبد الله «الشيخ أسامة بن لادن ﵀».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

شيخنا العزيز/ أبا عبد الله -حفظكم الله ورعاكم-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسأل الله ﷻ أن تكونوا جميعًا بخير وعافية وصحة طيبة، وجميع أهلكم ومن يليكم، ونسأله ﷻ أن يديم نعمته عليكم بالتوفيق والتسديد والستر والنصر على الأعداء، ثم أما بعد:

نعزيكم في أخينا الكبير الشيخ سعيد «مصطفى أبي اليزيد» ﵀، إذْ استشهد في قصف من الطائرات الجاسوسية ليلة السبت ٧ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ. ٢٢ مايو ٢٠١٠م، في منطقة محمد خيل، ديغون، شمالي «وزيرستان».

ووالله ما ندري ما نكتب لك..! فإن المصاب جللٌ علينا، ونحسّ بأن الهمّ عليكم كبير، ولكن الله أكبر ﷻ، وبه العصمة.

قصة مقتله ﵀ في غاية البساطة، وهي تقريبًا نفس القصة المتكررة في أكثر مآسي القصف التي نعاني منها، كان معنا في اجتماعات مع إخوة الإعلام لمدة يومين وليلتين، ثم في اليوم الثالث عصرًا ذهب للقاء بعض الإخوة على أنه يأتي في الليل، فقدر الله أن تأخر في الليل فلم يأتِ وبات في مكانٍ

آخر، ثم في النهار علِمَ أن أهله -أم الشيماء وبناتها- قد جاؤوا من البيت البعيد نسبيًا؛ بسبب بعض الترميم في البيت، إلى مكانٍ قريب عند أحد الأنصار في منطقة محمد خيل، فذهب يزورهم ويتفقدهم، ولم يكن من المفترض أن يطيل المكوث هناك ولا أن يبيت، وكان من المفترض أنه إذا لفَّت الجاسوسية وخاصةً اللفَّان «الدوران» المميز الذي نعرفه وصار للإخوة فيه خبرة بحيث يعرفون أنها إذا لفَّت هذا اللفَّ أنها ستقصف، أقول: كان من المفترض أنه لا يذهب هناك ولا أن يُطيل فيه بله أن يبيت! لكن قدر الله وما شاء فعل، وإذا جاء القدر عمي البصر، فإن المكان كان محروقًا تمامًا كما نقول، ومعروف مشهور أنه مكان للعرب -أصحابه من الأنصار المشهورين جدًا، جزاهم الله خيرًا- فأطال البقاء مع بناته في الليل، ثم لما جاء ابنه يعقوب «عبد الرحمن» ليأخذه إلى مكان آخر، حوالي العاشرة ليلًا وقد كانت الجاسوسيات تدور بشكل قوي جدًا وقريب، وجده قد نام، فقالوا له: إنه متعب واتركه ينام، فتركه وذهب، بعدها بأقل من ساعة وقع القصف عليهم.

الخلاصة: البقاء والمبيت في مكان محروق جدًا جدًا، بيت أنصاري لنا معروف مشهور، ونفس الحجرات هي حجرات للإخوة، بناها الإخوة، كان أول من سكن فيها الأخ السعدي ثم أمير الفتح ثم خالد الحبيب، وغيرهم، فهي مشهورة -الحجرات: حجرتان وحوش صغير وفيه حمام- ملحقة ببيت الأنصاري هذا المشهور.

أضف إليه أن هذا اليوم وهذه الأيام كان القصف فيها متوقعًا مرتقبًا وكنا تواصينا بالحذر -سبحان الله-؛ لأن هذا اليوم يأتي بعد عملية «باغرام» الناجحة الكبيرة بفضل الله بيومين -العملية كانت يوم الأربعاء الذي قبله-، فأعداء الله أخزاهم الله تعوَّدنا منهم الانتقام بعد كل عملية كبيرة مميزة، وفي ظننا وتحليلاتنا أنهم راصدون لأهداف متعددة محتملة أو حتى أكيدة عندهم، لكنهم لا يقصفونها إلا إذا وجدوا فيها هدفًا بشريًا ثمينًا أو تجمعًا أو في وقت الشدة -حالات الانتقام مثلًا- وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قُتل معه زوجته المصرية أم الشيماء وثلاث بناته، وحفيدته حفصة -ابنة عبد الحق الجزائري ﷺ-، ونجت أم حفصة الشيماء وهي مصابة، وقد تعافت الآن نوع تعافٍ، نسأل الله أن يربط على قلبها ويثبتها.

وقتل معهم ابنٌ لأبي طارق التونسي، كان معهم صغير، هو أصغر أبناء أبي طارق، وقتل معهم بعض الأنصار أهل البيت المقصوف، نسأل الله أن يرحم الجميع ويتقبلهم في الشهداء.

اجتمعتُ بإخوة الشورى عندنا بعدها مباشرة، ورأينا أنه لا بد من الإعلان عن مقتله؛ لأنه

شخصية كبيرة، تخاطب الأمة، وتعرفها الأمة، ولأن كتمان الخبر إلى مدة طويلة غير ممكن، وسيتسرب.. لكن رأينا أن نتريث قليلًا حوالي عشرة أيام حتى نفوت على العدو فرحته وشماتته، وهكذا تم ولله الحمد.

الحمد لله، معنويات الإخوة طيبة في الجملة، وصابرون وقد تجلَّدوا.

٢- **العبد الضعيف** يدير العمل الآن، وننتظر منكم أن تكلفوا أحدًا وتعفوني بارك الله فيكم، فإن المسؤولية صعبة شاقة وما أراني إلا ضعيفًا عنها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان الشيخ سعيد عيَّن -بعد التوجيه منكم- الشيخَ أبا يحيى نائبًا ثانيًا، وقد طلبت من الإخوة في الشورى أن يكتبوا لكم بآرائهم، ولحد الآن لم أتوصل بأي كتابةٍ من أحدهم.

٣- الأوضاع عندنا كما تعرفون معظم الجماعة، ومعنا معظم المهاجرين (أزبك، أتراك، أذربيجانيين وما قاربهم، تركستانيين، ألمان وبلغار، طاجيك، وغيرهم) محصورون في شمالي وزيرستان، ونحن لعلنا من أحسنهم حالًا إذْ عندنا كتيبة كاملة -حوالي سبعين فردًا- في نورستان وكُنر، والحمد لله.

ما زالت الطرق إلى خارج شمالي وزيرستان فيها صعوبة، القصف بالجاسوسيات ما زال مستمرًا وحسبنا الله ونعم الوكيل، وما زالت الطائرات تدور في أجوائنا بشكل شبه يومي، تخفُّ أحيانًا بسبب ظروف جوية مثل: رعد وبرق ورياح وغيوم وهكذا، ثم تعود إذا صفت الأجواء.

الأوضاع الأمنية العسكرية والسياسية في شمالي وزيرستان كما هي تقريبًا.

في «مسعود» الحرب مستمرة، المجاهدون يشنون حرب عصابات على الجيش الباكستاني وحسب الأخبار من إخوة «مسعود» ومن المهاجرين من إخوتنا وغيرهم المشاركين معهم فإن القتلى في الجيش الباكستاني يسقطون يوميًا تقريبًا، ودائمًا هناك عمليات أكمية وتفجير ألغام وقنص وحتى اقتحامات - تعرّضات- على مراكز متقدمة للجيش.

الحرب في «مسعود» بالنسبة للجيش الباكستاني خاسرة بكل معنى الكلمة، وإخوة «مسعود» مصممون -قبائل مجاهدون- فبكل الاعتبارات هم مصممون على قتال الجيش الباكستاني حتى يخرج.

الجيش حاول القيام بحملة شاملة على منطقة أورغزاي القبلية، لكن كأنه لم يتمكن والمجاهدون هناك كثُر ومحتشدون لصده وقد صدوه مرارًا.

على مستوى مكافحة الجواسيس والحرب الجاسوسية، إخواننا مع المجموعات الأمنية البشتونية الأخرى مستمرون -جزاهم الله خيرًا- في كشف وتدمير شبكات الجواسيس وأبلوا بلاءً جيدًا في هذا

بلا شك، والحمد لله.

لكن هذا لم يمنع تكرر القصوف؛ لتكرر أخطائنا ولأسباب أخرى، وقدَرُ الله غالبٌ، التنظيم في باقي المناحي يمشي بطاقة متوسطة فيما أظن؛ بسبب الوضع الأمني طبعًا وبسبب الإمكانات.

نبشركم أنه قد أنعم الله علينا بمبلغ جيد من المال خلال هذا الشهر، حيث تمت مبادلة السفير الأفغاني الذي كان عندنا مأسورًا من سنتين، وسبب تأخر مبادلته هو حرصنا على مبادلته بإخوة سجناء لنا في أفغانستان، قدمنا المطلب الأساسي تحرير قائمة من المسجونين منهم عرب -غير إخوة «باغرام» الذين عند الأمريكان، بل الذي في «بول شرخي»- وأغلبهم من الوزيريين والأفغان، وحاولنا الكثير وتشبثنا بهذا المطلب، لكن لم نتمكن ولم يستجب المجرمون فرأينا أن نمضي في المبادلة المالية، ونخصص جزءًا جيدًا من المال -إن شاء الله- لتخليص الأسرى.

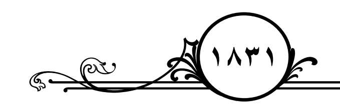
المبلغ المتفق عليه في الصفقة هو خمسة ملايين دولار، وقد استلمنا قرابة المليونين إلى كتابة هذه الأسطر وننتظر منهم الباقي، والرجل الأسير ما زال عندنا لم نطلقه لهم حتى يتم دفع جميع المبلغ طبعًا.

وافقوا في ضمن الاتفاق على إطلاق اثنين فقط من الأسرى من المجاهدين البشتون الوزيريين -أنصارنا- مسجونين في كابل، ولكن فوجئنا أنهم بعد أن مضينا في الصفقة واستلمنا منهم حوالي اثنين مليون، يرجعون ويقولون: لا يمكن حتى إطلاق هذين الاثنين، فقلنا إذن نحن بالخيار الآن في اشتراط شروط أخرى مقابل ذلك ورفعنا المبلغ المطلوب إلى عشرة مليون أي بزيادة خمسة مقابل امتناعكم عن إطلاق الاثنين المتفق عليهما -هكذا أخبرني الأخ المفوض أنه قال لهم- لكن سننزل طبعًا في التفاوض المستأنف، وربما نكتفي بستة ملايين، يعني بزيادة مليون على ما كان، والله الموفق، وقلت للإخوة أن يمضوا الصفقة بسرعة فأحوالنا لا تحتمل كثيرًا من المماطلة والتأخير، وأنتظر أخبارهم هذه الأيام.

للفائدة: فقد كان الشيخ أبو محمد أبدى تساؤلًا، وأجبنا عليه في رسائل قريبة إليه جوابًا مبدئيًا -ناقصًا- لكن فيه فوائد، أرفقها مع هذه الرسائل في المرفقات -إن شاء الله-.

وكما كان الشيخ سعيد ﷺ يخبركم، فقد مررنا في الأشهر الفارطة بشدةٍ بالغة، والحمد لله أن يسر الأمور، أبلغونا إذا كنتم تحتاجون أن نرسل لكم شيئًا من المال عبر الوسيط، وقد حولنا لأبي محمد مبلغًا جيدًا، وطلبت من عبد اللطيف أن يضع في صندوقكم مبلغًا بسيطًا هدية لكم باسم جميع الإخوة.

وخصصنا مبلغ ربع مليون دولار كصندوق لتخليص الأسرى، وضعناه تحت إشراف أخينا



الشيخ أبي خليل الفلتاوي، ووزعنا المبالغ الأخرى في الحفظ في الأمانات.

وسنوزع كفالات الأسر هذه الدفعة لمدة عشرة أشهر فيها شهرٌ زائد إكرامية من التنظيم شكرًا لله -تعالى-، يعني ستكون في الحقيقة أحد عشر شهرًا محسوبةً عشرة فقط.

كما خصصنا مبالغ جيدة لتقوية التنظيم عسكريًا، بتخزين الأسلحة والذخائر الجيدة وبعض العطاءات لإخواننا وجيراننا.

ويبقى رصيد لا بأس به، لا أدري كم يكون قدره الآن.

كل هذا من فضل الله ﷻ، وهو في ضمن المليونين التين استلمناهما لحد الآن، وما ننتظره -بقية المبلغ- فهو أكثره سيوضع كرصيد للجماعة، والله الموفق.

وتعرفون أن الخبر لا يمكن السيطرة عليه، هذا مستحيل؛ بسبب الوسطاء وغيرهم، فتقريبًا الآن جميع المجموعات الوزيرية والمسعوديين وغيرهم عرفوا بالخبر فهم يطلبون منا أن نعطيهم، والله يسددنا ويسترنا مع خلقه أجمعين، طبعًا سنعطي للأطراف كلها القريبة الكبيرة كلًا بحسبه.

خلاصة: معظم مشاكلنا من الجاسوسية وحرب الجواسيس، ونشأ عنها طبعًا نقص القيادات والكوادر عندنا، ثم بعض المشاكل الأخرى منها ما كتبنا لكم عنه سابقًا من النتوءات والخروجات من بعض الشباب -شباب من الجزيرة والكويت ومن غيرهما- يهيمون على رؤوسهم ويدورون في الأسواق لا ينضبطون بجماعة ولا سمع ولا طاعة، وبعضهم يشارك في الجهاد مشاركة ما في إطار بعض الجهات من طالبان أحيانًا، وبعضهم حتى المشاركة الجهادية صارت عنده منعدمة واستعصى علينا الحل لمشكلتهم، وما زلنا نسعى، والله الموفق.

من آخر من استشهد أخونا السعدي إحسان الله ﵀، قُتل قبل أسبوع تقريبًا في قصفٍ أيضًا، نسأل الله أن يتقبله في الشهداء.

فالقيادات المتوسطة والكوادر استحرَّ فيهم القتل والتعويض بطيء والله المستعان، واستمرار الحرب الجاسوسية لا يعطي فرصة كبيرة.

وللأسف ليس عندنا حلول ناجعة لمسألة الجاسوسية هذه، فالله حسبنا وهو مولانا فقط لا غير، به نستعين وعليه نتوكل وبه نعتصم، لا حول ولا قوة إلا به.

نعم نجتهد في الأسباب الممكنة، السلبية منها على الخصوص والأكثر، وبعض المحاولات الإيجابية لضربها وضرب مقارِّها والاجتهاد في تقنيات التشويش عليها أو اختراقها -محاولات كثيرة تجري، لم تسفر عن نتائج لحد الآن، لكنها مستمرة- أو غير ذلك، والحمد لله رب العالمين.

نظرتنا الراهنة: تخفيف العمل والنشاط، والتركيز على المحافظة على الوجود والبقاء، والتركيز على الدفاع الأمني -مكافحة الحرب الجاسوسية- منها التركيز على ضرب مقارِّ الطائرات الجاسوسية ونحوها بالعمليات النوعية، والصبر والمصابرة والاختفاء والتقليل من الظهور على الأقل في هذه السنة، فإنه سنة حاسمة، والأمريكان موعد انسحابهم من أفغانستان في يوليو القادم -إن شاء الله- مهزومين مغلوبين.

في باكستان، أرسلنا رسائل شفوية وحتى مكتوبة عبر بعض الوسطاء نقول للباكستانيين: إننا نوجه حربنا للأمريكان في أفغانستان، فإن تركنا الجيش الباكستاني والحكومة الباكستانية فنحن نتركهم، وإلا إن توجهوا إلينا بشرٍّ ولم يتركونا ووقفوا مع الأمريكان في الحرب الجاسوسية وغيرها فسيرون ما يذهلهم في إسلام آباد وبندي وغيرها.

وسرَّبنا عبر الوسطاء -شخصيات جهادية لها علاقات في الدولة والاستخبارات وغيرها- بأننا تنظيم القاعدة عندنا عمليات كبيرة مزلزلة وستكون قاصمة جاهزة في باكستان، لكن القيادة أمرت بالتوقيف والتهدئة إذا توقفت الباكستان عن مضرتنا، ونحن بالفعل عندنا عمليات كبيرة جاهزة تقريبًا، والحمد لله.

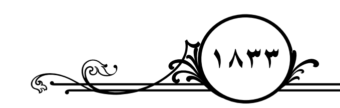
فهذا أهم ما عندنا ونريد توجيهاتكم، ولا سيما في فكرة أن نقلل العمل بمعنى إيقاف الكثير من الأعمال، حتى نقلل من الحركة والتعرض للقصف، وكذلك فكرة الخروج من وزيرستان ولو بشكل جزئي لكن كبير، فمثلًا: نرسل بعض الإخوة بعوائلهم إلى داخل باكستان مثل السند وأطرافها وقراها وبلوشستان كذلك، وهكذا.

وربما نرسل العديد من الإخوة من كتائبنا العسكرية إذا قدموا بعد الموسم إلى إخوانهم في نورستان، وربما نرسل مجموعات إلى قبائل أخرى مثل خيبر، وهكذا.

وعندنا فكرة يرجحها بعض الإخوة في سبيل تفادي الفناء -فناء الكوادر والقيادات والنخب القديمة في التنظيم- وهي أن يسافر بعض الإخوة إلى أماكن آمنة بعوائلهم فقط لمجرد الحفظ والبقاء هذه المدة حتى نتجاوز المحنة، يعني في غضون سنة أو سنتين.

والجهات المقترحة الممكنة داخل باكستان كأطراف السند وأطراف بلوشستان ونحوها، وإيران، فلو أمكن أن توجهونا في هذا كذلك.

وفي إطار الأفكار المذكورة؛ فإننا نرى شيخنا العزيز أن تقللوا من التواصل معنا هذه الفترة، واجعلوا التراسل على فترات طويلة متباعدة، مبالغة في الاحتياط والحذر ولا سيما هذه السنة، والله



يتولاكم بحفظه وستره وتوفيقه.

ملاحظة: التقرير الأمني الذي كنتم طلبتموه، أعدَّه الإخوة في اللجنة الأمنية لكن نظرت فيه فوجدتهم قصروا جدًا في التقرير، حيث كان مختصرًا ولا يعطي صورة جيدة فطلبت منهم تكميل التقرير وإتقانه، ولعلهم فعلوا الآن، لكنه لم يصلني بعد، فسأسعى لاستلامه قريبًا وإرساله إليكم، ربما نلحقه هنا في هذه المراسلة، أو في مرة قادمة بعون الله.

٤- **العمل في باكستان**: أقترح مراجعة شاملة للعمل في باكستان -الجهاد والحرب التي نخوضها مع الدولة الباكستانية- وسأطلب من أعيان الإخوة الباكستانيين إعداد دراسة وتقرير كامل عن حصيلة الثلاث سنوات أو الأربعة المنصرمة -ما بعد لال مسجد ودعوة أسامة بن لادن إلى جهاد الحكومة المرتدة في باكستان- وربما نشكل منهم لجنة لهذا الغرض، ثم نعرضه عليكم -إن شاء الله-.

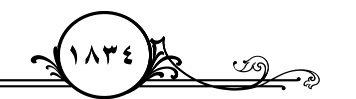
ونريد منكم تقييماتكم أنتم ومراقبتكم للقضية، ثم توجيهاتكم.

كما تعلم فإن قطاع العمل في باكستان في التنظيم عندنا يقوده الأخ أبو عثمان الشهري، وأريد أن أسأل عن أخينا أبي عثمان هل كانت له بيعة لكم؟ وعلى كل حالٍ قد أخذ عليه الشيخ سعيد بيعةً مجددة ومؤكدة عندما بدأ العمل معنا وحين توليته إياه العمل في باكستان بعد مقتل أسامة الكيني ﷬، وإذا كان عندكم تقييم للأخ أو توجيه حوله.

هو معنا جيد ونشط بارك الله فيه، لكن نرى عليه بعض العيوب، تشوش عليه قليلًا ويشكو منه الإخوة العاملون معه كثيرٌ منهم، لكن خيره غالب جزاه الله خيرًا، فمن عيوبه الظاهرة: طريقةٌ له في التعامل وفي الكلام تميل إلى الديبلوماسية والإكثار من المبالغة وعدم الدقة، حتى وُصِف من قِبَل بعض الناس بالوصف القبيح، وباللف والدوران! وهكذا.

فهذا من أعقد العيوب، مع شيءٍ من الاجتهاد، حتى يحوجنا إلى التشدد في ضبطه ومتابعته، مع خيرٍ كثيرٍ فيه -أكرر-، وشيءٌ آخر هو أن هواه مع الحزب والمهندس -كما يسميه- ما زال كما هو، وربما تكلم أحيانًا بذلك مع تشديدنا عليه ألا يتكلم بذلك، حتى وصل إلى بعض إخواننا الباكستانيين -بشتون وبنجاب- نفحاتٌ من ذلك، فجاءني قبل مدة يسيرة إخوةٌ ممن هم معنا في التنظيم من الباكستانيين يشكون أن أبا عثمان يمدح الحزب والمهندس في بعض جلساته مع الناس، وأنه عندما يذكر أمير المؤمنين يعبِّر عنه بـ: أخونا الملا محمد عمر!

فوالله لو كان عندكم توجيه بخصوصه يكن جيدًا، وقد تأكد أن أكتب لك في شأنه؛ لأننا أيضًا بصدد إدخاله في مجلس الشورى عندنا، فإنه نال تقريبًا الترشيحات المطلوبة، لكني أوقفت الآن ترسيم



الأمر ولم نبلغه ولم نبلغ أعضاء الشورى بتمام عملية الانتخاب للأعضاء؛ لأن اجتماعنا للشورى تمَّ مجزءًا، ولم يجتمع المجلس كاملًا بل جلست أنا مع بعض الأعضاء، وجلس الشيخ سعيد ﵀ مع بعضهم وطُلب من الإخوة الترشيح للأعضاء الجدد فكان من المرشحين الذين نالوا أكثر ترشيحات هو الأخ أبو عثمان، من مرجحات عضويته للشورى كونه يرأس قطاعًا مهما هو قطاع العمل في باكستان، فما رأيكم؟

٥- **أفغانستان**: مجموعاتنا في الداخل ككل موسم منذ سنين، عندنا في باكتيا وباكتيكا وخوست، وفي زابل وغزني، وفي وردك، بالإضافة طبعًا إلى الكتيبة التي في نورستان وكونر، العمل القتالي في أفغانستان قوي جدًا والعمليات النوعية كثيرة، والأمريكان والناتو مضروبون بشدة.

ومن العمليات النوعية الأخيرة التي ساهمنا فيها عملية «باغرام»، وهي باختصار بالتعاون بيننا وبين «سراج حقاني» و«كومندان» آخر تحت في كابل، باغرام.

والفكرة هي: تسلل إلى قاعدة باغرام، بمجموعة من الانغماسيين يلبسون أحزمة ناسفة ومعهم عدد جيد من مخازن الذخيرة للكلاشنكوف، وبعضهم بالبيكا، وبعضهم آر بي جي مع كلاشن، والكل تقريبًا يحمل إما واحد أو اثنين من الألغام المغناطيسية الصغيرة المركب عليها دائرة توقيت دُرِّب الجميع على استعمالها.

الخطة: التسلل ليلًا قبل الفجر أو مع الفجر، من ثلاثة محاور: محوران أسلاك شائكة تم قصها بالكلاليب الخاصة، ومحور سور -وجد الإخوة فيه بابًا كسروه ودخلوا منه-.

يتوجه الإخوة بعد دخولهم إلى ثلاث اتجاهات:

- الجناح الأيمن: يتجه له مجموعة حيث الطائرات الرابضة في ناحية القاعدة.
- ومجموعة أخرى إلى اليسار: حيث صهاريج الكايروسين وغيرها من المرافق.
- والمجموعة الثالثة إلى القلب حيث ثكنات الجنود والقيادة ومرافق كثيرة وملاحق.

ثم ينضم الجناحان للقلب، تقريبًا سارت الخطة حسب المرسوم وأحسن، فالله ﷻ سهّل وبارك وسدد.

بعد دخول الإخوة مشوا حوالي عشرين دقيقة بدون إطلاق أية رصاصة حتى كان الإخوة هم المبادرين بإطلاق الرصاص وفاجأوا العدو، وفجروا الصهاريج، وربما حتى بعض مخازن الذخيرة، ودمروا مجموعة من الطائرات غير محددة، واتجهوا إلى القلب وأعملوا اشتباكًا وقتلًا في الجنود والقيادات وغيرهم.

بفضل الله استمرت العملية من الساعة الثالثة فجرًا حيث دخل الإخوة فجر يوم الأربعاء ١١ مايو إلى ما بعد الظهر، وقيل إلى العصر، بل قيل إلى اليوم الثاني كان هناك إطلاق رصاص.

بفضل الله أجمع كل الإخوة -تقريبًا- على أن العملية كبيرة جدًا وناجحة أكثر مما تصورنا وخططنا، الحصيلة غير محددة بدقة بطبيعة الحال، والأفغان يقولون أشياء كبيرة كعادتهم، لكن الشيء القريب هو: تدمير عدد من الطائرات الرابضة غير محدد، قتل عشرات وجرح العشرات من عساكر الأمريكان لعنهم الله، وتدمير مخازن ذخيرة غير محددة الكم والحجم، إحراق وتدمير صهاريج الكايروسين والبترول في القاعدة -هذه متيقنة ثابتة-.

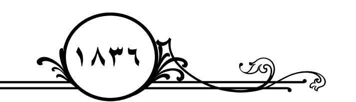
ومعنويًا تعتبر من أقوى العمليات على العدو كحرب نفسية وإرهاب وإرعاب، والحمد لله رب العالمين.

كان عدد الإخوة الانغماسيين الذين تمكنوا من الدخول ستة عشر أخًا، استشهدوا جميعًا في العملية بعد حسن البلاء جزاهم الله خيرًا وتقبلهم الله في عليين، آمين.

كان على رأس الانغماسيين الاستشهاديين أخونا أبو طلحة الألماني المغربي ﵀ وسائر إخوانه، هذا الخبر مفاجئ لكم، وقد كانت وصلت رسالة منكم تسألون عما إذا كان يصلح أن يقوم أبو طلحة بمسؤولية العمل الخارجي أو شيئًا قريبًا من ذلك، ووصلت هذه الرسالة وقرأتها مع الشيخ سعيد، والإخوة كانوا في أيامها الأخيرة للانطلاق للعملية، وكانت قناعتنا هي عدم إمكان التراجع بالنسبة لأبي طلحة، وأنه أصلًا لا يصلح لأن يتولى مسؤولية العمل المذكور، لا لعدم قدرته في ذاته، فهو عقل جيد وقادر -إن شاء الله- لكن لعدم استعداده النفسي.

أخونا أبو طلحة -شيخنا العزيز- جاء أصلًا قبل حوالي ثلاث سنين استشهاديًا متفقًا مع أخينا عبد الحميد «أبي عبيدة المصري» ﵀ على أنه قادمٌ لتنفيذ عملية استشهادية أصلًا، ثم ماطله أبو عبيدة وأراده معه في العمل ككادر وطاقة فاعلة، وهكذا استمرت المماطلة وتوفي أبو عبيدة واستمررنا نحن في مماطلته محاولين تفعيله دائمًا ودخلنا معه في برنامج ألمانيا والضغط على ألمانيا والحرب النفسية.. إلخ.

ولكنه كان كل مرة يُلحُّ في العملية الاستشهادية ويذكرنا بشرطه وأنه جاء على اتفاق وعهد ووعد، المهم اتفقنا معه على أننا بعد أن نكمل موضوع ألمانيا بعد انتهاء الانتخابات الألمانية نعطيه الإجازة، وبالفعل بعدها بمدة قلنا له: لك الإجازة، ولكن سنجتهد أن نرتب لك عملية مناسبة تليق بك، ومرت شهور -أكثر من نصف سنة- وهو ينتظر، حتى جاءت عملية باغرام فقلنا ليس هناك أفضل



منها له، وتوكلنا على الله.

الرجل بلغ مبلغًا كبيرًا جدًا في الشوق للاستشهاد، ولم يكن يمكن إيقافه كثيرًا حسب قناعتنا، أنا والشيخ سعيد والشيخ أبو يحيى وغيرنا ممن عاناه وحاولنا معه حتى يئسنا، حتى خفت عليه أن يمرض في بعض المرات.! فنسأل الله ﷻ أن يتقبله في عليين وأن يرفع درجته وإخوانه في المهديين.

لقد كان الاستشهاديون هؤلاء نماذج عجيبة فريدة حقًا، والإخوة في السحاب بصدد الإعداد لشريط عنهم وعن العملية، والله الموفق.

٦- **العمل الخارجي**: كما اتفق معكم الشيخ سعيد فإن الشيخ يونس جاهز للتحرك والسفر، والوجهة مبدئيًا هي إيران، ومعه حوالي ستة إلى ثمانية إخوة اختارهم، فقلت له: ننتظر التأكيد الكامل والنهائي منكم للتحرك بالفعل والموافقة على هذه الوجهة إيران مبدئيًا؛ لأن فكرته هي البقاء حوالي ثلاثة شهور في إيران لإعطاء الإخوة دورة هناك، ثم البدء في تحريكهم موزَّعين على الدنيا لمهامهم وتخصصاتهم التي شرحها لكم في تقاريره ومشروعه.

فنحن ننتظر منكم التأكيد الأخير، لو أمكن، وفقكم الله وسلمكم.

وقد كتبت أيضًا لأبي محمد، وأرسلت إليه ما كتبه الشيخ يونس «الخطوات العملية» وغيرها، أردت أن يشاور عليكم أيضا.

بالنسبة للأخ التركي الذي كلمناكم عنه من قبل والموكل إليه تأسيس فرع تركيا، فقد انطلق منذ شهرين تقريبًا، ووصل هناك بخير ولم يتواصل معنا بعد؛ لأننا اتفقنا على أن يعمل بهدوء ولو تأخر علينا قليلًا؛ حتى يطمئن ويؤسس بثبات ورزانة.

وقد طلبتم نبذة تعريفية به، وللأسف كان قد سافر عندما وصلت رسائلكم.

وسأكتب لكم عنه معلومات بسيطة:

الاسم: لم نأخذ اسمه الأصلي للأسف ولا عنوانه وسكن أهله؛ وهذا من غلبة طرائقنا البدائية البسيطة، لكنه معروف عندنا باسمه الحركي وبمنطقته وتاريخه تقريبًا ومؤهلاته، وبأصدقائه، فهناك قدر جيد من المعرفة والتوثيق.

المدينة في تركيا: قونيا.

العمر: خمسة وعشرين أو ستة وعشرين.

صفاته: أخٌ عاقل مؤدب مثقف، من خير من ترى من الإخوة، ومن أفاضل الإخوة الأتراك، جلسنا معه جلسات كثيرة وعرفنا عقله، وأخونا عبد الحفيظ «أبو صالح الصومالي» عاشره أكثر، حيث

بقي معه في الشغل هنا فترة، فرح به جدًا وزكاه كثيرًا، الأخ ذهب إلى العراق أيام الزرقاوي ﷺ، ثم عينوه في مجموعة العمل الإداري في سوريا وكان ضمن مجموعة الوثائق، فله خبرة جيدة في الوثائق، وقد أفاد الإخوة هنا وعلَّم بعضهم، وله خبرة في العمل الجماعي طيبة، حيث إنه له مجموعة أصلًا في تركيا صغيرة أشبه بالنخبوية.

ربما عندما نتواصل معه نطلب منه ملء الورقة التي طلبتموها -إن شاء الله-.

٧- **إيران**: من آخر من وصل من الإخوة من إيران أبو دجانة الباشا -صهر الشيخ أبي محمد-، وأبو همام الصعيدي، ثم مؤخرًا أنس السبيعي الليبي وصل قبل أسبوع فقط، وقد لقيته وجلست معه، والحمد لله.

وجهته مبدئيًا للعمل مع الإخوة في اللجنة الأمنية، طلبت منهم أن يجلسوا معه ويأخذوه ويتعرف على العمل والدنيا...إلخ، طبعًا الإنسان بعد فترة الغياب ولا سيما في السجن يحتاج مدة لمعرفة الأحوال.

هو يسأل عن أحوالكم كثيرًا، ويريد الاطمئنان فطمأناه وأخبرناه عن مراسلاتكم وأنكم متابعون معنا، لو تخصونه برسالة يفرح بها.

وما زلنا منتظرين قدوم الإخوة تباعًا، وطبعًا قدوم الإخوة رغم أنه مفرح لنا ومحبب ولكنه في نفس الوقت غمٌّ من جهة الخوف عليهم في أوضاعنا الأمنية الحالية -القصوفات التي أرهقتنا!- ولذلك ما ندري إذا جاء الزيات والإخوة الكبار ماذا نفعل وكيف وأين سنستقبلهم ثم كيف سيكون وضعهم، هم قيادات المفترض أن يمسكوا الشغل والمسؤولية، ولكن أيضًا الكل معرَّض -ما دام يتحرك- للصاروخ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بالله عليكم وجهونا، والله يعيننا وإياكم ويفرج الكروب ويسهل الأمور بلطفه، آمين.

٨- **الأقاليم**: أظن الشيخ سعيد حول لكم رسائل الجزائر وغيرها، وسأتأكد من إرسالها لكم، وإخوة الجزائر طبعًا ينتظرون جوابًا حول موضوع مهادنة المرتدين ومفاداة أسراهم، وهكذا وقد كتبنا لهم من جهتنا سابقًا، وطلبنا من الشيخ أبي يحيى يوسع البحث والنظر في المسألة، وأرجو أن تكتبوا لنا ولهم، مرفق آراؤنا نحن في المسألة.

- العراق: جاءت منهم رسالة بعد مقتل الشيخين وتولية القيادة الجديدة، مرفقة.
- الصومال واليمن: لا جديد هذه المدة، وإخوة الصومال ينتظرون أجوبتكم وتوجيهاتكم.

٩- **أبو محمد** حَفِظَهُ اللهُ : الحمد لله عاد التواصل معه، ومن معه بخير وعافية، والله المسؤول أن

يحفظهم ويرعاهم، وقد أرسل لكم رسائل، وهي مرفقة.

- متفرقات:

- رسالة ابنكم خالد قد نُشِرت طبعًا، وأظن الشيخ سعيد أرسل لكم كل الملفات.
- رسالة مريم أوقفنا نشرها، كما أمرتم.
- مرفق بيان الإعلان عن استشهاد الشيخ سعيد رحمه الله.
- الإخوة الغربيون في التنظيم، عندنا عددٌ منهم، منهم من يصلح للعمل الخارجي حسب تقييمنا ومنهم من يصلح لمجالات أخرى، أذكر من يحضرني منهم: أخوان بريطانيان من أصل جزائري أحدهما يعمل بالفعل في لجنة العمل الخارجي، وهو جيد، والآخر يصلح هو أيضًا للعمل الخارجي لكنه لا يريده، وهو يعمل الآن في المجال العسكري والتدريبي.

عندنا حمزة الأسترالي «أبو صهيب» ما زال كما هو في العمل العسكري، وليس له نشاط تقريبًا من فترة.

عندنا أخ كندي من أصل أثيوبي يعمل في لجنة العمل الخارجي.

عندنا عددٌ من الإخوة من جزر مالديف بعضهم بالفعل في لجنة العمل الخارجي ونشطون، وبعضهم في العمل العسكري في باكستان.

عندنا أخ ألماني من أصل لبناني يعمل في العمل العسكري في أفغانستان، ميوله عسكرية وهو أيضًا مدرب جيد.

ويوجد في الساحة الآن عدد من الألمان جاؤوا مؤخرًا، هم مجموعة ويريدون العمل معنا ولكن ما زلنا نتعرف عليهم ونتوثق منهم وقلنا لهم: لا بد أن نمر بمرحلة التعارف والتفاهم والتواثق.. إلخ عبر التعاون والتنسيق في المرحلة الأولى.

وعندنا أخ ألماني من أصل شامي وآخر من أصل جزائري وآخر من أصل إيراني فارسي اختارهم ثلاثتهم الشيخ يونس معه الآن.

عندنا إخوة أتراك طبعا كثُر.

عندنا بعض الإخوة من البلدان الروسية: بلغار، أذريون وقوقازيون، منهم من هو معنا بشكل رسمي، ومنهم المتعاونون معنا، نحاول توجيه بعضهم للعمل الخارجي، والإخوة أخذوا توجيهات في هذا وعاملون عليه.

- لا خبر عن أخينا أبي محمد الألماني، نسأل الله أن يتولاه حيث كان.

● مرفق لكم ملف توجيهات إعلامية الذي بعثناه لأقاليم وللمؤسسات الإعلامية على النت.

● مرفق لكم رسائل من منير، ومن إلياس كشميري.

● ومرفق رسالة قديمة من الشيخ سعيد، لعله كان أرسلها لكم.

● ومرفق رسالة من الطيب آغا صاحب أمير المؤمنين، وعندنا تواصلٌ به والحمد لله، والرسالة كأنها جوابٌ لرسالة قديمة شيئًا ما للشيخ أبي محمد أيمن أرسلناها إليهم قبل سنة لعل فيها تنبيهٌ له وتذكير ومناقشة حول: إيران، والإمارات، وحول بعض العبارات التي يستعملونها.

● ومرفق أشياء أخرى متفرقة.

هذا والله يتولانا وإياكم بحفظه وستره وعفوه ولطفه وتوفيقه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وملاحظة في الأخير قبل الختام شيخنا العزيز، ما طلبنا فيه مشورتكم فإن كانت هناك مراسلة قريبة في غضون شهر إلى شهر ونصف ربما -إلى أوائل أو وسط شعبان- فنحن ننتظرها، فما زاد فإننا نعمل بالاجتهاد، سواءٌ في موضوع الشيخ يونس وحركته ووجهته أو غيرها من المواضيع، والأهم عندنا دائمًا هو أمانكم وسلامتكم، والله الموفق، وهو خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين، لا إله غيرُه ولا رب سواه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود

٧ رجب ١٤٣١ هـ

❋ ❋ ❋

الرسالة الثانية

رقم الرسالة: CR-109-S-4-RJD-Original-10-422.

المرسَلة إلى: أبو عبد الله «الشيخ أسامة بن لادن ﷺ».

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شيخنا العزيز/ أبي عبد الله - حفظه الله ورعاه، وثبته وسدده وأجرى الحكمة في قوله وفعله وملأ بها قلبه- آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

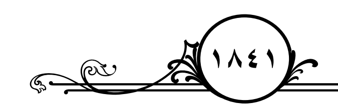
الحمد لله على سلامتكم؛ فقد وصلتنا رسائلكم الأخيرة يوم الخميس ٣ شعبان، وكنا أعددنا ما سبق مما ترونه، وهذه بعض النقاط الممكن الكتابة فيها الآن بناء على رسالتكم الأخيرة، والبعض يحتاج إلى فرصة أخرى والله الموفق:

❖ موضوع اليمن يا شيخنا العزيز كلامكم طيب وعميق، نسأل الله أن يزيدك فهمًا وحكمة وسدادًا، وأبشرك أننا فرحون به ونعتبره من فضل الله عليكم وعلينا من الحكمة والتدقيق والإنصاف والرزانة وقوة السداد والإصابة.

ولكن أرجو منك أن تركز في الواقع الحالي وتفاصيله، وهو أن الحرب قد صارت واقعًا وما الحرب إلا ما قد علمتم وذقتم، والحرب أول ما تكون فتيةٌ.. إلخ؛ فالآن نحن أمام واقع كيف نستطيع أن نتصرف بحكمة وباستيعاب لشبابنا ورجالنا، لا أقول أن نضعف أمام قواعدنا أو نسايرهم، لا، بل نقودهم ونأخذ بأيديهم إلى الرشد -بإذن الله-، لكن هي عملية حركية في غاية الصعوبة فلنركز على الكيفيات والآليات العملية لتطبيق ما ذكرتم بارك الله فيكم.

فمسألة أن نضرب الأمريكان ولا نضرب المرتدين أبدينا لك الرأي فيها وأنت أعلم بها، ومسألة الخروج من المعركة تمامًا خطيرٌ ومهلكٌ أيضًا، والقول بعدم التصعيد كأنه يبدو لي أنه غير واضحٍ ولن يكون عمليًا، فالشباب يريدون الخط والعمليات، والاقتراحات على القيادة بالعمليات والفرص والرصود -الترصد والاستطلاعات- كل يوم، فلا بد من أوامر واضحة وحسم.

ومسألة أن نترك الجنوبيين -مثلًا- الحراك أو غيرهم يستولون على الحكم نظرًا إلى المآلات كما



ذكرتم فيها عندي تردد، لعل هناك خيار آخر وهو الاضطراب والفوضى، وهو خيرٌ من سيطرة الكفرة المرتدين.

وعلى كل حال، سأبدأ في المراسلة مع أبي بصير في التمهيد لهذه الاستراتيجية بصفةٍ عامة -بإذن الله-، فأرجو أن يهدينا الله للصواب والخير والفلاح، ولعل في رسائل أبي محمد لك الآن ما يناقش هذه المسألة ويزيدك رأيًا.

الخلاصة: الآن إخواننا في حالة حرب حقيقية مع الدولة ومع الأمريكان طبعًا وقد بدأوا يضربون حتى مقرات الأمن كما تابعتم ولا بد قبل أيام في أبين، هل المناسب نقول: وقّفوا التصعيد، لا نريد حربًا في اليمن؟! هذا لا أؤيده وكل إخوتي هنا كما رفعوا لكم آراءهم لا يؤيدونه ونراه خطأ طبعًا، هل ندفع في اتجاه الهدنة؟ وكيف؟ وما شروطها؟ لا بد أن ندخل في تفاصيل تصورها، ونوجهه إذن، وهنا نشرح لهم استراتيجياتنا وننقل لهم جميع الكلام الذي سطرتموه وغيره.

ولا بد أن نجيب على الأسئلة: هل سيرضى الأمريكان والسعوديون بالهدنة أصلًا؟ وأين سيجلس إخواننا المهادنين؟! وعلى كلٍ فمرفق لك الآن آخر رسائل أبي بصير، وقبلها هناك رسالة أو ثنتين، وقد وعد وكتبت له -استعجلت- بإرسال رسائل مفصلة عن أحوالهم.

❖ ويا شيخنا العزيز، الإخوة في الصومال ينتظرون رسالةً منكم وأوامركم، وأيضًا المشورة والحسم في المسائل التي طرحوها فحبذا تخصونهم بشيء ننقله لهم يفرحون به.

❖ نبشرك أن الشيخ أبا محمد بخير وعافية ومعه أهله ومعه أحد الإخوة العرب، ونسأل الله أن يسترهم ويعافيهم ويبارك فيهم، ومرفق لكم رسائله وهي تنتظر من فترة، وقد أصدر كلمة في رثاء الشيخ سعيد، وكان قبلها بعث لنا كلمة عن تركيا فأوقفناها لأن نشرها لم يكن حين جاءتنا مناسبًا؛ لتزامنها مع قصة أسطول الحرية والنهاية التراجيدية لها والتعاطف الشعبي التركي مع القضية ومع موقف حكومتهم.. إلخ، ثم بعد مراجعة أبي محمد ألغيناها أصلًا، وهو نموذج أحببت ذكره لكم.

❖ بالنسبة لما حصل للحافظ فقد كتبت لك ﷺ، وأما أولاده فهم بخير وطيبون وأطمئنكم أننا نرعاهم حسن الرعاية ونستوصي بهم وبأسرهم، وأكرمتهم إكرامات مالية ومساعدات وتعهَّدت أهله الأخرى السودانية، وما زلنا -إن شاء الله- نُوسع عليهم ونكرمهم ونواسيهم ونقف معهم وما سألوني شيئًا إلا قلت لهم نعم، حتى سلاح والدهم -سلاح عام لبيت المال، كلاشنكوف- كلمني عبد الرحمن أنه يريد أن يبقى عندهم فتركته لهم لمدة أربعة شهور ثم ننظر لكن ربما نجيزهم به، الشيخ كتب في وصيته أنه يرد إلى بيت المال فهذه نصٌّ في وصيته وهم يعرفونه، لكن أحبُّوا أن يكون سلاح

والدهم معهم وجددت لعبد الرحمن السيارة، وكلهم على عمله الذي تركهم عليه والدهم، بل عبد الله زدته في الرفعة وفي المهام، والله الموفق.

وقد صار عبد الله -اسمه عندنا: محمد خان، ومعروف أيضًا بـ: مسلم- من القيادات عندنا العسكريين، وأسدٌ ما شاء الله عليه، وكذا عبد الرحمن على إثره يعمل في الأعمال الخاصة وتابع للجنة الأمنية، وأسامة ما زال صغيرًا وهو سينزل الآن إلى باكستان مع أخته أم حفصة شفاها الله للعلاج، نسأل الله أن يشفيها ويربط على قلبها.

❖ الشيخ يونس ما زال موجودًا وكما ترى أننا كتبنا لك ننتظر الإذن النهائي الواضح، فعلى هذا سنقول له يتحرك متى ما يكون مستعدًا -بعون الله-، سأسجّل منه سيرته الذاتية كاملة -إن شاء الله- ونبلغه الرسالة.

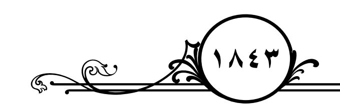
❖ الشيخ إلياس -بإذن الله- أبلغه ما ذكرتم بنفسي وأشرح له، وهو قد بعث لكم رسائل مرفقة كما ترونها، وقد الْتقيته قريبًا وأخباره طيبة، ولا بد أن تكتبوا له رسالة.

❖ بالنسبة لعملية لاهور على «البريلوية» المشركين، فقد نبهنا إخواننا ونبهت بنفسي حكيم الله مسعود أن يظهروا أنهم لا علاقة لهم بها، وأن سبيلنا مع مثل هذه الطوائف المنحرفة هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والبيان، شددت على هذه العبارة والحمد لله.

❖ وفيما يتعلق بالتفاوض يا شيخنا الفاضل، فأعطيك نبذة الله يعينني عليها: فقد بدأ العدو الباكستاني منذ مُدَيْدة في مراسلتنا ومراسلة تحريك طالبان حكيم الله من وقت الحافظ ﷺ، وكنا تشاورنا فيما بيننا ثم تبادلنا التشاور مع أبي محمد أخيرًا عندما استؤنف التراسل معه وكان حاصل رأينا هو: نحن مستعدون لأن نترككم، ونحن أصلًا معركتنا هي مع الأمريكان، وأنتم إنما دخلتم مع الأمريكان فإن تركتمونا وشأننا تركناكم، وإلا فنحن رجالٌ وسترون ما يذهلكم والله معنا.

وسربنا معلومات عن طريق سراج حقاني، وبواسطة مساعدة إخوة مسعود وغيرهم عبر اتصالاتهم أن القاعدة وكذا تحريك طالبان عندهم عمليات كبيرة ومزلزلة في باكستان، لكن قيادتهم أوقفتها في محاولة للتهدئة وامتصاص الضغط الأمريكي لكن لو قامت توجهت باكستان بشرٍّ إلى المجاهدين في وزيرستان فإن العمليات ستجري، وفيها عمليات كبيرة جدًا وجاهزة في القلب -هذا معنى الكلام سربناه من عدة طرق ووصل إلينا قطعًا-.

على إثرها بدأوا في الإرسال لنا -الاستخبارات-، أرسلوا عن طريق بعض الجماعات الجهادية الباكستانية المرضيّ عنها من قِبَلهم، وهي حركة المجاهدين بقيادة فضل الرحمن خليل، فجاءنا رسول



منهم ينقل لنا رسالة من قيادة الاستخبارات- شجاع شاه وغيره-، بأنهم يريدون الحديث معنا نحن القاعدة، فبلغناهم نفس الرسالة فقط، ثم بعد فترة -قبل ثلاثة أسابيع- بعثوا الرجل نفسه مرة أخرى وهذه المرة اللافت أنهم أدخلوا في الجلسة حميد غل، وحضر معهم الجلسة فضل الرحمن خليل كمشاور! وأرسلوا يقولون: أمهلونا قليلًا -قالوا: شهر ونصف أو شهرين- فنحن الآن بصدد إقناع الأمريكان والضغط عليهم بأن يتفاوضوا مع القاعدة، وإقناعهم بأن التفاوض مع طالبان بدون القاعدة لا يجدي فانتظروا قليلًا، وإذا تمكنا من إقناع الأمريكان فإننا نحن -يعنون أنفسهم الباكستانيين- ما عندنا مانع في التفاوض معكم والجلوس معكم، فقال لهم الإخوة: نبلغ قيادتنا الرسالة وذهب الرسول، فقط.

وأما ما يتعلق بتحريك طالبان، فقد أخبرنا حكيم الله وصاحبه قاري حسين أن حكومة البنجاب -شاه باز شريف- كانت أرسلت لهم بأنهم يريدون التفاوض معهم وأنهم مستعدون لأن يعقدوا معهم صلحًا على ألا يقوموا بأي عمل في البنجاب -في دائرة حكومتهم، وهي لا تشمل إسلام أباد ولا بندي- وأنهم مستعدون لأن يدفعوا أي ثمن... إلخ.

وكانت المفاوضات جارية كما قالوا لنا، شددنا عليهم أن يشاورونا في كل شيء، فوعدوا بذلك، في آخر اجتماع لي مع حكيم الله سألته فقال: لا جديد وأي جديد سنخبركم. وأخبرته أنا بما جرى معنا، وتواصينا بالحذر منهم، ويرى حكيم ألا نظهر نحن في الصورة ولا نجلس معهم، فأيَّدته في هذا مبدئيًا، وقلت له: على كلٍّ لا نبرم شيئًا إلا بمشورة قيادتنا وإلا بالتفاهم معكم.

فهذا تقريبًا ملخص ما جرى، وهو كما ترى مجرد كلام!!

فهل الباكستانيون جادون، أم هم يتلاعبون ويحتالون؟ الحذر واجب والاستعداد واليقظة والمحافظة على الهمم والعزائم ضروري، طبعًا هم في كربٍ أيضًا وهم يرون أولياءهم وأربابهم الأمريكان في كربٍ شديدٍ أيضًا وهي حكومة ودولة من طينة النفاق -والعياذ بالله- وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وسألتم: ما رأيكم؟ فنحن نرى يا شيخنا هو ما قلتموه: أي فرصة حقيقية لمهادنة الباكستانيين سنستغلها للتفرغ للأمريكان، هذا واضح.

نعم سيكون فيه صعوبة على كثير من إخواننا الباكستانيين، فلا تنسَ إخوة سوات وإخوة مسعود حلفاءنا وأحبابنا القريبين جدًا، وغيرهم وحتى المجموعات التي معنا، لكن تفهيمهم وإيضاح الأمر لهم وأهميته وأنه خيرٌ ممكن -بعون الله-.

❖ أخونا عزام الأمريكي بخير وعافية ولله الحمد، وما أشاعه الباكستانيون كان خبرًا كاذبًا لم نعرف بالضبط ما حقيقته، هل كان خطأ منهم واشتباهًا، أو وراءه شيء من مكر معين؟!

❖ الإخوة الأسرى والأهل في إيران -إن شاء الله- يكونون بخير، ولكن لم يأتِ أحدٌ إلى الآن بعد أنس السبيعي كما ذكرت لكم أنه آخر من جاء من الإخوة، وهو جاء منفردًا بعد أن سفر أهله إلى ليبيا عبر تركيا وعبر الاتصال بمؤسسة القذافي و-إن شاء الله- إذا يسر الله مجيء العائلة نرتب الأمر، ولكن يا شيخ ربما الأمر أصعب مما تظن في الطرق والتفتيشات الآن بيننا وبين بيشاور، ولذلك ربما نميل إلى إبقائهم فترة في مكان بعيد عندنا محفوظين، ثم نرتب لهم على مهلٍ وبأمانٍ -بعون الله-.

❖ أما مقترحكم بالنسبة لحمزة ابنكم، فأنا لا أعرف حمزة وقد كان صغيرًا لكنه كبر الآن، ولعلي أسأل الأخ النعمان المصري فإنه كان قريبًا منه فترة -على ما أظن- في السجن، فإن كنتم على ثقة من ثباته وقوة نفسه فهذا الاقتراح جيد، لعل الله ييسر خروجه بخير وخروج بقية الإخوة.

وكيف ترون يكون ذهابه إلى قطر؟ فإنه إذا أخرجوه سيدفعونه إلينا بالطرق التهريبية المعروفة، فسوف يصل إلينا فكيف بعدها؟ هل من المناسب أن ينسّق مع سفارة قطر في باكستان -مثلًا-؟ لكن سيأخذه الأمريكان حتمًا!! فالأمر يحتاج إلى دراسة التفاصيل والحذر والاحتياط، إلا إذا أمكن أن نقول للإيرانيين: اتركوه يمشي إلى قطر، سنحاول.

❖ البحث عن مرافق، كنت على اطلاع بما سبق البحث فيه مع الحافظ، وبالمناسبة أنا مطلع على كل رسائلكم للحافظ ﷺ أولًا بأول ونقرؤها معًا ونتشاور فيها، وأنا الآن أُطلع أبا يحيى معي على رسائلكم فقط لا غير، أما إخوة آخرون فبحسب التخصص أو جهة المشورة الممكنة، نقتطع من الرسالة -مثلًا- فقرات نُطلع عليها عبد الرحمن المغربي إن كانت تتعلق بالسياسة الإعلامية -مثلًا-، وإن كان بالعمل الخارجي فقد أُطلع على الفقرات المتعلقة بها إخوة آخرين، وأقول: بالنسبة للمرافق، فـ-إن شاء الله- نجتهد في البحث والله الموفق.

وسنفعل ما قلتم بالنسبة للأخ الذي من طرفنا في المراسلة، نسأله ونفتش أموره وملابساته، والله يحفظكم جميعًا، وسبق أن كتبت لك رأيي بأن نخفف التواصل، وعندي اقتراح آخر أن نشفر التراسل فهل يمكن لمن عندك أن يتعلم برنامج أسرار المجاهدين، سأرفقه لكم مع شروحٍ له، لعل مساعديك يتعلمونه ونتراسل به.

ونحاول البحث عن كتاب «التترس» للشيخ أبي يحيى وإرفاقه لكم، وكذا «نظرات»، فإن لم أجده الآن ففي مرة أخرى والله المستعان.

❖ أخبركم بمقتل الأخ حمزة الجوفي ﷺ وذلك بقصف بطائرات التجسس في جنوبي وزيرستان وأنه قتُل معه آخرون لم نتأكد منهم لحد اللحظة، يحتمل أن يكون فيهم أبو الحسين المصري.

❖ إن شاء الله سنطلب معلومات عن أبي بكر البغدادي ونائبه، وعن أبي سليمان الناصر لدين الله وسنسعى لسؤال إخوة الأنصار وغيرهم، ونحصل على صورة أكثر دقة، والله الموفق.

وبإذن الله نواصل مساعينا للوحدة وقد فعلنا بالفعل، وكتبنا لهم في رسائل التعزية في الأميرين الشهيدين بأنه لعل هذه فرصة لتجديد مساعي الوحدة وإيجاد هيكلة جديدة تجمع الشمل...إلخ.

❖ الفكرة عن شريط وثائقي عنكم بالتعاون بين الجزيرة والسحاب سنسعى فيها، سأتشاور مع منير ونرسل لزيدان بالفكرة ثم طلب أسئلته، لكن ظني أنه لا بد على الأقل أن تكون أجوبتكم صوتية، وقد كنت طلبت منكم يا شيخنا من قبل أشرطة لنا نحن نحتفظ بها عن تاريخكم وحياتكم وكل شيء، وكيف تطورت الفكرة الجهادية عندكم...إلخ، أشياء كثيرة.

وأخونا منير بعث لكم أسئلة وغيرها، لكن لم تجيبونا فتركنا الأمر إلى حين، ونحن مصرُّون عليه ونراه واجبًا، وأيضًا يا شيخنا العزيز، كلمات صوتية قصيرة للإخوة هنا خاصة، نُسمِعُهم إياها بدون أن يأخذ أحدٌ نسخة أبدًا ثم نحتفظ بها في أرشيفنا أو نعدمها كما تأمرون، لكن لا بد منها للناس؛ للتطمين بالتعيينات وغيرها والتوصية بالسمع والطاعة والصبر والمصابرة والتثبيت ورفع الهمم والتبشير.

❖ الجوفي ﷺ كان يقول: أنا مع أسامة بن لادن لكن لست مع الحافظ سلطان ولا مع خالد الحبيب ولا محمود وهكذا عندنا غيره منهم من يكاد يصرِّح ومنهم من دون ذلك، نسأل الله -تعالى- أن ييسر لنا ولكم ما فيه الخير.

❖ بالنسبة للظهور الإعلامي، فجزاكم الله خيرًا على النصيحة وقد تشاورت مع الإخوة ورأينا أننا في هذه الفترة إلى أجلٍ غير مسمى لا نظهر؛ تغليبًا للاختفاء والأمن وتحاشيًا عن الرصد التجسسي ونحن نعاني من الحرب الجاسوسية، وامتصاصًا للضغوط الأمريكية على الباكستان.

وعندنا فكرة بالانتقال خارج وزيرستان قريبًا، ربما نتجه إلى نورستان، بعضنا، ويبقى البعض -أعني القيادات والكوادر المؤسسية كالإعلام واللجنة الشرعية ونحوها- نقسم أنفسنا، قسم يذهب وقسم يبقى.

وكما أخبرناكم من قبل أن عندنا كتيبة جيدة هناك، يقودها الأخ فاروق القطري وهو أخ فاضل من الكوادر الطيبين، وقد أرسل إلينا مؤخرًا بأنه جهز لنا الأمور لاستقبالنا وأن الأماكن جيدة والأنصار

وكل شيء، فالله أعلم، ونسأل الله الإعانة.

❖ طلبتم أن ترشح لي أسماء بعض الإخوة المهيئين لأن يكون أحدهم نائبًا لك، فأولًا أسأل الله أن يعينني على ما كُلفت به، ووالله يا شيخنا إنها مسؤولية كبيرة وإنني ضعيف عنها، وأخشى أن أضيع وأفرط وأخسر، وكنت أطلب سرًا من الشيخ سعيد إعفائي على استحياء؛ لأني أيضًا بالمقابل أقول في نفسي: من للإخوة والعمل والجهاد، وقد احتيج إلينا؟! والكوادر مفقودة والقيادات كما نرى، فأخاف أن هذا قد يكون من الفرار من الزحف ونحوه، فعلى كلٍّ الله يعيننا وإياكم، وأسأل الله أن يفرج عني وأن يهيئ بسرعة من هو خير مني يتولى الأمر.

أقول: لا أرى ممن هو كامل التهيؤ الآن إلا الشيخ أبا يحيى، وبالمناسبة فهو كان من أيام الحافظ الأخيرة النائب الثاني بناءً على التوجيه الذي جاء منكم بتولية نائب ثانٍ، فهو الآن نائبي، وأظنه أهيأ الإخوة.

لكنني غير راضٍ بهذا، وأتمنى أن أجد شخصًا آخر، فلو تشيرون عليّ، والسبب: أنني أرى أنه ينبغي أن يكون متفرغًا للعلم والفقه والفتوى والمضي في سلم العلم، فإن شغلناه بالإدارة أوشك أن نخسر علمه وتأهله، وقد ورد في «السيَر» أنه قيل لسيدنا عمر: لِمَ لا تولّي الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فكان يقول: «كرهت أن ألوثهم بالعمل»[1].

والتلوث من وجهين: من جهة تعريضهم للفتنة في أنفسهم، ومن جرائه فساد دينهم، ومن جهة إسقاط هيبتهم من قلوب الناس، فإن العامل -المسؤول- يقع له مشاحنات ومهاترات وجدل وما شابه ذلك مع الخلق، وربما تجرؤوا عليه وابتذلوه.. إلخ.

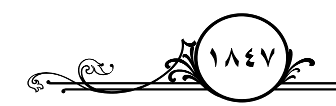
ولذلك كنت وما زلت أحب أن يكون أبو يحيى بعيدًا عن ذلك، ولكن لا أجد من هو أهيأ ولا أحسن منه وأفضل، بل هو خير مني وأحق.

البقية، الشيخ يونس ما زال يحتاج إلى عمرٍ ومزيد نضج وتجربة، على عقل فيه ونباغةٍ وذكاءٍ وهمة -الله يبارك فيه-، ومن أكبر مشاكل مثله أنه جديد يُعتبر، ولا يرضى بمثله الناس، ثم هو الآن مكلف بعملٍ هو ماض له، والله يوفقه.

ويمكن أخونا عبد الرحمن المغربي عقلية طيبة جدًا ودين متين -نحسبه كذلك- وخلق عال، وكتمان وصبر وفكر صائب ووعي ممتاز، صالح للقيادة -بإذن الله- والله يرعاه.

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨٠) قِيلَ لِعُمَرَ: مَا لَكَ لَا تُوَلِّي الْأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: «أَكْرَهُ أَنْ أُدَنِّسَهُمْ بِالْعَمَلِ».



ستكون مشكلته مع الكبار فقط لا يكادون يقبلون ممن هو أجدُّ منهم -أعني الشيوخ الكبار السن وأنت تعرفهم- لكن هذه تُحلُّ بالتعيين الصريح منك، لا الكتابي بل الصوتي على الأقل، هذا لا نزول عنه، في مثل حال عبد الرحمن لو احتيج إلى تعيينه.

طبعًا هو الآن المسؤول عن السحاب، لكن يمكن اقتطاعه منها وترقيته، ولعلي أستنبط الأمر وجسه، وأنتظر مشورتكم.

وفي الجيل الجديد إخوة طيبون وكوادر وقيادات مستقبل -والله يقويهم-، ونحن عاملون على إعداد الكوادر وتهيئة القيادات فأبشر بما يسّرك -بعون الله-، لكن ظروفنا والله صعبة يا شيخنا ونسعى ونحاول ولكن الحرب الجاسوسية أتعبتنا بالفعل.

من الإخوة المصريِّين القدامى بقي عندنا «سعدوف» أمير الفتح، أبو المقداد، أبو سليمان -الذي كان يسكن في خوست مع الجوفي أيام الإمارة، وكان عامل تاكسي- هؤلاء في العمل معنا جميعًا، لكن لا يصلح معظمهم لهذا الأمر، اللَّهم إلا أبا المقداد قد يكون أقربهم، وهو من أفضلهم من جهة الفكرة والرأي، لكن في خلقه صعوبةٌ.

من إخوة الجزيرة عندنا أبو عثمان، لا يصلح لهذا الأمر وعندنا أحسن منه أخٌ اسمه عبد الجليل ممن جاء في آخر أيام الإمارة، وممن سجن في كابل عند ناس سياف ثم أطلقوهم -كانوا ثلاثة: هو وسيف ابن عمر عبد الرحمن المصري، وعزام الزهراني ﷺ-.

هذا الأخ جيد يمكن أن يكون مؤهلًا في فترة قادمة، وقد نحاول يكون نائبًا الآن، أنظر في الأمر وأستنبطه ثم أردُّ عليك في رسالة أخرى، ولو تذكر هو الذي رشحه لك الحافظ سابقًا ليكون متحدثًا باسم القاعدة.

وأسأل الله أن يفرج عن إخواننا من السجن فيأتون ليساعدوا وليحملوا العبء، فإنهم أكفاء، أبو محمد الزيات وأبو الخير وسيف العدل وغيرهم، لكن للأمانة إذا يسر الله خروجهم فلا بد من أن يقضوا على الأقل مدة ستة أشهرٍ ويمكن إلى سنة؛ حتى يعرفوا الأمور من جديد كيف تسير، ويجددوا معارفهم ونشاطهم وحيويتهم.

وفي هذه الفترة يكونون قريبين نوعًا ما ويشاورون بالتدريج في الأمور، ثم يمكن أن يستلموا الأمور، نسأل الله أن يفرج عنهم وينصر بهم الإسلام والمسلمين ويجعلهم وإيانا من عباده الصالحين.

على ذكر بعض المشاكل، ولا نحب والله أن يشغل بالكم بالمشاكل ولكن لعل شيئًا منها لا بد منها لتتصوروا الأمور، فأُرفق لكم فقرة كتبتها في رسالةٍ للأخ أبي بصير الوحيشي. كان طلب مني نبذة عن

الساحة عندنا.

بإذن الله نعيد قراءة الرسالة على مهل، ونرد عليكم في المراسلة القادمة في الفقرات المهمة التي لم نتناولها الآن، مثل فكرة أن تصدروا بيانًا فيه التصريح بأننا نصحح بعض ما بدر منا، فهذا لا بد أن يكون دقيقًا جدًا ومتوازنًا غاية التوازن مدروسًا كامل الدراسة، وقد نحتاج أن تسبقه شيء من الخطوات التدريجية.

ونطمئنك يا شيخنا العزيز، أن الجهود في مجال ضبط المنهج وتقويم رؤوس العمل في كل مكان والاتصال بالصالحين من المثقفين وطلبة العلم وغيرهم، نعمل عليه ونجتهد فيه رغم كل الصعوبات، عندنا تواصل مع مجموعة من طلبة العلم، سأختار منهم اثنين أو ثلاثة، مع مثقف أو اثنين أو ثلاثة، لما أشرتم له من النقد والتمحيص والنصح لنا، ونخبرهم بأننا نريد التصحيح.. إلخ ما ذكرتموه.

هذا كله -بإذن الله- سنبدأ به ونمهد لكم، ونحن في تصحيح مستمر قبل هذا وفي أثنائه وبعده -بعون الله-، في مسائل التكفير والغلو والتطرف وغيرها وفي مسائل الأخلاق والأذواق والاعتدال، وفي مسائل عموم الفكر والتحليل والنظر والبحث، وفي مسائل الفقه، والله ولي التوفيق.

هناك مرفقات أخرى، النصح والإشفاق، ومقال طويل وجيد لأبي يحيى بعنوان «الجهاد ومعركة الشبهات» لم أجده الآن للأسف، وآخر مقالتي في سلسلة «انفذ على رسلك» في مجلة طلائع خراسان، «توجيهات إعلامية»، «رسالة أبي يحيى للإعلاميين».

وهذا ما تيسر من الردود الآن، والله ﷻ مولانا الرحيم الكريم الودود هو المرجوّ أن ييسر كل أمورنا وأموركم وأن يأتي بالفتح القريب والنصر المؤزر لأوليائه، والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود

السبت ٥ شعبان١٤٣١هـ



الرسالة الثالثة

رقم الرسالة: CR-109-S-4-RJD-Original-10-428.

المرسَلة إلى: أبو عبد الله «الشيخ أسامة بن لادن ﷺ».

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شيخنا المكرم/ أبي عبد الله -وفقه الله وأعزه-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من الله -تعالى- أن تكونوا وكل من معكم بخير وعافية، وعيدكم مبارك، وتقبل الله منا ومنكم، أما بعد:

١- **بالنسبة لبيان أمريكا،** فقد وصلنا في نفس يوم الانتخابات -يوم ٢ نوفمبر- وكنت يومها أتابع في BBC أخبار الانتخابات!! والتأخير لا أدري لماذا، فقد بلغت الرسول بالموعد -١٥ أكتوبر- وأكدتُ عليه جدًا، وأظنه ذهب في الموعد ولم أراجعه إلى الآن بدقة، لكني سألت ابن عمه صاحبنا فقال لي إنه جاء الليلة فأحضره لي في الغد، فالله أعلم.

وبسبب هذا التأخير تشاورت مع الإخوة هل ننشرها على كل حال أو نؤخرها قليلًا لعل الشيخ عندما يعرف أنها لم تنشر يرسل شيئًا أو تعديلًا أو إلغاءً وتأجيلًا أو غير ذلك، وهي بحسب مضمونها ليس فيها تعلق واضح بالانتخابات، وبقي علينا أن ننتظر مناسبة جيدة لإخراجها وأن نراعي هل خروجها في الحين مناسب لوضعنا في شمالي وزيرستان وهكذا أو لا، أو هل خروج الشيخ الآن بالصورة -فيديو- هو المناسب أو يؤجل خروجه؛ لأنه سيكون له دوي وتحليلات.. إلخ، إلى مناسبة أظهر قريبة -مثلًا- أو حتى إلى ذكرى سبتمبر القادمة؟!

فتشاورت مع أبي يحيى ومنير وكان خلاصة ما خرجنا به أن نؤخرها قليلًا، وقد جهزها منير للنشر لكنه تجهيز سريع، وقلت له الآن أن يعيد تجهيزها بشكل أفضل موضوعًا معها الترجمة الإنجليزية؛ فالنسخة المرفقة لكم هي محل تعديل وليست المعتمدة، وننتظر توجيهكم في هذا.

وبعد كتابة ما تقدم جاءني الملف المرفق من أخينا نور الدين «عزام» وفيه رأيه بأن ننشرها، وفيه مناقشات وأفكار ومسائل أخرى كنا تناقشنا في كثير منها معه ومع الإخوة من قبل ومن المهم أن

تطلعوا على الملف.

٢- أود لفت نظركم أننا نستعمل اسم «منير» للأخ «عبد الرحمن المغربي».

٣- **بالنسبة لأوضاعنا بصفة عامة؛** فهناك تجدد للمخاوف والإشاعات حول حملة محتملة يشنها الجيش على شمالي وزيرستان بضغط من الأمريكان طبعًا، ولكن قيل لنا أن هذه الضغوط خفت بعد زيارة أوباما للهند ولم يزر باكستان.

وبعث الباكستانيون للطلبة هنا في شمالي -لبعضهم- قالوا: ما لم تتوقف الاتصالات التلفونية من ميران شاه ومير علي ونحوها فالحملة محتملة -يشيرون إلى الضغوط الأمريكية عليهم بسبب الاتصالات-.

وعلى ذكر الاتصالات فنحن الآن مانعين الاتصالات إلا بإجازة خاصة ونسمح لبعض العوائل وهكذا، والمشكلة ليست فينا نحن -التنظيم- والمنضبطين، بل في أوزاع من المتسكِّعين في أسواق ميران شاه ممن لا ينضبطون ولا يسمعون لأحد وهم من العرب والأتراك والأذريين وحتى الألمان وغيرهم أخلاط كثيرة، ودائما نحاول أن ننصح العقلاء والرؤوس في المجموعات ونتواصل معهم للتقليل من الشر وتفهيمهم المصلحة العامة، وأيضًا نحن ساعون الآن في تكوين مجلس تنسيق للمجموعات التركية اللسان -الإخوة الأتراك، والتركستانيون، والأوزبك بعضهم وليسوا ناس طاهر جان والأذريون والبلغار ربما- والله الموفق.

إزاء هذه المواقف وضعنا خطة لإدخال بعض العوائل إلى باكستان احتياطا وبدأنا بمرحلتها الأولى وهي البدء بمجموعة اخترناها من العوائل الضعيفة أرامل وغيرها، ولما بلغنا بعضهم رفضوا النزول إلى باكستان وتعرفون كيف الإخوة والعوائل تتصرف! وبعضهم تحركوا بالفعل، وبعضهم بصدد التحرك الآن.

وعلى المستوى العسكري اشترينا كميات من الذخائر ورسمنا بعض الخطط البسيطة، وأمورنا فيها صعوبة؛ بسبب نقص حاد في الكوادر وكثرة الجواسيس حتى أصبحت البيئة موبوءة والله المستعان، ولكننا لن نعجز بحول الله وقوته وثقة فيه ﷻ.

كما رأينا أن نركز على مسعود، فإن انكسار الجيش الخبيث في مسعود سيكون مانعًا له من الإقدام على أية عملية كبيرة في شمالي، كما قال لنا أبو محمد حَفِظَهُ ٱللَّهُ في مشورته إن مسعود هي خط الدفاع الأول عن شمالي، أطمئنكم أن الشيخ أبو محمد متابع معنا بشيء من الدقة مثل هذه المشورات بارك الله فيه.

حصلت خلال هذا الشهر بعض الأحداث المؤسفة الجديدة من قدر الله ﷻ ومنها:

❖ مقتل الأخ محمد خان -مسلم- وهو عبد الله بن الشيخ سعيد مصطفى أبي اليزيد ؒ ومعه أخ آخر بلوشي عربي من كوادرنا اسمه معاوية كان متزوجًا بإحدى بنات أخينا أبي خليل الفلتاوي، تزوج بها من نحو سنتين تقريبًا وأنجب منها ولدًا، فالآن لم يبقَ من أولاد الشيخ سعيد إلا الصغير أسامة وابنته الشيماء أم حفصة المصابة والله يتولاهم.

العائلة الآن في باكستان تحت، ولا أدري هل تبلغوا بالخبر أو لا على أساس أن الإخوة سيخبرونهم بعد العيد.

❖ ومنها: مقتل عشرين أخًا في قصف واحد أو قصفين مزدوجين على مكان واحد تقريبًا يوم العيد وهم عسكريون كلهم مجاهدون من إخواننا من كتيبة من كتائبنا وهي كتيبة أبي بكر الصديق ؓ؛ والسبب هو تجمعهم للعيد ورغم تأكيداتنا وتشديداتنا على الإخوة في اجتناب أي تجمعات، حتى كنت قبل العيد بفترة قليلة أكدت عليهم بألا يزيد العدد في المركز الواحد عن خمسة إلا أنهم يتأولون أحيانا ويجتهدون، في هؤلاء العشرين عدد من الإخوة الأتراك وكرديان اثنان من إيران وثلاث إخوة ليبيون واثنين أو ثلاثة من الجزيرة وشامي.

والحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم اؤجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها.

٤- **موضوع حمزة ووالدته**: فبالنسبة لأم حمزة فهي جاهزة -إن شاء الله- للانطلاق إلى جهتكم لكن كنا ننتظر تأكيد الأمر منكم، وأيضًا ننتظر أيامًا غائمة مناسبة للحركة حسبما وجهتم، وبالنسبة للتعليمات بألا يتركوا ولا يستصحبوا معهم شيئًا مما أحضروه من إيران فهم عارفون، بلغهم عبد اللطيف ثم بلغتهم أنا، حتى إنهم مبالغون في الاحتياط حتى سألت عن الذهب الذي معها فأشار بأنه -إن شاء الله- لا خوف من جهته، بل وسألَت عن أسنان كانت قد حشتها في إيران وخدمتها ببعض الماكسات الظاهر حسبما فهمت من حمزة فقلت لهم -إن شاء الله- غالب ظني أنه لا ضير في شيء من ذلك.

المشكلة هي أنهم قالوا إنهم عملوها هناك في إيران تحت إشراف طبيبة تابعة للناس الذين كانوا عندهم هناك رسمية، وأنا غالب ظني -إن شاء الله- أنه ليس فيها شيء، لكن فضلت أن أذكر لكم كل هذا لتروا الأمر ونتشاور في الاحتياط.

فإن أردتم أن نرسل أم حمزة -صانها الله- فأخبرونا هذه المرة إما بموعد محدد أو أطلقوا، ونترك وسيطنا يأخذهم في الوقت المناسب عندما نرتب لهم معه في يوم غائم مناسب.

بالنسبة لحمزة فهو طيب صالح رأيت فيه العقل والأدب الله يبارك فيه، لكن طبعًا -يا شيخنا المكرم- هو شاب صغير وعاش تلك السنين في السجن وهو المسكين الآن موضوع في شبه سجن آخر عندنا فهو قلق من ذلك ويراجعني بأنه لا بد أن يتدرب ويشارك ويقدم، وأنه لا يريد المعاملة الخاصة كابن فلان وهكذا جزاه الله خيرًا، فكنت أصبره وأحاججه ولكنه سهل العريكة لين الحمد لله، وذكرته بما جرى لسعد ولكن سعدًا ﷺ كان أشد إلحاحًا منه وأن أهم شيء بالنسبة لك الآن هو أن تكون في مأمن وسلام و-إن شاء الله- كل شيء يأتي بالصبر وبترتيب حسن، وقد وعدته أن أرتب له بعض التدريب الآمن والرماية في مناطق آمنة بمختلف الأسلحة وللأسف تأخرت عليه الآن أكثر مما كنت أود ولعلي أفعل في الأيام القليلة القادمة بحول الله، كما أتعهده بالكتب والملفات المفيدة وعنده كمبيوتر والحمد لله وصابر محتسب.

وإن شتم أن تكتبوا له شيئًا مناسبًا لطيفًا فاكتبوا.

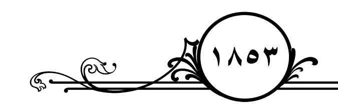
وكذلك ليتكم تكتبون بأنفسكم لأم حمزة وأنا أعطيهم يقرؤون بأنفسهم أي توضيحات أو توصيات وتذكير.. والله يبارك فيكم.

بالنسبة للمرافق الذي سعينا فيه فقد بلغني الأخ الذي كلفته أن عنده الآتي:

«أما الموضوع الخاص فالأخ الذي عندي هو أخ مجاهد تدرب عندنا ورجع بعد البقاء هنا لأربعة أشهر تقريبًا، عمره يقارب خمسة وثلاثين سنة -وسأتأكد منه أكثر- متزوج عنده أولاد صغار -لكن سأرسل لكم عددهم وعمر كل واحد منهم المرة القادمة إن شاء الله-، وعنده دكان أو بعض الدكاكين في لاهور، وهو رجل فاهم ناضج ثقة يعرف أمور استئجار البيوت، بيع وشراء وجميع التعاملات اللازمة للعيش المدني، ويعرف كيف يتصرف في المدن -إن شاء الله-، لكنه ليس بشتونيًا بل بنجابيًا فما رأيكم؟ وأنا من جانبي سأرسل لكم ما بقي عنه من المعلومات في المرة القادمة -إن شاء الله-» اهـ.

فكما ترى صاحبي ما زال سيتأكد من مواصفات الرجل، لكن هو من أهل الأوردو «بنجابي» على كل حال، ولعلي أنظر هذ المرة عند أخينا إلياس كشميري فلعل عنده شخصًا مناسبًا.

وكما قد تبين لكم من كلامي فإن حمزة عندنا في الإقليم إذْ بعد عبد اللطيف تعطلت المشاريع، وزادت المشكلة بمقتل محمد خان والأخ معاوية البلوشي؛ لأننا جعلناهما هما المشرفان على الترتيبات للطريق والتوسعة في أعماق بلوشستان وارتياد الأماكن الآمنة فذهبا جزاهما الله خيرًا واستكشفا ورتبا ثم لما عادا للمنطقة بقليل قدر الله أن يستشهدا في قصف أيضًا والحمد لله رب العالمين.



٥- أخبركم أن إخوتنا أتموا -بحمد الله وعلى خير وسلام- **صفقة السفير الأفغاني** وأطلقنا سراحه ولعلكم تابعتم ذلك في الأخبار، ولقد استلمنا كل أو معظم المبلغ، يمكن يكون بقي شيء عند الوسيط الضامن ولعلهم استلموه الآن، والوسطاء الضامنون هم آل حقاني منهم الحاجي إبراهيم أخو الشيخ جلال الدين ورجل آخر.

هذا التتميم للمبلغ يعادل حوالي ثلاثة ملايين دولار استلمناه هذه المرة بالعملة المحلية.

٦- بالنسبة لموضوع **البيعة** فنحن كانت البيعة خلال الثلاث سنوات ونصف الماضية بعد مجيء الإخوة من إيران للشيخ سعيد فقط، وإنما أنا أنوب عنه في حالات ضيقة بأن كان الشيخ بعيدًا والأمر مستعجلًا، مثلا: أخ سيسافر للعمل الخارجي ونريد نأخذ عليه بيعة وهكذا ويكون الشيخ سعيد في الجنوب وأنا في الشمال أو نحو ذلك، والآن أن أتولى أخذ البيعات فقط، وكذلك قلت لأبي يحيى يفعل كما كنت أفعل مع الشيخ سعيد في الحالات المستعجلة والضيقة، وفي مرة كان إخوة الشيخ يونس سيسافرون وكنت بعيدًا ويصعب علي أن ألتقي بهم قبل انطلاقهم فأرسلت لهم تسجيلًا صوتيًا وأحلتهم في البيعة على الشيخ عمر خليل وكتبت له ورقة معهم أكلفه فيها بأخذ البيعة نيابة عني على هؤلاء الإخوة.. إلخ ففعل.

ونحن طبعًا نأخذ نيابة عن الشيخ أسامة بن لادن ونقول في صياغتها ما مثاله: أبايعك نيابة عن الشيخ أسامة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأثرة علي في المعروف للشيخ أسامة ولمن يوليه علي من الأمراء على الجهاد في سبيل الله لإقامة دين الله ودولة الإسلام التي تحكم بشريعة الله وأن أحفظ سر الجماعة وأن أكون حيث أمرت أن أكون.

٧- وأما **الإخوة المهيؤون للمسؤولية في المستقبل**، فكما ذكرت لك من قبل الأخ عبد الجليل، وهناك الأخ قاري سفيان المغربي، والأخ أنس السبيعي يصلح لبعض المسؤولية -إن شاء الله- مع أنه صعب شيئًا ما لكنه ذو همة وذو رأي ونظر وحزم، أنتم تعرفونه.

وهناك الأخ أبو خليل يعاون في المسؤوليات لكن لا يقدر على شيء كبير، وهناك أخ باكستاني اسمه أحمد فاروق -مسؤول السحاب أوردو- وهو رجل فاضل ويعرف العربية بشكل جيد وصاحب إدارة وعقل وثقافة وهمة، ولعلنا ندخله معنا في الشورى هذه المرة -بعون الله-.

وهناك الأخ أبو دجانة المصري الباشا -الله يحفظه-، والآن بصدد أن نجربه في مسؤولية العمل في باكستان.

وطبعًا أبو عمر المصري وأبو صالح وأبو زياد العراقي يصلحون لبعض الأعمال.

وهناك الأخ أبو حفص الشهري -ابن عم لأبي عثمان ﷺ وهو الآن يدير العمل مكان أبي عثمان، وهو خير من أبي عثمان فيما نظن- فهذا من القدامى.

وأما من الجيل الجديد فعندنا الأخ أبو عبد الرحمن الشرقي من البحرين، شاب فاضل وهو الآن في لجنة العمل الخارجي.

وأخ كويتي اسمه أبو حسن الوائلي يعمل معي في الاتصالات ويشارك في الإعلام شاب فاضل جدًا -أحسبه كذلك-.

وأخ آخر من الجزيرة عسكري ورجل صالح ذكي ذو خلق عالٍ وعقل ودين -نحسبه كذلك- اسمه أبو حمزة الخالدي وهو ابن عم الشيخ الخالدي المسجون مع الشيخ الفهد والشيخ الخضير في السعودية، وهو الآن أمير كتيبة عندنا.

هؤلاء الثلاثة عندهم معنا في الساحة ثلاث سنوات تقريبًا، وما زالوا يترقون ونظن فيهم الخير والنجاح -إن شاء الله-.

ويوجد من الجيل الجديد غيرهم أيضًا، والله يحفظ الجميع.

٨- نرسل لكم مع هذه الرسالة مبلغ ستة عشر لاك روبية، وكنا من قبل أرسلنا لكم ثمانية لاك ونصف، وعلى هذا يبقى عشرة لاك نرسلها لكم -بحول الله- في إرسالية قادمة، وهي تمام ما يعادل الثلاثين ألف يورو والتي طلبتموها على أساس الصرف عندنا بمئة وخمسة عشر -الصرف كان قد نقص ثم زاد-.

والله الموفق.

وبالنسبة لتعميد من يصلح ليشرف على صندوقكم فعندي أخ يتولى ذلك -إن شاء الله-، وما زلت لم أتكلم معه وسأحاول في المدة الآتية -بعون الله-، ونرسل لكم بحول الله الكشف كاملًا.

٩- وعلى ذكر **الأوضاع المالية**، فنخبركم أنه -بحمد الله- تم منذ حوالي أربعة أشهر -تقريبًا من شهر رمضان المبارك الماضي- الاتفاق مع أخينا الشيخ أبي يحيى على الاندماج الكامل مع التنظيم ووافق جزاه الله خيرًا على ترك شرطه الذي كان شرطه هو وإخوانه وكلهم قد استشهدوا ﷻ: أبو الليث وأبو سهل وعبد الله سعيد، عندما انضموا إلى التنظيم بأن يكون لهم استقلالهم المالي وأن يحتفظوا بمصادرهم ويستثمرونها، فالآن الحمد لله انتهى هذا، وكمل الاتحاد بشكل كامل في كل شيء، وأعطى أبو يحيى كل مصادره وكل ما يأتيه الآن يحوله للميزانية العامة.

وصار له هو -من اللجنة المالية في التنظيم- ميزانية خاصة مناسبة لقدره شهريًا يصرف منه على ما

يحب من متعلقاته وعلاقاته كهدايا للضيوف والمعارف ومعونات من طرفه وغير ذلك.

والحمد لله نبشركم أننا على قلب رجلٍ واحدٍ تحاببًا وثقةً وتعاونًا، ونسأل الله ﷻ أن يبارك في هذا الجمع الذي اجتمع عليه.

وقد كنت بلغت الشيخ أبا محمد بذلك وكتب له الشيخ أبو يحيى برسالة في ذلك، ففرح أبو محمد بذلك أشد الفرح وكتب لي أن أخبركم بهذا، الحمد لله.

١٠- أخبركم أن الشيخ أبو يونس قد سافر من عندنا، ولكنه ما زال في المنطقة الحدودية في جهة بلوشستان، بحيث يرتبون للدخول -بحول الله- إلى إيران، والله يوفقهم، وكل أصحابه معه وأظن عددهم ستة، نسأل الله أن يسترهم ويحفظهم ويمدهم بالمدد من عنده.

وبسبب تعثر التواصل بمقتل الإخوة لم أرسل له رسالتكم الأخيرة بعد، و-إن شاء الله- نرسلها متى ما تيسر بتيسير الله وتوفيقه.

١١- بالنسبة للملف العائلي الذي كنتم أرسلتموه في المرة الأخيرة إلى عبد اللطيف، فهو ما زال عندي فهل أحذفه أو تأمرون فيه بشيء؟

وهذا ما تيسر وبالله ﷻ العصمة وعليه الاتكال، لا إله غيره ولا رب سواه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود

يوم الثلاثاء ١٧ ذي الحجة ١٤٣١هـ



الرسالة الرابعة

رقم الرسالة: CR-109-S-4-RJD-Original-10-430.

المرسَلة إلى: أبو عبد الله «الشيخ أسامة بن لادن ﷺ».

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا المكرم، -حفظكم الله ورعاكم- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسأل الله أن تصلكم هذه الرسالة وأنتم في خير حالٍ وفي حفظ وستر ومزيد من التوفيق، وكل من معكم من أهلٍ وأنصار.

وعسى -إن شاء الله- أنكم منشرحو الصدر متفائلون وترجون الخير وتأملون نصر الله القريب والله يرعاكم، وبعد:

أننا نخبركم بحمد لله بخير، وعامة الإخوة هذه المدة الأخيرة الأوضاع أهدأ والإخوة أكثر حذرًا وانتشارًا وكمونًا والله المستعان.

الشيخ أبو محمد بخير والمراسلة معه مستمرة إلا أنه هذين الشهرين أخبرنا بأن رسوله لن يأتي فيهما، فلعله تكون بيننا وبينه مراسلة في آخر أبريل هذا -إن شاء الله-.

ونبدأ متوكلين على الله في النقاط الحاضرة، فأولها موضوع حمزة، وبالله التوفيق:

ما زلت والله في حرج معكم جميعًا في هذا الموضوع وأرجو منكم أن تفهموا وجهة نظري وأن نعالج الموضوع بتؤدةٍ.

فأنا -يا شيخنا المكرم- ليس عندي غرضٌ في الموضوع كما تعرف وما أريد إلا الخير والسلامة والتوفيق، وأنت والده هو، وأنت بضاعتك أميرنا ونحن لك مطيعون وإنما هي مسؤولية كبيرة أردت أن أتثبت فيها وأصدقُك أنني شعرت أنكم في طرفكم ربما لم تتفهَّموا الحالة الأمنية للطريق بشكل كامل.

إذا كنتم تأمروني بإرساله مع الرسول على أي حالٍ ومهما يكن من أمرٍ -يعني لا يهمك حتى لو مُسك لا قدر الله في الطريق- فأنا أفعل على بيِّنةٍ، فأمروني بهذا صريحًا.

وإلا فإنني قد حاولت الترتيب لتنزيله وإيجاد طريقة مناسبة ومُطَمْئنة من الناحية الأمنية بحسب

الأسباب، فالحقيقة أنني لم أجد، ووجدنا التفتيشات في هذه المدة على الطريق ازدادت واشتدت، والأمر خطير جدًا، هذا بالنسبة للمشي مع الطريق العام، فإن كان لا بد فنبحث في تنزيله من طريق التهريب، كما ينزل الإخوة المجاهدون.

وهناك خيارٌ آخر، وهو أن نرتب له للذهاب إلى إقليم بلوشستان ومن هناك نرتب مع الأخ أبي عبد الله السندي وأصحابه، يستلمونه ثم هل يبقى في بلوشستان -هم يرتبون له هناك، عندهم إمكانية لذلك-، أو يحولونه إلى بيشاور كما كنتم تريدون، تنظرون في هذا والله المستعان.

فالخلاصة إذن، **هناك ثلاث خيارات**:

- **الخيار الأول**: نرسله لكم عبر وسيطنا على كل حال، وهذا الخيار عندي غلطٌ ولا يجوز الإقدام عليه؛ لما أرى من الأسباب الظاهرة لما ذكرت من التفتيشات والصعوبات الأمنية على الطريق، ثم لأن وسيطنا يمكن أن يتعرض هو نفسه للأسر لو حصل شيءٌ لحمزة -لا قدر الله-، وهو وسيطنا الذي بيننا وبينكم، فالأمر خطرٌ مضاعف!!

ويمكن أن يُعدَّل هذا الخيار بأن نرسل حمزة مع شخص آخر غير وسيطنا -لا علاقة له بوسيطنا الخاص- بعد أن نعطيه أرقام تلفون وسيطكم أسلم أو غيره، ويتصل بهم إذا وصلوا هناك ويسلمه إليهم.

- **الخيار الثاني**: أن يقام بإرساله إلى بيشاور عبر أناسٍ آخرين غير وسيطنا، وبالطريقة التي ينزل بها المجاهدون من عندنا إلى بيشاور وهي طريقة تهريب حيث يتحركون من وزيرستان إلى جهة قبائل خيبر ومن هناك ينزلون وعلى بيشاور -ينزلون على باره على ما أظن أو قريبًا منها- ويدخلون بيشاور، وهذا الطريق فيه خطرٌ أيضًا لكن أقل من الأول، ويتفادى تعرُّض وسيطنا الخاص لأي احتمال خطر؛ لأن نزول حمزة سيكون في هذه الحالة عن طريق إخوة آخرين مجاهدين.

وطبعًا في هذا الخيار مسألة وهي أن الإخوة الذين نختارهم لصحبته -تنزيله- إلى بيشاور هل نخبرهم من هو هذا الأخ؟ لكي يجدُّو في الأمر جدًا، فهذا ليس بمناسب أمنيًا، أو لا نخبرهم بل نقول لهم وصِّلوه إلى بيشاور وهو يتصرَّف وعنده العناوين وأرقام الهواتف، فهذا ممكن وهو المختار، ومع ذلك ربما تفهم الناس شيئًا.

- **الخيار الثالث**: أن نرسل حمزة إلى بلوشستان وهذا أسهل علينا وعندنا الطريق من جنوبي وزيرستان وندخله عند أناسٍ هناك يجلس عندهم إلى أن يأتي الأخ عبد الله السندي ويستلمه.

وهذا الخيار أقل الخيارات خطرًا وأقربها للسلامة وأسهلها، عندي هو المرجَّح من الخيارات

الثلاثة.

ثم كما قلت لكم: ترتبون مع عبد الله السندي بواسطتي أو مباشرة إذا أرسل الأخ عبد الله أرقام التلفون الخاصة -إن شاء الله-، والله الموفق لما فيه الخير.

إنني شاورت الأخ منير في مسألة إرسال حمزة فهو موافق لي في عدم الإقدام في إرساله والحال كما وصفت ولم أتشاور مع أبي يحيى لعدم الْتقائنا منذ أكثر من ثلاثة أشهر ولم أكتب له في المراسلات.

الكلام كله على حمزة كرجل، وأما العائلة -امرأة حمزة وولداه- فليس ثمة مشكلة في تنزيلهم من الطريق الأول العادي -الخيار الأول-، وإذن فالفكرة هي: نزول حمزة لوحده والعائلة على حده.

لكن في حال اختيارنا لخيار بلوشستان -الخيار الثالث- فيستطيع الذهاب مع عائلته، لقد أرسل لي الأخ عبد الله السندي بطاقة خالد، ومعها رخصة سياقة له أيضًا، وهما صالحتان لأن يستعملهما حمزة إذا تحرك -إن شاء الله-، فإما تأمروني بأمركم فيهما، وإما سأعطيهما لحمزة ليتحرك بهما إذا قررتم الشروع في أحد الخيارات.

تنبيه: إذا كان القرار هو اختيار طريق بلوشستان فتخبروني، ولكن يحتاج مني بعض الوقت لإكمال ترتيبه، ليس كثيرًا -إن شاء الله-، وإنما احتجت للتنبيه لتذكيركم بصعوبة ظروفنا وتحركنا عمومًا ولكي لا تقلقوا.

بالنسبة لحمزة فهو بخير وأهله وأولاده، وصابرٌ -إن شاء الله-، ويريد أن يتدرب ويتعلم، وكنت أريد أن أستأذنكم في أن نعطيه المجال لبعض الحركة التي نحاول أن نرتبها له باحتياط شديد من أجل أن يحضر بعض التدريبات الخاصة، وعلى كل حالٍ الآن هو أخذ عائلته إلى بيت أخينا أبي خليل، فهم عنده من أيام؛ لأنني رتبت له مع أبي خليل حضور دورة خاصة له في تعلم المتفجرات وشددت عليهم في الأمن وعدم الخروج أو الحركة أو كذا مما يعرِّض للخطر، وبالله التوفيق.

مواضيع أخرى:

❖ بأسفٍ أخبركم بأن الأخ أبا الحارث السندي -صهر أبي عبد الله السندي- قد أسر من قِبَل الاستخبارات الباكستانية في كراتشي، وهذا قبل أزْيَد من شهرين، نسأل الله أن يفرج عنه.

❖ ولحد الآن لم أتلقَّ أي أجوبة من عائلة البي إم، مع أني تلقيت جوابًا من الأخ أبي عبد الله السندي، وأرسل إلي بطاقتي خالد -بطاقة شخصية، ورخصة سياقة- كما كتبت أعلاه، ولكن الأخ عبد الله السندي لم يعطيني أي تفاصيل أخرى، ولكن وعد بأنه سيرسل لي أرقام الهاتف الخاصة التي طلبناها منه قريبًا، والموفق الله.

❖ لقد أرسلت مصحف أم حمزة فعساه وصل إليكم.

❖ وأيضًا بدأنا في تحويل مبلغ واحد كرور روبية -يعني عشرة مليون- إلى الأخ أسلم، وكتبت له بأن يحولها إلى دولار أو يورو، ويحتفظ بها، فتكون عندكم.

❖ بخصوص المبالغ التي عندنا فقد قمنا بتحويل جزء كبير من المبالغ الروبية إلى ذهب ودولار ويورو، ولله الحمد.

طبعًا مع مصاريف كبيرة صرفناها بالروبية مباشرة: دعم للجماعات والمجموعات الجهادية العديدة في القبائل -شورى، شمالي، وخليفة والمسعوديين، وتحريك حقاني، طالبان وغيرهم بالإضافة إلى مجموعات المهاجرين- إذْ لا بد أن ندعم الناس، وقد سمع الكل بالصفقة.

بالإضافة إلى مصاريف الكفالات للدفعة الحالية، والميزانيات للعمل وسداد ديون وغيرها، الديون قليلة جدًا ولله الحمد.

واشترينا أسلحة متعددة وذخائر وتجهيزات؛ استعدادًا لأيَّت حرب محتملة.

واستحدثنا بعض الميزانيات الجديدة لبعض الورش، وبعض المجموعات المتعاونة ورفعنا قيمة بعض الميزانيات أيضًا، ولله الحمد.

وبفضل الله حتى تدفق الأموال من الخارج هذه المدة جيد جدًا وطيب، ومن داخل باكستان كذلك وذلك فضل الله.

❖ نتابع هذه الأيام الثورات العربية وما حصل من تغييرات في البلاد العربية، ونحمد الله ﷺ على زوال طاغيتَيْ تونس ومصر، والآن الأوضاع في ليبيا كما تتابعون، وفي اليمن وسوريا كذلك، -وأرفق لكم بعض ما كتبته لبعض إخواني حول هذه الثورات- وفي الجملة نظن أن هذه التغييرات كبيرة وفيها خيرٌ كثير -بإذن الله-.

وهل فكرتم في إصدار كلمة للأمة بهذه المناسبة فيها تضامن وإظهار للسرور مع الأمة لما تم من زوال بعض الطواغيت وتأييد للثورة على الظلم والفساد والإجرام والطغيان، وفيها بعض التوجيهات والتذكير للشباب وللأمة جمعاء، وفي الجملة تكون كلمة عامة لا تدخل في التفاصيل ولكن يظهر منها التأييد والسرور لهذه النعمة التي أنعم الله بها على الناس من التخلص من الطواغيت وحث على إكمال الطريق بالجهاد والتوبة والرجوع إلى الله وبالاستقامة على طاعة الله والتحذير من مكر الأمريكان وغيرهم، والتبشير بقرب نهاية دويلة اليهود -مثلًا- وهكذا.

فإن لم يكن منكم كلمة الآن، فلعلكم تنتظرون حتى تتضح هذه الثورات وتنتهي إلى مستقرها -

تقريبًا-، ويكون لكم كلامٌ عليها في شريط العشرية -الذكرى العاشرة للحادي عشر من سبتمبر-، وبالله التوفيق.

- ونرفق لكم بعض العناصر والأفكار حول هذه التغيرات الكبرى؛ لتفتح المسائل والتفكير فيها، وهي ورقة كتبتها للإخوة عندنا للتشاور فيها.

- سأرفق لكم بعض ما كتبناه أو صدر من عندنا من كلمات بخصوصها.

- ونرفق لكم أيضًا رسالتين من الطبيب آغا وجوابي عليهما.

- وآخر المراسلات مع الجزائر والصومال واليمن، وجوابي على الإخوة في الجزائر.

- ورسالة مني للإخوة في الصومال وأخرى لأبي بصير -اليمن-.

وكما ترون فالإخوة في الصومال يقترحون عليكم كتابة رسالة للأخ حسن ظاهر عويس تشجعونه وترفعون معنوياته وتتعهَّدونه -والله يبارك فيكم-.

- ونرفق لكم أيضًا بعض الكتب الإدارية وغيرها من ملفات النت.

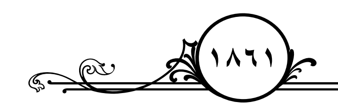
- بالنسبة للشيخ يونس فهو بخير، وقد أرسلتُ له رسالتكم الأخيرة و-إن شاء الله- وصلته، وأرسل إلي قبل نحو شهر بأنه سيتحرك إلى الصومال مباشرة ربما إذا نجح الترتيب وكان متقنًا بالحبر حيث وجدوا مهربين موثوقين يوصلونهم إلى هناك مباشرة عبر الإخوة البلوش -في مدة إقامتهم في بلوشستان مدة عدة الأشهر الأخيرة استطاعوا التعرف على طريق البحرية-.

ورأوا هو وأصحابه أن الدخول إلى إيران والمكوث فيها غير مناسب، كذا كتب لي باختصار، وقد كتبت له جوابًا قبل أيام أوصيته بالتثبت من أمن الطريق، ثم عرضت عليه فكرة لكي يتأمل فيها ويدرسها ربما هو وبعض من معه، والفكرة جاءتني على ضوء الثورات الشعبية العربية الراهنة، وخلاصتها: أنه قد يكون من المناسب أن يوزع إخوانه على تونس وسوريا ومكانٍ آخر.

وهذا يقتضي أن ينتظر قليلًا بالنسبة للإخوة السوريين حتى تنجح الثورة في سوريا ويسقط نظام بشار الأسد أو تتحول البلد إلى انفلات وفوضى، والله المستعان.

وللتذكير هو الشيخ يونس معه من ثلاثة من الإخوة، سوريون وواحد تونسي وآخر جزائري كان يعيش في ألمانيا، فالتونسي بإمكانه أن يسافر إلى تونس الآن مباشرة ويدخل تونس بسهولة، وقد سافر أناسٌ من عندنا ودخلوا.

والثلاثة السورين لعلهم يتمكنون بإذن الله قريبًا، يبقى هو والأخ الجزائري، لعله يناسبهم أن يذهبوا إلى الصومال أو حتى يختفوا بسهولة في إيران أو غيرها ما داموا اثنين.



وإن التغيرات التي حصلت في المنطقة العربية كبيرة جدًا ولا بد أن تتغير معها الكثير من الأمور.

بالنسبة لليبيا على وجه الخصوص فآخر ما جاءنا من الإخوة في ليبيا أنهم بدأوا يرتبون أمورهم، وأنهم لهم نشاطٌ ودورٌ هناك ولله الحمد.

إخوة الجماعة المقاتلة الخارجين من السجن وغيرهم في الشرق الليبي بنغازي ودرنة والبيضاء وما قاربها، هناك صحوة إسلامية جهادية نشطة من زمان ينتظرون مثل هذه الفرصة ونظن أنه عن قريب سيبدأ يظهر نشاط الإخوة وأسماؤهم وتسجيلاتهم.

وفيما يتعلق بليبيا أيضًا فنتيجة للحماسة عند الإخوة وما أتيح من فرصة جهادية هناك وتشوق الإخوة للجهاد ضد الطواغيت هناك فقد حصل أن الأخ أنس السبيعي الليبي وإخوة آخرون استأذنوا في النزول إلى ليبيا.

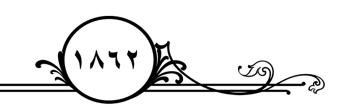
وأرفق لكم رسالة من أنس -اسمه عندنا الآن عبد القيوم- كتبها لأبي يحيى وحوَّلها، وأبو يحيى يعتب علي في التأخير عليه في الجواب، وطبعًا سبب تأخري موضوعي جدًا والحمد لله أنا فيه معذورٌ -إن شاء الله- وهو بُعدي وكُموني واختفائي وتقليلي من التواصل والحركة هذه المدة، ولم تصلني رسائله التي يشير إليها حتى هذه اللحظة.

وعلى كل حالٍ صورت رسالته لكي تطلعوا عليها، وأرفق ما لكم كتبت لأبي يحيى لكي يبلغه والإخوة الآخرين إياه، وخلاصته أننا أعطيناه الإذن للنزول إلى ليبيا.

❖ طبعًا للتنوير: هو أنس حالته النفسية سيئة جدًا من يوم ما جاءنا من إيران، وتعرفون أنه من هناك -من إيران- أرسل أهله وأولاده كلهم حتى الكبيرين منهم عبد الله وعبد الرحمن رغم أنهما بالغان رجلان، وعندما جاء هنا كان يظهر عليه التأثر جدًا والقلق والكآبة، وهو بطبيعته في صعوبة في العشرة والمزاج فكان لا يرتاح مع معظم الإخوة ولا في المراكز، فكان الإخوة دائمًا -بعلمي وعلم أبي يحيى وإذننا ومساعدتنا- يسعون لتوفير مكان خال له يرتاح فيه أو مركز على الأقل ليس فيه إخوة كثيرون بل يكون معه في واحدٌ أو اثنان يخدمانه -مثلًا-، وهكذا.

لكن وفي الجملة كانت حالته قليلة، وكان يتصل بأهله في ليبيا رغم علمه بمنعنا للاتصالات! ورغم أنه معروفٌ أنه رجل خطير ومطلوب للأمريكان...إلخ واتصل بالتلفون مرارًا!!

ولما جاءت الثورة الحالية والحرب في ليبيا وخاصة عندما علم أن الأخ عروة الليبي -كان معه في سجن إيران- قد سافر ودخل إلى ليبيا واتصل عليه وشجَّعه وقال له إن الطريق ميسَّرٌ وسهلٌ، فتحمَّس جدًا للنزول وكتب ما كتب.



ونسأل الله لنا وله ولسائر الإخوة التوفيق والإعانة.

❖ هل قرأتم الملف الذي أرسلته لكم قبل أشهر للأخ طوفان باسم «هبوهم أر» وهل علقتم عليه؟ لأن الأخ له أفكارٌ وطلبات ونشاط ويريد منكم أو من أبي محمد كلمة لتوجيهه؛ لأنه بصراحة لا يسمع مني أنا ولا أظن من غيري هنا.

❖ بالنسبة للإخوة في إيران، فقد أرسل إلي منسقًا هناك قبل أيام خبرًا مجملًا غير مفصَّل يقول: إن بعض الإخوة الكبار خرجوا وكيف نفعل معهم، فأرسلت إليه فورًا بطلب التفاصيل، وقلت له: الكبار يأتون عندنا ضروري، ونحن منتظرون.

طبعًا كان قد خرج الأخ أبو السمح المصري، وهو الآن باقٍ في إيران، ويبدو أنه استأنف ممارسة نشاط إعلامي واتصالاتٍ بعنوان «جماعة الجهاد» كما ترون في ملفٍ مرفق.

كذلك خرج الأخ عبد الله رجب الليبي «أبو الورد قديمًا» وهو هناك في إيران كذلك، وخرج الأخ أبو مالك الليبي «عروة» وهو أحد الإخوة البارزين في المقاتلة وبقي في إيران ولم يأتِ عندنا، ثم قبل حوالي شهر سافر إلى ليبيا ودخلها بسلامٍ والحمد لله.

واتصل ببعض إخواننا من هناك، وعندنا معه تواصل بالنت وننتظر منه رسائل، وهو أحد الإخوة الميدانيين المهمين ونتوقع أن يكون له دور في ليبيا.

❖ ومن قبل أظنني أخبرتكم عن خروج ابنَيْ الشيخ أبي الخير وبعائلتيهما -أحدهما متزوج ابنة الشيخ أبي محمد المصري، فهو عديل حمزة، والآخر لا أدري ممن تزوج-، وهما الآن في بلوشستان رتبنا لهما هناك وقلنا لهما يبقيان هناك مختفيين حتى إشعارٍ آخر، وأرسلت لهما رسالة وشرحت لهما بعض الشرح لحالنا، وطمَّنتهما وهما هناك في بلوشستان مع أحد إخواننا الأمناء الطيبين -إن شاء الله-، ويمكن أن نأخذ حمزة عندهما تحت إشراف ذلك الأخ البلوشي.

❖ الأخ عروة الليبي المذكور عندما كان في إيران قبل حوالي شهرين -قبل نزوله إلى ليبيا بقليل- كان كتب لي رسالة على الإيميل وأخبرني فيها أن بعض الإخوة الليبيين الذين في بريطانيا تكلموا معه بالآتي:

أن الاستخبارات البريطانية تكلموا معهم -معه الإخوة المشار إليهم الليبيين في بريطانيا- وطلبوا منهم أن يحاولوا الاتصال بمن يعرفون في القاعدة، ويخبرونهم ويعرضوا عليهم ويعرفوا فكرتهم في أن بريطانيا مستعدة للخروج من أفغانستان إذا كانت القاعدة ستتعهَّد بشكل صريح بألا تعمل ضد بريطانيا ومصالحها.

هذه هي الرسالة باختصار.

أنا كتبت للأخ عروة في جوابي له: إنه بإمكاننا التفكير في الأمر والوصول إلى شيء مناسب في هذا الصدد، وسأنقل الفكرة للقيادة، فلعله بلَّغ الإخوة الليبيين الآن وهم ربما يكونوا بلغوا البريطانيين.

ليس عندي تأكيد طبعًا، ولعله -عروة- في رسائل قادمة يكون عنده شيء، رغم أنه الآن سيكون مشغولًا في ليبيا جدًا، فهذا ما حصل، ونسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يتولانا برعايته.

❖ ملاحظة: تخلصت من كل الكروت -الشرائح- التي كانت في بيتنا السابق، وكسرتها، وأعدمتها، والآن أستعمل معكم كروتًا جديدة، وأرجو منكم كذلك تكسير وإعدام كل الكروت السابقة، ونستعمل الجديدة وهكذا نفعل كل مدة نغيِّر الكروت.

أيضًا سامحونا أن نرفق معكم رسالة صغيرة للأخ أسلم تحولونها إليه، فيها بيان أن المبلغ الذي أرسلته إليه مع رسائلكم هذه هو كفالته المقررة عندنا.

ننتظر رسائلكم وأخباركم، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى وأن يبرم لنا وللمجاهدين في سبيله أمر عز وفرج وفتح قريب، آمين.

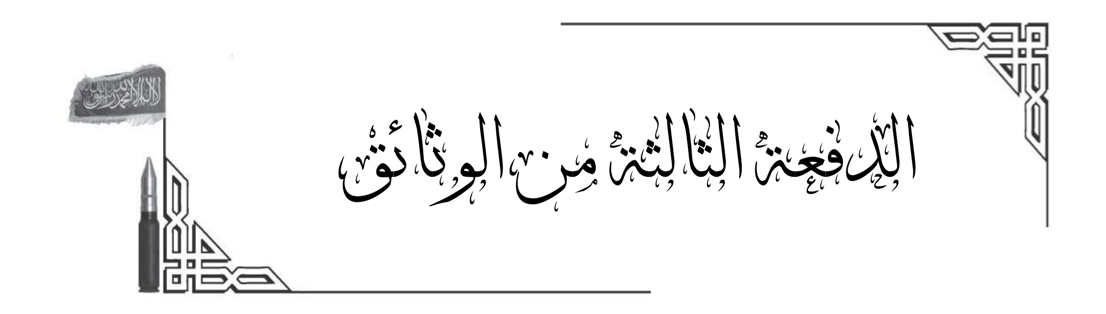
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود

أوائل جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ

السبت، ٢٠١١/٥/٥ م





الرسالة الأولى

رقم الرسالة: Letter_dtd_18_JUL_2010_-_Arabic.

المرسَلة إلى: أبو بصير «ناصر الوحيشي» أمير «تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب» ﷺ.

ملاحظة: تضمنت الرسالة كلاما كثيرا للشيخ المجاهد «أسامة بن لادن» ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب أبا بصير حفظك الله وأيدك وقوّاك/ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سبق وأشرتُ لك بأن الشيخ أبا عبد الله، عنده رأي في «الحرب في اليمن وجزيرة العرب» وأنه أرسل إلينا عدة رسائل لكنها ما زالت في طور التشاور بيننا وبينه، ولم ينته التشاور بعد.

وهنا أنا الآن أعطيك بعض النقاط، لكن هذه الرسالة لك خاصة، لا تطلع عليها إلا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة من أصحابك، والأمور كلها قابلة للتشاور، ويكون مرادُنا هو الحق والصواب وفعل الخير والصلاح، كما أمرَ الله تعالى وأحبَّ: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج]:

❖ يميل الشيخ إلى أن الحرب في اليمن وفي جزيرة العرب مع النظام المحليّ المرتد فيهما، ليس مناسبًا الآن، والواجب هو أن نوجّه كل طاقتنا وقدراتنا وإمكانياتنا إلى ضرب الرأس، وهو أمريكا، وذلك بالتركيز على «العمل الخارجي».

لكن الحرب في اليمن مع النظام المحليّ صارتْ واقعًا الآن، فيدرس الشيخ معنا الآن –ونريد أن نشاوركم ولا بدّ– في كيفية تكييف هذا الواقع مع استراتيجيتنا، وأن نحافظ على خطنا الاستراتيجي –وهو الاشتغال بضرب الرأس– وتفادي أي معارك جانبية يجرنا إليها الأمريكان عبر وكلائهم.

فهل يكون الحل هو الحفاظ على مرحلة توازن –لا حرب ولا سلم– مع النظام، وهذا يعني: عدم

التصعيد مع النظام، بل نبقيه في الحالة المذكورة، وننشغل نحن بضرب الأمريكان، وربما يكون هناك رسائل ضمنية أو حتى صريحة عبر وسطاء مثلًا إلى النظام بأنْ: اتركونا وشأننا نترككم، نحن نريد أن نضرب الأمريكان.

أو هل هناك فرصة لعقد هدنة مع الحكومة المرتدة، ولو بواسطة القبائل وتحت غطائها، على أن نحافظ على الإخوة المجاهدين أحسن حفاظ في أمنٍ، ويكون المقصد -ونفهم جميع شبابنا وقواعدنا ذلك- أن نتفرغ للعمل الخارجي -ضرب الرأس-.

أو غير ذلك من الخيارات..

❖ ولذلك فالانشغال الآن بعمليات في «السعودية» لا يؤيده الشيخ أصلًا، بل يميل إلى منعه؛ فأرجو منكم أن تتأملوا الكلام جيدًا، ولكم فرصة في مناقشة الأمور والمذاكرة معنا هذه المدة، لكن في هذه الأثناء تعتمدون عدم التصعيد وخصوصًا في السعودية، ولا ينبغي للقيادة أن يغلبها الشبابُ (قواعد وأفراد التنظيم)، بل نحن نقود الناس ونرشّدهم ونهديهم بإذن الله، ونجتهد في إصابة الخير ثم عمله بكل قوة وقيامٍ بالممكن، مستعينين بربنا ﷻ متوكلين عليه، حتى يهدينا الله وإياكم عليه لأحسن التصرف، ولله هو المولى وهو ولي التوفيق ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود]، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران].

نحتاج إلى مذاكرتكم، والأمر أمر استراتيجيات؛ فلا يطلع عليه أحدٌ أبدًا، وهو تحت الدراسة والنظر والتدقيق كما أشرتُ -حتى يمكن أن تكتفي بالاطلاع عليه أنت والشيخ «أنور» مثلًا في مرحلة أولى، وعلى كلٍ يتعهد كل مَن يطلع على مثل هذه المناقشات بالأمانة التامة والمحافظة على السرّ-.

والبارحة ونهار اليوم -الأحد ٦ شعبان- نحن نتابع في إذاعة «البي بي سي» أخبار وضع أمريكا اسم الشيخ «أنور العولقي» على قائمة الإرهاب، وتفاعلات الموضوع، ولذلك نطلبُ منكم أمرًا وجَزْمًا أن تحتاطوا كل الاحتياط للشيخ «أنور»، لا بد أن يغير طريقة حياته بشكل كامل، سيركّز عليه أعداءُ الله، فاحذروهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١]، واعلموا أن الحرب الجاسوسية خطيرة جدًا، وقد عانينا منها، والتهاون من المجاهدين هو أحسن بيئة تنمو فيها وتنجح، لا أنجحها الله؛ فاتقوا الله وانتبهوا، لا بد أن يكون للشيخ أمن جيد وتعليمات لكل تحركاته وكيف يظهر ومَن يقابل ومَن يمتنع من مقابلتهم.. إلخ.

ملاحظة: لا تعطِ نسخة من الرسالة لأي أحدٍ بل تكون عندك -وتقرأ من فلاشتك فقط مثلًا- حتى تُعدِمها فيما بعد الاستغناء عنها:

وإليك بعض مقتطفات من رسائل الشيخ إلينا، وهي فقرات متفرقة للفائدة المعجَّلة، وإلا فهي مسوّدات تحتاج إلى ترتيب وتنقيح(١):

۞ [استراتيجية القاعدة، وضرورة المحافظة على خطها الصحيح ألا ينحرف]:

«رسالتي هذه تتضمن مواضيع عدة أهمها موضوع رئيسي لم يستكمل، وإنما هو جهد مساهم مع جهودكم في تطوير العمل الجهادي حيث إن تنظيم القاعدة بعد أكثر من عقدين من الزمان يبدأ مرحلة جديدة مهمة وخطيرة لها ما بعدها فلا بد من تطويره تطويراً يتناسب مع هذه المرحلة في أدبياته وخطاباته وسياساته، وبين يدي التطوير أود تذكيركم بالسياسة العامة للقاعدة في المجال العسكري والإعلامي؛ فقد تميزت القاعدة في تركيزها على العدو الأكبر الخارجي قبل الداخلي وإن كان الأخير أغلظ كفراً إلا أن الأول أوضح كفراً كما أنه أعظم ضرراً في هذه المرحلة؛ فأمريكا هي رأس الكفر فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان كما قال عمر ﷺ للهرمزان عندما استشاره، وقال له: انصح لي فإنك أعلم بأهل فارس؟ قال: نعم إن فارس اليوم رأس وجناحان فقال له: فأين الرأس؟ قال نهاوند ثم ذكر موضع الجناحين، وقال: الرأي عندي يا أمير المؤمنين أنك إن تقطع الجناحين يهن الرأس! فقال عمر: «كذبت يا عدو الله؛ بل أعمد إلى الرأس فأقطعه فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان»(٢).

ورغم أن هذه السياسة واضحة في أذهان الإخوة الكبار إلا أنه ينبغي التذكير بها مكتوبة لجميع الإخوة مع ملاحظة أن هناك أجيالا جديدة من الشباب انضموا إلى مسيرة الجهاد ولم تتم توعيتهم بهذا الأمر مما يؤدي إلى القيام بعمليات فرعية بدلا من التركيز على الأصل كما سمعنا في الأخبار من بعض العمليات على قوى الدولة في مأرب وعتق؛ فعسى أن تكون هناك ضرورة دفعت إليها كالدفاع عن النفس.

وقد سبق أن ضربت مثالا بخصوص توضيح السياسة العامة للقاعدة في التركيز على أمريكا وهو أن أعداء الأمة اليوم كشجرة خبيثة ساقها أمريكي قطره ٥٠ سم وفروعها كثيرة متفاوتة الأحجام منها دول حلف النيتو وكثير من الأنظمة في المنطقة ونحن نريد إسقاط هذه الشجرة بنشرها في حين أن قوتنا وطاقتنا محدودة فطريقنا السليم والفعال لإسقاطها هو بتركيزنا المنشار على أصلها الأمريكي؛ فلو ركزنا في عمق الساق الأمريكي حتى وصلنا إلى عمق ٣٠ سم تقريباً ثم سنحت لنا فرصة تمكننا من النشر في الفرع البريطاني فلا نفعل مع وجود الإمكانية بأن نجعل النشر في الأصل الأمريكي لأن ذلك تشتيت لجهدنا وطاقتنا ولو بقي النشر في عمق الساق الأمريكي إلى أن يسقط سيسقط الباقون بإذن الله.

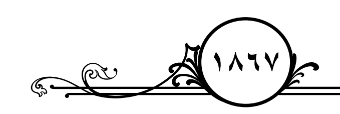
ولكم مثال على ذلك: الآثار التي ترتبت على قطع المجاهدين في أفغانستان لساق شجرة الروس وسقوط فروعها تبعًا لذلك واحداً بعد الآخر؛ من اليمن الجنوبي إلى أوربا الشرقية دون أن نصرف أي جهد على تلك الفروع في ذلك الوقت.

وعليه؛ فكل سهم وكل لغم يمكن أن يتم استهداف الأمريكيين به وهناك غيرهم فينبغي صرفه

---

(١) **تنبيه:** الكلام الذي يُوضع بين «قوسين صغيرين» مع تغيير خطه هو كلام الشيخ أسامة بن لادن ﷺ، وأما ما وُجد بين [الأقواس المعكوفة] بالخط المعتاد فهو من كلام الشيخ عطية الله ﷺ.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ١١٧)، موارد الظمآن (١٧١٢) ضمن قصة طويلة، وحسن إسناده حسين أسد في تخريجه لموارد الظمآن.



نحو الأمريكيين دون غيرهم من حلف النيتو فضلا عمن دونهم.

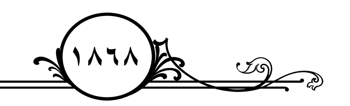
فلو ترصدنا للعدو في الطريق بين قندهار وهلمند ومرت عربات للجيش الأفغاني وأخرى لحلف النيتو وثالثة للأمريكيين فينبغي التركيز عليها وضربها وإن كان عدد الجنود في العربات الأخرى أكبر.

يستثنى من ذلك ما ينبغي استثناؤه كأن تكون قوة من جيش الدولة التي يوجد فيها المجاهدون متوجهة نحو مراكز الإخوة لا في دورية عامة، وبعبارة أخرى: كل عمل للدفاع المباشر عن الجماعة المجاهدة في تلك الدولة ضد القوى المحلية للمحافظة عليها حتى تقوم بمهمتها الأساسية في هذه المرحلة وهي ضرب المصالح الأمريكية فهي تُستثنى من القاعدة العامة.

والمتابع للأحداث يرى أن المرهق والمجهد حقيقة بعملياتنا ورسائلنا هم الأمريكيون وخاصة بعد أحداث الحادي عشر؛ فينبغي زيادة الضغط عليهم إلى أن يحصل توازن في الرعب وتصبح تكلفة الحرب والاحتلال والهيمنة على بلادنا أكبر من فوائدها عليهم، ويصلوا إلى حالة من الإجهاد تدفعهم إلى الرضوخ والانسحاب من بلادنا وإيقاف الدعم عن اليهود.

وينبغي التأكيد على أهمية التوقيت فهو في غاية الأهمية وذلك ما تؤكده الأوضاع والأحوال عبر التاريخ الحاضر فيجب أن نضع نصب أعيننا في هذا الوقت أن ترتيب العمل في قيام الدولة المسلمة يبدأ بإنهاك الكفر العالمي صاحب النفوذ الكبير على دول المنطقة شريان حياتها والداعم الأساسي لها الذي يملك قوة كبيرة مكنته من إسقاط «الإمارة الإسلامية في أفغانستان» و«دولة العراق» برغم أنه تم استنزافه بصورة كبيرة؛ لكنه ما زال لديه قوة لإسقاط حكومة أي دولة إسلامية تقوم في المنطقة في هذا الوقت، لذا ينبغي المواصلة والاستمرار في استنزافه وإرهاقه ليصل إلى حالة ضعف لا تمكنه من إسقاط أي دولة نقيمها، وعندها يتم مراعاة ضرورة العمل على جمع وتوحيد كل من يمكن توحيده من الجهود والطاقات المسلمة التي قعدت عن الجهاد بعذر أو بغير عذر ثم يكون الشروع بالبدء في إقامة الدولة المسلمة بإذن الله، وإن استدعى الأمر تأخير ذلك سنة أو أكثر فلا بأس.

وتعلمون أن كثيراً من الجماعات المجاهدة التي أصرت على البدء بالعدو الداخلي قد تعثرت مسيرتها ولم تحقق أهدافها؛ كالإخوان المسلمين في سوريا، وما وقع من مصائب وخاصة في حماة مما أصاب الناس بصدمة ما زالت آثارها موجودة رغم مضي ما يقارب ثلاثة عقود، وكذلك في محاولة الجماعة الإسلامية في مصر، وجماعة الجهاد، وكذلك حال الإخوة في ليبيا، وفي الجزائر، ومثل ذلك في جزيرة العرب؛ رغم أن العمل كان على بعض المراكز الأمريكية وليس لإسقاط الدولة وقد حقق فوائد من أهمها: إخراج قواعدهم الكبرى من بلاد الحرمين، وكذلك توعية الناس بعقيدة الولاء والبراء، وانتشار روح الجهاد بين الشباب، ثم ما لبث العمل العسكري أن تعثر للأسباب السابق ذكرها، بينما حركات المقاومة ضد العدو الأجنبي المحتل حققت نجاحات كبيرة خلال القرن الماضي في العالم الإسلامي، وكان من آخرها في أفغانستان، ومن أسباب النجاح وجود أحد أهم عناصر النجاح وهو العنصر المحفز للعامة؛ أعني وجود احتلال الروس الكفار الأجانب مما يوفر تعاطفا شعبيًّا أكبر وهو أمر مهم جداً؛ فالشعب للحركة كالماء للسمكة فأي حركة تفقد التعاطف الشعبي تضعف قوة الدفع لديها باستمرار إلى أن تتلاشى الحركة أو تكمن، وكذا الحال في غزة التف معظم الشعب حول رايات المقاومة الإسلامية ضد عدو خارجي وهم لا يعلمون بأخطاء حامليها، وكذا الحال في العراق دخل العدو الخارجي غازيًا للبلاد وأخطأ خطئًا فادحًا لجهله بالمنطقة وطبيعة أهلها فأثار القبائل وألبها مما أدى إلى تعاطف الشعب مع المجاهدين ومدهم بعشرات الألوف من أبنائه للجهاد ضد الأمريكيين؛ إلى أن حصلت بعض الأخطاء كان من أكبرها



ضرب بعض أبناء قبائل الأنبار في غير حالة الدفاع المباشر عن النفس -كأن يكونوا متوجهين إلى الإخوة لقتالهم-، وإنما كانوا في تجمع للاكتتاب في قوى الأمن مما ألهب مشاعر القبائل ضد المجاهدين، وانتفضوا عليهم، وتعلمون أن قتل رجل واحد من قبيلة كفيل باستثارتها في تلك الظروف؛ فكيف بقتل المئات.

و هناك مسألة مهمة يجب فقهها؛ فمقصد الشريعة هو جعل كلمة الله هي العليا.. فواجبنا أن نسعى لما سيحقق هذا الأمر في مآله مع مراعاة الضوابط الشرعية في تقدير المصالح والمفاسد، ومعلوم أن هؤلاء اكتتبوا في القوى العسكرية، وعندما يؤمرون بالحضور سينفذون ولكن ينبغي ملاحظة أنهم لا يمتلكون عقيدة قتالية وإنما اكتتبوا للإغراءات المادية، وبالتالي فهم غير مستعدين للتضحية بأنفسهم من أجل أمريكا ولن يندفعوا بشجاعة لقتل أبناء عمومتهم ولو قتل منهم أحداً أثناء هجومهم علينا فرد الفعل سيكون ضعيفاً؛ بينما قتلهم عند الاكتتاب بأعداد كبيرة يولد صدمة على كل القبائل ويستثيرهم ضدنا» اهـ.

❁ [أيضًا: استراتيجية القاعدة، وضرورة المحافظة على خطها الصحيح ألا ينحرف]:

«أبدأ رسالتي هذه بالتأكيد على ضرورة أن يكون هدفنا الأساس في حربنا مع أمريكا واضحًا نصب أعيننا؛ حتى لا نتجه تدريجيًا بعيدًا عن هدفنا في خضم التفاعل مع الأفعال وردودها بيننا وبين خصومنا.

إن مرادنا هو ما لخص في القَسَم بعد الحادي عشر: أن تكف أمريكا شرها عنا كدعم اليهود وتترك المسلمين وشأنهم ليتيسر لنا إقامة دولة الإسلام حقا.

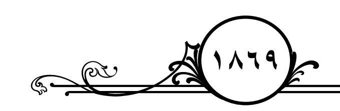
ولا يخفى عليكم أن للقتال عند المسلمين غايات كثيرة والغاية العظمى أن يكون الدين كله لله كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ [الأنفال]. ومن الغايات أن ينتهي الكفار عن الاعتداء على الإسلام وأهله كما في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة].

فنحن نريد قتالاً يجبر العدو على إنهاء اعتدائه وقتاله لنا، ويتحقق هذا بقوة وسرعة بإذن الله بالتركيز على أئمة الكفر، وأئمة الكفر اليوم هم أمريكا، ومعلوم أن السيادة والسلطة العليا في أمريكا هي للشعب وهو صاحب القرار الأول ويمثله مجلس النواب والبيت الأبيض؛ فينبغي تركيز القتل والقتال على الشعب الأمريكي وممثليه.

وإن قتال الأمريكيين وحلفائهم في أفغانستان واجب وفرض عين لإخراجهم مهزومين بإذن الله؛ رغم أنه يأخذ منا جهداً ووقتاً طويلاً، إلا أن الآكد في حقنا هو إيقاف هذه الحرب من مصدرها الرئيسي بالقوى القادرة على إيقافها بأسرع وقت، وهي كما ذكرتُ: الشعب الأمريكي.

وعليه؛ فينبغي أن نضع غرفة قيادة عمليات العدو لحربنا وهي إدارة البيت الأبيض والكونجرس والبنتجون تحت الضغط المباشر، وذلك باستخدام معادلة توازن الرعب بيننا وبينهم، وهذا يتم بالتأثير على الشعب الأمريكي كله أو معظمه بشكل مباشر بعمليات داخل أمريكا تفقده أمنه، وبالتأثير على اقتصاده أيضًا وذلك باستهداف النفط في الخارج وخاصة في الدول المصدرة لأمريكا، وعندها يتم التأثير على دخل المواطن الأمريكي بارتفاع فاتورة معاشه وخاصة وقوده.

يرافق ذلك حملة إعلامية كبيرة مركزة منا يكون جزء منها عبر وسائل الإعلام الأمريكية إن تيسر، رابطين هذه العمليات بفقدان الأمن في بلادنا ولا سيما في فلسطين والعراق وأفغانستان



وباكستان والصومال؛ كالقول: لن تحلم أمريكا بالأمن حتى نعيشه واقعًا في فلسطين.

ولا يخفى عليكم أن من الأمور المهمة جدًا عند وجود النزاع بين طرفين أن يكون كل واحد منهما مطلعًا على ثقافة خصمه وتاريخه وكيفية تفكيره ونقاط ضعفه وقوته؛ فإن هذا مما يعينه على اتخاذ القرارات الأصوب بعد عون الله ﷻ له.

ولقد ظهر من خلال المتابعة لتصريحات ساسة الأمريكيين والاطلاع على تطور الصراع وواقع الحرب بيننا وبينهم فضلًا عن حروبهم السابقة؛ إلى أن ضرب أمريكا في عقر دارها له الأهمية القصوى وفي المرتبة الأولى، وهو السبيل الأساسي الموصل لما نريد؛ فتأثر الأمريكيين من ضربهم داخل أمريكا لا يقارن بضربهم خارجها، فضلا عن ضرب حلفائهم ووكلائهم.

فبتأملنا لبعض تاريخ أمريكا نجد أنها رغم خوضها قرابة ستين حربًا منذ نشوئها؛ فإن القاسم المشترك لبعض هذه الحروب هو أنها لم يكن العمل العسكري من خصومهم في الخارج هو العامل الرئيس في حسمها، وإنما حسمت عندما ازداد الغضب الشعبي والمعارضة الداخلية لها؛ فعلى سبيل المثال: حربهم في فيتنام قتل فيها ٥٧٠٠٠ جندي أمريكي ولم تحسم الحرب بهذا العدد الهائل من القتلى، وإنما اضطروا للانسحاب عندما أخطأ رئيسهم نيكسون وأمر بالتجنيد الإجباري لمواصلة الحرب مما جعل القضية تمس أمن كل فرد أمريكي وعندها ثار الشعب ولا سيما طلاب الجامعات بمظاهرات حاشدة ضد الحرب والحكومة مما اضطرها للانسحاب.

ولا يخفى عليكم أن سياستهم الحالية لمعالجة نقص الجنود هي بالإغراءات المالية الهائلة من دون إكراه لتلافي خطأ نيكسون.

ومعلوم لديكم أن عدد سكان أمريكا ٣٠٠ مليون، قتل منهم في أفغانستان حوالي ١٠٠٠ جندي خلال ثمان سنين، وفي العراق حوالي ٤٠٠٠ جندي؛ هذا يعني أن الضرر قد أصاب فئة يسيرة منهم لا تكفي لإثارتهم وتحركهم لإرغام الساسة على وقف الحرب.

وبعملية حسابية بسيطة: إذا قسمنا عدد قتلى أمريكا في أفغانستان على عدد سكانها فستكون نسبة عدد القتلى من الشعب الأمريكي في أفغانستان ثلاثة فاصلة ثلاثة في المليون وهي نسبة ضئيلة جدًا لا تُذكر، بينما نسبة عدد قتلاهم في فيتنام ثلاثمئة وثمانين في المليون؛ حيث كان عدد سكان أمريكا وقتها مئة وخمسين مليونًا.

أي أن أمامنا أكثر من مائة ضعف حتى يكون عدد قتلاهم في أفغانستان كعدد قتلاهم في فيتنام، ومع ذلك لم تحسم الحرب هناك بسبب هذا العدد الكبير من القتلى.

وبذا يتضح أن النسب الضئيلة في مصائب الأمم والتي لا تذكر لا تؤثر عادة في مثل قضايا الشعوب وغضبها وثورتها وتستطيع التعايش معها وتحملها، وهذا يُظهر أن الطريق أمامنا طويل جدًا لكسب المعركة في أفغانستان إذا كان الأمر متوقفًا على عدد قتلى الخصوم فقط.

إلا أن هناك عناصر أخرى مؤثرة في وقف الحرب منها ارتفاع عدد العاطلين عن العمل في أمريكا بعد الحادي عشر وحربي العراق وأفغانستان إلى نسبة عشرة في المئة من القوى العاملة هناك، وهو ما يقدر بعشرة ملايين عاطل وهو رقم كبير جدًا إذا ما قيس إليه عدد قتلاهم في أفغانستان؛ حيث تصل النسبة إلى واحد في كل عشرة آلاف.

وهؤلاء العاطلون يعلمون أن جزءًا من الضرر الذي لحق بهم كان بسبب الإنفاق الهائل على الحربين في العراق وأفغانستان، والجزء الآخر بسبب الجشع والفساد المالي والإداري في نيويورك وواشنطن.

وهذا العدد الكبير من الناس لم يستطع بعد أن يحسم في إيقاف مصادر تلك الأضرار وإنما ساهم مع الآخرين في إسقاط إدارة الجمهوريين التي تسببت بتلك المصائب، ورشحوا الديمقراطيين

للكونجرس والرئاسة، ومع ذلك لم تتغير الأمور كثيرًا.

فإذا كان عشرة ملايين عاطل عن العمل لم يستطيعوا أن يحسموا الأمور لدفع الضرر عنهم بشكل جذري؛ فمن باب أولى أن لا يحسم الحرب الضرر الواقع عليهم بقتل ألف جندي في أفغانستان.

وبذا تتأكد أهمية العمل الخارجي ولا سيما داخل أمريكا للضغط على ثلاثمائة مليون أمريكي حتى يتحرك الشعب ككل لإيقاف الحروب الظالمة الضاغطة على شعوب المسلمين، ولا سيما في فلسطين والعراق وأفغانستان وباكستان.

ومما يؤكد هذا المعنى، أثر الرعب الذي أصابهم برجل واحد أعني عملية «عمر الفاروق» فرج الله عنه رغم أن الطائرة لم تنفجر؛ فقد اعتمدوا لاتخاذ احتياطات أمنية قرابة أربعين مليار دولار تكاليف مباشرة وغير مباشرة وهو أضعاف ما كانت تنفقه الإدارة على الحرب في كل سنة من السنوات الأولى لها في أفغانستان.

فالمصائب العامة كقتلى حوادث السيارات وموتى أضرار التدخين حيث يبلغ عددهم أربعمائة ألف (٤٠٠٠٠٠) شخص وهو عدد ضخم أمام عدد قتلى الحرب في العراق وأفغانستان؛ إلا أنهم لم يخرجوا بمظاهرات حاشدة لإغلاق شركات الدخان، وكذلك الحال بالنسبة للأمراض الوبائية والحروب وغيرها؛ فعندما تكون نسبة الضرر على الشعب ضئيلة كثلاثة في الألف مثلا؛ تستطيع الأمم والشعوب أن تتعايش معها، فكيف ونحن نتحدث عن نسبة ثلاثة فاصلة ثلاثة في المليون.. فمن باب أولى أن يتعايش معها الشعب الأمريكي لعقود طويلة جدًا.

فإن عرفنا نقطة ضعف خصمنا أدركنا أنه طالما أننا نريد تحقيق هدفنا الأساس؛ فيجب أن تكون عملياتنا تصب بشكل مباشر في الضغط على العصب الأمني والاقتصادي للشعب الأمريكي، فمنذ أن أسست أمريكا لم تضرب في عقر دارها حتى بيرل هاربر، كانت في جزيرة في المحيط تبعد أكثر من ألف ميل عن أمريكا؛ فهم قد توارثوا الأمن وأن لا يتجرأ أحد عليهم في عقر دارهم؛ فحسهم الأمني مرهف جدًا تجاه العمليات العسكرية داخل بلادهم، ولذلك يسهل تضخيم الأمر في حسهم، مما يؤدي إلى غضبهم وثورتهم على ساستهم والتحرك لإيقاف الأسباب التي دعت إلى فقدهم لأمنهم.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن من الأسباب الرئيسة لعدم تحقيق أي نجاح في قضية فلسطين منذ أكثر من ستة عقود أن الداعم الرئيس لليهود «أمريكا» لم يتعرض لأي ضغط يؤثر عليه داخليًّا، وبالتالي لم يشعر الشعب الأمريكي بمعاناة أهلنا في فلسطين عامة وغزة خاصة.

وإن مثال الحال في فلسطين كوجود سفينة في البحر الأبيض لديها رافعة عملاقة أدلت بحبالها فيلا ضخمًا داخل فناء دارنا الضيق؛ فهدم جدران الدار وآذى أهله؛ فقاموا يضربونه بالعصي منذ أكثر من ستين سنة ليخرجوه من دارنا ولكن دون جدوى، ومعلوم أن العصي لا تؤثر في الفيل.

والصواب أنهم كانوا وما زالوا بحاجة إلى أن يضربوا السفينة التي تمسك بحباله لترفعه عنهم وهذه السفينة هي أمريكا.

وإن الذين يقولون: لا بد من حصر الضرب على الفيل فقط وألا تخرج المقاومة خارج الدار؛ هؤلاء يرفضون سلوك الطريق الأسلم والأقرب لتحرير الدار من هذا الفيل.

وكذلك من تدبر حال شعوب المنطقة يراها تعيش في معاناة عظيمة على أيدي حكامها وكلاء أمريكا، وأن مفتاح الحل يبدأ أيضًا من أمريكا بضربها؛ للتخلي عن هؤلاء الحكام وترك المسلمين وشأنهم.

فعلى سبيل المثال: إن قويت شوكة المجاهدين في مصر بما يفوق قوة النظام القائم وأرادوا

إسقاطه وإقامة شرع الله حقًا؛ فإنه لا يخفى على العقلاء أن أمريكا ستسارع لنجدته ابتداءً بالقوى المرابطة في البحر الأبيض الأسطول السادس الأمريكي.

وإن كل التدريبات والمناورات المشتركة بين الجيش الأمريكي والمصري المسماة بمناورات «النجم الساطع» ليس المقصود منها الهجوم على ليبيا أو الإسرائيليين قطعًا، وإنما المقصود منها هو إسقاط أي حكم إسلامي يقوم في مصر معارضًا للحكومة الموالية لأمريكا.

فإن لم يدفع الشعب الأمريكي ثمن الظلم والعدوان على أهلنا سيستمر الدعم لليهود وللحكام الظلمة وستبقى قضايانا بلا حل لعقود طويلة.

وخلاصة القول:

إن من أهم أعمال «التنظيم» القيام بالعمليات التي تمس بشكل مباشر أمن واقتصاد الشعب الأمريكي ككل؛ فالعمليات داخل أمريكا واستهداف النفط في الخارج ولا سيما الدول المصدرة لها من أقوى وأسرع ما يؤثر على الشعب ويجعله يشكل الضغط على الساسة.

فإن كان عندنا إمكانيات بشرية ومالية كافية لتنفيذ السياسة السابق ذكرها وفاض منها شيء؛ فعندها يتم توجيه الطاقات لضرب الأمريكيين في الخارج.

ومما لا يخفى أنه سيكون لدى التنظيم عدد كبير من المجاهدين للعمل ضد أمريكا في الجبهات المفتوحة نظرًا لدقة المواصفات المطلوبة فِيمن سيكون في «قسم العمل الخارجي»، وأما من لا تتيح له ظروفه الأمنية السفر عبر المطارات وهو من الطاقات التي توفرت فيها الصفات المطلوبة لقسم العمل الخارجي؛ فيكون ممن يخطط أو يدرب الإخوة الذين سيكونون في هذا القسم.

وإن مثَل صراع العالم الإسلامي مع أمريكا كمثل سد كبير أمامه على ضفتي النهر قرى طينية كثيرة، فذهب إليه بعض الظالمين وفتحوا بوابات منه ما كان ينبغي لها أن تفتح؛ ففاض ماؤه الهائل على القرى التي أمامه فهدم البيوت وتضرر الناس واستنفروا وهب منهم رجال شجعان لإنقاذ الشيوخ والنساء والأطفال في عمل دؤوب ليل نهار مخاطرين بأنفسهم لإنقاذهم وتأمين حياتهم، إلا أنهم كانوا بحاجة إلى فكرة مهمة وجوهرية تستدعي جهدًا أقل مما بذلوه لترفع عنهم المعاناة العظيمة المستديمة وتوفرلهم طاقاتهم، وهي أن يذهب بعض فرسانهم إلى الذين فتحوا بوابات السد وأنزلوا أنواع العناء بالناس فيعاقبوهم ويبعدوهم عنه ويعيدوا إغلاقه، وبذلك تنتهي معاناتهم العظيمة.

فهذا هو حالنا؛ فاستمرار الأعمال المؤثرة على الشعب الأمريكي وضغطه على أصحاب القرار في أمريكا والبيت الأبيض والكونجرس والبنتاجون؛ هو الذي سيغلق بوابات السد بإذن الله.

وبذلك نكون قد اختصرنا الجهد والوقت على الأمة حتى يتحقق المراد من كف أمريكا عن دعمها لإسرائيل وإخراج جيوشها من بلاد المسلمين وتركهم وشأنهم مع أعدائهم» اهـ.

۞ [شأن القبائل وعصبيتها وثاراتها، وكيف ينبغي التعامل معها]:

«كما لا يخفى مدى عمق التعصب والثأر عند العرب، وكم للدماء من آثار على الخواص فضلا عن العوام؛ فقد كان معنا بعض الإخوة المجاهدين الملتزمين إذا رجعوا إلى اليمن وثارت حرب جاهلية قبلية بين قبيلتهم وقبيلة أخرى؛ فكان بعضهم ينخرطون فيها ولا يستطيعون أن ينفكوا من عادة الثأر للدماء، وإن الضغط الأمريكي على الحكومة اليمنية جعلها تخطئ في التعامل مع القبائل بقصف أبناء القبائل في المحفد وشبوة، واستمرار الضغوط يجعلها مهيأة لأخطاء أكبر تؤدي إلى تألب بعض القبائل ضدها، وإن أحسن المجاهدون التعامل مع القبائل فسيكون غالب انحياز القبائل إليهم؛ فالمجتمعات القبلية أثر الدماء فيها عظيم وتذكرون قول أبي حذيفة رضي الله عنه يوم بدر لما بلغه أمر رسول الله ﷺ بالنهي عن قتل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: «أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا

وعشرتنا ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لألحمنه السيف»[١].

وقول الصحابي ﷺ عبد الله ابن عبد الله ابن أبيّ ابن سلول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله ابن أبي فيما بلغك عنه، إن كنت لا بد فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر بهِ غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل رجلا مؤمنًا بكافر فأدخل النار، فقال له رسول الله ﷺ: (**بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**)[٢]، وقول رسول الله ﷺ لعمر ﷺ عندما تولى قوم ابن أُبَيٍّ مجازاته إذا أحدث (**كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأرعدت له آنفٌ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته**)[٣]، وهنا فلا يخفى على أحد أن الذين يقاتلون تحت راية الأمريكان ضد المسلمين يجب قتالهم، وإنما الخلاف في التوقيت وهذا يمكن فهمه من قوله ﷺ: (**أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله..**).

فالوقت لإقامة الدولة المسلمة يقترب بخطى سريعة وهو في صالحنا لانتشار الفكر الجهادي وخاصة بين الشباب والأجيال الصاعدة مقارنة بالجماعات والحركات الإسلامية الأخرى فكلها لا تملأ الفراغ الذي يعيشه أبناء الأمة باستثناء الفكر السلفي الجهادي المتفاعل مع قضايا الأمة» اهـ.

۞ [خصوص الكلام على اليمن]:

«وهنا أطلب مشورتكم في موضوع اليمن؛ فلا شك أنكم تتابعون التطورات السريعة في اليمن من قبل طائرة «عمر الفاروق» فرج الله عنه ومن بعد؛ فقد ظهر الإخوة مرارًا بأسلحتهم في تجمعات كبيرة أمام الإعلام العالمي.

كما ذكر سنتر أمريكي كان مع جون مكين في جولته في العراق أن أحد الأمريكيين في اليمن قال له قبل سنة: «إن حرب العراق هي حرب الأمس وحرب أفغانستان هي حرب اليوم وإن حرب الغد هي حرب اليمن إذا لم تتحركوا بسرعة»، ولقد راسلت الإخوة قبل سنتين تقريبًا وقلت لهم: إن إمكانياتنا المالية والإدارية لا تسمح بفتح جبهة اليمن ردًا على طلبهم مساعدات لفتح جبهة هناك؛ إلا أن الأمور سارعت تجاه التصعيد.

وذكروا في رسائل سابقة قبل سنة ونيف أن وضع الحكومة ضعيف جدًا وأن هناك ضغطًا عليهم من الشباب والقبائل للتحرك.

ولا يخفى عليكم أن تحسس الكفر العالمي والمحلي من المجاهدين في أفغانستان لا يقارن بتحسسهم وحذرهم منا عندما نكون في قلب جزيرة العرب؛ حيث الكعبة المشرفة، وأكبر مخزون نفطي في العالم كما تعلمون، أضف إلى ذلك أن أهلنا وعشائرنا هناك.

وأحسب أن التحالف الصليبي ومن لحق بهم من المرتدين رغم ضعفه واستنزافه عسكريًا واقتصاديًا في العراق وأفغانستان، واستنزافه سياسيًا أيضًا في فلسطين والسودان وإيران والصومال؛ فإنه سيحاول أن يستجمع ما تبقى من قواه لمنازلة المجاهدين في اليمن؛ فهم وحلفاؤهم غير مهيئين

---

(١) قائل ذلك: أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة القرشي العَبْشَمِي كان من فضلاء الصحابة من المهاجرين الأولين شهد المشاهد كلها وقتل يوم اليمامة. وانظر في هذه القصة: تاريخ الطبري (٢/ ٤٥٠)، البداية والنهاية (٥/ ١٢٨)، وضعف إسناده علوي السقاف.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٦ / ١٨٨).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٦٠٨)، البداية والنهاية (٦ / ١٨٨)، وحسنه لغيره «العلي» في: صحيح السيرة النبوية (ص ٢٥٤).

بعد لقبول دولة إسلامية وخاصة في جزيرة العرب، ومع ذلك فهم لا يملكون من القوة والإرادة والموارد المالية والبشرية والدعم السياسي والشعبي ما يكفي لخوض حرب لسنوات طويلة دون قيام دولة الإسلام؛ فينبغي تقليب الأمر والنظر إليه من جميع وجوهه.

مع ملاحظة ما يلي:

١- أن الشعب اليمني هو التكتل البشري الأكبر في جزيرة العرب ويبلغ تعداده أكثر من عشرين مليون سدسهم تقريبًا في الجنوب.

٢- إن الشعب اليمني لم يتعرض للاحتلال الصليبي خلال القرون الماضية باستثناء مناطق محدودة في الجنوب وأهمها مدينة عدن.

٣- حكومة اليمن ضعيفة وسلطانها داخل المدن وأما الأرياف فالسلطان لشيوخ القبائل.

٤- عدد قطع السلاح في اليمن أكثر من ضعفي عدد الشعب، وهَمُّ الفتيان الأول إذا بلغوا الحلم أن يقتنوا الكلاشنكوف.

٥- الشعب اليمني متمرس وجريء على القتال.

٦- نسبة الفقر تتراوح بين ٣٠ إلى ٤٠ ٪.

٧- أهل الجنوب لديهم مظالم كثيرة ضد الحكومة ويشعرون بالأثرة، وقد تعصبوا فيما بينهم ضد علي عبد الله صالح، ومظاهراتهم شبه يومية، وأبرز وجوه الحراك الجنوبي في الميدان الشيخ طارق ابن السلطان ناصر الفضلي؛ فهو شيخ مشايخ عشائر محافظة أبين، وهي إحدى المحافظات الست للجنوب وهي: عدن، لحج، أبين، شبوة، حضرموت، المهرة، مع ملاحظة أن المهرة منطقة صحراوية عدد سكانها قليل جداً قد يصل إلى خمسين ألف نسمة.

محافظة عدن: تشمل مدينة عدن وبعض الضواحي المجاورة.

محافظة لحج: صغيرة من حيث المساحة كثافتها البشرية جيدة تضاريسها الجبلية وعرة وأهلها أهل قتال، وكانت هي المدد الرئيسي لأحد جناحي الحزب الاشتراكي في السابق.

محافظة أبين: أكبر من لحج، كثافتها البشرية جيدة قبائل مقاتلة ترابطها جيد مع الشيخ طارق الفضلي والصحوة فيها جيدة، وللمجاهدين فيها نفوذ كبير مع العلم أن الشيخ طارق الفضلي كان من إخواننا المجاهدين في أفغانستان أيام جلال أباد، وعلاقته بنا قوية والحكومة تصنفه على أن جذوره قاعدية.

محافظة شبوة: كثافتها جيدة ومساحتها كبيرة، وقبائلها مقاتلة مشهورة بشدة البأس؛ من أشهرهم قبيلة العوالق وقبيلة الباكازم، كما أن الصحوة الجهادية فيها جيدة وبعض شيوخ القبائل مبايعين مع القاعدة.

محافظة حضرموت: الصحوة فيها ممتازة والكثافة جيدة، والقبائل من حضرموت الساحل غير ميالة للسرعة في اتخاذ قرار القتال، يشتغلون بالتجارة، وقبائل حضرموت الداخل قبائل مقاتلة من أبرزهم نهد والصيعر، ولكنهم أيضًا يتسمون بالحذر والتريث في أمور القتال.

محافظة المهرة: محافظة نائية ومنسية، الحضر فيها قليل جداً.

في فترة أوائل الستينات نشب صراع بين عبد الناصر والنظام السعودي على أرض اليمن، وكانت قبيلة حاشد مع الجمهوريين وقبيلة بكيل مع الملكيين، واشتهر في تلك المرحلة شراء الذمم واستفادت القبائل من إغداق المال والسلاح عليها، ثم في منتصف السبعينات ظهرت الصحوة بشكل جيد في اليمن وكان للإخوان دور بارز في ذلك، ثم في أوائل الثمانينات ظهرت الصحوة الجهادية واستمرت في النمو وكان المجاهدون من اليمن يشكلون في بعض الأوقات العدد الأكبر من عامة المجاهدين العرب، والمقصود أن جيلا جديداً في اليمن يغلب عليه الالتزام والتمسك بتعاليم الإسلام،

وأن كثيرًا من القبائل أصبح شيوخها من الملتزمين ولكن مع ذلك في اليمن طبع قديم متوارث لدى القبائل؛ فبرغم كونها مقاتلة إلا أنها ترغب في أن يكون لها سند وظهير من قوة معنوية ومادية؛ فأحسب أنه من الصعوبة أن تتحرك القبائل الكبرى في هذه الظروف بدون وجود دعم مالي ومعنوي قوي؛ فمعظم شيوخ القبائل الكبرى في اليمن بيني وبينهم عهود ومواثيق، ولكن نتيجة للبعد الزمني والجغرافي ولعدم توفر إمكانيات مالية كافية لهذا الأمر ومع دخول عناصر جديدة دولية وإقليمية في حلبة الصراع؛ فأحسب أن شيوخ القبائل الكبرى سيقفون على الحياد ويكتفون بالدعاء لنا دون أن تكون سيوفهم معنا، لكن هذا لا يعني أن يصادروا حرية جميع أفراد القبيلة، فإذا وصلت الأمور إلى درجة الاشتعال فسيقفون معنا بإذن الله.. والقبائل اليوم تحتضن الإخوة، وهي تحتضنهم منذ بضع سنوات، ورغم ضغوط الدولة عليهم لكي يسلموا الإخوة رفضوا ذلك، ومن الأمثلة على ذلك أنهم رفضوا تسليم أمير التنظيم الشيخ أبو علي الحارثي وإخوانه وعجزت الدولة عن أخذه منهم، وأخيرًا تدخل الأمريكيون وقصفوا سيارته في وادي عبيدة بالطائرة وقتل عليه رحمة الله.

ملاحظة: العلماء الرسميون وشبه الرسميين هم ضد القاعدة، والإخوان كما لا يخفى عليكم ضد القاعدة، ومن المتوقع أنه إذا قويت شوكة الإخوة بشكل كبير في اليمن؛ فإن النظام السعودي سيتجاوز الدعم المالي لحكومة صنعاء إلى الدعم العسكري خاصة عبر الطيران.

يظهر أن الإخوة في اليمن متحمسون جدًا لمواصلة التصعيد والقتال؛ فينبغي التواصل معهم وطلب تقرير مفصل عن الأوضاع هناك.

فأمامنا وضع مهم وخطير جدًا شائك ومتشابك ينبغي التعامل معه بانتباه شديد ودقة؛ فترك الأمر أو تهدئته قد يعني تضييع فرصة كبيرة جدًا لنصرة الإسلام، والدخول فيه بغير معرفة كافية وإمكانيات مناسبة قد يعني إدخال المنطقة في أحداث عظام قد يترتب عليها خسارة كبيرة.

فهذه بعض أخبار اليمن بين يديكم للتفكير فيها وإثرائها والتشاور فيها وأنا بانتظار مشورتكم.

ملاحظة: في إحدى إصدارات الإخوة في اليمن ذكر عن أحد المنفذين للعملية على السفارة الأمريكية أنه هو مهندس العملية؛ فأرجو التنبيه على أن يكون المخطط للعملية أخًا يتمتع بفطنة جيدة وخبرات واسعة، ويتم انتقاء طاقم الاستطلاع والتخطيط والاحتفاظ به حتى تتراكم عنده الخبرات» اهـ.

۞ [في العمل الخارجي]:

«أرجو إعداد رسالة بخصوص العمل الجهادي يتم إرسالها إلى جميع الإخوة في الأقاليم تتضمن بعض الأسس المهمة لنجاح العمل.

كأن لا يرسل في العمليات الفدائية أخ واحد للقيام بها؛ فإنه خطأ فادح، وإنما يكونون اثنين أو ثلاثة، وتذكرون أن من أسباب ضعف أثر عملية تنزانيا أن أخانا أحمد عبد الله ﷺ كان لوحده في الشاحنة؛ بخلاف عملية عزام ﷺ حيث إنه أصر على وجود مرافق معه حتى ظن الشيخ أبو محمد أنه متردد، ثم تبين له خلاف ذلك، وإنما الأخ في مثل ذلك الظرف يكون بحاجة ماسة إلى أخ يعضده نفسيًا، وللإخوة عبرة في طائرة أخينا عبد الجبار -فرج الله عنه- حيث تعثرت عمليته، وقال الركاب أنه كان قلقًا قبل محاولة إشعال العبوة، وينبغي أن تنشر هذه المعلومة في الإنترنت بتفصيل، وتبين أن إرسال أخ واحد ربما يعثر العملية وأنه أمر مجرب.

ضرورة أن يكون الأخ الذي بجانب المفجر في الطائرات وما شابه قوي البنية ومتدربًا على الجودو وغيره مما يلزم ومعه جريدة كبيرة يغطي بها أخاه عندما يمارس التفجير وعلى أن تكون

الجريدة في حقيبته قبل دخول الطائرة وعدم الاعتماد على ما يوزع في الطائرة.

أفضل وقت للتفجير هو وقت الاسترخاء الشديد من اثنين إلى أربعة ليلا.

الأصل أن يتم استيعاب الكراسي الثلاثة لما في ذلك من البعد عن الناس وتوفير النجاح للعملية.

أن يكون الإخوة القائمون بالعملية ليس في أشكالهم ما يلفت النظر فيكونوا من الغرب أو متشابهين بهم -قدر الإمكان-.

نحتاج إلى مسألة في غاية الأهمية وهي تجنيد شباب في أول التزامه، ونبعده عن الوسط الملتزم؛ بحيث لا يكون عليه أي معلومات أمنية، وتتم توعيته بأنه ثمة مخبرين داخل الوسط الملتزم، وأن مهمته ليست الدعوة إلى الجهاد أو إظهار آرائه بين الناس، وإنما هي القيام بالعمليات الجهادية.

عدم الإكثار من العمليات في الحين الواحد والحرص على إتقان عملية واحدة ونجاحها هو المطلوب؛ فكل ما كثرت العمليات وعناصرها كل ما ازدادت نسبة وقوع الخلل ومشاركة أشخاص مراقبين في العملية كما حصل في عملية الطائرات في بريطانيا العام الماضي؛ حيث إن المراد والأثر المطلوب لتوازن الرعب بين الطرفين كان يمكن أن يتم بطائرة واحدة فقط، ونسبة النجاح بإذن الله تكون أكبر بكثير من اشتراك عدة طائرات في وقت واحد، ويتم التأكد والتأكيد على الإخوة الذين سيقومون بأعمال فدائية أن يفقهوا أهمية الإتقان في العمل وخاصة في هذا المجال ويذكروا بحديث رسول الله ﷺ (**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**)[1]، وأرجو أن تتحروا وتعلموني ماهية طبيعة الخلل الفني الذي وقع في عملية أخينا عمر الفاروق -فرج الله عنه-، مع العلم أنه ينبغي أن يكون الأخ المنفذ قد قام بتفجير العبوة أثناء التدريب عدة مرات على جسم مشابه إلى حد ما لجسم الطائرة، إلى أن يصل إلى درجة اليقين بأن العبوة ستشتعل وأن نوعها وكميتها كافية للمهمة المطلوبة».

۞ [في السياسة الإعلامية]:

«أرجو أن تتشاوروا على أن تكون ضمن رسائلنا الإعلامية بشكل ثابت تقريبا هو أن نركز على أن أصل القضية هي ظلم الأمريكيين وحلفائهم لنا في فلسطين؛ فإن بدا لكم أن هذا الأمر جيد فأرجو أن تعمموا الأمر على الإخوة في الأقاليم، وعلى سبيل المثال رسالة إخواننا من اليمن تعقيبًا على عملية طائرة الفاروق -فرج الله عنه- لم تكن هي الأنسب؛ فقصف الأمريكيين لليمن هي مسألة متفرعة عن قتالنا وضربنا لهم يوم الحادي عشر لسبب فلسطين، وغالبية الشعب الأمريكي لا يعرفون اليمن فضلا عن أن يعرفوا أنها قد قصفت؛ فحادث الطائرة حادث كبير جداً جداً وتداعياته ستستمر لفترة طويلة بإذن الله، وهو لم يمس الشعب الأمريكي كله فحسب بل أيضًا الشعوب الأوربية المتحالفة معه؛ فكانت فرصة عظيمة لتنبيه وتحذير تلك الشعوب أن سبب العملية هو دعمكم لليهود في فلسطين، وليس كما قيل أنه رد على القصف الأمريكي لليمن؛ فهذا على أهميته سيحل بالتبع بإذن الله بعد أن نحقق الانتصار في فلسطين، حيث إنَّ تخلي الغرب عن الإسرائيليين في فلسطين هو تحول جذري في سياساتهم المتسلطة على بلادنا مما يعني حلحلة قضايانا الرئيسية الأخرى المتأثرة بتلك السياسات العدوانية، وكذلك رسالة أخينا همام البلوي رحمه الله فكانت عملية كبيرة جداً ومؤثرة ولها صدى في العالم أجمع؛ فكان ينبغي أن يكون عنوانها الرئيس فلسطن مع ما تضمنته من عناون مهمة» اهـ.

---

(١) شعب الإيمان (٤٩٢٩، ٤٩٣٠، ٤٩٣١)، وصححه الألباني في: الصحيحة (١١١٣).

[مشاورة أخرى، في إدارة العمل الإعلامي في هذه المرحلة]:

«فيجب دراسة جميع محاولات المجاهدين وجهودهم وتبين الأخطاء وأخذ العبر منها، ويتم التشاور فيما بيننا وتدارس ما يمكن نشره في هذا التوقيت؛ على أن ينشر الباقي في أوقات لا يتسبب عنها ضرر على المسلمين والجهاد.

وقد لاحظتم من خلال الأسابيع الماضية بل وخصوصًا مع بداية التركيز الدولي على اليمن بعد القصف على أبين وشبوة؛ فقد أصبحت القاعدة حاضرة في الإعلام بقوة، وهي المستهدف الأول، وذلك لما قد ظهر للأعداء من أن القاعدة بفضل الله تتمتع بالحياة والحيوية، وتشهد انتشارًا واسعًا لفكرها الجهادي في الأوساط المسلمة؛ فينبغي أن يزداد اهتمامنا بالجانب الإعلامي للتوعية ومقاومة شراسة الهجمة الإعلامية من خصومنا علينا، بل يجب أن بكون لنا حضور إعلامي على مستوى الأحداث، وأرى أن تتم استشارة.. [مشاورة خاصة في استحداث منصب مسؤول إعلامي عام على جميع الأقاليم]، ويكون من ضمن مهامه التحدث باسم التنظيم وإذا حصل خطأ ظاهر من المجاهدىن غر مقصود؛ فينبغي أن يعتذر عن ذلك في الإعلام» اهـ.

[بعض الملاحظات الإعلامية الأخرى]:

«• ينبغي تجنب الكلمات والعبارات التي تتنافى مع كون المؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء، أو التي تتنافى مع السياسة الشرعية ومسألة جلب المنافع ودرء المفاسد، ولا يخفى عليكم أهمية مراعاة المجاهدىن لهذه المسألة، وأرى أننا في هذه المرحلة بحاجة إلى متابعة دقيقة لإصداراتنا الإعلامية؛ فهي صوتنا الذي بصل إلى الأمة، ووسيلتنا لنلتحم معها وهي التي تظهر صورتنا أمام المسلمين؛ فينبغي أن تكون بلغة يفهمها عوام الأمة وملامسة لهمومهم، ويجب أن يستشعر الإخوة في بياناتهم أن الهدف الرئيسي منها هو مخاطبة جماهير الأمة، وتحريضهم، ومحاولة إنقاذ أكبر قدر من الناشئة من أن يدخلوا في ظلمات التيه.

• ولتلافي بعض الزلل؛ أرى أن تكونوا لجنة منكم ومن الشيخ محمود والشيخ أبي يحيى، ولا يبث أي إصدار للسحاب إلا بعد مروره على هذه اللجنة، وإن كان فيه بعض العبارات أو بعض زلات اللسان؛ فيكون لهذه اللجنة حق في حذف المقطع غير المناسب أو مراجعة قائله؛ فإن كان من عندي تراجعونني فيه، وإن كان من عند الشيخ أبي محمد تراجعونه فيه، وكذلك مع جميع الإصدارات.

• كما أرى أننا بحاجة إلى أخ يطور نفسه في مجال الإخراج بالبحث عن كتب في هذا المجال وقراءتها؛ فهو علم مستقل وفي غاية الأهمية للتأثير على المشاهد، في حين أن هدفنا الرئيسي من الإصدارت الإعلامية هو انتشار الوعي بين أبناء الأمة، ويكون لهذا الأخ نصائح يوجهها لجميع الإخوة القائمين بإصدار البيانات سواء كانت مسموعة أو مرئية أو مكتوبة حتى يعينوه على إخراج مادة موضوعية مؤثرة، تلقى قبولا عند أبناء الأمة.

ومن المسائل التي أرى -والله أعلم- أن من المهم تجنبها في إصدارات المجاهدين:

١- مراعاة رغبة الجماهير في الشيء الجديد؛ فلا يكرروا العمليات والمقاطع الصوتية إلا أن تكون قوية تتناسب مع الحدث الوارد في الفلم، وكذلك يجتنبون قص المقاطع الصوتية وتلصيق جزء آخر فيها مما يغير سياق الكلام؛ كما حصل في مقطع صوتي لأخينا أبي مصعب الزرقاوي ﵀ حيث بثته «مؤسسة الفرقان» مرتين بشكل مختلف؛ كانت الأولى في فلم إعدام للمرتدين، والثانية في فلم «الدولة من أفواههم»..

٢- مراعاة مشاعر المشاهد، وتجنب الصور المؤثرة جدًا، والتي قد تؤدي إلى نشوء بعض المشاكل النفسية لدى الناشئة، أو التي قد تدخل الخوف على قلب من ينوي النفير إلى الجهاد.

وهذه بعض العبارات التي صدرت في إصداراتنا الإعلامية من وزير استان ومن بعض الأقاليم، أرجو إرسالها إلى الإخوة القائمين على الإخراج وتنبيههم عليها:

- **تحقير الخصوم؛ كأن يقال بأنهم «أحقر من الذباب أو سنمسح بكم البلاط».**
- **«الاستهزاء».**
- **التلفظ بألفاظ تحوم حول القذف «كأبناء فرنسا»** [فيه شيء من التفصل].
- **شتم الأعداء؛ كأن يقال: «كلاب صيد»، «البهيمية»، «الأنذال»** [كذلك فيه تفصيل].

أرجو إرسال ردود الفعل من الإنترنت على رسالة ابني خالد، كما أرجو إِرجاءَ بث رسالة ابنتي مريم إلى إشعار آخر» اهـ.

وأخيرًا، هذا ما تيسّر جمعه من فقرات مفيدة.

ونريد مشاوراتكم، وتقاريركم المفصلة لكي نرفعها للشيخ.

وتبلغون الشيخ «أنور» سلامنا، وأن يحافظ على نفسه؛ فهو قد دخل عالمًا جديدًا وحياة جديدة مختلفة، وتعلقت به أحكام وواجبات وتكاليف جديدة، والله يرعاه ويقويه، وأهم شيء هو تحقيق العبودية لله ﷻ، واحرص على الموت في سبيل الله؛ توهب لك الحياة بكل معانيها، والقليل يبارك فيه الله ﷻ خيرٌ من الكثير الذي تعدوه بركةُ الله، اللّهم لا غنى لنا عن بركتك يا رب العالمين. ونريد منه يكتب رسالة لأخينا آدم غدن -بالانكليزية- ويفتح معه أفكار العمل الدعوة والجهاد باللغة الانكليزية، ويدعوه للكتابة في مجلتكم؛ ترسلون الرسالة لنا.

وفي الأخير، بلغوا سلامنا لأخينا أبي سفيان، وأخينا أبي هريرة، الله يحفظهم ويرعاهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محبكم/ **عطية**

٦ شعبان ١٤٣١ هـ

❁ ❁ ❁

الرسالة الثانية

رقم الرسالة: Letter_dtd_March_2008_-_Arabic.

الموضوع: رسالةٌ من الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله تضمنت تعليقات من الشيخ عطية الله، وأبي يحيى الليبي رحمهما الله على «رسالة الإيمان» لأحد مشايخ اليمن، وتعليقات المؤلف الشيخ عطية الله رحمه الله تجدها مغمقة بين [**معكوفين**] بالخط المعتاد، وأما تعليقات الشيخ أبي يحيى الليبي رحمه الله فتجدها بخط مغاير بين [معكوفين] أيضًا، والنص الذي يخلو من الأقواس عليه فهو من كلام الشيخ أسامة -رحم الله الجميع-.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أسأل الله أن تكونوا بخير وعافية وفي مزيد من التوفيق والبركات والألطاف من المولى الكريم.
ثم أما بعد؛

فقد طالعت تعليقي الأخوين الشيخين الكريمين أبي الحسن وأبي يحيى على «رسالة الإيمان»، وأثلج صدري ولله الحمد، وسررت أيما سرور بما رأيت من تعليقات مفيدة رصينة تدل -بفضل الله تعالى- على محبة وصدق وأمانة ونصح للإسلام وأهله، من قبل هؤلاء الإخوة، فنعم الإخوة والله همْ، ونعم الجنود للإسلامِ، نسأل الله أن يبارك فيهم جميعًا وفي قيادتهم التي حق لها أن تفتخر بهم وتوقن أن معها رجالا حقا، فاللهم لك الحمد يا رب العالمين.

رغم أن الشيخ أبا الحسن لم يعلم من هو كاتب الرسالة على ما يظهر من كلامه، ومع ذلك أجاد ودقق ونصح وأفاد؛ فجزاه الله خيراً، وبارك الله فيه.

لاحظتُ -خصوصا من الشيخ أبي يحيى- شدة الحساسية من مسألة وجود إطلاقات في كلام الشيخ يمكن أن يفهم منها معانٍ غير سديدة، وخصوصًا منها ما يتعلق بالميل إلى إطلاق أحكام الكفر على أفرادٍ أو جماعاتٍ، وهذا الشعور هو نفس الذي عندي، وسببه فيما أرى: هو ابتلاؤنا بجماهير الشباب في ساحاتنا الإسلامية الجهادية منها وحتى غير الجهادية؛ فوالله إن مسألة التكفير والمسارعة فيه لهي من المهلكات والبلايا العظيمة، وكذا عموم المسارعة إلى الخلاف والطعن على المخالف والحكم عليه..! ولا يخفى كثرة الأفهام السقيمة، حتى يغلبون في بعض الأحيان والنواحي على مَن سواهم من أهل الحكمة فيعجم المتلطفون من العلماء والمصلحين عنهم، ولله المستعان..!

ولذلك فأشد على عضد أخي أبي يحيى وسائر إخواني في التأكيد على سائر تلك التنبيهات والتحريرات والنصائح.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل سبحانه، نرجو فضله وبركته.
أسأل الله أن يسددكم ويجعلنا وإياكم من أئمة الهدى هداة مهتدين، آمين.

أمثلة للاتفاقات في التعليقات:

عطية:

فهناك أفعال لها أحكام محددة في الشريعة، غيبها الحكام وأعوانهم عن أسماع الناس؛ فقد تنكرونها [ينكرها بعضكم -أو بعضٌ من الناس-] **لبعد عهدكم عن سماعها، فعلى سبيل المثال: إذا تولى الحاكم دولة كافرة وناصرها** [وظاهرها] **ضد الإسلام وأهله، وزعم العالم بعد ذلك أنه ولي أمر** [شرعيّ يجب له السمعُ والطاعة ولا يجوز الخروجُ عليه]**، عندها فإني أسمي الأشياء بمسمياتها الشرعية، فالحاكم قد ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، يكون به كافرًا مرتدًا عن الدين، ويترتب على ذلك واجبات كالتبرؤ منه، والخروج عليه وخلعه، والعالم هنا يكون قد نافق نفاقا أكبر مخرجًا من الملة** [يظهر لي أنه ينبغي التحرز جيدًا في مثل هذه المواضع، لا سيما والكلام صادر من الشيخ القائد المقتدى به، فعليه واجبُ الهداية أكمل وأتم من غيره، ويتأكد في حقه حسن البيان والتحرز من وقوع الوهم في أفهام الناس، ووقع الفتنة بشيء من كلامه، لا سيما ونحن نعرف تهيؤ كثير من النفوس من شبابنا وغيرهم -لأسباب متعددة من الواقع السيء المزري للأمة وطبقات علمائها وغير ذلك- للتشدد والانفراد؛ فما أسرعهم إلى الفتنة وما أسرع الفتنة إليهم!! والمقصود: أن مثل هذا الموضع الذي فيه الكلام على علماء السوء الذين يعملون في الحكومات المرتدة المعاصرة في بلادنا، هو موضع حرجٌ دقيقٌ لا بد فيه من التفصيل وشدة التحرز والخوف من الغلط، والقيام بالقسط كما أمر الله وألا يجرمنّا شنآنهم أن لا نعدل، وقد سبق للعبد الضعيف أن كتب في هذه المسألة بعض الأجوبة المختصرة لعلي أنقل بعضها في الملحق (التعليق الإجمالي)، وأرجع إلى التعليق على الفقرة الحالية؛ فلعل الأحسن أن تُضمَّن الفقرة المتعلقة بالكلام عن «العالِمِ» بعض القيود والاحترازات مثل: ... والعالم هنا -إن كان قد عرف كفرَ الحاكم وبانَ له أمرُه- يكون قد نافق نفاقًا أكبر مخرجًا من الملة].

أبو يحيى:

فهناك أفعال لها أحكام محددة في الشريعة، غيبها الحكام وأعوانهم عن أسماع الناس، وسعوا في طمسها بكل ما يستطيعون، فقد تنكرونها لبعد عهدكم عن سماعها، فعلى سبيل المثال: إذا تولى الحاكم دولة كافرة وناصرها ضد الإسلام وأهله، وزعم العالم بعد ذلك أنه ولي أمر، تجب طاعته ويحرم الخروج عليه، عندها فإني أسمي الأشياء بمسمياتها الشرعية فالحاكم قد ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، يكون به كافرًا مرتدًا عن الدين، ويترتب على ذلك واجبات كالتبرؤ منه، والخروج عليه وخلعه، والسعي لذلك سعيًا جادًا عمليًا عند العجز وفقد القدرة، والعالم هنا يكون قد نافق نفاقًا أكبر مخرجًا من الملة، [**تنبيه:** لا شك أن هذا الكلام ليس على إطلاقه؛ لأن العالم قد يكون منطلقه فيما ذهب إليه اجتهادًا شرعيًا صحيحًا أخطأ في نتيجته كما يخطئ في أية مسألة علمية أو عملية،

فاللبس قد يقع للعالم في أصل الدليل الذي يستند إليه الحكم الشرعي، وقد يحصل عند تنزيل الحكم الشرعي على الواقعة العينية فكلا الوجهتين يحصل فيهما الخطأ أعني فهم الدليل وتنزيله، فلا يمكن بحال أن يوصف كل عالم أفتى بما ذكره فضيلة الشيخ بأنه نافق نفاقًا أكبر، كما أنني أرى أن استخدام مثل هذه العبارات الجازمة في موضع الاحتمال ستفتح علينا موجة من غلو بعض الشباب المتحمسين لا قبل لنا بها وستشغلنا في مناقشات وردود نشعر أننا بفضل الله تجاوزناها إلى حد ما فأرى لزوم مراعاة هذا الأمر مراعاة تامة ولهذا فأقترح أن تكون هذه العبارة -إن كان ولا بد من إبقائها- على النحو التالي:] **والعالم الذي يفتي بوجوب طاعة هذا الحاكم مع ظهور ردته يكون قد خالف الحق مخالفة صريحة، تمنع من متابعته عليها، وتوجب الرد عليه وبيان خطئه ومجانبته للحق، حتى ولو كان معذورًا في اجتهاده، فعذره فيما أخطأ فيه شيء ومتابعة الأمة له على زلته شيء آخر، خاصة في المسائل الظاهرة المشتهرة التي تواردت عليها الأدلة وتطابقت كلمة الأئمة، ويكاد يستوي في معرفتها العالم والعامي، كمسألة كفر من ظاهر الكفار على المسلمين، وزوال ولاية الحاكم الكافر بمجرد ردته، ووجوب السعي لخلعه.**

❑❑❑

أبو يحيى:

فهلم بنا نتدارس أمر ديننا، ولنراجع سويًا معاني هذه الكلمات، [**تنبيه:** لقد تم حذف مقطع طويل في هذا الموطن، ولا أرى داعيًا لذكره، لا سيما إن المقصود هنا هو بيان حقائق هذه الأسماء وليس الحكم على عموم الناس وتقسيمهم، وفيما أرى فإن تصنيف الناس بهذه الكيفية -وإن كان صحيحًا- فإن بعض «جهلة الشباب وغلاتهم» سيجعلونه مدخلًا للخوض في غمار مسائل عظيمة بغير علم ولا فهم ويخبطون فيها خبطًا عشوائيًا، فينبغي عند المخاطبة التنبه لهذه الشريحة من الشباب والذين لا يتأذى الجهاد والمجاهدون من طائفة كما يتأذون منهم]، **وبين يدي التعريف بمعنى العبادة والإسلام أقول:**

عطية:

فهلم بنا نتدارس أمر ديننا، ولنراجع سويًا معاني هذه الكلمات.

وفي البداية أود أن أؤكد، أن الغالبية العظمى من أبناء أمتنا يعبدون الله تعالى، فامتلاء المساجد شاهد على ذلك. ثم إن هؤلاء ينقسمون إلى قسمين: قسم يعبدون الله وحده، وانتبهوا جيدًا إلى كلمة «وحده». فهؤلاء هم الذين على الصراط المستقيم، وهم الموعودون بدخول جنات النعيم، أرجو الله أن يجعلني وإياكم منهم.

والقسم الثاني يعبدون الله تعالى ويعبدون معه غيره، وإن كان بعضهم لا يشعر بذلك. وهؤلاء قد ضلوا عن سواء السبيل، وقاموا بأفعال شركية، نعوذ بالله من الشرك، والسبب [الأفضل أن يُقال: ومن أسباب ذلك...إلخ، فإن السبب ليس هو الجهل فقط، بل أعظم منه في السببية الإعراضُ وعدم القبول للحق والهدى وعدم البحث عنه أصلًا، بسبب الاستغراق في الدنيا ومحبتها والرضى بها (أي

الاكتفاء والاستغناء والقناعة بها) وتفضيلها، وهذا المعنى في القرآن كثيرٌ جدًا، وحاصله أن معظم ضلال وكفر الخلق هو بسبب استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والأفضل أيضًا في رأيي أن يُشار في هذه الفقرة إلى هذه الأسباب مجتمعة ولا تُهمل من الذكر] **في ذلك أن معنى العبادة ، ومعنى لا إله إلا الله في أذهانهم قد أصابه خلل كبير جداً، وإصلاح هذا الخلل هو صلب موضوعنا** [الأحسن عندي هنا إدراج فقرة تقول ما معناه: ... بغضّ النظر عن الحكم عليهم تفصيلًا بالكفر والخروج من الملة أو بقائهم في دائرة الإسلام؛ فإن هذا له أحكامه وتفاصيله، فينظر في مسائله وصوره وشروطه وموانعه، ولكني أصوّر واقع الحال المؤسفَ..].

وبين يدي التعريف بمعنى العبادة والإسلام أقول:

❑❑❑

أبو يحيى:

ثم نأتي إلى معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ فأقول: إن شهادة أن لا إله إلا الله هذه الكلمة العظيمة، هي دعوة الله للناس كافة، وهي أعظم كلمة يقولها الإنسان، وهي الفارق بين الكفر والإيمان؛ فبها يدخل الدين الحق إذا كان عارفًا بمعناها، عازمًا على العمل بمقتضاها، [تنبيه: لا داعي لذكر هذين القيدين وإن كانا في الحقيقة صحيحين، ولكن هناك من سيستعملهما استعمالًا خاطئًا من شراذمة الغلاة الذين يتصيدون مبتغاهم بين العبارات، وعليه فسيتم حمل الكلام على معنى: التوقف عن الحكم للإنسان بالإسلام مع نطقه بهما حتى نتحقق ونتبين أنه يعرف معناها، وكونه عازمًا على العمل بمقتضاها، والمقصود فقط هو التنبيه وإحكام الجُمَل قدر الإمكان بحيث تؤدي الغرض وتوصل المطلوب من غير أن تكون متكئًا لحدثاء الأسنان سفهاء الأحلام أعني خوارج العصر].

❑❑❑

[**تنبيه:** ما تحته خط من الكلام السابق، ليس له تعلق قوي بما قبله، إذ الحديث كان حول قضية التشريع والتحليل والتحريم، ثم انتقل إلى مسألة مظاهرة الكفار على المسلمين بذكر بعض صورها، بل وخرج الحديث عن كونه على اليمن ليشمل دولًا أخرى كباكستان وغيرها، وهذا وإن كان ناقضًا معلومًا من نواقض الإسلام إلا أنه مسألة مستقلة غير التشريع والتحليل والتحريم، والذي أراه هنا وفيما بعده هو عدم الدخول في مسائل تفصيلية جزئية يمكن الخوض في ملابساتها وتعلقاتها من قبل المخالف ولكن يكتفى في ذلك بالتقرير العام بأن هؤلاء الطغاة قد أعطوا لأنفسهم حق التشريع وسوغوا التحليل والتحريم ونكلوا بمن خالفهم وحاول التمرد على ألوهيتهم، وهي قضية صارت مشتهرة لا يحتاج أمر إثباتها إلى ذكر جزئيات تفصيلية ربما يضعف بها البحث، كما أنني لا أحبذ الإشارة إلى مثل الزنداني لأنه رغم ما فعل من القبائح والفضائح إلا أن كثيرًا من محبي الجهاد وأنصاره داخل اليمن وخارجه يوقرونه ويبجلونه وربما يستشيرونه، بل — وللإنصاف- فإن عددًا لا بأس به من المجاهدين الذين يصلون إلى ساحة الجهاد هنا تم توجيههم وربما تجهيزهم من قِبله خاصة

بعض المسلمين الجدد من الروس الذين هاجروا من روسيا إلى اليمن بعد دخولهم في الإسلام وبقائهم مدة في جامعة الإيمان ومن ثَم جاءوا هم وعوائلهم إلى ساحة الجهاد، ولا نجد الآن ما يحوجنا إلى فتح جبهة معه ومع أتباعه، ولا يعد هذا الأمر رقمًا صعبًا ووزنًا ثقيلًا في معركتنا مع الصليبيين وأذنابهم، فقد يكون لنا في السكوت سعة أو في التعميم مندوحة تؤدي الغرض ولا تسوقنا إلى مساجلات غير مرضية أحيانًا، هذا ما أراه في هذه المسألة فلذا أقترح أن يحذف الكلام عن شاويش اليمن إلا إذا أردتم ذكر بعض النواقض التي تلبسوا بها سوى التشريع في فقرة مستقلة فتذكرون مظاهرة الكفار على المسلمين فيصبح أمرًا منفردًا، أما قضية الزنداني وجامعة الإيمان فأرى حذفها على كل حال.. والله أعلم].

عطية:

... ومن حاكم عابد بن عبد الرزاق بن كامل، الذي قتل المنصرين في جبلة بإب من أرض اليمن، وقد نشروا ديانة النصارى وأقنعوا بعض الأسر اليمنية بها فحكم القضاء اليمني بقتله بموجب دين علي بن عبد الله بن صالح إرضاءً لأمريكا.. ثم لما قتل أسد من أسود الإسلام زنديقًا من كبار زنادقة الاشتراكيين مشهور بزندقته داخل مجلس النواب قام رئيس جامعة الإيمان يدافع عنه ويقول إنه يصلي وهل عصمت الصلاة دماء مانعي الزكاة [والزنادقة الملحدين]**؟ فكيف بمن ينكر أن يكون الحكم لرب السماء ﷻ** [وينازع الله في حكمه وكبريائه]**، ألهذه الدرجة اختلطت عندكم مفاهيم الإيمان يا مدير جامعة الإيمان؟**

[يُنظَر هل من المناسب الإشارة إلى مدير جامعة الإيمان بهذه الإشارات شبه الصريحة، إن كان المقصود به هو الشيخ الزنداني، أعني بقولي «المناسب» المناسبةَ السياسية الدعوية!! فربما يكون الأفضل أن تُلطّف العبارة وتحذف آخرها ويكتفى بـ «.. ألهذه الدرجة اختلطت مفاهيم الإيمان؟!» وأيضًا يمكن القول في أول العبارة: «قام البعضُ يدافع عنه..»].

❑❑❑

أبو يحيى:

وقد قال في غزوة المريسيع: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون: ٨] **أمام نفر من قبيلته وأصحابه وكان بينهم زيد بن أرقم وكان غلام حدث فأخبر عمه بالخبر فأخبر عمه رسول الله ﷺ وعنده عمر، فقال عمر: مر عباد بن بشر فليقتله**(١) [تنبيه: لا شك أن شريحة من الشباب سيفهمون من هذا أنه دعوة إلى تصفية وقتل هؤلاء العلماء المضلين «مر عباد.. فليقتله» أنه دعوة إلى تصفية وقتل هؤلاء العلماء المضلين مع علمي اليقيني أن الشيخ حَفِظَهُ اللَّهُ لم يرد ذلك ولم يخطر له على بال إلا أن هذه العبارة تعد صيدًا ثمينًا لبعض الغلاة الذين يبحثون عما يوافق أهواءهم بعدسات المجهر، فالذي أراه أن تحذف هذه الجملة رأسًا، وأن يكون الكلام صريحًا واضحًا محكمًا في كيفية التعامل معهم، وهو هجر فتاواهم، وترك الاستماع لأراجيفهم، وتحذير الناس من ضلالهم وتضليلهم، وأن تفند حججهم الواهية التي

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٦٠٦)، وصححه علوي السقاف في: تخريج الظلال (٨٥٦).

يلبسون بها على الناس ويخلطون باطلهم بشيء من الحق ليسوّق ويروج بين الدهماء.. إلخ].

فهذا هو الواجب الذي ينبغي أن يقوم به المسلمون مع علماء القنوات [أرى حذف هذه العبارة فليس كل من يخرج عبر القنوات هم على نمط واحد، ويكفي الوصف الذي بعدها مما ذكره الشيخ حَفِظَهُ اللهُ] **اليوم من علماء السلاطين الرسميين وغير الرسميين، الذين يكذبون على الله وعلى الناس ويخذلون الناس عن الجهاد في أفغانستان والعراق، تشابهت قلوبهم.**

أبو الحسن «عطية»:

وقد يتسائل أحد قائلًا: فما العمل مع هؤلاء العلماء الذين ظهر نفاقهم وتوليهم للطغاة؟

أقول: إن مما ينبغي على المسلمين في معاملة هؤلاء وأمثالهم أن ينظروا كيف عامل الصحابة ﵃ زعيم المنافقين الأول عبد الله بن أبيٍّ بن سلول، الذي كان له مقام يقومه كل جمعة بين يدي رسول الله ﷺ، ويقول: «أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله به، وأعزكم به؛ فانصروه وعزِّروه، واسمعوا له وأطيعوا» ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، وخذل الإسلام وأهله، ورجع بثلث الجيش، وانتهت الحرب، قام ليخطب كما كان يخطب من قبل فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطَّى رقاب الناس غاضبًا[1].

فأنزل الله في قرآنه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

ملاحظة هامة: تم حذف فقرة غزوة المريسيع وقول عمر: «مر عباد بن بشر فليقتله» لأنه ينبني على ذلك الدعوة إلى قتل هؤلاء العلماء الرسميين وغيرهم طبقًا لما ورد في الفقرة التالية: «**فهذا هو الواجب الذي ينبغي..**»، وهذا مما لا شك فيه أنه أمر هام وخطير يحتاج إلى مراجعة شرعية لبحث جواز ذلك من عدمه، فضلًا عن عدم مناسبته لوضع المجاهدين في هذه الأوقات، خصوصًا في ظل الحملات الإعلامية الظالمة ضد الجهاد والمجاهدين والموجهة لعوام المسلمين بأن المجاهدين أهل تفكير وقتل واستحلال لدماء المسلمين. لذا أرى ضرورة إقرار هذا الحذف وإبقاء الفقرة التالية كما هي، ليفهم القارئ من حادثة ابن سلول في قيامه بين يدي النبي ﷺ، وفعل الصحابة معه من أخذ ثيابه وإسكاته وإجلاسه.. إلخ.. أقول: ليفهم القارئ أن الواجب مع هؤلاء العملاء هو رد باطلهم وإسكاتهم ما

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٥)، البداية والنهاية (٥/ ٤٦٣).

استطعنا، وذلك بتعريتهم وإظهار حقيقة عمالتهم وعمالة ولاة أمورهم أمام المسلمين، وتحذير المسلمين من الإصغاء إليهم ومن خطرهم على عقيدة الولاء والبراء وعلى الجهاد والمجاهدين، والله أعلم.

«**فهذا هو الواجب الذي ينبغي أن يقوم به المسلمون مع علماء القنوات اليوم من علماء السلاطين الرسميين وغير الرسميين، الذين يكذبون على الله وعلى الناس ويخذلون الناس عن الجهاد في أفغانستان والعراق؛ تشابهت قلوبهم**».

وغيرها من الفقرات المهمة في تعليقات الإخوة جزاهم الله خيرًا.. مثل التعليق على الفقرة المتعلقة بعلي عبد الله صالح، والفقرة المتعلقة بـ«**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، وغيرها كثير.

والحمد الله رب العالمين على توفيقه، ونسأله ﷻ المزيد من فضله، اللّهم إنه لا غنى لنا عن بركتك، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود

ربيع الأول ١٤٢٩ هـ



الرسالة الثالثة

رقم الرسالة: Letter_to_Hakimullah_Mahsud_Leader_of_the_Taliban_Movement_-_Arabic.

المرسَلة إلى: حكيم الله محسود «أمير حركة طالبان باكستان ﷺ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

إلى الأخ المحترم/ حكيم الله محسود «أمير تحريك طالبان سدده الله على الحق».

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو من الله أن تكونوا بخير في دينكم ودنياكم، وأن يزيدنا وإياكم هدى وسدادًا، ويثبتنا على طريقه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

فقد اطلعنا على «لائحة التحريك» التي أرسلتموه إلينا لنعطيكم فيها رأينا، وكنا من قبل قد أرسلنا إلى الأخ قاري حسين ﷺ، وقلنا له: إننا سنرسل تعليقنا إليكم قريبًا، ولكن قدر الله أنه قتل بعد ذلك بفترة قصيرة، وطلبنا منه أن يخبركم بالأمر ولا أدري إن كان قد فعل أم لا.

وعلى كل حالٍ؛ فالتقويم العام الإجمالي للائحة أننا لا نراها مناسبةً لضبط الحركة في كثير من مسائلها العامة أو التفصيلية، وحسب التجربة فإن نتائجها ستكون عكسية وخلاف ما نريد من الانضباط والاتفاق، وستكون سببًا في إثارة كثير من المشكلات التي أنتم في غنىً عنها الآن، وهذا هو تقويم إجمالي للائحة، وقد كتبنا بعض التعليقات الجزئية التفصيلة على شيءٍ من مسائلها مع أننا لم نستوعب كل ما عليها من المؤاخذات لكثرتها، وسنرسل لكم إن شاء الله تعالى بعضها فيما بعد إن يسر الله سبحانه، **فالذي نراه باختصار**:

أولًا: أن هذه اللائحة بالعموم لا تصلح لأن تكون نقاطها سببًا في ضبط التحريك ولا في جمع كلمة الناس عليها خاصة عند النزول إلى التطبيق العلمي الذي هو المقصود ابتداءً.

ثانيًا: أن هناك بعض المؤاخذات الشرعية التي يجب تصحيحها، وقد كتبنا بعض التعليقات السريعة على ذلك، ولم نستطرد خشية التطويل هذا مع ضيق الوقت وكثرة الأعمال.

ثالثًا: سنجتهد إن شاء الله في إرسال باقي التعليقات، وذكر التفاصيل في بعض المسائل الشرعية

التي أشرنا إليها من قبل، ونسأل الله أن يعيننا وإياكم على طاعته، والله تعالى أعلم.

رابعًا: هناك مسائل مهمة لم تتعرض لها الوثيقة، مثل اللجنة العسكرية وفروعها، مع أن التنظيم أصلًا جهادي عسكري، وكذلك ما يتعلق بالعمليات الاستشهادية وضوابطها وضوابط الأهداف التي تُستهدف بها، وكذلك لجنة التدريب والإعداد سواء الإعداد العسكري أو الإعداد التربوي.

خامسًا: كل تعليقاتنا على اللائحة مرفقة مع هذه الورقة وقد ميزناها بكتابة خطٍّ تحتها.

وكتبه/ الشيخ محمود، والشيخ أبو يحيى

٢٧ /ذو الحجة/ ١٤٣١ هـ



الرسالة الرابعة

رقم الرسالة: Summary_on_situation_in_Afghanistan_and_Pakistan_-_Arabic.

المرسَلة إلى: المجاهدين في جزيرة العرب «اليمن».

بسم الله الرحمن الرحيم

الملحق الأول: نبذة مبسطة عن واقع ساحتنا في أفغانستان وباكستان:

١- الحمد لله رب العالمين؛ فنحن بخير وعافية ونعمة من الله سابغة، نتقلبُ في أفضالِ الله وعميم إحسانه وامتنانه؛ في عيشنا وفي ديننا وأمننا وجهادنا لأعداء الله وما أنعم الله به علينا من العز في هذه الأكناف، وسائر الإخوة بخير والحمد لله، نظن أن ساحتنا فيها خيرٌ كثيرٌ جدًا، لكن هي ككل ساحة وككل «معاناة» جهادية؛ لا بد فيها من مشاكل وسلبيات وأخطاء ونقص وقصور.. إلخ، فهذه الأشياء قد يحصُلُ بسببها فتنة أحيانًا لبعض الناس، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف]؛ فكم من رجلٍ جاء للساحة فلم يصبر فيها لما رأى من الأخطاء مثلا ومن القصور والأخطاء الإدارية أو غيرها، وربما انقلب بعضهم ذامًّا ساخطًا أحيانًا، لكن هذه نماذج قليلة، والخيرُ غالبٌ كاثرٌ ولله الحمد والمنة، نظن أن ساحتنا من أرسخ الساحات علمًا وفقهًا وعقلًا ورزانةً ونضجًا، وهي أمٌّ أو أختٌ كبرى لسائر الساحات بفضل لله تعالى.

٢- الجهاد فكرًا واعتقادًا ومنهجًا وتطبيقًا عمليًا وتعلقًا قلبيًا ومحبوبيةً انتشر في الأقوام هنا انتشارًا يغيظ أعداءَ الله أيما غيظٍ ويؤرق نومهم وينغّص عليهم هناءهم في أوطانهم أخزاهم الله، ويطوّل أرقهم وينكّد عليهم مستقبلهم والله أكبر؛ جيلٌ جهادي كامل جديد في أفغانستان أو في مناطق القبائل الباكستانية، والحمد لله، أكمل وأقربُ وأنضج وأطيب، على مشاكل ودَخَنٍ لا بد من وجوده كما أشرتُ، ولله الأمر، لكن لا خوف على الجهاد بإذن الله، وكما قال الشهيد الحبيب «خالد الحبيب» رحمه الله ذات مرة ما معناه: «حتى لو قُتلنا جميعًا فلا خوف على الجهاد فقد وصلت الرسالة»؛ يعني للأمة.

تجاوَز هذا الجيل بوعيه ونُضجه مسائل كثيرة كان ولا زال كثيرون غيرهم يحارون فيها ويتبلّدون، مثل قتال المرتدين والموالين للصليبيين وغيرهم، ومسائل كثيرة.

٣- نحن (التنظيم الأم هنا) نشتغل على جانبي أفغانستان وباكستان، بالإضافة إلى مهام

للمهاجرين والأنصار وإنشاء الجيل، والعمل الخارجي وقيادة الأفرع وتوجيهها وإمدادها والإشراف عليها، وحفظ كيان التنظيم، وغير ذلك من الوظائف الكبيرة.

العمل في باكستان يكاد يستقلُّ بنفسه، فهناك الكثير من المجموعات العاملة والطالبان المحلية، المنضوين تحت «تحريك طالبان» أو غير المنضوين، وغير المنضوين لا يقلون عن المنضوين.

والعمل في أفغانستان نشارك فيه، ولا بد لنا من ذلك، لكن الحمد لله هم الطالبان لا يكادون يحتاجون إلينا، اللّهم إلا المشاركة المعنوية والرمزية، ومع ذلك فمشاركتنا طيبة مهمة.

٤- من المشاكل التي نعاني منها:

مشكلة الحرب الجاسوسية والطائرات الجاسوسية التي تمكن العدو من الاستفادة منها استفادة كبيرة، وقتل الكثير من المجاهدين من القيادات والكوادر وغيرهم خلال السنتين الماضيتين، وهذا شيءٌ أرّقنا وأتعبنا، والله مولانا وحسبنا ﷻ، إليه المشتكى والمفزع وإليه المصير، ونحن إن شاء الله صابرون ثابتون مستمرون في بذل الجهد في مكافحة هذه الحرب والأخذ بالممكن من الأسباب، ولذا نحتاج أن نتعاون ونتبادل الخبرات، لا سيما وأننا نتوقع أن العدو سينقل هذه التجارب إلى ساحتكم وإلى ساحة الصومال فإنه قد ذاق حلاوتها أخزاه الله، فيجب علينا التعاون بسرعة، وبإذن الله سنجمع لكم ربما في مراسلتنا القادمة ما عندنا من فوائد في هذا المجال.

ومنها: المشكلة المالية، وهذه كالعادة في الجهاد في الشدة والرخاء، والله هو الفتاح العليم.

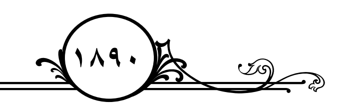
ومنها: مشكلة إدارة الكثير من مكونات «الوجود المهاجري» هنا؛ فعندنا العرب والأزبك والأتراك والتركستان والبلغان والروس بأنواعهم وما قاربهم الألمان وغيرهم، فيحصل في الساحة الكثيرُ من الفوضى، للأسف، لكن نسدد ونقارب.

ومنها: مشكلة بعض أفرادنا المهاجرين العرب على وجه الخصوص، وسأحاول إلقاء بعض الضوء عليها، وبالله أستعين وأعتصم: فنحن نعاني في ساحتنا الجهادية عمومًا من الانقسامات والتكتلات الناشئة بغير حق، وما أسمّيه بـ «الكوماندانيات» المزيّفة، حتى في ساحتنا نحن في «خراسان» رغم أنها الساحة الأم وأفضل الساحات فيما نظن كما ذكرتُ على رغم ما هنالك من ضعف وقصور وصعوبات، لكن تبقى هي ساحة القيادة والساحة الأكثر سدادًا ورمزية.. إلخ، لكن بسبب أن قوتنا وتمكننا غير كامل فإننا نبتلى بأناس «يجاهدون على مزاجهم» و«على كيفهم»؛ فهم يأتون للساحة ويعيشون فيها لكن لا ينضبطون وربما لا يعجبهم النظام السائد ويكونون في الغالب أهل تسرّع، وربما يكون فيهم حيوية وطاقة أو مهارة وشطارة ولا يخلون من خيرٍ بلا شك، لكن تحصل لهم

فتنة من قبيل القول مثلًا: «نحن مهمّشون»!! إن رأوا أننا مثلًا لم نوظفهم بسرعة فيما يرغبون فيه، ونحن لنا طبعًا طريقتنا في ذلك والتي تنبني في جزء منها على الاحتياط البالغ في تزكية الناس وعدم توليتهم إلا بعد أن يمر زمنٌ لهم في الساحة من البذل والعطاء يظهر فيه حالُهم وينالون التزكية، أو «أنا عندي طاقة أشتغل وأعمل وهم يقيدونني»، ونحو ذلك، وبعضهم مجرد أهواء محضة لا جدال فيها، يرفض أن يكون مأمورًا وأن يندرج تحت السمع والطاعة ويكون حيثُ وُ ضِعَ، ولا يرضى إلا أن يكون رأسًا، ونماذج من هذا الجنس متعددة الأنواع، فإذا انضاف إليها ما يرونه من أخطائنا وقصورنا وضعفنا اكتملت أسبابُ الفتنة؛ فتجدهم يتركون الجماعة ويظلون عبئًا على الساحة وفسادًا فيها شعروا أو لم يشعروا، لأنهم لا ينضبطون في حركاتهم واتصالاتهم وعلاقاتهم.. إلخ، ولا يراعون مصالح «الاجتماع» الجهادي، وربما نشأ من انفرادهم واستقلالهم تعارُضات ومزاحمات مفسِدة ومحرِجة ومنفّرة، وربما انجرَّ حالُهم هذا معنا إلى تقاوُلٍ وكلامٍ وشر، ولله المستعان.

فعندنا الآن من هذه الأنواع عدة بؤر وعدة أفراد متناثرين، وكان منهم الأخ غزوان اليمني «أبو الحسين» ﷺ الذي قتل قبل نحو شهر ونصف، والذي جاءنا قبل سنتين تقريبًا وكان قال لنا إنه قادمٌ من عندكم «لا أدري هل من جهتكم أو من جهة القعيطي ﷺ» وغيرُهُ متعددون، كان منهم أيضًا الأخ صفوان، وشابٌّ صغير آخر يسمي نفسه «عيسى بن مريم»! اليمنيّان، وكلاهما أُسِرا في باكستان في مدينة كويتة، وكانا في طريقهما إلى إيران العام الماضي، وصفوان هذا هو الذي كان يتراسل معكم وعن طريقه جاءتنا رسالتكم المصورة العام الماضي، نسأل لله أن يفرج عنهما ويصلحهما. ومنهم الأخ حمزة الجوفي، وكان منهم أخٌ معروف باسم: الذباح الطائفي، وهذا أُسِر في باكستان في منطقة قبلية قرب بيشاور العام الماضي وسُلم للسعودية، نسأل الله أن يصلحه ويفرج عنه، وله أصحاب ما زالوا هنا، ومنهم عكاشة العراقي ومنهم أناسٌ آخرون.

ومنهم الآن الأخ نجم أو نجم الخير «صالح القرعاوي» القصيمي؛ فهو نموذج من هذه النماذج أيضًا للأسف؛ فهو ليس تابعًا لنا بالشكل الحقيقي والكامل، ولا يسمع ولا يطيع لنا، هو يقول: أنا مع الشيخ أسامة ومع أمير المؤمنين ملا محمد عمر، لكن ليس بالضرورة أكون مع مصطفى أبو اليزيد ولا عطية ولا غيره، الجهاد واسع، وليس شرطًا التقيد بجماعة!! هذا قوله بالحرف تقريبًا، للأسف الشديد، وهذا الكلام جهلٌ وفسادٌ بلا شك، ويتضمن اللعب بإنشاء جماعات جهادية لمن يحلو له ولمن شاء بدون ضوابط ولا قيود، كيف ونحن يجب علينا أصلًا أن نوحّد الجماعات الموجودة قدر الإمكان، وإنما نعذُرُ مَن له عذرٌ شرعيّ مقبولٌ فقط في الانفراد في ساحةٍ مثلًا أو بمجالٍ، والله المستعان،



والحاصلُ أنه الآن عنده مجموعة ممن هم على شاكلته، ويحاول استقطاب شباب الجزيرة دائمًا، وعامل لنا فتنة، وإنا لله وإنا إليه راجعون. وطبعًا هو إنسان بسيط جدًا ليس عنده مؤهلات لأن يقود عملًا جهاديًا، لا فقه ولا كثير من المؤهلات، المفروض أن يكون جنديًا من جنود الإسلام مجاهدًا في سبيل الله حيثُ وُضع من قبل جماعة المجاهدين المأمونة، تحت قيادة كبيرة رشيدة تشرف عليه، حتى ينضج على هدوء وإذا فتح الله عليه وارتضاه المسلمون وجاءَ زمانُه فليكن مكانَ أسامة بعدها، ما المشكلة؟!! إنما لا بد لكل شيء أن يؤتى من بابه، لكن أن يكون هو الآن قيادة مستقلة فهو غير صالح لها، هذه قناعتنا، لكن هو غير مقتنع، ونحن فشلنا في استيعابه لقوة إصراره هو على أن يكون شيئًا!! وقد أجرى مركز الفجر قبل نحو أسبوعين لقاءً معه -ما كان لإخوة الفجر أن يُجروه، لكن قدر الله وما شاء فعل، فهم لم يشاورونا فيه ولم يرجعوا إلينا، والواجب عليهم كمؤسسة إعلامية جهادية ناشرة لنا، شبه رسمية، أن يرجعوا لنا ويشاورونا في أي عملية ترويج لقيادات وتزكية لهم عند الأمة!!-.

ولهذا أنت تلاحظ الثغرة الكبيرة في كلام الأخ نجم في اللقاء من خلال السؤال -يعني أن يُطرَح عليه السؤال الآتي-:

- ما موقعك أنت يا نجم من تنظيم القاعدة؟! هو لم يذكر القاعدة أبدًا لا مدحًا ولا ذمًا ولا بين موقعه هو منها.

- تنظيم القاعدة له فرع «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» معروف بقيادة الشيخ أبي بصير ناصر الوحيشي ما موقعك أنت يا نجم منه؟ لم يذكر هذا ولا عرّج عليه، طبعًا ولا يستطيع، بل هو يتفادى هذه المطبات، هو فقط «كومندان» وبس!

أما نحن فموقفنا هو كالآتي في هذه المسألة وما شابهها: أن الجماعة ممثلة في قيادتها تنظر هل هذا الأخ صالحٌ لهذا العمل أو لا؟ صالحٌ لأن يكون قيادةً في المكان الفلاني والعمل الفلاني أو لا؟ فإن كان فنتوكل على الله، وإن رأت القيادة أنه لا يصلح، أو أن العمل بهذا الشكل غير صالح، فتقول: يا فلان أنت لا تصلح لهذا، أو هذا العمل لا يصلح، وعلى هذا الأخ أن يطيع ويقول: سمعًا وطاعةً، وأنا جنديٌّ؛ مروني بما شئتم وما ترونه مناسبًا من عمل وليس له عليكم شرطٌ.

أما أن يأتي الأخ ويشترط أنه عنده «قروب» (مجموعة)؛ يريد أن يعمل في الجزيرة أو لبنان ونحو ذلك، وعنده خصوصيات كذا وكذا، ويريد أن يفرض ذلك على الجماعة؛ فهذا غير لائق.

مع أن الجماعة قد تقبل في بعض الحالات، لأن الجماعة تعرف أنها لا بد أن تستوعب الناس قدر الإمكان، وتحتوي وتوظف البرَّ والفاجر، ولكن هي موازنات صعبة، ومحل للاجتهاد.

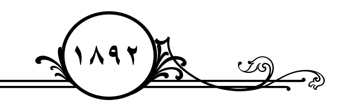
في الحقيقة في نظري الخاص وتقويمي أن أكثر تلك الأشياء لا تعدو كونها أمراضًا فقط لا غير، نسأل الله أن يعافينا، لكن نحن في مشكلة حقيقية، فإذا سكتنا مشكلة، وإذا تكلمنا مشكلة، والناس لا تعرف، وهؤلاء يقتاتون على سكوتنا، وقد يحوّلون الأمر إلى مشاحنات شخصية أحيانًا والعياذ بالله، فاللهم ارزقنا شهادة في سبيلك ترضى بها عنا وتنجينا من الفتن.

وبالنسبة لكتائب عبد الله عزام؛ فهم مجموعة صغيرة من الإخوة في لبنان، قاموا برمي الصواريخ على اليهود في مرة أو مرتين أو أكثر، ويسعون لضرب اليهود وضرب قوات اليونيفيل هناك فجزاهم الله كل خير، وهم (هذه المجموعة) كانوا على تواصل معنا في فترة ما فلما انقطع الاتصال بيننا وبينهم، وجدوا ارتباطًا بالأخ نجم فارتبط بهم واحتواهم ودعمهم ببعض ما يجمعه من الدعم، وصارَ شبه مشرفٍ عليهم ويتحدث باسمهم، ويقول عندنا مجموعة وكذا وكذا، فهو في الحقيقة لم يؤسس المجموعة. وعلى كل حال من آخر التطورات أننا نحاول مرة أخرى استيعاب الأخ نجم المذكور وأن يكون مع الجماعة منضبطًا، ويُعطى له مثلًا الإشراف الرسمي على العمل في لبنان مع الإخوة «كتائب عبد الله عزام»، ويكونون تحت القاعدة، لكن هناك مشكلات وعقبات فيه هو وتقويمنا له، وفي بعض من معه في ساحتنا ممن عرفناهم، والله المستعان وهو سبحانه وليّ التوفيق. فهذه لمحة بسيطة، تعطيكم بعض التصور عن أحوال ساحتنا في مرحلتنا الراهنة.

والله مولانا ومولاكم، نعم المولى ونعم النصير.

اللّهم أصلح أحوالنا يا رب العالمين





الرسالة الخامسة

رقم الرسالة: Gist_of_conversation_Oct_11_-_Arabic.

المرسَلة إلى: الشيخ أسامة بن لادن ﷺ.

ملاحظة: هذه الرسالة في الأصل للشيخ أسامة ﷺ، وعليها تعليقاتٌ مقتضبةٌ للشيخ عطية الله ﷺ؛ فأثبتنا كلام الشيخ أسامة بين [معكوفين] **وبخط مغاير**، وما عداه فهو للمؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

[• بخصوص رسالة الأخ أبي مصعب عبد الودود فقد تمكنا بفضل الله من فتحها واطلعت على ما تضمنته وسأرفق له رسالة في المرة القادمة بإذن الله كما أرجو أن تفيدوني هل تم إعداد البحث عن مهادنة المرتدين وإرساله إلى الإخوة في الجزائر أم لا وإن كان قد تم فحبذا أن ترسلوا إليّ نسخة منه وإن لم يكتمل بعد فحبذا أن ترسلوا إليّ الجزء الذي كتب منه].

لعلي أرسلتُ لكم رسالة أبي يحيى إليهم، فهذا كل ما كتب في المسألة، بالإضافة إلى بعض التجميعات والفوائد التي سجلتها أنا، وأرسلتها إليكم، ولكن بحث المسألة بشكل كامل، لم يتم لحد الآن.

[• وحبذا أن توجهوا الإخوة في السحاب للاهتمام بترجمة الأدبيات الجهادية بالفرنسية وبما يستطيعونه من لغات إخواننا في إفريقيا فلهذا الأمر أهمية كبيرة أشار إليها الشيخ بشير المدني في تقريره عن المغرب الإسلامي وهو مرفق فحبذا أن ترسلوا نسخة منه للشيخ أبي محمد وأرى أن ترسل نسخة منه للإخوة في السحاب بعد اطلاعك عليه].

كنت اطلعتُ عليه منذ زمنٍ، وسأعيد مطالعته، وأعطيه للإخوة كما وجهتم.

[وكذلك ترسلون إلى إخواننا في المغرب الإسلامي بأن يزيد ا واهتمامهم بترجمة الأدبيات الجهادية إلى الفرنسية واللغات المحلية].

إن شاء الله قريبًا.

[• أرجو إرسال أسماء القبائل التي ذكرها الشيخ «بشير المدني» في تقريره وبشكل عام قبائل المنطقة -المغرب الإسلامي- على أن تكون الكتابة مشكلة وموضحة بتعريف الحروف المعجمة من غيرها].

إن شاء الله في مراسلة أخرى.

[• مرفق بيان للشعب الفرنسي أرجو إعطاؤه لقناة الجزيرة العربية وقناة الجزيرة الدولية وكذلك مرفق نسخة أخرى من البيان في شريحة خاصة للإخوة في الإعلام، ومقطع مصور كتجربة لبيان أمريكا ليطلعوا عليه ويفيدونا بملاحظاتهم الفنية عليه ثم يتلفوه].

لم تصلني إلا شريحة واحدة، والبيان والتجربة وصلا، وسنرسل لك رد الإخوة بعون الله.

[• أرجو إرسال رسالة إلى إخواننا في «المغرب الإسلامي» على وجه السرعة تتضمن الإشارة عليهم بأن لا يتفاوضوا مع الفرنسيين على إطلاق سراح أسراهم بالمال وإنما يكون التفاوض مع الفرنسيين على رفع مظالمهم عن الأمة كتدخلهم في شؤون المغرب الإسلامي ويكون من أهم المطالب انسحابهم من أفغانستان مع الإشارة إلى أن بدايات التفاوض قبل إبرام الاتفاق لا تلزمهم بشيء، كما أرجو التعميم للإخوة بأن المفاوضات مع الأوربيين يكون على رأسها انسحابهم من أفغانستان ومع الأمريكيين يكون على رأسها التخلي عن دعم اليهود ولا تضاف مسألة اليهود للتفاوض مع الأوربيين لأنها تحصيل حاصل؛ فمتى اضطر الأمريكيون للتخلي عن اليهود سيتخلى الأوربيون].

أبشر إن شاء الله تعالى نفعل قريبًا، وأطمئنكم أننا وجّهناهم من قبل بأن تكون المطالب هي: الخروج من أفغانستان، فقط لا غير، أعني من الأوروبيين، فيكون المطلب واضحًا قصيرًا محددًا.

[• بخصوص الصحفيين الفرنسيين لدى الطلبة فإن تأكد أنهم جواسيس فالرأي أن يتم ربط قضية إطلاق سراحهم بخروج الفرنسيين من أفغانستان وإن لم يتم إعلانهم لجدول زمني للانسحاب يقتلا وأما إن كانت هناك شبهة فتتم المفاوضة معهم على الفدية].

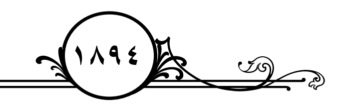
لا علم لي بشأنهما يا شيخنا، ولعلي أحاول الاتصال بحقاني مثلًا ونسأل ثم نقترح عليهم وننصحهم بما ذكرتم.

[• بخصوص كتاب «نقاط الارتكاز»(١) وما ذكرتم عن مؤلفه فحبذا أن تقترحوا عليّ طريقة للاستفادة منه دون الدخول في تزكية الكاتب وقد كنت في رسالتي للأخ بصير أشرت إلى الكتاب فحبذا أن تحذف هذه الإشارة قبل إرسال الرسالة إلى بصير هذا إن كانت الرسالة لم ترسل بعد].

جزاك الله خيرًا، وقد كنتُ حذفتُ الفقرة فعلًا من رسالة الصومال حيث كنت بصدد إرسال رسالتهم ثم تأخرنا في الإرسال لسبب فني، والله الموفق، والحقيقة الاستفادة من الكتاب دون تزكية الكاتب لا أدري كيف تكون!! هو إشكالُ، ولكن سنفكر هل يمكن أن نعهد إلى أحد بأن يكتب كتابًا مشابهًا محررًا مغنيًا عنه بحيث يمكن أن ننشره ونعطيه التزكية أو يكون من إصداراتنا، حتى لو أشار الكاتب الجديد في الكتاب الجديد إلى أنه استفاد من كتاب الأخ «المصري» هذا، ومن كتب أخرى ضمن مراجعه الأساسية، وفكرة الكتاب لا شك أنه فكرة صحيحة وجيدة، وهذا هو الجيد والممتاز في

---

(١) كتاب «نقاط الارتكاز بين الشهيد سيد قطب وفضيلة الشيخ أسامة بن لادن» بتقديم الشيخ «أبي محمد المقدسي» ذكر فيه مؤلفه كلام الشهيد سيد قطب ﷺ وبين أن كلامه قد ظهر عمليا في الشيخ القائد أسامة بن لادن ﷺ، وأنه سيدٌ خلف سيدًا، وذكر فيه المنهجية التي يجب أن تقوم بها الأمة كي تسترجع أمجادها؛ وهي ضرورة الجمع بين الدعوة والجهاد، مستعرضًا في بيان ذلك المناهج البدعية التي انحرفت عن الجادة لعدم فقهها لهذا الطريق.. ومؤلف هذا الكتاب: «أبو أحمد عبد الرحمن المصري» رجل جماعٌ عنده غلو وانحراف لذلك فقد أراد الشيخ الاستفادة من مضمون الكتاب دون النظر إلى تزكية صاحبه، وقد رد على هذا المؤلف الشيخ «عبد العزيز بن شاكر الرافعي» في رسالته الماتعة: «تنزيه إعلام المجاهدين عن عبث الغلاة المفسدين» وبين ما عنده من غلو وتعالم.



الكتاب، ونسأل الله أن يجزي أخانا خيرًا وأن يستر عيوبنا ويعفو عنا جميعًا.

[• بعد الذكرى الأخيرة للعمليات المباركة يوم الحادي عشر بأيام صدر خطاب للشيخ أبي محمد وكان تعامل الجزيرة معه ملفت للانتباه فبثت غيرها من القنوات الخبر قبلها وبثته هي في نشرة يكون فيها معظم المسلمين في العالم العربي نائمين وجعلته الخبر الأخير ثم وضعت الخبر في شريط الأنباء والمألوف أن يبقى الخبر في شريط الأنباء ٢٤ ساعة إلا أنها حذفته من شريط الأنباء بعد بضع ساعات دون أن يكون هناك حدث كبير يبرر عدم الاهتمام بالخطاب فحبذا أن تفيدونا بتوقعاتكم وتحليلاتكم لهذا الأمر كما يستحسن أن تسألوا عنه أحمد زيدان].

والله يا شيخنا، ما أدري ماذا نتابع الآن!! لكن لعلنا نحاول متابعة الأمر مع أحمد زيدان بالمراسلة، ونستفسر ونطلب منه تبليغ احتجاجنا للقناة، وفي ظني أنهم قد يكونون ينتقمون من «الظواهري»!! هذا غير مستبعد، قد يكونون ينتقمون من «الظواهري»!! هذا غير مستبعد، وبحسب المحرر القائم على الشغل في حينه.

[• كان من ضمن ما أرفقتموه لي سابقًا مقالًا منسوبًا لأخينا سيف العدل بعنوان (السيرة الذاتية للقائد الذباح أبي مصعب الزرقاوي) رحمه الله وبعد اطلاعي عليه ظهر لي بجلاء أنه مكذوب في نسبته لأخينا سيف العدل وفيه إساءة لأخينا أبي مصعب رحمه الله ولأخينا سيف وللتنظيم بشكل عام وفيه تحفيز شديد للإخوة في العراق بأن يقيموا دولة لم تكتمل مقومات نجاحها ومما ي ظهر أن الكاتب ليس هو سيف العدل ذكره في المقال بأنه أخذ تفويضًا مني ومن الشيخ أبي محمد للتعامل مع قضية أبي مصعب رحمه الله في حين أن في ذلك الوقت لم تكن الوحدة قد تمت بيننا وبين جماعة الجهاد فأي شخص كان معايشًا لنا في تلك الفترة سيقول أنه أخذ التفويض مني ومن الشيخ أبي حفص رحمه الله بينما الكاتب لم يذكر شيئًا عن الشيخ أبي حفص رحمه الله علمًا أنه لم تكن هناك أي مشكلة مما ذكر وأننا لم نفوض أحدًا لحلها وفيه سرد لقصص ليس لها أي أساس من الصحة فأرجو أن يتم تحليل النقاط الخطيرة التي احتوى عليها المقال وتوضيح ماذا أراد الكاتب أن يدس فيها كما أرجو أن تقوم بتكذيب نسبته لسيف وتذكر أنه في السجن مما لا يتيح اطلاعه عليه وتبرئة نفسه منه وأن هناك أشخاصًا بل أجهزة تابعة لبعض دول المنطقة مهمتها الافتراء على المجاهدين وتشويه صورتهم ويكون التكذيب بأن سيف العدل براءة من المقال دون زيادة في وصف أخينا].

المقال قديم منشور في الانترنت، وقد كنتُ رأيتُ أناسًا من الكتاب في النت يشككون فيه، وكنتُ قديمًا تصفحتُ فيه، ولكن لا يحضرني منه شيء الآن، ولكني عرفتُ أنه مكذوب، ولكن في الحقيقة لم نهتم بنقده، ولكن فكرتكم جيدة، وبإذن الله أقوم أو أكلف من يقوم بقراءته بعناية ونقده ثم نكتب فيه شيئا كما أمرتم، بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرا على التنبيه على أقدار الإخوة، فأما الزيات وسيف فأعرفهما والتقييم عندي هو كذلك تقريبًا، لكن أبو الخير لم أعاشره ومعرفتي به سطحية.

[• بخصوص التراسل عبر الانترنت فلا بأس بالتراسل في الرسائل العامة إلا أنه حتى مع ما ذكر الإخوة عن برنامج أسرار المجاهدين فسرية العمل الخارجي لا تسمح باستخدامه فحبذا التأكيد على الإخوة الذين يعنيهم الأمر بأن العمل الخارجي لا يكون إلا عبر الرسل الثقات].

الأمر معقد جدًا يا شيخنا، فمثلا كيف سيتم التنسيق مع إخوة الجزائر، وحتى العراق واليمن والصومال ترى ما في التواصل معهم من صعوبات!! فأحيانا لا مناص من النت، مع استفراغ الوسع

في إجراءات الأمان فيها، والعراق مثلا، ربما نستطيع التواصل على الأرض، مع أنه ضعيف جدًا وتجاربنا معهم في هذا مرهقة.

[• مرفق رسالة لصاحب الطيب أرجو الاطلاع عليها وإرسالها والاطلاع على رسالته إلينا ونسخة من رسالته ورسالتي للشيخ أبي محمد وستصلكم رسالة للشيخ أبي محمد في الرسالة القادمة].

اطلعتُ على رسالة صاحب الطيب، وحسنًا قال وحسنًا ما أجبتم نسأل الله أن يرفع قدركم وقدره وأن يبارك في العمل، وسنلتزم بذلك ما استطعنا، وماذا يعني بترسيخ القواعد في البلد المجاور بدقة؟ وإن شاء الله نحول الرسائل لأبي محمد.

[• أرجو تكليف من يلزم بجمع المعلومات عن صحفيتين من الدنمرك يعملون مع الصحيفة المسيئة للرسول ﷺ وقد كان تم طردهما من باكستان ثم أعيدتا بضغوط خارجية].

إن شاء الله نفعل.

[• حبذا أن تفيدني عن المعلومات التي طلبتها عن الإخوة في العراق وهل تيسر لكم أن ترسلوا إليهم السياسة العامة وماذا تم بخصوص ردود الإخوة الذين أرسلتموها إليهم].

العراق لم أرسل إليهم السياسة العامة بعد، وأفعل إن شاء الله لاحقا بعد أن يردوا على رسائلنا الأخيرة بعون الله، فقد أرسلتُ إليهم وطلبتُ تعريفًا بقياداتهم الجديدة وبلغتهم سلامكم وغير ذلك، ونحن ننتظر أجوبتهم، ولكن أرسلت السياسة لليمن وللجزائر، وسأرسلها للصومال أيضًا في أول مراسلة بعون الله.

[• أرجو أن تراسلوا جميع الإخوة في الأقاليم بأن يجتنبوا إجراء اللقاءات مع الإعلام الجهادي؛ لما قد ذكرته سابقا من أنها تكون خارجة عن المهنية التي استقر اعليه أهل هذه الصناعة، ولا تحمل الحيوية الكافية مما يوحي للناس بمعان ليست في صالح المجاهدين؛ كالتخلف وما شابه ذلك، فضلا عن عدم توفر الأخ المهيأ لإدارة الحديث واختيار الأسئلة المناسبة في كثير من الأحيان، ولعلكم لاحظتم في الأشرطة الأخيرة للأخ أبي دجانة الخراساني رحمه الله وتقبله في الشهداء الفرق بين البيان الذي يتحدث فيه بمفرده وبين اللقاء وما ورد فيه من أسئلة عن الماديات؛ مما لم يكن مناسبًا للاستفادة من وقت رجل يريد تقديم روحه لله بعد أيام أو ساعات نحسبه والله حسيبه].

لي رأيٌ بأن ندعو لتطوير أداء الإعلام الجهادي، ونحدث تغييرًا فيه، وعندي هذه الفكرة وربما تكون بعون الله في لقاء نفكر فيه مع «السحاب»، بمعنى أنني طلبتُ من الإخوة أن يكون اللقاء عفويًا تفاعليا حواريًا، ولن أكتب شيئا منه بل سألقيه مرتجلا، مع تحضير قبله، ثم هو في أيدينا، نحذف ونصلُح منه ما شئنا، ويكون فيه جُرأة في الأسئلة والطرح وحريّة وهكذا.. أما الاستغناء عن «الإعلام الجهادي» فهؤلاء هم ناسُنا وهم أولى بنا ونحن أولى بهم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨]، والله الموفق.. ولم يتبين المقصود من إشارتكم إلى لقاء أبي دجانة،

فاللقاء: أبو دجانة هو الذي صممه من أوله إلى آخره، والأخ الذي كان يسأله هو أعجمي -باكستاني بريطاني- كان يشتغل معه -من إخواننا الذين وضعناهم معه في العمل، واستشهد مؤخرًا في قصف أيضا ﷺ وكان يلقي الأسئلة بالإنكليزية أصلا، وأبو دجانة يجيب بالعربية ثم تمت دبلجة كلام السائل.

[• **حبذا أن ترسلوا إليّ جميع وصايا الإخوة التسعة عشر الموجودة لدى الإخوة في الإعلام**].

طلبت من عبد الرحمن تجهيزها وإرسالها لي، فإن توفرت هذه المرة أو تكون في مرة قادمة بعون الله.

[• **بخصوص تخزين القمح فلِي رأي بأن تفرغوا أخوين من أهل هذه المناطق ذوا كفاءة ولديهما حس تجاري أو يكونا أصلا عاملين في التجارة فتطلبوا منهما أن يكون ضمن تجارتهما التجارة بالقمح والسكر والحبوب وما شابه من ضروريات الغذاء ويكون لهم مستودع متين متقن لا تتسرب إليه المياه مرتفع عن مستوى فيضانات الأدوية والأنهار فتشاركون معهما بالكمية التي تحتاجونها من الغذاء علمًا أن الكمية الاحتياطية ينبغي أن تكون كافية لكم لمدة سنة على الأقل وهما يتاجران بها فتبقى متجددة باستمرار على أن يتم الاتفاق معهما أنه عندما تبدأ الأزمة يتوقفان مباشرة عن البيع ويبقى المخزون الذي لديهما للإخوة وهما مستفيدان من هذه الخطة بالأرباح المترتبة على البيع والشراء فنحن لن نشغل مستودعاتهما دون فائدة تعود عليهما. إلا أنه من الأهمية بمكان أن تكون المستودعات ضمن النطاق الذي يسمح بوصول القمح منه إلى الإخوة عند الضرورة.**

أما الطريقة الأخرى التي ذكرتها سابقًا فإن كانت حركتكم كثيرة فيصعب نقلها والتحرك بها فهي شراء براميل نظيفة -كانت تستخدم لمواد غذائية كالمشروبات الغازية والزيوت النباتية وليس المواد الكيماوية- محكمة الإغلاق تغسل وتنشف في الشمس لمدة يوم مع مراعاة أن لأغطية هذه ال براميل حلقة مطاطية لمنع تسرب الهواء مما يحافظ على الحبوب المخزنة فيها لمدة سبع سنوات شريطة أن تكون الحبوب من إنتاج العام الذي سنخزن فيه نظيفة من السوس والحشرات وما شابه].

لعلنا نحاول أن نسعى في الخيار الأول، حسب ظروفنا وقدرتنا الآن، والله الموفق.

[• **حبذا أن تفيدوني عما تم بخصوص البرنامج الذي سيقوم بإعداده أحمد زيدان بخصوص الذكرى العاشرة**].

لم يتم شيء لحد الآن، إلا أنني تشاورتُ في الأمر مع عبد الرحمن، ومع الشيخ أبي يحيى، وكانت هناك بعض الاقتراحات الفنية عند عبد الرحمن طلبتُ منه أن يكتب فيها، وحاصلُها أنه يرى أن هذا المقصد لا يمكن أن يفيَ به من الناحية الإعلامية و«الإخراجية» إلا برنامج مثل «شاهد على العصر» مثلا في «الجزيرة» وما شابهه من برامج لقاءات حوارية تكون واسعة المدة ومفتوحة وربما تأخذ عدة حلقات، أما برنامج شبه وثائقي فلن تكون المدة الزمنية المتاحة للشيخ للتحدث فيه إلا عشر دقائق أو ربع ساعة على الأكثر، وبالتالي لن يتم المقصود.. وسأراجع أخي عبد الرحمن حتى يكتب لكم عن الفكرة بشكل أحسن، وأيضا على كل حال؛ نحن قررنا أن نتصل بأحمد زيدان ونطرح عليه الفكرة من أساسها ثم ننظر رأيه هو أيضا وفكرته، وهذا ما كُلفتُ به، وبدأت في تجهيز الرسالة لزيدان، لكني لم

أرسلها له لحد الآن، لعلي أفعل قريبا إن شاء الله.

[• **بخصوص المرافق**].

إن شاء الله سنسعى بحوله وقوته ومدده سبحانه وهو اللطيف الودود الكريم.

[• **سبق أن أرسلنا رسالة للإخوة في الخط ولم يصلني إشعار منكم عن وصولها وما تم بشأنها**].

لعلك تقصد الرسالة التي فيها تعزية في الشيخ سعيد ﷺ، فهذا وزعتُها على عدد لا بأس به من الإخوة، ومعظم الإخوة المهمين، والجميع فرح بها والحمد لله. وبالمناسبة بخصوص الشيخ سعيد ﷺ، فحيث أنه تأخر الوقت لرثائه من قبلكم، فأرى أنه لو جاءت فرصة في أي مناسبة أن تشيروا إليه وتتكلوا حوله بما يناسبه من ثناء وإكرام ﷺ.

[**وكذلك رسالة أخينا أبي أنس السبيعي ورسالة أبناء الشيخ سعيد ﷺ**].

كلها وصلتهم والحمد لله، ولكن لم أتلق منهم أي أجوبة، وعندما قابلتُ أنس آخر مرة –وهي المرة الثانية أقابله بعد مجيئه إلينا– سألته مداعبًا: «كيف أخبار الشيخ؟» فابتسم قائلا: «الحمد لله، الله يجزيه خيرًا، كعادته الشيخ؛ رسالة مقتضبة».. هذا ما قال لي للملاطفة، والله يرعاكم ويحفظكم جميعًا.

أنا بالمناسبة لا أطلع على الرسائل لغيري، ولا أدري هل في رسالتكم له ما يتطلب جوابًا، وسأراجعه إن شاء الله.

[• **وكذلك بيان الفيضانات الأول لم يصلني إشعار منكم بوصوله وما الذي حال دون بثه في الإعلام مع ملاحظة أنه بعد مرور الوقت فأرجو أن تحذفوه تمامًا والبيان الثاني إن تيسر أن يبث خلال أسبوعين فلا بأس وإلا فأوقفوه حيث إنه قد يحتاج إلى تجديد وحبذا أن تفيدني عن أسباب تأخرهما**].

قد نُشرا الآن في النت، البيان الأول والثاني، وقد كان عند الإخوة تردد في نشرهما، ولكن قلنا لهم انشروهما وتوكلوا على الله، وسبب التأخر في نشر الأول أننا أرسلناه للجزيرة فلم ينشروه رغم مرور أكثر من أسبوعين، ثم أرسل متأخرًا للنت وأرسل الثاني معه مباشرة، بسبب تعطّل في طرقنا للنت في تلك الأيام، والحمد لله على كل حال.. وأرفقتُ لكم نقدًا لبعض الإخوة العاملين في «السحاب أوردو» للكلمة، من باب التمحيص والتدقيق، وأنا اعتذرتُ للإخوة بأن الشيخ ركز ذهنه على زاوية معينة وكان له مقصد إظهار هذا الجانب من اهتماماتنا نحن المجاهدين بشؤون الأمة والشعوب. وحصل سهوٌ عن تكميل الكلام عن الجانب الإيماني والوعظي، وهكذا الإنسان طاقات، وعندما يكون الإنسانُ لوحده في ظروفنا فمثل هذا القصور متوقع.

[**وتأخر الأخ الوسيط بيننا عن الموعد الذي اتفقنا عليه في السابع والعشرين من شهر أغسطس**].

هذا سببه من عندي الظاهر، لأن الرسول عندما جاء قال: موعدي القادم مع فلان تاريخ ثلاثين،

فاستقر في ذهني ذلك، وغفلتُ عما في الرسالة رغم أنني قرأتها بمجرد الوصول ثم قرأتها مرة أخرى للتحضير للعمل والأجوبة، ثم إنني تأخرت إلى آخر الوقت لأنتظر رسائل داود، فتصادف أنه كان يومان متتاليان عندنا «كرفي» -يعني حظر تجول-، والله المستعان؛ فالخطأ من عندي، ونسأل الله أن يعيننا وإياكم، والمعذرة لكم، ونجتهد إن شاء الله في الاحتياط للمواعيد.

[• حبذا أن ترسلوا إلينا ما يتوفر لديكم من كتب في الاستراتيجيات ولا يخفى عليكم أنها متوفرة في الانترنت].

بإذن الله.

[• بخصوص إرسال الأموال إلي..].

أبشروا بإذن الله، لكن قد لا أستطيع هذه المرة إرسال شيء إليكم، الوقت ضيق فعلًا، فإن شاء الله نجهز المبلغ المطلوب للمرة القادمة، وحبذا تنوّروني في كيفية إرساله، فنحن نحوله بواسطة صراف من جهتنا، ويستلمه رسولنا هناك، فهو يستلم بالروبية، فإن شئتم يحافظ على قيمته ويعطيه لرسولكم بالروبية كما هو، أو نطلب من رسولنا أن يحوّله إلى اليورو هناك قبل تسليمه لرسولكم، ما هو الأفضل لكم، وهل إرسال مبلغ كهذا على دفعةٍ مناسبٌ أمنيًا؟..

وأرسل لكم كشف حسابكم كما كان أعطاني إياه داود ﷺ في حوالي منتصف رمضان.

[كما أرجو أن تحذف الرسائل السابقة إليهم ومرفق رسائل أخرى لهم مع هذه الرسالة، كما أرجو أن تفيدوا الأخ عبد اللطيف بأن يحضر منهم رسائل إلينا].

ليس لديَّ أي رسائل سابقة لهم، وسأعطيهم (لحمزة) هذه إن شاء الله قريبًا.

[• مرفق رسالة من ابني خالد للإعلام].

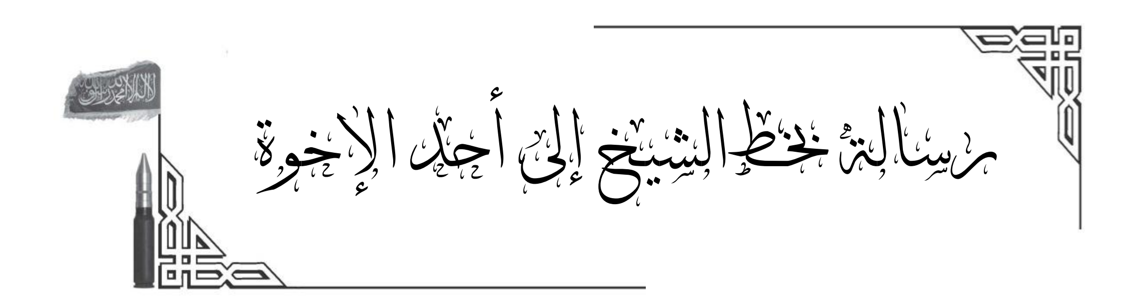
لم تصلْ!.

[السلام عليكم ورحمة الله وبركاته]

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

١١ أكتوبر

❊ ❊ ❊



[رسالة خاصة وصلتنا من الشيخ «أبي الحسن الوائلي»، أرسلها الشيخ «عطية الله» ﷺ إلى الشيخ «أبي محمد عبد الله بن البشير» بعد سقوط «الإمارة الإسلامية» في أفغانستان، كتبها الشيخ في عام ٢٠٠٣م؛ يتكلم فيها عن تسفير الأهل إلى بلاد أبيهم، حتى يتفرغ للجهاد، وما في ذلك من المفاسد، مع معانٍ لطيفة تظهر فيها عزة المجاهد وكرامته ووقاره. **تنبيه: هذه الرسالة موجودة بخط الشيخ الجميل؛ فسنثبت النسخة الأصلية ملحقة بها]**

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم والصديق الوفيّ الأستاذ «أبو محمد عبد الله بن البشير» حفظه الله ورعاه، وسدّد خطاه؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نحمد الله تعالى على سلامتكم وأن متّعنا برؤية خطّكم إذ فاتنا الآن رؤية شخوصكم، وطال عنا فراقكم، مع أنّكم دائمًا على خاطرنا، حاضرون في قلوبنا نسأل الله أن يجعلنا من المتحابّين فيه وجلاله، وأن يجعلنا يوم القيامة من المستظلين بظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يجعلنا من أهل منابر النور عن يمينه تبارك اسمه..

وبعد؛؛

فقد تلقيت بغامر السرور والغبطة خطابكم، وقرأت بتمعّنٍ كلماتكم، وكنت بين الفينة والأخرى أكرر قراءتها وتأمّلها لأنها منكم صدرت، وإليكم انتسبت، فشرُفت بطابع المحبة الخالصة والنصح الأمين، فبارك الله فيك فقد نصحتَ وبَرَرْتَ وما قصَّرت.. نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنكم وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ويتجاوز عن السيئات برحمته وفضله إنه عفوّ كريم غفور رحيم.

ونسأله تعالى أن يحفظنا فيما بقي، وأن يختم لنا جميعًا بالحسنى شهادةً في سبيله ﷻ.

نبادلكم عاطر التحيات وحارّ الأشواق، وسلامُكم وصل إلى من أحببتم وهم يسلمون عليكم.

فرحتُ لاتصالكم بـ«البشير» و«رقية» واطمئنانك عنهم بعد الطول، وأنهم وأهلك بخير، وأسفتُ لسفر «أم محمد» عنك وما اختارته، وما عندنا إلا الدعاء لهم بالتوفيق وصلاح الحال وأن يحفظهم ويلهمهم رشدهم ويتولّاهم.. وكنت أتمنى أن تكتب لي المزيد من أخباركم وتفاصيل أموركم، ولعلّ ذلك يكون في فرصة أخرى إذا سَنحتْ إلّا أن نفاجئكم هناك.. ومن يدري!

أخي الحبيب/ إن من أشدِّ ما لفت انتباهي وشدَّني من عبارات رسالتك قولك «فقراءة سريعة للمستقبل يتضح أن الوضع ليس معلوم والرؤية غير واضحة» إنها -في ظني- تعبّر بصدق عن الحالة الأعم لنا وللأمة كلها، وأنت تعني بلا شك بالرؤية: رؤية الوضع السياسي والشأن العام، أمّا الرؤية على المستويات الفردية للأخ المؤمن؛ فتلك شأنها مختلف، وقد وَضَح من رسالتكم أنها واضحة عندكم، وحاصلها ما دعوتمونا إلى من اللحاق بكم، وجاء في خاتمتها «.. فتعالَ لنكون من الشهداء» اهـ، وإني واللهِ لئن ترددت في بعض الأشياء فلا تردّد عندي ولا شائبة أنَّ غاية مناي من هذه الدنيا وأقصى. أمنيتي أن أخرج منها شهيدًا في سبيل الله، وكما أحبّ هذا لنفسي حبًا جمًا أحبه لأحبابي أيضًا فنسأل الله ألا يخيّب رجاءنا..

وقل لي: وما تنفع الأماني؟ نعم إن كانت رجاءً فالرجاء نافع محبوب عند الله، ويبقى توفيق الله ومحض فضله ومنته، وكم من بطلٍ خاض غمارها وصَلَى طولَ حياتِه نارَها ثم مات على فراشه، ومن الناس من رُزقها من أول يوم بلا مؤونة.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، على أن ذلك ليس هو التكليف، وإنما التكليف هو الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وطاعة الله على المعنى الأشمل الأعم.

أخي الحبيب/ إنك توافقني أن الرؤية للوضع السياسي والشأن العام للأمة والحركة والجماعة إن لم تكن واضحة.. فهذا شيء مؤسف ومحزن، مع أنه في كثير من الأحيان هو أمر قدريّ كوني لا تكليف فيه، وتكون له أسبابه الميكانيكية أو غيرها، أو حتى أسباب تكليفية (شرعية دينية) ولكنها باعتبار البعض، وينجو من قام بما عليه عند الله؛ فالنجاة هناك.

لكن الشيء الأشد أسفًا والمحزن حقًا بل المصيبة الحقيقية هي: عدم وضوح الرؤية الدينية، حيث تسيطر الحيرة وتعمّ الفتنة وتختلط الأمور.

ويقلّ الناصح ويُعدم المرشد، ويتبلّد الفهم.. فنسأل الله العافية والسلامة والهداية التامة، فإنه لا حول ولا قوّة إلا بالله، ولا هاديَ إلا هو ﷻ، ولا توفيق إلا من عنده، وإنما هو محض التوفيق فلا علاقة لذلك بذكاءٍ أو كثرة علمٍ ظاهرٍ وحفظٍ، إنما هو توفيق الله وحده، وما على العبد -الموفَّق- إلا

الرغبة إلى مولاه ومولى كل أمرٍ وأن يرغب إليه سبحانه ويصدق التضرّع والابتهال ويلحّ في الدعاء ويطرق الأبواب: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[الزمر]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[النور]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود] تنبيهًا إلى الطريق الموصلة إليه، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾[الحديد: ٢٨]، ومن هنا نعرف عظيم شأن سؤالِ اللهِ الهداية الذي جُعِلَ فرضًا على العبد مرَّاتٍ كل يوم وليلة في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[الفاتحة]، نسأل الله المولى الكريم أن يمنَّ علينا بالهداية التامة بكل معانيها.. آمين.

فهذا تذكيرٌ لنفسي ولأخي، وأما من حيث واقع الحال فاعلم يا أخي الحبيب أنني إلى ساعتي هذه **أَرفُضُ الاقتراح بإرسال العيال مع مؤسسة فلانٍ! ولا أرى ذلك يليق بأمثالنا**؛ فلئن بدا هذا خيارًا متّسمًا بالواقعية وفيه مصلحة التفرّغ لشأننا، لكنه ينطوي على ذُلٍّ وخزي؛ بل عارٍ!!

وإني والله ما أظنُّ ذلك رِضَىً عند الله ولا محبوبًا له، ولستُ ألومُ مُضطرًّا فَعَلَ، بل أَعذرُه، واللهُ يعفو عنا جميعًا، وإنما ألومُ من يفعل ذلك باختياره وله نَوْعُ سَعَةٍ والصبرُ أوسع، إنَّ عدوّنا قد يئس أن نسلّم له أنفسنا ابتداءً، فاكتفى -حتى حين- بأن نسلّم له أزواجنا وفلذات أكبادنا، ثم نصبر بعد ذلك، وليست المشكلة عندي في الصبر على فراقهم فذلك ربما كان مقدورًا لكثير من الإخوة.

وربما استعاض عنهم ولعله يتزوج حيث هو! لكن أيُّ ضَيْمٍ ومهانةٍ تلحقُهُ في أهله وأولاده الذين أرسلهم مع عدوّه الخبيث وأي ضيم ومهانةٍ تلحق المجاهدين جميعًا وجماعتهم جرَّاءَ ذلك؟!

تقول لي: ضعهم في أيدٍ أمينةٍ -تعني الأهل أجدادهم وأعمامهم-، ويأخذ الأولاد قسطًا من التعليم، لكن يا أخي دون ذلك أن أضعها في يدٍ غير أمينةٍ في يد الطاغوت!! هذا غير ما ذكرتُ من العارِ في المسألة برمتها وإعطائهم ما أرادوا، وإعانتهم على الظهور علينا وأمام الناس بمظهر المنتصر والناجح والإنسانيّ، وظهورنا أمام الخلق الذين انتصبنا لدعوتهم وكابدنا السنين الطوال في سبيل تخليصهم وجَلْب الخير والعدل الإسلامي إليهم -ظهورنا أمامهم منهزمين ذليلينَ-، لا تقل لي: الواقع أننا في هزيمة، لا يا أخي، قد تنهزم الأبطال ويُغلَبُون، ولكنهم لا يُعطون الدنية ولا يذلّون في نفوسهم.. **إن الهزيمة الحقيقية هي هزيمة النفس**، وهذا واضح وإنما أُذكرُ به.

هل يطلب مني ربي ﷻ أن أرسل أهلي مع الطاغوت على هذا النحو لكي أتفرّغ للجهاد؟ إذا كان

قدرنا أننا تزوجنا وأنجبنا الذّريّة وتحملنا أمانتهم هل يطلب منا أن نتركهم لكي نتفرّغ لما تدعونا إليه حيث يعبّر الرصاص وحده.. الخ، نتركهم في يد طاغوت مباشرةً حتى يصلوا إلى اليد الأمينة، وبالقوّة وحكمًا وبطريق غير مباشر هناك وهم عند اليد الأمينة!! أنا لستُ واثقًا أن هذا يكون عذرًا لنا ويكون مطلوبًا منا ومرضيًّا عند الله، بل أظنُّ أن الأقرب أن الاشتغال بالعيال في مثل حالنا وحفظهم.. الخ هو الواجب وهو عذرٌ في ترك اللحاق بها تقول: (**وكفى بالمرءِ إثمًا أن يضيّع مَنْ يعُولُ**)[1].

وخلاصة ما عندي أنني أرى أن هذا الخيار آخر الخيارات إلى الآن؛ فلا نلجأ إليه إلا مع الاضطرار ونفاذ الحلول، ولنبحث عن حلول أخرى كالتناوب بين الإخوة، أو أخذ الأهل هناك يكونون مع الإنسان منا، ويصبرون، ويعتصمون بالله، ثم إذا وقع المحذور من قتل أو أسرٍ للرجل فإن أمر العيال يسهل «إذا ضاق الأمر اتسع»، وحينئذ لا عَيْبَ عليهم إن شاء الله، وإنما العيبُ على الرجل أن يرسلهم مختارًا لكي يجاهد! والله أعلم.

وقد فهمتُ من كلامك أن العيال إذا رجعوا إلى البلاد مضطرّين لا قدّرَ الله ذلك؛ فإن الأمر يكون أسوأ، والذي أراه عكس ذلك.

وإذا كانت «أم محمد» سامحها الله لم تصبر واختارت ما اختارت فقد يصبر غيرها، والناسُ يختلفون، ونحن نعلم -كما تعلمون- أنَّ أُسرًا كثيرة من بني جلدتنا يعيشون بالقرب منكم، لكن لما كانوا «قاطعين اليأس» سَهُل عليهم الصبر ولم تنفتح لهم أبواب التَّمَلْمُل، والله المستعان.

ويا أخي؛ لا يغرَّنَك أن إنسانًا يعيش في عاصمة دولة مدينة مستريحة يسكن في بيت حسن ويملك غَسّالة وثلاجة -مستعملات ورخيصة في الغالب- ودفّاية وخلّاط، ويأكل خبزًا ساخنًا وفاكهةً.. الخ، فهذا شأن الحياة هنا وهذا هو المستوى العاديّ لها، لكنّه إذا قُدِّر له أن يكون هناك مع البدو عاش كما يُعَاشُ هناك تقريبًا، وصَبَرَ صَبْرَ الحمار، أو قُلْ «صَبْرَ الكلب»: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق: ٧]، وفي صحيح البخاري قال عمر ﵁: «إذا وَسَّعَ اللهُ فأَوْسِعُوا»[2].

فليس ذلك مَعيبًا من حيث هو ما لم يكن فيه إسرافٌ ومخيلة، وقد نَبَّه العلماء ﵏ إلى أن الإنسان قد يكون غنيًّا مُوسِرًا ومُوَسَّعًا على نفسه لأن هذا الحال يصلحه، وهو من الزاهدين، ويكون غيره في حال قلة وشدّةٍ أو ربما يضيِّق على نفسه، ولكن ما هو من الزهد في شيء لحرصه عليها ومحبته لها، وأمثلة

---

(١) مستدرك الحاكم (٨٥٢٦)، وجاء بلفظ: (.. **من يقوت**) في: سنن أبي داود (١٦٩٢) وحسنه الألباني.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٥).

ذلك في العالمين كثيرة، ومن القسم الأول أغنياء الصحابة ﷺ ومن هنا قال بعض الأدباء: «إن الدنيا كانت بأيديهم ولم تكن في قلوبهم»؛ نسأل الله العفو والعافية والإعانة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنا أرى أن هذا الأمر -تسفير العيال- ينبغي أن يُبْحَثَ ويُسْأل فيه ويُناقش جيدًا، ولعلَّ الله يهدينا للصواب ويوفقنا لحسْنِ التصرُّف وما فيه الخير ورضاه سبحانه، وأرى أنه من الأمور الجامعة التي تُشَاوَرُ فيها القيادة وتُسْتَأذن، والله أعلم.

أخي الحبيب/ جزاك الله خيرًا على نصحك وثقتك، واعلم أنني إن شاء الله على العهد، ونحن ننتظر الفُرَصَ وننتظِرُ الفرج من مجيب المضّطرّين ومغيث المستغيثين جل وعلا، وهذا الأمر نبحث له عن حلول، وعلى الله تعالى توكُّلُنَا واعتمادُنا وإليه مرجعنا ومآبنا، فنعم المولى ونعم الوكيل ونعم النصير.. ونحن والله مُقصِّرون نسأل الله أن يغفر لنا ويصلح أحوالنا.

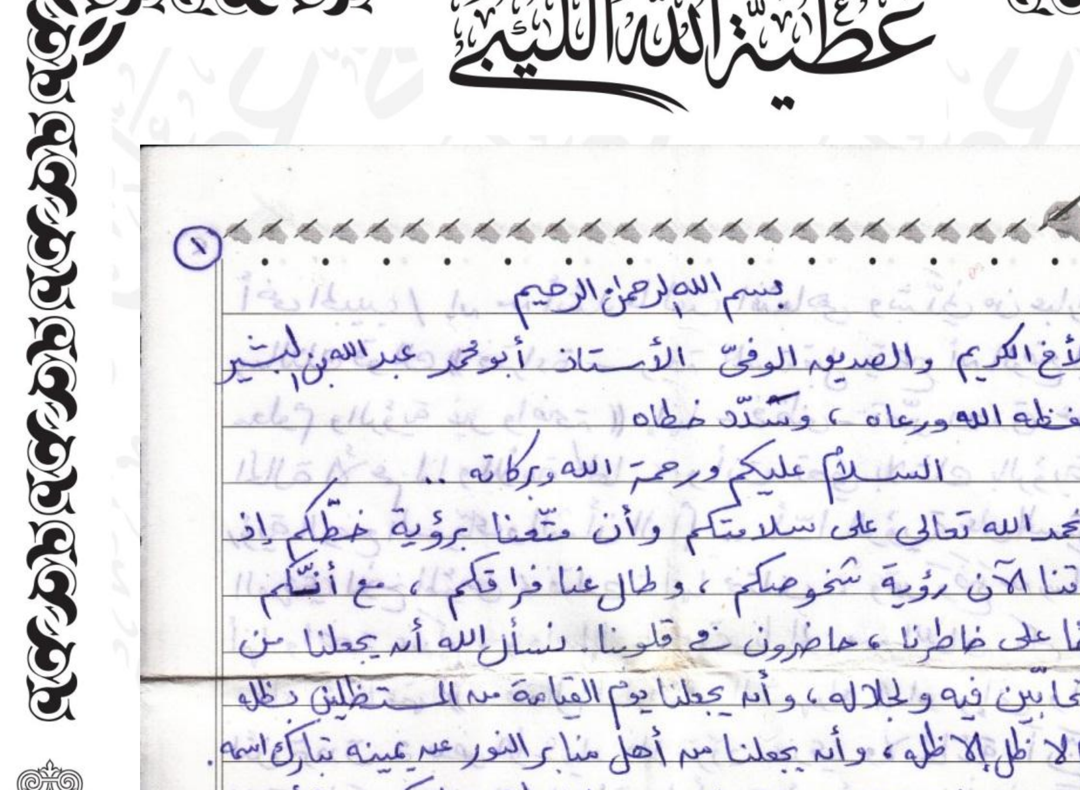
وأنت تعلم أن الخروج من هناك كان أمرًا جماعيًا وقرارًا صائبًا في وقته ومدروسًا، ونحن الآن أمام واقع جديد مِحْوَرُه الأهْلُ والعيال؛ فماذا نفعل لهم وكيف نُوفّق وماذا نقدم عند التعارض، وما الحلول الممكنة.. الخ، فنسأل الله الهداية والتوفيق والتسديد، ومع ذلك فنحن على أية حال إن شاء الله في عبادةٍ هي الصبر والرجاء وانتظار الفرج والتربُّص للفُرْصة المواتية وقد أرْصَدْنا أنفسنا لله تعالى ولنصرة دينه، ولكن على الإنسان ألَّا يضيع عيالَهُ ولا يعطي الدنيّة ما استطاع، ثم إن غلبه الأمرُ وعَجَزَ عجزًا كاملًا فالله لا يلومُهُ، بل حينَها لا يخذُلُهُ اللهُ، ويجعل له مخرجًا برحمته ولطفه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق].

وقبل الختام؛ أُذكرك أني كنت أرسلتُ لك وللشيخ أبي الليث رسالةً لكل واحدٍ منكما عن طريق ربعي، فلا أدري هل وصلتكم، كان ذلك قبل نحو العام، بعد سفر «أم محمد» من عندنا إليكم بقليل..

وفي الأخير؛ سلامي لكم من جديد، وسلامي للأخ العزيز «أبي الليث»، وأنا طالبٌ منكم الدعاء لنا ومزيد النصح، والله يفرج كروبنا وكروبكم وينصرنا وإياكم ويفتح علينا ويهدينا ويتقبل منا جميعًا، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].. والسلام عليكم.

المحب لكم المغتبط بحالكم: **عطية**

الجمعة ١٢/١٢/٢٠٠٣



(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم والصديق الوفيّ الأستاذ أبو محمد عبد الله بن البشير
حفظه الله ورعاه، وسدّد خطاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

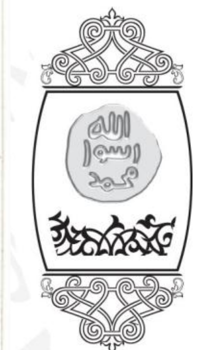
نحمد الله تعالى على سلامتكم وأن متّعنا برؤية خطّكم إذ
فاتنا الآن رؤية شخوصكم، وطال عنا فراقكم، مع أنّكم
دائمًا على خاطرنا، حاضرون في قلوبنا. نسأل الله أن يجعلنا من
المتحابّين فيه ولجلاله، وأن يجعلنا يوم القيامة من المستظلّين بظلّه
يوم لا ظلّ إلا ظله، وأن يجعلنا من أهل منابر النور عن يمينه تبارك اسمه.

وبعد/ فقد تلقّيت بغامر السرور والغبطة خطابكم وقرأت
بتمعّن كلماتكم وكنت بين الفينة والأخرى أكرر قراءتها وتأمّلها
لأنها منكم صدرت وإليكم انتسبت، فشُرّفت بطابع المحبة الخالصة
والنصح الأمين .. فبارك الله فيك فقد نصحت وبَررْت وما قصّرت.
نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنكم وأن يتقبّل منا ومنكم صالح الأعمال
ويتجاوز عن السيئات برحمته وفضله، إنه عفوّ كريم غفور رحيم،
ونسأله تعالى أن يحفظنا فيما بقي وأن يختم لنا جميعًا بالحسنى شهادةً
في سبيله عزوجل.

نبادلكم عاطر التحيات وحار الأشواق .. وسلامكم وصل إلى
من أحببتم وهم يسلمون عليكم.

فرحتُ لاتصالك بالبشير ورقية واطمئنانك عنهم بعد الطول، وأنهم
وأهلك بخير، وأسفتُ لسفر أم محمد عنك وما اختارته، وما عندنا
إلا الدعاء لهم بالتوفيق وصلاح الحال وأن يحفظهم ويلهمهم رشدهم ويتولّاهم.
وكنت أتمنى أن تكتب لي المزيد من أخباركم وتفاصيل أموركم
ولعلّ ذلك يكون في فرصةٍ أخرى إذا سنحت إلّا أن نفجأكُم هنالك
ومَنْ يدري!









(٢)

أخي الحبيب / إن من أشد ما لفت انتباهي وشدَّني من عبارات
رسالتك قولك «فقراءة سريعة للمستقبل يتضح أن الوضع ليس
معلوم والرؤية غير واضحة» إنها - في ظني - تعبّر بصدق عن
الحالة الأعم لنا وللأمة كلها، وأنت تعني بلا شك بالرؤية
رؤية الوضع السياسي والشأن العام .. أمّا الرؤية على المستوى
الفردي للأخ المؤمن، فتلك شأنها مختلف، وقد وضح من رسالتكم
أنها واضحة عندكم، وحاصلها ما دعوتمونا إلى من اللحاق بكم ...
وجاء في خاتمتها «... فتعالَ لنكون من الشهداء» اهـ وإني والله
لئن ترددت في بعض الأشياء فلا تردّد عندي ولا شائبة أن
غاية مناي من هذه الدنيا وأقصى أمنيتي أن أخرج منها شهيدًا
في سبيل الله، وكما أحبّ هذا لنفسي حبًا جمًّا أحبه لأحبابي أيضًا فنسأل
الله ألا يخيّب رجاءنا .. وقل لي وما تنفع الأماني؟ نعم إن كانت رجاءً
فالرجاء نافع محبوب عند الله، ويبقى توفيق الله ومحض فضله ومنته
وكم من بطل خاض غمارها وصلى طول حياته نارها ثم مات على فراشه
ومن الناس من رُزِقها من أول يوم بلا مؤونة وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء .. على أن ذلك ليس هو التكليف وإنما التكليفُ هو
الجهادُ في سبيل الله لتكون كلمةَ الله هي العليا، وطاعة الله على
المعنى الأشمل الأعم.

أخي الحبيب / إنك توافقني أن الرؤية للوضع السياسي والشأن العام للأمة
والحركة والجماعة إن لم تكن واضحة فهذا شيء مؤسف ومحزن، مع أنه
في كثير من الأحيان هو أمر قدريّ كوني لا تكليف فيه، وتكون له أسبابه
الميكانيكية أو غيرها أو حتى أسباب تكليفية (شرعية دينية) ولكنها
باعتبار البعض، وينجو من قام بما عليه، عند الله، فالنجاة هنالك.
لكن الشيء الأشد أسفًا والمحزن حقًا بل المصيبة الحقيقية هي عدم
وضوح الرؤية الدينية، حيث تسيطر الحيرة وتعمّ الفتنة وتختلط الأمور







(٣)

ويقلّ الناصح ويُعْدَم المرشد ، ويتبلّد الفهم ... فنسأل الله العافية
والسلامة والهداية التامة ، فإنه لا حول ولا قوّة إلا بالله ، ولا هادي
إلا هو عزوجل ولا توفيق إلا من عنده ، وإنما هو محض التوفيق
فلا علاقة لذلك بذكاءٍ أو كثرة علمٍ ظاهرٍ وحفظٍ .. إنما هو توفيق الله
وحده ، وما على العبد - الموفَّق - إلا الرغبة إلى مولاه ومولى
كل أمرٍ وأن يرغب إليه سبحانه ويصدق التضرّع والابتهال ويلحّ في الدعاء
ويطرق الأبواب ... ﴿وما النصرُ إلا من عِند الله﴾ ﴿ومن يُضلِل اللهُ
فما له مِنْ هادٍ﴾ ﴿ومَن لم يجعل اللهُ له نورًا فما له من نور﴾ ﴿وما توفيقي
إلا بالله﴾ ثم قال ﴿عليه توكلتُ وإليه أُنيبُ﴾ تنبيهًا إلى الطريق الموصلة
إليه .. ﴿أفمن كان ميّتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس﴾
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كِفلين من رحمته
ويجعل لكم نورًا تمشون به﴾ ...
ومن هنا نعرف عظيمَ شأن سؤالِ اللهِ الهداية الذي جُعِلَ فرضًا على
العبد مرّاتٍ كل يوم وليلة في قوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ نسأل الله
المولى الكريم أن يَمُنَّ علينا بالهداية التامة بكل معانيها . آمين .
فهذا تذكير لنفسي ولأخي .. وأما من حيث واقع الحال فاعلم يا أخي
الحبيب أنني إلى ساعتي هذه أرفضُ الاقتراح بإرسال العيال مع مؤسسة
فلانٍ ! ولا أرى ذلك يليق بأمثالنا ، فلئن بدا هنا خيارًا متّسمًا بالواقعية
وفيه مصلحة التفرّغ لشأننا ، لكنه ينطوي على ذُلٍّ وخزيٍ بل عارٍ !!
وإني والله ما أظنّ ذلك رِضىً عند الله ولا محبوبًا له .. ولستُ
ألومُ مُضطرًّا فَعَلَ ، بل أعذُرُه ، واللهُ يعفو عنا جميعًا ، وإنما ألومُ
من يفعل ذلك باختياره وله نوعُ سَعَةٍ والصبرُ أوسع .. إنَّ عدوّنا
قد يئس أن نسلّم له أنفسنا ابتداءً ، فاكتفى - حتى حين - بأن نسلّم
له أزواجنا وفلذاتِ أكبادنا ، ثم نصبر بعد ذلك .. وليست المشكلة
عندي في الصبر على فراقهم فذلك ربما كان مقدورًا للكثير من الإخوة



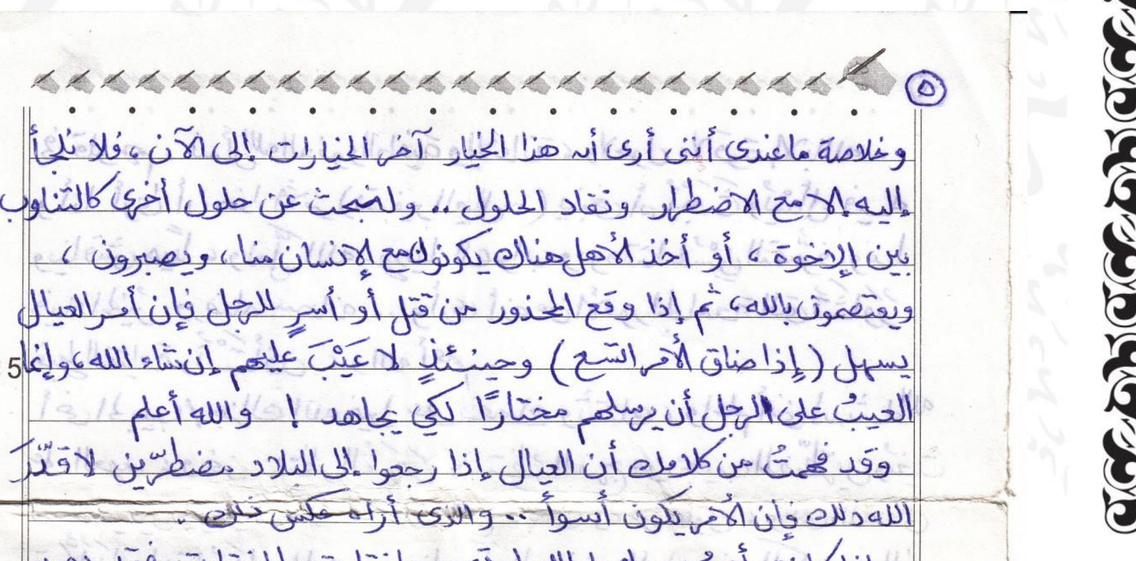
وربما استعاض عنهم ولعله يتزوج حيث هو ..! لكن أيُّ ضَيْمٍ
ومهانةٍ تلحقُهُ في أهله وأولاده الذين أرسلهم مع عدوّه الخبيث
وأي ضيم ومهانةٍ تلحق المجاهدين جميعًا وجماعتهم بجرّاء ذلك؟!
تقول لي: ضعهم في أيدٍ أمينةٍ تعني الأهل أجدادهم وأعمامهم،
ويأخذ الأولاد قسطًا من التعليم، لكن يا أخي دون ذلك أن أضعهم
في يدٍ غير أمينة في يد الطاغوت!! هذا غير ما ذكرتُهُ من العار
في المسألة برمتها وإعطائهم ما أرادوا، وإعانتهم على الظهور علينا
وأمام الناس بمظهر المنتصر والناجح والإنسانيّ ... وظهورنا أمام
الخلق الذين انتصبنا لدعوتهم وكابدنا السنينَ الطوال في سبيل تخليصهم
وجَلْب الخير والعدل الإسلامي إليهم - ظهورنا أمامهم منهزمين ذليلين

لا تقلْ لي: الواقع أننا في هزيمة، لا يا أخي، قد تنهزم الأبطال
ويُغْلَبُون، ولكنهم لا يُعطون الدنية ولا يذلّون في نفوسهم..
إن الهزيمة الحقيقية هي هزيمة النفس! وهذا واضح وإنما أُذكِّرُ به.
هل يطلب مني ربي عز وجل أن أرسل أهلي مع الطاغوت على هذا
النحو لكي أتفرّغ للجهاد؟ إذا كان قدرنا أننا تزوجنا وأنجبنا
الذرّيّة وتحملنا أمانتهم هل يطلب منا أن نتركهم لكي نتفرّغ
لما تدعونا إليه حيث يعبّر الرصاص وضده... الخ نتركهم في يد طاغوت
مباشرةً حتى يصلوا إلى اليد الأمينة، وبالقوّة وحتمًا وبطريق غير مباشر
هنالك وهم عند اليد الأمينة!! أنا لستُ اتفقًا أن هذا يكون عذرًا
لنا ويكون مطلوبًا منا ومرضيًّا عند الله.. بل أظنُّ أنه الأقرب
أن الاشتغال بالعيال في مثل حالنا وحفظهم ...الخ هو الواجب وهو
عذرٌ في ترك اللحاق بما تقول. «وكفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من
يعول»



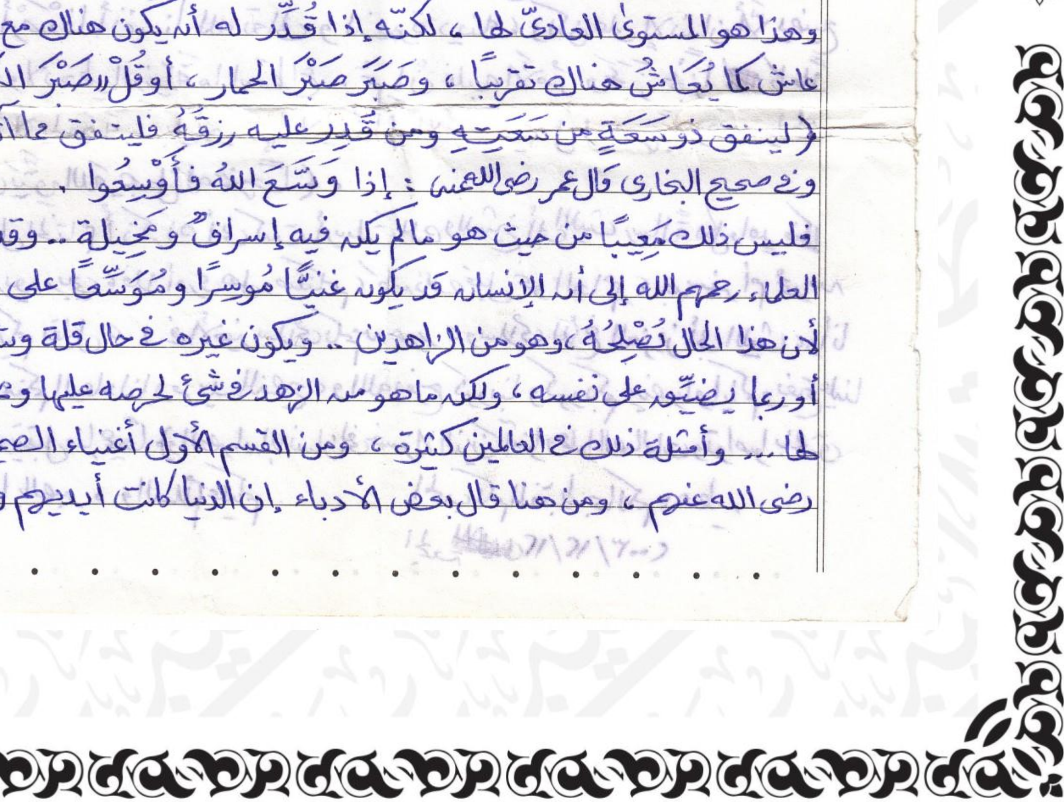




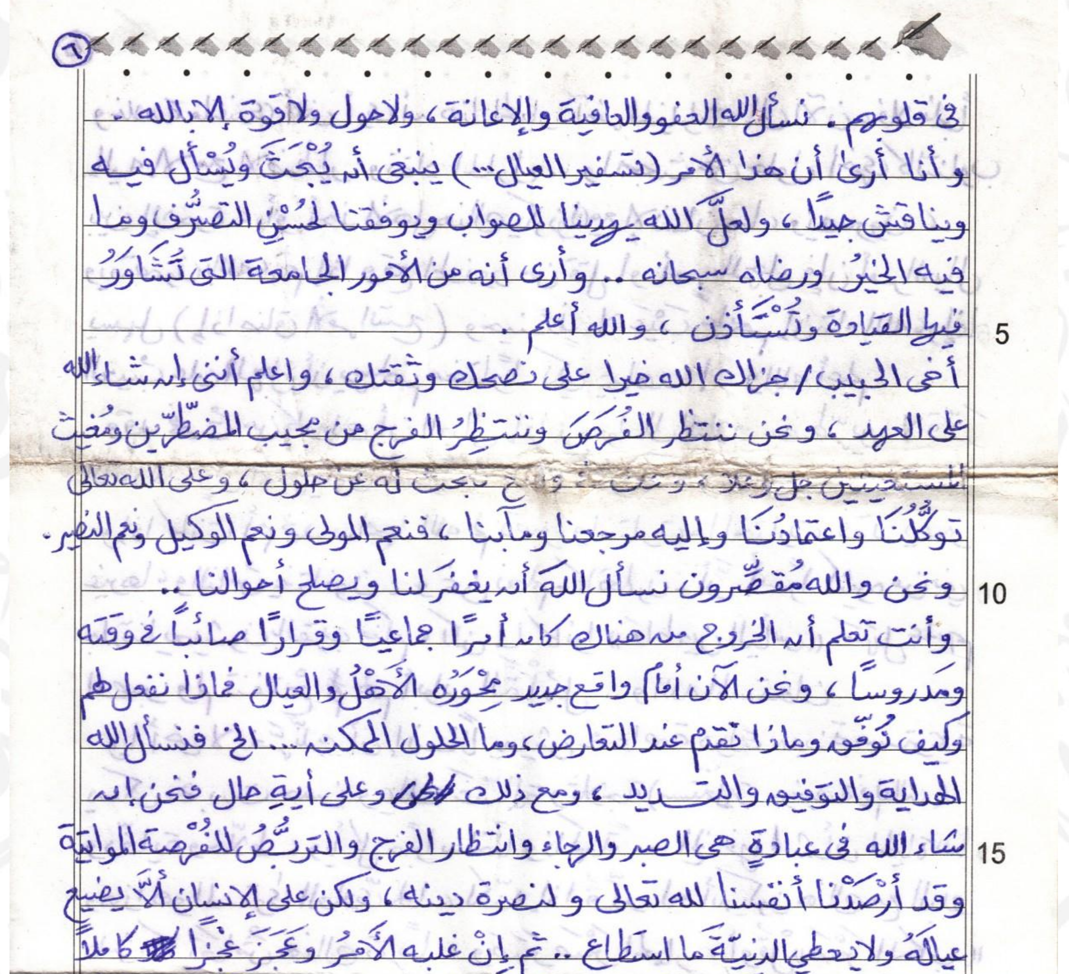


(٥)

وخلاصة ما عندي أنني أرى أنه هذا الخيار آخر الخيارات إلى الآن، فلا نلجأ
إليه إلا مع الاضطرار ونفاد الحلول .. ولنبحث عن حلول أخرى كالتناوب
بين الإخوة، أو أخذ الأهل هناك يكونون مع الإنسان منا، ويصبرون،
ويعتصمون بالله، ثم إذا وقع المحذور من قتل أو أسرٍ للرجل فإن أمر العيال
يسهل (إذا ضاق الأمر اتسع) وحينئذٍ لا عيبَ عليهم إن شاء الله، وإنما
العيبُ على الرجل أن يرسلهم مختارًا لكي يجاهد ! والله أعلم
وقد فهمتُ من كلامك أن العيال إذا رجعوا إلى البلاد مضطرين لا قدّرَ
الله ذلك فإن الأمر يكون أسوأ .. والذي أراه عكس ذلك.
وإذا كانت أم محمد سامحها الله لم تصبر واختارت ما اختارت فقد يصبر
غيرها، والناسُ يختلفون، ونحن نعلم -كما تعلمون- أنّ أُسرًا كثيرة من بني
جلدتنا يعيشون بالقرب منكم، لكن لما كانوا «قاطعين اليأس» سَهُل عليهم
الصبر ولم تنفتحْ لهم أبواب التَّمَلْمُل .. والله المستعان.
ويا أخي لا يغرَّنَّك أن إنسانًا يعيش في عاصمة دولة مدينة مستريحة
يسكن في بيت حسن ويملك غسّالة وثلاجة (مستعملات ورخيصة في الغالب)
ودفّاية وخلّاط، ويأكل خبزًا ساخنًا وفاكهةً ... الخ فهذا شأن الحياة هنا
وهذا هو المستوى العاديّ لها، لكنّه إذا قُدِّر له أنه يكون هناك مع البدو
عاش كما يُعاشُ هناك تقريبًا، وصَبَرَ صَبْرَ الحمار، أو قُلْ «صَبْرَ الكلب»
﴿لينفق ذو سَعَةٍ من سَعَتِهِ ومن قُدِرَ عليه رزقُهُ فلينفق مما آتاه الله﴾
وفي صحيح البخاري قال عمر رضي الله عنه: إذا وَسَّعَ اللهُ فأَوْسِعُوا.
فليس ذلك مَعيبًا من حيث هو ما لم يكن فيه إسرافٌ ومَخِيلة .. وقد نَبَّهَ
العلماء رحمهم الله إلى أن الإنسان قد يكون غنيًّا مُوسِرًا ومُوَسِّعًا على نفسه
لأن هذا الحال تُصْلِحُهُ، وهو من الزاهدين .. ويكون غيره في حال قلة وشِدَّةٍ
أو ربما يُضَيِّق على نفسه، ولكنه ما هو من الزهد في شيء لحرصه عليها ومحبته
لها ... وأمثلة ذلك في العالمين كثيرة، ومن القسم الأول أغنياء الصحابة
رضي الله عنهم، ومن هنا قال بعض الأدباء إن الدنيا كانت أيديهم ولم تكن







(٦)

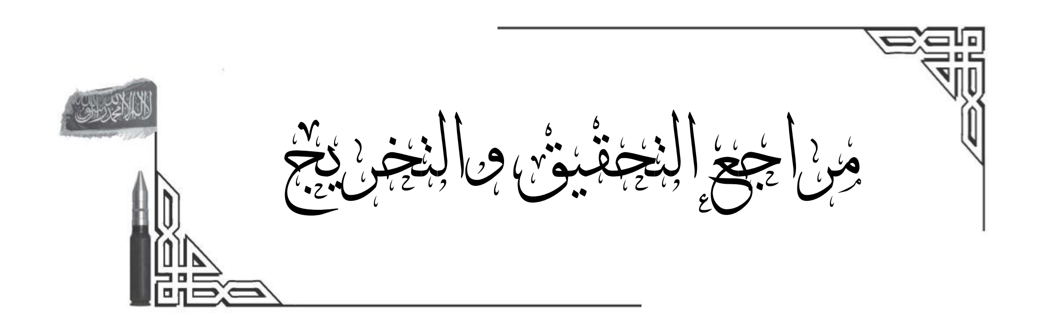
في قلوبهم . نسأل الله العفو والعافية والإعانة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
وأنا أرى أن هذا الأمر (تسفير العيال...) ينبغي أن يُبحَث ويُسأل فيه
ويناقش جيدًا ، ولعلّ الله يهدينا للصواب ويوفقنا لحسْن التصرُّف وما
فيه الخيرُ ورضاه سبحانه .. وأرى أنه من الأمور الجامعة التي تُشاوَرُ
فيها القيادة وتُسْتَأذن ، والله أعلم .
أخي الحبيب / جزاك الله خيرا على نصحك وثقتك ، واعلم أنني إن شاء الله
على العهد ، ونحن ننتظر الفُرَصَ وننتظِرُ الفرج من مجيب المضطّرين ومُغيث
المستضعفين جل وعلا ، ونحن [illegible] نبحث له عن حلول ، وعلى الله تعالى
توكّلُنَا واعتمادُنَا وإليه مرجعنا ومآبنا ، فنعم المولى ونعم الوكيل ونعم النصير .
ونحن والله مُقصِّرون نسأل اللهَ أن يغفرَ لنا ويصلح أحوالنا ..
وأنت تعلم أن الخُروج من هنالك كان أمرًا جماعيًا وقرارًا صائبًا في وقته
ومَدروسًا ، ونحن الآن أمام واقع جديد محْوَرُه الأهْلُ والعيال فماذا نفعل لهم
وكيف نُوفّق وماذا نقدم عند التعارض، وما الحلول الممكنة ... الخ فنسأل الله
الهداية والتوفيق والتسديد ، ومع ذلك وعلى أيةِ حال فنحن إن
شاء الله في عبادةٍ هي الصبر والرجاء وانتظار الفرج والتربُّصُ للفُرْصة المواتية
وقد أرْصَدْنا أنفسنا لله تعالى ولنصرة دينه ، ولكن على الإنسان ألاَّ يضيع
عيالَهُ ولا يعطي الدنيّةَ ما استطاع .. ثم إنْ غلبه الأمْرُ وعَجِزَ عجْزًا كاملاً
فالله لا يلومُهُ ، بل حينَها لا يخذُلُهُ اللهُ ، ويجعل له مخرجًا برحمته ولطفه
(ومن يتَّقِ اللهَ يجعلْ له مخرجًا) .
وقبل الختام أُذكرك أني كنت أرسلتَ لك وللشيخ أبي الليث رسالةً لكل واحدٍ منكما
عن طريق ربعي ، فلا أدري هل وصلتكم ، كان ذلك قبل نحو العام ، بعد سفر أم محمد من
عندنا إليكم بقليل ، وفي الأخير سلامي لكم من جديد ، وسلامي للأخ العزيز أبي الليث ، وأنا
طالبٌ منكم الدعاء لنا ومزيد النصح ، والله يفرج كروبنا وكروبكم وينصرنا وإياكم ويفتح علينا
ويهدينا ويتقبل منا جميعًا (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر) . والسلام عليكم المحب لكم المغتبط بحالكم : عطية
الجمعة ١٢/١٢/٢٠٠٣

تم مجموع الشيخ



والحمد لله رب العالمين..

وصلِّ اللهم وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين..



مراجع التحقيق والتخريج

١. **اجتماع الجيوش الإسلامية**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، تحقيق: عواد المعتق، مطابع الفرزدق بالرياض، الطبعة الأولى.

٢. **أحكام القرآن**: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، طبعة ١٤٠٥.

٣. **أحكام القرآن**: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣)، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة.

٤. **إحياء علوم الدين**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥)، دار المعرفة ببيروت.

٥. **الآداب الشرعية والمنح المرعية**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي المقدسي (ت ٧٦٣)، دار عالم الكتب.

٦. **الأدب المفرد**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦)، تحقيق: سمير الزهيري، ومعه تعليقات وتخريج: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى.

٧. **الأذكار**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر ببيروت، طبعة جدية منقحة ١٤١٤.

٨. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢)، دار إحياء التراث العربي.

٩. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

١٠. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري (ت ٤٦٣)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ببيروت، الطبعة الأولى.

١١. **الإصابة في تمييز الصحابة**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تحقيق: عادل

عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٢. **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى.

١٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣)، دار الفكر ببيروت، طبعة ١٤١٥.

١٤. **الاعتصام للشاطبي**: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان بالسعودية، الطبعة الأولى.

١٥. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٦. **الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام**: عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م.

١٧. **إكمال المعلم بفوائد مسلم**: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ - ١٩٩٨م.

١٨. **الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال**: شمس الدين أبو المحاسن الدمشقي الشافعي (ت ٧٦٥)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، الطبعة الأولى.

١٩. **أمثال الحديث**: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠)، تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، الطبعة الأولى.

٢٠. **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**: أبو القاسم الطالقاني إسماعيل بن عباد؛ المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة ببغداد، الطبعة الأولى.

٢١. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥)، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

٢٢. **أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري**: أبو حذيفة نبيل بن منصور الكويتي، مؤسَّسَة السَّماحة ومؤسَّسَة الريَّان ببيروت، الطبعة الأولى.

٢٣. **أهل القبلة والمتأولون**: أبو قتادة الفلسطيني عمر بن محمود أبو عمر، منشور على الانترنت.

٢٤. **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**: ابن الوزير محمد بن

إبراهيم عز الدين اليمني (ت ٨٤٠)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

٢٥. **إيطال الحيل**: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت ٣٨٧)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية.

٢٦. **الإيمان**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨)، تحقيق: ناصر الدين محمد الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة.

٢٧. **الباعث على إنكار البدع والحوادث**: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥)، تحقيق: عثمان عنبر، دار الهدى بالقاهرة.

٢٨. **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**: ابن نجيم المصري زين الدين بن إبراهيم (ت ٩٧٠)، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.

٢٩. **البداية والنهاية**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤)، تحقيق: عبد الله ين عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الطبعة الأولى.

٣٠. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

٣١. **بدائع الفوائد**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، دار الكتاب العربي.

٣٢. **البردة**: الإمام البوصيري، ضبطها وعلق عليها: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب بالقاهرة.

٣٣. **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تحقيق: سمير الزهري، دار الفلق بالرياض، الطبعة السابعة.

٣٤. **بهجة المجالس وأنس المجالس**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري (ت ٤٦٣)، طبعة المكتبة الشاملة وترقيمها -غير موافق لأي طبعة-.

٣٥. **تاريخ الرسل والملوك**: أبو جعفر محمد بن جرير ين يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠)، دار التراث ببيروت، الطبعة الثانية.

٣٦. **تاريخ المدينة**: أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري (ت ٢٦٢)، تحقيق: فهيم شلتوت، طبع على نفقة: السد حبيب محمود أحمد، طبعة ١٣٩٩.

٣٧. **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)، تحقي: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

٣٨. **تاريخ دمشق**: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١)، تحقيق:

عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥.

٣٩. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد»**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر عاشور التونسي (١٣٩٣)، الدار التونسية، طبعة ١٩٨٤.

٤٠. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: أبو العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣)، دار الكتب العلمية.

٤١. **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام**: أبو بكر ابن عاصم القيسي محمد بن محمد بن محمد الغرناطي (ت ٨٢٩)، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، دار الآفاق العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى.

٤٢. **تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن**: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

٤٣. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، وآخرين، مطبعة فضالة بالمغرب، الطبعة الأولى.

٤٤. **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العليمة، الطبعة الأولى.

٤٥. **تفسير ابن رجب الحنبلي**: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت ٧٩٥)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة بالسعودية، الطبعة الأولى.

٤٦. **تفسير البغوي**: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.

٤٧. **تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٤٨. **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بنبن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤)، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية.

٤٩. **التلخيص الحبير**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة بمصر، الطبعة الأولى.

٥٠. **التمثيل والمحاضرة**: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية.

٥١. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري (ت ٤٦٣)، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف المغربية، طبعة ١٣٨٧.

٥٢. **تهذيب التهذيب** أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى.

٥٣. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: يوسف بن عبد الرحمن، أبو الحجاج، جمال الدين القضاعي الكلبي المزي (ت ٧٤٢)، تحقيق: بشار معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٥٤. **التوقيف على مهمات التعاريف**: زين الدين محمد بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١)، عالم الكتب بمصر، طبعة ١٤١٠.

٥٥. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني وغيرها، الطبعة الأولى.

٥٦. **جامع البيان في تأويل القرآن**: أبو جعفر محمد بن جرير ين يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٥٧. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة.

٥٨. **جامع بيان العلم وفضله**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري (ت ٤٦٣)، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي بالسعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤ - ١٩٩٤ م.

٥٩. **الجامع في طلب العلم الشريف**: عبد القادر بن عبد العزيز «سيد إمام»، الطبعة الكاملة في مجلد واحد المحوبة بـ«النكت اللوامع»، منشور على الانترنت.

٦٠. **الجامع لأحكام القرآن**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية.

٦١. **جامع معمر بن راشد**: أبو عروة عمر بن أبي عمرو راشد (ت ١٥٣)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية.

٦٢. **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث**: أحمد بن عبد الكريم العامري (ت ١١٤٣)، تحقيق: بكر بن عبد الله بو زيد، دار الراية، الطبعة الأولى.

٦٣. **جمهرة أشعار العرب**: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠)، نهضة مصر للطباعة.

٦٤. **الجهاد**: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي التركي المرْوزي (ت ١٨١)، الدار التونسية، طبعة ١٩٧٢.

٦٥. **الجوهر النفيس من شعر الإمام محمد بن إدريس**: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا بمصر.

٦٦. **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**: محمد بن أحمد الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠)، دار الفكر.

٦٧. **حاشية الدسوقي على خليل**: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠)، دار الفكر.

٦٨. **حاشية السندي على النسائي**: أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي السندي (ت ١١٣٨)، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثانية.

٦٩. **حجة الله البالغة**: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين المعروف بـ«الشاه ولي الله الدهلوي»، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل ببيروت، الطبعة الأولى.

٧٠. **الحماسة البصرية**: صدر الدين أبو الحسن البصري علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت ٦٥٩)، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب ببيروت.

٧١. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**: علماء نجد الأعلام، تحقيق وجمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة.

٧٢. **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**: أبو مصعب السوري عمر عبد الحكيم الست مريم، الطبعة الكاملة المنشورة على الانترنت.

٧٣. **ديوان حسان بن ثابت** ﵁: تحقيق وتعليق: د. وليد عرفات، دار صادر ببيروت، طبعة ٢٠٠٦.

٧٤. **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢)، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس.

٧٥. **رد المحتار على الدر المختار**: ابن عابدين محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢)، دار الفكر ببيروت، الطبعة الثانية.

٧٦. **الرسالة الثلاثينية في التحذير من الغلو في التكفير، أو رسالة الجفر في أن الغلو في الكفر يودي إلى الكفر**: أبو محمد المقدسي عاصم البرقاوي، الطبعة المنشورة على الشبكة.

٧٧. **الروح (في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة)**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، دار الكتب العلمية ببيروت.

٧٨. **روضة الطالبين وعمدة المفتين**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦)، تحقيق:

زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.

٧٩. **الزهد**: أبو سفيان وكيع بن الجراح (ت ١٩٧)، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى.

٨٠. **سبل السلام شرح بلوغ المرام**: عز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني؛ الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢)، دار الحديث.

٨١. **سراج الملوك**: أبو بكر محمد بن محمد الطرطوشي المالكي (ت٥٢٠)، من أوائل المطبوعات العربية (نُشرت عام ١٢٨٩، ١٨٧٢م).

٨٢. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى لمكتبة المعارف.

٨٣. **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى.

٨٤. **السنة**: أبو بكر أحمد ين محمد بن هارون الخلال البغدادي الحنبلي (ت ٣١١)، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى.

٨٥. **سنن «مسند» الدارمي**: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني، الطبعة الأولى.

٨٦. **سنن ابن ماجه**: أبو عبد الله محمد بن يزيد -وهو ماجه- القزويني (٢٧٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصحوبا بأحكام: ناصر الدين الألباني، دار إحياء الكتب العربية.

٨٧. **سنن أبي داود**: أبو داود سليمن بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (ت ٢٧٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ببيروت.

٨٨. **سنن الترمذي**: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي (ت ٢٧٩)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، مصحوبا بأحكام وتحريجات: الألباني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية.

٨٩. **سنن الدارقطني**: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، مصحوبا بأحكام: الألباني، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى.

٩٠. **السنن الكبرى**: أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثالثة.

٩١. **السنن الكبرى**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣)، تحقيق:

حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٩٢. **سنن النسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مصحوبا بأحكام: الألباني، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية.

٩٣. **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق: مجموعة بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة.

٩٤. **السير والمغازي «سيرة ابن إسحاق»**: محمد بن إسحاق بن يسار المدني (ت ١٥١)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر ببيروت، الطبعة الأولى.

٩٥. **سيرة ابن هشام**: جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية.

٩٦. **سيرة عمر بن عبد العزيز**: أبو محمد المصري عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤)، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب ببيروت ، الطبعة السادسة.

٩٧. **شرح القواعد الفقهية**: أحمد بن الشيخ محمد الزرقا (ت ١٣٥٧)، تصحيح: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم بدمشق، الطبعة الثانية.

٩٨. **شرح ديوان الحماسة**: أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي (ت ٥٠٢)، دار القلم.

٩٩. **شرح ديوان الحماسة**: أبو علي أحمد بن محمد الأصفهاني المرزوقي (ت ٤٢١)، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٠٠. **شرح ديوان عنترة**: الخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

١٠١. **شرح صحيح البخاري**: أبو الحسن ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية.

١٠٢. **شعب الإيمان**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار الندوي، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى.

١٠٣. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤)، دار الفكر ببيروت، طبعة ١٤٠٩.

١٠٤. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، دار المعرفة ببيروت، طبعة ١٣٩٨.

١٠٥. **الشكر**: أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١)، تحقيق: بدر البدر، المكتب

الإسلامي ببيروت، الطبعة الثالثة.

١٠٦. **شهداء في زمن الغربة**: أبو عبيدة المقدسي عبد الله بن خالد العدم (ت ١٤٣٤)، تقديم الشيخ: أبي الوليد الغزي الأنصاري، الطبعة المنشورة على الانترنت.

١٠٧. **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ﷺ: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني.

١٠٨. **صحيح ابن حبان «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»**: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (٣٥٤)، رتبه وقربه: الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

١٠٩. **صحيح ابن خزيمة**: أبو بكر محمد بن إسحاق ين خزيمة بن المغيرة السمي النيسابوري (ت ٣١١)، تحقيق: مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

١١٠. **صحيح البخاري «الجامع المسند الصحيح المتصل من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى.

١١١. **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، المكتب الإسلامي.

١١٢. **صحيح مسلم «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث.

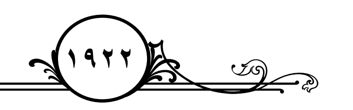
١١٣. **صفة الصفوة**: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث بالقاهرة، طبعة ١٤٢١.

١١٤. **صيد الخاطر**: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم، الطبعة الأولى.

١١٥. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة المجددة المزيدة والمنقحة.

١١٦. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢)، دار مكتبة الحياة ببيروت.

١١٧. **الطب النبوي**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠)، تحقيق: مصطفى خضر



دونمز التركي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى.

١١٨. **الطبقات الكبرى**: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء (ت ٢٣٠)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى.

١١٩. **طبقات فحول الشعراء**: أبو عبد الله محمد بن سلَّام بن عبيد الله الجمحي (ت ٢٣٢)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.

١٢٠. **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، بإشراف: محمد قطب، دار الكلمة، الطبعة الأولى.

١٢١. **العقد الفريد**: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٢٢. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥)، دار إحياء التراث العربي، طبعة ٢٥ جزءًا.

١٢٣. **العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله تعالى**: عبد القادر بن عبد العزيز «سيد إمام»، الطبعة المنشورة على شبكة الانترنت.

١٢٤. **عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم**: أبو عبد الرحمن العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر (ت ١٣٢٩)، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية.

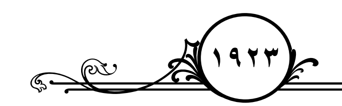
١٢٥. **عيار الشعر**: أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد طباطبا الحسن العلوي (ت ٣٢٢)، تحقيق: عبد العزيز المانع، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٢٦. **الفتاوى الكبرى**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٢٧. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، بتعليقات: ابن باز، دار المعرفة ببيروت.

١٢٨. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥)، تحقيق: محمود عبد المقصود وغيره، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة ودار الحرمين، الطبعة الأولى.

١٢٩. **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان



التميمي (ت ١٢٨٥)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، الطبعة السابعة.

١٣٠. **الفروع مع تصحيح الفروع للمرداوي**: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (ت ٧٦٣)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

١٣١. **فضائل الأوقات**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨)، تحقيق: عدنان عبد الرحمن القيسي، مكتبة المنارة بمكة، الطبعة الأولى.

١٣٢. **القاموس المحيط**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧)، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة.

١٣٣. **القوانين الفقهية:** أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١)، بدون تاريخ طبع.

١٣٤. **الكاشف**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى.

١٣٥. **الكافي في فقه الإمام أحمد**: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٣٦. **الكافي في فقه أهل المدينة**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري (ت ٤٦٣)، تحقيق: محمد أحمد أحيك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الثانية.

١٣٧. **الكامل في التاريخ**: عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الأولى.

١٣٨. **الكتاب الجامع لخطب وكلمات الشيخ المعتز بدينه: أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-**: أبو مصعب الزرقاوي أحمد الخلايلة (ت ١٤٢٧)، ورشة عمل البراق، الطبعة الأولى.

١٣٩. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨)، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.

١٤٠. **الكفاية في علم الرواية:** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣)، تحقيق: أبو عبد الله السورقي – إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

١٤١. **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى

الإفريقى (ت ٧١١)، دار صادر، الطبعة الثالثة.

١٤٢. **المجالسة وجواهر العلم**: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣٣٣)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية بالبحرين ودار ابن حزم ببيروت، تاريخ النشر: ١٤١٩.

١٤٣. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧)، تحقي: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي بالقاهرة، طبعة ١٤١٤.

١٤٤. **مجموع الفتاوى**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨)، تحقيق وجمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد، نُشر عام ١٤١٦.

١٤٥. **مجموع فتاوى ابن باز**: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠)، جمع وتحقيق: محمد بن سعد الشويعر، الطبعة الكاملة في ثلاثين جزءًا.

١٤٦. **المحلى بالآثار**: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦)، دار الفكر ببيروت، الطبعة المحتوية على اثني عشر جزءًا.

١٤٧. **مختار الصحاح**: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ببيروت، الطبعة الخامسة.

١٤٨. **مختصر المزني**: أبو إبراهيم المزني إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل (ت ٢٦٤)، دار المعرفة ببيروت، سنة النشر: ١٤١٠.

١٤٩. **مختصر خليل**: ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المصري (ت ٧٧٦)، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى.

١٥٠. **مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر (١٩٨٨ - ١٩٩٦)**: أبو مصعب السوري عمر عبد الحكيم الست مريم، الطبعة الكاملة المنشورة على الانترنت.

١٥١. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة.

١٥٢. **مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود**: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي، راجعها وضبطها: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، توزيع: دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

١٥٣. **مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود**: محمد بن سعيد الدلاصي البوصيري (ت ٦٩٦ على خلاف في تاريخ الوفاة)، راجعها وضبطها: عبد الرحمن حسن محمود، توزيع: مكتبة الآداب بالقاهرة.

١٥٤. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦)، تحقي: أسعد داغر، دار الهجرة بقم، طبعة ١٤٠٩.

١٥٥. **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٥٦. **المستدرك على مجموع الفتاوى**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨)، تحقيق وجمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الأولى عام ١٤١٦.

١٥٧. **مسند ابن أبي شيبة**: أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي (ت ٢٣٥)، تحقيق: عادل العزازي وأحمد المزيدي، دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى.

١٥٨. **مسند إسحاق بن راهويه**: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي ابن راهويه (ت ٢٣٨)، تحقيق: عبد الغفار البلوشي، مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى.

١٥٩. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره بإشراف: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

١٦٠. **مسند البزار «البحر الزخار»**: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار (ت ٢٩٢)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، الطبعة الأولى.

١٦١. **مسند الحارث «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث»**: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي المعروف بابن أبي أسامة (ت ٢٨٢)، تحقيق: حسين الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى.

١٦٢. **مسند الروياني**: أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (ت ٣٠٧)، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة بالقاهرة، الطبعة الأولى.

١٦٣. **مسند الشاميين**:أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

١٦٤. **مسند الشهاب**: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري (ت ٤٥٤)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية.

١٦٥. **المسند المستخرج على صحيح مسلم**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠)،

تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٦٦. **مشكاة المصابيح**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله اخطيب العمري التبريزي (ت ٧٤١)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.

١٦٧. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت نحو ٧٧٠)، المكتبة العلمية ببيروت.

١٦٨. **مصرع التصوف «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد»**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٨٥)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، طبعة الباز.

١٦٩. **المصطلحات الأربعة في القرآن**: أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي (ت ١٣٩٩)، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني،

١٧٠. **مصنف ابن أبي شيبة**: أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي (ت ٢٣٥)، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى.

١٧١. **المصنف**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بالهند، الطبعة الثانية.

١٧٢. **مع صبغة الله الصمد**: أبو قتادة الفلسطيني عمر بن محمود أبو عمر، دار النور، الطبعة الأولى.

١٧٣. **معالم السنن «شرح سنن أبي داود»**: أبو سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨)، المطبعة العلمية بحلب، الطبعة الأولى.

١٧٤. **المعجم الكبير**: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الثانية.

١٧٥. **معرفة السنن والآثار**: أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت ٤٥٨)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي ودار قتيبة ودور أخرى، الطبعة الأولى.

١٧٦. **المغني عن حمل الأسفار «تخريج أحادث إحياء علوم الدين»**: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى..

١٧٧. **المغني**: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

١٧٨. **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الملقب بفخر الدين

الرازي (ت ٦٠٦)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.

١٧٩. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت ٦٥٦)، تحقيق: محيي الدين مستو وغيره، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، الطبعة الأولى.

١٨٠. **منح الجليل شرح مختصر خليل**: أبو عبد الله المالكي محمد بن أحمد بن محمد عليش (ت ١٢٩٩)، دار الفكر ببيروت، تاريخ النشر: ١٤٠٩.

١٨١. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

١٨٢. **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية.

١٨٣. **الموازنة بين أبي تمام والبحتري**: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠)، تحقيق: السيد أحمد صقر وغيره، دار المعارف ومكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة.

١٨٤. **الموافقات**: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت ٧٩٠)، تحقيق: مشهور سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى.

١٨٥. **موطأ الإمام مالك «رواية أبي مصعب الزهري»**: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (ت ١٩٧)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.

١٨٦. **مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦)، تحقيق: ناصر الطريم، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

١٨٧. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت ٨٨٥)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

١٨٨. **النكت اللوامع في ملحوظات الجامع**: أبو محمد المقدسي عاصم البرقاوي، الطبعة المنشورة على الانترنت، استعانةً بالطبعة المنشورة على حواشي «الجامع في طلب العلم الشريف».

١٨٩. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية ببيروت، طبعة ١٣٩٩.

١٩٠. **نونية ابن القيم**: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الثانية.

١٩١. **نونية القحطاني**: لعله أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي (ت

٣٧٨)، تحقيق: عبد العزيز الجربوع، دار الذكرى، الطبعة الأولى.

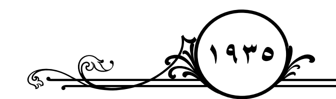
١٩٢. **نيل الأوطار**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث بمصر، الطبعة الأولى.

١٩٣. **وا محمداه.. إن شانئك هو الأبتر**: سيد بن حسين العفاني، دار الفاني بمصر، الطبعة الأولى.

١٩٤. **وبل الغمامة في أحكام الإمامة**: أبو المنذر سامي الساعدي، نشر وتقديم: أبو عبد الرحمن عطية الله الليبي، طبعة الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية.



المحتويات



هذا المجموع

(إن من العلماء العاملين، القدوات الباذلين، الصادقين الصابرين -كما نحسبهم، ولا نزكي على الله أحدا- الشيخ المجاهد القائد الشهيد بإذن الله: «**أبو عبد الرحمن، جمال بن إبراهيم اشتيوي المصراتي الليبي؛ المعروف بعطية الله الليبي**» رحمه الله..

فهو -تقبله الله- علمٌ من أعلام الجهاد في هذا الزمان؛ ذو سيرة عطرة، وعلوم نضرة، أتبع العلمَ العملَ، وصدّق القول بالفعل؛ فحمل السلاح، ورفع راية الجهاد، ذابًا عن أمته، منتصرا لملته، مقيما لشريعة ربه؛ فجدد تاريخ السالفين، وأعاد أمجاد الغابرين، وأحيا -مع إخوانه المجاهدين- ما درس من معالم الجهاد، في أمة الاستشهاد؛ فجزاه الله عنا والمسلمين خيرا..

ولأن كلماته وجهوده المباركة قد تكاثرت، ومنفعتها قد عمت، وانتشر صيتها بين الباذلين أرواحهم في سبيل ربهم من خيار هذه الأمة المجاهدين؛ فقد شددنا العزم على حفظها للأمة، بإعادة ترتيبها وتنضيدها، وبث روح الحياة فيها من جديد؛ فلئن حرمنا التتلمذ على الشيخ في حياته؛ فلن نحرم -بإذن الله- أجر حفظ علمه بعد استشهاده؛ بصيانته من الضياع، وحفظه من التحريف والاندثار، وهذا أقل واجب نقدمه لهذا الشيخ المجاهد، ولإخوانه؛ نصرهم الله..).



